الوعي الإسلامي

إسلامية شهرية جامعة

al-Waei al-Islami

العدد ٤٠١ ـ السنة السادسة والثلاثون ـ محرم ١٤٢٠ هـ ـ أبريل / مايو ١٩٩٩ م

حضارتنا الإسلامية في مواجهة الانهزام النفسي



ذكرى الهجرة ومأساة كوسوفا!

الحركة الإسلامية واحتكار الحقيقة

الظلم الاجتماعي مصطلح بحاجة إلى مراجعة

هديتك مع العدد براعم الإيمان

تتقدم وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

ومجلة الوعي الإسلامي

مــــن

صاحب السمو أمير البلاد

وسمو ولي عهده رئيس مجلس الوزراء

والشعب الكويتي الكريم

والأمة العربية والإسلامية

بأجمل التهاني القلبية وأطيب الأمنيات لمناسبة حلول

العام الهجري الجديد ١٤٢٠هـ

سائلين المولى سبحانه وتعالى

أن يرحم الشهداء الأبرار

ويفك قيد الأسرى ويعيدهم سالمين

الوعي الإسلامي

إسلامية ❖ شهرية ❖ جامعة

تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية
في دولة الكويت في مطلع كل شهر عربي

Islamic Monthly Magazine, Published By The
Ministry of Awqaf & Islamic Affairs - Kuwait

رئيس التحرير
CHIEF EDITOR
د. صالح أحمد الراشد
Dr. SALEH A. AL-RASHED

المشرف الإداري والمالي
ADMN. & FINANCE DIRECTOR
خالد عبداللطيف بوقماز
KHALED A. BUQAMMAZ

الإشراف الفني
ART DESIGNER
صالح محمد صالح
SALEH M. SALEH

العدد 401 . السنة الخامسة والثلاثون - محرم 1420 هـ . أبريل / مايو 1999 م

الأسعار

الكويت : ٣٥٠ فلسا . السعودية : ٤ ريالات . البحرين : ٣٠٠ فلس . قطر : ٤ ريالات . الامارات : ٤ دراهم . سلطنة عمان : ٣٠٠ بيسة . الأردن : ٥٠٠ فلس . مصر : جنيه واحد . السودان : ٥ جنيهات . موريتانيا : ١٢٠ اوقية . تونس : دينار واحد . الجزائر : ٥ دنانير . اليمن : ٥ ريالات . لبنان : ١٠٠٠ ليرة . سوريا : ٢٠ ليرة . المغرب : ٦ دراهم . ليبيا : ٥٠٠ مليم . اوروبا : جنيه استرليني واحد او مايعادله . امريكا وبقية دول العالم الأخرى : دولاران او مايعادلهما .

كلمة العدد

قضيتان في مطلع العام الهجري الجديد

أعزائنا القراء:

مع بداية العام الهجري الجديد حاولنا قدر استطاعتنا وإمكاناتنا المتوافرة أن نصدر المجلة في ثوب جديد يتناسب والتطورات المستمرة في الساحة الإعلامية أملين أن نكون قد استجبنا لبعض آراء ومقترحات الإخوة القراء والأخوات القارئات التي تنهال علينا طوال العام، حيث نقوم بدراستها وتنفيذ ما يمكن تنفيذه منها وليعذرنا الإخوة القراء في حال عدم تلبية كل آرائهم وملاحظاتهم ورغباتهم.

لقد حاولنا التركيز في ثنايا هذا العدد على قضيتين رئيسيتين هما:

أحداث إخواننا في إقليم كوسوفا والنتائج المأساوية التي أفرزتها هذه الكارثة في وقت تستعد فيه الإنسانية جمعاء لدخول الألفية الميلادية الثالثة بمبادئ ومفاهيم جديدة تقوم على الاحترام المتبادل بين جميع أمم الأرض وشعوبها بغض النظر عن ألوانها وأشكالها وعروقها ودياناتها..

أما القضية الثانية فهي قضية الوقف الإسلامي وحاجة أمتنا لإحيائه في صورة عمل مؤسسي منظم، وإعادة صوره المشرقة في حضارتنا الإسلامية ليسهم من جديد في حركة التنمية المجتمعية المعاصرة في جميع مجالاتها الدعوية والاجتماعية والاقتصادية والفكرية بعد قرون من التخلف أصابت أمتنا في الصميم، وأبعدتها عن ركب الحضارة الإنسانية المعاصرة والله من وراء القصد.

وكل عام وأنتم بخير ،،،

الوعي الإسلامي

المراسلات

المراسلات كافة باسم رئيس التحرير
مجلة الوعي الإسلامي
ص.ب : ٢٣٦٦٧ - الصفاة - 13097 - الكويت
هاتف ٢٤٨٧٢١٠ (٩٦٥+) فاكس ٢٤٣١٧٤٠ (٩٦٥+)

al-Waei al-Islami
P.O. BOX 23667 SAFAT
13097 KUWAIT
TEL. 965 2487210 FAX 965 2431740

e.mail: al_waei@hotmail.com
Homepage: www.kuwait.net/~awqafnet

الاشتراكات

- داخل الكويت :
للأفراد ٥ دنانير . للمؤسسات ١٠ دنانير كويتية .
- الدول العربية :
للأفراد ٦ دنانير كويتية (او مايعادلها) .
- دول العالم :
للأفراد ١٠ دنانير كويتية (او مايعادلها) .
- للمؤسسات :
٢٠ ديناراً كويتياً (او مايعادلها) .

ترسل قيمة الاشتراكات في شيك إلى إدارة المجلة باسم مجلة الوعي الاسلامي (الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)

المجلة غير ملتزمة بإعادة أي مادة تتلقاها للنشر. والمقالات لا تعبر بالضرورة عن رأي الوزارة

مطابع السياسة - الكويت

وكيل التوزيع شركة الخليج لتوزيع الصحف هاتف ٤٨١٦٨٨٤/٥ / ٤٨٣٥٠٤٧ ص.ب ٤٢٠٥٧ الشويخ 70651 الكويت . برقيا نيوزبيبر

في العدد

قضايا اسلامية

تجاوب إسلامي مع محنة كوسوفا



10

على الرغم من حالة الوهن والتفكك التي تمر بها الأمة الإسلامية، إلا أن التعاطف الكبير الذي أبداه المسلمون تجاه إخوانهم المسلمين في كوسوفا يؤكد أن أمتنا مازالت بخير وأنها قادرة على تجاوز المحنة وهي أشد قوة وعزما.

حوار

18

الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي

الدكتور عبدالله بن صالح العبيد في حواره مع الوعي الإسلامي يتحدث عن جملة من القضايا الإسلامية التي تدخل في صلب اهتمامات الرابطة وتوجهاتها.

فكر

36

الحركة الإسلامية واحتكار الحقيقة

هل المعركة الدائرة اليوم في فضاءات الأمة حول مشروعية حركة الإسلام العامة تعد بدعة عصرنا هذا؟! أم أن هذه الحركة خاضت معاركها من أجل الوجود وتحقيق الذات منذ وجدت وحتى يومنا هذا؟

في الأعداد المقبلة

- رد الشبهات عن الإرث في الإسلام — د. محمد الزحيلي
- وظائف الأخبار في الإعلام الإسلامي — عبدالله بدران
- اكتشاف معجزة جديدة في القرآن الكريم — د. أحمد شوقي الفنجري
- تعاليق على طفل الأنابيب — عبدالوكيل أحمد صافي
- أضواء حول رعاية الإسلام للعقل — د. أحمد عبدالرحيم السايح
- الذاتية الإسلامية في مواجهة العولمة — د. رضا عبدالحكيم رضوان
- الفكر ضرورة أم ترف؟ — د. نعمان السامرائي
- الرحمة خلق إسلامي رفيع وعاطفة إنسانية — محمد رجاء عبدالمتجلي

الفهرس

ذكرى الهجرة ومأساة كوسوفا

تحلُّ علينا ذكرىٰ هجرة النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ونحن نعيش أحداثاً مريرة في عالمنا الإسلامي، إنها الكارثة، بل المأساة الحزينة التي تحدث في إقليم كوسوفا العزيز، حيث نجد أنهاراً من الدماء وأنهاراً من الدموع تسيل هنا وهناك... نعم إن كوسوفا اليوم تعيش أحداثاً دامية، فهناك المجازر وهناك التشريد والتنكيل والتعذيب والاغتصاب في كل مكان. صور وألوان شتى يمكن للإنسان أن يسرح فيها بخياله ما شاء الله له أن يسرح، ماثلة أمامه صوراً من جحيم الحياة!!

نعم إنها بداية عام هجري جديد تقترب مع حلول الألفية الثالثة بعد أشهر ليست ببعيدة، يجب أن تكون لنا محطة تأمل وقاعدة انطلاق ومرصداً لرؤى مستقبل حياة أمة المسلمين، تلك الأمة التي انبثقت من الهجرة العطرة فكانت هجرة المصطفى ـ صلى الله عليه وسلم ـ تمثيلاً لميلاد أمة وتحقيق رسالة الإنسان في هذا الوجود.

ما الذي يمكن أن نفيد منه في عامنا الهجري الجديد ونحن نرى تكالب الأمم علينا كما تتكالب الأكلة على قصعتها، نرى الملمات تحيق بنا من كل حدب وصوب، ونرى الشتات بالذات لبلد أخرج أهله منه بغير حق إلا أنهم يطلبون حقاً هو حقهم ويريدون حرية هي شرعة لهم، فقد بلغت الإحصاءات الأخيرة من لاجئي كوسوفا ما يزيد عن المليون ينتشرون في أصقاع أرض الله باحثين عن مأوى في خلاء أو قطعة من لباس أو الأهم لقمة غذاء في كسرة خبز ولو تسرب إليها العفن أو جرعة من ماء خالطها الأسن، ناهيك عن ما يحتاجه هؤلاء من رعاية ودواء.

إن مؤسسات ومنظمات حقوق الإنسان ودول وشعوب العالم الإسلامي كل أولئك تلزمهم مسؤولية العون والمساعدة والمساندة لمسلمي كوسوفا، وأن يكون الصد والحزم لأعداء الدين والقيم والإنسانية من الصرب قوياً وعملياً لتخليص وإنقاذ ما يمكن إنقاذه من الحطام الكبير والدمار الشامل الحادث لشعب ألبان كوسوفا، وإنه لكلمة حق تقال أن نشيد بجهود بلدنا الكويت أميراً وحكومة وشعباً للدعم الكبير الذي قدموه لإخوانهم من شعب إقليم كوسوفا المغلوب على أمره والشكر لكل من قدم خيراً لإخوانه في الدين والإنسانية، والدعوة لكل صاحب ضمير حي بمد يد العون لهؤلاء المعذبين رجاء الفرج من الله لإخواننا في الدين عما قريب، فالله جل وعلا العلي القدير قادر على نصر من ينصره: (إن الله لقوي عزيز) والله الموفق.

الافتتاحية

رئيس التحرير

بريد القراء

ترحب الوعي الاسلامي برسائل القراء وتنشر منها ما يتوافق مع سياسات النشر لديها بما لا يتعارض مع حقوق الآخرين وحرية الرأي. وتحتفظ المجلة بحق تنقيح الرسائل واختصارها.

ملامح من عظمة الرسول ﷺ

يقول الفيلسوف الإنكليزي «برناردشو»: «لو أن محمداً - ﷺ - واجه مشكلات هذا العصر لأمكنه أن يضع لها أصلح الحلول بأقصر الأوقات».

وهذه العبارة التي تصدر عن هذا الفيلسوف الذي يعلم علم اليقين طريقة الرسول - ﷺ - في علاج النفس البشرية التي سجلت أعظم النجاحات في عصره «عصر الجيل الأول الإسلامي» حيث أخرجهم من ظلمات الجاهلية إلى نور الإسلام إذ وحد شمل النفوس الضائعة وقادهم إلى أن تكون هذه النفوس الضائعة خير أمة أخرجت للناس. والنجاح الذي صاغه الرسول - ﷺ - لهو برهان قاطع على أن في شريعته الإلهية «شريعة الإسلام» العلاج الناجع لكل أدواء البشرية المعاصرة وهذا ما أراد برناردشو أن يبينه في مقولته عن الرسول.

ولا غرو أن محمداً رسول الله قد اصطفاه الله لحمل رسالته الخاتمة إلى العالمين جميعاً. حيث علّمه الله ما لم يعلم وزوده بكل المواهب والمعجزات التي تؤهله لإنقاذ الإنسان من وحل الشرور والرذائل إلى بر الإحسان والخيرات وليكون هذا الرسول بأخلاقه ودعوته وقيادته الحكيمة الأسرة المثلى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

قال تعالى: (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر).

محمد موسى الصفيان - الرياض

إسرائيل والاستنساخ السياسي

عبر عملية جراحية ناجحة تمكنت إسرائيل من استنساخ مثيلتها والتي يبدو أنها اشترطت فيها أن يكون لها من النفوذ والسلطان ما يساعد أختها الأولى في تحقيق أطماعها وأغراضها.

وقد وُفّقت إسرائيل كل التوفيق حينما استنسخت من أميركا إسرائيل أخرى وللإنصاف فإنه استنساخ سياسي وليس شعبي، فالشعوب لا تستنسخ وتم استنساخ القادة وأصحاب مواقع التحكم، فالكونغرس الأميركي يهودي والخارجية الأميركية يهودية حتى الدفاع الأميركي لم يبعد عن متناول الذراع الطويلة، وكل هذا يعضد من شأن إسرائيل كي تزداد وقاحتها وصلافتها تجاه العرب والمسلمين وساعدها على ذلك أيضاً ضعف العرب وهوان المسلمين.

إذاً فالحل يكمن في أحد خيارين، إما قطع الرابط بين أميركا وإسرائيل، وإما أن نكون نحن العرب والمسلمين على قدر المواجهة أمام إسرائيل بوضعها الحالي، ووقوع الحل الأول أقرب ما يكون للاستحالة في أن هذه السياسة التي بها يتم قطع هذا الرابط المعضد بمصالح سياسية واقتصادية معقدة؟

وبالتالي فليس هناك حل سوى أن تزداد قوتنا بإيماننا وبخطونا خطوات جادة صحيحة نحو الرقي والتقدم متشابكة أيدينا مترابطة قلوبنا متخلصين من تبعيتنا بشتى صورها كي تكون على قدر مسؤولية المواجهة أمام أقوى حلف في تاريخنا الحديث ويجب ألا ننسى أن معنا من هو عليهم إنه الله تبارك وتعالى.

مجدي السعدني - مصر

ردود خاصة

● الأخ القارئ عبدالكريم إبراهيم العبدالله - السعودية -

عنوان المعهد الإسلامي في واشنطن: هو : 1320 18 th Street, N.W. Second Floor washington, D.C. 20036 Phone: (202) 955 - 7174 - Fax . (202) 785 - 0261

● الأخ محمد صديق - ماليزيا :

المجلة ليست جهة خيرية تقدم المساعدات المادية للطلبة، أعانك الله ويسر لك أمورك.

● الإخوة والأخوات : أمل زيد المجيش - السعودية، عبدالأمير الواسطي - إيران، الشيخ الفضيل الورتلاني - المغرب :

الاشتراك في المجلة لا يشكل عبئاً مالياً كبيراً، يمكنكم إرسال قيمة الاشتراك ليصار إلى إرسال المجلة إليكم، وشكراً لعواطفكم تجاه المجلة والقائمين عليها.

● السيد منصور سيد أحمد أحمد - مصر:

الأفضل أن ترسل رسالة مفصلة بموضوعك إلى الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية على عنوانها: الكويت - ص.ب: ٣٤٣٤ - الصفاة - الرمز البريدي 13035.

● القارئ محمد السباعي - المغرب:

صفحات المجلة مفتوحة للجميع ماداموا ملتزمين بنهج المجلة وقواعد النشر فيها، شكراً لكم وجزاكم الله كل خير.

دعوة لقيام مشروع فكري لدراسة السيرة النبوية

لا يخفي على أي عاقل من الناظرين بعين العقل إلى الكيان الإسلامي الذي أنزله الله وأجراه على يد رسوله - ﷺ - أن في السيرة النبوية - هذا العلم الفياض - كثير وكثير من ينابيع المعرفة التي تهيئ لنا سبلاً للدعوة إلى الله عز وجل.

ونحو مشروع إسلامي لليقظة الإسلامية وعودة الأمجاد كان لابد من أن تتجلى حقائق الإسلام أمام معتنقيه وأمام المشككين فيه أيضاً كي يتضح للجميع أن الإسلام دين عصري يجاري كل عصر وفيه من المرونة ما يكفيه لملاءمة كل زمان ومكان والسيرة النبوية كجزء مهم جداً من الكيان الإسلامي لابد من أن نتطرق إليه بشيء من الشغف والاهتمام وإني أعد هذا العلم - علم السيرة النبوية - كفيلاً بإيضاح منهج الإسلام الحقيقي السليم فكيف لا يتجلى فيه الإسلام وهو سيرة صاحب الرسالة، إذاً ففي السيرة إيضاح لحقائق الإسلام وفيها رد وإفحام لكل من حاول النيل من الدين الإسلامي متهماً إياه بأي من هذه التهم المغرضة الدنيئة التي تنال من أسماعنا ليل نهار من هنا كانت دعوتي لقيام مشروع فكري لدراسة السيرة النبوية بشكل أوسع ليكون أكثر جدوى.

مجدي السعدني مصر

الزراعة في ميزان الشريعة

لقد منَّ الله على الإنسان بنعمتين عظيمتين هما: نعمة الإيجاد ونعمة الإمداد، وعن هاتين النعمتين الجليلتين تتفرع كل النعم الأخرى التي لا تحصى، ولا جرم أن الله عز وجل أوجد الإنسان وخلقه في أحسن تقويم، ثم أمده بعد ذلك بكل وسائل الإدراك في ذاته من سمع وبصر وفؤاد حتى يستطيع بذلك أن يسير وينظر في الآفاق وفي الأنفس، ومنحه أيضاً وسائل خارجية تتجلى في تسخير كل ما يوجد على الأرض بل ما في الكون كله لصالحه حتى يتمكن من أن يحيا حياة سعيدة كريمة ويحافظ على بقائه واستمرار حياته ووجوده على هذه الأرض ومن بين النعم: نعمة القوت والغذاء الذي تجود بهما الأرض على الإنسان والكائنات الحية: (ألم تر أن الله سخر لكم ما في الأرض) الحج:٦٥، (هو الذي جعل لكم الأرض ذلولاً فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور) الملك:١٥، ولذلك ألهم الله تعالى الإنسان الزراعة وغرس الأشجار وفلاحة الأرض: (فلينظر الإنسان إلى طعامه. أنا صببنا الماء صباً. ثم شققنا الأرض شقاً. فأنبتنا فيها حباً. وعنباً وقضباً. وزيتوناً ونخلاً. وحدائق غلباً) عبس: ٢٤ - ٣٠.

ولعل الزراعة تأتي في مقدم كل الأوليات التي تخطر بالبال، وقد علمتنا التجارب أن من لا ينتج غذاءه لا يملك قراره في يده وهذا ما يؤكده الأثر المعروف، «ويل لأمة تأكل مما لا تزرع وتلبس مما لا تصنع»، كما أن الله تعالى يسّر للإنسان الزرع والنبات على الأسس الأربعة الضرورية لحياة الإنسان، بل الكائن الحي وهي: التراب والماء والهواء والحرارة إذ لا حياة من دون أي منها.

والإنسان بطبعه لا يقر له قرار ولا يشعر بالاطمئنان والأمان إلا إذا وجد في منطقة ذات زرع وماء، وعلى هذا الأساس شيّدت معظم المدن والتجمعات السكنية الكبرى على ضفاف الأنهار والآبار والعيون، ولذلك نجد سيدنا إبراهيم عندما حل بأم القرى مع زوجه، وهي منطقة قاحلة قفراء لا زرع فيها ولا ماء، استوحشت نفسه ولم يشعر بالأمان فما كان منه عليه السلام إلا أن يدعو ربه عز وجل أن يرحمه ويوفر له سبل العيش فيقول: (ربنا إنني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرّم) إبراهيم:٣٧، وهكذا الإنسان لا تقر نفسه إلا إذا توافرت له سبل الحياة ولقمة العيش التي أساسها الماء والزرع.

وإذا كان الإنسان ملزماً بغرس النبات والزرع، فإنه ملزم أيضاً بعدم التبذير في الاستهلاك: (كلوا واشربوا ولا تسرفوا) الأعراف: ٦١، ولا أدل على ذلك من سيدنا يوسف الذي جعله ملك مصر أميناً على خزائنه مدبراً لشؤون الناس في أمور الاقتصاد إذ كان حكيماً في إخراج أمته من أزمة المجاعة ومواجهة سبع سنين من القحط والجدب حيث نهج سياسة تقشفية ناجحة تجاه الموقف: (فما حصدتم فذروه في سنبله إلا قليلاً مما تأكلون) يوسف:٤٧، وإن ما نراه اليوم من إسراف في الغذاء وتبذير في استهلاكه الذي بلغ حد السفه لدى بعض المسرفين من الأغنياء الذين لا يعرفون قيمة نعمة الله عليهم، حيث يقذفون بالأطعمة في قماماتهم، فلا شك أنهم سيحاسبون عليها حساباً عسيراً وعلى تبذيرها: (ثم لتسألن يومئذ عن النعيم) التكاثر:٨، وما سلوكهم هنا إلا نتيجة العقلية الاستهلاكية المتغربة التي تجعل الإنسان وحشاً يستهلك دون أن يلتفت إلى ذلك التوازن والاعتدال الذي يجب أن يكون عليه الإنسان المسلم، في حين أننا قد تلقينا تربية إسلامية من أسلافنا مفادها أن المرء إذا مرَّ بقطعة خبز يابسة ملقاة في الطريق ينحني ليلتقطها ويقبلها ويضعها في مكان طاهر بعيداً عن المارة، وهذا السلوك نابع من نظرة المسلم إلى الأشياء التي حوله فكلها مسخرة من الله له، والإنسان لا يعرف قيمة الشيء إلا بعد فقده، وإننا نرى اليوم هذه العلاقة الوجدانية بين الإنسان والزرع خاصة، والبيئة عامة أصبحت منعدمة نتيجة للغزو الفكري الغربي النفعي الاستهلاكي الذي لا يعرف إلا استنزاف الطبيعة وتخريب البيئة.

عبدالعزيز أبوشيار - المغرب

حــدث في مثــل هذا الشهــر

بقلم : وائل أحمد الهنيدي

إن أول شهور السنة الهجرية هو شهر الله المحرم، لكن ترى ما سبب اختياره ليكون أول أشهر السنة الهجرية، مع أن الهجرة تمت كما هو معلوم في ربيع الأول؟

يذكر الإمام الحافظ ابن حجر العسقلاني في كتابه «فتح الباري» سبباً وجيهاً حيث يقول: «قيل الحكمة في جعل المحرم أول السنة: أن يحصل الابتداء بشهر حرام، ويختم بشهر حرام، وتتوسط السنة بشهر حرام وهو رجب، وإنما توالى شهران - محرمان - في الآخر لإرادة تفضيل الختام والأعمال بالخواتيم»(١).

ولم يكن رسول الله - ﷺ - ليهتك حرمة هذا الشهر، فلم يحفظ عن النبي - ﷺ - أنه غزا في شهر حرام ولا أغار فيه ولا بعث فيه سرية(٢).

ولم يكن رسول الله ﷺ - أيضاً - ليترك الشهر دون أن يفيد منه، ففي شهر المحرم سنة سبع للهجرة، وبعد صلح الحديبية الذي تم في ذي القعدة من العام السادس للهجرة، بدأ رسول الله ﷺ - بإرسال الرسل إلى ملوك الأرض يدعوهم فيها إلى الإسلام، فاستغل الشهر الحرام تأميناً لأصحابه طريق سفرهم، وحفظاً لهم من إغارة مباغتة عليهم من قبل المشركين، وبخاصة بعد الصلح الذي عدُّوه تنازلاً، ورجعوا إلى مكة وهم موهومون بنصر مزعوم، ولمّا يدركوا أنهم لا يتعاملون مع حلف جاهلي، لا ينظر أبعد من وضع السلاح والمكوث في انتظار انقضاء العهد، إنهم يعاملون نبياً رسولاً، جاء بشرعة الله لينشرها في الناس كافة، لا أن يحارب ويبعث السرايا فحسب، أو أن يعلّم في إطار المدينة التي يسكنها والقبائل المحيطة بها تعاليم الدين، لقد جاء مبعوثاً بالحق إلى الناس كافة بشيراً ونذيراً لا تحده أرض ولا يحصر دعوته في جنس من البشر.

قد خرج في يوم واحد ستة من الصحابة كل منهم إلى ملك من ملوك الأرض آنذاك يحمل كتاب رسول الله - ﷺ - إليه مكتوباً بأمر رسول الله ومهموراً بخاتمه الشريف، وكان نقشه: محمد رسول الله على ثلاثة أسطر(٥)، واختار الرسول - صلوات الله وسلامه عليه - لهذه المهمة من يصلح لها من الصحابة من ذوي الكفاءات الخاصة، فكل منهم - بالإضافة إلى تمام خَلقه وخُلقه - كان يتكلم بلسان القوم الذين أرسل إليهم(٦)، ليكون أقدر على نقل ردودهم إلى الرسول - ﷺ - من قبول أو رفض، وصورة القبول، وصورة الرفض، والأسباب التي أدت إلى كلتا الحالين.

ومن تلك الصور المشرقة في قبول الرسل وإكرام الرسائل التي أرسلت معهم، ما كان من أمر نجاشي الحبشة عندما حمل إليه الصاحبي الجليل: عمرو بن أمية الضمري كتاب رسول الله - ﷺ - فما أن دخل عليه الرسول ودفع إليه الكتاب حتى وضعه على عينيه «ونزل من على سريره فجلس على الأرض تواضعاً، ثم أسلم وشهد شهادة الحق، وقال: لو كنت أستطيع أن آتيه لأتيته»(٧).

ومن ملوك الممالك آنذاك من رفض الكتاب واستكبر عليه ومزّقه مثل كسرى الفرس، ومنهم من كان خوفه على زوال ملكه أعظم من خوفه من الله مثل هرقل حين صارح قومه بقبول الكتاب فثاروا عليه فارتد، وبرر ارتداده أنه أراد معرفة التزام قومه وتمسكهم بدينهم! وكل منهم - سواء من قبل أو رفض أو نافق - لم يكن ليطفئ نور الله ولا أن يزيد فيه، فالله سبحانه وتعالى يقول: (إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها) الإسراء:٧. والله سبحانه وتعالى غنيٌ عن إيمان المؤمن وكفر الكافر كما هو معلوم ومقرر في علوم العقيدة، ومعلوم ومقرر في علم العقيدة أيضاً، أن الإنسان خلق مخيراً، في ما يكون داخلاً تحت محض إرادته من أفعال وأقوال، إلا أن الإنسان متى تقرّب إلى الله زاده الله قرباً منه إكراماً له، ومتى عصى وتكبّر وصد زاده الله عصياناً وتكبّراً وجحوداً إهانة له، وعلى هذه الحقيقة تقوم الدعوة في الإسلام، لأن العبادات - كلها - في الدين تهدف في الأساس إلى ربط الإنسان بربه مشرعاً وهادياً ومعطياً ومانعاً، وتطوع النفس البشرية للاستسلام لشرع الله وهديه الذي يكفل له حياة رغدة مليئة بالإنجاز والبناء والعطاء، ويجعل له - إن ضبط نفسه وترقى بها في العبادات - نوراً يمشي به في الناس، ولذلك كان إرسال الرسل إلى ملوك الأرض بعد مضي ستة أعوام، يتعلم المسلمون فيها أصول دينهم ويزكون فيها نفوسهم ويطهرونها مما علق بها من أدران الجاهلية ورعوناتها، ليدلنا الرسول الكريم - ﷺ - إلى حقيقة يغفل عنها بعض العاملين في حقل الدعوة، ألا وهي أن يبدأوا بأنفسهم، يأخذونها من جميع أطرافها بالتطهير والتزكية والترقي في العبادة ليكونوا مؤهلين - بحق - لنشر دعوة الله في الأرض، وليكونوا مناراً هادياً وأنموذجاً راقياً، يهمه الإنسان وكيف يتآلفه ويتفانى في انتشاله من ظلمة الجهل إلى نور الهداية، بوسائل مشروعة، وضمن الأمكانات المتاحة.

وكما أرسل الرسول - ﷺ - الرسل إلى ملوك الأرض في مثل هذا الشهر من العام السابع للهجرة، فقد جهز جيشاً - في نهاية الشهر ذاته في السنة ذاتها - لغزو خيبر.

تُرى ما يميز هذه الغزوة عن غيرها، وما أهم الأحداث التي تمت في شهر صفر، هذا ما سنعرفه إن شاء الله في العدد القابل. ■

الهوامش :

١ - فتح الباري - ابن حجر العسقلاني - باب: حجة الوداع - ج٩ - ص ٨٨ - الطبعة الثانية - دار إحياء التراث العربي - بيروت.

٢ - زاد المعاد في هدي خير العباد - ابن قيم الجوزية - المجلد الأول الجزء الثاني - فصل ما كان في غزوة خيبر من الأحكام الفقهية.

٣، ٤، ٥ - طبقات ابن سعد باختصار ٣٢/٢.

الكليب : نجني ثمار غرس سموكم الطيب لرعاية أبنائكم

الأمير كرَّم الفائزين في مسابقة حفظ القرآن الكريم

استقبل أمير البلاد الشيخ جابر الأحمد الجابر الصباح يوم ١٦/٣/١٩٩٩م وزير العدل وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية أحمد خالد الكليب يرافقه رئيس وأعضاء اللجنة الدائمة لمسابقة الكويت الكبرى لحفظ القرآن الكريم وتجويده حيث قدموا لسموه الفائزين في المسابقة للعام ١٤١٩هـجرية ١٩٩٨م

وقد وجه وزير العدل وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية كلمة بهذه المناسبة، أعرب فيها عن تقديره وشكره لما خصَّ به سموه كتاب الله عز وجل من المنزلة الأسمى، حيث إن اهتمام سموه بكتاب الله وحرصه على تطبيق شرائع المولى عزَّ وجل المنزلة فيه وتكريمه لحفظته والقائمين على أمر رعايته ونشره والعمل بإرشاده وهديه لشاهد حق على حمل سموه للأمانة والسير في درب السلف الصالح في طريق النور والهداية.

وقال وزير العدل وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية في كلمته «ها نحن نقف بين يدي سموكم اليوم وقد جنينا ثمار غرسكم الطيب لرعايتكم الكريمة لأبنائنا وبناتنا الذين تلهج ألسنتهم بكلمات الله.

وأضاف: لقد وضعتم سموكم القرآن



● وزير العدل وزير الأوقاف

الكريم في المنزلة الأسمى لتتوج به كل الأعمال ونحن نشكر الله تعالى الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله».

وأشار إلى أن المسابقة التي تنظمها الأمانة العامة للأوقاف على مستوى دولة الكويت تؤازرها في ذلك ٢٣ جهة من المؤسسات المعنية برعاية القرآن الكريم وتنظيم أنشطة شبابية.

وأضاف إن تفضل سمو أمير البلاد برعاية مسابقة الكويت الكبرى لحفظ القرآن الكريم وتجويده له الأثر الأكبر في نفوس المواطنين والمؤسسات العاملة على خدمة كتاب الله الكريم.

وذكر أن عدد الجهات المساهمة في هذا العمل بلغ ٢٣ جهة بين حكومية وأهلية قدمت ما يقرب من ثلاثة آلاف مشارك ومشاركة لخوض المسابقة الثالثة.

وأفاد بأنه تم اختيار المشاركين من قاعدة عريضة من أبناء وبنات الكويت الذين أقبلوا راغبين في نيل حظهم من مائدة القرآن الكريم، مشيراً إلى أن عدد المشاركين لخوض التصفيات النهائية بلغ ١٢٠٨ منهم ٥٦٠ من الذكور و٦٤٨ من الإناث.

ووجه أحد الفائزين كلمة عبّر فيها عن عميق الشكر والتقدير للدعم والتكريم الأميري السامي في رعاية كل ما يتعلق بخدمة ديننا الحنيف.

وقد كرّمهم سموه بالهدايا التذكارية تشجيعاً لجهودهم في حفظ القرآن وتدارس علومه حاثاً إياهم على التمسك به فهو خير للهدى وأشرف للحق وأقوم للسلوك متمنياً لهم التوفيق والنجاح.

وحضر المقابلة وزير شؤون الديوان الأميري الشيخ ناصر المحمد الأحمد الصباح. ■

وزير الأوقاف افتتح المركز الكويتي السنغالي للتنمية

افتتح وزير العدل وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية أحمد الكليب في دكار مشروع المركز الكويتي السنغالي للتنمية الاجتماعية، الذي يعتبر من أكبر المشاريع الذي ينفذها بيت الزكاة في قارة أفريقيا، وقد أسهم في تمويل المشروع المرحوم محمد عبدالمحسن الخرافي وعدد من المحسنين في الكويت فضلاً عن تبني بيت الزكاة باقي أقسام المشروع.

وقد تم افتتاح المشروع تحت رعاية رئيس جمهورية السنغال عبده ضيوف الذي استقبل الوزير الكليب في مكتبه. وتقدر تكلفة المركز الإجمالي بنحو ٣٨٠ ألف دينار ويشتمل المركز على مستوصف مكون من ثلاثة أدوار ومسجد تبلغ مساحته ٢٨٥ متراً مربعاً ومدرسة ومعهد تدريب مهني مكون من ثلاثة أدوار ومبنى خاص بإدارة المركز وصالة متعددة الأغراض ومكتب لبيت الزكاة وناد اجتماعي مكون من دورين ومكتبة للأطفال الأيتام وقاعة خاصة لأيتام النادي، وسيستخدم المركز الأطفال الأيتام الذين يكفلهم بيت الزكاة في السنغال وعددهم نحو ٣٥٠ طفلاً. ■

كتب : تمام أحمد

تجاوب إسلامي مع محنة كوسوفا



● معونات كويتية عاجلة لشعب كوسوفا

أدت حملات التطهير العرقي التي يقوم بها الجيش الصربي ضد الأهالي من أصل ألباني في إقليم كوسوفا منذ بداية الضربات الجوية لحلف الأطلسي على يوغسلافيا في ٢٤ مارس الماضي إلى لجوء مئات الآلاف من الأهالي إلى البلدان المجاورة هرباً من الموت، وقد أعلنت المفوضية العليا التابعة للأمم المتحدة أن الوضع الذي يعيشه لاجئو كوسوفا بلغ حد الكارثة وأن جميع المنظمات الإنسانية لم تعد قادرة على تلبية حاجات اللاجئين، وانطلاقاً من هذا الوضع المأساوي تنادت دولة الكويت أميراً وحكومة وشعباً لنصرة مسلمي كوسوفا، فقد أمر حضرة صاحب السمو أمير البلاد الشيخ جابر الأحمد الجابر الصباح يوم ١٩٩٩/٤/٤م بإرسال معونات ومواد إغاثة بصورة عاجلة للمساعدة في رفع المعاناة عن شعب كوسوفا المسلم إزاء ما يتعرض له من قتل وتشريد على أيدي القوات الصربية.

مليون دولار من أمير البلاد

ومن جهة أخرى، صرح نائب رئيس مجلس الوزراء وزير الدولة لشؤون مجلس الوزراء عبدالعزيز الدخيل بأنه وفي إطار متابعة سمو الأمير واهتمامه البالغ بما يتعرض له شعب كوسوفا المسلم من مظاهر القتل والتشريد والتهجير القسري على أيدي القوات الصربية. فقد قرر سموه التبرع باسم أسرة الصباح الكريمة بقيمة مليون دولار أميركي، وذلك تجسيداً لحرص سموه على الإسهام في رفع المعاناة عن شعب كوسوفا المسلم إزاء المآسي الإنسانية التي يتعرض لها أبناؤه الأبرياء داعياً المجتمع الدولي إلى تكثيف جهوده لإنهاء هذا الوضع المأساوي الخطير.

كما وجه مجلس الوزراء النداء العاجل لجميع الجمعيات والمؤسسات الإنسانية والخيرية في الكويت وخارجها للمبادرة في تفعيل دورها الإيجابي وتقديم كل عون ممكن لمواجهة هذا الواقع المأساوي الأليم.

وفي هذا الصدد عبّر المجلس عن بالغ الاستياء والقلق إزاء ما يجري في إقليم كوسوفا من مآس إنسانية تتمثل بالقتل والتشريد والتهجير القسري التي يتعرض له الأبرياء في كوسوفا، ومجلس الوزراء إذ يدين هذه الأعمال الإجرامية التي ترتكبها القوات الصربية، وما تمثله من انتهاكات للمواثيق الدولية، ليؤكد وقوف دولة الكويت إلى جانب شعب كوسوفا المسلم ويطالب المجتمع الدولي بتكثيف الجهود الجادة لوقف عمليات الإبادة والتطهير العرقي التي يتعرض لها الضحايا الأبرياء في كوسوفا، واتخاذ الإجراءات العملية الكفيلة بإنهاء هذا الوضع الإنساني المأساوي واستعادة السلام والاستقرار إلى منطقة البلقان، وفق ما تم التوصل إليه في مؤتمر السلام الذي عقد في رامبوييه.

مجلس الأمة يدعو لوقف العدوان

ناشد مجلس الأمة الدول المحبة للسلام وضع حد عاجل للاعتداءات الصربية على شعب كوسوفا ووقف كل أشكال التعاون مع الحكومة اليوغسلافية حتى توقف ما ترتكبه من مجازر في حق المسلمين.

كما ناشد الحكومة تقديم العون لمسلمي كوسوفا ودعم جهودهم.

وجاء في البيان ما يلي:

بيان صادر عن مجلس الأمة في دولة الكويت بالجلسة التي انعقدت في ١٩٩٩/٤/٦.

حول الممارسات التعسفية ضد المسلمين في إقليم كوسوفا

إن مجلس الأمة الكويتي وهو يتابع بقلق بالغ يمتزج بشعور يتفجر بالحزن وينبض بالأسى ما تقوم به السلطات اليوغسلافية ضد المسلمين في البلقان وإقليم كوسوفا، من عربدة بقوة السلاح وقتل وتشريد لمئات الآلاف من المدنيين العزل من السلاح بوحشية مجردة من الرحمة والإنسانية، وما تقوم به من الإفساد والحرق والتدمير للقرى الآمنة دون أن تجد لها رادعاً أو مانعاً مما يدعو المجلس إلى تأكيد أن هذه الاعتداءات والممارسات الإرهابية ضد المدنيين تنفر منه الأعراف الدولية ومواثيق الأمم المتحدة وتمثل تحدياً صارخاً لقواعد القانون الدولي ومبادئ الشرعية فضلاً عما تنطوي عليه من تحديات سافرة لحقوق الإنسان والقيم والأخلاق والأعراف.

إن مجلس الأمة وهو المعبر عن ضمير الشعب الكويتي يتابع عن كثب هذه المأساة الدامية ويدرك آثارها المدمرة على شعوب البلقان وما يتعرض له المسلمون من قتل وتشريد ويستذكر الأمس باليوم لتوحد المواقف بين الأعمال البربرية للقوات الصربية في كوسوفا وتصرفات النظام العراقي وجنوده إبان غزوه لدولة الكويت والتي أغار عليها بجحافله وأسلحته ليهلك بها الحرث والنسل ويشيع الرعب في القلوب وينشر في الأرض الفساد والنهب والسلب والحرق والتدمير وانتهاك أقدس الحرمات واستباحة الأعراض والأرواح، وهو الأمر الذي يدعو مجلس الأمة إلى مناشدة دول العالم المحبة للسلام ويستنهض ضمائرها لوضع حد عاجل لهذه الاعتداءات، ووقف هذا العدوان الهمجي على السكان الآمنين واتخاذ موقف حازم تتضافر فيه جهود قوى العالم المتحضر لوقفها، ووقف جميع أشكال التعاون مع الحكومة اليوغسلافية حتى توقف ما ترتكبه من مجازر ومذابح في حق المسلمين.



● حضور كويتي في مخيمات اللاجئين



● رعاية طبية عاجلة

كما يهيب بحكومة الكويت وشعبها المبادرة إلى تقديم يد العون والوقوف بكل إمكاناتهم المادية والأدبية إلى جانب الإخوة المسلمين في كوسوفا في محنتهم تخفيفاً لمعاناتهم ودعماً لصمودهم في مواجهة قوى البغي والعدوان.

موقف موحد لجمعيات النفع العام

وفي الوقت نفسه، أصدرت جمعيات النفع العام الكويتية بياناً أعلنت فيه تضامنها مع شعب كوسوفا المضطهد، وناشدت كل الحكومات الإسلامية والجمعيات والمنظمات والهيئات الخيرية في العالم الإسلامي وكل مسلم حر أن يهبّ لمساعدة إخوانه الذين يتعرضون للعدوان الوحشي العنصري الصربي، وفي هذا الإطار أقامت جمعية الإصلاح الاجتماعي بالاشتراك مع جمعيات النفع العام الكويتية مهرجاناً تضامنياً مع الشعب الكوسوفي المضطهد تحت رعاية رئيس مجلس الأمة الأستاذ أحمد عبدالعزيز السعدون.

اللجنة الكويتية المشتركة للإغاثة توجه نداء

في غضون ذلك وفي إطار الجهود المبذولة لنصرة شعب كوسوفا على كل صعيد،

اجتمعت اللجنة الكويتية المشتركة للإغاثة والتي تضم جميع اللجان الخيرية الكويتية وتدارست الأوضاع في كوسوفا، وحدوث نوعية مواد الإغاثة العاجلة لإرسالها إلى كوسوفا على جناح السرعة، ووجهت نداء لجميع المواطنين والمقيمين للتبرع لمساندة مسلمي كوسوفا كما أرسلت وفداً إغاثياً!! ألبانياً لدراسة الموقف عن كثب وتحديد الاحتياجات على ضوء التقارير الميدانية.

تجاوب إسلامي مع محنة مسلمي كوسوفا

هذا، وقد عكست محنة المسلمين في كوسوفا المواقف الإيجابية الطيبة لجميع مسلمي العالم على مستوى الحكومات والشعوب تجاه إخوانهم في العقيدة الذين يتعرضون لأبشع مؤامرة عنصرية، وانهالت التبرعات العينية والمادية من كل حدب وصوب ما يؤكد أن أمتنا لا تزال بخير على الرغم مما أصابها من وهن وضعف بفعل مؤامرات الأعداء والخصوم وفي هذا السياق أدانت رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة وبشدة ما يتعرض له مسلمو ألبان كوسوفا من قتل وتشريد، وأعربت عن الحزن والألم لما يجري خلف الحدود المقفلة للإقليم المسلم بسبب الجرائم الصربية التي أحرقت ودمرت كل شيء.

وقال الدكتور عبدالله بن صالح العبيد الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي ورئيس مجلس إدارة هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية إن الصرب ما زالوا ينفذون سياسة الأرض المحروقة لتفريغ الإقليم من سكانه المسلمين، وشرح الدكتور العبيد ما قدمته لجنة الإغاثة العاجلة في هيئة الإغاثة الإسلامية التابعة للرابطة منذ تفجر الأزمة العام الماضي، مشيراً إلى أن الهيئة خصصت معونة عاجلة قدرها ١٥ مليون ريال، إضافة إلى مساعدات غذائية ودوائية وخيام وكساء تقدر تكلفتها بأكثر من ٣٠ مليون ريال، وكذلك مساعدات نقدية عاجلة سلمت لمشيخة كوسوفا قبل تفاقم الأزمة من كل من الرابطة والهيئة.

وأشار إلى أن الرابطة عممت على جميع مكاتبها الإسلامية التابعة لها لجمع التبرعات، وكذلك على تقديم العون الغذائي لشعب كوسوفا وتخفيف معاناة الأطفال والنساء، كما بعثت بتعاميم أخرى باللغة الإنكليزية إلى تسع منظمات دوائية تحضها على اتخاذ الوسائل الممكنة للضغط على حكومة بلغراد من أجل السماح بوصول المواد الإغاثية إلى شعب كوسوفا.

وأضاف الأمين العام للرابطة أن مخزون مستودعات الهيئة بلغ حتى الآن ٥٤ حاوية كما تم تجهيز ٢٠ حاوية أخرى تحتوي على ملابس وأحذية وبطانيات وأدوية وتمور ومواد غذائية متنوعة.

كوسوفا... حقائق وأرقام

- الموقع: شبه جزيرة البلقان وهو موقع حساس يربط شبه جزيرة البلقان كله وكذلك البحر الأدرياتيكي يحدها من الشرق والشمال الغربي الجبل الأسود من الجنوب الغربي ألبانيا ومن الجنوب والجنوب الغربي مقدونيا.
- المساحة: ١٠٨٧٧ كم٢.
- عدد السكان: ٢,٢ مليون نسمة.
- عناصر السكان: ٩٠٪ ألبان - ٤٪ صرب، ٢٪ أتراك، ٢/ بوسنيون، ٢/ قوميات أخرى.
- العاصمة والمدن المهمة: العاصمة: برستينا، وأهم المدن: متروفيشا، بيا، جاكوفا، برزرن.
- دخول الإسلام: دخلت المنطقة الإسلام بعد الانتصار العثماني الساحق على الصرب في معركة كوسوفا الأولى العام ١٣٨٩، والذي قاده السلطان مراد الأول، وأتمه ابنه بايزيد ثم شهدت أرض كوسوفا انتصاراً عثمانياً ثانياً العام ١٤٤٨م قاده السلطان مراد الثاني ضد تحالف القوات المجرية - ال...... (الرومانية).
- بدأ الانحسار السياسي للعثمانيين العام ١٥٧١م بعد هزيمتهم في معركة ليبانتو البحرية وفشل حصارهم لمدينة فيينا عاصمة الإمبراطورية النمساوية.
- بعد الانسحاب العثماني من منطقة البلقان العام ١٨٧٨ اتجهت أعين صربيا لابتلاع البوسنة وكوسوفا.
- أعلن الألبان استقلالهم في أثناء الحرب البلقانية - العثمانية العام ١٩١٢م بعد أن تحول أغلبيتهم إلى الإسلام.
- وزعت الدول الغربية المنتصرة في حرب البلقان في لندن العام ١٩١٤م أجزاء من الأراضي الألبانية على المنتصرين، فتناقصت مساحة ألبانيا من ٧٠ ألف كم٢ إلى ٢٩ ألف كم٢.



- كانت كوسوفا هي الجائزة التي فازت بها المملكة الصربية.
- ارتكب الصرب مذابح رهيبة بعد انسحاب العثمانيين من كوسوفا فقتلوا وهجروا الألوف في عملية تصفية الحسابات والثأر من هزيمتهم أمام العثمانيين في القرن الرابع عشر الميلادي.
- ألحق إقليم كوسوفا بصربيا العام ١٩٤٥م، بعد وصول الشيوعيين للحكم في نهاية الحرب العالمية الثانية.
- أصبحت كوسوفا إقليماً ذا حكم ذاتي بموجب الدستور اليوغسلافي الذي صدر العام ١٩٤٦م.
- ألغي الحكم الذاتي في كوسوفا العام ١٩٦٣م.
- استعاد الألبان حقهم في الحكم الذاتي العام ١٩٦٩م بعد مقاومة شديدة.
- في الدستور اليوغسلافي الذي صدر سنة ١٩٧٤م تم تثبيت الحكم الذاتي للإقليم.
- في ٢٣ مارس ١٩٨٩م ألغي الحكم الذاتي لكوسوفا وعادت الهيمنة الصربية عليه ومازال الأمر كذلك حتى انفجار الأحداث الحالية في كوسوفا.

بقلم : د. أحمد عبدالوارث مرسي

رحمة الإسلام ووحشية الصرب



● آثار التعذيب والتنكيل لأبناء كوسوفا

الرحمة، شعور داخلي جارف في نفس الإنسان يجعله يحسُّ بآلام الآخرين، ويرق لهم ويحنو عليهم، ويسعى لإزالة مشاكلهم ويشاركهم في كل ما يَعِنُّ لهم من أمور الحياة، فهي - بهذا - نقيض التبلُّد في المشاعر والأحساسيس وعدم التأثر بالآخرين وحياة الإنسان لنفسه فقط.

وهي من صفات الله - عزَّ وجلَّ - التي يتجلى بها على الخلائق في الدنيا والآخرة، ومن ثمَّ كان مُفْتتح كتاب ربنا - جلت قدرته - بـ«بسم الله الرحمن الرحيم»، فهو رحمن في الدنيا ورحيم في الآخرة أو هما معاً في الدنيا والآخرة، وهاتان الصفتان هما اللتان تبعثان في الكون الطمأنينة والأمن والسلام ومن هنا فقد كان تسبيح الملائكة: (... ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلماً فاغفر للذين تابو واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم. ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم إنك أنت العزيز الحكيم. وقهم السيئات ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته وذلك هو الفوز العظيم)(١) صدق الله العظيم. ولولا رحمة الله العظيم لهلكت الخلائق كلها، فهو سبحانه أرحم على الإنسان من نفسه على نفسه ومن الوالدة على ولدها وفي الحديث الذي رواه البخاري عن سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه - أنه قدم على رسول الله بسبي فإذا امرأة من السبي تسعى قد تحلَّب ثديها. إذا وجدت صبياً في السبي أخذته فألزقته ببطنها فأرضعته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أترون هذه المرأة طارحة ولدها في النار؟ قلنا: لا والله وهي تقدر على ألا تطرحه: قال: فالله تعالى أرحم

بعباده من هذه بولدها»(٢)، ذلك لأن رحمة المولى جلت قدرته ليس لها حدٌّ ولا عدٌّ.

فما نراه من تراحم بين سكان الكوكب الأرضي من إنسان أو حيوان وخلافه ومن لدن آدم عليه السلام إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ما هي إلا جزء من مئة جزء من رحمته جلّت قدرته، ومن ثمَّ فإن الرحمة كانت هي الطابع المميز لدين الإسلام، فلقد اختار الله له محمداً صلى الله عليه وسلم، وقد سكب في قلبه من العلم والحلم والرحمة الشيء الكثير ليكون بالناس رحيماً رؤوفاً فينتشر دين الله بالمرحمة واللين قال تعالى: (فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله...)(٣) ومن هنا كانت دعوة الرسول لأمته أن يكونوا رحماء متعاطفين حتى يسود السلام والوئام بين الناس، بل إنه ليعلق صفة الإيمان على التراحم فيقول: (لن تؤمنوا حتى ترحموا، قالوا: يا رسول الله، كلنا رحيم، قال: إنه ليس برحمة أحدكم صاحبه، ولكنها رحمة العامة...»(٤).



● حرق بيوت المسلمين في كوسوفا

وحيثما رأينا الفظاظة والغلظة وقسوة القلوب في أي مكان من العالم علمنا أنهم محرومون من الرحمة وقد غابت عنهم تماماً ولا نستطيع أن نحكم على هؤلاء بأنهم حيوانات لأننا بذلك نكون قد ظلمنا تلك المخلوقات التي يسود بينها التراحم والتعاطف والتآلف.

إن ما يجري في البلقان اليوم من تشريد للأبرياء وقتل للضعفاء وتعذيب وتنكيل للآمنين من شعب «كوسوفا المسلم على يد مجرم الحرب وديكتاتور هذا القرن رئيس الصرب وأتباعه (قاتلهم الله أنى يؤفكون)(٥) لأكبر دليل على أنه لا يوجد في قلوب هؤلاء رحمة ولا إنسانية وليس بعد الكفر ذنب، إنهم دعاة الحضارة وسدنة المدنية - كما يدّعون كذباً وزوراً وبهتاناً - وها هو قناعهم الزائف قد سقط وظهروا على حقيقتهم وظهرت المدنية الغربية الزائفة في أجلى صورها، هذه هي المدنية التي يحلم بها من ينتسبون إلى الإسلام ويتمنون لو يعيشون على طريقة الغرب وفي أحضان ما يسمونه بالتحضر، فهل من الحضارة أن يمحى شعب بأسره لمجرد أنهم ينتمون إلى أصول ألبانية مسلمة، وهل من رقة الأحاسيس أن نرى على شاشات التلفاز دموع الأطفال تنهمر لفقد ذويهم على يد حضارتهم، وهل من رقة المشاعر أن نرى الشيخ الفاني يتيه في الفلوات بلا مأوى؟ وأي مدنية تلك التي تحرق البيوت على أصحابها الآمنين، وتقتل المسلمين بالآلاف وتعذب وتطرد وتشرد.

هل الحضارة والرقي - في نظركم - عمارات شاهقة وسيارات فارهة وكراهية لكل مسلم وخلاعة وعري وترف ومجون؟ إذا كانت هذه حضارتكم فبئس القوم أنتم وبئست المدنية مدنيتكم، وبئس علماً ما وصلتم إليه.

إن الحضارة الحقيقية في تعاليم الإسلام الحنيف، في الاستمساك بكتاب الله تعالى والعمل بسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ولتشهد على الإسلام حضارة الأندلس الزاهية طيلة ثمانية قرون فأنقذتهم من مهاوي الضلال والتخلف وارتفعت بهم إلى قمم العلا وذرا المجد والرفعة.

إن ما يجري في البلقان اليوم ليجعل العالم يقف بأسره إجلالاً واحتراماً وتعظيماً للإسلام بمبادئه السمحة وتعاليمه العظيمة، ولنقلب صفحات الإسلام الخالدة ولنعد إلى غزوة أحد وقد حاول المشركون اغتيال رسول الله صلى الله عليه وسلم وألجأوه إلى حفرة ليكب فيها ونظر إلى زهرة أصحابه فوجدهم مضرجين بدمائهم على الثرى ونظر إليه بقية أصحابه فإذا خده قد شُقَّ وسنه قد سقطت، فقيل له ادع على المشركين فغلبه رفقه حتى كان دعاؤه: «اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون» وجاءت أحاديثه حاضة على الرحمة داعية إليها فهو القائل: «من لا يرحم الناس لا يرحمه الله»(٦)

ولا تقتصر الرحمة في الإسلام على التراحم بين الجنس البشري فحسب، ولكن تعداه إلى الرحمة حتى بالحيوان، فلقد روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «بينما رجل يمشي بطريق اشتد عليه العطش فوجد بئراً فنزل فيها فشرب ثم خرج، فإذا كلب يلهث يأكل الثرى من العطش، فقال الرجل: لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي كان بلغ مني، فنزل البئر فملأ خفَّه ماء، ثم أمسكه بفيه حتى رقى فسقى الكلب، فشكر الله تعالى له، فغفر له، قالوا: يا رسول الله، وإن لنا في البهائم لأجراً؟ قال: «في كل كبد رطبة أجر».

وفي رواية: «أن امرأة بغياً رأت كلباً في يوم حار يطيف ببئر، قد أدلع(٧) لسانه من العطش، فنزعت له موقها(٨) فغفر لها به».

هذا هو الإسلام وهذه حضارة الغرب، إن حضارة الإسلام حضارة روحية تسمو بالإنسان وترتقي به إلى القمم السامقة تحقيقاً لقول الله تعالى: (ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين...)(٩)، فإذا شعر الإنسان بآدميته استطاع أن يحقق نهضة في مجتمعه وحضارة لأمته فتكون حضارة مادية مرتبطة على حضارة روحية أولاً وهو ما ذكرناه عن الحضارة الإسلامية في بلادهم تلك الحضارة التي كانت هي الأساس في كل ما وصلوا إليه من علم ومعرفة.

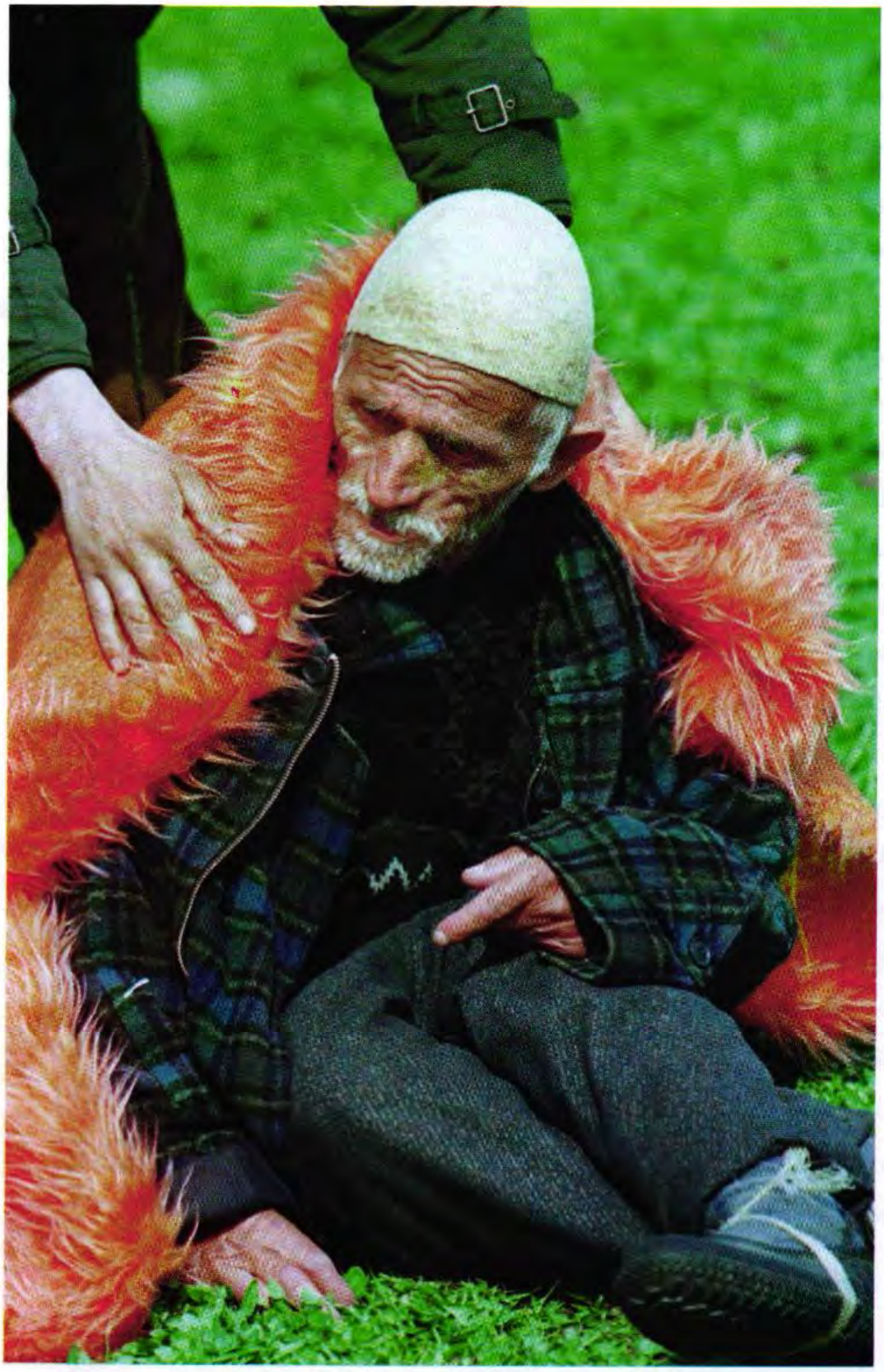
أما حضارتهم فهي الحضارة المادية الزائفة التي تقوم على حساب كرامة الفرد الذي هو مسمار في آلة حضارتهم.

إن الذين يروّجون لحضارة الغرب ويعتبرونها أم الحضارات ويرتمون في أحضانها عليهم الآن أن يقفوا مع أنفسهم وقفة متأنية ويعملوا عقولهم ويروا ما يحدث لهذا الشعب الآمن شعب كوسوفا ومن قبله شعب البوسنة والهرسك من قتل وتشريد وطرد وخرق، عليهم أن يسألوا أنفسم، هل هذه هي الحضارة، وهل هذا هو الرقي والتطور والمدنية؟ وليستمعوا إلى الإجابة من ضميرهم ووجدانهم وإنسانيتهم ثم بعد ذلك يكوِّنون لأنفسهم موقفاً واضحاً من هذه الحضارة المزقة البالية. إلا إذا كان الحقد على الإسلام قد أعماهم لأن علمانيتهم تضع حاجزاً بينهم وبين ضمائرهم.

إن الحال لن يدوم، فدوام الحال من المحال، ولسوف يعود هؤلاء المشردون إن عاجلاً أو آجلاً إلى دورهم وأوطانهم وستدور الدائرة على الطغاة العاتين: (وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون)(١٠) صدق الله العظيم.

فلن يكون مجرمو الصرب وأحجار الجبل الأسود أعتى من فرعون وهامان ولن يكونوا أقوى من الفراعين على امتداد التاريخ الذين أذلهم الله وسامهم سوء العذاب ثم ألقى بهم في قمامة القرون ولن يخلف الله وعده الذي وعد به المؤمنين في محكم كتابه (وكان حقاً علينا نصر المؤمنين)(١١)، وقوله - جلت قدرته -: (إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد)(١٢) صدق الله العظيم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ■



● لم يرحم الصرب شيخوخته

الهوامش:

١ ـ غافر: ٧ـ٩.
٢ ـ رواه البخاري.
٣ ـ آل عمران: ١٥٩.
٤ ـ رواه الطبراني.
٥ ـ التوبة: ٣٠.
٦ ـ رواه البخاري ورواية مسلم، لا يرحمه الله عزَّ وجلَّ ١٥/٧٧.
٧ ـ أدلع: أخرج.
٨ ـ موقها: خفها.
٩ ـ المنافقون: ١٨.
١٠ ـ الشعراء: ٢٢٧.
١١ ـ الروم: ٤٧.
١٢ ـ غافر: ٥١.





كوسوفا الذبيح الثاني

أيُّ وحشٍ في حَشَا الإنسانِ

أيُّ غُولٍ شَطَّ في الطُّغيانِ؟

أيُّ حقدٍ ينفثُ النارَ ثوَىٰ

في صدورِ الصِّرْبِ من أزمانِ؟

أيُّ كيدٍ يُفْتَنُ القومُ بهِ؟

أيُّ مكرٍ غابَ عن شَيطانِ؟

أيُّ عنفٍ أبدعَ الصربُ لهُ

آلةَ الحربِ لظىٰ النيرانِ؟

أيُّ بطشٍ يَبلُغُ الصربُ المدىٰ

قسوة التنكيلِ والعُدوانِ؟

أينَ من هذا الضواري كُلُّها؟

بطشُها قد هانَ في الميزانِ

قسوةٌ كم تُذهلُ التاريخَ إذْ

طافَ بالآثامِ من إنسانِ

جَبروتٌ يمتطي الغدرَ فَهَلْ

نبتغي في الصربِ من إحسانِ؟

تعرفُ الدنيا عن الصربِ الأذَىٰ

أشعلوا النيرانَ في الأكوانِ(١)

كُلُّ صقْعٍ ناشَهُ مِنْ شَرِّهم

شهُبٌ والبَدْءُ في البلقانِ

«بوسنةٌ» جرحُ الضحايا نازفٌ

راعها واليومَ في الألبانِ

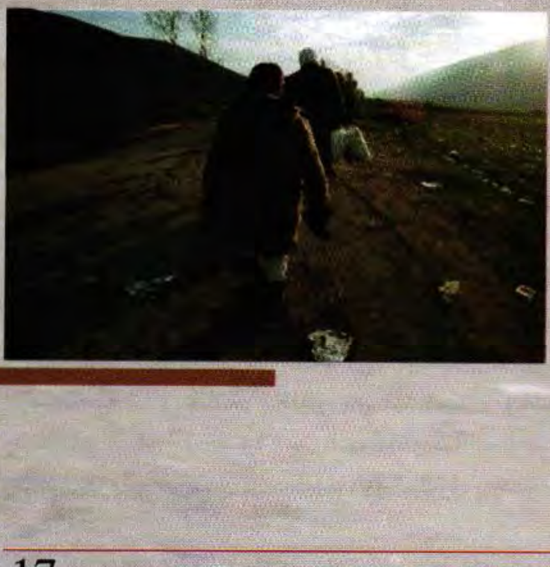
ذنبُهم في أنَّهم قد أسلموا

فطغىٰ أعداءُ للأديانِ

شعر : محمد عبدالله القولي

غيظُهم يسعى على أقدامهمْ
يحرقُ البيداءَ في إمعانِ
هجمةٌ كي ما يُبيدوا أمةً
كم لهم في البغي مِنْ أعوانِ
هجمةٌ ساقتْ ضحايا رُوِّعَتْ
كم يتيمٍ تاهَ في البلدانِ
هَدَّهُم سيرٌ على أهوالهِ
طالَ للمجهولِ والأحزانِ
تَعَبٌ لا يَنتهي في راحةٍ
عَصْفُ ريحٍ حط في الأبدانِ
عطش قد ألهب الجوف وكم
دك خوف مهجة الحيران
أينَ يمضي خَطْوُهُ لا ينتهي
ومصيرٌ ضاعَ في الأوطانِ
كم مآسٍ فتقَ الصربُ لهم
كم ضحايا العِرْضِ والطُغْيانِ
بنتَ «كوسوفا» امسَحِي عن أعيُنٍ
دمعةَ الإذلالِ والحِرْمانِ
بنتَ «كوسوفا» اطلبي مِنْ خالقٍ
رحمةً من قادرٍ رحمانِ
كِسْرَةُ الخبزِ أيا ويلَ الوَرَى
حُلمُ الأطفالِ مِنْ ألبانِ
كم صغيرٍ يَعصرُ الجُوعُ الحَشَا
كِسْرَةٌ عَزَّتْ على الوجدانِ
أدمعُ الطفلِ شَكَتْ عَنْ حالهِ
أيُّ حِسٍّ رَقَّ في الإنسانِ؟
أيُّ قلبٍ لم يَلِنْ مِنْ دمعهِ
حَجراً قد كانَ في الحُسبانِ
كمْ عَجوزٍ رَوَّعَ الصربُ الخُطى
هاربٍ قد تاهَ في البُلْدانِ
كم صَبايا نِيلَ مِنْ إحصانِها
دَنَّسُوا ما كانَ مِنْ إحصانِ

كم رضيعٍ أخْرَسُوا أنفاسَه
أينَ منهم هجمةُ الثيرانِ؟
حاملٍ قد جاءها الوَضْعُ وما
تَأْمَنُ العُدوانَ مِنْ «صربانِ»
كمْ جياعٍ في عَراءٍ شُرِّدوا
خَلَلَ الأجبالِ والوديانِ
أيُّ بردٍ في شعابٍ قارسٍ
خَبَّأَ الأحياءَ في الجُحْرانِ
هل لسانٌ للبوادي ناطقٌ
لَبَكَى الأيتامَ مِنْ حِرمانِ؟
لم يُبالوا أَحرقوا أو دمَّروا
أي شيء كان للألبانِ
شَوَّهوا الحقَ وأضحى حِقْدُهُمْ
يُتْبِعُ العُدوانَ وبالعُدوانِ
وَصْمَةُ العارِ على صربٍ غَدَتْ
سُبَّةً في عصرِنا ذا الجاني
قَتلُهُمْ قد كان لهواً إنَّما
بطشُهُمْ قد صارَ كالإدمانِ
أمَّةَ الإسلامِ غَوثاً للأولى
ذُبِحُوا يا إخوةَ الإيمانِ
أمَّةَ القرآنِ هيا قدِّمُوا
نُصْرَةً بالفعْلِ والوجدانِ
«بوسنةٌ» كانتْ ذَبيحاً أولاً
وهُنا أضْحَى الذبيحَ الثاني



حـوار

أجرى الحوار: أحمد محمد الشنواني

الدكتور عبدالله بن صالح العبيد الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة شخصية معروفة على ساحة العمل الإسلامي الإغاثي والدعوي نظراً لما تمثله الرابطة من ثقل إسلامي في العالم الإسلامي... مجلة الوعي الإسلامي التقت الدكتور العبيد وحاورته حول مجمل القضايا الإسلامية التي تدخل في صلب توجهات واهتمامات الرابطة.

د. عبدالله العبيد الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة

قضايا الأقليات الإسلامية في صلب اهتماماتنا



● د. عبدالله العبيد يتحدث للوعي الإسلامي

● رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة من أكبر المنظمات الإسلامية في العالم، كيف ولدت فكرة قيام هذا الصرح الإسلامي، وكيف نشأ كمؤسسة إسلامية شعبية عالمية ؟

- يسعدني في بداية اللقاء أن أوجه شكري لمجلة الوعي الإسلامي على جهودها الطيبة المباركة في توعية المجتمعات الإسلامية.

وأقول رداً على السؤال كانت الأمة الإسلامية بحاجة ماسّة إلى عقد يجمع فرائدها بعد انفراطه بسبب ما أصابها من تفريط وإفراط في أمر دينها فقد عاشت فترة من هذا العصر تحت حكم المستعمر الأجنبي الذي استغل مواردها وقدراتها ودق بين شعوبها إسفين الفرقة والشتات، وزرع بين صفوفها عوامل النزاع والهوى والاختلاف، وعمل على ترويج ثقافته الغربية بين شعوبها محاولاً الوصول إلى ذلك الهدف بكثير من الوسائل لتغريب المجتمعات الإسلامية، وفك التصاقها بمبادئ الإسلام السامية.

وفي ظل هذه الظروف العصيبة للأمة الإسلامية التي كانت تعاني من تشتت وضعف أمام أعدائها من الصهاينة والصليبيين والوثنيين وأمثالهم من الكفرة الملحدين، وكان لابد من تعزيز الجهود الإسلامية المخلصة لتعويض ما فات وإنقاذ الأمة مما نصبه لها الأعداء من شراك المؤامرات العسكرية والمواجهات الفكرية الإلحادية حتى يتسنى للمسلمين استعادة وحدتهم وتضامنهم وعزتهم وريادتهم وإنقاذ البشرية الضالة من متاهات الضلال، ومن هذه الضرورة تعالت في بعض أنحاء العالم الإسلامي صيحات الإنقاذ ونادى عدد من زعماء المسلمين وعلمائهم ومفكريهم بضرورة التضامن الإسلامي والتعاون بين الدول والشعوب الإسلامية ودعوا إلى إنشاء هيئة أو جامعة إسلامية تسعى إلى جمع شمل المسلمين والدفاع عن كيانهم ومستقبلهم والارتقاء بمكانتهم بين الأمم، وقد عقدوا لبحث الفكرة عدداً من المؤتمرات والندوات

ومن أبرزها مؤتمر مكة المكرمة الذي دُعي إليه الملك عبدالعزيز آل سعود ـ رحمه الله العام ١٣٤٥هـ واجتماع كراتشي في العام ١٣٧٠هـ ـ ١٩٥١م وندوة المؤتمر الإسلامي في القدس العام ١٣٧٩هـ ـ ١٩٦٠م، وتتابعت الجهود الإسلامية الواعية الخيّرة التي كانت تسعى إلى تحقيق التضامن الإسلامي ووجدت هذه الجهود رعاية واهتماماً من القيادة السياسية في المملكة العربية السعودية مما شجع على فكرة إيجاد كيان إسلامي شعبي عالمي يجمع المسلمين حول أهداف سامية موحدة ويعمل على تحقيق فكرة التضامن الإسلامي ووحدة المسلمين ويسعى إلى بحث معاناتهم وحل مشكلاتهم داخل حدود العالم الإسلامي وخارجه، فكانت الدعوة لعقد مؤتمر إسلامي كبير بمكة المكرمة، وكانت الاستجابة سريعة إذ تم عقد المؤتمر الإسلامي الأول تحت رعاية المملكة العربية السعودية في الرابع عشر من ذي الحجة العام ١٣٨١هـ الموافق الثامن عشر من شهر مايو العام ١٩٦٢م، حيث قرر علماء المسلمين وبدعم من حكومة المملكة العربية السعودية في ختام أعمال المؤتمر تأسيس هيئة إسلامية شعبية عالمية تتخذ من مكة المكرمة مقراً دائماً لها وتسمى «رابطة العالم الإسلامي» يكون لها مجلس من كبار العلماء ورجال الفكر من المسلمين لترعى بذرة التضامن الإسلامي وتبلغ رسالة الإسلام وتنشرها في أنحاء المعمورة ليعم السلام والخير والفلاح والسعادة للبشرية جمعاء كما تم في هذا الاختيار تمثيل مختلف الشعوب الإسلامية بالعلماء الذين يرأسون أعلى القطاعات الإسلامية في بلادهم والذي تم إقراره رسمياً في المؤتمر الإسلامي العام الثاني الذي عقد بمكة المكرمة في الخامس عشر من شهر ذي الحجة ١٣٨٤هـ الموافق السابع عشر من أبريل العام ١٩٦٥م.

● هل لكم أن تذكروا لقرائنا خلاصة لأبرز أهداف رابطة العالم الإسلامي؟

ـ تتركز أهداف الرابطة في تبليغ دعوة الإسلام وشرح مبادئه وتعاليمه ودحض الشبهات والتصدي للتيارات والأفكار الهدامة والدفاع عن القضايا الإسلامية بما يتفق مع مصالح المسلمين وآمالهم وحل مشكلاتهم وتقديم الخدمات لهم في مختلف المجالات التربوية والتعليمية والثقافية والاجتماعية والصحية وغيرها.

الندوات الدولية التي تسهم فيها الرابطة تعتبر منابر إعلامية تسهم في إعلان رأيها بالقضايا المطروحة أمام الرأي العام العالمي

● ما أهم الوسائل التي تعمل من خلالها الرابطة لتحقيق أهدافها المذكورة؟

ـ لقد اتخذت الرابطة الكثير من الوسائل والسبل لتحقيق الأهداف العليا ومصلحة المسلمين في كل مكان ومن أبرزها:

١ ـ نشر القرآن الكريم وبيان إعجازه وترجمة معانيه وكذلك خدمة السنة المطهرة ونشرها.

٢ ـ العمل على تحكيم الشريعة الإسلامية في جوانب حياة المسلمين المختلفة.

٣ ـ تأصيل مبدأ الشورى الإسلامية في حياة الشعوب والأقليات المسلمة.

٤ ـ تنسيق الجهود المبذولة في مجال نشر الدعوة الإسلامية وتشجيع الدعاة ودعمهم بالإمكانات المعنوية والمادية.

٥ ـ نشر التعليم الإسلامي عن طريق الإسهام في إنشاء ودعم المؤسسات الإسلامية والاهتمام بمجالات التدريس.

٦ ـ الاستفادة من مواسم الحج في مجال التوعية الإسلامية عن طريق الندوات والمحاضرات وتنظيم اللقاءات والتعارف بين وفود الحجيج.

٧ ـ دعم العاملين في مجال العمل الإسلامي وترسيخ التعاون والتنسيق مع المنظمات الإسلامية في العالم.

٨ ـ توزيع الكتب الدينية والمجلات الإسلامية وتشجيع المؤلفات والصحف والبرامج الإعلامية التي تخدم الدعوة والعمل على تنقية وسائل الإعلام الإسلامي.

٩ ـ الاستفادة من معطيات التكنولوجيا الحديثة في مجالات الاتصال واستغلال الأجهزة الإعلامية المتعددة لتحقيق مهام الدعوة والتبليغ.

١٠ ـ دراسة مشكلات الأقليات المسلمة ودعم مطالبها ومد يد المساعدة لها.

١١ ـ دعم المنظمات والمؤسسات الإسلامية التي لها صلة بالرابطة وتنسيق الجهود والعمل الإسلامي معها.

١٢ ـ إغاثة المسلمين المتضررين من الكوارث والحوادث والحروب وتقديم العون المادي والمعنوي لهم.

● متى أنشئت هيئة الإعجاز العلمي وما أهدافها؟

ـ أنشئت هيئة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة النبوية المطهرة بناء على قرار المجلس الأعلى العالمي للمساجد في دورته التاسعة التي عقدت في مكة المكرمة العام ١٤٠٤هـ وتعمل الهيئة على تحقيق الأهداف التالية:

١ ـ جمع وتنظيم جهود الباحثين العاملين في مجال الإعجاز العلمي.

٢ ـ وضع القواعد والمناهج وطرق البحث التي تضبط الاجتهادات في بيان الإعجاز العلمي للقرآن والسنة.

٣ ـ تشجيع البحث الفردي والجماعي في هذه المجالات والتنسيق مع الجامعات والمؤسسات العلمية لإقامة دراسات عليا متخصصة وتمحيص الأبحاث في مجال الإعجاز العلمي في القرآن والسنة ووضع الضوابط اللازمة لذلك.

٤ ـ مناقشة بحوث الإعجاز العلمي في القرآن والسنة والتدقيق فيها من النواحي الشرعية والكونية وإجازتها ولها أن تستعين بمن تراه أهلاً في ذلك من العلماء والمتخصصين.

٥ ـ العمل على إدخال مضامين هذه الأبحاث المعتمدة في مناهج التعليم في شتى مؤسساته.

٦ ـ إمداد الدعاة والإعلاميين في العالم أفراد ومؤسسات بالأبحاث المعتمدة للانتفاع بها كل في مجاله.

٧ ـ العمل على نشر هذه الأبحاث بين الناس بصورة متناسبة مع مستوياتهم

العلمية والثقافية وترجمة ذلك إلى لغات المسلمين المشهورة واللغات الحية في العالم قدر الإمكان.

٨ ـ إعداد جيل من العلماء والباحثين لدراسة المسائل العلمية والحقائق الكونية في ضوء ما جاء في القرآن والسنة.

٩ ـ دراسة الآيات القرآنية والأحاديث النبوية المتعلقة بموضوع الإعجاز العلمي.

١٠ ـ تتبع ما يتوصل إليه علماء الكون وما يكتبون وما ينشرون من حقائق علمية مما له صلة بالقرآن والسنة ودراستها وتمحيصها على المستوى العالمي.

١١ ـ العمل على صبغ العلوم الكونية بالصبغة الإيمانية وابتعاث المختصين من المسلمين للمشاركة في المؤتمرات العلمية والدولية ونشر أبحاثهم في المجلات العلمية العالمية.

١٢ ـ توثيق الصلات العلمية مع الهيئات وقادة العلوم الشرعية والكونية في العالم.

● هل لكم أن تذكروا لقرائنا أبرز القضايا التي تناولتها الرابطة وعالجتها تحقيقاً لأهدافها الإسلامية؟

ـ القضايا التي تناولتها الرابطة وتابعتها ولا تزال تتابعها كثيرة ومتشعبة فمنها ما يتعلق بالدعوة الإسلامية مثل:

ـ تطبيق الشريعة وتحكيمها في حياة الشعوب الإسلامية.

ـ الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى.

ـ الثقافة الإسلامية.

ـ تعليم اللغة العربية ونشرها.

ـ رسالة المسجد والدفاع عن المساجد في العالم.

ـ الحج وقدسيته.

ـ التضامن الإسلامي.

ـ ظاهرة الغلو في الساحة الإسلامية.

ـ الدفاع عن الإسلام والتعريف به وتصحيح صورته المغلوطة.

ـ الأسرة والمرأة والطفل.

وهنا جانب آخر يشتمل على قضايا الشعوب الإسلامية مثل:

« رابطة العالم الإسلامي » يكون لها مجلس من كبار العلماء ورجال الفكر من المسلمين لترعى بذرة التضامن الإسلامي

ـ قضية فلسطين والقدس الشريف.

ـ قضية البوسنة والهرسك.

ـ قضية أفغانستان.

ـ قضية الصومال.

ـ قضية جامو وكشمير.

ـ قضية الأقليات الإسلامية.

ـ قضية المسلمين في جنوب الفلبين.

ـ قضية المسلمين في تركستان الشرقية.

ـ قضية جمهورية بورما وأركان.

ـ قضية المسلمين في رابطة الدول المستقلة.

ـ قضية المسلمين في الشيشان.

ـ قضية المسلمين في دول أوروبا الشرقية.

وكذلك توجد هناك قضايا إسلامية في الساحة الدولية تابعتها الرابطة مثل:

ـ السوق الإسلامية المشتركة.

ـ الإرهاب في الساحتين الإسلامية والدولية.

ـ حقوق الإنسان بين الإسلام والقوانين الوضعية.

ـ الحرب على المخدرات.

ـ الحركات والتيارات الهدامة.

ـ مواجهة التنصير.

ـ الحوار بين الحضارات.

ـ النظام العالمي الجديد.

● أصبح الإعلام أحد أهم أدوات النجاح لأي عمل في الوقت الراهن فإلى أي مدى استطاعت الرابطة استخدام الإعلام لتحقيق أهدافها؟

ـ لاشك أن للإعلام دوراً مهماً في حياة المجتمعات البشرية، ومنها المجتمعات الإسلامية حيث صار الإعلام في هذا العصر الذي يعيش فيه الناس يسمى «بالقرية الكونية» بسبب تطور وسائل الاتصال من وسائل الدعوة الإسلامية الضرورية، ولذلك فإن الرابطة تعمل على الاستفادة من وسائل الإعلام المختلفة لتحقيق أهدافها الدعوية والسياسية والثقافية والفكرية، كما تستفيد منها في شرح وجهة نظرها المتعلقة بالقضايا الإسلامية ومشكلات الشعوب والأقليات المسلمة معلنة رأيها للرأي العام العالمي لكسبه إلى جانب الحق في هذه القضايا جميعاً، وكثيراً ما تلمس الرابطة نتائج إيجابية على المستويين الإسلامي والدولي لجهودها الإعلامية ولا تقتصر الرابطة في هذه الجهود على الاستعانة بالدوريات الصحفية فحسب، وإنما تعمل على نشر رأيها وإعلانه عبر وكالات الأنباء والمحطات الفضائية التلفازية والإذاعات وأشرطة الفيديو والكاسيت والكتاب الإسلامي، وأود أن أشير هنا إلى أن المؤتمرات والندوات الدولية التي تسهم فيها الرابطة تعتبر منابر إعلامية كبرى تسهم في إعلان رأي الرابطة بالقضايا المطروحة فيها أمام الرأي العام العالمي، هذا وتحرص مطبوعات الرابطة الصحفية وكتاب دعوة الحق على متابعة الأحداث في الساحة الإسلامية وما يهم المسلمين في الساحة الدولية، وهي تعلن رأي الرابطة للمسلمين إسهاماً منها في إيجاد التصورات الإسلامية الموحدة، وإعلاماً للمجتمعات الأخرى بالموقف الإسلامي الذي تتبناه الرابطة، ويسعى الأخوة المكلفون بالإشراف على مطبوعات الرابطة إلى تطويرها لمواكبة المستجدات.

● قضية القدس الشريف والمقدسات الإسلامية في فلسطين المحتلة، من أهم القضايا التي تقلق الرأي العام الإسلامي كيف تعاملت الرابطة مع هذه القضية؟

ـ تعاملت مجالس الرابطة مع قضية القدس والمقدسات الإسلامية في فلسطين وعلى رأسها المسجد الأقصى المبارك من منظار

إسلامي شرعي يراعي الأصل العربي للمدينة المقدسة، والارتباط الديني للمسلمين بمقدساتها مع الإعلان للرأي العام العالمي أن هذه المدينة عربية إسلامية مهما حاول اليهود المغتصبون تغيير معالمها وتزوير التاريخ لاغتصابها، وقد تابعت الأمانة العامة للرابطة جميع قرارات مجالس الرابطة وتوصياتها بشأن فلسطين والقدس والأقصى المبارك متخذة الإجراءات اللازمة ومعلنة رأيها بما يجري فيها من أحداث عبر كل من:

١ ـ المنظمات الدولية وعلى رأسها هيئة الأمم المتحدة ومجلس الأمن الدولي ومنظمة المؤتمر الإسلامي وجامعة الدول العربية وغيرها.

٢ ـ المؤتمرات والندوات التي تقيمها الرابطة والتي تشارك فيها.

٣ ـ الدوريات الإعلامية التي تصدرها الرابطة.

٤ ـ مجالس الرابطة التي تعقد سنوياً في مقر الأمانة العامة.

٥ ـ الكتب التي تصدرها الرابطة في سلسلة دعوة الحق الشهرية.

٦ ـ البيانات الصحفية التي يصدرها الأمين العام وتنشرها الصحف وتتناولها وكالات الأنباء وتبثها القنوات التلفازية والإذاعية والمحطات الفضائية للرأي العام العالمي.

وقد أكدت الأمانة العامة للرابطة من خلال جميع وسائلها المذكورة على ما يلي:

١ ـ عروبة مدينة القدس وعراقتها التاريخية ومكانتها المهمة التي تبوأتها عبر التاريخ، حيث كان أول سكانها الكنعانيون واليبوسيون العرب قبل نحو خمسة آلاف سنة.

٢ ـ التاريخ الديني للمدينة منذ نبي الله إبراهيم ـ عليه السلام ـ ومن جاء بعده من الأنبياء الذين يؤمن المسلمون برسالاتهم وكتبهم ومنهم موسى وعيسى عليهما السلام.

٣ ـ ارتباط مشاعر المسلمين وحقوقهم بمدينة القدس والمسجد الأقصى ارتباطاً وثيقاً وهي محضن المسجد الأقصى المبارك الذي أسري بنبي الإسلام محمد ـ ﷺ ـ إليه

قضايا الأقليات الإسلامية من الموضوعات الرئيسية التي تهتم بها الرابطة وتقوم بإجراء دراسات وأبحاث عن أوضاعهم ومشكلاتهم

من مكة المكرمة حيث ورد ذلك في كتاب الله العظيم في قوله تعالى في سورة الإسراء: (سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير).

٤ ـ الرفض القاطع لمحاولات إسرائيل ضم القدس إليها واعتبارها مدينة عبرانية ورفض تزوير التاريخ والادعاء بأن القدس عاصمة الدولة العبرية منذ ثلاثة آلاف عام.

٥ ـ التصدي لمحاولات الحكومة الإسرائيلية نقل سفارات الدول الأجنبية إلى القدس لإضفاء مسحة دولية على القدس باعتبارها عاصمة لدولة إسرائيل.

٦ ـ متابعة محاولات السلطات الإسرائيلية تغيير معالم مدينة القدس وهدم الآثار والشواهد التاريخية فيها بنية طمس الأثر الإسلامي بهدف تهويدها.

٧ ـ التصدي لعمليات تهجير المواطنين الفلسطينيين من مدينة القدس وإحلال المستوطنين اليهود في ديارهم بعد الاستيلاء على بيوتهم واغتصاب أراضيهم.

٨ ـ التصدي للاعتداءات الإسرائيلية المتكررة على المسجد الأقصى المبارك وقتل المصلين فيه وإيذائهم ومحاولاتهم المتكررة لتقسيمه بين المسلمين واليهود على غرار ما فعلوه بالمسجد الإبراهيمي في مدينة الخليل.

٩ ـ فضح محاولات اليهود التي ترمي إلى تنفيذ خطة لإزالة الأقصى وبناء هيكل سليمان المزعوم مكانه.

١٠ ـ مواجهة التجاوزات الإسرائيلية المخالفة لقرارات هيئة الأمم المتحدة ومجلس الأمن الدولي ومنها القرار رقم (٢٤٢) الذي لا يسمح لإسرائيل بإحداث أي تغييرات في الأراضي العربية التي احتلتها العام ١٩٦٧م، ومنها مدينة القدس والمقدسات الموجودة فيها.

١١ ـ تعريف الشعوب الإسلامية بما يحاك للقدس وتوحيد موقفها من هذه القضية.

١٢ ـ توحيد الجهود الإسلامية المسيحية في التصدي للأهداف الإسرائيلية باغتصاب المدينة المقدسة.

١٣ ـ استعادة القدس الشريف والأقصى المبارك إلى الحوزة العربية الإسلامية، كما كانا عبر التاريخ.

هذا، وتتعاون الرابطة من أجل هذه القضية مع المنظمات الإسلامية التي تشاركها في هذه الأهداف، كما تتعاون مع المنظمات والهيئات الإسلامية والمسيحية في كل من أوروبا وأميركا بشكل خاص، وتوثيقاً لموقف المسلمين من قضية القدس والمقدسات الإسلامية، وكذلك الموقف الذي تتبناه الرابطة والمنظمات الإسلامية المتعاونة معها فقد أصدرت الأمانة العامة للرابطة ضمن سلسلة كتب دعوة الحق الشهرية كتابين عن هذه المدينة المقدسة هما:

١ ـ القدس في ضمير العالم الإسلامي لمجموعة من الباحثين.

٢ ـ المركز القانوني الدولي لمدينة القدس للدكتور جعفر عبدالسلام.

ومن أجل أن تظل قضية ا لقدس شاخصة أمام الرأي العام العالمي للأجيال المسلمة على أنها قضية إسلامية وليست عبرانية أقامت الرابطة كما ساعدت على إقامة عدد من المؤتمرات والندوات الخاصة بالقدس الشريف، ومن بينها الندوة العالمية لشؤون القدس التي أقيمت في المركز الثقافي الإسلامي في روما الذي تشرف عليه الرابطة والتي شاركت فيها إلى جانب الفعاليات الإسلامية فعاليات مسيحية تبنت القرارات التي أصدرتها الندوة حيث شاركت في هذه الندوة شخصيات من دول مختلفة أجمعت كلها على استنكار ما تتعرض له القدس من جراء الاحتلال الإسرائيلي.

● نود أن نتعرف على جهود الرابطة في دعم الأقليات المسلمة في العالم

فهل لكم أن تعطونا فكرة عن ذلك وماذا قدمت لمسلمي كوسوفا؟

- تعتبر قضايا الأقليات الإسلامية من الموضوعات الرئيسية التي تهتم بها الرابطة، وتحقيقاً لمزيد من الاهتمام بقضايا الأقليات تقوم الرابطة بإجراء دراسات وأبحاث عن أوضاع الأقليات المسلمة ومشكلاتها ويولي المجلس التأسيسي للرابطة في كل من اجتماعاته أهمية خاصة لشؤون الأقليات الإسلامية وتشمل برامج الرابطة للأقليات الإسلامية من بين أمور عدة ما يلي:

- إرسال المدرسين والدعاة إلى الدول التي توجد فيها الأقليات الإسلامية.

- إنشاء المساجد والمدارس وتهيئة وسائل الإغاثة لهذه الأقليات.

- تقديم المساعدات المادية والأدبية للمدارس ومعاهد المراكز الإسلامية والمطبوعات الإعلامية للأقليات.

- إرسال الوفود إلى الأقطار التي فيها أقليات إسلامية لدراسة حاجاتها وبخاصة في مجال الثقافة والإعلام.

- تسوية ما قد ينشأ من خلافات بين الجماعات المختلفة للأقليات الإسلامية.

- التصدي للهجمات الثقافية والفكرية والسياسية على الأقليات المسلمة إلى جانب الدفاع عن حقوقها في الحرية والحياة الكريمة وبخاصة في المحافل الدولية والمنابر الإعلامية. ولتحقيق أهدافها حرصت الرابطة على إقامة مؤتمرات وندوات إسلامية في الدول التي توجد فيها أقليات إسلامية من أجل التعريف بمشاكلها والتحديات التي تواجهها وتقديم الحلول الناجعة لها.

وأود أن أشير إلى أن هناك زيارات ميدانية يقوم بها المسؤولون في الرابطة للدول التي توجد فيها أقليات مسلمة حيث يتصلون بالمسؤولين في حكوماتها لحضهم على الاهتمام بمصالح المسلمين والمحافظة على حقوقهم المشروعة كما تحرص الرابطة على دعوة الشخصيات المؤثرة في بلدان الأقليات لأداء فريضة الحج كل عام وذلك بغية الاستمرار في التواصل مع الأقليات والتعرف على مشكلاتها المستجدة.

وقد عقدت لقاءات مكثفة في الأعوام الثلاثة الأخيرة مع ممثلي كثير من مجتمعات الأقليات الذين قاموا بزيارة الرابطة. أما ما يتعلق بمسلمي كوسوفا فقد تابعت الرابطة قضيتهم وهي تنسق في سبيل دعم هؤلاء الأخوة مع المشيخة الإسلامية في كوسوفا كما أنها تمد للمهجرين منهم يد العون والمساعدة وقد أصدرت الرابطة عدداً من البيانات الصحفية شرحت خلالها للرأي العام العالمي حقيقة المحنة القاسية التي سببها العدوان الصربي ورفعت عدداً من المطالب إلى الهيئات الدولية وعلى رأسها هيئة الأمم المتحدة ومجلس الأمن لإنصاف مسلمي كوسوفا والعمل على منع استمرار العدوان عليهم ومنحهم الحق في تقرير المصير.

القدس مدينة عربية إسلامية مهما حاول اليهود المغتصبون تغيير معالمها وتزوير التاريخ لاغتصابها واحتلالها

● انتقل الهجوم على الإسلام عبر الإنترنت وهو ما يستلزم بذل الجهود لمواجهة ذلك ... فهل دخلت الرابطة عالم الإنترنت ؟

- الرابطة حريصة كل الحرص على الاستفادة من وسائل العصر الحديثة في تحقيق أهدافها الدعوية وهي تتابع ما يبث عن الإسلام في الوسائل المذكورة.

كما تتابع من خلال مكاتبها والمراكز الإسلامية التي تشرف عليها تحركات الفئات الضالة وافتراءاتها على الإسلام والمسلمين.

وتعمل الرابطة على توعية الشعوب الإسلامية من تلك الافتراءات كما ترد عليها من خلال دورياتها الصحفية ومجالسها وبياناتها التي تصدرها تحقيقاً لأهدافها الدعوية وتسعى الرابطة للاستفادة من القنوات الفضائية ويمكن الوصول إلى موقع الرابطة على الإنترنت باستعمال :

HTTP WWW. ARAB. NET/ MWL - COM

أو باستعمال :

WWW. MWL. COM

ولدى الرابطة خطة مستقبلية لتحقيق الإفادة المطلوبة إن شاء الله.

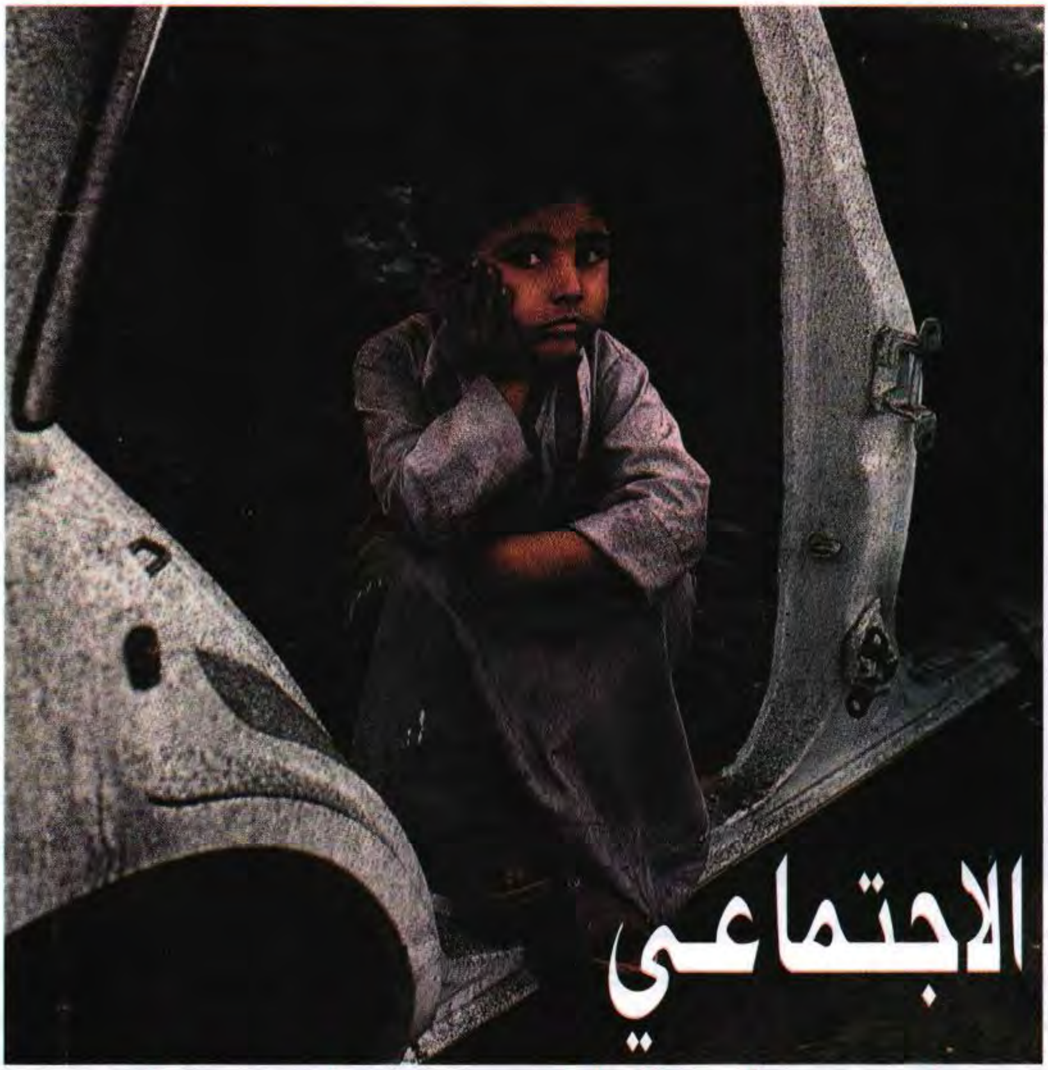
● تتهم الأمة الإسلامية وأبناؤها بالإرهاب ماذا تقولون عن حقيقة هذا الاتهام ألا تعتقدون أن هناك إرهاباً يمارس ضد المسلمين وما مظاهر هذا الإرهاب الأخير في نظركم ؟

- هذا الاتهام تردده وتركز عليه وسائل الإعلام الغربية وهو اتهام لا أساس له من الصحة ولا مبرر له. بل إن بعض تلك الوسائل تتجنى على دين الإسلام نفسه بالافتراء عليه وتزوير حقائقه والادعاء بأنه دين العنف والإرهاب متجاهلة حقيقة الإسلام الذي يرفض كل أشكال العنف والغلو حتى في المخاطبة (ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك)، وإنني لا أعتقد أن هذه التهم الباطلة ستسقط سريعاً من أذهان أصحابها أمام تحرك الدعاة والإعلاميين لعرض الإسلام بوسطيته ومنهجيته العادلة على الشعوب الأخرى وتصحيح المفاهيم الخاطئة التي راجت عن الإسلام والمسلمين.

أما عن الإرهاب الذي يمارس ضد المسلمين فقد اتخذ الأعداء أشكالاً مختلفة لشن هجمة شرسة على الإسلام والمسلمين في عدد من أنحاء العالم.

وما يحدث في كوسوفا وكشمير وبورما وغيرها ضد المسلمين ما هو إلا شكل من أشد ألوان الإرهاب عنفاً. أضف إلى ذلك أن ما يحدث في فلسطين المحتلة من اعتداءات المستوطنين الصهاينة على المصلين في المساجد وبيوت الله في الأرض المحتلة وللأسف الشديد، فإن وسائل الإعلام المعادية تتجاهل هذا الإرهاب المنظّم والمعلن على الإسلام والمسلمين ووسائل الإعلام الإسلامية عاجزة عن التأثير لضعف إمكاناتها وسيظل هذا الافتراء وتزوير الحقائق على الإسلام وتشويه صورته المشرقة إلى أن يقيض الله للمسلمين وسائل إعلامية تنهض بدورها بفعالية. ■

بقلم : د. مصطفى فوضيل



الظلم الاجتماعي
مصطلح في حاجة إلى مراجعة

«الظلم الاجتماعي» من المصطلحات الرائجة في كثير من الكتابات العربية والإسلامية، وظاهره سليم، لكن عندما نخضعه للدرس والتحليل، وبعدما نسلط عليه الضوء القرآني، فإنه ينكشف عن حيز دلالي ضيق، لا يستوعب مختلف أشكال الظلم الاجتماعي، كما هي في الواقع وكما يعالجها القرآن.

وإن أول ما يلاحظ على هذا المصطلح أنه من المصطلحات الوافدة من الغرب، وهو مترجم عن Injustice sociale ويقابله مصطلح العدل الاجتماعي -Jus tice Sociale، فمن الطبيعي إذاً أن يكون متأثراً بالبيئة التي ولد ونشأ فيها وترعرع في أحضانها حتى أصبح محمّلاً بشحنات دلالية مرتبطة بالتاريخ والخلفية المذهبية الكامنة وراءه.

جاء في معجم العلوم الاجتماعية: «يقصد من هذا التعبير ـ أي العدالة الاجتماعية ـ تعاون الجهود في المجتمع لإيجاد تضامن اجتماعي قوي وسليم بين الأفراد، وتكوين مجتمع مبني على تكافؤ الفرص الحقيقي سواء من حيث نمو الأفراد أو من حيث تنشئتهم الاجتماعية أو تربيتهم أو وضعهم في المكان الذي يلائم مواهبهم وقدراتهم وكفايتهم.

والفلاسفة المنادون بالعدالة الاجتماعية يرسمون صورة مثالية لمجتمع العدالة الاجتماعية الذي هو مجتمع الديموقراطية أيضاً، والنقاط التالية يكاد ينعقد الإجماع عليها من حيث هي أسس مجتمع العدالة:

أ ـ أن من حق كل طفل أن يولد بشكل طبيعي، وأن يكون محاطاً بوسط صحي، وأن تكون لديه الفرصة للحياة الصحية السليمة والتعليم الحر.

ب ـ يجب أن يوفر المجتمع لكل شاب عملاً يطمئن إليه ويتفق

مع مواهبه.

ج - وأن يكفل لكل شخص دخلاً يكفيه هو وأسرته، بحيث يصبح عضواً نافعاً في المجتمع يخدم الهيئة الاجتماعية بجدارة تتفق مع مواهبه وقدراته.

د - لكل شخص أن يعبر عن آرائه ومعتقداته في الشؤون السياسية والاقتصادية والاجتماعية بصراحة، ولابد من أن تهتم السلطات الحاكمة بآراء المواطنين وأن تعطي لها أذناً صاغية وتبحثها.

ويضاف إلى هذه المبادئ أحياناً مبدأ أن الملكية الفردية يجب إقرارها مادام صاحبها يؤدي ما عليها من تكاليف اجتماعية.(١)

فعلى هذا يتحقق الظلم الاجتماعي بالاعتداء على هذه الحقوق، وأنت إذا تأملت فيها فإنك ستلاحظ أن حظ الروح والقيم والدين هزيل جداً، إن لم نقل هو منعدم.

وقد لا نكون - في هذا المقام - في حاجة إلى إثبات الرؤية المادية القابعة في صلب التصور الغربي، «فالعدالة الاجتماعية ليست إلا حصيلة المبادئ التي تكلّم عنها كارل ماركس، وتود، وكارل مانهايم، وكيس، وغيرهم من ذوي النزعات الاشتراكية».(٢)

فإذا كان ذلك كذلك، فلا شك أن هذه المادية تنعكس على مجمل مجالات النمط الأوروبي في طريقة «التفكير» و«التعبير» و«التدبير»، أي في منهج حياته بصفة عامة.



ومن بين أخطر هذه المجالات تصوره المادي للمجتمع نفسه التي يتكون منها، وبخاصة مؤسسة الأسرة، وقد وصلت ماديته في هذا المجال إلى درجة تغير بها مفهوم الأسرة ذاته، فصار قابلاً لأن يطلق على الرجلين الشاذين يجمعهما عقد واحد، وعلى المرأتين الشاذتين تعيشان تحت سقف الزوجية بعقد قانوني «صحيح» وملزم!!

ثم إن التصور الغربي للظلم الناتج عن اختلال في توازن العلاقات الاجتماعية لا يتعدى حد الاعتداء على الحقوق المادية «والنفسية» للأفراد، دون اعتبار كبير للأخلاق بمفهومها الحقيقي.

فالظلم الاجتماعي - وفق ذلك التصور - لا يتصور مثلاً في علاقة غير شرعية بين الرجل بالمرأة إلا في حال الإكراه والاغتصاب، فإذا كانت هذه العلاقة برضاء الطرفين فلا حرج ولا إشكال، لأن هذا يدخل في إطار الحرية الشخصية.

والواقع أن هذا ينسجم مع تصور الغرب للمجتمع والأسرة والحرية والعدالة وغيرها، فالسلوك - فردياً كان أم جماعياً - هو انعكاس طبيعي للتصور، وهذه قاعدة.

لكن الذي يدعو إلى الاستغراب هو تلقي الفكر العربي والإسلامي لمثل هذه المصطلحات من دون إخضاعها للتفتيش العلمي والحضاري - إن صح التعبير - ومن دون «إيقافها في حدود الأمة الحضارية للسؤال والتثبت من الهوية، وحسن النية، ودرجة النفع»، ونحن في أشد الحاجة «إلى تعقبها في مختلف المجالات والتخصصات التي قد يكون عشش فيها، أو باض وفرّخ بغير حق، فإن سويّت وضعيته - كما يقولون - فذاك، وإلا طهّر فكر الأمة منه فإن رجس»(٣).

والحمد لله أن هذه الأمة تملك الميزان الذي جاء به القرآن لتزن به الأفكار وسائر الأشياء.

وبالنسبة لمصطلح الظلم الاجتماعي - بحسب ما دل عليه من مفاهيم في التصور الغربي - فإنه لا يدل على حقيقة الظلم، ولا يستوعب مختلف مجالاته، وهذا يتبين بتسليط ضوء القرآن عليه من جهة حقيقته عموماً، ثم من جهة مجالاته على الخصوص، مع التركيز على المجال الاجتماعي بصفة أخص.

يقول الراغب: «الظلم عند أهل اللغة وكثير من العلماء هو وضع الشيء في غير موضعه المختص به، إما بنقصان أو زيادة، وإما بعدول عن وقته أو مكانه... قال: والظلم مجاوزة الحق الذي يجري مجرى نقطة الدائرة، ويُقال فيما يكثر وفيما يقل من التجاوز»(٤).

وقد أكد القرآن الكريم أن الظلم يمكن أن يتحقق في كثير من المجالات سواء أكانت عقدية أم اجتماعية أم اقتصادية أم سياسية، وليس هذا موضع تفصيلها.(٥)

ونقتصر هنا على التمثيل للمجال الاجتماعي، وما يمكن أن يحدث فيه من الظلم، مما لم يستوعبه مصطلح الظلم الاجتماعي في دلالاته الغربية، وهذا يعني أننا لا نعترض على دلالاته الإيجابية التي يمكن أن تلتقي مع المفاهيم الإسلامية، وبخاصة منها ما يتعلق بإقامة العلاقات الاجتماعية على الوجه الذي يحفظ لجميع الأفراد حقوقهم وكرامتهم من الناحية المادية والمعيشية، وهذا موضوع آخر مجاله النُظم الإسلامية، وقد أشبعها العلماء بحثاً - نظرياً وتطبيقاً - وخلصوا إلى أن الإسلام بلغ الغاية في تنظيم المجتمع من مختلف جوانبه.

ثم إن تقسيم مجالات الحياة إلى عقدية وسياسية واجتماعية واقتصادية وغيرها إنما هو من باب التفصيل المنهجي لمعرفتها مجزأة، وإلا فإن الحياة الإنسانية مركّب متكامل من تلك المجالات يتأثر بعضها ببعض بحيث يمكن أن نجد نوعاً من العلاقات تشترك فيها تلك المجالات كلها، فقد نجد ظلماً في

المجال الاجتماعي له علاقة بظلم سياسي أو ظلم اقتصادي، أو نجد ظلماً اقتصادياً ناتجاً عن ظلم سياسي.

ولكن الأساس في كل ذلك هو تجاوز حدود الله تعالى التي وضعها لتلك المجالات، ولذلك قال عز وجل: (ومن يتعدَّ حدود الله فأولئك هم الظالمون) البقرة:٢٢٩.

ونحن عندما نسمع عبارة: «الظلم الاجتماعي» ينصرف ذهننا مباشرة إلى المجال الاقتصادي، وانعدام العدالة في توزيع الحقوق المادية بين الأفراد، وهذا ناتج عن الظلم السياسي والإداري الذي يفقد الدولة التوازن والعدل في توجيه المجال الاقتصادي لصالح المجتمع عموماً، غير أن حصر مفهوم الظلم الاجتماعي في هذا المجال يصرفنا عن معانٍ أخرى للظلم يمكن ملاحظتها في العلاقات بين أفراد المجتمع، ومن ثم فإن الظلم الاجتماعي - انطلاقاً من القرآن - يمكن أن يظهر في نواحٍ متعددة. وهكذا نجد الظلم في العلاقات بين الناس عموماً، ونجده في العلاقة بين الرجل والمرأة ونجد التظالم بين أفراد المجتمع مرة بالقتل، ومرة بالسرقة، ومرة بأكل أموال اليتامى، ومرة بحرمان المساكين من حقوقهم، والقرآن الكريم في كل ذلك يستقبح الظلم ويشن عليه حملة لا هوادة فيها سواء بالنسبة لما وقع فيهدد أصحابه ويتوعدهم بالعقاب إن لم يتوبوا، أو لما لم يقع فيحذر منه ويرشد إلى الوقاية من خبثه وشره.

وقد سبقت الإشارة - على سبيل التمثيل - إلى أن الفكر الغربي لا يجد حرجاً في العلاقة غير الشرعية التي يمكن أن تقوم بين الرجل والمرأة مادامت قائمة على الرضا المتبادل، وهذا مبني على تصورهم لمفهوم الحق، وهو تصور علماني، لا يهتم بحق الله تعالى، وقد أدى هذا إلى اضطراب شديد في مفاهيم عدة أخرى متفرعة عن ذلك المفهوم، مثل مفهوم الحرية، فصار الإنسان تحت شعار «الحرية الشخصية»، يستبيح ما تمليه عليه أهواؤه وغرائزه.

والأمر مختلف تماماً في التصور الإسلامي، فالحق حقان: حق الله تعالى، وحق العبد، وكلاهما معتبر، إلا أن حق الله مقدّم في الاعتبار عند التعارض، لأن في حفظ حق الله عز وجل حفظاً لحق المجتمع كله، والله تعالى غني عن العالمين، فإن من بين ما قيل في معنى حق الله تعالى ما قال الفاضل الجلبي: «المراد بحق الله في قولهم ما يتعلق به النفع العام للعباد ولا يختص به أحد كحرمة الزنى، فإنه يتعلق به عموم النفع من سلامة الأنساب عن الاشتباه وصيانة الأولاد عن الضياع، وإنما نسب إلى الله تعالى تعظيماً لأنه يتعالى عن الضرر والانتفاع».(٦)وقد حكى القرآن الكريم عن يوسف - عليه السلام - أنه قال لامرأة العزيز لما راودته عن نفسه: (معاذ الله إنه ربي أحسن مثواي إنه لا يفلح الظالمون) يوسف:٢٣.

قال الرازي: «أراد الزناة، لأنهم ظالمون أنفسهم، أو لأن عملهم يقتضي وضع الشيء في غير موضعه»(٧).

ويدل وصف الزناة هنا بالظلم على خطورة هذه الجريمة التي تفتك بالأمم والمجتمعات والأسر والأفراد، فليس الزنى حرية شخصية كما يقول الذين لا يعلمون، لأن لكل فرد حرمة وحدوداً، ومن ثم فالحرية ينبغي أن تقيد بالضوابط الفطرية التي في كل إنسان، وبالحدود الشرعية التي تصون الأعراض من الفوضى والانهيار والاختلاط.

قلت: وفي الزنى أيضاً معنى مجاوزة الحد، ومما يدل على ذلك قوله تعالى: (والذين هم لفروجهم حافظون. إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين. فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون) المؤمنون: ٥ ـ ٧.

وقوله تعالى على لسان لوط - عليه السلام - يخاطب قومه: (أتأتون الذكران من العالمين. وتذرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم بل أنتم قوم عادون) الشعرا: ١٦٥ـ ١٦٦.

ومما يستخلص من هذه النصوص أن الشريعة جاءت لتضع الأشياء في مواضعها، ولترسم الحدود بين أفراد المجتمع، وهي حدود منسجمة مع الفطرة البشرية، وذلك لأنها جاءت ضمن نظام شامل يهتم بالإنسان في جميع أحواله، ويجمع في ذلك بين الحرية الحقيقية للأفراد وبين تماسك المجتمع بمنهج بلغ الغاية في المحافظة على الحقوق وتقدير القيم.

وفي غياب هذا المنهج تتداخل الحريات وتصطدم الرغبات، وتعم الفوضى، وعندما يصل المجتمع إلى هذه الحال، فإن نُظمه التشريعية تصبح ملزمة بالانسياق مع التيار ولا يكون أمامها في كثير من الأحيان إلا مسايرته والاستجابة لغرائزه الجامحة، ولا أدل على ذلك من تلك البنود الحديثة في القوانين الوضعية التي أباحت الزواج من الجنس نفسه، ومن يدري؟! فلعلها يوماً تبيح الزواج بالمحارم أو الزواج بالكلاب والخنازير!! فهل هناك أفظع من ذلك الظلم الذي يهدد البشرية في أخطر مؤسساتها، ويعود بالدمار الشامل على كل المجتمع.

وختاماً نقول: إننا في حاجة إلى حسّ مصطلحي يرتكز على قاعدة صلبة من الشرع لمراجعة ما يفد علينا من المصطلحات قبل أن تصبح جزءاً من نسيجنا المعرفي والثقافي، فتفعل فيه ما تفعل الجراثيم في الجسم السليم. ■

الهوامش:

١ ـ معجم العلوم الاجتماعية ٣٨٥/١، نخبة من المتخصصين، مراجعة د. إبراهيم مذكور، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٥م.

٢ ـ المصدر السابق.

٣ ـ نظرات في المصطلح والمنهج، د. الشاهد البوشيخي، نشرة أخبار المصطلح، عدد ٢ شعبان ١٤١٦هـ ـ يناير ١٩٩٦م ص١.

(نشرة يصدرها معهد الدراسات المصلطحية بكلية الآداب ظهر المهراز ـ فاس ـ المغرب).

٤ ـ مفردات ألفاظ القرآن ـ ظلم.

٥ ـ انظر «مفهوم الظلم في القرآن الكريم» لصاحب المقال، ضمن ندوة «الدراسة المصطلحية والعلوم الإسلامية» مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، ١٩٩٦م.

٦ ـ كشاف اصطلاحات الفنون ٦٨٥/١ (الحق).

٧ ـ مفاتيح الغيب ١١٧/١٨.

الانهزام النفسي عند الشباب مظاهره وعلاجه في المنهج الإسلامي

بقلم : محمود حسن إسماعيل

لا شك أن التربية العقيمة التي خضع لها الشرق الإسلامي في العصور الأخيرة جعلت أبناءه لا يعرفون تكاليف الرجولة الحقة، وإذا عرفوها لا يطيقونها ولا يصبرون على ولائها ولا يقومون كما ينبغي بأعبائها، مع أن في البيئات الغربية جماهير من الناس تعرف كيف تؤهل الأمل البعيد وكيف تسير إلى تحقيقه بعزم من حديد، وكيف لا تنثني وإن وقفت دونها الصعاب.(١)

وظاهره الانهزام النفسي عند الشباب من أهم المشكلات التي تواجهها مجتمعاتنا . أدى إليها قصور المناهج التربوية في إعداد الشباب إعداداً عقلياً يساعد على تفتح أذهانهم وتنمية قدراتهم العقلية وصقل مواهبهم ورعاية لميولهم ليكونوا في مستوى التحدي العلمي والحضاري في عصرهم.

والواقع المرير الذي يمر به مجتمعنا في جملته وخصوصاً طاقاته الحية من الشباب ينبئ عن مغبة التفريط في التعامل السليم مع الشخصية الإنسانية، فقد أسلب الشباب وعمت حيرته فذابت القيم الإنسانية وأنطق الرفض : « من رفض الإله إلى رفض الأسرة وفي النهاية إلى رفض الذات وكان العراء الكامل للذات من الذات ». (٢)

كما أن نكص الشباب الحاضر يرجع إلى أن التراث الموروث من العقائد والشرائع والأخلاق ليس له في حياة الشباب التأثير الذي كان لشخصية النبي - صلى الله عليه وسلم - وروحانية جبريل وقدسية القرآن ما أدى إلى صعوبة تفعيل دور الشباب واستثمار طاقاته المختلفة في البناء والتعمير.

ومن مظاهر الانهزام النفسي عند الشباب أن الأغلبية الساحقة من شباب العالم الإسلامي تعيش وضعية يرثى لها فهم يتأرجحون بين التقاليد السائدة والتيارات المستوردة المائعة ونتج عن هذا مجموعات تعيش ازدواجية الشخصية وأصبح معظم الشباب مقلداً للغرب من إطلاق للشعور وسماع للموسيقى الصاخبة وارتداء الأزياء المتطرفة والثورة على النظام السائد داخل المؤسسات والجامعات وقوانين المرور والجري وراء الشهوات الجامحة والمخدرات والكحول وما إلى ذلك من مفاسد تؤثر بشكل مباشر على الفرد والمجتمع.(٣)

وترتب على إغفال الشباب والقصور في علاج مشكلاته فقد الثقة فيما هو كائن ما أدى إلى حال من الانفصام العملي بين الشباب وبين الوجود الاجتماعي والسياسي والثقافي صاحبها اليأس من إمكان حلول مستقبلية مشروعة ما أدى إلى تمكن طابع عدم الاكتراث أو ما يسمى في الأسلوب الدارج بالاستهتار وعدم المبالاة مع الجنوح المندفع إلى طرفي النقيض، وهو ما يسمى التطرف ويتمثل في التطرف الديني والتطرف الإلحادي أو الإنكاري ويضاف إلى هذا عوامل الفراغ الديني والسياسي الذي يسيطر على كثير من هؤلاء الشباب، فثقافتهم الدينية محدودة، فهي تكاد تنحصر في دائرة تضم أغلب المظاهر عدوانية وانحرافاً.(٤)

ويستمد شباب اليوم - إلا من رحم الله - مثلهم العليا من السينما والمسرح والتمثيل فهم يرون الأبطال وهم يتحركون على الشاشة أو على خشبة المسرح وحياتهم كلها ملذات ونزوات وما يسمونه خطأ بالحب ويرون هؤلاء الشباب كيف أن هؤلاء الأبطال يرتدون أفخر الثياب ويتحلون بأحلى الجواهر ويحققون ما يريدون، فيظن شبابنا بلون من الانسياق أن الحياة على هذه الوتيرة من السهولة واليسر والإباحية وإشباع الرغبات، فيدخل في روعهم أن تلك الصورة هي الواقع وأن ما يرونه حولهم خداع وظلم، ومن ثمَّ يتمردون ويسخطون ويبحثون عن أيسر السبل كي يحققوا تلك الأحلام

الوردية التي ساقها إليهم ذلك الفن الخادع الذي يمالئ عواطف الشباب وينافقها ويسترضيها على حساب أعظم القيم وأنبلها.(٥)

إن الوضعية التي يوجد عليها الشباب المعاصر تزج به في أزمة ضمير وتدفعه إلى التهالك على المادة والجري وراء اللذة، وفي هذا الخضم يسيطر عليه الفراغ فيصبح عنصراً للاستهلاك هامشياً من حيث المردود والإنتاج بل غائباً عن مجتمعه رغم وجوده.

ومن هنا كان على الموجهين للشباب أن يركزوا في توجيههم على التحليل النفسي للشباب والأزمات التي تعترض مسيرة نموه والمزالق التي تعتري تفكيره لانتشاله من حال التخذيل والضياع وضعف الثقة بالنفس والشعور بالإحباط والانطواء والركن الأساسي هو تعهد الشباب من بواكير صباه بالتربية الدينية وإحاطته بجو من الثقافة الروحية التي تغذي عاطفة التدين فيه وتنمي فيه ركائز التقوى ورياضة النفس.(٦)

إن الأمة الإسلامية اليوم أحوج ما تكون إلى تفعيل دور الشباب تفعيلاً صحيحاً وحقيقياً وجدياً بما يوافق طبيعة الدور الذي يجب أن يقوم به، فدور الشباب في أمة أو دولة متخلفة غيره في أمة رائدة، ودوره في أمة تحت النفوذ الأجنبي، غيره في أمة حرة مؤثرة، ودور الشباب في أمة فقيرة الموارد أو المواهب غيره في أمة ثرية بالموارد والمواهب، ودوره في أمة تكنولوجية غيره في أمة أمية من دول العالم الثالث ودوره في أمة استشرى فيها الطغيان الداخلي ولو كان باسم الحرية أو الشعارات المختلفة أو ازدادت فيها وسائل الظلم باسم العدل وباسم الشعب غيره في الأمة الدستورية أو دولة المؤسسات، كما أن دور الشباب في القرن الـ٢١ يختلف عن دوره في القرن الـ٢٠، وكل ذلك لايفهم فهماً صحيحاً ولايدرك إدراكاً فاعلاً إلا بنظر وبصيره متخصصة ومخلصة ودؤوبة تعلّم بجد وتعمل بعزم وتقود بكفاءة.(٧)

إن التربية الإيمانية الأخلاقية هي الأساس الأول لتربية الشباب المسلم تحفيزاً لهم وتهذيباً حتى يسهل لهم فهم الحياة والتعامل معها على أساس متين وصحيح من العقائد والأخلاق، وإذا كان الإنسان مطالباً بمعرفة الله والتفكير في ملكوته عن طريق العقل فإن الدين هو الذي يوجه العقل ويحدد مساره الصحيح، وعلم الدين علم غيبي عن طريق الوحي من الله وليس غير ذلك.(٨)

وأن من الخير أن تنبعث النهضة من أحوالنا وجذورنا بتشجيع الفضيلة ومحاربة الرذيلة وأن يتولى مقاليد الأمور الملتزمون بالفضيلة والدين حتى يكونوا أسوة لغيرهم لأن فاقد الشيء لا يعطيه، مع التركيز على التربية العملية والتي من مظاهرها التقوى والعمل الصالح واحترام الحقوق والواجبات والتضحية الغالية النبيلة والقيام بواجب الدعوة إلى الله مع القدرة على تحمّل المسؤولية وضبط النفس والتغلب على عقبات التخلف.

ولو رجعنا إلى الطريقة النبوية فإننا نجد أنها قد اتخذت طريقاً عملياً فجعلت من الممارسة العملية منهجاً لبناء الرجال وصناعة الأبطال وذلك حتى تمتزج الأحكام والشعائر باللحم والدم، وتخالط ينابيع الإيمان من قلوب الناس فتتحول إلى سلوك حميد وعمل مجيد لا مجرد تعاليم نظرية أو شعارات براقة لا تؤثر في المجتمع ولا يكفي أن يكون الإنسان منطوياً على نفسه مقتصراً على عبادته، بل عليه أن يستنفد طاقاته في أوجه نشاطه كلها علمية وعملية سعياً في سبيل الإسلام. إن ضياع الشباب المسلم أخلاقياً وهزيمته نفسياً يخدم قضية إسرائيل وأعداء الإسلام جميعاً، فلماذا نخرّب بيوتاً بأيدينا!!

وأن الهدف الأساسي الذي يجب أن نحرص على أن يتربى عليه أبناؤنا هو التيقن بأنهم هم أصحاب الحضارة الإلهية الحقة والتاريخ والسيرة الطاهرة والحق المضيء الذي ينبغي أن يسود الأرض، وأن تبذل في سبيل ذلك الأنفس والأموال وتسود حياة الجد والاجتهاد والإعداد والاستعداد لنشر النور الإلهي في كل الأصقاع.

إن عقول شبابنا يجب أن تطهّر من الأفكار غير الإسلامية وأن تقصى عن النظام التعليمي روح العلمانية والتمرد على الدين.

كما يجب أن نخرج من خندق «الاستغراب» ونتحرر من التبعية للنظم الغربية وأن نبحث عن حلول مشاكل حياتنا في تاريخنا ونستلهم تصحيح مسارنا من توجيهات سلفنا الصالح ومن حق شبابنا أن يجدّ في دراسته للتاريخ الإسلامي علاجاً لمعنوياته المنهارة وتعزيزاً لثقته بنفسه وربطاً بجذوره الثقافية والحضارية وتحصيناً من محاولات الانحراف الفكري والعقدي . (١٠) ■

الهوامش :

١ ـ تأملات في الدين والحياة، محمد الغزالي ـ ط٤، دار الكتب الإسلامية ص١٥٣.

٢ ـ اقرأ «الشباب وحرية الاختيار» د. رشدي فكار ـ دار المعارف ـ الدار البيضاء ـ ط ١٩٧٥م.

٣ ـ مشكلات الشباب الحلول المطروحة والحل الإسلامي ـ كتاب الأمة ص ٨.

٤ ـ آثار التبشير والاستشراق على الشباب المسلم، د. جابر قميحة، سلسلة دعوة الحق عدد ١١٦ سنة ١٤١٢هـ ـ ص٨٦ ـ ٨٨.

٥ ـ نحن والإسلام ـ نجيب الكيلاني ـ مؤسسة الرسالة ص ١٠١، ١٠٤.

٦ ـ التضامن الإسلامي ـ السنة الرابعة والأربعون ـ ربيع الثاني سنة ١٤١٢هـ ـ ص٩٨.

٧ ـ المجتمع ـ عدد ١٢٥٨ ربيع الأول سنة ١٤١٨هـ ـ ص٤٥.

٨ ـ التفكير فريضة إسلامية، عباس محمود العقاد ـ نهضة مصر للطباعة والتوزيع ص١٧.

١٠ ـ منار الإسلام، العدد الخامس ـ جمادى الأولى سنة ١٤١٣هـ ـ ص١٠٦.

بقلم : محمد حسام محمودقاسم

الانهزام النفسي سبب كل تخلف وفشل، وأمتنا التي نسيت أن لها هدفاً وهوية واضحي المعالم، تتنكب طريقها إلى الأمام، وتتعثر في درك المنحدرات بسبب الهزيمة النفسية التي تعيشها من جراء تسلط دول كبرى عليها، مما قتل عند الكثيرين روح الإقدام، وملأ نفوسهم سلبية واستسلاماً للواقع المرير، ساعد على ذلك الحال المريرة للدول العربية والإسلامية نتيجة عدم ثقة أبناء الأمة في منهجها الإسلامي، وحضارتها الزاهرة، فيما يرجع إلى الجهل تارة، والتشويه المتعمد في الخطاب الإعلامي، والتربوي، والثقافي، والتعمية المقصودة على مآثر التاريخ الإسلامي، ومحاولات طمس الهوية الإسلامية في المناهج الدراسية تارة أخرى.

ولجميع المنهزمين نفسياً نقول. والتاريخ خير شاهد.: إن المسلمين أضاءوا الدنيا نوراً، وملأوها عدلاً وقوة عندما سادوا وحكموا، ولم يقتلوا أو يعذبوا أو يظلموا. والحق ما اعترفت به الأعداء. بل حكموا فعدلوا، وجاهدوا فتقدموا، وعملوا وسبقوا غيرهم في جميع المجالات في الوقت الذي كانت أوروبا فيه تحيا في ظلام دامس في شتى نواحي الحياة.

حضارتنا الإسلامية .. في مواجهة الانهزام النفسي

ولقد حققت أمتنا العظيمة إنجازات خالدة في الكثير من المجالات بفضل الإسلام، نذكر منها:

١ - الفلسفة والعلوم

يؤكد كثير من الباحثين أن «مارتن لوثر» في حركته الإصلاحية في أوروبا كان متأثراً بما قرأه للفلاسفة العرب والعلماء المسلمين في الدين والعقيدة والوحي.

ولم لا وقد كنا نحن المسلمين أساتذة لأوروبا مدة لا تقل عن ٦٠٠ سنة في العصور الوسطى. وقال العلامة غوستاف لوبون: «ظلت ترجمات كتب العرب ولا سيما الكتب العلمية، المصدر الوحيد تقريباً للتدريس في جامعات أوروبا خمسة أو ستة قرون». ويقول المستشرق سيديو: «كان العرب وحدهم حاملين لواء الحضارة في القرون الوسطى».

٢ - الأدب واللغة

تأثر أدباء الغرب بالأدب العربي بقوة، حتى أنهم كتبوا باللغة العربية شعراً وأدباً يفوق شعر العرب في الأناقة وحسن الأداء، ويقول الكاتب الإسباني الجارو: «إن أرباب الفطنة والتذوق سحرهم الأدب العربي فاحتقروا اللاتينية». ويقول ماكييل : «كانت أوروبا مدينة بأدبها الروائي إلى بلاد العرب والشعوب العربية».

٣ - علاقة الحاكم بالشعب

كانت أوروبا ترزح تحت العبودية ونير الظلم، حتى أن صلة الشعب بالحاكم كانت صلة العبد بسيده، فالحاكم هو السيد المطلق الذي يتصرف بالشعب كيف يشاء والمملكة تعتبر ملكاً خاصاً له، وتورث عنه مثل بقية أمواله.

وكانت العلاقة بين الأمم المتحاربه استباحة

الغالب لكل ما في يد المغلوب من مال وعرض وحرية وكرامة! وظلت الأمور على هذه الحال حتى قامت الحضارة الإسلامية معلنة أن الشعب هو صاحب الحق في الإشراف على حاكمه، وأن الحاكم ليس إلا أجيراً يسهر على مصالح الشعب.

هنا حدث للمرة الأولى في التاريخ أن يسأل الشعب حاكمه عما في يده ومن أين جاء به؟. بل يقول أحد الرعية للحاكم: «السلام عليكم أيها الأجير»! وتقف امرأة ترد الحاكم إلى كلام الله أمام الرعية، فيسمع ويطيع ويعترف بالخطأ. ويعلن الحاكم لشعبه: «إن أصلحت فأعينوني، وإن أخطأت فقوموني»، ويقول أيضاً: «أطيعوني ما أطعت الله فيكم، فإن عصيته فلا طاعة لي عليكم».

ومن هذه المفاهيم قامت الحركات الثورية بعد قرون طويلة على هذه القيم والمبادئ الإسلامية نفسها.

فلقد اتصل الغربيون بحضارتنا في القرون الوسطى عن طريق الشام والأندلس ولم يكونوا يعرفون قبل ذلك انتفاضة شعب على ملك ، إذ لم يكن من حقهم أن يحاسبوا حاكماً أو ينصروا مظلوماً، بل كان يذبح بعضهم بعضاً حين يختلف معه في العقيدة أو المذهب!

وإلى الآن، وفي العصر الحديث والغرب، ومافيه من تقدم لاتزال رواسب هذه المفاهيم متجلية فيما يحدث بين الأرثوذكس والكاثوليك من اشتباكات واضطرابات وقتل في إيرلندا وغيرها من البلدان.

٤ - التعصب الديني

تحدثنا السيرة النبوية أنه عندما جاء وفد نصارى الحبشة إلى رسول الله ﷺ أنزلهم الرسول ﷺ المسجد، وأحسن ضيافتهم وقام بنفسه على خدمتهم، وأيضاً عندما جاء وفد نصارى نجران أنزلهم الرسول ﷺ المسجد، وسمح لهم بإقامة صلاتهم فيه، فكانوا يصلون في جانب من المسجد متجهين للشرق، بينما كان المسلمون في الجانب الآخر يصلون متجهين للكعبة، وقد استمع الرسول ﷺ إليهم، وجادلهم برفق وأدب وسماحة خلق.

بل قبل رسول الله ﷺ هدية المقوقس، جاريته، وتزوج بها، ورزق منها بإبراهيم، ومن وصاياه - صلوات الله وسلامه عليه - للمسلمين: «استوصوا بالقبط خيراً فإن لكم فيهم نسباً، وصهراً».

وقد حفظت الحضارة الإسلامية لأصحاب الديانات الأخرى دينهم وحرية عبادتهم، بل جاءت هذه الحضارة بالحق لمن يتعرض للظلم، وحينما دخل المسلمون الأندلس أمّنوا النصارى في حرية التعبّد، وحفظوا كنائسهم، وكذلك فعل محمد الفاتح في القسطنطينية حينما حفظ للنصارى حرية العبادة وأمَّن الناس في كنائسهم.

وسجل التاريخ للمرة الأولى أن شكوى والد نصراني مغلوب في حق الحاكم الغالب إلى رئيس الدولة الأعلى من أن ولد الحاكم قد ضرب ولده الصغير على رأسه بالسوط من غير حق.. ويغضب الرئيس الأعلى، ويحاسب ولد الحاكم، ويقتص منه، ويؤنبه قائلاً: «متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً؟» إن هناك في تاريخنا الكثير والكثير من هذه النماذج الرائعة.

والسؤال الآن: أين الحضارة الغربية الآن مما تفعله بالمسلمين العزل من مذابح تقشعر لها الأبدان، وتتقزز منها النفوس نتيجة لما امتلأت به نفوسهم البغيضة من حقد دفين وعنصرية دميمة ساقتهم إلى مهاوي التاريخ، وجيفة البشر؟.

٥ - الأخلاق خلال الحروب

ضرب المسلمون المثل الرائع النقي الرحيم العطوف الرفيق في المعاملة في أثناء الحروب فما قامت حروبهم لأهداف توسعية عمياء، بل كان هدفها منها الدفاع عن عقيدة الأمة، وأخلاقها، وحرية الشعوب، واستقلالها بالحسنى، ونشر دعوة الله، وخيرها العميم على البشرية، وهذه أهداف إنسانية تنبع من حضارة إنسانية لا تتغير، ولا تتبدل مع اشتداد وطيس المعارك. يقول الله تعالى: ﴿الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت فقاتلوا أولياء الشيطان إن كيد الشيطان كان ضعيفاً﴾ (النساء:٧٦)، وعندما دخل الرسول ﷺ مكة قال لقومه - بعد ما فعلوه به من إيذاء -: «ما تظنون أني فاعل بكم؟» قالوا: خيراً، أخ كريم وابن أخ كريم»، قال «اذهبوا فأنتم الطلقاء». ذلك لأنه محمد ﷺ معلّم الإنسانية الخير لا القائد الذي يسعى لمجده وسلطانه فتسكره النشوة، ويأخذه العجب.

وهذه وصية أبي بكر لجيشه التي لم يسبق لها مثيل في التاريخ: «لا تمثلوا، ولا تقتلوا طفلاً صغيراً، ولا شيخاً كبيراً، ولا امرأة، ولا تعقروا نخلاً ولا تحرقوه، ولا شجرة مثمرة، ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيراً إلا لمأكله، وسوف تمرون بأقوام قد فرَّغوا أنفسهم في الصوامع فدعوهم وما فرَّغوا أنفسهم له».

إن رسالة الأمة بعد النصر سمو روح وعدالة في المجتمع، وتعاون على الخير، ونفع الناس ومكافحة الشر والفساد في الأرض. يقول تعالى: (الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور).الحج:٤١.



وفي عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز وفد عليه أهل سمرقند فرفعوا إليه



● قصر الحمراء في الأندلس

أن قتيبة قائد الجيش الإسلامي فيها دخل المدينة وأسكنها المسلمين غدراً بغير حق، فنصَّب عمر بن عبدالعزيز قاضياً لإحقاق الحق فحكم القاضي - وهو مسلم - بإخراج المسلمين من المدينة على أن ينذرهم قائد الجيش بعد ذلك قبل أن يدخل وفقاً لمبادئ الحرب الإسلامية، وذلك حتى لا يأخذهم بغتة!. فلما رأى أهل سمرقند ما لا مثيل له من عدالة تنفذها الدولة على جيشها وقائدها قالوا: «هذه أمة لا تحارب وإنما حكمها رحمة ونعمة»، فرضوا ببقاء الجيش الإسلامي.

وهل أتاكم نبأ الحروب الصليبية التي شنها علينا الغربيون في القرون الوسطى؟ أما سمعتم كيف كنا نفي ويغدرون، ونصفح وينتقمون، ونصون الدماء ويخوضون فيها للركب وهم يتلذذون ويطربون؟.

وفي أحد هذه الحروب دخل القائد طنكرد على أهل بيت المقدس وشدد الحصار عليهم، فلما علموا أنهم مغلوبون طلبوا الأمان فأعطاهم إيَّاه، على أن يضعوا رايته على المسجد الأقصى، ويحتموا به، ولما دخل عليهم ذبحهم ذبح النعاج حتى وصلت دماؤهم إلى ركب الناس، ولم يفرِّق في ذلك بين أطفال، أو نساء، أو شيوخ، وملأت الجماجم شوارع المدينة... وبعد ٩٠ سنة من هذه المجزرة دخل صلاح الدين بيت المقدس فاتحاً، فماذا فعل؟.. لقد كان فيها ما يزيد على مئة ألف صليبي بذل لهم الأمان على أنفسهم وأموالهم، وسمح لهم بالخروج لقاء مبلغ زهيد يدفعه المقتدرون منهم، وأعطاهم مهلة للخروج أربعين يوماً، فجلى منها أربعة وثمانون ألفاً لحقوا ببني جلدتهم في عكا وغيرها، ثم أطلق سراح كثير من الفقراء دون فدية، وأدى أخوه الملك العادل الفدية عن ألفي رجل منهم. وعامل صلاح الدين النساء معاملة لا تصدر عن أرقى ملك منتصر في العصر الحديث.

ولما أراد البطريرك الإفرنجي أن يخرج، سمح له بالخروج ومعه من الأموال ما لا يعلمه إلا الله، فاقترح بعض حاشية صلاح الدين عليه أن يأخذ ذلك المال الكثير، فأجابهم السلطان: «لا أغدر به»، ولم يأخذ منه إلا ما كان يأخذه من كل فرد. ومما يزيد في روعة هذا العمل الإنساني الذي عمله صلاح الدين في فتح بيت المقدس، أنه أرسل مع جماهير الغربيين الذين نزحوا عن القدس لينضموا إلى أقرانهم من يحميهم ويوصلهم إلى أماكن الصليبيين في صور وصيدا بأمان، مع أنه كان لايزال في حرب معهم!

واسمعوا بقية القصة: اجتمع كثير من النساء اللواتي دفعن الجزية، وذهبن إلى السلطان يتوسلن إليه قائلات إنهن إما زوجات أو أمهات أو بنات بعض من أُسر، أو قُتل من الفرسان والجنود، ولا عائل لهن ولا مأوى، ورآهن يبكين فبكى معهن تأثراً وشفقة، وأمر بالبحث عن الأسرى من رجالهن، وأطلق الذين وجدهم ثم ردهم إلى نسائهم. أما اللواتي مات أولياؤهن فقد منحهن مالاً كثيرا، جعلهن يلهجن بالثناء عليه أينما كن. ثم سمح لهؤلاء الذين أعتقهم أن يتوجهوا مع نسائهم وأبنائهم إلى سائر زملائهم اللاجئين في صور وعكا... فعل هذا بينما قصد بعض الفقراء الغربيين الذين تركوا القدس بعد فتحها إلى إنطاكية، فأبى أميرها الصليبي أن يقبلهم، فهاموا على وجوههم حتى آواهم المسلمون. وذهب فريق منهم إلى طرابلس وهي تحت حكم اللاتين، فطردوهم وأبوا قبولهم، وسرقوا أمتعتهم التي منحهم إياها المسلمون!

كذلك من أخلاق الغرب في الحروب ما فعله الصليبيون حين قدموا إلى أوروبا، واستولوا على القسطنطينية العام ١٢٠٤م إذ

يقول البابا أنسنت الثالث في وصف ما فعله هؤلاء في إخوانهم الأرثوذكس: «إن أتباع المسيح وناصري دينه، الذين كان يجب أن يستلوا سيوفهم ضد عدو المسيحية الأكبر (يعني الإسلام) قد سفكوا الدم المسيحي الحرام وغرقوا في بحاره.. هؤلاء لم يحترموا الدين، ولا السن، ولا الجنس»!

هذا ما فعلوه مع إخوانهم فما بالك بما فعلوه بالمسلمين؟! ولما دخلوا الكنائس وانتهكوا حرماتها وسلبوا أيقوناتها وآثارها... يقول المؤرخ شارل ديل: «لقد دخل الجنود السكارى كنيسة سانت صوفيا، وأتلفوا الكتب المقدسة، وداسوا بأقدامهم صور الشهداء، وجلست عاهرة على كرس البطريرك، وارتفع صوتها بالغناء، وأذيبت التماثيل لسك النقود»! ويقول أحد الرهبان الذين شاهدوا هذا الحادث: «إن أتباع محمد ما كانوا يعاملون الناس في المدينة مثلما عاملهم جنود المسيح»!

وحتى عندما دخل الإسبان غرناطة، واستولوا عليها: حولوا كل مساجدها إلى كنائس، ولم يكفوا أيديهم عن سفك الدماء، وإزهاق الأرواح، وسلب الأموال، لم تمر أربع سنوات حتى لم يبق في إسبانيا كلها مسلم واحد، في حين أن كل أسباب الرقي والازدهار في الأندلس كانت من صنع الحضارة الإسلامية التي حفظت للنصارى دينهم، وعبادتهم، وكنائسهم، ولم تتعرض لهم بالإيذاء، ولا القتل، ولا إلى أموالهم، أو أعراضهم بالسلب والنهب.

٦ - الجوانب الإنسانية

في الإسلام الناس «سواسية كأسنان المشط لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى والعمل الصالح»، وميزان قياس الرجال بطاعتهم لربهم.. و«سلمان منا أهل البيت» إشارة من الرسول ﷺ لإزالة الحواجز، وذوبان العنصرية البغيضة، ففي مناسبة الجمع بين صهيب الرومي، وسلمان الفارسي، وبلال الحبشي، وبين العرب ممن تبعوا منهج النبي ﷺ يخطب الرسول قائلاً: «يأيها الناس: إن الرب واحد، والأب واحد، والدين واحد».

وفي شأن المرأة المخزومية التي أتت حداً من حدود الله، وأراد أسامة أن يشفع لها فيه قال رسول الله ﷺ : «لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها».

وحينما قال أبو ذر لبلال رضي الله عنهما: يا بن السوداء. قال له رسول الله ﷺ : «إنك أمرؤ فيك جاهلية» فندم أبو ذر وتاب عن ذلك حدث هذا بينما مازالت في مطلع القرن الحادي والعشرين هناك أحياء خاصة بالسود في أميركا، ومازالت العنصرية تقطع أحشاء السود، وتمزق كيانهم، وتعزلهم عن ممارسة حياتهم حتى حَولهم المجتمع إلى مجرمين، وقتلة، ومدمنين، ومروجي مخدرات، لأن البيض صادموا الفطرة، وجعلوا لأنفسهم حقوقاً على حساب غيرهم في بلاد الحرية المزعومة.

قال جيمس بيريز - عضو مجلس الشيوخ الأميركي - «ليس لأيما رجل ملون تعمر قلبه الرغبة في المساواة السياسية عمل ما في ولايات الجنوب، إن هذه البلاد ملك للرجل الأبيض، ويجب أن تظل كذلك!».

وتعاني ولايات كثيرة في أميركا حتى الآن من الفصل في مدارسها بين البيض والسود، بل لكل فصول خاصة به، كما لا يقيم العمال البيض مع السود داخل المصانع، ولكل منهم أبواب خاصة للدخول!

٧ - الرفق بالحيوان

سمت الحضارة الإسلامية إلى عليائها، وحفظت لأفرادها النفس، والعقل، والدين، والعرض، والمال، وتألقت في اهتماماتها فانتقلت برحمتها إلى الحيوان، حتى إن القسوة عليه تُدخل النار: «دخلت امرأة النار في هرة ربطتها فلم تطعمها ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض». (رواه البخاري ومسلم).

وقد حرم الإسلام كي الحيوانات من أجل وضع علامات لها بين أقرانها، كما أوصى الرسول ﷺ بأن «تحد الشفرة للذبح ويُسقى الماء»، كما تحرم إجاعة الحيوان وتعريضه للضعف والهزال.

وفي ضوء تعاليم الإسلام يقرر الفقها من أحكام الرحمة بالحيوان ما لا يخطر ببال، إذ يقررون أن النفقة على الحيوان واجبة على مالكه، فإن امتنع أجبر على بيعه أو إطلاقه ليأكل أو يذبح إن كان مما يؤكل، وأضافوا: إذا لجأت هرة عمياء إلى بيت شخص وجبت عليه نفقتها، ومنعوا من تحميل الحيوان أكثر مما يطيق!

وقد نهى عمر بن عبد العزيز - في إحدى رسائله إلى الولاة - الناس عن إركاض الفرس في غير حق، وأمر الشرطي ألا يُسمح لأحد بإلجام دابته بلجام ثقيل أو بضربها بمقرعة، و أن يمنع الناس أيضاً من تحميل الدواب فوق طاقتها أو تعذيبها أو ضربها في أثناء السير.

أما المؤسسات الاجتماعية فكان للحيوان فيها نصيب كبير، وحسبنا أن نجد أوقافاً خاصة لتطبيب الحيوانات المريضة، وأوقافاً أخرى لرعي الحيوانات المسنة العاجزة .

المؤسسات الخيرية

قدمت الحضارة الإسلامية للعالم فكرة وقف المؤسسات الخيرية لله ومنها على سبيل المثال المطاعم الشعبية التي كان يوزع فيها الطعام من خبز، ولحم، وحساء، وحلوى كما كان في تكية السلطان سليم في دمشق، ومنها بيوت الحجاج في مكة ينزلونها حين يفدون إلى بيت الله الحرام لكن بعض الفقهاء أبطل إجارة البيوت في مكة لأنها موقوفة على الحجاج، كما كانت هناك مؤسسات خاصة بالمرابطين في سبيل الله، يجد فيها المجاهدون مستلزمات الجهاد في سبيل الله من سلاح، وذخيرة، وطعام وشراب، وأيضاً وقف للسيوف والخيول والنبال وأدوات القتال، مما كان له أثر في ازدهار الصناعات الحربية، ونشأة مصانع كبيرة حتى أن الغربيين كانوا يسعون لشراء الأسلحة، لكن كانت هناك فتاوى تحرّم ذلك.

انظر إلى حالنا اليوم تجدنا نستجدي سلاحنا من أعدائنا! وبشروط تقتل كرامتنا واستقلالنا ثم بعد ذلك نأخذ الفتات والمستهلك والقديم من السلاح.

كما كانت هناك مؤسسات التكافل الاجتماعي، فهناك مؤسسات للقطاء، واليتامى، وختانهم ورعايتهم وهناك مؤسسات للمقعدين، والعميان، والعجزة يلقون فيها العناية اللازمة والسكن، والغذاء، واللباس، والتعليم.

وكانت هناك أيضاً مؤسسات لتحسين أحوال السجناء، ورفع مستواهم، وتغذيتهم بالغذاء الواجب لصيانة صحتهم.. ومؤسسات لإمداد العميان والمقعدين بمن

يقودهم، ومؤسسات لتزويج الشباب والفتيات العزاب ممن تضيق أيديهم أو أيدي أوليائهم عن نفقات الزواج.

ومنها مؤسسات لإمداد الأمهات بالحليب والسكر، وقد جعل صلاح الدين في أحد أبواب القلعة - الباقية حتى الآن في دمشق - ميزاباً يسيل منه الحليب، وميزاباً آخر يسيل منه الماء المذاب فيه السكر، بحيث تأتي إليه الأمهات يومين في الأسبوع ليأخذن لأطفالهن ما يحتاجون إليه، و من أطرف المؤسسات الخيرية كان هناك وقف الزبادي للأولاد الذين يكسرون الزُبديَّة وهم في طريقهم للبيت، فيأتون إلى المؤسسة ليأخذوا زبادي جديدة بدلاً من المكسورة فلا يتعرضون لسخط أهليهم!

لقد بلغت أمتنا في ذلك الذروة التي لم يصل إليها شعب من قبلها على الإطلاق، إذ لم تعرف الأمم والحضارات ميادين للبر إلا في نطاق ضيق لا يتعدى المعابد والمدارس، أما في العصور الحاضرة، فإن أمم الغرب وإن بلغت الذروة في استيفاء الحاجات الاجتماعية فإنها لم تبلغ ذروة السمو الإنساني الخالص لوجه الله كما بلغته أمتنا في عصور قوتها ومجدها.

وحسبنا دليلاً على هذا أن صلاح الدين الأيوبي ملأ البلاد الشامية والمصرية بالمؤسسات الخيرية من مدارس، ورباطات وغيرها دون أن يسجل على واحدة منها اسمه، بل كان يسجل عليها أسماء قواده، وأعوانه، وأصدقائه، وهذا غاية ما يكون من التجرد من حظوظ النفس في أعمال الخير..

وشيء آخر أن الغربيين في مؤسساتهم الاجتماعية يقصرون الانتفاع بها على أبناء بلادهم، بينما كانت مؤسساتنا الاجتماعية تفتح أبوابها لكل إنسان بغض النظر عن جنسه أو لغته أو بلده أو مذهبه، أو حتى دينه.

معاهد العلم والمستشفيات

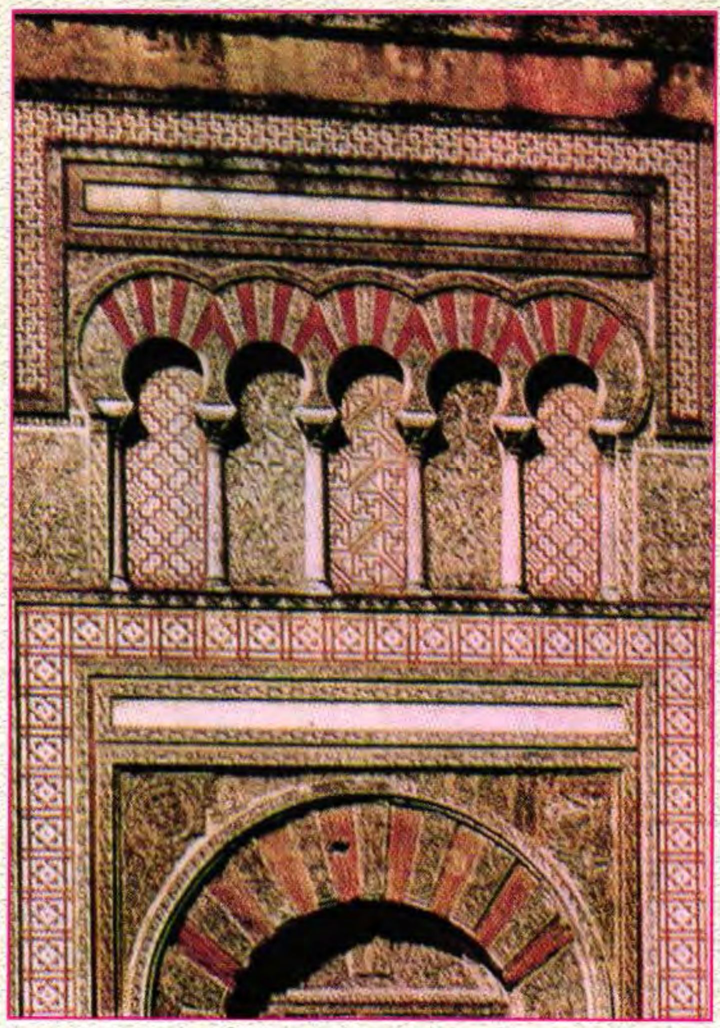
على مر القرون والحضارة الإسلامية تكفل لأفرادها التعليم المجاني وكل مقومات العلم والإبداع، والتقدم للانتقال من مرحلة إلى أخرى لإبداع تكنولوجيا راقية تنهض بمقومات الحياة.

وكان التعليم مجانياً ولمختلف الطبقات فلم يكن الطلاب يدفعون في دراستهم رسماً، بل يجلس ابن الفقير بجانب ابن الغني، وابن التاجر بجانب ابن الصانع والمزارع، وكانت الدراسة قسمين: قسم داخلي بالمجان للغرباء والذين لا تساعدهم أحوالهم المادية على أن يعيشوا على نفقات آبائهم، وقسم خارجي لمن يريد أن يرجع في المساء إلى بيت أهله وذويه.

وكان هناك وقف المدرسة العمرية التي أسسها محمد بن أحمد المقدسي وقد شمل الوقف أموراً كثيرة منها: وقف الخبز الذي يفرق في كل يوم ألف رغيف أو نحوه على النزلاء، ووقف للأطعمة اليومية والأضحية في العيد الكبير بحيث تعطى لكل نازل، ووقف للحلوى في المواسم، ووقف زبيب كل ليلة جمعة وحلويات أخرى في الليالي الفضيلة من رمضان، ووقف على قمصان كل سنة لكل نازل، ووقف على أطباق غسل للفقراء، ووقف أباريق للوضوء، وسخانة يسخَّن فيها الماء في سائر أيام الشتاء للاغتسال، ووقف من الزيت للإضاءة.

وكذلك لوحظ الاهتمام بالصحة العامة: ففي عهد الوليد بن عبدالملك أنشئ أول مستشفى في الإسلام، وكان خاصاً بالمجذومين، وأجرى لهم الأرزاق، وأمر بحبسهم كي لا تنتقل العدوى منهم إلى غيرهم.

ومن أشهر المستشفيات في التاريخ الإسلامي مارستان ابن طولون الذي بناه أحمد ابن طولون سنة ٢٥٩هـ ، وقد صمم حمامان للمارستان أحدهما للرجال والآخر للنساء وشرط أنه إذا جيء بالعليل تنزع ثيابه ونفقته وتحفظ عند أمين المارستان، ثم يلبس ثياباً ويفرش له ويغدا عليه ويراح بالأدوية والأغذية والأطباء حتى يبرأ، وقد عمل في آخر المارستان خزانة شراب «صيدلية أدوية» وفيها طبيب جالس يوم الجمعة لمعالجة من يصابون بالأمراض من المصلين.



● قصر الحمراء في الأندلس

وقد ظل هذا المارستان قائماً يؤدي خدماته للمرضى حتى القرن التاسع الهجري.

ومنها أيضاً المارستان المنصوري الكبير في القاهرة الذي يعد من أكبر وأشهر المستشفيات في التاريخ الإسلامي، وقد وقف عليه الملك ما يقارب ألف ألف درهم في كل سنة، وجعل فيه فراشين من الرجال والنساء لخدمة المرضى وأفرد لكل طائفة من المرضى موضعاً، فأفرد قاعة للرمدى وقاعة للجرحى وقاعة لمن به إسهال وقاعة للنساء وأفرد مكاناً لطهي الطعام ومكاناً لتركيب المعاجين والأكحال والشيافات ونحوها، ولم يحصِ عدة المرضى، بل جعلها سبيلاً لكل من يرد عليه من الفقراء والأغنياء ولم يحدد مدة لإقامة المريض، بل رتب لمن هو مريض بداره

سائر ما يحتاج إليه.

فإذا أصبح المريض في دور النقاهة أُدخِلَ القاعة المخصصة للناقهين حتى إذا تم شفاؤه أُعطي بدلة من الثياب الجديدة ومبلغاً من المال يكفيه حتى يصبح قادراً على العمل، وكانت غرف المستشفى نظيفة تجري فيها المياه، كما كانت قاعته مفروشة بأحسن الأثاث، ولكل مستشفى مفتشون على النظافة، ومراقبون للقيود المالية.

وكان لهذا الوقف - الذي خصص للمستشفيات والأنشطة الطبية، والتعليمية أثره الواضح على تقدم البحث العلمي في الكيمياء والصيدلة، فقد ساعدت المستشفيات ومختبراتها العلمية المتخصصة على نبوغ وإبداع العرب والمسلمين من الدارسين فيها، بل كانت سبباً في تحقيق الإنجازات المتصلة بعلم الكيمياء والأدوية التي عرفها تاريخ الشفاء والطب في العالم، فالعرب المسلمون أول من أدخل السكر في فن الصيدلة، وبخاصة في صناعة الأشربة كي يستسيغ المريض الدواء.

العواصم والمدن الكبرى

حينما نلقي نظرة سريعة على مدن العالم الإسلامي ومدن العالم الغربي سيروعنا الفرق بين النوعين، وسيدهشنا أن نرى عالماً زاخراً بالحياة والقوة والحضارة (العالم الإسلامي)، وعالماً بدائياً لا أثر له في حياة أو علم أو حضارة (العالم الغربي).

جاء في التاريخ العام للافيس ورامبو ما يلي: «كانت إنكلترا في القرن السابع الميلادي إلى ما بعد العاشر فقيرة في أرضها، منقطعة الصلات بغير بلادها، سمجة وحشية، تبني البيوت بحجر غير منحوت، ومن تراب مدقوق، ومساكنها ضيقة، غير محكمة الإغلاق، وحظائرها لا نوافذ لها، وتقتل الأوبئة المواشي، ويتجمع السيد مع أسرته على إناء واحد للطعام، ولم يكونوا يعرفون الشوك، بل كانوا يرفعون الإناء، ويلقون بالطعام في أفواههم دفعة واحدة».

وكانت أوروبا المليئة بالغابات الكثيفة متأخرة في الزراعة، وتنبعث من مستنقعاتها الروائح الكريهة القاتلة، كما كانت البيوت في باريس ولندن تُبنى من الخشب والطين، وكانت البسط مجهولة عندهم لا يعرفون إلا القش، وكان السرير عندهم كيس من القش فوقه كيس من الصوف، وكانوا يلقون بأحشاء الحيوانات وأقذار المطابخ أمام بيوتهم، وكانت الأسرة الواحدة تنام في غرفة واحدة».

هكذا كان حال الغرب حتى القرن الحادي عشر فما بعده، باعتراف مؤرخيهم أنفسهم، ولننتقل سريعاً إلى الشرق وعواصمه:

كانت قرطبة - المجاورة لأوروبا - في عهد عبدالرحمن الثالث الحاكم الأموي عاصمة للأندلس المسلمة، تنار بالمصابيح ليلاً، ويستضيء الماشي بسرجها عشرة أميال (١٦ كيلو متراً)، وأزقتها مبلطة وقمامتها مرفوعة من الشوارع، ومُحاطة بالحدائق الغناء حتى أن القادم إليها كان يتنزه ساعة في الحدائق قبل أن يصلها، وكان يسكنها أكثر من مليون نسمة، «في حين لم يتعد سكان أكبر مدن أوروبا ٢٥ ألفاً»، وكان لها ٩٠٠ حمام، و٢٨٣ ألف بيت، و٨٠ ألف قصر، و٦٠٠ مسجد، وكان في الجانب الشرقي منها ١٧٠ امرأة كلهن يكتبن المصاحف بالخط الكوفي، وكان فيها ٨٠ مدرسة للتعليم المجاني، و٥٠ مستشفى.. والعمارة الإسلامية بعظمتها ودقتها وفنها في الأندلس خير شاهد على ذلك حتى الآن.

ويتغنى الشاعر الفرنسي «فيكتور هوغو» بقصر الحمراء في غرناطة بالأندلس فيقول: «أيتها الحمراء! أيتها الحمراء! أيها القصر الذي زينتك الملائكة كما شاء الخيال، وجعلتك آية في الانسجام، أيتها القلعة ذات الشُرف المزخرفة بنقوش كالزهور والأغصان المائلة إلى انهدام! حينما تنعكس أشعة القمر الفضية على جُدرك من خلال قناطرك العربية يسمع لك في الليل صوت يسحر الألباب».

أما جامع الزهراء فقد بُني في ٤٨ يوماً فقط، وهي سرعة لم يكن لها نظير في ذلك الوقت.

وفي قصر الزهراء استقبل الخليفة المستنصر العام ٣٥١هـ ملك إسبانيا أردون ابن أذفونش، وقد أصابه الذهول حينما دخل ورأى الأبهة والعظمة والجنود والخدم والسلاح، وزاد في ذهوله مجلس المستنصر والعلماء والأشراف والقواد من حوله، ولما دنا منه خفض رأسه، وخر ساجداً، ثم وقف وتقدم وعاد فسجد، وقبّل يد المستنصر.

ولم يكن لبغداد - كذلك - في الدنيا نظير في جلالة قدرها، وفخامة أمرها، وكثرة علمائها، ودورها ومنازلها، ومحالها، وأسواقها، وسكانها، ومساجدها، وطُرُزها، وطيب هوائها، وعذوبة مائها، وجمال طقسها.

هذه الأحداث، وهذه النماذج المذكورة قليل قليل من كثير كثير يملأ الكتب والمراجع والمكتبات، وما هذا إلا تذكرة لما كانت عليه الأمة العظيمة الكريمة العجيبة فلابد إذاً من أن يملأ نفوسنا العزة والفخار والثقة والعظمة بتاريخ تليد صنعه بشر تربوا على منهج الإسلام، وحضارة رعاها الله بتمسك رجالها بالمنهج، والمنهج في أيدينا (القرآن والسنة النبوية) ويبقى أن نحيا به، ونُحسن فهمه، ونعمل له، فلا قيمة لعلم إلا بالعمل، وهكذا رفع الله شأن السابقين.

إن التكنولوجيا، والتقدم، والحضارة الغربية كلها صنعها بشر، معتمدين على ما وضعه المسلمون السابقون، والآن ليس أمامنا إلا الجهد والعمل ﴿ إن الله لا يضيع أجر من أحسن عملاً ﴾ فننال الحسنيين الرفعة في الدنيا، والأجر في الآخرة ﴿ إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون ﴾ (النساء: ١٠٤).

فهل نكون من صناع حضارتنا من جديد من خلال وتجديد قوتها، وسريان الدم فيها، وقتل الهزيمة النفسية مع ملء النفوس بقوة الإيمان والثقة في المنهج ثم العمل، والاجتهاد؟

إن الدنيا كلها من شرقها إلى غربها، ومن شمالها إلى جنوبها في حاجة إلى هذه الحضارة الحقيقية التي تُهوِّن على الحيوان، وترعاه وتخفف آلامه، فما بالك بالإنسان التائه الحائر في المدنية الزائفة، والذي يُباع ويُشترى في سوق النخاسة والشذوذ في الغرب؟ ■

المراجع:

١ - الاقتباسات بين الأقواس الواردة في المقال مأخوذة من كتاب «من روائع حضارتنا» للدكتور مصطفى السباعي، وعدد مجلة المجتمع رقم ١٢٧٦، ص ٢٦ و٢٧.

فكر إسلامي

بقلم : غازي التوبة

كان هناك احتكاك وتفاعل بين الحضارتين الإسلامية والغربية في القرن التاسع عشر، ومن الطبيعي أن تكون استانبول مقر الخلافة مركزاً من مراكز التفاعل ذلك، ولكن بعد أن أقام محمد علي باشا دولته في مصر في مطلع القرن التاسع عشر أصبحت مصر مركزاً آخر من مراكز التفاعل مع الحضارة الغربية نتيجة العلاقات الخاصة التي أقامها محمد علي باشا مع فرنسا التي استفاد منها في إنشاء دولة عصرية تلعب دوراً إقليمياً واسعاً، ونحن سنرصد صورة التفاعل في هذين المركزين وتطوراته.

التيار التوفيقي دوره في النهضة ومصيره

في مطلع القرن التاسع عشر برز في استانبول تيار توفيقي يصب في اتجاه التفاعل مع معطيات الحضارة الغربية، وقام هذا التيار بعدة إجراءات منها: إلغاء الجيش الانكشاري، وإحلال جيش نظامي مكانه، وقد حددت ذلك العام ١٨٢٦، ثم أتبعه بإصدار خط كلخانة الذي صدر في الثالث من نوفمبر العام ١٨٣٩م والذي يعتبر بمثابة إعلان حقوق الإنسان في الدولة العثمانية، ثم إصدار الخط الهمايوني في ١٨ فبراير ١٨٥٦م الذي ألحق الخلافة العثمانية باقتصاد السوق، ثم جاءت ذروة القرارات التشريعية إصدار دستور للخلافة العثمانية في العام ١٨٧٦م على غرار الدساتير الغربية، ولم تكن جهود التيار التوفيقي مع الحضارة الغربية محصورة بمجال واحد، بل تعدته إلى مجالات أخرى منها التعليم، فقد أنشأ هذا التيار وزارة للتعليم على غرار التعليم الغربي سميت وزارة المعارف، فطبقت المدارس التابعة لوزارة المعارف المنهج الفرنسي ونظام الإدارة الفرنسية، وقد وصل تأثير التيار التوفيقي إلى القوانين والمحاكم فصدرت قوانين تجارية تنظم المحاكم التجارية التي أدمجت في المحاكم المختلفة.

لقد اختلف الدارسون حول هذه الإصلاحات، هل جاءت نتيجة حاجات داخلية وقرار داخلي أم أنها جاءت نتيجة ضغوط الدول الغربية وتدخل سفاراتها في الشؤون العثمانية؟ والحقيقة أن الإصلاحات جاءت نتيجة الأمرين: نتيجة القرار الداخلي ونتيجة الضغوط الغربية، وقد لقيت تلك الإصلاحات معارضة واسعة من شرائح مختلفة من المجتمع الإسلامي آنذاك، ولكن أمكن تجاوز تلك المعارضة وذلك لحتمية التفاعل بين الحضارتين: الغربية والإسلامية من جهة، ولأنها المسار الطبيعي الذي يجب أن تسير فيه الأمور كي تتوصل الأمة إلى حل إشكالية التعامل مع الحضارة الغربية من جهة ثانية، ولكن حدثت وقائع أدت إلى إلغاء هذا التيار التوفيقي وفرضت سبيلاً آخر هو سبيل نقل الحضارة الغربية برمتها، ولنر ما الذي حدث وماذا كانت نتائجه.

جاء أتاتورك إلى الحكم بعد الحرب العالمية الأولى وألغى كل التيار التوفيقي وخطواته، واتخذ خطوات جذرية لنقل الحضارة الغربية بكل حذافيرها، فألغى الخلافة الإسلامية وأعلن النظام الجمهوري، وطبق العلمانية، وفصل بين الدين والدولة، وقطع كل ما يصل تركيا بتاريخها الإسلامي، فكتب اللغة التركية بالحرف اللاتيني بعد أن كانت تكتب بالحرف العربي، وبعث التاريخ التركي الطوراني السابق على الإسلام، وربط الأتراك به، ووجه المجتمع إلى العادات والتقاليد الغربية، فأجبر المرأة على خلع الحجاب، وعمم لبس «البرنيطة» بدلاً من الطربوش وغير الأسماء الإسلامية إلى أسماء تركية، وجعل الأذان بالتركية بدلاً من العربية، هذا عدا التشريعات الاجتماعية التي كانت نقلاً حرفياً عن التشريعات الغربية، وقد اعتبر الجيش نفسه حامياً لكل تعليمات أتاتورك، وبالفعل قامت انقلابات عدة بعد مماته منذ الستينات وكانت كلها من أجل مواجهة القوى الاجتماعية المناوئة لما فرضه كمال أتاتورك على الشعب التركي، فماذا كانت حصيلة ذلك؟ هل هضم الشعب التركي الحضارة الغربية؟ هل تواءم معها؟ هل كيّف ذاته حسب معطياتها؟

إن المتأمل لوضع تركيا الآن والناظر لصعود التيار الإسلامي منذ الستينات والتغيير المستمر للافتات التي تقوده من حزب السلامة إلى حزب الرفاه إلى حزب الفضيلة، وحصول حزب الرفاه بالذات في انتخابات العام ١٩٩٦م على الأكثرية النسبية، وتوقع حصول حزب الفضيلة على أكثرية نسبية في انتخابات العام ١٩٩٩م، يبين مدى التململ الذي يعيشه المجتمع التركي، وعدم هضمه للحضارة الغربية، وربما كان يعود ذلك في جانب كبير منه إلى فرض كمال أتاتورك الحضارةالغربية على المجتمع التركي وإلى إلغائه للتيار التوفيقي الذي تفاعل بشكل طبيعي مع الحضارة الغربية في القرن التاسع عشر وترك نتائج مهمة في كل الدوائر العثمانية: السياسية، والقانونية، والاجتماعية، والتعليمية، والاقتصادية إلخ... وسنرى ذلك بصورة أوضح عندما ننظر إلى تيار توفيقي آخر في مكان آخر من جسم الخلافة العثمانية هو مصر بعد تولي محمد علي باشا لحكمها في مطلع القرن التاسع عشر.

بدأ محمد علي باشا إصلاحه بالجيش فأوكل قيادته لضابط فرنسي هو جوزيف سيف تعاونه هيئة أركان مكونة من ضباط فرنسيين وغير فرنسيين، وقد نظَّم أتباع سان سيمون وزارة التعليم العام في مصر، كما أشرف الكاهن دوم رافائيل على مطبعة بولاق العام ١٨٢١، فنشرت كتباً عربية وتركية وفارسية، ورافق رفاعة رافع الطهطاوي البعثات العسكرية إلى فرنسا وهناك عاد بنظرياته في التوفيق، وصور تجربته في باريس في كتاب «تخليص الإبريز في تلخيص باريز» كما دعا إلى تعليم البنين والبنات في كتابه «المرشد الأمين في تعليم البنات والبنين»، ثم ظهر التيار التوفيقي بصورة أوضح بمحمد عبده وتلاميذته وأبرزهم رشيد رضا الذي أكمل تفسير المنار الذي بدأه محمد عبده والذي أرسى فيه منهجه في التقريب بين معطيات الدين والحضارة الغربية.

وقد جاء التطور الأهم الذي مر به هذا التيار التوفيقي على يد حسن البنا الذي نقله من تيار نخبة وصفوة تجمعها حلقات علمية وتصدر قرارات من الأعلى إلى الأسفل إلى تيار شعبي هادر، يجمع في صفوته مختلف طبقات المجتمع: الوسطى والفقيرة، والمتعلمة والجاهلة، المدنية والريفية، مما جعل كثيرين ممن كانوا منحازين إلى الحضارة الغربية يسترضون هذا التيار الشعبي ببعض الكتابات كما فعل طه حسين عندما كتب على هامش السيرة، والشيخان والفتنة الكبرى. ومرآة الإسلام بغض النظر عن الأهداف التي قصدت في تلك الكتابات.

ولكن هذا التيار التوفيقي تعرّض لما تعرّض له تيار استانبول التوفيقي فجاء الفكر القومي العربي بعد الحرب العالمية الثانية ليلغي التيار التوفيقي ويعتمد نقل الحضارة الغربية وسبب ذلك أن الفكر القومي لساطع الحصري هو الفكر الذي تبناه جمال عبدالناصر بعد تسلمه حكم مصر العام ١٩٥٤م وهو فكر علماني لا يعتبر الدين الإسلامي عنصراً من عناصر القومية، وقد انتقل فهم جمال عبدالناصر للقومية العربية إلى معظم الدول العربية الأخرى التي كانت تدور في فلكه، ومعظم الأحزاب والحركات القومية الفاعلة في الساحة العربية آنذاك، ثم تبنى جمال عبدالناصر الاشتراكية في مرحلة الستينات، وكان هذا التطور أساسياً في إحداث القطيعة الكاملة مع التيار التوفيقي، وفي تعميق معاداة التيار القومي للتيار الديني حيث راجت التحليلات الماركسية التي تربط التخلف والرجعية والجمود والتحجر بالدين الإسلامي، وتدعو إلى هدم التراث كله، وقد انتقلت الطروحات الاشتراكية إلى حركات وأحزاب كانت مغالية في قوميتها كحركة القوميين العرب فغاب الطابع القومي العربي ليبرز طابع ماركسي صارخ وكانت النتيجة الطبيعية لمثال تلك التطورات هي إلغاء التيار التوفيقي، وإخفات صوته، والقضاء على نتائجه التي توصل إليها.

وفي نهاية المقال هل يحق لنا أن نتساءل بعد هذا العرض السريع لأحداث المنطقة عن دور الفكر القومي العلماني: التركي والعربي في إلغاء التيار التوفيقي وبالتالي عرقلة قيام النهضة؟ أظن أنه لا يحق لنا فقط أن نتساءل بل نقرر. ■

فكر

بقلم : محمد السيد



مصطلحات فكرية مضللة

الحركة الإسلامية واحتكار الحقيقة

تتكاثر المصطلحات الموهمة فوق حلبة المسرح الفكري، الذي يطرح نفسه ليل نهار أمام جماهير شعوبنا الإسلامية، وتتدافع جميعها باتجاه واحد، هو استغفال الجمهور، وتمرير ما لا تمرره مسارب العقل، ولا يقف عند إشارات مروره، مما يتناول جذور الفكر، ووحدة المجتمع وأصوله، وذلك وصولاً إلى أبنية فكرية من مِلَح، يراد لها أن تؤسس لأمتنا مداميك وجودها الحاضر، بحيث تذوب تلك التأسيسات عند أول قطرة مطر تصيبها، فتعيش بعد ذلك في دوامة الضياع والفوضى، تقتل بذراع ضياعها عوالم الحلم في إنسانها، وتذبح بسكين حرية العرض روح وجوده وأساس حركته عبر التاريخ.

إن المعركة الدائرة اليوم في فضاءات الأمة، حول مشروعية حركة الإسلام العامة، وحول أطاريح حاملي الدعوة إلى إحياء الأمة بالإسلام، ليست بالجديدة، ولا هي بدعة عصرنا.

فقد خاضت هذه الحركة وتلك الدعوة معاركها من أجل الوجود وتحقيق الذات منذ وجدت وحتى يومنا هذا، إنما الجديد في الصورة، هو وسائل تلك المعركة، وطرائق العرض، وتلوّن الوسائل والأدوات والآليات ليس إلا.

ويبقى غبار المعركة مثاراً، وجلجلة سلاح الفكر مسموعة، مادام هناك حق وباطل يصطرعان، ولا يلتقيان، وتتزاحم الأقدام في عصرنا هذا على بوابات الوصول، يحدوها الزيف والمكر في غالب الأحوال، وتحمل شكلاً من أشكال الموضوعية أحياناً قليلة نادرة، ويلقي بنا حرّ المعركة الدائرة، إلى تبين واحدة من تلك الأطاريح الغادرة، تطفو هذه الأيام على وجه الحقيقة بصيغة تتقمص لون الموضوعية داخل إهاب ماكر خادع مضلل.

وتنطلق تلك الأحبولة، محاولة تطويق الحركة الإسلامية، ودفعها بحركة ذاتية داخلية على طريق التنازل شيئاً فشيئاً عن ثوابتها أو قناعاتها، تلبس أردية مختلفة، وتسير في مسالك متنوعة، من أجل الوصول إلى هدفها، المتمثل في قضية تفكيك البنى التحتية لقناعات الحركة الإسلامية، ومن ثم للوصول بها إلى حال من التعويم العقدي، في سوق السياسة المتلئ بشتى المعروضات المزجاة، التي لا يتكلف المواطن العربي أو المسلم عناء النظر باتجاهها لأنها الغثاء، الذي يحاول أن يجد له مكاناً، فيهزمه الصدود والإغلاق الجماهيري، على خلفية أن الحركة الإسلامية تطرح الرأي المعتمد على النص المقدّس، أو الفكر الذي لا يخرج عن حدود أدوات الاجتهاد الشرعية وآلياته.

ولقد كان من تلك الأردية أو المسالك التي اتبعتها وتتبعها حركة التطويق التي ذكرنا، ذلك الشعار الخطير، الذي زحم الصحف والمجلات، إلى درجة أنه غزا بعض الصحف المحسوبة على الاتجاه الإسلامي.

هذا الشعار هو الذي يقول: إن الحركة الإسلامية تحاول احتكار الحقيقة، التي لا يمكن أن تكون واحدة.

إن ترداد هذا الشعار، ورفع الصوت به عالياً، يشكل ضغطاً قوياً، يصل إلى أسماع الإسلاميين، ويتردد في أذهانهم ليل نهار، محدثاً في آخر الأمر دواراً في الرؤوس وصداعاً لها، على حد تقدير المروجين - يهيئان لعملية تعويم الفكر الإسلامي والحركة الإسلامية في السوق السياسية ذات البضاعة المزجاة، إن هذا الترداد وذلك الضغط وبالتالي ذلك التعويم المطلوب في النهاية، إن يراد منه وضع الفكر الإسلامي على قدم المساواة، مع ما يطرحه الشيوعي ذو الفكر المستورد البعيد عن الله، والمقولات التي يطلقها العلماني الذي يكره أي شيء يمت إلى العقيدة والشريعة بصلة، والمزاجيات التي يتبناها الكثيرون من أصحاب القرار وغيرهم، يدافعون بها عن وجودهم ومستحقات امتيازاتهم.

إنها عملية استدراج مفضوحة مغلوطة، مازالت ومنذ زمن بعيد تحاول اختراق حصون الدفاع عن الحق، بنقض بدهيات العقل والمنطق... فهذه الحقيقة في أي مجتمع يجب أن تكون واحدة، تجتمع فصائل الأمة حولها، وإلا تحول الشعب والأمة إلى فصائل لا يجمعها جامع.

إن التاريخ والتجربة والخبرة تقولان ذلك، لقد قامت روما على عنصر القوة والتوجه نحو العظمة، واجتمع الناس في دولتهم ومجتمعهم على تلك الحقيقة التي اقتنعوا بها - بغض النظر عن خطأ تلك الحقيقة - واختلف الناس في تلك الدولة حول وسائل وأدوات وآليات إبراز تلك الحقيقة الواحدة التي جمعت تلك الأمبراطورية التاريخية الكبرى واندفعت بها في كل الاتجاهات وذلك مثال من التاريخ.

وهذا الغرب قد اجتمع كله على حقيقة واحدة، لا ينقضها، وهي المتمثلة بالديموقراطية الرأسمالية واقتصاد السوق، وضمن هذه الحقيقة الثابتة لديه تتصارع الأفكار، وتبرز الاجتهادات، وتقوم المذاهب والأحزاب، ولايحتكر أحد هناك الصواب في الرأي الذي يطرحه حول تطبيق وتنفيذ وبرمجة الحقيقة الثابتة، وتنتقل السلطة هناك من طرف إلى طرف بناء على قناعة الناس بما يطرحه كل طرف من برامج لتطبيق الرأسمالية وتحسين أداء الخدمة في داخلها، وهذا مثال من الحاضر.

فإذا ما انتقلنا إلى منطقتنا، فسوف نرى أن ما يراد لنا من خلال طرح شعار: «الحركة الإسلامية تريد احتكار الحقيقة»، مغاير تماماً لمنهج السير في الساحة الغربية.

إنهم يريدون أن نتنافس في الأصل، في الحقيقة نفسها، لا في برامج تنفيذها، إنهم يريدون لنا أن نتساءل: ما الأصلح لنا الإسلام وعقيدته؟ أم الشيوعية وإلحادها؟ أم العلمانية وضياعها؟ أم المزاجيات ومستحقاتها؟

وهم بذلك لايريدون لنا: أن نصل إلى شيء، بل يريدون أن يبقى وجودنا نفسه معوماً، أو موضع شك وريب.

لقد قالها كرومر من قبلُ ومنذ أجيال وأطلقها مدوية: إننا لا نبتغي تحويل الناس عن إسلامهم فهذا لا نستطيعه، ولكننا نريد أن نشكك المسلمين بما لديهم لنحولّهم إلى أناس لا يعرفون ماذا يريدون أي إلى ضائعين تائهين، ليس بين أيديهم حقيقة واحدة وذلك من أجل ألا يكونوا أمة متماسكة ولا مجتمعاً واحدا يمكن أن تقوم له قائمة في لحظة ما.

ثم جاء الكثيرون من بعد كرومر، وسعوا السعي نفسه، وأخيراً وجد كرومر ومن خلفه من المستعمرين، من أبناء هذه الأمة من يحملون القول ويصدّقونه أو يحملونه بالأجرة، ويذهبون به مذاهب شتى... ولكن وجد من أبناء حركة الإسلام من استطاع أن يقف لهم بالمرصاد، فيقول لهم:

إن الحقيقة الثابتة عندنا لا يجوز النقاش فيها هي الإسلام وعقيدته حصراً... وضمن هذه الحقيقة يمكن تعويم ما هو خاضع للاجتهاد، وهو معوم فعلاً، وتاريخ الفقه الإسلامي كله شاهد على ذلك، وقيام المذاهب وتعدادها، وتوزع الأتباع، خير دليل على عدم احتكار الصحيح في إطار الاجتهاد، الذي يدور في فلك الحقيقة الثابتة، التي آمنت بها جماهير هذه الأمة.

إن الشعار الذي يطرح بالشكل الذي يطرح به، وبالطريقة التي يدور النقاش بها حوله يشكل افتئاتاً على الحقيقة، وقلباً للأمور، وخلطاً للأوراق، يقصد منه تغيير الأجواء، ليتمكن ذوو النوايا الخبيثة من المرور دون التوقف عند الإشارات الحمراء.

وواجب كل مسلم حركياً كان أم غير حركي أن ينتبه إلى هذا المزلق الخفي، الذي يريد منه الخارجون على فكرة الأمة ودينها، أن يضعوا فكرهم جنباً إلى جنب مع الفكر المستمد من النص الشرعي أو المعتمد، عليه والداخل ضمن الاجتهاد المأجور، ليأخذ ذلك الفكر المستورد فرصة مكافئة، بل متقدمة، في غياب الوعي، وبحضور الدعم الإعلامي والسلطوي...! ■

بقلم: د. سعيد حداد

العدل في الإسلام

قراءة مفهومية

مفهوم العدل في الإسلام مقارناً بمفهومه في التشريعات الغربية ومدى صلة كل منهما بمضمون الحقوق والحريات العامة وتقييد التصرف فيها.

إن «مفهوم العدل» - في تشريع ما - منوط بالأصل العام الذي يقوم عليه ويتحكم فيه، أو على ما تواضع عليه المشرّعون الوضعيون اليوم من «النظرية العامة» التي تتفرع عنها أحكامه، وقواعده، من جزئيات وكليات، وغايات ومقاصد ترمي إلى تحقيقها، باعتبار أن ذلك «الأصل العام» يمثل «القيمة المحورية» التي تُشتق منها تلك الأحكام، بحيث ينطوي كل منها على مفهوم تلك القيمة كملا، وإلا افتقد التشريع منطقة الذي ينبغي أن يكون متحققاً بين جزئيه وكليه، حتى إذا اتسق التشريع منطقاً ومعقولية، نشأت «المشروعية العليا» التي تقتضي الالتزام بها، إبان تنفيذ أحكام التشريع فعلاً، أو ممارستها عملاً، لا تريم عنها، ولا تعتسفها، ذلك أن المشروع اتخذ من مفهوم تلك «القيمة الأساسية» التي ينهض عليها التشريع كله، وما يلزم عنها من «المشروعية العليا» أساساً يبنى عليها ما شاء من أحكام هي وسائل عملية لتحقيقها واقعاً في موضوع كل منها، بما تنبئ عن مدى تقدير المشرّع للفعال المتعلقة بكل حكم بما يناسبه، بالنظر إلى «خصائص ذاتية» يتضمنها كل فعل على حدة، أرادها الشارع، بل قصدها أولياً من أصل تشريع الحكم، لأنها تمثل «الغاية النوعية» لكل حكم، ولا تتناقض مع المقصد العام للتشريع كله.

هذه «الغاية النوعية» لكل حكم من اجتماعية، أو اقتصادية، أو سياسية، هي التي تفسر أو تعلل لنا معقولية الحكم، وجدواه، حتى لا يكون تحكمياً وهذا منشأ الالتزام بكل حكم، مسدداً تنفيذه نحو الغاية التي شرع من أجلها، بما هي جزئي من «مفهوم القيمة المحورية» التي يدور عليها التشريع كله.

وتأسيساً على هذا، ألا تشريع بلا غايات مرسومة لأحكامه، جملة وتفصيلاً، لما قلنا آنفاً، إن تلك الغايات التي تمثل المصالح الحيوية في شتى نواحي الحياة الإنسانية، تفسر لنا معقولية الأحكام أو تبرر الالتزام بها، وإلا كان التشريع «تحكمياً» أو تشريعاً بالهوى، أو عبثاً، لخلوه من الفائدة التي تتوخى عادة من أصل تشريعه، والتي تتصل بتدبير شؤون الأمة - داخلاً وخارجاً - بما يستقيم به أمرها، وبما يورث القناعة بعدالة الحكم، وجدواه، بل وضرورته من حيث تطبيقه.

ومن هنا: كان جوهر ما يطلق عليه اليوم «النظرية العامة» التي يقوم عليها التشريع في أي دولة من الدول، وهو هذه «القيمة العليا» التي يتميز بها تشريع عن آخر، تميزاً تكشف عنه «المقارنة» العلمية الأصولية الدقيقة فيما بينها، إذ هي التي تعكس كل تشريع اتساقاً، وشمولاً، وتوازناً، وعدلاً، ينطوي عليه من مفاهيم أو حقائق، وما يتميز به من حقائق قد تطابق خصائص الإنسان العام المكلف بالالتزام بهذا التشريع وتفنيده، أو لا تطابق، وما يستهدفه من غايات هي ضرورية، لا يمكن أن تستقيم حياته إلا بها، ومصالح حيوية أخرى يفتقر إليها، لتغطية حاجاته في وجوده الإنساني، أو مصالح تكمل ضروراته وحاجياته حتى تبلغ مستوى التمتع بالطيبات الحلال، ويتحلى بالخلق الرفيع، والأعراف والعادات الراقية تكمل بها شخصيته المادية والمعنوية، أو لا يرقى التشريع إلى هذا المستوى، بل يقصر عن ذلك ولا سيما بالنسبة إلى المصلحة العامة، ومهام الدولة ووظائفها على الوجه الأعدل والأكمل.

وبذلك غدت أصول التشريع - أي تشريع - من الأهمية بمكان، لتبين طبيعة العدل فيه، ومكانه منه، ومدى كماله، وشموله، وإطلاقه، أو تقييده، ومجال تطبيقه، ومثاليته أو واقعيته، ومبلغ الجمع بينهما، وعلى أساس ذلك كله يمكن تحديد «مفهوم العدل» فيه، تحديداً أصولياً، بين المعالم، عليّ النظر، سديد الاستدلال، واقعي التقدير، منطقي المصدر والمحور، مثالي الاستشراف، كلي المقاصد.

وعلى هذا، أضحى من المحال أن يكون «مفهوم العدل» في التشريعات، العملية أمراً ذهنياً مجرداً، يستعصي على التحديد الدقيق، أو التعليل المعقول، لمكان «التخيل» الذي يحلق العقل في متاهاته، أو يسبح التأمل السادر في آفاق سبحاته على النحو الذي يُرى في بعض «النظريات العامة» التي

اتخذت أساساً غير واقعي بالنسبة للوضع البشري، ولطبيعة قيام المجتمعات فيه، ولا منطقي الأصول، بالنسبة للتشريعات المغرقة في التطرف ذات اليمين أو ذات الشمال، والتي قامت كرد فعل لحكم الإقطاع الذي كان سائداً في القرن السابع عشر، وامتدت تلك التشريعات قائمة حتى أوائل القرن العشرين، في أعظم الدول حضارة.

صحيح أن هذه التشريعات قد مسّها الكثير من التعديلات في هذا القرن استجابة لمتطلبات التطور الحضاري، غير أن أصول تلك التشريعات ما برحت قائمة حتى يومنا هذا على ما سيأتي تفصيله في مقامه.

هذا، وإذا كانت تلك الأصول التي تنهض عليها هذه النظرية العامة للتشريع قد اتخذت منطلقاً لها مغرقاً في التخيل الذي لا يمت إلى الواقع في الحياة البشرية، على ما ذكرنا، فإن هذا «التخيل» الفلسفي المحض، قد مسّ «مفهوم العدل» في هذا النوع من التشريع بداهة، فأضحى عاجزاً عن تصور طبيعة المجتمع البشري الذي يفتقر إلى تشريع لا ينبو عن مكونات هذا المجتمع الجوهرية أو لا ينافيها، لما يفضي إليه ذلك التشريع - لمفهوم العدل المبتسر فيه - إلى إشاعة الظلم، والفساد، والفوضى على قدر ما حل بتشريعه من تجاهل لطبيعة الحياة الإنسانية التي تجمع في نظرنا - بين الواقعية، والتشوف إلى المثالية على ما نقيم الأدلة عليه من واقع أصول ومفاهيم التشريعات الكاملة.

يدلك على هذا - على سبيل المثال - حقوق الإنسان بما تمثل صلب العدل مفهوماً، وتطبيقاً، أو ممارسة، بدليل أن سلبها أو انتهاكها، يعد من أقبح مظاهر الظلم في ميزان العدل في التشريع الداخلي، والدولي على حد سواء.

نعم، لقد صدرت هذه الحقوق والحريات العامة في وثيقة دولية، قوامها أحكام ونصوص آمرة، ولكنها تستند إلى نظرية عامة لتشريع الذي أصدرتها فيه، ولو درست مفهوم هذه النظرية، وغاياتها، لرأيتها مفهوماً إنشاطارياً يقيم الوزن للفرد وحقوقه فحسب، ولا يقيم أي وزن أو رعاية لمصلحته العامة، فانعكس هذا الانشطار في الاعتبار على مضمون الحقوق والحريات العامة، حيث جعله مضموناً فردياً محضاً يورث الإطلاق في التصرف، ومرد هذا النظر التشريعي المبتسر هو التخيل المحض الذي قوامه ذات الإنسان الذي كان يعيش في الغاب، لا في وسط اجتماعي، كما هو واقع المجتمع الإنساني، أو بعبارة أخرى: تخيلوا الإنسان تخيلاً فلسفياً، لا يمت إلى الواقع الاجتماعي المعيش بأي صلة، فانعكس ذلك على حقوقه وحرياته، فغدت فردية المفهوم، مطلقة التصرف فيها دون رعاية لحق الغير.

والواقع أن مثل هذا الإنسان المتخيل لدى هؤلاء الفلاسفة، لا وجود له في أي مجتمع إنساني إلا في مخيلة هؤلاء الفلاسفة، ولما وُجّه إلى هؤلاء من نقد لاذع، عادوا فتوهموا أن «حقوق الإنسان وحرياته العامة» مصدرها القانون لا ذات الإنسان، ويقصدون بالقانون هنا: ما يسمى بالقانون الطبيعي، لكنهم لم يتمكنوا - جراء هذا التخيل الفلسفي المحض - من تحديد أصول هذا القانون، أو تبين المفاهيم التي هي قوام هذه الأصول، بحيث تغدو مسطورة في كتاب، وهذا «التأمل المحض» ذهب بهم إلى الادعاء بأنها أصول مستقرة في العقل الإنساني «فطرة» وهو نظر تأملي أدنى إلى فلسفة المعتزلة إلى حد كبير، أقول: بقيت تلك الأصول الوهمية المدعاة المفتعلة لا تجد لها «مصداقاً» واقعياً محدداً، أو وضعاً قائماً في المجتمع والدولة، أو انعكاساً بيّناً لتصرفات الأفراد، وما يترب على ذلك من مصالح أو منافع حيوية ملموسة معينة.

هذه «النظرية العامة» في الغرب التي تتفرع عنها حقوق الإنسان وحرياته العامة، أطلق عليها مصطلح «المذهب الفردي» وهذا المذهب لا يعترف مطلقاً، حتى في تخيله الفلسفي غير المحدود، بشيء اسمه «المجتمع» وما يتعلق به من «المصلحة العامة» وهذا الإنكار للمجتمع ومصلحته العامة استلزم انهيار ركن جوهري من مفهوم «العدل» في هذا المذهب الذي هو الأصل العام للقوانين الغربية، فضلاً عن أن هذا النظر الفطير المبتسر، لتجاهل حق المجتمع، وصالحه العام، هو تجاهل لأهم مقوم من مقومات المجتمع البشري بوجه عام، إمعاناً من جانب النظر الفردي الغربي، إلى الفردية المطلقة، وهماً أو فلسفة خيالية من الغرب مؤداها: أن المجتمع يكوّنه الأفراد فرعاية المصالح الفردية على نحو مطلق في نظر التشريع الغربي، هو - في الوقت عينه - رعاية لمصلحة المجتمع تلقائياً، وهذا النظر قد ثبت أنه غير صحيح على الإطلاق على ما نفصل القول فيه، لأن كثيراً من الأفراد يعملون على هدم الصالح العام فعلاً، بل يكونون في سعيهم على النقيض تماماً من مقتضيات الصالح العام، كالاحتكار، والتهريب، والاحتيال، والاستغلال، والترابي، مما سنبسط القول فيه، ومما يثبت أن «فردية المفهوم» لحقوق الإنسان وحرياته، قد أورث الدول التي أخذت بهذا النظر الفلسفي غير الواقعي، أورثها كثيراً من الفواجع، والمآسي، جراء «الظلم» الذي نجم - لزوماً تلقائياً - عن تطبيق الأحكام الفردية للمفهوم، والمطلقة التصرف من جانب أصحاب الحقوق، وحرياتهم العامة، ولاسيما أثر نتائج والتزامات العقود، والعلاقات المبرمة بين أرباب العمل والعمال في الميدان الاقتصادي، فيما يتعلق بالإنتاج الكبير الضخم بتطور الصناعة، وظهور وسائلها من المخترعات الحديثة، بما جعلت للفرد القوي اقتصادياً هيمنة أو سلطاناً تاماً وجامحاً، أو بعبارة أدق، جعلت للفرد القوي اقتصادياً، مجالاً للتحكم المنافي للعدل رأساً يظهر في الموازنة بين التزامات العقود بالنسبة إلى طرفيها مثلاً، واختلال التوازن البيّن بين هذه الالتزامات ثمرة للتحكم، اختلالاً فادحاً، لمكان الحرية المطلقة بالنسبة للطرف القوي اقتصادياً، إذ ليس في نظرية هذا القانون أي قيد يمنع الاستغلال أو التصرف المطلق، مما يخل بمفهوم العدل إخلالاً بيّناً، في حين أن الإسلام يوجب «مقاربة التساوي» بين التزامات طرفي العقد، على ما صرح بذلك، ابن رشد في كتابه القيم: «بداية المجتهد» مما سنبسط القول في هذا الموضوع الجلل.

ساد هذا المذهب الفردي أوروبا كلها، والدول التي تسير في ركابها، ردحاً طويلاً من الزمن حتى أوائل هذا القرن العشرين، وعلى الرغم من إدخال كثير من التعديلات على هذا المذهب، إلا أن أصول هذا المذهب مازالت قائمة حتى يومنا هذا، وإذا كان مفكرو الغرب ومشرعوهم يذهبون إلى أن للغرب قيماً لم يرقَ الإسلام بمثله وقيمه إلى مستواها بعد، فهذا القول غير صحيح على

ما تقيم الدليل عليه.

وأيضاً، إذا كان «الغرب» يدّعي أن الإسلام هو العقبة الكبرى التي تحول دون تقارب المسلمين مع الغربيين، للتفاوت بين القيم، أو عدم التكافؤ، فهذا مجرد ادعاء موغل في البعد عن تفهم قيم الإسلام على حقيقته، وفي اعتقادي أن علماء المسلمين والمتخصصين في أصول الشريعة وفقهها المدون، وأبواب الاجتهاد المشرعة، وسياسة التشريع في الإسلام، كل أولئك يجعل الإسلام ذا قدرة فعالة لتغيير عقلية الغرب هذه أولاً، لتتمكن هذه العقلية الجديدة من الوقوف على «حقائق الإسلام» الحنيف، وشريعته المتوازنة السمحة، مما سنفصل البحث فيه تفصيلاً علمياً أصولياً لايستطيع أحد خبير بالتشريعات العالمية، أن يجادل في أصول الإسلام الكلية، وقاعدته العامة، ومقاصده الأساسية في مراتبها الثلاث، مع تحليل عميق لمضامينها، والأمثلة الواقعية التي تشهد بصحة ما نقول، مما لم يصل الغرب إلى مستواه الإنساني بعد.

أقول: ساد المذهب الفردي قوانين الغرب جملة، فانشطر مفهوم العدل لهذا التصرف، لسبب بسيط هو: فردية مفهوم الحق، وإطلاق تصرف صاحبه بسلطاته، دون رعاية لحق الغير، من الأفراد الآخرين أو المجتمع مما يقضي على الحياة الاجتماعية بمعناها الحق، والإنسان - كما هو معلوم - اجتماعي بطبعه.

هذا، ويبدو جلياً - من اسم هذا المذهب - أن «المجتمع» ليس له «شخصية معنوية» مستقلة في تشريعاته، فلم يعترف بالتالي بحقوقه ومصالحه الجوهرية بل يرى - إسرافاً منه في تقديس الفرد ومصالحه الذاتية أن تمس أو تقيد - أن المجتمع مجرد ظاهرة يكوّنها الأفراد، وفي هذا النظر - كما نرى - إجحاف بالغ بحق الأمة والدولة، مرده تجاهل مفتعل منشؤه تعصب للموروثات، أو مكابرة ظاهرة لمكونات الواقع، كما ذكرنا، لأن الأفراد كثيراً ما تستبد بهم أنانيتهم وأثرتهم إبان تصرفهم في حقوقهم، أو ممارستهم لحرياتهم العامة، فيبغون على حق المجتمع والدولة على التحقيق، وإن كان كل من الفرد والمجتمع، يتبادلان التأثر والتأثير، حتى قيل في الأمثال: إن الإنسان «ابن بيئته» أو مجتمعه، أي من حيث مقوماته المادية والمعنوية، مما يدل على أن للمجتمع شخصية مستقلة، لايمكن إهمالها، مستقلة تماماً عن شخصية الأفراد، وهذا ما ذهب إليه الإسلام عدلاً وإنصافاً حين قسم «الحقوق» إلى قسمين رئيسين: حق العبد، أي حق الإنسان الفرد، وحق الله، أي حق المجتمع، وفسره الأصوليون، بأنه إنما نسب هذا الحق إلى الله تعالى، لعظيم خطره، وشمول نفعه، وهذا هو الصالح العام للأمة بلا مراء، مستقلاً عن الصالح العام الفردي - كما ترى هذا، والمذهب الفردي - كما علمت - ينكر حق الأمة، وصالحها العام، إنكاراً تاماً وهو اليوم وإن أخذ يعدّل من هذا التطرف، إلا أن فكرة أن الأفراد هم الذين يكونون المجتمع لا تزال قائمة، لينتهوا إلى أن المجتمع مجموعة من الأفراد، وليس له شخصية معنوية مستقلة وبالتالي لا حقوق خاصة به، ولذاته.

هذا، وإنكار هذه الشخصية المعنوية، وعدم الاعتداد بها، ظلم كبير، إذ يعكس على مفهوم العدل الذي هو على التحقيق في فلسفتها قائم على الانشطارية، كما ذكرنا، فلا يعترفون إلا بشطر من العدل، وهو ما يعتبره الإسلام ظلماً كبيراً على قدر النفع العظيم الذي أهدره، وخطره الشامل الذي هو واقع جراء إهدار الصالح العام كلية.

ذلك ما يصرح به كبار مفكريهم، وساساتهم وأصحاب الرأي فيهم، وفلاسفة التشريع في واديهم، وأما التعديل في هذا التطرف، فهو الاستثناء، وأما الأصل فهو الغالب القائم.

وعلى هذا، فإن الحرية الاقتصادية للأفراد في نظر الإسلام، ينبغي ألا تقوى على إفساد الصالح العام، في أي حال من الأحوال، على ما سيأتي بيانه مفصلاً ومعللاً.

هذا، ومن بداهة القول - على ما هو واقع ومشهود - أن نشير إلى أن الأفراد لا يتصرفون في حقوقهم، ولا يمارسون حرياتهم العامة غالباً على وجه يصون المصالح العامة للأمة، ولا يعملون على إقامتها إن لم تكن قائمة، ولا على تنميتها، ولا على الحفاظ عليها، لتكفل بذلك استمرار قيامها، بعد الإقامة والتنمية، إن وجدتا - وهو نادر - لا يعملون على ذلك من تلقاء أنفسهم على الوجه الذي يفعلون بالنسبة إلى مصالحهم هم، هذا أمر واقع ومشهود، لا يملك أحد إنكاره، أو التشكيك فيه، فتبين أن الجنوح إلى فردية مضمون الحق والحرية، بما يورث الإطلاق في التصرف، يفضي حتماً إلى إهدار الصالح العام، وهو - في الوقت نفسه - إهدار لجانب كلي مهم من «مفهوم العدل» في هذا النوع من النظريات الاستثنائية على كثير من القواعد، مادامت أصول هذه النظريات الفردية المتطرفة لاتزال هي الأصل عندهم، وعلى الرغم أيضاً من أن دول الغرب على تفاوت في مدى الأخذ بالفردية المتطرفة، أو مدى الإمعان فيه، فبطل الزعم أو الادعاء بأن المجتمع ظاهرة يكوّنها الأفراد.

ويترتب على هذا النظر التشريعي غير الواقعي، وغير العادل، أن الأفراد إذا ما تواضعوا بمحض إرادتهم الحرة والمطلقة، أو جرى عرفهم الذي ارتضوه نفسياً، وتقبلته عقولهم تحت تأثير أنانيتهم وأثرتهم المسرفة، كان تواضعهم هذا، وأعرافهم، نظاماً معتداً به في الدولة عندهم، يجب احترامه، ويلزم بالتالي تنفيذه، وهم يحرصون على التنفيذ، لأنه في صالحهم، ولكنه لا يعتد بمثل عليا، مادام يحقق مصالحه الفردية بإطلاق ودون اعتبار أيضاً لقيم إنسانية قارة المفاهيم ماثلة في تصورهم، أو مستقرة في مناحي تفكيرهم، غير صالحهم الخاص، حتى يمكن أن يُقال: إن تلك المصالح الفردية يستوحونها في تشريعاتهم، أو هم مأخوذون بها في عملهم التشريعي، لا يريمون عنها، حتى غدت مهيمنة على إرادتهم توجهها الوجهة التي تقتضيها تلك المصالح الخاصة بهم، فأضحت قوانينهم - على هذا لنظر الفردي المتطرف - صدىً أميناً للإرادات الفردية المحضة، سواء من حيث أصل وجوده ابتداء، أو تشريعه عملاً وتنفيذاً، تصوراً منهم - كما فصلنا - أن حقوق الأفراد وحرياتهم العامة - بما هي في فلسفتهم المتطرفة الوهمية ناشئة أو منبثقة عن ذات الإنسان - سابقة وجودها على القانون وعلى المجتمع وعلى الدولة جميعاً، لذا لا تملك الدولة نفسها - في معتقداتهم - أن تتدخل في شؤون الأفراد ولا في حرياتهم العامة، تقييداً أو توجيهاً للتصرف فيها، أو

في استعمال سلطاتها، لسبب بسيط هو: أن الدولة ما دامت ليست هي المانحة للحقوق والحريات، ولا منشئة لها، لأنها نابعة من ذوات الأفراد، وجدت بوجودهم وبإراداتهم الحرة المطلقة، باعتبار أن هذه الحقوق والحريات هي المظهر القوي لذاتية أو شخصية الفرد في المجتمع، كان على الدولة والمجتمع كليهما، أن يرعيا هذه الحقوق، ويعملا على كفالة تأمينها لأربابها دون المساس بها، أو تقييد ممارساتها على الوجه الذي تتجه إرادة أصحابها، بل أن يمكّنا الأفراد تمكيناً حراً كاملاً من التمتع بها، وعلى أوسع مدى، وأن يوجهها استعمالهم لها على الوجه الذي يشاؤون احتكاراً وترابياً واستغلالاً للأزمات، بل أن يؤثلوا الأموال ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً، ماداموا يستعملون هذه الحقوق والحريات في حدود سلطاتها الموضوعية، غير متجاوزين لها ولا معتدين على حق أحد، وهذا شرط مؤداه ألا يتعدي أحد منهم على حق غيره، أو على حريته، منعاً للفوضى واختلال الأمن العام، ولكيلا يُفتأت على الحقوق والحريات العامة، باسم الحرية.

ولكن هذا النظر التشريعي إن حرم العدوان، فقد فاته أن يحرم «التعسف» ولو كان التصرف داخل حدود الحق، إذ التعسف قام على نظرية عامة في الإسلام، مؤصلة المعايير: الذاتي منها والموضوعي، مما يقوم على إجراء التوازن بين المصالح والمفاسد والمضار في كل تصرف فردي، وهو ما لم تقم التشريعات الغربية الحديثة له وزناً، في حين أن الشريعة الغراء، لم تحرم العدوان فقط، بل حرمت «التعسف» أيضاً، في استعمال الحقوق والحريات، رعاية لحق الغير، وأقامت نظرية تامة محكمة، إمعاناً من الشريعة في تحقيق «العدل» منذ خمسة عشر قرناً، مما سنتناوله بالبحث الكامل، المؤصل، في حين أن الدول الغربية لا تعرف هذه النظرية، ولم تدخلها في قوانينها، وفي مقدم هذه الدول فرنسا، حتى يومنا هذا، لأنها لم تجد في تشريعاتها الموروثة ما يسعفها على إقامة مثل هذه النظرية في الخمسينات، ولكنها لم تفلح حتى اليوم، وهذا من الإسلام ضرب من التوسع في «مفهوم العدل» تقتضيه القيم والمثل العليا التي جاء بها الإسلام، فأضحى قول بعض المفكرين الغربيين - كما ترى - من أن الإسلام يقوم عقبة كؤوداً تحول دون التكافؤ بين الإسلام والغرب، أضحى زعمهم هذا بعيداً عن الصواب والواقع، فينبغي - كما قلنا - أن نغير عقلية الغرب من أصولها - حتى يمكن أن يدركوا قيم الإسلام، وأن يدركوا أيضاً أن الذي يحول حقيقة دون التكافؤ هو تعصبهم لفرديتهم المطلقة في التشريع، وإسرافهم فيها، حتى انعكس ذلك على سياستهم الخارجية، فكانت مصالحهم الخاصة القائمة على الأنانية المتطرفة التي حملتهم على عدم الاعتداد بالمصالح السياسية والاجتماعية والاقتصادية للدول الأخرى المستضعفة فكان منهم هذا الاستعمار الذي ينافي كل المثل والقيم الإنسانية، وحتى في هذا القرن العشرين، وهذا - في نظر الإسلام - ليس إلا بغياً وعدواناً أثيماً، وهما محرّمان قطعاً، بدليل أن الخطاب الإلهي موجه إلى الناس كافة لا إلى المسلمين خاصة: (ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين) فإذا كان الإسلام يحرّم على المسلمين أن يبغوا أو يعتدوا على غيرهم، وأولى أن يحرم على غير المسلمين أن يتعدوا على غيرهم، فأولى أن يحرم لذاته، أيّاً كان المعتدي، ليستقيم أمر الحياة الإنسانية، ويمحو ظاهره في العدوان، من الوجود البشري كله.

هذه الأنانية أو الأثرة التي يقيم الغرب لها وزناً كبيراً في علاقاته الدولية، هي التي تقف حائلاً صلداً دون التواصل الحضاري بيننا وبين الغرب، ولا ريب أن الأثرة أو الأنانية القومية أو العنصرية العرقية أو العصبية الدينية تحول حتماً دون تحقيق التكافؤ بيننا وبينهم.

إننا نعتقد اعتقاداً يستقر في صميم إيماننا أن المرابي مثلاً لا يرقى بمبدأ المراباة إلى أن يكافئ من يحرّم مبدأ الربا على الصعيد الدولي والداخلي، لسبب بسيط هو أن «المراباة» ضرب من امتصاص دماء الشعوب والأمم الضعيفة أو المعوزة بالانتظار، وما كان الانتظار عملاً يكافئ عليه بالمال، لمكان الظروف القهرية التي تستدعيه، فغدت المراباة ضرباً من استغلال ظروف الضعفاء أو غير القادرين، وهذا الوضع لا يسيغه خلق ولا دين ولا حق، فضلاً عن القوانين المجحفة التي تفرضه فرضاً لا يرتضيه المعنى الإنساني العام، وكل شرعة تبيح مثل هذه المواقف في العلاقات الدولية أو الداخلية ينبغي ألا يكون لها نصيب أو وضع من الأوضاع العالمية على الإطلاق، ذلك أن التعامل بالترابي لا يعدو أن يكون ميراثاً جاهلياً - كما هو معلوم - والإسلام لا تكافئة الجاهلية، حتماً، لأن الإنسان ما أنزل إلا ليمحو كل ظاهرة غير إنسانية بكل ما في هذه الكلمة من معنى، فأي الفريقين - على هذا التعليل - لا يكافئ الآخر ؟

على أن موضوعنا «مفهوم العدل» والربا - كمثال - يشوه هذا المفهوم إن لم يحترمه من أصوله، ومن هنا ندرك مفهوم المبدأ العظيم الجامع لجميع صنوف أكل أموال الناس على وجه البسيطة أنه أكل بالباطل، لقوله سبحانه: (لاتاكلوا أموالكم بينكم بالباطل) وفي مقدم ذلك التعامل بالربا.

فعدم التكافؤ بيننا وبين الغرب - كما نرى - يبدو جلياً إذ لا يتكافأ مطلقاً من يكون دينه أكل أموال الناس الذي هو ثمرة جهودهم، أو عين مقدراتهم التي منحهم الله إياها، بالباطل، ومن يحرم على نفسه ذلك ولعل هذا هو الباعث على الاستعمار لبلاد الإسلام، وأقطاره، والعمل بجد على تخلفه، فالغرب هو المسؤول الأول عن ذلك لا الإسلام.

هذا، ومن المعلوم أن الربا ليس إلا شنشنة الجاهلية الأولى، وما كان هذا الميراث البدائي الظالم ليصلح يوماً أن يكون عمدة الاقتصاد العالمي، أو مقوماً للحضارة الإنسانية، ونحن لاندرك حقائق الإسلام إلا إذا تعمقنا معانيه، ومقاصده، فتحريم أكل الربا ضرب من تحريم أكل أموال الشعوب والأمم بالباطل، ومن دون وجه حق، إلا إذا كان مجرد الانتظار حقاً، ولا سيما من قبل الدول ذات الطّول والغنى والقوة، وما كان أكل القوي للضعيف إلا ضرباً من «الرجعية» إلى مخلفات الجاهلية الأولى، وهذه «الرجعية الأولى» سمة أصيلة من سمات النظام الاقتصادي الغربي، وقد تبرأ منها الإسلام، لأن الإسلام جعل الربا سبب إيذان بحرب من الله ورسوله، وهذا الوعيد الشديد لا يكون إلا على ارتكاب جرم عظيم لشعوب، ذلك مثل ضربناه من أصول نظامنا الذي يزعمون أنه لا يكافئ نظامهم، فحال ذلك دون التواصل بيننا وبينهم بسبب الإسلام.. ولأن الإسلام لا يتواصل على باطل. ■

بقلم : محمود السباعي محمود

الفقــه المنشــود من أجل فهم إسلامي راشــد

الحق أننا في حاجة إلى فقه جديد... نستحق أن نكون ممن وصفهم الله تعالى بأنهم قوم يفقهون.

فليس مرادنا بالفقه العلم المعروف الذي اصطلح على تسميته «فقهاً» والذي تعني معرفة الأحكام الجزئية من أدلتها التفصيلية من مثل أحكام الزواج والطلاق والرضاع أو أحكام الطهارة والعبادات والمعاملات وغيرها.

فهذا العلم على أهميته، ليس هو مرادنا بالفقه، وليس هو المراد بكلمة الفقه التي وردت في القرآن الكريم والحديث الشريف وإنما هو مما بدل من الأسماء والمفاهيم كما يبين ذلك الإمام الغزالي من كتاب العلم في موسوعته المعروفة «بإحياء علوم الدين».

إن الفقه الذي ننشده، وهو الفقه الواعي لدين الله الفقه الذي لايعتمد على قراءات فجة ولا على فهم سطحي لنصوص الشرع يخطف الآيات والأحاديث خطفاً دون تبصّر وتعمق لأسرارها ومقاصدها.

إن الذي نريده فقهاً رشيداً متكاملاً يقوم على منهج سديد ترشيداً للعمل الإسلامي وتمكيناً لدين الله لاستئناف حياة إسلامية حقيقية وذلك حتى لاتضيع الجهود سُدى في معارك جانبيه تستنفد الطاقة وتستفرغ الجهد في عمل مهدر لا قيمة له في معركة البقاء والتمكين.

هذا الفقه الذي ننشده نعتبره غاية في الأهمية لأنه يعالج قضية اختلال النسب واضطراب الموازين من الوجهة الشرعية في تقدير الأمور والأفكار والأعمال والحكم على الأشياء.

ولهذا كانت الصحوة الإسلامية والحركة الإسلامية بمختلف اتجاهاتها، ومدارسها في حاجة ماسة إلى وعي عميق ومدارس دائمة لهذا الفقه، هو خمسة أنواع:

النوع الأول: «فقه المقاصد»:

وهو الفقه الذي لا يقف عند الجزيئات أو جزيئات الشريعة ومفرداتها وحدها، بل ينفذ منها إلى كلياتها وأهدافها في كل جوانب الحياة لأن معرفة الشريعة لا تتم بمجرد معرفة نصوصها الجزئية متفرقة متناثرة، مفصولاً بعضها عن بعض، بل لابد من رد فروعها إلى أصولها، وجزيئاتها إلى كلياتها، ومتشابهاتها إلى محكماتها، وظنياتها إلى قطعياتها حتى يتألف منها جميعاً واحد مرتبط بعضه في بعض.

أما أن يعثر نص من آية كريمة أو من حديث نبوي يفيد ظاهره حكما فيتشبث به دون أن يقارنه بالأحاديث الأخرى، وبالهدي النبوي العام أو بهدي الصحابة والراشدين، بل دون أن يرده إلى الأصول القرآنية نفسها ويفهمه في ضوء المقاصد العامة للشريعة، فلن يسلم من الخلل في فهمه والاضطراب في استنباطه، وبذلك يضرب الشريعة ببعضها بعضاً ويعرضها لطعن الطاعنين وسخرية الساخرين.

الإخلال بالنسب التي وضعها الإسلام للتكاليف الشرعية يُحدث ضرراً بليغاً بالدين والحياة

النوع الثاني: فقه الأوليات:

أو فقه مراتب الأعمال.. وهذا الفقه يعني به وضع كل شيء في مرتبته فلا يؤخر ما حقه

التقديم، أو يُقدم ما حقه التأخير، ولا يصغر الأمر الكبير، ولا يُكبر الأمر الصغير، هذا ما تقضي به قوانين الكون، وما تأمر به أحكام الشرع.

إن الإخلال بالنسب التي وضعها الإسلام للتكاليف الشرعية يُحدث ضرراً بليغاً بالدين والحياة.

إن العقيدة في الإسلام مقدمة على العمل والأعمال هي البناء، ولا بناء بغير أساس، والقرآن يبين لنا الأعمال تتفاضل عند الله، وليست في درجة واحدة، قال تعالى: (أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله لا يستوون عند الله) التوبة:١٩، ولهذا ذكر شيخ الإسلام «ابن تيمية» مجموعة من المقررات الفقهية - أن النافلة لايجوز تقديمها على الفريضة وأن فرض العين مقدم على فرض الكفاية، وأن فرض الكفاية الذي لم يقم به أحد أو عدد يكفي مقدم على فرض الكفاية الذي قام به من يكفي ويسد الثغرة وأن فرض العين المتعلق بالجماعة والأمة مقدم على فرض العين المتعلق بحقوق الأفراد وأن الواجب المحدد الوقت والذي جاء وقته بالفعل مقدم على الواجب الموسع في وقته.

أئمة الهدى لم يضرهم الاختلاف العلمي شيئاً ولما جهلناه أصبح بعضنا يعادي بعضاً بسبب مسائل يسيرة أو بغير سبب

ومن المقرر كذلك أن المصالح المقررة شرعاً متفاوتة فيما بينها، فالمصالح الضرورية مقدمة على الحاجية والتحسينية، والمصالح الحاجية مقدمة على التحسينية، والمصالح المتعلقة بمصالح الأمة وحاجتها أولى بالرعاية من المصالح المتعلقة بالأمر وعند التعارض.

غياب فقه الأوليات عن كثير من المسلمين:

إن آفة كثير من فضائل الصحوة الإسلامية هي غياب فقه الأوليات عنها، فكثير ما تهتم بالفروع قبل الأصول وبالجزئيات قبل الكليات، وبالمختلف منه قبل المتفق عليه، نثير معركة من أجل نافلة وقد ضيّع الناس الفرائض أو من أجل شكل أو هيئة دون اعتبار المضمون.

- إن من فقه الأوليات: أن نعرف أي القضايا أولى بالاهتمام فتعطى من الجهد والوقت أكثر مما يُعطى غيرها.

- من فقه الأوليات أن يعرف أي الأعداء أولى بتوجيه قوانا الضاربة إليه، وتركيز الهجوم عليه، وأي المعارك أولى بالبدء فالناس في نظر الإسلام أنواع.

- ومن فقه الأوليات: أن نعرف واجب الوقت فنقدمه على غيره ونعطيه حقه ولا نؤخره فنفوت فرصة قد لا تُعوض إلا بعد زمن طويل وقد لا تعوض يوماً.

إذا غاب عنا فقه الموازنات سددنا على أنفسنا كثيراً من أبواب السعة والرحمة واتخذنا فلسفة الرفض أساساً لكل تعامل

ومن حكم ابن عطاء: «حقوق الأوقات يمكن قضاؤها، وحقوق الأوقات لا يمكن قضاؤها إذ ما من وقت يرد إلا ولله فيه حق جديد وعمل أكيد».

ويذكر ابن القيم في حديثه في فقه الأوليات عندما سئل أي العبادات أفضل؟ هل الأفضل منها الأشق!! أو الأفضل المتعدية النفع؟ فذكر أنه لا يوجد أفضل بإطلاق وإنما لكل وقت عبادة تكون هي الأفضل بالنسبة له.

فعند المجاعات يكون إطعام الطعام أفضل ما يتقرب به إلى الله.

وعندما يغزو الكفار بلداً مسلماً يكون الجهاد أفضل الأعمال وإمداد المجاهدين بالسلاح والمال من أعظم القربات.

وعندما يموت العلماء ولا يوجد من يخلفهم يكون طلب العلم والتبحر فيه من أجلّ ما يؤجر عليه المسلم ويُحمد به عند الله وعند المؤمنين وهكذا يكون التفاضل بين الأعمال.

النوع الثالث: فقه السُنن الإلهية في الأنفس والآفاق

وأعني القوانين الكونية والاجتماعية التي أقام الله عليها عالمنا هذا، وقضى بأنها لا تتبدل ولا تتحول مثل سنن:

أ التدرج:

- الايمان بضع وسبعون شعبة أعلاها لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى.

- تدرج تحريم الخمر.

- تحريم الربا جاء في حجة الوداع.

- التدرج في التعليم وبعث معاذ بن جبل وتدرجه في تعليمه للناس.

ب - سنة الأجل:

(لكل شيء أجل)، (لكل أمة أجل)، (لكل أجل كتاب).

- (وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم)الحجر:١٥.

- مدة الحمل، ومدة نضج القمح، نضج الفكرة.

- ولذا فإن الزمن جزء من العلاج، علاج أي

مشكلة.

ج ـ سنة التداول:

(إن يمسسكم قرح فقد مسَّ القوم قرح مثله وتلك الأيام نداولها بين الناس) آل عمران: ١٤٠.

قول النبي ﷺ: «والله ليبلغن هذا الدين ما بلغ الليل والنهار».

د ـ سنة المدافعة: (لولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع...) الحج: ٤٠.

و ـ سنة التسخير.

هـ ـ إن النصر مع الصبر.

ن ـ إن مع العسر يسراً.

ي ـ إن تنصروا الله ينصركم.

وأيضاً سنة التغيير والاستبدال نسأل الله تعالى ألا يستبدلنا وأن يمكن لنا.

النوع الرابع: فقه الموازنات:

وهو فقه الموازنة بين المصالح والمفاسد وهو مبني على فقه الواقع ودراسته دراسة علمية مبنية على ما يسره لنا عصرنا من معلومات وإمكانات لم يكن يحلم بها بشر.

وفقه الموازنات نعني به جملة أمور:

أ ـ الموازنة بين المصالح بعضها إلى بعض، من حيث حجمها وسعتها، ومن حيث عمقها وتأثيرها، ومن حيث بقاؤها ودوامها، وأيها ينبغي أن يُقدم ويُعتبر، وأيها ينبغي أن يُسقط ويُلغى.

ب ـ الموازنة بين المفاسد بعضها إلى بعض: من تلك الحيثيات التي ذكرناها في شأن المصالح وأيها يجب تقديمه وأيها يجب تأخيره أو إسقاطه.

ج ـ الموازنة بين المصالح والمفاسد: إذا تعارضتا بحيث نعرف متى نقدم درء المفسدة على جلب المصلحة، ومتى تُغتفر المفسدة من أجل المصلحة.

ونحن في هذا المقام نحتاج إلى مستويين في الفقه:

ـ أولهما فقه شرعي يقوم على فهم عميق لنصوص الشرع ومقاصده، فما جاء الشرع إلا لتحقيق مصالح العباد في المعاش والمعاد برتبها المعروفة الضرورية والحاجية والتحسينية.

آفة كثير من فضائل الصحوة الإسلامية هي غياب فقه الأولويات عنها فتهتم بالفروع قبل الأصول وبالجزئيات قبل الكليات

ـ الحاجة إلى فقه الواقع: وهو فقه مبني على دراسة الواقع المعاش دراسة دقيقة مستوعبة لكل جوانب الموضوع معتمدة على أصح المعلومات، وأدق البيانات، مع التحذير من تضليل الأرقام غير الحقيقية، فلا بد من تكامل فقه الشرع وفقه الواقع، حتى يمكن الوصول إلى الموازنة العلمية السليمة البعيدة عن الغلو والتفريط، وقد تحدثت كتب الأصول عن هذا النوع من الفقه.

ـ إن المصالح إذا تعارضت فوتت المصلحة الدنيا في سبيل المصلحة العليا، وضُحى بالمصلحة الخاصة من أجل المصلحة العامة، ويعوض صاحب المصلحة الخاصة عما ضاع من مصالحه أو ما نزل به من ضرر وألغيت المصلحة الطارئة لتحصيل المصلحة الدائمة أو الطويلة المدى، وأهملت المصلحة الشكلية لتحقيق الجوهرية.

ـ في صلح الحديبية رأينا النبي ـ ﷺ ـ يغلب المصالح الحقيقية والأساسية والمستقبلية على بعض الاعتبارات التي يتمسك بها بعض الناس فقبل من الشروط ما قد نظن للوهلة الأولى أن فيه إجحافاً بالجماعة المسلمة، والأمثلة كثيرة والمجال ذو سعة.

وقد قرر الفقهاء أنه إذا تعارضت المفاسد والمضار ولم يكن بد من بعضها فمن المقرر أن يرتكب أخف المفسدتين وأهون الضررين.

وهكذا قرر الفقهاء: أن الضرر يُزال بقدر الإمكان ... وأن الضرر لا يزال بضرر مثله أو أكبر منه، وأنه يتحمل الضرر الأدنى لدفع الضرر الأعلى ويتحمل الضرر الخاص لدفع الضرر العام.

ولهذا أمثلة وتطبيقات كثيرة ذكرتها كتب الفقه أو الأشباه والنظائر، مثل إذا تعارضت المصالح والمفاسد أو المنافع والمضار فالمقرر أن ينظر إلى حجم كل من المصلحة والمفسدة وأثرها ومداها.

فتغتفر المفسدة اليسيرة لجلب المصلحة الكبيرة.

وتغتفر المفسدة الموقتة لجلب المصلحة الدائمة أو الطويلة المدى.

وتقبل المفسدة وإن كبرت إذا كانت إزالتها تؤدي إلى ما هو أكبر منها.

وفي الحالات العادية يُقدم درء المفسدة على جلب المصلحة.

الصحوة الإسلامية والحركة الإسلامية بمختلف اتجاهاتها في حاجة ماسة إلى وعي عميق ومدارس دائمة لهذا الفقه

وليس المهم أن نسلم بهذا الفقه نظرياً... بل المهم كل المهم أن نمارسه عملياً.

فكثير من أسباب الخلاف بين الفصائل العاملة للإسلام يرجع إلى هذه الموازنات:

- هل يُقبل التحالف مع قوى غير إسلامية؟

- هل يُقبل مصالحة أو مهادنة مع حكومات غير ملتزمة بالإسلام؟

- هل يمكن المشاركة في حكم ليس إسلامياً خالصاً وفي ظل دستور فيه ثغرات أو مواد لا نرضى عنها تمام الرضى.

قرر الفقهاء أنه إذا تعارضت المفاسد والمضار ولم يكن بد من بعضها فمن المقرر أن يرتكب أخف المفسدتين وأهون الضررين

رحمة بالأمة ومرونة في الشريعة وسعة في الفقه وقد اختلف فيها أصحاب رسول الله - ﷺ - ومن تبعهم بإحسان فما ضرهم ذلك شيئاً وما نال إخوتهم ووحدتهم كثير ولا قليل.

إن هناك دعائم فكرية في فقه الاختلاف نقولها على سبيل الإجمال:

١ - الاختلاف في الفروع ضرورة ورحمة وسعة.

٢ - اتباع المنهج الوسط وترك التنطع في الدين.

- هل ندخل في جبهة معارضة مكونة من بعض الأحزاب لإسقاط نظام طاغوتي فاجر.

- هل نقيم مؤسسات اقتصادية إسلامية مع سيطرة الاقتصاد الوضعي الربوي...!!

- هل نجيز للعناصر المسلمة العمل في البنوك والمؤسسات التربوية أم نفرغها من كل عنصر متدين ملتزم.

إذا غاب عنا فقه الموازنات، سددنا على أنفسنا كثيراً من أبواب السعة والرحمة واتخذنا فلسفة الرفض أساساً لكل تعامل.

ففي ضوء فقه الموازنات، هناك سبيل للمقارنة بين وضع ووضع، والمفاضلة بين حال وحال على المستوى الفردي والجماعي نختار ما نراه أدنى لجلب المصلحة ودرء المفسدة.

النوع الخامس: فقه الاختلاف:

أو هو أدب الاختلاف الذي عرفته خير قرون الأمة من الصحابة والتابعين وأئمة الهدى، فلم يضرهم الاختلاف العلمي شيئاً، وجهلناه فأصبحنا يعادي بعضنا بعضاً بسبب مسائل يسيرة أو بغير سبب لأن الاختلاف في الأحكام الفرعية العملية الظنية لاضرر فيه ولا خطر منه إذا كان مبنياً على اجتهاد شرعي صحيح وهو

٣ - التركيز على المحكمات لا المتشابهات.

٤ - تجنب القطع والإنكار في المسائل الاجتهادية.

٥ - ضرورة الاطلاع على اختلاف العلماء.

٦ - تحديد المفاهيم والمصطلحات وتحرير مواطن الخلاف.

٧ - شغل المسلم بهموم أمته.

٨ - التعاون في المتفق عليه.

٩ - التسامح في المختلف فيه.

وكل هذه الدعائم الفكرية لها تأصيل شرعي حقيقي موضوعي والمجال لا يسمح بهذا.

لا بد من تكامل فقه الشرع وفقه الواقع حتى يمكن الوصول إلى الموازنة العلمية السليمة البعيدة عن الغلو والتفريط

وهناك دعائم أخلاقية لفقه الاختلاف.

١ - الإخلاص والتجرد من الأهواء.

٢ - التحرر من التعصب للأشخاص والمذاهب والطوائف.

٣ - إحسان الظن بالآخرين أو المخالفين.

٤ - البعد عن المراء واللدد في الخصومة.

٥ - جواز تعدد الصواب «حادثة بني قريظة» صلاة العصر.

والله من وراء القصد. ■

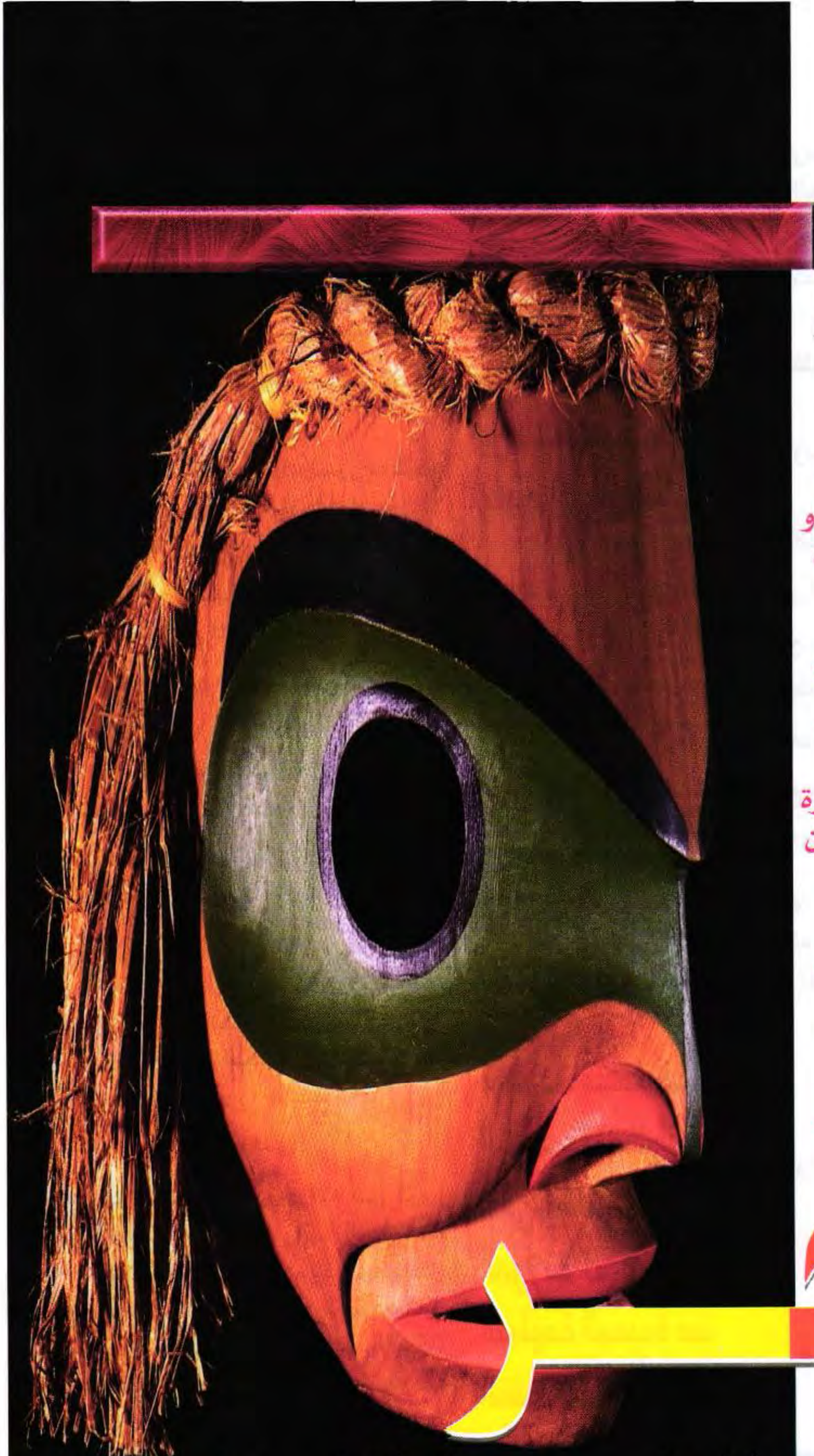
الهوامش:

١ - الموافقات للإمام الشاطبي.
٢ - فقة الأولويات يوسف القرضاوي - مكتبة وهبة.
٣ - الطرق الحكمية - ابن القيم.
٤ - قواعد الأحكام في مصالح الانام ١/٥ - ١١.
٥ - نشرة مركز بحوث السند والسيرة النبوية - جامعة قطر.
٦ - جامع العلوم والحكم ١٥٣/٣ - طبعة الرسالة.
٧ - الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف، د. يوسف القرضاوي.
٨ - مكانة السنة من التشريع، د. مصطفى السباعي.
٩ - دستور الوحدة الثقافية - محمد الغزالي - مكتبة وهبة.
١٠ - حجة الله البالغة - ج١٤٥/١.
١١ - الاعتصام للشاطبي ج٢ ص ١٦٨، تعليق السيد رشيد رضا.
١٢ - إيثار الحق على الخلق ص ٣٧٥.
١٣ - الصحوة الإسلامية بين الاختلاف المشروع والتفرق المذموم، د. يوسف القرضاوي.

أحكام

بقلم : محمود علي عبدالرحمن

السحر بين تحريم الشريعة الإسلامية وتفريط التشريعات الوضعية



يمكن القول ان وراء كل جريمة مجرم اقترفها، وان هذا النعت قد حاق به جزاء وفاقا لما جنت يداه من فعل او عدة افعال اصطبغت بصبغة الجريمة، ولاجرم ان لكل جريمة نصا قانونيا يحدد عناصرها واركانها ومن ثم العقاب عليها فلا جريمة ولاعقوبة الا بنص. يقول تعالى:﴿ وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا﴾ الاسراء/١٥.

وقد ورد لفظ المجرمين في آيات كثيرة من القرآن، فيقول تعالى:﴿ان المجرمين في ضلال وسعر﴾ القمر/٤٧ وعن السحرة ﴿فلما القوا قال موسى ماجئتم به السحر ان الله سيبطله ان الله لايصلح عمل المفسدين. ويحق الله الحق بكلماته ولوكره المجرمون﴾ يونس/٨١و٨٢ وينصرف اللفظ في الآية الاخيرة على السحرة المفسدين.

إلا أن الواقع يقول إن السحرة لا يعاقبون فهم حقاً فوق القانون ورغم جسامة أعمال السحرة والتي يبلغ فيها الضرر بالمسحور إلى حد الجناية أحياناً، إذ قد يتخلف عنها عاهة مستديمة مثلاً كحالات «الربط بين الزوجين مما ينجم عنه العقم، التأثير على الأعصاب أو المخ مما قد ينجم عنه فقد البصر أو النطق أو أي حاسة من الحواس، أو فقد منفعه عضو من أعضاء الإنسان، أو القعود عن الحركة تماماً كالشلل»، فلا تجد نصاً يعاقب على تلك الأفعال والتي لا تقع تحت حصر، فالمشرّع المصري مثلاً حين نص في المادة: (٣٣٦) من قانون العقوبات المصري على جريمة النصب باستعمال طرق احتيالية قد عالج جزئية واحدة في هذا المجال، وهي نهاية الحلقة، فيما يتعلق بقيام السحرة باستعمال طرق احتيالية لإيهام الأشخاص بقدرتهم على العلاج من الأمراض المختلفة نظير الاستيلاء على أموالهم بهذه الوسيلة وإلا فلا جريمة في الأمر، وفي ذلك تقول محكمة النقض: «إذا كانت واقعة الدعوى كما أثبتها الحكم هي أن المتهم أوهم المجني عليه وزوجته بقدرته على الاتصال بالجن وإمكان شفاء زوجته من العقم وأخذ يحدث أصواتاً مختلفة يسميها بأسماء الجن في غرفة مظلمة يطلق فيها البخور ويقرأ التعاويذ، وتمكن بهذا من سلب خمسة جنيهات - فهذه الأفعال يتوافر بها ركن الطرق الاحتيالية المنصوص عليها في المادة: ٣٣٦ عقوبات (٣٣٦ عقوبات) (سنة ٢٩ ق ص ٥٤) وأيضاً قررت: «أن المتهم قد أوهم المجني عليه بقدرته على شفائه من مرضه وقضاء حاجياته عن طريق تسخير الجان في جلسات كان يعقدها وتتظاهر زوجته بتحضير الجان وتتمتم بكلمات غير مفهومه مستعينة كذلك بأحجبة مثلثة الشكل عليها إشارات غامضة، وتمكن بذلك من سلب مال المجني عليه - يتحقق به جريمة النصب باستعمال الطرق الاحتيالية (طعن رقم ٤٨١ لسنة ٤٨ من جلسة ١٩٧٩/٤/٨).

هكذا نجد أن السحر في ذاته غير معاقب عليه، والمجرَّم قانوناً هو إتيان أعمال الشعوذة لسلب مال المجني عليهم بتلك الطرق الاحتيالية (جريمة النصب).

السحر في الشريعة الإسلامية:

قد يتساءل البعض عن السحر مصدره وطرائقه، وقد لا يتعقد البعض في وجود شيء اسمه السحر، فهو من الأمور محل الجدل، ومرجع ذلك إلى التعتيم الشديد الذي يحيط بالموضوع نظراً لكونه من الأمور الغيبية، فقلما نجد من يهتم به إلا من أضطرته الظروف لملمة أصابته أو مسّ من الشيطان حاق به أو عمل سحري التبس به ثم حار مع الأطباء وحاروا معه فلا يجد أمامه سبيلاً إلا طرق أبواب العالمين ببواطن الأمور من أهل العلم الشرعي - ذلك إن كان حريصاً على دينه قوياً في عقيدته، أو اللجوء إلى السحرة ذاتهم لفك ما به من سحر وطرد ما به من جان، وهنا يكون قد وقع في المحظور الشرعي ففي الصحيح (من أتى عرافاً أو كاهناً فقد كفر بما أنزل على محمد) رواه الأربعة.

قال الربيع بن أنس: إن الشياطين عمدوا إلى كتّاب فكتبوا فيه السحر والكهانة وما شاء الله من ذلك فدفنوه تحت كرسي مجلس سليمان، وكان - عليه السلام - لا يعلم الغيب فلما فارق سليمان الدنيا استخرجوا ذلك السحر وخدعوا الناس وقالوا هذا علم كان سليمان يكتمه(١) فنزل القرآن يبرأ ساحة سليمان (وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلّمون الناس السحر)(٢) وأصل السحر كما قال الأزهري هو صرف الشي عن حقيقته إلى غيره فكأن الساحر لما رأى الباطل في صورة الحق وخيل الشيء على غير حقيقته قد سحر الشيء عن وجهه أي صرفه(٣)، وقال فخر الدين الرازي: السحر في عرف الشرع مختص بكل أمر يخفي سببه ويتخيل على غير حقيقه، ويجري مجرى التمويه والخداع.(٤)

وقال ابن قدامه القدسي: هو عقد ورقى وكلام يتكلم به أو يكتبه، أو يعمل شيئاً يؤثر به في بدن المسحور أو قلبه أو عقله من غير مباشرة له، وله حقيقة فمنه ما يقتل وما يمرض، وما يأخذ الرجل من امرأته فيمنعه وطأها، ومنه ما يفرق بين المرء وزوجه وما يبغض أحدهما إلى الآخر أو يحبب بين اثنين(٥)، وقال ابن قيم الجوزية: هو مركب من تأثيرات الأرواح الخبيثة، وانفعال القوى الطبيعية عنها.(٦)

والسحر هو اتفاق بين ساحر من الإنس وشيطان من الجن على أمر بغض الله تعالى فيتصل الساحر بالشيطان عن طريق العزائم الشركية وعن طريقها يسخر الجن للساحر ولخدمته فيما يطلب منه القيام به من أذى الناس، وكلما كان الساحر مطيعاً لأوامر الشيطان لفعل المحرمات والمنكرات والكفر بالله تعالى، كانت الشياطين منه أقرب وله أطوع.

ومن هنا نعلم السر في تحريم الشريعة الإسلامية تعلم هذا العلم لما فيه من الكفر بالله تعالى والاستعانة بمردة الشياطين الذين يقعون في معصية الله تعالى، وهو ضروب مختلفة فمنه سحر التفريق، وسحر المحبة، وسحر التخبيل، وسحر الجنون، وسحر الخمول، وسحر الهواتف، وسحر المرض، وسحر النزيف، وسحر تعطيل الزواج، وسحر الوساوس، وسحر التفريق... والأخير نراه حادثاً كثيراً بسبب البغضاء والأحقاد التي تدفع الكثير للسير في هذا الاتجاه «وسبب التفريق الذي يقع بين الزوجين بالسحر ما يخيل إلى الرجل أو المرأة من الآخر من سوء منظر أو خلفه أو نحو ذلك من هذه الأسباب المقتضية للفرقة.(٦)

كيف يدخل الجني إلى بدن الأنسي؟

يثور تساؤل في الذهن، هو كيف يمكن للجن - وهو مخلوق من نار - أن يدخل وينفذ إلى بدن المصروع مثلاً أو أنها أشياء عارضة تقع وتتم من خارج الجسد بتأثير الجن عليها فيصاب بالصرع - كما يقول البعض - لقد كثرت الأقوال في هذا المعنى ولكن الراجح والصحيح الذي نختاره والأقرب إلى النقل والعقل والواقع المدرك والمشاهد هو ما ذهب إليه أبو الحسن الأشعري في مقالات أهل السنة بجواز دخول الجن بدن المصروع وقد استدل على ذلك بنصوص من الكتاب والسنة الصحيحة وإليك بيانها:

أولاً: من القرآن قوله تعالى: في شأن آكلي الربا: (الذين يأكلون الربا لايقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس)(٧).

وذكر ابن كثير أن آكلي الربا لا يقومون من قبورهم يوم القيام إلا كما يقوم المصروع حال صرعه وتخبط الشيطان له وذلك أنه يقوم قياماً منكراً.(٨)

ثانياً من السنة: ما أخرجه الشيخان من حديث عطاء بن أبي رباح قال:

قال لي ابن عباس - رضي الله عنهما - : ألا أريك امرأة من أهل الجنة؟

قلت: بلى، قال: هذه المرأة السوداء أتت النبي - ﷺ - فقالت: إني أصرع وإني اتكشف فادع الله لي، قال: «إن شئت صبرت ولك الجنة وإن شئت دعوت الله أن يعافيك»، فقالت: أصبر وإني أتكشف فادع الله ألا أتكشف فدعا لها(٩).

ب - وجاء في رواية البزار أن هذه المرأة قالت لرسول الله - ﷺ - «إني أخاف الخبيث (أي الشيطان) أن يجردني فدعا لها فكانت إذ خشيت أن يأتيها تأتي أستار الكعبة فتتعلق بها»(١٠).

ج - وذكر ابن تيمية أن امرأة صرعت في زمن أحمد بن حنبل فأرسل إليها نعليه ليضرب بهما الجني فنطق الجني عليها وقال: سمعاً وطاعة لأمر الإمام أحمد ولو أمرنا أن نترك أرض العراق لتركناها.

د - عن ابن مسعود - رضي الله عنه - قال: كان رسول الله - ﷺ - إذا دخل في الصلاة يقول: «اللهم إني أعوذ بك من الشيطان الرجيم همزه ونفخه ونفثه».

هـ - عن صفية بنت حيي رضي الله عنها أن النبي - ﷺ - قال: «إن الشيطان ليجري من ابن آدم مجرى الدم» متفق عليه.(١١)

ثالثاً: الأدلة العقلية

يقول الشيخ محمد الحامد رحمه الله: «إذا كان الجن أجساماً لطيفة لم يمتنع عقلاً ولا نقلاً سلوكهم في أبدان بني آدم، فإن اللطيف يسلك في الكثيف كالهواء مثلاً، فإنه يدخل في أبداننا، وكالنار تسلك الجمر، وكالكهرباء تسلك في الأسلاك، بل كالماء في الأتربة والرمال والثياب مع أنه ليس في اللطافة كالهواء والكهرباء.

قال: وقد وقف أهل الحق موقف التسليم للنصوص الخيرة بدخول الجن أجساد الإنس، وقد بلغت من الكثرة مبلغاً لا يصح الانصراف عنه إلا إنكار المنكرين وهذيانهم فإن الوحي الصادق قد أنبأنا هذا وأن الإذعان له يقتضيه دونما تأويل سخيف يخرج بالنصوص عن سراطها إلى التعريجات لا يسلم معها إسلام ولا ينعقد بها اعتقاد صحيح، هو الإيمان المجزئ المنجي من نار الخلود في الآخرة، قال: «ووقائع سلوك الجن في أجساد الإنس كثيرة مشاهدة لا تكاد تحصى لكثرتها فمنكر ذلك مصطدم بالواقع المشاهد وإنه لينادي ببطلان قوله» .(١٢)

وإذا صح ما دللنا عليه من رقة أجسامهم وأنهم كالهواء، لم يمتنع دخولهم في أبداننا كما يدخل الريح والنفس المتردد الذي هو الروح في أبداننا من التخرق والتخلخل، ولا يؤدي ذلك إلا اجتماع الجواهر في حيز واحد، لأنها لا تجتمع إلا عن طريق المجاورة، لا على سبيل الحلول، وإنما تدخل في أجسامنا، كما يدخل الجسم الرقيق في الظريف» .(١٣)

يقول ابن تيمية: وجود الجن ثابت بالقرآن والسنة واتفاق سلف الأمة، وكذلك دخول الجن في بدن الإنسان ثابت باتفاق أئمة أهل السنة، وهو أمر مشهود محسوس لمن تدبره، يدخل في المصرع، ويتكلم بكلام لا يعرفه، بل لا يدري به، بل يضرب ضرباً لو ضربه جمل لمات، ولا يحس به المصروع «كالذي يتخبطه الشيطان من المس» وقوله - ﷺ - «إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم».(١٤)

موقف الأطباء

يقول العالم الأميركي «كارنغتون» عضو جمعية البحوث النفسية الأميركية في كتابه «الظواهر الروحية الحديثة» عن حال المس: واضح أن حال المس هي على الأقل حال واقعية لا يستطيع العلم أن يهمل أمرها مادامت توجد حقائق كثيرة مدهشة تؤيدها وما دام الأمر كذلك، فإن دراستها أصحبت لازمة وواجبة لا من الجهة الأكاديمية فقط، وإنما لأن مئات من الناس بل الوفاً يعانون كثيراً في الوقت الحاضر من هذه الحالة، ولأن شفاءهم منها يستلزم الفحص السريع والعلاج الفوري، وإذا ما نحن قررنا مكنة المس من الجهة النظرية انفتح أمامنا مجال فسيح للبحث والتقصي ويتطلب كل ما يتطلبه العلم الحديث والتفكير السيكولوجي من العناية والخدمة والجلد.(١٥)

ويقول الدكتور «بل» في كتابه (تحليل الحالات غير العادية في علاج العقول المريضة): لدينا الكثير الذي يصح أن نميط عنه اللثام وعلى الأخص ما كان متعلقاً بحال المس الروحي باعتباره عاملاً مسبباً للأمراض النفسية والعصبية، ولقد ظهر أن المس الروحي أكثر تعقيداً مما كان يظن أولاً، ولا تتألف الشخصية الماسّة من نفس مخلوق غير مجسد ولا مس عقله وإرادته فقط، بل هما في الواقع شخصية مؤلفة من أشياء كثيرة، والشخصية الماسّة المركزية هي الشخصية التي اصطدمت أولاً بمجمع حواس الشخص المسوس وعلى هي وجه العموم قليلة المقاومة والإيحاءات ومن ثم تصبح هذه الشخصية مطية سهلة لأولئك الذين يرغبون بالاقتراب من أي إنسان بهذه الطريقة التي تبدو كأنها لا شأن لها في الحصول على الترضية الخاصة لمجموع الأرواح الماسّة كلها أو بعضها وبمضي الزمن يزداد التضام في هذه العملية حتى يتم في النهاية تلاشي الشخص المسوس الذي يصل إلى مثل هذه الحال تلاشياً تاماً، ومع ذلك فحينما يأتي ممارسو القوة الروحية الحديثيون بالعجب العجاب في طرد الشياطين أو الأرواح الماسّة ومداواة المرضى والمحزونين فلا يكون نصيبهم من بعض الأطباء إلا نظرة الزراية والاستخفاف.(١٦)



عقود الساحر في الشريعة

وبعد أن عرفنا أوجه الضرر التي يقوم الساحر بها ضد الأبرياء من البشر دونما ذنب أو جريرة منهم، اللهم إلا صب الأحقاد عليهم من شرّار خلق الله تعالى مستعينين به في تحقيق كيدهم ومكرهم، فما عقابه العادل في الشريعة الإسلامية؟ يقول ـ ﷺ ـ «حدُّ الساحر ضربه بالسيف، وعن بجالة بن عبده أنه قال: أتانا كتاب عمر ـ رضي الله عنه ـ قبل موته بسنه «أن اقتلوا كل ساحر وساحرة» رواه البخاري.

ويقول أبو بكر الجصاص: اتفق السلف على وجوب قتل الساحر، ويرى أبو حنيفة أن الساحر يقتل إذا علم أنه ساحر ولا يستتاب، وكذا لا يقبل قوله إني أترك السحر وأتوب منه فإذا ما أقرّ أنه ساحر فقد حل دمه، ويقول ابن شجاع: «إن الساحر قد جمع مع كفره السعي في الأرض بالفساد والساعي بالفساد إذا قتل قُتل».

ويرى مالك «إن المسلم إذا تولى عمل السحر قُتل ولا يستتاب»، ويرى الشافعي «إن الساحر إن قتل بسحره وقال سحري يقتل مثله وتعمدت ذلك قُتل قوداً وإلا فلا».

ويرى صاحب الكبائر الإمام الذهبي «أن حدّ الساحر القتل لأنه كفر بالله أو مضارع بالكفر».

ومن هذه النصوص تعلم السر في تشديد العقوبة على الساحر حتى يعدّ ذلك إجماعاً بقتله وأن عمله هذا قرين الكفر، ومن هنا حل دمه، فهل آن الأوان أن يولد تشريعاً يقنن هذه الأفعال ويسن عقوبات رادعة عليها حتى يمكن وضع حد لسطوة هؤلاء السحرة وهم منتشرون في بطون لأرض وأطراف البلاد يطعنون بأيديهم الآثمة وعقولهم الماكرة الأمة في شبابها ونسائها وإفساده عيشها؟

هل إلى علاج من سبيل؟

في رأيي أن العلاج يكمن في تغليظ العقوبات على أعمال السحرة، ولن يتأتى ذلك إلا بتقنين شامل لهذه الأفعال وما ينجم عنها من أضرار ومن عقوبات صارمة لكل فعل إجرامي يتناسب مع جسامة الضرر، ولكن سيعود إثبات تلك الجرائم السحرية إلى متخصص يمكن الركون إليه للوصول إلى الدليل الغني للواقعة المكونة للفعل الإجرامي، إذ تتشابه بعض أعراض السحر مع الكثير من الأمراض العضوية وهذا ـ بحق ـ مكمن الخطر، فأنى لنا بهؤلاء؟ ويتحقق ذلك في نظري في أطروحتين.

الأولى: إنشاء معاهد متخصصة لدراسة علوم السحر وما يتعلق بالجان والأرواح الشريرة وما حول ذلك الموضوع، فهو مجال خصب وذاخر بالكثير من الجوانب الجديرة بالبحث والدراسة والتأصيل، على أن تكون شهادة إجازة هذه الدراسة تمنح لصاحبها حق العمل في علاج حالات المسّ الشيطاني أو السحر إضافة ـ وهذا هو الأهم ـ إلى سماع شهادتهم كمتخصصين في هذا المجال لإثبات الجرائم السحرية وتحديد ما إذا كانت الأعراض محل الشكوى مرضية أو خلاف ذلك.

الثانية: دمج هذا الفرع من العلوم إلى أقسام الطب النفسي والعصبي في كليات الطب البشري لتشابه وتداخل الموضوعين في كثير من الجوانب، وقد نشر أخيراً في صحيفة أخبار اليوم القاهرية دراسة في هذا الشأن أعدها نخبة من أساتذة كلية طب «القصر العيني» وهي كورقة عمل نوقشت فيها أطاريح كثيرة منها ما يدور حول الغرض نفسه، لعلها تجد طريقها إلى التطبيق العملي، وأحسب أنه يحسن أن تضطلع بهذه المهمة الجامعات الإسلامية بصفة عامة وكليات الطب بها بصفة خاصة، ذلك أن الموضوع فيه نواح فقهية وشرعية كثيرة ومن ثم يكون دمج الدِّراسة بمعاهدها وكلياتها أيسر لدارسيها من غيرهم.

وإذا أمكن تحقيق ذلك ـ ولو بعد حين ـ وأصبح لدينا علماء متخصصون ومؤهلون علمياً، لأمكن بحق إماطة اللثام عن هذه الظواهر الخطيرة الأثر وما ينجم عنها من أضرار بالغة وعندئذ يمكن الوصول إلى وضع تقنين متكامل لهذه الجرائم السحرية، ومن ثم سيقضى على خطر السحرة وأفعالهم بوضعهم تحت رقابة قانونية صارمة، وسيكون في تغليظ العقوبة على جرائمهم أثر فعّال في استئصال شأفتهم، وحماية المجتمعات من شرورهم، إضافة إلى أن الساحر سيكون واقعاً بين المطرقة والسندان، مطرقة العقوبة الجنائية وما يتبعها من تعويض مادي وأدبي للمسحور يتكبده الساحر، وسندان رد الفعل المحتمل من المسحور وأهله إذا ما تم إثبات الجريمة جنائياً وحكم على الساحر ـ فالحكم عنوان الحقيقة ـ ناهيك عن ازدراء المجتمع له واحتقاره إذا ما اشتهر عنه السحر.

وإنا لنهيب بالمشرّع الوضعي في جميع البلاد الإسلامية أن يولي هذه الظاهرة اهتماماً قدر خطورتها على أفراد المجتمع، فهي لا تقل ـ بحال ـ عن أي ظاهرة إجرامية أخرى لها آثارها الجسام في تقويض استقرار المجتمعات وزعزعة أمنها فقد ينبئ المستقبل القريب بالكثير من الجرائم التي لا يرصد لها فاعل، وهنا نكون قد فرّطنا ـ أيما تفريط ـ في معالجة الظاهرة في مهدها، فيفلت الزمام ويستعلي الخطر. ■

المراجع:

١ ـ تفسير القرآن العظيم ـ الإمام ابن كثير.

٢ ـ فتح الباري في شرح صحيح البخاري.

٣ ـ الفتاوى الإسلامية.

٤ ـ وحيد بالي، وقاية الإنسان من الجن والشيطان.

الهوامش:

١ ـ تفسير ابن كثير ج١ ص١٠٢.

٢ ـ الآية ١٠٢ من سورة البقرة.

٣ ـ لسان العرب (٣٤٨/٤) ط بيروت.

٤ ـ المصباح المنير: ٢٦٨.

٥ ـ المغني: ١٠٤/١٠.

٦ ـ ابن كثير ج١ ص١٤٣.

٧ ـ الآية ٢٧٥ من سورة البقرة.

٨ ـ ابن كثير ج١ ص٣٢٦.

٩ ـ رواه البخاري ١١٤٩٦ فتح، ومسلم ١٣١/١٦ نووي.

١٠ ـ فتح الباري: ١١٥/١٠.

١١ ـ رواه البخاري: ٢٨٢/٤ فتح.

١٢ ـ ردود على أباطيل ١٣٥/٢ نقلاً عن «وحيد بالي» وقاية الإنسان من الجن والشيطان ص ٦٣.

١٣ ـ آكام المرجان ١٠٨، نقلاً عن المرجع السابق ص ٦٤ وحيد بالي.

١٤ ـ مختصر الفتاوى الإسلامية ص٥٨٤.

١٥ ـ عالم الجن والملائكة ص٨٢، نقلاً عن وحيد بالي ص ٦٧.

١٦ ـ المرجع السابق ص ٦٧.

بقلم: عبدالملك عبدالعلي كاموي

الضوابط الشرعية لبيع التقسيط

١ - تعريفه

المعنى اللغوي: التقسيط بمعنى التفريق، وجعل الشيء أجزاء، يقال: قسَّط الشيء بمعنى فرّقه وجعله أجزاء، والدين جعله أجزاء معلومة تؤدى في أوقات.(١)

المعنى الاصطلاحي: إن البيع بالتقسيط وصيغته المعهودة - في الوقت الراهن - لم يرد له تعريف في كتب الفقهاء ومؤلفاتهم، لأن البيع كما ورد عندهم إما أن يكون حالاً بمعنى تسليم الثمن في مجلس العقد، أو مؤجلاً بمعنى تسليمه في وقت لاحق يحدده المتعاقدان في العقد سواء أكان تسديد الثمن جملة واحدة أم على دفعات متعددة.

هو: تأجيل أداء الدين مفرقاً إلى أوقات معينة.(٢)

٢ - صورة هذا البيع

صورته كأن يقول صاحب السلعة للمشتري: هذه السلعة ثمنها مئة إذا دفعت الثمن الآن، ومئة وعشرة إذا دفعته بعد سنة، فيقول المشتري:

اشتريها بمئة وعشرة إلى سنة ويتم البيع على هذا الأساس.

والبائع في هذه الحال يحسب لتأخير الثمن حسابه، بمعنى أنه يزيد في ثمن السلعة مقابل تأجيل دفع الثمن.

٣ - النصوص الواردة من الشارع وأقوال الفقهاء في البيع بالتقسيط

١ - قال الله عز وجل: (يأيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه...) البقرة:٢٨٢.

ومعنى الدين: البيع أو الشراء بأجل، من تداين: تبايع بالأجل.

٢ - عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: «اشترى رسول الله - ﷺ - من يهودي طعاماً بنسيئة - أي بالأجل - ورهنه درعاً من حديد». (متفق عليه).

٣ - من أقوال الفقهاء والمجتهدين: قال الترمذي: (إذا قال البائع: أبيعك هذا الثوب بنقد عشرة وبنسيئة بعشرين،، فإذا فارقه على أحدهما فلا بأس إذا كانت العقدة على أحد منهما»(٣)، وقال الأوزاعي عن هذا البيع: «لا بأس بذلك ولكن لا يفارقه حتى يباتّه بأحد المعنين»(٤).

وقال ابن قدامه: «وقد روي عن طاوس، والحاكم، وحماد أنهم قالوا: لا بأس أن يقول: أبيعك بالنقد كذا، وبالنسيئة كذا، فنذهب على أحدهما وهذا محمول على أنه جرى بينهما بعدما يجري في العقد فكأن المشتري قال: أنا آخذه بالنسيئة بكذا، فقال: خذه، أو قد رضيت ونحو ذلك فيكون عقداً كافياً، فهم قد أجازوا هذا البيع حيثما تحدد الثمن»(٥).

وقال الشوكاني: «نقل ابن الرفعة عن القاضي أنه قال عن هذه المسألة: لو قال البائع بعتك بألف نقداً أو بألفين إلى سنة، قال القاضي: لو قال المشتري: قبلت بألف نقداً أو ألفين بالنسيئة صح ذلك»(٦).

٤ - الأصل في الثمن الحلول وهذا متفق عليه بين الفقهاء في الجملة

فالثمن إما أن يكون عيناً أو ديناً في الذمة، ثم الثمن بالدين يجوز أن يكون معجلاً - وهو الأصل - أو أن يكون مؤجلاً.

والثمن المؤجل إما أن يكون إلى موعد معين لجميع الثمن، وإما أن يكون منجماً مقسطاً على مواعيد معلومة.

ففي الثمن الدين يختلف الحكم في أدائه بحسب كونه معجلاً أو مؤجلاً منجماً فإذا كان مؤجلاً أو منجماً يتعين أن يكون الأجل معلوماً للمتعاقدين على تفصيل في ذلك كما يلي:

النجم في اللغة: الوقت المضروب، يُقال: نجّم المال تنجيماً إذا أداه نجوما أقساطاً، مختار الصحاح، مادة: نجم.

واصطلاحاً: هو المال المؤجل بأجلين فصاعداً يعلم كل نجم ومدته من شهر إلى سنة أو نحوهما.

فالتنجيم نوع من الأجل يرد على الدين المؤجل ويوجب استحقاق بعضه عند زمن مستقبل معين، ثم يليه البعض الآخر

لزمن آخر معلوم يلي الزمن الأول وهكذا..

وهو جائز في البيع إذ اتفق عليه المتعاقدان باتفاق الفقهاء، ومن أبرز العقود التي برز فيها التنجيم الإجارة.

جاء في المغني: «إذا شرط تأجيل الأجر فهو إلى أجله، وإن شرطه منجماً يوماً يوماً أو شهراً شهراً أو أقل من ذلك أو أكثر فهو على ما اتفقا عليه، لأن إجارة الدين كبيعها، وبيعها يصح بثمن حال أو مؤجل فكذلك إجارتها»(٧).

وقد شرع تأجيل الدين بالكتاب والسنة والإجماع.

أما الكتاب فقوله سبحانه وتعالى: (يأيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه...) البقرة:٢٨٢.

فهذه الآية وإن كانت لا تدل على جواز تأجيل سائر الديون، إلا أنها تدل على أن من الديون ما يكون مؤجلاً، وهو ما نقصده هنا من الاستدلال بها على مشروعية الأجل.

وأما السنة، فما روته عائشة - رضي الله عنها - «أن رسول الله - ﷺ - اشترى من يهودي طعاماً بنسيئة - أي بالأجل - ورهنه درعاً له من حديد». (متفق عليه).

فهذا يدل على مشروعية تأجيل الأثمان، وقد أجمعت الأمة على ذلك.

وحكمه قبول الدين التأجيل دون العين، ما قرره الفقهاء من أن الفرق بين الأعيان والديون من حيث جواز التأجيل في الثانية دون الأولى.

لأن الأعيان معينة ومشاهدة، والمعين حاصل وموجود، والحاصل والموجود ليس هناك مدعاة لجواز ورود الأجل عليه.

أما الديون: فهي مال حكمي يثبت في الذمة فهي غير حاصلة ولا موجودة، ومن ثم شرع جواز تأجيلها رفقاً بالمدين وتمكيناً له من اكتسابها، وتحصيلها في المدة المضروبة.

- الديون من حيث جواز التأجيل وعدمه:

قرر الفقهاء أن الديون في الأصل تكون حالّة، وأنه يجوز تأجيلها إذا قبل الدائن، واستثنى جمهور الفقهاء من هذا الأصل ديوناً عدة:

١ - رأس مال السلم.

٢ - بدل الصرف.

٣ - الثمن بعد الإقالة.

٤ - ثمن المشفوع فيه على خلاف.

واختلفوا في جواز اشتراط تأجيل القرض، فيرى الجمهور «الحنفية والشافعية والحنابلة» أنه يجوز للمقرض المطالبة ببدله في الحال، وأنه لو اشترط فيه التأجيل لم يتأجل وكان حالاً.

وقد جاء في الدر المختار للحصكفي ووافق عليه ابن عابدين: «وعليه ألف ثمن جعله ربه نجوماً إن أخل بنجم حل الباقي فالأمر كما شُرط، ومعنى «حل» أي صار حالاً.(٨)

٥ - حكم الزيادة في الثمن نظير الأجل:

للفقهاء رأيان في المسألة:

الرأي الأول:

ذهب جمهور الفقهاء إلى جواز الزيادة في الثمن نظير الأجل. واستدلوا على ذلك:

١ - إن صورة البيع - مدار البحث - داخلة في عموم كثير من الآيات الكريمة التي تقضي بجواز هذه البيوع.

٢ - كما استدلوا ببعض الأحاديث والآثار المروية التي دلت على جواز جعل المدة عوضاً عن المال وأن الزيادة في الثمن المؤجل جائزة.

ومن هذه الأحاديث:

١ - أن رسول الله - ﷺ - «أمر عبدالله بن عمرو بن العاص أن يجهز جيشاً فكان يشتري البعير بالبعيرين إلى أجل». رواه أحمد وأبو داود والدارقطني.

٢ - أن النبي - ﷺ - لما أمر بإخراج بني النضير جاء ناس منهم إلى النبي - ﷺ - فقالوا: «يا نبي الله إنك أمرت بإخراجنا، ولنا على الناس ديون لم تحلّ، فقال لهم - ﷺ - «ضعوا وتعجلوا». رواه الحاكم في المستدرك وابن ماجة.

٣ - إن الزيادة لا تتعين عوضاً عن الزمان بدليل أن بعض الناس قد يبيع سلعته بالأجل بأقل مما اشتراها به لقلة الطلب على البضاعة، وللخوف من كسادها ورخصها.

وقالوا: إن الأصل في الأشياء والعقود والشروط الإباحة متى ما تمت برضا المتعاقدين الجائزي التصرف فيما تبايعا إلا ما ورد عن الشرع ما يبطله ولما لم يرد دليل قطعي على تحريم البيع بالتقسيط، فيبقى على الأصل وهو الإباحة ومن ادعى الحظر فعليه دليل.

الرأي الثاني:

ذهب زين العابدين، والناصر، والمنصور بالله، والهادوية، والإمام يحيى إلى القول: إن الزيادة في الثمن نظير الأجل كالزيادة في الدين نظير الأجل، فكما أن الزيادة الأخيرة تعد ربا كذلك الأولى. واستدلوا على ذلك:

١ - بقول الله عز وجل: (وأحل الله البيع وحرّم الربا) البقرة:٢٧٥.

أفادت الآية الكريمة تحريم البيوع التي يؤخذ فيها زيادة مقابل الأجل لدخولها في عموم كلمة الربا وهي تقيد الإباحة.

٢ - نهى النبي - ﷺ - «عن بيعتين في بيعة»، رواه أحمد والنسائي والترمذي وصححه.

٣ - إن هذه الزيادة بسبب الأجل، والزيادة لهذا السبب خالية عن العوض، فتنطبق عليها كلمة الربا الذي يعني الزيادة من دون عوض فيندرج تحت التحريم.

الترجيح والمناقشة

والراجح هو ما ذهب إليه جمهور الفقهاء من جواز الزيادة في الثمن نظير الأجل، لأن هذا البيع عن تراض فيدخل في عموم قوله تعالى: (وأحلّ الله البيع وحرّم الربا) البقرة: ٢٧٥، وقوله تعالى: (يأيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم) النساء: ٢٩.

وأما ما استدل به المانعون من نهيه - ﷺ - عن بيعتين في بيعة، فيناقش بأن معنى بيعتين في بيعة هو: أن يقول البائع بعتك هذا بألف نقداً وبألفين نسيئة «أجل» ويقبل المشتري على الإبهام دون تحديد ثمن بعينه هل هو ألف أم ألفان.(٩)

أما بيع الأجل بثمن أكبر من ثمن النقد أو الحال لا يدخل مطلقاً ضمن حديث بيعتين في بيعة.

أولاً: حيث إن البيع عقد والعقد يتم بالإيجاب والقبول أو ما يقوم مقامهما وهذا معنى قوله تعالى: (يأيها الذين آمنوا لاتأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم) النساء:٢٩.

وإن هذا البيع لم يتم إلا بعقد واحد وبيع واحد وبثمن واحد، أما ثمن النقد أو ثمن الأجل وهو بذلك يخرج عن نطاق النهي عن بيعتين في بيعة.

ثانياً: إن العلة وهي الجهالة بالثمن غير متوافرة في بيع الأجل بثمن أكبر من ثمن النقد حيث إن البيع في هذه الحال ينعقد على ثمن واحد ويتم التراضي عليه بين البائع والمشتري لذا يصح البيع.

وهذا ما عبر عنه البغوي بقوله: «إذا باتّه على أحد الأمرين في المجلس فهو صحيح به لا خلاف فيه»(١٠).

وأما قولهم إن هذه الزيادة بسبب الأجل... فهذه دعوى تحتاج إلى دليل، ولا يوجد دليل شرعي معتبر ينص على حظر هذا البيع أو منعه حيث إن الأصل في المعاملات الإباحة والأصل براءة الذمة حتى يأتي الحاظر أو المانع، وإن الإنسان له مطلق الحرية في معاملة الأشخاص فيبيع لزيد بثمن يختلف عن الثمن الذي يبيع به لعمرو، فلذلك مطلق الحرية في أن يبيع بالنقد بثمن يختلف عن ثمن الأجل أو التقسيط.

٦ - الضوابط الشرعية لبيع التقسيط:

نلخص ما ذكرناه من جواز البيع بالتقسيط إلى أجل معلوم مهما طال الأجل بضوابط عدة:

الأول: افتراق مجلس السوم عن مجلس العقد في هذا النوع من البيوع، كي لا يقع في شبهة الربا زدني أجلاً أزدك مالاً.

وعليه: فللمشتري أن يقوم أولاً بمجلس سوم يعرف فيه ثمن السلعة المباعة نقداً وثمنها تقسيطاً، وما الفرق بينهما من حيث قدر الثمن؟ ويعرف كذلك النجوم وآجالها، فإذا عرف ذلك غيّر المجلس تغييراً حقيقياً، وذلك بالانصراف عن الكلام في الموضوع، والتحدث بأمر آخر لا علاقة له بما ذكرنا، ثم يعود بعد فاصل أجنبي إلى الحديث في إيجاد العقد على مبدأ التقسيط بالنجوم والآجال المذكورة «حصراً» أما إذا خلط المشتري ذلك كله في مجلس واحد وقع في شبهة الربا.

الثاني: معلومية الأجل ومعلومية النجوم، فالجهالة الفاحشة مفسدة للعقد.

وقد صرح المالكية بأنه لا بأس ببيع أهل السوق على التقاضي وقد عرفوا قدر ذلك بينهم.

والتقاضي: «تأخير المطالبة بالدين إلى مدى متعارف عليه بين المتعاقدين»(١١).

هذا... ومن حق المشتري إذا كان المبيع معيباً، أو ظن أنه مستحق أن يمتنع من أداء الثمن إلى أن يستخدم حقه في العيب فسخاً أو طلباً للأرش «أي الزيادة» إلى أن تلبية أمر الاستحقاق.

الثالث: المؤيد الفقهي في حال إخلال المشتري بأداء الثمن المؤجل، أي أخل بالوفاء بقسط أو أقساط حل أجلها.

فقد اتفق الفقهاء على أنه إذا كان المشتري موسراً فإنه يجبر على أداء الثمن الحالّ - كما ذهب الجمهور في الجملة - إلى أن للبائع حق الفسخ إذا كان المشتري مفلساً أو كان الثمن غائباً عن البلد مسافة القصر.

وذهب الحنفية إلى أنه ليس للبائع حق الفسخ لأنه يمكنه التقاضي للحصول على حقه، وهو في هذه الحال دائن كغيره من الدائنين لكن يسقط الأجل وله المطالبة بكل الأقساط من الثمن المتبقية حالّةً».(١٢)

هذا... وإذا كان الثمن منجماً، فإن على البائع تسليم المبيع، ولا يطالب المشتري بالثمن إلا عند حلول الأجل، وأما إذا كان بعض الثمن معجلاً وبعضه مؤجلاً، فإن للبعض المعجل حكم تعجيل الثمن كله فلا يطالب المشتري البائع بتسليم المبيع إلا بعد تسليم الجزء المعجَّل من الثمن.

الهوامش:

١ - ابن منظور: لسان العرب: «مادة: قسط».
٢ - علي حيدر: درر الحكام شرح مجلة الأحكام: (١/١٢٨).
٣ - الترمذي: الجامع الصحيح: (٣/٥٣٣).
٤ - المرجع السابق: (٣/٥٣٣).
٥ - ابن قدامة: المغني (٤/١٦١).
٦ - الشوكاني: نيل الأوطار: (٥/١٦١ - ١٦٢).
٧ - المغني: (٥/٢٥٧).،
٨ - درر الحكام: (١/١٢٨) الدر المختار: (٤/٢٣).
٩ - المغني: (٥/١٦١).
١٠ - البغوي: شرح السنة: (٨/١٤٣).
١١ - الدردير: الشرح الصغير: (٢/٣٣).
١٢ - ابن عابدين: رد المحتار: (٤/٢٣).

بقلم: د. محمد الشحات الجندي

رؤية مستقبلية لنظام الوقف الإسلامي

الوقف في الإسلام، يبغي تحقيق أهداف اجتماعية شاملة، ومقاصد سامية، لاتتحقق من تلقاء نفسها، وإنما تحتاج إلى إيجاد الوسائل والطرق المترجمة للسياسات والأهداف، وقد تنامت أهمية هذه الوسائل والآليات في ضوء ما طرأ على العصر من مستجدات وتطورات يتعين معها تحديث هذه الوسائل وتطويرها لإنجاز رسالة الوقف التنموية، ولتتلاءم مع ظروف الزمان والمكان، ولتلبي احتياجات الحاضر، وتستشرف آفاق المستقبل، ولتسهم في حل المشكلات، بل المعضلات التي تواجه المجتمعات المسلمة، ما بين معضلات اقتصادية مثل مشكلة البطالة، ونقص الإنتاج والتخلف، وما بين مشكلات اجتماعية مثل الأمية، وإهمال تربية النشيء وجرائم الأحداث، والتفكك الأسري، والإعراض عن الزواج، وانتشار العنوسة، وما بين مشكلات دينية مثل تراجع التعليم الديني، وإهمال الأقليات الإسلامية، والاعتصام بالهوية الدينية، وغيرها.

ونحسب أنه قد بات من الملح استلهام الأساليب الإسلامية والاستفادة منها وتطويرها، والإضافة إليها، بابتداع وسائل لاتصادم حقيقة شرعية، ولا تعارض مصلحة حقيقية.

ونعرض فيما يلي لبعض وسائل الوقف في العصر الإسلامي:

- الوقف على المساجد، وهي دور العبادة في الإسلام، وبيوت الله في الأرض، ومكان أداء شعيرة الصلاة، وموطن جماعة المسلمين.

- الوقف على الكتاتيب والمدارس، وهي أماكن العلم الديني والدنيوي والتي انطلقت منها مع المساجد علوم الحضارة الإسلامية، كعلوم القرآن، وعلوم السنة، وعلوم الفقه والأصول، وعلوم العربية مع العلوم الكونية، من الطب والهندسة والفلك وأصول الصناعات والاجتماع وغيرها.

- الوقف على المكتبات والمخطوطات، فيتم الوقف على الأولى باعتبارها دور الكتب، وأماكن الاطلاع، ووسيلة الحصول على الكتب واستعارتها، للوقف على ما بها والاستزادة مع معارفها كما كان الوقف على المخطوطات، لأنها كتب العلم التي أودع فيها المؤلف خلاصة علمه، وكتبها بخط يده، فكان الوقف عليها كالوقف على طباعة كتب العلم النافعة، والعمل على نشر إشعاعها بين جمهور المتعلمين والمثقفين.

- الوقف على الخوانق، وهي أماكن عبادة الصوفي، ورياضة نفسه على التربية والدينية، والانقطاع للعبادة والزهد في الحياة.

- أوقاف الفقراء وأبناء السبيل، على أنهم عيال الله، ومن المستحقين للوقف، وتوفير مورد رزق دائم لهم، يعينهم على نوائب الدهر، وأحداث الحياة وتقلباتها، ويجعلهم ينضوون تحت لواء الجماعة، وينتمون لدينهم ولمجتمعهم القائم على كفالتهم، ويعملون من أجل صالح الدين والوطن والأمة.

- أوقاف النوائب الحوادث: وهي أوقاف يصرف ريعها على الحوادث، مثل: جنايات الخطأ والعمد، فتصرف منها التضمينات «التعويضات» والديات، والغرة والأروش.

- الأوقاف الجهادية والأمنية، مثل الأوقاف على التسليح من توفير الأسلحة للمجاهدين، وإقامة القلاع والأبراج والأسوار للتصدي للعدوان على الأوطان.

- الأوقاف على الأسرى، وهم من وقعوا في قبضه العدو، فيخصص ريع الوقف لافتدائهم وفك أسرهم، والإنفاق عليهم وعلى أسرهم. والأوقاف على الفئات الضعيفة وذوي العاهات، فيصرف من ريع الوقف على المكفوفين والمقعدين، والمسنين والعجزة، وذوي الأمراض المزمنة.

- الأوقاف على رعاية النساء، فكان الوقف ينشأ لسد احتياجات النساء الغاضبات والمطلّقات من أزواجهن، وذلك بالإنفاق عليهن ومحاولة الإصلاح بينهن وبين أزواجهن، وحمايتهن من الانحراف، والحفاظ على كرامتهن.

- الأوقاف المخصصة لكفالة الأطفال، وتوفير الغذاء لهم، وهي المعروفة بأوقاف نقطة الحليب، لإطعام الأطفال، وهي أشبه بالإعانات الاجتماعية المقررة للأطفال.

- الأوقاف على البيمارستانات والمشافي، وهي دور العلاج، وكان يصرف من ريع هذه الأوقاف لعلاج المرضى الذين وقعوا فريسة للأمراض العضوية أو النفسية.

- الأوقاف على الحيوانات والطيور، فيتم الإنفاق من ريعها على إيواء ورعاية الحيوانات والطيور التي بحاجة إلى رعاية برأً بها، وإحساناً إليها، وإحياء لها.

- الأوقاف على الطرق والقناطر والجسور، عن طريق الصرف من ريع هذه الأوقاف على إصلاح الطرق العامة وتمهيدها، وصيانتها، تمكيناً للناس من استخدامها والانتفاع بها.

- الأوقاف على الأسواق، وهي أماكن تبادل السلع والتعامل التجاري، ويستخدم ريع الوقف لإصلاح الأسواق العامة، والقيام على مرافقها، لأهل القرية أو المدينة.

- الأوقاف على إفطار الصائمين، وعلى الواقفين بعرفة، وعلى أداء فريضة الحج، وينفق على الصائمين بعمل موائد الرحمن لهم، بالنسبة للأوقاف الولي، وللإنفاق على الواقفين يوم عرفة التاسع من ذي الحجة من كل عام في الثانية، أما الأوقاف الثالثة فينفق من ريعها على أداء فريضة الحج لمن لايستطيعون إلى ذلك سبيلاً.

- الأوقاف على الصناعات، التي تحتاجها الأمة، ويخصص ريعها للصرف على إقامة المؤسسات الصناعية التي لم تف بها جهود الدولة، وكذلك الحرف والمهن المختلفة.

- الأوقاف لسداد الديون، وتسليف المحتاجين، فكانت توقف من الأموال ما يؤدي بها ديون المعسرين، وإقراض المكروبين والمحتاجين عن طريق القرض الحسن.

- الأوقاف على المقابر وتكفين الموتى، ويقصد من هذا الوقف الحفاظ على حرمة كرامة الموتى، وإنشاء مقابر الصدقات، يدفن فيها من لا يملكون مقابر لهم، وكذلك الوقف من أجل تكفين وتجهيز موتى الفقراء.

ولا شك أن هذه الأوجه المتنوعة من الأوقاف، التي وقفها المحسنون من المسلمين قامت بدور حيوي في القيام والحفاظ على مصالح المجتمع ومرافقه الدينية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية والأمنية، ويمكن القول إنها كانت ركيزة أساسية في معاونة الوزارات المختلفة في الدولة الإسلامية إن لم تكن بديلاً عنها في كثير من الأحيان، الأمر الذي يؤكد أهمية استرجاع الوقف وتطويره لأداء دوره في حياة المجتمعات الإسلامية المعاصرة.

حول كيفية تطوير وإصلاح الوقف

إن من ينعم النظر في رصد اندفاع جل الدول الإسلامية - اتساقاً مع الاتجاه السائد لدور الدولة الحديثة - في الحلول محل الأفراد، في القيام بالأنشطة الاجتماعية، وما أدى إليه من انسحاب الدور الاجتماعي للأفراد المسلمين في المشاركة في الأعباء الاجتماعية، يدرك من واقع الخبرة والتجربة، حجم الخسارة التي منيت بها الأمة من جراء ذلك، ومدى المعاناة التي تتحملها الدول الإسلامية في هذا الشأن، وأهمها الغرق في مستنقع الديون، وبالذات الخارجية منها، والأثر المدمر لذلك على مكانتها واستقلال إرادتها، وتمييع هويتها، ومسخ شخصيتها فضلاً عن الوقوع في براثن التخلف في شتى مرافق الحياة الاجتماعية، وهي مساوئ كان يمكن لهذه الدول تلافي بعض آثارها لو لم تحرك نفسها من عطاء الأفراد، وجهودهم الحثيثة النابعة من إيمانهم بمبادئ دينهم، واستلهام النظم والشرائع الإسلامية بمنظومته الحضارية في الكون.

وإن الوصول إلى هذه الحقيقة، يتطلب الوعي بواقع مشكلة الوقف وتشخيص داءاتها، ورسم الحلول والإصلاحات لعلاج التقهقر والتردي الحاصل للوقف، والأزمة التي تواجهها الأمة الإسلامية بالنسبة للوقف، بكل ما أفرزته من تداعيات عمّت آثارها، وألقت بأوزارها على حاضر الأمة من تفشي الآفات المهلكة من الجهل والبطالة والمرض والتسول والعوز... إلخ.

الانطلاق من رسم السياسات وبناء الاستراتيجيات

إن السبيل للخروج من هذه الدائرة الخانقة والمكبلة لأداء دور الوقف كرسالة تنموية مؤسسة على فكرة أن الواجب يسبق الحق، وأن العطاء هو ركيزة العمل الاجتماعي في الإسلام، يتطلب بناء استراتيجية واضحة المعالم تكفل إحياء سنة الوقف والنهوض به من خلال التلاحم بين العمل الرسمي والعمل الشعبي، وفق الثوابت الشرعية ومعطيات الحاضر ومتطلبات المستقبل.

والغرض من بناء هذه الاستراتيجية هي وضع الإطار والصيغ التي تدور في نطاقها الأنشطة الوقفية، إلى جانب تحديد الوسائل والآليات الموصلة لتحقيق هذه الاستراتيجية، وترجمتها في المناشط الحياتية المختلفة.

وهذا التوجه الجديد للتعامل مع الوقف والعمل على إحياء دوره في مجتمعات المسلمين، يقصد منه تحقيق التجاوب الفاعل مع العصر الذي نعيش فيه، مع الحفاظ على هوية المجتمع العربية والإسلامية وعلى وحدته وتماسكه، وأداء دور إيجابي في حركة نموه، ومواجهة مشكلاته الأساسية، والنهوض به في كل المجالات.

ونظراً لغلبة الدور الذي يسهم به الأفراد في عملية الأوقاف، فإنه ينبغي أن يكون للواقف الدور الفاعل في إدارة شؤون الوقف وتوجيه أنشطته، وتحديد مصارفه في إطار المقاصد الشرعية، والمصلحة

العامة للمجتمع، إلى جانب تدخل الدولة، بالإشراف على شؤون الوقف، وضبط مساره ووضعه على الطريق الصحيح، وكفالة وفائه بالأهداف الشرعية ومصلحة المجتمع، والتنسيق بين مرامي الواقف وتنفيذ شروطه، وبين توجهات المجتمع وأوضاع السياسة العامة الاجتماعية والاقتصادية فيه، وبذلك يتلاحم النشاط الفردي والجماعي وتتضافر الجهود الخاصة والعامة لبناء مؤسسة الوقف كصرح متميز ومتكامل للنهوض بالمجتمع.

ومن المهم في هذا الصدد، أن تتلاقى وتتفاعل هذه الاستراتيجيات المرسومة في الدول العربية والإسلامية، وأن تتبادل هذه الدول خبراتها وأنت تنحو نحو التكامل والتساند، حيث إن هدفها في النهاية واحد، وهو إبراز الهوية الإسلامية للوقف، واحترام إرادة الواقفين، وتحقيق المقاصد الشرعية، ومصلحة الأمة.

وقد يكون من الضروري لإحياء دور الوقف، وتقديمه كعلم بارز للعمل الاجتماعي في الإسلام، أن تقوم الدول العربية والإسلامية، بإنشاء مجلس عالمي أو اتحاد عالمي للأوقاف الإسلامية للتنسيق والمتابعة، من أجل تطوير الأوقاف على المستوى العالمي(١).

وفيما يتعلق بتنفيذ استراتيجيات الوقف في الدول العربية والإسلامية، فليس من المحتم إفراغ الإدارة أو الجهة التي تضطلع بالتنفيذ في قالب واحد، أو أن تتبع وسائل وآليات متطابقة، فضلاً عن اتخاذها لمسمى بعينه، ذلك أن التعدد والتنوع الذي يتسم به كل قطر إسلامي، قد يتطلب الاختلاف والتباين في ذلك، بل لعله من المفيد أن ترتسم الخصوصية للإقليم والبيئة، واحتياجات المكان في شكل وطبيعة عمل هذه الجهات، فقد تكون في شكل هيئة عامة أو أمانة عامة أو مجلس أوقافي أو لجنة عليا للوقف، يناط بها الإشراف على الوقف وتنفيذ أهدافه المرسومة، في ظل تبادل الخبرات، والتباحث المتواصل من أجل بلوغ أقصى نفع ممكن لنظام الوقف، وتطوير برامجه، وابتكار وسائل وآليات جديدة.

ومن أجل ضمان أداء كفء ورشيد، للجهة المنوط بها الإشراف على الوقف، وتحقيق أهدافه، فلا نرى قصر تشكيل أعضاء هذه الهيئة أو الأمانة أو اللجنة من مسؤولين حكوميين فقط، ولكن من الشخصيات الحكومية والعامة، ومن رجال الفكر والأعمال، تكون مهمتها تحديد الأهداف والأوليات، التي يجب الوقف عليها، وتنشيط الوقف على الخيرات وإعطائها اختصاصات محدودة لتسهيل الوقف وتفعيله(٢)، كما أن عليها أن تعيد النظر في تجربة الوقف برمتها، وأن تقوم أداءها، وأن تقدم الحلول والبدائل التي من شأنها الارتقاء بالوقف وتعظيم دوره الحياتي في المجتمع حسب مقاصد الشرع.

وبالقطع، فإن النهوض بالوقف في ظل المعطيات الراهنة، والظروف السائدة، ليس بالأمر الهين، فإن أمام هذه الجهة مسؤوليات ينبغي عليها القيام بها، فهي بحاجة إلى:

- نشر الدعوة إلى الوقف، وبعث الوعي بين الناس، بكل وسائل الإقناع اللازمة بالحكمة والموعظة، والنزول إلى المواقع المختلفة، وبيان الأثر الإيجابي والبناء على الوطن والأمة.

- أن يكون الأعضاء قدوة في دعم رسالة الوقف، عن طريق تقديم النموذج الصحيح، بقيام العضو بوقف بعض ممتلكاته، ومن خلال السلوكيات الرشيدة، والإدارة السليمة للوقف.

- تحفيز الناس إلى الوقف بانتهاج الأطر الجارية عى مقتضى الشرع، ومن قبيل ذلك، السماح بالوقف الأهلي في حياة الواقف أو على أولاده، وتوجيهه بعد مماته إلى جهات البر والخير بالإضافة إلى ارتياد آفاق وقف الأموال المنقولة جنباً إلى جنب مع الأموال العقارية، حيث تزايدت أهمية بعض الأموال المنقولة، وارتفعت قيمتها في العصر الحاضر، كذلك السماح بوجود مؤسسات أهلية، فضلاً عن المؤسسات العامة تؤدي كل منها خدمة للناس، وتقوم بجزء من الاحتياجات العامة، في نطاق مصلحة الوطن والأمة.

وينبغي أن يكون توجه الجهة المعنية بشؤون الوقف، تمكين الأفراد من القيام بدور مهم في مجتمع الإسلام، وأن تتيح أمامهم السبل للإبداع والابتكار للإسهام في ترسيخ هوية المجتمع، وصناعة الحضارة الإسلامية، وأن يمكن المجلس العالمي للأوقاف - وليكن في إطار منظمة المؤتمر الإسلامي - الأمة من المشاركة في صنع حاضرها، وتوجيه مستقبلها، والنهوض برسالة الإسلام الاجتماعية والإنسانية، استقلالاً عن الدولة، إبراز طاقاتها الخلاّقة، دعماً ومساندة لمهمة الدولة، وتحت مظلة الأهداف الشرعية للوقف، ومصلحة الجماعة المسلمة.

وتجدر الإشارة إلى الجهة المعنية بشؤون الأوقاف - أياً كان مسماها - ينبغي أن تضع نصيب عينيها الأهداف التالية:

١ - إحياء سنة الوقف، واستعادة دوره، من خلال جذب الفرد المسلم إلى القيام بوقف بعض أمواله، بإضافة أوقاف جديدة، ذات صيغ متنوعة، تعزيزاً لقيم الخير، ومساهمة في خدمة الدين، وبناء الوطن، وغرس مفاهيم العمل التطوعي في المجتمع المسلم.

٢ - تنمية الأصول الوقفية، وتطوير طرق استثمارها، في نطاق صيغ الاستثمار الجائزة شرعاً، بأفضل الوسائل وأكفأ النظم وأفضل العناصر، التي تزيد وتعظم من أصول هذه الأموال الوقفية.

٣ - الارتقاء بالعنصر البشري القائم على تسيير شؤون الوقف وإدارة مرافقه، بوساطة تعليمهم بحقيقة ومقاصد الوقف الإسلامي، وتزويدهم بأحدث نظم الإدارة التي تمكّنهم من بلوغ أقصى معدلات النفع بالوقف لصالح الوطن والأمة.

٤ - توجيه أموال الوقف إلى الكثير من المجالات التنموية، عن طريق دعم المرافق الاقتصادية والاجتماعية ذات العائد المرتفع، وفي الوقت نفسه ذات المردود الاجتماعي التنموي على الفرد والمجتمع، في نطاق التقيد بشروط الواقفين، والمقاصد الشرعية للوقف. ■

الهوامش:

١ - توصيات ندوة الأوقاف الثانية، أبحاث نحو دور تنموي للوقف ص ٨٦، ١٩٩٣م - وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - الكويت.

٢ - من توصيات ندوة إحياء دور الوقف في الدول الإسلامية مايو ١٩٩٨م، رابطة الجامعات الإسلامية.

بقلم: أ.د. محمد الدسوقي

أسهمت الأوقاف الإسلامية اسهاما كبيرا في دعم مسيرة الدعوة الإسلامية لإيصالها إلى جميع شعوب الأرض، وفي مقدم هذه الأوقاف الوقف على المساجد والوقف على أعمال الجهاد، والوقف على اهتداء غير المسلمين، والوقف على مقاومة الغزو العسكري والفكري والتنصيري التي تعرض لها العالم الإسلامي في العصور المتأخرة، وسنكتفي في هذه الحلقة بتوضيح دور الوقف على المساجد عامة، وفي مقدمها الحرمين الشريفين على أن نتعرض لباقي أدوار الوقف في الحلقة المقبلة إن شاء الله تعالى.

دور الوقف في تنمية العمل في مجال الدعوة الإسلامية (2/1)

الإسلام الحنيف هو الدعوة العالمية الكبرى التي بُعث بها محمد صلى عليه وسلم، لتكون نظام الإنسانية الكامل في حياتها الروحية والمادية في كل زمان ومكان.(١)

وعالمية الإسلام الحنيف حقيقة تطالع كل من يتلو كتاب الله، فهذا الكتاب العزيز في كثير من آياته يخاطب الناس ويدعوهم إلى الايمان وينهاهم عن الشرك والعصيان، وفي بعض الآيات يتحدث في جلاء عن هذه العالمية كقول الله تعالى: (وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً ولكن أكثر الناس لا يعلمون)(٢).

فهذه الآية نصت في عبارة صريحة واضحة على أن بعثة محمد ﷺ للناس كافة، بيد أنها في نهايتها تشير إلى أن أكثر الناس لا يعلمون ذلك، ومن جهل شيئاً عاداه ومن ثم سيعادي هذه العالمية، ويسعى جهده لمنع انتشارها لكثير من البشر (يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون)(٣).

وتتحدث أيضاً بعض الأحاديث النبوية عن عموم الرسالة الإسلامية منها ما روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بنياناً فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية من زواياه، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له، ويقولون: هل وضعت اللبنة فأنا اللبنة، وأنا خاتم الأنبياء».(٤)

وفضلاً عن تلك الآيات والأحاديث التي بينت أن الإسلام دعوة الله العامة للبشرية قاطبة وأن محمداً ﷺ لم يبعث ليخرج العرب وحدهم من الظلمات إلى النور، وإنما بعث ليخرج الناس كافة وليكون رحمة الله للعالمين - فإن هناك أمرين يؤكدان بما لا يدع مجالاً للريب عالمية الإسلام، وهذان الأمران هما:

أ - تعاليم الإسلام.

ب - معجزة القرآن.

إن تعاليم الإسلام تخاطب في الإنسان فطرة الله التي فطر الناس عليها، وهذه الفطرة لا تختلف باختلاف الزمان والمكان، لأنه لاتبديل لخلق الله ومن هنا كانت هذه التعاليم صالحة للتطبيق الدائم، وكان على الناس جميعاً أن يستمسكوا بها ويحافظوا عليها.

إن الحق سبحانه خلق الإنسان ويعلم ما توسوس به نفسه، وما فيه صلاحه وفلاحه في الدنيا والآخرة (ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير)(٥)، وغير مقبول في منطق العقل أن يكون هناك تضاد أو تناقض بين ما شرع الله لعباده وما فطرهم عليه، ومن ثم تنسجم

تعاليم الإسلام كل الانسجام مع الطبائع الإنسانية، والنزعات النفسية، والقوى البشرية، وما يعرض لها من عوارض وما تتأثر به من مؤثرات.(٦)

إن كل ما كتبه الله على عباده متفق تمام الاتفاق مع ما جبل عليه الإنسان بصفته إنساناً من طاقات ذهنية ونفسية، فليس فيه ما ينبو عن العقل، والاستعداد للحضارة، والقدرة على اكتساب المعرفة، وسد الحاجة، وتطوير الحياة.(٧)

وكان من مظاهر ملاءمة تعاليم الإسلام للفطرة الإنسانية، قيامها على اليسر ونفي الحرج، فقد جاءت وفق القدرة البشرية، وراعت كل ما يعرض من ظروف تحول بين الإنسان والالتزام بهذه التعاليم كلياً أو جزئياً، وجعلت للناس من كل ضيق مخرجاً ومع كل عسر يسرين لا يسراً واحداً (فإن مع العسر يسراً. إن مع العسر يسراً)(٨).

وأوضح برهان على قيام التعاليم الإسلامية على اليسر قلة التكاليف وتشريع الرخص ومراعاة الأعراف الصحيحة(٩)، ودرء الحدود بالشبهات.

ومع قيام تلك التعاليم على اليسر تقوم على رعاية مصالح العباد في المعاش والمعاد، وتسوي بينهم في الحقوق والواجبات، وتجمع بين الترغيب والترهيب، ولذلك سايرت الزمن ووسعت التطور وصلحت لكل أمة ولاءمت كل وقت، ولكن الناس لما جهلوا هذه التعاليم انصرفوا عنها إلى غيرها فضلت بهم السبل،(١٠)، ولن ينقذهم مما هم فيه إلا تلك التعاليم التي صلح عليها أمر الدنيا والآخرة.

ويطول الكلام في الحديث عن تعاليم الإسلام، وهذه إشارة عامة إلى أخص سماتها.



وأما معجزة القرآن فإنها تختلف عن سائر معجزات الأنبياء الذين خلوا قبل محمد ﷺ، إنها معجزة عقلية وليست مرتبطة في وجودها بحياة الرسول أو شخصه مثل المعجزات التي سبقتها فقد كانت حسية وشخصية.

إن معجزة القرآن تخاطب العقل والوجدان وباقية إلى يوم الدين، فهي من ثم معجزة الدهر، ودعوة الحق إلى كل إنسان على ظهر هذه الأرض إلى أن يقوم الناس لرب العالمين.

إن الناس بعد محمد ﷺ يرون معجزته رأي العيان كمن شاهده وخاطبوه، وإذا كانت الأجيال كلها ترى هذه المعجزة وتفهمها فهي حجة الله القائمة عليها فإن ضلت فإنها لا تضل عن جهالة، ولا عن نقص في الدلائل، ولا من شك في الأمر، بل عن عمى في البصيرة وتحكم في الهوى(١١)، ويتأسس على الإيمان بعالمية الإسلام ثلاثة أمور:

أولاً: إن كل الرسالات التي سبقت رسالة الإسلام الذي بعث به محمد ﷺ فهو كافر، وإن زعم أنه يؤمن بالله وحده.

ثانياً: ومادام ما بعث به محمد جاء للناس كافة، فإن هذا يقتضي أن يكون هذا النبي آخر رسول يوحى إليه، فالعموم والصلاحية الدائمة للتطبيق وبقاء المعجزة إلى يوم الدين يدل على أن محمداً لا نبي بعده وأن الله ختم به النبوات (ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شيء عليماً)(١٢)، فكل من يدعي النبوة بعد محمد فهو كاذب لا محالة، وتجب مناهضته والقضاء عليه، لأنه مفسد وضال، ومن هادنه أو تركه وما يأفك به فهو شريك له في ذلك الافتراء والادعاء.

ثالثاً: إن الإيمان بعموم الرسالة الخاتمة يفرض وجوب الدعوة إليها ما استطاع المؤمنون بها إلى ذلك سبيلاً، حتى لايكون أمام أي مكلف عذر في أن هذه الرسالة لم تبلغه، وفي هذه الحال لا يكون مسؤولاً، وإنما يسأل من آمن بالإسلام وقصّر في تبليغه إلى سواه.

ولإيمان المسلمين الأوائل بعالمية الإسلام، حملوا أرواحهم على أكفهم «وانساحوا» في الأرض لتبليغ الناس، ودعوتهم إلى الإيمان بهذا الدين دون إلزام أو إكراه، فما كانت الحروب الإسلامية لفرض الدين وحمل الناس قسراً على اعتناقه، وإنما كانت حين يقف الطغاة يسدون طريق الدعوة ويحولون بين الدعاة والقيام بفريضة البلاغ، ولهذا كان يسبق الحرب أمران هما:

أولاً: الدعوة إلى الإسلام فإن آمن القوم اختياراً ورغبة فهم إخواننا لهم ما لنا وعليهم ما علينا، فإن أبوا ولم يستجيبوا فليس على المسلمين إكراههم على الإيمان بالإسلام، ولكن عليهم أن يدعوهم إلى الأمر (الثاني): وهو أن يدخل هؤلاء القوم مع المسلمين في عهد وميثاق ليصبحوا أهل ذمة لا يتعرض لهم في عقائدهم الدينية ويتمتعون بكل حقوق الحماية والرعاية في مقابل فريضة مالية يسيرة لا تجب على غير القادرين منهم، وذلك العهد لغرض واحد، وهو أن يأمن المسلمون هؤلاء حتى لا يظاهروا غير المسلمين على المسلمين.

فإن أبوا أن يدخلوا مع المسلمين في عهد وميثاق، وجاهروا بهذا الرفض بالعداء، وكأنهم يعلنون وقوفهم ضد تبليغ الدعوة الإسلامية إلى الناس كافة فتصبح الحرب في هذه الحال ضرورة لتحرير المستضعفين من تسلط المتجبرين، حتى تتحقق الحرية الدينية لكل إنسان، ويصبح غير المؤمن بهذه الحرية مسؤولاً عن اختيار العقيدة التي يدين بها.

ولم تكن فريضة التبليغ مقصورة على الدعاة الذين يسيرون مع الجيوش المجاهدة، وإنما كان ينهض بهذه الفريضة كل قادر عليها،

لأن كل مسلم يؤمن بما جاء عن رسول الله ﷺ : «فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم»(١٣).

لقد حمل أمانة التبليغ والدعوة إلى الإسلام في كل عصور التاريخ كثير من العلماء والرحالة والمهاجرين، وعلى أيديهم هؤلاء وغيرهم انتشر الإسلام في بلاد لم تطأها الجيوش الإسلامية، لقد كانوا بسلوكهم وتعبيرهم الحي الواقعي عن قيم الإسلام وتعاليمه يؤثّرون في الناس تأثيراً دفعهم إلى اعتناق هذا الدين والاعتصام به، ثم الدعوة إليه، ومازالت تلك البلاد ترتضي الإسلام ديناً حتى الآن وبخاصة في جنوب شرق آسيا على الرغم من تعدد حملات التبشير والتنصير التي تنفق الملايين في كل عام وتستخدم أحدث وسائل النقل كالطائرات وذلك لزعزعة ثقة المسلمين بدينهم، وحملهم على اعتناق المسيحية.(١٤)

الوقف على المساجد

وأما عن دور الوقف في تنمية العمل في مجال الدعوة الإسلامية، فإن هذا الدور تمثل في إقبال الأمة على الوقف لبناء المساجد ودور العلم التي اهتمت بالدراسات الشرعية وأيضاً الوقف على المجاهدين الذين يرابطون في الثغور ويقفون بالمرصاد لكل من تسوّل له نفسه أن يعتدي على ديار الإسلام.



لقد كان الناس يتسابقون في إقامة المساجد ابتغاء وجه الله، بل كان الملوك يتنافسون في عظمة المساجد التي يؤسسونها وينفقون عليها الأموال الكثيرة.

وما كان الناس يشيّدون المساجد دون أن يوقفوا عليها من أموالهم ما يوفر لها الصيانة ودفع مرتبات العاملين فيها من أئمة ووعاظ وخدم، وقد جاء في حجة وقف الأشرف برسباي(١٥) على الجامع الذي بناه بناحية سريا قوس: لرجل من أهل الخير والدين صالح للخاطبة بالجامع الكائن بمنشأة سرياقوس في كل شهر من شهور الأهلة سبعمئة درهم، نصفها ثلاثمئة وخمسون درهماً على أن يباشر وظيفة الخطابة في أيام الجمع والأعياد ويؤم المسلمين في صلاة الجمعة والعيدين، وفعل ما جرت العادة بفعله في مثل ذلك على الوجه الشرعي، ولرجل من أهل الخير والدين حافظ لكتاب الله العزيز يكون إماماً بالجامع المذكور في كل شهر ما مبلغه ألف درهم على أن يؤم بالمسلمين الصلوات المفروضات وصلاة التروايح في كل ليلة من شهر رمضان من كل سنة وفعل ما جرت العادة به، ولستة نفر من أهل الخير والديانة حسان الأصوات في كل شهر بالسوية بينهم ألف درهم وثمانمئة درهم على أن يعلن بالأذان المشروع في أوقات الصلوات في نوبته التي يقررها له الناظر وفعل ما جرت العادة به من تسبيح وتهليل وصلاة على النبي ﷺ وغير ذلك.

ولأربعة نفر من أهل الخير والديانة في كل شهر ألف درهم بالسوية بينهم على أن يكونوا فراشين بالجامع المذكور يفعلون ما جرت العادة به من كنس ومسح وبسط وغير ذلك، ويصرف لرجل من أهل الخير والديانة والعفة والأمانة يكون خادماً للمصاحف الشريفة والربعة الشريفة للجامع المذكور في كل شهر مئتي درهم على أن يتعاطى في كل يوم خدمة المصاحف والربعة الشريفة بالجامع على العادة في كل يوم من تجهيز للمصاحف الشريفة للقراءة فيها وجمعها من أيدي القراء ووضعها في محلها. (١٦).

وهذه الحجة واحدة من مئات الآلاف من الحجج الوقفية على بيوت الله، لقد كان المسلمون ولا يزالون يحرصون أبلغ الحرص على بناء المساجد ووقف الأموال عليها، وإن تضاءلت ظاهرة الوقف في العصر الحديث.

والمسجد في الإسلام ليس دار عبادة فحسب، ولكنه إلى هذا مصدر الإشعاع الروحي والعلمي للأمة، ولا غرو أن كان المسجد هو منطلق الحضارة الإسلامية، فقد كان الجامعة العلمية التي خرَّجت كل المفكرين والعباقرة في شتى المجالات والذين قادوا مسيرة التطور الحضاري في العالم كله(١٧)، فالحضارة الغربية المعاصرة ترجع إلى عصر النهضة في أوروبا، وحضارة هذا العصر ترجع إلى الحضارة الإسلامية في الأندلس، وإلى ما عادت به فلول الحملات الصليبية من ثقافات وأفكار وقفت عليها بعد أن عاشت في ديار الإسلام نحو مئتي عام.

لقد ظلت مهمة المسجد ورسالته هي العبادة والتعليم والدراسة ومقراً دائماً للقيادة والرياسة في عصر البعثة والخلافة الراشدة، ثم كان له إلى هذا بعد ذلك وظيفة مهمة وهي تنمية المجتمع وتطويره، إنها مهمة التغيير والتقدم، لأن المسجد كان له دوره الكبير في القضاء على الأمية، والأمية في كل أمة عقبة كأداء في طريق التنمية.

والأمية التي كان للمسجد دوره في إنقاذ الأمة منها تشمل الأمية بمعنى الجهل بالقراءة والكتابة وكذلك الأمية الثقافية التي تتعلق بالجهل بأحكام الإسلام وقيمه الحضارية، وضعف الوعي بمشكلات الأمة، وما يجب على كل مسلم نحو دينه ونفسه وأهل الحق كافة.

لقد كان المسجد منارة سامقة للعلم والمعرفة والثقافة، منارة للإرشاد والتوجيه.

وإذا كانت الدعوة إلى الإسلام تحتاج إلى رجال ذوي علم وثقافة وفقه عميق لتعاليم الإسلام ومنهجه في تأليف القلوب، فإن المسجد كان الموئل الذي يلجأ إليه كل من يريد أن يتفقه في الدين، وكانت

حلقات العلم في المساجد في كل مكان من دار الإسلام لقاءات علمية مفتوحة تيسر لكل راغب في العلم أن ينهل منها كما يشاء.

وكان هؤلاء الذين يدرسون في حلقات المساجد ويتلقون العلم عن شيوخ هذه الحلقات هم دعاة الإسلام في داخل دياره وفي خارجها، لقد كانوا كتيبة الجهاد في الحفاظ على الهوية الإسلامية وتحقيق مقاصد الشرع بين المسلمين وغيرهم وبخاصة في مواجهة الظروف الحالكة في تاريخنا من طغيان الحكام واستبدادهم، أو من همجية العدو الخارجي الذي لم ينس ما فعله به موسى بن نصير وطارق بن زياد وصلاح الدين الأيوبي وغيرهم من أبطال الإسلام، فهو لهذا يخطط للإغارة على دار الإسلام يبغي تدميرها مادياً ومعنوياً.

إن هذه الكتيبة المجاهدة تمثل القوة الذاتية في الإسلام تلك القوة التي تتأبى على الضيم، وتأخذ سبيلها إلى القلوب في طواعية مهما تحاول طواغيت الإنس والجن أن تحجب عنها نور الإيمان وصحة اليقين، وقد اعترف بها بعض المستشرقين الذين راعهم أن يقف الإسلام صامداً في مواجهة القوى المضادة، وأن ينتصر عليها في كل المعارك، فهو كالصخرة العاتية التي لا تعبأ بالوعول الحانقة، والتي تتكسر عليها كل السهام وإن تركت بعض الندوب هنا وهناك.

كناطح صخرة يوماً ليوهنها

فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل

إن المستشرق «جب»(١٨) ألقى خطاباً أمام مجلس جامعة اكسفورد قال فيه: «طالما شهد الإسلام أن الثقافة الإسلامية قوبلت بمنافسات شديدة، ولكنها لم تنهزم على الرغم من ذلك لأن الأسلوب الروحي وتفكير العلماء الربانيين أسرع في دعمها وتأييدها ومنحها قوة لم تصمد في وجهها أي طاقة مضادة».

ويقول مستشرق آخر: «طالما حدث أن الإسلام الديني أحرز نجاحاً كبيراً في أحرج ساعات الإسلام السياسي»(١٩)، ويريد هذا المستشرق بقوله: إن القوة الذاتية للإسلام ما كان يعتريها ضعف أو ذبول في مراحل ضعف الدولة أو أفول نجمها.

ولا شك في أن إخلاص العلماء في القيام بواجبهم نحو دينهم وأمتهم وأن عليهم أن ينهضوا بأمانة التبليغ والدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ثم ثقتهم في نصر الله وأنه سبحانه لا يتخلى عن عباده المتقين كان من وراء اعتصام الأمة بدينها وقوتها به على الرغم من الضعف الذي كان يحل بالدولة في بعض عصور التاريخ.

ولولا المسجد وما حبس عليه من أموال ما كان لهؤلاء العلماء أن ينهضوا برسالتهم في استقلالية عن هيمنة الدولة، وغني عن عطاء الحاكم، الأمر الذي جعلهم سلاطين الأمة، تتوج من بينهم شيوخ الإسلام وسلاطين العلماء، وسلاطين العارفين، ليقودوا مسيرة حضارتها، وليذودوا عن حياض عقيدتها، وليكونوا بحق ورثة الأنبياء في الدعوة إلى الله والتمكين لدينه في دنيا الناس، ومن ثم كانت تعلو مكانة العلماء وترجح كفتهم على مكانة وكفة سلاطين الدولة وأمرائها.(٢٠)

إن المسجد كان النواة الأولى للدعوة(٢١) والحضارة الإسلامية، وكانت الأوقاف التي حبست عليه من أهم العوامل التي هيأت لهذه النواة أن تؤدي رسالتها كاملة في تبصير الأمة بحقائق دينها وفقه شريعتها وفي إعداد الدعاة الذين جاهدوا في الله حق جهاده فكانوا مشاعل تنير الدرب على طريق الحق والخير.

ويكفي هنا الإشارة إلى بعض المساجد التي كثر الوقف عليها والتي كان لها أثرها في تنمية الدعوة إلى الإسلام، وكذلك في تنمية الفكر الإسلامي والتي تطورت عبر التاريخ حتى أصبحت مؤسسات إسلامية عالمية يؤمها طلاب المعرفة والثقافة من كل أرجاء العالم الإسلامي، والتي كانت حصناً حمى لغة القرآن وحضارته من مكر وكيد الاحتلال الغربي، وهذه المساجد هي: الجامع الأزهر في القاهرة، وجامع الزيتونة في تونس، وجامع القرويين في فاس.(٢٢)



الوقف على الحرمين:

إذا كان الوقف على المساجد يأتي في مقدم الأوقاف الخيرية وكان الناس يتسابقون في هذا الوقف، ومن ثم كثرت الأوقاف على بعض المساجد، وبخاصة تلك التي كان لها تأثيرها في مسيرة الحضارة الإسلامية، ونهضة الحياة العلمية، ونشر الوعي الديني، فإن الوقف على الحرمين الشريفين فاق كل الأوقاف التي حبست على غيرهما من المساجد، ومرد ذلك إلى أن الحرمين مهوى أفئدة كل المسلمين، وإليهما تشد الرحال، وللصلاة فيهما من الأجر ما ليس لسواهما من بيوت الله، فالحرم المكي فيه البيت الحرام الذي جعله الله مثابة للناس وأمناً، وجعل حجة فريضة على من استطاع إليه سبيلاً وهو إلى هذا القبلة التي يتجه إليها المسلمون في صلاتهم، وأما الحرم المدني فهو يذكّر الأمة برسالة الإسلام التي بُعث بها محمد - ﷺ - رحمة للعالمين.

وفي هذا حض على الاعتصام بهذه الرسالة، والدعوة إليها والذود عنها، والدعاء لهذا النبي الذي جاهد في الله حق جهاده حتى ترك الأمة على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك.

ولهذه المعاني وغيرها مما لا يتسع المجال لإفاضة القول فيه كان تسارع الناس إلى الوقف على الحرمين الشريفين وبخاصة الحكام على مر العصور.

وتذكر كتب التراجم والتاريخ أن سلاطين دولة المماليك(٢٣) البحرية اهتموا اهتماماً كبيراً بالحرمين، ويتجلى ذلك فيما أنفقوه وأوقفوه على هذه البقاع المقدسة، أو ما يتصل بها من خدمات ويمكن تقسيم

هذه الأوقاف التي حبست على الحرمين من قبل هؤلاء السلاطين وغيرهم ثلاثة أقسام:

١ - أوقاف يستغل ريعها للصرف المباشر على عمارة وخدمة الحرمين والعاملين بهما.

٢ - أوقاف تستغل في الخدمات العامة الدائمة بكل من مكة المكرمة والمدينة المنورة مثل الحمامات والبيمارستانات والأحواض في طريق الحج.

٣ - نفقات مباشرة لإجراء إصلاحات وترميمات في الحرمين أو صدقات أو إصلاح الطرق التي يسلكها الحجاج وتأمينها من اللصوص وقطاع الطرق.

وتمثلت تلك الأوقاف في قرى ومنشآت في مصر والشام وقد دلت على الأماكن الموقوفة وثائق الوقف التي تحتفظ ببعض منها دور المخطوطات، وتعبّر عن هذه الوثائق مجموعة من حجج شرعية أوقفها السلاطين والأمراء وغيرهم للصرف على تلك الأماكن المقدسة.(٢٤)

وقد شرع سلاطين المماليك في القيام بالإصلاحات في الحرمين منذ بداية عهدهم، وتنافسوا في حبس الأموال من أجل هذا، ومن أشهر الذين قاموا بأعمال خيرية جليلة في الديار المقدسة كل من السلطان الناصر محمد بن قلاوون (ت٧٤١هـ)، وابنه السلطان حسن (ت:٧٦٢هـ)، والملك الأشرف شعبان بن حسين بن الناصر بن محمد ابن قلاوون (ت:٧٧٨هـ).

ومن الوثائق الوقفية وثيقة حررت في سنة ٧٢٤هـ، أوقف السلطان الناصر محمد فيها سهماً على المنقطعين بمكة والمدينة ومما جاء في هذه الوثيقة: على الناظر في هذا الوقف أن يجمع ريعه في كل سنة ويرسل ما يتحصل منه إلى بدء السنة المذكورة صحبة من يوثق به إلى مكة شرّفها الله تعالى، وإلى المدينة الشريفة النبوية على ساكنها أفضل الصلاة والرحمة ويصرفه المسير على يده في تجهيز المنقطعين بمكة والمدينة النبوية الشريفة لعدم الزاد والراحلة، ويصرف ذلك إليهم على ما يراه ويحتاجون من زاد لتوصيلهم إلى الديار المصرية أو إلى أوطانهم.(٢٥)

وللسلطان حسن وثيقة وقفية مؤرخة بتاريخ ٢٦ ربيع الثاني ٧٦٢هـ، وفيها أوقف سهماً من نصفين، النصف الأول يصرف على مكة المكرمة، والنصف الآخر يصرف على المدينة المنورة.

وقد اشترط الصرف على كل ما يحتاج إليه المسجد الحرام من فرش ووقود وترميم وإصلاح وغير ذلك، والصرف على الفقراء والمساكين من المجاورين بالحرم من الذكور والإناث المسلمين من أهل السنة.

وفي وثيقة أخرى اشترط هذا السلطان أن يصرف بعض ريع الأوقاف على غير القادرين لمساعدتهم في أداء فريضة الحج.(٢٦)

وأما السلطان الأشرف بن حسين فإنه وإن لم يمكث في الحكم إلا نحو عشر سنوات، وأنه توفي في الرابعة والعشرين من عمره كان خير ملوك زمانه، والدارس لحياته لا يسعه إلا الإعجاب بكل ما أوتي من صفات عظيمة جعلت منه إنساناً جديراً بالتقدير، فقد اهتم هذا السلطان بعمارة الحرم المكي، وجدد شرفات المسجد النبوي، وأنشأ اسطولاً بحرياً قوياً، وكان خيّراً محباً للعامة، وقد ازدهرت الفنون والصناعات في عهده، وتطورت علاقاته بالعالم الخارجي.

ومن أهم أعماله أوقافه الكثيرة على الحرمين، ويشهد لهذا وثيقة مهمة معروفة بوثيقة وقف السلطان الملك الأشرف شعبان، وهي محفوظة بدار الوثائق القومية في قلعة صلاح الدين بالقاهرة تحت رقم (٤٩).

وقد كتبت هذه الوثيقة يوم الاثنين الموافق الثالث من جمادى الآخرة عام ٧٧٧هـ، وهي مفقودة الافتتاحية ويبلغ طول المتبقي منها ٤٠,٨٥ متراً.

واشتملت الوثيقة على الأعيان الموقوفة، وبيان جهات صرف ريع الوقف، وهذه الأعيان عبارة عن تسع قرى، وبستان وحمام، وقد وصفت الوثيقة كل قرية وعينت حدودها والمستثنى منها من الوقف، كما وصفت البستان وما يشتمل عليه من أنواع أشجار الفاكهة وما به من مساكن، كذلك وصفت الحمام محددة مساحته، وما به من دهاليز وطرق، وأدوات للاستحمام.(٢٧)

وأما أوجه صرف تلك الأعيان فقد نصت الوثيقة على أن يكون لأمير مكة مبلغ مئة وستين ألف درهم سنوياً على ألا يأخذ شيئاً من المكوس على ما يباع بأسواق مكة من مأكول أو مشروب، كما لا يأخذ أيضاً على المزروعات، ولا من يحضر إلى مكة حاجاً أو زائراً، وهذا كله لتخفيف العبء على أهل مكة ووفود بيت الرحمن.

والجهة الثانية للصرف خاصة بقرّاء القرآن الكريم، وقارئ الحديث في المسجد الحرام، والذين يدرسون علوم الدين، والفقه على المذاهب الأربعة المشهورة، ومؤدب الأيتام ومن يقرأ المدائح النبوية، بالإضافة إلى المؤذنين والأئمة والمكبرين، ومشايخ المذاهب، وسدنة الكعبة والذين يباشرون عمارة الحرم وترميمه وإصلاحه.

وحددت الوثيقة مقدار ما يعطى لكل واحد من هؤلاء، ولم تنس الوثيقة أن تخصص للفراشين وخدام سلم الكعبة والسقائين ومبخّر الكعبة، وصائدي الهوام والحشرات، ومن يوقد المسارج بالحرم والمشاعل في الطرق المؤدية إليه، ومن يتولى تنظيف ما بين الصفا والمروة من العظام والأوساخ ما يصرف لهم لقاء ما يقومون به من أعمال.

والوثيقة إلى كل ما سبق اشتملت على نفقات خيرية، مثل كسوة الفقراء وشراء الأكفان ودفن الموتى.

ومن الأشياء التي تسترعي الانتباه في هذه الوثيقة تخصيص مبلغ مئة وخمسين درهماً يشتري بها ناظر الوقف إبراً وخيوطاً من الكتان والقطن ويرسل ذلك إلى الحرم ليفرق على من يراه من الفقراء والمساكين، هؤلاء الذين لم يكن في استطاعتهم شراء مثل هذه الأشياء البسيطة لإصلاح ملابسهم التي تتمزق أو لخياطة ما كان يوزع عليهم من الأقمشة من ريع الوقف أيضاً.

وكان السلطان الأشرف قد أنشأ ميضأة جديدة بجوار باب عليٍّ بالحرم كما أنشأ مارستاناً جديداً في مكة المكرمة، وقد خصص له كل ما يحتاجه من أطباء وفراشين وفراشات وأدوية ونفقات جارية، وذكرت الوثيقة ما يعطي لكل هؤلاء من أموال.

هذا ما جاء في الوثيقة عن وجهات صرف ريع الوقف في مكة، وتكاد جهات الصرف في المدينة لاتختلف عن جهات الصرف في مكة، ويلاحظ أن هناك جهة خصص لها مبلغ ثمانمئة درهم تقسم على أربعة يقف كل واحد منهم على باب من أبواب المسجد النبوي لحراسة نعال المصلين وغيرهم... ويؤخذ من هذا أن عدد أبواب مسجد الرسول في ذلك العصر كانت أربعة أبواب، وأن بعض ضعاف النفوس كانوا يستحلون لأنفسهم سرقة نعال المصلين.

ولم يغفل السلطان الأشرف مزارات المدينة كالبقيع ومسجد قباء، فقد خصص لها مبالغ لحراستها وإصلاحها.(٢٨).

إن الوثيقة الوقفية للسلطان الأشرف على الحرمين الشريفين تعد من أهم الوثائق في تاريخ الوقف الإسلامي، لقد تناولت كل ما يتعلق بالمسجد الحرام والمسجد النبوي من حيث الصيانة ورعاية الذين يقومون بوظائف التدريس وتلاوة القرآن فيهما، فضلاً عن إلغاء ما يحصله الولاة من مكوس في مكة والمدينة تخفيفاً عن الناس، وتيسيراً للذين يؤمون البيت العتيق للحج أو الزيارة.

إن الوقف على الحرمين الشريفين سواء أكان من عامة الناس أم من بعض الحكام والسلاطين كان من عوامل المحافظة والصيانة لهذه البقاع المقدسة التي هي وطن روحي(٢٩) للمسلمين في كل مكان كما ساعد هذا الوقف الذين يرغبون في أداء فريضة الحج، ولكنهم لا يملكون الزاد والراحلة على أداء هذه الفريضة، وكفل مع هذا لأهل مكة والمدينة حياة آمنة مستقرة، كما كفلت للذين يؤمون تلك البقاع الراحة والأمان، ولهذا كان الوقف على الحرمين له دوره في تنمية العمل الدعوي لأنه قوى الرابطة الروحية بين المسلمين وقبلتهم ومهجر نبيهم، وجعلهم يأتون رجالاً أو ركباناً ليتزودوا بخير زاد وهو التقوى، فيكون لهم بعد أوبتهم إلى أوطانهم دور التوجيه والقدرة والدعوة إلى الله بالتي هي أحسن. ■

الهوامش:

١ ـ انظر تذكرة الدعاة للأستاذ البهي الخولي ص١٣، ط. القاهرة.

٢ ـ الآية: ٢٨ في سورة سبأ.

٣ ـ الآية: ٣٢ في سورة التوبة.

٤ ـ رواه الإمام مسلم.

٥ ـ الآية: ١٤ من سورة الملك.

٦ ـ انظر: مجلة الأزهر المجلد ٢٤ ص ٣٠.

٧ ـ انظر: مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها للأستاذ علال الفاسي ص٦٦، ط. مكتبة الوحدة العربية، الدار البيضاء.

٨ ـ الآية: ٥، ٦ في سورة الشرح، وفي هاتين الآيتين ورد العسر معرفة واليسر نكرة، والمعرفة إذا كررت كانت عيناً، فلا يعني ذكرها أكثر من مرة تعددها على حين أن النكرة إذا كررت كانت غيرها، وقد أخرج الحاكم والبيهقي عن رسول الله ـ ﷺ ـ أنه قال في الآيتين: لن يغلب عسر يسرين.

٩ ـ انظر أصول الفقه الإسلامي للشيخ زكي الدين شعبان ص١٩١، ط. جامعة بنغازي، ليبيا.

١٠ ـ انظر: مجلة الأزهر، المجلد ٢٤ ص ٣٦.

١١ ـ انظر القرآن المعجزة الكبرى للشيخ محمد أبو زهرة ص ١٥، ط. دار الفكر العربي بالقاهرة.

١٢ ـ الآية: ٤٠ في سورة الأحزاب.

١٣ ـ متفق عليه.

١٤ ـ انظر غارة تبشيرية على أندونيسيا لأبي هلال الأندونيسي، ط. ليبيا.

١٥ ـ برسباي، جركسي الأصل، تولى حكم مصر سنة ٨٢٤هـ، وأطلق على نفسه الأشرف برسباي، يقول بعض المؤرخين بأنه كان ملكاً جليلاً مبجلاً منقاداً للشريعة، يحب أهل العلم، مهيباً مع لين جانب. (توفي ٨٤١هـ).

١٦ ـ انظر الوقف وأثره التنموي للدكتور علي جمعة، بحث منشور في أعمال ندوة الوقف بالكويت، ص ١٠٩.

١٧ ـ انظر العرب والحضارة الأوروبية للأستاذ عباس محمود العقاد ص ٢٥، ط. القاهرة، فقد ذهب بعض الأوروبيين إلى أن أوروبا كان من المستحيل أن يكون لها شأن لولا وجود المعارف العربية، أي المعارف الإسلامية.

١٨ ـ «جب» من كبار المستشرقين المعاصرين كان له دور كبير في تحرير الطبعة الإنكليزية من دائرة المعارف الإسلامية وكان عضواً بعدة مجامع لغوية عربية كمجمع القاهرة ودمشق وبغداد وقد تولى إدارة مركز الشرق الأوسط في جامعة هارفارد.

١٩ ـ انظر مجلة البعث الإسلامي «الهند»، المجلد الحادي والأربعون، العدد الثالث، ذو القعدة سنة ١٤١٦هـ ص٥١.

٢٠ ـ مجلة الوعي الإسلامي العدد ٣٣٤ ص ٩١.

٢١ ـ انظر من روائع حضارتنا للدكتور مصطفى السباعي ص ١٢٩، ط. المكتب الإسلامي.

٢٢ ـ بنى الجامع الأزهر القائد جوهر الصقلي سنة ٣٦١هـ، وسمي بالجامع الأزهر نسبة إلى السيدة فاطمة الزهراء بنت رسول الله ـ ﷺ ـ وكان بناؤه ليكون مسجداً للعبادة، ثم مدرسة تدرّس فيها العلوم الدينية على مذهب الشيعة، ولكن بعد نحو مئتي عام في عهد الدولة الأيوبية منعت دراسة هذا المذهب، وأصبح مدرسة جامعة للعلوم الشرعية وفق المذهب السني، ثم تطورت الدراسة فيه حتى اتخذت صورة الجامعة بمفهومها الحديث الآن. وأما جامع الزيتونة فقد بني بعد الفتح الإسلامي لتونس، وكان بناؤه في العقد الثاني من القرن الهجري الثاني، وقد أدخلت عليه بعض التحسينات والترميمات في القرن الثالث وما بعده، وأوقفت عليه الأموال والمكتبات، وتطورت الدراسة به حتى أصبح جامعة تخرج فيها أعلام الإسلام في الماضي والحاضر.

وجامع القرويين قامت ببنائه امرأة مسلمة فاضلة تقية صالحة وهي من مدينة القرويين، ولذلك حمل المسجد اسم هذه المدينة وإن شيد بمدينة فاس وكان ذلك في النصف الثاني من القرن الثاني الهجري، وقد شيد هذا الجامع منذ بادئ الأمر ليكون مركزاً للتعليم، ولهذا يعد أقدم جامعة إسلامية، وقد تطور عبر عصور التاريخ، وهو الآن جامعة تضم كليات عدة منها كلية الشريعة والآداب والعلوم.

٢٣ ـ دولة المماليك البحرية أقامها المماليك على أنقاض الدولة الأيوبية وبسطت سلطانها على مصر والشام وحكمت من عام ٦٤٨هـ إلى ٧٨٤هـ (انظر دولة المماليك الأولى للدكتور أحمد مختار العبادي).

٢٤ ـ انظر أوقاف السلطان الأشرف شعبان على الحرمين للأستاذ راشد سعد راشد القحطاني ص٣١، ط. الرياض سنة ١٤١٤هـ.

٢٥ ـ انظر المرجع السابق ص ٤١.

٢٦ ـ انظر المصدر السابق ص ٤٧.

٢٧ ـ تقع كل هذه الأعيان في بلاد الشام.

٢٨ ـ انظر أوقاف السلطان الأشرف شعبان على الحرمين ص ٨٥.

٢٩ ـ انظر نخبة الأزهار وروضة الأفكار للشيخ محمد عبدالله دراز تحقيق الشيخ عبدالله الأنصاري، ط. دولة قطر.

تاريخ

بقلم: د. جابر قميحة

في صدر الإسلام رسائل غيَّرت وجه التاريخ 4

رسالة من سطرين قتلت عثمان بن عفان رضي الله عنه

تولى عثمان بن عفان - رضي الله عنه - الخلافة بعد عمر الخطاب - رضي الله عنه - وقد بايعه المسلمون واجتمعوا عليه في أصعب خلافة تولاها خليفة قط في صدر الإسلام. ويدلل العقاد في كتابه «ذو النورين عثمان بن عفان» على صحة هذا الحكم باستقراء «الحالة» عند تولي عثمان الخلافة:

فبعد أن ذاع نبأ مقتل عمر بن الخطاب رضي الله عنه في المشرق والمغرب تلاحقت الثورات والفتن كأنما كانت على موعد.

وتمرد من قبائل الفرس والروم والترك من كان قد أذعن وتعاقد مع قادة الحرب على الصلح والطاعة، ونقضت دولة الروم صلحها فأغارت على الإسكندرية براً وبحراً، وأرسلت أساطيلها إلى شواطئ فلسطين، وأطلقت في الميادين خفية من يبث فيها الوعد والوعيد، ويغري المطيع العصيان.

وأحصى المؤرخون البيزنطيون عدة السفن والجيوش التي اشتركت في حركات الثورة والانتقاض، فقال بعضهم إنها تجاوزت خمسمئة سفينة، ومئة ألف مقاتل.

وسرعان ما تسايرت الأنباء بهذه الزحوف بين الخزر والأرمن ومن وراءهم من الشعوب الآسيوية، فهبوا يتعللون بالذرائع لنقض الصلح، أو ينقضون بغير ذريعة، وينتهزون الفرصة التي علموا أنها لا تسنح مرة أخرى إذا استكانوا للطاعة والمسالمة.

وكانت محنة كمحنة الردة أو أكبر منها في اتساع ميادينها، وتباعد أطرافها، وكان عثمان كفؤاً لها بالعزم والرأي والسرعة في تصريف الأمور، وتسيير النجدات، وإسناد كل عمل إلى من يحسنه، ويسد فيه أحسن سداد.

تزوير الرسائل وسيلة من وسائل السبئية أتباع «عبدالله بن سبأ» وأعداء عثمان لخلعه وإحداث الفتنة

شهادات لعثمان - رضي الله عنه

كانت هذه الحال خارج الجزيرة العربية، وبهذه العزيمة تصدى عثمان - رضي الله عنه - وفي الداخل كان عثمان - كما يقول المسور بن مخرمة - ست سنين من ولايته وهو أحب إلى الناس من عمر بن الخطاب - رضي الله عنه.

وحكى الحسن البصري كيف رأى سعادة الرعية بعثمان، وقد شاهد كيف كان يوزع على الناس - بحظوظ وافية - الأعطيات والكساء والسمن والعسل والطيب من المسك والعنبر وغيره، والعدوان منفيّ، والأعطيات دارّة، والخير كثير، وما على الأرض مؤمن يخاف مؤمناً، من لقي في أي البلدان فهو أخوه وأليفه وناصره.

ولكن رؤوس فساد وشر وفتنة كانت هامدة اتقاء حزم عمر وصرامته وشدته في الحق انتهزت سماحة عثمان ورحمته ورفقه وسعة صدره لتؤدي دورها الخبيث ورسالتها الخسيسة في الجزيرة والأمصار الإسلامية.

ومن الأمصار... زحفت الفتنة

وفي الأمصار بدأ التآمر الخفي من السبئية وأعداء الإسلام ومن يستثمرون المواقف والهنات لنفعهم ومصلحتهم، فأشاعوا أن ولاة عثمان يسيرون أمورهم بالظلم والعدوان والجبرية وبلغت هذه الشكايات أهل المدينة فأتوا عثمان وقالوا له: يا أمير المؤمنين، أيأتيك من الناس ما يأتينا؟ فقال: ما جاءني إلا السلامة وأنتم شركائي وشهود المؤمنين، فأشيروا عليَّ، قالوا: نشير عليك أن تبعث رجالاً ممن تثق بهم إلى الأمصار حتى يرجعوا إليك بأخبارهم.

فدعا محمد بن مسلمة، فأرسله إلى الكوفة، وأرسل أسامة بن زيد إلى البصرة، وأرسل عمار بن ياسر إلى مصر، وأرسل عبدالله بن عمر إلى الشام، وفرق رجالاً سواهم فرجعوا جميعاً قبل عمار، فقالوا: ما أنكرنا شيئاً أيها الناس، ولا أنكره أعلام المسلمين ولا عوامهم. واستجابة لصوت العدل كتب رسالة موحدة الصيغة إلى أهل الأمصار نصها:

«أما بعد فإني آخذ عمالي بموافاتي كل موسم، وقد رفع إليّ أهل المدينة أن أقواماً يُشتمون ويُضربون، فمن ادعى شيئاً من ذلك فليواف الموسم يأخذ حقه حيث كان مني أو من عمالي، أو تصدقوا، فإن الله يجزي المتصدقين».

ومع ذلك زحفت جموع الشاغبين من الأمصار إلى المدينة مئات وألوفاً، وكان على المصريين عبدالرحمن بن عديس البلوي، وعلى البصريين حكيم بن جبلة العبدي، وعلى الكوفيين الأشتر النخعي، وانضم إليهم أعداد كبيرة من الأعراب طمعاً في مغنم.

وفي المدنية كما يروي ابن الأثير في الكامل «تكلموا مع طلحة والزبير وعليّ في عزل عثمان على أن يقوم بالخلافة واحد منهم، وكان هوى أهل مصر في علي، وهوى أهل الكوفة في الزبير، وهوى أهل البصرة في طلحة، ولكن الثلاثة رفضوا، ونهروهم جميعاً، واشتدوا عليهم في القول.

عثمان رضي الله عنه كتب عدداً من رسائل الاستغاثة والاستصراخ وهو محصور في بيته قرابة أربعين يوماً

عثمان يفند ما اتهموه به ...

وأخذ رجال الفتنة الذين زحفوا إلى المدينة يشيعون عن عثمان أكاذيب وأباطيل يضخمونها وينفخون فيها محاولين إقناع الناس بعزله، وكلها اتهامات غريبة لا تجرّم ولا تدين، وجعلوا منها مسوغات لضرورة عزله وإلا قتْله، فأخذوا عليه :

١ - أنه أتم الصلاة في السفر، وحقها القصر.

٢ - وأنه حمى الحمى، أي احتكر مراعي لإبل الصدقة.

٣ - وأنه جعل القرآن واحداً بعد أن كان كتباً متعددة.

٤ - وأنه رد الحكم إلى مكة بعد أن نفاه رسول الله ﷺ .

٥ - وأنه استعمل الأحداث الذين لا خبرة ولا دراية لهم بالحكم والإدارة.

٦ - وأنه أعطى عبدالله بن أبي السرح خمس خراج أفريقيا.

٧ - وأنه يحب أهله ويعطيهم ويحابيهم.

٨ - وأنه أعطى الأرض رجالاً لايستحقونها.

وتصدى عثمان لهذه التهم يفندها واحدة واحدة، وقد طلب منه أهل المدينة سنة ٣٥هـ، قبيل حصار داره أن يبادر بقتل رؤوس الفتنة الذين يتآمرون عليه فخطب فيهم قائلاً:

بل نعفو ونقبل ونبصّرهم بجهدنا ولا نحاد أحداً حتى يركب حدًّا أو يبدئ كفراً، إن هؤلاء ذكروا أموراً قد علموا منها مثل الذي علمتم، إلا أنهم زعموا أنهم يذاكرونيها ليوجبوها عليَّ عند من لايعلم.

وقالوا: أتم الصلاة في السفر، وكانت لا تتم، ألا وإني قدمت بلداً فيه أهلي، فأتممت لهذين الأمرين، أو كذلك؟ قالوا اللهم نعم.

وقالوا: وحميت حمى، وإني والله ما حميت حمى قبل، والله ما حموا شيئاً لأحد ما حموا إلا غلب عليه أهل المدينة، ثم لم يمنعوا من رعية أحداً واقتصروا لصدقات المسلمين يحمونها لئلا يكون بين من يليها وبين أحد تنازع، ثم ما منعوا ولا نحو منها أحدا إلا من ساق درهماً، وما لي من بعير غير راحلتين، وما لي ثاغية ولا راغية وإني قد وليت وإني أكثر العرب بعيراً وشاء، فمالي اليوم شاة ولا بعير غير بعيرين لحجي، أكذلك؟ قالوا اللهم نعم.

وقال: كان القرآن كتباً، فتركتها إلا واحداً، ألا وإن القرآن واحد، جاء من عند واحد، وإنما أنا في ذلك تابع لهؤلاء، أكذلك؟ قالوا: نعم، وسألوه أن يقيلهم.

وقالوا: إني رددت الحكم وقد سيره رسول الله - ﷺ - والحكم مكيٌ، سيره رسول الله - ﷺ - من مكة إلى الطائف، ثم رده رسول الله - ﷺ - فرسول الله - ﷺ - سيره، ورسول الله - ﷺ - رده، أكذلك؟ قالوا: اللهم نعم.

وقالوا: استعملت الأحداث، ولم أستعمل إلا مجتمعاً محتملاً مرضياً، وهؤلا أهل عملهم، فسلوهم عنه، وهؤلاء أهل بلده، ولقد ولى من قبل أحدث منهم، وقيل في ذلك لرسول الله - ﷺ - أشد مما قيل لي في استعماله أسامة، أكذلك؟ قالوا: اللهم نعم، يعيبون للناس ما لا يفسرون.

وقالوا: إني أعطيت ابن أبي سرح ما أفاء الله عليه، وإني إنما نفلته خُمس ما أفاء الله عليه من الخمس، فكان مئة ألف، وقد أنفذ مثل ذلك أبو بكر وعمر - رضي الله عنهما - فزعم الجند أنهم يكرهون ذلك، فرددته عليهم وليس ذاك لهم أكذلك؟ قالوا: نعم.

وقالوا: إني أحبّ أهل بيتي وأعطيهم، فأما حبي فإنه لم يمل معهم على جور، بل أحمل الحقوق عليهم، وأما إعطاؤهم فإني أعطيهم من مالي، ولا أستحل أموال المسلمين لنفسي، ولا لأحد من الناس، ولقد كنت أعطي العطية الكبيرة الرغيبة من صلب مالي أزمان رسول الله - ﷺ - وأبي بكر وعمر - رضي الله عنهما - وأنا يومئذ شحيح حريص أفحين أتيتُ على أسنان أهل بيتي، وفني عمري، وودعت الذي لي في أهلي، قال الملحدون ما قالوا: وإني والله ما حملتُ على مصر من الأمصار فضلاً فيجوز ذلك لمن قاله، ولقد رددته عليهم، وما قدم عليَّ إلا الأخماس، ولا يحلُّ لي منها شيء، فولّيَ المسلمون وضعها في أهلها دوني، ولا تبلغت من مال الله بفلس فما فوقه، وما أتبلغ منه ما آكل إلا مالي.

وقالوا: أعطيت الأرض رجالاً، وإن هذه الأرضين شاركهم فيها المهاجرون والأنصار أيام افتتحت، فمن أقام بمكان من هذه الفتوح فهو أسوة أهله، ومن رجع إلى أهله لم يُذهب ذلك ما حوى الله له، فنظرت في الذي يصيبهم مما أفاء الله عليهم فبعته لهم بأمرهم من رجال أهل عقار ببلاد العرب فنقلت إليهم نصيبهم، فهو في أيديهم دوني.

ومع وضوح حجة عثمان رضي الله عنه، وخوفاً من استفحال الفتنة وهو البريء خطب في الناس بما فيهم المتمردون ما يسمى بخطبة التوبة وقد جاء في آخرها:

فأنا أول من اتعظ، استغفر الله مما فعلت، وأتوب إليه، فمثلي نزع وتاب، فإذا نزلت فليأتني أشرافكم، فليروني رأيهم، فوالله لئن ردني الحق عبداً لأستن بسنة العبد، ولأذلن ذل العبد، ولأكونن كالمرموق، إن مُلِكَ صبرْ، وإن عتق شكر، وما عن الله مذهب إلا إليه، فلا يعجزنّ عنكم خياركم أن يدنوا إليَّ، لئن أبت يميني لتتابِعَنِّي شمالي.

الرسالة القاتلة

وبعد هذه الخطبة، وبعد أن وعد عثمان رضي الله عنه المتمردين بتحقيق ما يطلبون وذلك حقناً للدماء بدؤوا يخرجون إلى بلادهم، ولكن بعد مسيرة ثلاثة أيام، عاد المصريون إلى المدينة مرة أخرى، وكذلك عاد أصحابهم الآخرون الذين توجهوا إلى البصرة والكوفة، وعلل المصريون رجوعهم بأنهم في طريقهم إلى مصر قبضوا على أحد عبيد الصدقة، ومعه رسالة موجهة إلى والي مصر نصها :

«من عثمان إلى واليه في مصر: بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد، فإذا قدم عليك عبدالرحمن بن عُديس، فاجلده مئة جلدة، واحلق رأسه ولحيته، وأطل حبسه حتى يأتيك أمري، وعمرو بن الحمق فافعل به مثل ذلك، وسودان بن حمدان مثل ذلك، وعروة بن النباع الليثي مثل ذلك».

وهناك روايات أخرى لهذه الرسالة منها:

«إذا أتاك محمد بن أبي بكر وفلان وفلان فاحْتَلْ في قتلهم، وأبطل كتابه، وقره على عملك حتى يأتيك رأيي، واحبس من يجيء إليَّ يتظلم منك، ليأتيك رأيي في ذلك إن شاء الله تعالى».

وهناك رواية ثالثة للرسالة يطلب فيها عثمان رضي الله عنه من عامله قتل هؤلاء الثورا وقطعهم، وصلبهم.

وإذا نظرنا إلى هذه الرسالة نظرة فاحصة تبين لنا أنها مزورة، وأن عثمان بريء منها:

١ ـ فالرسالة على قصدها، وردت لنا بروايات متعددة مما يشكك فيها.

٢ ـ والغلام الذي قيل إنه كان يحمل هذه الرسالة من عثمان إلى عاملة على مصر عبدالله بن أبي السرح قيل إنه «غلام إبل الصدقة» وإبل الصدقة ـ كما يقول محب الدين الخطيب ـ الوف كثيرة لها مئات من الرعاة، وإن صح أنه من رعاة إبل الصدقة، فهؤلاء لكثرتهم وتبدلهم دائماً بغيرهم لا يكاد يعرفهم رؤساؤهم، فضلاً عن أن يعرفهم أمير المؤمنين، وكبار عماله وأعوانه، ومع افتراض أنه من رعاة إبل الصدقة فما أيسر أن يستأجره هؤلاء البغاة لغرض من أغراضهم، وقد ثبت أن الأشتر النخعي، وحكيم بن جبلة ـ وهما من قادة البغاة المتمردين ـ قد تخلفا في المدينة عند رحيل أصحابهم عنها مظهرين اقتناعهم بأجوبة عثمان وحججه.

وينتهي محب الدين الخطيب ـ رحمه الله ـ إلى أنه في مدة تخلف الأشتر وحكيم بن جبلة بالمدينة ثم تدبير الرسالة وحاملها للتذرع بهما في تجديد الفتنة ورد الثوار.

٣ ـ ولم يكن هذه أول رسالة أو آخر رسالة تزوّر في عهد عثمان، فقد أصبح تزوير الرسائل وسيلة من وسائل السبئية أتباع «عبدالله بن سبأ» وأعداء عثمان لخلعه وإحداث الفتنة.

وممن كان له أثر شديد في وضع الكتب على ألسنة أمهات المؤمنين محمد بن حذيفة، وكان يتيماً في حجر عثمان بن عفان، فلما شب سأل عثمان أن يوليه، ولكن عثمان رفض، لأنه غير جدير بالولاية، فطلب منه الخروج ليطلب ما يقوته فقال له: اذهب حيث شئت، وجهزه من عنده، وحمله وأعطاه، فلما نزل بمصر تغير عليه، ودعا إلى خلع عثمان ـ رضي الله عنه ـ وحرّض على عثمان بكل شيء يقدر عليه، فكان يكتب الكتب «الرسائل» على لسان أزواج رسول الله ـ ﷺ ـ ويأخذ الرواحل «الإبل» فيضمرها، ويجعل رجالاً على ظهور البيوت، ووجوههم إلى وجه الشمس لتلوح وجوههم تلويح المسافر، ثم يأمرهم أن يخرجوا إلى طريق المدينة بمصر، ثم يرسلوا رسلاً يخبرون بهم الناس ليلقوهم، وقد أمرهم إذا لقيهم الناس أن يقولوا: ليس عندنا خبر، الخبر في الكتب «أي في الرسائل التي نحملها»، فيجيء رسول رسول أولئك الذين دس، فيذكر مكانهم، فيتلقاهم ابن أبي حذيفة، والناس يقولون: نتلقى رسل أزواج رسول الله ـ ﷺ ـ فإذا لقوهم قالوا لهم: ما الخبر؟ قالوا: لا خبر عندنا عليكم بالمسجد ليقرأ عليكم كتاب أزواج النبي ـ ﷺ ـ فيجتمع الناس في المسجد اجتماعاً ليس فيه تقصير، ثم يقوم القارئ بالكتاب فيقول: إنا نشكو إلى الله وإليكم ما عمل في الإسلام، وما صنع في الإسلام، فيقوم أولئك الشيوخ من نواحي المسجد بالبكاء، ثم ينزل عن المنبر، ويتفرق الناس بما قرئ عليهم.

بالحجة والقوة والشواهد الواقعية فند عثمان رضي الله عنه ما اتهمه به البغاة... لكن

ويروى أن مروان بن الحكم قال لعائشة ـ رضي الله عنها ـ هذا عملك، كتبت إلى الناس تأمرينهم بالخروج على عثمان؟!! فقالت: والذي آمن به المؤمنون، وكفر به الكافرون، ما كتبت إليهم بسواد في بياض حتى جلست في مجلسي هذا.

٤ ـ والمعروف أن رجال الفتنة بعد أن عاهدهم عثمان رضي الله عنه على الحق والعدل وحسن السيرة، بدأوا ينصرفون إلى بلادهم التي جاؤوا منها، والمعروف أنهم ساروا إلى بلادهم من طرق مختلفة: إلى مصر، وإلى الكوفة، وإلى البصرة، وبعد أن قطعوا مراحل ذات عدد عاد المصريون بحجة هذا الكتاب المزعوم، وعاد أهل الكوفة وأهل البصرة كذلك.

وقد كشف سرّ المؤامرة علي بن أبي طالب ـ كرّم الله وجهه ـ فسأل أهل مصر: ما ردكم بعد ذهابكم ورجوعكم عن رأيكم؟ قالوا أخذنا مع بريد كتاباً يقتلنا... وقال الكوفيون والبصريون نحن ننصر إخواننا ونمنعهم جميعاً، فقال لهم علي: كيف علمتم يا أهل الكوفة، ويا أهل البصرة بما لقي أهل مصر وقد سرتم مراحل ، ثم طويتم نحونا؟ هذا والله أمر أبرم بالمدينة، قالوا: فضعوه كيف شئتم، لا حاجة لنا في هذا الرجل، ليعتزلنا.

٥ ـ وهناك معيار مهم جداً في نقض هذه الرسالة وهو خلق عثمان

ذي النورين، فالرجل لم يكن من طبيعته الغدر أو الكذب، والرجل كان مسالماً يكره سفك الدماء، حتى أن رجال فتنة لما حرقوا أبواب داره وهمَّ أصحاب عثمان بالقتال والدفاع عنه قال «لا يحركن رجل منكم يده، فوالله لو كنت أقصاكم لتخطوكم حتى يقتلوني، ولو كنت أدناكم ما جاوزوني إلى غيري، وإني لصابر كما عهد إلى رسول الله - ﷺ - لأصرعنَّ مصرعي الذي كتب الله عزَّ وجلَّ.

فمسألة الكتاب هذه - كما يقول صادق عرجون - لا تخرج عن أحد فرضين لا ثالث لهما.

الفرض الأول: ألا يكون هناك بريد بكتاب قط، وإنما هي أكذوبة افتروها لينفذوا بها إلى ما يبتغون، فافتعلوا ذلك الكتاب بالمدنية، وتصايحوا به في طرقاتها اعتماداً على اندفاع العامة نحو الإشاعات، وقد يؤيد هذا الفرض قول علي بن أبي طالب لما التقى بهم بعد رجوعهم: هذا أمر أبرم بالمدينة.

والفرض الثاني: أنه كان هناك كتاب مع بريد، وفيه من العظائم ما زعموه، ولكن هذا الكتاب لم يكتبه أحد غير الثائرين، فهم الذين ائتمروا، ونقشوا على خاتم عثمان، وهم الذين سرقوا جملاً من إبل الصدقة، وهم الذين أغروا غلاماً لعثمان أو لمروان، وهم الذين أبردوا بهذا الكتاب مع الغلام الأسود في طريق محمد بن أبي بكر وأصحابه، ليقطعوا عليه طريقه بوقوع الكتاب في يده قبل أن يصل إلى مصر فيثور مع الثائرين.

كان يستطيع أن يقتل جموع البغاة في المدينة ولكنه آثر أن يموت مظلوماً ولا يعيش ظالماً

الحصار... والشهادة

وحاصر البغاة دار عثمان - ﷺ - وظلوا يحاصرونه أربعين يوماً، ومنعوه من الصلاة بالمسجد، ومنعوه الماء والطعام، فأرسل عثمان إلى علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - سراً وإلى طلحة والزبير وأزواج النبي - ﷺ - «إنهم قد منعوني الماء، فإن قدرتم أن ترسلوا إلينا ماء فافعلوا»، فكان أولهم إجابة علي بن أبي طالب، وأم حبيبة زوج النبي - ﷺ - ووجه علي كلامه إلى البغاة :

«إن الذي تفعلون لا يشبه أمر المؤمنين، ولا أمر الكافرين، فلا تقطعوا عن هذا الرجل الماء ولا المادة «الطعام» فإن الروم وفارس لتأسر فتطعم وتسقي» فرفضوا، وأهانوا أم حبيبة وضربوا بغلتها حين أرادت أن تدخل على عثمان بإداوة فيها ماء.

ويذكر الطبري أن عثمان ﷺ كتب عدداً من رسائل الاستغاثة والاستصراخ، وهو محصور في بيته قرابة أربعين يوماً: فكتب إلى معاوية، وإلى يزيد بن أسد بن كُرزْ، وإلى أهل الشام، وكتب إلى عبدالله بن عامر أمير البصرة، وكتب إلى أهل الأمصار:

بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد: فإن الله - عزَّ وجل - بعث محمداً بالحق بشيراً ونذيراً، فبلّغ عن الله ما أمره به، ثم مضى وقد قضى الذي عليه، وخلف فينا كتابه، فيه حلاله وحرامه، وبيان الأمور التي قدّر، فأمضاها على ما أحب العباد وكرهوا، فكان الخليفة أبو بكر - رضي الله عنه - وعمر - رضي الله عنه - ثم أدخلت في الشورى عن غير علم ولا مسألة عن ملأ من الأمة، ثم أجمع أهل الشورى عن ملأ منهم ومن الناس عليّ، على غير طلب مني ولا محبة، فعملت فيه ما يعرفون ولا ينكرون، تابعاً غير مستتبع، متبعاً غير مبتدع، مقتدياً غير متكلف.

فلما انتهت الأمور، وانتكث الشر بأهله بدت ضغائن وأهواء على غير إجرام ولا ترة فيما مضى إلا إمضاء الكتاب، فطلبوا أمراً وأعلنوا غيره بغير حجة ولا عذر، فعابوا عليَّ أشياء مما كانوا يرضون، وأشياء عن ملأ من أهل المدينة لا يصلح غيرها، فصبّرت لهم نفس، وكففتها عنهم منذ سنين، وأنا أرى وأسمع، فازدادوا على الله عز وجل جرأة، حتى أغاروا علينا في جوار رسول الله - ﷺ - وحرمه وأرض الهجرة، وثابت إليهم الأعراب، فهم كالأحزاب أيام الأحزاب أو من غزانا بأحد إلا ما يظهرون، فمن قدر على اللحاق بنا فليلحق.

وفي أواخر عام ٣٥ هـ أمَّر عثمان على الحج عبدالله بن عباس - رضي الله عنهما - وحمله كتاباً طويلاً جداً يستنجد فيه بأهل الموسم... وأمره أن يقرأه على الناس في الحج وجاء في آخره:

فإني أنشدكم بالله والإسلام ألا تأخذوا إلا الحق وتعطوه مني، وترك البغي على أهله، وخذوا بيننا بالعدل كما أمركم الله عز وجل، فإني أنشدكم الله سبحانه الذي جعل عليكم العهد والموازرة في أمر الله فإن الله سبحانه قال وقوله الحق: (وأفوا بالعهد إن العهد كان مسؤولاً) الإسراء:٣٤، فإن هذه معذرة إلى الله ولعلكم تذكرون.

أما بعد: (وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي إن ربي غفور رحيم) يوسف:٥٣.

وإن عاقبت أقواماً فما أبتغي بذلك إلا الخير، وأني أتوب إلى الله عز وجل من كل عمل عملته واستغفره إنه لا يغفر الذنوب إلا هو، إن رحمة ربي وسعت كل شيء، إنه لا يقنط من رحمة الله إلا القوم الضالون، وإنه يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ويعلم ما يفعلون وأنا أسأل الله عز وجل أن يغفر لي ولكم، وأن يؤلف قلوب هذه الأمة على الخير، ويكرّه إليها الفسق، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته أيها المؤمنون والمسلمون».

آخر الاستغاثات

وبُعيد ذلك بعث عثمان رسالة استغاثة أخرى كانت هي الأخيرة مع نافع بن طريف إلى أهل مكة ومن حضر الموسم سنة ٣٥هـ، فوافاها يوم عرفة وابن عباس يخطب الناس ونص الاستغاثة:

«بسم الله الرحمن الرحيم، من عبدالله عثمان أمير المؤمنين إلى من حضر الحج من المسلمين.

أما بعد: فإني كتبت إليكم كتابي هذا، وأنا محصور أشرب من بئر القصر، ولا آكل من الطعام ما يكفيني، خيفة أن تنفد ذخيرتي فأموت جوعاً أنا ومن معي، لا أدعى، إلى توبة أقبلها، ولا تسمع مني حجة أقولها، فأنشد الله رجلاً من المسلمين بلغه كتابي إلا قدم عليَّ، فأخذ الحق فيّ، ومنعني من الظلم والباطل».

ولكن تم قضاء الله، واقتحم البغاة دار عثمان وقتلوه قتلة سيئة، ولاقى ربه شهيداً يوم الجمعة ١٨ من ذي الحجة سنة ٣٥هـ، رحم الله عثمان بن عفان ذا النورين. ■

شعر

د. محمد عبدالمنعم خفاجي

أيها التاريخ!!

● ١ ●

هجرةٌ مثّلتْ جهادَ نبيّ
وأمين على الهدى مهدي

هجرةٌ فيها عبقرية إلها
م، ووحيٌ لمرسل نبويّ

وبها كل عزة وجلال
للرسول المكرّم اليعربيّ

صار للمسلمين فيها وللإسـ
لام فخرٌ على الزمان القصيّ

ولها في التاريخ أشرف ذكر
ولها فيه كلُّ مجد عليّ

● ٢ ●

هجرةٌ كانت للرسالة فتحاً
ولدين الله العظيم السني

أحمد والصديق وحدهما في
موكب فذٍّ خالد علْويٍّ

وقريشٌ من خلفهم، أمة تـ
تبع آثار موكب عبقريّ

موكب سار، سار فيه نبيّ
مرسل، أكرِمْ بالرسولِ النبيّ

بالبشير النذير طه وأعظم
بخطا ذياك الأمين الوفي

● ٣ ●

هجرةٌ مزّقت قناع الدياجي
وأعزّت نفس الفقير الشقيَ

إنها النور هجرة المصطفى كلُّ
جلال من مجدها القدسيّ

إنها الصفحة المضيئة في التا
ريخ تهدي إلى الهدى كل حيّ

«غار ثور» شهدت أعظم مجد
وشهدت التاريخ جدَّ غنيّ

فالعلا والفخار لابن لؤيٍّ
والمنى والجلال لابن قصيّ

قد أضاء الزمانَ حقٌّ وعدل
بهما جاءت شرعةُ الهاشميّ

فبها تنعم الشعوب وتحيا
أمة الإسلام العظيم الأبيّ

قد أتى النورُ من حراء جليلاً
ونبيلاً في صبح يوم زكيّ

في ضحى مشرق وضيءٍ سريّ
قد أتى بالدين الوضيء السرى

وأتى العالمين عصرٌ جديدٌ
فيه بالدين عزّ كلُّ شقي

إنه الوحي، إنه الحق والقر
آن يُوحى لأحمد العربيّ

المنى فيه والسنا والهدى، والـ
خير منه وكلُّ عبق رضيّ

ولجبريل في حراء دويٌّ
ظل يصغى الورى لهذا الدويّ

أيها التاريخ اروِ عن أحمد النو
رِ وجبريل والنداءِ العليّ

إنه الإسلام العظيم، فلا فخـ
رَ ولا عزةٌ لغير التقيّ

كان من قبله الإخاء خيالاً
ليس أعرابي أخا الأعجمي

قبله كانت المساوةُ وهما
ذاك بكريٌّ ليس بالتغلبيّ

قبلة كانت الشعوب حيارى
خيرها للدخيل والأجنبيّ

إنه الدين إنها هجرةُ الها
دي الرسول المشفّع المهديّ

لا ورب الجلال إني عييٌّ
وبياني يا قوم جدُّ عييّ

لا تلمني أنا الذي لمتُ شعري
ولقد كان قبلُ جدَّ ثريّ

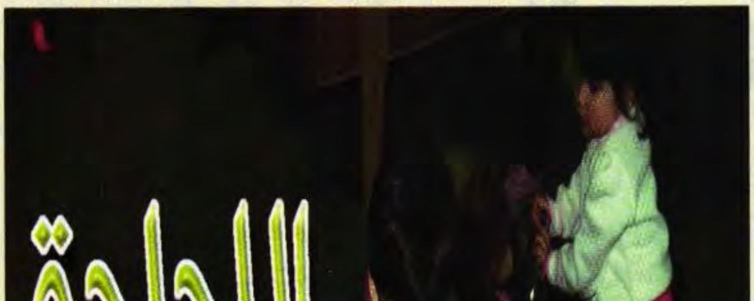
الوعي الإسلامي

العدد 401
محرم 1420 هـ
أبريل / مايو 1999 م

الأسرة المسلمة

2



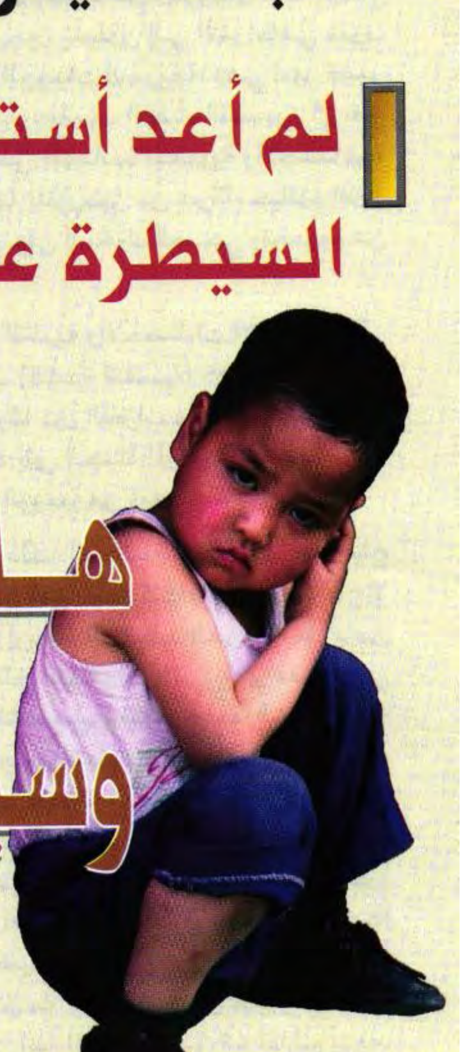


اللجلجة عند الأطفال

لو كانت زوجتي ضدي !

من استطاع منكم الباءة فليتزوج

لم أعد أستطيع السيطرة على ولدي



هل العقاب والثواب وسيلتا إصلاح تربوي ؟

وجعل بينكم مودة ورحمة



بقلم: معتز ياسين الموقت

ميثاق عظيم

وجعل بينكم مودة ورحمة

نشرت مجلة العلوم (١) مقالا عن السعادة (٢) جاء فيه: (أن الاستثناءات القليلة للشعور بالسعادة المعقولة (٣) - الواردة في التقارير العالمية - تضم المدمنين على الكحول الذين يعالجون في المشافي (٤). وإذا ما عقدنا مقارنة - والكلام لكاتبي المقال - بين أشخاص محبين للانعزال عن الناس وبين آخرين اجتماعيين (لهم أصدقاء حميمون)، وجدنا أن الأخيرين هم أوفر صحة واحتمال وفاتهم في سن مبكرة أقل.

ومن بين الفوارق القليلة الثابتة بشأن السعادة، يلاحظ الفارق بين المتزوجين والذين لم يتزوجوا قط. وتشير بيانات أخرى إلى أن المطلقين أقل سعادة من الزمرتين السابقتين (٥). ويرى أكثر من تسعة أشخاص من كل عشرة أن الزواج هو أهم وأنجع بديل للعيش وحيداً. ومع احتمال أن تفضي العلاقات الزوجية المحطمة إلى قدر كبير من البؤس والتعاسة، فإن الزواج الناجح هو - على ما يبدو - مصدر قوي من مصادر تحمل متاعب هذه الحياة. ففي عقدي السبعينات والثمانينات من هذا القرن، افاد ٣٩ بالمئة من المتزوجين البالغين العاملين في مركز بحوث استطلاع الآراء القومي أنهم «سعداء جداً»، مقارنة بما نسبته ٢٤ بالمئة في صفوف أولئك الذين لم يسبق لهم الزواج إطلاقا. وفي استبيانات أخرى لم يذكر إلا ١٢ بالمئة فقط من المطلقين والمطلقات أنهم «سعداء جدا». علما أن الفارق في مقدار السعادة بين المتزوجين والذين لم يتزوجوا قط كان متماثلا بالنسبة للرجال والنساء (٦).

ومن ناحية أخرى، قال الملتزمون دينيا إنهم أيضا يتمتعون بسعادة غامرة. وقد وجدت إحدى الدراسات التي أجرتها منظمة غالوب أن نسبة «السعداء جداً» بين الملتزمين دينيا تقارب ضعفي نسبة أولئك الذين يحتمل أن يعتبروا أنفسهم «سعداء جداً» بين من هم أقل التزاما دينيا في سلوكهم الحياتي. وتوصلت دراسات أخرى - من بينها دراسة شارك فيها ١٦ بلدا وشملت ١٦٦٠٠٠ فرد - إلى أن الإبلاغ عن السعادة والرضا بالحياة يزداد كلما اشتدت قوة الانتماء الديني وتكررت ممارسة الشعائر الدينية ممارسة جماعية. ويرى بعض الباحثين أن الالتزام بالدين في المسلك اليومي يؤدي بالمرء إلى زيادة دعمه لمجتمعه وزيادة إحساسه بالأمل).

«وأفاد احصاء اجري اخيرا أن حياة «العزوبية» تضر بالصحة. فقد كشف استبيان اجراه مركز الاستطلاع الوطني في بريطانيا وشمل ألف عازب تتراوح أعمارهم بين ٢٦ و ٤٥ عاما، أن غير المتزوجين أقل سعادة وصحة من المتزوجين. كما أوضح الاستطلاع أن غير المتزوجين يميلون إلى الإفراط في شرب الكحول والتدخين وتناول الوجبات السريعة، وهي أمور تضر بالصحة الجسمية والنفسية. ويضيف الأطباء النفسيون أن غير المتزوجين لا يحصلون على المساندة المعنوية والاجتماعية والصحية التي يحصل عليها المتزوجون من شركاء حياتهم الذين يوفرون لهم بيئة تشجعهم على السلوك الصحي وتحميهم من الاكتئاب»(٧).

إذاً، يبدو من الدراسات الطبية والاحصاءات الاجتماعية أن الأمراض النفسية - كالكرب (الشدة النفسية) stress والاكتئاب depression - أكثر حدوثا بين العزاب منه بين المتزوجين. وتعزى بعض أسباب ذلك إلى الحياة المنظمة التي يحياها المتزوج، مع ما يوافق حياة الزوجية من شعور بالمسؤولية.

ولكن السبب الرئيس في ذلك «الطمأنينة» التي يحدثها الزواج الذي يعد من أهم المشاركات البشرية. فالزواج لا يؤمن فقط إرضاء الحاجات الغريزية، بل يؤمن أيضا مختلف الحاجات التي يؤدي فقدها إلى الإخلال بالشخصية. فشعور أحد الزوجين بأنه موضع تقدير واهتمام ومحبة ومودة من الشريك الآخر، يوجد لديه الطمأنينة. والأهم من هذا وذاك مواجهتهما مصاعب الحياة معا والمشاركة الوجدانية في حلها وبث كل منهما همومه للآخر، وهذا أحد أهم أساليب العلاج النفسي الحديث! ألا يدع الطبيب مريضه يبوح بكل ما في نفسه ويخرج كل ما في داخله من خبايا وهموم وأشجان؟ أما الأعزب فمن له إذا لم يجد الصديق الصدوق؟!

الإسلام حل المشكلات الزوجية بالتعاليم الدينية والتربية الخلقية السلوكية في البيت والمدرسة والمسجد وأجهزة الإعلام

وعند الرجل ـ يضاف إلى ذلك ـ التخلص من الوحدة وإرضاء عاطفة الأبوة، وعند المرأة الشعور بالطمأنينة المادية (الاقتصادية) وإرضاء عاطفة الأمومة، وجميع ذلك يشيع الرضا الكامل في النفس.

ولكن إصابة الشخص بالمرض العقلي أو النفسي قبل زواجه، ينقص جدا ما ينتظره في الزواج من طمأنينة، بل لا يستطيع ذو الشخصية المحدودة والحال الوجدانية المضطربة أن يتلاءم مع الوضع الجديد الذي يفرضه الزواج، ومنها تنشأ مشكلات نفسية واجتماعية كثيرة.

أما المشكلات الزوجية فالإسلام حلها بالتعاليم الدينية والتربية الخلقية السلوكية في البيت والمدرسة والمسجد وأجهزة الإعلام (من تلفاز وإذاعة وصحافة)، فتراه يصالحها هو مرة وهي مرة، هو يحلم عند غضبها وهي تحلم عند غضبه، وإن لزم الأمر تدخل أهله وأهلها بالإصلاح بينهما والعدل؛ عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ : «إذا خطب إليكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض» (٨)، وفي رواية أبي حاتم المزني قال رسول الله ﷺ : «إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد. قالوا: يا رسول الله، وإن كان فيه. قال: إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه، ثلاث مرات» (٩).

ويمكننا أن نضع عشرين خطأ تحت قوله ﷺ : «فتنة في الأرض وفساد عريض».

[ولهذا فإن الإسلام رغّب بالزواج وحض عليه باكرا ما امكن، وخطط لتذليل العقبات دونه.. ولاسيما غلاء المهور والإسراف في النفقات، ثم أوجب اختيار الزوج ذي الدين (أي صاحب الوجدان والضمير الحي كما يقولون) وذي الخلق (أي المتحلي بالسلوك الاجتماعي القويم).

والغالب أن يدل الخلق السوي على نفس سوية، يقول تعالى: (ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة أن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون) (١٠)، ومدح أولياءه المؤمنين بأنهم يسألونه الزوجة والذرية الصالحة فقال سبحانه: (والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماما) (١١).

وقال رسول الله ﷺ مخاطبا الشباب: «يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغضُّ للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء» (١٢)، واستطاعة الباءة هي القدرة على القيام بحقوق الزوجية، كالنفقة مثلا؛ وإلا فالصوم له وجاء ووقاية، أي إضعاف للنفس يؤدي إلى تخفيف الشهوة مع دوام المراقبة لله عز جل بعبادة الصيام.

غير المتزوجين يميلون إلى الإفراط في شرب الكحول والتدخين وتناول الوجبات السريعة وهي أمور تضر بالصحة الجسمية

وقال عليه الصلاة والسلام: «تزوجوا الودود الولود، فإني مكاثر بكم الأنبياء يوم القيامة» (١٣)، وقال عليه الصلاة والسلام حاضا على تيسير مؤونة الزواج وأسبابه: «أن من أعظم النساء بركة إيسرهن صداقا» (١٤)، وقال ﷺ : «خير الصداق أيسره» (١٥).

ولقد شجع الإسلام على نكاح غير المتزوجين من ذوي الصلاح ولو كانوا فقراء، يقول تعالى: (وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله والله واسع عليم) (١٦)] (١٧). ؟■

الهوامش:

١ ـ «السعي وراء السعادة»، العدد ١٠، سنة ١٩٩٦، وهذه المجلة هي النسخة العربية المترجمة عن المجلة الأميركية «سيانتيك أميركان».

٢ ـ مؤلفا هذا المقال ديفيد مايرز وادينير يدرسان السعادة منذ ما يزيد على عشر سنوات، مايرز هو أستاذ علم النفس في كلية هوب في ميتشيغان ومؤلف كتاب «السعي وراء السعادة» من السعيد ولماذا؟ المنشور العام ١٩٩٢م، أما دينر فهو أستاذ علم النفس في جامعة إلينوي، وتتركز أعماله الحالية على الفوارق الثقافية في السعادة الشخصية والتكيف مع أحداث الحياة.

٣ ـ بمعنى: لا يملكون مقداراً مقبولاً من السعادة.

٤ ـ العدد السابق ص ٢٨.

٥ ـ العدد السابق ص ٣٠.

٦ ـ العدد السابق ص ٣٣.

٧ ـ عن صحيفة الرأي العام الكويتية.

٨ ـ الترمذي باب النكاح/ ١٠٠٤.

٩ ـ الترمذي باب النكاح/ ١٠٠٥، وقال أبو عيسى هذا حديث حسن غريب وأبو حاتم المزني له صحبة ولا نعرف له عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ غير هذا الحديث.

١٠ ـ سورة الروم: ٢١.

١١ ـ الفرقان: ٧٤.

١٢ ـ رواه البخاري ومسلم عن ابن مسعود.

١٣ ـ رواه أحمد والطبراني في الأوسط، وابن ماجه وصححه البيهقي في السنة، وقال الهيثمي: إسناده حسن.

١٤ ـ رواه البيهقي في السنة الكبرى.

١٥ ـ رواه ابن ماجه والحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين وأقره الذهبي.

١٦ ـ النور: ٣٢، والأيامى جمع أيم، من لا زوج له، ذكراً أو أنثى.

١٧ ـ الطب الوقائي في الإسلام، د. عادل بربور وآخرون، ص ١٧٦.

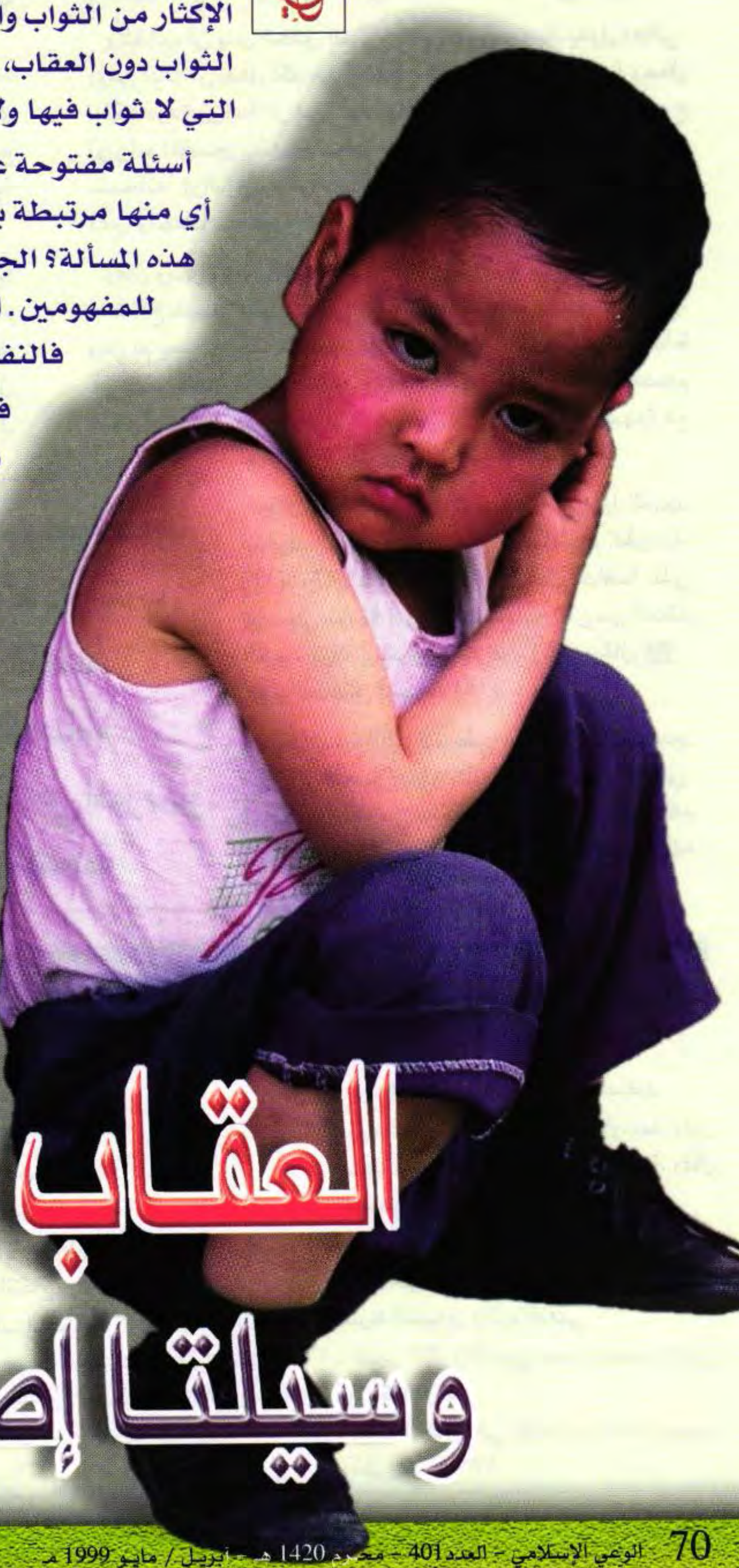
بقلم : محمود غزي بن حسن

الآراء تتضارب بين أوساط المربين والمختصين، فريق يعتقد أنه يجب الإكثار من العقاب والإقلال من الثواب، وآخر يرى الإكثار من الثواب والإقلال من العقاب، وثالث يجزم بضرورة الثواب دون العقاب، ويرجح الرابع أن التربية الحقيقية هي التي لا ثواب فيها ولا عقاب.

أسئلة مفتوحة على بساط البحث وترجيح الكفة لصالح أي منها مرتبطة بعامل الزمن... ولكن ما موقف التربية من هذه المسألة؟ الجواب : كتب ومقالات تحوي أفكاراً للمفهومين. الثواب والعقاب. إلى المرض الشامل لهما، فالنفي القاطع.

فتربية الطفل لا يمكن أن تتكامل إلا بالتعاون المثمر بين البيت والمدرسة والمجتمع، والتعاون السليم بين هذه الأقطاب الثلاثة يؤدي حتماً إلى إعداد المواطن الصالح الذي قال فيه رب العالمين: (لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم) التوبة :٤

صدق الله العظيم.



هل العقاب والثواب وسيلتا إصلاح تربوي؟

فالأسرة هي المهد الأول لنشأة الطفولة المبكرة، وأن مجمل علاقاتها تنعكس سلباً أو إيجاباً على سلوك أطفالها في أبسط علاقاتها وإيماءاتها الحيوية، فالأطفال كائنات إنسانية ذات عواطف وانفعالات وحاجات تحيا، تسرّ، وتتألم... مجموعة من القوى التي يجب صيانتها لتبقى حية تنمو وتعمل بنشاط وفعالية ضمن أسرها المتعددة الأنماط. فذكريات الطفولة هي العامل الأكبر في تكون شخصياتهم المستقبلية، وإن السنوات الخمس الأولى هي التي يعول عليها في أن يكون رجل المستقبل في الناس شجاعاً صادقاً أو مارقاً ضئيل الشأن محدود القوى، وتجارب هذه السنوات وذكرياتها تظل في الخفاء وتبقى ماثلة في اللاوعي. فلا شيء يضيع في النفس، والذاكرة تحتفظ بجميع الآثار التي علقت بها من تجارب الماضي وانفعالات الطفولة بكل ما فيها من نواة وإكراه أو تعامل ومحبة، فإذا احترمنا في الطفل إنسانيته سيشب على احترام نفسه ويحتفظ بطابع الاحترام للآخرين في الإقامة، وإن رأيناه كتلة من السخافات فسيكون حزمة من التفاهات.

ومن هنا كان التوازن في المعايير السلوكية تجاه الأطفال كالثواب والعقاب من صميم الحياة التربوية الحسنة، ثم الاعتدال في المعاملة وإشعار الطفل بالعطف والتقدير ومنح الحرية لرغباته الأساسية أو الاعتماد عليه في أداء الواجبات كنوع من المسؤولية واللجوء إلى التسامح والتواضع في المعاملة من صميم التربية الناجحة، فالحياة الأسرية مليئة بالواجبات البسيطة والالتزامات العادية وكثيراً ما يتعرض الطفل في سن طفولته المبكرة لأداء بعض منها كأوامر صادرة إليه يفسرها بمضمونه البسيط كعقاب ضمني، فيعمد إلى تنفيذها تحت ستار من الكبت تظهر ردود أفعالها في حياته المستقبلية ثم التشبث بأقواله. ومن الخير أن نحول هذه الأوامر إلى مطالب توحي ولا تقيد «كقولنا إن التخفف من الملابس مفيد عند النوم فمن يسبق منكم الآخر»، وأن ما يميز الأطفال في مرحلة الطفولة المبكرة ميلهم الكبير إلى الحركة والنشاط وإحداث الضجيج المستمر والصخب ثم الثرثرة المتواصلة لحد الانفعال. الأمر الذي يثير حفيظة الأهل بإعادة الهدوء إلى جو البيت بالتلميح أو الإكراه، «فالصخب والانفعال من دعامات شخصية الأطفال وكل حياة تقوم على السكينة والهدوء جامدة لا تقر شيئاً... أما الحياة الصاخبة المتفجرة بالحماسة والتفاعل فهي عميقة تتصل بالحياة بوجهها العابس والمشرق، واستخدام أساليب قمع الحيوية والتفاعل والغضب بأساليب جبرية تزيد من حدتها وتخرجها من قاعدتها. وكل ما ترجوه من حالات الغضب أن ندع أطفالنا يتقبلون المضايقات بأدب ويستقبلون التعاون بلطف والنصح بوعي وأن يؤجلوا مطالبهم عن رضى، فالأولاد ثمرة الحياة بهم تحيا المنازل وتغمر جوانبها الغبطة والسرور وكل جهد في سبيلهم محبب وكل غناء في تحصل أرزاقهم يطيب ويعذب، نسهر ليناموا في رضى وبشر، ونتعب ليشبعوا ما تعاقب الليل والنهار، نحوطهم من مزالق الحياة بالمهج والأرواح، لأن حياتهم امتداد لحياتنا، وحين سأل موسى عليه السلام ربه «أي الأعمال أحب إليك؟ قال: «إلطاف الصبيان فإنهم فطرتي، فإذا ماتوا أدخلتهم جنتي» صدق رب العالمين فهم ودائع ينبغي أن ترعى وأمانات لا يشتغل بملاذه وشهواته عنها إلا من فسدت فطرته وخلف دينه واستوجب الجحود في خريف العمر حين يتطاول إلى بر الأولاد وصلى الله على من قال «رحم الله والداً أعان ولده على بره».

وأبعد الناس عن شرف الأمومة تلك التي تضيق ذرعاً فتسرف في زيارات لا فائدة منها ويدعن أغلى كنوزهن للخدم يصنعون بهم ما يريدون ولنا في رسول الله أسوة حسنة حين تدخل عليه فاطمة الزهراء فيقوم لها ويأخذ بيدها ويقبلها ثم يجلسها مكانه، وكان يحمل أمامة بنت زينب «ابنته» وهو يصلي الفريضة، فإذا سجد وضعها وإذا قام رفعها، هذا الدستور النبوي النابع من صميم الحكمة الإلهية يقر بلا منازع مكانة الطفولة السامية والأخذ بالرفق واللين والتعاطف الحاني في بذل فيض المحبة والاعتناء الكبير لهذا النشء البكر كواجب إلهي وسمو خالد لا جدال فيه، فلنحسن تربيته وإعداده للحياة كما في قوله صلى الله عليه وسلم «من حق الولد على الوالد أن يحسن اسمه وأدبه وكنيته وأن يعفه إذا بلغ، وأن يعلمه كتاب الله والسباحة والرمي»، فالإكراه والعنف وسائل مرفوضة كعملية تربوية وغرس الفضائل والسجايا الحميدة ضرورة تربوية ملحّة وواجب ديني ودنيوي لإعداد جيل متسلح بالخلق الكريم والبنية القوية، وما أكثر ما يترامى إلى الأسماع من أنباء تفاهة بعض الأبناء وانحرافهم عن الصواب في كثير من وجوه الحياة ومنبع ذلك الأسرة الفاسدة التي اتخذت اللامبالاة والإكراه أسلوب تعامل، حيث التمرد والعصيان في نهاية المطاف لتكون الثمرة الفاسدة التي تعطب شرايين الحياة الاجتماعية برمتها.

فالعطف والرعاية الصحيحين من صميم التربية الحسنة، والتحمل والصبر للأسرة الناجحة صفة بارزة للأب الرؤوف وللأم الرؤوفة، وثوابها كبير عند الله عز وجل، قال صلى الله عليه وسلم: «من كنّ له ثلاث فصبر على لأدائهن ـ وضرائهن «بما يسببنه من هموم ومتاعب» وسرائهن أدخله الله الجنة برحمته إياهن. فقال رجل واثنتان يا رسول الله قال: واثنتان، قال رجل: يا رسول الله وواحدة. قال وواحدة» المنذري ج٣ ص ٦٨ ـ ٦٩.

فالتوجيهات الرشيدة منذ بكرة الصبا أمنع سياج لجيلنا الصاعد ممن لا يجدون الرعاية بل الإهمال الأسري... ويأتي دور المدرسة كعامل فعّال في ترسيخ مبادئ الخلق والمعرفة لدى الأطفال خلال سيرتها الزمنية الطويلة نسبياً. فمدرسة القرون الوسطى تبنت مفهوم الطاعة العمياء، كهدف أسمى وسلاحها التربوي «العصا» كعقوبة جسدية دائمة. وفيما ظهرت مدارس أخرى، تبنت مفهوم الحرية وفضلت العقاب الخفيف، «عقوبات مهنية «ارتداء القناع ـ الوقوف في آخر الصف، الجلوس في غرفة مظلمة»، وأما الثواب لديها «مزايا وهدايا وشهادات تقدير»، وأما الهدف من وراء ذلك، هو إثارة روح التنافس، مما فرز مجموعتين من الطلاب «مطيعة ومحبوبة ـ وعصبية ومزاجية» حيث أخلّت بمبدأ التوازن بين «العقاب والثواب».

وهذا التقسيم الطفلي لا يمكن إلا أن يكون وسيلة قسر وتفريق بين الأطفال وزرع مشاعر الخوف والشماتة، وأنه يجب نسف هذا المفهوم الأخلاقي السلبي.

ومن المفضل أن يسعى المربي لأن يصبح العقاب والثواب غير ضروريين «د. أوشنسكي» لأن فكرة التربية الصحيحة هي التي تخلو

من كلا المفهومين لتكون العلاقات المتبادلة في تناغم مثالي بين المدرّس والتلميذ اللذين يسعيان إلى هدف واحد هو معرفة الخير والجمال وعلى المعاقب أن يهدف إلى إبعاد العقاب. وعن مفهوم الثواب والعقاب كوجهين لعقل واحد هو «التحفيز». وأكد بعضهم إلى وحدة وظائفهما كوسيلتي تربية في ضم الأحاسيس المرضية وغير المرضية فلا يجوز ممارسة إحداهما دون الأخرى، لأنه في مثل هذه الحال تحصل أحادية مختلفة لأحاسيس مُتشابهة «فارماكوفسكي»، فالثواب يدفع الطفل للقيام بمجهود ويعطيه دفعاً نحو جهود جديدة، والنشاط ذاته والجهود العملية تعتبر حافزاً أساسياً، والعقاب يستخدم لكبح جماح السلوك غير المرغوب فيه للمساعدة في إبقاء الطفل ضمن معيار معين للمطالب وكلما كانت المعايير الأخلاقية المعممة موجودة بشكل أكثر، كلما كان المربي والجماعة الطفلية المنبثقة من المدرسة صارمين في استخدام الثواب والعقاب.

والشروط الأهم لتصور الحافزية الذاتية في استخدام الثواب والعقاب يعتبر التزام المرء بالحدود المرعية، ومن الصعوبة القول: إن الأكثر ضرراً في التربية «الإطراء - استخدام الثواب المفرط والإدانة المفرطة اللتين تستخدمان بشكل يومي كتأثيرات عادية على التلاميذ، فإن الثواب والعقاب كوسيلتي تربية يخالف عكساً كثافة استخدامهما ويجب اللجوء إليهما إذا ما فرضت الحالات المعقدة التي تتميز بضرورة إحداث تغيرات في حقوق وواجبات التلاميذ ضمن الجماعة الطفلية وفي علاقاتهم المتبادلة.

ويتجلى المضمون الأخلاقي لكلا المفهومين من خلال علاقات الطفل المتنوعة والتي تميز هذه الحال أو تلك بالإشارة إلى العلاقات بين المربي والأطفال وبين الأطفال ذاتهم ومواقفهم من هذا النشاط أو ذاك. المنظم للعملية التربوية. ومواقفهم من أنفسهم وتتجسد في التقويم الذاتي والحالات النفسية الداخلية، فالبنية السيكولوجية لكلا المفهومين تستأثر بكل النشاطات والفعاليات النفسية الأساسية للشخصية المتكونة، وأن بلوغ النتائج التربوية المنشودة والمجال الدافعي والانفعالات والوعي والنشاط والمواقف التي تظن خلالها معتمدة على مهارة المربي الشخصية والعمرية لضبط مواقف التلاميذ انفعالياً في كل حالات الثواب والعقاب وأن يأتي التعرف على أنواع وأشكال العقاب والثواب والتدابير الإجرائية لكل منها، كضرورة منهجية وتربوية لفهم حالات الحياة المختلفة وخلق تصور وتدابير أكثر نموذجية لدى المربين والمختصين كعينات انتقاء ودمج لتكوين السلوك الأفضل لدى المراهقين والأطفال.

إذ ينخرط المربون في علاقات رفاقية متبادلة ووثيقة وتعامل ودي كقيمة ثمينة خلاّقة وتقارب روحي من خلال العلاقات السامية مع التلاميذ... ونشير هنا إلى بعض التلاميذ ومن يسيؤون بسلوكهم إلى المدرسة والجماعة الطفلية باتباع إجراءات سلوكية تربوية من مثل:

١ - التنبيه في صيغة الاحترام الرسمي وبشكل صارم.

٢ - الإخراج من الصف إذا تصرف التلميذ بسلوك غير ناضج مهين للمدرس والجماعة.

٣ - الإنذار كتدبير قصاصي وإدانة أخلاقية وخاتمة لمناقشة الإدارة والمجلس التربوي.

٤ - النقل إلى مدرسة أخرى إذا كان التدبير سيؤدي إلى نتيجة تربوية.

٥ - الفصل في حالات عدم الانصياع وبخاصة للبالغين والجانحين منعاً واتقاء من التمادي في الإساءة.

ولما كانت المدرسة امتداداً مهماً مثمراً لتفكير تربوي وعملي معترف به فإن مناهجنا المدرسية وأساليب التوجه فيها أكثر ارتباطاً بعمليات الحياة وحاجاتها من أي وقت مضى - الآن - وقد قدر لهذا أن ينمو ويزدهر خلال التجارب الناجحة المستمرة التي تجري في جميع مستويات الحياة وميادين التعليم وجميع قطاعات المجتمع سواء كان محلياً أو إقليمياً أو دولياً.

والحاجة التربوية الملّحة لمواجهة مشكلات المجتمع «كالجهل والجشع والاستهتار والتأخر الاقتصادي والحضاري عموماً مسائل عصرية مطروحة أمام جيل المستقبل وعليه مواجهتها!

وبتنمية الرغبة النابعة والإحساس العميق بالمسؤولية التي ينبغي أن يتحملها كل منهم ثم تزويدهم بالمعارف والمهارات التي يحتاجون إليها في العمل والحكم الصائب وكيفية تخطي الصعوبات التي يواجهونها في الميدان الاجتماعي ثم التدريب على نواحي النشاط المثمر الخلاّق في الجماعة المدرسية وتنمية روح الولاء المطلق للعمل الديموقراطي المنظّم وتطبيقاته بروح بعيدة عن القسر والإكراه ونابعة من الولاء القائم على الإدراك والبصيرة تجاه مجتمعهم لوقف التيار الجارف لكثير من النماذج الغازية الفاسدة، والتصدي لها كمسؤولية تربوية وطنية.

الآراء ووجهات النظر تتفق من حيث المبدأ - حتى وقتنا الحاضر - على إقامة التوازن بين مفهومي العقاب والثواب كأولية تربوية ومسؤولية أخلاقية والرعاية التامة بتربية النشء كواجب إنساني محض وضرورة حضارية لجيل المستقبل.

هذا المبدأ أقرته الشرائع والقوانين العصرية، وأن أحادية الأخذ بجانب واحد تخل بعملية النمو السليم وتعكس آثارها السلبية في المستقبل. ثم فكرة رفض المفهومين بالأساس من العملية التربوية من منطلق الالتزامات والواجبات الطفلية أمر يصعب تداركه في مراحل الطفولة المبكرة... هذا ومازالت التجارب والبحوث الميدانية تسعى جاهدة في طرح بدائل مختلفة كخيارات عملية دون أن تستقر على رأي معين أو ترجيح الكفة لصالح أي طرف. ■

المصـادر:

١ - العلاقة بين الآباء والأبناء: د. عدنان سبيعي - وزارة الثقافة والإرشاد القومي - سلسلة الثقافة الشعبية.

٢ - آباء وأبناء: المؤلفان: كامل بنقسلي - خالد قوطرش. - مطبعة الجمهورية.

٣ - الإسلام والأسرة: تأليف: معوض عوض إبراهيم - دار النشر للجامعيين - سلسلة الثقافة الإسلامية.

٤ - المدرسة والمجتمع: أدوار أولسن. ترجمة: أحمد زكي - مؤسسة المطبوعات الحديثة - القاهرة.



بقلم: محمد رشيد العويد

حتى لا نفقد السكن

لو كانت زوجتي ضدي!

قال شقيق البلخي لامرأته: «لو أن أهل بلخ كلهم معي، وأنت عليَّ، ما قدرت على حفظ ديني»

ما أعظم هذه العبارة، وما أوجزها، وما أبلغ دلالاتها، وما أحسن ما تعنيه من أهمية وظيفة المرأة في الحياة وخطرها وأثرها!

وأحسب أنها لسان حال كثير من الرجال، لسان حال القائد العسكري: «لو أن الجند كلهم معي، وأنت عليَّ، ما قدرت على حفظ ديني»، ولسان حال الطبيب: «لو أن كل من في المستشفى من أطباء وممرضين معي، وأنت عليَّ، ما قدرت على حفظ ديني»، ولسان حال المدرس: «لو أن جميع طلابي وتلاميذي معي، وأنت عليَّ، ما قدرت على حفظ ديني»، ولسان حال المهندس: «لو أن جميع من يعمل عندي من مساعدي مهندسين وعمال... معي، وأنت عليَّ، ما قدرت على حفظ ديني»... وهكذا كل رجل في الحياة، لا يقدر على حفظ دينه، إذا كان كل من يعمل عنده، وتحت إمرته، يقف معه... لكن زوجته تقف ضده.

أرأيت أهمية ما توفرينه من سلام في البيت، ودوره في حفظ دين زوجك، بل دينك ودين أولادك أيضاً؟!

كل من هو خارج البيت، بل كل من في العالم، لايمكن أن يساعدوا زوجك على حفظ دينه... كما يمكن أن تساعديه أنت على ذلك.

وإذا لم ينجح الرجل في حفظ دينه، فلا أمل يُرجى في حفظ غير دينه أيضاً، فقد يهمل في عمله، أو يضعف في أداء مهامه، أو يخفق في التقدم فيه، أو في الحياة كلها.

أليس الرجل الذي يحفظ دينه هو الذي يحفظ سرّ بلده، ويتقن عمله، ويحفظ حقوق العباد؟!

أليس الرجل الذي يحفظ دينه هو الذي يقوم بالخلافة التي جعله الله تعالى لها في الدنيا... كما أمره سبحانه ورسم له؟

ومن ثمَّ، أليس من حق المرأة أن تكون شريكة في كل نجاح يحققه زوجها في الحياة؟ لأنها هي التي وفَّرت له السلام البيتي والنفسي... الذي ساعده على تحقيق ذلك النجاح!

وكذلك، فقد تكون المرأة شريكة في كل إخفاق يلحق بزوجها في الحياة، لأنها جعلت البيت ميداناً لمحاربة زوجها، وتنغيص عيشه!.

أعود فأقول: إن هذا يزيدنا إدراكاً لما أراده النبي - ﷺ - في قوله: «فاظفر بذات الدين تربت يداك»، فلولا أنها وفّرت له السلام في البيت، والطمأنينة في النفس، والراحة في الجسم والأعصاب، لما قام بما يقوم به، أو لما أتقن القيام بما يقوم به من حفظ لدينه، وأداء لعمله، ولهذا كان لها من الأجر على ما يقوم به الرجل، مثل ما له تماماً.

وأرى أن نقف عند هذا المعنى المهم الوقفات التالية:

أولاً: للمرأة المسلمة، بعد هذا، أن لا تبخس عملها في رعاية زوجها وتربية أولادها، وفي توفيرها جو الأمان والاطمئنان في بيتها، لأن هذا العمل، معادل عند الله تعالى، لما يقوم به الرجل خارج البيت، مهما كان عظيماً، ومهما كانت آثاره كبيرة، كما أن ثوابها عليه مساوٍ لثواب الرجل على عمله، حتى لو كان عبادة مثل الجمع والجماعات، أو حتى جهاداً في سبيل الله بالسيف والسنان.

ثانياً: ليس للرجل، زوجاً كان أو غير زوج، أن يحقّر من عمل المرأة في البيت، كأن يقول: «ماذا تفعلين أنت... تطبخين؟ المطاعم زاخرة بما لذّ وطاب! تغسلين الثياب وتكوينها؟! بدراهم قليلة أغسل ثيابي وأكويها في أي محل يغسل ويكوي على البخار... أحسن غسيل وأحسن كي!».

هذا التجريد لعمل المرأة بخس له، وتقليل من شأنه، بفصله عما تقوم به المرأة عامة في البيت.. مما يوفر في مجموعه سكناً للرجل لا يجده إلا في بيت ترعاه زوجته أو أمه أو أخته.

ثالثاً: أرجو ألا أكون مخطئاً إذا رأيت - قياساً على ما سبق - أن من حق المرأة أن تحصل على نصف ما يحصل عليه الرجل من أجر على عمله خارج البيت، أو ما يحققه من ربح في تجارته، ما دامت تحصل على ثواب مساوٍ لثواب الرجل على ما يقوم به من عبادة وجهاد.

لكنني أستدرك فأقول: إنه مادام الرجل ينفق على زوجته، ولا يبخل عليها مما آتاه الله من فضله، ويوفر لها ما ترغب فيه وتشتهيه من وِجْده وملكه، فإنه كمن يعطيها نصف ما يناله من أجره، أو يحصلَ عليه من مرتب، أو يحققه من ربح. ■

بقلم: أشرف سعد

اللجلجة عند الأطفال



لاشك أن النطق من أهم وسائل الاتصال الاجتماعي، ومن ثم فإن أي عطل فيه يعوق صاحبه من أداء واجبه ويؤثر في نموه الفردي الاجتماعي.

واللجلجة اضطراب في إيقاع الكلام وطلاقته يتميز بالتوقف والتكرار أو الإطالة في الأصوات أو الكلمات، والطفل الذي يعاني من هذه المشكلة يعرف ما يقوله تماماً، ولكن تحدث له إعاقة في النطق يصعب ملاحظتها.

أعراض اللجلجة:

- الميل إلى التكرار حيث يكرر الطفل بعض المقاطع أو الكلمات وأحياناً بعض الحروف ويكون ذلك مصحوباً بالتوتر النفسي.
- الإطالة ... يطيل الطفل المصاب باللجلجة في كلامه، وفي نطق الحروف الساكنة وهذا أهم ما يميزه.
- الإعاقة... ويبدو فيها الطفل عاجزاً عن إنتاج الصوت بالرغم من المجاهدة الكبيرة للتغلب على ذلك.
- الاضطرابات الحركية وهي من المظاهر المصاحبة للجلجة في رموش العينين، وارتفاع حدة الصوت وارتعاشات حول الشفاه كما تحدث حركة لا إرادية لليدين أو الرجلين.

١ ـ الأسباب النفسية التي تؤدي إلى اللجلجة.

يعاني الأطفال المتلجلجون من مقادير في اضرابات الشخصية وسوء التوافق الانفعالي والقلق والشعور بالإحباط.

٢ ـ الأسباب الاجتماعية.

من العوامل التي تساعد على ظهور اللجلجة الخلافات الأسرية وشعور الطفل بأنه غير متقبل من جانب أفراد أسرته.

وأحياناً تبدأ اللجلجة عند بدء التحاق الطفل في المدرسة، وبذلك تكون المدرسة في بعض الأحيان هي السبب في ظهور اللجلجة عند بعض الأطفال، وذلك يرجع لعدم ملاءمة المواد الدراسية لقدراته العقلية أو لعدم مقدرته على مسايرة زملائه في التحصيل الدراسي، ويزيد الخوف من التوتر النفسي عند الطفل ويكون السبب وراء ظهور اللجلجة، كما يساعد على ظهورها توبيخ الطفل أمام زملائه في الفصل إذا أخطأ في إجابة على بعض الأسئلة.

٣ ـ الأسباب العضوية.

يرى «فان رايبر» أن الأسباب العضوية في مجملها عبارة عن أسباب استعدادية، وأكد بعض علماء النفس أن اللجلجة ترتبط بالوراثة وهي توجد في بعض العائلات في أجيالها المتعاقبة مما يوحي بأنها وراثية.

ومن ذلك يتضح أن اللجلجة ظاهرة مركبة. وتختلف أسباب اللجلجة من طفل إلى آخر، ولكن تتداخل الأسباب معاً وهي نتاج لعوامل كثيرة.

كيف نتصرف إزاء الطفل المتلجلج؟

- يجب أن نجعل الطفل يثق بنفسه ويثق بمقدرته في التخلص من عيوبه.

ـ تقليل التوتر النفسي ببث الطمأنينة في نفس الطفل نظراً لأنه يكون حساساً لعيوبه في النطق.

ويمكن تحقيق ذلك بخلق جو يسوده الحب والود والتفاهم والثقة المتبادلة.

ـ لا نوبّخ الطفل أنو نسخر منه، وذلك لأن اللوم والنقد يفقدان الطفل ثقته بنفسه ويؤديان إلى اضطرابه الانفعالي وشعوره بالنقص.

ـ عدم الإصرار على سرعة مخارج الحروف والكلمات من الطفل المتلجلج لأن ذلك يزيد من المشكلة ويعقدها.

ـ الاهتمام بالإصغاء لحديث الطفل المتلجلج وتشجيعه، فالطفل المتلجلج يجد في إنصات والديه ومعلميه إثباتاً لذاته ويزيد ثقته بنفسه.

ـ ينبغي عدم مقاطعة الطفل عند الحديث أو تصحيح ألفاظه عندما يتحدث. لأنه بنفسه بعد فترة سيدرك أخطاءه ويبدأ في تصحيحها.

ـ ترك الطفل يتحدث ويعبر عن نفسه ومشكلته حتى نقلل الضغط النفسي الموجود في داخله.

علاج اللجلجة

أولاً: العلاج النفسي

ويفضل البدء بالعلاج النفسي لتقليل التوتر النفسي عند الطفل وتنمية شخصيته وإشعاره بالأمان في البيئة التي يعيش فيها ويجب أن يساعد الوالدان الطفل في الاعتماد على نفسه وإشعاره بالحب والأمان لأن لذلك دوراً كبيراً في العلاج ومع ذلك نبعد عن التدليل حتى لا يحدث للطفل تثبيت لظاهرة اللجلجة.

ثانياً: العلاج العضوي

لابد من التأكد من أن الطفل لايعاني من أمراض عضوية تؤدي إلى حدوث اللجلجة، مثل اضطراب الأعصاب المتحكمة في الكلام أو إصابة، المراكز الكلامية في الفم بتلف، لذلك يجب علاج عيوب الجهاز الكلامي إذا كان السبب من الشفاه، فلربما يكون الطفل مصاباً بأرنبية الشفة وهو عيب خلقي وله تأثيره على الكلام، لذا يجب علاج هذا العيب الخلقي، ويرى فريق من علماء النفس أن من أهم الأسباب العضوية للجلجة هو عامل الوراثة، فمعظم المتلجلجين تنتقل إليهم اللجلجة عن طريق الأمهات.

ثالثاً: العلاج الكلامي

ويتلخص في تدريب المريض عن طريق الاسترخاء الكلامي والتمرينات الكلامية وتعليم النطق مع التدريج من الكلمات والمواقف السهلة إلى المواقف الصعبة، ثم تدريب المريض لتقوية عضلات النطق لدى الطفل المتلجلج.

رابعاً: العلاج البيئي

ويعتمد العلاج البيئي على توفير جو اجتماعي ينشأ فيه الطفل، وإدماجه في أنشطة اجتماعية وجماعية تدريجياً لتتاح له فرصة التفاعل الاجتماعي، ويعالج من خجله وانزوائه وعدم انسجامه الاجتماعي ويفضّل العلاج باللعب لأن الطفل من خلال لعبه يتكلم ويعبر عما يجول في داخله من انفعالات وإحباطات.

وعموماً يجب تعاون الآباء والمدرسة لخلق الجو النفسي الصالح لنمو الطفل في المدرسة والمنزل، وبذلك ننجح في علاج الطفل المتلجلج ونوفر له البيئة الصالحة لنموه. ■

الآبــاء والأبنــاء

قال الابن لأبيه: ماذا فعلت لي حتى أطيعك، الطاعة العمياء؟!

قال الأب لابنه: لقد أنجبتك، أتيت بك إلى هذه الدنيا، ردّ الأبن: ولأجل هذا تستبعدني!! عقّب الأب: من أجل هذا ستظل امتداداً لي..

اعترض الابن: مضى هذا الزمن، لن أطيعك إلا عندما أقتنع، أما زمن الآباء والأجداد، زمن الطاعة العمياء، فقد انتهى.

صاح الأب: لا... الزمن يسري في كياني وكيانك إنه ديمومة متدفقة.

صاح الابن: لا، نحن أبناء هذا الزمان، الزمان الذي يتحرك ويتقدم إلى الأمام ولن يتأخر أو يتقهقر ويتراجع إلى الوراء ليعيد الدورة مرة ثانية.

قال الأب في حزن وأسى: لقد حملت هذه البذرة في النخاع سنوات، وعند ارتعاشة الجسد وضعتها في رحم الأرض الطيبة، رويتها بدمائي وعرقي وجهدي وصبري... نبتت ونمت وأينعت وازدهرت... وكنت أنت الثمرة المباركة التي كنت أحلم بأن تكون على شاكلتي، صورة صادقة للمستقبل الذي نأمله وامتداد لا ينقطع لي.

تنهد الأب بمرارة وواصل حديثه بصوت خافت كأنما يحدّث نفسه: الآن، عندما نطل على الحقيقة يتبدل ويتغير كل شيء... كل شيء.

قال مواسياً: محال أن تمسك بخيوط الزمان في يديك، فلن تطويه أو تجذبه لصالحك... وتتحكم في الأجيال اللاحقة، سيطويك الزمان، ويغيّر وجه الأرض ولون الثمرة وطعمها ومذاقها، يغيّر كل ما كنت تتوق أن يكون، كل ما عشت من أجله وكافحت في سبيله، فلن تكون الثمرة صورة مطابقة للصورة التي عاشت في ذهنك لسنوات، تحلم بأن تتحقق... لكن، لك زمانك ولنا زماننا.

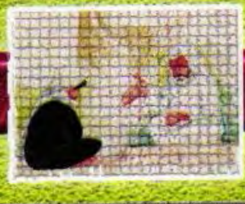
سأل الأب ابنه في حيرة وذهول: والمستقبل المنشود؟!، أجاب الابن: لن يكون لنا... سيكون لثمرة أخرى مختلفة تماماً عن الثمرة التي أنتجتها أنت وبذلت فيها الجهد والعرق والصبر.

قاطعه الأبن متسائلاً: وماذا يربطني بك إذاً؟!، أجاب الابن: الحب.

ردد الأب: الحب، رغم كل هذا الاختلاف بيننا...؟!.

قال الابن: نعم، الحب المتبادل بيننا، ذلك الرباط الخفي... أقوى من الزمان، أقوى من كل شيء، هو الذي يربطنا جميعاً في أن نسير في الدرب الطويل نفسه، وأن نكون معاً، وكل واحد منا يمتلك زمانه، والويل لمن يحاول أن يمتلك كل الأزمان... فلن يحصد سوى الحسرات. ■

عبدالستار خليف



تحقيق : ناهد إمام

للغياب أسباب كثيرة منها طلب الرزق أو السفر أو مصاحبة الأصدقاء... وحينما يغيب الزوج فإن كل شيء في البيت يتجمد... بل إن رابطة الزوجية نفسها تتهدد ... فغياب الزوج وخصوصاً بسبب السفر يفرز نمطاً جديداً من التعامل داخل الأسرة بين الزوجين والأبناء... وفي كل الأحوال، فإن للغياب فاتورة باهظة يسددها الزوج... الزوجة... الأبناء «الخاسر الأكبر»!

فهل يهدِّد غياب الزوج وجود الأسرة؟ ولماذا تكون المشكلات الزوجية هي القاسم المشترك لغياب الزوج؟ وكيف يغير السفر و«الغربة» من الأزواج والزوجات؟ وما أثر ذلك على الأبناء والعلاقة المقدّسة بين الزوجين؟!

حصاد الغياب !

لايجتمعان!

«كل ذلك من أجل أولادي وأسرتي» هكذا بدأ محمود عبداللطيف «مهندس وصاحب أحد المشروعات الخاصة حديثه» قال: في بداية زواجي اكتفيت بعملي كمهندس، ولكن بعد أن رزقني الله بثلاثة أطفال، أحسست أنني بحاجة لزيادة موردي المالي لتغطية مصاريف أسرتي وتوفير حياة كريمة تليق بوضعي الاجتماعي والثقافي، ففكرت في مشاركة أحد زملائي في إدارة مشروع خاص، وتحدثت إلى زوجتي عن ذلك فشجعتني وتحمست، ودارت عجلة العمل، وحققت ربحاً فوق المتوقع، وسعدت بنجاح المشروع، ولكن على الجانب الآخر، نغصت سعادتي مع زوجتي حيث العمل المتواصل، ومن ثمَّ فأنا دائماً مقصّر ولا أجد سوى اللوم والتذمر والنكد، ومازلت حائراً

أسماء سمير: «سيدة في الثلاثين من عمرها» تقول: لا شك أن المال قوة وهو عصب الحياة، وخير قرار يتخذه رب الأسرة المسؤول هو تأمين المستقبل، ولكن هذا لا يعني إهمال الجانب الأسري والابتعاد عن البيت... إن زوجي يعمل ١٥ ساعة في اليوم وما أن ينتهي من ساعات دوامه الرسمية، حتى يلتحق بعمل آخر، ويكتفي بقضاء أحد أيام الأسبوع معنا، وكل يوم يعود مرهقاً، ثم يتشاجر معي لأتفه الأسباب... لا يستقبل ضيوفنا، ولا يتابع أولادنا، ويكتفي بدس المال في يديّ لأتصرف في تدبير أمور المنزل والأولاد... فهل هذه حياة أسرية رضية؟!

عصفور السعادة!

سلوى عبدالله «ربة بيت»: تقول: أتمنى لو يعلم الأزواج معنى الغياب عن المنزل... فالمرأة تنظر إلى زوجها على أنه كل حياتها، وتريده أن يبقى بجوارها، يطيِّب خاطرها، ويمسح بكفه عناء ومشقة ما تواجهه، وهي تسعى لإرضائه وإراحته، ولكنها تريده أن يشاطرها الحب، والحنان، والمودة، وترى في ابتسامته سعادة الدنيا، وهناءتها، فتربية الأبناء لا تنجح إلا بمشاركته، وشمل الأسرة لا يلتئم إلا بوجوده... فلماذا لا يعي الأزواج ذلك ولا يقدرون مشاعر زوجاتهم؟!

أساتذة الاجتماع : غياب الزوج من أكثر المشكلات انتشاراً في مجتمعاتنا وخطورتها في آثارها النفسية

نادر محمد علي: «مُدرِّس في العقد الرابع من عمره» يقول: اعترف أن عصفور السعادة قد غادر منزلنا إلى الأبد! نعم لقد أوشكت أن أفقد أسرتي وسعادتي، فهاهي زوجتي قد غادرت منزلنا إلى بيت والدها، وما ذلك إلا لأنني أردت أن أسافر للعام الثالث بعد أن سافرت عامين كنت أعود إليها لقضاء شهر الإجازة الصيفية، ولكن زوجتي كانت دائمة التذمر والغضب ، وصرحت لي بأنها ضاقت ذرعاً بحياتها معي، فماذا أفعل؟ هل أبقى مع أسرتي والعودة لسياسة ربط الحزام وشظف العيش؟ أم أسافر وستضمد الأيام جراح زوجتي عندما أعود إليها محملاً بالهدايا، ومحاولاً تأمين حياتنا، وتحقيق أحلامنا؟ ففي أيهما الهناءة؟ لا أدري!!

الحب وحده يكفي!

عماد فتحي: «طبيب شاب» يحكي تجربته فيقول: رزقني الله بطفلة جميلة بعد زواج دام ثلاث سنوات... واستطعت الحصول على فرصة عمل في الخارج، فسافرت وأهلي وربطت بيننا لذة الكفاح والحياة الواحدة

بآلامها وآمالها... ولم تكن الرحلة هنيئة، فقد كانت لها مشكلاتها إلا أنها سرعان ما كانت تذوب في بوتقة واحدة يصهرها الأمان والحاجة إلى رفقة الآخر.

أما سامية أحمد «زوجته» فتبادله الأفكار نفسها... تقول: لم أكن أشعر بسعادتي مع زوجي لولا تجربة السفر سوياً... فأنا وزوجي مرتبطان ببعضنا بعضاً ولا يستطيع أحدنا التخلي عن الآخر، وبمشاركته في الغربة أصبح كل منا دنيا الآخر ومنتهاه وبلسمه الشافي!.

حسن الصحبة... لا الوحدة

الداعية الإسلامي محمد حسين يقول: لا شك أن ابتعاد الزوج عن أهله يسبب الكثير من المتاعب، فهو رب الأسرة، ودرع حمايتها من الأخطار لمن يعيشون دائماً في ظله من زوجة وأبناء... ولكن «الغياب» أو الابتعاد هذا تختلف أشكاله فمن الزوجات ممن يشكين انصراف الزوج إلى الأصدقاء وإهمال المنزل والأسرة وهن في هذا محقات إذا ما تجاوز الأمر حدود المعقول، ومنهن من يشتكين غياب الزوج في سفر قد يكون للنزهة أو طلب العلم أو الزرق.

والحياة الزوجية لا تستقيم بالفراق وإنما بالوئام وحسن الصحبة والوحدة أمر غير شرعي إن كان اختيارياً ونحن نعلم قصة المرأة التي سمعها عمر بن الخطاب رضي الله عنه تنشد حين كان يطوف في أحياء المدينة :

ألا طال هذا الليل أسود جانبه
وأرَّقني أن لا حبيب ألاعبه

فوالله لولا الله لا شيء غيره
لزُعزع من هذا السرير جوانبه

مخافة ربي والحياء يكفني
وإكرام بعلي أن تنال مراكبه!

فلما كان الغد استدعى عمر المرأة وقال لها: أين زوجك؟ فقالت: بعثت به إلى العراق!! فاستدعى عمر بعض النساء فسألهن: كم مقدار ما تصبر المرأة عن زوجها؟

عدم اكتمال بناء الأسرة طوال فترة سفر الزوج يؤدي إلى اختلاف في أسلوب الرعاية بالنسبة للأبناء

فقلن: شهرين، ويقل صبرها في ثلاثة أشهر، وينفد صبرها في أربعة، فجعل عمر مدة غياب الزوج أربعة أشهر إذا مضت أعيد إلى أهله ووجه بقوم آخرين! ولابد أن يعلم كل زوج أن لربه عليه حقاً، ولنفسه حقاً، ولأهله حقاً، فليعط كل ذي حق حقه، ولا يجعل أهله يفتقدونه لطول غيابه عنهم فتدركهم الوحشة والملل!

أما الغياب «المقنن» في حالة الاضطرار لطلب العلم أو التعبد أو الرزق بالإنفاق والتراضي بين الزوجين فتنصح الزوجة الصالحة بالصبر وهي مأجورة بأجره.

نصف أسرة!

الدكتور عبدالخالق عفيفي «عميد معهد الخدمة الاجتماعية» تحدث في هذا الموضوع قائلاً: من الضروري جداً أن يتفق الزوجان

الزوجات : غيابه لا يعوضه كنوز الدنيا ويؤثر على الأبناء
الأزواج : نريد تحسين دخلنا وتأمين المستقبل

على أسلوب حياتهما، ويناقشا أمورهما بهدوء وعقلانية وتفهم ومشكلة غياب الزوج من أكثر المشكلات انتشاراً في مجتمعاتنا - بكل أسف - وعادة ما يصل طرفاها إلى طريق مسدود ما لم يكن الاتفاق والتنظيم أساساً لتعايش الزوجين.

ولعل أشد صور غياب الزوج ضرراً: هو غياب الزوج بسبب السفر إذ تنشطر الأسرة إلى نصفين، وتنشأ الكثير من المتاعب أبرزها التكيف مع الأوضاع الجديدة، وتغير شكل الإنفاق، لتغير قيمة الدخل، وما يرتبط به من إسراف أو بخل وتنازع في أوجه الإنفاق الأمر الذي يؤدي إلى اضطراب في البناء الأسري ما لم تتوحد الرغبات والتطلعات.

ويحذر الدكتور عفيفي من الآثار النفسية المترتبة على ذلك، فيقول: لا شك أن عدم اكتمال بناء الأسرة طوال فترة السفر يؤدي إلى اختلاف في أسلوب الرعاية والتوجيه وخصوصاً بالنسبة للأبناء ما يؤدي إلى فراغ عاطفي، ونفسي، واجتماعي بين الزوجين!.

و«الغربة النفسية» بين الزوجين هي أخطر ما يواجه الحياة الزوجية إذ تجف عواطف كل طرف تجاه الآخر، ويحدث فتور في العلاقة بينهما ويألف كل منهم حياة العزوبية، وعندما يعود لحياة الأسرة يكون من الصعب عليه ذلك، وقد لا نستطيع عندها إعادة الأمور إلى ما كانت عليه قبل السفر.

لا... للتفكك الأسري !

الأستاذة رضا عبدالستار - باحثة تربوية - تقول: هناك بعض الرجال تدفعهم الدوافع المادية للغياب عن المنزل ولفترات طويلة وهذا، يدفعهم لإثبات ذواتهم، وتحقيق قيم شخصية لأنفسهم ومن ثمَّ يجدون من خلالها ذاتهم في النجاح بما كانوا يحلمون به... ولكن من المفترض أن يكون المنزل والزوجة والأبناء في المقام الأول، ينبغي أن يضعهم رب الأسرة نصب عينيه مهما تكلَّف ذلك من مشقة وعناء قد يتكبدهما إزاء محاولته التوفيق بين عمله وأسرته ففي النهاية سيجد المتعة في أن يكون النجاح الأسري حليفه، وينأى بها عن

التفكك والضياع.

وتؤكد الاستاذة رضا عبدالستار أن للرجل دوراً مهماً في تهيئة الأمور، وتوفير المناخ المناسب والصحي لحياة مشتركة مبدؤها التفاهم، والود، والتقدير حتى تسير عجلة الحياة، وينعم الزوجان بالاستقرار النفسي... ففي حال «الزوج المستهتر»، الذي يتغيب عن أهله وبيته من أجل السهر والأصدقاء والسمر والسفر من أجل النزهة فإنه لا لوم على الزوجة عندما تعلن احتجاجها وتذمرها لإهداره حقوقها، وتحاول أن تقوِّم من أسلوب زوجها بالتأثير غير المباشر وبعيداً عن الانفعال أو التجريح ففي كل الأحوال ينبغي أن يحرص الزوجان على ألا تخسر الأسرة احترامها... وفي حال اضطرار الزوج للغياب فعلى المرأة الناضجة أن تتحمل قليلاً طالما هي واثقة من أنها تعرف زوجها جيداً، وأنه يفعل ذلك لتوفير السعادة لكل الأطراف.

الزوجات أكثر تضرراً

كشفت دراسة حديثة أن الزوجات هن الأكثر تضرراً بسبب غياب الأزواج وبخاصة في حال الغياب بسبب السفر إلى الخارج... إذ يُصبن بعدد من الأعراض المرضية، ويتخذ موقف الزوجة في شكله المرضي المتطرف صورة أعراض نفسية تتمثل في الاكتئاب والتوتر، والنسيان، والمخاوف المرضية، أو أعراض جسمية سيكوسوماتية تظهر في شكل اضطرابات في الجهاز المعوي، والتنفسي، وضغط الدم، وقد تكون هذه الأعراض متفاعلة مع ظروف أخرى راجعة إلى معاناة الزوجة من افتقاد الزوج «العاطفي الجنسي».

وأوضحت الدراسة أن غياب الزوج لتحقيق آمال اقتصادية للأسرة يجعل الزوجة تقع في صراع بين تعاطفها مع ما يتحمله الزوج من مشاق لأجل ذلك، وبين تذمرها ورفضها لغياب الزوج، وقد يتخذ هذا الصراع صوراً مرضية من بينها توجيه العدوان للذات، أو الإفراط في المبالغة في الاهتمام بأبنائها، أو الشعور بالذنب! ■

صديقة قديمة

كانت أول زيارة لمجلس الأخوات بعد انقطاع طويل بسبب مشاغل الحياة. استقبلني الجميع أحسن استقبال وكان حديثنا كعادته مليء بالخير اطمأننت منه على أخبارهن ثم ذكرن لي أنهن يحضرن درساً دينياً لإحدى الأخوات، وأشرن عليّ أن أحضر الدرس المقبل معهن وسأجد كل الخير والاستفادة، ولم أمانع بالطبع فقد كنت في شوق لمثل هذا... وفي الموعد المحدد ذهبت إلى المكان واتخذت مكاني في المجلس وحضرت الأخت وأخذت مكانها، وحدقت في وجهها فلم يكن هذا الوجه غريباً عني أبداً ولكنني لا أتذكره، وتطلعت أكثر فأكثر وحاولت التذكر حتى بدأت الحديث فكشفت نبرات صوتها ستار النسيان عن ذاكرتي...

يا إلهي... إنها هي... هل يمكن هذا... منذ زمن بعيد لم نلتق... نعم منذ زمن بعيد جداً ولكني أتذكرها الآن جيداً لقد تغيّرت كثيراً تغيرت عن آخر لقاء بيننا بل تبدلت إني أتذكر هذا اليوم جيداً عندما جاءت لزيارتي في منزلي بعد زواجي مباشرة جاءت مهنئة، ولكني لم أسلم من سخريتها وتورياتها اللاذعة: عن تواضع منزلي وأثاث بيتي بالنسبة لبيتها، ومكانة زوجي بالنسبة لزوجها وثرائه، وعندما قلت لها إنني اخترت في زوجي الدين والصلاح وحسن الخلق لم تبد اقتناعاً وتصورت أنه مجرد ردّ على كلامها... لقد تغيّرت كثيراً عن ذلك اليوم حتى وجهها تغير لا أعني ذلك الأثر الذي تتركه السنون على الملامح وإنما أرى وجهاً يعلوه النور بدلاً من تلك المساحيق التي كانت تصبغ وجهها بكل لون، ويفوح منه الرضا بدلاً من أغلى العطور الفرنسية كم أزعجني يومها حديثها معي حتى أنني أخبرت زوجي عند عودته بما كان منها فحاول تهدئة غضبي وقال التمسي لها العذر فإنها تجهل معنى السعادة الحقيقية، واطلبي لها الهداية، ولكن كلمات زوجي لم تقلل من غضبي عليها وعلى طريقة حديثها معي، وتساءلت في نفسي، هل يمكن لمثل هذه المرأة أن تهتدي وتعرف طريق الحق؟ وهي التي تؤمن أن المرأة العربية لابد وأن تحاكي مثيلاتها الغربيات في الأخذ بمظاهر المدنية والتحضر والتحرر، حتى لو دفعها ذلك إلى التخلي عن حشمتها ومبادئها الدينية؟ تساءلت هل يمكن أن يأتي اليوم الذي تتأكد فيه من خطأ نهجها في الحياة؟ لقد كنا زملاء في الدراسة الجامعية ورغم الاختلاف بيننا إلا أنني كنت أتعهدها بالنصيحة لتوسمي فيها الخير وكانت كثيراً ما تبدي ضيقها بنصيحتي لها، أما بعد هذا اللقاء الأخير فقد قطعت كل صلة بيني وبينها، بل كنت أتأفف من أن أدعوها صديقة إذا ما ذكرها أحد أمامي، وإنما كنت أقول إنها مجرد زميلة دراسة، ولكني مقتنعة الآن أنني كنت مخطئة لأن غضبي منها وانقطاعي عن نصيحتها لم يكن أبداً غضب لله وإنما كان انتصاراً لنفسي، كل ما دار بخاطري في هذه اللحظات لم يمنعني من متابعة حديثها، لقد كان حديثاً رقراقاً عذباً ليناً، يقع على الأذن فيلمس القلب ويفيض بالعلم الغزير ملك لبّ كل من حضر المجلس وانتهى المجلس وهممت بالانصراف، ولكنها استوقفتني وسلمت عليّ بحرارة وطلبت مني أن أكون على اتصال دائم بها ووعدتها بذلك، وعندما مالت عليّ إحدى الأخوات وسألتني هل تعرفينها؟ قلت: نعم! إنها صديقة... صديقة قديمة. ■

بقلم : منى السعيد الشريف

بقلم: د. زيد محمد الرماني

النمط الاستهلاكي للأسرة

المعروف عن الفرد المستهلك أنه لايتصرف بدخله كفرد اقتصادي، بل كفرد مقلد، وإلى الحد الذي يجعله مرتبطاً بشكل من أشكال الاستهلاك وهو النمط الاستهلاكي.

وفي عصرنا هذا تغيرت الكثير من المفاهيم، وتغيرت معها أطباع الناس وتصرفاتهم، وتبع ذلك تغيّر في النمط الاستهلاكي للأسرة، في نوعه وسرعته ومداه ومؤشراته.

موجةٌ عارمة وغامرة تكتسح حياة الأسرة من ألوان الإستهلاك المستحدثة، تحاصر الفرد في طعامه وشرابه وأثاث بيته وطابع مدينته.

البيت تخلّت عنه تقاليده التي كانت تربطه ببيئته وطبيعتها في البناء والأثاث، بل العادات.

وفي الأثاث كان الاتجاه إلى الإنتاج الكمي والنمطي واستيراد الماكينات ومعها التصميمات الأجنبية حتى الخامات التي تستخدم في صناعة الأثاث.

والخبز ـ ألصق الطعام بالأسرة ـ تغيّر نمط استهلاكه، تقول نعمت أحمد فؤاد في كتابها «أزمة الشباب وهموم مصرية»: «شاع أكل العيش (الفينو) مع أن خبزنا البلدي أصح منه، وخبزنا الريفي «البتاو» أصح منهما».

وانسحب تغيير النمط الاستهلاكي على الملبس بعد أن غُمرت أسواق الدول النامية بكميات رهيبة من الخيوط الصناعية وملابس مختلفة الأشكال والأنواع والرسومات والألوان الزاهية للاستهواء، وأصبحت الأسرة تلبس الألياف الصناعية بعد عزوف أوروبا عنها، إذ أثبتت الدراسات أخطارها على جلد الإنسان.



يقول الدكتور سمير طوبار في كتابه «التضخم في مصر»: «الإسراف والفاقد في ميزانية الأسرة ينشأ عنهما انخفاض في مستوى معيشتها وتضاؤل مدخراتها، ويترك ذلك انعكاسات على زيادة الطلب في السوق ونقص مصادر التمويل، وينتهي بقصور جهاز الإنتاج المحلي عن الوفاء بمتطلبات هؤلاء الأفراد واستيراد الكثير من السلع...».

إن الاندفاع الاستهلاكي له انعكاسه الواضح على سلوك الأفراد وشدة تطلعهم إلى اقتناء وسائل الحياة المادية الحديثة في الملبس والمسكن والترفيه والحياة حتى أنهم في إنفاقهم، يقدمون الكثير من هذه المتطلبات الثانوية على ضرورات الحياة مثل الغذاء أو الصحة.

يقول الدكتور صلاح الدين نامق في بحثه المعنون بـ«التضخم النقدي وارتفاع الأسعار»: «إن المراجع الاقتصادية في كل من انكلترا وأميركا ذكرت أن الرغبة القوية من جانب المستهلك في طلب السلع والخدمات والتي تتضمن كذلك رغبته في الاقتراض للإنفاق كانت دائماً عاملاً مؤثراً على الاقتصاد القومي في تضخم الأسعار منذ نهاية الحرب العالمية الثانية حتى اليوم...».

وقد أجرت إحدى الجامعات الأميركية أخيراً بحثاً عن «الاستهلاك» على عينة تمثل مختلف شرائح المجتمع الأميركي وكان من نتائج هذا البحث:

أولاً: أنه بالإمكان اختصار ما يقرب من ٤٠ ـ ٥٠٪ من النفقات التي تنفقها كثير من الأسر.

ثانياً: أدلى أفراد عيّنة البحث برأي قالوا فيه إنهم لا يقررون الشراء في كثير من الأحيان بناء على حاجة حقيقية وإنما بناء على رغبة مطلقة في الشراء وهوس استهلاكي غير مبرّر.

ثالثاً: اتضح أن نسبة كبيرة من الأسر تلجأ إلى الاستدانة والاقتراض بفوائد مرتفعة لتلبية حاجاتها مما يجعلها تدفع المزيد من دخولها كفوائد.

رابعاً: وهو أهم ما توصلت له الدراسة هو أن الأسر التي تحظى بإنفاق مرتفع، تزداد فيها بالمقابل نسب الطلاق والتصدع الأسري وخلافات الأبوين وكذلك الانتحار.

إنّ تغيّر النمط الاستهلاكي ونوعية هذا التغيّر وسرعته ومداه ومؤشراته هو نتيجة لتغيرات حضارية، ومن ثمّ فنحن بحاجة إلى استيراد وسائل الإنتاج غير ناتجة من المواد الاستهلاكية، وبحاجة إلى إنتاج ما نستهلكه. ■

بقلم: عابدة المؤيد العظم

عبارات خطيرة ! 6

ثمة عبارات موروثة ترددها الأمهات أمام صغارهن للحصول على منافع عاجلة ومصالح موقتة، ولكن كثيراً من العبارات تلك تتضمن معاني غير محبذة، وتعطي آثاراً سلبية وربما مفعولاً معاكساً، وهي قد تؤثر على المفاهيم والقيم فتؤدي إلى ما لا تحمد عقباه. فلننتبه لما نقوله لأولادنا حفاظاً على دينهم وخلقهم.



سمعتها تردد هذه العبارة: «لم أعد أستطيع السيطرة على ولدي» فحسبتها أماً لمراهق مشاكس معتد بنفسه يحاول إثبات شخصيته وإظهار نفسه، ولما حاورتها وسألتها لأحاول مساعدتها تبين أن ولدها هذا لم يتجاوز السابعة! ثم رأيته واقفاً خلف الباب يستمع شكوى أمه منه بمرح زائد وغبطة، لكنه كان يتصنع الجد وعدم الاكتراث، ثم لمحته وهو يلوح بيديه لأمه مهدداً متوعداً وكأنه يقول: «سترين المزيد من مشاكستي»، وكانت الأم ترمقه بقلق وهي تتابع حديثها: «لا أدري ما أفعل معه، لقد خرج الأمر من يدي، ولم أعد أستطيع توجيه ولدي!».

هذا المشهد يتكرر أمامنا على الدوام، فنرى أمهات كثيرات يشتكين أطفالهن المتمردين والمشاكسين، وأضحينا نسمع كثيراً هذه العبارات: «هل الجيل مختلف، إنه صعب ومتعب»، «هذا الجيل عنيد متمرد، لا يمكن السيطرة عليه»، «إنه جيل ذكي قوي لا يمكن ضبطه»... أو تصف الأم ولدها بأنه «شيطان» أو «عفريت»... كناية عن تعذر قيادته، كل هذا يُقال والأطفال جالسون معنا يسمعون ويشاهدون أمهم عاجزة عن ضبطهم! فيسعدون بأن الناس تتحدث عن بطولاتهم، ويفرحون بأنهم لافتون للأنظار، وأنهم أضحوا حديث المجالس! فتأخذهم العزة بالإثم، ونكون وكأننا منحناهم القوة ودفعناهم إلى التحدي والاستمرار في هذا السلوك، وهنا تكمن

لم أعد أستطيع السيطرة على ولدي !

الخطورة الأولى لأمثال هذه العبارات، فعبارة «لم أعد أستطيع السيطرة على ولدي» تبدو للطفل الصغير وكأنها مديح فيغتبط به ويميل إلى الاستزادة منه بكل طريقة ممكنة، وكيف لا يكون مديحاً وقد استطاع الصغير الذي لا حول له ولا قوة تعجيز والدته الكبيرة العاقلة ودفعها إلى الشكوى منه؟! فيصبح بعدها أكثر إزعاجاً وتمرداً ويبتدع ويبتكر أساليب جديدة للمشاغبة، ليلفت الأنظار ولينال المزيد من الإطراء.

إن الطفل الصغير بحاجة فطرية إلى سلطة تضبطه وتوجهه، وانعدام السلطة الضابطة يسيء إلى الطفل إساءة بالغة ويقلقه ويوتره، ويحرمه من حقه في تربية سليمة ومستقرة ومتزنة، ويفوت عليه معرفة الخطأ من الصواب والحلال من الحرام... يقول د. سبوك: «إن الطفل يريد أباً قوياً، يريد أماً حازمة، لا يرضى لكبريائه بأن يكون والداه من النوع «الخنوع»، ويعرف الطفل أن قسوته على أحد والديه ليست هي الأسلوب السليم لمعاملة الابن لأبيه أو أمه، لذلك يتمنى في أعماقه أن يضع أحد الوالدين حداً لهذا السلوك غير السليم، لذلك أيضاً يتمادى في القسوة ليزيد من التنبيه بالغضب والعنف بأنه لابد أن يتحرك الأب أو الأم ليمنعاه من التمادي في السلوك الخطأ... فالطفل يحتاج من يقول له «لا» عند الخطأ شرط أن نقولها بالحنان وبالحزم».

ورغم حاجة الإنسان إلى سلطة ضابطة إلا أن التمرد طبع أصيل فيه، ويلاحظ المربون على الأولاد البالغين مزاحمتهم لوالديهم ومقارعتهم لهم مقارعة الند للند، فهم يتوقون إلى الحرية والتخلص من سلطة الآباء، وهذه العبارة «لم أعد أستطيع السيطرة على ولدي» تسهّل على الطفل التمرد وتعينه على العصيان، وكأن أمه تقول له: «بإمكانك أن تتمرد وأن تفعل ما تشاء، فأنا ضعيفة وعاجزة عن تربيتك وتقويمك، ولا أستطيع أن أفعل شيئاً تجاه سلوكك فضلاً عن عقابك، وليست لي أي سلطة عليك، ولذلك سأتوقف عن إصدار الأوامر والنواهي، وسأكف عن توجيهك فأنت قوي ولا يمكن قيادك»، ومن

الطفل بحاجة فطرية إلى سلطة تضبطه وانعدام السلطة الضابطة يسيء إليه إساءة بالغة ويقلقه

الخطأ الفادح أن تعترف الأم بفشلها أمام طفلها، ومن الخطأ أن تدله على نقاط الضعف عندها، لأن هذا يدفع الطفل إلى استخدام ضعفها في تحقيق رغباته كلها، فالأطفال أذكى مما نتصور وهم يختبروننا حتى يميزوا قوتنا من ضعفنا ثم يتصرفوا على هذا الأساس ويسلكوا السلوك الذي يناسبنا ليحصلوا على كل ما يريدونه منا.

الحقيقة أن الأم ـ ولو ظنت في نفسها الضعف ـ تبقى أقوى من الطفل الصغير، وأنا أعرف بعض هؤلاء الأمهات اللاتي يدعين الضعف وقد لمست عندهن القوة والقدرة على التربية والتوجيه، ولكنهن عاطفيات رقيقات القلب، ولذلك آثرن تدليل أولادهن على الحزم معهم، وفضلن الانصياع لرغباتهم على تعليمهم وتوجيههم، ورأين ترفيه الجيل وتنعيمه بدلاً من تعريفه قسوة الحياة وصعوبتها... ولهذا كن ينتحلن سبباً يبررن به نكوصهن عن توجيه الجيل، ويبحثن عن علة يعلقن عليها تقاعسهن عن السيطرة على أولادهن، ليقنعن أنفسهن بأنهن غير مقصرات

الطفل يحتاج من يقول له «لا» عند الخطأ شرط أن نقولها بالحنان وبالحزم»

ولا مخطئات في تربيتهن، إنما الجيل هو المختلف وهو المتفرد، فهؤلاء الأمهات لما وجدن ذلك العذر سررن وقعدن عن توجيه الجيل.

وأسلوب «التبرير» ثم «الإسقاط» (اللذان تعلل بهما الأم سلوكها) أسلوبان معروفان في علم النفس، وهما من الحيل الدفاعية التي يفسر بها الإنسان أفعاله بحيث تبدو صحيحة ومقبولة، وبحيث ينسب عيوبه ونقائصه إلى الناس لا إلى نفسه، وبهذا يجنب الفرد نفسه ما قد يصيبها من عذاب الضمير أو الشعور بالإثم والتقصير، أو الشعور بالفشل، فالأم هنا مقصرة وهي تنتحل أعذاراً لهذا التقصير لتدافع بها عن نفسها، ثم نراها تستعمل أسلوب الإسقاط فتنسب فشلها إلى تغير الجيل لا إلى أسلوبها الخاطئ في التعامل مع أبنائها، وهنا تكمن الخطورة البالغة إذ أقنعت الأمهات أنفسهن بأنهن عاجزات فتقاعسن عن توجيه النشء، فمن سيربي الجيل إذن ويوجهه ويرشده إلى الخير؟ وإذا فشلت الأم في السيطرة على طفل صغير ضعيف، ولم تستطع توجيهه وإخضاعه لتربيتها، وعجزت عن فهمه وقيادته، فهل ستنجح في التعامل معه عندما يصبح مراهقاً مشاكساً؟! وكيف سيكون حال المجتمع بعد سنوات عندما سيصبح أفراده هؤلاء المتمردين الذين تستحيل السيطرة عليهم؟!

وبتأثير هذه العبارة تجرأ الأبناء على الآباء فصاروا يعبرون عن استيائهم وبطرق غير مؤدبة، ويظهرون غضبهم وبطرق بشعة، فالطفل يرفس اللعب ويكسر الأواني ويضرب أخاه حتى يحصل على مبتغاه، مخوفاً والدته، وطامعاً باستجابتها السريعة لمطالبه، ثم تطور هذا التمرد وهذا العصيان حتى طال شخص الأم وهيبتها ومكانتها العالية، فإذا بالولد يصرخ في وجه أمه ويرفع صوته فوق صوتها، وينصرف عن برها وطاعتها عامداً متعمداً.

ولقد زينت الأم بترديدها هذه العبارة السوء لأولادها، وحرضتهم على ترك الإحسان إليها، حتى كاد بعض الأمهات أن يوصلن أولادهن إلى العقوق الذي يورد صاحبه النار والعياذ بالله، أفرأيتن أماً تحب وليدها ثم هي تقوده ـ بحبها هذا إياه ـ إلى النار؟ ■

بقلم: محمد سلامة جبر

نحو أسرة مسلمة 1

من استطاع منكم الباءة فليتزوج

الحمد لله الذي وسعت رحمته كل شيء، واشتمل دينه على بيان كل شيء ولم يتركنا سبحانه نتخبط في تنظيم حياتنا، ولم يشقّ علينا في شيء.

وأشهد أن لا إله إلا الله، خلق لنا من أنفسنا أزواجاً لنسكن إليها، وجعل بيننا مودة ورحمة، إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون، وأصلي وأسلم على خير خلق الله، القائل: «أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً، وخياركم خياركم لنسائهم»

(يأيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً) النساء:١.

(ونزّلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين) النحل:٨٩.

جهل أم استهانة

قلت: المحزن حقاً أن نجهل تلك القواعد الشرعية السامية، والأخلاق الإسلامية العالية، ثم نولي وجوهنا قبل المشرق والمغرب، نستجدي النظم لحياتنا ونستورد المقننين لتشريعاتنا، ونستعين بخبراء الاجتماع والاقتصاد لحل مشكلاتنا، أفجهل ذاك أم استهانة؟! أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله؟!

(وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون) الزمر:٥٤ ـ ٥٦.

أقول هذا لأبيِّن مكانة الزواج في الشريعة الإسلامية، ومقام الأسرة في المجتمعات الطاهرة النقية.

وأنكحوا الأيامى منكم

وأبدأ ببيان حرص الشريعة على تزويج كل أيِّم، والأيِّم كل من ليس له زوج من الرجال والنساء، ولقد حضنا سبحانه وتعالى على ذلك، حتى أمرنا بعون الشباب على الزواج، بل وعدهم على ذلك الغنى إن كانوا فقراء، وهذا بصريح قوله تعالى: (وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله والله واسع عليم) النور: ٣٢

وقال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ في تفسير هذه الآية: رغبهم الله في التزويج، وأمر به الأحرار والعبيد، ووعدهم عليه الغنى فقال: (إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله).

وقال أبو بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ: «أطيعوا الله فيما أمركم من النكاح ينجز لكم ما وعدكم به من الغنى».

وقال ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ: «التمسوا الغنى في النكاح».

وقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: «ثلاثة حق على الله عونهم: الناكح يريد العفاف، والمكاتب يريد الأداء، والغازي في سبيل الله» رواه أحمد والترمذي.

والمكاتب هو العبد الذي يشتري حريته من سيده بمال، فيُعطى من مال الزكاة.

فإن قلت: وأين وعد الله الناكح بالغنى، ونحن نراه يزداد فقراً؟

قلت: صدق الله العظيم وكذب كل مبطل أثيم، ومن تناول الدواء على غير القواعد الطبية تضرر ولم يجد إلا أسوأ النتائج الصحية.

وكذلك الحال في وعد الله الناكح بالغنى، فإنه وعد «الناكح يريد العفاف» كما جاء بنص الحديث، ولم يعد الناكح يريد التفاخر بجمال زوجته وعلمها ووظيفتها، ثم لا يرضى هو وإياها إلا ببيت فيه من الأثاث والرياش والكماليات ما تغيظ به الزوجة الجارات والقريبات، وكذلك هو لا يبالي أي النساء يختار، وحسبه ذات الجمال والدلال إن أراد أن يختار، ولو أودت به إلى الخسار والبوار.

أفترون من هذا شأنه يحقق الله له وعده بالغنى إن تزوج؟! أم يرديه سوء اختياره، ثم لا يرى من جميلته إلا كل خلق أعوج وبيت أعرج؟!

الجواب ما نرى، لا ما نسمع. ونسأل الله العافية مما نرى ونسمع.

رحمة الله بعباده

والمقصود مما تقدم، أن نوقن بأن الله قد وعد من أقدم على الزواج بقصد التعفف عن الحرام ـ وبنيّة الحصول على ذات الشرف والخلق والإيمان ـ في محكم كتابه أن يغنيه من فضله، وأن يوسّع عليه رزقه وهذا يجعلنا ندرك إلى أي مدى تبلغ رحمة الله بعباده، حين يعينهم على قضاء شهواتهم المباحة، ويتفضل عليهم فوق ذلك بنعمه الكثيرة الممنوحة، فله الفضل سبحانه في الأولى والآخرة، فمن شاء فليؤمن، ومن شاء فليكفر، ومن يشكر فإنما يشكر لنفسه، ومن كفر فإن الله غني حميد.

واجب الدولة

والزواج عند جماعة من علمائنا واجب على كل قادر عليه، أما العاجز، فعلى الدولة المسلمة أن تعينه من بيت مال المسلمين، بنص الحديث المتقدم «ثلاثة حق على الله عونهم» فإذا أضفنا إلى الحديث أمره تعالى لنا بتزويج كل من ليس له زوج من الرجال أو النساء، أدركنا خطر العزوبة على الجنسين، وضرر الحرمان والوحدة على الطرفين!

وليس كالإسلام من دين ولا نظام حياة يعلي من قدر الزواج، ويرفع من شأن الغريزة الجنسية، ويسمو بالحياة الزوجية إلى أسمى مقام وأعلى مكان.

نحمد الله على نعمه الذي خلق من الماء بشراً فجعله نسباً وصهراً، وكان ربك قديراً. ■

قصة

حنين الغرباء

بقلم : محمد يوسف الجاهوش

تأتي إجازة الصيف، لتكون محطة راحة واستجمام من عناء عمل وكدح طوال ما سبقها من شهور العام، والناس ـ كشأنهم في كل شيء ـ مذاهب شتى في قضاء هذه الإجازة.

فمنهم: من يقضيها في بلده، بين أهله وأصحابه، قانعاً بما أتيح له من وسائل الراحة والهدوء.

ومنهم: من يشد الرحال إلى جهات متعددة، كل ينشد راحته ومتعته بالطريق التي تروقه وترضيه.

ويعود المغتربون إلى أوطانهم، ليسعدوا بلقاء الأهل والأحبة، والصحب والخلان، ويجددوا ما انقطع من عهود الوداد، ومجالس الوفاء، وذكريات الطفولة والشباب، فينسون عناء العمل، ومشقة الأسفار، ووطأة الاغتراب، فيرجعون خلقاً آخر، لا عهد له بتلك المتاعب والهموم.

ومن الغرباء: أناس «أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله»، وحرموا نعمة العودة إلى الأهل والديار، من غير ذنب ارتكبوه، ولا جرم اقترفوه، فهم ـ لذلك ـ في غربة دائمة، وهمٌّ مقيم، وشوق إلى الأوطان موصول، لا ينقطع ولا يُنسى.

لقد استعصى على الأيام أن تبدله، وتأبَّى على الأحداث أن تغيره، فهو في القلوب محمول، وفي الصدور مكنون، سواء ـ في ذلك ـ أظعن صاحبه أم أقام، سرَّه الدهر أو جاء بما يسوء.

وترى فريقاً منهم ـ لشدة الشوق والحنين ـ يشدون الرحال لزيارة الأقطار المجاورة لأوطانهم، يؤملون أن تصلهم نسمة من هوائها، أو نفحة من عبير ورودها وأزهارها، مما لا تستطيع الحدود حجبه، ولا القيود منعه وحبسه.

وصاحبنا «أبو البراء»: واحد من هؤلاء الناس الذين لم ينسهم طول البعد ولا رخاء العيش في المهجر دياراً ولا أهلاً، وهذا ما دفعه لقضاء إجازته في قطر متاخم لمسقط رأسه، ومرتع شبابه، عساه يحقق بعض ما حرمت نفسه من واعد الأحلام وعذب الأماني!

حزم متاعه، واصطحب أسرته في سفر غير قاصد، وانطلق لوجهته، ولما حطت رحاله حيث يمم، قرر السكنى في أقرب موقع من حدود الوطن الحبيب، تحقق له ما أراد، فأقام في بيت ريفي متواضع، ولكنه جميل، يقع فوق تلعة مرتفعة، وحوله جنة زهت أشجارها، وعذب ماؤها، وطاب هواؤها.

لم يركن إلى الراحة والهدوء، بل كان يسير الساعات ـ ذوات العدد ـ بين الأشجار، في سهل الأرض وحزنها، وفي تلاعها والوهاد، يتأمل ملكوت الله عز وجل، ساهماً عما حوله، متوهماً أنه في وطنه ودياره.

كان كل شيء يرشح وهمه إلى الحقيقة: طبيعة الأرض، نوع الشجر، برودة الهواء، وجوه الناس، ملابسهم، لهجتهم، أصناف الثمر والخضروات، أنواع الطيور، طراز البنيان، ينابيع المياه، قطعان الماشية، حُداء الرعاء، غناء الحصادين، أهازيج الأعراس والأفراح، مراسم الدفن والعزاء، أرتال الشباب والشوابِّ غادين إلى الحقول أو رائحين، صور ومناظر، يشاهدها أنَّى سار، وحيثما أقام، يسعده مرآها، ويطربه تكرارها لا يسأم من استعادة المشاهد، ولا يملُّ من رجع الحديث.

إنه في لذة ونشوة، لم يجد لها مثيلاً منذ أمد بعيد، ولكم تمنى أن يدوم ما توهمه حقيقة، ليستكمل لذته ونشوته، ويقنع نفسه أنه قد تخطى الحدود، وحطم القيود، وعاد إلى الربوع التي نمته، والأهلين الذين ولدوه، والصحب الأولى افتقدوه.

وكثير ما كان يغمض عينيه ويردد :

مُنى إن تكن فهي أجمل المنى

وإلا فقد عشنا بها زمناً رغدا

وذات ليلة خرج من صلاة المغرب في المسجد المجاور لمسكنه، وهمَّ بالتوجه نحو بيته حيث الأسرة بانتظاره، لتناول

العشاء في ضوء القمر، فوق سطح المنزل كما جرت عادتهم منذ وصلوا مصيفهم.

لكنه شعر هذه الليلة - وكان القمر بدراً - بدوافع خفية تحثه على السير خارج البنيان، والتأمل في سكون الليل الساجي، وضوء القمر الزاهي، واستنشاق نسمات الشمال، وقد وصلت رخية عليلة من جهة الوطن والأحبة.

لم يستطع مقاومة خواطره ومشاعره، وانطلق يرقب سير القمر وانعكاس سناه على الصخور والأشجار، والأودية والهضاب، ولحظ تمايل ظلال الأشجار - مداً وجزراً - تبعاً لمداعبات النسيم وجهة هبوبه، فأثار هذا المنظر كوامن من اختزنت نفسه من عواطف، وما أجن صدره من هموم وأفكار، ومضى يدندن بكلام لا تكاد تسمعه أذناه: إن كل شيء متحرك ومتغير في هذا الكون: الليل يغشى النهار (يطلبه حثيثا)، والقمر قدرت منازله (حتى عاد كالعرجون القديم. والشمس تجري لمستقر لها. ذلك تقدير العزيز العليم) والنجوم مسخرات بأمر الله عز وجل.

الماء يجري في الأنهار، والموج يتدافع في البحار، والحَبُّ يشق الأرض صاعداً في نماء، الطير في الهواء، والسمك في الماء، وما ذرأ الله - تعالى من الأناسيِّ، والأنعام، والدواب، كله يغدو ويروح، في حركة دائبة، منتظمة، تجدد شباب الحياة والأحياء، حتى الهواء، فقد أبى مألف اتجاه واحد، بل تعددت مهبَّاته وأوقاته، ولولا ذلك لما عرفنا الصبا والدبور، ولا الشمال والجنوب.

نعم، إن كل شيء متحرك ومتغير وإلا همَّ قلبي، فإنه جاثم - في الصدر - لا يبرح مقيم بين الجوانح والحشا، لا يتحول، ولا يتبدل، توالت السنون بالبأساء والنعماء، وتعاقبت الأحداث بما سر وساء، وجد في الأمور أمور، تبدلت معها - القيم، وتغيرت المفاهيم، وساد الغمر، واضطهد العليم، توارى رؤوس الناس، وعلت الذُّنابي والفروخ، حصل كل ذلك - وغيره كثير - وما أقاسيه وأمثالي - من معاناة وهموم - ثابت، تزداد وطأته، وتشتد قسوته، ولا نُحس له بين هذه المتغيرات بموضع ولا مكان!!

سرح الرجل مع حديث النفس ونجواها، فلم يشعر بتعب ولا إعياء - رغم طول مسيره، ونسي أن الصبية وأمهم ينتظرونه على سطح المنزل، لتناول العشاء تحت ضوء القمر.

وقادته الخطى إلى تلْعة من تلك التلاع المتناثرة في الفضاء الرحب، تسلق صخورها حتى علا قمتها، وجلس فوق صخرة بيضاء ملساء، وحيداً بعيداً عن الناس والبنيان: القمر سميره، والنجوم جيرانه، ونسمات الشمال زاده وغذاؤه، استقبل جهة الشمال بوجهه، عسى أن يلوح له بارق، أو يبدو من معالمها علم شاهق، ولِمَ لا؟ إنه على مشارف الأوطان، وليس ثمة فاصل، إلا خط وهمي، سموه الحدود، وفعلاً، بدت له أنوار القرى والبلدان، واضحة جلية، يستطيع عدها، وحصر ما أدركه بصره منها، بسبب ما بين البلدة وجارتها من مسافة مظلمة.

أدهشه ا لمنظر، وكاد ينعقد لسانه، وتمتم مردداً: يا إلهي، تلك قرانا وبلداتنا! يا لروعة المآذن! إني أراها متميزة بارتفاعها واختلاف ألوان أنوارها، نعم، إنها هي، لقد أصبحت بعيدة على قرب، قريبة على بعد، تصل منها نسمات الشمال رخية عليلة، يحمل هبوبها أنفاس الأحبة، ونشر حديثهم، وصدى مجالسهم، حتى لكأنه رأى عين، وسمع أذن، ومشاركة وجدان.

ألا ما أنداك يا رياح الشمال! وما أطيب ريَّاك، فأهلاً بك من زائر حبيب، وافى بأخبار الأحبة وحديث الأوطان على ظمأ وشوق لدى النائي الغريب!

خبرينا يا ريح الشمال - وقد اجتزت حوران والآل دونها - ما حال الأحبة على البعاد؟ أما زالوا على عهدنا؟ أم غيرهم النأي بعدنا؟ ما حال مدارج طفولتنا ومراتع شبابنا؟ أما زال خطُّنا بادياً في ثراها؟ أم طمسته الريح فانطمس ودرس؟ كيف الروابي والتلال؟ أما زالت تذكر فتياتها وهم يعانقون الأزهار في سفوحها، ويتسلقون الصخور على قُنَّاتها؟ ويجرون - مع الآمال في جنباتها؟ يرسمون المنى والغد المأمول على سوق أشجارها وينحتون واعد الأحلام في نقيِّ صفاها، كيف الأودية والسهول؟ أما زال الربيع يعتادها، ويلوّن بساطها بزاهيات الألوان ووشي الجمال؟

إني إلى تلك المغاني عاشق
فيها هيامي والحبيب الأكرم
فيها ودادي مع مناي وبغيتي
يقظان أذكرها وفيها أحلم
خلجات قلبي تستفيض بذكرها
والأذن تطرب والجوارح تنعم
والعين تذرف عبرة رقراقة
رمزاً لحبي والتشوق أعظم

سائليها يا رياح الشمال، أما اشتاقت لبنيها الذين كانوا صدوراً في مجالسها، وبدوراً في جنباتها، وأزهاراً في زاهي روضاتها؟ يزيدون جمالها جمالاً، وخيرها عطاء!

أما تساءل روضها الأغنّ عن سبب غيابهم، وسر بعادهم؟ أترينه يحنّ إليهم كما يحنون إليه؟ أو يشتاقهم كشوقهم لماضي عيشه وسالف عهده؟

خبرينا عن الجداول والأنهار، والينابيع والسواقي، أمازال ماؤها عذباً زلالاً؟ أم ناله من التعكير والتكدير مانال سواه؟ أما اشتاقت مياهها للأيدي المتوضئة؟ أما حنَّت رياضها للركع السجود؟ يا رياح الشمال، قصيّ علينا أخبار البساتين والكروم، فعهدي بها تزهو جفناتها بعناقيد العنب، ويحاكي رمانها قناديل الذهب.

أما زال الأحبة ـ كسابق العهد ـ يهجرون المنازل والقصور ليتفيأوا ظلالها، ويسمروا تحت معرشاتها، وينعموا بصافي هوائها، وطيب جناها، ونغمات أطيارها؟

آه، كم تشتاق النفس إلى أريج أزهارها، وشذا ياسمينها، وعطر ورودها، ممزوجاً بأصوات المؤذنين، وتسبيحات الموحدين، وهم غادون إلى صلاة الفجر، ومنها عائدون.

بنفسي تلك الأرض ما أطيب الربا

وما أحسن المصطاف والمتربعا

ليت شعري أيصلنَّ الدهر ما تصرم من ماضي عيشنا؟ وترجع عشياتنا بذياك الحمى؟ فنفترش القش ببيدر البلد؟ ونخوض في السواقي والأنهار، ونجني من جنباتها الحبق والريحان؟ ويعود لنوادينا روادها، ولمجالسنا أنسها وصفاؤها، ويلتئم شملنا بالأحبة مثل ما كنا: إذ العيش غض والزمان خصيب!

جنب الغدير مقامنا

نتفيّا غصناً زاهراً

والطير تصدح فوقنا

فتهيج حباً زاخراً

أيام عمر قد مضت

والقلب غفل ما درى

إن الزمان يخونه

ويجدُّ عيشاً آخرا

هل سيرانا القمر ـ من جديد ـ في تلك البساتين والحقول، نساهر النجم ونرعى مسيره ؟ كلانا ألف السهاد، وعاف الرقاد، ولم يكتحل جفناه بغمض أو منام.

كان القمر ينتظر الأفول، ونحن نرقب تشقق فجر جديد، تلوح معه بشائر الفرج والتمكين لرسالة الخلود.

إيه يا رياح الشمال، لقد جار دهرنا وقسا، حتى لكأنه طالبُ وَتْرٍ أضال غريمه، فلا هو مدرك بغيته، فيشفي غيظ صدره، ولا هو ناس ثأره، فيريح ويستريح، على أنه إن يكن ثمة جناية فلسنا جناتها، أو يكن هناك خيانة فلسنا أربابها، ولا أنصارها

لم نكن من دعاتها علم الله

وكلنا بحرها اليوم صالٍ

إي والله، لسنا من جناتها، ولا من دعاتها، ففيم نُصلي بحرّها؟ وتنالنا ـ دون جناتها ـ آثار ضرها وشرها!

وجرم جرَّه سفهاء قوم

وحل بغير جارمه العذاب

يا رياح الشمال، ما حال مساجدنا وروادها، ومحاريبها وعبادّها؟ أما زال الأذان على منائرها بلالىَّ اللحن، ووعظ منابرها سليم النهج؟ كيف شباب الدعوة وشيوخها؟ أما زالوا يطلعون في سمائها أنجماً زاهرات، ويموجون بين سواريها أبحر خير زاخرات؟ ألا ليت الأمر كما نحب! غير أن القلب ـ على البعد ـ يكاد يحسّ حزنها وأساها، ويسمع شجوها وشكواها، ولكأن هاتفاً من وراء السديم يجيب:

تغيَّر المسجد المحزون واختلفت

على المنابر أحرار وعبدان

فلا الأذان أذان في منارته

إذا تعالى ولا الآذان آذان

ويتجاوب مع رجع الصدى نبض قلبي، وعرام مشاعري، ويغلبني الأسى والذهول، لخفوت ألقها، وضعف صوتها، وعجز أهلها.

آسى لمحنتها أرثي لغربتها

الجرح دامٍ ودمع العين هتَّان

وبينما هو مستغرق في تأملاته ومناجاته أحسّ بنسمة شديدة البرودة تلامس وجهه، تلفت من حوله فإذا القمر يتضيف إلى الغروب، والليل قد مضى شطره أو يزيد.

أفاق من شروده، وتنبه لما سببه غيابه من قلق لزوجه وأولاده، فعاد إليهم مسرعاً، ليجدهم ساهرين ـ مع بقايا ضوء القمر ـ ينتظرون مقدمه، كان القلق بادياً على الوجوه، وتحمل قسماتهم أكثر من سؤال واستفسار!.

بادرهم بالتحية، وأخذ مجلسه بينهم، وأطلق تنهيدة مجهد، وأنشد متمثلاً:

بالشام أهلي وبغداد الهوى وأنا

بالرقمتين وبالفسطاط إخواني

وما أظن النوى ترضى الذي صنعت

حتى تُشافه بي أقصى خراسان

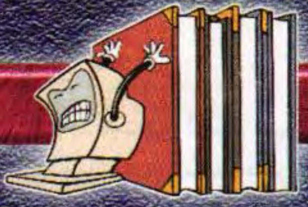
ما إن أتم كلامه حتى بادره ولده الصغير ـ وكانت له عليه دالة أكثر من سواه ـ قائلاً: لقد أبطأت بالعودة يا أبي، قلقنا عليك كثيراً، واشتد بنا الجوع أكثر، من طول الانتظار!! تبسم الوالد وضم إليه صغيره وقال:

فلا تعجب صغيري إن خطوي

على مقدار إيقاع الزمان

ويبدو ـ أيها الحبيب ـ أن إيقاع الزمان وألحانه بعيدة عما ألفته آذاننا، وعرفته أذواقنا، ولا بد من يوم يلحِّن فيه الزمان نشيد الفطرة، ويوقعه حسب نغمات الأذان.

(ويومئذ يفرح المؤمنون. بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم). ■



ثمرات الفكر

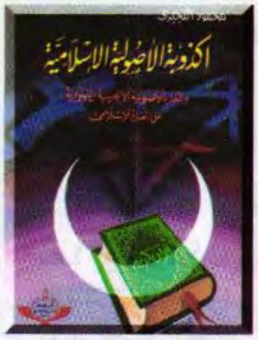
إعداد : محمد هاني

الحركات الإسلامية والديموقراطية



صدر كتاب عن مركز الدراسات العربية عنوانه «الحركات الإسلامية والديموقراطية». الكتاب دراسات في الفكر والممارسة لمجموعة من الباحثين ضمن سلسلة كتب المستقبل العربي ١٤، ويضم الكتاب عدداً من دراسات مختارة تبحث في جوانب الظاهرة الإسلامية ومفهومها واستشراف مستقبل الحركات السياسية الإسلامية ونظراً لما تشكله الظاهرة الإسلامية من أهمية باعتبارها إحدى تغيرات النظام العالمي الراهن، وبخاصة بعد انهيار الاتحاد السوفييتي. يسلط هذا الكتاب الضوء على مكانة الإسلام الرئيسة في المشروع الحضاري النهضوي العربي، كما يبيِّن بلورة عناصره ومقوماته وآلياته من جهة، ويبرز الجوانب الخاصة من العلاقات بين الدين والتيار القومي، وذلك من خلال إيضاح العلاقة بين مبدأ الجهاد، والظاهرة السياسية في الوطن العربي من جهة أخرى، ويتضمن الكتاب ستة عشر فصلاً جرى تقسيمها إلى ثلاثة أقسام أساسية، يدور القسم الأول حول العلاقة بين الإسلام والسياسة، والثاني حول مجموعة من الدراسات التطبيقية للحركات السياسية والإسلامية، أما الثالث فيهدف إلى استشراف مستقبل الحركات الإسلامية السياسية.

أكذوبة الأصولية الإسلامية



عن دار البشير للطباعة والنشر والتوزيع في القاهرة صدر كتاب «أكذوبة الأصولية الإسلامية» للأستاذ محمود النجيري يقول مؤلف الكتاب في مقدم الكتاب: مصطلح الأصولية مصطلح غامض المعنى والمدلول، انتشر لتحقيق أهداف سياسية للغرب، وحتى الذين عرضوا لـ«الأصولية الإسلامية» من مثقفينا اعتبروها وعاء العصر ومهد النظام العالمي الجديد، والديموقراطية والإخاء البشري والتنوع الفكري والديني. والحقيقة تقول: إن إلصاق صفة الأصولية بكل ما هو إسلامي هي حلقة من حلقات الحرب المستمرة والمستعرة من جانب الغرب ضد الدول الإسلامية، فيما كان يعرف بـ«المسألة الشرقية» ولكن في ثوب جديد. والكتاب في الحقيقة يجيب على أسئلة في غاية الأهمية والخطورة تمس بصورة مباشرة الأمن القومي لدول العالم الإسلامي بلا استثناء، فالواقع يؤكد أن هناك أصولية مسيحية وأخرى يهودية تتعاونان لتمهيد كوكب الأرض للمجيء الثاني للمسيح، اعتماداً على نبوءات توراتية وإن اختلفت التفاسير، والمراد ضرب الإسلام ضربات متتالية تحت دعاوى محاصرة الإرهاب - وهم صانعوه - وتحت ستار ضرب الأصولية الإسلامية والترويج لعدائها لمجتمعاتها.

مجلة الأدب الإسلامي



جاء العدد التاسع عشر من مجلة الأدب الإسلامي عدداً خاصاً عن الشعر الإسلامي المعاصر.

وقد استهل العدد بعدد من المقالات كان أولها ما كتبه الأستاذ الكبير الدكتور محمد زغلول سلام عن سمات الشعر الإسلامي، وكان ثانيها عن الشكل في القصيدة الإسلامية للدكتور حسن الأمراني، ثم مقال عن جماليات التلقي في الشعر الإسلامي للدكتور طارق سعد شلبي، ويليه «تأملات في قصيدة كاملية الإسراء» للأستاذ محمد شلال الحناحنة، وأخيراً مقال الدكتور سعد أبو الرضا بعنوان «الشكل في الشعر الإسلامي - قراءة في بعض قصائد هذا العدد».

ولقد كان باكورة ما نشره مكتب البلاد العربية لرابطة الأدب الإسلامي مجموعة شعرية تضمنت أكثر من ١٠٠ قصيدة لنحو أربعين شاعراً من شعراء الرابطة، وكانت النية أن تصدر المجموعة الثانية في كتاب خاص، ثم اجتهدوا أن تصدر المجموعة في عدد خاص من مجلة الأدب الإسلامي لتكون أسرع انتشاراً بين الناس نظراً لأن ما يطبع من المجلة يتجاوز عشرة آلاف نسخة من كل عدد.

وقد أدى هذا الاجتهاد إلى أن تقل عدد النصوص ويزداد عدد الشعراء، وبخاصة أن الرابطة اشترطت أن يكون لكل شاعر نص واحد، كما اشترطت شرطاً جديداً، وهو ألا يكون هذا النص قد نُشر من قبل.

وهكذا ضم هذا العدد الخاص بالشعر الإسلامي واحداً وستين نصاً لواحد وستين شاعراً، معظمهم من شعراء الرابطة التي يحق لها أن تفاخر بأنها تضم تحت رايتها أكبر عدد من الشعراء العرب بالإضافة إلى الشعراء الإسلاميين من غير العرب الذين ينظمون بمختلف لغات الشعوب الإسلامية.

وكان من الاجتهاد الجديد أيضاً أن قسمت الرابطة النصوص الشعرية على ستة محاور وهي:

١ - من وحي الإسلام.
٢ - نبض الجهاد.
٣ - الشكوى واستنهاض الهمم.
٤ - زيف الحضارة.
٥ - اغتراب وحنين.
٦ - بوح الوجدان.

وتعيد الرابطة ما قالته في مقدم المجموعة الشعرية السابقة من أنهم يضعون هذه النصوص الشعرية بين أيدي النقاد «ليقول فيها النقاد المنصفون ما يشاؤون، وسيلقون من شعراء الرابطة آذاناً صاغية وصدوراً رحبة لا تضيق بالنقد البنّاء».

البدء في الإسلام كلمة

صدر للكاتبة الصحافية المصرية عائشة رافع أخيراً كتاب جديد بعنوان: «البدء في الإسلام كلمة»، يقدم الكتاب رؤية جديدة لعلاقة الإنسان بالدين، ويوضح كيف تحولت في هذا العصر إلى أشكال سطحية لا تصل إلى جوهر الأشياء، فالإنسان بات ممزقاً بين اتجاهين متضادين تماماً، التقدمي والسلفي، وكلاهما يختزل الأديان في سلطات بعيدة عن عمقها، حيث يكرس الأول الدعوة إلى إشباع الميول المادية ونشاطات الإبداع التي يجب ألا تتوقف إلا بالموت.

أما الثاني فيركز الأديان في سلطة من نوع جديد في أيدي من يزعمون أنهم فاعلون باسم الأديان، فإما أن ينصاع لهم العباد حسب مخططاتهم أو يصبحوا كافرين يحق قتلهم.

ووصفت الكاتبة في الفصل الأول «الكلمة» بأنها معان متكاملة وحقائق تكشف للإنسان فترسم له نهجاً للبدء وطريقاً للسير والإثمار، فالكلمة تأتي أحياناً على صورة نور، وأحياناً أخرى في صورة العلم والمعرفة، وأحياناً في العقيدة والعمل الصالح فكيف يكون هناك تفاعل بين الإنسان ودينه ليثمر هذا الصراع بشكل إيجابي قائلة «إننا في حاجة إلى إدراك الجانب الروحي والمعنوي لدينا وكيف نتعامل معه بما لا يؤدي إلى انحرافه وهو ما يحتاج إلى علم بحكم طبيعته وهو ما تعلّمنا إياه الأديان، وموقف الإنسان من الحياة تحدده رؤيته لنفسه، وبخاصة أن ما يميزه كينونته التي هي ليست الذات، لكنها قبل هذه الذات وتبقى بعدها»، وتعني بها الكاتبة كلمة «الفطرة» أو «الطاقة النورانية» من منطلق أن الإنسان هو الكائن الوحيد الذي تتجلى فيه قدرة الخالق بإيجاد مخلوق قادر بإرادته الواقعية أن يفعل ويغير ويطور ويكشف أسرار الكون.

وتطرح الكاتبة في الفصل الثاني عدداً من الأسئلة توضح خلالها أن «القبلة» هي رمز يحمل في طياته جوهر ومظهر جميع الشرائع والعبادات، وبخاصة أن الإنسان يحتاج إلى وجود ملموس يرى فيه تجلّي الحق والحقيقة، وبتوجه الإنسان للبيت يعبّر عن أن جوهر الحياة هو أن يكون على صلة دائماً مع المعنى الحق الذي هو وراء هذا الرمز، فالقبلة تعبير عن قضية الإنسان على هذه الأرض، ولن يتأتى ذلك إلا بالتأمل العميق والصفاء والتعبد، ولا تكتمل استقامة معنى القبلة بمجرد العمل الإنساني، ولكن لابد أن يكون المرء مخلصاً فعلاً لوجه الله.

وترى الكاتبة أن الشريعة في كل الأديان عبارة عن منهج وأسلوب حياة ورسائل للإنسان دائماً يتجدد، وتؤكد ذلك في الفصل الثالث، حيث ترى أن العقيدة أساسها الفهم والإدراك ومن دونها يصبح الإنسان مقلداً ويلوك بلسان ما ليس له أي واقع داخله، فالشريعة ليست تطبيقاً أجوف لأشكال وطوقس وحركات، وإنما جهاد ووسيلة يتبعها الإنسان ليحقق ما هو مطلوب منه في عقيدته، والنية هنا تعد البذرة التي إذا حَسُنت كانت شجرة طيبة، فهي المعنى الذي يميز أي شيء أصيل وقيم ومؤثر وخالد وبين نقيضه، لأنها في العبادة تمثل الإيمان، وإن قيام النية في الإنسان يحتاج إلى فهم في ما يفعل، وهي تعلّمنا آداب ما بعد العمل حتى يصبح مثمراً، إذ إن كل علاقة في الحياة هي معطاة للإنسان ليقيم من خلالها علاقته بالله، وهكذا فاستقامة النية ممارسة وفهم دائم وليست كماً ثابتاً.

وتصف الكاتبة في الفصل السادس حياة الإنسان على الأرض بأنها رحلة بين الفهم والقيام تتجدد دوماً، وبالتالي يتجدد المفهوم والقيام وهذا هو دور الإنسان على هذه الأرض، وبالجهاد في أن يبسط المفاهيم العقلية على أرض الواقع، أما في الفصل السابع والأخير فتشير إلى أن التأمل في الأحداث التي مرت على الدعوة الإسلامية منذ ميلاد الرسول - صلى الله عليه وسلم - حتى رحيله بعد أن بلغ الرسالة وأدى الأمانة، هي أحداث تحمل معاني دائمة للإنسان وهو يمر في رحلة تحقيق العبودية لله.

أخبار ثقافية

● تنظم جامعة الأزهر في شهر يونيو المقبل مؤتمراً دولياً في مقر الجامعة حول «مصر في الآداب العالمية» يرعاه شيخ الأزهر الدكتور محمد سيد طنطاوي، وسيشارك في المؤتمر أكثر من ١٥٠٠ عالم، وأستاذ جامعي من مختلف بلدان العالم، وسيناقش المؤتمر الدراسات والأبحاث التي تناولت مصر في جميع اللغات، سواء في الماضي أو الحاضر لعمل موسوعة تضم دراسات متخصصة عن مصر في مختلف المجالات، ودورها الحضاري والثقافي على مر العصور في نظر المؤرخين والجغرافيين والفنانين التشكيليين وعلماء الآثار والترميم والأدباء والشعراء إضافة إلى صورة مصر في وسائل الإعلام العالمية.

● ينظم اتحاد كتاب المغرب «فرع تطوان» بالتعاون مع المجموعة الحضرية لتطوان من ٢٣ - ٣٠ أبريل الجاري تظاهرة عيد الكتاب ويتضمن برنامج هذه التظاهرة معرضاً للكتاب تنظمه دور النشر وكبريات المكتبات وقراءات وتوقيعات للإصدارات الجديدة بحضور مؤلفيها.

● أوفدت المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة «الايسيسكو» خبراء متخصصين في تدريس اللغة العربية وتطوير مناهجها وتدريب مدرسيها إلى كل من طاجكستان وقيرغيزستان وسورينام والبوسنة والهرسك وبوركينا فاسو وتشاد وجزر فيجي، وذلك في إطار البرنامج المستمر الخاص بالتوسع في تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها وتطوير مناهجها والرفع من مستوى تدريسها.

الجواد المهاجر



في إطار أدب إسلامي ملتزم بقضايا الأمة صدر كتاب «الجواد المهاجر» للشاعر طاهر العتباني، يضم الكتاب بين دفتيه عشرين قصيدة شعرية، تعبر عن أحاسيس الشاعر تجاه قضايا أمته ومنها: قادم، الفارس الذي ضل، من قراءات الجود، رسائل إلى أبي الهول، صهيل الروح، يقع الديوان في نحو ١١٥ صفحة من القطع الصغير، قامت بنشره دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع في المنصورة في «جمهورية مصر العربية».

جائزة السلطان حسن البلقية العالمية إلى الشيخ أبي الحسن علي الندوي

منحت جائزة السلطان حسن البلقيه في الدراسات الإسلامية في موضوعها للعام ١٩٩٨م «سير أعلام الفكر الإسلامي» إلى الشيخ أبي الحسن علي الندوي رئيس دار العلوم، «ندوة العلماء في الهند».

ولد الشيخ أبو الحسن علي الندوي في الهند العام ١٩١٤م في أسرة عريقة وهو الآن من أبرز علماء المسلمين المعاصرين. بلغت مؤلفاته في اللغات العربية والإنكليزية والأردية نحو خمسين كتاباً ومن أهمها كتاب «ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين» وله سلسلة من كتب سير أعلام التاريخ الإسلامي بعنوان «رجال الفكر والدعوة في الإسلام» التي تشمل سير الصحابة ورواد الفكر الإسلامي. حاز الشيخ الندوي على جائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام العام ١٩٨٠م، كما أعلن في دبي في نهاية شهر رمضان المبارك عن اختياره الشخصية الإسلامية لعام ١٤١٩هـ. والشيخ الندوي الرئيس المؤسس لمجلس أمناء مركز أوكسفورد للدراسات الإسلامية، ورئيس رابطة الأدب الإسلامي العالمية، وعضو مجمع اللغة العربية في دمشق، وعضو المجلس الاستشاري الأعلى للجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، وعضو مؤسس لرابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة، وعضو اللجنة التنفيذية لرابطة الجامعات الإسلامية في الرباط، وعضو مجمع اللغة العربية في عمان.

إصدارات للصندوق الوقفي للثقافة والفكر

عن الصندوق الوقفي للثقافة والفكر في الأمانة العامة للأوقاف في الكويت صدر كتابان الأول بعنوان: «المستكشفون الثلاثة» وهو عبارة عن قصة للكاتبة «أمل الغانم» وتتناول فيها قيماً كثيرة أهمها: ارتباط الطفل بالبيئة والمحافظة عليها، أما الثاني فحمل عنوان «القراءة المسموعة» وهو ترجمة لبعض ما جاء في كتاب (The Read aloud haud bod) لمؤلفه «جيم تريليس» والذي لاقى نجاحاً كبيراً في الولايات المتحدة الأميركية وكندا، وذلك أملاً في تحقيق وعي عام لدى الأسرة والمجتمع، بدور القراءة في صقل شخصية الأبناء، إضافة إلى نشر الثقافة التربوية وتوعية الأسرة والوالدين بأهمية القراءة للأبناء.





حقيقة الإسلام

صدر عن أفريقيا الشرق كتاب لعبدالهادي بو طالب عنوانه «حقيقة الإسلام» وعن أسباب صدور الكتاب يقول المؤلف: يكاد يكون للإسلام كلما جرى ذكره على أي لسان أو قلم مفهوماً مغايراً، حتى يبدو في شكل «إسلامات» أو نزعات لا تلتقي في حد مرسوم، ومردّ ذلك إلى أن الإسلام يعاني من جهل الكثيرين له، وحتى من عدد من المسلمين أنفسهم أو ممن تعمد من البعض تقديمه على غير حقيقته، فصوروا الإسلام في صورة الدين الجامد، الحقود المتطرف، الداعي للعنف، وبالتالي فالتمسك به والدعوة إلى العودة إلى ينابيعه في عصر التطور والتقدم يُعد رجعية ممقوتة ونكسة إلى الوراء، أسهم الكتاب في تقديم الإسلام في صورته الحقة، صورة الإسلام المسالم الذي تطبع تعاليمه الرحمة والعدل، وتناهض العنف والعدوان وقتل النفس بغير حق، وتدعو إلى التعايش السلمي بين الديانات والحضارات والمجتمعات على اختلاف وجهات نظرها.

دليل جامعات العالم الإسلامي

- صدر عن المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة «ايسيسكو» طبعة جديدة من (دليل جامعات العالم الإسلامي» بالعربية والإنكليزية والفرنسية في ٥٤٧ صفحة من القطع الكبير، ومن جانب آخر، وقعت المنظمة على محضر برنامج للتعاون المشترك بين الايسيسكو والمنظمة الإسلامية للعلوم الطبية التي يوجد مقرها في الكويت، وذلك في إطار اتفاقية التعاون المبرمة بين المنظمتين في شهر نوفمبر سنة ١٩٩٦م.



المواطنون ٧٥٨٩٤٢ والوافدون ١٤٤٩٨٤٨

مليونان و ٢٠٠ ألف نسمة عدد سكان الكويت في ١٩٩٧م

قالت نشرة إحصائية متخصصة إن إجمالي عدد السكان في الكويت في العام ١٩٩٧م ٢,٢٠٨,٧٩٠ نسمة منهم ٧٥٨٩٤٢ من الكويتيين و١٤٤٩٨٤٨ من غير الكويتيين، وذكرت النشرة الإحصائية الخاصة بالسكان لعام ١٩٩٧م الصادرة عن قطاع الإحصاء والمعلومات في وزارة التخطيط أن إجمالي الذكور في الكويت بلغ ١,٣٤٩,١٠١ منهم ٣٧٥,٨٣٨ كويتياً و ٩٧٣,٢٦٣ غير كويتي،

وأضافت النشرة أن إجمالي عدد الإناث في الكويت بلغ ٨٥٩,٦٨٩ منهم ٣٨٣,١٠٤ كويتيات و ٤٧٦,٥٨٥ غير كويتيات.

وأفادت النشرة أن إجمالي عدد السكان في محافظة العاصمة بلغ ٣٣٧,٣٧٩ منهم ١٦٢,٣٠١ من الكويتيين و٢١٧,٠٣٦ غير كويتيين، مبينة أنه في محافظة حولي بلغ الإجمالي ٦١٧,٨٨٢ منهم ٢١٥,٢٠٢ من الكويتيين و ٤٠٢,٦٨٠ من غير الكويتيين.

وبالنسبة لمحافظة الأحمدي أشارت النشرة إلى أن إجمالي عدد السكان فيها بلغ ٣٦٣,٥١٦ منهم ١٥٥,٨٧٥ كويتياً و ٢٠٧,٦٤١ غير كويتي موضحة أن إجمالي السكان في محافظة الفراونية بلغ ٥٦٨,٢٣٢ منهم ١٤٧,٧٩٨ كويتياً و ٤٢٠,٤٣٤ غير كويتي. وأفادت النشرة أن إجمالي السكان في محافظة الجهراء بلغ ٢٧٥,٢٣١ منهم ٧٧,٦٠٩ من الكويتيين و ١٩٧,٦٢٢ من غير الكويتيين.

الفئات العمرية

وحول الفئات العمرية للسكان في الكويت بيّنت النشرة الإحصائية أن إجمالي الفئة العمرية من ٤ سنوات بلغ ٢١٠,٥٩٣ منهم ١٢٧,٠٧٠ كويتياً و ٨٣,٥٢٣ من غير الكويتيين.

مبينة أن إجمالي الفئة العمرية الخاصة بسن خمس سنوات إلى تسع سنوات بلغ ١٨٨,٦٦٦ منهم ١٠٨,٧٨٢ من الكويتيين و٧٩,٧٩٤ من غير الكويتيين.

٦ ملايين لغم في الكويت

ظهر تقرير أعدته منظمة «هانديكاب» وهي واحدة من المنظمات الناشطة في مجال مكافحة الألغام المضادة للأفراد، أن هناك نحو مئة مليون لغم مزروعة في ٦٤ بلداً، تقتل أو تشوه ألفي شخص شهرياً.

وجاء في التقرير أن هناك ٢٧ مليون لغم في بلدان الشرق الأوسط، منها ٦ ملايين لغم في الكويت وحدها، والمعروف أن هذه الألغام زرعتها قوات النظام العراقي إبان احتلالها للكويت.

وتقدر هذه المنظمات كلفة إزالة الألغام في العالم بنحو ٣٠ مليار دولار.

(١,٢٤٨٠٠٠) مليار نسمة سكان الصين

ذكر مصدر رسمي أن عدد سكان الصين بلغ (١,٢٤٨٠٠٠) مليار نسمة في نهاية العام الماضي، أي بزيادة نسبتها ٠,٩٥ في المئة عن عددهم في نهاية العام ١٩٩٧م.

والمعروف أن الصين الأكثر اكتظاظا بالسكان في العالم. وذكر المكتب الوطني للإحصاء أن نسبة النمو السكاني كانت العام الماضي أقل بـ ٠,٠٥ في المئة من نسبة النمو في العام ١٩٩٧م، وذلك بسبب سياسة تحديد النسل التي تتبعها الصين منذ السبعينيات.

ملك جديد لماليزيا

اختارت ماليزيا ملكاً دستورياً جديداً هو سلطان سلطنة سيلانغور خلفاً للملك فوانكو جعفر الذي انتهت ولايته في ٢٥ أبريل الماضي.

وأعلن رئيس الوزراء الماليزي مهاتير محمد اختيار السلطان صلاح الدين عبدالعزيز شاه الحاج في أعقاب اجتماع استثنائي للرؤساء التقليديين لتسع من ولايات ماليزيا الثلاث عشرة.

وذكر محمد أيضاً أن سلطان تيرينغانو اختير لخلافة سلطان سيلانغور في منصب نائب رئيس الدولة لولاية تمتد خمس سنوات.

ويتألف الاتحاد الماليزي من تسع سلطنات وأربع ولايات غير ملكية.

وينتخب الملك الجديد كل خمس سنوات من بين السلاطين التسعة لأن حكام الولايات الأربع الأخرى لا يمكن انتخابهم.

الكويت ترعى الأيتام في اندونيسيا

أعلن سفير الكويت في اندونيسيا جمال الانصافي أن حكومة الكويت ستقدم مساعدات لرعاية ٢٠٠٠ من الأيتام في إندونيسيا الذين يسكنون في الشوارع، لتمويل برامج لتعليمهم، وستقدم المساعدات لهم من خلال دار الأيتام الإسلامية في جاكرتا.

وكانت الكويت قد تبرعت بنصف مليون دولار أميركي لمؤسسة الإرشاد لإنشاء معهد عالمي للدراسات الإسلامية.

٣١ مليون طفل ضحايا الصراعات المسلحة في عشر سنوات

طبقاً لما تقوله الأمم المتحدة فإن أكثر من مليون طفل قتلوا في صراعات مسلحة في خمسين بلداً خلال السنوات العشر الماضية، وشرد ما يقدر بنحو اثني عشر مليوناً، وفقد مليون من الأطفال أحد والديهم وأصيب ستة ملايين بجراح خطيرة وبإعاقات دائمة، فيما يعاني عشرة ملايين من آثار نفسية حادة.

وفي خلال اجتماع لمجلس الأمن في شأن موضوع الأطفال والحرب قال أولارا أتوتونو الممثل الخاص للأمم المتحدة إنه لا دور للأطفال في الحرب وإن على مجلس الأمن أن يعود إلى موضوعهم بشكل منتظم.

وكان رئيس مجلس الأمن ندد باستهداف الأطفال في الصراعات المسلحة بما في ذلك إذلالهم وخطفهم وتشريدهم وتجنيدهم واستغلالهم في الأعمال العدائية في انتهاك واضح للقانون الدولي.

ولا تزال الأمم المتحدة تتذكر أورالا أوتونو سفير أوغندا السابق لديها لزعامته في كسر المأزق العام ١٩٨١ عندما لم يتمكن كورت فالدهايم النمساوي وسالم أحمد سالم التنزاني من الحصول على قدر كاف من الأصوات للفوز بمنصب الأمين العام للأمم المتحدة.

ويومها كان في الثانية والثلاثين من عمره ويرأس مجلس الأمن فعمد إلى فتح باب التصويت على مرشحين اضافيين فعين خافيير بيريز ديكويار أميناً عاماً، وفي منتصف الثمانيات نُفيَ أوتونو من أوغندا فاضطر لتغيير جنسيته وأصبح من مواطني ساحل العاج حيث يعيش في نيويورك.

يقول أوتونو إن الأطفال أكثر عرضة لخطر الألغام المتخلفة من الصراعات والتي يزيد عددها على (١٠٠) مليون في العالم، حيث يقتل سنوياً بسببها ٢٦ ألف شخص معظمهم من الأطفال. ويقترح أن يتم دعم برامج إعادة تأهيل الأطفال الذين يصابون في حوادث انفجار الألغام وتحقيق نتائج سريعة في إزالتها وتقديم برامج توعية للناس حول مخاطرها. وكانت (١٢٢) دولة وقّعت في ديسمبر الماضي معاهدة حظر استخدام وتزين وإنتاج ونقل الألغام المضادة للأفراد التي يعتبرها أوتونو حجر أساس ويمكن أن تسفر عن نتائج طيبة بعد المصادقة عليها، ويأمل أوتونوا في أن تصبح المدارس ودور الحضانة بعيدة عن الصراعات المسلحة ليتمتع الأطفال بحريتهم.

يعتبر أوتونو أن الإساءة الجنسية للأطفال مرتبطة بالصراع المسلح حيث يعد الأطفال الذين يشهدون اغتصاباً من أحد أفراد عائلتهم ضحية الإساءة نفسها، وتجرى محاكمة بعض الجنود الصرب لقيامهم بعمليات اغتصاب في البوسنة في السنوات الماضية، إلا أنه لا تتم محاكمة الجنود الهنود الذين يزعم أنهم يقومون بأعمال اغتصاب للنساء في إقليم كشمير المتنازع عليه بين الهند وباكستان، كما تقول منظمة «هيومان رايتسن ووتش» وقال أوتونو إنه سيعمل مع ممثلي الحكومات على وضع مثل هذه الممارسات وتقديم مرتكبيها للعدالة، ومعظم النزاعات التي يشارك فيها الأطفال هي حروب أهلية كما يقول أوتونو، إذ يشارك فيها أشخاص يعرفون بعضهم بعضاً جيداً وهو ما أدى إلى ظهور فراغ أخلاقي تم فيه تجاهل المعايير الدولية.

ولعل أبرز سمة لهذه الصراعات الحط من قدر الخصم المعروف لأسباب دينية أو عرقية أو جنسية أو حتى إقليمية.

وفي مناقشة لدوره كممثل خاص للأمم المتحدة في شأن الأطفال في الصراعات المسلحة، ركّز أوتونو على ثلاثة أهداف أساسية، حماية الأطفال، وتوفير الوقاية لهم، وإعادة تأهيلهم. وقال إنه سيعمل مع مجلس الأمن والسكرتير العام والهيئات المختصة لتحقيق هذه الأهداف.

موجز أخبار

● وافق مجلس الوزراء المصري على مشروع قرار رئاسي يلغي مادة في قانون العقوبات كانت تقضي بعدم توقيع عقوبة على الشخص الذي يعتدي على امرأة ثم يتزوجها، وكان مفتي مصر الشيخ نصر فريد واصل طالب في يناير الماضي بإلغاء المادة (٢٩١) التي قال إنها من مخلفات الاستعمار البريطاني واعتبر المفتي زواج المغتصب بالمجني عليها باطلاً.

● ذكرت صحيفة (يديعوت أحرنوت) أن أهالي جنود إسرائيليين قتلوا في معركة صُدموا عندما علموا أن أطباء الجيش تدربوا بتشريح جثث أبنائهم قبل أن تعاد لذويها لدفنها!.

● ذكر برنامج الأمم المتحدة المشترك بشأن الفيروس المسبب لمرض الإيدز أن عدد الأشخاص في آسيا الذين تعرضوا للإصابة بالمرض قد ازداد نحو ٨٠٠ منذ يونيو الماضي، حيث بلغ عددهم الآن نحو ٧,٢ مليون شخص.

● قال تقرير رسمي بريطاني صدر يوم ١٩٩٩/٣/٢٥م أن من سبعة ملايين من البريطانيين البالغين هم فعلياً أميون إذ لا يستطيعون القراءة والكتابة أو إجراء العمليات الحسابية !!.

● خلال أقل من ٤٥ عاماً سيتضاعف عدد سكان كوكب الأرض من المسنين الذين تزيد أعمارهم عن التسعين عاماً وسيصبح عددهم أكثر من ٤٠٪ من سكان العالم، هذا ما أكده تقرير مركز الإحصاء الأوروبي بالتعاون مع مراكز المعاشات.

لمــاذا يعتنـــق الأوروبيـــون الإســـلام ؟

لماذا يعتنق البريطانيون البيض الإسلام رغم الدعاية السيئة التي تروّجها عنهم وسائل الإعلام الغربية؟ سؤال طرحه الكاتب البريطاني «بول فيلي» في مقال بعنوان «المسلمون الجدد» نشرته له صحيفة «الاندبندت» اللندنية، تحدث فيه عن ظاهرة تزايد أعداد البريطانيين الذين يعتنقون الإسلام. وعلل فيلي الظاهرة في بداية تقريره عن المسلمين الجدد بغياب المثال الروحي في المجتمع البريطاني وغياب الاستقرار الاقتصادي في العمل، وخداع العائلة تحت ضغط سياسات السوق والتسويق التي أدت إلى نشوء نوع من عدم الأمان والاستقرار في الحياة البريطانية والغربية على حد سواء. وأشار إلى خداع العلم والمادية كأسباب أخرى قد تدفع الشاب أو الفتاة إلى اعتناق الإسلام.

ووجد فيلي بعد مقابلته لبعض من اعتنقوا الإسلام من البريطانيين أن أغلبيتهم تتراوح أعمارهم بين ٣٥ ـ ٥٥ عاماً وكانوا يبحثون عن خيار روحي جديد عن طبيعة الحياة التي عاشوها فمنهم من حرم عطف والديه أو خسر والده في صغره.

كما وجد أن كثيراً من الذين اعتنقوا الإسلام من البريطانيين تعرفوا عليه من خلال دراستهم للفن، أو المعمار الإسلامي، أو من الذين سافروا إلى إحدى الدول العربية، وممن تعلّم اللغة العربية أو إحدى اللغات الإسلامية، أو من خلال مقابلة مسلمين قريبين منهم.

وبالرغم من أنه لا توجد إحصاءات دقيقة عن الذين يعتنقون الإسلام من البريطانيين إلا أن بعض المصادر تشير إلى أن هناك نحو ثمانين شخصاً يشهرون إسلامهم في بريطانيا وحدها كل عام. وأشارت إحصاءات غير رسمية نشرت خلال الأعوام القليلة الماضية إلى أن الإسلام يعتبر من أكثر الأديان انتشاراً في بريطانيا. وقد أكد الكثير ـ ممن قابلهم فيلي ـ ضرورة الفصل بين تعاليم الإسلام العالمية والممارسات التي تصدر عن بعض المسلمين، مشيرين إلى الفهم القاصر الذي يحمله الغرب عن الإسلام.

استطلاع حول تدريس الإسلام في المدارس الألمانية

أظهرت نتائج استطلاع للرأي أجري في مدينة بون الألمانية، أن أغلبية الألمان تساند فكرة إدراج مادة الدين الإسلامي في برامج التعليم في المدارس الألمانية.

ويستفاد من هذا الاستطلاع الذي أنجز بطلب من صحيفة «دي فوخ» الألمانية أن ٥٢ في المئة من بين ألف شخص تم استجوابهم باعتبارهم عينات، أعربوا عن موافقتهم على تدريس مادة الدين الإسلامي مقابل ٣٩ في المئة من المعارضين للفكرة أما الباقون فهم إما من المترددين أو ممن لا رأي لهم.

ويتم حالياً تدريس مادة الدين الإسلامي كمادة اختيارية في بعض الولايات الألمانية من بينها «ويستفاليا وسكسونيا السفلى ورينانيا الشمالية»، والجديد في هذا التوجه أن المستجوبين يرغبون في أن يتم تدريس هذه المادة الدينية باللغة الألمانية، خلافاً لما هو معهود حتى الآن، وهو أنها تدرّس باللغة العربية لأبناء المهاجرين الذين يوجد منهم عدد كبير من أبناء المغرب العربي.

ويبدو من الاستطلاع أن أغلبية الألمان الذين يساندون الفكرة هم من ناخبي الحزب الاجتماعي الديموقراطي وحزب الخضر «البيئة» في الوقت الذي يشكل فيه المعارضون لتدريس مادة الإسلام من ناخبي الاتحاد المسيحي الديموقراطي.

فتاوى هيئة كبار العلماء في السعودية على الإنترنت

افتتح وزير الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد السعودي الدكتور عبدالله بن عبدالمحسن التركي يوم ١٩٩٩/٣/٧م وحدة الإنترنت في مركز البحوث والدراسات الإسلامية لموقع الوزارة على الشبكة العالمية للمعلومات.

وأكد الدكتور عبدالله التركي في كلمته بالمناسبة أن موقع الوزارة في الشبكة الدولية للمعلومات لنشر الدعوة إلى الله وتقديم الصورة الصحيحة عن الدين الإسلامي الحنيف وإبراز محاسنه ومزاياه الكثيرة، وإيصال العلوم الإسلامية الصحيحة للمسلمين في الخارج لحاجتهم الماسّة في العالم إلى المعلومات الصحيحة المتوافرة في المملكة.

وكشف مدير مركز البحوث والدراسات الإسلامية الدكتور مساعد بن إبراهيم الحديثي، وفقاً لوكالة الأنباء السعودية أن الموقع حظي بموافقة الشيخ عبدالعزيز بن باز المفتي العام للملكة العربية السعودية بوضع كامل فتاوى هيئة كبار العلماء واللجنة الدائمة فيه، كما حظي بموافقة الشيخ محمد بن عثيمين على وضع جميع مؤلفاته ودروسه على الإنترنت.

حديقة الوعي

إعداد : أحمد عبدالجبار

من هدي كتاب الله

قال الله تعالى :

﴿ ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا. ولا تمش في الأرض مرحا إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا. كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها ﴾.

الإسراء: ٣٦ ـ ٣٨.

من هدي رسول الله ﷺ

عن ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ـ ﷺ ـ قال :

« من تمسك بسنتي عند فساد أمتي فله أجر مئة شهيد ».

أخرجه البيهقي من رواية الحسن بن قتيبة والطبراني من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ بإسناد لا بأس به.

إلا أنه قال : فله أجر شهيد

دعاء

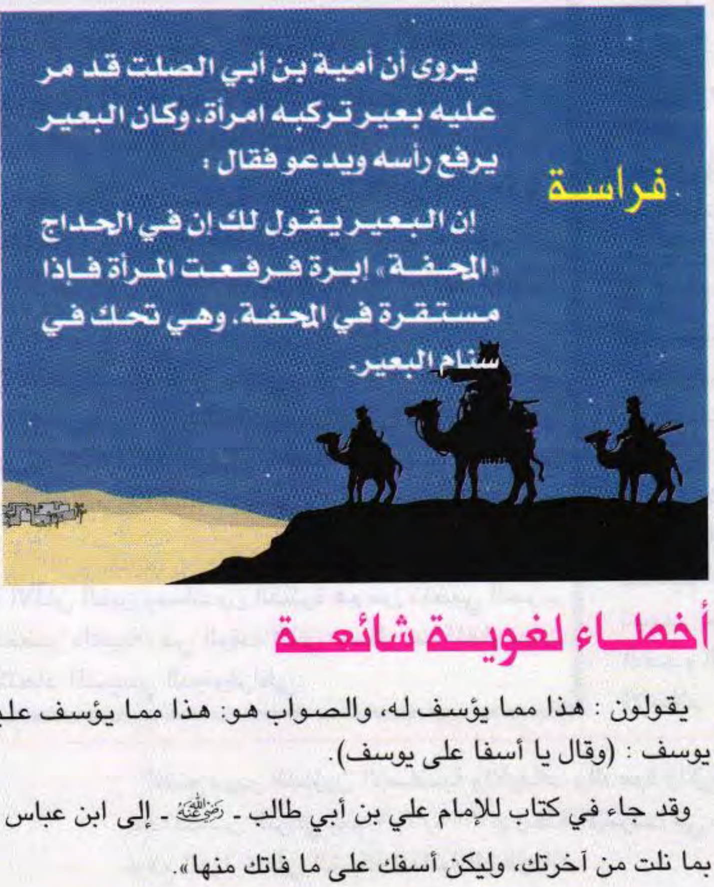
اللهم إن استغفاري إياك مع كثرة ذنوبي للؤم، وإن تركي الاستغفار مع معرفتي رحمتك لعجز، إلهي كم تحببت إليَّ بنعمتك، وأنت غني عني، وكم أبتغض إليك بذنوبي وأنا فقير إليك، سبحان من إذا توعد عفا، وإذا وعد وفى.

موقف

أراد عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ أن يستعمل رجلاً فبادر الرجل يطلب العمل قبل أن يفاتحه فيه، فقال عمر: والله لقد أردتك، ولكن من طلب الأمر لم يُعَنْ عليه.

كما ماتوا

احتضر ابن أخ لأبي الأسود الدؤلي فقال: يا عم، أأموت والناس يحيون؟ فقال: كما حييت والناس يموتون!



أحمد الله على المصيبة

قال شريح القاضي:

إني لأصاب بالمصيبة فأحمد الله عزّ وجلّ عليها أربع مرات، أحمده إذ لم تكن أعظم مما هي، وأحمده إذ رزقني الصبر عليها، وأحمده إذ وفقني للاسترجاع، لما أرجو فيه من الثواب، وأحمده إذ لم يجعلها في ديني.

أخطاء لغوية شائعة

يقولون : هذا مما يؤسف له، والصواب هو: هذا مما يؤسف عليه، وقد جاء في الآية ٨٤ من سورة يوسف : (وقال يا أسفا على يوسف).

وقد جاء في كتاب للإمام علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ إلى ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ «فليكن سرورك بما نلت من آخرتك، وليكن أسفك على ما فاتك منها».

وقال البحتري :

كلف يكفكف عبرة مهراقة
أسفاً على عهد الشباب وما انقضى

وقد انفرد المعجم الوسيط بقوله: أسف له، تألم وندم ثم أصدر مجمع القاهرة الجزء الأول من المعجم الكبير وقال فيه: أسف له أسفاً، وأسافة: تألم وندم واستشهد بقول مهيار:

أسفت لحلم كان لي يوم بارق
فأخرجه جهل الصبابة من يدي

اثنــان طيبــان لايفترقــان

اثنان طيبان لا يفترقان أبداً، وإذا افترقا حلت الكارثة الكبرى، وهما معاشرة الإنسانية العليا، ورمز الحضارة المنتصرة، وقمة من قمم الكمالات والفضائل:

إذا ذُكر القرآن ذُكر معه التدبر، فالقرآن والتدبر لا يفترقان، وإذا ذكرت الصلاة ذكر معها الخشوع، فالصلاة والخشوع لا يفترقان، وإذا ذُكر العلم ذُكر معه الإيمان، فالعلم والإيمان لا يفترقان، وإذا ذُكر الحكم ذكر معه العدل، فالحكم والعدل لا يفترقان، وإذا ذكر الحق ذكر معه الخير، فالحق والخير لا يفترقان، وإذا ذكرت النعمة ذكر معها الشكر، فالنعمة والشكر لا يفترقان، وإذا ذُكرت الدنيا ذُكرت معها الآخرة، فالدنيا والآخرة لا يفترقان.

ثـلاث خصـال فـي صهيـب

قال عمر بن الخطاب لصيهب الرومي رضي الله عنهما:

أي رجل أنت لولا خصال ثلاث فيك؟

فقال صهيب: وما هنَّ؟

قال: اكتنيت وليس لك ولد، وانتميت إلى العرب وأنت من الروم، وفيك سرف من الطعام.

فقال صهيب: أما قولك اكتنيت ولم يولد لك فإن رسول الله ﷺ كناني بأبي يحيى.

وأما قولك انتميت إلى العرب وأنت من الروم، فإني رجل من النمر بن قاسط سباني الروم من الموصل بعد إذ أنا غلام وقد عرفت نسبي.

وأما قولك: فيك سرف من الطعام، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : خياركم من أطعم الطعام.

وعـد ووعيـد

حُكـي أن أم غـزوان الـرقـاش كـانـت مـن الحمقى، وقيل إنها قالت لابنها غزوان، وكان من الاتقيـاء الصـالحين، وقد رأته يـقرأ في المصحف: يا غزوان، أما تجد في هذا القرآن بعيراً ضلَّ في الجاهلية؟ فما نـهرها غزوان، بل قال: يـا أمة الـلـه، أجـد والـلـه فـيـه وعـداً حسناً ووعيداً شديداً.

ستـة

لاتنتصر دعوة الحق بستة:

- مستعجل في الشهرة متهالك عليها.
- وجريء في القول جبان عند العمل.
- وعامي في ثقافته متلوٍ في أساليبه.
- ومؤثر للسلامة على التضحية.
- ومغرور يقدر نفسه بأكثر مما هي عليه.
- وضعيف يسيِّره من هو أخبث منه.

ضرب المثل في الأقل لا يعني تفضيله

جاء في كتب الأدب أن أبا تمام حينما قال في مدح أحمد بن المعتصم «الخليفة العباسي الثامن» :

إقدام عمرو في سماحة حاتم

في حلم أحنف في ذكاء إياس

قال بعض حساده أمام ممدوحه :

ما زدت على أن شبهت الأمير بمن هم دونه، فقال أبو حاتم :

لا تنكروا ضربي له من دونه

مثلاً شروداً في الندى والباس

فالله قد ضرب الأقل لنوره

مثلاً من المشكاة والنبراس

الوسوسة

وروي أن رجلاً جاء إلى أبـي حـازم فـقـال لـه: إن الشيطان يأتيني فيقول: إنك قد طلـقـت زوجتـك فيشككني، فقال له أوليس قد طلقتها؟ قال: لا، قال: ألم تأتني أمس فطلقتها عندي؟ فقال: والله ما جئتك إلا اليوم ولا طلقتها بوجه من الوجوه. قال: فاحلف للشيطان إذا جاءك كما حلفت لي وأنت في عافية.

النحنحة

عن ابن الأعرابي قال: قال رجل من الأعراب لأخيه: أتشرب الخازر من اللبن ولا تتنحنح؟

فقال: نعم، تجاعلا جعلاً، فلما شربه أذاه، فقال: كبش أملح ونبت أقبح، وأنا فيه أسجح، فقال أخوه: قد تنحنحت، فقال: من تنحنح فلا أفلح.

الخوف من النفاق

جاء رجل إلى حذيفة بن اليمان ـ رضي الله عنه ـ فقال له:

يـا أبـا عـبدالـلـه، إنـي أخشى أن أكون منافقاً، فقال: تصلي إذا خلوت، وتستغفر إذا أذنبت؟ فقال: نعم، قال: اذهب فما جعلك الله منافقاً.

إعداد : عبدالمنعم أحمد

نشرت اللومند الفرنسية مقالاً بقلم «هنري تينك» تناول فيه بالتحليل أوضاع التجمعات الإسلامية في فرنسا والتنافس الشديد فيما بينها لتمثيل المسلمين لدى الحكومات الفرنسية المتعاقبة، وهذه الرؤية التحليلية وإن كانت من وجهة نظر فرنسية إلا أنها مهمة للقارئ المسلم ليدرك نظرة الفرنسيين للإسلام والمسلمين في فرنسا على اعتبار أنهم يمثلون أكبر أقلية في فرنسا.

التجمعات الإسلامية في فرنسا تمر بحال تشرذم خطيرة

يُعد الدين الإسلامي الديانة الثانية في فرنسا بعد المسيحية مباشرة، ويبلغ عدد المسلمين فيها نحو أربعة ملايين مسلم، وإن كان من الصعب تحديد عدد هؤلاء الذين يمارسون الشعائر الإسلامية إلى درجة التقوى، أما فيما يتعلق بالمساجد، فهناك مسجد باريس الشهير، أَضف إلى ذلك أن فرنسا تضم أكثر من عشرة مساجد من الطراز المعماري القديم، وهناك أيضاً مساجد أُنشئت حديثاً (العام ١٩٩٣) مثل مسجد ليون ، ومسجد آخر في مونبلييه (العام ١٩٩٧م)، كما توجد مساجد أخرى في مناطق إيفري «إيسون» ومانت لاجولي «إيفلين»، وفي مدينة «روبيه»، وبشكل عام يصل عدد دور العبادة الإسلامية إلى نحو ألف مسجد، والإسلام في فرنسا يُدرج دائماً على جدول أعمال الحكومات الفرنسية المتعاقبة، سواء الحكومات اليمينية أو اليسارية، والمقصود هنا هو إيجاد مشروع فيدرالي «للإسلام في فرنسا» يمثل المسلمين، ويكون منظماً، حيث يسجل في واقع الحياة



● نشاط ترفيهي لأبناء الجاليات الإسلامية

اليومية في هذه الدولة العلمانية، غير أن هذا المشروع اليوم أشبه ما يكون بحقل أطلال وخرائب، وذلك لأن التنافس على الإمساك بزمام السيطرة على مجتمع مسلم يتكون من أربعة ملايين مسلم ومسلمة في فرنسا اليوم قد أسفر عن أضرار أكثر مما حقق إنجازات إيجابية، فهناك «شلة الأربعة» وتتكون من «مسجد باريس، واتحاد المنظمات الإسلامية

في فرنسا، والاتحاد الوطني لمسلمي فرنسا ومنظمات التبليغ لنشر الثقافة الإسلامية»، وقد حاولت هذه المنظمات على مدى سنوات عدة أن تحتكر عملية تمثيل الجالية الإسلامية في فرنسا، ثم توقفت عن ذلك أخيراً، ويبدو أن هذه المنظمات قد أصيبت بالشلل في نشاطها بسبب الكثير من المشاكل وعمليات التدخل في شؤونها من الخارج، وكذلك الأصولية التي يبدو أنها تستفيد من حال التسويف والمماطلة الحالية. وقد ضعفت مكانة مسجد باريس بسبب مشكلات وصعوبات في الإدارة وتأثير الفصائل الجزائرية التي تتنازل لأجل السيطرة والإشراف على المسجد الذي لم يعد في وضع يمكّنه من المطالبة بتزعم الجالية الإسلامية. أما التجمعات الكبيرة للمسلمين التي خرَّجها وأعدها، فقد أصبحت في طيٍّ النسيان في كل من ليون ومارسيليا. ولم يرضخ المسجد الكبير في باريس لنظام الإدارة الجماعية للإسلام، وهو النظام الذي حاولت الحكومة الفرنسية اليسارية إقامته في الفترة من ١٩٨٨م إلى ١٩٩٣م، ولا سيما في ظل تطبيق مبادرة «بيير جوكس»، التي حاولت تلك الحكومات على أساسها إقامة إدارة أو منظمة للسلام مثل ما عرف بمجلس التفكير في مستقبل الإسلام في فرنسا «كوريف» غير أن هذه المنظمة ما لبثت أن وقعت فريسة لانقسامات حادة.

وعندما عاد مسجد باريس إلى إشراف ورعاية اليمين، لم يتمكن من اقتراح صيغ أخرى سوى «ميثاق» كان موضع منازعة، ومجلس الإسلام في فرنسا، ابتعد كثيراً عن القاعدة التجمعية وعن الشباب وعن النساء، بل عن المثقفين في الجالية الإسلامية.

وعندما واجه المسجد تحديات في عملية تخريج الأئمة، لم ينجح في إعادة تأسيس معهد إسلامي لمسجد باريس بالرغم من الدعم الذي قدمه شارل باسكوا لذلك المشروع الذي كان دائماً في حال احتضار.

وفي الواقع إن اتحاد المنظمات الإسلامية لفرنسا قلما كان حسن الطالع. فقد ضم في بداية التسعينات ما يقرب من مئتي جمعية وتجمع، كما أنشأ معهداً جامعياً خاصاً بالقرب من شاتو شينون «نييفر» وكان يخرِّج في نهاية كل عام عدداً كبيراً من الفقهاء في



● أحد المساجد في مدينة ليل الفرنسية

الدين الإسلامي في بورجييه، غير أنه كان يعاني من قيود كانت تُفرض عليه من أصحاب التبرعات ثم كان المغاربة هم الذين يهيمنون عليه بعد ذلك ويدعمونه مالياً ويعينون بعض الممثلين له.

ومنذ أن تقلد «جان بيير شفينمان» منصب وزير الداخلية وَكُلف بالإشراف على الشعائر والعبادات حرص على عدم إثارة المشاكل الخاصة بالمسلمين في فرنسا، بل وضع جانباً وبشكل موقت مشكلة تمثيل المؤسسات حيث أشار في حديث له في ستراسبورغ في ٢٣ نوفمبر سنة ١٩٩٧م إلى أن غياب هذه المسألة أو حلّها لاينبغي أن يشكل عقبة كأداء، غير أنه حاول أن يحل عقد المشكلة عقدة عقدة.

ثم تخلص أخيراً من المنتجين المسؤولين عن المسلسل الأسبوعي «التعرف على الإسلام»، وهو البرنامج الذي كان يذاع صباح كل يوم أحد، حيث إنهم اتخذوه وسيلة لتحقيق مورد مالي لهم. وهو الأمر الذي أثار حفيظة الدوائر الفرنسية الإسلامية التي طالما كانت على أهبة الاستعداد لانتقاد خمول أي مسؤول من العلمانيين، وعندما كان شفينمان يواجه اتجاهاً غير مرغوب فيه، سرعان ما كان يدفع بمبدأ علمانية الدولة، وكان إنشاء معهد عال لدراسة الإسلام يسير في الاتجاه الصحيح، إذ كان ضالة منشودة منذ وقت طويل. ثم كلف «كلود الليجر» وزير التعليم «أندريه بورجييه» بمهمة في هذا الصدد تدخل ضمن اختصاصه كمدير للمعهد الوطني للغات والحضارة الشرقية.

فهل هذه طريقة جيدة؟ أي طريقة علاج المشاكل حال بعد حال أو كل حال بمفردها؟

لاشك أنه ليست هناك طرقاً أخرى.

غير أنه ينبغي لنا أن نفهم الضغوط التي تمارس في بعض المساجد من جانب الأوساط الأصولية، حتى مسجد باريس الذي اضطر شيخه أبو بكر أخيراً إلى مواجهة مع بعض «أصحاب اللحى»، ولابد أن نتساءل عن مدى كفاءة المؤسسات الحالية في تخريج القيادات وتوجيه هذه الجالية الإسلامية. ■

هاتف مباشر
خدمة الفتوى
149

هذه الفتاوى منتقاة مما تصدره إدارة الافتاء والبحوث الشرعية في وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية في دولة الكويت. والمجلة على استعداد لتلقي الاسئلة مباشرة وتحويلها الى اهل الاختصاص للاجابة عليها. ويسر خدمة الفتوى بالهاتف تلقي الاسئلة الفقهية مباشرة من الساعة ٨ صباحا الى الساعة ١٢ ظهرا ومن الساعة ٤ عصرا الى الساعة ٨ مساء على الهواتف التالية :

زكاة الأوراق النقديــة

عرض على اللجنة الاستفتاء المقدم من المدعو أحمد، ونصه كما يلي:

لقد ارتأينا أن نطرح عليكم هذه المسألة حتى توافونا بالجواب الصحيح إن شاء الله. سؤالنا يقول: ما النصاب في الأوراق النقدية؟ ومن المعروف أن الذهب نصابه عشرون ديناراً، أي ما يعادل تقريباً (٩٠ غراماً) وأن النصاب في الفضة هو خمس أواق وهي مئتا درهم.

وعندنا في المغرب كل الوعاظ تقريباً يقولون: إن النصاب في الأوراق النقدية هو مئتا درهم، ولأن العملة المتداولة عندنا هي الدرهم، في حين أن مئتي درهم مغربية تعادل تقريباً ٨,٥ «دينار كويتي».

فهل هذا هو النصاب الحقيقي؟

وهل الدرهم الذي جاء في الأحاديث هو الدرهم المغربي الحالي؟

وأنتم في الكويت لكم عملة غير الدرهم، فما هو مبلغ النصاب في زكاة الأموال عندكم؟

أفيدونا جزاكم الله خيراً، ودمتم لخدمة الإسلام والمسلمين.

- أجابت اللجنة بما يلي:

إن نصاب الذهب هو عشرون مثقالاً، والمثقال هو الدينار الإسلامي من الذهب، وقد قدَّره المختصون بتقديرات متقاربة، أرجحها أنه يعادل ٤,٢٥ غرام من الذهب الخالص، فيكون نصاب الزكاة في الذهب ٨٥ غراماً ذهبياً، فيقدر في كل بلد بما يعادل هذا المقدار من الذهب من عملتها يوم حولان الحول على المال المزكى.

أما نصاب الفضة فهو مئتا درهم إسلامي، والدرهم قدَّره المختصون بتقديرات متقاربة أيضاً، أرجحها أنه ٢,٩٧٥ غرام من الفضة الخالصة، فيكون نصاب الزكاة في الفضة ٥٩٥ غراماً من الفضة، وتقدر في كل بلد بما يعادل هذا المقدار من العملة المتداولة فيها، وليس المراد بالدينار أو الدرهم ما سمي بهذا الاسم من العملات في بلد أو آخر، بل المراد الدينار الإسلامي (وهو من الذهب) والدرهم (وهو من الفضة).

ما يحل للمعتدة وما يحرم عليها

قدَّمت سيدة إلى اللجنة الاستفتاء التالي:

سيدة توفي عنها زوجها وتسأل : هل يجوز أن تضع الحناء على رأسها للضرورة؟ وهل يجوز أن تلبس حجاباً جديداً على رأسها؟ وهل يجوز لها أن تضع بخوراً طبياً؟

- أجابت اللجنة بما يلي:

الحناء إذا كان وضعه للعلاج فلا بأس به، وأما إذا كان للزينة، وهو ما يوضع في اليد أو الرجل غالباً، فلا يجوز في حال العدة، وأما وضع حجاب جديد فجائز، وكذلك البخور الطبي.

انتهاء عـدة المطلقة

حضر إلى اللجنة المدعو محمد، وقدم الاستفتاء التالي:

لقد تلفظت بالطلاق لوالد زوجتي وأخيها، وهي لم تكن موجودة بعد مشادة كلامية فقدت فيها أعصابي ووعيي، لأنهم يريدون أن يفرضوا عليَّ شروطاً لا أقبل بها بتاتاً، وإن زوجتي لم تسمع بكلمة الطلاق، وقد حضر أبوها إلى البيت وخرجت معه إلى بيته، ورجعت أنا إلى الكويت، حيث انتهت إجازتي في اليوم نفسه الذي حصلت فيه المشكلة، وقد حاولت استرجاعها، ولكن دون جدوى أمام إصرار وتعنُّت أبيها وأعمامها.

وبعد مضي ستة أشهر وصلت رسالة تفيد بأنها عادت إلى بيتي في بلدي، وهي الآن تعيش مع أولادها الأربعة، وللعلم زوجتي تكون ابنة عمي.

- أجاب اللجنة بما يلي:

بأن الزوجة طلِّقت من زوجها طلقة واحدة بائنة بينونة صغرى لانتهاء العدة، وترجع له بعقد ومهر جديدين بإذنها ورضاها، وتبقى معه على طلقتين.

التأمين على الحياة والعمل في شركات التأمين

عُرض على اللجنة الاستفتاء المقدم من المدعو صلاح ونصه التالي:

ما نظرة الإسلام إلى التأمين على الحياة والتأمين ضد الحريق والسرقات والإصابات وهل يجوز للمسلم أن يعمل كموظف في إحدى شركات التأمين؟

ـ أجابت اللجنة بما يلي:

يجوز شرعاً التأمين ضد الحوادث كالحريق والسرقة والإصابات على أن يكون التعويض المستحق في حدود الضرر الفعلي الواقع، أما التأمين على الحياة فلا يزال موضع بحث من قبل المجامع الفقهية لأن الصور المعمول بها الآن أكثرها يتضمن أموراً محرمة كالربا والغرر الكثير والمقامرة، أما العمل في إحدى شركات التأمين، فإن كان يعمل في إطار الصورة المشروعة المشار إليه فهو جائز وإن كان في الصور المقطوع تحريمها فهو حرام.

التأمين على البضائع المستوردة أو المصدرة

عُرض على اللجنة السؤال المقدم من المدعو عماد ونصه كما يلي:

ما حكم التأمين على البضائع التجارية مع العلم أننا نعلم أن التأمين بصورة عامة لا يجوز شرعاً إلا في حالات خاصة فهل التأمين على البضائع المستوردة أو المصدرة بحراً أو جواً يعتبر حالة خاصة عن الحالات الأخرى أم ماذا؟

ـ أجابت اللجنة بما يلي:

التأمين على البضائع من الأخطار التي تتعرض لها سواء أكانت أخطاراً برية أم بحرية أم جوية جائز إذا كان التعويض المستحق في حدود الضرر الفعلي.

عضوية صندوق الضمان الاجتماعي

عرض على اللجنة الاستفتاء المقدم من المدعو علي ونصه التالي:

أرجو الإفتاء في الانضمام لعضوية الصندوق ليتسنى لنا في ضوء ردكم العمل بما يرضي الله ورسوله.

وبعد أن اطلعت اللجنة على النظام الأساسي لصندوق الضمان الاجتماعي...

ـ أجابت اللجنة بما يلي:

يجوز الانضمام إلى صندوق الضمان الاجتماعي هذا لأنه من باب التعاون على البر والتقوى، وما يدفعه المشترك من أقساط يعتبر تبرعاً للصندوق أما ما يخصص للمشترك من تعويضات فهو تبرع أيضاً من المشاركين في الصندوق، وليس من التركة ولذا يستحقه من يسميهم المشترك سواء كانوا من الورثة أو غيرهم بالنسب التي يختارها.

معاشرة الزوجة بعد انقضاء العدة

حضر إلى اللجنة المدعو محمود:

وأخبر أنه في أكتوبر ١٩٧٧م تشاجر مع زوجته، وقال لها: أنت طالق، وبعد مرور أربعة أشهر أرجعها، ثم أوقع عليها طلقتين متفرقتين على فترات متباعدة.

ـ أجابت اللجنة:

إن عدة المطلّقة ثلاثة قروء، وبما أن السائل قد أرجع زوجته بعد انتهاء عدته من دون عقد ومهر جديدين، فإن معاشرته لها بعد المراجعة يعتبر وطء شبهة، ولذلك لا يقع الطلاق الذي أوقعه الزوج على زوجته بعد المراجعة الأولى، لأن عقد الزوجية قد انفسخ بانتهاء العدة.

وعلى هذا، يجب على الزوج إن أراد زوجته السابقة أن يعقد عليها بعقد ومهر جديدين.

رسالة مجهولة تخيف الناس

وردت إلى لجنة الفتوى في وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية أسئلة واستفسارات كثيرة :

عن حكم الرسائل التي ترد إلى بعض الناس من مجهولين، فيها بشارات لمن ينسخها ويوزعها على معارفه، وفيها تهديد لمن يهملها ولا يهتم بها.

ـ واللجنة تبين للناس :

إن الهدف من هذه الرسائل هو اللعب بعقول المسلمين، وشغل أوقاتهم بما يضر ولا ينفع، وتنصح المسلمين أن يتخلصوا من هذه الرسائل بإحراقها إن كانت فيها آيات قرآنية، وألا يصدقوا ما جاء فيها من أباطيل، ولا يخافوا مما جاء في هذه الرسائل من تهديد ووعيد، قال تعالى: (قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا) التوبة:٥١.

بقلم : عبدالوكيل أحمد صافي

خواطر في ذكرى الهجرة

في أول العام الهجري، أشعر له بمذاق خاص في نفسي وفي خاطري وعقلي، في مساحة الشعور ومساحة اللاشعور، فيهتز له كياني، ويضطرب له فؤادي، وأحس بذلك الإحساس المفعم بالشعور المتلئ بفرحة غامرة أو سعادة كبرى مختلطان بشعور الفخر والاعتزاز والانتماء لهذا الدين، والانتماء لصاحب الذكرى... فما أجد إلا لساني يلهج بالشكر والحمد والثناء لله، تلوح في عيني طيوف دمعة حانية من خشوع وتعظيم.

الشعور أدركه وألمسه فيما يهتز فيَّ من مشاعر وأحاسيس أول العام الهجري، واللاشعور يعمل في صمت وهدوء، فلا أشعر ولا أحسّ، ولكنني أتحرك وأندفع، وقد أصل في نهاية الطريق أو لا أصل، وأتعمق في نفسي السؤال: لماذا كانت الحركة؟ وماذا وراءها؟ لماذا كان ذلك الاندفاع؟ وماذا يكون وراءه؟

نعم... إن للعام الهجري الجديد مذاقاً خاصاً ذلك أنني قد اجترت عاماً في مشوار حياتي، بذلت فيه واكتسبت، قرأت وأدركت واختزن الفكر واختزنت المشاعر والعواطف وتجمع كل ذلك في تجاريب ذهنية ونفسية.

لنا معك أيها العام الهجري الجديد موقف لابد منه، موقف مراجعة ومكاشفة موقف حساب وتقويم بماذا فكرنا؟ وماذا عملنا؟ ما مدى نجاحنا؟ وما العوامل التي كانت وراء هذا النجاح أهو جهدنا فقط وبذلنا وتضحياتنا في سبيل هذا الدين القويم، أم أن هناك ظروفاً كانت مواتية ساعدت في تهيئة الأجواء المناسبة، وإذا كان الفشل وعدم النجاح فما سببه؟ وما وراءه، هل هو قصر في النظر وعدم نضج في الحركة، وقلة تجربة وخبرة في هذا المجال أو ذاك؟!!

كل هذه التساؤلات تتوارد إذ نستقبل عامنا الهجري الجديد؟

مضى عام وانصرم بما حدث وتم... وما ندري ما الله صانع بنا في عامنا الجديد، نسأله ونرجوه الرحمة بعباده المسلمين ومغفرته ورضوانه.

عام مقبل ما ندري ما الله قاض لنا فيه وما مقدر لنا فيه، ولكننا نعلم علم اليقين بماذا أمرنا الله وعن ماذا نهانا وكيف السبيل إلى الالتزام بشريعة الإسلام وبدين الله القوي المتين، إنها قوة الإرادة، قوة الحزم والتصميم (خذوا ما آتيناكم بقوة) صدق الله العظيم.

وتترى الذكريات، وتسيل في النفس كماء سلسبيل رقراق ذكريات إنسانية عطّرت الكون والتاريخ والأمم، عمَّ خيرها البشرية كافة!

هذه آثارنا تدل علينا

فانظروا بعدنا إلى الآثار

إنها لآثار إنسانية هدفاً ومنهجاً، فهل ذكريات الآخرين هكذا؟ وهل تاريخ الآخرين مثل تاريخنا المشرق الوضاح، الجواب في ثنايا التاريخ وفي الواقع المحسوس المشاهد.

ودائماً أيها العام الهجري المنصرم ومرحباً بك أيها العام الهجري الجديد، تجدد همتنا ونشاطنا إسلامياً وحركياً، وصلى الله وسلم على صاحب الذكرى العطرة، أول مهاجر هجر هذه الدنيا نفساً، وذهناً إلى ربه ودينه، هجر الدنيا بفسادها، والتزم ونادى بالتزام خيرها وتقويته وتصحيح الفساد وتقويمه، وليجعلك الله أيها العام الجديد عام خير وبركة على البلاد والعباد ازدهاراً ونماء وديناً خالصاً لوجهه الكريم. ■



الأمانة العامة للأوقاف

شارك معنا من خلال

السهم الوقفي

بقيمة ١٠ د.ك

• بـ ١٠ د . ك فقط يكون لديك صدقة جارية الى ما شاء الله.
• احرص معنا على اقتناء سهم وقفي أو أكثر.
• بالانفاق المباشر أو بالاستقطاع الشهري بواسطة البنك.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
« إذا مات الانسان إنقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له »
رواه مسلم

للاستفسار :
هاتف : (٢٤١-٨٠٠٨) صباحاً
لخدمة التحصيل السريع
بيجر : (٩٢٥-٩٢٥٠)

السهم الوقفي
صدقة جارية .. لخدمة الدين والمجتمع

اللجنة الكويتية المشتركة للإغاثة

تشريد . إبادة وهتك أعراض .. دماء ودموع !!

كوسوفا تستغيث فهل من معتصم يجيب ؟



قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : - « مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » رواه مسلم

تستقبل التبرعات في :

حساب كوسوفا : ٣٦٥٨٣ / ٥ بيت التمويل الكويتي

مقر اللجنة الرئيسي - الشرق - شارع أحمد الجابر - مبنى الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية - الدور الرابع ت : ٢٤٤٥٧٢٠ - بيجر : ٩٣١٧٥٥٧

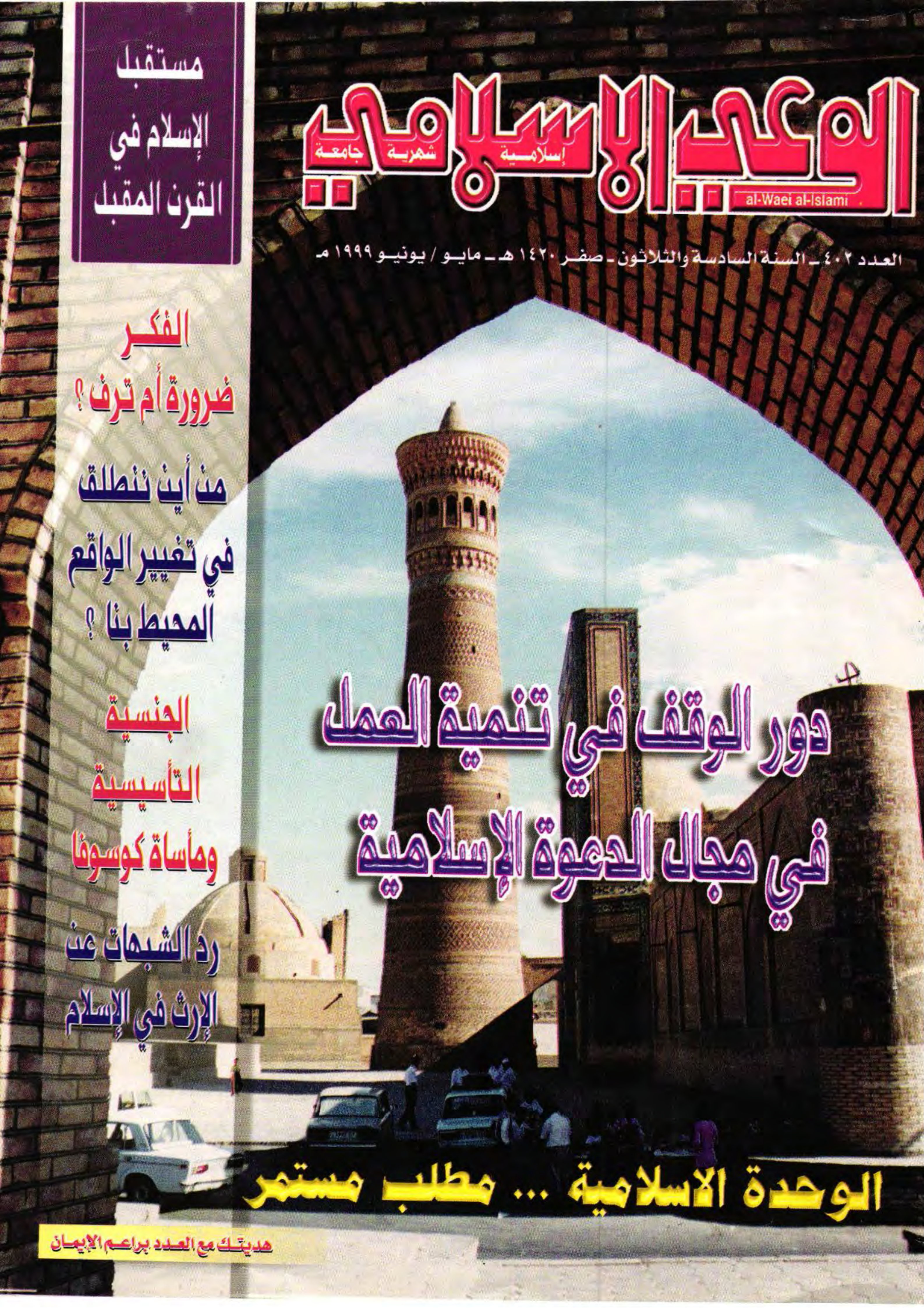
وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية - بيت الزكاة - الهيئة الخيرية الاسلامية العالمية واللجان التابعة لها - جمعية الاصلاح الاجتماعي واللجان التابعة لها - جمعية احياء التراث الاسلامي واللجان التابعة لها - جمعية النجاة الخيرية واللجان التابعة لها - جمعية الشيخ عبد الله النوري الخيرية - لجنة الفلاح الخيرية - جمعية المعلمين الكويتية - الاتحاد الوطني لطلبة الكويت الجمعية الطبية الكويتية - جمعية الرعاية الاسلامية - الجمعية الخيرية للتضامن الاجتماعي - الجمعية الثقافية الاجتماعية النسائية - جمعية بيادر السلام النسائية

الوعي الإسلامي

إسلامية شهرية جامعة

al-Waei al-Islami

العدد ٤٠٢ ـ السنة السادسة والثلاثون ـ صفر ١٤٢٠ هـ ـ مايو / يونيو ١٩٩٩ م



دور الوقف في تنمية العمل في مجال الدعوة الإسلامية

مستقبل الإسلام في القرن المقبل

الفكر ضرورة أم ترف ؟

من أين ننطلق في تغيير الواقع المحيط بنا ؟

الجنسية التأسيسية ومأساة كوسوفا

رد الشبهات عن الإرث في الإسلام

الوحدة الاسلامية ... مطلب مستمر

هديتك مع العدد براعم الإيمان

الأمانة العامة للأوقاف

شارك معنا من خلال

السهم الوقفي

بقيمة ١٠ د.ك

- بـ١٠ د.ك فقط يكون لديك صدقة جارية الى ما شاء الله.
- احرص معنا على اقتناء سهم وقفي أو أكثر.
- بالانفاق المباشر أو بالاستقطاع الشهري بواسطة البنك.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
إذا مات الانسان إنقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له
« رواه مسلم »

للاستفسار:
رقم: (٢٤١-٨٠٠٨) صباحاً
ولخدمة التحصيل السريع
بيجر: (٩٢٥-٩٢٥٠)

السهم الوقفي
صدقة جارية.. لخدمة الدين والمجتمع

الوعي الإسلامي

إسلامية ❖ شهرية ❖ جامعة

تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية
في دولة الكويت في مطلع كل شهر عربي

Islamic Monthly Magazine, Published By The
Ministry of Awqaf & Islamic Affairs - Kuwait

رئيس التحرير
CHIEF EDITOR
د. صالح أحمد الراشد
Dr. SALEH A. AL-RASHED

المشرف الإداري والمالي
ADMN. & FINANCE DIRECTOR
خالد عبداللطيف بوقماز
KHALED A. BUQAMMAZ

الإشراف الفني
ART DESIGNER
صالح محمد صالح
SALEH M. SALEH

العدد 402. السنة الخامسة والثلاثون - صفر 1420 هـ. مايو / يونيو 1999 م

كلمة العدد

بين المجلة وقرائها

التفاعل الإيجابي البنَّاء بين ما يُنشر في المجلة من موضوعات وتحقيقات ودراسات وبين الإخوة القراء والأخوات القارئات يعزِّز الثقة في المجلة، ويقوِّي جسور التواصل الفكري بينها وبين قرائها، وصولاً إلى صيغة ورؤية فكرية ناضجة وواحدة تجاه مختلف القضايا المطروحة على الساحة الإسلامية وبما يخدم توجهات مجتمعاتنا الإسلامية سياسياً واقتصادياً واجتماعياً وفكرياً وغيرها، كما يعد هذا التفاعل سبباً رئيساً في تطور المجلة وازدهارها وتقدمها وتصويب مسيرتها دائماً نحو الأفضل والأحسن بإذن الله.

إن قراءنا مطالبون - وهذه أمانة ومسؤولية - بتعزيز هذا النهج وترسيخه بتقديم الملاحظات والاقتراحات والآراء، ونحن من جانبنا لن نبخل في فتح صفحات المجلة لكل التوجهات مادامت تخدم الأهداف النبيلة التي نسعى للوصول إليها، ولن تثنينا عن هذا التوجه بعض رسائل النقد والعتاب الرقيق التي نتلقاها من بعضهم متهمة إيَّانا بإهمال رسائلهم وعدم الرد عليها، مع أن المجلة حريصة كل الحرص على الاهتمام بالرسائل الواردة إليها بكل أمانة وإخلاص ومسؤولية، فليطمئن إخواننا القراء وأخواتنا القارئات وليعذرونا إن حدث شيء من التقصير تجاههم لظروف خارجة عن إرادتنا في بعض الأحيان.

والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل ...

الوعي الإسلامي

الأسعار

الكويت : ٣٥٠ فلسا - السعودية : ٤ ريالات - البحرين : ٣٠٠ فلس. قطر : ٤ ريالات - الامارات : ٤ دراهم - سلطنة عمان : ٣٠٠ بيسة. الأردن : ٥٠٠ فلس - مصر : **جنيه** واحد - السودان : ٥ جنيهات - موريتانيا : ١٢٠ أوقية - تونس : **دينار** واحد - الجزائر : ٥ دنانير. اليمن : ٥ ريالات - لبنان : ١٠٠٠ ليرة - سوريا : ٢٠ ليرة - المغرب : ٦ دراهم. ليبيا : ٥٠٠ مليم - اوروبا : **جنيه** استرليني واحد او مايعادله. امريكا وبقية دول العالم الاخرى : **دولاران** او مايعادلهما.

المراسلات

المراسلات كافة باسم رئيس التحرير
مجلة الوعي الإسلامي
ص.ب : ٢٣٦٦٧ - الصفاة - 13097 - الكويت
هاتف ٢٤٨٧٢١٠ (٩٦٥+) فاكس ٢٤٣١٧٤٠ (٩٦٥+)

al-Waei al-Islami
P.O. BOX 23667 SAFAT
13097 KUWAIT
TEL. 965 2487210 FAX 965 2431740

e.mail: al_waei@hotmail.com
Homepage: www.kuwait.net/~awqafnet

الاشتراكات

- داخل الكويت :
للأفراد ٥ دنانير - للمؤسسات ١٠ دنانير كويتية.
- الدول العربية :
للأفراد ٦ دنانير كويتية (او مايعادلها).
- دول العالم :
للأفراد ١٠ دنانير كويتية (او مايعادلها).
- للمؤسسات :
٢٠ ديناراً كويتياً (او مايعادلها).

ترسل قيمة الاشتراكات في شيك إلى إدارة المجلة باسم مجلة الوعي الاسلامي
(الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)

المجلة غير ملتزمة بإعادة أي مادة تتلقاها للنشر. والمقالات لا تعبر بالضرورة عن رأي الوزارة

مطابع السياسة - الكويت

وكيل التوزيع شركة الخليج لتوزيع الصحف هاتف ٤٨١٦٨٨٤/٥ / ٤٨٣٥٠٤٧ ص.ب ٤٢٠٥٧ الشويخ 70651 الكويت. برقيا نيوزبيبر

في العدد

دعــوة

دور الوقف في تنمية العمل في مجال الدعوة الإسلامية

للـوقف دور مـهـم فـي تمويـل أعـمـال الجـهاد في سبيل الله وفي اهتداء غير المسـلـمـين إلـى الإسـلام، وفـي صـد الهجمة الاستعمارية على بلدان المسلمين وفي مقاومة سياسة الـغـزو الـفـكـري والتنصيري.



30

صورة الغلاف لأحد مساجد مدينة بخارى والمئذنة الضخمة تتوسط ساحته.

قضايـا فكريـة

34

الفكر ضرورة أم ترف ؟

في مجتمعنا اليوم تياران تجاه الفكر وجذوره الأول: تـيـار زاهـد فـي الـفـكـر ويـعـتـقـد أنـه تـرف. وتـيـار يـعـتـقـد أن الإصلاح يبتدئ بالأفكار. فأيهما أصح؟

إعــلام

52

وظائف الأخبار في الإعلام الإسلامي

كيف عالج الإسلام وظائف الإعلام بشكل عام ووظائف الأخبار الصحفية بشكل خاص؟ ومن أين تنطلق الوظائف العامة للأخبار في الإعلام الإسلامي

في الأعداد المقبلة

ظاهرة الاستشراق الصحفي	د. حسن عزوزي
حوار مع وفد المركز الثقافي الإسلامي لروسيا	د. عماد الدين عثمان
حاجتنا إلى التقريب بين المذاهب الفقهية	محمود النجيري
مكانة العرب في القرآن بين التشريف والمسؤولية	د. محمد الزحيلي
حرية التعبير في منهج الإعلام الإسلامي	عبدالله بدران
نظام المواصفات والمقاييس في الحضارة الإسلامية	محمد عودة السلمان
النص الثابت والواقع المتغير كيف نوفق بينهما	غازي التوبة

الفهرس

الافتتاحية

الوحدة الإسلامية مطلب مستمر

لا ينكر أحد ولا يختلف اثنان في أن وحدة المسلمين مطلب أساس ومهم، وأنه الشأن الدائم على مدى الأزمان والدهور، ولا يردّ ذلك إلا عنيد ومكابر وجاحد وجاهل، إذ أكدت هذا آيات كتاب الله الحكيم، وهدي الأحاديث الشريفة في توجيهات الرسول الكريم ﷺ ، وما أكده أيضاً علماء الأمة على أن تعاون المسلمين وترابطهم وتناصرهم كونهم أمة واحدة يُعدُّ أمراً واجباً لا مناص منه ولا ردة عنه، وأن قوة المسلمين في قوة منعتهم وتعاضدهم وتماسكهم.

وتأكيداً لمعاني الوحدة بين المسلمين على مختلف الأصعدة مكاناً ومذهباً وزماناً، كان بيان الله سبحانه بأنهم إخوة بقوله جل وعلا (إنما المؤمنون إخوة)، ومن ثمَّ كانت دعوتهم إلى التعاون والاعتصام بكتاب الله سبحانه وما نهيهم عن التفرق إلا خيفة الضعف على قوتهم قال تعالى: (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان) وقال عز وجل: (واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا)، وقال سبحانه: (ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم). وقد جاء توجيه النبي الكريم ﷺ مؤكداً لمعاني الوحدة والدعوة إليها والتمسك بها بداية من الفرد المسلم، وانتهاء بالأسرة المسلمة، والمجتمع الإسلامي الكبير، وذلك بحرص الأخ على أخيه وكشفه كربته كما جاء الحض على التناصر والتأييد فيما بين المسلم وأخيه المسلم أو بين المسلمين جميعاً.

قال سيدنا المصطفى ﷺ : «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً»، وقال ﷺ : «المسلم أخو المسلم لا يسلمه ولا يظلمه»، وقال عليه الصلاة والسلام: «من فرَّج عن مسلم كربة من كرب الدنيا فرّج الله بها عنه كربة من كرب يوم القيامة»، وما أكثر كرب المسلمين في هذه الأيام. فمن يدرك هول القيامة لا ينام إلا وقد فرَّج الكربة عن أخيه المسلم إن استطاع إلى ذلك سبيلاً.

وحضنا نبينا الكريم ﷺ على التعاضد والترابط وعدم التدابر بقوله عليه الصلاة والسلام: «لاتباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخواناً»

هكذا حرصاً على الرباط الأخوي الإسلامي جاء الأمر بإحسان القول بين المسلمين، كما جاء التناصح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والنهي عن الإيذاء باللسان أو اليد والنهي عن الغيبة والنميمة والكذب وكل ما من شأنه أن يبث التفرقة بين المسلمين أفراداً وجماعات.

إن الحديث عن وحدة المسلمين يذكرنا اليوم بما يعيشه المسلمون الذين وقع عليهم العذاب في أقطارهم وبخاصة في إقليم كوسوفا، الذي يعيش أهلوه معاناة الجوع والفقر والمرض والحرمان، ويواجهون القتل والتشريد فهلاّ تبعنا هدي رسولنا عليه الصلاة والسلام بقوله: «من لم يهتم بأمر المسلمين فليسَ منهم»، وقوله ﷺ : «صنائع المعروف تقي مصارع السوء».

إنه الشأن الأهم أن يهتم المسلمون بأبعاد الحديث عن الوحدة الإسلامية وعوامله ودواعيه وإدراك معوقاته، وأن السعيَ لتحقيق الوحدة واجب إنساني ومطلب شرعي، فإذا ما تحققت معاني الوحدة عاشت الأمة الإسلامية عزيزة قوية مرهوبة الجانب وولى الضعف والذل وغاب شبح الخوف والأذى والتشريد، وعليه فلابد للقائمين على أمة الإسلام، من العلماء والمفكرين والمجامع العلمية والفكرية والعسكرية والاقتصادية وغيرهم، من السعي الحثيث لتأكيد هوية الأمة والرقي بها فكرياً واجتماعياً واقتصادياً وعسكرياً والمناداة برفع راية الجهاد، إذ بجهود المخلصين في تلك الأمة الإسلامية يستمر عطاء الخير وإنه لأمل عزيز أن يكتب لها الظهور والنصر... وما ذلك على الله بعزيز. ■

رئيس التحرير

سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز

انتقل إلى رحمة الله تعالى يوم الخميس ٢٧ محرم ١٤٢٠هـ الموافق ١٣/٥/١٩٩٩م سماحة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز المفتي العام للمملكة العربية السعودية عن عمر يناهز ٨٩ عاماً، بعد سنوات حافلة بالعطاء، وقد شيعت المملكة العربية السعودية والأمة الإسلامية الفقيد الراحل إلى مثواه الأخير عقب صلاة الجمعة حيث صُليَّ عليه في المسجد الحرام في مكة المكرمة، يوم ٢٨ محرم ١٤٢٠هـ، وَوري الثرى في مقابر مكة المكرمة، وقد نعى الديوان الملكي السعودي سماحة الشيخ ابن باز وأشار البيان إلى أن المسلمين خسروا بوفاة سماحته عالماً جليلاً كرَّس حياته في سبيل العلم والمعرفة وخدمة الإسلام والمسلمين.

وأعرب العاهل السعودي الملك فهد وولي العهد الأمير عبدالله بن عبدالعزيز والنائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء الأمير سلطان بن عبدالعزيز عن تعازيهم لأسرة الفقيد والشعب السعودي والعالم الإسلامي في وفاة الشيخ ابن باز سائلين الله أن يتغمده بواسع رحمته ومغفرته ويسكنه فسيح جناته وينزله منازل الشهداء.

كما نعته وزارات الأوقاف في الدول العربية... وقُدمت التعازي لخادم الحرمين من أصحاب الجلالة والفخامة ملوك ورؤساء الدول العربية والأجنبية.

كما نعته رابطة العالم الإسلامي حيث أعرب الأمين العام للرابطة الدكتور صالح العبيد في بيان صحفي عن أحرٌ التعازي إلى خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز في الفقيد وللشعب السعودي ولأسرته وللأمة الإسلامية.

سمو الأمير يعزي

في غضون ذلك بعث سمو أمير البلاد ببرقية تعزية ومواساة إلى أخيه خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز آل سعود ملك المملكة العربية السعودية الشقيقة بوفاة سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز المفتي العام للمملكة العربية السعودية ورئيس هيئة كبار العلماء وإدارة البحوث العلمية والإفتاء ورئيس المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي.

على صعيد متصل، قدم وزير العدل ووزير الأوقاف والشؤون الإسلامية أحمد الكليب تعازي سمو أمير البلاد إلى خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز في وفاة سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز، وأوفد سمو أمير البلاد وزير العدل وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية إلى المملكة العربية السعودية لتقديم التعازي والمشاركة في تشييع جثمان الفقيد.



ورافق وزير الأوقاف في أداء واجب العزاء وفد ضم سفير الكويت لدى السعودية الشيخ جابر الخالد الصباح، ورئيس الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية يوسف الحجي. كما ضم الوفد رئيس اللجنة الاستشارية العليا للعمل على استكمال تطبيق أحكام الشريعة

الإسلامية الشيخ الدكتور خالد المذكور ومدير إدارة الإفتاء في وزارة الأوقاف الشيخ مشعل الصباح وقنصل عام الكويت في جدة.

كما نعت وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في الكويت إلى العالم الإسلامي وإلى الشعب الكويتي الكريم علماً من أعلام العصر، وفقيهاً من فقهاء الأمة العلامة الشيخ عبدالعزيز بن باز مفتي المملكة العربية السعودية ـ الرئيس العام لإدارات البحوث والإفتاء والدعوة والإرشاد ـ ورئيس هيئة كبار العلماء الذي وافاه الأجل المحتوم.

وأوضحت الوزارة في بيان لها: إن الفقيد العظيم واحد من أبرز علماء الأمة نذر حياته الخصبة لإثراء الفقه الإسلامي، والمحافظة على أصوله، والذود، بالعلم الغزير، والنظرة الثاقبة، والتدبّر الواعي، عن صفاء العقيدة وتنقيتها من أي شوائب.

نشـأة طيبـة

ولد الشيخ ابن باز في الرياض العام ١٣٣٠هـ ـ ١٩١٠م، وحفظ القرآن الكريم قبل البلوغ، وتلقى العلم في الرياض على عدد من المشايخ ومنهم الشيخ محمد بن عبداللطيف آل الشيخ، والشيخ صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ، والشيخ سعد بن حمد بن عتيق، والشيخ حمد بن فارس، والشيخ سعد وقاص البخاري، وسماحة المفتي الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ.

وتولى الشيخ ابن باز الذي يعدّ من كبار العلماء المجتهدين في مجال الحديث والفقه، القضاء في منطقة الخرج أربعة عشر عاماً، ثم انتقل للتدريس في المعاهد والكليات العلمية العام ١٣٧١هـ – ١٩٥١م، ودرس الفقه والتوحيد والحديث في كلية الشريعة، ثم أسندت إليه نيابة رئاسة الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة في العام ١٣٨١هـ ـ ١٩٦١م، وصدر بعد تسعة أعوام من هذا التاريخ أمر ملكي بتعيينه رئيساً للجامعة وظل في منصبه حتى العام ١٣٩٥هـ ـ ١٩٧٥م، حيث صدر أمر ملكي بتعيينه في منصب الرئيس العام لإدارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والإرشاد بمرتبة وزير، وفي العام ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م عين مفتياً عاماً للمملكة ورئيساً لإدارة البحوث العلمية والافتاء «بمرتبة وزير»، كما شغل قبل وفاته منصب عضو هيئة كبار العلماء، وعضو الملجس الأعلى للجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، وعضو الهيئة العليا للدعوة الإسلامية في المملكة العربية السعودية، ورئيس المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي، ورئيس المجلس الأعلى العالمي للمساجد، ورئيس مجلس المجمع الفقهي الإسلامي، التابع لرابطة العالم الإسلامي.

ويعد ابن باز من العلماء الذين التزموا الكتاب والسنة منهجاً ولم يحد عنهما، فلم يُعلم عنه أنه تعصب لمذهب أو لفئة من الفئات، بل كان ملتزماً نهج السلف الصالح.

ويعتبر الشيخ ابن باز أحد أبرز علماء الأمة الإسلامية في الوقت الراهن، إن لم يكن أبرزهم قاطبة، وقد كان شغوفاً بالعلم جاداً في طلبه، ولم يوقفه فقد بصره عن الاستمرار والجد والعزيمة الاستزادة في العلم ... ولم يكن وحيداً من علماء السعودية في فقده للبصر فقبله كان مفتي الديار السعودية الشيخ محمد بن إبراهيم والشيخ عبدالله بن حميد رئيس مجلس القضاء الأعلى سابقاً – والد عضو مجلس الشورى وإمام وخطيب المسجد الحرام الشيخ د. صالح بن حميد – وغيره كثير من العلماء الذين برزوا وأصبحوا أعلاماً بارزة في العلم الشرعي في السعودية.

مؤلفاته

حفلت حياة الشيخ عبدالعزيز بن باز بالكثير من العطاء من خلال المؤلفات أو الكتب والرسائل والفتاوى التي صدرت عنه.

ولعل أشهر المؤلفات والرسائل التي حملت اسم الشيخ ابن باز:

ـ المباحث الجليلة في المباحث الفرضية «طبع مرات عدة».

ـ توضيح المناسك « طبع مرات عدة وترجم ».

ـ رسالة في نكاح الشغار.

ـ الجوانب المفيدة في أحكام التصوير.

ـ رسالة في التبرج والحجاب.

أبرز فتاواه

كان لفتاوى الشيخ ابن باز الصدى الواسع ليس في داخل المملكة فحسب، بل في شتى أرجاء العالم الإسلامي ولم يكن الفقيد الراحل يتعصب لمذهب بعينه في إصدار فتاواه.

ومن أبرز فتاوى الشيخ:

ـ النهي عن تعظيم الآثار الإسلامية لأنها إذا عظمت فلن تزار كما تزار آثار ـ الفراعنة أو الآثار الأخرى... وإنما تُزار للتعبد والتقرب إلى الله... لذلك فهي تفضي إلى الشرك.

ـ لا يجوز الحكم بوفاة الميت دماغياً.

ـ يجوز للضعاف الانصراف من مزدلفة في النصف الأخير من الليل.

ـ أفتى بسقوط وجوب المبيت في منى.

ـ لا يجوز استقدام العمالة غير المسلمة للجزيرة.

ـ لا يجوز تجنيد المسلمات في الجيوش.

ـ نسخ برامج الكمبيوتر حرام.

ـ مسيرات البراءة في الحج بدعة.

ـ زكاة الفطر ليست نقوداً.

ـ نشر قوات غربية وأمريكية العام ١٩٩٠م أثناء أزمة الخليج جائز.

ـ يجوز الصوم عن الميت المصلي.

ـ يجوز التقاط الجمار خلال الأيام الثلاثة سواء من مزدلفة أو منى.

إن الوعي الإسلامي إذ آلمها هذا المصاب الجلل لتضرع إلى الله العلي القدير أن يرحم الفقيد ويسكنه فسيح جناته، ويجزيه خير الجزاء على ما عمل وقدم للمسلمين وأن يلهم آله وذويه ومحبيه الصبر والسلوان.

إنا لله وإنا إليه راجعون.

الندوة التاسعة لقضايا الزكاة المعاصرة

كتب : تمام أحمد

تحت رعاية ملك المملكة الأردنية الهاشمية عبدالله بن الحسين وبمشاركة وفد كويتي كبير من العلماء والمفكرين ترأسه وزير العدل وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية رئيس مجلس إدارة بيت الزكاة الأستاذ أحمد خالد الكليب إضافة إلى مشاركة كبيرة من نخبة من العلماء والخبراء والباحثين والقانونيين وعدد من المعنيين بقضايا الزكاة عقد بيت الزكاة الكويتي بالتعاون مع صندوق الزكاة الأردني الندوة التاسعة لقضايا الزكاة المعاصرة في العاصمة الأردنية عمان خلال الفترة من ١٠ ـ ١٣ محرم ١٤٢٠هـ الموافق ٢٦ ـ ٢٩ أبريل ١٩٩٩م.

اشتمل حفل الافتتاح على تلاوة من القرآن الكريم ثم كلمة وزارة الأوقاف والشؤون والمقدسات الإسلامية التي ألقاها معالي وزير الأوقاف والشؤون والمقدسات الإسلامية الأردني الدكتور عبدالسلام العبادي، حيث شكر في بدايتها جلالة الملك عبدالله بن الحسين على تفضله بشمول انعقاد هذه الندوة برعايته السامية، وانتدابه صاحب السمو الملكي الأمير غازي بن محمد، ثم شكر صاحب المعالي الأستاذ أحمد خالد الكليب على مبادرته عقد هذه الندوة في عمان عاصمة المملكة الأردنية الهاشمية وحضوره افتتاح أعمالها، وسجل تقديره وإعجابه بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في دولة الكويت على إنجازاتها الرائعة وجهودها الكبيرة في مجال الأوقاف والشؤون الإسلامية، كما رحب بالسادة العلماء المشاركين في هذه الندوة واستعرض معاليه أهمية الموضوعات المطروحة في الندوة وآثارها على المجتمع المعاصر.

وألقى بعد ذلك سعادة وزير العدل وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية في دولة الكويت كلمة أعرب فيها عن تقدير وشكر دولة الكويت أميراً وحكومة وشعباً للمملكة الأردنية الهاشمية على احتضانها ندوة الزكاة واستضافتها لهذا الجمع الطيب من خيرة علماء ومفكري العالم الإسلامي. لقد كان لبيت الزكاة شرف القيام بتأسيس الهيئة الشرعية العالمية للزكاة في العام ١٩٨٧م بناء على التوصية الرابعة الصادرة عن مؤتمر الزكاة الأول المنعقد في دولة الكويت العام ١٩٨٤م، والتي نصت على تشكيل لجنة علمية من الفقهاء والمتخصصين لمعالجة الأمور المعاصرة المتعلقة بالزكاة ورفع توصياتها للجهات المعنية.

وأضاف الكليب: اجتماعكم اليوم عظيم وشريف بعظم وشرف ما أنتم مجتمعون من أجله وأي شرف يعادل الإسهام في الجهود الرامية إلى إحياء هذه الفريضة وتطوير أساليب تطبيقها وحل إشكالياتها الفنية والميدانية وفق أحكام الشريعة الإسلامية السمحة.

وقال الكليب مخاطباً العلماء: نحن على ثقة أن الإضافات الكثيرة التي حملتموها معكم سيكون لها أكبر الأثر في معالجة الكثير من مشاكل التطبيق التي تثار على الساحة الإسلامية وأن الشهور والأعوام المقبلة ستشهد بعون الله آثار جهودكم الطيبة ونتائج بحوثكم القيّمة التي ستكون مرشداً وهادياً لمؤسسات الزكاة الكويتية في العالم الإسلامي.

وقال الكليب: إن الكويت بتوجيهات من أمير البلاد سمو الشيخ جابر الأحمد الجابر الصباح ورعاية كريمة من سمو ولي عهده الشيخ سعد العبدالله الصباح آلت على نفسها أن تسهم بفعالية وإيجابية فيما يبذله علماء هذه الأمة وروادها من جهود مخلصة لإحياء دور الزكاة في المجتمع الإسلامي.

وأضاف: إنه أسس لذلك بيت الزكاة الكويتي العام ١٤٠٣هـ الموافق العام ١٩٨٢م بدعم ومباركة من الشعب الكويتي المسلم وهو أمر جعل من هذا الصرح الإسلامي مفخرة لكل مسلم حيث جاء إنشاء هذه الهيئات الرائدة ترجمة عملية لآمال وطموحات الكويت حكومة وشعباً في تطوير العمل الخيري ونقله إلى الإطار المؤسسي. وأضاف الكليب قائلاً: إن ذلك «ما كان ليتحقق دون دعم من حكومة الكويت وتقبل لأداء فريضة الزكاة من المسلمين في داخل الكويت وخارجها ولا يفوتني في هذه المناسبة أن أشكر الهيئة الشرعية العالمية للزكاة على ما قامت به من جهد وما قدمته من إنجازات، وكرر الكليب شكره على رعاية الملك عبدالله لهذه الندوة وعلى الحفاوة وحسن الاستقبال الذين حظي بهما مع العلماء المشاركين في هذا اللقاء العلمي الكبير الذي سيناقش آخر القضايا والمستجدات التي تواجه فريضة الزكاة أحد أركان ديننا الإسلامي الحنيف.

كما شكر العلماء والمشايخ على تحملهم عناء الحضور والمشاركة في فعاليات هذه الندوة المباركة وللأخوة الذين أعدوا لها وهيأوا سبل نجاحها في تحقيق أهدافها لما فيه خير الإسلام والمسلمين.

وألقى رئيس الهيئة العالمية لقضايا الزكاة المعاصرة الدكتور عجيل جاسم النشمي كلمة في حفل افتتاح الندوة رحب فيها بالعلماء المشاركين وقال إن هذه الندوة العلمية التي تقيمها اليهئة العالمية لقضاء الزكاة المعاصرة إنما تنبع من قناعة تامة بأن تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية ليس قراراً سياسياً مجرداً



● وزير العدل وزير الأوقاف في مقدمة المشاركين في الندوة



● إحدى جلسات المناقشات

وإنما علم وإيمان أولاً ثم عمل ثانياً فالعلم بالأحكام وكيفية تطبيقها أساس لنجاح التطبيق وإتقانه.

وأضاف: إن اهتمام الهيئة العالمية بهذا الركن العظيم ينطلق من أن تمهيد حسن التطبيق لهذه الفريضة وسيلة دعوية واجبة لتحقيق صفة الإيمان.

وقال الدكتور النشمي: «من أجل ذلك تحملت الهيئة هذه المسؤولية فعدَّت ثماني ندوات مضت وبذل العلماء غاية وسعهم واجتهدوا في زهاء ثلاثين ومئة قرار وتوصية في شتى المجالات الشرعية العلمية والعملية في قضايا الزكاة وقد أصبح لهذه القرارات والتوصيات مكانة رفيعة وتطبيق محمود على مستوى الأفراد أو التجار أو الشركات أو المؤسسات أو عناية بعض الحكومات الإسلامية.

وأكد أن تطبيق الزكاة يقضي على الفقر وهو داء المجتمعات في كل عصر بل إن الزكاة ترفع المجتمعات من حد الفقر إلى حد الغنى وشاهد ذلك متكرر في كثير من الحضارات الإسلامية.

وألقى مفتي تونس السابق محمد المختار السلامي كلمة نيابة عن العلماء المشاركين في الندوة قال فيها: «إن هذه الهيئة العالمية للزكاة العالمية المباركة التي انبعثت في الكويت منذ ثماني سنوات وكنت مع إخواني المؤسسين لها نعلق عليها آمالاً كبيرة ونعتبرها بانضمامها إلى أخواتها مؤسسة ضرورية للبناء التشريعي والفكري للأمة الإسلامية».

وأكد أن الهيئة العليا «ما هي إلا إحدى حسنات الدولة الكويتية وشعبها النبيل، فبالرعاية السامية لأمير البلاد سمو الشيخ جابر الأحمد الصباح وولي عهده وحكومته الرشيدة انبعثت هذه المؤسسة».

بحث المشاركون في الندوة ثلاثة موضوعات هي: معادلة الأوزان والمكاييل الشرعية بالأوزان والمكاييل المعاصرة، ومفهوم النماء، ومصرف ابن السبيل وتطبيقاته المعاصرة. فضلاً عن مناقشة مادة كتاب دليل الإرشادات لمحاسبة زكاة الشركات، وبعد مناقشة هذه الموضوعات توصل المشاركون إلى الكثير من الأحكام والآراء والتوصيات ومن أبرزها: أن المثقال والدرهم أساس الأوزان الشرعية أجزاء أو أضعافاً وأن المد والصاع أساس المكاييل الشرعية، وأن النماء عند الفقهاء يطلق على الزيادة الحقيقية للمال وعلى مظنتها، وأنه يختلف باختلاف أجناس الأموال، وأن التمكين من النماء شرط لوجوب الزكاة، وقد عرف ذلك بالاستقراء وفي مصرف ابن السبيل ثم انتهى المشاركون إلى أن ابن السبيل يعطى من مال الزكاة بشرط ألا يكون سفره سفر معصية وألا يتمكن من الوصول إلى ماله ويعطى مقدار حاجته من الزاد والرعاية والإيواء وتكاليف السفر إلى مقصده ثم الرجوع إلى بلده كما لا يطالب بإقامة البينة على ضياع ماله أو نفاد نفقته وعليه ألا يقترض ولو وجد من يقترضه وعليه أن يرد ما فضل في يومه من مال الزكاة عند وصوله إلى بلده، وفي مناقشة الباب الأول والثاني من الدليل وأُجلت ما لم تتم مناقشته إلى دورة لاحقة لاستكمال الدراسة على ضوء ملاحظات المشاركين في الندوة وما ترى إضافته على أن ترفع دراستها وما توصلت إليه إلى الندوة المقبلة إن شاء الله تعالى لإقرار مادة الكتاب واعتمادها. ■

وزارة الأوقاف تحتفل بذكرى الهجرة النبوية الشريفة

احتفلت وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في الكويت يوم ١٦/٤/١٩٩٩م في مسجد الدولة الكبير بذكرى الهجرة النبوية الشريفة بحضور وكيل الوزارة خالد الزير والوكلاء المساعدين عبدالعزيز بدر القناعي والوكيل الدكتور عادل الفلاح وبدر المطيري، وأقيمت ندوة دينية في هذه المناسبة تحت عنوان «الهجرة طريق لوحدة المسلمين»، حاضر فيها د. محمد عبدالسميع جاد الأستاذ المساعد في كلية الشريعة بجامعة الكويت، والدكتور محمد سيد نوح الأستاذ في كلية الشريعة، واستهل الحفل بكلمة لعريف الحفل الشيخ سامي بلال الذي قال إن الهجرة النبوية الشريفة تحل علينا ويجب أن نتذكر من خلالها ما يتعرض له إخواننا المسلمون في كوسوفا على يد الصرب الحاقدين، ويجب أن نجعل من هذه المناسبة الدينية الكبرى وقفة حق إلى جانب ما يتعرض له المسلمون في فلسطين والبوسنة والهرسك وكل بقاع الأرض.

الإسلام مستهدف

وأكد د. عبدالسميع جاد أننا نحتفل هذا اليوم بذكرى هجرة سيد الخلق النبي المصطفى عليه أفضل الصلاة والتسليم وعالمنا الإسلامي يتعرض لأشد البلاء من الأعداء، واعتبر الدكتور جاد أن هذا البلاء الذي يتعرض له المسلمون في فلسطين والبوسنة، وكوسوفا هو في الواقع ابتلاء من الله لأن المسلمين تخلوا عن الكثير مما أمرهم به الله على لسان رسوله الكريم.

وقال إن الله عز شأنه أنزل القرآن الكريم إلى المهاجرين والأنصار الذين يقتدون بنبينا محمد ﷺ، وهو أفضل من خلق الله على وجه الأرض وسيظل هذا القرآن يُتلى إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

وقال إن المطلوب من المسلمين أن يجسدوا ما أمرهم به ربهم حيث يصبحون أخوة متراحمين كالجسد الواحد يشد بعضه بعضاً ولو طبق هذا المبدأ بشكله الصحيح لتغيرت أحوال الأمة الإسلامية وأزال عنهم الله ما يتعرضون له من مصائب لا تنتهي على يد أعداء الإسلام.

وأكد الدكتور عبدالسميع جاد اننا سنحتفل مرات ومرات بهذه الذكرى العطرة وهذا لا يكفي ما لم تتحقق وحدتنا على كلمة الله الواحدة فهي وحدة المشاعر والمصير.

ثمرات الهجرة

ومن جانبه ألقى الدكتور محمد سيد نوح كلمة بهذه المناسبة فقال: إن الهجرة النبوية الشريفة يجب أن نقتبس من ثمارها بالابتعاد عن كل ما يغضب الله وأن نتجه إلى مرضاة الله ونتقرب إليه سراً وعلانية.

وقال: إن من أشد علامات التقرب إلى الله رفع الظلم عن المظلومين فمثل هذا الأمر هو من أخلاق الرسول عليه الصلاة والسلام، وكذلك هجر المعاصي والسيئات فكل هذه هجرات يجب أن يتجه إليها المسلم.

وقال إن الذي يمر به إخواننا في كوسوفا هذه الأيام على أيدي الصرب الحاقدين على الاسلام والمسلمين لهو على رأس الظلم الذي يجب علينا جميعاً أن نسهم في رفعه عنهم، وأن نجعل من هذه الذكرى ذكرى هجرة رسولنا الكريم بداية إلى العمل الجاد والمخلص لوجه الله، فهل نحن فاعلون؟

وقال: إن هناك نحو ١٠٠ ألف شاب في كوسوفا من المسلمين دفنوا أحياء تحت الرمال وهذا عمل إجرامي تقشعر له الأبدان بحق، إضافة إلى تشريد نحو مليون نسمة من النساء والأطفال والشيوخ شردهم وأذلهم جند الصرب الذين يسعون إلى تنصير الذين يقعون تحت أيديهم دون شفقة أو رحمة.

واختتم الدكتور نوح محاضرته بالدعوة لمحاربة الظلم وألا ندع هذه المناسبة العظيمة تمرُّ دون أن نعتبر منها. ■

بقلم : محمد رجاء حنفي عبدالمتجلي

الرحمة

خلق إسلامي رفيع ... وعاطفة إنسانية سامية

يعد الإسلام دستور الحياة، وقانون الإنسانية، بما يشتمل عليه من عقائد، ويحتويه من عبادات، وما يتضمنه من معاملات، وأخلاق، تقيم الروابط السليمة بين الناس، ويؤدي التمسك بها إلى سعادة الفرد، وسعادة المجتمع، يقول المولى سبحانه وتعالى: (فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره. ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره) الزلزلة:٧-٨.

ويقول المصطفى - صلوات الله وسلامه عليه : «لن تزول قدما عبد حتى يسأل عن أربع: عن عمره فيم أفناه، وعن شبابه فيم أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه، وفيم أنفقه، وعن علمه ماذا فعل به».

والإسلام يستمد مبادئه من كتاب المولى سبحانه وتعالى، ومن سنة رسوله ﷺ ، اللذين قد تضمنا كل ما يخص الإنسان في حياته الفانية والخالدة، وضمنا في الوقت نفسه لهذه المبادئ التجدد، والدوام، والاستقرار، والصلاح والإصلاح.

ولقد بشَّرا بالسعادة والنعيم كل من يتمسك بهذه المبادئ، ويستمسك بما شرعه الحق سبحانه من أخلاقيات، يقول سبحانه وهو أصدق القائلين : (وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجري من تحتها الأنهار) البقرة:٢٥.

كما توعّد كل من يخالف مبادئ الإسلام، ولا يسير في حياته على الطريق المستقيم بالعذاب الأليم، يقول سبحانه: (يأيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون) التحريم:٦.

ويقول رسول الله - ﷺ -: «إن الله فرض فرائض فلا تضيعوها، وحدَّ حدوداً فلا تعتدوها، وحرَّم أشياء فلا تنتهكوها».

إن الدنيا معبر للآخرة، وجسر موصّل إليها، وأجل الإنسان فيها مغيَّب عنه، وعمره فيها محسوب عليه، والتبعة التي يحملها أمام المولى سبحانه وتعالى، وأمام ضميره، وأمام الناس، ثقيلة لمن أنزلها منازلها، وقدَّرها حق قدرها، ولا يقدر على حملها إلا من هيّأهم الله سبحانه وتعالى لها، وهيأها لهم.

وما أكثر عثرات الإنسان في الحياة، وهو على الطريق يؤدي واجبات العبودية للمولى سبحانه وتعالى في الأرض، ويمشي في مناكبها لتحصيل رزقه ومعاشه.

وما أكثر تقلبات الدنيا، وقسوة الأيام، إذا أعطت أرهقت وأتعبت، وإذا حرمت أذلت وأهانت، وإذا استردت استأصلت واجتثت، فالإنسان فيها مواجه بخطر عظيم، وخطوب متعددة، إن استغنى بما في يده فتن، وإن افتقر فيها ذلّ.

وفي كلتا الحالين قد يضل الإنسان السعي في الطريق فيغوي، ويصبح في حاجة ماسة إلى نور يضيء له ما أظلم من حياته، وضياء تتسع به النفوس، وتكثر به المواساة، ولن يتوقع ذلك إلا في عاطفة الرحمة، تلك العاطفة التي يبذلها رقيقو القلوب، وأصحاب الفطر السليمة لذوي الزلات، وأرباب الخطايا، يغيثون بها الملهوف، ويساعدون الضعيف، ويطعمون الجائع، ويكسون العاري، ويداوون المريض، ويواسون الحزين، فحينئذ تصبح الرحمة - بلا شك - خلقاً إسلامياً رفيعاً، وعاطفة إنسانية سامية، وسجية من سجايا النفوس الطاهرة، والضمائر الحية.

معنى الرحمة

الرحمة في اللغة: رقة القلب.. ولما كانت الرحمة من الكيفيات التابعة للمزاج المستحيل عليه سبحانه وتعالى، حمّلت على اعتبار غايتها وهي وصول الإحسان إلى المرحومين بالفعل.

وهذا الحمل يستوي أن يكون إما على طريقة المجاز المرسل، بذكر لفظ السبب، وهو الرحمة، وإرادة المسبب، وهو وصول الإحسان فعلاً.. أو أن يكون على طريقة التمثيل، بأن شبه حاله سبحانه وتعالى بالقياس إلى المرحومين في إيصال الخير إليهم، بحال الملك إذا رقّ لرعاياه فأصابهم معروفه وإنعامه... وإما على طريقة الاستعارة التصريحية، وبأن يشبه الإحسان أو إرادة الإحسان بالرحمة، بجامع ترتب الانتفاع على كل من الإحسان أو إرادته، ويستعار له الرحمة، ويشتق منها «الرحمن الرحيم»، وذلك على حد قولهم: الحال ناطقة بكذا.. وإما على طريقة الاستعارة المكنية التخييلية، بأن يشبّه معنى الضمير فيهما العائد إليه سبحانه وتعالى، بملك رقّ قلبه على رعيته، تشبيهاً مضمراً في النفس، ويحذف المشبه به، ويثبت له شيء من لوازمه، وهو «الرحمة».

وقيل: الرحمة في ذلك حقيقة شرعية

بالنسبة لإسنادها إلى المولى عزَّ وجلّ وكل صفة وصف بها الحق سبحانه جلّ شأنه نفسه، فهي محمولة على الحقيقة، من غير تحديد لكيفيتها، فهو سبحانه وتعالى أعلم بحقيقة ذاته، وحقيقة صفاته، ودعوى المجاز محاولة لتفهيم العباد، وتقريب المعاني لهم إن أرادوا مزيداً من الإيضاح.

ومن البدهيّات المسلم بها أن السلف الصالح كانوا يوقنون أن ما وصف به الحق سبحانه وتعالى نفسه محمول على الحقيقة، من غير تحديد لكيفية، فلما جاء الخلف، وانتشر الجدل، وطلبوا مزيداً من الإيضاح، اضطر البعض لاستخدام كلمة «المجاز»، و«الاستعارة»، وما إلى غير ذلك، لتوضيح المعاني.

ومن العلماء من قال: إن «الرحمن» أبلغ من «الرحيم»، لأن زيادة البناء تدل على زيادة المعنى، ففي كلمة «الرحمن» زيادة ألف ونون، وفي كلمة «الرحيم» زيادة ياء فقط، وهذه الزيادة تؤخذ تارة على اعتبار الكمية، وتارة أخرى على اعتبار الكيفية، فعلى اعتبار الزيادة قيل: «يا رحمن الدنيا»، لأنه يعم المؤمن والكافر، و«رحيم الآخرة لأنه يخص المؤمن وحده».

وعلى اعتبار الزيادة في الكيفية، قيل: «يا رحمن الدنيا والآخرة»، ولأن النعم الأخروية كلها جسام عظام، و«رحيم الدنيا» لأن النعم الدنيوية منها الجليل، ومنها القليل.

وهناك البعض من الناس يعتبر التخفيف في بعض الحالات رحمة، ومن أجل ذلك اعتبروا أن الفاجر في الدنيا نالته رحمة المولى سبحانه وتعالى، وهذا مخالف للحقيقة، إذ إن القرآن الكريم يأبى ذلك، يقول المولى سبحانه وتعالى في محكم كتابه: (ولا يحسبن الذين كفروا أنما نملي لهم خير لأنفسهم إنما نملي لهم ليزدادوا إثماً ولهم عذاب مهين) آل عمران: ١٧٨.

ويقول سبحانه وهو أصدق القائلين في محكم كتابه: (فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم إنما يريد الله ليعذّبهم بها في الحياة الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون) التوبة: ٥٥.

إن الإمهال الذي اعتبره البعض رحمة، إنما هو في الحقيقة غضب ونقمة، وأن بعض النعم الظاهرة تحمل في داخلها السخط والمقت، ومن أجل ذلك لا اعتبار لأن يكون معنى الرحمة في الدنيا أعمّ من الرحمة في الآخرة، نظراً لكثرة أفراد المرحومين في الدنيا، وقلّتهم في الآخرة، إذ إن الرحمة في الآخرة غير متناهية، بينما الرحمة في الدنيا متناهية.

مظاهرة الرحمة:

لقد ضمَّ القرآن الكريم مواثيق محكمة، غاية في الدقة والإحكام، ليأخذ المسلمون بها أنفسهم، وليتعاملوا بهديها مع غيرهم، ابتداء من الكلمة الخيّرة الطيّبة، واليد السخيّة المبسوطة، إلى السيف العادل، ينصر به الحقّ سبحانه وتعالى حججه وبراهينه، رحمة بالعباد، وكفّاً للأيدي المعتدية الأثيمة، ومطاردة لأصحاب البدع والمنكرات، وحفاظاً على الدين من دعاة المذاهب المنحرّفة، والفلسفات المضللة، والعقائد البشرية الواهية، التي تهبّ على المسلمين من حين لآخر، ويغذيها حقد دفين، للنيل من الإسلام والمسلمين، مهما طال الزمان، ومهما تظاهر المخالفون للإسلام والمسلمين بالتعاطف نحوهم، والمودة معهم.

ولمظاهر الرحمة مستويات عدة، من أهمها:

١ ـ على مستوى الدولة:

إن الرحمة تتحقق على مستوى الدولة، بأن يكون الوفاء لقيادة المسلمين الدينية والدنيوية خلق المحكومين، وسمة بارزة، وعلامة مميزة على صدر سلوكهم وتصرفاتهم.

وتتحقق الرحمة بالمحكومين بأن تضع الدولة في أيديهم ما به تستقيم أمور دنياهم، وتصلح به أخراهم، فتعطى العقول حقها من العلم والتعليم، والنفوس قسطها من الأمن والأمان، والطمأنينة والاستقرار، وتنمّي في الصدور حب الخير والبر، والوفاء والتضحية والرحمة، وتقتلع منها الأهواء، والأغراض والشهوات، حتى تتقلب النفوس في مراتب العزة والكرامة، وترضي من طيبات الحياة بكيانها الحقيقي، المبني على الكرامة الإنسانية، ومعرفتها لحدودها، بما لها وما عليها.

وعلى الدولة أن تضع من القواعد المناسبة، التي يسمح بها الدين، ما تضمن به سيطرتها على تصرفات أبنائها، ضبطاً لسلوكهم دون ميل مع هوى، أو اتجاه مع غرض، حتى يتحقق بذلك صالح الحكام والمحكومين، وفي هذا الشأن يقول رب العزة في محكم كتابه: (ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والأرض ومن فيهن) المؤمنون:٧١.

ويقول المولى سبحانه: (واعلموا أن فيكم رسول الله لو يطيعكم في كثير من الأمر لعنتم) الحجرات:٧.

إن الحكم بالعدل، والتسوية بين جميع الأفراد على اختلاف طبقاتهم، على أساس ما على كل واحد منهم من حقوق، وما له من واجبات، وذلك حسب إمكاناتهم الطبيعية، وقدراتهم العادية «رحمة».

واستعمال الأصلح، ثم الأمثل فالأمثل على أموال المسلمين وأعمالهم، وذلك عن طريق اختيار الأفراد الأكفاء الأمناء، القادرين على أداء كل ما يكلفون به، وإبعاد الضعفاء الخائنين «رحمة».

والضرب على أيدي الظالمين، وكل من تسوّل له نفسه إلحاق الضرر بالآخرين، بقوّة لا تعرف الضعف، وشدة لا تعرف اللين، حتى تتآلف الأهواء والميول المختلفة، وتجتمع القلوب المتفرقة، وتنكمش الأيدي المتغالبة، وتنقمع القلوب المتعادية «رحمة».

والأمر بمعروف ظهر تركه، والنهي عن منكر ظهر فعله، ومطاردة أصحاب البدع والمنكرات، والضرب على أيدي أعداء المولى سبحانه وتعالى، وأولياء الشيطان، في كل زمان، وفي كل مكان، تحت أي شعار رفعوا، وفي أي لباس ظهروا، وعلى أي صورة برزوا، حرصاً على كيان الأمة ووحدتها، وصيانة لأمنها واستقرارها، وحفاظاً على سلامتها «رحمة».

٢ ـ على مستوى قمع تحديات تحرير الإنسان المسلم

يعد من مظاهر الرحمة قمع تحديات تحرير الإنسان المسلم، ومن الأمثلة على ذلك تيارات الإلحاد الجارفة، والمبادئ الفاسدة، والنظريات الزائفة، التي تهب على المجتمعات الإسلامية، فتفرق وحدتها، وتمزق شملها، وتضعف عزيمتها، وبخاصة تلك المبادئ التي تدّعي لنفسها صفة العقائد، وتحت هذا الشعار تستطيع التسلل والتوغل داخل المجتمعات شأنها في ذلك شأن الأمراض الخبيثة، التي لا ينفع معها حذر، ولا يجدي تجاهها اتقاء، ومن هنا يجب استئصالها واجتثاثها، ولن يكون هذا إلا باستخدام أسلوب القوة،

شأنها في ذلك شأن الحية الرقطاء، التي يعتبر قتلها «رحمة».

٣ ـ على مستوى القضاء على الكلمة الخبيثة.

إن القضاء على الكلمة الخبيثة، بكل صورها وأشكالها، مكتوبة أو مسطورة أو مقالة غير مكتوبة، أو مترجمة إلى صورة متحركة منظورة، تبذر جراثيم الميوعة والاستهتار في نفوس الشباب، الذين هم عدّة اليوم، وأمل الغد، وحملة مشعل التقدم والازدهار لأمتهم، فتتركهم فريسة للفوضى والانحلال، لا يرجى نفعهم لأنفسهم، ولا لأوطانهم، ولا يؤمن شرّهم على أنفسهم، ولا على أوطانهم.

وهذا ما يلحظه كل من يتتبع تواريخ الأمم والشعوب، ويتتبع دورات رقيّها وتقدمها، ودورات انحطاطها وتخلّفها، فإنه يجد أن على رأس أسباب التقدم والرقي والازدهار الكلمة الطيبة، بسحرها وجمالها، وقوة تأثيرها على النفوس، ويجد على قمة أسباب التخلف والانحطاط الكلمة الخبيثة المسمومة، بوحشيتها، وضراوتها، وضررها، فالقضاء على الكلمة الخبيثة «رحمة».

الرحمة هي العلامة المميزة في خلق الرسول الكريم.

تعد الرحمة هي الحقيقة الكبرى في مبعث رسول الله صلوات الله وسلامه عليه، فهو نبي الرحمة بلا جدال، يقول المولى سبحانه وتعالى في محكم كتابه: (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) الأنبياء:١٠٧.

وقد اتصفت بالرحمة جميع أعمال المصطفى ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ ومواقفه، وأقضيته، في حياته العامة والخاصة، على نحو نادر المثال، ومنقطع الشبه والنظير، وكانت جميع معاملاته تتصف بها، وكانت هي العلامة المميزة في خلقه العظيم، وفي آدابه الربانية العليا، وفي سبيلها تحمّل الكثير من العذاب، والعناء والتضحية.

وصفة الرحمة عند رسول الله ـ ﷺ ـ مع اتساعها لكل المعاني الإنسانية النبيلة، تتميز كذلك بالعموم والشمول، فليست قاصرة على قريب لمجرد قرابته، أو على صاحب لمجرد أنه صديق، أو مؤمن لأنه دخل في الدعوة واستجاب لها، أو على إنسان لمجرد أنه آدمي، بل اتسعت حتى شملت الخلائق أجمعين، وكانت خيراً وسعادة لجميع العاملين، فلم تكن رحمته تتأثر بفرح النفس وغضبها، كما هو الحال في غيره من بني الإنسان، بل كان في رحمته وهي ملاك خلقه العظيم يرتفع عن مستوى ذاته إلى المشاركة الوجدانية، في إطارها الإنساني الواسع.

كانت «زينب» كبرى بنات رسول الله ـ ﷺ ـ زوجاً لأبي العاص بن الربيع، وقد أسلمت في الوقت الذي تأخر فيه إسلام زوجها، فكان فيمن حضروا موقعة «بدر» مع المشركين، يحارب ضد المصطفى ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ فوقع أسيراً بين يدي المسلمين، وكانت «زينب» ما تزال مقيمة بـ«مكة»، ممنوعة من الهجرة، فأرسلت بفدائه إلى أبيها، فأطلق سراحه على عهد ووعد منه بأن يخلي سبيلها إليه، فلمّا عاد إلى مكة جهزها، وقدم لها أخوه كنانة بن الربيع بعيراً ورحلاً، وخرج بها نهاراً على طريق المدينة.

وعلم بعض الرجال من قريش بالأمر، فأرسلوا في إثرهم جماعة من شرارهم، وعلى رأسهم هبار بن الأسود، فلما أدركوها روّعوها ترويعاً شديداً، ورماها هبار برمحه وهي في هودجها فأصابها، وكانت حاملاً فطرحت ما في بطنها، وأصابتها من جرّاء ذلك علة شديدة، وعندما علم رسول الله صلوات الله وسلامه عليه بما حدث غضب غضباً شديداً، وأرسل رجالاً يتعقّبون هبار بن الأسود والإيقاع به، قائلاً لهم: «إن ظفرتم به فحرّقوه بالنار»، ثم عاد بعد قليل فألحق بهم رسولاً يقول لهم: «إني أمرتكم بتحريقه، ثم رأيت أنه لا ينبغي لأحد أن يعذّب بالنار إلا الله، فلا تفعلوا» ويختفي هبار، فلا يعثر له على أثر.

وفي ذات يوم، وبينما رسول الله ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ جالس مع أصحابه، إذا برجل يقدم عليه مخفياً وجهه تحت لثامه، ثم يكشف عن وجهه، فإذا هو هبار بن الأسود، يقدّم نفسه، ويدفع برمحه تحت قدمي المصطفى ـ عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام ـ ليصنع به ما يشاء، عقاباً له على ما قد صنع بابنته.

وهنا تعلو رحمة الإنسان على غضبة الأب في نفس رسول الله ـ ﷺ ـ، فيأمر هباراً أن يذهب، فقد سامحه وعفا عنه، ولن تمتد إليه يد أي أحد بسوء، فيسلم هبار ويدخل في الدين الإسلامي.

بعض من مظاهر رحمته ﷺ :

لقد كان صلوات الله وسلامه عليه محباً للناس جميعاً ولم يعرف الحقد والبغض طريقاً إلى قلبه السمح الطاهر فهو لم ينهر خادماً قط ولم يضرب بيده الشريفة شيئاً أبداً إلا أن يجاهد في سبيل الحق سبحانه عز وجل، وكما كان رسول الله ﷺ رحمة في حياته العامة، كان ـ أيضاً ـ رحمة في حياته الخاصة، وأكثر من ذلك أنه جعل حسن معاشرة الزوجة ميزاناً لأفضلية المسلم، وزيادة قربه من الحق سبحانه وتعالى، فقال عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام: «أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً، وخياركم خياركم لنسائهم».

وقال ﷺ في حديث آخر: «خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي».

وكان ـ ﷺ ـ يدخل السرور على أهل بيته، والسعادة على نفوسهن، ويسعى في قضاء حوائجهن، ويتولى خدمة البيت معهن، مساعدة لهن، ورحمة بهن، وتطييباً لنفوسهن، وليتأسى به المسلمون.

ولقد قالت السيدة عائشة بنت أبي بكر الصديق ـ رضي الله تعالى عنهما ـ عندما سئلت عما كان يصنع رسول الله ـ ﷺ ـ في بيته: «كما يصنع أحدكم، يشيل هذا ويحط هذا، ويخدم في مهنة أهله، ويقطع لهم اللحم، ويقمّ البيت ـ «أي يكنسه» ـ ويعين الخادم في خدمته».

كان يداعب على الدوام ابن السيدة فاطمة الزهراء ابنته ـ رضي الله تعالى عنها ـ الحسن والحسين، ويحملهما، ويقبّلهما، ويحنو عليهما حنواً عظيماً.

ومما يروى أنه عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام كان على المنبر يخطب في الناس، وخلال الخطبة دخل الحسين يتكفأ في سيره، فنزل رسول الله ـ ﷺ ـ من فوق المنبر، وحمله، وصعد به المنبر، ثم قال: (إنما أموالكم وأولادكم فتنة).

وفي أحد الأيام كان الأقرع بن حابس جالساً عنده، وشاهده وهو يقبّل الحسن، فقال له مستغرباً: إن لي عشرة من الأولاد، ما قبّلت منهم أحداً قط.. فنظر إليه المصطفى صلوات الله وسلامه عليه، وقال

له: «أوَ أملك لك أن نزع الله من قلبك الرحمة؟.. من لا يَرْحَم لا يُرْحَم»، فجعل رسول الله - ﷺ - تقبيل الصغير، والحنو عليه من رحمة القلب، التي يودعها المولى سبحانه وتعالى في قلب من يشاء من عباده.

ومن مظاهر رحمته عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام أنه كان رفيقاً بالناس جميعاً، فلا يكلفهم بما لا يطيقونه وما يشق عليهم، وكان ينهاهم أن يشقوا على أنفسهم، ويدعوهم إلى الرفق في كل أمورهم، ويحذرهم من إرهاق العباد، وإلحاق المشقة بهم، فيقول صلوات الله وسلامه عليه: «من يُحْرَم الرفق يحرم الخير كله».

ويقول سيّد الخلق عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام: «إن الله رفيق، يحبُّ الرفق في الأمر كله».

ومن مظاهر رحمته صلوات الله وسلامه عليه بالناس، ما يرويه ابن عمر - رضي الله تعالى عنه - عن النبي - ﷺ - أنه قال: «إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم، فإنما أهلك من كان قبلكم كثرة مساءلتهم أنبياءهم، شَدَّدوا فشدد الله عليهم».

رحمته مع أعدائه

لقد لقي المصطفى صلوات الله وسلامه عليه من مشركي «مكة» ما لقي من صنوف العذاب، وألوان التنكيل والاضطهاد، فلما أظهره المولى سبحانه وتعالى عليهم، ودخل «مكة» فاتحاً، في العام الثامن من الهجرة، أقبل على البيت الحرام، فطاف به سبعاً وهو على راحلته، ثم وقف على باب الكعبة، وأبو بكر الصديق - رضي الله عنه - واقف وراءه، متقلداً سيفه، ودعا عثمان بن طلحة، ففتح له باب الكعبة، فدخلها، وصلى بها ركعتين، ثم وقف على باب الكعبة وقال: «لا إله إلا الله وحده... صدق وعده... ونصر عبده... وأعز جنده... وهزم الأحزاب وحده».

وبعد ذلك ألقى رسول الله - ﷺ - خطبته الجامعة، والتي تعد أول وثيقة لحقوق الإنسان في التاريخ، وقد بيَّن فيها حقوق المسلم على أخيه المسلم، وأكد فيها مبدأ المساواة بين الناس، وأن لكل إنسان حق التمتع بجميع الحقوق والحريات، دون أدنى تمييز بسبب العنصر أو اللون أو الجنس أو اللغة أو الدين، وأكد حقوق المرأة وبيَّن أن النساء شقائق الرجال.

وأوضح صلوات الله وسلامه عليه في هذه الخطبة الكثير من الأحكام الإسلامية، حين قال: «يأيها الناس: إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، كلم لآدم وآدم من تراب... إن أكرمكم عند الله أتقاكم، وليس لعربي على أعجمي ولا لأبيض على أسود فضل إلا بالتقوى ... ألا هل بلغت... اللهم فاشهد... ألا فليبلغ الشاهد منكم الغائب».

ثم قال: «يا معشر قريش: ماذا تقولون؟... وماذا تظنون أني فاعل بكم؟»، قالوا: خيراً أخ كريم، وابن أخ كريم... فقال صلوات الله وسلامه عليه: «أقول لكم كما قال أخي يوسف: لا تثريب عليكم اليوم، يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين... اذهبوا فأنتم الطلقاء».

ترى... هل كان أهل مكة يطمعون في مثل هذا التسامح، ومثل تلك الرحمة، لو أن الذي فتح مكة كان قائداً من القواد؟!.

أعتقد أننا لو تصفحنا التاريخ كله من أوله إلى آخره، لما وجدنا قائداً واحداً وقف من أعدائه مثل هذا الموقف النبيل الكريم، بل ليس في التاريخ كله موقف بلغ من السماحة والرحمة والسمو مثل هذا الموقف، ولا صورة وصلت إلى أقصى درجات الرفعة مثل ما وصلت إليه هذه الصورة.

إن من المستحيل أن يوجد في الناس أجمعين إنسان بلغ الكمال الإنساني الذي بلغه رسول الله - ﷺ - ولا وصل إلى المستوى الأخلاقي الذي وصل إليه رسول الله، فهو رحمة من الله سبحانه وتعالى إلى عباده، أرسله لينقذ البشرية من الغيّ والضلال، ويهديهم إلى الصراط المستقيم.

أليس بين هؤلاء الناس الواقفين أمامه من وقفوا في وجه الدعوة الإسلامية، وحاربوها بكل ما أوتوا من قوة، وعذبوه هو وأصحابه؟

أليس بين هؤلاء الناس الواقفين أمامه من ائتمروا به ليقتلوه، ليلة أن خرج من مكة مهاجراً إلى المدينة؟

أليس بين هؤلاء الناس الواقفين أمامه من حاصروه في غزوة الأحزاب، أملاً في تحطيم الدولة الإسلامية، والقضاء عليها وعلى دعوتها؟

أليس بين هؤلاء الناس الواقفين أمامه ممن منعوه هو وأصحابه من دخول مكة، ومنعوهم من أداء العمرة، والطواف بالبيت الحرام، في العام السادس من الهجرة؟

لقد نظر عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام إليهم جميعاً، وهم في قبضة يده، وأمره نافذ في رقابهم، وأرواحهم رهن إشارة من يده، فلم يفكر في الانتقام لنفسه وللمسلمين نظير ما لحق بهم من أذى وعدوان على أيدي «قريش»، بل نظر إليهم نظرة حانية، نظرة عميقة، نظرة اتسمت بالصفاء والشفافية، نظرة امتلأت بالحب والحنان، والعطف والرحمة وهم نظروا إليه نظرة ملؤها الخوف، والرعب والرهبة.

وشتَّان ما بين النظرتين، فهم لم يكونوا يتوقعون على وجه الإطلاق أن يعفو عنهم، لأنهم يعرفون ما فعلوه وما ارتكبوه، ولو كان واحد منهم في مثل موقفه ما عفا عنهم، ولكنه رسول الله - ﷺ - ذو الخلق العظيم وتربية المولى سبحانه وتعالى، فقال لهم وصدره يجيش بكل معاني التسامح، وبكل معاني الرحمة، وأنظارهم متعلقة بشفتيه: «اذهبوا فأنتم الطلقاء»، فضرب بذلك مثلاً كريماً في سمو النفس، والعفو عند المقدرة.

فما أجدرنا أن نستلهم من سيرة رسول الله - صلوات الله وسلامه عليه وسلوكه وتعامله مع الغير، ما يضيء لنا ظلمات حياتنا، وأن نترسم منهج هذه القدوة المثلى، فنتراحم فيما بيننا، وتسود علاقاتنا الرحمة، والحب والحنان، ونردد على الدوام قول الحق سبحانه وتعالى:

(ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلماً فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم) غافر:٧.

إن المولى سبحانه وتعالى يتولى الرحماء بعنايته، ويكلؤهم برعايته وتوفيقه ويأخذ بيدهم إلى الخير، يؤمنهم من كل خوف، ويمنحهم العزة في مواقف الذل، والقوة في مواطن الضعف، والحب في مواقف البغض.

ولن يهزم بأي حال من أحب في الله سبحانه وتعالى، وأبغض في الله سبحانه وتعالى، وعفا ورحم مرضاة لله عز وجل. ■

لآلِئُ فِي السُّفُوحِ وفِي الجبَالِ
وَطَيْفُكِ مِنْ جَمَالِكِ وَالْجَلاَلِ

عَلَىٰ رَبَوَاتِكِ الشُّهَدَاءِ جَادُوا
فَكَانُوا كَالْجَوَاهِرِ وَاللآلِي

دِمَاؤُكِ يَا كُسُوفُو! أَيُّ نُورٍ
سَرَىٰ مِنْهَا يَمُوجُ بِكُلِّ غَالِ

دِمَاؤُكِ يَا كُسُوفُو! أَيُّ عِطْرٍ
نَشَرْتِ عَلَىٰ الرُّبَىٰ عَبَقَ اللَّيَالِي

وَأَيْنَ رَوَائِعُ التَّارِيخِ تَجْرِي
مُحَمَّلَةً بِأَشْوَاقِ الْمَعَالِي

وَأَيْنَ مَضَاجِعُ الشُّهَدَاءِ فِيهَا
تُعِيدُ جَلاَلَ أَيَّامٍ خَوَالِي

عَلَىٰ سَاحَاتِكِ الْخَضْرَاءِ مَاجَتْ
مَلاَحِمُ فِي السُّهُولِ وَفِي الْجِبَالِ

تَمُرُّ بِكِ الْقُرُونُ تَظَلُّ تَرْوِي
فَوَاجِعَ جُزْنَ آفَاقَ الْخَيَالِ

كَأَنَّ الأَمْسَ عَادَ الْيَوْمَ حَيّاً
تَدَفَّقَ بِالدِّمَاءِ وَبِالْغَوَالِي

وَأَكْوَامٍ مِنَ الأَشْلاَءِ تَعْلُو
وَأَحْزَانٍ تَطُوفُ بِهَا ثِقَالِ

وَصَيْحَاتِ الأَرَامِلِ وَالثَّكَالَىٰ
عَلَىٰ هَوْلِ الْعَوَاصِفِ وَالْعِيالِ(١)

وَكَمْ مِنْ غَادَةٍ حَسْنَاءَ عَفَّتْ
عَلَىٰ طُهْرِ الْعَزِيمَةِ وَالدَّلاَلِ

غَزَاهَا الْمُجْرِمُونَ وَجَرَّدُوهَا
عَلَىٰ قَهْرِ الْجَرِيمَةِ وَالْفِعَالِ

وَأَطْفَالٍ تَهِيمُ بِكُلِّ شِعْبٍ
وَأَشْوَاقٍ مَرَرْنَ بِهَا عِجَالِ

تُطَارِدُهَا الْفَوَاجِعُ حَيْثُ تَمْضِي
وَأَصْدَاءُ الْمَلاَجِمِ وَالْقِتَالِ

فَكَمْ طِفْلٍ تَلَفَّتَ: أَيْنَ أُمِّي؟
وَأَيْنَ أَبِي وَعَمِّي؟ أَيْنَ خَالِي

وَأَيْنَ...؟ وَغَابَ وَاضْطَرَبَتْ رُؤَاهُ
لِتُطْوَىٰ فِي الدُّمُوعِ وَفِي انْهِمَالِ

فَكَمْ مِنْ دَمْعَةٍ رَوَّتْ دُرُوباً
مَشَاهَا؟ كَمْ أَسَىً؟ كَمْ مِنْ سُؤَالِ

وَكَمْ مِنْ حُرْقَةٍ فِي الصَّدْرِ أَضْحَتْ
تَفَجَّرُ بِاللَّهِيبِ وَبِاشْتِعَالِ

فَيَأْخُذُ مِنْ بِسَاطِ الأَرْضِ صَدْراً
يَحِنُّ عَلَيْهِ مِنْ وَهَنِ الْكَلاَلِ

وَيَلْتَحِفُ السَّمَاءَ! وَهَلْ لَدَيْهِ
بَقِيَّةُ عَزْمَةٍ عِنْدَ ارْتِحَالِ

وَيَنْظُرُ فِي مَدَىٰ الآفَاقِ يُحْيِي
عَزِيمَتَهُ بِآمَالٍ طِوَالِ

تَلَفَّتَ! أَيْنَ عَهْدُ اللَّهِ يَبْنِي
بِدَارِ الْمُسْلِمِينَ عُرَا الْوِصَالِ

وَأَيْنَ كَتَائِبُ الإِسْلاَمِ؟! أَضْحَتْ
مُقَطَّعَةَ الْوَشَائِجِ وَالْجِبَالِ

أَيَعْبَثُ فِي مَحَارِمِنَا ذِئَابٌ
وَتُنْشِبُ مِنْ مَخَالِبِهَا الثَّعَالِي

عَجِبْتُ وَيُشْفِقُ «النَّائِي» عَلَيْهِم
وَيُقْبِلُ كُلُّ مُحْتَالٍ وَقَالِي

وَيَغْفُو الْمُسْلِمُونَ عَلَىٰ هَوَانٍ
كَأَنَّكَ لاَ تَرَىٰ أَحَداً يُبَالِي

أَمَاتَ هَوَانُهُمْ آمَالَ عِزٍّ
وَنَخْوَةَ مُنْجِدٍ وَهَوَىٰ النِّزَالِ

فَكَمْ رَجُلٍ لَهُ بِالْمَوتِ عُمُرٌ
وكَمْ تُحْيِي الشَّهَادَةُ مِنْ رِجَالِ

وَيُدْفَنُ فِي الْحَيَاةِ أَخُو هَوانٍ
يَمُوتُ مِنَ الْهَوَانِ بِلاَ قِتَالِ

ولاَ تَهَبُ الزَّخَارِفُ أَيَّ نَصْرٍ
وَلاَ يُدْنِي الشِّعَارُ مِنَ النَّوَالِ

فَكَمْ ضَجَّ الشِّعَارُ عَلَىٰ فَضَاءٍ
وَغَابَ عَنِ الْمَوَاقِعِ وَالنِّزَالِ

رُوَيْدَكِ يَا «كُسُوفُو» كَمْ رَأَيْنَا
بِأَرْضِ «الْبُوسْنِ» قَبْلَكِ مِنْ مِثَالِ

غُزَاةُ الصِّرْبِ وَالْكُفَّارِ مَالُوا
بِأَحْقَادٍ تَفَجَّرُ بِالضَّلاَلِ

دِيَارَ «الْبُوسْنِ وَالْهِرْسِكِ» أَفِيضِي
وَقُولِي كَمْ بَلَوْتِ مِنَ التَّقَالِي

لَقَدْ تَخِذُوا «الدِّيَانَةَ» بَابَ حِقْدٍ
بِمَا كَذَبُوا وَحَاكُوا مِنْ خَبَالِ

فَيُخْفُونَ الْمَطَامِعَ فِي صُدُورٍ
وَيُبْدُونَ الْعَدَاوَةَ بِالنِّصَالِ

هِيَ الأَهْوَاءُ وَالدُّنْيَا عُرُوضٌ
تُجَمِّعُ مِنْ دَعِيٍّ أَوْ مُوَالِ

دِمَاؤُكِ يَا «كُسُوفُو» أَيْنَ تَجْرِي
وَأَيْنَ تَصُبُّ مِنْ صَحْبٍ وَآلٍ؟!

تَصُبُّ بِأَبْحُرٍ مِنْ كُلِّ صَوْبٍ
دِمَاءُ الْمُسْلِمِينَ بِذُلِّ حَالِ

فَكَمْ مِنْ سَاحَةٍ فِي الأَرْضِ صُبَّتْ
دَماً مِنْ مُسْلِمٍ غَافٍ وَسَالِ



إِذَا هَانَتْ نُفُوس الْقَوم هَانَتْ
دِمَاؤُهمُ وَمَالُوا للزَّوَالِ

رُوَيْدَكِ يَا كُسُوفُو! كَيْفَ هَانَتْ
وَأُفْرِغَتِ الدِّيَارُ مِنَ الرِّجَالِ
وَكَيْفَ تُسَاقُ أَفْوَاجُ الضَّحَايَا
وَأَطْفَالٌ وَرَبَّاتُ الحِجَالِ
حُشُودُ النَّازِحِينَ تَمُوجُ حَيرَىٰ
بِأَوْدِيَةٍ تَغُورُ وفِي التِّلاَلِ
تُسَدُّ أَمَامَهَا سُبُلٌ وَتُلْقَىٰ
عَلَىٰ الآفَاقِ تَائِهَةَ النَّوَالِ
تُصَدُّ عَنِ الْحُدُودِ فَأَيْنَ تَأْوِي
وَكُلٌّ فِي لَهِيبِ الْمَوتِ صَالٍ؟!
فَمَا مِنْ مُسْعِفٍ إِلاَّ جَحِيمٌ
وَمَا مِنْ مَلْجَأٍ أَوْ مِنْ ثِمَالِ(٢)
تَدُبُّ خُطَاهُمْ هُوْنَاً وَتَمْضِي
بِآمَالٍ تَذُوبُ عَلَىٰ الرِّمَالِ
قَوَافِلُ لِلُّجوءِ تَصُبُّ صَبَّاً
عَلَىٰ هَوْلِ الْمَذَلَّةِ وَالْوَبَالِ
فَكَمْ مِنْ سَاحَةٍ أَلْقَتْ بَنِيهَا
إِلَىٰ هَلَكِ الضَّيَاعِ أَوِ النِّصَالِ
تَزَاحَمَتِ الدُّرُوبُ بِهِمْ وَضَاقَتْ
وَوُسِّعَتِ الَمجَازِرُ لِلنَّكالِ
لَقَدْ نَعِموا بِطِيبِ الْعَيْشِ حِيناً
عَلَىٰ خَدَرٍ وَلَهوٍ وَاخْتِيَالِ
يُمَنِّيهِمْ عَدُوُّ اللهِ مَكْراً
بِزُخْرُفِ فِتْنَةٍ وَغُرُورِ حَالِ
وَيَخْدَعُهُمْ بِدَعْوَىٰ السِّلْمِ حِيناً
وَحِيناً بِالفَسَادِ أَوِ الضَّلاَلِ
فَأَلْقَوْا عَنْ كَوَاهِلِهِمْ سِلاَحاً
وَدَارُوا فِي هَوَىٰ قِيلٍ وَقَالِ
فَفُتِّحَتِ الْقُلُوبُ لِكلِّ غَازٍ
وَفُتِّحَتِ الدِّيَارُ لِكُلِّ قَالٍ(٣)
وَفَاجَأَهُمْ سِلاَحٌ ذُو مَضَاءٍ
يُقَتِّلُ بِاليَمِينِ وَبِالشِّمَالِ

رُوَيْدَكِ يَا دِيَارَ «الْبُوسْنِ» صَبْراً
رُوَيْداً يَا كُوسُفُو الْحَقُّ غَالٍ!
رُوَيْدَكُمُ فَوَعْدُ اللَّهِ حَقٌّ
فَأَوْفُوا بِالْعُهُودِ وَبِالخِلاَلِ
رُوَيْدَكِ يَا «فِلِسْطِينُ اسْتَعِدِّي
وَيَا «كَشْمِيرُ» شُدِّي فِي النِّضَالِ
وَيَا «صُومَالُ» لِمِّي مِنْ صِرَاعٍ
أَصَابَكِ مِنْهُ أَلْوَانُ الهُزَالِ
وَيَا دَارَ الجَزَائِرِ كَمْ بَلاءٍ
أُصِبْتِ بِهِ وكَمْ مَرَضٍ عُضَالِ
دِيَارُ الْمُسْلِمِينَ الْيَوْمَ أَضْحَتْ
مُمَزَّقَةً بِهُونٍ وَاعْتِلاَلِ
فَلُمُّوا مِنْ صُفُوفِكُمُ جَمِيعاً
عَلَىٰ حَقٍّ أَشَدَّ مِنْ الجِبَالِ
أَقِيمُوا أُمَّةَ الإِسْلاَمِ فِيكُمْ
بِنَاءً شِيْدَ مِنْ عَزْمِ الرِّجَالِ
وَمِنْ عَزْمِ الثُّقَاةِ إِذَا أَنَابُوا
عَلَىٰ سَاحِ الشَّهَادَةِ وَالنِّزَالِ

بقلم: د. عدنان علي رضا النحوي

الهوامش:

١ ـ صال: صولاً وصيالاً: سطا ووثب.
٢ ـ ثِمال: غياث.
٣ ـ القالي: الكاره هو العدوّ.

أجرى الحوار : تمام أحمد

خلال زيارته الأخيرة لدولة الكويت، التقت مجلة الوعي الإسلامي الأستاذ محمد سلطان ذوق الندوي «عضو رابطة الأدب الإسلامي العالمية» ومدير جامعة دار المعارف الإسلامية في شيتاغونغ . بنغلاديش ورئيس تحرير مجلة منار الشرق الفصلية، حيث دار حديث مطوّل تناول الحركة الأدبية الإسلامية المعاصرة داخل وخارج جمهورية بنغلاديش...

رئيس تحرير مجلة منار الشرق في بنغلاديش لمجلة الوعي الإسلامي

الأدب الإسلامي وجد منذ وجد الإسلام

● كيف تقوِّمون دور الأدب الإسلامي في مواجهة التيارات الفكرية الوافدة؟

- لا شك أن الأدب الإسلامي له دور في مواجهة التيارات الهدامة، فإن الأدب الإسلامي يتوقع منه العصر أن ينهض بإبداعه الأدبي والفني ويجسد التصور الإسلامي عن الخالق والإنسان والكون والحياة من خلال أعماله الأدبية وأنشطته الفنية، ويزف إلى شعبه ما يحتاج إليه من تحقيق الأهداف الإسلامية الصحيحة ويعبّر عن قيم الإسلام الروحية، ومثله العليا وعن واقع المسلمين وآمالهم وآلامهم كما يجب، فالأدب الإسلامي يستطيع أن يؤدي دوره في مقاومة الفتن الحضارية ومواجهة التيارات الفكرية الوافدة ومناقشة قضايا الإسلام والمسلمين المعاصرة.

● هل أنتم راضون عن الحركة الأدبية الإسلامية المعاصرة؟

- نعم نحن راضون عن الحركة الأدبية الإسلامية المعاصرة ومعتنون بها، ونرجو أن تتغلب هذه الحركة على الأوضاع المعاكسة والمعوقة بإذن الله، فإنها أوضاع قاسرة، وحركة الأدب الإسلامي هي حركة طبيعية، توافي وتنسجم مع الفطرة السليمة، (فطرة الله التي فطر الناس عليها).



● الأستاذ محمد سلطان ذوق الندوي

● ما تقويمكم لحركة الثقافة والفكر والأدب في العالمين العربي والإسلامي؟

- أعتقد أن حركة الثقافة والفكر والأدب في العالمين العربي والإسلامي قد نشطت وتقدمت إلى الأمام تقدماً ملموساً، واتجهت اتجاهاً إسلامياً، ويوجد لها أثر طيب في تغيير مجرى الحياة، وتوعية الجيل الجديد توعية إسلامية، وستستمد هذه الحركة من أعلام الأدباء المسلمين قوة وحيوية تسمو بها إلى قمة الرقي والازدهار والمستقبل الزاهر بإذن الله.

● ما الطريقة المثلى لغرس بذور الأدب الإسلامي في قلوب الناشئة؟

- أرى أن الطريقة المثلى هي إثراء الأدب بقصص وروايات إسلامية أخاذة بأعنة القلوب، وذلك باختيار أسلوب أدبي شيق، واستخدام أجهزة الإعلام السمعية والمرئية لذلك، حتى يكون النشء الجديد على صلة بينابيع العقيدة الصافية والأخلاق الفاضلة منذ نعومة أظفارهم وفي عنفوان شبابهم.

● قضية اللغة الفصحى قضية تعاني من الإهمال الشديد في معظم الدول العربية والإسلامية ما الحل الذي ترونه لهذه القضية؟

- نعم قضية اللغة الفصحى قضية تعاني من الإهمال في كل مكان، ولديَّ الحل لهذه القضية أن يراعي الأديب المسلم كلا الجانبين في إبداعه وعمله الأدبي وإنتاجه الفني، الالتزام بالجانب الفكري والاهتمام بالجانب اللغوي، فلا يدور مع الزمان كما يدور، بالإضافة إلى الكتابة في الجرائد

والمجلات مقالات توجيهيّة لمعالجة هذه القضية، ووضع برامج تلفازية للغرض نفسه.

● هل هناك أدب إسلامي...؟ ما سماته وما دوره في الحياة الأدبية؟

- يستغرب بعض الأدباء كلمة «مصطلح الأدب الإسلامي»، ويزعمون لماذا الأدب الإسلامي! الأدب هو الأدب، لماذا هذه المواصفات التي تحده، فهي عندهم بدعة، وتحجير الواسع، ولكن الحقيقة أن الأدب الإسلامي ليس شيئاً غريباً ولا من البدع، وجد الأدب الإسلامي منذ وجد الإسلام، والإسلام لم يحجر للأديب والشاعر واسعاً، بل رسم لمسيرة الأدب واللغة خطاً واضحاً آمناً، وتحققت نماذج رايته من الأدب الإسلامي منذ طلوع فجر الإسلام إلى عصرنا هذا، وإن كان هناك فترة من الزمن مني الأدب واللغة فيها بالمحنة، فهي غلبة الأدب الصناعي على ذخائر الأدب الأصيل، فكان أسلوب التأليف والكتابة المصطنع سائداً منذ فترة لا بأس بها، وكانت الضرورة ملحّة إلى فكرة الأدب الإسلامي وإنقاذ الأدب من ذلك الحصار الضيق، وتقويم الأعمال الأدبية الإسلامية، فتجسدت هذه الفكرة العام ١٩٨٦م حتى أصبح الأدب الإسلامي حقيقة راهنة، ومن سماته أن يكون الأديب مسلماً، فإن الكافر والملحد لا يتوقع أن يصدر عنهما أدب إسلامي، وإن كان يوجد إنتاج لكافر ما يوافق المفاهيم الإسلامية، فإنه لا يسمى أدباً إسلامياً، كما جاء في شعر عنترة:

وأغض طرفي إن بدت لي جارتي

حتى يواري جارتي مأواها

فإنه يوافق قوله تعالى: (قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم...) كذلك يشترط أن يكون ملتزماً بالفكرة الإسلامية، دائم الصلة بمناهل الأدب الإسلامي الأصيلة وينابيع الإيمان والعمل الصالح، ويعبر عن الإنسان والكون والحياة تعبيراً هادفاً.

وأما دور الأدب الإسلامي في الحياة فهو دور الريادة والتوجيه ودور الإصلاح والبناء، ومقاومة الثروة الفكرية في المجتمعات البشرية، فإن الأدب آلة، بإمكانها أن تكون هدامة وبإمكانها أن تكون بناءة، فالآلة إذا أخذتها أيد مؤمنة فلابد أن تكون مستخدمة في الإصلاح والبناء.



● الأستاذ محمد سلطان ذوق الندوي يتحدث إلى الوعي الإسلامي



● غلاف مجلة منار الشرق

● ما أهم مشاريعكم الأدبية والعلمية في بنغلاديش؟

- بالنسبة لمشاريعنا العلمية والأدبية، أقول بإيجاز إن المؤسسات التعليمية في بلادنا بنغلاديش كانت مصرة على مناهج التعليم القديمة فهي بحاجة إلى تطوير مناهجها وإدخال بعض التحسينات اللائقة فيها، فأنشأنا جامعة دار المعارف الإسلامية العام ١٩٨٥م لتطبيق منهج تعليمي متطور على غرار ندوة العلماء في الهند، وتقدمت الجامعة إلى أهدافها بسرعة بارقة، فالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة قامت بمعادلة مناهجها وأقامت في قاعاتها دورات لتعليم اللغة العربية والثقافة الإسلامية، فتعتبر جامعة دار المعارف فرعاً لندوة العلماء في بنغلاديش ومركزاً وحيداً لتعليم اللغة العربية لاهتمامها البالغ بنشر اللغة العربية، ولكن ضيق مصادر الدخول المادية يعوق من سيرها الحثيث، حيث الجامعة بحاجة إلى فتح كلية الدعوة وأصول الدين وتوسعة مبانيها، ومن أهم مشاريعها إكمال عمارة الفصول الدراسية ذات الأربعة أدوار، وإنشاء عمارة «رواق القدس» الوحدة السكنية للطلاب.

وأما من أنشطتها الأدبية فوجود المكتب الإقليمي لرابطة الأدب الإسلامي العالمية في الجامعة، والمكتب يقوم بعقد مؤتمرات وندوات محلية وعالمية للنقاش في مواضيع علمية وأدبية، ويصدر مجلتين بالعربية والبنغالية كلتاهما تعني بالأدب الإسلامي، وحيث إن تكاليف هذه الأعمال والأنشطة وتغطية مصاريف البناء تعول على تبرعات الشعب المسلم والجهات الخيرية الإسلامية نهيب بأهل البر والخيرات الإسهام بإمكاناتهم السخية.

● هل هناك شريحة كبيرة من البنغاليين تهتم بأمور الأدب العربي والإسلامي؟

- نعم الأدباء البنغاليون لهم دور مهم في تعليم اللغة العربية والكتابة فيها، واهتمامهم بالغ بالأدب الإسلامي والعربي ومعظم المقررت الدراسية في المؤسسات التعليمية بالعربية، كما يوجد عدد كبير من الكتّاب والمؤلفين والشعراء معنيين بالكتابة في اللغة العربية الفصحى.

هذا وأشكركم على إجراء الحوار وإتاحة الفرصة لرفع صوتنا إلى الشعب الكويتي المسلم الشقيق. ■

بقلم: وائل أحمد الهنيدي

صَفَرْ

صفر هو الشهر الثاني من أشهر السنة الهجرية، شهد هذا الشهر أحداثاً كثيرة، نختار منها ثلاثة أحداث، نحتاج إلى أن نقف عندها وقفة اتعاظ واستلهام واعتبار، وهذه الأحداث الثلاثة هي:

غزوة ودّان(١)، وغزوة خيبر، وبداية مرض الرسول ﷺ الذي قُبض فيه.

إن غزوة ودّان تمثّل نمط القتال في فترة امتدت نحو ستة أعوام لسنين مضت من الهجرة، وهو القتال الدفاعي، الذي يهدف إلى بث الهيبة من هذا المجتمع الجديد الذي نشأ في ظل الإسلام، إنه مجتمع المدينة، بفئة - إذا ما قورنت بقوى الشرك - ضعيفة عدداً وعدة، فكان من أهم الركائز الأساسية في تمكين المسلمين من نشر الدعوة هو تأمين هذا المجتمع من خطر القبائل المشركة التي تنتشر حوله.

إن الفئة التي خرجت لتوها من أرضها، وانتقلت إلى بلد غير البلد الذي نشأت - بداية - فيه، تتحرك يميناً وشمالاً، بقوة وحزم ظاهرين، تقاتل تارة، وتفر الفلول أمامها تارة أخرى من دون قتال، وتارة تعقد المعاهدات مع بعض القبائل وهو ما حدث في غزوة ودّان، حين عاهد النبي - ﷺ - بني ضمرة، وأمّنهم على أموالهم، «وأن لهم النصر على من رامهم، إلا أن يحاربوا دين الله، ما بلَّ بَحْرٌ صُوفةً(٢)، وأن النبي إذا دعاهم لنصره أجابوه»(٣).

وتستمر الغزوات والسرايا - على هذا النمط الدفاعي - حتى العام السادس من الهجرة وهو العام الذي أمَّن المسلمون دعوتهم بصلح الحديبية، فانتقل القتال إلى مرحلة الهجوم - بدلاً من الدفاع، فجهّز النبي - ﷺ - جيشاً في نهاية شهر المحرم من العام السابع للهجرة لغزو خيبر، تلك المساحة التي تتعدد فيها الحصون والمزارع، ويسكنها اليهود، من الذين نقضوا عهد الرسول - ﷺ - في المدينة فأجلاهم عنها، فذهبوا إلى إخوانهم في خيبر، وأخذوا يؤلبون بعض القبائل المشركة لقتال الرسول ﷺ - كما حدث في غزوة الأحزاب(٤)، وتحرك الجيش إليهم بقيادة رسول الله - ﷺ - والهدف الأول - لهذه الغزوة ولغيرها من الغزوات - هو الدعوة إلى الله، بإقامة الحجة عليهم قبل قتالهم، فإن أبوا إلا القتال قاتلهم، وهذا واضح وضوحاً بيّناً في سؤال علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - للنبي - ﷺ - حين دفع إليه الراية يوم خيبر: أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا؟ فقال عليه الصلاة والسلام: «أنفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه، فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم»(٥). فقاتل فكان الفتح على يديه، إلا أن اليهود لم يتعظوا - في بعض حالاتهم - مما رأوا من فتح الله على النبي - ﷺ - فلما اطمأن النبي - ﷺ - أهدت له زينب بنت الحارث امرأة سلام بن مشكم شاة مشوية، دست فيها سماً، وأكثرت منه في الذراع التي كان الرسول - ﷺ - يحب أكلها، فلما أكل منها لم يسغها فلفظها، ثم قال: «إن هذا العظم يُخبرني أنه مسموم»، ثم دعا بها فاعترفت. فقال: ما حملك على ذلك؟ قالت: بَلَغْتَ من قومي ما لم يخفَ عليك، فقلت إن كان ملكاً استرحت منه، وإن كان نبياً فَسَيُخَبَّرُ، فقال لها الرسول - ﷺ -: «ما كان الله لِيُسَلِّطَكِ على ذاك»(أي على قتلي) قالوا: ألا نقتلها يا رسول الله؟ قال: لا»(٦).

بهذا العقل المنصف والنفس المطمئنة تكون الدعوة إلى الله، فلا يلجأ إلى القتال - وهو بأمر الحاكم المسلم وحده دون سواه من عوام الناس مهما كان علمهم واجتهادهم - إلا بعد استنفاد جميع وسائل الدعوة السلمية من ترغيب وترهيب ومناقشات، وجدال بالتي هي أحسن، بهدف تجلية روحانية الإسلام وسماحته وعقلانيته، التي لا تتيح لعقل منصف ولُبٍّ حصيف إلا الانقياد له، ولا يبقى بعدها إلا العناد والصلف الذي يحرم الناس - بغير ما جرم - من تفيؤ ظلال الأمن والأمان في ظل الإسلام، فيكون حينها القتال البعيد عن التشنج الأرعن، القتال المنضبط وفق ما علّمنا الرسول الكريم - ﷺ - أجمل ما يكون الجهاد وأكمله، ليبين لأمته بعده ألا يهبوا خلف كل ناعق، لا تحركه إلا العصبية التي استبد بها من شراسة الطبع وعَمَهِ الوجهة ما جعل بُعْدَهُ عن الدين قريباً من بُعْدِ من أراد محاربته باسم الدين والدين من تصرفه براء.

قام الدين على العبودية الحقة لله جل وعلا، والاستسلام المطلق لكل ما أمر به، ولا تكون العبودية حقيقة والاستسلام مطلقاً إلا بحبٍّ يملأ نفس المسلم لله ولرسوله - ﷺ - ويفيض - من بركات هذا الحب الأسمى - على حب كل الناس، وحب الخير لهم، ولا يبغض إلا أفعالهم التي يطببها بقلب رفيق ويد حانية، ولا يلجأ إلى الشدة إلا في موضع الشدة. بمثل هذا الحب الصادق تقوم الدعوة وتبنى أركان الدين وتشيع في المجتمع روح الترابط والحرص على الخير وبذله في كل أبوابه، فتقوم الدولة راسخة البناء شديدة التلاحم.

يقول الرسول - ﷺ -: «ثلاث من كن فيه، وجد حلاوة الإيمان أن يكون اللهُ ورسولُهُ أحبَّ إليه مما سواهما، وأن يحبَّ المرءَ لا يُحِبُّهُ إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يُقذف في النار»(٧).

وكان - ﷺ - من حبه لأصحابه وحرصه عليهم يمازحهم حيناً، ويعظهم حيناً آخر، مبيناً لهم حقيقة العبودية، فلم يدع أمراً فيه الخير لأمته إلا وحضهم عليه، ولا أمراً فيه الشر إلا وحذرهم منه، وهو بينهم يعود مريضهم، ويطمِّن خائفهم... يداعب الصغير، ويمازح الكبير... حتى إذا خلا في جوف الليل وقام بين يدي الله قانتاً رفع يديه يدعو لأصحابه ويستغفر لهم، وليس هذا فقط... فقد كان يذهب لأصحابه في قبورهم، يزور البقيع، ويستغفر لأهله، كما روى ابن إسحاق وابن سعد عن أبي مويهبة - مولى النبي ﷺ - أنه قال «بعثني رسول الله - ﷺ - من جوف الليل، فقال: «يا أبا مويهبة قد أُمِرْتُ أن استغفر لأهل هذا البقيع، فانْطَلِقْ معي» فانطلقت معه، فلما وقفنا عليهم قال: «السلام عليكم يا أهل المقابر، ليهن لكم ما أصبحتم فيما أصبح الناس فيه، أقبلت الفتن مثل قطع الليل المظلم، يتبع آخرها أولاها، الآخرة شر من الأولى» ثم أقبل عليَّ فقال: «إني قد أُعطيت مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها، فخُيِّرْتُ بين ذلك وبين لقاء ربي والجنة». فقلت: بأبي أنت وأمي، فخذ مفاتيح خزائن الدنيا وتَخَلَّدْ فيها ثم الجنة. قال: «لا والله يا أبا مويهبة، قد اخترت لقاء ربي والجنة»، ثم استغفر لأهل البقيع ثم انصرف. فابتدأ رسول الله - ﷺ - وجعه الذي قُبض فيه».

وكان ذلك في أواخر صفر من السنة الحادية عشرة للهجرة... تتمة هذه الأحداث، وحوادث أخرى نتناولها - إن شاء الله - في العدد القابل. ■

الهوامش:

١ - ودّان: وتسمى الأبواء وهي قرية على بعد خمسة وعشرين ميلاً من الجحفة قرب المدينة المنورة.

٢ - كناية عن التأبيد.

٣ - الرحيق المختوم - صفي الدين المباركفوري - الطبعة الأولى ١٤١٨هـ.

٤ - المصدر السابق ص ٣٤٦.

٥ - متفق عليه. ٦ - رواه مسلم. ٧ - متفق عليه.

إعداد: أحمد عثمان

الوعي الإسلامي تفتح ملف العمل الخيري في الكويت

كيف أصبح الخير صناعة وطنية تصدر لقارات العالم؟

امتاز أهل الكويت منذ القدم بحب الخير، والعمل من أجله والحرص على التراحم والتكافل في السراء والضراء. وقد سجل التاريخ مواقف خالدة لأهل الكويت في حبهم للخير رغم ضنك الحياة.

ومع ظهور النفط، اتسعت دائرة العمل الخيري بعد أن شملت المحتاجين داخل البلاد، انتقلت إلى الإخوة المسلمين في كل أرجاء المعمورة، لتقديم مساعدات أهل الكويت إلى الأيتام وطلاب العلم والفقراء. وانتشرت مصانع الخير الكويتية في كل دول العالم الإسلامي، ولدى الأقليات الإسلامية في الدول غير الإسلامية وراجت هذه الصناعة وأصبحت مصدر فخر واعتزاز لتقديم الدعم والتواصل مع الفقراء والمحتاجين في مشارق الأرض ومغاربها.

ومع حدوث الغزو العراقي الغاشم لأرض الخير والعطاء لم تتوقف مصانع الخير عن الإنتاج والعطاء لإيمان أهل الكويت الراسخ بعدل قضيتهم، وعودة حقوقهم، فإن ما قدموه قبل الغزو كان تصديقاً لقول رسول الله ﷺ: «صنائع المعروف تقي مصارع السوء»، وبالفعل كانت صنائع المعروف وقاية حقيقية للفرد والمجتمع والدولة، حيث البركة والطمأنينة والتوفيق في العمل والرزق وتجنب الشرور والعقبات.

والوعي الإسلامي تسلط الضوء على مسيرة العمل الخيري الكويتي من خلال هذا الملف الشهري لتأكيد دور الكويت الخيري والحضاري دون منة ولتأكيد أصالة هذا الشعب وتمسكه بالقيم الإسلامية التي نادى بها كتاب الله ورسوله ﷺ. لتحقيق العدالة والمساواة والإخاء بين المسلمين في كل مكان.

صنـــدوق إعانـــة المرضـــى 4

في هذا العدد تطرح «الوعي الإسلامي» أسلوباً متميزاً في العمل الخيري وهذا التميز ناجم عن التخصص في مجال هذا العمل، حيث نلتقي الدكتور محمد أحمد الشرهان رئيس صندوق إعانة المرضى.

جاءت فكرة إنشاء هذا الصندوق ثمرة جهود كثيرة لإخوة أطباء شعروا بأنات الألم من مرضى حوّلهم المرض إلى عاجزين غير قادرين على العمل والكسب فاتجهوا للوقوف معهم وإعانتهم بما يتوافر لهم مما يقدمه أهل الخير والإحسان، فكان ذلك الدواء لهم والصدقة للمحسنين مصداقاً لقوله صلى الله عليه وسلم: «داووا مرضاكم بالصدقة».
ولتسليط الضوء على هذا الصندوق ضمن ملف العمل الخيري كان هذا اللقاء مع الدكتور الشرهان:

د. محمد الشرهان:

هدفنا رسم الابتسامة على ملامح الحزن المرسوم على وجوه المرضى



● د. محمد أحمد الشرهان

الفكرة والتأسيس

● كيف كانت فكرة وتأسيس صندوق إعانة المرضى؟

- يُعدُّ صندوق إعانة المرضى واحداً من أقدم المؤسسات الخيرية المتخصصة العاملة في الكويت، كويت الخير حيث تأسس العام ١٩٧٩م، عندما تداعت مجموعة من الأطباء الكويتيين المتدربين آنذاك إلى رسم الابتسامة على ملامح الحزن والألم التي كانت مرسومة على وجوه بعض المرضى بسبب أوضاعهم المالية والاجتماعية القاسية، فما كان من بعض أبناء الكويت الخيّرين - عبر أولئك الأطباء - إلا أن تقدموا لمساعدة المرضى

المحتاجين، وتدريجياً ازدادت المسؤولية فكان لابد من مظلة قانونية تجيز وتنظم هذا العمل.

أهداف الصندوق

● هل لنا أن نتعرف على أهداف الصندوق بشكل مباشر؟

- يهدف الصندوق إلى إعانة المرضى الذين أقعدهم المرض عن طلب الرزق، وكذلك مساعدة من يتطلب العلاج خارج الكويت جزئياً أو كلياً، والإسهام في نشر الوعي الصحي والعمل على مد يد العون المادي والصحي لمتضرري الكوارث خارج الكويت، وإنشاء وتجهيز المستشفيات والمراكز الصحية داخل وخارج الكويت والإسهام في المشاريع الاستثمارية لتنمية موارد الصندوق.

لجان الصندوق

● ما لجان الصندوق وأنشطته المختلفة؟

- ومن هذا المنطلق سارت مسيرة الخير المباركة بخطى ثابتة نحو العمل الإنساني من خلال لجان الصندوق المتعددة لتنفيذ أهدافه المختلفة منذ تأسيسه وحتى الآن.

ونظراً لأن طبيعة العمل في صندوق إعانة المرضى تختلف عن مثيلاتها من اللجان الخيرية الأخرى فقد تم تقسيم النشاط إلى قسمين:

القسم الأول داخل الكويت: ويمثل الشريحة الكبرى، ويتم من خلال اللجان الأربع التنفيذية التالية: اللجنة الطبية، واللجنة النسائية، واللجنة الإعلامية، ولجنة التوعية والإرشاد.

والقسم الثاني خارج الكويت: يتم من خلال اللجنة الخارجية: حيث تباشر أعمال الإغاثة الصحية والأعمال الصحية الأخرى التي قام الصندوق بإنشائها أو الأعمال التي تكلف بها من قبل اللجنة الكويتية المشتركة للإغاثة وبعض الجمعيات واللجان الأخرى، وللصندوق مكتبان خارج الكويت أحدهما في أذربيجان والآخر في السودان.

وتعتبر اللجنة الكويتية للإغاثة من اللجان الرئيسية في الصندوق فقد تأسست العام ١٩٧٩م، أي مع بداية العمل بالصندوق ومن أهدافها:

إعانة المرضى الذين أقعدهم المرض عن طلب الرزق، ومساعدة المرضى الذين يتطلب علاجهم خارج الكويت «كلياً أو جزئياً».

- والأعمال التي قامت بها اللجنة:

هي استقبال المرضى من جميع الجنسيات وتقبّل طلباتهم على أن يكونوا مستوفين لشروط المساعدة وبخاصة شرط صلاحية الإقامة بالنسبة لغير الكويتي، وقد بلغ إجمالي المبالغ المصروفة على هذه الحالات (ثلاثمئة ألف دينار كويتي) خلال العام الماضي ١٩٩٨م، لعدد (١٥٠٠ حالة مرضية) موزعة على النحو التالي:

- مساعدة (٣٢٦) حالة مرضية بمساعدات شهرية دائمة.
- مساعدة (٣٥٠) حالة مرضية بأجهزة طبية (كراسي طبية، سماعات، عكازات، نظارات، مشايات وغيرها).
- مساعدة (٢٦٩) حالة مرضية للعلاج بالخارج.
- مساعدة (٢٥٠) حالة مرضية بمساعدات مالية مقطوعة.
- مساعدة (٨١) حالة مرضية بتذاكر سفر لمرافقة مريض أو مغادرة مريض لبلاده.
- مساعدة (٢٧٥) حالة مرضية لعمل تحاليل طبية ورسوم تفتيت حصى وأشعة وغيرها.



● ندوة توعية طبية أقامها الصندوق



● تقديم الرعاية الصحية للأطفال

صندوق إغاثة المرضى منارة الخير الكويتية لمن أقعدهم المرض

اللجنة النسائية

وتأسست العام ١٩٨٤م على أيدي مجموعة من الطبيبات والصيدلانيات والاختصاصيات الاجتماعيات والمدرّسات ونخبة من الأخوات العاملات في المجالات الأخرى لتعمل جنباً إلى جنب مع اللجنة الطبية ولتكون مصدراً حيوياً لتحقيق أهداف الصندوق لدفع النشاط الاجتماعي للمرضى من خلال أعمال اللجنة المختلفة وتحقيق أهدافها:

الإسهام في نشر الوعي الاجتماعي بزيارة المرضى في المستشفيات ودور الرعاية والمراكز الصحية والمشاركة في الأنشطة والمناسبات المختلفة، والاهتمام والعناية بشكل خاص بالطفل المريض عن طريق إنشاء وتأسيس أندية للأطفال بالمستشفيات ووضع الأهداف والأسس الثابتة لها، وإقامة الأسواق الخيرية وأطباق الخير والمعارض. وتوثيق علاقة الصندوق بالجمعيات النسائية واللجان النسائية والخيرية المختلفة.

ومن أعمالها:

- إنشاء (١٠) أندية أطفال في المستشفيات تابعة للجنة.

- توزيع الحقيبة المدرسية على أبناء الحالات المرضية.

- مشروع حقيبة المريض وكسوة العيدين للحالات المرضية.

- مشروع هدية المحجبة وهدية المولود التوأم وغيرها.

- إقامة المسابقات والدورات التدريبية والتثقيفية الصحية النسائية لعضوات اللجنة ولنساء المنطقة وبعض نساء الجمعيات وللجان المناطق الأخرى.

كما أن للجنة أنشطة أخرى مثل توزيع القرقيعان على أجنحة الأطفال في المستشفيات في رمضان - المشاركة في المعارض وأطباق الخير والأسواق الخيرية في المدارس، وإقامة المسابقات الثقافية بالتنسيق مع اللجان الأخرى وإدارات المدارس.

اللجنة الإعلامية

تأسست العام ١٩٨٥م وذلك لتوفير الدعم الإيماني للمرضى في المستشفيات ولها نشاط مميز حيث أنشأت قسمين، الأول للوعاظ والثاني للواعظات، ومن أهدافها:

نشر الوعي الديني بين المرضى في المستشفيات من خلال قيام الواعظين والواعظات بالمرور عليهم وتعليمهم الأحكام الفقهية وآداب زيارة المريض. وعمل ندوات ومحاضرات في جميع المستشفيات الحكومية. وتوزيع المصاحف والأشرطة التربوية وغيرها من الكتيبات الدينية والهدايا على المرضى. وتقوم اللجنة بتوزيع ولصق ملصق يوضح اتجاه القبلة داخل غرف وأجنحة المستشفيات ليتمكن المرضى من الصلاة باتجاه القبلة، وكذلك تعليق البوسترات التي تعلّم المريض كيفية الطهارة في أثناء وجوده بالمستشفى، ووضع حامل



● شراء سيارات اسعاف وارسالها للدول الاسلامية الفقيرة

للمصحف في كل غرفة ليتمكن المريض من قراءة القرآن الكريم.

أعمال لجنة التوعية والإرشاد:

- توزيع المكتبات الإسلامية على المستشفيات (٣٠٠ مكتبة).

- توزيع ملصق يبين اتجاه القبلة في غرف المرضى بالمستشفيات (٣٥٠٠ ملصق).

- تركيب حامل للمصحف وعليه القرآن الكريم في غرف المرضى (٢٥٠٠ حامل)

- تنظيم المحاضرات الدينية للمرضى في المستشفيات لرفع الروح المعنوية لديهم

- توزيع بوستر يوضح كيفية الطهارة بالنسبة للمريض في غرف المرضى كما يبين كيفية الصلاة بالنسبة لهم.

● هل هناك وحدات تدريبية متخصصة أو محاضرات طبية يقوم بها الصندوق؟

- بالتأكيد هناك دورات تدريبية ومشاركات منها:

- تقديم عدد (٨) دورات إسعافات أولية بالتعاون مع مؤسسة الكويت للتقدم العلمي وبالتنسيق مع الجمعيات التعاونية في المناطق المختلفة في الكويت.

- عمل مجموعة دورات صحية تخصصية للأسرة والطفولة بالتعاون مع مؤسسة الكويت للتقدم العلمي وعددها (١٠) دورات متنوعة.

- تنظيم مجموعة من ندوات التوعية بالتنسيق مع وزارة الشؤون الاجتماعي والعمل لمناسبة يوم الطفل العربي.

- عمل دورة تدريبية تبين التشنج لدى الأطفال بالتعاون مع وزارة الصحة.

- يشارك الصندوق في المناسبات المختلفة مع الوزارات والمؤسسات بإصدار البوسترات على سبيل المثال في يوم الصحة العالمي، وأسبوع المرور وغيرها من المناسبات.

- إعداد محاضرات توعوية دينية في المستشفيات من خلال لجنة التوعية والإرشاد بقسميها الرجالي والنسائي.

- يقوم الصندوق بالتعاون مع الإدارات



● مساعدات طبية عاجلة أثناء حرب البوسنة



● الصندوق يقدم المساعدات للمرضى المحتاجين لاجراء عمليات جراحية

الهندسية في مجموعة من المستشفيات ببث أشرطة دينية وثقافية وفقهية من خلال الدائرة التلفازية المغلقة في أقسام الرجال والنساء والعيادات الخارجية.

شروط المساعدات

● ما الشروط التي يجب توافرها في المتقدم للحصول على مساعدات من الصندوق وبخاصة لغير الكويتيين ؟

- الشروط الواجب توافرها: شروط تنظيمية بهدف تقديم المساعدات للمحتاجين فعلاً، ومن هذه الشروط :

- يجب أن يكون المريض داخل الكويت وتكون لديه إقامة صالحة.

- يمكن مراجعة الباحث الاجتماعي في المستشفى الذي يعالج فيه المريض لعمل ملف خاص له من ملفات الصندوق ويحتوي على (تقرير طبي - تقرير اجتماعي) يستكمل من خلاله جميع مستنداته وبياناته الطبية والاجتماعية، ويتم إرساله للصندوق لاستكمال باقي الإجراءات.

- كما يجب مراجعة مقر اللجنة الطبية في مستشفى الطب الطبيعي حيث يستقبله موظف الاستقبال ويتم تقديم الملف الوارد به من المستشفى، وفي حال عدم استطاعة استكمال ملف المستشفى يتم عمل ملف عن طريق الصندوق يقدم مجموعة من المستندات الثبوتية التي تطلب من المريض صاحب الحالة، يتم بعد ذلك عمل بحث اجتماعي

للصندوق دور بارز في مد يد العون للمرضى والمناطق المنكوبة في العالم

للمريض عن طريق باحث اجتماعي من الصندوق ويعامل طلبه في غاية السرية والتحفظ.

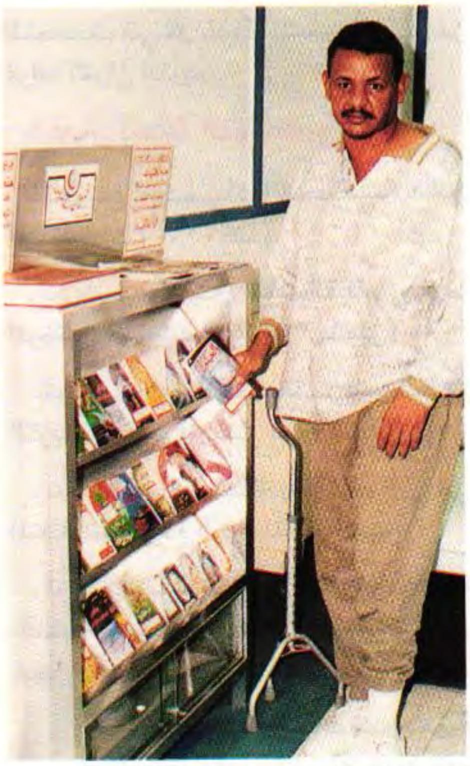
- بالنسبة للمريض طالب العلاج بالخارج سواء أكان كويتياً أم غير كويتي عليه إحضار تقرير طبي من المستشفى الذي يعالج فيه يفيد بعدم توافر العلاج في الكويت أو يوصي بضرورة إجراء عمل جراحي بالخارج وفي هذه الحال يتم المساعدة جزئياً وليس كلياً وحسب الإمكانات المتاحة.

- بعد ذلك يتم عرض الملف الخاص بالمريض على اللجنة الطبية المشكلة من (رئيس اللجنة - مدير اللجنة - الباحثين الاجتماعيين - عضو من بيت الزكاة ومندوب عن وزارة الصحة) لدراسة البحث الاجتماعي والتقرير الطبي والمستندات المدرجة بالملف الخاص بالمريض ثم يتم إقرار المساعدة اللازمة له.

أنشطة خارج الكويت

● وماذا عن أنشطة الصندوق خارج الكويت؟

- إن إعانة المرضى من أسمى الأعمال الإنسانية، ولقد كان للصندوق دور بارز في مد يد العون للمرضى في كثير من الدول بطرق متعددة منها إرسال سيارات الإسعاف المجهزة، وحقائب الإسعافات الأولية ذات



● كتب توعية صحية في المستشفيات

الإمكانات العالية، وتجهيز المستشفيات والمراكز العلمية، وتحمل رواتب الهيئة الطبية في الكثير من المستشفيات، وإرسال شحنات مختلفة من المواد الغذائية والوجبات الجاهزة للمناطق المنكوبة.

ومن المناطق التي فيها هذه الأعمال الخارجية.



● بناء مستوصفات ومستشفيات بدعم من الصندوق

● البوسنة والهرسك:

فقد نظم الصندوق رحلات كثيرة للبوسنة والهرسك للاطلاع على الوضع الصحي وتوصيل المساعدات ومن هذه المساعدات:

- شراء ١٠ سيارات إسعاف بتكلفة ٥٥ ألف دينار كويتي.

- شراء كميات من الأدوية والمستلزمات الطبية من كرواتيا في بداية الأزمة كلفت نحو ١٠٠ ألف دولار على مرحلتين.

- إرسال حقائب إسعافات أولية متخصصة بقيمة ٤٨٠٠ دينار.

- إرسال ثلاثة آلاف عبوة من أكياس جمع الدم.

- إرسال ٢٠ حاوية تضم ما يزيد على ١٥٠ طناً من المساعدات الطبية وكراسي المعاقين والخيوط الجراحية وعشرات الآلاف من المحاليل الوريدية المعوضة للدم. تزيد قيمتها على ٧٥٠ ألف دولار حتى العام ١٩٩٥م.

- إرسال أربع حاويات أخرى في منتصف فبراير العام ١٩٩٦م فيها ثلاث عيادات للإنسان وكراس للمعاقين.

- إرسال سيارتي إسعاف وتسليمهما إلى وزارة الصحة البوسنية.

● الصومال :

قام الصندوق بإرسال شحنة من التجهيزات الطبية والكراسي المتحركة للصومال قدرت بنحو ١١ ألف دينار كويتي.

● باكستان :

- يشرف الصندوق على ثلاثة مراكز صحية في باكستان هي مستوصف جامعة العلوم الأثرية في مدينة جلهم وبلغت تكاليفه ١٢,٢٠٠ دينار كويتي.

- ومستوصف جامعة الفاروق الإسلامية وبلغت تكاليفه ٧,٤٥ آلاف دينار كويتي.

- ومستوصف الشيخ عبدالله النوري في إقليم بلوشستان بباكستان، ويشرف الصندوق عليه ويتحمل رواتب الهيئة الطبية سنوياً.

● لبنان :

دعم الجهات الخيرية العامة في الحقل الصحي وتحمّل رواتب الهيئة الطبية وإرسال تجهيزات طبية لمراكز صحية كثيرة هناك.

كما تم تقديم ثلاثة باصات إلى مستشفيات خيرية وتجهيزات طبية وتحمل رواتب الأطباء حيث بلغت ٨٧٧٨٠٠ ليرة لبنانية.

● مصر :

- إرسال خمسة آلاف دينار لمتضرري الزلازل.



● دروس في التوعية الصحية

مصروفات اللجنة الطبية خلال الفترة من ١٩٩٨/١/١م إلى ١٩٩٨/١٢/٣١م

م	بيـان	المبلـغ		العـدد	
		ك	غ ك	ك	غ ك
١	م. إعانة دائمة	٥٢٠,٠٠٠	١٠٦٣١٠,٠٠٠	٤	٣٢٦
٢	م. إعانة مقطوعة	٢٢٠٠,٠٠٠	٢٠١٢٧,٤٨٠	٢١	١٩٨
٣	م. أجهزة طبية	٩٥٢١,٥٠٠	٢٥١٥٦,٧٥٠	٥٣	٣١٠
٤	م. حقن هرمونات	٠,٠٠٠	٦٢٣٣,٥٤٠	٠	٣٦
٥	م. تحاليل طبية	٠,٠٠٠	١٠٩٩,٩٥٠	٠	٤٨
٦	م. رسوم الأشعة	٠,٠٠٠	١٢٠٩٢,٠٠٠	٠	٢٠٥
٧	م. غسيل كلى	٠,٠٠٠	٤١٥٠,٠٠٠	٠	١٣
٨	م. علاج بالخارج وتذاكر سفر	٧٢٧٧٥,٤٨٠	٤١٥٦٩,٣٦٦	١٣٢	٢٥
	المجموع	٨٥٠١٦,٩٨٠	٢١٦٧٣٩,٠٨٦	٢١٠	١١٦١
	إجمالي الانفاقات		٣٠١٧٥٦,٠٦٦		
	عدد الحالات		١٣٧١		



شاحنات طبية للبوسنة والصومال ومصر ولبنان وبنغلاديش والشيشان والهند وسنغافورة ونيبال وأذربيجان

- إرسال أجهزة طبية إلى إحدى المستشفيات في محافظة الدقهلية، وجهاز أشعة مع ملحقاته، وجهاز للأسنان تقدر قيمته بنحو ١٥ ألف دينار.

- إرسال جهاز أشعة مع ملحقاته إلى أحد المستشفيات في محافظة المنوفية.

● بنغلاديش:

قام الصندوق بدعم مخيمين لمكافحة العمى وأمراض العيون في يناير العام ١٩٩٥م، وزار المخيمين قرابة ١٠ آلاف مريض ومريضة نال جميعهم الرعاية اللازمة وأبصر بعض المرضى النور من جديد بعد ظلام دام سنين طويلة، كما تبرع الصندوق بمبلغ ٢٠٠٠ دينار لصالح متضرري الفيضانات العام ١٩٩٥م.

● الشيشان:

- قام الصندوق بإرسال شحنتين من الأدوية الطبية للمهاجرين الشيشان في جمهورية داغستان.

- كما استقبل مكتب صندوق إعانة المرضى في أذربيجان ١٢ حاوية محمّلة بالأدوية والملابس والمواد الغذائية للمهاجرين الشيشان.

● الهند:

شراء جهاز أشعة مع كامل ملحقاته إلى مستشفى مركز مولانا ازاد الطبي في بومباي تكلف ٥ آلاف دولار.

وشراء تجهيزات مختبر طبي لمستوصف جامعة ابن تيمية في الهند.

● البحرين:

تم إرسال منظار طبي تقدر قيمته بنحو ١٦ ألف دينار إلى جمعية التربية الإسلايمة في البحرين.

● سنغافورة:

قام الصندوق بدعم مستشفى الرجاء في سنغافورة بمبلغ ألفي دينار كويتي.

● نيبال:

تم شراء كمية من الأدوية لعيادة مدرسة خديجة الكبرى للبنات في نيبال.

● أذربيجان:

أرسل الصندوق أول شحنة من المساعدات الطبية الأذربيجانية في أوائل العالم ١٩٩٤م.

وتم إرسال الشحنة الثانية من الأدوية والإسعافات الأولية تكفي منطقة فيها مئة ألف شخص.

أما الشحنة الثالثة فتحتوي على سيارتي إسعاف وكميات من الأجهزة الطبية وآلاف القطع من الآلات الجراحية والمستهلكات الطبية واحتياجات الإسعافات الأولية والكثير



● أجهزة طبية للمعاقين





● سيارات اسعاف وصناديق أدوية للمناطق المنكوبة في كل أرجاء العالم

من الأصناف والمستلزمات الطبية تصل قيمتها إلى ٧٠ ألف دينار.

وكان في استقبال ـ هذه الشحنة التي حملت على طائرة ـ عدد من المسؤولين في أذربيجان حيث عمتهم الفرحة والسعادة.

وقد تم تسجيل صندوق إعانة المرضى الكويتي كمؤسسة طبية إنسانية في أذربيجان، وأصبح لها الحق في إنشاء وتجهيز المشاريع الطبية الخيرية.

أما الشحنة الرابعة فكانت لانتشار وباء الكوليرا وتم شراء ١٦ طناً من المحاليل الوريدية وأضيف إليها طنان ونصف الطن من حليب وأدوية الأطفال.

إضافة إلى سيارتي إسعاف تبرعت بهما جمعية الهلال الكويتي، وصلت طائرة الشحن إلى العاصمة باكو في ١٩٩٤/٨/٢٠م، وقدرت الشحنة بخمسة وعشرين ألف دينار.

الشحنة الخامسة: كانت أدوية لمعالجة الملاريا إضافة إلى ١٠٠ ألف حقنة من المضادات الحيوية.

الشحنة السادسة في ١٩٩٥/٨/٣م حيث حمّلت طائرة قرابة ٤٠ طناً من المساعدات الطبية وأجهزة أشعة وتجهيزات مختبر للتحاليل الطبية ومجموعة عيادات أسنان.

الشحنة السابعة: في ١٩٩٦/٢/١٤م حيث أرسل الصندوق حاوية فيها ٨ أطنان من المساعدات الطبية المختلفة.

كما قام الصندوق بتقديم معونات طبية كبيرة من خلال اللجنة الكويتية المشتركة للإغاثة إلى كل من الصومال وبنغلاديش وبورما والبوسنة والهرسك والسودان.

وضمت هذه المساعدات الكثير من القوارب والأدوية وحليب الأطفال ووجبات غذائية وأفلام أشعة وغير ذلك من المساعدات.

تعاون الصندوق والجهات الحكومية

● كيف ترى تعاون الجهات الحكومية مع الصندوق؟

ـ التعاون مع الصندوق كبير للغاية وبخاصة مع وزارة الصحة، حيث إن الصندوق يعتبر نفسه امتداداً لعمل وزارة الصحة في نشر الوعي الصحي، كما يتلقى الصندوق تسهيلات كبيرة من الوزارة، وفي

نتعاون مع وزارة الصحة وتم إنشاء مستوصف القصر بتكلفة مليون دينار كويتي

المقابل يقوم الصندوق بتبرعات ومساعدات لبعض مرافق وزارة الصحة، مثل مستوصف القصر في محافظة الجهراء، ونأمل الانتهاء منه خلال الشهرين المقبلين وقد كلف مليون دينار كويتي.

● كيف هي صور التعاون مع الجهات الحكومية؟

- إن تعاوننا مع المسؤولين يتم مع مختلف الجهات الحكومية. كما أن للصندوق مكاتب خارجية معترف بها في كل من أذربيجان والسودان. أما باقي الدول فتعمل من خلال مكاتب اللجنة الكويتية المشتركة للإغاثة مع وزارة الصحة في بنغلاديش والشيشان وأذربيجان والبوسنة.

مصادر الإنفاق

● ما مصادر الإنفاق؟

- مصادر الإنفاق تقسم إلى أقسام عدة، منها المشروعات التي تدر على الصندوق أرباحاً معينة مثل محلات الزهور المنتشرة في المستشفيات، حيث نأخذ من ريعها أو نسبة ضئيلة من التبرعات من إسهامات الإخوة المتبرعين.

● وماذا عن ردود فعل شعوب تلك الدول وحكوماتها ؟

- ردود الفعل تدعو للفخر والاعتزاز فحكومات وشعوب تلك الدول يتمنون للكويت وأهلها وحكومتها الخير وعلى أي حال فإن الأهالي هناك لا يتذكرون اسم الصندوق أو اللجنة، بل يتذكرون فقط اسم الكويت وبخاصة حكومة وشعب الكويت، ونلمس على الدوام شكر وتقدير المسؤولين في تلك الدول.

الغزو العراقي الغاشم

● وماذا عن نشاط الصندوق خلال فترة الغزو العراقي الغاشم؟

- رغم الغزو على كويتنا الحبيبة فإن مسيرة الخير لم تتوقف، وكان للصندوق نشاط بارز حيث قام بالأعمال التالية:

- تم نقل جميع التجهيزات المهمة الخاصة بالصندوق من مقره في مستشفى مبارك إلى مقره في القادسية.

- بيع وتوزيع المواد الغذائية إلى الهيئة الطبية لتعزيز صمود العاملين في المستشفى.

- إعداد وجبات غذائية للأطباء العاملين في مستشفى مبارك في أثناء عملهم.

- إعداد عيادات لمعالجة أفراد المقاومة الكويتية.

- إمداد بعض الصيدليات والمستوصفات بما جمع من أدوية وتجهيزات طبية لدعم خدماتهم الصحية وتقديمها للمواطنين.

- تموين إدارة الطوارئ الطبية لدعم صمود المسعفين.

ولا نستثني الدور الكبير والبارز الذي لعبه الدكتور هشام العبيدان - رحمه الله - حيث كان من أعضاء مجلس إدارة الصندوق وكان من الصامدين.

● ما ردكم على الافتراءات والأكاذيب التي تُقال عن العمل الخيري الكويتي؟

الشرهان في سطور

الدكتور محمد أحمد الشرهان

- **خريج في كلية الطب بالإسكندرية العام ١٩٧٨م.**
- **حاصل على الماجستير في إدارة الخدمات الصحية من جامعة جوتنر هوبكنز العام ١٩٨٢م.**
- **يعمل حالياً مديراً لإدارة الطوارئ الطبية في وزارة الصحة.**
- **رئيس صندوق إعانة المرضى وأحد مؤسسي الصندوق منذ العام ١٩٧٩م.**



● مساعدات طبية إلى أذربيجان

- يكفينا فخراً أن قيادات البلد وكبار المسؤولين يعلمون علم اليقين أن المؤسسات الخيرية في الكويت عملها خيري بحت ولا علاقة لها من قريب أو بعيد بهذه الافتراءات وهذا ما أوضحه كبار المسؤولين في أكثر من مجال.

إنجازات العام الماضي

● ما إنجازات الصندوق في العام الماضي؟

- إنجازات الصندوق من خلال الفترة من (١٩٩٧/٧/١م - ١٩٩٨/١٠/٣٠م) داخل الكويت

- مساعدة (٢٤٠) حالة مرضية بمساعدات شهرية دائمة.

- مساعدة (٣٥٠) حالة مرضية بأجهزة طبية (كراس طبية، سماعات، عكازات، نظارات، مشايات).

- مساعدة (٢٣٠) حالة مرضية للعلاج بالخارج.

- مساعدة (٢٥٠) حالة مرضية مساعدات مالية مقطوعة.

- مساعدة (٨١) حالة مرضية بتذاكر سفر لمرافقة مريض أو لمغادرة مريض لبلاده.

- مساعدة (٢٧٥) حالة مرضية لعمل تحاليل طبية ورسوم تفتيت حصى وأشعة وغيرها.

وقد بلغ إجمالي المبالغ المصروفة على هذه الحالات (مئتي وثمانية وسبعين ألف دينار كويتي) خلال الفترة المذكورة أعلاه، لما يقارب من (١٥٠٠ حال مرضية).

واللجنة النسائية قامت بالتالي:

- الإشراف على (٩) أندية أطفال في المستشفيات، ووزعت عدد (٣٥٠) حقيبة مدرسية على أبناء الحالات المرضية ووزعت أيضاً عدداً مماثلاً على المرضى بالمستشفيات، كما وزعت كسوة العيدين إضافة لهدية المحجبة وهدية المولود وغيرها.

واللجنة الإعلامية قامت بالتالي:

- أشرفت على (١٠) نشرات صحية ليصبح العدد (٦١) نشرة وكتيباً، حدثت (٩) نشرات وأصدرت (١٠) بوسترات وبورشوراً ليصبح العدد (٤٠) بوستراً لنشر الوعي الصحي، كما أقامت عدداً من الدورات التدريبية بين ٢٠ - ٢٥ دورة في موضوعات مختلفة بالتعاون مع الجمعيات التعاونية، عملت مسابقات مختلفة.

وأما لجنة التوعية والإرشدا فقامت بالتالي:

- وزعت (٢٥٠٠) حامل مصحف و (٣٥٠٠) ملصق ليبين اتجاه القبلة و (٣٠٠) مكتبة إسلامية على المستشفيات لنشر الوعي الديني، وتخفيف المعاناة عن المرضى.

● خارج الكويت:

وعلى الصعيد الخارجي قامت اللجنة الخارجية التي تباشر أعمال الإغاثة الصحية، والأعمال الصحية الأخرى التي يقوم الصندوق بإنشائها أو الأعمال التي تكلف بها من قبل اللجنة الكويتية المشتركة للإغاثة وبعض الجمعيات واللجان الأخرى بالتالي:

- إرسال (٢٢ طناً) أدوية ومساعدات للبوسنة والهرسك.

- إرسال (٥٠ طناً) تجهيزات طبية للمستشفيات وعدد (١٥) حاضنة أطفال مساعدات للشيشان.

- إرسال (٣٥) طناً أدوية ومواد غذائية مساعدات لأذربيجان.

- إرسال (٣ حاويات) أدوية وأجهزة طبية وإغاثية لأفريقيا.

- إرسال (٦ شاحنات) أدوية وأجهزة طبية إلى لبنان.

- الإسهام في أعمال مكافحة الدرن في الشيشان.

- وسيتم إرسال أجهزة غسيل كلى إلى بنغلاديش.

- مشروع مكافحة العمى في الدول الإسلامية. ■

بقلم: أ.د. محمد الدسوقي

أسهمت الأوقاف الإسلامية اسهاما كبيرا في دعم مسيرة الدعوة الإسلامية لإيصالها إلى جميع شعوب الأرض، وفي مقدم هذه الأوقاف الوقف على المساجد والوقف على أعمال الجهاد، والوقف على اهتداء غير المسلمين، والوقف على مقاومة الغزو العسكري والفكري والتنصيري التي تعرض لها العالم الإسلامي في العصور المتأخرة، وفي الحلقة الماضية تحدثنا عن دور الوقف على المساجد عامة، وفي هذه الحلقة نستكمل دور الوقف في أعمال الجهاد ورد الغزو الخارجي واهتداء غير المسلمين إلى الإسلام.

دور الوقف في تنمية العمل في مجال الدعوة الإسلامية 2/2

الوقف والجهاد

وإذا كان الوقف على المساجد قد غذّى الدعوة الإسلامية برجال يفقهون أحكام دينهم وتعاليمه ويجاهدون في سبيل نشرها وتبليغها، فإن الوقف من ناحية أخرى كان له دوره في حماية هذه الدعوة ودفع غارات المعتدين عليها، وذلك عن طريق تلك المؤسسات الوقفية الخاصة بالمرابطين في سبيل الله، يجد فيها المجاهدون كل ما يحتاجون إليه من سلاح، وذخيرة وطعام وشراب، وكان لها أثر كبير في صد غزوات الروم أيام العباسيين، وصد غزوات الغربيين أيام الحروب الصليبية عن بلاد الشام ومصر.(٣٠)

يقول ابن حوقل عن طرسوس على حدود المسلمين مع دولة الروم: «ورأيت غير عاقل مميز، وسيد حصيف مبرز، يشار إليه بالدراسة والفهم، واليقظة والعلم، يذكر أن بها مئة ألف فارس، وكان ذلك عن قريب عهد من الأيام التي أدركتها وشاهدتها، وكان السبب في ذلك أنه ليس من مدينة عظيمة من حدسجستان وكرمان وفارس وخوزستان والجبال وطبرستان والجزيرة وأذربيجان والعراق والحجاز واليمن والشامات ومصر والمغرب إلا بها لأهلها دار ينزلها غزاة تلك البلدة ويرابطون بها إذا وردوها، وتكثر لديهم الصلات وترد عليهم الأموال والصدقات العظيمة الجسيمة إلى ما كان السلاطين يتكلفونه، وأرباب النعم يعانونه، وينفذونه متطوعين متبرعين، ولم يكن في ناحية ذكرتها رئيس ولا نفيس إلا وله عليه وقف من ضيعة ذات مزارع وغلات، أو سقف من فنادق».(٣١)

إن المسلم يؤمن إيماناً جازماً بأن الجهاد ماض إلى يوم القيامة، وأن عليه أن يجاهد بما يقدر عليه، وبهذا كان وقف الأموال على حماية الثغور وإعداد القوة التي ترهب أعداء الله وأعداء الحياة جهاداً في سبيل الله، لقد كثرت الأموال المحبوسة على المجاهدين، والمرابطين، وكانت هذه الأموال خط دفاع راسخ الدعائم عن الدعوة الخاتمة، وكان كل من لايجد لديه ما يحمل عليه يهرع إلى هذه الأوقاف فيتزود منها بسلاحه وطعامه، ويتخذ للجهاد أهبته، حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله.

وقد ترتب على تلك الأوقاف الخاصة بالمرابطين رواج الصناعة الحربية وقيام المصانع الكبيرة لها في أكثر من مكان في الديار الإسلامية، حتى كان الغربيون في الحروب الصليبية يفدون إلى بلادنا - في أيام الهدنة بيننا وبينهم - ليشتروا منا السلاح وكان العلماء يفتون بتحرم بيعه للأعداء.(٣٢)

إن الأوقاف التي حبست على المجاهدين يسّرت لكل مناضل ومدافع عن الحق والخير أن يبيع حياته في سبيل الله ليشتري بها جنة عرضها السموات والأرض.

وإذا كانت بعض البلاد الإسلامية في العصر الحاضر تقيم أحياناً أسبوعاً للتسلح تجمع فيه التبرعات والهبات لتقوية الجيش وتسليحه فإنها ما كانت في حاجة إلى إقامة هذا الأسبوع، لو كان الوعي بأهمية الوقف كما كان في الماضي، إن ضعف هذا الوعي حرم الأمة من ثروات ضخمة كان الناس يسارعون إليها ابتغاء رضوان الله، وهذه الثروات الموقوفة كان يمكن للأمة أن تنشئ بها المصانع الحربية التي تزود الجيوش بالسلاح والعتاد والتي تجعلنا في غنى عن شراء السلاح من دول وأمم تفرض علينا ما تشاء من الشروط والقيود التي تنال من كرامتنا واستقلالنا حتى تبيع لنا ما نحمي به ديارنا ونمنع أعداءنا.

دور الوقف في اهتداء غير المسلمين

لم يقتصر دور الوقف في مجال الدعوة الإسلامية على بناء المساجد، وحماية الدين من المعتدين وإنما كان له دوره في اهتداء غير المسلمين، فقد خصصت أوقاف كثيرة لهؤلاء الذين ارتضوا الإسلام ديناً، وكانت عوناً لهم على تثبيت إيمانهم وتأليف قلوبهم ومن ذلك ما ورد في السجلات الشرعية لمدينة بورصة التركية، فقد جاء فيها، أن بعض الواقفين قد خصصوا صندوقاً للمهتدين من إيرادات الأوقاف، وأن الوقفية التي تعزى للأمير السلجوقي «شمس الدين آلتون أبا» الذي عاش في القرن الثامن عشر الميلادي، كان من شروطها: «أنَّ من اهتدى من غير المسلمين من الغرباء وأهل هذه الديار وترك دينه الباطل يصرف لطعامه وملابسه وأحذيته وختانه ولتعليمه قدراً من القرآن تصح به الصلاة خُمْس أسهم الخان المختص بمقام الدباغين الموسوم بالحديقة الجديدة المحتوي على ثمانية عشر مسكناً وعلواً الكائن بربض قصر مدينة قونية في محلة تعرف بالميداني».



• أوقاف كثيرة خصصت للمهتدين الجدد

وجاء في وقفية سجلت قبل وقفية ا لأمير شمس الدين بنحو ثلاثمئة عام وهي وقفية الحاج عوض الذي كان وزيراً في عصر مراد الثاني: «ويجمع كل يوم درهمان لمن يحتاج إلى مصلحته ممن يتمسك بعروة الإيمان خارجاً من وادي الكفر والطغيان ويختار الهداية على الضلالة والعصيان».

وفي وثيقة وقفية سجلت بتاريخ ١٨ ربيع الأول سنة ٨٩٦هـ نص فيها على ما يلي: سبب تحرير هذه الوثيقة هو أنه أسلم الكافر المسمى بإسماعيل من حي المرحوم الشيخ حاجي خليفة، وأعطي مئة «أقجة»(٣٣) من الأقجهات المخصصة للمهتدين بطلب من القاضي، وبيد المتولي محمد بن أفلاطون.

وفي قيد مكتوب بعد هذه الوثيقة بسنتين، منذ أن كان سهيل آغا متولياً أعطى خمسين أقجة للمهتدي الذي أرسل مع المحضر من قبل القاضي الكبير، وكذلك أعطي مهتدٍ ستين أقجة المرسل مع المحضر بالي من قبل القاضي.(٣٤)

وتدل سجلات الوقف على أن شروط الواقف في إعطاء المهتدين من إيراد الوقف ما يحتاجون إليه من طعام وثياب ظل معمولاً بها نحو خمسة قرون، وكان المهتدي يأتي إلى المحكمة الشرعية إما منفرداً، وإما مع من يعرفه، وإما مع من هداه إلى الإسلام، والقاضي كان يرسل المهتدي مع المحضر إلى متولي الوقف ليضمن إعطاء المال، وكان ما يعطى للمهتدين يتفاوت بتفاوت ظروف كل مهتد، ومدى حاجته إلى المال.

والذي لا ريب فيه أن شروط الواقفين الخاصة بمساعدة المهتدين كانت سبباً من أسباب دعمهم، واستقرار حياتهم، كما أنها كانت عاملاً مشجعاً للذين يريدون أن يؤمنوا بهذا الدين، وبذلك كفلت الأوقاف تنمية الدعوة الإسلامية في مجال اهتداء غير المسلمين، وهو مجال له أهميته في العمل الدعوي، ولم تكن الأوقاف العثمانية وحدها هي التي خصصت بعض إيراداتها للمهتدين، وإنما كانت الأوقاف في العالم الإسلامي كله ترعى هؤلاء الذين آمنوا بالإسلام، وإن كان للأوقاف العثمانية وبخاصة في مدينة بورصة التركية دور الريادة في هذا.(٣٥)

الوقف والغزو الخارجي

حين تحركت جيوش الغرب لاحتلال العالم الإسلامي وهو احتلال لم يكن يتغيا سلب ثروات هذا العالم وجعله سوقاً يستهلك ما ينتجه الغرب فحسب، وإنما كان يتغيا من احتلاله للعالم الإسلامي القضاء على الروح التي جعلت من الحفاة العراة قوة غالبة، قضت على أكبر إمبراطوريتين في العالم، وقت ظهور الإسلام، حين تحركت تلك الجيوش في هجمتها الآثمة والهمجية على العالم الإسلامي، تصدى الوقف للمخططات الاستعمارية الباغية على الرغم من أن هذه المخططات استولت على كثير من أموال الوقف وأنفقتها في غير ما خصصت لها، لقد كان للأموال الموقوفة أثرها ودورها في المحافظة

على إبقاء جذوة الإسلام متقدة وفي المحافظة على قيم الدين وفي حماية المجتمع الإسلامي من سياسة التبشير والتنصير، وإن أصاب هذا المجتمع من جراء هذه السياسة ما أصابه من الثنائية الفكرية التي جلب على الأمة بعض المشكلات وكان في مقدمها تفاوت الآراء واختلافها حول التطبيق الكامل للشريعة الغراء.

إن احتلال الغرب للعالم الإسلامي بدأ التخطيط له بعد هزيمة الصليبيين وطردهم من ديار الإسلام بعد أن عاثوا فيها نحو مئتي عام، فقد أدرك الغرب من خلال حروبه الصليبية أن المسلمين يتفوقون عليهم فكرياً وحضارياً واقتصادياً، وكان النصر العسكري الذي أحرزه المسلمون في هذه الحروب تتراءى صورته في مخيلة الأوروبيين ولا سيما الحكام القادة فتنزعج خواطرهم وتبعث في نفوسهم روح التوجس والخوف من أن تفاجئهم الجيوش الإسلامية وتغزوهم في عقر دارهم، وأذكى هذا الشعور بالمعاداة والقلق موقف الكنيسة من حركة الفتوحات الإسلامية.

وإذا كانت أوروبا قد خططت لانحسار المد الإسلامي في شبه جزيرة أسبانيا فقد أزعجها المد الإسلامي الجديد في شرق أوروبا وبخاصة بعد أن فتح الأتراك مناطق البلقان وحاصروا فيينا.

لذلك أخذت أوروبا توجه اهتمامها لمقاومة الإسلام واحتلال دياره، وكان الاستشراق والتبشير من أمضى أسلحة الاستعمار الغربي للعالم الإسلامي، لقد مهدا لهذا الاستعمار وكانا عوناً له في رسم سياسته وقاما إلى جانب هذا بتشويه الإسلام عن طريق الطعن في مبادئه وتعاليمه، وتشويه المسلمين بتصويرهم على نحو ينفّر منهم ويسيء إليهم، كما حاولا وبخاصة التبشير تنصير المسلمين.(٣٦)

وساعدت الظروف التي مر بها العالم الإسلامي، وقضت عليه بالتخلف والضعف أوروبا على أن تبسط سلطانها على هذا العالم، وتقاسم الغربيون بلاد المسلمين، ولم يدعوا قطراً دون احتلاله أو الهيمنة عليه.

وأخذ الاستعمار بعد أن أحكم قبضته العسكرية على الشعوب الإسلامية يطبق سياسة خبيثة حاقدة تريد للوجود الإسلامي أن يتوارى أو على الأقل تذهب أصالته وهيبته ويصبح تابعاً للوجود النصراني.

إن المسلمين في الهند كانت لهم القيادة فلما احتل الإنكليز هذا القطر عملوا على إقصاء المسلمين عن مراكز القوة وساعدوا الهندوس على أن تكون لهم الكلمة العليا، ولم يكتفوا بذلك بل نهبوا أموال الأوقاف التي كانت مخصصة للمدارس وتعليم أبناء المسلمين وأبعدوا العلماء المسلمين عن مراكز النشاط العلمي، لإضعاف هذه المراكز من جهة، ولإخضاع هؤلاء العلماء لسياسة المحتل الرامية لإضعاف المسلمين والسيطرة عليهم من جهة أخرى.

وعلى الرغم مما بذله الاستعمار الإنكليزي من جهود للنيل من الإسلام والمسلمين ظلت جذوة الإسلام مشتعلة وظل تماسك المسلمين قوياً، وذلك بفضل الأموال الموقوفة التي سلمت من الاغتصاب والسرقة، فهذه الأموال أتاحت لرجال التعليم في المعاهد الإسلامية فرصة الاستمرار في أداء رسالتها التربوية والحفاظ على الهوية الإسلامية، وبقاء الإسلام في الهند، وإن مكث الاستعمار به قروناً عدة، سعى فيها بمختلف الوسائل للقضاء على الإسلام والمسلمين.

وكانت الكنيسة في ظل الاحتلال الغربي للعالم الإسلامي قد نشطت لتنصير المسلمين، وجندت لذلك آلاف المبشرين ووضعت تحت أيديهم كل ما ييسر لهم القيام بمهمتهم.



• استخدمت أموال الوقف لدعم المجاهدين

ولكن الوقف حال بين هؤلاء المبشرين وتنصير المسلمين، لأنه كان المورد لكل الزوايا والتكايا والمدارس والمساجد التي لم تخل مدينة أو قرية منها في العالم الإسلامي، وقد تخرج فيها عشرات الآلاف من العلماء والدارسين، وكان هؤلاء قوة فكرية إسلامية تصدّت لمحاولات الاستعمار والكنيسة، وحفظت على الأمة عقيدتها وهويتها، وإن تركت هذه المحاولات بعض الآثار السيئة في مفاهيم كثير من المسلمين ولا سيما هؤلاء الذين تربوا وفق النظام التعليمي الذي وضع أسسه الفكر الغربي.

وكانت فرنسا في المغرب العربي تخطط لجعل هذا المغرب قطعة منها لغة وعادات وأسلوب حياة، وإن حجبت عنه العلوم النافعة، ليظل خاضعاً لها، وكادت تنجح فيما خططت له، غير أن أموال الأوقاف التي سلمت من الاستيلاء عليها قد غذت الكتاتيب في البوادي والقرى، وحوّلت المساجد والخيام إلى مدارس لتعليم لغة القرآن وعلوم الدين، وأنشأت أجيالاً فقهت مسؤوليتها نحو دينها ووطنها فتمردت على سياسة التغريب والتنصير، وأعلنت الجهاد المقدس، وبذلت ما بذلت من الأموال والأنفس حتى طردت فرنسا من المغرب، وإن ظل للتخطيط الاستعماري الفرنسي بصماته التي أورثت المسلمين في المغرب ألواناً من الصراع حول تطبيق الشريعة والالتزام بكل أحكامها، وستعلو كلمة الحق في النهاية مهما يكن للباطل من صولة وجولة (بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون)(٣٧).

ولما ألغى أتاتورك الخلافة وسعى جاهداً لتجريد تركيا من صبغتها الإسلامية، واضطهد العلماء، ومكّن للعلمانية في دولة كانت تمثّل بالنسبة للأمة مركز القيادة وجمع الكلمة، لما فعل هذا ظن البعض أن الإسلام في تركيا قد اضمحل تأثيره، ولكن هذا الظن لم يكن صحيحاً، ويرجع ذلك إلى أن الوقف وما كان أكثره في تركيا ولا يزال - قد أدى دوره في إبقاء جذوة الإسلام متقدة في النفوس، حية في المشاعر، لأن أمواله التي حافظت على المعالم الأثرية والخانات والزوايا والكتاتيب والمساجد حمت الأجيال الناشئة من أن تذوب في تيار العلمانية الذي تراجع أخيراً، وإن كان له أعوانه وسدنته الذين بأيديهم السلاح والقوة المادية، ولكن هذا السلاح سيفل أمام سلاح الإيمان واليقين (فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض)(٣٨).

إن الوقف في تركيا الآن يصدر مجلة شهرية باللغة التركية عن الوقف كما يصدر موسوعة إسلامية، وقد صدر من هذه الموسوعة اثنا عشر مجلداً، بالإضافة إلى ما ينفق من أموال الوقف على الفقراء وكثير من المدارس القرآنية المنتشرة في كل أنحاء تركيا.(٣٩)

وفي مصر، كانت لبريطانيا سياسة لا تختلف من حيث الغاية عن سياسة فرنسا في الغرب وإن اختلفت الوسائل أحياناً.

لقد حاول الإنكليز إضعاف اللغة العربية، وتشجيع اللغة العامية، كما فرضوا القوانين الوضعية، ونهبوا معظم أموال الأوقاف، وما تركوه منها أهمل حتى أصبح ريعه تافهاً وقاوم هذه السياسة علماء الدين وزعماء الإصلاح، وكان للأزهر بفضل موارد الأوقاف الخاصة به دوره في التصدي لتلك السياسة، لقد كان كالصخرة التي تكسرت عليها كل أمواج التغريب، لقد خرَّج أجيالاً من الدارسين لعلوم الدين، ولغة الكتاب العزيز، وهؤلاء - ومنهم كثير من الكتَّاب والأدباء والعلماء - مثَّلوا جبهة مضادة لإبعاد الإسلام وأحكامه عن قيادة الأمة، وإن ظل الصراع قائماً بين دعاة تطبيق الشريعة، ودعاة العلمانية كما هو شأن في كل البلاد الإسلامية بوجه عام.

وكانت سياسة بريطانيا في فلسطين تقوم على تخطيط مدارس لطرد الشعب الفلسطيني من وطنه، وإحلال العصابات الصهيونية محله، بحجة الوعد الكاذب، والأوهام الدينية التي لا أساس لها، ووقف الفلسطينيون يعارضون هذه السياسة، وقامت ثورات عدة، ضد الاحتلال الإنكليزي والصهيوني، على الرغم من الأساليب البشعة واللاإنسانية التي اتبعت في الاستيطان.(٤٠)

وقد أعان على موقف الفلسطينيين ونضالهم المشروع أموال الوقف، وبخاصة ما كان منها للمؤسسات التعليمية التي خرجت الأئمة والعلماء والمدرسين، وحمت المجتمع الفلسطيني من سياسة الإرهاب النفسي والجسدي التي كانت تهدف إلى زعزعة القيم الإسلامية في النفوس حتى يسهل قيادها، وفرض ما يشاء المستعمر من مفاهيم وقوانين.



• أموال الوقف ساهمت في صد العدوان ودحر الغزاة

وخلاصة القول

إن الوقف كان له دور بارز في تنمية العمل في مجال الدعوة الإسلامية، لقد هيأ للدعاة والمجاهدين السبيل لنشر دين الله، وتبصير الناس بأحكامه، كما هيأ لهم أسباب الجهاد المسلح ضد الطامعين والحاقدين والمتربصين، وكان له دور في حماية المهتدين والذين ارتضوا الإسلام ديناً.

وفي عصر الهجمة الاستعمارية أدى رسالته في مقاومة سياسة الغزو الفكري والتبشير التنصيري، ومن ثمَّ كان له أثره الواضح في الحفاظ على الأصالة الإسلامية، بكل خصائصها وسماتها. ■

الهوامش:

٣٠ - انظر من روائع حضارتنا ص ١٢٦.

٣١ - نقلاً عن الوقف وأثره التنموي ص ١٢٣.

٣٢ - انظر من روائع حضارتنا ص ١٢٦.

٣٣ - كلمة تركية تطلق على عملة تركية صغيرة القيمة «وانظر معجم الاقتصاد الإسلامي للدكتور أحمد الشرباصي».

٣٤ - انظر أثر الأوقاف العثمانية في اهتداء غير المسلمين للأستاذ عثمان جنين، مجلة الخيرية العدد ٧٤ محرم سنة ١٤١٧هـ ص٢٦.

٣٥ - انظر المرجع السابق.

٣٦ - انظر التبشير والاستشراق للمستشار محمد عزت الطهطاوي، ط. مجمع البحوث الإسلامية، القاهرة.

٣٧ - الآية: ١٨ في سورة الأنبياء.

٣٨ - الآية: ١٧ في سورة الرعد.

٣٩ - انظر مجلة الوعي الإسلامي العدد ٣٧٤، شوال ١٤١٧هـ ص ٦٠ - ٦٤، وقد أتيح لي أن أزور مدينة استانبول في صيف ١٩٩٦م، فرأيت مساجدها الكثيرة يؤمها الشباب والأطفال فضلاً عن الشيوخ، مما يبشر بخير، وأن تركيا لن تكون إلا دولة إسلامية وإن كره المبطلون.

٤٠ - انظر الوقف ودوره التنموي للدكتور علي جمعة ص ١٢٥.

بقلم : أ. د. نعمان السامرائي

الفكر ضرورة أم ترف ؟

لو أراد شخص أن يعرّف «الفكر» لأمكنه أن يقول إنه إعمال العقل في معلوم بهدف الوصول إلى مجهول، والسؤال: «هل الفكر هو العقل، أم العلم، أم الثقافة، أم هو الأحكام والمبادئ؟أم هو ذلك كله؟»

بداية هناك عالم، وهناك مفكّر.

هناك من يتبحر في فن من فنون المعرفة، لكنه لا يكون مفكّراً، وفي الوقت ذاته قد يوجد مفكّر لكنه ليس بعالم، فهل أستطيع القول إن العلم هو معرفة الجزئيات، والفكر ميدانه الكليات؟

إن من يحصر همه واشتغاله بالجزئيات، فسيكون بعيداً - إلى حد كبير - عن الكليات.

والمثل القريب الذي يحضرني الفقيه والأصولي، فرجل الفقه يجمع جزئيات كثيرة، ورجل الأصول يحيط بقواعد وضوابط كثيرة.

حين شعر الخليفة المأمون بدنو أجله، عهد بالخلافة إلى أخيه المعتصم من بعده، وليس إلى ولده إسحاق، لم يكن المعتصم ممن تعلم وتثقف كالمأمون، لذا أحاط نفسه بجماعة من العلماء ورجال السياسة يستشيرهم، وكان على رأس هؤلاء «ابن أبي الربيع» الذي كتب للمعتصم كتاب «سلوك المالك في تدبير الممالك»(١)، وكان الشخص الثاني... إسحاق إبراهيم المصعبي، وقد اختلى به المعتصم يوماً فسأله: لماذا نجح المأمون في تعامله مع أعوانه، بينما فشلت في ذلك؟، خاف المصعبي أن يغضب المعتصم إن هو صارحه بالجواب، ولذا فقد طلب أن يعفيه من ذلك. لكن المعتصم بقي متمسكاً بطلب الحصول على جواب صريح، هنا قال المصعبي: هل أجيب وأنا آمن من غضبك؟ فرد المعتصم بالإيجاب.

قال المصعبي: لقد نظر أخوك إلى أصول فاستعملها فأنجبت، واستعمل أمير المؤمنين «فروعاً» فلم تنجب شيئاً، إذ لا أصول لها.

قال المعتصم: ويلك يا إسحاق، والله إن ما أعانيه أيسر عليّ من جوابك هذا؟!

صراحة لكنها موجعة، وهذا ما يطلب من كل مستشار. إن المستشار المصعبي يقرر أمراً مهماً لقد وضع المأمون أصولاً عامة لسياسته، فأثمرت نجاحاً، وتبنى المعتصم فروعاً من سياسته فلم تنتج شيئاً.

هذه المشورة عمرها اليوم أكثر من ألف عام، ومع ذلك مازالت سليمة جيدة، فإذا انتهت بحثت عن كلية راقية، فإذا انتهت بحثت عن وظيفة جيدة، فإذا تحققت تطلعت «لفيلا» واسعة وهكذا...

الأفكار هي «الضابط» الذي يسيّر المجتمع، وفي الوقت ذاته «المانع» من تراكم الأخطاء والصدأ، والغرب اليوم بفضل دراساته، يتخطى المصاعب، ويتجاوز العقبات، بينما يراوح غيره في مكانه، وقد يعاني من مشاكل أصغر وأقل.

الغرب يعاني من فائض زراعي وصناعي، وتخمة في رأس المال، وفي العالم الثالث دول تملك الأراضي التي تقترب مساحتها من مساحة أوروبا كلها، ولديها الأنهار واليد العاملة الرخيصة، وغير ذلك من الموارد، ومع ذلك تستجدي لقمة العيش.

في العالم الثالث تتراكم المشاكل لتلد مشاكل جديدة، ولا تجد حلاً.

بعض قضايا «معلقة» منذ أكثر من قرن، ولم تجد الحل المناسب.

والسؤال: لماذا نجح الألمان واليابانيون وغيرهم، بينما تراوح مشروعاتنا في مكانها.

وأخيراً: هل الفكر ضرورة حياتية، أم ترف ثرثرة؟

قبل الختام أود أن أقول إنه قد يعيش شعب خارج فضاء الحضارة، لكنه لا يوجد شعب ليس له فكر أو ثقافة هذه قضية... والقضية الأخرى أن الفكر أو الثقافة لا يولد بحسب رغبة فرد،

ولا بقرار سياسي من فوق، وبالمثل فإن أحداً لا ينزع ثقافته كما يخلع ملابسه أو يستبدل جنسيته أو دينه.

إن قيام ثقافة حية يتطلب عوامل متداخلة متشابكة تاريخية واجتماعية وسياسية وغيرها، ولابد ـ مع تلك العوامل ـ من ظروف مواتية، لذلك لم يعرف العالم، عبر تاريخه إلا ثقافات كبرى محدودة، والقليل منها من استطاع أن يطور وينحني في منظومته الروحية والعقلية والأخلاقية، ليدفع بثقافته إلى مستوى العالم.

ومثل هذا الكلام ينطبق على الدين، فكل دين يتطلع للعالمية يجب أن يجمع بين التشريع والعقيدة، والانفتاح على العالم، بحيث يُقبل كل من تحقيق بصمته وسلامته، فإن كان الدين عقيدة بلا شريعة مثل النصرانية أو كان موجهاً لشعب بعينه كاليهودية، فتحويله إلى دين عالمي سيكون في الشكل دون المضمون، وهكذا فالمطلوب من الثقافة كي تكون عالمية أن تكون عالمية الانفتاح على العالم أولاً والاعتراف بالثقافات الأخرى، والكف عن خنقها وتدميرها ثانياً.

وأعود للسؤال: هل الفكر والثقافة ضرورة من ضرورات الحياة، أم ترف، أم مجرد ثرثرة؟

في مجتمعنا اليوم تياران تجاه الفكر وجدواه:

الأول: تيار زاهد في الفكر، يعتقد أنه ترف، أو «ثرثرة صالونات» لا تقدم خيراً ولا تدفع شراً، وفي أحسن الأحوال تمنح صاحبها لقب «مفكر».

الثاني: تيار يعتقد أن الإصلاح يبتدئ بالأفكار، لينتهي بحل المشاكل والعقد.

عالم اليوم يموج بدراسات، في كل حقول المعرفة والصناعة، ينفق عليها الملايين، لتأتي بحلول سليمة لمشاكل شتى ويحضرني واقعة، فيوم أرسل الروس صاروخاً إلى الفضاء اهتزت الولايات المتحدة، وقامت ولم تقعد، لهذا الحدث الاستباقي وجاء القرار فوراً، يجب أولاً إعادة النظر في المناهج الدراسية، ابتداء برياض الأطفال وانتهاء بالدراسات العليا، ثم فتح البلاد لكل عالم يريد أو يرغب بالهجرة لأميركا، كل ذلك لتلافي سبق واحد ولم يمر سوى بضعة أعوام حتى أرسلت الولايات المتحدة أول مركبة فضائية، وهنا هدأت نفوس الأميركان، وعم السرور بينهم.

قضية أخرى، لقد أهلكت الحرب العالمية الثانية ملايين من البشر، ودمرت مدناً بأكملها، وتوج هذا الخراب بضرب هورشيما ونغازاكي، بقنابل نووية ولم تكن تعرفها البشرية من قبل، مما أفزع البشرية، وجعل اليابان تستسلم دون قيد أو شرط.

ومع كل ذلك فلم تمض سنوات قليلة حتى وقعت أكبر مفارقة في دنيا الحضارة، إذ تقدم المغلوب وسبق غالبه، وتقدم المهزوم وتخطى المنتصر.

والسؤال: ماذا بقي لليابان وألمانيا بعد هذه الحرب الكونية الطاحنة؟

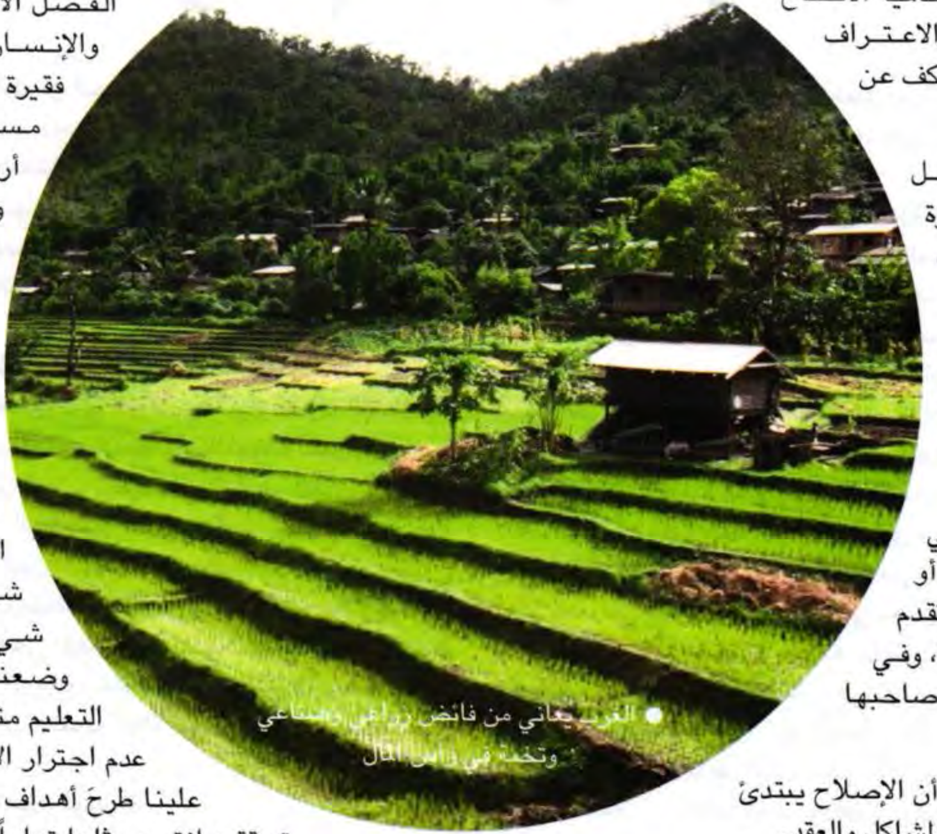
إن عالم «الأشياء» دمر تدميراً كاملاً، وما سلم وبقي منه، سرقه المنتصرون ونهبوه، وفرضت على ألمانيا غرامات باهظة، ووضعت قيود على سياسة اليابان، وحتى على تعليمه وتسليحه.

فكيف نهض الشعبان؟ وبفضل ماذا؟

الفضل للأفكار

الفضل الأكبر للأفكار الجيدة، والإنسان الجاد، إن اليابان فقيرة الموارد، مساحتها بقدر مساحة العراق، وثلاثة أرباع أرضها جبلية، وعدد سكانها اليوم أكثر من (١٢٥) مليوناً من البشر، وسكان العاصمة «طوكيو» أكثر من سكان العراق.

إن مهمة الفكر إحداث تغيير نحو الأفضل، ومتى تحقق شيء، يجب التحول إلى شيء جديد، وهكذا فإذا وضعنا سياسة للتوسع في التعليم مثلاً، وحصل ذلك فعلينا عدم اجترار الأهداف القديمة بل يجب علينا طرحَ أهداف جديدة، فكل فكرة متى تحققت انتهت مثلها تماماً تطلعات الإنسان، وأنا أطمع بمدرسة مثل اليابانيين والألمانيين.



● الغرب يعاني من فائض زراعي وصناعي وتخمة في رأس المال

وختاماً أراني أردد مع «فرانك أنلو»(*) مقولته: «راقب أفكارك فإنها تتحول إلى كلمات، راقب كلماتك، فإنها تصبح أفعالاً، راقب أفعالك فإنها تتحول إلى عادات، راقب عاداتك فإنها تصبح طباعاً، راقب طباعك فإنها ظلال مصيرك...». ■

الهوامش:

١- وقد قام الدكتور «حامد ربيع» بتحقيقه وقدمه للحصول على شهادة الدكتوراه في العلوم السياسية، في جامعة السوربون.

*- كذا في الأصل.

بقلم : غازي التوبة

من أين ننطلق في تغيير الواقع المحيط بنا ؟

ليس من شك أن الجماعات والحركات التي استهدفت تغيير واقع المسلمين في العصر الحديث كثيرة، ولكنها اختلفت في النقطة التي يجب أن تكون بداية التغيير، وقد تعثر الكثير منها، وبالعكس جرَّ ويلات على الأمة في بعض الأحيان، ونحن سنستعرض بعضاً من هذه الحركات وسندرس النقطة التي انطلقت منها:

١ ـ حزب التحرير:

بدأ حزب التحرير نشاطه قبل نصف قرن تقريباً، وكانت النقطة التي انطلق منها هي أن الضعف الفكري هو سبب انهيار الدولة الإسلامية، وأن الفكر طريق إعادة الدولة الإسلامية، وأن النهضة تكون بالارتفاع الفكري، لذلك كانت مراحل الحزب مبنية على التثقيف الفكري. نحن لا ننكر أن الفكر الإسلامي الصحيح جزء من كيان المسلم، ليس هذا فحسب، بل جزء مهم لكنه ليس المسلم كله، فهناك القلب والنفس والروح وهي بحاجة إلى معالجة، وعندما بدأ الرسول ﷺ دعوته عالج الأفكار الخاطئة التي كانت سائدة في المجتمع الجاهلي لكنه عالج ـ في الوقت نفسه ـ القلوب والنفوس والأرواح وخلّصها من أمراضها وبناها البناء الصحيح وهو ما أغفله حزب التحريرإغفالاً تاماً مما جعل عمله الدعوي قاصراً ومتعثراً.(١)

٢ ـ جماعة المسلمين «التكفير والهجرة»:

أنشأ شكري مصطفى «جماعة المسلمين» في مطلع السبعينات وكانت الهجرة إحدى النقاط الرئيسية العملية التي أقام جماعته عليها، وأراد من فكرة الهجرة الانتقال إلى مكان آمن من أجل ترتيب صفوف جماعته وبنائها البناء السليم حتى تستطيع أن تواجه الكفر بعد ذلك وتنتصر عليه.

ولا شك أن الهجرة جزء من حركة النبي ﷺ في مكة والمدينة، فقد أمر الرسول ﷺ المسلمين بالهجرة إلى الحبشة مرتين هرباً من أذى مشركي مكة، كما ألزم المسلمين بالهجرة إلى المدينة في بداية إقامة الدولة الإسلامية، وقد وردت آيات وأحاديث عدة عن فضل الهجرة وأجر المهاجرين.

لكن الأمر الأساسي الذي يجب أن ننتبه له هو أن الهجرة جاءت في سيرة الرسول ﷺ حلاً في بعض مراحل الدعوة لبعض أحوال المسلمين، وكانت سبقتها عشرات الأحكام والتصرفات والأعمال، لذلك عندما نأتي ونبرز حكم الهجرة ونجعله منطلقاً لعمل حركي نكون قد غالينا وضخمنا حكماً شرعياً هو جزء من أحكام عدة، وهو مرتبط بأشياء قبله وليس هو البداية.

٣ ـ انطلقت بعض الجماعات من مقولة «دار الحرب ودار الإسلام»، فاعتبرت أن بلادنا بعد سقوط الخلافة العثمانية أصبحت دار حرب، وأنزلت عليها كل الأحكام الفقهية المتعلقة بدار الحرب، ونسيت هذه الجماعات أن مقولة «دار الحرب ودار الإسلام»، إنما هو حكم فقهي مستجد لمعالجة أوضاع جديدة عاشها المسلمون قبل قرون عدة لا يمكن تعميمه على كل الأماكن، وكل الأزمان، وإن اعتبار ديارنا دار حرب حكم خاطئ لأن تحديد دار الحرب مرهون بوجود دار الإسلام، والمطلوب إيجاد دار الإسلام أولاً لتتحدد دار الحرب ثانياً.

٤ ـ انطلقت بعض الجماعات من دعوى انتشار الجهل بين المسلمين وضرورة تعميم العلم الشرعي. ليس من شك بأن الإسلام حض على العلم الشرعي واعتبره فرض عين في بعض الحالات وفرض كفاية في حالات أخرى، وأجزل مثوبة طالبه، وأعلى شأن العلماء، وحض على توقيرهم، وقد كان للعلماء دور بارز في قيادة المسلمين والتأثير فيهم على مدار التاريخ الإسلامي، ولا شك أيضاً أنه كلما ازداد العلم في المسلمين ازداد الخير فيهم وابتعد الشر عنهم، لكن العلم وحده لا يكفي لإصلاح أمور المسلمين، فسيبقى هناك جاهلون، ويدل على ذلك سيرة الرسول ﷺ ، فقد كان الرسول ﷺ خير معلم لصحابته، وكان الصحابة خير متعلمين، ومع ذلك فلم يكن الصحابة جميعهم في مستوى واحد في كل العلوم، بل أحسن بعضهم علم الفرائض، وأحسن بعضهم علم الحلال والحرام، وأحسن بعضهم قراءة كتاب الله تعالى، وأحسن بعضهم القضاء، كما جاء في حديث رسول الله ﷺ : عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: «أرحم أمتي بأمتي أبو بكر وأشدهم في دين الله عمر وأصدقهم حياء عثمان وأقضاهم علي بن أبي طالب وأقرؤهم لكتاب الله أبيّ بن كعب وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل وأفرضهم زيد بن ثابت، ألا وإن لكل أمة أميناً وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح»(٢).

ومع وجود أولئك الأعلام من الصاحبة رضي الله عنهم جهل بعض الصحابة بعض المسائل، وإذا عرفنا أن هذا حال الصحابة فمن باب أولى أن يكون حال غيرهم أدنى من حالهم.

٥ ـ انطلقت بعض الحركات من تقسيم الدعوة إلى مرحلتين: مكية ومدنية، واعتبرت أننا في مرحلة مكية الآن بعد سقوط الخلافة العام ١٩٢٤م، واعتبرت ـ كذلك ـ أن علينا تطبيق الأحكام التي نزلت في المرحلة المكية وأبرزها بناء العقيدة، وأننا في حلٍّ من تطبيق الأحكام التي أنزلت في المرحلة المدنية. ليس من شك أن مثل هذا التقسيم ينطلق من فهم خاطئ للمكي والمدني، فالمكي والمدني هو أحد علوم القرآن الذي يقسّم الآيات والسور بحسب نزولها من أجل فهمها وتحديد صفاتها والاستفادة من ذلك في تفسير القرآن الكريم، ويتأكد الخطأ عندما نعلم أن مرحلة مكة لم تتنزل فيها أحكام العقيدة فحسب، بل نزلت فيها أحكام شرعية أخرى كانت أصولاً لكل الأحكام الشرعية التي نزلت في المدينة، فالمرحلتان متكاملتان، ولو أخذنا مثالاً على ذلك الزكاة والجهاد وهم تشريعان مدنيان لا جدال في ذلك، ولكن أصولهما كانت في مكة، الأول في تشريع الأمر بالصدقة والثاني في تشريع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقد فصّل ذلك الشاطبي رحمه الله في كتاب «الموافقات»(٣).

وبالمقابل لم يتوقف البناء العقائدي في المرحلة المدنية فالآيات التي تتحدث عن صفات الله ورحمته وعلمه وحكمته أكثر من أن تحصى، والآيات التي تخوّف من عقاب الله ومن ناره كثيرة، والآيات التي تتحدث عن القرآن الكريم وتتحدى المشركين به وتثبت نبوة محمد ﷺ متعددة، لقد اختلفت صفات الآيات المكية عن صفات الآيات المدنية، لكن المرحلتين: المكية والمدنية متداخلتان ولا نستطيع أن نفصل بين أحكامهما، وبالعكس نجد معظم الأحكام التشريعية بدأت في مكة وتبلورت في المدينة.

٦ ـ جماعة التبليغ:

اعتبرت جماعة التبليغ الخروج سبيلاً لإصلاح النفس، لا أريد أن أناقش مصدر فكرة الخروج عند جماعة التبليغ ومدى شرعيته ومدى صحة اعتباره سبيلاً لإصلاح النفس فقد فعل ذلك غيري وفي ذلك الغُنية والكفاية، ولكني أشير إلى فكرة دعوة الآخرين وهي فكرة زكاها القرآن بقوله تعالى: (ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين) فصلت:٣٣، وقد كان الرسول ﷺ خير داعية، وكذلك كان صحابته خير دعاة، ولكن الرسول ﷺ انتقل بدعوته من مرحلة إلى أخرى، وانتقل بصحابته المدعويين من وضع إلى آخر في حين أن جماعة التبليغ تبقى في حدود الدعوة دون أن تستفيد من رصيدها التراكمي ودون أن تنتقل إلى مراحل أخرى.

والآن بعد أن فندنا بعض البدايات لبعض الجماعات الإسلامية، نتساءل: ما البداية الصحيحة؟

الانطلاق من مفهوم الأمة الإسلامية، وذلك أن الرسول ﷺ بنى هذه الأمة، وكذلك خير الأمم لقوله تعالى: (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله) آل عمران:١١٠، وكانت أعدل الأمم لقوله تعالى: (وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً) البقرة:١٤٣، وقد تكونت من أجناس وأعراق وشعوب وقبائل متعددة، وأنشأت ثقافة واحدة مستمدة من القرآن الكريم والسنة المشرّفة، ونشرت الإسلام في الأرض، وحافظت على القيم والمثل الإسلامية، وحمت البلاد الإسلامية من المعتدين: الصليبيين والمغول وغيرهم، ونشرت مختلف العلوم الدينية والدنيوية، وعمّرت الأرض بمختلف أنواع العمران.

لا شك أن الأمة تعرضت لأمراض متعددة أفقدتها جانباً من قوتها وحيويتها، ومرّت بمراحل مختلفة من الضعف والقوة، وهددها أعداء مختلفون، لكن الأمة الإسلامية استمرت موجودة من كل الظروف السابقة إلى مطلع القرن العشرين بكل عناصر وجودها: وحدة القيادة، وحدة الثقافة، ووحدة المرجعية المستمدة من القرآن والسنة، ووحدة العادات والتقاليد، ووحدة القيم، ووحدة الآمال والتطلعات، ووحدة التاريخ المشترك، ووحدة اللغة إلخ... وعندما ألغى كمال أتاتورك الخلافة في العام ١٩٢٤م خسرت الأمة قيادتها السياسية فقط، لكن بقيت الأمة موجودة بكل عناصرها الأخرى ومما يؤكد ذلك أن كل حركات التحرير التي تصدّت للاستعمار ومحاولات التغريب استفادت من جماهير الأمة الإسلامية في مواجهة الأعداء في كلٍّ من سورية وفلسطين والعراق ومصر وليبيا والجزائر وتونس والمغرب إلخ.

لقد غفلت كثير من الجماعات والحركات الإسلامية عن هذا الوجود الجماعي للأمة الإسلامية أو قل بصورة أدق لم تجعله بداية الانطلاق لها، لذلك تعثرت ولم تحقق أهدافها المرجوة، والسؤال الذي يرد في هذا المجال هو: ما فوائد أن نبدأ التغيير من الأمة؟ هناك فوائد عدة:

١ ـ عندما نبدأ التغيير من الأمة نكون بدأنا من واقع موضوعي محسوس هو الذي يحدد الأمور الشرعية المطلوبة لمواجهة هذا الواقع، ولا تكون أهواؤنا ولا أوهامنا هي المنطلق لتحديد المطلوب.

٢ ـ عندما نبدأ التغيير من الأمة نكون انطلقنا من رصيد جماعي ضخم فاعل موجود وليس من الصفر كما يحدث عندما نبدأ من نقطة أخرى.

٣ ـ عندما نبدأ التغير من الأمة يسهل تقويم النجاح والفشل، فمقياس النجاح هو زيادة فاعلية الأمة، وتعميق جذورها، زيادة حيويتها، والفشل هو نقيض ذلك، ويبقى الأمر الذي يجب أن تحرص عليه كل حركة هو ألا تستهلك من رصيد الأمة الذي ورثناه جميعاً، ولكن نجد بكل أسف أن فشل كثير من الحركات لا ينعكس عليها وحدها، بل ينعكس على مجموع الأمة وذلك منتهى الخسارة.

٤ ـ عندما يبدأ التغيير من الأمة فذلك يربط الجماعة المغيّرة بالأمة، ويحتضن كل منهما الآخر، وهذا ما يجعلنا نفسّر كثيراً من الأفعال العنيفة من بعض الحركات الإسلامية بأنه ناتج عن فقدان الارتباط بالأمة وبإحساس الانتماء إليها.

بعد أن عرفنا فوائد البداية من الأمة في عملية التغيير فما الخطوات المطلوبة قبل البدء بعملية التغيير؟ المطلوب خطوتان:

الأولى: توصيف دقيق وكامل لواقع الأمة يحدد أمراضها، ويحلل عناصر قوتها، ويرسم معالم ثقافتها، ويصنّف أعداءها، ويوضّح أهم العقبات التي تواجه مسيرتها، ويستجلي آفاق استعداد قوتها وحيويتها إلخ.

الثانية: تتم المزاوجة بين النظر الشرعي وبين التوصيف السابق لتحديد أوليات العلاج، وخطوات الحركة، ومراحل البناء، وقد تقتضي المزاوجة تلك أن تبدأ بنشر علم العقيدة أو بنشر السنة ومحاربة البدعة، أو بتدعيم وحدة الأمة وزيادة وعيها بأخطار الفرقة والتمزق، أو بتعميق بعض عناصر ثقافتها، أو بتوجيهها إلى خطر خارجي ماحق، أو بحضّها على المحافظة على ثروتها إلخ. ■

الهوامش:

١ ـ انظر تفصيلاً لمناقشة هذه الفكرة وغيرها عن حزب التحرير في كتابي «الفكر الإسلامي المعاصر، دراسة وتقويم» الصفحات (١٧٩ ـ ١٩٥)، الطبعة الثالثة.

٢ ـ الشيخ ناصر الدين الألباني، صحيح ابن ماجه، رقم الحديث ١٥٤.

٣ ـ انظر تفصيلاً لهذا الرأي في «الموافقات» للشاطبي، مجلد٢ ج٣، ص٣٣، وما بعدها.

فكـر

بقلم : عطية فتحي الويشي

حوار الحضارات

ثمة قيمة إنسانية ومثل عليا... لا يختلف عدلان حول حتمية تأصيلها في داخلة المجتمع الإنساني برمته، فالعدل والرحمة والمساواة، والبر والقسط، واحترام حق الآخرين في حياة كريمة... من السمات الطبيعية لذلك المجتمع في وضعه المقرر، وفي سياقه المنشود... ومن ثم فقضية حوار الحضارات حول تلك المعاني: ستزيل كثيراً مما يعترض مسيرة الحوار من مطبات اصطناعية موهومة... فعندما تثوب الإنسانية إلى فطرتها: فإنها لن تعدم أبداً قواسم مشتركة ونقاط التقاء وتفاهم أكثر من أن تحصى في هذا الشأن النبيل!.

ولهذا السبب : ينبغي على كل ذي بصيرة وضمير وإحساس صادق بالمال الإنساني المشترك: أن يتوسل إلى قضية التفاهم الحضاري بأيسر الوسائل وأعبد السبل... حتى ولو كانت هذه السبل وتلك الوسائل تمثل أبواباً خلفية لتلك الحضارات الموبوءة بأيديولوجيا التناقض والمفارقات... ولعل الماضين في تلك السبل: لا يعدون متجاوزين الخطوط الحمراء بحال، فتلك الخطوط قد رسمتها الأهواء السياسية العالمية، التي لا يعول عليها غير قليل من الفائدة الحقيقية في هذا السياق، حيث إنها لا تقر الحوار في مجمل أشكاله وأوضاعه وبرامجه وفلسفاته إلا من منطق فوقي غير متكافئ.. ومن ثم كان الاحتيال لكفالة مستقبل أفضل لأجيالنا الإنسانية: من المباحثات والمندوبات ولا سيما في ظروف تدرك المسار الإنساني المعاصر إلى هاوية التصادم والهلاك...! ولعل المفكر الفرنسي المسلم رجاء جارودي يعد واحداً من أشهر أولئك الذين وقفوا حياتهم وكرسوا جهدهم إسهاماً في تأمين قضية الحوار بين الحضارات من خلال صياغاته الجيدة العميقة المتجردة... والتي أكد فيها، بغير تعسف قناعته بأن الإسلام قوة حية، ليس في ماضيه وحسب، بل في كل ما يمكن أن يسهم به لخلق واقع ومستقبل إنساني مشرق بقيم الفطرة...!

ولعل مستقبل قضية الحوار الحضاري: مرهون بمدى استعداد كل حضارة لفهم، بل لهضم البعد الإنساني، واستيعاب قيم الخير والإيجابية في أدبيات الحضارات الأخرى، بتجرد وموضوعية... يستتبع ذلك تخطيط للعلاقات الحضارية، بحيث يعكس تلك القيم بصورة عملية وصادقة... إذ إن هناك وفرة من الاستفهامات التاريخية بشأن قضية الحوار، والتي مازالت تلح بطلب إجابات شافية كافية تعلق عليها الإنسانية بعامة، والأمة الإسلامية بخاصة، آمالاً عظيمة وأماني غالية في الدفع بآليات الحوار مستقبلاً نحو مسارات أكثر جدية وإيجابية وإثماراً... فهل ستعلن مؤسسة الفكر الغربي بجميع توجهاتها يوماً عن التصديق بنبوة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ، واحترام القرآن الكريم كوحي منزل من لدن رب العالمين، رب إبراهيم وموسى وعيسى ومحمد...؟!، وهل ستقر المؤسسة الغربية كذلك، عن إيمان مطلق، بمبادئ التعددية الحضارية واحترام الخصوصيات الثقافية، ومجافاة الأنانية ونبذ منطق احتكار التاريخ وتقويض الجغرافيا، بل تفتيتها وابتزازها... وغير ذلك من القضايا المعلقة التي لم تنجز بعد، ولم تتبلور بشأنها مواقف واضحة ومحددة إلى يومنا هذا؟!

ولعل إنجاز هذه القضايا وما في سياقها: موقوف على تحقق أمرين، كثيراً ما صدعت بها نداءات العقل في آفاق الفكر الغربي الرحبة: أولهما: محاربة التعصب الذي تمارسه مسيحية لا ترى في الإسلام إلا نقيضاً للمسيحية، وعائقاً يحول دون انتشار كاثوليكيتها أو رسالتها العالمية... وثانيهما: يقتضي محاربة كل تعصب إسلامي يتناسى التعاليم القرآنية... «تلك التعاليم التي ترى في المسيحية مرحلة تاريخية، وطريقة من طرائق الإيمان»(١)، فإذا كانت النزاهة في الحوار، وقبول الرأي الآخر... من أهم ما تزعم المؤسسة الغربية بجميع توجهاتها، اعتماده والارتكاز عليه في أدبيات عصرها الحديث... بيد أن هذه المزاعم لم يكن لها في آلية الحوار مع الآخر الحضاري أي ظل من حقائق أو براهين عملية وصادقة!

ونحن نعتقد أن إنطلاقة قافلة الحوار الحضاري في مسيرة جادة مأمونة ومؤيدة بالتوفيق والسداد مرهون من ناحية بمدى إمكانية التحاق المؤسسات السياسية الرسمية بركب هذه القافلة، التي لا يتزعم فعاليتها إلا مؤسسات أهلية لا تتمتع بأي من أشكال النفوذ والتأثير المرتجى في تحديد وجهة القرار السياسي على الصعيد العالمي حتى الآن... كما أن هذه الانطلاقة المأمولة مرهونة من جهة أخرى، بمدى عمق ومنهجية الأطاريح الحوارية في ضوء القيم ـ الربانية ـ الأصيلة للحضارات... لا القيم التي تفرضها عوارض وملابسات ظرفية... ولعل مضاء القافلة وفق هذا السياق المحترم الخلاّق سيكشف يوماً بعد يوم عن مزيد من قيم ووسائط وقواسم مشتركة جديدة، تعالج الفوارق، وتسبر غور فجوات النفس الحضارية التي أحدثها غول التعصب والتعالي والاستكبار. أما في ظل حوار جائر وغير متكافئ أو غير ذي مرجعية عقدية... أو بآلية فصامية اجتزائية ـ على جبهة دون جبهة، فلن يكون بحال ثمة فرص

حقيقية ذات أثر فعال ونتائج معتبرة... بل يمكن أن يمعن ذلك في تغييب القيم الموجودة أصلاً كسوانح للقاء على أرضية مشتركة، ذلك فضلاً عن أنه - كما يقول المفكر «اسكين تشلدرز» في كتابه «الإسلام والغرب - هتك الذاكرة والخصام»: «مادام الغرب يتصرف بصورة غير ديموقراطية في سياسته الخارجية تجاه الإسلام، ومادام الإسلام يشهد ذلك التستر المفضوح ضده، الشبيهة بالعنصرية من جانب الغرب (مثلما حدث في سيراليون وكوسوفا أخيراً) فإن فرص قيام حوار مفتوح بين الطرفين هي فرص مظلمة حقاً»(٢)، فهناك مع كل أسف صيغ ومشروعات حوارية تفاوضية... تطرح في صورة مشوهة ومبسترة لا تعبر عن معنى الحوار كقيمة حضارية أخلاقية... فمثلاً لا يمكننا اعتبار ما يسمى بالتفاوض بين الفلسطينيين ومؤسسة الكيان الصهيوني الغاصب، داخلاً في سياق حوار الحضارات لأي معنى من المعاني. وحتى عندما يكون ثمة فصل في أي من القضايا التي تهم المجتمع الدولي... نجد روح العصبية والتفاضل المغشوش هي السمة السائدة لهذه المنتديات، فنجد مثلاً حواراً بين الشمال والجنوب وآخر بين الدول النامية والدول المتقدمة بحيث صارت هذه المصطلحات ذات دلالات بعيدة تماماً عن روح العدل ومجافية لمنطق الصواب... مما يكرس شعوراً إنسانياً باليأس من قضية الحوار برمتها، وأنها مجرد تخدير حضاري غير كريم.

وفي سياق تتبعنا مسيرة التدرج الإنساني نحو الكمال، يصدفنا بعض الخلل الذي نال كثيراً من هذا الترقي حتى أصابه بانتكاسات كثيرة... وتأتي العلمانية كأيديولوجية ليس لها - بمقتضى الخبرة التاريخية - ما يبرر وجودها في ظل التطلع الإنساني إلى صيغ تعايشية ترتكز على القيم والتعاليم السماوية. والحقيقة كما يقول جارودي: «إنها لفرصة تاريخية للإسلام اليوم، كي يدلل على أن عقيدته وما لها من غايات... هي الجواب أو الحل لهواجس وهموم عالم أدى به نمط التنمية الغربية إلى الانحلال الاقتصادي والسياسي والخلقي... ولقد أعطى الإسلام منذ نشأته وفي أوج ازدهاره، الحلول المنشودة لانحطاط الإمبراطوريات وانحلالها...»(٣)، ونحن من جانبنا كأمة توافرت لها - بمنطق الوحي والتاريخ، الخيرية الأبدية والشهادة على العالمين... لن نتبوأ مكانتنا الحضارية تلك إلا بمراجعة أفكارنا وتوفيق أوضاعنا، وإعادة رقم هويتنا وصياغة ذاتنا الحضارية... وإلا فأحوالنا ستضحى كحال الموتى والجمادات، لا تتطور ولا تتجدد، ولئن بات محتماً علينا استجلاء مواقفنا ورؤانا وتصوراتنا إزاء التغيرات الهائلة والطوارئ المذهلة على حركة واتجاهات الإنسان المعاصر في مجالات الفكر والثقافة والتقنيات والروحانيات... فليس غير الاستشفاء من الفصام الحضاري والتوعك الفكري والتقني من سبيل إلى تحقيق ذاتنا وإبراز هويتنا الحضارية عن فخر وثقة في وقف مقعد لنا في مجلس إدارة شؤون العالم، ذلك الذي كنا في المستقبل مرجعيته الوحيدة.

وهكذا باتت قضيتنا، كعرب ومسلمين على صعيد واقعنا المعاصر، محصورة في كيفية استرداد وعينا التاريخي من منحاه الإنساني... وبصورة تكاملية... عندها ربما تمكنا من تجسيد رؤية حضارية تعكس قيمنا الإسلامية الأصيلة... قيم الحق فيها متاح لكل البشر على اختلاف توجهاتهم ومذاهبهم... قيم تمثلتها الحنيفية السمحة عقيدة وروحاً وخلقاً وسلوكاً.. من لدن إبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلوات الله عليهم أجمعين...! ولقد بات من واجبنا أيضاً نحن المسلمين: أن ندعو كل المؤسسات الحضارية المخلصة إلى الإسهام معنا في صياغة منظومة التعايش الإنساني في ظل القيم والمفاهيم والضوابط والمعايير الربانية... والتي لن يكون بحال ثمة خلاف حول كفاءتها في بلورة وتأطير مبادئ الشراكة الحضارية العادلة...! إنه حقاً حلم جميل... دون تحقيقه طريق ملبدة بالأشواك... بيد أننا نتوق أن نرى ذات يوم تلك الدول الغربية الكبرى... ولا سيما التي انتفعت واغتنت بثقافة الإسلام وعبقريته... أن تنشئ في الأماكن التي ازدهرت فيها تلك الثقافة والعقيدة والعبقرية - في قرطبة وبالرمو ومونبيلييه - مراكز لقاء وبحث وإعداد وإعلام تتناول كل ما يمكن أن يغني به الإسلام الإنسانية اليوم، وكل ما يمكن أن يقوله لها الإسلام وتقوله له»(٤)

فثمة وفرة من القضايا المحورية الخطيرة التي يجدر أن يلتفت إليها العالم بعيداً عن هواجس التحرش والاصطدام... فقضايا الاغتيالات البيئية بالإشعاع الذري والكيماويات وغيرها من ملوثات البيئة ... وهناك المخدرات والإدمان، وقضايا الرقيق الأبيض، ودعارة الأطفال وحقوق الإنسان... وهناك قضايا العنصرية والغلو الفكري والتعصب الحضاري... وهناك حملات التشويه الفكري والتنابذ الثقافي والاختراق الأخلاقي القيمي عبر الفضائيات... ظواهر بحاجة كلها إلى التعاون الدولي الصادق بشأنها، وحين تستفرغ الهمم الإنسانية والجهود، حين تلتقي، في هذا الوعاء: فلن يكون لظواهر التحاسد والطمع والضن والتحاقد والتناوش الحضاري أي معنى أو مبرر في الوجود! ولعل أشد ما يعوِّق آليات التلاقح الحضاري عن إنجاز قضاياها وإنفاذ برامجها على نحو محترم: هو التأثر بالظروف والأحوال والملابسات السياسية، وبشكل مبالغ فيه، الأمر الذي يحتم تفعيل تلك الآليات بقدر يرقى ويتعاظم إلى درجة المسؤولية الحضارية، بل يتجاوز تلك الظروف والأحوال والملابسات... وذلك لن يتجسد حقيقة إلا بالتركيز على إبراز القضايا ذات الأولية في بعدها المصيري الإنساني... وكذا استجلاء قواسم وسمات التوافق والتكامل الحضاري، حتى يتسنى التحول بآليات أخرى ذات توجهات حربية... شطر التأمل والتفاهم، والتعايش والحوار...

ولكن على صعيد آخر: هل ستتوافر التيارات الفكرية التي تزخم بها حركة الحياة العربية والإسلامية على صياغات توفيقية جيدة وناجزة لما ينشب بينها جميعاً من وساوس وسوء ظن وضغائن وأحقاد لا تحسد عليها، بل إنها لتغري بنا الأغيار... إن المرء ليقتله الخجل من توافر إمكانات الحوار بين الحضارات، في الوقت الذي لا تزال نوبات الفشل والانتكاس المضطردة تنتاب قضية الحوار بين تلك التيارات... حتى لتحول دون انسجامنا واكتمال بنيتنا وتهيؤ آلياتنا الحضارية على وضع منسق ومنهج سليم... إنه لخطب أليم!! ■

الهوامش:

١ - روجيه جارودي - ما يعد به الإسلام - ت: قصي أتاسي - د.ت - ١٩٨٣م - ص٢٦١.

٢ - نقلاً عن: سلمى عبدالجبار - الإسلام والغرب - دراسة في مجلة كلية الدعوة الإسلامية في الجماهيرية الليبية - العدد ١١ ص١٦٢.

٣ - روجيه جارودي - ما يعد به الإسلام - مرجع سابق - ص٢٥٧.

٤ - المرجع نفسه - ص٢٦٨.

بقلم: د. أحمد عبدالرحيم السايح

أضواء حول رعاية الإسلام للعقل

من أوضح سمات القرآن الكريم التي لفت نظر الباحثين والدارسين في القرآن: إشادة القرآن بالعقل، وتوجيه النظر إلى استخدامه للوصول إلى الحقيقة، وما يفيد المجتمع الإنساني، في مسيرته عبر الحياة.

وقد دعا القرآن بطريق مباشر وغير مباشر، إلى تنظيم العقل، والرجوع إليه، والعقل في اللغة العربية ضد الحمق. ويسمى العقل عقلاً: لأنه يعقل صاحبه عما لا يحسن. وهو القوة المتهيئة لقبول العلم.

ويُقال للعلم الذي يستفيده الإنسان بتلك القوة: «العقل» أيضاً.

ولذا قيل :

العقل عقلان فمطبوع ومسموع

ولا ينفع مسموع إذا لم يكن مطبوع

وإلى الأول يشير ما روي في بعض الآثار : (ما خلق الله خلقاً أكرم من العقل) وكذا: «أول ما خلق الله العقل».

وإلى الثاني يشير ما روي: «ما كسب أحد شيئاً أفضل من عقل يهديه إلى هدى أو يرده عن رديء». وهذا العقل هو المعنى بقوله تعالى: (وما يعقلها إلا العالمون) العنكبوت: ٤٣. ويحرص القرآن على تأكيد تعظيم العقل والرجوع إليه، حرصاً يلفت النظر، ويثير الاهتمام.

ويشير القرآن إلى العقل، ومعانيه المختلفة، ومشتقاته، ومترادفاته، في نحو ثلاثمئة وخمسين آية، مستخدماً لذلك كل الألفاظ التي تدل عليه، أو تشير إليه. من قريب أو بعيد. من التفكير، والقلب، والفؤاد، واللب، والنظر، والتذكر، والرشد، والحكمة، والرأي، والفقه... إلى غير ذلك من الألفاظ. التي تدور حول الوظائف العقلية. على اختلاف معانيها، وخصائصها، وظلالها. مما يعتبر إيحاءات قوية بدور العقل، وأهميته بالنسبة للإنسان. والقرآن لا يكتفي بهذا... بل يذكر العقل في مقام التعظيم. والإشارة إلى وجوب العمل به، والرجوع إليه.

والإشارة إلى العقل. لا تأتي عارضة، ولا مقتضبة. في سياق آية، بل هي تأتي في كل موضع من مواضعها. مؤكدة جازمة. باللفظ والدلالة. وتتكرر في كل معرض من معارض الأمر والنهي. التي يحض فيها الإنسان. على تحكيم عقله، أو يلام فيها الإنسان على إهمال عقله.

ولا يأتي تكرار الإشارة إلى العقل، بمعنى واحد من معانيه التي يشرحها النفسانيون. من أصحاب العلوم الحديثة. بل هي تشمل وظائف الإنسان العقلية، على اختلاف أعمالها، وخصائصها وتتعمد التفرقة بين هذه الوظائف، والخصائص. في مواطن الخطاب، ومناسباته.

فلا ينحصر خطاب العقل. في العقل الوازع، ولا في العقل المدرك، ولا في العقل الذي يُناط به التأمل الصادق، والحكم الصحيح، بل يعم الخطاب في الآيات القرآنية، كل ما يتسع له الذهن الإنساني من خاصة، أو وظيفة. فالعقل في مدلول لفظه العام: ملكة يُناط بها الوازع الخلقي، أو المنع من المحظور، والمنكر.

من خصائص العقل

١ ـ أنه ملكة الإدراك. التي يناط بها الفهم، والتصور، وهي على كونها لازمة. لإدراك الوازع الخلقي، وإدراك أسبابه، وعواقبه. تستقل أحياناً لإدراك الأمور. فيما ليس له علاقة بالأوامر، والنواهي.

٢ ـ وأنه يتأمل فيما يدركه، ويقلبه، على وجوهه، ويستخرج منه بواطنه، وأسراره، ويبني عليها نتائجه، وأحكامه.

وهذه الخصائص في جملتها. تجمعها ملكة «الحكيم»، وتتصل بها ملكة الحكمة، وهي تتصل كذلك بالعقل الوازع. إذا انتهت حكمة الحكيم به، إلى العلم بما يحسن، وما يقبح، وما ينبغي له أن يطلبه، وما ينبغي له أن يأباه.

٣ ـ ومن أعلى خصائص العقل الإنساني: الرشد. وهو مقابل لتمام التكوين، في العقل الرشيد.. ووظيفة الرشد. فوق وظيفة العقل الوازع، والعقل المدرك، والعقل الحكيم. لأنها استيفاء لجميع هذه الوظائف، وعليها مزيد من النضج، والتمام، والتمييز بميزة الرشاد. حيث لا نقص، ولا اختلاف، وقد يؤتي الحكيم. من نقص الإدراك، وقد

يؤتي العقل الوازع، من نقص في الحكمة. ولكن العقل الرشيد، ينجو به الرشاد، من هذا وذاك.

وفريضة التفكير في القرآن الكريم: تشمل العقل الإنساني، بكل ما احتواه، من هذه الوظائف، بجميع خصائصها، ووظائفها، ومدلولاتها، فهو يخاطب العقل الوازع، والعقل المدرك، والعقل الحكيم، والعقل الرشيد، ولا يذكر العقل عرضاً مقتضباً، بل يذكره مقصوداً مفصلاً.

فمن خطابه إلى العقل عامة، ومنه ما ينطوي على العقل الوازع، قوله تعالى في سورة البقرة: (إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون) البقرة:١٦٤.

ومنه ما يخاطب العقل، وينطوي على العقل الوازع، كقوله تعالى في سورة الملك: (وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير) الملك:١٠.

وهذا ما عدا الآيات التي تبتدئ بالزجر، وتنتهي إلى التذكير بالعقل، لأنه خير مرجع للهداية في ضمير الإنسان.. وهذا الخطاب المتكرر إلى العقل الوازع، يضارعه في القرآن الكريم، خطاب متكرر مثله، إلى العقل المدرك، أو العقل الذي يقوم به الفهم، والوعي، وهما أعم، وأعمق من مجرد الإدراك.

وكل خطاب إلى ذوي الألباب في القرآن فهو خطاب إلى لب هذا العقل المدرك الفاهم، لأنه معدن الإدراك، والفهم في ذهن الإنسان، كما يدل عليه اسمه في اللغة العربية مثل قوله تعالى: (والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكّر إلا أولوا الألباب) آل عمران:٧.

وقوله تعالى: (يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذكر إلا أولوا الألباب) البقرة: ٢٦٩.

وقوله تعالى: (وتزودوا فإن خير ا لزاد التقوى واتقون يا أولي الألباب) البقرة:١٩٨.

ومن هذه الآيات نتبين: أن اللب الذي يخاطبه القرآن وظيفته عقلية، تحيط بالعقل الوازع، والعقل المدرك، والعقل الذي يتلقى الحكمة، ويتعظ بالذكر.

وخطابه خطاب لأناس من العقلاء لهم نصيب من الفهم والوعي، أوفر من نصيب العقل الذي يكف صاحبه عن السوء، ولا يرتقي إلى منزلة الرسوخ في العلم.

أما العقل الذي يفكر، ويستخلص من تفكيره زبدة الرأي، والروية فالقرآن الكريم يعبر عنه بكلمات متعددة تشترك في المعنى أحياناً، وينفرد بعضها بمعناه على حسب السياق في أحيان أخرى، فهو الفكر، والنظر، والبصر، والتدبير، والاعتبار، والذكر، والعلم، وسائر هذه الملكات الذهنية التي تتفق أحياناً في المدلول، ولكنها لا تستفاد من كلمة واحدة، تغني عن سائر الكلمات.

قال الله تعالى: (الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض) آل عمران:١٩١.

وقال تعالى: (هل يستوي الأعمى والبصير أفلا تتفكرون) الأنعام:٥٠.

وقال تعالى: (قل انظروا ماذا في السموات والأرض وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون) يونس:١٠١.

وقال تعالى: (فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون) النحل:٤٣.

بهذه الآيات وما جرى مجراها، تقررت فريضة التفكير في الإسلام وتبين منها: أن العقل الذي يخاطبه الإسلام، هو العقل الذي يعصم الضمير، ويدرك الحقائق، ويميز بين الأمور، ويوازن بين الأضداد ويتبصر ويتدبر.

ولما كان العقل في الإسلام له هذه العناية الفائقة، من التقدير والسمو أحيط بقواعد منهجية دقيقة تحفظ العقل من الزيغ، وتجنبه الشطط، والمروق، وتتيح له النمو، والتفتح، والإبداع.

ومن أهم هذه القواعد :

التخصص الدقيق

والتخصص الآن هو أحدث وسائل الدراسة الجامعية، فإن آية العقل الناضج، أن يقف عند حدود ما يعلم، فلا يصدر الأحكام إلا في حدود اختصاصه، ولا يقحم نفسه في اختصاص الآخرين، فالطبيب لا يفتي في مسألة هندسية، والكيميائي لا يفتي في مشكلة فلكية، أما الذين يقحمون أنفسهم فيما يعلمون، وفيما لا يعلمون، معتمدين على المكابرة، وقوة الجدل، وشهوة التغلب، على الخصم دون النظر إلى الحقيقة، فهم بعيدون عن الصواب يقول عز وجل في شأنهم: (ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ويتبع كل شيطان مريد. كُتب عليه أنه من تولاه فإنه يضله ويهديه إلى عذاب السعير) الحج:٣-٤.

ولقد وجهنا الله جل شأنه الوجهة الخليقة بالعقلاء الباحثين، وذلك في قوله تعالى: (فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون) النحل:٤٣.

وقوله تعالى: (ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم) النساء:٨٣.

ويخاطب الله عز وجل أولئك الذين يفتون بما لا يعلمون بقوله تعالى: (ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً) الإسراء:٣٦.

التثبت والتروي

التثبت قبل الحكم والتدبر قبل العزم، والتروي قبل الجزم، بحيث لا يسبق اللسان الفكر، ولا يطغي الظن على اليقين: أمر يفرضه القرآن على العقل، لأن التعجل بالحصول على النتائج، قبل استكمال البحث، والموازنة والاستقراء كفيل بانحراف العقل وزيغه، ولهذا عاب القرآن الكريم على الإنسان أن ينساق مع العجلة، وأن ينقاد لشهوة السبق، مطالباً إياه بالتثبت، والتبين، قال تعالى: (خلق الإنسان من عجل سأوريكم آياتي فلا تستعجلون) الأنبياء:٣٧.

وقال تعالى: (ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة) الرعد:٦.

وقال تعالى: (يأيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن

تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين) الحجرات:٦.

وقد أدب الله تعالى رسوله الكريم بهذا الأدب العظيم حيث يقول جل شأنه: (لاتحرك به لسانك لتعجل به) القيامة:١٦، وحيث يقول: (ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه وقل رب زدني علماً) طه:١١٤.

المراجعة والمعاودة

إن العلماء هم الذين يراجعون أنفسهم المرة بعد المرة، فلا يصدرون الأحكام إلا بعد تمام الاستيفاء والاستيثاق، فالأطباء مثلاً يجرون التجارب على الأرانب والفئران، ثم على القردة والخنازير، وبعد أن يطمئنوا إلى تجاربهم ونسبة النجاح فيها يطبقونها على الإنسان، ويترقبون النتائج، ويسجلون الإحصاءات، حتى إذا ما اطمأنوا إلى نتائج أبحاثهم، عرضوها في المؤتمرات الطبية، ووضعوها تحت البحث والمناقشة، وأخيراً يصدرون أحكامهم في ثقة وعن يقين.

والعالم الذي يصون نفسه عن التبذل، لا يصدر أحكامه على النتيجة الأولى، ولا يبني قضاياه على غلبة الظن، أو على شهوة النجاح، وقد علمنا القرآن الكريم بألا نبني أحكامنا على الظنون، أو شهوة النجاح، أو ثورة العواطف، استجابة لأحقاد متوارثة، أو نزوات عاطفية طارئة، يقول الله عز وجل: (إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس) النجم:٢٣.

الاستمساك بالحقيقة

إذا قام الدليل القاطع، والحجة البالغة اتضحت الحقيقة، وينبغي إذن أن يؤمن الباحث بما اهتدى إليه إيماناً قاطعاً، لا يتردد فيه فلا يسلم نفسه للوسواس، ولا ينقاد للهواجس، ولا يستجيب للريب، يقول الله تعالى: (إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا) الحجرات:١٥.

وقد ضرب الرسول ﷺ أروع الأمثال، حينما تعرض للفتنة والمحنة والدسائس والمساومة، فجهر بقوله: «والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه».

وقد سار على نهجه - ﷺ - من بعده في الاستمساك بالحق، أبو بكر - رضي الله عنه - حينما ارتد بعض المسلمين ممتنعين عن أداء الزكاة، فهب هبته، وقال قولته، وقطع على المعوقين والمترددين كل سبيل، وهو يهتف بالمسلمين: «والله لو منعوني عقال بعير كانوا يؤدونه لرسول الله ﷺ لقاتلتهم عليه».

الدعوة إلى الحق والصواب

لا يكتفي القرآن بوجوب الجهر بالحق، بل يوجب الدعوة إليه، يقول الله تعالى: (ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون) آل عمران:١٠٤.

ويقول تعالى: (فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون) التوبة:١٢٢.

وقد أوصى لقمان ابنه أكرم وصية، حيث قال: (يا بني أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور) لقمان:١٧.

قال رسول الله ﷺ: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الايمان»٨

الدفاع عن الحقائق

ولا يكفي إثبات الحق، والجهر به، لأن قوى الشر متأهبة دائماً للتحدي، متحفزة للبغي، مستعدة للعدوان. ولقد نبهنا الله تعالى: أن الشيطان يتربص بنا الدوائر، ويحاول أن يصدنا عن اليقين. وإننا إذا صمدنا في الدفاع عن الحق، وبذلنا في الدفاع غاية الجهد، عصمنا الله من سلطانه، قال تعالى موجهاً خطاب التحدي للشيطان: (واستفزز من استطعت منهم بصوتك واجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم في الأموال والأولاد وعدهم وما يعدهم الشيطان إلا غروراً. إن عبادي ليس لك عليهم سلطان وكفى بربك وكيلاً) الإسراء:٦٤-٦٥.

ولقد حاول المشركون جاهدين أن يساوموا النبي صلوات الله وسلامه عليه، في إيمانه، فقالو: نعبد إلهك يوماً وتعبد آلهتنا يوما، فأنزل الله تعالى: (قل يأيها الكافرون. لا أعبد ما تعبدون. ولا أنتم عابدون ما أعبد. ولا أنا عابد ما عبدتم. ولا أنتم عابدون ما أعبد. لكم دينكم ولي دين) الكافرون.

وقال تعالى: (والذين يمسّكون بالكتاب وأقاموا الصلاة إنا لا نضيع أجر المصلحين) الأعراف:١٧٠.

وقد أمر الله تعالى رسوله العظيم بهذا الأدب الكريم فقال: (فاستمسك بالذي أوحي إليك إنك على صراط مستقيم) الزخرف:٤٣.

الجهر بالحقائق

إنها لمن أجلّ النعم وأعظمها هذه النعمة، التي استحق بها الإنسان التكريم والاستخلاف في الأرض، وما هذه النعمة إلا العقل، فإذا ما اطمأنت النفس إلى أمر من الأمور، هان هذا الأمر أو جلّ، أصبح من الواجب المجاهرة به، مهما كانت النتائج أو العواقب، يقول الله عز وجل مخاطباً رسوله الكريم: (فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين إن كفيناك المستهزئين) الحجر:٩٤، ويوجهه أكرم توجيه هاتفاً به: (يأيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس) المائدة:٦٧.

ويقول الرسول عليه الصلاة والسلام: «طوبى للسابقين إلى ظل الله الذين إذا أعطوا الحق قبلوه وإذا سئلوه بذلوه».

وبهذا قام الإسلام بوثبة كبيرة أطلق بها العقول من إسارها، ودفعها للتأمل في ملكوت السموات والأرض، وليكون الايمان مبنياً على الفهم والإقناع، لا على المكابرة والإرهاب، وقد اتخذ الإسلام في منهجية الوثبة أربع خطوات:

أولاً: محاربة الجمود والتقليد، لأن البناء على أساس عقلي متين يقتضي تنقية الرواسب والأكداس، التي خلفتها القرون الماضية، وأكسبتها طابع القداسة، فهيمنت على العقول وحجبتها عن البحث والتأمل والتفكير والتنافس في العلم.

وقد أنّب القرآن المشركين على تمسكهم بآراء السابقين من الآباء

والأجداد ولو كانوا على ضلال مبين، قال تعالى: (وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون. ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع إلا دعاء ونداء صم بكم عمي فهم لا يعقلون) البقرة:١٧٠ـ١٧١.

ثانياً: مكافحة المكابرة والعناد والمعاندون هم الذين يرون الحقائق ماثلة أمام أعينهم، ولكنهم يكابرون ويجادلون ويختلقون الأكاذيب لطمس الحقائق، وصرف العقول، وهم الذين يقول الله تعالى فيهم: (يجادلونك في الحق بعدما تبين كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون) الأنفال:٦، وإذا وضح الحق ماثلاً أمامهم لا سبيل إلى نكرانه، كابروا: (وقالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب) فصلت:٥.

فإذا أحرجتهم الحقائق الملموسة، تعنتوا في جدالهم، وطالبوا بالمستحيلات: (وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً. أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيراً) الإسرا:٩٠.

ثالثاً: التأمل والاستنباط بعد أن تتحرر العقول من أغلال التقاليد والمعتقدات الفاسدة، وبعد أن تكشف أباطيل المكابرين المتعنتين.. تستطيع أن تنطلق حرة طليقة، باحثة عن الحق، متطلعة إلى الهداية، منقبة عن الصواب.

وقد ناشدنا الإسلام: أن نتأمل في ملكوت السموات والأرض، وأن نتدبر ما أبدع الله من كائنات: (إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب) آل عمران:١٩٠.

قال تعالى: (أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت. وإلى السماء كيف رفعت. وإلى الجبال كيف نصبت. وإلى الأرض كيف سطحت) الغاشية:١٧ـ٢٠.

ولا يكتفي الإسلام بهذا، بل إنه يحفزنا أيضاً إلى التأمل الذاتي في تكويننا الجسمي والعقلي: (فلينظر الإنسان مما خلق. خلق من ماء دافق. يخرج من بين الصلب والترائب) الطارق:٥ـ٧.

وكلما لفت القرآن نظر المسلمين إلى آية من آيات الله، أهاب بالعقل أن يتدبرها: (إن في ذلك لذكرى لأولي الألباب) الزمر:٢١.

رابعاً: النتائج العقلية مؤيدة بالبراهين، وبعد أن تنشط العقول من عقالها، وتتدبر ملكوت السموات والأرض، يعينها الإسلام على الوصول إلى النتائج العلمية مؤيدة بالدليل الملموس: (لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا) الأنبياء:٢٢.

وقال تعالى: (ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذاً لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض) المؤمنون:٩١.

وهكذا نجد الحقيقة الكبرى مقررة مدعمة بالبرهان العقلي النافع، الذي لا يعتريه شك أو إبهام، ولا يكتفي القرآن في تقرير المبادئ العليا بدليل واحد، أو برهان مفرد، بل يسوق البرهان معززاً بالبرهان، حتى لا يدع للمكابرين حجة أو دليلاً.

والوسائل التي اتخذها الإسلام لوثبته تعتمد على خطوات كثيرة أهمها:

١ ـ التأمل والدراسة والتدبر في ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من كائنات.

٢ ـ البحث العلمي بالانتشار في أقطار الأرض لدراسة الجبال والأنهار والصحارى والبحار ومعرفة النبات والحيوان ووسائل الاستفادة من كل هذه الكائنات قال تعالى: (الله الذي خلق السموات والأرض وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بأمره وسخّر لكم الأنهار. وسخّر لكم الشمس والقمر دائبين وسخّر لكم الليل والنهار. وآتاكم من كل ما سألتموه) إبراهيم:٣٢ـ٣٤.

وقال تعالى: (هو الذي أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون. ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون. وسخّر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون) النحل:١٠ـ١٢.

فالله سبحانه وتعالى لم يخلق هذه الكائنات عبثاً، وإنما سخرها لنا لننتفع بها بعد دراسة أساليب هذا الانتفاع، على أن نستخدم العقل والحواس معاً في سبيل استنباط أيسر السبل وأسهل الوسائل لهذا الانتفاع.

وكثيراً ما يلفت القرآن الكريم إلى أن وسيلة العلم هي: البحث والتفكير، قال تعالى: (والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون) النحل:٧٨.

وقد يغفل الناس عن أمر فيلفتهم إليه ليستغلوه، قال تعالى: (وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس) الحديد:٢٥.

ثالثاً: الاستفادة مما تركه السابقون من معارف، وعلوم وآثار ليمحصوها ويدرسوها ثم يضيفوا إليها، ما يهديهم إليه البحث من حقائق ونظريات قال تعالى: (قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق) العنكبوت:٢٠.

وللاتعاظ بما وقع فيه السابقون من أخطاء قال تعالى: (أو لم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أشد منهم قوة) الروم:٩.

وقال تعالى: (أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها) الحج:٤٦.

وكثيراً ما يضرب الأمثلة بالأمم السابقة، قال تعالى: (ألم تر كيف فعل ربك بعاد. إرم ذات العماد. التي لم يخلق مثلها في البلاد. وثمود الذين جابوا الصخر بالواد. وفرعون ذي الأوتاد. الذين طغوا في البلاد. فأكثروا فيها الفساد. فصب عليهم ربك سوط عذاب. إن ربك لبالمرصاد) الفجر:٦ـ١٣.

وكثيراً ما يلفت القرآن الكريم النظر إلى أن الحكمة ضالة المؤمن يلتمسها أنى وجدها قال تعالى: (وفي الأرض آيات للموقنين) الذاريات:٢٠.

ثم يقرّع الغافلين عن البحث والدرس والملاحظة التجريبية، فيقول تعالى: (وكأين من آية في السموات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون) يوسف:١٠٥.

ثم يدعو إلى سؤال علماء الأمم السابقة، أو من ورثوا عنها هذه العلوم والمعرفة والتثبيت قال تعالى: (فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك فاسأل الذين يقرأون الكتاب من قبلك) يونس:٩٤.

رابعاً: الرحلة في طلب العلم. فقد ذكر الله عز وجل في القرآن الكريم رحلة نبيه موسى في طلب العلم إلى الخضر وانتقاله معه، دارساً متعلماً، ويقول الرسول الكريم صلوات الله عليه: «من سلك طريقاً يطلب فيه علماً سهل الله له به طريقاً إلى الجنة».

وتلبية لهذا الأمر شد المسلمون الأولون الرحال، وقطعوا الفيافي، وجابوا البحار. في طلب الحديث، والفقه وعلوم الدين والدنيا، فنشروا العلم في أنحاء الأرض، ونهضوا بالثقافة الإنسانية إلى أعلى المستويات، وأسسوا حضارة علمية، سيطرت على العالم كله مئات السنين.

وقد أقام الإسلام منهجاً في تحرير العقل والفكر، يعتمد على ثلاث دعائم مهمة:

الدعامة الأولى: تحرير الإنسان من أغلال الحجر العقلي، وسيطرة التبعية العمياء، وتربيته على حرية الفكر، واستقلال الإرادة، ليكمل بذلك عقله، ويستقيم تفكيره، وتكتمل له شخصيته وإنسانيته، فإن كمال العقل، واستقامة التفكير، واستقلال الإرادة، هي أساس صحة العقائد ومعرفة الحق، الذي يجب أن يتبع.

وقد عنى الإسلام ببناء هذه الدعامة عناية كبرى.

فجعل البرهان أساس الإيمان الصادق، والعقيدة الصحيحة، وبين أن كل اعتقاد أو عمل لا يقوم على دلائل الحق، فهو مردود على صاحبه.

- وانذر الذين يجادلون في الله وآياته بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير، يقول تعالى: (ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير) لقمان:٢٠.

وطالب كل ذي عقل بالنظر في عالم السموات والأرض، وما فيهما من الدلائل الواضحة، على وحدانية الله تعالى في ألوهيته وربوبيته، كما في قوله تعالى: (أو لم ينظروا في ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شيء) الأعراف:١٨٥.

وقال تعالى: (أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج. والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج. تبصرة وذكرى لك عبد منيب) ق:٦-٨.

- واستنهض العقول، ووجه الأفهام، وأيقظ الحواس، ونبه المشاعر، وذلك بالتعقيب على بيان الآيات الكونية، والتشريعية بمثل قوله تعالى: (إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون) الرعد:٤، (إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون) الرعد:٣.

- وذم الغافلين، ونعى عليهم غفلتهم وإعراضهم عن دلائل الآيات الكونية التي يشاهدونها في كل لحظة، وهم عنها غافلون، وتطالعهم بدلائها في كل آونة، وهم عنها معرضون، كما في قوله تعالى: (أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور) الحج:٤٦.

ونعى على أسرى التقليد إعراضهم عن الحق الذي جاءت به أنبياء الله ورسله، وجمودهم على اتباع ما وجدوا عليه آباءهم، وارتكابهم الفواحش باسم الدين تعصباً للجمود والتبعية العمياء كما قال عز وجل: (وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا أو لو كان آباؤهم لا يعلمون شيئاً ولا يهتدون) المائدة:١٠٤.

فالتقليد الأعمى من شر ما تبلى به الأفراد والجماعات، لأنه يميت مواهب الفكر والنظر، ويوجب جمودها وركودها، ولا يميز بين الحق والباطل، ولا بين الصواب والخطأ.

ولهذا قرر الإسلام حق الإنسان في حرية الفكر، واستقلال الإرادة، وفتح له طريق التحرر الفكري والاستقلال الإرادي، وبوأه المنزلة اللائقة بإنسانيته وكرامته، وعرفه أن الله تعالى لم يخلقه عبداً يقاد كما تقاد الأنعام، ولا جعل لمخلوق حق السيطرة على عقله، وفكره، وإنما خلقه حراً مالكاً لقيادة نفسه، يفكر بعقله، ويسترشد بمواهبه، ويعمل باختياره، وإرادته ويهتدي بنور العمل في اختياره وعمله، ولا يظهر بمظهر العبودية إلا لخالقه ولا يدين في عقائده وسلوكه إلا بدين الحجة والبرهان.

وهناك حقيقتان يحسن أن نوضحهما:

الأولى: أن التقليد الذي ذمه الإسلام وشدد النكير على أهله، إنما هو التقليد الذي يقوم على التبعية العمياء، والجمود على القديم الموروث، ومحاربة كل جديد يخالفه، ولو كان ذلك الجديد أقوم طريقة وأهدى سبيلاً.

الثانية: أن حرية الفكر التي جعلها الإسلام رائداً للتفكير الديني، ونبراساً للعقول والأفهام في الاهتداء إلى معالم الحق هي الحرية التي تطلق العقول، والأفهام من أغلال الحجر العقلي، والكبت الفكري، وتحررها من سيطرة التقليد، والتبعية العمياء وتجلي لها معالم الحقائق، التي كانت محجوبة عنها، وتجعل قيادة التوجيه قيادة بناء وإصلاح.

والدعامة الثانية من منهج الإسلام في تحرير العقل هي: تحرير الإنسان من أصفاد الجهل وظلمته، لأن الجهل يقتل مواهب الفكر والنظر، ويطفئ نور القلوب، ويعمي الأبصار، ويميت عناصر الحياة والقوة في الأمم، ويفسد على جماهير الناس، مناهج الدين والتدين، لأن أهل الأهواء، والبدع يجدون في الجهل بتعاليم الدين مجالاً واسعاً لنشر ما يستحدثونه من خرقات، ويسارع بعض الناس بدافع الجهل والثقة العمياء إلى اعتناقها والعمل بها على أنها من الدين، وهم لا يعلمون أن الدين منها براء.

ولقد عنى الإسلام ببناء هذه الدعامة عناية كبرى، فذم الجهل والجاهلين في مواطن كثيرة، كما في قوله تعالى: (يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية) آل عمران:٥٤.

وأنحى باللائمة على الذين يتبعون الظنون والأوهام في عقائدهم وتدينهم، كما في قوله تعالى: (إن يتبعون إلا الظن وإن هم إلا يخرصون) يونس:٦٦.

وقال تعالى: (وما يتبع أكثرهم إلا ظناً إن الظن لا يغني من الحق شيئاً) يونس:٣٦.

وعظم شأن العلم وحث على طلبه، كما في قوله تعالى: (بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم) العنكبوت:٤٩.

ونوه بفضل الحكمة وما فيها من الخير الكثير كما في قوله تعالى: (يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً) البقرة:٢٦٩.

ويقول رسول الله ﷺ: «لا حسد إلا في اثنين رجل آتاه الله مالاً فسلطه على هلكته في الحق، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها الناس».

ورفع منزلة العلماء وجعلهم أهل خشيته، وقرن شهادتهم بشهادته تعالى، وشهادة ملائكته قال تعالى: (إنما يخشى الله من عباده العلماء) فاطر:٢٨.

وقال تعالى: (شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم) آل عمران:١٨.

وجعل العلماء ينابيع العلم، وموارد العرفان، ورواد الحق، ودلائل الهدى، كما في قوله تعالى: (فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون) النحل:٤٣.

وخصهم بالتعقل والفهم في مقام ضرب المثال، وبيان آيات الله الكونية، كما في قوله تعالى: (وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون) العنكبوت:٤٣.

وقال تعالى: (ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين) الروم:٢٢.

وهكذا عرف المسلمون الأولون منزلة العلم وفضله، وأدركوا مبلغ الحاجة إليه في دينهم ودنياهم وبناء مجتمعاتهم ودعم سلطانهم، وأنه هو الذي يوضح معالم السير على النهج القويم ويفتح لهم آفاق الحياة العزيزة الكريمة، ويكشف لهم عن أسرار العوالم الكونية، ونواميسها ويقيم لهم وسائل الحياة والقوة ويبني لهم قواعد السيادة والمجد.

عرفوا كل هذا فوجهوا عزائمهم إلى طلب العلم على اختلاف أنواعها، ولم يشغلهم عن طلبها ترف الحضارة ونعماؤها، ولا ثنت عزائمهم عنها بأساء الحياة وضراؤها.

بحثوا عنها في آيات الله التشريعية، وآياته الكونية، وأقاموا لها في كل قطر إسلامي مناراً عالياً، وحملوا مشاعلها إلى مشارق الأرض ومغاربها، ولم يقفوا بجهودهم عند نتاج عقولهم وأفهامهم، بل اتجهوا بها أيضاً إلى علوم السابقين يدرسونها، ويمحصونها، ويأخذون عنها ويزيدون عليها ما هداهم إليه البحث والنظر والاستدلال.

فاستخرجوها من زوايا الإهمال والنسيان، وأخذوا إبرازها بعد أن زادوه نقاء وصفاء وردوا زائفها بعد أن بينوا زيفه وفساده، لأنهم كانوا يطلبون هذه العلوم طلب الناقد البصير، لا طلب التابع المقلد.

واكتمل لهم من ملكات العلوم والفنون في جيل واحد، ما لم يكتمل لأمة من الأمم الناهضة في أجيال عدة.

وفي ذلك يقول بعض المؤرخين الاجتماعيين من علماء الغرب: إن ملكة الفنون لم يتم تكوينها في أمة من الأمم الناهضة إلا في ثلاثة أجيال: جيل التقليد، وجيل الخضرمة، وجيل الاستقلال والاجتهاد، إلا العرب وحدهم، فقد تمت لهم ملكة الفنون في الجيل الأول الذي بدأوا فيه بمزاولتها.

وإن تعجب لهذه النهضة العلمية التي تخطت مراحل النهوض في الأمم، فعجب أنهم قاموا بها على رغم الأحداث العاتية التي حملوا أعباءها، والحروب الطاحنة التي خاضوا غمارها، لأن الأحداث والخطوب وإن بلغت من العنف ما بلغت، لا تستطيع أن تقف في طريق العقائد التي انطوت عليها القلوب، وانفعلت بها النفوس، ولا أن تمنع العزائم القوية، من الوصول إلى أغراضها وأهدافها.

وبهذه النهضة العلمية استطاع المسلمون أن يعملوا عمل الأقوياء لأن العمل لبناء المجتمعات لا يصدر إلا عن إرادة قوية دافعة والإرادة الدافعة، لا تنبثق إلا من العمل والأمم التي أفقدها الجهل قوة الإرادة وصدق العزيمة، لا يمكن أن تعمل شيئاً.

والدعامة الثالثة: تحرير الإنسان من طاعة الأهواء، والانقياد الأعمى لمغرياتها، الآن طاعة الأهواء من أقوى عوامل انحراف الإنسان في سلوكه في نظره وتفكيره.

ولهذا عنى الإسلام بالتحذير البالغ من اتباع الهوى، والانقياد الأعمى للأشياء، فذم العاكفين على عبادة الأهواء، والأغراض ونعى عليهم ضلالهم وانحرافهم عن الحق إرضاء لأهوائهم كما في قوله تعالى: (إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس) النجم:٢٣.

وقال تعالى: (أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون) الجاثية:٢٣. وقال تعالى: (فإن لم يستجيبوا لك فاعلم أنما يتبعون أهواءهم) القصص:٥٠.

وهكذا طالبنا الإسلام بأن نطهر نفوسنا وسلوكنا من الأغراض الخفية والأهواء الدفينة، ونحرر عقولنا وأفهامنا من الخضوع للجهل والانقياد الأعمى، وبهذا يسمو المجتمع ويصل إلى ما قدر له من خير، ومعرفة وفلاح. ■

المراجع:

١ ـ الدكتور أحمد السايح: أضواء حول الحضارة الإسلامية ط. السعودية.
٢ ـ الدكتور أحمد السايح: مستقبل الحضارة الإسلامية ط. الأزهر.
٣ ـ الدكتور أحمد السايح: فلسفة الحضارة الإسلامية ط. المجلس لأعلى ـ القاهرة.
٤ ـ الأستاذ سليمان حزين: دراسة في مؤتمرات مجمع البحوث الإسلامية ـ الأزهر.
٥ ـ الدكتور أحمد السايح: مجلة قافلة الزيت مجلد ١٣٩١ الظهران.
٦ ـ الأزهر: بحوث مؤتمرات مجمع البحوث.
٧ ـ عباس محمود العقاد: التفكير فريضة إسلامية ط. القاهرة.
٨ ـ دراسة: مجلة الرسالة الإسلامية ـ القاهرة.
٩ ـ د. محمد أحمد خلف الله: أثر الحضارة الإسلامية في رقي الإنسانية ط. الأزهر.
١٠ ـ د. محمد فتحي عثمان: القيم الحضارية ط. السعودية.
١١ ـ د. علي أحمد مدكور: الثقافة والحضارة في التصور الإسلامي ـ مجلة الدارة السعودية.

بقلم : د. أحمد شوقي الفنجري

(اليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية)!!

في كل عصر من عصور التاريخ... ومنذ نزول القرآن الكريم في القرن السادس الميلادي وحتى يومنا هذا... كانت تظهر لكل جيل من الأجيال المتعاقبة معجزة جديدة للقرآن تثبت أن هذا الكتاب لا يمكن أن يكون من صنع البشر، بل هو من عند الله تعالى.

لقد كانت المعجزة الأولى التي بهرت العرب وأعجزت ألسنتهم هي المعجزة البلاغية... وذلك باعتبار أنهم أهل البلاغة والكلام... فجاءهم الإعجاز في فنهم الذي تفوقوا فيه وأتقنوه... ثم ظهرت بعد ذلك للإنسانية المعجزة التشريعية، عندما طبقت تعاليم الإسلام فخلقت أعظم وأقوى أمة ظهرت في التاريخ الإنساني... وقد تفوقت على أعظم حضارتين عريقتين وأكبر قوتين في عصرها هما الفرس والرومان، وصنعت خير أمة أخرجت للناس.

واليوم ونحن في القرن العشرين ومشرفون على القرن ٢١، وهما عصرا التفجر العلمي... ابتدأت تظهر في القرآن الكريم الكثير من المعجزات العلمية مع كل اكتشاف علمي حديث... وحديثنا هنا حول جسد فرعون مصر الذي جاء ذكره في القرآن ولم يشر إليه أي كتاب سماوي آخر.

فلنبدأ القصة من أولها ونسير مع المستشرقين الأوروبيين وعلماء الأديان والمؤرخين الذين ما أن سمعوا عما جاء في هذه الآية حتى أخذوا يتابعونها بالبحث جيلاً وراء جيل:



اكتشاف معجزة جديدة في القرآن الكريم

يقول الله تعالى في سورة يونس الآيات: ٩٠-٩٢: (وجاوزنا ببني إسرائيل البحر فاتبعهم فرعون وجنوده بغياً وعدوا حتى إذا أدركه الغرق قال آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين. آلآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين. فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية وإن كثيراً من الناس عن آياتنا لغافلون).

فما قصة بدن فرعون الذي جاء في هذه الآية الشديدة الإيجاز، العظيمة الإعجاز، وأي فرعون هو من بين فراعنة مصر وفي أي سنة حدث شق البحر وأين مكانه... وما المقصود بقوله تعالى: (ننجيك ببدنك)؟

وكبداية نقول: إن حادث الخروج وشق البحر وغرق فرعون من المعجزات الربانية الكبرى التي تهم أبناء الديانات الثلاث... اليهودية والمسيحية والإسلام... وليست خاصة باليهود وحدهم.

ومن هنا كان اهتمام الجميع يهودا ومسيحيين ومسلمين وبخاصة «علماء الآثار الفرعونية أي (علم المصريات)» بكل ما يتصل بهذا الحادث.

والسؤال الأول الذي ظلوا يبحثونه من هو هذا الفرعون الذي جاء ذكره في الكتب الثلاثة، فالمعروف أن كلمة فرعون لقب أي ملك من ملوك الفراعنة وليست اسماً لملك محدد...

وهنا يتفق علماء التوراة مع علماء المصريات أن حادث الخروج كان ١٢٠٤ق.م(٢) أي أنه منذ ٣٢٠٤ سنة بتاريخ ٢٠٠٠م، وهم يحددون هذا اليوم بيوم عاشوراء الذي يصوم فيه اليهود والمسلمون معاً في التاريخ نفسه، فعندما وصل الرسول - صلى الله عليه وسلم - مهاجراً إلى المدينة وجد اليهود يصومون يوم عاشوراء فسألهم عنه قالوا إنه يوم نجى الله موسى من فرعون فأمر المسلمين بالصيام فيه أيضاً وقال لهم: (أنتم أحق بموسى منهم فصوموه)(٣)، وبذلك يكون فرعون الخروج هو «مرنبتاخ ابن رمسيس الثاني»، والذي حكم مصر من ١٢٢٤ق.م، ومات ١٢٠٤ ق.م، ورواية التوراة أنه قد مات غرقاً في البحر وأنه وجنوده وخيله قد هبطوا في قاع البحر كالحجر أو كالرصاص فتقول التوراة في سفر(٤) الخروج رقم (١٣-٢٨): «ومد موسى يده على البحر فأجرى الرب البحر بريح شديدة كُلَّ الليل وجعل البحر يابسة وانشق الماء فدخل بنو إسرائيل في وسط البحر على اليابسة والماء سور لهم عن يمينهم ويسارهم» وعندما دخل فرعون الطريق نفسه وراءهم بجنوده وخيله، تقول التوراة: «فمد موسى يده على البحر فرجع البحر عند إقبال الصبح إلى حاله الدائمة. فرجع البحر وغطى جميع مركبات وفرسان جميع جيش فرعون الذي دخل وراءهم البحر لم يبق منهم ولا واحد» ثم تستطرد التوراة عن فرعون وجنوده أنهم «قد هبطوا في الأعماق كحجر» وأيضاً «غاصوا كالرصاص في مياه غامرة». وقد فسر علماء بني إسرائيل هذه الفقرة من التوراة بأن جثمان فرعون وجنوده وخيله قد أكلتهم الحيتان والأسماك في قاع البحر ولم يبق منهم شيء وبخاصة أن عرض البحر في هذه المنطقة كان نحو ٣٠ كيلو متراً، كما يذكر علماء المصريات(٥)... ولابد أن عمقه كان كبيرا جداً.

ورواية القرآن لا تختلف في أساسها عن رواية التوراة والأنجيل في قصة الخروج وغرق فرعون إلا من حيث ما أضافه القرآن عن ظهور بدن فرعون بعد ذلك... وتفسير قوله (اليوم ننجيك ببدنك) فمعناه أن خلفاء الملك «مرنبتاخ» سوف يجدون هذا هذا الجسد ويتعرفون عليه، ثم يضعونه في مقبرة... وأن هذا الجسد سيعرض على الناس ويعرفونه باسمه ليكون لمن يأتي بعده من الأجيال آية وعبرة. وهذا ما حدث بالفعل: كما أخبر عنه القرآن منذ ١٤ قرناً من الزمان.

فانطلاقاً من هذه المعلومة الجديدة التي جاء بها القرآن وانفرد بها عن غيرة من الكتب السماوية السابقة ابتدأ السباق المحموم بين العلماء في التخصصات المختلفة للبحث عن جثمان هذا الفرعون بالذات بين جميع مومياوات الفراعنة.

وفي العام ١٨٩٨م بينما كان عالم الآثار المصرية لوريت الفرنسي(٦) يبحث في مقابر طيبة المدفونة على بعد أمتار تحت التراب في مدينة الموتى إذ اكتشف مقبرة فاخرة تحت الأرض وعلى جدرانها نقوش فرعونية جميلة ومعبرة بألوانها، كما اكتشف في هذه المقبرة موميا الملك المحنطة تحنيطاً متقناً وجيداً مما حفظها بجميع ملامحها عبر ثلاثة آلاف عام. ولما كانت اللغة الهيروغليفية قد اكتشفت قبل ذلك بقليل إذ اكتشف أسرارها للمرة الأولى العالم شامبليون في سنة ١٨٢٩م فقد عكف فريق كبير من العلماء - منهم الأجانب والمصريون - على دراسة كل النقوش في الحوائط والتابوت وأوراق البردي الموجودة بها... وطار الخبر إلى جميع أنحاء العالم باكتشاف موميا مرنبتاخ فرعون مصر الذي تحدث القرآن عن نجاة بدنه.

وتشير هذه النقوش إلى عدد من الحقائق المهمة جداً:

١ - أن هناك ثلاثة فراعنة حكموا بالتوالي وارتبطوا ببني إسرائيل: الأول هو رمسيس الثاني، وهو من يطلقون عليه فرعون الاضطهاد وقد حكم مصر ٦٦ عاماً.

٢ - ثم تلاه ابنه مرنبتاح الذي يطلق عليه فرعون الخروج وقد حكم ٢٠ عاماً.

٣ - ثم تلاه ابنه سيتي الثاني(٧) الذي حكم بعد غرق أبيه في البحر وهو الذي اكتشف جثمان أبيه بعد أن طفا على البحر في مكان العبور والذي يُشار إليه في التوراة بأنه عند فم الحيروت، والحيروت هي مدينة طيبة في الصعيد وأمر بتحنيطه وبناء مقبرة له وسجل له تاريخه الحربي بداخلها جرياً على عادة الفراعنة في حفظ آثارهم.

٤ - وقد حسمت هذه النقوش قضية الخلاف حول اسم فرعون الخروج ففيها أول إشارة في آثار الفراعنة إلى بني إسرائيل، وأن هذا الملك في عهده «محيت إسرائيل من مصر ولم يعد لها بذور».

وفي سنة ١٩٠٧م قررت الحكومة المصرية بتوصية من العلماء نقل الجثمان من طيبة إلى مقبرة المتحف الفرعوني في القاهرة، حيث وضعت في تابوت زجاجي لتعرض على زوار المتحف بعد أن نزعت عن وجهه وجسمه اللفافات والأربطة التي يضعها الفراعنة حول

المومياء الملكية... ومنذ ذلك الحين والمومياء تتعرض لجميع أنواع الفحوصات الدقيقة جداً والمتطورة للتأكد أن هذا الملك قد مات غرقاً في البحر... فقد قامت لجنة من العلماء بفتح ثغرة في جدار القفص الصدري وأدخلوا منها منظاراً دقيقاً لفحص القفص الصدري وتجويف البطن، كما أخذت من الجثة أجزاء ميكروسكوبية لفحص الخلايا في كل من معامل لندن وباريس. وقد تأكد العلماء أن هذا الفرعون قد مات بسبب الغرق في الماء بجانب إصابته برضوض عميقة ظهرت على الجسد عند انقضاض الموج عليه... ومما زاد التأكد أن هذه هي المومياء الفرعونية الوحيدة التي لونها أبيض، وقد عللوا ذلك بترسب أملاح البحر وبخاصة كلوريد الصوديوم في خلايا الجسم.

وقد اشترك في الفحص لجان من هيئة الأمم المتحدة وعلماء آثار من كل الديانات وأطباء وعلماء مصريون. وقد أخذت لوجه الفرعون صور فوتوغرافية تبين شكله وملامحه، وعملت له صور بالأشعة السينية للهيكل العظمي، ونشرت هذه البيانات في جميع وسائل الإعلام العالمية.

وتطوعت هيئة اليونسكو - في الأمم المتحدة - بإعادة ترميم هذه المومياء وغيرها من المومياوات الفرعونية والتأكد من صيانتها لآلاف السنين المقبلة، حيث أرسلت إلى باريس وقامت اللجان العلمية العالمية بهذه المهمة الدقيقة.

وفي العصر الحاضر... وفي عهد الرئيس حسني مبارك ووزير الثقافة فاروق حسني ظهر رأي مهم(٨) يرى أن هذه المومياء هي في الواقع كنز قومي وتاريخي يجب المحافظة عليه وأن وجودها في المتحف الفرعوني وفي عارضات غير محكمة عرضة للرطوبة والأشعة سيتلفها خلال سنوات قليلة بعد أن ظل الفراعنة يحافظون عليها على مدى ثلاثة آلاف عام... فقامت مصر بمساعدة هيئة اليونسكو العالمية بتخصيص قاعة حديثة جداً تمنع عن جميع المومياوات كل تقلبات الطقس والرطوبة والأشعة والملوثات البيئية وفي الوقت نفسه تسمح برؤية جيدة للمتخصصين والباحثين من جميع أنحاء العالم وجميع الديانات... وجعلوا رسوم الدخول لجناح المومياوات وحده أضعاف دخول المتحف عامة.

فكما يقول العلماء إن هذه المومياء هي الشاهد الوحيد الباقي على وجه الأرض على معجزة شق البحر وعلى ما ذكره القرآن من نجاة بدن فرعون.

وهناك اليوم تفكير عالمي أن تقوم المتاحف العالمية مثل متحف الشمع أو متاحف الحضارة الإنسانية بصنع تماثيل مجسمة لهذا الفرعون بملابسه الحربية ودرعه وهو يركب عربته الحربية التي تجرها الخيول المتحفزة والمتوثبة ويمسك في يده الرمح والسيف ويوضع التمثال في المتاحف أو في نصب تذكاري ينشأ عند نقطة العبور والخروج على البحر الأحمر كما فعلوا مع غيره من مشاهير التاريخ المحسن عنهم والمسيء، ومنهم الإسكندر الأكبر ونابليون.

وجدير بالذكر هنا أن العلم الحديث يمكنه في العصر الحاضر أن يصنع وجهاً مشابهاً طبق الأصل - تقريباً - للشخص الميت من رسوم الجمجمة، إذ يصنعون جمجمة مشابهة لها ويضعون فوقها مواد وعجائن طبقة فوق طبقة بشكل مدروس حتى تصل إلى ٩٠٪ من الشبه الأصلي.

وآخر صيحة في هذا المجال(٩) هي إعادة التفاصيل عن طريق الكمبيوتر الذي تصل درجة الإتقان فيه إلى ٩٩٪ من الأصل.

وهذا العلم يستخدم الآن في جميع مراكز الشرطة في الدول المتقدمة لمعرفة أي شخص مفقود أو مقتول من مجرد التأكد صورة الجمجمة.

لقد نزل القرآن الكريم في القرن السادس الميلادي وفي جزيرة العرب، حيث لم يكن هناك علم بالفراعنة ولا علم المصريات.

وقد ظلت الإنسانية كلها تجهل كل شيء عن وادي الملوك ومقابرهم في مدينة طيبة، حيث إنها ظلت مدفونة تحت الأرض لمدة تزيد عن ثلاثة آلاف سنة، ولم تكشف هذه المقابر إلا في القرن التاسع عشر، وطوال هذه القرون الطويلة ظل أمر هذا الجثمان مجهولاً حتى بالنسبة للصوص الآثار الذين عبثوا بالكثير غيرها. ولكي تكتمل المعجزة القرآنية شاءت إرادة الله أن تنجو هذه المقبرة بالذات من عبث اللصوص ليظهر هذا الجثمان في المتحف كما قال الله تعالى: (اليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية) فهل يستطيع أي مكابر بعد هذا أن يدعي أن هذا القرآن من تأليف البشر أو أنه ليس من كلام الله. ■

مراجع البحث:

١ - جاء ذكر الفراعنة في القرآن والذين ارتبطوا ببني إسرائيل في مصر في ٧٥ سورة منها سور عن رمسيس الثاني الذي يسمى فرعون الاضطهاد، ومنها عن ابنه مرنبتاح الذي يطلق عليه فرعون الخروج.

٢ - كتاب «مصر القديمة» تأليف د. سليم حسن ج٧ عصر مرنبتاح ورمسيس الثالث ص ١٠٩ مطبعة الكتب المصرية القاهرة سنة ١٩٥٠.

٣ - رواه البخاري ج٩.٦٣ باب صوم يوم عاشوراء الحديث رقم ١١١ وتاريخ الطبري ج/ ٢٩٧.

٤ - العهد القديم - سفر الخروج رقم ١٣ - ٢٩.

٥ - قاموس الكتاب المقدس تأليف نخبة من الأساتذة المتخصصين في علم اللاهوت - الناشر دار الثقافة طبعة رقم ٨ ص٨٩٨ بعنوان فرعون الخروج.

٦ - كتاب «القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم»، تأليف الطبيب الفرنسي - د.موريس بوكاي الترجمة العربية نشرة دار المعارف القاهرة طبعة سنة ١٩٧٩ من ص ٢٦٦ - ٢٧١.

٧ - كتاب رحلة بني إسرائيل إلى مصر الفرعونية والخروج تأليف عطاس عبدالملك خشبة نشرة دار الهلال طبعة ٢.

٨ - وزير الثقافة المصري الفنان فاروق حسني في بيان له في التلفاز المصري والقناة الفضائية عن المتحف الفرعوني.

٩ - كتاب الإسلام والفنون للمؤلف باب صناعة التماثيل ص ٨٤ - ٨٥ طبعة سنة ١٩٩٨م دار الأمين للطباعة والنشر أو مكتبة مدبولي.



بقلم: د. حسان شمسي باشا

قال الله تعالى: ﴿ وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون. ثم كلي من كل الثمرات فاسلكي سبل ربك ذللا يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون ﴾ النحل: ٦٨ . ٦٩.

الحديث عن النحل والعسل حديث ذو شجون، وفي آيات النحل إعجاز لم تظهر أبعاده إلا في العصر الحديث.

نظرات في آيات النحل

ففي خطاب الله سبحانه وتعالى للنحل استعمل صيغة التأنيث (أن اتخذي)، وهذا يتوافق مع ما هو عليه عالم النحل، فغالبية النحل من الإناث، وتترأسهم ملكة، أما الذكور فعددهم قليل، ولا دور لهم سوى التنافس على تلقيح الملكة، فمتى تم ذلك مات الذكور.

ويقول تعالى: (ثم كلي من كل الثمرات)، فلماذا بدأت الجملة بـ (ثم) ولم تبدأ بحرف عطف آخر كالواو أو الفاء، ونحن نعلم أن حرف العطف «ثم» يعني الترتيب مع التراخي أو التأجيل، فماذا في العلم من جديد؟

يقول الأستاذ الدكتور محمد علي البنبي ـ أستاذ علم النحل في جامعة عين شمس ـ: «حين يخرج النحل من خليته مهاجراً ليبني عشاً جديداً، فإنه يحمل في بطنه كمية كبيرة من العسل يدخرها لرحلة المجهول، وقد تبلغ كمية العسل هذه من الوزن ما يفوق وزن النحلة ذاتها، وحين يجد المسكن الجديد يسكن النحل تارة ليفرغ ما عنده من العسل، ولابد من عملية تحويل جزء من هذا العسل إلى شمع يبني به أقراص النحل، ومن ثم يفرغ ما بقي في بطنه من عسل، وبعد ذلك كله يخرج النحل للبحث عن الغذاء.

أليس في هذا مثل آخر من إعجاز القرآن الكريم؟!

ثم قال عز من قائل: (فاسلكي سبل ربك ذُللاً)، وقد رأى الإمام القرطبي وابن كثير أن السبل هي الطرق، إلا أن الإمام الرازي رأى في تلك الآية معنين: أحدهما أن سبل ربك هي الطرق التي ألهم الله النحل أن تصنع بها العسل فقال: «والمعنى: ثم كلي من كل ثمرة تشتهينها، فإذا أكلتها فاسلكي سبل ربك في الطرق التي ألهمك الله وأفهمك في عمل العسل، أو أن يكون المراد: فاسلكي في طلب تلك الثمرات سبل ربك».

أجل: (فاسلكي سبل ربك ذُللاً) فاصنعي رحيق الأزهار وحبوب اللقاح وعسلاً وغذاء ملكياً وسماً وشمعاً، وعكبراً وخمائر مختلفات.

فمن علَّم هذا الكائن الضعيف علم الصيدلة والكيمياء؟ ومن علَّمها أن تمزج قدراً من هذا وقدراً من ذاك ثم تضيف إليه ما خلق الله في جوفها لتخرج لنا مواد شافية مختلفة التركيب؟!



ثم قال سبحانه: (يخرج من بطونها شراب)، وقد يقول قائل: تذكرون أيها المسلمون أن قرآنكم جاء بأن في العسل شفاء (فيه شفاء للناس)، ونحن نعلم كثيراً من الأمم القديمة كالفراعنة واليونانيين والرومان كانوا يستعملون العسل في علاجاتهم، كما أن ذكر العسل قد ورد في الكتب السماوية السابقة، فأي إعجاز هذا هو؟

ونقول لهذا السائل: إن إعجاز آية النحل لا يكمن في ذكر أن العسل شفاء للناس فحسب، بل الإعجاز كله يكمن في ثلاثة أمور:

أولها: أن الله تعالى لم يذكر العسل صراحة في الآية فقال: (يخرج من بطونها شراب)، ولم يقل: «يخرج عسل»، وترك للإنسان أن يدرس ما يخرج من النحل من مواد: غذاء ملكي.. وعكبر... وشمع.. وسم نحل، يدرس خصائصها وتركيبها.

وهذه هي مرحلة «التعرف».

ثانيها: أن في هذا الذي يخرج من النحل شفاء: ففي العسل شفاء... وفي غذاء الملكة شفاء... وفي العكبر شفاء... وفي الشمع شفاء... حتى في سم النحل ذاته شفاء...وكيف يتأكد الإنسان أن في هذه المواد شفاء دون أن يبحث فيها ويتدبر ويجري الدراسات والأبحاث ليتعرف على الخصائص العلاجية الشافية لهذه المواد؟

وهذه هي مرحلة «البحث العلمي في المختبرات».

ثالثها: قوله تعالى: (فيه شفاء للناس)، فلم يقل تعالى: «شفاء لكل الناس»، بل ترك الأمر مطلقاً ليبحث العلماء عن الأمراض التي جعل الله في هذه المواد لها شفاء، وفي هذا حث للإنسان أن يقوم بإجراء الدراسات لمعرفة الناس الذي تشفي أمراضهم هذه المواد.

في كلمات ثلاث (فيه شفاء للناس) معجزات ومعجزات، لفت فيها النظر إلى ما يخرج من بطون النحل، ثم قال: إن في هذا وذاك شفاء، وترك الأمر لنا لنعرف من يشفي بهذا ومن يشفي بذاك.

في كلمات ثلاث... أرسى الله قواعد البحث العلمي في الطب وعلم الأدوية، فحين يعتقد العلماء أن في نبات ما مادة دوائية، يدرسون تركيبها وخصائصها أولاً... ثم يجرون أبحاثاً في المختبرات... ليتعرّفوا على الخصائص الشافية لها، وهذه هي المرحلة الثانية، ثم ينتقل البحث إلى الإنسان، فتجرى الدراسات على المرضى الذين يمكن أن تكون لهم شفاء.

ألم يختم الله تعالى آية النحل بقوله: (إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون)؟!

يقول الدكتور محمد علي البنبي: ولم يذكر القرآن الكريم صراحة أن العسل هو الذي يخرج من بطون النحل أو أنه هو الذي فيه شفاء للناس، لأن الله يخرج من بطون النحل مواد متعددة شافية، لكنها لم تكن معروفة حين نزول القرآن على سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم، فكأن هذه الجملة الموجزة تتضمن المعنى الذي كان معروفاً في عهد الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن القيمة العلاجية للعسل، والمعنى الذي لم يعرف



إلا في القرن العشرين عن القيم العلاجية لكل من الغذاء الملكي والشمع وحبوب اللقاح والعكبر وسم النحل، وازدياد القيم الطبية للعسل يوماً بعد يوم.

ونتساءل، لماذا استعمل الله كلمة (بطونها) بصيغة الجمع، في حين جاءت كلمة (شراب) بصيغة المفرد؟

والجواب: أنه وإن تعددت بطون النحل ومصانع العسل الإلهية هذه، إلا أن النتيجة واحدة والشراب واحد، شراب خصه الله بما خصه من مزايا ليكون للناس شفاء ورحمة.

وفي قوله عز من قائل: (فيه شفاء للناس)، يقول الإمام القرطبي في تفسيره:

«وفي ذلك دليل قاطع على جواز التعالج بشرب الدواء وغير ذلك خلافاً لمن كره ذلك من جلة العلماء، وهو يرد على الصوفية الذين يزعمون أن الولاية لا تتم إلا إذا رضي بجيمع ما نزل به من البلاء، ولا يجوز له مداواة، ولا معنى لمن أنكر ذلك».

هل في العسل شفاء لكل الناس؟

يقول الإمام القرطبي في تفسيره «الجامع لأحكام القرآن»:

«اختلف العلماء في قوله تعالى: (فيه شفاء للناس)، هل هو على العموم أم لا؟

فقالت طائفة: هو على العموم في كل حال ولكل أحد، فروي عن ابن عمر أنه «كان لا يشكو قرحة ولا شيئاً إلا جعل عليه عسلاً، حتى الدمل إذا خرج عليه طلى عليه عسلاً».

وقالت طائفة: «إن ذلك على الخصوص ولا يقتضي العموم في كل علة وفي كل إنسان، بل إنه خبر عن أنه يشفي كما يشفي غيره من الأدوية في بعض الأمراض، وعلى حال دون حال، ففائدة الآية إخبار منه أنه دواء لما كثر الشفاء به، وصار خليطاً ومعيناً للأدوية في الأشربة والمعاجين». ومما يدل على أنه ليس على العموم: أن (شفاء) نكرة في سياق الإثبات، ولا عموم فيها باتفاق أهل اللسان، وحقيقي أهل العلم ومختلفي أهل الأصول.

ولكن حملته طائفة من أهل الصدق والعزم على العموم، فكانوا يستشفون بالعسل من كل الأوجاع والأمراض، وكانوا يشفون من عللهم ببركة القرآن وبصحة التصديق والإيقان.

من علَّم هذا الكائن الضعيف علم الصيدلة والكيمياء ؟ ومن علَّمها أن تمزج قدراً من هذا وقدراً من ذاك ثم تضيف إليه ما خلق الله في جوفها لتخرج لنا مواد شافية مختلفة التركيب ؟!

وقال الزمخشري في الكشاف:

«وليس الغرض أنه شفاء لكل مريض، كما أن كل دواء كذلك، وتنكيره إما لتعظيم الشفاء الذي فيه، أو لأن فيه بعض الشفاء وكلاهما محتمل.

وقال ابن كثير في تفسيره: «وقوله: (شفاء للناس)، أي في العسل شفاء للناس، أي من أدواء تعرض لهم، قال بعض من تكلم عن الطب النبوي: لو قال: فيه الشفاء للناس لكان دواء لكل داء، ولكن قال: (فيه شفاء للناس).

وقال الإمام الفخر الرازي: إنه تعالى لم يقل: (إنه شفاء لكل الناس)، ولكل داء وفي كل حال، بل لما كان شفاء للبعض ومن بعض الأدواء صلح بأن يوصف بأنه فيه شفاء، وينبغي التنبيه إلى أن آية النحل هي الآية الوحيدة في القرآن التي ذكر فيها الشفاء منسوباً إلى أي شيء مادي - وهو ما يخرج من بطون النحل - في حين وردت كلمة الشفاء في ثلاث آيات قرآنية أخرى، وكلها نسبت إلى القرآن الكريم نفسه.

قال جل شأنه: (وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين) الإسراء:٨٢.

وقال تعالى: (قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور) يونس:٥٧.

وقال أيضاً: (ولو جعلناه قرآناً أعجمياً لقالوا لولا فصلت آياته أأعجمي وعربي قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء) فصلت:٤٤.

بقلم : عبدالله بدران

وظائف الأخبار في الإعلام الإسلامي



حرص الإسلام على بناء الإنسان الصالح، وإعداده الإعداد الإيماني السليم. وبناء هذا الإنسان هو حجر الزاوية في صلاح الحياة عموماً، ومن هذا المنطلق عالج الإسلام وظائف الإعلام بشكل عام، ووظائف الأخبار الصحفية بشكل خاص، وحرص على أن تكون مجال ترقية لاهتمام الإنسان قبل تلبية تلك الاهتمامات، فالإعلام المعاصر يلبي الاهتمامات بعد أن يضعها بالشكل غير السوي، أو بعد الفساد، أما الإعلام الإسلامي، فإنه ينشد الترقي إلى اهتمامات خاصة تساعد على تغيير نمط الحياة، وأسلوب عمل المسلم ونشاطه.

ويمكن تبين الأهمية الكبيرة التي يوليها الإعلام الإسلامي للأخبار الصحفية من خلال الوظائف المهمة التي تؤديها، ونتلمس آثارها في المجتمع الإسلامي والشعوب غير الإسلامية، ويذكر أحد الباحثين أن الوظائف العامة للأخبار تنطلق أساساً من خاصية إنسانية تتمثل في رغبة الإنسان في المعرفة، وهي فطرة خلق الله تعالى الإنسان عليها، وجعلها خاصية من خصائصه، ميزته عن كل المخلوقات الأخرى، «فما يسمى بغريزة الفضول البشري أو حب الاستطلاع إنما تولدت لدى الإنسان نتيجة لرغبته في المعرفة»(١).

ويعرف الخبر الصحفي في الإعلام الإسلامي بأنه تزويد الجماهير بالحقائق الموضوعية المتعلقة بالأمور المهمة والضرورية وغير المعروفة مسبقاً بهدف الإفادة الدينية والدنيوية، وذلك باستعمال مختلف وسائل الإعلام الحديثة المتطورة والمناسبة.

أو هو من وجهة نظر أخرى: المعلومات الدقيقة والصادقة التي تصف أو تشرح واقعة جرت وتهم فئة من الفئات أو جماعة من الجماعات التي تعرفها للمرة الأولى.

وفي خضم الصراعات العنيفة التي يشهدها العالم في جوانب شتى من أمور الحياة، والتسابق نحو الظفر بالأمور الدنيوية، ونيل ما لذ وطاب من إغراءاتها، والابتعاد عن الأخلاق الحميدة والآداب الفاضلة والسلوك السوي، وازدياد حالات الانتحار ومعالم البؤس والضياع والاضطراب، فإن الإعلام الإسلامي يجب أن يؤدي دوره بكل اتقان ومهارة، وأن يتحمل أعباءه الكبيرة التي تزداد باطراد، وأن يوظف الأخبار التوظيف الأمثل لها، ضمن الأطر العامة لمنهجه وأهدافه.

وأهم الوظائف التي يضطلع بها الخبر الصحفي في منهج الإعلام الإسلامي:

١ - تنمية المعلومات والمعارف:

يشهد العصر الحديث ثورات في معظم العلوم والمجالات، فثمة ثورة في مجال العلم والتكنولوجيا، وثورة في مجال الطب والخدمات الصحية، وأخرى في مجال المعلومات... إلخ. وصارت وسائل الإعلام تؤدي الدور الأساسي في إيصال المعلومات ونقل المعارف والخبرات إلى شتى أنحاء العالم.

ومن هنا وجب على الخبر الصحفي أن يؤدي دوره في إيصال المعلومات المفيدة للمسلمين، واطلاعهم على المعارف الحديثة بهدي من التوجيه الإسلامي الواضح، ووضعهم في صورة ما يجري في جميع بلدان العالم من بحوث وندوات ومؤتمرات ومناقشات بهدف الإفادة منها في خدمة دينهم ودنياهم والرقي بمجتمعهم.

٢ - ربط العالم الإسلامي وتوحيد كلمة المسلمين:

حضَّ الإسلام على تدعيم الروابط والصلات بين المسلمين، وازدياد تلاحم بعضهم ببعض، وتمتين أواصر المودة

والقربى بينهم، وأوصى المسلم بأخيه المسلم أنى كان وفي أي وقت. وهذا التوجيه الإسلامي يقتضي «التبصير بقضايا الوطن الإسلامي الكبير، والتعرف على مشكلاته، والمساهمة الإيجابية في حل تلك المشكلات، وتخصيص مساحات في الصحف والمجلات لهذه القضايا وتلك المشكلات، وتخصيص أوقات وأركان في الإذاعة والتلفاز لتناولها والتعليق عليها، وربط المسلمين بها والدعوة المستمرة لوحدة العالم الإسلامي وتضامنه، وشرح ما يترتب على ذلك من قوة مادية وسياسية، وتأثير ذلك في القضايا العالمية والإنسانية، وترميم الجيوب التي يصطنعها الاستعمار لتعويق ذلك».(٢)

٣ - توجيه الرأي العام الإسلامي:

يسعى الخطاب الإسلامي إلى تكوين صورة موحدة لدى المسلمين تجاه القضايا التي تمس دينهم، وتعالج حياتهم، وتعنى بشؤونهم، وتتلمس مشكلاتهم.

وهذا الدور يسهم في تشكيل نظرة موضوعية ثاقبة إلى الأحداث الجارية، واتخاذ موقف موحد منها، والقضاء على البلبلة بسبب اختلاف الآراء وتباين الاتجاهات نحوها.

ومن هنا يجب على القائمين على الأخبار في الإعلام الإسلامي مهمة تشكيل «الرأي العام الإسلامي الواحد الذي يعلو على الإقليمية والقومية، ويمجد الإخاء الإسلامي، ويمهد لقضية التضامن الإسلامي، والوحدة الإسلامية»(٣).

٤ - إحقاق الحق وإزهاق الباطل:(٤)

تسهم التغطية الإعلامية المكثفة لحدث ما، وإبراز الآراء والأفكار المتضاربة والمتباينة، وتصوير مواطن معينة من الحدث والتركيز عليها، في إحداث تأثير مباشر لدى الناس تجاه ذلك الحدث، وقد يختلط الأمر عليهم، ويصبحون في حيرة من أمرهم، وتغيب عنهم حقيقة الموضوع.

وقد يلبس الباطل لبوس الحق، ويتلون بشتى الصور والألوان، ويتخذ جميع السبل والأسباب لإيهام الناس، وإيقاعهم في شرك الفهم الخاطئ والتفسير المضلل، وقد يؤدي هذا إلى انقسام آراء المسلمين تجاه موضوع ما وميل بعضهم إليه كونه حقيقة ملموسة، وإدراك الآخرين لمراميه، وتيقنهم من زيفه وبطلانه.

وقد حمل البيان الإلهي هذا المعنى بقوله تعالى:

(ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون)(٥).

وبما أن الحق حق لذاته، والباطل باطل لذاته، وما ثبت للشي لذاته، فإنه يتمتنع تحصيله بجعل جاعل، فيكون المراد من تحقيق الحق وإبطال الباطل إظهار كون ذلك الحق حقاً، وإظهار كون ذلك الباطل باطلاً، إما بإظهار الدلائل والبينات، وإما بتقوية رؤساء الحق، وقهر رؤساء الباطل.(٦)

٥ - تحصين المجتمع من الدعاية المضادة:

يعيش المسلمون اليوم واقعاً لا يحسدون عليه، فهم محاصرون من جهات عدة، ومحاربون من قوى كثيرة، تتربص بهم الدوائر، وتعد لهم المؤامرات والفتن وتعمل «على تحطيم عوامل المناعة والحصانة والقوة والمقاومة في قلب أمتنا الإسلامية، من خلال بث السموم في العروق حتى خدرتها، وحتى أحدثت تلك التحولات من القوة إلى الوهن، ومن الصمود إلى الاستسلام، ومن المقاومة إلى تقبل ظلال التبعية والنفوذ الوافد في مختلف مجالات الفكر والاجتماع والاقتصاد والتربية والقانون.(٧)

وتقع على عاتق القائمين على الأخبار مهمة تبصير الأمة الإسلامية بالأخطار المحدقة بها، وتحصينها من الفتن والمخططات والمؤامرات، وتطعيمها بالدواء الناجع الفعّال، وإحاطتها بسور واق منيع من القيم والأفكار يصعب على الأعداء اختراقه أو محاولة تجاوزه.

كما يجب عليهم تسليح الأمة بالأفكار المدعمة بالأدلة والبراهين الدامغة، والحجج الواضحة البينة، للوقوف في وجه الدعاية المضادة، التي تهدف إلى إبعاد المسلمين عن دينهم، وفك اللحمة والترابط فيما بينهم، وتشتيت الأمة الإسلامية إلى دول متفرقة، ومجتمعات متناحرة، وإبراز العرقيات والطوائف وتفعيل دورها كوحدات منفصلة عن نسيج الأمة الإسلامية.

٦ - الإشادة بالأسلوب الإسلامي ودعم وتأييد العناصر الإسلامية القدوة:

تضمنت آيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة إشارات عدة إلى ضرورة الالتزام بالقدوة الحسنة والأسوة المثلى، والسير على نهجها وطريقها، كما تضمنت مدح السلوك الإسلامي السوي، السائر وفق تعاليم الدين الحنيف وهديه.

من قوله تعالى: (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً)(٨).

وقوله تعالى:

(أولئك الذين آتيناهم الكتاب والحُكم والنبوة فإن يكفر بها هؤلاء فقد وكّلنا بها قوماً ليسوا بها بكافرين. أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده)(٩).

ففي الآيتين حضٌ على الاقتداء بهدي خير العباد عليه الصلاة والسلام، والتأسي بالرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام، الذين كانوا رسل هداية وخير للعالمين، وسطروا أروع الأمثلة بجهادهم وصبرهم وتفانيهم لإعلاء دين الله، وهداية العباد نحو تحقيق خيري الدنيا والآخرة.

وقوله عليه الصلاة والسلام.

«عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة»(١٠)، وينظر الإعلاميون إلى القدوة الحسنة على «أنها وسيلة إعلامية مثلى تغني في ذاتها عن بذل الجهود الإعلامية في سبيل دعوة ينشرونها أو فكرة يدعون إليها، أو عقيدة أو فكرة أو سياسة جديدة ينشرونها»(١١).

إن الإخبار عن أمور وأحوال هؤلاء القدوة، وما كانوا عليه من سلوك وأخلاق يسهم في «التأسي بهم في طرق البلاغ وأساليب الإعلام بدين الله، وما هدوا إليه في مسيرتهم جماعات وفرادى، ذلك أنهم أقاموا حياتهم على الحق الموصل إلى سعادة الدنيا والآخرة»(١٢).

كما أن ذلك يؤكد «أهمية النموذج الصالح للاتصال الناجح باعتباره قدوة أو مثلاً حسناً يدفع إلى رغبة في الاتصال به، مما يساعد على سرعة الإقناع وحصول التأثير، وتلك حقيقة ترسخت من ممارسات عبر التاريخ»(١٣).

٧ - التصدي للأخبار التي تشيع التخاذل واليأس في نفوس المسلمين.(١٤)

حذر الإسلام أتباعه من العلل التي تفتك ببنيان الأمة الإسلامية، والأمراض التي تقتل مناعتها ضد الانحلال والفساد، والأسقام

التي تنخر نسيجها الاجتماعي المترابط، وأهاب بهم بضرورة الوقوف بحزم تجاه ذلك كله، ودرء أخطاره، والتصدي له بكل قوة.

ولا ريب في أن أعداء الدين الحنيف، سواء كانوا من داخل الأمة الإسلامية أو خارجها، لا يتورعون في استخدام السبل والأساليب كافة الموصلة إلى غايتهم والمحققة لأهدافهم، ومن ذلك بث الأخبار التي تشيع التخاذل وتسبب اليأس والقنوط، وتنشر حالة من الاكتئاب لدى المسلمين.

وترى التحذير واضحاً في البيان الإلهي حيث يقول تعالى: (قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم)(١٥).

قوله تعالى:

(ولا تأيسوا من روح الله إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون)(١٦).

إن فضح هذه الأخبار المضللة، والتصدي لها، وتبيان أهدافها، يجب أن يقوم به الإعلام الإسلامي، مستخدماً الحجج القوية الدامغة، والبراهين الواضحة النيرة، وهي مهمة ليست سهلة أبداً ولا سيما إذا علمنا أن هؤلاء المتربصين مستعدون لبذل أموال طائلة واستقطاب نفوس مريضة من أجل تحقيق أهدافهم.

٨ ـ التعريف بالقضايا الإسلامية:

يتعرض الإسلام في كثير من الأحيان للانتقاد من شخصيات معروفة، أو جهات ومنظمات وهيئات محلية أو دولية، أو من حكومات ودول مختلفة، وينصب الانتقاد على قضايا إسلامية يرى هؤلاء أن الإسلام ارتكب أخطاء شنيعة فيها، أو أساء إليها، أو خالف فيها الأعراف والمفاهيم السائدة لديهم، أو أنه أهملها وغمطها حقها.

ويزعم أولئك الناظرون بمنظار الحقد الدفين، والتعصب الأعمى أن الإسلام متهم بالإساءة إلى المرأة، وهدر كرامتها، وحرمانها من حريتها واستقلاليتها، والحجر على طاقاتها، وإمكاناتها، والوقوف حجر عثرة أمام انتفاع المجتمع من خدماتها، ويدعون أن الإسلام يحث على سفك دماء الأبرياء بتشجيعه للعمليات الانتحارية، ويرغب في قتل وسلب واغتصاب المخالفين لتعاليمه، الرافضين الانضمام إلى دعوته وهديه.

وبدأت تظهر في السبعينات والثمانينات عن المسلمين نعوت التطرف، والإرهاب، والأصولية، والسلفية، والتشدد، وساهم في نشرها وإطلاقها ورعايتها الاستعمار، ووكلاؤه، هذا الاستعمار الذي لم يغب يوماً عن تقديم كل ما يخدم وجوده، حضارة وفكراً وثقافة وسياسة وتبعية من خلال وسائل الإعلام على اختلافها، وتحت أسماء إسلامية وغير إسلامية، مع أن هذه النعوت غير موجودة في قاموسنا الإسلامي وفي عملنا الإسلامي».(١٧)

ومن هنا وجب تبيان موقف الإسلام من هذه القضايا وهديه وتوجيهه فيها، كما وجب تبيان حقيقة عدد من القضايا الإسلامية الأخرى الراهنة على الساحة الدولية كقضية أفغانستان، وكشمير، والجزائر، والشيشان، وتوضيح رأي الإسلام السليم المعتمد على اجتهادات العلماء الذين تثق الأمة في علمهم وإخلاصهم.

ولابد من التنبيه أيضاً إلى وجود طوائف وفرق شاذة ومنحرفة عن تعاليم الدين الحنيف وهديه، وهذه موجودة لدى جميع الأديان والأمم، وضرورة التفريق بينها وبين ما أجمعت عليه الأمة الإسلامية، وعدم الخلط بين أفعالها المخالفة للدين القويم وتعاليمه الواضحة.

٩ ـ الترويح والترفيه ضمن ما هو مشروع:

دعا الإسلام إلى إقامة حياة الإنسان وفق ميزان دقيق يحقق متطلبات الجسد والروح على حد سواء، دون طغيان أمر على آخر، ودون تجاهل أحدهما بشكل تام.

والنفس البشرية بحاجة ماسة إلى فترات زمنية تقضيها بالمزاح المباح، واللعب المسموح به، والترفيه المرخص به، والترويج وفق الإطار العام للتعاليم الإسلامية.

لذا وجب على الصحافة الإخبارية أن تجمع في أخبارها بين الجاد والترفيهي، وأن تلبي متطلبات القراء الذين يتلهفون لقراءة أخبار جادة تتضمن معلومات سياسية أو اقتصادية أو تجارية أو علمية، والقراء الذين يحبون أن يقرؤوا إلى جانب ذلك أخباراً ترفيهية ترويحية، دون إسفاف مخل، أو انحدار نحو أمور يحرّمها الشرع الحنيف، وتأباها الفطر السليمة.

١٠ ـ ترقية اهتمامات المجتمع الإسلامي وحفزه إلى أعمال الفضيلة وإبعاده عن الانحدار الأخلاقي.

١١ ـ الإسهام في تحريك الكفاءات والطاقات، وبث روح التعاون والعمل والمودة.

١٢ ـ العمل على تأصيل الثقافة الإسلامية فكراً، وقولاً وعملاً للوقوف في وجه الغزو الثقافي الذي يتربص بعقيدتنا وقيمنا وأخلاقنا. ■

الهوامش:

١ ـ كرم شلبي: الخبر الصحفي وضوابطه الإسلامية، دار الشروق، جدة، ط١، ١٩٨٤م، ص ١٥٣.

٢ ـ محمد إبراهيم نصر: الإعلام وأثره في نشر القيم الإسلامية وحمايتها، دار اللواء للنشر والتوزيع، الرياض، ط١، ١٣٩٨هـ، ١٩٧٨م، ص٣٢.

٣ ـ المرجع نفسه، ص ٧٧.

٤ ـ سعيد إسماعيل صيني: مدخل إلى الإعلام الإسلامي، دار الحقيقة للإعلام الدولي، القاهرة، ١٩٩١، ص ٢٢٦.

(٥) سورة الأنفال، الآية:٨.

٦ ـ وهبة الزحيلي: التفسير المنير، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٩٩١م، ٢٥٨/٩.

٧ ـ محمد منير سعد الدين: الإعلام، قراءة في الإعلام المعاصر والإعلام الإسلامي دار بيروت المحروسة، بيروت، ١٩٩١، ص٢٩.

٨ ـ سورة الأحزاب: ٢١.

٩ ـ سورة الأنعام: ٨٩ـ٩٠.

١٠ ـ رواه أبو داود (٤٦٠٧) في السنة، والترمذي (٢٦٧٨) في العلم.

(١١) عبداللطيف حمزة: الإعلام في صدر الإسلام، دار الفكر العربي، القاهرة ص ٦٥.

١٢ ـ سيد محمد سادتي الشنقيطي: أصول الإعلام الإسلامي وأسسه، عالم الكتب، الرياض، ١٩٨٦م، ١٦١/٢.

١٣ ـ الشنقيطي: ١٦٣/٢.

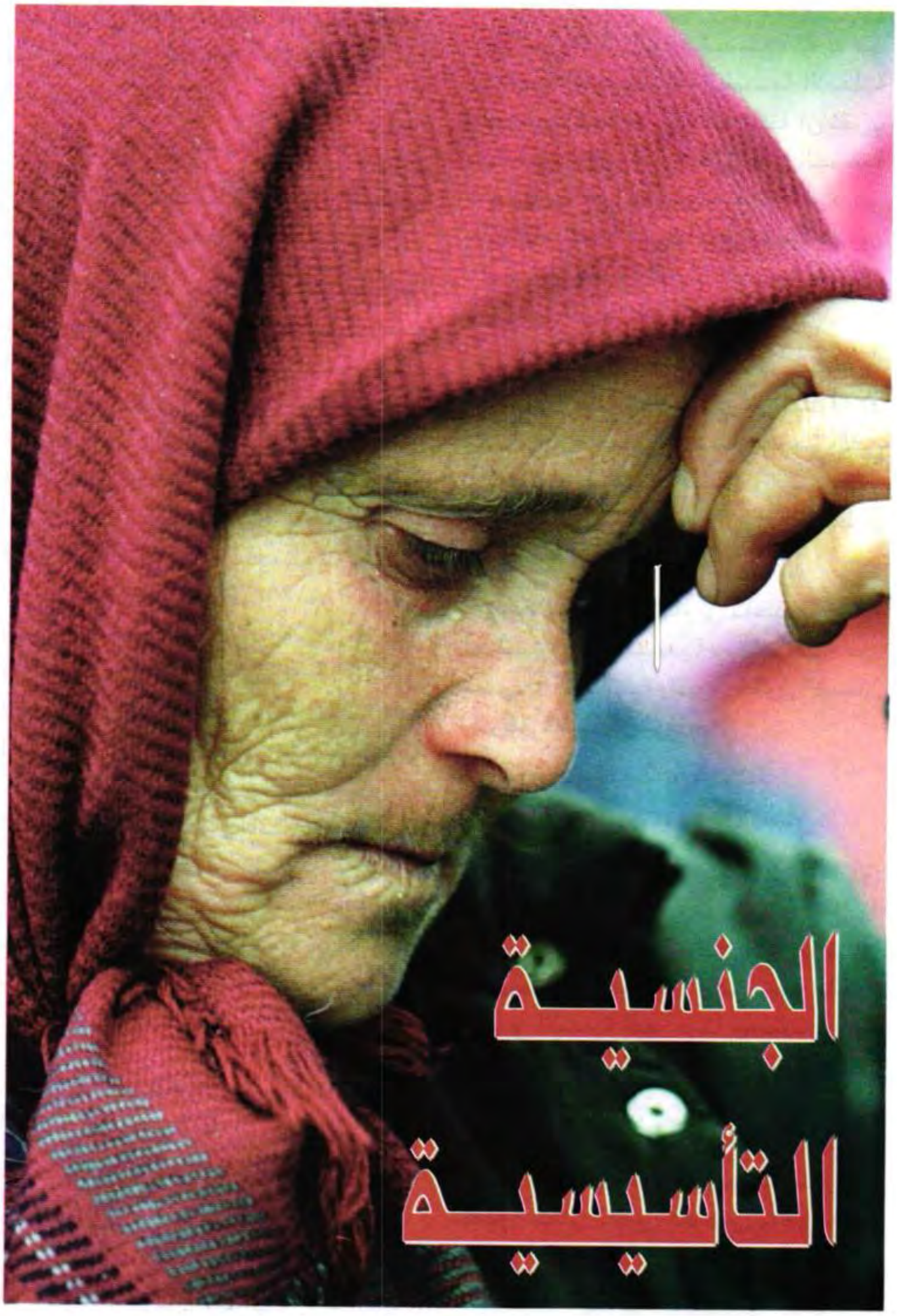
١٤ ـ شلبي: ١٦٤.

١٥ ـ سورة الزمر، الآية ٥٣.

١٦ ـ سورة يوسف ـ الآية:٨٧.

١٧ ـ سعد الدين: ص٩٧.

بقلم : أحمد محمد بكر موسى



لقد تزايد اهتمام العالم حالياً بحقوق الإنسان، وأصبح حديث الساعة في جميع أنحاء العالم، ولقد تفاخر الفرنسيون أيما تفاخر بأنهم أول من نادى بحقوق الإنسان وتتفاخر الأمم المتحدة بوضع الإعلان العالمي لحقوق الإنسان سنة ١٩٤٨م.

فهل لنا من إطلالة في الشريعة الإسلامية لنرى موقفها من حقوق الإنسان واحترام آدميته، وكرامته ولنختر موضوعاً من أهم موضوعات حقوق الإنسان وهو حق الجنسية أو حق المواطنة، وحق الجنسية يعني حق كل إنسان في الانتماء إلى دولة معينة ولا يخفى ما في هذا الانتماء من أهمية قصوى تعني تمتع الشخصية بحقوق وتحمله بالتزامات، فأما الحقوق فمنها الحقوق السياسية كحق الانتخاب والترشيح للهيئات السياسية، وكذلك الحقوق المدنية كحق التملك وغيرها وكذلك حق الفرد في حماية دولته في مواجهة الدول الأخرى، وأما الالتزامات فمنها أداء الخدمة العسكرية وتحمل أعباء الضرائب وغيرها كثير.

ومن هذا المنطلق كان الاهتمام الدولي بالجنسية:

الجنسية التأسيسية ومأساة كوسوفا

فقد أفردت لموضوع الجنسية اتفاقات دولية مستقلة، وقد ورد النص على هذا الحق في اتفاقات أخرى معينة بحقوق الإنسان عموماً.

الاهتمام العالمي بحق الجنسية

يتصدر الإعلان العالمي لحقوق الإنسان الصادر في العام ١٩٤٨م الاهتمام العالمي بحق الجنسية، وقد نصت المادة ١٥ من هذا الإعلان على التالي:

١ ـ لكل فرد حق التمتع بجنسية ما.

٢ ـ لا يجوز تعسفاً حرمان أي شخص من جنسية ولا من الحق في تغييرها.

ومن الإعلانات العالمية التي اهتمت بحق الجنسية أيضاً، الاتفاقية الخاصة بوضع اللاجئين سنة ١٩٥١م، اتفاقية وضع الأشخاص عديمي الجنسية سنة ١٩٥٤م، اتفاقية جنسية المرأة المتزوجة سنة ١٩٥٧م، إعلان حقوق الطفل ١٩٥٩م، اتفاقية خفض حالات انعدام الجنسية سنة ١٩٦١م، إعلان الأمم المتحدة للقضاء على جميع أشكال التمييز العنصري سنة ١٩٦٣م، الاتفاقية الدولية للقضاء على جميع أشكال التمييز العنصري سنة ١٩٦٥م، العهد الدولي للحقوق المدنية والسياسية سنة ١٩٦٦م، إعلان القضاء على التمييز ضد المرأة سنة ١٩٦٧م، الاتفاقية الدولية لقمع جريمة الفصل العنصري والمعاقبة عليها سنة ١٩٧٣م، اتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة سنة ١٩٨١م، إعلان حماية الأطفال سنة ١٩٨٦م، وأخيراً اتفاقية حقوق الطفل سنة ١٩٨٩م.

الاهتمام الإقليمي بحق الجنسية

تتصدر الاتفاقية الأميركية لحقوق الإنسان الاهتمام الإقليمي بحق الجنسية وقد نصت المادة ٢٠ من هذه الاتفاقية على التالي:

١ ـ لكل فرد الحق في جنسية ما.

٢ ـ لكل شخص الحق في جنسية الدولة التي ولد على أرضها إن لم يكن له الحق في جنسية أخرى.

٣ ـ لا يجوز أن يحرم الشخص بصورة تعسفية من جنسيته أو من الحق في تغييرها.

ومن الإعلانات الإقليمية التي اهتمت بحق الجنسية الميثاق الأفريقي لحقوق الإنسان والشعوب، مشروع ميثاق حقوق الإنسان والشعب العربي، إعلان حقوق المواطن في الدول العربية، مشروع وثيقة حقوق الإنسان في الإسلام، وأخيراً الإعلان العالمي لحقوق الإنسان في الإسلام.

وإذا عرفنا أن أنواع الجنسية ثلاث هي الجنسية التأسيسية والجنسية الأصلية والجنسية الطارئة. وإذا كان لنا أن نقرّب هذه الأنواع إلى ذهن القارئ فإن الجنسية التأسيسية هي التي يكتسبها الأفراد في حال قيام الدولة للمرة الأولى، فهؤلاء الذين يكتسبون جنسية الدولة الجديدة يسمون بالمواطنين المؤسسين.

أما الجنسية الأصلية فهي التي يكتسبها الفرد في لحظة ميلاده ولو لم تثبت له إلا لاحقاً، وأما الجنسية الطارئة فهي التي يكتسبها الفرد بعد الميلاد وذلك بإحدى طرق التجنس كالإقامة أو الزواج المختلط أو غيرها من طرق التجنس.

ونريد في هذا اللقاء أن نأخذ موضوع الجنسية التأسيسية ونقارن فيه بين الشريعة الإسلامية وقانون حقوق الإنسان ونعرض لمأساة كوسوفا.

الجنسية التأسيسية في قانون حقوق الإنسان

سبق أن أشرنا إلى الإعلانات والمواثيق التي تناولت حق الجنسية، وحيث إنها تناولت حق الجنسية بصفة عامة ولم تفرق في نصوصها بين أنواع الجنسية الثلاث السابق الإشارة إليها فإننا وبصدد دراسة الجنسية التأسيسية سنتناول منها ما ينطبق على هذا النوع من الجنسية. فمن مواثيق حقوق الإنسان التي عنيت بالجنسية التأسيسية إعلان الأمم المتحدة للقضاء على جميع أشكال التمييز العنصري الذي صدر رسمياً في ١٩٦٣/١١/٢٠م، وقد نصت الفقرة الأولى في المادة الثالثة من هذا الإعلان على التالي: «تبذل جهود خاصة لمنع التمييز بسبب العرق أو اللون أو الأصل الأثني ولا سيما في ميادين الحقوق المدنية ونيل المواطنة...».

وكذلك ورد هذا الحق في الاتفاقية الدولية للقضاء على جميع أشكال التمييز العنصري التي دخلت حيز النفاذ اعتباراً من ١٩٦٣/١/٤م، فقد نصت المادة الخامسة من هذه الاتفاقية على التالي: «إيفاء للالتزامات الأساسية المقررة في المادة الثانية من هذه الاتفاقية، تتعهد الدول الأطراف بحظر التمييز العنصري والقضاء عليه بجميع أشكاله، وبحق كل إنسان دون تمييز بسبب العرق أو اللون أو الأصل القومي أو الأثني في المساواة أمام القانون ولا سيما بصدد التمتع بالحقوق التالية:

د: الحقوق المدنية الأخرى، ولا سيما الحق في الجنسية.

ومن الاتفاقات التي عنيت بالجنسية أيضاً، الاتفاقية الدولية لقمع جريمة الفصل العنصري والمعاقبة عليها والتي دخلت حيز النفاذ اعتباراً من ١٩٧٦/٧/١٨م، فقد نصت الفقرة (ج) من المادة الثانية من هذه الاتفاقية على منع اتخاذ تدابير تشريعية أو غير تشريعية يقصد بها منع فئة أو فئات عنصرية من المشاركة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية للبلد، أو حرمان فئة أو فئات عنصرية من حريات الإنسان وحقوقه الأساسية بما في ذلك... الحق في حمل الجنسية.

وعلى هذا يكون قانون حقوق الإنسان قد أقر مبدأ المساواة في اكتساب الجنسية التأسيسية بغض النظر عن العقيدة أو الأصل القومي أو اللون أو المنشأ أو غيرها من عوامل الخلاف، ولكن كل هذه الإعلانات والاتفاقات ما هي إلا حبر على ورق لا تلتزم به الحكومات ولا تعيره أي اهتمام وذلك على خلاف ما سنرى حالاً في الجنسية التأسيسية الإسلامية.

الجنسية التأسيسية الإسلامية

سبق أن أوضحنا أن الجنسية التأسيسية هي التي يكتسبها الأفراد في حالة نشوء الدولة للمرة الأولى، لذلك يتحتم علينا لكي ندرس الجنسية التأسيسية الإسلامية أن نحدد اللحظة الحاسمة في قيام الدولة الإسلامية بمعايير القانون الدولي العام، ذلك القانون الذي اشترط لقيام الدولة ثلاثة أركان «الشعب، الإقليم، السلطة السياسية».

إنه العام الأول الهجري عندما عاهد

الرسول - ﷺ - اليهود والمشركين في المدينة على العيش في سلام وأن يكونوا يداً على من عاداهم، فبإبرام هذه المعاهدة توافرت الأركان الثلاثة للدولة الإسلامية، ركن الشعب ويتمثل في المسلمين واليهود والمشركين، وركن الإقليم ويتكون في المدينة وضواحيها، وركن السلطة السياسية ويتمثل في الرسول ﷺ رئيس الدولة الجديدة إن صح التعبير.(١)

فعندما قدم الرسول ﷺ إلى المدينة وجدت ثلاث عقائد، الوثنية وتتمثل في المشركين من العرب، واليهودية وتتمثل في بني النضير وبني قريظة وبني قينقاع، والعقيدة الإسلامية وتتمثل في المهاجرين والأنصار.

وهكذا كانت المدينة عند مقدم الرسول - ﷺ - إليها خليطاً من العقائد المختلفة ومن العناصر التي لا يربطها نظام ولا وحدة ولا وفاق، فعمل ﷺ أن ينظمها ويوحد بينها ويجمعها تحت راية الإنسانية العامة، ويقيم بينها التعاون على أساس الإخاء العام، فقد وادع ﷺ اليهود وعاهدهم على أن يكونوا يداً واحدة على من دهم يثرب وكذلك عاهد المشركين من العرب على الدفاع المشترك عن يثرب.

وعلى هذا تكون ركن الشعب في الدولة الإسلامية من عقائد شتى «إسلامية ويهودية ووثنية»، فماذا فعل الرسول ﷺ حيال هذا التباين في شعب دولته؟

التمييز ضد اللون

حارب قانون حقوق الإنسان التمييز ضد اللون وعند قيام الدولة الإسلامية الأولى كان هناك بلال الحبشي الأسود اللون وغيره، فماذا فعل معهم الرسول ﷺ ؟ هل طرد هؤلاء لكي يبقى شعبه مكوناً من لون واحد فقط؟ لم يفعل الرسول ﷺ شيئاً من ذلك، بل عاملهم أفضل معاملة، وكان بلال مؤذن الرسول ﷺ ، وكان لهم حق المواطنة الكامل في الدولة الإسلامية.

التمييز ضد المنشأ

حظر قانون حقوق الإنسان التمييز ضد المنشأ، وعند قيام الدولة الإسلامية الأولى وجد المهاجرون الذين نشأوا في مكة والأنصار واليهود والمشركون الذين نشأوا في المدينة، فهل طرد الرسول ﷺ المهاجرين على أساس نشأتهم في مكة؟ لم يفعل الرسول شيئاً من ذلك وكان للمهاجرين الجنسية الكاملة في الدولة الجديدة.

التمييز ضد الأصل القومي

منع قانون حقوق الإنسان التمييز على أساس الأصل القومي، وعند قيام الدولة الإسلامية وجد سلمان الفارسي وصهيب الرومي وغيرهم من غير العرب فمذا فعل معهم الرسول ﷺ هل حرمهم من مواطنة الدولة الجديدة لكي يبقى شعبه مكوناً من العرب فقط؟ كلا لم يفعل الرسول شيئاً من ذلك وإنما كان لهؤلاء جنسية الدولة الجديدة.

التمييز ضد العقيدة

منع قانون حقوق الإنسان التمييز ضد العقيدة، فماذا فعل الرسول مع اليهود والوثنيين في بداية الدولة الجديدة هل طردهم لكي يبقى شعبه مكوناً من العقيدة الإسلامية فقط؟ لم يفعل الرسول شيئاً من ذلك وإنما أبقى هؤلاء وعاهدهم وأمّنهم على أنفسهم وأبنائهم وأموالهم وجعلهم من مواطني الدولة الجديدة.

لقد تخطى الرسول الكريم برحمته وسماحته القانون الدولي:

لقد تطلب القانون الدولي وجود علاقة روحية بين الفرد والدولة لكي تمنح الدولة الفرد الجنسية، بمعنى أنه لابد أن يكون الفرد محباً للدولة التي ينتمي إليها شاعراً بالولاء لها. فتعالى معي ننظر حال اليهود والمشركين والمنافقين في المدينة المنورة حال قيام الدولة الإسلامية، هل كان لدى أحد من هؤلاء اليهود والمشركين والمنافقين أي حب لهذه الدولة الجديدة أو أي شعور بالانتماء إليها؟ بالطبع لم يكن لديهم شيئ من ذلك كله، بل ظهر منهم الغدر والخيانة للدولة الجديدة ووصل بهم الحد إلى محاولة اغتيال النبي ﷺ ومع ذلك لم يطردهم الرسول الكريم، ولم يحرمهم من حق المواطنة، ولم يفعل معهم ذلك إلا عندما تحالفوا مع مشركي قريش ضد المسلمين وحاولوا تقويض الدولة الجديدة، فعندئذ وعندئذ فقط طردهم النبي ﷺ وهو بهذا لم يفعل أكثر مما تفعله الدول حالياً مع مواطنيها المارقين الخائنين لها المهددين لأمنها. وبهذا يتبين مدى تفوق الرسول ﷺ (الذي لا ينطق عن الهوى) على الفكر البشري المعاصر المتمثل في القانون الدولي وقانون حقوق الإنسان.

الجنسية التأسيسية ومأساة كوسوفا

رأينا كيف أن الرسول ﷺ تقبل في شعب دولته الجديدة جميع العقائد الموجودة «إسلامية، يهودية، ووثنية» وأنه لم يطرد أحداً من أهل المدينة لكونه على غير العقيدة الإسلامية، فماذا يحدث الآن في كوسوفا؟

مع تفكك جمهورية يوغوسلافيا السابقة وتحولها إلى جمهوريات صغيرة كان لابد من تأسيس جنسية تلك الجمهوريات الجديدة، ومن بين تلك الجمهوريات الوليدة جمهورية صربيا التي نظرت إلى ركن الشعب فيها فوجدته يحتوي على عقيدة غير المسيحية، ألا وهي العقيدة الإسلامية المتمثلة في ألبان كوسوفا، فعمدت تلك الدولة إلى قتل وتشريد هؤلاء المسلمين وذلك لتطهير شعبها من هذه العقيدة المخالفة، ضاربة بالقانون الدولي وقانون حقوق الإنسان عرض الحائط.

فأين هذا التطهير العرقي مما فعله الرسول ﷺ عندما أقام الدولة الإسلامية الأولى بالمدينة حيث احتوت على المسلمين واليهود والوثنيين والمنافقين جنباً إلى جنب.

وأخيراً نقول هل قرأ الرسول إعلانات حقوق الإنسان؟ ■

المراجع:

١ - صفي الدين المباركفوري - الرحيق المختوم.

٢ - د. أحمد شلبي - موسوعة التاريخ الإسلامي - الجزء الأول.

٣ - د. فتحي عبدالكريم - الدولة والسيادة في الإسلام.

بقلم: أ.د. محمد الزحيلي

رد الشبهات عن الإرث في الإسلام

إن نظام الإرث في الشريعة الغراء نظام محكم بديع، وتنظيم فريد دقيق، تكفل الله بإقراره في القرآن الكريم، وبيّنه رسول الله ﷺ. وفصّله الأئمة والعلماء والفقهاء بياناً شافياً، وعملت به معظم قوانين الميراث والأحوال الشخصية في البلاد العربية والإسلامية، ولايزال في حيز التطبيق العملي، ويمثل أحد مرتكزات النظام المالي في الإسلام.

وردَّد فريق من الناس بعض الشبهات والاعتراضات عن الإرث عامة، وعن نظام الإرث في الإسلام خاصة، ونذكر أهم هذه الشبهات، ثم مناقشتها، مع بيان الرد الدقيق عليها.

أولاً: منافاة الإرث للعدالة

يرى بعض الناس أن إقرار الإرث عامة، وقواعده خاصة، تتنافى مع العدالة التي تأبى أن يملك الإنسان مالاً لم يتعب في تحصيله، وقد يكون مجموعاً من طرق ظالمة، فالعدالة تقتضي رده لمن يستحقه، ولا ينتقل إلى ورثة الظالم، أو يعطى على الأقل لخزانة الدولة لصرفه على المصالح العامة التي تحقق الخير للناس جميعاً.

وإن إقرار الإرث يؤدي إلى نتائج تأباها العدالة والمنطق والعقل، كالولد الذي يولد من أبٍ غني يورثه أموالاً طائلة، لم يتعب في جنيها وتحصيلها، ولا يتعقل في إنفاقها، ويبددها في الملذات والمآثم، ويركن إليها دون أن يكد ويسعى في الحياة، وفي مقابله ولد يولد من أب فقير ليس له مال يورثه، فيعيش في الفاقة، ويحرم من طيبات الحياة، ويضطر للعمل الدؤوب، فأي ذنب اقترفه هذا الولد الفقير؟ وأي ميزة استحقها ذلك الولد الغني؟ وإن العدالة توجب منع هذا التفاوت، وتفرض المساواة بينهما.

والجواب عن ذلك من وجوه:

١ ـ ما ذنب الولد القصير أو الهزيل؟ وما ذنب الولد الأعرج أو الأعمى أو المشوّه؟ وما ذنب الولد الأبله والمعتوه وناقص العقل والإدراك؟

إن الحياة لم تسو بين الناس في المواهب والألوان والعقول والصفات والميول، وهذا أمر فطري جبلّي، له حِكم كثيرة، بحيث يتحقق التكامل والتعاون والتكافل بين الجميع، قال الله تعالى: (أهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضاً سُخريا ورحمة ربك خير مما يجمعون) الزخرف:٣٢، وفي الآية كلام لطيف وجميل ورائع لعلماء التفسير، ويتفق مع الواقع، ويعالج شؤون الحياة في مختلف جوانبها، مما لا مجال للتوسع فيه.

٢ ـ إنَّ الآباء يورثون أولادهم الخصائص والألوان والمواهب الجسمية، وهي أهم بكثير من الأموال، فلا غرابة أن يورثوهم المال، وما كسبوه في الحياة، لحِكَم كثيرة أيضاً فطرية ونفسية واقتصادية.

٣ ـ إن جميع الأنظمة في العالم، حتى الشيوعية والاشتراكية، وجميع التشريعات ونظم العالم القديم والحديث، تقر تفاوت الطبقات، ولا تساوي بين الموظفين والعمال في الأجور والرواتب عن الجهد المبذول، والعمل والإنتاج، وتميز العلماء والأدباء والمفكرين والمخترعين والموهوبين ورجال الحكم والسلطة، وتعطيهم أجوراً مرتفعة، وامتيازات متعددة، وهم من شعب واحد، ونظام وضعي واحد، ودولة واحدة، ولا يقارن عقلاً وفعلاً الجهد الذي يبذله المفكر والعالم مع الجهد الذي يبذله العامل، وكل صنف له طبيعته في التقويم والقياس، فما ذنب بقية أبناء الشعب؟ وما ذنب عامة الناس الذين لم يتمتعوا بالمواهب والمناصب والوظائف الممتازة في الوزارات وأجهزة الدولة، مع وجود من يساويهم بالكفاءات والمؤهلات.

٤ ـ أما الادعاء بجمع المال من مصدر حرام وظلم، فهذا لا يقره الإسلام أصلاً، الذي حدد طرق الكسب الحلال، وإن حصل ظلم أو عدوان أو غصب فيجب شرعاً ردُّه إلى أصحابه، والمبادرة إلى إقامة العدل ورد المظالم، ولا يترك المال بين يدي الظالم والغاصب والسارق إلى الوفاة ليبعث في مصيره، وإن الدولة أولاً، والقضاء ثانياً، مكلفان شرعاً بذلك، بل هو واجب مقدس، لا يقبل الإسلام التنازل عنه مطلقاً، قال تعالى: (وأمرت لأعدل بينكم) الشورى:١٥، وقال تعالى: (إن الله يأمر بالعدل والإحسان) النحل:٩٠، وقال تعالى: (يأيها الذين آمنوا

كونوا قوامين بالقسط) النساء:١٣٥، وهو العدل، وبيَّن تعالى الحكمة من إرسال الرسل وإنزال الكتب، فقال تعالى: (لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط) الحديد:٢٥، ولذلك وجد القضاء في الإسلام، وفي سائر الأنظمة والدول.

أما مجرد الاتهام والشك والظن بأن المال حرام، ومصدره ظلم، فلا يعمل به، وإن الظن لا يغني من الحق شيئاً، ولا يعتمد عليه القضاء، حتى إن وقع ذلك، ولم ترد المظالم إلى أهلها في الدنيا، فالإسلام والدين والعقيدة تقرر أن الحساب في الآخرة عسير، وإن التربية الإيمانية، والضمير الديني يحثان على الخروج من المظالم ذاتياً في الدنيا، والتوبة منها قبل الآخرة.

٥ - وإذا ورث الشخص مالاً، أو كسب بكدِّ يمينه في الحلال، ثم سعى بإنفاقه في الملذات والمحرّمات والإسراف والتبذير، فهذا لا يترك وشأنه، بل شرع الإسلام والفقه والقضاء الحجر على السفيه والمبذر، والأخذ على يد العابثين والماجنين، وتكلف الدول شرعاً بمراقبة ذلك، ووضع الحد لمن يتجاوز المشروع والمعقول والمعروف، لأن المال مال الله تعالى، وهو ملك لصاحبه، ولكن للمجتمع حق فيه، والشرع أرشد إلى سبيل الإنفاق السديد، والترشيد في الاستثمار والانتفاع.

٦ - إن من يبكون من الإسراف والترف وتضييع الأموال تجدهم أحرص الناس على ممارستها إن أتيحت لهم، وإن البلاد غير الإسلامية، ومن يقلدها، ومن يسير بفلكها، هي التي ترعى أماكن الفسق، واللهو، والترف، وتشجع عليها، وترعى مصالحها، وتتباهى بها باسم التقدم، والحضارة، والفن، والحرية.

٧ - إن الإرث تقره جميع الشرائع والأنظمة والديانات إلا ما ندر، وإن اختلفت مبادئه وقواعده، وحتى الشيوعية اضطرت إلى إقرار التملك الفردي أولاً، ثم حق الإرث ثانياً، كما جاء في الدستور السوفييتي لعام ١٩٤٥م في المواد ٧ - ١٠، ثم انهارت النظم الشيوعية ثالثاً، وتتخبط بقية النظم في العالم بألوان من القوانين الإرثية رابعاً.

ثانياً: تفضيل الرجل على المرأة

يثير أعداء الإسلام، وضعاف الإيمان، ومن يجهل الأحكام، الشبهات حول إعطاء الذكر مثل حظ الأنثيين، وأن ذلك تفضيل للذكور، وانتقاص وإهانة للنساء، وتمييز لأحد الجنسين على الآخر، ويطالبون بمساواة النساء مع الرجال في الإرث.

والجواب على ذلك من وجوه:

١ - إن الإرث في الإسلام يعتمد - أصلاً - على القرب من الميت من جهة، وحاجة الورثة الذكور والإناث للمال من جهة ثانية، وحسب التكاليف والواجبات والمسؤوليات التي تناط بكل منهم من جهة ثالثة في إطار المنظور الإسلامي ومنهجه العام، وأحكامه المختلفة.

وإن الذكر يأخذ - فعلاً - مثل حظي الأنثى لحاجته، ومسؤولياته، وواجباته المكلف بها، بالمقارنة مع الأنثى سواء أكانت بنتاً أم أختاً، أم أماً، أم زوجة.

والمثال يوضح ذلك: توفي شخص وترك ابناً وبنتاً، وترك لهما ثلاثة آلاف دينار، فتأخذ البنت ألفاً ويأخذ الابن ألفين، وإذا أراد الزواج، فالبنت تأخذ المهر وتضمه إلى ميراثها، والابن يدفع المهر مما ورث، والبنت لا تكلف بالنفقة على نفسها، بل ينفق عليها زوجها، والابن ينفق ما بقي معه على نفسه، وعلى زوجته، وسينفق حتماً في المستقبل على أولاده، والبنت لا تكلف الإنفاق على أولادها، ولا على زوجها، ويضاف إلى ذلك أن الابن يكلف بالإنفاق على أمه، وأبيه، وجده، وجدته، وجد جده وهكذا، إن كانوا موجودين، ويكلف بالإنفاق على أولاده وأولاد أولاده عند الشافعية، وعند الحنفية يضاف إلى ذلك الإنفاق على سائر العصبات من القرابة إن كانوا محتاجين ومعوزين وفقراء.

فالبنت تأخذ ولا تعطي، وتغنم ولا تغرم، وتدخر ولا تكلف بالإنفاق، فهي أسعد حظاً، وأكثر مالاً، ويفتح أمامها الترفه والتنعم والسعادة أكثر من الذكر، وهذا ما أراده الإسلام لها.

والمثال السابق ينطبق تماماً إذا مات شخص وترك أماً وأباً، فالأم تأخذ الثلث والثلثان الباقيان للأب، وهو وحده يكلّف بالإنفاق على نفسه وعلى الأم «زوجته» وعلى أمه وأبيه وأولاده، ولا تكلّف الأم شيئاً من الناحية المالية، لأنها المكلّفة بالتربية والعاطفة والناحية المعنوية.

ميراث الرجال والنساء في الإسلام لا يقوم مطلقاً على تفضيل الرجل على المرأة أو انتقاص المرأة في الإرث أو احتقارها وإهانتها

٢ - إن تفضيل الذكر على الأنثى في الميراث محصور في البنات والأخوات، وأحياناً في الأمهات والزوجات، وليس الأمر مطلقاً في كل الحالات، حتى يحلو لضعاف العلم والإيمان إثارة الشبهة عن الإسلام، بل إن الإسلام فضل أحياناً المرأة في الميراث على الرجل، كما يلي.

٣ - يكون نصيب المرأة مثل نصيب الرجل سواء بسواء في حالات، كالأخت لأم مع الأخ لأم، وميراث الأم مع الأب عند وجود الابن، وميراث الجدة مع الجد عند وجود الابن، وميراث الأخت الشقيقة مع البنت كميراث الأخ الشقيق مع البنت بأخذ الباقي.

٤ - قد تأخذ المرأة أكثر من الرجل في الميراث كالبنت مع ابن الابن عند وجود أم أو أب، أو زوجة أو زوج، أو عند اجتماع هؤلاء جميعاً، ومثل البنت مع الأخ عند وجود الأم والزوج، أو الزوجة، ومثل البنت مع الأب والأم والزوجة، تأخذ أكثر من الابن مع الأب والأم والزوج أو الزوجة، ومثل بنتين مع أب وأم وزوجة، تأخذان أكثر من ابنين مع الأب والأم والزوجة.

٥ - إن المرأة ترث في حالات، ولا يرث الذكر مع اتحاد القرب والدرجة، فأم الأم ترث، وأب الأم في درجتها لا يرث، والأخت الشقيقة ترث مع البنت أو تحجب الأخ لأب فلا يرث، ومثل بنت الابن ترث دون ابن الابن في حالات، وكذا الأخت لأب ترث في حالات لا يرث فيها الأخ لأب.

فهذه أمثلة عملية، وأدلة شرعية تدل على أن ميراث الرجال والنساء في الإسلام لا يقوم مطلقاً على تفضيل الرجل على المرأة، أو انتقاص المرأة في الإرث، أو احتقار المرأة وإهانتها، ولا مجال نهائياً لوسوسة شياطين الإنس والجن بالدعوة الصورية لمساواة المرأة بالرجل في

الإسلام، وأن هذا مجرد شعار دخيل على البلاد العربية والإسلامية، والنظم الشرعية، وهو مجرد كلمة حق أريد بها باطل في فتنة النساء المسلمات، والتشكيك في الدين، والطعن واللمز والهزء بالإسلام، ويمكرون ويمكر الله، والله خير الماكرين، والمسلم الواعي، والمؤمن القوي، لا يُلبس عليه بذلك، ولا يقبل هذه الأباطيل، ولا ترف عينه لهذه الدعايات، ولا يأبه لهذه الافتراءات، وهو متمسك بدينه، مقتنع به يعض عليه بالنواجذ، موقناً بالله رباً وبالإسلام ديناً، وبالقرآن إماماً، وبمحمد - ﷺ - رسولاً، ويدافع عن عقيدته وشريعته أمام الباطل، ليردد قول الحق العليم الحكيم: (فريضة من الله إن الله كان عليماً حكيماً) النساء:١١، وقوله تعالى عن آيات الميراث: (تلك حدود الله ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك هو الفوز العظيم. ومن يعص الله ورسوله ويتعدّ حدوده يدخله ناراً خالداً فيها وله عذاب مهين) النساء: ١٣ - ١٤.

لكن المهم الالتزام بالشرع، وتطبيق أحكام الله تعالى، وإعطاء المرأة حقها الذي منحها إياه القرآن الكريم، ولا تحرم من الميراث نهائياً كما هو الواقع الجاهلي المنتشر الآن في كثير من البلاد.

ثالثاً: الإرث بالشرع والقانون

كثيراً ما تثور شبهة في أذهان الناس، وتتردد على ألسنتهم، أن الشرع فرّق بين الذكر والأنثى، والقانون سوّى بين الذكر والأنثى، أو الرجل والمرأة، ويعتقد القائل لذلك أن هذا هو الأمر المقرر والعام والمعمول به في قوانين الأحوال الشخصية والميراث في البلاد العربية والإسلامية.

والحقيقة غير هذا تماماً، وهذه الشبهة فيها التباس وعدم معرفة بالواقع، وذلك أن أحكام الميراث في قوانين البلاد العربية مأخوذة حصراً من الشريعة الإسلامية، ومن مختلف المذاهب الفقهية، ولا يوجد فيها شيء نهائياً من خارج الشريعة والفقه، ولكن وجد فيها الاختيار من المذاهب الفقهية، وترجيح بعض الأقوال على بعض، دون أن تخرج مطلقاً على الشرع والفقه، فقوانين الميراث، أو قوانين الأحوال الشخصية التي تنظم الميراث، كلها مأخوذة من الشريعة والفقه الإسلامي حصراً، والحمد لله، وهذا فضل من الله تعالى ومنّة، يستحق الاعتراف والشكر.

ولكن سبب الشبهة ورد من قانون عثماني قديم، لايزال معمولاً به في معظم البلاد العربية، وهو قانون انتقال الأموال غير المنقولة الصادر في ٢٧ ربيع الأول ١٣٣١هـ الموافق ٢١ فبراير ١٩١٢م، بعد تطور الكثير بدءاً من عهد سليمان القانوني، ثم سليم الثاني سنة ٩٧٥م، وكان أوسعها قانون انتقال الأراضي الأميرية والموقوفة الصادر في ١٧ محرم ١٢٨٤هـ الموافق مارس ١٨٦٧م، الذي قسم أصحاب الاستحقاق في الأراضي الأميرية والموقوفة فقط، دون الأراضي المملوكة والأعيان والأموال المنقولة، قسمها إلى ثماني درجات، ثم صدر القانون الأخير المعمول به حالياً، وينحصر مفعوله أيضاً بالأراضي الأميرية «التي تسمى في الفقه الإسلامي: الأرض الموات التي لا يملكها أحد، وصارت تسمى الأراضي الأميرية»، والموقوفة التي يقوم على الانتفاع بها، واستغلالها، واستثمارها، والبناء عليها، أو الغراس فيها، أشخاص من قبل الدولة، أو أقرتهم عليها، واشترطت أنه إذا مات الشخص فإن حق البقاء والانتقال والإشراف والتصرف ينتقل إلى أقاربه حسب نظام خاص، وليس حسب نظام الإرث الشرعي، لأن ملك هذه الأراضي غير حقيقي بالنسبة لواضع اليد عليها، وإنما يقتصر حقه على الانتفاع فحسب.

وهذا القانون لا ينطبق نهائياً على الأموال المنقولة كالنقود، والديون، والسيارات، والآلات، والأثاث، والأبنية والعقارات المملوكة ملكاً شرعياً، لأن هذه الأراضي مملوكة حقيقة لأصحابها، فلا يطبق عليها القانون العثماني نهائياً، وهي التي حددتها الأنظمة الإدارية في ذلك الزمن بالمدن، والمناطق المنظمة عمرانياً، والأراضي الثابت تملكها لأصحابها، وتسمى المحددة والمحررة.

ولا مانع من الإشارة إلى بعض أحكام قانون الأراضي الأميرية والموقوفة منذ زمن العثمانيين، فقد حصر الإرث بثلاث جهات، كل منها تحجب ما بعدها، وهي جهة فروع الميت، فالذكر كالأنثى، والفرع المتوفى سابقاً يخلفه فروعه في حصته، ثم جهة الأبوين وفروعهما، فالأب والأم سواء، والأخ والأخت سواء، ومن مات سابقاً قام فروعه مقامه، والدرجة الثالثة هي أجداد وجدات المتوفى وفروعهم، والجد والجدة سواء، ومن مات منهما قام فروعه مقامه.

البنت تأخذ ولا تعطي وتدخر ولا تكلف بالإنفاق فهي أسعد حظاً وأكثر مالاً ويفتح أمامها الترفه والتنعم والسعادة أكثر من الذكر

ويضاف إلى هذه الدرجات الثلاث الزوجان، فإنهما وارثان، وتستوي حصة الزوجة مع حصة الزوج، وإن كان للمتوفى أولاد كان لكل من الزوج أو الزوجة الربع، وإن لم يكن له أولاد فيأخذ الزوج أو الزوجة النصف، ويصدر حصر الإرث القانوني في هذه الأراضي الأميرية والموقوفة من حاكم الصلح المدني في غرفة المذاكرة بعد تقديم طلب من أحد الورثة، وليس من القاضي الشرعي الذي يطبق قانون الأحوال الشخصية وأحكام الميراث.

وقد يكون للقانون العثماني ما يبرره ويسوغه شرعاً في ذلك الوقت، ولكن الدول الآن تملّك الأراضي الأميرية للمنتفعين بها ملكاً كاملاً، ويجري عليها نظام التحديد والتحرير لتسجل الأراضي في ملك واضعي اليد عليها، ومن أذنت له الدولة بإحيائها واستثمارها والانتفاع بها، فإذا مات هذا الشخص انتقلت إلى ورثته، ويجب أن يكون نظام الانتقال خاضعاً لنظام الإرث الشرعي، ويجب إلغاء القانون العثماني السابق، لأنه لم يبق مبرر لوجوده، وأصبح عملياً غير صحيح، ولا يوافق الشرع، ولذلك قامت بعض البلاد العربية بمراجعة هذا القانون في مجالس الشعب والأمة، وأخذت فتوى العلماء بمخالفته للشرع، وقررت إلغاءه وإنهاء العمل به، وعدم تطبيقه، وهذا ما نراه هو الحق، ويجب على سائر البلاد أن تحذو هذا المنهج السديد، وأن تلغي هذا القانون العثماني، وتنهي أثره في الوجود، ليصبح نظام الإرث الشرعي عاماً، ويطبق على جميع الأراضي والحالات، ويقضي نهائياً على هذه الشبهة واللوثة الفكرية والقانونية.

نسأل الله أن يردنا إلى ديننا وشريعتنا رداً جميلاً، وأن يعلمنا ما ينفعنا، وأن ينفعنا بما علّمنا، وأن يجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، والحمد لله رب العالمين. ■

بقلم : عبدالوكيل أحمد صافي

تعاليق على طفل الأنابيب



قرأت كلمة الدكتور أحمد الحجي الكردي المنشورة في كتابه القيم «أحكام المرأة في الفقه الإسلامي» في طبعته الثانية ١٩٩٣م تحت عنوان: «طفل الأنابيب»، وأقول إنه كتاب كل بيت، إليه تعود المرأة المسلمة كما يعود إليه الرجل المسلم يراجع فيه المسائل الفقهية بأسلوب عصري جذاب! والفقه الآن يساوي الحياة وشؤونها يرتبها وينظمها ويضع حلولاً إسلامية لمشاكلها، ولم يعد ترفاً عقلياً كما كان في بعض العصور وكل يوم يَجِدّ جديد، ويطرأ طارئ، ويقدم لنا العلم أشياء لم تكن موجودة، وما عرفها أجدادنا ولا علماؤنا، إنها مشاكل عصرية، تمخضت عن اختراعات العلم وتقدم الآلة، وتفجر المعلومات، ولابد للدين أن يقول كلمته في كل مستحدث وفي كل ما يجدُّ ويطرأ، وبهذا - إن نحن تصدينا لمشاكل العصر - لا نكون معزولين عن العالم، وإنما نكون مشاركين فاعلين ومتفاعلين ولا يكون بذلك فقهنا جامداً متحجراً، فما كان في يوم من الأيام ولا في عصر من العصور جامداً ولا متجمداً، وإنما يواكب كل نقلة حضارية، ويتصدى لكل أمر مهما بلغ خطره، يقول كلمته الحق فيه لا يخشى بعد ذلك أن يوصف بالرجعية، ولا يخشى بعد ذلك أن يوصف بالتزمت إذا ما رأى الحق في ذلك تؤيده الشريعة بقرآنها وسنتها ومصادر التشريع الأخرى من قياس واجتهاد، على أن نستخدم كل ما أتاحه لنا علم أصول الفقه من تقنيات إن صح التعبير، ومن مفاتيح ومبادئ نسترشد بها ونتبصر أمورنا من خلالها لا نشذ ولا نحيد، ديدننا الإخلاص والصدق في العمل والنية الصادقة والنفس النبيلة تجللها تقوى الله وخشيته من أن نضلَّ أو نغوى.

وطفل الأنابيب هدية العصر وتقدمة العلم لنا، انتشر أمره بين الأمم، وعرفت وسائله وأهدافه وغاياته، وأجريت عمليات لها نتائجها الطيبة، ولها نسبتها المعقولة من النجاح، صارت أمراً محتماً وواقعاً مفروضاً مقرراً، فأين حكم الإسلام فيه؟ كلمة الدكتور «طفل الأنابيب» دلو بين الدلاء ومحاولة في التفقه والتبصر، لقد وضع إشارات في معالم الطريق هي أقرب إلى المناقشة منها إلى التقرير، وأقرب إلى طرح المشكلة منها إلى الجزم بحكم فيها.

لقد أهاب في كلمته بأن يجتمع الفقهاء المتخصصون المأمونون على هذا الدين ويبحثوا في هذا الموضوع ثم «يعمل فيه بما ينتهون إليه من الحكم»، وهي دعوة مخلصة أراها ضرورية في هذه الأيام، ويدعو كذلك إذا تعذر هذا الجمع إلى استكتاب جماعة من العلماء ثم ينشر ما يكتبونه بطريقة أو بأخرى ونتقبل المناقشات حوله ثم تنشر كذلك» حتى نصل في النهاية إلى الحق والصواب.

وهأنذا أشارك في هذه المناقشة وأوضح بعض الأمور وأعلق على ما جاء في كلمة الدكتور «أحمد الحجي» من تعاليق حول موضوع طفل الأنابيب، ملخصاً كل فقرة ومعلقاً بما أراه صحيحاً فإن جانفت الصواب فما كان قصدي إلا الوصول إليه.

١ - «إن طريقة طفل الأنابيب يتطلب كشفاً لعورة الرجل وعورة المرأة المغلظتين أمام الطبيب الأجنبي عنهما وهو أمر محرَّم بنصوص القرآن والسنة القاطعة التي لا لبس فيها.

نعم إن كشف العورة يباح لضرورات طارئة إلا أن هذا العمل ليس من تلك الضرورات بكل تأكيد مهما كان الدافع إليه

لعدم استجماعه شروطها وقيودها المعروفة في الفقه» ص ١٦٢ أقول:

- «يباح كشف العورة للمداواة لحاجة الناس إلى التعريف إلى موطن الداء وتشخيص المرض ووصف العلاج المناسب» اهـ «صفحة ٢٦٢ الضرورة الشرعية».

يباح كشف العورة لضرورة الكشف الطبي فكشف العورة في عملية طفل الأنابيب للإنجاب أيضاً من الحاجات الأولية التي تلحُّ على الناس.

- «الحاجة تنزل منزلة الضرورة عامة كانت الحاجة أو خاصة» «قاعدة فقهية».

فالذرية حاجة لطائفة من الناس لا لفرد واحد وبها تباح المحظورات، وإنَّ ستر العورة من التحسينيات ومن المسلم به أن نتجاوز التحسينيات ونخالفها للمحافظة على الحاجيات ولأدائها.

ومن المفيد جداً أن أنقل بعض الكلام من «نوطة» جامعية للأستاذ مصطفى زيد عام ١٩٦٠م:

«يتعلق بكل من الأنواع الثلاثة للمقاصد - الضرائر، الحاجيات، التحسينيات - ما يحوي منه مجرى التكملة والتتمة له بحيث لو فُقد لم يخل بحكمته الأصلية ... ومن أمثلة المكملات عامة أن الحاجيات تُعتبر كالتتمة للضرائر وأن التحسينيات تعتبر كالتتمة للحاجيات إذ الضرائر هي الأصل في بابها، فالحاجيات متممات لها والحاجيات أصل في رفع الحرج، فالتحسينيات متممات لها ولا بد لاعتبار المكملات من حيث هي المكملات من شرط هو ألا يعود اعتبارها على الأصل بالإبطال، أما المكملة التي يفضي اعتبارها إلى إلغاء أصلها فينبغي عدم اعتبارها لأن في إبطال الأصل إبطال التكملة ضرورة، أن وجودها تابع لوجوده ثم إن المصلحة التكميلية دون المصلحة الأصلية في الأهمية ومادام تحقيقهما معاً لم يمكن فقد تعيّن الاقتصار على إحداهما والأصل أهم من التكملة، فوجب اعتباره فضلاً عن أن التكملة لا يتصور وجودها من دون وجوده.

يتبين هذا كله من الأمثلة التالية:

١ - العلاج من الأمراض ضروري لحفظ النفس، وستر العورة تحسيني مكمل فلا يصح أن يكون الثاني مبطلاً للأول ولهذا



● طفل الأنابيب هدية العلم للإنسانية

يصح كشف العورة عند الحاجة إلى العلاج.

٢ - الصلاة ضرورية لحفظ الدين، واستقبال القبلة مكمل فلا يصح أن تسقط الصلاة للعجز عن استقبال القبلة.

٣ - تناول المطعومات ضروري لحفظ النفس، واجتناب النجاسات تكميلي فإذا لم يجد إنسان ما يقتات به أبيح له أكل الميتة. اهـ.

٢ - (إن الوصول إلى ذينك الأمرين يتطلب غالباً تهييجاً للرجل...) ص ١٦٢.

أقول: ليس هذا هو المعتاد في طفل الأنابيب في أغلب الأحوال، بل المعتاد أن يجلب الرجل منيَّة في وعاء خاص لوحده سواء في بيته أو في المشفى.

٣ - (... وكذلك الخلق العربي الأصيل...) ص ١٦٣.

أقول: وهل هذا أصل في بناء الأحكام الشرعية حلاً وحرمة؟ فعموم الإسلام للناس جميعاً أراه يأبى قبول ذلك.

٤ - (ربما تسببت هذه العمليات في تغييرات جذرية في نفس الطفل...) ص ١٦٣.

أقول: هل تبنى الأحكام الشرعية، ومعها القانونية الوضعية على الوهم والحزر والتخمين، ولم يثبت علم النفس هذه التغيرات.

٥ - (ولنتصور أعداداً كبيرة من المشوَّهين في خَلقهم أو خُلقهم... وربما كانوا قادة...) ص١٦٣.

أقول: وهل كثيرون أولئك العقماء حتى تكون ذريتهم أعداداً كبيرة: (لله ملك السموات والأرض يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء إناثاً ويهب لمن يشاء الذكور. أو يزوجهم ذكرناً وإناثاً ويجعل من يشاء عقيماً) الشورى: ٤٩-٥٠.

وكيف سيكون المشوَّه في مركز القيادة؟

وهل ينحصر هذا النوع من الخلق في طفل الأنابيب؟

٦ - (إن نقاء النسب من أشرف ما يتشرف به العربي...) ص ١٦٣.

أقول: بما أن الإسلام أقرَّه ورعاه فمعنى ذلك أن نقاء النسب هو مسألة إنسانية يتطلبها المجتمع الإنساني بعامة.

٧ - (... والعالم يشكو من الانفجار السكاني...) ص١٦٤.

أقول: ليس صحيحاً أن العالم يشكو من الانفجار السكاني - وهذه دعوى مضللة - وأن السكان يزدادون بمتوالية هندسية من القوة الثانية، فمثلاً إذا كان عدد السكان خمسة ملايين فلن يصبح بعد عشرين سنة مثلاً عشرة ملايين، ذلك أن الملايين الخمسة فيهم الإناث والذكور، وفيهم من لم يبلغ سن

الزواج والإنجاب ومنهم من فاته قطار الإنجاب «عدد سكان سورية كان في وسط الخمسينات ستة ملايين وها هو الآن بعد أكثر من أربعين سنة لم يجاوز الخمسة عشر مليوناً أي ضعفين ونصف).

ثم إن نسبة المهمل من الأرض الصالحة أكثر من المستثمر، ثم إن الإمكانات والتقنيات الحديثة سهّلت استصلاح الأراضي غير الصالحة وجعلتها صالحة للاستثمار، كما جعلت من الممكنات استصلاح البحر وفي أقل درجات ذلك الاستفادة من كنوزه الغذائية من اللحم الطري.

٨ ـ (... وهو في الحقيقة مشاركة لله تعالى في الخلق...) ص ١٦٤.

أقول: أين وجه المشاركة؟

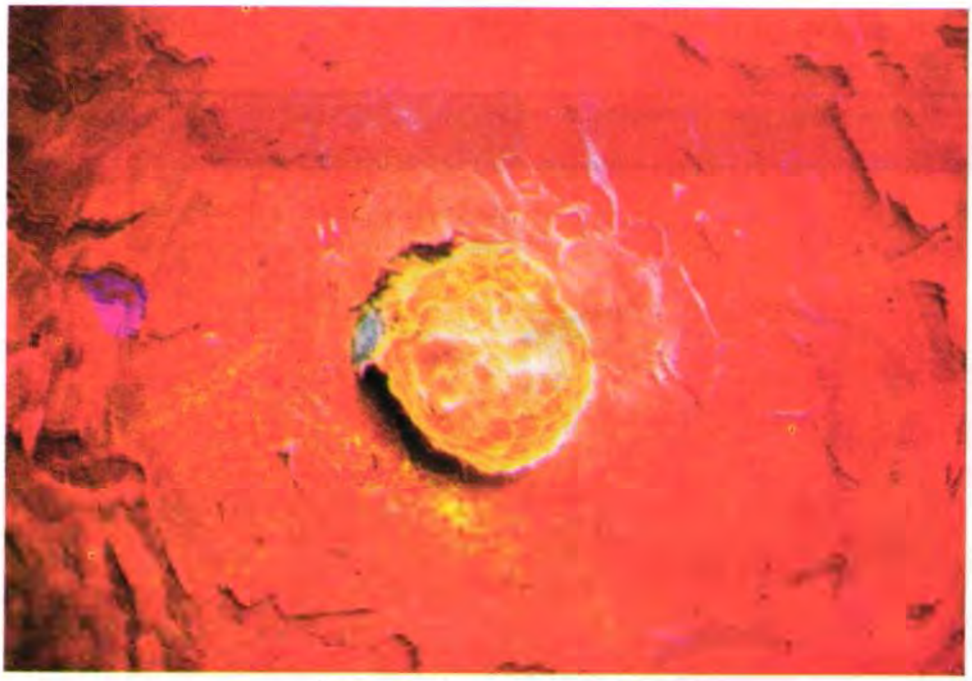
الخَلق في معناه اللغوي والقرآني هو «إيجاد على غير مثال سبق». بينما التدخل في تغيير الكرموزومات فليس إيجاد كرموزومات جديدة وعلى غير مثال سبق وإذاً فليست بخلق، وليس في الأمر مشاركة لله في خلقه ولا ما يحزنون.

٩ ـ (... أم هي الرغبة في المعرفة حال الجنين أذكراً أم أنثى وهو مما استأثر الله بعلمه (ويعلم ما في الأرحام) ص ١٦٤.

أقول: إن عملية التلقيح الصناعي وعملية طفل الأنابيب التي نتكلم عنها ليستا لمعرفة جنس الجنين ذكراً أو أنثى، وقد يُعرف ذلك بالتصوير وعلى خطأ في قراءة الصورة.

ثم إن التعبير الإلهي (ما في الأرحام) لا يقصد به الجنسية من ذكر أو أنثى وإذا فليست هذه الجنسية مما استأثر الله بعلمه، وإنما مما استأثر الله بعلمه هو المفهوم الذي وُضعت له «ما» في اللغة العربية، أما قالوا إنها للماهية، وإذاً فالله تعالى اختص بعلم ماهية الجنين، وهل جنسية الذكورة والأنوثة هي الماهية؟ وهل هذه الصفة تدخل في الماهية؟ ثم أين التكوين النفسي والذهني والبدني والروحي؟ أما قال المناطقة إن الماهية هي ما تصدق في جواب «ما هو» فهل إذا قلنا: ما الجنين؟ نكون قد عرفنا ماهيته بأنه ذكر أو أنثى، وبماذا نجيب على اكتشاف بغلبة الظن أن هذا الجنين هو ذكر أو أنثى.

١٠ ـ (... الأصل في الفروج التحريم...) ص ١٦٤.



● جنين عمره ٨ أيام وقد تشبث بجدار الرحم

أقول: ليتك وضّحت صلة هذه القاعدة الفقهية في عملية التلقيح الصناعي وطفل الأنابيب، وثم لماذا ينبغي الاتجاه إلى البحث عن الدليل المانع دون المبيح مع أن الأصل في الأشياء الإباحة (هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً) البقرة:٢٩، والعلم مما في الأرض فاستخدامه هو الأصل.

١١ ـ (... تطييب نفس الزوجين العقيمين بتأمين الخلفة لهما وهو أمر أتفه بكثير من أن يُلتفت إليه بعد تهيُّب الصوارف) ص١٦٤.

ـ ولماذا إذاً طلب نبي الله زكريا الولد:

(وزكريا إذ نادى ربه رب لا تذرني فرداً وأنت خير الوارثين) الأنبياء:٨٩.

(ذكر رحمت ربك عبده زكريا. إذ نادى ربه نداء خفياً. قال رب إني وهن العظيم مني واشتعل الرأس شيباً ولم أكن بدعائك رب شقياً... فهب لي من لدنك ولياً) مريم: ٢-٥.

ـ وقال نبينا ـ ﷺ ـ وهو يتكلم عن مناقب السيدة خديجة:

«كانت وكانت وكان لي منها ولد» رواه البخاري.

«ما أبدلني الله عز وجل خيراً منها قد آمنت بي إذ كفر بي الناس وصدقتني إذ كذبني الناس ... ورزقني الله عز وجل ولدها إذ حرمني أولاد النساء» مسند الإمام أحمد.

ـ ثم إن هذه الصوارف والموانع يقبلها التقنين الشرعي والقانون الوضعي إذا بلغت درجة غلبة الظن، ويبنى عليها حالئذ حكم شرعي وقانون وضعي أما وأنها لا تزال قيد البحث والنظر وليست محل اتفاق ولا إجماع فلنقل: إذا ثبتت يكون التحريم من باب سد الذرائع وهذا النوع من التحريم أخف مما حرِّم تحريم المقاصد.

١٢ ـ (... ولا سيما أن الله شاء أن يكون في الأمة عقماء) ص١٦٤.

أقول: وهل مداواة الطفل المشوّه خلقة، أو محاولة المداواة فيها معارضة لهذه المشيئة الإلهية؟ كما أن هذه العملية لن تغير من مشيئة الله إنما هي من الأخذ بالأسباب.

١٣ ـ (... الصوارف والموانع...) ص ١٦٤.

أقول: ليست كذلك، وليتك ناقشت حجج المبيحين وفصلّت أكثر مما سقت وفصلّت من حجج.

وبعد فهذه ملاحظات خطرت في البال وأنا أقرأ كلمة الدكتور عن طفل الأنابيب رغبت في نشرها إثراء للموضوع ومشاركة في النقاش، وأحب أن أشير إلى أن الموضوع قد تمَّ بحثه في المجامع الفقهية ـ بناء على أبحاث مقدمة من أطباء في هذا المجال ـ وإعطاء فتوى فيه مقيدة بشروط يستحسن رجوع الأخ القارئ إليها في مواطنها استكمالاً للبحث. ■

تابع الندوة: د. عماد الدين عثمان



استضافت لجنة زكاة العثمان فضيلة الدكتور خالد المذكور. الأستاذ في كلية الشريعة «جامعة الكويت» ورئيس اللجنة الاستشارية العليا للعمل على استكمال تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية. للحديث حول «مستقبل الإسلام في القرن المقبل»، فأوضح فضيلته أن القرن المقبل ليس قرن استعمار دولة لدولة، وإنما عولمة لثقافة واحدة مفروضة، تحمل كثيراً من معاول الهدم للأخلاق، وأن المستقبل للإسلام في كل عصر ومصر منذ أن تمت رسالة الإسلام، ولكن هل المستقبل للمسلمين؟... وأن البشرية دائماً في مسيس الحاجة للإسلام لأنه به تصلح شؤونها وتستقيم أمورها... كما أن المسلمين هم أمة الإسلام إن التزموا به نجحوا وإن تهربوا منه انهزموا دون ريب... وأن الحضارة المادية تعاني من أزمات وكوارث ليس لها حل إلا في الإسلام.

مستقبل الإسلام في القرن المقبل

الحضارة العالمية المقبلة في مسيس الحاجة للإسلام وعلى المسلمين الاستعداد الفكري والثقافي للدخول إلى القرن المقبل

بدأ الدكتور المذكور حديثه بالقول :

إذا نظرنا إلى الإسلام الذي جعله الله خاتم الأديان، وجعل رسوله محمداً ـ ﷺ ـ خاتم الأنبياء والرسل، وجدنا أن هذا الإسلام دين كل عصر ومصر، الدين الذي ارتضاه الله لعباده إلى أن تقوم الساعة، إذاً مستقبل الإسلام في القرن المقبل أو القرون اللاحقة لم يتغير، ولم يتبدل... بل إن هذا الإسلام منذ نزوله وحياً على رسوله الله ـ ﷺ ـ ومنذ أن قام الصحابة بنشره في الآفاق... أصبح يأخذ به أهل الصحاري والقفار، وأهل السواحل والبحار وأهل الزروع والثمار، وأهل السهول والأنهار، وأهل الجبال، انتشر في الآفاق فأصبح هو دين هذه الأرض، ودين العالم كله، بل إن الناظر إلى الأذان وتوقيت الصلوات يشعر أنه في كل ثانية من الثواني يتردد قول المؤذن: «الله أكبر» «الله أكبر»، ولا ينقطع قول «الله أكبر» من على هذه الأرض، وهذا ما أخبر به رسول الله ـ ﷺ ـ بقوله: «جعلت لي الأرض، مسجداً وطهوراً».

فالإسلام إذن يحمل في طياته أنه لهذه الأرض مادام هناك أناس يعيشون عليها، وأنه هو الدين الذي يحمل في ثوابته وفي أسسه وفي مبادئه ما يقوم بهذه الحياة الدنيا في كل أبعادها، ولذلك فنحن عندما نتحدث عن الإسلام وعن شريعة الإسلام، نجد أنها من عند الله سبحانه وتعالى، وأنها باقية خالدة مستقرة في القرون الماضية، وفي هذا القرن وفي القرون اللاحقة إن شاء الله تعالى، وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

المسلمون وليس الإسلام

ونحن عندما نتكلم عن القرن المقبل، نتكلم عن المسلمين، وليس عن الإسلام، فالإسلام محفوظ بحفظ الله سبحانه وتعالى، وفيه من المبادئ والأسس ومن الثوابت ومن النصوص ما يقوم بهذه الحياة الدنيا، ودليل ذلك ـ التطبيق العملي الذي قام في عهد رسول الله ـ ﷺ ـ وفي عهد الصحابة رضوان الله عليهم، وما اتبع ذلك في عهود الدول الإسلامية الكثيرة كلها.

ويستكمل الدكتور خالد المذكور حديثه بالقول: إننا إذا نظرنا إلى التاريخ قبل أن ننظر إلى القرن المقبل، وهذا شأن الحضارات والأمم في الحاضر، نجد أن هناك امتداداً لهذه الحضارات، ومنها حضارة الإسلام، وهذا أمر نظري، وهناك انحسار في هذه الحضارات، ومنها حضارة الإسلام، وحتى نكون موضوعيين وعمليين نعترف أن كل حضارة من هذه الحضارات لها قيم ومبادئ، ولها منهج، فإذا تخلت عنها أو تكاسلت، وتراخت، بدأ الانحدار والانحسار، وهذا شأن طبيعي يجده الإنسان في نفسه، وهو يحاسب ذاته، ويجده في أسرته، وفي أولاده وفي جيرانه وفي مجتمعه، ودليل ذلك أن الحضارة المادية بلغت شأناً كبيراً قبل هبوط الوحي بآلاف السنين.

المساجد ركيزة إسلامية يجب أن تأخذ دورها والناظر إلى الأذان يرى أنه في كل ثانية يتردد في الكون «الله أكبر»

حضارة منهارة

وعندما ننظر إلى قصة يوسف ـ عليه السلام ـ وإلى قدماء المصريين، وما خلّدوه من مبانٍ وحضارات ما زالت تدرس وتترجم ويكتشف في كل حين منها آثارٌ قديمة وأكبر آثارها الأهرامات التي يعتبرونها من عجائب الدنيا السبع هذه العمارة الكثيرة، وهذه الحضارة العظيمة قامت قبل آلاف السنين، وقبل اختراع الطائرات والسيارات والقطارات والفضائيات، وما أشبه ذلك... هذه الحضارة كانت حضارة مادية، ولكنها منهارة أخلاقياً، بدليل قصة يوسف ـ عليه السلام ـ مع امرأة العزيز التي بلغت بها الجرأة أنها راودت فتاها عن نفسه، وسمعت بها نساء المدينة فقلن: امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه قد شغفها حباً فاستدعتهن، وملكن من الجرأة إلى أن ينظرن إلى يوسف ـ عليه السلام ـ فجرَّحْنَ أيديهن من شدة إعجابهن بجماله، فهذا دليل على أن هذه الحضارة التي قامت كانت حضارة منهارة أخلاقياً، وهذا يتكرر في كل زمان ومكان.

الإسلام لا يتبدل ولا يتغير

ونحن عندما نذكر انهيار أو انحسار الحضارة الإسلامية، في دول كثيرة نذكر الموازين التي توزن بها، والمنهج الذي يتغير أو يتبدل، وهذا من سنن الله سبحانه وتعالى في خلقه ـ فلا نقول: إن الإسلام بلغ شأناً كبيراً بل يجب أن نقول:إن المسلمين بلغوا شأناً كبيراً، فالإسلام من عند الله سبحانه وتعالى لا يتبدل ولا يتغير، منهج ثابت من مناهج الله سبحانه وتعالى في هذا الكون، وهذه المبادئ التي يأخذ بها الناس جميعاً والتي تنظم حياة الإنسان والحيوان والجماد، وتنظم هذا الكون كله بنظام دقيق عجيب لايتأخر ولا يتقدم.

ونحن بنو آدم الذين كرَّمهم الله سبحانه وتعالى بالعقل وسخر لنا هذه الكائنات، نحن الذين نخرب دنيانا بأيدينا، وهذه قائمة في كل الحضارات وليست في الحضارة الإسلامية فقط.

أفق القرن المقبل

عندما نتكلم عن المسلمين نجد في شواهد الماضي وفي شواهد الحاضر ما نستطيع أن نستشرف به القرن المقبل أو القرون اللاحقة، فهذا منهج موجود لا يتخلف ولا يتأخر، وعندما نقول: ما آثار القرن المقبل؟ فإننا نأخذ من شواهد الحاضر ما يؤدي بنا إلى أفق القرن المقبل، لا أستطيع أن أعدد من خلال الحاضر أفق القرن المقبل، وهذا يقودنا إلى الحديث في موضوعين مهمين:

الموضوع الأول: التقدم التكنولوجي الهائل الذي رأيناه في وقتنا الحاضر.

والموضوع الآخر: هو موضوع أن يكون هذا العالم قرية صغيرة.

وهذا حادث بالفعل، فما بالنا في القرن المقبل، كيف يكون هذا التقارب الكبير بين دول العالم، وعلى ذلك صارت العولمة في الاقتصادي، والعولمة الثقافية، حيث يساعد التقارب الزماني والمكاني على التقارب الثقافي والفكري، وإذا نظرنا إلى من يستقبل القرن المقبل الآن، نجد أن اليابان وأميركا وأوروبا قد بدأت منذ العام ١٩٩٣م في استقبال القرن المقبل بوضع الأطر والمناهج اللازمة لمثل هذا الأمر.

الاستعمار مصطلح جيد!!

ويشارك الدكتور المذكور بقوله: أين نحن الآن من القرن المقبل كمسلمين؟ حيث تعد الدول الإسلامية في التصنيف العالمي ضمن دول العالم الثالث أو ما يطلق عليه اصطلاح الدول النامية ـ ومسألة التقدم والتخلف والرقي هذه في الحقيقة مصطلحات يجب أن نفهمها وأن نعيها دائماً ـ فخلال فترة طويلة في الثلاثينات والأربعينات والخمسينات من هذا القرن... إلى أن تحررت معظم الدول العربية، ساد مصطلح الاستعمار، ومع أن هذا المصطلح جيد «إيجابي» فكلمة استعمار تعني الإعمار والتقدم

والبناء والازدهار، وهذا بالفعل من الناحية المادية البحتة عندما نرى ما فعله المحتل البريطاني أو الفرنسي أو الأسباني من الناحية المادية في بعض الدول العربية، مثلاً، نذكر أنهم أنشأوا مدناً وطرقاً جيدة، وغير ذلك ولكن أنستطيع القول إن هذا المصطلح الذي ساد ليس صحيحاً لأن المستعمر وإن «عمَّر» وأسس وبنى، إلا أنه في الحقيقة ينظر إلى الاحتلال الثقافي والفكري ولإبعاد المسلمين عن عقيدتهم وشريعتهم والاندماج في الحياة المادية الغربية حتى وإن عمَّروا وإن ضحكوا على بعض السذج من أن الاستعمار كان فيه استقرار، وكان فيه أمن وأمان، وعمل وبناء، إلا أنهم لم يدركوا الغاية التي من أجلها صار هذا الاحتلال والاستعمار من تثقيف وتغيير ملامح الفكر والعقل الإسلامي إلى ما يحبونه ويرضونه لا إلى ما يحبه الله سبحانه وتعالى ويرضاه.

إذاً المسألة في القرن المقبل ليست مسألة احتلال أراض حيث أصبح التقارب الفكري والثقافي واضحين في ظل العولمة مع التقارب الزماني والمكاني.

ونحن نستقبل آفاق القرن المقبل نستطيع القول: إن الذي يستطيع أن يسيطر هو الذي يستطيع أن يثقف نفسه وهذه هي النقطة الحساسة التي يجب أن يفكر بها المسلمون.

وفي القرن المقبل، علينا أن ندرك أن المسألة ليست مسألة وسائل وحضارة مادية وتبادل سلع... فقد انتهى البحث في مثل هذه المسائل، لكن الأمر هنا يرتبط بالثقافة والفكر... حيث من الواجب تقويم الفكر الإسلامي والقيم الإسلامية إلى قيم وأفكار عالمية تسود. وهنا تأتي مسألة عولمة الثقافة وعولمة الفكر والتقارب حيث يفرض البعض مبادئهم وقيمهم وأمورهم من خلال إعلامهم، ومن خلال وسائلهم التكنولوجية المهجرة الموجهة إلى العالم الإسلامي.

شتات

وإذا نظرنا إلى العالم الإسلامي من الناحية السياسية لوجدناه يعيش في شتات... بسبب تقسيم الحدود، وما تم من معاهدات واتفاقات صاغها المستعمر، في الوقت الذي تتجه فيه أوروبا نحو الوحدة الواحدة، والتي خرجت فيها عملة أوروبية موحدة، وكذلك أصبح الانتقال بين معظم الدول الأوروبية من دون جوازات سفر.

فالمسألة التي نعيشها إذاً مسألة فكر وثقافة ومسألة إعلام ومسألة نشر حضارة تختلف عن



● المشاركون في الندوة

الحضارات السابقة في كثير من أمورها.

ويتساءل الدكتور المذكور: ولكن كيف يستعد المسلمون لهذه المرحلة؟ فيجيب: المسألة هنا ليست مسألة حدود ووسائل وتبادل تجارة وسلع وعسكر... بل مسألة فكر وثقافة... وكما سبق لنا القول: فإن التقارب الزماني والمكاني سينهار، حيث الوصول إلى أقصى نقطة في هذا العالم ستتم بسهولة ويسر.

ولكن من الذي سيتغلب؟ هذا هو الذي يجب أن يستعد له المسلمون، فهل المسلمون مستعدون لأن ينشروا فكرهم وثقافتهم؟ وهذا يدفعنا إلى سؤال آخر، هل يفهم المسلمون دينهم وشريعتهم؟ فالمسألة الآن ليست مسألة قراءة وكتابة... حيث من لا يستطيع أن يتعامل مع الكومبيوتر يُعَدُّ أمياً.

إذاً فمسألة الدخول إلى القرن المقبل يجب أن يتم الاستعداد لها استعداداً كبيراً جداً... ليس استعداداً حول الحدود والسدود، ولكن الاستعداد الفكري والثقافي... وقبل ذلك يجب علينا أن نفهم ديننا ونعي شريعتنا... ونعلم أن هذه الشريعة ليست لها حدود وليست أمامها سدود - وهذا يعطينا إيجابية كبيرة جداً في توصيل ما نريد إلى هذا العالم، بل تسخير هذه الإمكانات التكنولوجية الكثيرة في أن يقدم الإسلام للعالم هذه القيم وهذه المبادئ وهذه الثوابت.

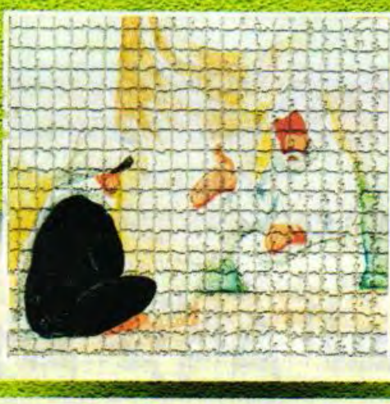
وعلينا كمسلمين ونحن نستقبل القرن المقبل أن نعي أن المحاربة الفكرية والثقافية من اليهود والنصارى شديدة من ناحية التقدم التكنولوجي الهائل الذي يمتلكونه، وكذلك الموارد المالية الكثيرة التي عندهم، وعلينا أن ندرك أن الإسلام يدعونا إلى إقامة مؤسسات مالية فرضتها الشريعة «مثل مؤسسات الزكاة» ومؤسسات مالية فضلية... فإذا كنا نتحدث عن العولمة، وعن التقارب الزماني والمكاني، فالإسلام بعد أن عرفناه وفهمناه، يتجاوز هذه الحدود، ويفرض التقاربين الزماني والمكاني من خلال الصلاة... بل يذهب إلى أبعد من ذلك، وهو الشعور الحسي والوجداني من خلال مؤسسات فرضية، وأنا أدعو إلى ذلك، كما أدعو إلى أن تأخذ المساجد دورها الرائد في القرن المقبل، بصفتها ركيزة من ركائز الإسلام، وبأن تكون مؤسسة نبحث فيها كل أمور الإسلام والمسلمين.

وفي ختام حديثه طرح الدكتور المذكور سؤالاً مهماً: ما الاستعدادات التي ينبغي اتخاذها للمستقبل؟ وأوضح الجواب فقال: الرجوع إلى ديننا أولاً، ثم الاستفادة من منتوجات العلم، كالحاسوب، وتسخيرها لحمل رسالة الإسلام وقيمه للعالم، ثانياً: لأن العولمة المقبلة فكرية وثقافية وأخلاقية أكثر منها تكنولوجية وعلمية، فعلينا أن نستثمر أموالنا ونسخرها لخدمة معركتنا المقبلة، وأن نهتم بعلم الأوليات وفقه الأساسيات.

ووجه الدكتور المذكور نداء إلى جميع المسلمين بالعودة إلى دينهم لأن فيه حياتهم وأمنهم وانتصارهم وحضارتهم بعيداً عن الخلافات والعصبيات، فالعالم في المستقبل ينتظرهم، والحضارة العالمية المقبلة في مسيس الحاجة للإسلام، والمستقبل للإسلام أمر يؤكده الواقع وتستدعيه الحاجة وتحتاجه البشرية جمعاء. ■

الوعي الإسلامي
إسلامية شهرية جامعة
al-Waei al-Islami
العدد 402
صفر 1420 هـ
مايو / يونيو 1999 م

الأسرة المسلمة 2





التهاب اللوزتين المزمن ولحمية خلف الأذن

جروح الطلاق النفسية لدى الأبناء

الكذب عند الأطفال



تحريم الزواج العرفي في الكتاب والسنة

المرأة والتدخين

أيها الأزواج مزيدا من الرعاية والصبر

بقلم: د. أحمد عبدالوارث

تحريم الزواج العرفي في الكتاب والسنة

للدخول في هذا الموضوع يجدر بنا أن نتعرف على معنى الزواج لغة وشرعاً، والأهداف السامية منه، وفوائده، ثم نبيّن معنى كلمة العرفي هل هو متعارف عليه ومعمول به، بمعنى هل هو شرع، وإذا لم يكن كذلك فما علاقة العرف به؟ ثم نتعرف على الزواج الصحيح وشروطه وأركانه ومتى يكون فاسداً، ونتطرق إلى تحريم الزواج العرفي من القرآن الكريم ومن السنة المطهّرة ومن إجماع العلماء على ذلك في مختلف العصور والأزمنة. على ضوء ما عرفنا من أركان الزواج الصحيح.

الزواج لغة وشرعاً:

الزوج، خلاف الفرد، قال ابن سيدة: الزوج، الفرد الذي له قرين، والزوج الاثنان، وعلى الأولى قوله تعالى مخاطباً آدم: (اسكن أنت وزوجك الجنة) البقرة:٣٥، وقوله جل شأنه: (أمسك عليك زوجك) الأحزاب:٣٧، وقوله عز من قائل: (وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج) النساء:٢٠، أي امرأة مكان أخرى.

وأما من يطلقون كلمة «زوج» على الاثنين فإنهم يسترشدون بقول الله تعالى: (وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى) النجم:٤٥، فعلم من هذا أن كل واحد منهما يُقال له زوج وإذاً فيكون «الزواج» بمعنى الرباط الذي جمع بين الرجل والمرأة من كل واحد منهما زوجاً.

أما هذا الرباط فهو النكاح، فالزواج إذاً بمعنى النكاح على ملحظ الرباط والعقد بين الرجل والمرأة، والنكاح بمعنى الزواج على اعتبار ما يصير إليه كل منهما أنه زوج. قال الأعشى في انكح بمعنى تزوج:

ولا تقربن من جارة إن سرها

عليك حرام فانكحن أو تأيما

والنكاح في اللغة هو الضم والجمع، يُقال تناكحت الأشجار، إذا تمايلت وانضم بعضها إلى بعض وحكى المبرّد عن البصريين وغلام ثعلب عن الكوفيين إن النكاح عبارة عن الجمع والضم.

ويطلق النكاح ويُراد به العقد على سبيل المجاز، وأما حقيقته فالمراد به الوطء. قال صاحب الاختيار. فمتى أطلق النكاح في الشرع فإنه يُراد به الوطء(١). بينما يرى المالكية والشافعية والحنابلة أن لفظ نكاح لم يستعمل بمعنى الوطء في كتاب الله إلا في قوله تعالى: (حتى تنكح زوجاً غيره)، وقد دل ذلك على أن النكاح في عرف الشارع هو العقد لا الوطء، وأن إطلاقه على الوطء من قبيل المجاز(٢).

ويرى الفقهاء أن النكاح فرض وواجب بلا خلاف(٣) بينهم مستدلين على ذلك بالكتاب والسنة، فقد قال الله تعالى: (فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع) النساء:٣، وقوله عز وجل: (وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم) النور:٣٢.

وقال رسول الله ﷺ: «النكاح سنتي فمن رغب عن سنتي فليس مني» وقوله عليه الصلاة والسلام: «تناكحوا تكثروا فإني أباهي بكم الأمم».

على أن هذه الفرضية وذلك الواجب تكون للزواج إذا توافرت المقدرة عليه، فإن تاقت نفسه إليه وعجز عن الإنفاق على الزوجة ثم الأولاد بعد ذلك، فإنه يسعه قول الله تعالى: (وليستعفف الذين لا يجدون نكاحاً حتى يغنيهم الله من فضله) النور:٣٣، وليتبع سنة النبي ﷺ في هذا الشأن بكثرة الصيام حيث يقول: «يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغضّ للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء» (رواه الجماعة عن ابن مسعود)، والمقصود بالباءة ـ هنا ـ القدرة على متطلبات الزواج من جماع ونحوه، وقوله ﷺ: «فإنه له وجاء» أي وقاية مما يحدث من ضرر صحي بسبب الغلمة والاهتياج الشديد، ثم وقاية له من المعاصي التي يرتكبها بسبب عدم الزواج.

على أن هذا الزواج يجب أن يقوم على أسس صحيحة ثابتة مستمدة من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ فما دمنا مسلمين ـ والحمد لله ـ يجب علينا ألا نتحرك إلا في ظل الإسلام وألا نسير إلا على هديه.

ومن الأركان الركنية للزواج في الإسلام الولي بالنسبة للمرأة، إذ لا يصح نكاح إلا به، ومن دونه وفي غيبته يكون الزواج زنى، وقد ثبت ذلك بالكتاب والسنة فمن الكتاب قوله تعالى: (ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا...) البقرة:٢٢١، وقوله سبحانه: (فانكحوهن بإذن أهلهن) النساء:٢٥، وقوله: (وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم) النور:٣٢، وقد فُهم من هذه الآيات الكريمة أن الخطاب بالنكاح موجه إلى الرجال ولم يخاطب به النساء فكأنه يقول: لا تنكحوا أيها الأولياء مولياتكم للمشركين، وفي الآية الأخيرة يقول القرطبي: أي زوجوا من لا زوج له منكم فإنه طريق التعفف، والخطاب للأولياء، وقيل للأزواج، والصحيح الأول إذ لو أراد الأزواج لقال: «وانكحوا» بغير همز وكانت الألف للوصل. وفي هذا دليل على أن المرأة ليس لها أن تنكح نفسها بغير ولي.(٤)

وقوله تعالى: (فلا تعضلوهن) من قوله تعالى: (وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهنَّ فلا تعضلوهنَّ أن ينكحن أزواجهن إذا تراضوا بينهم بالمعروف...) البقرة:٢٣٢، نزلت في معقل بن يسار كانت له أخت تحت أبي البدّاح فطلقها وتركها حتى انقضت عدتها، ثم ندم فخطبها فرضيت،، وأبى أخوها أن يزوجها وقال: وجهي من وجهك حرام إن تزوجيته فنزلت الآية، قال مقاتل فدعا رسول الله ﷺ معقلاً فقال: «إن كنت مؤمناً فلا تمنع أختك من أبي البدّاح». فقال: آمنت بالله زوجتها منه(٥). قال القرطبي في الآية دليل على أنه لا يجوز النكاح بغير ولي لأن أخت معقل كانت ثيباً، ولو كان الأمر إليها دون وليها لزوجت نفسها، ولم تحتج إلى وليها معقل.(٦)

وأما من السنة فما روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه وعلي بن أبي طالب وابن مسعود وابن عباس وأبي هريرة رضي الله عنهم أجمعين أن رسول الله ﷺ قال: «لا نكاح إلا بولي» رواه أحمد وأبو داود والترمذي، وصححه ابن حبان والحاكم، وذكر له الحاكم طرقاً، وقال: قد صحت الرواية فيه عن أزواج النبي ﷺ ... عائشة وأم سلمة وزينب بنت جحش، ووجه الاستدلال بالحديث أن النبي ﷺ نفى صحة النكاح الذي يكون من دون أن يباشره الولي.(٧).

وعن عائشة أن رسول الله ﷺ قال: «أيما امرأة نكحت بغير إذن وليها فنكاحها باطل، فنكاحها باطل، فنكاحها باطل، فإن دخل بها فلها المهر بما استحل من فرجها، فإن اشتجروا فالسلطان ولي من لا ولي له»(٨). ويفهم من هذا الحديث أن النكاح من دون ولي فاسد، وقد روي عن مالك أن الشريفة والدنيّة لا يزوجها إلا وليها أو السلطان... وإذا كانت المرأة بموضع لا سلطان فيه ولا ولي لها فإنها تصيّر أمرها إلى من يُوثق بها من جيرانها، ويكون هو وليها في هذه الحالة(٩)، وروى الدارقطني بإسناده عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تزوج المرأةُ المرأةَ ولا تزوج المرأة نفسها. إن الزانية هي التي تزوج نفسها»، وبإسناده عن الشعبي قال: ما كان أحد من أصحاب النبي ﷺ أشد في النكاح بغير ولي من ﷺ، كان يضرب فيه، قال ابن قدامة المقدسي: وتسميتها زانية يجوز بدليل أنه سماها بذلك بمجرد العقد.(١٠)

وموضع الاستدلال بالحديث في نهي الرسول ﷺ المرأة عن مباشرة الزواج، لا لنفسها ولا لغيرها. والنهي يقتضي فساد المنهي عنه. فدل ذلك على عدم صحة العقد الذي تباشره المرأة لنفسها أو وكيلة عن غيرها.(١١)

من كل ما تقدم تبين أن الولي ركن أساسي من أركان صحة عقد الزواج، وأنه لا صحة بحال من الأحوال لعقد زواج باشرته الزوجة بنفسها لأن الزواج له مقاصد متعددة، والمرأة كثيراً ما تخضع لحكم العاطفة، فلا تحسن الاختيار، فيفوتها حصول هذه المقاصد، فمُنعت من مباشرة العقد وجُعل إلى وليها، لتحصل على مقاصد الزواج على الوجه الأكمل.(١٢)

الحكم في آية:

وهي قول ربنا جل شأنه في سورة البقرة: (ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمنَّ ولأمة مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتكم ولا تُنكحوا المشركين حتى يؤمنوا...) الآية:٢٢١، فإن قليلاً من التدبر في ورود الفعل المضارع «تنكحوا» مرتين في الآية بصورة مختلفة عن الأخرى لهو القول الفصل في هذا الشأن، وليس بعد قول الله قول، فقد جاء الفعل «تَنكحوا» في بداية الآية وقد فتح فيه حرف المضارعة التاء «تَنكحوا» وماضيه «نكح» وبعده «المشركات» فكأنه يخاطب الذين يريدون الزواج ألا يتزوجوا المشركات حتى يؤمنَّ. وأما في المرة الثانية فإنه لا يخاطب الزوجات ولكنه يخاطب الأولياء، ذلك لأن وروده في المرة الثانية جاء وقد ضُم فيه حرف المضارعة التاء «تُنكحوا» وماضيه «أنكح» فهو إلى الأولياء ألا ينكحوا موليّاتهم للمشركين حتى يؤمنوا. فهل بعد هذا البلاغ بلاغ آخر؟

على أن مفهوم الزواج العرفي ربما فهمه الناس بل ربما خاصتهم أنه الزواج الذي لا يكون مشهراً ويكون زواجاً صحيحاً بولي وشهود ولكن من غير تسجيل. إن هذا لزواج بهذه الكيفية لا ينقصه إلا الإشهار وهو ركن من أركان الزواج عند بعض الفقهاء، ولكنه صحيح عند غيرهم، أما الزواج الذي يتم فيه الخفاء بعيداً عن الأهل، وبالتالي بعيداً عن الولي بالنسبة للفتاة فهو زواج باطل وهي زانية ونتنبأ لها بسوء المنقلب في الدنيا والآخرة.

أما في الدنيا فإن هذا التيس الذي رضيت به عن عاطفة كاذبة أساسها شهوة حيوانية هابطة سرعان ما ينطفئ لهيب هذا الشوق ويصطدم رأسها بصخرة الواقع بمجرد أن يقضي كل منهما وطره من الآخر، ويفترس سعادتها المزيفة وحش الحياة الكاسر، ومتاعها ومتطلباتها وما ينشأ عن لقائهما الآثم من ولد لا يعترف به أبوه، وتجري به إلى المحاكم التي لا تُقر هذا الزواج ولكنها تنسب الابن إلى أبيه ولكن هيهات. فقد ضاع الأب وهرب بعيداً من مسؤوليته وتحمّلت هي على عاتقها جزاء جرمها بينما يطاردها المجتمع بازدرائه واحتقاره، ونظرات المقت والغضب تطاردها، فلا يقربها أحد بعد ذلك وتظل هي طريدة، حينئذ تستيقظ فيها شهوة الانتقام بدلاً من شهوتها السالفة، وربما كانت الأخيرة أشد ضراوة عن سابقتها، حتى إذا ما التقت بفتى أحلامها السابق قتلته شر قتلة ووقفت على جثته تمزقها إرباً إرباً. وكم سمعنا وقرأنا عن أحداث من هذا القبيل يندى لها الجبين.

وأما في الآخرة فإن العذاب الشديد، وغضب الله ومقته هو جزاء الله العادل لها لعدم التزامها بتعاليم شرعه الشريف.

إن الزواج العرفي هو المرض الخطير الذي أصبح سائداً في عصرنا الحاضر، وللأسف الشديد أنه أصبح منتشراً بين البعض من أبنائنا وبناتنا طلاب الجامعات، هذا المجتمع الذي يجب أن تكون العلاقة فيه قائمة على أسس علمية ثابتة وبدلاً من أن يتنافس الأبناء والبنات أيهم يسبق الآخر علمياً ويتفوق على الآخر ينحرفون في هذا الإثم.

لكن يجب أن نكون منصفين ونقول إن هذا التصرف أعني الزواج العرفي لا يتم إلا بين فتى وفتاة انحدرا من بيئة هابطة وأن أسرة كل منهما ليس لها نصيب من الخلق الطيب والأخلاق الحميدة فالأمور عندهم يستوي بعضها ببعض.

أو أن هذا الزواج لا يتم إلا بين فتى وفتاة ساد التفكك في أسرة كل منهما، وليس للرجل سيطرة على أولاده ولا على زوجته قبل ذلك، فتركت الأم لـ«ابنتها» الحبل على غاربه، تلهو كيف تشاء أو تصادق من تشاء تتصرف بكل حرية كيف تشاء، وربما كانت الأم تترك ابنتها على هذا الوضع الشائن مكافأة لها على سكوت الابنة على التصرفات الشائنة للأم نفسها.

إن الإسلام ليتوجه إلى أولياء الأمور بخاصة بهذا الإنذار الشديد اللهجة للمحافظة على من يلون أمورهم بقول الله تعالى: (يأيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون) التحريم:٦. ■

الهوامش:

١ - الاختيار شرح المختار ١٤٤/٢.
٢ - النكاح والقضايا المتعلقة به د. أحمد الحصري - ص٧.
٣ - المغني لابن قدامة ٤٤٥/٦.
٤ - تفسير القرطبي مجلد ٧ ص ٤٦٣١، دار الشعب.
٥ - انظر أسباب النزول للواقدي.
٦ - انظر تفسير القرطبي مجلد ٢ ص ٦٦٦، دار الشعب.
٧ - النكاح والقضايا المتعلقة به، د. أحمد الحصري، ص ٤٩٨.
٨ - رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه والترمذي وقال: حديث حسن والحديث صححه القرطبي في تفسيره، انظر مجلد ٢ ص ٨٨١، دار الشعب.
٩ - تفسير القرطبي ٨٨٤/٢.
١٠ - المغني لابن قدامة على مختصر الخرفي ٤٥٥/٦ - عالم الكتب - بيروت.
١١ - النكاح والقضايا المتعلقة به، ص٢٩٨.
١٢ - انظر فقه السنة - السيد سابق - ٣٦٣/٢ دار الريان للتراث ط. ثانية ١٩٩٠م.

سنةٌ ينبغي أن تعود

عرض الرجل كريمته على أهل الخير والصلاح

جرت عادة الناس بأن يبحث الرجل عن المرأة التي يرغب بالزواج بها فيخطبها من وليها، فإذا اتفقا وكتب لهما الوفاق والوئام تزوجها على عادة الناس، وفقاً للشريعة الغراء.

وقد يقع من بعض العقلاء والحكماء خلاف هذه العادة فيبحث الرجل عن الزوج الصالح لابنته من أهل الكفاءة والديانة والأمانة فيعرضها عليه، ويحدث ذلك غالباً ممن لهم بُعد نظر وحسن تفكير... وليس أدل على ذلك من فعل الفاروق عمر بن الخطاب: فعن عبدالله بن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - قال: إن عمر بن الخطاب حين تأيمت حفصة بنت عمر من خنيس بن حذافة السهمي، وكان من أصحاب رسول الله ﷺ فتوفي بالمدينة فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أتيت عثمان بن عفان فعرضت عليه حفصة فقال: «سأنظر في أمري» فلبثت ليالي، ثم لقيني فقال: «قد بدا لي أن لا أتزوج يومي هذا»، قال عمر: فلقيت أبا بكر الصديق، فقلت: إن شئت زوجتك حفصة بنت عمر «فصمت أبو بكر فلم يرجع لي شيئاً، فكنت أوجد عليه مني على عثمان» فلبثت ليالي، ثم خطبها رسول الله ﷺ، فأنكحتها إياه، فلقيني أبو بكر فقال: لعلّك وجدت عليّ حين عرضت عليّ حفصة فلم أرجع عليك، قال أبو بكر: فإنه لم يمنعني أن أرجع إليك فيما عرضت عليّ إلا أني كنت علمت أن رسول الله ﷺ قد ذكرها، فلم أكن لأفشي سرَّ رسول الله ﷺ، ولو تركها النبي ﷺ لقبلتها»(١). وعرضت أم المؤمنين أم حبيبة رضي الله عنها أختها على النبي ﷺ فقال: «إن هذا لا يحل لي».(٢) وقال صالح مدين لموسى عليه السلام: (إني أريد أن أنكحك إحدى ابنتي هاتين) القصص:٢٧، قال القرطبي: «فيه عرض الولي بنته على الرجل، وهذه سنة قائمة»(٣). بل بلغ من سماحة الإسلام وواقعيته أبعد من ذلك، إذ أباح للمرأة أن تعرض نفسها على الرجل الصالح رغبة في تقواه، ولا سيما إن لم يكن لها ولي ينوب عنها. فقد جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ تعرض نفسها - أي ليتزوجها - فقالت بنت أنس بن مالك: ما أقل حياءها، فقال أنس: «هي خير منك رغبت في النبي ﷺ فعرضت نفسها عليه»(٤). هكذا كان شأن الرعيل الأول من أصحاب النبي ﷺ في فهمهم للإسلام، وأخذهم بآدابه واجتهادهم في تحري الصالحين لبناتهم وأخواتهم ولكن غفلة كثير من الناس في هذا الزمان عن هذه الآداب السامية قلب الأوضاع في نظرهم، وأصبح التأسي بمثل هؤلاء الكرام البررة محل غرابة واستنكار. ■

الهوامش:

١ - البخاري: ٩ - ١٨٣ ك النكاح.
٢ - البخاري ١٢١/٩، ومسلم رقم (١٤٤٩).
٣ - الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٧١/١٣.
٤ - انظر فتح الباري - ابن حجر ١٧٨/٩٠.

أحمد عبدالكريم عوض الله

بقلم : محمد رشيد العويد

من وصايا النبي ـ ﷺ ـ بالمرأة

أيها الأزواج
مزيداً من الرعاية والصبر

عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال : طلقت امرأتي وهي حائض. فذكر ذلك عمر للنبي ﷺ ؛ فتغيظ رسول الله ﷺ ؛ ثم قال : «مُرْهُ فليراجعها حتى تحيض حيضة أخرى مستقبلة، سوى حيضتها التي طلقها فيها؛ فإن بدا له أن يطلقها فليطلقها طاهرة من حيضتها قبل أن يمسّها؛ فذلك الطلاق للعدة كما أمر الله».

رواه مسلم

أورد مسلم هذا الحديث، مع روايات وأحاديث أخرى، في كتاب الطلاق، وجعلها في باب تحت عنوان «باب تحريم طلاق الحائض بغير رضاها».

وفي هذا إشارة إلى النهي عن تطليق المرأة في فترة الحيض، حيث تكون المرأة في حال أشبه ما تكون بحال المرض، وهو ما يعد إعجازاً لما كشفه العلم والطب من تغييرات بدنية ونفسية تحدث للمرأة في فترة الحيض.

فالمرأة تنزف في حيضها ما يقارب ربع الليتر من الدم، وتنخفض حرارتها درجة مئوية كاملة، حيث تكون العمليات الحيوية المعتادة في جسم الكائن الحي في أدنى مستوياتها لدى الحائض، وهي العمليات المسماة بالأيض أو الاستقلاب (Metobolisom).

يقل إنتاج الطاقة عندها، وتتراجع عمليات التمثيل الغذائي، وتقل كمية استقلاب المواد النشوية والدهون. وتصاب الغدد الصماء بالتغير في أثناء الحيض فتقل إفرازاتها الحيوية اللازمة للجسم إلى أدنى مستوى لها. ونتيجة لما سبق كله يبطئ النبض، وينخفض ضغط الدم، وتصاب كثيرات من النساء بالدوخة والفتور والكسل.

كما يصاحب الحيض آلام تختلف في شدتها من امرأة إلى أخرى. وأكثر النساء يصبن بآلام وأوجاع في أسفل الظهر وأسفل البطن. وآلام بعض النساء تكون فوق الاحتمال؛ مما يستدعي تناول الأدوية والمسكنات، ومنهن من تحتاج إلى زيارة الطبيبة من أجل ذلك. ويؤدي هذا إلى إصابة المرأة بحالٍ من الكآبة والضيق في أثناء الحيض، وبخاصة في بدايته، حيث تصبح متقلبة المزاج، سريعة الاهتياج، قليلة الاحتمال. وتكون حالها العقلية أو الفكرية في أدنى مستوى لها. ومن النساء ممن تصبن بالصداع النصفي قرب بداية الحيض، وتكون الآلام حينئذٍ مبرحة، ويصاحبها زغللة في الرؤية وقيء. هذه الحال التي تصاب بها المرأة في الحيض تكشف عن الحكمة في نهي النبي ﷺ عن تطليقها خلال هذه الفترة، حيث تثور المرأة لأي شيء، فيضيق زوجها بثورتها، ويندفع إلى تطليقها. لكنه لو حلم وصبر، وأجل وانتظر، إلى أن تمر أيام الحيض، لوجد زوجته وقد ذهب عنها ما جعلها متوترة ثائرة.

والإحصاءات العلمية تؤكد أن أكثر حالات الطلاق إنما يقع في فترة حيض الزوجات.

فيأيها الأزواج؛ احلموا على زوجاتكم أيام حيضهن، ولا تتفاجؤوا بتغير طباعهن وثوراتهن. ■

من التراث

الزوجة الصالحة

قيل لرجل حكيم: صف لنا الزوجة الصالحة؟ والتي تسرُّ الزوج؟

فقال: الزوجة الصالحة هي التي تصون كرامة الزوج، وتحفظ عرضه، وتقدس شرفه، وترعى ماله، وتحترم أهله، وتجله في حضوره، وتعظمه في غيبته، وتحب ما يحبه ـ وإن كان غير محبوب لديها ـ وتكره ما يكره ـ وإن كان غير مكروه عندها ـ تهتم بكل ما يهتم به، وأن تصرف وجهها عن كل ما يصرف وجهه عنه، وأن تغضب لكل ما يغضبه، وترضى لكل ما يرضيه، إن جاء بقليل استكثرته، وإن جاء بكثير شكرته، تستيقظ قبل أن يستيقظ، وتنام بعد أن ينام، وتتحلّم إذا جهل، وتلين إذا قسى، وتسكت إذا ثار، ولا تتمارض بين يديه، ترضى بكل ما يرضيه، ولا تبكي وهو يضحك ولا تضحك وهو يبكي، ولا تفرض عليه أمرها، ولا تلزمه رأيها... ولا تعامله معاملة الخادم الأجير، ولا تنتقده في عمل، ولا تعيب عليه في نظام، ترفع قدره بين أهلها، وتعظم منزلته بين جيرانها، تطلعه على كل حسن، وتخفي عنه كل قبيح، إن شكا إليها واسته، وإن شكا منها انصفته، تعزيه إن كان حزيناً، وتخفف عنه إن كان مهموماً تسهر بجانبه إن كان مريضاً، وتساعده إن كان محتاجاً، وتهوّن عليه إن كان في حرج أو ضيق، تستقبله إذا دخل، وتودعه إذا خرج تنتقي الألفاظ إذا تكلمت، وتجمل نفسها ما وسعها الجمال، وتظهر من الأفعال أحسنها، وتظهر من الأنوثة ألطفها، وتحاول أن تملئ قلبه وعينيه، تقابل سيئته بالحسنة، لاتصلي صلاة التطوع إلا بإذنه ولا تصوم صوم التطوع إلا بإذنه ولا تخرج من البيت إلا بإذنه... ولا ... فصرخ السائل كفى! كفى يا أخي!... ■

النوبي عبدالجواد

بقلم: أشرف سعد

إن رعاية الطفولة والاهتمام بها يعتبر أمراً جليلاً، فالأطفال زينة الحياة الدنيا، يقول الله تعالى: (المال والبنون زينة الحياة الدنيا)، ومن القيم الأساسية التي يحض عليها الإسلام الصدق، ولكننا أحياناً نفاجأ بالأطفال يكذبون لأننا لا نسمح لهم بقول الحقيقة، فعندما يقول الطفل لأمه إنه يكره أخاه فقد تضربه لقوله الحقيقة. وعندما نعاقب الأطفال بسبب الحقيقة فهم يكذبون دفاعاً عن النفس ويكذبون أيضاً ليعطوا لأنفسهم ما ينقصهم في الحقيقة.



الكذب عند الأطفال

أنواع الكذب

ـ الكذب الخيالي:

وهو ما يقصه الطفل من نسج خياله ووحي إلهامه من حكايات سببه خصوبة الخيال ونشاطه.

علاجه: عند كشف هذه المقدرة في نفوس الأطفال ينبغي أن نحسن توجيهها والاستفادة منها بتوجيه موهبته إلى فنون الأدب وعلى المربين أن يشعروا الطفل بأن حديثه ضرب من الخيال ويبادلونه قصة بقصة وخيال بخيال ويعرفونه أن قصصه تخالف الواقع. وكل الأطفال يمرون بفترة في صغرهم لا يفرقون بين الحقيقة والخيال وأحياناً يكون الكذب الخيالي تعبيراً عن أحلام الطفل وهذا الكذب لا يبشر بانحراف سلوكي أو اضطراب نفسي، بل يدل على إنه لا يفرق بين الواقع والخيال.

ـ الكذب الالتباسي:

وهو نوع لا يدل أيضاً على انحراف سلوكي.

سببه: أن الطفل لا يمكنه عادة التمييز بين ما يراه حقيقة واقعة وما يدركه واضحاً في مخيلته. فكثير ما يسمع الطفل حكاية خرافية أو قصة واقعة وسرعان ما تملك عليه مشاعره وتسمعه في اليوم التالي يتحدث عنها وكأنها وقعت بالفعل.

علاجه : يزول هذا النوع من الكذب عادة من تلقاء نفسه إذا كبر الطفل ووصل عقله إلى مستوى يمكنه فيه أن يفرق بين الحقيقة والخيال أو الالتباس باسم الكذب البريء ويزول كلما زادت خبرات الطفل.

ـ الكذب الادعائي:

يلجأ بعض الأطفال الذين يعانون من الشعور بالنقص إلى تغطية هذا الشعور بالمبالغة فيما يملكون أو في صفاتهم أو صفات ذويهم بهدف الشعور بالمركز في وسط أقرانهم، أو استجابة لمؤثرات يتعرضون لها في البيئة. وهو كذب موجّه لتعظيم الذات.

أسبابه: قد ينتج من عدم مقدرة الطفل على الانسجام مع من حوله، ومن ضيق البيئة التي يعيش فيها أو من كثرة القمع والإذلال الواقعين عليه ممن حوله.

علاجه: ينبغي أن نكشف عن النواحي الطيبة في نفس الطفل ونوجهها ونشعره أنه إذا كان يقل عن أقرانه من ناحية فإنه يزيدهم في نواح أخرى. وينبغي الإسراع في علاج هذا الطفل منذ الصغر حتى لا يتفاقم الخطر وإلا نما مع الطفل وصار يصاحبه ويتحول إلى ظاهرة مرضية.

الطفل الذي يعيش في وسط لا يساعد على الصدق يسهل عليه الكذب

عندما نعاقب الأطفال بسبب قولهم الحقيقة فإنهم يكذبون دفاعاً عن النفس

ـ الكذب الغرضي أو الأناني:

يكذب الطفل رغبة منه في تحقيق غرض شخصي.

سببه: عدم توافر الثقة بين الطفل والكبار المحيطين به ونتيجة عدم توافر ثقته في والديه لكثرة عقابهما له أو لوقوفهم في سبيل تحقيق رغباته وحاجاته.

علاجه: إشباع حاجات الطفل النفسية وتحقيق رغباته بشيء من القصد والحكمة.

ـ الكذب الانتقامي:

هو أن يكذب الطفل ليتهم غيره باتهامات يترتب عليها عقابه وسوء معاملته.

أسبابه: الغيرة بين الأطفال فالذي يغار من أخيه يكيد له عند أبويه لينتقم منه وينتج من عدم المساواة في المعاملة بين الأطفال مما يشعرهم بالرغبة في الانتقام.

علاجه: يتطلب علاجه الحرص التام واليقظة والحذر وبخاصة من الآباء والمعلمين لأنه قائم على غير أساس من الحقيقة.

ـ الكذب الدفاعي:

هو أكثر أنواع الكذب شيوعاً، فالطفل يكذب خوفاً مما يقع عليه من عقوبة ويسمى بالكذب الوقائي.

أسبابه: المعاملة القاسية للطفل عقاباً على أخطائه والتي تخرج عن حد المعقول ـ قد يكذب الطفل ليحتفظ لنفسه بامتياز خاص.

ـ سببه الشعور بالنقص والرغبة في وقاية النفس من السلطة الجائرة في المنزل. ومن أنواعه :

كذب الإخلاص :

فالطفل يكذب ليحمي أخاه أو زميله من العقوبة وتنتشر هذه الظاهرة في سن المراهقة حيث يشتد الولاء للأقران.

كذب التقليد :

كثيراً ما يكذب الطفل كتقليد للوالدين أو من حوله على أساس أنهم قدوة له.

الكذب العنادي :

يكذب الطفل لمجرد السرور الناشئ من تحدى السلطة خصوصاً إن كانت شديدة الرقابة والضغط وقليلة الحب.

ولعلاج الكذب الدفاعي: يجب معاملة الطفل بشيء من الحنان ومنحه الحرية في تدبير أموره وشعوره بالاستقلال في أفعاله ويجب عدم الكذب على الأطفال حتى لا يتولد عندهم الميل إلى تقليد الوالدين، لأن

الأطفال يتعلمون الصدق والأمانة من البيئة ومن الكبار القائمين على تربيتهم، ومن الخطأ أن الطفل الصغير لا يفرق بين الصدق والكذب، فالطفل في مقدوره تماماً أن يفرق بين ما هو صادق وما هو كاذب خصوصاً فيما يتعلق بالأمور والرغبات الخاصة به.

والطفل الذي يعيش في وسط لا يساعد على تكون اتجاه الصدق والتدريب عليه يسهل عليه الكذب، خصوصاً إذا كان لا يتمتع بالقدرة الكلامية ولباقة اللسان وكان خصب الخيال.

- الكذب المزمن أو الموضوعي:

ويصل الكذب هنا إلى مرحلة الإدمان فيصدر عن الطفل على الرغم من إرادته وهذا النوع من الكذب يتطلب جهداً كبيراً في علاجه وينتج من الشعور بالنقص وعدم القبول سواء من أقرانه أو من الأسرة.

- الكذب بغرض الاستحواذ:

يلجأ الطفل إلى الكذب للاستحواذ على الأشياء كالنقود أو الحلوى أو اللعب وذلك عندما يفقد الثقة في البيئة فهو يشعر بالحاجة إلى امتلاك أكبر قدر ممكن من الأشياء وهو يكذب في سبيل تحقيق ذلك.

- كذب الخوف من العقاب:

كثيراً ما يتصف الأطفال في الأسرة التي يسود فيها نوع من النظام الصارم والعقوبة الشديدة بالكذب خوفاً من العقاب كما يسود هذا النوع من الكذب في الأسر التي يختلف فيها الآباء والأمهات في طريقة معالجة مشكلات الأبناء. لذلك نجد أن الطفل يتفنن في الكذب وينتقل من كذبه إلى أخرى مستخدماً ذكاءه ولا يضيره أن يلصق تهمه ببريء بهدف الدفاع عن نفسه خوفاً من العقاب الذي يلحق به.

كيف نتصرف عندما يكذب الأطفال؟

أحياناً يكون الكذب عارضاً وأحياناً أخرى يكون مصحوباً بأعراض أخرى كالسرقة أو العصبية الزائدة ونوبات الغضب ولا جدوى من علاج الكذب بالعقاب والتهديد والتشهير والسخرية لأن لهما أثر ضار على نفسية الطفل.

ويجب أن ندرك أن الطفل يتقمص سلوك من حوله لذلك يجب أن يكونوا قدوة للأطفال، فالآباء والأمهات الذين يتباهون بالأكاذيب يدفعون أطفالهم إلى تقليدهم في سلوكهم، ويجب أن نتجنب الظروف التي تشجع الطفل على الكذب وتضطره للدفاع عن نفسه ويجب إذا اعترف الطفل بكذبته ألا نعاقبه لأن عقابه في هذه الحال يعتبر عقاباً على الصدق.

لا جدوى من علاج الكذب بالعقاب والتهديد لأن لهما أثرا ضارا على نفسية الطفل

علاج كذب الأطفال:

لعلاج كذب الأطفال يجب تقصي الباعث الحقيقي الدافع إلى الكذب، وهل هو كذب بقصد حماية النفس خوفاً من العقاب أو بقصد الانتقام والتشفي أو أنه بدافع لا شعوري مرضي إذا كان الطفل دون الرابعة من عمره فلا ننزعج لما ينسجه خياله من قصص أو وقائع غير صحيحة وعلينا أن نساعده لكي يفرق بين الواقع وبين الخيال مستخدمين الدعابة دون أن نتهمه بالكذب أو نؤنبه على ما يؤلفه من قصص خيالية.

وإذا كان عمر الطفل في الخامسة نحدثه عن أهمية الصدق وفوائده دون أن يكون حديثنا له مغزى النصيحة والتأنيب.

وينبغي معاملة الطفل بقدر من التسامح والمرونة إذا لجأ إلى الخيال من وقت لآخر.

وعلينا أن نعلم أن الصدق صفة مكتسبة يكتسبها الطفل من القائمين على تربيته وتعليمه فإذا نشأ الطفل في بيئة تحترم الحق وتلتزم الصدق، فإنه من الطبيعي أن يلتزم حدود الصدق.

والتربية والاستقلالية وعدم تذليل الطفل خير وسيلة للوقاية والعلاج فكلما كان الطفل يتصرف بحرية في أموره الصغيرة ولم يتعرض للعقاب المبرح كلما أخطأ نشأ مطيعاً صادقاً لا يلجأ للكذب أبداً. ■

المراجع:

١ - د. مصطفى رجب - أطفالنا من أين نبدأ - سلسلة مكتبة الشباب - الهيئة العام لقصور الثقافة - ع٢٩ - القاهرة سنة ١٩٩٥م.

٢ - د. ملاك جرجس - مشاكل الأطفال النفسية - القاهرة سنة ١٩٩٦م.

٣ - د. محمد كمال عبدالعزيز - أنت ومشاكل طفلك - مكتبة بن سينا - القاهرة سنة ١٩٨٨م.

٤ - د. محمد مهدي علام - فلسفة الكذب - دار المدينة المنورة - القاهرة سنة ١٩٦٦م.

٥ - يوسف ميخائيل أسعد - رعاية الطفولة - دار نهضة مصر للطباعة - القاهرة سنة ١٩٧٩م.

٦ - د. سعد جلال - المرجع في علم النفس - دار المعارف، ط٣ القاهرة.

٧ - د. جينوت - بين الآباء والأبناء - ت صبري الفضل - مكتبة الدار العربية للكتاب - القاهرة سنة ١٩٩٥م.

٨ - د. فاطمة عبدالعزيز - د. محمد قرني - العناية بطفلك بدنياً ونفسياً - دار الشعب - القاهرة سنة ١٩٨٥م.



بقلم: منى السعيد الشريف

لماذا هذه الازدواجية؟

لماذا هذه الازدواجية؟... نؤمن بالمبدأ وعكسه، نقول ما لا نفعل ونفعل ما لا نقول، حتى أصبحت الازدواجية ظاهرة تسيطر على حياتنا كلها.

تشكو لي إحداهن من زوجها فتقول: «إن زوجي لا يؤمن بفكرة خروج المرأة للعمل ما لم تكن هناك حاجة ماسة لذلك، ويرى أن خروجها للعمل امتهان لدينها وحيائها، بل أنوثتها، ومع إيمانه بكل هذا لا يمنعه ذلك من التطرق في حديثه معي إلى ذكر أخته أو زوجة أخيه أو زوجة فلان من أصدقائه وكيف تعمل وتتحمل معه المسؤولية، وتخفف عنه أعباء الحياة، فإذا قلت له لماذا لا تجعلني أعمل أنا الأخرى مثلهن ما دمت ترى ذلك؟... فيرد: إنك مرفهة ولا تستطيعين تحمل مسؤولية البيت والأولاد مع العمل وكأن المانع الوحيد لخروجي للعمل هو قصور في شخصيتي وجهدي. لا إيمانه بمبدأ يطبقه فأي ازدواجية في ذلك؟».

وتحدثني ابنتي عن بعض تصرفات المعلمين وكيف يناقض قولهم فعلهم فتقول: «حتى مدرس اللغة العربية الذي يحدثنا عن أهميتها وأن تدريسها رسالة مقدسة وأنها لغة الضاد العظيمة ولغة القرآن ولغة أهل الجنة ولسان الله لعباده ومع ذلك لا يتورع عن إقحام بعض الكلمات الأجنبية في حديثه والتي قد لا يحسن نطقها متفاخراً بحفظه ومعرفته بها».

نعم... إننا نؤمن بالمبدأ، ولكن تطبيقنا له شيء آخر، إننا نؤمن بالآخرة ولكن لا نعمل لها، نؤمن بقيمة العمل ولا نعطيه حقه، نؤمن أنه (لاتزر وازرة وزر أخرى)، (وأن ليس للإنسان إلا ما سعى)، فإذا ما سقط أحد أقاربك وجدت الناس تنقلب عليك وتحاسبك على فعله، كأنك أنت الذي قمت به، وكلما زادت درجة قرابتك له زاد تأففهم منك وريبتهم ونفورهم.

والله لقد أصبحنا بهذه الازدواجية ينطبق علينا عتاب الله تعالى في قوله الكريم: (يأيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون). وكنت أظن أنني وأسرتي بمنأى عن تلك الظاهرة حتى دخل عليَّ ولدي ذات يوم يخبرني عن رغبته في الزواج، وأنه قد اختار بالفعل من يريد الاقتران بها فتهللت أساريري، ولم يساورني الشك لحظة أنه قد أحسن الاختيار، فهو يعلم أن خير متاع الدنيا زوجة صالحة، ويؤمن بنصيحة رسول الله ﷺ: «فاظفر بذات الدين تربت يداك»، بل ينصح بذلك أصدقاءه.

ولكني صعقت عندما أخبرني من تكون العروس... إنها حقاً فتاة تسترعي انتباه أي شاب... يتوافر فيها الجمال والمال والنسب الرفيع، ولكنها بعيدة أكبر البعد عن الزوجة التي كنت أرجوها له، وارتضي تدينها وثقافتها، وتمالكت نفسي وجمعت شتات فكري بعد هذه المفاجأة محاولة أن أثنيه عن عزمه أو أقنعه على الأقل بإعادة التفكير في هذا الاختيار وذكّرته بكل المبادئ التي تربى ونشأ عليها وأنه لا يختار امرأة كي يعيش معها فترة من الزمان، ولكنه يختار الأم لأولاده، والرفيق الذي سيلازمه رحلة الحياة، والعقل الذي يجب أن يستوعب أفكاره ومعتقداته وثقافته فيتجاوب مع حواره ويبادله رأياً برأي، والأهم من ذلك كله أنه يختار اليد التي ستكون عوناً له على أمر دينه قبل دنياه، ولكن باءت محاولاتي كلها بالفشل، لقد كان يعتقد اعتقاداً جازماً أنه قادر على أن يشكلها بعد الزواج كيف شاء، وأن يصلح كل ما أراه عيباً بها، كان يتحدث وكأنها ستكون دمية في يده دون إرادة أو مقاومة، ووجدتني في آخر الأمر مرغمة على الإذعان لرغبته وتمنيت من الله أن أكون أنا المخطئة في تقديري وأن يوفق في تحقيق كل ما يرجوه منها.

ومرت أشهر على الزواج ودق بابي ذات يوم ففتحت له فدخل مطأطأ الرأس وألقى عليَّ السلام بصوت مختنق، ثم ألقى بجسده على أول كرسي وكأنه يتخفف من حمل ثقيل ونظر إليَّ بانكسار قائلاً: «كان الحق معك يا أماه لقد أخطأت»، ولم يكن في حاجة أن يكمل فلقد فهمت أن الخلاف بدأ يدب بينه وبين زوجته بعد أن انتهى بريق مميزاتها الظاهرة، وتخلص من تأثيرها عليه، وبدأ يبحث عن الإنسان بداخلها، وأخذ يسرد لي بعض خلافاته معها وكيف أنهما لا يكادان يتفقان على شيء، كان ينتظر مني أن ألومه أو أطلب منه إصلاح خطئه بالانفصال عنها، وأدركت أن الشيطان ساق ولدي إلى الآن كي أكون عوناً له على أخذ القرار لأبغض الحلال ولم أكن لأفعل ذلك أبداً، وأخذت في تهدئته وإقناعه بأنه هو الذي اختارها وعليه أن يتحمل مسؤولية ذلك وقلت له: «لابد أن تعلم يا بني أنه ليس من السهل عليها أن تستجيب لكل ما تقول ويرضيك، وبخاصة إذا كانت على غير دراية بأمور دينها، فهي ترى إذاً في كل أوامرك تشدداً وتحكماً لا مبرر له، فعليك أولاً أن توضح لها أمرها، ولتكن معها زوجاً قبل أن تكون مربياً أو ناصحاً حتى لا تمل واحذر كل الحذر أن تشعرها أنك تريد تغييرها وتعديل سلوكها فقد يأتي هذا بنتيجة عكسية... يا بني أنا على يقين من أنك عندما تزوجت بها توسمت فيها الخير فلتبحث عن هذا الخير داخلها ولتظهره... إن الأمر يتطلب كثيراً من الصبر والوقت فلتجعل ذلك في سبيل الله و«لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم» لقد حان الوقت يا بني كي نطبق مبدأ من المبادئ التي نؤمن بها ونعلم أنها الصلاح لنا في الدنيا والآخر.

تركني ولدي وانصرف وأنا أتساءل... هل أخطأت في تربيته؟ أم أنها صفة متأصلة فينا؟ ومتى سنحيا بمبادئنا فنطبق ما نعتقد ونؤمن به؟ لقد استطاع الرعيل الأول من الصحابة والتابعين تحقيق ذلك، فدانت لهم الدنيا بأسرها... فهل نستطيع نحن ذلك!! ■

بقلم: د. محمد محمد الفيومي



جروح الطلاق النفسية لدى الأبناء

ما من شك أن العلاقات الزوجية غير السوية التي تعاني التصدع والخلافات التي تنتهي بالطلاق تحدث جروحاً وآثاراً مدمرة في حياة الأبناء، ذلك لأن الشقاق بين الزوجين يشكل مناخاً غير صحي في التنشئة الاجتماعية للأبناء، وبخاصة إذا كان هناك صراع بين الزوجين في محاولة ضم الأبناء إلى معسكره لتقوى شوكته في مواجهة الزوجة.

وقد يتولد لدى الأبناء اتجاه نحو العنف، وقد يضل بعض الأبناء الطريق القويم فيسلك طريق الانحراف ويندفع إلى السلوك المضاد للمجتمع، حيث تكون السلطة الأسرية في غفلة عنه وربما يكون قد وقع الانفصال وتم الطلاق.

ويفقد الأبناء الرعاية والعناية في فترة أحوج ما نكون فيها بأمسّ

الحاجة إليها، فهم يحتاجون في هذه الفترة إلى توجيه القدوة حتى ينمو ذكاءهم وتزدهر قدراتهم وتتوجه إلى العلم والمعرفة لا إلى الهدم والتخريب، وربما يتخذ الطفل من العنف منهجاً إذا لم يجد من يقوده إلى جادة الصواب ويجنبه الزلل وإلا ذهب إلى الضياع.

إن أبناءنا فلذات أكبادنا وحملة لواء المستقبل ينبغي أن نوفر لهم حياة سعيدة مستقرة وما واقعة الطلاق إلا تبدداً لكل آمال المستقبل أمام الأبناء.

فالطلاق هو الإعلان الرسمي لفض الحياة الزوجية، وهو الوسيلة الوحيدة لإنهاء الزواج غير الناجح، وتفريق الزوجين وفق مقتضى الشريعة الغراء.

وبالرغم من إباحة الطلاق إلا أنه ينبغي أن يكون الملاذ الأخير، فهو «أبغض الحلال عند الله»، ويؤكد علماء النفس أنه بالرغم من أن الطلاق هو الحل المشروع للزواج الفاشل إلا أنه عامل مثير لكثير من الاضطرابات والمشكلات النفسية لدى الأبناء والمراهقين بخاصة، إذ ينطوي على الحل والمشكلة في آن واحد. ومن الصعب إيجاد التوازن بين هذين الأمرين.

وقد أكدت أبحاث علماء الصحة النفسية أن استمرار الزواج الفاشل ربما يكون أكثر ضرراً بالأبناء من الطلاق، فالشجار المتعاقب في المنزل ربما يكون السبب الأساسي لجنوح الأبناء وبخاصة إذا عمد الوالدان إلى اتخاذ الطفل محوراً لشجارهما، وهذا الجو المضطرب يمنعهم من الحصول على الحب والحنان اللازمين من الوالدين.

إن القلق عند المراهقين أبناء المطلقين مرجعه تعرضهم لظروف قاسية في طفولتهم نتيجة عدم الانسجام الأسري وسوء العلاقة بين الزوجين التي انتهت بالطلاق.

وتؤكد الأبحاث أن أبناء المطلقين ترتفع نسبتهم في قوائم الانتظار في العيادات النفسية في الولايات المتحدة الأميركية وهم يشكلون من ٥٠ إلى ٧٥ في المئة من المجتمع من الأطفال المضطربين.

كما أكد العالم النفسي «كالنر» إن المراهقين الذين يعيشون في بيوت مفككة بسبب الطلاق أو الانفصال يعانون من مشكلات عاطفية وسلوكية ونفسية واجتماعية وصحية بدرجة أكبر من أقرانهم الذين يعيشون في بيوت مستقرة، بل إن هذه الفئة من الأبناء يميلون إلى الحدة والغضب ولديهم ميل شديد للعزلة والانطواء وتتضح لديهم أعراض الاكتئاب.

ويؤكد علماء الصحة النفسية أن المشكلات النفسية التي يعاني منها هؤلاء الأبناء مصدرها تلك التغييرات التي تشمل مجالات الحياة العائلية والاقتصادية والنفسية والاجتماعية.

كما تحدث تغييرات شاملة في علاقة الطفل بالوالدين ومجالات الأداء الوظيفي العائلي وربما يشمل هذا التغير لدى الأبناء نظرة الناس لهم في المدرسة والحي والبيت، كل هذه العوامل تؤدي إلى معاناة أبناء المطلقين من مشكلات انفعالية وسلوكية أهمها:

الكذب، السرقة، العزلة، الغضب، ويلي ذلك مشكلات الغيرة وضعف التحصيل الدراسي، والشعور بالنقص، وهناك مشكلات أخرى أيضاً كالتدخين والإدمان والميول إلى العدوانية.

كما توضح الأبحاث انعدام المساعدات من البيئة الاجتماعية المحيطة بأبناء المطلقين مما يضاعف من هذه المشكلات ومعاناتهم كأن ينحاز الأجداد إلى أحد طرفي الصراع في اتخاذ قرار الطلاق ما ينتج عنه محنة شديدة للأبناء.

وتبرز الدراسات الفروق بين الجنسين من أبناء المطلقين في المشكلات النفسية استناداً إلى أن الذكور والإناث في الأسر المطلقة يعانون من الظروف نفسها، ولكن تظهر لدى الذكور أكثر مشكلات الغضب والهروب والسرقة والعدوان والتدخين، أما لإناث فتسود لديهم مشكلات الكذب والغيرة والخوف.

ويتفق الذكور والإناث في مشكلات الاكتئاب والعزلة والشعور بالنقص والقلق والضعف في التحصيل الدراسي.

وهكذا أكدت الدراسة أن للطلاق آثاراً نفسية أليمة وينتج عنه مشكلات انفعالية وسلوكية تؤثر على تشكيل شخصية الأبناء.

وهكذا فإن الطلاق هو «أبغض الحلال عند الله» ويجب على الآباء مراجعة أنفسهم قبل الإقدام عليه والتفكير فيه ومحاولة تجنب المشكلات التي تقود إلى الطلاق بداية من اختيار الزوجين كلاً منهما للآخر، ولم تغفل الشريعة الإسلامية هذا الجانب لذا دفعت إلى حسن اختيار الزوجين كل منهما للآخر لما لذلك من أثر في إدامة العشرة الزوجية وتربية الأبناء تربية إسلامية. فجاء في حديث الرسول ﷺ : «إذا جاءكم من ترضون دينه وأمانته فزوجوه» رواه مسلم، كما جاء في حديثه الشريف : «تخيروا لنطفكم فإن العرق دساس» رواه ابن ماجه.

ذلك لأن العلاقة الزوجية تكون علاقة فريدة أساسها الألفة والمحبة والتعاون والرحمة وإذا تحقق ذلك، فإن الأسرة المسلمة التي تسير وفق نهج الله هي التي يترعرع في ظلها الأبناء إذ تمد المجتمع بالأبناء الصالحين الذين يتمسكون بالقيم الدينية التي تحض على الصدق والأمانة والتعاون والمحبة.

فلنتق الله في اختيارنا لأزواجنا وليكن أساس اختيارنا هو الإيمان لتنبت الأسرة نباتاً حسناً، وليحيا أبناؤنا حياة آمنة مستقرة، ولنكن بحق خير أمة أخرجت للناس نأمر بالمعروف وننهى عن المنكر. ■

بقلم : عبدالحميد غزي

المرأة والتدخين



لماذا لا تجعلي فترة الحمل والرضاعة فترة ذهبية للتخلص من هذه العادة الروتينية، وأعني بها عادة التدخين؟ إذ لم يكن الأمر كذلك، فإليك بعض الأخطار.

دلت الإحصاءات على أن قابلية المرأة الحامل للإجهاض، تتضاعف بالتدخين وبخاصة في الأشهر الأولى من الحمل، حيث يزداد الخطر، فمادة النيكوتين في السجاير يمتصها دم الأم من الرئة، لتسري في جميع أجزاء الجسم، ومن ضمنها الرحم والمشيمة، حيث تؤثر على مهد الجنين الصغير، وربما تسبب انفصاله عن مصدر غذائه وإعالته عن الأم، وتكون النتيجة الحتمية لهذا هو الإجهاض الذي قد يتكرر ما دام السبب موجوداً وهو التدخين في أثناء الحمل.(١)

وقد يشير حالياً إصبع الاتهام في هذا المجال إلى أن نواتج احتراق السيجارة مثل «القطران» وغيره، تؤدي إلى تشوهات في الجنين وبخاصة في أثناء الحمل، وأولى ضحايا هذه المواد الغريبة هو الجهاز العصبي، والأصعب من ذلك، أن مادة النيكوتين وبعض نتائج احتراق السيجارة يفرزها الثدي مع اللبن في فم الطفل الرضيع.

ومن هنا، أترك لك يا سيدتي حالة هذا الكائن الضعيف، «الطفل الرضيع»، وهو في أسابيعه الأولى، فماذا لو أعلمتك عن نتائج التدخين الأخطر، ألا وهي السرطان، وهذا احتمال وارد لإصابة طفلك به والسبب هو الاستمرار في التدخين.

التأثير على وزن الطفل:

أوضحت بعض الأبحاث أن من النتائج السلبية لظاهرة التدخين عند النساء إنجاب أطفال بأوزان منخفضة ومصابين بأمراض تتعلق بأجهزتهم التنفسية، إضافة إلى ارتفاع معدلات الوفيات بين الرضع، ومن الجدير ذكره في هذا السياق دراسة للدكتور «مايكل وايتزمان»(٢) حيث بنى نتائجه على أساس تحقيقات ومقابلات، شاركت فيها أمهات (٢٢٥٦) طفلاً، تتراوح أعمارهم بين أربعة، وأحد عشر عاماً، وتوصل إلى الاستنتاج التالي:

«كلما ازداد عدد السجائر التي تدخنها الأم، ازدادت نسبة احتمال إصابة أولادها بمشاكل تتعلق بالسلوك».

وأوضح د. وايتزمان: «أن النساء اللواتي يدخن علبة من السجائر على الأقل يومياً، ينجبن أطفالاً لديهم مشاكل سلوكية متطرفة كالعصيان والقلق والتشاجر مع الآخرين بمعدل أكبر مقارنة مع أطفال أمهاتهم لا يدخنّ» وأوضح أيضاً إنه إذا ولد طفل وزنه أقل من كيلو غرام ونصف الكيلوغرام لأم تدخن علبة سجائر يومياً على الأقل، فيكون الاحتمال لديه لإظهار مشاكل سلوكية متطرفة أكثر بثماني مرات من طفل قليل الوزن، ولد لأم لا تدخن السجائر.

وإذا كنتِ تريدين المزيد مما قاله الدكتور «وايزمان» فإليك الخبر التالي:

«تدخين الأمهات في أثناء فترة الحمل وبعد الولادة، قد يغير تركيب وعمل الدماغ مع حدوث آثار طويلة الأمد على سلوك الأطفال، بالإضافة إلى حدوث تغيير في سلوك الأم من حيث معاملتها مع الطفل»(٣).

الإقلاع عن التدخين:

تفيد تقارير منظمة الصحة العالمية، أن هذه الظاهرة - ظاهرة التدخين - بدأت تنتشر في صفوف الآباء والأمهات والمربين والمدرسين والأطباء ورؤساء العمل الذين يفترض أنهم القدوة، يمارسون التدخين على مرأى ممن هم دونهم، وكما تبدي المنظمة أسفها بنشر بعض نتائج التدخين قائلة: «... إن الأطفال الرضع وصغار السن الذين يولدون لآباء وأمهات يدخنون السجائر، أو يستنشقون كمية النيكوتين نفسها، وكأنهم يدخنون ما بين ٦٠ إلى ١٥٠ سيجارة في العام الواحد، فالتعرض لدخان التبغ يزيد من احتمال الإصابة بالمرض لغير المدخنين...»(٤).

ناهيك عن أن المنظمة أوضحت أن التدخين مسؤول عن موت ثلاثة ملايين شخص سنوياً في العام، وأكدت أن هذا الرقم سيصل إلى عشرة ملايين شخص في العام ٢٠٢٠م ويبلغ نصيب الدول النامية منه نحو ٧٠٪ من هؤلاء الأشخاص.

والسؤال الذي يطرح نفسه الآن - بعد عرض بعض نتائج المنظمة - نتساءل على من تقع مهمة الإقلاع عن التدخين؟

وقبل الإجابة على هذا السؤال، أزف إليك هذا الخبر المهم، وذلك من بريطانيا، حيث تسعى الشركات البريطانية جاهدة لمنع التدخين

في أثناء العمل، والأهم عن ذلك: لجوء العاملين في شركة - «أبي ناشونال» البريطانية المتخصصة - إلى عدم التدخين في أثناء قيامهم بعملهم الوظيفي.

وخيارات أخرى تصب كلها في منع التدخين، لدرجة أوجدت غرف خاصة للمدخنين بعيداً عن الآخرين الذين لا يدخنون، إلا أن الخيار الأقوى تأثيراً هو منح قروض من قبل شركة «أبي ناشونال» لموظفيها وتكون معفاة من الفائدة بقيمة ٢٠٠ جنيه استرليني، لمن يريد منهم المعالجة للتخلص من آفة التدخين، والغريب في ذلك. تلك الدعوى التي رفعتها إحدى الموظفات في المجلس البلدي في شمال شرق انكلترا، ونالت تعويضاً قيمته ١٥ ألف جنيه استرليني، بسبب أضرار صحية أصابتها في عملها جراء تدخين الآخرين.(٥)

ونحب أن نشير إلى الاقتراح المتضمن، إبعاد المدخنين بمكاتب خاصة مستقلة عن العاملين الذين لا يدخنون، حيث جاء هذا الاقتراح تطبيقاً لتلك الدارسة التي قام بها الدكتور «ستانتون غلانتز» الذي عالج مشكلة التدخين من جانبه، فأشار بل أكد أن الدخان المنبعث من سجائر المدخنين يزيد في مستوى الكوليسترول الخطير في دم الأشخاص غير المدخنين الذين يستنشقون دخان المدخنين.

وانطلاقاً من مسببات التدخين، نستنتج أن مهمة الإقلاع أولاً وأخيراً تقع على المدخن نفسه وعلى قناعته الذاتية، من حيث الاقتناع بأضراره الجوهرية. وآثاره المختلفة سواء بالمشاهدة أو الملاحظة وعبر أجهزة الإعلام المقروءة والمسموعة، ويجب أن يكون التوجيه والتوعية ضمن برامج وخطط منظمة لتبيان آثار التدخين، والأفضل عرض ذلك بأسلوب الحوار المباشر بين المدخن والمقلع عن التدخين، لأن الامتناع عن التدخين أولاً يحتاج إلى اقتناع المدخن نفسه بأن السيجارة، هي السبب فيما يعاني من آلام وأنها تسبب الضائقة المالية التي يعيشها.

وقد أثبت العلم أن التدخين عادة وليس إدماناً ومن الممكن الاستغناء عنها، كأي عادة لو خفضت نسبة المواد الضارة تدريجياً، دون أن يكون هناك تغيير مفاجئ في نكهة السيجارة، ومن ثم لإثبات أن الإنسان يجب أن ينتصر على هذه العادة، ولزاماً علينا أن نطرح هنا بعض النصائح الواجب على المدخن اتباعها:

- الإقلال من عدد السجائر تدريجياً حتى يستطيع ترك هذه العادة تماماً.

- تناول السوائل قليلة السكر وخصوصاً الماء لترطيب الفم ومنع جفافه وبخاصة بالنسبة للمدخن بكثرة.

- استخدام الفرشاة أو السواك لتنظيف الفم والأسنان بصفة دائمة.

- البعد عن المدخنين حتى لا يتأثر بهم ولا يخالطهم في أثناء التدخين.

- الذهاب إلى العيادات الخاصة - المتخصصة لمكافحة التدخين - من أجل تنفيذ نصائحهم وإرشاداتهم.(٦)

رأي الإسلام في الدخان:

قال الشيخ محمد فقهي العيني الحنفي: وجه تحريم الدخان من أربعة وجوه:(٧)

الأول: كونه مضراً بإخبار الأطباء المعتبرين، وكل ما كان كذلك يحرم استعماله اتفاقاً.

الثاني: كونه من المفترات المتفق عليها عندهم المنهي عن استعماله شرعاً لحديث أم سلمة، أن النبي ﷺ نهى عن كل مسكر ومفتر. أخرجه أحمد وأبو داود بسند صحيح، وهو مفتر باتفاق الأطباء.

الثالث: كون رائحته كريهة تؤذي من لا يستعمله، ولا سيما في المساجد والأماكن العامة، بل إن رائحته تؤذي الملائكة لأنه من نوع أشد كراهة وضرراً مما ورد النهي عن اقتراب المسجد إذا تناول المرء ثوماً أو بصلاً أو كل ما له رائحة كريهة.

روى جابر أن النبي ﷺ قال: «من أكل البصل والثوم والكراث فلا يقربن مسجدنا، فإن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم». أخرجه مسلم ...

ومعلوم أن رائحة الدخان ليست أقل خبثاً من رائحة الثوم أو البصل.

الرابع: كونه تبذير إذ لا نفع فيه، بل ضرره محقق، وحرمة ما فيه تبذير الأموال في الأمور غير المباحة أو ثابتة الضرر شرعاً وعقلاً. ■

الهوامش والمصادر والمراجع:

١ - تأثير التدخين على الرئتين بصفة عامة - محاضرة للدكتور وجيه أحمد السحين - مدرس في كلية الطب جامعة الإسكندرية.

- «مايكل وايتزمان» دكتور في كلية الطب، جامعة «وشيستر» في ولاية نيويورك الأميركية، حيث أجرى دراسات وأبحاثاً كثيرة، وتوصل إلى نتائج مهمة في العلاقة بين المرأة والتدخين.

٣ - التدخين وتأثيره على سلوك الأطفال - جريدة «تشرين» السورية العدد ٥٥٤٢ تاريخ ١٩٩٣/١٠/١٠م، ترجمة محمود الجزائري.

٤ - التدخين ... وصحة الإنسان - مجلة «الجيل» الرياض - العدد ٢٣٣ الموافق ١٨ أبريل - ١٧ مايو ١٩٩٦م، إعداد محمد عبدالله.

٥ - الشركات البريطانية تمنع التدخين في أثناء العمل - جريدة «البعث» السورية، العدد ٩٠٩٢ بتاريخ ١٩٩٣/٣/١٧م.

٦ - وفي إطار جهود مكافحة التدخين، دعت منظمة الصحة العالمية إلى رفع أسعار منتجات التبغ عن طريق فرض الضرائب، والعمل على منع الترويج للتبغ، وإنهاء الدعم الحكومي له، والعمل على إقناع البنك الدولي وصندوق النقد الدولي بعدم تمويل أي مشروع يتعلق بزراعة التبغ وتصنيعه.

٧ - مكافحة التدخين من منطلق الشريعة الإسلامية - مجلة «الجيل» العدد ٢٤١، إعداد: محمد عبدالرحمن السحرتي.

بقلم : د. كمال الدين أبو الحمد

مشكلة كثير من الأسر

التهاب اللوزتين المزمن ولحمية خلف الأنف

إن كل فرد يولد تولد معه لوزتان على جانبي اللسان عند التقاء تجويف الفم مع البلعوم الفمي (شكل ١)، وهما تعتبران خط الدفاع الأول أمام الميكروبات، حيث إن اللوزتين ما هما إلا غدد ليمفاوية تقومان بتكوين أجسام مضادة لقتل أي ميكروب قد يدخل عن طريق الفم.



● اللوزتان خط الدفاع الأول أمام الميكروبات

ولذلك لهما أهمية كبرى خصوصاً عند الأطفال حيث يكثر تعرضهم للميكروبات نتيجة اللعب بما تلتقطه أيديهم وإدخالها داخل فمهم، ولذلك فهما أكثر ما تكونان بين عمر الثالثة والعاشرة وبعد البلوغ تبدآن في الصغر في حجمهما وتضمران مع التقدم في العمر.

أما لحمية الأنف فهي غدة ليمفاوية مبطّنة للبلعوم الأنفي وعادة لا تظهر إلا عند تعرض الطفل للميكروبات عن طريق الأنف فتكبر وتزداد في حجمها وتكون أجساماً مضادة للميكروبات (شكل٢)، وتسمى عادة لدى الناس بلحمية الأنف.

واستئصال اللوزتين ولحمية خلف الأنف أصبح أمراً شائعاً.

على الرغم من أنها عملية جراحية صعبة ولها مخاطر، فإذا كانت اللوزتان بهذه الأهمية من حيث أنهما أول خط دفاعي للجسم وإذا كانت العملية لها مخاطرها فلماذا إذاً يقوم الجراح باستئصالهما؟

دواعي استئصال اللوزتين

١ - إذا تكررت التهاباتهما بحيث تؤثران على عمل وحياة المريض من ارتفاع في درجة الحرارة قد تصل إلى ٤٠درجة مئوية، وصعوبة في البلع وألم في الحلق مما يدفع المريض إلى التزام السرير وعدم القيام بأنشطته اليومية المعتادة، وعادة إذا تكرر الأمر ٩ مرات خلال ثلاث سنوات متتالية أو ٨ مرات في عامين متتاليين أو خمس مرات في عام واحد يجب على الجراح استئصالهما.

٢ - إذا صاحب الالتهاب خرّاج خلف اللوزتين، حيث إن ذلك يجعل تكرار التهابهما أمراً حتمياً.

٣ - إذا كان حجم اللوزتين كبيراً بحيث تعوقان البلع والتنفس وقد يتقابلان مما يسمى اللوزتين المقبلة كل منهما الآخر (شكل٣).

وهذا إذا ترك يجعل الطفل يعاني من الشخير ليلاً وينتج عن ذلك صعوبة في التنفس وقلة الأكسجين في دمه، مما يقلل من قدراته العقلية والجسدية ويجعله دائم الميل إلى الكسل والنوم في النهار.

٤ - إذا كانت اللوزتان هما السبب في تكرار الحمى الروماتزمية وتأثيراتها الضارة على القلب ومفاصل الأطراف السفلية والعلوية وتأثيرات اللوزتين الضارة أيضاً على الكلى وقد تكون السبب في فشل كلوي حاد.

٥ - إذا كانت اللوزتان هما السبب في كبر حجم الغدد الليمفاوية تحت الفكين أو كانتا متورمتين بشكل دائم.

٦ - إذا دخل في إحدى اللوزتين جسم غريب ولم نستطع استخراجه.

٧ - إذا كان هناك ورم حميد أو خبيث باللوزتين أو بإحداهما.

٨ - إذا كانت اللوزتان هما السبب في تكرار التهابات الأذن الصديدية.

هذه هي دواعي استئصال اللوزتين فما الموانع التي تجبر الجرّاح على عدم استئصالهما بالرغم من دواعي استئصالهما؟

موانع استئصال اللوزتين الدائم :

١ - إذا كان المريض يعاني من مرض واحد من أمراض نزيف الدم مثل «الهيموفيلا ونقص عوامل التجلط» نتيجة تليف الكبد أو كسله.

٢ - إذا كان المريض يعاني من التهابات الأنف المزمنة المسماة بالسكلوروما وهي منتشرة في قرى مصر لأن استئصالهما يؤثر على نغمة الصوت ويجعل المريض اخنس.

٣ ـ إذا كان المريض عنده ما يسمى بانفصال سقف الحلق تحت الغشاء المخاطي وذلك لتأثيرهما السيئ على نغمة الصوت.

موانع استئصال اللوزتين الموقت والتي تزول بزوال المانع

١ ـ في حال التهابات اللوزتين الحاد لأن ذلك يسبب كثرة النزيف في أثناء إجراء العملية وبعدها.

٢ ـ في أثناء فترة الحيض عند النساء لأن الأنثى تكون ضعيفة وعرضة أكثر للنزف.

٣ ـ في أثناء نوبات انتشار وباء شلل الأطفال لأن إجراء العملية يجعل المريض ضعيفاً أمام غزو الفيروس.

وهناك بعض الاحتياطات التي يجب على الجرّاح اتخاذها قبل الإقدام على إجراء عملية استئصال اللوزتين:

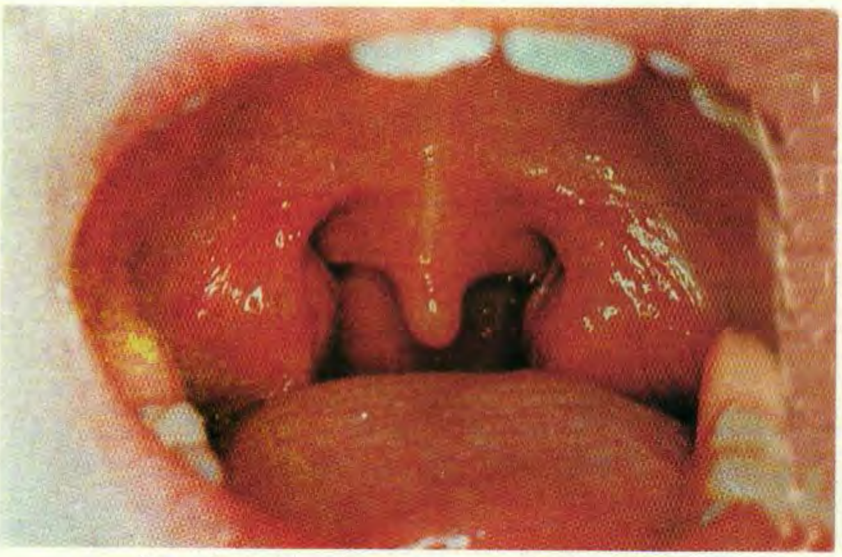
أ ـ الفحوصات والتحاليل للتأكد من أن يكون المريض لا يعاني من أمراض نزيف الدم مثل تحديد زمن نزف الدم وتحديد زمن تجلط الدم وزمن البروثرومبين.

ب ـ تحديد نسبة الهيموغلوبين بالدم بحيث لا تقل نسبته عن ٧٥٪.

ج ـ تحديد معدل سرعة الترسيب ليتأكد الطبيب من أن المريض لا يعاني من أي التهابات وقت إجراء العملية.

وهناك مخاطر في إجرائها يجب معرفتها حتى يتجنب الجراح حدوثها وهي:

١ ـ النزف في مكان إجراء العملية قد يكون النزف أوليا في أثناء إجراء الجراحة كما هو في حالات الهيموفيلا أو نزيف تفاعليا خلال الـ٢٤ ساعة الأولى بعد إجراء العملية وذلك بسبب انفلات إحدى الخيوط الجراحية المربوطة في مكان العملية، إما بسبب سعال لازم المرض، أونتيجة عودة ضغط الدم إلى معدله الطبيعي بعد استيقاظ المريض من التخدير الكلي، وهذا يحدث في الساعتين الأوليين بعد إجراء العملية وربما ٦٠ في المئة من الحالات ومعظم النسبة المتبقية في الساعات الأربع التالية، وقد يكون النزيف ثانوياً وهو نزيف شديد يحدث بعد أسبوع من إجراء العملية، إما لأن المريض لم يأخذ الأدوية الموصوفة له بعد إجراء العملية، أو لعدم إجبار المريض نفسه على الأكل، أو نتيجة لعدم استخدام آلات معقمة.



● استئصال اللوزتين يؤدي إلى تقلص الأحبال الصوتية

٢ ـ انسداد مجرى التنفس وميل وجه المريض إلى الزرقة: وقد يكون نتيجة:

أ ـ تقلص بالأحبال الصوتية بعد سحب أنبوب التخدير.

ب ـ رجوع اللسان إلى الخلف وعدم مقدرة المريض على الاستيقاظ نتيجة سحب أنبوب التخدير قبل إفاقة المريض من التخدير.

ج ـ وجود قطعة من القطن أو جلطة من الدم سادة الحنجرة.

وهناك بعض التعليمات الخاصة يجب مراعاتها بعد إجراء العملية:

● بالنسبة للغذاء :

١ ـ اليوم الأول مثلجات مثل عصير الفواكه والجيلاتي.

٢ ـ اليوم الثاني والثالث طعام سهل البلع مثل زبادي أو أرز بلبن أو جيلي وشربة خضار.

٣ ـ ابتداء من اليوم الرابع غذاء طبيعي تماماً.

وللعلم كل مضاعفات عملية اللوز تنتج عن امتناع المريض عن الطعام لشعوره بالألم عند الأكل، ولكن يجب على المريض أن يأخذ مسكناً للألم مثل بيرال «شراب» قبل الأكل بنصف ساعة حتى يستطيع الأكل ويتجنب المضاعفات.

● بالنسبة للممنوعات :

يمنع أكل الحوامض والمواد الحارة والساخنة والجافة لمدة أسبوعين.

ما يحدث بعد العمل الجراحي

١ ـ ألم بالزور (أي في البلعوم) وألم بالأذن وربما صعوبة في البلع ونزول الماء من الأنف عند الشرب والكلام بلهجة أنفية شيء طبيعي في الأسبوع الأول بعد العملية.

٢ ـ الريق المرفق بالدم والبلغم شيء طبيعي بعد العملية.

٣ ـ ارتفاع درجة الحرارة بعد العملية شيء طبيعي ويعطى المريض شراب بيرال.

٤ ـ تكون غشاء أبيض مكان إجراء العملية (شكل٤)، شيء طبيعي يظهر في الأسبوع الأول وليس هذا صديد كما يعتقد معظم أهل المريض أو المريض عند رؤيته.

اللحمية خلف الأنف:

دائماً تحدث في عمر أقل من ٥ سنوات، ويمكن استئصالها بحكها في أي عمر، ومن الخطأ الشائع بين المتخصصين هو انتظار الطفل حتى يبلغ من العمر خمس سنوات لكي تستأصل مع اللوزتين، وهذا يترتب عليه مضاعفات للطفل نحن في غنى عنها، إذ يكمن إجراؤها في عمر متقدم يصل إلى ٩ أشهر وبمجرد استئصالها يظهر التحسن في حياة الطفل بصورة واضحة وسريعة مثل اختفاء الشخير والنوم المريح وتحسن الشهية للأكل، ولكن استمرار تنفس الطفل من الفم قد يستمر. وهذا يحتاج إلى تمرين الطفل على التنفس من الأنف حتى يترك عادة التنفس من الفم.



● صورة الحلق بعد استئصال اللوزتين

دواعي استئصال لحمية خلف الأنف :

١ ـ مشاكل أنفية تؤدي إلى:

ـ صعوبة الرضاعة عند الأطفال.

ـ الشخير المستمر في أثناء النوم.

ـ خنة في أثناء الكلام.

ـ رشح مستمر في الأنف مما يسبب أكزيما بين الشفة العليا وفتحة الأنف الخارجية.

ـ نزيف في الأنف وخصوصاً في أثناء النوم.

٢ ـ مشاكل أذنية:

ـ قلة في قوة السمع.

ـ رشح خلف طبلة الأذن.

ـ تكرار التهاب الأذنين التهاباً صديدياً.

٣ ـ مشاكل بالجهاز الهضمي:

ـ قلة شهية الطفل للأكل.

ـ اضطرابات هضمية وقيء متكرر في الصباح.

٤ ـ مشاكل ذهنية:

ـ قلة التركيز نتيجة قلة السمع

ـ تأخر الطفل دراسياً نتيجة تكرار النوم في أثناء الدراسة بالفصل وتكرار تغيبه عن المدرسة لتكرار الالتهابات الأنفية والفمية والرئوية.

٥ ـ تغير في شكل الوجه:

ـ الفم دائماً مفتوح مع تغلظ الشفتين.

ـ بروز قواطع الأسنان بالفك العلوي للخارج.

ـ ضيق في فتحتي الأنف الخارجي.

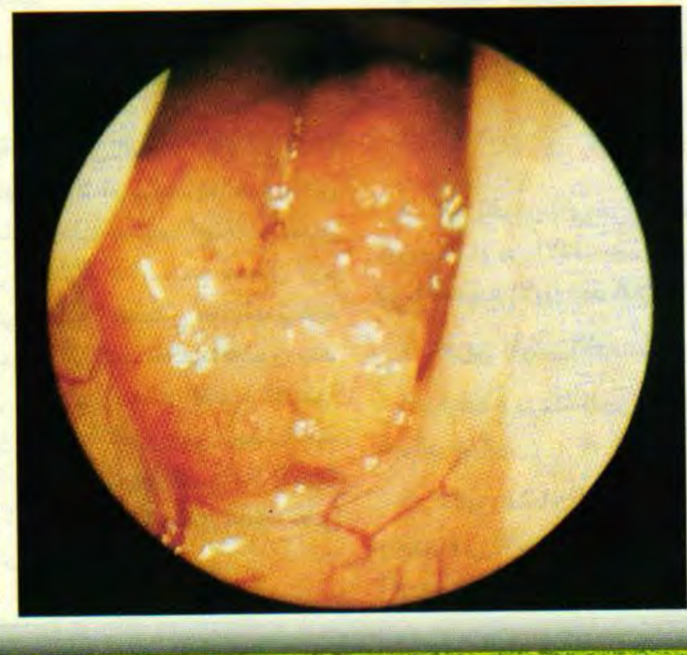
ـ تقوس علوي في سقف الحلق.

أما موانع استئصال لحمية خلف الأنف والاحتياطات الواجب اتخاذها قبل إجراء العملية والمضاعفات التي قد تنشأ بعد استئصالها، تقريباً هي ما ذكرناه في عملية استئصال اللوزتين.

لكن هل بعد إجراء العملية تتكرر الالتهابات للوزتين واللحمية؟

نعم وجد أن نسبة ١٠٪ من الحالات التي تم استئصال اللوزتين فيها ثم تكرار التهاباتهما وكبرهما لأنه من الصعب على الجرّاح أن يستأصل كل الغدد الليمفاوية حتى وإن استأصلها كلياً.

فإن بعض الناس عندهم ميل عالٍ لكبر الغدد الليمفاوية وهذا لا يمنع من استئصالها عند التهابها للمرة الثانية.



وقد سألني والد أحد الأطفال بعد استئصال اللوزتين لابنه:

هل اللوزتان عضو يجب دفنهما بعد استئصالهما؟

وأنني أرى أنهما ليسا بعضوين وإنما هما غدد ليمفاوية، لكنْ تكريماً لبني البشر يجب دفنهما إن استطاع الطبيب أو صاحب اللوزتين ذلك والله أعلم.

وهذه عجالة عن التهاب اللوزتين ولحمية خلف الأنف واستئصالهم لعلها تغطي بعض استفسارات كثير من الأسر التي تشغل عند حدوث هذا الطارئ في الأسرة. ■

قراءة في كتاب

تأليف : زيغريد هونكه

عرض : عبدالرحيم الوهابي

الله ليس كذلك

صدر للمستشرقة الذائعة الصيت زيغريد هونكه صاحبة كتاب «شمس العرب تسطع على الغرب» مؤلف جديد يحمل عنوان «الله ليس كذلك»(١)، ويتصدى هذا الكتاب ـ كما جاء في كلمة الناشر ـ علمياً وموضوعياً لما يلصقه الغرب ظلماً وعدواناً أو جهلاً بالعرب والإسلام، وتحررهم من قبضة الفئة التي زيفت التاريخ، إن هذا الكتاب ليس صرخة في واد، وإن صدوره في هذه الفترة العصيبة التي تشهد ضراوة العدوان على أرواح المسلمين وممتلكاتهم وحرياتهم، وإنما هو دفاع تعلنه المؤلفة جهاراً لعلها تسمع من (جعلوا أصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم وأصروا واستكبروا استكباراً)(٢).

وتؤكد هونكه في مستهل مؤلفها أن «ليس ثمة شعب يسيء الغرب فهمه كالعرب والعروبة، وأن العلاقة بينهما لترزح منذ قرون تحت أثقال شتى، وقد أسهمت الآراء المسبقة في مسخها وتشويهها، بل إن شعوباً أخرى نائية غريبة عنا وشعوباً غيرها ذات أديان وضعية ليست من ديننا نقف منها موقف سمحاً مبسطاً ليس بالمعقّد، على العكس من موقفنا من الشعوب العربية المسلمة، أو تلك التي تدين بالإسلام من غير العرب»، ومرد ذلك قائمة من الأسباب والدواعي يتجلى أبرزها في الحمل الموروث الذي ينوء بثقله الوعي الغربي، تراكمات ترسخت عبر مسيرة طويلة من الأجيال والعقود من سوء الفهم والنظرة القاصرة المشحونة عداء للإسلام مما سد أي سبيل في إمكانية تقارب ما، فلقد «أصرّ الغرب إصراراً على دفن حقيقة العرب في مقبرة الأحكام المتعسفة والافتراءات الجماعية دفناً وأهال عليها ما أهال طمساً منه لمعالها».



لقد آلت هونكه على نفسها تسخير قلمها لإجلاء الحق وإظهار صورة الإسلام الحقيقية وإبراز الوجه المشرق للحضارة العربية الإسلامية والإشادة بأيادي العرب البيضاء على الإنسانية برمتها ومشاركتهم الفعّالة في تطور البشرية. ورغم كل الجهود المبذولة، تعترف هونكه أن صوتها لا يزال محدود التأثير في مجتمع يموج بالتنظيمات اليمينية المتعصبة واجتاحته الحركات الشبابية العنصرية النازية، ويزداد فيه الحقد والضغينة لكل ما هو شرقي ـ إسلامي يوماً بعد آخر «وإن خطورة هذا الأمر لتتضح لمن يرى ويسمع كما تبرهن على ذلك موجات العداء الجديدة المغرضة في ألمانيا، والتي تستهدف الإسلام، وتكيد له قاصدة بالدرجة الأولى وقف الزحف التركي، وموجات طالبي اللجوء في ألمانيا من الأتراك المسلمين».

المحمديون ؟!!

مازال الغرب وحتى يومنا هذا يصدق، وبطريقة ساذجة، تدعو إلى الدهشة والاستغراب، الحكايات والروايات الأسطورية التي نسجت حول المسلمين وظلت عالقة بالذاكرة الأوروبية... مازالت القصص البشعة التي تقشعر الأبدان ماثلة في الوعي الغربي عن أولئك «المحمديين» السحرة، والأشرار، الأجلاف قاطعي الرؤوس، عبدة الشيطان، الهمج، المتوحشون... وقس على ذلك.

و«المحمديون تعبير شائع في الكتابات الغربية يعود إلى ما قبل سبعة قرون، ومازال يستعمل إلى وقتنا الحاضر ويحمل الدلالات نفسها.

عداء مترسخ يقيد أي تحرك نحو الاتجاه الصحيح، عداء غذته عوامل ومؤثرات كثيرة حديثة وقديمة، إحداها الروح الصليبية الماثلة والمتجسدة في كثير من ردود الفعل الغربية تجاه المسلمين وقضاياهم.

الحروب الصليبية

توضح المؤلفة في أحد فصول كتابها أنه «لا يمكن إطلاقاً إصلاح ما أفسده البابا» فلقد كانت دعوة البابا أوربان الثاني في ١٠٩٥/١١/٢٧م من كلير مونت في فرنسا، مستنهضاً همة جميع الفرسان الأوروبيين لقتال «أعداء الرب» وتحرير الأراضي المقدسة من «السراسنة الأجلاف» نقطة تحول في مسار علاقة الغرب بالشرق.

كانت دعوة فرض بها الرئيس الروحي الأعلى للمسيحية بقوة «تفويضه» الإلهي وسلطته المقدسة، على فرسان الغرب ألا يكفوا عن قتال العالم الإسلامي، دعوة تسببت في حروب دموية دامت ما يقارب القرنين من الزمان حصدت الآلاف المؤلفة من الأرواح، وارتكبت خلالها المجازر الرهيبة

سجلها التاريخ لبشاعتها، ويصف المؤرخ الأوروبي «درسيرر» كيف كان «البترك» نفسه يعدو في زقاق بيت المقدس وسيفه يقطر دماً حاصداً به كل من وجد في طريقه، ولم يتوقف حتى بلغ كنيسة القيامة وقبر المسيح، فأخذ في غسل يديه من الدماء اللاصقة بها مردداً كلمات المزمور: «يفرح الأبرار حين يرون عقاب الأشرار، ويغسلون أقدامهم بدمهم فيقول الناس حقاً إن للصديق مكافأة وإن في الأرض إلهاً يقضي» ثم أخذ في أداء القداس قائلاً إنه لم يتقدم في حياته للرب بأي قربان أعظم من ذلك ليرضي الرب. على أن احتكاك الصليبيين بالمسلمين في عقر دارهم، والاطلاع على أنماط عيشهم ومظاهر حضارتهم، إضافة إلى هزيمة فرسان الصليب الماحقة، كل ذلك شكّل صدمة عنيفة هزت الوجدان الغربي «ونما ذلك نمواً متراكباً مكوناً عقدة نفسية غائرة مازالت منذ ذلك الحين حتى اليوم... تسد تلك الصدمة المزمنة الطريق أمام كل معرفة موضوعية تتفق مع الواقع الحقيقي، دون بذل أي محاولة أو أي استعداد للنظر إلى الواقع الفعلي بلا تحيز لحكم مسبق، فضلاً عن تفهم ذلك الواقع. وهكذا حل محل التقصي الموضوعي للمعلومات النيل من العرب هجوماً وتجريحاً، وإلصاق أحكام ظالمة مسبقة بهم، رسخت على مر القرون وأصبحت لها صلاحية البديهيات المسلم بها».

نظرة الغرب للمسلم

إن مدى نقص معرفة الغرب بالإسلام يتجلى في التصورات التي تحكم نظرة الغرب إلى الإنسان المسلم، إنها ليست سوى النظرة النصرانية ذاتها إلى الإنسان النصراني راح يخلعها على الصورة الإسلامية للإنسان. والحق أن على الغربي أن يطرح جانباً تلك المصطلحات الذائعة والتصورات الشائعة، فليس «في الإسلام خطيئة أولى» فهذا معارض للفطرة، فالفرد لا يتحمل إلا وزر خطيئه بل يغفر له إذا تاب واستغفر ربه. «فالإنسان في الإسلام يحمل في ذاته ما نفخه الله فيه من روحه وهو في الوقت نفسه عبد لله، كفء لحمل التكليف، خليفة في الأرض».

ويرى الإسلام ببساطة - عكس المعتقدات والتعقيدات النصرانية واليهودية - شموله للعالم أجمع بوصفه دين الفطرة. وتعلن



● غلاف الكتاب باللغة الألمانية

صاحبة الكتاب براءة الإسلام مما يقذف به في الغرب بأنه ترسيخ للجبرية والخنوع، فهذا «الحكم المسبق المفترى والذي لا يفتأ مغذوه يلحّون على إنمائه زاعمين أن التواكل المذعن خصيصة تسيطر على المسلمين، إنما يتعارض مع روح القرآن، وتنفيه الأحاديث النبوية نفياً قاطعاً، بل إن كليهما يدعوان الإنسان إلى الاحتكام إلى إرادته الحرة للبت في الأمور، ويهيبان به أن يتبصر - انطلاقاً من كونه مسؤولاً - ويتفحص الإمكانات المختلفة والأهواء والمشارب المتعرضة ليميز بينهما وليختار اختياراً حراً بين الفضيلة والرذيلة، فإما أن يكون هداه هواه وإما أن يسلم وجهه لمشيئة الله، وليس معنى ذلك التوكل التواكل الأعمى السلبي المذعن إذعاناً أعمى للقضاء».

وتدحض المؤلفة الافتراءات القائلة إن «الإسلام انتشر بالنار وحد السيف البتار»، ويلح الغرب على ذلك بجميع السبل وبالكلمة منطوقة أو مكتوبة، ولا عجب أن نجد هذا الادعاء كلمة سائرة على الرغم من كون ذلك كذباً لا أساس له من الصحة التاريخية أو الحقيقة الواقعية «لقد كان أتباع الملل الأخرى هم الذين سعوا سعياً لاعتناق الإسلام والأخذ بحضارة الفاتحين... ولقد أقض مضاجع الكنيسة وتأبى على فهمها واستحال عليها قبول دخول شعوب الأقطار المفتوحة في الإسلام أفواجاً بمحض إرادتها، دون مساعي إرساليات التبشير ودون الإكراه في الدين» ومن ثمَّ وجدت الكنيسة أن الإسلام بات يهدد كيانها، فلجأت إلى أساليب منحطة لمحاربة هذا الدين، فمن تجهيز جيوش الصليب الجرارة إلى تلفيق الدعايات المغرضة واختلاق الافتراءات إلى حملات التشنيع والتشهير الدينية التي تطفح بالمقت الضاري الأعمى، ومقابل أروع مثال على التسامح الإسلامي علقت مشانق محاكم التفتيش في الأندلس.

بطل النصرانية

رغم أن شارل مارتل في تحركاته العسكرية استولى على الممتلكات الكنسية من كنائس وأديرة وضياع وأوقاف ونهب كنوزها لتمويل جيوشه وفرسانه ومنحهم الإقطاعيات، فإن الغرب لا يرى فيه إلا «بطل النصرانية المبجل» الذي استطاع إيقاف زحف «العرب الهمجيين» على ربوع أوروبا و«صانها من الاندثار والفناء» وهذه أكذوبة مازالت تجد صداها في عقول الأوروبيين(٣)، وبمثل بسيط يمكن تفنيد هذا الزعم، فمثال إسبانيا «يبين أن تلك البلاد التي كانت قبل الحكم العربي تتسم بالفقر والخراب والاستبعاد، قد استحالت بعد قرنين فحسب من الحكم العربي إلى إسبانيا أخرى رفرف الرخاء والثراء على سكانها، وتميزت بارتفاع مستوى كل طبقات الشعب وازدهار الحضارة والتمدن فيها وتقدمها في جميع العلوم والفنون، فصار لها السبق والريادة في أوروبا، وذلك بسبب موقف الكنيسة المعادي للفكر، وأمست إسبانيا العربية أسوة يقتدي بها، ومناراً يهتدي به في شتى المجالات، واستمر ذلك خمسمئة عام كما هو

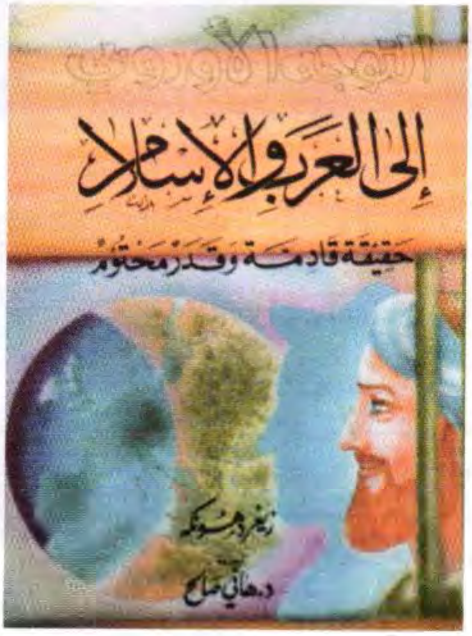
ثابت تاريخياً بلا جدال، إلى أن زحفت إسبانيا النصرانية من الخارج فقوضت كل ذلك وحطمته تحطيماً، إن سماحة النفس العربية وتسامحها الآسر والغامر الذي نما وترعرع في ترى تلك القارة تحت ظل الحضارة العربية الفريدة كان له أبلغ الآثار في ازدهار إسبانيا العربية».

الغرب والمرأة المسلمة

تبين هونكه أن الأوروبي اعتاد التخيل أن المرأة في الإسلام لم تخلق إلا لإشباع رغبات الرجل وفقاً لمزاجه، كائنة بلا روح محرومة مهضومة الحقوق مسلوبة الإرادة قابعة في بيت أبيها سلعة يشتريها القادر على الشراء، والحق - تؤكد صاحبة الكتاب - أن الإسلام بريء من هذا.

إن القرآن الكريم بصفته الدستور الإلهي يؤكد أنه لا فرق بين الذكر والأنثى لا في الجوهر ولا في التكريم وساوى بينهما مساواة تامة في جميع العبادات وأمور العقيدة وفي الناحية الخلقية الإنسانية البحتة كما في الأمور المالية والمادية والاجتماعية، وعلى عكس المعتقد النصراني نجد أن الإسلام لا يصف المرأة بأنها أصل الخطيئة ولا يعرف ذلك الصراع بين الجنسين لا في الحياة الزوجية ولا في الحياة العامة، بل إن العكس هو الصحيح. كما أن الإسلام ألح على المسؤولية الخاصة والعطف والرقة والرعاية تجاه البنات، وساوى بينهن وبين الذكور في التربية وضرورة التعليم. وعرف العهد الزاهر للمسلمين فقيهات، وعالمات ضليعات في العقيدة، ونابغات في شتى المجالات والميادين.

أما حال المرأة المسلمة اليوم في وضعها المزري «فبالرجوع إلى القرآن نفسه تتضح غربة التأثير الدخيل المستشرِي الذي حاق بالمرأة ظلماً». وتنصح هونكه المرأة المسلمة ألا تتخذ المرأة الغربية قدوة تحتذيها، أو أن تهتدي بفكر عقائدي مهما كان مصدره، لأن في ذلك تمكيناً جديداً للفكر الدخيل المؤدي إلى فقدها لمقومات شخصيتها، وإنما ينبغي لها أن تتمسك بهدي الإسلام الأصيل، وأن تسلك سبيل السابقات من السلف الصالح، اللاتي عشنه منطلقات من قانون الفطرة التي فطرن عليها، وأن تلتمس العربية لديهن المعايير والقيم التي عشن وفقاً لها، وأن تكيف تلك المعايير والقيم مع متطلبات العصر



الضرورية، وأن تضع نصب عينيها رسالتها الخطيرة المتمثلة في كونها أم جيل الغد العربي الذي يجب أن ينشأ عصامياً يعتمد على نفسه.

حريق مكتبة الإسكندرية

فرية مزيفة للتاريخ لا يُراد لها أن تمحى أبداً، اختلقتها وروجت لها روح الصليبية في القرن ١٣، حيث زعم أحد النصارى أن عمرو بن العاص أحرق المكتبة التي كانت في قيصرية بالإسكندرية، ولا يخجل القوم في الغرب من افتئاتهم على خليفة المسلمين عمر بن الخطاب المشهود له بأنه من أعظم مؤسسي الدول وأجلّهم قدراً وكفاءة وعبقرية، ويتهمونه بالسذاجة وضيق الأفق والجهل الذي لا جهل بعده، وقد انبرى عدد من المؤرخين المنصفين لكشف هذا الزيف المبيّن، ونفوا عن العرب خرافة الحرق الهمجي للتراث الإنساني.

إن التدمير المخطط لمكتبة الإسكندرية بدأ في القرن الثالث الميلادي وعلى يد بعض النصارى - حكاماً وقسساً ورعاعاً - من المعارضين لأفكار مجمع الإسكندرية، وعند الفتح فإن «المكتبات القديمة في مصر جميعاً لم يكن لها أي وجود أيام دخول العرب للإسكندرية العام ٦٤٢هـ.

الإسلام أعظم دين

إن الإسلام هو لا شك أعظم ديانة على ظهر الأرض سماحة وإنصافاً، نقولها دون تحيز ودون أن نسمح للأحكام الظالمة أن تلطخ بالسواد، إذاما نحينا هذه المغالطات التاريخية الآثمة في حقه، والجهل البحت به، وإن علينا أن نتقبل هذا الشريك والصديق، مع ضمان حقه في أن يكون كما هو»، كلمة ختمت بها مؤلفها لخصت فيها على وجازتها محور ما حاولت إيصاله إلى القارئ الألماني والغربي عموماً، ويمكن القول إن هذه الكلمة الموجزة تلخص أيضاً موقف هونكه الواضح من الإسلام وفكرها المتفتح الداعي للحوار.

وقبل شهادتها هاته وجهت دعوة خالصة، من وجدان صديقة محبة للعرب عاشقة لحضارتهم، إلى كل المسلمين لشق الطريق إلى الأمام وذلك يتطلب التمسك بدينهم بصفته المحور الذي يدور حوله وجودهم، وبلغتهم العربية.

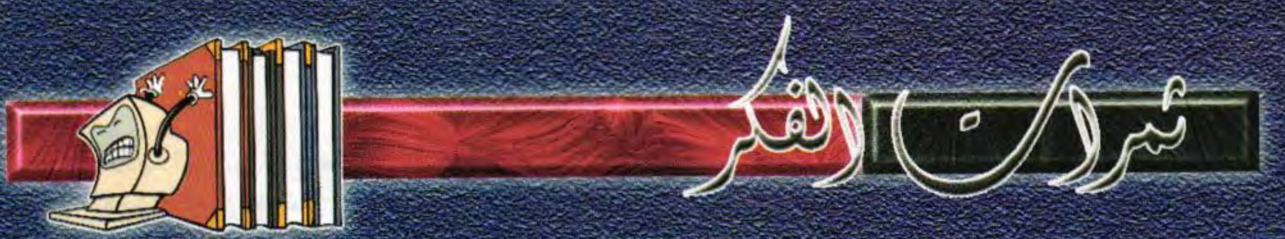
كما يتطلب التنقيب عن الماضي الفكري المدفون تحت الأنقاض تماماً واستيعاب أسباب نشوئه، واكتماله واكتهاله، ثم تقهقره واندثاره، والخروج بالعبر والدروس اللازمة للانطلاق إلى المستقبل، أما التوسل بأمجاد الماضي التليد فإنه لا يجدي فتيلاً، وإن التفاخر بالعصر الذهبي للتاريخ لا يجوز أن ينقلب إلى هروب من الواقع أو يكون اعتذاراً واهياً يكتفي المرء بالاتكاء إليه، فيذكي بذلك كبرياءه فحسب، دون أدائه الحق المفروض عليه، وهو التعلم من الماضي لبناء المستقبل. ■

الهوامش:

١ - ترجمة د. غريب محمد غريب ١٠٤ صفحات من القطع الكبير، عن «مؤسسة بفاريا» الألمانية «دار الشروق» اللبنانية، ومجلة النور الكويتية.

٢ - سورة نوح: ٧.

٣ - يرى جوزيف ماك كيب في كتابه «مدينة المسلمين في أسبانيا» أن شارل مارتل وجنده كانوا لصوصاً مخربين ومتوحشين. وحمله مسؤولية حرمان بقية أوروبا من النور وتخلفها عن ركب الحضارة قروناً عدة. أما أناتول فرانس - أحد مشاهير الكتّاب الفرنسيين - فيقول إن أشأم يوم في تاريخ الإنسانية هو اليوم الذي صد فيه شارل مارتل الفتح العربي عن أسبانيا.



إعداد: محمد هاني

الكويت وحقوق الإنسان



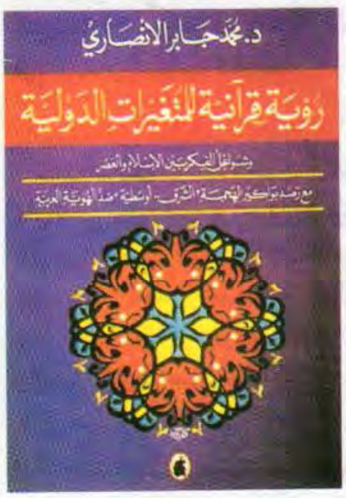
صدر عن مركز نظم المعلومات في الديوان الأميري كتاب «الكويت وحقوق الإنسان» ويحتوي على مجموعة من الأبحاث التي تتناول حقوق الإنسان في التشريع الكويتي والتشريعات المعمول بها طبقاً لأحكام الدستور والمتصلة بمؤسسات المجتمع المدني والأمن الاجتماعي والدفاع الاجتماعي والحريات العامة والاتفاقات الدولية المتصلة بحقوق الإنسان والتي وقعت عليها الكويت، كما يحتوي على فصل خاص حول حقوق الإنسان بين الفضيلة والجريمة، وتنقسم أبحاث هذا الفصل إلى أقسام عدة منها: حقوق الإنسان في ظل قيادة سياسية متوازنة، ومعاملة الغرباء، رسالة من الكويت إلى المجتمع الدولي والعمالة الوافدة وظلم النظام العراقي الحاكم في بغداد، والقضية رقم ١٥٥٦ في شأن جرائم سلطات الاحتلال العراقي بحق الطبقة العاملة الكويتية، وحقوق الإنسان في ظل العدوان والاحتلال العراقي لدولة الكويت بالإضافة إلى مجموعة من الاتفاقات والمواثيق والقرارات الدولية المتصلة بحقوق الإنسان، والكتاب يقع في ٣٨٨ صفحة من القطع الكبير.

تأسيس إسرائيل والهجرة الفلسطينية

صدر حديثاً كتاب بعنوان «الهجرة الفلسطينية» (١٩٤٨م - ١٩٩٨م) عن دار نشر «إيثا كابريس» قامت بإعداده الدكتورة غادة الكرمي الباحثة في قسم الدراسات الشرقين الأقصى والأوسط بمعهد الدراسات الشرقية والأفريقية (SO AS) ورئيسة الحملة الدولية من أجل القدس التي أسستها العام ١٩٩٤م، ويوغين كوتران وهو بروفيسور قانوني زائر في معهد الدراسات الشرقية والأفريقية بجامعة لندن ورئيس مركز القانون الإسلامي الشرق أوسطي بالمعهد نفسه، وعضو اللجنة الفلسطينية المستقلة بحقوق الإنسان.

ويتطرق الكتاب إلى قضية الهجرة الفلسطينية وظهور مشكلة اللاجئين الفلسطينيين، ويركز على العلاقة القريبة والسببية بين هجرة اللاجئين وتأسيس الدولة العبرية في فلسطين وهي قضية لم يتم شرحها إلا قليلاً وعادة ما تتذكر وكأنها مستقلة عن بعضها بعضاً، ويراجع المؤلفان وضع الهجرة الفلسطينية منذ العام ١٩٤٨م وصولاً إلى العام ١٩٦٧م ثم إلى غاية الوقت الراهن، ويبحث كذلك قضايا تعويض الفلسطينيين، وحق رجوع اللاجئين إلى إسرائيل، وإمكانية الرجوع، كما يطرح الكتاب آراء حول حل مستقبلي لمشكلة اللاجئين، وهي قضية تبقى حجر عثرة كبيرة أمام سلام دائم في الشرق الأوسط، وجمع الكتاب آراء الكثير من المؤرخين، والأكاديميين والخبراء القانونيين لإعطاء نظرة متنوعة حول الموضوع، بهدف التطرق إلى كل جوانب هذه القضية الشائكة، ومن هنا تجيء ضرورته للمتخصصين، والقراء الغربيين عموماً الذين يهتمون بالأسباب الأصلية للصراع الفلسطيني - الإسرائيلي.

رؤية قرآنية للمتغيرات الدولية



الكتاب واحد من حلقات المشروع الفكري للمفكر العربي محمد جابر الأنصاري، يبدأه المؤلف بتأطير فكري لمعاصرة إسلامية تنطلق من رؤية قرآنية للمتغيرات الدولية.

ينقسم الكتاب إلى ثلاثة أبواب يتناول أولها: بواكير الهجمة الجارية لإعادة تشكيل المنطقة، والباب الثاني: تأسيس مختلف لصلة العربية بالإسلام. أما الباب الثالث فقد خصصه المؤلف لـ «المثلث الحتمي للنهضة: الإسلام... العربية.. العصر».

الكتاب من النوع الذي لا ينفك عن الواقع ولا يسبح في تنظيرات أكاديمية أو أوهام خيالية، فأجزاء الكتاب لم تبرز دفعة واحدة كموضوع أكاديمي محدود، وإنما تنامت مع الأحداث والتجارب المريرة التي تشهدها المنطقة العربية - الإسلامية.

هاجس العلاقة بين الإسلام والعربية يفرض نفسه على الكتاب فمؤلفه واحد من المهتمين بهذه المعضلة والمشاركين بحماس في تذليلها، يفند الملف الأطاريح التي جعلت من القومية عقيدة، ويؤكد أن القومية ظاهرة اجتماعية ولغوية وثقافية لا بد لها من عقيدة تستلهمها وتستهدي بها، أما تحولها إلى عقيدة فهو يمثل نهايتها كما حدث للنازية، كما ينتقد المؤلف خطأ المفكرين الدينيين الذين يلغون القومية تماماً، ويضعون الإسلام في حرب معها دونما مسوغ، متجاهلين منطق الإسلام نفسه في الاهتمام والاعتراف بالفطرة ا لإنسانية.

يلفت المؤلف انتباهنا إلى الاهتمام القرآني المبكر بالمتغيرات الدولية، مستشهداً بالآية الكريمة في سورة الروم (غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون) ومستعرضاً ما جاء في هذه الآية من تفسيرات، مؤكداً الرأي القائل «القرآن الكريم يُعدُّ الوعي الإسلامي الناشئ والجماعة المسلمة الفتية إلى التعاطي بالشؤون الدولية وإلى إدراك أبعاد الصراع القائم بين القوتين العظميين في ذلك الوقت، لكي تستعد القوة الإسلامية الجديدة الصاعدة لحسم هذا الصراع، ليس بنصر قوة على أخرى، وإنما بإبعاد القوتين معاً عن مركز الصدارة لصالح القوة المسلمة».

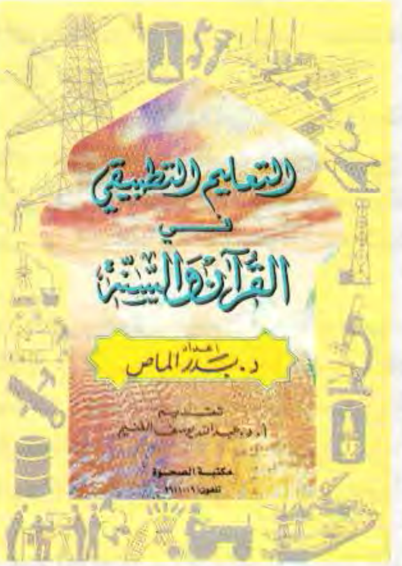
ويحذر المؤلف من الاعتماد على المتغيرات الدولية مستشهداً بالآية: (إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم)، ويدعو أولئك الذين يعتمدون على المتغيرات الدولية لكي تجلب لهم التغيرات أن يبتعدوا عن أوهامهم.

التعليم التطبيقي في القرآن والسنة

صدر عن مكتبة الصحوة في الكويت الطبعة الأولى - كتاب التعليم التطبيقي في الكتاب والسنة لمؤلفه الدكتور بدر عبدالرزاق الماص الموجه العام للتربية الإسلامية في الكويت ورئيس تحرير مجلة الخيرية الصادرة عن الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية والكتاب يقع في نحو ٢٤٠ صفحة من القطع المتوسط، وقدّم له الدكتور عبدالله يوسف الغنيم وزير التربية الأسبق.

يربط الكاتب فيه مسار التعليم التطبيقي بمفهومه المهني الواسع بكتاب الله تعالى وسنة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم نظراً لأن قضية بناء الإنسان القادر على الالتحام بعصرنا هذا على أسس من دينه وتقاليده هي القضية المركزية التي ينبغي أن تدور في فلكها قضايا أمتنا الأساسية انطلاقاً منها وعودة إليها حتى تصل إلى مستويات متقدمة في مجال المنافسة الحقيقية على الاتفاق وخفض الكلفة وهما وسيلتا النجاح والانتشار في عصر التجمعات الكبرى حيث ترفع الحدود والحواجز أمام التفاعل الحي مع معطيات العلم والعمل المتقن ومتطلبات التنمية وحركة العصر.

حاول المؤلف - جزاه الله كل خير - من خلال مقدمة الكتاب أن يؤكد هذه الحقائق السابقة حيث بيَّن فيها أن إعداد الفرد للحياة والعمل والانتاج لا يتحقق إلا بربط العلم بالعمل والإنتاج والناس في حاجة إلى العمل في الدنيا لكسب المعاش وإلى التفكير في الآخرة ولذلك فإن الإنسان يعمل لدنياه ودينه وقد جمع القرآن الكريم بين شؤون الدين والدنيا في أكثر من موضع، ووجه القرآن الكريم المسلمين إلى السعي في الأرض للتعلم والعمل، كما أن سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم خير شاهد على ذلك حيث حضت في طياتها على مزاولة الحرف المتنوعة الشريفة للارتقاء بالأمة الإسلامية وتقدمها واكتفائها ذاتياً بكل ما تحتاجه من مواد وسلع.



هذا وقد قسم المؤلف كتابه إلى مقدمة وأربعة فصول تناول في المقدمة أربعة أمور: المقصود بالتعليم التطبيقي، وأهداف التعليم التطبيقي بالنسبة للفرد والمجتمع، ولمحة عن التعليم التطبيقي في الكويت ومفهوم العمل وفضله والحض عليه في الإسلام. أما فصول الكتاب الأربعة فقد تناولت على التوالي: موقف الإسلام من العمل المهني، التعليم التطبيقي في القرآن الكريم، التعليم التطبيقي في السنة النبوية، الأنبياء، والعلماء والعمل المهني.

وختاماً نقول: إن هذا الكتاب يُعد إسهاماً طيباً ولفتة جديدة في إثراء المكتبة الإسلامية على أبنائنا الطلبة وبناتنا الطالبات أن ينهلوا من معينه ليكون دافعاً لهم على العزم والإصرار والتفاني في العمل والإخلاص فيه.

أخبار ثقافية

- أنهى مؤتمر مجمع اللغة العربية أعماله في دورته الخامسة والستين في القاهرة، بمشاركة وفود من المجاميع العربية الأخرى وقد أكدت توصيات المجمع ضرورة إيلاء الفصحى، في وسائل الإعلام، القدر الأكبر من الأهمية كما دعا الحكومات العربية لإصدار تشريعات تمنع كتابة اللافتات بلغات أجنبية وتحضير أعمال تعريب وترجمة المصطلحات ووضع المعاجم المتخصصة.

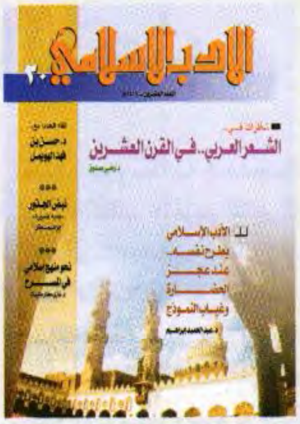
- قال تقرير رسمي بريطاني صدر يوم ١٩٩٩/٣/٢٥م أن سبعة ملايين من البريطانيين البالغين هم فعلاً أميون، إذ لا يستطيعون القراءة والكتابة أو إجراء العمليات الحسابية ويعني الرقم أن ٢٣٪ من البريطانيين البالغين يواجهون مشاكل في القراءة والكتابة والحساب.

- قررت لجنة الترجمة في المجلس الإعلى للثقافة في مصر إصدار مجلة للترجمة مبوبة في ثلاثة أقسام، يخصص الأول منها لعدد من الدراسات حول نظرية الترجمة، والثاني يضم ترجمة للأعمال الأدبية والدراسات المعرفية من مختلف الثقافات، ويتناول القسم الثالث عروضاً للرسائل المختلفة التي تتناول قضايا الترجمة في الجامعات، وعروضاً لأحداث الكتب المترجمة، كما تضم المجلة باباً خاصاً بالمصطلحات الأدبية.

- أعلن مكتب منظمة الأمم المتحدة للتربية والثقافة والعلوم «يونيسكو» في عمان أن اليونسكو اعتمدت نهائياً تسمية الكويت عاصمة للثقافة العربية العام ٢٠٠١ وعمان للعام ٢٠٠٢م.

- أوصت ندوة تعميم استخدام اللغة العربية التي انعقدت في الجزائر في الآونة الأخيرة بتفعيل الأجهزة المكلفة بمتابعة تعميم استخدام اللغة العربية في الجزائر وطبع كل الوثائق الرسمية المتداولة باللغة العربية وحدها وإلغاء كل الوثائق المحررة باللغات الأجنبية.

العدد ٢٠ من مجلة الأدب الإسلامي



في العدد عشرين تكون مجلة الأدب الإسلامي الفصلية أكملت سنتها الخامسة، بتوفيق من الله سبحانه وتعالى أولاً وآخراً.

ولهذه المناسبة نقدم أصدق الشكر وأبلغ التحية للإخوة والأخوات الذين أسهموا جميعاً في دعم مسيرة المجلة ونحيي قراءنا الكرام على متابعتهم لأعداد المجلة والسؤال عنها دائماً.

ونسأل الله تعالى أن يعيننا على الاستمرار في أداء رسالة الأدب الإسلامي عبر هذه المجلة.

وقد اشتمل هذا العدد على موضوعات كثيرة متنوعة... فمن المقالات والبحوث: نحو منهج إسلامي في المسرح للدكتور غازي طليمات، ونظرات في الشعر العربي في القرن العشرين للأستاذ الأديب راضي صدوق، وقراءة في ديوان مدائن الفجر للأستاذ محمد بن سعد بن حسين، كما تضمن حواراً مع الدكتور حسين بن فهد الهويمل.

أما في مجال الإبداع فنحن نقرأ قصيدة لفواز الشروقي بعنوان: «دموع من أجل ليلى»، وقصيدة لرفعت المرصفي بعنوان: «رباعيات إلى الوجه الجميل»، وقصيدة «رحلت يا أسد الآداب» لخليفة بن عربي، كما تضمنت قصيدة طويلة بعنوان «ستار» للدكتور حيدر الغدير عن نزار قباني. وفي مجال القصة تضمن العدد قصة مترجمة عن الأدب الآردي بعنوان «الستار» ترجمة د. سمير عبدالحميد، وقصة أخرى بعنوان «عرف الديك» لحسني سيد لبيب، وفي العدد مسرحية عنوانها: الرضا لفيصل غمري.

هذا بالإضافة إلى الأبواب الثابتة مثل تراث الشعر والنثر، وعنوانه في هذا العدد «بر الآباء» ومكتبة الأدب الإسلامي، وردود ومناقشات، والأقلام الواعدة، وأخبار الأدب الإسلامي.

أما الورقة الأخيرة فهي بعنوان «العقاد يتحدث إلى كتبه» للدكتور عبدالرزاق بن حمود الزهراني ، ويلي ذلك كشاف عام بالموضوعات والكتّاب للأعداد الأربعة الأخيرة ١٧ ـ ٢٠ المجلد الخامس.

جائزة مكتبة الشيخ علي بن عبدالله آل ثاني العالمية

أعلن مركز البحوث والدراسات في وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في قطر، عن موضوعي جائزة مكتبة الشيخ علي بن عبدالله آل ثاني العالمية ـ وقيمتها خمسة وسبعون ألف ريال قطري ـ لسنتيها المقبلتين، ١٤٢٠هـ ـ ٢٠٠٠م، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠١م.

حيث أعلن موضوع «الأسرة المسلمة في العالم المعاصر» كعنوان لجائزة ١٤٢٠هـ ـ ٢٠٠٠م، وفق الأطر العامة التالية:

- الأسس الشرعية لبناء الأسرة.
- الأسرة في مرحلة القدوة «العهد النبوي والخلافة الراشدة».
- دور الأسرة في التربية والنهوض الحضاري.
- تحديات تواجه الأسرة «تحديات داخلية وخارجية»، وسبيل التحصين.
- رسالة الأسرة المسلمة في عالم اليوم.

وموضوع «إشكالية التعليم في العالم الإسلامي» كعنوان لجائزة ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠١م، وفق الأطر العامة التالية:

- التعليم المحور الأساس للتنمية والنهوض الحضاري.
- أبعاد الإشكالية: البعد السياسي، البعد الإعلامي والثقافي، البعد الاجتماعي، البعد المنهجي.
- عجز التعليم بمؤسساته المختلفة عن تحقيق أهدافه، مواطن الخلل وأسباب العجز.
- دور مؤسسات البحث العلمي ومراكز الدراسات في البناء التعليمي.
- وسائل التصويب، وكيفية النهوض.

أما شروط الجائزة فهي كالتالي:

١ ـ يشترط في البحوث المقدمة، أن تكون قد أعدت خصيصاً للجائزة، وألا تكون جزءاً من عمل منشور، أو إنتاج عملي حصل به صاحبه على درجة علمية جامعية، وأن تتوافر في هذه البحوث خصائص البحث العلمي، من حيث المنهج والإحاطة والتوثيق، وسلامة الأسلوب والجدة والابتكار.

٢ ـ يقدم البحث باللغة العربية، من ثلاث نسخ، مكتوباً على الآلة الكاتبة، ويفضّل أن يكون مكتوباً على الحاسوب على ألا تقل عدد صفحاته عن مائتين وخمسين صفحة (A4 ×٢٢ سطراً× ١٢ كلمة).

٣ ـ يحق للجهة المشرفة سحب قيمة الجائزة، إذا اكتشفت أن البحث الفائز قد نشر سابقاً أو قدم إلى جهة أخرى، أو لغرض آخر، أو مستلاً من رسالة علمية. كما يحق لها حجب الجائزة في حال عدم ارتقاء البحوث المقدمة للمستوى المطلوب.

٤ ـ يحق للجنة التحكيم التوصية بمنح جائزة مشتركة بين اثنين أو أكثر من الباحثين، كما يجوز اشتراك باحثين أو أكثر في كتابة بحوث الجائزة.

٥ ـ لا تمنح الجائزة لمشارك واحد أكثر من مرة خلال فترة ثلاث سنوات.

٦ ـ يرفق مع البحث ترجمة ذاتية لصاحبه وثبتاً بإنتاجه العلمي المطبوع وغير المطبوع، بالإضافة إلى صورة جواز السفر وصورة شخصية حديثة.

٧ ـ آخر موعد لاستلام بحث «الأسرة المسلمة في العالم المعاصر»، شهر أبريل العام ٢٠٠٠م، بينما آخر موعد لاستلام بحث «إشكالية التعليم في العالم الإسلامي» شهر فبراير العام ٢٠٠١م.

٨ ـ تعرض البحوث على لجنة من المحكمين، يتم اختيارهم في ضوء موضوع الجائزة.

العنوان البريدي

ترسل البحوث بالبريد المسجل إلى العنوان التالي:

ص.ب: ٨٩٣ ـ الدوحة ـ قطر أو البريد الإلكتروني : M - Dirasat @ islam. gov. qa

لمزيد من الاستفسار، يُرجى الاتصال على: هاتف: ٣٢٤٥٨٤ ـ ٣٢٤٥٨٦ ـ ٤٤٧٣٠٠ ـ فاكس: ٤٤٧٠٢٢ ـ (٠٠٩٧٤).

دراسة تدعو لتعريف المصطلحات المصرفية في العالم الإسلامي

أكدت دراسة حديثة ضرورة التقريب بين وسائل وأدوات السياسة النقدية الائتمانية في الدول الإسلامية بما يساعد على تحقيق التقارب بين سياسات وأهداف البنوك بها ويؤدي إلى خلق بيئة ملائمة للتعاون الاقتصادي بين الدول الإسلامية.

ودعت الدراسة التي أعدها الدكتور محمد المتولي الموجي المدير العام في البنك الأهلي المصري حول «أثر اتفاقية الغات على الصناعة المصرفية في الدول الإسلامية» إلى دعم وتفعيل دور البنك الإسلامي للتنمية من أجل خلق قنوات تمويلية بين البنوك في الدول الإسلامية والتقريب بين هذه البنوك بما يساعد على التكامل بين هذه البنوك من أجل رفع مستوى أداء الخدمة المصرفية فيها.

كما طالبت الدراسة بتحسين البيئة التشريعية التي تعمل من خلال البنوك في الدول الإسلامية، وذلك بإعادة النظر في القوانين والتشريعات وأساليب الرقابة والمواجهات الإدارية بما يعطيها القدرة على سرعة تطوير أعمالها بما يتواءم مع المتغيرات الدولية المتلاحقة في ظل زيادة المنافسة التي ستزداد حدتها في ظل اتفاقية الغات.

وأوصت الدراسة بضرورة تكثيف الجهود لتنمية تجارة الخدمات المالية في ما بين الدول الإسلامية وعقد اتفاقات ثنائية من أجل التنسيق بين السياسات الائتمانية على مستوى الأجهزة والإسراع بإصدار مشروع الشيك السياحي العربي.

الرضاعة الطبيعية حماية وأمان

أكد أحدث تقرير صادر عن منظمة الأمم المتحدة أن الرضاعة الطبيعية تسهم في إنقاذ نحو ١,٥ مليون طفل من إجمالي ١٢ مليون طفل ممن تقل أعمارهم عن الخامسة من الوفاة نتيجة التعرض لسوء التغذية والتلوث.

وأكد التقرير أن الأطفال الذين يعتمدون على الألبان الصناعية في تغذيتهم يعانون من ضعف الجهاز المناعي ليصبحوا أكثر عرضة للإصابة بحالات الإسهال المزمن ومشكلات الجهاز التنفسي.

نصف أطفال بريطانيا يولدون من دون زواج

قال مكتب الإحصاء الوطني البريطاني إن نصف الأطفال في بريطانيا تحبل بهم أمهاتهم خارج العلاقات الزوجية المتعارف عليها اجتماعياً وقانونياً بينما كانت النسبة تصل إلى الثلث فقط قبل عشر سنوات من العدد الكلي لحالات الحمل في مقاطعتي إنكلترا وويلز.

وقال المكتب الحكومي في تقرير نشره يوم ١٩٩٩/٣/١٦م أن من الـ ٨٠٠ ألف امرأة حامل هناك ٤٠٠ ألف منهن حملن أطفالهن العام ١٩٩٧م خارج العلاقات الزوجية، مقارنة مع ٣٠٥ آلاف امرأة من مجموع ٨١٩ ألف امرأة العام ١٩٩٦م.

وأضاف المكتب في تقريره الدوري «نزعات سكانية» أن حمل المراهقات اللواتي «تحت السن القانوني وتتراوح أعمارهن بين ١٣ و ١٥ عاما» انحسر بنسبة خمسة في المئة، أي من ٩,٤ في المئة العام ١٩٩٦م إلى ٨,٩ في المئة العام ١٩٩٧م، وقد تضاءلت النسبة بين المراهقات بشكل عام بواقع واحد في المئة للفترة نفسها، وبالرغم من هذا الانخفاض، إلا أن بريطانيا هي الأعلى في ثماني دول أوروبية بالنسبة إلى عدد المراهقات (١٥ - ١٩) عاماً اللواتي يحملن وينجبن أطفالاً، وقد سجل المكتب ٣٠ حالة ولادة لكل ألف مراهقة (١٥ - ١٩) العام ١٩٩٧م، مقارنة مع ٢١ حالة لكل ألف في البرتغال و ١٧ حالة في جمهورية إيرلندا.



وأظهر التقرير أنه منذ العام ١٩٩١م، ازداد عدد النساء البريطانيات (٣٥) عاماً اللواتي يقبلن على الحمل والإنجاب، فقد أصبحت النسبة ٤٢,٢ امرأة لكل ألف العام ١٩٩٧م، ومنذ العام ١٩٩٦م، كان هناك ازدياد ملحوظ في إقبال النساء اللواتي تزيد أعمارهن عن ٤٠ عاماً على الحمل والإنجاب.

وعلق ديفيد ماردار على ذلك قائلاً لـ«الشرق الأوسط» إن الاعتقاد السائد حول سبب الحمل عند تقدم النساء في العمر هو تحصيلهم العلمي ووضعهم الاقتصادي الجيد.

١٢٥ مليون طفل بلا تعليم

حذرت منظمة «أوكسفام» وهي منظمة خيرية دولية، من ازدياد أعداد الأطفال في سن الدراسة الابتدائية الذين لا يسجلون في المدارس، وذكرت في تقرير لها بعنوان «التعليم الآن: اكسروا حلقة الفقر» أن ١٢٥ مليون طفل من فئة الأعمار ٦ إلى ١١ عاماً، لم يسجلوا في المدارس على الإطلاق، وقال كيفن واكتنز الخبير في تحليل السياسات في المنظمة إن التقرير الذي نشر بالتزامن مع حملة عالمية جديدة انطلقت في لندن وجوهانسبيرغ وواشنطن، ويقوم التقدم الذي حققته دول العالم في سعيها لتنفيذ برنامج التعليم الابتدائي الشامل لكل طفل بحلول العام ٢٠١٥م.

وأشار واتكنز بالتفصيل عن التطورات والصعوبات التي تشهدها الدول العربية إلى ظاهرة انخفاض نسبة تسجيل التلاميذ في المدارس الابتدائية في العراق والكويت وسورية والأردن والسعودية.

وقال إنه في اليمن يتوقع أن يزداد عدد الأطفال غير المسجلين في المدارس الابتدائية إلى ٢,٦ مليون طفل بحلول العام ٢٠١٥، ولدى سؤاله عن مصر قال الخبير البريطاني إن ١٨ مليون مصري بالغ هم من الأميين. ووضعت مؤشرات ١٠٤ دول في جدول لتحديد أفضلها في ميدان التعليم الابتدائي، فيما وضع جدول «مالي» أخر للدول حسب الدخل النسبي لها، وأظهرت الدراسات أن سورية تقع في الموقع العشرين حسب المؤشرات التعليمية، فيما جاء العراق في الموقع التعليمي الثلاثين، أمام السعودية التي تحتل الموقع الثاني عشر من الدخل فإن التقرير وضعها في الموقع التعليمي الـ٤٨ وتقع الكويت في الموقع الـ٥٦.

مفتي كوسوفا يطالب بدعم مسلمي الإقليم

قال رئيس المشيخة الإسلامية في كوسوفا الشيخ رجب بويا: إن على المسلمين كافة أن يؤيدوا قضية كوسوفا في المنظمات والمحافل الدولية والإسلامية، وأن يقدموا المساعدات لشعب كوسوفا المسلم الذي يعاني ظروفاً سيئة من جراء حملات التطهير العرقي التي أدت إلى هجرة أكثر من مليون شخص من موطنهم.

الجدير بالذكر أن الإسلام دخل كوسوفا على أيدي العثمانيين، عندما فتحوا كوسوفا بقيادة السلطان مراد خان الذي انتصر على الصرب في معركة كوسوفا الشهيرة سنة ١٣٨٩م، واستمر الوجود العثماني في المنطقة حتى منتصف القرن العشرين.

وقد دخل الألبانيون في الإسلام وتمسكو به أشد التمسك وخدموه، وكان الإسلام معهم حيثما كانوا وبرز منهم علماء كبار خدموا الإسلام بعلمهم، مثل الشيخ ناصر الدين الألباني والشيخ شعيب الأرناؤوط.

وقد استمر الوجود العثماني في المنطقة حتى احتلت صربيا كوسوفا العام ١٩١٢م، بعدما انسحبت الخلافة العثمانية من هذه البلاد، وبقي هؤلاء المسلمون بين مخالب الصرب، حيث دخلت كوسوفا ضمن الاتحاد اليوغسلافي الفيدرالي، وكان لها حكم ذاتي، ومع تفكك يوغسلافيا طلب شعبها المسلم الاستقلال، ولكن قوبل طلبه بالاحتلال الصربي لكوسوفا العام ١٩٨٩م، والذي استمر حتى الآن.

موجز أخبار

- ذكر تقرير صادر عن منظمة الصحة العالمية في جنيف أن التدخين يتسبب في وفاة ٤ ملايين شخص سنوياً، ومن المنتظر أن يصل هذا العدد إلى عشرة ملايين شخص في العام ٢٠٢٠م. وأوضح التقرير أن عدد المدخنين في العالم يصل حالياً إلى ١,٢ بليون مدخن.

- أعلن بنك ناصر الاجتماعي في مصر عن البدء في مشروع جديد تحت مسمى الشجرة الطيبة يقوم بجمع نسبة من أموال الزكاة وتوزيعها على صورة أدوات إنتاجية للشباب الفقراء في مصر بغرض إعانتهم على الكسب الحلال.

- قال الأمين العام للشرطة الدولية «انتربول» ميغيل شامورو إن الاتجار بالمخدرات درّ على شبكات مافيا التهريب الدولية في السنوات الأخيرة نحو ٥٠٠ مليار دولار، وأضاف شامورو أمام المؤتمر الخامس حول الاتجار بالكوكايين الذي يعقد في كارتاخينا شمال كولومبيا أن عدد مستهلكي مواد الهلوسة في ارتفاع مستمر في العام مشيراً إلى عدم فعالية حملات التوعية والوقاية.

- تؤكد الدراسات الإحصائية التي يجريها «صندوق الزواج» في دولة الإمارات العربية المتحدة ارتفاع معدلات العنوسة بين البنات الإماراتيات، بحيث أصبحت تشكل ظاهرة تقلق المجتمع الاماراتي. وتوقعت الدراسة أن يصل عدد من لا تتاح لهن فرص الزواج في الدولة إلى نحو ٩٧ ألف فتاة مواطنة بحلول العام ٢٠٠٣م.

العام ٢٠٥٠ سكان العالم ٩ بلايين نسمة والهند الأولى

قالت الأمم المتحدة في أحدث تقديراتها إنه من المتوقع أن يصل تعداد سكان العالم إلى ستة بلايين نسمة في أكتوبر المقبل ويقترب من نحو تسعة بلايين بحلول العام ٢٠٥٠ وقال جوزيف تشامي مدير إدارة مشروعات الأمم المتحدة للسكان أمام لجنة الأمم المتحدة للسكان والتنمية بعد ٥٠ عاماً من الآن تتوقع الإدارة عدداً أكبر من السكان الحاليين، نحن نتوقع أن يقترب سلكان العالم من تسعة بلايين نسمة.

واستطرد قائلاً آمل أن نكون مخطئين في تقديرنا، آمل أن يكون تقديرنا هذا أعلى بكثير، لكنه أشار إلى أن تقدير الأمم المتحدة للعام ٢٠٠٠ الذي أعلنته قبل ٤٠ عاماً كان دقيقاً بشكل ملحوظ حين تحدث عن ارتفاع عدد سكان العالم في نهاية القرن إلى أكثر من ستة بلايين نسمة على الرغم من أن تعداد السكان بعد الحرب العالمية الثانية كان يزيد قليلاً عن ٢ بليون نسمة ولم يصدق كثيرون أنه سيزيد ثلاثة أمثال خلال هذه الفترة.

وقال تشامي إن زيادة السكان التي ستصل إلى نحو ثلاثة بلايين نسمة منذ الآن ستصل إلى نحو ثلاثة بلايين منذ الآن وحتى العام ٢٠٥٠ ستحدث على الأرجح في الدول الأقل نمواً، ففي الوقت الذي سيبقى فيه تعداد السكان في الدول المتقدمة دون تغيير يذكر ليقف عند ١,٢ بليون نسمة من المتوقع أن يرتفع في الدول النامية من ٤,٨ بليون حالياً إلى ٧,٨ بليون بحلول العام ٢٠٥٠م.

وصرَّح بأن تعداد السكان في الهند وحدها سيزيد بنسبة ٥٠ في المئة خلال الخمسة عقود المقبلة ليرتفع من بليون نسمة حالياً إلى ١,٥٣ بليون لتصبح الهند بذلك أكبر دولة في العالم من حيث تعداد السكان، كما سيزيد تعداد سكان نيجيريا وباكستان بمعدل أسرع يقترب من ١٢٠ في المئة، ليقفز من ١٥٦ مليون نسمة إلى ٣٤٥ مليوناً بالنسبة لباكتسان ومن ١١٢ مليوناً إلى ٢٤٤ مليوناً بالنسبة لنيجيريا، وتحتل الصين الآن مركز أكبر دولة في العالم من حيث تعداد السكان ولم يقدم تشامي أرقاماً لكن تعدادها يقدر بنحو ١,٢ بليون نسمة، لكنه قال إن معدل الإنجاب في الصين الذي كان أعلى معدل العام ١٩٥٠ وقدر نظرياً نحو ٦,٢ طفل لكل زوجين انخفض الآن إلى ١,٨ طفل.

وسورية ٧٤ مليون نسمة

أوضح إحصاء رسمي صدر في دمشق أن عدد سكان سورية يتزايد سنوياً بمعدل ٣,٣ ٪ حيث كان عدد السكان العام ١٩٥٠م نحو ٣,٥٩ ملايين نسمة، وفي ١٩٦٣م نحو ٤,٩٩ ملايين نسمة، وفي ١٩٧٠م نحو ٦,٢٥ ملايين نسمة. وأشار الإحصاء إلى أن عدد سكان سورية في ١٩٨٤م قد ارتفع إلى ٩,٩٣ ملايين نسمة وفي ١٩٩٠ ارتفع هذا العدد ليصل إلى ١٢,١٢ مليون نسمة.

وذكر في الإحصاء إن عدد السكان في ١٩٩٥م بلغ ١٤ مليون نسمة، وإذا نظرنا إلى تطور الأرقام نجد أن عدد السكان تضاعف تقريباً كل ٢٠ سنة فإذا استمرت نسبة التكاثر ٣,٣ ٪ في إن العدد في العام ٢٠٠٠ سيصبح نحو ١٧,٥ مليون نسمة وفي ٢٠٥٠ نحو ٧٤,٠٥ مليون نسمة.

الإيدز يقطع الأعمار إلى النصف

أدى مرض الإيدز في أفريقيا إلى قطع الأعمار بصورة مخيفة قياساً إلى المعدل الطبيعي الذي ساد القارة السوداء قبل انتشار عدوى مرض نقص المناعة بحسب تقرير مكتب الإحصاء الرسمي في واشنطن.

ففي بوتسوانا انخفض عمر الإنسان من ٦٢ عاماً إلى ٤٠ عاماً، وفي بوروندي انخفض من ٥٥ إلى ٤٦ عاماً، وفي الكاميرون من ٥٩ إلى ٥١ عاماً، وفي جمهورية أفريقيا الوسطى من ٥٦ إلى ٤٩، وفي جمهورية الكونغو من ٥٧ إلى ٤٧ عاماً، وفي أثيوبيا من ٥١ إلى ٤١، وفي ساحل العاج من ٥٧ إلى ٤٦، وفي كينيا من ٦٦ إلى ٤٨، وفي مالاوي من ٥١ إلى ٣٧، وفي ناميبيا من ٦٥ إلى ٤٢، وفي نيجيريا من ٥٨ إلى ٤٢، وفي رواندا من ٥٤ إلى ٤٣، وفي جنوب أفريقيا من ٦٥ إلى ٥٦ عاماً، وفي تانزانيا من ٥٥ إلى ٤٦، وفي أوغندا من ٥٤ إلى ٤٣، وفي زامبيا من ٥٦ إلى ٣٧ عاماً. وذكر التقرير أن عدد سكان العالم في العام ١٩٩٩م سيصل إلى ٦ بلايين شخص.

تضاعف عدد المسنين

خلال أقل من ٤٥ عاماً سيتضاعف عدد سكان كوكب الأرض من المسنين فوق التسعين حيث يصبح عددهم أكثر من ٤٠ في المئة من سكان العالم.

هذا ما أكده تقرير مركز الإحصاء الأوروبي بالتعاون مع مراكز المعاشات والذي أضاف أن ٩٠ في المئة من المسنين لن تقل أعمارهم في ذلك التاريخ عن ٦٠ سنة وأنه مقابل كل صبي عمره ١٥ سنة وخصوصاً في أوروبا سيوجد ٤٠ مسناً فوق السبعين.

ويؤكد التقرير اعتماد الـ٦٠ في المئة من سكان الأرض على تعاون ومدخرات ونشاط المسنين في العالم، وأن أكثر من ١٥ في المئة من الأطفال سيتمتعون بتربية وحكمة الأجداد في غياب الوجود الضروري للأبوين بجانب تمتع المسنين الجدد بصحة أفضل ورغبة إيجابية بالعطاء.

إعداد : عبدالمنعم أحمد

الجذور العميقة للصراع العرقي في البلقان

في تحليلها للأوضاع المأساوية في منطقة البلقان نشرت اللوموند الفرنسية مقالاً حول الجذور العميقة للصراع العرقي في البلقان وحمَّل المقال زعيم الصرب سلوبودان ميلوسيفيتش مسؤولية الأحداث الأخيرة الجارية في كوسوفا يقول المقال:



● منطقة البلقان فسيفساء من الدول والشعوب والقوميات

في العام ١٨١٥م، كانت شبه الجزيرة مقسومة بين إمبراطوريتين متراميتي الأطراف، فالعثمانيون سيطروا على جزئها الأعظم، وآل هابسبورغ حكموا الأطراف الشرقية والشمالية، ولم تكن للحدود القائمة آنذاك بين هاتين الإمبراطوريتين علاقة بتوطن من صار ما يسمون لاحقاً «الشعوب»: وهي مجموعات بشرية موحدة حول لغة واحدة أو في غالب الأحيان في ديانة واحدة. وثلاثة من هذه الشعوب وهي الرومان والصرب والكروات وتقاسمتها القوتان العظميان آنذاك. أما الشعوب الباقية، فقد عاشت في ظل الإمبراطورية العثمانية. غير أن هذه الشعوب اختلطت بطريقة لا انفكاك منها. ففي مقدونيا كان الناس يتحدثون بست لغات وفي البوسنة كانت هناك أربع ديانات.

تجانس إثني

وشهدت الفترة الممتدة بين عامي ١٨١٥م و ١٩١٨م تبديلاً متواصلاً لهذه المجموعات متعددة القومية، بصورة قسرية، إنما متسامحة بوساطة الدول القومية التي أخذت تجنح بهذا القرار أو ذاك نحو التجانس الإثني.

ففضلاً عن مونتينيغرو «الجبل الأسود» التي كانت مرة في الواقع، بلغت الحركة القومية صربيا، ففي العام ١٨٠٤م حدثت الانتفاضة والعام ١٨١٧م نالت الاستقلال الذاتي ثم حازت على الاستقلال في ما بعد، واليونان انتفضت العام ١٨٢١م، ونالت الاستقلال العام ١٨٣٠م، وأخذت الدولتان الأخيرتان توسعان رقعتيهما الضيقتين بطرد السكان المسلمين، وهكذا حدثت أولى أعمال التطهير العرقي، ثم جاء دور رومانيا التي استقلت العام ١٩٦٠م، وبلغاريا التي انتفضت العام ١٩٧٥م، ونالت الحكم الذاتي العام ١٨٧٨م، ثم الاستقلال التام.

برميل البارود البلقاني

غير أن تحرر هذا البلد الأخير كان متصلاً بأول أزمة بلقانية دولية، فبعد الانتفاضات في بلغاريا والبوسنة العام ١٨٧٥م والحرب الروسية التركية - (١٨٧٧م - ١٨٧٨م)، حققت روسيا، وفق معاهدة سان ستيفانو «بلغاريا الكبرى» التي تضم مقدونيا، فيما كان الصرب يأملون في تكوين صربيا الكبرى بضم البوسنة، لكن القوى الأخرى عارضت ذلك، ثم فرض مؤتمر برلين العام ١٨٧٨م حلولاً أخرى، فبلغاريا لم تحصل على غير أراض محدودة، ثم احتلت الإمبراطورية النسماوية - الهنغارية البوسنة فيما بعد.

ومنذ ذاك، لم تعد الإمبراطورية العثمانية تحتل في أوروبا غير حيز ضيق، فقد صارت «الرجل المريض» وفي التنافس على الأشلاء الأخيرة لهذه الإمبراطورية أخذت الدول

البلقانية تتنازع في ما بينها فأججت الدول الكبرى نزاعاتها واستغلتها، فمن برميل البارد البلقاني اندلعت الحرب العالمية الأولى، وفي عامي ١٩١٢م و ١٩١٣م، نشبت حروب البلقان، ففي العام الأول، ١٩١٢م، تحالفت أربع دول بلقانية ضد الأتراك وأرجعتهم القهقرى حتى أبواب اسطنبول، وفي العام ١٩١٣م، تحاربت هذه الدول فيما بينها للسيطرة على الأراضي المكتسبة، وقبل كل شيء مقدونيا، وكانت النتيجة أن الأتراك لم يعودوا يسيطرون في أوروبا إلا على الجزء الشرقي «الأوروبي» لأسطنبول وأن المنتصرين، أي الصرب واليونانيون، وسّعوا أراضيهم بصورة جيدة، وهكذا تقلّصت مساحة بلغاريا المهزومة وألبانيا، وهي الدولة المشكّلة حديثاً، فلم تعد تؤوي غير نصف الألبان، أما الباقون الذين كانوا يقيمون في كوسوفا وفي مقدونيا الغربية، فقد ضمتهم صربيا (بينما ضمت مونتينيغرو الألبان المقيمين في شمال شرق كوسوفا).

ولدت الحرب العالمية الأولى من رحم الخصومة النمساوية - الصربية بشأن البوسنة «والشرارة هي اغتيال ولي عهد النمسا في سراييفو على يد قومي صربي»، وكان المهزومون في الحروب البلقانية، أي تركيا وبلغاريا، يقفون إلى جانب المعسكر النمساوي - الألماني ، والمنتصرون إلى جانب معسكر الحلفاء، وهكذا وقعت صربيا ورومانيا تحت الاحتلال النمساوي - الألماني الذي دمرهما لكنهما تحررتا العام ١٩١٨م.=

جبهة سالونيك «اليونان»:

وثبتت معاهدة فرساي بأحرف كبيرة الحدود المرسومة العام ١٩١٣م في جنوب البلقان، ففي الشمال، أدت إلى تدمير الإمبراطورية النمساوية - الهنغارية، وعلى حسابها ضاعفت رومانيا وصربيا المنتصرتان أراضيهما. فالأولى ضمت مقاطعات بانات وترانسلفانيا وبوكوفينا حيث يتعايش الرومان والهنغار مع بعض الشعوب الأخرى، وتحولت الثانية إلى يوغسلافيا فصارت تضم فويفودينا ومومنتينيغرو والبوسنة وكرواتيا وسلوفينيا وجميع المناطق الأخرى التي تقطنها شعوب ذات أصل سلافي في الجنوب، أي الصرب ومعهم الكروات والسلوفينيين والبوسنيين المسلمين



● الحلم الصربي يهدف إلى توحيد قصري لجميع الشعوب السلافية

وأهالي مونتينيغرو فضلاً عن الأقليتين الألمانية والهنغارية وغيرهما، وهكذا صارت تحقق في آن واحد هدفين متناقضين «صربيا الكبرى» التي تؤوي جميع الصرب في دولة واحدة و«الفكرة اليوغسلافية» وهي حلم كرواتي يعود إلى القرن التاسع عشر ويرمي إلى توحيد طوعي لجميع الشعوب السلافية في الجنوب، لكن في هذه الدولة متعددة القومية ذات المركزية المفرطة التي تحولت بسرعة إلى دولة دكتاتورية لم يلق الصرب دعماً قوياً من الشعوب الأخرى في حين ترشحت فيها التوترات، ومن ذلك اغتيال الزعيم الكرواتي «استيبان راديتش» العام ١٩٢٨م، واغتيال ملك صربيا الكسندر العام ١٩٣٤م.

ترسيم جذري للحدود

وشهدت الحرب العالمية الثانية احتلال النازيين شبه الجزيرة كلها وإعادة ترسيم جذرية للحدود لمصلحة المحتلين والمحسوبين عليهم «إيطاليا وهنغاريا وبلغاريا» على حساب المنتصرين العام ١٩١٨م، وهكذا حدثت مذابح رهيبة.

وبعد التحرير، تمت المحافظة على الحدود، كما رسمتها معاهدة فرساي باستثناء التقدم السوفييتي نحو الشمال الشرقي بضم مولدافيا وبوكوفينا، وتراجع إيطاليا عن منطقة ايستريا (هي في كرواتيا حالياً). ونظمت اتفاقية يالطا إعادة توزيع مختلف بلدان البلقان بين الكتلتين الجديدتين. لكن يوغسلافيا «جوزيف تيتو» خرجت على هذا «الانحياز» الذي لم يعد يسيطر عليه الصرب وتحولت إلى اتحاد فيدرالي لستة أعضاء ثم لثمانية، حيث تم الاعتراف فيه بشخصية ستة شعوب سلافية في الجنوب، وبكثير من القوميات، وبدءاً من العام ١٩٧٤م، تلقت الجماعات الثماني الأعضاء في الاتحاد اليوغسلافي «أي الجمهوريات الست والمقاطعتين المحكومتين ذاتياً» صلاحيات جديدة موسعة وصارت أشبه بدول مستقلة.

هذه اللامركزية هي التي أزعجت الصرب المقيمين في سبع مناطق من أصل ثماني بدءاً من العام ١٩٨٧م، حيث أخذ زعيمهم الجديد «سلوبودان ميلوسيفيتش» يعزز النزعة القومية، ثم ألغى العام ١٩٨٩م الاستقلال الذاتي لكوسوفا وفويفودينا وسعى إلى توسيع سلطته حتى تشمل جميع مناطق الاتحاد، مهدداً بذلك الجمهوريات الأخرى، ولهذا السبب أعلنت أربع منها العام ١٩٩٠م بعد الانتخابات الحرة استقلالها وهي كرواتيا وسلوفينيا ومقدونيا العام ١٩٩١م، ثم في البوسنة ١٩٩٢م - ١٩٩٥م، ويثبت اتفاق دايتون العام ١٩٩٥م استقلال البوسنة، لكنه يكرّس انقسامها إلى كيانين عرقيين، أما مشكلة إقليم كوسوفا الذي ضم بالقوة إلى يوغسلافيا العام ١٩٨٩م، وقمعت فيها صربيا سكانه ذوي الأغلبية الألبانية فتبقى قائمة في أساس الأزمة الحالية. ■

* زعيم الصرب هو الذي فجّر الصراع الأخير بإلغاء الحكم الذاتي لإقليم كوسوفا العام ١٩٨٩م.

حديقة الوعي

إعداد : أحمد عبدالجبار

من هدي كتاب الله

قال الله تعالى :

﴿ وما يستوي البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج ومن كلٍّ تأكلون لحماً طرياً وتستخرجون حِليةً تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه لتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون ﴾.

فاطر :١٢

من هدي رسول الله ﷺ

عن صهيب . رضي الله عنه . قال : قال رسول الله . ﷺ . :

« **عجبت لأمر المؤمن إن الله لا يقضي له قضاء إلا كان خيراً له، ذلك إلا لمؤمن، إن أصابه خير شكر الله فكان خيراً له، وإن أصابه ضر صبر لله، فكان ذلك خيراً له** ».

رواه مسلم

مجير أم عامر

جاء في « جمهرة الأمثال » عن أبي عبيدة معمر بن المثنى أنه سأل يونس بن حبيب عن المثل المشهور «كمجير أم عامر» فقال :

كان من حديثه أن قوماً خرجوا إلى الصيد في يوم حار، فبينما هم كذلك إذ عرضت لهم أم عامر «وهي الضبع» فطردوها واتبعوها حتى دخلت خباء أعرابي فاقتحمته، فخرج الأعرابي فقال: ما شأنكم؟ قالوا: صيدنا وطريدتنا، قال الأعرابي: كلا والذي نفسي بيده لا تصلون إليها ما ثبت قائم سيفي بيدي، فرجعوا وتركوه.

ثم قام الأعرابي إلى قدر فيها لبن فقرّبها إليها، وقرّب الماء منها، فأقبلت أم عامر تلغ من هذا ومن هذا حتى شبعت واستراحت، فبينما الأعرابي نائم في جوف بيته، إذ وثبت عليه فبقرت بطنه وشربت دمه وأكلت أحشاءه وتركته، فجاء ابن عم له فوجده على تلك الصورة، فالتفت إلى موضع الضبع فلم يرها، فأخذ سيفه وكنانته وطفق يبحث عنها حتى أدركها فقتلها وأنشأ يقول :

ومن يصنع المعروف في غير أهله

يلاقي الذي لاقى مجير أم عامر

من أقوال الحكماء

- قال الفضيل بن عياض: إني لا أستحي من الله أن أقول: توكلت على الله، ولو توكلت عليه حق التوكل ما خفت ولا رجوت غيره.
- قال ذو النون المصري: من ذكر الله على الحقيقة نسي في جنب ذكراه كل شيء، وحفظ الله عليه كل شيء، وكان له عوضاً عن كل شيء.
- قال لقمان الحكيم لابنه: احذر واحدة هي أهل للحذر. قال: وما هي؟ قال: إياك أن تري الناس أنك تخشى الله وقلبك فاجر.
- لما هلك الإسكندر قامت الخطباء على رأسه فكان قولهم: الإسكندر كان أمس أنطق منه اليوم وهو اليوم أوعظ منه أمس.

جموع لا واحدة لها

الأبابيل : الفرق الكثيرة من الطير أو الحيوان أو الإنسان.

- التعاشيب : العشب .. يقال : أرض مملوءة بالتعاشيب إذا كان فيها عشب كثير.

التماسي: الدواهي. قال مرداس الدبيري:

أدوارها كيما تلين وإنني

لألقى على العلات منها التماسيا

خذ عني اثنتين

قال المنصور لولده: خذ عني اثنتين: لا تقل في غير تفكير، ولا تعمل بغير تدبير. وفي هذا المعنى قال الفضل: المشورة فيها بركة، وإني لاستشير حتى هذه الحبشية الأعجمية، وقال أعرابي أيضاً: لا فقر أعظم من الجهل، ولا ظهر أقوى من المشورة، وقيل من بدأ بالاستخارة وثنى بالاستشارة فحقيق ألا يخيب رأيه وقال الشاعر:

إن اللبيب إذا تفرق أمره

فتق الأمور مناظراً ومشاوراً

وأخو الجهالة يستبد برأيه

فتراه يعتسف الأمور مخاطراً

رأس الديك

قال الشاعر دِعْبلُ الخزاعي:

كنا يوماً عند سهل بن هارون فأطلنا الحديث حتى أضر به الجوع، فدعا بغذائه فإذا بصُحفة قديمة فيها مرق لحم ديك قد هرم، لا تحز فيه السكين، ولا يؤثر فيه الضرس، فأخذ قطعة خبز فقلب بها جميع ما في الصُحفة ففقد رأس الديك، فأطرق ملياً ثم رفع رأسه إلى الغلام وقال: «أين الرأس؟ قال رميت به. قال: «لِمَ؟» قال: «لم أظنك تأكله ولا تسأل عنه» قال سهل: «ولأي شيء ظننت ذلك؟ فوالله إني لأبغض من يرمي برجله فضلاً عن رأسه. فالرأس رئيس الأعضاء، وفيه الحواس الخمس، ومنه يصيح الديك، وفيه العين التي يضرب فيها المثل في الصفاء، فيقال «شراب مثل عين الديك»، ودماغه عجيب لوجع الكلية، ولم يُرَ قط عظم أهشّ من عظم رأسه، فإن كان بلغ من جهلك ألا تأكله فعندنا من يأكله، انظر أين هو؟» قال الغلام: «والله ما أدري أنى رميته»، قال سهل: «لكني والله أدري أنك رميت به في بطنك».

يقولون

● يقولون : «ارتعدت فرائصه» والفريصة: عقلة بين الثدي والكتف، وهي ترتجف في حالات الخوف الشديد.

● «مات حتف أنفه»: أي على فراشه، وكانوا يعنون بذلك أن روحه خرجت من أنفه.

● «على قدم وساق»: كناية عن التعاون التام ولا تستخدم للفرد الواحد، فلا يقال: كان الرجل يعمل على قدم وساق، وإنما يجوز استخدام هذه الصيغة في الحديث عن عمل اثنين فصاعداً.

عين الرضا

قال عبدالله بن معاوية بن عبدالله بن جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه :

ولست براء عيب ذي الود كله
ولا بعض ما فيه إذا كنت راضياً
فعين الرضا عن كل عيب كليلة
ولكن عين السخط تبدي المساويا

من صفات اللسان

قال النحاس :

● الحُكْلة في اللسان والغُتمة والبُهمة والعُجمة واحد. والطمطماني والذي لا يفصح والفدم الثقيل اللسلان.

● الأرت : الذي لا تكاد كلمته تخرج من فيه.

● التمتام : الذي يعجّل في الكلام ولا يفهمك. والألف: الثقيل اللسان.

● الفأفاء : أن يسبق الرجل كلمته إلى شفتيه فيردها بشفتيه مراراً لا يفصح، ورجل لَسِنٌ فصيح وملسون كذاب.

غاية الإحسان في خلق الإنسان للسيوطي

مثل شعري

لعمري ما ضاقت بلاد بأهلها
ولكن أخلاق الرجال تضيق

أقصر خطبة جمعة

قال الأصمعي: شهدت الجمعة في أحد البلاد، وكان أميرها رجلاً من الأعراب، فلما حانت الصلاة خرج الأمير وخطب، وقد لف ثيابه على رأسه وبيده قوس، فقال :

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين: أما بعد: فإن الدنيا دار بلاء، والآخرة دار قرار، فخذوا من ممركم لقركم، ولا تهتكوا أستاركم عند من لا تخفى عليه أسراركم، واخرجوا من الدنيا إلى ربكم، قبل أن يخرج منها أبدانكم، ففيها جئتم، ولغيرها خلقتم، أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم، والمدعو له الخليفة، قوموا إلى صلاتكم.

ست خصال

من جمع ست خصال لم يدع للجنة مطلباً ولا عن النار مهرباً:

من عرف ربه فأطاعه، وعرف شيطانه فعصاه، وعرف الحق فاتبعه، وعرف الباطل فاتقاه، وعرف الدنيا فرفضها، وعرف الآخرة فطلبها.

أربعة في أربعة

العقل يفضي إلى الرياسة، والرأي يفضي إلى السياسية، والعلم يفضي إلى التوقير، والحلم يفضي إلى الصبر.

أداء الأمانة

قال أحد الصحابة ذات يوم لجلسائه رضي الله عنهم أجمعين :

انظروا إلى حلم المرء عند غضبه، وإلى أمانته عند طمعه، وما علمك بحلمه إذا لم يغضب؟ وما علمك بأمانته إذا لم يطمع؟ ولا يعجبنكم صاحبكم حتى تنظروا على أي شقيه يقع الموت - أي حتى تنظروا إلى أي شيء تؤول عاقبته، إلى الخير أم إلى الشر؟

الفتاوى الشرعية

هذه الفتاوى منتقاة مما تصدره إدارة الافتاء والبحوث الشرعية في وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية في دولة الكويت. والمجلة على استعداد لتلقي الاسئلة مباشرة وتحويلها الى اهل الاختصاص للاجابة عليها. ويسر خدمة الفتوى بالهاتف تلقي الاسئلة الفقهية مباشرة من الساعة ٨ صباحا الى الساعة ١٢ ظهرا ومن الساعة ٤ عصرا الى الساعة ٨ مساء على الهواتف التالية :

هاتف مباشر
خدمة الفتوى
149

صلاة النساء في المصليات الخاصة بهن

عرض على اللجنة السؤال المقدم من/ مدير إدارة المساجد، وهو:

توجد بعض مصليات للنساء منفردة عن المسجد، فهل تنطبق عليها أحكام المسجد، وإذا صلى فيها عدد من النساء صلاة الجماعة فهل يجوز أن يقتدين بإمام المسجد، ويرتبطن بصلاته، أم يلزم أن يكون لهن إمام خاص؟

- أجابت اللجنة: إن بناء مصليات خاصة للنساء منفصلة عن المسجد وضع غير صحيح من الجهة الشرعية، وهو يخالف المعهود من فعل النبي صلى الله عليه وسلم، والسلف الصالح بعده على اعتبار المسجد مكان العبادة للرجال والصبيان والنساء مع تخصيص صفوف لكل فئة من هذه الفئات، وتأخير صفوف النساء إلى آخر المسجد، فينبغي أن يحافظ على هذا الوضع الشرعي، لأنه لا يجوز تغيير الأوضاع الشرعية، ولا سيما في هذه الشعائر الواجب فيها اتباع فعل الرسول صلى الله عليه وسلم، وفعل السلف الصالح من هذه الأمة، ومن الاحتياطات الأخرى الممكن اتخاذها لانفصال النساء عن ممر الرجال في المسجد أن يخصص لهن باب يوصلهن مباشرة إلى مكان صلاتهن في آخر المسجد لأن النبي صلى الله عليه وسلم خصص لهن باباً في مسجده وقال: «لو تركنا هذا الباب للنساء»، وهو حتى الآن موجود في المسجد النبوي ويسمى «باب النساء»، ويصلي النساء في داخل المسجد دون نكير. ويمكن أن تعتبر من هذه الاحتياطات إقامة حاجز متحرك لا يمنع رؤية الإمام ولا سماع صوته مباشرة ولا يقطع اتصال الصفوف ويمكن به توسعة المسجد ليصلي الرجال فيه جميعه إذا لم يكن هناك نساء، أما صلاة النساء فيها - على ما في إقامة مصليات خاصة للنساء من مخالفة الوضع الشرعي كما تقدم - واقتداؤهن بإمام المسجد فلا يصح إلا إذا سمعن صوت الإمام، أو المبلغ عنه، أو شاهدن الإمام، أو من خلفه من المصلين ليمكنهن المتابعة، فإن لم يسمعنه ولم تتأت المشاهدة فإن الاقتداء باطل، وأما صلاتهن في المصلى بإمام مستقل، سواء أكان من الرجال أم من النساء، فإنه يفرق جماعة المسلمين ويؤدي إلى مخالفة الوضع الشرعي من أداء الصلاة بجماعة واحدة من كل من شهدها والله أعلم.

تنازل عن إرثه لأولاد إحدى زوجتيه

عُرض على اللجنة الاستفتاء المقدم من المدعو/ يعقوب وهو التالي: أرجو الإحاطة بأن لي أولاداً من زوجة توفيت منذ عشرين يوماً تقريباً وقد تنازلت عن حصتي الإرثية منها إليهم، ويوجد لي أولاد آخرون من زوجة أخرى مازالت على قيد الحياة لم أمنحهم شيئاً مقابل المال الذي تنازلت عنه للآخرين، وقد طلب أولادي من زوجتي المتوفاة أن أعوضهم عن نصف الثمن الذي كانت ستستحقه والدتهم لو عاشت وتوفيت أنا قبلها، فهل لو فعلت هذا - مع أنهم غير محتاجين وليسوا قصّراً - أكون قد ميزت بين أولادي، حيث إن أولادي الآخرين من الزوجة الثانية التي مازالت على قيد الحياة فيهم قصَّر، هل يكون الاستجابة إلى طلب أولاد زوجتي المتوفاة فيه مخالفة لفعل الرسول صلى الله عليه وسلم أو سنته وهديه وكذا ما ورد في القرآن الكريم أم لا؟

- أجابت اللجنة بما يلي: بالنسبة للشق الأول من السؤال إن للفقهاء أقوالاً في مثل هذا الموضوع، والأصل فيه حديث النعمان بن بشير رضي الله عنهما وجاء فيه «أعطاني أبي عطية، فقالت عمرة بنت رواحة: لا أرضى حتى تشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «إني أعطيت ابني من عمرة بنت رواحة عطية فأمرتني أن أشهدك يا رسول الله. قال: «أعطيت سائر ولدك مثل هذا»؟ قال: لا، قال: «فاتقوا الله واعدلوا بين أولادكم»، قال: فرد عطيته (فتح الباري برقم ٢٥٨٧ ج٥ ص٢١١)، وذهب جمهور الفقهاء إلى أن التسوية بين الأولاد مستحبة، فإن فضَّل الوالد بعض أولاده على الآخرين جاز مع الكراهة، واستحبت المبادرة إلى التسوية بينهم أو الرجوع، وجوّز بعضهم التفضيل لسبب كأن يكون الولد المفضل عاجزاً عن الكسب أو مديناً أو نحو ذلك.

أما بالنسبة للشق الثاني من السؤال فليس من حق الأولاد المطالبة بما يطلبون به، لأنه لا يملك التنازل عما لم يستحق بعد. والله أعلم

زكـاة الأسهـم

تقدم إلى اللجنة المدعو/ يعقوب وسأل عما يلي:

ساهمت مستثمراً بمقدار من الأسهم في شركة عقارية وحصلت في آخر العام على منحة عبارة عن أسهم ومقدار معين من الأرباح النقدية، فكيف يكون إخراج زكاة أموالي في هذه الحالة باعتباري مستثمراً غير مضارب وباعتباري مضارباً؟ وبالنسبة للمنحة والربح هل ينتظر مرور حول عليها، أم أضمها إلى أموالي الأخرى وأخرجها في الوقت المعتاد لإخراج الزكاة وهو (٥ من رمضان) مثلاً.

وهل يكون إخراج الزكاة على قيمتها يوم استلامها أم يوم إخراج زكاتي المعتادة؟ وهل يكون إخراج الزكاة من الأصول أم من الأرباح؟

وفي حالة ما إذا لم تربح الشركة أو لم توزع أرباحها في نهاية العام فما الواجب عليَّ كمستثمر؟

ـ أجابت اللجنة:

أنه إذا كانت أكثر أعمال الشركة استثمارية فتكون الزكاة على الأرباح المتحصلة من هذه الأسهم وعلى الأسهم التي أخذها كمنحة، ولا يشترط حولان الحول على الأرباح مطلقاً، بل تضم إلى باقي أمواله ليزكيها، ولا يشترط حولان الحول على هذه الأموال الجديدة، والعبرة بقيمة هذه الأسهم يوم وجوب الزكاة وهو حولان الحول أو بعبارة أخرى هو (٥ من رمضان) كما جاء في استفتائه.

أما إذا كان الغرض من اقتناء الأسهم المتاجرة بها فإنها تزكى الأصول والأرباح (زكاة عروض التجارة).

أما بالنسبة لحالة عدم حصول ربح للشركة فإن كان السهم بقصد الاستثمار فلا زكاة على هذه الأسهم وإن كان للمتاجرة (المضاربة بالأسهم) فإنه يزكي قيمة الأسهم كما سبق ولو لم تربح وفي حالة تحقق ربح لم يوزع تصبح الزكاة على هذه الأرباح ديناً في الذمة يجب إخراجها عند قبض الربح دون اشتراط حولان حول جديد وذلك إذا بلغ نصاباً ولو مع غيرها من الأموال الزكوية، والله سبحانه وتعالى أعلم.

هل يأخذ غير المحتاج من الوصية ؟

حضر إلى اللجنة المدعو/ فلاح، وطلب الاستفتاء التالي:

أوصت جدتي لأمي بتوزيع ثلث مالها على يد أولادها الذين من ضمنهم والدتي، وقد ورثت والدتي مبلغاً من المال من مال والدتها مضافاً إليه الثلث، والوصية التي أوصت بها جدتي هي توزيع الثلث للخيرات، والمحتاج من أولادها يأخذ منه حلالاً عليه.

والمطلوب: والدتي توفيت وكانت مريضة عقلياً منذ ثلاثين سنة وأنا قيِّم عليها:

١ ـ فهل أخرج الثلث أيضاً من ميراث والدتي وأوزعه بين إخوتي كما فعلت والدتها ليشمل الخير جميع الأبناء، واتحمل الإدارة والمسؤولية جميعاً؟

٢ ـ هل والدي زوج والدتي يعطى من الثلث للإدارة والحاجة وتحمل المسؤولية؟

ـ أجابت اللجنة:

بعد الاطلاع على نص الوصية: بأن ثلث مال المتوفاة الأولى (جدة المستفتي) يصرف كله للخيرات، ولا يعطى أحد من أولادها ولا أولاد ابنتها إلا عند الحاجة، إذا كان دخل كل واحد منهم لا يكفيه للطعام والكسوة والسكن، وأما زوج ابنتها فلا يستحق منه شيئاً إلا إذا تحققت حاجته. والله أعلم.

توفي وله زوجة كفيفة ، فهل عليها عدة ؟

تقدم المدعو/ محمد، وأخبر اللجنة:

بأن والده قد توفي وله زوجتان، إحداهما «بصيرة» والأخرى «ضريرة»، فهل تستويان في العدة أم أن هناك مفارقات بينهما بسبب العاهة. وهل تنتصف العدة بينهما؟

ـ أجابت اللجنة بما يلي:

إن البصيرة والضريرة تستويان في العدة، ولا فرق بينهما بسبب عاهة من العاهات، فتعتد كل منهما عدة وفاة كاملة، وهي أربعة أشهر وعشرة أيام، ابتداء من وقت الوفاة، مع عدم الإخلال بواجبات العدة. والله أعلم.

رجعة المطلقة بعد انتهاء عدتها

تقدم إلى اللجنة المدعو/ راسم، وأفاد:

أنه طلق زوجته وهو في حالة غضب بلفظ: «أنت طالق بالثلاث»، ومضى على ذلك مدة أربعة أشهر أو خمسة، ولم يسبق له أن طلّق قبل هذه المرة ولا بعدها، ويسأل هل يجوز له مراجعة زوجته الآن؟ مع العلم أنها حاضت أربع مرات منذ يوم الطلاق إلى الآن؟

ـ أجابت اللجنة بما يلي:

إن زوجته بانت منه بطلقة واحدة بانقضاء عدتها بنزول الحيض ثلاث مرات، وله أن يعقد عليها عقداً جديداً بمهر جديد وولي وشاهدي عدل إن وافقت مطلّقته على ذلك، وتعود إليه على طلقتين، وأفهمته اللجنة أنها محرّمة عليه حتى يعقد عليها. والله أعلم.

يحيا العدل

بقلم: محمود علي عبدالرحمن

منذ كان الإنسان وحيث يكون، سيبقى العدل حلم حياته وأمل مفكريه وجوهر شرائعه وسياج أمنه، كذلك كان وسيبقى رائداً لركبه على طريق الرخاء والتقدم والسلام وصانع الحضارات وحارسها وغاية الغايات.

وإذا كان العدل هو حلم الإنسان الدائب الذي لم يكف دوماً عن السعي إلى تحقيقه، وكان سعيه قد كلل بخطوات من نجاح، أكدت كل خطوة منها هذا التلازم الرفيع بين العدل وارتقاء الإنسانية في درجات سموها، كما أكدت أن الإنسانية ليست بالغة ذراها الرفيعة في قمة وجودها الذي يتجلى فيه القبس النوراني الكامن فيها، إلا محمولة على راحة العدل وساعده.

وإذا كان العدل هو أداة بلوغ الإنسانية لذراها السامقة، فإن الإنسان محور هذه الإنسانية وجوهرها المطلق ليس ببالغه إلا على قواعد راسخة يُرسى فيها قيم العدالة بينه وبين نفسه ومع أهله وبين أبنائه ومع الآخرين، وإذا ما تحقق ذلك فستُخمد جذوة نار الظلم، من أجل مجتمع الأنفع والأكرم والأسمى.

وإذا ما أظلّ العدل أمة بظلاله الوارفة اكتسى بنوها لباس الأمن والطمأنينة والاستقرار، وأثمرت شجرة العدل اليانعة، فلا يخشى في ظلها صغير بطش كبير، ولا يطغى حاكم على محكوم، فالكل أمام العدل سواء.

والظلم أقسى ما يؤلم النفس البشرية، ويشعل نيران الغضب في داخلها، ويؤدي إلى زعزعة المجتمعات وتقويض استقرارها وضياع هيبتها وسقوط كيانها، وما قصه لنا القرآن عن القرية الظالم أهلها ليس عنا ببعيد.

وقد يطول ليل الظلم ويدلهمُّ، ولكن هيهات هيهات أن تحول دون شمس العدل غيوم الباطل، فمهما أوتي الباطل من زخرف القول ولحنه، ومهما قوي عوده واشتد فلابد يوماً أن ينكسر، لتشرق أضواء العدل الباهرة محطمة حُجب الظلم وأستاره، لحظتذاك يدوي بين الجدران يكاد أن يُحطم الأركان، هتاف عال علو الحق وغلوه «يحيا العدل».

كلمتان خفيفتان على اللسان قويتان في المعنى والبنيان تنطق بهما أفواه لطالما كممها ظلم الصمت فتاقت لبريق الحق، فما أن تنطلق كلمات الحكم ناطقة بالعدل، حتى يعلو الهتاف كالرعد، مجلجلاً ساعتئذ لاتكاد أن تسمع للظالم ركزاً ولا تراه إلا منكّس الرأس تقرع الكلمات أذنية، وتهوى عليه كالصاعقة فلا تسمع منه إلا همساً.

فما أجملك يا عدل وما أعظمك تتغنى بك الأفواه طرباً وكفاك قدراً وشرفاً أن كنت للرحمن اسماً ووصفاً، وخسئت أيها الظلم وخاب أهلوك، يقول الحق سبحانه (وعنت الوجوه للحي القيوم وقد خاب من حمل ظلماً) طه:١١١. ■



دولة الكويت
وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية

هديـة مجلـة
الوعي الإسلامي

التقويم الهجري ١٤٢٠

1999 / 2000 م

الوعي الإسلامي مجلة إسلامية شهرية جامعة تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بدولة الكويت في مطلع كل شهر عربي
ص.ب ٢٣٦٦٧ ، الصفاة 13097 ، الكويت
هاتف: ٢٤٨٧٢١٠ ، فاكس: ٢٤٣١٧٤٠

محرم — أبريل / مايو

السبت	١ ١٧	٨ ٢٤	١٥ ١	٢٢ ٨	٢٩ ١٥
الأحد	٢ ١٨	٩ ٢٥	١٦ ٢	٢٣ ٩	
الاثنين	٣ ١٩	١٠ ٢٦	١٧ ٣	٢٤ ١٠	
الثلاثاء	٤ ٢٠	١١ ٢٧	١٨ ٤	٢٥ ١١	
الاربعاء	٥ ٢١	١٢ ٢٨	١٩ ٥	٢٦ ١٢	
الخميس	٦ ٢٢	١٣ ٢٩	٢٠ ٦	٢٧ ١٣	
الجمعة	٧ ٢٣	١٤ ٣٠	٢١ ٧	٢٨ ١٤	

صفر — مايو / يونيو

السبت		٧ ٢٢	١٤ ٢٩	٢١ ٥	٢٨ ١٢
الأحد	١ ١٦	٨ ٢٣	١٥ ٣٠	٢٢ ٦	٢٩ ١٣
الاثنين	٢ ١٧	٩ ٢٤	١٦ ٣١	٢٣ ٧	٣٠ ١٤
الثلاثاء	٣ ١٨	١٠ ٢٥	١٧ ١	٢٤ ٨	
الاربعاء	٤ ١٩	١١ ٢٦	١٨ ٢	٢٥ ٩	
الخميس	٥ ٢٠	١٢ ٢٧	١٩ ٣	٢٦ ١٠	
الجمعة	٦ ٢١	١٣ ٢٨	٢٠ ٤	٢٧ ١١	

ربيع الأول — يونيو . يوليو

السبت		٥ ١٩	١٢ ٢٦	١٩ ٣	٢٦ ١٠
الأحد		٦ ٢٠	١٣ ٢٧	٢٠ ٤	٢٧ ١١
الاثنين		٧ ٢١	١٤ ٢٨	٢١ ٥	٢٨ ١٢
الثلاثاء	١ ١٥	٨ ٢٢	١٥ ٢٩	٢٢ ٦	٢٩ ١٣
الاربعاء	٢ ١٦	٩ ٢٣	١٦ ٣٠	٢٣ ٧	
الخميس	٣ ١٧	١٠ ٢٤	١٧ ١	٢٤ ٨	
الجمعة	٤ ١٨	١١ ٢٥	١٨ ٢	٢٥ ٩	

ربيع الآخر — يوليو / أغسطس

السبت		٤ ١٧	١١ ٢٤	١٨ ٣١	٢٥ ٧
الأحد		٥ ١٨	١٢ ٢٥	١٩ ١	٢٦ ٨
الاثنين		٦ ١٩	١٣ ٢٦	٢٠ ٢	٢٧ ٩
الثلاثاء		٧ ٢٠	١٤ ٢٧	٢١ ٣	٢٨ ١٠
الاربعاء	١ ١٤	٨ ٢١	١٥ ٢٨	٢٢ ٤	٢٩ ١١
الخميس	٢ ١٥	٩ ٢٢	١٦ ٢٩	٢٣ ٥	
الجمعة	٣ ١٦	١٠ ٢٣	١٧ ٣٠	٢٤ ٦	

جمادى الأولى — أغسطس / سبتمبر

السبت		٣ ١٤	١٠ ٢١	١٧ ٢٨	٢٤ ٤
الأحد		٤ ١٥	١١ ٢٢	١٨ ٢٩	٢٥ ٥
الاثنين		٥ ١٦	١٢ ٢٣	١٩ ٣٠	٢٦ ٦
الثلاثاء		٦ ١٧	١٣ ٢٤	٢٠ ٣١	٢٧ ٧
الاربعاء		٧ ١٨	١٤ ٢٥	٢١ ١	٢٨ ٨
الخميس	١ ١٢	٨ ١٩	١٥ ٢٦	٢٢ ٢	٢٩ ٩
الجمعة	٢ ١٣	٩ ٢٠	١٦ ٢٧	٢٣ ٣	٣٠ ١٠

جمادى الآخرة — سبتمبر / أكتوبر

السبت	١ ١١	٨ ١٨	١٥ ٢٥	٢٢ ٢	٢٩ ٩
الأحد	٢ ١٢	٩ ١٩	١٦ ٢٦	٢٣ ٣	
الاثنين	٣ ١٣	١٠ ٢٠	١٧ ٢٧	٢٤ ٤	
الثلاثاء	٤ ١٤	١١ ٢١	١٨ ٢٨	٢٥ ٥	
الاربعاء	٥ ١٥	١٢ ٢٢	١٩ ٢٩	٢٦ ٦	
الخميس	٦ ١٦	١٣ ٢٣	٢٠ ٣٠	٢٧ ٧	
الجمعة	٧ ١٧	١٤ ٢٤	٢١ ١	٢٨ ٨	

رجب — أكتوبر / نوفمبر

السبت		٧ ١٦	١٤ ٢٣	٢١ ٣٠	٢٨ ٦
الأحد	١ ١٠	٨ ١٧	١٥ ٢٤	٢٢ ٣١	٢٩ ٧
الاثنين	٢ ١١	٩ ١٨	١٦ ٢٥	٢٣ ١	٣٠ ٨
الثلاثاء	٣ ١٢	١٠ ١٩	١٧ ٢٦	٢٤ ٢	
الاربعاء	٤ ١٣	١١ ٢٠	١٨ ٢٧	٢٥ ٣	
الخميس	٥ ١٤	١٢ ٢١	١٩ ٢٨	٢٦ ٤	
الجمعة	٦ ١٥	١٣ ٢٢	٢٠ ٢٩	٢٧ ٥	

شعبان — نوفمبر / ديسمبر

السبت		٥ ١٣	١٢ ٢٠	١٩ ٢٧	٢٦ ٤
الأحد		٦ ١٤	١٣ ٢١	٢٠ ٢٨	٢٧ ٥
الاثنين		٧ ١٥	١٤ ٢٢	٢١ ٢٩	٢٨ ٦
الثلاثاء	١ ٩	٨ ١٦	١٥ ٢٣	٢٢ ٣٠	٢٩ ٧
الاربعاء	٢ ١٠	٩ ١٧	١٦ ٢٤	٢٣ ١	
الخميس	٣ ١١	١٠ ١٨	١٧ ٢٥	٢٤ ٢	
الجمعة	٤ ١٢	١١ ١٩	١٨ ٢٦	٢٥ ٣	

رمضان — ديسمبر / يناير

السبت		٤ ١١	١١ ١٨	١٨ ٢٥	٢٥ ١
الأحد		٥ ١٢	١٢ ١٩	١٩ ٢٦	٢٦ ٢
الاثنين		٦ ١٣	١٣ ٢٠	٢٠ ٢٧	٢٧ ٣
الثلاثاء		٧ ١٤	١٤ ٢١	٢١ ٢٨	٢٨ ٤
الاربعاء	١ ٨	٨ ١٥	١٥ ٢٢	٢٢ ٢٩	٢٩ ٥
الخميس	٢ ٩	٩ ١٦	١٦ ٢٣	٢٣ ٣٠	٣٠ ٦
الجمعة	٣ ١٠	١٠ ١٧	١٧ ٢٤	٢٤ ٣١	

شوال — يناير / فبراير

السبت		٢ ٨	٩ ١٥	١٦ ٢٢	٢٣ ٢٩	٣٠ ٥
الأحد		٣ ٩	١٠ ١٦	١٧ ٢٣	٢٤ ٣٠	
الاثنين		٤ ١٠	١١ ١٧	١٨ ٢٤	٢٥ ٣١	
الثلاثاء		٥ ١١	١٢ ١٨	١٩ ٢٥	٢٦ ١	
الاربعاء		٦ ١٢	١٣ ١٩	٢٠ ٢٦	٢٧ ٢	
الخميس		٧ ١٣	١٤ ٢٠	٢١ ٢٧	٢٨ ٣	
الجمعة	١ ٧	٨ ١٤	١٥ ٢١	٢٢ ٢٨	٢٩ ٤	

ذو القعدة — فبراير / مارس

السبت		٧ ١٢	١٤ ١٩	٢١ ٢٦	٢٨ ٤
الأحد	١ ٦	٨ ١٣	١٥ ٢٠	٢٢ ٢٧	٢٩ ٥
الاثنين	٢ ٧	٩ ١٤	١٦ ٢١	٢٣ ٢٨	٣٠ ٦
الثلاثاء	٣ ٨	١٠ ١٥	١٧ ٢٢	٢٤ ٢٩	
الاربعاء	٤ ٩	١١ ١٦	١٨ ٢٣	٢٥ ١	
الخميس	٥ ١٠	١٢ ١٧	١٩ ٢٤	٢٦ ٢	
الجمعة	٦ ١١	١٣ ١٨	٢٠ ٢٥	٢٧ ٣	

ذو الحجة — مارس / أبريل

السبت		٥ ١١	١٢ ١٨	١٩ ٢٥	٢٦ ١
الأحد		٦ ١٢	١٣ ١٩	٢٠ ٢٦	٢٧ ٢
الاثنين		٧ ١٣	١٤ ٢٠	٢١ ٢٧	٢٨ ٣
الثلاثاء	١ ٧	٨ ١٤	١٥ ٢١	٢٢ ٢٨	٢٩ ٤
الاربعاء	٢ ٨	٩ ١٥	١٦ ٢٢	٢٣ ٢٩	٣٠ ٥
الخميس	٣ ٩	١٠ ١٦	١٧ ٢٣	٢٤ ٣٠	
الجمعة	٤ ١٠	١١ ١٧	١٨ ٢٤	٢٥ ٣١	

الأعياد والعطل الرسمية لسنة ١٤٢٠ هـ

رأس السنة الهجرية	المولد النبوي الشريف	الإسراء والمعراج	رأس السنة الميلادية	عيد الفطر السعيد	ثاني أيام العيد	آخر أيام العيد
السبت ١ محرم ١٤٢٠ هـ ١٧ أبريل ١٩٩٩ م	السبت ١٢ ربيع الأول ١٤٢٠ هـ ٢٦ يونيو ١٩٩٩ م	الجمعة ٢٧ رجب ١٤٢٠ هـ ٥ نوفمبر ١٩٩٩ م	السبت ٢٥ رمضان ١٤٢٠ هـ ١ يناير ٢٠٠٠ م	الجمعة ١ شوال ١٤٢٠ هـ ٧ يناير ٢٠٠٠ م	السبت ٢ شوال ١٤٢٠ هـ ٨ يناير ٢٠٠٠ م	الأحد ٣ شوال ١٤٢٠ هـ ٩ يناير ٢٠٠٠ م
اليوم الوطني	**يوم التحرير**	**الوقوف بعرفة**	**عيد الأضحى المبارك**	**ثاني أيام العيد**	**ثالث أيام العيد**	**آخر أيام العيد**
الجمعة ٢٠ ذي القعدة ١٤٢٠ هـ ٢٥ فبراير ٢٠٠٠ م	السبت ٢١ ذي القعدة ١٤٢٠ هـ ٢٦ فبراير ٢٠٠٠ م	الاربعاء ٩ ذي الحجة ١٤٢٠ هـ ١٥ مارس ٢٠٠٠ م	الخميس ١٠ ذي الحجة ١٤٢٠ هـ ١٦ مارس ٢٠٠٠ م	الجمعة ١١ ذي الحجة ١٤٢٠ هـ ١٧ مارس ٢٠٠٠ م	السبت ١٢ ذي الحجة ١٤٢٠ هـ ١٨ مارس ٢٠٠٠ م	الأحد ١٣ ذي الحجة ١٤٢٠ هـ ١٩ مارس ٢٠٠٠ م

اللجنة الكويتية المشتركة للإغاثة

تشريد . إبادة وهتك أعراض .. دماء ودموع !!

كوسوفا تستغيث فهل من معتصم يجيب؟



قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : - « مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » رواه مسلم

تستقبل التبرعات في :

حساب كوسوفا : ٥ / ٣٦٥٨٣ بيت التمويل الكويتي

مقر اللجنة الرئيسي - الشرق - شارع أحمد الجابر - مبنى الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية - الدور الرابع ت : ٢٤٤٥٧٢٠ - بيجر : ٩٣١٧٥٥٧

وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية - بيت الزكاة - الهيئة الخيرية الاسلامية العالمية واللجان التابعة لها - جمعية الاصلاح الاجتماعي واللجان التابعة لها - جمعية احياء التراث الاسلامي واللجان التابعة لها - جمعية النجاة الخيرية واللجان التابعة لها - جمعية الشيخ عبد الله النوري الخيرية - لجنة الفلاح الخيرية - جمعية المعلمين الكويتية - الاتحاد الوطني لطلبة الكويت الجمعية الطبية الكويتية - جمعية الرعاية الاسلامية - الجمعية الخيرية للتضامن الاجتماعي - الجمعية الثقافية الاجتماعية النسائية - جمعية بيادر السلام النسائية

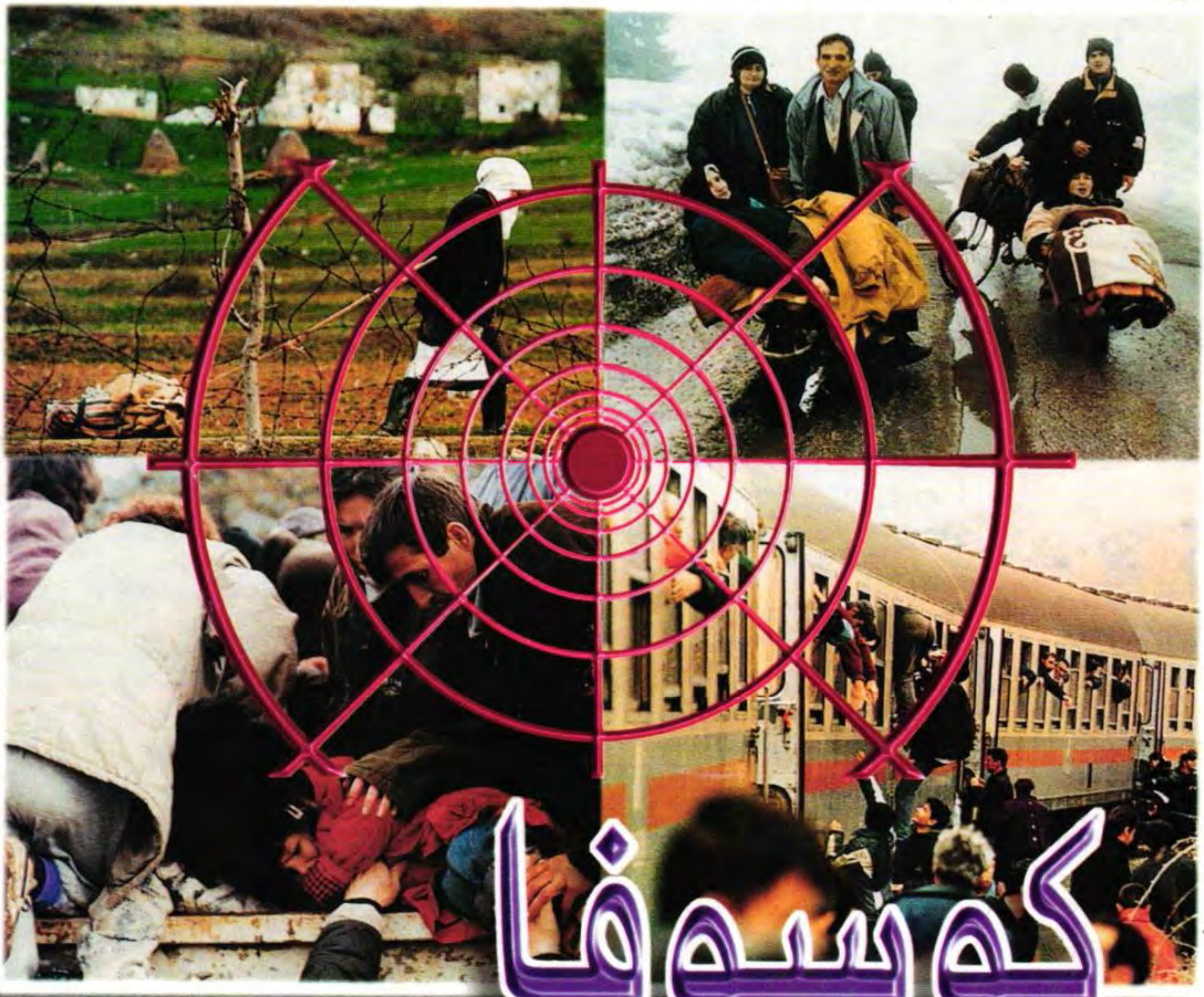
دور وسائل الإعلام في تفتح الأبناء

الوعي الإسلامي

إسلامية شهرية جامعة

al-Waei al-Islami

العدد ٤٠٣ ـ السنة السادسة والثلاثون ـ ربيع الأول ١٤٢٠ هـ ـ يونيو / يوليو ١٩٩٩ م



كوسوفا

الهوس الصربي يحرق الأرض ويبيد البشر

مكانة العرب في القرآن بين التشريف والمسؤولية

النص الثابت والواقع المتغيّر كيف نوفق بينهما ؟

هديتك مع العدد براعم الإيمان


الأمـانـة العـامـة للأوقـاف
شـارك معنـا مـن خـلال
السهم الوقفي
بقيمة ١٠ د.ك
• بـ١٠ د . ك فقط يكون لديك صدقة جارية الى ما شاء الله.
• احرص معنا على اقتناء سهم وقفي أو أكثر.
• بالانفاق المباشر أو بالاستقطاع الشهري بواسطة البنك.
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
إذا مات الانسان إنقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له
« رواه مسلم »
للاستفسار :
رقم : (٢٤١-٨٠٠٨) صباحاً
ولخدمة التحصيل السريع
بيجر : (٩٢٥-٩٢٥٠)
السهم الوقفي
صدقة جارية ... لخدمة الدين والمجتمع

الوعي الإسلامي

al-Waei al-Islami

إسلامية ❖ شهرية ❖ جامعة

تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية
في دولة الكويت في مطلع كل شهر عربي

Islamic Monthly Magazine, Published By The
Ministry of Awqaf & Islamic Affairs - Kuwait

رئيس التحرير
CHIEF EDITOR
د. صالح أحمد الراشد
Dr. SALEH A. AL-RASHED

المشرف الإداري والمالي
ADMN. & FINANCE DIRECTOR
خالد عبداللطيف بوقماز
KHALED A. BUQAMMAZ

الإشراف الفني
ART DESIGNER
صالح محمد صالح
SALEH M. SALEH

العدد 403 . السنة الخامسة والثلاثون - ربيع الأول 1420 هـ - يونيو / يوليو 1999 م

الأسعار

الكويت: ٣٥٠ فلسا. السعودية: ٤ ريالات. البحرين: ٣٠٠ فلس. قطر: ٤ ريالات. الامارات: ٤ دراهم. سلطنة عمان: ٣٠٠ بيسة. الأردن: ٥٠٠ فلس. مصر: جنيه واحد. السودان: ٥ جنيهات. موريتانيا: ١٢٠ أوقية. تونس: دينار واحد. الجزائر: ٥ دنانير. اليمن: ٥ ريالات. لبنان: ١٠٠٠ ليرة. سوريا: ٢٠ ليرة. المغرب: ٦ دراهم. ليبيا: ٥٠٠ مليم. أوروبا: جنيه استرليني واحد او مايعادله. امريكا وبقية دول العالم الاخرى: دولاران او مايعادلهما.

كلمة العدد

محنة اللاجئين الكوسوفيين

أعزاءنا القراء :

على الرغم من الانفراج النسبي في قضية كوسوفا وقبول الصرب بمطالب حلف الناتو، إلا أن قضية اللاجئين الكوسوفيين وإفرازاتها وأمر عودتهم إلى ديارهم تحتاج بعض الوقت بسبب تشتت وتفرّق اللاجئين في أقطار عدة في آسيا وأميركا وأوروبا، ونأمل أن تتحقق العودة لهم في أقرب وقت ممكن، وفي هذا العدد نسلط الضوء على محنة هؤلاء اللاجئين وما تعرضوا له من ذلّ وهوان على أيدي الصرب المعتدين، وذلك من خلال تحقيق حيّ من داخل خيامهم وأماكن إيوائهم، كما نقدم مزيداً من الموضوعات حول التحديات التي يواجهها الإسلام والمسلمون في عصر العولمة دون أن ينسينا ذلك تسليط الضوء على الجوانب الحضارية المشرقة في تراثنا الإسلامي العظيم في جميع مجالات الحياة، لتكون دافعاً لنا نحو استئناف مسيرتنا الحضارية الزاهرة بعد أن غُيِّبت قروناً عدة، والله الهادي إلى سواء السبيل.

الوعي الإسلامي

المراسلات

المراسلات كافة باسم رئيس التحرير
مجلة الوعي الإسلامي
ص.ب : ٢٣٦٦٧ - الصفاة - 13097 - الكويت
هاتف ٢٤٨٧٢١٠ (٩٦٥+) فاكس ٢٤٣١٧٤٠(٩٦٥+)

al-Waei al-Islami
P.O. BOX 23667 SAFAT
13097 KUWAIT
TEL. 965 2487210 FAX 965 2431740

e.mail: al_waei@hotmail.com
Homepage: www.kuwait.net/~awqafnet

الاشتراكات

- **داخل الكويت :**
للأفراد ٥ دنانير. للمؤسسات ١٠ دنانير كويتية.
- **الدول العربية :**
للأفراد ٦ دنانير كويتية (او مايعادلها).
- **دول العالم :**
للأفراد ١٠ دنانير كويتية (او مايعادلها).
- **للمؤسسات :**
٢٠ ديناراً كويتياً (او مايعادلها).

ترسل قيمة الاشتراكات في شيك إلى إدارة المجلة باسم مجلة الوعي الاسلامي
(الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)

المجلة غير ملتزمة بإعادة أي مادة تتلقاها للنشر. والمقالات لا تعبر بالضرورة عن رأي الوزارة

مطابع السياسة - الكويت

وكيل التوزيع شركة الخليج لتوزيع الصحف هاتف ٤٨١٦٨٨٤/٥ / ٤٨٣٥٠٤٧ ص.ب ٤٢٠٥٧ الشويخ 70651 الكويت. برقيا نيوزبيبر

في العدد

تحقيقات



كوسوفا .. الهوس الصربي يحرق الأرض .. ويبيد البشر

جريمة رهيبة ومذبحة منظّمة تلك التي حدثت لمليوني مسلم واستطاعت في النهاية اقتلاعهم بأساليب تصيب البدن بالقشعريرة والقلب بالأحزان.

9

فكر

64

النص الثابت والواقع المتغير

يتساءل كثير من الكتاب والمفكرين المعاصرين عن كيفية التوفيق بين نصوص ثابتة في القرآن الكريم والسنة النبوية وبين واقع متغير، وهل العلاقة بينهما محلولة فيما سبق من تاريخ الاجتهاد؟

إعلام

56

حرية التعبير في منهج الإعلام الإسلامي

الشريعة الإسلامية أعطت الرأي والفكر والقول والتعبير مساحة واسعة من الحرية وفق ضوابط وحدود تكفل تطبيقها ضمن الحلال والمباح.

في الأعداد المقبلة

حوار مع د. محمد علي الجوزو مفتي «جبل لبنان»	د. عماد الدين عثمان
الانقلاب الكوني	د. خالص جلبي
هانتنجتون وقضية التزاوج الحضاري	عطية فتحي الويشي
الدور المتغير للتعليم في المجتمعات العربية	د. مصطفى رجب
الرأي العام وأثره في المجتمع	حيدر قفة
حاجتنا إلى التقريب بين المذاهب الفقهية	محمود النجيري
من أجل رؤية مستقبلية للإعلام	عبدالعزيز انسميرات

الفهرس

الافتتاحية

ذكرى المولد النبوي... وعملية الفرز الحضاري

في الثاني عشر من شهر ربيع الأول، تمر مناسبة عظيمة على المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها وهي مولد الحبيب المصطفى ﷺ، سيد الأولين والآخرين، وإمام المتقين، وميلاده ﷺ ميلاد الخُلق العظيم: ﴿ وإنك لعلى خلق عظيم ﴾، وميلاد المبادئ الإنسانية النبيلة والقيم العظيمة ﴿ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾.

لقد استطاع النبي الكريم بالرسالة التي بُعث بها أن يقضي على العصبيات القبلية، والعادات السيئة البالية، والمعتقدات الوثنية، وأن يؤسس خلال فترة وجيزة نواة الدولة المسلمة التي امتدت بعد وفاته لتشمل الجزء الأكبر من أرض المعمورة، بعد أن استجابت لدعوته أمم وشعوب ما كان العقل البشري يتصور مطلقاً أن يوحدها الإسلام في منظومته الحضارية والإنسانية، وأن يفجر فيها الطاقات الكامنة، ويخرجها من الدائرة المغلقة والحلقة المفرغة إلى رحاب الكون الواسع، مستنداً في ذلك إلى منهجه الوسطي القائم على التعادل والتوازن الاجتماعي بين الفرد والمجتمع وبين المادة والروح وبين الدين والدولة وبين الدنيا والآخرة.

ونحن اليوم إذ تمر علينا ذكرى مولد النبي العظيم لمطالبون بالعودة إلى ذلك المنهج الذي جاء به والعودة إلى الله وتجديد الطاعة له سبحانه وتعالى، وإحياء سنة صاحب الذكرى وذلك بإتقان العمل وإحياء قيم التعاون والتكافل والصبر والصدق والأخذ بما صلح به أول هذه الأمة من عوامل القوة والمنعة والنصر والسؤدد وهذا ما أكده القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً ﴾ الأحزاب:٢١.

إن ما أصاب المسلمين اليوم من ذل وهوان وتفكك وتقاتل، وتبعية اجتماعية واقتصادية وإعلامية وسياسية لمناهج الأعداء وضياع للأرض والمقدسات. على الرغم من وجود بعض النقاط الإيجابية المضيئة. إنما سببه البعد عن منهج النبوة الخالد وخير مثال على هذا الواقع المزري والمتردي ما يتعرض له إخواننا المسلمين في كوسوفا على أيدي المعتدين الصرب، فهو شاهد على حالة الضعف العام الذي أصاب الأمة المسلمة على كثرتها، حيث تقف عاجزة عن إنقاذ الكوسوفيين من جريمة التطهير العرقي والإبادة الجماعية والتهجير القسري، وإن كانت في حقيقتها حرباً صليبية جديدة تستهدف الإنسان المسلم أينما كان على وجه هذه الأرض.

إن القوى الكبرى المهيمنة على العالم اليوم تسعى لدخول القرن الحادي والعشرين برؤية حضارية جديدة يُزاح من منظومتها وبصورة متعمدة الإسلام والمسلمون بكل ثقلهم الحضاري الذي امتد قروناً عدة في عملية فرز حضاري مستندة إلى عناصر المصلحة والقوة والنفوذ، وعلى المسلمين وهم يعيشون ذكرى مولد نبيهم ﷺ أن ينتبهوا لهذه التحولات المرسومة بدقة متناهية، وأن يفهموا ظروف المرحلة الحالية بحساباتها المعقدة، وأن يوحِّدوا صفوفهم وإمكاناتهم حتى يفرضوا وجودهم ومكانتهم في المسيرة الحضارية المعاصرة، ويكونوا عناصر إيجابية فاعلة ينشرون الخير والعدل والحق، ويعيدوا تجربتهم الحضارية ليستظل بظلالها الناس أجمعون.

والله الهادي إلى الحق وسواء السبيل.

رئيس التحرير

بريد القراء

ترحب الوعي الاسلامي برسائل القراء وتنشر منها ما يتوافق مع سياسات النشر لديها بما لا يتعارض مع حقوق الآخرين وحرية الرأي. وتحتفظ المجلة بحق تنقيح الرسائل واختصارها.

خيــر جليــس

رغم السيل الإعلامي والثقافي الوافدين إلينا عبر الفضائيات، ورغم برمجة الكتب على الكمبيوتر والديسكات الجاهزة، ورغم ما يقدم من برامج وندوات ومؤتمرات ثقافية عبر الإذاعات وشاشات التلفزة... وأمام هذا الزخم الثقافي الهائل فإن الكتاب لايزال يحتل الصدارة ويتمتع بمكانة مرموقة لدى القراء والمثقفين في عالمنا العربي والإسلامي. ولا يزال الكتاب «خير جليس» لأن القارئ يحسُّ بمتعة لا تُضاهى عندما يبحر في الكتاب ويغوص في أعماقه... يفعل به ويتفاعل معه مشركاً عيونه، وعقله، وجوارحه، وانفعالاته لتشكل وحدة متماسكة بغية استيعاب هذا الكتاب والتقاط درره الثمينة.

إن ما يتلقاه المرء من معارف من خلال وسائل الإعلام والندوات الثقافية يبعثُ على الملل والسأم في النفس من جرّاء التركيز والانتباه الطويل والمتابعة، لذا فهو في هذه الحال يكون أقل تفاعلاً وفاعلية، وتكون الأفكار الراسخة بذهنه عن طريق ذاك البرنامج أو تلك الندوة الثقافية أقل بكثير مما يرسخ في وجدانه من المبادئ والقيم التي يستخلصها من الكتاب الذي يقرأه. إن الكتاب لا يزال هو «الأصل» وهو المنهل الرئيسي للثقافة والعلوم والآداب على مرِّ العصور وهذا لا يعني أننا نسفّه دور وسائل الإعلام الحديثة والندوات والمؤتمرات الثقافية في إيصال المعرفة لأن هذه الأخيرة تلعب دوراً إيجابياً وفاعلاً إذ تجاري مقتضيات العصر الحديث والحياة اليومية ومشاغلها، لما توفره من وقت وراحة لذلك الإنسان وخير دليل على أن الكتاب لايزال هو الأصل في تناول المعرفة وارتشاف العلوم ما نلاحظه من إقبال منقطع النظير من مثقفينا على ارتياد المكتبات، وزيارة معارض الكتب التي تقام في كبريات المدن العربية والإسلامية.

ولا يسعنا في نهاية المطاف إلا أن نتوقف عند هذا البيت:

أعزُّ مكان في الدُّنا سرجُ سابح
وخير جليس في الأنام كتابُ

أحمد مسلم وحيد – لبنان

- لوحظ في الأعداد الأخيرة من مجلة الوعي الإسلامي وبخاصة في باب «البيت المسلم» الاعتماد على صور لأطفال من ذوي الوجوه الأوروبية الغربية. ولا أرى مبرراً لذلك حيث إن وجه الطفل العربي والمسلم يجمع بين الأصالة والجمال تماماً مثل تاريخه. كما أرى أن القضية أعمق بكثير من الجمال الظاهر.

- وفي العدد ٢٧١ من مجلة البراعم ص١٠ في قصة العمالقة حدث تداخل بين قصتي نوح عليه السلام وقصة قوم عاد، فنرجو إعادة قراءة القصة.

هدى حنفي كامل – مصر

ملاحظـات

المحرر: شكراً على ملاحظاتك الطيبة، وقد أحيلت ملاحظاتك إلى الجهة المختصة لدراستها وتدارك الأخطاء مستقبلاً. أما بخصوص القصة فلا نعتقد أن فيها تداخلا كما ذكرت.

ردود خاصـة

- الأخ سهل العود ـ فرنسا ـ توفيق هباش ـ الجزائر ـ الكشافة الإسلامية ـ ولاية بشار ـ الجزائر، فخر الدين بوطو ـ تايلاند: نأسف لعدم تلبية طلباتكم لظروف خارجة عن إرادتنا، وجزاكم الله كل خير.
- الأخ نور الدين بليبل ـ الجزائر: شكراً على مبادرتكم الطيبة ونفيدكم علماً بأن إدارة المجلة ليس من اختصاصها توقيع مثل هذه العقود باعتبارها مجلة حكومية وهي تدفع مكافآت مقطوعة لأصحاب المقالات المنشورة فقط.
- الأخ نور شهيد القدسي ـ إندونيسيا: يمكنك الاتصال بالجمعيات الخيرية المختصة بالأعمال الخيرية وجزاكم الله كل خير.
- الأخ أحمد السيد الشرقاوي ـ مصر: باب المجلة مفتوح لكل المواد الإعلامية التي تتلاءم ومنهج المجلة أما نظام المراسل الصحافي براتب شهري مقطوع فهو غير معمول به في الوقت الحاضر.
- الأخت ثريا نداوي ـ المغرب: العناوين المطلوبة غير متوافرة لدينا، يمكنك مراسلة المراكز الإسلامية في فرنسا للحصول عليها.
- الأخ هشام العيساوي ـ المغرب: المجلة ترحب بأي مادة إعلامية مرسلة إليها وفي حال اجازتها هيئة التحرير للنشر تدفع لكاتبها مكافأة مقطوعة ـ وفق القواعد والأسس المتبعة في المجلة.

فلسطين / كوسوفا

طريق البوسنة والهرسك مجرد تساؤلات وملاحظات :

إذا كان هجوم حلف شمال الأطلسي على يوغسلافيا قد أثبت شيئاً جديداً، فهو أن الأمم المتحدة لم يعد لها أي شأن حتى دورها السياسي ذهب إلى غير رجعة وأصبحت «خيال مآتة» وهي للعرب في كل الأحوال - لم تكن إلا أثراً بعد عين - وما يحدث حالياً في كوسوفا يفضح القانون الدولي غير الإنساني - فتقوم المظاهرات في إيطاليا وروسيا واليونان - اعتراضاً على ضرب يوغسلافيا لا لإيقاف التصفية العرقية لألبان كوسوفا.

هل هذا القصف الجوي والصاروخي مؤثر بالدرجة التي تجعل جزار يوغسلافيا «ميلوسيفتيش» يتراجع عن تقطيع وتشفية ذبيحته المسكينة التي لا حول لها ولا قوة؟... أم أن هذا الضرب يشبه «ضرب الغوازي» أي أنه هين لين حنون يستهدف فقط الدعاية و«البروباجندا» بدليل أن كل ما دمر عبارة عن مبان عدة، وكوبري، وما يُقال إنه مصنع للطائرات المدنية ومبنى إداري للشرطة الصربية في كوسوفا، ومبنى وزارة الداخلية اليوغسلافية، أهداف غير مؤثرة ولا تعرقل المجهود الرئيسي للقوات العسكرية الصربية.

عندما رأتنا المنظمات الدولية المختلفة لا نفعل شيئاً، أصبح ما تفعله منظمات حقوق الإنسان والإغاثة هو إعداد قوائم الضحايا وتجهيز الخيام للمطرودين المقهورين وإلقاء بعض الأطعمة والأدوية لهم... ودمتم... «وزغردي يا شرعية دولية»، زغرودة طويلة ممتدة من فلسطين إلى كوسوفا، والرسالة واضحة لكل من يستشير نفسه ويقل عقله ويعمل عملهم «يا عرب: الخيمة موجودة».

ما تفعله روسيا من إمداد الصرب بالمعلومات والمعدات العسكرية وصواريخ وأجهزة الدفاع الجوي قبل بداية هجوم «الناتو» بيومين يشير إلى أن هذه الدولة لم تع جيداً الدرس الإلهي لها عندما تفككتَ وانقسمت إلى دويلات عدة!!

ويشير كذلك إلى تواطؤ روسي يوناني صربي لتطهير يوغسلافيا من المسلمين.

بل يشير إلى شبهة تواطؤ بين «الناتو» والصرب للإسراع بالإجهاز على مسلمي كوسوفا فأغلب القصف الجوي يتم على أراضي كوسوفا نفسها، مما يجعل الصربيين يندفعون إلى الإمام أكثر فأكثر ليزدادو قتلاً وتحريقاً للقرى المسلمة وأسروا ٢٠ ألفاً لاستخدامهم كدروع بشرية عند اللزوم، ودفعوا أكثر من مليون آخرين للهجرة إلى الدول المجاورة في أكبر كارثة نزوح جماعي في أوروبا منذ الحرب العالمية الثانية، وتواطؤ وشبهة تواطؤ يذكرنا بلعبة الأطفال «العسكر والحرامية».

منذ سنوات قليلة أطلق «أحمد بهاء الدين» كارثة العصر على هجرة اليهود السوفييت إلى إسرائيل، فماذا نُطلق على ما يحدث في كوسوفا اليوم؟

نكبة... كما أطلقنا على احتلال فلسطين وضياعها!! أم نكسة... كما أطلقنا على احتلال إسرائيل في ٥ يونيو ٦٧ لأراضي ثلاث دول تمثل أربعة أضعاف مساحته الأصلية!!

هل عقدنا يا سادة معاهدة أبدية مع هذه الأحرف التي تُفيد الهزيمة والمرارة؟

وهل نتذكر كلنا ما صرحنا به في أثناء مأساة «البوسنة والهرسك» من أن الدور على «كوسوفا» لقد صدق حدسنا وتوقعاتنا... وكما تعلمنا صغاراً: «إنما أُكلت يوم أُكل الثور الأحمر». يا سادة... كفانا تعاطياً مع الشرعية الدولية التي غيبت وعينا وجعلتنا من المدمنين الصادقين.

محمد عبدالعزيز محمود

طريــق الخــلاص

الدين عقيدة، والدين سلوك، والدين عمل وإنتاج، والدين تفوق في كل مجالات الإبداع الإنساني في عمارة الكون، كما هو تفوق في الامتثال للأوامر والنواهي الربانية لكن!! لو عرجنا إلى بعض الأوامر الإلهية... لوجدنا بوناً شاسعاً، وهوة سحيقة بين النظرية والتطبيق في عالم اليوم، وأسوأ من ذلك: ضعف المسلمين ولنستمع إلى صاحب كتاب «إلى الإسلام من جديد» وهو يصف لنا حال بعض المسلمين اليوم: - سعي وراء المادة في غير اقتصاد، واكتساب من غير احتساب، وسهر في غير طاعة، وعمل في غير نية، وتجارة في لهو عن ذكر الله، وحرفة في جهل عن دين الله، ووظيفة في الإخلاص لغير الله، وشغل في ضلالة، وقعود في بطالة، وحياة في غفلة وجهالة.

ولكن بالرغم من كل ما أصيب به المسلمون من علة وضعف فإنهم الأمة الوحيدة على وجه الأرض، التي تعيد خصيم الأمم الغربية وغريمتها ومنافستها في قيادة الأمم، ومزاحمتها في وضع العالم، والتي يعزم عليها دينها أن تراقب سير العالم وتحاسب الأمم على أخلاقها وأعمالها ونزعاتها، وأن تقودها إلى الفضيلة والتقوى، وإلى السعادة والفلاح في الدنيا والآخرة، وتحول بينها وبين جهنم بما استطاعت من القوة، والتي يحرم عليها دينها ويأبى وضعها وفطرتها أن تتحول إلى أمة جاهلية.

هذه هي الأمة التي يمكن أن تعود في حين من الأحيان خطراً على النظام الذي بسطته أوروبا في الشرق والغرب، وأن تحبط مساعيها، فلينهض إذن العالم الإسلامي برسالته التي وكلها إليه مؤسسه ﷺ.

وهي رسالة قوية واضحة مشرقة، لم يعرف العالم رسالة أعدل ولا أفضل ولا أيمن منها للبشرية، وأن يؤمن بها، وأن يستميت في سبيلها.

محمد عباس محمد عرابي مصر

بقلم: وائل أحمد الهنيدي

ربيع الأول

نقف في هذا الشهر مع الحدث الذي تمم أجمل صور العبودية لله في النسق الإنساني من لدن آدم عليه السلام حتى آخر من تصعقهم نفخة الصور إيذاناً ببدء الحساب.

خلق الله السموات والأرض، وتتابع على خلقها الملايين من السنين، ولم تكن هذه الأحقاب الطويلة التعاقب إلا لتؤهل الأرض لسكن الإنسان عليها... الإنسان، ذلك المخلوق الذي خلقه الله في أحسن تقويم، فكان أحسن وأجمل خلق الله، واختاره الله على جميع خلقه، اصطفاءً ثم اصطفى من البشر كلهم محمداً بن عبدالله رسول الله ﷺ، الذي ولد في مثل هذا الشهر عام الفيل سنة أربعين قبل البعثة المشرفة، ما يوافق ٢٢/٤/٥٧١م.

إن البيئة التي ألفت عبادة الأوثان والتقرب إليها من دون الله، والتي ذاقت صنوفاً من الظلم يأنف منها المنصفون العاقلون، قد أثمرت في تلك الحقبة إبطانَ الرفض والتمرد الصامت الذي لا يعرف من أين يبدأ ولا من أي جهة يتدارك سقطات هذا الظلم، فجاءت البشارات متتالية تمهد لرسول الله ﷺ مهمته الكبرى رسولاً ونبياً.

في يوم الاثنين - الثاني عشر من ربيع الأول - ملأ النور أرجاء الأرض، إذ وُلِدَ رسول الله ﷺ: معتمداً على يديه رافعاً بصره إلى السماء.(١) على غير الهيئة التي يولد عليها البشر، وما أن بلغ من العمر خمسة وثلاثين عاماً حتى عرف بين الناس بالصادق الأمين، وببلوغه سن الأربعين كان قد تم تهييئ الناس لقبول فيض النور الإلهي، فنزلت الآيات تبهر كل من سمعها، بجرس لم يسبق أن عُرف، وقوة الحق الذي يدمغ الباطل بأيسر وأوضح عبارة، فعرفوه بعد أن تعرف إليهم، فصغت له قلوبهم، واقشعرت لقولهس جلودهم، فغسل عن قلوبهم درة الجهل، وملأ الإيمان قلوباً طالما أخذتها الحيرة من غياب نهج الله عنها، فانقادت له ثابتة القلب، راسخة الإيمان، تتحمل في سبيل الله أقسى العذاب حتى هاجروا بعد أن ضاقت بلادهم عن دعوتهم وأصبحوا في نعيم الإيمان بالله من الاستسلام له - إخوة، متحابين، متكافلين، ينهلون من كتاب الله ويَعِلُّون من هدي نبيه ﷺ، وهو بينهم يعلّم جاهلهم ويبصر عالمهم، يمسح بيده الشريفة رأس الصغير، ويعين الضعيف، ويقري الضيف ويعطي السائل، إذا تبسم تهلّل وجهه كالقمر ليلة البدر، وإذا فرح غضّ بصره، وإذا غضب لم يقم لغضبه شيء، يمزح فلا يقول إلا حقاً ويخبر فلا يقول إلا صدقاً، حتى ملأ نفوس أصحابه حباً له وتفانياً في خدمته، يتسابقون القطرة تنسلُّ من ماء وضوئه حتى لا تسقط إلا في يد أحدهم، يجوعون فيكون أشدهم جوعاً، ويعملون فيكون أكثرهم عملاً... وما زال الصحابة رضوان الله عليهم يتعلقون برسول الله ﷺ - حباً وإجلالاً حتى دخل ذات يوم من أواخر صفر على زوجته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها فوجدها تقول: وا رأساه. فقال لها: بل أنا والله يا عائشة وا رأساه.(٢)، وبدأ برسول الله ﷺ وجعه الذي قبض فيه، فكانت حمّى شديدة تنتابه.

ولما دخل شهر ربيع الأول من العام العاشر من الهجرة كان قد اشتد الوجع برسول الله ﷺ، كلما أراد أن يخرج إلى الناس أغمي عليه، فقال: «أهريقوا عليَّ من سبع قُرب لم تُحلل أوكيتهنّ لعلّي أعهدُ إلى الناس» قالت عائشة: فأجلسناه في مخضب ثم طفقنا نصب عليه من تلك القرب حتى طفق يُشيرُ إلينا أن قد فعلتن، ثم خرج إلى الناس فصلى بهم وخطبهم، خرج عاصباً رأسه فجلس على المنبر، ثم كان أول ما تكلم به أنه صلى على أصحاب أحد واستغفر لهم، ثم قال: «عبدٌ خيّره الله بين أن يؤتيه زهرة الدنيا وبين ما عنده فاختار ما عنده» فبكى أبو بكر رضي الله عنه، إذ علم أن العبد المخيَّر هو رسول الله ﷺ - فقال: فديناك بآبائنا وأمهاتنا يا رسول الله.

ولم يعد رسول الله ﷺ يطيق الخروج إلى الصلاة، فقال: «مروا أبا بكر فليصلِّ بالناس» فصلى أبو بكر بالناس ثلاثة أيام على حياة رسول الله ﷺ.

ويوم الاثنين الثاني عشر من ربيع الأول من العام العاشر من الهجرة، عندما كان يصلي أبو بكر رضي الله عنه بالناس صلاة الفجر، إذ ارتفع الستر المضروب على حجرة عائشة رضي الله عنها، ونظر رسول الله ﷺ إلى الصحابة مبتسماً يضحك، فنكص أبو بكر رضي الله عنه على عقبه ليصل الصف، وقد امتلأت روحه فرحاً برسول الله - ﷺ - أن يصلي بالناس فأشار إليه النبي ﷺ أن أتموا صلاتكم، ودخل ﷺ حجرة عائشة وأرخى الستر(٣). وظن الناس أن رسول الله ﷺ قد نشط فسكنت نفوسهم واطمأنت، ولكن تبين بعدها بسويعات أنها كانت نظرة مودِّع لم ير أمته - في آخر لحظة رآها فيها - إلا وهم وقوف بين يدي الله، ففاض البشر في نفسه وملأ الرضا قلبه فاترسم على وجهه الشريف تبسُّمٌ مشرق ونور فياض، ثم عاد إلى حجر عائشة وأسند رأسه إلى صدرها وجعل يدخل يده في ركوة بين يديه فيها ماء، ويمسح على وجهه الشريف ويقول: «لا إله إلا الله... إن للموت سكرات»(٤)، ودخلت عليه سيدة نساء أهل الجنة فاطمة ابنته - ولم يكن قد بقي من ذريته غيرها - فقالت: وا كرب أباه... فيردُّ عليها بلغة الواثق من إكرام الله له: «ليس على أبيك كرب بعد هذا اليوم»(٥)، ثم نصب يده فجعل يقول: «في الرفيق الأعلى» حتى قُبض ومالت يده.

وأغمض عينيه بعد أن أكمل الله دينه وأتم نعمته على البشرية جمعاء، أغمض عينيه فأظلمت المدينة التي أشرقت يوم قدومه الذي كان في الثاني عشر من ربيع الأول أيضاً، ولكن شتان بين هذين اليومين، يوم يستقبل الناس فيه نبيهم بالفرح والبشر، ويومٌ يودِّعُ الناس فيه نبيهم بعبرات تغصُّ بها حناجرهم وتدمع عيونهم، وهم يتذكرون وقوف نبيهم معلماً وهادياً يتتبع ما يصلحهم لأمر دينهم فيكون أسبقهم إليه، يتذكرون يوم أن كان يحمل اللَّبِنَ على كتفه الشريفة يبني معهم مسجده في المدينة، ويتذكرون حين سمعوا جلبة في إحدى الليالي فرأوه عائداً من قِبَل الصوت على فرس عُرْيٍ يشير إليهم بيده الشريفة أن قد كفيتم، يشتاقون إلي فلا تسكن نفوسهم حتى يرونه، ويخشون فراقه، ويشكون إليه: إنك بيننا الآن، فكيف بنا إن اشتقنا إليك وأنت في الجنة مع الرفيق الأعلى؟! فيجيبهم ماسحاً غمَّهم: «المرء مع من أحب».. اللهم إنَّا نحب نبيك وودنا لو أنَّا نراه بأموالنا وأولادنا فلا تحرمنا - ربنا - رؤيته، واجعلنا معه في الرفيق الأعلى، بمنك وفضلك وكرمك. نشهد أنك يا رسول الله قد بلغت الرسالة، وأديت الأمانة وجاهدت في الله حق جهاده حتى تركتنا على المَحجة البيضاء.

صلِّ اللهم وسلم وزد وبارك وأنعم على سيد الأولين والآخرين محمد بن عبدالله الصادق الأمين، عدد خلقك ورضا نفسك وزنة عرشك ومداد كلماتك. ■

الهوامش:

١- رواه ابن إسحاق وابن سعد في طبقاته.

٢- رواه البخاري ومسلم.

٣- رواه الشيخان.

٤ - ٥ - رواهما البخاري.

أجراه : زكريا إبراهيم



مسلمو الإقليم الجريح بين التصفية والإبادة وامتهان الكرامة

كوسوفا: الهوس الصربي يحرق الأرض .. ويبيد البشر

توقف إبراهيم (٧٠ سنة) عن مضغ بضع لقيمات من الجبن والبصل كان يتناولها داخل المخيم الصغير الذي يضمه وعدداً من الأطفال والنساء في مدينة «الباسان» الألبانية، قبل أن يضع يده على رأس حفيده ويقسم أنه يشعر بطعم المرارة مع كل لقمة يزردها، وإن روحه تكاد تنسل من جسده.

أشار إبراهيم إلى حفيده المنكمش بجواره وقال: «إن ولدي غائب ولا أعرف مصيره».

وحال إبراهيم ليست هي الوحيدة، فكل الذين هربوا من الجحيم الصربي في كوسوفا، واستطاعوا الوصول إلى مخيمات اللاجئين في ألبانيا لديهم قصص تبدو في معظمها متشابهة، خصوصاً تلك التي تدور حول فقدان الأبناء والأشقاء والأهالي إلى درجة أن العثور على أسرة خرجت بأكملها والتأم شملها يكاد يكون أمراً مستحيلاً في ظل موجة من العنف الصربي الممتزج بأحقاد تاريخية ضد كل من ينتمي إلى العرق الألباني المسلم الذي ظل يشكل أغلبية السكان في إقليم كوسوفا حتى بدأت جريمة التطهير العرقي وما رافقها من ممارسات شديدة الوحشية نجحت أخيراً من إفراغ الإقليم من سكانه بالطرد والإبادة أو باستخدامهم دروعاً بشرية.

جريمة رهيبة ومذبحة منظّمة تلك التي حدثت لمليوني مسلم واستطاعت في النهاية اقتلاعهم بأساليب تصيب البدن بالقشعريرة والقلب بالأحزان.

انكسار البشر

عندما وصلت «ناديا» إلى مدينة «كوكس» الحدودية الألبانية، التف حولها الصحافيون، كانت «ناديا» غائرة العينين، يبدو الإجهاد واضحاً على وجهها، تبحث عن ماء تروي به عطشاً كاد يقتلها بعد مسيرة أيام عدة هرباً من الجحيم الصربي

ناولها أحد الصحافيين الماء، لكنها لم تكن في حال تسمح لها بالكلام، حاولت تجنب ذلك، لكن لا فائدة أمام إلحاح الذين يطاردون الخبر، تحدثت عن قريتها (Korishe) الواقعة في محافظة (Prizren) الكوسوفية، وكيف قام الجنود الصرب بجمع الأهالي في ساحة تلك القرية، ثم قاموا بفصل النساء عن



● معاناة لا توصف داخل المخيمات

جنود ميلوسوفيتش اغتصبوا الفتيات داخل مسجد حتى يلدن «صرباً»!!



أزواجهن، وكيف أدخلوا ثلاث منهن إلى المسجد القريب، وخرج بعدها أفراد من الجنود الصرب من داخل المسجد تاركين في داخله الفتيات الثلاث، توجه الجنود إلى صفوف النساء والرجال الواقفين في الساحة وأخذوا يضحكون في سخرية قائلين لأفراد الصفوف البائسة «تلك الفتيات سوف يلدن صرباً»، بعدها خرجت الفتيات منكسرات، منكسات الرأس، فيما قام جنود آخرين بإشعال النار في المسجد، قبل أن يتم إصدار الأوامر إلى أهل القرية بالرحيل بعيداً، وعدم العودة ثانية «لتدنيس» الأرض الصربية، صرخ أحد الجنود في الجموع الحزينة «عليكم أن تخرجوا لتقولوا للآخرين كم نحن أقوياء، وكم سيكون من الحماقة أن يعود أي منكم مرة أخرى إلى أرضنا».

الهوس الصربي بإحراق الأرض



● مندوب اللجنة الكويتية المشتركة للاغاثة يوزع مواد اغاثية

ومن عليها الذي يشاهده العالم حالياً، والذي يُروى على ألسنة الضحايا يبدو من هول ما يسمعه المرء وكأنه بعيد عن الواقع، بينما الأهوال التي تحدث حقيقة أكبر من كل تصور، تؤكد لك المنظمات الدولية التي تشكو من أن نساء كوسوفا وفتياتها يفضلن عدم الكلام عن ما تعرضن له من عمليات اغتصاب على أيدي السفاحين من الصرب، لدرجة أن إحدى الطبيبات النفسيات اللواتي كلفهن صندوق السكان التابع للأمم المتحدة كتابة تقرير عن الجرائم الجنسية ضد فتيات كوسوفا تقول: «إن الفتيات الألبانيات» تقصد «الكوسوفيات» معروفات بالتدين والتحفظ الاجتماعي وعدم الانفتاح كباقي فتيات أوروبا، ومازلن يعيشن في إطار العادات الإسلامية المحافظة، بل عادات تشبه في بعض الأحيان العادات القبلية، ولذلك فإن مأساة الاغتصاب والآثار النفسية التي تحملها الفتيات الألبانيات يمكن أن تكون أصعب وآلامها أكثر، فهن يخجلن من التصريح عما جرى لهن في معتقلات الاغتصاب التي أقامها الجنود الصرب في كوسوفا، والتي شهدت أبشع أنواع الأساليب الوحشية الجنسية التي اشتهر بها الجنود الصرب، وبخاصة عصابات مجرم الحرب «راجنيا توفيتش آركان التي سمع عنها العالم قبل سنوات في البوسنة».

إلغاء الهوية

والممارسات الصربية لا تقف عند اغتصاب وإذلال وامتهان كرامة أبناء الشعب الكوسوفي فقط، بل تتعداه إلى إلغاء وجود هذا الشعب تماماً، فإلى جانب إحراق المنازل التي كان يسكنها الألبانيون، تقوم القوات الصربية بإحراق جميع مكاتب الأجهزة الحكومية التي توجد فيها مستندات خاصة بالمعاملات العادية الدالة على وجود بشر كانوا يسكنون القرى والمدن التي تضم تلك الأجهزة، إضافة إلى تجريد كل شخص عند وصوله إلى الحدود وقبل السماح له بالعبور إلى ألبانيا أومقدونيا أو أي من الدول الأخرى المجاورة من بطاقات الهوية وجوازات السفر والشهادات الدراسية والثبوتية الأخرى، بل حتى تُنزع اللوحات المثبتة على السيارات والجرارات الزراعية، وتسحب رخص القيادة وتراخيص تسيير العربات، وإحراق كل تلك الوثائق ما يعني إلغاء وطمس كل ما يمكن عن طريقه إثبات أن شخصاً ما كان يعيش في منطقة كوسوفا.

لا أهل ولا وطن

لطفي بريشا (٣٠ عاماً) يقول: غادرنا «جاكوفا» ثالث أكبر المدن الكوسوفية بعد أن ماتت تماماً... لقد دمرها الصرب وصارت رماداً، هاجمتنا قواتهم فركضنا مختبئين في الغابة المحيطة بالمدينة حيث أنشأنا هناك سقيفة نحتمي بها، ظللنا هناك نحو أربعة أيام حتى عثر علينا مقاتلون من جيش تحرير كوسوفا وقادونا إلى الحدود التي خرجنا منها إلى العراء لننام هناك حتى تم توزيعنا على أحد المعسكرات... وأنا هنا الآن أحاول معرفة أي خبر عن والدتي التي افتقدتها وعن أبناء عمي... ولا أعرف أين هم الآن، وماذا حل بهم ومتى يمكن أن أراهم ثانية؟.

لطفي اليائس، يعرف أن الإجابة عن تساؤلاته ستطول، وأن التئام الشمل مرة أخرى أصبح عسيراً للغاية في ظل مخطط صربي تم تنفيذه بدقة لإلغاء الوجود الألباني المسلم تماماً، ووسط شبه موافقة دولية على

ضرورة ألا يعود هذا الإقليم كما كان سابقاً عندما كانت الأغلبية المسلمة فيه تصل إلى ما يزيد عن نسبة ٩٠ في المئة فيما كانت نسبة العشرة في المئة الباقية تتوزع بين صرب وكروات وعرقيات أخرى.

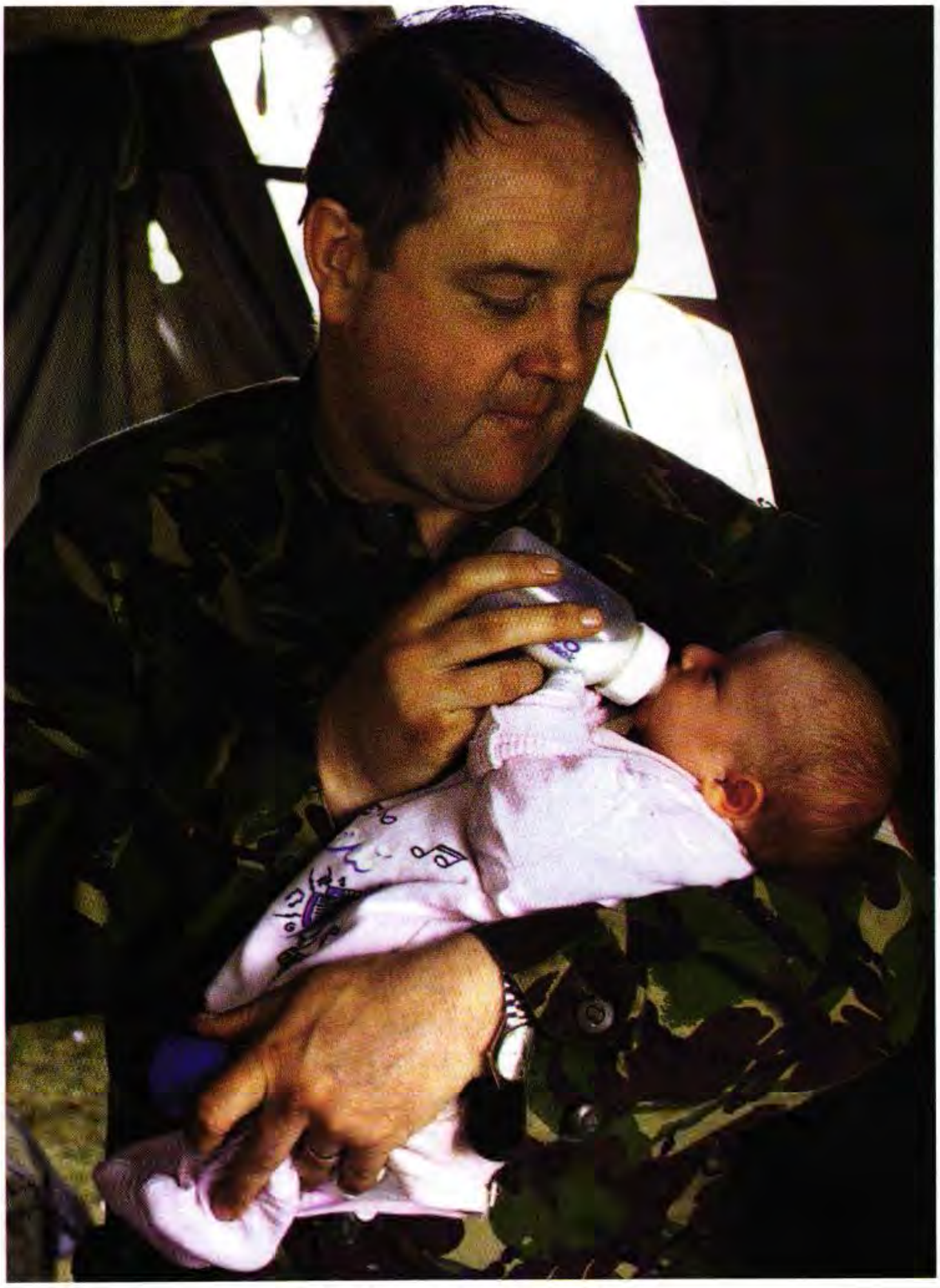
مخطط التشتيت

بدأ الصرب تنفيذ مخطط الإبادة والتهجير مع تشتيت الأبناء بعيداً عن الآباء وفصل الزوجات عن أزواجهم وإبعادهن إلى الدول المجاورة، في الوقت الذي تم فيه ترحيل نحو مئة ألف آخرين إلى الدول الأوروبية والولايات المتحدة، وحتى إسرائيل وعودة هؤلاء أشبه بالمستحيلة إذا لم تتوافر لهم تأكيدات أن حال التوتر لن تعود، وهو ما لا توجد أي مؤشرات عليها، فالدول الغربية والولايات المتحدة لا تتحدث عن كيان مستقل لأبناء الشعب الكوسوفي، بل عن كيان تابع ليوغسلافيا مع منحه صلاحيات الحكم الذاتي، الأمر الذي يعيد إلى الأذهان التجربة السابقة في البوسنة والهرسك والتي لا يزال التوتر الناتج عن اتفاقية دايتون الهشة يحمل في طياته بذور الانفجار العرقي في أي لحظة.

المخطط الصربي الرهيب بدأ في العام ١٩٨٩م عندما وقف الديكتاتور الصربي سلوبودان ميلوسوفيتش في احتفال عام قائلاً: «إن معركة كوسوفا قد بدأت قبل ستة قرون وانتهت اليوم، ونحن مستعدون أن نضحي بمئات المقاتلين الصرب لاستئصال الإسلام من سراييفو إلى مكة».

أسطورة ملفقة

ميلوسوفيتش كان ينطلق من أسطورة لفقها الرئيس اليوغسلافي السابق جوزيف بروز تيتو وبرر بها إلحاق إقليم كوسوفا بصربيا هذه الأسطورة تقول: «إن كوسوفا هي أرض أجداد الصربيين قبل أن يأتي الأتراك بالألبانيين لكي يحولوهم إلى (مصدة) إسلامية بوجه أمم البلقان المسيحية. وفي معركة كوسوفا العام ١٣٨٩م هزم الصربيون العثمانيين وأوقفوا تقدمهم في أوروبا، ولو أن تلك المعركة انتهت لصالح العثمانيين لكانت أوروبا بأسرها قد صارت مسلمة، وإذاً فإن الصربيين منقذو المسيحية المزعومين، حولوا كوسوفا ودفنوا فيها أجساد قديسيهم»، هذه الأسطورة التي لفقها



● احد جنود الناتو يرضع طفلا كوسوفيا

تيتو جاءت مثل ثوب تم ترقيعه، لا يوجد فيها جملة واحدة صادقة، رغم أنها اعتنقها الصرب تماماً وكانت وراء موجة الهوس التي أصابتهم تجاه كل ما هو مسلم في البوسنة والهرسك وسلوفينيا والجبل الأسود، فما بالك بكوسوفا التي يصفونها دائماً بـ«قدس الصرب».

اقتلاع مليوني مسلم من ارضهم رافقته جرائم ومذابح رهيبة منظمة

وفيما وجدت هذه الكذبة الكبرى من يستمع لها في الغرب فإن حقائق التاريخ تؤكد أنه بينما دخل السلافيون إلى هذه المنطقة من أوروبا في القرن السادس عشر، فإن لألبان الذين عرفوا قبلاً بأنهم من سلالة «الآليريين» كانوا موجودين منذ عهد الإمبراطورية الرومانية إلى ما قبل ألف عام من ذلك، وقد عاشوا في البلقان مع جماعة أخرى تعرف بـ«ولاشيا» «أجداد معظم الجماعات التي تؤلف رومانيا حالياً» ولا علاقة لهؤلاء ولا أولئك بالصربيين أو بأي مجموعة سلافية.

صفحات التاريخ المعروفة تؤكد أنه حتى

أواخر القرن الرابع عشر كانت كوسوفا منطقة شبه منسية في البلقان، بينما كانت جحافل الأتراك العثمانيين تتوغل عبر اليونان في أراضي الصرب التابعة حينذاك لمملكة المجر، وفي تلك المسيرة المنتصر، اعتنق الإسلام كثير من القبائل السلافية الأصل، وبخاصة قبائل «البوجوميل» التي كانت تدين بالتوحيد حتى وصول الأتراك الذين وجدوا في دعوتهم إلى الإسلام ضالتهم، فدخلوا الإسلام وحاربوا في صفوف القوات التركية حتى إذا ما وصل الجيش التركي إلى كوسوفا تصدى له جمع هائل من الصربيين والبوسنيين والمجريين واليونانيين والبلغاريين.

ولكن الجيش التركي استطاع الفتك بالحلف الأوروبي فتكاً ذريعاً، وكلفه ما يزيد عن مئة ألف قتيل في معركة مازالت تصنف كواحدة من أعنف المعارك التي شهدتها أوروبا حتى الحرب العالمية الثانية، وتمت هذه المعركة في يوم ٢٨ يونيو ١٣٨٩م، ووزع السلطان المنتصر «بايزيد الأول» أراضي كوسوفا على حلفائه الصربيين المسلمين والألبان وقبائل «البوجوميل» بعد أن هجرها الصربيون الأرثوذكس فارين إلى الشمال والغرب، فاستقروا فيها يزرعون ويحصدون حتى يومنا هذا، وهؤلاء هم الذين يسمون الآن ألبان كوسوفا.

ومع أن الصربيين الأرثوذكس لم يكونوا وحدهم المهزومين في موقعة كوسوفا، إلا أنهم اعتبروا الهزيمة هزيمتهم، ومن ثمَّ فإن الثأر ثأرهم وأصبح يوم ٢٨ يونيو - يوم معركة كوسوفا - سنوياً يوم حداد عام مقدّس، يبكون فيه بالطريقة نفسها التي يبكي بها اليهود عند حائط المبكى، ويستنفرون فيها الأحقاد والثارات ضد الألبان.

وتدور الكثير من الملاحم الفولكلورية والأشعار الصربية حالياً التي أصبحت جزءاً أساسياً من التكوين النفسي للصرب الأرثوذكس حول هذه المعاني المفعمة بالكراهية والأحقاد الموروثة التي اكتسبت طابعاً دينياً.

وقد ظلت كوسوفا جزءاً من ممتلكات الإمبراطورية العثمانية حتى حرب البلقان الأولى سنة ١٩١٢م، حينما دخلتها القوات الصربية، وكان مشهداً عجيباً، عندما انكفأ كل فرد من أفراد الجيش الصربي من أكبر الرتب إلى أصغرها راكعاً على الأرض يقبل تراب كوسوفا التي زعموا أنها عادت إليهم بعد خمسة قرون، ومنذ ذلك الحين أصبحت كوسوفا جزءاً من صربيا التي هي بدورها جزء من ممتلكات الإمبراطورية النمساوية.

كفاح من أجل الوجود

ما أن جاءت الحرب العالمية الأولى، والتي كان من أبرز نتائجها، تفكيك الإمبراطوريتين المهزومتين، التركية والنمساوية، وكان من علامات هذا التفكيك، إقامة مملكة يوغسلافيا على أنقاض الممتلكات النمساوية في البلقان، من صربيا بما فيها كوسوفا، ومقدونيا والجبل الأسود وسلوفينيا وكرواتيا والبوسنة والهرسك، وجعلوا على رأسها ملكاً من أصل صربي، وهكذا فقد ألبان كوسوفا هويتهم، وأصبحوا أقلية تكافح من أجل الاعتراف بوجودها.

وجاءت الحرب العالمية الثانية، واجتاحت الجيوش الألمانية والإيطالية يوغسلافيا، وأخذ الجيش الملكي يتراجع أمام القوات المهاجمة حتى كانت وقفته الأخيرة في كوسوفا، وبدلاً من أن يقاتل المهاجمين، انقض على ألبانيا المجاورة، ولكن ذلك لم يُجْده شيئاً، فما لبثت قوات المحور أن أدركت الجيش اليوغسلافي الملكي فسحقته سحقاً، بمساعدة الألبانيين، وكوفئت ألبانيا على ذلك بضم كوسوفا إليها، وأصبحت تلك المقاطعة جزءاً من ألبانيا حتى انتهاء الحرب العالمية الثانية، وعندما تقرر في التسويات النهائية للحرب أن تعود كوسوفا إلى يوغسلافيا كجزء من صربيا التي أصبحت في ذلك الوقت تحت سيطرة تيتو، لم تبد حكومة تيرانا الشيوعية أي اعتراض.

ويُجمع عدد كبير من المؤرخين على أن البحث في جذور صرب إقليم كوسوفا كفيل بتأكيد أن هؤلاء ليسوا مواطنين أصليين في الإقليم، وإنما جاؤوا مع القوات الصربية التي انتزعت كوسوفا في العام ١٩١٢م عقب حرب البلقان الأولى عندما ضغطت كل من فرنسا وروسيا في سبيل انتزاع كوسوفا وضمها إلى صربيا، وهكذا اكتسحت القوات الصربية الإقليم، ووضعت يدها على مقدراته الاقتصادية، وأُتيح للصرب بالتالي أن يكونوا كبار ملاَّك أراضي كوسوفا وكبار رأسمالييه، وحكامه كذلك.

بداية الصربنة

وعقب إنشاء الدولة اليوغسلافية مباشرة، أصدر تيتو قراراً بمنع الصرب الذين خرجوا من كوسوفا خلال الحرب العالمية الثانية من



● طابور من اللاجئين ينتظر دوره لاستلامه المساعدات

العودة إليه بحجة أنهم إقطاعيون ومغتصبون لأراضي الألبان، ولكن مارس مواطنوا بلغراد ضغطاً عنيفاً على تيتو، حتى عاد وتراجع وسمح للجان شبه قضائية بأن تقضي للملاك الصرب الذين يثبت أنهم غير مستغلين ولا إقطاعيين بالعودة إلى كوسوفا، فسمحت تلك اللجان لمعظم الصرب بالرجوع إلى الإقليم، وبدأوا فور عودتهم بتطبيق سياسة جديدة ترمي إلى «صربنة» الإقليم، منعوا بمقتضاها الألبان من استخدام اللغة الألبانية، وعادت إدارة الإقليم بأكملها في أيدي الصرب الذين لم يقبلوا عملياً أي أوراق رسمية غير مكتوبة باللغة الصربية، وتراجع تيتو عن موقفه الموقت لحماية ألبان كوسوفا، واتخذت إدارته نمطاً عكسياً أسهم في دعم الاستراتيجية الصربية لحل مشاكل الإقليم بوساطة «صربنته بالكامل.



● يحملون ما تبقى لديهم من متاع الدنيا

وتم في هذا الإطار إصدار سلسلة من القوانين قضت بإغلاق جميع كتاتيب تعليم القرآن الكريم، والمدارس الابتدائية الإسلامية ومنع الدراسات القرآنية في المساجد واعتبارها جريمة جنائية، وصدر قانون سمَّى أهالي كوسوفا بالأقلية التركية، وهي تسمية مضللة، فالألبان لم يكونوا أقلية كما لم ينحدروا من جنس الأتراك، وإنما انتزع إقليمهم وتم ضمه إلى صربيا، ولكن هذا القانون دفع نحو ربع مليون من ألبان كوسوفا إلى ترك وطنهم واللجوء إلى تركيا.

الانفجار الكبير بدأ منذ قيام الديكتاتور الصربي سلوبودان ميلوسوفيتش في مارس ١٩٨٩م بإلغاء وضع الحكم الذاتي الذي كان الإقليم يتمتع به منذ العام ١٩٧٤م، ثم قيامه في العام ١٩٩٠م، بحل المؤسسات السياسية

الفتيات الكوسوفيات يخجلن من التحدث عن وقائع الاغتصاب

الألبانية، فتم حل مجلس إقليم كوسوفا، وطردت أعداد ضخمة من الموظفين الألبان وتم استبدالهم بآخرين من الصرب.

كما منعت السلطات الصربية استخدام اللغة الألبانية في وسائل الإعلام، وأوقفت الصحف الرئيسية التي تصدر باللغة الألبانية، إضافة إلى منع التعليم بتلك اللغة في المدارس، وبحلول العام ١٩٩٦م، جلبت يوغسلافيا نحو ٢٠ ألف لاجيء صربي من جمهورية «كراجينا» الصربية التي كان الصرب قد أعلنوا قسامها في كرواتيا، وتم توطينهم في كوسوفا.

هذه الاستفزازات الصربية كانت إشعالاً جديداً لنيران ظلت جذوتها خافتة لسنوات طويلة، ما دفع أبناء إقليم كوسوفا إلى تحدي الإجراءات الصربية القمعية، وإعلان جمهوريتهم برئاسة إبراهيم رجوبا ثم تكشيل جيش عسكري أطلق عليه اسم جيش تحرير كوسوفا، استطاع إقلاق راحة المغتصبين الصرب وقض مضاجعهم.

ورغم تعرضهم لأكبر حملة تطهير عرقي وتهجير جماعي، فإن أهالي كوسوفا الذين تحدوا بإسلامهم سلطة الشيوعية الغاشمة وحافظوا على دينهم قدر ما استطاعوا، فإن هؤلاء سيحافظون على هويتهم ودينهم مهما حاول الحقد الصربي المهووس محوهم وتشتيتهم في بقاع الأرض. ■



● الصرب لم يرحموا حتى كبار السن !!

بقلم : محمود النجيري

حاجتنا إلى التقريب بين المذاهب الفقهية

الإســـلام ديـن واحــد، وشـريـعتــه واحـدة تحكم المسلمين جميعاً، ومهما تمخضت الأيام والليالي عن حـوادث جـديـدة، فـإن لـله حكماً فيها، والمذاهب الفقهية الأربعة: الحنفي والمالكي والشافعي والحنبلي - هي اجتهادات أهل العلم في الأمة لضبط حياتها على قوانين الشرع، وكشف حكم الله تعالى في كل مسألة.

وتعدد المذاهب وكثرة الأقوال فيها قد يحير الدارسين والملتمسين للحق فيها، ومن هنا كان لابد من جهد تقريبي بين هذه المذاهب، وبالنظر في واقعنا الفقهي، نرى دواعي وأسباباً عدة لهذا الاجتهاد التقريبي الفقهي، نوجز أهمها فيما يلي:

١ - الدعوة إلى التقريب بين المذاهب هي دعوة إلى تطوير الفقه الإسلامي ليحل مشكلات العصر ويعالج قضاياه من خلال جهود الفقهاء المتقدمين مضافاً إليها جهود الفقهاء المحدثين، وكم في العصر من مشكلات وقضايا تناول المتقدمون أشباهها ونظائرها أو افترضوها ضمن افتراضاتهم فإذا جمعت كل هذه الجهود إلى بعضها بعضاً بتحقيق وتدقيق - كان في ذلك إجابات فقهية متطورة لكل معضلة عصرية بلغة يفهمها أهل زماننا، وبهذا لا يتخلف الفقه عن ميادين مستحدثة وقضايا جديدة مشكلة.

ومن الحق أن نقرر أن ليس كل ما قاله السابقون حقاً محضاً، ولم يحط إمام واحد بجميع السنة، كما أن المذهب الواحد مهما اتسع لا يمكن أن يفي بجميع الحاجات الزمنية والمصالح المتطورة التي قد يُفتقد علاجها التشريعي في ذلك المذهب، ويوجد في غيره من المذاهب، والأئمة أنفسهم كانوا يرون أنه من الخطأ حمل الناس على مذهب واحد، مثلما قاوم الإمام مالك رغبة أبي جعفر المنصور ومن بعده هارون الرشيد في حمل الناس على فقه مالك وكتابه الموطأ، وعلل هذا بأن انتشار الصحابة في الأمصار أدى إلى توزع العلم بينها، فأخذ الناس منهم وأفتوا بما وصلهم.

اتجاه المسلمين إلى اتخاذ الشريعة الإسلامية المصدر الأساسي للتشريع في الدولة لابد من أن يدعم التقريب بين المذاهب لاصطفاء القول الذي يكون عليه القضاء في المحاكم

٢ - إن كل مجتهد من الأئمة وإن كان مأجوراً على اجتهاده، إلا أنه غير معصوم من الخطأ، ولم يعصم من الخطأ إلا النبي ﷺ، والحق غير محصور في مذهب واحد، بل هو غير منحصر في الأئمة الأربعة، ولذلك كان الحق ألا يتبع إمام واحد في كل قول له، لأنه لا يؤمن أن يكون هذا القول من زلاته، وكما قيل: «لكل جواد كبوة، ولكل عالم زلة»، والمنهج الصحيح في ذلك هو أن تحقق أقوال العلماء في ضوء الكتاب والسنة، فالكتاب والسنة يقضيان على ما عداهما، وما عداهما لا يقضي عليهما.

٣ - أن النبي ﷺ لم يأمر باتباع أحد بعينه من بعده، إلا ما كان من أمره باتباع الخلفاء الراشدين المهديين من بعده(١)، وخصوصاً نصه على أبي بكر وعمر في حديث، ومع هذا فلم يأخذ الصحابة بكل قول لأبي بكر وعمر ومن دونهما، بل كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه - يخفى عليه بعض السنة فيسأل عنها، مثلما خفي عليه توريث الجدة، وخفي على عمر توريث المرأة من دية زوجها، وغير ذلك، كما كان أبو بكر وعمر يرجع كل منهما عن قوله إن تبين له مخالفته للسنة، وكان أبو بكر يقول: «أطيعوني ما أطعت الله فيكم، فإن عصيت فلا طاعة

لي عليكم. إن حسنت فأعينوني، وإن أسأت فقوموني»، وقال عمر: «أصابت امرأة وأخطأ عمر»، ونحن الآن مأمورون بدورنا أن نترك من أقوال الصحابة الكرام ما يخالف السنة الصحيحة الصريحة، لو نقل عن أحدهم مثل ذلك فضلاً عن أقوال غيرهم من الأئمة والعلماء، التي لا حجة فيها شرعاً.

٤ ـ نحن في حاجة إلى التقريب بين المذاهب الفقهية حتى نأخذ بالقول الأقوى دليلاً، وحتى لا يقول قائل بضد النص اتباعاً لمذهبه، فكل إمام أخذ بما رآه حقاً، وبعضهم وصله الدليل فعمل به، وبعضهم لم ير في النص الذي وصله حجة في المسألة، أو هو عنده منسوخ أو معارض بدليل أقوى منه، أو لم يصح عنده سند الحديث... إلخ، والدراسة الفاحصة تُظهر أياً من المذاهب أولى بالحق في كل مسألة تبعاً لمنهجية البحث العملي التي لا تضع اعتباراً إلا للدليل الصحيح والدلالة الراجحة والمصلحة المتحققة للمسلمين.

ومن أمثلة النصوص المذهبية التي تضاد النصوص ما يلي:(٢)

أ ـ أن يسأل رجل: إن صلى من الصبح ركعة ثم طلعت الشمس؟ هل يتم صلاته أم لا؟ فيقال: لا يتمها، ورسول الله ﷺ يقول: «من أدرك ركعة من الصبح قبل أن تطلع الشمس فقد أدرك الصبح»(٣).

ب ـ أن يسأل عمن مات وليه وعليه صيام: هل يصوم عنه وليه؟ فيقال: لا يصوم عنه وليه. وصاحب الشرع ـ ﷺ ـ قال: «من مات وعليه صيام، صام عنه وليه»(٤).

ج ـ أن يسأل عن رجل باع متاعه ثم أفلس المشتري، فوجد متاعه بعينه: هل هو أحق به؟

فيقال: ليس أحق به، وصاحب الشرع يقول: «فهو أحق به»(٥).

د ـ أن يسأل عن رجل أكل في رمضان أو شرب ناسياً: هل يتم صومه؟ فيقال: لا يتم صومه، وصاحب الشرع يقول: «فليتم صومه».(٦)

نحن في حاجة للتقريب بين المذاهب للتيسير على الناس ورفع الحرج عنهم وتحقيق مصالحهم والقضاء بالعدل بينهم فهذه مقاصد شرعية يأتي بها التقريب

هـ ـ أن يسأل عن أكل كل ذي ناب من السباع: هل هو حرام؟ فيُقال: ليس بحرام. ورسول الله ﷺ ـ يقول: «أكل كل ذي ناب من السباع حرام»(٧).

و ـ أن يسأل: هل له منع جاره من غرز خشبة في جداره؟ فيقال: له أن يمنعه. وصاحب الشرع يقول: «لا يمنعه».(٨)

ي ـ أن يسأل: هل تجزئ صلاة من لا يقيم صلبه مع ركوعه وسجوده؟ فيقال: تجزيه صلاته، وصاحب الشرع يقول: «لا تجزى صلاة لا يقيم الرجل فيها صلبه بين ركوعه وسجوده»(٩).

ومن المفروض أن من وجد النص من الكتاب والسنة المخالف لما عليه إمام من الأئمة الأربعة، وجب عليه اتباع النص وترك المذاهب لقول الله ورسوله ـ ومن أصرّ على المذهب بعد العلم بمخالفته للكتاب والسنة تعصباً منه فهو ضال خاطئ، وما أيسر الوصول إلى النصوص الشرعية من الكتاب والسنة في عصرنا هذا، حيث تدمج على اسطوانات الليزر و«دسكات» الكمبيوتر، وبضغطة صغيرة بطرف إحدى الأنامل تتدافع على شاشات الكمبيوتر المعلومات، هذا بالإضافة إلى الأشرطة المسجلة بالصوت والصورة «فيديو»، أو بالصوت فقط، وما أكثر الكتب الشرعية التي تطبع كل يوم في الفقه والتفسير والحديث والأصول!

ويحق لنا أن نتساءل عن فائدة ما ندرس من تفسير وحديث ولغة وأصول وفقه ومذاهب فقهية إن لم يكن لكل هذا ثمرته من الاجتهاد والمقارنة بين هذه المذاهب الفقهية، والخروج من ذلك بأحسنها، والتمييز بين الصحيح والخطأ والراجح والأرجح والمرجوح... إلخ.

٥ ـ إن مذاهب الأئمة الأربعة قد تقررت وتلقتها الأمة بالقبول سلفاً وخلفاً، وسارت على نهجها قروناً عدة، وتراكمت داخل كل مذهب منها جهود فقهاء كثيرين، فهي مذاهب جماعية وإن انتسبت إلى فرد بعينه، ولا يوجد في عصرنا فرصة لظهور مثل هذه المدارس الفقهية الجماعية، ففي الاقتصار على هذه المدارس الأربع فائدة لجمع الجهود حولها وتقليل الخلافات التي يمكن أن تمزق الأمة وتزيدها فرقة وتدابراً. فلا نريد أن نزيد في المذاهب مذهباً ولا أكثر، ولا نريد من أحد مذهباً خامساً ولا سادساً ولا سابعاً. ولكن نريد تقريباً بين المذاهب الأربعة وأقوال الأئمة المجتهدين الآخرين قبلهم وبعدهم، وأقوال الصحابة، وربما الأقوال الأخرى المعتبرة والمتقررة عند المسلمين، مثل: الظاهرية والزيدية والجعفرية والإباضية، أما تأسيس مذاهب جديدة في الفقه فلا مصلحة فيه، ولا نرى أن مذهباً جديداً يمكن أن ينشأ إلا أن يكون صدى لأقوال من سلف من الفقهاء، وحينئذ فلا جدة فيه حقيقة.

٦ ـ ليس من الحكمة أن نهمل الفقه الإسلامي الذي ترسخ في عصور سابقة، ونعني به اجتهادات الفقهاء، إذ إهمال هذا الفقه وتلكم الاجتهادات يؤدي إلى إهمال الشريعة الإسلامية نفسها، وذلك لأن الشريعة الإسلامية توجد داخل الفقه وتتجلى من خلاله، والاجتهادات الفقهية للسابقين يجب دراستها للاستفادة بها من الاجتهاد المعاصر وللتخير منها والموازنة بينها كي تكون هادياً لنا في الخروج بأحكام تتماهى مع مقاصد الشريعة وروحها.

وفي كل علم يحسن الاستفادة من السابق حتى يضيف إليه اللاحق دون أن يبدأ في فراغ أو يعرض عن علم الأولين واجتهاداتهم العظيمة في خدمة

الدين والفقه الإسلامي، ومن يريد أن يضع فقهاً دون أن يستفيد من جهود الفقهاء السابقين فهو مخطئ، وعمله لن يكون ناضجاً، والتقريب يهدف إلى إيجاد بناء فقهي جديد تأسيساً على تراثنا الفقهي العظيم.

٧ - نحن في حاجة إلى التقريب بين المذاهب الفقهية لأن الوقوف عند المذهبية الضيقة هو نوع من الجمود يأباه العصر وطبيعته العلمية، ويرفضه الإسلام وشريعته، واكتفاء أتباع كل مذهب بمذهبهم والانكفاء على كتبه وحدها هو تقليد محض يذم فاعله متى كان قادراً على إعمال النظر في استنباط الأحكام بدليلها من الكتاب والسنة والإجماع والقياس، ولا يصح أن نلغي عقولنا ونطمس أبصارنا ونترك للآخرين قيادنا وكأننا صم بكم عمي فهم لا يعقلون!

ومن المؤكد أن البديل للتقريب بين المذاهب هو الركود والجمود في ميدان الفقه، وركون كل فريق إلى كتب مذهبه، وهذا يؤدي إلى نشأة علماء جامدين منغلقين ومنعزلين عن الحياة بكل مستجداتها، ومحرومين من ثمرات العلوم الشرعية التي ما جعلت إلا لصياغة الحياة على مراد الله تعالى، ومن نتائج ذلك بكل تأكيد رفض الكثيرين لتحكيم الشريعة الإسلامية والاكتفاء بالقوانين الوضعية، إذ ليس في كتب الأقدمين علاج كل قضية تحدث بالنص الصريح عليها، أو أن القوم اختلفوا فيها، والتقريب هو فصل في موضع النزاع، وأخذ بأفضل ما عند القوم من فقه وحكمة ودليل قوي أو أقوى، ونص صحيح وصريح راجح أو أرجح... وهكذا.

وليس من الخافي أن الأئمة أنفسهم نهوا عن تقليدهم، وحذروا منه، وأمروا باتباع الدليل من الكتاب والسنة وإن خالف مذاهبهم، وهذا منهج أهل العلم في اتباع الحق، ويقتضي ذلك طلب أقوال الفقهاء وتحقيقها ودراستها وعرضها على القرآن والسنة وأقوال الخلفاء الراشدين وإجماع المؤمنين. فما وافق ذلك منها قبلوه ودانوا لله تعالى به، وما خالف ذلك منها ردوه ولم يتبعوه. أما ما لم يتبين لهم وجه الحق فيه فصار عندهم من مسائل الاجتهاد التي غايتها أن تكون سائغة الاتباع لا واجبة الاتباع، دون أن يلزموا بها غيرهم، ولا يجزمون أنها الحق الذي لا مخالف له صحيحاً.

لم يحط إمام واحد بجميع السنة ، والمذهب الواحد مهما اتسع لا يمكن أن يفي بجميع الحاجات الزمنية والمصالح المتطورة التي قد يُفتقد علاجها التشريعي في ذلك المذهب

٨ - في عصرنا ضعفت الهمم عن التضلع في العلوم الشرعية، وعلى الرغم من تيسر الدراسات الشرعية والكتب والجو العلمي، إلا أننا لا نجد إلا قليلاً من الذين أخذوا بخط من علوم الاجتهاد الفقهي، ويعد وجود المجتهد المطلق المستقل في عصرنا في حكم المستحيل، ونعني به المجتهد في الأصول والفروع من رتبة الأئمة الأربعة، ولا حاجة لنا إلى وضع مذاهب جديدة، كما قلنا من قبل، وإنما نحن في حاجة إلى مجتهدين يستفيدون بما أرسته المذاهب الأربعة ويقربون بينها، ولن نعدم مثل هؤلاء الفقهاء المجتهدين في عصرنا من الدارسين للفقه والمتخصصين من الأكاديميين، وإن كان هؤلاء يتخصص كل منهم في جانب من العلم الفقهي،

٩ - نحن في حاجة للتقريب بين المذاهب للتيسير على الناس، ورفع الحرج عنهم، وتحقيق مصالحهم، والقضاء بالعدل بينهم، فهذه مقاصد شرعية يأتي بها التقريب على الوجه الأكمل، فكم في المذاهب من رخص ومخارج للضرورات والمشاق والاستثناءات والحيل الشرعية.

وإذا أخذ مذهب بالأشد، فلن نعدم مذهباً يأخذ بالأيسر أو يتوسط فيراعي من الظروف والملابسات ما فات غيره، أو يكون أكمل في التوصل إلى المصلحة وتحقيق العدالة.

١٠ - التقريب بين المذاهب الفقهية ضرورة لتقنين الشريعة وتطبيقها، واتجاه المسلمين إلى اتخاذ الشريعة الإسلامية المصدر الأساسي للتشريع في الدولة لابد من أن يدعم التقريب بين المذاهب لاصطفاء القول الذي يكون عليه القضاء في المحاكم، وأن يقنن ذلك في مواد متتابعة، ليس في مجال قوانين الأحوال الشخصية وحدها، ولكن في جميع فروع القانون.

وليس من المبالغات أن نقول إن مذهباً واحداً من المذاهب الفقهية القائمة اليوم غير كاف في كل ما هو مطلوب لتقنين الشريعة الإسلامية، فلابد للدولة الإسلامية من قانون عام مستمد من الشريعة الإسلامية يحظى بموافقة جميع المواطنين المسلمين ورضاهم، بغض النظر عن المذاهب الفقهية المتعددة التي يتبع كلَّ مذهب منها طائفة دون الأخرى منهم، فحتى لا يكون الاختلاف المذهبي عائقاً دون تقنين الشريعة يجب الأخذ من كل المذاهب الفقهية، وهذا أدعى لإبراز الشريعة الإسلامية في خلودها وصلاحيتها للتطبيق في كل عصر ومصر، لا يعجزها في ذلك تطور عقلي

الهوامش :

١ - الحديث في ذلك رواه أبو داود والترمذي عن العرباض بن سارية.
٢ - إعلام الموقعين لابن القيم (٢٠٨/٤ وما بعدها).
٣ - رواه مسلم
٤ - متفق عليه.
٥ - رواه مسلم وغيرهما.
٦ - متفق عليه.
٧ - رواه مسلم.
٨ - متفق عليه.
٩ - رواه ابن خزيمة في صحيحه.
١٠ - انظر منهاج الإسلام في الحكم لمحمد أسد، ص ١٧٥ - ١٧٦.

متابعة : مصطفى أحمد خليفة

المؤتمر الدولي الرابع للفلسفة الإسلامية :

الإسلام في عصر العولمة

أوصى المؤتمر الدولي الرابع للفلسفة الإسلامية «الإسلام في عصر العولمة» في ختام أعماله. في جامعة القاهرة. على ضرورة تأكيد مفهوم عالمية الإسلام وصلاحية مبادئه وقيمه لكل زمان ومكان، والتركيز على الجوانب الإنسانية والأخلاقية في الحضارة الإسلامية، وضرورة الأخذ بوسائل التقدم العلمي، والتطور التكنولوجي، حتى يتمكن المسلمون من مواجهة التحديات السلبية لظاهرة العولمة وتفادي آثارها.



● المشاركون في الندوة

وأوصى المؤتمر. الذي عقد برعاية الدكتور فاروق إسماعيل رئيس جامعة القاهرة. بضرورة تكريس الجهود من أجل تبصير الشباب بالفكر الإسلامي الصحيح، وبخاصة فيما يتعلق بقضايا العصر ومستحدثاته، حتى لا يُتركوا فريسة للتيارات المنحرفة والتي لا تتسق مع قيمنا ومبادئنا.

ودان المؤتمر في توصياته نزعة الهيمنة التي بدأت ترتبط بظاهرة العولمة، كما دان تسلط قطب واحد على مقدرات الأمم والشعوب، انطلاقاً من أن لكل حضارة وثقافة هويتها وخصوصيتها.

وأوصى المؤتمر بضرورة تعاون المؤسسات الدينية والتعليمية والإعلامية والثقافية في بيان المفهوم الحقيقي للإسلام وترسيخ قيمه الأصيلة، وتشجيع محاولات الانفتاح الرشيد على تجارب المجتمعات الأخرى بشرط أن يتم ذلك في إطار الندية وليس التبعية والمشاركة وليس السيطرة.

وكذلك أوصى المؤتمر بالاستمرار في عمليات تطوير مناهج التربية والتعليم في العالم الإسلامي حتى يواكب العصر الحديث مع غرس مبادئ الانتماء، والتمسك بالقيم الإسلامية الأصيلة.

وناقش المؤتمر ستة وثلاثين بحثاً على مدار يومين متتاليين في ثماني جلسات تناول فيها الباحثون مفهوم العولمة في أبعادها السياسة والاقتصادية والثقافية وعلاقتها بالقيم الأخلاقية، وعالمية الإسلام وما تتميز به من نزعة إنسانية، تجعله صالحاً لكل زمان ومكان، كما ناقش المؤتمر العلاقة الجدلية بين المسلمين وما يطرحه عليهم عصر العولمة من تحديات، وكيفية التعامل مع آليات هذا النظام الجديد.

وفي جلسة الافتتاح أشار الدكتور حامد طاهر عميد كلية دار العلوم في جامعة القاهرة ورئيس المؤتمر، إلى أن ظاهرة العولمة قد فرضت نفسها على الساحة، وبدأت آثارها تظهر بوضوح في المجالات الاقتصادية والسياسة والإعلامية وغيرها، وقال : لقد أخذ تأثيرها ينعكس على حياة المجتمعات والأفراد، وفي مثل هذه الحالة، لابد أن تتيقظ منظومة القيم الدينية والأخلاقية والثقافية لكي تحمي نفسها من هجوم الوافد الجديد، ولا تستقر الأحوال عادة إلا بعد أن يتم الاطمئنان إليه، ومعرفة مقاصده ونواياه.

وأضاف أن كلية دار العلوم وقسم الفلسفة الإسلامية قد عقدا العزم على حشد جهود دارسي الفلسفة في جامعات مصر وجامعات الدول العربية والإسلامية لمواجهة المشكلات المعاصرة التي تتطلب إلقاء الضوء عليها، والخروج من بحثها ومناقشتها من مختلف الزوايا بتصور واضح وأفكار محددة.

ظواهر العالمية

وقال الدكتور مفيد شهاب وزير التعليم العالي والدولة للبحث العلمي المصري في كلمته أن العالم دخل بالفعل مرحلة جديدة حتى قبل حلول القرن الحادي والعشرين، يتحكم في العلاقات الدولية بها نظام عالمي جديد، وتتعرض المجتمعات لتطورات في شتى مناحي الحياة، بل إن الأفراد في مختلف أنحاء العالم قد أصبحوا يواجهون موجات متتالية من التدفق الثقافي الذي انتجته ثورة المعلومات، وساعدت على زيوعه وانتشاره تكنولوجيا الاتصالات الحديثة.

وأضاف: أن من المؤكد أن الإنسان الذي لا يتمكن من إدراك ما يدور في عصره لن يتمكن من التعامل مع معطياته بصورة صحيحة إلى جانب انه لن يستطيع مواجهة ما ينتظره في المستقبل من تحديات. لهذا كان من الضروري أن يبذل المفكرون غاية جهودهم لإدراك التطورات التي تحدث في مجتمعهم أولاً بأول، ومتابعة ما يجري في العالم من حولهم لحظة بلحظة، ولا سيما وقد أصبحنا نعيش عصراً تهاوت فيه الكثير من الحواجز التقليدية، التي تفصل



● د. محمود زقزوق - وزير الأوقاف المصري

وزير الأوقاف المصري : الإسلام سبق العولمة في ترسيخ قيم الشورى وحقوق الإنسان والتعددية

بين أجزاء العالم، واتسمت فيه الظواهر بطابع العالمية، في الوقت نفسه تشابكت فيه المصالح بين مجموعات كبيرة من الدول واتحدت الأهداف بين كتل ضخمة من البشر، الأمر الذي لم يعد فيه مجال للتقوقع أو التشرزم، كما لم تعد فيه فرصة للانسحاب أو الانعزال.

العالم ليس مدينة الفارابي الفاضلة

وقال الدكتور شهاب: إن العولمة ظاهرة جديدة بالفعل، ولكنها نتاج تفاعل طويل، استمر على مدى القرن العشرين، لذلك لم تكن الظاهرة مفاجأة إلا لأولئك الذين لم يتابعوا جيداً مقدماتها. فعلى المستوى السياسي والعسكري، نشبت خلال هذا القرن حربان عالميتان، أسفرتا عن تجمع معظم دول العالم في عصبة الأمم، ثم في



● د. مفيد شهاب - وزير التعليم العالي

منظمة الأمم المتحدة، وعلى المستوى الأيديولوجي ضمت الكتلة الاشتراكية نصف العالم تقريباً، بينما سيطرت الرأسمالية على النصف الآخر تقريباً، وعلى المستوى الاقتصادي، برز نفوذ الشركات الكبرى، التي تحولت بالتدريج إلى شركات عالمية ومتعددة الجنسيات، وعابرة القارات، وعلى مستوى الاتصال والإعلام، حلقت في الفضاء الأقمار الصناعية التي أصبحت تنقل لكل إنسان في العالم ما يجري في سائر الأنحاء بالصوت والصورة، كما هيأت له الاتصال بأي مكان في الأرض دون عوائق، وهكذا أصبح يصدق بالفعل ما يُقال من أن العالم قرية كبيرة، لكننا ينبغي أن نعترف بأن هذه القرية ليست جمهورية أفلاطون المثالية، ولا مدينة الفارابي الفاضلة، إنها مليئة بالمشكلات، ومعرضة للمخاطر، ومن واجب كل إنسان أن يعمل من أجل إنقاذها والحفاظ على ما تحقق فيها من إنجازات.

دعوة لإيقاظ النائمين

وأشار الدكتور محمود حمدي زقزوق إلى أن العالم يسير بسرعة مذهلة، والمتغيرات على الساحة الدولية لا تكف عجلتها عن الدوران، وكل يوم يمضي يزيد من اتساع الفجوة بين المسلمين وبين العالم المتقدم، وأوضح أنه لا خلاص للأمة الإسلامية من هذا المأزق إلا بالأخذ بكل أساليب التطور العلمي والتقني والحضاري، والعمل الجاد

المنتج على جميع المستويات، والمشاركة الفعالة في تقرير مصير هذا العالم الذي نعيش فيه.

وقال الدكتور زقزوق: لقد أضاع المسلمون الكثير من عمر الزمن من تفاهات الأمور، والأغلبية من المسلمين غير واعين بمتغيرات العصر، وغير مدركين لأبعاد المخاطر التي تحيط بهم من كل جانب، لأنهم مشغولون بقضايا جانبية هامشية، ومهتمون ببعض المظاهر الشكلية في الدين، والآخرون يزلزلون في جزورهم وهم لا يشعرون.

وأضاف إن الأمر جد خطير، وعلى مفكري المسلمين في كل مكان ألا يكفُّوا عن الدعوة إلى إيقاظ النائمين وتنبيه الغافلين، لتنهض الأمة، وتشارك في مسيرة التقدم على المستويين المادي والروحي، وتحتل مكانها اللائق بها بين الأمم.

قدرة الإسلام على مواجهة التحديات

وأوضح الدكتور زقزوق - أن العولمة في المجال الاقتصادي، ينبغي أن تحمل المسلمين على الاستفادة مما قامت عليه من تكتلات اقتصادية، بحيث يتجهون دون إبطاء إلى تكوين تكتل اقتصادي عربي وإسلامي، والمشاركة في تكتلات أخرى إقليمية ودولية، أما العولمة في المجال السياسي، فإن أبرز ما يُضاف فيها هو الديموقراطية وحقوق الإنسان والتعددية السياسية، والذي يفهم الإسلام فهماً حقيقياً يتضح له أن الإسلام بما اشتمل عليه من قيم وتعاليم قد سبق العولمة في هذا المجال، ورسخ قيم الشورى وحقوق الإنسان والتعددية.

وقال وزير الأوقاف المصري - إن الأجدر بنا، نحن المسلمين - أن نكون مشاركين ومؤثرين تأثيراً إيجابياً في ترسيخ هذه القيم، ومن خلال مشاركتنا الإيجابية نستطيع أن يكون لنا دور فاعل في تجنب كل السلبيات التي تنحرف بهذه القيم عن مسارها الأخلاقي السليم.

كيفية الحفاظ على الهوية الإسلامية

وأضاف أن الإسلام دين متفتح لا يرفض ثقافة معينة لمجرد كونها أجنبية، وإنما ينظر فيها ويفحصها بعناية ويأخذ منها ما يفيده في مسيرته الحضارية، ويؤكد ذلك قول النبي ﷺ «الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها أخذها»، وقد استفاد المسلمون عندما أرادوا بناء حضارتهم من كل الثقافات التي كانت قائمة في مطلع الحضارة الإسلامية، ونحن مطالبون في عصرنا الحاضر أن نُعمل عقولنا فيما يرد إلينا أو يُقدم لنا من ثقافات العصر، وأن نأخذ منها ما يفيدنا في مسيرتنا، فالإسلام قد جاء لمصلحة الإنسان، ولا يمكن أن يرفض ثقافة نافعة فيها مصلحة البشر، وبهذا الموقف النقدي يمكن أن نحافظ على هويتنا الثقافية، وفي الوقت نفسه لا ننعزل عن عصرنا، وإنما نتعامل معها كواقع، ونتفاعل معها بصورة إيجابية، ونتجاوب مع كل ما يحقق المصلحة للمجتمع.



● د. فاروق اسماعيل - رئيس جامعة القاهرة

نظرة موضوعية للعولمة

وأشار الدكتور فاروق إسماعيل رئيس جامعة القاهرة إلى أن ظاهرة العولمة التي تنتشر في العالم حالياً لابد أن تأخذ من اهتمام المسلمين ما تستحقه، ولابد من وضعها على بساط البحث والتحليل.

وقال - إن مفهوم العولمة قد فرض نفسه على الساحة، وأصبح واقعاً تعيشه المجتمعات، ويقف منه الكثيرون موقف الحذر والخشية، بينما يندفع البعض في قبوله إلى أبعد الحدود، ولا شك أن وسطية الثقافة الإسلامية تفرض علينا نظرة موضوعية، تقوم أساساً على تحليل الظاهرة والتعرف على ما تحمله من جوانب سلبية أو إيجابية، تمهيداً لاختيار الصالح منها، ورفض ما سواه.



● د. حامد طاهر - عميد كلية دار العلوم

الأبحاث التي ناقشها مؤتمر الإسلام في عصر العولمة

١ - الأبعاد الاقتصادية للعولمة - للدكتور عباس الخفاجي.

٢ - العولمة من منظور تاريخي - الدكتور علي عبدالمعطي.

٣ - ثقافة جديدة لعصر العولمة - للدكتور حامد طاهر.

٤ - العولمة الثقافية بين الإمكان والاستحالة - للدكتور مصطفى النشار.

٥ - العولمة: قراءة في نهاية التاريخ - للدكتور ماهر عبدالقادر.

٦ - العولمة والعالمية بين المنظور الإسلامي والمنظور الغربي - للدكتور السيد شاهين.

٧ - العولمة وتكريس الهيمنة - للدكتور محمد الشرقاوي.

٨ - العولمة والهيمنة السياسية - للدكتور حامد عبدالماجد.

٩ - العولمة: تبادلية أو سلطوية - للدكتور عبدالله الشاذلي.



● جانب من الحضور

المؤتمر يناشد العالم الإسلامي :

● ضرورة تعاون المؤسسات الإسلامية في ترسيخ قيم ومبادئ الإسلام

● تبصير الشباب المسلم بالفكر الإسلامي الصحيح

● الأخذ بوسائل التقدم العلمي والتطور التكنولوجي لتفادي سلبيات العولمة

١٠ ـ العولمة والقيم الأخلاقية ـ للدكتورة سلوى نصرة.

١١ ـ أبرز التغيرات التي تتعرض لها القيم الأخلاقية في ظل العولمة.

١٢ ـ عالمية الإسلام ـ للدكتور محمد شامة.

١٣ ـ ختم النبوة الوجه الآخر لعالمية الإسلام ـ للدكتور محمد المسير.

١٤ ـ مبدأ المساواة الإنسانية في الإسلام ـ للدكتور نصر الله البراجة.

١٥ ـ مبدأ الوسطية في الإسلام ـ للدكتور عفت السعدني.

١٦ ـ النزعة الإنسانية في الحضارة الإسلامية ـ للدكتور سعيد مغاوري.

١٧ ـ خصوصية الحضارة الغربية دليل نقض لادعائها العالمية ـ للدكتور عزت قرني.

١٨ ـ الأبعاد السياسية والثقافية لعالمية حقوق الإنسان ـ للدكتور محمد سيد سعيد.

١٩ ـ عالمية الفن الإسلامي من أشكال التحف الإسلامية ـ للدكتورة فايزة كمال.

٢٠ ـ عالمية الإسلام بين الماضي والحاضر ـ للدكتور إبراهيم هلال.

٢١ ـ الإسلام بين العالمية والعولمة ـ للدكتور محمد الجليند.

٢٢ ـ عالمية الإسلام والعولمة ـ للدكتور عبدالمقصود عبدالغني.

٢٣ ـ الصورة المعاصرة للعالم الإسلامي وجذورها الحضارية ـ للدكتور السيد الحجر.

٢٤ ـ العولمة وقضايا التقنية ـ للدكتور سيد دسوقي.

٢٥ ـ الإسلام والعولمة ـ للدكتور عزت عطية.

٢٦ ـ الحوار الديني أسمى حوار ـ الأنبا يوحنا قلته.

٢٧ ـ المسلمون وحوار الأديان ـ للدكتور أحمد القاضي.

٢٨ ـ العولمة والثقافة في ميزان مفكري الإسلام للدكتور عبدالفتاح فؤاد.

٢٩ ـ كيف نصون الهوية الثقافية الإسلامية في عصر العولمة ـ للدكتور مصطفى حلمي.

٣٠ ـ صور الإسلام في الإعلام الغربي ـ للأستاذ خالد الأصور ■

حوار

أجرى الحوار: د. عمادالدين عثمان

وفد المركز الإسلامي لروسيا:

الشيوعية أثّرت على المفاهيم والتعليم الديني ولم تؤثر في العقيدة والإيمان بالله

قام وفد «المركز الإسلامي لروسيا» «موسكو» بزيارة إلى دولة الكويت بدعوة من وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية لتقوية الروابط مع المؤسسات الإسلامية والاجتماعية والشعبية في الكويت، والتعريف بأحوال المسلمين في روسيا، وقد ضم الوفد في عضويته كلاً من إبراهيم محمد حيا مدير الشؤون الإسلامية في المركز، وضمير سراج الدين نائب المدير العام، ورينات كريموف مدير العلاقات العامة في المركز.

وقام الوفد خلال زيارته بعقد لقاءات مع بعض المسؤولين في وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ومع بعض الهيئات الإسلامية والخيرية الكويتية، وبحث معهم أوجه التعاون.

والتقت الوعي الإسلامي أعضاء الوفد وكان هذا الحوار:



● لقطة من الحوار

● ما أهم الأهداف والمهام التي يسعى «المركز الثقافي لروسيا» إلى تحقيقها؟

- يعتبر المركز الثقافي الإسلامي لروسيا «موسكو» أول منظمة إسلامية اجتماعية لعموم مسلمي روسيا الاتحادية، أسس عقب الانهيار الشيوعي مباشرة وسجل رسمياً في ١٧/٤/١٩٩١م.

وتتعدد أهداف ومهام المركز فيما يلي:

- دراسة القيم الثقافية الإسلامية وتطويرها ونشرها.
- العمل على نشر الإسلام في روسيا.
- إقامة صلات وعلاقات مع الإخوة في الدين في داخل روسيا وخارجها.
- المساهمة في إقامة وإجراء حوار فعّال بين مختلف الطوائف الدينية.
- تكوين بنية تحتية إسلامية في روسيا.
- التعامل مع أصحاب النوايا الطيبة حول انبعاث الدولة الروسية إلى الأفضل.

ومنذ تأسيس المركز تبذل الجهود الواسعة على مستوى جميع المناطق الروسية في الكثير من المجالات منها التعليمية والثقافية، والدعوية، والعمرانية، والحج والعمرة، والمجالين الاجتماعي، والحوار الديني الفعال مع الآخر.

● كيف ترون الوضع الراهن للمسلمين في روسيا الاتحادية؟

- تعتبر روسيا دولة مسيحية - إسلامية... فالإسلام يعتبر الديانة الثانية في الوقت الراهن، حيث يشكل المسلمون فيها ١٨٪ وهذا ليس غريباً، فقد دخل الإسلام إلى روسيا في القرن الخامس الهجري، وكانت بوابة الخلافة الإسلامية الشمالية في «ديربنت» وهي إحدى مدن جمهورية داغستان، وهناك آثار إسلامية

ترجع إلى زمن الخلافة العباسية، وقد احتفلت سيبريا بذكرى مرور ستمئة عام على دخول الإسلام إليها.

ولكن للأسف أتى على روسيا سبعون عاماً من التعتيم الشيوعي الذي حارب الأديان، ما أثّر على المفاهيم والتعليم الديني، ولكنه لم يؤثر على العقيدة والإيمان بالله عز وجل في قلوب الناس، حيث عاد المسلمون إلى صحوتهم، وهم الآن يبنون المساجد التي تزداد بشكل ملحوظ في جميع الأماكن الروسية وبخاصة التي يسكنها المسلمون، حيث يوجد في موسكو الآن خمسة مساجد وفي «تتارستان» سبعمئة مسجد، ويُقاس عليها بقية الأماكن في روسيا.

والآن هناك كثير من المدارس والمعاهد الشرعية والكليات الإسلامية في داخل روسيا وخارجها... وهناك أيضاً أكثر من ألفي طالب علم في جامعات إسلامية مختلفة... وهذا يبشر بمستقبل اتساع رقعة انتشار الإسلام في روسيا.

● ما دور وسائل الإعلام الإيجابي أو السلبي في المجتمع الروسي وبخاصة بين المسلمين؟

- كما تعرف ان أهم وسائل الإعلام على مستوى العالم في أيدي اليهود، وكذلك الأمر في روسيا، فإن اليهود يسيطرون على معظم وسائل الإعلام ويوجهونها لخدمة أهدافهم ومآربهم المغرضة ومن ثم يحاولون تشويه وجه الإسلام الحقيقي، حيث يركزون على أي خطأ سياسي في أي دولة إسلامية ويلصقونه بالإسلام لتشويهه في أعين الروس، ومع كل هذا توجد حرية للبث الإعلامي في روسيا، ولكن تكاليفه باهظة جداً، فإذا أردنا نحن المسلمين بث برنامج ديني، فهذا يتطلب منا مبالغ باهظة... ومع ذلك يوجد بث إسلامي في القنوات التلفازية والإذاعية والصحف والمجلات الروسية، ونسعى من خلاله إلى تقديم صوت الإسلام للمتعطشين إليه.



● الوفد الروسي مع مراقب الشئون الادارية

● كيف ترون وضع الإسلام في روسيا مقارنة بالديانات الأخرى المنتشرة هناك؟

- الإسلام دين الله، والله سبحانه وتعالى قادر على أن يظهر دينه ولو كره الكافرون، ويُسَخِّرُ الله سبحانه وتعالى لدين الإسلام من يخدمه، وكل من يقرأ القرآن يعرف بأنه كلام الله عز وجل... وهذا الأمر لا يوجد في الديانات الأخرى، حيث عبثت بها اليد البشرية بالتحريف والتأويل.

ولكن الديانات الأخرى تجد من يموّل أنشطتها، ويسعى لنشرها في كل مكان، ففي كل حي الآن في روسيا توجد كنيسة مسيحية، وهناك الكثير من الكنس اليهودية، كذلك هناك الكثير من البرامج الإذاعية والتلفازية التي تخدم الأديان الأخرى غير الإسلام، وخصوصاً المسيحية، وهذا يرجع إلى وجود المولين لهذه الأعمال من داخل روسيا وخارجها.

ونسأل الله عز وجل أن يقوم خيرة أبناء المسلمين في مختلف بقاع الأرض بأعمال مكثفة لخدمة دين الله الحق في بلادنا.

● كيف تنظرون إلى العلاقة بين مسلمي روسيا ومسلمي العالم في الوقت الحالي؟

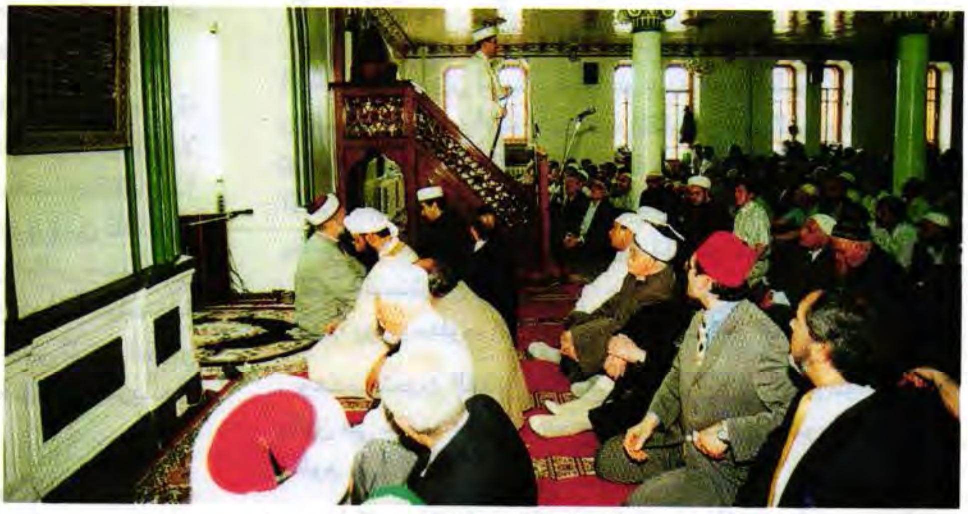
- إن علاقة مسلمي روسيا مع مسلمي الخارج إيجابية بشكل دائم ولا يمكن للمؤسسات الإسلامية في روسيا أن تقوم بأعمال كبيرة من غير المساعدة والدعم من الخارج سواء كان دعماً مادياً أو معنوياً... وأن الإخاء والمحبة والمودة بين المسلمين فريضة... والمسلم أخو المسلم على اختلاف اللغات والبلدان والألوان.

ونحن نلمس هذا الإخاء من خلال تعاوننا مع الدول العربية والإسلامية وبخاصة دولة الكويت، حيث إنها تمد لنا يد العون والدعم في الأعمال الإسلامية.

وعلى سبيل المثال لا الحصر، فإن لجنة مسلمي آسيا التابعة للهيئة الخيرية الإسلامية العالمية تقوم ببناء المساجد في بلادنا، كما أنها تدعم التعليم الإسلامي، وتترجم وتطبع الكتب الإسلامية باللغات الروسية، وتشارك في الندوات والمؤتمرات الإسلامية.

فكل الشكر والاحترام للعاملين في هذه اللجنة وأخص بالذكر الدكتور عادل الفلاح، الذي شارك بشخصه في كثير من أعمالنا المهمة في روسيا الاتحادية... كما أتوجه بالشكر الجزيل إلى جميع اللجان والهيئات الأخرى العاملة في خدمة الإسلام والمسلمين في شتى بقاع العالم.

ونشكر مجلة الوعي الإسلامي على إتاحة مثل هذا اللقاء الذي يلقي الضوء على المسلمين في روسيا الاتحادية ليتعرف عليهم مسلمو العالم. ■



● تجمع للمسلمين الروس في أحد مساجد موسكو

بقلم : محمد عودة السلمان

نظام المواصفات والمقاييس في الحضارة الإسلامية

يعد نظام المواصفات والمقاييس من الأنظمة المعاصرة التي أقتضتها الظروف الاقتصادية التي يعيشها العالم، وقد نشأ هذا النظام مع بداية الثورة الصناعية في الدول المتقدمة، وواكب الطفرة الصناعية والعلمية بجميع مراحلها، وذلك من أجل تحقيق أعلى درجات الجودة للمنتج الصناعي حيث تتم مراقبة السلع الاستهلاكية في جميع مراحل إنتاجها وفقاً للمعايير والأسس التي وضعتها الهيئات العالمية المتخصصة بحيث تصل هذه السلع أو المنتوجات إلى المستهلك خالية من الغش أو العيوب المصنعية.

وليست الحاجة إلى المواصفات والمقاييس وليدة عصرنا الحاضر كما قد يتبادر إلى الذهن، إنما هي حاجة رافقت الإنسان في حياته اليومية منذ القديم وإن كان في صورة بسيطة تتلاءم مع حياة الإنسان الساذجة في تلك الأيام، وقد أبدت جميع الأمم القديمة اهتماماً بالمواصفات والمقاييس، لأنه ينظم العلاقة بين أفراد المجتمع في مجالات البيع والشراء، ولأنه يحقق أيضاً العدالة بين الناس، ولكن المسلمين فاقوا جميع الأمم الأخرى في هذا الصدد، لأن إحقاق الحق ورفع الغبن ومنع الغش واجبات دينية أمر بها الإسلام وتوعد المطففين بسوء العاقبة.

وقد ورد هذا الأمر الصريح أكثر من مرة وفي أكثر من سورة، منها قوله تعالى: (ويا قوم اوفوا المكيال والميزان بالقسط ولا تبخسوا الناس أشياءهم) هود:٨٥، إلا أن الإسلام لم يكتف بهذا الأمر، بل ندد بالمخسرين وتوعدهم بعذاب عظيم، ومن ذلك قوله تعالى: (ويل للمطففين. الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون. وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون) المطففين : ٣/١، وقد بلغ المسلمون في ذلك ما لم تبلغه أمة من الأمم، حتى لتبدو أخبار إقامة العدل وإحقاق الحق في تاريخنا الإسلامي ضرباً من الخيال.

وقد اهتم المسلمون منذ عهد النبوة بنظام المكاييل والموازين ونظام القياس والنقد، ومن يطالع كتب الفقه الإسلامي يجد الدليل على هذه العناية والاهتمام والتي تجلت في ضبط وحدات هذه النظم والتدقيق في تحديد مقاديرها وفقاً للمنهج العلمي التجريبي الرياضي، والدافع الأساسي لهذه الدقة هو أن وحدات الكيل والوزن والقياس تدخل في الأحكام الشرعية في المعاملات، فيها تؤدى بعض حقوق الله والعباد، كالصدقات والكفارات والزكاة، وما يتعلق بأمور التركات والأوقاف والمعاملات اليومية.

وعندما قامت الدولة الإسلامية في المدينة المنورة، أمر الرسول ﷺ أن تكون وحدات الكيل المتعامل بها في سوق المدينة المنورة ووحدات الوزن المتعامل بها في سوق أم القرى وحدات رسمية في الدولة الإسلامية، فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ : «الوزن وزن أهل مكة، والمكيال مكيال أهل المدينة» (سنن أبي داود).

فكان قرار الرسول ﷺ هذا هو أول تشريع خاص بوحدات الكيل والوزن المستعملة في أمور التعامل اليومي، وكان أيضاً أول قانون في الإسلام سن لتوحيد نظام الكيل والوزن طبقاً لوحدات مكة والمدينة، حيث أصبحت هذه الوحدات نماذج رسمية في التشريع الإسلامي.

وقد اهتم فقهاء المسلمين بالمواصفات والمقاييس وبحثوا في هذا النظام كثيراً، وإن لم يكن كما هو عليه الحال اليوم من التقنين والضبط، واعتبروا المواصفات والمقاييس من الشروط الواجب توافرها في عقد السلم، وإن صحة هذا العقد تتوقف على مدى الالتزام بها استناداً إلى الحديث الشريف الذي رواه ابن عباس رضي الله عنهما أن الرسول ﷺ لما قدم المدينة وهم يسلفون بالتمر السنتين والثلاث قال : «من أسلف في شيء، ففي كيل معلوم، ووزن معلوم، إلى أجل معلوم» (صحيح البخاري).

وعندما تحدث الفقهاء عن شروط عقد السلم اشترطوا فيه أن يكون في جنس معلوم، ونوع معلوم، وصفة معلومة، ومقدار معلوم.

وهذا كله يدلنا على عنايتهم بما يسمى بالمواصفات، وما ذكره

الفقهاء في كتبهم هو بيان اهتمام الشريعة الإسلامية بإعطاء كل ذي حق حقه، وإن إتقان العمل والصدق والأمانة واجب شرعي نحن مأمورون به.

ولكن النفس الإنسانية كثيراً ما تكون أمارة بالسوء، وإذا كان بعض الناس يكفيهم وازع الأخلاق أو الإيمان للأخذ بمعايير العدالة والحق، فإن ثمة أناساً آخرون لا يردعهم إلا وازع السلطان، وعلى هذا فقد كان عند المسلمين قضاء لم يعرف له نظير بين الأمم يسمى «الحسبة» وكان عندهم «محتسب» يشرف على تطبيق المواصفات والمقاييس على الوجه الصحيح لا نجد له شبيهاً عند أرقى الأمم في تلك الأيام.

ولم تكن الحسبة مجرد تنظيم صوري خال من المضمون، بل كانت من أهم المناصب الملحقة بالقضاء، يسهر صاحبها «المحتسب» على مراقبة كل صغيرة وكبيرة بدءاً من منع الغش ومراقبة الموازين والمكاييل في الأسواق، وانتهاء عند مراقبة أرباب السفن ومنعهم من الإكثار في الحمل خشية الغرق، وهو في كل ذلك يستعين بأعوان يكلفهم بتفقد الموازين والمكاييل، ويفحص أصناف الأطعمة والمأكولات سراً وعلانية للتأكد من جودتها وخلوها من الغش، كما يستعين بثقات من أهل الأسواق، وبوجوه أرباب الصنائع ممن ثبتت أمانته لكي يطلعوه على أسرار تلك الصنائع ووسائل الغش التي قد يلجأ إليها أربابها، فلا يخفى عليها من أمورها عندئذ كثير ولا قليل.

وقد كانت وسائل مراقبة تطبيق المواصفات والمقاييس في الحضارة الإسلامية كثيرة، إلا أننا نستطيع أن نردها إلى أربع وسائل أساسية مختلفة هي:

١ ـ الموعظة والنصيحة، واستخلاف الباعة وأصحاب الحرف بألا يغشوا، وتخويفهم من مغبة الغش وما ينتظرهم من الحساب والعقاب يوم القيامة.

فقد ورد في شأن الدهانين مثلاً: «وكذلك الدهانون، يؤخذ عليهم قسم بالله العظيم أنهم يدهنون ما يبيعونه للناس ثلاث دهانات، لهم خاصة ولغيرهم عامة، ويشمسونه حتى يشبع شمساً قبل دفعه إلى أربابه».

إلا أنه من الواضح أن المحتسب لم يكن يلجأ إلى هذه الوسيلة ـ التي قد لا تجدي نفعاً مع بعض الباعة ـ إلا إذا كان الغش من النوع الذي يتعذر كشفه، كالدهن مرتين بدلاً من ثلاث.

٢ ـ خبرة المحتسب ومن يعمل معه في اختبار المواد، واكتشاف الغش والزيف عن طريق الذوق أو الشم، أو اختيار اللون وما إلى ذلك، إذ لم يكن ثمة أجهزة ومختبرات للتحليل الكيماوي، وهذا يقتضي بالضرورة أن يكون المحتسب وأعوانه من ذوي الخبرة والمعرفة بصنوف وأنواع التدليس، وأن يكونوا على علم تام بمقادير الأخلاط ونسبها. ومن صور هذا الاختيار ما ورد في اللبن الحليب: «يُعرف غش اللبن بأن يغمس فيه شعرة ثم يخرجها، فإن لم يعلق بها شيء من اللبن، يكون مغشوشاً بالماء، وإن علق باللبن عليها كان خالصاً».

ومن أمثلة العلم بمقادير الأخلاط ونسبها ما ورد في شأن بعض أنواع الحلوى: «فضريبة كل قنطار من السكر، له خمسون رطلاً من الدقيق يعمل في تأليفه، ومثقال من مسك عراقي، وخمسة أرطال من ماء ورد شامي، وقلب الفستق على ما جرت به العادة».

وقد ذكرت بعض كتب الحسبة طرقاً مختلفة لغش المواد الأولية مما قد يلجأ إليه الباعة، لكي يكون المحتسب وأعوانه على علم بهذه الطرق، فلا تجوز عليهم عند فحصهم لتلك المواد، ومن أمثلة ذلك ما ورد عن غش العسل: «ويعتبر عليهم ما يغشون به عسل النحل، فإن فيهم من يغشه بالماء،' وعلامه غشه أن يبقى في زمن الشتاء محبباً كالسميد، وفي زمن الصيف مائعاً رقيقاً».

٣ ـ إشراف المحتسب بنفسه، أو بوساطة أعوانه وثقاة من أهل الأسواق، على عيارات المأكولات، وأخلاط المواد التي يشتريها الباعة مفردة ثم يركبونها كالعقاقير وبعض المأكولات كالحلوى والهريسة وغيرها.

ففي الحسبة على بائعي الهريسة مثلاً، يذكر مؤلف «نهاية الرتبة في طلب الحسبة» أوسط عيار الهريسة ومقادير أخلاطها من لحم الضأن ولحم البقر، ثم يقول: «ثم ينزل في القدر بحضرة العريف، ثم يختم بخاتم المحتسب، فإذا كان وقت السحر حضر العريف وكسر الخاتم، وهرسوها بحضرة العريف لئلا يشيلوا اللحم منها».

٤ ـ مراقبة الموازين بين حين وآخر للتثبت من دقتها، وفحص المكاييل على الدوام للتأكد من صحة حجومها، ومعاييره صنج الأوزان لمعرفة مدى صحتها.

كما يتعين على المحتسب وأعوانه أن يكونوا عارفين بالمكاييل المختلفة، وبأجزاء كل منها وإضعافه، فقد كانت البلاد الإسلامية تعج بعشرات المكاييل المختلفة، وكان لكل من هذه المكاييل أجزاء وأضعاف ومعرفة المحتسب وأعوانه لكل من هذه المكاييل ضرورية جداً لمنع الباعة من التدليس والتحايل، إذ يجب أن يمنع البائع مثلاً من اتخاذ مكاييل ليست من الأجزاء أو الأضعاف التي يتعامل بها.

وقد أنشئت في البلاد الإسلامية دور للعيار تعير وتباع فيها الموازين والصنج، وكثيراً ما كان المحتسب يستدعي الباعة ومعهم موازينهم وصنجهم ومكاييلهم، فتعاير ويتلف الناقص منها ويلزم البائع بشراء نظيره مما هو محرر بدار العيار.

نخلص من كل ما سبق إلى أن نظام المواصفات والمقاييس عند المسلمين كان على أدق ما يكون فيما يتعلق بعمليتي الوزن والكيل.

أما فيما يتعلق بكشف الغش في المواد الغذائية المختلفة كالحليب والزيت والعسل والأطعمة التي تتركب من أخلاط عدة كالحلوى، فقد كانوا يلجؤون في ذلك إلى وسائل بسيطة تعتمد على الذوق تارة وعلى الخبرة تارة أخرى، لعدم وجود مختبرات تقوم على التحليل الكيماوي، ولعدم وجود أجهزة تكشف تغير الوزن ا لنوعي للمادة المفحوصة. ■

بقلم : اللواء / محمد جمال الدين محفوظ

إنشاء أول أسطول إسلامي في التاريخ

(من أبرز صفحات تاريخ الإسلام أن من أجداد المسلمين الأوائل وهم رجال البادية، استطاعوا أن يقتحموا - بعد عهد النبوة - مجالاً جديداً عليهم هو الحرب البحرية، وأن يدخلوا السلاح البحري وحرب الأساطيل وصناعة السفن في استراتيجيتهم العسكرية للمرة الأولى في التاريخ).

وهذا الحدث التاريخي يوجه أنظار أمتنا الإسلامية إلى أمور عدة تستحق أن نتدبرها بكل وعي:

الأمر الأول: هو أن العلم هو «مفتاح التقدم والقوة»، ومن العلوم التي أشار القرآن الكريم إلى خطرها، وأشاد بقيمة المهارة فيها العلوم العسكرية والصناعات الحربية وجملة الفنون التي تحتاج إليها الأمة في الدفاع عن حقوقها ووجودها، والتي يحرص المسلمون على ألاّ يدعو غيرهم» يسبقهم «في أي علم يكون له دخل في توفير القوة لهم والله تعالى يقول: (الله الذي سخَّر لكم البحر لتجري الفلك فيه بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون. وسخَّر لكم ما في السماوات وما في الأرض جميعاً منه إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون) الجاثية: ١٢ - ١٣.

والأمر الثاني: هو أن المسلمين الأوائل ما كان عليهم من حرج أن يتعلموا من الناس أنواع الخبرة التي يحتاجونها، وقد مهروا فيما وقفوا عليه، واستغلوه في نشر الإسلام وحرب أعدائه.

والأمر الثالث: أن المسلمين «استوعبوا» ذلك الفن الجديد بسرعة فائقة ثم جوَّدوا فيه وأضافوا إليه حتى استطاعوا أن يواجهوا أقوى أساطيل زمانهم وهو الأسطول البيزنطي في البحر الأبيض المتوسط «فهزموه» في معركة ذات الصواري العام ٣٤ هجرية، وقد سجل التاريخ بذلك «نهاية السيطرة البحرية البيزنطية وبداية عصر القوة في تاريخ البحرية الإسلامية».

العرب والبحر

وقبل الإسلام لم يكن العرب يعرفون ركوب البحر إلا ما كان من سفائن ممالك حِمْيَر وسبأ في أيام التبابعة لأنهم كانوا أهل تجارة في البر والبحر، أما عرب الحجاز فكانوا يخافون ركوب البحر، وليس ذلك بمستغرب من قوم قضوا حياتهم في صحراء قفراء، لا سبيل لهم إلى البحر ولا مصلحة لهم فيه، إذ كانوا يستغنون عن البحر بطريق البر في التجارة والانتقال بين شبه الجزيرة والشام ومصر.

وكان الخليفة عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - متخوفاً من البحر، وكان يحرص على ألا يفصل بينه وبين المسلمين ماء، فبعد فتح مصر كتب إلى عمرو بن العاص «قائد فتح مصر» أن صفْ لي البحر، فكتب إليه: «أن البحر خلق عظيم يركبه خلق ضعيف. دود على عود» فأوعز حينئذ بمنع المسلمين من ركوبه، وهذه الرهبة من البحر هي التي جعلت الفتوحات الإسلامية خلال هذه السنوات العشرين الأولى (العراق والشام ومصر) تنحصر في «ميادين البر» دون البحر.

بناء الأسطول ضرورة استراتيجية

لكن المسلمين سرعان ما أدركوا من تطور أحداث الفتوح والدروس المستفادة منها أن بناء أسطول إسلامي «ضرورة استراتيجية» :

١- فخلال سنوات الفتح الإسلامي بين العام ١٣ إلى ٣٠ من الهجرة (٦٣٤ - ٦٥٠م) لم يجد المسلمون عدواً لهم في معاركهم أقسى من البحر وما يأتي منه من أخطار، فبينما كانت مدن الشام «الداخلية» تتساقط دون عناء، كانت موانئ الساحل تصمد طويلاً، وتتحمل الحصار بسبب «إمدادها المستمر عن طريق البحر» ومن ذلك على سبيل المثال أن قيسارية لم تسقط إلا بعد حصار دام سبع سنوات بدأ من جمادى الأولى سنة ١٣هـ إلى شوال سنة ١٩هـ.

٢- وبينما كانت مدن «الداخل» تخضع للمسلمين بعد فتحها وتسلم إليهم مقاليد ولائها، كانت مدن الساحل دائمة الفتن والثورات والاضطرابات بسبب تحريض الروم «البيزنطيين» ووجود «اتصال بحري» بينهما وبين تلك المدن، حتى لقد تمكنت مدن كثيرة منها أن تنشق بمعونة الأسطول البيزنطي عن الحكم الإسلامي.

٣- وكان الأسطول البيزنطي - عندما يدرك استحالة المقاومة والصمود أمام الحصار الإسلامي للموانئ في الشام ومصر - يتولى إجلاء الجنود والمدنين منها لحمايتهم من ملاحقة المسلمين، فكان المسلمون حين يدخلونها يجدونها خالية تماماً من السكان.

٤- وشواطئ الدولة الإسلامية امتدت من طرسوس شمالاً إلى برقة جنوباً وهي أكثر من ١٥٠٠ ميل، وهذه الشواطئ الطويلة تواجه تهديداً خطيراً من البيزنطيين وأساطيلهم فكان لابد من حمايتها والدفاع عنها ضد الغزو البحري... لكل هذه الأسباب، كان إنشاء الأسطول البحري الإسلامي ضرورة استراتيجية، وقد مرت عملية إنشائه بمرحلتين :

المرحلة الأولى: استخدام غنائم المسلمين من البحرين البيزنطية:

فقد تمكن المسلمون من إنشاء «نواة» الأسطول مما غنموه من السفن البيزنطية خلال فتوح الشام ومصر، كما أنهم استولوا على دور صناعة السفن البيزنطية في سورية ومصر سليمة، هذا فضلاً عن ما كان تحت أيديهم من السفن التجارية التي يملكها المصريون والسوريون، وهي مما يمكن استخدامها في أغراض الحرب مع ما يكفيها من ملاحي تلك الثغور الخبيرين بشؤون الملاحة.

المرحلة الثانية: صناعة السفن

وبدأ المسلمون في صناعة السفن في دور الصناعة في الشام ومصر وقد ساعد على ذلك أمران:

١- توافر المواد الخام كالأخشاب التي تصنع منها ألواح السفن والصواري والمجاديف، وكذلك معدن الحديد وغير ذلك من المواد التي توافرت في مناطق متعددة في مصر والشام.

٢- توافر الأيدي العاملة الماهرة في صناعة السفن ممن كانوا يشتغلون في دور الصناعة في مصر والشام.

الإفادة من الخبرات البحرية في الشام ومصر:

وكان من الطبيعي أن يفيد المسلمون من «الخبرات البحرية» في الشام ومصر بعد فتحهما فكان ذلك من أكبر العوامل التي ساعدت على بناء الأسطول الإسلامي وتحصيل المسلمين للمعارف البحرية واكتسابهم لمهاراتها وفي ذلك يقول ابن خلدون: ... حتى إذا كان لعهد معاوية أذن للمسلمين في ركوبه «أي البحر» والجهاد على أعواده، والسبب في ذلك أن العرب لبداوتهم لم يكونوا أول الأمر مهرة في ثقافته وركوبه، كالروم والإفرنج لممارستهم أحواله ومرباهم في التغلب على أعواده، حيث مرنوا عليها وأحكموا الدراية بثقافته، فلما استقر الملك للعرب وشمخ سلطانهم صارت أمم العجم خَوَلاً لهم «أي تابعين لهم» وتحت أيديهم وتقرب كل ذي صنعة إليهم بمبلغ صناعته واستخدموا من النواتية في حاجتهم البحرية أمماً وتكررت ممارستهم للبحر وثقافته، استحدثوا بُصَراء بها «أي خبراء» فشرهوا إلى الجهاد فيه، وأنشأوا السفن فيه، والشواني «السفن الحربية الكبيرة» وشحنوا الأساطيل بالرجال والسلاح، وأمطوها «أي أركبوا فيها» العساكر المقاتلين لمن وراء البحار من أمم الكفر، واختصوا بذلك من ممالكهم وثغورهم ما كان أقرب لهذا البحر وعلى حافته مثل الشام وإفريقية والأندلس.

غرس الوعي البحري:

وخلال خلافة عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - أخذ معاوية بن أبي سفيان والي الشام في تقوية حصون الساحل ومدنه ووضع لهذه المدن نظاما عُرف بالرباط حيث يتجمع فيها الجند للدفاع عن المناطق المعرّضة لإغارات الأساطيل البيزنطية، ولتكون ملجأ يحتمي بها الأهالي في المناطق الساحلية بأن يأخذوا حذرهم إذا لاح خطر السفن البيزنطية في المياه الإقليمية، فكان الحصن في الرباط يضم حجرات ومساكن للجند، ومخازن للأسلحة والمؤن، وبرجاً للمراقبة ثم لم يلبث الرباط أن اتسع وزادت أهميته حتى أصبح «قاعدة للهجوم وشن الغارات»، فلما وليَّ الخلافة عثمان بن عفان - رضي الله عنه - خطا معاوية خطوة ثانية في متابعة سياسته البحرية، فشجع الناس على النزوح إلى المناطق الساحلية لينمّي عندهم ملكة ركوب البحر ويغرس فيهم الوعي البحري، وقد ساعد على ذلك أن عثمان بن عفان أمر بمنح كل راغب في الإقامة بالمدن الساحلية إقطاعات من الأرض ليستغلها ويتمتع بخيرها. فعمرت السواحل بذلك ولم يعد المسلمون يخشون خطر البيزنطيين أو عدوانهم وذلك بفضل وجود الجيوش والحاميات بصفة دائمة في تلك المدن أو الموانئ الساحلية للدفاع عنها، ثم إنه بفضل تلك السياسة أصبح للمسلمين «قواعد بحرية» لبناء الأساطيل وانطلاقها منها للقيام بالعمليات البحرية.

الدروس المستفادة:

١- قهر التحديات بالعقيدة والإيمان والعمل: لقد كانت أمام المسلمين تحديات جسام:

١- فهم رجال بادية لا يعرفون ركوب البحر فضلاً عن القتال فيه.

٢- وعدوهم الرئيس «قوة عالمية عظمى» لديها قوة بحرية «منحتها السيادة في البحر الأبيض المتوسط» حتى أصبح يسمى بالبحيرة الرومانية أو البحر الرومي كما يقول ابن خلدون.

٣ - والأفق الاستراتيجي وعنصر الزمان «ليسا في صالحهم» فهم في «حال حرب» مع هذا العدو، يفتحون من الأراضي التي تحت يده أغلاها وأغناها، فلابد وأن يسعى بكل ما أوتي من قوة إلى استرداد تلك الأراضي من ناحية، «ومنعهم من بناء» قوتهم البحرية من ناحية أخرى، لكن المسلمين «لم يقفوا مكتوفي الأيدي» أمام تلك التحديات الجسام، بل «اقتحموا» مجال بناء الأساطيل البحرية، مدفوعين بأقوى الدوافع النفسية والمعنوية وهي قوة العقيدة والإيمان، والوفاء بتكليف الجهاد في سبيل الله وإعلاء كلمته.

فاقبلوا على العمل بأمر ربهم: (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة) مصممين على تجريد عدوهم من تفوقه في فنون الحرب البحرية حتى وصلوا إلى المستوى الذي وصفه ابن خلدون بقوله: «إن المسلمين تغلبوا على لجة بحر الروم وأن أساطيلهم سارت فيه جائية وذاهبة من صقلية إلى تونس، والرومان والصقالبة والفرنجة جميعاً تهرب أساطيلهم أمام البحرية العربية، ولا تحاول الدنو من أساطيل المسلمين التي ضَرِيَتْ عليهم كضراء الأسد على فريسته» (أي لاحقتهم وطاردتهم).

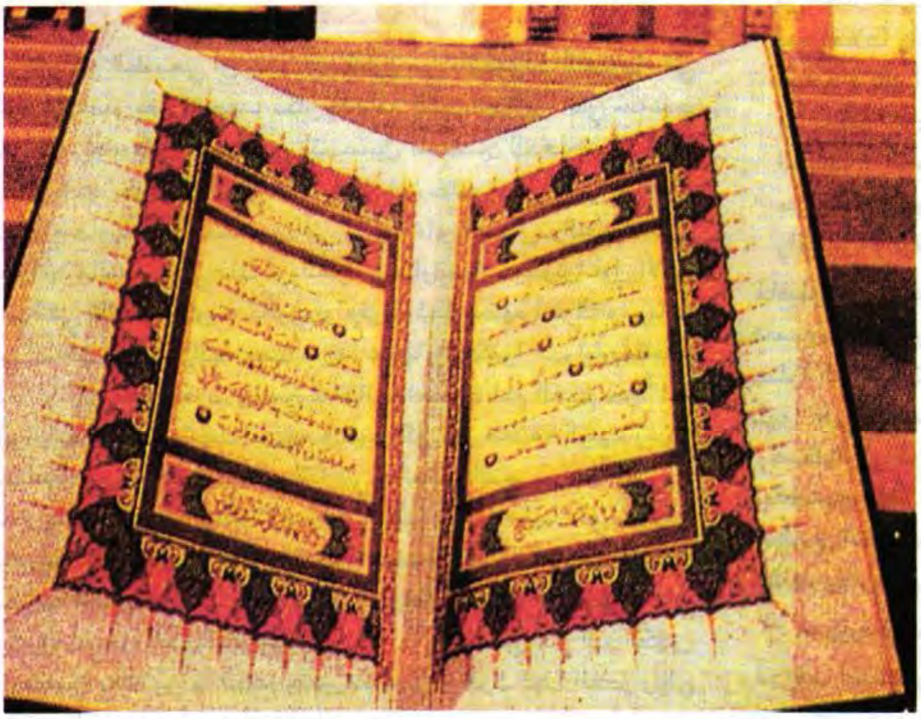
٢ - ضرورة تجاوز مرحلة نقل التكنولوجيا

لم يقف المسلمون - حين استعانوا بغيرهم في حاجتهم البحرية أول الأمر - عند حدود النقل، بل تجاوزوها حتى كانت لهم - بعد فترة قصيرة من الزمان - خبراتهم الخاصة في كل مجالات الحرب البحرية، وذلك مطلب حيوي، لكل أمة تقتضي ظروفها الاستراتيجية أن تأخذ عن غيرها من الأمم شيئاً من المعارف أو الخبرات، فذلك هو السبيل إلى بناء «القوة الذاتية» التي ترهب الأعداء. وذلك ما عبر عنه ابن خلدون حين ذكر أن المسلمين أصبحو خُبراء في الفنون البحرية فقال: «استحدثوا بصراء بها» كما قدمنا.

وإذا كان المسلمون في النصف الأول من القرن الأول الهجري، قد فعلوا ذلك - بشهادة التاريخ - فإن المسلمين اليوم مطالبون بذلك بصورة أقوى وأسرع، فالتقدم والتطور في عصرنا بالغ السرعة، وملاحقته «سباق مع الزمان»، والنصر في الحرب لمن يسيطر «قبل خصمه» على العلم والأساليب العلمية والعملية للقتال وإدارة الصراع. ■

بقلم: أ.د. محمد الزحيلي

مكانة العرب في القرآن بين التشريف والمسؤولية



لقد حدد القرآن الكريم مبادئ الإسلام الخالدة، وبيَّن القيم الواقعية للحياة، ورسم المنهج القويم للأمة والأفراد بالاعتدال والوسطية، وما يتفق مع الفطرة البشرية، والثوابت الطبيعية، والمتغيرات الكونية، والتطورات العلمية.

ويصدر بعض الناس لرؤية هذه المبادئ والقيم من جانب واحد، مما يؤدي إلى الانحراف والشذوذ والتطرف، ويتضاعف الأمر سوءاً عند التطبيق العملي لهذه الرؤى الجانبية، فيظهر في المقابل شذوذٌ آخر، وتطرف معاكس، وانحراف شديد.

ومن الأمثلة النظرية والعملية على ذلك ظهور الآراء المتعارضة والمتناقضة والمتطرفة عن العرب والعروبة في العصر الحديث، فتجاذب الناس فيها الآراء والأفكار، وتفاوتت الدراسات والنظريات.

وتصحيحاً لهذا المسار لابدَّ من الرجوع إلى منبع الإسلام الصافي، وكتابه الخالد، وبيانه المحفوظ، الذي تكفَّل الله برعايته، فلا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ولا تكدره الدِّلاء، ولا ينضب معينه، وهو القرآن الكريم الذي ذكر العرب والعروبة والعربية في آيات كثيرة، ومناسبات كثيرة، تستحق الدراسة التفصيلية، والتحليل الدقيق، لوضع النقاط على الحروف، وبيان الحق، ومعرفة الصواب، والوصول إلى السداد، ونضع أيدينا على مواطن العدل، لبيان مكانة الأمة العربية في القرآن الكريم، والإسلام الحنيف، وما شرَّف الله به هذه الأمة، وما حمَّلها من مسؤولية.

يقول الله عزَّ وجلَّ: (فاستمسك بالذي أُوحي إليك، إنك على صراط مستقيم. وإنه لذكر لك ولقومك وسوف تُسألون) الزخرف: ٤٣-٤٤.

وفي هذه الآية يخاطب الله تعالى نبيه محمداً ﷺ، ويأمره بالتمسك بالوحي والذكر والقرآن والإسلام الذي أنزله الله عليه، وما فيه من أحكام شرعية، وأخلاق سامية أو أوامر جلية، ونواهٍ واضحة، وقواعد محكمة، ومبادئ ثابتة، وأخبار صادقة، وتوجيه حكيم، وإرشاد قويم، وعقيدة خالصة، وغذاء روحي صافٍ.

وهذا الخطاب للأمة أجمع، لأن خطاب النبي ﷺ خطاب لأمته، كما يقرر علماء

الأصول، فالأمة مأمورة بأن تتمسك بالوحي، وتسير عليه، وتلتزم بأحكامه وتقتفي خطاه، وتعضّ عليه بالنواجذ، دون أن تأبه لتكذيب المكذبين، وإعراض المعرضين، واستهزاء المستهزئين، وغفلة الناس الغافلين، لأن التمسك بالقرآن والذكر هو الصراط المستقيم الذي أنزله الله تعالى هداية للبشرية، وإرشاداً للخير والبر، والصلاح والتقوى، والفوز والفلاح، وهو الذي يوصل إلى الله ورضاه وثوابه، وهذا ما بيّنه القرآن العظيم في قوله: (وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون) الأنعام:١٥٣، وقوله تعالى: (وهذا صراط ربك مستقيما) الأنعام:١٢٦، وهو وظيفة النبي ﷺ ، والعلماء من بعده، والدعاة والمصلحين في كل عصر، كما بينه القرآن الكريم بقوله تعالى: (وإنك لتدعوهم إلى صراط مستقيم) المؤمنون:٧٣، وعندئذ يفوز الناس برضوان الله تعالى في الدنيا، ويحصلون على ثوابه في الآخرة، وهو ما أراده الله تعالى بقوله: (وإنه لذكر لك ولقومك) الزخرف:٤٤.

فالضمير في «إنه» للقرآن أو للإسلام، والذكر هنا بمعنى الشرف، وقوم النبي ﷺ هم قريش وسائر العرب، قال ابن عباس في (وإنه لذكر لك ولقومك): إن القرآن شرف لك، وعند السُّدي قال: شرف لك ولقومك يعني القرآن، وقال ابن زيد: أو لم تكن النبوة والقرآن الذي أنزل على نبيه ﷺ ذكراً له ولقومه؟(١).

وقال ابن جزيء: «فإنهم نالوا بالإسلام شرف الدنيا والآخرة، ويكفيك أن فتحوا مشارق الأرض ومغاربها، وصارت منهم الخلافة والملك...، وورد عن ابن عباس رضي الله عنه أنه لما نزلت هذه الآية علم رسول الله ﷺ أن الأمر بعده لقريش، ويحتمل أن يريد بالذكر التذكير والموعظة، فقومه على هذا أمته كلهم، وكل من بعث إليهم»(٢).

وقال القرطبي: «القرآن شرف لك ولقومك من قريش، إذ نزل بلغتهم، وعلى رجل منهم، نظيره: (لقد أنزلنا إليكم كتاباً فيه ذكركم) الأنبياء:١٠، أي شرفكم، فالقرآن نزل بلسان قريش، وإياهم خاطب، فاحتاج أهل اللغات كلهم إلى لسانهم، كل من آمن بذلك، فصاروا عيالاً عليهم، لأن أهل كل لغة احتاجوا إلى أن يأخذوه من لغتهم حتى يقفوا على المعنى الذي عنى به من الأمر والنهي، وجميع ما فيه من الأنباء، فشرفهم بذلك على سائر أهل اللغات، ولذلك سمي عربياً»(٣).

فالله سبحانه وتعالى شرَّف الأمة العربية بالإسلام، وحمل راية القرآن، وتبليغ دعوة السماء إلى شعوب الأرض، وجعل وحيه وكلامه في لسان العرب، فاختارهم على غيرهم من الأمم لحمل رسالته، واختار منهم محمداً ﷺ ليكون رسولاً مصطفى، ونبياً مبلغاً، ومعلماً للبشرية، ومربياً للأمم والأفراد، وجاء في الحديث الشريف عن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل، واصطفى من ولد إسماعيل بني كنانة، واصطفى من بني كنانة قريشاً، واصطفى من بني قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم»(٥)، وفي رواية «فأنا خيار من خيار من خيار».

والله سبحانه وتعالى اختص العرب برسالة الإسلام التي جعلت من القبائل العربية أمة واحدة، ذات مقومات ثابتة، وأسس راسخة، وبلَّغ النبي ﷺ العرب دعوة السماء، فرفع من شأنها في الكون، وأعلى من قدرها بين الأمم، وبدَّل ذلها عزاً، وضعفها قوة، وجهلها علماً وتفرقها وحدة، وتمزقها اعتصاماً بحبل الله المتين، وعداوتها محبة وتعاوناً وتكافلاً، وتغيرت مفاهيم الجاهلية والعصبية والقبلية إلى قيم عليا، ومبادئ سامية، ومفاهيم حضارية، وشريعة إنسانية، فزكت هذه الأمة على غيرها، مصداقاً لقوله تعالى: (هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم، ويعلّمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين) الجمعة:٢.

وتبوأ العرب مكانهم تحت الشمس تحقيقاً لقوله تعالى: (وكذلك أنزلناه قرآناً عربياً وصرّفنا فيه من الوعيد لعلهم يتقون أو يحدث لهم ذكراً) طه:١١٣. وقوله تعالى: (ونريد أن نمنَّ على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين) القصص:٥، ولم يبق هذا الكلام وهماً وخيالاً، وأملاً نظرياً، بل أصبح وجوداً واقعاً، وأمراً ملموساً، وحضارة حقيقية، تنفيذاً لوعد الله تعالى الذي لا يخلف الميعاد في قوله عز وجل: (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنّهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكننَّ لهم دينهم الذي ارتضى لهم، وليبدلنّهم من بعد خوفهم أمناً يعبدونني لا يشركون بي شيئاً ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون) النور:٥٥.

وفجر القرآن الكريم طاقات العرب الكامنة، ووجهها نحو الخير والعطاء، والإنتاج والإبداع وأظهرها على وجه البسيطة، وكرَّس جهودها نحو البناء والعلم والحضارة، وأثبت وجودها في العالم، وخلد ذكرها في الكون حتى تقوم الساعة، وأصبحت العربية والعروبة غير مقصورة على العرب، بل صارت لغة الإسلام والمسلمين، ولغة عالمية في الذيوع والانتشار والاستعمال.

وبما أن العرب هم أصحاب الرسالة والدعوة واللغة التي نزل فيها القرآن، فهم أقدر الناس على وعيه وفهمه وتفسيره وتطبيقه والوقوف على حدوده، وأوامره ونواهيه، ومبادئه وقيمه، لقوله تعالى: (كتاب فُصّلت آياته قرآناً عربياً لقوم يعلمون) فصلت:٣، ولذلك استحقوا بجدارة أن يتولوا القيادة والريادة الفكرية والسياسية، وكان قيامهم بهذه المهمة الجسيمة والمقدسة مؤشراً على سلامة المسلمين وحسن أوضاعهم، ووجودهم في المكان الذي أراده الله لهم، والعكس بالعكس، وهذا

ما نبه إليه رسول الله ﷺ بقوله : «إذا ذلت العرب ذلَّ الإسلام»(٦).

وهذا لا يعني العنصرية للعرب، ولا يفيد أن العرب شعب الله المختار، يستحق الشرف والعزة والسيادة لذاته، ويطلب تسخير بقية الشعوب والأمم، ولكن يعني أمراً واحداً، وهو أن الإسلام لابدَّ أن يبقى عربي اللسان والفهم والمضمون، وأن كل من تكلم العربية، وفهم القرآن فهو عربي، بلا تمايز، ولا تفضيل لقوم على قوم.

وإن الأمة العربية بالنسبة للإسلام والمسلمين بمنزلة الرأس من الجسد، ولا شك أن الرأس يفضل على سائر الأعضاء، ويشرف على بقية الجوارح، لأن فيه الدماغ، والأجهزة الحساسة، ومعظم حواس الإنسان من السمع والبصر والشم والذوق وتثبت له هذه الأفضلية إذا كان عاملاً ونشيطاً وفاعلاً، أما إذا أصبح خاملاً، معطل النشاط، واعتراه الكسل، فلا فضل له على غيره، وقد تصبح بقية الأعضاء أفضل منه، وأكثر نفعاً وخدمة لصاحبها.

وإن الإسلام لا يفضل قوماً على قوم إلا بالتقوى والعمل الصالح، وهذا لا يتنافى مع اختيار العرب للقيام بأعباء معينة، ومسؤولية خاصة، فإن قاموا بذلك نالوا الأجر والثواب والشرف، وإن شاركهم غيرهم به اكتسبوا الأجر والثواب نفسه، مصداقاً لقوله تعالى: (يأيها الناس إن خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير) الحجرات:١٣.

وإن الإسلام والدين والقرآن فضل من الله تعالى للبشرية جميعاً، وتشريف للإنسانية، والعالم أجمع، وهذا ما بيَّنه القرآن الكريم في قوله تعالى: (إن هو إلا ذكر للعالمين) ص:٨٧، أي شرف وتكريم وتذكير للناس أجمعين، وهو القول الثاني لعلماء التفسير في قوله تعالى: (وإنه لذكر لك ولقومك) الزخرف:٤٤، قال القرطبي: «وقيل: بيان لك ولأمتك، فيما بكم إليه حاجة، وقيل: تذكرة تذكرون به أمر الدين وتعملون به... قال الماوردي: «ولقومك» فيه قولان: أحدهما من اتبعك من أمتك...، والثاني: لقومك من قريش... قلت: والصحيح أنه شرف لمن عمل به، كان من قريش أو من غيرهم».(٧)

وإن الله سبحانه وتعالى اختار الأمة العربية لتلقِّي الوحي، وحمل الرسالة، وشرف الأمانة، وهو اختيار تكريم وإعزاز، فإن قامت به استحقت الفضل بعملها على غيرها، وتبوأت مكان الصدارة بما تبذله من جهد وتضحية وعطاء، واستحقت بجدارة أن تتولى الريادة للأمم، والقيادة للشعوب، وتوجيه الناس نحو البر والخير، والحق والعدل، والفضيلة والسعادة، والسيادة والسؤدد، وليس للاستعمار والاستبداد، ولا للعنصرية القومية، ولا للعنجهية والتسلط.

والدليل على الجمع بين الأمرين ـ بعدم تفضيل العرب ذاتياً على الأقوام الأخرى، لمجرد الجنس والدم والعرق، وإنما بالعمل والجهد والبذل ـ قول الحق تبارك وتعالى، مخاطباً الأمة العربية: (إلا تنفروا يُعذِّبكم عذاباً أليماً ويستبدل قوماً غيركم ولا تضروه شيئاً والله على كل شيء قدير) التوبة:٣٩، وأكد ذلك القرآن الكريم فقال تعالى: (وإن تتولوا يستبدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم) محمد:٣٨.

فدين الله باق حتى تقوم الساعة، وشرعه خالد على مر العصور، فمن عمل به استحق الأجر والثواب عند الله، ونال الثواب في الآخرة، وثبت له حق السيادة والولاية، وتفضل على غيره بفهم القرآن والإسلام والعمل بأحكامه، وتقدم على الأمم بما جناه، وهذا من سنن الله الكونية، ومن تخلى عن ذلك أو قصَّر فإن الله يسخر لدينه وشرعه من يقوم عليه، ويدعو إليه، ويسهر على نشره، ويذود عن حياضه، وينافح عن أهله، ويتولى رعايته والعناية به، حتى تبقى حجة الله قائمة على العباد، ويستمر فضله ونوره وهدايته على الخلق، وهذا ما حدث فعلاً في التاريخ الإسلامي ابتداء من زمن النبوة والخلافة الراشدة، ثم الخلافة الأموية والعباسية والعثمانية، ثم ما قدمته الشعوب الإسلامية والأمم غير العربية، وتسابقت به الأقوام، وقامت من أجله الدول، لرفع راية الإسلام خفاقة سياسياً وثقافياً، وعلمياً وحضارياً وعقيدة وتشريعاً، وأخلاقاً وتراثاً، ووقفت في وجه الهجمات الاستعمارية، والحملات الصليبية والاجتياح الوثني، ووحشية التتار وغطرستهم.

وهذا يقودنا إلى التذكير بآخر الآية السابقة في مخاطبة العرب وغيرهم بقوله تعالى: (وسوف تسألون) أي تسألون عن العمل بالقرآن، وعن شكر الله تعالى على هذه النعمة، وأن الله تعالى سوف يسأل رسوله وقومه وأمته عن أعمالهم، ومدى التزامهم بأوامر الله تعالى، والانتهاء عن محارمه واجتناب معاصيه، والبعد عن المنكرات.(٨)

ولذلك حذر القرآن الكريم من الإعراض عن القرآن الكريم، وتنكب أحكامه، وهجر معانيه ، فقال تعالى على لسان رسول الله ﷺ : (يا رب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجوراً) الفرقان:٣٠، وهو من الهجر بمعنى البعد والترك، أو أنهم قالوا فيه غير الحق، من أنه سحر وشعر، أو أن المشركين أعرضوا عنه، ولم يسمعوا له وكذبوا رسوله.

ونقل القرطبي حديثاً ضعيفاً رواه الثعالبي عن أنس رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ : «من تعلَّم القرآن وعلَّق مصحفاً لم يتعاهده، ولم ينظر فيه، جاء يوم القيام متعلقاً به، يقول: يا رب العالمين، إن عبدك هذا اتخذني مهجوراً، فاقض بيني وبينه)(٩).

ويؤيد هذا المعنى أحاديث كثيرة وصحيحة تبين أن القرآن يأتي شفيعاً لأهله عندما يعملون به، ويتعهدونه بالتلاوة والتطبيق، ويكون حجة عليهم وخصماً لهم عند تركه والإعراض عنه.

وإن هذه الشكوى من هجر القرآن عامة في المشركين والمسلمين المقصرين والعاصين، وتشمل جميع المعرضين عن الإيمان بالقرآن الكريم، والعمل به، والتمسك بأحكامه وآدابه، وتدل على التحذير من هجر المصحف، وتفيد الحث على تعاهده بالقراءة والتلاوة والتطبيق.

قال ابن القيم رحمه الله في هذه الآية: «هجر القرآن أنواع، أحدها: هجر سماعه والإيمان به، والإصغاء إليه، الثاني: هجر العمل به والوقوف عند حلاله وحرامه، وإن قرأه وآمن به، والثالث: هجر تحكيمه والتحاكم إليه في أصول الدين وفروعه، واعتقاد أنه لا يفيد اليقين، وأن أدلته لفظية لا تحصل العلم، والرابع: هجر تدبره وتفهمه ومعرفة ما أراد المتكلم به منه، والخامس: هجر الاستشفاء والتداوي به في جميع أمراض القلوب وأدوائها، فيطلب شفاء دائه من غيره، ويهجر التداوي به، وكل هذا داخل في الآية، وإن كان بعض الهجر أهون من بعض»(١٠).

وهكذا يظهر أن العروبة امتزجت بالإسلام، فصارا شيئاً واحداً، وصنوين لا ينفكان، وأصبح الإسلام في صميم العروبة، وجزءاً لا يتجزأ من كيانها ووجودها، وصار من أهم مقومات العروبة اللسان العربي والدين الإسلامي، لأن القرآن نزل بلسان عربي مبين، وأضحت العربية لغة عالمية من جهة، ولغة الحضارة والعلم بجميع فنونه من جهة أخرى، واقترن حب الإسلام مع حب العربية، وتزامن الدفاع عن العروبة والعربية مع الإسلام، كما تلازم الهجوم على العرب والعروبة مع الإسلام وبالعكس.

وإن الأمل معقود اليوم، وفي المستقبل، على تفاعل العروبة مع الإسلام لتحقيق النهضة المنشودة، والآمال الكبيرة، والوعد الإلهي لهذه الأمة بالتمكين في الأرض والقوة والسيادة، والتحرر والنصر، والعزة والكرامة، والرقي والتقدم، وإزالة الرقاد الطويل على العقول، وإزاحة الركام الكثيف في الطريق، والعودة إلى التشريع السماوي، وتصحيح المفاهيم، والسير على صراط الله المستقيم، الذي حدده القرآن العظيم في قوله تعالى: (قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين) يوسف:١٠٨.

كما أن الأمل معقود اليوم، وفي المستقبل على الأمة العربية لتتبوأ مكانها اللائق ومجدها الأثيل تحت الشمس، وهي تمتاز بأربع صفات أساسية وهي:

١ - التحدث باللغة العربية التي أصبحت لغة عالمية من جديد، ودخلت في أروقة الأمم المتحدة، والمنظمات الدولية، والعلوم العصرية، وتنتشر في أصقاع العالم الإسلامي.

٢ - التدين بالإسلام ديناً سماوياً وعالمياً وعلمياً، عقيدة وشريعة، ونظاماً وأخلاقاً تربيةً وسلوكاً وفكراً، وهو ما يمثل الرباط الروحي بين العرب وجميع المسلمين في أرجاء المعمورة.

٣ - الاعتماد على التراث الحضاري المشترك الذي خلفه الأجداد من جميع الشعوب والأقطار وطوال أربعة عشر قرناً، ورواه السلف بدمه وقلمه، ودمعه وعرقه، ورفع مشعل النور للبشرية، وانتقل إلى أوروبا فكان أحد العوامل في نهضتها الحديثة.

٤ - موقعها الجغرافي، وثرواتها الطبيعية وقدرتها البشرية، وخيراتها المتكاملة وإمكاناتها السياسية.

وتؤكد المعطيات التاريخية الارتباط الوثيق لوجود العرب قديماً وحديثاً ومستقبلاً بالإسلام قوة وضعفاً، وازدهاراً وخمولاً، فكراً وحضارة، مع بقاء سر الإسلام وعظمته ومقوماته وخصائصه، ليغذي العرب بالترياق الشافي، والمحرك الدائم، والمذكر الناصح، كلما نزل بهم مكروه، أو جنح بهم زيغ، ليوقظ رقدتهم، ويحرك عواطفهم، ويثير فيهم النخوة، ويدفعهم للنهوض والتحرر والارتقاء، ويرفع عنهم الظلم والاستبداد، ويصون لغتهم.

وتحمل العرب بالمقابل، وبسبب هذا الدين الذي ارتضوه، والعقيدة التي حملوها، والرسالة التي نادوا بها، الشيء الكثير، وصار التآمر على العرب واضحاً بسبب الدين والإسلام والقرآن، وأضحى الهدف من القضاء على العرب هو القضاء على الإسلام، لأن المستعمرين والأعداء أدركوا أن قوة العرب تكمن في العناصر السابقة، وأهمها الإسلام.

نسأل الله تعالى أن يردنا إلى ديننا رداً جميلاً، وأن يرزقنا الثبات عليه، والعمل بأحكامه، والفهم الدقيق لآياته، والنصر تحت رايته، والعزة في عقيدته، والحمد لله رب العالمين. ■

الهوامش:

١ - تفسير الطبري ٧٦/٢٥ - ٧٧.

٢ - التسهيل في علوم التنزيل، لابن جزيء ٥٢/٤.

٣ - تفسير القرطبي ٩٣/١٦.

٤ - هذا الحديث رواه الترمذي «تحفة الأحوذي ٧٤/١٠) والإمام أحمد (١٠٧/٤) وانظر: المنتخب من السنة ٥١/١.

٥ - هذا الحديث رواه مسلم (صحيح مسلم بشرح النووي ٣٦/١٥).

٦ - هذا الحديث رواه أبو يعلى عن جابر رضي الله عنه (كشف الخفا ٩٢/١).

٧ - تفسير القرطبي ٩٤/١٦.

٨ - تفسير القرطبي ٩٤/١٦، التسهيل ٥٢/٤، تفسير الطبري ٧٧/٢٥.

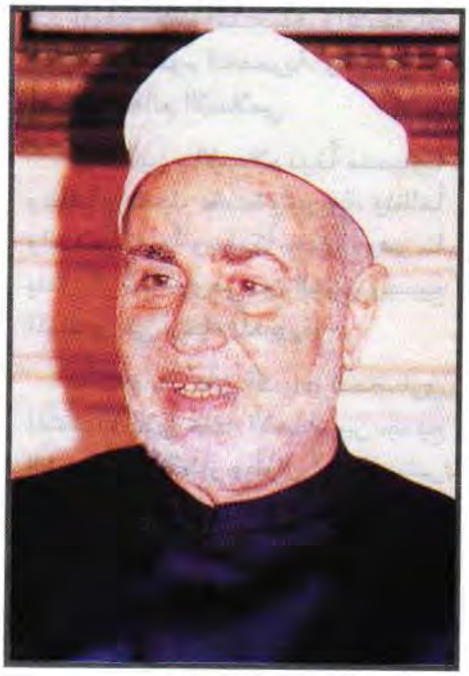
٩ - تفسير القرطبي ٢٧/١٣، وانظر: تفسير الطبري ٩/١٩، التسهيل ١٦٧/٣، تفسير القاسمي ٤٥٧٥/١٢.

١٠ - الفوائد، لابن القيم ص ١٥٦.

دراسات قرآنية

نظرات في كتاب الله - تعالى - 7/1

تفسير سورة «الفتح»



بقلم : فضيلة الدكتور
محمد سيد طنطاوي - شيخ الأزهر

قال الله تعالى :

(إنا فتحنا لك فتحاً مبينا. ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتمَّ نعمته عليك ويهديك صراطاً مستقيما. وينصرك الله نصراً عزيزاً) الفتح : ١ - ٣.

١ - سورة «الفتح» من السور المدنية - أي من السور التي كان نزولها بعد الهجرة -، وعدد آياتها: تسع وعشرون آية، وكان نزولها في أعقاب صلح الحديبية.

قال الإمام ابن كثير - رحمه الله -: «نزلت سورة «الفتح» حين رجع رسول الله ﷺ - من الحديبية، في شهر ذي القعدة من السنة السادسة للهجرة، بعد أن صده المشركون عن الوصول إلى المسجد الحرام، ليقضي عمرته فيه، وحالوا بينه وبين ذلك، ثم مالوا إلى المصالحة والمهادنة، وأن يرجع عامه هذا، ثم يأتي من قابل، فأجابهم إلى ذلك على تكرّه من جماعة من الصحابة»(١).

٢ - والمتدبر للقرآن الكريم، يرى أن كثيراً من آياته وسوره، قد نزلت في أعقاب بعض الغزوات، ليتعلم المسلمون من تلك الآيات والسور، ما ينفعهم ويصلح من شأنهم.

فمثلاً في أعقاب غزوة «بدر» نزلت سورة الأنفال التي سماها ابن عباس سورة بدر.

وفي أعقاب غزوة «أحد» نزلت عشرات الآيات من سورة آل عمران، لتتحدث عن الدروس المستفادة من هذه الغزوة، وفي أعقاب غزوة «بني النضير» نزلت آيات عدة من سورة الحشر.

وفي أعقاب غزوة «الأحزاب» نزلت آيات طويلة من سورة الأحزاب، صورت أحوال المؤمنين وأحوال أعدائهم في هذه الغزوة.

وفي أعقاب الحديبية، نزلت هذه السورة الكريمة، وهي سورة «الفتح» التي حكت لنا الكثير من الوقائع والمحاورات التي تتعلق بهذا الصلح.

٣ - وقبل أن نبدأ في تفسير هذه السورة تفسيراً محرراً، نرى من الخير أن نعطي القارئ الكريم فكرة مختصرة عن صلح الحديبية، هذا الصلح الذي نزلت في أعقابه هذه السورة فنقول:

رأى النبي - ﷺ - في منامه أنه قد دخل المسجد الحرام هو وأصحابه، وقد صرحت سورة الفتح بذلك في قوله تعالى : (لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلقين رؤوسكم ومقصرين لا تخافون...) الفتح: ٢٧.

فقص النبي - ﷺ - هذه الرؤيا على أصحابه ففرحوا بها، وكان المشركون قد منعوهم من دخول مكة، ومن الطواف بالمسجد الحرام.

وخرج - ﷺ - ومعه نحو أربعمئة وألف من أصحابه، ليس معهم من السلاح سوى السيوف في أغمادها، وساقوا معهم الهدي الذي يتقربون بذبحه إلى الله - تعالى -، ليكون دليلاً على أنهم لا يريدون حرب قريش، وإنما يريدون الطواف بالبيت الحرام.

وسار - ﷺ - من المدينة إلى مكة، فلما وصل إلى مكان يُقال له «عُسْفَان» بين مكة والمدينة، جاءه من يقول له: «إن قريشاً حين سمعت بمسيرك إلى مكة، قد استعدوا لقتالك، وقد تعاهدوا فيما بينهم على منعك أنت وأصحابك من دخولها.



فقال - ﷺ - : يا ويح قريش!! لقد أكلتهم الحرب، فماذا عليهم لو خلوا بيني وبين سائر العرب، فإن أصابوني كان ذلك الذي أرادوا، وإن أظهرني الله عليهم، دخلوا في الإسلام وافرين، وإن لم يفعلوا قاتلوا وبهم قوة، فما تظن قريش؟ فوالله لا أزال أجاهدهم حتى يظهر الله تعالى دينه...».

ثم قال - ﷺ -: من رجل يخرج بنا على طريق غير طريقهم التي هم بها؟ فقال رجل من قبيلة أسلم: أنا يا رسول الله، ثم سلك بالمسلمين طريقاً وعراً، انتهى بهم إلى «الحديبية» وهي قرية على بعد مرحلة من مكة، أو هي بئر سمي المكان به باسمها.

وفي هذا المكان بركت القصواء، وهي الناقة التي كان يركبها النبي - ﷺ - فقال الناس: خلأت الناقة - أي: امتنعت عن المشي -، فقال رسول الله ﷺ : ما خلأت القصواء وما هو لها بخلق، ولكن حبسها حابس الفيل عن مكة، والله لا تدعوني قريش إلى خطة يسألونني فيها صلة الرحم إلا أعطيتهم إياها، ثم أمر - ﷺ - الناس بالنزول في هذا المكان.

٤ - وعلمت قريش بنزول الرسول - ﷺ - وأصحابه بالحديبية، فبدأوا يرسلون رسلهم لمعرفة الأسباب التي حملت المسلمين إلى المجيء إليهم، وكان من بين الرسل الذين أرسلتهم قريش بُدَيل بن ورقاء الخزاعي، فلما سأل الرسول - ﷺ - عن سبب مجيئه إلى مكة أخبره أنه لم يأتِ ليريد حرباً، وإنما جاء زائراً للبيت الحرام، ومعظماً لحرمته.

وعاد بُديل إلى مكة، وأخبر المشركين بما قاله الرسول - ﷺ - ولكنهم لم يقتنعوا، وقالوا: والله لا يدخلها علينا عنوة أبداً.

ثم أرسلت قريش رسلاً آخرين إلى النبي - ﷺ - كان من بينهم عروة بن مسعود الثقفي، فأخبره الرسول - ﷺ - أنه لا يريد حرب قريش وإنما يريد العمرة.

وعاد عروة إلى قريش ليقول لها: يا معشر قريش، إني قد جئت كسرى في ملكه، والنجاشي في ملكه، وإني والله ما رأيت ملكاً قط مثل محمد في أصحابه، ولقد رأيت قوماً لا يسلمونه أبداً، وإنه قد أخبرني أنه ما جاء لمحاربتكم، وإنما جاء معتمراً... ومع ذلك فقد صمم المشركون من أهل مكة، على عدم دخول الرسول - ﷺ - وأصحابه عليهم في مكة.

٥ - ثم أرسل النبي - ﷺ - عثمان بن عفان إلى مشركي مكة، لكي يخبرهم بأن المسلمين ما جاؤوا للحرب، وإنما جاؤوا للطواف بالبيت الحرام، وذهب إليهم عثمان وأخبرهم بذلك، ولكنهم صمموا على منع المسلمين من دخول مكة، وقالوا لعثمان رضي الله عنه - إن شئت أنت أن تطوف بالبيت الحرام فافعل، فإننا قد أذنّا لك في ذلك، فقال لهم: معاذ الله أن أطوف أنا حتى يطوف رسول الله - ﷺ - وطال مكث عثمان - رضي الله عنه - في مكة، حتى أشيع بين المسلمين أنه قد قتله المشركون، فقال ﷺ حين أشيع ذلك: والله لا نبرح حتى نناجز القوم إن كانوا قد قتلوا عثمان»، ودعا المسلمين إلى مبايعته على الموت، فبايعه المسلمون على ذلك تحت شجرة الرضوان.

٦ - وأخيراً أرسلت قريش إلى النبي ﷺ - رجلاً منهم اسمه سهيل بن عمرو، ليعقد صلحاً جامعاً مع المسلمين، وبين محاورات بين سهيل وبين النبي ﷺ - تم الصلح على ما يلي:

أ - أن يرجع المسلمون دون زيارة البيت الحرام هذا العام، فإذا كان العام القابل، أخلت قريش لهم مكة ثلاثة أيام، ليطوفوا

بالبيت، وليس معهم سوى السيوف في غمدها.

ب - أن تضع الحرب أوزارها بين الفريقين لمدة عشر سنوات.

ج - من أتى الرسول - ﷺ - من قريش مسلماً بغير إذن وليه رده إليهم، ومن أتى قريشاً من المسلمين لم يردوه.

د - من أحب أن يدخل في عقد مع الرسول - ﷺ - فله ما أراد، ومن أحب أن يدخل في عهد قريش فله ذلك، فدخلت قبيلة خزاعة في عقد مع الرسول - ﷺ - ودخلت قبيلة بكر في عهد قريش.

ولقد تردد بعض المسلمين في قبول الرسول - ﷺ - لهذه الشروط، التي ظاهرها الظلم بالنسبة للمسلمين، حتى قال عمر - رضي الله عنه - للرسول - ﷺ -: يا رسول الله، ألسنا على الحق وعدونا على الباطل؟ فقال رسول الله - ﷺ -: «إني رسول الله ولست أعصيه وهو ناصري».

ثم أشار - ﷺ - إلى المسلمين أن يتحللوا من عمرتهم، بأن ينحروا هديهم، وأن يحلقوا رؤوسهم وأن يقصروا، ولكنهم لم يسارعوا بالامتثال، فدخل - ﷺ - على زوجته السيدة أم سلمة، وقد ظهر الغضب على وجهه، فقالت له يا رسول الله: اعذرهم، وابدأ بما تأمرهم به دون أن تكلم منهم أحداً، فقام رسول الله - ﷺ - فنحر هديه، ودعا حالقه فحلق له، فلما رأى المسلمون ذلك منه - ﷺ- قاموا ففعلوا كما فعل.

وبعد أن أقام المسلمون بالحديبية أياما عدة، قفلوا راجعين إلى المدينة، وعندها سمع رسول الله - ﷺ - بعضهم وهو يقول: رجعنا دون أن نفعل شيئاً، فردّ عليه بقوله: «بل فتحتم أعظم الفتح».

وصدق رسول الله - ﷺ - فقد كان صلح الحديبية فتحاً عظيماً، كما نرى ذلك عند تفسيرنا لهذه السورة الكريمة.

٧ - ومن الأدلة على أن هذا الصلح كان شيئاً عظيماً بالنسبة للمسلمين، افتتحاها بهذه البشارات السامية، وبتلك المدائح العالية، التي فيها ما فيها من الثناء على النبي - ﷺ - حيث قال سبحانه: (إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً).

والفتح في اللغة معناه: إزالة الأغلاق عن الشيء، وفتح البلد معناه: الظفر به ووقوعه تحت سيطرة الفاتح، والمراد بالفتح هنا: صلح الحديبية وما ترتب عليه من خيرات كثيرة، ومنافع جمة للمسلمين.

ويشهد لذلك أحاديث متعددة، منها: ما جاء في صحيح البخاري عن ابن مسعود - رضي الله عنه - قال: أقبلنا من صلح الحديبية مع رسول الله - ﷺ - فبينما نحن نسير إلى المدينة، إذ أتاه الوحي، فلما سرى عنه، أخبرنا أنه أنزل عليه: (إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً).

وروى أبو داود في سننه، عن مجمع بن جارية الأوسي قال: شهدنا الحديبية، فلما انصرفنا منها، وجدنا رسول الله - ﷺ - واقفاً عند كراع الغميم - وهو موضع بين مكة والمدينة - وقد جمع الناس وقرأ عليهم: (إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً)، فقال رجل يا رسول الله، أوَ فتح هو؟ فقال: «والذي نفسي بيده إنه لفتح»(٢).

ويرى بعضهم أن المراد بالفتح هنا: فتح مكة، والتعبير عنه بالماضي في قوله: (إنا فتحنا...) لتحقق الوقوع، والذي نرجحه هو الرأي الأول، وهو أن المقصود بالفتح هنا: صلح الحديبية لوجود الآثار الصحيحة التي تشهد بذلك، ولأن هذا الصلح قد ترتب عليه من المنافع بالنسبة للدعوة الإسلامية، ما يجعله من أعظم الفتوح إن لم يكن أعظمها.

لقد ترتب عليه أن انتشر الأمان بين المسلمين والمشركين، فاستطاع المسلمون أن ينشروا دعوة الحق في مكة وفي غيرها، كما استطاعوا أن يتنقلوا من مكان إلى آخر للتبشير بيدنهم، فترتب على ذلك دخول عدد كبير من الناس في الإسلام.

قال الزهري: «لم يكن فتح أعظم من صلح الحديبية، وذلك أن المشركين اختلطوا بالمسلمين فسمعوا كلامهم، وتمكّن الإسلام من قلوبهم، وأسلم خلق كثير، وكثر بهم سواد الإسلام».

وقد أكد - سبحانه - هذا الفتح بثلاثة أنواع من المؤكدات، وهي «إن» والمصدر «فتحا» والوصف «مبيناً»، وذلك للمسارعة إلى تبشير المؤمنين بتحقق هذا الفتح، ولإدخال السرور على قلوبهم، بعد تلك الشروط التي اشتمل عليها صلح الحديبية، والتي ظنَّ بعضهم فيها إجحافاً بالمسلمين.

٨ - ثم ذكر - سبحانه - بعض مظاهر فضله وتكريمه لنبيه - ﷺ - فقال: «ليغفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطاً مستقيماً. وينصرك الله نصراً عزيزاً).

والمراد بما تقدم من ذنبه - ﷺ - ما كان قبل النبوة، والمراد بما تأخر منه: ما كان بعد النبوة.

والمقصود بالذنب هنا بالنسبة له - ﷺ - ما كان خلاف الأولى، فهو ما باب حسنات الأبرار سيئات المقربين، والمعنى: إنا أعطيناك - يا محمد - هذا الفتح العظيم، وجعلنا معه مغفرة ما كان خلاف الأوْلى من أعمالك، ويسرناه لك لكي نتم نعمتنا عليك بإظهار دعوتك، ولكن نهديك ونرشدك إلى الطريق القويم، ولكي ينصرك على أعدائك نصراً قوياً منيعاً لا يغلبه غالب، ولا يدفعه دافع، لأنه من خالقك الذي لا رادَّ لقضائه، ولا معقب لحكمه.

هذا، والمتأمل في هذه الآيات الكريمة، يرى أن الله عزَّ وجلَّ، قد أكرم نبيه - ﷺ - إكراماً لا يدانيه إكرام، ومنحه من الخير والفضل ما لم يمنحه لأحد سواه - ﷺ.

نسأل الله - تعالى أن يجعلنا جيمعاً ممن رضي الله عنهم، ورضوا عنه، إنه على ما يشاء قدير، نعم المولى ونعم النصير.

المراجع:

١ - تفسير ابن كثير ج٧ ص٣٠٧.

٢ - تفسير ابن كثير ج٧ ص ٢٠٧ وتفسير الألوسي ج٢٦، ص ٨٣.

بقلم : أحمد محمد سالم

أثر النزعة العلمية على الإيمان بالمعجزات الحسية

في أواخر القرن التاسع عشر، وأوائل القرن العشرين، ازداد المد العلمي، والعلماني على العالم الإسلامي، وكان ذلك مصاحباً للمد الاستعماري الأوروبي، ومع هذا المد بدأ المستشرقون والعلمانيون يتهمون الإسلام بأنه دين الغيبيات، ودين يبرر المعجزات والأساطير، ولقد تصدى لهؤلاء المستشرقين العديد من علماء الدين المسلمين من أمثال محمد عبده، ورشيد رضا، ومحمد فريد وجدي... إلخ.

ولقد كان للمد العلمي أثره على محاولات تقديم تفسيرات علمية مختلفة لآيات القرآن الكريم... ولقد أخذ البعض بهذا التفسير العلمي للقرآن الكريم، وانتقد البعض هذا التفسير ورفضه... ولكن بجانب هذا كانت هناك مشكلة في غاية الأهمية والخطورة، وهي هل تتفق مسألة الإيمان بالمعجزات الحسية - «مثل انشقاق القمر - ونبع الماء من بين أصابعه ﷺ - والإسراء والمعراج - ...إلخ»، مع النظرة العلمية المعاصرة التي تقف عند حدود المادي والمحسوس؟ وفي الإجابة على هذا السؤال، اختلفت الآراء، وتعددت المداخل. فهناك اتجاه قال إن عصر المعجزات قد انتهى، وصمت كلية عن الحديث حول المعجزات الحسية، وقال إن المعجزات الخالدة للرسول ﷺ هي القرآن، وفي هذا الاتجاه نجد محمد عبده، ومحمد رشيد رضا، وعبدالعزيز جاويش... وهناك اتجاه ثان لم يقف عند حدود التأكيد على أن القرآن هو المعجزة الكبرى والخالدة للرسول، بل شكك في المعجزات الحسية، وفي هذا الاتجاه نجد الدكتور محمد حسين هيكل، وثمة اتجاه ثالث أكد أن العلم نفسه يقر المعجزات الحسية، كما حاول البعض في هذا الاتجاه أن يقدم تفسيراً علمياً للمعجزات الحسية، ويمكن مناقشة آراء هذه الاتجاهات بالتفصيل.

ففي الاتجاه الأول نجد الشيخ محمد عبده، الذي كان له الكثير من المجادلات والمداخلات مع المستشرقين أمثال المستشرق الفرنسي هانوتو، وكذا فقد جادل الشيخ محمد عبده بعض العلمانيين مثل فرح أنطوان، وكان هؤلاء في حوارهم مع الشيخ يتهمون الإسلام بأنه دين الأساطير والمعجزات، وكان الشيخ محمد عبده يؤكد لهم، أن الإسلام دين العلم، والعقل، وأنه لا يتعارض مع العلم الحديث، ولهذا فقد ذهب إلى أن القرآن هو المعجزة العظمى للرسول فيقول: «ثبت بهذه المعجزة العظمى، وقام الدليل بهذا الكتاب الباقي لا يعرض عليه التغيير، ولا يتناوله التبديل، أن نبينا محمداً ﷺ إلى خلقه، فيجب التصديق برسالته، والاعتقاد بجميع ما ورد في الكتاب المنزل عليه، والأخذ بكل ما ثبت عنه من هدي وسنة متبعة»(١)، وإذا كان الإمام محمد عبده قد ركّز على قيمة القرآن وكونه المعجزة العظمى للرسول فقد سكت عن بقية المعجزات الحسية للرسول، ومن الممكن أن يفسر صمت الشيخ محمد عبده عن المعجزات الحسية، بأنه كان يخشى من اتهام المستشرقين والعلمانيين للإسلام بأنه دين الأساطير والخرافات، وقد يفسر هذا الموقف أيضاً بأنه إيثار للعقل، وهذا ما دعا أحد الباحثين المعاصرين إلى القول إن «إيثار محمد عبده العقل قد أدى إلى تشككه في ما ورد بصدد معجزات النبي فمعجزته الوحيدة هي القرآن»(٢).

وإذا كان الشيخ محمد عبده قد صمت عن مسألة المعجزات الحية صمتاً مريباً فإن الشيخ محمد رشيد رضا - أحد تلاميذه - يؤكد أن نبوة محمد ﷺ قامت على أسس عقلية وعلمية، لأن معجزتها العظمى هي القرآن، فيقول: «نبوة محمد ﷺ قد ثبتت بنفسها، أي بالبرهان العلمي العقلي الذي لا ريب فيه، لا بالآيات والعجائب الكونية، وأن هذا البرهان قائم ماثل للعقول والحواس في كل زمان، وهو القرآن»(٣)، ومن جانب آخر يذهب رشيد رضا بأن زمن المعجزات قد انتهى، ولأن نبوة محمد ﷺ كانت خاتم النبوات، لذا فقد وهبه الله بآية عامة لجميع البشر وهي القرآن، فيقول: «كان من حكمته أن أيد بعض النبيين المرسلين بشيء منها لإقامة حجتهم، وتخويف المعاندين لهم، وقد انقطعت هذه الآيات ببعثة خاتمهم محمد ﷺ، وسبب ذلك أو حكمته ختم النبوة برسالته وجعل ما أوحاه إليه آية دائمة، وهداية عامة لجميع البشر مدة بقائهم في هذه الدنيا... لعلمه تعالى بأنهم لا يحتاجون بعد هذا الوحي إلى وحي آخر، ولا آية على كونه من عند الله تعالى إلا هذا القرآن نفسه وهذا الكتاب في جملته، وتفصيله مشتمل على كثير من الدلائل العقلية والعلمية على

كونه من عند الله(٤) ومن الواضح أن تركيز محمد رشيد رضا وأستاذه محمد عبده على القرآن كمعجزة عظمى للرسول، إنما حدث بسبب الجدل الواسع بين المستشرقين والعلمانيين من جانب، وعلماء الإسلام من جانب آخر، وكان علماء الإسلام يؤكدون دائماً أن الإسلام هو دين العقل والعلم، وهنا نجد الشيخ رشيد رضا يقول: «إن الدين الوحيد الذي يمكن أن يعقله العلماء المستقلون في الفهم والرأي، ويبنون عليه حكمهم هو الإسلام»(٥).

وعلى الدرب نفسه سار الشيخ عبدالعزيز جاويش، فيرى أن الإسلام دين العقل والنظر، لا دين ما وراء العقل، وخوارق العادات فيقول «الإسلام فيما يصوره القرآن الحكيم قد امتاز عن غيره من الأديان الأخرى بأنه دين اليقين والنظر لا دين خوارق العادات، وما وراء العقل»(٦)، ولكننا نرد على كلام الشيخ جاويش بأن القرآن نفسه قد أبلغنا عن معجزة الإسراء والمعراج، ومعجزة انشقاق القمر، أوَ ليس هذه المعجزات مما يتجاوز العقل الإنساني، وأنها خوارق للعادات.

وعلى الرغم من أن القرآن نفسه قد جاء فيه ذكر لبعض المعجزات الحسية للرسول، إلا أن الشيخ جاويش يقول: «رأى القرآن أنه لو كانت المعجزات الخارقة للعادة كافية مقنعة لما كذب بها الأولون، إذ ألحوا في طلبها، وأجيبوا بها، فرأتها أبصارهم رأي العين، ولكن عدم وجود صلة عقلية بين تلك الآيات، وبين ما أريدت له من إثبات رسالات كان من نتائجه القريبة أنه لا تكاد تنزل الآيات لطلابها حتى سارع إلى نفوسهم الشك فيما بعد الإصرار على طلبها واللجاج في استنزالها، فمنهم من يراها من أنواع السحر، ومنهم من يكذب بها بغياً وعدواناً(٧) وهنا نلاحظ إصرار الشيخ جاويش على عدم قدرة المعجزات الحسية على إثبات نبوة الأنبياء السابقين على محمد ﷺ ، ونحن نتساءل أوَ ليست معجزة عيسى الطبية هي دليل نبوته، ودليل صدقه، وقد جاء ذكرها في القرآن؟ أوَ ليست عصا موسى التي أوقفت عمل السحرة هي دليل بارز على نبوته، وقد أدت إلى إيمان السحرة برب موسى ، وقد ورد ذكرها في القرآن أيضاً؟!

وفي الاتجاه الثاني، كان لتأثير النزعة العلمية على الإيمان بالمعجزات الحسية، نتائج وخيمة، فنجد أن الدكتور محمد حسين هيكل يقرر أولاً أن معجزة محمد ﷺ هي القرآن، فيقول: «لما كان محمد ﷺ هو خاتم الأنبياء والمرسلين، وهو مع ذلك أول رسول بعثه الله للناس كافة، ولم يبعثه إلى قومه وحدهم ليبين لهم لذلك أراد الله أن تكون معجزة محمد ﷺ معجزة إنسانية عقلية لا يستطيع الإنسان والجن الإتيان بمثلها، ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً، هذه المعجزة هي القرآن، وهي أكبر المعجزات التي أذن الله بها»(٨).

وإذا كان محمد حسين هيكل يقرّ القرآن كمعجزة لنبوة محمد ﷺ ، فإنه يشكك في بقية المعجزات الحسية عن طريق التشكيك في كتب السير والأحاديث التي رود فيها هذه المعجزات فيقول إن رواة السير ذكروها لأنها تناسب إيمان المتقدمين إلا أن ذكر هذه المعجزات الآن يسير الشبه ويعرض الإسلام للهجوم فيقول في أحد نصوصه: «أغلب ظني أن الذين كتبوا السير كانوا يؤثرون هذا الرأي لولا أحوال العصر أيام المتقدمين، ولولا أن ظن المتأخرون في ذكر ما لم يرد به القرآن من خوارق ومعجزات، ما يزيد الناس إيماناً على إيمانهم، لذلك حسبوا أن ذكر هذه المعجزات ينفع ولا يضر، ولو أنهم عاشوا إلى زماننا هذا، ورأوا كيف اتخذ خصوم الإسلام ما ذكروه منها حجة على الإسلام، وعلى أهله لالتزموا ما جاء به القرآن... ولو أنهم عاشو زماننا هذا، ورأوا كيف تزيغ هذه الروايات قلوباً وعقائد بدلاً من أن تزيدها إيماناً وتثبيتاً لكفاهم ذكر ما في كتاب الله من آيات بينات، وحجج دامغة(٩)، ومن ثم نرى أن د. هيكل قد شكك في كتب السير والأحاديث التي وردت فيها هذه المعجزات الحسية.

وينتقد الشيخ مصطفى صبري موقف محمد حسين هيكل من المعجزات الحسية، فيقول: «إن السبب الأصلي عند الدكتور هيكل وغيره في إنكار المعجزات غير القرآن كونها مخالفة للعالم المبني على سنة الكون، مما تجرؤ واعلى رمي كتب الحديث والسير جملة باختلاف الروايات، وكأنهم حاولوا قصر معجزات نبينا على القرآن الذي قالوا عنه إنه معجزة عقلية، وإنقاذ حياته ﷺ من شائبة المعجزات الكونية المخالفة للعلم، وسنة الكون فمخالفة هذا النوع من المعجزات عندهم لسنة الكون جرأتهم، وحملتهم على سوء الظن بكتب الحديث، وأمانة رواته»(١٠).

وإذا كان محمد حسين هيكل قد استطاع أن يشكك في كتب السير والحديث نتيجة تشكيكه في المعجزات الحسية، فإنه لا يستطيع أن ينكر معجزة الإسراء والمعراج، وهي معجزة حسية ذكرها القرآن، ولهذا فقد حاول هيكل أن يقدم تفسيراً علمياً لمسألة الإسراء والمعراج، فيقول إن الإسراء والمعراج كان بالروح فقط، وهذا أمر يقره العلم، فيقول في أحد نصوصه «فالعلم في عصرنا الحاضر يقر هذا الإسراء بالروح، ويقر المعراج بالروح (...) حيث في عصرنا هذا يقر العلم نظريات قراءة الأفكار، ومعرفة ما تنطوي عليه، كما يقر انتقال الأصوات عبر الأثير بالراديو، وانتقال الصور والمكتوبات كذلك، مما كان يعتبر فيما مضى بعض أفانين الخيال، وما تزال القوى الكمينة في الكمون تنكشف لعلمنا كل يوم عن جديد، فإذا بلغ روح من القوة، ومن السلطان ما بلغت نفس محمد ﷺ ، فأسرى به ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، ليريه من آياته كان ذلك مما يقره العلم (١١) وهنا نلاحظ حرص محمد حسين هيكل الشديد على الإقرار بأن العلم يقر معجزة الإسراء والمعراج، التي رود ذكرها في القرآن، حتى يقول بذلك أن ما جاء في القرآن لا يتعارض مع العقل والعلم.

وفي الاتجاه الثالث نجد القائلين: إن العلم نفسه يقر المعجزات الحسية، وأيضاً القائلين بالتفسير العلمي للمعجزات الحسية، فنجد أن عباس محمود العقاد يرى أن العلم المعاصر قد جاء باكتشافات لم نكن نتوقعها وكنا نعتقد فيما مضى أنها خيالات، ويرى أنه لا تعارض بين وجود المعجزات الحسية، وبين سنة الله في الكون، فيقول: «يؤمن المسلم العصري بالنواميس الكونية أشد من إيمان الدعاة إلى تقرير تلك النواميس باسم العلم العصري أو العلوم التجريبية لأن يؤمن بأن النواميس سنة الله في خلقه (فلن تجد لسنة الله تبديلاً) فاطر:٤٣، ولكنه يؤمن كذلك بإمكان المعجزة لأنها ليست بأعجب مما هو حادث شاهد أمام الأبصار والبصائر، وليست هي المحتاجة إلى قدرة أعظم من القدرة التي تشهد بدائعها ما يتكرر أمامنا كل يوم، وكل ساعة، وقد تسمى المعجزات في عرف المسلم بخوارق العادات، فلا يجوز لأحد أن ينكرها لأننا تعودنا فيما علمنا في هذا العصر على الأقل

أموراً كثيرة كانت في تقدير الأقدمين من خوارق العادات، وهي اليوم من الممكنات»(١٢)، ومن ثم فإن العقاد يؤكد أنه «لا استحالة في خوارق العادات - المعجزات الحسية - ومن قال باستحالتها لزمه الإثبات، لأنه يدعي الاستحالة عقلاً بغير دليل»(١٣).

وفي الاتجاه نفسه سار الدكتور محمد أحمد الغمراوي فقدم رؤيته الخاصة للمعجزات الحسية فقال: «ومن عجب أن يشك مسلم في المعجزات عامة، أو في معجزات النبي ﷺ خاصة، ظناً أن العلم الحديث أثبت استحالة المعجزات لأنها خرق للسنن الكونية، وأن خرق السنن الكونية مستحيل... ويذهب الغمراوي إلى أن استحالة خرق العلماء للسنن الكونية، وخرقها على يد الأنبياء هو ما يؤكد المعجزة ويميزها»، فيقول: «إن الذي ثبت هو استحالة خرق العلماء والبشرية كلها للسنن الكونية، أي أن الذي ثبت في العلم هو عجز العلماء والبشرية عن الإتيان بشيء من معجزات الأنبياء، وهذا هو بالضبط الشرط المميز للمعجزة، أن تكون مما يعجز عنه البشر، ولا يقدر عليه إلا الله»(١٤).

ويحاول الغمراوي أن يقدم بعض الأمثلة على إمكانات المعجزة فيقول: «إن معجزة انشقاق القمر بالذات ليست مستحيلة في العلم، وإن كان مستحيلاً أن يصنعها الإنسان، فالعلم قد شاهد انشقاق مذنب بروكس شقين سنة ١٨٨٩م، وكذلك انشقاق مذنب بيلا إلى جزءين سنة ١٨٤٦م، والفرق بين انشقاق القمر، وانشقاق هذين المذنبين أنهما لم يلتئما بعد الانشقاق، والقمر التأم، وهذا الفرق المنتظر بين الظاهرة الفلكية والمعجزة الفكلية عن يد الرسول ﷺ لأن المعجزة موقتة تزول بزوال وقتها، وتحقيق الغرض منها، ولو استمرت لكانت ظاهرة طبيعية صرفة، ولخرجت عن دائرة المعجزات.(١٥)

وفي هذا التيار يقدم المجدد الديني في تركيا الإمام سعيد النورسي رؤيته لموضوع المعجزات الحسية، وعلاقته بالعلم فيرى أن هذه المعجزات يجب أن تكون الحدود النهائية للعلم التي يسعى إلى تحقيقها فيقول: «إن القرآن الكريم بإيراد معجزات الأنبياء إنما يخط الحدود النهائية لأقصى ما يمكن أن يصل إليه الإنسان في مجال العلوم والصناعات، ويشير بها إلى أبعد نهاياتها وغاية ما يمكن أن تحققه البشرية من أهداف، فهو بهذا يعين أبعد الأهداف النهائية لها ويحددها، ومن بعد ذلك يحث البشرية ويحضها على بلوغ تلك الغاية ويسوقها إليها، إذ كما أن الماضي مستودع بذور المستقبل ومرآة تعكس شؤونه، فالمستقبل حصيلة بذور الماضي ومرآة آماله»(١٦).

ويمكن توضيح رؤية الإمام النورسي بمثال من الأمثلة الكثيرة التي ضربها لتصوره لعلاقة العلم بالمعجزات الحسية فيقول عن معجزات سيدنا عيسى، في قوله تعالى: (وأبرئ الأكمه والأبرص وأحيي الموتى بإذن الله) آل عمران:٤٩، فالقرآن الكريم إذ يحث البشرية صراحة على اتباع الأخلاق النبوية السامية التي يتحلى بها سيدنا عيسى عليه السلام، فهو يُرغب فيها، ويحض عليها رمزاً إلى النظر إلى ما بين يديه من مهنة مقدّسة، وطب رباني عظيم... فهذه الآية تشير إلى أنه يمكن أن يعثر على دواء يشفي أشد الأمراض المزمنة، والعلل المستعصية، فلا تيأس أيها الإنسان، ولا تقنط أيها المبتلى المصاب، فكل داء مهما كان له دواء، وعلاجه ممكن، فابحث عنه وجده، واكتشفه.(١٧)

يمكن التعقيب على ما سبق، بأننا لاحظنا مدى تأثير العلم المعاصر على قضية الإيمان بالمعجزات الحسية، كما هو واضح عند مدرسة محمد عبده... وكذلك أغلب المفكرين المسلمين المعاصرين... وهو ما أدى بالبعض إلى الإقرار بمعجزة القرآن كمعجز عظمى للرسول، والصمت عن بقية المعجزات الحسية، كما أدى الخوف من اتهام الإسلام بأنه دين الخرافات والأساطير إلى إنكار المعجزات الحسية، كما هو واضح عند الدكتور محمد حسين هيكل... في حين ذهب البعض الآخر إلى أن العلم المعاصر يقر المعجزات كما هو الحال عند العقاد والغمراوي والنورسي، كل هذا يؤكد مدى التأثير الذي أحدثه العلم في الإيمان بالمعجزات الحسية للرسل.

وينبغي أن ننبه أن في كل دين مساحة من المعتقدات يجب أن نسلم بها دون إقحام العقل في الإيمان بها ونقول إنه إذا كان الإسلام فيه جانب لا يخضع للعقل في حين أن أغلب معتقدات الإسلام يقبلها العقل، فإن المسيحية ديانة المستشرقين لا تخضع في جملتها للعقل، ومع هذا يؤمن بها هؤلاء المستشرقون الذين وضعهم علماء الإسلام في الاعتبار وناقشوا مسألة المعجزات الحسية... وهو ما أدى بهم إلى بعض التهافتات...

كما ينبغي الإقرار بأن الإيمان بالمعجزات الحسية هي جزء من الإقرار بنبوة محمد ﷺ، لأن هذه المعجزات قد أقرها القرآن الذي يؤمنون به للأنبياء السابقين على محمد ﷺ، كما وردت المعجزات الحسية لسيدنا محمد ﷺ في كتب الأحاديث وكتب السير. ■

الهوامش:

١ - محمد عبده - رسالة التوحيد - دار المعارف - مصر - ص١٣٤.
٢ - احمد صبحي - هاؤم اقرأوا كتابيه... محاولة لتجديد الفكر الإسلامي - دار النهضة العربية - ط١ ١٩٩٦م ص ٢٣.
٣ - محمد رشيد رضا - الوحي المحمدي - الزهراء للإعلام - القاهرة - ط٢ ١٩٨٨م ص٣٨.
٤ - محمد رشيد رضا - المرجع نفسه - ص١٥٠.
٥ - محمد رشيد رضا - المرجع نفسه ص ٣٨.
٦ - عبدالعزيز جاويش - الإسلام دين الفطرة والحرية - دار المعارف - مصر - ١٩٦٨م ص ١٥٠.
٧ - عبدالعزيز جاويش - المرجع نفسه - ص ١٤٧.
٨ - محمد حسين هيكل - حياة محمد - الهيئة المصرية العامة للكتاب - مصر - ١٩٩٧م - ص ١٥٩.
٩ - محمد حسين هيكل - المرجع نفسه - ص ٥٩.
١٠ - مصطفى صبري - موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين - مكتبة الإيمان - ط١ ١٩٥٠ ٤/١٦٥.
١١ - محمد حسين هيكل - المرجع السابق - ص١٦٦.
١٢ - عباس محمود العقاد - التفكير فريضة إسلامية - الهيئة المصرية العامة للكتاب - ١٩٩٨م - ص٨٧ - ٨٨.
١٣ - المرجع نفسه - ص٩٩.
١٤ - محمد أحمد الغمراوي - الإسلام في عصر العلم - دار الإنسان - القاهرة - ١٩٧١م - ص٩٩.
١٥ - محمد أحمد الغمراوي - المرجع نفسه - ص١٠٠.
١٦ - سعيد النورسي - الكلمات / الكلمة العشرون - دار سوزلر للطباعة والنشر - القاهرة - ط٢ - ١٩٩٢م - ص٢٧٨.
١٧ - سعيدالنورسي - المرجع نفسه - ص٢٨١.

بقلم : محمد باقر خان خاكوني

تقسيمات الخبر المتواتر بين الأصوليين والمحدثين

إذا كانت علوم الدين جديرة بالعناية والاهتمام، لأنها طريق السيادة وسبيل السعادة - فعلم أصول التشريع الإسلامي منها في الذورة، لأنه يسدد الباحث عن أحكام الشريعة، ويعينه على الوصول إلى الحقيقة.

وإذا كان علماء الإسلام جديرين بالتقدير والشكر، لما بذلوه من جهد في بيان المعارف الإسلامية، فإن من بواعث افتخارنا بهم سبقهم إلى وضع قواعد لاستنباط الأحكام عن النصوص التشريعية، مما لم يجارهم فيه أحد من أتباع الشرائع الأخرى، وإنما دعاهم إلى هذا ما امتاز به الإسلام من العناية بأمري الدين والدنيا والملائمة لكل زمان ومكان.

وإن الله تعالى ختم برسوله النبوة وكمل به الشريعة وجعل إليه بيان ما أخفاه من مجمل أو متشابه، وإظهار ما شرعه من أحكام ومصالح فقال تعالى: (وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نُزِّل إليهم)(١) وأوجب الرسول ﷺ على أمته أمرين أحدهما: طاعته في قبول قوله - والثاني: أن يبلغوا عنه ما أخبرهم به كما قال عليه الصلاة والسلام: «ليبلغ الشاهد منكم الغائب»(٢) فصار نقل الأخبار عنه واجباً على أهل كل عصر وقبولها واجباً في كل عصر - فلذلك صارت الأخبار عنه أصلاً من أصول الشرع - فأما نحن فلم يبلغنا قوله عليه الصلاة والسلام إلا على لسان المخبرين إما على سبيل التواتر وإما بطريق الآحاد.(٣)

والخبر المتواتر هو ما رواه في كل عصر منذ عصر الصحابة جمع تحيل العادة تواطؤهم على الكذب لكثرتهم وإذا كان الرواه لا تبلغ إلى حد التواتر، لا في عهد الصحابة ولا في عهد التابعين فهو خبر الآحاد.

والخبر المتواتر قطعي الثبوت عن النبي ﷺ فيفيد علماً يقينياً ويجب العلم به ويكفر جاحده(٤) لأن بمثل هذا الخبر عرفنا أن القرآن هو الذي أُوحي به إلى محمد ﷺ وبه علمنا عدد ركعات كل صلاة وعدد الصلوات ومقادير الزكاة وغير ذلك مما لم يبين في القرآن تفسيره.(٥)

وتعرض الأصوليون والمحدثون للحديث المتواتر وأقسامه بالذكر إلا أن المحدثين لا يذكرونه باسمه الخاص المشعر بمعناه الخاص بل قلدوا في هذا المجال الفقهاء وأهل الأصول كما قال ابن الصلاح: «ومن المشهور والمتواتر المعروف في الفقه وأصوله ولا يذكره المحدثون»(٦).

ولكن المحدثين بعد القرن الثامن وعلى رأسهم الحافظ ابن حجر العسقلاني يذكرون الخبر المتواتر في مؤلفاتهم بأسلوب خاص فيعرفونه، ويضعون له شروطاً ويقسمونه إلى أقسام أيضاً، ولعل ابن حجر أخذ هذا عن الأصوليين، لأننا نجد ذكر المتواتر في كتاب «الرامهر مزي» الحاكم والخطيب البغدادي، ولا نجد هذا الشرح عند «الميانجي» وقد سبق ذكر ابن الصلاح - ولكن بعد ابن حجر نجد تعريف المتواتر وشروطه، وحدوده وأقسامه في كل كتاب من كتب مصطلح الحديث - وهو موضوع مقالنا المتواضع وسنبين فيه إن شاء الله أقسام الخبر المتواتر عند الأصوليين المحدثين والله الموفق.

الخبر المتواتر وشروطه

اتفق الأصوليون والمحدثون على تعريف المتواتر بأنه خبر رواه كثير أو جماعة تحيل العادة تواطؤهم على الكذب(٧) واتفقوا على شروطه أيضاً كما قال ابن حجر العسقلاني: إذا جمع هذه الشروط الأربعة فهو المتواتر، وهذه الشروط هي:

١ - أن يكون الرواة جمعاً كثيراً يمتنع تواطؤهم على الكذب.

٢ - أن يكون الرواة في كل طبقة من طبقات الرواية بهذا الوصف.

٣ - أن يكون مستند علم الرواة مستفاداً عن طريق المشاهدة أو السماع.

٤ - وقوع الخبر منهم اتفاقاً من غير قصد.(٨)

إذا تحققت في أي خبر هذه الشروط فيصبح خبراً متواتراً ـ وهو مقطوع بصحة نسبتها إلى الرسول ﷺ ، دون أي شك فيكون دليلاً من أدلة الأحكام، ومصدراً تشريعياً لها، بلا خلاف بين المسلمين.(٩)وخبر المتواتر عند المحدثين مقبول ولا حاجة إلى البحث عن أحوال رواته.(١٠)

أنواع الخبر المتواتر :

ينقسم المتواتر عند الأصوليين والمحدثين إلى تقسيمات مختلفة ـ فبعضهم يقسمونه تقسيماً أساسياً، ثم يقسمونه بأقسام أخرى وبعضهم يقسمونه منذ البداية إلى أقسام كثيرة وسنبين شرح هذه التقسيمات:

أنواع المتواتر عند الأصوليين :

يقسم المتواتر عند الأصوليين إلى ثلاثة أقسام رئيسة، ثم ينقسم الواحد من هذه الثلاثة إلى قسمين ويوضح ذلك الرسم البياني التالي:



١ ـ متواتر قولي: وهو أقوال رسول الله ﷺ التي صدر عنه في مناسبات مختلفة أغراضها شتى، إذا توافرت فيه شروط الخبر المتواتر التي سبق بيانها وهو قسمان:

أ ـ المتواتر القولي اللفظي.

ب ـ المتواتر القولي المعنوي.

أ ـ المتواتر القولي اللفظي: وهو ما اشترك عدد في لفظ بيعنه، أو أن يقع المشترك بين ذلك العدد في اللفظ.(١١)

ثم هذا القسم ينقسم إلى ثلاثة أقسام كما قال ابن النجار:

واعلم أن التواتر يكون في القرآن وقد تقدم أن القراءات السبع متواترة وتقدم الخلاف في العشر ـ وأما الإجماع فالمتواتر فيه كثير.

وأما السنة فالمتواتر فيها قليل ـ حتى أن بعضهم نفاه إذا كان لفظياً، لكن الأكثر على أن الحديث «من كذب عليَّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار» من المتواتر اللفظي من السنة ـ وزاد بعضهم حديث ذكر حوض النبي ﷺ وهو: قول النبي ﷺ : «حوضي مسيرة شهر، ماؤه أبيض من اللبن، وريحه أطيب من المسك وكيزانه «مفردها كوز» كنجوم السماء من شرب منها فلا يظمأ أبداً ـ وقال أيضاً إني على الحوض حتى أنظر من يرد عليَّ منكم وسيؤخذ ناس من دوني» ـ الحديث(١٢)

قال البيهقي في كتاب: «البعث والنشور» وردت روايته عن أكثر من ثلاثين صحابياً وأفرده المقدسي بالجمع، قال القاضي عياش: وحديثه متواتر بالنقل.

وحديث الشفاعة وهو عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ : «يجمع الناس يوم القيامة فيقولون لو استشفعنا على ربنا حتى يريحنا عن مكاننا: فيأتون آدم فيقولون: أنت الذي خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه وأمر الملائكة فسجدوا لك فاشفع لنا عند ربنا، فيقول لست هنا لِمَ ويذكر خطيئته ويقول ائتوا نوحاً ... ائتوا محمداً ﷺ فقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فيأتوني، فأستأذن على ربي فإذا رأيته وقعت ساجداً فيدعني ما شاء الله ...» الحديث.(١٣)

قال القاضي عياض بلغ التواتر.(١٤) وذكر بعض الأصوليين أن المتواتر القولي اللفظي ستة وخمسون(١٥).

ب ـ المتواتر القولي المعنوي :

وهو ما تواتر المعنى المشترك فيه دون تواتر لفظه، أي ما تختلف ألفاظ الرواة فيه، ولكنها تشتمل على معنى واحد في جميع الروايات ـ ولا يلزم في هذا النوع أن يكون أصحاب كل رواية على حدة قد بلغوا حد التواتر، ولكن المعنى المشترك يشترط فيه بلوغ حد التواتر باعتبار مجموع روايات.(١٦)

وذلك إذا كثرت الأخبار في الوقائع واختلف فيها، ولكن كل واحد منها يشتمل على معنى مشترك بينهما بجهة التضمن أو الالتزام، حصل العلم بالقدر المشترك ولذا فيسمى هذا القسم عند بعض الأصوليين المتواتر على القدر المشترك.(١٧).

ومثاله كوقائع حاتم فيما يحكى من عطاياه من فرس أو إبل وعين وثوب ونحوها، فإنها تتضمن جوده فيعلم، وإن لم يعلم شيئاً من تلك القضايا بعينه ـ وكقضايا علي ـ رضي الله عنه ـ في حروبه، من أنه هزم في خيبر كذا، وفعل في أُحد كذا إلى غير ذلك ـ فإنه يدل بالالتزام على شجاعته، وقد تواتر ذلك منه وقائع أمير المؤمنين عمر ـ رضي الله عنه ـ في عدله وجلادته في الدين ووقائع أبي ذر ـ رضي الله عنه ـ في زهده إلى غير ذلك من أخبار الصحابة والتابعين وغيرهم وإن كان شيء عن تلك الجزئيات لم ينل درجة القطع.(١٨).

والأحاديث في هذا القسم كثيرة مثل حديث المسح على الخفين حيث إنه متواتر وهو: «عن المغيرة بن شعبة أن النبي ﷺ ذهب لحاجته في غزوة تبوك فذهبت معه بماء... فغسل يديه ومسح برأسه ومسح على الخفين»(١٩).

رواه سبعون صحابياً وقاله الحسن البصري، وقال الإمام الهمام أبو حنيفة: ما قلت بالمسح على الخف إلا أنه جاء مثل ضوء النهار وأخاف الكفر على من أنكره... وقد تواتر قوله ﷺ : «ويل للأعقاب من النار»(٢٠)، رواه اثنا عشر صحابياً مقطوعاً بعد التهم، أكثرهم من أصحاب بيعة الرضوان ـ وحديث «نحن معشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة».(٢١)

وقال ابن الجوزي تتبعت الأحاديث المتواترة فبلغت جملة، منها: حديث الشفاعة، وحديث الحساب وحديث النظر إلى الله تعالى في الآخرة، وحديث غسل الرجلين في الوضوء، وحديث عذاب قبر لم يرد الحصر فيه ـ فإن أعداد الركعات، وذهاب رسول الله ﷺ وأصحابه إلى بدر، وأُحد وسائر الغزوات، والأذان، والإقامة، والجماعة، وفضائل الخلفاء الراشدين، وفضل أصحاب بدر وأحاديث كثيرة بعمومه متواترة معنوية من غير ريبة.(٢٢)

متواتر فعلي :

وهو فعل النبي ﷺ أو عمله إذا نقله جماعة ويتوافر فيه بقية شروط المتواتر فمثاله حديث رفع اليدين في الدعاء متواترا لأنه رواه خمسون صحابياً وهو :

«عن أنس بن مالك قال ـ رفع رسول الله ﷺ يديه في الدعاء، حتى رأيت بياض إبطيه»(٢٣)، والأحاديث في هذا الباب كثيرة لا تحصر(٢٤).

المتواتر السكوتي:

هذا القسم عند الأحناف فقط وهو الخبر الذي رواه واحد امام الجماعة فقبلوه بحيث لم يعترضوا عليه والجماعة معروف فيها ذلك أنهم لا يسكتون على الكذب وقول الزور ويردونه على قائله.(٢٥)

فمثاله حديث الأعمال بالنيات وهو: «إنما الأعمال بالنية، وإنما لكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله...»(٢٦).

قد خطب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب على المنبر بحضرة كبار الصحابة وصغارهم ـ وسمعه جماعة من الصحابة والتابعين ولولا أنهم يعرفونه لأنكروه ـ ومما لا شك فيه أن الناس في ذلك الزمان لا يتحملون أخطاء الولاة ويسألونهم عن مصدر خبرهم ـ فسكوتهم دليل على أنهم قبلوا الخبر، لذا فيسمى هذا القسم المتواتر السكوتي قياساً على الإجماع الذي هو مقبول عند علماء الشريعة.(٢٧).

أنواع المتواتر عند المحدثين:

ذهب جمهور المحدثين إلى أن المتواتر ينقسم إلى قسمين: اللفظي والمعنوي ـ ولكن الشيخ أنور شاه الكشميري ذكر أربعة أقسام أخرى للمتواتر.

ولم يذكر ابن حجر أقسام المتواتر في كتابه، وكذا المحدثون من قبل، ولكن ذكر السيوطي أقسام المتواتر بهذا الطريق فقال:

«قد قسم أهل الأصول المتواتر إلى لفظي وهو ما تواتر لفظه، ومعنوي وهو أن ينقل جماعة يستحيل تواطؤهم على الكذب وقائع مختلفة تشترك في أمر»(٢٨).

فنخلص من كل هذا إلى أن المتواتر ينقسم عند المحدثين إلى قسمين:

المتواتر اللفظي: هو ما تواتر لفظه ومعناه.

المتواتر المعنوي: هو ما تواتر معناه دون لفظه.(٢٩)ونستنتج من كلام السيوطي أن هذين القسمين للمتواتر أيضاً تسربا من الفقهاء إلى المحدثين ولذا فلا نحتاج إلى شرحهما لأن شرح هذين القسمين سبق في أقسام المتواتر عند الأصوليين.

أقسام المتواتر عند الشيخ أنور شاه الكشميري :

يقسم الشيخ الكشميري المتواتر إلى أربعة أقسام:

١ ـ تواتر الإسناد.

٢ ـ تواتر الطبقة.

٣ ـ تواتر العمل أو تواتر التوارث.

٤ ـ تواتر القدر المشترك.

١ ـ تواتر الإسناد

وهو أن يروى الحديث من أول الإسناد إلى آخره جماعة يستحيل اجتماعهم على الكذب، وهذا تواتر المحدثين كحديث «من كذب عليَّ متعمداً ». رواه اثنان وستون من الصحابة، وقال غيره رواه أكثر من مئة نفس، وفيهم العشرة المبشرون بالجنة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين، وكذا أحاديث ختم النبوة قد جمعها بعض الأفاضل فبلغت أكثر من مئة وخمسين منها نحو ثلاثين من الصحاح الستة.

٢ ـ تواتر الطبقة:

كتواتر القرآن تواتر على البسيطة شرقاً وغرباً ـ درساً وتلاوة، حفظاً وقراءة وتلقاه الجمع الكثير عن الجمع الكثير ممن يستحيل تواطؤهم على الكذب طبقة عن طبقة إلى حضرة صاحب الرسالة ولا تحتاج إلى إسناد يكون وعن فلان عن فلان ، بل هو شيء نقله أهل المشرق والمغرب ـ عن أمثالهم جيلاً بعد جيل لا يختلف فيه مؤمن ولا كافر، منصف غير معاند للمشاهدة، وهو القرآن المكتوب في المصاحف في شرق الأرض وغربها ـ لا يشكون ولا يختلفون في أن محمداً بن عبدالله بن عبدالمطلب أتى به وأخبر أن الله عز وجل أوحى به إليه وأن من اتبعه أخذه عنه كذلك، ثم أخذ عن أولئك حتى بلغ إلينا ـ وهذا القسم من المتواتر يسر إيراد إسناد له على قواعد المحدثين فضلاً عن أسانيد أخرى.

٣ ـ تواتر عمل وتواتر توارث

وهو أن يعمل به في كل قرن من عهد صاحب الشريعة إلى يومنا هذا، جمع غفير من العاملين بحيث يستحيل عادة تواطؤهم على الكذب والغلط ـ كالسواك في الوضوء، مثلاً فهو سنة واعتقاد سنيته فرض، لأنه ثابت بالتواتر العملي وجحودها كفر وجهله حرمان وتركه عتاب أو عقاب ومن ذلك الصلوات الخمس فإنه لا يختلف مؤمن ولا كافر ولا يشك أحد في أنه صلاها ﷺ بأصحابه كل يوم وليلة في أوقاتها المعهودة وصلاها كذلك كل من اتبعه على دينه حيث كانوا كل يوم وهكذا إلى يوم لا يشك أحد في أن أهل السند يصلونها كما يصليها أهل الأندلس، وأن أهل أرمينية يصلونها كما يصليها أهل اليمن، وكصيام رمضان لأنه لا يختلف مؤمن ولا كافر ولا يشك أحد في أنه صامه رسول الله ﷺ ، وصامه معه كل من اتبعه في كل بلد كل عام ثم كذلك جيلاً بعد جيل إلى يومنا هذا، والصلوات الخمس والمضمضة والصلاة في جماعة والأذان والإقامة ونحو ذلك.

٤ ـ تواتر القدر المشترك:

وهو ما تختلف فيه ألفاظ الرواة بأن يروي قسم منهم واقعة أخرى وهلم جرا غير أن هذه الوقائع تكون مشتملة على قدر مشترك فهذا القدر المشترك يسمى بالمتواتر المعنوي والمتواتر من جهة المعنى، وذلك أنه يروي واحد أن حاتماً وهبه مئة دينار، ويروي آخر أنه وهب له ألف دينار، وشجاعة علي حيث يروى أن علياً قتل ألفاً في الغزوة الفلانية، وتروي قصص أخرى بألفاظ أخرى ـ وأن كل حكاية من تلك الحكايات لم تتواتر لفظياً ـ فهذا يسمى بالمتواتر المعنوي.(٣٠)

واتفق المحدثون على أنه يجب العمل به من غير بحث عن رجاله، ولا يعتبر فيه عدداً معيناً في الأصح ـ ولكن قال القاضي الباقلاني: لا

يكفي الأربعة وما فوقها صالح، وتوقف في الخمسة، وقال الاصطخري أقله عشرة وهو المختار عند المحدثين لأنه أول جمع الكثرة.(٣١)

وقال ابن الصلاح المتواتر من الحديث لا يوجد إلا حديث واحد وهو «من كذب عليَّ متعمداً ...» ولكن اختلف المحدثون معه كما أشار به السيوطي في قوله: وأن دعوى ابن الصلاح من عزة المتواتر ممنوع، لأن ذلك نشأ عن قلة الاطلاع على كثرة الطرق وأحوال الرجال وصفاتهم المتقضية لإبعاد العادة أن يتواطأوا على الكذب أو يحصل منهم اتفاق، قال: ومن أحسن ما يقرر به كون المتواتر موجود وجود كثرة في الأحاديث، أن الكتب المشهورة والمتناولة بأيدي أهل العلم شرقاً وغرباً المقطوع عندهم بصحة نسبتها إلى مؤلفيها، إذا اجتمعت على إخراج حديث وتعددت طرقه تعدداً تحيل العادة تواطؤهم على الكذب، أفاد العلم اليقيني بصحته نسبة إلى قائله، قال: ومثل ذلك في الكتب المشهورة كثير، قلت: قد ألفت في هذا النوع كتاباً لم أسبق إلى مثله سميته «الأزهار المتناثرة في الأخبار المتواترة»، مرتباً على الأبواب، أوردت فيه كل حديث بأسانيد من خرجه وطرقه ثم لخصته في جزء لطيف سميته «قطف الأزهار»(٣٢).

ويوجد في هذا الموضوع، أي الأحاديث المتواترة كتاباً آخر ألفه محمد بن جعفر الكتاني باسم: «نظم المتناثر من الحديث المتواتر»(٣٣).

واتفق المحدثون مع الأصوليين في أقسام المتواتر ما عدا المتواتر السكوتي - وهم يعتبرونه خبر الواحد لأنه لا يتناول شروط المتواتر، كما قال ابن الصلاح: وحديث: «إنما الأعمال بالنيات» ليس من ذلك بسبيل وإن نقله عدد التواتر وزيادة لأن ذلك طرأ عليه في وسط إسناده ولم يوجد في أوائله».(٣٤).

وقال ابن حجر: حديث الأعمال بالنيات فرد، أي خبر الآحاد، لم يروه عن عمر إلا علقمة قلنا قد خطب به عمر على المنبر بحضرة الصحابة، لولا أنهم يعرفونه لأنكروه - كذا قال - وتعقب بأنه لا يلزم من كونهم سكتوا عنه أن يكونوا سمعوه من غيره وبأن هذا لو سلم في عمر منع في تفرد علقمة عنه، ثم تفرد محمد بن إبراهيم به عن علقمة، ثم تفرد يحيى بن سعيد به عن محمد، على ما هو الصحيح المعروف عنه المحدثين (٣٥) وعلى أساس هذه الأدلة أنكر المحدثون المتواتر السكوتي من أقسام المتواتر. والله أعلم ■

الهوامش:

١ - النحل: ٤٤

٢ - الإمام البخاري - الجامع الصحيح - كتاب العلم - باب قول النبي: «رب مبلَّغ أوعى من السامع» رقم الحديث ٦٧.

٣ - الماوردي القاضي أبي الحسن - أدب القاضي - تحقيق يحيى هلال سرجان ٣٧٠/١ بغداد مطبعة إرشاد ١٣٩١هـ.

٤ - علي حسب الله - أصول التشريع الإسلامي/٣٩١ كراتشي - إدارة القرآن والعلوم الإسلامية ١٤٠٨هـ.

٥ - الظاهري ابن حزم - الأحكام في أصول الأحكام ١٠٤/١ مصر - مطبعة الخانجي ١٣٤٦هـ.

٦ - ابن الصلاح الشهزوري - مقدمة ابن الصلاح - ١٣٥ ملتان - فاروقي كتب خانه ١٣٥٨هـ.

٧ - محمود الطحان - تيسير مصطلح الحديث - ١٨ لاهور - دار نشر الكتب الإسلامية - من دون التاريخ.

٨ - العسقلاني ابن حجر - نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر - ١٥ ملتان - فاروقي كتب خانه من دون التاريخ.

٩ - السرخسي شمس الأئمة - أصول السرخسي - تحقيق «أبو الوفاء» الداهاني - ٢٩١/١ قاهرة - مطبعة دار الكتب العربي ١٩٧٢م.

١٠ - محمود الطحان - تيسير مصطلح الحديث/ ١٩.

١١ - ابن النجار الفتوحي - شرح الكوكب المنير ٣٩٢/٢ مكة المكرمة - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - الكتاب الخامس وانظر أيضاً قرافي محمد بن إدريس - شرح تنقيح الفصول ص ١٥٢ مصر - المطبعة الخيرية ١٣٠٦هـ.

١٢ - الإمام البخاري - الجامع الصحيح - كتاب الرقاق - باب في الحوض وقول الله تعالى: «إنا أعطيناك الكوثر».

١٣ - المصدر السابق - باب صفة أهل الجنة والنار.

١٤ - ابن النجار - شرح الكوكب المنير ٣٣١/٢.

١٥ - نجم الغنى حكيم - مزيل الغواشي شرح أصول الشاشي/ ١٩٥ ملتان عبدالتواب اكيتمي ١٩٨٦م.

١٦ - عبدالكريم زيدان - الوجيز في أصول الفقه/ ١٧٠ لاهور - دار نشر الكتب الإسلامية - من دون التاريخ.

١٧ - عبدالعلي بحر العلوم في كتابه - فواتح الرحموت شرح مسلم الثبوت - ١٢٠/٢ قم - منشورات الرضى من دون تاريخ وانظر أيضاً ابن النجار - شرح الكوكب المنير - ٣٣٣/٢.

١٨ - المصدر السابق.

١٩ - الإمام مالك - موطأ إمام مالك - كتاب الصلاة - باب ما جاء في المسح على الخفين.

٢٠ - الإمام البخاري - الصحيح البخاري - كتاب الوضوء - باب غسل الأعقاب.

٢١ - الإمام مسلم - الصحيح مسلم - كتاب الجهاد والسير - باب قول النبي لا نورث ما تركنا.

٢٢ - عبدالعلي بحر العلوم - فواتح الرحموت - ١٤٠/٢.

٢٣ - الإمام البخاري - كتاب الصدق - باب ما يجمع صفة الصلاة وما يفتتح به ويختم به.

٢٤ - عبدالكريم زيدان - الوجيز في أصول الصفة/ ١٦٩.

٢٥ - نجم الغنى - مزيل الغواشي/ ٢٩٥.

٢٦ - الإمام البخاري - صحيح البخاري - كتاب الايمان والنذور - باب النية في الإيمان.

٢٧ - نجم الغنى - مزيل الغواشي/ ٢٩٥.

٢٨ - السيوطي جلال الدين - تدريب الراوي في شرح تقريب النووي - ١٨٠/٢ - لاهور - دار نشر الكتب الإسلامية - من دون تاريخ.

٢٩ - محمود الطحان - تيسير مصطلح الحديث/ ٢٠.

٣٠ - عثماني شبير أحمد - فتح المسلم شرح صحيح مسلم ٥/١ - بجنور هند - مدينة بريس - من دون تاريخ وانظر أيضاً - أنور شاه كشميري - فيض الباري شرح صحيح البخاري ١/١-٧٠، تاهبيل هند مجلس علمي - ١٩٣٨م.

٣١ - السيوطي - تدريب الراوي - ١٧٧/٢.

٣٢ - المصدر السابق ١٧٩/٢.

٣٣ - د. محمود الطحان - تيسير مصطلح الحديث/ ٢٠.

٣٤ - ابن الصلاح - المقدمة في علوم الحديث/ ١٣٥.

٣٥ - العسقلاني - شرح نخبة الفكر/ ٢٠.

بقلم : د. حسن عبدالغني أبو غدة

لا يُنكر أن طلب العلم والمعرفة من الأهداف التي سعى الإسلام إلى تحقيقها ورغَّب فيها، بل إن تعلم العلوم الإسلامية والإنسانية والكونية من الفروض التي أولاها الإسلام اهتمامه، وجعلها حتمية على الأفراد، على سبيل فرض العين، وعلى المجتمع، على سبيل فرض الكفاية، ودعا إلى طرق جميع أبوابها، مادام ذلك يفيد الأمة، ويرفع من شأن المجتمع، ويعود بالنفع على عموم الناس، قال الله تعالى: (قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون)(١) وفي آية أخرى: (وقل رب زدني علماً)(٢).

ومن أجل ذلك جرت عادة عدد من العلماء، وعلى الأخص: علماء الحديث النبوي، أن يفتتحوا مؤلفاتهم ومصنفاتهم بباب العلم وقضاياه(٣)، لما له من أهمية في تحديد المسار الإنساني الفردي والمجتمعي، بعد الإيمان.

العلـم والعلمـاء في الإسـلام

أوليّات العلوم:

لا شك أن لعلم العلاقات الاجتماعية أهمية في كثير من البيئات والمجتمعات، لأنه يتضمن أصول التعامل الإنساني مع الآخرين، وأداء حقوقهم، بنزاهة وشفافية، لكن هذا لايتم على الوجه الأكمل المرضي، إلا إذا صلحت النفوس، وحسنت الأخلاق، وطهرت الضمائر.

من هنا كان لعلوم الشريعة «الحلال والحرام» والعلوم المساندة لها، المرتبة الأولى في الإقبال والتوجه، لأنه يقصد بها إصلاح النفوس وإضاءة العقول، والنهوض بالمجتمع في ظلال الهدي الإلهي الأقوم، وتحمل تبعات الحياة الفردية والاجتماعية بجد وإخلاص ومسؤولية.

هذا، وكما اهتم الإسلام بالعلوم الشرعية، فقد اهتم بأصناف العلوم الأخرى، كالطب، والهندسة، والفلك، والرياضيات، والمساحة، وغيرها من ألوان العلوم الإنسانية والتطبيقية.

ممارسات مبكرة في شتى العلوم:

إن المتتبع لحياة الرعيل الأول من المسلمين، يجد أن اهتماماتهم كانت منصرفة إلى شتى المعارف والعلوم، من غير أن يؤثر هذا على ترتيب الأوليات في التعلّم، ومراعاة حاجة المجتمع الإسلامي الناشئ.

فهذا أبو بكر الصديق كان يجيد علم الأنساب وتاريخ المجتمعات(٤)، وهذا عثمان ابن حنيف يبرِّز في علم المساحة وعلم الخراج، الذي يشبه علم المحاسبة في عصرنا.(٢) أما خالد بن الوليد فكان رائداً في العلوم العسكرية، ولهذا جعله النبي صلى الله عليه وسلم ـ قائداً لبعض المجموعات العسكرية في أثناء فتح مكة، مع أنه لم يمضِ على إسلامه سوى ستة أشهر(٦).

وأما الزبير بن العوام، فكان ماهراً في علم التحقيق مع المتهمين ومعرفة أساليب المجرمين وحيلهم.(٧)

فضلاً عن تفوق عليٍّ في معرفة القضاء وأصوله(٨) وتميُّز زيد بن ثابت في علم الفرائض(٩) (المواريث) ومهارة أبيٍّ بن كعب في علوم القرآن وقراءاته(١٠)، ومعرفة معاذ ابن جبل بدقائق الفقه وعلومه(١١).

روى الترمذي والدارقطني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «أرحم أمتي بأمتي أبو بكر، وأشدهم في أمر الله عمر، وأصدقهم حياء عثمان، وأقرؤهم لكتاب الله أبيُّ بن كعب، وأفرضهم زيد بن ثابت، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل، ولكل أمة أمين، وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح»(١٢).

إلزامية التعليم والتعلم في الإسلام

ليس عجيباً من الإسلام الذي كان أول ما نزل فيه «اقرأ» أن يحث المسلمين على العلم والتعلم والتعليم، بل يجعل ذلك عليهم من الواجبات التي تتوقف عليها حركة الحياة وتطور المجتمعات نحو الأفضل.

فللمرة الأولى في التاريخ العربي يدفع النبي صلى الله عليه وسلم الناس دفعاً إلى طلب العلم والمعرفة في النواحي الدينية والسلوكية والاجتماعية.

روى الطبراني في المعجم والبخاري في «الوحدان» وغيرهما: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب يوماً فقال: «ما بال أقوام لا يفقّهون جيرانهم، ولا يعلّمونهم، ولا

يعظونهم، وما بال أقوام لا يتعلَّمون من جيرانهم، ولا يتفقَّهون ولا يتَّعظون، والله ليُعلمنَّ قوم جيرانهم، وليتعلمنَّ قوم من جيرانهم أو لأعاجلنَّهم العقوبة، فقال قوم: من ترونه عنى بهؤلاء؟ فقالوا: عنى الأشعريين.هم قوم فقهاء، ولهم جيران جفاة من أهل المياه والأعراب، فجاء الأشعريون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستمهلوه سنة، فأمهلهم، فعلَّموا جيرانهم...»(١٣).

وهكذا نجد أن الإسلام جعل التعليم - في بعض صوره - إلزامياً، ورتب على التخلف عنه العقوبة، حماية للمجتمع من أسباب الجهل والأمية والتخلف الفكر والسلوكي...

انفتاح المسلمين على العلوم والمعارف

لقد فهم المسلمون الأولون أن دلالة العلم ومجاله في الفكر الإسلامي، لا تقتصر على نوع من العلم بذاته، بل تشمل شتى فروع المعرفة الإنسانية، التي ينبغي أن يُنتفع بنتائجها، وتستثمر لسعادة الإنسان ورقيه، وازدهار - حياته المادية والمعنوية.

ومضى على ذلك المجتمع الإسلامي في قرونه السابقة، ينهل أفراده من أسباب العلوم المختلفة، مهما ارتقت منازلهم، ولا يكفون عن طلب المزيد منها، امتثالاً لأمر الله تعالى في قوله: (وقل رب زدني علماً)(١٤).

ومن هنا ازدهرت مجموعة من العلوم على أيدي المسلمين، من مثل علوم: الطب، والكيمياء، والرياضيات، والفلك، والتاريخ، والصيدلة، والتشريح، وعلم الرحلات، وتاريخ المجتمعات، والهندسة، والعمران.

واشتهر العديد من الأفذاذ في هذه العلوم وغيرها، كالرازي وابن رشد، والحسن بن الهيثم، وابن الأثير، وابن بطوطة، وابن خلدون وغيرهم... وغيرهم، ممن كانوا يقودون الفكر الإنساني لأكثر من ثمانية قرون.(١٥)

تواضع العلماء:

لم يمنع ما وصل إليه أولئك العلماء من مكانة سامية أن يتواضعوا مع غيرهم، ويأخذوا عنهم ألواناً أخرى من العلوم هم بحاجة إليها، فقد حكي أن الإمام الشهير والمفسر الكبير فخر الدين الرازي، الذي وهبه الله مكانة علمية مرموقة، وشهرة واسعة في الآفاق، فألَّف المصنفات الكثيرة، مرَّ بمدينة مرو في بلاد خراسان - إيران - فتوافد عليه العلماء وطلاب العلم ليأخذوا عنه - وكان ذلك في القرن السابع الهجري - الثاني عشر الميلادي - وكان من جملة من حضر مجلسه طالب علم ماهر في علم الأنساب، لمَّا يبلغ العشرين من عمره، فلما عرف الرازي قدرة هذا الطالب ومهارته وتمكُّنه في هذا التخصص، لم يجد حرجاً في أن يطلب منه تدريسه هذا العلم، فتواعدا على ذلك، ثم جلس أمامه، فأخذ عنه وتلقى علم الأنساب، كما كان هذا الطالب يجلس أمام الرازي الإمام، ليتلقى عنه علم التفسير وعلم التوحيد...(١٦)

محاسن العلم وفضائله:

إن فضل العلم عظيم، ومكانته عالية رفيعة، وهو مبتغى كل حصيف، ولا يرضى أي إنسان كان أن يُقال عنه: إنه جاهل، أو قليل العلم.

والعلم يكرم صاحبه في السراء، ويحميه وينفعه عند الشدائد والضراء، وقد قصَّ علينا القرآن الكريم قصة «الهدهد» حينما بلغه أن النبي سليمان - عليه السلام - توعَّده بالعقوبة والعذاب الأليم، فلم يجد هذا الحيوان الضعيف، ما يشفع له عنده ويخلِّصه من العقوبة، سوى اعتزازه بالعلم وافتخاره به، ووقف يقول للنبي سليمان - عليه السلام: (أحطت بما لم تحط به وجئتك من سبأ بنبأ يقين)(١٧) فسمع سليمان له وأصغى إليه، وقبل كلامه وعفا عنه.

أخلاق أهل العلم:

إن للعلم والمعرفة متطلبات أخلاقية، وآداباً اجتماعية، وواجبات سلوكية، لابد منها، ومن ذلك: الإخلاص، والتواضع، وتنزيه النفس عن الأطماع الشخصية، بالإضافة إلى الوقار، والبذل، والتضحية، والصبر على تعليم الآخرين، والعمل بما تحصَّل.

قال النبي - صلى الله عليه وسلم -: «تعلموا العلم وتعلموا للعلم السكينة والوقار، وتواضعوا لمن تعلمون منه»(١٨).

وفي حديث آخر: «إن الله وملائكته وأهل السموات والأرض ليصلُّون يدعون ويستغفرون على معلِّم الناس الخير»(١٩).

خاتمة:

إن تاريخنا متزاحم بالنماذج الحية الصالحة من العلماء الأفذاذ، الذين أضاؤوا حياة الأمم والشعوب بنور المعارف، وصاروا فيهم موضع القدوة والريادة في شتى المجالات البشرية...

وإن المسلمين اليوم مدعوون إلى أن يكونوا كأسلافهم في تأكيد وجودهم، ما ضين باسم الله وعلى بركته، يسهمون في إشادة حضارة عمادها العلم والايمان، ينعم بها الناس آمنين مطمئنين، ومن الأمور المسلَّمة في حياة الشعوب والأمم، أن قوة الأمة في علمها، وضعفها في جهلها، تلك سنة الحياة التي أرادها الله تعالى، وصدق الله العظيم إذ يقول: (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات)(٢٠). ■

الهوامش:

١ - سورة الزمر: ٩.
٢ - سورة طه: ١١٤.
٣ - ينظر على سبيل المثال الجزء الأول من صحيح البخاري والجزء الأول من مجمع الزوائد للهيثمي.
٤ - الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر ٣٤٢/٢.
٥ - الأحكام السلطانية للماوردي ص ١٤٨.
٦ - تهذيب سيرة ابن كثير للأستاذ مروان كجك ص ٤٢٩، ٤٧٠.
٧ - زاد المعاد لابن القيم ١٣٦/٢، والسيرة النبوية لابن هشام ٣٥١/٣.
٨ - ينظر: كشف الخفاء للعجلوني ١٠٨/١ و ١٦٢.
٩ - المرجع السابق ١٠٨/١.
١٠ - المرجع السابق.
١١ - المرجع السابق.
١٢ - المرجع السابق.
١٣ - حياة الصحابة للكاندهلوي ٢٧/٤، والترغيب والترهيب للمنذري ٩٠/١.
١٤ - سورة طه: ١١٤.
١٥ - ينظر كتاب: «شمس العرب تسطع على الغرب» للمستشرقة «زيغرد هونكة».
١٦ - شخصية المسلم للدكتور محمد علي الهاشمي ص ٤٨.
١٧ - سورة النمل: ٢٢.
١٨ - رواه الطبراني في الأوسط كما في الترغيب والترهيب للمنذري ٨٢/١.
١٩ - رواه الترمذي والبزار كما في الترغيب والترهيب للمنذري ٧٢/١.
٢٠ - سورة المجادلة: ١١.

بقلم : عبدالقادر محمد السباعي

أدب الفكاهــة والضحــك

يقف الإسلام موقف التوسط والقصد والاعتدال في معالجة جميع القضايا، وبخاصة تلك التي تتعلق بالمواقف النفسية وترتبط بالمشاعر والأحاسيس الإنسانية، فلا يترك الأهواء لكي تتغلب، ولا يطلق العنان للشهوات لكي تتمكن، بل وضع لها ضوابط وحدّ لها حدوداً، وأقام لها إطاراً من الهيبة والوقار، فلا تخرج عنه ولا تتجاوزه، وإلا انقلب الحال على عقبه، وصار هلاكاً ودماراً على صاحبه.

من ذلك كيفية الضحك، وأسلوب الفكاهة، ومدى ما يمكن أن يتناوله الإنسان من المزاح، ولذلك وضع الرسول ﷺ الحد الفاصل لذلك، ووضح الطريقة المثلى فقال: «كثرة الضحك تميت القلب».

وفي الوقت ذاته وبالقدر نفسه يرفض الإسلام التزمت المقيت، والوقار المصطنع، والبحث عن التجهم، والحفاظ على العبوس المتكلف الذي يزري صاحبه بين الناس ويمقته أقرب من حوله، فقال رسول الله ﷺ : «روحوا القلوب ساعة بعد ساعة، فإن القلوب إذا كلت عميت».

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : «إن القلوب تمل كما تمل الأبدان، فابتغوا لها طرائف الحكمة».

ولذلك فإن أولئك النفر الذين يُظهرون التجهم ويكثرون العبوس، ويتصورون أن ذلك دليل تقوى وورع وقربٌ من الله تعالى وخشية له هم واهمون، لا يقفون على أرض صلبة، ولا يسعفهم دليل، ولا يقف بجوارهم برهان...

ولذا فلا يغفر لأحد تبسم في حضرتهم، أو ضبط وهو في حال انشراح صدر وسرور فإن الصواب غير ذلك، والحق عكس ما يدعون أو يتوهمون... ولنا في رسول الله ﷺ القدوة الحسنة والمثلى الأعلى في حياتنا ومعاشنا، وفي سلوكنا وتصرفاتنا، قال الله تعالى: (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً).

فمع كثرة تعبده - ﷺ - وطول تبتله، وشدة خشيته لله تعالى، وانهمار عبراته وبكائه، لم تكن الابتسامة تفارق شفتيه، وما كانت مجالسه تخلو من طرفة مرحة أو ابتسامة بريئة.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قالوا يا رسول الله إنك تداعبنا؟ قال : «إني لا أقول إلا حقاً».(١).

وكان من صفاته ﷺ أنه ذواقة للحديث الذي يلقى عليه يتفحص الكلمات التي يسمعها وكان يتفاعل معها، ويظهر أثرها على وجهه الشريف، فإذا كان فيه ما يدخل السرور على النفس، ويدخل البهجة على القلب ضحك له، وكان جل ضحكه تبسماً، وكانت السيدة عائشة رضي الله عنها تفرح غاية الفرح وتُسرّ غاية السرور عندما تراه كذلك، وكانت تقول له «أضحك الله سنك يا رسول الله».

● حاول عوف بن مالك - رضي الله عنه - أن يدخل تلك القبة التي بنيت للرسول ﷺ في غزوة تبوك، وكانت من أدم وكان بابها صغيراً فلم يفلح في الدخول، واستأذن الرسول في الدخول فأذن له، فأراد أن يعلق على ضيق الباب، وعدم استطاعته في الدخول فقال: «أكلي يا رسول الله؟!» فقال رسول الله ﷺ والابتسامة تملأ شفتيه: «كلك»(٢)، فدخل عوف بن مالك بعد أن أدخل الابتسامة على قلوب الحاضرين في موقف الحرب العصيب الذي تتحجر فيه المشاعر وتتوتر فيه الأعصاب.

● وهذا أنس بن مالك رضي الله عنه رفيق رسول الله ﷺ وخادمه الأمين يروي لنا عن سلوكه الشريف معه، وكيف كانت معاملته له، فقال: إن كان الرسول ﷺ ليخالطنا، وكان لأنس أخ أصغر منه سناً، وكان له نغير يربيه ويحافظ عليه ويرعاه، فمات ذلك النغير فحزن عليه الغلام الصغير، فلما علم الرسول ﷺ بذلك جاء إلى الغلام الصغير وأخذ يداعبه، ويلاعبه ويلاطفه ويسرّي عنه ويقول له: «يا أبا عمير، ما فعل النغير؟!»(٣)

● وعندما التقى الرسول ﷺ بامرأة عجوز وقالت له: ادع الله لي أن يجعلني من أهل الجنة، فأراد النبي ﷺ أن يذهب عنها وحشة السنين وطول العمر، واقتراب الأجل من نهايته، فأخذ يخفف روعها، ويتبسط معها ويقول لها: «إنه لا يدخل الجنة عجوز». فلما رأى الخوف على وجهها والحزن باديا على محياها والدموع تترقرق في مآقيها قال لها: أما تقرئين القرآن؟ قالت: بلى، قال: ألم تقرئي قول الله تعالى: (إنا أنشأناهن إنشاء. فجعلناهن أبكاراً. عرباً أتراباً)(٤)، فدخلت الفرحة في قلب المرأة وعادت الابتسامة إلى وجهها واستبشرت خيراً.

● وكان لرسول الله ﷺ صديقٌ حميم من أهل البادية اسمه زاهر ابن حرام، وكان رجلاً مرحاً غير أنه كان دميم الهيئة، وكان يهدي رسول الله ﷺ بعضاً من حوائج البادية، وكان الرسول ﷺ يجهزه بما تطيب به النفس وهو عائد إلى باديته، حتى ان الرسول ﷺ كان يقول: «إن زاهراً باديتنا ونحن حاضروه».

وفي يوم مرّ الرسول ﷺ في السوق فوجد زاهراً يبيع بعض المتاع فسُرّ به وفرح بقدومه، فجاء النبي ﷺ من خلفه واحتضنه وغمى عينيه، فقال الرجل وهو لا يعلم من الذي خلفه: أرسلني... أرسلني... من هذا؟ فلما علم أنه النبي ﷺ ألزم ظهره إلى صدر النبي ﷺ مثلما كان، وقال له : بأبي أنت وأمي يا رسول الله، فقال النبي ﷺ مازحاً

مع الرجل وبصوت مرتفع: «مَنْ يشتري مني العبد؟» فقال زاهر: إذاً تجدني كاسداً يا رسول الله: فقال النبي ﷺ : «ولكنك عند الله لست بكاسد».(٥)

من هنا نتعلم هدي النبي ﷺ وتعليمه لجميع المسلمين كيفية ملاقات المسلم لأخيه المسلم عندما يلتقي به بعد غيبة، فإنما يظهر له المودة والمحبة والإخلاص والحرص على رؤياه وفرحته عند لقائه.

* وهناك نوع من الناس يبحث عن التقعر في الحديث، والغريب من الألفاظ، والعجيب من الأقوال، ويجعله ديدنه وأسلوبه، فربما يغطي به بعض جهله، ويكمله به بعض نقصه، ويظهر به بعض علمه وحذقه، فلربما يجد له مكاناً بين العلماء، أو يجد له منصتاً بين البلغاء، ومع كل هذا التقعر والتكلف يظهر حديثه مضحكاً وكلامه مثيراً.

ولا أدل على هذا النوع من الناس، ولا أظهر من شخصية أبي علقمة المتقعر، الذي كان يخاطب الناس بألفاظ غير معروفة، ويكلمهم كلاماً غير مألوف، ولا يضع للمستمع الذي أمامه اعتباراً، فلا مقام عنده ولا مقال.

ذهب إلى الحجام يوماً فقال له: لا تعجل عليَّ حتى أصف لك، ولا تكن كامريءٍ خالف ما أُمر به وفعل غيره، اشدد قصب المحاجم، وارهف ظبة المشارط، وأسرع الوضع، وعجّل النزع، وليكن شرطك وخزاً ومصك نهزاً، ولا تردن آتياً ولا تكهرهن آبياً»...

فما أن سمع الحلاق هذه الكلمات، وأنصت إلى هذه العبارات، حتى جمع أدواته في قفته، وأخذ ملابسه في أسنانه وذهب يهرول ويهزي بأعلى صوته: يا قوم هذا رجل به جنة.

وفي ليلة من الليالي المظلمة استيقظ أبو علقمة من نومه، فأراد أن يعرف الوقت، وهل حان موعد الصلاة أم لا؟ فنادى على غلامه وهو يمسح عن عينيه آثار النوم، وقال له: يا غلام أصعقت العتاريف؟ فنظر إليه الغلام في دهشة واستغراب، وكان غلاماً مرحاً ضحوكاً، فقال له: زقفيلم! فقال أبو علقمة له، وللمرة الأولى يستفسر عن معنى كلمة من الكلمات، فكل الناس تسأله، وهو الذي يتعالى عليهم، ويتعاظم بعلمه، وللمرة الأولى تقف في طريقه كلمة دون أن يعرف معناها أو مدلولها، ولذلك سارع إلى الغلام فقال له: وما معنى زقفيلم أيها الغلام؟ فقال له: إذا أخبرتني أنت أولاً عن معنى سؤالك أجبتك، فقال أبو علقمة: إنني أردت يا أحمق أن أقول لك أصعقت العتاريف يعني هل صاحت الديكة؟ فرد عليه الغلام وقال له: وأنا أيضاً أردت أن أقول لك أنها لم تصح!!

وليس هناك حديث أعجب من حديثه عندما ذهب مريضاً إلى طبيب، فأراد أن يشرح له الحال التي ألمت به، والمرض الذي أصابه فقال له: إني أكلت لحماً من لحم الجوازل(٦) فطسئت طسأة(٧) فأصابني وجع بين الوابلة(٨) إلى دابة العنق(٩)، فلم يزل ينمي(١٠) حتى خالط الخلب(١١)، وألمت به الشراسيف(١٢)، فهل عندك أيها الطبيب دواء؟!!

فقال له الطبيب الحاذق والحكيم الماهر، وهو في مظهر الهيبة، والمحافظة على الوقار:

خذ سلقفاً وشرقفاً ثم أهرقه ورقرقه(١٣)، واغسله بماء مروث وأشربه بماء الماء!! فقال أبو عقلمة: ويحك أيها الطبيب! أعد عليَّ مقالك، فإني لم أفهم منه شيئاً، فقال الطبيب: لعن الله أقلنا إفهاماً لصاحبه وهل فهمت أنا شيئاً مما قلته أنت؟!!

● ويجب أن يكون ضحك له ضوابط، والفكاهة لها حدود ولا تتعداها، ولا تخرج عنها حتى لا تكون مخلة بالمروءة ومذهبة للوقار.

ومن أهم هذه الشروط:

- ارتفاع صوت الضحك، وكثرة القهقهة، ليس من هدي الإسلام، ولا من آداب رسول الله ﷺ، «فقد كان جلّ ضحكه تبسماً».

- أن يكون المزاح حقاً لا كذب فيه ولا تزييف ولا اختلاق ولا افتراء، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قالوا: يا رسول الله، إنك لتداعبنا، قال: إني لا أقول إلا حقاً».(١)

وقال أيضاً: «ويل لمن يحدّث فيكذب ليضحك بها القوم، ويل له، ويل له».(١٤).

ومن ذلك أيضاً ألا يكون هذا المزاح مؤدياً لمفسدة أو لقطيعة رحم، أو عقوق بين الأبناء والآباء أو تفريق بين الأحباء، أو خلط بين حق وباطل، وأن يكون بعيداً عن الهجر والقطيعة والعداوة والبغضاء.

- أن يكون المزاح لطيفاً ولا يكون ثقيلاً يمس المشاعر، ولا يحرج الآخرين، ولا يسيء إلى أحد ولا يحقّر أحداً ولا يقلل من شأنه أو منزلته أو مكانته، بل القصد منه والهدف من ورائه التسرية والترفيه، وإدخال البهجة والسرور على نفوس الأصحاب، والتودد إلى الأحباب.

عن أنس رضي الله عنه ، أن امرأة أتت رسول الله ﷺ فقالت: احملنا على بعير، فقال: «أحملكم على ولد الناقة»، قالت: وما نصنع بولد الناقة؟ فقال: «هل تلد الإبل إلا النوق»!(١٥).

- أن يكون المزاح حلالاً لا حرمة فيه، فلا تؤخذ به الحقوق، ولا تستحل به الحرمات، ولا يحصل به على حاجة الغير، قال رسول الله ﷺ : «لا يأخذن أحدكم عصا أخيه لاعباً ولا جاداً، ومن أخذ عصا أخيه فليردها إليه»(١٦)، وقال أيضاً: «لا يأخذن أحدكم متاع أخيه لاعباً ولا جاداً»(١٧).

- ألا يكون من وراء هذا المزاح ترويع الآمنين، أو تخويفهم، أو أخذهم على بغته، أو الدخول عليهم على غرة، قال رسول الله ﷺ: «لا يحل لمسلم أن يروع مسلماً»(١٨).

- أن يكون الضحك والمزاح في حدود معقولة، لا كثرة فيه، ولا امتداد له، على أن يكون في قصد واعتدال، بعيداً عن الإسراف والإفراط.

وصى سعيد بن العاص ولده فقال له: «اقصد في مزاحك، فإن الإفراط فيه يغض عنك المؤانسين ويوحش منك المصاحبين».

الهوامش:

١ - رواه الترمذي.
٢ - رواه أبو داود.
٣ - متفق عليه.
٤ - الواقعة: ٣٥-٣٧.
٥ - رواه البغوي في شرح السنة.
٦ - الحمام.
٧ - أصبت بالتخمة.
٨ - عظم في مفصل الركبة.
٩ - موضع اتصاله بالظهر.
١٠ - يزيد.
١١ الكبد.
١٢ الغضاريف.
١٣ - صبه صباً رقيقاً.
١٤ - رواه أحمد والترمذي وأبو داود والدارمي.
١٥ - رواه الترمذي وأبو داود.
١٦ - رواه الترمذي.
١٧ - رواه أبو داود.
١٨ - رواه أبو داود.

لغة

إشكالية الأسماء العربية وموقف الإسلام منها

بقلم: نجدت كاظم لاطة

مما يلاحظ في واقع المسلمين اليوم أن الاسم الذي يتسمى به المسلم غير العربي يلعب دوراً له أثره في ارتياح النفسيات إذا ما كان مرتبطاً بأصل عربي، ذلك أن الاسم العربي قد ارتبط في أذهان المسلمين بشخصيات إسلامية عظيمة كصحابة رسول الله ﷺ.

وهذا الأمر مقبول ولا غبار عليه، لكن عندما يصل الأمر إلى أنه يعتقد بعض المسلمين أن الأسماء العربية هي جزء من الدين الإسلامي، بمعنى أن الأسماء العربية هي وحدها التي يجب أن يتسمى بها المسلمون عرباً وغير عرب، فعندئذ وجب التوضيح في هذا الأمر لئلا يزداد الأمر غلواً وبُعداً عن الصواب.

الأسماء - بشكل عام - وسيلة نتعارف بها فيما بيننا، والأسماء العربية شأنها شأن بقية أسماء الشعوب غير العربية، ولا ميزة لها على غيرها إلا فيما حدده الشرع، فقد جاء في صحيح مسلم أن «أحب الأسماء إلى الله تعالى عبدالله وعبدالرحمن»، وروى أبو داود حديثاً آخر قوله صلى الله عليه وسلم: «تسمّوا بأسماء الأنبياء، وأحب الأسماء إلى الله تعالى عبدالله وعبدالرحمن، وأصدقهما الحارث وهمام، وأقبحهما حرب ومرة»، وقد قال العلماء في الأسماء المذكورة في هذين الحديثين إنهما من باب الأفضلية، وليس من باب الوجوب لأنها لا تستوعب أسماء المسلمين كلهم، وإلا لحدث ارتباك واشتباه في سجلات الأسماء في الدوائر الحكومية، لذا ترك الإسلام المجال مفتوحاً أمام المسلمين في اختيار ما يشاؤون من الأسماء لأبنائهم، وقد سمى رسول الله ﷺ بعض أولاده القاسم وإبراهيم.

والإسلام وضع شرطين في اختيار الأسماء:

الأول: ألا يكون في الاسم عبودية لغير الله، كعبداللات وعبدالشمس وعبدالمسيح كما يفعل نصارى بلادنا في هذا الاسم الأخير.

الثاني: ألا يكون الاسم قبيحاً، لأنه يشين صاحبه، وقد استبدل رسول الله ﷺ بعض أسماء الصحابة حين وجد معانيها قبيحة، فقد «روى ابن عمر رضي الله عنهما أن ابنة لعمر كان يُقال لها عاصية فسماها الرسول ﷺ جميلة»(١)، «وروى أبو هريرة رضي الله عنه أن زينب بنت أم سلمة كان اسمها برّة فقيل تُزكي نفسها فسماها رسول الله ﷺ زينب»(٢)

وقال الإمام العسقلاني في كتابه «فتح الباري في شرح صحيح البخاري باب أحب الأسماء»: «أن تغيير الاسم - من القبيح إلى الحسن - لم يكن بالوجوب لأن الأسماء لم يُسمَ بها لوجود معانيها في المسمى، وإنما هي للتمييز»، وقال أيضاً: «الأولى التسمية بالاسم الحسن وتغيير القبيح».

وروى البخاري في صحيحه أن سعيداً بن المسيب «حدّث عن أبيه أن أباه واسمه «الحزن بن أبي وهب» جاء إلى النبي فقال عليه الصلاة والسلام: ما اسمك؟ قال: «حزن، قال: أنت سهل»، فقال - أي الحزن -: لا أُغيِّر اسماً سمانيه أبي، فلم يعترض رسول الله ﷺ عليه.

فنستنتج من هذه الأحاديث الشريفة التي أوردتها أن الأسماء ليست بذات أهمية في الإسلام، وكل ما في الأمر أن الإسلام ربّى نفوس المسلمين على حسن اختيار الأسماء لأبنائهم، لأنه لا يليق بالمسلم أن يُسمي ابنه اسماً قبيحاً وإلا تعرّض للاستهزاء والسخرية من قِبَل الناس، وقد عاتب سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه رجلاً سمى ابنه «بعرة».

وفيما يخص الأسماء غير العربية فلم يأتِ بها شيء، وأعني أنه لم يُنه عن التسمي بها، وإنما تُركت لكل قوم يختارون ما يشاؤون في الأسماء ضمن الشرطين الذين ذكرتهما قبل قليل.

قد يعترض عليّ معترض فيقول إن مشكلة الأسماء غير موجودة عند المسلمين. فأقول إن هذه المشكلة موجودة ولكن لا يشعر بها إلا المسلمون من غير العرب ولا سيما الأقليات المسلمة الموجودة في البلاد الغربية، وأضرب لذلك مثالاً حتى لا يظن القارئ أني اختلق مشكلة غير موجودة، حين جاءني مولود ذكر سميته اسماً من الأسماء المنتشرة بين الشراكسة الذين أنا منهم، فعندما سميته بهذ الاسم - غير العربي - اعترض عليّ أكثر أصدقائي واحتجوا بأن هذا الاسم غير عربي وأنه لا يليق بالمسلم أن يتسمى بغير الأسماء العربية، مستدلين بأن غير المسلمين حين يدخلون في الإسلام يُغيرون أسماءهم، ويستبدلونها بأسماء عربية كما فعل المفكر الفرنسي روجيه غارودي حين سمى نفسه بعد دخوله في الإسلام بـ «رجاء غارودي».

فأردّ على هؤلاء بأن الأسماء العربية هي للعرب، وهي - أيضاً - لمن أراد أن يتسمى بها من غير العرب، تبركاً بالصحابة الكرام، أما أن نفرض شيئاً ما فرضه الله ولا رسوله علينا فهذا مرفوض، وما المانع في أن يكون المسلم الفرنسي اسمه روجيه أو فكتور أو فريدريك؟ وما المانع في أن يكون المسلم الماليزي اسمه مهاتير؟ وما المانع في أن يكون المسلم الأندونيسي اسمه سوكارنو؟ ولماذا نقطع انتماءات المسلمين غير العرب إلى شعوبهم؟ وكلنا سمعنا عن سيبويه ونفطويه ودرستويه، وهؤلاء الثلاثة من أعلام المسلمين الذين كان لهم دور في الحضارة الإسلامية وكذلك سمعنا عن القائد المسلم ألب أرسلان صاحب معركة ملاذ كرد الشهيرة التي لبس فيها المسلمون أكفانهم، وخاضوا المعركة وانتصروا فهؤلاء جميعاً عاشوا بين المسلمين في بغداد وغيرها بهذه الأسماء ولم يستبدلوها بأسماء عربية، بل لم يعترض عليهم أحد.

وفيما يخص اسم المفكر الفرنسي المسلم روجيه غارودي فإن الروائي المصري يوسف القعيد يروي عنه بأن الصحف العربية هي التي غيَّرت اسمه من روجيه إلى رجاء، أما روجيه نفسه فلم يخطر بباله هذا التغيير بدليل أن كتبه الحديثة تصدر باسم روجيه غارودي وليس رجاء غارودي.

وأنا أعجب من الأجانب الذين استبدلوا أسماءهم بأسماء عربية عندما دخلوا في الإسلام، لأنهم بذلك - يُرسخون في عقول غير المسلمين أن دين الإسلام هو دين العرب لا الدين المنزل من الله تعالى إلى البشرية كافة، فينفر الناس من هذا الدين، ولأنه سيتبادر إلى أذهانهم مقولة اليهود «شعب الله المختار»، وسيتبادر إلى أذهانهم - أيضاً صورة النازية الهتلرية التي تُعلي من شأن العنصر الألماني.

ولم يحدث عبر تاريخ المسلمين - حسب علمي - أن غيّر أحد ممن دخل في الإسلام اسمه واستبدل به اسماً عربياً ومما تروي كتب التاريخ أن أحد قادة الجيش الرومي أسلم على يدي خالد بن الوليد، وكان اسم هذا القائد «جرجه» فلم يُغير خالد اسمه، علماً بأن اسم «جرجه» من أسماء نصارى الروم.

ومما يُثير الضحك أن بعض المسلمين العرب اليوم يُرجع بعض الأسماء غير العربية إلى أصل عربي، فكأنه يريد أن يقول إن أصل العالم كله عربي، فنراه يرجع أصل اسم «شكسبير» إلى الشيخ زبير، وأصل اسم الرئيس الشيشاني الراحل «دوداييف» إلى داود، علماً بأن الاسم هو (دوداي +يف) وليس (داود +يف)، وهناك فرق واضح بين الاسمين، الأول اسم شيشاني بحت، الثاني اسم نبي الله داود، وهنا تكمن المشكلة، والمشكلة التي تريد أن تجعل من الإسلام دين العرب فقط لا دين البشرية جمعاء.

والبعض - أيضاً يجهل - كما يبدو - أن الإسلام هو دين الله المقدم للبشرية جمعاء دون أن يكون لقوم من الأقوام شيءٌ من أشيائهم فيه، واستثني من ذلك اللغة العربية التي هي لغة القرآن، ولا أقول هي لغة الإسلام، لأنه يمكن أن يكون الواحد منا مسلماً صحيح الإسلام دون أن يتعلم اللغة العربية، إذ يكفيه أن يحفظ الفاتحة وسورتين من قصار السور لكي يصلي صلاة صحيحة.

واللغة العربي هي اللغة المصطفاة من الله تعالى، ولا يجوز الاعتراض على هذا الاصطفاء، وهي - أي اللغة العربية - الشيء الوحيد من أشياء العرب في هذا الدين وليس لأحد أن يعترض على ذلك، أما أن نلصق عليها بالإسلام أشياء عربية أخرى لم ينص عليه الشرع فهذا أمر مرفوض ولا يقبل به الإسلام.

والله تعالى لم يرفع من شأن اللغة العربية في القرآن إلا ليحفظ كتابه، لا ليرفع العرب والعروبة ويعظمهما، وإن قوله تعالى: (كنتم خير أمة أخرجت للناس) آل عمران: ١١٠، المقصود هنا أمة الإسلام لا أمة العرب، وإلا فأين سيجد بلال الحبشي وصهيب الرومي وسلمان الفارسي أنفسهم في هذه الآية، حاشا لله أن يغمط حتى هؤلاء، فهؤلاء الثلاثة وضع كلٌ منهم لبنة في جدار حضارة الإسلام.

وفي الختام أقول لمن تؤلهم الأسماء الأجنبية التي تسمى بها مسلمون أجانب أقول لهم إن سماعنا لتلك الأسماء يُفرحنا ولا يُحزننا، لأننا - عندئذ - سنشعر أن دين الله (دين الإسلام) وصل إلى هؤلاء، أما عند سماعنا للأسماء العربية فقط فلا أظن أننا سنشعر بمثل تلك الفرحة. ■

بقلم : محمد حسين هيجل

المظالم في عهد الخليفة الأموي عمر بن عبدالعزيز

ولد عمر بن عبدالعزيز سنة ٦٢هـ، وأمه بنت عاصم ابن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، تولى إمارة المدينة سنة ٨٧ للهجرة، حيث عينه من الخليفة الوليد بن عبدالملك عليها، عزل عنها سنة ٩٣ للهجرة، سافر بعدها إلى الشام وبقي فيها ست سنوات، واستلم خلافة الدولة الأموية بعد توصية سليمان بن عبدالملك سنة ٩٩ هـ، واستمر بالخلافة طيلة سنتين ونصف السنة.

وكان مثالاً للعدل والورع، متخذاً من سيرة جده عمر بن الخطاب مثلاً أعلى، سار على هديه قوّم انحراف الخلفاء السابقين وعادت الدولة الأموية إلى مبادئ الإسلام الأولى التي نادى بها الرسول محمد ﷺ ، والخلفاء الراشدون، وذلك باعتماد مبدأ المساواة بين الناس، ورفع المظالم لترسيخ مبدأ الحق والعدل وفق تعاليم الشريعة الإسلامية.

وهو أول خليفة ندب نفسه للمظالم بشكل مباشر، حيث رد الحقوق إلى أصحابها، بادئاً بنفسه ثم بأهل بيته، كما رد القطائع التي ورثها عن آبائه وأعاد ما اغتصبه الأمويون واعتبر السلطة مسؤولية كبيرة من أجل إقامة الحق ورفع الباطل، واعتبر نفسه ركناً أساسياً من أركان السلطة عندما وصف مقومات الحكم بقوله :

«إن للسلطان أركاناً لا يثبت إلا بها فالوالي ركن، والقاضي ركن، وصاحب بيت المال ركن، والركن الرابع أنا».

كما أحسن معاملة أهل الذمة، وطالب عماله بالرفق بهم مما شجع ذلك على اعتناقهم دين الإسلام، والتعايش مع العرب المسلمين على أساس المساواة بعد أن حرموا في العصور السابقة حق المواطنة، كما أسقط الجزية عمن أسلم منهم عندما رد على صاحب خراج مصر بقوله :

«لقد وليتك جند مصر وأنا عارف بصنعتك فضع الجزية عمن أسلم فإن الله إنما بعث محمداً ﷺ هادياً ولم يبعثه جابياً».

استطاع عمر خلال فترة وجيزة أن يثبت دعائم الحكم الأموي على أساس متين تحميه من خطر الانهيار

كما انتقد موقف الخلفاء السابقين من التحيز لقبيلة دون أخرى كالتنازع بين القيسيين واليمانيين، ووقف موقفاً صلباً وأطفأ نار الفتنة، سالكاً أسلوب الاقناع والمحاورة في دعوة المتصارعين والإصلاح بين الإخوة مستهلما قوله تعالى :

(إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون) سورة الحجرات: ١٠.

إذا لم يستيجبوا لدعواه ضربهم بشدة دونما تردد أو تعاطف كما يقول تعالى :

(وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين) الحجرات:٩.

كما أقام نظاماً ثابتاً للعطاء للجند والمقاتلين على أساس المساواة بين العرب وغيرهم طالما كان الجميع يقاتلون في سبيل الله تحت مبدأ واحد وراية واحدة، كما أجرى العطاء على أبناء المقاتلين وزوجاتهم وخصص أعطيات للفقراء والمرضى الميؤوس من شفائهم.

إن إقراره لمبدأ الحق والعدل ولّد لدى الناس الجرأة بالتظلم له من أهل بيته عندما أتاه رجل فقال له :

يا أمير المؤمنين مظلمة دخلت عليّ.

قال عمر :

ومن بك ؟

قال :

فلا والله ما استطاع أن يقول فلان لبعض أهل بيته مرتين أو ثلاثاً.

فقال :

فلا بد فلان بن فلان عمد إلى مال لي بكذا وكذا فآخذه.

فقال : يا غلام ائتني بدواة وقرطاس فكتب إلى عامله :

«إن فلاناً ذكر لي كذا وكذا فإن كان الذي ذكر لي على ما ذكر فلا تراجعني فيه ورده عليه ثم ضرب بإحدى يديه على الأخرى وقال :

(إن هذا لهو البلاء المبين) سورة الصافات:١٠٦.

وكذلك موقفه العادل ورد المظالم لأصحابها عندما استخلص عمر حوانيت حمص من «ابن الوليد روح» وردّها إلى أصحابها عندما تخاصم أصحاب الحوانيت مع «روح» وكانت لهم اقطعه إياها أبوه الوليد بن عبدالملك، فقال عمر :

اردد عليهم حوانيتهم.

قال روح : هذا معي بسجل الوليد.

قال عمر : وما يغني عنك سجل الوليد والحوانيت حوانيتهم، قد قامت لهم البينة عليها خل لهم حوانيتهم.

فقام روح والحمصي منصرفين فتوعد روح الحمصي فرجع الحمصي إلى عمر فقال :

هو والله متوعدي يا أمير المؤمنين.

فقال عمر لكعب بن حامد صاحب الشرطة وهو على حرسه : أخرج إلى روح يا كعب فإن سلم إليه حوانيته فذلك وإن لم يفعل فائتني برأسه. فخرج بعض من سمع ذلك ممن يعنيه أمر روح بن الوليد فذكر له الذي أمر به عمر فخلع فؤاده وخرج إليه كعب وقد سل من السيف شبراً فقال له :

قم فخل له حوانيته.

قال: نعم نعم فخل له حوانيته مطبقاً بذلك قوله تعالى:

(يأيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين) النساء:١٣٥.

وكان دائماً يطالب عمّاله برد المظالم إلى أصحابها دون حبسها وذلك عندما كتب إلى العمال إذ يقول :

أما بعد فإني كنت كتبت إليكم بردّ المظالم، ثم كتبت إليكم أن تحبسوها ثم كتبت إليكم بردّها، فاطلعت من بعض أهلها على خيانات وشهود زور حتى قبضت أموالاً قد كنت رددتها ثم رأيت أن أردها على سوء ظن بأهلها أحب إليَّ من أن أحبسها حتى ينجلي الأمر من غد على ما ينجلي عنه، فإذا جاءك كتابي هذا فارددها على أهلها والسلام عليك».

وكان لا تأخذه بالله لومة لائم مهما كان المتخاصم بالنسبة له، وعندما شكا له رجل على عامل مكة عروة بن عياض بن عدي الذي سامه على مال بثلاثة آلاف درهم واستحلفه بالطلاق إن خاصمة وكان عروة بن عياض قد خرج ليودع عمر من مكة فنظر عمر إلى عروة ثم نكت بالخيزران بين عينه في سجدته وقال :

أقام عمر نظاما ثابتا لعطاء الميت والمقاتلين على أساس المساواة بين العرب وغيرهم

هذه غرتني منك ثم قال للرجل: اذهب فقد رددت عليك مالك ولا حنث عليك.

وفيما يتعلق بدخول المظلومين إليه دون إذن لأنهم يرون فيه الإنسان الصالح التقي الورع الزاهد والإمام العادل الرشيد المحب للرعية والمشفق عليها حيث سمح لمن ظُلم بالدخول إليه دون إذن له على عمر إذ يقول :

«أيها الناس الحقوا ببلادكم فإني أنساكم عندي أذكركم ببلادكم ألا أني قد استعملت عليكم رجالاً لا أقول هم خياركم ولكنهم خير ممن هو شر منهم إلا فمن ظلمه إمامه مظلمة فلا إذن له عليَّ ومن لا فلا أرينه إلا أني منعت نفسي وأهل بيتي هذا المال فإن ضننت به عنكم إني إذن لضنين والله لولا أن أنعش سنة أو أسير بحق ما أحببت أن أعيش فواقاً وكان يصف الإمام الظالم عاصياً لا الهارب من ظلم الإمام العاصي عاصي إذ يقول :

«أما بعد أيها الناس فلا يطولن عليكم الأمد، ولا يبعدن عليكم يوم القيامة، فإن أزفت به منيته فقد قامت قيامته، لايستعتب في شيء ولا يزيد حسن إلا لإسلامه لا مري في خلاف السنة، ولا طاعة لمخلوق في معصية الله، ألا وإنكم تعدون الهارب من ظلم إمامه عاصياً ألا وإن أولاهما بالمعصية الإمام الظالم، ألا وإني أعالج أمراً لا يعين عليه إلا الله، كما تجنب عمر الإصلاح بالظلم، لأن في ذلك هلاك للدين عندما قال: «من لم يصلحه إلا الغشم فلا يصلح والله لا أصلح الناس بهلاك ديني إلا إذا كان الذي يريد الإصلاح بمنزلة من العدل والإصلاح والإحسان عليه أن يفعل وها هو يصلح ما بين رجل من أهل الشرق جاء مختصماً مع ابن أخيه قال: «بينما الشيخ يريد الصلة والصلح إذا غضب فدعته نفسه إلى القطيعة فنظر عليه عمر فقال: «ما رأيت أحلى منك ولا أمرّ ولا أبعد ولا أقرب بينما أنت تريد الصلة والصلح دعتك نفسك إلى القطيعة والظلم وله شاربان قد غطيا فاه» فقال :

«يا مينا لحجام له اخرج هذا الشيخ من الصف ثم خذ لي من شاربه ثم ائتني به ففعل» فقال عمر: «هذا أطيب وأنظف مع الفطرة هلم إلى الصلح أيها الشيخ أنت وابن أخيك، قالا: نعم فأصلح ذات بينهما فرفع عمر يديه إلى السماء وقال الحمد لله».

وعمر باق له على رد المظالم ضج بنو أمية من ذلك لأنه ضر بمصالحهم، أفقر بيت المال من جرّاء رد المظالم، لكنه لم ينتبه إلى ذلك، بل ظل مصرّاً على أن يرد المظالم إذ يقول: «والله لوددت ألا تبقى في الأرض مظلمة إلا رددتها وذلك لما يعرف من سوء تصرف الولاة من بني مروان قبله على الناس، ولقد انفد بيت مال العراق برد المظالم حتى حمل إليها من الشام، وهكذا استطاع عمر خلال فترة وجيزة أن يعمل من أجل تثبيت دعائم الحكم الأموي على أساس متين تحميه من خطر الانهيار وكان من الممكن جداً أن تنعكس ثمار هذه الجهود على الخلافة الأموية بصورة عامة لو طال به الأمد. ■

يقول عمر : إن للسلطان أركاناً لا يثبت إلا بها فالوالي ركن والقاضي ركن وصاحب بيت المال ركن والركن الرابع أنا

تراجـم

إعداد : محمد مروان جميل مراد

أعلام ومشهورون دفنوا في دمشق



● مدينة دمشق ويبدو الجامع الأموي

حـرف الألـف

أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام المنيري الحراني ـ تقي الدين أبو العباس «ابن تيمية»

شيخ الإسلام، ولد العام ٦٦١هـ ـ ١٢٦٣م بحرّان، وقدم إلى دمشق مع أهله، ناظر وجادل وهو ابن سبع عشرة سنة، برع في علم الكلام والفلسفة، وعلوم القرآن والحديث، وتعتبر حياته نموذجاً يحتذى في مواجهة الصعاب، بلغت تصانيفه ٥٠٠ مجلد، جمعت فتاواه ورسائله وطبعت، ومن أشهر مؤلفاته: «منهاج السنة النبوية» «الرد على المنطقيين» «الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان»، وكان يحفظ أحاديث الكتب الستة، لقّب محي السنة وإمام المجتهدين، سجن في مصر والشام وبقي في سجنه حتى توفي بقلعة دمشق العام ٧٢٨هـ ـ ١٣٢٨م ودفن في دمشق.

أحمد بن فضل الله العمري (شهاب الدين)

ولد في دمشق العام ٧٠١هـ ـ ١٣٠١م، مؤرخ وشاعر، من أئمة الكتّاب في العهد المملوكي، لقب بموسوعي دمشق، تولى منصب القضاء فيها، من أهم مصنفاته: «مسالك الأبصار في ممالك الأمصار»، «التعريف بالمصطلح الشريف» توفي ودفن



● جامع الشيخ محي الدين بدمشق وبه ضريحه ... وكان به ضريح عبدالقادر الجزائري

في دمشق العام ٧٥٠هـ ـ ١٣٤٩م.

أحمد بن محمد ابن خلكان (شمس الدين)

قاضي القضاة بالشام، ولد باربيل العام ٦٠٨هـ ـ ١٢١١م، عالم ومؤرخ جامع، وله باع طويل في الفقه والنحو والأدب. تنقل في طلب العلم بين حلب ودمشق والقاهرة، وعيّن قاضي القضاة بالشام. من أشهر مؤلفاته : «وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان»، ويتضمن ٨٤٦ ترجمة للأعيان والمشاهير حتى أواخر القرن ١٣م، توفي العام ٦٨٠هـ ـ ١٢٨١م، ودفن بسفح جبل قاسيون بدمشق.

أحمد بن يوسف القرماني

مؤرخ وأديب، ولد في دمشق العام ٩٣٩هـ ـ ١٥٣٢م، من أشهر مؤلفاته «أخبار الدول وآثار الأول»، المعروف بتاريخ القرماني، توفي ودفن في دمشق العام ١٠١٩هـ ـ ١٦١٠م.

أسامة بن زيد

صحابي كريم، أبوه زيد بن حارثة من كنانة عوف، حب رسول الله ـ ﷺ ـ «أمه بركة» الحبشية، أم أيمن، ولد في السنة السابعة قبل الهجرة في مكة المكرمة، عرف بالتقوى والورع والشجاعة، أجازه الرسول ـ ﷺ ـ فقاتل في «أحد» وهو ابن خمس عشرة سنة، وقاتل في حنين ومؤتة، وأمّره على جيش المسلمين لغزو الروم في الشام ولم يجاوز العشرين، وأنفذه أبو بكر الصديق للشام. توفي العام ٥٤هـ ـ ٦٧٣م ودفن في المزة، ضاحية دمشق.

أسامة بن مرشد الكناني (ابن منقذ)

ولد بشيزر شمالي مدينة حماة العام ٤٨٨هـ ـ ١٠٩٥م، كان أبوه أميراً، التحق بجيش زنكي، أتابك الموصل، وعاش في بلاط النوريين بدمشق، ثم الفاطميين في القاهرة، شارك في التصدي لحملات الصليبيين على فلسطين، وعاش في دمشق زمن صلاح الدين الأيوبي عني بالجهاد وبالشعر، وله ديوان في الفخر والوصف والغزل، ترجم لحياته في الاعتبار وله: «لباب الآداب» و«ذيل يتيمة الدهر» و«البديع في البديع»، توفي العام ٥٨٤هـ ـ ١١٨٨م ودفن في دمشق.

إسماعيل بن عمر (ابن كثير) أبو الفداء

ولد في قرية جندل ـ حوران العام ٧٠٠هـ ـ ١٣٠٠م، مؤرخ عربي، أقام في دمشق، واشتغل بالتأليف من أشهر مصنفاته البداية والنهاية في ١٤ جزءاً، توفي في دمشق العام ٧٧٤هـ ـ ١٣٧٢م، ودُفن فيها.

أوس بن أوس الثقفي

من كرام الصحابة الأجلاء، وفد على الرسول ﷺ في وفد ثقيف في رمضان في السنة التاسعة للهجرة، وأعلن إسلامه، رويت له أحاديث عن الرسول ﷺ ، كان من الزاهدين المعرضين عن الدنيا، توفي في دمشق في خلافة عثمان بن عفان، ودفن بمقبرة باب الصغير تجاه المدرسة الصابونية.

حرف البـــاء

بلال الحبشي بلال بن رباح الحبشي القرشي التيمي

مولى أبي بكر، حمامة، كنيته: أبو عبدالله من السابقين للإسلام، عذِّب في سبيل دينه فصبر، واشتراه أبو بكر وأعتقه، روى عن رسول الله ﷺ ٤٤ حديثاً، وهو أول من أذّن في الإسلام، هاجر إلى المدينة المنورة وآخى الرسول بينه وبين عبدالله الخثعمي، شهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ ، وفي عهد عمر بن الخطاب خرج مجاهداً إلى الشام، وفيها توفي في دمشق سنة ٢٠هـ ـ ٦٤٠م ودفن في مقبرة «باب الصغير».

بهاء الدين علي بن محمد (ابن الساعاتي)

من شعراء العصر الأيوبي، ولد في دمشق

العام ٥٥٣هـ - ١١٥٨م، مدح أعلام الدولة الأيوبية، جلّ شعره في الفخر والوصف والهجاء، كان مولعاً بالمحسّنات اللفظية، له ديوان مطبوع من جزءين توفي في دمشق ودفن فيها العام ٦٠٥هـ - ١٢٠٨م.

بيبرس البندقداري
(الملك الظاهر) ركن الدين

من أقدر سلاطين المماليك البحرية في مصر، ولد العام ٥٨٨هـ - ١٢١٠م، حكم بعد مقتل السلطان سيف الدين قطز، حارب الصليبيين في المنصورة، وأعاد للخلافة العباسية مقامها الروحي في القاهرة بعد سقوط بغداد في يد المغول - هزم المغول في موقعة عين جالوت العام ٦٥٨هـ - ١٢٦٠م، اشتهر بالعدل وحب العلم - توفي في دمشق العام ٦٧٦هـ - ١٢٧٧م، ودفن بالظاهرية قرب القلعة.

حرف الجيم

حجر بن عدي بن جبلة الكندي
أبو عبدالرحمن

صحابي من المقدّمين، وفد مع أخيه هانيء على رسول الله ﷺ ، وبايعه على الإسلام، وشهد حنين والجمل وصفين والقادسية، سكن الكوفة وناوأ بني أمية فاستدعاه معاوية وأمر بقتله في قرية مرج عذراء بالقرب من دمشق ودفن فيها العام ٥١هـ - ٦٧١م.

الحسن بن محمد (البوريني)

ولد في دمشق العام ٩٦٤هـ - ١٥٥٦م، مؤرخ وشاعر، قضى شطراً من حياته في التدريس، له «تراجم الأعيان من أبناء الزمان» و«شرح ديوان ابن الفارض» توفي في دمشق ودفن فيها العام ١٠٢٤هـ - ١٦١٥م.

حمزة بن أسد (ابن القلانسي)
أبو يعلى التميمي

ولد في دمشق سنة ٤٦٤هـ - ١٠٧١م، أديب ومؤرخ، شغل رئيس ديوان الإنشاء، من مؤلفاته «ذيل تاريخ دمشق» الذي أتم فيه كتاب هلال الصائبي، توفي في دمشق ودفن فيها سنة ٥٥٦هـ - ١١٦٠م.

حرف الخاء

خالد بن سعيد بن العاص بن أمية
(أبو سعيد)

أمه: أم خالد بنت حباب الثقفية. من الصحابة السابقين، يذكر أنه الخامس دخولاً في الدين الحنيف. عذبه أبوه في سبيل إسلامه فصبر. هاجر إلى الحبشة، ثم غزا مع الرسول الكريم ﷺ ، حضر فتح مكة، وحنين والطائف وتبوك، أول من كتب «بسم الله الرحمن الرحيم» بعثه الرسول والياً على اليمن، شارك جيوش الفتح في الشام، شهد موقعة أجنادين ١٣هـ - ٦٣٤م، وموقع مرج الصفر قرب دمشق وفيها استشهد في خلافة عمر العام ١٤هـ - ٦٣٥م ودفن في دمشق.

خالد بن يزيد بن معاوية
ابن أبي سفيان

حكيم قريش وعالمها، اشتغل بالطب والكيمياء والنجوم وألّف فيها رسائل، وكان إلى جانب ذلك ورعاً عالماً بأمور الدين، أول من نقل الكتب من اليونانية إلى العربية، بويع بالخلافة بعد أبيه يزيد، ولكنه تخلى عنها بعد ثلاثة أشهر لينصرف إلى العلم، دفن في دمشق العام ٨٥هـ - ٧٠٤م.



● ضريح القائد صلاح الدين الأيوبي

خليل بن إيبك الصفدي
(صلاح الدين)

أديب ومؤرخ ولد بصفد، ٦٩٦هـ - ١٢٩٦م، درس اللغة والأدب والفقه، عمل في ديوان الإنشاء في القاهرة ودمشق وحلب، ودرّس في الجامع الأموي، يُقال إن مؤلفاته زادت عن ٢٠٠ مجلد، من أشهرها «الوافي بالوفيات» وهو تراجم للمشهورين، «أعيان العصر وأعوان النصر» «تحفة ذوي الألباب»، وله شعر مدوّن في مختاراته.

توفي في دمشق ودفن فيها العام ٧٦٤هـ - ١٣٦٢م.

خولة بنت الأزور الأسدي

من أشجع نساء العرب في عصرها، أخت ضرار بن الأزور، قاتلت في معركة اليرموك وأبلت فيها بلاء مشهوداً، ولها أخبار كثيرة في فتوح الشام، شاعرة مجيدة، توفيت في آخر خلافة عثمان، ودفنت في دمشق العام ٣٥ هـ - ٦٥٥م.

حرف الجيم

دحية بن خليفة بن فروة بن فضالة ابن وجدة الكلبي

من الصحابة المشهورين، شهد مع رسول الله ﷺ المشاهد كلها، عدا غزوة بدر، وكان سيدنا جبريل عليه السلام ينزل على صورته أحياناً، بعثه الرسول ﷺ إلى قيصر الروم رسولاً سنة ست من الهجرة الشريفة، شهد معركة اليرموك وأبلى فيها بشجاعة، ثم نزل دمشق وعاش فيها حتى خلافة معاوية، رويت له ثلاثة أحاديث عن الرسول ﷺ، توفي في دمشق سنة ٤٥هـ - ٦٦٥م ودفن في منطقة المزة.

حرف السين

سبط شمس الدين (ابن الجوزي)

مؤرخ عربي، ولد في بغداد العام ٥٨٢هـ - ١١٨٦م، ألف كتاباً في التاريخ العام بعنوان «مرآة الزمان في تاريخ الأعيان» من البداية حتى العام ١٢٥٦م في ٤٠ مجلداً، نشر بعض المستشرقين أجزاء منه، توفي في دمشق العام ٦٥٥هـ - ١٢٥٧م ودفن فيها.

ست الشام بنت نجم الدين أيوب

أخت الناصر صلاح الدين، من سيدات وأميرات البيت الأيوبي في دمشق، أنشأت المدرسة الشامية الجوانية، جنوب البيمارستان النوري، والمدرسة الشامية البرانية في حي ساروجا توفيت في دمشق سنة ٦١٦هـ - ١٢١٩م.

سعد بن عبادة بن دليم بن حارثة الأنصاري الخزرجي (أبو ثابت)

أمه: عمرة بنت مسعود، كان من أمراء الجاهلية، أسلم مبكراً، وشهد بيعة العقبة، وهو أحد النقباء الاثني عشر فيها، نال نصيباً من تعذيب قريش للمسلمين بمكة، عُرف بالكرم والشجاعة، كانت معه راية الأنصار، وبيده راية الرسول ﷺ في فتح مكة، توفي في خلافة عمر سنة ١٤هـ - ٦٣٥م، ودفن في المليحة قرب دمشق.

حرف الشين

شرحبيل بن حسنة بن عبدالله ابن المطاع الكندي (ابن سفيان)

أمه حسنة، من مهاجري الحبشة والمدينة، شارك في غزوات النبي ﷺ ، أوفده النبي رسولاً إلى مصر، ووجّهه أبو بكر الصديق إلى الشام، فكان أحد قادة الفتوح في الشام، وولاّه عمر بن الخطاب على دمشق، توفي في طاعون عمواس سنة ١٨ هـ - ٦٣٩م، ودفن قرب «باب توما» في دمشق.

حرف الضاد

ضرار بن مالك الأزور بن الأسدي

أحد أبطال الجاهلية من بني أسد، فارس شجاع، وشاعر مطبوع، قاتل أهل الردة يوم اليرموك وقاتل تحت راية خالد بن الوليد، شارك في فتح دمشق، وتوفي فيها العام ١٥هـ - ٦٣٦م.

حرف العين

عائشة بنت يوسف بن أحمد بن ناصر - الباعونية - (أم عبدالوهاب)

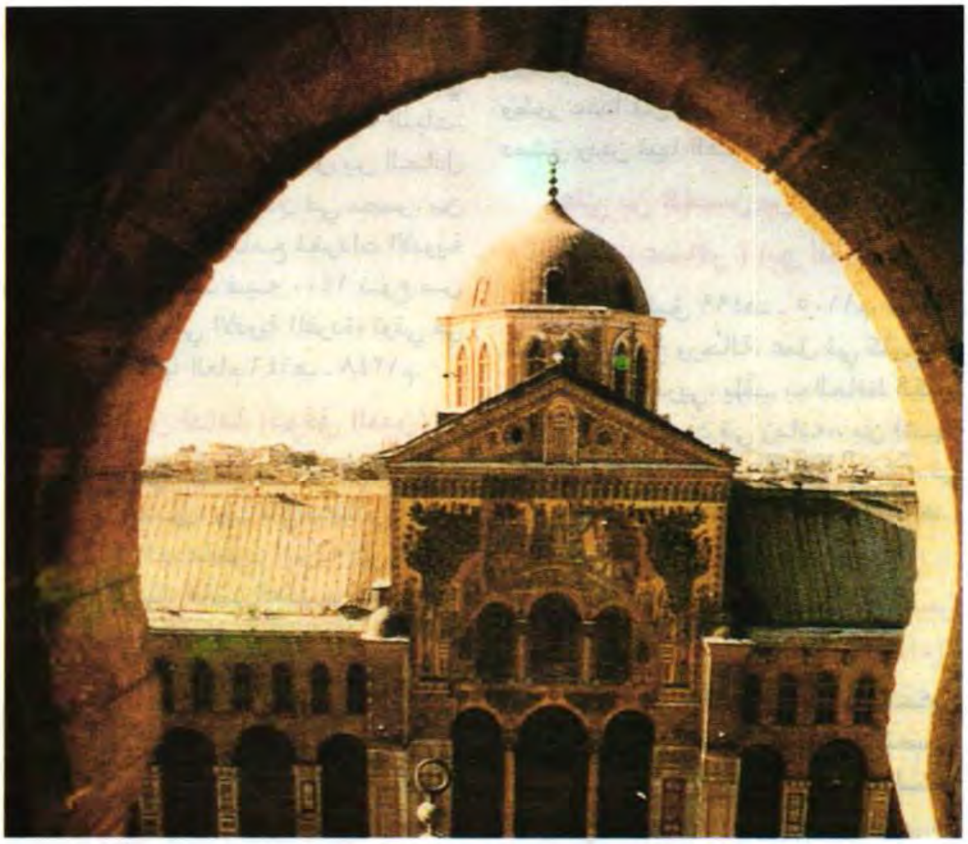
ولدت في دمشق، وحفظت القرآن الكريم في الثامنة من عمرها، جمعت بين العلم والشعر والصلاح والزهد، رحلت إلى مصر، ثم عادت إلى دمشق العام ٩٢٢هـ - ١٥١٦م، وفيها توفيت ودفنت بالصالحية، من آثارها: «الفتح المبين في مدح الأمين»، «در الغائص في بحر المعجزات والخصائص»، «فتوح المعاني»، ولها ديوان شعر مخطوط.

عبدالرحمن بن إسماعيل (أبو شامة المقدسي)

لغوي ومحدّث ومؤرخ، ولد في دمشق العام ٦٠٠هـ - ١٢٠٣م، ودرّس فيها اللغة والفقه، ولي مشيخة دار الحديث للأشرفية في دمشق، من مؤلفاته: «الروضتين في أخبار الدولتين»، و«مختصر تاريخ دمشق»، و«شرح البردة»، توفي في دمشق ودفن فيها ٦٦٧هـ - ١٢٦٨م.

عبدالقادر بن محيي الدين الجزائري (الأمير)

ولد ١٢٢٢هـ - ١٨٠٧م في مدينة الجزائر في أسرة من الأشراف - نودي به أميراً العام ١٨٣٢م، اشتهر بالعلم والتقوى والشجاعة، قاد المجاهدين في الحرب ضد الاحتلال الفرنسي للجزائر خمسة عشر عاماً، وانتصر على الفرنسيين في مواقع مشهودة، اضطر إلى التسليم العام ١٢٦٤هـ - ١٨٤٧م، فنفي إلى فرنسا، لجأ إلى تركيا، ثم إلى دمشق وسكن فيها حتى وفاته العام ١٣٠١هـ - ١٨٨٣م، فدفن في الصالحية، ونقلت رفاته إلى الجزائر بُعَيد الاستقلال.



● الجامع الأموي في دمشق

عبدالله بن أحمد (ابن البيطار)

إمام النباتيين وعلماء الأعشاب، ولد في مالقة، وجاب شمال إفريقيا لدراسة النبات، دخل في خدمة الملك الكامل بن العادل وأصبح رئيساً للعشابين في مصر. من أشهر مؤلفاته: «الجامع لمفردات الأدوية والأغذية»، وصف فيه ١٤٠٠ نوع من العقاقير «المغني في الأدوية المفردة» توفي في دمشق ودفن فيها العام ٦٤٦هـ ـ ١٢٤٨م.

عبدالله بن قدامة (موفق الدين)

فقيه حنبلي من الكبار، وإمام في علم الخلاف والأصول، ولد في نابلس العام ٥٤٣هـ ـ ١١٤٦م، هاجرت أسرته إلى دمشق واستقرت فيها، فأخذ العلم عن علمائها، وانصرف إلى التعليم والتأليف، من أهم مصنفاته «الشافي» وهو الشرح الكبير للمقنع، «والمغني في شرح مختصر الخرقي» وهو في عشرة مجلدات، توفي ودفن في دمشق العام ٦٢٠هـ ـ ١٢٢٣م.

عبدالملك بن مروان بن الحكم الأموي القرشي

ولد العام ٢٦هـ ـ ٦٤٦م في المدينة المنورة، أمه عائشة بنت معاوية بن المغيرة بن أبي العاص، يعتبر المؤسس الثاني للخلافة الأموية، كان فقيهاً متعبداً، استعمله معاوية على المدينة المنورة وعمره ست عشرة سنة، تولى الحكم بعد أبيه سنة ٦٥هـ ـ ٦٨٤م فضبط أمور الدولة، قاتل البيزنطيين، وطردهم من شمالي أفريقيا، بدأت في عهده حركة تعريب الدواوين، وسك العملة العربية، توفي في دمشق العام ٨٦هـ ـ ٧٠٥م ودفن فيها.

عثمان بن عبدالرحمن (ابن الصلاح الصفدي) ـ تقي الدين أبو عمرو

محدث ومفسر، ومشارك في علوم مختلفة. أفتى في دمشق، من مصنفاته: «مشكل الوسيط» للغزالي، «الفتاوى» ، «علوم الحديث»، توفي في دمشق ودفن فيها العام ٦٤٣هـ ـ ١٢٤٥م.

علاء الدين علي بن إبراهيم الدمشقي (علاء الدين) ابن الشاطر

موقت الجامع الأموي، ألف في الحساب والفلك، ومن مصنفاته: «مختصر في العمل بالاسطرلاب»، «أرجوزة في الكواكب»، «زيج بان الشاطر»، وقد أخذ منه «كوبرنيكوس» واعتمد عليه، عمل جهازاً سماه «البسيط» ووضعه في منارة العروس بالجامع الكبير، وطور عدداً من الآلات الفلكية، توفي في دمشق ودفن فيها العام ٧٧٧هـ ـ ١٣٧٥م.

علي بن الحسن بن هبة الله (ابن عساكر) أبو القاسم

ولد في دمشق ٤٩٩هـ ـ ١١٠٥م، محدِّث شافعي ومؤرخ ورحالة، عمل في كثير من مدن الشرق العربي، يلقّب بـ«الحافظ الكبير وإمام أهل الحديث في زمانه»، من أشهر مؤلفاته: «التاريخ الكبير، وتاريخ دمشق»، في ثمانية مجلدات، توفي في دمشق ٥٧٢هـ ـ ١١٧٦م، ودفن في مقبرة باب الصغير.

عويمر، وقيل عامر بن مالك بن قيس الخزرجي الأنصاري (أبو الدرداء)

أمه، محبة بنت واقد، صاحبي من الحكماء الفرسان، أسلم بعد الهجرة بزمن قصير، آخى الرسول ﷺ بينه وبين سلمان الفارسي، شهد الغزوات بعد أحد، روى عن النبي ﷺ ١٧٩ حديثاً. ولاه معاوية قضاء الشام وفي عهد عمر بن الخطاب، توفي في دمشق ودفن فيها العام ٣٢هـ ـ ٦٥٢م.

حرف الفاء

فضل الله بن محب الله (المحبي)

أديب وشاعر وفقيه ولد في دمشق العام ١٠١٣هـ ـ ١٦٢١م، رحل إلى الأستانة ودرس فيها، عين قاضياً في مصر وبيروت، شرح الأجرومية، وأكمل تاريخ البوريني، له ديوان شعر، توفي ودفن في دمشق العام ١٠٨٢هـ ـ ١٦٧١م.

حرف الميم

محمد بن أبي بكر الزرعي (ابن قيم الجوزية)

ولد في دمشق، فقيه حنبلي من الكبار، ومتكلم جدلي، تتلمذ على يديه ابن تيمية ونشر علمه وسجن معه، قاوم أرباب الملل والنحل، له مصنفات كثيرة منها: «التبيان في أقسام القرآن»، «شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر»، «إعلام الموقعين»، «حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح»، توفي في دمشق ودفن فيها العام ٧٥١هـ ـ ١٣٥٠م.

محمد بن أبي بكر (المحبي)

فقيه ومؤرخ ولد في حماة ٩٤٩هـ ـ ١٥٤٢م ودرس في حلب، عين مدرساً في المدرسة القضائية بدمشق، ثم قاضياً بالقاهرة، وقاضياً للجند، فسَّر القرآن الكريم، ووصف رحلاته في كتب عدة، من أهم مؤلفاته: «عمدة الحكام» في الفقه و«الأرجوزة البيانية»، توفي في دمشق العام ١٠١٧هـ ـ ١٦٠٨م.

محمد بن أحمد شمس الدين الذهبي

محدث ومؤرخ من الأئمة، ولد في دمشق العام ٦٧٣هـ ـ ١٢٧٤م، رحل إلى القاهرة وطاف بلداناً كثيرة، كفَّ بصره، تصانيفه كثيرة منها: «تاريخ الإسلام الكبير» الذي يعتبر موسوعة تاريخية، «سير النبلاء»، «دول الإسلام»، «ميزان الاعتدال في نقد الرجال»، توفي في دمشق ودفن فيها العام ٧٤٨هـ ـ ١٣٤٨م.

محمد بن أحمد (الملك الكامل) ابن الملك العادل سلطان أيوبي

ولد العام ٥٧٦هـ ـ ١١٨٠م، حكم مصر والشام، قاوم الحملة الصليبية الخامسة التي احتلت دمياط، وعقد اتفاق صلح مع ملك ألمانيا فردريك الثاني، تخلى بموجبه عن القدس، توفي في دمشق ودفن في قلعتها العام ٦٣٥هـ ـ ١٢٣٨م.

محمد الأمين بن فضل الله (المحبي)

فقيه ولغوي ومؤرخ، ولد في دمشق العام ١٠٦٢هـ ـ ١٦٥١م، وأقام في بيروت وأدرنة، عُين قاضياً في مصر، ثم درَّس في دمشق، له مؤلفات كثيرة منها: «خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر»، وفي النحو «ما يعوّل عليه في المضاف والمضاف إليه»، وأكمل «ريحانة الألبا» للخافجي باسم «نفحة الريحانة ورشحة طلا الحانة»، وله ديوان شعر، توفي ودفن في دمشق العام ١١١١هـ ـ ١٦٩٩م.

محمد بن جابر بن سنان (البتاني)

ولد في بتان من نواحي حران على نهر البليخ (من روافد الفرات) العام ٢٣٥هـ ـ ٨٥٠م، من مشاهير علماء الفلك المسلمين، تنقل بين مدن الشام، وأنشأ مرصداً في أنطاكيه، وألف زيجاً عرف بالزيج الصابئ، وقدَّم وصفاً دقيقاً للآلات الفلكية المستعملة في مرصده، كما وضع جداول فلكية على مستوى كبير من الاتقان والدقة. وهو أول من سخّر علم المثلثات لخدمة علم الفلك، ودرس

الأوج الطولي للشمس. كما حدد قيمة السنة الشمسية بدقة بالغة. توفي بدمشق العام ٣١٧هـ ـ ٩٢٩م ودفن فيها.

محمد بن عبدالرحمن (القزويني)

ولد بالموصل العام ٦٦٧هـ ـ ١٢٦٨م، اشتغل بالفقه والحديث والأدب، ولي خطابة جامع دمشق، وصار رئيس قضائها، ثم رئيس قضاة مصر... ودمشق مرة أخرى، من أشهر مؤلفاته: «تلخيص المفتاح في المعاني والبيان» وهو الكتاب الدراسي الأول في البلاغة، وكتاب «الدر المرجاني من شعر الأرجاني» توفي في دمشق العام ٧٣٩هـ ـ ١٣٣٨م ودفن فيها.

محمد بن عبدالله (جمال الدين الجياني) ابن مالك

ولد ٥٩٨هـ ـ ١٢٠٣م في «جيان» بالأندلس، تعلم في دمشق على «السخاوي»، وفي حلب على «ابن يعيش»، كان إماماً في القرآن وبرع بمبادئها حتى أربى على المتقدمين، صنف «تسهيل الفوائد في النحو» و«الكافية الشافية»، وهي أرجوزة في النحو لخصها بـ«الألفية» و«لامية الأفعال» وغيرها. توفي العام ٦٧٢هـ ـ ١٢٧٤م، في دمشق ودفن بتربة ابن الصايغ في الصاحلية.

محمد بن علي شمس الدين الصالحي (ابن طولون)

ولد في دمشق في العام ٩٢٢هـ ـ ١٥١٦م، مؤرخ، درس التصوف والحديث والفقه واللغة والتاريخ، تعلم في القاهرة على السيوطي، له مؤلفات كثيرة أربت على الـ ٥٠٠ مُؤلَّف، شملت مختلف ألوان المعرفة منها: «القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية»، «ذخائر القصر» أعلام الورى وغيرها، توفي في دمشق ودفن فيها العام ٩٥٣هـ ـ ١٥٤٦م.

محمد بن محمد بن طرخان (أبو نصر الفارابي)

ولد بفاراب (تركستان) العام ٢٥٧هـ ـ ١٨٧٠م، فيلسوف المسلمين، درس في بغداد وحران، وأقام في بلاط سيف الدولة الحمداني، لقب بالمعلم الثاني بعد أرسطو، كان بارعاً في الرياضيات والموسيقى، شرح كتب أرسطو، ومن أشهر مؤلفاته «آراء أهل المدينة الفاضلة»، و«الموسيقا الكبيرة»، «فصوص الحكم»، «إحصاء العلوم» وغيرها، توفي في دمشق العام ٣٣٩هـ ـ ٩٥٠م ودفن فيها.

محمد بن نصر (ابن القيسراني)

شاعر وفلكي ولد في عكا العام ٤٧٨هـ ـ ١٠٨٥م، تولى إدارة الساعات في دمشق عاش زمن نور الدين محمود زنكي، له ديوان شعر، توفي في دمشق العام ٥٤٨هـ ـ ١١٥٣م.

محمد بن نصير (ابن عنين) أبو المحاسن

شاعر ورحالة، ولد في دمشق ٥٤٩هـ ـ ١١٥٤م، ارتحل إلى بلاد كثيرة، تولى الوزارة للملك المعظم الأيوبي، أكثر شعره في الهجاء والدعابة وأطرفه في الحنين إلى دمشق، توفي ودفن العام ٦٣١هـ ـ ١٢٣٣م، له ديوان مطبوع.

محيي الدين أبو بكر محمد بن علي «ابن عربي» الطائي الأندلسي الملقب «الشيخ الأكبر»

ولد في مرسية بـ«الأندلس» العام ٥٦١هـ ـ ١١٦٥م، صوفي كبير، درس الفقه والحديث بأشبيلية وتنقّل محدّثاً بين الأقطار العربية، له أكثر من ١٥٠ مصنفاً من أشهرها «الفتوحات المكية»، «فصوص الحكم» وديوان «ترجمان الأشواق»، توفي في دمشق ٦٣٨هـ ـ ١٢٤٠م ودفن في سفح قاسيون.

مسلمة بن عبدالملك بن مروان بن الحكم

أمير وقائد أموي، من أبطال عصره، غزا بلاد الروم في عهد سليمان بن عبدالملك، ولاّه أخوه يزيد إمرة العراقين، ثم أرمينيا، قضى على ثورة يزيد بن المهلب عامل خراسان، توفي ودفن في دمشق العام ١٢٠هـ ـ ٧٣٨م.

معاوية بن أبي سفيان بن صخر بن حرب بن أمية القرشي الأموي

أمه هند بنت عتبة، أبو عبدالرحمن، ولد في مكة سنة ٢٠ قبل الهجرة ـ ٦٠٣م، وأسلم مع أسرته يوم فتح مكة ٨هـ ـ ٦٢٩م، شهد حنين، من كتّاب النبي الكريم ﷺ ، وروي عنه ١٦٣ حديثاً شريفاً، سيّره أبو بكر في جيوش الفتح إلى الشام، وولاّه عمر على دمشق وثبّته «عثمان» على ديار الشام، عرف بأنه من دهاة العرب، واتصف بالحلم وكان ذا فقه وعلم. أسس الخلافة الأموية في دمشق، وبقي خليفة حتى وفاته سنة ٦٠هـ ـ ٦٨٠م، ودفن في مقبرة باب الصغير.

محمود زنكي (نور الدين)

ولد في حلب سنة ٥١١هـ ـ ١١١٧م، أصبح أميراً على حلب بعد وفاة أبيه عماد الدين، حارب الصليبيين وانتزع منهم الرها وبانياس، فتح في بلاد الروم حصوناً كثيرة، ثم استولى على دمشق، وأرسل حملة إلى مصر هيأت لضمها إلى سورية، كان مجاهداً شجاعاً، وحاكماً فاضلاً، بنى دور العلم والمساجد، وبنى البيمارستان النوري وجدد سور المدينة، توفي في دمشق سنة ٥٧٠هـ ـ ١١٧٤م ودفن فيها.

حرف الياء

يوسف بن نجم الدين أيوب ـ الملك الناصر (صلاح الدين الأيوبي)

ولد في تكريت العام ٥٣٢هـ ـ ١١٣٧م، من أعظم الأبطال المسلمين، عاش في دمشق في بلاط نور الدين محمود، رافق عمه الأمير شيركوه إلى مصر، ثم خلفه فيها العام ٥٦٥هـ ـ ١١٦٩م، أنهى الحكم الفاطمي، ثم وحّد مصر والشام في الدولة الأيوبية، قاتل الصليبيين وهزمهم في معركة «حطين» العام ٥٨٣هـ ـ ١١٨٧م، واسترد بيت المقدس، كان شهماً كريم النفس محباً للعلم، شيّد المساجد، وأصلح الري، توفي في دمشق العام ٥٨٩هـ ـ ١١٩٣م ودفن قرب الجامع الأموي. ■

المصادر:

١ ـ الإصابة: ابن حجر العسقلاني.
٢ ـ أسد الغابة: ابن الأثير.
٣ ـ دمشق الشام: أيوب سعدية.
٤ ـ منتخبات التواريخ لدمشق: محمد أديب تقي الدين الحصيني.
٥ ـ الصحابة الأعلام، ومن دفن منهم في الشام: محمد خورشيد.
٦ ـ مشيدات دمشق ذوات الأضرحة: د. قتيبة الشهابي.
٧ ـ الأعلام: خير الدين الزركلي.
٨ ـ رواد علم الفلك: د. علي عبدالله الدفاع.
٩ ـ الموسوعة العربية الميسرة.

بقلم : عبدالله بدران

حرية التعبير في منهج الإعلام الإسلامي

كرَّم الله عزَّ وجلَّ البشر جميعاً بشريعة الإسلام الخالدة، التي جاءت تعاليمها هادية للناس، رافعة لقدرهم، ناهضة بعقولهم، آخذة بأيديهم إلى طريق الحق والصواب، والإنسان العاقل الواعي لا بد من أن يرى بوضوح أن تعاليم الشريعة الإسلامية، والقيم الرفيعة التي أتت بها، والأخلاق الحميدة التي دعت إلى الالتزام بها، والآداب الفاضلة التي حثت على التمسك بها، لم تكن وليدة فكر بشري، أو نتاج رجل عبقري، أو خيالات كاهن منجم، بل هي تشريع سماوي خالد، نزل من الباري عزَّ وجلَّ إلى رسوله محمد ﷺ بوساطة جبريل عليه السلام، والبراهين على ذلك واضحة جلية، لا يستطيع جاحد إنكارها، ولا يمكن لملحد أن يدحضها أو يرد عليها.

ولقد اتسمت هذه الشريعة بالشمولية، فلم تأخذ الجانب الروحي وتدعو له بكل ما أوتيت من وسائل وإمكانات، بل أعطت الروح ما يناسبها، وأوجدت لها السكينة والطمأنينة والسعادة والهناء.

ولم تجنح إلى الجانب الجسدي فقط، وتحمل الإنسان على بذل جميع الأسباب في سبيل إثبات وجوده وشخصيته، بل دلت الإنسان على الأسس والقواعد التي تكفل لجسده حياة فاضلة شريفة، لا تشوبها شائبة، ولا يتطرق إليها شك ولا اضطراب.

كما تطرقت إلى مختلف نواحي الحياة، فبحثت في النواحي الاقتصادية، والاجتماعية، والسياسية، والثقافية، والتربوية... إلخ، ووضعت لكل ناحية أسباب نجاحها، وعوامل قوتها، وحذرت من السبل المؤدية إلى فشلها، وشخصت أمراضها وعللها، وأوجدت لها الأدوية الناجعة الوقائية والعلاجية والإسلام يتضمن تشريعاً لحماية الدولة التي يقيمها، والدعوة التي يدعو إليها لتقوم الإنسانية على الحرية والقسط والعدل. ويتضمن هذا التشريع ثلاثة نظم أساسية هي(١):

١ ـ نظام حماية الدولة بأرضها وجماعتها، وحماية حرية الدعوة إلى الإسلام، وحرية الدخول فيه.

٢ ـ حماية السلطة الشرعية القائمة من التمرد والانشقاق في داخل الدولة، ومن أبنائها من المسلمين، تمرداً مسلحاً، وذلك عن طريق ما يسمى في الاصطلاح الفقهي: حرب البغاة.

٣ ـ حماية حقوق الإنسان أفراداً وجماعات، وحماية حرياتهم من أي انتهاك يلحق بها.

والإعلام جانب مهم من جوانب الحياة، وأضحى علماً قائماً بذاته، له أسسه، وقواعده، وأصوله، وأهدافه، وصار واضحاً لكل ذي بصيرة دوره القوي في حياة المجتمعات، وتأثيره الفاعل في تغيير الأنماط، والسلوك، والعادات، وتوجيه الرأي العام نحو القضايا التي يتبناها.

ولقد تعاملت الشريعة الإسلامية مع الإعلام تعاملها مع جميع العلوم المماثلة، كالاقتصاد، والسياسة، إذ وضعت منهجاً علمياً دقيقاً يصلح لكل زمان ومكان، يضبط هذه العلوم وما استجد من حوادث ووقائع وفقاً لقواعده المتعارفة، ويحدد لها الإطار الشرعي الواضح الجلي، فما وافق كتاب الله عز وجل وسنة نبيه المعصوم عليه الصلاة والسلام، فهو مقبول في هذا المنهج، وما خالف ذلك فهو مرفوض.

وأقرت الشريعة الغراء أن «الأصل فيما خلق الله من أشياء ومنافع هو الحل والإباحة، ولا حرام إلا ما ورد نص صريح من الشارع بتحريمه، فإذا لم يكن النص صحيحاً ـ كبعض الأحاديث الضعيفة ـ أو لم يكن صريحاً في الدلالة على الحرمة، بقي الأمر على أصل الإباحة»(٢)، وهذا مبدأ عام وشامل تقاس عليه جميع الأمور والقضايا الحادثة، ويتبين من ذلك حكم الشرع فيها.

وحقيقة الإسلام «تتمثل في أمرين: ألا يعبد إلا الله، وألا يعبد إلا بما شرع، فمن ابتدع عبادة من عنده، فهي ضلالة ترد عليه، لأن الشارع وحده هو صاحب الحق في إنشاء العبادات التي يتقرب بها إليه، وأما العادات، أو المعاملات فليس الشارع منشئاً لها، بل الناس هم الذين أنشؤوها، وتعاملوا بها، والشارع جاء مصححاً لها، ومعدلاً، ومهذباً، ومقراً في بعض الأحيان ما خلا عن الفساد والضرر منها»(٣).

ولما كان الإعلام يعتمد في أسسه ومبادئه على الرأي والقول والتعبير فإنه وجب توضيح موقف الإسلام من ذلك، من خلال تبيان الضوابط التي يجب الالتزام بها، والحدود الواجب عدم الخروج عليها، والمنهج الواجب اتباعه في ذلك.

ولقد ظهر حرص الإسلام على حرية الرأي والقول والفكر والتعبير «منذ بداية نشأته، فقد كان أحوج ما يكون إلى هذه الحرية، ولذلك فقد طلبها واستثارها لدى أتباعه وخصومه في بداية الدعوة، واستنهض العقول للتفكير، ودعا إلى حرية التعبير، وجعل الفكر الإنساني ميزاناً لتمييز الحق من الباطل، والصواب من الخطأ في قضايا أساسية عديدة»(٤).

ويتبين ذلك من خلال آيات عدة، منها دعوته تعالى في أول آية نزلت في كتابه العزيز إلى العلم والقراءة:

(اقرأ باسم ربك الذي خلق. خلق الإنسان من علق. اقرأ وربك الأكرم. الذي علّم بالقلم. علّم الإنسان ما لم يعلم)(٥).

وقوله تعالى مبيناً قيمة العقل لدى الإنسان، وضرورة استخدامه وإعماله بالصورة المثلى: (وأنزلنا إليك الذّكر لتبين للناس ما نزّل إليهم ولعلهم يتفكرون)(٦).

وقوله سبحانه داعياً إلى التفكير السليم: (أوَ لم يتفكروا في أنفسهم ما خلق الله السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق وأجل مسمى)(٧).

والرأي والقول والتعبير الذي يدعو الإسلام إلى حريته يجب أن يكون «ملتزماً بالمبادئ الإسلامية المستقاة من كتاب الله وسنة رسوله، بعيداً عن إلحاق الضرر بمصالح الآخرين، وأمن المجتمع واستقراره، وسمعة الأفراد والجماعات، وإلا كانت حرية الرأي ضرباً من الفوضى)(٨).

وعندما أعطى الإسلام الرأي هذه الحرية وذلك الحق فإنه ربط بين ذلك وبين الغاية من استعمالها «لأن استعمال الإنسان لحقه كقاعدة عامة يحده عدم إيقاع الضرر غير المشروع بغيره، فكل الحقوق التي للإسنان مقيدة بغاياتها، والقيد هنا لا يعد في حقيقة الأمر قيداً، ولكنه الضمان الأول لكي تؤدي الحقوق التي منحت للإنسان غاياتها في المجتمع الإنساني، وتبدو الحقوق التي لاترتبط بغاياتها مجردة من القيمة الاجتماعية، بل تظهر في صورة إباحة التصرف بناء على الأهواء والغايات الذاتية وحدها»(٩).

وإذا كانت الشريعة الإسلامية قد أعطت الرأي والفكر والقول والتعبير مساحة واسعة من الحرية وفق ضوابط وحدود تكفل تطبيقها ضمن الحلال والمباح، فإن المشرعين الوضعيين انقسموا حيال ذلك إلى قسمين، «قسم يرى حرية القول دون قيد إلا فيما يمس النظام العام، وهؤلاء لا يعيرون الأخلاق أي اهتمام، وتطبيق رأيهم يؤدي دائماً إلى التباغض والتنابز، والتحزب، والقلاقل، والثورات، وعدم الاستقرار، وقسم يرى تقييد حرية الرأي في كل ما يخالف رأي الحاكمين ونظرتهم للحياة، وتطبيق رأي هؤلاء يؤدي إلى كبت الآراء الحرة، وإبعاد العناصر الصالحة عن الحكم، ويؤدي في النهاية إلى الاستبداد، ثم القلاقل والثورات»(١٠).

ويرى أحد الباحثين أن الشريعة الإسلامية «تجمع بين الحرية والتقييد، وهي لا تسلم بالحرية على إطلاقها، ولا بالتقييد على إطلاقه، فالقاعدة الأساسية في الشريعة هي حرية القول، والقيود على هذه الحرية ليست إلا فيما يمس الأخلاق أو الآداب أو النظام... وهذه الحماية لا تتيسر إلا بتقييد حرية القول، فإذا منع القائل من الخوض فيما يمسّ هذه الأشياء فقد مُنع من الاعتداء ولم يُحرمْ من أي حق، لأن الاعتداء لا يمكن أن يكون حقاً»(١١).

ومن هنا نجد أن الشريعة الغراء عندما وضعت ضوابط معينة على حرية الفكر والرأي والقول والتعبير، فإنها هدفت إلى ضمان تطبيق شرع الله، وتحقيق أمن المجتمع واستقراره، وحماية أفراده من التعرض إلى أعراضهم، وكشف أسرارهم، وضمان عدم إشاعة الفاحشة بينهم، ورعاية مصالحهم، ودرء المفاسد عنهم، وهذه الحرية التي يمكن تسميتها بالحرية الإعلامية هي جزء من الحريات العامة في الإسلام لا يمكن فصلها عنها.

وتعني الحرية الإعلامية «إرادة الإنسان وقدرته على الاختيار والانتفاع بحرية الاتصال المحكم بشتى وسائل الإعلام، وهي عطاء إلهي فطر الإنسان عليه حتى يكون عبداً لله بالحرية والاختيار، كما هو عبد لله بالفطرة والاضطرار وفق الممكن من القدرة والعلم على ممارسة هذا الحق انطلاقاً من مسؤولية التكريم، والاستخلاف، وواجب البلاغ المبين، وطلباً للاستجابة والإقناع بالحق، والتفاهم، والتعاون على الخير في إطار عقيدة الايمان بالله الواحد الأحد لتحقيق غايته الحقيقية»(١٢).

وبناء على ذلك قام الإعلام الإسلامي هادفاً إلى «تقوية صلة الإنسان بخالقه، وبناء شخصيته بناء سوياً من حيث هو فرد أو جماعة، وبناء سمعة طيبة عنه على جميع المستويات في إطار من الضوابط العقدية، والأخلاقية، والإنسانية، والمصلحة المعتبرة شرعاً للفرد والجماعة، ومن خلال الكلمة الحرة السليمة القائمة على اليقظة، والاتزان، والاعتدال، والمرعية للواقع والموضوعية»(١٣). ■

الهوامش:

١ - محمد المبارك وآخرون: الثقافة الإسلامية، جامعة الملك عبدالعزيز، السعودية، ط١٢، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م، ص ٣٧٩.
٢ - يوسف القرضاوي: الحلال والحرام في الإسلام، مكتبة وهبة، القاهرة، ط٢، ١٤١١هـ - ١٩٩١م، ص ١٩.
٣ - المرجع نفسه، ص ٢١.
٤ - جمال الدين محمود: الضوابط الإسلامية لحرية الفكر والرأي، مجلة منبر الإسلام، السنة ٤٨، العدد٢، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م، ص ٤٩.
٥ - سورة العلق، الآيات: ١ - ٥.
٦ - سورة النحل، الآية:٤٤.
٧ - سورة الروم، الآية:٨.
٨ - محمود يوسف مصطفى: حرية الرأي في الإسلام، مكتبة غريب، مصر، دت، ص٣٩.
٩ - جمال الدين محمود: الضوابط الإسلامية لحرية الفكر والرأي، مرجع سابق، ص٥٠.
١٠ - عبدالقادرة عودة: التشريع الجنائي الإسلامي مقارناً بالقانون الوضعي، دار التراث، القاهرة، د.ت، ج١، ص٥.
١١ - المرجع نفسه، والمكان نفسه.
١٢ - سعيد بن علي بن ثابت: الحرية الإعلامية في ضوء الإسلام، دار عالم الكتب، الرياض، ط٣، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م، ص ٥٤.
١٣ - سيد محمد ساداتي الشنقيطي: مكانة وسائل الإعلام الجماهيرية في تحقيق وحدة الأمة، عالم الكتب، الرياض، ١٤١٧هـ - ص١٢٦.

بقلم: د. حسن عزوزي

ظاهرة الاستشراق الصحفي

كثيراً ما تتسابق المجلات والجرائد الغربية في استغلال أزمات سياسية أو مظاهر اجتماعية معينة تقع في البلاد الإسلامية ولها صلة بالإسلام كي تقوم بتغطيات واستطلاعات صحفية من أجل عرض كل ما يحلو لها قوله عن الإسلام والمسلمين.

ومما لا شك فيه أن وراء الحملات المغرضة لتشويه صورة الإسلام تقف ترسانة إعلامية ضخمة هدفها العمل بتنسيق تام وتخطيط متكامل لإتقان عملية التشويه والتمييع الموجهة ضد الإسلام والمسلمين، بيد أن أبرز فريق إعلامي يظهر دوره كفاعل مؤثر خبير مختص هو مجموعة من الصحفيين الكتاب الذين هم أقرب إلى العمل الاستشراقي من العمل الصحفي أو بالأحرى هم كتاب صحفيون مالوا إلى احتراف مهنة الاستشراق التي باتت بالية ومتجاوزة.

وعادة ما تتميز تلك التغطيات الصحفية بنوع من الإثارة والجاذبية والغرض منها هو لفت انتباه القارئ العربي الذي أخذت تستهويه في السنوات الأخيرة كل المعلومات كيفما كان أساسها ومدى صحتها - عن الإسلام والمسلمين، والمطالع لتفاصيل تلك التغطيات الإعلامية والتحقيقات الصحفية سرعان ما يصطدم بتكسير وتجريح صارخين للثوابت الإسلامية ونسف تام للبدهيات والمسلَّمات التي يؤمن بها المسلم الغيور على دينه.

ولسنا هنا بصدد الحديث عن الموضوعات المطروقة في بعض وسائل الإعلام الغربية المكتوبة، ولا بصدد الرد على ما تتضمنه من عناصر التشويه والتحريف والطعن والافتراء، وإنما الذي نود التوقف عنده هو إثارة الانتباه إلى ما نسميه «ظاهرة الاستشراق الصحفي» التي تقف وراء إنضاج التحقيقات والاستطلاعات الصحفية حول الإسلام والمسلمين لفائدة الإعلام الغربي المكتوب والمرئي على السواء.

وهذه الظاهرة التي أخذت تبرز بشكل مثير وجذاب في العقدين الأخيرين قد شكلها فئات من الصحفيين مزجوا بين العمل الصحفي الإعلامي والبحث الاستشراقي واختصوا في تغطية الأحداث العربية والإسلامية لفائدة قطاع الصحافة الغربية بكل شبكاتها الإعلامية.

وفي الوقت الذي أصبحت فيه ظاهرة «الاستشراق الصحفي» تتوهج مع الأيام ومع تطور تقنيات الاتصال المهولة وبخاصة في أوقات الأزمات المفاجئة التي يكون فيها الشأن الإسلامي مناط الحديث والخبر والصورة في الإعلام الغربي، نجد أن معالم الاستشراق والبحث المتخصص قد بدأت تطمس وتُنسى.

لقد أبدى - فعلاً - كثير من الباحثين المتخصصين في الآونة الأخيرة امتعاضهم واستياءهم من هيمنة ونفوذ المستشرقين الصحفيين الذين لا يستقر بهم حال من الأحوال، فهم يتحركون بشكل مثير ويستقطبون الأنظار ويتنافسون فيما بينهم على تحقيق السبق الصحفي في الشأن الإسلامي، وهذا ما جعل بعض المستشرقين يشتكون من كونهم لا يُدعَون إلى المحطات التلفازية قصد عرض آرائهم وتحليلاتهم للقضايا الإسلامية الساخنة، لقد أمست الأولية في ذلك تعقد للمستشرقين الصحفيين الذين يتقنون الحديث عن الإسلام بصورة مُلفقة ومشوَّهة ومثيرة تستهوي المسؤولين عن وسائل الإعلام الغربية كما تلقى ترحيباً كبيراً من طرف جماهير القراء والمشاهدين الغربيين.

قد يتساءل قراؤنا وبحدة عن هوية الكُتّاب الصحفيين الذين لا يترددون في إسعاف وسائل الإعلام الغربية بكل ما تحتاج إليه من مادة صحفية غزيرة تهم كل القضايا الإسلامية المرتبطة بالوقائع التي تحدث في البلاد الإسلامية أو في البلدان الأوروبية عندما يتم افتعال أزمات سياسية أو اجتماعية معينة.

وقد يتساءل القراء أيضاً عن طبيعة التكوين المعرفي لهؤلاء، وهل يمكن اعتبارهم مستشرقين ماداموا يُظهرون للجميع أنهم باتوا يفهمون الإسلام ويستطيعون تحليل أنماطه السياسية والاجتماعية وأبعاده الفكرية والثقافية، ومادامت أيضاً كل الشبهات والافتراءات التي يثيرونها من حين لآخر هي عينها تلك التي طالما رددها المستشرقون التقليديون في كتبهم المتخصصة.

إن الاستشراق الصحفي يعتبر أحد إفرازات المؤسسة الاستشراقية الحديثة، التي ينضوي تحت لوائها عدد هائل من الصحفيين المختصين في شؤون الإسلام والمسلمين، وتعتبر تغطية الأحداث السياسية والاجتماعية والثقافية ذات الطابع الإسلامي أبرز اختصاصاتهم، فهم لا يتوانون عن تزويد المؤسسات والشبكات الإعلامية التابعين لها - على وجه السرعة والاستعجال - بمقالات وتحقيقات واستطلاعات مثيرة للغاية ومتسمة بالطابع التجاري المحض، تعتمد على عامل

الإثارة الذي يستدعي من هؤلاء تشويه الحقائق والغلو في الأحكام والاستنتاجات ولَي أعناق النصوص، وتحريف الوقائع بشكل يثير الاستغراب هادفين من وراء ذلك تحقيق أكبر مستوى من الانتشار السريع لأعمالهم وتحقيقاتهم وبشكل أوسع.

وتميل دراسات القوم إلى كثير من السطحية والتعميم بالرغم من أن مستندهم الأساسي في إثارة الشبهات والافتراءات هو ما يكتبه المستشرقون المتخصصون لأن خلفياتهم الثقافية في ميدان الإسلاميات ضعيفة ولا ترقى إلى مستوى يُخول الحديث والنقاش حول قضايا دقيقة ترتبط بالتشريعات الإسلامية والتاريخ الإسلامي. ولذلك فهم عالة على كتابات المستشرقين المتخصصين، غير أنه إذا كان المستشرق المتخصص لا يورد الشبهة إلا بعد أن يمهِّد لها بما يُبرر ويسوِّغ النتيجة التي يرمي إليها بكثير من اللباقة والتحايل في لَي أعناق نصوص السيرة، فإن المستشرق الصحفي يقتصر على إيراد تلك الشبهات مجردة من كل دليل مهما كان متهافتاً مما يجعل التحقيقات الصحيفة تبدو في شكل استعراضات باهتة لوقائع إسلامية لا يربط بينها أي رابط سوى كونها تمثل أبرز المحطات و«الفلاشات» المبثوثة في كتب مغرضة يزعم فيها مؤلفوها أنهم قد التزموا بالموضوعية والنزاهة والحياد، وهيهات لهم ذلك.

ولم يع أولئك المستشرقون الأكاديميون الذين يَشتكون ويتبرمون من ظاهرة «الاستشراق الصحفي» الذي أصبح يزاحم معاقلهم أنهم أسهموا بشكل أو بآخر في تكوين وتأهيل أولئك الصحفيين الذين ما فتئوا يقتاتون من موائدهم ويتزودون بأفكارهم وأطاريحهم المتهافتة، وهذا ما يتبين من خلال معظم التحقيقات والملفات التي ينجزها هؤلاء، والتي يشيرون في ثناياها إلى أبرز مصادرهم الاستشراقية، وجلّ مؤلفيها ممن عرفوا بتعصبهم وحقدهم على الإسلام وتعاليمه، ويبقى أولئك الصحفيون أبعد ما يكونون عن معرفة حقيقية بالإسلام ومجتمعاته، فهذا الصحفي الفرنسي الشهير بول بالطا الذي عمل طويلاً مراسلاً لجريدة «لوموند» الفرنسية يقول وهو الأستاذ المحاضر في مدرسة إعداد الصحفيين بباريس: «إن طلاب



● تتميز التغطيات الصحفية بنوع من الإثارة والجاذبية هدفها لفت انتباه القارئ العربي

هذه المدرسة من حملة الإجازة في العلوم الإنسانية - وكم يؤسفني - أن معظمهم لم يسمع بابن خلدون... فهم يقطعون مسافات في حياتهم من دون أن يلتقوا بالإسلام أو بالعالم العربي».

غير أنه اليوم قد أصبح بعض المستشرقين الصحفيين يعززون مواقعهم الثقافية بالاضطلاع على دراسات ميدانية في بعض الدول الإسلامية، وهي دراسات تكون مقترحة وممولة من طرف مراكز البحث حول مجتمعات العالم الإسلامي بالجامعات الغربية، ومن أشهرها في فرنسا مثلاً «مركز الأبحاث حول العالم العربي والإسلامي»، وهو يعتبر أكبر تجمع للمستشرقين الصحفيين المهتمين بدراسة المجتمعات الإسلامية.

والجدير بالذكر هو أن معظم تلك الدراسات يطبعها خطاب استشراقي ذو توجه جديد، ذلك أنه يرتكز بالأساس على البحث الميداني المبني على فهم تأويلات فاسدة متعمدة وعقد مقارنات خاطئة، وهؤلاء الدارسون الصحفيون إنما يبحثون ويكتبون أساساً طبقاً لمقاييس ومواصفات ومناهج صاغها المستشرقون في كتاباتهم التي تعتبر - بكل تأكيد - مغذية للأبحاث والمقالات الصحفية.

ومما يلفت الانتباه أن مراكز البحث هاته تحرص على تقديم منح دراسية مغرية لطلبة الدراسات العليا من أبناء المسلمين من أجل استغلال الكفاءات العلمية المقتدرة وترشيحها للقيام برامج البحوث الميدانية المشتركة في الدول الإسلامية، وهكذا شاء الباحث أم أبى فإنه يتم تحويله - رغم أنفه - إلى خبير منطقة - يخدم أهداف ومصالح الاستشراق الصحفي من حيث يشعر أو لا يشعر، ومن أجل ذلك، فإنه لا يتم ابتعاثه إلى الدولة الإسلامية موضوع البحث والاستطلاع إلا بعد أن يُلقَّن ويُشحَن بكم من الأفكار المسبقة والمقولات الخاطئة في حق الشريعة الإسلامية، وكثيراً ما يرسل المستشرق الصحفي إلى بلد إسلامي غريب عليه دون أي إعداد أو خبرة تؤهله للمهمة المنوطة به، بل يكمن المؤهل الوحيد في براعته في التقاط الأشياء والأحداث بسرعة.

ومما نؤكد عليه مرة أخرى أن دراسات وأبحاث هؤلاء تعتبر الأصل والركيزة الأساسية التي تعتمدها وتستغلها مختلف وسائل الإعلام الغربية التي لا تتوانى في أن تضفي على الصورة المشوهة عن الإسلام التي أفرزها أولئك الصحفيون نوعاً آخر من التضليل والتعمية والتمويه.

وهكذا تزود الصحافة الغربية مستهلكي الأخبار بالشعور بأنهم باتوا يفهمون الإسلام وواقع المسلمين دون أن تشعرهم فإن القسط الأوفر من تلك التغطية إنما تقوم على مادة إعلامية هي أبعد ما تكون عن الموضوعية والنزاهة، وهكذا تتم تغطية الإسلام في الصحافة الغربية على أساس ما يكونه الاستشراق الصحفي من صور نمطية عن الإسلام والمسلمين ثم الاعتماد في خلقها على حفنة من «الكليشيهات» البالغة التعميم والرائجة الانتشار. ■

فكـر

بقلم : محمد يوسف الجاهوش

أبادر القول ابتداء: إنني لا أقر هذا المصطلح، وأعرف دوافع إطلاقه وترويجه، لكنه فرض نفسه على الساحة الفكرية، والسياسية، والإعلامية، أو هكذا خطط له، فأصبح لا مفر من استعماله، حتى لمن يريد هدمه وتنفيد ما زعم له من مرتكزات.

إن اتهام الإسلام واتباعه بالعنف والتطرف فرية مكشوفة، أصبحت واضحة الأهداف والدوافع.

ذلك أن كل عاقل يفهم حقيقة الدين الإسلامي يعلم أنه دين رحمة ورأفة، ويدرك أن العنف والتطرف مفاهيم دخيلة وجديدة على مجتمعنا الإسلامي الذي وسع. وعلى امتداد قرون. جميع الأديان، من جميع القوميات والأجناس، وعاشوا كلهم في ذمة أهله: أعراضهم مصونة، وأموالهم محروسة، وكرامتهم موفورة.

فما الذي جد في عالمنا إذاً؟ ما الذي طرأ على مجتمعنا؟ ما الذي أوجد هذه الظواهر التي نرى؟

أسئلة كثيرة توجب على الباحث المنصف أن يتناولها بموضوعية، وبإخلاص وإنصاف، ليؤصّل المسألة، ويضعها في إطارها الصحيح، ثم يقدم بعد ذلك الحلول التي تحفظ أمن المجتمع، وتحمي شباب الأمة من الضياع.

جذور التطرف وأسبابـه



هذه بدايتها: لقد شهد عالمنا العربي والإسلامي ـ مع مطلع هذا القرن ـ موجة استقلال بعد معارك مريرة ودامية، كان الإسلاميون حملة رايتها، وطليعة فرسانها، ووقودها الذي أمدها بالحياة والاستمرار كلما هدأت أو ضعفت، حتى اندحر العدو وغادرنا يجر أذيال الخيبة والهزيمة، وعاد الحق إلى أهله، والبلاد إلى أصحابها، فماذا كان بعد هذا؟

توزيع الغنائم: لقد رصد المستعمرون الخط الجهادي ـ صعوداً وهبوطاً ـ وعروفوا من أين أتاهم الخطر، ومن هي العناصر التي تقدم ولا تبالي، وتعتبر جهاد أهل الكفر ديناً، وطريقاً إلى الجنة.

وعرفوا هذا، فعمدوا إلى صنائعهم وأضفوا عليهم صفات

البطولة والشجاعة في مقاومة الاستعمار، ونسبوا إليهم من الأعمال النضالية ما لم يكن يدور بخلد أحدهم، ولا عرفوا له طريقاً! وجعلوا منهم رموز جهاد ونضال، وأنه لولا جهادهم ما تحررت البلاد، ولا نالت استقلالها، فهم أولى الناس بالمناصب الرفيعة والمراكز ذات الأهمية، وهم القادرون على حماية المكاسب وصد المعتدين!!

وبثوا ـ بالمقابل ـ من الدعاية الكاذبة، والإشاعة المضللة، ما حاولوا به تشويه سيرة المجاهدين الصادقين، الذين أقضّوا مضاجع المحتلين، واضطروهم إلى العودة من حيث أتوا وانطلى مثل هذا الأمر على جمهرة الناس وعامتهم.

وكُتب التاريخ مزوراً، ولا يزال أبناؤنا ـ حتى يومنا هذا ـ يدرسون رموزاً لحركات استقلالية هم ـ في حقيقتهم ـ بين لص محترف، أو قاطع طريق متمرس، أو عميل للمستعمرين، أمضى حياته جاسوساً على قومه، عيناً لأعدائهم.

وهكذا وزعت غنائم الاستقلال على من لم يشارك في بنائه، ولا جاهد من أجل نيله، وتربع على سدة الحكم من يستحق السجن وأعواد المشانق.

توفيــة الحســاب

بدأ الحاكمون من رجالات العهد الجديد بتوفية الحساب إلى أسيادهم ـ جرياً مع قاعدة «الغنم بالغرم» صوناً لمكاسبهم، وحفاظاً على كراسيهم، ولم يكتفوا بتنفيذ ما يطلب منهم، بل سارعوا ـ متبرعين ـ بتقديم كل ما يظنون أو يتوهمون أنه يرضي أسيادهم، أو يزيدهم حظوة لديهم.

وهكذا أُقصي الشرفاء عن جميع مراكز القرار، وعدلت مناهج التعليم بما يكفل نشوء أجيال بعيدة عن مفاهيم دينها، لا تتعلم منه إلا قشوراً، لا تربي عقلاً، ولا توقظ قلباً، ولا تحرك عاطفة.

وسنوا فصاماً نكداً بين تعليم مدني لصاحبه كل الحقوق، وأمامه جميع الفرص، وتعليم شرعي لا ينال صاحبه مركزاً، ولا يجد عملاً، ولا يُفتح أمامه باب من أبواب الحياة، فأعرض الناس عن هذا النوع من التعليم، ومن ذا الذي يعلّم ولده ليتسول بعد ذلك ما يقيم أوده، ويسد عوزه! وغرسوا في نفوس النشء الصغير: أن الدين لله والوطن للجميع، ومعنى هذه الفلسفة الجوفاء: عزل الأمة عن دينها عزلاً كاملاً، وتنظيم حياتها بعيداً عن أحكامه وتعاليمه. وهكذا كان.

فقد انقطعت الأمة عن ماضيها، ونسيت تاريخها، ونشأ جيل يعرف عن قادة الغرب وزعمائه ومفكريه ومخترعيه، أكثر مما يعرف عن النبي محمد ﷺ ، وعن خلفائه الراشدين ـ رضي الله عنهم ـ ويجهل ـ كل الجهل ـ تاريخ قادة الفتح الإسلامي، وأبطال المعارك الذين وطدوا أركان الإسلام، وأرسوا دعائم الحضارة.

أما في الجانب العسكري فقد أصبح الجيش مؤسسة حزبية، علمانية، يربى الجندي فيه على نبذ الخلق، وترك الدين، ولا يرقى مناصبه المؤثرة إلا من برهن ـ عملياً ـ على بعده عن مكارم الأخلاق، وتعاليم الإسلام.

كما طُمست من مناهج التعليم الصحائف البيض التي سطرها المجاهدون الشرفاء، الذين قاوموا الاستعمار الفرنسي، والإنكليزي، والإيطالي، في مصر، والشام، وبلاد المغرب العربي، وغيرها.

وأسندت البطولات إلى نكرات مجاهيل، وإلى خونة عملاء، رباهم العدو على عينه، وألقى إليهم مقاليد الأمور.

«وهكذا، جاء الاستقلال، استقلالاً عن الأمة، وعزلاً لها عن ممارسة حقها في تقرير مصيرها، وبناء ذاتها، واستغلال مواردها، وتربية بنيها. وبقيت التبعية للأعداء، ولم يختلف إلا ظاهر الصورة فقط»، فما الذي ولدته الأحداث بعد هذا المخاض العسير؟

لقد تعددت المصائب وتنوعت، وجاءت على رأسها كارثة فصل الدين عن الدولة.

فصل الدين عن الدولة أقسى ما أصاب الأمة

بعد استقلال معظم الأقطار العربية، وقيام حكومات محلية تسارعت الأحداث، وكان أعداء الإسلام ـ داخلياً وخارجياً ـ في عجلة من أمرهم يريدون قطف الثمرة ـ ولو كانت فجة ـ خشية أن يستجد ما يفوت الفرصة عليهم.

فلقد عزّ على السادة وأذنابهم: أن تبقى الأمة تحترم دينها وتنتمي إليه، ولو بشكل باهت كسيف، إنهم يريدونها ردة كاملة، تقطع جذور الإسلام من النفوس، ولا تبقي له باقية من تأثير، ولا أثراً من احترام أو تقدير أو حتى مجرد انتماء، ولماذا تتمسك الأمة بدينها؟ أليس الدين أفيون الشعوب؟ وهو مصدر تخلّف وفرقة وضعف؟ وهل نهضت أوروبا إلا بعدما أقصت الدين عن حياتها؟ وهل تستطيع أمة أن تساير ركب الحضارة، وتطور الأحداث إلا إذا فعلت ما فعلته أوروبا؟! إذاً فلا بد أن ينبذوا دينهم، ويلتفوا حول قوميتهم التي تصهر الجميع في بوتقتها، وتتسع مفاهيمها لكل الأفكار، ويلتقي على مائدتها كل صاحب نحلة ودين، ولا تضيق بأحد.

وكان لهم ما أرادوا، فنشأت القومية العربية، ثم الطورانية، وقل ما شئت من القوميات.

دين العرب الجديد

أصبحت القومية العربية هي الدين الجديد لأبناء الأمة العربية. ووضعت لها مفاهيم وفلسفات، وقواعد، وأصول. فهي الرسالة الخالدة التي نشأت مع نشأة العرب، وهي الباقية ما بقي العرب، ولا عجب، فالأمة العربية أنجبت ـ عبر تاريخها ـ عباقرة كثيرين، وما النبي محمد إلا واحد منهم، وأفرزت أدياناً كثيرة، والإسلام واحد منها.

ألا، وإن عطاءها لا يتوقف، فستلد العباقرة، وتنجب العظماء، وتعطي كل عصر ما يلائمه من المبادئ والأفكار، فأي حاجة بعد ذلك لدين مضى على نزوله قرون من الزمان؟

لقد تغيرت الظروف، وتبدلت المفاهيم، وتطورت الوسائل، فهل يليق بالأمة العربية أن تجمد ـ في عصر الذرة والصاروخ ـ على مبادئ دين جاء لأهل الناقة والبعير (كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذباً) الكهف٥.

وهكذا بدأوا يعرّون الأمة من مصدر عزتها، ويبعدونها عن عقيدتها، ويحملونها على أفكار ومفاهيم تخالف فطرتها وسجيتها، وانطلق دعاة الدين الجديد يروجون باطلهم بعد أن مكن لهم أسيادهم، وأحاطوهم بالعناية والرعاية، وأمدوهم بأسباب الاستمرار والبقاء، وسهلوا لهم كل سبيل، وأوهموا الأمة - بدعاياتهم المستمرة - أنهم الروح الجديد الذي سيعيد للأمة أمجادها، ويحقق للأوطان تقدمها وازدهارها، فهم - بزعمهم - الأمل المرتقب لنهضة شاملة، واستقلال تام، وهم الجنود الأشاوس الذين سيكملون معركة التحرير، ويستردون ما سلب من الأوطان، ولسوف يعود الخصب والنماء ويعم الخير والرخاء كل بقعة من وطننا مادام هؤلاء يحكمون، إن الأمة مطالبة أن تقف وراءهم، تشد من أزرهم، وتدعم مسعاهم، وكل من يعترض طريقهم، أو يعارض فكرهم، أو يكشف بعض حقيقتهم، فهو الخائن العميل، الذي يستحق القتل والسحل، والتشريد والنفي، وظلمات السجون.

كابوس ثقيل

عاشت الأمة تحت وطأة هذا الكابوس الرهيب الذي كمَّم الأفواه، وأسكت الألسنة، وعمل على تضليل الفكر، وتعطيل العقول، والقضاء على البقية الباقية من مفاهيم الإسلام وقيمه وأخلاقه، وسلك زبانيته لذلك كل صعب وذللوه، واستغلوا كل الإمكانات المتاحة - وما أكثرها - للوصول إلى غايتهم وتنفيذ مخططهم.

فالإذاعات لا تبث إلا هابط القول، سخيف المعنى، مما يهدم الرجولة، ويدمِّر الأخلاق، ولا تُسمع الناس إلا ما يدعوهم إلى نبذ قيمهم الاجتماعية، وما توارثوه من جميل العادات وحميد الصفات، وكل ما يشوه في نظر الناس صورة دعاة الفضيلة والمتمسكين بمكارم الأخلاق.

وليست الصحافة أسعد حالاً من غيرها، فقد دأبت - ومن غير هوادة - على مهاجمة الرجعية والرجعيين، - وهو مصطلح أطلق على الإسلاميين قبل الأصولية والتطرف -، والإنذار بالويل والثبور وعظائم الأمور لكل من يقف في وجه المدُّ القومي، أو يحاول بث المفاهيم الإسلامية. لأنها - بنظرهم - ما عادت تصلح لواقع الحياة.

وما حال المدارس والجامعات إلا صورة عملية لهذه السياسة التي حملت الأمة عليها قسراً. وبلغ الأمر مداه عندما أصبحت المعركة علنية لا مواربة فيها ولا مداراة، وأعلن أعداء الله - دون خشية ولا خجل - أن «الله، والدين، والقرآن» من مخلفات الماضي، ولا يصلح شيء منها للواقع الجديد، فقد تجاوزها الزمن، وأصبح مكانها متحف التاريخ!!

حصاد إقصاء الأمة عن دينها

لقد كان حصاد فصل الدين عن الدولة حصاداً مراً وقاسياً ذاقت مرارته الأوطان والأجيال على تعاقبها، وأفرز واقعاً سيئاً رجع بالأمة إلى الوراء، وأخر تقدم نهضتها وأوصلها إلى حال من المهانة والعجز لا تحسد عليها.

وقد كان احتلال أجزاء من فلسطين العام ١٩٤٨م الحدث الفاجع الذي أصاب من الأمة مقتلاً - وعرّى - في الوقت ذاته - رؤوس الأنظمة، وكشف زيفها وباطل دعواها. وخلّف جرحاً غائراً، وحقداً كامناً، على من كان سبباً أو له سهم - في هذه النكبة. وليت ما سقط من فلسطين في النكبة الأولى كان نهاية المطاف، وخاتمة الهزائم! ليته كان كذلك! إذاً لتعالت الأمة على آلامها، وضمدت جراحها، واستأنفت معركة البناء والإعداد لاسترجاع الوطن السليب.

لكن الأمر سار على غير إرادة الأمة ومناها، وجرت الرياح بما لا تشتهي السفن ولا الربان، واستجد من الفجائع والمصائب ما أنسى الناس كل ما سبقه، وجعلهم يتأسفون على ما كانوا منه يشكون.

دعوت على عمرو فمات وسرني
وخالطت أقواماً بكيت على عمرو

الواقع الجديد

لقد وعى المسؤولون درس سقوط فلسطين العام ١٩٤٨م جيداً، وفهموا أن استمرارهم في مراكزهم، وعلى كراسيهم منوط بسيرهم على وفق ما يخطط لهم، ومدى مهارتهم بتنفيذه، وأنه لا حرية لهم ولا اختيار إلا في طريقة الإخراج فقط.

ولقد كانوا عند حسن الظن بهم! فأجادوا التمثيل، وأتقنوا التضليل، وقدموا للأمة حكومات متعاقبة، أفرزتها انقلابات حمراء أو بيضاء، استولت على مقاليد الأمور، وجميع مفاصل السلطة، وطرحت المبهر من الخطط والشعارات، وعلى رأسها:

- استرداد الوطن السليب، وتحريره من الغاصبين، وإعادة الحق إلى أهله الشرعيين.
- محاربة الفقر والتخلف، وتحقيق التطور والنمو في شتى مجالات الحياة.
- توزيع الثروة والدخل القومي وتطبيق مبدأ تكافؤ الفرص.
- نزع الملكية وتأميم الصناعات، فإن الأرض لمن عمل بها، والآلة لمن يستعلمها، ويقف بجوارها.

وغير هذا - مما هو على شاكلته - الكثير، والكثير جداً، فهل أتى المردود على قدر الموعود؟

قبض الريح

لم نظلم الحقيقة شيئاً عندما نصف مكاسب الأمة في هذه المرحلة - مرحلة المد القومي - بأنها قبض الريح.

فقد كانت سنوات عجافاً تلك التي خُطِّط للمد القومي أن يأخذ خلالها مداه، وأن يُفْرضَ - هو - على الأمة ديناً جديداً، ويُنصِّب أتباعه سادة وقادة.

ذهبت الوعود أدراج الرياح، ولم تثمر سوى إشغال الأمة وإلهائها، واستنفاد طاقاتها، وزرع الكراهية والأحقاد بين أبنائها، نتيجة الشعارات الملحدة، والتطبيقات الجائرة، وظهور الطبقية الجديدة، وإحراز المكاسب من لا يستحقها، وحرمانها من كانوا أحق بها وأهلها.

وعاشت الأمة واقعاً بئيساً في أخلاقها، ودينها واقتصادها، تفاقم فيه السوء، وبلغ الضيق أقصى مداه.

وأفرز هذا الوضع البائس وهناً في الأمة وطاقاتها، وضعفاً في جميع مؤسساتها، ولا سيما العسكرية منها.

فما خاضت جيوشنا معركة إلا سحقت وغلبت، وألقت سلاحها، وأخلت مواقعها، استجابة للأوامر العليا!! ليستولي اليهود على أرض جديدة، ومن أقطار جديدة، ليضموها إلى أرض الإسراء والمعراج «فلسطين».

وليطالع من يشاء صفحات المجد والفخار - بل الخيبة والعار - في صد العدوان الثلاثي العام ١٩٥٦م، وما تلاه في حزيران المجيد! وما أعقب حزيران مما شاع وذاع، وعمَّ نبأة الجبل والبقاع.

أدمت سياط حزيران ظهورهم
فأدمنوها وباسوا كفّ من ضربا

وها هي حقائق حزيران وإفرازاته تظهر في زفّة الاستسلام، التي سارع إليها الجميع، حتى الذين لم توجه لهم بطاقات الدعوة.

نعم إنهم جمعاً يتسابقون للتوقيع على بيع المقدسات، وفتح مصاريع الأبواب للحملان الوديعة - من اليهود - ممن لم يفعلوا شيئاً يدينهم، فما قيمة احتلال الأرض والمقدسات! فأرض العرب شاسعة واسعة، وما أهمية تشريد شعب واقتلاعه من جذوره؟ إنه هو الذي ظلم نفسه! حيث لم يبصم على صك رقّه واستعباده، ورفض أن يحيا فلاحاً عند أسياده، أو عاملاً في مصانعهم.

وأما دماء الشباب التي أُريقت، وأرواح الشهداء التي أُزهقت، فتلك قضايا لا تستحق أن تناقش، فضلاً عن أن تحمل على الثأر، فالمرأة العربية منجبة من الطراز الأول، وستعوض المفقودين من الأبناء بأسرع مما يظنه الجاهلون ببواطن الأمور.

استغفال الشعوب

أيما قيادة متحضرة تمنى بهزيمة، أو تصاب بنكسة، فإنها تدعو أولي الشأن والاختصاص لدراسة أسباب إخفاقها، ومعرفة مواضع الضعف التي أسهمت في ذلك الفشل والإخفاق. ويحاسب كل مسؤول على تقصيره أو تفريطه، وفي إطار القانون والنظام.

وأدنى ما يستحقه: أن ينحّى عن منصبه، ويبعد عن مواضع اتخاذ القرار، فهل درجت قيادات المدّ القومي على هذه السنن؟ هل صارحوا الأمة بحقيقة ما حصل، واعترفوا بتفاصيله وحيثياته، وشتى ملابساته؟ أم أنهم ضللوا واستغفلوها؟

إن الحقائق تنطق أنهم في حزيرانهم - وقبله وبعده - نكسوا على رؤوسهم، وارتدوا على أدبارهم خاسرين، وبدلاً من اعترافهم بهزيمتهم وتسويغ مواقفهم، جهدوا في إخفاء الحقيقة، وتحويل الهزيمة الكاسحة إلى نصر مبين، إمعاناً في استغفال الشعوب وإضلالها! وأنهم إنما تراجعوا تخطيطاً و«تكتيكاً» وليس ضعفاً أو جبناً، ولا توفية لثمن المناصب والكراسي.

لا، إنهم كانوا مستعدين: ما فرطوا، ولا توانوا، ولكنه القدر!! نعم إنه القدر الذي عاكسهم، وحالف أعداءهم متآمراً عليهم.

لقد توقعوا الضربة من جهة الغرب، فجاءتهم من جهة الشرق، أفتراهم يلامون؟ ألا يدل ذلك على غدر العدو ومكره!! فلو كان خصماً شريفاً لأتاهم من حيث يحتسبون ولواجههم من الجهة التي يريدون!

يا له من اعتذار سمج! هو للوقاحة أقرب منه - للبرادة - والبلادة.

ومع ذلك أرادوا من الأمة تصديق مفترياتهم، وسخروا لذلك جميع أبواقهم، ووسائل إعلامهم.

وحملوا الناس على ذلك حملاً، ومن أبدى خلافه فمصيره حيث لا يعلمه إلا علام الغيوب. وظنوا أنهم بذلك يسيطرون على المواقف إلى الأبد، وأن الأمة قد عقمت، فلن تلد إلا من يخطب ودهم، أو يحطب في حبلهم!.

وفاتهم - أو تناسوا - أن لله أقداراً جارية وسنناً ماضية، وأنه - سبحانه - مهما أمهل فلن يغفل أو يهمل: (وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة وأنشأنا بعدها قوماً آخرين. فلما أحسوا بأسنا إذا هم منها يركضون. لا تركضوا وارجعوا إلى ما أترفتم فيه ومساكنكم لعلكم تسألون. قالوا يا ويلنا إنا كنا ظالمين. فمازالت تلك دعواهم حتى جعلناهم حصيداً خامدين) الأنبياء: ١١-١٥.

تلك بدايتها وهذه نهياتها: فهل يتخيل ذو عقل أن يخضع الناس للعسف والجور، والظلم والاضطهاد، ومصادرة الأموال وانتهاك الأعراض أمداً طويلاً.

إن الذي شبّ ولا يعرف سبباً لسجن والده أو مقتله إلا حسن خلقه، واستقامة مسلكه لن يكون حملاً وديعاً، ولا جندياً مطيعاً. والذي رأى ما فعل بأسرته ومدينته من فظائع الأمور، لابد وأن يحمل بين جنبيه قلباً ثائراً على الظلم والظالمين، ومن رأى أمواله نهب العدى كيف ينام على ضيم؟

وقل مثل ذلك في آلاف المثقفين والمتخصصين الذين أوصدت في وجوههم أبواب العمل، لأنهم لم يرقصوا في زفة التأييد، ولم يتنازلوا عن قيمهم وأخلاقهم، مما اضطرهم إلى الهجرة ومغادرة الأوطان، وحرمان الوطن من كفاآتهم وخبراتهم.

فلا بد من تغير هذا الواقع المؤلم، لابد من رفع الحيف عن المظلومين وتحقيق العدل، وتكافؤ الفرص بين جميع المواطنين، وتمكين الناس - كل الناس - من استنشاق هواء الحرية في أوطانهم، ليشعروا أن أرواحهم وأموالهم وأعراضهم في أمن وأمان، ويسهموا - جميعاً - في بناء الوطن، وتنميته: اقتصادياً، واجتماعياً، وأخلاقياً، ويشرف الجميع بحمايته والدفاع عنه ضد الغاصبين والمعتدين.

هذا هو طريق الاستقرار والاطمئنان، فلماذا لا يتنكب المتنفذون سواء الصراط ويسلكون أوعر الدروب وأضيقها! إن الشرّ لا يولد إلا شراً مثله، وربما فاقه وزاد عليه.

إن العصا من العصية
لا تلد الحية إلا حية

وإنه لحمق بزارع الحنظل أن يستغرب مرّ الجني، فإن حظ كل حاصد ما كان زرع. ■

بقلم : غازي التوبة

النــص الثابــت والواقع المتـغير : كيف نوفّــق بينهمــا ؟

يتساءل كثير من الكُتّاب والمفكرين المعاصرين الذين يتعاملون مع القضايا الإسلامية بصورة مباشرة أو غير مباشرة ومنهم: محمد سعيد العشماوي، محمد شحرور، محمد أركون... إلخ، عن كيفية التوفيق بين نصوص ثابتة «القرآن والسنة» وواقع متغير، وهم من أجل حل هذه الإشكالية يصدرون أحكاماً جديدة مخالفة للأحكام الإسلامية السابقة، ويتعللون بأن تلك الأحكام كانت نتاج واقع اجتماعي واقتصادي وسياسي وثقافي معين، لذلك ومع تغير هذا الواقع يجب أن يتغير الحكم، فهل هذه المشكلة حقاً مشكلة جديدة؟ وهل يجوز أن نُصدّر أحكاماً مجردة من أي ضوابط من أجل حل هذه المشكلة؟

المشكلة ليست جديدة، بل قديمة قِدَم النص القرآني، ونحن من أجل تسهيل مناقشتها يمكن أن نُجزئها إلى قسمين:

١ ـ النصوص المتعلقة بالعقيدة وبالأسرة وبالحدود... إلخ.

٢ ـ النصوص المتعلقة بالاجتهاد بشكل عام.

أما بالنسبة للنصوص المتعلقة بالعقيدة وبالأسرة وبالحدود فقد جاء ثبات أحكامها من ارتباطها بالجانب الثابت من كيان الإنسان الذي أطلق عليه القرآن مصطلح «الفطرة» فقال تعالى: (فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله) الروم: ٣٠، ومن مظاهرة الفطرة الثابتة على مدار التاريخ: التعبد، حب المال، حب التملك، التجاذب بين الذكر والأنثى، الخوف... إلخ، لذلك وجدت نصوص عالجت هذه الجوانب الفطرية.

ففي مجال التعبُّد بينت النصوص صفات الله الذي يجب أن يتجه المسلم إليه بالعبادة، وبيّنت أنواع العبادة من صلاة وصيام وزكاة وحج، ووضحت كيفيتها وأوقاتها، وبيّنت أجر المتعبد وعقوبة غير المتعبد.

وفي مجال التملك والمال فقد أباحت النصوص التملك وحللت بعض طُرُق الكسب، وحرمت بعضها الآخر، قال تعالى: (وأحلَّ الله البيع وحرم الربا) البقرة:٢٧٥، ووضحت أوجه إنفاق المال، فحرّمت الإسراف والتبذير، ووضعت حد السرقة لمن يدفعه الطمع إلى التعدي على مال غيره، ووضعت الضوابط المتعددة لهذا الحد.

وفي مجال التجاذب بين الذكر والأنثى، دعت النصوص إلى الزواج وتكوين الأسرة، واعتبرت الزواج هو الطريق المشروع للعلاقة بين الاثنين وحرمت ما عدا ذلك، لذلك بيّنت نصوص كثيرة الحقوق والواجبات لكل من الزوجين والأولاد، وبيّنت أحكام الطلاق والميراث، ووضحت عقوبة الزنى والقذف.

وفي مجال الخوف بيّنت النصوص أن هناك خوفاً فطرياً لا إثم فيه فقد وقع فيه الأنبياء، فقد خاف إبراهيم عليه السلام من الملائكة عندما وجد أن أيديهم لا تصل إلى الطعام الذي قدمه إليهم، وخاف موسى وهارون عليهما السلام المواجهة مع فرعون، لكن هناك خوفاً محرماً هو الذي يحول دون قول الحق أو الوقوف إلى جانبه، ودعت النصوص المسلم إلى أن يُوجه خوفه إلى مقام الله وعذاب الآخرة لكي يستطيع أن يكون في مستوى الصَّدْع بالحق والجهر به.

أما بالنسبة للآيات الأخرى المتعلقة بالاجتهاد فقد حكمها بشكل عام حُكمها علم أصول الفقه الذي جاء استجابة لآيات متعددة في القرآن الكريم تُبيّن للمسلمين طبيعة القرآن الكريم وصفاته، فقد جاء في تلك الآيات أنه قرآن عربي، قال تعالى: (إنا أنزلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون) يوسف:٢، وجاء فيها أن فيه نسخاً قال تعالى: (ما ننسخ من آية أو ننسها نأتي بخير منها أو مثلها ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير) البقرة:١٠٦، وأن فيه محكماً ومتشابهاً قال تعالى: (هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات) آل عمران:٧، وأن فيه المجمل والمفصل قال تعالى: (الر. كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير) هود:١ ... إلخ

كانت تلك الآيات محور علوم متعددة: المحكم والمتشابه، الناسخ والمنسوخ، المجمل والمفصل... الخ، وقد تكون علم أصول الفقه من العلوم السابقة بالإضافة إلى قواعد أخرى مثل: الاستحسان، والمصلحة المرسلة، وسد الذرائع، والاستصحاب... إلخ وقد مرّ علم أصول الفقه الذي مرّ بمرحلتين مهمتين هما:

الأولى: إقراره بتعليل الأحكام في وجه الاتجاه الظاهري الذي يرفض مثل هذا الإقرار بحجة أن الله لا يُسألُ عما يفعل، وأنه لا حكمة ولا علة وراء أي أمر من الأوامر، وإن البحث عن الحكمة والعلة تنطع في الدين وبُعد عن الصواب وافتراء على الله، ولكن هذه المدرسة في الفقه والتي مثّلها داود الظاهري في المشرق وابن حزم في المغرب انحسرت لصالح المدرسة الثانية التي وضحت أن الله بيّن لنا الحكمة من بعض الأعمال حيث قال تعالى: (يأيها الذين آمنوا كُتب عليكم الصيام كما كُتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون) البقرة:١٨٣، وكان ابن قيم الجوزية من العلماء الذين قبلوا تعليل الأحكام والبحث عن الحكمة من ورائها، وأقر بالعجز عن إحصاء الآيات والأحاديث التي عللت

الأحكام لكثرتها، وقد سمح لنفسه أن يذهب في البحث عن الحكمة شوطاً بعيداً فتساءل عن الحكمة في أداء صلاة الفجر ركعتين في حين أن صلاة الظهر أربع ركعات... إلخ

الثانية: أخذه بمقاصد الشريعة واعتباره أن الله أرسل الأنبياء وأنزل الشرائع لتحقيق مصالح العباد، وقد جاء هذا التطور على يد أبي إسحاق الشاطبي تتويجاً للمرحلة السابقة، واعتبر الشاطبي أن استقراء آيات الشريعة تُبيّن لنا أن القصد من إنزال الأديان السماوية هو تحقيق خمسة أمور: حفظ الدين، حفظ النفس، حفظ النسل، حفظ العقل، حفظ المال، واعتبرها من الضرورات التي لا تستقيم حياة الناس من دونها، واعتبر أن هناك أموراً حاجية تأتي بعد الضرورات في المرتبة لترفع الحَرَج عن الناس وتُيسر سُبُل العيش كالرُخص في العبادات، واعتبر كذلك أن هناك أموراً تحسينية تأتي بعد الحاجية ترجع إلى مكارم الأخلاق ومحاسن العادات، فلما ندب إلى الإنفاق ندب أن يكون الإنفاق من طيب الكسب. ودعا الشاطبي إلى ضرورة تسلح المجتهد بعلمين: الأول: العلم باللغة العربية، والثاني: العلم بمقاصد الشريعة، كي يستطيع أن يربط بين الجزئي والكلي فيما يستفتي فيه.

وبعد هذا التوضيح نستطيع أن نقول: لقد كانت العلاقة بين النص الثابت والواقع المتغير محلولة فيما سبق من تاريخ الاجتهاد الإسلامي، وإذا ادعى بعض الباحثين الآن أن هناك مشكلة بين النص الثابت والواقع المتغير دون دخول في النوايا أو الانتماءات الأيديولوجية فإننا نقول عليهم أن يُثبتوا أحد أمرين أو كليهما:

الأول: أنه ليس هناك فطرة، وليس هناك جانب ثابت في كيان الإنسان، بل داخل الإنسان في تغيّر وتحوُّل مستمرين كالمحيط الخارجي.

الثاني: أن يُثبتوا عدم ملاءمة علم أصول الفقه للاجتهاد في وقتنا الحاضر، وعجزه عن التوفيق بين النص الثابت والواقع المتغير.

إن أبرز من قام بجهد في الحقل الثاني الدكتور عادل ضاهر في دراسته التي تناولت النص القطعي الثبوت القطعي الدلالة، والتي جاءت في ملحق «آفاق» من جريدة (الحياة) بدءاً من العدد (١٢٠٣٥) بتاريخ ٥ فبراير ١٩٩٦م، والتي رددت عليها في عدد تالٍ، وإلى أن توجد مثل هذه الدراسات التي تسدّ هذه الثغرة بشكل علمي وموضوعي، فإنه يجب الاستمرار في اعتماد علم أصول الفقه، مع الانتباه إلى وجود فرصة جيدة لتنميته، وبالذات في مجال المقاصد بحيث تتسع قدرة المجتهدين على المواءمة بين النص الثابت والواقع المتغير. ■

ضحايا المُثُل والقيم

منذ أن عرفت البشرية المبادئ والقيم التي زرعت في المجتمعات وغرست بمجهود الأنبياء والمصلحين لم تسلم أبداً من التبوير والتدمير، وبنظرة فاحصة إلى الدين الإسلامي نجده صاحب النصيب الأوفر من الإبادة والتشريد والاضطهاد لأبنائه وليس ذلك بغريب على أهل الإنصاف، فمنذ أن نزلت رسالة هذا الدين إلى أهل مكة وصناديد وزعماء قريش وقفوا لها بالمرصاد لحربها ووأدها وحيكت المؤامرات ودبرت الدسائس لرسولها وأصحابه والقرآن الكريم يذكرنا بقوله: (إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون والذين كفروا إلى جهنم يحشرون) الأنفال:٣٦.

سارت الدعوة في طرق وعرة وحقول ملغمة تضرب وتصد وتدافع ويتساقط أبناؤها ضحايا في ميدانها حتى أذن الله تعالى لهم بالتمكين والمنعة وتجلت هنا سماحة الإسلام وحلم سيد الخلق عندما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقادة أعدائه حين فتحت مكة اذهبوا فأنتم الطلقاء وهم الذين ذبحوا أهله وأصحابه. وانتشر وتمدد الإسلام إلى أماكن جديدة وأوطان بعيدة ودخل الناس في دين الله أفواجاً، وبقوة الإيمان ونظافة الحضارة عرفت الإنسانية قيمة هذا الدين الخالد بكتابة الماجد ورسوله القائد ومع ذلك لم تسلم من مكائد وهوس الزعماء وأصحاب الأهواء والتاريخ يذكر لنا «محاكم التفتيش» في أسبانيا يقول صاحب كتاب ـ القومية والغزو الفكري ـ «لقد حرَّم الإسلام على المسلمين وفرض عليهم تركة كما حرَّم عليهم استخدام اللغة العربية والأسماء العربية وارتداء اللباس العربي، ومن يخالف ذلك كان يحرق حياً بعد أن يعذب أشد العذاب».

يقول أ. محمد جلال كشك «أما الحقيقة التي لا يكاد يذكرها أحد، وهي أن محاكم التفتيش ظهرت أولا وأخيراً وفقط في أوروبا الكاثوليكية، ولكن الأهم من ذلك أنها ظهرت أولاً وأساساً ضد المسلمين ولتنظيم إبادتهم في جنوب أوروبا وبالذات في أسبانيا حيث كان الشعب الأندلسي المسلم»، كتاب ـ أنهم يذبحون المسلمين ـ أيضاً لا ننسى الحملات الصليبية الحاقدة وما فعلته بأهل الإسلام وإبادة الأبرياء دون ذنب جنوه أو إثم اقترفوه في حق هؤلاء الأوغاد لصوص الحضارة وناهبي الثروات ومقدرات الشعوب وثمرات العقول ومصاصي الخيرات، يقول المستشرق الفرنسي ـ كيمون ـ المتعصب والحاقد العنيف «أعتقد أن من الواجب إبادة خمس المسلمين والحكم على الباقين بالأشغال الشاقة وتدمير الكعبة، ووضع قبر محمد وجثته في متحف اللوفر».

ومع اقتحام وسائل الإعلام والتقدم التكنولوجي الذي سرى في جميع مناحي الحياة واستخدام الصواريخ الموجهة بالليزر والطائرات العملاقة والبوارج الحربية والقنابل الجرثومية والعنقودية الفتاكة في الحروب لم يجد أهل الهوس من حقول تجارب إلا أهل الإسلام فدمروا البوسنة والهرسك وخربوا الشيشان وبورما وأفغانستان وذبح الشيوخ وبقرت بطون الحوامل، ووضع الأطفال الرضع في خلاطات الاسمنت أمام أعين أمهاتهم حتى أصبن بالجنون، واغتصبت بنات في عمر الزهور والضمير الإنساني العالمي واقف يتفرج ويشاهد هذه المأساة ولم يتحرك قلبه ومشاعره ثم لم يكتفوا بهذا، بل وجهوا أسلحتهم وحقدهم الأعمى البغيض إلى أهل كوسوفا العزل الضعفاء وبكل أسف أبادوا اللاجئين المحاصرين بين شعب الجبال وبطون الأودية ولسان حالهم يقول (ولا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار) إبراهيم:٤٢، إذاً مهما كتبنا وحللنا ووصفنا فالصور التي تبثها وسائل الإعلام وتنقلها القنوات الفضائية تعبر بصدق عما يُفعل بأهل الإسلام في نهايات هذا لقرن، ونحن على مشارف الألفية الثالثة والتي يدعون أنها ستكون ألفية التقارب الحضاري والإنساني، ومهما طال الليل فلا بد أن تنتصر الإنسانية وتبزغ شمس القوة الإسلامية.

بالأمس كنا على أعدائنا لهب

واليوم صرنا لنار المعتدي حطب

(هذا نذير من النذر الأولى. أزفت الآزفة. ليس لها من دون الله كاشفة) النجم: ٥٦ ـ ٥٨ صدق الله العظيم. نشكو إلى الله ما نلقاه في زمن الإيذاء وتكالب الأعداء. ■

ضرغام عبدالله حسين

شعــر

مولد الفجر

شعر: منير محمد خلف

البدرُ لولا سناهُ ما ألفناهُ
والليلة البدرُ يشدو ما حفظناهُ

من خالص الحبِّ للمختار سيّدنا
محمد أشرقت أحلى مزاياهُ

قلبي يبعثرني من فرط لهفته
إلى لقاء حبيب قد عشقناهُ

وكيف نشقى وهل غير الحبيب هوى
يسقي الفؤاد ويحمي ما بنيناهُ

لولاهُ ما اكتحلت ألوان فرحتنا
لولاهُ ما زفّت الأعيادُ لولاهُ

يا حسرة الشعر لا تبدو محاسنهُ
إن لم يكن عابقاً من طيب ذكراهُ

اليوم مولد فجري والهوى تعبٌ
من شدّة الشوق يخشى ما تمنّاهُ

إنّ الحياةَ غرامٌ في دمي... ودمي
مثل البراكين لا تنهيه أمواهُ

حبيبي المصطفى قلبي يُحمّلُني
آهاتِ شوق وحولي كله آهُ

ماذا أقولُ لفرط النار في جسدي
والحبُّ لولا ضرامٌ ما عرفناهُ

قد يسلك القلبُ غيرَ الحبِّ منعطفاً
لكن هواهُ كروح ما فطمناهُ

يأيها القمرُ الملتاعُ من سفر
خذني إليه فإني الدّهر أهواهُ

خذ للحبيب غرامي إنني كلفٌ
في حبّه... وخذ التسبيح أحلاهُ

خذ كلَّ ما فيَّ من حزن ومن فرح
وللحبيب صلاتي حين تلقاهُ

يا خير من أثمرت في كفه لغةٌ
ما أزّينت حولنا الأفلاك لولاهُ

آه عليَّ.. على قلبي وما اقترفت
يداه من إثم ما كنا زرعناهُ!

لا تعجبوا شعري المغسول من فرح
هو السعادة لا مالٌ ولا جاهُ

إن كان حزني حراماً عند حبكّمُ
فأعمقُ الوحي كان الحزنُ فحواهُ

لا تطفئوا ظمئي فالعشق ملتهبٌ
أيُطفئُ الملح جرحاً قد رضفناهُ؟!

الكلُّ يسعى إليه حين رؤيته
والخير... الخيرُ فيما اختارهُ اللهُ

الوعي الإسلامي
al-Waei al-Islami
العدد 403
صفر 1420 هـ
يونيو / يوليو 1999 م

الأسرة المسلمة 2





دور وسائل الإعلام في تفتح الأبناء

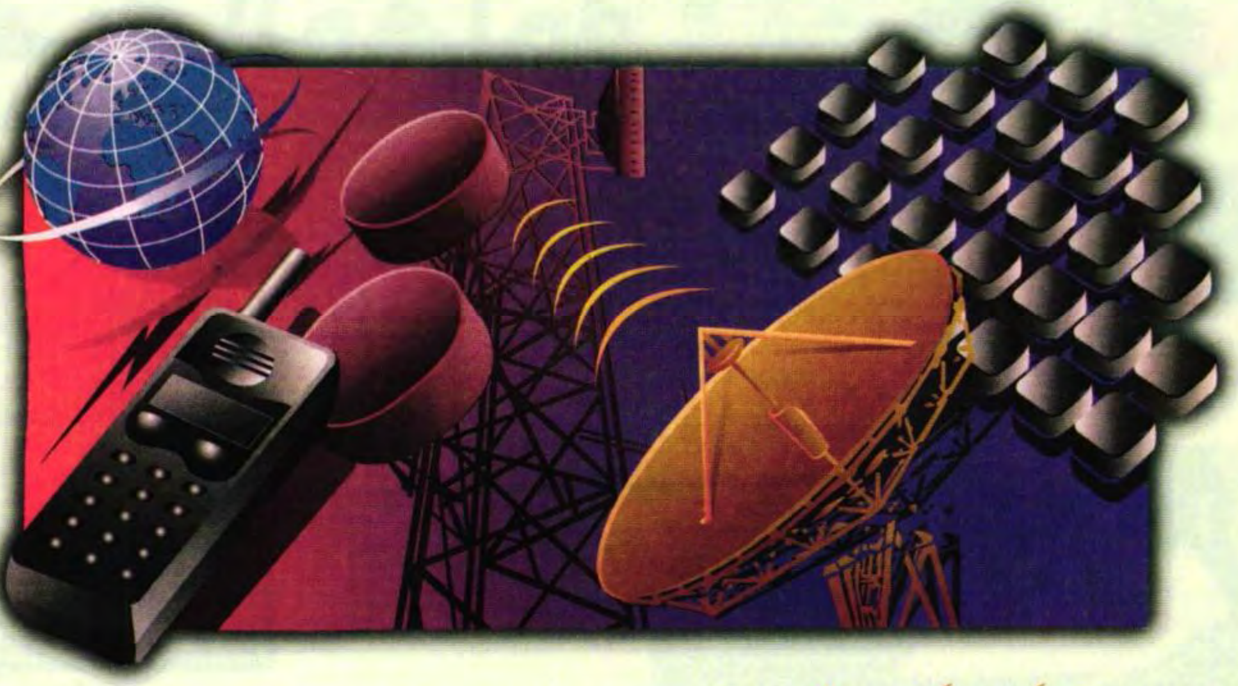
عبارات خطيرة
يجب أن تكون طبيباً أو مهندساً

متى نعود البنات على الحجاب

لماذا تنجو المسلمات من عروق الدوالي ؟

فضل النكاح والترغيب فيه

بقلم: عبدالرزاق زعال بن سمعو



دور وسائل الإعلام في تفتح الأبناء

ليس ضيفاً دائماً على الأسرة، فحسب
بل هو مشارك في مسؤولية إعداد وتربية الأطفال

لقد حلَّت وسائل الإعلام محل الوالدين والمدرسين في نقل العلوم والمعارف إلى الأفراد، فأصبح التعليم يتم خارج المدرسة، وأصبحت كميات كبيرة من المعلومات التي تنقلها الصحف والإذاعات ومحطات التلفاز في أيامنا هذه تفوق بكثير كميات المعلومات التي ينقلها مدرّس المدرسة.
ويعتبر التلفاز من أخطر الوسائل الإعلامية، لأن تأثيره يفوق تأثير الوسائل الإعلامية الأخرى، وهو ليس ضيفاً دائماً على الأسرة، فحسب، بل هو مشارك في مسؤولية إعداد وتربية الأطفال.

لقد حلَّت وسائل الإعلام محل الوالدين والمدرسين في نقل العلوم والمعارف إلى الأفراد، فأصبح التعليم يتم خارج المدرسة، وأصبحت كميات كبيرة من المعلومات التي تنقلها الصحف والإذاعات ومحطات التلفاز في أيامنا هذه تفوق بكثير كميات المعلومات التي ينقلها مدرّس المدرسة.

ويعتبر التلفاز من أخطر الوسائل الإعلامية، لأن تأثيره يفوق تأثير الوسائل الإعلامية الأخرى، وهو ليس ضيفاً دائماً على الأسرة، فحسب، بل هو مشارك في مسؤولية إعداد وتربية الأطفال.

إن الأسرة والمدرسة والأصدقاء ووسائل الإعلام تكسب الطفل

وتعلمه عاداته وتقاليده، وقيمه، أي تكسبه العوامل الاجتماعية في شخصيته.

ولا ننس أن عامل الوقت الذي يقضيه الطفل أمام جهاز التلفاز يعتبر هو الأساس الذي يجعل التلفاز من أهم الوسائل الإعلامية تأثيراً في سلوك الأطفال.

ولم يعد التلفاز من الكماليات، بل أصبح من الضرورات الحياتية، إذ حوله تتجمع الأسرة، ومنه يحصل أفرادها على الخير والمعلومة والفن والثقافة والتسلية بالقول والصورة معاً.ولم تعد محطات الإرسال الوطنية المحلية هي المصدر الوحيد لكل ما يظهر على الشاشة الصغيرة، بدأ البيت العربي يتابع ما يدور في العالم كله عندما يبث له من خلال أدوات التقنية الحديثة ما ترسله محطات إرسال قد تبعد عنه آلافاً عدة من الأميال، فلم تعد محطة الإرسال الوطنية المحلية هي المصدر الوحيد للبث، تعمل بجوارها الآن محطات أخرى أجنبية، لا شك أن هذا التنوع الكبير سيزيد من ارتباط الأسرة والفرد بالتلفاز، ولهذا الارتباط إيجابيات، وكذلك له سلبيات.

تتحدد إيجابياته بهذا التنوع الكبير للأخبار والمعلومات ولجميع فنون العلم والثقافة، ولكن تأتي سلبياته بتعدد وتنوع واختلاف القيم والتقاليد التي تدخل في نسيج بعض البرامج والأفلام، والتي لا تناسب ذلك التجمع الأسري أو لا تتناسب مع النسق القيمي للإنسان العربي، وقد يكون ذلك التطور الجديد لوسائل الإعلام مؤثراً على قواعد تربوية تحاول بشكل أو بآخر زرعها وترسيخها في أبنائها، قواعد تربوية ترمي إلى دفعهم إلى القراءة مثلاً أو إلى الانخراط في أعمال عامة أو إلى العناية بفنون أخرى، فعلينا أن نهتم بكل ناتج للتقدم التقني، وعلينا كذلك أن نوجد التوازن الذي لا يجعلنا فريسة له، بل أسياداً متحكمين فيه.

إن التلفاز قد أصبح اليوم أداة مهمة، ليس فقط في المجال الإعلامي، ولكن أيضاً كعامل من العوامل ذات التأثير البالغ في التنشئة الاجتماعية للطفل، فلم يعد التلفاز من الكماليات، بل أصبح وجوده من الانتشار، بحيث لا يمكن إغفال تأثيره على كل من الصغير والكبير سواء بسواء.

ولكن هذا التطور السريع الذي شهده العصر وتوفر أجهزة التلفاز بجميع القنوات العربية والأجنبية إلى جانب الفيديو وما يوفره من أشرطة قد لا تتناسب وأعمار الأطفال، ومع وجود كتب من مختلف المجالات في متناول أيديهم، هل كل ذلك كان سبباً في فقدان أطفال اليوم براءتهم؟

ما يعرض في وسائل الإعلام أثَّر بشكل كبير على الأطفال بحيث صاروا أكثر تفتحاً ومن ثم استفساراً عمّا يشاهدونه

إن ما يعرض في وسائل الإعلام أثَّر بشكل كبير على الأطفال بحيث صاروا أكثر تفتحاً ومن ثم استفساراً عمّا يشاهدونه، ففي حين يقول البعض إنه على الرغم من سلبيات ما يعرضه التلفاز على الأطفال وبخاصة ما يتوافر في متناول الجميع بوساطة «الستالايت»، إلا أننا في الوقت ذاته لا يمكننا أن نحصر الأطفال في غرف مغلقة بل كل ما علينا هو أن نراقب ما يشاهدونه ولانتركهم كثيراً أمام التلفاز لئلا يشاهدوا البرامج التي لا تتناسب وأعمارهم.

أما البعض الآخر فيعتبر أن تغير سلوك بعض أطفال اليوم هو بسبب تقليد ما يشاهدونه عبر أجهزة التلفاز والفيديو إلى جانب ابتعاد الوالدين طوال النهار عن أبنائهم بسبب انشغالهم بالعمل، وقلة العلاقات الاجتماعية السائدة حالياً هذه الأمور ساعدت على غياب الدور الأسري في التنشئة.

وقسم آخر يرى أن تفتح عقلية الأطفال ذات شقّين إيجابي وسلبي يتمثل بتفتحهم تجاه الأمور التي قد تنفعهم وتنمي طريقة تفكيرهم وتفيدهم في حياتهم بشكل عام.

ويؤكد البعض أنه مهما تطور المجتمع يظل جزءاً من البراءة لدى الطفل من ناحية التفكير وحب التملك والمشاعر، من ناحية الحب والابتسامة، بحيث لا تصل لمصطلح المجاملة والنفاق والدجل الاجتماعي لكونها أشياء يكتسبها الطفل في المراحل المتقدمة من العمر خلال الصراعات العاطفية والوظيفية... أما إذا أردنا أن نضع اللوم على الطفل بسبب تفتحه الزائد فهذا أمر غير ممكن لكونه أمراً طبيعياً بحكم مشاهدته المتطورة من خلال توافر التلفاز و«الستالايت» الذي يوفر بين يدي الطفل قنوات دول العالم وكذلك تفتحه عن طريق السفر إلى الخارج مع الأهل والمناهج الدراسية المقررة الأكثر تطوراً من خلال عقدين من الزمان مثلاً والهادفة إلى تنمية مواهبة أما بالنسبة لحب الاستطلاع لدى الأطفال فهو في الواقع أمر طبيعي حيث يتساءل عن كيفية مجيئه للحياة وسبب اختلافه عن أخته من الناحية التكوينية وغيرها إلى جانب عدد من الأسئلة المحرجة في بعض الأحيان وفي حال إجابة الوالدين عليها بشكل خاطئ تؤدي إلى أمراض نفسية مستقبلية.

وهنا يجب تأكيد ضرورة تفهم الوالدين لطبيعة أبنائهم في الوقت الحالي، وعدم مقارنتهم بطبيعتهم وتصرفاتهم أيام كانوا في مثل أعمارهم بحكم اختلاف طبيعة الحياة والحال والزمان والمكان. ■

بقلم: خالد أحمد الشنتوت

متى نعود البنات على الحجاب؟





لقد أُمرنا الله أن ندرب أولادنا على العبادات قبل أن تفرض عليهم ببضع سنين حتى يعتادوها، وقد لاحظنا أن مدة التدريب تتراوح بين (٥ ـ ٨) سنوات.

حيث يؤمر الصبي بالصلاة لسبع، وتفرض عليه عند البلوغ في العمر (١٢ ـ ١٥)، وهكذا نجد هذه الفترة (٥ ـ ٨) سنوات للتدريب.

لذلك فإن التدريب على الحجاب ـ وهو عبادة ـ يجب أن يسبق التكليف بالحجاب ببضع سنين حتى تعتاده الفتاة، فيصعب عليها نزعه بعد ذلك.

ولكن متى يفرض الحجاب على الصبيّة؟

هناك إجابتان إحداهما تقول تحجب الصبية عندما تصل إلى سنّ البلوغ، والسن التي تُشتهى فيها الصبية تختلف من واحدة لأخرى، وفقاً لطولها وجمالها وبِنْيتها.

وتقول الإجابة الثانية تحجب الصبية إذا حاضت وسن الحيض تتراوح بين (١١ ـ ١٤) عاماً في بلادنا.

وفي كلا الحالين لابد من فترة تدريب سابقة على سن التكليف.

فالصبية التي تبلغ الثامنة من عمرها يجب أن تدرب على الحجاب منذ السادسة، وهكذا فعل العلامة الشيخ محمد الحامد ـ يرحمه الله مع بناته، إذ كان يحجبهن حجاباً شرعياً كاملاً في السادسة تقريباً، والفتاة التي تشتهى قبل المحيض ولا تحتجب، تفتن الرجال بالنظر إليها ويأثم والدها «ولي أمرها»، ولا تأثم لأنها غير مكلفة، أما بعد البلوغ، فإن لم تتحجب تأثم هي كما يأثم والدها لأنه مسؤول عنها.

أما التي لا تشتهى في الثامنة فينبغي تدريبها على الحجاب منذ السابعة قياساً على الأمر بالصلاة.

فقد قاس الشافعية الصوم على الصلاة، وقالوا: «يؤمر به الصبي لسبع ويضرب عليه لعشر»، وكذلك الحجاب فالأرجح عندي أن تدرب الصبية منذ السابعة على الحجاب الشرعي، كي تتكون عندها عادة الحجاب قبل البلوغ.

أما من يرى حجب الصبية عند البلوغ فنسأله: ما الفرق بين الصبية قبل بلوغها ببضعة أشهر وبينها وهي تدخل البلوغ، من حيث جمالها ولفت نظر الرجال إليها، وبعبارة أخرى ما الفرق بين الصبية في الحادية عشرة «حيث لم تبلغ بعد» وبين الصبية نفسها في الثانية عشرة عندما تبلغ!!؟

لذلك فإن حجب الصبية عندما تشتهى أقرب إلى الصواب، وكثير من الصبايا في العاشرة من عمرهن يفتنَّ الرجال بقاماتهن وشعورهن. لذا ينبغي على آبائهن حجبهن عن عيوان الرجال كي لا يقع هؤلاء الآباء في الإثم.

التربية بالعادة:

ولا يصح إغفال فترة التدريب والتعود على الحجاب منذ الصغر، حيث ينغرس في شعور المرأة وضميرها، وإلزامها به عند البلوغ فقط يؤدي إلى ظاهرة الحجاب التقليدي حيث تلبس الفتاة الحجاب مسايرة لأهلها وعادات مجتمعها، وهي مجبرة على ذلك، حتى إذا سنحت لها الفرصة خلعته.

أما إذا انغرس ارتداء الحجاب في ضمير الفتاة نتيجة للتدريب منذ الصغر، فإنها تتمسك به مرتاحة مطمئنة لأنها تنفذ أوامر ربها عز وجل، ولا تخلعه حتى إذا أمرها زوجها بخلعه، لأنها تعرف أنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

لماذا في السابعة؟

في السابعة من العمر يبدأ الإنسان المرحلة الثالثة من نموه(١)، وهي الطفولة المتأخرة، أو سن التمييز ولهذه المرحلة خصائص منها:

١ ـ يحب الطفل في هذه المرحلة المدح والثناء، ويسعى لإرضاء الكبار (كالوالدين والمدرس) كي ينال منهم المدح والثناء، وهذه الصفة تجعل الصبي في هذه المرحلة ليناً في يد المربي، غير معاند في الغالب، ينفذ كل ما يؤمر به بجد واهتمام.

٢ ـ يتعلم الصبي في هذه المرحلة المهارات اللازمة للحياة، كما يتعلم القيم الاجتماعية، والمعايير الخلقية، وتكوين الاتجاهات، والاستعداد لتحمل المسؤولية، وضبط الانفعالات، لذلك تعتبر هذه المرحلة أنسب المراحل للتطبيع الاجتماعي.

٣ ـ يحصر الطفل قدوته وتلقيه بوالديه حتى نهاية السابعة، ويقبل من أمه وأبيه إذا كانا مهتمين به أكثر من مدرس الصف الأول، ويضفي على والديه هالة من الإعجاب، فما يقوله أبوه أو أمه صحيح ولا يقبل النقاش، ثم يبدأ بالتدريج في الخروج من دائرة التأثر القوي بالوالدين.

وفي الثامنة والتاسعة يكاد يتساوى تأثير المدرس مع تأثير الوالدين، أما في بداية البلوغ فيصبح التحرر من سلطة الوالدين دليلاً على أن الطفل صار شاباً.

٤ ـ في السابعة إذاً الصبية مميزة «تفهم»، وتسعى لإرضاء والديها من أجل كلمة مدح أو ثناء من أحدهما أو من كليهما، فإذا أمرت بالحجاب تجدها تنشط إلى أدائه بنفس طيبة وهمة عالية، وبسرور وفخر لأنها صارت كبيرة.

كما أن الفترة بين السابعة والبلوغ كافية للتعود على الصلاة والصوم والحجاب، وقد يكون هذا من أهم الأسباب.

أما في الحادية عشرة وما بعد، فقد يرى الصبي والصبية أن تنفيذ أوامر والديهما دون مناقشتها منه دليل على الطفولة، التي ترغب الصبي في مغادرتها، وبعد البلوغ يرى المراهقون معارضة والديهم دليلاً على شبابهم ونموهم.

٥ ـ يعيش الطفل مرحلة الطفولة «المبكرة والمتأخرة»، حيث يتطلع إلى تقليد الكبار ليرى نفسه كبيراً مثلهم، ويؤلمه أن يُقال عنه صغير، وعلى المربي استثمار هذه الرغبة الموجودة لدى الطفل في تطبيعه وتعويده على العبادات، فإذا قيل للصبية أنت شابة وجميلة ويجب أن ترتدي الحجاب مثل أمك وأختك الكبيرة، تطرب الطفلة لهذا الأمر لأنها ترغب في أن تكون كبيرة، ومع الأسف أن الآباء عامة والأمهات بخاصة يضيعون هذه الفرصة الذهبية بحجة واهية نابعة من الجهل بالتربية وعلم النفس، عندما يقولون: مازال الطفل طفلاً ومازالت الفتاة طفلة.

ويقول محمد قطب (١٩٦/٢): «نحن الآن مع كائن جديد لا يريد أن يكون طفلاً ويكره أن يعامل على أنه طفل صغير كما كان بالأمس القريب، ويريد أن يعامل على أنه رجل إذا كان ولداً، وعلى أنه أنثى ناضجة إذا كانت بنتاً».

٦ ـ توحد الطفل مع دوره الجنسي، ويلاحظ في هذه المرحلة أن الأولاد يلعبون مع الأولاد فقط، وتلعب البنات مع بعضهن بعضاً ألعاباً تمثل دورهن في المستقبل، كأمهات غالباً، ولو جاء صبي ليلعب معهن يطردنه ويقلن له كيف تعلب معنا؟ هل أنت بنت أم ولد؟ والمربي الحصيف يستفيد من هذا الخاصة في ترسيخ السلوك الرجولي عند الصبيان، والسلوك النسائي عند البنات، ومنه ارتداء الحجاب وتدريبهن عليه. لأن البنت تشعر في هذه الفترة أنها تختلف عن الصبي، وأن دورها في الحياة يختلف عن دوره (محمد قطب:١٩٩/٢).(٢)

ونلاحظ أن مدة التدريب على الصلاة (٥ ـ ٨) سنوات، عندما يؤمر بها الصبي لسبع ويبلغ في الخامسة عشرة فتفرض عليه الصلاة، لذلك يجب أن تكون فترة التدريب على الحجاب كافية قبل أن يفرض على الصبية.

ومن الواضح أن إغفال فترة التدريب، تجعل الفتيات يلبسن الحجاب عن غير قناعة، مسايرة لأهلهن ومجتمعهن، وهو ما نسميه ظاهرة الحجاب التقليدي، وهو أفضل من السفور والتكشف بألف مرة، لكننا نريد البنات المسلمات، المتحجبات طاعة لله ورسوله، وطمعاً في ثواب الله وجنته، وخوفاً من عقابه، نريد الفتاة المسلمة التي لا تخلع حجابها بعيداً عن ذويها في أوروبا أو أميركا، وحتى إذا ابتليت بزوج يأمرها بخلعه فإنها لا تخلعه لأنها لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق عزَّ وجلَّ.

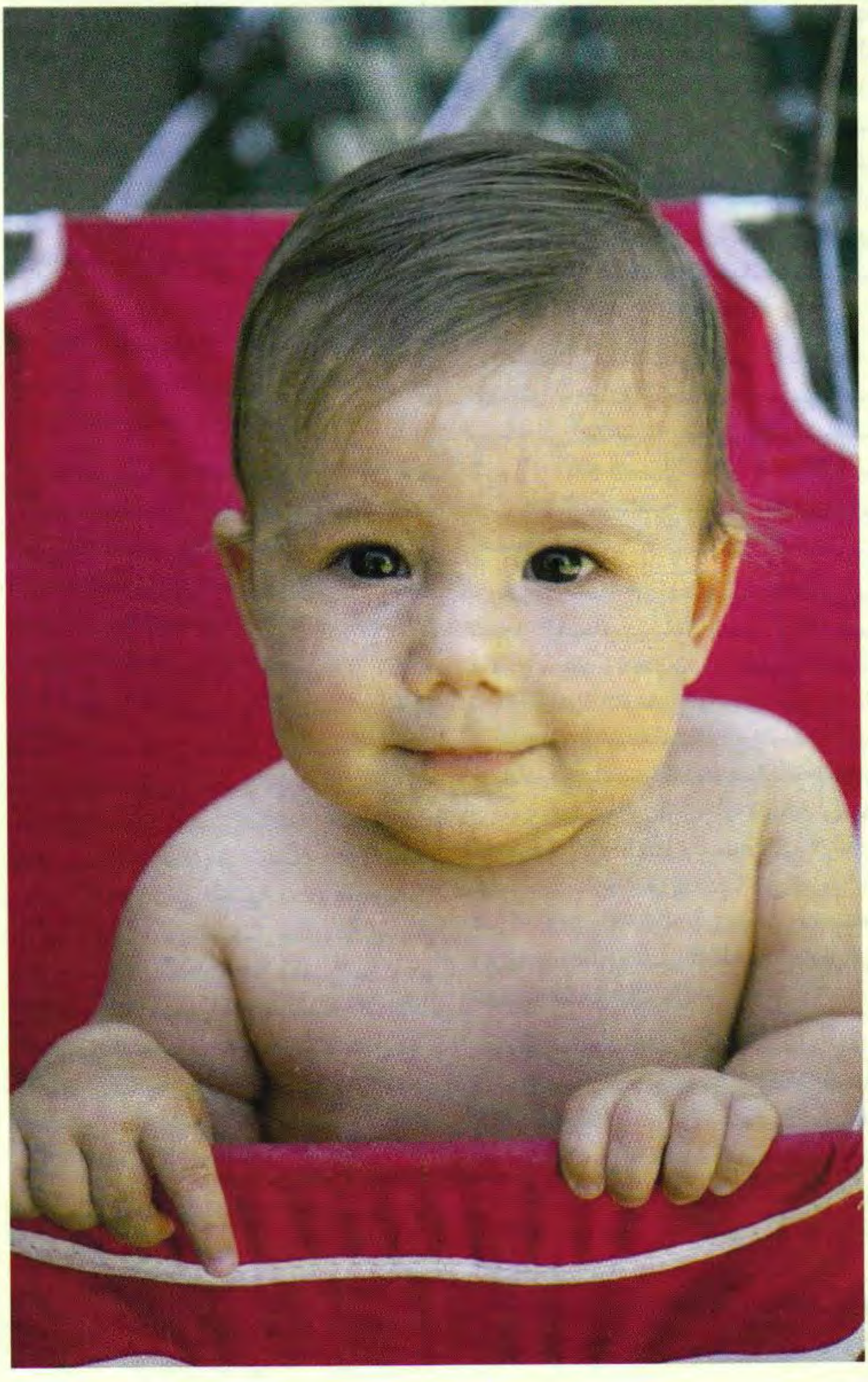
وعندما يتعرف الوالدان على هذه الخصائص، فإنهم يستفيدون منها في تنشئة أولادهم وبناتهم، وتدلهم على الطريقة الصحيحة في التعامل معهم، وتساعدهم على تطبيق وسائل التربية، ومنها التربية بالعادة من أجل زرع السلوك المرغوب عند أولادهم وبناتهم. ■

الهوامش

١ ـ المرحلة الأولى هي مرحلة المهد، ثم الطفولة المبكرة، ثم هذه المرحلة الثالثة الطفولة المتأخرة.

٢ ـ محمد قطب، منهج التربية الإسلامية، دار الشروق.

بقلم: غادة عدلي الشافعي



لا تبــكِ يا صغيـري

يعتبر بكاء الطفل طريقة اتصاله بمن حوله، فهو يحتاج إلى الطعام والمصاحبة والرعاية، ويطلبهم بوسيلته الوحيدة التي يعرفها... فإذا لم يمنح ما يشبعه منهم فإنه يلجأ إلى البكاء الكثير بل إلى الصراخ العنيف... أما إذا منح ما يحتاج إليه منهم فإنه لا يبكي إلا في حالات نادرة وملحّة... فالطفل الطبيعي قليل البكاء لذا يجب أن نلبي حاجات الطفل الأساسية الحيوية باعتدال فليس من الأصوب أن نسرع إليه في كل مرة يبكي فيها...

فأحياناً يستخدم الطفل البكاء طريقة يستدعي فيها الكبار وسائل لتحقيق رعايته! ولكن يجب أن نجعله يتعلم الانتظار القليل وتحمل الحرمان البسيط في فترة مبكرة ما أمكن ذلك.

فللطفل الرضيع حديث الولادة أحوال ثلاثة: نائم، مستيقظ وهادئ، أو مستيقظ ويصيح وعلى الأم أن تعرف أن كثيراً من الأطفال كثيرو الصياح وعليها أن تستعد لذلك وأن تعامله على أنه طبيعي وعلى العكس فإذا كان طفلك من النوع الذي لا يصيح كثيراً فذلك هو الشيء الذي يستدعي النظر.

وحتى تستطيع الأم أن تتفهم سبب هذا البكاء والصياح، وكيف تعد وسائل الراحة لطفلها؟ فإنه يجب عليها أن تدرك دوافع القلق وعدم الشعور بالارتياح بالنسبة لطفلها.

ماذا تعرفين عن صياح الطفل؟

صياح الطفل هو الوسيلة الوحيدة التي تربطه بالمجتمع المحيط به، وهو الوسيلة الوحيدة التي يستطيع أن يعبر فيها عن متاعبه ومضايقاته.

وتستطيع الأم الخبيرة أن تعرف متاعب الطفل من نوعية صراخه وبكائه، سواء

كان السبب الجوع أو الخوف أو الغضب أو الألم أو المغص.

لا تدعي طفلك يصيح!

فإذا كان بكاء طفلك نتيجة الخوف والغضب فمن الأصوب ألا يترك يصيح وحيداً، ويبدو هذا واضحاً وبخاصة حين يستيقظ ليلاً من صوت ما أو من حلم مزعج... فإن منح الحب والاطمئنان من أمه سيزول خوفه وتتلاشى مخاوفه، ويعاوده الهدوء مباشرة.

لماذا يبكي طفلك وكيف تتصرفين؟

١ ـ الجوع... من أكثر الأسباب شيوعاً لصياح الأطفال... وكثيراً ما تعرف الأمهات طبيعة الصياح الصادر عن الإحساس بالجوع... وأن الطفل يبكي كثيراً قبل تناوله الرضاعة أكثر مما يبكي أو يصيح بعدها، إن الشعور بامتلاء المعدة يجعل الطفل أكثر سعادة وارتياحاً من أي لذة أخرى.

٢ ـ درجة حرارة الجو والرطوبة... تؤثر درجة الحراة والرطوبة في الجو تأثيراً كبيراً على طول الوقت الذي ينام فيه الرضيع وكذلك على نشاطه وصراخه أيضاً.

وقد أثبتت التجارب أن الحرارة (٣١-٣٢درجة مئوية) تجعل الطفل ينام فترة أطول ويقل صراخه، لذلك يجب أن تتأكد الأم من أن رضيعها في غرفة ذات درجة حرارة مناسبة وأن تخفف من ملابسه إذا كان الجو حاراً وتزيدها إذا كان بارداً... مع تغيير لفات الطفل وملابسه في حال البلل.

٣ ـ الألم... هو سبب قوي لصراخ الطفل وقد تجد صعوبة في اكتشاف مصدر الألم أو تحديد موضعه... فربما يكون ناتجاً عن مغص أو شدة التفاف اللفة... وربما يكون التهابات حادة في الأذن مثلاً حيث تلاحظ الأم الطفل يضع قبضة يده حول أذنه.

فإذا كان المغص فننصح بوضع الطفل على بطنه وإعطائه بعض السوائل الطاردة للغازات والأعشاب المهدئة للمغص.

أما إذا زاد البكاء وحدة الصياح فلا بد من عرضه على الطبيب المختص.

٤ ـ التغيرات المفاجئة والعنيفة... كالضوضاء أو زيادة شدة الإضاءة أو الحركات العنيفة لذا يجب تجنب هذه التغيرات مع أخذ الطفل بين يديك في الحال وضمه إليك حتى يحسّ بالأمان والطمأنينة.

٥ ـ لفت النظر والانتباه... قد يدخل الطفل في نوبة هستيريا من البكاء المتواصل كمحاولة منه للفت أنظار الأسرة طالباً شدّ المزيد من الانتباه وأنسب الحلول للمشكلة التي يعانيها هو أن يترك الطفل وحيداً من دون محاولة التدليل الزائد أو السخرية أو التهديد والوعيد ـ مع ملاحظة إزالة الأشياء التي قد تضره في أثناء هذه النوبة الهستيرية ـ فإذا ما تركنا الطفل وحيداً دون تدخل من الوالدين فسرعان ما يزول البكاء تلقائياً.

٦ ـ الخوف من الانفصال... كلما كان ارتباط الطفل وثيقاً بالأفراد المحيطين به كان القلق والبكاء والصراخ عنيفاً عند الانفصال... وبناء جسور الثقة والصدق بين الأم وبين طفلها هو العلاج الناجع في هذه الحالة.

٧ ـ الإحباط... قد يصاب الطفل بالإحباط حين يحاول تقليد من هم أكبر منه فيفشل فيكرر المحاولة ويتكرر الفشل فينفجر في موجة من البكاء والصراخ... وهنا يجب مساعدته أو اختيار ألعاب أخرى في حدود طاقته فيتحقق النجاح ويشعر بالرضا.

واجب الآباء لتجنب نوبات البكاء عند الأطفال:

إن في أعماق الطفل الصغير حاجة ملحّة إلى أن يكون محل حب الآخرين وعطفهم ومركز اهتمامهم، فهو يتغذى نفسياً بهذه المحبة التي ينعم بها من أمه وأبيه وذويه، كما يتغذى جسمياً بالطعام الذي ينمي جسمه ويبعث فيه دفء الحياة وأسباب النمو.

وإذا فقد الصغير العطف والمحبة نشأ غير سوي، وأصاب صحته النفسية والعقلية والخلقية انحراف.

فالحب والعطف أساس التعامل كله، ومدار التجارب مع حاجات الطفل المختلفة... لذا وجب على الآباء والأمهات ما يلي:

أ ـ يجب على الآباء أن يقلعوا عن عصبيتهم وثورتهم لأتفه الأسباب أمام الأبناء ويعملوا جهدهم على ضبط النفس قدر الإمكان حتى لايقلدهم الأطفال، فالطفل السوي هو الذي ينشأ في منزل يسوده الانشراح وعدم الخوف من الآباء.

ب ـ تجنب النقد واللوم والسخرية وخصوصاً أمام طفل آخر أو أمام الضيوف.

ج ـ تعويد طفلك على التفاهم والمرونة والأخذ والعطاء والتوجيه والنصح الهادئ وهذا هو أساس تعامل الآباء مع الأبناء.

د ـ دراسة الحالة الصحية للطفل وعلى ضوئها تنظم حياة الطفل وتوجهه أسرته توجيهاً تربوياً يحقق للطفل منذ نعومة أظفاره حاجاته النفسية، في إثبات وجوده وذاته بأسلوب سوي يفتح أمامه مجالات التعرف على الحياة بحيث تنمي استعداداته الفطرية وقدراته ومهاراته.

وأخيراً: أهمس في آذان الآباء: «يضحك ابننا فتضحك الدنيا لنا، ويبكي فتسودّ الدنيا في عيوننا وهو أمر منطقي أن يتحول في حياتنا إلى بوابة لهذه الحياة». ■

بقلم: عابدة المؤيد العظم

عبارات خطيرة! 7

ثمة عبارات موروثة ترددها الأمهات أمام صغارهن للحصول على منافع عاجلة ومصالح موقتة، ولكن كثيراً من العبارات تلك تتضمن معاني غير محبذة، وتعطي آثاراً سلبية وربما مفعولاً معاكساً، وهي قد تؤثر على المفاهيم والقيم فتؤدي إلى ما لا تحمد عقباه. فلنتنبه لما نقوله لأولادنا حفاظاً على دينهم وخلقهم.

يجب أن تكون طبيباً أو مهندساً!



كانت أقصى أماني الأمهات - عندما كنت صغيرة - أن يكون أولادهن أطباء أو مهندسين ليس إلا، وكانت الأمهات تجاهد مجاهدة عظيمة في سبيل تحقيق هذه الأمنية، فتبدأ منذ السنوات الأولى بغرس هذه المفاهيم في ذهن طفلها، وتكرر هذه العبارة: «يجب أن تكون طبيباً أو مهندساً» بكثرة أمامه، وتعمل على تحبيب هذه المهنة إليه عن طريق الكلام عن فوائدها، وعن عائدها المادي، وعن الاحترام والتقدير اللذين سيحظى بهما من امتهن إحدى هاتين المهنتين.

ستسألني: ولكن أين الخطورة في هذه العبارة؟ وما المانع أن يكون ولدنا طبيباً أو مهندساً؟ وسأجيب بما يلي:

١ ـ الخطر الأول في هذه العبارة أننا حصرنا المهن الرفيعة في مهنة الطب ومهنة الهندسة، وشددنا على هذا حتى تصاغرت المهن الأخرى وتضاءلت أمام هاتين المهنتين، وقل شأن ممتهنيها، وانحطت مرتبتهم الاجتماعية عن الأطباء والمهندسين... وهذا غير صحيح، ولكن كان من الطبيعي أن يعتنق الطفل هذه الأفكار ويقتنع بها بعد أن سمعها مراراً. ولما كان من غير المعقول أن يمتهن الجميع الطب أو الهندسة، بقينا بين أمرين: إما أن يصير الولد طبيباً أو مهندساً ثم يتكبر على عباد الله، أو يفشل في امتهان إحدى هاتين المهنتين ليشعر طيلة حياته بالألم النفسي والأسى والدونية.

٢ ـ والخطر الثاني أننا أجبرنا أبناءنا أدبياً وأقنعناهم لا شعورياً بالإقبال على إحدى هاتين المهنتين دون اهتمام بميولهم ورغباتهم وأحلامهم، مما قد يتسبب في تعثرهم في أثناء الدراسة، ثم في خطئهم أو فشلهم في أثناء تأدية المهنة، وقد عرفت أماً كانت تحلم أن يكون كل أولادها أطباء، وعملت على غرس هذا المفهوم في كيانهم، فاقتنعوا بكلامها وظنوا أنهم فعلاً يرغبون بإحدى هاتين المهنتين، وبدؤوا الدراسة... فكان أن خسر كبيرها سنة من حياته حين اضطر إلى تقديم امتحان الثانوية العامة من جديد لأن مجموعه الذي بلغ التسعين لم يؤهله لدخول كلية الطب! ثم خسر سنتين أخريين عندما رسب، وحتى لا يخسر ولدها الثاني – والذي حصل أيضاً على مجموع يقارب التسعين – عاماً من حياته، غادر أهله إلى جامعة بعيدة ليدرس الهندسة، وقد عانت أمه الأمرين بسبب بعده عنها، وتحمَّل هو من مشاق الغربة، ثم عندما تخرج عمل في التجارة، وما استفاد يوماً من شهادته تلك لأنه ما أحب الهندسة يوماً، وفشل الباقون وتعثروا، ولو تركوا لميولهم ورغباتهم لأبدعوا ولأفادوا المجتمع بطريقة أفضل.

٣ ـ ويكمن الخطر الثالث لهذه العبارة «يجب أن تكون طبيباً أو مهندساً» (وهو الأهم والأفظع) في تربية الأنانية والروح الفردية، والاهتمام بالنفس على حساب المجتمع، فهذه العبارة ترسخ الأنانية وتحث على التفكير بالذات وحدها، وتؤدي إلى فساد العلاقات الاجتماعية بين الطفل وأقرانه فهو لا يختلط بهم ولا يفهمهم ولا يشترك معهم في نشاطاتهم لأنه مشغول بالدراسة وجمع العلامات ليكون طبيباً أو مهندساً، فينشأ جاهلاً طرق تفكير الآخرين ومهملاً ومستخفاً بمشاعرهم وأحاسيسهم، ولا يمكن للإنسان أن يعيش وحيداً مستغنياً عن الناس بطبه وعلمه ونجاحه، فهذا غير ممكن ولا معقول لأن الدنيا متشابكة المصالح ولا تقوم السعادة الاجتماعية ولا يتحقق النجاح إلا بالعلاقات الجيدة والصداقات القوية والصلات المتينة، وبالتعاون وتبادل الخبرات والمصالح.

حصر المهن الرفيعة في الطب والهندسة والتشديد عليهما حتى تصاغرت المهن الأخرى وتضاءلت أمامهما

وإن هذه العبارة «يجب أن تكون طبيباً أو مهندساً» تشجع الإنسان كي يعمل لنفسه وحدها وليرى مصلحته دون سواها، وليهتم ببناء مستقبله غير عابئ بالآخرين، ففي هذه العبارة حثّ للابن على امتهان الطب أو الهندسة ليحظى باحترام الآخرين وتقديرهم وليكون ناجحاً ومشهوراً وغنياً... لا ليكون ـ بالإضافة إلى هذا ـ فرداً فعالاً عاملاً نشيطاً، ولا ليكون إنساناً رحيماً شفوقاً عطوفاً يساعد الناس حوله، ولا ليكون مسلماً خلوقاً يغيث الملهوف ويزيل كرب المكروب، ولا ليكون مؤمناً مثالياً يخدم المسلمين ويهتم بأمرهم، إذ على كل مسلم أن يعمل ما يستطيعه ليكون فعالاً وليدفع بالمجتمع إلى الأمام.

هذه العبارات ترسخ الأنانية وتؤدي إلى فساد العلاقات الاجتماعية بين الطفل وأقرانه

يقول د. أمين المصري في هذا المقام: «وانتزع محمد صلى الله عليه وسلم أصحابه من حماة الجاهلية وأنشأ مجتمعاً لا يعيش الفرد فيه لنفسه، بل لربه ثم لإخوانه. أما التربية التي نتلقاها اليوم فهي تهيب بالفرد أن يحرص على منفعته، يلقن الطفل منذ حداثته بأنه سيدخل المدرسة وسيجدّ للحصول على الشهادة وسيكون طبيباً أو مهندساً، كل هذا لينعم بالعيش ولتفتح أمامه سبل الحياة، ويشهد الطفل ما تعانيه الأم لأن ولداً من أولادها لم يفلح ولم ينجح في الحصول على الشهادة الثانوية مثلاً، ولا يسمع الطفل في مجتمعنا هذا كلمة حزن على هذه الأمة، ولا يضرب للطفل أي مثل من أمثلة الجهاد ليقتدي به. وهكذا ينشأ الطفل وقد ملأ سمعه وبصره وخالط كل ذرة من ذرات قلبه ونفسه الحصول على الشهادة في سبيل العيش.(١)

فاتركي ولدك كي يختار بنفسه المهنة التي يحبها ولا تضيقي عليه، وإن رأيت مساعدته في الاختيار فاختاري ما يناسب ميوله وقدراته. وإن أردت له النجاح والشهرة والمال فلقنيه الإخلاص وعلّميه الإتقان، وحببي إليه الناس وحثيه على الإحسان إليهم والتسامح معهم، لأنهم هم القضاة الذين سيحكمون عليه بالنجاح أو الفشل.

وأذكرك ـ أخيراً ـ بأن التقوى وخوف الله هما القاسم المشترك الأعظم بين جميع المهن، فاحرصي عليهما أشد الحرص إن أردت لولدك التوفيق والتفوق في الحياة، فهما سر التوفيق، ودافع التفوق، وهما الطريق الوحيد إلى سعادة الدنيا والآخرة. ■

هزة أيقظته ..

بقلم : عبدالناصر محمد مغنم

فوجئ به يكلمها وهي تجلس قبالته في محل الملابس الذي خلا من الناس سواهما... كان المحل يقبع في زاوية من زوايا أزقة المدينة في سوق مكتظ بالناس والبضائع... شعرتْ بحرج لما دخل عليهما فنهضت ثم ودعته بعبارة ودية، ومضت دون أن تلتفت للزائر المزعج الذي قطع عليهما حديثاً ذا شجن...

تنهد ونظر إلى صديقه بعين الشفقة...

- مازلت تجلس إليها وتحدثها يا جاسر...؟!

ارتبك وتلعثم وقد بدا على وجهه الخجل... لقد اتفقنا على الزواج.

جلس على الكرسي أمامه وهزَّ برأسه..

ولكنك دخلت من النافذة يا جاسر..

أصابه الوجوم...

وماذا تعني؟!

قلت لك مراراً إن هذا عمل خاطئ وإن كنت تريد الزواج منها فاخطبها من أبيها.

ولكن أباها ميت.

أليس لها وليّ أمر يتولى أمرها؟!

بلى... ولكن...

ولكن ماذا...؟!

لم أخبر أبي وأمي بالأمر بعد... وربما...

ربما ماذا؟!

أخشى ألا يوافقا

يا سبحان الله... وتعبث هكذا وتضحك على الفتاة...

لا يا عمر... لا تتعجل فلا بد أن أتزوجها... لقد وعدتها...

ولكن اجتماعكما بهذا الشكل محرّم لا يجوز... وهذه خلوة نهى عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنت من طلاب العلم الشرعي وتدرك هذا جيداً

ماذا أفعل وأنا كل يوم أتعرض للفتن في هذا المحل... إني أخشى على نفسي الضياع...

وهل هذه اللقاءات هي التي تنجيك من الضياع؟!

لابد أن أختار الفتاة التي تناسبني...

ما هكذا يكون الاختيار... وإن كنت تريد النجاة حقاً فاترك المحل وابحث عن عمل آخر إن كنت لا تستطيع الصمود أمام فتن النساء.

ولكنه عمل مريح ويدر أرباحاً جيدة... ثم إنني لا أستطيع أن أحطم آمال هذه المسكينة بعد أن وعدتها...

إذن عجّل بخطبتها...

هذا سابق لأوانه

يبدو أنه لا فائدة من الحديث معك... ولكن يجب أن تتذكر أن الله لا يرضى لعبده الذي يحمل العلم الشرعي أن ينتكس هذه الانتكاسة، ويسقط هذا السقوط...

يولي له ظهره ويمضي بينما يقف جاسر مشدوهاً مما سمع.

وتمر الأيام دون أن يرعوي جاسر عن الاتصال بها... ويزداد قلبه بها تعلقاً... ويُعْلِم والده بالمشكلة فيسافر إليه لينظر في الأمر...

- هذا لا يمكن يا بني ...

لماذا يا أبي؟!

إنما أرسلناك إلى هنا من أجل الدراسة... وأنت تعرف أنك لو تزوجت بها فستضطر للمكوث هنا... ولن تستطيع القدوم بها للضفة الأخرى ... فقوانين اليهود تمنعك من إحضارها يا بني...

لن أتخلى عنكم يا أبي... سأزوركم بين الحين والآخر...

ولكنك وحيدي... وأمك مريضة لا تطيق بُعْدَك كثيراً وهي تنتظر تخرجك بفارغ الصبر... ستكون بالنسبة لها صدمة...

إنه قراري الذي لا فكاك منه يا أبي... إنني أحبها ومتعلق بها..

كنت أظنك أعقل من ذلك يا ولدي... ألم تتعلم أن هذا لا يجوز...؟!

بلى يا أبي ... ولكن..

إنها شطحات صبيانية يا بني... وإنني مضطر لعدم الموافقة على ذلك... فاعذرني يا ولدي..

وتمر الأيام دون تغيير... ويرى جاسر أنه على حق فيما فعل... ولا يمنعه موقف أبيه من العودة للقائها والحديث معها.

ويرتدي أجمل ثيابه، ويتعطر ويركب دراجته النارية، ويتوجه نحو المحل... يمضي مسرعاً فهو الليلة موعود بلقائها... ويكفر بموقف والده، ويتذكر حديث صديقه عمر... وتختلط لديه الأمور... يفاجأ بسيارة تقطع الطريق أمامه... يحاول أن يتجاوزها دون أن يرتطم بها... ينزلق بدراجته فيصطدم بمؤخرتها... يصرخ ثم يتدحرج على الأرض... يرتطم رأسه بالأرض... يفر سائق السيارة بسيارته دون أن يراه أحد... تسيل الدماء غزيرة على الأرض... يسرع بعض المارة ليروا من هذا الممدد على الطريق... يُنقل للمستشفى في الحال... وتُجرى له الفحوص ثم يُحول لغرفة العمليات... وتمضي ساعات طويلة يُحمل بعدها لغرفة الإنعاش.

كان المنظر مهولاً مرعباً... رأسه ملفوف لا يظهر منه شيء... عيناه حمراوان منتفختان... رجله مربوطة ومرفوعة إلى أعلى... يخور خواراً شديداً.

ويأتي والده وقد أصابه الهلع عليه...

هل هناك أمل بالشفاء أيها الطبيب؟!!

الشفاء بيد الله يا عماه... ولكن...

ولكن ماذا؟

أخشى إن كتب الله له الشفاء ألا يعيش طبيعياً.

ولماذا أيها الطبيب؟

لقد أصيب بكسر في جمجمته... وأخشى أن يكون لذلك أثّر على الدماغ...

لا حول ولا قوة إلا بالله.

وتمر الأيام بطيئة يتعافى خلالها جاسر شيئاً فشيئاً... ويكتب الله تعالى له الشفاء... ويتهيأ للخروج من المستشفى... يفاجأ في آخر أيامه في المستشفى بمجيئها لزيارته...

غير معقول...

حمداً لله على سلامتك يا جاسر...

سلمك الله...

يطأطئ رأسه إلى الأرض...

أرأيت ما حلّ بي...

كدت أُصاب بالجنون عندما وصلني النبأ... وسعيت بكل جهدي حتى وصلت إليك...

يجب أن نفترق.

تصاب بصدمة عنيفة... تشهق.

ماذا؟!

اعذريني لهذا القرار... فالطريق الذي سلكناه غير صحيح... وأبي لم يوافق لظروف خاصة... وما كان ينبغي أن نلتقي ونتحدث في خلوة حرّمها الله تعالى... وعندما أصبت كنت قادماً لرؤيتك... ولعل الله أراد لي الخير في ذلك... لقد زيَّن لنا الشيطان... حتى أنسانا ذكر الله وإنني لمتألم جداً على وعودي لك بالزواج... وأنت ما كان ينبغي لك أن تتجولي في الأسواق وحدك وتجتمعي مع الرجال دون محرم... أكرر اعتذاري وأرجو أن تتقبلي ذلك.

ولكن...

أرجوك... ليكن هذا آخر لقاء بيننا.

وتمسح دموعها وتولي ظهرها وتخرج دون وداع... بينما يرفع جاسر أكف الضراعة...

يا ربِ اغفر لي... يا رب... ■

وتلك الأيام نداولها . . .

بقلم: عبدالستار خليف

اذكر أن جدتي - يرحمها الله - كانت دوماً تحكي لي حكاية واحدة، كان ذلك في الزمان الطيب البعيد، ولم أكن وقتها أدرك المغزى الحقيقي من وراء ترديد الحكاية نفسها على مسامعي، كنت صغيراً، استريح وأتسلى وأنا أقضي وقت المساء في سماع حكاية جدتي... حتى أنام.

الحكاية نامت معي في حفائر الذكريات. استقرت لسنوات هادئة، ساكنة، لا تتحرك، وماتت جدتي الغالية... ولكن الحكاية ظلت باقية، لم تمت، وأصبح أبي جداً عندما أنجبت - أنا - ولدي الأول، وبدأ ينمو ويكبر... حتى شب عن الطوق. وكان الجد يحكي لحفيده الحكاية التي كنت أنا بدوري اسمعها من جدتي، كأنما كان ينقل - عن ظهر قلب - ويواصل الحكمة نفسها التي رغبت جدتي في أن نظل نحن - الأبناء والأحفاد - نحفظها عن ظهر قلب... نحفظها في قلوبنا اليابسة، لأنها - أي جدتي - كانت تتشوف الزمان المقبل، بأنه زمان غادر وخؤون، وأن علينا أن نعي الدرس جيداً، حتى لا تتكرر هذه الحكايا وتتسلل من زمن الأجداد إلى الأبناء والأحفاد.

أرادت زوجة الابن أن تطرد «حميها» من البيت، هذا الرجل العجوز، الذي يحتاج إلى رعاية أكثر، وأصبح يمثل عبئاً ثقيلاً على كاهلها في المأكل والملبس والنظافة وإعداد الفراش للنوم والكرسي الكبير لجلوسه في دفء الشمس...

فكرت الزوجة اللئيمة، ماذا تفعل مع هذا الجد العجوز الذي أصبح مزعجاً ولا يتوقف عن الانتقادات والشكوى لأتفه الأمور، وإن كانت هذه عادة كبار السن، ويجب أن نعاملهم بمودة وحنان ونلبي طلباتهم الزائدة والمتكررة، دون احتجاج أو تبرم، لكن الزوجة قليلة الصبر والحكمة، فكرت في حيلة حتى يرحل «حموها» عن البيت ويتركها تعيش في سلام - حسب تفكيرها - مع زوجها وأولادها....

وماذا فعلت يا جدتي؟

قالت الجدة: ذهبت المرأة إلى النجار وطلبت إليه أن يصنع لها طبقاً كبيراً وثقيلاً من الخشب وملعقة وكوباً أيضاً، طبقاً خشناً والملعقة كذلك والكوب ثقيل... وبعد أيام أتم النجار مهمته وجهّز لها ما طلبت وأعطته أجرته وحملت الطبق الكبير والملعقة والكوب الثقيل إلى البيت، وانتظرت حتى جاءت الفرصة المناسبة، واجتمعت الأسرة كلها على مائدة الطعام، وكل فرد أمامه طبقه وطعامه، وإذا بالزوجة تفاجئ الجميع بوضع طعام الجد في طبق الخشب الخشن الثقيل ومعه الملعقة والكوب، وضعت كل هذه الأدوات أمام الجد العجوز الذي كظم غيظه وظل صامتاً ينظر إلى هذه الأشياء في حيرة، وجالت عيناه الكليلتان على كل أطباق المائدة من الصيني المزخرف الناعم اللامع الذي يفتح الشهية للأكل، واستقر نظره أخيراً على الأدوات الخشبية التي أمامه. امتنع عن تناول الطعام، تركه وانصرف بهدوء... خارج البيت... وتلفت الزوج حوله في حيرة، يود أن ينطق، ولكنه لا يود أن يفسد اجتماع الأسرة حول المائدة، لكن الحفيد الصغير، نظر إلى كل أطباق المائدة وسأل الأم في حيرة: لماذا جدي يأكل في طبق من الخشب؟!

صمتت ولم تجب، وعندما كرر الصغير السؤال، شعر الأب بالخجل وأجاب: لأن جدك أصبح عجوزاً، لا يستطيع المحافظة على طبقه الصيني وربما ينكسر إذا استعمله وبخاصة عندما تهتز يداه، لقد أصبح غير قادر على حمل أي شيء، فهذا الطبق من الخشب متين عندما يسقط على الأرض لا ينكسر، وهو خير إناء يأكل فيه.

عقب الصغير ببراءة:

وأنت يا أبي، عندما ستكبر وتصبح عجوزاً مثل جدي، سأصنع لك طبقاً من الخشب تأكل فيه، حتى لا تسقط منك الأطباق الصيني على الأرض وتنكسر.

لم يعقب الأب، وتبادل النظرات الجامدة مع الزوجة التي انهمكت في الأكل مرة ثانية وكأنها لا تسمع أو تهتم أو تتابع الحديث الدائر على المائدة... ■

بقلم: محمد سلامة جبر

نحو أسرة مسلمة 2

فضل النكاح والترغيب فيه

نقدم بيان مكانة الزواج في الإسلام، وأنه رفعه بفضل الله إلى أعلى مقام، وجعله سبباً لسعة الرزق إن اتقى الله الزوجان.

واليوم أذكر إن شاء الله بعض ما جاء في القرآن والسنة مما يؤكد تلك الحقيقة التي بينتها، ويوضح أجرها ومثوبتها.

وقد مدح الله أولياءه المقربين لأنهم توجهوا إليه في دعائهم بأن يقر أعينهم بزوجاتهم وذرياتهم فقال سبحانه في مدحهم: (والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماما) الفرقان:٧٤.

ومنَّ سبحانه على رسله بأن جعل لهم أزواجاً وذرية، فقال تعالى: (ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك وجعلنا لهم أزواجاً وذرية) الرعد:٣٨.

وقال رسول الله ﷺ: «من رزقه الله امرأة صالحة فقد أعانه على شطر دينه» رواه الحاكم وصححه.

وسر هذا الحديث، أن المرأة خلقت أصلاً من ضلع الرجل كما جاء في السنة الصحيحة في شأن آدم وحواء عليهما السلام، ولهذا قال رسول الله ﷺ كما جاء في صحيح البخاري: «إنما النساء شقائق الرجال»

وعلى ذلك فالمرأة هي النصف الثاني للرجل، تكمل رجولته، ويحقق هو أنوثتها، فإن تحقق كمال الرجل بعودة أنثاه التي اقتطعت منه إليه، أحس بالسكينة والاطمئنان، وأحست زوجه بالسعادة والأمان، فإن كانا صالحين، أعان أحدهما الآخر على مشقات الحياة، وتأدية الرسالة التي من أجلها خلقهما الله.

ولم يكن الفقر حائلاً في المجتمع المسلم بين الشاب والزواج أبداً، فكل من بلغ سن الزواج سعى إليه وحققه، ولم يكن يجد من الفتاة أو من أبيها إلا السؤال عن دينه وخلقه، أما ماذا يملك؟ وما مؤهلاته وعمله؟ وما المهر الذي يستطيع دفعه؟ كل هذا لم يكن من السؤال، ولا خطر لهم ببال.

الزواج «سكن» للرجل والمرأة على السواء والسكن يعني «الطمأنينة والهدوء والاستقرار»

واقرؤوا القصة التالية المليئة بالعبر والعظات، وفيها كل خير لو اقتدى بها جميع البشر، ولما كان هناك مشكلات.

فقد روى الإمام أحمد بسند حسن عن ربيعة الأسلمي أحد أصحاب رسول الله ﷺ، وكان قد انقطع إليه يخدمه ويبيت عنده ليخدمه ليلاً إن احتاج إليه، فقال له رسول الله ﷺ:

«ألا تتزوج؟» فقال: يا رسول الله، إني فقير لا شيء لي، وانقطع عن خدمتك، فسكت رسول الله ﷺ، ثم عاد ثانياً ليقول له: «ألا تتزوج؟»، فأعاد ربيعة الجواب، ثم تفكر وقال: «والله لرسول الله ﷺ أعلم بما يصلحني في دنياي وأخراي، وما يقربني إلى الله مني، ولئن قال لي الثالثة لأفعلن».

فقال له الثالثة: «ألا تتزوج؟».

قال ربيعة: فقلت: يا رسول الله زوجني.

قال: «اذهب إلى بني فلان، فقل إن رسول الله ﷺ يأمركم أن تزوجني فتاتكم» قال: فقلت: يا رسول الله لا شيء لي.

فقال لأصحابه: «اجمعوا لأخيكم وزن نواة من ذهب».

فجمعوا له فذهبوا به إلى القوم فأنكحوه. فقال له رسول الله ﷺ: «أولم» أي: قدم طعاماً وليمة لعرسك «فجمعوا له من الأصحاب شاة للوليمة». انتهى

قلت: فماذا تقول فتيات اليوم؟، وما يقول الفتيان؟ إنهم على أغلب الظن يهزون رؤوسهم سخرية من هذه القصة وصاحبها، ويستبيحون لأنفسهم أن يتمتع أحدهم بالآخر دون زواج، ويغرر الجنس القوي بالجنس الضعيف، فيفسدهن على وعد كاذب بالزواج. أفهذا خير لكم أيها الناس؟ أم شرع ربكم وسنة نبيكم خير لكم حين تيسرون على الراغبين في الزواج من الناس، (أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون) المائدة:٥٠.

«من رزقه الله امرأة صالحة فقد أعانه على شطر دينه»

قلت: الزواج من أجلّ نعم الله على عباده بعد هدايتهم إلى الإيمان به سبحانه، ويخطئ من يظن أن رغبة الرجل في امرأة يسكن إليها ورغبة المرأة في رجل تطمئن إليه وتعيش في كنفه، يخطئ من يظن أن هذه الرغبة الكامنة في الجنسين وصف بهيمي، وإحساس دنيء، ولكنها على الحقيقة صفة من صفات الكمال البشري، ورغبة لم ينزه الله عنها أي نبي أو ولي!

وقد مدح الله أولياءه المقربين لأنهم توجهوا إليه بالدعاء أن يقر أعينهم بزوجاتهم وذرياتهم، فقال سبحانه وتعالى في وصف عباده الصالحين:

(والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماماً) الفرقان:٧٤.

ومَنَّ سبحانه على رسله بأن جعل لهم أزواجاً وذرية فقال تعالى: (ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك وجعلنا لهم أزواجاً وذرية) الرعد:٣٨.

وقال رسول الله ﷺ : «من رزقه الله امرأة صالحة فقد أعانه على شطر دينه» رواه الحاكم وصححه.

النساء شقائق الرجال وسرّ هذا الحديث أن المرأة خلقت أصلاً من ضلع الرجل كما جاء في السنة الصحيحة.

الزواج من صفات الكمال

تقدم أن الزواج «سكن» للرجل والمرأة على السواء والسكن يعني «الطمأنينة والهدوء والاستقرار» فالرجل لن يجد هدوء نفسه، وسكينة قلبه، واطمئنان روحه، إلا في الزوجة الصالحة، التي تكون له خير معين على تكميل دينه، وتعمير دنياه، والعمل لأخراه.

قال تعالى: (ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون) الروم:٢١.

فهذا الختام المعجز، فيه إشارة إلى ما في الزواج من أسرار إلهية خفية، وحقائق كونية علية، وفضائل اجتماعية غنية، لأن المراد بلفظ «الآيات» هو: البراهين الجلية، والأدلة القوية، على عظيم قدرة الله، وجليل حكمته، وجلال ربوبيته، حين تفرد وحده بكمال الأحدية، وتنزه سبحانه عن لواحق البشرية، وتعالى عن الصاحبة والزوجة.

(وأنه تعالى جَدُّ ربنا ما اتخذ صاحبة ولا ولدا) الجن:٣.

وهذه الآيات الباهرات، اللاتي اشتملت عليها حقيقة الزوجية والأزواج، إنما تنكشف «لقوم يتفكرون» كما نصت على ذلك الآية الكريمة التي تقدم ذكرها، فمن تفكر علم، ومن تعلم نجا بإذن الله وسلم، ولذلك كان من أمر الله ورسوله ﷺ : (وقل رب زدني علماً) طه:١١٤. ■

من تكريم الإسلام للمرأة

مراعاة مشاعرها

قال الله تعالى: (ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئاً إلا أن يخافا ألا يقيما حدود الله فإن خفتم ألا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به تلك حدود الله فلا تعتدوها ومن يتعدَّ حدود الله فأولئك هم الظالمون) البقرة:٢٢٩.

هذه الآية الكريمة تكشف عن مدى ما كرَّم به الإسلام المرأة:

١ ـ بيَّن الله تعالى في هذه الآية أن من جملة الإحسان إلى الزوجة أنه إذا طلقها زوجها فإنه لا يأخذ شيئاً مما أعطاها من المهر والثياب وسائر ما أهداها، وذلك لأنه ملك بُضعها، واستمتع بها في مقابل ما أعطاها، فلا يجوز أن يأخذ منها شيئاً. ويدخل في هذا النهي أن يضيّق عليها ليلجئها إلى الافتداء، كما قال في سورة النساء: (ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن) النساء:١٩.

٢ ـ روي أن هذه الآية نزلت في جميلة بنت عبدالله بن أُبي، وفي زوجها ثابت بن قيس بن شماس، وكانت تبغضه أشد البغض، وكان يحبها أشد الحب، فأتت رسول الله ﷺ ، وقالت: فرّق بيني وبينه فإني أبغضه، ولقد رفعتُ طرف الخباء فرأيته يجيء في أقوام، فكان أقصرهم قامة، وأقبحهم وجهاً، وأشدهم سواداً، وإني أكره الكفر بعد الإسلام، فقال ثابت: يا رسول الله مُرْها فلترد عليَّ الحديقة التي أعطيتها، فقال لها: ما تقولين؟ قالت: نعم وأزيده. فقال ﷺ : «لا. حديقته فقط»، ثم قال لثابت: خذ منها ما أعطيتها وخلِّ سبيلها.

ففعل. فكان ذلك أول خلع في الإسلام. (في سنن أبي داود أن المرأة كانت حفصة بنت سهل الأنصارية).

وهذا الحديث يشير إلى مراعاة الرسول مشاعر المرأة وأحاسيسها التي قد تدفعها إلى ألا تقيم حدود الله.

٣ ـ يقول القرطبي: «المرأة تخاف على نفسها من عصيان الله في أمر الزوج، وهو يخاف أنها إذا لم تطعه فإنه يضربها ويشتمها، وربما زاد على قدر الواجب فكان الخوف حاصلاً لهما جميعاً، فقد يكون ذلك السبب منها لأمر يتعلق بالزوج، ويجوز أن تكره مصاحبة ذلك الزوج لفقره، أو لقبح وجهه، أو لمرض منفِّر منه، وعلى هذا التقدير تكون المرأة خائفة من معصية الله في ألا تطيع الزوج، ويكون الزوج خائفاً من معصية الله تعالى من أن يقع منه تقصير في بعض حقوقها».

وهذا يشير إلى حرص الإسلام على المرأة ومراعاته لها.

رشيد العويد

بقلم: رابعة بركات

الغيرة عند الأطفال



كثيراً ما يعاني الآباء والأمهات من تأجج نار الغيرة عند الأطفال، ووصولها إلى حالات مرضية تسبب إزعاجاً مستمراً لهم، وقلقاً دائماً، ويبدؤون بالبحث عن حلول مرضية، وعلاجات نافعة، تخفف آلامهم، وتحد من معاناتهم، وتأخذ بأيديهم إلى أسباب هذه الغيرة ودواعيها.

والغيرة أمر معروف لدى الناس جميعاً، وقد درسها علماء النفس دراسة معمقة، ولا تقتصر - كما هو معلوم - على الأطفال، إذ إنها ظاهرة ارتبطت على مدى العصور والأيام بالنساء، حتى أضحت إحدى سماتهن الأساسية، كما أن الرجال لا يخلون من هذه السمة أيضاً، لكن مظاهرها عندهم أقل مما لدى النساء.

والغيرة شعور وجداني فطري يتدرج، مع مرور الزمن وتحول حياة الإنسان، ليأخذ أشكالاً ومظاهر مختلفة، وتظهر الغيرة بأعراضها الواضحة منذ نعومة الأظافر، عندما يغار الطفل من شقيقه الوافد الجديد الذي يظهر في حياة الأسرة ويأخذ الاهتمام الوافر والعناية البالغة.

والغيرة أيضاً تُلمس لدى الحيوانات وإن كانت مظاهرها وممارستها تختلف باختلاف التركيب البنيوي.

مظهر انفعالي:

ويعرف علماء النفس الغيرة بأنها «مظهر انفعالي يوضح مدى الحساسية التي يكون عليها الطفل في مراحل تكونه الأولى من حيث علاقته العاطفية بوالديه» وتعرف أيضاً بأنها «استجابة انفعالية معروفة اجتماعياً، وهي خليط من الغضب والخوف والحب»، في حين يرى آخرون أنها «الشعور المؤلم الذي ينتج عن خيبة الشخص في الحصول على أمر مرغوب ونجاح شخص آخر في الحصول عليه مما يجرح ويحط من عزة النفس».

وتبدو الغيرة بوضوح في المناسبات التي يتهدد فيها الطفل من منافس في هذه العلاقة، أو يزعزع مكانته منها، كما يحدث مثلاً عند دخول طفل زائر يستحوذ على انتباه الوالدين أو أحدهما، أو عند تفعيل الوالدين لأحد الأقارب وتقديم الهدايا له، أو عند وجود شقيق أكبر يتمتع بامتيازات خاصة من الوالدين، أو عند تفضيل المربية في روضة الأطفال أحد أنداده عليه بشكل لافت دون تقديم أي هدية أو إطراء له.

والتصرف الذي يسلكه الطفل الذي يتعرض لهذه الحالات هو ما يسمى بـ«العدوان على مصدر الغيرة» أو ذلك الدخيل المغتصب، والانتقام منه بصورة فجائية وسريعة، وذلك بمحاولة إبعاده عن هذه المكانة التي يحظى بها، والسعي إلى أن يحصل هو على ذلك التقدير أو الهداية أو الإطراء.

بين الزائر والمقيم

ثمة حالتان يتصرف فيهما الطفل بغيرة شديدة إحداهما أن يكون ذلك الطفل الذي حظي بالتكريم من داخل الأسرة، كوافد جديد ولد بعد طول انتظار، أو من شقيق تقدم له مميزات كثيرة، ويفضل على باقي إخوته وفي هذه الحال فإن مظاهر الغيرة تأخذ حداً عدوانياً، يصل إلى حد استخدام العض والضرب وإتلاف اللعب والأملاك، وقد يصل هذا العدوان إلى درجة أكبر خطورة في غياب الوالدين. أما إذا كان هذا الدخيل زائراً، وأخذته الأم مثلاً، أو ضعته في حضنها، فإن الطفل في هذه الحال قد يحاول إبعاده بشتى الوسائل، كأن يجذبه أو يحاول مزاحمته، أو يبكي طالباً استبعاده.

أسباب الغيرة

يذكر علماء النفس أسباباً كثيرة للغيرة منها:

١ ـ قدوم مولود جديد: ففي هذه الحال تزداد الغيرة لدى الطفل عند استقبال الأسرة مولوداً جديداً، لأنه سيحظى باهتمام ورعاية شديدين، وسيكون محط أنظار الجميع، لكن هذه الغيرة قد تنعدم لدى أطفال كثيرين حيث يرون في الوافد الجديد شيئاً جديداً يدخل السعادة والفرح إلى نفوسهم فتراهم فرحين بقدومه يحاولون بشتى الوسائل الاقتراب منه والإمساك بأعضائه ووصف ما يقوم به من حركات.

٢ ـ الأنانية: تلعب الأنانية دوراً سلبياً في حياة الطفل، وتظهر آثارها واضحة على سلوكه وتصرفاته، ومن ذلك أن الغيرة لدى الطفل قد تكون ناتجة عن أنانيته التي اكتسبها عبر تربية خاطئة ودلال زائد وحنان يفوق الحد المطلوب.

٣ ـ العطف على الأشقاء: يتأثر كثير من الأطفال عندما يمنح الأبوان أهمية كبيرة لأحد الأشقاء وينسيان أشقاءه الآخرين، وقد يكون اهتمام الأبوين ناتجاً عن حال خاصة يعانيها الشقيق المدلل، لكن هذا الأمر يترك انطباعاً بالغيرة لدى أشقائه، ونظرة تحمل الحقد والغضب عليه، ورغبة الانتقام منه في أي فرصة.

٤ ـ نزاع الأسرة: يعتبر النزاع داخل الأسر أحد الأسباب الأساسية لتحطمها وانتشار السلوكيات السلبية فيها، ومن هذه الأخطار الناجمة عن الشقاق غيرة الأطفال، إذ ينعكس ما يشاهده الطفل من نزاع داخل الأسرة سلبياً على حياته، بسبب تفضيل الأم ابناً يشبهها على أخيه الذي يشبه والده مثلاً.

«النكوص» وتصرف الأبوين:

قد تتخذ الغيرة مظهراً آخر غير المظهر العدواني في حال تم ردع عدوان الطفل على أخيه الأصغر، أو إذا عوقب بشدة على سلوكه العدواني، وغالباً ما يكون هذا المظهر نكوصياً، أي سلوكاً يعود بالطفل إلى حالة سابقة، كأن يلجأ إلى مص الأصابع، أو التبول اللاإرادي بعد أن يكون قد ضبط عملية التبول، أو الحبو بعد أن يكون قد تعلم المشي، كأنما يتخذ الطفل من غريمه نموذجاً يحتذى في الحصول على اهتمام الوالدين.

على أن الأبوين لا يتقبلان غالباً مثل هذه الأساليب من الطفل، بل ينددان بها ويسخران منه ويحقران من شأنه، وقد يعاقبانه إذا لم يقلع عن مثل هذه الأساليب، فإذا ما استمر الموقف على هذا النحو، واشتد بالطفل قلقه على مركزه عند أبويه، ولم يجد ما يعوضه عن ذلك فقد تتحول الغيرة إلى أساليب استعطافية أشد خطورة كالقيء والاضطرابات المعوية أو العزوف عن الطعام والضمور وفقدان الوزن.

وهذه الحالة المتطورة تمثل نسبة ضئيلة من حالات الغيرة عند الأطفال، وعندما تصل الغيرة إلى هذا الحد فإن على الأبوين أن يتخذا إجراء سريعاً لعلاج حال الطفل.

تزداد الغيرة في حالات الأسر الصغيرة التي يتركز الاهتمام فيها بالطفل من ناحية الأبوين فقط في حين تقل في الأسر الكبيرة التي يجد فيها الطفل من يعوضه عن اهتمام الأبوين، من أخوال وأعمام وإخوة كبار.

كما تزداد لدى البنات عندما يجدن اهتمام المجتمع منصبّاً على الذكور، وأن التوجه العام هو إيلاء الذكور عناية بالغة وترك البنات على هامش الأمور، وإشعارهن أنهن الأضعف والأقل مكانة.

علاج الغيرة:

ثمة أمور معينة يجب على الأبوين الانتباه لها والتركيز عليها عند تربية الأطفال لئلا تأخذ مظاهر الغيرة لديهم منحى سلوكياً منها:

١ ـ إشراك الطفل في الاهتمام بالمولود الجديد حسب قدرته وإمكاناته.

٢ ـ عدم إيلاء أحد الأطفال عناية فائقة واهتماماً شديداً على حساب إخوته.

٣ ـ إشعار البنات بأهميتهن ومكانتهن، ومساواتهن بالذكور في كل الحالات.

٤ ـ عدم الاهتمام الزائد بطفل ما أمام إخوته، ولا سيما إذا كان مريضاً، ومحاولة عمل هذا التصرف بعيداً عن الأعين.

٥ ـ بث روح التفاهم والمحبة لدى أفراد الأسرة، وحضّهم على التعاون والاحترام. ■

بقلم: محمد رشيد العويد

صحتك وجمالك في إسلامك

لماذا تنجو المسلمات من عروق الدوالي؟

تقول خبيرة التجميل الإنكليزية «مرغريت سميث»: إن عروق الدوالي من أشد أعداء المرأة، وأكثرها عناداً وإساءة، ذلك أن من الصعب إخفاء الدوالي، بينما يمكن لها أن تخفي أنها تحمل ثدياً صناعياً، أو أنها استأصلت الثدي أساساً، ويمكن أن تخفي أكثر العيوب... إلا أن الدوالي تظل مستعصية ومصدر قلق كبير.

والسؤال: هل تشعر المرأة المسلمة بهذا القلق لو كانت مصابة بعروق الدوالي؟ ألا يوفر لها حجابها السابغ الساتر طمأنينة نفسية؟ ألا ينجيها من ذاك القلق الذي تشعر به تلك التي تكشف عن ساقيها؟!

ليس هذا فحسب، بل هناك سؤال آخر: ما أسباب الإصابة بعروق الدوالي؟ ألا يبعدها التزامها بإسلامها عن كثير من هذه الأسباب؟

تعالوا نقرأ كلام الأطباء في شرح هذا المرض وأسبابه:

الدوالي عروق منتفخة أو متورمة تكون ظاهرة خلف بطة الساق، أو في الجانب الداخلي من الساقين، ويمكن أن تظهر الدوالي في مواقع أخرى من الجسم.

واللافت للنظر أن النساء معرضات للإصابة بالدوالي أكثر بثلاثة أضعاف من الرجال ويحدث هذا العارض المرضي نتيجة تلف في صمامات العروق ما يتيح للدم أن ينساب عكسياً في اتجاه أسفل الساق مسبباً تورم تلك العروق وانتفاخها، علماً أن الشرايين تحمل الدم من القلب إلى أطراف الجسم حتى آخر الأطراف، ولكن الدم يعود في أقنية تعرف بالعروق، أي أن الدم في العروق يجب أن يندفع من أسفل القدم إلى أعلى رجوعاً إلى حيث يتم تنظيفه من الرواسب، ثم إلى القلب ليعيد ضخه في الشرايين مرة أخرى، وحين تتلف الصمامات في العروق يمكن أن يندفع الدم عكسياً أي من الأعلى إلى أسفل الساق، وتحدث الدوالي وبذلك تتورم العروق في الساقين.

وهناك نوعان أو نظامان من العروق في الساق: منها العميقة التي تمتد بين العضلات وتحمل الجزء الأكبر من الدم، والسطحية التي يمكن أن تُرى بالعين المجردة خطوطاً زرقاً تحت الجلد مباشرة.

وحين يصل الدم في الشرايين إلى أسفل الساق ليعود إلى القلب ثانية، تقوم عضلات بطة الساق بدور المضخة لتدفع الدم في العروق صعوداً إلى الأعلى، عبر صمامات تفتح وتغلق لتمنع رجوع الدم بفعل الجاذبية الأرضية، ولكن، حين تصاب تلك الصمامات بالارتخاء أو العطب، لأي سبب يبدأ الدم بالرجوع عكسياً والتجمع، وتكون النتيجة تورم تلك العروق وبروزها أيضاً، وإذا تُلف صمام واحد من مئات الصمامات، يزداد العبء على الصمامات الأخرى، وهكذا تزداد الحالة سوءا.(١)

والآن، من هم أكثر الناس عرضة للإصابة؟

الأطباء يقولون: إن الذين يتطلب عملهم الوقوف طويلاً مع قلة الحركة، وانعدام الفرصة للمشي، هم أكثر الناس عرضة للإصابة بعروق الدوالي.

وهم ينصحون الناس للوقاية من هذه الإصابة بما يلي:

١ - التخلص من الوزن الزائد لأنه يسبب ضغطاً كبيراً على الساقين.

٢ - الإقلاع عن التدخين لأن النيكوتين يبطئ تدفق الدم، بينما يبطئ غاز أول أكسيد الكربون عملية تزود الجلد بالأكسجين.

٣ - تجنب الوقوف على القدمين فترة طويلة من الوقت.

٤ - ممارسة المشي بانتظام يساعد على الوقاية ويساعد المصابين على تخفيف الأعراض.

٥ - عدم الجلوس واضعة رجلاً على رجل، لأن هذا الجلوس يلحق ضرراً كبيراً بحدّه من تدفق الدم في العروق والشرايين، وإذا اضطررت إلى أن تجلسي كذلك فيجب أن تهزي رجليك بين الحين والآخر.

٦ - لا تلبسي الأحذية الضيقة وتجنبي الكعب العالي.(٢)

ولو تأملنا في هذه النصائح الست لوجدنا المسلمين الملتزمين يأخذون بها بصورة مباشرة أو غير مباشرة.

فالتخلص من الوزن الزائد يتحقق بكثرة الصيام، وبالإقلال من الطعام، كما هو في كثير من وصايا النبي صلى الله عليه وسلم.

والإقلاع عن التدخين هو ما يلتزمه كل مسلم أخذ بتحريم علماء الأمة لتدخين التبغ.

وتجنب الوقوف فترة طويلة تنجو منه ربة البيت الدائبة الحركة في بيتها، بينما تتعرض له كثيرات من العاملات اللواتي يُطلن الوقوف في عملهن.

وممارسة المشي التي يقوم بها المسلم الذي يحث الخطا إلى المساجد، والمسلمة التي تؤدي صلواتها الخمس فتمارس رياضة لاتقل فائدة عن المشي.

وعدم وضع رجل فوق رجل مما نهى عنه النبي صلى الله عليه وسلم وفيه إعجاز نبوي عظيم.

وتجنب الكعب العالي الذي ابتليت به المرأة المعاصرة ما حرّمه سماحة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز رحمه الله.

وهكذا تقل إصابات المسلمين، من رجال ونساء بدوالي الساقين، بالتزامهم بإسلامهم وما يدعو إليه وانتهائهم عما ينهى عنه. ■

بقلم : د. مجدي يوسف أمين

أمرنا الله بالتفكير في الكون وإعمال العقل فيه وتدبر خلق الله وأوامره، قال تعالى: (وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون) النحل:١٢، وقال تعالى: (ألم تر إلى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكناً ثم جعلنا الشمس عليه دليلاً. ثم قبضناه إلينا قبضاً يسيراً) الفرقان:٤٥،٤٦، إن تلك الآيات قد تضمنت إشارات علمية ربطت ربطاً جازماً بين ظاهرة الظل والشمس بحيث أصبحت الشمس دليلاً على الظل والظل دليلاً على الشمس.



كسـوف الشمـس

وظاهرة الظل ظاهرة طبيعية تحدث عند وقوع أي جسم معتم في مجال مصدر مضيء، ونوع يعتمد على نوع المصدر الضوئي كالتالي:

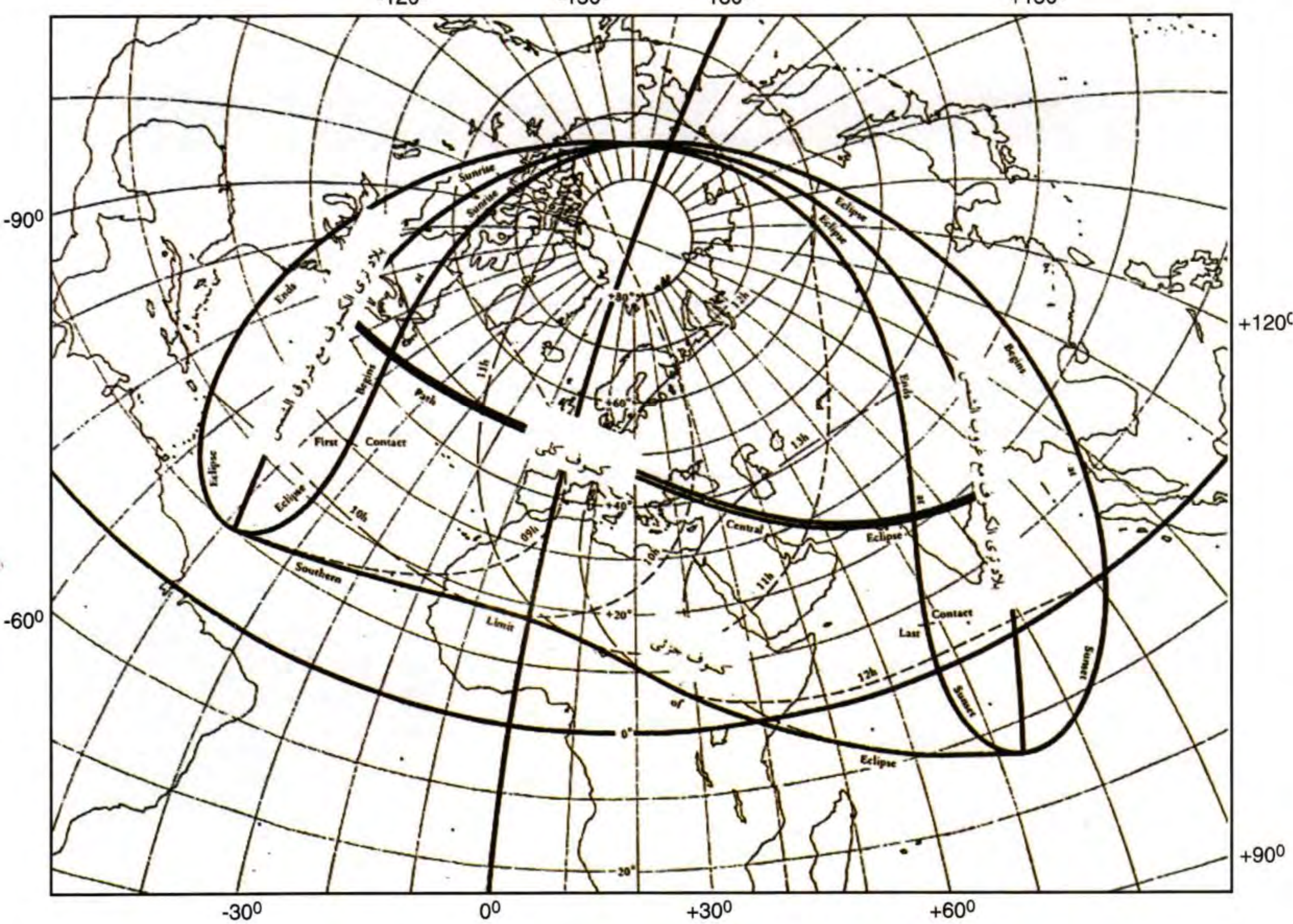
١ ـ إذا كان المصدر نقطة: ستكون حدود الظل حادة وواضحة ولا يرى المصدر من داخله. وتصغر زاوية انفراج الظل عن المصدر كلما ابتعد المصدر عن الجسم المعتم، وتصبح حدود الظل متوازية إذا كان بعد المصدر لانهائي.

٢ ـ إذا كان المصدر مجسماً: ستحيط بالظل منطقة أقل إعتاماً منها تسمى شبة الظل يقل إعتامها تدريجياً في اتجاه عكس الظل إلى أن يتلاشى الإعتام كلياً. ويرى جزء من المصدر الضوئي من خلال هذه المنطقة.

وشكل الظل وشبه الظل يحدده الجسم المعتم. فظل الأرض والقمر في الفضاء عبارة عن مخروط والسبب في ذلك الشكل الكروي للأرض. لذا يحدث الكسوف عند دخول أي جزء من الأرض في ظل القمر.

إن ظاهرة الكسوف من الظواهر الفلكية المثيرة للفت الانتباه والتساؤل على مر العصور نظراً لما يطرأ على ضوء الشمس من خفوت أو اضمحلال بالكلية. وقد سجل المصريون والصينيون والآشوريون وغيرهم هذه الظاهرة منذ أكثر من ٤٠٠٠ سنة، واهتم المسلمون بالظاهرة للتعبد المأمورون به كما ورد في حديث كسوف الشمس «إن الشمس والقمر آيتين...»، وكانت لهم سجلاتهم ودراساتهم وتوقعاتهم بالمواعيد، بل كان بعض العلماء منهم ينتقل للأماكن الأفضل للرصد. وفي العصر الحديث مازال الاهتمام بالظاهرة كبيراً، وهناك الكثير من الدراسات التي تتم في أثناء الكسوف لدراسة أثر النسبية العامة والهالة الشمسية وحركة القمر وغيرها.

وفي هذا الكون مئات الملايين من المجرات التي تحتوي على مئات البلايين من النجوم، وفي إحدى هذه المجرات وهي مجرة درب التبانة توجد شمسنا والتي تدور حول مركز هذه المجرة مرة كل ٢٢٥ سنة بسرعة قدرها ٢٥٠كم/ث، وحول الشمس تدور تسعة كواكب معروفة منها الأرض التي نحيا عليها والتي تدور حول الشمس مرة كل ثلاثمئة وخمسة وستين يوماً وربع اليوم، بمعدل درجة واحدة في اليوم بالنسبة للنجوم، في مدار بيضاوي من الغرب إلى الشرق يسمى مدار البروج، بسرعة قدرها ٣٠كم/ث؟ حيث تبلغ المسافة المتوسطة بين الأرض والشمس ١٥٠ مليون كم. وحول الأرض



● حركة كسوف الشمس في في الحادي عشر من شهر اغسطس ١٩٩٩

يدور القمر – من على بعد ٣٨٤٠٠٠ كم مرة – كل ٢٧,٣٢ يوماً، بمعدل ١٣ درجة في اليوم بالنسبة للنجوم. أي أن الحركة النسبية بين الشمس والقمر تساوي ١٢ درجة في اليوم، ويميل مدار القمر على مدار الأرض «دائرة البروج» بزاوية مقدارها ٥,١٥ درجة، ويتقاطع معها في نقطتين تسميا عقدتي الصعود والهبوط.

يتحرك القمر في النقطة الأولى صاعداً من جنوب دائرة البروج إلى الشمال، وفي الثانية يتحرك هابطاً من الشمال إلى الجنوب. يعبر القمر كلا العقدتين ١٢ مرة في السنة وتعبرهما الشمس مرة واحدة فقط، أي يمكن القول إن الاثنين يجتمعان مرتين في سنة واحدة عند العقد نفسه أو قريب منها فيحصل كسوف للشمس ويكون القمر عندها محاقاً.

والخط الواصل بين عقدتي الصعود والهبوط يسمى خط العقد، هذا يعني لكي يحدث كسوف لابد من وقوع الشمس والأرض والقمر على استقامة واحدة تقريباً، أي على خط العقد أو قريباً منه. هذا الخط يتحرك أيضاً ببطء باتجاه الغرب نتيجة لحركة العقدتين ويتم دورة كاملة في ١٨,٦ سنة شمسية، وظاهرة الحركة هذه تسمى ارتداد العقد، ويتضح مما سبق أن السبب في عدم تكرار الكسوف مع نهاية كل شهر قمري (أي عندما يكون القمر محاقاً) يرجع إلى ميل مدار القمر بالنسبة لدائرة البروج، وهذا يعني أن القمر إما أن يكون شمالاً أو جنوب دائرة البروج، وبالتالي لا يصل ظله أو امتداده إلى الأرض إلا عندما يكون القمر عند إحدى العقدتين أو بالقرب منهما. وهذا البعد الزاوي يتراوح بين ١٥,٤ و ١٨,٤ درجة، وحيث إن الشمس تتحرك ظاهرياً ٣٦ درجة في ٣٦ يوماً وخلال هذه الفترة سيكون القمر محاقاً مرة أو مرتين وبالتالي يحصل كسوف مرة أو مرتين، وتسمى هذه الفترة بفصل الكسوف. ويوجد كذلك فترة ثانية بعد ستة أشهر عندما تكون الشمس والقمر قريباً من العقد نفسه. إذاً في سنة واحدة هناك فصلان للكسوف كل منهما ٣٦ يوماً تقريباً. وبما أن خط العقد يتم دورة كاملة كل ١٨,٦ سنة شمسية أي بمعدل ١٩,٤ درجة في السنة، هذا يعني أن الشمس سترجع إلى العقد نفسه بعد ٣٤٦ يوماً، وتسمى هذه المدة سنة كسوفية، ويترتب على هذا أن فصل الكسوف سيبدأ مبكراً بـ ١٩,٤ يوماً ورجوع خط العقد إلى موقعه نفسه يعني رجوع الشمس والأرض والقمر إلى مواقعهم السابقة نفسها، وبالتالي تتكرر ظاهرة الكسوف وبالنمط نفسه، وهذا التكرار يسمى دورة ساروس وتساوي ١٨ سنة و ١١,٣ يوماً، بما أن دورة ساروس تتضمن ٠,٣ يوم، أي ٨ ساعات، فهذا يعني أن الظاهرة لن تشاهد من النقطة نفسها بل تشاهد من المناطق الواقعة ٨ ساعات غرباً والمنطقة نفسها كل ثلاث دورات.

ويحدث كسوف للشمس عند وقوع المشاهد في ظل القمر الذي يتكون من ثلاث مناطق: الظل وشبه الظل وامتداد الظل كما في شكل (١)، ومنظر الشمس يختلف في كل منطقة منها وعليه فإن نوع الكسوف يعتمد على موقع المشاهد في ظل القمر شكل (٢و٣)، وبما أن بعد سطح الأرض عن القمر يتراوح بين ٣٤٧٢٠٠كم و ٣٩٨٤٠٠ كم، وطول ظل القمر يتراوح بين

٣٦٤٨٠٠ كم و ٣٧٧٦٠٠ كم، فهناك احتمال أن يكون المشاهد في ظل القمر أو امتداد ظله. وأنواع الكسوف كالتالي:

١ ـ كسوف كلي: يشاهد من الأماكن التي تغطي بظل القمر، وهذه الأماكن تقع على شريط لا يتجاوز عرضه ٣٧٠كم، يمثل مسار طرف مخروط الظل على الأرض. وقد يستمر هذا الكسوف ٧,٥ دقائق كحد أقصى.

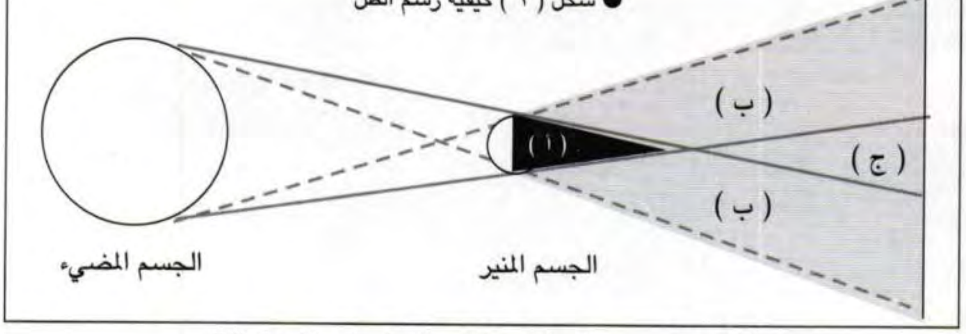
٢ ـ كسوف جزئي: من المناطق المجاورة لشريط الظل وهي المناطق الواقعة في شبه الظل تشاهد الشمس كاسفة جزئياً ودائرة شبه ظل القمر الواقعة على الأرض يتراوح نصف قطرها بين ٣٢٠٠ و ٤٨٠٠كم.

٣ ـ كسوف حلقي: يحدث إذا كان بعد القمر عن الأرض كبيراً بحيث ينتهي مخروط الظل قبل الوصول إلى سطح الأرض. ويرى قرص الشمس في هذه الحال كدائرة سوداء تحيط بها حلقة مضيئة هي الجزء الظاهر من قرص الشمس. والأماكن التي يمكن أن يرى منها الكسوف الحلقي تقع على شريط عرضه ٣٧٠كم، وترى الشمس كاسفة جزئياً من المناطق المجاورة لهذا الشريط.

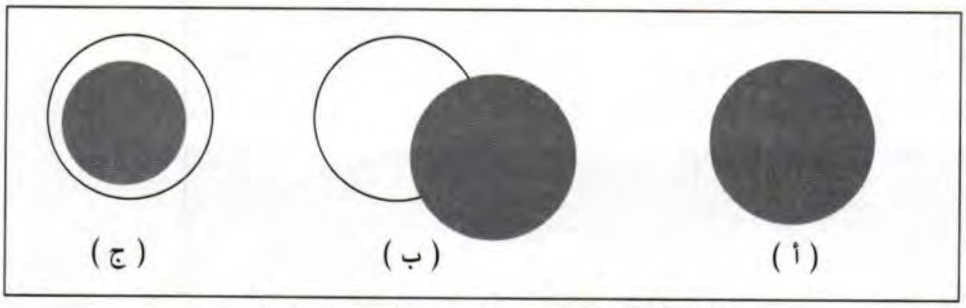
سيحدث آخر كسوف للشمس في هذا القرن ـ إن شاء الله ـ يوم الأربعاء ١١ أغسطس ١٩٩٩م الموافق ٢٩ ربيع الثاني ١٤٢٠هـ، حسب تقويم أم القرى، يبدأ الكسوف من شمال المحيط الأطلسي، ويظهر ظله القاتم في شريط ضيق عبر الجانب الشرقي للكرة الأرضية، مروراً بالمملكة المتحدة وبلدان وسط أوروبا والشرق الأوسط وشبه القارة الهندية. والبلاد الإسلامية التي ستشاهد الكسوف الكلي سورية والعراق وإيران وتركيا. أما باقي البلدان العربية ستشاهد كسوفاً جزئياً تتراوح درجاته تبعاً للمسافة التي تفصل كل بلد عن مسار كسوف الشمس عبر الكرة الأرضية.

أما تفصيل سير الكسوف فهو كما يلي ـ إن شاء الله ـ : تدخل الأرض في ظل القمر شمال المحيط الأطلسي في مساحة عرضها ٤٩كم في الساعة التاسعة والنصف تقريباً بتوقيت تلك المنطقة دون أن يمسّ هذا الظل سطح الأرض لمدة ٤٠ دقيقة. ويحدث أول تقابل للظل مع سطح الأرض فوق جزر سكلى غرب إنكلترا الساعة العاشرة وعشر دقائق بتوقيت سكلى، حيث يسود ظلام كامل مساحة عرضها ١٠٣كم فوق سكلى لمدة دقيقتين. ثم يمر بعد ذلك الكسوف الكلي بكل من جزيرة كورنديل في جنوب إنكلترا ومدينة بلايموت. أما مدينة لندن وباريس ومناطق وادي الراين ستشهد كسوفاً جزئياً، ويحدث كسوف كلي في مدينة شوتغارت وميونيخ. ويبلغ الكسوف الكلي أكبر قيمة له قرب مركز الكرة الأرضية في التلال الجنوبية الوسطى لرومانيا

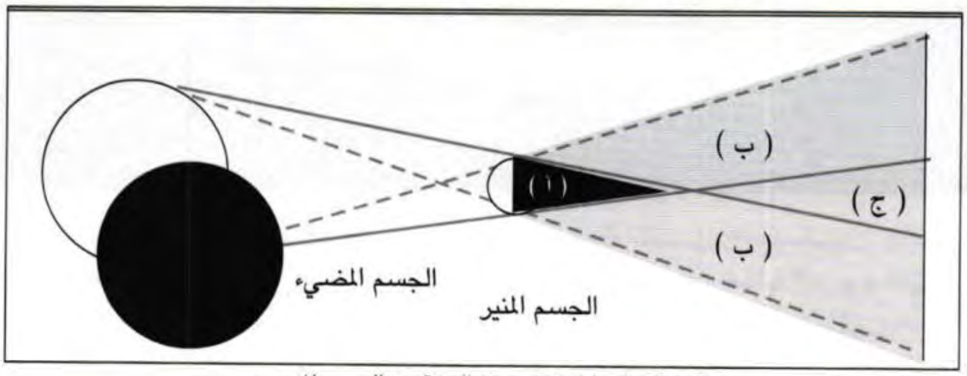
● شكل (١) كيفية رسم الظل



(أ) ظل الجسم - (ب) شبه الظل - (ج) مخروط امتداد الظل



● شكل (٢) رؤية الجسم المضيء من (أ) ، (ب) ، (ج)



● شكل (٣) كيفية معرفة الرؤية من الجسم المضيء

حيث تبلغ مدته دقيقتان وثلاث عشرة ثانية بعرض ١١٢كم. ثم يتحرك بعد ذلك إلى بلغاريا باتجاه البحر الأسود ولن يعود إلى اليابسة إلا فوق تركيا في الساعة الحادية عشرة وإحدى وعشرين دقيقة بتوقيت غرينتش، حيث ستشهد أنقرة كسوفاً جزئياً. وستشهد مدينة ديار بكر ومناطق الأكراد كسوفاً كلياً. ثم يتحرك الكسوف إلى سوريا وتشهد مدينة المالكين والرميلة كسوفاً كلياً، ثم يتحرك الكسوف إلى العراق في مدينة أربيل والسليمانية. أما مدينة الموصل فسيقسمها الكسوف الكلي إلى شطرين. ثم يتحرك الكسوف إلى إيران التي يظل فيها أكثر من نصف ساعة ينتقل من مدينة بختاريان وأصفهان إلى مناطق جبلية وصحراوية حتى يصل إلى بحر العرب ومنه إلى باكستان، حيث سيشاهد سكان كراتشي كسوفاً كلياً، ومن باكستان في الساعة الثانية عشر وثماني وعشرين دقيقة بتوقيت الهند إلى أن يصل الكسوف إلى الهند، وهي آخر بلدان مسيرة الكسوف، وسيشاهد سكان كلكتا كسوفاً جزئياً، ويودع الكسوف الأرض الساعة الثانية عشرة وست وثلاثون دقيقة بتوقيت غرينتش فوق خليج البنغال. ولن يرى سكان الكرة الأرضية الكسوف مرة أخرى إلا في العام ٢٠٠١ إن شاء الله.

ولمعرفة التوقيت المحلي لمناطق الكسوف نضيف قيمة خط عرض البلد بالساعات إلى زمن غرينتش بالنسبة للبلاد التي تقع شرق غرينتش، ونطرح قيمة خط عرض البلد بالساعات بالنسبة للبلاد التي تقع غرب غرينتش. ■

الهوامش:

1 - The Astronomical Almanac 1999.

2 - Astronomy and Astrophysics, ed, By G. Zeilic 1998. Saunders College Publishing.

3 - Fundamental Astronomy, ed By H.Karthunen and et. al 1994, spring Verlage.



ترجمات

إعداد : عبدالمنعم أحمد

مع استمرار القصف الجوي ضد يوغسلافيا

هل أخطأ الناتو الحساب في كوسوفا؟

نشرت «الإندبندنت» مقالاً بقلم «جون ديفيد سون» تناول فيه بالتحليل نتائج الضربات الجوية لحلف الناتو وتفاقم مشكلة اللاجئين الكوسوفيين وتساءل عما إذا كان الحلف قد أخطأ الحساب عندما بدأ ضرباته الجوية... يقول المقال:

كيف وصلنا إلى هنا، وماذا نفعل الآن؟

تختلف وجهات نظر المسؤولين البريطانيين الحاليين والسابقين حسب خلفياتهم العسكرية وخبراتهم، إلا أن هناك فكرة واحدة بدأت تحظى بقبول واسع. ألا وهي أنه ما كان ينبغي لنا أن نكون في الموقع الذي نحن فيه الآن.

وهناك وجهة نظر حادة تم التعبير عنها تقول: «إن العملية برمتها تتعارض والمنطق العسكري السليم» بينما وصفت وجهة نظر أخرى الأمر بأنه «لايصدق»، بل إنَّ بعض الطيارين الذين يقومون بمهمات يومية ضد يوغسلافيا، يُقال إنهم يتساءلون ما الذي تحققه هذه العمليات؟

ولقد بدأ الخبراء العسكريون، وكبار الجنرالات يدرسون بعناية الحجج المؤيدة، والمعارضة لاستخدام القوات البرية، أما أولئك ممن يتبوؤن مناصب أصغر، فإنهم ولأسباب تعود إلى وظائفهم، وولائهم لمؤسساتهم، تجدهم غير مستعدين للحديث علناً، وهم يصرون على القول إن المشكلة أعقد من ذلك. فتدريبهم، والتاريخ العسكري الحديث برمته، يذكرانهم بأن الحملة الجوية لوحدها لن تحقق النجاح!

ويقول أحدهم «إن القوة الجوية تعبير يحمل التناقض وذلك حتى تتمكن قواتنا البرية من تنفيذ مهامها فالتفوق الجوي لوحده لا يعني أي شيء».

وحتى إذا ما وضعنا في الاعتبار أن استخدام القوة الجوية خيار اتخذه الناتو لأسباب سياسية، فإنهم يقولون: إنَّ الطريقة التي جرى بها لتنفيذ العملية ضمنت سقوطها في الفشل تقريباً، فهي حسب معايير الناتو ذاته، فإنه عندما تدخل في النزاع، كأن قد قسرته مسبقاً، ولكن مهما كان ترجيح جنرالات الناتو لكفة الضربات الجوية، وعلى الرغم من حجم «الموجودات» التي يستهدفونها، فإن تلك النتيجة لا يمكن تفاديها.

تفادي الكارثة الإنسانية

ففي صباح اليوم الذي أعقب سقوط أولى القنابل والصواريخ، صرح وزير الدفاع البريطاني جورج روبرتسون أن «الهدف العسكري لهذه العمليات واضح للغاية هو تفادي وقوع كارثة إنسانية وشيكة من خلال وقف الاعتداءات العنيفة التي ترتكبها حالياً قوات الأمن اليوغسلافية ضد ألبان كوسوفا، وتقييد قدرتها للقيام بمثل أعمال القمع هذه مستقبلاً.

وتشير آخر الإحصاءات البريطانية إلى أن هناك ٥٠٧ آلاف لاجيء غادروا الآن كوسوفا، من بينهم ٤٣٩,٥٠٠ غادروا منذ بداية الهجوم الجوي كما تشير تقديرات أخرى إلى أن إجمالي ألبان كوسوفا الذين تم تهجيرهم يبلغ ١,١ مليون شخص من بين قرابة مليوني نسمة، هم سكان البلاد في العام الماضي، فما الذي تم تفاديه؟

كما قال أحد العسكريين : «إن المبدأ الأول

في الحرب هو اختيار الهدف، وتحديده ولقد كنا مخطئين في كلا الحالين».

ويقول الآخرون: إن النتيجة كانت قيام دولة من العالم الثالث باللعب بأقوى تحالف شهده العالم. وإن أفضل ما في استطاعة المتحدث الرسمي القيام به هو إصدار تصريحات كثيرة تنم عن الدهشة بشأن الظروف التي كان يمكن توقعها، بل يجب توقعها.

أسلحة معروفة

وتعتبر يوغسلافيا، الدولة التي كانت تتبع الكتلة الشرقية السابقة أفضل بلد يستطيع حلف الناتو شن أول حرب ضده، لأنه لمواجهة مثل هذا العدو كان قد جرى تدريب الحلف منذ تأسيسه، فنُظم الأسلحة اليوغسلافية معروفة تماماً لديه، كما أن معرفته جيدة بـ«نظم الدفاع الجوي الموحدة» الشهيرة لابد أن تكون تطورت بعد انضمام كل من هنغاريا، وتشيكوسلوفاكيا، اللتان لديهما النظم نفسها تقريباً، إلى حلف الناتو.

ولقد أدى اقتصار الهجمات بصفة عامة، على استخدام صواريخ كروز، بسبب الأحوال الجوية السيئة التي استمرت مدة ثمانية أيام، إلى انتقادات جادة حيث قال أحد الضباط السابقين: «لقد ظل الناتو يدرس الأحوال الجوية للكتلة الشرقية السابقة مدة خمسين عاماً، وبالتالي كان عليه أن يدرك ما يمكن توقعه».

وفي تلك الحال لماذا لم يتم استخدام الطائرات التي تتميز بدقة إصابتها في جميع الظروف والأحوال الجوية، مثل طائرات بي-١٠ - بي لانسر القاذفة، منذ البداية؟ وإذا ما وضعنا في الاعتبار أن معظم الأهداف هي منشآت عسكرية معزولة، مثل مستودعات الذخيرة، فلماذا لم تستخدم طائرات التورنادو التابعة لسلاح الجو الملكي البريطاني، التي تتميز بقدرة الطيران في ظروف انعدام الرؤية، وإسقاط «القنابل غير الذكية» بدقة عندما لا تكون هناك قدرة لاستخدام القنابل الموجهة بالليزر.

كما أن طائرات الأباتشي المروحية الأميركية التي كثر الحديث حولها مازلنا في انتظار وصولها ولكن إذا ما وضعنا في الاعتبار أيضاً أن القوات البرية العاملة في كوسوفا ستكون هدفاً دائماً لها فلماذا لا يتم استخدامها؟



خطأ الحساب

إنَّ حقيقة استدعاء المزيد من الطائرات إنما يكشف عن خطأ في الحساب بشأن الاحتياجات في المقام الأول، كما يعني ذلك أن الحملة لم تبدأ بداية جيدة، وأنها خسرت تفوقاً وميزة حيويتين، فقد تم تنفيذ ألفي مهمة طيران خلال الأيام العشرة الأولى من عملية قوة التحالف، وهو ما تم خلال الليلة الأولى من الحملة الجوية إبان حرب الخليج.

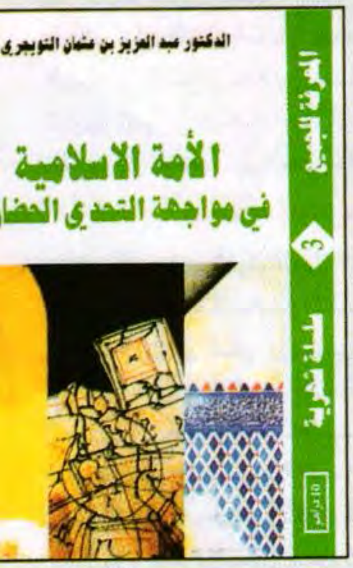
وبما أن كل أزمة تقع في البلقان تؤدي إلى حدوث مشكلة لاجئين، كان يجب أن يتم إعداد الخطط والإمدادات اللازمة قبل بداية العمليات، وذلك حتى لا يضطر الناتو إلى تحويل مصادره بعيداً عن مجهود الحملة الجوية، ولصالح الجهد الإنساني، ففي البوسنة - كما ذكر أحد المصادر - تعلمنا درساً قاسياً ألا وهو أن «السبيل الوحيد لوقف هذا النوع من التصرفات، هو التخلص ممن يقومون بأعمال القتل هذه».

وبما أن الجهود المتزايدة الموجهة ضد القوات البرية الصربية لم تأتِ بعد إلا بنتائج محددة، فقد كانت هناك حاجة لاتخاذ خطوات أكثر جذرية منذ البداية، ومازالت هناك حاجة ملحّة لهذا الأمر، ويقول البعض: إن هناك حلاً ظل يطبق لأعوام عدة، ألا وهو القيام بهجوم جوي ضخم على مطار من المطارات، مثل مطار «بريشتينا» وبعدها يجري نقل الجنود، والمعدات الخاصة بالعملية البرية جواً، يصاحبها هجوم مدرّع ينطلق من ألبانيا، ومقدونيا، وهذا الأمر يُمكِّنْ من تخطي مشكلة شن غزو بري عبر الممرات الجبلية، كما أن التفوق الجوي لابد وأن يُمكّنه من تنفيذ هذه الخطوة بحد أدنى من المخاطر، وسيكون هناك بعض الأخطاء، حسب قول مؤيدي هذه الخطة، إلا إن الرغبة في خوض حرب إلكترونية لا يتعرض الحلفاء فيها لإصابات، قد أوصلت حلف الناتو إلى حافة الإذلال.

وقد يكون هذا القول غريبا، إلا أن هذا التفكير كان وراء معظم خطط الناتو، وتخصيصه للمصادر خلال العقد الماضي، ففي الصيف الماضي، أنزل الناتو ١٧٠٠ جندي فقط، تقودهم عناصر من لوائين من المظلات في جبال ألبانيا لإجراء مناورات استمرت مدة خمسة أيام، كما أرسلت قوات محمولة جواً من كل من الولايات المتحدة، وإيطاليا، وألمانيا، واليونان، شاركها مراقبون من عشر دول، للقيام بالعملية التي أُطلق عليها الاسم الرمزي «التجمع التعاوني ١٩٩٨م» وقد صرَّح متحدث رسمي باسم وزارة الدفاع البريطانية في ذلك الوقت قائلاً: «إن العملية تهدف للإثبات لصربيا إمكانية حشد قوة ضخمة، وإرسالها للمنطقة وهذا التهديد لم يتم بعد تنفيذه وأنه ما لم يحقق الحشد الجوي المتزايد انتصاراً مهماً في القريب العاجل، فإنه لابد من إعادة النظر في هذه الخطة، حيث يقال إن عناصر في الجيش البريطاني، وبصفة خاصة، لواء المظليين، وغيره من القوات المحمولة جواً بدأ يتزايد إحساسها بعدم الارتياح بسبب عدم مشاركتها في المجهود الحربي، غير أن مشاركتها ستعرّض قادة الناتو، والسياسيين لاتخاذ قرارات صعبة، ولكن إذا ما أريد إنقاذ مصداقية الناتو، فإنه لن تكون لديهم خيارات كافية في نهاية المطاف. ■

إعداد : محمد هاني

الأمة الإسلامية في مواجهة التحدي



صدر للدكتور عبدالعزيز بن عثمان التويجري المدير العام للمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، كتاب جديد بعنوان: «الأمة الإسلامية في مواجهة التحدي الحضاري»، ضمن سلسلة «المعرفة للجميع» الشهرية التي تصدر في الرباط.

يتناول الكتاب قضايا تستأثر باهتمام الرأي العام في البلاد العربية الإسلامية تندرج في إطار البحث عن حلول علمية واقعية وعصرية لمشكلات التقدم والتنمية في العالم الإسلامي الناتجة عن تعاظم التحدي الحضاري الذي يواجه الأمة الإسلامية في شتى المجالات، وعلى مختلف المستويات، وبخاصة على الصعيد الحضاري والفكري والتربوي.

ويقول المؤلف إن مواجهة الأمة الإسلامية للتحدي الحضاري، هي مواجهة حضارية شاملة «تتطلب تضافر جهود الأمة الإسلامية قاطبة لمواجهتها، لا بالصدام، فلستُ ممن يؤمنون بصدام الحضارات، وإنما بالعقل المفكر، وبالحوار، وبالتعبئة الذاتية التي تُكسب الأمة القوة والمناعة وشدة البأس، لتحصين الذات، ولترسيخ الكيان الحضاري، وللدفاع عن الحقوق الثابتة والمصالح العليا.

ويؤكد المؤلف في الفصل الذي يحمل الكتاب عنوانه: «الأمة الإسلامية في مواجهة التحدي الحضاري»، على أن بناء المستقبل الحض للعالم الإسلامي، لابد وأن يقوم على قواعد راسخة، لتجديد أساليب الحياة العامة في المجالات والمرافق كافة، تجديداً شاملاً عميقاً في إ من الحكمة وحسن التدبير.

ويبرز المؤلف أن الحياة العامة على صعيد العالم الإسلامي، تحتاج إلى ترشيد فكري وثقافي، يستند إلى قيم الحضارة الإسلامية.

يقع كتاب «الأمة الإسلامية في مواجهة التحدي الحضاري» في ١٥٩ صفحة.

الأخلاق في النقد العربي

في مقدم كتابه «الأخلاق في النقد العربي» من القرن الثالث حتى القرن السادس الهجري الصادر حديثاً عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت - عمان - يشير الناقد الأردني غسان إسماعيل عبدالخالق إلى أن الفائدة المتوخاة من الأدب والفن كانت ومازالت مثار بحث واختلاف بين الفلاسفة والنقاد، فمن قائل: إن النافع هو المفيد، ومن قائل: إن المجتمع هو المفيد، ويرى عبدالخالق في كتابه الذي تشكل أطروحته لدرجة الدكتوراة بنيته الأساسية أن المسألة الأخلاقية في النقد الأدبي عند العرب لم تنل ما تستحقه من اهتمام الباحثين المحدثين مع أن بواكير الدراسات العربية الحديثة اتخذت من الأخلاق موضوعاً رئيساً لها حيث يشير في هذا الصدد إلى ما وصفه أحمد أمين في كتاب «الأخلاق» العام ١٩٢٠م.

يعرض عبدالخالق في سياق تمهيده لمفهوم الأخلاق لغة واصطلاحاً فيورد المواضع الذي ذكر فيها لفظ «أخلاق» في القرآن الكريم وكذلك الأحاديث النبوية التي تحض على مكارم الأخلاق، وتطرق بشيء من الإيجاز للحديث عن الجبريين والمعتزلة والقدريين وغيرهم وفي الفصل الأول من الباب الأول يتناول المؤلف الأصول الدينية للنقد الأخلاقي، مشيراً إلى أن الفقهاء والمحدثين والمفسرين والمتكلمين نظروا إلى ما يتفق والروح الإسلامية على أنه خير للجماعة الإسلامية، وما عدا ذلك، فإنه بمثابة الشر دون أن نعدم بعض صور مظاهر التسامح حتى أن بعض الفقهاء المتقدمين ضاقوا بأولئك الذين أرادوا تحميل الشعر أكثر مما يحتمل، ويتطرق الباحث في الفصل الثاني إلى الأصول الفلس للنقد الأخلاقي عند اليونان والحضار المجاورة، ثم ينتقل إلى آراء الفلاسف المسلمين في الأخلاق والشعر ليتن بالتفصيل آراء الفارابي وابن مسكويه و سينا وابن رشد الذين أجمعوا على الق الأخلاقية الثاوية في النص الشعري والق الفنية المتجلية فيه، وفي الباب الثا بفصوله الثلاثة، يتناول المؤلف الآ المختلفة للقيمة الأخلاقية للشعر العر وكيف اختلف رأي النقاد عن رأي الفلاس والفقهاء ويوضح القضايا مثار الخلاف قضية الصدق والكذب وقضية القص والغلو، ويركز على عناوين رئيسة كالمت والفائدة ووظيفة الشعر ووظيفة النثر، حين يتطرق إلى علاقة النقد بالوظي الأخلاقية للأدب.

وصايا وعظات

صدر عن دار ابن حزم في بيروت كتاب «وصايا وعظات قيلت في آخر الحياة» لمؤلفه: زهير محمود حموي في ٣٠٠ صفحة.

يعرض الكتاب مجموعة من أشهر وأطرف الوصايا التي قيلت عند الاحتضار انتخبها المؤلف من كتب الحديث والتاريخ والأدب والتراجم.

يتكون الكتاب من مقدمة تمهيدية تناول فيها المؤلف تعريف الوصية في اللغة والشرع ومشروعيتها في الكتاب والسنة والإجماع والمعقول وأنواع الوصايا والوصية في الأدب العربي والكتب التي تخصصت بها والسبب الدافع له لاختيار هذه الوصايا ومعيار الاختيار.

الفصل الأول: قدم فيه (٣٣) وصية من أشهر الوصايا وأشملها وأحسنها مع تعريف موجز بأصحابها مع عزوها إلى مصادرها.

الفصل الثاني: قدم فيه (٨) وصايا لبعض حكماء الجاهلية وفصحائها ممن تميزت وصاياهم بالفصاحة والبيان والحكمة.

الفصل الثالث:: قدم فيه (١٦) وصية من أغرب وأطرف الوصايا حيث لم تنتظم هذه الوصايا بالخط العام للوصايا التي اختارها فكانت خارجة عن هذا التنسيق من حيث التعبير أو المضمون أو كليهما معاً.

الفصل الرابع: قدم فيه مجموعة من الكلمات الأخيرة المختصرة للمحتضرين مما وقع من كلامهم أو تصرفهم أو إجاباتهم أو تعليقاتهم.

ذكر المؤلف أن الوصية مطلب إنساني جاء طلباً للزيادة في القربات والحسنات، وتداركاً لما فرط الإنسان في حياته وبياناً للحقوق، إن تعلق بالميت حق، وهي في تراثنا العربي والإسلامي على أنواع:

- منها «الوصايا الإلهية» الواردة في القرآن الكريم.
- ومنها «الوصايا النبوية» الواردة في كتب السنة.
- ومنها «وصايا الخلفاء والملوك والأمراء» لأبنائهم أو لولاتهم أو لقوادهم أو لقضاتهم.

ومنها وصايا الآباء والأمهات لأبنائهم وبناتهم عامة»، ووصايا الأولياء للنساء عند الهداء خاصة.

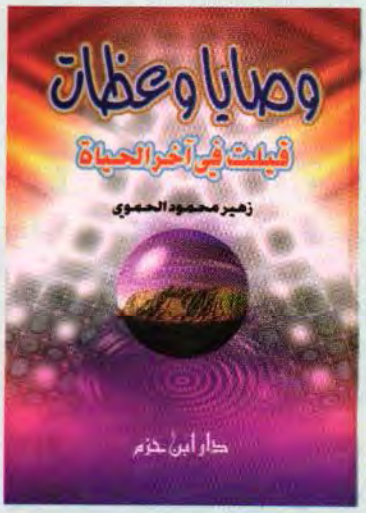
ومنها «وصايا العلماء والوعاظ» للحكام والأمراء أو لتلاميذتهم.

ومنها وصايا المحتضرين «وما قالوه في آخر حياتهم، وهي موضوع هذا الكتاب.

كما ذكر المؤلف أن الذي حفزه لاختبار هذه المجموعة من الوصايا والعظات أمور عدة منها:

١ - تقديم نخبة مختارة من روائع النصوص الأدبية المميزة.

٢ - إبراز الجانب الإنساني والنفسي والشعوري للإنسان المحتضر لأن هذه الوصايا تعكس صورة صادقة لمشاعر الإنسان المودع وأحاسيسه وترصد النفس البشرية في أصدق أحوالها وأكثرها شفافية لذلك يمكن عدّ هذه الوصايا والكلمات من الوثائق النفسية التي يصح الاعتماد عليها في الدراسات النفسية التحليلية لأنها تعبّر بصدق عن الحال النفسية الحادة التي يواجهها الإنسان المحتضر عندما يودع الحياة وصخبها وضجيجها وعلائقها ليستقبل عالماً جديداً لم يدخله من قبل.



٣ - تقديم العبرة والعظة للقارئ من خلال هذه المعاني التي اشتملت عليها فهذه دعوة لقراءتها وتدبر معانيها.

وقال: إن من الطبيعي أن تكون كل واحدة من هذه الوصايا صورة صادقة عن شخصية صاحبها واهتماماته وأسلوب نظرته للدنيا وانعكاساً معبراً عن قيم العصر السائدة في ذلك الوقت، حيث وجدنا بعض هذه الوصايا صيغت وكأنها وثيقة سياسية وبعضها صيغت وكأنها قطعة أدبية رائعة متسوفية لعناصرها وشروطها الفنية وتحس ببعضها كأنها دفقة شعور إنساني مرهف.

يحس الإنسان عند قراءة هذه الوصايا والعظات على مختلف اتجاهات واهتمامات أصحابها أنه أمام لوحة إنسانية صادقة وأمام ملحمة أدبية كل فصل من فصولها مهم، وكل كلمة من كلماتها مقصودة.

وعن الوصايا الغربية قال انتظمت الوصايا في هذا الكتاب في نسق موضوعي واحد واجتمعت على أهداف متشابهة، يأتي في مقدمها الوصية بالإيمان بالله تعالى والاعتراف باليوم الآخر، والوصية بتقوى الله تعالى، والحض على الفضائل ومكارم الأخلاق والإحسان إلى الآخرين بالإضافة إلى ذكر بعض الرغبات الخاصة.

لكن الغريب في الأمر أن نجد هذا الخط المستقيم قد ينكسر، وربما انكساراً حاداً عند البعض، فيوصي عند موته بوصايا غريبة تتنافى مع رهبة الموت أو تتعارض مع جلالة الموقف!.

أخبار ثقافية

- يعقد في القاهرة يوم ٢٦ من ديسمبر المقبل ولمدة يومين مؤتمر الآثاريين العرب الثاني والذي يدور حول التواصل الحضاري من خلال الشواهد الأثرية.

كما يناقش المشاركون فيه من الدول العربية ما ثبت من خلال الاكتشافات الأثرية بأن الآلهة الفرعونية كانت تعبد في الجزيرة العربية والشام، ويؤكد ذلك اكتشاف شواهد على حضارة «آمون» في منطقة الناصر بالجزيرة العربية

- انتهت اللجنة التي شكلتها مشيخة الأزهر لدراسة إنشاء فرع لجامعة الأزهر في الولايات المتحدة الأميركية من أعمالها وقد أكدت اللجنة التي يرأسها الدكتور أحمد عمر هاشم في تقريرها أن الحكومة الأميركية لا تمانع في وجود فرع للجامعة على أراضيها لأن مثل هذه الجامعة ستعمل على تعميق الحوار بين الأديان ومحاربة التيارات المنحرفة والمعادية للإسلام.

- يستضيف المغرب أعمال الدورة ١٢ لمجلس مجمع الفقه الإسلامي في شهر نوفمبر المقبل.

العَالِم في عددها الجديد

صدر حديثاً العدد «السادس» من مجلة «العَالِم» التي تُعني بالمفكرين والعلماء والمبدعين في العالم العربي ويصدرها المركز الوطني للدراسات الاستراتيجية بالرياض، ليتناول إحدى القضايا المصيرية المعاصرة وهي قضية «الشرق أوسطية» ليرصد من خلال هذا الموضوع الرئيس للمجلة الرؤى والأفكار والأطاريح المختلفة والمتعددة التي تناولت هذه القضية لتخرج المجلة بالتحذير المباشر والصريح من مخاطر «الشرق أوسطية» التي تستهدف تدمير الوطن العربي.

وفي الافتتاحية يحذر الدكتور محمد بن حمود الطريقي رئيس التحرير من هذا الاستدمار الجديد في الوطن العربي ونحن على أعتاب القرن الواحد والعشرين قائلاً:

«إن المتتبع للأحداث في العالم، يتأكد من تتابع الخطط واتصالها لسحق الشرق الإسلامي، وسحق الحضارة الإسلامية وسحق الإمكانات المستقبلية لنشوء قيمة إسلامية شرقية قادرة على إعادة الصراع مع الغرب».

وحتى لا يعيد التاريخ نفسه وحتى لا تداهمنا الخطط المقبلة مع «الشرق أوسطية «الغامضة يختتم رئيس التحرير مقالته بالدعوة إلى: التفكير بجدية وعلمية متناهية بخطط السلام المطروحة في الساحة العربية وبإمكان مجاراتها نداً لند، وبخطط إسرائيل لإذابتنا في «الشرق أوسطية والعولمة».

ويفتتح هذا العدد الحوار مع رموز الفكر في الوطن العربي بدءاً من الدكتور حسن ظاظا الذي يرى «أن الشرق أوسطية» ستشفل لأنها تعتمد على الأساطير... «وإن إسرائيل ستسقط قبل القرن الحادي والعشرين». وكذلك الدكتور إسماعيل فرحات الذي يتحدث في لندن مؤكداً أن الهدف من «الشرق أوسطية» هو السيطرة على منطقة الشرق الأوسط تحت غطاء التجارة والاقتصاد في ظل التبادل السلمي بين دول المنطقة والدولة العبرية. كما يذهب الدكتور محمد كرموص رئيس رابطة مسلمي سويسرا إلى القول القاطع: إن الهدف من «الشرق أوسطية» هو تثبيت إسرائيل وتحقيق حلم من «النيل إلى الفرات».

وتحتوي مجلة «العَالِم» على الكثير من الموضوعات الفكرية والثقافية الأخرى لترصد آراء المفكرين والمثقفين العرب حول مستقبل الثقافة العربية في ظل العولمة لتحاور المفكر محمود أمين العالم والدكتور محمد الرميحي والإذاعي القدير حمدي قنديل وغيرهم.

تحت عنوان قضايا ساخنة يرصد وزير الصناعة والكهرباء بالمملكة العربية السعودية الدكتور هاشم بن عبدالله يماني... الشكل المنشود لمنظومة البحث العلمي في دول مجلس التعاون الخليجي ليجيب عن الكثير من التساؤلات الحائرة حول مستقبل البحث العلمي ودوره في التنمية.

وفي زاوية فنون وثقافات: تجري مجلة العَالِم حواراً مع الإذاعي والمفكر أحمد فراج ليبوح لها بأسرار حياته ويرصد المحطات الفاصلة من الإذاعة إلى التلفاز وكيف أنقذه عبدالناصر؟ وكيف قُدّم الداعية الإسلامي محمد متولي الشعراوي للمرة الأولى للناس من خلال برنامجه «نور على نور».



كما ترصد المجلة مشوار الرواية العربية منذ البداية وحتى الآن من خلال قراءة عميقة في فكر روادها على مستوى الوطن العربي لتجيب على هذا السؤال: هل أخفقت الرواية في دورها الحديث أم نجحت في أن تلعب دوراً إيجابياً؟ وذلك من خلال الرواد الأوائل والمعاصرين للرواية العربية.

ومن جديد مجلة «العَالِم» في عددها السادس أنها تضيف زاوية جديدة تحت عنوان سيرة ذاتية ليبوح من خلالها رئيس التحرير د. محمد الطريقي بأسرار حياته مسترجعاً شريط الذكريات بجرأة وشفافية يندر أن تتكرر... لكن الحقيقة تسمو فوق كل الآلام، ومن أجلها يقسم الدكتور الطريقي في زاويته «في رحاب الذاكرة» على مواصلة الكتابة رغم المعاناة قائلاً: «عندي الكثير مما أرويه، وقد أقسمت أن أروي».

ومع هذا العدد العامر بالكثير من الموضوعات والقضايا الساخنة تعيش عزيزي القارئ مع مفاجآت ثقافية وفكرية وإبداعية أخرى.

قاموس للمصطلحات الإسلامية

صدر أول قاموس شامل جامع للمصطلحات والتعابير الإسلامية بعنوان: «القاموس الإسلامي» من إعداد الباحث الإسلامي حمدي عبدالحميد، ويضم القاموس ٤٥٠٠ كلمة وهو مرتب بطريقتين «قاموس إنكليزي - عربي وقاموس عربي - انكليزي». وذلك حتى يستفيد منه الباحث الإسلامي والمستشرق الأجنبي على حد سواء وأورد معدّ القاموس كلمات غير إسلامية ذات صبغة دينية بهدف مساعدة المتحدثين عن الإسلام ويضم القاموس قائمة كاملة منفصلة بأسماء الله الحسنى بجانب رصد ما جاء في المراجع عن معانيها وصفحات منفصلة بأسماء الأنبياء وأسماء الشهور الهجرية بالعربية والإنكليزية كما ضم القاموس بعض الصور الخاصة بالمظاهر الإسلامية مثل صورة الكعبة وصورة ملابس الإحرام وصورة الحجر الأسود وصورة لطواف المقعدين وصورة الخمار وصورة لمقام إبراهيم عليه السلام، وقد رجع معد القاموس الإسلامي إلى مراجع عدة منها المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، والقاموس المحيط والمعجم القانوني الفاروقي وقاموس الألفاظ الإسلامية وتفسيرات الشيخ محمد متولي الشعراوي وترجمة صحيح البخاري للدكتور محمد حسن خان.

لجنة تطبيق الشريعة في الكويت تنجز قانون الجزاء

انتهت اللجنة العليا لاستكمال تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية في الكويت من إنجاز قانون الجزاء وتعديلاته وفقاً للشريعة الإسلامية وستقوم برفعه إلى سمو الشيخ جابر الأحمد الصباح أمير الكويت بعد مناقشته وإقراره نهائياً، وقال الدكتور خالد المذكور رئيس اللجنة: إن أعضاء اللجنة يقومون بمراجعة ومناقشة القانون الجديد لإقراره بشكل نهائي لرفعه إلى الأمير جابر الأحمد الصباح للاطلاع عليه، مشيراً إلى أن هذا القانون يشمل جميع الحدود الشرعية وقوانين العقوبات، مؤكداً أنه إنجاز تشريعي كبير.

وأضاف الدكتور المذكور أن اللجنة كانت قد انتهت أخيراً من إنجاز النظام التربوي الشامل لدولة الكويت وقامت برفعه إلى أمير البلاد مبيّناً أهمية هذا النظام.

وذكر أن أمير الكويت سيحيل النظام التربوي إلى مجلس الوزراء الذي يحيله بدوره إلى وزارة التربية للنظر فيه وبعد إقراره من قِبَلِ الوزارة سيطبق في المراحل الثلاث (ابتدائي ومتوسط وثانوي).

وأوضح الدكتور المذكور أن هذا النظام يشمل المناهج ومواصفات المعلم والكتاب الجيد والأنشطة الصحية واللاصحية، مشيراً إلى أن التنسيق بين الجهات المعنية سيزيد من نجاح النظام.



● د. خالد المذكور

ارتفاع معدل الجريمة في روسيا

ذكرت وكالة أنباء انترفاكس أن معدل الجريمة في روسيا ارتفع بصورة كبيرة هذا العام طبقاً للبيانات التي أعلنتها وزارة الداخلية.

وخلال الأشهر الثلاثة الأولى من العام الحالي تم إبلاغ الشرطة بحدوث أكثر من ٧٥٢,٠٠٠ جريمة في جميع أنحاء البلاد مما يمثل زيادة في معدل الجريمة بنسبة ٢٠ في المئة بالمقارنة مع الفترة نفسها من العام ١٩٩٨م.

وفي الوقت الذي تمثل فيه عمليات السرقة نصف هذا العدد تقريباً، فإن عدد الجرائم الخطيرة ارتفع بنسبة ٣٠ في المئة، وتم تسجيل ٧٣٠٠ جريمة قتل تقريباً في الربع الأول من العام الحالي.

المفتي العام للسعودية يحذر من تداول نشرة «أدعية الامتحانات»

قبل وفاته ـ يرحمه الله ـ حذر المفتي العام للسعودية الشيخ عبدالعزيز بن باز من نشر «أدعية الامتحانات» المتداولة بين أوساط التلاميذ هذه الأيام لمناسبة قرب موسم الامتحانات النهائية، مشيراً إلى أن هذه النشرة لا أصل لها في الشرع، مطالباً بمصادرتها وإتلافها والتحذير منها ومن جميع البدع الظاهرة والخفية.

وفي تعميم على جميع المدارس السعودية، أكد الدكتور خضر عليان القرشي وكيل وزارة المعارف أهمية قيام معلمي العلوم الشرعية بواجبهم لتحذير الطلاب من هذه النشرة وخطرها.

حيث تشتمل على آيات قرآنية وأحاديث نبوية وأدعية تقال في أوقات وأحوال معينة، منها دعاء ما قبل المذاكرة وبعدها وعند الامتحان وبدايته ونهايته وذلك من غير دليل شرعي على هذا التحديد.

وطالب وكيل الوزارة بتوجيه الطلبة العمل بالسنة والأذكار الموثّقة للعلماء المعروفين حتى لا يتعاطى الطلاب دينهم من المنشورات المجهولة، وتأكيد وجود الآيات والأحاديث في النشرة لا يعني سلامتها، وأن على المسلم أن يقوم بعرضها على أهل العلم قبل نشرها والعمل بها.



● الشيخ عبدالعزيز بن باز

شيخ الأزهر يرحب بالاجتهاد في الدين ما لم يرد فيه نص صحيح

رحب الشيخ الدكتور محمد سيد طنطاوي شيخ الأزهر بالاجتهاد في الدين مادام لا يصادم نصاً صحيحاً، وقال إننا لا نقبل إلا الاجتهاد في حدود النصوص التي تقبل الاجتهاد ولا يكون في النص ذاته وإنما في فهم النصوص كما قال الله تعالى: (وامسحوا برؤوسكم).

جاء ذلك في المحاضرة التي ألقاها الدكتور طنطاوي في ختام الموسم الثقافي الذي أقامه المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية.

وقال شيخ الأزهر إن الدراسة في الأزهر الشريف تمتاز بأنها تقوم على الاعتدال والبعد عن الغلو والتطرف وكل ما نهى الله سبحانه وتعالى عنه.



وقد استعرض شيخ الأزهر خلال المحاضرة نماذج من اجتهادات الأنبياء والرسل التي تدخل الوحي الشريف في تصحيحها وبخاصة قول نوح عليه السلام عن ابنه :

(ربي إن ابني من أهلي) فرد الله تعالى (إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح).

ثم استعرض شيخ الأزهر عدداً من المسائل التي اجتهد فيها الفقهاء اجتهادات مختلفة، مشيراً إلى أن هذه الاجتهادات تعد مظهراً من مظاهر الرحمة الإسلامية وإنه لا يجوز التقليل من شأن اجتهاد ما دام لا يتصادم مع نص صريح في الإسلام.

١٣,١ مليون يهودي في العالم ثلثهم فقط في إسرائيل

التكاثر الطبيعي لليهود في العالم يعتبر من النسب الأكثر انخفاضاً في العالم، إذ إن نسبة تكاثرهم خلال السنوات الخمسين الأخيرة لم تزد عن (ثلاثة في الألف) ويبلغ عددهم اليوم ١٣,١ مليون نسمة يعيش نحو ثلثهم (٣٦ في المئة) منهم في إسرائيل.

هذا ما دل عليه آخر بحث ديموغرافي حول اليهود في العالم، أجراه «معهد اليهودية» التابع للجامعة العبرية في القدس، ونشر عشية احتفالات إسرائيل بالذكرى الـ٥١ لقيامها.

وعلى الرغم من كل المغريات والتسهيلات والدعم العالمي، لم يعش في إسرائيل سوى ٣٦ في المئة من اليهود، ومازالت الأغلبية تفضل الحياة بعيداً عنها، بحيث تتركز أغلبيتهم الساحقة في الولايات المتحدة.

وفي هذا الإطار تدل الإحصاءات الرسمية على أن عدد سكان إسرائيل يبلغ حالياً ٦ ملايين و ٦٧ ألف نسمة. ولكن هذا الرقم يشمل سكان القدس الشرقية المحتلة (١٩٠) ألفاً وهضبة الجولان السورية المحتلة ١٥ ألفاً، فإذا خصمنا هذا العدد، يكون عدد سكان إسرائيل في حدود ما قبل العام ١٩٦٧م أقل من ٦ ملايين (٥ ملايين و ٨٦١) ألفاً.

ويبلغ عدد اليهود في إسرائيل ٤,٨ مليون نسمة (٧٩ في المئة من العدد الرسمي و ٨١ في المئة من العدد الفعلي)، بينما يبلغ عدد الفلسطينيين في إسرائيل ما قبل ١٩٦٧م (عرب ٤٨) حالياً مليوناً و ٦١ ألف نسمة.

موجز أخبار

● قال المكتب الإقليمي لمنظمة الصحة العالمية في مانيلا إن الوباء الفيروسي الذي قتل أكثر من ١٠٠ شخص في ماليزيا منذ أكتوبر المنصرم انتهى على ما يبدو.

وأضاف المكتب في بيان له أن قتل ماليزيا لنحو ٩٠٠ ألف خنزير في منطقتين لتربية الخنازير قضى فعلياً على انتشار فيروس الالتهاب الدماغي القاتل وأنهى الوباء.

وتحمل الخنازير الفيروس القاتل وقال البيان إن الأدلة تشير حتى الآن إلى أن الاتصال المباشر مع الخنازير المصابة يؤدي إلى انتقاله إلى الإنسان.

● ذكرت منظمة الصحة العالمية أن العالم يشهد سنوياً نحو خمسين مليون حالة إجهاض من بينها ثلاثون مليون حالة في دول العالم النامي.

وأوضحت النشرة الصادرة عن المقر الإقليمي للمنظمة في الإسكندرية أن المخاطر تحيط بعشرين مليون حالة إجهاض من بين الخمسين مليون حالة التي تقع في مختلف أنحاء العالم سنوياً، نظراً لظروفها غير الصحية، وأن نحو ٩٠ في المئة من بين تلك الحالات غير الآمنة تجري في دول العالم الثالث.

وأضافت: أن نحو ٧٠ ألف سيدة يلقين حتفهن كل عام نتيجة لعلميات الإجهاض غير الآمنة، كما أن العديد من النساء الأخريات اللاتي تكتب لهن النجاة من تلك التجربة يعانين طيلة حياتهن من العقم وأمراض مزمنة أخرى فضلاً عن الضعف البدني الدائم.

● وصل المخزون العالمي للألغام المضادة للأفراد إلى أكثر من ٢٥٠ مليون لغم، وتحتل الصين وروسيا قائمة الدول التي تملك أكبر مخزون من هذا السلاح.

اللجنة الكويتية المشتركة للإغاثة تكفل عشرة آلاف لاجئ كوسوفي

قال عبدالمحسن المعوشرجي مسؤول مكتب الإغاثة التابع للجنة الكويتية المشتركة للإغاثة في ألبانيا إن اللجنة حالياً تكفل أكثر من ۱۰,۰۰۰ (عشرة آلاف) لاجيء في مناطق مختلفة في ألبانيا.

وأوضح المعوشرجي أن اللجنة قامت بالتفاوض مع محافظ مدينة «فوشي كرويا» القريبة من مطار العاصمة الألبانية «تيرانا» وذلك لاستلام وكفالة معسكر جديد لألبان كوسوفا الذين يعانون الطرد والاضطهاد والعدوان الصربي.

وأوضح المعوشرجي أن المركز الذي تنوي اللجنة إعادة تأهيله وذلك بترميمه والذي يحتوي على أكثر من (۷۰۰) لاجيء أغلبهم من الشيوخ والنساء والأطفال، وأن اللجنة استعدت لتقديم ۳ وجبات يومية للاجئين فيه، إضافة إلى توفير الخدمات الطبية والإغاثية.

وأشار المعوشرجي إلى أعداد اللاجئين والمهجرين في منطقة «فوشي كرويا» والذين يزيد عددهم عن ۳٥۰۰ (ثلاثة آلاف وخمسمئة لاجيء» يعيشون مع عوائلهم بعد أن أمنت لهم اللجنة الكويتية المشتركة للإغاثة الوجبات اليومية الثلاث، إضافة إلى ثماني مراكز للاجئين منها أربعة تعمل اللجنة جاهدة لإعادة ترميمها على وجه السرعة لإسكان اللاجئين فيها بعد توفير المستلزمات الضرورية لهذه المراكز التي تحتاج إلى جهود بشرية وميزانية ضخمة لإعادة التأهيل والبناء.

وتجدر الإشارة إلى أن اللجنة الكويتية المشتركة للإغاثة بعثت أخيراً وفداً طبياً مكوناً من د. أحمد الشطي رئيساً، ود. عباس رمضان عضواً، والمهندس عبدالعزيز السميط عضواً، والذي يهدف إلى مسح المعسكرات التي تشرف عليها اللجنة الكويتية المشتركة مسحاً طبياً وذلك لرفع تقرير بالاحتياجات العاجلة لهذه المراكز والمعسكرات.

وتجد الإشارة إلى أن د. عمر العياط عضو الوفد الطبي سيبقى للإشراف على خدماتها الطبية اللازمة للاجئين والمهجرين.

رابطة العالم الإسلامي تجدد تبعية القدس للعرب والمسلمين

رحبت رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة بتعليق الإدارة الأميركية قرار الكونغرس القاضي بنقل السفارة الأميركية من تل أبيب إلى القدس.

وقال الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي الدكتور عبدالله العبيد إن الشعوب الإسلامية رحبت بالإشارات الواضحة التي صدرت عن الإدارة الأميركية في شأن إبقاء السفارة الأميركية في تل أبيب حتى إلى ما بعد الموعد النهائي لنقلها إلى القدس في ٢٦ مايو الماضي الذي حدده الكونغرس العام ١٩٩٥م.

وأعرب العبيد عن تفاؤله بما أعلنته وزارة الخارجية الأميركية من أن الرئيس بيل كلينتون سيقرر قريباً هل سيستخدم سلطاته لإلغاء بنود القانون الذي اتخذه الكونغرس إلغاء «نهائياً لأنه قرار ظالم يسيء إلى جميع المسلمين، كما يسيء إلى علاقات أميركا معهم»، وأكد أن الشعوب الإسلامية تتابع الموقف الأميركي من هذه القضية وتعرف أن موقف الإدارة الأميركية يختلف عن موقف الكونغرس الذي يخضع للنفوذ الصهيوني.

وكانت رابطة العالم الإسلامي أعدت مذكرة وثائقية إضافية العام ١٤١٨هـ لرئيس وأعضاء الكونغرس أثبتت فيها تبعية القدس للعرب والمسلمين من النواحي العقدية والتاريخية بالإضافة إلى التأكيدات التي تضمنتها وثائق القانون الدولي.

ولفتت الرابطة إلى أن نقل سفارات الدول الأجنبية إلى القدس عمل عدائي ليس لشعب فلسطين فحسب، وإنما هو اعتداء على ارتباط القدس بالمسلمين وبمشاعرهم وعقيدتهم.

الهند خامس أكبر اقتصاد في العالم

احتلت الهند المرتبة الخامسة في العالم بأكبر اقتصاد من حيث القوة الشرائية بعد الولايات المتحدة والصين واليابان وألمانيا مما أنعش الآمال في أن تلحق بالصين مستقبلاً في حال تمكنها من زيادة معدل النمو الاقتصادي من نحو ٥ في المئة حالياً إلى نسبة تتراوح بين ۷ و ۸ في المئة.

وذكرت دراسة للبنك الدولي نشرت في نيودلهي أنه بحسب المعايير التقليدية التي تقوم على إجمالي الناتج القومي أو القيمة الإجمالية لجميع السلع والخدمات التي تنتجها الدولة فإن الهند تتراجع إلى المرتبة الثالثة عشرة كأكبر اقتصاد في العالم بمتوسط دخل فردي سنوي يبلغ ۳۷۰ دولاراً موضحة أن الحجم السكاني الهائل للهند يعد عاملاً مهماً في وضعها في المرتبة الخامسة في العالم كأكبر اقتصاد من حيث القوة الشرائية.

إعداد : أحمد عبدالجبار

من هدي كتاب الله

قال تعالى :

(قل يا أهل الكتاب لمَ تكفرون بآيات الله والله شهيد على ما تعملون. قل يا أهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن تبغونها عوجاً وأنتم شهداء وما الله بغافل عما تعملون. يأيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقاً من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين).

آل عمران: ٩٨ . ١٠٠

من هدي رسول الله ﷺ

قال رسول الله ﷺ :

أربع إذا كن فيك فلا عليك ما فاتك من الدنيا: حفظ أمانة، وصدق حديث، وحسن خليقة، وعفة طعمة»

رواه الإمام أحمد

الفـؤاد . . القلـب

يخلط كثير من الناس بين هذين اللفظين (الفؤاد والقلب)، والعرب وضعت لكل معنى لفظاً لا يقوم مقامه غيره إلا مجازاً، ومن ذلك كلمة القلب وكلمة الفؤاد، ولكن عند التحقق من ذلك نجد من ذلك هذا غير ذاك، فالقلب هو العضلة المعروفة التي تقوم بضخ الدم إلى سائر أجزاء الجسم، أما الفؤاد فهو الحيز أو الفراغ الذي يشغله أو يملؤه القلب، أو هو غشاء القلب، قال الله تعالى حكاية عن أم موسى عليه السلام: (وأصبح فؤاد أم موسى فارغاً إن كادت لتبدي به لولا أن ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين) القصص: ١٠ والمعنى أن قلبها كاد يطير من مكانه لولا أن ثبتناه بالصبر وهذا كناية عن شدة جزعها وخوفها على ابنها وقيل: إن فؤادها أصبح فارغاً إلا من ذكر موسى.

لست راضياً عن نفسي

قيل للربيع بن هيثم: ما نراك تعيب أحداً؟ فقال: لست عن نفسي راضياً حتى أتفرغ لذم الناس ثم أنشد :

لنفسي أبكي لست أبكي لغيرها

لنفسي من نفسي عن الناس شاغل

جوهر العبودية لله تعالى

يقول د. محمد سعيد رمضان البوطي:

إن انتهاء الإنسان إلى حال تجعله مضطراً لمد يده إلى من يعينه في تخليصه من عذاب يعانيه، ثم لا يجد من حوله إلا الله جل جلاله، وهو جوهر العبودية القسرية التي فطر الله الإنسان عليها، وإن وقوفه في ضراعة وذل على أعتابه جل جلاله يدعوه ويسأله ويرجوه، هو جوهر العبودية الكسبية التي أمر الله الإنسان أن يمارسها.

إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه

من أقوال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه :

«عليكم بذكر الله فإنه شفاء وإياكم وذكر الناس فإنه داء.

لا تظن بكلمة خرجت من أخيك إلا خيراً، وأنت تجد لها في الخير محملاً.

لا تشاور في أمرك إلا من يخشون الله عز وجل.

ترك الخطيئة خير من معالجة التوبة.

العدل جنة المظلوم جحيم الظالم».

عاقبة الغيرة

الغيرة تضيق من آفاقنا وتحجب عنا مئات الفرص ولا تكشف من دنيانا إلا وجه غريمنا وهو يلوح لنا بالكسب الرخيص الذي انتزعه منا فنقضي حياتنا في مبارزة حقيرة على قطعة أرض أو امرأة ساقطة وتضيع أعمارنا بما فيها من إمكانات.

من هو العاقل ؟

قال عمرو بن العاص:

ليس العاقل الذي يفرق الخير من الشر، ولكنه الذي يعرف خير الشرين. وليس الواصل الذي يصل ولكنه الذي يصل من قطعه.

وقال أيضاً:

ما استودعت رجلاً سراً فأفشاه فلمته لأني كنت أضيق صدراً حين استودعته إياه!

مختصر من حياة رسولنا الكريم

ولد نبينا محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين ١٢ من ربيع الأول من عام الفيل. توفي والده قبل مولده. وتوفيت والدته آمنة بنت وهب وهو في السادسة من عمره، فعهد جده عبدالمطلب الذي تولى رعايته إلى حليمة السعدية بإرضاعه، وقد تولى عمه أبو طالب رعايته والدفاع عنه بعد وفاة جده عبدالمطلب. اشتغل صلى الله عليه وسلم بالرعي والتجارة، وعمل في تجارة لخديجة بنت خويلد التي تزوج بها فيما بعد. وكانت أول من أسلم من النساء. نزل عليه الوحي في رمضان وهو في الأربعين من عمره. عانى من عنت قريش وصدهم ومحاربتهم، وهاجر إلى المدينة المنورة بعد ١٣ سنة من نزول الوحي عليه، وعاش فيها ١٠ سنوات، خاض خلالها حروباً عدة مع قريش، منها معركة بدر، وأحد، والخندق وفي العام الثامن من الهجرة فتح مكة ودخلت قريش في الإسلام، وفي السنة العاشرة حج صلى الله عليه وسلم حجة الوداع. توفي عليه الصلاة والسلام في المدينة المنورة في العام العاشر من الهجرة ودفن فيها.

التغريب

التغريب في أبسط مفهوم له هو :

حمل المسلمين والعرب على قبول ذهنية الغرب وغرس مبادئ التربية الغربية في نفوس المسلمين حتى يشبوا مستغربين في حياتهم وتفكيرهم، وحتى تجف في نفوسهم موازين القيم الإسلامية.

ويتطلب تحقيق ذلك إيجاد شعور بالنقص في نفوس المسلمين والشرقيين عامة، وذلك بإثارة الشبهات وتحريف التاريخ الإسلامي ومبادئ الإسلام وثقافته.

وإعطاء المعلومات الخاطئة عن أهله، وانتقاص الدور الذي قام به في تاريخ الثقافة الإنسانية ومحاولة إنكار المقومات التاريخية والثقافية والروحية التي تتمثل في ماضي هذه الأمة، أو محاولة انتقاص القيم الإسلامية والغض من مقدرة اللغة العربية وتقطيع أواصر الروابط بين الشعوب العربية والإسلامية..

أهداف التغريب للأستاذ : أنور الجندي

مثل شعري

للموت فينا سهام وهي صائبة

من فاته اليوم سهم لم يفته غدا

لغتنا الخالدة

- الطَّرب: يذهب كثير من الناس إلى أنه «الفرح» دون الجزع، وليس كذلك، إنما الطرب خفة تصيب الرجل لشدة السرور أو لشدة «الجزع» قال الشاعر:

وأراني طرباً في إثرهم
طرب الواله أو كالمختبل

- الحشمة: يضعها الناس موضع الاستحياء، قال الأصمعي: وليس كذلك، إنما بمعنى الغضب، قال بعض فصحاء العرب: إن ذلك لما يحشم بني فلان، أي يغضبهم. ولكن الزمخشري جوَّز استخدام الحشمة بمعنى الاستحياء قال: أنا احتشمتك، واحتشم منك، أي استحيي، وما منعني إلا الحشمة، أي الحياء؟

- زكنتُ الأمر: يذهب الناس إلى معنى: ظننت وتوهمت، وليس كذلك، إنما هو بمعنى: علمت يُقال زكنت الأمر أزكنه، قال الشاعر:

ولن يراجع قلبي ودهم ابداً
زكنت منهم على مثل الذي زكنوا

أي علمت منهم مثل الذي علموا مني.

أحذر الله

قال سيدنا علي - كرَّم اللهُ وجهه ورضي عنه :

يا بن آدم: إذا رأيت ربك سبحانه يتابع عليك نعمه وأنت تعصيه فاحذره.

قالوا في العمل

- من عَلِمَ ولم يعمل فـفساده أكثر من صلاحه.

- إذا أراد الله بقوم سوءاً أعطاهم الجدل ومنعهم العمل، قال تعالى: (وكان الإنسان أكثر شيء جدلاً)

- الكسل يجعل كل شيء صعباً، وأما العمل فيجعل كل شيء سهلاً.

- على المرء أن يسعى ويبذل جهده، وليس عليه أن تتم الرغائب.

الذليل من ظلم

شكا رجل إلى جعفر الصادق أذيّة جاره فقال: اصبر عليه، قال ينسبني إلى الذل، قال: إنما الذليل من ظلم.

هذه الفتاوى منتقاة مما تصدره إدارة الافتاء والبحوث الشرعية في وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية في دولة الكويت. والمجلة على استعداد لتلقي الاسئلة مباشرة وتحويلها الى اهل الاختصاص للاجابة عليها. ويسر خدمة الفتوى بالهاتف تلقي الاسئلة الفقهية مباشرة من الساعة ٨ صباحا الى الساعة ١٢ ظهرا ومن الساعة ٤ عصرا الى الساعة ٨ مساء على الهواتف التالية :

هاتف مباشر
خدمة الفتوى
149

ديون الزكاة الواجبة .. إخراج الزكاة عن أموال القاصر

عُرض السؤال المقدم من المدعو/ عبدالعزيز ونصه:

توفي والدي في بداية العام الميلادي الحالي ١٩٨٠م، وكان من بين الورثة أخي القاصر الصغير (من مواليد ١٩٦١م) وبعد عرض الأمر على المحكمة أصدرت حكماً بأن أكون وصياً عليه حتى يبلغ سن الرشد، وهذا القاصر يملك عمارة مسجلة باسمه منذ العام ١٩٧٣م أي على حياة والدي، وكنت ومازلت أتولى شؤونها، وأحصّل إيجارها، وأودعه في «حسابه التوفير» في أحد البنوك التجارية، ولا أذكر يوماً أخرج والدي عنها زكاة، ولا عن مجموع الإيجارات في دفتر التوفير، بل كانت تدخل فوائد التوفير إلى أصول المبالغ المتجمعة في الحساب، كذلك كان من بين تركة الوالد حساب توفير وحساب جار لا أظن أنه كان يخرج منها الفوائد والزكاة.

وأود أن أضيف كذلك بأن هناك شهادات أسهم باسم الوالد تخص جميع الورثة، وأخرى باسم القاصر تخصه بمفرده.

والسؤال الآن:

هل نستطيع إخراج متجمع الزكاة عن السنوات الماضية من التركة «حساب التوفير بعد استبعاد الفوائد ـ الحساب الجاري»؟ وهل تبرأ ذمة الوالد من إثم عدم إخراجها؟

وهل أستطيع كوصي على مال القاصر أن أخرج متجمع الزكاة عن السنوات الماضية من مال القاصر (حساب التوفير بإقصاء الفوائد)؟

كذلك هل مطلوب مني أن أخرج زكاة سنوية عن العمارة من الايجار حالياً وما الطريقة؟

ـ وبعد عرض الموضوع على اللجنة أجابت بما يلي:

ديون الزكاة الواجبة على الوالد غير واجبة عليكم إلا إذا كان أوصى بإخراجها عنه، لأنها عبادة تحتاج إلى النية، ولعله أخرجها وأنتم لا تعلمون، ومع هذا فلو أخرجتم ما تظنون أنه كان واجباً على والدكم كزكاة فإن هذا يعتبر صدقة ويرجى أن يغفر الله لوالدكم إذا نويتم التصدق عنه.

وأنت مسؤول عن إخراج الزكاة عن أموال القاصر مدة وصايتك عليه، أما ما كان قبل ذلك فلست مسؤولاً عنه، وعليك إخراج الزكاة عن مال القاصر سواء كان إيراداً أو نقداً، بعد فصل المصاريف ونفقة القاصر، فما بقي بعد ذلك، فإن كان يبلغ نصاباً وحال عليه الحول فأنت مسؤول عن إخراج الزكاة عنه، وعليك أن تخلص القاصر من هذه الأسهم المشبوهة لكن بعد استئذان إدارة شؤون القصّر حتى لا تكون مسؤولاً مسؤولية جنائية، وعليك بعد الاستئذان أن تبيع هذه الأسهم المشبوهة بالسعر الخاص، على أن تتحرى قدر الإمكان لتعرف ما جاء من القدر الزائد على السعر الأصلي، نتيجة لمعاملة ربوية أو محظور، وتتخلص فقط من هذه الزيادة، بإنفاقها في مصرف خيري عام، ولا يجوز أن تتمول هذا القدر، ولا أن تحتسبه من زكاة القاصر. والله ولي التوفيق.

اشتراط الزوجة عصمتها بيدها

عُرض على اللجنة الاستفتاء التالي المقدم من المدعو/ صالح:

هل يجوز للمرأة أن تشترط على المتقدم للزواج بها أن تكون العصمة «عصمة الطلاق» بيدها؟ إذا كانت تخشى منه أن يعضلها أو كانت تخشى منه أن يحرمها أي حق آخر من حقوقها الزوجية، وهل تكون العصمة مطلقة أم مقيدة؟ وهل تطلق نفسها منها هي بنفسها بحيث تقول مثلاً «أنا طالق منك حسب الشرط الذي بيننا؟» وهل يجوز لها المطالبة بحقوقها بعد الطلاق؟ مثل «مؤخر الصداق»، وغير ذلك مما تحصل عليه الزوجة بعد طلاقة وهل يجوز لقاضي محكمة الأحوال الشخصية رفض الطلاق أو عدم إقراره؟ أرجو الإجابة على هذه الأسئلة مع بيان أدلتها من الكتاب والسنة أو ما ورد فيها من أقوال العلماء، وجزاكم الله خير الجزاء.

ـ أجابت اللجنة بما يلي:

يجوز للزوجة أن تشترط على من يريد الزواج بها أن تكون عصمتها بيدها ويجوز للزوج أن يفوّض إلى زوجته أن تكون عصمتها بيدها، وذلك بالوكالة عنه، فإذا طلقت نفسها وقع الطلاق، وبطلاقها نفسها تستحق ما قرره لها الشرع، والقاضي ينفذ أحكام الشرع، فلا يسوّغ له أن يخرج عنها. والله أعلم.

التخلص من المريض الميؤوس من شفائه

عرض على اللجنة أسئلة مقدمة من ـ لجنة خيرية، بالتعاون مع جمعية الأطباء المسلمين في جمهورية جنوب أفريقيا، طالبة إبداء الرأي فيها، نظراً لما يواجهه الأطباء المسلمون في مختلف بقاع الأرض من مشاكل بسبب عدم وجود فتاوى إسلامية حول هذه المواضيع. والأسئلة كالتالي:

هل القتل بدافع الرحمة، بالطريقة الايجابية، مسموح به في الإسلام قياساً على قتل الحصان الميؤوس من شفائه بما يسمى «رصاصة الرحمة»؟ وهل مسموح القتل بدافع الرحمة بالطريقة التلقائية بفصل أجهزة التنفس ونحوها، أو بترك معالجة المرض لشخص ميؤوس من شفائه؟

ـ أجابت اللجنة بما يلي:

القتل بدافع الرحمة، بالطريقة الايجابية المذكورة حرام شرعاً. ومن أمثلة ذلك: إعطاء المريض بالسرطان، الميؤوس طبياً من شفائه، جرعة قاتلة «فوق المسموح بها» من مخدر قوي حتى تتوقف أنفاسه، وليس من ذلك فصل جهاز التنفس الصناعي عن مريض ميؤوس طبياً من شفائه، وقد سبق للجنة أن أجابت في هذا الخصوص بما يلي:

إن التخلص من المريض بأي وسيلة محرّم قطعاً، ومن يقدم عليه يكون قاتلاً عمداً لأنه لا يُباح دم امرئ مسلم، صغيراً أو كبيراً، صحيحاً أو مريضاً، إلا بإحدى ثلاث حددها رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله: «لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاث: النفس بالنفس، والثيب الزاني، والمارق من الدين التارك للجماعة»، أخرجه البخاري، وهذا ليس من هؤلاء الثلاثة، والنص القرآني قاطع في ثبوته ودلالته أن قتل النفس محرّم قطعاً، لقوله تعالى: (ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق) الأنعام:١٥١، ويشترك في الإثم والعقوبة من أمر بهذا أو حرض عليه، وقياس حال هذا على الحصان الميؤوس من شفائه فيه امتهان لكرامة الإنسان، إذ الحصان يجوز ذبحه حتى ولو كان صحيحاً بخلاف الإنسان، فإنه معصوم الدم، ووصف الرصاصة القاتلة للحصان برصاصة الرحمة وصف لم يقم عليه دليل شرعي، فكيف نسمي الحقنة القاتلة للإنسان بهذا الاسم.

وأما بالنسبة للمريض بمرض ميؤوس منه، إذا طرأ عليه مرض آخر قابل للعلاج ويؤدي للوفاة فإذا أهمل، فإنه يطبق عليه الحكم الأصلي للتداوي، وهو عدم الوجوب من جهة الشرع، لأن حصول الشفاء بالتداوي أمر ظني، وهو مطلوب على سبيل الترغيب لا على سبيل الوجوب.

أما من جهة التعليمات الطبية والقرارات الرسمية المنظمة لها، فيجب شرعاً العمل بما تقضي به فيما لا يتنافى مع الشرع. والله أعلم.

متى يحكم بموت الإنسان

عُرض على اللجنة السؤال التالي:

متى نستطيع القول: إن شخصاً قد فارق الحياة؟ أو متى يعتبر الشخص ميتاً؟

ـ أجابت اللجنة بما يلي:

لا يحكم بالموت إلا بانتفاء جميع علامات الحياة، حتى الحركة والنفس والنبض، فلا يحكم بالموت بمجرد توقف النفس أو النبض أو موت المخ مع بقاء أي علامة من العلامات الظاهرة أو الباطنة، التي يستدل بها على بقاء شيء من الحياة، وذلك لأن الأصل بقاء الحياة، فلا يعدل عن هذا الأصل بالشك، لأن اليقين لا يزول بالشك، هذا ما انتهت إليه اللجنة مبدئياً، وهي ترى أن الأمر يستحق مزيداً من البحث المشترك بين الأطباء والفقهاء. والله أعلم.

الوعد بالزواج

حضر إلى اللجنة المدعو/ كامل وطلب الاستفتاء بالتالي:

لديّ ابنتان وفي العام ١٩٧٨م طلب أخي ابنتيّ لابنيه وحيث إن الصغيرة كان سنها في ذلك الوقت ١٤ سنة، فقبلت أن أعطي الكبيرة لابنه الكبير التي سنها ١٨ سنة في ذلك الوقت، ووعدتهم إذا كبرت الصغيرة وأكملت دراستها أن أزوجها لابنه وهذا من دون مشورتها، واتفقنا على ذلك في أثناء العقد على ابنتي الكبيرة، والآن لما كبرت ابنتي الصغيرة وكلمتها بالموضوع لم تقبل ذلك لأن ابن أخي يعيش الآن في بلد آخر، وابنتي تعيش في الكويت منذ ولادتها، فهي لا ترغب في الذهاب إلى هناك، وقالت: إن أجبرت على الزواج به سوف أنتحر، وأنا أخشى إن لم أزوج ابنتي لهم بأن يطلقوا ابنتي الكبيرة من زوجها، فهل وعدي لهم يلزمني بتزويج ابنتي الصغيرة لهم، أرجو إفتائي وجزاكم الله خيراً ؟

ـ سألته اللجنة ما يلي:

كم عمر البنت التي يريد ابن عمها أن يتزوج بها؟ قال: لقد بلغت العام الحادي والعشرين.

ـ أجابت اللجنة بما يلي:

إن أمر زواج مثل هذه البنت هو حقها وحدها في بعض المذاهب الأربعة، فإن شاءت قبلت وإن شاءت رفضت، وليس لأحد إجبارها لا أبوها ولا غيره، والتهديد بطلاق أختها زوجة أخيه ليس مسوّغاً لأن تجبر على زواج من لا تريده. والله أعلم.

بقلم : علي مدني رضوان الخطيب

المفتونون بأهوائهم

هناك فصيل من البشر يكرهون الحق الذي أنزله الله على رسوله ﷺ لهداية الناس. (ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله) ومن ثم فهم يحنقون على من يسلكون الصراط السوي، بل يعادونه ويبغضونه كما قال عنهم ربهم (ويصدون عن سبيل الله) وأكثر من ذلك (ويبغونها عوجاً) وسر ذلك أنهم يجهلون الحق المبين، ومن جهل شيئاً عاداه (وإذا لم يهتدوا به فسيقولون هذا إفك قديم)... ومثل هؤلاء قلما ينتفعون بوعظ أو يرقى إلى قلوبهم بيان، فهم لا يتهيبون من وعيد أو يتبصرون بالآيات والنذر، فهم عمي وصم وبكم في الظلمات، ولو أنزل الله لأمثالهم من الآيات الحسية والمادية ما يسد الخافقين ما اهتدوا إليها سبيلاً (ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلاً ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله ولكن أكثرهم يجهلون)...

(ولو فتحنا عليهم باباً من السماء فظلوا فيه يعرجون. لقالوا إنما سكِّرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون)، غير أنك تجد أحدهم يحرك شفتيه يتشدق بالكلام مجادلة وسفهاً (وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم) ومن شقوة هؤلاء أنهم يظنون أنفسهم قد مكروا بأتباع الحق ونالوا منهم، والحق أنهم ما نالوا من إيمانهم وثباتهم ورجولتهم وأصالتهم من شيء (لن يضروكم إلا أذى) (وكذلك جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها ليمكروا فيها وما يمكرون إلا بأنفسهم وما يشعرون) وهؤلاء الشرذمة لا ولن يحصل أحدهم على قلامة ظفر من عافية أو راحة فليمتّعوا ما شاء لهم أن يمتّعوا... ولكن!

(أفرأيت إن متّعناهم سنين. ثم جاءهم ما كانوا يوعدون. ما أغنى عنهم ما كانوا يمتّعون) وما هم فيه ليس إلا استدراجاً لهم واستهانة بهم وهواناً بقدرهم لينالوا النصيب الأوفر والحظ الأكبر من الذلة والخزي والصغار فسنة الله قد خلت في عباده (سيصيب الذين أجرموا صغار عند الله وعذاب شديد بما كانوا يمكرون) هذا فليتأمل العاقل. ■

الوعي الإسلامي

al-Waei al-Islami

إسلامية شهرية جامعة

On The Internet على الانترنت

e.mail: al_waei@hotmail.com

Homepage: www.kuwait.net/~awqafnet



ص.ب. : ٢٣٦٦٧ ـ الصفاة ـ 13097 ـ الكويت ـ هاتف : ٢٤٨٧٢١٠ (٩٦٥+) فاكس : ٢٤٣١٧٤٠ (٩٦٥+)

P.o.Box : 23667 - Safat - 13097 - Kuwait - Tel. (+965) 24 87 210 - Fax : (+965) 24 31 740

اللجنة الكويتية المشتركة للإغاثة

تشريد . إبادة وهتك أعراض .. دماء ودموع !!

كوسوفا تستغيث فهل من معتصم يجيب؟



قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : - « مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » رواه مسلم

تستقبل التبرعات في :

حساب كوسوفا : ٣٦٥٨٣ / ٥ بيت التمويل الكويتي

مقر اللجنة الرئيسي - الشرق - شارع أحمد الجابر - مبنى الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية - الدور الرابع ت : ٢٤٤٥٧٢٠ - بيجر : ٩٣١٧٥٥٧

وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية - بيت الزكاة - الهيئة الخيرية الاسلامية العالمية واللجان التابعة لها - جمعية الاصلاح الاجتماعي واللجان التابعة لها - جمعية احياء التراث الاسلامي واللجان التابعة لها - جمعية النجاة الخيرية واللجان التابعة لها - جمعية الشيخ عبد الله النوري الخيرية - لجنة الفلاح الخيرية - جمعية المعلمين الكويتية - الاتحاد الوطني لطلبة الكويت الجمعية الطبية الكويتية - جمعية الرعاية الاسلامية - الجمعية الخيرية للتضامن الاجتماعي - الجمعية الثقافية الاجتماعية النسائية - جمعية بيادر السلام النسائية

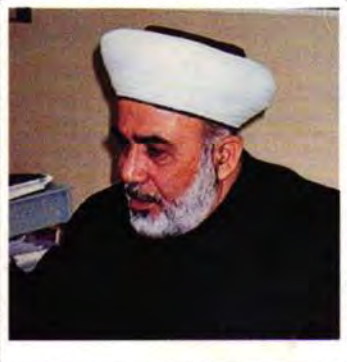
الوعي الإسلامي

إسلامية شهرية جامعة

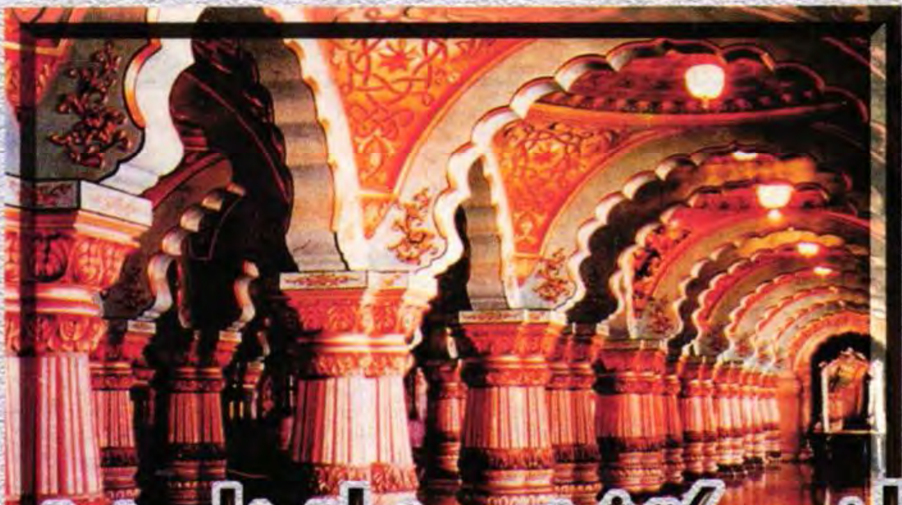
al-Waei al-Islami

العدد ٤٠٤ ـ السنة السادسة والثلاثون ـ ربيع الآخر ١٤٢٠ هـ ـ يوليو / أغسطس ١٩٩٩ م

توقير العلماء ورقي الأمة



حوار مع فضيلة مفتي جبل لبنان الشيخ الدكتور محمد علي الجوزو



الغرب يكتشف رمزيات فلسفية في الفنون الإسلامية

الغزو الثقافي والدور المطلوب لمواجهته



المؤتمر الدولي لبحث دور المسلمين في النهضة الروحية لروسيا

هديتك مع العدد براعم الايمان

الأمانة العامة للأوقاف

شاركك معنا من خلال

السهم الوقفي

بقيمة ١٠ د.ك

- بـ١٠ د.ك فقط يكون لديك صدقة جارية الى ما شاء الله.
- احرص معنا على اقتناء سهم وقفي أو أكثر.
- بالانفاق المباشر أو بالاستقطاع الشهري بواسطة البنك.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
إذا مات الانسان إنقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له
« رواه مسلم »

للاستفسار :
رقم : (٨٠٠٨-٢٤١) صباحاً
ولخدمة التحصيل السريع
بيجر : (٩٢٥٠-٩٢٥)

السهم الوقفي
صدقة جارية .. لخدمة الدين والمجتمع

الوعي الإسلامي

al-Waei al-Islami

إسلامية ❖ شهرية ❖ جامعة

تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية

في دولة الكويت في مطلع كل شهر عربي

Islamic Monthly Magazine, Published By The Ministry of Awqaf & Islamic Affairs - Kuwait

رئيس التحرير
CHIEF EDITOR

د. صالح أحمد الراشد

Dr. SALEH A. AL-RASHED

المشرف الإداري والمالي
ADMN. & FINANCE DIRECTOR

خالد عبداللطيف بوقماز

KHALED A. BUQAMMAZ

الإشراف الفني
ART DESIGNER

صالح محمد صالح

SALEH M. SALEH

العدد 404 . السنة الخامسة والثلاثون - ربيع الآخر 1420 هـ - يوليو / أغسطس 1999 م

الأسعار

الكويت: ٣٥٠ فلسا. السعودية: ٤ ريالات. البحرين: ٣٠٠ فلس. قطر: ٤ ريالات. الامارات: ٤ دراهم. سلطنة عمان: ٣٠٠ بيسة. الأردن: ٥٠٠ فلس. مصر: جنيه واحد. السودان: ٥ جنيهات. موريتانيا: ١٢٠ أوقية. تونس: دينار واحد. الجزائر: ٥ دنانير. اليمن: ٥ ريالات. لبنان: ١٠٠٠ ليرة. سوريا: ٢٠ ليرة. المغرب: ٦ دراهم. ليبيا: ٥٠٠ مليم. أوروبا: جنيه استرليني واحد او مايعادله. امريكا وبقية دول العالم الاخرى: دولاران او مايعادلهما.

كلمة العدد

مكانة العلماء

خلال أشهر متلاحقة من هذا العام، فقدت الأمة الإسلامية بعض الأجلاء من أعلامها في علم الفقه والشريعة والثقافة الإسلامية، حيث كانت وفاة سماحة العلامة الشيخ عبدالعزيز بن باز، ولحقه في الشهر الثاني من وفاته ما بين ربيع الأول والآخر عالمان جليلان هما الشيخ علي الطنطاوي، والدكتور مصطفى الزرقاء، ومن الحق ذكر مآثرهما وما لهما من فضل في نصح وإرشاد هذه الأمة وما تركاه من تراث علمي زاخر وقد حفل هذا العدد باختصاص كل منهما بكلمة لأحد الفضلاء، كما احتوى العدد على أمور أخرى تبرز أيضاً دور العلماء، كما يلاحظ في التغطية لمؤتمر موسكو دور المسلمين في تنمية المجتمع الروسي ومقابلة الشيخ الجوزو مفتي جبل لبنان، وقضايا أخرى شرعية وأخلاقية وغيرها، إضافة إلى الموضوعات والأبواب الثابتة، إلا أن الشيء المهم هو الإشادة بالعلماء كما في موضوع إعادة ثقة الأمة بعلمائها، أنسب شيء يتزامن مع هذا الموضوع كذلك الحديث عن المقدسات نحو قدسية بيت الله الحرام.

إن أملنا كبير في أن نقدّم ما يفيد القارئ ويثري المادة العلمية مع الحرص على متابعة الأحداث في إطار التوجيه الإسلامي.

الوعي الإسلامي

المراسلات

المراسلات كافة باسم رئيس التحرير

مجلة الوعي الإسلامي

ص.ب: ٢٣٦٦٧ - الصفاة 13097 - الكويت

هاتف ٢٤٨٧٢١٠ (٩٦٥+) فاكس ٢٤٣١٧٤٠ (٩٦٥+)

al-Waei al-Islami
P.O. BOX 23667 SAFAT
13097 KUWAIT
TEL. 965 2487210 FAX 965 2431740

e.mail: al_waei@hotmail.com
Homepage: www.kuwait.net/~awqafnet

الاشتراكات

- داخل الكويت:
للأفراد ٥ دنانير. للمؤسسات ١٠ دنانير كويتية
- الدول العربية:
للأفراد ٦ دنانير كويتية (او مايعادلها).
- دول العالم:
للأفراد ١٠ دنانير كويتية (او مايعادلها).
- للمؤسسات:
٢٠ ديناراً كويتياً (او مايعادلها).

ترسل قيمة الاشتراكات في شيك إلى إدارة المجلة باسم مجلة الوعي الاسلامي (الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)

المجلة غير ملتزمة بإعادة أي مادة تتلقاها للنشر. والمقالات لا تعبر بالضرورة عن رأي الوزارة

مطابع السياسة - الكويت

وكيل التوزيع شركة الخليج لتوزيع الصحف هاتف ٤٨١٦٨٨٤/٥ / ٤٨٣٥٠٤٧ ص.ب ٤٢٠٥٧ الشويخ 70651 الكويت - برقيا نيوزبيبر

في العدد

مؤتمرات

المؤتمر الدولي لبحث دور المسلمين في النهضة الروحية لروسيا



15

للمؤتمرات دور أساس في نهضة الفكر والتعريف بدور مهم يقوم به المتفانون في خدمة الدين.

حوار 22

حوار مع فضيلة مفتي لبنان الشيخ الدكتور محمد علي الجوزو

بنفس مشرقة وحرص على إحقاق كل ما يمت للحقيقة بصلة كان الحوار مع الدكتور محمد علي الجوزو مفتي جبل لبنان.

فكر 26

الغزو الثقافي والدور المطلوب لمواجهته

موضوع شغل الغرب قبل الشرق، ويحاول المفكرون شرقاً وغرباً ـ السيطرة عليه من أفكار وممارسات... وقد وفق الكاتب إلى حد كبير في عرض الموضوع ووضع الحلول.

الفهرس

الافتتاحية

توقير العلماء .. ورقي الأمة

إذا كان العلم نوراً يهدي النفوس للخير، ويدفع بالأمم والمجتمعات إلى الرقي والتقدم، فإن هذا العلم بمختلف دروبه ومجالاته يحتاج إلى من ينهض به ويعمل له ويدعو إليه، ومَنْ مثل العلماء يقومون بهذا الجهد الكبير والواجب السامي الرفيع، لذلك كان بيان الله سبحانه في كتابه الحكيم مشيداً بالعلماء وفضلهم، قال تعالى في الآية ٢٨ من سورة فاطر: (إنما يخشى الله من عباده العلماء).

وقال تبارك وتعالى في الآية ٣٩ من سورة الزمر: (قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون)، وجاءت أحاديث وتوجيهات المصطفى صلى الله عليه وسلم، مؤكدة لبيان الله سبحانه، قال صلى الله عليه وسلم: «خيركم من تعلَّم القرآن وعلَّمه»، وأعلى عليه الصلاة والسلام مكانة معلم الناس الخير بأن بيَّن حتى الحيتان في البحر تستغفر له إلى غير ذلك من أقواله صلى الله عليه وسلم في فضل طلب العلم وتعليمه نحو قوله عليه الصلاة والسلام: «من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهَّل الله به طريقاً إلى الجنة»، وهناك شواهد كثيرة في هذا الموضوع.

إن توقير العلماء وإعلاء مكانتهم ووضعهم في المكان اللائق من حيث التقدير وأخذ المشورة، وتقديمهم وإفساح المجال لهم لتعليم الناس وبث الخير ونشر الهداية لهو من علامات رقي الأمم، وإذا ما قام العلماء بدورهم وأخلصوا عملهم، فإنه مما لا شك فيه سيتبوأ مجتمعهم مكانه الذي يليق به، وسط سائر المجتمعات، وإذا ما أردنا أن نرى أثر العلم في المجتمع الذي يسود به، فلنا أن نتبين الصورة واضحة في مجتمعات غشيها الجهل وعدم الإقبال على التعليم وذلك حسب قول الشاعر:

..... وبضدها تتميز الأشياء

إنه على الرغم من تشعب وتنوع العلوم، إلا أن العلم الشرعي يبقى هو العلم المطلوب لسعادة الإنسان في الدنيا والآخرة، إذ هو العلم المخدوم حسب تعبير أحد العلماء وإن علوم الدنيا هي الخادمة، باعتبار أن علم الشريعة يحض عليها ويعتبرها من فروض الكفايات كالهندسة والطب وغيرها.

إن مكان العلم في ديننا الإسلامي الحنيف له حكم الوجوب فمن غير ذلك كيف يمكن لنا معرفة أحكام الدين من صلاة وصيام وغيرها؟ ومصداقاً لهذا المعنى كانت الإشادة بالعلماء بأنهم ورثة الأنبياء، وبأن نقصهم بانقضاء آجالهم إحدى علامات الساعة الصغرى، وما حدث في الأشهر الأخيرة من أقدار الله بوفاة علماء أجلاء كالشيخ عبدالعزيز بن باز والشيخ علي الطنطاوي، والدكتور مصطفى الزرقاء، وسبقهم في العام الماضي الشيخ محمد متولي الشعراوي وغيرهم من الفضلاء ممن لم يتيسر ذكرهم، وأن كل ذلك مما يدفع إلى التدبر وصدق الإيمان بقضاء الله وقدره والحرص على الاستزادة من العلم الشرعي والاهتمام به والدعوة إليه.

إنه أمل عزيز أن نقف على مرامي مكانة العلماء وأثرهم في الأمة، فيكون منا واجب التوقير والاحترام وطلب الدعاء والمغفرة لأهل العلم النافع وأن نكون على أثرهم، ففي ذلك الخير والثواب والحياة الطيبة... اللهم آمين.

رئيس التحرير

القناعي : نسعى إلى نشر الثقافة الإسلامية بين جموع المواطنين والمقيمين تحقيقاً لأهداف الوزارة

صرَّح عبدالعزيز بدر القناعي وكيل وزارة الأوقاف المساعد للشؤون الثقافية بأن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في الكويت تسعى جاهدة لتلبية احتياجات الوزارات والهيئات الحكومية الأخرى من الوعاظ العاملين في إدارة الثقافة الإسلامية، تحقيقاً للأهداف العامة للوزارة وذلك للعمل على نشر الفكر والثقافة الإسلاميين، وصولاً إلى الغاية الاستراتيجية الكبرى، وهي المساهمة في الحفاظ على هوية المجتمع العربي الإسلامية وعلى تماسك وحدته... مع تحقيق التجاوب الفاعل مع العصر الذي نعيشه، وأداء دور إيجابي في حركة نمو المجتمع ومواجهة مشكلاته الأساسية والنهوض به في المجالات كافة.

كما تسعى وزارة الأوقاف إلى نشر الثقافة الإسلامية بين جموع المواطنين والمقيمين على أرض دولة الكويت، هذا وقد نظمت الوزارة برنامجاً للوعظ والإرشاد مع عشر وزارات وهيئات حكومية على مستوى الدولة منها: «وزارة الداخلية، وزارة الصحة، وزارة الشؤون الاجتماعية والعمل، وزارة التربية، وزارة الدفاع، جامعة الكويت، الهيئة العامة للتعليم التطبيقي والتدريب، إذاعة القرآن الكريم، المشروعات السياحية»، وذلك من خلال خطة للوعظ والإرشاد يقوم بتنفيذها مجموعة من الوعاظ العاملين في إدارة الثقافة الإسلامية.

وأوضح الوكيل القناعي أن الوزارة رشَّحت وعاظاً متميزين في أعمالهم للقيام بهذه المهمة، وستنظم الإدارة اجتماعاً يعقد يوم الأربعاء من كل أسبوع بين الوعاظ والمشرفين على إدارة الثقافة الإسلامية للاطلاع على سير العمل وتذليل بعض العقبات في سبيل إنجاز أعمالهم والتطوير للأداء الأحسن.



● الوكيل المساعد عبدالعزيز بدر القناعي

وأضاف الوكيل القناعي أن عملية الوعظ تتم داخل الكثير من الإدارات على مستوى الوزارات والهيئات المختلفة التي بادرت مشكورة بالتنسيق مع وزارة الأوقاف في هذا المجال لتقديم الدعم اللازم ولإفساح المجال أمام الوعاظ لأداء أعمالهم حيث تسعى الوزارة من خلالها إلى المشاركة في تنمية الروح الإيمانية وتقويم السلوك والحض على العمل والاجتهاد، فعلى مستوى وزارة الداخلية يقوم الوعاظ بإلقاء الدروس على نزلاء سجن أحكام المرور «طلحة» والسجن المركزي، وعلى مجندي قوات الأمن الخاصة، وعلى طلاب أكاديمية سعد العبدالله للعلوم الأمنية «كلية الشرطة» وعلى منتسبي المغاوير، وعلى ضباط وجنود إدارة النجدة.

وبالنسبة لوزارة الدفاع فإن دروس الوعظ والإرشاد تقدم إلى أفراد قوات الدفاع الجوي، والقوة الجوية، الحرس الأميري، سرية الإنذار، المدرسة الفنية، ومجمع الصيانة.

أما بالنسبة لوزارة التربية يقوم الوعاظ بإلقاء الدروس على طلبة البعوث في كل من «السالمية، قرطبة، حولي»، وكذلك لطلاب البعوث في جامعة الكويت والهيئة العامة للتعليم التطبيقي والتدريب، وقد حرصت الوزارة كل الحرص على التواصل مع الجمهور الكريم وطرق جميع الأبواب والأماكن التي من خلالها تصل الوزارة برسالتها السامية إلى تنمية الفرد والمجتمع... وعلى هذا يلتقي الوعاظ بروّاد المشروعات السياحية، حيث يلتقون برواد نادي الشعب، الجزيرة الخضراء، نادي الفحاحيل، صالة التزلج، شاطئ المسيلة، متنزه جنوب الصباحية، النافورة الموسيقية، وقد روعي أن تكون بعض هذه اللقاءات خلال يومي الخميس والجمعة حتى يكون هناك أكبر عدد من الروّاد في هذه الأماكن السياحية، التي توليها وزارة الأوقاف اهتماماً خاصاً في جانب الوعظ والإرشاد، بالموضوعات التي تتناسب وطبيعة المكان والأنشطة التي تُمارس فيه، وتتم الدعوة من خلالها إلى الترابط الأسري، وتربية الأبناء، وقضاء الوقت بما هو مفيد، وتجنيب الأبناء المخاطر وأهمية رقابة الأسرة والمتابعة لهم.

كما يلتقي الوعاظ بنزلاء «الطب النفسي» مكتب الإدمان في الأندلس خلال أيام الأسبوع وبالتعاون مع وزارة الصحة، قامت إدارة الثقافة الإسلامية بالترتيب لإيجاد مكتب توجيه داخل هذه المؤسسة التي تتحمل المسؤولية تجاه آثار تعاطي المخدرات.

ويختتم الوكيل القناعي حديثه موضحاً أن جميع الوعاظ من الكويتيين حريصون على مجتمعهم وراغبون في الإسهام في تنميته.

وقد قامت الإدارة بتكليف موجهين يقومون بزيارة الواعظ في أثناء عمله للتقييم وتسجيل جميع الملاحظات الفنية والإدارية، حيث يتم مناقشتها في الاجتماع الأسبوعي الذي تعقده الإدارة. ■

لجنة النشء بجمعية الإصلاح تكرِّم الفائزين بحفظ القرآن الكريم

تحت رعاية وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية أحمد خالد الكليب، أقامت لجنة النشء الإسلامي في جمعية الإصلاح الاجتماعي الحفل الختامي للمسابقة الذهبية الكبرى السادسة لحفظ القرآن الكريم، بالتعاون مع صندوق التكافل.

وقد ألقى الدكتور عادل الفلاح كلمة نيابة عن راعي الحفل جاء فيها: إنني أتشرف بتكريم ثلة من شبابنا الناشئة الحفّاظ لكتاب الله الكريم، ولا شك أن الناشئة شريحة مهمة في المجتمع، فهي اللبنة التي سيقوم على أكتافها مستقبل هذا البلد، فلا تبنى الأوطان ولا تتقدم الأمم إلا بسواعد أبنائها الحاملين لكتاب الله، وهم أولى بذلك، ونظراً لتوجه الدولة نحو بناء جيل صالح وحرصاً منها على هذه الشريحة الأساسية، فقد أقيمت المسابقة الذهبية لحفظ القرآن الكريم، ثم ختم كلمته بشكر لجنة النشء على اهتمامها بالناشئة. ثم تحدث بعد ذلك مزعل الرندي رئيس لجنة النشء الإسلامي فقال: إننا نحتفل اليوم بتوزيع جوائز المسابقة الذهبية الكبرى لحفظ القرآن الكريم للسنة السادسة على التوالي، تلك المسابقة التي احتضنت خلال السنوات السابقة ستة آلاف ناشئ من مختلف محافظات الكويت مما يدل على اهتمام أولياء الأمور من آباء وأمهات بحسن تربية أبنائهم على كتاب الله الكريم وسنة نبيه العظيم محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ والبحث لهم عن مواطن الخير والعزة والكرامة، وتقدم بالشكر للحضور وعلى رأسهم الشيخ عبدالله المطوع والدكتور خالد المذكور وأولياء الأمور، والصحافة المحلية. ■



● الدكتور عادل الفلاح يكرِّم أحد الفائزين.



● لقطة جماعية للمكرمين.

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية تحتفل بالمولد النبوي الشريف

تحت رعاية وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية أحمد خالد الكليب، أقامت الوزارة احتفالاً لمناسبة المولد النبوي الشريف، والذي أقيم في قاعة المحاضرات في المسجد الكبير، واستضافت الوزارة المستشار د. حسن الحفناوي، الذي ألقى محاضرة في هذه المناسبة، تكلّم فيها عن أخلاق الرسول ﷺ مع أهل بيته بخاصة والناس عامة.

وقد حضر الحفل كبار موظفي الوزارة من الوكلاء المساعدين ومديري الإدارات. ■

المؤتمـر الثالـث للجاليـات الإسلاميـة



● الوكيلان المساعدان القناعي والفلاح يكرمان أحد المشاركين

تحت رعاية وزير العدل وزير الأوقاف والشؤن الإسلامية أحمد خالد الكليب أقامت الشؤون الثقافية في وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في دولة الكويت فعاليات المؤتمر الثالث للجاليات الإسلامية، وذلك يوم الجمعة ٤ ربيع الأول ١٤٢٠هـ الموافق ١٨ يونيو ١٩٩٩م. أقيم الحفل في صالة فجحان المطيري في نادي القادسية.

بدأ الحفل بعد صلاة المغرب، واستهل بتلاوة آيات من الذكر الحكيم، أعقبها كلمة ممثلي الجاليات الإسلامية في دولة الكويت، ثم مشهد تمثيلي، فأنشودة دينية بعدها، وُزعت الجوائز على الفائزين. وفي الختام قام المدعوون بزيارة الركن الشعبي الخاص بكل جالية من الجاليات، ثم ختم الاجتماع بحفل عشاء لأعضاء الجالية المدعوين. وهذا من ضمن الأنشطة التشجيعية الدائمة في الكويت للتواصل المستمر مع أبناء الجاليات الإسلامية. ■



● لقطة جماعية للمشاركين.



● القناعي والفلاح مع ثلة من السفراء وبعض موظفي الوزارة

بقلم: وائل أحمد الهنيدي

ربيع الآخر

نقف في هذا الشهر مع نظام السرايا التي كان يبعثها رسول الله ﷺ إلى القبائل حول المدينة... التي كانت تعيش - قبل الإسلام وبعده بفترة وجيزة - حال اللاحرب واللاسلم - حسب ما تمليه عليه مصالحهم المادية وأعني بها تلك الثروات الطبيعية من كلأ وزروع وتجارة، أو رعونات الثأر والعداوة، لأسباب تمليها عليهم أخلاق فاضلة من حيث هي مثل حماية المال والشرف، وحفظ العزة والمنعة، ولكنها تشهد - في تلك الحقبة - انحرافات غريبة، وتطورات مشوهة لمعانٍ سامية راقية، قلَّ أن يوجد مثلها في غيرهم من الأمم. فتجد حرباً عاتية تستمر سنوات، بسبب ناقة دخلت وهي ترعى الكلأ إلى حمى أحد زعماء القبائل، فتدوس خطأً على وكر قُبَّرة، ويراها فلا يتمالك نفسه غضباً لهذه القبّرة التي افترض سلفاً أنها طلبت حمايته - فيرمي بسهمه هذه الناقة فيصيبها في ضرعها فتموت بعد حين، هذه الناقة كانت لزعيم قبيلة أخرى، عزَّ عليه أن يجترئ أحد على ناقته، ويقوم - ثأراً لهذه الناقة - بغزو يستمر سجالاً عشرات السنين!!

كانت السرايا في عهد النبي - ﷺ - ذات هدف سام وبأسلوب مقصود، لم تعهد العرب مثله من قبل.

لم تكن تلك السرايا لمتابعة ثأر قديم أو تصفية وجود، وإن كانت - في ظاهرها - تعترض قوافل قريش التجارية، أو توجه إلى غيرها من القبائل فتعود بعضها بغنائم من الإبل والغنم، فقد كانت تهدف إلى معنى جديد لم يتعوده العرب حينها، وهو نشر الدعوة أولاً، ثم فرض الحماية لكيان المجتمع الجديد الذي نشأ في المدينة تحت راية الإسلام ثانياً، لتؤصل بذلك صورة من صور الجهاد القتالي الذي يهدف بالدرجة الأولى كما ذكرنا آنفاً إلى الدعوة حسب مقتضى الحال، التي يفرضها الموقف، وهو هنا بث الهيمنة التي يحتاج إليها الدعاة حماية لدعائمهم فتبقى مصونة محفوظة وما يدل على ذلك ما حدث في السرية التي بعثها رسول الله - ﷺ - إلى بني ثعلبة، وأمّر على هذه السرية محمداً بن مسلمة - رضي الله عنه، وكان معه عشرة من الرجال، «فكمن القوم لهم - وقد كانوا مئة من بني ثعلبة - فلما ناموا - أي المسلمين - قتلوهم إلا محمداً بن مسلمة رضي الله عنه، فإنه أفلت منهم جريحاً»(١).

إن هذا التصرف من بني ثعلبة يعدُّ غدراً واستهانة لا يقبلها الرسول - ﷺ - وهو الحاكم - لمبعوثيه وسراياه، فأمر أربعين رجلاً من الصحابة بالخروج إليهم ليؤدِّبوهم، وأمَّر عليهم أبا عبيدة ابن الجراح - رضي الله عنه - فساروا ليلتهم مشاة، ووافوا بني ثعلبة مع الصبح، فأغاروا عليهم، فأعجزوهم هرباً في الجبال وأصابوا رجلاً واحداً فأسلم، وغنموا نعماً وشاء»(٢).

فيعود أبو عبيدة بن الجراح - رضي الله عنه - وقد أرهب بني ثعلبة وأدّبهم على فعلهم المشين حين غدروا بأصحاب رسول الله - ﷺ - فقتلوهم نياماً، ونجاحه في هذه المهمة يهز قلوبهم خوفاً من تكرار فعلهم الغادر، وبث الرعب في القبائل حولهم من غدرة أخرى قد تسوّل لهم نفوسهم الاستمراء عليها.

وبعث رسول الله - ﷺ - بسرية غيرها في هذا الشهر من العام السادس للهجرة، وأمَّر عليها زيد بن حارثة رضي الله عنه إلى ماء لبني سليم يسمى «الجموم» في مر الظهران، وفي هذا الحادث موقف يجدر أن نقف عنده قليلاً.

يذكر أصحاب السير أن زيداً بن حارثة رضي الله عنه أصاب في هذه السرية امرأة من مزينة، يُقال لها حليمة، فدلت السرية إلى محلة من بني سليم، أصابوا فيها نعماً وشاء وأسرى، «فلما قفل بما أصاب وهب رسول الله ﷺ للمزينية نفسها وزوجها»(٣). فلم يدخلهما في الرق.

ترى ما الذي يمكن أن يجعل امرأة من مزينة على شركها تدلُّ زيد بن حارثة رضي الله عنه إلى ذلك المكان الذي اختاره بنو سليم؟، ربما لأنه أسترُ على أموالهم وأعراضهم، ربما كانت قد فعلت ما فعلت لثأر قديم أمّلت أن تأخذ منه بنصيب، وربما وقر في نفسها الإيمان ولم تستطع أن تجهر به خوفاً من أهلها، وربما وربما... ولكن الذي يستوقفنا هو مَنُّ رسول الله - ﷺ - عليها وعلى زوجها، مكافأة لها على ما فعلت، فهذا هو ما يدلّ عليه سياق القصة، وذلك ليدلنا الرسول الكريم - ﷺ - على تيسير كل سبل الإفادة من جميع الظروف وتشجيع ما يخدم السياسة الخارجية والداخلية بما لا يخرم مروءة ولا يدنس سمعة.

هذا... وفي جمادى الأولى لنا وقفات أمام أحداث أخر، نستشرفها ونستلهم منها الفائدة لتضيء حياتنا بمصابيح الهدى وسبل السلام من هدي النبي المصطفى ﷺ.

الهوامش:

١ - ٢ - ٣ - من كتاب الرحيق المختوم - صفي الرحمن المباركفوري - ص٣٠٧.

بقلم : بدر الحسن القاسمي

فجعت الأمة الإسلامية بعلمين عظيمين من أعلام علمائها خلال أسبوعين متلاحقين، أولهما الشيخ علي الطنطاوي . رحمه الله . الداعية الإسلامي الكبير الذي يسلب بحديثه القلوب والألباب، والثاني المؤلف العظيم وصاحب القلم المبدع في رسم أركان الفقه في مؤلفاته العظيمة التي لن تجد نظيراً لها بين الكتب.

إنها فاجعة كبرى ومصاب أليم ألمّاً بالأمة الإسلامية وما يخفف مصابنا أن رسل الله سبقوهما إلى رحاب الله، ولكن نتمنى على الله أن يعوضنا خيراً منهما.

هذان الرجلان رحمهما الله كانا نجمين ساطعين من أنجم العقيدة الإسلامية، آمنا بالله حق إيمانه، فأنارا الطريق لمن ضل سواء السبيل، التف حولهما الناس من العلماء والبسطاء، لما لهما من دور فعّال في المعرفة والعلم، والشيخ بدر القاسمي جزاه الله خيراً يخط بقلمه مقالين عن هذين الرجلين ليترجم مآثر وفضل كل منهما لما لهما من فضل وأياد بيضاء على الإسلام والمسلمين، يرحم الله الفقيدين ونرجو الله أن يعوض الأمة الإسلامية خيراً منهما ليبقى نور العقيدة ساطعاً وضاء تُنار به القلوب وتبصَّر به العقول، ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون.

العلامة الفقيه الكبير الدكتور :

مصطفى أحمد الزرقا

لم يمض أكثر من أسبوعين على نعي الشيخ الأديب العبقري النابه علي الطنطاوي حتى جاءنا خبر وفاة العلامة الفقيه الدكتور مصطفى أحمد الزرقا بتاريخ ١٩٩٩/٧/٣م في مدينة الرياض بعد حياة دامت نحو قرن من الزمان، وتميزت حياة هذا الإنسان العالم بإنتاج فقهي غزير لم يسبق إليه أحد من أقرانه.

كان الدكتور الزرقاء أحد أركان الفقه الإسلامي وأصوله في هذا العصر، وبوفاته سقط هذا الركن وحدثت ثلمة في قلعة العلم لا يوجد أحد في الساحة يستطيع أن يسدها.

ولد الشيخ الزرقاء في العام ١٩٠٧م في مدينة حلب الشهباء في بيت علم ودين عريق، فوالده هو الشيخ أحمد بن محمد الزرقاء من أعلام الفقهاء في الشام، بدأ حياته التعليمية في كتاتيب القرآن عند الشيخ محمد الحجار وتعلم الكتابة والقراءة وتلاوة القرآن والحساب، ثم التحق بمدرسة الفرير الفرنسية في مدينة حلب، وتعلم مبادئ اللغة الفرنسية، وبعد نشوب الحرب العالمية الأولى وإغلاق المدرسة الفرنسية انتقل إلى المدرسة الرشيدية، ثم إلى الثانوية الشرعية التي كانت انشئت حديثاً وإلى جانب التعليم النظامي واصل مع والده دروسه في الفقه والحديث في الجامع الكبير بحلب وجامع الخير وفي المدرسة الشعبانية وكان يدرس فيها حاشية ابن عابدين وشرح الزيلعي وصحيح الإمام البخاري مع الطلاب الكبار الذين كانوا يأخذون العلم عن والده العلامة الشيخ أحمد ـ رحمه الله ـ وقد اضطر إلى زيادة ثلاث سنوات في عمره حتى يتمكن من الالتحاق بمرحلة البكالوريوس فهو في الحقيقة من مواليد ١٩٠٧م وليس ١٩٠٤م، كما هو مدّون في الأوراق الرسمية الخاصة به، كتب

عنه الشيخ الراحل المحدِّث عبدالفتاح أبو غدة واصفاً إياه بالعلامة الكبير أستاذنا الشيخ مصطفى أحمد الزرقاء وذلك ضمن ترجمة والده فقال: «أما الذين تفقهوا به من الخاصة فهم كثيرون جداً يبلغون المئات وظهر منهم فقهاء أفذاذ، يعتبر بعضهم من كبار فقهاء هذا العصر اللامعين وفي مقدمهم نجله العلامة الأديب الأريب شيخنا فقيه العصر البارع والضليع الشيخ مصطفى الزرقاء صاحب المؤلفات البديعة والآثار العلمية الرفيعة، وهذا أشهر من أن يعرّف به ولو لم ينجب الشيخ غير هذا الفقيه لكفاه فخراً وذكراً، وكان الشيخ مصطفى مصاحباً لأبيه أحمد في دروسه كلها، كما كان مصاحباً له في المنزل والمقام، ولما بلغ من طلب العلم والتفقه مبلغاً حسناً، يسأل ويناقش في المسائل الفقهية العويصة بحذق ومعرفة: تعلق به قلب والده الشيخ أحمد ـ رحمه الله ـ للمدارسة والمذاكرة معه، وفي كل الأحيان حتى أنه أمره أن ينام بقربه في الليل وطلب إلى والدته أن تنام في غرفة أخرى، لكي يتسنى له محادثته ومناقشته فيما يعرض له من خواطر في المسائل الفقهية الدقيقة، وبهذا قد زقّه الفقه والعلم زقّاً».

انظر كتاب «تراجم ستة من فقهاء العالم الإسلامي» ص٩٤ـ٩٥.

ولذا يمكن أن يُقال إنه ولد بحلب ودرس العلوم الشرعية على يد والده وشيوخ عصره وتفوق فيها، كما درس الحقوق والآداب في الجامعة السورية وبعد تخرجه فيها عُيِّن أستاذاً للحقوق المدنية والشرعية في كلية الحقوق العام ١٩٤٤م، وبقي بها حتى بلغ سن التقاعد في العام ١٩٦٦م، وانتخب عضواً في مجلس النواب السوري في دورتين شرعيتين، وتولى وزارة العدل والأوقاف، ومن أهم إنجازاته تأسيس مناهج عدد من الجامعات العربية منها: كلية الشريعة وأصول الدين في الأزهر، وكلية الشريعة وأصول الدين في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وكلية الشريعة في جامعة دمشق، ومن أشهر مؤلفاته: الفقه الإسلامي في ثوبه الجديد، المدخل الفقهي العام، وأحكام الأوقاف، وعقد التأمين وموقف الشريعة منه، كما ألَّف المدخل في القوانين المدنية وله مئات من البحوث التي تعالج مشكلات وقضايا معاصرة، حاز جائزة الملك فيصل للدراسات الإسلامية العام ١٩٨٤م، ومن مآثره الخالدة تأسيس مشروع الموسوعة الفقهية في دولة الكويت، وإلى جانب تدريسه في الجامعة الأردنية كان عضواً فعّالاً في عدد من المجامع الفقهية كمجمع الفقه الإسلامي بجده ومجمع الفقه الإسلامي في رابطة العالم الإسلامي، والمجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية في الأردن.

ويقول عن إنجازاته: «في هذه المرحلة وفقني الله لإخراج سلسلتين من المؤلفات، أولاهما السلسلة الفقهية، وعنوانها العام (الفقه الإسلامي في ثوبه الجديد)، وهو في أربعة مجلدات، وقدر الله لهذا المؤلَّف البقاء والذيوع فهو مرجع للتدريس في جامعة دمشق إلى يومنا هذا، وفي الجامعة الأردنية وغيرها من الجامعات ويعتبر من المراجع المعتمدة لدى القانونيين والشرعيين والأساتذة المدرسين في جامعة دمشق، ولا سيما النظريات الأساسية في الفقه الإسلامي».

هذه السلسلة بما تنطوي عليه من التجديد في أسلوب عرض الفقه وتبسيطه قد أوضحت المعقد من القضايا الفقهية، التي كانت تستعصي على غير طلاب الفقه حتى باتت بمتناول أفهام غير ذوي الاختصاص.

أما السلسلة الثانية فتتألف من ثلاثة مجلدات في شرح القانون المدني السوري، الذي حلّ محل مجلة الأحكام الملغاة بالقانون المدني العام ١٩٤٩م، حيث عرضت فيها النظريات القانونية الوضعية بصورة مبسّطة، ويقول: «ولم أجر فيها على غرار ما يفعله الكثيرون من القانونيين العرب، إذ يأخذون المصادر الأجنبية ثم يترجمونها حرفياً، بل سلكت مسلكاً حراً في شرح القانون وفي عرض أحكامه ونقدها.. وقد أودعتها آراء وبحوثاً قد تخالف آراء أولئك القانونيين الذين نقلوها بمحض التقليد للأجانب في مصر وغيرها».

وفي آخر العام ١٩٦٦م، فكرت وزارة الأوقاف في الكويت أن تتبنى هذا المشروع العلمي العظيم، فاستطلعت رأي شخصيات عديدة في البلاد العربية، ثم وقع اختيارها عليَّ، فاستعارتني من جامعة دمشق لأكون خبيراً في الموسوعة الفقهية لتنفيذ هذا المشروع لديها، وقمت بتأسيس جديد لسير العمل والاستكتاب فيه مدة خمس سنوات أنجزنا خلالها ما يعادل ربع المشرع كتابة.. وكنت قد قدّرت لهم أن يخرج في ثلاثين مجلداً، وفي أثناء وجودي في الكويت أنجزنا معجماً للفقه الحنبلي من كتاب المغني لابن قدامة المقدسي، على غرار معجم الفقه الظاهري من كتاب المحلى لابن حزم والذي أنجزناه في دمشق».

ويقول عن الاجتهاد: «كنت في طليعة الذين فكروا وكتبوا في موضوع الاجتهاد الجماعي منذ ثلاثين عاماً وقد وجد القناعة المنشودة ولله الحمد ومن ذلك أن السيد محمد سرور الصبان رحمه الله قد طلب إليَّ وضع مشروع ونظام لإنشاء مجمع فقهي فوضعته وقدمته إليه في بيروت، وللمجمع دورة سنوية في مكة يتدارس فيها البحوث المقدمة إليه ويقرر ما يرى، وقد قدمت إليه بحوثاً عدة هي الآن قيد النظر، منها بحث ضاف عن المصارف ومعاملاتها والفوائد التي تتعامل على أساسها والحكم الشرعي فيها ومنها أيضاً بحث عن التلقيح الصناعي البشري وأطفال الأنابيب وهو من أهم قضايا الساعة.. ولهذا كله صلة وثيقة بقضايا الاجتهاد الجماعي».

رحم الله الفقيه الراحل الشيخ الدكتور مصطفى أحمد الزرقاء وأسكنه فسيح جناته.

وبعد أن انتهيت من الحديث عن الدكتور الزرقاء رحمه الله سأردف الحديث بكلمة عن أحد أدباء العربية المرحوم الشيخ علي الطنطاوي.

كلمة عن الأديب والداعية

الشيخ علي الطنطاوي

حيث فقدت الأمة الإسلامية أيضا بوفاة الأديب الأريب والداعية الجليل علماً من أعلامها الفضلاء الشيخ علي الطنطاوي. رحمه الله. بتاريخ ١٩/٦/١٩٩٩م في مكة المكرمة عن عمر يناهز ٩٢ عاماً، ذلك العالم من أبرز الشخصيات الإسلامية، وألمع الكتّاب والأدباء في هذا القرن، والذي ترك لنا بصمات واضحة على حركات التعليم والإصلاح الديني والاجتماعي في البلاد العربية، فقد عُرف ببعد نظره وغزارة إنتاجه الأدبي والفكري، فالشيخ علي الطنطاوي. رحمه الله. اسم ظل لامعاً منذ العقد الثالث من هذا القرن في الصحف والمجلات، ثم على موجات الأثير من خلال برامجه الإذاعية وعلى شاشات التلفاز من خلال إبداعاته تحت عنوان «نور وهداية» و«على مائدة الإفطار».

كان الشيخ الطنطاوي أديباً من الطراز الأول، غيوراً محافظاً على سلامة اللغة، كاتباً قديراً، متحدثاً موهوباً يأسر القلوب والألباب ويأخذ بمجامعها. ولد الشيخ الطنطاوي في دمشق العام ١٣٢٧هـ في أسرة علمية دينية، فكان أبوه وجده من كبار العلماء في دمشق، كما أن أمه من أسرة آل الخطيب الشهيرة في مصر، والشيخ محب الدين الخطيب خاله، تخرج في الحقوق وفي الآداب، كما تعلّم في كلية دار العلوم بمصر، وكان رفيقاً للشهيد سيد قطب ـ رحمه الله ـ اشتغل في مجال التعليم في سورية والعراق، تقلد مناصب القضاء في دمشق وكان له دور كبير في تدوين قانون الأحوال الشخصية في سورية، وإعداد كتب المناهج الدراسية، وقد أبلى بلاء حسناً في مقاومة الاستعمار الفرنسي، إلى جانب ذلك ظل مالئاً الدنيا وشاغل الناس من خلال كتاباته الأدبية والفكرية الرصينة في مجلات الرسالة والزهراء والفتح والمسلمون وحضارة الإسلام إلى جانب كتاباته اليومية وأعمدته في الصحافة، وفي العام ١٩٦٣م هاجر إلى المملكة العربية السعودية واستقر بها واستنار بجو الحرم المفعم بالإيمان فأنار الأفكار من خلال برامجه الإذاعية والمتلفزة المتنوعة، إلى جانب تدريسه في كلية اللغة وكلية الشريعة الإسلامية، وكان له برنامج خاص في رمضان في التلفاز «على مائدة الإفطار»، كان الشيخ الراحل عالماً جليلاً وأديباً بارعاً ومتحدثاً قديراً، جمع بين الفكر الإسلامي الرصين والأسلوب الكتابي الأخاذ والإلقاء المؤثر الخلاب إلى جانب قوة الشخصية وجرأته في القول والشجاعة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، عاش الشيخ الطنطاوي حياة حافلة بغزارة الإنتاج وقوته، فقد كان له السبق في إعداد أدب الأطفال، كما كان من الرواد الأوائل في كتابة القصص الهادفة وإعداد الأدب المسرحي الحواري، أما غيرته على اللغة العربية فلا يكاد أحد يجاريه فيها من الموجودين، كان شديد النقد للأسلوب السائد في المجلات والصحف والإذاعة والتلفاز، بل في قاعات التدريس، حيث يسود اللحن، وله مئات المقالات والبحوث في هذا المجال، كما أن له نحو خمسين مؤلفاً من أبرزها: «تعريف عام بدين الإسلام، رجال من التاريخ، فكر ومباحث، من حديث النفس، عمر بن الخطاب، الصديق أبو بكر، كما شارك في تحقيق وتهذيب صيد الخاطر لابن الجوزي، وما كتبه من مقدمات عن كتب المعاصرين هي في نفسها تحفة أدبية قيمة، وذكريات الشيخ الطنطاوي تاريخ عصر كامل وموسوعة ثقافية وفكرية وأدبية ممتازة.

لقد أبدع الشيخ الطنطاوي في بيان مراحل حياته وما شهد

من أحداث وتطورات منذ نعومة أظفاره إلى أن تجاوز الثمانين، ومن المعروف أن نبوغ الشيخ كان مبكراً في مجال الكتابة وكان لديه شعور بما يملك من موهبة خارقة في هذا المجال فاتصل بالكاتب الروائي الشهير معروف الأرناؤوط، وعمل معه مدة خمسة أشهر وارتبط بمجلة فتى العرب، وذلك في العام ١٩٣٠م، وبعدها عمل في جريدة «ألف باء». ثم في جريدة «القبس» و«الأيام» السوريتين» كان هدفه النضال ومقاومة الاستعمار الفرنسي آنذاك. وكان يهاجم الانتداب الفرنس من خلال كتاباته فيلهب مشاعر الجماهير من خلال خطبه الحماسية.

أصدر مجلة شهرية باسم «البعث» وكانت أول مجلة إسلامية تصدر في سورية إلا أنها لم تدم طويلاً. انتقل إلى القاهرة تلبية لدعوة خاله الأستاذ محب الدين الخطيب الذي كان يصدر مجلتين باسم «الزهراء» و«الفتح» حيث شارك في تحريرهما إلى أن توقفتا.

عاد الطنطاوي إلى دمشق، ومارس مهنة التدريس في كل من بيروت، وبغداد، والموصل، ولعل أوضاعه المالية وضيق ذات يده مع مسؤولياته العائلية الضخمة الجأته إلى تغيير خط سيره في الحياة فانضم إلى سلك القضاء وعلى الرغم من انقطاعه فترة غير قصيرة عن دنيا القانون والحقوق، إلا أنه نجح في مجال عمله الجديد وتدرّج فيه إلى أن أصبح مستشاراً في محكمة النقض بدمشق والقاهرة.

ففي العام ١٩٦٣م بعدما تغيرت الأوضاع في مسقط رأسه انتقل إلى المملكة العربية السعودية، واشتغل فترة في مجال التدريس بكلية اللغة والشريعة، ثم انقطع للعمل في مجال الإعلام وظل محط الأنظار والأسماع طوال ٢٥ عاماً، من خلال برامجه الإذاعية والتلفازية، فقد امتلك قلوب المستمعين وعقولهم، حيث كان الناس ينتظرون حديثه بلهفة واشتياق، ورغم هذا لم يتعود على الإعداد المسبق، بل كان يرتجل الحديث ارتجالاً، وكانت أحاديثه تخرج سلسلة بليغة من غير أن يتلعثم أو يلحن في الإلقاء، ولم يكن التعبير يخونه في الإفصاح ببراعة عما في صدره، وهذه موهبة ربانية تميز بها الشيخ الطنطاوي.

فأسلوب الطنطاوي إلى جانب وفرة عطائه وغزارة إنتاجه يتميز بأنه أدبي رفيع، لا تعقيد فيه ولا التواء في أداء الأفكار، حيث اللغة طيعة بين شفتيه، تأتيه التعبيرات الأدبية الجميلة طيعة منقادة في عبارات عذبة صافية تقنع العقول وتهيج المشاعر وتأسر القلوب. وكم هو صادق في وصف قلمه حيث يقول: «قلم إن شئت لان في يدي حتى ليخشن معه الحرير وإن شئت صلب حتى يلين إلى جنبه الحديد، إن أردته هدية نبت شقه الزهور وقطر منه العطر. وإن أردته رزية حطمت به الصخر وأحرقت الحجر، قلم كان عذباً لقوم وعذاباً لقوم آخرين».

مؤلفاته:

ظهر أول كتاب له في العام ١٩٣٠م كان يحمل اسم «الهيثميات»، وقد أهداه إلى روح الأديب مصطفى لطفي المنفلوطي حيث وصفه «بسيد كُتّاب العصر» وذلك قبل أن يحتك بأدباء العصر «كالرافعي» و«الزيات» و«العقاد» و«المازني» وآخرين كما ظهرت له رسائل صغيرة تحت عنوان «رسائل الإصلاح».

وله قصص من التاريخ، ورجال من التاريخ، وحكايات من التاريخ، وأعلام التاريخ، وفصول إسلامية، وصور وخواطر، ودمشق، ومن نفحات الحرم، وحديث النفس، ومقالات في كلمات، و«ذكريات» وفتاوى في أجزاء عدة، هذه الكتب تتجلى فيها شخصيته بوضوح في أسلوب أدبي قصصي جميل يمثل أدباً إسلامياً رفيعاً ويزخر بمعلومات أدبية. وكفى بالطنطاوي مكانة في الأدب أن يجاري أعلام الأدب العربي كالعقاد والمازني، وطه حسين، وتوفيق الحكيم، ومحمود تيمور، ومصطفى صادق الرافعي. عمل مع الزيات في مجلة «الرسالة»، التي كانت من أكبر المجلات الأدبية وأقواها آنذاك، وكانت كتاباته تفوق في كثير من الأحيان مقالات هؤلاء العمالقة كما يشهد بذلك نقاد الأدب العربي والمنصفون من الأدباء والمؤرخين.

خلاصة القول:

إن حياة الراحل الشيخ علي الطنطاوي كانت حلقات متصلة من الكفاح ضد المستعمر والدفاع عن الدين وخدمة اللغة والأدب، فقد كان عالماً فقيهاً وأديباً بارعاً، وخطيباً مفوهاً وناشراً مبدعاً، وثائراً على الظلم والظالمين، وهب حياته وقلمه ولسانه للذود عن المثل العليا التي يؤمن بها ويدعو إليها هادفاً الخير والحق والصدق والجمال.

وقلمه كان ينفث سحراً وينثر دراً، ويصف بلده دمشق فيقول:

«فأي مزاياك يا دمشق أذكر وفيك الدين وأنت الدنيا وعندك الجمال وعندك الجلال وأنت ديار المجد وأنت ديار الوجد، جمعت عظمة الماضي وروعة الحاضر».

ويتحدث عن ذكرياته فيقول: «ذكرياتي حملتها طوال حياتي وكنت أعدها أغلى مقتنياتي لأجد فيها نفسي وأراجع فيها أمسي».

من حق هذا الأديب الأريب أن يخلّد ذكره ويدرّس فكره وأدبه. رحمك الله يا شيخنا رحمة الأبرار وأسكنك فسيح جناته.

انتقاده قراء بعض أعلام عصره

قوله رحمه الله عن الشيخ الشعراوي:

كان من طبع الطنطاوي ألا يبخس حق عالم وبخاصة إذا عرفه ولا يسكت على خطأ إذا انكشف لديه مهما بلغت مكانة من وقع منه الخطأ، يقول في مقدم كتاب «لمحات في مباحث علوم القرآن» للدكتور محمد لطفي الصباغ:

«وكنت أرجو أن يشير إلى الشيخ «الشعراوي» وما أعطاه الله من موهبة في الكلام في التفسير وفي وجوه الإعجاز وأنه يجيء بما لم يسبق إليه ولم يلحق فيه، وإن كانت له كما يكون لكل إنسان زلات كادعائه أن الهواء جزء من الأرض لقوله تعالى:

(سيروا في الأرض) ولم يقل (سيروا عليها)، وإن كان هذا استدلال، فالقاعدة أنه لا عبرة بالدلالة في مقابلة النص، والله قد نص في كتابه على: (والسحاب المسخَّر بين السماء والأرض)، ومعلوم أن السحاب في الهواء، فكان ذلك نصاً على أن الهواء ليس من الأرض على أن أصل الاستدلال غير مسلَّم، فإذا نازعك جارك وادَّعى أنك تسير على أرضه، قلت له: بل أنا أسير في أرضي، فلا فرق في الاستعمال بين قولي «سرت في الأرض» و«سرت على أرضي»، وإلا فهم من قولنا «يسير في الأرض» أنه يحفر فيها جحراً ويدخل في باطنها كالجرذان.

ومما يؤخذ عليه إلى أن آزر عم إبراهيم - عليه السلام - وليس أباه، كما ذهب إلى ذلك كثير من المفسرين، لتأثير الإسرائيليات عليهم، وهذا القول لا سبيل إلى قبوله بعد أن صرَّح الله بقوله: (وإذا قال إبراهيم لأبيه آزر)(١)

قوله عن الشيخ ابن باز

يقول مخاطباً الشيخ محمد محمود الصواف حول رده على الشيخ ابن باز في مسألة إنكار دوران الأرض.

أخي الأستاذ الصواف:

«رحبت فيما سمعت عن عزمك على طبع ما كتبته في موضوع (دوران الأرض)، لا لأن فيه رداً على مقال الشيخ الجليل ابن باز، بل لأن أعداء الإسلام استغلوا ذلك المقال وعلَّقوا عليه تعليقات، ملأت الصحف الأميركية والأوروبية، نالوا فيها من الإسلام بالباطل، فوجب الدفاع عن الإسلام بالحق، وبيان أن الذي كتبه الشيخ ابن باز رأي له، قد يكون له قبول عند بعض العلماء، ولكنه ليس حكم الإسلام القطعي في هذه المسألة، وجمهرة علماء المسلمين على خلافه.

والشيخ ابن باز عالم جليل، ولكنه لم يدَّعِ لنفسه ولا ادَّعى أحد له العصمة من الخطأ، وما من العلماء إلا مَن ردَّ ورُدَّ عليه.

ثم إن المسألة أكبر من المجاملة، وأجلُّ من أن تدخل في تقدير الأمور الشخصية، ولو أن الشيخ ابن باز رأى مقالة لأقرب صديق إليه، وأجلِّ عالم عنده، وتيقَّن أن فيها ما يجانب الحق، لما منعته صداقته له ولا إجلاله إياه، من أن يردَّ عليه، وأظنه لا يحرم غيره حقاً يراه هو لنفسه».(٢)

قوله عن المرحوم الشيخ الزرقاء:

للشيخ علي الطنطاوي آراء فقهية ومجموعة فتاوى في مسائل وقضايا كانت تعرض عليه وهو قاض وفقيه كما هو كاتب وأديب.

قرأ أن مجلس المجمع الفقهي في المملكة اتخذ قراراً في مسألة التلقيح الصناعي جاء فيه أن أم الولد التي ترثه ويرثها هي التي أخذت البيضة منها، «وينبه على أن الكلمة الصحيحة هي البيضة وليست البويضة» وأن التي حملته وولدته تعتبر كالأم من الرضاعة استناد إلى الدراسة التي قدمها الأستاذ الشيخ مصطفى الزرقاء.

ويقول معلقاً على قراء المجمع ومناقشاً الفتوى الصادرة عن المجمع:

١ - إن الشيخ مصطفى أخي وصديقي ورفيقي في كلية الحقوق، درسنا فيها معاً وتخرجنا فيها معاً سنة ١٩٣٣م أي منذ اثنتين وخمسين سنة قمرية، وهو فقيه فقه رواية، وفقه دراية أبوه فقيه وجده الشيخ محمد فقيه وابنه الدكتور أنس فقيه، فهذه سلسلة الذهب ومجلس المجمع فيه علماء كبار أجلاء، ولكن هذا لا يمنع أن أخالفهم، وأن أذهب غير مذهبهم والمدار على الدليل.

٢ - لقد قرروا أن المرأة التي حملت الجنين وولدته ليست أمه التي ترثه ويرثها، واستدلوا على ذلك بأن البيضة من المرأة الأخرى، فالقاعدة الشرعية، وأخونا الأستاذ الزرقاء له بحث في شرح هذه القواعد، والقاعدة تقول: إنه لا عبرة بالدلالة في مقابل التصريح، وقد صرَّح في كتابه بأن أم الولد هي التي ولدته، وسلك إلى ذلك أقوى طرق القصر وهي النفي والإثبات فقال: «إن أمهاتهم إلا اللائي ولدنهم) أي أنه ينفي الأمومة عن التي لم تلد الولد.

٣ - الأم هي الوالدة، وهما كلمتان مترادفتان، والوالدة كما هو معروف اسم فاعل من ولده يلد، فكيف تكون والدته حقيقة ولا تكون أمه شرعاً؟

٤ - والله يقول: (لا تضار والدة بولدها) ومعلوم أن الحقيقة هي المقدمة على المجاز والوالدة حقيقة هي التي ولدت فكيف سماه الله ولدها ويقرر المجمع أنه ولد غيرها وأن أمه الحقيقية التي ترثه ويرثها هي المرأة الأخرى التي لم تلده!

٥ - والله يقول: (للرجال نصيب مما ترك الوالدان) فالذي يرث المرأة هو الطفل الذي ولدته فصارت بذلك والدته الحقيقية، لا التي أخذت البيضة منها.

٦ - والله يقول (والوالدات يرضعن أولادهن) ومعلوم أن التي ترضع الولد هي التي ولدته، ولو كانت البيضة من غيرها.

٧ - والله يقول (حملته أمه كرهاً ووضعته كرهاً) فبين أن التي تحمل الولد وتضعه هي أمه».

رأي الطنطاوي عن الحداثة

يقول مخاطباً الشاعر الكبير ضياء الدين الصابوني: «وأحمد الله أن جنَّبك داء الحداثة وأراك الطريق، وسيَّرك على البيضاء النقية، وأبعدك عن هذا الدنس الذي ظاهره التجديد وحقيقته محاربة التوحيد، ويضيف: ومالك والطريق المظلم وأنت الضياء وكيف يمسّ شعرك الدنس وأنت «الصابوني». ■

الهوامـــش :

١ - مقدمات الطنطاوي ص ١٣٧ - ١٣٨.

٢ - ص ١٢٠.

٣ - الإنجاب في الإسلام نقلاً عن جريدة الشرق الأوسط.

كتب : أحمد عثمان

بإشراف لجنة مسلمي آسيا في الكويت والإدارة الدينية بموسكو

المؤتمر الدولي لبحث دور المسلمين في النهضة الروحية لروسيا

ستظل الأوساط الثقافية والفكرية والدينية والاجتماعية والسياسية تتحدث لفترة طويلة عن حدث لم يسبق له مثيل في الأوساط الروسية، بعد النجاح الكبير الذي حققته الكويت من خلال لجنة مسلمي آسيا بالهيئة الخيرية الإسلامية العالمية والدكتور عادل عبدالله الفلاح، في المؤتمر الإسلامي العالمي الذي عقد في العاصمة موسكو أخيراً، تحت شعار (دور المسلمين في نهضة المجتمع الروسي) بالتعاون مع الإدارة الدينية لمسلمي القسم الأوروبي من ورسيا.

وقد أظهر المؤتمر دور الكويت الحضاري والإنساني والإسلامي، كأفضل عمل دبلوماسي في المرحلة الراهنة، استطاعت الكويت من خلاله أن تؤكد ثوابتها الدائمة في السلام ومساعدة الآخرين، وتعزيز التعايش السلمي بين الأديان، والتآخي والتعاون والتكاتف بين المسلمين من جهة، وبين المسلمين وغيرهم من جهة أخرى، بعيداً عن الخلافات والفتن التي تشكل عواقب وخيمة في مسيرة التقدم التي يسعى إليها المسلمون في روسيا.

الدكتور الفلاح

أهدافنا بناء الإنسان المسلم وغرس قيم الخير والفضيلة والمواطنة والتعاون والتعايش مع الجميع



● الدكتور عادل الفلاح يلقي كلمته.

وقد شهد افتتاح المؤتمر وللمرة الأولى هذا الكم الهائل من الرسميين والإعلاميين، وحشد كبير من المهتمين، حيث بعث الرئيس بوريس يلتسين ممثله الخاص، وكذلك رئيس الحكومة سيرجي ستيباشين، ورئيس البرلمان غينادي سيليزنيوف، ووزير الداخلية الكسندر روشايلو، كما حضر عدد كبير من مسؤولي مؤسسات الدولة والمنظمات الاجتماعية.

وبعث خادم الحرمين الشريفين بتحياته للمشرفين على أعمال المؤتمر، كما شارك في المؤتمر الذي عقد في قاعة المؤتمرات في فندق كوسموس وزير الخارجية الروسي إيغور إيفانوف، ووزير الدولة رمضان عبدالطيفوف، ووزير شؤون القوميات فيكتور ميخايلوف، ومحافظ موسكو يوري لوجكوف.



● د. صالح الراشد رئيس تحرير الوعي الاسلامي في الجلسة الافتتاحية وإلى جانبه بعض الحضور

وقد شاركت وفود إسلامية وعربية من الكويت والمملكة العربية السعودية والإمارات العربية وقطر ومصر ولبنان وليبيا وتركيا وإيران وبريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية ويوغسلافيا وبلدان أخرى، إلى جانب ممثلي أكثر من ٥٠ مقاطعة ومدينة روسية.

ويأتي هذا المؤتمر احتفالاً لمناسبة مرور ٩٥ عاماً على إنشاء المسجد الجامع، وعلى مرور الذكرى الخامسة على تأسيس الإدارة الدينية في موسكو.

وإلى جانب أهمية المناسبتين اللتين تزامنتا مع عقد المؤتمر، فإنه جاء في وقت تشهد فيه الساحة الدينية الروسية جولة أخرى من الصراع بين الإدارات الدينية حول تزعم المسلمين في روسيا بعد النشاط الكبير الذي بذلته الهياكل الدينية الروسية من أجل توحيدها في مركز واحد، (هو مجلس المفتين الواقع مقره في موسكو)، حيث أظهر الاهتمام الذي أولته الجهات الرسمية والاجتماعية لهذا المؤتمر، وكثرة مندوبي الدول الإسلامية، بأن الكفة بدأت تميل بشكل حاسم إلى مجلس المفتين في موسكو، الذي استطاع أن يوحد الإدارات المختلفة، وأن ينبذ الخلافات ويحلها.

الدكتور المذكور

على مسلمي روسيا دور في بناء وطنهم بالخير والاطمئنان ومواكبة تطورات العصر وبناء المجتمع على المحبة والألفة

كلمة رئيس المفتين

وقد ألقى سماحة الشيخ راوي عين الدين رئيس الإدارة الدينية للقسم الأوروبي من روسيا ورئيس مجلس المفتين كلمة افتتح بها المؤتمر، قال فيها:

إن هذا المؤتمر مكرس لذكريين عزيزتين، الأولى مرور ٩٥ سنة على تأسيس المسجد الجامع في موسكو، والثانية مرور ٥ سنوات على إنشاء الإدارة الدينية للقسم الأوروبي في روسيا الاتحادية، وخلال الـ٩٥ سنة التي تفصل بين هاتين الذكريين جرت الكثير من التغييرات في حياة المجتمع الروسي ومواطنيه، وقد لمست هذه التغييرات بصورة جذرية مصير مسلمي روسيا ومنظماتهم.

ولكننا نحتفل بهما معاً، وفي ذلك مغزى عميق لأن المسجد الجامع هو الذي أصبح



● مفتي فرنسا يلقي كلمته في المؤتمر.



● محافظ موسكو يلقي كلمته في المؤتمر.

أساساً للإدارة الدينية لمسلمي القسم الأوروبي لروسيا الاتحادية، ولم يكن المسجد الجامع في موسكو أول مسجد في المدينة، بل كان ثاني مساجد المدينة.

إن ظهوره في مركز موسكو في أوائل القرن كان مرتبطاً بالنمو السريع في ظروف روسيا القيصرية، حيث كان الإسلام ضد الديانات المقبولة، والكنيسة المسيحية الروسية كانت مسيطرة وذات أولية.

واليوم يتذكر الأحفاد بجزيل الشكل والامتنان والتقدير أُناساً تم بفضل جهودهم بناء هذا المسجد وتشغيله، ومن هؤلاء الأشخاص التاجر الأول يرزن، وأحد مواطني موسكو باكيروف، والتاجر البولاتوف من منطقة قسيموروه، وإمام المسجد عليموف رحمهم الله جميعاً.

ومنذ الثلاثينات ظل المسجد الجامع في موسكو المسجد الوحيد ليس في موسكو وحسب، بل في منطقة أوسع منها بكثير، ذلك لأن السلطة السوفييتية ولأسباب مختلفة، لم تتعامل معه مثلما كانت تتعامل مع آلاف المساجد الأخرى التي تم إغلاقها ونزعها من المسلمين.

وأكد المفتي عين الدين أنه منذ بداية إعادة البناء وثمَّ التغييرات الديموقراطية نهضت في كثير من مدن روسيا المركزية الجماعات الإسلامية العاملة، وهكذا أصبح المسجد الجامع في موسكو أساساً لهذه الجماعات، ووسيلة لتوحيدها، وتأسيس المركز الديني وهو الإدارة الدينية لمسلمي القسم الأوروبي من روسيا.

نحن في خدمة الإسلام نتعامل مع نفوس الناس، ونؤثّر على عقولهم ومعاملاتهم، وتوجهاتهم في الحياة، إن هذا الأمر في غاية الأهمية وذو مسؤولية كبيرة، وكما نعتقد أن نجاح أي نشاط ولا سيما المرتبط بالحياة الروحية للجماعات الكثيرة من الناس من دون معالم واضحة ودون تحديد الأهداف والمهام بصورة سليمة، ودون مراعاة بعض العوامل المهمة والمبدئية بالنسبة لمصير المسلمين والمجتمع بأسره، وهذه القضايا هي:

أولاً: أن نهضة الإسلام جزء من النهضة الروحية للمجتمع الروسي بكامله، كما أنها نهضة لجميع الديانات التي يوجد أتباعها



● الدكتور خالد المذكور يلقي كلمة الوفود.

المفتي عين الدين

علينا مسؤولية جبارة لإعداد المسلمين للقرن الجديد

في روسيا، وهناك أكثر من ٣٠ قومية يختلف بعضها عن بعض من حيث السكان وتمثل الشعوب الإسلامية القاطنة في روسيا، والمسلمون في روسيا على امتداد القرون يشعرون بالتأثير الايجابي من قبل ممثلي الديانات الأخرى، ولا سيما من قبل المسيحيين، ولكنهم أيضاً كان لهم تأثير ملحوظ على الشعوب غير الإسلامية، حيث لعبوا دوراً بارزاً في تشكيل البعد الروحي للبلد، وإن هذه الترابطات رسّخت وازدادت خلال العقود الأخيرة.

ولشعوب روسيا أهداف مشتركة، فازدهار شعب واحد يتوقف بصورة جذرية على وضع الشعوب الأخرى، لذلك، فإن مستقبل البلد ونجاحه يتوقفان على وحدة جميع شعوب روسيا على الرغم من الاختلافات الدينية، ونحن رجال الدين المسلمين علينا أن نعمل على تطوير وتعزيز هذه الوحدة.

ثانياً: إن مؤتمرنا مكرّس لإحياء ذكريين ذكرى المسجد الجامع في موسكو، وذكرى تأسيس الإدارة الدينية ولكننا إذا تحدثنا عن مهماتنا المستقبلية، تحضرني بصورة واضحة الذكرى الثالثة التي لابد من ذكرها وهي اختتام القرن واختتام الألفية الثانية، وبداية القرن والألفية الثالثة الجديدة.

ويعلّمنا الله تعالى نحن المسلمين أن نعيش ونتعلم لمراعاة التغيرات المستقبلية، وأن نكون مستعدين لمواجهة التطورات المقبلة في حياة المجتمع وشخصية الإنسان، قال تعالى: (يأيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون) الحشر:١٨.

وأكد المفتي أن أطفالنا وأحفادنا إن شاء الله تعالى سيشهدون ما سيحققه القرن الجديد من تغيرات وحياة جديدة في عصر التكنولوجيا وعصر المعلومات، والتغيرات الديموقراطية اللاحقة، حيث سيصبح العالم مفتوحاً بشكل كبير، ومن هنا علينا مسؤولية جبارة، وهي تقديم مساعدة للمسلمين لإعداد حياتهم للقرن الجديد، وعلينا أيضاً أن نساعد المسلمين للحصول على الطمأنينة، وليجدوا مكاناً مرموقاً في ظروف جديدة وفي عالم سريع التغيرات.

والقرآن الكريم يساعدنا في ذلك، وقد ورد فيه: (إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) الرعد:١١.

ثالثاً: إن التغييرات المقبلة لها أهمية كبيرة لإعداد الناس، ولمواجهة هذه التغيرات في رأينا يجب أن يكون منطلقاً لتقدير العملية

التي نسميها نهضة الإسلام.

فخلال العشر سنوات الأخيرة وبفضل إرادة الله تعالى، ثم بفضل التغيرات في الحياة الاجتماعية، تمكنا نحن مسلمي روسيا بوساطة المنظمات الدينية من تحقيق أشياء كثيرة، حيث تمت إعادة تعمير المساجد التي كانت موجودة من سابق، كما بيّنا آلاف المساجد الجديدة، والكثير منها تعمل كمدارس دينية للأطفال والكبار، كما تم افتتاح الكثير من المؤسسات التعليمية الدينية الخاصة بإعداد رجال الإسلام، وإصدار بعض الصحف والكتيبات، إضافة إلى برامج إذاعية وتلفازية حول الإسلام وإقامة علاقات دولية واسعة النطاق، وقد عملت على إرسال الآلاف من المسلمين لأداء مناسك الحج في مكة المكرمة.

وأشاد المفتي عيدالدين بدولة الكويت أميراً وحكومة وشعباً، وبلجنة مسلمي آسيا، على الجهود التي تُبذل لخدمة الإسلام والمسلمين في روسيا ورعايتهم، وتقديم العون الثقافي والخيري لهم وذلك، لتأدية شعائرهم الدينية بشكل صحيح وسليم بعد سنوات الإلحاد الماضية.

كلمة وزير الخارجية

وألقى وزير الخارجية الروسي خطاباً أكد فيه أن روسيا لا تنازع الإسلام كدين، بل تسعى أسوة بالكثير من الدول ـ بما فيها الإسلامية ـ إلى قطع الطريق على التطرف.

وقال: «إن هذا المؤتمر يعقد في أحرج فترة يمر بها السلام العالمي، والذي وصل إلى مفترق الطرق»، حسب تعبير الوزير الروسي، وبين وصول الإنسانية إلى العدالة بين الشعوب أو الفرقة والتنافر والمجابهة الدائمة.

وحاول وزير الخارجية الروسي في كلمته تصحيح نظرة الدول الإسلامية من موقف روسيا المرتبط بأزمة البلقان، مشيراً إلى أنه ينحصر في معارضة موسكو حل هذه المشكلة باستخدام القوة، ولا وجود أساساً لاتهامها بمعادة المسلمين والألبان.

كلمة وزير الدولة

وتحدث وزيرالدولة الروسي رمضان عبدالطيفوف، والمكلف بالملف القومي عن ممارسة الإسلام ودوره الكامل في الحياة الاجتماعية والسياسية الروسية، وفي ثقافة البلد، واستعرض المشاكل التي يواجهها الإسلام في الفترة التي تشهد فيها روسيا صحوة دينية.

الكويت حققت إنجازات متميزة على المستويين الرسمي والشعبي وأبرزت دورها الحضاري والإنساني

كلمة الدكتور عادل الفلاح

وقد ألقى رئيس مجلس إدارة لجنة مسلمي آسيا بالهيئة الخيرية الإسلامية العالمية الدكتور عادل عبدالله الفلاح الكلمة التالية:

من دولة الكويت، دولة المحبة والخير والسلام، أنقل إليكم تحيات إخوانكم هناك، أميراً وحكومة وشعباً، كما أنقل إليكم تحيات إخوانكم في لجنة مسلمي آسيا بالهيئة الخيرية الإسلامية العالمية، وأقدّم جزيل شكري للإدارة الدينية في جمهورية روسيا الاتحادية، ولكل من أسهم في هذا المؤتمر من أجل إنجاحه فللجميع مني الكشر والتقدير، وجزاهم الله كل خير.

الجميع يؤكد أن المؤتمر قفزة نوعية في العمل الخيري لم يسبق له مثيل

أيها السادة: إن عنوان مؤتمرنا هذا يتطابق تماماً وتطلعات أهداف لجنة مسلمي آسيا التي تعمل على مد جسور التواصل الفكري والمعرفي والثقافي مع المسلمين في قارة آسيا، وفي مقدمهم مسلمو روسيا وآسيا الوسطى والقوقاز، وبناء الإنسان المسلم فيها، وغرس قيم الخير والفضيلة والمواطنة، وفي هذا السبيل أنجزت اللجنة الكثير من المشاريع الثقافية، وأقامت الكثير من المؤتمرات والندوات، وحاولت بكل إمكاناتها المتواضعة أن تركز في أدبياتها على ترسيخ المفاهيم الوطنية البناءة في نفوس المسلمين، ولهذا فإنني أشكر الإدارة الدينية في روسيا على اختيارهم الموفق لعنوان المؤتمر من أجل تعزيز المسيرة الوطنية للمجتمع الروسي، والمساهمة في حركة البناء الحضاري في روسيا، بحيث يتجاوز المسلمون مرحلة التعايش وتقبل الآخرين لمرحلة التعاون والتكامل، وصولاً إلى مرحلة النهضة والتنمية الشاملة للأمة الروسية، وهذا ما لمسته من برنامج الإدارة الدينية ومنطلقاتها المستقبلية، وعملها الرائع وإسهاماتها الوطنية مع الآخرين في معالجة كثير من القضايا في روسيا، ومنها محاربة



● الدكتور عادل الفلاح يشكر محافظ موسكو على مشاركته وحضوره المؤتمر.

الجريمة والإدمان والمخدرات، والسعي إلى تحقيق الأمن والأمان، ومعالجة التفكك الأسري، والعمل على تنشيط العلاقات مع العالم الإسلامي، واتخاذ الكثير من الخطوات الطيبة لإثراء دائرة المعرفة الإنسانية، وتنفيذ الكثير من الأعمال الخيرية والتنموية.

أيها السادة: صحيح إن تطبيق وتنفيذ مثل هذه البرامج يحتاج إلى جهود شاقة ومضنية ومكثّفة، لأن إنزال الأحكام على الواقع بشكل علمي وموضوعي من أصعب الأشياء، لكن بالإخلاص والعمل والسلوك الجاد والتفاني ونسيان الذات، لابد أن يوصلنا إلى تحقيق ما نصبو إليه من أهداف نبيلة.

أيها السادة الحضور: أشكركم على حرصكم على مناقشة مثل هذه المفاهيم الوطنية النبيلة، وأمل أن تعقد مؤتمرات وندوات أخرى في المستقبل لترسيخ وتأصيل هذا الموضوع من كل جوانبه.

كلمة الوفود

وعن الوفود الأجنبية ألقى الدكتور خالد المذكور رئيس اللجنة العليا للعمل على استكمال تطبيق الشريعة الإسلامية في الكويت الكلمة التالية:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد: السيد مندوب ديوان الرئاسة في جمهورية روسيا الاتحادية، أصحاب الفضيلة رؤساء الإدارات الدينية والمفتين والعلماء، أصحاب المعالي الوزراء، أصحاب السعادة السفراء، أيها الحفل الكريم، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته أما بعد:

فيسرني ويسعدني أن أنوب عن إخواني وفود الدول التي قدمت للمشاركة في هذا المؤتمر الإسلامي العالمي، الذي يوافق مرور الذكرى الخامسة والتسعين على إنشاء المسجد الجامع، والذكرى الخامسة لإنشاء الإدارة الدينية، شاكرين لكم حسن استقبالكم وكريم ضيافتكم، سائلين الله تعالى أن يكلل جهودكم بالنجاح والتوفيق، وأن يكون هذا المؤتمر مقدمة للقاءات أخرى عالمية، تبين دور المسلمين الفعّال في قضايا وطنهم الاقتصادية والتربوية والاجتماعية



● مفتي موسكو ورئيس التحرير في قاعة المؤتمرات.

وغيرها.

أيها الإخوة الكرام: إن الإسلام دين يأمر بالخير والألفة والمحبة والتراحم وبذل المال للمحتاجين، ويدعو إلى هذه الأمور من خلال الإيمان بالله سبحانه وتعالى ومراقبته في السر والعلن، وأنه مطلع على خفايا القلوب وما تكنه السرائر، فهو يدعو إلى العقيدة الراسخة إيماناً بالله وتصديقاً بأنبيائه كلهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وبكتبه التي أنزلها على رسله.

ويربط الإسلام ربطاً محكماً بين هذه العقيدة وهذه الأخلاق الفاضلة والسلوك الحميد ظاهراً وباطناً في المحبة والإخلاص والأمانة والوفاء والصدق، وغيرها من الصفات والمزايا الأخلاقية.

ولا يكون المسلم مسلماً صادق الإيمان إلا إذا تخلى عن الصفات الذميمة وتحلى بالصفات والأخلاق الحميدة، ويعامل كل الناس على اختلاف دينهم وعقيدتهم بهذه الصفات لا يفرق بين مسلم وغير مسلم، لأنه يبتغي بذلك وجه الله سبحانه وتعالى.

أيها الإخوة: إن روسيا وهي تنهض من جديد وتعود إلى الصلة الروحية بالله سبحانه وتعالى، فإن على مسلميها دوراً كبيراً في هذه النهضة الروحية، وتأثيراً كبيراً في بناء وطنهم على أسس ثابتة من الخير والاطمئنان، آخذين سماحة الإسلام بشائر الخير، ومن سعة الشريعة الإسلامية مواكبة لتطورات العصر، ومن أخلاق الإسلام الفاضلة بناء المجتمع على المحبة والألفة.

كلمة محافظ موسكو

وقد ألقى محافظ موسكو رئيس البلدية يوري لوجكوف كلمة كانت الطابع الذي يتميز به كسياسي بارز في الساحة السياسية الروسية، وأحد أقرب المرشحين للفوز بمنصب الرئاسة الروسية، وتناول في حديثه الذي استمر ساعة كاملة، العمق التاريخي للإسلام في روسيا متعددة القوميات، مؤكداً أن الإسلام ظهر في روسيا قبل المسيحية، واعتبر ذلك من العلامات التي أثرت في تاريخ المنطقة.

وأعطى لوجكوف مثالاً عن التسامح الديني والتآخي بين الأديان الذي عاشته روسيا على مر العصور بالمرسوم الملكي الذي أصدرته ايكاترينا الثانية في القرن الثامن عشر، أكدت فيه أن التسامح الديني يعتبر أساس التعامل بين أبناء روسيا.

وأشار إلى أنه يوجد في موسكو ١٤١ قومية ينتمون إلى ٢٧ طائفة دينية، وفي هذا الوضع لابد من أن تكون سياسة الدولة والمجتمع مبنية على أساس التعايش السلمي والوفاق بين الجميع، لأن الله تعالى خلق الناس من أمم وشعوب كثيرة، واعتبر ذلك الركيزة التي تحكم أبناء المجتمع الروسي.

وأبدى لوجكوف في رأيه بشأن الأزمة في البلقان وقال: إنه لقي ترحيباً خلال لقائه



● الدكتور عادل الفلاح ومفتي روسيا في الجلسة الافتتاحية للمؤتمر.

بالرئيس الفرنسي جاك شيراك وبابا الفاتيكان، ورئيس الوزراء الإيطالي والمستشار الألماني، ويتلخص بضرورة إيقاف قصف يوغسلافيا، وإعادة الألبان الكوسوفيين إلى ديارهم، وحل الأزمة بالطرق السلمية، واعتبر أن الخلافات لا توجد بين الشعوب، بل هي من فعل السياسيين فقط، لأن الشعوب عاشت لظروف طويلة في سلام ووئام.

وتحدث في الجلسة الافتتاحية للمؤتمر أيضاً رئيس منظمة العلاقات الثقافية والإسلامية في إيران آية الله محمد تسخيري، وألقى القائم بأعمال سفارة المملكة العربية السعودية علي جعفر كلمة ممثل الهيئات الدبلوماسية لسفراء الدول العربية والإسلامية في موسكو، نقل فيها تحيات خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز آل سعود، وتمنياته بنجاح المؤتمر.

أبحاث المؤتمر

وفي اليوم الثاني للمؤتمر جرت المناقشات في محاور عدة، حيث ناقش رئيس جامعة موسكو الإسلامية الدكتور مراد مرتضى مسألة «مكانة ودور رجال الدين المسلمين في المجتمع الروسي» وأشار خلال بحثه إلى الدور الملقى على رجال الدين في المرحلة الحالية وكيفية إعدادهم ليؤدوا دورهم المناط بهم في هذه المرحلة الحرجة، وفي هذا العصر بما يتوافق ومعطيات القرن الجديد.

وعلق على ذلك الإدارة الدينية لمسلمي تتارستان المفتي عثمان اسحاقوف، وكبير باحثي الاستشراق التابع لأكاديمية العلوم الروسية الدكتور اليكسي ملاشينكو.

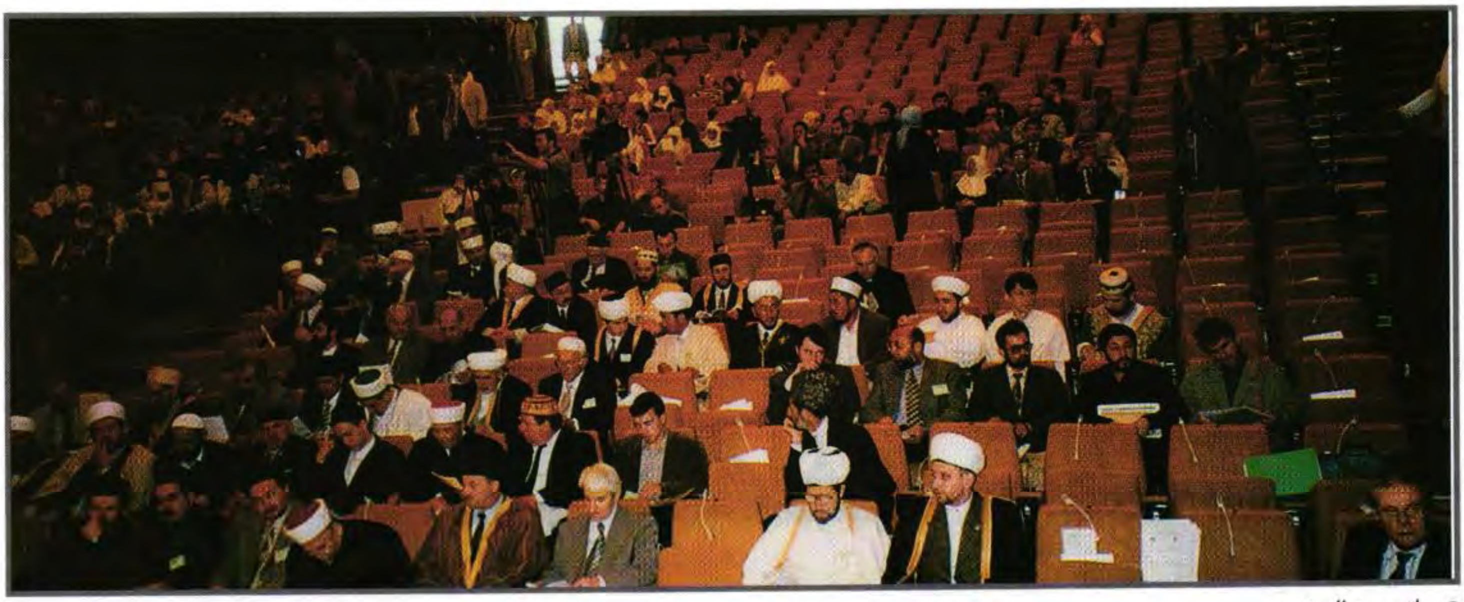


● الدكتور عادل الفلاح يتحدث للمحطات الفضائية.

وقدم الأستاذ سالم البهنساوي بحثاً تحت عنوان: «مفهوم المواطنة في الإسلام» وقد عقب عليه الدكتور خالد المذكور مشيداً بالبحث وما يتضمنه من مفاهيم عصرية وصفها الإسلام قبل ١٤ قرناً من الزمان.

وقدم البروفسور ليونير سوكيانين عميد معهد القانون الدولي في موسكو بحثاً حول التشريعات الروسية ودورها في النهضة الروحية لروسيا، واشترك في مناقشة المحور رئيس مجلس شؤون الأديان لدى مجلس وزراء تتارستان الدكتور رينالت نابييق، وممثل وزارة العدل الروسية الدكتور كودريافيتش. وناقش مفتي دمشق وعميد المعاهد الإسلامية في روسيا موضوع المغالاة والتشدد وآثارهما على المجتمع، عقب عليه نائب رئيس جامعة الأزهر الدكتور محمد الصوفي.

واختتم المؤتمر البحث الذي قدمه الدكتور عادل الفلاح، حول دور المنظمات الإسلامية في دعم مسلمي روسيا فقال: شهدت السنوات الأخيرة من القرن العشرين تغيرات هائلة في الساحة العالمية، وفي ظل هذه التغيرات اتجه العالم إلى نوع جديد من الصراع الحضاري، كبديل للصراعات والحروب العسكرية الساخنة والباردة منها، والتي سادت لعقود طويلة منذ بداية هذا القرن، لقد أفرزت هذه التغيرات الأخيرة سلسلة من القضايا المهمة بالنسبة إلينا نحن المسلمين، وفي مقدمها ظهور دول إسلامية جديدة وجمهوريات ذات حكم ذاتي «في روسيا أكثر من ٧٤ جمهورية مستقلة ذاتياً ينتشر فيها الإسلام»، إلى حيز الوجود، تضم عشرات الملايين من المسلمين في منطقة آسيا الوسطى والقوقاز وروسيا الاتحادية، موزعين على مساحة جغرافية شاسعة مع



● جانب من الحضور.

تباين قومياتهم وأصولهم وعاداتهم وأساليب وأنماط حياتهم، ما أحدث فراغاً فكرياً وروحياً كبيرين في هذه المنطقة، الأمر الذي دفع لجنة مسلمي آسيا في الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية كمؤسسة خيرية إسلامية تنموية إلى مد يد العون والمساعدة للمسلمين في هذه الدول، فأرسلت الوفود الميدانية إليها لاستطلاع احتياجاتها، وارتأت إقامة مشروع التواصل الحضاري مع أحفاد الإمام البخاري، في الأول من يناير العام ١٩٩٤م، كمشروع متخصص يعمل لصالح أبناء المنطقة البالغ تعدادهم أكثر من ثمانين مليون نسمة، والذين هم في أمسّ الحاجة للمحافظة على الهوية الإسلامية، واستعادة الدور الحضاري الرائع الذي لعبوه في الماضي، والذي أفرز العديد من العلماء والمفكرين في العلوم الشرعية والكونية من أمثال البخاري ومسلم والخوارزمي والطبري والنسائي، وغيرهم.

كيف تدعم المؤسسات الإسلامية المسلمين في روسيا؟

وإزاء هذه الظواهر والمشكلات المتنوعة التي يعيشها مسلمو روسيا لابد للمؤسسات الإسلامية وفي إطار من التنسيق فيما بينها من المبادرة السريعة لنجدة إخوانهم في روسيا، والإسهام في حل مشكلاتهم أو حتى التخفيف من وطأتها وآثارها الجانبية، ودفعهم ليكونوا عناصر إيجابية في مجتمعهم الروسي الكبير، وصورة مشرقة للإسلام الحضاري والإنساني، وذلك من خلال الوسائل التالية:

١ - بث ونشر الوعي الإسلامي في صفوف المسلمين الروس، وبكل الوسائل الممكنة لإبعادهم عن شبح التطرف والغلو.

٢ - دراسة المشكلات التي يعاني منها المسلمون الروس، وبيان أسبابها وآثارها، مع وضع الحلول العملية لها.

٣ - تكثيف البرامج والأنشطة اللذين يساعدان المسلمين على الانصهار في جماعة واحدة قوية متينة الأركان، ومتمثلة في الإدارة الدينية.

٤ - تحقيق التواصل بين المسلمين في روسيا وإخوانهم في العالم الإسلامي، وفتح قنوات في العلاقات الثقافية والتعليمية وغيرها.

٥ - تشجيع المؤسسات والشركات التجارية على الاستثمار في روسيا.

٦ - دعم المسلمين الروس في بناء مشروعاتهم من المدارس الشرعية والأئمة والدعاة والمناهج والكتب والجامعات.

٧ - تقديم العون والدعم المالي للمسلمين الروس حتى يستطيعوا إيجاد وسائل إعلامية خاصة بهم مثل قناة فضائية لتقوم بالدور التوجيهي والتثقفي والتصدي للتيارات الإعلامية المناوئة.

توصيات المؤتمر

في نهاية جلسات المؤتمر العالمي لدور مسلمي روسيا في نهضة المجتمع الروسي صدرت التوصيات التالية:

أكد المؤتمر العالمي الخاص دور المسلمين في النهضة الروحية الروسية ضرورة الإفراج عن جميع الأسرى والمحتجزين بالقوة في كل مكان، ووضع حد لسفك الدماء وانتهاك حقوق الإنسان.

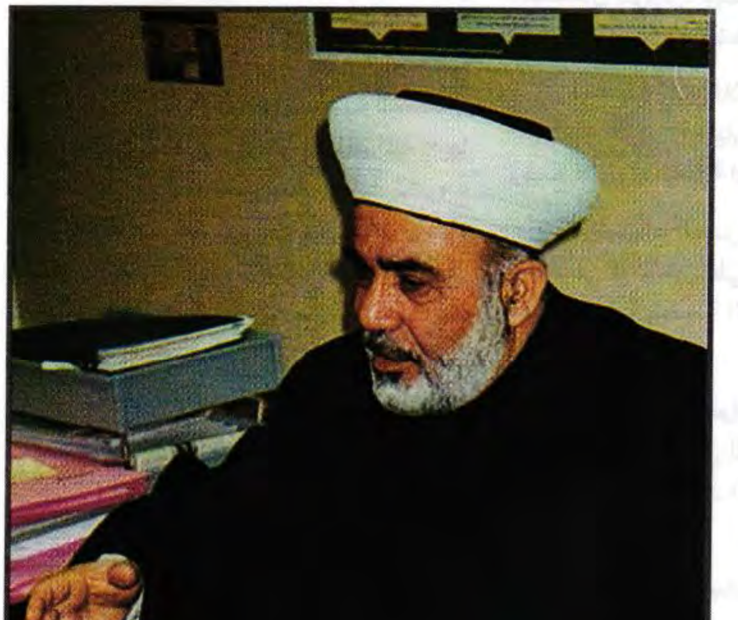
كما دعا المشاركون إلى ضرورة العمل الهادف لمكافحة النزاعات المتطرفة، وعدم السماح بحدوث انقسامات بين صفوف المسلمين، وفتح الحوار مع ممثلي الديانات الأخرى، وبلورة المقترحات الخاصة بتنظيم مؤتمر عام لضمان الوحدة الروحية لشعوب روسيا. أكد المؤتمر ضرورة تكثيف العمل ومضاعفة دور المنظمات الإسلامية ضمن النشاط الهادف إلى تجاوز التناحر الديني والقومي، وتقديم المساعدة الخيرية ومكافحة الظواهر السلبية مثل انتشار المخدرات والكحول والجريمة وحماية البيئة. كما قرر المؤتمر وضع برامج تثقيفية ضمن البرامج الإذاعية والتلفازية في روسيا للتعريف بالإسلام وعلى دور المسلمين في إغناء الجانب الروحي الروسي في الماضي والحاضر. طالب المؤتمر من الهيئات والمؤسسات التعليمية الروسية بالتعاون مع الإدارة الدينية لمسلمي القسم الأوروبي من روسيا وضع مناهج دراسية للتعريف الموضوعي والصادق بالإسلام. أكد المؤتمر كذلك أهمية الإعداد وعلى مستوى الدولة للاحتفال بالذكرى ٤٠٠ بعد الألف لانتشار الإسلام في روسيا. ■

حوار

أجرى الحوار : د. عماد الدين عثمان

الدكتور الجوزو للوعي الإسلامي :

هناك حملة منظمة توحي بأن الإسلام هو الإرهاب



● الدكتور محمد علي الجوزو مفتي جبل لبنان

أوضح الدكتور محمد علي الجوزو مفتي جبل لبنان، أن الإسلام ينتشر ويتسع ولله الحمد، وهذا ما يحسب له الأوربيون الغربيون ألف حساب الآن... فالإسلام انتشر في أوروبا والغرب بأخلاق التجار «القدوة» وهذا ما نحتاج إليه... والمسلم الذي يتمتع بأخلاق حميدة في الغرب هو رسالة في حد ذاته.

ومن جانب آخر من خلال حديثه للوعي الإسلامي... أضاف الجوزو أن هناك حملة منظمة توحي بأن الإسلام هو الإرهاب... وفي المقابل هناك صورة مشرقة يلمسها كل عالم يتحرك على الساحة الإسلامية.

جاء ذلك خلال الزيارة التي قام بها فضيلته أخيراً إلى دولة الكويت بدعوة من وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.

■ هناك صورة مشرقة يلمسها كل عالم يتحرك على الساحة الإسلامية

■ الدعوة الإسلامية الواعية العاقلة المتزنة تستطيع أن تعالج الأمور بشكل علمي وليس عاطفي والشباب المسلم يشعر بأنه أكثر وعياً من الماضي

● **بما أننا على أعتاب قرن جديد من عمر البشرية... كيف ترون صورة الإسلام على مستوى العالم كله؟**

- أولاً، لابد أن نتخلى قليلاً عن الصورة المتشائمة التي تفرضها علينا الظروف السياسية التي نعيشها نحن المسلمين سواء أكان ذلك في داخل العالم الإسلامي أم في خارجه، هذه الهجمة الشرسة على الإسلام في داخل البلاد الإسلامية بسبب أن بعض القيادات أصبحت تخشى الإسلام وتخشى الحركة الإسلامية كحركة إسلامية، وتحاربها بشتى الطرق والوسائل، هي أخطر من الحرب التي تُشنُّ على الإسلام من خارج بلاد المسلمين.

وللأسف هناك تناغم بين الخارج والداخل، هناك حملة منظمة توحي بأن الإسلام هو الإرهاب... ليس الغرب وحده هو الذي يتهمنا بالإرهاب، وإنما نحن فينا من يتهم المسلمين بالإرهاب، كما أن بعض القيادات تتهمنا بالإرهاب، فهي تأخذ البريء بجريرة المتهم والمجنون بالعاقل، لا تفرّق بين فريق من الشباب المتهور الذي يرتكب الحماقات التي لا يوافق عليها الإسلام بأي شكل من الأشكال بل تعمم الحكم.

العلمانيون ... مرضى

لا أريد أن أذهب مع هذه النظرة المتشائمة جداً بالنسبة للأوضاع الإسلامية وبخاصة أن الذين يستهدفونه كثيرون فالفئة العلمانية التي رباها الاستعمار على عينه هي السبب، حيث جاء الاستعمار وزرع في بلادنا ثقافات معينة هذه الثقافات حاولت أن تبعد أبناءنا عن أصالتهم، عن تاريخهم، عن تراثهم، عن عقيدتهم، ونجح إلى حد كبير في جذب بعض من هؤلاء الناس.

والعلمانيون على وجه الإجمال هم أناس مرضى ومعقَّدون، فتنوا بحضارة الغرب وثقافتهم، وظنوا أن طعن الإسلام هو الوسيلة الوحيدة التي يظهرون فيها بأنهم متمدينون أو عصريون أو أهل للحداثة... هذه عقدة... بعض هؤلاء العلمانيين يريدون أن يظهروا بأنهم هم الذين يسيرون في ركاب حضارة الغرب وفي فكره وبأنهم بلغوا آفاقاً واسعة لم يبلغها المفكرون المسلمون من قبل في العالم الإسلامي... هؤلاء يعكسون صورة لانهيار وضعف الشخصية فهم يعتبرون أنفسهم يؤسسون حياتهم على أسس صحيحة.



● الدكتور محمد علي الجوزو يتحدث إلى الدكتور عماد الدين عثمان

لن يعترف بنا الغرب إلا إذا اقتنع بأسس موضوعية علمية

الكنيسة اعتمدت على المستشرقين في البحث عن المسالب والعيوب حتى تشوِّه صورة الإسلام في الساحة الغربية

صورة مشرقة

من هنا أود أن أقول: إن هناك صورة مشرقة أراها أنا وألمسها ويلمسها كل عالم يتحرك على الساحة الإسلامية، عندما يرى إقبال الشباب على العبادة في بيوت الله، فالأكثرية الساحقة الآن من رواد المساجد هم من الشباب، رغم الاضطهاد، ورغم الاتهامات، ورغم الحرب الضروس التي تشنُّ على الإسلام والمسلمين، وعلى الشباب الإسلامي، ترى المساجد ملأى ولله الحمد، وترى بيوت الله يؤمها الشباب المتحمس لدينه ولعقيدته، هذا في بلادنا! ... وفي الخارج أيضاً، عندما تذهب إلى أميركا... إلى أوروبا... تجد المساجد أيضاً ملأى... هذه الظاهرة تدلُّ على أن الإسلام ولله الحمد بخير في داخل العالم الإسلامي وفي بعض البلاد خارجه... فالشباب المسلم يشعر بأنه أكثر وعياً من الماضي... وأن هذه الفئة من العلمانيين هم أشبه ما يكون أن نطلق عليهم «جعجعة بلا طحن».

● **بما أن لكم تجربة سابقة للتعامل مع الغرب والعيش فيه سنوات طويلة خلال تحضيركم لشهادة الدكتوراة في فرنسا... بماذا تفسرون وضع الإسلام هناك ؟**

- الحقيقة، هناك فكرة مسبقة عند الغربيين، فالحروب الصليبية استمرت فترات طويلة، سبع غزوات صليبية تعرض لها العالم العربي والإسلامي، فهناك دماء بيننا وبينهم،

حروب متواصلة زرعت أحقاداً عن الدين الإسلامي في نفوسهم، وللأسف فإن الوسيلة التي لجأت إليها الكنيسة هي الاعتماد على المستشرقين في البحث عن المسالب والعيوب والأخطاء، حتى تشوّه صورة الإسلام في الساحة الغربية... وهذه ضُخِّمت كثيراً، وبدأت تأخذ طابعاً عدائياً مستحكماً في نفوس هؤلاء المستشرقين.

تشويه صورة الإسلام

لقد شاهدت بعض الدروس التي تلقى في بعض الجامعات الفرنسية في التاريخ الإسلامي عن سيرة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وسيرة الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ كان الأستاذ يحاول أن «يتجه بالطلبة نحو تشويه الصورة بأي شكل من الأشكال ليشكك هؤلاء الطلبة بتاريخهم... الطلبة لا شك يتأثرون بهذا.

ومن هنا أستطيع القول: إن وظيفة الاستشراق للأسف الشديد هي تشويّه صورة الإسلام، وهذا ما يقرؤه الأوربيون الغربيون عنّا، ومن ثمَّ يحملون لنا العداء بشكل تاريخي وطبيعي... لذلك نحن لا نستطيع أن نغيّر في عقلية هؤلاء الغربيين الأوروبيين إلا إذا انتشر المسلمون وتوسع انتشارهم بشكل إيجابي في الغرب، وكانوا رسل أخلاق عن رسالة الإسلام.

والآن، نجد أن الاحتكاك بين المسلمين وبين البيئة الغربية يتيح نتاجاً طيباً وبخاصة إذا كان الذين يحتكون بالناس من المثقفين المسلمين، من الذين يعرفون كيف يعرضون الإسلام، هؤلاء يكسبون ساحات جديدة وينضم إليهم عدد كبير لا بأس به، ولذا يجب أن نركز على هؤلاء الذين يدخلون في دين الإسلام من أبناء البيئات الأوروبية ومن أبناء الجنسيات الأوروبية والأميركية ... حينما يتحول الأميركي للدعوة إلى الإسلام في أميركا، والفرنسي إلى الدعوة إلى الإسلام في فرنسا... يستطيع كل واحد من هؤلاء أن يعطي أكثر لأنه ابن بيئته التي يعيش فيها، «فمراد هوفمان» على سبيل المثال يعتبر أكبر داعية للإسلام في ألمانيا، فهو يجيد مخاطبة الألمان بلغتهم وعواطفهم، فهو ابن بيئتهم.

اهتمام خاص

وعلى ذلك، يجب أن يكون هناك اهتمام خاص من الدوائر الإسلامية التي تهتم



● الدكتور محمد علي الجوزو يطالع مجلة الوعي الإسلامي

الماديون أوصلوا الغرب إلى حال القلق والاضطراب والكفر والإلحاد

بالدعوة لهؤلاء المثقفين، فلا تقتصر على الدعوة إلى المؤتمرات فقط فخراً بهم على أنهم دخلوا في دين الإسلام، بل يجب أن نستفيد منهم وأن نركِّز على إعطائهم دوراً مهماً حتى يتحولوا إلى دعاة يخاطبون العقل الأوروبي ويستطيعوا أن يؤثروا فيه.

أنا شخصياً لأنني عشت في فرنسا فترة طويلة من الزمان، استطعت أن أفهم العقلية الفرنسية، وأن أبدأ بالحوار مع هؤلاء، فكنت أذهب إلى الكنائس أحاورهم... وبكل هدوء... حتى أستطيع أن أصل إلى اقناعهم بالحجة

العلمانيون يمثلون «جعجعة دون طحن»

والبرهان... فنحن لا نريد تشنجاً ولا أحكاماً مسبقة من قبلنا، خصوصاً ونحن ننقد الأحكام المسبقة من قِبَلِ الغرب.

● يرى البعض أن حوارنا مع الغرب لن يفيد إلا إذا اعترف بنا اعترافاً جاداً وأميناً!

ـ نعم، لن يعترف بنا الغرب إلا إذا اقتنع بأسس موضوعية علمية... بمعنى أنه يجب أن يكون هناك تخطيط ودراسات، يجب أن نجمع بعض أبناء الغرب في مؤتمرات خاصة لهم، تشرف عليها هيئات إسلامية، لكي يدرسوا البيئة ويحاولوا أن يوجدوا مخططاً لمخاطبة الغربيين بطريقة علمية وعملية وأن نسمح لهم بالكتابة وتوجيه الرسائل الصغيرة، والكثيرة لهؤلاء الغربيين وحتى نستطيع أن ننشر إعلامنا الإسلامي بشكل جيد... فلا يكفي أن يتحدث المسلم الذي يعيش وحده عن الإسلام في الغرب... بل لابد من أن يتكلم الغربي نفسه عن الإسلام حتى يقنع الآخر، فإقناع الغربيين بما في الإسلام من أهداف سامية ضرورة ملحّة.

الزمان لمصلحتنا

وهذا يحتاج إلى وقت وزمان ولكن الزمان سيكون لمصلحتنا وليس لمصلحة الأعداء، فأميركا مثلاً لم يكن فيها عدد كبير من المسلمين من قبل... حيث كان المسيحيون اللبنانيون فقط هم الذين يهاجرون إلى هناك، ومن ثمَّ تركوا لنا أدباً مهجرياً مطبوعاً بالطابع المسيحي، ونحن جميعاً درسنا شعر

المهجر... وشعراء المهجر كانوا جميعاً من المسيحيين اللبنانيين، ولذلك تركوا بصماتهم واضحة في ذلك الأدب.

والآن هناك سبعة ملايين مسلم في أميركا وحدها، وفي باريس وحدها أيضاً ثلاثة ملايين مسلم، والمساجد تملأ باريس «ليست كلها مساجد بمعنى كلمة مساجد، إنما هناك مصليات».

الدعوة الإسلامية الواعية

إذاً الأرض عطشى، والغرب يعيش حال القلق، حال الاضطراب، حال الكفر والإلحاد، أوصله إليها الماديون... من الذي يستطيع أن ينقذ هؤلاء مما يتخبطون فيه؟ الدعوة الإسلامية الواعية، العاقلة، المتزنة هي التي تستطيع أن تعالج بشكل عملي وليس بأسلوب عاطفي أو بإطلاق أحكام التكفير يمنة ويسرة.

منظومة قيم

● إذاً كيف لنا نحن المسلمين أن نبحث عن منظومة قيم مشتركة في ظل ما ينادي به العالم الآن من اتجاه نحو العولمة الثقافية والفكرية؟

ـ هذه أطاريح يصعب تحديدها... فنحن داخل أي بيئة لا نستطيع أن نجمع الناس على رأي واحد أو فكر واحد أو توجه واحد... هذا من الصعب بمكان... وإلا فكيف نشأت المذاهب والفرق؟

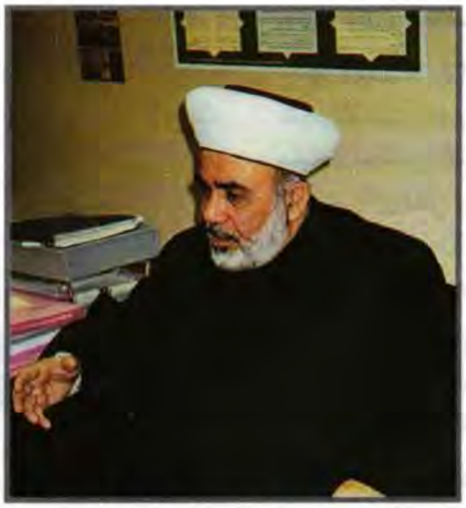
ولكن هناك مجال واحد فقط للتقارب الثقافي من ناحية عرض ما عند المسلمين من ثقافة وحضارة حتى يعرف الآخرون هذه الثقافة، ونحن بطبيعة الحال نأخذ عن الغرب الكثير، ونعرف الكثير عن عقلية الغرب وعن الفكر الغربي وهم لا يعرفون عنا إلا القليل

التلاقح... التفاعل

إذاً هذا التلاقح وهذا التفاعل سوف يؤدي إلى التقارب أكثر فأكثر... سيظل هناك اختلاف، وسيظل هناك أناس حاقدون لا يرضون باللقاء معك... وستظل الساحة تموج بالأفكار المتعددة غير الواضحة.

والعولمة هذه أحلام، نتمنى إذا صحَّ الحلم أن نصل إلى تحقيق شيء ما من اللقاء الإنساني في سبيل أن تتجه البشرية إلى الخير والبناء.

بئس العولمة إذا كانت تعني سيطرة الفكر الغربي على عقولنا



● الدكتور محمد علي الجوزو أثناء الحوار

أما إذا كانت العولمة هي سيطرة الفكر الغربي على عقولنا فبئس العولمة، وكذلك إذا كانت العولمة هي سيطرة الدول الرأسمالية على الدول الفقيرة والمعدمة وامتصاص دماء شعوبها، وأخذ خيراتها، فبئس العولمة أيضاً، فنحن لا نريد أن نكون ترساً في آلة ندور معها كيف تدور.

● كيف إذاً نستثمر إمكاناتنا الإعلامية العربية والإسلامية وبخاصة الفضائيات في نشر الدعوة الإسلامية وإقناع الغرب بصحة النظرية الإسلامية في جميع المقالات؟

المسلم الذي يتمتع بأخلاق جيدة في الغرب رسالة في حد ذاته

ـ العقيدة الإسلامية عقيدة بسيطة، يجب أن نقدمها ببساطتها، والإشكال الذي يقع فيه الغربيون عادة هو أن الفكر المسيحي مركب ومعقد، بالنسبة للعقيدة والإيمان بالمسيح، بالتثليث، المسألة معقدة... ومن أبسط ما يمكن أن ندخل إليها وأن نبين ضعفها، فالأفكار البسيطة التي طرحها القرآن عن الوحدانية يجب أن نتوسع بها ونقدمها بالنسبة للإيمان بالله عزَّ وجلَّ.

مبادئ متقاربة

أما بالنسبة لقضايا الأخلاق، فالأديان كلها التقت على مبادئ متقاربة «لا تقتل ـ لا تزن ـ لا تسرق ـ لا تفعل...» حيث لا يوجد أبداً دين من الأديان يحض على الكذب... فجميع الأديان تدعو إلى الصدق، وتحارب الكذب، وجميع الأديان تحارب الجريمة وتدعو إلى السلام والأمن، هذه مبادئ عامة تلتقي عليها جميع الأديان.

وعلى ذلك، يكون طرح المبادئ الإسلامية، فطرح سماحة الإسلام، والمقارنة بين ما فعلناه في فتوحاتنا، وبين ما يفعله الآخرون يجعلنا نتأمل هذا الإجرام الصربي في التاريخ الحديث، لنتأمل ماذا فعلت أوروبا بنفسها في الحربين العالميتين الأولى والثانية، وكيف دمَّر الأوروبيون أنفسهم بأنفسهم وهم جميعاً ينتمون إلى المسيحية.

المسلم... رسالة

ولذلك أقول: إن المبادئ والقيم الإسلامية لا تتعارض مع المبادئ والقيم التي جاء بها الرسل جميعاً، بل هي تتفق معها... ومن هذا المنطلق يجب أن نعرض الإسلام على أنه دين الأخلاق والمبادئ والقيم، وأن نثبت لهم ذلك عن طريق العمل، فالمسلم الذي يتمتع بأخلاق جيدة في الغرب هو رسالة إسلامية في حد ذاته.

ولننظر كيف انتشر الإسلام في كثير من بلاد آسيا وأفريقيا... انتشر بأخلاق التجار «القدوة»... وهذا ما نحتاج إليه... وهو موجود والحمد لله... وأنا مطمئن أنه يوجد لدينا شباب لديه خبرة وتجربة واسعة الآن في الغرب وعنده من الثقافة ما يساعده على اختراق أي حواجز تقف في وجه الإسلام.

وهذا ما يحسب له الأوروبيون الغربيون ألف حساب الآن... فالإسلام ينتشر ويتسع هناك ولله الحمد. ■

بقلم : د. علي جاسم الشهاب

الغزو الثقافي والدور المطلوب لمواجهته

لقد تعرضت الحضارتان العربية والإسلامية في القرون الأخيرة إلى غزو ثقافي وحضاري واسع النطاق عززته قوة الاستعمار العسكرية والسياسية ورافقته الآثار النفسية القوية نتيجة التقدم العلمي والتكنولوجي في المجتمعات الغربية ما جعل عددا كبيرا من الشباب العربي المسلم يشككون في حضارتهم ودورها، بل يشعرون أنها متخلفة وضعيفة أمام قوة الغرب، بل ظن عدد كبير من هؤلاء الشباب أن التقدم الغربي هو في حقيقته تقدم شامل لكل شيء سواء كان في ميدان الصناعة، الحياتية الاجتماعية والعلمية أو حتى في ميدان الأخلاق والقيم ما أدى إلى تناقض فكري وتشتت في الولاء للحضارة والتراث العربي والإسلامي، إن من يدقق في حقيقة الغزو الثقافي الذي عمَّ المجتمعات العربية والإسلامية بصورة عامة والخليجية بصفة خاصة، يرى أن حقيقة هذا الغزو أنه يعمل عبر غزو الفكر والمفاهيم والعقل وهي جوانب خطيرة ومهمة، فلقد أشار «محمد عبدالعليم مرسي ١٩٨٨م» إلى حقيقة الغزو الثقافي وتأثيراته بالتالي:

«إن الإنسان إذا انهزم داخلياً، فإنه يصبح مسلوب الإرادة، عديم الفائدة، إنهم يحاولون محو الشخصية العربية والإسلامية، بحيث يصبح الإنسان المسلم تابعاً لا كيان له سواء في ذلك الكيان الوطني أوالقومي أو الديني، ولا يهم أن يظل اسمه محمداً، وجنسيته من أي بلد إسلامي، إنما الذي يهم هو أن يكون محمد هذا مستلب الفكر عديم الشخصية».

إننا لو تطلعنا إلى مظاهر الغزو الثقافي المختلفة في دولنا الخليجية، لرأينا الصورة جلية في عدد من المظاهر المختلفة سواء كانت الفكرية أو التربوية أو الإعلامية وغيرها.

ولذلك سأحاول من خلال هذه المقالة توضيحها ، ومن ثمَّ أعطي التوصيات التي آمل أن تحقق نوعاً من المساهمة في تقليل آثار هذا الغزو على شبابنا الخليجي.

الجانب الفكري والتربوي

لقد كان لدراسة الدكتور «سعيد عبدالله حارب ١٩٨٤م» والتي أجراها عن الغزو الفكري في الخليج العربي دور كبير في إعطاء صورة جلية واضحة بيَّنت دور المدارس، الأجنبية في المجتمع الخليجي، في التأثير على أبناء المجتمع وفي فرض مناهجها الخارجية على الطلبة مع تقليل المواد الرئيسة مثل اللغة العربية والتربية الإسلامية، فمن خلال تجربتي الشخصية في داخل الجامعة ومن خلال التعامل مع عدد من الطلبة والطالبات في جامعة الكويت الذين درسوا في مدارس أجنبية تبيّن أنهم ضعاف في اللغة العربية، بل إن أغلبهم يطلب أن يحل الاختبار أو يعبر باللغة الأجنبية، ويرون من وجهة نظرهم أن اللغة العربية قاصرة عن توصيل المفاهيم وأنها غير ضرورية، بل إنهم يبدون أحياناً عدم رضا عن بعض العادات والتقاليد والتي قد يكون لها أصول إسلامية وبخاصة عند مناقشة هذه الظواهر الاجتماعية مثل قضية التعرف قبل الزواج، إن الفترة الدراسية التي يقضيها الطالب في تلك المدارس بلا شك تعمل على تشكيل جانب كبير في شخصيته، ما يجعل الدور والتأثير قويين في هذا الجانب، وقد يؤيد هذه النتيجة ما توصل إليه الباحث «نايف بن ثنيان آل سعود ١٤١٠هـ» عندما أشار إلى أن التعليم الإرسالي يعتبر من أقوى الوسائل، واستدل على ذلك بما كتبه مصطفى الخالدي وعمر فروخ في مؤلفهما «التبشير والاستعمار في الدول العربية»، حيث نقل عن شخص يدعى «نبروز» وكان رئيساً للجامعة

الأميركية في بيروت، نقلا عنه قوله: «لقد أدى البرهان إلى أن التعليم أثمن وسيلة استغلها المبشرون الأميركيون في سعيهم لتنصير سورية ولبنان».

لهذا لم تكن المدارس الأجنبية هي الجهة المؤثرة الوحيدة في مجتمعاتنا الخليجية، بل كان لعدد من البعثات الخارجية التي التحق بها عدد من الطلبة في عدد من الجامعات العالمية دور في التأثير الداخلي للمجتمع من أفكار وتصورات قد تكون بعيدة عن ثقافة المجتمع ومعتقداته «محمد عبدالعليم مرسي ١٩٩٥م».

الجانب الإعلامي

يعتبر الغزو الإعلامي من المؤثرات الواضحة التأثير على المواطن الخليجي فساعد بدوره على تغيير وزرع كثير من القيم والاتجاهات التي قد تكون بعيدة عن واقع وطبيعة الإنسان الخليجي وبعيدة عن ثقافته وحقيقته ولقد جاءت أشكال الغزو متمثلة في عدد من الوسائل المختلفة إعلامياً والتي منها:

السينما

بلا شك أن للسينما دوراً كبيراً وواضحاً على خلق قيم وتأثير على «التنشئة الاجتماعية، فكل ما يقدم من قصص وحوار يكون له أكبر الأثر في إحداث التغير أو تكوين الاتجاه، وعندما تستعرض الأفلام الأجنبية والتي تمثل نسبة كبيرة من الأفلام التي تلاقي اهتماماً من الجمهور الخليجي نرى أن هذه الأفلام قد تنقل مواقف كثيرة غير متوافقة مع طبيعة المجتمع وعقيدته، فتحاول تصوير شخصية البطل بالمحب العاشق وتحاول أن تربط بين قيمة الحب كقيمة اجتماعية بتصوير جنسي، بل يغلب على الأفلام إثارة الرعب والانحراف والتي بلا شك تدفع بصورة أو بأخرى إلى تقليد هذه الشخصية وأخذها كقدوة يقتدي بها الشباب في ملابسه وسلوكه وتصرفاته ولغته، فأصبح باتمان وسوبرمان والمغنون هم الأبطال الحقيقيون في أذهان أبنائنا على الرغم مما يقوم به هؤلاء الشخصيات من رعب وإثارة وعنف وخروج عن المعتقدات والعادات.

أطباق الأقمار الصناعية «الستلايت»

إن من ينظر إلى أسطح المنازل والبنايات في كل المدن العربية الخليجية، سيصاب بنوع من الدهشة نتيجة لهذا الكم الهائل من أطباق الأقمار الصناعية التي تبث موادها الإعلامية بكل اللغات وعلى مدى ساعات اليوم كلها، ويتجسد الخطر في أن هذه الشبكات الإعلامية والقنوات الفضائية الوافدة أنها تملك من الإمكانات ووسائل الإبهار والجذب ما يمكّنها من الدخول إلى نفوس أكبر عدد من المشاهدين الذين يكونون عرضة لبث قيم وأفكار قد تشكل تهديداً كاسحاً للهوية والثقافة العربية والإسلامية، وفي إحداث خلل في هذه الثوابت ما يؤدي إلى تدمير مقومات الشخصية العربية وفي المقابل، فإن قنوات التلفاز العربية المحلية تجد نفسها في منافسة غير متكافئة مع هذه الشبكات الأجنبية وهو ما يظهر في التدفق غير المتوازن للمعلومات والأخبار والمواد الإعلامية المختلفة، بل إن تأثير هذه القنوات أصبح تأثيراً واضحاً، بل أدخلت هذه القنوات الفضائية عادات وسلوكيات لم تكن في داخل مجتمعاتنا الخليجية مثال: عيد الحب والذي أصبح تقليداً يعد له، في المحلات التجارية ومحلات الزهور، العدة وهو من القضايا غير المتوافقة مع عادات وتقاليد المجتمعات الخليجية، بل كشفت دارسة قام بها تسعة من أطباء علم النفس على مدى خمس سنوات في داخل المجتمع الأميركي «جريدة الرأي العام ١٩٩٢م»، أظهرت أن البرامج التلفازية تؤثر على الأطفال المراهقين وتدفعهم إلى الصراعات عن طريق استخدام العنف وتجعلهم أكثر تقبلاً للعنف الجنسي، وكشفت هذه الدراسة أيضاً أن أفلام الرسوم المتحركة التي تعرض صباح العطلة الأسبوعية تتضمن مشاهد عنف تزيد بمعدل أربع أو خمس مرات عمّا يشاهد في الأفلام التي تعرض بعد ذهاب الأطفال إلى الفراش فعلى الرغم من كل هذه المظاهر التي وضحتها كل هذه الدراسات نرى تكالب أجهزة الإعلام على هذه المنتوجات الإعلامية.

الإذاعات

على الرغم من توافر الإذاعات في داخل الدول الخليجية، إلا أن عدداً من الدول الغربية حرصت على توجيه إذاعاتها باللغة العربية، وذلك لأسباب عدة، وقد يكون من هذه الأسباب جذب المواطن العربي إليها، وتحاول بما تبث بها من برامج في تشكيل وتوجيه رأيه بما يحقق أفكارها وتوجهاتها.

الجانب التقني للاتصال (الإنترنت)

لا ينكر أحد ما لوسائل الاتصال من أهمية في ربط الأفراد والدول ببعضهم بعضاً، ويكون هذا الربط من جميع النواحي الاجتماعية، السياسية والاقتصادية، فهي حلقة الوصل بين أطراف عدة متباعدة كانت أو متقاربة فهو بهذا يلغي عامل المسافة وتزداد أهمية وسائل الاتصال بزيادة تقدم وتطور المجتمعات ولوسائل الاتصال بصورة عامة والإنترنت بصورة خاصة، فعن طريق شبكة الإنترنت يمكن للمستخدم أن يثري ثقافته إذ باستطاعته استقبال المعلومات وتحديثها، وتبادل الخبرات مع غيره من المستخدمين كما يمكن للمنظمات أن تنشر ثقافتها وتراثها عن طريق هذه الشبكة، ومن ناحية أخرى للإنترنت تأثير على الجانب الاجتماعي للفرد بما يقدمه من خدمات للتواصل مع بقية الأفراد من جميع أنحاء العالم، وعلى الرغم من الإيجابيات السابقة إلا أن اختلاط الفرد بشعوب ومؤسسات ومنظمات ذات أديان مغايرة وعادات وتقاليد مختلفة قد يؤثر على الفرد بصورة سلبية في ظل وجود منظمات إباحية وتبشيرية وماسونية تدعو إلى الانحلال والرذيلة.

العمالة الخارجية

بلا شك أن مجتمعاتنا الخليجية عانت ومازالت تعاني من الحاجة إلى المتخصصين والفنيين لذلك كان المجال مفتوحاً لدخول عمالة أجنبية مجندة لبعض الجمعيات التبشيرية أو الماسونية أو غيرها سواء كانت على شكل متخصصين في التعليم واللغات أو في الصحة أو غيرها، وبلا شك أن احتكاك هذه العمالة الخارجية بتخصصاتها المختلفة مع أفراد المجتمع

يؤدي إلى نشر كثير من أفكارها وآرائها غير المتوافقة مع عقيدة المجتمع وثقافته، لذلك كان لها دور في نشر كثير من أفكارها وآرائها الهدامة في المجتمع سواء على شكل نشر عادات متنافية مع عقيدة أهل الخليج مثال المخدرات والمسكرات أو عن طريق ترويج ونشر الأفكار المعادية للإسلام والمسلمين، فلقد ذكر أنور الجندي عن أحد هؤلاء المتخصصين «أن العرب يحافظون على دينهم وعلى حرمهم وقد تفنى القبيلة كلها محافظة على الشرف، فهم قوم كرام صادقون يأبون الكذب إلا أنهم يخدعون بسهولة بالظواهر المسمومة فاجعلوا بينكم وبينهم معاهدة على حرية الدين والتعليم والتجارة، فهذه - على الأقل تجعلهم - يهملون الحمية الدينية التي تحببهم إلى الحرب، أما حرية التعليم فإنها تولد لهم غلماناً شؤماً عليهم لأنهم يكونون مشغوفين بحب معلميهم، وبذلك يبتعدون عن حب وطنهم، أما حرية التجارة فهي التي تضعضع شيئاً من تمسكهم بأزيائهم، فضلاً عن تجارة الخمر فهي الآن محرّمة، فمتى شاعت فيهم أقدموا على المنكرات بلا مبالاة وفقدوا النخوة ونشأ بينهم الشر وساءت حالهم ولا ننس أن التأنق في النعمة والبذخ والإسراف في الشهوات وإهمال سير الآباء والأجداد من أقوى أساليب انحطاط الممالك القوية».

ولكن السؤال المطروح كيف نستطيع في خضم كل هذه المظاهر والمجالات المختلفة للغزو الثقافي لدولنا أن نعمل أو بمعنى آخر، ما الدور المطلوب لمواجهة كل هذه المجالات والأوجه، إن هذا يتطلب أخذه في الاعتبار، فهناك اعتبارات عدة نستطيع من خلالها تضعيف دور الغزو الثقافي وتقليل آثاره وهي:

أ - توجيه مراكز البحوث والدراسات في دولنا الخليجية إلى دراسة الآثار المختلفة للغزو الثقافي، أسبابه وتأثيراته، ووضع الحلول التي عن طريقها نستطيع وضع البنية الرئيسة لمواجهة هذا الغزو، مع الايعاز لهذه المراكز بالتعاون فيما بينها وبتوحيد جهودها وبتبادل الخبرات والمعلومات فيما بينها بما يحقق عملاً تعاونياً مشتركاً.

ب - توجيه وزارة التربية في جميع دول مجلس التعاون الخليجي إلى التنسيق فيما بينها بما يتعلق بإلزام المدارس الأجنبية العناية بمادتي اللغة العربية والتربية الإسلامية والتاريخ العربي الإسلامي لما لهذه المواد من دور في تكوين الشخصية العربية المسلمة الخليجية على أن يكون هناك اهتمام ومراقبة في تطبيق ذلك.

ج - توجيه وزارات التربية في جميع دول مجلس التعاون الخليجي إلى أهمية تفعيل دور المنهج أو بمعنى آخر ترجمة المعتقدات الإسلامية والحضارية إلى سلوكيات وحقائق ووضعها موضع التنفيذ.

د - توجيه وزارات التربية في دول مجلس التعاون الخليجي إلى العناية بالبعثات الدراسية عن طريق اختيار أفضل المؤسسات التعليمية من جهة مع الاهتمام برعاية المبعوث من الأخطار والتأثيرات الثقافية الخارجية، من جهة أخرى.

هـ - توجيه أصحاب القرار في دولنا الخليجية في التقليلمن المدارس التبشيرية مع تشجيع إقامة المدارس الخاصة الأجنبية التي تكون تحت رعاية متخصصين من مواطني مجلس التعاون والتي تأخذ في اعتبارها وعنايتها الاهتمام باللغة العربية والتربية الإسلامية.

و - العمل على توظيف المناهج الدراسية بحيث تواكب التغيرات المختلفة مع الأخذ في الاعتبار التطورات والتغيرات المتسارعة لنظام المعلومات والمتوافقة في الوقت نفسه مع عقيدتنا وتراثنا.

ز - العمل على وضع إجراءات مشددة لمنع المواد الثقافية الخارجة على العادات والتقاليد من خلال وضع ضوابط لعملية الاستقبال للأقمار الصناعية.

ح - العمل على توجيه المنتوجات الثقافية المحلية أن تراعي ثقافة المجتمع ومراعاة التطور المطلوب مع إعطاء أهمية إنتاج برامج ثقافية لنماذج مشرفة من الصحابة وأبطال المسلمين والذين كان لهم دور واضح في تقدم المجتمع الإسلامي.

ط - توجيه أصحاب القرار في دولنا الخليجية بتطعيم أبنائنا ضد تلك الأيديولوجيات الغازية والتي تعينهم للدفاع عن عقائدهم وقيمهم وثقافتهم عند المواجهة.

ي - العمل على وضع بعض القيود عند استخدام الإنترنت وبخاصة فيما يتعلق بالبرامج الإباحية والمتنافية مع طبيعة وثقافة وقيم المجتمعات الخليجية.

ك - توجيه أصحاب القرار في دولنا الخليجية على إصدار أقسى اللوائح المتشددة على من يصدر عليه حكم يضر عقيدة وثقافة المجتمع من العمالة الخارجية.

ن - تفعيل دور المسجد ليتلاءم مع التغير الجديد في العالم عن طريق إلحاق مراكز تابعة له تقوم على تنشئة الأجيال وإمدادهم بالثقافة والعلوم والخبرات المفيدة والمتوافقة مع روح العصر التي تمكن لهم عن مسايرة العصر الحالي وتطعمهم بالطعم الواقي من أخطار الغزو الثقافي الخارجي. ■

المراجع:

١ - أنور الجندي، إطار إسلامي للفكر المعاصر، المكتب الإسلامي ٢٤٨ «من غير تاريخ».

٢ - جريدة الراي العام ١٩٩٢م: تأثير التلفاز على المجتمع الأميركي، ١٧ مارس ١٩٩٢م، دولة الكويت.

٣ - حمود عبدالعزيز البدر، واقع الثقافة بين شباب الخليج العربي ودور التربية والإعلام في إعادة بنائها، جامعة الملك سعود «من غير تاريخ».

٤ - سعيد عبدالله حارب المهيدي «١٩٨٤م»: الغزو الفكري في الخليج العربي، رسالة ماجستير، قسم الثقافة الإسلامية، كلية الشريعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض ١٤٠٥هـ.

٥ - محمد عبدالعليم مرسي «١٩٩٨م»: التغريب في التعليم في العالم الإسلامي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية الرياض ١٤٠٩هـ ص١٨.

٦ - محمد عبدالعليم مرسي «١٩٩٥م»: الثقافة والغزو الثقافي في دول الخليج العربي، مكتبة العبيكان، الرياض.

سياسة شرعية

بقلم: أحمد عبدالعظيم محمد

ملامح المنهج الإسلامي في الإدارة العامة

في العدد ٣٩٨ (شوال ١٤١٩هـ) التقينا على صفحات مجلتنا الغراء (الوعي الإسلامي) حول موضوع الإدارة الإسلامية مؤكدين أن الفكر الإسلامي قد أمدّ العلوم الإدارية بأسسها ومقومات وجودها في جميع التخصصات «إدارة عامة - إدارة أعمال - إدارة أفراد - إدارة مالية... إلخ».

وقد تواعدنا أن نلتقي بمشيئة الله مع المنهج الإسلامي في هذه التخصصات لنرى نماذج عملية من خلال الدولة الإسلامية التي بدأ فجرها منذ القرن السابع الهجري.. وها نحن مع المنهج الإسلامي في الإدارة العامة:

الإدارة العامة في معناها العضوي «هي مجموعة منظمات تقوم بتحقيق تدخل الدولة في حياة الأفراد اليومية تحت إشراف السلطات السياسية فيها»(١).

وفي ظل هذا المفهوم، فإن الإدارة العامة لا توجد ولا تمارس نشاطها إلا في ظل وجود دولة، ويتأثر الأسلوب الذي تنتهجه الدولة في تنظيمها الإداري بظروفها السياسية والاجتماعية.

ورغم اختلاف العلماء في تعريف الدولة، إلا أنهم وضعوا لها أركاناً عامة لابد من توافرها لكي يمكن أن نطلق على الجماعة اسم الدولة، وهذه الأركان هي:

١ - الأرض «الإقليم» مجال السيادة والوجود السياسي للدولة.

٢ - الشعب «الجماعة البشرية» مجموعة من الأفراد.

٣ - الحكومة «الهيئة الحاكمة التي تتولى الإشراف على الشعب».

٤ - السلطة «القانون الذي تلتزم به الحكومة تجاه الشعب في هذا الإقليم».

ويرى معظم المؤرخين أن أركان الدولة قد توافرت للمجتمع الإسلامي بعد الهجرة إلى المدينة المنورة، فقد توافرت له:

- الأرض الإسلامية متمثلة في المدينة وما حولها.
- الشعب متمثلاً في مجتمع المدينة من أنصار ومهاجرين ومن حولهم من الأعراب.
- الحاكم متمثلاً في شخص الرسول ﷺ.
- القانون متمثلاً في الدستور السماوي وهو القرآن الكريم، وسنة رسوله الله ﷺ.

الدولة الإسلامية نشأت متميزة

لعلماء الاجتماع آراء متعددة في كيفية قيام الدولة نذكر منها:(٢)

نظرية الحق الإلهي: التي ترى أن الدولة من خلق الله، وأنه هو الذي يختار الملوك لحكم الشعوب وعلى الأفراد السمع والطاعة.

نظرية القوة والغلبة: ومؤداها أنه لما كانت الغلبة للأقوياء والحق يستدعي القوة، فإن الدولة تنشأ باستيلاء جماعة قوية على جماعات ضعيفة تفرض عليها هيمنتها وتمارس فيها سلطانها، وقد تطورت هذه النظرية فيما بعد، فأصبحت هذه الجماعات الصغيرة تتفق فيما بينها على اختيار شخص يكون رئيساً عليهم ويتولى حمايتهم.

نظرية العصبية القبلية: وقد قال بها ابن خلدون، ومؤداها أن القبائل ذات النفوذ تفرض سلطانها على القبائل الضعيفة وتمارس عليها سيادتها وأن الشخص صاحب العصبة والنفوذ هو الذي يستطيع أن يتولى مسؤولية الحكم والرئاسة.

نظرية العقد الاجتماعي: وهي ترى أنه نظراً لتعارض المصالح والميول والنزعات الشريرة اضطر الأفراد إلى البحث عن نظام يكفل لهم الأمن بالتعاقد على إنشاء مجتمع سياسي يخضع لسلطة عليا، ويعتبر هذا العقد أساس قيام الدولة، والحاكم طبقاً لهذه النظرية هو وكيل عن الجماعة وفقاً لإرادتها ولها حق عزله متى أرادت.

إلا أن الدولة الإسلامية نشأت مخالفة لجميع هذه النظريات، فهي لم تكن دولة دينية تحتكر السلطة وترى أن الحاكم هو ظل الله في الأرض كما تقول نظرية الحق الإلهي، وهي لم تقم باستيلاء قلة قوية على كثرة مستضعفة، وهي لم تقم على عصبية لأن الإسلام ينهى عن العصبيات ولا فضل فيه لعربي على عجمي أو لأبيض على أسود إلا بالتقوى والعمل الصالح، وهي لم تقم على عقد تعاهدت عليه جماعات ضعيفة رغبة في الحماية والأمان، وإنما قامت على كلمة الله التي بايع عليها أهل المدينة رسول الله ﷺ.

لقد ارتضى أهل المدينة كلمة الحق فأسلموا زمامهم للنبي عليه الصلاة والسلام، يحكمهم بما جاءت به الشريعة السمحة.

ومن هنا يمكن القول: إن الدولة الإسلامية قامت على العقيدة القوية والسلوك السليم الذي يسلم الأمر لله رب العالمين، ويرضى بسلطانه وكلمته وقضائه وقدرته على أن يحقق للبشرية السعادة في الدنيا والآخرة، ولقد أحسن الرسول ﷺ تنظيم هذه الدولة، فنظّم العلاقات على أكمل وجه وأدق صورة.(٣)

نظم علاقة الإنسان بربه: فبنى المسجد النبوي في المدينة ليكون المدرسة التي يتعلم فيها المسلمون أمور دينهم ودنياهم، ومن هنا ربى المسجد قادة الأمة الإسلامية وخلق روح التكافل الاجتماعي بين جميع

طوائف الأمة.

ونظّم علاقة المسلم بأخيه المسلم: عن طريق المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار.

ونظّم علاقة المسلم بغير المسلم: عن طريق المعاهدة التي عقدها مع غير المسلمين في المدينة.

ومن ما سبق نستطيع أن نؤكد أن الدولة الإسلامية قد ظهرت في القرن السابع الهجري، وشهدت مجتمع المدينة فجر هذه الدولة، وكانت رسالتها تهدف إلى الوحدة الإسلامية ودستورها القرآن الكريم، وقد أمد الإسلام هذه الدولة بالمقومات الأساسية اللازمة لقيامه وهي:

المقومات الاجتماعية: متمثلة في المبادئ الإسلامية الرفيعة مثل الحرية والمساواة وتدعيم روح الجماعة وكل المشاعر الإنسانية السامية.

المقومات السياسية: متمثلة في تلك النظم السامية التي تدعو إلى الوحدة السياسية واختيار الحاكم اختياراً حراً وفرض الطاعة لأولي الأمر وتشجيع الحكام على الالتزام بالعدل والعمل من أجل صالح رعاياهم.

المقومات الاقتصادية: متمثلة في نظام الاقتصاد الذي يكفل الحياة الرغدة لكل المواطنين، والذي يدعو إلى الكسب الحلال والإنفاق المعتدل، والذي ينظر للمال على أنه مال الله والبشر مستخلفون فيه ومحاسبون عليه.

الأسس العامة التي قامت عليها إدارة الدولة الإسلامية:

أولاً ـ الشورى:

الشورى أصل من أصول الحكم الإسلامي تقررت بالقرآن الكريم والسنة النبوية، وعاشت بالتطبيق الإسلامي في مختلف العصور، قال تعالى: (فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك)(٤).

ويقول تعالى في وصف المؤمنين: (والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم)(٥).

أما السنة النبوية فهي تؤكد أن الرسول عليه الصلاة والسلام التزم بمبدأ الشورى منهجاً وسلوكاً، وقد روى عن أبي هريرة رضي الله عنه قوله: «لم يكن أحد أكثر مشورة لأصحابه من رسول الله ﷺ»، ومن المعروف تاريخياً أن الرسول قد التزم برأي أصحابه في غزوة بدر، وفي مواقف أخرى كثيرة، أما الخليفة الأول للمسلمين أبوبكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ فقد ضرب مثلاً أعلى في الشورى ومشاركته أصحابه في اتخاذ القرار، فحينما رأى قتال من سموا بالمرتدين ـ جمع أصحابه وشاورهم وشاركهم في اتخاذ القرار، ومن لم يدخل في هذه الحروب إلا بعد اجتماع الصحابة وقاتناعهم برأيه وإقرارهم هذا الرأي.

وعلى هذا النهج سار عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ ومن أمثلة ذلك أنه حينما رأى عدم تقسيم أرض العراق بين الفاتحين وعارضه بعض الصحابة في ذلك أخذ يناقشهم حتى اقتنعوا برأيه وأقروه، ولم يبدأ بتنفيذه إلا بعد موافقة شبه إجماعية من كبار الصحابة رضي الله عنهم أجمعين.

وهكذا كان شأن حكام المسلمين في مختلف عصور الدول الإسلامية، وهكذا أرسى الإسلام مبدأ الجماعية في الرأي والمشاركة في اتخاذ القرارات، وفي هذا يقول الدكتور منصور أحمد منصور:

كان نظام الشورى في الإسلام ركناً جوهرياً وركيزة من الركائز الإسلامية المتطورة التي يتكون منها نظام الإدارة...(٦)

ثانياً العدل:

في الوقت الذي كان العالم يتخبط فيه بين المدرسة السفسطائية في اليونان القديمة التي تقوم فلسفتها في الحكم والإدارة على أن الغايات تبرر الوسائل، وأن الوصول إلى الحكم والحفاظ عليه يتطلب إسقاط الاعتبارات الأخلاقية والتي تجسدت مبادئها في كتاب الإيطالي ميكافيللي «الأمير»، وبين مدرسة سقراط التي أخذت الجانب المعاكس بالبحث عن المثل الأعلى والصورة الفاضلة للحكم، فجاءت نظرياتها غارقة في المثالية، وتجسدت مبادئها في كتاب «المدينة الفاضلة»(٧)، الذي جاءت محتوياته أقرب إلى الأحلام والخيالات، كان الإسلام يضع مبدأ أساسياً في الإدارة العامة هو مبدأ العدل الذي لا يتأثر بالميل أو الهوى، ويجب أن يتمتع به جميع أبناء الأمة ويتساوون أمامه، والذي لا يميز بين الناس من حيث اللون أو الجنس أو العقيدة، ولقد أكد القرآن الكريم هذا المبدأ في مواضع كثيرة:

قال تعالى: (إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي...)(٨).

وقال سبحانه: (إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل...)(٩).

وقال: (ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى...)(١٠).

أما السنة النبوية فهي تؤكد هذه المعاني وتشرحها:

يقول ﷺ: «إن من أحب الناس إليَّ وأقربهم مني مجلساً يوم القيام إمام عادل»(١١).

ويقول عليه الصلاة والسلام: «... إلا من ظلم معاهداً أو انتقص حقه أو كلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئاً بغير طيب نفس فأنا خصيمه يوم القيامة»(١٢).

وفي كل هذا يوجه الإسلام دعوته صريحة واضحة ويجعل العدل هو أساس النظام الإسلامي كله، ومن ثم فنحن نرى أن المقولات الحديثة التي تفاخر بأن العدل أساس الملك إنما هي من المبادئ التي أرساها الإسلام الحنيف وليست من نتاج الأفكار الليبرالية التي وضعتها المدارس الفكرية في العصر الحديث.

ثالثاً: وجوب الطاعة على المحكومين ووجوب نصرة الحاكم:

قدمت لنا مدارس الفكر السياسي الحديث مبادئ متصارعة حول العلاقة بين الحاكم والمحكومين، فمثلاً يرى «هيجل» أن الإنسان لم يجد حريته وسعادته الحقيقية إلا في الخضوع المطلق للسلطة الحاكمة، ومثله «بودان» الفرنسي، فهو يرى أن الدولة متمثلة في الحاكم هي صاحبة السيادة لأنها تعطي الأوامر للجميع ولا تتلقى أوامر من أحد... أما «هارولد لاسكي» المفكر الإنكليزي فهو ينظر إلى الدولة على أنها ليست المصدر الوحيد للحقوق، وأن المواطن له حق المقاومة إذا اعتدت الدولة على حقوقه الأساسية، وهذا ما أسماه «واجب المقاومة»(١٣).

أما الإسلام فقد وضع لنا علاقة متوازنة بين الحاكم والمحكومين تحدد لكل منهم مسؤولياته، وتعطيه حق ممارسة سلطاته، فهو يفرض على المحكومين طاعة الحاكم مادام عادلاً، فحق الطاعة مقابل إقامة العدل يقول القرآن الكريم: (يأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول)(١٤).

ويؤكد الرسول ﷺ هذا المعنى ويضع الأمور في نصابها الصحيح فيقول: «سيليكم من بعدي ولاة فيليكم البر ببره، ويليكم الفاجر بفجره

فاسمعوا لهم وأطيعوا في كل ما وافق الحق، فإن أحسنوا فلكم ولهم، وإن أساءوا فلكم وعليهم»(١٥)

ويقول عليه الصلاة والسلام: «لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق»(١٦).

ويقول أبو بكر بعد توليه الخلافة: «أيها الناس إني وليت عليكم ولست بخيركم فإن أحسنت فأعينوني وإن أسأت فقوموني، أطيعوني ما أطعت الله فيكم فإن عصيته فلا طاعة لي عليكم)(١٧).

رابعاً: إشراف الحاكم على تنفيذ الشريعة:

الغاية من الحكومة الإسلامية إقامة شرع الله في أرضه، وترتيباً على ذلك، فإن الحاكم ملزم بحفظ الدين على أصوله المستقرة، والإشراف على تنفيذ أحكام الشريعة الإسلامية، فله في هذا الشأن سلطان كبير ومهام متشعبة هدفها حفظ الدين وصلاح الدنيا... وهو في كل خطواته لابد أن يسعى إلى تحقيق الصالح العام للمسلمين وهذا لن يتحقق إلا بالالتزام بمنهج الله تعالى وشريعته، لأن هذا المنهج أعده الله لإسعاد البشر في الأرض، يقول فضيلة الشيخ محمد متولي الشعراوي: «منهج الله جاء ليحكم حركة الحياة في الأرض ويقيم العدل بين الناس، ومع المنهج جاء التحذير بأن من يرد الحياة الحقيقية فليرع الله في الدنيا ليصل إلى الحياة الخالدة في الآخرة منعّماً مكرّماً، وإذا سيطر منهج الله على الحياة في الكون اعتدلت وامتلأت الدنيا خيراً مصداقاً لقوله سبحانه: (ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض)(١٨)، ولو تصادمت الأهواء وتصارعت وبعدت عن منهج الله لانتشر الخراب والشقاء في الأرض»(١٩).

المنهج الإسلامي بين المركزية واللامركزية الإدارية:(٢٠)

المركزية الإدارية تقوم على وحدة السلطة الإدارية والعهد بأعمال الإدارة إلى الحكومة المركزية، وكل من يباشر عملاً إدارياً في أي طرف من أطراف الدولة يكون خاضعاً للحكومة المركزية ومسؤولاً أمامها.

أما اللامركزية الإدارية فهي تقوم على توزيع السلطة الإدارية بين الحكومة المركزية وبين هيئات محلية لها قدر من الاستقلال «مع خضوعها لإشراف الحكومة المركزية»، ولو حاولنا تتبع مراحل التنظيم الإداري للدولة الإسلامية نرى أن هذا التنظيم قد بدأ عندما أرسل النبي ﷺ إلى القبائل من يعلّمها القرآن وأحكام الدين، واتسع حينما بدأ ينيب عنه بعض العمال والموظفين في بعض المدن مثل الحجاز واليمن، أمثال معاذ بن جبل للقضاء في اليمن، وعتاب بن أسد للولاية في مكة، كما أنه عليه الصلاة والسلام بدأ في إرسال الرسل إلى القبائل المختلفة، بعضهم لجمع الزكاة، وبعضهم للغنائم والأموال والصدقات، أمثال علي بن أبي طالب، وعبدالله بن رواحة وآخرين، وكان الرسول عليه الصلاة والسلام هو الذي يحدد اختصاص هؤلاء ومسؤولياتهم، ويفوضهم بعض السلطة في الحدود التي تكفل لهم القيام بمسؤولياتهم، وكانت تلك بدايات التنظيم الإداري، إذ كان الرسول عليه الصلاة والسلام هو مستودع السلطة وهو الذي يفوضها لمن يختارهم في حدود خفيفة، وكان هذا النظام أقرب إلى مفهوم المركزية الحديثة، ورغم اتساع رقعة الدولة الإسلامية في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه، إلا أنه كان يحرص على السير على منهج الرسول، فكان يحتفظ بالسلطة في يده ويفوضها لمن يشاء ضمن الحدود التي تسمح له بالسيطرة على مجريات الأحداث.

وفي أول عهد عمر بن الخطاب كانت الإدارة مركزية مع الأخذ بمبدأ عدم التركيز الإداري، وهذا أعطى للولاة حرية أكبر في التصرف والإدارة.

ويلخص عمر بن الخطاب رضي الله عنه فلسفته هذه في إيجاز فيقول: «ما كان بحضرتنا باشرناه بأنفسنا، وما غاب عنّا ولينا فيه أهل القوة والأمانة»، وكان رضي الله عنه يلجأ إلى المركزية في المسائل العامة، كإدارة المعارك وتحركات الجيوش واتخاذ العواصم في الولايات المختلفة... إلخ، أما المسائل التفصيلية فكان يتركها للولاة.

ومع اتساع رقعة الدولة الإسلامية بعد الفتوح الكبرى في العراق وفارس والشام وغيرها، بدأت حتمية وضع تقسيمات إدارية جديدة واتخذت هذه التقسيمات وجهين:

- تقسيمات إدارية إقليمية.
- تقسيمات إدارية مصلحية.

وفي عهد الدولتين الأموية والعباسية ظهرت بعض الأسباب المهمة التي أدت إلى ضرورة الأخذ ببعض سمات اللامركزية الإدارية ومنها: اتساع رقعة الدولة الإسلامية بسرعة كبيرة وترامي أطرافها مع صعوبة المواصلات، بالإضافة إلى النفور من المركزية من قبل كثير من أمراء الأقاليم.

سار خلفاء الدولتين الأموية والعباسية على نهج يقضي بمنح العامل كل الاختصاصات والسلطات التي تمكّنه من أداء عمله دون الرجوع إلى الحكومة المركزية إلا في أضيق نطاق.

وهكذا نرى أن المنهج الإسلامي في الإدارة العامة قد أمدّ الفكر الإداري الحديث بأسس ومقومات وجوده، ووضع له المبادئ التي تكفل له تحقيق التقدم والرخاء للبشرية جمعاء... والله ولي التوفيق. ■

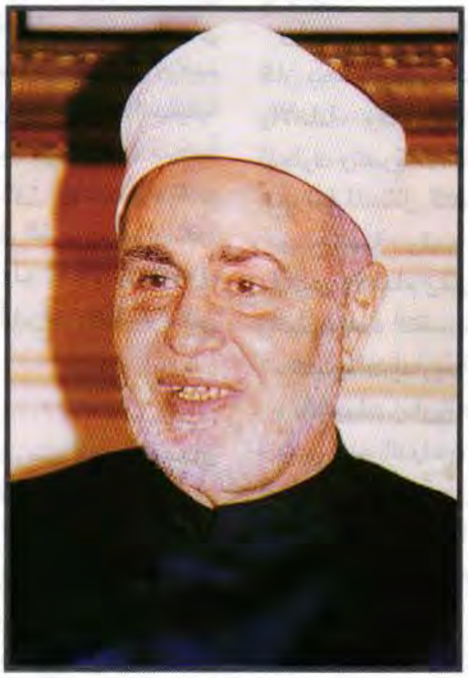
الهوامش:

١ - د. سليمان الطماوي «الوجيز في القانون الإداري» مقدمة عامة ص٤.
٢ - المستشار عمر شريف نظام الحكم والإدارة في الدولة الإسلامية ص٢٤.
٣ - انظر مجلة منبر الإسلام - عدد محرم ١٤٠٣هـ كلمة فضيلة الشيخ فكري حسن إسماعيل حول «الهجرة وقيام الدولة الإسلامية».
٤ - سورة آل عمران الآية: ١٥٩.
٥ - سورة الشورى الآية ٣٨.
٦ - انظر د. منصور أحمد منصور، قراءة في تنمية الموارد البشرية، المقدمة.
٧ - د. علي الدين هلال «علم السياسة» ص ٢١ وما بعدها.
٨ - سورة النحل الآية ٩٠.
٩ - النساء: ٥٨.
١٠ - سورة المائدة الآية ٨.
١١ - في رواية الترمذي (أحب الناس إلى الله يوم القيامة وأقربهم مني مجلساً إمام عادل).
١٢ - ذكره أبو يوسف في الخراج.
١٣ - انظر د. علي الدين هلال (علم السياسة) ص٢٢، ٢٣.
١٤ - سورة النساء الآية ٥٩.
١٥ - ورد في الصحيحين بالمعنى نفسه مع اختلاف اللفظ.
١٦ - أخرجه الإمام أحمد وعبدالرزاق عن ابن مسعود.
١٧ - راجع خلف محمد الحسيني (البيان في منهاج الإسلام) ص١٧٢.
١٨ - سورة الأعراف الآية ٩٦.
١٩ - فضيلة الشيخ: محمد متولي الشعراوي (معجزة القرآن) الجزء التاسع ص ٢٢.
٢٠ - لمزيد من التفاصيل راجع المستشار عمر شريف (نظام الحكم والإدارة في الدولة الإسلامية) ص٢٤٢ وما بعدها.

نظرات في كتاب الله - تعالى - 7/2

تفسير سورة «الفتح»

قال الله تعالى: (هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم ولله جنود السموات والأرض وكان الله عليماً حكيماً. ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ويكفر عنهم سيئاتهم وكان ذلك عند الله فوزاً عظيماً. ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات الظانين بالله ظن السَّوْء عليهم دائرة السوء وغضب الله عليهم ولعنهم وأعدَّ لهم جهنم وساءت مصيراً. ولله جنود السموات والأرض وكان الله عزيزاً حكيماً) الآيات من ٤ ـ ٧.



بقلم: فضيلة الدكتور
محمد سيد طنطاوي - شيخ الأزهر

بعد أن بشَّر الله - تعالى - نبيَّه محمداً - ﷺ - بأعظم البشارات، وأكرمه غاية الإكرام، اتبع - سبحانه - ذلك ببيان جانب من نعمه على عباده المؤمنين الصادقين، فقال: (هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم).

ولفظ «السكينة»: مأخوذ من السكون. والمراد بها هنا: الثبات والطمأنينة التي أودعها الخالق - عزَّ وجلَّ - في قلوب عباده المؤمنين الصادقين، فترتَّب على ذلك أن أطاعوا الله - تعالى - وأطاعوا رسوله ﷺ، بعد أن ظنوا أن في شروط صلح الحديبية ظلماً لهم، وبعد أن بايعوا النبي ﷺ على الموت حين بلغهم أن عثمان بن عفان - رضي الله عنه - قد اعتدى عليه المشركون.

وفي التعبير عن حلول السكينة والطمأنينة في قلوب المؤمنين بالإنزال، إشعار بعلو شأنها، حتى لكأنها قد كانت مودعة في خزائن رحمة الله تعالى، ثم أنزلها بفضله وإحسانه في قلوبهم بعد ذلك. أي هو - سبحانه - بفضله ورحمته الذي أنزل السكينة والطمأنينة والثبات في قلوب المؤمنين، فانشرحت صدورهم بصلح الحديبية، بعد أن ضاقت به في أول الأمر.

وقوله تعالى: (ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم) تعليل لهذا الإنزال للسكينة.

أي: أنه - عزَّ وجلَّ - أوجد السكينة وسكبها في قلوب عباده المؤمنين، ليزدادوا يقيناً على يقينهم، وتصديقاً فوق تصديقهم، ورسوخاً على رسوخهم في إخلاص العبادة لله الواحد القهار.

وشبيه بهذه الآية قوله تعالى: (إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تُليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون)(١).

وقوله - سبحانه - (وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه إيماناً. فأما الذين آمنوا فزادتهم إيماناً وهم يستبشرون. وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجساً إلى رجسهم، وماتوا وهم كافرون)(٢).

ومن الأحكام التي أخذها العلماء من هذه الآية الكريمة وأمثالها في المعنى: أن الإيمان يزيد وينقص، قال الإمام الآلوسي - رحمه الله -: قال البخاري: لقيت أكثر من ألف رجل من العلماء بالأمصار، فما رأيت أحداً منهم يختلف في أن الإيمان قول وعمل، ويزيد وينقص.

واحتجوا على ذلك بالعقل والنقل، أما العقل، فلأنه لو لم تتفاوت حقيقة الإيمان، لكان إيمان آحاد الأمة، المنهمكين في الفسوق والمعاصي، مساوياً لإيمان الأنبياء، واللازم باطل، فكذا الملزوم.



وأما النقل، فمن شواهده تلك النصوص الكثيرة التي وردت في هذا المعنى، ومنها الآية التي معنا وما في معناها من آيات أخرى.

وفي الحديث الشريف عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: قلنا يا رسول الله: هل الإيمان يزيد وينقص؟ قال: «نعم يزيد حتى يدخل صاحبه الجنة، وينقص حتى يدخله النار»، وقال ﷺ : «لو وزن إيمان الأمة بإيمان أبي بكر، لرجح إيمان أبي بكر».

وقال الإمام النووي وغيره: إن الإيمان بمعنى التصديق القلبي، يزيد وينقص، بكثرة النظر، ووضوح الأدلة، ولهذا كان إيمان الصديقين أقوى من إيمان غيرهم»(٣).

ويرى بعضهم أن الإيمان لا يزيد ولا ينقص، لأنه عندهم اسم للتصديق البالغ من الجزم المسمى بالإذعان، وهو لا يتصور فيه نقص ولا زيادة.

والحق أن الإيمان يزيد وينقص، لأن النصوص التي سبق أن ذكرناها تؤيد ذلك، ولأن التصديق القلبي يزيد ويقوى بكثرة البراهين وقوتها، وكل شخص يشعر من نفسه أن عقيدته في أي شيء تقوى وتتفاضل، حتى تكون في بعض الأحيان أقوى منها في بعض آخر، وكلما صفت النفس، وطهر العقل، وزكا العقل، وحسنت الصحبة، قوى الإيمان، ورسخ اليقين، وثبت التصديق، وارتفع في إخلاص العبادة لله الواحد القهار، حتى يكون ممن رضي الله عنهم ورضوا عنه.

ثم بيَّن ـ سبحانه ـ بعد ثنائه على نبيه محمد ﷺ وعلى أتباعه الصادقين، أن هذا الكون بمن فيه وبما فيه، إنما هو ملك له ـ عزَّ وجلَّ ـ وحده، دون أن يشاركه في ذلك مشارك، أو ينافسه منافس، فقال: (ولله جنود السموات والأرض وكان الله عليماً حكيماً).

أي: ولله ـ تعالى ـ وحده جنود السموات والأرض، من ملائكة، وجن، وإنس، إذ الكل تحت قهره وسلطانه فهو ـ سبحانه ـ الذي يدبّر أمرهم كيف شاء، ويدفع بعضهم ببعض، كما تقتضي حكمته وإرادته، وهو ـ تعالى ـ العليم بكل شيء، الحكيم في جميع أفعاله وتصرفاته.

وشبيه بهذه الآية في شمول ملك الله ـ تعالى ـ لكل شيء، في هذا الكون قوله ـ سبحانه: (لله ملك السموات والأرض وما فيهن وهو على كل شيء قدير)(٤).

وقوله ـ عزَّ وجلَّ ـ: (ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين)(٣).

ثم بيَّن ـ سبحانه ـ الحكمة في إعطاء رسوله ـ ﷺ ـ تلك المنازل العالية، وفي إنزال الخير على عباده المخلصين، فقال: (ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار...)

واللام في قوله ـ تعالى ـ «ليدخل» متعلقة بمحذوف: أو بقوله: «فتحنا».

أي: فعل ـ سبحانه ـ ما فعل من بشارات سامية لرسوله ـ ﷺ ـ ومن ثبات لقلوب عباده الصالحين، ومن جعل جنود السموات والأرض تحت سيطرته وملكه، ومن دفع الناس بعضهم ببعض، ليدخل المؤمنين الصادقين، والمؤمنات الصادقات، جنات عاليات، تجري من تحت أشجارها الأنهار (خالدين فيها) خلوداً أبدياً

مادامت السموات والأرض (ويكفّر عنهم سيئاتهم) التي فعلوها في دنياهم، بأن يغفرها لهم، ويزيلها عنهم، بل يحولها لمن شاء منهم بفضله وكرمه إلى حسنات (وكان ذلك) الإدخال للمؤمنين الجنة، وتكفير سيئاتهم (عند الله) - تعالى - (فوزاً عظيماً) لا يقادر قدره، لأن نهاية آمال المؤمنين، وأقصى ما يتمناه العقلاء المخلصون.

والمتأمل في أسلوب القرآن الكريم، يراه في معظم آياته وسوره، لا يتحدث عن المؤمنين وحسن عاقبتهم في موضع، إلا واتبع ذلك بالحديث عن المشركين وسوء مصيرهم (ليهلك من هلك عن بيّنة ويحيى من حيٍّ عن بينة).

وهذه الحقيقة نراها حتى في السور التي هي من قصار المفصل، كما في قوله - عزَّ وجلَّ - (فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره. ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره).

وكما في قوله - سبحانه - (إن الأبرار لفي نعيم. وإن الفجار لفي جحيم).

وهنا في سورة الفتح نرى هذه الحقيقة سافرة، فبعد أن بشّر الله - تعالى - عباده المؤمنين الصادقين، بالجنات التي فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، بعد كل ذلك جاء الحديث عن سوء مصير المشركين الذين اتخذوا مع الله - تعالى - آلهة أخرى، حيث قال - سبحانه -: (ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات الظانين بالله ظن السوء).

أي: أن عدالة الله - تعالى - قد اقتضت أن يدخل الذين أخلصوا له المبادرة والطاعة جنات تجري من تحت أشجارها الأنهار، وأن يتجاوز عن سيئاتهم، وأما المنافقون والمنافقات الذين يظهرون خلاف ما يبطنون، فهم الذين حكم الله تعالى عليهم بالكذب، وأما المشركون والمشركات الذين عبدوا غير الله تعالى من مخلوقاته، فأولئك جميعاً لهم جهنم وبئس المصير.

وقوله - سبحانه - (الظانين بالله ظن السوء) صفة أخرى من صفات هؤلاء المنافقين والمنافقات، والمشركين والمشركات، قصد بها الزيادة في ذمهم، وفي تقبيح أحوالهم.

أي: ويعذب - سبحانه - هؤلاء الذين جمعوا إلى جانب نفاقهم وشركهم، رذيلة أخرى، ألا وهي أنهم ظنوا بالله - تعالى - وبرسوله ﷺ، وبالمؤمنين، الظن السيئ، بأن توهموا أن الهزيمة ستحل بهم، أو أنهم هم الذين على الحق، وأن أتباع الرسول ﷺ - على الباطل.

وقوله: «السوء»: صفة لموصوف محذوف. أي: الظانين بالله ظن الأمر السَّوْء.

وقوله - تعالى: (عليهم دائرة السَّوْء): دعاء على هؤلاء المنافقين والمشركين، بأن ينزل بهم ما أرادوه للمؤمنين من شر وهزيمة. أي: عليهم وحدهم ينزل ما يتمنونه للمؤمنين من سوء وبلاء.

والدائرة في الأصل تطلق على الخط المحيط بالشي، ثم استعملت في النازلة أو المصيبة المحيطة بمن نزلت به، وتستعمل أكثر ما تستعمل في المصائب والمكاره.

قال صاحب الكشاف: قوله: (عليهم دائرة السوء)، أي ما يظنونه ويتوقعونه هو حائق بهم ودائر عليهم والسوء والهلاك والدمار، فإن قلت: هل من فرق بين السوْءِ والسوء قلت: هما كالكَره والكُره، والضَّعف والضُّعف، وهما مأخوذان من ساء، إلا أن اللفظ المفتوح غالبٌ في أن يضاف إليه ما يُراد ذمه من كل شيء، وأما اللفظ المضموم، فجار مجرى الشر الذي هو نقيض الخير»(٦)

وقوله - تعالى: (وغضب الله عليهم ولعنهم وأعدَّ لهم جهنم وساءت مصيرا) بيان للون آخر من سخط الله - تعالى - عليهم، ومن عقابه لهم.

أي: أن هؤلاء المنافقين والمشركين، ليس عليهم دائرة الهلاك والدمار فقط، بل عليهم فوق كل ذلك غضب الله - تعالى - وعليهم لعنته، وطردهم من رحمته، وأعدلهم سبحانه في الآخرة نار جهنم وساءت مستقراً ومصيراً.

ثم أكد - سبحانه - ملكيته لكل شيء فقال: (ولله جنود السموات والأرض وكان الله عزيزاً حكيماً) أي: ولله - تعالى - جنود السموات والأرض، وكان - سبحانه - ومازال غالباً على كل شيء، حكيماً في كل أوامره ونواهيه، وفي كل تصرفاته وأفعاله.

ولما كان المقصود من ذكر الجنود هنا: تهديد المنافقين والمشكرين، وأنهم في قبضته - تعالى - ناسب أن تختتم الآية هنا بقوله: (وكان الله عزيزاً حكيماً) لأن العزة تقتضي الغلبة للغير.

ولما كان المقصود من ذكر الجنود في الآية الرابعة من هذه السورة، بيان أن المدبّر لهذا الكون هو الله تعالى ناسب أن تختتم الآية هناك بقوله سبحانه: (وكان الله عليماً حكيماً).

هذا، والمتأمل في هذه الآيات يراها قد بشَّرت المؤمنين الصادقين بما يستحقونه بفضل الله تعالى من خير عميم، وأجر جزيل، كما أنذرت المنافقين والمشركين بسوء المصير، لكي يعتبر العقلاء، وينهجوا النهج الذي يجعلهم من السعداء لا من الأشقياء.

نسأل الله - تعالى - أن يجعلنا جميعاً ممن رضي الله عنهم ورضوا عنه. ■

الهوامش:

١ - سورة الأنفال: الآية ٢.
٢ - سورة التوبة: الآيتان ١٢٤، ١٢٥.
٣ - تفسير الآلوسي ج٢٦ ص ٩٢.
٤ - سورة المائدة: الآية ١٢٠.
٥ - سورة الأعراف: الآية ٥٤.
٦ - تفسير الكشاف ج٤ ص ٣٣٤.

بقلم : د. أحمد محمود كريمة

وسائل العبادات ومقاصدها في التشريع الإسلامي

العبادات في اللغة الطاعة، والمعبّد: المذلّل من الطريق وغيره، وتعبّد نفسك.(١)

ويرى أبو الأعلى المودودي أن المفهوم الأساسي لكلمة «عبد» هو أن يذعن المرء لعلاء أحد وغلبته، ثم ينزل له عن حريته واستقلاله ويترك إزاءه كل المقاومة والعصيان وينقاد له انقياداً.(٢)

وعرّف ابن تيمية العبادة بأنها: اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة، فالصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، وصدق الحديث، وأداء الأمانة، وبر الوالدين، وصلة الأرحام، والوفاء بالعهود، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والجهاد بالكفار والمنافقين، والإحسان للجار واليتيم والمسكين وابن السبيل، والمملوك من الآدميين والبهائم، والدعاء، والذكر، والقراءة، وأمثال ذلك من العبادة، وكذلك حب الله ورسوله وخشية الله والإنابة إليه وإخلاص الدين له، والصبر لحكمه، والشكر لنعمه، والرضا بقضائه، والتوكل عليه، والرجاء لرحمته، والخوف من عذابه، وأمثال ذلك كله من العبادة لله.(٣)

العبادة محبة وخضوع

لابد من توافر عنصرين في سلوك الشخص حتى يعد تصرفه عبادة، وهو الذل والحب، فالخضوع والذل من دون المحبة، كذلك المحبة من دون خضوع ومذلة لا يشكل أي منهما عبادة بالمفهوم الإسلامي لها عند ابن تيمية، فمن خضع لإنسان مع بغضه له لا يكون عابداً له، ولو أحب شيئاً ولم يخضع له لم يكن عابداً له.(٤)

أ ـ المحبة بين العابد والمعبود:

إن مفهوم العبادة في الإسلام مرتبط بالمفهوم الإسلامي لله سبحانه ـ الذي سبق أن أشرنا إليه ـ أن الصفة التي أكثر من وصف نفسه بها القرآن الكريم هي صفة الرحمة، ومن مستلزمات الرحمة المحبة، وفي العقيدة الإسلامية أن المحبة لا تقتصر على محبة المؤمن لله تعالى، بل يقابلها محبة الله تعالى للمؤمن.

لذا، كان مقياس الإيمان الصحيح الذي يرضى عنه الله متمثلاً في وصفه تعالى للمجتمع المؤمن. (يأيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه) المائدة:٥٤.

وادعاء حب الله لا يصدق إلا بالطريقة التي حددها الله سبحانه، أما أن يدَّعي امرؤ أنه محب لله ثم يخالف كل ما أمر به الله فهو ادعاء باطل وزعم كاذب. قال تعالى: (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم) آل عمران:٣١.

فالدليل على محبة الإنسان لله تعالى يكون باتباع الشريعة التي أنزلها الله على أنبيائه ورسله، فإن فعل المؤمن ذلك أحبه الله وزاده مع حبه مغفرة لذنوبه، أما الكافرون الذين يبتعدون عن طاعة الله فهم مطرودون من محبته، لذلك اتبعت الآية السابقة بقوله تعالى: (قل أطيعوا الله والرسول فإن تولوا فإن الله لا يحب الكافرين) آل عمران:٣٢.

ب ـ محبة الله فوق كل محبوب:

بعض الناس يزعمون أنهم يحبون الله، ولكنهم يشركون في حبه سواه من الناس أو الأشياء أو المعاني، ومثل هذه المشاركة في المحبة يرفضها الله ويعذب أصحابها سواء أكان حبهم لغير الله معادلاً لحبهم له أم زائداً عنه. قال تعالى: (ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حباً لله) البقرة:١٦٥، وفي معرض المقارنة في درجة الحب بين الله وبين سواه، يقول تعالى: (قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين) التوبة:٢٤.

إن هذا التهديد يعني أن العبادة الحقة القائمة على الخضوع وإخلاص المحبة لله عز وجل لا تكون مع محبة غيره ـ ممن ذكرهم الله أو سواهم ـ محبة تخل بالإيمان بالله عز وجل فهو أغنى الشركاء.

العبادة ذات أثر عملي

وقد أخبر رسول الله ﷺ بأن المحبة تولد في قلب المؤمن شعوراً يملؤه بحلاوة الإيمان، ففي الحديث: «ثلاث من كن فيه وجد حلاوة

الإيمان في قلبه: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار».(٥)

والإيمان ومحبة الله في الإسلام ذات نتائج عملية، تدفع إلى تكوين المؤمن في سلوكه وعلاقاته تكويناً إيمانياً إسلامياً، أما المحبة النظرية والتغزل بمحبة الله عز وجل أو محبة الرسول عليه الصلاة والسلام دون الاهتمام بالجانب العملي ـ كما عند بعض المتدينين من غير المسلمين ـ اتجاه لا ينسجم مع ما أكدته الآيات والأحاديث كما في الحديث السابق وانطلاقاً من القاعدة القرآنية: (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله) آل عمران:٣١.

والأحاديث في هذا كثيرة مثل: «والذي نفسي بيده لا يؤمن عبد حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»(٦).

والصلاة التي تعتبر لب العبادة وأهم أشكالها، وأقواها وجوباً على المسلم وأكثرها ممارسة من قبله تهدف إلى تحقيق الاستقامة وتجنب ارتكاب الأخطاء والآثام: (وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون) العنكبوت:٤٥.

ويؤكد الرسول عليه الصلاة السلام أهمية الصلاة باعتبارها تطهيراً للعبد من الخطايا، إذ إنها لتقارب أوقاتها تحول غالباً بين المؤمن وبين كثير من الخطايا وإن جهل واقترف شيئاً منها فإنها تسرع به إلى طريق التوبة والاستغفار قال عليه الصلاة والسلام: «أرأيتم لو أن نهراً بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات هل يبقى من درنه شيء؟ قالوا: لا يبقى من درنه، فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا»(٧).

والزكاة عبادة مالية ولكن غايتها كذلك التطهير والتزكية للمجتمع، بالقضاء على الفقر المدقع، والحاجة الشديدة، وتطهير للفرد المعطي إذ يحسّ أنه أسهم بماله بإسعاد غيره، وللآخذ إذ تزيل ما بنفسه من المرارة وما قد يتراكم في قلبه من الحسد على من فضلوا عليه بالرزق، لذلك قال الله عنهم: (خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصلّ عليهم إن صلاتك سكن لهم) التوبة:١٠٣، والصوم وسيلة لدعم التقوى في النفوس والتقوى هي سياج النفس وهي المحرّك لكل خير: (يأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون) البقرة:١٨٣، والحج يذكر القرآن منافعه ثم ما فيه من الذكر: (وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق. ليشهدوا منافع لهم ويذكروا الله في أيام معلومات) الحج: ٢٧ـ٢٨.

الامتناع عن عبادة الله استكباراً وشركاً

قد يزعم بعض الناس أنهم لا يشركون بالله أحداً ولا يعبدون غير الله، كما أنهم لا يعبدون الله، ومثل هؤلاء أحد اثنين:

أولهما أنه لا يعبد الله لأنه مشغول بغيره وقد لا يكون هذا الغير إلهاً معبوداً بمعنى الكلمة، بل يكون شهوات نفسه وأطماعه، وهواه، فيكون ممن وصفهم الله سبحانه بالضلال وانغلاق السمع والقلب والبصر. قال تعالى: (أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون) الجاثية:٢٣.

والثاني: أنه لا يعبد الله استكباراً وعتواً وذلك أشد كفراً، قال تعالى: (وقال ربكم ادعوني استجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين) غافر:٦٠، ويرى ابن تيمية أنه ما من مخلوق يستطيع أن يخرج من العبودية لله بوجه من الوجوه لقوله تعالى: (إن كُـلُّ من في السموات والأرض إلا آتي الرحمن عبداً) مريم:٩٣، فمن توهم أن المخلوق يخرج من العبودية فهو أجهل الخلق، بل من أضلهم.(٨)

إلا أنه يرى مع ذلك أن من لم يكن الله معبوده ومنتهى حبه وإرادته، لابد أن يكون له مراد محبوب يستعبده غير الله فيكون عبداً لذلك المحبوب، وإذا كان عبداً لغير الله يكون مشركاً، وكل مستكبر فهو مشرك، ولهذا كان فرعون من أعظم الخلق استكباراً، لذا قال الله عنه: (وقارون وفرعون وهامان ولقد جاءهم موسى بالبينات فاستكبروا في الأرض وما كانوا سابقين)العنكبوت:٣٩.

عبادة الله تكريم للإنسان

لقد تبيَّن لنا أن الإنسان لا ينفك أن يكون محباً ومتعلقاً ومن ثم عابداً لشيء أو ذات أو معنى، وتبيَّن لنا كذلك أنه ما من شيء أو ذات أو معنى يستحق العبادة وحبها وتعلقها إلا الله سبحانه، وإن عبادة غير الله تؤدي بالإنسان أن يذل لما يعبد وأن علاقة الناس بالناس أو الأشياء المعبودة ستجعل من عبادها عبيداً يستذلهم من هو مثلهم أو أدنى منهم فتنتشر بين الناس عبودية البشر للبشر وتنقسم المجتمعات الإنسانية إلى جبارين متكبرين وعبيد مستذلين، أما عندما يتجه البشر كلهم إلى عبادة رب كل شيء وخالق كل شيء والمسيطر على كل شيء، تتحقق بينهم المساواة في العبودية لله وفي الوقت نفسه يحققون المساواة في التحرر من كل ما يستعبد الإنسان مما سوى الله.

لذلك وصف القائد المسلم الإسلام للقائد الفارسي بأنه جاء ليخرج الناس من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام.

ويعبر ابن تيمية عن رفعة منزلة العبودية بأن كمال المخلوق في تحقيق عبوديته لله وكلما ازداد العبد تحقيقاً للعبودية ازداد كماله وعلت درجته.(٩) وهذا صحيح، إذ إن في كمال العبودية لله كمال التحرر من عبودية غيره، لذا كانت دعوة الرسل جميعاً قائمة أول كل شيء على الدعوة إلى عبادة الله، قال تعالى: (وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نُوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون) الأنبياء:٢٥، وقال تعالى: (ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) النحل:٣٦.

وإضافة صفة العبديّة أو العبودية في القرآن الكريم ترد دائماً على سبيل التكريم والرفعة، والتحرر من سيطرة القوى الشريرة كالشياطين، قال تعالى في بيان محاورة إبليس لعنه الله: (قال رب بما أغويتني لأزينن لهم في الأرض ولأغوينهم أجمعين. إلا عبادك منهم المخلصين. قال هذا صراط عليَّ مستقيم. إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين) الحجر:٣٩ـ٤٢. والعابدون لله لهم ميراث الأرض، ومنهم تقبل التوبة وعليهم تُنزل الرحمة، ومسكنهم الجنة، والآيات في ذلك كثيرة منها: (ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون) الأنبياء:١٠٥، ومنها (نبئ

عبادي أني أنا الغفور الرحيم) الحجر:٤٩، ومنها: (قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله) الزمر:٥٣، ومنها: (يأيتها النفس المطمئنة. ارجعي إلى ربك راضية مرضية. فادخلي في عبادي. وادخلي جنتي) الفجر:٢٧-٣٠.

التحرر من القيود

ومن مظاهر هذا التحرر ما يلي:

أ - التحرر من وساطة الوسطاء:

فالله سبحانه وتعالى قريب منَّا ندعوه بلا وساطة نبي ولا وساطة كاهن، قال تعالى: (وإذا سألك عبادي عنِّي فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون) البقرة:١٨٦، لذا وجهنا القرآن الكريم إلى دعاء الله بالخفية بيننا وبين أنفسنا: قال تعالى: (ادعوا ربكم تضرعاً وخفية) الأعراف:٥٥. وقال تعالى: (واذكر ربك في نفسك تضرعاً وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والآصال) الأعراف:٢٠٥. وقال تعالى: (وأسروا قولكم أو اجهروا به إنه عليم بذات الصدور) الملك:١٣. ومن الحديث: «إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله» (١٠).

ب - التحرر من الشكليات:

فالعبرة من العبادة في الإسلام إخلاص النية. قال تعالى: (هو الحي لا إله إلا هو فادعوه مخلصين له الدين) غافر:٦٥. وقال تعالى: (وما أمروا إلا ليعبدو الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة) البينة:٥.

وفي الحديث الذي يعتبر أصلاً من أصول الإسلام: «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى» (١١).

فالذبائح مثلاً التي كانت تنحر في الأديان الأخرى لإرضاء الآلهة وتحرق دون أن يستفيد منها أحد - ومنها الذبائح الآدمية تروي تعطّش الآلهة المزعومة للدماء - لقد حررنا الإسلام من أمثالها، فالذبائح في ديننا وسيلة لإيصال الخير وإطعام المحتاجين أما الله فهو كما يقول تعالى: (لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم) الحج:٣٧.

لذا، فإن المسلم يردد في كل ركعة من ركعات صلاته إعلان الإخلاص في عبادة الله وحده: (إياك نعبد وإياك نستعين)، أي لا نعبد إلا إياك ولا نستعين إلا بك. وفي الحديث أيضاً: «إن الله لا ينظر إلى أجسامكم ولا إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم)(١٢).

إن من ينظر في طقوس العبادات في الأديان الأخرى وشكلياتها يهوله ما يرى من الالتزام بطقوس ومراسم تقيد العابد وتجرد عبادته من الروح وتحيلها إلى طقوس فارغة ومجموعة من الحركات والألبسة والرموز المعقدة التي لا يفهمها عامة المتعبين غالباً، وإنما هي أسرار من أسرار الدين الغامضة، التي تمنح الكهنة ورجال الدين امتيازات يحسنون استغلالها، ومن هنا خلا الدين الإسلامي جملة وتفصيلاً من الكهنوت ورجال الدين وكل ما يتبعهم عادة من طقوس وشكليات، حتى المساجد فإن الأصل فيها ألا تعتبر مؤسسات رسمية يقوم على خدمتها وقيادة العبادة فيها أناس متفرغون لهذا العمل، وإنما هي أماكن للعبادة فحسب، يعمرها كل المسلمين وهم فيها متساوون تماماً، فإذا حضرت الصلاة فالقاعدة التي نصَّ عليها حديث الرسول ﷺ: «يؤم القوم اقرؤهم لكتاب الله».(١٣)

وقد أقر الفقهاء بعد عصر الصحابة والتابعين جواز توظيف من يتولى الإمامة والأذان في المساجد نتيجة اتساع العمران وتعدد أنشطة الناس.

ومن التحرر من الشكليات أن العبادة غير مُقيدة بمكان معين، فأينما أدرك المسلم وقت الصلاة صلاها، ففي الحديث: «جعلت لي الأرض طهوراً ومسجداً)(١٤).

ج - التحرر من العنت والحرج

أن تقييد العبادة في الأديان الأخرى بالشكليات، وانطلاقها من فلسفة تفصل بين عناصر الإنسان روحه وجسده وعقله، جعلت من العبادة عبئاً ثقيلاً على الناس لذلك نرى في معظم الأديان انصراف معظم الناس عن ممارسة العبادات المقررة، لصعوبتها وتعقيدها وتخصص رجال الدين ليقوموا بتلك الواجبات عن جمهور أتباع الدين، واتخذوا ذلك حرفة لهم، أمّا الإسلام فالعبادة ميسرة وضمن طاقة الإنسان العادي، وفي إطار القاعدة الإسلامية التي لا يمكن التخلي عنها، وهي أنه لا حرج في الدين ولا تكليف فيه فوق طاقة الإنسان، قال تعالى: (لا يكلف الله نفساً إلا وسعها) البقرة:٢٨٦. ولذلك وجدت العبادات البديلة والعبادات المخففة في الأحوال الطارئة، وهذا الأسلوب مما تفرَّد به الإسلام على كل الأديان، فالوضوء بالماء وبديله التيمم، والصلاة مع الوقوف وعند العجز يصلي المرء قاعداً أو مضطجعاً، والصوم هو الأصل إلا أنه يجوز الإفطار في المرض أو السفر، وصلاة الأربع في السفر تصبح ركعتين، والحاج مقيد بأعمال ونوع معين من اللباس، فإن عجز فدى واستبدل، وصدق الله العظيم: (هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج) الحج:٧٨.

شمول العبادة في الإسلام

سبق أن أوضحنا أن الإسلام قد أعطى مفهوماً موسعاً للعبادة فهي ليست قاصرة على الصلاة كما في الأديان الأخرى، وإنما تشمل كل نشاط يقوم به الإنسان سواء أكان متعلقاً بنفسه أم بربه أم بأسرته أم بمجتمعه، إذا قصد بذلك النشاط رضا الله، وقد سبق أن ذكرنا أن الإيمان بضع وسبعون شعبة وأن أدناها إماطة الأذى عن الطريق وكلها وغيرها يمكن أن تكون عادة يثاب عليها المؤمن إذا أداها مريداً بها وجه الله عز وجل، وحسبنا قول الله تعالى: (فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره) الزلزلة:٧.

وهكذا بالنية الصادقة والإخلاص في العمل والاستقامة لله عز وجل يستطيع المسلم أن يجعل كل لحظة من لحظات حياته عبادة.

وقد لا يكون من السهل إحصاء أبواب العبادة في الإسلام، إلا أننا قد نستطيع أن نبين أنواع العبادات الرئيسة التالية:

أ - عبادات يؤديها المرء بجسده: كالصلاة التي تتضمن ركوعاً وسجوداً وقياماً وقعوداً، وكذلك الوضوء والطهارة وما يشبهها وكذلك الصوم.

ب - عبادات يؤديها المرء بماله: كالزكاة والصدقات التي يخرجها من ماله.

ج - عبادات بدنية ومالية: كالجهاد والحج، فهما يتضمنان أفعالاً

بدنية بمنتهى الخطورة كالتضحية بالنفس والطواف والسعي ورمي الجمار كما يتضمنان إنفاقاً مالياً بالسفر والإقامة والإعداد للجهاد وما يلزمه من مؤونة وسلاح ونحر للهدي في الحج.

د ـ عبادات ليست في الأصل عبادة وإنما هي أعمال بشرية عادية: كالقيام بالأعمال العادية كالزراعة والتجارة والأعمال الوظيفية التي يرتزق منها الإنسان. ويستطيع المؤمن أن يجعل منها عبادة يؤجر عليها من غير أن يلغي الجانب النفعي فيها، كالراتب، أو ربح التجارة وناتج الزراعة، وذلك بأن ينوي منها أن يستقيم على أمر الله ويعف نفسه عن الحرام، حتى الأعمال السلبية كالصمت والابتعاد عن الشر تعد عبادة إذا قصد منها إرضاء الله تعالى، ففي الحديث الشريف: «على كل مسلم صدقة، قال: أرأيت إن لم يجد، قال: يعمل بيديه فينفع نفسه ويتصدق، قال: أرأيت إن لم يستطع، قال: يعين ذا الحاجة الملهوف، قال: أرأيت إن لم يستطع؟ قال: يأمر بالمعروف أو الخير، قال: أرأيت إن لم يفعل؟ قال: يمسك عن الشر فإنها صدقة»(١٥).

هـ ـ عبادات عقلية وفكرية: وتتمثل بالتفكير في مخلوقات الله تفكيراً يقود إلى تعميق الايمان وزيادة اليقين، فقد ينظر المرء في السماء والنجوم أو في دقائق خلقه في الأحياء أو غيرهم ويرى من دقائق صنعه وعجائب خلقه أدلة على وجوده، وحكمته، وتفضله، فيزداد إيمانه وينتقل هذا الايمان إلى غيره من أهله أو من الناس، قال تعالى في الثناء على أمثال هذه التأملات: (إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب. الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانك فقنا عذاب النار) آل عمران: ١٩٠ـ١٩١.

وقد ينظر إلى العبادات من زاوية أخرى سواء كانت عبادة فردية كالصلاة للمنفرد، أو جماعية كالصلاة الجماعية والجمعة وصلاة العيد وغير ذلك من التقسيمات، إلا أن الذي لا شك فيه إن العبادة في الإسلام شاملة لحياة المرء يؤديها المؤمن دون أن يعطل نشاطه الإنساني الاعتباري وأنه لا ينبغي للمؤمن أن يغيب عنه في أي لحظة من لحظات حياته وفي كل عمل يقوم به. قال تعالى: (ولا يطأون موطئاً يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلاً إلا كتب لهم به عمل صالح إن الله لا يضيع أجر المحسنين. ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة ولا يقطعون وادياً إلا كتب لهم ليجيزهم الله أحسن ما كانوا يعملون) التوبة: ١٢٠ـ١٢١.

أهمية التقييد بالشرع في العبادة

مهما ظهر لنا من أنواع العبادة فإن أهم شيء أن نعبد الله كما أمرنا أن نعبده. فلا يجوز لنا أن نخترع أشكالاً من العبادة لم يأذن بها الله، فإن ذلك من البدع الباطلة الضالة، سواء أدى ذلك الابتداع إلى تحليل الحرام أو تحريم الحلال، وهذا ما يؤدي إلى الشرك كما سبق أن بيَّنا، قال تعالى: (أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله) الشورى:٢١.

والمتتبع لآيات القرآن الكريم يلاحظ أن أخطر انحرافات الأديان نتجت عن زيادة شدتهم في الدين أكثر مما سمح الله به، وبخاصة في تحريم ما أحل الله من أمور الدنيا، فقد حرموا أطعمة معينة فقال الله عنهم: (وقالوا هذه أنعام وحرث حجر لا يطعمها إلا من نشاء بزعمهم وأنعام حُرِّمت ظهورها وأنعام لا يذكرون اسم الله عليها افتراء عليه سيجزيهم بما كانوا يفترون) الأنعام:١٣٨.

وفي سورة الأنعام معظم ما يتصل بهذا الباب من انحراف الأديان، وحرمت بعض الأديان الزواج وابتدعت أنواعاً من الرهبنة تتعارض مع فطرة الإنسان كل ذلك اعتبره الإسلام خروجاً على الدين الحق والعبادة التي أرادها الله: (قُل من حرَّم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق) الأعراف:٣٢.

واعتبر كل ذلك كذباً على الله: (ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون) النحل:١١٦.

وإن ما شاع بين المسلمين من البدع في الانحراف بالعبادة أو تعذيب الجسد تحت شعار العبادة كالتمسح بالقبور، أو إضفاء صفات القدسية على الأشخاص باسم الولاية أو الصوفية ونحو ذلك كله مردود وباطل، ففي الحديث: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد»(١٦).

الفرائض هي أفضل العبادات

وهذه حقيقة يجب ألا تغيب عن ذهن المؤمن دائماً، وأن الناس كثيراً ما يميلون إلى التقييد ببعض النوافل ويهملون الفرائض كمن يقوم ليلة أو ليالي معينة في رمضان ويهمل في أداء فرض من الفرائض كصلاة الظهر أو العصر، أو أداء زكاة المال، إن النوافل في العبادات «وهي ما زاد على الفريضة» هي الطريق إلى الاستزادة من التقرب إلى الله تعالى والوصول إلى محبته، ولكن يجب ألا يكون على حساب الفرائض، بل بعدها حتى يمكن أن يقبلها الله ويحتسبها في ميزان أعمال المسلم التي يمكن أن توصل إلى أعلى درجات القبول عند الله.

قال ﷺ في الحديث القدسي عن الله عز وجل: «ما تقرب إليَّ عبدي بشيء أحب إليَّ مما افترضت عليه، ومازال عبدي يتقرَّب إليَّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني أعطيته،ولئن استعاذني لأعيذنه»(١٧) ■

الهوامش:

١ـ قاموس المحيط، ج١، ص٣١١.
٢ ـ المصطلحات الأربعة للمودودي، ص ٣٧.
٣ ـ العبودية لابن تيمية، المكتب الإسلامي، بيروت، ٥١٣٨٩، ص ٣٨ ـ ٣٩.
٤ ـ ابن تيمية ص٤٤.
٥ ـ مختصر المنذري، ج١، ص ١٤.
٦ ـ المنذري، الحديث ٢٤، ج١، ص١٤.
٧ ـ رياض الصالحين، ص ٤٠١.
٨ ـ العبودية ص ٨٠ ـ.
٩ ـ العبودية ص٨٠.
١٠ ـ رياض الصالحين رقم ٦٣، ص ٤٣.
١١ ـ البخاري ومسلم، رياض الصالحين، رقم١ ص٥.
١٢ ـ رواه مسلم، رياض الصالحين، رقم٨ ص٧.
١٣ ـ المنذري رقم ٣١٦، ج١، ص٩٩.
١٤ ـ المنذري رقم ٢٥٢، ج١، ص٧٥.
١٥ ـ رواه البخاري ومسلم من رياض الصالحين رقم ١٤٥، ص٧٧.
١٦ ـ المنذري، الحديث رقم ١٢٧٣، ج٢، ص٩٥.
١٧ ـ رياض الصالحين الحديث رقم ٩٦، ص ٦٠.

بقلم : حسـن البـراق

أهمية التمثيل الصحيح لدور مقاصد الشريعة في حياتنا

2/1

هناك إحساس عام ومكثف لدى الكثير من العلماء والمفكرين المعاصرين بوجود أزمة تعاني منها كل جوانب الوجود الإسلامي، تتمظهر بشكل صارخ في الانفصام النكد الذي وقع بين تعاليم مصدري القيم في الإسلام «الكتاب والسنة» وبين واقع المسلمين ووضعيتهم الحياتية، لذلك فإن الحاجة ماسة اليوم إلى تقريب المسلمين من دينهم وردم الهوة التي تفصل بينهم وبين التمثل الصحيح والواعي لمبادئه وقواعده، ما يعني إعادة ثقة الأمة بنفسها، وبدور علمائها، وغايات ومقاصد شريعتها.

إننا ونحن نعيش اختناقات الأزمة المفتوحة هذه، نحتاج إلى رؤية تجديدية، تقوم على أساس بناء عقل غائي تعليلي مقاصدي يدرك أن ما من شيء في هذا الوجود ـ فضلاً عن أحكام الحياة وتنظيماتها ـ إلا له حكمة وعلة وسبب، فلا مكان للمصادفة ولا للعبث في هذا الوجود، ولا مجال لانتفاء الأسباب، ولا للتواكل على الأماني الكاذبة والأحلام الخادعة، لأن الإسلام تميز بكونه يُقيم ذلك التوازن الصعب والبديع بين الإيمان بالسنن والنواميس والعلل والقوانين والأسباب وارتباط النتائج بها من جهة وبين الإيمان بوجود الله الواحد الخالق لكل الأشياء ومن ضمنها السنن والنتائج والأسباب والمسببات من جهة ثانية، لهذا فلا سبيل إلى إصلاح حال الأمة إلا بالإدراك الواعي لسنن الله في الأنفس والآفاق، وذلك أن القانون الإلهي لتغيير الأنفس والمجتمعات يقوم على المبدأ الرباني الخالد (إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) الرعد:١١.

لذلك، وبالنظر إلى أهمية مقاصد الشريعة كعلم عميق في الفهم والتنزيل للأحكام الشرعية، فإننا سنلقي بعض الضوء على هذا الموضوع مستنيرين بأقوال علماء أعلام قدامى ومحدثين.

١ ـ في معنى المقاصد والفكر المقاصدي

الحقيقة، أننا إذا تتبعنا ما كتبه علماء الأصول قديماً ونخص بالذكر الذين اهتموا بموضوع المقاصد فإننا لا نجد عندهم تعريفاً محدداً للمقاصد الشرعية ولا يستثني من هذا الحكم حتى الإمام الشاطبي الذي أصّل الأصول وقعّد القواعد وأذعن له الموافق والمخالف.

ويمكن إرجاع هذا الغياب على الأقل إلى سببين رئيسين:

الأول: لوضوح المعنى عندهم وهم الأئمة الأعلام.(١)

الثاني: لأن كتبهم هي كتب في علم الأصول بالأساس والحديث عن المقاصد إنما جاء تاريخا لا أكثر.

ورغم هذا، فإننا إذا استقرأنا عباراتهم فهمنا أن المقاصد الشرعية عندهم مرتبطة في أصلها برعاية مصالح الناس بما يوفر لهم شروط القيام بمهمة الاستخلاف في الأرض، (إني جاعل في الأرض خليفة) البقرة:٢٠، إذ معظم مقاصد القرآن الأمر باكتساب المصالح وأسبابها والزجر عن اكتساب المفاسد وأسبابها.(٢)

إلا أن الأمر يختلف عند المحدثين إذ نجد عندهم تعريفات مستفيضة لمقاصد الشريعة، فالعلأمة التونسي «الطاهر بن عاشور» يعرف مقاصد الشريعة العامة بكونها المعاني والحكم الملحوظة للشارع في جميع أحوال التشريع أو معظمها بحيث لا تختص ملاحظتها بالكون في نوع خاص من أحكام الشريعة، فيدخل في هذا أوصاف الشريعة وغايتها العامة والمعاني التي لا يخلو التشريع عن ملاحظتها ويدخل في هذا أيضاً معان من الحكم ليست ملحوظة في سائر أنواع الأحكام ولكنها ملحوظة في أنواع كثيرة منها.(٣)

وقد بث العلامة «الطاهر بن عاشور» في القسم الثاني من كتابه(٤) الكثير من أنواع هذه المقاصد نذكر منها:

ـ السماحة ويقصد بها سهولة المعاملة في اعتدال، فالشريعة وسط بين التضييق والستاهل وهي راجعة إلى معنى الاعتدال والعدل والتوسط.(٥)

ـ حفظ النظام بجلب المصلحة ودرء المفسدة: إذ باستقراء الأدلة المختلفة حصل لنا اليقين بأن الشريعة متطلبة لجلب

المصالح ودرء المفاسد، واعتبرنا هذا قاعدة كلية في الشريعة، وبذلك انتظم لنا أن المقصد الأعظم من الشريعة هو جلب الصلاح ودرء الفساد.(٦)

ـ التغيير والتقرير: وهما مقامان مقصودان من التشريع الإسلامي عامة، ويعني الأول: تغيير الأحوال الفاسدة وإعلان فسادها وهذا المقام هو المشار إليه بقوله تعالى: (الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور) البقرة:٢٥٧، وقوله (يخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم) المائدة:١٦.

والتغيير قد يكون إلى شدة على الناس رعياً لصلاحهم، وقد يكون إلى تخفيف إبطالاً لغلوهم.(٧).

ـ المساواة بين الخلق: فالبشر سواء في البشرية (كلكم لآدم) وفي حقوق الحياة في هذا العالم بحسب الفطرة ولا أثر لما بينهم من الاختلاف بالألوان والصور والسلائل والمواطن.(٨)

ويوضح العلامة (ابن عاشور) أن المساواة في التشريع ناتجة عن التساوي في أصل الخليقة فيقول: «فلا جرم نشأ هذا الاستواء فيما ذكر تساويهم في أصول التشريع مثل حق الوجود المعبر عنه بحفظ النفس وحفظ النسب، وفي وسائل الحياة المعبّر عنها بحفظ المال، ومن أول ذلك حقوق القرار في الأرض التي اكتسبوها أو نشأوا فيها مثل مواطن القبائل، وفي أسباب البقاء على حال نافعة وهو المعبر عنه بحفظ العقل وحفظ العرض.(٩).

ـ نفوذ الشريعة: فمن مقاصد الشريعة العامة أن تكون نافذة في الأمة إذ لا تحصل المنفعة المقصودة منها كاملة من دون نفوذها.(١٠).

وتسلك الشريعة لتحصيل ذلك مسلكين: المسلك الأول: مسلك الحزم في إقامة الشريعة، المسلك الثاني: مسلك التيسير والرحمة بقدر لا يفضي إلى انخرام مقاصد الشريعة.(١١)

ـ قوة الأمة واطمئنانها: فلا ينكر أحد أنه إذا كان صلاح حال الأفراد وانتظام أمورهم مقصد الشريعة فإن صلاح أحوال المجموع وانتظام أمر الجماعة أسمى وأعظم، لأن مقصد الشريعة من نظام الأمة أن تكون قوية مرهوبة الجانب مطمئنة البال.(١٢)

أما الحديث عن المقاصد الخاصة فقد خصص له العلاّمة «الطاهر بن عاشور» القسم الثالث من كتابه، ويعرفها بقوله: «هي الكيفيات المقصودة للشارع لتحقيق مقاصد الناس النافعة أو لحفظ مصالحهم العامة في تصرفاتهم الخاصة، كما لا يعود سعيهم في مصالحهم الخاصة بإبطال ما أسس لهم من تحصيل مصالحهم العامة، إبطالاً عن غفلة أو عن استنزال هوى، وباطل شهوة ويدخل في ذلك كل حكمة روعيت في تشريع أحكام تصرفات الناس، مثل قصد التوثق في عقدة الرهن، وإقامة نظام المنزل والعائلة في عقدة النكاح، ودفع الضرر المُستدام في مشروعية الطلاق».(١٣)

أما الأستاذ المغربي «علال الفاسي» فيعرّف مقاصد الشريعة، «بأنها الغاية منها، والأسرار التي وضعها الشارع عند كل حكم من أحكامها(١٤)، وهو تعريف موجز واضح جمع فيه مقاصد الشريعة العامة والخاصة، فشطره الأول (الغاية منها) يشير إلى المقاصد العامة، وبقيته تعريف للمقاصد الخاصة الجزئية».(١٥)

وعلى العموم وباستقراء مختلف التعريفات المستعملة عند العلماء الأعلام قديماً وحديثاً يمكن القول :

إن مقاصد الشريعة هي الغايات التي وضعت الشريعة لأجل تحقيقها، لمصلحة العباد(١٦). والغاية من مراعاة مصالح العباد الآجلة والعاجلة هي تحقيق مقصد كلي ينحصر في أداء أمانة الاستخلاف في الأرض، وإعمارها بالصلاح والإصلاح وفق منهج الله (إن أريد الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله) هود:٨٨، لذلك فقد أوجبت الشريعة المحافظة على كيان الإنسان وحمايته من كل فساد قد يلحق بأحد مكونات هذا الكيان، فليس المقصود مجرد صلاح العقيدة، وصلاح العمل كما قد يتوهم بل أراد منه صلاح أحوال الناس وشؤونهم في الحياة الاجتماعية.(١٧)

٢ – الفكر المقاصدي

مصطلح «فكر» قد يستعمل بمعان متعددة أقربها إلى ما نريده هنا هو قول بعض الأدباء «الفكر مقلوب عن الفرك، ولكن يستعمل الفكر في المعاني وموفر كل الأمور وبحثها طلباً للوصول إلى حقيقتها»(١٨).

وبذلك يكون الفكر المقاصدي هو ذلك الفكر الذي يتأمل النصوص ليصل إلى ما وراء أحكامها من علل وما تهدف إليه من مقاصد، وما تسعى إلى تحقيقه من مصالح مادية أو معنوية، فردية أو اجتماعية أو أخرويه، ذلك على اعتبارأن الله لم يخلق شيئاً باطلاً أو لعباً، وكذلك لم يُشرع شيئاً عبثاً أو اعتباطاً، فكل أفعاله وأحكامه منوطة بالحكمة. ■

الهوامش :

١ ـ اقصد بالخصوص: الإمام أبو المعالي الجويني «توفي سنة ٤١٨هـ»، والإمام أبو حامد الغزالي «توفي سنة ٥٠٥هـ»، والإمام عزالدين بن عبدالسلام «توفي سنة ٦٦٠هـ»، والإمام شهاب الدين القرافي «توفي سنة ٦٨٤هـ»، والإمام أبو إسحاق الشاطبي «توفي سنة ٧٩٠هـ».

٢ ـ قواعد الأحكام في مصالح الأنام للعز بن عبدالسلام، ص ٥١.

٣ ـ مقاصد الشريعة الإسلامية للعلاّمة الطاهر ابن عاشور، ص ٥١.

٤ ـ يضم كتابه ثلاثة أقسام: القسم الأول: في إثبات مقاصد الشريعة واحتياج الفقيه إلى معرفتها.. القسم الثاني: في مقاصد التشريع العامة، القسم الثالث: في مقاصد التشريع الخاصة بأنواع المعاملات بين الناس.

٥ ـ الطاهر بن عاشور، مقاصد الشريعة الإسلامية ص ٦٠.

٦ ـ المرجع السابق ص ٦٤.

٧ ـ المرجع السابق ص ١٠٤.

٨ ـ ن.م.س. ص ٩٥.

٩ ـ ن.م.س. ص ٩٥ ـ ٩٦.

١٠ ـ ن.م.س ص ١٢٢.

١١ ـ المرجع السابق ص ١٢٣.

١٢ ـ مقاصد الشريعة الإسلامية للطاهر بن عاشور ص ١٣٩.

١٣ ـ م.س.ص ١٤٦.

١٤ ـ الأستاذ علال الفاسي: مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها ص ٣.

١٥ ـ الدكتور أحمد الريسوني: نظرية المقاصد عند الشاطبي، ص ١٩.

١٦ ـ ن.م.س. ص ١٩.

١٧ ـ الطاهر بن عاشور، مقاصد الشريعة الإسلامية ص ٦٤.

١٨ ـ المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ص ٣٨٤.

فقــه مقــارن

بقلم : عقيل محمد سعيد العرفي

قبس من إعجاز القرآن

الحديث عن القرآن الكريم حديث لا يملّ الإنسان سماعه، ولا تسأم النفس حفظه، فهو جلاء القلوب من كل الذنوب، ومستودع العقول لكل كلام بليغ منقول، لا يتوانى عن النطق بآياته، كل عالم آتاه الله ذراية اللسان، وزوده بفيضه من كل سحر وبيان.

كيف لا؟ وهو الكتاب الجامع المانع، الذي فاق كل الكتب السماوية وغير السماوية، والسفر الذي بزّ جميع الأسفار، والمحتوى الذي ضمّ عبر آياته كل الأحداث والأخبار.

تحدى الله سبحانه وتعالى به المشركين بخاصة والعرب قاطبة، وهم أهل العربية، ولا سيما أنه نزل على الرسول الأمي العربي محمد ﷺ، وبلسان قومه، ليكون معجزته على مر الزمان والعصور.

وهب الله سبحانه وتعالى لأنبيائه القدرات وزودهم بالمزيد من المعجزات، فقد سخّر الجنّ لنبيه سليمان، وجعل المسيح يُبرئ الأكمه والأبرص، وأعطى نبيه موسى القدرة في التغلّب على سحرة فرعون، ومنح نبيه نوحاً العمر المديد، حيث عاش ألف عام، إلا خمسين عاماً، وطلب منه صُنع الفلك وأنقذه ومن معه من الطوفان والهلاك، هذه بعض معجزات الرسل عليهم السلام، فهل كانت معجزة سيدنا محمد ﷺ توازي تلك المعجزات وتفوقها؟

نعم، لقد كانت معجزة سيدنا محمد ﷺ في قرآنه الكريم تفوق تلك المعجزات، ذلك لأن تلك المعجزات مادية من جهة، ووقتية من جهة أخرى، انتهت آثارها بعد مدة من حدوثها، كما أنها جاءت كإظهار لقدرة الأنبياء والرسل عليهم السلام، حتى يتعرّف عليها الذين يدعون للإيمان بهم، وحتى يقرّوا بها ويؤمنوا بها وبمن نزلت لأجله، كذلك فإن تلك المعجزات لا أثر لها اليوم، فما نتحدث عنه أصبح تاريخاً تعرّفنا عليه من خلال معجزة - سيدنا محمد ﷺ - الدائمة.

فقد خالفنا أخبار أهل الكهف وقوم عاد وثمود، وأخبار نبي الله صالح وهود ويونس، وقوم لوط وأصحاب الأيكة وقوم تُبَّع... إلخ.

نزل القرآن الكريم على سيدنا محمد ﷺ في شهر رمضان المبارك، زينة الشهور على مرّ الدهور.

(شهر رمضان الذي أُنزل فيه القرآن هدى للناس وبيّنات من الهدى والفرقان) البقرة:١٨٥ تحدى الله سبحانه وتعالى به العرب قاطبة، كما أسلفت، فطلب منهم الإتيان بمثله أو الإتيان بعشر سور منه، أو الإتيان ولو بآية قصيرة منه كسورة الكوثر: (إنا أعطيناك الكوثر. فصلِّ لربك وانحر. إن شانئك هو الأبتر)، (قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن، لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً) الإسراء:٨٨.

(قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات) هود:١٣. (وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله) البقرة:٢٣.

تكفل الحق سبحانه وتعالى بحفظه من كل شيء، فوصل إلينا بعد أربعة عشر قرناً، كما نزل على سيدنا محمد ﷺ لم يدخله أي تغيير، ولم يعتريه أي تبديل، فأحكمت آياته من لدن عليم حكيم خبير. (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) الحجر:٩.

طلب منا الحق سبحانه وتعالى قراءته والتمعن بآيته والتدبّر في سوره، وخاطب نبيه الكريم ﷺ، وطلب منه قراءته للناس لتعليمهم أحكامه، وحتى يقرّ في نفوسهم ويثبت في أفئدتهم. (أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها) محمد:٢٤.

(وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلاً) الإسراء:١٠٦، لذلك فلا غرابة في أن يكون كله، من أوله إلى آخره، إعجازاً، فهو إعجاز في البلاغة، وإعجاز في البيان، ففيه من دقة الوصف ما يبهر الأبصار، وفيه من روعة التصوير ما يُدهش الأنظار، وفيه من جودة التعبير ما يجعل المرء يكتشف من خلاله الأحكام والأفكار، ما قرأه جاهل، إلا آمن به، وما قرأه عالم إلا ازداد به إيماناً فوق إيمانه، ويقيناً فوق يقينه.

تحدث المزيد من العلماء عنه، وتناول كل منهم جانباً من جوابنه المتعددة الكثيرة، وسيكون حديثي عن سورة التكوير، علّي أستطيع إيضاح ما أرمي إليه.

سورة التكوير، سورة مكية، عدد آياتها تسع وعشرون آية، خمس عشرة منها منتهية بتاء ساكنة، وأربع آيات منها منتهية بحرف الشين، وثلاث آيات منها منتهية بحرف الميم، وسبع آيات منها منتهية بحرف النون.

يمكن للقارئ أن يلمح الإعجاز بهذه السورة، إذا قرأها بشغف وتدبر، فمن المعروف أن المرء يملُّ السماع والقراءة، إذا سمع أو قرأ جملاً عدة معطوفة على بعضها بعضاً، ولا سيما إذا زاد العطف على خمس جمل أو ست جمل على الأكثر، حتى وإن استخدم الكاتب السجع في جملة، وقام بترصيعها بالمحسنات البديعية، سواء بالجناس أو الطباق أو اعتمد على الاقتضاب في كلامه أو الإسهاب به.

ولكن المرء يُدهش وهو يقرأ بداية سورة التكوير حيث يجد اثني عشر معطوفاً: (إذا الشمس كورت. وإذا النجوم انكدرت. وإذا الجبال سيّرت. وإذا العشار عُطّلت. وإذا الوحوش حُشرت. وإذا البحار سجّرت. وإذا النفوس زوّجت. وإذا المؤودة سئلت. بأي ذنب قتلت. وإذا الصحف نشرت. وإذا السماء كُشطت. وإذا الجحيم سُعّرت. وإذا الجنة أزلفت).

فالعطف هنا جاء من خلال تكرار حرف العطف الواو بالظرف إذاً بعد الآيات التي تم عطفها علماً أن الآية التاسعة: (بأي ذنب قتلت) والتي لم

تبدأ بواو العطف إذاً هي تفسير للآية التي قبلها، والتي تتحدث عن الطفلة المؤودة التي يتم دفنها وهي حية، كما هي العادة في الجاهلية، قُبيل انتشار الدين الإسلامي الحنيف وإبطاله لتلك العادة الذميمة، كذلك نجد أن الكلمات التي سبقت الكلمة التي تنتهي بها كل آية، جاءت كلها أسماء مرفوعة بالضمة خمس منها جاءت محركة بالفتح، وأربع منها جاءت محركة بالضم وثلاث منها جاءت محركة بالكسر بعد أل التعريف.

الشمس ـ المؤودة ـ السماء ـ الجحيم ـ الجنة.

النجوم ـ الوحوش ـ النفوس ـالصحف.

الجبال ـ العشار ـ البحار.

وهذا الترتيب العجيب يجعل المرء يزداد إعجاباً بالقرآن الكريم، فالفتح أسهل الحركات ويليه في القوة الضم، ثم الكسر وهو أقوى الحركات، ورب متسائل عن السر في عدم ملل القارئ أو السامع من تكرار الآيات المذكورة.

فنقول له ببساطة: إن السر يكمن في أن كل آية تنتهي بحرف التاء الساكنة فحرف التاء من الحروف المهموسة ومن حروف أدنى الفم، حيث يتم لفظه من طرف اللسان وأصول الثنايا، مما يسهل على القارئ، النطق به من جهة، والوقوف عليه بسهولة أيضاً، كذلك فإن القارئ يمكنه أن يخرج نفسه بسهولة أيضاً بعد الوقوف، ولا سيما أن التاء تبدو سهلة في اللفظ وفي الوقوف وفي المتابعة، وهذه السهولة تجعل القارئ لا يشعر بالتعب من القراءة ألبتة، وتوفّر له الراحة ولو مدة قصيرة بعد كل توقف ومثل هذا الترتيب والتناسق الذي هو إعجاز بحد ذاته، يزيد السورة المذكورة إعجازاً واضحاً في اللفظ وإعجازاً واضحاً في متابعة القراءة، ولاسيما أن كل آية من الآيات المعطوفة على بعضها بعضاً تحوي ثلاث كلمات.

والعطف هنا كما نلاحظ أيضاً ليس عطف آية على آية فقط، بل عطف جملة على جملة ومقطع موسيقي على مقطع موسيقي آخر، بعدد الكلمات نفسها، وبالإيقاع نفسه وبالوزن نفسه، ومثل هذه الخصوصية القرآنية لا نجدها في أي كتاب أو أي ديوان شعر في العربية بأسرها.

كما أن التتابع اللفظي المنسّق الذي ذكرته أعطى للسورة الكريمة، تتابعاً في اللفظ، وإيضاحاً وتطابقاً للمبنى والمعنى معاً، ولا سيما أن السورة الكريمة تتحدث عن يوم القيامة وماذا سيحدث للشمس وللنجوم وللجبال وللأرض وللبحار وللنفوس وما تحمله من أعمال وللسماء وما سيصيبها والجحيم وما سيحدث فيها، والجنة وما سيتم فيها كذلك...إلخ.

كذلك نجد بعد الآية الرابعة عشرة (علمت نفس ما أحضرت) والمنتهية بالتاء الساكنة، أربع آيات منتهية بحرف السين، ثلاث منها معطوفة على الآية الخامسة عشرة: (فلا أقسم بالخنس. الجوار الكنّس. والليل إذا عسعس. والصبح إذا تنفس).

والآيات المذكورة تضمُّ قسماً للحق سبحانه وتعالى، وتقابلاً بين النجوم التي تخنس في مجراها أي ترجع، والنجوم التي تكنس لتدخل في بروجها وتغيب في الموضع الذي تغيب فيه.

أما آية (والليل إذا عسعس) وآية (والصبح إذا تنفس) فإننا نجد فيهما تقابلاً واضحاً بين الليل والنهار، ومقارنة وتمايزاً بينهما أيضاً، فالصورة الرائعة التي تمثل دخول الليل بعيد الغروب وزوال النهار، والتي تشبه خروج الدخان ببطء من عود الحطب الذي يعسّ أي يشتعل ببطء، تقابل صورة قدوم النهار بُعيد زوال الليل، والتي تشبه تنفس الكائن الحي الذي تبدو نفسه أوضح وأسرع قليلاً، من مسير الدخان الذي يُشعر بدخول الليل. والإعجاز كامن أيضاً في عدد كلمات كل آية فالليل يقابله الصبح والظرف إذاً موجودٌ في الآيتين وكلمة عسعس تقابل كلمة تنفس، فكلمة عسعس تحوي أربعة حروف، وكلمة تنفس تحوي أربعة حروف، وشدد حرف الفاء فازداد حركة على عدد حركات كلمة عسعس، فكلمة عسعس تبدأ بمتحرك وساكن ثم متحرك فمتحرك، وكلمة تنفَّس، تبدأ بمتحرك فمتحرك ثم فاء ساكنة تارة ومتحركة تارة أخرى، ثم متحرك فمتحرك، ومثل هذه الحركة التي نلمحها، حتى داخل الكلمتين معاً، حيث لا نجد مثيلاً لهذه الصياغة القرآنية العجيبة، إلا في القرآن الكريم نفسه، فالكلمتان على الرغم من الاختلاف الواضح بينهما في المعنى والتشابه الواضح بينهما في الصياغة والمبنى، تجعلان المرء عاجزاً أمام مفردات القرآن الكريم وآياته، لا يملك إلا الإعجاب بها من جهة، وقراءتها بتمعن وتدبّر من جهة أخرى.

كذلك فإننا نجد تتابعاً ملحوظاً في الاستمرار من خلال حرف التاء الساكنة المهموس وحرف السين المهموس أيضاً، والحرف المهموس كما نعرف سمي مهموساً ذلك لأنه يتسع له المخرج فتخرج الحروف وكأنها متفشية، ويمكن أن نضع للحروف المهموسة خمس صفات فهي سهلة في المخرج، سهلة في اللفظ، سهلة في التوقف، من الممكن أخذ النفس للقارئ بعد التوقف بسهولة ـ يمكن للقارئ أن يتابع قراءته بعيد توقفه باستمرار دونما انقطاع.

كذلك نجد أن الآيات العشر التي ختام السورة الكريمة حيث نجد ثلاث آيات منها منتهية بحرف الميم وهي: (إنه لقول رسول كريم) (وما هو بقول شيطان رجيم)، (لمن شاء منكم أن يستقيم).

فآية (إنه لقول رسول كريم)، تقابل آية: (وما هو بقول شيطان رجيم)، توازيها في عدد الكلمات وتختلف عنها اختلافاً واضحاً في المعنى، فالقول الأول يعني أن القرآن الكريم جاء على لسان جبريل الذي كان يقوم بتبليغه لسيدنا محمد ﷺ، والذي كان كريماً على الله تعالى، إضيف إليه لنزوله به، والقول الثاني: هو أن القرآن الكريم ليس من قول الشيطان الرجيم والعياذ بالله. (ذي قوة عند ذي العرش مكين. مطاع ثم أمين. وما صاحبكم بمجنون. ولقد رآه بالأفق المبين. وما هو على الغيب بضنين. وما هو بقول شيطان رجيم. فأين تذهبون. إن هو إلا ذكر للعالمين. لمن شاء منكم أن يستقيم. وما تشاؤون إلا أن يشاء الله رب العالمين).

أما آية (لمن شاء منكم أن يستقيم) فقد جاءت للمقارنة مع الآية التي تلتها (وما تشاؤون إلا أن يشاء الله رب العالمين) التي هي ختام السورة.

أما الآيات الباقية، فقد انتهت جميعها بحرف النون المسبوق، بحرف من حروف المد، حيث سُبقت نون الكلمات التالية مكين، أمين، المبين، بضنين، للعالمين، العالمين بالياء، وسُبقت كلمة مجنون بالواو ومثلها كلمة تذهبون بالواو أيضاً.

وحرف الميم كما هو معروف من الحروف المذلقة، التي يمكن نطقها من التقاء الشفاه، حيث يتم نطقها بسهولة، كما يمكن مدها والرنين بها، تماماً كالتغني بحرف النون الذي سمع رنينه ممزوجاً بصوت الغُنَّة، ولا سيما في قولنا الجماعي «آمين»، في صلاة الجماعة بعيد قراءة فاتحة الكتاب، ذلك لأنه أي حرف النون من الحروف المذلقة أيضاً، والتي تنطق بين أسلة اللسان إلى مقدم الغار الأعلى ممتزجة بصوت الغُنَّة، كما أشرت، على اعتبار أن الغُنَّة، صوت من أصوات الخيشوم الذي يكون مركباً فوق الغار الأعلى، حيث يمنح القارئ قدرة على المد ويمكنه من الاستمرار في القراءة مع الرنين في أثناء القراءة، ما يجعل القارئ يزداد خشوعاً وهيبة في أثناء قراءته.

والشيء الذي يجعلنا نزداد إعجاباً بسورة التكوير، هو وجود نهاية الآيات بحروف مهموسة سهلة النطق وحروف مذلقة سهلة النطق أيضاً، فلو كانت بداية السورة الكريمة هي نهايتها، لوجد المرء صعوبة في النطق بعض الشيء ولأكثر من التوقف الذي يكون مستحباً في بداية القراءة، وغير مستحب في نهايتها، حيث لا نهاية لقراءة المؤمن التي تكمن آناء الليل وأطراف النهار. ■

بقلم : سالم البهنساوي

التعايش مع غير المسلمين 2/1

إن حقوق غير المسلمين وحقوق النساء لهي من أكثر ما طعن به خصوم الإسلام عليه، ولقد أسهم مسلمون في إظهار الإسلام بالعدو لغير المسلمين وللمرأة، ونحمد الله أنهم قلة قليلة لا وزن لهم في المجتمع الإسلامي، لقد قالوا: إن غير المسلمين يخيّرهم الإسلام بين الإسلام أو القتل أو الجزية واستدلوا بالحديث النبوي «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله...».

القلة القليلة من الأفراد إنما يسيئون إلى الإسلام بزعمهم أنه يأمر بقتال غير المسلمين حتى يعلنوا الإسلام.

هؤلاء لا يجهلون أنه لا يوجد مذهب معتبر من المذاهب الإسلامية قد تبنى هذا المفهوم للحديث النبوي ذلك أن هذا الحديث عام أريد به الخصوص وهم كفار مكة وذلك الخصوص ورد في قول الله تعالى: (يأيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا...) التوبة:٢٨.

كما لا يجهل هؤلاء أن النبي - ﷺ - لم يقاتل غير المسلمين في المدينة المنورة عندما أعلن فيها دولة الإسلام، وترك لهم حرية الإسلام أو البقاء على الكفر سواء كانوا من أهل الكتاب أو المشركين، والوثيقة التي وضعها وأعلنها لأهل المدينة جميعاً تضمنت أن لليهود دينهم وللمسلمين دينهم.

إنه لا يصحّ في الأذهان شيء إذا احتاج النهار إلى دليل حيث تجاهلوا أن جمهور الفقهاء يقررون أن الحديث عام أريد به الخصوص، فالمراد بالناس هم أهل الجزيرة العربية وليس جميع الناس في الكرة الأرضية.

واستدلوا بالنص القرآني (قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرّمون ما حرّم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون) التوبة:٢٩.

وتجاهلوا أن الحكم خاص بالمحاربين فقط، وهو ما يؤكده الواقع العملي ويؤكده قول الله تعالى: (فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم)، وقوله تعالى:(قاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين».

الإساءة إلى دين الله

نأمل أن يدرك ذلك الذين يرفعون راية الجهاد وأن يكفوا عن الإساءة إلى دين الله تعالى. إن الذين يتمسّكون بفرض الجزية على الأوروبيين والأميركيين، قد جهلوا أن الخلافة أصدرت قانوناً للجنسية في ١٨٦٩/١/١٩م، هذا القانون ألغى التفرقة بين المسلمين والذميين، فأصبحوا جميعاً مواطنين.

حقيقة الجهاد

شرع الله الجهاد لرد العدوان وتحرير الإنسان، وشرع وضع الجزية حقناً لدماء المعتدين، وذلك بعد أن أصلح نظامها وأزال مظالمها.

إن من الجهل البيّن بأحكام الجزية في الإسلام أن يهاجر بعض المسلمين إلى أوروبا وأميركا وروسيا فراراً من اضطهاد بعض الحكومات العربية لهم، ثم عندما يجدون الأمن في المهجر يفتون بضرورة أخذ الجزية من الأميركيين والأوروبيين، مستدلين على ذلك بقول الله تعالى: (قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر...) حتى قوله: (وهم صاغرون) التوبة/٢٩، فهذه الآية نزلت في الروم الذين حشدوا القوات للانقضاض على النبي ﷺ، والمسلمين في مقر دولة الإسلام وهي المدينة المنورة بعد أن أرسل النبي - ﷺ - الرسائل إلى الملوك والرؤساء يدعوهم إلى الإسلام، والذين يفتون بأن يأخذوا الجزية اليوم من غير المسلمين يجهلون التالي:

١ - إن الجزية نظام موجود قبل الإسلام مقتضاه أن تدفع الدولة التي هزمت في الحرب ضريبة ذلك إلى الدولة المنتصرة وتسمى هذه الضريبة بالجزية.

٢ - أصلح الإسلام نظام الجزية فجعل لها سبباً ومقابلاً بإعفائهم من العمل في الجيش الإسلامي حتى لا يحاربوا لنصرة الإسلام والمسلمين كرهاً عنهم ، ولهذا من تطوّع بالحرب مع المسلمين تسقط عنه الجزية كما فعل أبو عبيدة مع أهل فلسطين، وكما فعل معاوية مع أهل أرمينيا وكما فعل آخرون.

٣ - التزم المسلمون بالكفالة الاجتماعية لمن يؤدون الجزية والقانون الذي أصدره عمر بن الخطاب فيه «أيما رجل من أهل الذمة ضعف

عن العمل يعال هو ومن يعولهم من بيت مال المسلمين».

٤ ـ أعفى الإسلام غير القادرين كالصغار وكبار السن فهي لا تعطى إلا عن يد «أي عن قدرة»، فالجزية في النص القرآني خاصة بهذه الفئة من أهل الكتاب الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر، ونكثوا العهود فلا يدينون دين الحق، ومن ثم اختاروا القتال والعدوان. ولهذا فإن قبولهم الجزية ليس إلا سبيلاً لإنهاء حال الحرب وحقن الدماء، ومع هذا فلا تفرض الجزية عليهم جبراً، فهي عقد رضائي وليست من النظام العام فيفرض فرضاً فالصغار هو قبول حكم الإسلام وقانونه والرضا به، لهذا قَبِل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب اعتراض نصارى تغلب على الجزية، ووافقهم على طلبهم التعامل بنظام الزكاة، كما أن الإمام الشافعي في كتابه «الأم» يقرر أنه من كان صغيراً، وأدخل في عقد الجزية تبعاً لوالديه، فإن له الخيار عند رشده بقبول هذا العقد أو رفضه. الأم٤/٢١٢.

القتال والتعايش السلمي

فرض الإسلام التعايش السلمي مع الناس جميعاً، لأن الله الخالق قدر أن الاختلاف في العقائد والشرائع والألوان والألسنة والأمم، أمر يتصل بالحياة الدنيا ولا ينفك عنها.

في اختلاف الناس في العقائد والشرائع قال الله سبحانه وتعالى: (ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين. إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم) هود: ١١٨، ١١٩، كما قال الله تعالى: (لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم فيما آتاكم فاستبقوا الخيرات إلى الله مرجعكم جميعاً فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون) المائدة: ٤٨.

فإذا كان الله قد أنبأنا أنه سيحكم يوم القيامة بين الناس فيما كانوا فيه يختلفون فإنه لم يتركنا سدى يصارع ويقتل بعضنا بعضاً بسبب هذه الخلافات وخصوصاً أنها خلافات في الأصول والعقيدة والدين.

لهذا لا ينكر الإسلام حقوق غير المسلمين بمن فيهم من ينكرون شريعة الإسلام ومن ينكرون حقوق الله تعالى، أن أساس التعايش السلمي قول الله تعالى: (لاينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين) الممتحنة:٨.

لقد اعترف الإسلام بغير المسلمين وبحقوقهم لأن الله يجعل الرضا والاقتناع هو سبيل الدخول في الدين، فقد نهى سبحانه وتعالى عن الإجبار والقهر، قال تعالى: (لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي) البقرة:٢٥٦.

إنه نص واضح حيث لا يجوز إجبار أحد على الدخول في الدين، وهذا من المعلوم من الدين بالضرورة، والآيات في هذا المعنى كثيرة مكية ومدنية كقوله تعالى: (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين) النحل:١٢٥.

وهذا الحكم العام لا يتعارض مع آيات قتال غير المسلمين لأنها ليست عامة وكذلك الأحاديث النبوية في قتال الناس حتى يسلموا فقول الله تعالى: (فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم) التوبة:٥.

إنه حكم نزل في أهل الجزيرة العربية الذين اختارهم الله لحمل الرسالة فأنزل القرآن الكريم فيهم وبلغتهم وترك لهم مهلة كافية للاختيار بعد المعجزات الحسية على يد النبي ﷺ بخلاف المعجزة القرآنية كتاب الله تعالى الكريم، وفي هؤلاء قال صلى الله عليه وسلم: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وإني رسول الله» رواه البخاري ومسلم.

إن النص القرآني والحديث النبوي بشأن قتال غير المسلمين هو حكم خاص بالعرب في الجزيرة العربية وليس عاماً في جميع غير المسلمين.

فالنص القرآني ورد في سياق خاص بالمعاهدين الذين نقضوا عهدهم وهؤلاء من عرب الجزيرة، حيث قال الله فيهم: (وإن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا أئمة الكفر إنهم لا أيمان لهم لعلهم ينتهون. ألا تقاتلوا قوماً نكثوا ايمانهم وهموا بإخراج الرسول وهم بدأوكم أول مرة) التوبة: ١١ ـ ١٣.

كما قال تعالى: (يأيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا) التوبة/٢٨.

والحديث النبوي خاص بهؤلاء العرب وليس عاماً في جميع الناس، فلفظ الناس هنا عام ولكن أريد به الخصوص كقول الله تعالى: (الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم) آل عمران:١٧٣.

فالقائل هو نعيم بن مسعود وليس جميع الناس والذين جمعوا الجموع لقتال النبي والصحابة ليسوا جميع الناس، بل أبو سفيان، لهذا فالناس في الحديث النبوي هم عرب الجزيرة.

لقد أخذت الدساتير المعاصرة بقاعدة إقليمية القانون واستثنت منها مسائل الأحوال الشخصية من زواج وطلاق وإرث فتخضع لشريعة الزوجين أو شريعة الزوج إذا اختلفا ديانة.

غير أن الدول الكبرى لم تحترم هذا واعتبرت أن ما لديها من قواعد باطلة شيء مقدّس يسمو على ما عداه وبالتالي يطبق على أصحاب الديانات الأخرى بحجة أنه من النظام العام للدولة.

وبهذا يجبر المسلمون في أميركا وبريطانيا وفرنسا وغيرها على الخضوع للقانون العلماني في مسائل الزواج والطلاق والميراث.

أما الشريعة الإسلامية فقد احترمت الديانات الأخرى ليس فقط في مسائل الأحوال الشخصية، بل في كل ما يتصل بهذه الديانات من معاملات.

فلا تخضع غير المسلم للإسلام في مسائل الأحوال الشخصية ولا في المعاملات، بل يترك الإسلام لغير المسلمين الاحتكام إلى قواعدهم الخاصة، قال الله تعالى: (لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً)

المائدة/٤٨ وقال: (وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه) المائدة/٤٧.

وفي هذا نصت المادة الثالثة من دستور المدينة المنورة على أن اليهود على ربعتهم يتعاقلون فيما بينهم معاقلهم الأولى.

أي أن لليهود الاحتكام إلى نظامهم الداخلي السابق على هذا الدستور في التكافل والديانات وغيرها، لهذا أنشأ عمرو بن العاص بعد فتحه لمصر، محاكم خاصة للنصارى يحكم فيها قضاة منهم.

تصحيح المفاهيم

إن بعض الفصائل الإسلامية التي رفضت التعددية في الفكر والفهم والحياة، وزعمت أنها وحدها الجماعة المسلمة في العالم وأن ما عداها على الباطل، هذه الفصائل - رغم قلتها وتشرذمها - قدمت نفسها لغير المسلمين على أنها الممثل الشرعي الوحيد للإسلام وقدّمت للعالم فهمها الخاطئ عن الجهاد على أنه الإسلام، فأساءت إلى الإسلام والمسلمين، رغم أنه لم يحدث أن اعتدى المسلمون على أقوام مسالمين وها هي رسائل النبي ﷺ تثبت أنه قد سالم غير المحاربين وخيَّر المحاربين بين الجزية أو القتال.

التعامل مع المحاربين

هذه هي سياسة النبي - ﷺ - مع الدول التي لم تستخدم الحرب وسيلة للتعامل مع المسلمين واكتفى بإبلاغهم دعوته السلمية ولم يرتب على رفضها شيئاً كما هو ظاهر من جميع رسائله إلى الملوك، أما عندما أعد هرقل أمبراطور الروم العدة لغزو المدينة المنورة وتجمعت طلائع جيوشه لهذا الغرض ثم قتلوا الحارث بن عمرو الأزدي مبعوث النبي - ﷺ - إلى ملك بصرى، وكان قتله في مدينة مؤتة، أرسل النبي - ﷺ - إليهم جيشاً اشتبك مع جيوش الروم في معركة سميت سرية مؤتة، واستشهد فيها القادة الثلاثة زيد بن حارثة، وجعفر بن أبي طالب، وعبدالله بن رواحة.

ولما تولى خالد بن الوليد القيادة انسحب بالجيوش وعاد إلى المدينة.

ولكن هرقل استمر في العدوان فجمع الجيوش في منطقة البلقاء قرب دمشق استعداداً لدخول المدينة المنورة وضم إليه المدن العربية الأخرى ومنها لخم وجذام، عندئذ قاد النبي - ﷺ - جيشاً سمي بجيش العسرة، حيث كان الحرُّ شديداً والعتاد قليلاً، وكان كل ثلاثة من الجنود يتناوبون جملاً واحداً، ولما وصل النبي - ﷺ - إلى تبوك، أرسل إلى قيصر الروم رسالة الحرب ونصها: (من محمد رسول الله إلى صاحب الروم، إني أدعوك إلى الإسلام فإن أسلمت فلك ما للمسلمين وعليك ما عليهم، فإن لم تدخل الإسلام فأعط الجزية فإن الله تبارك وتعالى يقول: (قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرِّمون ما حرَّم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون) التوبة/٢٩ فلا تحل بين الفلاحين وبين الإسلام أن يدخلوا فيه أو يعطوا الجزية) هذا الإنذار الحربي لم تتضمنه رسائله السابقة، حيث كانوا مسالمين.

وهذه الآية قد نزلت بسبب خديعة هرقل للمسلمين، حيث ادعى أنه قد أسلم ثم أعد الجيوش مرتين لغزو المدينة فأمر الله بقتالهم حتى يعطوا الجزية ولهذا أرسل النبي - ﷺ - رسالته هذه وهي الثانية إلى هرقل رئيس الروم، الأولى كانت رسالة سلم ولم تتضمن الجزية والأخيرة تضمنت نص الآية القرآنية سالفة الذكر. (الآية من التوبة رقم ٢٩)

الفتوحات في بلاد الفرس

إنه كما كانت أسباب الفتوحات في بلاد الروم هي شروعهم في غزو المدينة المنورة عاصمة الدولة الإسلامية، فقد كانت أسباب الفتوحات في بلاد الفرس قرار كسرى بإلقاء القبض على النبي، لأنه كتب إلى كسرى أمبراطور بلاد الفرس يدعوه إلى الله تعالى، ولما جاء المبعوث ووصل إلى قصره، وعلم كسرى بقدومه وبكتاب رسول الله - ﷺ - أذن أن يدخل عليه المبعوث، فلما وصل إليه أمر كسرى أن يقبض منه الكتاب، فقال: لا حتى أدفعه إليك، كما أمرني رسول الله - ﷺ - فدنا وسلَّم الكتاب، فدعا كسرى من يقرأه له فَقُرِئَ فإذا: من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس، فأغضبه حين بدأ رسول الله بنفسه، وصاح، وأخذ الكتاب فمزقه، وقال يكتب إليَّ بهذا، وهو عبدي وأمر بإخراج حامل الكتاب، فلما وصل الرسول إلى النبي - ﷺ - فأخبره الخبر دعا عليهم، أن يمزقوا كل ممزق، وقال: «اللهم مزِّق ملكه».

انظر الكامل ج٢ ص٨٠، واليعقوبي ج٢ ص٦١، والطبقات الكبرى ج١، ص٢٥٩، والسيرة الحلبية ج٣/٢٧٧.

لقد أرسل كسرى اثنين من جنوده من اليمن للقبض على النبي وترحيله إلى المدائن لمحاكمته وقتله، فأمهلهما النبي إلى الغد، وفي الصباح أخبرهما أن الله سلَّط ابن كسرى عليه فقتله في الليلة نفسها، وعادا إلى اليمن ولما تحقق أميرها بأذان هذا الخبر أعلن إسلامه وأسلم معه أهل اليمن.

هذه هي أسباب الحروب بين المسلمين وبين دولتي الفرس والروم، فلم يكن المسلمون هم الذين بدأوا العدوان، فالله تعالى يقول: (وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين) البقرة:١٩٠.

علاقة المسلمين بغيرهم

يرتبط الإنسان بغيره من أبناء الوطن الواحد بكثير من الروابط الاجتماعية، حيث إن الإنسان اجتماعي بطبعه وفطرته.

ولقد أقام الإسلام هذه العلاقات على أساس من العدالة والمودة التي وجدها بين المخلوقات والبر والتعاون على الخير بناء على التعددية قال الله تعالى: (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان) المائدة/٢.

وقال الله تعالى: (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم) الممتحنة/٨.

لهذا، فإن أول دستور وضعه النبي - ﷺ - في المدينة والذي يسمى بالصحيفة أو الوثيقة قد تضمن تحديد حقوق وواجبات الأقلية غير المسلمة وكانت من اليهود فنصت المادة ٣٠ أن اليهود أمة مع المؤمنين، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم.

ونصت المادة: ٤٩، أن بينهم وبين المؤمنين النصر على من حارب

أهل هذه الصحيفة، ونصت المادة ٥٩ أن بينهم وبين المؤمنين النصر على من دهم يثرب «أي المدينة، التي كانت نواة الدولة الإسلامية»، ونصت المادة ٦٣ على أن لليهود أموالهم وأنفسهم ما للمؤمنين مع البر المحض من أهل هذه الصحيفة.

لهذا كانت القاعدة في التعامل بين المسلمين وبين غيرهم من رعايا الدولة الإسلامية هي «لهم ما لنا وعليهم ما علينا».

ولكن الفهم الخاطئ لبعض الآيات القرآنية الخاصة بالولاء والبراء يؤدي إلى القول بالتعارض بين آيات الموادعة والبر والمودة وبين آيات الولاء والبراء وآيات الجهاد والقتال، وهي خاصة بالمحاربين ولا تسري على المواطنين.

لقد حذَّر النبي - ﷺ - من خلق هذا التعارض فيما نزل من عند الله سواء في القرآن الكريم أو السنة النبوية، فقد سمع قوماً يتدارؤون في القرآن فقال: «إنما هلك من قبلكم بهذا ضربوا كتاب الله بعضه ببعض، وإنما نزل كتاب الله يصدق بعضُه بعضاً فلا تكذبوا بعضه ببعض...»رواه أحمد وابن ماجه.

ولقد ابتلي المسلمون بأفراد يظنون أنهم أكثر حرصاً على الإسلام والمسلمين، وهم يسيئون إلى الإسلام والمسلمين، حيث يتاجرون بالخلافات ويزعمون أن رأيهم هو الحق الذي لا حق غيره، وماذا بعده إلا الضلال.

فعلى سبيل المثال عندما نشرت مجلة الوعي الإسلامي بالعدد ٣٥٤ في صفر ١٤١٦هـ أن مؤتمراً عُقد في موسكو حول الإسلام والتفاهم بين مختلف الأديان والشعوب في العالم المتغير، وأن المؤتمر شاركت فيه لجنة مسلمي آسيا من الكويت والإدارة الدينية لمسلمي الإقليم الأوروبي في روسيا.

فما أن نشرت الوعي الإسلامي ذلك والتوصيات، حتى أصدر أحدهم كتاباً العام ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م بعنوان: تهافت الشعارات وسقوط الأقنعة وهو يوزع مجاناً وليس فيه سوى الطعن في الآخرين وتجريحهم والافتراء على الكثيرين.

ولقد تضمن الفصل الثالث من الكتاب أن هذا المؤتمر قدّم تنازلات كثيرة لليهود والنصارى والشيوعيين فيكفي عقده في موسكو عاصمة الشيوعية التي ترفع لواء «لا إله والحياة مادة»، وجاء بالكتاب أن توصيات المؤتمر مناهضة العقيدة الإسلامية لأنه ما أريقت الدماء إلا لغرض الجهاد والمقصود أن التعايش السلمي يناهض العقيدة الإسلامية واستدل بالحديث الشريف «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فمن قالها عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه».

واعتبر الكاتب أن التوصية بحق الأقليات في ممارسة شعائرها الدينية هو دعوة إلى الكفر والإلحاد وحَمَل الكاتب على من شاركوا في المؤتمر ومنهم الدكتور عادل عبدالله الفلاح، والدكتور محمد عبدالغفار الشريف، والدكتور بدر الماص والمذكورون كويتيون، كما حمل على وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في الكويت، وجريدة السياسة الكويتية، حيث نشرت بالعدد ٩٣٨٣ في ١٩٩٥/٥/١٥م، فتوى شرعية للوزارة بجواز تهنئة أهل الكتاب بأعيادهم شرط ألا يكون فيها إقرار لهم على ما هو محرّم شرعي ولا شك أن الكاتب أو من كتب له يعلم أن الاتحاد السوفييتي قد أعلن في العام ١٩٩١م، سقوط «الشيوعية» ووضع دستور اعترف بالأديان وبالتعددية وسمح بالحريات وكل ذلك كانت عقوبته القتل.

فانعقاد المؤتمر في موسكو العام ١٩٩٥م «أي بعد أربع سنوات من سقوط الحكم الشيوعي» ليس فيه مؤامرة على الإسلام أو تنازل عن عقائده لصالح الشيوعية والشيوعيين، بل إن محاضرات هذا المؤتمر عقدت في جامعة الصداقة بين الشعوب «جامعة لومومبا» والتي كانت تصدّر الفكر الشيوعي للمبعوثين من العرب والمسلمين، وانهال المحاضرون نقداً للشيوعية، وعقدوا مقارنة بينها وبين الإسلام، كما نقدوا الحضارة الغربية وأوضحوا أن الإسلام هو البديل، ولكن الكاتب الذي لم يطلع على أي محاضرة يطعن في العلماء المشار إليهم وفي الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية ولجنة مسلمي آسيا وباقي المشاركين الذين لمزهم فرداً فرداً واتهمهم بالتنازل عن العقيدة الإسلامية لصالح الشيوعية والحضارة المادية الغربية وهذا هو الإفك والبهتان، لأن الذي قدّمه هؤلاء شرف لا يناله من يتاجرون في الأعراض، ولا شك أن من كتب لهذا الكاتب يعلم أن النبي - ﷺ - وليس لجنة مسلمي آسيا هو الذي جعل لأهل الكتاب الحق في ممارسة شعائر دينهم وهذا ثابت في الوثيقة التي وضعها - ﷺ - لتحديد الحقوق والواجبات لرعاية الدولة الإسلامية، ولكن الكاتب بكل جرأة يزعم أن هذه دعوة إلى الكفر والإلحاد وأما باقي المغالطات فنتناولها في الصفحات التالية في مجال بيان ما يظنه البعض أنه محرَّم من المعاملات مع غير المسلمين.

وهناك كاتب لم يجد سبيلاً للجهاد سوى الطعن في شيوخه العلماء، فأصدر كتباً ينال فيها من الشيخ محمد الغزالي، والشيخ صلاح أبو إسماعيل، وآخرين زاعماً أنهم قد وقعوا في السقطات العلمية الشنيعة لعدم تخصصهم في الفقه، لأن مؤهلهم لا يؤهلهم إلا للوعظ فقط، ونسي أنه تخرج في السبعينات من كلية الدراسات الإسلامية وعمل مدرّساً في المرحلة المتوسطة وهذه لا تؤهله للحكم على شيوخه.

لقد طعن فيما كتبته عن النصارى العرب وأنهم مواطنون لا حربيون ولا ذميون وأنه لا جزية عليهم لأن القوانين السائدة لا تعفيهم من التجنيد الإلزامي في الجيش، وأنه لا يسري في حقهم الحديث النبوي «أمرت أن أقاتل الناس»، لأنه خاص بمشركي الجزيرة العربية.

فكتب أن هذه آراء شاذة في زمن الهزائم التي مُني بها العالم الإسلامي وقد تبنَّاها الكُتَّاب المستغربون الذين فتنوا بالحضارة الغربية وتسابقوا في التزلف للغربيين بتأويل ما جاء في القرآن والسنة ليوافق أهواءهم.

ولما كتبت أن الإسلام لا يقاتل قوماً لم يقاتلوا ودخلوا السلام ولا يقاتل الإسلام قوماً بينهم وبين المسلمين عهد ولا يقاتل قوماً يقفون على الحياد.

فكتب أن جميع ما كتبت هو من صور التأويلات الانهزامية الضالة المخالفة لإجماع الأمة وهي تعطيل لعريضة الجهاد.

ولست أدري هل يجعل هذا الكاتب أن أئمتنا من الفقهاء هم الذين قالوا إن مناط القتال مع غير المسلمين هو الاعتداء ما جانبهم فلا

يقتل شخص لكفره، وهل جهل أن شيخ الإسلام ابن تيمية هو الذي كتب «إباحة القتال من المسلمين مبنية على إباحة القتال من غيرهم»(١)

إن الفهم الخاطئ للولاء والبراء ولآيات القتال أدى بالبعض إلى تبني تحريم التعامل مع غير المسلمين ولو جعلوا ذلك رأياً خاصاً لهم فذلك من حقهم ولكنهم زعموا أنه التحريم الذي تبنوه هو الرأي الوحيد في الإسلام والتفريط فيه تفريط في العقيدة الإسلامية.

وفي محاسن التأويل للقاسمي: «واعلم أن الموالاة التي هي المباطنة والمشاورة وإفضاء الأسرار للكفار لا تجوز، فإن قيل: قد جوَّز كثير من العلماء نكاح الكافرة، وفي ذلك من الخلطة والمباطنة بالمرأة ما ليس بخاف؟

فجواب ذلك :

أن المراد موالاتهم في أمر الدين وفيما فيه تعظيم لهم، إلى أن قال: فحصل من هذا أن الموالي للكافر الفاسق عاص ولكن أين تبلغ معصيته؟ يحتاج إلى تفصيل.

إن كانت الموالاة بمعنى الموادة، وهو يوده لمعصيته كان ذلك كالرضا بالمعصية، وإن كانت الموالاة كفراً كفر وإن كانت فسقاً فسق، وإن كانت لا توجب كفراً ولا فسقاً لم يكفر ولم يفسق.

وإن كانت الموالاة بمعنى المحالفة والمناصرة: فإن كانت محالفة على أمر مباح واجب كأن يدفع المؤمنون عن أهل الذمة من يتعرض لهم ويحالفونهم على ذلك فهذا لا حرج فيه بل هو واجب، وإن كانت على أمر محظور كأن يحالفونهم على أخذ أموال المسلمين والتحكم عليهم فهذه معصية بلا إشكال.

وكذلك إن كانت بمعنى أن يظهر سر المسلمين ويحب سلامة الكافرين لا لكفرهم، بل ليدلهم عليه أو لقرابة أو نحو ذلك، فهذا معصية بلا إشكال، لكن لا تبلغ حد الكفر، لأنه لم يرو أن رسول الله - ﷺ - «حكم بكفر حاطب بن أبي بلتعة».

قال القاسمي:

إن الذي يوجب الكفر من الموالاة أن يكون من الموالي الرضا بالكفر والذي يوجب الفسق هو أن يحصل الرضا بالفسق.(٢)

قال الشيخ محمد رشيد رضا:

إن المحظور في باب الولاية أن يوالي نفراً من المسلمين، اليهود والنصارى ويتعاهدوا على التناصر معهم من دون المؤمنين، أو يوالوا منهم بالتحدث معهم ضد باقي المسلمين، أما ما يكون من التحالف مع غير المسلمين لأجل مصلحة للمؤمنين أو دفع ضرر عنهم فهو موضع اجتهاد والجمهور والعلماء يجيزونه.(٣)

١ - عيادة المرضى غير المسلمين

إن عيادة مرضى غير المسلمين هو من البر الذي قال الله تعالى فيه: (أن تبروهم وتقسطوا إليهم) الممتحنة:٨.

ولقد روى البخاري عن أنس رضي الله عنه أن غلاماً يهودياً كان يخدم النبي - ﷺ- فمرض فأتاه النبي - ﷺ - يعوده فقال له «أسلم فأسلم»(٤).

كما روى البخاري زيارة النبي - ﷺ - لعمه أبي طالب في مرضه وجعل عنوان الباب هو «باب عيادة المشرك».(٥)

٢ - غسل أموات غير المسلمين ودفنهم واتباع جنائزهم

إنه من الأمور البدهية أن يقوم المسلم بغسل قريبه الكافر ودفنه خصوصاً إذا لم يكن لهذا الميت من يقوم بذلك؟

ولقد ورد في القرآن الكريم إرشاد ابني آدم إلى ذلك عندما قتل ابن آدم أخاه قال الله تعالى: (فبعث الله غراباً يبحث في الأرض ليريه كيف يواري سوأة أخيه قال يا ويلتى أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سوأة أخي فأصبح من النادمين) المائدة: ٣١.

إنه مع هذا الوضوح في هذا الواجب إلا أن الفهم الخاطئ لبعض آيات القرآن الكريم يجعل البعض يحرم غسل ودفن المسلم لغير المسلم مستدلاً بقول الله تعالى: (يأيها الذين آمنوا لا تتولوا قوماً غضب الله عليهم) الممتحنة:١٣.

إن نصوص الولاء إنما تعني نصرة الكافر على المؤمن، وما كان غسل الميت ودفنه نصراً له على أحد من المؤمنين.

وحسبنا أن النبي - ﷺ - عندما مات عمه أبو طالب أمر «علياً وهو ابنه أن يغسله ويكفنه ويواريه» رواه أبو داود والنسائي(٦) وهذا يقضي اتباع جنازته، ولقد ذهب الشافعية إلى وجوب تكفين من مات من أهل الكتاب ودفنه واحتساب ذلك من بيت مال المسلمين إن لم يكن له مال لأننا مكلفون بإطعامه وكسوته في حياته إذا عجز عن ذلك.(٧)

ولقد أجاز كثير من الفقهاء اتباع جنائز غير المسلمين لأن ذلك من البر(٨) وعن الحارث بن أبي ربيعة أن أمه ماتت نصرانية فتبع جنازتها في نفر من الصحابة.(٩)

٣ - زيارة قبور غير المسلمين

أبدى بعضهم تحريم زيارة قبور غير المسلمين مشاركة لذويهم في العزاء، ولكن جمهور الفقهاء يرى جواز هذه الزيارة لعدم وجود تحريم صريح، ولأن زيارة القبور ليست ولاء لهم فضلاً عن ذلك، فإن شيخ الإسلام ابن تيمية أورد في الاستدلال على الجواز أن النبي - ﷺ - قال استأذنت إلى أن أستغفر لأمي فلم يأذن لي فأستأذنته أن أزور قبرها فأذن لي فزوروا القبور، فإنها تذكركم بالآخرة. ■

الهوامش :

١ - انظر فتح القدير ٢٩١/٤ ومغني المحتاج ٢١٠/٤ ورسالة القتال لابن تيمية ص ١١٦.
٢ - محاسن التأويل للقاسمي: ٤: ٨٠، ٨١، ٨٢.
٣ - تفسير المنار ج١٦ ص ٨١، ٨٢.
٤ - انظر فتح القدير ٢٩١/٤ ومغني المحتاج ٢١٠/٤، ورسالة القتال لابن تيمية ص ١١٩.
٥ - فتح الباري ١١٩/١٠ ومجمع الزوائد للهيثمي ٣٠٠/٢.
٦ - المصنف للصنعاني ٣٩/٦.
٧ - مغني المحتاج ج١ ص ٣٤٨.
٨ - بدائع الصنائع للكاساني ٣٠٣/١.
٩ - المصنف للصنعاني ٤١/٦.

بقلـم : موسـى البوسعيـدي

الوقـف الإسلامـي وأثـره التنمـوي والحضـاري

يعتبر الوقف في الإسلام مؤسسة كبرى وقربة دينية عظيمة لها أبعادها الإنسانية والحضارية والاجتماعية والاقتصادية، لذا كان الوقف رمزاً للسماحة والعطاء، وعصباً للاقتصاد الإسلامي، ومفجِّراً للطاقات المبدعة في المجتمعات الإسلامية.

فالوقف يعد نظاماً راقياً للصدقات ومورداً مستثمراً للإنفاق يحقق التكافل الاجتماعي في المجتمع الإسلامي ويلبي حاجات ومنافع عظيمة للمحتاجين.

لهذا جاءت مشروعية الوقف في الإسلام حاملة معها حب التقرب إلى الله بالصدقة الجارية الخالدة، وحب الخير والإحسان بين أبناء المجتمع الإسلامي، وكان من أفضل القربات إلى الله أن ينفق الإنسان مما يحب، يقول الله سبحانه وتعالى: (لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون) آل عمران:٩٢، وعدَّد سبحانه أصناف البر فقال: (وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب) البقرة:١٧٧، فكان الوقف هو الصدقة الخالدة في عطائها وفي جلب الأجر لفاعلها حتى بعد مماته، يقول الرسول ـ ﷺ: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث، صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له»، وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن مما يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته علماً علَّمه ونشره، وولداً صالحاً تركه أو مصحفاً ورثه أو مسجداً بناه أو بيتاً لابن السبيل بناه أو نهراً أجراه أو صدقة أخرجها من ماله في صحته وحياته تلحقه بعد موته».

لقد نادى الإسلام بتشريعاته بالدعوة إلى الخير، وسما بالنفوس إلى أعلى، فخاطب النفس الإنسانية بفعل الخير، قال سبحانه وتعالى (وما تفعلوا من خير فإن الله به عليم) البقرة:٢١٥، وقال: (وتعاونوا على البر والتقوى) المائدة:٢، وجاء عن الرسول ﷺ مبيناً ومرشداً إلى وجوب التكافل وفضله وعمومه واختلافه باختلاف الأحوال فقال: «من كان عنده فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له ومن كان عنده فضل زاد فليعد به على من لا زاد له».

التطور المنشود للوقف يكون من خلال منظور علمي وعملي تتسع فيه الرؤية المستقبلية لتشمل كل الظروف البيئية ومقتضياتها

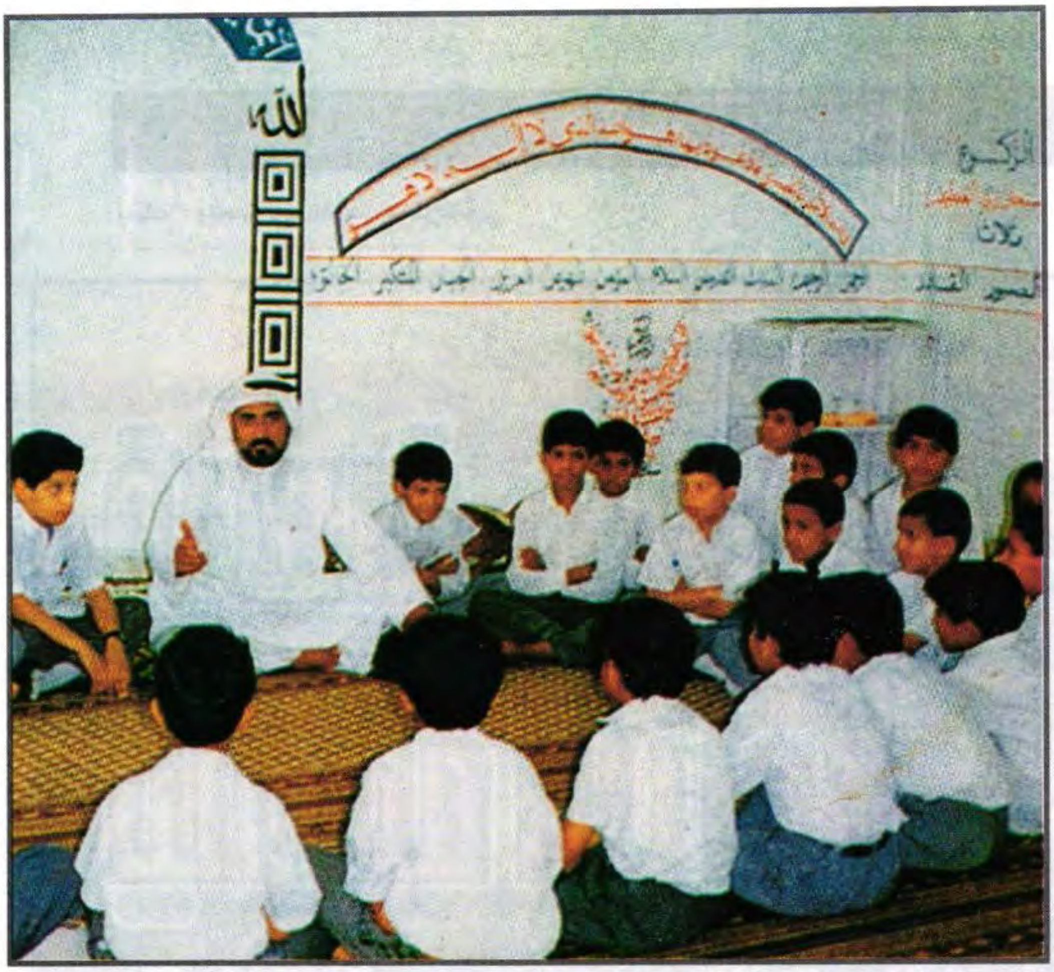
يتبين لنا من كل هذا ارتباط نظام الوقف بالتنمية والتكافل الاجتماعي بجانب مشروعية الزكاة وسائر الصدقات الأخرى، فكانت كلها أنظمة إسلامية رائدة متفقة المبادئ والأهداف بما يعود بالمصلحة على أفراد المجتمع الإسلامي، وأصبح ميدان الوقف في الإسلام ميداناً فسيحاً يشمل كل ألوان البر بالإنسان حياً وميتاً، حتى أنه يشمل الرفق بالحيوان والطير، فهو ييسر سبل العيش الكريم للناس، فكان ولا يزال ذا أهمية تاريخية عظمى في الكفاح ضد الفقر والجهل والعجز الذي يشكل عقبات كبرى في طريق تقدم الإنسان ورقيه وتحقيق كرامته وحريته، ذلك أن الوقف في طبيعته نمط من أنماط توزيع الثروة من حيث هو مصدر لسد حاجات المجتمع في مختلف سبل ومجالات الحياة التعبدية والاجتماعية والتعليمية والصحية والاقتصادية وغيرها، وذلك لرفع مستوى المعيشة ولرفع تقدم المجتمعات فكان مصدراً لتمويل تلك المجالات لتشمل خدمتها وسط المجتمع الإسلامي والتي يزخر بها التاريخ الإسلامي منذ القرن الأول الهجري وحتى القرن الرابع عشر الهجري. وبذلك أصبح الوقف أحد مرتكزات التوازن الفكري في حياة البشر والذي تميزت به الشريعة الإسلامية ألا وهو التوازن بين القيم المادية والروحية المتمثل في فرضية الزكاة وسائر الصدقات الخيرية.

وعلى هذا، فإنه ليس أدل على رقي الأمة وازدهارها

وجدارتها بالحياة واستحقاقها لقيادة العلم من سمو النزعة الإنسانية في أفرادها سمواً يفيض بالخير والبر والرحمة على طبقات المجتمع كافة، بل على كل من يعيش على الأرض من إنسان وحيوان وطير وبهذا المقياس تخلد حضارات الأمم وبآثارها في هذا السبيل يفاضل بين حضارتها ومدنيتها.

وإذا كانت الحضارة نهراً خالداً متجدداً على حين تمثل حياة الفرد القطرات المتبخرة من هذا النهر، فإن من شأن الأوقاف تمويل الصناعة الحضارية والتطورات المستجدة على الساحة الآن.

إن الصحوة الإسلامية لها وزنها المقدر، ونواياها الطيبة، وكثرة الحاجات الاجتماعية والتعليمية والاقتصادية وغيرها لأفراد المجتمع، كل ذلك يؤكد الحاجة الماسة إلى إحياء سنة الوقف من جديد والذي يبشر بعدها بإمكان إحيائها وتطويرها وفق ما تقتضيه المصلحة الشرعية مستوعبة الدور الاجتماعي والاقتصادي الرائد الذي ينتظر منها، وبذلك تصبح هذه المؤسسة تعبر وبصدق عن أهمية التفكير في مستقبل المنشآت والخدمات التي تضمن استمرارها.



● للعلم والتعليم مكانة خاصة عند المسلمين

لكن المشكلة أننا نجد تقلصاً في إيجاد الموارد الوقفية التي من خلالها يأتي استغلالها فيما يخدم استمرارها لصالح الجهة الموقوف عليها، ولذلك تقاعس الكثير من الناس وغفلوا عن هذا الجانب والدور الذي يخدم الواقف نفسه ويخدم مجتمعه من حوله، ولعل الغفلة وعدم الاهتمام أتيا في الوقف المعاصر بحجة أن الحياة توافرت فيها كل سبل العيش والراحة وهذه انغلاقة خاطئة وذلك لأن التقرب إلى الله تعالى بأصناف الطاعات مرغوب فيه وهو غير محدود بمكان أو زمان.

فالتفكير في النظرة المستقبلية جادة لابد منها لتلبية حاجات المجتمع الضرورية، حتى يستقل باكتفائه الذاتي، لأن مستجدات الأحداث المستمرة بلا شك وإن كانت الأوقاف قديماً قد أوجدت تكافلاً اجتماعياً في المجتمع، كأوقاف المساجد والمدارس والمتعلمين وأوقاف الفقراء وأوقاف مرضى الجذام وأوقاف إفطار الصائمين وغير ذلك كثير والتي كانت لها صلة وثيقة بالمجتمع المتكافل في ذلك الوقت.

الوقف الذي ييسر سبل العيش الكريم للناس كان ولا يزال ذا أهمية تاريخية عظمى في الكفاح ضد الفقر والجهل والعجز

إذا كان لابد من استنتاج وسائل أخرى وقفية لتخدم الضرورة الاجتماعية المعاصرة والمتجددة، وذلك بتطوير الإدارة على تلك الأوقاف القديمة وجعلها ذات أثر مجدٍ، وذلك بمتابعتها ودراستها والإشراف عليها واستحداث الوسائل التي تصل بها إلى المستوى الايجابي المطلوب، وذلك بالمقايضة الشرعية لأموال الأوقاف أو استثمار عقارات الأوقاف بما هو أجدى وأصلح، هذا بجانب الإدخار الوقفي للأفراد والجماعات وذلك بوساطة الصناديق الوقفية المتنوعة التي تسهم في خدمة مشروعات التنمية المجتمعية والاقتصادية، بالإضافة إلى إحياء الدور الحضاري للأوقاف بالاهتمام بها إعلامياً إلى جانب اللقاءات التي يتم تبادل الرأي فيها لدراسة فقه الوقف وتزامنه مع العصر، وبنجاح تلك النشاطات والفعاليات تكون قضية التنمية الوقفية في المجتمع قد غطّت جانباً فعّالاً في سد حاجات المجتمع وتحقيق الأهداف الطموحة.

فالتطور المنشود للوقف يكون من خلال منظور علمي وعملي تتسع فيه الرؤية المستقبلية لتشمل كل الظروف البيئية ومقتضياتها، وبالتالي نستطيع القول إن مسيرة التنمية الوقفية وأثرها في المجتمع تمثل أحد الملامح الرئيسة في المشروع الحضاري الإسلامي المعاصر. ■

بقلم : رفعت عبدالوهاب المرصفي



قدسية بيت الله الحرام في القرآن والسنة والفقه الإسلامي

إن هذا هو البيت الأول الذي وضعه إبراهيم الخليل عليه السلام بأمر الله رب العالمين:

(إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركاً وهدى للعالمين)(١).

هذا هو البيت الحرام الذي يطوف حوله الذين قرّبهم الله إلى حماه، إنه البيت المعظّم الذي خصَّ الله جيرانه بالأمن والأمان والبركة، إذا قصده الزائرون هللوا وكبروا ابتغاء لمرضاة الله تعالى وأقرّوا بوحدانيته وصمدانيته، وامتلأت قلوبهم رهبة من عظمة الله وقوته ورغبة في رعايته ورحمته لا يذكرون فيه غير الله ولا يهتفون لأحد سواه.

وقد تنادى الناس بحرمة هذا البيت منذ أن كان، ولا سيما العرب قبل الإسلام على اختلاف معتقداتهم وتناقض نزعاتهم، وخطوا له حرماً واسعاً لا يدخلونه إلا محرمين، وإذا مسَّهم الخوف لجأوا إليه فصاروا فيه وبه آمنين: (أوَ لم يروا أنا جعلنا حرماً آمناً ويتخطف الناس من حولهم)(٢) وفي سورة الحج نجد آيات القرآن الكريم قد أفصحت عن مكانة المسجد الحرام وعن الأمر ببنائه وعن فرض الحج إليه، وعن المنافع التي يتلقاها الحاج من جراء أداء هذه الفريضة (وإذا بوأنا لإبراهيم مكان البيت ألا تشرك بي شيئاً وطهّر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود. وأذّن في الناس بالحج يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق. ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير. ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق. ذلك ومن يعظّم حرمات الله فهو خير له عند ربه وأُحلت لكم الأنعام إلا ما يُتلى عليكم فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور)(٣).

وفي سورة البقرة نجد القرآن قد مجدّ مكانة البيت الحرام في أكثر من آية مذكراً بقصة بنائه وبالدعوات الخاشعات التي كان إبراهيم عليه السلام يتضرع بها إلى ربه عند إقامته قواعد هذا البيت المعظم: (وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمناً واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود. وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا بلداً آمناً وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر قال ومن كفر فأمتّعه قليلاً ثم أضطره إلى عذاب النار وبئس المصير). (٤).

وفي سورة إبراهيم حكاية لدعوات إبراهيم وضراعته إلى الله

أن يرعى ذريته التي أسكنها عند بيت الله المحرَّم: (ربّنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرّم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون. ربنا إنك تعلم ما نخفي وما نعلن وما يخفى على الله من شيء في الأرض ولا في السماء. الحمد لله الذي وهب لي على الكبر إسماعيل وإسحاق إن ربي لسميع الدعاء. رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي ربنا وتقبل دعاء)(٥).

وفي سورة الحج يبيِّن القرآن الكريم أن موضع البيت الحرام قد عرَّفه الله لإبراهيم عليه السلام وأمره بإقامته وتطهيره والأذان في الناس بالحج إليه، وتلك مهام على قدر عظيم من الأهمية (وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت ألا تشرك بي شيئاً وطهِّر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود. وأذّن في الناس بالحج يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق)(٦).

وفي سورة البقرة يذكرنا القرآن الكريم بدعوات إبراهيم وابنه إسماعيل عليهما السلام فيقول: (وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبّل منا إنك أنت السميع العليم. ربّنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتُب علينا إنك أنت التواب الرحيم. ربنا وابعث فيهم رسولاً منهم يتلوا عليهم آياتك ويعلّمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم)(٧).

هذه الضراعة إلى الله قد استجيبت فكان هذا البيت الحرام مطهراً من الشرك والوثنية والإلحاد وكانت فريضة الحج وكانت هذه الأمة المسلمة له وكان هذا النبي محمد - ﷺ - من هذه الأمة رسولاً معلماً ومبشراً ونذيراً ومطهراً لهم ولهذا البيت فلم يُعبد فيه غير الله منذ فتح الله له مكة.

الحرم الآمن وحدوده

يقول الله تعالى في سورة القصص: (وقالوا إن نتبّع الهدى معك نتخطف من أرضنا. أوَ لم نمكّن لهم حرماً آمناً يجبى إليهم ثمرات كل شيء رزقاً من لدنا ولكن أكثرهم لا يعلمون)(٨).

وهذا الحرم الآمن قد حدد رسول الله - ﷺ حدوده التي لا يحل للمتجه إلى مكة قاصداً الحج أو العمرة أو هما معاً أن يتجاوزها إلا محرماً وهي خمسة مواقع(٩):

الأول: ذو الحليفة:

وهو موضع يقع إلى الجنوب الغربي للمدينة بينه وبين المسجد النبوي الشريف نحو أحد عشر كيلو متراً، وإلى الشمال من مكة بنحو أربعمئة وخمسين كيلو متراً، ومن هذا الموقع أحرم رسول الله - ﷺ - في حجة الوداع، ويسمى هذا الموقع عند العامة بـ«أبيار علي».



● باب الكعبة المشرفة المصنوع من الذهب الخالص

الثاني: ذات عرق

وهو موضع يقع إلى الشمال الشرقي من مكة يبعد عنها أربعة وتسعين كيلو متراً وهو ميقات أهل العراق ومن يمر به.

الثالث: الجحفة:

وهو موضع على الساحل الشرقي للبحر الأحمر وموقعه إلى الشمال الغربي من مكة على بعد مئة وسبعة وثمانين كيلو متراً، وهو ميقات أهل مصر والشام ومن يمر عليها ممن جاؤوا من المغرب العربي.

وما يذكر أن هذا الموضع يسمى «مهيعة» فنزلها أخوة عاد فجاءهم سيل فأجحفهم فسميت «الجحفة» وقد انطمست معالمها وصار الناس يحرمون من مدينة تقع إلى شمالها تسمى «رابغ» على بعد مئتين وأربعة كيلو مترات من مكة إلى الشمال الغربي منها.

الرابع: قرن المنازل

وهو جبل مطلّ على جبل عرفات شرقي مكة يميل قليلاً إلى الشمال على بعد أربعة وتسعين كيلو متراً من مكة، وهو ميقات أهل نجد ومن سلك طريقهم.

الخامس: يلملم

وهو جبل يقع إلى الجنوب من مكة على بعد أربعة وتسعين كيلو متراً، وهو ميقات أهل تهامة من اليمن ولمن يمر به أو يحاذيه من الهنود.

وقد روت السيدة عائشة رضي الله عنها(١٠): «أن النبي - ﷺ - وقَّت لأهل المدينة ذا الحليفة ولأهل الشام الجحفة ولأهل نجد قرن المنازل ولأهل اليمن يلملم قال: فهن لهن ولمن أتى عليهن من غير أهلهن من أراد الحج والعمرة ومن كان دونهن فمهلة من أهله حتى أهل مكة يهلون منها».

فضائل مكة وخواصها

لقد اختار الله هذا البلد وشرَّفه ببيته الحرام الذي جعله منسكاً لعبادته وأوجب على المسلمين الحج إليه من كل مكان من أرض الله لا يدخلونه إلا خاشعين متواضعين متذللين لله رب العالمين، حاسري الرؤوس، متجردين عن ما اعتادوا عليه من لباس، ومن زينة الحياة الدنيا، وجعله حرماً آمناً لا يسفك فيه دم ولا تقطع به شجرة ولا ينفر له صيد.

كما جعل الله حج البيت مكفراً لما سلف من الخطايا والذنوب، ولقد أقسم الله بهذا البلد «مكة» في كتابه العزيز تعظيماً لشأنه في موضعين:

(لا أقسم بهذا البلد. وأنت حل بهذا البلد)(١٢).

(وهذا البلد الأمين)(١٣).

وجعل البيت الحرام قِبْلَة لأهل الأرض جميعاً، يتجهون إليها في صلاتهم أثناء الليل وأطراف النهار، مكة أم القرى، فالقرى كلها تبع لها وفرع عليها.

ومن خواص هذا البلد الحرام مضاعفة الثواب لمن أحسن ومضاعفة العقاب لمن أساء فيه أو أراد به سوءاً أو هم فيه بإلحاد، فضلاً عن فعله بالعذاب الأليم حيث عدّى فعل الإرادة في الآية بالياء لأنه ضمنه معنى الهم فكأنه قال: (ومن يهن فيه بإلحاد بظلم).

وللبيت الحرام أعلى درجات الإجلال والإعظام حيث شرّفه الله بالإضافة إليه في قوله تعالى: (وطهر بيتي) فقد اقتضت هذه الإضافة مزية وخصوصية لم تمنح لمكان آخر.

حرمة البيت:

خطب رسول الله - ﷺ - يوم فتح مكة وكان مما قاله: «إن مكة حرمها الله ولم يحرمها الناس، لا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دماً، ولا يعضد بها شجراً، فإن أحداً ترخص في قتال فيها فقولوا: إن الله أذن لرسوله ولم يأذن لكم وإنما أذن لي ساعة من نهار، وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس.

وقد أخذ عامة فقهاء المسلمين من هذا أنه لا يجوز القتال في مكة وما يتبعها من الحرم بهذا الأمر الصريح من رسول الله - ﷺ - في خطبته يوم الفتح.

ولقد ذهب جمهور الفقهاء إلى أن «البغاة» يقاتلون في مكة وفي الحرم على بغيهم إذا لم يمكن ردهم عن بغيهم إلا بالقتال، ذلك لأن قتال البغاة من حقوق الله تعالى لا يجوز التهاون بشأنها.

قال النووي: وما نقل عن الجمهور هو الصواب وقد نصّ عليه الشافعي في كتاب اختلاف الحديث وأجاب الشافعي عما يقتضيه ظاهر الأحاديث من منع القتال مطلقاً بما يشمل البغاة، وأن القتال المقصود بالتحريم إنما هو نصب القتال عليهم وقتالهم بما يعم أدوات القتال الثقيلة المتنوعة إذا أمكن إصلاح الحال من دون ذلك.

بينما ذهب بعض الفقهاء إلى أنه يحرم قتال البغاة وإنما يضيق عليهم في كل الوجوه حتى يضطروا إلى الخروج من الحرم أو الرجوع إلى الطاعة.(١٥)

إذاً فجملة ما ورد في حرمة مكة وحرمها يدل على أن الله تعالى هو الذي حرَّمها، قال القرطبي(١٦): معنى الأحاديث السابقة أن الله تعالى حرَّم مكة ابتداء من غير سبب ينسب لأحد ولا لأحد فيه مدخل ولأجل هذا أكد النبي - ﷺ - هذا المعنى بقوله: «ولم يحرمها الناس» والمقصود بهذه العبارة السابقة أن تحريمها ثابت بالشرع ولا مدخل للعقل فيه، أما المراد أنها من محرمات الله وليست من محرمات الناس «يعني في الجاهلية»، حيث حرموا أشياء من عند أنفسهم فيجب الامتثال لذلك ولا يسوغ الاجتهاد في تركه وقيل معناه أن حرمتها مستمرة من أول الخلق وليست مما اختصت به شريعة النبي - ﷺ -.

تحريم الرفث والفسوق والجدال حال الإحرام بالنسك

قال تعالى: (فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج)(١٧).

نقل القرطبي في تفسيره أن الرفث يعني الجماع في قول كثير من الفقهاء، وأن الجماع قبل الوقوف بعرفة مفسد للحج، وعليه حج من قابل والهدي، ونقل ابن حزم في «المحلى» أن تعمّد الوطء في الحج يبطله مطلقاً.

والفسوق في أصح الأقوال: إتيان معاصي الله عز وجل في حال إحرامه بالحج وهو مروي عن ابن عباس وعطاء والحسن وابن عمر وآخرين.

والجدال المنهي قد تنوعت الأقوال في تفسيره وأحراها بالقبول ما نقل عن ابن عباس أنه بمعنى المراء والخصومات ولا مراء في أن الفسوق والجدال بالباطل من المحرمات في الإسلام ولكن حرمتها في الحج أشد أما الرفث بمعنى جماع الزوجة في فترة الإحرام وقبل إتمام المناسك فتحريمه موقوت بحال الإحرام.

سدانة البيت الحرام

لقد فصلت كتب التفسير والحديث والسيرة والتاريخ أمر سدانة الكعبة المعظّمة في الإسلام، بل منذ أن كانت الحجابة والسقاية والرفادة وقد تضافرت رواياتها في هذا:

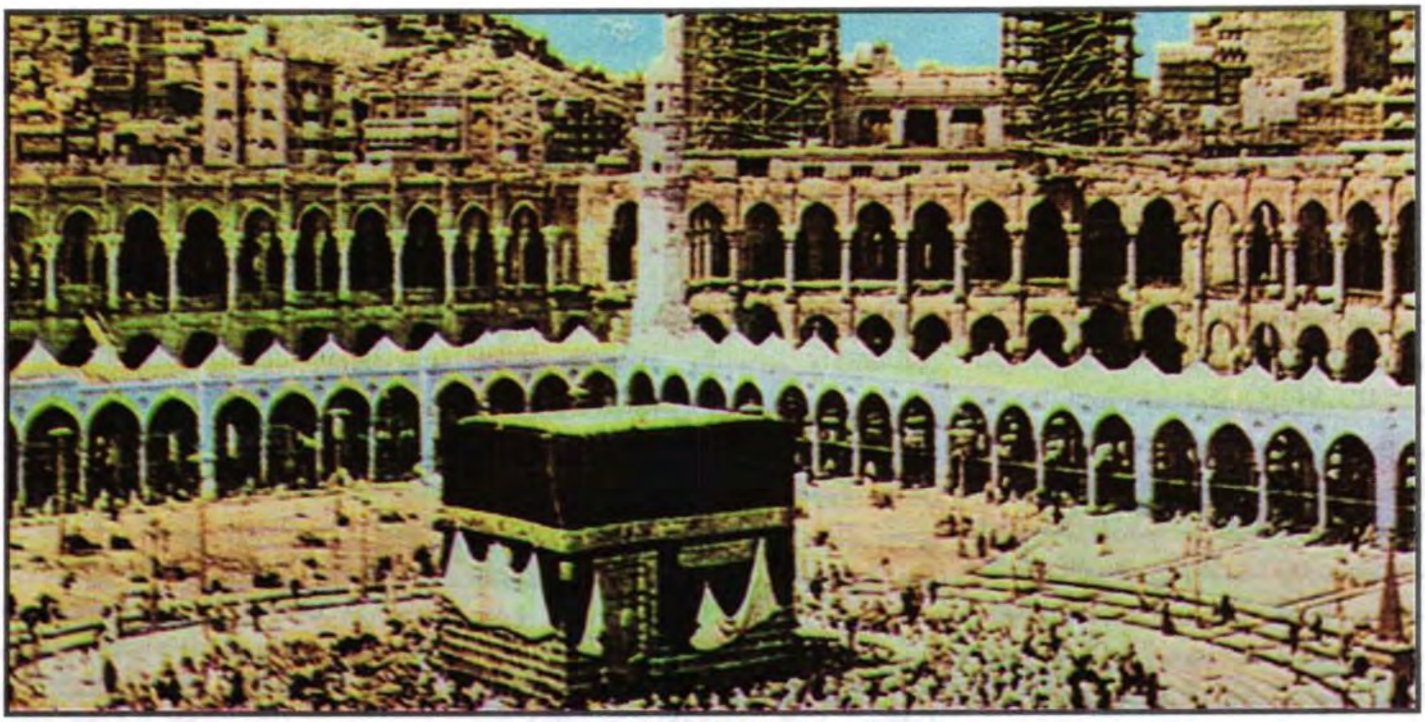
عن عثمان بن طلحة قال: كنا نفتح الكعبة في الجاهلية يوم الاثنين والخميس، فأقبل ﷺ يوماً يريد أن يدخل الكعبة مع الناس، فأغلظت له ونلت منه فحلم عني ثم قال «يا عثمان لعلك سترى هذا المفتاح يوماً بيدي أضعه حيث شئت» - فقلت: لقد هلكت قريش يومئذ وذلت، قال ﷺ : بل عمرت وعزت يومئذ»، ودخل الكعبة فوقعت كلمته مني موقعاً ظننت يومئذ أن الأمر سيصير إلى ما قال.

فلما كان يوم الفتح «فتح مكة» قال ﷺ : يا عثمان آتني بالمفتاح فأتيته به... فأخذه مني وفتحت له الكعبة فدخلها وكبَّر في جوانبها وصلى فيها ركعتين، وأذن بلال فوقها ولما خرج رسول الله - ﷺ - قام إليه علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - ومفتاح الكعبة في يده فقال: يا رسول الله أجمع لنا الحجابة مع السقاية، فقال النبي - ﷺ - أين عثمان بن طلحة؟ فدعا له فقال: هذا مفتاحك يا عثمان، اليوم يوم بر ووفاء، وقال: خذوها يا بني شيبة خالدة تالدة لا ينزعها منكم إلا ظالم، وفي لفظ آخر: خذها تالدة إني لم أدفعها إليكم، ولكن الله دفعها إليكم ولا ينزعها منكم إلا ظالم.

وأكد ذلك رسول الله - ﷺ - في خطبته يوم فتح مكة حيث جاء فيها:(١٨)

«ألا إن كل مأثرة كانت في الجاهلية أو دم أو مال يدعى فهو موضوع تحت قدميّ هاتين إلا ما كان من سدانة البيت وسقاية الحاج فإني أمضيتها لأهلها على ما كانت».

وفي تفسير مجمع البيان لعلوم القرآن لقول الله تعالى في



● الحرم المكي الشريف قبل التوسعات الأخيرة

سورة النساء(١٩)، (إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها).

قيل إنه خطاب للنبي - ﷺ - برد مفتاح الكعبة إلى عثمان بن طلحة حين قبض منه المفتاح يوم فتح مكة.(٢٠)

وفي تفسير ابن كثير لهذه الآية قال: قال ابن جرير نزلت في عثمان بن طلحة، قبض منه رسول الله - ﷺ - مفتاح الكعبة فدخل في البيت يوم الفتح فخرج وهو يتلو هذه الآية: (إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها) فدعا عثمان، فدفع إليه المفتاح، وقال عمر بن الخطاب حين خرج رسول الله - ﷺ - من الكعبة وهو يتلو هذه الآية:

(إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها)، فداه أبي وأمي - ما سمعته يتلوها قبل ذلك.

قال النووي(٢١): قال العلماء: لا يجوز أن ينزعها منهم، وهي ولاية لهم عليها من رسول الله - ﷺ - فتبقى دائمة لهم ولذرياتهم أبداً، ولا ينازعون فيها ولا يشاركون ما داموا صالحين لذلك.

هذا وما زالت ولاية البيت في أيدي بني شيبة إلى يومنا هذا تنفيذاً لأمر رسول الله - ﷺ - وهم بفضل الله تعالى يبذلون مما أفاء الله عليهم من نعمة لإعزاز الكعبة الشريفة وحرمها وزوارها، فقد عبّدوا الطرق، وأقاموا الأنفاق والمعابر الموصلة إليها، وإلى سائر المشاعر تيسيراً لأداء المناسك، وهم يقيمون الدين بقدر ما وسعهم، ولا يصدون عن المسجد الحرام ولا عن مسجد سيد الأنام - ﷺ - ولا يجوز نزع هذه الولاية الثابتة لهم بحكم الله ورسوله لأنه تغيير لما وضع الله ورسوله بغير حق ولا سبب موجب، ومن يفعل ذلك أو يدع إليه «يلق أثاماً» ويكون ظالماً عاصياً لله ورسوله قال تعالى:(٢٣)

(ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله ناراً خالداً فيها وله عذاب مهين) وفي آية أخرى: (ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالاً مبيناً)(٢٣). ■

الهوامش:

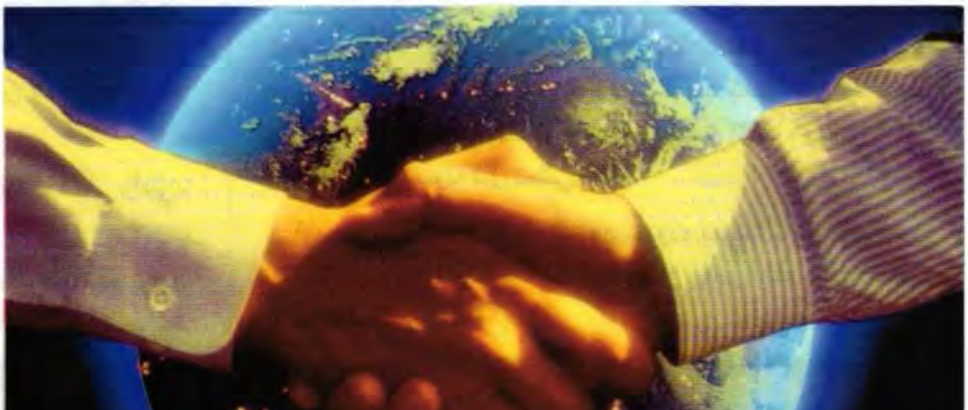
١ - آل عمران:٩٦.
٢ - العنكبوت: ٦٧.
٣ - الحج: ٢٦ - ٣٠.
٤ - البقرة: ١٢٥-١٢٦.
٥ - إبراهيم: ٣٧ - ٤٠.
٦ - الحج: ٢٦، ٢٧.
٧ - البقرة: ١٢٧-١٢٩.
٨ - القصص: ٥٧.
٩ - حدود الحرم أو مواقيت الإحرام مصدرها كتاب الدين الخالص ص ٤٧ - ٥٠.
١٠ - أخرجه النسائي
١١ - فتح الباري بشرح صحيح البخاري وبالجملة فقد أخرجه البخاري ومسلم وأحمد والنسائي وأبو داود وغيرهم.
١٢ - البلد: ١-٢.
١٣ - التين: ٣.
١٤ - الحج:٢٥.
١٥ - صحيح مسلم «كتاب الحج» شرح النووي ج٣ ص٢٨١.
١٦ - سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد للصالحي ج١ ص٢٤٠.
١٧ - البقرة:١٩٧.
١٨ - فتح الباري في شرح صحيح البخاري في باب دخول النبي ﷺ من أعلى مكة، وصحيح مسلم بشرح النووي في باب استحباب دخول مكة وسيرة ابن هشام.
١٩ - النساء: ٥٨.
٢٠ - كتاب الأزهر «قدسية الحرمين الشريفين» لفضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق علي جاد الحق.
٢١ - شرح النووي على صحيح مسلم ج٣ ص ٢٥٩ في كتاب الحج.
٢٢ - النساء:١٤.
٢٣ - الأحزاب: ٣٦.

بقلم: عبدالعزيز انسميرات

من أجل رؤية مستقبلية للإعلام

مع ازدياد التطور الهائل في الوسائل المعلوماتية الدقيقة، بات واضحاً اليوم الانعكاس الإيجابي والسلبي لوسائل الاتصال على حياة الإنسان، وآثار ذلك على الوعي، حتى إنه يمكن القول: إن الإنسان أصبح ابن إعلامه، لما يشكله هذا الأخير من بيئة يصنعها المتحكمون في آليات الوسائل والقنوات الإعلامية، خصوصاً مع دخول المنظومة الحضارية الراهنة عصر «النظام الأحادي القطب» وما يلحق به من تحولات على جميع المستويات السياسية والاقتصادية والتربوية والعسكرية والثقافية... إلخ، وبهذا تتضح صورة استغلال الوسائل الإعلامية، وبخاصة منها السمعية والبصرية، في مشروع التحكم في إرادة الشعوب وصياغة شخصيات الناس وعقولهم وثقافاتهم، ومنها الأمة الإسلامية، في ظل أزمة خانقة تمس كل جنبات العمل الثقافي والاجتماعي والسياسي والاقتصادي والتربوي والإعلامي، بل تعكس، في حقيقة الأمر، عمق الخلل الذي أصاب الأمة في كل مكوناتها، في مرحلة جد خطيرة، يُعتبر الإسلام خلالها «الخطر الأخطر» الذي ينبغي التصدي له ومواجهته، في نظر أعداء هذه الأمة.

بموازاة مع هذا الواقع المتردي والمشلول من جهة، ورغبة الأعداء في النيل من الأمة وتقويض كل قواعد هويتها وأصالتها من جهة أخرى، تُطرح علينا أسئلة كثيرة جداً، نحس بها تزعزع كياننا وتوقظنا من حال الغفلة لنكون، فعلاً، في حجم الموقع المطلوب منا كخير أمة أخرجت للناس، أنيطت بها رسالة وأمانة التبليغ والدعوة والتذكير، ولعل من القنوات التي يمكنها أن تسمع وتساعد على تحقيق هذه الرسالة، قناة الإعلام، لما لها من صلة مباشرة بحياة الناس واهتماماتهم وهمومهم، لكن الأسئلة التي تطرح نفسها من جراء النظر العميق في واقع إعلامنا الإسلامي المعاصر هي: هل فعلاً يمثل الموجود من الممارسات الإعلامية، الإعلام الإسلامي المطلوب؟ وهل يحتل هذا الإعلام المشهود اليوم الموقع الصحيح بحيث يكون، فعلاً، في حجم التحديات، من جهة أولى، ومسؤوليات الدعوة، من جهة ثانية، بحيث يستطيع أن يؤدي وظيفة ترشيد سلوك الصحوة الإسلامية المعاصرة وتقويم تدينها؟



إنها جزء من أسئلة كثيرة تتوالد من رحم المعاناة الإعلامية الإسلامية الراهنة، لتكشف عن الخلل الموجود في ممارستنا الإعلامية، لعدم تمكننا من ضبط المداخل الصحيحة لبناء إعلام إسلامي في حجم المسؤولية والتحديات، لعل في مقدمها: التحديد الدقيق للأهداف والمقاصد والضوابط والآليات. وسنحاول بإذن الله تعالى، في هذا المقال، الحديث عن بعض هذه المداخل، إسهاماً منا في رسم الصورة الصحيحة، ووضع لبنة تنضاف إلى الجهود المؤسسة على الوعي بموضوع القضية المطروحة خلفياتها ودواعيها، وأهداف تداول الرأي حولها، مدركين في كل ذلك الدور الذي يمكن أن يقوم به الإعلام في حياة الأمة، فرداً وجماعة، كوسيلة للتغيير والتربية والتثقيف وصناعةالأفكار، وكسلاح أساسي لابد منه في معركة المواجهة الحضارية الراهنة والمقبلة، على حد سواء، خصوصاً مع بلوغ الثورة الاتصالية ذروتها من خلال البث السمعي - البصري المباشر عبر الأقمار الصناعية، وما لهذا التحول من انعكاسات على ثقافة وهوية الأمة.

مفهوم الإعلام الإسلامي

إذا كان الإعلام بصفة عامة هو تلك العملية ذات الوسائل والقنوات المتعددة لنقل الأفكار

والمعلومات وتداولها من المرسل إلى المتلقي، من أجل تبليغ رسالة محددة، والتأثير في سلوكه وأفكاره، وتشكيل أنموذجه الذهني، تبعاً للخلفية العقدية أو الأيديولوجية للجهة المرسلة، خصوصاً مع استفادة الإعلام من الخبرات العلمية في مجال السلوك والنفس والمجتمع والاقتصاد والسياسة والتربية.

أقول، إذا كان هذا هو المعنى العام الذي يمكن من خلاله تعريف الإعلام، فإن للإعلام الإسلامي نقاطاً عدة يلتقي فيها مع التعريف السابق، كونه مجموع العمليات التي تهدف إلى تبليغ رسالة محددة إلى المتلقي بناء على خلفية عقدية، غير أنه يتميز بخصوصيات تتحدد من خلالها المنطلقات والوسائل والمقاصد، وبالجملة يمكن القول: إن الإعلام الإسلامي هو مجموع الوسائل والقنوات الساعية إلى تحقيق أربعة أهداف أساسية وهي: التبليغ والتبيين والترشيد والتقويم، وهي كلها مؤسسة على قواعد الدعوة الإسلامية التي تستهدف تخليص المسلم من الجهل واتباع الهوى وبناء حياته على العلم الحقيقي. العلم بالله تعالى الذي يمكّنه من فهم مقاصد الخلق والاستخلاف.

الأسس العامة للإعلام الإسلامي وخصائصه:

انطلاقاً مما سبق، يمكن القول: إن أسس الإعلام الإسلامي هي نفسها أسس الدعوة الإسلامية عامة، بحيث يمكن النظر إليها من خلال قوله تعالى: (ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون) آل عمران:١٠٤، فقد تضمنت الآية ثلاثة أسس أساسية هي: الدعوة إلى الخير، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وهي أسس جلية نابعة من نظرة الإسلام إلى الفطرة الإنسانية، فتجعل من الدعوة والأمر والنهي، مداخل أساسية للاتصال والتواصل بين الناس، بل مقدمات أساسية كذلك، لرسم شكل الكلمة الإعلامية في المجتمع الإسلامي، التي لابد لها من الانضباط بضابطين مهمين، هما: ضابط الأخوة والتواصي بالحق، وضابط المسؤولية والأمانة.

إن الانضباط بالضوابط الشرعية في العملية الإعلامية هو الذي يجعلها مؤسسة على مقاصد الكلمة الإسلامية، ومن ثم نستطيع فعلاً أن نحكم على هذا النوع من الممارسة الإعلامية بأنه إسلامي أو غير ذلك، بناء على تقويم السلوك الإعلامي بميزان الشرع، لا بميزان الحزبية أو الأهواء أو النزعات التنظيمية، فإسلامية الإعلام الإسلامي ينبغي أن تدل فعلاً على منطلقاته ووسائله وأهدافه، وهذا هو المغيب في كثير من المنابر الإعلامية المعاصرة، مما يدفعنا إلى تأكيد تبيان بعض الخصائص الأساسية للإعلام الإسلامي الصحيح، والتي لها صلة كبيرة بخصائص المنهج الإسلامي عموماً، ومنها:

أولاً: الصدق

وهو على ثلاثة مستويات أساسية: التفكير والتعبير والتدبير، ذلك أن صدق الكلمة في الإسلام مؤسس على صدق المنطلق والرؤية معاً، وقد ألح الإسلام على الصدق في النيات والأفعال والأقوال، لتصح الرؤية والمنهج، قال تعالى: (إنما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله) النحل:١٠٥، وقال كذلك: (واجتنبوا قول الزور) الحج:٣٠، وعليه فإن الممارسة الإعلامية مجبرة على التحلي بالصدق، سواء على المستوى المكتوب أو المسموع أو المرئي، والصدق في الإعلام الإسلامي لا يتحقق فعلاً إلا إذا كان هناك صدق على مستوى المقصد والهدف، قال تعالى مشيراً إلى ذلك: (يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً. يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم) الأحزاب: ٧٠-٧١، فدل القول السديد على الجمع بين الصدق والخير معاً. وقال علي كرم الله وجهه: «إن لسان المؤمن وراء قلبه، وإن قلب المنافق من وراء لسانه، لأن المؤمن إذا أراد أن يتكلم بكلام تدبّره في نفسه، فإن كان خيراً أبداه، وإن كان شراً واراه، وإن المنافق يتكلم بما أتي على لسانه لا يدري ماذا له وماذا عليه»(٢).

ثانياً: الواقعية:

والتي لا تعني الخضوع لواقع المجتمع، فيسايره أو يصطبغ بصبغة العصر، بقدر ما تعني موافقة المنهج الإسلامي للفطرة البشرية والحياة الإنسانية على وجه العموم، وتتمثل هذه الواقعية في نطقتين أساسيتين وهما: الواقعية في المنهج والواقعية في التطبيق، حيث تدل الأولى على موافقة المنهج في الإعلام الإسلامي للفطرة البشرية واتساقه مع المنهج الإسلامي في بناء الحياة الصالحة في كل جوانبها، في حين تدل الثانية على قيام الإعلام الإسلامي على عنصرين وهما: الكلمة الطيبة من جهة، ومنها الحكمة والموعظة الحسنة من جهة ثانية، مصداقاً لقوله تعالى: (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين) (النحل:١٢٥)، وقوله تعالى: (ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين) فصلت:٣٣.

ثالثاً: الشمولية والعالمية

حيث اتصال الإعلام الإسلامي، أشد اتصالاً، بشمولية الإسلام وبهذا يكون من اللازم على إعلامنا في المرحلة الراهنة، والمقبلة معاً، أن يحقق الشمولية على مستوى الرسالة من جهة، وعلى مستوى الأداة من جهة ثانية، ذلك أنه موجه إلى جميع الناس بهدف تبليغهم رسالة الحق والهداية، لا أن يظل مقتصراً على مخاطبة نخبة معينة من الناس، وفي ذلك إخلال بإحدى الميزات الأساسية للخطاب الإسلامي عامة وهي العالمية مصداقاً لقوله تعالى: (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) الأنبياء:١٠٧.

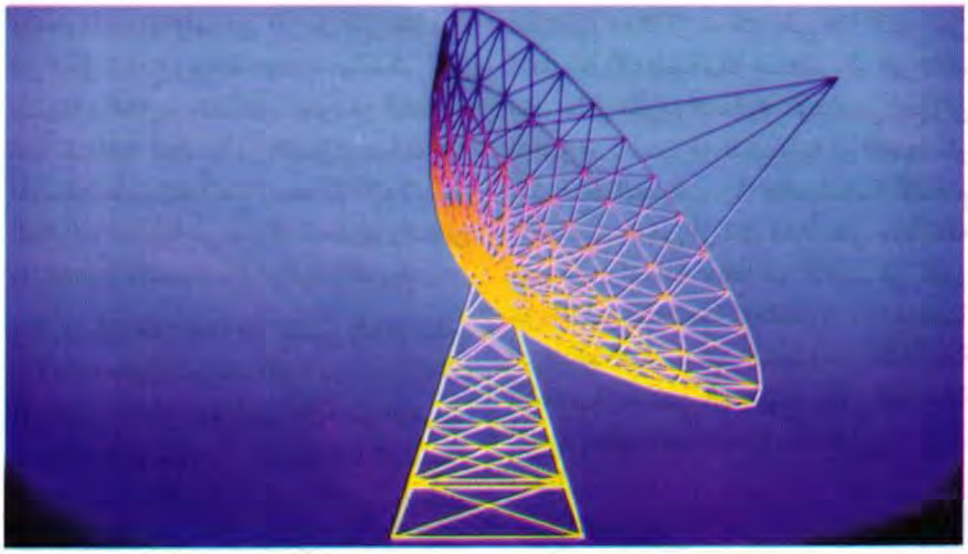
رابعاً: الثبات والمرونة

وتتجلى هذه الخصيصة على مستوى ثبات الأسس والمبادئ التي يقوم عليها الإعلام الإسلامي من جهة، وثبات الغايات والمقاصد من جهة ثانية، اقتداء بالأسس والمبادئ والغايات التي من أجلها كلف الرسل والأنبياء بالتبليغ والتبيين والترشيد والتقويم، والتي تجمعها الآية الكريمة (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون) الذاريات:٥٦، وكما يدل عليها كذلك جواب ربعي بن عامر على سؤال رستم حاكم الفرس عن دوافع الفتح بقوله: «جئنا لنخرج الناس من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة»(٣).

إلى جانب هذا يتميز الإعلام الإسلامي بميزة المرونة التي تكشف عنها قدرة الممارسة الإعلامية تفكيراً وتعبيراً وتدبيراً على مواكبة كل تطور أو تغير يحدث في محيط الحياة الإنسانية عامة، والإسلامية بخاصة، وما يلحق بهذه المواكبة من تقويم

وتوجيه للنشاط الإنساني بغية دفعه نحو الوجهة الصالحة الصحيحة، وتجدر الإشارة هنا إلى أن قولنا بالمرونة لا يعني إخضاع الكلمة الإسلامية إلى سلطة الواقع، بقدر ما نقصد بذلك قدرة هذه الكلمة على معالجة كل ما تفرزه حركية الإنسان ونشاطاته، وذلك من خلال تطوير الاجتهاد على مستوى الممارسة الإعلامية ليكون قادراً على التعاطي مع حياة الإنسان المتغيرة والمعقدة، إن على مستوى الخطاب أو على مستوى الوسيلة، ذلك أن القول: إن الإسلام صالح لكل زمان ومكان ينبغي أن يتأسس على قدرة الخطاب الإسلامي، في كل زمان ومكان، وعلى أن تكون له كلمته في كل شيء، ولن يتأتى هذا إلا إذا اتبع خطابنا الإعلامي منهج الدعوة الإسلامية العامة، التي جمعت بين فقه النص وفقه الواقع، ولعل هذا النوع الأخير من الفقه هو المفتقر إليه في كثير من عملنا الإسلامي ومنه العمل الإعلامي، حيث يتطلب الأمر النظر إلى الأمور ومعالجة المشكلات وتقويم الخلل من خلال فقه التدرج وفقه الأولويات وفقه المصالح والمفاسد وما يدخل تحت هذه الأنواع من المنهج الذي يستمد أسسه من قوله تعالى: (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن) النحل:١٢٥، وقوله عز وجل كذلك: (ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين. ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم. وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم) فصلت:٣٣ ـ ٣٥، كما تستمد أسسه من الآداب التربوية لجيل المؤمنين مثلما تضمنت بعضها سورة الحجرات، حيث نبذ سلوك السخرية والظن والتجسس والغيبة والتنابز بالألقاب، مع الحرص على التخلق بخلق الأخوة الايمانية مصداقاً لقوله تعالى: (يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم) الحجرات:١٣.

إن الدعوة إلى الله تعالى وترشيد الناس إلى الشرعة التي اختارها لهم، تكريماً وتشريفاً وتكليفاً، حتى يستغني الناس عن كل دين أو ملة مستحدثة مصداقاً لقوله جل جلاله: (ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين) آل عمران:٨٥، أقول، إن الدعوة إلى الله، من خلال الإعلام، ينبغي أن تكون جامعة لصفتين متكاملتين هما: القدرة والقدوة: القدرة على التمكن من ووسائل العمل، حيث الجمع بين فقه الشرع وفقه الواقع وفقه الدعوة، وبخاصة أن أغلب الإعلاميين إما أنهم مهنيون من دون تربية شرعية وواقعية، وإما أنهم على العكس من ذلك، في حين يتطلب الأمر الجمع بينهما، وتدريب رجل الإعلام الإسلامي على التعاطي مع قضايا الانشغال الإعلامي من منظور شرعي يحقق التوازن في حياة المتلقي والمخاطب.



أما بخصوص القدوة، فإن الأدلة الشرعية والضرورة الحياتية تقتضيان التحلي بأخلاقيات الدعوة الإسلامية العامة مصداقاً لقوله تعالى: (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً) الأحزاب:٢١، ولعل من أبرز الصفات التي ينبغي أن يتحلى بها رجل الإعلام الإسلامي الصدق والنبل والرحمة والتيسير والصبر والتوكل على الله والخشية والتقوى وقول الحق والجهاد في سبيل الله بالنفس والمال، إلى غير ذلك من الصفات الحميدة التي جمعتها عائشة رضي الله عنها حينما سئلت عن خلق الرسول ﷺ في قولها: «كان خلقه القرآن»(٤).

منطلقات الإعلام الإسلامي وأهدافه

يمكن الحديث عن هذه الوظائف والأهداف من جوانب متعددة، كل بحسب تخصصه وفهمه ودرجة إدراكه لمفهومي الوظيفة والهدف، ومن جهتنا سنتناول بإيجاز هذه المسألة انطلاقاً من قوله تعالى: (يأيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس) المائدة:٦٧، وقوله جل جلاله: (ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون) آل عمران: ١٠٤، وقوله تعالى كذلك: (وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً) البقرة:١٤٣.

وانطلاقاً من هذه الآيات المباركة تتضح وظائف ومقاصد الدعوة الإسلامية، وهي التبليغ والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والشهادة على الناس، وبما أن المهمة النبوية قد انتهت بوفاته عليه الصلاة والسلام، فإنها ابتدأت مع العلماء والمفكرين الحاملين للإرث النبوي الطيب مصداقاً لقوله ﷺ: «العلماء ورثة الأنبياء»(٥)، وبهذا تكون من أهم المهمات والمسؤوليات الملقاة على عاتق هؤلاء العلماء، القيام بواجب الدعوة إلى الله، ما استمرت الحياة الإنسانية، ومنهم أصحاب الرسالة الإعلامية، ولعل أداء هذه الوظيفة يظهر جلياً من خلال حياة الصحابة والتابعين ومن تبعهم ممن حملوا رسالة الدعوة وجاهدوا من أجلها مقتدين بالمنهج النبوي الصحيح، ومتفقهين قوله تعالى: (قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحانه الله وما أنا من المشركين) يوسف:١٠٨، وبهذا يمكن القول، إن من أهم مقاصد الإعلام الإسلامي العمل على صياغة حياة الإنسان صياغة إيمانية، حتى يكون تفكيره وتعبيره وتدبيره أو نياته وأقواله، وأفعاله، مطابقة للشرعة الربانية

الحقة، بغية تخليصه من صفتي الجهل واتباع الهوى، وهي مهمة التربية الإيمانية، التي تعمل على تأصيل القيم والمنهج الإسلامي في حياة الإنسان، وما يلحق بذلك من تحقيق الإصلاح المطلوب في حياته، والذي يظهر من خلال المستويات الثلاثة التالية:

١ ـ تبيين وتقويم الصلة الموجودة بين الإنسان وخالقه.

٢ ـ تبيين وتقويم الصلة الموجودة بين الإنسان وبني آدم عامة.

٣ ـ تبيين وتقويم الصلة الموجودة بين الإنسان ومخلوقات الكون المسخرة له.

يضاف إلى ما سبق مجموعة من الوظائف نذكرها بإيجاز:

١ ـ مواجهة كل ما من شأنه تشويه وتحريف حقيقة الإسلام.

٢ ـ التصدي لمختلف مداخل اختراق الثقافة الإسلامية الأصيلة وتمتين الإحساس بالانتماء إلى الإسلام.

٣ ـ الاستجابة الواعية لتطور الصحوة الإسلامية والاهتمام بما يلحق بها من أعراض ومشكلات سواء على مستوى فقه النص الشرعي أو على مستوى فقه الواقع، حتى يتضح المنطلق وتتبين المعالم الصحيحة للطريق والمسار، ونتجنب تكرار الأخطاء والمعوقات الداخلية.

٤ ـ الاهتمام بوضع الأقليات الإسلامية في العالم، مع ما يتصل بهذا الاهتمام من الانكباب الحقيقي على توافر كل ما من شأنه من وسائل لتعزيز صلة المسلمين بالإسلام من جهة، وتقويم سلوكيات البعض بفعل ضغوطات الحضارات الأخرى من جهة ثانية.

٥ ـ العمل على نشر اللغة العربية، لغة القرآن الكريم، وتصحيح اللسان ودعم مشاريع البناء المصطلحي والمفاهيمي.

٦ ـ الاهتمام بالجانب الترويحي الهادف، الذي يرسخ في الممارسة الإسلامية السلوك النبوي الصحيح.

٧ ـ الاهتمام بكل القضايا المتصلة بالأسرة، وتوسيع دائرة معالجة مشاكلها، وتربية الأمة على تمثل السلوك الإسلامي القويم في بناء الفرد الصالح حتى يكون لبنة في صرح الأسرة المسلمة التي هي بدورها اللبنة الأساس في صرح المجتمع الإسلامي الصحيح.

٨ ـ ولا يفوتنا في هذا المقام إلا أن نؤكد ضرورة الاهتمام بالجانب التقني للوسائل الإعلامية علماً وممارسة، خصوصاً مع إدراك الجميع لما يمكن أن تؤديه التقنيات الدقيقة من مهمات في مسار تبليغ الرسالة إلى المخاطب والمتلقي، ولعل هذه النقطة هي التي تدفعنا إلى تأكيد ضرورة توافر عناصر البناء الإعلامي المطلوب، والمقصود بها أساساً: المادة الإعلامية ورجل الإعلام والخطة الإعلامية، وهي عناصر أساسية لتحقيق أهداف الدعوة الإسلامية عن طريق الإعلام المعاصر، الذي ينبغي أن يكون مؤسساً على هندسة الاستعداد المستمدة من قوله تعالى: (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة) الأنفال:٦٠، وبإنعام النظر في ما سبق، نجد أن تحقيق الأهداف المطلوبة، وبالشكل المرغوب يقتضي الحديث عن مسألة أساسية في العمل الدعوي بصفة عامة، ألا وهي الخطة أو الاستراتيجية.

من أجل استراتيجية للعمل الإعلامي الإسلامي

انطلاقاً مما سبق ذكره يتبين جلياً أن الإعلام الإسلامي ركيزة أساسية من ركائز الدعوة الإسلامية، ولذلك ينبغي للممارسة الإعلامية أن تكون في مستوى هذه المهمة والمسؤولية، ولن يتأتى ذلك إلا إذا اتضحت سبل العمل وأسست وسائله على القواعد والأرضية المطلوبة، وهذا ما نقصده من استراتيجية العمل الإعلامي الإسلامي، التي تمنح العاملين الرؤية التي تجمع بين الواقعية والمستقبلية، وتجنبهم الوقوع في بوتقة المعوقات المحبطة أو المحرفة للعمل الإعلامي الجاد، لذا ينبغي الاشتغال بمنظومة تتحكم في دواليبها «الإدارة بالإهداف»، لا «الإدارة بالكوارث»(٦). ذلك أن معظم الوسائل الإعلامية اليوم تفتقر إلى عنصري التخطيط والاستراتيجية(٧)، وهما اللذان يمنحان العاملين إمكانات تحقيق ثلاث خطوات أساسية، وهي: الاستيعاب الواعي للماضي والاستقراء الشامل للواقع وأخيراً الاستشراف المحكم للمستقبل، فبالتخطيط تتحدد الأهداف والمسارات وتقدر الموارد البشرية والمادية وتوضع القواعد والبرامج المفصلة. وبالاستراتيجية يُفكر في سبل الوصول إلى تلك الأهداف، مع ما يقتضي ذلك من حرص على الوعي العميق بحركة التاريخ والتجارب السابقة.

إن امتلاك الرؤية المستقبلية للإعلام الإسلامي سيحقق مجموعة من النتائج المطلوبة، لعل من أهمها الإسهام في تشكيل عقلية إسلامية قادرة على الممانعة الحضارية، في زمن الضغط الحضاري الذي سيكرسه انفجار المعلومات العابرة للقارات، وإلا فإن الصحوة الإسلامية ستظل تتعرض لهزات، إن لم تردها عن دينها، فإنها على الأقل، ستفسد تدينها وسلوكها ورؤيتها، فالعمل الإعلامي جزء من العمل الإسلامي عامة، ولن نكون في مستوى الدعوة وحجم المرحلة مادمنا نفتقد الرؤية المستقبلية الصحيحة التي تبصرنا بالعوائق والمراحل، وتعميق فقه الأوليات في حياتنا بصفة خاصة، ولعل خير ما اختتم به هذا المقال قوله تعالى: (ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين) فصلت:٣٣، وقوله جل جلاله كذلك: (قد جاءكم بصائر من ربكم فمن أبصر فلنفسه ومن عمي فعليها وما أنا عليكم بحفيظ) الأنعام:١٠٤ صدق الله العظيم. ■

الهوامش:

١ ـ حامد عبدالواحد : الإعلام في المجتمع الإسلامي، كتاب مجلة دعوة الحق، ع٢٣، ١٩٨٤م، بتصرف.

٢ ـ نهج البلاغة : ١١٣/٢.

٣ ـ نقلاً عن عمر عبيد حسنة: حتى يتحقق الشهود الحضاري، ص ١٤١، المكتب الإسلامي، ط١، ١٩٩١م.

٤ ـ مسند أحمد بن حنبل: ٩١/٦ ـ ١٦٣، السنن الكبرى للبيهقي: ٤٩٩/٢.

٥ ـ مجمع الزوائد لنور الدين الهيثمي: ١٢١/١.

٦ ـ ينظر بخصوص هذه المسألة: محمد بريش: المنهج في استشراف المستقبل، مجلة الهدى، ع٢١، ص ٣٧ وما بعدها.

٧ ـ ينظر بخصوص هذا المفهوم: محمد بريش: تعميق الفهم في الفكر الاستراتيجي، مجلة إسلامية المعرفة ع٩، س٣، ص٧١ وما بعدها.

بقلم: محمد رجاء حنفي عبدالمتجلي

الصبر خلق إسلامي وأحد أعمدة العقيدة الإسلامية

لقد أراد المولى سبحانه ألا تسير الحياة على وتيرة واحدة، أونظام محدد، فرحم عباده بتنويعها في صور مختلفة، وأشكال متغايرة، وأنواع متباينة، فالحياة بطولها وعرضها مليئة بالمتاعب والمشقات، مفعمة بالمصاعب والمشكلات، فهي محفوفة بالمكاره، لا تستقر على حال، بل هي خليط من: الحزن والفرح، والألم واللذة، والشقاء والسعادة، والفقر والغنى، والضعف والقوة، وتتناوب هذه النقائض الإنسان، فيرى نفسه أمام سلسلة من الآلام لا تقف عند حد، ولا تنتهي عند غاية.

وهذه هي طبيعة الحياة، بل هذه هي فلسفتها، محيط واسع، وآفاق بعيدة، ومجالات رحبة، تتلاطم فيها العبقريات، وتتنافس المواهب، ويضرب فيها الفرد بسهمه، فمرة يخطئ، ومرة يصيب، والذكي الحذر هو من يتخذ من خطئه في أمسه عامل نجاح في غده، وبناء على هذا تتحقق الحكمة القائلة: «إن الحياة عمل وجهاد، وكفاح وجَلَدٌ».

وإذا كان للإيمان دعائم، ولكماله معالم، فإن الإنسان لن يتصف بالإيمان، ويصل إلى درجة المؤمنين، إلا إذا كانت هذه الدعائم وتلك المعالم أساساً لكل أعماله، وبذلك يمتلئ قلبه بالإشعاع الرباني، والقبس النوراني، الذي يشعّ من القلب، وينبعث من النفس، فيضيء لصاحبه جوانب الحياة، ويجعله راسخاً ثابتاً كالجبل الأشم أمام صدماتها، لا تلين قناته، ولا تضعف عزيمته، ولا تخور قواه، فيتساوى عنده حلو الحياة ومرها، يقيناً منه بأنّ ما هو فيه مقدّر له، فيواجه الأعباء بعزم وجلد، ويحتمل المكاره بلا ضجر ولا سأم، غير يائس من فرج المولى سبحانه وتعالى، فربما كان ما هو فيه خير له في دنياه وآخرته.

ولعل أخطر ما يتعرّض له أي مجتمع من المجتمعات، هو تشكيكه في القيم التي يقوم بنيانه عليها، وذلك لأن مجرد النجاح في ذلك ينتهي بالمجتمع إلى الانهيار الكامل، ويصير فريسة لأي غزو مهما كان نوعه.

ويُضاف إلى جوار الهدم الأصلي في المجتمع الإسلامي محاولة إقناعه بأن الدين في حد ذاته لم يعد صالحاً لحل المشكلات التي يواجهها الإنسان في حياته، وتجعله يعيش قلقاً، وأن دور الدين يجب أن يقتصر على الغيبيات فقط، وأنه أسوة بكل الأديان لا يزيد عن كونه مرحلة معينة لابد وأن يمر بها الإنسان في مراحل تطوره ونضوجه، حتى يصل إلى مرحلة الرشد الوجداني، وعندئذ سيغنيه هذا الرشد الوجداني عن صوت السماء، الذي كان يتخيل أنه يتصل به عن طريق الأنبياء والمرسلين - صلوات الله تعالى وسلامه عليهم أجمعين - وأن عليه وقد وصل إلى هذه المرحلة أن يعرف سبيله بنفسه، وأن يشرّع منهجه ومساره في الحياة من واقع تجاربه، تاركاً الفروض الغيبية، التي كان يغرق فيها الأقدمون.

ويساند أعداء هذا الدين هذا الغزو بغزو خاص، وذلك عن طريق هدم كل قيمة من قيم الدين على حدة، فإذا ما انهدمت القيم كلها انهار البنيان من أساسه، وخرّ السقف على أصحاب العقيدة، الذين لم يكوّنوا في داخل ضمائرهم قدراً كافياً من الحماية الذهنية لها، والتي تنير الطريق أمامهم.

الصبر ومعناه

الصبر في اللغة: الحبس والكف... يقول المولى سبحانه وتعالى: (واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه) الكهف:٢٨، والمعنى: احبس نفسك معهم.

والصبر كلمة يرددها اللسان فتنتقش في القلوب، فإذا وقرت في القلب واستقرت فيه،

تقبّل الإنسان كل ما يحدث له، وحبس نفسه عن الجزع، وكفها عن السخط، ومنع لسانه عن الشكوى من البلاء ورضى بالقضاء، وتقبل كل ما هو مكروه بصمت وأدب، واعتماد على الحق سبحانه وتعالى وتوكل عليه، مثلما يتقبل كل ما هو محمود.

والمولى سبحانه وتعالى إذا أحب عبداً ابتلاه، فإن صبر اجتباه، وفي الحديث يقول رسول الله ﷺ: «الصبر نصف الإيمان».

والصبر اسم من أسماء الحق سبحانه وتعالى، وصفة من صفاته عزّ سلطانه، فمن جهل حقيقة الصبر فقد جهل شطراً من شطري الإيمان، لأن الإيمان نصفه صبر، ونصفه شكر.

وقد سمّى الحق سبحانه وتعالى: «الصبور»، أي: ملهم الصبر لجميع الخلائق، والصابر على ما لا يرضاه من الناس، لا يعجل العقوبة للذنب، ولا تستفزه معاصي العاصين، ولا ضلال الضالين.

والصبر في حقيقته: حبس النفس على ما تكره... ويكون ذلك بفعل الطاعات، وتأدية الفرائض، والوقوف عند الحدود التي حددها المولى سبحانه وتعالى، واجتناب المنهيات، والابتعاد كلية عن كل ما طلب المولى سبحانه وتعالى البعد عنه، لأن الصبر جماع كل خير، ومنشأ كل فضيلة، إذ لولا خلق الصبر ما عبد العابد ربه وخالقه سبحانه وتعالى، وما أطاعه في ما أراده منه، وما حرص على سلوك طريق الجنة، التي حفت بالمكاره، وما ابتعد عن طريق النار، التي حفّت بالشهوات.

ولولا التحلي بالصبر ما جدّ الطالب واجتهد، ولما أثمر المدرّس وأنتج، ولما صنع الصانع وأتقن، ولما وقف المجاهد يستعذب الموت في سبيل العقيدة والمبدأ، ولما حرص على الاستشهاد حرصه على الحياة.

ولولا الصبر ما حملت الأم ولدها كرهاً ووضعته كرهاً، وما ضرب المسلم في الأرض طلباً لرزقه، وبه دعا الداعي إلى الله سبحانه وتعالى بالحكمة والموعظة الحسنة، فالصبر سبيل الفوز، وطريق النصر، وعلامة النجاح والفلاح والسداد.

ولقد وضّح الإمام علي بن أبي طالب - كرّم الله وجهه - منزلة الصبر في كلمة جامعة موجزة، فقال: «الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، ولا جسد لمن لا رأس له، ولا إيمان لمن لا صبر له»، إذ إن الإيمان معناه: «الاعتقاد واليقين»، والصبر لا يتحقق إلا باليقين، فيعصم صاحبه من الزلل، ويحميه من التخبط، ويقيه شر القنوط.

درجات الصبر وأنواعه

إن درجات الصبر تتفاوت بتقارب نوعه، واختلاف وجهه، فقد روى عن عبدالله بن عباس - رضي الله تعالى عنهما - قال: «الصبر في القرآن على ثلاثة أوجه: صبر على أداء فرائض الله تعالى، فله ثلاثمئة درجة... وصبر عن محارم الله تعالى، فله ستمئة درجة... وصبر على المصيبة عند الصدمة الأولى، فله تسعمئة درجة».

والصبر عند الصدمة الأولى هو ما عناه المولى سبحانه وتعالى في قوله في الحديث القدسي: «اني إذا وجّهت إلى عبد من عبيدي مصيبة في نفسه، أو ماله، أو ولده، ثمّ استقبل ذلك بصبر جميل، استحييت منه يوم القيامة أن أنصب له ميزاناً أو أنشر له ديواناً»، وهذا هو ما أراده يعقوب عليه السلام بقوله: «فصبر جميل»، عندما أخبره أبناؤه بأنّ الذئب قد أكل يوسف، وجاؤوا على قميصه بدم كذب.

ولقد قال بعض العلماء: الصبر بالله استعانة... والصبر لله عناء... والصبر مع الله بقاء... والصبر في الله بلاء... والصبر عن الله جفاء.

والصبر بالله سبحانه وتعالى هو: الاستعانة بالله سبحانه وتعالى في كل الأمور، يقول عزّ من قائل وهو أصدق القائلين: (واصبر وما صبرك إلا بالله) النحل:١٢٧.

والصبر لله سبحانه وتعالى هو: أن يكون الباعث على الصبر محبة الله سبحانه وتعالى، وابتغاء مرضاته، وذلك كما في صبر «يوسف» عليه السلام عن طاعة امرأة العزيز، وقد قيل: إن صبر «يوسف» عليه السلام عن طاعة امرأة العزيز أكمل من صبره على إلقاء إخوته له في البئر، وتفريقهم بينه وبين أبيه، لأن هذه أمور حدثت عن غير اختياره، ولابد له فيها «أما صبره على المعصية، فصبر اختيار، ومحاربة للنفس، فكان صبره اختياراً وإيثاراً لما عند المولى سبحانه وتعالى.

والصبر مع الله سبحانه وتعالى هو: ثبات العبد الذي ابتلى، مع تمسكه بالأحكام الدينية، والشريعة الإسلامية، والإقامة على حدودها، وإطاعته لأوامر المولى سبحانه وتعالى واجتناب نواهيه..

والصبر في الله سبحانه وتعالى هو: أن يكون المؤمنون قلوبهم عامرة بالإيمان، متصلة بالحق سبحانه وتعالى اتصال المعرفة واليقين، فلا تفزعهم المحن، ولا تعصف بهم النوازل، ولا تهزهم نوائب الدهر، ولا تستفزهم الأيام بحوادثها المفجعة، لأنهم عرفوا خالقهم سبحانه وتعالى، وقدّروه حق قدره، وثبتوا على إيمانهم كالجبال الرواسي، لا تؤثّر فيهم الرياح العاتية، ولا تنال منها العواصف.

يقول المولى سبحانه وتعالى وهو أصدق القائلين: (ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين. الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون. أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون) البقرة - ١٥٥:١٥٧، فالمولى سبحانه يعلم المؤمنين أنه لابد من اختبارهم، وامتحانهم بالمحن والشدائد والمخاطر، إذ إن معالي الأمور لا تكتسب إلا بالصبر والمثابرة.

ويقول رسول الله ﷺ: «ما من مسلم تصيبه مصيبة، فيقول ما أمره الله عز وجل به: إنا لله وإنا إليه راجعون. اللهم أجرني في مصيبتي، واخلف لي خيراً منها.. إلا أخلف الله له خيراً منها».

والصبر عن الله سبحانه وتعالى في جفاء، لأن من لم يصبر، ويعتمد على المولى سبحانه وتعالى، فقد أصيب بمصيبتين، لأنه يصاب أولاً، ثم لا يتذرع بالصبر ثانياً، فيضيع ثوابه، وقد روى عن فاطمة بنت الحسين - رضي الله عنهما - أن رسول الله ﷺ قال: «من أصيب بمصيبة، فأحدث استرجاعاً وان تقادم عهدها، كتب الله له من الأجر مثله يوم أصيب».

الصبر قيمة من قيم الإسلام

إن الصبر يعد أحد أعمدة العقيدة الإسلامية، وأهمّ دعامة للنجاح في الحياة الدنيا، والحياة الآخرة، وهو عبارة عن موقف يتميز بالعزم والصدق بحيث يكون على الإنسان أن يختار طريقاً من طريقين:

أحدهما: فيه طاعة للمولى سبحانه وتعالى، وخضوع ورضوخ واستسلام، وتنفيذ كامل لكل ما أمر به.

ثانيهما: استجابة الفرد لأهوائه وميوله وربما مخاوفه، وهذا الطريق أيسر وأسهل من الطريق الأول.

والفرد عندما يختار بين أمرين، يتعرض لضغوط كثيرة، قد تؤدي به في النهاية إلى اختيار الطريق الأيسر والأسهل، لأنه يتعرض لضغوط من داخل نفسه، تتمثل أقوى ما تتمثل في ميوله وأهوائه، وضغوط من خارج نفسه، كإيثاره السلامة عن طريق مسايرة الناس، والتفريط في طريق الحق سبحانه وتعالى، التماساً للأمان العاجل، والمنفعة العاجلة.

والفرد على الدوام مواجه بعملية الاختيار بين طريقين، في كل لحظة من لحظات حياته، وفي كل أمر من أموره، فعليه أن يختار بين أمرين، ولكل أمر أسبابه ودواعيه الداعية إلى ترجيحه وتفضيله، والأسباب تدور بين الرغبة في العاجل، وبين إيثار الآجل.

فمن يستطيع أن يخدع المتعامل معه ليكسب مكسباً عاجلاً، يؤثر هذه الرغبة مادام قادراً عليها، فلا تستقيم معاملاته سواء في الدنيا أو في الآخرة، والذي يفر عند لقاء الأعداء يخضع للرغبة في إيثار السلامة العاجلة، ويؤثرها على كل النتائج الآجلة، مهما هبط به الفرار إلى أدنى درك، وحتى لو اتصف بالجبن والضعف، ونظر إليه الناس نظرة استهزاء وسخرية.

والصبر لا يكون إلا في اختيار الموقف الآجل على الموقف العاجل، وعندئذ يكون الصبر فضيلة سامية، تلك الفضيلة التي تقوم على الفهم الصحيح، والإدراك الجيد للأمور، فاختيار العاجل يقوم على الاستجابة غير المحسوبة لأحكام أي موقف من المواقف يوجد فيه الإنسان، وأما اختيار الإنسان للآجل، فهو عبارة عن الاستجابة المحسوبة للمواقف.

في الصبر علاج لكل الأدواء النفسية

إن الإنسان إذا فاجأه أمر من الأمور، أو موقف من المواقف، فهذه المفاجأة لها حكمها، لها الحل الذي توحي به كل مفاجأة من الآثار، أياً كان شكلها ونوعها، فالذي يستجيب لعاطفة الغضب الجامح، فيقتل من أغضبه، إنما يخضع للظروف المادية التي أحاطت به في وقت انفعاله، ويجعل لها عليه السلطان الكامل، فهي تعمي بصره عن إدراك غيرها، وتجعل بصيرته بالنسبة للنتائج في الدرجة الثانية أو الثالثة، أو ما دون ذلك بكثير بالنسبة لقدرة تركيزه، وتصوره للموقف التالي الذي يواجهه، لأن حدّة البصر تكون منصرفة حينئذ للمحيط المادي فقط ولا تتعداه إلى غيره.

وأما الاستجابة المحسوبة، فيلزمها بادئ الأمر أن يتحرر الإنسان من هول المفاجأة وحكمها، حتى يتمكّن من الإبصار الذي لا يتحرر إلا بالفهم الصحيح، والتحليل الصادق، ثم يباشر عملية ممارسة شاقة لأسباب الحل الآجل، حتى تستجيب له الأحداث، وهذا هو نصر الله سبحانه وتعالى، ويكون هذا نتيجة القيام بعملية ضبط سريعة للانفعالات التي تنتابه، تجاه المواقف التي تواجهه.

فالاستجابة العاجلة تكون خضوعاً واستسلاماً غير مبصر من الفرد للآثار المادية، أو ردوداً مباشرة لها، وأما اختيار الآجل فهو التحليل الصادق، والفهم الصحيح، والتروي، مع عدم الانخداع بالفوريات، حتى تستجيب الأحداث، فيصبح الفرد هو سيد الموقف، وليس عبداً له.

والإنسان إذا لم يبادر بشفاء نفسه من أي انفعال فوري، فإن هذه الانفعالات ستنقلب إلى أدواء نفسية مزمنة، وربما يصعب أو يستحيل التخلص منها، وعندئذ تسيطر عليه سيطرة كاملة، فانفعال الغضب الجامح إذا لم يعالجه الإنسان بالفهم الصحيح، والصبر على هذا الفهم، فإنه ينقلب مع مرور الوقت إلى رغبة في الانتقام، والفرار من لقاء العدو ينقلب مع مرور الوقت إلى استكانة متأصلة في النفس، والركون إلى اللذة العاجلة ربما ينتهي بالإنسان إلى التحلل، وضعف الشخصية.

إن الأدواء النفسية مثل الأدواء العضوية سواء بسواء، إذا لم تعالج في البداية علاجاً جيداً انقلبت إلى أدواء مزمنة، وربما ضاعت حياة الإنسان هباء، وهو خادم لرغبة خاطئة، محدودة، وهدامة، فالصبر علاج لكل الأدواء النفسية، وهو أعظم درجات السمو العقلي، والنفسي، وغاية ما يطمح إليه الإنسان من تحرر، فالصابر هو الانسان الكامل، والصابر هو الإنسان القادر على التسامي فوق الأحداث، وفوق الانفعالات، وفوق العواطف الهدامة.

الصبر جزء من الإيمان القوي

إنَّ الصبر مادة كيمياوية تفرزها خلايا المخ، وتزداد كلما زاد الصبر على الآلام حتى يستطيع الفرد مواجهة ضيقة الحياة ومشقاتها، ومكارهها ومتاعبها، فالصبر وحده هو العاصم أمام التيارات المتلاحقة، إذ إنه دواء كل فتنة، وبوجوده يتحقق الإيمان، والإيمان هو «الصبر»، مصداقاً لقول رسول الله ﷺ عندما سئل عن الإيمان، فقال: «الصبر».

ولما كانت الحياة الدنيا مرحلة انتقال، ودار امتحان، كان على الفرد أن يكرّس جهده، ويعد نفسه على الدوام لاجتياز امتحانها بنجاح وتفوق، إذ إن الابتلاء في الحياة الدنيا يصهر الناس، ليكشف عن معادنهم، كما أن الذهب يصهر بالنار، ليعرف جيده من رديئه، وخالصه من زائفه.

يقول المولى سبحانه وتعالى في محكم كتابه: (أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون. ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين) العنكبوت: ٢-٣، أي: الذين صدقوا في دعوى الإيمان ممن هو كاذب في قوله ودعواه، والمولى سبحانه وتعالى يعلم ما كان، وما يكون، وما لم يكن، أو كيف يكون، وهذا مجمع عليه عند أئمة السنة والجماعة.

وابتلاء الفرد في الحياة الدنيا لا يعد دليلاً على عدم رضا المولى سبحانه، بل الابتلاء هو عنوان حب الله سبحانه له، لأنه إما أن يكون طائعاً فتنحط عنه خطاياه، وترفع له درجاته، وإما أن يكون عاصياً منصرفاً عن خالقه سبحانه، فيمسّه الضر، ليفيق من غفلته، ويستيقظ من رقدته، ويلتجئ إلى المولى سبحانه داعياً أن يشكف عنه ما به من ضرر، ويزيل ما حاق به من كرب، فيرفع يديه إلى السماء، في خشوع وخضوع، متذكراً رحمة مولاه، قائلاً: «يارب» فيجيبه، الحق سبحانه: «لبيك يا عبدي»، إذ إن المولى سبحانه يحب أن يضرع إليه عبده بالدعاء والرجاء، فيتحقق بذلك جلال الربوبية وخضوع العبودية.

ومما يؤيد ما نقول من أن الابتلاء دليل على حب المولى سبحانه وتعالى لعبده، أن الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين كانوا أكثر الناس بلاء، على الرغم من أنهم أحب عباده إليه.

ولهذا أجاب سيد المرسلين صلوات الله وسلامه عليه من سأله: أي الناس أشد بلاء؟... بقوله: «الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل... يبتلى الناس على قدر دينهم، فمن ثمن دينه اشتد بلاؤه، ومن ضعف دينه ضعف بلاؤه، وأن الرجل يصيبه البلاء حتى يمشي على الأرض، وما عليه خطيئة».

وعن عبدالله بن مسعود - رضي الله عنه - قال: «دخلت على النبي ﷺ وهو يوعك، فقلت: يا رسول الله، إنك توعك وعكاً شديداً... قال: «إني أوعك كما يوعك رجلان منكم»، فقلت: ذلك أن لك أجرين... قال: «نعم».

وأن المستعرض لقصص الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين يرى العجب العجاب، ويقف مشدوهاً أمام عظمة صمودهم، وروعة تحمّلهم لنكبات الأيام، وصروف الليالي، لا يزعزع ذلك من عقيدتهم ولا يفتّ في عضدهم، يقيناً منهم بأن النصر من الصبر، وأن الفرج مع الشدة، وأن مع العسر يسراً، وأن الصابرين يوفون أجرهم بغير حساب.

ولو نظرنا في مسلك المصطفى صلوات الله وسلامه عليه لوجدنا أن حياته كلها كانت امتحاناً لتمسكه بالصبر، وإثباتاً للنجاح في هذا الامتحان، فقد مُني في حياته الخاصة بالكثير مما تنوء به عقيدة الضعفاء، وتدفعهم إلى التبرم والتشكك، ومُني في حياته العامة في سبيل الدعوة بالكثير مما تنوء به النفوس.

ولقد أثر عن رسول الله ﷺ أنه لما بعثه الحق سبحانه وتعالى بالرسالة الخاتمة، ووجه إلى الدعوة الحق، امتثل رسول الله ﷺ لأمر ربه وبدأ الدعوة إلى الإسلام.

بيد أنها مشت في «مكة» مشي السلحفاة، وعز على الناس أن يتركوا دين آبائهم وأجدادهم، وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق، ووقفوا في طريق الدعوة الإسلامية، يصدون الناس عنها.

لقد أنكرت «قريش» دعوة رب العالمين، وعارضت رسالة رسوله صلوات الله وسلامه عليه، وطاردت أصحابه، وصدت عما جاء به الدين الجديد من مبادئ سامية، وخلق حميد، ولم تتورع عن استخدام الحديد والنار، فصبر رسول الله صلوات الله وسلامه عليه على كفرهم، وتحمّل عنتهم وإيذاءهم، وثبت أمام عواصف ظلمهم وطغيانهم، استجابة لما دعا إليه المولى سبحانه وتعالى من صبر جميل، وإقدام ثابت، إذ قال له سبحانه وتعالى: (فاصبر إن وعد الله حق ولا يستخفنك الذين لا يوقنون) الروم: ٦٠.

وعندما أصبح حبل الرجاء بالياً، ولم يجد رسول الله صلوات الله وسلامه عليه أملاً في أن تثمر الدعوة في مكة الثمرة المرجوة منها، بذل صلوات الله وسلامه عليه محاولات عدة، بحثاً عن قاعدة جديدة لدعوته، وكان من تلك المحاولات ذهابه إلى «الطائف»، يلتمس نصرة قبيلة «ثقيف»، ولكنهم ردوه رداً غير كريم، وأغروا به صبيانهم وسفاءهم، فرجع عائداً إلى «مكة» بعد أن ظل بينهم شهراً يحاول دعوتهم إلى الإسلام.

ثم صدر الأمر الإلهي الكريم بالهجرة إلى المدينة، فترك رسول الله ﷺ هذه القرية الظالم أهلها، وهاجر إلى المدينة.

وما أن استقر بها حتى قال عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام لأهلها: «أمؤمنون أنتم؟» فسكتوا، فقال الفاروق عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - : «نعم مؤمنون يا رسول الله»، فقال: «وما علامة إيمانكم؟» قالوا: «نشكر عند الرخاء، ونصبر عند البلاء، ونرضى بالقضاء»، فقال رسول الله ﷺ : «مؤمنون ورب الكعبة».

ثم يوضح المصطفى صلوات الله وسلامه عليه أن المؤمن الصادق، صاحب اليقين الثابت، والإيمان القوي الراسخ، لا تبطره النعمة، ولا تهزه النقمة، بل هو هو في السراء والضراء، والشدة والرخاء، والعسر واليسر، والمرض والصحة، وضيق العيش وسعته، ومع الولد وفقده، يقول صلوات الله وسلامه عليه: «عجباً لأمر المؤمن ان أمره كل خير. وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن... إن أصابته سراء شكر، وإن أصابته ضراء صبر، فكان خيراً له».

ويقول عليه أفضل الصلاة والسلام: «من يتصبّر يصبره الله، وما أعطي أحد عطاء خيراً وأوسع من الصبر».

الصبر وتنمية الصحة النفسية:

يعد من أوجب الواجبات على الفرد أن يعي وعياً تاماً المعنى النفسي والروحي الذي أعطاه الإسلام للمحن والكروب، فقد اعتبرها ابتلاء من المولى سبحانه وتعالى، وامتحاناً لعباده، وجعل تصبير النفس عليها عبادة وتقرباً إلى الحق سبحانه وتعالى.

وإن تصبير النفس على ما تكره دون إيمان، فهو تصبير قائم على الرضا بالعجز عن تغيير الأمر الواقع، وفيه استسلام بهدف تخفيف حدة التوتر، والقلق الناتج عن عدم الرضا، والإحساس بالعجز.

أما تصبير النفس على ما تكره تعبداً وتقرباً إلى المولى سبحانه وتعالى، فقائم على الرضا بقضائه، والاستسلام لقدره، وطرد لمشاعر العجز والانهزامية.

إن إضافة البعد الروحي لعملية تصبير النفس تجعل لتحمل التعب والأذى، والحرمان والآلام في المحن والكروب، وللإحباطات أربعة أهداف سامية، تعطي للصبر تأثيراً نفسياً إيجابياً، في تنمية الصحة النفسية عند الصابرين المحتسبين.

وتتلخص هذه الأهداف فيما يلي:

١ - الحصول على حب المولى سبحانه وتعالى، لأنه سبحانه إذا أحب قوماً ابتلاهم، مصداقاً لقول رسول الله ﷺ : «إذا أحب الله قوماً ابتلاهم، فمن رضي فله الرضا، ومن سخط فله السخط».

٢ - الإثبات العملي لقوة الإيمان بالمولى سبحانه وتعالى، ففي الابتلاء اختبار لقوة الإيمان، يقول الحق سبحانه: (ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم) محمد: ٣١.

٣ - محو الذنوب، وحط الخطايا، يقول رسول الله ﷺ : «ما يصيب المسلم من نصب، ولا وصب ولا همّ، ولا حزن، ولا أذى ولا غمّ، حتى الشوكة يشاكها إلا كفَّر الله بها من خطاياه».

٤ - الاستبشار بالثواب العظيم في الآخرة، الذي ينتظر الصابرين في الحياة الدنيا، يقول المولى سبحانه وتعالى: (وبشّر الصابرين. الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون. أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون) البقرة: ١٥٥ - ١٥٧.

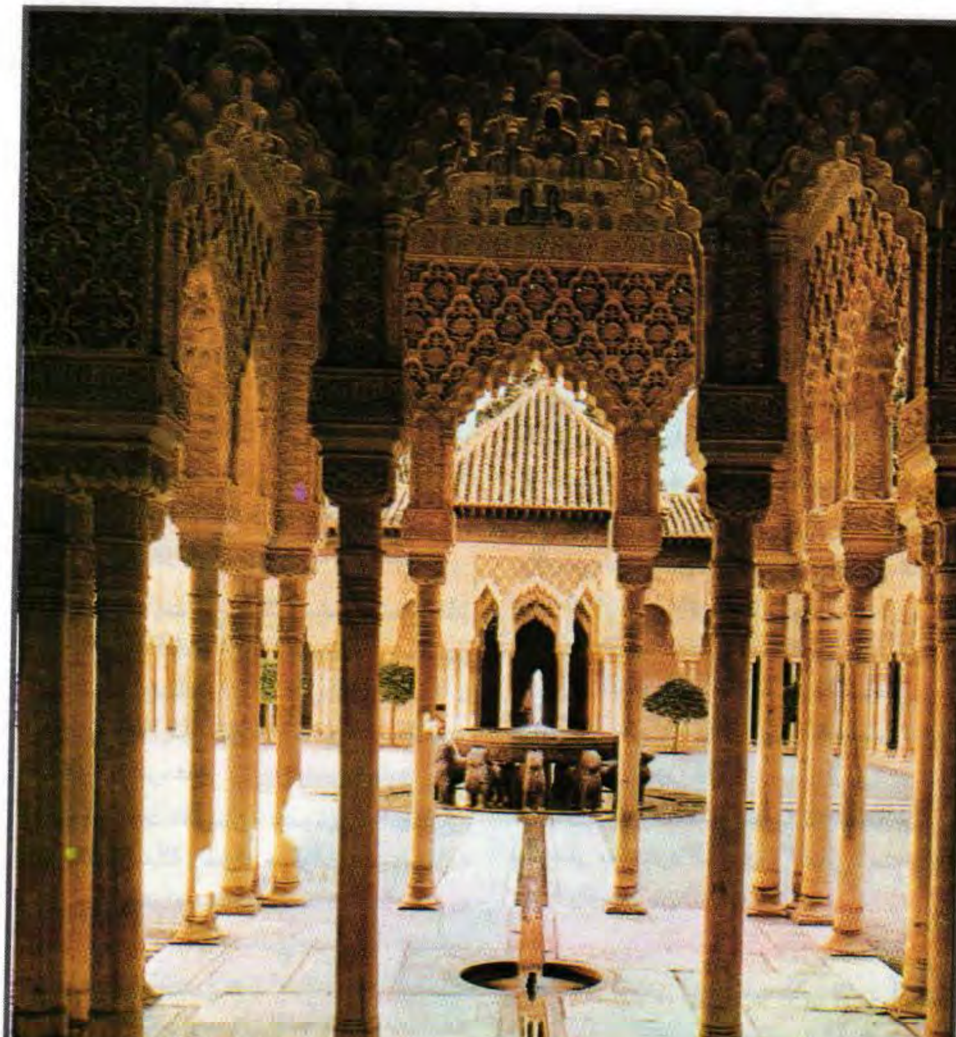
وبعد:

فلنعش مع خُلق الصبر على الدوام، حتى نستطيع أن نسعد بالحياة، ونتعامل مع الأحياء، ولنردّد دوماً قول المولى سبحانه: (يأيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون) آل عمران: ٢٠٠. ■

بقلم : د. أمينـة خليل

بعد اتهامها بندرة الإبداع

الغرب يكتشف رمزيات فلسفية في الفنون الإسلامية



● انموذج للزخارف الاسلامية في الأندلس

دأب الغرب على اتهام العمارة العربية والإسلامية بالاستغراق في الزخرفة وندرة الإبداع الخلاق... وهو اتهام يحتوي على كثير من الافتراءات، تدل على نظرة التراث المتعالية والمتربصة التي تجعلهم يكتفون بالنظر في القشور ليطلقوا أحكاماً دون دراسة تغوص وتحلل في جوهر الأشياء.

ولكن إذا أنعمنا النظر في فنون العمارة الإسلامية، نجد الفنان المسلم تفاعل مع بيئته وعقيدته، وأبدع وأضاف للحضارة الغربية.

لقد تفهم الإنسان العربي روح الدين واستجاب لرفض العقيدة استخدام الصور ذات الأبعاد، فاتجه إلى التكوينات الهندسية، معتمداً على فكر وفلسفة تولدت عنده من استخدام هذه الرموز.

فالأشكال الفنية عند الفنان المسلم لها أصول في قواعدها الجمالية والوظيفية الخاصة بها، والتي نبعت من موقف الإنسان الفلسفي والديني، مستلهماً تراثه الحضاري وتفهمه لطبيعة موقعه الجغرافي.

رمزيات فلسفية

وظهرت إبداعات هذا الفن موجهة نحو المساجد باعتبارها بؤرة المدينة ورمزاً للفكر الإسلامي وتجمع المسلمين، وتألق في تصميم مآذنها ومنابرها وصحونها معتمداً

على أشكاله الهندسية والتي أصبحت عنصراً أساسياً من عناصر الزخرفة الإسلامية، واستعملها استعمالاً ابتكارياً، لم يظهر في حضارة من الحضارات، وكان الأساس الذي بنى عليه الفنان العربي زخارفه الهندسية هو، الأشكال البسيطة، كالمربعات والدوائر والمثلثات، والذي وجد فيه بعض الدارسين الغربيين والمنصفين، معاني جديدة في استخدام هذه التكوينات الهندسية من تداخل الدوائر والمربعات مع بعضها بعضاً.فقد فسروها على أنها رمزيات فلسفية كونية، فالدائرة المقسَّمة إلى أجزاء متساوية عدة، متقاطعة ومتماسة، تمثل الخلود، وهي نفسها مرسومة داخل مربع يمثل الزمن ليشكلا معاً أشكالاً سداسية وثمانية.

وهذه الزخارف تنقل للرائي إحساساً بالسكون، يبدو في بعض الأحيان إحساساً بالحركة، وذلك نتيجة للتنويع في استعمال الخامات والألوان المختلفة، وتبادل الظل والنور على الأجزاء البارزة والغائرة.

عبقرية استخدام الخط

وتفرد الفنان العربي باكتشاف القيم الجمالية في استخدام الخط العربي في الزخرفة وأعتنى بتطويعه للاستعمال الجمالي، فظهرت أنواع مختلفة من الخطوط، فتطور نوعان من الخط العربي جنباً إلى جنب مع الخط الكوفي الذي تقف فيه الحروف قائمة وشامخة، والخط النسخي وهو كتابة متمايلة سيالة قادرة على عمل تكوينات زخرفية هائلة.

وظهر الخط الكوفي الورقي، والكوفي الوردي، الذي تتشابك فيه الأغصان والأزهار حول الحروف المكتوبة.

ولجأ الفنان المسلم إلى الزخارف النباتية، حيث ابتكر أشكالاً نباتية خرج بها على الأشكال الطبيعية كعادته في التجريد.

وقد انعكست بساطة العقيدة، وعدم وجود قرابين أو تأليه لشخصيات دينية على المسجد، فكان ولا يزال بسيطاً في تخطيطه وتجهيزاته، خالياً من الصور الدينية التي نراها في الكنائس، ويزين بالآيات القرآنية والزخارف النباتية والهندسية المجردة، حتى لا ينشغل ذهن المؤمنين في أثناء الصلاة، إلا بالمطلق المجرد، فلم يهمّ إطلاقاً بمحاكاة الأشياء، وبذلك يتسامى نحو اللانهاية.



● الزخرفة المقطوعة في الرخام والحجر مما يميز الزخرفة الإسلامية

تفرد المعماري المسلم

وهذا الأسلوب لم يكن قاصراً على المساجد وحدها، بل يمتد بزخارفه وفلسفته إلى جميع أنواع العمائر الإسلامية، فهو أسلوب عام لكل الإنتاج الفني.

وانفرد المعماري المسلم باستخدام أنواع التصميمات المعمارية ودمجها في تصميم معماري إسلامي، أصبح يمثل طابعها المميز، فقد استغل الأسلوب المعماري الهندسي ذي الزوايا الحادة والمستقيمة في حسم مع أسلوب المنحنيات ذات الإيقاعات المختلفة والسلسلة، وتميز بدمج الوحدات الهندسية «الدوائر والمربعات» المستخدمة في الزخرفة، ليأتي بأشكال معمارية متناغمة شديدة الجمال والروعة.

استطاع المعماري المسلم التوصل إلى حلول معمارية توفر الحماية اللازمة من المناخ الصحراوي الجاف، والذي يتصف الجو في هذه البيئة بارتفاع درجات الحرارة خلال النهار والتفاوت الكبير في الحرارة بين الليل والنهار، فابتكر طرقاً عدة لتخفيض هذه الحرارة داخل المساكن مثل: تلاصق الأبنية، بحيث تقلل المساحة المتعرضة للشمس واستخدام الأفنية الداخلية الواسعة للتهوية والإضاءة، والمربيات، وأبراج الهواء.

استخدام الخط العربي في الزخرفة أسلوب لم يظهر في كل الحضارات

الالتزام بروح الدين

لم يكن التصميم عند المعماري المسلم لمجرد تحقيق الحلول التي تحميه من العوامل الطبيعية أو إبراز مهارته في الزخارف والتشكيلات الفنية، ولكننا نجد تأثير مبادئ الإسلام وتعاليمه في كل تفاصيل تصميماته، فقد استلهم روح البساطة والاقتصاد بما يتفق ومبادئ الدين، فعندما ننظر إلى تصميم المسكن من الداخل، نجد اهتمامه بتوفير الحماية لأفراد الأسرة من أعين الغرباء والرقباء، صوناً لأعراضهم، فقد روعي تصميم جناح الحريم في البيوت الإسلامية ليبعد تماماً عن الأمكنة المخصصة للرجال من خلال مدخل وسلالم مستقلة، وغالباً ما يقع في الأدوار العلوية أو الخلفية، كما حرص على أن تغطى النوافذ بالزخارف الخشبية «المشربيات»، ما يؤكد التزام المعماري المسلم بروح الدين الإسلامي...



● نمط متميز لأعمدة وعقود وأقواس أبدعها العقل المسلم

وحيث خرج عن المألوف في العمارة الأوروبية التي تستخدم فيها النوافذ للتهوية والإضاءة والرؤية، ولكن النافذة في العمارة الإسلامية تعمل على توزيع وتخفيف شدة الإضاءة داخل المنزل، وبالتالي تقلل من تأثير الحراة، بجانب أنها تسمح بالرؤية من الداخل إلى الخارج، وتحجبها من الخارج إلى الداخل، وبذلك صان حرمة المسكن من أعين المارة والمتلصصين.

مصداقية الفنان

ويلاحظ أن التهوية تحتل أولية في تصميم وبناء المباني عند المعماري المسلم، والذي ابتكر أسلوب «أبراج الهواء» وهو يعتمد على حركة الهواء خارج المبنى للمساعدة على سريان تيارات هوائية باردة داخل الغرفة، فعند مرور تيار هوائي منخفض حول أي مبنى تتولد منطقة ضغط منخفض في الجزء الواقع في اتجاه الريح، ومنطقة ضغط منخفض في الجزء الواقع في اتجاه ما تحت الريح، ولذلك يتولد تيارات هوائية باردة نوعاً ما داخل المبنى.

ولا يقف الأمر عند المناخ الطبيعي وحده واتجاه الأشعة، ومساقطها، بل يعدوه إلى المنظر الطبيعي الذي يعد من العناصر المهمة في تحديد شكل العمارة التي كانت انعكاساً للبيئة، مما دعا بعض المعماريين الحداثيين إلى إطلاق صفة الصدق في التكوينات المعمارية الإسلامية والتي كانت نتيجة طبيعية لتفاعل المعماري المسلم مع البيئة وعقيدته.

قوة العقيدة

والمثير للدهشة أننا نجد وحدة للفنون الإسلامية من أقصى المغرب ومراكش إلى أقصى المشرق في إيران، والهند، رغم الاختلاف في اللغة وأصول الجنس البشري والعادات.

وقد أجمع الباحثون والدارسون على أن

تطوير استعمال النافذة الأوروبية إلى «المشربية» الإسلامية

العقيدة الإسلامية التي انتشرت في هذه البقعة الشاسعة والمترامية الأطراف بسرعة فائقة، كانت ذات أثر قوي في تحقيق هذه الوحدة، بحيث تغلبت على فوارق الجنس والتقاليد الوطنية الموروثة، ولعل السر الكامن في قوة وفاعلية العقيدة الإسلامية، أنها ليست قاصرة على العبادات وإنما نظام للحياة يقوم على دعامات قوية من المثل والمبادئ والقيم الأخلاقية.

ولا يزال المعماري المسلم المعاصر يستلهم خطوطه وتصميماته من الأصول الحضارية، ويتمسك بالبعد الحضاري الذي يجمع بين التراث والمعاصرة والمستمد من الطابع الفني والقومي الذي خلفته العصور السابقة.

وعلى الرغم من استجابته للنواحي العلمية والجمالية التي يعيشها والمتأثرة بالحضارة الغربية الحالية، إلا أنه يبدع ويبهر العالم الذي اتهم حضارته بالاستغراق في الزخارف وندرة الإبداع، فعندما يستحضر تراثه ليمزجه بثقافته المعاصرة، تكون النتائج خلاّقة وباهرة، وتشهد بذلك النماذج المنتشرة في كثير من الدول الإسلامية، وبات الغرب أيضاً يبحث وينقب في هذا التراث المتفرّد ويستوحي منه، بل يحاكيه أحياناً. ■

بقلم: محمد علي وهبة

بهاء الاهتداء

أعرف رجلاً أكل ميراث أبيه، فأكل هذا الميراث نفسه، ثم أُكل جميع ما كان يملكه مما كسبه بجهده في يومه وأمسه، فبارت تجارته، وفسدت بضاعته، حتى ما بقي منها أكلته الجرزان، وذاق بعد ذلك ذل الهوان. وهام على وجهه في الطرقات، يبتهل إلى ربه بالدعاء أن يرفع عنه البلاء، ويشمله بالرحمة، ويخفف عنه القضاء، حتى هداه الله برحمته للمداومة على صلواته، وإطالة الدعاء والاستغفار في سجداته، وهداه كذلك لنشر حكايته بين الناس، ليتعظ بها من لا يتعوذ من الوسواس الخناس.

أنهى محمود مسعود كلماته السابقة، وهو جالس في صحن المسجد، وأمامه جمع غفير من الناس، ممن كان يؤمهم في صلاة العشاء، رفع حاجبيه فوق عينيه في صمت، وهو ينظر إليهم ويفكر للحظات، وهم جالسون ينصتون له في اهتمام، ثم قال محاولاً إثارة اهتمامهم أكثر:

- هذه الحكاية حقيقية... حدثت لشخص ممن يعيشون بيننا!

وكان يشعر بالحرج من إخبارهم بأنها هي نفسها حكايته، وأنه هو نفسه الشخص الذي يتحدث عنه. ولعل ذلك من لطف الله، أن جعله مستوراً، غير مفضوح أمامهم، وهو يرويها لهم.

كان كلما تذكر بدايتها ونهايتها، وبدأ بروايتها يشعر برعشة خاطفة راجفة، تمس نبض قلبه وروحه مساً غائراً مؤثراً، وتنساب صورها بكامل تفاصيلها في رأسه، ويعاود معها استغفاره إلى الله في نفسه.

كان أبوه تاجراً ثرياً، صالحاً تقياً. أنفق بسخاء على تعليمه، كبقية إخوته من بنين وبنات، حتى تخرجوا في الجامعات. أنفق بسخاء كذلك على تزويجهم، فصاروا آباء وأمهات، واختصه هو بتعليمه فنون التجارة، بكل ما فيها من حب للمخاطرة والجسارة، حتى صارت له كأبيه تجارة لا معة ساطعة بربح كبير وخير وفير. وأصبح ما لديه من مال يكفيه ويزيد، لكنه في آخر ايام أبيه كان يطمع في المزيد، وبطرق نزيهة أوكريهة، خصوصاً بعد اختلاطه بصحبة جديدة، ضالة سفيهة.

أخبره إخوته ذات يوم بموت أبيه، ليلحق بأمهم، التي انتقلت إلى جوار ربها قبل أبيه، واختاروه لتصفية التركة، التي كانت مليئة بالخير والبركة، فكان هو الوحيد، الذي يفهم في أصول التجارة، وأمور الربح والخسارة.

كان أول شيء فعله أنه فتح خزينة المال، فوجد أوراق النقد مكدسة فيها كالتلال. وقف يتأملها في ذهول، وهو يقول:

أستطيع ضمها لثروتي دون علم إخوتي!

وانطلق صوت مرعد من أعماقه، مليء بالثورة والهياج:

إنهم لا يعانون الاحتياج!

وانفجر صوت شهوة المال في نفسه، فأصابه بما يشبه الانصعاق:

تستطيع بهذا المال أن تملك الأسواق... تفتح الآفاق... تكبر سريعاً... تتضخم كعملاق!!



فسارع بضم الأموال إلى خزينته، دون علم أحد من إخوته، أو حتى أبنائه وزوجته.

استحوذت عليه بعد ذلك قوة شيطانية جهنمية، حتى أنه حين يمشي في الطريق، تحتويه أحاسيس غريبة رهيبة تشتعل في قلبه ورأسه كالحريق، وخطواته المشدودة بقوة عمياء يخيل إليه من عنفها أنها تدق في أغوار الأرض والسماء.

عندما سألته إحدى أخواته:

متى نحصل على نصيبنا من ميراث أبينا؟

قال بلا مبالاة:

لم يترك أبونا شيئاً من المال!

ثم قال:

إنه ترك ديوناً أثقل من الجبال!

وأضاف وهو يتظاهر بحزن شديد:

سأقوم بتسديدها من مالي... والله على ما أقول شهيد!

فوقفت تتأمل ملامح وجهه بنظرات مدققة في ذهول. لم تجد في تعبيرات وجهه ما يدل على عدم صدقه فيما يقول، ومع ذلك تركته، وهي غير مصدّقة لقوله.

شاع الخبر بعد ذلك بين أهله فتناقلوا أقوالهم حوله فيما بينهم، وهو غائب عن أحاديثهم.

قال أحدهم:

دعوه لله!

وقالت إحداهن:

لو أراد الله لهداه!

وكان لهم أخ أكبر عارفاً بالله، يخشى حسابه وعقابه، ويسعى لنيل ثوابه. قال لهم:

مال الميت إذا لم يتم تقسيمه على ورثته بحسب شرع الله... فيميت الله هذا المال... ويميت في آكله كل خير... ويستبدل خيره بشر.... ويصيبه بالهوان.. فينتهي إلى خسران!

وذكر لهم قول الله تعالى في سورة الفجر:

(فأما الإنسان إذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعّمه فيقول ربي أكرمن. وأما إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربي أهانن. كلا بل لا تكرمون اليتيم. ولا تحاضون على طعام المسكين. وتأكلون التراث أكلاً لمّاً. وتحبون المال حباً جما).

وشرح لهم المعنى المقصود من لفظ «التراث» بأنه هو «الميراث».

وصدق قول أخيه فيه، فوجد نفسه يتحول من النعمة إلى النقمة، ومن الصحة إلى المرض، ومن الوفرة إلى الندرة، ومن الانتشار والاشتهار إلى الانكسار والاندثار، حتى مدينيه، أحالهم الله إلى دائنين له، فاستولوا بأحكام قضائية على ملكه وماله جميعه! واستحال هو إلى مدين، مهين، حزين!

صار كل القريبين منه بعيدين عنه، فتخلى عنه أهله وأقاربه وأصدقاؤه، حتى زوجه وأبناؤه، ولم يتعود أن يتسول حاجته، فزاد إحساسه بقسوة محنته، حتى أنه كانت تأتي عليه أيام لا يجد فيها شيئاً من بقايا طعام، ولم يستطع أحد، حتى ممن كانوا خدامه أن يقدّم له شيئاً لإكرامه، فصدق فيه أيضاً قول الله تعالى في سورة الحج:

(ومن يهن الله فما له من مُكْرِم).

لم يجد بعد ذلك خلاصاً سوى عودته إلى ربه بالدعاء والاستغفار، في الليل والنهار، والصبر الجميل انتظاراً للغفران، وانقشاع بلاء الهوان.

أنهى حكايته، وهو يمسح بيده على لحيته، ونظراته المنكسرة في حزن دفين تسافر في وجوه الجالسين، وهو يقول في نفسه:

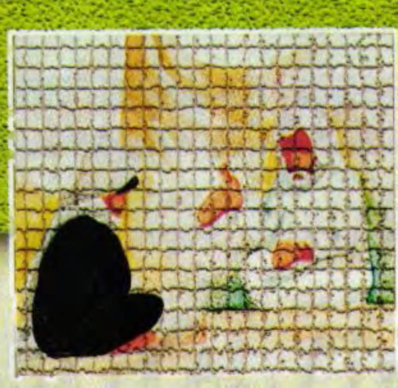
(سأظل أحكي هذه القصة للجموع... فقد تكون لي عند ربي شفيع).

ثم قال لهم، وشفتاه تنفرجان ببوادر بسمة ساطعة بأفراح جريحة دامعة:

ادعوا معي أن يلهمنا الله بالدعاء طلب الغفران، ويباعد بيننا وبين ما يصيبنا بالهوان.

فرفعوا جميعاً أكفهم إلى وجوههم، كأنهم يستجمعون هالات أنوار السماء المتوهجة في الخفاء، فيما بين الوجوه والكفوف، وشفاههم تتمتم بالدعاء في خشوع. أما هو، فلم يلحظه أحد، وهو يخفي عينيه بكفيه، فكانتا تسحان بالدموع. ■

الوعي الإسلامي
al-Waei al-Islami
العدد 404
ربيع الآخر 1420 هـ -
يوليو / أغسطس 1999 م



الأسرة المسلمة 2



ماذا لو كانت الضحية ابنتك أو زوجتك ؟

الطفل الخجول كيف نشجعه ونرعاه ؟

٨ أخطاء تنعكس سلبا على الأطفال

لحظات السعادة المفقودة

الحسنة بعشر أمثالها

من أسرار الزواج

بقلم: حواس محمود

٨ أخطاء للأهل تنعكس سلباً على الأطفال

من نافلة القول إن الأسرة من أهم عوامل التربية، فالخبرة الأسرية هي أول وأهم الخبرات التي يمرّ بها الإنسان في حياته، وربما يكون الدور الحاسم للأسرة في تشكيل سلوك الإنسان وفي بناء شخصيته في القضايا القليلة التي لا يختلف بشأنها الاختصاصيون في الأوساط الاجتماعية والنفسية والتربوية، والطفل منذ ولادته يتأثر بالبيئة المحيطة به، فهو كالزهرة إن سقيتها وعنيت بها نمت وترعرعت وأينعت وأثمرت، وإن أهملتها وقطعت عنها المياه والشمس والهواء، فإنها ستمرض وتجف وتذبل، والطفل أمانة في عنق والده ووالدته بالرعاية والتغذية والتربية الحسنة، والاعتناء الكافي من جميع النواحي، وذلك بتخصيص أوقات كافية لتعبئته بالقيم السلوكية الجيدة وبالأخلاق والمثل الحميدة، وبالعطف والحنان، ولكنَّ هذه الأمور يفتقدها العديد من الآباء والأمهات، وإزاء ذلك يقعون في أخطاء سواء من خلال التعامل فيما بين الزوجين أنفسهما أو من خلال تعاملهما مع أطفالهما، ويمكننا في هذه المقالة أن نتناول بعض أخطاء الأهل تجاه أطفالهم، وانعكاسها ومخاطرها على الأبناء من حيث بناء الشخصية وقوتها حاضراً ومستقبلاً والأخطاء تتجسد فيما يلي:

١ ـ الخضوع الزائد لرغبات الطفل: قد يظن الأهل أن تحقيق جميع رغبات الطفل أمر جيد، ولكنَّ هذا السلوك يعتبر خاطئاً، بل خطراً مؤكداً شخصية الطفل النامية، فكما أن تحقيق طلبات الطفل في السنة الأولى ـ وبسرعة ـ من حق الطفل لأنه لا يدرك حقائق الأشياء، ولا يعي متطلبات الظروف، ولأنه لا يطيق صبراً على الحرمان، أو عدم الاستجابة فيبكي لأتفه الأسباب ولأقل حرمان، إلا أنه من الواجب أن نعوّده منذ مطلع السنة الثانية من عمره بالتدريج وبالشكل المتوافق مع درجة تطوره وفهمه أن هناك حدوداً عليه ألا يتخطّاها، وأن هناك ظروفاً عليه مراعاتها، وأن هناك آخرين لهم حقوقهم كما له حقوقه، وكمثال على ذلك ليس من حق الطفل أخذ أشياء وألعاب أخيه أو أخته، ولكن لا بأس من استعارتها لبعض الوقت ومن ثمَّ إعادتها، أو أن يعبث بحديقة المنزل أو بدفاتر وكتب إخوته...إلخ.

وبعد أن يكبر ويصل إلى سنّ الثالثة عليه أن يعلم بأنه ليس مسموح له دائماً الخروج من المنزل، كلما طلب ذلك أو يشتري لنفسه أشياء من الدكان المجاور، كما أن الطفل عندما يشعر بأن أي أخطاء سيرتكبها ستمر دون عقاب قد يؤدي إلى فقدان الوالدين سيطرتهما عليه، فالقاعدة التربوية المنطقية الصحيحة هي تلبية حاجات الطفل ضمن حدود الحاجات الفعلية والإمكانات المتاحة للأسرة، وذلك منذ البدء، وإلاّ فإنّ الطفل قد يتمادى في طلب الأشياء وقد لا تنضج شخصيته بالشكل السوي، ويصبح أسيراً لرغباته ونزواته بعد أن عوّده أهله الخضوع لرغباته غير الناضجة وغير المتوافقة مع سنّه، والنتيجة أن يصبح الطفل أنانياً يحبّ نفسه فقط، وعصبياً، ثم يقطع عنه الأهل هذا التدليل ما يجعل الطفل يفاجأ بذلك ويؤدي في حالات كثيرة إلى ظاهرة ما يسمّى بـ«عقوق الأبناء للآباء».

٢ ـ طلب الكمال: يطلب الأهل من أبنائهم في كثير من الأحيان أن يبذلوا جهوداً قد تكون فوق طاقاتهم وإمكاناتهم لمجاراة أقرانهم وزملائهم في المدرسة أو العمل، وعندما يشعر الطفل بعدم تحقيق ذلك فإنه يشعر بالنقص، ويتشكل لديه مركب النقص، ومن الأقوال المسجلة في مثل هذه المواقف قول الأم ـ إن ابني لا يبذل جهده



في الدراسة إنه ذكي ويستطيع أن يحصل على علامات أعلى وهو لا يبلغ المستوى الواجب عليه أن يبلغه.

- إني كنتُ أطالبُ ابني وألاحقه كي يدرس كثيراً، ولكنني لم أعد أفعل ذلك الآن إنه هو الآن الذي يطالب نفسه بمستوى أعلى ويتحسّر لأنه لا يستطيع الحصول على درجات عالية.

٣ - الإفراط في التوجيه:

والمقصود بذلك زيادة مراقبة الطفل ومتابعته والتدخل في تصرفاته وممارساته وعدم تركه على حريته فمثلاً طفل يلعب مع أقرانه أو مع لعبته في المنزل وهو منسجم ومندمج بهذا اللعب، وتأتي والدته لتقول له تعال إليَّ يا بني لأغير ملابسك وعندما يرفض الطفلى ذلك تأخذه أمه رغماً عنه، هنا يشعر الطفل أن لحظة لذيذة ممتعة قد ذهبت منه بسبب موقف والدته، ما قد يؤدي إلى البكاء والصراخ، وعندما يتكرر مثل هذا الأمر يصبح البكاء والصراخ شبه دائم، وقد يصبح الطفل بالنتيجة اتكالياً وقليل المبادرة، يعتمد على أهله في كل شاردة وواردة، ومما تقوله الأم عندما تشتكي سوء سلوك ابنها نتيجة هذا الموقف السيئ، إني شديدة القلق على ابني فهو يعصيني ولا يريدني أن أنصحه بشيء أبداً أو أن أصحح له خطأ أو أن أرشده، وكلما طلبت إليه شيئاً انتحل الأعذار المختلفة ليتهرّب من الاستجابة.

٤ - الإفراط في العقاب: ويحدث هذا الموقف كثيراً في البيئات المتخلّفة خصوصاً، إذ يلجأ الأهل إلى معاقبة الطفل على كل صغيرة وكبيرة وبشدة لا تتناسب مع درجة ونوع الخطأ، وقد يكون الخطأ حاصلاً نتيجة لعدم نضج الطفل العقلي والجسمي، وفي هذه الحال لا تجوز معاقبته، وإنما تنبيهه وإرشاده إلى جادة الصواب، وفي حال تكرار الخطأ رغم النضج فإنه يجب معاقبة الطفل بشكل خفيف ومتدرّج حتى يستقيم سلوكه، ويرجع عن ذلك الخطأ، وفي حال استجابة الطفل الدائمة للعقاب قد يؤدي به إلى انتقاص ذاته، وتشكل مركب النقص عنده، والميل للعمل ضمن السلوك الذي يؤنّبه عليه أهله أي أنه يبدو وكأنه يتعمد أن يظهر بمظهر الشخص غير الكفء لتُكال له عبارات الانتقاد.

٥ - الإهمال:

وهو يعني عدم توافر الوقت الكافي للاعتناء بالطفل ومشاركته في اهتمامه وألعابه بما يتناسب وتطوره العقلي والنفسي، فالطفل يحتاج إلى ملاعبة أهله، وهو يجد متعة كبيرة في ذلك ويحتاج للتنزه ورؤية الأشجار في الحدائق والناس والسيارات والدكاكين، وبخاصة في سنوات عمره الأولى ما يؤثر عليه سلباً يضاف إلى ذلك من أنواع الإهمال عدم متابعة دروسه وتطوره التعليمي والثقافي، وبذلك يتشكل نقص كامن في شخصيته سببه عدم الإطلاع على مظاهر الحياة الطبيعية والاجتماعية.

٦ - التفريق بين الأطفال في العائلة الواحدة:

بعض الأهل يعامل أحد أطفاله معاملة تختلف عن شقيقه وذلك بتدليله بشكل زائد ما قد يؤدي إلى غيرة بعض أشقائه منه، وتتطور تلك الغيرة مع الزمن إلى حقد وكراهية، ربما تفسد شخصيته باعتماده على الأهل بشكل دائم في الاتكالية وعدم القدرة على التصرف إزاء مواقف الحياة، وقد يكون التفريق بين الابن والبنت، خطأ له نتائجه السلبية إذ تشعر البنت دائماً أنها كائن ضعيف مغبون بين إخوانها، أي أقلّ أهمية من شقيقها ما يخلق في نفسها حزازات وغيرة وأحقاداً لا مبرر لها.

٧ - المشاجرة بين الأهل في المنزل:

قد يتشاجر الأب والأم في المنزل حول مسألة ما، ومع أن الخلاف أمر عادي في أي منزل إلا أن الصراخ العالي والشتائم أمام مرأى ومسمع الأبناء له مخاطر سلبية كبيرة على نفسيتهم التي تشعرهم بعدم الأمان وعدم الراحة والقلق، هذه النواحي خطيرة على تكوينهم التربوي، وله انعكاسات خطيرة في المستقبل، وتشير إحدى دراسات «جتمان وكاتز» إلى أن الأطفال الذين يعيشون مع والدين يتشاجران وعلاقتهما الزوجية غير مرضية يشعرون بالتوتر، ويكونون أقلّ قدرة على التعامل مع مشاعرهم وأقل استطاعة للعب بنشاط مع أقرانهم وتعتقد «بروكس» أن مثل هذه التأثيرات الواسعة تحدث لأن الوالدين يصبحان أقل فاعلية عندما تكون علاقتهما الزوجية غير سعيدة، ويُضاف إلى ذلك أن الجوّ الأسري السلبي يقود إلى مشكلات سلوكية لدى الأبناء، فالأبناء يصبحون أكثر تهوراً وعصياناً، ويشعرون بمستويات عالية من التوتر والضيق النفسي، ويتبين أيضاً أن الخلافات الزوجية «المشاجرات» في مرحلة ما قبل المدرسة تترك تأثيرات طويلة المدى تستمر إلى مرحلة المراهقة حيث يكون الأبناء أقل قدرة من غيرهم على بناء علاقات اجتماعية إيجابية مع الآخرين وأقلّ قدرة على ممارسة الضبط الذاتي.

٨ - الإقلال من قيمة الأطفال والسخرية منهم والتشكيك في تفوّقهم ونبوغهم

وهذا خطأ فادح وخطير لأنه يؤدي إلى تشكل عقدة النقص لدى الطفل، فتهتز شخصيته، ويشعر دائماً أنه مهما أبدع ومهما تفوق، فإنه يظل دون مستوى أقرانه، ممن ينالون كلمات المديح والثناء والإعجاب من أهلهم على العكس من حاله مع أهله، إن الطفل يحتاج للتشجيع والتحفيز والثقة من أهله، وبفقدان هذه العناصر الضرورية لتربية سليمة ناجحة ومعاناة، فإن الطفل قد يصبح انطوائياً أو عصابياً أو ضعيفاً في شخصيته وعلاقاته الاجتماعية مع الآخرين، وكمثال على ذلك:

بعض الأهل يقولون عن أحد أبنائهم إنه «مجنون» يطلقون هذا اللقب عليه نتيجة تصرفات عصبية قد تكون من إفرازات تربيتهم الخاطئة معه ومع أشقائه ناسين ما لهذه الكلمة وأمثالها من أثر سلبي سيئ على نموّه التربوي الحالي والمستقبلي. ■

بقلم: عبدالعزيز إسماعيل أحمد

الطفل المدلل... كيف نتعامل معه؟!



تتفق الآراء التربوية على أهمية مرحلة الطفولة في بناء شخصية الإنسان المستقبلية، فإذا ما اعترى تربية الطفل أي خلل فإن ذلك سيؤدي حتماً إلى نتائج غير مرضية تنعكس سلباً على الفرد والمجتمع معاً... وما التدليل الزائد للطفل في مراحل طفولته الأولى إلا خلل يجب تداركه وعدم الإفراط فيه.

فالأبوان يرسخان لدى الطفل هذه الناحية عندما يخافان عليه بصورة مفرطة، ويسعيان لإرضائه وتلبية حاجاته مهما كانت، إن هذا الخوف الزائد على الطفل يتمثل بصورة «الدلال الزائد» وهذا لا يختلف من وجهة النظر التربوية عن «القسوة المفرطة» على الطفل فكلاهما تصرُّفٌ خاطئ يجب تجنبه والابتعاد عنه لأنه يؤدي إلى نتائج سلبية لا تُحمد عقباها.

التمييز بين الرغبة والحاجة:

يجب أن نضع في الحسبان التمييز بين رغبات الطفل وبين حاجاته الأساسية، فالرغبات كثيرة ولا تخضع لمعيار ففي المراحل الأولى من حياة الطفل تكونُ نوازعه كثيرة وتلازمه دائماً لأنه في هذه المراحل لا يستطيع أن يستوعب القيم الأساسية في محيط الأسرة، ولا يكون قد تعلم بعد كيفية التحكم بنوازعه ولجم جموح ذاته والمثال على ذلك: «إذا لفتت نظر الطفل في واجهة محل للألعاب لعبة ما، فإنه يلحُّ على طلبها وإن كان لديه مثلها في المنزل، بل يعمد إلى البكاء والصراخ كوسيلة للحصول عليها وكلما

ذكّرته أمه بلعبته المشابهة زاد عناده وصراخه، وبرر ذلك بأن لعبته المشابهة صفراء أو زرقاء أما اللعبة التي شاهدها في واجهة المحل فحمراء اللون».

ويطلق على هذا تسمية «التبرير الطفلي». فلا يكف عن الصراخ والبكاء فتقع الأم في حيرة من أمرها، وتضطرُّ للجوء إلى أحد حلَّين: إما أن تضربه ـ عقاباً له ـ أو تنصاع لرغبته فتقوم بشراء اللعبة وفي كلا الحالين يحسُّ الطفل بلذّة الانتصار لأنه استخلص من أمه رد فعل محدد يتعلق بتلك الرغبة التي لا علاقة لها باحتياجاته الضرورية وهذا يقوده إلى التمادي في تكرار هذه الصورة لأنه عرف حقيقة موقفه بأنه «مدلل» لذا تزداد رغباته والطلبات التي لا علاقة لها بحاجاته الضرورية، والحل المناسب لعلاج مثل هذه الحالة أي ـ موقف الصراخ والبكاء ـ هو أن تتعامل الأم معه بصبر ورويّة وبرودة أعصاب مع شيء من الحزم، فالطفل يستجيب للحزم عندما يكون التعبير عنه مدعمّاً بإيضاح مبسط لأسباب الرفض.

أما الحاجات الضرورية للطفل فهي كثيرة منها: الحاجة الجسمانية، كالحاجة للغذاء، والحاجة للهواء النقي، والرداء المناسب، والحاجة إلى النوم، وثمّة حاجات نفسيّة مثل: الحاجة للحنان، والحاجة إلى الشعور بالانتماء إلى الأسرة والحاجة إلى الشعور بأنه محبوب ومرغوب فيه والحاجة إلى الاطمئنان والأمان، والحاجة إلى الحرية في الحركة والتمتع بمباهج الحياة، والحاجة إلى اللعب، والحاجة إلى حب الاستكشاف، يقول المثل الإنكليزي: «الطفل كالدجاج دائم البحث والتنقيب».

إنَّ تفهم الأبوين لهذه الحاجات الضرورية يجنبهما الانقياد لرغبات الطفل ونزواته ويصلان به إلى نوع من الاستقرار النفسي الذي يجعله يحسُّ بأهميته ومكانته، ويدعم ذلك حنان الأبوين ورعايتهما السليمة له وتوجيهه التوجيه الإيجابي البناء.

أنواع الأطفال المدللون:

الطفل الوحيد: وهو ذاك الطفل الذي يحيطه أبواه بهالة من الحنان المفرط والخوف الزائد عليه من كل شيء... وهذا الإفراط في الخوف عليه نابع من وحدانيته.

فالطفل البكر: يكون عادة ضحية لتربية خاطئة إذا ما ربيّ مدللاً.

الطفل الأخير «آخر العنقود»: عادة يعيش أطول فترة أمومة إذا ما قورن بمن سبقهُ من الأطفال... لذا يكون مدللاً.

الطفل ذو العاهة: يُدَلل نتيجة للشفقة عليه وهذا ما يكرِّس لديه عقدة «الشعور بالنقص» وذلك انطلاقاً من شعوره بشفقة الآخرين عليه نتيجة لكونه غير سوي، وهذا يؤدي إلى حقده مستقبلاً ما يثير نقمته على المجتمع بأسره.

الطفل الذكر بالنسبة للبنت: وهذا ما اعتاده معظم الناس وهو التمييز المفرط بين الذكر والأنثى ما يؤدي لتدليل الذكر وإهمال الأنثى وهذا خطأ يجب تفاديه.

دور الأم:

غالباً ما تؤدي الأم دوراً أساسياً في عملية التدليل لأنها تكون موجودة في المنزل بشكل دائم، وعلى احتكاك مستمر بالطفل، لذا يحاول الحصول على رغباته عن طريقها، فهي تطعمه، وتدفئه، وتنظفه، وتقضي حاجاته وتوفر له الراحة وتسعفه، وتسهر عليه في مرضه ولا تضربه إذا أتلف أو خرَّب شيئاً عكس الأب الذي غالباً ما يكون في عمله بعيداً عن المنزل بالإضافة لكونه أشد قسوة من الأم دائماً لذا تكون درجة تدليل الطفل لديه أقل منها لدى الأم.

نتائج سلبية:

إن التدليل المفرط يخلق شعوراً لدى الطفل مؤداه أن جميع رغباته تتحقق ما يؤدي به إلى الإحساس بأنه متفوق على الآخرين وبأنه أحسنهم وأفضلهم وبأن جميع أفراد المجتمع وجدوا لخدمته.

ولتأمين راحته، فإذا ما كبر فإنه سيصطدم بالواقع، ويفاجأ بحقوق الآخرين وبأنَّ الحياة ليست له وحدة، وأنَّ التعامل مع الناس أخذ وعطاء، كما يتوصل إلى مفهومي «الحق والواجب» فيعيش حالاً من «الصراع» تقوده إلى الفشل المؤدي إلى نوع من الألم النفسي فهو يفاجأ بأنه لم يعد يستطيع تحقيق ما يريد كما كان في طفولته.

ومن النتائج السيئة المترتبة على ذلك أيضاً فشله في حياته الزوجية لأنه «أناني» ويكون في حال طلب وأخذ دائمين دون عطاء، ودون أن يتبادل الحب والعطف مع الطرف الآخر، لذا نراه يتهرب من حياته الزوجية وتكون نهايته الحتمية الفشل، وعدم الاستمرار.

الوقاية خير من العلاج:

يجب أن تكون معاملة الطفل منذ البداية متراوحة بين اللين والقسوة فلا إفراط ولا تفريط، ويجب كبح جماح رغباته، وعدم الاستجابة لكل طلباته لأنه إذا شب على شيء شاب عليه.

كما يجب أن يكون هناك توازن في التعامل مع الطفل، وتدرج في تعليمه قواعد التعامل العائلي ضمن نطاق الأسرة، ثم على نطاق أوسع وهو المجتمع ولا يجوز التغاضي عما يرتكبه من حماقات أو أخطاء أو التغاضي عنها على أساس أنه صغير ولا يفقه، بل يجب أن نغرس في نفسه القيم والإيجابيات السلوكية التي تبنى على أساس من التعامل الصادق والثقة المتبادلة، واحترام آرائه وأن نكرِّس لديه مفهوم «القدوة الحسنة» والاقتداء بما هو صالح ومفيد، كل ذلك ضمن إطار من التوجيه البنَّاء، فنعاقبه حين يخطئ ونثني عليه حين يصيب ويحسن التصرُّف، وبذلك نثبِّت ما هو صحيح، ونلغي ما هو خاطئ لنصل إلى طفل قوي البنية، متّزن السلوك، ليكون لبنة صالحة في بناء المجتمع. ■

المراجع:

١ ـ كتاب العربي ـ العدد رقم ٢٣ ـ بعنوان «الطفل العربي والمستقبل» تاريخ ١٩٨٩/٤/٥م.

٢ ـ مجلة «الحرفيون» سوريا ـ العدد ١٥٠ ـ تشرين أول ١٩٩٠م.

بقلم: محمد سلامة جبر

نحو أسرة مسلمة 3

من أسرار الزواج

تقدم أن الزواج «سكن» للرجل والمرأة على السواء والسكن يعني «الطمأنينة والهدوء والاستقرار» فالرجل لن يجد هدوء نفسه، وسكينة قلبه، واطمئنان روحه، إلا في الزوجة الصالحة، التي تكون له خير معين على تكميل دينه، وتعمير دنياه، والعمل لأخراه.

يدل لذلك قوله تعالى: (ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون) الروم:٢١.

من أسرار الزواج التي اشتملت عليها الآية، أنه صفة كمال للإنسان، بل من أعظم ما منَّ الله به عليه من صنوف الإنعام، ويدل لذلك وصفه نعمة الزواج بأنها من «الآيات» ويدل لذلك أيضاً قوله «من أنفسكم» والمعنى أن الله خلق حواء من ضلع آدم كما جاء في الحديث الصحيح، فإذا كانت المرأة مقتطعة من الرجل، فكمالها - إذن - بالعودة إليه - والاندماج معه، وكذلك كمال الرجل لا يتحقق إلا إذا امتلك جزأه الذي اقتطع منه، وأعاده إليه ليكمل نقصه به.

فإذا تبين هذا، فإن رجوع الأنثى إلى أصل موطنها، يزيل إحساسها بالقلق والاكتئاب، وألم الضياع، وهم الاغتراب.

وهذا هو المراد بالسكينة والطمأنينة التي أشارت إليها الآية الكريمة، وكذلك الزواج بالإضافة للرجل، يعني أنه قد استرد ما فقده من نفسه، واستعاد بإذن الله ما غاب عنه من أمسه.

كمال الإنسان بالزواج

ولهذا السر العظيم كان الزواج صفة كمال للإنسان، بل به فخره واعتزازه بعد تحقيقه نعمة الإيمان، وبهذا أخبرنا رسول الله ﷺ حين قال:

«إني أتزوج النساء، وأنام وأقوم، وأصوم وأفطر، فمن رغب عن سنتي، فليس مني» رواه البخاري ومسلم.

وقال رسول الله ﷺ : «الدنيا متاع، وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة» رواه مسلم.

وقال رسول الله ﷺ : «أربع من سنن المرسلين النكاح، والسواك، والتعطر، والختان» رواه الترمذي.

قلت: وهذه الأحاديث وغيرها، فيها دلالة صريحة على أن الزواج من صفات الكمال الإنساني، وليس من باب المتاع الحيواني، ولهذا كان من إكرام الله لبعض أنبيائه - وهم أفضل خلقه - كان من إكرامه لهم سبحانه أن أنعم عليهم بزوجات كثيرات، وإماء عديدات، كداود عليه السلام، فقد أنعم الله عليه بمئة زوجة، وأنعم على سليمان عليه السلام بأكثر من ذلك كما جاء في الصحيح.

وآخر ما كان من آيات إنعامه على أنبيائه، ما تفضل به على سيد خلقه أجمعين، حين أباح له الجمع بين تسع زوجات، سوى جاريتيه: مارية «القبطية المصرية»، وريحانه القرظية، ولو كان الاستكثار من التمتع بالنساء من صفات البهيمية، لنزه الله عن ذلك رسله، فهم أحق من ينبغي أن يصانوا عن تلك النقائص لو كانت من النقائص حقاً، لأن الأنبياء هم أكمل البشر خلقاً، وأعلاهم قدوة وصدقاً، وكل ذلك يعرف بالتأمل في قوله تعالى:

(ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها).

وهذا لأن الزواج صفة كمال للمخلوق كما تقدم، ولم يتنزه عنه إلا الخالق سبحانه، فهو وحده المتفرد بالأحدية، المتعالي عن النقص والزوجية، بديع السموات والأرض، أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة، وخَلَقَ كل شيء، وهو بكل شيء عليم.

(بديع السموات والأرض أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخَلَقَ كل شيء وهو بكل شيء عليم) الأنعام: ١٠١.

ولأن الزواج صفة كمال للرجال والنساء كما جاء بيانه في مطلع المقال، جعل الله لآدم حواء، وشاء أن يخلقها منه لتظل في شوق إليه، واختار لخلقها ضلعه الأيسر ليكون محلها القلب، وتتوثق بينهما عرى الحب.

أمنا حواء

وقد ذكر ابن كثير في تفسيره عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «أخرج إبليس من الجنة، وأسكن آدم الجنة، فكان يمشي فيها وحيداً ليس له زوج يسكن إليها، فنام نومة فاستيقظ وعند رأسه امرأة قاعدة خلقها الله من ضلعه، فسألها آدم: ما أنت؟!

قالت: امرأة

قال: ولِمَ خُلقت؟

قالت: لتسكن إليَّ

فقالت له الملائكة ينظرون ما بلغ من علمه: ما اسمها يا آدم؟

قال: حواء

قالوا: ولِمَ حواء

قال: لأنها خلقت من شيء حي.

ما معنى السكن؟

قلت: قول حواء لآدم لتسكن إليَّ حين سألها: لِمَ خُلِقْتِ؟

هذا المعنى يدل عليه قوله تعالى: (ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون) الروم: ٢١.

والمراد بالسكن هنا أن يأوي الرجل إلى زوجته لقضاء حاجته، والسكن يعني السكينة، والسكينة تعني اطمئنان النفس واستقرارها، فتأمل كيف جعل الله في اتصال الرجل بزوجه سكينة نفسه، واطمئنان قلبه، وهدوء روحه... (وجعل بينكم مودة ورحمة) زيادة على تلك السكينة والطمأنينة فعاطفة الحب التي زرعها الله في قلب كل من الزوجين، عاطفة عالية، سامية هانية، لا يعرفها إلا كل زوجين أنعم الله عليهما بنعمة الإيمان، ومتعهما بلذة الحب والحنان.

فسكينة الرجل إلى زوجه تعني تحقيق كمال ذاته، لأن زوجه كانت قد اقتطعت من ذاته حين خلقت حواء من ضلع آدم.

وبالاتحاد البدني، والاندماج الروحي، يزداد التجاذب بينهما ويتحقق كمالهما الإنساني، ولهذا كان للزواج تلك المكانة المكينة، والمنزلة العالية الرفيعة، ولكن الناس أفسدوا هذه السنة الحميدة، والنعمة الفريدة، حين أعرضوا عن تحمل المسؤولية، واستهانوا بالحرمات الاجتماعية، وأقبلوا على الشهوات البهيمية، فلا عجب أن صار الزواج في نظرهم قيداً، والمرأة عند فاسقيهم صيداً!! (فسيعلمون من هو شر مكاناً وأضعف جنداً) مريم:٧٥. ■

قصة حقيقية

الحسنة بعشر أمثالها

أخذ حسان الشاب الموظف البسيط يهدِّئ من حزن أمه ويقول لها: يا أمي إن الحسنة بعشر أمثالها، والصدقة تطفئ غضب الرب وتمنع البلاء، فماذا يضير لو أنفقت في سبيل الله نفقة يسيرة كهذه؟

ردت أمه: ألستُ أمك المريضة؟ ألست أولى بهاتين المئتين بدلاً من جارتنا الأرملة؟ أليس إنفاقك عليَّ أعظم أجراً ومثوبة؟

أجاب حسان: كل ما تقولينه صحيح، ولكنني رأيتها واقفة مع ابنها الصغير في الشارع تنتظر وقوف سيارة أجرة، عرضت عليها المساعدة بإيصالها فلم تمانع.

نظرت إلى ابنها اليتيم إلى جواري، فلمحت مسحة حزن في عينه، وابتسامة يُجبرها على أن تخرج يجاملني بها، وسرعان ما تنمحي، ثم عندما وجدت أن المكان الذي تريده هو الطبيب لم أستطع أن أمنع حناناً شعرت به ينتشر في كل أوصالي، وغلبتْ عاطفتي عقلي، فامتدت يدي إلى جيبي وأخرجت كل ما بها وهو كل ما أملك ـ وناولته لهذه الأرملة. نزلت من السيارة ولسانها يحاول أن يقول: كل عبارات الشكر والدعاء في تلك الثواني، أما الابتسامة التي رسمها صغيرها على كل وجهه فلم أر أجمل أو أرقَّ منها لأنها حقيقية هذه المرة.

حمدتُ الله يا أمي أن وفقني لذلك، وانطلقت بسيارتي سعيداً هانئاً.

تنهّدت الأم وقالت: عوّضك الله خيراً يا ولدي ولكنني أرانا في حاجة إلى هذه النقود القليلة، ولولا ذلك ما جادلتك ولا احتججت، أستغفر الله العظيم.

بعد ظهر اليوم التالي، عاد حسان من عمله إلى المنزل، والدنيا تكاد لا تسع فرحته، قبَّل يديّ والدته، وسألها طلباتك يا حنونة.

قالت: من أين يا ولدي؟

قال: من عند الله، ألم أقل لك إن الحسنة بعشر أمثالها؟ انظري إلى هذه، عدّيها.

الأم: إنها ألفان.

حسان: أعطيت اليتيم وأمه مئتين فقط، فضاعفهما المولى الكريم عشرة أضعاف.

إنها رزق ساقه الله إليَّ، ولم أكن أنتظره يا أمي، بل كان الأمر مفاجأة من صاحب العمل تقديراً لجهودي، كما يقول هو، وأنا أقول إنما هو هدية من الحنَّان المنَّان لعبده الفقير حسان. ■

إيمان أحمد شراب

بقلم: محمد رشيد العويد

جرائم في غياب شريعة الإسلام

ماذا لو كانت الضحية ابنتك أو زوجتك؟!

ماذا يقولون لو طالبنا بمستشفيات خاصة بالنساء، ليس فيها أحد غير النساء: لا أطباء، ولا ممرضين، ولا مرضى... بل طبيبات، وممرضات، ومريضات؟

هل سيقولون: عقلية مغلقة؟ تخلف ورجعية؟ عُقد وأوهام؟ ليقولوا ما يقولون؛ لأن هذا أحفظ للمرأة، وآمن لها، وأكثر حرية.

ولعل ما تنشره الصحف والمجلات من جرائم اغتصاب، وقعت في المستشفيات، يكفي ليؤيد كل عاقل إقامة هذه المستشفيات الخاصة بالنساء، فكيف وجرائم اغتصاب النساء في المستشفيات أكثر بكثير.

والمأساة التي سأعرضها في الأسطر التالية؛ تؤكد هذه الحاجة إلى تلك المستشفيات غير المختلطة.

المأساة أحدثت إحساساً أشبه بالصدمة، وأثارت غضب المواطنين في أميركا.

إنها قصة فتاة أصيبت في حادث سيارة جعلتها تعيش في غيبوبة لا تفيق منها منذ العام ١٩٨٥ قضتها في غرفة للعناية الخاصة بأحد المستشفيات الأميركية يعرف باسم «مركز ويست فول الطبي».

لم تنته مأساة هذه الفتاة بهذا الحادث المؤلم، فهناك وحش بشري اغتصبها وهي في غيبوبة، وحملت منه، ووضعت طفلها، في جريمة من أفظع وأبشع مظاهر الإجرام في هذا العصر.

وقف الوالدان إلى جوار تلك الفتاة، بعد أن وضعت طفلها، وهي ما تزال في حالة غيبوبة، عيونها مفتوحة.. ولكنها لا ترى شيئاً.

وقد طُرحت آراء كثيرة خلال حمل هذه الفتاة: هل يُحتفظ بالجنين أم يُتخلص منه؟ واختار والدا الفتاة أن يحتفظا بالطفل.. وأن يوفرا له الحماية والرعاية.

لنعد إلى القصة من بدايتها. كانت الفتاة تقود سيارتها في طريقها إلى الجامعة في مدينة روشستر قرب الحدود الأميركية الكندية، وأرادت أن تتجنب الاصطدام بغزال خرج إلى الطريق من بين أشجار الغابة المجاورة.. فاصطدمت بشجرة، ونقلت إلى مركز للرعاية، حيث كان يعودها الطبيب الخاص ليترقب ظهور علامات تدل على تحسن حالها.

وبينما كان الأطباء يجرون اختبارات الدم الروتينية عليها.. فوجئوا بمؤشرات تؤكد أنها حامل، فنقلت من دار الرعاية إلى أحد مستشفيات رعاية الأمهات الحوامل. وتولت الشرطة التحقيق للبحث عن الوحش البشري الذي اغتصبها في غيبوبتها.

عندما بدأ الأطباء في إجراء عملية قيصرية لها تبين أنها في مرحلة متأخرة من الحمل. وتقرر أن تترك لتضع طفلها بالطريقة الطبيعية.

وخرج الطفل إلى الحياة وأمه مازالت في غيبوبتها تنتقل بنظراتها إلى والديها وتنظر في أرجاء الغرفة دون أن يبدو عليها ما يدل على إدراكها لما يدور حولها.

لجأ الوالدان إلى مقاضاة مركز ويست فول الصحي بسبب إهماله في رعاية ابنتهم مما جعلها هدفاً للاعتداء.. أما الطفل الذي خرج إلى الحياة فقد تعلقت به الآمال في أن يكون السبيل لمعرفة الجاني.

ولما كانت الأم عاجزة من أن تجيب عن أي أسئلة، أو أن توجه الاتهام إلى أحد، كان الأمل الوحيد أمام رجال المباحث هو الاعتماد على المواصفات الخاصة بالأحماض الجينية لذلك الطفل باستخدام أسلوب DNA؛ فالطفل يحمل الصفات الوراثية لوالده الذي اغتصب تلك الفتاة.

قام المحققون ورجال المباحث بإجراء تحاليل لدماء العاملين في مركز ويست فول الصحي، وقد انحصرت شبهاتهم في ممرض يدعي «جون هوراس». وضاعف من الاشتباه فيه أنه كان قد دين في محاولة اعتداء على مريضة أخرى في المركز نفسه. وقد أُلقي القبض عليه بعد ٤٨ ساعة من خروج هذا الطفل إلى الحياة، وهو يحاول اجتياز الحدود والهرب إلى كندا.

حُوكم جون هوراس عن جريمة محاولة الاعتداء على المريضة الأخرى وحُكم عليه بالحبس مدة ستة أشهر. وجاء هذا الحكم في وقته؛ إذ يوفر لرجال الشرطة ضمانة ألا يهرب في أثناء جمع الأدلة في قضية الاغتصاب التي هم بصدد التحقيق فيها.. كما يتيح لهم أيضاً الحصول على أمر من المحكمة لإجباره على تقديم عيّنة من دمه لاستخدامها في التجارب العلمية التي تستهدف إثبات الصلة الجينية بينه وبين هذا الطفل.. وكان جون هوراس الوحيد الذي رفض أن يعطي عيّنة من دمه من بين ٧٥ مشتبهاً فيهم استجوبتهم الشرطة في أثناء التحقيق.. وهم جميعاً من العاملين في هذا المركز الصحي.

ووفق المحققون في التوصل إلى شاهدة يمكنها أن تدلي بأقوال تدين ذلك المجرم، وهي مريضة أخرى كانت تعاني بدورها من حال العجز التام إثر إصابات لحقت بها في حادث سيارة، وقد ظهرت دلائل تؤكد أن هذه المريضة كانت في وضع يسمح لها بمشاهدة الجريمة وقت ارتكابها.. إذ كانت في غرفة الفتاة نفسها.

وأثارت هذه الجريمة جدلاً ونقاشاً في الأوساط الطبية والعلاجية في أميركا بعدما اتضح أن جريمة الاغتصاب وقعت في حمام خاص في غرفة الفتاة المغتصبة. فالمتّبع هناك أن يقوم الممرضون بغسل أجساد المريضات علانية على مرأى من الآخرين.. ومن المرجح أن الجاني ارتكب جريمته في هذه الأثناء. وكان جون هوراس مطلق السراح بكفالة مالية

بالنسبة إلى جريمته الأخرى عندما اتصلت إحدى السيدات بالشرطة لتبلغهم أن جون هوراس حجز لنفسه تذكرة للسفر بالطائرة باسم «جون لاشر» قاصداً مدينة كويبك الكندية.. فأسرعت الشرطة إلى ضبطه.

في الوقت الذي كانت فيه شرطة مدينة روشستر تجمع الأدلة العلمية ضد المتهم؛ ظهر المزيد من الدلائل على اتهامات بممارسات جنسية أخرى للمتهم نفسه، كما بدأت اتصالات من محامي مركز ويست فول للتوصل إلى تسوية مع أسرة المجني عليها لدفع تعويض معقول! (١)

هكذا تقوم جريمة الاغتصاب هذه دليلاً آخر على خطورة الاختلاط في كل مكان، فحتى المستشفى الذي يفترض أن يكون آخر مكان يرتكب فيه الاغتصاب... تتم فيه هذه الجريمة، ومع من؟ وممن؟ مع مريضة لا تملك قوة تدافع بها عن نفسها، ومن ممرض يفترض أن يخفف آلام مرضاه لا أن يزيدهم ويزيد ذويهم ألماً ومعاناة وقهراً.

لقد جاء أن الشرطة استجوبت ٧٥ رجلاً مشتبهاً فيهم وهم جميعاً من العاملين في هذا المركز الصحي... ألا يعني هذا أن كل رجل شمله احتمال بأن يكون هو المرتكب لجريمة الاغتصاب.. وأن منع الرجال من العمل في مستشفى ليكون خاصاً بالنساء إنما هو عامل وقاية فعَّال؟!

كيف يقوم ممرضون بغسل أجساد المريضات؟ كيف يسمح لهم برؤية النساء عرايا؟ أليسوا رجالاً فيهم غرائز؟ ألا تظهر هنا عظمة الإسلام الذي يحرم هذا كله؟!

وأريد أن أسأل كل من يعارض تخصيص مستشفيات للنساء لا يعمل فيها الرجال: أما كنت تتخلى عن معارضتك تلك إذا ما كانت تلك المريضة المعتدى عليها.. زوجتك، أو ابنتك، أو أختك، أو أمك؟

هل ترضى وتتنازل إذا جاءك محامي المستشفى يعرض عليك التنازل عن قضيتك لقاء مال يُدفع إليك؟ كما فعل محامي مركز ويست فول حين عرض دفع «تعويض معقول» من أجل تسوية مع أسرة المجني عليها؟!

ضعوا أنفسكم مكان الضحايا.. أو أهليهم.. ثم أدلوا بآرائكم.. وحددوا مواقفكم.■

(١)جريدة الأنباء (ملحق: أنباء الجريمة) ـ العدد ٧١٧٨

السعـادة الحقيقيـة

* غالباً ما أحاور قريناتي في المدرسة التي نعمل فيها «معلمات» حول بعض مفاهيم الحياة فيحتدم بيننا النقاش، وتتضارب الآراء، وتختلف وجهات النظر، وفي آخر مرة أذكر أننا تناولنا في نقاشنا مفهوم (السعادة الحقيقية)، ومتى يجب أن تشعر بها الواحدة منا...؟

قالت إحداهن: السعادة الحقيقية تكمن في زوجٍ ميسور الحال، يملك رصيداً كبيراً في البنك ومنزلاً فخماً، وسيارة فارهة...

وقالت الأخرى وثمة دموع تنحدر من مآقيها: وما نفع ذلك إذا كان الزوج شحيحاً... بخيلاً... ممسكاً يده بقوة على ماله وجميع أفراد عائلته بحاجة إلى ذلك المال...

ورأي «ثالث طرحته مشاركة» ثالثة في الحوار: أرى السعادة في كثرة السفر والترحال وفي مسكن متواضع، وزوج يحترم رأيي ويقدره، ويناقشني في مختلف أمور الحياة العامة وداخل الأسرة.

ساد الصمت قليلاً في المكان... وقلت لهن: أما مفهومي للسعادة فهو:

أن السعادة ليست بكثرة المال ولا بكل ما ذُكِر... السعادة الحقيقية أشعر بها وتجتاح كياني عندما أدخل الصلاة بين يدي الله عز وجل.. خاشعةً.. أخاطبه... شاكرةً وبكل جوارحي على ما أنعم علينا من النعم، فترفرف روحي في ملكوت الرحمة... وترتاح نفسي أيما ارتياح، ويرسل قلبي نبضات الطمأنينة والراحة والأمان فأصل بذلك لقمة النشوة.. وأذوب في حب خالقي، فتغمرني سعادة حقيقية، لا مثيل لها.. فتهدأ نفسي.. وتقر عيني.. ويطمئن قلبي.. كيف لا والله تعالى يقول في محكم بيانه: (الذين آمنوا وتطمئنُّ قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب) الرعد/ ٢٨. وكذلك أشعر بسعادة حقيقية عندما ألجم لساني عن اغتياب الناس، والنطق بما هو حرام وما يسخط المولى عز وجل.. وتزداد درجات السعادة عندما أطلق لساني جريئاً في قول الحق وفي عمل الخير وذكر الناس بما هو حسن وما يرضي الله فتكون النتيجة الأخروية رضا الله وجنته وعطاءهُ غير المحدود. (وأما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ) هود/ ١٠٨ وكذلك أشعر بسعادة حقيقية عندما انتهي من واجباتي تجاه زوجي وأولادي في المنزل فأحمد الله وأثني عليه، ويتملكني فرح غريب.

وعندما أتذمر من شيء ما، ويضيق بي الحال، ويدب في أوصالي الوهن واليأس. سرعان ما استعيد رباطة جأشي فألجأ إلى كلام الله تعالى ووحيه المنزل فأرسل أشرعتي المتعبة في بحر آياته المعجزات متمثلة معانيه وتعاليمه وألقي بهمومي ومتاعبي هناك لترسو أشرعتي في مرفأ الإعجاز الإلهي... فتدب في عروقي الحياة ويتبدد من نفسي اليأس والقنوط، وتغمرني فرحة عظيمة يرتعش لها خافقي وتخلد روحي إلى راحة وسكينة لا مثيل لهما فأشعر بسعادة حقيقية منقطعة النظير واستذكر قول الله تعالى في الآية ٥٣ من سورة الزمر:

(لا تقنطوا من رحمة الله)، وقوله تعالى في الآية ٥٦ من سورة الحجر: (قال ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون). ■

ليلى عبدالرحمن السلطان

بقلم: د. زيد محمد الرماني



إنَّ ترشيد الاستهلاك يعتبر أهم أهداف المجتمعات عامة، فالدول تعمل جاهدة على ترشيد استهلاك مواطنيها، وتحضهم على تنظيم الاستهلاك الفردي والأسري.

ويتوقف نمط استهلاك الفرد على مدى وعيه بأهداف الدولة وسياستها الاقتصادية، كما يتوقف على نوعية المعلومات والعادات والاتجاهات المتأصلة لديه منذ الصغر، بالممارسة اليومية.

ولا شك أن التطبيع الاجتماعي للطفل له أثره في تحديد أنماط سلوكه الاستهلاكي، ولهذا كان الاهتمام بمراقبة الطفل وتوجيه سلوكه التوجيه السليم أمراً ضرورياً حتى يمكنه أن يشارك بنصيب من الجهد والعمل في تنظيم الاستهلاك.

الاستهلاك عند الأطفال

والتربية السليمة تتطلب إكساب الطفل حقائق وقيماً ومهارات واتجاهات معينة، منها الاتجاه نحو ترشيد الاستهلاك.

وحيث إن كثيراً من المعلومات والبيانات المتعلقة بترشيد الاستهلاك وتوجيه المستهلك وتكوين الاتجاهات السليمة لديه ليست فطرية وإنما هي مكتسبة. فلابد إذاً، من دراستها وممارستها وربطها بجوانب الحياة اليومية ومتطلباتها الأساسية.

إنَّ وجود القدوة السليمة وبخاصة في فترة الطفولة يساعد على سرعة التعلم وغرس العادات والقيم والاتجاهات الصحيحة نحو الاستهلاك والتركيز على المفاهيم الخاصة بترشيد الاستهلاك.

كما أن توفير الفرصة المناسبة للطفل منذ الصغر للمشاركة في عمليات الاختيار والشراء تنمّي لديه القدرة على حسن الاختيار، مع تعويده على الاقتصاد والتوفير وتقليل الفاقد في كل نواحي الحياة الاستهلاكية.

خصوصاً أن الطفل فردٌ في أسرة، مستهلك للغذاء والملابس واللعب والمصروف وممتلكات الأسرة من أجهزة وأدوات.

إنَّ تجربة الطفل الأولى مع النقود يمكن أن يكون لها أثر انفعالي، ومن الحكمة أن يدرّب الطفل في سنّ مبكرة من حياته وفي مستويات الدخل المختلفة على استعمال النقود، كما ينبغي أن يسمح للطفل أن يتصرف - في حدود - في نقوده ومن المهم، أن تكون المبالغ المعطاة للطفل مناسبة لسنه، وأن تعطى له بانتظام، فالطفل بطبيعته ميّال للجمع والادخار والتملك وحب النقود.

ويستحسن أن تتاح الفرص للطفل للتسوق لشراء الملابس والألعاب والغذاء، حتى يدرك أن السلع المختلفة لها أسعار مختلفة، وأن السلعة الواحدة قد تكون لها أسعار مختلفة.

ومن ثمَّ، يفضّل أن تنمي الأسرة لدى الأطفال عادات وسلوكيات سليمة في اختيار ملابسهم من حيث الجودة واللون والمقاس والثمن.

لقد قام علماء الاجتماع بتحليل عدد من العوامل مثل: الدّين، الموقع الجغرافي، البيئة الاجتماعية، العوامل النفسية والاقتصادية، وأشاروا إلى أن الطبقة الاجتماعية تلعب دوراً أكبر من جميع العوامل في تحديد نمط الإنفاق والتعامل بالنقود.

إنَّ نمط السلوك الاستهلاكي لدى الفرد يتأصل لديه منذ الصغر، حيث يتأثر الطفل بالكثير من العوامل النفسية والاجتماعية والاقتصادية من مثل: التقليد، والمحاكاة، والإعلانات التجارية والدخل النقدي ووسائل الإعلام المختلفة.

فلا يمكن إهمال تأثير التلفاز والإعلانات على أنماط استهلاك الأفراد، وكثيراً ما تؤثر الدعايات على أنماط الاستهلاك، وتزيد من الشراء العشوائي لدى كثير من الأفراد والهوس التسوّقي لدى النساء بخاصة.

إنَّ التعايش في هذا العالم يفرض على جميع الأفراد التعامل بالنقود. كما أن الصغير والكبير على السواء، ذكوراً وإناثاً، يؤدون دور المستهلك في لحظة ما، وكما تبيَّن - فيما سبق - يكتسب الأطفال أنماط استهلاكم من المجتمع، والأسرة والأتراب، ويتأثرون بعوامل ذاتية وبيئية كالتلفاز والإعلانات والمعارض، وما شابه ذلك.

وقد أشارت كثير من الدراسات والأبحاث إلى دور الإعلانات التلفازية في تفضيل لعبة أو منتج غذائي.

ويلاحظ أن تفضيل الطفل للإعلان ناتج عن جاذبية الإعلان نفسه، فإذا ما اعتاده الطفل يقل انتباهه له.

وأظهرت بعض الدراسات أن الإعلانات ذات تأثير ضئيل في معرفة الطفل لمعنى كلمة العلامة التجارية أو الماركة.

وأظهرت النتائج والدراسات أن التلفاز الوسيلة الأولى في الإعلان عن المأكولات الرخيصة والمحببة للطفل.

وفي ختام هذه المقالة أذكر بعض النصائح والتوجيهات من أجل توعية الطفل المستهلك وتربيته على السلوك الاستهلاكي السليم:

١ - تقديم القدوة الصالحة في مجال الأنماط الاستهلاكية الرشيدة.

٢ - ضرورة مشاركة الوالدين الطفل في عمليات الشراء.

٣ - تعويد الطفل على التوفير وتزويده بحصّالة نقود.

٤ - إعطاء الطفل مصروفاً محدداً ليتعود على التعامل مع النقود.

٥ - إسهام وسائل الإعلام والإعلان في توعية الأفراد بأهمية النقود والقيمة الشرائية والسلوك الاستهلاكي المتزن.

٦ - توجيه برامج إعلامية لتوعية الأطفال بأهمية وكيفية ترشيد استهلاكهم. ■

بقلم: د. إسماعيل حسن جاب الله

لحظات السعادة المفقودة

في هدوء الليل الساكن... دق جرس الباب...

كانت عقارب الساعة تقترب من الساعة الرابعة قبل الفجر، حيث اجتمعت الأسرة على مائدة السحور، فتحتُ الباب لأجد أمامي ذلك الرجل الطيب الذي كلفه الجيران برعاية تلك السيدة المسكينة - جارتنا - التي نُقلت قبل انطلاق مدفع الإفطار بدقائق إلى المستشفى، لقد كانت في لحظات وداعها الأخيرة للحياة،، رغم ذلك فقد عزَّ عليها أن ترحل عن الدنيا دون أن ترى ابنتها - قرَّة عينها - التي تزوجت وتركتها بين قسوة آلام ذلك المرض اللعين الذي أصابها فجأة بلا مقدمات، وقسوة مشاعر ابنها الأكبر، رغم ذلك... كانت قسوة آلام المرض أهون عليها من قسوة ابنها الأكبر، لقد كان فظاً غليظ القلب، لا... بل قد مات قلبه، فهو كالحجارة بل أشد قسوة، فإن من الحجارة لما يشقّقُ فيخرجُ منه الماء، ومنها ما يتفجر فيخرج منه الأنهار، أما ذلك الابن... فلا تدري ماذا يكون حقاً؟!

حين وجدتُ ذلك الرجل الطيب واقفاً أمامي على الباب انقبض صدري فجأة، وتوقَّعتُ سبب مجيئه في هذه الساعة المتأخرة من الليل، وبينما أنا هكذا إذا به يبادرني بالكلام قائلاً: لقد ماتت (...) فتعالو لنحضرها، حين سمع أفراد الأسرة حديثه هبُّوا واقفين وخرجنا جميعاً لنحضرها من المستشفى قبل طلوع النهار، وقبل أن يزحف الروتين المعتاد بتعقيداته فلا نستطيع إخراجها بسهولة، وبسرعة تم إحضارها إلى بيتها في سكون الليل الهادئ.

ويا للعجب! لقد مرضت تلك المسكينة في شهر رمضان واكتشفت إصابتها بذلك المرض اللعين في اليوم السادس والعشرين من شهر رمضان الكريم، وماتت بعد ثلاث سنين وفاضت الروح إلى بارئها ليلة السابع والعشرين من الشهر ذاته، قبل الفجر بلحظات، ويالها من ليلة مباركة في شهر كله بركات! وكانت السنوات الثلاث عمر قلب يقطعه المرض - رغم أنه قد عانى كثيراً من قبل - وختاماً لحياة لم تخلُ يوماً من الحزن والألم.

ورأيت أبي يبكي بطريقة آلمتني فأشفقت عليه قائلاً: لِمَ كل هذا البكاء يا أبي؟! فأجاب بصوت تخنقه الدموع: أبكي من أجل هذه المسكينة التي لم تر يوماً سارّاً في حياتها... ثم انقطع عن الكلام وتنهد بعمق ينمُّ عن حزن دفين يشوبه القلق، والأسى...

فقاطعتُ ذلك الصمت قائلاً: وكيف يا أبي؟! فقال: أنا أعرف أسرتها جيداً منذ زمن بعيد، لقد ماتت أمها وهي لا تزال طفلة صغيرة، فتزوج أبوها بأخرى وافقت على الزواج بشرط ألا تبقى هذه الطفلة بالبيت معهما، وكانت بلا إخوة ولا أخوات... وحيدة، فنُقلت إلى بيت خالتها، ترعاها إلى أن صارت زهرة يانعة، وتقدم لها أول خاطب يطلبها للزواج وكانت دون الخامسة عشرة، فقبلت به بلا تردد... لقد كانت تحلم ببيت يخصُّها وحدها، بيت هي سيدته، صاحبة الأمر والنهي فيه... ويا عجباً للأقدار! لم تكتشف تلك المسكينة حقيقة ذلك الرجل الذي قبلت به شريكاً لعمرها وحياتها، وما عليه من أخلاق سيئة وطباع وحشية حتى انقلبت حياتها إلى جحيم منذ البدايات الأولى لزواجها...! حينئذ قاطعتُ حديث أبي متعجباً: إلى جحيم! يا إلهي... وكيف ذلك؟! فقال: كان زوجها سامحه الله يثور ويغضب لصغائر الأمور، وكان يحوِّل تلك اللحظة التي يسمح فيها للغضب أن يسيطر عليه إلى ويل وعذاب، بل إلى هلاك... يقضي على كل شيء، لقد كان كثيراً ما يهينها بالضرب المبرح، بالألفاظ الجارحة، بتحطيم أثاث المنزل وكل ما تقع عليه عيناه، وهكذا حتى ينطلق الجيران مسرعين كي يحولوا بينه وبين تلك الزوجة التي ضنَّت عليها الدنيا بالقليل من لحظات السعادة التي قد يتمتع بها بعض الناس لبعض الوقت، وتحمَّلت من أجل ولدها وابنتها، واكتفت من الدنيا بأن تكون أماً حنوناً ترعى أولادها وتعوِّضهم جفاء الأب وقسوته، وشب الابن الأكبر غاية في الهدوء والوقار وكان العزاء الوحيد لأمه المسكينة، إلا أن أملها الوحيد في ولدها هذا قد تلاشى تماماً أمام طغيان الأب وجبروته، لقد كان كثيراً ما يتعمد إيذاء ابنه الوحيد - وامتداده الطبيعي في الحياة من بعده - بالضرب المؤلم والإهانة أمام أصدقائه تارة... وأمام الجيران تارة أخرى، لم يكن ذلك يحدث مرة أو مرتين وكفى، بل قد ظل هذا المشهد المؤسف حقاً يتكرر دوماً على مدار ما يقرب من خمس سنوات، وإذا زاد الشيء عن حده الطبيعي... انقلب فجأة إلى ضده، وإذا بالابن تنقلب طباعه رأساً على عقب، ظل مضطهداً من قِبَل أبيه ولا يُعرف لذلك سبباً وحار الجميع لذلك الأمر - حتى صار مع الأيام صورة مكررة ونسخة مطابقة لأبيه، ثم جاء اليوم الذي تصدى الابن فيه لأبيه، وكان رد الفعل الطبيعي أمام أفعال الأب المخزية تجاه ولده، فمذا كان يرجو ذلك الأب؟! هل يزرع الشوك ثم يأمل أن يكون الحصاد ورداً... رقيقاً... ناعماً؟! كلا... لقد كان الحصاد مراً ومؤلماً، لقد وقف الابن لأبيه وقفة الند للند، يرد له

الصاع صاعين من الإهانات والكلمات التي يندى لها الجبين خجلاً وحياء، فما كان من الأب إلا أن طرد ولده - في نهاية الأمر - إلى الشارع، ومنعه من الحصول على أي نقود، ومرت السنون وسبحانه الذي يغيِّر ولا يتغير أبداً، لقد مات الأب، فتوسم الجيران أن يكون الابن الأكبر هذا هو المسؤول عن أمه المسكينة وأخته الوحيدة وأن يكون على قدر المسؤولية، ولكن خاب ظن الجميع ويا للأسف لقد أصبح هذا الابن - حقاً - بديلاً عن أبيه، لا في حمل المسؤولية الملقاة على عاتقه.... ولكن في سلوكياته.

لقد كانت كل تصرفاته وأحواله تجاه تلك السيدة البائسة «أمة» مخزية لدرجة لا تخطر على قلب بشر، لقد كان يضربها بعنف، ويضرب أخته الوحيدة، يقذفهما بأي شيء يقع أمام ناظريه، قضى على كل ما تبقى من حطام البيت الذي تركه أبوه الراحل شبه محطم، لم يتوقف عند هذا الحد، بل كان يكيل لأمه الكثير من الاتهامات الباطلة القاتلة، ما رأيت في حياتي أبداً ولا أظن أنني سأرى ابناً يتهم أمه في أغلى شيء في الوجود ألا وهو الشرف، وكانت تبكي، وعهدتها منذ صغري تبكي وتفوِّض أمرها إلى من بيده الأمر كله، وكان حلمها الوحيد - بعد ما رأت الويل و العذاب من ابنها هذا - هو أن تُزوِّج ابنتها وتطمئن عليها، قبل أن ترحل عن الدنيا، فهي لم تطمئن عليها أبداً مع ذلك الوحش الذي يعيش في صورة إنسان، وتزوجت ابنتها برجل فاضل اصطحبها معه إلى إحدى الدول العربية التي يعمل بها، واستراح قلب الأم المسكينة، استراح قلبها الذي لم يعرف للراحة طعماً قط، ورضيت بما تحمله الأقدار لها بعد ذلك، فها هي قد اطمأنت على ابنتها بعد زواجها، وكانت المفاجأة التي أذهلت الجميع قبلها، لقد مرضت بذلك المرض الخطير، فأدركنا أن النهاية قد اقترب موعدها، ووقف الجيران معها وقفة الأهل... لقد كانت تشعر وهي بينهم بأنها ليست وحيدة أبداً، وأن الله رزقها وعوضها بالعديد من الآباء والأمهات والإخوة والأخوات، وكان تعويض السماء لها قد بدأ يلوح في الأفق بعد طول غياب، إلا أن ذلك الابن العاق... المتجرد من كل معاني الإنسانية كان يجاهر بالشماتة لمرض أمه بين الناس، وكان دائم القول: إنها تستحق ما يحدث لها وسيحدث لها أكثر من ذلك... يا إلهي! لم أر طيلة حياتي شيئاً كهذا! حتى اللحظة التي بدأت فيها تلك المسكينة الانسحاب بهدوء من الدنيا - على الرغم من أن حياتها كانت خالية تماماً من أي لحظة هدوء - حتى تلك اللحظة كان هذا الابن يجلس بجوارها، لا يُقبِّل يديها ويطلب منها الغفران والسماح قبل الرحيل، ولكن... ليعيد نظرات الشماتة إليها قائلاً: أنت تستحقين ما يحدث لك، وستموتين إن عاجلاً أو آجلاً... وتنتهي حياتك تماماً، وأستريح منك ومن متاعبك.

يا للعجب! من الذي سيستريح ممن؟! أهو ذلك الولد العاق الذي أذاقها صنوفاً من العذاب، أم تلك الأم التي عانت وتحملت وقدمت الكثير من التضحيات دون انتظار أي مقابل... كعادة الأم دائماً، شمعة تحترق لتنير لمن حولها وتشعرهم بالدفء والأمان، ألهذا الحد كانت عبئاً ثقيلاً على نفسه وهو الذي لم يرحمها ولم يشفق عليها يوماً ما... ياللقسوة! قسوة كافية لأن تقضي على من هي في كامل صحتها وعافيتها، فكيف بمن بين يدي الموت؟!

وانصرف الابن العاق من الحجرة التي كانت ترقد فيها أمه، وكانت إحدى جاراتها تجلس بجوارها، وهي تبكي وتتألم من قسوة الابن على أمه حتى في تلك اللحظات القاسية، فالتفتت تلك المسكينة التي تودِّع الدنيا ونظرت إلى جارتها الباكية قائلة: لا تبكي يا أختاه... لا تبكي، فانهمرت الدموع من عينيَّ تلك الجارة الطيبة ثم خرجت من الحجرة لكي تذهب خلف هذا الابن وتعيده لكي يطلب من أمه العفو والسماح فأبى بإصرار أن يفعل ذلك، عادت الجارة وبصحبتها زوجها وابنها وابنتها، تلك الأسرة الطيبة التي كانت ترعى هذه الأم المسكينة حتى النهاية، ودخلوا على الأم التي أوشكت أن ترحل فوجدوها تبكي وتتمتم قائلة: سامحك الله يا ولدي... سامحك الله، ثم نظرت إليهم في صمت وتبسَّمت والدموع في عينيها كأنما تحاول أن تكلمهم قائلة: لا تبكوا، وأشفقت عليهم وهي تموت فاستجمعت روحها ليبقى وجهها حياً من أجلهم بضع دقائق، وقالت: سأغادركم مبتسمة... فعيشوا مبتسمين، ثم ذكرت الله وذكَّرتهم به وقالت: أشهد ألا إله إلا الله... وكررتها مراراً وامتلأت روحها بالكلمة التي فيها نور السموات والأرض، ونطقت من أعماق قلبها بالاسم الأعظم الذي يجعل النفس منيرة تتلألأ حتى وهي في قمة أحزانها، ثم استقبلت خالق الرحمة في كل الأشياء - لا أدري كيف نضب معين الرحمة لدى ولدها العاق هذا - وفي مثل إشارة وداع من مسافر انطلق به القطار ألقت إلى من حولها تحية من ابتسامتها وأسلمت الروح!!

يا لعجائب القدر! مشينا في جنازة تلك المسكينة التي رحلت عن الدنيا في هدوء، رغم أنها ما عاشت فيها لحظة هدوء واحدة، وحملناها إلى المكان الوحيد الذي يمكن أن تجد فيه تعويضاً عن كل ما لاقت من أهوال وعذاب، بل يمكن أن تجد فيه لحظات الهدوء ولحظات السعادة التي افتقدتها في حياتها الدنيا، وغاب ابنها عن الجنازة، فلم يكن ذلك مستغرباً، واخترقنا المدينة كلها فلما انقطع العمران وأشرفنا على المقبرة، فإذا بلوح من الرخام مكتوب عليه: (يأيتها النفس المطمئنة. ارجعي إلى ربِّك راضية مرضية. فادخلي في عبادي وادخلي جنَّتي). ■

إعداد: محمد عباس عرابي



كثير من الأطفال يشبون منطوين على أنفسهم خجولين، يعتمدون اعتماداً كاملاً على والديهم ويلتصقون بهم، لا يعرفون كيف يواجهون الحياة منفردين، وتظهر هذه العيوب واضحة حتى يبلغ الطفل سن دخوله المدرسة، في السن التي يجب أن يتصرف فيها مستقلاً، وأن يواجه الحياة خارج البيت، والأشياء التي لم يتعودها، والمفروض عندما يصل إلى هذه السن أن يكون قد تهيأ لأن يكون مستقلاً ومستعداً لمواجهة المواقف المختلفة، دون تهيب أو تردد أو خوف، أو قلق. ولكن يحدث أن تجد الأم نفسها أمام طفل خجول، خائف متردد منطوٍ ملتصق بها، يمسك بطرف ثوبها ويعجز تماماً أن يقف موقفاً إيجابياً في حياته الجديدة.

الخجل وأسبابه:

الطفل الخجول في الواقع طفل مسكين وبائس يعاني من عدم القدرة على الأخذ والعطاء مع أقرانه في المدرسة وفي المجتمع، وبذلك يشعر بالمقارنة مع غيره من الأطفال بالضعف، ولعل أخطر الأعراض التي تزعج اختصاصي الأمراض النفسية سواء بالنسبة للأطفال أو الشبان أو الكبار هي أعراض الانزواء وأحلام اليقظة، وذلك لأن المنزوي الذي يعاني من أحلام اليقظة

الطفل الخجول... كيف نشجعه ونرعاه؟

يعيش منطوياً على نفسه يجتر وساوسه وهواجسه، وبذلك تجده حساساً، قلقاً، يعاني من عدم الثقة في النفس، ومن آلام الوحدة وتوقع الخطر، ومن الخوف من نقد غيره له.

ومما يقلل بعض الشيء من خطورة الخجل عند الأطفال أننا نجد أن أغلب الأطفال الخجولين غير المرضى إنما يظهر خجلهم وعدم قدرتهم على الأخذ والعطاء مع الأفراد الجدد الذين يقابلونهم في المجتمع، أو مع أقرانهم في المدرسة، ولكن تجدهم على درجة كبيرة من النشاط والقدرة على الأخذ والعطاء مع إخوتهم أو أقاربهم في المنزل أو الوسط العائلي، فهؤلاء في الواقع يعانون من الخجل وليس من «الانزواء المرضي»، ويمكن مساعدتهم مساعدة فعّالة للتغلب على هذا الخجل.

ولعل أهم أضرار الخجل، أن الطفل الخجول لا يندمج في الحياة مع غيره بسرعة، مما يتعذر عليه التعلم من تجاربها، وذلك لأنه يمتنع عن الاشتراك مع أقرانه في مشاريعهم ونشاطهم، بل يتسم بالجمود والخمول في وسطه المدرسي، ويتجنب الاتصال بغيره من الأقران، كما لا يرتبط بصداقات مستديمة، بل ينفر من كل من يوجّه إليه أي نقد، ولذلك يكون محدود الخبرات لدرجة قد يصبح معها عالة على نفسه وعالة على مجتمعه لبعده عن أقرانه وانطوائه على نفسه.

ومن أهم الأسباب التي تؤدي بالطفل إلى الانطواء والخجل والاعتماد على الآخرين وعدم القدرة على الإجابة على الأسئلة أو الاستعانة بالمدرسة على فهم الأشياء الغامضة ما يلي:

١ ـ قسوة الأب: فالأب الذي يسلك سلوكاً تسلطياً عدوانياً في البيت مع الزوجة والأولاد يسبب مخاوف غامضة لدى الطفل، مما يشعره بأن من واجبه أن يكون مستعداً للدفاع عن نفسه ضد العنف والعدوان والخشونة، لأن العراك المستمر بين الأب والأم يشعر الطفل بعدم الأمان، ويخيفه من العناصر العدوانية التي تكمن داخل طبيعته.

٢ ـ مخاوف الأم: حيث يتأثر الطفل بمخاوف الأم وقلقها الزائد عليه فتجعله يخشى أن يخوض التجارب الجديدة، فالأم تحب طفلها وهو أثمن ما لديها ولذلك تشعر بأن عليها أن تحميه وأن تحول دون انطلاقه، ومن الطبيعي أن تفعل كل أم ذلك، ولكن الحماية الزائدة تجعلها تشعر بأن طفلها سيتعرض للأذى في كل لحظة، ومن دون قصد تملأ نفس الطفل بأن هناك مئات من الأشياء غير المرئية التي يمتلئ بها العالم والتي تشكل خطراً عليه. إن مثل هذا الطفل يشعر بأن المكان الوحيد الذي يشعر فيه بالاطمئنان هو إلى جوار أمه، ومثل هذا الطفل يشعر بالخوف أيضاً ولا يستطيع أن يعبر الطريق بمفرده أو يستمتع بالجري أو اللعب أو السباحة في البحر، إنه يتوقع في كل لحظة أن يصاب بأذى... فيظل منطوياً بعيداً عن محاولة فعل شيء من ذلك أو ما يشبهه خوفاً من إصابته بالأذى.

٣ ـ عدم الاختلاط بالأطفال الآخرين: فأحياناً يصل خوف الأم على طفلها إلى درجة تؤدي إلى منعه من الاختلاط واللعب مع الأطفال الآخرين، خوفاً عليه من تعلّم بعض السلوك غير المرضي، أو تعلم بعض الألفاظ غير اللائقة، فيصبح طفلاً منطوياً يفضل العزلة، ويخشى الاندماج في أي لعبة مع الأطفال الآخرين، وينمو السلوك في داخله إلى أن تظهر مساوئ هذا الاتجاه حين يصبح في مرحلة يشعر فيها برغبته في الاختلاط وعدم قدرته على تنفيذ ذلك، فيصاب نتيجة لذلك بالقلق النفسي والاكتئاب وعدم الرضا عن نفسه وعن الآخرين، وهكذا يبدأ الشعور بالملل والسأم من الحياة، وأحياناً عدم الرغبة فيها كل ذلك يرجع إلى الانطواء الذي غرست جذوره في الطفولة والذي يؤدي إلى عدم الثقة بالنفس، والأنانية، وعدم القدرة على الاعتماد على النفس ومواجهة النفس.

٤ ـ التهديد المستمر للطفل: وذلك عن طريق سماعه التهديد الموجه إليه بإسراف كلما أتى أمراً لا يرضى عنه الوالدان يظنون أن التهديد يؤدي إلى النتيجة المرجوة عن طريق ما تثيره هذه الطريقة في نفس الطفل مثال «ذلك إذا فعلت كذا فلن أحبك أو أسلمك للشرطة» وما إلى ذلك من العبارات.

وبدهي أن الكبار لا يقصدون في واقع الأمر شيئاً من هذا الذي يرددونه على مسامع الطفل، ولكن الطفل لا يعرف أنهم لا يقصدون ما يقولون، ومن ثم يستجيب لهم على هذا الأساس، فتكون النتيجة أن تمتلئ نفس الطفل بالخوف والانزعاج والقلق وبالتالي يلجأ إلى الانطواء لإحساسه بعدم الأمان.

٥ ـ مركب النقص وخجل الطفل: يعاني بعض الأطفال من مشاعر النقص نتيجة نواقص جسمية أو عاهات بارزة وهذه تساعد على أن ينشأوا خجولين وميالين للعزلة، ومن هذه النواقص والعاهات البارزة ضعف البصر، وصعوبة السمع، أو التأتأة واللجلجة في الكلام، أو الشلل الجزئي، أو السمنة المفرطة، أو قصر القامة المفرط أو ظهور البثور في الوجه، وما إلى ذلك من الظواهر الشاذة، وأحياناً يعاني الطفل من مشاعر النقص من نقص غير واقعي يتصوره في أحد أعضاء جسمه ولا يراه غيره ولا يجدي في إقناعه أي دليل أو مناقشة، كما قد يعاني بعض الأطفال من الخجل نتيجة مشاعر النقص الناتجة عن أسباب مادية كأن تكون مثلاً ملابسه رثة لفقره، أو لهزال جسمه الناتج عن سوء التغذية، أو لقلة ما بيده من مصروف يومي، أو لنقص في أدواته المدرسية وكتبه.

والشعور بالنقص شعور يعتري الفرد عندما يجد نفسه عاجزاً عن أن يحل ما يعرض له من مشكلات ويصاحبه من انفعالات الخوف والقلق والتردد وعدم القدرة على اتخاذ القرار أو التصرف في الموقف فيبدو الفرد لعدم الكفاية ضعيف الثقة بالنفس «خجولاً».

كيف نقي الطفل شعور الخجل؟

يمكننا أن نقي أطفالنا من مشاعر الخجل والانطواء على الذات والحساسية المفرطة، إذا عنينا بتوجيه الآباء والبالغين المحيطين بالأطفال سواء في الأسر أو المدارس وذلك بالحرص على تشجيع كل طفل على الثقة في نفسه، وعلى التعرف على النواحي التي يمتاز فيها عن غيره حتى تشغله هذه النواحي عن التفكير في نواح قد يكون فيها ضعيفاً، فكل طفل وكل إنسان مهما كانت استعداداته محدودة يملك ناحية أو أكثر يمكن إبرازها والفخر بها، كما يجب على الآباء والأمهات والمدرسات والمدرسين عدم مقارنة الأطفال بمن هم أكثر حظاً منهم سواء في الاستعداد الذهني أو الجسمي أو من حيث الوسامة أو القدرات والاستعدادات الاجتماعية لأن مثل هذه المقارنات تضعف ثقة الطفل بنفسه وتؤدي به إلى الخجل.

بل يتحتم على الآباء والمربين أن يوفروا لأبنائهم قدراً معقولاً من العطف والرعاية والمحبة وذلك بعدم نقدهم أو تعريضهم للمهانة أو الهوان خصوصاً أمام أقرانهم أو غيرهم، ذلك لأن النقد الشديد والإفراط في التوجيه يشعر الطفل بأنه غير مرغوب فيه ويقعده عن القيام بكثير من الأعمال التي لو قام بها لضاعفت من قدرته وأكسبته ثقة في نفسه وشعوراً بالتقدير لذاته، وحمته من الوقوع فريسة لمشاعر الخجل.

ولا يقل دور المعلمين أهمية عن دور الآباء، فيجب أن يقوم المعلم ببث الثقة في نفوس التلاميذ ومعاملتهم بالمساواة دون تحيز، مع مساعدة المتخلف منهم وتشجيعه والنزول إلى مستواه لتحقيق التحصيل المطلوب.

كيف نعالج الطفل الخجول؟

لكي نعالج طفلاً خجولاً يجب أن ندرك أولا إحساس الطفل ونتبين مدى حساسيته المفرطة، وأنه في أمسّ الحاجة لأن نعيد إليه ثقته بنفسه وذلك عن طريق تصحيح فكرته عن نفسه، وعلى قبول بعض النقائض التي قد يعاني منها على أساس الواقع، وعلى أساس أن كلامنا له يزيل نقاط ضعفه، كما يجب أن ندرك أن الطفل الخجول في حاجة ماسة إلى تنمية شخصيته، وتكوين قدراته للأخذ والعطاء مع غيره، ولكي نحقق ذلك يجب أن نتبع الخطوات التالية:

- ينبغي توفير الجو الهادئ للأطفال في البيت وألا نعرضهم للمواقف التي تؤثر في نفوسهم وتشعرهم بالقلق والخوف وعدم الاطمئنان، ويتحقق ذلك بتجنب القسوة في معاملتهم والمشاحنات التي كثيراً ما تقوم بين الوالدين، لأن ذلك يجعلهم قلقين يخشون الاختلاط بالآخرين، ويفضلون الانطواء وعدم مواجهة الحياة بثقة واطمئنان.

- ينبغي على الأم إخفاء قلقها الزائد ولهفتها على طفلها، وأن تتيح له الفرصة ليعتمد على نفسه وأن يواجه بعض المواقف التي تؤذيه بهدوء وثقة، فكل إنسان لديه غريزة طبيعية يولد بها تدفعه إلى المحافظة على نفسه وتجنب المخاطر، فالطفل يستطيع أن يحافظ على نفسه أمام الخطر بغريزته الطبيعية التي تجعله يتمسك بالحياة.

- على الأم أن تتيح للطفل حياة اجتماعية مناسبة له حيث يلتقي بأبناء جيله، ويكتسب من صداقتهم له الشعور بوجوده وإنسانيته، إن ذلك يساعده على الإحساس بالسعادة والثقة والانطلاق ويقيه من الانطواء والانزواء والخوف واليأس.

- عدم دفع الطفل للقيام بأعمال تفوق قدراته، إذ إنه ليس معنى تشجيع الطفل ومحاولة بث ثقته في نفسه أن ندفعه إلى القيام بأعمال تفوق طاقته الجسمية أو قدراته العقلية أو اللفظية، بل يجب أن نتحسس الأعمال التي تشعره بأنه في مقدوره القيام بها، وندفعه إليه لنكسبه شعوراً بالأهمية والتقدير في نظر نفسه والآخرين، ومن ثم ننمي فيه شعور الانتساب إلى البيئة الاجتماعية التي يعيش فيها بدلاً من الانزواء والخجل والبعد عنها... إن تكليف الطفل أو دفعه للقيام بأعمال تفوق قدراته يشعره بالعجز ويجعله يستكين وينزوي ويزداد خجلاً.

- يجب تدريب الطفل الخجول على الأخذ والعطاء وتكوين الصداقات مع أقرانه من الأطفال، وذلك بتشجيعه بكل الطرق على الاختلاط والاحتفاظ بالصداقات، ويمكننا أن ننجح في ذلك إذا عنينا بالمظهر الخارجي للطفل من حيث ملابسه وأسلوبه في الأخذ والعطاء، وساعدناه بإتاحة الفرص له للاختلاط مع أقرانه.

- التربية الاستقلالية وعدم تدليل الطفل خير وسيلة للوقاية والعلاج من الخجل، فكلما كان الطفل مدللاً معتمداً على أبويه كلما كان نضجه الانفعالي غير كامل، وكلما كان بعيداً عن الاعتماد في الأمور الصغيرة الخاصة به على غيره، فإنه ينشأ غير خجول، وتكون شخصيته متميزة.

وفي ضوء هذه الأساليب لعلاج الخجل، يمكن تخفيف حدة الخجل شيئاً فشيئاً عند الطفل الخجول، ويمكن اكتشاف مزاياه ونقط القوة في قدراته، وتنمية شخصيته في جو من الدفء العاطفي والأمن والطمأنينة. ■

المراجع:

١ ـ عبدالرقيب بحيري وآخرون، مشكلات الأطفال اليومية، جامعة أسيوط ـ كلية التربية، ١٩٩٨م.

٢ ـ ملاك جرجس، المشكلات النفسية للطفل وطرق علاجها، القاهرة، دار الحرية، ١٩٨٧م.

ترجمات

إعداد : عبدالمنعم أحمد

العالم بحاجة إلى دبلوماسية إنسانية جديدة تجعله أكثر أمناً

نشرت الهيرالدتريبيون مقالاً بقلم اثنين من وزراء خارجية الدول الغربية هما «لويد أكسوير ذي» و «نوت فوليبيك» وزيرا خارجيتي كندا والنرويج، تطرقا فيه إلى حاجة العالم في ظل الأزمات الراهنة، إلى دبلوماسية إنسانية تجعله أكثر أمناً واستقراراً يذكر المقال: إن أحد التحديات الأساسية التي نواجهها هو تحقيق عالم إنساني، وينبغي لهذا أن يكون أكثر من رؤية، إنه ضرورة أخلاقية، والحقائق في العالم المحيط بنا تتحدث عن نفسها.

نحن بحاجة إلى معالجات وأدوات جديدة، ونحن في حاجة إلى شكل جديد للدبلوماسية ينبغي أن يكون قائماً على جهود جماعية لممثلين مختلفين داخل الحكم وخارجه، وسيعتمد على قدرتنا في زيادة وعي الناس بالحاجات الأمنية الإنسانية الأساسية، وسيتطلب إجماعاً جديداً وعريضاً من أجل التصدي مباشرة للحاجات والحقوق الإنسانية التي تمسّ الحياة اليومية لملايين الناس، هذه الدبلوماسية تتجاوز العلاقات بين الدول لكي تضم أفراداً ومنظمات من مختلف قطاعات المجتمع المدني، ونحن نشهد بداية هذا الاندفاع نحو عالم إنساني من خلال النضال الناجح لحظر الألغام المضادة للأفراد وللحد من انتشار الأسلحة الصغيرة والخفيفة، وفي كلتا الحالتين يقوم المجتمع المدني بدور حاسم إضافة إلى الجهود التي تبذلها حكومات ذات اتجاه مماثل. وكان ميثاق «أوتاوا» لحظر إنتاج وتمويل واستخدام الألغام المضادة للأفراد قد فتح آفاقاً جديدة، وكانت الدبلوماسية الجديدة هي التي ألهمته وحققته، وبعد أن أصبحت بوركينا فاسو البلد الأربعين الذي يصادق على الميثاق، تكون عملية «أوتاوا» قد أعطت خلال أقل من عامين أداة قانونية دولية ملزمة ستدخل حيز التطبيق في أوائل العام المقبل، وفي هذا الخصوص يعتبر إنشاء محكمة جنايات دولية لمحاكمة الجرائم البشرية وجريمة الإبادة الجماعية وجرائم الحرب حدثاً مهماً آخر.

ففي عالم اليوم اتجاهات مثيرة للقلق ومدمرة في حد ذاتها ومصدر تهديد للنظام الدولي الذي أقيم خلال العقود القليلة الماضية، وأحد الأمثلة على ذلك الكارثة المالية التي اجتاحت آسيا وأظهرت أنه في حين أن الاندماج الاقتصادي العالمي يأتي بفوائد كثيرة، إلا أنه يولد أيضاً أنواعاً جديدة من المخاطر، والمثال الآخر هو التجارب النووية في جنوب آسيا، حيث تهدد بتقويض جهود جيل كامل لمنع انتشار الأسلحة النووية. وتطرح مثل هذه التطورات تحديات خطرة للمنظمات الدولية القائمة وللمعاهدات التي تنظم سلوك الدول، وما لم يتمتع النظام الدولي القائم على القانون بالاحترام في السنوات المقبلة، فإن المجتمع الدولي سيواجه تفككاً واضطراباً دوليين لم يشهدهما منذ الثلاثينيات.

وعلينا أن نبذل قصارى جهودنا لضمان الاحترام الكامل لجميع حقوق الإنسان والحريات الأساسية فضلاً عن توافر منظمات دولية هدفها ضمان احترام حقوق الإنسان في كل الظروف وكل البلدان.

إن تطوير أسلحة التدمير الشامل يشكل خطراً حقيقياً وراهناً علينا جميعاً، ولكن معظم ضحايا النزاع خلال ما يقارب عقد مضى من الزمان كانوا نتيجة حروب تقليدية، واتصفت النزاعات حديثة العهد أينما وقعت بعدد من السمات المشتركة، فقد كانت مدفوعة بخلافات عرقية أو ثقافية أو دينية، وكانت تدور معظمها بين متحاربين داخل الدول وليس بينها، وأصبح المدنيون هدفاً متعمداً، ولم تفعل المعاهدات الدولية التي تنظم التعامل بين الدول سوى القليل لحماية المدنيين. ومن الواضح أننا في حاجة إلى زيادة الجهود الرامية إلى تعزيز القانون الإنساني الدولي من أجل تحسين أمن الأفراد، وهذا هو الوقت المناسب لطرح جدول أعمال إنساني مشترك، فالصراع الدائر في جنوب آسيا وأفريقيا والبلقان والشرق الأوسط وأماكن أخرى يجعل إحراز تقدم في هذا المضمار أمراً ضرورياً للغاية، وهناك حاجة ملحة لبذل مساع جديدة لتعزيز الاحترام العالمي لحقوق الإنسان ومراعاتها وللقانون الإنساني، وفي هذا الصدد يصبح من الضرورة بمكان التطبيق الكامل والفعال للمعاهدات الدولية القائمة. وهناك في عالم اليوم أمور كثيرة لا يمكن لدولة أن تحققها بمفردها، فنحن بحاجة أكثر من أي وقت مضى إلى استخدام مؤسسات التعددية التي في متناولنا، ولكننا في حاجة أيضاً إلى العمل مع البلدان ذات التوجه المماثل داخل وخارج هذه المؤسسات من أجل تجميع مواردنا وتوسيع نطاق تأثيرنا، وهذا مطلب منحته كل من النرويج وكندا أولية منذ بعض الوقت، ولكن لا ينبغي لهذه المشكلة أن تنحصر في الدول، بل علينا أن نتعاون مع المنظمات غير الحكومية والقطاع الخاص، وممثلين آخرين من خارج الدول. لقد أظهرت مبادرة حظر الألغام المضادة للأفراد أنه يمكن لمجموعة مناسبة من الشركاء أن يكونوا ناجحين للغاية، وانطلاقاً من تعاوننا في مضمار حظر الألغام المضادة للأفراد، وقعنا نحن وزيري خارجيتي كندا والنرويج، أخيراً «إعلان ليسون» الذي يحمل اسم الجزيرة النرويجية، التي جرت فيها المفاوضات بشأنه، ويضع الإعلان جدول أعمال مشتركاً للعام المقبل، مع اقتراحات محددة لمتابعة العمل بشأن الألغام المضادة للأفراد وتجنيد الأطفال وضحايا النزاعات من النساء والأطفال، وانتشار الأسلحة الصغيرة والخفيفة وحقوق الإنسان وعمل الأطفال ودخول محكمة الجنايات الدولية حيز التطبيق ودفع التعاون بشأن القطب الجنوبي والقضايا الشمالية. وهدفنا هو أن نعمل مع البلدان ذات التوجه المماثل، ومع شركات من المجتمع المدني للدعوة إلى احترام حقوق الإنسان والقانون الإنساني، وهذه هي الدبلوماسية الجديدة التي نرغب بتطبيقها، في عالم إنساني هو عالم آمن. ■



نافذة على العالم

البرلمان الإسلامي في بريطانيا يطالب بإلغاء الزواج القسري بين أبناء الجالية الآسيوية

أصدر الدكتور غياث الدين صديقي رئيس البرلمان الإسلامي في بريطانيا بياناً علّق فيه على الحكم الذي أصدرته محكمة الجنايات بمدينة نوتنغهام في إنكلترا بالسجن المؤبد على أم وابنها عقب إدانتهما بقتل ابنتهما غير المتزوجة بسبب حملها نتيجة علاقة غير مشروعة.

وشدد صديقي في بيانه على ضرورة وقف تقليد الزواج القسري وسط أفراد الجالية الآسيوية المسلمة، مؤكداً أن الإكراه «على الزواج في الإسلام باطل وغير شرعي» لذا «ينبغي ألا يستغل المسلمون الدين كوسيلة لممارسة هذا التقليد المدمر» حسبما ذكر البيان. وأكد صديقي ضرورة التفاهم بين الطرفين كشرط لنجاح الزواج.

وذكر في بيانه كذلك أن الآباء والأمهات وسط أفراد الجالية الآسيوية يستخدمون تفسيرات خاطئة لـ«شرف العائلة» دونما أي اعتبار لمسائل التوافق والرضا بين طرفي الزواج، الشيء الذي يؤدي في معظم الأحيان إلى حياة زوجية بائسة.

ويعتقد صديقي أنه في ظل تجاهل المنظمات المرتبطة بالجالية الآسيوية لهذه الممارسات تصعب عملية إيجاد حل لها، لذا فهو يرى أن الوقت حان لأن تتخذ الجالية الإسلامية موقفاً جاداً تجاه هذه المشكلة بتنظيم حملة توعية، ويرى صديقي كذلك أن الأوضاع الراهنة ستقود إلى عدم استقرار العلاقات على المدى الطويل، مشيراً إلى ضرورة توفير الدعم المتخصص في مجالات الإرشاد والنصح للشباب الآسيوي والأسر على السواء.

وقال صديقي: إن هناك نحو ألفي فتاة من أبناء الجالية الآسيوية اختفين من منازلهن، خوفاً من تزويجهن قسراً من أقارب لهن في شبه القارة الهندية.

وأكد أن موافقة الطرفين في الإسلام ركن أساسي للزواج.

وقال الشيخ محمد عويس إمام المركز الإسلامي في ريجنت بارك في وسط لندن، إن حديث الرسول الكريم ﷺ واضح وصريح في أن البكر تستأذن. وهناك حادث آخر مفاده أن امرأة جاءت إلى رسول الله ﷺ وقالت يا رسول الله: إن أبي سيزوجني بابن عم له ليرفع بي خسيسته وإني له كارهة، فقال لها «أمرك بيدك» بمعنى أن لها الحق في رفض الزواج ممن تكره أو ممن لا تحب.

وأضاف: أن الزواج هو العشرة الدائمة التي يحرص الإسلام أن يسودها الحب والرحمة فلا يعقل أبداً، أن يرغم أحد الطرفين على الاقتران بالآخر، خصوصاً إذا كان هذا الطرف هو الطرف الضعيف، وهي المرأة، لذلك نناشد باسم الإسلام ووفق تعاليم رسول الله ﷺ أن يبتعد الناس عن عادات وتقاليد ورثوها ولم يأمر بها الإسلام وأنها على العكس من ذلك أمر بالتراضي وأهم شرط كما نعلم وضعه علماء الإسلام لصحة عقد الزواج هو الإيجاب والقبول.

المؤتمر الإسلامي يؤكد مساندته لحق الكشميريين في تقرير المصير

دعا الأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامي عزالدين العراقي كلاً من الهند وباكستان إلى ضبط النفس، كما دعا الهند إلى متابعة مبادرة السلام التي تبلورت في إعلان لاهور الذي وقعه رئيسا وزراء البلدين، وقال إن المؤتمر الإسلامي يساند الشعب الكشميري من أجل تقرير مصيره طبقاً لقرارات الأمم المتحدة والإعلانات الصادرة عن مؤتمر القمة والمؤتمرات الوزارية للمنظمة الإسلامية.

واعتبر العراقي أن الأمم المتحدة مدعوة للقيام بدور أكبر في كشمير لوضع حد لتصعيد الصراع في المنطقة وفقاً لمبادئ ميثاق المنظمة الدولية.

تمويلات جديدة للبنك الإسلامي

اعتمد مجلس المديرين التنفيذيين للبنك الإسلامي للتنمية في اجتماعات دورته الـ ١٨٥ التي عقدت في مقره في جدة أخيراً تمويلات جديدة بنحو ٢٧٠ مليون دولار لصالح عدد من الدول الأعضاء والمجتمعات الإسلامية غير الأعضاء.

وأعلن الدكتور أحمد محمد علي رئيس البنك الذي ترأس اجتماعات الدورة الحالية أن المجلس اعتمد أكثر من ٢٠٩ ملايين دولار لتمويل ١٤ مشروعاً تنموياً لصالح ١٤ دولة عضواً وأكثر من ٩٧٠ ألف دولار في شكل منح لصالح خمس مجتمعات إسلامية في أربع دول غير أعضاء للمساهمة في تمويل مشروعاتها التعليمية والصحية والثقافية والاجتماعية.

الأمم المتحدة تحذر الدول الغنية من تجاهل الفقراء

حذر الأمين العام للأمم المتحدة كوفي أنان الدول الصناعية الرئيسة من أن تحرير الاقتصاد العالمي ينطوي على مخاطر بتهميش ثلاثة مليارات فقير ما لم يتم تحفيز النمو الاقتصادي.

كما دعا أنان في رسالة بعث بها إلى المستشار الألماني جيرهارد شرودر الذي استضاف قمة الدول الصناعية الثماني في كولونيا إلى تقديم إعفاءات ديون لأفقر دول العالم دون مزيد من الخفض في المساعدات الحكومية الرسمية.

وقال الأمين العام للمنظمة الدولية الذي لم يدع لحضور قمة الثماني منذ العام ١٩٩٦م إن الدول النامية تحتاج إلى مقعد حول المائدة عند إعداد نظام مالي عالمي جديد لمنع تكرار الأزمات المدمرة الأخيرة في شرق آسيا وروسيا والبرازيل.

وكتب أنان في رسالته «توجد مخاطر جسيمة من أن يصبح أغلبية سكان العالم على هامش اقتصاد اليوم العالمي الحر ويعيشون في فقر مدقع، وقال إن المجتمع العالمي وعد «مرات عدة»، بخفض الفقر العالمي، وأضاف: «ورغم ذلك يواصل نحو ثلاثة مليارات فقير معظمهم في الدول النامية العيش على هامش الحياة دون أمل يُذكر في حياة أفضل لأطفالهم».

ومن المقرر أن تناقش الدول الصناعية الكبرى السبع وروسيا حال الاقتصاد العالمي والأسواق المالية وأعباء الديون في القمة التي تعقد في كولونيا في الفترة من ١٨ إلى ٢٠ يونيو حزيران المقبل.

التقرير السنوي لجمعية الأعمال الخيرية في البحرين

بلغ إجمالي المساعدات والمشروعات الخيرية التي قدمتها لجنة الأعمال الخيرية في جمعية الإصلاح للأسر الفقيرة والمحتاجين والأيتام في مختلف مناطق البحرين خلال العام الماضي ١٩٩٨م مبلغاً وقدره (٢٣٦٠٨٧) ديناراً بحرينياً استفاد منه ما يقارب (٩٠٠) أسرة، كما بلغ عدد الأيتام البحرينيين المكفولين من قِبَلِ اللجنة (٢٢٩) يتيماً.

جاء ذلك في التقرير السنوي للجنة الأعمال الخيرية لعامي ٩٧/١٩٩٨م الذي صدر أخيراً.

اليابان تلغي ديونها على الدول الفقيرة

أكدت صحفية اساهي شيمبون أن اليابان ستتخلى عن مبلغ يقدر بـ٤٠٠ مليار ين (٣.٣ مليارات دولار) من الديون المستحقة على الدول الأكثر فقراً في العالم.

وأضافت الصحيفة الليبرالية أن هذا الإجراء سيطبق على معظم الدول الـ٤١ التي حددها صندوق النقد الدولي والبنك الدولي باعتبار أنها تشكل الأكثر عوزاً في العالم ولن تستفيد أربع دول من هذه المبادرة وهي بورما «ميانمار».

موجز أخبار

● قام الحاج سعيد بن أحمد آل لوتاه رئيس مجلس إدارة المدرسة الإسلامية للتربية والتعليم بافتتاح حفل أقامته المؤسسة لمناسبة مرور خمسة عشر عاماً على تأسيسها. وهي من المؤسسات التي تسهم بشكل فاعل في عمليتي التأسيس والتعليم للطلاب من الجنسين على منهج إسلامي رصين، وبأسلوب مدروس يعتمد على تنمية مهارات المتعلمين في أهم مناحي الحياة ابتداء من سن ست سنوات وحتى سن الخامسة عشرة.

● قامت اللجنة الإسلامية المشتركة ـ التي شُكِّلت في تنزانيا لبحث ومتابعة شكاوى المسلمين المقدمة لرئيس جمهورية تنزانيا ـ بسرعة بحث هذه المطالب التي تنصب في محاور عدة أهمها: إعادة المحاكم الشرعية إلى العمل بعد ٣٨ عاماً من الانقطاع، وتعزيز دور المؤسسات الاسلامية للعمل بحرية أكبر في الساحة التنزانية، وفتح المجال أمام مشاركة أكبر في سياسة البلاد من خلال الدستور الجديد للبلاد. حيث يشكل المسلمون ٥٠٪ من عدد سكان تنزانيا البالغ عددهم ٣٠ مليوناً.

● أشارت إحصائية نُشرت في مجلة «أميغا» المتخصصة بالشؤون الدينية أن عدد المساجد والجمعيات الدينية الإسلامية قد شهد نمواً كبيراً خلال السنوات الثلاث الماضية، حيث سجل في الفترة ما بين عامي ١٩٩٦م و ١٩٩٨م إنشاء ٤٤ جمعية وهيئة إسلامية و٣٦ مسجداً، وكانت المساجد والهيئات الإسلامية التي سجلت في الفترة بين ١٩٧٠م و ١٩٩٥م ٥٥ جمعية وتسعة مساجد، مما يدل على انتشار الإسلام في إسبانيا انتشاراً كبيراً وسريعاً، بحيث يكون مجموع المساجد ٤٥ مسجداً، والهيئات والجمعيات الإسلامية ٩٩ هيئة وجمعية إسلامية.

٢٥٠ مليـون لغـم مضـادة للأفـراد في العالـم !!

يصل المخزون العالمي للألغام المضادة للأفراد إلى أكثر من ٢٥٠ مليون لغم وتحتل الصين وروسيا قائمة الدول التي تملك أكبر مخزون من هذا السلاح، استناداً إلى تقرير صدر في باريس.

وأوضح التقرير السنوي الأول لرصد الحملة الدولية لحظر الألغام أن الصين في مقدم الدول التي تملك مخزوناً ١١٠ ملايين من هذا السلاح، وروسيا تملك من ٦٠ إلى ٧٠ مليوناً، كما أن روسيا البيضاء رقم غير معروف، لكنه يقدر بعشرات الملايين وأوكرانيا عشرة ملايين وإيطاليا سبعة ملايين والهند من أربعة إلى خمسة ملايين ومن المقرر أن تسلم منظمة «هانديكاب انترناسيونال» الفرنسية غير الحكومية المشاركة في هذه الحملة التقرير إلى رئيس الوزراء الفرنسي ليونيل جوسبان، كما دعا واضعو التقرير إلى ضرورة «تدمير هذه الألغام مطالبين بجهد ضخم تبذله الدول التي تملك مخزونات للقيام بعمل وقائي ضد الألغام».

ومن الدول الموقّعة على معاهدة أوتاوا ١٩٩٧م لحظر الألغام المضادة للأفراد والتي تملك أكبر مخزون أوكرانيا وإيطاليا والسويد وألبانيا واليابان وبريطانيا وفرنسا وإسبانيا واليونان، وأوضح التقرير أن فرنسا وإيطاليا والسويد وبريطانيا وإسبانيا وأوكرانيا تقوم حالياً بتدمير ما لديها من ألغام.

ومن جهة أخرى، أشار المرصد إلى أن ثلاثاً على الأقل من الدول الموقعة عى معاهدة أوتاوا، وهي أنغولا وغينيا بيساو والسنغال استخدمت الألغام سنة ١٩٩٨م بعد توقيعها على المعاهدة.

وفي المقابل، لم يسجل المرصد أي إنتاج جديد للألغام في الدول الموقعة على المعاهدة وكشف أيضاً أن عدد الدول المنتجة للألغام «انخفض كثيراً» متدنياً من ٥٤ إلى ١٦ منتجاً فقط.

وفي ما يتعلق بتصدير الألغام، فإن الدول الـ٣٤ التي كانت تمارس هذه التجارة أعلنت جميعها، باستثناء العراق، وقف التصدير ولو رسمياً وكشف التقرير أيضاً أنه في ٣١ مارس ١٩٩٩م بلغ عدد الدول الموقعة على المعاهدة أو التي انضمت إليها ١٣٥ دولة من بينها ١٣ منذ مؤتمر أوتاوا، ووقعت جميع دول حلف شمال الأطلسي على المعاهدة، في ما عدا الولايات المتحدة وتركيا، كما وقعها معظم الدول الآسيوية والأفريقية، وأوضح التقرير أنه «لم يعد يوجد سوى أقل من ٥٠ دولة لم توقع بعد على المعاهدة»، من بينها ثلاث من الدول الخمس دائمة العضوية في الأمم المتحدة وهي الولايات المتحدة وروسيا والصين.

ارتفاع عدد المهاجرين اليهود الروس إلى إسرائيل

أعلن مصدر رسمي أن عدد المهاجرين اليهود من أصل روسي إلى إسرائيل ارتفع هذا العام بسبب الأزمة الاقتصادية وبسبب معاداة السامية المتنامية في روسيا.

وأفادت الوكالة اليهودية، الهيئة شبه الحكومية المكلفة شؤون الهجرة في بيان أن «معاداة السامية باتت أحد الأسباب الرئيسة التي تدفع اليهود الروس إلى الهجرة إلى إسرائيل منذ بدء الأزمة الاقتصادية في روسيا في أغسطس ١٩٩٨م».

وقالت الوكالة: إن ٧٩٣٣ يهودياً روسياً وصلوا إلى إسرائيل خلال الفصل الأول من العام ١٩٩٩م أي ١١٦ في المئة أكثر من الذين وصلوا في الفترة من العام ١٩٩٨م.

وأشارت الوكالة استناداً إلى نتائج تحقيق أجرته مع المهاجرين الجدد إلى أن ٣١ في المئة من الأشخاص الذين سئلوا قالوا إن معاداة السامية كانت السبب الرئيس لقرارهم الهجرة إلى إسرائيل. وبلغت هذه النسبة ٩ في المئة لدى المهاجرين الذين وصلوا في أغسطس ١٩٩٨م.

وشكل «القلق على مصير الأولاد» السبب الثاني الدافع إلى اختيار إسرائيل، وفق نتائج التحقيق الذي تم بين مارس ومايو ١٩٩٩م لدى ١٠٥٤ مهاجراً جاؤوا إلى إسرائيل عن طريق موسكو.

ويبلغ العدد الإجمالي للمهاجرين الذين وصلوا من دول الاتحاد السوفييتي السابق خلال الأشهر الأربعة الأولى من العام ١٩٩٩م ١٦ ألفاً و ٣٨٦ مهاجراً، في مقابل ١٣ ألفاً و ٣٣٦ مهاجراً للفترة نفسها من العام ١٩٩٨م الماضي.

وتتوقع الوكالة اليهودية وصول ٦٠ ألف مهاجر يهودي إلى إسرائيل العام ١٩٩٩م قادمين من دول الاتحاد السوفييتي السابق.



يشار إلى أن المهاجرين الناطقين بالروسية يشكلون واحداً على ستة من عدد سكان إسرائيل البالغ ستة ملايين نسمة.

شعر

شعر : منير محمد خلف

وَصِيَّةُ شَهِيدٍ مِنْ كُوسُوفَا

تضامناً منا مع من تشرَّدوا ... وطُوردوا عبرَ الحدود، مع أصحاب الحق الشرعي في بلادهم، التي أحالوها دماراً، تضامناً مع مسلمي كوسوفا.

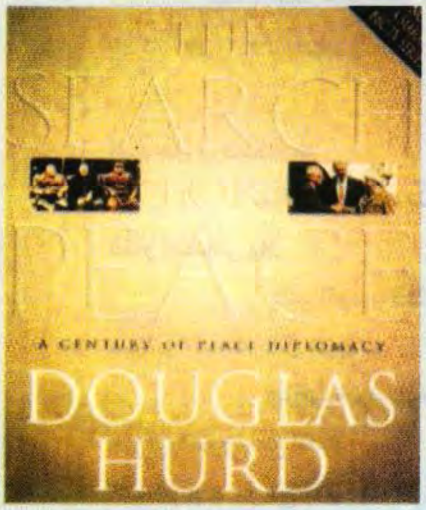
أُمَّاهُ هَلْ يُرضيك مَا
عَاثُوهُ فِي هَذا المَكانْ!!
قَتَلوُ أشقَّائي بلا
ذنب أتوهُ... فلا أمانْ
سَفَكُوا الدماءَ بكل شبرٍ
مزَّقوا شرف الحسانْ
حرقوا الزروعَ مع الديا
ر مع المساجدِ في ثوانْ
جزَّارهُمْ قاد الحروب
عنيفة.. وما استكانْ(٢)
أُمَّاه إن كُوسوفنا
صارتْ خَراباً... وامتهانْ
مِنْ بَعد أن كانتْ رموزاً
للمحبة والحنانْ
أضحتْ حريقاً هائلاً
والدور لفلفها الدخانْ
أماهُ بعد خُطا قلائل
سوف يرقُبنا الزمانْ
إنّي حلفت بربنا
أنا لنْ أدعهمْ، في أمانْ
وقد ارتديت ملابسَ الـ
بطل المسَّير للجنانْ
أنا لنْ أعيشَ للحظة
مادامَ يحيا «سلوبودان»(٣)
سأردّهم وأبيدهمْ
لا لنْ أكفَ عن الطِعانْ
وَلَن أساومهم بصلح
لا أمان مع الجبانْ
فَلتُخْبري ولدي الصغير
بأن والده شهيدْ
هو ذا صلاح الدين يرمق
ـنا بلحظ من بعيدْ
يستجمع الجُند المدجـ
ـج بالسلاح وبالبرودْ(٤)
عُمَرُ يُناشدنا التوحـ
ـد في المعارك والصمودْ(٥)
ويشدّنا صوب الفيالق
عزمه... لا... لا يحيدْ
لِنُقدِّم الروح الزكيّة
دُونما أدنى قيودْ
وَنَهب نحو سيوفنا
نستلها ... فاليوم عيدْ
لمَّا رأيت بلادنا
ضاعتْ بمطرقةِ العنيدْ(٦)
لمَّا تشرد أهلنا
إذْ طُوردوا عبر الحدودْ
لا نبتغي من حربنا
غير انتصار... أو نموتْ
سنلف حول جسُومنا
كل القنابل والبرودْ
أجتازُ ضمن كتيبتي
تل البطولة والصمودْ
ولسوف تروي قصّتي
كُوسوفنا لمَّا نعودْ
وتعود كل مساجدي
وتعود آثار الحدودْ
وَيُقال يوماً: قُدُمَتْ
أرواحنا.. وبلا قِيودْ
ثمناً لعزّةِ ديننا
واستشهدتْ كُل الحشودْ
ولسوفَ تذكر قصّتي
كُوسوفا في الآتِي البعيدْ
ولسوف ترجع دُورنا
مَعَ طِفلةٍ تلهو بعيد
عيد انتصار عقيدتي
عيد انتصار للشهيدْ

الهوامش :

١ ـ إشارة لعمليات الاغتصاب التي مارسها الصربيون بوحشية.
٢ ـ جزارهم: إشارة لمجرم الحرب الصربي.
٣ ـ سلوبودان: مجرم الحرب الصربي المتوحش.
٤ ـ البرود: المقصود بها البارود ولكن جاءت هكذا للضرورة الشعرية.
٥ ـ عمر: المقصود به الصحابي الجليل والفارس: عمر بن الخطاب.
٦ ـ العنيد: المقصود به مجرم الحرب الصربي.

إعداد : محمد هاني

البحث عن السلام : قرن من السلام والدبلوماسية



اكتسب هنري كيسنجر مستشار الأمن القومي ووزير خارجية أميركا الأسبق شهرته العالمية من أطروحته للدكتوراة التي أعدها عن دبلوماسية المستشار النمساوي ميتزينخ ودوره في سلام المئة العام الذي نعمت به أوروبا خلال الفترة ١٨١٥م «منذ هزيمة نابليون بونابرت» حتى نشوب الحرب العالمية الأولى ١٩١٤م، هذه الأطروحة فتحت الأبواب لكيسنجر إلى مؤسسات الدولة السياسية حتى أصبح مهندس السياسة الخارجية الأميركية في حقبة السبعينات، وفي كتابه هذا البحث عن السلام.. قرن السلام والدبلوماسية يسعى مؤلفه «دوغلاس هيرد» إلى تقديم نفسه صانعاً للسلام، وصاحب رؤية شاملة لأساليب استتباب الأمن والاستقرار في العالم وبالتالي لا يقل أهميته عن كيسنجر، وقد عرف هيرد طريقه إلى دهاليز السياسة البريطانية العام ١٩٧٠م عندما عينه رئيس الوزراء «إدوارد هيث» سكرتيراً سياسياً له ثم عاد مع مارغريت تاتشر وزيراً لشؤون إيرلندا فوزيراً للداخلية، ثم وزيراً للخارجية حتى العام ١٩٩٥م مع جون ميجر عندما تقاعد وأصبح عضواً في مجلس اللوردات.

تناول هيرد بالسرد والتحليل الجهود الدبلوماسية لإقرار السلام في العام طوال قرن من الزمان معتمداً في بعضها على الوثائق التاريخية وفي أخرى على تجاربه واتصالاته خلال عمله السياسي ومقدماً في كل الحالات العمل الدبلوماسي كأداة مهمة في السلام والاستقرار، وأفرد هيرد فصلاً خاصاً للحرب في البوسنة، ربما للدفاع عن موقفه الذي قاد الدبلوماسية البريطانية في تلك الحرب، وهو الموقف الذي حظي بهجوم واسع داخل بريطانيا وخارجها.

الحوار من أجل التعايش



صدر أخيراً للدكتور عبدالعزيز بن عثمان التويجري عن دار الشروق في القاهرة كتاب جديد تحت عنوان: «قضايا الحوار والتفاعل الحضاري»، وآفاق مستقبل الحوار بين المسلمين والغرب، والثقافة العربية والثقافات الأخرى من التفاعل إلى الحوار والتعايش وحوار الثقافات والحضارات بين المؤثرات الثقافية والمعوقات الفكرية.

ويعرض المؤلف في رؤية علمية وبمعالجة موضوعية للعلاقة بين الهوية والعولمة من منظور حق التنوع الثقافي، ويتناول موضوع الإسلام والتعايش بين الأديان في أفق القرن الحادي والعشرين، بفكر مستنير، وبمنهج تحليلي، يقدم به مضامين تعاليم الإسلام وأسس مبادئه، ويعرضها عرضاً مستفيضاً.

ويدرس الدكتور عبدالعزيز التويجري في كتابه الجديد الذي يشتمل على تسعة فصول، موضوع الأقليات الإسلامية وحوارها الثقافي مع محيطها، ويستشرف مستقبل الوطن العربي في إطار التعاون العربي ـ الإسلامي، ويبحث موضوع الكرامة الإنسانية في ضوء المبادئ الإسلامية.

ويحرص المؤلف فيما كتبه عن قضايا الحوار والتعايش والتفاهم والعمل من أجل تعميق التعاون بين الشعوب والأمم وبناء المستقبل الإنساني المشرق، على تأكيد أهمية العمل الجماعي المشترك التي تتضافر فيه جهود أطراف عدة تعمل من أجل تحسين الحياة الإنسانية ودرء المخاطر عنها وتوفير الأسباب الكفيلة بضمان الأمن وكفالة الاستقرار وترسيخ أسس التعايش الثقافي والتعاون الحضاري الراقي القائم على المبادئ الإنسانية.

يقع كتاب «الحوار من أجل التعايش» في ١٦٣ صفحة من القطع الكبير.

الدين والدولة في الواقع الغربي

صدرت دراسة لموقع ودور الدين في الدولة القطرية/ للدكتور. عبدالعزيز صقر - القاهرة: دار العلم للجميع ١٩٩٥م - ٣١٦ص عن الدين والدولة، الدين والسياسة، الإسلام السياسي، التغريب العلمانية، مصطلحات ومفاهيم غطت أدبيات الساحة العربية والإسلامية منذ فترة غير قصيرة، ولا تصدر صحفية أو مجلة إلا وفيها موضوع أو أكثر يدور حول هذه المفاهيم بالشرح والتحليل والتأصيل حيناً أو بالنقد والتأييد حيناً آخر... فهل يا ترى... ما نقرؤه يدخل في دائرة الغزو الثقافي لبلادنا؟! وهل هذا الكم الهائل من الدراسات له صلة بالصحوة الإسلامية التي بدأت تظهر في كثير من بلادنا الإسلامية؟! ولماذا في الشرق... وليس في الغرب... الدين والتمسك به حرام علينا حلال عليهم... على الرغم من أن الإسلام السياسي كما يصورونه أصولية يجب القضاء عليها، نراها منغلقة في مجتمعاتهم تتحكم في توجهاتهم السياسية... ويكفي أن الجميع يعلم ما تفعله الدعايات الغربية والدعم اللامحدود لدول وشعوب اغتصبت أراضيها والتحيز الواضح ضد الإسلام والمسلمين في كل مكان؟!

الكتاب الذي بين أيدينا يوضح لنا بمنهجية علمية دقيقة دور الدين في المجتمعات والحكومات الغربية ولقد لفت انتباهي ما ذكره المؤلف عن الجماعات الدينية اليهودية التي لها اليد الطولى في صنع القرار الأميركي كمثال وهي دراسة دقيقة وموثقة بالأسانيد والمراجع، يقول المؤلف «ص٢٠٨»: إن ولاء الجماعة اليهودية الأولى موجه مباشرة وصراحة إلى الدولة العبرية، وهو ولاء مقدم على الولاء سواء للمجتمعات القومية التي نزحوا منها في أوروبا، أو للمجتمع الأميركي الذي هاجروا إليه، وكذا فإن التفضيل الحزبي والسلوك الانتخابي لليهود يرتبط تماماً بالانتماء الديني، وقد عرفوا طوال تاريخ السلوك الانتخابي الأميركي بتأييدهم للحزب الديموقراطي

وبالرغم من ذلك فقد شهدت الكثير من انتخابات الرئاسة انحياز اليهود للحزب الجمهوري لاعتبارات دينية بحتة كما حدث في الانتخابات التي أجريت أعوام: ١٩٠٤م، ١٩٠٨م، ١٩١٢م، ١٩٢٠م، ١٩٢٤م، ١٩٢٨م، وكما حدث في انتخابات ١٩٨٠م حين تحول بعض اليهود عن كارتر الديموقراطي إلى منافسه الجمهوري ريغان، وكما حدث في انتخابات ١٩٨٨م عندما أعطى اليهود معظم أصواتهم للمرشح الجمهوري بوش ودعموا حملته الانتخابية.

والسؤال الذي يفرض نفسه هو كيف تمكنت هذه الجماعات الدينية من فرض سطوتها على القرار السياسي الأميركي؟ على الرغم من أن اليهود لا يمثلون سوى ٢ في المئة فقط من مجموع الشعب الأميركي، يليهم الجماعات الكاثوليكية التي يبلغ تعدادها ٢٧ في المئة، من مجموع الشعب الأميركي، أما الأغلبية البروتستانتية نحو ٥٩ في المئة، فتأتي في المرتبة الثالثة من حيث حجم مشاركتها في الحياة السياسية، ثم أخيراً تأتي الجماعات الإسلامية التي تحاول جاهدة منذ فترة المشاركة في صنع القرار السياسي على الرغم من الأساليب السرية التي تمارسها بعض الجماعات اليهودية ضدها ومنها التهديد والتشهير والضغوط أو التصفية الجسدية.

أما أهم عناصر الاستراتيجية التي وضعتها هذه الجماعات الدينية للسيطرة على صنع القرار الأميركي يمكن تلخيصها فيما يلي:

أولاً: استغلال العاطفة الدينية لدى الشعب الأميركي، وفي الوقت نفسه، الحيلولة دون ربط الدين بالدولة أو سيطرة المبادئ الأصولية.

ثانياً: استغلال التركيب المميز للمجتمع الأميركي القائم على تجمع عدد من الأقليات.

ثالثاً: استغلال الروح الرأسمالية التي تشجع على الوصول إلى مراكز التأثير.

وحتى يتضح لنا ولا نتعجب من الدور النشط الذي يلعبه اليهود في الحياة الأميركية يذكر المؤلف بعض الأدوات والوسائل التي يتبعها اليهود للوصول إلى قمة صنع القرار الأميركي وهي:

رجال الدين - وسائل الإعلام - المنظمات الصهيونية - المظاهرات - سلاح معاداة السامية - الملاحقة والتشهير - الإغراء بالمال - العنف والتصفية الجسدية، وتكفي الإشارة هنا إلى أنه يوجد في الولايات المتحدة الأميركية أكثر من ألف تجمع أو تنظيم للحاخامات اليهود، اشتركت في تقديم المساندة السياسية والمالية والعقائدية للدولة العبرية، ووسائل الإعلام التي يسيطر عليها اليهود «لتجميل» الطابع القومي اليهودي «وتشويه» الطابع القومي العربي، والمنظمات الصهيونية وهي تنظيمات نشطة وفعّالة مثل: «لجنة الشؤون العامة اليهودية الأميركية «أيباك» والتي تعد أقوى المنظمات اليهودية في أميركا، و«رابطة الدفاع اليهودية»، والمؤتمر اليهودي الأميركي، و«اللجنة اليهودية للمتابعة»، والتي أعلنت في مارس ١٩٧٨م، أنها قد بدأت حملة منظمة لملاحقة الدبلوماسيين المصريين في الولايات المتحدة، من أجل تحطيم علاقة التعاون القائمة بين القاهرة وواشنطن، ولا ننسى حملات التشهير لكل مسؤول يجرؤ على الوقوف في وجه الدعم الأميركي لإسرائيل، فالجنرال جورج براون الذي كان يشغل منصب رئيس هيئة الأركان الأميركية المشتركة، والذي أشار في إحدى تصريحاته في ١٩٧٤/١١/١٣م إلى تغلغل النفوذ الصهيوني في أميركا وأعلن «أن خطراً بترولياً عربياً جديداً قد يدفع الأميركيين إلى اتخاذ موقف أقوى يحطم النفوذ اليهودي في هذا البلد، عاد بعد أقل من أسبوعين تحت الضغط والملاحقة اليهودية وقدّم اعتذاراً علنياً عما ورد بتصريحه عن اليهود، كما تعرض «تشارلز بيرسي» الذي كان يشغل منصب رئيس لجنة العلاقات الخارجية في

الكونغرس لحملة صهيونية عالمية العام ١٩٨٤م، وانتحار «جيمس فورستال» وزير الدفاع الأميركي السابق، عقب إصابته بانهيار عصبي بسبب ما تعرّض له من حملات التشهير من اللوبي اليهودي، وسلاح المعاداة للسامية فهو من أقوى الأسلحة التي تشهرها اليهودية ضد أي مسؤول يصرح أو يشترك ضد مصالح اليهود، فقد أشهر هذا السلاح ضد كل من جاكسون ولويس فرقان، كما أشهروه ضد «فريدريك ماك» أحد مساعدي جورج بوش في الحملة الانتخابية العام ١٩٨٨م، والذي كان يشغل منصب نائب رئيس اللجنة القومية للحزب الجمهوري، لمجرد أنه قد أعد قائمة في العام ١٩٧١م بناء على تعليمات الرئيس نيكسون بأسماء كبار موظفي وزارة العدل الأميركية من اليهود، وضد خمسة آخرين من أعضاء اللجنة الاستشارية في الحملة الانتخابية لجورج بوش والذي اتهمتهم صحيفة «جويسن ويك» بالعمل مع إحدى المنظمات المعادية لليهود، وعلى الرغم من إنكارهم الاشتراك في أي نشاطات معادية للسامية، فإن جميع المتهمين بمعاداة السامية قد أجبروا على تقديم استقالاتهم، ولم يستطع المرشح الجمهوري الذي أصبح فيما بعد رئيساً للدولة أن يدافع عنهم في مواجهة اللوبي الصهيوني.

وهكذا ففي الوقت الذي يمارس اليهود فيه نشاطهم السياسي ويؤسسون دعوتهم على الدين، فإنهم يناضلون بشراسة، وبكل الأسلحة ضد كل توظيف للدين من جانب الأطراف الأخرى حتى ولو كان الرئيس الأميركي ذاته، وحتى ولو كان ذلك من قبيل الدعاية الانتخابية، فتوظيف الدين من جانبهم يجلب لهم الدعم ويضمن لهم البقاء، أما توظيف الدين من جانب غيرهم، فيجلب عليهم العزلة والاضطهاد، ويهدد وجودهم بالفناء، ولذلك فإن اليهود الذين يعتمدون على الدين كأحد مقومات عملية تخطيط الحركة السياسية يعارضون بإصرار أي اتجاه ديني في السياسة الأميركية إذ إن ذلك من شأنه أن يؤدي إلى تحجيم قوتهم.

وإذا كان ما سبق هو إلقاء الضوء على فعل الدين في المجتمع الأميركي، فهناك نماذج أخرى يحفل بها الكتاب في أغلب المجتمعات الغربية حتى الفرنسية والبريطانية والايطالية والألمانية والإسبانية، والبلجيكية، وعلاقة الدولة بالقومية والدين في كل دولة أثبت المؤلف في نهاية بحثه أهمية التفرقة بين الدين كسلوك فردي والدين كسلوك قيادي والدين كأحد مقومات ظاهرة الصراع والتكامل السياسي... فبينما اختفى أثر الدين في بعض مراحل التطور السياسي الغربي كسلوك قيادي أو كأساس للتجانس الاجتماعي والتكامل السياسي - فقد ظل الدين دائماً أحد عناصر الاستمرار الثابت في التقاليد الغربية كمتغير أساسي في السلوك السياسي الفردي.

إن الكتاب عميق في تحليلاته، وفي معالجته للقضية ويعتبر من الأدبيات المهمة في موضوع الدين والسياسة وجدير بالقراءة والاقتناء.

(*) التايم: ١١/٤/١٩٨٤م ص٨، ١٨/٤/١٩٨٨م ص ٢٢-٢٤، نيويورك تايمز ٢٦/٦/١٩٨٤م، ص ٧ و ٣٠/٦/١٩٨٤م ص١.

البداية والنهاية لابن كثير

طرحت الشركة المتحدة للبرمجيات في القاهرة الإصدار الإلكتروني لكتاب «البداية والنهاية» الذي يعتبر من أهم المصادر التي يعتمد عليها المؤرخون في دراسة التاريخ الإسلامي، وهذا الكتاب الذي ألفه الحافظ ابن كثير الدمشقي يبدأ من تاريخ آدم عليه السلام وصولاً إلى منتصف القرن الثاني الهجري أي قبل وفاة المؤلف سنة ٧٧٤هـ.

والبرنامج يكتسب أهميته من أهمية الكتاب الذي يحتويه ومن وسائل البحث والعرض المفيدة والسهلة التي يوفرها لمستخدمه.

يحتوي البرنامج على خمسة فهارس مفيدة يستطيع المستخدم من خلالها الوصول إلى المعلومات التي يريدها بسهولة وهي: الأحداث والأعلام والأماكن والآيات، والأحاديث، ولا يحتاج الانتقال من فهرس لآخر إلا لنقرة واحدة «بالماوس» أي فأرة الكمبيوتر.

فإذا أراد المستخدم البحث عن «عمر بن الخطاب» مثلاً ينقر على فهرس الأعلام فتظهر له قائمة منزلقة بجميع الأعلام الموجودين في المجلدات الأربعة عشرة التي يتكون منها كتاب البداية والنهاية ويمكن بعد ذلك البحث عن الاسم المطلوب عن طريق ما عُرض على الشاشة أمامه أو يبحث بطباعته في خانة خاصة في أعلى القائمة، ينتقل المؤشر فوراً إلى الاسم المطلوب، فإذا نقر عليه ظهرت فوراً قائمة المجلدات التي ورد فيها اسم عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فإذا نقر على المجلد ظهرت عناوين الفصول التي ذكر فيها، والمرحلة الأخيرة هي النقر على الفصل لعرضه في الجزء الأيسر من الشاشة.

وتوجد طريقة أخرى للبحث وهي البحث الحر ويدخل فيها المستخدم أي كلمة فيقوم البرنامج بالبحث عنها، ويعطيه إحصاء بعدد مرات ورودها وقائمة منسدلة بالفصول التي وردت فيها ولكنها هي لا تستطيع البحث عن الكلمة المركبة مثل عمر بن الخطاب أو غزوة بدر، بل تبحث فقط عن الكلمات المفردة.

عشرات المليارات أُنفقت على إصلاح النظم الكمبيوترية للقضاء على الجرثومة الألفية في أميركا

كمبيوتر

الخوف يساور الأميركان من مشكلة الكمبيوتر لعام ٢٠٠٠ التي ستشمل كل أنواع الأجهزة الإلكترونية، فعدم قدرة هذه الأجهزة على قراءة التاريخ بصورة صحيحة مع إطلالة ذلك العام، ستعود إلى فقدان شبكاتها العاملة السيطرة على مولدات الطاقة بأنواعها مع توقف أنظمة الاتصالات والمياه عن العمل، إضافة إلى تعطل القطارات والطائرات والشاحنات البرية عن أداء مهماتها، بسبب انهيار أنظمة السلامة والمرور الخاصة بها، أما الكارثة الكبرى فستكون من نصيب عالم المال، فأسواق الأسهم وأنظمة الأوراق النقدية والأجهزة الأوتوماتيكية التي تعمل كأمين للصندوق ستصاب جميعها بالعمى مخلّفة نتائج لا تحمد عقباها.

يفترض أن يكون هذا القلق شيئاً من الماضي حسب رأي المسؤولين، فبعد عشرات المليارات المصروفة لإصلاح نظم الكومبيوتر وتحديثها توافرت الكثير من الآليات الكفيلة بمعالجة الخلل وإبعاد خطره، ويحذر الكثير من مديري مشروع العام ٢٠٠٠.، من أن خوف الأميركان من الأسوأ قد يعود بمضار أكثر جدية على أنفسهم وعلى الجيران إضافة إلى الاقتصاد مما قد يسببه الكمبيوتر نفسه.

ويعلق خبراء التخطيط في أن الأضرار ستشمل مرافق مهمة، كأعمال المصارف وطرق خزن الأغذية والمحروقات، ووقوع الكثير من الحرائق الناجمة عن سوء استعمال المواقد والمولدات الجديدة، وهناك مخاطر جدية من ارتفاع أعمال العنف باستخدام الأسلحة النارية نتيجة لرواج مبيعات هذه الأسلحة بين الأفراد الذين يخشون فقدان حريتهم وخصوصيتهم المدنية.

بنية صامدة

أشاد جون كوسكينين رئيس المفوضية الرئيسية لتحولات العام ٢٠٠٠ بصمود البنية الأساسية الوطنية للولايات المتحدة بشكل واضح أمام التحديات المقبلة، لكن الأعمال والإجراءات المفرطة ستكون من أكبر المشاكل العالقة، فالتحدي الآن هو في الاستمرار في إصلاح الكمبيوتر من علته مع إجراءات وتحضيرات تكفل معالجة الاضطرابات المحتملة وتهدئة المواطنين وإزالة مخاوفهم.

وأظهرت إحصاءات أن الأميركان لا يتوقعون حدوث تغييرات جسيمة على نمط حياتهم، لكن قلة منهم يخططون لحماية أنفسهم باستثمارات كبيرة في أموالهم للتغلب على محنة الزمان، وحذر الصليب الأحمر الأميركي من خلال إرشادات عامة، إلى ضرورة توفير المواد الغذائية الكافية والسلع الضرورية بغية تحمل النتائج السلبية التي يمكن ظهورها لأيام عدة ولأسبوع واحد.

وفي لقاء حول الموضوع صادقت مفوضية مشروع العام ٢٠٠٠ للمبيعات الوطنية على توصيات الصليب الأحمر، ودعت أصحاب محلات البيع والصناعيين لدعم حملات تهدف إلى تنوير المستهلكين لخزن ما يحتاجونه تدريجياً بدلاً من الانتظار إلى الأيام الأخيرة من العام ١٩٩٩م، لكن هذه المجموعة تجنبت تحديد أنواع السلع والتجهيزات الضرورية الواجب خزنها، خوفاً من أن يؤدي ذلك إلى دق ناقوس الخطر مبكراً.

كابوس مقبل

أعرب المسؤولون عن خشيتهم من احتمال انتشار الفوضى وعدم السيطرة عليها، وعندئذ لن يكون هناك رابح جراء الوضع القائم، فالتصرفات المشينة للأفراد ستحوّل الحياة إلى كابوس لا تعرف نتائجه، لذلك بدأت قطاعات مهمة كالمصارف التجاوب مع تلك المخاوف العامة منذ أشهر عدة، فأعلنت دائرة الإدخار الفيدرالية التي تجهّز كل المصارف بالسيولة النقدية عن خططها لتوفير ٥٠ مليار دولار إضافي من العملة الاحتياطية لترفع كمية العملة المتداولة إلى ٢٠٠ مليار دولار، لطمأنة العملاء على توفير مبالغ كافية لمن يرغب بالحصول على نقد إضافي قبل نهاية هذا العام، وركزت المصارف والمؤسسات الصناعية جهودها لتقديم اقتراحاتها المتنوعة حول أضرار احتفاظ الأفراد بأموالهم، لأن الأمر سيعرضهم لفقدانها بسبب الحريق أو السرقة، إضافة إلى صرفها على احتياجات غير ضرورية.

وأعلن بعض الأميركيين عن خططهم لتأكيد سلامة الأنظمة العاملة في مؤسساتهم عنها مع نهاية العام الحالي، فقد أعطى جين جيرفي مدير إدارة الملاحة الفيدرالية وعداً بالتحليق في الأجواء خلال أعياد رأس السنة لإظهار ثقته العالية بأنظمة السيطرة على الملاحة الجوية، كما أعلنت الخطوط الجوية البريطانية بأن كل مديريها سيكونون في الأجواء أيضاً في تلك الأيام.

ومع كل هذه المظاهر بالثقة، فإن الاستطلاعات تشير إلى أن نصف الدوائر الحكومية في الولايات المتحدة لم تباشر بإصلاح علة العام ٢٠٠٠ حتى الآن، مع وجود احتمال بالتخطيط لذلك فقط، كما تخلفت الدوائر الاقتصادية الصغيرة عن ذلك، وفي روسيا، فإن الشركات المتعددة الجنسيات تحاول جمع قواها خوفاً من العطل والضياع، لكن بلدان آسيا لم تعر للأمر أهمية، فمشكلة العام ٢٠٠٠ تقع ضمن اهتماماتها المتدنية.

إن اختبار الأعمال أينما كانت سواء في البيت أو في الخارج يعتبر

مسألة حاسمة في أمر تقويمها، فالتجارب أثبتت أن إصلاح أنظمة الكمبيوتر قد يصاحبها بعض الأعراض الخفية، لذلك أكد الرئيس كلينتون، عند تطرقه لمشكلة العام ٢٠٠٠ في أثناء خطابه الأخير للأمة، ضرورة الاستمرار بالعمل كأفضل وسيلة لتقليل الخسائر.

الجرثومة الألفية

سميت مشكلة العام ٢٠٠٠ بالجرثومة الألفية أو Y2K، وعلى أثرها كثرت الاستفسارات حول كيفية السيطرة على ردود الفعل الناجمة عنها، وهو أمر جلب انتباه المبرمجين في أثناء علاجهم للمشكلة.

جاءت هذه العلة نتيجة للمراسات البشرية الخاطئة لدى تصميم برامج وتقنيات المعلومات لدى اعتماد الرقمين الأخيرين عند تحديد العام، فالرقمان ٩٩ يعنينا سنة ١٩٩٩، وذلك لثبات الرقمين الأولين ١٩ طوال القرن الحالي، واتخذت هذه الإجراءات خلال الستينات لتقليل التكاليف الباهظة للذاكرة في تلك الحقبة، ولم تصدر النداءات التحذيرية إلا أخيراً بأن أعمال أجهزة الكمبيوتر وأنظمتها سترتبك العام ٢٠٠٠ لأنها ستعيد عقارب الساعة لسنة ١٩٠٠ أي إلى ذلك التاريخ، وهكذا لعبت نقاط ضعف الإنسان كالكسل والجشع وقلة الإيمان دوراً مباشراً في خلق المشكلة التي أولى المبرمجون إيجاد الوسيلة الكفيلة بإصلاح الخلل في الوقت المناسب، لكن النتائج كانت عكسية وتسببت في تكاليف باهظة وتعريض البشرية لتحديات جدية.

ورغم هذه المخاوف من المجهول، فإن أكثرية الأميركيين يعتقدون أن الانتقال إلى أماكن أخرى للهرب من خلل شبكات المدن ليست ضرورية، خصوصاً إذا عملت شبكات الكمبيوتر الوطنية بصورة مرضية، وتشير الاستفتاءات إلى أن ١٠ في المئة من المواطنين فقط سيقومون بسحب معظم مدخراتهم من البنوك، أما معهد غالوب فبين أن ١٧ في المئة سيندفعون لشراء المولدات والأفران العاملة بالوقود الخشبي.

استعدادات مبكرة

يفضل المسؤولون أن تكون استعدادات الأفراد منذ الآن بدلاً من الانتظار لأواخر أشهر العام الحالي، حيث ستكون الفوضى والإرباك شديدين، فبالإمكان تكديس الأغذية المعلّبة والسلع الضرورية مبكراً لتجنب الشد العصبي، وتأتي هذه الإرشادات السليمة عادة من مجموعات الاستعداد التي اقترحت إجراء تمرينات تطبيقية للمخاطر المحتملة على الأفراد، كانقطاع الماء والكهرباء ومحاولة التأقلم مع هذه الأوضاع.

وقد قامت بعض المنظمات ببناء روابط مع السلطات المحلية لتعضيد جهودها واستعداداتها في كيفية تعاون المدن مع بعضها بعضاً لأيام أو أسابيع أو أشهر عدة، وضمنت المعلومات في كرّاس أعدّ لذلك وتلقى هذه المجموعات عادة دعماً من السلطات الفيدرالية، رغم تخوفها من أن عمل بعض هذه الجماعات قد يكون تحذيرياً أكثر مما هو تحضيراً واستعداداً للاحتمالات المقبلة. فالناس لهم أحاسيسهم الذاتية لذلك كان القرار باطلاعهم بكل المعلومات المتوافرة لبناء الثقة والاحترام المتبادل. ■

أربعة أصناف للأمراض تهدد البشرية

طب

تصنف منظمة الصحة الدولية الفيروسات والبكتريا حسب درجة خطورتها إلى ٤ أصناف، يشمل الأول منها العوامل البيولوجية التي يمكن التعامل معها من دون أي حماية خاصة، أما الصنف الثاني، فيشمل العوامل البيولوجية التي لا تشكل مخاطر حقيقية مثل تلك التي تسبب مرض الضنك والحصبة ومرض الفيالق، ويحتاج العاملون للتعامل مع هذا الصنف إلى ارتداء أطقم خاصة.

ويشمل الصنف الثالث من العوامل البيولوجية الخطيرة فيروسات وبكتريا تسبب أمراضاً خطيرة لا تنتقل عبر الملامسة مثل «إتش أي في» التي تعود إلى مرض الإيدز، ولدى التعامل مع هذه العوامل ينبغي مراقبة الهواء وعمليات دخول الأفراد. أما الصنف الرابع وهو مستوى P4 فإنه يشمل عوامل تقود إلى أمراض لايمكن شفاؤها حالياً تنتقل بسهولة مثل الأيبولا والتوباء القروية «وهو مرض جلدي» والجدري. ومرض الأيبولا أحد الأمراض الخطيرة وتتراوح مدة حضانته بين يومين و ٢١ يوماً ويقود إلى ظهور أعراض الحمى والتهاب البلعوم والتهاب الرئة ويقود إلى الموت في الغالب.

وكان الرئيس الفرنسي جاك شيراك قد دشّن في مدينة ليون المختبر P4 الذي سيقوم بدراسة أخطر الفيروسات وأنواع البكتيريا المنتشرة في الأرض، ويعدُّ المختبر الأحدث في العالم، والرابع من نوعه بعد مخابر الولايات المتحدة الأميركية وجنوب أفريقيا.

وتتمثل أولى مهمات المختبر المذكور في تطوير اللقاح المضاد لحمى لاسا Lassa التي تتسبب في وفاة ما بين ١٥ و ٢٠ ألف شخص سنوياً في أفريقيا الجنوبية، ودراسة فيروس أيبولا الذي أدى إلى وفاة أكثر من ألف شخص خلال عشرين سنة في أفريقيا، واللافت للانتباه أن المختبر يعطى الأولية في دراسته وفحصه لهذا الفيروس القاتل الذي يقضي على شخص كل عشرة أيام وحتى لحظة كتابة هذه السطور، وحسب جاك غريسنغ مسؤول المختبر الذي تحدث لإذاعة «فرانسي انفو» الشهيرة والتي تبث دون انقطاع، فإن العلماء ما زالوا عاجزين عن معرفة الأسباب التي تقف وراء انتشار أمراض قاتلة بسبب الفيروسات المذكورة، وتكتسي أهمية المختبر P4 الفرنسي طابعاً خاصاً واستثنائياً، إذا علمنا أن من مهماته الأخرى أيضاً التصدي لعودة انتشار أمراض سبق أن تم القضاء عليها مثل السل والتيفوس نتيجة سوء استعمال المضادات الحيوية المطلوبة. ■

٧٠٪ من بحار العالم مهددة بسبب خطر الصيد الجشع

علوم

بعد اختتام العام ١٩٩٨م الذي كرّسته الأمم المتحدة «سنة عالمية للبحار والمحيطات» مؤكدة ضرورة المحافظة على مياه المحيطات وثرواتها البحرية والباطنية والسمكية، وعدم اندثارها وتلويثها، ونشرت الهيئة الألمانية الاتحادية للثروات البحرية والمائية والمحيطات، دراسة مهمة تضمنت المعلومات والأرقام التي جمعتها هيئات الملاحة البحرية الدولية خلال هذه السنة العالمية، وبخاصة تلك المتعلقة بالصيد البحري كمصدر رئيس ومهم من مصادر الثروة الغذائية لملايين من الناس.

وأشارت الدراسة إلى أن عدد الأشخاص الذين يمارسون مهنة صيد الأسماك يمارسونها كمورد أساسي للرزق في العالم يبلغ في الوقت الحاضر نحو ١٣ مليون شخص، يقومون بعملهم هذا بصورة يدوية وبوساطة شبكات صيد في المياه القريبة من السواحل، التي تعاني من مشكلة التلوث وتراجع الثروة السمكية، الأمر الذي انعكس بوضوح على تراجع عدد هؤلاء الأشخاص وسيطرة الاحتكارات الكبيرة على صيد الأسماك وتجارتها، والتحكم في مناطق معينة من العالم يشتد التنافس عليها يوماً بعد يوم.

وتشير الدراسة التي نشرت في ألمانيا أخيراً إلى الأخطار الكبيرة التي تحملها عمليات الصيد البحري التي تتجاوز الحدود المسموح بها في الاتفاقات الدولية والمعاهدات الدولية والإقليمية المتعلقة بالمحافظة على البيئة والثروات الطبيعية، مستخدمة بذلك أحدث الوسائل التقنية في هذا المضمار، من أجهزة الرادار التي تكشف مواقع الأسماك البحرية حتى أساطيل الصيد التي تصل إلى أعالي البحر وأعماقها السحيقة، وأساليب لا تتلاءم مع المحافظة على الثروة السمكية والطبيعة في هذه البحار والمحيطات.

وتضيف الدراسة التي أثارت اهتمام الأوساط العلمية والبيئية الألمانية بأن ٧٠ في المئة من البحار والمحيطات في العالم تعاني من مشكلة تجاوز حدود الصيد فيها وصيد الأسماك الصغيرة قبل نموها، مشيرة إلى أن ثلث الأسماك التي يجري صيدها في العالم وتصل إلى نحو ٩٠ مليون طن سنوياً، هي من الأسماك والكائنات الحية التي لا يستفاد منها كثروة غذائية، تلقى مرة أخرى في المياه مما يزيد من تلوثها وإضرارها للبيئة.

وقد سبق لمنظمة الزراعة الدولية «فاو» في روما، أن حذرت من نتائج المبالغة في صيد الأسماك وتدمير الثروات المائية والقضاء عليها كمصدر مهم جداً من مصادر الثروات الغذائية التي تسهم في مكافحة الجوع والفقر في العالم، مؤكدة بأن ثلثي سكان العالم يعيشون اليوم على صيد الأسماك، وبخاصة في المناطق القريبة من السواحل، وفي المدن الكبرى الواقعة فيها، إذ إن ١٦ مدينة من مجموعة ٢٣ أكبر مدن العالم تقع على سواحل البحار والمحيطات.



البحار والمحيطات هي تراث المستقبل

ولعل هذا ما يفسر الشعار الذي رفعه معرض لشبونة العالمي خلال العام الماضي ١٩٩٨م الذي أشار إلى أن «البحار والمحيطات هي تراث المستقبل».

وللمحافظة على هذا التراث في المستقبل، دعت هيئات العلوم والتقنية والبيئة الألمانية في إطار الحملات التي تنظمها خلال العام الحالي ١٩٩٩م بهدف المحافظة على ثروات المحيطات الحية، إلى ضرورة إعادة النظر في طرق صيد الأسماك والوسائل المستخدمة فيها، واعتماد طرق أفضل من الناحيتين العلمية والتقنية في التعامل مع هذه الثروات المهمة، وكذلك إعادة النظر في الاتفاقات الدولية والإقليمية المتعلقة بهذا الموضوع مع بداية القرن المقبل، وفي توزيع حصص الدول في صيد الأسماك المعمول بها حالياً، التي وضعت منذ عقود طويلة وفي ظل استعمار الدول الكبرى لمحيطات العالم، على حساب الدول النامية في العالم الثالث.

ولا تقتصر أهمية البحار والمحيطات على اعتباريهما مصدراً رئيساً للثروة الغذائية لمئات الملايين من الناس فقط، بل كمصدر مهم للثروات الباطنية الموجودة في أعماق البحار، وفي مقدمها النفط والغاز والغازات المعدنية والطبيعية المتوافرة بكميات هائلة لم تستثمر بعد، هذا إلى جانب أهميتها في شبكة الطرق والمواصلات البحرية التي تسهم في نقل ما يزيد على ٩٥ في المئة من السلع والبضائع إلى مختلف أنحاء العالم، وكعامل أساسي في إطار المناخ والأحوال الجوية في كرتنا الأرضية. وأخيراً، حذرت هذه الدراسة الألمانية من مشكلة ازدياد تلوث مياه البحار في العالم بسبب السفن وبقع الزيت والمواد الكيماوية والمخلّفات المنزلية اليومية الضارة، التي تتناولها الأسماك وتعود إلى الإنسان عن طريق صيد الأسماك، في إطار حلقة مفرغة خطيرة جداً. ■

الفتاوى الشرعية

هذه الفتاوى منتقاة مما تصدره إدارة الافتاء والبحوث الشرعية في وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية في دولة الكويت. والمجلة على استعداد لتلقي الاسئلة مباشرة وتحويلها الى اهل الاختصاص للاجابة عليها. ويسر خدمة الفتوى بالهاتف تلقي الاسئلة الفقهية مباشرة من الساعة ٨ صباحا الى الساعة ١٢ ظهرا ومن الساعة ٤ عصرا الى الساعة ٨ مساء على الهواتف التالية :

هاتف مباشر
خدمة الفتوى
149

بناء المساجد من أموال الزكاة

عُرض على اللجنة السؤال المقدم من المدعو / صلاح، ونصه:

إننا مجموعة من أبناء الكويت قمنا بتشكيل لجنة لجمع التبرعات من أجل بناء مسجد ومركز إسلامي يحتوي على صالة للمحاضرات ومكتبة كبيرة في جنوب أسبانيا «الأندلس سابقاً» وتسمى مدينة ملقا حالياً، علماً بأننا قد حصلنا على قطعة أرض بمساحة ٢٠٠٠م٢ مجاناً من تاجر أسباني ومعها ضمانات وتصريح من الحكومة الأسبانية ببناء المسجد، وبما أنه لا يوجد هناك مصلون دائمون طوال العام، فإن نشاط هذا المركز والمسجد وحيويتهما ستكون في أثناء فترة الصيف، أي في فترة وجود السياح المسلمين الكثيرين جداً هناك، وسؤالنا هو: هل يجوز أن تدفع من أموال الزكاة لمثل هذا المشروع؟ وخصوصا أن القصد منه هو جمع شتات المسلمين الذين يوجدون هناك على فترات متقطعة، وهناك أمل في المستقبل إن شاء الله أن يتحول إلى مركز إسلامي عامر بالحيوية طوال أيام السنة؟

ـ أجابت اللجنة:

بجواز دفع أموال الزكاة لهذا المشروع ما دام القصد منه نشر الدعوة الإسلامية في بلاد الكفر.

الدفن في المسجد

عُرض على اللجنة السؤال المقدم من الشيخ عبدالله وهو:

ما حكم الشرع في رجل بنى مسجداً وأوصى بأن يُدفن في صحن هذا المسجد بعد موته؟

ـ أجابت اللجنة: إن الصحن جزء من المسجد فلا يجوز الدفن فيه، أما الأرض التي حول المسجد الخارجة عنه، فلا مانع من الدفن فيها لأنها ليست من المسجد، ولكن الأولى عدمه أيضاً.

مسجد تحت دورة مياه

عرض السؤال الوارد من المركز الإسلامي في غرناطة:

وفحواه أن المركز يريد نقل مكان الصلاة إلى مكان أوسع، والمتيسر لهم شقة كبيرة يُراد إزالة جدرانها الداخلية لتكون قاعة واسعة إلاَّ أنه ينشأ من ذلك أن يكون فوقها، حمام ودورة مياه الشقة التي فوقها فهل هناك مانع شرعاً من إقامة الصلاة في مكان فوقه حمام ودورة مياه في الطابق الذي يعلوه؟

ـ أجابت اللجنة : إن ذلك لا يمنع من صحة الصلاة في المكان المذكور، وينبغي أن يحافظ على المسجد من أن تناله النجاسة وينزه مما يشوش على المصلين.

دفع الزكاة لإنشاء معهد طبي

تقدم إلى اللجنة المدعو ياسين عن جمعية أصدقاء مرضى الكبد ـ وعرض السؤال التالي:

هل يجوز صرف بعض أموال الزكاة لإنشاء معهد لأمراض الكبد ـ التي استشرى داؤها وكثرت ضحاياها ـ ولعلاج المحتاجين من المسلمين.

ـ أجابت اللجنة بما يلي:

من مصارف الزكاة كما ورد في القرآن الكريم «سبيل الله». وسبيل الله في الأصل كل عمل خالص يتقرب به إلى الله تعالى، والإجماع على أن الجهاد داخل في معنى «سبيل الله»، ولكن هل يمنع غيره من أنواع البر أن تدخل فيه؟

فقهاء المذاهب الأربعة لا يرون الصرف من سهم «سبيل الله» في غير الجهاد، ولكن بعض العلماء قديماً وحديثاً فسروا «سبيل الله» بما يشمل سائر المصالح والقربات وأعمال الخير والبر منهم الفخر الرازي في تفسيره، حيث قال: إن القفال نقل في تفسيره عن بعض الفقهاء، أنهم أجازوا صرف الصدقات في جميع وجوه البر، ولم يعقب الرازي على نقل القفال مما يوحي بميله إليه. ومنهم السيد صديق حسن خان في كتابه «الروضة الندية» الذي قرر أن الجهاد وإن كان أعظم الطرق إلى الله، لكن لا دليل على اختصاص هذا السهم به، بل يصح صرف ذلك في كل ما كان طريقاً إلى الله.

ومنهم الشيخ رشيد رضا في تفسيره «المنار» الذي قرر أن سبيل الله يشمل سائر المصالح الشرعية العامة التي هي ملاك أمر الدين والدولة. والشيخ محمد شلتوت أيّد رأي الشيخ رشيد رضا في كتابه «الإسلام عقيدة وشريعة» وأفتى بجواز صرف الزكاة لبناء المساجد والمستشفيات كما في كتابه «الفتاوى». والشيخ حسنين مخلوف أفتى بجواز دفع الزكاة لبعض الجمعيات الخيرية الإسلامية مستنداً إلى ما نقله الرازي عن القفال وغيره في معنى سبيل الله.

وعلى هذا، فإن الجهاد المعروف وإن كان هو المراد بسبيل الله في العصور الأولى، لأنه كان أهم ميدان للدعوة ورد العدوان، فإن الله قد أمر بالإعداد للجهاد بما يستطاع من القوة، ولا شك أن أسلحة العدو ضد الإسلام والمسلمين تغيّرت وتطورت فلا بدَّ من مواجهتهم بمثل أسلحتهم أو بأقوى منهم، وسلاح العلم والبر والعلاج من أقوى الأسلحة التي يجب أن نواجه بها مخطط الأعداء.

ومن هنا يجوز صرف جزء من أموال الزكاة في بناء مستشفيات لعلاج الفقراء وللدراسة العلمية لابتكار أحد الوسائل وأنجحها في مكافحة المرض، وهو بالتالي مكافحة للجهل ومكافحة للفقر أيضاً.

اتباع الأولاد خير الأبوين ديناً

عُرض على اللجنة الاستفتاء المقدم من المدعو/ ناصر، وهذا نصه:

تزوج رجل مسلم بامرأة مسيحية، ثم أنجب منها أولاداً، وقد عمَّدتهم والدتهم المسيحية في الديانة المسيحية بعد وفاة والدهم وهم أطفال، فهل يعتبر الأبناء مسلمين أم يجب عليهم إشهار إسلامهم عند بلوغ الرشد؟ مع العلم بأنهم يمارسون حياتهم العملية كمسلمين، أم تسري بحقهم قاعدة خير الأبوين ديناً ويكونون بذلك مسلمين دون حاجة إلى إشهار إسلامهم؟

ـ أجابت اللجنة بما يلي:

أن الأولاد مسلمون تبعاً لأبيهم، وقد عمدتهم أمهم وهم صغار وكانوا مسلمين في ذاك الوقت ولذلك يبقون على إسلامهم، وليسوا في حاجة إلى إشهار إسلام من جديد بعد البلوغ.

إسلام زوج المسيحية

وحضر إلى اللجنة المدعو/ بيتر، ورغب في أن يعلن إسلامه:

وبعد أن استفسرت منه اللجنة واطمأنت إلى صدق رغبته في اعتناق الإسلام، أمرته أن ينطق بالشهادتين، فنطق بهما وتعهد بالالتزام بأحكام الإسلام.

ـ وقد أفادته اللجنة:

أنه بذلك أصبح مسلماً تجرى عليه أحكام الإسلام، ولا يلزمه فراق زوجته المسيحية، أما أولاده فيصحبون مسلمين بإسلامه، حيث إنهم كلهم دون البلوغ.

تفريق من أسلمت عن زوجها النصراني

عُرض على اللجنة السؤال المقدم من المدعو/ أحمد، من زيوريخ (وظاهر نص السؤال أنه من المركز الإسلامي هناك) ونصه كالتالي:

امرأة كانت نصرانية وأسلمت، وطلبت منَّا إعطاءها شهادة بذلك، للتمكن من الحصول على تأشيرة لأداء فريضة الحج، ولما أخبرتنا أن زوجها النصراني ما زال على دينه أوضحنا لها حكم الشرع في وجوب التفريق بينهما، إلاَّ إذا دخل في الإسلام، فأجابت بأنه لا يرغب الآن في الإسلام، ولا تريد أن تكرهه على ذلك، وقالت إنها لا ترغب في مفارقته، لأنه يسمح لها بأداء ما تريد من شعائر، وتأمل في إسلامه مستقبلاً، لذلك كانت إجابتنا: أنه بالرغم من أننا نعتبرها مسلمة إلاَّ أننا نرفض إعطاءها هذه الشهادة، لمخالفة المرأة للحكم الشرعي، وحتى لا يكون هذا تشجيعاً لغيرها على مثله.

نرجوا إفتاءنا في تصرفنا هذا، وبخاصة أننا بذلك قد نحول بينها وبين أداء فريضة الحج بسبب إصرارها على مخالفة الحكم الشرعي.

ـ أجابت اللجنة بما يلي:

ما تصرف به المركز المذكور هو عين الصواب، فإن تصرف المرأة كان خاطئاً، وليعلم المركز أن ما يقتضيه إسلام المرأة هو مفارقة الزوج النصراني إن أصرّ على نصرانيته، وأن بقاءها على عصمته هو جانب غير مشروع، وينبغي على المركز أن يبيّن لكل من يريد إشهار إسلامه، ما يترتب على إسلامه من أثر في حياته الاجتماعية.

ما يترتب على الدخول في الإسلام

تقدم إلى اللجنة المدعو/ جوبالان ـ هندوسي ـ وهو متزوج من هندوكية، وله منها ثلاثة أبناء، أكبرهم يبلغ من العمر ١٠ سنوات.

وقد أبدى جوبالان رغبته بالدخول في الإسلام.

وبعد أن استفسرت منه اللجنة: طلبت منه أن ينطق باللغة العربية بالشهادتين، فنطق بهما قائلاً: «أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبدالله ورسوله، وأن البعث بالروح والجسد حق، والحساب حق، والجنة حق، والنار حق، وبرئت من كل دين يخالف دين الإسلام»، وتعهد بأن يقوم بأركان الإسلام، واختار لنفسه اسماً جديداً هو محمد، وأخبرته اللجنة بأن أبناءه أصبحوا مسلمين بإسلامه.

أما بالنسبة لزوجته: فقد نصحته اللجنة أن يعرض الإسلام عليها أولاً، فإن قبلت بقيت عنده، أما إن أبت فإنها تحرم عليه، ويجب أن ينفصل عنها.

تغيير اسم غير إسلامي

حضر إلى اللجنة المدعو/ ياتيني ـ تايلندي الجنسية ـ وأفاد اللجنة أنه مسلم أصلاً إلا أن اسمه غير إسلامي، ويود تغيير اسمه إلى اسم إسلامي.

وقد قامت اللجنة باختباره فقرأ فاتحة الكتاب والتشهد قراءة جيدة جداً، وتبين أن معرفته بفرائض الإسلام معرفة جيدة جداً.

وعليه فإن اللجنة مطمئنة إلى أنه مسلم حقاً.

أما الاسم فلا يترتب عليه شيء، وأن تغييره ليس من اختصاصات اللجنة.

من هدي كتاب الله

من هدي كتاب الله

(الشمس والقمر بحسبان. والنجم والشجر يسجدان. والسماء رفعها ووضع الميزان. ألا تطغوا في الميزان. وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان. والأرض وضعها للأنام. فيها فاكهة والنخل ذات الأكمام. والحب ذو العصف والريحان. فبأي آلاء ربكما تكذبان)

الرحمن ٥ ـ ١٣

من هدي رسول الله ﷺ

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

«من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير في اليوم مئة مرة كانت له عدل عشر رقاب، وكتبت له مئة حسنة، ومحيت عنه مئة سيئة، وكانت له حرزاً من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي، ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا رجل عمل أكثر منه، وقال: من قال سبحانه وبحمده في اليوم مئة مرة حطت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر»

رواه البخاري ومسلم

قال أهل اللغة

قال أهل اللغة إن «الهوزة» هي القطاة و«القطامي» هو الصقر بضم القاف وفتحها و«عكرمة» هي الحمامة» و«الهيثم» هو فرخ العقاب، و«سعدانة» هي الحمامة، و«الحيرة» الأسد، وكذلك الهيصم وأسامة والدلهمس وهرثمة والضيغم، وأما «نهشل» فالذئب وكلثوم الفيل، وشبث: دابة تكون في الرمل وجمعها شبثان، كأنها سميت بذلك لتشبثها بما دبت عليه، وأما سيابة فواحدة السياب وهو البلح وأما حمزة فبقلة.

موقف الناس من الحياة

الناس في موقفهم من الحياة نوعان:

نوع متجهم الوجه، تؤذيك رؤيته وهؤلاء نسميهم المتشائمين اليائسين، وهم الرمال التي ترفضها أمواج القوة في خضم الحياة الكبيرة، فتقذفها نحو الشاطئ لتستريح هناك إلى الأبد، ومثل حياتهم في الوجود مثل شعلة التبن، ترى لها ضوءاً، لكنك لا تحسّ قربها دفئاً، وتشعر بقوة اشتعالها وسرعة تألقها، لكنها لا تلبث أن تنطفئ دون أن تترك وراءها جمرة واحدة وهؤلاء خاطبهم الشاعر بقوله:

أيهذا الشاكي وما بك داء
كن جميلاً ترى الوجود جميلاً
هو عبء على الحياة ثقيل
من يظن الحياة عبئاً ثقيلاً

قتلتني اليوم

أكب رجل من بني مرة على مالك ابن أسماء، يحدثه في يوم صيف ويغمه ويثقل عليه، ثم قال:

أتدري من قتلنا منكم في الجاهلية؟

قال: لا، ولكني أعرف من قتلتم منا في الإسلام، قال: ومن هم؟

قال: أنا، قتلتني اليوم بطول حديثك، وكثرة فضولك.

أقوال مأثورة

ـ التواضع هو الفضيلة الوحيدة التي لا يستطيع صاحبها أن يفاخر بها.

ـ حق يضُر خير من باطل يسر.

ـ الكلمة الطيبة نضارة الدنيا وزاد الآخرة.

ـ النفس إن لم تشغلها بالطاعة، شغلتك بالمعصية.

من أصناف السياسيين

أكثر السياسيين كذباً، أكثرهم احتقاراً لوعي الشعب، وأكثرهم تبدلاً، أكثرهم مهانة في نفسه، وأكثرهم حرصاً على الفتن، أكثرهم فقداناً للمؤهلات، وأكثرهم جرأة على الحق والفضيلة، أكثرهم فقراً في الدين والأخلاق.

مقدار الطعام للغذاء

ورد في سيرة ازدشير بن بابك أنه سأل طبيباً عربياً: ما مقدار الطعام الذي يلزم للتغذية في اليوم الواحد؟ فقال له الطبيب: يكفي وزن مئة درهم، فقال أزدشير: هذا المقدار ماذا يعطي من القوة؟ فأجابه الطبيب: «هذا المقدار يحملك وما زاد على ذلك فأنت حامله».

مرآة النفس

قيل: حق على العاقل أن يتخذ مرآتين ينظر في إحداهما إلى مساوئ نفسه فيتصاغر ويصلح ما استطاع منها، وينظر في الأخرى إلى محاسن الناس فيتخذ فيها ويأخذ منها ما استطاع.

بقلم : عبدالغني أحمد ناجي

الأدب الملتزم

لا يُمارى أحد في أنَّ الفضائل الإنسانية هي نبع سعادة الإنسان في الحياة، ومن ثمَّ جاءت الديانات السماوية كلها تدعو إليها من عند الله تعالى الذي يريد لعباده سعادة الدارين، لهذا كانت كل الوسائل الحيوية التي تحض على الفضائل، وتحارب الرذائل . من أهداف الدين الحنيف، ومن صميم رسالته في الحياة. فالفن مثلاً بشتى ضروبه وأنواعه إذا كان ملتزماً بنشر الفضيلة، وداعياً إليها بطريق غير مباشر . يؤيده الدين، ويرضى بمزاولته كوسيلة من وسائل تحقيق أهدافه المثلى، فأهمُّ تلك الأهداف مكارم الأخلاق كما جاء . بأسلوب القصر البلاغي . في حديث رسول الله . صلى الله عليه وسلم . القائل: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق».

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن من أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً وألطفهم بأهله» رواه الترمذي والحاكم وقال صحيح على شرطهما... (الترغيب).

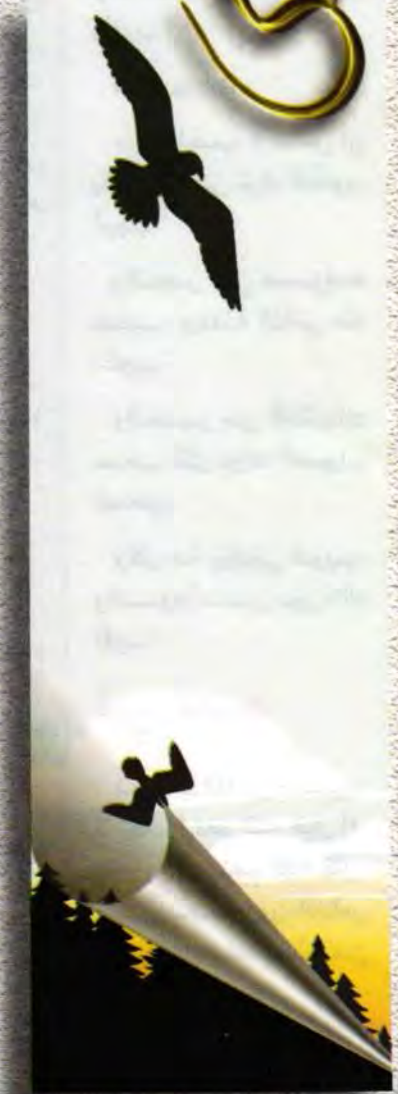
فالأدب بشتى معانيه ومضامينه . يحمل معنى الخلق الفاضل الذي يتّسمُ به ا الفضلاء والعقلاء في الحياة، ويعني ذلك خروج كل فنٍ يدعو إلى الرذيلة، ويُدغدغ العواطف، أو يثير الغرائز الشريرة في الإنسان . من دائرة الأدب، وما أروع المقولة الدارجة التي ينطقها البسطاء من الناس في ثقة واعتزاز: «الأدب فضّلوه على العلم»!!

فلفظة الأدب في هذه المقولة تعني حُسْنَ الخلق لا غير،نقول هذا في مجابهة الصيحات الآثمة التي يطالب أصحابُها بحريّة الأدب والفن، مهما كانت تلك الحرية، ومهما كان هدفها في واقع الناس، ومهما أدّت إلى انفلات من القيم والفضائل، فالشعر المكشوف، والغزل الإباحي، والهجاء المقذع، ووصف العورات والسَّوءات . في نظر أصحاب هذه الصيحات . أدبٌ وفنٌّ!!

ولكنَّ العقل الإنساني السَّويّ يرفض ذلك بشدة، فالعقل السويّ يتفق في بُعده الأخلاقي مع تعاليم الدين الحنيف، ومن ثمَّ وجدنا الشاعر الجاهلي الملتزم «عنترة بن شداد» ينطق ببيت واحد من الشعر يعدل به قصيدة أو معلقة، لإيحاء ذلك البيت بما يلتزم به ذلك الشاعر الكبير من خلق فاضل يأبى عليه أن ينظر إلى زوجة جاره، أو ينظر إلى الجهة القادمة منها، لأن ذلك النظر يأباه الطبع الإنساني السليم قبل أن يأباه عليه دين قويم، يقول عنترة:

وأغضُّ طرْفي إن بدت لي جارتي
حتى يواري جارتي مأواها

فليتهم يفهمون أو يفقهون المغزى اللغوي الأصيل من لفظة «أدب»، فمغزاها . في القديم والحديث . خُلق فاضل، والتزام بالقيم التي أقرَّها عقلاء البشر منذ بدء الخليقة، وجاء الدين فزكاها، ودعا إليها، فتعاليم الدين، وأهداف الأدب السامي الملتزم بالقيم . يمتحان من نبع واحد هو الخلق والقيم، وما نأى عن هذا النبع الصافي فليختر له أصحابه أسماء وصفات غير الأدب، وسيظل الأدب الملتزم بالقيم في قمة الفنون لدى العقلاء والمنصفين. ■





الوعي الإسلامي
al-Waei al-Islami
إسلاميـة شهرية جامعة
On The Internet على الانترنت
e.mail: al_waei@hotmail.com
Homepage: www.kuwait.net/~awqafnet
براعم الإيمان
الحمامة البيضاء
براعم الإيمان
نهاية رجل بخيل
الوعي الإسلامي
سمو الأمير وشخصية العام الخيرية
دروب العمل الخيري عطاء ونماء
تأملات تربوية في أحاديث الصيام
مؤتمر استقرار البيت الكويتي
الوعي الإسلامي
الوعي الإسلامي
في ذكرى الاحتلال البغيض
ص.ب. : ٢٣٦٦٧ ـ الصفاة ـ 13097 ـ الكويت ـ هاتف : ٢٤٨٧٢١٠ (+٩٦٥) فاكس : ٢٤٣١٧٤٠ (+٩٦٥)
P.o.Box : 23667 - Safat - 13097 - Kuwait - Tel. (+965) 24 87 210 - Fax : (+965) 24 31 740

الوفاء

إن الوفاء يتجلى في أحلى صوره حين يكون خالياً من المدح، ملتهباً بالشوق، وحين يتوج هذا كلّه علمٌ رصينٌ، وفقةٌ واسعٌ، وكان العلم والفقه ولا يزالان - يجمعان قلوب طلابهما على الألفة المحضة، ومن ذلك ما كان من أمر الأخوين العالمين: إبراهيم ومحمد ابني سليمان الجراح رحمه الله، وكان من جميل ما كتبه الشيخ إبراهيم أطال الله عمره في أخيه الشيخ محمد رحمه الله قوله: «كنت وأخي كما قال أخو مالك بن نويرة:

وكُنَّا كندماني جذيمة حقبة
من الدهر حتى قيل لن نتصدّعا
فلما تفرّقنا كأني ومالكاً
لطول اجتماع لم نبت ليلة معاً

كان أخي جلداً صبوراً على ما تعرض له من إصابات لا يشكو إلا إلى الله، وكان في مرض موته رحمه الله يصلي جالساً ولم يترك فرضاً واحداً حتى وهو بالرمق الأخير، وكنت إذا نظرت إلى مكانه خالياً بعد فراقه غلبتني الدمعة فذكرت قول القائل:

وما غُلبنا على صبر ولا جلد
حتى أتتنا نواكم من صياصينا

وقول الآخر:

وما انسدّت الدنيا عليَّ لضيقها
ولكنَّ طرفاً لا أراك به أعمى

قالت العرب

قالت العرب قديماً: «أخوك من صدقك» ويعني به صدق المودة والنصيحة، وتقول أيضاً: «أخوك من واساك بنشب».

وقال الشاعر:

إن أخا الهيجاء من يسعى معك
ومن يضر نفسه لينفعك
ومن إذا ريب الزمان صدعك
شتت فيك شمله ليجمعك

وقالت العرب أيضاً: «لأخيك عليك مثل الذي لك عليه»، ولا تعني هذه الأمثال لسامعها أو قارئها أن يستهلك صديقه وأخاه بحيث يذهب بكل ماله مثلاً أو يعرضه للمهالك. فقالت في هذا المعنى: «ما استبقاك من عرضك للأسد».

من أجمل ما قرأت

قال الأصمعي: قرأت هذه الآية: (والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالاً من الله والله عزيز حكيم) وكان إلى جانبي أعرابي فقلت سهواً والله غفور رحيم، فقال الأعرابي: كلام مَنْ هذا؟ قال أعد. فأعدت والله غفور رحيم، فقال: ليس هذا كلام الله. فتنبهت فقلت: «والله عزيز حكيم»، فقال: أصبت هذا كلام الله. فقلت أتقرأ القرآن؟ قال: لا، فقلت: فمن أين علمت أني أخطأت؟ قال: يا هذا عَزَّ فحكم فقطع، ولو غفر ورحم لما قطع.

الجرح المفتوح

سئلت إحدى الفصيحات: ما الجرح الذي لا يندمل، قالت: حاجة الكريم إلى اللئيم ثم يرده، قيل لها: فما الذل؟ قالت: وقوف الشريف بباب الدنيء ثم لا يؤذن له.

إياك والظلم

لا تظلمن إذا ما كنت مقتدراً
فالظلم مصدره يفضي إلى الندمِ
تنام عيناك والمظلوم منتبه
يدعو عليك وعين الله لم تنم

أبيات لا نقاط على أحرفها

الحمد لله الصمد
حال السرور والكمد
الحول والطول له
لا ورع إلا ما سرد
كل ما سواه هالك
لا عِدد ولا عدَدْ

الذهب يذكّر ويؤنث

التبر يذكر، ويؤنث، فيُقال هي الذهب الحمراء، ويُقال: إن التأنيث لغة الحجاز واحدته ذهبة والجمع أذهاب وذهوب.

ثمانية أمور

يروى أن الإمام الشافعي رحمه الله سئل مرة عن ثمانية أمور: واجب وأوجب، عجيب وأعجب، وصعب وأصعب، وقريب وأقرب.

فكان جوابه:

من واجب الناس أن يتوبوا، لكن ترك الذنوب أوجب.

والدهر في صرفه عجيب، وغفلة الناس منه أعجب.

والصبر من النائبات صعب، لكن فوات الصواب أصعب.

وكل ما يرتجى قريب، والموت من دون ذاك أقرب!!

في الحسد

قال عبدالله بن مسعود: لا تعادوا نعم الله، قيل له: ومن يعادي نعم الله؟ قال: الذين يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله.

اللجنة الكويتية المشتركة للإغاثة

تشريد . إبادة وهتك أعراض .. دماء ودموع !!

كوسوفا تستغيث فهل من معتصم يجيب؟



قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :- « مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » رواه مسلم

تستقبل التبرعات في :

حساب كوسوفا : ٥ / ٣٦٥٨٣ بيت التمويل الكويتي

مقر اللجنة الرئيسي - الشرق - شارع أحمد الجابر - مبنى الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية - الدور الرابع ت : ٢٤٤٥٧٢٠ - بيجر : ٩٣١٧٥٥٧

وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية - بيت الزكاة - الهيئة الخيرية الاسلامية العالمية واللجان التابعة لها - جمعية الاصلاح الاجتماعي واللجان التابعة لها - جمعية احياء التراث الاسلامي واللجان التابعة لها - جمعية النجاة الخيرية واللجان التابعة لها - جمعية الشيخ عبد الله النوري الخيرية - لجنة الفلاح الخيرية - جمعية المعلمين الكويتية - الاتحاد الوطني لطلبة الكويت الجمعية الطبية الكويتية - جمعية الرعاية الاسلامية - الجمعية الخيرية للتضامن الاجتماعي - الجمعية الثقافية الاجتماعية النسائية - جمعية بيادر السلام النسائية

الوعي الإسلامي

إسلامية شهرية جامعة

al-Waei al-Islami

العدد ٤٠٥ ـ السنة السادسة والثلاثون ـ جمادى الأولى ١٤٢٠ هـ ـ أغسطس / سبتمبر ١٩٩٩ م

الثقافة العربية في عصر العولمة



الأسرى.. موجز مأساة إنسانية

المرأة المسلمة من مؤتمر مكسيكو وحتى مؤتمر بكين

هديتك مع العدد براعم الإيمان

الأمانة العامة للأوقاف

شارك معنا من خلال

السهم الوقفي

بقيمة ١٠ د.ك

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
«إذا مات الانسان إنقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له»
رواه مسلم

- بـ١٠ د.ك فقط يكون لديك صدقة جارية الى ما شاء الله.
- احرص معنا على اقتناء سهم وقفي أو أكثر.
- بالانفاق المباشر أو بالاستقطاع الشهري بواسطة البنك.

للاستفسار :
رقم : (٢٤١-٨٠٠٨) صباحاً

ولخدمة التحصيل السريع
بيجر : (٩٢٥-٩٢٥٠)

السهم الوقفي
صدقة جارية .. لخدمة الدين والمجتمع

الوعي الإسلامي

إسلامية ❖ شهرية ❖ جامعة

تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية
في دولة الكويت في مطلع كل شهر عربي

Islamic Monthly Magazine, Published By The
Ministry of Awqaf & Islamic Affairs - Kuwait

رئيس التحرير
CHIEF EDITOR
د. صالح أحمد الراشد
Dr. SALEH A. AL-RASHED

المشرف الإداري والمالي
ADMN. & FINANCE DIRECTOR
خالد عبداللطيف بوقماز
KHALED A. BUQAMMAZ

سكرتير التحرير
EDITORIAL SECRETARY
وائل أحمد الهنيدي
WAEL A. AL-HUNAIDI

الإشراف الفني
ART DESIGNER
صالح محمد صالح
SALEH M. SALEH

العدد 405. السنة الخامسة والثلاثون - جمادى الأولى 1420 هـ - أغسطس / سبتمبر 1999 م

الأسعار

الكويت: ٣٥٠ فلسا - السعودية: ٤ ريالات - البحرين: ٣٠٠ فلس. قطر: ٤ ريالات - الامارات: ٤ دراهم - سلطنة عمان: ٣٠٠ بيسة - الأردن: ٥٠٠ فلس - مصر: جنيه واحد - السودان: ٥ جنيهات. موريتانيا: ١٢٠ أوقية - تونس: دينار واحد - الجزائر: ٥ دنانير - اليمن: ٥ ريالات - لبنان: ١٠٠٠ ليرة - سوريا: ٢٠ ليرة - المغرب: ٦ دراهم - ليبيا: ٥٠٠ مليم - اوروبا: جنيه استرليني واحد او مايعادله - امريكا وبقية دول العالم الاخرى: دولاران او مايعادلهما.

كلمة العدد

نحن والقراء

كمٌّ هائل من الرسائل تلقيناه من الإخوة القراء بسبب تناولنا ذكرى مولد النبي العظيم محمد ﷺ في افتتاحية العدد ٤٠٣ من مجلة الوعي الإسلامي وتحت عنوان «ذكرى المولد وعملية الفرز الحضاري». ونحن إذ نشكر قراءنا الأعزاء الغيارى على هذا التفاعل الطيب والإيجابي مع موضوعات المجلة إلا أننا أحببنا أن نؤكد لقرائنا حقيقتين مهمتين ركزَّ عليهما المقال وهما:

١ - نحن لم ندع من خلال المقال المنشور للاحتفال بالمولد النبوي على أنه أحد أعياد المسلمين، كما ورد في رسائل القراء.

٢ - المقال كان تذكيراً فقط بالمبادئ التي جاء بها الرسول الكريم ﷺ للتمسك بنهجه في زمن التحولات الحضارية التي تقودها أطراف عدة تحاول استبعاد المسلمين عنها.

مرة أخرى، نقول لقرائنا: شكراً لكم على غيرتكم ونرجو الله سبحانه وتعالى أن يسدد خطانا ويأخذ بأيدينا لما فيه خير الإسلام والمسلمين. ■

الوعي الإسلامي

المراسلات

المراسلات كافة باسم رئيس التحرير
مجلة الوعي الإسلامي
ص.ب: ٢٣٦٦٧ - الصفاة - 13097 - الكويت
هاتف ٥٣٤٨٩٧٦ (٩٦٥+) فاكس ٥٣٤٨٩٥٤ (٩٦٥+)

al-Waei al-Islami
P.O. BOX 23667 SAFAT
13097 KUWAIT
TEL. 965 5348976 FAX 965 5348954

e.mail: al_waei@hotmail.com
Homepage: www.kuwait.net/~awqafnet

الاشتراكات

- داخل الكويت:
للأفراد ٥ دنانير - للمؤسسات ١٠ دنانير كويتية
- الدول العربية:
للأفراد ٦ دنانير كويتية (او مايعادلها).
- دول العالم:
للأفراد ١٠ دنانير كويتية (او مايعادلها).
- للمؤسسات:
٢٠ ديناراً كويتياً (او مايعادلها).

ترسل قيمة الاشتراكات في شيك إلى إدارة المجلة باسم مجلة الوعي الاسلامي
(الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)

المجلة غير ملتزمة بإعادة أي مادة تتلقاها للنشر. والمقالات لا تعبر بالضرورة عن رأي الوزارة

مطابع السياسة - الكويت

وكيل التوزيع شركة الخليج لتوزيع الصحف هاتف ٤٨١٦٨٨٤/٥ / ٤٨٣٥٠٤٧ ص.ب ٤٢٠٥٧ الشويخ 70651 الكويت - برقيا نيوزبيبر

في العدد

قضايا إنسانية

الأسرى موجز مأساة إنسانية



10

بعد مرور عدة سنوات على الغزو العراقي الغاشم لدولة الكويت مازال أكثر من ٦٠٠ أسير يحتجزهم النظام العراقي ويرفض الإدلاء بأية معلومات عنهم.

مجتمع 34

التعايش مع غير المسلمين

ما حقيقة التعايش السلمي بين المسلمين وغيرهم وما حقيقة المفاهيم التي تهدف إلى احتكار الرأي لدى فئة من المسلمين دون غيرها وما الأطر العامة التي تضبط علاقة المسلمين بغيرهم.

قضايا معاصرة 54

المرأة المسلمة من مؤتمر مكسيكو إلى مؤتمر بكين

هل نجحت المحاولات الشيطانية لجر المرأة المسلمة خلف الشعارات ذات البريق الزائف وما النتيجة التي جنتها المرأة الغربية وهي تلهث وراء سراب المساواة والحرية؟

الفهرس

الافتتاحية

في ذكرى ٢ أغسطس الابتلاء تمحيص للأمم

تصاب الأمم والمجتمعات بفتن ومحن تخرج منها أصلب عوداً وأقوى بأساً، وأحدّ بصيرة، لكن جراح تلك المحن والأزمات تظل ترسل إشعاعاً مؤلماً على مدى الزمن بل يكون لها بريق حال دوران وقتها، خاصة إذا كان هناك ما يدعو إلى أليم الذكرى كآثار ومخلفات لتلك الأزمات والكوارث ولا سيما إذا كانت عدواناً... حرباً... غزواً... وبلدنا الحبيب الكويت ليس استثناء من القاعدة، فقد حدث له ما يحدث لأقطار أخرى في العالم حال الهجوم المباغت من الجار الغشوم ونظامه الغادر والناكث لأحكام الدين الحنيف الإسلام، وللمواثيق والمراسيم الدولية والعالمية.

إننا إذا نظرنا للغزو بصورة غير المعهودة عند أنظمة العالم من كونه عدواناً وخديعة وظلماً، فإننا من منطلق المنظور الإسلامي العادل والداعي للخير والموجه لليقين بقضاء الله وقدره والحاث على الصبر والثبات... إننا من كل ذلك نعي وندرك أن المنظور الإسلامي يوجه إلى وعي وفقه الابتلاء، وأنه سنة الله في خلقه، وأنه تبارك وتعالى كتبه وقدّره لحكمة وسبب خلاصتها وأدق معنى من معانيها أن الابتلاء تمحيص للأمم.

تمر ذكرى ٨/٢ على هذا البلد الطيب وأهله أهل الخير وجرس الأسرى يرن في الآذان، وآثار العدوان بادية بوجود ذلك النظام الآثم، إلا أن مرور السنوات أبلغ دليل على أن كل شيء في الوجود إلى انتهاء، وهذا النظام كغيره سينتهي ويزول ولن يذكر بالخير، بل سيلقى لعنات السماوات والأرض جرّاء ما قدم من جرائم وما جرّه على شعبه والعرب والمسلمين من ويلات.

إن سنة الابتلاء التي كتبها الله سبحانه على عباده بيّن لنا جل وعلا أسبابها وجزاءها يقول جل وعلا: (ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم) محمد:٣١.

ويقول سبحانه وتعالى: (والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون) البقرة:١٧٧.

وقد جعل الله سبحانه الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أكثر الناس ابتلاء، والأحاديث في الابتلاء كثيرة منها: «إذا أحب الله عبداً ابتلاه»، « لا يزال البلاء بالمؤمن حتى يمشي على الأرض وما عليه خطيئة»، إلى غير ذلك، مما ورد في الحديث، مما يدل على أن الابتلاء فيه طهارة النفس وتمحيصها ودفعها للعمل والثبات والإعداد للمستقبل، وهذا ما يجب أن ندركه ونقف عليه من معاني الثبات ودروسه ذات المواعظ والآثار العميقة حتى نكون ممن يرضى الله سبحانه عنهم ونحقق لأمتنا المكان الذي يليق بها ولمجتمعاتنا ما نرجوه له من الخير والتقدم والارتقاء. ■

رئيس التحرير

ترحب الوعي الاسلامي برسائل القراء وتنشر منها ما يتوافق مع سياسات النشر لديها بما لا يتعارض مع حقوق الآخرين وحرية الرأي. وتحتفظ المجلة بحق تنقيح الرسائل واختصارها.

كوسوفا كشفت الحقد الصربي

قرأت العدد رقم ٤٠٣ من مجلتكم وانفعلت للتحقيق الذي أجراه الأستاذ زكريا إبراهيم عن كوسوفا - لكنني رغم ما أحسست بين سطوره من حرارة وأسى إلا أنني رأيت بين السطور مدى ضعف هؤلاء الصرب ومدى قوة الإسلام رغم ما يعانيه المسلمون هناك، فكتبت هذه السطور لصفحة بريد القراء.

على الرغم من كل ما يبذله أعداء السماحة بين الأديان في الإسلام والمسلمين في كوسوفا من محاولات واهنة خائبة تكشف عن ضعف عقائدي وانهيار خلقي ومرض نفسي مستفحل في جنود الصرب حيث الحرب دون عقيدة ولا مبدأ لتصفية المسلمين في كوسوفا، كاشفي النقاب عن تنكرهم للمسيحية السمحاء والتي يدَّعون الانتماء لها وهي منهم براء، فلم تكن ولا كانت المسيحية يوماً إلا دين سماحة وخلق رفيع وقيم، وما يفعله الصرب بالمسلمين الآن يؤكد قوة عقيدتهم تلك الرسالة التي جاء بها رسول الرحمة محمد ﷺ والتاريخ يستشرف منه كثير من المواقف التي تدل على قمة التسامح وروح الإخاء والحب التي تملأ كل مسلم تجاه أخيه في الدين الآخر وتؤكد أن فكرة التعايش السلمي بين الأديان لم تكن مبدأ يطبق وبحق إلا في ظل العصور الزاهرة للإسلام والتاريخ مليء بالمواقف الدالة على ذلك.

علية عبدالعال محمد

الطفل والقراءة

إن كتب الأطفال والمجلات المتخصصة في العالم العربي والإسلامي تكاد تكون خاوية الوفاض وأنها يسيرة جداً، ومعظمها مترجم عن «قصص المغامرات والخيال العلمي الغربي». ونحن نجد في العالم العربي والإسلامي نزراً يسيراً من الأدباء يهتمون بأدب الطفولة وقصص الجهاد والبطولات الإسلامية، ولعل ذلك يرجع إلى صعوبة الكتابة ومشتقها بالنسبة لعالم الطفولة وما يتطلبه من رؤية فكرية وفنية ومراعاة المراحل الزمنية لنمو الطفل ومعرفة الحياة النفسية لديه. والسؤال المطروح لماذا الغربيون يهتمون كثيراً بأطفالهم ويخصصون لهم كتباً مصورة وقصصاً ومسرحيات ومجلات من بيئتهم وتراثهم؟

إن الإسلام حثنا على القراءة من المهد إلى اللحد وأول كلمة نزلت في القرآن الكريم هي «إقرأ» كما أن القراءة حق من حقوق الطفل في الإسلام فلماذا لا نخصص لهم كتباً وصحفاً ومجلات؟ الواقع ليس هناك فرق بين الطفل العربي المسلم والطفل الغربي إلا في التربية والرعاية وأذكر على سبيل المثال في هذا الصدد ما قاله الدكتور محمد الوهابي وهو أديب وطبيب للأطفال يقول: بينما أنا عائد يوماً من هولندا إلى بلجيكا في القطار وكان بجانبه سيدة هولندية بمعية ابنها الصغير فجأة طفق يبكي وفتحت أمه حقيبة يدها وسلمت له كتاباً وراح يقرأ بحيوية وارتياح وانقطع عن البكاء، واستغرب الدكتور الوهابي من هذه الحاثة لأنه ظن أن الهولندية ستسلم لابنها الحلوى أو الكاكاو، فإذا بها تقدم له زاداً نفيساً لا ينضب معينه وهو الزاد الفكري والتربوي الذي يحتاجه أطفالنا كثيراً، لأنهم عماد مستقبلنا وكل آمالنا وطموحاتنا. هكذا إ يقومون في ديار الغرب بتربية أبنائهم منذ نعومة أظفارهم... ويقومون بإعدادهم إعداداً صحيحاً لمواجهة وتحدي صعوبة الحياة.

د. عبدالسلام سومح - المغرب

ردود خاصة

● **حسن خلدون - المغرب :**
أعانك الله للتغلب على إعاقتك البندية ونأسف لعدم تلبية طلبك لأننا لسنا جهة طبية، ويمكنك الاتصال بصندوق إعانة المرضى في الكويت أو أية جهة خيرية فيها لإيجاد الحل لمشكلتك.

● **عبدالسلام محمد وحيد - مصر :**
شكراً على اقتراحكم بخصوص بريد القراء، لكن في بعض الأحيان تحكمنا بعض الظروف القاهرة فنضطر معها للاستغناء عن بعض صفحات البريد.

● **الإخوة القراء : عبدالقادر أحمد إبراهيم - الجزائر، ناصر عبدو - مصر، سالم محمد - السعودية، محمد بوجدو - المغرب :**
نأسف لعدم تلبية طلباتكم في إرسال المجلة مجاناً، يمكنكم إرسال قيمة الاشتراك السنوي لتصلكم المجلة بانتظام بإذن الله.

● **عبدالعليم عبدالله الخويلي - تركيا:**
عنوان وكالة الأنباء الإسلامية «إينا» هو : جدة - شارع الأمير فهد - ص.ب: ٥٠٥٤ - الرمز البريدي ٢١٤٢٢ - المملكة العربية السعودية.

تعقيب وتصحيح

خولة بنت الأزور بين الحقيقة والخيال

كتب الأستاذ محمد مروان جميل مراد في عدد مجلة الوعي رقم ٤٠٣ لشهر ربيع الأول ١٤٢٠هـ تحت عنوان «أعلام مشهورون دفنوا في دمشق» وفيما كتبه الأستاذ محمد مروان ذكر أن من بين هؤلاء الأعلام «خولة بنت الأزور».

وإن تعجب فعجب القول بوجود «خولة» هذه، وأنها من الأعلام، والحق أنها لا وجود لها إلا في مخيلة من سطر براعة كتاب فتوح الشام المنسوب زوراً وبهتاناً إلى الإمام الجليل محمد بن عمر الواقدي (ت٢٠٧هـ)، وهذه الشخصية ليست من الحقيقة في شيء: وهي شخصية قد ابتدعها وتوهمها مؤلف الكتاب المشار إليه آنفاً.

ومما زاد الطين بلة أن افتنَّ بهذه الشخصية جمهور غفير، بل كثير من مفكرينا وأدبائنا وشعرائنا ونسجوا لها البطولات والمواقف الرائعة وحتى كتب عنها البعض من كبار علماء الدين: جميعهم أشادوا ومجدوا منْ يسمونها «خولة بنت الأزور».

هذه الشخصية التي لا وجود لها في تاريخنا، بل هي محض افتراء ومن الهوس والعجب بها فقد درَّسوها لأبنائنا في بعض مراحل التعليم، وأطلقوا اسمها على الميادين المهمة وبعض بيوت التربية والتعليم، ونالت حظوة من الناس كبطلة وفارسة أبلت بلاء حسناً في بعض المواقع المهمة في التاريخ الإسلامي.

والعجب الأعجب أن الأستاذ الجليل الدكتور محمد شوقي الفنجري كتب مسرحية بعنوان: «الصحابية الفارسة خولة بنت الأزور: تاريخ حقيقي في قالب مسرحي».

وليت شعري من أين جاء سيادته «صحابية» وكيف سوَّلت له نفسه أن يزعم أنها «تاريخ حقيقي» والحق - فيما نعلم - أن الوهم والخيال أصدق من وجود هذه الشخصية المفتراة على التاريخ الإسلامي.

فإنني طوَّفت ما طوَّفت في عالمي: المطبوع والمخطوط فربماأكون عثرت على السراب دون أن أعثر على وجود لهذه الشخصية الموهومة التي افتراها واختلقها مؤلف فتوح الشام إن صح التعبير.

وكتاب فتوح الشام الذي يتداوله الناس، والذي هو محراب فكرهم ومستودع رؤاهم عن «خولة بنت الأزور» دون سواه فبتوفيق من الله أثبتّ أنه مؤلف في النصف الثاني من القرن التاسع الهجري، وإن نسبته إلى الإمام الواقدي (ت٢٠٧هجرية) محض افتراء كاذب وليس من صنعته، والبون شاسعاً بين منهج المؤرخين الأثبات، وبين منهج الأساطير الشعبية، وما حكمت به على هذا الكتاب إلا بنصوص دبجها ببراعة مؤلف «فتوح الشام».

ومعذرة للدكتور محمد شوقي الفنجري فيما زعم أنها «صحابية» ويا دكتور بين يديك كتاب الطبقات وتراجم الصحابة، والتاريخ الإسلامي الصحيح، وحتى كتب الأدب النسائي في الإسلام لأمثال: ابن طيفور وغيره، وكتب تراجم النساء في المشرق وفي الأندلس لأمثال: «ابن جميل» وغيره، وحتى كتب اللغة مثل: تاج العروس (مؤلفه ١٢٠٥هجرية)، جميعهم لم يذكروا حرفاً واحداً عن «خولة» هذه التي لا وجود لها إلا في كتاب «فتوح الشام» الذي أضلَّ كثيراً من الناس، وصوَّر لهم الباطل حقاً «يا حسرة على العباد».

وأنني كمسلم أتمنى لو أن أحداً يدلني على وجود هذه الشخصية التي ملأ اسمها طباق الأرض فروسية وشجاعة فقد بحثت كثيراً وكثيراً وتجشمت المصاعب الجسام لعلي أحظى بشيء عنها من شتى المصادر والمراجع ورجعت بخفي حنين، ولم أحظ ببغيتي ولو بأثارة علم، ولكن وا أسفاه فأننا جميعاً نفخر ونفخر ونمجد سراباً ولا وجود له البتة.

ولا نفسها أن «ابن عساكر» مؤلف كتاب تاريخ مدينة دمشق اختص النساء اللائي دخلن دمشق في الفتوحات الإسلامية بكتاب كبير من الحجم الأكبر ولم يذكر بين اللواتي ترجم لهن «خولة بنت الأزور» هذه مما يؤكد أنها وهم من الخيال وسراب يحسبه الظمآن ماء قد اخترعها مؤلف «فتوح الشام» فإن أصبت فمن الله.. وإن أخطأت فمن نفسي فالعصمة لله وحده.

فكري زكي الجزار - مصر

ذئاب في ثياب

عندما ترعى الذئاب الغنم، وصف دقيق لما يجري الآن على الساحة العالمية في ظل ما يسمى بالنظام العالمي الجديد، ونحن نعلم يقيناً أن «الذئب لن يكون أبداً راعياً للسلام»، ولن يصبح أحفاد بلفور وسايكس بيكو وأصحاب هيروشيما أمناء على عالم الضعفاء، بل إن غاية ما يصبو إليه استعمار اليوم أن يرى المسلمين ممزقين حينها «يأكل الذئب من الغنم القاصية».

عبدالكريم أحمد عوض الله - مصر

بقلم: وائل أحمد الهبيدي

جمادى الأولى

يُعدُّ موضوع المرأة، من الموضوعات التي تمس صلب الحياة إذا ما قرن بالعلم الواعي والفهم الدقيق لكل ما يمس المرأة في حياتها كلها.

وقد أكثر الكتاب والمفكرون في إبداء آراء متفاوتة شرقاً وغرباً ومنهم - كما نعلم - مُفْرطٌ في إعطاء المرأة حريتها المطلقة كما يزعم أو متشدد لم يفهم روح الإسلام الحنيف، وأخضع النص الشرعي لأعراف وعادات أقلُّ ما توصف به أنها جاهلية.

بين هذا وذاك، يبرز صوت متزن ينادي بأن نعرض كل ما وصل إليه العقل والفكر من تفريط أو إفراط، على ميزان الشرع الحكيم، إذ الشرع لا يحابي أحداً، ولا يستمد شرعيته من هوىً نفس مريضة، أو صلف تجبر أهوج.

إن أهم ما يربط علاقتنا - بني الإنسان - بعضنا ببعض ويتوجها بتاج العزة والمنعة، هو انضواؤها تحت مظلة الاستسلام المطلق لكل ما يأمرنا الله به، فيما ينظم علاقتنا بالحياة التي نعيشها، وآخرتنا التي لابد من بلوغها.

إنَّ تشعب الحياة وتنوع نشاطاتها يحتاج لضابط علمي، لا يخضع لهوىً أحد، ويعرف كل دخائل النفس وأنشطة العقل ويدرك تنوع الحاجات والمطالب والغرائز والفِطَر، وينظم علاقتها بالموارد والمصادر التي خلقها الله وسخرها لخدمة الإنسان.

وليس من نظام تنتظم فيه كل هذه الحلقات بتراص أخلاقي وتناغم عاطفي إلا الإسلام، فما من فرد في المجتمع المسلم، رجلاً كان أو امرأة، طفلاً أو شيخاً، عاملاً عادياً أو ذا منصب رفيع إلا ولكل واحد منهم دور يقوم به شعر بهذا الدور أم لم يشعر، حتى ذوي الاحتياجات الخاصة والقدرات المحدودة لهم دور لا يخفى على أي عقل منصف يتتبع مراقي العلم الصحيح والحقيقة المطلقة.

في هذا الشهر - جمادى الأولى - نقف مع حدثٍ يلفت أنظارنا إلى دور قامت به المرأة المسلمة، يبدو للوهلة الأولى متوارياً خلف شفافية التعامل الكريم وعاطفة تقدر العلاقات الإنسانية بضابط من الخلق الراقي والنفس المتزنة.

في مثل هذا الشهر وجه رسول الله ﷺ سرية تتألف من مئة وسبعين راكباً أمَّر عليها زيد بن حارثة رضي الله عنه، وكان هدفها عير لقريش عائدة بتجارة من الشام، وكان قائد هذه القافلة صهر رسول الله ﷺ أبو العاص بن الربيع، فأصاب زيد بن حارثة رضي الله عنه عير قريش وأسر منهم نفراً وأعجزهم أبو العاص هرباً، ولم يقدروا عليه، ودخل أبو العاص المدينة ليلاً واستجار بزينب بنت رسول الله ﷺ، زوجته - رضي الله عنها فلما كان النبي ﷺ والناس في صلاة الصبح، صرخت زينب من صُفَّة النساء: «أيها الناس، قد أجرت أبا العاص بن الربيع»(١). فلما سلم النبي ﷺ من صلاته قال: «ما علمت بهذا وإنه يجير على الناس أدناهم»(٢).

ترى ما الذي جعل بنت رسول الله - ﷺ - تقف من أبي العاص - وقد كان حينها مشركاً - هذا الموقف إلا حب صادق عميق، ملتزم بأدب راق لم يمنعها من إجارته، ورسول الله ﷺ لم يكن له سابق علم به وبقدومه قد أقرَّ إجارتها له ولم يمنعها.

إن هذا الحب الذي نشأ حين تزوج أبو العاص من زينب رضي الله عنها قبل الهجرة - ولم تهاجر مع أبيها إذ كانت من المستضعفين، ومكثت معه في مكة بعد الهجرة - قد جعلها حين جاء زوجها مع المشركين في بدر وأُسر مع من أسر منهم، تبعث في فداء بقلادة كانت قد أهدتها أمها لها ليلة زواجها من أبي العاص، تلك القلادة التي حملتها أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها بيدها وأهدتها لابنتها يتذكرها النبي ﷺ، ويعرفها حين يراها في المال الذي خُصص لفداء أبي العاص، فلما رأى النبي ﷺ القلادة، رقَّ لها وقال: «إن شئتم أن تطلقوا لها أسيرها فعلتم؟» قالوا: نعم وأطلقوه(٣)، فأخذ النبي - ﷺ - على أبي العاص العهد إن يخلي سبيلها إليه، فوفى أبو العاص بوعده وعادت زينب رضي الله عنها إلى أبيها ﷺ، وتمر الأعوام الأربعة(٤)، ولم يفارق أبو العاص مخيلة زوجه زينب رضي الله عنها، وهو زوجها الذي قال عنه النبي ﷺ: «حدثني فصدقني ووعدني فوفى لي»(٥).

حتى جاء الوقت الذي تستطيع فيه زينب رضي الله عنها أن تلعب دوراً مهماً في إسلام زوجها، فذهبت إلى رسول الله ﷺ وطلبت منه أن يعيد إلى أبي العاص مال قريش الذي غنمه المسلمون في سرية زيد بن حارثه رضي الله عنه، فبعث النبي ﷺ إلى السرية الذين أصابوا ماله فقال: «إن هذا الرجل منَّا حيث علمتم وقد أصبتم له مالاً، فإن تحسنوا وتردوه فإنَّا نحب ذلك، وإن أبيتم فهو فيء الله فأنتم أحق به» قالوا: بل نرده، فردوه كله»(٦).

أخذ أبو العاص بن الربيع هذا المال وعاد به إلى قريش وقد أضمر في نفسه أمراً، فما إن أدَّى إلى كل ذي مال ماله، حتى قال: يا معشر قريش... هل بقي لأحد منكم عندي شيء؟ قالوا: لا فجزاك الله خيراً. قال: «فإني أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله... والله ما منعني من الإسلام عنده - يعني الرسول ﷺ - إلا خوف أن تظنوا أني إنما أردت أكل أموالكم».

وكان إسلامه - رضي الله عنه - قبل الحديبية بستة أشهر(٧)، أي في جمادى الأولى من العام السادس للهجرة، ورد رسول الله ﷺ عليه زينب رضي الله عنها بالنكاح الأول.(٨)

وعاد الحب الذي قاسى من الفراق ولوعة التشتيت إلى دفء اللقاء ولذة الائتلاف ذاك الحب الذي لم ينقطع ولم تبتر عراه سنوات من الفراق المكاني والعقدي الذي ما لبث أن أثمر صدقاً في المودة الخالصة في ظل عبودية لله وحده ومباركة من رسول الله ﷺ.

إن بركة الطاعة هي التي تشيع الود والإخلاص، فييسر الله سبحانه وتعالى قضاءه وجميل تقديره ليعلمنا أن الحوادث والملمات متى ما سلّم الإنسان فيها أمره لله فإنه يفتح له من أبواب الخير أضعافها، بالصورة التي كانت عليها أو بأجمل منها وأبهى وأحسن، وذلك في شؤون الإنسان كلها، وجماع هذا كله - أي بركة الطاعة ولطف التدبير - هو الاستسلام المطلق لكل ما يأتي من الله.

إن العيش في ظل الطاعة والاستسلام لله بكل ما قضى وقدر تضفي على الروح إشراقاً من فيض نور الله يعيش معه العبد في جنة من لم يدخلها في الدنيا فلن يدخل جنة الآخرة، كما في أقوال بعض الصالحين. إن الإيمان حين يتمكن من نفس الإنسان يكسبه قوة الحق، ويجعل من كل شيء من حطام الدنيا هباء لا يغني من الحق شيئاً فلا ينظر لقوته ولا لعتاده وعدته ولا لحسن تدبيره إلا في نطاق استسلام مطلق لإرادة الله وطاعة لأوامره فلا يدع خطة يعظم فيها حرمات الله إلا اتخذها مهما كان الثمن غالياً ومهما كانت الظروف صعبة، وإنه ليتجلى - كل ذلك - واضحاً في حياة الصحابة رضوان الله عليهم ليضربوا مثل المؤمنين بالله حقاً.

في مثل هذا الشهر قد بعث النبي ﷺ بجيش قوامه ثلاثة آلاف مقاتل، أمّر عليهم - وللمرة الأولى - ثلاثة قواد ينوب أحدهم مكان الذي قبله، أولهم زيد بن حارثة وقال ﷺ: «فإن قتل زيد فجعفر - يعني ابن أبي طالب - فإن قتل جعفر فعبدالله بن رواحة»(٩).

وتوجه الجيش إلى مؤتة، وكان سبب بعث هذا الجيش أن أحد عمال قيصر قد اجترأ على رسول رسول الله ﷺ فقتله، وكان هذا الفعل بمثابة استهانة بالمرسِل وأشبه بإعلان الحرب، وتحرك الجيش حتى نزل بمعان من أرض الشام، وعلموا أن جيش هرقل يناهز المئة ألف ثم انضم إليه من الغساسنة وحلفائهم مئة ألف أيضاً، وتشاوروا في هذا العدد الكبير، إذا ما قورن بجيش المسلمين الذي لا يتعدى الثلاثة آلاف، فأشار بعض المسلمين أن يبعثوا لرسول الله ﷺ بكتاب، فإما أن يبعث لهم بمدد أو يأمرهم بأمر، وفي مثل هذه اللحظات يصفو صوت الإيمان، ويخلص، فلا يبقى بعد صوته صوت، ولا بعد نوره من نور.

قام عبدالله بن رواحة - رضي الله عنه - وقال: «يا قوم، والله إن التي تكرهون للتي خرجتم تطلبون - الشهادة - وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة، ما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به، فانطلقوا فإنما هي إحدى الحسنيين إما ظهور وإما شهادة»(١٠).

وما إن فرغ من كلامه حتى استقر الرأي على القتال، وقاتلوا ورسول الله ﷺ في المدينة وعيناه ﷺ تذرفان وهو يخبر الناس باستشهادهم، حتى قال: «أخذ الراية سيف من سيوف الله حتى فتح الله عليهم»(١١).

ويخفة القائد وحنكة العسكري المخضرم احتال خالد بن الوليد رضي الله عنه حيلة خلّصت المسلمين من هذا الجيش، فقد أخذ جيش المسلمين يتراجع ويحرك الغبار من خلفه حتى ظن الروم أن مدداً قد جاء وأن جيش المسلمين ينسحب ليدخلهم الصحراء فيموتوا فيها، ودبَّ الرعب في قلوبهم فلم يتبعوا المسلمين، الذين لم يقتل منهم سوى اثني عشر قتيلاً.

هكذا يفعل الإيمان فعله متى صدق وخلص لله، وصدق الله إذ يقول: (إن الله يدافع عن الذين آمنوا) الآية ٣٨/ الحج.

إن حاجتنا في كل زمان ومكان لا تنفك عن جميل التوجه إلى الله وصدق الاتكال عليه، فبه - وبه وحده - ننتصر على أنفسنا ومن ثمَّ على كل من يريد منّا أن لا نرفع بالدين رأساً، تارة بأسماء يريدون بها طمس الحق بالباطل، وتارة بالجهلانية باسم العلم والعقلانية وهي الجنون... (ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين) الآية ٣٠/ الأنفال. ■

الهوامش:

١ - ٢ - ٣ - سير اعلام النبلاء - الإمام الذهبي. ط٩ سنة ١٩٩٣م تحقيق حسين الأسد - بإشراف شعيب الأرنؤوط.

٤ - إذا علمنا أن غزوة بدر الكبرى حدثت في رمضان من العام الثاني للهجرة وكانت سرية زيد رضي الله عنه التي أسلم بعدها أبو العاص بن الربيع رضي الله عنه التي كانت في جمادى الأولى من العام السادس للهجرة تكون الفترة التي قضتها زينب رضي الله عنها بعيدة عن زوجها أربعة أعوام. وما ذكره الإمام الذهبي في الإعلام أنها هاجرت قبل إسلام زوجها بست سنين، قد يقصد به العام السادس للهجرة، وإلا فإن أبا العاص أسلم قبل الحديبية بستة أشهر، أي في جمادى الأولى من العام السادس للهجرة.

٥ - أخرجه البخاري.

٦ - نلحظ أن رسول الله ﷺ لم يلزم السرية برد المال الذي أخذوه، ولكنه ترك الأمر خيرة بينهم ليعلم الناس جميعاً أن الغنائم قبل أن تُقسم بين المحاربين فللحاكم أن لا يقسمها، ولكن بعد أن يقسمها بين الناس، قد انتقلت ملكيتها إليهم ولهم بذلك أن يردوها أو يحتفظوا بها لأنفسهم. راجع الأحكام السلطانية للإمام الماوردي.

٧ - ٨ - سير اعلام النبلاء للذهبي.

٩ - رواه البخاري باب غزوة مؤتة.

١٠ - الرحيق المختوم - صفي الرحمن المباركفوري ص ٣٧٠.

١١ - رواه البخاري.

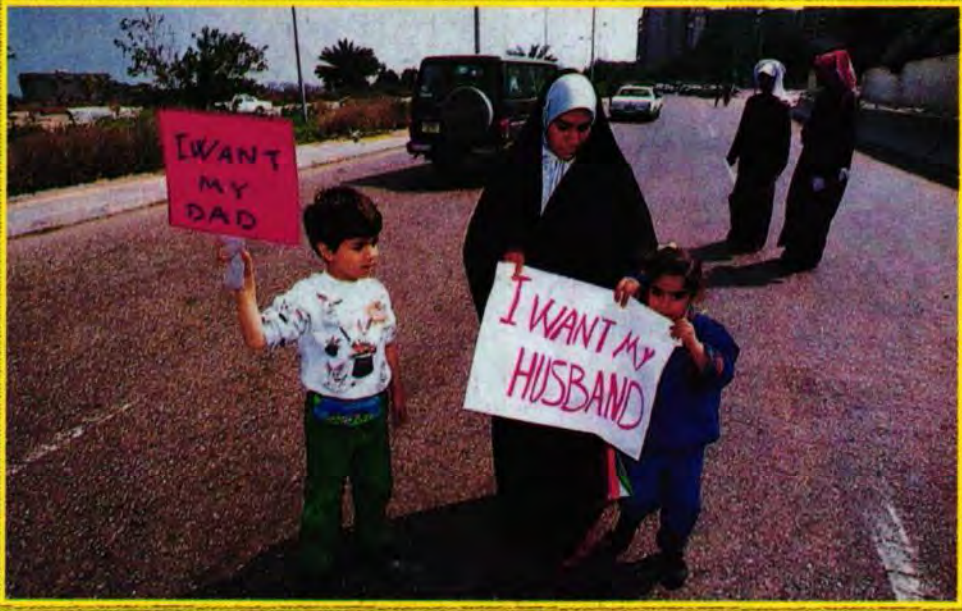
قضايا إنسانية

اللجنة الوطنية لشؤون الأسرى والمفقودين

الأسرى .. موجز مأساة إنسانية

بعد مرور سنوات عدة على غزو القوات العراقية لدولة الكويت في الثاني من أغسطس ١٩٩٠م. والذي أدانه العالم أجمع، مازال هناك أكثر من ٦٠٠ أسير يحتجزهم النظام العراقي ويرفض الإدلاء بأي معلومات عنهم.





وانطلاقاً من حرصها على الاعتبارات الإنسانية، والرغبة المؤكدة في إنهاء معاناة الأسرى كافة مع الاعتقاد الراسخ في أهمية العمل الدولي لحل النزاعات والخلافات سلمياً، فإن دولة الكويت تعلق أهمية كبيرة على القرارين ٦٨٦ الصادر في الثاني من مارس و ٦٨٧ الصادر في الثالث من أبريل ١٩٩١م (الفقرة زاي/٣٠)، وما ينصان عليه، حيث يطالبان العراق - من بين أمور عدة - بضرورة التعاون مع اللجنة الدولية للصليب الأحمر للإفراج عن جميع الأسرى.

من هذا المنطلق، شاركت دولة الكويت بفاعلية في جميع اجتماعات اللجنة الثلاثية التي ترأسها اللجنة الدولية للصليب الأحمر منذ مارس ١٩٩١م، وتضم المملكة العربية السعودية والولايات المتحدة الأمريكية والمملكة المتحدة وفرنسا والكويت والعراق طرف آخر.

وخلال الاجتماع الأول وقّع جميع الأعضاء على مذكرة تعهدوا من خلالها الالتزام بالتطبيق الكامل لجميع ما نصت عليه معاهدات جنيف لعام ١٩٤٩م وقرارات مجلس الأمن وتقديم كشوف كاملة بأسماء الأسرى والمحتجزين الآخرين تمهيداً لتأمين إطلاق سراحهم فوراً.

وفي أعقاب الاجتماعات الأولى للجنة الثلاثية، تم تسليم عدد من الأسرى إلى اللجنة الدولية للصليب الأحمر من كلا الطرفين. البعض الآخر تم إطلاق سراحه أثناء الانتفاضة في جنوب العراق خلال الاضطرابات التي أعقبت تحرير دولة الكويت، وبشكل إجمالي فإن ما يربو من ٦٠٠٠ كويتي وجدوا طريقهم عن طريق إحدى هاتين الوسيلتين (٥٧٧٢ عادوا عن طريق اللجنة الدولية للصيب الأحمر ونحو ٥٠٠ بوسائلهم الخاصة).

وبعد هذه النجاحات المبكرة، وضح أن الكثيرين مازالوا مفقودين، ومن ثم وجّهت اللجنة الثلاثية اهتمامها نحو هذه المشكلة، في أبريل ١٩٩١م، وبتوجيهات من اللجنة الدولية للصليب الأحمر وخبراتها، وافق جميع الأعضاء على خطة عمل محددة تهدف لإعادة رفات المتوفين وتتبع بقية الأسرى الذين لم يُستدل عليهم بعد.

وبينما كانت الكويت تركز كل جهودها لاستكمال ملفات شخصية موثقة يمكن الاعتداد بها وفقاً لهذه الخطة، بذل العراق غاية الجهد لإبطاء وإعاقة عمل اللجنة الثلاثية عن طريق مقاطعة الاجتماعات اللاحقة، وهكذا توقفت اللجنة الثلاثية عن عملها في أكتوبر ١٩٩١م إلى أن عادت للعمل من جديد في يوليو ١٩٩٣م، ولكن من دون مشاركة العراق.

في هذا الوقت أعدت الكويت وقدمت للعراق - عن طريق اللجنة الدولية للصليب الأحمر - أكثر من ٦٠٠ ملف فردي فائق التوثيق ومدعم بشهادات الشهود ودلائل الاعتقال.

إن نظرة عامة وسريعة على هذه الملفات تبين أن ما يقرب من ٨٩٪ من الأسرى يحمل الجنسية الكويتية من كلا الجنسين، معظمهم من المدنيين وبينهم الكثير من الطلبة، وبالنسبة للعسكريين فقد تم القبض على غالبيتهم في ملابس مدنية بينما هم خارج الخدمة، هناك أيضاً ٧ من النساء و ٢٢ من كبار السن لم يستدل عليهم بعد.

تم إلقاء القبض على نحو ٩٠٪ من الأسرى خلال الاحتلال عندما كان الغزاة يبذلون الجهد للقضاء على المقاومة الكويتية والبعض الآخر تم القبض عليه بشكل عشوائي من الشوارع.

وتقدم نسبة ٨٥٪ من الملفات شهوداً من المعتقلين أو المحتجزين في الكويت أو في العراق قبل أو بعد التحرير، والكثير من هذه الملفات تعرض مزيجاً من شهادات متعددة، حيث تظهر أسماء وعناوين جميع الشهود والأشخاص الذين قاموا بالاستعلام (أفراد العائلة الذين قاموا بفتح طلبات البحث) بشكل واضح، إضافة إلى صورة خاصة بالأسير المعني، كما ترفق بعض الوثائق الإضافية إلى هذه الملفات تدعمها مستندات عراقية رسمية تؤكد اعتقال أسرانا في العراق.

ومن الجدير بالذكر في هذا المقام، أن عدد الأسرى يمثل نحو ٠,١٪ من إجمالي عدد



السكان في دولة الكويت. ونفس هذه النسبة في جمهورية مصر العربية تعادل ٦٠,٠٠٠,٠٠٠ شخص، وفي الولايات المتحدة الأمريكية تعادل ٢٥٠,٠٠٠,٠٠٠ شخص، وفي أوروبا تعادل ٦٥٠,٠٠٠,٠٠٠ وفي الصين تعادل ١,١٢٠,٠٠٠,٠٠٠!!.

ثم مضى عام آخر قبل حضور العراق - تحت الضغط الدولي المتزايد - اجتماعاً للجنة الثلاثية في يوليو ١٩٩٤م.

ومنذ ذلك الحين، ركّزت اللجنة الثلاثية جهودها على تكوين لجنة فرعية تحمل على عاتقها مهام الإسراع في عملية البحث وتسهيل تبادل المعلومات المتعلقة بالملفات وتنفيذ جميع أعمال المتابعة على أساس نتائج نشاطات البحث وبناء الثقة المتبادلة بين جميع الأطراف.

تأسست اللجنة الفنية الفرعية في ديسمبر ١٩٩٤م، حيث عُقدت الاجتماعات الأربعة الأولى في جنيف، ومنذ أغسطس ١٩٩٥م عُقدت أكثر من ٣٠ اجتماعاً على الحدود بين الكويت والعراق، ولكن للأسف فشلت هذه الاجتماعات في تقديم نتائج إيجابية حتى الآن «انظر ما يلي لاحقاً». وبإضافة عدد ٢٣ دورة للجنة الثلاثية يتضح أن ممثلي دول التحالف والعراق قد اجتمعوا بالفعل ٥٩ مرة لمناقشة قضية الأسرى والمفقودين تحت رعاية اللجنة الدولية للصليب الأحمر.

وبعد مرور هذه السنوات على تحرير الكويت، وأكثر من أربع سنوات على الاجتماع الأول للجنة الفنية الفرعية، وعلى الرغم من إحباطها من التقدم البطيء لعملية البحث، مازالت دولة الكويت واثقة أن مسؤوليتها تجاه الأسرى إلى جانب دعم دول التحالف وخبرة وحسم اللجنة الدولية للصليب الأحمر، سوف تصل بهذه العملية إلى النتائج المرجوة.

وفيما يتعلق بالتقدم الضعيف لعملية البحث، قامت اللجنة الدولية للصليب الأحمر بالتنبيه مرات عدة على المهام غير المرضية التي تقوم بها اللجنة الفنية الفرعية، وترى دولة الكويت أن العراق يتحمل مسؤولية هذا الفشل بشكل كامل.

وحتى الوقت الحاضر، فشل العراق في طرح نتائج مقبولة فيما يتعلق بالأهداف الأساسية للجنة الفرعية



أما عن دفع عملية البحث، فقد قدم العراق ردوداً غير كاملة لعدد ١١٢ ملفاً فردياً ما بين أغسطس ١٩٩٤م ويوليو ١٩٩٥م، ولكن منذ انتقال موقع اجتماعات اللجنة الفرعية إلى الحدود وصل ١٤ رداً فقط من هذه الردود كان آخرها منذ أكثر من سنتين، وبما يصل مجموعة الآن إلى ١٢٦ رداً.

إضافة إلى ذلك، فقد فشل العراق في تقديم أي معلومات إضافية مجدية حول هذه الملفات، على الرغم من حقيقة اعترافه في هذه الردود غير الكاملة بالقبض على معظم هؤلاء الأسرى وترحيلهم خلال الاحتلال، وذلك بغض النظر عن المطالب الكويتية المتكررة التي تم تقديمها في هذا الشأن، وفي الواقع فإن معظم المعلومات المقدمة غير واضحة بشكل كبير، مضللة وغير حاسمة لتمكين اللجنة الفنية الفرعية من تحديد مصير هؤلاء الأسرى.

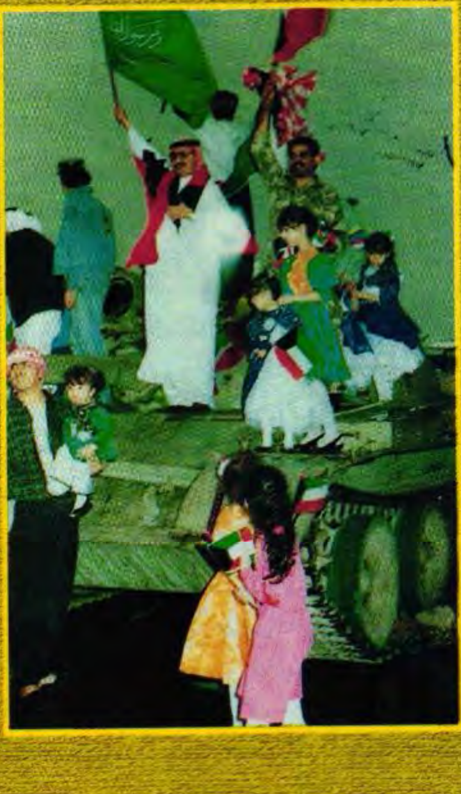
كما أن النقص في الرد على المطالب المتكررة للحصول على معلومات حول الملفات المتبقية البالغ عددها ٤٧٩ ملفاً والتي لم يبت بشأنها بعد، يعد مثالاً آخر على التحفظ العراقي بشأن تبادل المعلومات وتنفيذ إجراءات متابعة ثابتة، ومثل هذا الموقف واجهه الوفد السعودي فيما يتعلق بمطالبه المتكررة للحصول على إجابات محددة حول ١٧ ملفاً لأسرى سعوديين تم تقديمها من قبل المملكة العربية السعودية.

وفي حالة أخرى تتعلق بادعاء وجود موقع تم دفن أسير كويتي في الأراضي الكويتية، قدم العراق لمدة ثلاثة سنوات وثائق مبهمة وغير دقيقة، حيث اعترف العراق في هذه الحالة بأن أحد الأسرى الكويتيين قد توفي السجن في أثناء الاحتلال، وتم دفن جثته في الكويت، ولمدة أربعة عشر شهراً بعد تلقي هذه المعلومات ظل العراق يرفض بعناد واضح إرسال شخص ما إلى الكويت للمساعدة في تحديد الموقع، وعندما وافق على ذلك الأمر، لم يستطع مبعوثوه تقديم المساعدة، ثم استغرق الأمر عاماً آخر قبل أن يوافق العراق أخيراً على إرسال أحد الأشخاص الذين شاركوا فعلياً في عملية الدفن والذي فشل هو الآخر في تحديد موقع دفن الأسير.

وحتى وقت قريب، ما زال العراق يرفض أو يعيق بشكل مستمر مطالب اللجنة الفرعية لمقابلة شهود عراقيين أو للاتصال بهم عن طريق اللجنة الدولية للصليب الأحمر، مدعياً أنهم إما قد لقوا حتفهم أو غير معروفين للسلطات العراقية.

أثبتت وسائل العراق التحقيقية حتى الآن عدم جدواها كلية، والتي من بينها التأسيس غير المجدي في أبريل ١٩٩١م، لما يُسمى بـ«اللجنة الدائمة لضحايا الحرب»، وما يطلق عليه طريقة «الاستذكار» التي تعتمد بشكل رئيس على ذاكرة شهود مجهولين.

ورغم كل ذلك، تبقى دولة الكويت عازمة على الاستمرار في دعم عمل اللجنة الفنية الفرعية، ومساندتها لتحقيق أهدافها.





المحددة، وبالأخص إنهاء الركود الواضح في الوقت الحاضر.

هذا وتستمر دولة الكويت في استخدام مختلف الوسائل المتاحة لرعاية روح من التعاون والثقة بين الأطراف المعنية في محاولة للمساعدة لإنجاح وإثمار عمل اللجنة الفرعية.

وإجمالاً، توصي دولة الكويت الأعضاء الموقرين بمجلس الأمن التابع للأمم المتحدة بتكثيف الضغوط الدولية على العراق لحين تحقق نتائج ملموسة في هذه القضية الإنسانية، فليس هنالك أعظم من بث روح الأمن والطمأنينة لمئات من أسر الأسرى والمحتجزين الآخرين الذين لم يستدل عليهم بعد.

وبناء على ذلك، تود دولة الكويت أن تضع أمامكم المطالب التالية:

- أن يعلن العراق فوراً عن أسماء من يزال حياً ومن لقي حتفه من بين الأسرى الكويتيين ورعايا الدول الأخرى لبث الطمأنينة في نفوس أسرهم، فكما هو معروف أن حالة عدم اليقين عن مصير الأعزاء هي سبب أكيد لحزن وأسى لا يمكن تحمله.

- أن يسمح العراق على الفور للمنظمات الإنسانية مثل اللجنة الدولية للصليب الأحمر بزيارة الأسرى الأحياء، وأن يقدم الدلائل على وفاة الآخرين، إضافة إلى المواقع الدقيقة للأماكن التي تم دفنهم فيها.

- أن يبدأ العراق في التعامل الجاد والفوري مع جميع الحالات التي قدمتها دولة الكويت، وخاصة مع الوضع في الاعتبار مرور أكثر من ست سنوات بالفعل منذ تقديمها، وأن يقوم بالإسراع في عملية البحث وتدفق المعلومات دون أي تأخير.

- أن يدعو العراق اللجنة الدولية للصليب الأحمر لتنفيذ المهام المفوضة بها في السجون العراقية وأماكن الاحتجاز الأخرى وفقاً لمعاهدات جنيف وما يتفق مع قوانين ومبادئ العمل التي تطبقها هذه المنظمة.

- أن تقوم الدول الأعضاء في مجلس الأمن ببذل الضغوط المطلوبة على العراق لوضع نهاية لهذه القضية الإنسانية.

- أن يتم طرح هذه القضية داخل مجلس الأمن في كل مرة يتم تناول أسئلة تتعلق بتطبيق العراق لقرارات المجلس، مع وضع ضعف التجاوب العراقي لهذه القضية الإنسانية في الاعتبار في كل مرة يتم فيها اتخاذ قرارات جديدة. ■



أولاً الجنس :

بيان	العدد	النسبة
الذكور	٥٩٨	٪٩٨,٨
الإناث	٧	٪١,٢
الإجمالي	٦٠٥	٪١٠٠

ثانياً : تفاصيل المدنيين

حسب الأعمار	العدد	النسبة
من ١٦ إلى ٣٠ سنة	٣٤٥	٪٥٦,٩
من ٣١ إلى ٥٠ سنة	٢٣٢	٪٣٨,٥
من ٥١ إلى ٨٠ سنة	٢٨	٪٤,٦
الإجمالي	٦٠٥	٪١٠٠

ثالثاً : الأعمار :

بيان	ذكور	إناث	المجموع	النسبة
كويتيين «مدني»	٣٤٣	٦	٣٤٩	٪٥٧,٦
كويتيين «عسكري»	١٩١	-	١٩١	٪٣١,٥
جنسيات أخرى «مدني»	٣٩	١	٤٠	٪٦,٨
جنسيات أخرى «عسكري»	٢٥	-	٢٥	٪٤,١
الإجمالي	٥٩٨	٧	٦٠٥	٪١٠٠

عسكريين	سعودي	بحريني	عماني	مصري	لبناني	سوري	إيراني	هندي
٣٠	١٤	١	١	٥	٣	٤	٦	١

الشهيد

شعر:
منير محمد خلف



طوبى لِمَنْ
كانت نهايتهُ الشَهادة
طوبى لمنْ
زرعِ الحياة قصائد الحبِّ العظيم
وراح يسألُ عن تباشير الصباح
ويُوقظ الدنيا
على أفراح مملكة الولادة
طوبى لمنْ
وهَبَ الحياة حياتهُ
وتفقَّدَ الأجيالَ قبل وصولهمْ
وسما على الأشياءِ
والأشجارِ والأقمارِ
يزرعُ صدره بالشمس
يرسمُ فرحة الأطيار
في شفة الصغار
ويقطف الشمسَ الجديدة
ثمَّ يجعلها لهم أحلى قلادةْ

طوبى لمنْ
تتفتح الأزهار في يده
يقدمَ ما تخبئه لنا الأمطارُ
تكتملُ البلادُ على بيادر عشقه
دمهُ البلابلُ
والسنابلُ والنهارْ،
أشجارُ تفاحٍ
ورايات من الزيتون
صوتُ حبيبة يأتي من الماضي
يحاولُ أن يعانق فجرَ منْ لا فجرَ
إلا في تورد قبلة في صدره المزدانِ
بالتهليل والتكبير والفجر المزيّن
بالعبادة

طوبى إليك!
يا أيها الغالي
ويا عطش الطفولة للطفولة
يا أناشيد الصباح على شفاه
الأقحوانْ
يا مَنْ ملأت حياتنا فرحاً وفاكهة
وأعلنَ أنَّ حصَّته من الدنيا
كفاحٌ حافلٌ بالكبرياء وبالكفاحْ
يا منْ صعدتَ إلى الفلاح!
يا مَنْ زرعتَ محبة الأوطان في دمنا
وغنّى'.. ثمَّ راحْ

الآن ندركُ أنَّ حبَّكَ صار مملكة
نسوِّرُها بأيدينا
ونحرسُها بنار من مآقينا
ونعلنُ أنَّ حبَّك صار فينا
يوقظُ الدنيا
ويقعدها على صخر الجراحْ
الآن ندرُك أنَّ نشوة جرحك العاتي
صلاةٌ في تقاويم العبادة
طوبى لمن كانت نهايته الولادة .
طوبى لمن كانت بدايته الشهادة

ملك المغرب الحسن الثاني



عن عمر يناهز السبعين عاماً وإثر نوبة قلبية مفاجئة فقدت الأمة العربية والإسلامية يوم الجمعة ١٠ ربيع الآخر ١٤٢٠هـ الموافق ١٩٩٩/٧/٢٣م، واحداً من أبرز زعمائها المعاصرين ألا وهو الملك الحسن الثاني ملك المملكة المغربية.

ولد الحسن الثاني في التاسع من يوليو ١٩٢٩م في الرباط بعد ثلاث سنوات من تولي والده محمد الخامس الحكم في ظل الانتداب وبعد إتمام دراسته في الرباط حصل في العام ١٩٥١م على شهادة الدراسات العليا في القانون العام، وفي ٢٠ أغسطس ١٩٥٣م قامت سلطات الانتداب الفرنسي بنفي والده وجميع أفراد أسرته إلى جزيرة كورسيكا وبعدها إلى جزيرة مدغشقر في يناير ١٩٥٤م، وبدأ الأمير الحسن يؤدي في هذه الفترة دور مستشار سياسي لدى والده، وفي فبراير عام ١٩٥٦م شارك الحسن الثاني بعد عودته من المنفى في مفاوضات الاستقلال إلى جانب والده وفي الثالث من مارس اعتلى عرش المغرب بعد وفاة والده وفي السادس من نوفمبر ١٩٧٥م نظم الحسن الثاني المسيرة الخضراء التي أتاحت للمغرب استعادة الصحراء الغربية التي كانت خاضعة لسيطرة إسبانيا، وقد ترأس الملك الحسن الثاني لجنة القدس التي شكلت للدفاع عن المدينة والوقوف ضد محاولات تهويدها، وقد رزق الحسن الثاني بخمسة أولاد، وثلاث بنات.

هذا، وقد شيع جثمان الملك الحسن إلى مثواه الأخير بعد ظهر يوم الأحد ٢٥ يوليو بمشاركة نحو أربعين من زعماء العالم وقد مثل الكويت ولي العهد ورئيس مجلس الوزراء الشيخ سعد العبدالله السالم الصباح والشيخ مبارك العبدالله الأحمد الصباح ووزير الإعلام الدكتور سعد بن طفلة العجمي ويسجل للملك الراحل رفضه الصريح للعدوان العراقي الغاشم على دولة الكويت في ١٩٩٠/٨/٢م كما أرسل قوة عسكرية للمشاركة في قوات التحالف الدولي لدحر القوات العراقية وتحرير الكويت من براثن الغزاة.

كما أن للملك الحسن الثاني - رحمه الله - جهود لا ينساها أهل الكويت في قضية الأسرى، وقد قام فيها بدور بارز، وكان لوساطته في قضية الأسرة الكويتية التي دخلت الأراضي العراقية بغير قصد الأثر البالغ، حيث توسط لدى رئيس النظام العراقي لإعادة أفراد الأسرة إلى أهلهم وذويهم.

ومن جانب آخر نودي على أكبر أبناء الملك ولي العهد سيدي محمد ملكاً للبلاد، وأميراً للمؤمنين، كما عين شقيقه مولاي رشيد ولياً للعهد، وتواجه العاهل المغربي الجديد الملك محمد السادس مهمة صعبة لإنعاش اقتصاد البلاد الذي تكتنفه البطالة المتزايدة والأثر المدمر للجفاف الذي يجتاح البلاد، ومن المتوقع أيضاً أن يبدأ الملك الجديد في معالجة الفوارق الاجتماعية بين سكان المغرب البالغ عددهم حوالي ٣٠ مليون نسمة كما سيتخذ الإجراءات المناسبة لمعالجة الكثير من المسائل الاقتصادية والاجتماعية.

ومجلة الوعي الإسلامي التي آلمها المصاب الجلل لتدعو الله سبحانه وتعالى أن يتغمد الملك الحسن الثاني بواسع رحمته وأن يلهم أسرته وشعبه الصبر والسلوان كما تضرع إلى الله العلي القدي أن يوفق الملك محمد السادس ويسدد خطاه لمافيه خير شعبه وأمته إنه سميع مجيب. ■

أول حوار مع شيخ المؤرخين الإسلاميين الدكتور أحمد شلبي :

أقسى الطعنات التي قام بها الغرب المسيحي ضد المسلمين هو زرع «إسرائيل» في قلب العالم العربي والإسلامي ! !

يمر العالم الإسلامي بمرحلة خطيرة للغاية... ربما هي أشد مراحله الحياتية على الإطلاق... فما بين الضربات الخارجية والانبهار الداخلي، واختلال أوضاعه السياسية والفكرية والعقدية... وليس من حقنا إزاء هذه الأزمات والكوارث أن نلقي اللوم على أعدائنا... ولكن اللوم على المسلمين أنفسهم جراء ميلهم وانحرافهم عن المنهاج السماوي القويم... (إن ينصركم الله فلا غالب لكم وإن يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده) آل عمران:١٦٠.

ورغم كل هذه التداعيات إلا أن وسائل وسبل الإصلاح متاحة للمسلمين من أجل نهضتهم وحمل لواء الحضارة الإسلامية لهداية البشر أجمعين.

وفي هذا اللقاء مع شيخ المؤرخين الإسلاميين المفكر الكبير الدكتور أحمد شلبي، أستاذ ورئيس قسم التاريخ والحضارة الإسلامية في جامعة القاهرة، نحاول استلهام رأيه حول القضايا الفكرية المطروحة على الساحة والتي تباينت حولها الآراء. كان الحوار مع فضيلته على النحو التالي:



● الدكتور أحمد شلبي

ضعف الدعاة من أسباب التراجع الحضاري الذي تشهده الأمة الإسلامية!!

الحضارة الإسلامية مفخرة قدمها الإسلام للجنس البشري

● ترى ما الأسباب والعوامل التي أدت إلى ضعف شوكة المسلمين وتراجعهم عن دورهم الحضاري في العالم؟

- هناك عوامل داخلية... وعوامل خارجية وراء هذا التراجع الحضاري الذي شهدته الأمة الإسلامية... ربما يأتي في مقدمها ضعف الدعاة المسلمين في القرون المتأخرة.

فمثلاً، في الوقت الذي اندفع الدعاة المسلمين ينشرون الإسلام بقوة لا تُغلب، وحققوا نجاحاً عظيماً دونه كل نجاح، وتقهقرت أديان وعقائد أمام نشاط المسلم ودعاته، ولم يكن في هذه البلاد دعاة للأديان والعقائد المتراجعة، أو كان هناك دعاة، ولكنهم لم يستطيعوا أن يواجهوا دعاة العصر الإسلامي الأول.... ثم تغيرت الظروف للأسف، وجاءت عصور كل الدعاة المسلمين خلالها قليلي الثقافة والحماسة، أو قُلْ كانوا موظفين يتطلعون إلى الأهداف المالية كغيرهم من الموظفين.

وفي الوقت نفسه كان اتباع الديانات والعقائد المنهزمة يعدون من أسموهم «المبشرين» وقد قلدوا المسلمين الأول في اختيار أحسن الكفاءات وذوي الحماسة لهذا العمل، وقد رأينا بين هؤلاء المبشرين أساتذة جامعات وبعض كبار المفكرين الغربيين الذين يجيدون لغات عدة، والذين لهم اطلاع واسع على الفكر الإسلامي، ورأينا وهم يحاولون أن يلتقطوا ما رأوه من نقائص في الإسلام ليذيعوها بين الناس يستمعون إليهم.

وكان مع هؤلاء نفوذ ومال وكتب، وكل ذلك ساعدهم في عملهم.

وللأسف الشديد لا يوجه المسلمون عناية تذكر لاختيار الدعاة حتى الآن، بل هناك جهود واسعة تبذل للبحث عن الأصوات الجديدة للغناء والوجوه الجديدة للتمثيل، ولكن ليست هناك جهود ذات بال للبحث عن دعاة ينشرون دين الله.

وندعو الله أن يهيئ من زعماء المسلمين من يعالج هذه المشكلة لنرى من جديد دعاة المسلمين لهم قدرة، وفيهم جاذبية، واستعداد جيد للأداء.

الحضارة الإسلامية بين الازدهار والانكماش

وعن سنن الله في الكون ومراحل الحضارة يقول د. أحمد شلبي:

إن الحضارة الإسلامية ازدهرت في عصر الإسلام الأول، حيث أورد القرآن الكريم أسس الشورى وأسس الاقتصاد، وشرح الرسول ﷺ هذه الأسس الحضارية ونفذها، وكان في تنفيذها قدوة حسنة لا نكتفي بالواجب بل تزيده عن سماحة وعطاء.

وفي العصور الإسلامية الأولى كذلك سارت التربية والتعليم على النهج الإسلامي، وتكونت الأسر والمجتمعات وفق الفكر الإسلامي، وسار القضاء على النحو الذي رسمه الإسلام... وعلى العموم كانت الحضارة الإسلامية ليست فقط دراسات ونظماً ولكنها كانت أسلوب حياة.

ثم جاءت عهود اختفت فيها الشورى وانتشرت الدكتاتوريات، واختفت العدالة الاجتماعية، وبرز مكانها الظلم الاجتماعي، وكثر الأغنياء الذين يبذلون كل جهد في جمع المال بوسيلة أو بأخرى، وبجوارهم الفقراء التعساء أما ولاة الأمور فقد برزت الأنانية في بعضهم، ولم يعودوا قدوة حسنة لجماهير المسلمين، فاختفاء الحضارةالإسلامية كان من أسباب ضعف العالم الإسلامي، فالركيزة المهمة التي قام عليها المجتمع الإسلامي كانت في سمو حضارته التي انفرد بها بين المجتمعات، والتي كانت مفخرة قدمها الإسلام للجنس البشري، فإذا اختفت هذه الحضارة من المجتمع الإسلامي، فإنه يفقد أغلى ما يعتز به، ولا شك أن العصور المتأخرة شهدت ضعف الحضارة الإسلامية أحياناً واختفاءها أحياناً أخرى وهذا أو ذاك كان من أسباب ضعف المجتمع الإسلامي.

جاءت عهود اختفت فيها الشورى والعدالة الاجتماعية وانتشرت الدكتاتورية

الاستعمار الأجنبي جعل اسرائيل والصهاينة وحدهما في كفة والعالم كله في كفه أخرى

الإسلام والغرب

● ما رأي الدكتور شلبي في الادعاء أن الغرب كان بمثابة شروق ونهضة ويقظة للعالم الإسلامي والمشرق بصفة خاصة... وليس كما نعتقد بكراهية الغرب لنا؟!

- لم يقل بهذا الرأي سوى العلمانيين والمستشرقين وتلامذة المبشرين وأذناب الاستعمار من الحاقدين على الإسلام... ورحم الله الشيخ محمد الغزالي الذي تصدى بجرأة حكيمة لهذه الافتراءات وأصدر كتابين شهيرين هما: «ظلام من الغرب» «صيحة تحذير من دعاة التنصير».

ولا أحد ينكر أن عناية الصليبيين الأولى كانت متجهة إلى القضاء على الإسلام وسحق المسلمين. كما أن البلاد الإسلامية التي وقعت تحت سلطان المسيحيين الأوروبيين قد عانت ضروباً من الهوان، مزق هؤلاء شملها وأنزلوا بها الذل والاستعباد، ونشروا الجهل والخرافات، وسلبوا مواردها، وتركوا الشعوب فقيرة جائعة، ولقي الأحرار والمفكرون أسوأ المصائر في هذا الظلام القائم، لقوا الحتف والسجن والنفي والتشرد، وأنفقت ثروات البلاد على المبشرين الذين يحاربون الإسلام ويحسنون للناس اعتناق المسيحية.

فلسطين الجريحة

ويستطرد الدكتور شلبي بقوله: إن فلسطين لاقت أسوأ المصائر، فقد أصدر الإنكليز وعد بلفور وشجعوا هجرة اليهود، ولم يخرجوا منها إلا بعد أن أسلموها لليهود لقمة سائغة، وكلنا نعرف ظروف المؤامرة التي حاكها الإنكليز باسم اليهود للقضاء على عروبة فلسطين، وسلب هذه البقعة من العالم العربي، لتكون مركزاً استعمارياً في الحزم الاستعماري الذي يفرضه الغرب على الكرة

الأرضية.

وإذا أخذنا مثلاً ما خلفه الاستعمار الغربي في عالمنا الإسلامي، نرى المستعمر لا يريد أن يعلّم أبناء البلاد الخاضعة له، وإذا اضطر إلى أن يعلّمهم علمهم ما يضرهم أكثر مما ينفعهم، من أجل ذلك لا تستغرب إذا علمنا أن الإنكليز لما غادروا الهند كان عدد الأميين ٨٨ في المئة من مجموع أربعمئة مليون نسمه، اما غير الأميين وهم ١٢ في المئة من السكان فكان منهم ٢ في المئة تعلموا شيئاً من اللغة الإنكليزية، وأما العشرة في المئة الباقية فلم تكن ثقافتهم تتعدى قراءة شيء في لغاتهم الحية، أما بالنسبة لتعليم البنات فلم يتجاوز اثنتين في الألف وحتى هؤلاء كان نصيبهن من التعليم ضئيلاً.

إسرائيل تخدم الغرب

● ذكرتم دكتور أن الغرب وراء الوجود الإسرائيلي في المنطقة مع أن التاريخ يحكي أنه ليس هناك علاقة حضارية ولا فكرية، أو التقاء عقدي بين الكيان الصهيوني والغرب الصليبي؟

ـ أقول: إن أقسى الطعنات التي قام بها الغرب المسيحي ضد المسلمين هي زرع إسرائيل في قلب العالم العربي والإسلامي فقد عاش الغرب مدة طويلة وأخرى قصيرة محتلاً لبعض المناطق في الشرق، ولم يكن الشرق مكاناً هادئاً للغرب، إذ يجد الأوروبيون راحة في المناطق الإسلامية على الإطلاق، ومن أجل هذا وبسبب المقاومة المستمرة، وبسبب الضغط العالمي كان الغرب يعلن دائماً أنه سيجلو عن البلاد، وجلا فعلاً بعد الحرب العالمية الثانية، أي بعد أن ظهر في أفق السياسة العالمية الدولتان العظميان الولايات المتحدة والاتحاد والسوفييتي.

ولما كان الغرب يوقن أن يوم جلائه سيجيء، فقد فكر في بديل للاستعمار، على أن يكون البديل مقيماً في المنطقة إقامة دائمة، واهتدى تفكير الغرب إلى خلق إسرائيل بهذه المنطقة متخذاً من أكاذيب التاريخ وسيلة لتفكيره.

وكان هناك نقطة التقى فيها الشرق والغرب وتعاونا تعاوناً عميقاً ليكيدا للإسلام والمسلمين، تلك هي زرع إسرائيل في منطقة

لا أحد ينكر أن عناية الصليبيين الأولى كانت متجهة إلى القضاء على الإسلام وسحق المسلمين

الشرق الأوسط، واختيار مكان خطير لها لترتبط حدودها مع مصر وسوريا ولبنان والأردن والمملكة العربية السعودية، واهتمام الشرق والغرب بسلامة إسرائيل يبلغ أقصى المدى، وتتجه الولايات المتحدة في ذلك إلى درجة المبالغة، كأن العالم كله في كفة ، وإسرائيل وحدها في كفة، كما أن رجحان كفة إسرائيل في الاقتصاد والمعدات الحربية والتعاون الثقافي والعسكري يعد سياسة عامة للولايات المتحدة حتى ولو كان ذلك سيعود بالضرر على مصالح الولايات المتحدة نفسها.

ومن الواضح أن إسرائيل تلعب دورها في خدمة الغرب وبكل إخلاص فهي مصدر قلق وإرهاق للمال والشعور والإنسان، وبسببها تتجه الجهود في المنطقة للاستعدادات الحربية ربما أكثر من الاتجاه لترقية الإنسان، ولكن الحق أن اليهود أيضاً ضحية وإن لم يدركوا الآن هذه الحقيقة، ولا شك أن إسرائيل ليست أقوى من الصليبيين، وسيجيء يوم تختفي فهي إسرائيل من هذه المنطقة كما اختفت إمارات الصليبيين.

الإسلام الفاتح

● دكتور شلبي... أرجو أن توضح لنا كيف استطاع الإسلام أن ينتشر وأن ينتصر

عوامل داخلية وخارجية وراء التراجع الحضاري الذي شهدته الأمة الإسلامية

عبر تاريخه الطويل رغم كل العقبات التي واجهته؟

ـ الجواب سهل ويسير هو أن الإسلام فاجأ العالم بمبادئ سامية رأى فيها الناس إنقاذاً للبشرية المعذبة، ففي الوقت الذي كان فيه الحكام سادة أو آلهة، وكانت الشعوب عبيداً، ليس فقط بسبب قسوة الحاكم وجبروته، بل بدافع داخلي من نفوس هذه الشعوب جعلهم يقنعون بالعبودية ويرون في الحاكم إلهاً لهم، ودماً غير دمائهم، ويتكون من طينة غير طينتهم في هذا الوقت، طلع محمد وأصحابه من بعده على الناس بمبدأ المساواة بين الحاكم والمحكوم.

وفي الوقت الذي كان الحكام يتمتعون بالثراء العريض يجمعونه من عرف الشعوب البائسة، رأى الناس محمداً وأصحابه من بعده فقراء، يرقعون ثيابهم ويخصفون نعالهم.

وفي الوقت الذي كانت أقوال الحكام وأفعالهم هي القانون وهي العدالة، إذ بالإسلام يأتي بقانونه السماوي فيخضع له العظيم والحقير.

تلك بعض المبادئ أو بعض المفاجآت التي أدهشت العالم وجذبت الناس لهذا الدين الإنساني العظيم.

وعندما جذب الإسلام الناس إليه لم يدعهم في حيرة من أمور دينهم ودنياهم، بل أمدهم بنظم الحكم وأرقى نظم الاقتصاد ووضع أسمى الأسس لحياة اجتماعية صالحة.

وإذا استعرضنا أحوال المسلمين منذ عهد الإسلام الباكر حتى اليوم مروراً بالغزوات، فالحروب في فارس والروم، فهجمات الصليبيين والمغول، فحملات المبشرين، قادتنا كلها إلى نتيجة واحدة، هي أن المسلمين كانوا يضعفون ويقوون، ولكن الإسلام كان قوياً في جميع الأحوال، فهم ينهزمون وينتصرون ولكن الإسلام كان ينتصر دائماً... وأساس انتصاره هو أسسه ومبادئه، فلا نزاع إن الهزائم التي ألحقها المسلمون بأعدائهم أكثر جداً مما أحرزوه من انتصارات، لقد كثرت أخطاؤهم فتوالت هزائمهم.

أما الإسلام فلا خطأ منه ولا خطأ فيه، ولهذا لا ينال منه... (ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين) الأنفال: ٣٠. ■

بقلم : حسن البراق

أهمية التمثيل الصحيح لدور مقاصد الشريعة في حياتنا

2/2

إن مفهوم مقاصد الشريعة قد يصبح مجرد فكرة للتداول النظري إذا لم يتم تحديد علاقة مقاصد المكلف بمقاصد الشارع، والتي يجب أن تكون علاقة موافقة، إذ قصد الشارع من المكلف أن يكون قصده في العمل موافقاً لقصده في التشريع(١)، ومعنى هذا أن على المكلف الإذعان لأحكام الشريعة بحكم عبوديته لله، الأمر الذي يؤدي إلى تحقيق مصالح المكلفين، لأن هذه المصالح تعود إلى المكلفين بحسب أمر الشارع وعلى الحد الذي حدّه لهم، لا على ما يختارونه ويحددونه لبلوغ هذه المقاصد، فقد ثبت أن مقاصد الشرع إدخال المكلف تحت أحكام الشريعة وإخراجه عن داعية هواه.(٢)

وهناك وجه ثانٍ للمسألة هو أن كل من ابتغى في تكاليف الشريعة غير ما شرعت له فقد ناقض الشريعة، وكل من ناقضها فعمله في المناقضة باطل، فمن ابتغى في التكاليف ما لم يشرع له فعمله باطل(٣)، لذلك كانت القاعدة الفقهية «الأمور بمقاصدها» من أمات القواعد عند كل المذاهب الفقهية، ومعناها: أن الحكم الذي يترتب على أمر يكون على مقتضى ما المقصود من ذلك الأمر(٤)، ويترتب على هذا أنه لا عبرة بالألفاظ وإنما الاعتبار بالنيات والمقاصد والمعاني، حيث قال عليه الصلاة والسلام: «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى...»(٥).

إذاً فإن إرادة المعنى آكد من إرادة اللفظ، فإنه - أي المعنى - المقصود واللفظ وسيلة(٦)، ويترتب على هذه القاعدة في مجال «العقود والالتزامات» أن العبرة في العقود للمقاصد والمعاني لا للألفاظ والمباني.(٧)

ومن الأمثلة الفقهية في هذا الباب ما يعرف ببيع المعاطاة ويدخل فيه كثير من البيوع الصغيرة والمعتادة عند الناس، بحيث يكتفي كل من المتابيعين بالمعاطاة أي هذا يعطي الثمن والآخر يعطي السلعة، من دون إيجاب وقبول، وربما من دون كلام أصلاً أو بكلام لا يستوفي شروط التعاقد الصحيح، أو بكلام أحدهما دون الآخر، فهذا النوع من البيوع وقد كثر اليوم، واتسعت دائرته اتساعاً كبيراً جداً وفي تصحيحه وإبطاله ثلاثة مذاهب(٨)، أصحها وأيسرها على الناس هو رأي المالكية الذي يقضي بالتصحيح المطلق، إذ ينعقد العقد بالفعل أو بالتعاطي متى كان واضح الدلالة على الرضا... فكل ما يدل على البيع أو الإجارة والشركة أو الوكالة وسائر العقود الأخرى - ما عدا الزواج - ينعقد العقد به، لأن المعول عليه وجود ما يدل على إرادة المتعاقدين من إنشاء العقد وإبرامه والرضا به(٩)، وهكذا فإن الأحكام لا تتعلق بالألفاظ إلا أن ترد على موضوعاتها الأصلية في مقاصدها المطلوبة، فإن ظهر في غير مقصدها لم تعلق عليه مقصدها.(١٠)

ويعقد الإمام العز بن عبدالسلام فصلاً في كتابه «قواعد الأحكام في مصالح الأنام»، سماه «فصل فيمن أطلق لفظاً لا يعرف معناه لم يؤاخذ بمقتضاه»، ويذهب فيه إلى أن الأعجمي إذا نطق بكلمة كفر أو إيمان أو طلاق أو إعتاق أو بيع أو شراء أو صلح أو إبراء لم يؤخذ بشيء من ذلك لأنه لم يلتزم مقتضاه، ولم يقصد إليه»(١١).

وإذا كانت الشريعة كما يقول الإمام ابن قيم الجوزية «مبناها وأساسها على الحكم ومصالح العباد في المعاش والمعاد، وهي عدل كلها ورحمة كلها، فكل مسألة خرجت عن العدل إلى الجور عن الرحمة إلى ضدها، وعن المصلحة إلى المفسدة، وعن الحكمة إلى العبث فليست من الشريعة، وإن دخلت فيها بالتأويل(١٢)، فإن معرفة المقاصد والعلل للأحكام الشرعية ضرورة لا بد منها لمن يريد أن يدرس الشريعة ويتعرف على حقيقة مواقفها وأسرارها(١٣)، إنه ليس كل مكلف بحاجة إلى معرفة مقاصد الشريعة لأن ذلك نوع دقيق من أنواع العلم، فحق العامي أن يتلقى الشريعة من دون مقصد لأنه لا يحسن ضبطه ولا تنزيله، ثم يتوسع للناس في تعريفهم المقاصد بمقدار ازدياد حظهم من العلوم الشرعية لئلا يضعوا ما يلقنون من المقاصد في غير مواضعه فيعود بعكس المراد، وحق العالم فهم المقاصد وتنزيل الأحكام الشرعية وفق ذلك(١٤)، بل إن فهم مقاصد الشريعة على كمالها من جهة وتمكن المجتهد من الاستنباط بناء على فهمه فيها من جهة ثانية شرطان لابد من توافرهما في المجتهد كما ذهب إلى ذلك الإمام الفذ أبو إسحاق الشاطبي.(١٥) وهو بذلك يتجاوز تلك اللائحة الطويلة لشروط المجتهد وما ينبغي أن يحصله من العلوم والمعارف، وهو محق في الاعتداد بهذا الأمر واعتبار الجزئيات بالكليات من غير إهمال الجزئيات أيضاً، وقد منح - رحمه الله - هذا الموضوع اهتماماً بالغاً في كتابه الفريد «الموافقات»، حيث شُغل الأصوليون قبله بالمباحث اللفظية، ولم يعطوا هذا الأمر ما يستحق، كما شُغل علماء الفقه بالأحكام الجزئية، وغفلوا عن المقاصد وترتب على ذلك ظهور فن «الحيل الفقهية» التي يُضاد معظمها مقاصد الشريعة، وهذا ما عُني بإبطاله العلاّمة ابن القيم، وقبله شيخه الإمام ابن تيمية.(١٦)

بل جعل الإمام القرافي معرفة المقاصد

شرطاً حتى في حق الفقيه المقلّد لأنه إذا وقعت له واقعة ليس منها شيء في حفظه لا يخرجها على محفوظاته ولا يقول هذه تشبه المسألة الفلانية، لأن ذلك إنما يصح ممن أحاط بمدارك إمامه وأدلته وأقيسته وعلله التي اعتمد عليها مفصلة، ومعرفة رتب تلك العلل ونسبتها إلى المصالح الشرعية، وهل هي من باب المصالح الضرورية، أو الحاجية أو التحسينية، وسبب ذلك أن الناظر في مذهبه والمخرِّج على أصول إمامه: نسبته إلى مذهبه وإمامه كنسبة إمامه إلى صاحب الشرع في اتباع نصوصه والتخريج على مقاصده.(١٧) وبناء على ما سبق فإننا يمكن أن نخلص إلى ما يلي:

١ ـ أولاً: إن خلود الشريعة وقابليتها لمسايرة العصر وتقديم الإجازة الشرعية لما يستجد في واقع الناس من أحوال وأحداث .... وبشكل حاسم بمراعاة المقاصد الشرعية التي بُنيت عليها الشريعة، ودون ذلك الجمود وتوقف الشريعة عن العطاء المستمر والمتجدد، لذلك، فإن الحديث عن مقاصد الشريعة هو حديث عن المرونة والاتساع، كما أن المطالبة بتطبيق الشريعة الإسلامية يجب أن يعني أولاً وقبل كل شيء مراعاة مقاصد الشرع الكلية في التشريع وسن القوانين.

٢ ـ ثانياً: الأخذ بظواهر النصوص والاستمساك بحرفيتها دون الغوص في مقاصدها العميقة، قد يوقع ـ في كثير من الأحيان ـ في أخطاء فظيعة، ويمكن أن نمثل لذلك بالإمام المجتهد الفذ «ابن حزم»، الذي أوقعته ظاهريته في أخطاء كبيرة رغم عبقريته وإمامته في الفقه، فالظاهرية كابن حزم وغيره يأخذون بظواهر النصوص من الكتاب والسنة، فإن لم يكن فالإجماع، وهم لا يرتضون إلا إجماع الصحابة باعتباره مستنداً إلى دليل عن الرسول ﷺ، دون الالتفات إلى تأويل أو تعليل ، بل إن القياس مرفوض رفضاً باتاً، فالنصوص كلها في حكم النص المفسر الذي لا يحتاج إلى تأويل أو تعليل(١٨)، وهذه الظاهرية المفرطة انتهت بابن حزم وغيره إلى أفهام عجيبة وآراء غريبة ينكرها الشرع ويمجها العقل، ومثال ذلك ما قاله ابن حزم في حديث رسول الله ﷺ : «إذا ولغ الكلب في إناء أحدكم فليرقه ثم ليغسله سبع مرات»(١٩).

«فإن ولغ في الإناء كلب... فالغرض إهراق ما في الإناء كائناً ما كان، ثم يغسل سبع مرات ولابد أولاهن بالتراب مع الماء، وذلك الماء الذي يطهر به الإناء طاهر حلال! فإن أكل الكلب في الإناء، ولم يلغ فيه أو أدخل رجله أو ذنبه أو وقع بكله فيه لم يلزم غسل الإناء، ولا إهراق ما فيه ألبتة وهو حلال طاهر كله، كما كان! وكذلك: لو ولغ الكلب في بقعة في الأرض، أو في يد إنسان أو في ما لا يُسمى إناء...»(٢٠).

أليس عجيباً أن يغمض الإمام الظاهري أبو محمد عينيه عن معاني الشريعة التي تلزمني مع الطباع السليمة، ولا تتعدى حدود المعقول فيفرق بين أكل الكلب في الإناء، وبين شربه! بل يفرق بين الشرب وبين وقوع الكلب فيه أو بعضه في الإناء. والكلب قذر في كل حال(٢١)!؟

ومثال حرفية ابن حزم وما وقع فيه من مزالق أيضاً ما قاله ـ رحمه الله ـ في حديث النبي ﷺ : «لا يبولن أحدكم في الماء الدائم الذي يجري ثم يغتسل منه»(٢٢)، فقد استدل «أبو محمد» بالحديث على أن البول مخصوص بالبول في ماء مباشرة، فإذا بال خارج الماء ثم جرى البول إلى الماء أو بال في إناء وصبّه في الماء لم يضر عنده، وقد أنكر جمهور العلماء على الظاهرية هذا الحكم ـ وغيره ـ واعتبروه من الشذوذ والجمود الذي يُعْلم بطلانه.

إن هناك ضرورة ملحّة لتأصيل النظرة الكلية في مجال مقاصد الشريعة الإسلامية، كما أن الحاجة ماسّة إلى التفات الباحثين والدارسين للنظر الواعي والجاد في القضايا العالقة في هذا المجال، ولعل من أبرزها: توسيع الاستقراء لأحكام الشريعة والاستنباط لعللها حتى تصبح موضع اتفاق يرجع إليه الفقهاء والمجتهدون، وكذا إعادة النظر في حصر الضرورات في الخمس المعروفة لأن هذه الضرورات أصبحت لها ـ بحق ـ هيبة وسلطان فلا ينبغي أن نحرم من هذه المنزلة بعض المصالح الضرورية التي أعلى الدين شأنها والتي قد لا تقل أهمية وشمولية عن بعض الضرورات الخمس مع العلم أن هذا الحصر اجتهادي وأن الزيادة على الخمس أمر وارد منذ القديم، كما فعل الإمام القرافي إذ أضاف «العرض» إلى الضرورات الخمس.(٢٣)

ولعل هذا التوسع في مباحث المقاصد الشرعية هو السبيل الأمثل الذي سيفضي إلى تحقيق ما دعا إليه الشيخ «محمد الطاهر بن عاشور» من استخلاص مقاصد الدين وضروراته وتسميتها باسم «علم مقاصد الشريعة» وحتى لا تبقى المقاصد الشرعية مبحثاً من مباحث علم أصول الفقه»(٢٤)، ولعل هذه الدعوة أصبحت يوماً بعد يوم في وقت اختل فيه ميزان الأوليات اختلالاً فظيعاً ما يجعل الكثير من مظاهر الوجود الإسلامي في الداخل والخارج تبدو مشوهة وقبيحة.

وإذا كان علماؤنا الأفاضل القدامى قد تحدثوا عن ما أسموه بـ«جهاد الوقت»، فإنه لا حرج أن نتحدث نحن اليوم عما يمكن تسميته بـ«علم الوقت»، إنه في الوقت الحاضر «علم مقاصد الشريعة». ■

الهوامش :

١ ـ الموافقات، للإمام الشاطبي ٣٢٧/٢.
٢ ـ المرجع نفسه ٢٤/٢.
٣ ـ المرجع نفسه ٢٣١/٢.
٤ ـ شرح القواعد الفقهية لأحمد الزرقا ـ الصفحة ٥.
٥ ـ أخرجه البخاري في كتاب الحيل، باب في ترك الحيل.
٦ ـ أعلام الموقعين عن رب العالمين، لابن قيم الجوزية ٥١/٣.
٧ ـ مجلة الأحكام العدلية، عن نظرية المقاصد عند الشاطبي للدكتور أحمد الريسوني ص ٩٧.
٨ ـ نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي ص ٩٨.
٩ ـ الفقه الإسلامي وأدلته، د. وهبة الزحيلي ١٠٠/٤.
١٠ ـ أحكام القرآن للقرطبي ١٥٠٠/٣.
١١ ـ قواعد الأحكام في مصالح الأنام للعز بن عبدالسلام ٢٧٦/٢.
١٢ ـ أعلام الموقعين لابن قيم الجوزية ٣/٣.
١٣ ـ المرجعية العليا في الإسلام للقرآن والسنة.. للدكتور يوسف القرضاوي ص ٢٤٠.
١٤ ـ انظر الطاهر بن عاشور، مقاصد الشريعة الإسلامية ص ١٨.
١٥ ـ انظر: الموافقات ١٠١/١٤ ـ ١٠٢.
١٦ ـ الاجتهاد في الشريعة الإسلامية... للدكتور يوسف القرضاوي ص٤.
١٧ ـ الفروق للإمام القرافي، الفرق ٧٨، الصفحة ١٠٧.
١٨ ـ انظر تقسيم النصوص في الفقه الإسلامي للدكتور محمد أديب صالح، المجلد الأول ص ٤٣٨.
١٩ ـ أخرجه مسلم في كتاب الطهارة، باب حكم ولوغ الكلب.
٢٠ ـ المحلي لابن حزم الأندلسي، المجلد الأول، ص ١٠٩ ـ ١١٠.
٢١ ـ انظر: تفسير النصوص لأديب صالح ٤٥٠/١.
٢٢ ـ انظر شرح تنقيح الفصول، للإمام القرافي، الصفحة ٣٩/١.

مجتمع

بقلم : عبد الصمد التبرودي

نحن أمة الذكر

الزحام على موارد الثروة والقدرة والسلطان والجاه الاجتماعي وما يعقب ذلك من علل نفسية وصحية، هو زحام يكاد يستأثر بكل ساعة من ساعات النهار وبعض ساعات الليل أيضاً، حتى ليندر أن يجد المرء وقتاً يستطيع فيه أن يخلد إلى نفسه أو يخلد إلى سكينة مستطلعاً أمور الحياة الأصيلة ومستشفا معانيها الباقية متأملاً في الغايات التي يتراكض الناس إليها، وهل هي خليقة بأن تنيلهم السعادة في الدنيا والثواب في الآخرة؟

لقد استحكم هذا الزخم المادي من الناس حتى صار من العسير عليهم أن يستقروا على راحة وطمأنينة واستقرار نفسي، فما الخلاص إذاً وماذا يخفف من غلواء هذا الهيجان الطامي؟

إن الإيمان الصادق يهدينا إلى أن الذكر والتفكّر يعيدان إلى الإنسان الطمأنينة والراحة، ذلك أنهما احتياط روحي عجيب، وأنهما الذخيرة والمعين الذي لا يغيض.

ولعل من أوجب ما ينبغي أن نسرع إليه هو أن نجنب هذا المعين النضوب، حتى يبقى زاخراً، ذلك أن الذكر يسهم في صفاء البصيرة وقوة الروح، ويفيض السكينة على القلوب ويمنحها الثقة في الحق والخير والصلاح، بل إنه يسكب في الضمير قوة واستعلاء يرتفع بهما على الواقع الصغير.

وهذا صحيح تماماً لأن الذكر اتصال روحي يتيح أمام النفس ما لا يتيحه غيره، ذلك أن البشرية لا تفتح مغاليق فطرتها إلا بمفاتيح من صنع الله عز وجل، ولا تعالج أمراضها وعللها إلا بالدواء الذي يخرج من يده سبحانه.

أليس هذا هو ما يعنيه قوله سبحانه في الآية ٨٢ سورة الإسراء: (وننزّل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين).

من خير ما أسعد الله به هذه الأمة أن هداها للذكر الذي تفر به من الشقاء إلى السعادة

كلمتا الأمة والذكر في مباحث اللغة العربية

لعله من المفيد ـ قبل أن نلج بعض المعاني والأفكار في الموضوع ـ أن نقف عند هذا العنوان: نحن أمة الذكر.

الكلمتان الرئيستان في الموضوع هما: الأمة والذكر، فماذا تعني كل منهما في إطار مباحث اللغة العربية؟

الأمة: أصله أمم: أمه يؤمه أما: قصده وتوجه إليه ويممته: قصدته.

وقوله تعالى في الآية ٤٣ من سورة النساء: (فتيمموا صعيدا طيبا) معناه اقصدوا لصعيد طيب، ثم كثر استعمالهم لهذه الكلمة حتى صار التيمم أسماً علماً لمسح الوجه واليدين بالتراب، والإمة بالكسر الحالة، وأيضاً الشرعة والدين ويُضم فيقال أمه، وفي القرآن الكريم (بل قالوا إنا وجدنا آباءنا على أمة) الزخرف ٢٢.

والإمة بالكسر أيضاً النعمة. ومنه قول الأعشى:

ولقد جررت إلى الغنى ذا فاقة

وأصاب غزوك إمة فأزالها

قالوا في قوله تعالى: (كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين) البقرة: ٢١٣. أي كانوا على دين واحد.

ويقال فلان لا أمة له أي لا دين له.

والأمة الرجل الجامع للخير، وبه فسر قوله تعالى: (إن إبراهيم كان أمة قانتا لله حنيفاً ولم يك من المشركين) النحل: ١٢٠.

وقوله تعالى: (كنتم خير أمة أخرجت للناس) آل عمران: ١١٠، أي خير أهل دين.

والإمة أيضاً العيش الرخي، والأمة أيضاً الجيل من كل حي، ومنه قوله تعالى: (وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم ما فرّطنا في الكتاب من شيء) الأنعام: ٣٨، أي أن لكل جنس ولكل نوع خصائص كما لأمم البشر خصائصها.

والأمة أيضاً الحين والمدة ومنه قوله تعالى: (وقال الذي نجا منهما وادكر بعد أمّة) يوسف: ٤٥.

ومنه قوله تعالى أيضاً: (ولئن أخّرنا عنهم العذاب إلى

أمّةٍ معدودة ليقولنّ ما يحبسه) هود: ٨.

ويقال للأم الأمة: تجمع على أمات وأمهات، والصواب أن يقال أمهات للعاقل، وأمات لغير العاقل، والهاء في أمهات مزيدة.

أما الذكر بالكسر أي الحفظ للشيء، والذكر الشيء يجري على اللسان وقوله تعالى في سورة البقرة الآية٦٣: (واذكروا ما فيه) أي ادرسوا ما فيه وقد قيل: الذكر ذكران: بالقلب وباللسان، والذكر نقيضه النسيان لقوله تعالى: (وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره) الكهف ٦٣. والنسيان محله القلب، وكذا الذكر لأن الضدين يجب اتحاد محلهما. ومن المجاز في هذا الموضوع أن الذكر هو الصيت والثناء.

نقول رجل مذكور أي يثنى عليه بخير، ومن المجاز أيضاً أن الذكر هو الشرف وبه فسر قوله تعالى: (وإنه لذكر لك ولقومك) الزخرف: ٤٤ أي أن القرآن شرف لك ولقومك، ومنه قوله تعالى: (ورفعنا لك ذكرك) الشرح: ٤.

والذكر الصلاة لله تعالى والدعاء إليه والثناء عليه، وقال أبو العباس: الذكر الطاعة والشكر والدعاء والتسبيح وقراءة القرآن وتمجيد الله تعالى وتسبيحه وتهليله والثناء عليه بجميع محامده. والذكرى اسم للتذكير ومنه قوله تعالى: (وذكرى للمؤمنين) الأعراف: ٢ أي عبرة لهم وقال علماء اللغة: الذكر ما ذكرته بلسانك وأظهرته، والذكر بالقلب، يقال مازال مني على ذكر أي لم أنسه. والذكر خلاف الأنثى جمع ذكور وذكوره وذكران، وذكر حقه أي حفظه ولم يضيعه ومنه قوله تعالى: (واذكروا نعمة الله عليكم) البقرة ٢٣١ أي احفظوها ولا تضيعوا شكرها. ونقول اذكرت المرأة أي ولدت ذكراً، ونقول في الدعاء للحبلى: اذكرت وأيسرت أي ولدت ذكراً ويسر لها.

أما ادكر بالدال المهملة ففيه عملية صرفية دقيقة، أصله اذتكر افتعل فقلبت تاء الافتعال دالاً لثقلها ولتقارب مخرجيهما، ثم قلبت الذال دالاً ليتأتى ادغامها في الدال لأن الدال أخف من الذال وهذا أفصح إلا بدال في ادكر وهو قراءة النبي في قوله تعالى: (ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر) القمر ١٧.

القرآن أرفع أنواع الذكر

إن من خير ما أسعد الله به هذه الأمة أن هداها للذكر الذي تفر به من الشقاء إلى السعادة، ومن الفتنة إلى الهناء. فالذكر يكسب النفس الراحة والإطمئنان، ومن أرفع أنواع الذكر قراءة القرآن الكريم، إن قراءته لتحيي القلوب وتشفي الصدور من الخرافة التي تملؤها ومن الشك الذي يسيطر عليها ومن الزيغ الذي يمرضها والقلق الذي يحيرها.

نعم إن قراءة القرآن لتفيض على الإنسان البرء والعافية واليقين والطمأنينة. ولا شك أن هذا هو الذي ينبه إليه هذا الهتاف السماوي الذي يهيب بالناس إلى تلقي هذه الرحمة.

(يأيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين) يونس: ٥٧.

ولعل أعرف خلق الله بعظمة القرآن وما يفيضه ذكره تعالى على تاليه وقارئه هو سيدنا رسول الله ﷺ. ولذلك جاءت كثير من أحاديثه تثير اهتمام المسلمين بهذا الذكر الجليل. فمما أخرجه الإمام الترمذي عن عبد الله بن مسعود أن الرسول ﷺ قال: «من قرأ حرفا من كتاب الله فله حسنة، والحسنة بعشر أمثالها لا أقول: ألم حرف، ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف».

حينما نحاول أن ندنو من مرامي هذا الحديث - باعتباره دعوة صادقة للذكر والتلاوة - تنهال علينا جملة رائعة من النصوص التي تواكب هذا المعنى وتشرحه وتضيء جوانبه. وكل ذلك نستشف من خلاله أن الله سبحانه وتعالى قد أعطى هذه الأمة ما يُطب نفوسها ويريح قلوبها ويزيل الهمّ عنها إذا ألم بها همٌّ، ويربط بين قلوب أبنائها إذا طاف بها ما يفرقها أو يوهنها، فلنستمع في هذا السياق إلى هذا الحديث: نقرأ عند الإمام مسلم عن أبي هريرة وعن أبي سعيد الخدري أنه قال: «لا يقعد قوم يذكرون الله، إلا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن عنده».

إن رسول الله ﷺ يشير في هذا الحديث إلى ما لذكر الله تعالى من أهمية عظمى في بث الطمأنينة في النفس. وأن يجعل الله ذكره لهؤلاء الذاكرين مكافئا لذكرهم. انه الفضل الأكبر. والفوز الأعظم.

ومن ثم فإن المداومة على ذكر الله في كل وقت واستغفاره والدعاء إليه، كل ذلك يقرّب الإنسان من ربه ويشعره أنه في حمايته ورعايته ويقوي فيه الأمل في المغفرة ويبعث في النفوس الشعور بالرضا وراحة البال وينزل عليه السكينة والطمأنينة مصداقاً لقوله جل شأنه: (الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله، ألا بذكر الله تطمئن القلوب) الرعد ٢٨.

فتطمئن قلوبهم أي تستقر وتسكن «بذكر الله» أي بكلامه المعجز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وسبب اطمئنان قلوب المؤمنين بذلك علمهم، أن لا آية أعظم من الذكر، ولذلك لا يقترحون الآيات التي يقترحها غيرهم كما في قوله من الآية السابقة: (ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه. قل إن الله يضلّ من يشاء ويهدي إليه من أناب. الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله...) الرعد:٢٧-٢٨.

والعدول في هذه الآية إلى صيغة المضارع - وتطمئن - لإفادة دوام الإطمئنان وتجدده حسب تجدد ظروف وأحوال الذكر.

إذا ذهبنا نبحث عن النصوص الإسلامية التي ورد

العلاج بالقرآن زاد تغتني به نفوس المؤمنين وتطمئن وتلجأ إليه عند الملمات

فيها فضل الذكر وشفافيته تكشّف لنا ذلك عن فيض غامر في دنيا الروح والفكر.

فلنستمع إلى هذا الحديث القدسي، يقول عليه الصلاة والسلام فيما يبلغ عن ربه: «أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وإن ذكرني في ملإ ذكرته في ملإ خير منه، وإن تقرّب إليّ شبراً تقربت إليه ذراعاً، وإن تقرّب إليّ ذراعاً تقربت إليه باعاً، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة». أخرجه الشيخان والترمذي.

القرآن علاج لجميع حالات القلق

وحتى نرتفع قليلاً للولوج في هذا الموضوع إلى الأجواء العامة التي تشعرنا بضرورة توظيف الذكر وقراءة القرآن الكريم في إسعاد الإنسان والسمو بعقله وقلبه، وحتى نرتفع في ذلك، لابد أن نؤكد أن القرآن الكريم علاج لجميع حالات القلق النفسي والاضطرابات العقلية، وينبغي أن تُفهم هذه المسألة هكذا، وينبغي أن يكرع الأطباء ومعالجو الأمراض النفسية من حياضها، وينبغي أن نعلم أن الرسول ﷺ قد عالج الجنون بالقرآن الكريم.

فمما أخرجه الحاكم النيسابوري عن أبي بن كعب قال: كنت عند النبي ﷺ، فجاء أعرابي فقال: يا نبي الله إن لي أخا به وجع، قال: وما وجعه؟ قال: به لمم، «أي جنون»، قال: فأتني به، فأتاه به فوضعه بين يديه فعوذه النبي ﷺ بفاتحة الكتاب وأربع آيات من أول سورة البقرة وهاتين الآيتين: (وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم. إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبثّ فيها من كل دابّة وتصريف الرياح والسحاب المسخّر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون) البقرة: ١٦٣ ـ ١٦٤.

وآية الكرسي، وثلاث آيات من آخر سورة البقرة، وآية من آل عمران (شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائماً بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم) آل عمران: ١٨.

وآية من سورة الأعراف: (إن ربكم الله الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يغشي الليل النهار يطلبه حثيثا والشمس والقمر والنجوم مسخّرات بأمره ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين) الآية: ٥٤.

وآخر سورة المؤمنون: (فتعالى الله الملك الحق لا إله إلا هو رب العرش الكريم. ومن يَدعُ مع الله إلهاً آخر لا برهان له به فإنما حسابه عند ربه. إنه لا يفلح الكافرون. وقل رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين) ١١٦ ـ ١١٧ ـ ١١٨.

والآية ٣ من سورة الجن: (وأنه تعالى جَدُّ ربنا ما اتخذ صاحبة ولا ولدا).

وعشر آيات من أول الصافات: (والصافات صفا. فالزاجرات زجرا. فالتاليات ذكرا. إن إلهكم لواحد. إلى قوله تعالى: (الا من خطف الخطفة فاتبعه شهاب ثاقب...) وثلاث آيات من آخر سورة الحشر: (لو أنزلنا هذا القرآن على جبل) إلى آخر السورة و(قل هو الله أحد) والمعوذتين، فقام الرجل كأنه لم يشك شيئا قط. رواه عبد الله بن الإمام أحمد في الزوائد بسند حسن.

الذكر والتفكر يوقظان شعلة العقل المبدع

حينما اخترت أن أتحدث في هذا الموضوع الجليل، رأيت أن أنتهي إلى قضية أساسية، وهي أن الذكر لا يعمل ـ فقط ـ على تنقية الروح وتصفيتها، وإنما يوقظ ـ كذلك ـ تلك الشعلة المتوهجة في الإنسان شعلة العقل المبدع الذي يكشف ويستنبط ويعمق البحث فيبعث فيه ذلك شعوراً بنشوة هي أقرب ما تكون إلى النشوة الروحية.

ونحب أن ننطلق في هذه النقطة من مقطع قرآني كريم مليء بهذه الاشارات، يقول الله تعالى في الآيتين ١٩٠ـ١٩١ من سورة آل عمران: (إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب. الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السماوات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانك، فقنا عذاب النار).

روي عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: «لما نزلت هذه الآية على النبي ﷺ، قام يصلي فأتاه بلال يؤذنه بالصلاة فرآه يبكي، فقال: يا رسول الله أتبكي وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، فقال: «يا بلال، أفلا أكون عبداً شكوراً، ولقد أنزل الله عليّ الليلة آية: (إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب.... ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها».

إن من أبرز ما يلفتنا إليه هذا المقطع القرآني الكريم هو الاعتبار بخلق السماوات والأرض، إنه موعظة، وهو ايذان باختتام السورة وشأن القرآن أن يختم بالموعظة لأنها أهم أغراض السورة.

وينبه بعض المفسرين إلى أن المراد بالذكر هو التفكّر بمعنى أن التفكر عبادة. والموضوع في هذه الآيات فيه انتقال من معنى إلى معنى متفرع عنه. ومن ثم فقد أنتج الذكر التفكر وأنتج التفكر للمتفكرين أن المخلوقات لم تُخلق باطلا ثم تفرع عنه تنزيه الله تعالى ونتج عن سؤاله أن يقيهم عذاب النار لأنهم رأوا في المخلوقات طائعا وعاصيا فعلموا أن وراء هذا العالم ثواباً وعقاباً، فاستعاذوا أن يكونوا ممن حقت عليهم كلمة العذاب.

ومن باب الإشارات العجيبة في هذا الموضوع أن أثير الانتباه إلى التفكّر في الخلق للنهي عن التفكر في الخالق لعدم الوصول إلى كنه ذاته وصفاته جل شأنه.

الذكر المأثور يحارب الفقر الروحي ويرفعنا فوق صغائر الأمور ويجعلنا نستفيق على حياة جديدة وكنز عظيم

ثم إن من مميزات هذا الموضوع أنه يرشد إلى أن الذِكْر والتفكر يرشدان إلى دراسة كتاب الكون والتأمل فيما اشتمل عليه من دلالات وآيات، إذ في النصوص ما يحض الفكر الإنساني على النظرة الشاملة العامة إلى الكون كله. من ذلك دراسة الإنسان نفسه، وهذه الدراسة تعتبر منطلقا ذا أهمية لمعرفة خالقه، ومنطلقا لدراسة النبات والقمر والماء والسحاب والمطر، وإمكان التقدير والوزن ونتيجة لذلك يأتي التوجيه للسير في الأرض بحثاً ودراسة وتأملاً والمقصود من هذا هو أن يوضع الإنسان أمام كل المظاهر موضع الباحث الدارس المنقّب عن الصفات الظاهرة والباطنة التي هي آثار من آثار الخالق المتقن اللطيف الذي ينفذ علمه إلى دقائق بواطن الأشياء.

إن الحياة التي نحياها بحواسنا. لا غير. وعن بعد. حياة أقرب إلى الوهم منها إلى الحقيقة. ونكاد نحسّ أن الآيات تصرخ بنا أن نسعف الحواس بقوى أخرى فوق الحواس من أجل ولوج هذه العوالم ومن أجل أن نبلغ المطلق الممكن بوساطة الذكر والتفكر.

نقرأ في سورة العنكبوت قوله جل شأنه: (أو لم يروا كيف يبدئ الله الخلق ثم يعيده إن ذلك على الله يسير) الآية ١٩.

إنه خطاب دليله هذا الكون ومجاله السماء والأرض. إن صفحته مفتوحة للحواس والقلوب، يردّنا القرآن فيها إلى هذه الروعة الغامرة.

إن في هذه الآية أمراً بالنظر العلمي المتتبع الذي يعني بتتبع الظواهر للنفاذ إلى البواطن.

ما أكثر النصوص القرآنية التي دعت الفكر إلى التفكر والدراسة العلمية الهادفة. وهذا ما يتيحه مثل هذا النص في الآية ٩٥ من سورة الأنعام حيث يقول جل شأنه: (إن الله فالق الحب والنوى. يخرج الحيّ من الميت ومخرج الميت من الحي ذلكم الله فأنى تؤفكون).

إن فلق الحب والنوى وإخراج النبات والشجر منهما، مجال واسع لمعرفة خصائص الصفات الوراثية، وما فيها من قوى وقوانين وسنن ربانية عجيبة. وهي تصلح للباحثين العلميين المتعمقين، وتصلح للذين يملكون قدرات أقل، وتصلح كذلك للناس العاديين الذين اكتملت لديهم شروط التكليف.

إن التأمل والتفكر في مثل هذه الآيات من شأنه أن ينفع في تعميق الايمان ومن شأنه أيضاً أن يدك تلك العقبات النفسية عند من يعانون من الحيرة. ذلك أن التطلع نحو المعرفة والتساؤل عن كيفية حدوث الأشياء ومسبباتها، يعتبر ذلك كله من الصفات المهمة التي تتصف بها العقول البشرية الموهوبة. ومن ثم فإنه إذا آمن المشتغل بالعلوم الكونية بخالق هذا الكون، فإن دراسته العلمية مهما كان اتجاهها تزيده إيماناً بالله.

كتب الدكتور أرفنج وليام نوبلوتش مقالا تحت عنوان «المادية وحدها لا تكفي» ومما يقول فيه: «إن العلوم الطبيعية عاجزة عن أن تبحث عن الله بطرقها المادية أو أن تدرك كنه ذاته تعالى، ولكن ملاحظة عجائب الكون، قد دعت علماء الفلك الأمناء إلى الاعتقاد بأنه لابد أن يكون لهذا الكون ـ باتساعه الفسيح ونظامه المعجز مدبّر لا نراه، ولا نستطيع أن ندرك كنهه». عن كتاب «براهين وأدلة إيمانية» عبدالرحمن حسن حبكنة.

وقد أفضى هذا التأمل بهذا العالم إلى الايمان حين قال: «إنني اعتقد بوجود الله لأن وجوده القدسي هو التفسير المنطقي الوحيد لكل ما يحيط بنا من ظواهر هذا الكون التي نشاهدها» المرجع نفسه.

وبعد فإن الذكر المأثور يحارب الفقر الروحي، ويرفعنا فوق صغائر الأمور، ويجعلنا نستفيق على حياة جديدة وكنز عظيم تمثله هذه الذخيرة التي حينما نقترب من معانيها ونلتحم بها تتغلغل في أعماقنا وتغدو مصدراً لتفعيل حياتنا، وحينما نفتح صدورنا لأنفاسها المنعشة ومراميها البعيدة، فإننا سنكون بها ـ وانطلاقاً من أساسياتها وما تنبته في كياننا ـ طبا نفسيانيا إسلاميا قويا تنتشر معه الأنوار أبعد فأبعد على شرط أن يقتنع الأطباء ـ من هذا النوع ـ بمصداقية العلاج بالقرآن الكريم، وأن يكونوا في مستوى الصلاح وشفافية الروح والنظرة الثاقبة وحب الإنسانية.

إن العلاج بالقرآن زاد تغتني به نفوس المؤمنين وتطمئن وتلجأ إليه عند الملمات وتتخذه واحة تستريح عندها من جفاف الحياة وقتامتها، ذلك أن القرآن الكريم ينساب في دواخل الإنسان وينعش وجدانه ويطمئن قلبه.

بالإضافة إلى أنه عبادة لله من صميم العبادة، وذكر من صميم الذكر ولو اتصلت العلوم الكونية التي تبحث في صميم الكون ونواميسه وقوانينه ومدخراته وأسراره وطاقاته، لو اتصلت هذه العلوم بذكر الله خالق هذا الكون، وشعرت ـ من خلال ذلك ـ بجلاله لتحولت ـ من فورها ـ إلى عبادة لخالق هذا الكون، ولاستقامت الحياة بهذه العلوم واتجهت إلى الله وأنتجت خيراً مما تنتج وأروع.

ومعنى هذا أن التوجه العلمي في الدراسات العلمية البحت حينما لا تسنده هذه المعطيات الشفافة، فإنه يقطع الصلة ما بين العلوم الكونية والحقيقة الأزلية الأبدية فيتحول العلم ـ وهو أجمل هبة من الله إلى الإنسان ـ إلى لعنة تطارد هذا الإنسان وتحيل حياته إلى جحيم، وإلى حياة قلقة مهددة وإلى خواء روحي قاس.

فلو مورست دراسة العلوم الكونية بشيء من صفاء القلب، وشفافية الروح وتفتح الإدراك والاستعداد للتلقي لازداد العلم تقرّبا إلى الله، على اعتبار أن لحظة الذكر والتفكر والاستنتاج والإبداع لحظة عبادة ولحظة اتصال، ولحظة إلهام للحقيقة الخالدة. ■

الإيمان الصادق يهدينا إلى أن الذكر والتفكر يعيدان إلى الإنسان الطمأنينة والراحة

بقلم : ماجد أحمد المومني

أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها

سورة محمد :٢٤

العنوان مقتبس من القرآن الكريم، والآية رقم ٢٤، من سورة محمد ولا ريب أن أول عتبات التدبر هو فهم المعنى، والمفردات الواردة في القرآن الكريم حتى يتمكن المسلم من فهم القرآن ويتعلّمه ومن ثمّ يُعلّمه لأفراد أسرته ومجتمعه، فقد أورد البخاري في صحيحه قول الرسول عليه عليه الصلاة والسلام: «خيركم من تعلّم القرآن وعلّمه».

وهنا نتوقع من الآباء أن يُعلّموا أولادهم جوامع الكلم والتي لا يستغني عنها مسلم واحد في مشارق الأرض ومغاربها باعتبارها ثوابت يحتاج إليها المسلم فهماً ومعنى ولفظاً وسلوكاً ومن هذه الثوابت:

١ ـ أن يعلّموا أولادهم الاستعاذة من الشيطان الرجيم... عملاً بقوله تعالى: (فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم) النحل:٩٨. ومعناها... أنني أحتمي بالله من شرور الشيطان الرجيم... والرجيم المطرود من رحمة الله... وكلمة أعوذ... ألوذ وأحتمي بالله من شرور إبليس المطرود في رحمة الله. والاستعاذة بكل بساطة تعني الالتجاء أو الاحتماء أو الاستجارة بالله تعالى.

ومع أن الشيطان ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون إلا أن الاحتماء بالله ضرورة لازمة في أفعالنا وأقوالنا نظراً لأساليبه في الإغواء والضلال كما فعل مع أبينا آدم، وحتى يبقى المؤمن على صلة بربّه... صلة دائمة ومستمرة، مصداقاً لقوله تعالى: (... إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربّهم يتوكلون. إنما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون) النحل:٩٩ـ١٠٠.

٢ ـ يحتاج المسلم إلى حفظ شيء من القرآن الكريم ليؤدي به صلاته، فكل مسلم عليه أن يحفظ:

ـ الفاتحة.

ـ سورة الإخلاص والتي تساوي ثلث القرآن الكريم... عن حديث أخرجه البخاري.

ـ سورة الفلق.

ـ سورة الناس: آيات لم ير مثلهن قط، عن حديث أخرجه مسلم.

ـ سورة الكافرون تساوي ربع القرآن الكريم، عن حديث أخرجه الطبراني.

ـ سورة النصر تساوي ربع القرآن الكريم، عن حديث أخرجه الترمذي.

ـ سورة الزلزلة تساوي ربع القرآن عن حديث أخرجه الترمذي.

ـ سور قرآنية قصار لها من الأجر والثواب... كأجر من أكمل تلاوة القرآن، وفي ذلك رحمة للذين يدينون بالإسلام من غير العرب... وفضل من الله لكل مسلم.

٣ ـ بقي أن نعرف من الثوابت:

ـ بسم الله الرحمن الرحيم.

ـ الحمد لله رب العالمين.

ـ الله الصمد...

ـ أعوذ برب الفلق.

ـ غاسق إذا وقب.

ـ النفاثات في العقد.

ـ الوسواس الخناس.

هذه مفردات يحتاجها كل مسلم في صلاته وأفعاله وسلوكه وطعامه وشرابه، وقبل نومه وحين يستيقظ وفي كل حركة من حركات حياته... وأشد ما كان عجبي حينما لمست أن بعض الطلبة الجامعيين لا يعرفون معنى هذه الثوابت الضرورية لكل مسلم.

ـ بسم الله الرحمن الرحيم...

هي فاتحة كل قول أو عمل ابتداء من الكلام أو تناول الطعام وانتهاء بالاستسلام للنوم... وببساطة تعني أنني أستفتح أقوالي وأفعالي بأسماء الله الحسنى، وأخص من هذه الأسماء الرحمن الرحيم... والتي وسعت رحمته كل شيء... والتي من أبواب رحمته مدخل جنات النعيم... ولا يستطيع أحد أن يدخل هذه

الجنات بأعماله. (... قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم) الزمر:٥٣.

ـ الحمد لله رب العالمين:

وهو إقرار باللسان وتصديق بالقلب بأن جميع الخيرات هي من فضل الله وهو رب العالمين خالق الكون ومدبّره... وهذا الإقرار والتصديق يصاحبه الشكر لله تعالى على ما تفضل به من نعم وخيرات والتي لا يمكن أن تحصى وهذه الخيرات والأرزاق جميعها من الله. (... قل إن ربي يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين...) سبأ:٣٩.

وقفة تأمل على نعمة البصر والسمع والذوق والفؤاد والكلى وسائر أعضاء الإنسان أعطاها الله لنا بالمجان... وهي لا تقدّر بخزائن الأرض... ولا يعرف قيمتها إلا من فقد السمع والبصر ومن أصيب بأمراض القلب والعقل والكلية وسرطان الدم... إنها نعم لا تُحصى... ولا يريد الله سوى أن يشكر ويحمد ربّه على هذه النعم.

ـ سبحان الله العظيم:

الله بذاته وصفاته ليس كمثله شيء... فكلمة سبحان الله تعني أن الله يتنزّه عن كل نقص في ذاته وصفاته فهو الكمال المطلق في ذاته وصفاته: ... (سبح لله ما في السموات وما في الأرض وهو العزيز الحكيم) التغابن:١. فكل شيء بالوجود يسبِّح بحمد الله مع أننا لا نفهم تسبيحهم، فحتى الجمادات والجبال تراها خاشعة له تعالى... وتسبِّح باسم الله العظيم.

ـ الله الصمد:

روى الدارمي والحاكم في مستدركه أن تلاوة كل حرف من القرآن الكريم يحظى قارئها بعشر حسنات، فإذا علمنا أن كلمة الصمد هي خمسة حروف من أصل ٤٧ حرفاً هي مجموع حروف سورة الإخلاص، وسورة الإخلاص هي ثلث القرآن الكريم، طبقاً للحديث الشريف الذي أخرجه البخاري فهذا يعني أن تلاوة سورة الإخلاص تعادل بالأرقام ١٠٧٠٤٠ حسنة، ومثل هذا الرقم يستحق منا أن نعرف معنى كلمة الصمد، يقول أبو بكر الجزائري في كتابه «أيسر التفاسير»: إن كلمة الصمد تعني هو السيد الذي يُصمد إليه في قضاء الحوائج وعلى الدوام... إنه تعالى هو وحده المقصود في الحوائج، ومثل هذا المعنى في المعجم الوسيط.

الصمد هو المقصود في الحاجات.. وهو الذي يصمد فوق كل صفة... فلو أخذنا كلمة كريم ففوق كل ذي كرم كريم... إلى أن تصل هذه الصفة إلى الذات الإلهية... فتقف الأبصار والأسماع وكل قنوات الإدراك عن تلمس كرم الخالق سبحانه فكرمه خارج نطاق الإدراك، لكن كل ما هو في مجال الإدراك هو إلى هلاك، بينما كرمه تعالى لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على بال بشر... وقس على ذلك سائر أسماء الله الحسنى من الكمال المطلق... ما يعجز عنه الوصف والإدراك.

ـ سورة الفلق وسورة الناس:

والتي روى عنها مسلم أن الرسول قد قال فيهما... إنهما سورتان لم ير مثلهن قط... بل إنهما من الاتساع في المعاني مما يغطي مجلدات... فمثلاً الفلق: الصبح، فلو تناولنا فالق الإصباح في الكواكب والنجوم والمجرات التي هي في السماء الدنيا لاحتجنا إلى مجلدات، فكيف الإصباح في السموات العُلى... وكيف هو عند سدرة المنتهى... وكيف هو في جنة المأوى!! وقل مثل ذلك في كلمة غاسق إذا وقب... أي الليل إذا دخل... الليل بظلامه وسواده إذا دخل... وهي الظلمة هي لا شيء بالنسبة لظلمة القبور، وظلمة أعماق البحار، وظلمة المجرات والنجوم والتي بعضها لما يصلنا ضوؤها منذ الخليقة وحتى الآن... فتصوروا بُعدها... قياساً إلى سرعة الضوء في الثانية والتي تساوي ١٨٦ ألف كيلو متر في الثانية، عجزت الأقلام وجفَّت الصحف عن وصف صفة من صفاته تعالى.

ففي سورة الفلق أستجير برب الفلق ـ فالق الإصباح من شر مخلوقاته ومن شر السواحر النفاثات بالإفساد والشرور، والنفث هو النفخ الخفيف، والعقد جمع عُقده في خيط أو حبل... وهكذا يفعل السحرة يعقدون الخيوط ثم بإفسادهم يوهمون الناس بكل هذه العقد بنفخات مسمومة من الشرور والسحر... وهذا الاحتماء بالله يشمل أيضاً شرور الحاسدين الذين يتمنون زوال النعمة عن غيرهم.

بينما سورة الناس تركز على الشيطان الذي يُحدِّث النفس الإنسانية من الداخل ويأمرها بالشرور والآثام.. وهذا الشيطان يزين للإنسان سوء الأعمال.. وهو الذي وسوس لآدم فأخرجه من الجنة.

وسْوس: تعني أنه حدَّث من الداخل بسوء الأفعال والشرور والآثام والفحش من الأقوال... سورة الفلق وسورة الناس استجارة بالله لمن لا يغفل عنهما من الشيطان وشروره ومن الحاسدين ومن شرور مخلوقاته التي لا نعملها... إنها حصن المؤمن في يقظته وقبل نومه بل في أثناء تقلبه في نومه.

الشيطان هو العدو الأكبر لبني الإنسان وهو الذي أضلَّ آدم وزوجه حواء فزيَّن لهما أن يأكلا من الشجرة التي منعها الله عنهما... فوسوس لهما أنها شجرة الخلود فأضلهما فكانت النتيجة خروجها من الجنة بعد أن تاب الله عليهما. قال تعالى: (... وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغداً حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين. فأزلَّهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين. فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم) البقرة: ٣٥ـ٣٧.

ولا سبيل إلى قهر الشيطان إلا بأداء العبادات لله تعالى... من صلاة وصوم وحج وزكاة وشهادة أن لا إله إلا الله... وأن محمداً رسول الله... فالصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر أي أنها حصن المؤمن من الشيطان الذي يأمر بالفحشاء والمنكر، والصوم وقاية

من سلطان الشهوات التي من خلالها ينفذ الشيطان... روى الترمذي وابن ماجه عن الرسول ﷺ أنه قال: «... إن الشيطان ليجري من ابن آدم مجرى الدم فضيِّقوا مجاريه بالجوع...» ويعني الصيام، وكذلك في الحج يُرجم الشيطان بحجارة الحجيج ويخرج مذموماً مدحوراً من قلوب المؤمنين.

وفي الزكاة طهارة النفس من الشحّ وطهارة للأموال من الخبائث: (... ومن يُوق شحَّ نفسه فأولئك هم المفلحون) التغابن:١٦. (... الذي يُؤتي ماله يتزكى...) الليل:١٨. (... وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة...) في الآية رقم٢٠ من سورة المزمل.

أيها المؤمنون:

استعينوا بالله على الشيطان الرجيم... استجيروا بالله العظيم من شرور الوسواس وذلك بتلاوة سورة الإخلاص وسورة الفلق وسورة الناس في اليقظة وقبل النوم... وقاموا الشيطان بتلاوة القرآن والمحافظة على العبادات من صلاة وصوم وحج وزكاة... (هل أنبئكم على من تنزَّل الشياطين. تنزل على كل أفَّاك أثيم...) الشعراء:٢٢١-٢٢٢.

معنى رمضان:

ومن المفردات التي تحتاج إلى تفسير معنى كلمة رمضان... وهي اسم الشهر التاسع من تاريخنا الهجري، والشهر الوحيد من الشهور الذي ذكره الله تعالى في القرآن الكريم، وقد اختلفت الآراء في تسميته، وتعددت الروايات... فمن قائل: إنه مشتق من رمض إذا احترق... والرمضاء هي شدة الحر وسمِّي بذلك من حر الجوع والعطش.

وقيل إنه سمِّي رمضان لأنه يرمض الذنوب ويحرقها بالأعمال الصالحة... وقيل لأن القلوب تأخذ فيه الموعظة والتفكير في أمر الحياة والآخرة، كما تكتسب صخور الفيافي ورمالها من حرارة الشمس.

وقيل لأن العرب كانوا يرمضون أسلحتهم أي يعرقونها ويشحذونها بين الحجارة استعداداً للحرب في شوال قبل حلول الأشهر الحرم.

وجاء في دائرة المعارف الإسلامية أن رمضان مشتق من «رمض» وفي ذلك إشارة إلى حرّ الصيف، فما يدل على الفصل الذي وقع فيه هذا الشهر وما وما يصاحب فصل الصيف من رمض الصائم أي شدة العطش في جوفه.

هذا من الناحية اللفظية... أما من الناحية العقدية

- فصيامه شهراً كاملاً ركن من أركان الإسلام.
- وهو صبر على المعصية... صبر على الطاعة.
- صبر على البلاء والشدائد والصعاب في سبيل الله.

أوله رحمة، وأوسطه مغفرة، وآخره عتق من النار...

وفي رمضان كان الفتح الأكبر عندما دخل الرسول ﷺ مكة المكرمة، والتف أهلها حول الفاتح الأعظم ودخلوا في دين الله أفواجاً. وفي رمضان انتصر المسلمون في تبوك، وعين جالوت، وحطين، وفتح العرب الأندلس. ورمضان أحب الشهور إلى الله.

ليلة القدر:

اختلف العلماء في سبب تسميتها بهذا الاسم، فمنهم من قال إنها سُميت بذلك لأن الله تعالى يقدر فيها الأرزاق والآجال وحوادث العالم كلها، ويدفع ذلك إلى الملائكة كما قال تعالى: (... فيها يفرق كل أمر حكيم...) الدخان:٤، ومنهم من قال: إنها سُمِّيت بذلك لعظم وجلال قدرها عند الله... (ليلة القدر خير من ألف شهر) القدر:٣، وأجر العبادة فيها يعادل أجر عبادة ٨٣ عاماً، ومن علاماتها أن تشرق الشمس صبحها بيضاً ومن دون شعاع كأنها البدر، وهي في العشرة الوتر من أواخر رمضان.

بعض صفات: القرآن الكريم:

ينفرد القرآن الكريم عن غيره من الكتب السماوية والوضعية بالصفات التالية:

١ - إنه الكتاب الوحيد في العالم الذي يمكن حفظه بكلماته وحركاته وألفاظه وآياته وسوره، وزاد في هذا الإعجاز أن أطفالاً في سن الخامسة يحفظون القرآن الكريم عن ظهر قلب، وطفل مصري معاق في الثامنة يحفظ القرآن الكريم، بل إن طفلاً إيرانياً في الثامنة يحفظ القرآن الكريم، ويفسره تبعاً لتفاسير عدة من التفاسير المعروفة، ابن كثير... الطبري... سيد قطب، وهكذا... ولا يشاركه بهذه الصفة كتاب آخر... حتى كتاب العهد القديم لا يحفظه واحد في العالم والعهد الجديد، والبابا نفسه لا يحفظه بألفاظه وحركاته. مصداقاً لقوله تعالى: (... إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون...) الحجر:٩.

٢ - القرآن الكريم هو الكتاب الفريد من بين الكتب السماوية الذي يتضمن جميع الكتب السماوية التوراة الصحيحة، والإنجيل الصحيح، وصُحف إبراهيم وموسى والزبور، الذي أنزله الله على داود.. ولم يختلف به أحد على أنه نزل باللغة العربية، وبينما لا يزال الاختلاف قائماً بين اليهود والنصارى على لغة الوحي الذي أنزل الله بها التوراة والإنجيل... وحسبنا ذلك قول الله تعالى: (... كتاب فصِّلت آياته قرآنا عربياً لقوم يعلمون...) فصلت:٣. (... إنا جعلناه قرآنا عربياً لعلكم تعقلون) الزخرف:٣.

٣ - القرآن الكريم به علم كل شيء... علم الأولين والآخرين مصداقاً لقوله تعالى: (... وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولوا الألباب...) آل عمران:٧.

ففواتح السور ... حم... ألمر... كهيعص... إلخ.

هذه رموز لا يعرف معناها إلا الله والراسخون في العلم ... قال تعالى: (... ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم...) الحجر:٨٧.

هذه بعض من صفات القرآن العظيم. ■

بقلم : بدرت نوال محمد بدير

يرسم القرآن الكريم صوراً رائعة لكثير من مختلف جوانب الحياة: يرسمها عارضاً ومصوراً أو يرسمها متفراً منها ومزدرياً لها أو يرسمها محبذاً ومشجعاً، وقد يعرض معنى واحداً في صور عدة مختلفة كلها رائع دقيق.

وهو في رسمه لهذه الصور إنما يهدف ـ ناقداً كان أو محبذاً ـ لتكوين مثل عليا للأفراد وللجماعات، وهذه الصور إذاً إنما هي نوع من التربية السهلة المؤثرة، حيث تقود الشخص في يسر إلى استشعار ما أراده الله ورسوله.

وإذا كان بعض هذه الصور يدور حول أفراد معينين أو في أزمنة محددة أو في أمكنة معروفة، فإنها عادة عامة شاملة، وهي لذلك تتسم بالخلود وتدخل في نطاق القاعدة الأصولية المعروفة «العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب».

فتنة المال أو قارون

والصور التي نعرضها الآن إنما هي صورة قارون، وقد ذكرت في شيء من التفصيل في سورة القصص، حيث تحدث القرآن الكريم عن قارون حديثاً عابراً في سورة العنكبوت وفي سورة غافر. ومن هذه المواضع الثلاثة المتكاملة تنعكس صورة تامة واضحة من الصور الكثيرة التي رسمها القرآن لفتنة المال.

كان قارون من قوم موسى، ونشأ في ربوع مصر وآتاه الله ثراء عريضاً ورزقه من المال ما لا يكاد يحصى ولا يعد، وهيأ له من وسائل الحياة الهانئة وأسبابها الشيء الكثير، فكان مع ثرائه الواسع قوي الجسم وضيء الصورة إلى درجة أنه كان يسمى «المنور»، وكان إلى ذلك طلق اللسان، وجذاب الحديث، آتاه الله كل ذلك وآتاه أكثر من ذلك، فكان منطق الحكمة أن يؤدي لله حق الشكر على نعمه وأن يتصرف فيما منحه الله إياه، تصرف المعترف بالفضل الذي لا ينكر الجميل.

ولكن نفسه كانت تتطلع إلى غير ذلك، لقد أجال بصره في بيئته وفي عشيرته فلم يجد ما يساعده على أن يكون حاكماً أو صاحب ولاية ورئاسة، فأخذ ينسلخ من عشيرته وينفصل عن قومه ويتقرب إلى فرعون، يداهنه ويتملق كبرياءه، ويتزلف إليه حتى أصبح من جلسائه، وفي فترة من الفترات وجد نفسه ينعم بجاه الثروة ويستمتع بجاه السلطان، فانتشى بهذا المجد الزائف وملأه الغرور واستولى عليه الكبر، ورسخ في نفسه أن السعادة إنما هي الثراء والجلوس مع فرعون.

ولما وقر في نفسه ذلك نسي الله أو تناساه، فتعود عادات الذين لادين لهم: ازدراء العشيرة، واحتقار الفقراء، ونضوب معين الرحمة من القلب، واعتبار أن الحياة الدنيا هي كل شيء وأن المثل الأعلى إنما هو الاستمتاع على أي وضع كان وفي أي صورة حدثت وسارت الحياة به على هذا النمط رخاء فترة من الزمان فاعتقد أنها ستسير به هكذا إلى النهاية.

وفي يوم من الأيام، بينما كان يجلس قارون مع فرعون وهامان، دخل موسى عليه السلام يعرض عليهم الرسالة التي كلفه الله بتبليغها (ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين. إلى فرعون وهامان وقارون فقالوا ساحر كذاب). غافر ٢٣ ـ ٢٤

لقد كان المنتظر من قارون أن يدافع عن موسى إن لم يكن من أجل الحق الواضح فمن أجل العصبية والجنسية ولكنه ضرب بالحق والعصبية عرض الحائط وجارى فرعون حرصاً على ماله واحتفاظاً بثروته وقال كما قال فرعون: (ساحر كذاب).

ومن أجل الإبقاء على ثروته جارى فرعون في إسرافه وطغيانه، فقال موافقاً له: اقتلوا الذين آمنوا معه «أي مع موسى» واستحيوا نساءهم».

ولما قال فرعون: (ذروني أقتل موسى) لم يحاول قارون الدفاع عن رسول الله وإنما الذي فعل ذلك رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه.

وارتكب قارون كل ذلك إيثاراً للمال وخوفاً على الثروة من أن يصادرها فرعون لو خالفه فيما يرى من رأي، وغاب عنه أن الثروة والملك والدنيا والآخرة بيد الله وحده، وبما أن الله سبحانه المانح الواهب فإنه تعالى المانع القابض.

ولما رأى بعض الصالحين من قوم قارون أن الثروة والجاه أفسدوه تشاوروا فيما بينهم واتفقوا على أن يسدوا إليه النصيحة، فلما اجتمعوا به تلطفوا في القول ما استطاعوا وأجملوا النصيحة في أمور خمسة هي في الواقع القواعد العامة المثالية لما ينبغي أن يكون عليه الأثرياء وهي القانون الذي يجب أن يخضع له أهل الغنى:

١ ـ إنك مباهٍ بثروتك فخور بها، فرح بكثرة المال، وما ينبغي أن يكون الفرح بالمال إلا لأنه وسيلة إلى النفع فلا تفرح بكثرة المال فرح بطر فإن الله لا يحب الفرحين الذين يتمثل فيهم ذلك.

٢ ـ وقد آتاك الله الكثير المتنوع فابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة واتجه في كل ما تأتي وما تدع إلى تقوى الله ومرضاته.

٣ ـ والدنيا مزرعة الآخرة وطريقها فلا تنس نصيبك من الخطوات في هذا الطريق بالعمل الصالح الذي سيكون رصيدك يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

٤ ـ وأحسن كما أحسن الله إليك فاجعل زكاة مالك مساعدة الفقير وزكاة قوتك نصرة الضعيف وزكاة جاهك معاونة المظلوم حتى يسترد حقه.

٥ ـ ولا تبغ الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين.

ولكن هذه المبادئ السامية التي إذا عممت كانت الدستور لكل صاحب جاه أو نعمة، لم تلق أذناً صاغية لدى قارون الذي ألهاه التكاثر، فقال ساخراً متحدياً لا يبالي: (إنما أوتيته على علم عندي).

لقد أوتيت هذا المال بسبب تدبيري وحكمتي وحسن تصريفي للأمور وحدسي الذي لا يخطئ في شؤون التجارة ورأيي الصائب في ارتفاع الأسعار ونزولها: وأنكر بذلك أي أثر إلهي للنعمة التي ينعم بها، وتناسى قارون وهو في نشوة الثراء وحماسة الجدل: الأخبار الصحيحة التي تدل على أن الله أهلك كل ذي جاه لم يتق الله فيما أنعم به عليه ولم يؤد حق النعمة مالاً كان أو قوة أو رئاسة (أوَ لم يعلم أن الله قد أهلك من قَبْلِهِ من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعاً) القصص:٧٨.

وأراد قارون أن يتحدى وأن يسخر وأن ينعم بالتحدي والسخرية ممن نصحوه، فخرج يوماً على قومه في موكب كأبهى ما يكون من الزينة والأبهة وكأضوأ ما يكون بريقاً وزخرفاً، لقد خرج على قومه في زينته، كل زينته ـ فمدت إليه الأعين وأخذ بريق الذهب الذي يتحلى به الركب يخطف الأبصار ولمعان الفضة المحلاة بها سروج الخيل يخلب الأفئدة، وتهادى الركب بقارون هو ينظر يميناً وشمالاً في كبرياء سافر وفي غرور مكشوف.

ولما رأى هذا المنظر أولئك الذين يسيرون بحسب قانون الغرائز ويريدون الحياة الدنيا، فتنهم بريق الذهب ولمعان الفضة وزخرف الموكب، فقالوا في شهوة غلابة: (يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون إنه لذو حظ عظيم).

ولكن الذين هداهم الله إلى صراطه المستقيم ردوا عليهم منبهين: (ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحاً).

وسنة الله لا تتخلف عادة نذكر منها فيما نحن بصدده قوله تعالى: (حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازَّينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلاً أونهاراً فجعلناها حصيداً كأن لم تغنَ بالأمس) يونس: ٢٤.

وقوله تعالى: (وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميراً) الإسراء:١٦.

وإذا كانت هذه سنة الله في الأرض (وفي القرى) فماذا ينتظر أن تكون في قارون وأمثاله، إنها خسف: (فخسفنا به وبداره الأرض فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين) القصص:٨١.

ولما رأى الذين تمنوا مكان قارون بالأمس ما حل به رجعوا إلى الله وأنابوا إليه (ويكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر لولا أن منَّ الله علينا لخسف بنا ويكأنه لا يفلح الكافرون) القصص:٨٢.

أما العبرة من كل ذلك فيلخصها القرآن الكريم عند انتهاء قصة قارون، تلخيصاً جميلاً موجزاً: (تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين) القصص:٨٣.

وإلى هنا انتهت قصة قارون، وكان يمكننا أن نقف عند هذا الحد، ولكن هناك بعض الطرائف والملاحظات، يقول الله تعالى عن قارون: (وآتيناه من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولي القوة) القصص:٧٦. ومن تلك الطرائف والملاحظات :

١ ـ يقول صاحب البحر المحيط: (سميت أمواله كنوزاً لأنها لم تؤد منها الزكاة». وعلى ذلك فإن الأموال التي تؤدى فيها الزكاة لا تدخل تحت قوله تعالى: (والذين يكنزون الذهب والفضة).

٢ ـ أما عن المفاتح التي تنوء بها العصبة أولي القوة، فقد قال أبو مسلم رأياً طريفاً في تفسيرها: المراد من المفاتح العلم والإحاطة كما في قوله تعالى في الآية ٥٩ من سورة الأنعام: (وعنده مفاتح الغيب) والمراد وآتيناه من الكنوز ما إن حفظها والاطلاع عليها ليثقل على العصبة أي هذه الكنوز لكثرتها واختلاف أصنافها تتعب حفظتها القائمين على حفظها».

٣ ـ تذكرنا قصة قارون بأثرياء المسلمين في العصور الماضية، وكان من هؤلاء عبدالرحمن بن عوف، ولكنه ـ رضي الله عنه ـ كان يؤدي حق الله كاملاً في ماله، حتى لقد تبرع يوماً لفقراء المدينة بقافلة كاملة مكونة من سبعمئة جمل بما تحمل من تجارة.

وإذاً فالمال إنما يكون فتنة إذا لم يؤد حق الله كاملاً فيه، وكذلك الأولاد إنما يكونون فتنة إذ لم يؤد الوالد حق الله والوطن فيهم بتربيتهم خير تربية. ■

فقه

بقلم : محمد حمدي الحديدي

آداب السفر

يرى المسلم أن السفر من لوازم الحياة وضروراتها التي لا تنفك عنها، إذ الحج والعمر والغزو، وطلب العلم، والتجارة وزيارة الإخوان والأصدقاء كلها ما بين فريضة وواجب لابد لها من رحلة وسفر، ومن هنا كانت عناية الشارع بالسفر وأحكامه وآدابه عناية لا تنكر، وعلى المسلم الصالح أن يتعلمها، ويعمل على تنفيذها وتطبيقها.

ومن هنا يتبين للمسلم أن الإسلام لم يترك صغيرة ولا كبيرة إلا وله فيها رؤية ووقفة، وصدق الله العظيم إذ يقول: (قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين. لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين) الأنعام:١٦٢، ١٦٣، فالمسلم يتعبَّد لله بكل صغيرة وكبيرة.

أحكام السفر

١ ـ قصر الصلاة الرباعية فيصليها ركعتين ركعتين فقط إلا المغرب فإنه يصليها ثلاثاً، ويبدأ القصر منذ مغادرته البلد الذي يسكنه إلى أن يعود إليه، إلا أن ينوي إقامة أربعة أيام فأكثر في البلد رجع إلى التقصير فيقصر إلى أن يصل إلى بلده، وذلك لقوله تعالى: (وإذا ضربتم في الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة) النساء:١٠١. قال أنس: «خرجنا مع الرسول ﷺ من المدينة إلى مكة فكان يصلي الرباعية ركعتين ركعتين حتى رجعنا إلى المدينة».

٢ ـ جواز المسح على الخفين ثلاثة أيام بلياليها لقول علي ـ رضي الله عنه ـ «جعل لنا النبي ﷺ ثلاثة أيام ولياليها للمسافر، ويوماً وليلة للمقيم، يعني في المسح على الخفين» رواه أحمد ومسلم والنسائي.

٣ ـ إباحة التيمم، إن فُقِد الماء أو شق عليه طلبه، أو غلا عليه ثمنه لقوله تعالى: (وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيداً طيباً فامسحوا بوجوهكم وأيديكم إن الله كان عفواً غفوراً) النساء:٤٣.

٤ ـ رخصة الفطر في الصوم لقوله تعالى: (فمن كان منكم مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر) البقرة:١٨٤.

٥ ـ جواز صلاة النافلة على الدابة حيثما اتجهت لقول ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ أن رسول الله ﷺ «كان يصلي سبحته» (النافلة) حيث توجهت ناقته» متفق عليه، وفي أيامنا هذه فإن الطائرة والباخرة والأتوبيسات الكبيرة تحل محل الدابة في عهد خير المرسلين ﷺ.

٦ ـ جواز الجمع بين الظهرين، أو العشاءين جمع تقديم إن جدَّ به السير، فيصلي الظهر والعصر في وقت الظهر، والمغرب والعشاء في وقت المغرب أو جمع تأخير بأن يؤخّر الظهر إلى أول العصر، ويصليهما معاً، والمغرب إلى العشاء ويصليهما معاً، لقول معاذ رضي الله عنه: «خرجنا مع النبي ﷺ في غزوة تبوك فكان يصلي الظهر والعصر جميعاً والمغرب والعشاء جميعاً» متفق عليه.

آداب السفر

١ ـ أن يرد المظالم إلى أهلها والودائع إلى أصحابها، إذ السفر مظنة الهلاك.

٢ ـ يُعدّ زاده من الحلال، وأن يترك نفقة من تجب عليه نفقته من زوجة وولد ووالد.

٣ ـ أن يُودِّع أهله وإخوانه وأصدقاءه، وأن يدعو بهذا الدعاء لمن يودعهم: استودع الله دينكم وأمانتكم وخواتيم أعمالكم، يقول له المودعون: زودك الله التقوى، وغفر ذنبك، ووجهك إلى الخير، حيث توجهت، لقول الرسول الله ﷺ: «إن لقمان قال: إن الله تعالى إذا استودع شيئاً حفظه» رواه النسائي بإسناد جيد.

٤ ـ أن يخرج إلى سفره في رفقة ثلاثة أو أربعة بعد اختيارهم ممن يصلحون للسفر معه، إذ السفر كما قيل: مخبر الرجال، وقد سُمي سفراً لأنه يُسفر عن أخلاق الرجال لقول الرسول ﷺ: «الراكب شيطان والراكبان شيطانان، والثلاثة ركب» رواه أبو داود، وقوله: «لو أن الناس يعلمون من الوحدة ما أعلم ما ساد راكب بليل وحده» رواه أبو داود والنسائي والترمذي.

٥ - أن يؤمّر المسافرون أحداً منهم يتولى قيادتهم بمشورتهم لقول الرسول ﷺ : «إذا خرج ثلاثة في سفر فليؤمروا أحدهم» رواه البخاري، وهذه دعوة الإسلام إلى النظام في الأمر كله لعدم الفوضى والاضطراب ويبين حرص الإسلام على وحدة المسلمين وجمع كلمتهم لينالوا رضا الله تعالى.

٦ - أن يصلي قبل سفره صلاة الاستخارة لترغيب الرسول ﷺ في ذلك حتى إنه كان يعلّمهم إياها كما يعلّمهم السورة من القرآن الكريم وفي جميع الأمور.

٧ - أن يقول عند مغادرته المنزل: «بسم الله توكلت على الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله، اللهم إني أعوذ بك أن أَضل أو أُضل أو أَزل أو أُزل أو أَظلم أو أُظلم أو أَجهل أو يُجهل عليّ».

وإذا ركب قال: «بسم الله» فإذا استوى قال: «الحمد لله» ثم يقول: «سبحان الذي سخَّر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنا إلى ربنا لمنقلبون. اللهم إني أسألك في سفرنا هذا البر والتقوى، ومن العمل ما ترضى، اللهم هوِّن علينا سفرنا هذا، واطوِ عنا بُعده، اللهم أنت الصاحب في السفر، والخليفة في الأهل والمال، اللهم إني أعوذ بك من وعثاء السفر وكآبة المنظر وسوء المنقلب في المال والأهل والولد»، فإذا رجع قالهن وزاد فيهن: «آيبون تائبون عابدون لربنا حامدون».

٨ - أن يخرج يوم الخميس أول النهار «لما ورد في الصحيحين» لقول الرسول عليه الصلاة والسلام : «اللهم بارك لأمتي في بكورها» ولما جاء عنه ﷺ أنه كان يخرج إلى سفره يوم الخميس.

٩ - أن يُكبِّر على كل شرف «مكان عال» لقول أبي هريرة «إن رجلاً قال يا رسول الله إني أريد أن أسافر فأوصني قال: عليك بتقوى الله والتكبير على كل شرف» رواه الترمذي.

١٠ - إذا خاف ناساً قال: اللهم إنا نجعلك في نحورهم ونعوذ بك من شرورهم لقول الرسول ﷺ ذلك.

١١ - أن يدعو الله تعالى في سفره ويسأله من خير الدنيا والآخرة، إذ الدعاء في السفر مستجاب لقول الرسول ﷺ : «ثلاث دعوات مستجابات لا شك فيهن: دعوة المظلوم ودعوة المسافر، ودعوة الوالد على ولده» رواه الترمذي.

١٢ - إذا نزل منزلاً قال: «أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق»، وإذا أقبل الليل قال: «يا أرض ربي وربك الله، إني أعوذ بالله من شرك وشر ما فيك وشر ما خلق فيك، وشر ما يدبُّ عليك، وأعوذ بالله من شر أسد وأسود، ومن حيَّة وعقرب ومن ساكني البلد، ومن الوالد وما ولد» رواه مسلم.

١٣ - إذا دخل قرية أو بلدة يقول: «اللهم رب السماوات السبع وما أظللن، ورب الأرضين السبع وما أقللن، ورب الشياطين وما أضللن، ورب الرياح وما ذَرَين. أسألك خير هذه القرية وخير أهلها وخير ما فيها، وأعوذ بك من شرها، وشر أهلها وشر ما فيها» رواه النسائي.

١٤ - إذا أشرف على مدينة قال: «اللهم اجعل لنا بها قراراً وارزقنا فيها رزقاً حلالاً، اللهم إني أسألك من خير هذه المدينة وخير ما فيها، وأعوذ بك من شرها وشر ما فيها» إذ كان النبي ﷺ يقول ذلك.

١٥ - أن يعجل الأوبة والرجوع إلى أهله وبلاده إذا هو قضى حاجته من سفره، لقوله عليه الصلاة والسلام : «السفر قطعة من العذاب يمنع أحدكم طعامه وشرابه ونومه فإذا قضى أحدكم نهمته - حاجته - من سفره فليعجّل إلى أهله» متفق عليه.

١٦ - أن لا يطرق أهله ليلاً، وأن يبعث إليهم من يبشرهم حتى لا يفاجئهم بمقدمه عليهم فقد كان هذا من هدي النبي ﷺ.

١٧ - أن لا تسافر المرأة سفر يوم وليلة إلا مع ذي محرم لها لقول الرسول ﷺ : «لا يحل لامرأة تسافر مسيرة يوم وليلة إلا مع ذي محرم عليها».

١٨ - إذا نام أول الليل افترش ذراعه، وإن أعرس أي: نام آخر الليل نصب ذراعه وجعل رأسه في كفه حتى لا يستثقل نومه فتفوته صلاة الصبح في وقتها.

أخي الكريم... هل نظرت إلى عظمة الإسلام ورحمته؟ وهل ترك الإسلام شيئاً للمسلم لم يتكلم فيه؟! أي دين هذا الذي ينتظم الحياة كلها دقيقها وجليلها صغيرها وكبيرها؟! سبحان من ارتضى لنا الإسلام ديناً. فالمسلم في حركاته وسكناته يلتزم بشريعة الإسلام ولا يجد ثغرة واحدة في حياته لم يتكلم الإسلام فيها ولم يضع فيها تشريعاً، حتى قال يهودي لمسلم: لم يترك الإسلام لكم في حياتكم شيئاً يتكلم فيه حتى دخول الخلاء، سبحان الله ! حتى دخول الخلاء فإنك تتعبد لله تعالى به، فالإسلام دين للحياة كلها بصبغة الإسلام، في زيّه وشكله وبيته وصاية جميعاً، إن الله سبحانه وتعالى يريد أن يرى عبده عبداً له في كل أمر وهاهنا «السفر» في سفره وذهابه وإيابه، يذكر الله ويدعو الله ويسأل الله من فضله وقد بيَّن لنا رسولنا محمد ﷺ سنته وهديه في كل شأن من شؤون الحياة، ومن جرَّب هذه الأذكار في سفره وفي حياته وجد لذلك حلاوة لا توصف وأمناً من عند الله وطمأنينة ويشعر بمعية الله تعالى له وإذا نظرنا إلى أحكام السفر وجدنا رحمة الإسلام بأتباعه فخفف عنهم في صلاتهم وفي وضوئهم وفي حاجاتهم رحمة بهم فهو بحق دين الرحمة ونبينا نبي الرحمة ﷺ.

فالمسلم يذكر ربه دائماً على كل حال لا يفتر عن ذكر ربه وهذا الذكر يمنحه القوة في قلبه وبدنه ويلبسه لباس التقوى والعافية، فالسفر أحد هذه المواطن التي يذكر المسلم فيها ربه ويدعوه فلا شك أن السفر جزءٌ من لوازم الحياة ومتطلباتها فليغتنمه المسلم في الدعاء والذكر حتى يقضي الله حاجته ويؤيده بجندٍ من عنده ويحفظه من كل شر.

ولهذا ينبغي علينا أن نعلِّم هذه الآداب لأولادنا وبناتنا وإخواننا كي ننال رحمة الله ومعيته، ولنحرص على المواظبة على هذه الأذكار فهي الحصن الحصين من الشياطين. ■

المراجـع :

«منهاج المسلم» لأبي بكر جابر الجزائري.

بقلم : الخضر بن عبدالباقي محمد

الثقافة العربية في عصر العولمة

مدلول الثقافة لدى كل أمة هو الكيان الحقيقي، وترجمة أمينة عن هويتها لأن الثقافة هي المجموع الكلي المشكّل للهويّة التي تتميز بها شخصيتها عن غيرها، وهذا المجموع الكلي قد يكون عبارة عن معرفة أو خبرة أو معتقد ديني أو قيم أخلاقية أو اتجاهات عامة عن مفاهيم زمانية أو مكانية، أو غيرها مما يكتسبها الأفراد والجماعات ويتوارثونها جيلاً بعد جيل عبر المؤسسات الاجتماعية المعنية بالتنشئة والتطبيع.

وتعد قضية الذوبان والانهزام الثقافي للجيل أهم وأخطر تداعيات الانفتاح على ثقافات الآخرين، لذلك أثارت الكثير من التساؤلات لدى المفكرين والمنظرين قديماً وحديثاً لهذا قوّمت فكرة الانفتاح الثقافي في بعض العصور الإسلامية وعورضت بشكل قوي، نتيجة لإدراكهم بخطورته وما يتبع ذلك من تداعيات سلبية.

ومرت الأيام ودارت دورتها إلى أن جاء عصرنا الحالي المتطور حيث تواجه الثقافة العربية الإسلامية تحديات ومشاكل على اختلاف مصادرها، ولا سيما في ظل التطورات العلمية المتلاحقة تحت مسميات متعددة: «العولمة . العالمية . الكوكبية . الغلوبالية» ... إلخ.

ولا يخفى على الجميع ما جلبته هذه التطورات من الآثار والسلبيات، حيث تعرضت الثقافة العربية للكثير من الهجمات والحملات مستهدفة من وراء ذلك إضعافها وزعزعتها عن طريق المزاحمة والملاحقة، متخفية بشعار التطور والتقدم والنهضة العلمية وتنمية البلاد النامية.

وقد ساد الأجواء العربية إزاء قضية الانفتاح الثقافي والتقارب الحضاري بين الشعوب أنواع من الصراعات والنزاعات، فهناك دعاة محليون من أبناء العرب يصرّون على ضرورة الانتفاح على ثقافات وحضارات الآخرين وأنه الطريق الوحيد لنهضة الأمة، وعلى العكس من هذا التيار يوجد دعاة يحافظون ويدعون للانغلاق والعزلة لسلامة الثقافة العربية الإسلامية، ويؤكد أصحاب هذا الاتجاه ضرورة العودة للأخذ بالأصل الصافي، ويُلاحظ أن دعوة الانفتاح نحو الثقافات الغربية يقف وراءها عوامل وأسباب كثيرة أهمها:

أ ـ العامل الطائفي :

وهذا ينطبق على وضع الطائفة المسيحية في مصر ولبنان.

الانفتاح المذموم أدى إلى ذوبان الشخصية الثقافية بسبب الانبهار عبر منافذ الاختراق والتغريب

ب - العامل الجغرافي :

حيث نجد أن الدول العربية القريبة من الغرب وبالتحديد من أوروبا هي الأكثر تفاعلاً وانخراطاً في الثقافة الأجنبية، كالمغرب العربي.

ج - العامل الاقتصادي :

ويتمثل في الطبقات الغنية في البلاد العربية التي لها مصالح مادية في الغرب، بغض النظر عن انتماءاتها الدينية أو الطائفية أو الموقع الجغرافي.

وفي مراجعة متأنية ونظرة فاحصة للأوساط الاجتماعية في الوطن العربي والإسلامي والاتجاهات الحديثة نحو الانفتاح على الثقافات الوافدة يمكن تصنيف الاتجاهات الموجودة والتيارات الفكرية - حيال الانفتاح الثقافي وتقبّل الموجات الثقافية الوافدة من الغرب - إلى ثلاث مدارس فكرية جوهرية:

١ - التيار المحافظ:

يرفض الثقافة الغربية الأجنبية بشتى أشكالها وأنواعها بسبب أنها ثقافة غازية ويرى أنها تُشكل خطراً على القيم ويمثل اختراقاً لهوية الأمة وثقافتها.

وينتمي أصحاب هذا التيار إلى قسمين نظراً لمنطلق كل منهما العقدي أو الأيديولوجي وهما:

أ - الاتجاه الإسلامي:

ويرفض هذا الاتجاه تقبّل الثقافات الغربية منطلقاً من الرؤية الإسلامية حيث أعطاها. ووصفه بالتمكين للحملة التنصيرية لمواجهة الزحف الإسلامي ومصارعته في عقر دياره لتتوسع على حساب الثقافة العربية المبنية في جملتها على مبادئ وقيم الإسلام.

ب - الاتجاه القومي العربي:

يرفض تقبّل دعوة الانفتاح الثقافي منطلقاً من الرؤية القومية العربية واعتبر الانفتاح على الثقافات الوافدة استنزافاً للكيان القومي العربي واختراقاً لحضاريته لإدخاله تحت سيطرته ولتتحول الثقافة العربية الأصيلة إلى ثقافة تابعة.

٢ - التيار اليساري المتغرّب:

يرى هذا التيار أن تقبل الثقافة الغربية على مختلف أنواعها وأشكالها هو السبيل الوحيد والحل الأوحد لنهضة المجتمع العربي والمجتمعات القومية بشكل عام، واعتبروا الانفتاح الثقافي معياراً ومقياساً لنهضة وتقدم المجتمع لأنه في نظرهم اتصال حضاري وتواصلٌ ثقافي يحقق للمجتمعات البشرية أمناً واستقراراً عكس ما يراه التيار المحافظ.

ساد الأجواء العربية إزاء قضية الانفتاح الثقافي والتقارب الحضاري بين الشعوب أنواع من الصراعات والنزاعات

٣ - التيار الوسطي:

يرى ضرورة الانفتاح على ثقافات الآخرين وحضارات الأمم الأخرى للإفادة منها وأخذ ما يناسب بعد التعديل والتحوير بانتقاء شديد وعناية فائقة من مفكري الأمة خوفاً من الذوبان وفقدان الخصائص المميزة والملامح الأصيلة للهوية العربية وثقافتها العريقة.

ولعل من التساؤلات التي يطرحها أصحاب الاتجاه المعاكس «التيار المتغرّب»، كيف يمكن للثقافة العربية الإسلامية وحالها الراهنة تشهد في داخلها ومحيطها توسعات وانفتاحات على المستوى الذاتي؟ هذا الاتساع بالتأكيد يترك بصماته على الثقافة العربية الإسلامية وسيشكل أنماطاً جديدة من الثقافات الفرعية بسبب ما شهدته الأمة من صراعات بين هذه التيارات المحافظة والمعاكسة لها، بحجة أن هذا العصر يحمل في طياته تحديات تتمثل في تناقضات الاختراعات والاكتشافات العلمية والتي تخلق أو تترك انعكاساتها وتأثيراتها على الثقافة والقيم الموجودة والموروثة، لأنها مغايرة ومتباينة مع الثقافة السائدة وبمرور الوقت والزمان يتقبلها المجتمع على الرغم من محاولات التيار المحافظ الصد عن ذلك، فيصير جزءاً من ثقافته وعاداته وتقاليده وخصائصه أو مميزاته عن الآخرين.

ويجب أن نشير هنا إلى أن الانفتاح المذموم هو ما أدى إلى ذوبان الشخصية الثقافية بسبب الانبهار والاغتراب عبر منافذ الاختراق والتغريب، والإسلام لا يمنع الانفتاح المحكم الرامي نحو الاستفادة من علوم الآخرين النافعة فقد قال تعالى: (قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا) الأنعام:١٤٨.

ومع ذلك كله فإننا على يقين وثقة كبيرين أنه مهما تكاثرت وتضاعفت التداعيات والأعراض والإجهاد على الثقافة العربية الإسلامية الأصيلة، سواء أخذت صورة التحدي والهجوم المباشرة أو غيرها فإنها ستظل باقية قوية البنية نشيطة الحركة رابطة الجأش منيعة الحصن، وهذا ليس مجرد كلام أو أمان نمني بها أنفسنا إنما هو حقيقة قطعية الثبوت والدلالة، حيث يقول المولى سبحانه وتعالى: (أما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض) الرعد:١٧.

وصدق الله ومن أصدق من الله حديثاً، فعلى الرغم مما بلغته الحضارات المادية الغربية وما حققته من تطورات علمية فقد بدأنا نشهد ومنذ عقود متأخرة أعراض انهيار تلك الحضارات الجوفاء وما يعانيه شعبها من تعاسة وقلق نتيجة إفلاسها وفشلها. ■

بقلم: سالم البهنساوي

في الجزء الأول من هذا المقال والذي نشر في العدد ٤٠٣ تحدث الكاتب عن الشُّبَه المتعلّقة بحقوق الإنسان، والتي ترتبط معظمها بحقوق غير المسلمين من جهة، وحقوق المرأة من جهة أخرى، حيث بيَّن الكاتب حقيقة الجهاد الذي شُرع لنشر الدين وحفظ المجتمع المسلم، وفنّد مزاعم الغرب حول نظام الجزية، كما بيَّن حقيقة التعايش السلمي بين المسلمين وغيرهم، ثم أوضح وصحح بعض المفاهيم التي تهدف إلى احتكار الرأي لدى فئة من المسلمين دون غيرها، كما أوضح كيفية التعامل مع المحاربين، ووضع الأطر العامة التي تضبط علاقة المسلمين بغيرهم، حيث سرد الحقوق والواجبات من قبل المسلمين والذميين، وتحدث عن صفاء التعامل معهم في مجتمع واحد من عيادة للمرضى، أو غسل لأموات غير المسلمين، واتباع جنائزهم، كما بيَّن حكم زيارة قبور غير المسلمين.

في الجزء الثاني من المقال يتابع المستشار البهنساوي وبأسلوب شيق، وعبارة رصينة وحيادية وموضوعية ما بدأه في المقال السابق الذي ورد في العدد الماضي.

التعايش مع غير المسلمين 2/2

٤ ـ تعزية غير المسلم:

التعزية هي مواساة أهل الميت وتسليتهم وحضهم على الصبر والإيمان بالقضاء والقدر. هذه التعزية يختلف فيها بعض المسلمين، بين التحريم والجواز، والذين يحرّمون تعزية المسلم لغير المسلم في حالات الوفاة يستدلون بآيات الولاء والبراء وسبق القول إنها خاصة بالمناصرة لهم على المسلمين أو الولاء في القيم والأخلاق المناهضة للإسلام.

أما التعزية بما ليس فيه استغفار لميتهم أو دعاء له أو الشهادة له بالسعادة في الآخرة، فهذه التعزية لشيء غير محظور ليست محرّمة، وهي من البر الذي أمرنا الله تعالى به لهذا ذهب الحنابلة في رواية عن أحمد(١) والحنفية(٢) والمالكية في رواية عنهم وكذا الشافعية إلى جواز تعزية غير المسلم.(٣)

فمن يقول لغير المسلم في التعزية البقاء لله أو أخلف الله علينا وعليك أو جزاك الله خيراً عنه أو غير ذلك فليس فيه شيء يناقض أحكام الإسلام.

من يعزي بهذه الأقوال لا يكون قد ارتكب شيئاً محرّماً ولا ممنوعاً في دين الله تعالى.

٥ ـ استعمال ثياب غير المسلمين:

لقد كان المسلمون في عهد النبي - ﷺ - يستوردون الثياب من اليمن ومصر والشام قبل أن يسلم أهل هذه البلاد وكانوا يلبسون هذه الملابس ولا يغسلونها لأن الأصل هو طهارتها رغم أن فيهم المجوس وعبدة الأوثان.

لقد ذكر ذلك ابن تيمية في الفتاوى ٢٩/٢٨ والخطابي في معالم السنن ٢٥٧/٤.

قال ابن قدامة في المغني ٦٢/١ «لا نعلم خلافاً بين أهل العلم في إباحة الصلاة في الثوب الذي نسجه الكفار فإنه ﷺ وأصحابه كان لباسهم من نسيج الكفار».

٦ ـ استعمال أواني غير المسلمين:

يؤخذ من الأحاديث النبوية جواز استعمال أواني غير المسلمين من أهل الكتاب ومن عبدة الأوثان، فعن جابر رضي الله عنه قال: «كنا نغزو مع رسول الله ﷺ فنصيب من آنية أهل الكتاب وأسقيتهم ونستمتع بها فلا يعيب ذلك علينا». رواه البخاري ومسلم(٤)

وقال ابن سيرين: إن أصحاب رسول الله ﷺ كانوا يظهرون على المشركين فيأكلون في آنيتهم ويشربون.(٥)

٧ ـ ذبائح أهل الكتاب والمشركين:

إن أهل الكتاب هم اليهود والنصارى وهؤلاء لا شبهة في حل ذبائحهم لقول الله تعالى: (وطعام الذين أوتوا الكتاب حِلٌ لكم وطعامكم حِلٌ لهم) المائدة:٥.

وقد سئل النبي ـ ﷺ ـ عن طعام النصارى فقال: «لا يتخلجن في صدرك طعام ضارعت فيه النصارى» رواه أبو داود والترمذي(٦).

أي لا تتحرج من أكل طعامهم لأنهم مع إشراكهم بالله في قولهم إن الله ثالث ثلاثة، وإن المسيح ابن الله، فقد أحل الله ذبائحهم وأحل الزواج بنسائهم واستخدم معهم مصطلح أهل الكتاب، أما المشركون فهم الكفار من غير أهل الكتاب كالوثنيين ومن لا دين لهم والملاحدة والمجوس الذين يعبدون النار وغيرهم.

وهؤلاء تحرّم ذبائحهم لأن الحلّ الوارد في القرآن الكريم اقتصر على أهل الكتاب، وعن قيس بن سكن الأسدي أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال: «إنكم نزلتم بفارس من النبط فإذا اشتريتم لحماً فإن كان من يهودي أو نصراني فكلوا» رواه أحمد وقال واستثنى صيد البحر لأنه ليس من الذبائح.(٧)

٨ ـ تكشف المسلمات لغيرهن:

تتعرض المسلمات في الحياة العملية إلى مخالطة غير المسلمات، وقد تكشف شيئاً من بدنها أمامها لهذا يجيز ذلك فقهاء من الشافعية والمالكية والحنابلة، وبعض الأحناف.(٨)

ويستدل هؤلاء بقول الله تعالى: (ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن) إلى قوله: (أو نسائهن) فقالوا: إن المسلمة يُباح لها أن تُبدي زينتها للمرأة سواء كانت مسلمة أو غير مسلمة لأن اللفظ هنا يشمل عموم النساء.

واستدل أصحاب الرأي الآخر بالآية نفسها لتحريم تكشف المسلمة أمام المرأة غير المسلمة وقالوا: إن المراد من الآية النساء المسلمات فقط أي بمفهوم المخالفة فغير المسلمة تصبح أمام المسلمة كالرجل، لكن هذا الذي يستدلون به قد استدل به الذين أجازوا تكشف المسلمة أمام غير المسلمة، ولكن قيّدوا ذلك ما بين السرة والركبة إلا للضرورة كطبيبة النساء.

والقاعدة أن ما تطرق إليه الاحتمال سقط به الاستدلال فأصبح هذا الدليل غير قائم ويرجع للقواعد العامة فلا يوجد تحريم إلا بنص، قال تعالى: (وقد فصلّ لكم ما حرَّم عليكم إلا ما اضطررتم إليه...) الأنعام:١١٩.

٩ ـ السلام على غير المسلمين:

لقد وردت نصوص لا تجيز ابتداء غير المسلم بالسلام وأظهرها قول النبي ـ ﷺ ـ «لا تبدأوا اليهود والنصارى بالسلام فإذا لقيتم أحدهم في الطريق فاضطروه إلى أضيقه»(٩).

كما وردت نصوص تجيز السلام عليهم ولهذا أجاز ذلك بعض الفقهاء واستدلوا بقول الله تعالى على لسان نبيه إبراهيم لأبيه (سلام عليك) مريم:٤٧، وقوله تعالى: (فاصفح عنهم وقل سلام) الزخرف:٨٩.

واحتجوا بما صحَّ أن النبي ـ ﷺ ـ مرَّ على مجلس فيه أخلاط من المسلمين واليهود والمشركين فسلّم عليهم(١٠).

وقد سئل ابن عيينة هل يجوز السلام على الكافر؟ قال: نعم. فقد قال تعالى: (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم) الممتحنة:٨،(١١) كما احتجوا على الجواز بحديث أبي أمامة قال: قال رسول الله ـ ﷺ : «إن أولى الناس من بدأهم بالسلام» رواه أحمد والترمذي وأبو داود(١٢)، ورواية عائشة أم المؤمنين ـ رضي الله عنها ـ تفسر هذا الاختلاف في الرأي فقد قالت: «دخل رهط من اليهود على رسول الله ـ ﷺ ـ فقالوا السام عليك ففهمتها، وقالت: «عليكم السام واللعنة (أي الموت)» فقال رسول الله ـ ﷺ ـ: «مهلاً يا عائشة فإن الله يحب الرفق في الأمر كله» فقالت يا رسول الله أوَ لم تسمع ما قالوا. قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «قد قلت وعليكم». رواه البخاري ومسلم.

وفي رواية أخرى أجابها النبي ـ ﷺ ـ: «أوَ لم تسمعي ما رددت عليهم فيستجاب لي فيهم ولا يستجاب لهم فيَّ».

وقد روى البخاري أن النبي ـ ﷺ ـ قال: «إذا سلَّم عليكم

أهل الكتاب فقولوا وعليكم».(١٣)

أما رد السلام عليهم فالإجماع أنه لقول الله تعالى: (وإذا حييتم بتحية فحيو بأحسن منها أو ردوها) النساء:٨٦.

١٠ ـ الاستعانة بغير المسلم:

لقد استقر العمل منذ عهد النبي - ﷺ - وإلى يومنا، على جواز الاستعانة بغير المسلمين في بعض الأعمال التي يجيدونها سواء كانوا من أهل الكتاب أو من المشركين.

فالنبي - ﷺ - قد استأجر عبدالله بن أريقط ليصحبه في هجرته من مكة إلى المدينة المنورة، وكان مشركاً وكان المشركون يتربصون بالنبي - ﷺ - ويخططون لقتله.

وكانت مهمة هذا المشرك هو أن يدل النبي - ﷺ - على الطريق لخبرته به ولو كانت الثقة والأمانة قاصرة على المسلمين فقط ما استأمن النبي - ﷺ - عبدالله بن أريقط وما نزل القرآن الكريم بقبول شهادة غير المسلمين في النصر في قول الله تعالى: (يأيها الذين آمنوا شهادة بينكم إذا حضر أحدكم الموت حين الوصية اثنان ذوا عدل منكم أو آخران من غيركم) المائدة:١٠٦.

ولقد دخل النبي - ﷺ - مكة - بعد عودته من الطائف في جوار مطعم بن عدي بعد أن تحالف أهل مكة على منعه من دخولها.(١٤).

وعندما مرض سعد بن أبي وقاص في حجة الوداع طلب النبي - ﷺ - من الحارث بن كلدة وكان طبيباً غير مسلم، أن يعالج سعداً مما به.(١٥)

١١ ـ تبادل الهدايا والتهاني:

إن الله تعالى قد أقام الحياة الاجتماعية بين الناس جميعاً على أساس أخوة الإنسانية ولم يقصر المعاملات والمودة والمجاملات على الأخوة في الدين فقط، قال الله تعالى: (يأيها الناس إنّا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم) الحجرات:١٣. يقول الشهيد سيد قطب في الظلال تعليقاً على هذه الآية إن الذي يناديكم هو الذي خلقكم وهو يطلعكم على الغاية من جعلكم شعوباً وقبائل. أنها ليست التناحر والخصام، إنما هي التعارف والوئام، فأما اختلاف الألسنة والألوان واختلاف الطباع والأخلاق، واختلاف المواهب والاستعدادات فتنوع لا يقتضي النزاع والشقاق، بل يقتضي التعاون للنهوض بجميع التكاليف والوفاء بجميع الحاجات.

إنه عندما قدم سلمان الفارسي إلى المدينة المنورة ولم يكن قد أسلم دخل على النبي - ﷺ - وقدَّم له مائدة عليها رطب، فلما قال إنها هدية تقبلها - ﷺ - وفي هذا قال الحافظ العراقي في هذا الحديث هو قبول هدية الكافر، فإن سلمان لم يكن أسلم إذ ذاك.(١٦)

كما أن يهودية قد أهدت النبي - ﷺ - شاة فأكل منها وتبين أنها مسمومة.(١٧).

وفي صحيح البخاري، أن النبي - ﷺ - أرسل حلة إلى عمر بن الخطاب فأهداها إلى أخ له في مكة لم يكن قد أسلم وجعل البخاري لذلك باباً عنوانه «باب الهدايا للمشركين»(١٨)، كما أن النبي - ﷺ - قد أهدى إلى النجاشي قبل أن يسلم حلة وأواني في مسك».(١٩)

أما تهنئتهم في المناسبات، فإنها تختلف باختلاف المناسبة ويتوقف على عبارات التهنئة فإذا كانت التهنئة بأعيادهم التي تخالف العقيدة الإسلامية مثل صلب المسيح ومثل العيد الخاص بالعذراء فيما تزعمه طوائف في أوروبا أنها وابنها إلهين مع الله وهو الذي تتبرأ منه هي وابنها يوم القيامة فيما سجله القرآن الكريم في قول الله تعالى:

(وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب. ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد) المائدة: ١١٦-١١٧، فالتهنئة بهذه الأعياد فيها إقرار لهم على هذا الكفر وهي محرّمة.

أما تهنئتهم في مناسبات ليست من الكفر فليست محرَّمة لأنها تتعلق بأمر غير محرّم في الشريعة الإسلامية.

ويدخل في ذلك تهنئتهم في المناسبات التي ليست ديناً، مثل التهنئة بالزواج وشراء المساكن والمناسبات الوطنية، وقد يحرم البعض تهنئتهم في المناسبات جملة سواء أكانت دينية أم وظيفية، لأن الله تعالى حرَّم شهادة الزور في قوله: (والذين لا يشهدون الزور) الفرقان:٧٢، ولكن التهنئة على النحو سالف الذكر ليست شهادة لهم بشيء من الكفر، كما يستند هؤلاء إلى مشاركتهم في الأعياد التي من شعائر دينهم هي تشبه بهم والنبي - ﷺ - يقول: «من تشبّه بقوم فهو منهم»(٢٠)، وعلى الرغم من أن هذا الحديث غير صحيح، إلا أنه مع افتراض صحته، فالتهنئة التي لا تتفوق على شيء ولا تتضمن اضراراً لهم بشيء يناقض العقيدة الإسلامية، مثل هذه التهنئة هي من الأمور المباحة ومن البر الذي أمرنا الله به معهم، بل إن مشاركتهم الأمور المباحة فيها مصلحة وهي من

وسائل دعوتهم للإسلام وشيخ الإسلام ابن تيمية الذي ينصح بعدم مشاركتهم في الهدي الظاهر لأنها تورث الولاء، يجيز ذلك إذا كان في المشاركة مصلحة للمسلمين أو تيسر دعوتهم إلى الدين والاطلاع على أحوالهم لدفع الضرر عن المسلمين.(٢١)

١٢ ـ استحلال الدم والمال:

لقد عقدت ندوة عالمية عن دور الإسلام في دول الاتحاد السوفييتي سابقاً، وفي كلمة كل من وزير خارجية الاتحاد الروسي ووزير القوميات يوم ١٩٩٩/٦/٢م كان السؤال عن شرعية قتل المسلمين بعضهم بعضاً كما يحدث في أفغانستان والشيشان.

ولقد أجاب الكاتب على هذا لسؤال وهو أن حكم الله قد ورد في قول الله تعالى: (وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين) البقرة:١٩٠، كما ورد في قول الله تعالى: (من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً) المائدة:٣٢.

وكأن سؤال الوزيرين من قبيل الاستفهام الاستنكاري، فلئن كان لدى هؤلاء سبب في قتل غير المسلمين واستحلال أموالهم، فما سبب قتلهم المسلمين؟

إنه من نكد الدنيا على المسلمين أن توجد هذه الصورة الجاهلية سواء في قتل غير المسلمين أو المسلمين وفي استحلال أموال غيرهم أياً كانت دياناتهم.

إن الإسلام قد حسم هذه الأمور ولم يكن حسمه بالبيانات والأقوال التي لا تسندها الأفعال والتطبيق العملي.

إنه بجانب الآيات القرآنية سالفة الذكر، قد حذَّر النبي - ﷺ - من استحلال أموال الخائنين، ذلك أن الخيانة لا تبرر أن يسلك المسلم سبيل الخائنين.

قال النبي - ﷺ - : «أد الأمانة إلى من ائتمنك ولا تخن من خانك».

وعندما اعتدى كفار مكة على النبي - ﷺ - وعلى الذين آمنوا برسالته وصادروا أموالهم، كان السلوك العملي هو أن أمر النبي - ﷺ - علياً بن أبي طالب أن يتأخر عن الهجرة أياماً عدة حتى يسلّم كفار مكة الأمانات التي أودعوها لدى النبي - ﷺ.

كما أنه في غزوة بني قريظة الممثلة في قتالهم لخيانتهم الظاهرة ومساندتهم لأحزاب الكفار في مكة ضد المسلمين، جاء أعرابي إلى النبي ﷺ وأعلن إسلامه وقال إنه كان يعمل لدى اليهود ومعه أغنامهم ويطلب استلام المسلمين لها، لأنهم خانوا عهدهم، فإذا بالنبي - ﷺ - يعلن قبوله الإسلام ورفضه المال، وأمر الرجل أن يسلِّم الغنم إلى أهلها، فتعلل أنهم سيقتلونه إذا دخل الحصن، فأرشده النبي أن يسوق الغنم أمامه حتى إذا ما دخلت الحصن تركها لأهلها وعاد هو منفرداً.

وأخيراً نأمل أن تدرك القلة التي تتبنى القتل والكفر أن الله تعالى قد نهى عن أن يضرب القرآن بعضه ببعض بأن يتبنى أحد ما ورد عن فعال المحاربين ثم يزعم أن هذه قد نسخت الموادعة. ■

الهوامش:

١ ـ فتح الباري بشرح صحيح البخاري ج٧ ص٤٥

٢ ـ المغني لابن قدامة ٢/٤٠٥.

٣ ـ حاشية ابن عابدين ٥/٢٤٨.

٤ ـ فتح الباري ج١ ص ٤٤٨ وسبل السلام ج١ ص ٤٤ ونيل الأوطار ١/١٣.

٥ ـ شرح السير الكبير للسرخسي ١/١٤٥، ومعالم السنن للخطابي ٤/٢٥٦.

٦ ـ تحفة الأحوذي ٥/١٨٢.

٧ ـ فتح الباري ٩/٦١٤.

٨ ـ أحكام القرآن لابن العربي ٣/١٣٧٢ والمغني لابن قدامة ٧/١٠٥٧، والإقناع في حل ألفاظ أبي شجاع ١/٧١.

٩ ـ صحيح مسلم ٤/١٧٠٧.

١٠ ـ نيل الأوطار للشوكاني ٨/١٧ والمصنف للصنعاني ٦/١٢.

١١ـ تفسير القرطبي ١١/١١١ ج١٨/٥٥.

١٢ ـ المجموع ٤/٤١٨ وحاشية ابن عابدين ٦/٤١٢ ط الحلبي.

١٣ ـ فتح الباري ١١/٤٢.

١٤ ـ المجموع ٤/٤٢١ وحاشية ابن عابدين ٥/٢٦٥.

١٥ ـ تفسير القرطبي ١١/١١٢.

١٦ ـ التاج الجامع للأصول ج٤ ص ٣٩٧.

١٧، ١٨ ـ فتح الباري بشرح صحيح البخاري ٥/٢٣٠.

١٩ ـ نيل الأوطار للشوكاني ٥/٣٨٩.

٢٠ ـ حديث رواه أحمد وأبو داود والطبراني في الكبير وفي سنده ضعف انظر الفتح الكبير للسيوطي ٣/٣٨.

٢١ ـ اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية ج١٧٦ المطبعة الحكومية بمكة ١٣٨٩هـ.

بقلم: د. خالد سعد النجار

رؤية معاصرة في سيرة

عبد الله بن مسعود رضي الله عنه

صحابة رسول الله ﷺ نجوم في سماء الزمان، تربوا على عين الحبيب صلوات الله وسلامه عليه وفي كنفه ﷺ نبت إيمانهم من نبع الوحي الصافي، بعيداً عن تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين، فترجموا تعاليم الوحي بقيادة الرسول ﷺ إلى واقع عملي مشرق، وانتشروا يفتحون البلاد ويفتحون معها قلوب العباد وكوّنوا أعظم وأطهر حضارة وقدموا للبشرية خير نماذج يقتدى بها للوصول إلى الفوز الحقيقي في الدنيا والآخرة.

ولقد كان الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود أحد هذه النماذج الفذة التي حوت سيرته العطره الكثير والكثير من الآراء والمواقف الناصعة، ما يجعلها حلولاً عملية لكثير من المشكلات التي تعاني منها، الأمة الإسلامية في الوقت الراهن. فرأيت أن ألقي الضوء على بعض منها أقدمها لشباب هذه الأمة وشيوخها الذين أعرضوا عن هذا الخير فأصابهم ما أصابهم مما لا يجهله الأمي قبل المتعلم.

أولاً: صدق الإيمان بالله ورسوله في حياة هذا المجاهد الأواب

هذا الصدق الذي دفعه لأن يكون من أوائل المتبعين لرسول الله ﷺ ،فلقد أسلم رضي الله عنه قبل أن يدخل الرسول ﷺ دار الأرقم، وكان سادس ستة أسلموا واتبعوا نور الوحي في مهده وهذا الصدق حوله من أجير بسيط يرعى الغنم لأحد سادة قريش إلى شجاع في الحق لا يعبأ بسادة قريش ولا بطشهم ويسمعهم القرآن جهراً في جوف الحرم فيروي أصحاب السير أنه «كان أول من جهر بالقرآن بعد رسول الله ﷺ بمكة عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، اجتمع يوماً أصحاب رسول الله ﷺ فقالوا: والله ما سمعت قريش هذا القرآن يُجهر لها به قط فمن رجل يسمعهموه؟ فقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: أنا، قالوا: إنا نخشاهم عليك إنما نريد رجلاً له عشيرة يمنعونه من القوم إن أرادوه قال: دعوني فإن الله سيمنعني فغدا ابن مسعود حتى أتى المقام في الضحى وقريش في أنديتها حتى قام عند المقام ثم قرأ رافعاً صوته بسم الله الرحمن الرحيم (الرحمن علّم القرآن...) ثم استقبلها يقرؤها فتأملوه فجعلوا يقولون ماذا قال ابن أم عبد؟! ثم قالوا: إنه ليتلو بعض ما جاء به محمد فقاموا إليه فجعلوا يضربونه في وجهه وجعل يقرأ حتى بلغ منها ما شاء الله أن يبلغ ثم انصرف إلى أصحابه وقد أثروا في وجهه فقالوا له: هذا الذي خشينا عليك فقال: ما كان أعداء الله أهون عليَّ منهم الآن ولئن شئتم لأغادينهم بمثلها غداً قالوا: لا حسبك قد أسمعتهم ما يكرهون. لقد كان رضوان الله عليه يستيقن أن الذي يحاد الله مغلوب هيِّن على الله فينبغي أن يكون مهينا عند أولياء الله».

ومن كلماته الرائعة التي تعكس هذا الصدق الذي يملأ قلبه وجوارحه قوله: «لا يبلغ عبد حقيقة الايمان حتى يحل بذروته ولا يحل بذروته حتى يكون الفقر أحب إليه من الغنى والتواضع أحب إليه من الشرف وحتى يكون حامده وذامه عنده سواء» ففسرها أصحابه فقالوا: حتى يكون الفقر في الحلال أحب إليه من الغنى في الحرام والتواضع في طاعة الله أحب إليه من الشرف في معصية الله وحتى يكون حامده وذامه عنده في الحق سواء ويقول

أيضاً رضي الله عنه : «من اليقين أن لا ترضى الناس بسخط الله ولا تحمدن أحداً على رزق الله ولا تلومن أحداً على ما لم يؤتك الله، فإن رزق الله لا يسوقه حرص الحريص ولا يرده كره الكاره، وإن الله بقسطه وحكمه وعدله وعلمه جعل الروح والفرح في اليقين والرضا وجعل الهمّ والحزن في الشك والسخط».

ولقد كان فرط حبه لكلام الله مضرب المثل بين الصحابة فشهدوا له بالعلم به والإمامة في تلاوته ولا عجب في ذلك، ألم يكن قدوته وحبيبه ﷺ خلقه القرآن وكان قرآناً يمشي بين الناس، فعن علقمة قال: جاء رجل إلى عمر بن الخطاب وهو في عرفه فقال جئت يا أمير المؤمنين من الكوفة وتركت بها رجلاً يملي المصاحف عن ظهر قلب فغضب وانتفخ حتى كاد يملأ ما بين شعبتي الرحل، فقال: من هو؟ ويحك، قال عبد الله بن مسعود. فمازال يطفأ ويسري عنه الغضب حتى عاد إلى حاله التي كان عليها ثم قال ويحك والله ما أعلم بقي من الناس أحد هو أحق بذلك منه وسأحدثك عن ذلك، كان رسول الله ﷺ لا يزال يسمر عند أبي بكر الليلة كذلك في أمر من أمر المسلمين وإنه سمر عنده ذات ليلة وأنا معه فخرج رسول الله ﷺ وخرجنا معه، فإذا رجل قائم يصلي في المسجد فقام رسول الله ﷺ يستمع قراءته فلما كدنا نعرفه قال رسول الله ﷺ «من سرّه أن يقرأ القرآن رطباً كما أنزل فليقرأه على قراءة ابن أم عبد» قال ثم جلس يدعو فجعل رسول الله ﷺ يقول له «سل تعطه سل تعطه» فكان فيما سأل اللهم إني أسألك إيماناً لا يرتد ونعيماً لا ينفد ومرافقة نبيك محمد ﷺ في أعلى جنان الخلد قال عمر قلت: والله لأغدون عليه فلأبشرنه قال فغدوت عليه فبشرته فوجدت أبا بكر قد سبقني إليه فبشره ولا والله ما سبقته إلى خير قط إلا سبقني إليه – يعني أبا بكر.

وكان رحمه الله يقول: «والذي لا إله غيره لقد قرأت من في رسول الله ﷺ بضعاً وسبعين سورة ولو أعلم أحداً أعلم بكتاب الله مني تبلغنيه الإبل لأتيته».

ويوضح في كلمات رشيقة بليغة ما ينبغي أن يكون عليه صاحب القرآن الصادق فيقول: «ينبغي لحامل القرآن أن يعرف بليله إذا الناس نائمون وبنهاره إذا الناس مفطرون وبحزنه إذا الناس يفرحون وببكائه إذا الناس يضحكون وبصمته إذا الناس يخوضون وبخشوعه إذا الناس يختالون وينبغي لحامل القرآن أن يكون باكياً محزونا حليما حكيما سكينا ولا ينبغي لحامل القرآن أن يكون جافياً ولا غافلاً ولا صخّابا ولا صياحا ولا حديداً».

وأما حبه للرسول ﷺ فحدّث ولا حرج، فلقد كان رضي الله عنه صاحب سرِّ رسول الله ﷺ ووساده وسواكه ونعليه وطهوره وكان يشبه بالنبي في هديه ودله وسمته، فعن عبد الله بن يزيد قال: أتينا حذيفة فقلنا له: حدثنا بأقرب الناس برسول الله هدياً وسمتاً ودلاً نأخذ عنه ونسمع منه، قال: كان أقرب الناس برسول الله هديا وسمتا ودلاً عبدالله بن مسعود حتى يتوارى عنّا في بيته ولقد علم المحفوظون من أصحاب محمد أن ابن أم عبد من أقربهم إلى الله زلفى.

وفي عصرنا هذا ما أحوجنا لمثل هذا الصدق في علاقتنا بالله وبرسوله في بيوتنا ومدارسنا وشوارعنا وصحافتنا وبخاصة بعض الإعلاميين من أبناء أمتنا الذين يلهثون وراء الخبر المثير، والسبق الصحفي ليُصفق لهم في المحافل رغم أن حقيقة الخبر خلاف ذلك فلو أنهم تريثوا في تحري الحقيقة لظهر لهم الواقع الذي هو أبسط من هذا بكثير فلا يسعنا إلا أن نقول لهم قول الله تعالى (يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين) التوبة ١١٩.

ثانياً: حسن الاتباع لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ :

فلقد أوصى النبي ﷺ صحابته وأمته من بعده بالتمسك بنور الوحي والسنة فقال ﷺ : «أوصيكم بتقوى الله عزّ وجلّ والسمع والطاعة وإن تأمّر عليكم عبد فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي عضوّا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة» رواه الترمذي.

ولقد كان الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنموذجا يحتذى به في اتباع وصية رسول الله ﷺ فكان يرى أن أي خروج عن هدي الإسلام بداية طريق الضلال حتى وإن كان فعل ذلك عن نية حسنة ومقصد نبيل فيقول رحمه الله: «عليكم بالعلم قبل أن يقبض وقبضه بذهاب أهله عليكم بالعلم فإن أحدكم لا يدري متى يفتقر إلى ما عنده وستجدون أقواماً يزعمون أنهم يدعون إلى كتاب الله وقد نبذوه وراء ظهورهم فعليكم بالعلم وإياكم والتبدع والتنطع والتعمق وعليكم بالعتيق» ويقول «القصد في السنة خير من الاجتهاد في البدعة».

عن زينب امرأة عبد الله بن مسعود قالت: «إن عبد الله رأى في عنقي خيطاً فقال ما هذا؟ قلت خيط رقّي لي فيه قالت: فأخذه ثم قطعه ثم قال: أنتم آل عبد الله لأغنياء عن الشرك، سمعت رسول الله ﷺ يقول :«إن الرقى والتمائم والتوله شرك» فقلت: لقد كانت عيني تقذف وكنت اختلف إلى فلان اليهودي فإذا رقى سكنت فقال: عبد الله إنما ذاك عمل الشيطان كان ينخسها بيده فإذا رقى كفّ عنها إنما كان يكفيك أن تقولي كما قال رسول الله ﷺ «أذهب البأس رب الناس واشف أنت الشافي لا شفاء إلا شفاؤك شفاء لا يغادر سقما» رواه أبو داود.

وعن عمرو بن سلمة الهمداني قال: كنا نجلس إلى باب عبد الله بن مسعود قبل صلاة الغداة فإذا خرج مشينا معه إلى المسجد فجاءنا أبو موسى الأشعري فقال: أخَرج إليكم أبو عبد الرحمن بعد؟ قلنا: لا. فجلس معنا حتى خرج فلما خرج قمنا إليه جميعاً، فقال له أبو موسى: يا أبا عبد الرحمن إني رأيت في المسجد آنفا أمراً أنكرته ولم أر والحمد لله إلا خيراً قال فما هو؟ فقال: إن عشت فستراه قال: رأيت في المسجد قوماً حلقاً جلوساً ينتظرون الصلاة في كل حلقة رجل وفي أيديهم حصى فيقول كبروا مئة فيكبرون مئة فيقول: هللوا مئة فيهللون مئة ويقول سبحوا مئة فيسبحون مائة قال فماذا قلت لهم؟: قال ما قلت لهم شيئا انتظر رأيك قال: أفلا أمرتهم أن يعدوا سيئاتهم وضمنت لهم أن لا يضيع من حسناتهم شيء؟ ثم مضى ومضينا معه حتى أتى حلقة من تلك الحلق فوقف عليهم فقال: ما هذا الذي أراكم تصنعون؟ قالوا: يا أبا عبد الرحمن حصى نعدّ به التكبير والتهليل والتسبيح قال: فعدوا سيئاتكم فأنا ضامن أن لا يضيع من حسناتكم شيء ويحكم يا أمة محمد ما أسرع

هلكتكم! هؤلاء صحابة نبيكم ﷺ متوافرون وهذه ثيابه لم تَبْلَ وآنيته لم تكسر، والذي نفسي بيده إنكم لعلى ملة هي أهدى من ملة محمد أو مفتتحون باب ضلالة؟! قالوا: والله يا أبا عبد الرحمن ما أردنا إلا الخير قال: وكم من مريد للخير لم يصيبه، إن رسول الله ﷺ حدّثنا «أن قوماً يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية» وأيم الله ما أدري لعل أكثرهم منكم ثم تولى عنهم فقال: عمرو بن سلمة فرأينا عامة أولئك الحلق يطاعنونا يوم النهروان مع الخوارج.

إن درس الاعتصام بالكتاب والسنة جدير بأن نهمس به في آذان العلمانين من أبناء أمة الإسلام الذين أعرضوا عن منهج الإسلام، وأخذوا يلهثون وراء التعاليم الأوربية والأفكار الغربية عن ديننا يرون فيها رشداً خيراً من رشد الإسلام فتحتم علينا أن نقول لهم: تعلّموا حسن الاتباع لله ولرسوله من خير جيل أقام خير حضارة، ولابد أن تعرفوا أن الله تعالى الذي قال: (وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) المزمل ٢٠ هو الذي قال (ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب) البقرة ١٧٩ وكما قال (وأتموا الحج والعمرة لله) البقرة ١٩٦.

قال أيضاً (قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم) النور ٣٠ فالإسلام ليس طقوسا تؤدى، لكنه منهج حياة من أعرض عنه له الخسران في الدنيا والآخرة فيأيها العلمانيون اسمعوا قول الله تعالى لكم ولأمثالكم (أو لم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم إن في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون) العنكبوت ٥١ (يأيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم ...) الأنفال ٢٤.

ثالثاً: الزهد في الدنيا وعدم التكالب على حطامها

فحب الدنيا وحطامها رأس الخطايا والسيئات وبغضها والزهد فيها أم الطاعات والقرآن مملوء من التزهيد في الدنيا والإخبار بخستها وقلتها وسرعة فنائها والترغيب في الآخرة والإخبار بشرفها ودوامها ولقد عرف أبو سليمان الداراني الزهد في الدنيا بقوله: «هو ترك ما يُشغل عن الله تعالى» وما أجمله وأجمعه من تعريف. فالزهد الحقيقي ليس بلزوم الفقر وتعذيب النفس كما يفهم من ذلك الجهلاء، فلقد كان سليمان وداود عليهما السلام من أزهد الناس في زمانهما ولهما من المال والملك والنساء ما لهما، وكان علي بن أبي طالب وعبد الرحمن بن عوف والزبير وعثمان رضي الله عنهم من الزهاد مع ما كان لهم من الأموال.

ولقد تجسد هذا المعنى الجليل في حياة ابن مسعود رضي الله عنه، فكان حقاً من الزاهدين في تلك الحياة فحرصه الأول على دينه وإيمانه وكل مصيبة بعدهما حقيرة فكان يقول رحمه الله «إنكم في ممر من الليل والنهار في آجال منقوصة وأعمال محفوظة والموت يأتي بغتة فمن زرع خيراً فيوشك أن يحصد رغبة ومن زرع شراً فيوشك أن يحصد ندامة ولكل زارع مثل ما زرع لا يسبق بطيء بحظه ولا يدرك حريص ما لم يقدر له فإن أعطى خيراً فالله أعطاه ومن وقى شراً فالله وقاه. المتقون ساده والفقهاء قاده ومجالسهم زيادة» ومن أقواله لتلامذته «لا ألفين أحدكم جيفة ليل قطرب نهار»(١).

ويقول: «إني لأبغض الرجل أن أراه فارغاً ليس في شيء من عمل الدنيا ولا في عمل الآخرة» ويقول «كونوا ينابيع العلم مصابيح الهدى أحلاس البيوت سرج الليل جدد القلوب خلقان الثياب تعرفون في أهل السماء وتخفون في أهل الأرض» ويقول أيضاً: «أنتم أطول صلاة وأكثر اجتهاداً من أصحاب رسول الله ﷺ، وهم كانوا أفضل منكم قيل له: بأي شيء قال: إنهم كانوا أزهد في الدنيا وأرغب في الآخرة منكم».

وعن تميم بن جذلم قال: «جالست أصحاب النبي ﷺ أبا بكر وعمر، ما رأيت أحداً أزهد في الدنيا ولا أرغب في الآخرة ولا أحب إلى أن أكون في مسلاخه منك يا عبد الله بن مسعود» لله دره ما كان أشد زهده في الدنيا وما أجمل ما تحلى به من تواضع. فلقد خرج ذات يوم فاتبعه ناس فقال لهم: ألكم حاجة قالوا: لا ولكن أردنا أن نمشي معك قال: ارجعوا فإنه ذلة للتابع وفتنة للمتبوع.

وعن مسروق قال: قال: رجل عند عبد الله ما أحب أن أكون من أصحاب اليمين أكون من المقربين أحب إليَّ فقال عبد الله: لكن ها هنا رجل ودّ أنه إذا مات لا يبعث يعني نفسه.

إن في سيرة هذا الزاهد الأواب خير درس للذين عماهم حب الدنيا فلا يفهمون إلا لغة المال والأعمال، فلا يبالي أحدهم، أجمع هذا المال من حلال أم من حرام، ففي نداء الله لهم خير شفاء لهذا المرض الوبيل حيث يقول جل شأنه: (قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى...) النساء ٧٧ وفي سيرة هذا الصحابي خير أسوة لو كانوا يعقلون.

حقاً لقد كانت في حياة هذا المعلم الجليل دروس ودروس، نحن في أمسّ الحاجة لها الآن في عصر كله متناقضات حيث بسطت علينا الدنيا فيه بطغيانها ومادياتها ومفاهيمها، وبينما آثرت طائفة هجر الدنيا وانزوت بفكرها داخل الخرائب كان الترف قد بدأ يتلاعب بالأمة فدارت بين إفراط وتفريط وبين غلو وجفو، وبين أسراف وتقصير، وصارت الدنيا والآخرة طرفي نقيض فهؤلاء لكي يؤمنوا بالله رأوا أنهم لابد وأن يدخلوا الخرائب مهملين تعمير الدنيا بطاعة الله وإقامة خَلافه وحضارة على منهج العبودية لله وأولئك رأوا أن التقدم والتحضر والتطور يستلزم التفلت من قيود الدين فركبوا مركب الغرب ودانوا بالإباحية والإنسلاخ من معاني الإيمان وقالوا (دع ما لقيصر لقيصر وما لله لله) فلا نجاة إلا بالعودة لسيرة الصحابة الطاهرة نرتشف منها رحيق الإيمان كي ننهض من هذه الكبوة، والله من وراء القصد. (٢) ■

الهوامش والمراجع:

١- قطرب: دويبه كانت في الجاهلية يزعمون أنها لا تستريح نهارها سعياً والمقصود الانهماك طوال النهار في السعي على المعاش حتى إذا جاء الليل نام كلاً تعباً.

٢- من كتاب (صور من الطغيان المادي) بتصرف د/ سعيد عبد العظيم.

- صفة الصفوة لابن الجوزي.
- رجال حول الرسول خالد محمد خالد.
- صلاح الأمة د/ سيد العفاني.

إعداد : محمد القاضي

العالمة المتميزة

الدكتورة عائشة عبدالرحمن «بنت الشاطئ»

فقدت الساحة العلمية والثقافية عالمة متبحرة ومفكرة أعطت النموذج الرائع للمرأة العالمة المسلمة إنها الدكتورة عائشة عبدالرحمن المعروفة «ببنت الشاطئ»، والفقيدة من مواليد دمياط في مصر سنة ١٩١٢م، تعهدها أبوها الذي كان مدرّساً بإحدى المدارس في دمياط بتحفيظ القرآن الكريم في الكتّاب، فاكتسبت استقامة اللسان وحسن النطق، وبعد ذلك دفع بها إلى مجالس الشيوخ والعلماء والفقهاء، فقرأت ذخائر كتب السلف وأمات الكتب في المكتبة العربية الإسلامية، واختط لها والدها دراسة إسلامية بحتة بعيداً عن أطر مناهج المدارس الحديثة القاصرة، فاشتد عودها في ظل تلك الفرصة النادرة وتفاعل ذكاؤها فواحاً فواراً في أرجاء هذه المدرسة التي شكلها لها والدها في فهم وتقدير عميق لمواهبها واستعداداتها غير العادية.

لكن عائشة كانت تتجاذبها إغراءات الشهادات، فانفلتت من قبضة أبيها لتجرب مع الشهادات، فلم تترك برنامجاً ينتهي بشهادة إلا ودخلته وتفوقت فيه، وكانت في مقدم الطلبة، حصلت على شهادة الكفاءة العلمية سنة ١٩١٩م، والإجازة في اللغة العربية سنة ١٩٣٩م في جامعة القاهرة، ثم نالت الدكتوراة في الأدب من تلك الجامعة العام ١٩٥٠م.

وفي الجامعة تعرفت على أستاذها وزوجها من بعد العلاّمة أمين الخولي (١٨٩٥م - ١٩٦٦م): «كنت في المرات القليلة التي ترددت فيها على الكلية خلال العام الأول ألمح الأستاذ الخولي من بعيد بين حين وآخر في ردهات الكلية وأبهائها، بزيه اللافت وسمته المهيب وملامحه المتفردة يحف به دائماً عدد من تلاميذه شبه مسحورين، وقد أخذوا في حوار متصل، فلا أتصور بحال ما، أن هذا الأستاذ غريب عني، وأظل أفكر طويلاً: أين ومتى يا ترى لقيته من قبل؟ مضيت في طريقي إليه، وما أرتاب في أني عرفته من قبيل أن ألقاه!

كنت أتمثّله وأنا في الطريق إليه، وكنت ألقاه قبل أن ألقاه، وبالفعل تزوجت به على ضرة، ولكني حينها نضجت على هذه السن التي تمنعني ضرة من لقائه كنت أشب وأرتفع لأصل إليه»(١).

فعلاً، فقد كان اللقاء مصيرياً غيَّر مجرى حياتها العلمية بحيث كان أمين الخولي الأستاذ والزوج يجمع في ناظريها بين القديم والحديث، في مزج متماسك متوازن مولّد للحيوية الفكرية التي افتقدتها في دراستها القديمة على يد والدها، وافتقدتها كذلك في دراستها الجديدة الجامعية والسطحية قبل أن تراه وتتلمذ على يديه لتندمج معه بعد ذلك كلية. «فقد منهجني، كنت قبل أن ألقاه مغرورة بنفسي، كانت عقليتي فجة، أصحح لبعض الأساتذة قراءتهم، وأتباهى عليهم بما حفظته من شيوخ البلاغة وأعلام المفسرين وأنا في أول سنواتي الجامعية، وكنت أرنو للطلبة المبهورين بالأستاذ أمين الخولي وأعزوها إلى ضعف حصيلتهم، أنا التي طالت صحبتها لكتب التراث منذ أن كنت أرتع في مدارج الطفولة وملاعب الصبا، وكنت وقتها قد حصلت على جوائز ثقافية وأكتب على الصفحة الأولى في جريدة (الأهرام)، لقد أدّبني وعلّمني أنني وإن كنت أملك الرواية فإنني لا أتوافر على الدراية والحفظ غير الفقه، أدّبني بقسوة».(٢)

بنت الشاطئ... العصامية والتحدي

ارتبطت الدكتورة عائشة عبدالرحمن بالكتابة في الصحافة منذ باكورة شبابها بدءاً من وظيفة معلمة في المدرسة الأولية إلى وظيفة كاتبة في كلية البنات في الجيزة، ثم في الزمالك، فنشرت في مجلة «الهلال» وصحيفتي «البلاغ» و«كوكب الشرق»، وراء اسم مستعار «بنت الشاطئ» خشية أن يعلم والدها بأمرها انها تنشر فأصبح الاسم المستعار علماً أكثر شهرة من اسمها الحقيقي، ودأبت على الكتابة والنشر حتى رسخت قدمها في جريدة «الأهرام» القاهرية منذ صيف ١٩٣٥م، بحيث كانت تضع مقالاتها عن الريف المصري وقضية

الفلاح في صفحاتها الأولى، كواحدة من أسرة التحرير، فقد ضمها جبرائيل تقلا صاحب الجريدة إلى هيئة التحرير بتوصية من أنطوان الجميل، لما لاحظه فيها من نبوغ وقدرة على الإبداع والخلق والوصف، وأصبح لها في الجريدة مكتب استمر حتى السنوات الأخيرة، ودأبت في العقدين الأخيرين على نشر مقال أسبوعي تحت عنوان دائم (شاهدة على عصر) وكان آخر مقال لها في الأهرام قد نشر يوم ٢٦ نوفمبر ١٩٩٨م، تحت عنوان: «من مقاتل الطالبيين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه».

عرفت الدكتور بنت الشاطئ بالجرأة والحزم والإخلاص سواء في مجال الكتابة أو في عملها كأستاذة جامعية في الكثير من الجامعات العربية للأدب العربي والدراسات القرآنية، فدرست في جامعة عين شمس المصرية وأستاذة زائرة للسودان ولبنان والسعودية والإمارات العربية والجزائر والمغرب الذي التحقت به سنة ١٩٧٠م كأستاذة كرسي لمادة التفسير في كلية الشريعة، جامعة القرويين في فاس، ثم في دار الحديث الحسنية بالرباط، حيث ظلت تدرس لأكثر من من عشرين سنة، أشرفت فيها على الكثير من الرسائل الجامعية، فوجهت وأرشدت ومنهجت لأصحابها، فمنهم من شق طريقه في ميدان التدريس والتأليف والبحث والدراسة، ومنهم من يحتل مناصب سامية مهمة في بلاده، فقد ارتبطت بعلاقات وطيدة بطلابها المغاربة فأهدت لهم كتاب: «رسالة الصاهل والشامج» لأبي العلاء المعري الذي حققته منذ سنوات وكتبت تقول في إهدائها: «إلى الأجيال من العلماء المغاربة، الذين رابطوا في الموقع الفكري بالجبهة المغربية ساهرين على حماية العربية والإسلام وتأصيل علومها، والذين حفظوا لنا كنوزاً من ذخائر تراثنا، أهدي هذه الرسالة المشرقية التي صانوها من الضياع، تحية الذكرى والتقدير والوفاء»، وكانت آخر زيارة لها للمغرب في شهر نوفمبر ١٩٩٨م، حيث شاركت في ندوة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية حول جامعة الصحوة الإسلامية في دورتها الخامسة بالدار البيضاء.

سواء في المشرق أو في المغرب، فقد سطع اسمها كأستاذة وباحثة متميزة بعطائها وجديتها في ميادين الأدب والفكر والثقافة والعلم، أسست مدرسة تجسمت في اسمها منهجاً وسلوكاً وعلماً زاخراً، وكوّنت برعايتها جيلاً من الباحثين والعلماء الذين ارتادوا البحوث العلمية والإسلامية وفجّرت فيهم روح الابتكار والمجاهدة العلمية، والمنهج العلمي والسلوك الذي يربط العالم والمفكر بشرف أمانة أداء الرسالة.

كما أغنت المكتبة العربية بالكثير من الكتب والبحوث والمقالات حتى جاوزت شهرتها الآفاق طوال نصف قرن من العطاء المتصل، نذكر منها: دراساتها وتحقيقاتها حول المعري الذي صحبته لأكثر من خمسين عاماً دون انقطاع، فقد أحبت فيه الصدق «لقد رفض كل شيء لتسلم له كلمته نقية، وقد اختلفت فيه مع الخولي ومع طه حسين فأنا اعتقد أنه ركل الدنيا بإرادته وهما كان يريان أنه كان محصوراً في أن يتزهد. لقد كان عدواً للزيف والاتجار بالدين وناقماً على الساسة فناصبوه العداء وقولوه ما لم يقله»(٣)، ثم التفسير البياني للقرآن، الإعجاز البياني للقرآن، القرآن والتفسير العصري، الإسرائيليات في الغزو الفكري، القرآن وقضايا الإنسان، تراثنا بين ماض وحاضر، قراءة في وثائق البهائية، قيم جديدة للأدب العربي، أرض المعجزات، مع المصطفى في عصر المبعث، مسائل ابن الأزرق، السيدة زينب بطلة كربلاء، موسوعتها المتميزة عن «سيدات بيت النبوة» التي تضم تراجم بالغة الدّقة والإحاطة والاستيعاب للسيدة آمنة بنت وهب أم النبي صلى الله عليه وسلم ولزوجات النبي ولبنات النبي، ولحفيدة النبي السيدة سكينة بنت الحسين، سيرة ذاتية لحياتها سمتها (على الجسر)، وغيرها من الأعمال الإبداعية والنقدية والتحقيق والتراجم الأدبية.

كما شاركت في الكثير من الندوات والمؤتمرات العلمية في مصر وخارجها، شُهد لها فيها بالتفوق والبراعة والأستاذية بما أسهمت به من أفكار وآراء سديدة ومعلومات غزيرة وإرشادات وجيهة، كما كانت عضواً في مجمع البحوث الإسلامية الذي ضم كبار علماء الأزهر الشريف، وقد أثار ترشيحها لعضوية المجمع سنة ١٩٨٨م، ردود فعل قوية لأصوات أزهرية تعترض على فتح مثل هذا الباب للنساء! ولكن بنت الشاطئ كانت فريدة عصرها في العلم والنبوغ بين الرجال والنساء على السواء، علامة متألقة بين مفكري هذا القرن من المفكرين المسلمين والعرب، إضافة إلى عضويتها في مجلس الثقافة الأعلى المصري.

نالت الدكتورة بنت الشاطئ الكثير من الجوائز والأوسمة نذكر منها: جائزة الدولة المصرية الأولى للدراسات الاجتماعية سنة ١٩٣٩م، جائزة الدولة التقديرية في مصر ١٩٧٨م، جائزة مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، جائزة المجمع اللغوي للقصة القصيرة، شهادة تقدير من المنظمة العربية للتربية والتعليم والثقافة، وسام الكفاءة الفكرية من الملك الحسن الثاني العام ١٩٦٧م، ووسام الاستحقاق من الطبقة الأولى في مصر العام ١٩٧٣م، وجائزة الملك فيصل العالمية للآداب ١٩٩٤م، وكان موضوع الجائزة: «الدراسات التي تناولت فنون النثر العربي القديم».

مواقف حاسمة حول قضايا فكرية مهمة

عندما فازت بجائزة الملك فيصل العالمية لخصت مجالها المعرفي فيما يلي:

إن الجمع بين مجالي الدراسات العربية والدراسات القرآنية والإسلامية هو رسالتي ومجال تخصصي من حيث إنه لا يصح في مدرستنا الإسلامية رسوخ في علوم الإسلام دون العلم بالعربية، كما لا يصح رسوخ في العربية دون فقه في الإسلام، إن الدراسات اللغوية والنحوية شغفناها صناعة وقواعد وبها يسهل الكشف عن أسرار القرآن البيانية من حيث هو كتاب العربية الأكبر، مع كونه كتاب الإسلام المعجز، فهو بالفعل معجزة عربية وإسلامية(٤) لقد تميزت بين أقرانها بجمعها النادر بين الدراسة العميقة لعلوم الإسلام وعلوم العربية، حيث قررت البيان القرآني أصلاً للدرس البلاغي، والدلالات القرآنية أصلاً للدرس اللغوي، والشواهد القرآنية أصلاً للدرس النحوي، ومنهج علماء الحديث أصلاً للمنهج النقلي وتحقيق النصوص وتوثيقها.

وترى أن اللغة العربية تدين بحيويتها وبقائها وسعة انتشارها إلى نزول كتاب الإسلام بها، فانتشرت معه حينما أظل لواءه تلك الأقطار التي اعتنقت الإسلام ديناً واستبدلت بلغة كتابه لغتها القديمة، ومع اتساع الدولة الإسلامية واختلاط الألسن والثقافات وفشو العجمة، نشطت حركة الجمع لتراث الفصحى، في القرن الثاني الهجري، قصداً إلى حماية لسان الأمة ولغة كتاب دينها، ومن هذا التراث

الأصيل صنفت معاجم اللغة لخدمة ألفاظ القرآن، ووضع علم النحو واللغة لتوجيه إعرابه، وصُنفت كتب البلاغة لمعرفة أسراره في التعبير والبيان كما ألّفت علوم الإسلام باللغة العربية، وبقدر ما للقرآن الكريم من نفوذ على الضمير الشعبي، كان له الدور القيادي في وحدة هذه الأمة العربية من أقصى الشرق الآسيوي إلى أقصى المغرب الأفريقي، يلتقي أبناؤها فكراً ووجداناً ولساناً، عبر الحواجز الفاصلة والأسوار العازلة.

آمنت الدكتور بنت الشاطئ بحرية المرأة المسلمة، وذلك طبقاً لما جاء في كتاب الإسلام الذي حررها ـ كامرأة ـ من عقدة الذنب التي ظلت تلاحقها منذ بدء الخليقة، بأنها بدأت حياتها بالغواية وكانت ذريعة الشيطان لإغواء آدم وإخراجه من الجنة، وقد ظلت هذه اللعنة تطاردها جيلاً بعد جيل حتى نزل القرآن الذي حررها من هذه العقدة، وبرأها من لعنة إغواء آدم، ولم يقل قط: إن زوجه كانت ذريعة الشيطان إليه، كما أنه ليس في كتاب الإسلام أن المرأة مخلوقة من ضلع آدم، وإنما الذي فيه أنه تعالى خلقنا من نفس واحدة، وخلق منها زوجها، وترجّح حكاية الضلع هذه إلى الإسرائيليات التي روّجها من أسلموا من اليهود في عصر المبعث، وقد دخلت كتب التفسير وظن كثير أن لها ما يؤيدها من حديث رووه، وأوصى فيه الرسول صلى الله عليه وسلام بالترفق في معاملة النساء، وشبههن بضلع، إن أنت حاولت تقويمه بالشدة كسرته، وقد تأولوا الحديث على معناه الحرفي، وما أراه إلا من البيان المجازي، إن المرأة في الإسلام مخلوق كامل، خلقت والرجل من نفس واحدة، وحقها في الحياة يتقرر بحكم إنسانيتها وليس منحة من غير خالقها، ولا هو متوقف على كونها تلد أو لا تلد، تنجب ذكوراً أو لا تنجب، إن كتاب الإسلام قد حرر المرأة من تلك العقدة الموروثة، وقرر مسؤولية المرأة عن سلوكها وفصيلتها، وشرفها بتبعة التكليف شرعاً، فهي مكلفة كالرجل سواء بسواء، تحتمل تبعة عملها خيراً وشراً وتلقى جزاءه ثواباً أو عقاباً.

كما كانت دراساتها المتميزة للقرآن الكريم من المواضيع التي حظيت باهتمام الباحثين والدارسين، ونالت إعجاب القراء في كل مكان لأنها تقوم على التمييز بين الفهم والتفسير، بحيث ترى أنه من حق كل إنسان أن يلتمس من القرآن ما يلبي حاجته إلى المعرفة، ويقدم له عطاء الدين في ختام رسالاته، ولهذا عكف على فهمه المستشرقون من المسيحيين واليهود والملاحدة، وقدموا الكثير من الترجمات لما فهموه من معانيه، فأعطوا قومهم ضوءا كاشفاً لأصل العقيدة الإسلامية، ومناط الوحدة الجامعة لأمتها في فكرها الديني وعقليتها المشتركة ومزاجها العام.

وعلى مدى أربعة عشر قرناً، كان المسلمون يفهمون من كتاب دينهم ما يلبي حاجات وجودهم ومطالب حياتهم، ومنه أخذوا نور بصائرهم ودليل مسعاهم ومنار مسراهم حيثما اعتكر الليل وأدلهم الظلام، فهم القرآن إذاً مباح لأبناء عصرنا وكل عصر، وعطاؤه غير محظور يأخذ منه من شاء ما يشاء، دون حجر أو مصادرة.

ولكن الأمر يختلف في نظرها تماماً، إذا اختلط فهم القرآن بتفسيره، فيتصور بعضهم أن إباحة فهمه لكل الناس، متعلمين وأميين، مؤمنين وملحدين، تعني إباحة تفسيره للناس دون قيد أو شرط، لأن التفسير توجيه للنص القرآني، ولا أحد يملك أن يوجه نصاً أي نص، دون دراية بأسرار لغته وفقه لسياقه ودلالاته وهذا من المسلمات البدهية في النصوص بعامة، يفهمها من شاء كما يشاء، لكن تفسيرها للناس والفتيا بها مقصور على ذوي الفقه بها والاختصاص، وهؤلاء أنفسهم يتفاوتون بقدر دراستهم بأسرار النص والأمر أدق من هذا، في القرآن الكريم، من حيث لا تصح قراءته ابتداء لمن يتصدى لتلاوته أو تفسيره، من المصحف مباشرة، دون التلقين من شيوخ القراءة، لأن القراءة في المصحف، غير متروكة للاجتهاد كما يتصور عامة المثقفين، وإنما هي علم دقيق صعب له قواعده في الضبط والأداء، والمعنى يختل تماماً، لا بخطأ في الضبط الإعرابي فحسب، بل بالوقوف حيث ينبغي الوصل، وبالوصل حيث ينبغي الوقف، ومن هنا كان الخطر التقليدي على طلاب حفظ القرآن: «أن يأخذوه من مصحفين»، بمعنى النهي عن أخذ القرآن ممن قرأه في المصحف، ولم يتلقه تلقيناً بالسماع من فقهاء القراءة فيغيب عنه وجه الصواب في التلاوة والأداء.

لم تكن الدكتورة بنت الشاطئ بعيدة عن متابعة الفكر العربي الإسلامي المعاصر، فكانت حاضرة في الساحة الأدبية منذ خمسين سنة، وهي تحتكم في كل ما تعرض له من أمور الفكر الإسلامي إلى القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، وتعرضه عليها كل ما يقدم إلى العصر من بضاعة هذا الفكر، لكيلا يلتبس الأمر فيتشابه ما هو أصيل بما هو دخيل على الفكر الإسلامي من مقولات مدسوسة وشوائب طارئة وبدع محدثة، ولكيلا نخلط بين جوهره الحر، وما يسود المجتمعات الإسلامية من عقليات وأنماط للتفكير تحمل علم الإسلام أو يظن أنها موصولة به راجعة إليه.

وترى أن كلمة الوحي الأولى لخاتم المرسلين عليهم السلام: (اقرأ) وأن معجزة نبوته كتاب يستهل بآية الإنسان والعلم، لافتاً إلى قيمة العلم في تحقيق هذه الإنسانية المختصة بالعلم الكسبي المفردة دون سائر الكائنات بإدراك سر الحرف والكلمة والقلم والمنطق والبيان.

كانت رحمها الله تنتمي إلى مدرسة الأصالة العربية العريقة والتي تنطلق من التجديد الأدبي القائم على هضم القديم والتعمق فيه واستيعاب مضامينه، وهي المدرسة التي تجمع بين الدراسات الأدبية المعمّقة القائمة على الأسس الأكاديمية الراسخة وبين الدراسات الإسلامية المستوعبة لخصائص الفكر الإسلامي الأصيل، خصوصاً في مجال التفسير البياني للقرآن الكريم الذي تبوأت في ميدانه مكانة مرموقة بين كتّاب العصر وعلمائه، قال عنها الأستاذ عبدالكريم غلاب: «ثقافتها الإسلامية اتسعت علماً ودراسة وتحليلاً، أسهمت في كثير من مجالات الحضارة الإسلامية وعلومها، وتابعت تاريخ الإسلام، وجهود المرأة المسلمة... منبع ذلك الرسالة التي حملتها في الدفاع عن المرأة المصرية والمسلمة في بداية حياتها الثقافية، ثم تطور الدفاع عن المرأة إلى دفاع علمي، أرادت أن تثبت الذات، فكان لها ما أرادت، أي عالة عاملة كانت هذه السيدة العصامية».(٥) ■

الهوامش:

١ ـ انظر حواراً معها أجرته صحيفة «الشرق الأوسط» عدد٨ يوليو ١٩٩٤م، ص ٢٢.

٢ ـ المرجع نفسه.

٣ ـ المرجع نفسه.

٤ ـ انظر صحيفة الشرق الأوسط، عدد ١٤ فبراير ١٩٩٤م، ص١٧.

٥ ـ انظر صحيفة «العلم» المغربية عدد٩، ١٩٩٨م، ص١٢ «عائشة العصامية» عبدالكريم غلاب.

قضايا تربوية

بقلم : وائل مصطفى فايز محمود

نحو مفهوم إسلامي للشخصية

لعل موضوع الشخصية من أهم المواضيع التي عنى بها الفلاسفة والمفكرون منذ القدم، حيث الاهتمام بماهيتها، وكيفية إخراجها وتشكيلها، وهذا ما نستشفه من قراءة تاريخ الأوائل، سواء الذين عاشوا في العصور الهيلينية (١) المتقدمة، أو الذين عاشوا في العصور الهيلنستية (٢) المتأخرة، أو ما بعدها من عصور الرومان أو غيرهم. فقد ظهر في تلك الحقبة الزمنية من يهتم بموضوع الشخصية أمثال افلاطون (٤٢٨ ـ ٣٤٨ق. م)، وارسطو (٣٨٤ ـ ٣٢٢ ق. م)، وابيقور (ت٢٧٠ ق. م)، وغيرهم. ومنذ ذلك التاريخ وحتى يومنا هذا والبشرية تهتم بمسألة الشخصية، وما يتعلق بها من كيفيات ووضعيات، وأحوال وأشكال. والمسلمون كغيرهم ممن اهتموا بذلك الأمر. وأشهر من اهتم بدراسة موضوع الشخصية الفيلسوف والعالم أبو نصر الفارابي (ت٣٣٩هـ)، حيث ذكر في كتابه (آراء أهل المدينة الفاضلة) عن الإنسان كعنصر اجتماعي، ودوره في الحياة الاجتماعية، بل وصف لنا أهم سمات الشخصية التي ينبغي توافرها لدى زعيم الجماعة (القائد). ثم جاء دور الطبيب المسلم والفيلسوف العلاّمة ابن سينا (ت٤٢٨هـ)، حيث أوضح لنا كيفية ادراك العقل للكليات، ومراتب العقل والإدراك، وتحدث عن الانفعالات الموجودة لدى الإنسان، وبين اختلافها عند الحيوان. ثم جاء دور حجة الإسلام الإمام أبو حامد بن محمد الغزالي (ت٥٠٥هـ)، فادلى بدلوه، وكان حقا المصور الفعلي لعلم النفس عند المسلمين، وكان يطلق عليه اسم «علم المعاملة». ثم جاء دور العلامة ابن خلدون (ت٨٠٣هـ)، حيث كان أول من تحدث عن صلة سمات الشخصية باحتمالات النجاح أو الفشل في مهنة معيّنة من المهن، وهذا ما يقوم عليه اليوم فرع كامل من فروع علم النفس الحديث، والمعروف بـ «علم النفس الصناعي Industrial psycholoqy». ولكن كون الغرب هو المهيمن والمسيطر منذ أن نهضت أوروبا من سباتها العميق، نراه وقد عرض نفسه على المسرح العالمي على أنه الرائد في جميع مجالات الحياة المختلفة في الفكر والسياسة، والعلم والاقتصاد، والنفس والاجتماع. بل فرض ما يراه مناسبا من أفكار وثقافات ديكارتية، وميكافيلية، وداروينية، وجمسية، وفرويدية، ودركايمية، على غيره من شعوب العالم. فأصبح هنالك التابع والمتبوع، فالمتبوع هو الغرب، والتابع سواده الأعظم من أبناء المسلمين. وهكذا ضاعت جهود المسلمين الأوائل، وانتكس المسلمون، وتراجعوا عن دورهم الحضاري وأصابهم الإحباط واليأس والقنوط، وأصبحوا يحيون حياة تقهقر ونكوص، بل فوضى واضطراب، وأصبحنا في ذيل الأمم!

> عمد الإسلام إلى إخراج الشخصية الإسلامية التي تصلح بحق لقيادة البشرية نحو المعالي

وعلى الرغم من أن ظاهر التقهقر والنكوص ظاهرة عالمية، تعاني منها البشرية جمعاء، حتى الذين قدموا أنفسهم على أنهم البديل الحضاري للمسلمين. فما جناه الغرب في الحربين العالميتين الأولى والثانية وغيرهما في كوريا وفيتنام ليس إلا دليل على حال الفوضى والاضطراب التي خلفها الفكر الغربي وتصوراته عن الكون والإنسان والحياة. ويكفيه فشلاً أنه منذ ثورته الحضارية وهو عاجز عن تقديم نموذج إنساني يستحق بحق وحقيقة أن يكون قدوة وأسوة، ومرجعية يرجع لها، ويستند إليها، في تكوين وتشكيل الشخصية الإنسانية المثالية، التي يرضى عنها الله وترضى عنه.

كما أنه وعلى الرغم من جهود علماء النفس المبذولة، وبالذات ما يسمى بـ «علماء نفس الشخصية Personality Psycholoqist»، لإخراج شخصية سوية متزنة في بلاد الغرب لا تعرف الانحراف والشذوذ، إلا أن القوم ما زالوا بعيدين عن تحقيق ذلك الهدف. وإن كان من سبب وراء ذلك، ففي نظرنا أنه يعود إلى كون أولئك العلماء يجهلون أو يتجاهلون حقيقة الطبيعة البشرية أو ما يسمى «بفقه الفطرة الإنسانية». ولكي نرفع العتب عن أنفسنا كان لزاما علينا أن نسهم في تبيان المفهوم الإسلامي للشخصية من خلال النظر في كتاب الله العزيز، وسنة رسوله الكريم ﷺ.

وقبل أن نبدأ لابد من توضيح مفهوم الشخصية، وأهم

عناصرها من وجهة النظر السيكولوجية الغربية. خصوصاً أن مفهوم الشخصية مصطلح متداول بين عامة الناس، فكثيراً ما نسمع أن فلانا ذو شخصية قوية جذّابة، وفلانا ذو شخصية ضعيفة مهزوزة، وفلانا لا شخصية له، وما إلى ذلك من تعبيرات ومفاهيم عامة لا تستند إلى وجهة نظر علمية موضوعية أو فكرية منطقية.

ومن أهم العلماء الذين تناولوا مفهوم الشخصية بالتعريف، العالم الأميركي جون بي واطسن - مؤسس الاتجاه السلوكي في علم النفس Behavioural Approach - الذي يعرّف الشخصية أنها: «مجموعة الأنشطة التي يمكن اكتشافها عن طريق الملاحظة الفعلية للسلوك لفترة كافية بقدر الإمكان، وذلك لكي تعطي معلومات موثوق بها»(٣).

ويرى البورت Allport: «أنها عبارة عن تنظيم دينامي (متحرك) داخلي للعناصر النفسية التي تحدد خصائص السلوك والتفكير لدى الفرد» (٤). والبورت كما نعرفه من أكبر المنظّرين الذين عرفهم القرن العشرون في علم نفس الشخصية.

ويرى وودوورث Woodworth: «أنها سمات الفرد كما تبدو في عاداته الفكرية وتعبيراته واتجاهاته، واهتماماته، وأسلوبه في العمل، وفلسفته في الحياة» (٥).

ويعرف روكسي رود الشخصية: «على أنها ذلك التوازن بين السمات التي يتقبلها المجتمع والسمات التي يرفضها ولا يتقبلها من الفرد صاحب الشخصية» (٦).

أما وارن وكارمايكل فيريا: «أنها التنظيم العقلي المتكامل للإنسان خلال مرحلة معينة من مراحل نموه وتطوره، كما أنها تتضمن جميع الجوانب النفسية من معرفية ومزاجية وأخلاقية، بالإضافة إلى مهاراته، واتجاهاته التي كونها خلال حياته» (٧).

وهكذا نجد تعاريف كثيرة ومختلفة لمفهوم الشخصية، قد تتجاوز في عددها المئة، بل الألف، فمنها ما يؤكد المظاهر والقشور الخارجية للفرد، ومنها ما يؤكد التكوينات والعناصر الداخلية له، أو كلاهما. والجدير بالذكر، أن معظم أولئك العلماء والباحثين ينطلقون في تعريفاتهم من منطلقات مبنية على الأطر التي جاء بها فلاسفة الغرب ومفكروهم، ووجهة نظرهم إلى الكون والإنسان والحياة، وبخاصة أفكار الفيلسوف الفرنسي رينيه ديكارت (١٥٩٦ - ١٦٥٠م) الذي يفصل بين النفس والبدن، ويؤمن بأن العلاقة القائمة بينهما، هي علاقة تفاعل آلي ميكانيكي. (٨) وأفكار شارلز دارون (١٨٠٩ - ١٨٨٢م) صاحب النظرية البيلوجية التي تنادي بحيوانية الإنسان، وبأن أصله قرد متطور.(٩) وأفكار العالم الروسي إيفان بافلوف (١٨٤٩ - ١٩٣٦م) الذي يؤمن بأن سلوك الإنسان عبارة عن انعكاسات صادرة عن الجهاز العصبي المركزي (الدماغ والحبل الشوكي)، وأن السلوك عبارة عن ردود فعل منعكسة (شرطية وغير شرطية).(١٠) وأفكار الطبيب النمساوي جموند فرويد (١٨٥٦ - ١٩٣٩م) الذي يقسم النفس الإنسانية إلى ثلاثة أقسام منفصلة عن بعضها بعضاً، ولكنها متفاعلة على أساس صراعي. ويؤمن بأن دفعة الليبيدو (الطاقة الجنسية والغضبية) هي المحرك الحيوي الأولي للسلوك الإنساني (١١).

هذا هو مفهوم الشخصية القائم على وجهة النظر الغربية، ويبقى أن نشير إلى مفهوم الشخصية من منطلق التصور الإسلامي الذي يقوم على فكرة «ازدواج الطبيعة التكوينية للإنسان».

الروح هي السر وراء تميز الإنسان وتفرده عن الحيوان فبها منح الإنسان الوعي والإدراك والحرية والإرادة في الاختيار

فكما هو معلوم في كتاب الله أن الإنسان مخلوق من مادة وروح. وهذا ما أخبرنا به خالق الإنسان (الذي خلق فسوى) (١٢) يقول تعالى في محكم التنزيل: (إذ قال ربك للملائكة إني خالق بشراً من طين. فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين) (١٣). ويقول في موطن آخر: (وإذ قال ربك للملائكة إني خالق بشراً من صلصال من حمأ مسنون. فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين) (١٤). هكذا أخبرنا القرآن الكريم عن خلق آدم - أبو البشر - على أنه مادة وروح، مادة من طين الأرض وترابها، وروح من أمر الله. وكما يقول الإمام ابن القيم - رحمه الله - : «إن خلق أبو البشر» وأصلهم كان هكذا، فإن الله - سبحانه - أرسل جبريل فقبض قبضة من الأرض، ثم خمرها حتى صارت طينا، ثم صوره، ثم نفخ فيه الروح بعد أن صوره، فلما دخلت الروح فيه صار لحماً ودماً حياً ناطقاً. (١٥) ثم شاءت الإرادة الإلهية أن تجعل نسل بني آدم من سلالة من طين، قال تعالى: (ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين) (١٦)، وأن يجعله نطفة في قرار مكين، (ثم جعلناه نطفة في قرار مكين) (١٧)، وأن يكلف ملكاً من ملائكته لينفخ فيه الروح. وقد جاء في الحديث الشريف عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً نطفة، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يرسل الملك فينفخ فيه الروح...» (١٨). إذاً قبل كل شيء، الإنسن بطبيعته التكوينية مخلوق من مادة الأرض، مضاف إليها نفخة من روح الله.

وتعتبر تلك الطبيعة الإطار المحدد لمختلف سلوكيات الإنسان، سواء المتعلقة بحاجاته ودوافعه البيولوجية المنبثقة عن غريزتي البقاء والنوع، أو المتعلقة بحاجاته ودوافعه الروحية المنبثقة عن غريزة التدين، ومعرفة الله سبحانه وتعالى. ولولا تلك النفخة العلوية (الروح) لما تميّز الإنسان وتفرّد عن الحيوان، حيث إن الإنسان

والحيوان يشتركان في غريزتي البقاء والنوع، وما ينبثق عنهما من حاجات عضوية ودوافع فطرية ضرورية لاستمرار الحياة واستمرار النوع. والفارق بينهما يعود إلى مسألة الروح.

فالروح بلا شك، هي السر وراء تميز الإنسان وتفرده عن الحيوان، فبها منح الإنسان الوعي، والإدراك والحرية، والإرادة في الاختيار. ولولا إغفال علماء الغرب لهذا الجانب المهم في حياة الإنسان لكانوا أقرب إلى معرفة الطبيعة البشرية، وما ينبثق عنها من دوافع وميول، وما تحتاج إليه من ضوابط. وقد تنبه إلى هذا الخطأ الطبيب عالم النفس المصري الأستاذ محمد عثمان نجاتي، وإلى ما قد يؤول إليه. وعبّر عن ذلك قائلاً: «إن إغفال علماء النفس المحدثين للجانب الروحي من الإنسان في دراستهم للشخصية، قد أدى إلى قصور واضح في فهمهم للإنسان، وفي محاولة معرفتهم للعوامل المحددة للشخصية السوية وغير السوية، كما أدى إلى عدم اهتدائهم إلى الطريقة المثلى في العلاج النفسي لاضطرابات الشخصية». (١٩)

إذاً الشخصية: هي تلك الظاهرة السيكولوجية المنبثقة عن طبيعة الكيان الإنساني، المزدوج الطبيعة التكوينية (المادة والروح)، والمتمثلة بمختلف الانماط السلوكية الصادرة عن حاجات ودوافع وغرائز الإنسان (العضوية وغير العضوية)، وكيفية الاستجابة إليها كيفا وكما ونوعا.

فهذا التعريف، كما نعتقد لا يستثني حركة ولا سكنة صادرة عن النفس البشرية إلا ويتضمنها. فهو شامل لجميع سلوكيات الإنسان دون استثناء، ويكفي أنه يستند في مرجعيته إلى الطبيعة التكوينية للإنسان، تلك الطبيعة المكونة من طين الأرض المتمثل في حقيقة الجسد: وفي عضلاته ووشائجه وأعضائه وأحشائه... ونفخة من روح الله تتمثل في الجانب الروحي للإنسان. وتتمثل في الوعي والادراك والإرادة، وتتمثل في كل القيم والمعنويات التي يمارسها الإنسان. (٢٠)

معظم العلماء والباحثين ينطلقون في تعريفهم للشخصية من منطلقات مبنية على الأطر التي جاء بها فلاسفة الغرب ومفكروهم ووجهة نظرهم إلى الكون والإنسان والحياة

وانطلاقاً من فهم الفطرة البشرية ومكنوناتها، عمد الإسلام إلى إخراج الشخصية الإسلامية التي تصلح بحق لقيادة البشرية نحو المعالي، فكان أول ما بدأه رسول الله ﷺ - معلّم البشرية ورأس كمالها - العمل على تحرير العقل البشري من الانقياد إلى الهوى، والتقليد الأعمى، والضلالات والانحرافات، والخرافات، واتباع الظنون، وما لا يغني عن الحق شيئا. والإسلام بهذا كما يقول العلاّمة محمد عبده: «أطلق العقل من كل ما كان قيّده، وخلّصه من كل تقليد كان استعبده، ورده إلى مملكته، يقضي فيها بحكمه، وحكمته مع الخضوع في ذلك لله وحده والوقوف عند شريعته. وبهذا.. تم للإنسان بمقتضى دينه أمران عظيمان طالما حرم منهما، وهما: استقلال الإرادة، واستقلال الرأي والفكر، وبهما تمت له إنسانيته، واستعد لأن يبلغ من السعادة ما هيأه الله بحكم الفطرة التي فطر عليها». (٢١)

«ثم العمل على تغذية ذلك العقل من نبع العقيدة الإسلامية، وما جاءت به من مبادئ وأفكار وتصورات يقوم عليها اعتقاد الإنسان النظري، وسلوكه العملي. ثم كان التوجه في إشباع الحاجات والدوافع والميول والرغبات، حسب مقتضى الشريعة الغراء، وما جاءت به من أحكام وتشريعات وتعاليم تنظم للإنسان مجرى حياته، ونمط سلوكياته. وتحدد له طبيعة علاقاته الأربع: علاقته مع ربه، ومع نفسه، والناس من حوله، والأشياء التي تحيط به، والتي يشبع بها جوعاته ويحقق عن طريقها رغباته». (٢٢) ■

الهوامش و المراجع :

١ - Christopher Cook. Pears Cyclopaedia, ed. 97, by Richard Clay Ltd. Bunqay, 1988, 89.

٢ - المرجع السابق.

٣ - طلعت منصور وآخرين: أسس علم النفس العام. القاهرة: مكتبة الانجلو المصرية، ١٩٧٨.

٤ - Carver,C.S. & Scheier,M.F. Perspective on Personality. Routledqe, 1988.

٥ - مختار حمزة: مبادئ علم النفس. جدة: دار المجتمع العلمي، ١٩٧٩.

٦ - أحمد فائق، ومحمود عبد القادر: مدخل إلى علم النفس العام. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.

٧ - المرجع السابق.

٨ - محمد محمود محمد: علم النفس المعاصر في ضوء الإسلام. جدة: دار الشروق، ١٩٩٦.

٩ - عائشة ليمو: نظرية التطور في الإسلام. بيروت: دار القرآن الكريم، ١٩٨٤.

١٠ - عبد الرحمن عدس، ومحي الدين توق: المدخل إلى علم النفس. ط٢، جون وايلي وأولاده، ١٩٨٦.

١١ - مصطفى فهمي: علم النفس الاكلينيكي. الفجالة: مكتبة مصر، ١٩٦٧.

١٢ - سورة الأعلى/ ٢.

١٣ - سورة ص/ ٧١، ٧٢.

١٤ - سورة الحجر/ ٢٨، ٢٩.

١٥ - ابن قيم الجوزية: الروح. تحقيق السيد الجميلي. بيروت: دار الكتاب العربي، ١٩٨٦.

١٦ - سورة المؤمنون/ ١٢.

١٧ - سورة المؤمنون/ ١٣.

١٨ - رواه البخاري ومسلم.

١٩ - محمد عثمان نجاتي: القرآن وعلم النفس. ط٦، القاهرة: دار الشروق، ١٩٩٧.

٢٠ - محمد قطب: دراسات في النفس الإنسانية. ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م. «طبعة غير مشار إلى ناشرها».

٢١ - محمد عبده: رسالة التوحيد. ط١٦، القاهرة: دار المنار، ١٣٧٣هـ.

٢٢ - محمد شوكان: الإنسان والمبادئ الثلاثة. ط١، لاهور: المكتبة العلمية، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

أعدت الرسالة : ماجدة محمد أمين السمالوطي

إعداد : محمد عباس محمد عرابي

رسالة دكتوراة

التربية وقضية التغيير الاجتماعي من منظور إسلامي

تعد قضية التغيير الاجتماعي من القضايا التي أثارت اهتمام المفكرين منذ الماضي البعيد، كما أنها موضع اهتمام كثير من العلماء والباحثين، وهناك الكثير من النظريات التي تحاول تفسير التغير الاجتماعي، والتي تعكس الفلسفة التي يدين بها المجتمع، وتأخذ في توجهاته وتربيته، فمن الفلسفات ما أنكرت التغير، ونادت بالثبات والاستقرار كالمثالية وجاءت التربية فيها تطبيقاً لفكرة الثبات والاستقرار وتبريراً لها، ومنها ما أثارت الثبات والاستقرار، وأقرت التغير من «البراغماتية»، فكانت التربية مجال التطبيق العملي والممارسة الفعلية لهذه الفلسفات.

أما الإسلام، فإنه ينظر إلى التغير الاجتماعي نظرة مخالفة لنظرة تلك الفلسفات السابقة، فهو لا ينكر التغير، ومن ناحية أخرى يقر الثبات، فتجيء التربية في الإسلام جامعة بين الثبات والتغير.

وقد نجم عن التغير الاجتماعي الذي أصاب الأمة الإسلامية الآن أزمة عميقة الجذور، فهي تجتاز مرحلة صعبة للتخلص من الإحساس بالعجز وفقدان التوازن إزاء مواجهة تراكمات عدة، تكاثفت عبر الأجيال من تخلف حضاري وفقدان الهوية، وأزمات اقتصادية واجتماعية.

وعلى الرغم من إجماع اتجاهات الفكر العربي الحديث على ضرورة التغيير للخروج بالأمة من هذه الأزمة، إلا أنه مازال موقف كثير من المجتمعات الإسلامية تجاه التغيير يتميز بالحيرة والتخبط، وقد يرجع ذلك إلى افتقار تلك المجتمعات إلى نموذجها الخاص ما جعلها تلجأ إلى استعارة نماذج الآخرين «كالليبرالية والبراغماتية..» ما أدى إلى الكثير من التناقض والمسخ، وبالتالي ابتعدت عن التغيير الحقيقي المطلوب.

وللإسلام موقف متميز في التغيير الاجتماعي، حدث في عصر الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ نجح بشكل لم يحدث له مثيل، ما دفع الباحثة إلى محاولة التعرف على قضية التغيير الاجتماعي من منظور إسلامي، ووظيفة التربية في تغيير كل من الفرد والمجتمع.

تساؤلات الدراسة وإجراءاتها:

حاولت الباحثة الإجابة عن التساؤلات التالية:

١ ـ ما مفهوم التغير الاجتماعي؟ وما العوامل المسببة له؟ وما أهم النظريات المفسرة له؟

٢ ـ ما طبيعة قضية التغير الاجتماعي في بعض الفلسفات الغربية؟ وما انعكاس نظرة كل منها لهذه القضية على التربية؟

٣ ـ ما طبيعة التغير الاجتماعي من منظور إسلامي؟ وما أهم خصائصه وضوابطه؟

٤ ـ ما دور التربية في عملية التغيير الاجتماعي من منظور إسلامي؟

جاءت الدراسة في خمسة فصول، تناول الفصل الأول منها موضوع الدراسة وأهميته، أهداف الدراسة، تساؤلاتها، مصطلحاتها، منهجها، حدودها صعوباتها، الدراسات السابقة وتنظيم فصول الدراسة.

أما الفصول الأربعة الأخرى فتجيب على التساؤلات التي طرحتها الدراسة كالتالي:

- الفصل الثاني: ويجيب على التساؤل الأول من تساؤلات الدراسة، فيتناول مفهوم التغيير الاجتماعي، والعوامل المسببة له، وأهم النظريات المفسرة له، ثم إشكالية التغيير تربوياً.

- الفصل الثالث : ويجيب على التساؤل الثاني، فيتناول قضية التغيير الاجتماعي في بعض الفلسفات الغربية والمثالية، الماركسية، البراغماتية، وانعكاس نظرة كل منها لهذه القضية على التربية (هدفاً ومنهجاً).

- الفصل الرابع: ويجيب على التساؤل الثالث من تساؤلات الدراسة، فيعرض لمفهوم التغيير الاجتماعي وطبيعته من منظور إسلامي وأهم خصائصه وضوابطه.

- الفصل الخامس : ويجيب على التساؤل الرابع والأخير فيتناول جانبين هما: وظيفة التربية في تغيير الفرد وذلك من خلال الأهداف والمناهج والمعلمين ودورهم في تغيير الفرد، ووظيفة التربية في تغيير المجتمع.

- ثم ختمت الباحثة دراستها ببعض التوصيات والبحوث المقترحة.

نتائج الدراسة:

توصلت الباحثة من خلال دراستها إلى نتائج عدة أهمها ما يلي:

١ ـ الإسلام هو المصدر الأول في التخطيط لتربية الإنسان وإعداده للتعامل مع متغيرات العصر المختلفة.

٢ ـ رؤية الإسلام لقضية التغير رؤية شاملة متكاملة تتناسب مع تطورات العصر وأحداث الحياة.

٣ ـ التغير الاجتماعي من منظور إسلامي ليس مطلقاً، بل يتم داخل إطار ثابت ويدور حول محور ثابت هو القيمة الإسلامية الثابتة.

٤ ـ الإنسان صانع التغيير ومحوره، وهو في الوقت نفسه هدف عملية التغيير.

٥ ـ الحاجة إلى بناء نظرية اجتماعية من منظور إسلامي تفسر التغير وتوجه التغيير الهادف تحدثه.

٦ ـ إبراز العلاقة العضوية القائمة بين التغيير الاجتماعي والتربية، حيث بيَّنت الدراسة أنه لا يمكن إغفال الدور التربوي في مواجهة التغير أو إحداث التغير باعتبار التربية التجسيد الحي الواعي والمعادل الموضوعي لأي تغير أو تغيير.

٧ ـ إبراز دور التربية في تغيير ما بالنفس باعتباره الدافع الحقيقي لإحداث أي نهوض أو تقدم في المجتمع.

٨ ـ رفض الصيغ الثنائية ذات الطابع المتناقض «أصالة ـ معاصرة» «ثبات ـ تغير» وتأكيد أهمية الرؤية الموحدة التي تزيل هذا التناقض.

التوصيات:

في ضوء ما اشتملت عليه فصول الدراسة، توصي الباحثة بما يلي:

١ ـ تربية الفرد وتنشئته على القيم الثابتة الراسخة المستمدة من جوهر العقيدة وغاية الخلق والوجود وذلك من خلال العملية التعليمية في أبعادها المختلفة ومراحلها المتتالية.

٢ ـ إعداد الفرد وتنمية قدراته على مواجهة التغير ومعايشته باعتباره ضرورة وحقيقة وذلك بتوعيته بأبعاد التغير ومجالاته وعوامله ومظاهره كهدف أساس للسياسة التعليمية.

٣ ـ ضرورة تحقيق التكامل بين المؤسسات التربوية المختلفة الوسيطة والمباشرة بهدف توعيتها وتعريفها بدورها في مواجهة التغير واحتوائه في ضوء القيم الأساسية الثابتة.

٤ ـ الأخذ بفقه الأوليات في مواجهة التغير وضرورة مراعاة ذلك في التخطيط للعملية التعليمية.

٥ ـ ضرورة صيانة الأهداف والمناهج الدراسية وإعداد المعلم في ضوء الحضور الواعي لطبيعة التحديات العصرية وما يقتضيه من انتقاء واحتواء واستيعاب وتوجيه.

٦ ـ ضرورة معايشة المدرسة كمؤسسة اجتماعية لهذا الواقع المتغير والعمل على إسقاط الحواجز الوهمية التي تعزل المدرسة عن نبض الحياة في الخارج بحيث تصير المدرسة تكسب المهارات الجديدة وتبني الاتجاهات الموائمة لمنطق التغير والتجديد.

٧ ـ ضرورة إعداد المعلم ثقافياً بما يمكنه من التفاعل الهادف مع التغير وعدم الاكتفاء بالإعداد المهني والأكاديمي.

٨ ـ ضرورة الأخذ بأسلوب التعليم المستمر لاستمرار الخبرات وتجدد المواقف الحياتية.

٩ ـ ضرورة الاستعانة بآليات العصر وتقنياته والانتقال بالطالب من دور المحاكاة والنقل إلى دور المشاركة والإبداع.

١٠ ـ تنمية التفكير العلمي السليم، والتمييز بينه وبين أنماط التفكير الخاطئة بما يضبط التغير ويوجهنه نحو الغاية المنشودة.

١١ ـ ضرورة التعامل الواعي مع التراث بالتبسيط والانتقاء والتطهير والإفادة منه في فهم الواقع والتخطيط للمستقبل. ■

بقلم : آمال عبدالرحمن محمد

التوكل والإيمان شفاء للنفس البشرية

التوكل على الله تعالى من أهم أسباب الشفاء النفسي في الإنسان المؤمن، فالمتوكل على الله يحمل الله تعالى كل متاعبه وهمومه، وبذلك تُزاح عن نفسه متاعبها وهمومها.

وصدق الله إذ يقول: (وتوكل على الحي الذي لا يموت) الفرقان:٥٨، قال الإمام الخواص: «ما ينبغي لعبد يقرأ هذه الآية أن يلجأ إلى أحد غير الله تعالى لأن أي أحد غير الله يموت، فإذا مات صار المتوكّل عليه ضائعاً، أما الله عز وجل فهو الحي الذي لا يموت، فلا يضيع المتوكّل عليه مطلقاً».

وليس التوكل على الله هو ترك العمل أو ترك السعي إلى الرزق، فهذا ليس توكلاً بل ينبغي أن يعمل ويكد ويأخذ بالأسباب ثم يترك باقي الأمور لله عز وجل، فالتوكل على الله علم وحال وعمل، العلم هو أصل التوكل، والعمل به ثمرة العلم، والحال ثمرة العمل، من هذا ندرك أن التوكل على الله ليس حالاً سلبية، ولكنه حال إيجابية.

فأصل التوكل الإيمان بالله تعالى، لذلك لابد أن يسبق الإيمان التوكل، وتوكل بلا إيمان ليس توكلاً أبداً. فالإيمان أساس التوكل كما جاء في قوله تعالى: (قل هو الرحمن آمنا به وعليه توكلنا) الملك:٢٩، وقال في آية أخرى: (وقال موسى يا قوم إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا) يونس:٨٤، فالتوكل الحق هو التوكل المؤسس على الإيمان العميق بالله عزّ وجلّ كما يؤكده الحديث الشريف أن رسول الله ﷺ قال: «لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير، تغدو خماصاً وتروح بطاناً» أخرجه الشيخان.

وكما قال رسول الله ﷺ أيضاً: «من أراد أن يكون أقوى الناس فليتوكل على الله» رواه مسلم، وهو أقوى الناس حقاً لأنه يعلم يقيناً أن وكيله هو الله تعالى ومنه يستمد القوة والعون، وقد يصاب الإنسان في الدنيا ويُبتلى ويسبب ذلك له اضطرابات نفسية كثيرة، إلا أن الإنسان المتوكل على الله في منأى عن ذلك ولا يقع في أي اضطرابات نفسية أبداً لأنه يعلم أن الله تعالى معه ومن كان الله معه فمن عليه؟

والتوكل على الله ثلاث درجات... توكل، وتسليم، وتفويض، كما في قوله تعالى: «وتوكل على الله وكفا بالله وكيلا» الاحزاب ٤٨ . والتسليم كما في قوله تعالى: (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكمّوك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً) النساء:٦٥.

والتفويض كما في قوله تعالى: (وأفوض أمري إلى الله إن الله بصير بالعباد) غافر:٤٤، ولو نظر الإنسان إلى مشكلات الحياة الدنيا وصعوباتها نظرة مجردة من الإيمان بالله تعالى، والتوكل عليه لبدت غير محتملة ولأثّرت في نفسه تأثيراً سلبياً، ولكن الإيمان بالله والتوكل عليه يرى الإنسان الدنيا على حقيقتها، فإذا هي مشكلات فارغة وصعوبات وقتية وهينة لا تستحق الخوف والعناء النفسي، وبذلك ندرك أن التوكل على الله ضرورة من ضرورات الحياة الدنيا، فهو سند للمؤمن وحصن ضد متاعب الحياة، كما أن الإيمان من دعائم التمتع بالصحة النفسية، حيث يرى علماء الصحة النفسية أنه نظراً لزيادة حالات القلق والاكتئاب في أنحاء العالم ظهرت الحاجة المتزايدة للعودة إلى دور الإيمان والقيم الروحية في مجال الصحة النفسية وقاية وعلاجاً، فالإيمان الروحي يخلق في الإنسان إحساساً بالرضى والسعادة وينبع هذا الإحساس من الالتزام بالقيم الخلقية.

وقد أكدت الإحصاءات أن الاكتئاب يؤدي إلى الانتحار في المجتمعات التي ينقصها الإيمان، أما من يتمسكون بالإيمان الذي يحرّم الانتحار فإنهم محصنون ضد هذا الجرم وفي هذا المجال يقول القرآن الكريم: (ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيماً) النساء:٢٩، فالتمسك بالدين يكون له تأثير قوي وفاعلية أكثر من تحسين الصحة والوقاية من الأمراض المتعلقة بالسلوك، وهذا يتطلب نظرة أوسع للصحة في مظاهرها المادية والاجتماعية والنفسية إلى جانب مظهرها الروحي.

تقوية الإيمان: وعن الوقاية بالإيمان بالله الخالق أشار علماء الصحة النفسية إلى أن الأنبياء أوضحوا أن الإجراءات الوقائية هي أوامر من عند الله الذي خلق الإنسان وتعلّم ما ينفعه وما يضره وأن هذا الإيمان الذي كان له تأثير قوي في الماضي لابد من إحيائه وتقويته ولا سيما أننا قد أدركنا الأخطار الكبيرة التي يتعرض لها البشر نتيجة لضعف الإيمان الذي عليه مسؤولية تحديد وتقوية أخلاقية الإنسان كالصبر والشجاعة والحب وتكون هذه الأخلاقيات العناصر الروحية التي تقوي الحال النفسية، وقد أعطت التجارب العملية نتائج عن تأثير الصبر والإيمان على الأجهزة العصبية التي

تفرز مواد كيماوية نتيجة للصبر تساعد على الاستقرار والتحمل وتزيد من ثبات الإنسان وتقوي شعوره بالرضى والطمأنينة، ما يؤكد أن العامل الروحي يحتوي على قوة كبيرة شافية للأمراض النفسية في تلك الصحراء القاحلة التي تسمى الحياة الحديثة، لذا يجب كشف القوى الفاعلة للإيمان في مجال الصحة النفسية وإماطة اللثام عن طاقتها إدراكاً من أن الإيمان يقوى ويتشكل بالمكونات المتضمنة لسمات وملامح شخصية المؤمن. الأخلاقيات الإسلامية: تعطي أخلاقيات الإسلام اهتماماً كبيراً لإعلاء المثل والمبادى وتحرّم ارتكاب المعاصي والانحرافات الجنسية حماية لصحة المسلم وأملاً في استقلال الأسرة وأفرادها لئلا يصابوا بالقلق والاكتئاب والأمراض النفسية، وذلك بالوسطية في كل أمور الحياة اليومية إضافة للحرص على العبادات التي تحول دون الانحرافات.

فالملاحظ أن الانتحار نادر الحدوث في المجتمع الإسلامي، فالعقيدة تحصّن النفس ضد الاعتداء عليها، ومن صفات المعالج النفسي أنه لابد من أن يتصف بالتقوى والورع والصبر ليعطي للمريض المثل والقدوة الحسنة والأمل لمرضاه بأن الشفاء من عند الله، ولكن بشرط الايمان بأن الرحمه من الله الذي يقول: (ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون) الحجر:٥٦.

وينصح خبراء الصحة النفسية بضرورة الاهتمام بالتربية الدينية قبل سن السابعة كعملية وقائية مهمة في حياة الناس فكلما نضجت طاقة أولادنا النضوج الديني مبكراً تحصّن النشء من الضعف والهوى، وكبر على الايمان والسلوك القويم الذي يهذب سلوكه ويبعده عن الاندفاع والكراهية والغش والعنف الذي يؤدي فيما بعد إلى عدم الاتزان فيطغى الهوى على الميزان وتهتز الشخصية وتتعرض للأمراض النفسية.

إن الفكر الإسلامي قد وضع الأسس في إنقاذ النفس البشرية من الأفكار المقلقة والأمراض النفسية، فالقرآن الكريم يهتم بالطب النفسي، ففي مئات من الآيات يوجه الناس فيها سواء كانوا أصحاء أو مرضى إلى الطمأنينة والسكينة فيبشر الإنسان باليسر بعد العسر وغفران الذنوب بعد القنوط، ومما لا شك فيه أن عماد الطب النفسي هو زوال الاضطرابات النفسية والانهيارات العصبية التي يكون مصدرها القلق أو الإحباط أو الاكتئاب ما يؤثر سلباً على كل تصرفات الإنسان، بل تدفع أحياناً إلى الانتحار وهو ما انتشر عند الغربيين لضعف إيمانهم، لهذا يبين القرآن الكريم أن الطمأنينة والسكينة من معالم الظفر والنصر، ذلك لاقتناع المؤمن بوجود الله حيث تطبع نفس المؤمن بالرضا بالواقع في أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه، ولابد من التركيز على أن ذلك لا يعني أن يهمل المسلم العلاج بترك نفسه للأقدار، بل لابد من العلاج الذي جعله الله سبباً للشفاء إضافة للسكينة والطمأنينة لما لهما من أثر فعّال في مقاومة الأمراض فضلاً عن انشراح أسارير النفس ونشاط خلايا الجسم وآثاره على الطاقة الكامنة في الإنسان التي قد تجعله يقاوم أي مرض ويؤمن بأن الله قادر على أن يشفيه ويتخطى به أي أزمة نفسيه قد تهدد حياته وصدق الله تعالى: (وننزّل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين) الإسراء:٨٢.

وعن المنهج الوقائي من الإصابة بالأمراض النفسية في الإسلام أجريت البحوث والدراسات، وقد أكدت أن الاكتئاب والقلق وظهور الإحباطات وما تعانيه شعوب دول الغرب من التفكك والانحلال والجريمة يعود على أنهم حُرموا من نعمة الإيمان، فحياتهم بلا مذاق ولا معنى ولا هدف سوى الماديات فلا ينعمون باطمئنان القلب وهدوء النفس، وقد عالج الإسلام محنة عدم تحقيق التوازن بين الجانب المادي والروحي بين البشر وحدد أساليب الوقاية من الأمراض النفسية، ذلك ما تشير إليه آيات كثيرة في القرآن الكريم تدل على ما يشفي القلوب من أمراض الجهل والضلال وتُذهب صدأ النفس من الهوى والدنس.

فالقرآن يستهدف تمتع النفس البشرية بحياة سوية خالية من العقد والانحرافات، فهو يدعو إلى حياة مستقيمة تحقق الطمأنينة وعدم الفزع من المستقبل مادام الإنسان يأخذ بالأسباب ويترك النتائج على الله.

خواء العقيدة: وأضافت الدراسات أن مصدر الأمراض النفسية خواء العقيدة وضعف الإيمان في القلب وخير علاج هو وقاية النفس من مشاعر القلق والتأزم، فالإيمان يكسب صاحبه المناعة ضد الأمراض النفسية، فثمرة الإيمان سكينة النفس التي بها ينشرح صدر الإنسان، وتستقيم جوارحه ويعيش حياته بلا أمراض وفي سعادة، ولا مراء أن السبيل إليها لا يكمن في الذكاء والعلم والقوة والمال، بل في إدراك المرء أن له رباً يسمعه حين يناجيه ويعطيه إذا سأله ويذهب عنه الهمّ والحزن إذا دعاه، ووقف بين يديه، ومن ثم يعيش متمتعاً بالصحة النفسية في الدنيا فضلاً عن مثوبة الله في الآخرة مصداقاً لقوله تعالى: (من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون) النحل:٩٧.

فالايمان يؤصل نزعات الحب في الإنسان، فيحب للناس ما يحب لنفسه وبه تقوى إرادة الإنسان، فيمكن السيطرة على نزوات النفس والشيطان ويجعل الايمان المؤمن بربه صابراً غير قانط ولا يتسرب اليأس إليه، وذكر أن العبادات التي يؤديها المسلم من صلاة وصوم وزكاة وحج لها دور كبير في الوقاية من الأمراض النفسية لأنها تهذب النفس البشرية وتسعى لتنمية خلق الإنسان وضميره وتحرك فيه الطاقة الروحية لأنها تغذي روحه فيهدأ ويستريح ويبعد عن القلق. ■

المراجـع:

١ ـ القرآن الكريم.

٢ ـ رياض الصالحين للإمام النووي.

٣ ـ محمد محمد عيسوي الفيومي: فاعلية العلاج المتمركز على العميل في تحسين حالات الأمراض السيكوسوماتية ـ رسالة دكتوراه ـ تربية بنها ـ ١٩٩٥م.

٤ ـ أحمد عزت راجح: أصول علم النفس، المكتب المصري الحديث ـ الإسكندرية ـ ١٩٧٣م.

٥ ـ عبدالعزيز القوصي: أسس الصحة النفسية، النهضة المصرية ـ القاهرة ـ ١٩٨٢م.

٦ ـ حامد زهران: الصحة النفسية، العلاج النفسي، عالم الكتب ـ القاهرة ـ ١٩٨٢م.

فكـر

بقلم : د. خالد سعد النجار

العلمانيون المعتدلون

كان التخلف الفكري والحضاري الذي أصاب المجتمعات الإسلامية في العقود الأخيرة أكبر عامل ساعد على وجود بيئة خصبة لنمو العلمانية، حيث غرس الاستعمار الغربي إبّان احتلاله للأمة الإسلامية البذور الأولى لهذا الفكر الغريب وما ترك ديارنا إلا بعد أن حصد من ثمارها بضعة أجيال تولت قيادة التوجيه في أغلب القطاعات بعد رحيله.

وهلل العلمانيون من أبناء أمتنا لفكرهم الوليد في ديارنا وصاحوا في الناس بأن الرخاء قام بعد أن نبذوا بزعمهم رداء التخلف والجمود، وعلت صيحة هنا بنبذ اللغة الفصحى - القرآن الكريم - وصيحة هناك، باتباع الغرب وحضارته المادية في كل خير وشر حلوه ومره، وانتشر التبرج السافر والاختلاط تحت شعار حرية المرأة، وأصبح الشغل الشاغل لكثير من قطاعات الإعلام هو عرض روايات وأغاني الحب والغرام تحت ستار الحرية الفكرية، وكسر القيود بين الرجل والمرأة، وكأن القيم الإسلامية واللغة العربية وحجاب المرأة كانوا أهم عوائق مسيرة البناء والتقدم.

إلا أن الأيام تكفلت بإثبات فشل الفكر العلماني في تحقيق الرخاء وظهر لكل ذي لب زيف الدعوة العلمانية كمنهج بديل تقوم عليه مسيرة البناء والتقدم المنشود ففي غياب القيم الإسلامية والتشريعات الربانية زادت معدلات الجريمة والإدمان وتفشت الرشوة وسوء الإدارة في قطاعات كثيرة وأسفرت الرذيلة عن وجهها كما ظهرت طائفة لا يُستهان بها من الوصوليين والانتهازيين والماديين الذين شكلوا أكبر معاول للهدم في بنيان الأمة الإسلامية وفي الوقت الذي قامت فيه من حولنا تكتلات صناعية وزراعية ونمور آسيوية واتحاد أوروبي اقتصادي ونقدي مازال المسلمون يغطون في نوم عميق ليس لهم حديث إلا عن حضارتهم القديمة ومجد الآباء وعبقريتهم عبر قرون مضت.

ولقد كان هذا الواقع المرير أكبر درس لقنته الأيام للعلمانيين من أبناء جلدتنا، وأيقن المنصفون منهم بعد طول تجربة أن بناء الأمة لا يكون إلا بترسيخ القيم الإسلامية والتعاليم الربانية في النفوس وتربية المسلمين على معاني الإيمان والتقوى التي تخلق فيهم الضمائر الحية فتأبى معصية الله والوطن حتى ولو في الخفاء وفي غياب الرقابة والقوانين ثم يأتي بعد ذلك الأخذ بالأسباب المادية والنواحي العلمية، وهكذا عادت طائفة من العلمانيين إلى رشدها وأقرت بدور الدين في التوجيه الأمثل لشؤون الحياة، إلا أن عودتهم إلى رحاب التعاليم الإسلامية لم تكن كاملة مئة في المئة، فلقد أعرضوا عن بعض النقاط في الشريعة الإسلامية، تارة لأنهم رأوا فيها عدم ملاءمتها للواقع الحالي (كتطبيق الحدود وتعدد الزوجات) وتارة لأنهم وجدوها لا تتجانس مع المناطق العقلية والقوانين المادية «كقضية الحسد» وأطلق هؤلاء العلمانيون الجدد على أنفسهم - تحت دعوى الرؤية المستنيرة للشريعة الإسلامية - لقب (العلمانيون المعتدلون)، ولا يسعنا في هذا المقام إلا أن نناقشهم في هذه النقاط مناقشة هادئة نجلو فيها وجه الحقيقة، ونبين موقف الإسلام تجاه هذه القضايا.

نظام الحدود في الشريعة الإسلامية

نظر العلمانيون ورجال التشريع الوضعي إلى نظام الحدود في الإسلام نظرة استفظاع ظهر الإسلام فيها متعطشاً إلى إراقة الدماء ما دفعهم إلى رفض الأخذ بأحكامه في الحدود، وأخذوا بأحكام ظاهرها فيه الرحمة، ولكنها تنطوي في الواقع على شر كبير ونتائج سيئة على المجتمع وأفراده.

فالقوانين والدساتير التي من صنع البشر تنظر للفرد باعتباره عنصراً مهماً في الحياة، وتغفل أنه جزء من كل هو الجماعة، فكثيراً ما تنشط وتغالي في حرية الفرد ولا تقيد حقوقه بمصلحة المجموع، ولكن التشريع الإسلامي يلائم بين المثالية والواقعية، حيث يقرر للفرد حقوقه كاملة بشرط ألا يُضار غيره باستعمال صاحب الحق حقه فشرع المولى الحكيم العليم القصاص وأوجب تنفيذه على الحكام صيانة لدماء الناس ومحافظة على أرواح الأبرياء وأموالهم وقضاء على الفتنة في مهدها ذلك لأن أخذ الجاني بجنايته يكون زاجراً له ولغيره ورادعاً لأهل البغي والعدوان فإذا هَمَّ أحد بقتل أخيه وعلم يقيناً أن عقوبة المجتمع له هي القتل كفَّ عن إزهاق روح بريئة، فكان في ذلك حياة له وحياة لمن أراد قتله وحياة لأفراد المجتمع، وإلى هذا المعنى أشار القرآن الكريم قال تعالى: (ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب لعلكم تتقون) البقرة:١٧٩.

أولي الألباب لعلكم تتقون) البقرة:١٧٩.

أما الغفلة عن جناية الجاني والنظر إليه بعين الرحمة والشفقة من أكبر الخطأ لأن المقتول ظلماً الذي أزهقت روحه ورمّلت زوجته ويُتم أولاده أولى بالرحمة والشفقة وقس على ذلك من سرق ماله أو هتك عرضه كما أن هذه الغفلة ستؤدي لا محالة إلى إثارة الفتن وتعريض المجتمع إلى سفك الدماء البريئة أخذاً بالثأر، فإن الغضب للدم المراق فطرة في الإنسان والإسلام، راعى ذلك فقرر شريعة القصاص حتى يستل الأحقاد من القلوب ويقضي على أسباب البغي والخصام والعدوان فرحمة المجتمع أهم بكثير من رحمة فرد لا يستحقها.

ولو نظرنا إلى نظام العقوبات في التشريعات الوضعية، لوجدنا أنه أخفق في تقليل معدلات الجريمة حيث إن السجون لم تحل المشكلة، فالسنة في السجون تحسب تسعة أشهر فقط، فضلاً عن أن المجرم يخرج بعد قضاء ثلثي المدة، إذا ثبت حسن سيره وسلوكه في أثناء قضائه فترة العقوبة، وبالتالي يصبح صافي المدة التي يستمر فيها المحكوم عليه هي النصف أو أقل، وهكذا سرعان ما يخرج للنور مرة أخرى ويرتع في المجتمع الذي لم يوقع عليه العقوبة الرادعة له والكفيلة بأن تكفه عن مجرد التفكير في ظلم الناس والبغي عليهم، وتشير أحدث الإحصاءات إلى أن ٧٠ في المئة من المجرمين يعودون إلى ارتكاب جرائمهم بعد خروجهم من السجن، وفي تقرير لهيئة الأمم المتحدة سنة ١٩٧٩م، عن معدلات الجريمة في البلاد التي تطبق فيها الشريعة الإسلامية بالمقارنة بالبلاد الأخرى، نجد أنه من بين كل مليون نسمة يرتكب الجريمة في السعودية ٢٢ شخصاً، وفي فرنسا ٣٢ ألفاً، وفي كندا ٧٥ ألفاً، وفي فلندا ٦٣ ألفاً وفي ألمانيا ٤٢ ألفاً. فالإسلام بنظامه الرباني قد نجح في خلق مجتمع متوازن، في حين أن غيره من المجتمعات أضحت الجريمة فيه مشكلة لا تجد لها أي حل، وكفى أن نعلم أن في أميركا وحدها ينفق ٢٦ مليار دولار سنوياً لمكافحة الجريمة، وليت هذه المليارات عالجت المشكلة أو وجدت لها مخرجاً.

الإسلام وتعدد الزوجات

إن قضية تعدد الزوجات في الإسلام ليست عورة نسترها أو تهمة نتكتمها أو مسألة نتوارى بها خجلاً وندخل معها في قفص الاتهام نتلمس البراءة لديننا أمام أعداء الإسلام والمسلمين، فتعدد الزوجات بمثابة الدواء والعلاج لكثير من المشكلات الاجتماعية التي قد تعرض للأسرة وهو أمر مباح ويسن إذا حسنت النوايا وروعيت فيه الضوابط الشرعية وقد ينقلب حراماً إذا ما خاف الإنسان الجور وعدم العدل. فقد تمرض الزوجة مرضاً مزمناً يطول برؤه أو يستعصى على العلاج ما لا يمكنها من أن تقوم بواجباتها تجاه أسرتها وزوجها الأمر الذي يدفع الزوج إلى طلاقها إن لم يجد سعة وحلاً في إباحة التعدد له.

وبعض الرجال يغلب عليهم سلطان الشهوة ولا تندفع حاجته بزوجة واحدة، فلو سد عليه باب التعدد لفتح لنفسه باب الزنى واتخاذ الخليلات بدل الحليلات، وهذا شر مستطير يُهلك المجتمعات ويُفسد الأخلاق.

وكذلك إذا كانت الزوجة عقيماً لا تلد، فغياب الأطفال في بعض الأسر سبباً يجعل محيط تلك الأسرة تسوده الكآبة وعدم البهجة وبخاصة إن كان الزوج شديد التعلق بالأطفال وله رغبة ملحة في الإنجاب، ففي رحاب التعدد كان الزواج بأخرى من أسلم الحلول لاستمرار الحياة بينهما والحفاظ على أواصر الوفاء تجاهها وفي الوقت نفسه، تحقق رغبة الزوج في إنجاب طفل يملأ عليه الحياة سعادة وسروراً، كما أنه من المشاهد أن الكثير من الإناث مستعدات للزواج وكثير من الرجال لا قدرة لهم على القيام بلوازم الزواج لفقرهم، فلو قصر الواحد على الواحدة لضاع كثير من المستعدات للزواج أيضاً، لعدم وجود أزواج فيكون ذلك سبباً لضياع الفضيلة وتفشي الرذيلة والانحطاط الخلقي وضياع القيم.

أما في البلاد التي خرجت من الحروب، فإن للتعدد فوائد عظيمة في استقرار المجتمع وأمنه، حيث إن الحروب تخلّف وراءها جيشاً جراراً من النساء والأرامل اللواتي يزيد عددهن بكثير عن عدد الرجال ويصبح في تلك الظروف الاقتصار على زوجة واحدة يحرم كثيراً من النساء من حياة عائلية مستقرة ولا يجدن طريقاً لهن إلا الرهينة وما أقساها، وقد تكون ستاراً لأمور شنيعة وإما يلجأن إلى ركوب الفاحشة، وما أتعسه من حل!!.

بالإضافة إلى كل هذا قد يصبح التعدد علاجاً ناجعاً لكثير من الدول التي تعاني من نقص في المواليد وقلة كثافة سكانها ما يضعف شوكتها ويطمع فيها جيرانها فكان التعدد من أهم العوامل التي تساعد على بناء قوتها البشرية وتوافر الأيدي العاملة التي تستخرج خيراتها وتدعم اقتصادها وكيانها.

ومن هنا، كان التعدد في الإسلام وكانت الاستفادة من مزاياه لحل كثير من المشكلات الاجتماعية وسد باب الفاحشة والرذيلة يقول تعالى: (وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم ذلك أدنى ألا تعولوا) النساء:٣.

قال العلاّمة الشنقيطي ـ عليه رحمة الله تعالى ـ «وقد أباح القرآن تعدد الزوجات لمصلحة المرأة في عدم حرمانها من الزواج ولمصلحة الرجل بعدم تعطيل منافعه في حال قيام العذر بالمرأة الواحدة، ولمصلحة الأمة ليكثر عددها فيمكنها مقاومة عدوها لتكون كلمة الله هي العليا، فهو تشريع حكيم خبير لا يطعن فيه إلا من عمى الله بصيرته بظلمات الكفر وتحديد الزوجات بأربع تحديد من حكيم خبير وهو أمر وسط بين القلة المفضية إلى تعطل منافع الرجل وبين الكثرة التي هي مظنة عدم القدرة على القيام بلوازم الزوجية للجميع».

ولقد فشلت النظم الغربية في إيجاد حلول منطقية للمشكلات الناتجة من غياب نظام «تعدد الزوجات» وأدى تفاقم هذه المشكلات إلى زيادة عدد البغايا على عدد المتزوجات وكثرة عدد المواليد من السفاح بنسبة تصل إلى الملايين كما عزف الرجال عن الزواج، حيث أصبحت المرأة سهلة المنال بلا تكاليف ولا مسؤوليات وانحلت عرى الصلات الوثيقة بين الزوجين مما جعل الحياة الزوجية في اضطراب دائم، ووصل الأمر ببعض الرجال إلى أن يتهم زوجته بالزنى حتى يتيسر له الخلاص منها بالطلاق، أما عن الأمراض الجنسية فحدّث ولا حرج، حيث أصبحت خطراً يهدد حياة المواطن الغربي، كل هذه الأزمات جعلت المنصفين من مفكري الغرب ينادون بالعودة إلى نظام تعدد الزوجات حفاظاً على المجتمع من عوامل التردي التي تفشت

فيه، يقول الفيلسوف الإنكليزي (برناردشو) عن تعدد الزوجات في الدين الإسلامي: «إن أوروبا لو أخذت بهذا النظام لوفرت على شعوبها كثيراً من أسباب الانحلال والسقوط الخلقي والتفكك العائلي».

ويقول الفيلسوف الألماني «شوبنهاور: «إن قوانين الزواج في أوروبا قوانين فاسدة بمساواتها المرأة بالرجل، فقد جعلتنا نقتصر على زوجة واحدة، فأفقدت الرجال نصف حقوقهم وضاعفت على النساء واجباتهن»، ثم يقول: «إن المرأة في الأمم التي تجيز تعدد الزوجات لا تعدم زوجاً يتكفل شؤونها، إن المتزوجات من بناتنا عددهن قليل، أما غير المتزوجات فلا يحصى عددهن تراهن هنا وهناك بغير كفيل، ففي مدينة لندن وحدها آلاف الفتيات اللاتي فقدن شرفهن ضحية نظم الاقتصار على زوجة واحدة».

الإسلام والحسد

يقول ابن القيم: «تأثير الحاسد في أذى المحسود أمر لا ينكره إلا من هو خارج عن حقيقة الإنسانية، وهو أصل الإصابة بالعين، فإن النفس الخبيثة الحاسدة تتكيف بكيفية خبيثة وتقابل المحسود فتؤثر فيه بتلك الخاصية، ونفس العائن لا يتوقف تأثيرها عن الرؤية، بل قد يكون أعمى فيوصف له الشيء فتؤثر نفسه فيه، وإن لم يره وكثير من العائنين يؤثرون في المعين بالوصف من غير رؤية»، ويقول ابن خلدون: «ومن قبيل التأثيرات النفسية الإصابة بالعين وهو تأثير من نفس المعيان عندما يستحسن بعينه مدركاً من الذوات أو الأحوال ويفرط في استحسانه وينشأ عن ذلك الاستحسان حينئذ أنه يروم معه سلب ذلك الشيء عمَّن اتصف به فيؤثر فساده وهو جبلة فطرية».

ولقد ذكر الحسد في القرآن الكريم تراة باللفظ الصريح في خمسة مواضع، وتارة بالمعنى، ومثال النوع الأول قوله تعالى: (أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله) النساء:٥٤، وقوله تعالى: (ومن شر حاسد إذا حسد) الفلق:٥، ومثال النوع الثاني قوله تعالى على لسان يعقوب عليه السلام لأبنائه: (وقال يا بني لا تدخلوا من باب واحد وأدخلوا من أبواب متفرقة وما أغني عنكم من الله من شيء إن الحكم إلا الله عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون) يوسف:٦٧.

قال القرطبي: «لما عزموا على الخروج خشي.. عليهم العين فأمرهم ألا يدخلوا مصر من باب واحد وكانت مصر لها أربعة أبواب وإنما خاف عليهم العين لكونهم أحد عشر رجلاً لأبٍ واحد وكانوا أهل جمال وكمال وبسطة)، وقوله تعالى: (وإن يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم لما سمعوا الذكر) القلم:٥١، قال ابن كثير: (ليزلقونك) لينفذوك (أبصارهم) أي يعينوك بأبصارهم بمعنى يحسدونك لبغضهم إياك منهم وفي هذه الآية دليل على أن العين إصابتها وتأثيرها حق بأمر الله عز وجل كما وردت بذلك الأحاديث المروية من طرق متعددة كثيرة».

أما في السنة النبوية فما أكثر الأحاديث الصحيحة عن المعصوم - ﷺ - التي تثبت الحسد وتأثيره منها حديث عبدالله بن عباس - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله - ﷺ -: «العين حق ولو كان شيء سابق القدر لسبقته العين وإذا استغسلتم فاغسلوا» رواه مسلم، وعن جابر بن عبدالله عن رسول الله - ﷺ - قال: «إن العين حق تدخل الرجل القبر والجمل القدر» رواه أبو نعيم، وعن أم سلمة رضي الله عنها أن النبي - ﷺ - رأى في بيتها جارية في وجهها سفعة فقال: «استرقوا لها فإن بها النظرة» رواه البخاري.

إن الذين ينكرون وقوع الحسد من الماديين الذين لا يؤمنون إلا بكل ما هو محسوس محجوجون بكل الظواهر من حولنا التي ندرك آثارها ولا نشاهدها كالروح التي تسري في أجسادنا وتهب لنا الحياة فإذا فارقت الجسد صار جثة هامدة رغم سلامة أجهزته وأعضائه، والكهرباء التي تسري في الأسلاك ويدار بها أعظم الأجهزة والآلات كلها ظواهر تؤكد عدم استحالة وجود الحسد وخطأ من ينكر حقيقته على الرغم من أن آثاره يراها الفرد من حوله في الكثير من المواقف ما لا يدع مجالاً للشك في الإيمان به.

وفي النهاية نقول للعلمانيين أصحاب «الرؤية المستنيرة للشريعة الإسلامية» لستم على شيء حتى تقيموا شرائع الإسلام كاملة، وتعضوا عليها بالنواجذ معتقدين اعتقاداً جازماً بأنها سبيل النجاة والتقدم فهذه الرؤية القائمة على الأخذ ببعض أحكام الإسلام وترك البعض الآخر - رغم عدم صحتها - ستؤدي لا محالة إلى فقد المصداقية في تعاليم الوحي وصلاحيته لقيادة البشرية مما ينعكس على الأحكام التي أخذتم بها نفسها فيذهب العمل بها سدى مع الأيام من الأجيال اللاحقة تحت الدعوى نفسها، ولقد وبَّخ الله تعالى في كتابه الكريم أمثالكم من الأمم السابقة الذين نهجوا النهج نفسه، فقال جل شأنه: (أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون) البقرة:٨٥، كما أوضح الله تعالى حكمه في تلك الدعوات فقال جل شأنه: (يأيها الذين آمنوا أدخلوا في السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين) البقرة:٢٠٨.

يقول سيد قطب: «ولما دعا الله الذين آمنوا أن يدخلوا في السلم كافة حذرهم أن يتبعوا خطوات الشيطان فإنه ليس هناك إلا اتجاهان اثنان، إما الدخول في السلم كافة، وإما اتباع خطوات الشيطان، إما هدى وإما ضلال إما إسلام وإما جاهلية إما طريق الله وإما طريق الشيطان، وإما هدى الله وإما غواية الشيطان وبمثل هذا الحسم ينبغي أن يدرك المسلم موقفه فلا يتلجلج ولا يتردد ولا يتحير بين شتى السبل وشتى الاتجاهات. إنه ليس هنالك مناهج متعددة للمؤمن أن يختار واحداً منها أو يخلط واحداً منها بواحد كلا إنه من لا يدخل في السلم بكليته، ومن لم يسلم نفسه خالصة لقيادة الله وشريعته ومن لا يتجرد من كل تصور آخر ومن كل منهج آخر ومن كل شرع آخر... إن هذا في سبيل الشيطان سائر على خطوات الشيطان، ليس هنالك حل وسط ولا منهج بين بين ولا خطة نصفها من هنا ونصفها من هناك إنما هناك حق وباطل هدى وضلال إسلام وجاهلية منهج الله أو غواية الشيطان». ■

المصـــادر:

١ - تفسير آيات الأحكام - للصابوني.
٢ - الغرب يطالب بالتعدد - رفعت محمد طاحون.
٣ - نظرات في مسألة تعدد الزوجات - سعيد عبدالعظيم.
٤ - تفسير القرآن العظيم - ابن كثير.
٥ - الجامع لأحكام القرآن - القرطبي.
٦ - الجامع لأحكام القرآن - القرطبي.
٧ - في ظلال القرآن - سيد قطب.
٨ - الحسد - مجدي محمد الشهاوي.

بقلم: محمد السيد

المرأة المسلمة

من مؤتمر مكسيكو ٧٥ م وحتى مؤتمر بكين ٩٥ م

نظرة إلى أصل الدعوة وهذا الضجيج

هل كان أمر المرأة يحتاج إلى اجتماعات مدة زمنية طويلة في جلسات تحضيرية لمؤتمر المرأة في بكين؟

وهل كان الأمر يحتاج إلى تدبيج (١٧٧) صفحة؟ لإيجاد حلول لقضايا أكثرها وهمية، تدور في رؤوس شيطانية مهووسة، لاشغال عدد كبير من المندوبين والمندوبات، حضروا من جميع أنحاء العالم، في مهرجان استعراضي بكيني أي في بكين، يبتغي الداعون إليه والمحضرون له وعلى رأسهم غربيون متطرفون شاذون أن يخلعوا المرأة من جذورها ويلقوها في فضاء سحيق لا متناهٍ من الضياع، وهي محاولات نحب أن نطمئن الذين قاموا على ذلك المؤتمر من الذين تخفوا خلف اسم الأمم المتحدة والشعارات ذات البريق الزائف إن محاولاتهم تلك مهما بدا لهم أنهم نجحوا في تسويقها لن يكتب لها توفيق أبداً، وسيجدونها في لحظة ما ملقاة في مزابل الهامش التاريخي المزوِّر لصورة الإنسان وبيد المرأة نفسها: المرأة العاقلة المؤمنة، التي تدرك مدى ما يُراد لها أن تسير فيه من دمار، إن هي نزلت على رغبة شواذ البشر، وسيمضي التاريخ في طريقه سوياً معافى من هلوسات الجنون والشذوذ والمرض، التي تحاول عبثاً الطفو فوق سطح الأحداث.

لقد هانت المنظمة الدولية على نفسها وعلى العالم، يوم وضعت قيادها بيد شواذ الغربيين، ونقول شواذ لأن هناك في الغرب كثير من العقلاء، الذين لا يرضون أن يسيروا خلف الدعوات والسياسات النشاز.

إن المتنفذين في الكثير من ديار الغرب أغراهم أنهم أصبحوا يقولون للمشتغلين في السياسة في كثير من ديار العالم (الثاني والثالث) اقعدوا فيقعدون، أو ناموا فينامون، ولذلك فهم لم يكتفوا بالرضوخ السياسي من هؤلاء الذين فقدوا وسائل الاتصال بأممهم، بل إنهم هدفوا إلى قيادة المرأة ومن ورائها أناس هذا العالم بالقيم الغربية غير النافعة، وهم إنما دعوا إلى كل المؤتمرات المختصة بالمرأة والأسرة والسكان ومنها مؤتمر بكين الذي حضَّروا له أشهراً طويلة من أجل أن يعلنوا على العالم وثيقتهم الموبوءة وليجرّوه خلف دعاوى الفارغين والفارغات من الغربيين، الذين غرقوا في متاهات الشذوذ الجنسي واستعمرتهم غرائزهم الحيوانية، واستولت على كياناتهم دعوات الصهيونية المجرمة، التي تريد لهذا العالم أن يغرق إلى أذنيه في مقولات لا تحوطها قيم ولا مبادئ ولا أخلاق، على دروب فرويد وداروين ودوركايم وماركس وغيرهم، الذين صنعوا على عين خبيثة اجتثت من نار جهنمية، وألقيت في وجوه وصور مخلخلة التكوين...!

كل ذلك ليقود الصهاينة هذا الغثاء، في عتمة الرؤية وظلمة الخطوب إلى حيث يفرضون إرادتهم التي لايرد لها طلب.

إن الانطلاق من مفهوم الفردية الغربية - الذي نتحفظ عليه - إلى تفكيك كل شيء، هو الذي حدا ويحدو بالغربيين إلى إنتاج الدعوات الشاذة دائماً، وهو الذي يدفع بهم إلى تفكيك البنى الفكرية للإنسان بعامة، وجعلها تسير في خطوط متصارعة أو متوازية لا تلتقي، ومن هنا وبناء عليه اندفع الكثير من النساء الغربيات بزخم غير عادي خلف الصراع لنيل الحقوق، بانيات صراعهن على أساس من التفكيك الذي نراه في كل البنى الفكرية الغربية، فهناك عالم للمرأة مستقل، وعالم للطفل، وعالم للرجل، وعالم للمراهقات و... و... وكل عالم قائم على صراع مع العوالم الأخرى، بينما ائتلفت هذه الأبعاد في الإسلام بصورة إنسانية رائعة منسجمة متراحمة متلاحمة، ومن ثم انصبت في بوتقة متكاملة كوَّنت الإنسان بهيئته ورؤيته وحركته الفطرية التي فطره عليها خالقه، وأراد له من خلالها الاستقامة والسداد

الدائمين اللذين يقيانه شر الوقوع في الخطل والهوس القائلين، من مثل ما جاء في الوثيقة الأصلية لمؤتمر بكين، ومن مثل ما قرره يوستين خطيب اليونان من قبل الذي لم يكن هو ولامجتمعه على صراط الفطرة الربانية حين قال: «نحن نتخذ الزوجات فقط لينجبن لنا الأولاد الشرعيين».

ومن مثل ما قرر المجتمع الإغريقي القديم عندما اعتبر المرأة متاعاً ليس لها حقوق الإنسان ولا أهلية لها.

وقد أكد هذا المعنى أرسطو حين قال: «إن المرأة بالنسبة للرجل كالعبد بالنسبة للسيد، وكالعامل بالنسبة للعالم، وكالبربري بالنسبة لليوناني، وإن الرجل أعلى منزلة من المرأة».

ليس هذا هو المؤتمر الأول الذي يتعلق بأمر المرأة، بل بدأت مثل هذه المؤتمرات منذ العام ١٩٧٥ بمؤتمر مكسيكو، ثم مؤتمر كوبنهاغن ١٩٨٠، ومؤتمر نيروبي ١٩٨٥، وغيرها حتى جاء مؤتمر بكين أيلول ١٩٩٥، وقد حُضّر له جيداً «خلال أشهر طويلة من قبل لجنة تحضيرية لم تشترك فيها مختلف الفعاليات والاتجاهات، بل سيطر عليها وقادها اتجاه واحد، لذا فإننا نستطيع أن نقول ومن خلال نظرة فاحصة موضوعية نلقيها على وثيقة المؤتمر - كنموذج عن المؤتمرات التي سبقته - أو مقرراته بعد التعديل: إن المؤتمر لا يعدو عن أن يكون مظاهرة مفتعلة، تهدف إلى جر المرأة في العالم إلى العيش في ظل القيم والمصطلحات والسلوكيات الغربية، كجزء من محاولات الغرب لاستيعاب العالم كله تحت مظلته وضمن مساره وهيمنته. وقد أعطي المؤتمر غطاءً دولياً، كي يموه على الصورة الفعلية والهدف المراد، وغُلّفت مواده السامة بسيل من الشعارات البتاءة، التي لا يختلف عليها أحد من مثل المساواة، وتنمية وضع المرأة وزيادة مشاركتها والمحافظة على صحتها وبعث السلام..!!

وعندما يستطيع الغربيون جرّ المرأة إلى الانخراط في تيارهم السلوكي والفكري والحياتي، فإنهم حينئذ يعتبرون أنفسهم قد كسبوا المعركة الحاسمة مع العالم الآخر، ولا نريد أن نسمي أو نقول بالتحديد مع المسلمين، حتى لا يقال إن العصبية وفكر المؤامرة على الإسلام هما اللذان دفعا إلى هذا الاستنتاج، هذا مع قناعتنا التامة أن المراد بهذه الضجة وهذا الجرّ وبالذات المرأة المسلمة، لأنها هي التي تختزن المنظور الحضاري الإسلامي، الذي استعصى على أمراض الغرب السلوكية والخلقية والحياتية.

الوثيقة والمرأة

لا نريد من الكلام السابق أن نهوّن من شأن ما تتعرض له المرأة من عدوان وإبعاد ولكننا نريد أن نبيّن أن الإنسان بشقيه: (الرجل والمرأة) مبعد اليوم في غالب الأمكنة والبلاد، عن المشاركة في بناء كيانه وصنع مستقبله وتكوين حاضره، ليس المرأة فقط، وليس الرجل فقط، وليس الطفل فقط، وليس المراهقة فقط، حسبما يحب أصحاب المرجعيات التفكيكية أن يقسموا الإنسان ويفصلوا في أنواعه.

إن المرأة تختلف اختلافاً كبيراً عن الرجل فكل خلية من خلايا جسمها تحمل طابع جنسها

إن جميع هؤلاء الذين هم بالأصل وحدة واحدة هي الإنسان مبعدون مضطهدون مهضوموا الحقوق، تتناوشهم سياط القمع والإبعاد والتهميش والقتل الفردي والجماعي معنوياً وجسدياً.

ففي معظم أنحاء العالم الثالث يتعرض الجميع: الرجل والمرأة والطفل والطفلة لعمليات القمع وتكميم الأفواه والإبعاد عن المشاركة بالقرار وصنع المصير، وفي جميع أنحاء العالم الأول والثاني يعطى الإنسان: (الرجل والمرأة) فرصة شكلية للمشاركة في انتخاب ممثليه واختيار حكامه إلا أن هذا الاختيار لا يصنعه من خلال إرادة حرة، بل إنه ما بين العرض والاستجابة، يقع هذا الإنسان تحت ضغوط هائلة من كم إعلامي متراكم، يوجه عقله وإرادته وبالتالي اختياره، حسبما يريدون، هذا فضلاً «عن الضغوط السياسية والاقتصادية وما تفعله مراكز القوى وما تقدمه من إغراءات وإرهاب فكري في الوقت نفسه، من خلال ما تملكه من وسائل الإنتاج وأدوات وآليات التأثير، التي لا تقاوم، والتي تخضعه بالتالي إلى التوقيع على الاختيار الذي ترتئيه هي وتجنده من أجله.

فهل تظن المرأة الغربية أنها سلكت سبيل النجاة عندما أسلمت قيادها لشياطين الأنس؟ يخططون لها معركة مع الرجل، لا تصنع في النتيجة إلا تدميراً لإنسانيتها وتدميراً لأنوثتها التي هي سر بقائها، وإلا تخبطا عشوائياً لن تخرج منه إلا تائهة خاسرة مدمرة للأسرة التي لا يمكن للمرأة أن تحتفظ بكيانها ومكانتها إلا في إحضانها.

فماذا تريد المرأة يا ترى؟

هل حقاً إنها تريد أن تكون رجلاً كاملاً في شؤون الحياة سياسية كانت أم اقتصادية أم اجتماعية أم جسد...، إن كان الأمر كذلك أفلا تشعر أن وجود الرجل بتركيبة جسدية وكيماوية ونفسية مختلفة عن التركيبة الجسدية والكيماوية والنفسية عند المرأة أمر عبثي إذا كان الاثنان سيقومان بالمهمة الحياتية نفسها؟ وعندها نقول: حاشا لله الخالق أن يجعل في تركيبة خلقه يخلقها عبثاً!!

كما نقول: إن العقل لا يمكن أن يقتنع بأن هاتين التركيبتين مخلوقتان عبثاً، وأن اختلافهما لا يترتب عليه دوران متكاملان لكل من الرجل والمرأة.

علينا نحن المسلمين ألا نجاري الدعاة الذين يتبعون الهوى «نساءً كانوا أم رجالاً»

إن المرأة مساوية للرجل في القيمة الإنسانية وفي الخطاب التكليفي وفي الجزاء، لكنها من خلال النظرة المنطقية العقلية والنظرة الفطرية الربانية غير متماثلة مع الرجل في الدور الموكل إلى كل منهما، بل إن دور كل واحد منهما الملائم

لطبيعة تركيبه - مع أصل المساواة الذي بيناه - مكمل لدور الآخر وعاضد له ومؤيد ولو كان الأمر على غير هذه الصورة لما كانت هناك حاجة لوجود أحدهما ولكان وجود واحد منهما كافٍ لقيام الحياة واستمرارها، وهذا ليس قراره بيد البشر المخلوقين، بل بيد بارئ البشر وموجدهم جل شأنه، فهو العليم بما يصلح حالهم، وبما يصلح للحياة: قيامها واستمرارها..

وهل حقاً إنها تريد حقوقاً وكرامة إنسانية بلا دين ولا خلق ولا روح..؟

وإذن كيف ستحصل المرأة التي هذا شأنها على ذلك..؟

إن وثيقة بكين عندما تنص في بند (٨) على تساوي النساء والرجال في الحقوق والكرامة الإنسانية المتأصلة وسائر المقاصد والمبادئ المنصوص عليها في ميثاق الأمم المتحدة والإعلان العالمي لحقوق الإنسان وغير ذلك من الصكوك الدولية. إن هذه الوثيقة التي تذكر كل الصكوك والمواثيق وتنسى أو تتناسى ذكر ما جاء في الإسلام من تنظيم رفيع لحقوق المرأة ورفع شأنها ومساواتها بالرجل مساواة تقيم الحياة بتكامل رائع، يفرز للمرأة دورها المهم جداً، وللرجل دوره الذي ينسجم مع طبيعته وتكوينه الذي فطره عليه الخالق البارئ المصور جل شأنه وعلت حكمته.

هذه الوثيقة وبهذا التغافل عن الدين لا يمكن أن تحقق للمرأة شيئاً مهما نُصَّ فيها، لأن مجافاة الأديان التي تحكم أكثر أهل الأرض يجعلها معزولة منبوذة من مئات ملايين النساء اللاتي يعز عليهن دينهن وتعز عليهن المبادئ والقيم.

إن الذي يقرأ البنود الصادرة عن مؤتمر بكين «وهي كما قلنا نموذج عن كل بنود المؤتمرات التي سبقته» لا يمكنه إلا أن يفهم أن هناك قضية واحدة ألحّ عليها المؤتمرون هي قضية تساوي المرأة مع الرجل تساوي تماثل ووضع القدم على القدم بل تساوي تزاحم وعراك.. فلم يترك بند من البنود كلمة المساواة هذه إلا وألحّ عليها بما يفهم أن المرأة يجب أن تكون متقاسمة بالتساوي مع الرجل كل مكان، تزحمه في البيت، وتنافسه في المدرسة، وفي المصنع، وفي الدائرة، وفي الأرض، وفي السماء، وإنها إذن قضية صراع جديد أنبجس - كما قلنا - عن تلك المرجعية الغربية في تفكيك البنى الأساسية لكل شيء وجعل كل جزء يصارع الآخر بما لا يعود إلا بالدمار والهلاك على العالم أجمع.

وحسناً فعل مندوبو الدول العربية والإسلامية، عندما تحفظوا على الوثيقة والمقررات، بأن جعلوها غير ملزمة، وأنهم سينفذون منها ما يتلاءم مع سيادة الدول وقوانينها ودينها وقيمها الأخلاقية ودساتيرها..

وإن الذي يقرأ البنود المذكورة مرة أخرى متمعناً في كلماتها وسطورها وما بينها، يجد أن كلمة المرأة في تلك البنود لا تعني أغلب نساء العالم في شيء، فهي تتكلم عن امرأة موجودة في خيال من دبّجوا الوثيقة في الأصل: امرأة

في العالم الثالث يتعرض الرجل والمرأة والطفل لعمليات القمع وتكميم الأفواه

عاملة لا بيت لها ولا أسرة ولا مسؤولية ولا أولاد ولا واجبات ولا أخلاق ولا قيم... كل ما يهما أن تدفع الرجل بكتفها، لا أن تتعاون معه تعاون تكامل بالأدوار. ولنستمع إلى بعض البنود:

بند (٨) - «تساوي النساء والرجال في الحقوق والكرامة الإنسانية».

بند (٩) - «ضمان الإعمال الكامل لحقوق الإنسان للمرأة والطفلة» وأين حقوق الإنسان للرجل والطفل..؟

بند (١٣) - «إن تمكين المرأة ومشاركتها الكاملة على قدم المساواة في جميع جوانب حياة المجتمع بما في ذلك المشاركة في عملية صنع القرار وبلوغ مواقع السلطة أمور أساسية لتحقيق المساواة والتنمية والسلم».

المرأة الغربية أخذت هذه الفرص منذ عشرات السنين، فهل حققت شيئاً ذا بال في هذا الاتجاه؟ أم أن الخبثاء الذين يخططون لسيادة مثل هذه المفاهيم يعلمون علم اليقين أن المرأة بطبيعتها وتكوينها لا تهفو نفسها إلى مثل هذه الأمور ويريدون من وراء نشرها الوصول إلى حال من الفلتان الأخلاقي والجنسي! والقيمي؟ وهو عين ما حققوه في الغرب، إذ إن المرأة رغم حصولها على كل الحقوق وفتح الفرص أمامها لم تصل إلى ما رُغبت به ورفع شعار لإغرائها، وعلى العكس من ذلك، فقد امتلأت شوارع وبيوت الغرب بالرذيلة والشذوذ والأمراض الفتّاكة وتفكك الأسرة، حتى وصل الأمر بشواذ البشرية إلى أن ينشئوا جمعيات وهيئات لهم أصبحت تؤثر على انتخاب الرئيس في الولايات المتحدة الأميركية!!

بند (١٥) - «إن المساواة في الحقوق والفرص والوصول إلى الموارد وتقاسم الرجل والمرأة المسئوليات عن الأسرة بالتساوي والشراكة المنسجمة بينهما أمور حاسمة لرفاهيتهما».

بند (١٧) - «إن الاعتراف الصريح بحق جميع النساء بالتحكم بجميع الأمور المتعلقة بصحتهن وبخاصة تلك المتصلة بخصوبتهن وتأكيد هذا الحق مجدداً أمر أساسي لتمكين المرأة».

بند (١٨) - «إن السلم المحلي والوطني والإقليمي والعالمي يمكن تحقيقه ويرتبط ارتباطاً لا انفصام له بالنهوض بالمرأة التي تمثل قوة أساسية في مجالات القيادة وحل النزاعات وتعزيز السلم الدائم...».

المرأة مساوية للرجل في القيمة الإنسانية وفي الخطاب التكليفي وفي الجزاء

وعندما تحقق للمرأة الغربية هذا النهوض في أوروبا وأميركا حققت كل هذا الرفاه والسلم للمجتمعات هناك!!. حققت لهم في أميركا سلماً اجتماعياً يقتل فيه كل عام بأيدي الأميركيين وبالسلاح الأميركي خمسون الف إنسان ويعتدى فيه كل دقيقة على أعراض النساء بالاغتصاب وترزح أكثر من ٥٠٪ من النساء في أميركا (حسب إحصاءات أميركية رسمية) تحت عبء تهديد الأزواج والأقارب بالضرب والإيذاء الشديد

حتى القتل. وتصرف الولايات المتحدة (حسب إحصاءات رسمية) ما يعادل (١٣) مليار دولار سنوياً لإعالة الأولاد الذين لا آباء لهم إذ تبلغ نسبة الولادات عن غير طريق الزواج في بعض أحياء نيويورك مثلاً إلى ما يعادل ٨٠٪ من الولادات عامة.

وفي هذا ما فيه من نشوء هؤلاء الأطفال بلا تربية ولا عاطفة ولا رعاية سليمة.

وهذا ما يفسّر كثرة الجرائم هناك وزيادة عدد المجرمين.

الرجال والنساء متساوون أمام الله في الكسب والمسؤولية تماماً

وهؤلاء هن نساء فرنسا تستفتيهن مجلة «ماري كير» فتدلي «٢,٥» مليون امرأة من مختلف الأعمار والمستويات الاجتماعية والثقافية فيكون جواب ٩٠٪ من النساء بنعم على سؤال يقول: هل تفضلن ترك العمل ولزوم البيت.. والأسباب التي أوردنها كما عددتها المجلة هي:

١ - مللت المساواة مع الرجل.

٢ - مللت حياة التوتر الدائم ليل نهار.

٣ - مللت الاستيقاظ عند الفجر للجري وراء المترو.

٤ - مللت الحياة الزوجية التي لا يرى فيها الزوج زوجته إلا عند النوم.

٥ - مللت الحياة العائلية التي لا ترى الأم فيها أطفالها إلا عند مائدة الطعام.

وهذه فرانسواز ساغان المستشرقة الفرنسية تقول: «أيتها المرأة الشرقية إن الذين ينادون باسمك ويدعون إلى مساواتك بالرجل إنهم يضحكون عليك وقد ضحكوا علينا من قبلك»!!.

هذا هو الصوت العاقل الذي يقول: إن المساواة التي تعني المماثلة ومقاتلة الرجل وجعل المرأة نداً له مرفوضة من النساء قبل الرجال وإن الدين ثم العقل والمنطق والفطرة كل أولئك يقولون إن الرجل رجل والمرأة امرأة ولو صرُخ بغير ذلك في بكين كما يقولون!!

فأين هو هذا السلام المزعوم الذي يمكن أن يبنى على مبادئ وأفكار تحرر المرأة وخروجها عن كل قانون سماوي أو بشري صالح..؟!

أصوات وأصوات

هل النساء مع شولاميت فايرستون اليهودية التي هاجمت منذ السبعينات الأمومة واعتبرتها مصدر النظام الطبقي الذي يجعل الرجل رجلاً والمرأة امرأة ومصدراً لقهر المرأة؟

هل هن مع هذا الصوت اليهودي الفاحش الذي أوصل الحال في آخر المآل إلى المناداة بتحييد الجنس، ذلك المفهوم الذي تفوح رائحته من كثير من بنود وثيقة مؤتمر بكين؟

وهل هن مع هذا الصوت الذي جمع أصواتاً كثيرة في العقدين الأخيرين من هذا القرن، تنادي بالتخلص من الأسرة والأمومة معاً لكي تستطيع المرأة أن تنهض ويقوم لها كيان سوي مساوٍ على حد زعم دعاة هذا الاتجاه من الرجال والنساء..؟

وهل هن مع ذلك الصوت الذي وجد له صدى بين الشاذين والشاذات، الذين يخالفون اليوم وعلى الملأ طبيعة الأشياء وفطرة المخلوقات جميعاً بغرائزهم النتنة وميولهم المنحدرة الغارقة في الانحراف، إذ تؤدي تلك الغرائز والميول بأشكال وآليات ووسائل يستحيل على أي لسان سوي أن يذكر شيئاً عنها حفاظاً على الذوق العام؟ ولقد وجدت تلك الأصوات لها مسلكاً سلكته إلى وثيقة بكين على استحياء اليوم، وكان مغلفاً بألفاظ وتدبيجات تفوح منها رائحة العفن!!

هل النساء مع كل ما ذكرنا من انحراف..؟

أم أنهن مع الأصوات العاقلة الرزينة الحريصة على مصير الإنسان وسموه وكرامته من أن ينحدر إلى مستوى لا يرضاه حتى الحيوان لنفسه..؟ إننا نعتقد أنهن مع الأصوات العاقلة في الغرب وغيره فهذه «ديل أوليري» الأميركية التي عنونت كل هذا الخبال الذي كتبته اليهودية شولاميت تحت عنوان «تدمير المرأة» وهذه «هيلين أندلين خبيرة الأسرة الأميركية تقول: «إن فكرة المساواة (التماثل) بين الرجل والمرأة غير عملية أو منطقية وأنها ألحقت أضراراً جسيمة بالمرأة والأسرة والمجتمع».

صوت الله يعلو فوق الجميع

وهو يقول في الآية ٣٦ من سورة يس: (سبحان الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون) فهما (الرجل والمرأة) مخلوقان زوجان متكاملان.

(ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى) فهي هبة من الله لا يستطيع أحد أن يغير فيها شيئاً.

وهو الذي يقول: (ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة) وهي مساواة لابد أن يكون فيها درجة لواحد منهما فلا يمكن لأي شراكة أو شركة أن تقوم وتنجح إلا بوجود من له درجة ويقول: (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم) فهل نقص من حق المرأة شيء في التكليف ومساواتها بالرجل مساواة عادلة ويقول:

هل تظن المرأة الغربية أنها سلكت سبيل النجاة عندما أسلمت قيادها لشياطين الأنس

(ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن واسألوا الله من فضله إن الله كان بكل شيء عليما).

وإذاً فهو نداء عام للبشرية يقول إن الناس سواء (أكانوا رجالاً أم نساء) قد يفضل أحدهم

الآخر في أصل الخلقة لكن في الكسب والمكتسبات فالرجال والنساء متساوون أمام الله في المسؤولية تماماً. ويقول الله تعالى: (ولقد كرّمنا بني آدم) رجالاً ونساءً سواء.

ويقول رسولنا الكريم ﷺ «النساء شقائق الرجال» فهما متساويان في الإنسانية والتكليف والجزاء غير متماثلين في الأدوار.

كما يقول الرسول ﷺ : «ما أكرمهن إلا كريم وما أهانهن إلا لئيم».

وأي كرامة لهن بعد ذلك..؟!

ويقول تعالى: (الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم).

وبين سبحانه (يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الانثيين) النساء:٣٤.

وكل هذا الذي أوردناه صوت الله يحدد للرجل وللمرأة مبادئ وأسس وقواعد لا يمكن للحياة أن تستقيم وتستمر بسلامة إلا بالعمل بها بعد الإيمان والتسليم.

فالحياة كل الحياة زوجية «الإنسان والحيوان، والنبات» فهناك ذكر وهناك أنثى، وبينهما فوارق تحدد دور كل واحد منهما في هذه الحياة، وإن هذه الزوجية عطاء رباني لا يد للمخلوق فيه، وأي محاولة عبثية للتغيير في هذا الأصل هو دمار للعلاقة وخروج بها عن خطوطها السليمة، وهذا ما حدث في الغرب يوم أن قامت فيهم دعوة مساواة المماثلة بين الذكر والأنثى؛ فلا الأنثى استطاعت أن تحصل على حقوق الذكر تماماً ولا الذكر ارتاح مع هذه الأنثى التي حاولت وتحاول تقليد الذكر ومزاحمته كتفاً بكتف في كل مكان وخيمت على حياة الغرب سمات القلق والحيرة والانفلات، وهم اليوم يحاولون تعميم هذا النموذج المدمر على جميع أهل الأرض، بصور براقة مغرية، مغلفة بعبارات العطف على المرأة المسكينة المغلوبة مهضومة الحقوق..

إنها الفطرة التي لا تصادم ولا تعاند لأن في المصادمة والعناد الهلاك والانحدار إلى الهاوية (فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون) الروم/ ٣٠.

وفي كتاب الإنسان ذلك المجهول لـ«الكيس كاريل» في الصفحة ١٠٨ قول مفصّل في ذلك يقول: «الحقيقة إن المرأة تختلف اختلافاً كبيراً عن الرجل فكل خلية من خلايا جسمها تحمل طابع جنسها والأمر نفسه صحيح بالنسبة لأعضائها وفوق كل شيء بالنسبة لجهازها العصبي فالقوانين الفيزيولوجية غير قابلة للين شأنها في ذلك شأن العالم الكوكبي فليس في الإمكان إحلال الرغبات الإنسانية محلها ومن ثم فنحن مضطرون إلى قبولها كما هي فعلى النساء أن ينمين أهليتهن تبعاً لطبيعتهن دون أن يحاولن تقليد الذكور فإن دورهن في تقدم الحضارة اسمى من دور الرجال فيجب عليهن ألا يتخلين عن وظائفهن المحددة».

الإنسان مبعد اليوم عن المشاركة في بناء كيانه وصنع مستقبله وتكوين حاضره

ومتى علمنا من الهدي الرباني أن الرجل رجل والمرأة امرأة وهما مجتمعان متساويان في الإنسانية ومتكاملان غير متماثلين في الأدوار الحياتية.

وإذا أخبرنا علماء التشريح والفيزيولوجيا أمثال الكسيس كاريل بعلم مطابق لذلك.

كان علينا أن نؤمن بالعلم الرباني وأن نستجيب فوراً لهديه أولاً وقبل كل شيء، ثم نتفهم العلم الإنساني القاطع، وبعد ذلك ننطلق للعمل بمقتضى الايمان والاستجابة والتفهم، فلا نصادم الفطرة الربانية بأن تتمنى المرأة ما أعطي للرجل، أو يتمنى الرجل ما أعطيت المرأة، أو تحاول المرأة أن تأخذ دور الرجل، أو يأخذ الرجل دور المرأة، لأن في كل ذلك كما أسلفنا خلط للأمور وعكس للوضع الطبيعي، وهذا فيه ما فيه من خراب وانهيار.

وعلينا نحن المسلمين بصورة خاصة الا نجاري هؤلاء الدعاة الذين يتبعون الهوى في كل شيء «نساءً كانوا أم رجالاً» فهم ينطلقون من فراغ، تؤزهم فيه شهواتهم وأهواؤهم من دون علم ولا هدى ولا كتاب منير.. إنه كموجات الفراش التي تأتي تباعاً لتسقط في النار، رغم أنها رأت أترابها من قبل قد سقطت لكنها ضيعت الدرس، إنهم يرون ما حل بمجتمعاتهم، إثر خروج المرأة إلى العمل خارج أسرتها، مختلطة متبرجة متبجحة مختلية بالرجال، غير مضطرة للعمل، متذرعة بدعاوى المساواة والحرية الحقوق والتنمية، وقد أضافوا إليها أخيراً السلام!!. وكأن السلام سيتحقق بإهمال الأسرة وإهمال الأطفال وإهمال الزوج وإحلال الخادمات مكان الأمهات، أو دور الحضانة مكان المنازل الهادئة المنظّمة..

وبعد: فليخفت صوت الانتحاريين: فهذه نتائج دعواتهم تحل بمجتمعات الغرب: أسرة مهدمة، وجيل تائه ضائع وامهات بلا أزواج، ولهاث وراء الوظيفة والعمل وزيادة الدخل. لقد ضاعت المرأة هناك أو ضُيِّعت، وهي تركض وراء سراب المساواة والحرية وحقوق المرأة ـ تلك الجزرات التي نصبها لها (رجال خبثاء) قاصدين جسدها ـ ولكنها في النتيجة لم تحقق شيئاً غير التيه والشذوذ والفراغ، لأن ما دعوها إليه مستحيل، فلا يمكن أن تتغير طبيعة الأشياء (ولن تجد لسنة الله تبديلاً).

المرأة الغربية أخذت الفرص منذ عشرات السنين فهل حققت شيئاً ذا بال ؟

فليخفت صوت الانتحاريين عندنا، الذين يلهثون خلف سراب حطم من جرّبه وخبره، فتعالى الله وجلّت قدرته وتنزه عن أن يخلق زوجين من نوع واحد (رجلاً وامرأة) ليكونا متضادين متناحرين، وهو الذي خلق الكون كله وجعله قائماً على قاعدة الانسجام التام في نظامه. وفيما بين عناصره، والتكامل الايجابي البنّاء بين كل زوجين من أزواجه... ■

من أسرار عالم النحل

بقلم: د. حسان شمسي باشا



يقول العالم فترلنك في كتابه «حياة النحلة»: «لو أن أحداً من عالم آخر هبط إلى الأرض وسأل عن أكمل ما أبدعه منطق الحياة، لما وسعنا إلا أن نعرض عليه مشط الشمع المتواضع الذي يبنيه النحل».

ويقول كريس موريسون - رئيس أكاديمية العلوم في نيويورك - بعد أن يستعرض وظائف الملكة والعاملات في خلية النحل «لابد أن يكون هناك خالق أرشدها إلى كل تلك الأعمال العظيمة التي تقوم بها بإتقان بديع».

وفي حياة النحل أسرار عجيبة اكتشف الإنسان في العصر الحديث بعضاً منها، ومازال هناك الكثير من تلك الأسرار التي أودعها الله في ذلك الكائن الحي الذي أوحي إليه. قال تعالى: (وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتاً ومن الشجر ومما يعرشون. ثم كلي من كل الثمرات فاسلكي سبل ربك ذللاً يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون) النحل: ٦٨ - ٦٩.

ورأيت في رحلة البحث في موضوع النحل والعسل لفتات تجعل المرء يسرح في عالم آخر فيه ملكة وعاملات... وفيه نظام وانضباط... وفيه تناغم واتساق... وكلها مظاهر من عظمة الخالق المبدع الذي جعل من أمة النحل مثالاً يحتذى به في التعاون والنظام، الكل يعمل حسب سنه ودوره، المهندسات والبناءات يشيدن قرص النحل، والعاملات يقمن برحلات للكشف عن أماكن الرحيق والكيمياويات يتأكدن من نضوج العسل وحفظه، والخادمات يحافظن على نظافة الشوارع والأماكن العامة في الخلية، والحارسات على باب الخلية يراقبن من دخل إليها ومن خرج... يطردن الدخلاء أو من أراد العبث بأمن الخلية.

فمن علَّم النحل كل هذا؟ ومن أوحى لها هذه الأدوار؟ إنه رب العالمين الذي يقول: (وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم) الأنعام: ٣٨.

هل الملكة تحكم خلية النحل؟

يقول كتاب Nature : «رغم أن الملكة هي أهم فرد في مجتمع النحل، إلا أنها لا تحكم خلية النحل على الإطلاق، غير أنها تنتج هرمونات تحدد مختلف نواحي سلوك النحل، فكيف تتحكم هرمونات الملكة بسلوك الآخرين؟

إن العاملات وهن يقمن بتنظيف جسد الملكة يحملن هذه الهرمونات ويوزعنها بسرعة على باقي أفراد الخلية من النحل، ويتم ذلك خلال تبادل الطعام فماً بفم.

أما عمل الملكة الحقيقي فهو إنتاج البويضات، فالملكة هي الأنثى الوحيدة المكتملة جنسياً، أما العاملات فلم تكتمل الأعضاء الجنسية لديهن، ولا تقوم الملكة برعاية أبنائها، ولكنها تعتمد على العاملات اللاتي يحضن صغار النحل ويطعمهن الطعام.

إذاً من يحكم خلية النحل؟ إنهن العاملات أنفسهن، فهن اللواتي يقررن متى وأين يجمعن رحيق الأزهار، وهن اللاتي يقررن متى تستبدل ملكتهن، وهن اللاتي يحددن متى يهاجرن في حشد كبير لتشكيل خلية جديدة، فلا خلاف بين العاملات ولا صراع.

هل ذكور النحل كسالى؟

كانت نظرة الإنسان إلى ذكور النحل نظرة خاطئة، فكان يظن أن هؤلاء الذكور كسالى لايحبون العمل، فوظيفة ذكر النحل في حياته كلها هو تلقيح الملكة، ولكن هل هو خامل بليد لا يحب العمل؟

تشير الأدلة العلمية الحديثة إلى غير ذلك، فليس هو بخامل عن العمل... إنما خلقه الله غير قادر على القيام بما تقوم به العاملات، إذ ليس في أرجله سلل يستطيع أن يجمع رحيق الأزهار فيها، ولسانه قصير لا يقوى على امتصاص رحيق الأزهار، فهو في الحقيقة عاجز حتى عن تغذية نفسه، بل إنه يستجدي الطعام من زميلاته العاملات!!

فالكسل ليس من طباعه، ولكنه لا يقوى على القيام بما تستطيع العاملات فعله، ولكن الله تعالى أناط به عملاً مهماً متى أدَّاه مات وذهب إلى عالم الفناء.

قال رسول الله ﷺ : «اعملوا، فكل ميسر لما خلق له» رواه البخاري.

ولا يستطيع سوى عدد قليل من مئات الذكور إنجاز مهمتهم في الحياة، ألا وهي تلقيح الملكة، وتتسبب عملية التزاوج هذه في موت الذكر الذي يؤدي تلك المهمة، والحقيقة أنه لو لم يكن هناك ذكور لما أمكن حدوث الإخصاب، ولأدى ذلك إلى موت الخلية.

ماذا يعني موت الملكة؟

عندما تموت الملكة، تبدأ شغالات الشمع ببناء عدد من الخلايا الملكية وهي ذات شكل مميز

شبيه بإصبع القفاز، وتقوم الشغالات بتربية يرقات ملكية عدة في آن واحد بتلقيمها الغذاء الملكي... وما أن يتم فقس أول بيضة عن ملكة، حتى تبدأ حملة قتل جماعية تستهدف جميع العذارى الملكات التي لم تنته من تطورها بعد، فالتشريعات في مملكة النحل تقضي بألا يبقى في المملكة الواحدة سوى ملكة واحدة فقط.

مشاهد من الزفاف الملكي:

وأول ما تقوم به الملكة الجديدة ضمن استعدادها لرحلة الزفاف، هو قتل منافساتها من الملكات، وإذا تصادف أن خرجت ملكتان في آن واحد، فإنه يحدث بينهما نزال ينتهي بموت إحداهن.

وبعد أسبوع من الاستعداد والتجهيز، تبدأ مراسم الزفاف الملكي، فتغادر الملكة الخلية وتحلّق فوقها من جهات عدة، كي لا تخطئ طريق الرجوع بعد الانتهاء من عملية التلقيح، ثم تقوم ببث عطرها الملكي الجذاب المثير، وترسل أنغامها الرنانة المغرية.

ويبدأ الطيران، وتلحق بها الذكور بعزيمة ونشاط، وكلما أوشك أحدهم على اللحاق بها، زادت سرعتها وارتفعت في الفضاء.

ويتساقط بعض الذكور واحداً تلو الآخر حين يعجزون عن اللحاق بها، ولا يبقى معها إلا قلة من الذكور، وهنا تنطلق بأقصى سرعة تستطيعها، وترتفع لأعلى مسافة يمكنها بلوغها، ويظفر بها أقوى الذكور بنية، وأجلدها على تحمل المشاق، ويتم تلقيحها وتنتهي مراسم الزفاف الملكي بعد ١٥ ـ ٣٥ دقيقة من بدئها.

وتعود الملكة العروس جارة خلفها تركة عريسها الفقيد، الدالة على نجاح الزفاف، إذ ينفصل عضو التذكير، ومعه جزء من أحشاء الذكر المسكين فور الانتهاء من التلقيح، وينزف ذكر النحل المسكين حتى الموت، بينما تبادر الوصيفات إلى تنظيف الملكة مما علق بها، وتعم الفرحة أرجاء المملكة، وتبدأ العاملات بتجهيز عيون شمعية جديدة استعداداً لوضع البويضات فيها، ويقدر العلماء أن الملكة تضع نحو ٢٠٠ ـ ٢٥٠ ألف بويضة في الموسم الواحد، وتترك وراءها قرابة مليون بويضة قبل أن تخطفها يد المنون.

ما الحكمة من هذه الرحلة الخطرة التي تقوم بها الملكة؟ ولماذا يستلزم الزفاف وجود مئتي ذكر؟

الحقيقة أن أحد الذكور المئتين سيكون أباً لجميع نحل الخلية التي ستظهر خلال سنوات أربع أو خمس مقبلة، فلو كان الذكر ضعيفاً أو ذا صفات وراثية غير جيدة، لأدى ذلك لانقراض المملكة خلال شهورها الأولى.

وقد يتساءل البعض: ألا يمكن حصول التلقيح دون موت الذكر البطل؟

والواقع أن ترك عضو التذكير وبعض أحشائه دليل على حدوث التلقيح، فإن خرجت الملكة إلى رحلة الزفاف، ولم تجد الوصيفات هذه الأمارة الواضحة تيقنت من فشل المهمة، وبادرت بالتجهيز لزفاف ملكي جديد.

(صنع الله الذي أتقن كل شيء) النمل:٨٨.

ما وظائف الشغالات؟

تتباين المهام التي تنجزها النحلة الشغالة منذ ولادتها وحتى موتها، فكلما زاد عمرها وشاخت، حدث فيها تحولات فزيولوجية دقيقة تتوافق مع العمل الذي يتوجب عليها أداؤه، فبينما تكرس الشغالة النصف الثاني من حياتها لجمع الرحيق وحبوب الطلع، تعمل الشغالة في الأسابيع الثلاثة الأولى من حياتها ضمن الخلية.

فخلال اليومين الأول والثاني التاليين لخروج النحلة الكاملة، تقوم الشغالة الفتية بتنظيف خلايا الحضنة بدقة متناهية، فتخصص كلياً للقيام بأعمال النظافة.

وبحلول اليوم الثالث، تبدأ الشغالة مهمة جديدة هي تغذية الحضنة، فعندها يحدث تطور ملحوظ في الغدد المغذية التي تفرز الغذاء الملكي الذي يستعمل في تغذية جميع اليرقات الفتية واليرقات الملكية.

وعندما يحل اليوم العاشر، تتدهور غددها المغذية وتضمر في الوقت الذي تصبح فيه الغدد الشمعية على أتم الاستعداد لأداء وظيفتها. وبدءاً من اليوم الحادي عشر، تتجه الشغالات نحو مهنة جديدة، هي مهنة البناء، فتصنع الشمع وتبني الإطارات وتسد النخاريب التي تخزن العسل.

وهناك وظائف أخرى للشغالات، فمنها ما هو مختص بالحراسة تراقب فتحة الخلية وتمنع كل دخيل، ومنها من تقوم بتوفير التهوية، وتحافظ على درجة حرارة قريبة من ٣٥ درجة مئوية خلال فصل الصيف.

وعندما يحل اليوم الحادي والعشرين تكون النحلة الشغالة قد أنجزت جميع المهمات التي أوكلت إليها في الخلية، وعند ذلك تصبح على استعداد لإنجاز أعمال أخرى خارج الخلية حيث تقوم بعمليات جمع الرحيق وغبار الطلع.

عيون النحل:

وللنحل نوعان من العيون:

١ ـ العيون المركبة: وهما اثنتان تقعان على جانبي رأس النحلة، وتتألف من بضعة آلاف من الوحدات البصرية، وهي سداسية الأضلاع، وتستخدم العيون المركبة في الرؤية لمسافات بعيدة عندما تكون النحلة خارج الخلية، ولها القدرة على تمييز ذات الألوان التي تميزها عين الإنسان باستثناء اللون الأحمر، إضافة إلى كونها حساسة للأشعة فوق البنفسجية، وتضم العين المركبة في الذكر ضعف عدد الوحدات البصرية التي تؤلف عين الشغالة، ولذلك يلاحظ أن عيني الذكر ضخمتان جداً، وهذا ما يتيح للذكر إمكانات متابعة الملكة خلال رحلة طيران الزفاف الملكي.

٢ ـ العيون البسيطة: وعددها ثلاث تحتل أعلى الرأس، وتستخدمها النحلة في الرؤية القريبة والإضاءة الخافتة داخل الخلية، فليس لدى النحل نظارات كما يستخدمها الإنسان للبعيد والقريب، ولكن الله خلق فيها نوعين من العيون التي تستخدمها حسب الحاجة.

(هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه) لقمان:١١.

ماذا تعني النحل وهي ترقص؟

ترقص العاملات فوق خلية النحل لتخبر زميلاتها بمكان الأزهار، فالزاوية بين مركز الشكل الذي تتخذه في دوراتها فوق الخلية وبين الخط العمودي هي نفسها الزاوية التي تقع بين الشمس وبين المكان الذي توجد فيه الأزهار، وتعلم العاملات من هذه الزاوية الطريق الذي يجب أن تتجه به لتصل إلى مكان الطعام.

فإذا كان الطعام على مسافة ٣٠٠ قدم من خلية النحل أو أقل، فإن النحلة تقوم برقص دائري، أما إذا كانت المسافة أبعد من ذلك، فإنها تتخذ شكل حرف 8 ـ حرف ثمانية بالإنكليزية. فمن علّم النحل، علم النهدسة والزوايا؟ ومن منحها حسن التوجه بلا رادار؟

إنه الله رب العالمين. يقول الكاتب الفرنسي جان لوي داريفول: «إن النحل يسلك في طيرانه الطرق المعروفة نفسها، ويتجنب بعناية فائقة التحليق فوق المسطحات المائية الواسعة كالبحار والبحيرات، كما يتحاشى اجتياز الجبال».

ويقول أيضاً: «إن للنحلة الواحدة حياة محتمة ومقدرة مسبقة، تخضع لقواعد محددة تحول دون شيوع الفوضى، ولها سلوك محكوم كلياً منذ أيام حياتها الأولى تبعاً للقوانين النافذة والمعمول بها في الخلية». فسبحان الله تعالى: (الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين) السجدة:٧. ■

نقـد

بقلم: محمد بسام ملص

من قصص الرسل للناشئة

ناقة صالح: غياب المنهج



القرآن الكريم كتاب الله العزيز أنزله رحمة للعالمين، فيه خير للناس في دنياهم وآخرتهم، ومن الخير الذي يزخر به هذا الكتاب الكريم قصص القرآن، فالقصة في القرآن الكريم لها خصوصيات أراد الله عزّ ذكره أن ينبه عباده إلى دلالاتها، فيقول تبارك وتعالى: (لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب)(١)، ويقول سبحانه: (فاقصص القصص لعلهم يتفكرون)(٢)، ففي القصص التي يقصها علينا الله عز وجل عبر يتوجب أن نتنبه إليها.

إن القصص تدعو إلى التفكر والتمعن والتأمل، يتعرف المسلمون من خلالها إلى الممارسات والعواقب والمآلات ويكتشفون سنن الله في السقوط والنهوض، وبذلك يتجنبون ما أصاب غيرهم وهم على بينة من الأمر والهدى، فلا تنتقل إليهم علل الأمم السابقة وأسباب انقراضها(٣)، وفي هذا يقول تعالى: (قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين. هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين)(٤).

وقد شاء الله سبحانه أن يجعل مسالك الأنبياء والرسل مع أقوامهم مصدر تبين واهتداء، ومنهج اقتداء للموحى إليه:(٥)

(أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده قل لا أسألكم عليه أجراً إن هو إلا ذكرى للعالمين)(٦).

وفي قصص القرآن قيم معيارية في البصارة والوقاية الحضارية(٧) كفيلة بأن تدفع هذه الأمة لتتبوأ المكانة التي أراد الله سبحانه وتعالى لها، وقد كان ذلك بسبب أن الصالحين المصلحين الخيِّرين قد قرأوا القرآن الكريم، وعاشوا آياته وأدركوا سنن الله في علو الأمم وزوالها، وأن أي خلل في استيعابها إنما يؤدي إلى الضياع.

قصص الأنبياء والرسل في القرآن للناشئة:

ومما يقدم للناشئة في أدبهم موضوع قصص الأنبياء والرسل في القرآن الكريم وهو أدب يشير إلى أخطاء كثيرة تنبع أساساً من غياب الفهم الحقيقي لها وعدم التبصر بما جاءت به، فهي ليست مجرد حكايات تحكى وتسرد منقولة من بطون «المراجع» وكتب التفسير، وهي ليست حوادث مشوقة غرضها التسلية والإثارة. لأنها إن وقفت عند هذا فقدت ما وُجدت من أجله، (لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب)(٨)، وأصبحت مجرد حكايات في أدب الأطفال.

ويتوجب علينا أن نأخذ هذا الكلام مأخذ الجد والاهتمام الشديدين

لأننا في عملية البناء الحضاري إنما نبني مستقبل هذه الأمة، وأدب الأطفال يتوجب أن يرتفع إلى هذا المفهوم الواعي للفعل الحضاري، لا أن يهبط إلى مفهوم اللهو والعبث، لأن البناء يجب أن يكون راسخاً قوياً، وتنبع قوته من النيات التي تدفع الكتّاب ليقدموا أدب الأطفال لهذا المستقبل في إطار العقيدة بجدية وإخلاص وإتقان، فإن تحول الفعل عن هذا الخط كان البنيان واهياً لا يلبث أن يتداعى ويزول، ولنا في قصص الأنبياء والرسل مع أقوامهم في القرآن عبرة!

ناقة صالح

وقد اخترنا من القصص المقدّمة للناشئة عن قصص الرسل كتاب «ناقة صالح» على اعتبار أنها نموذج لكثير مما يقدم في هذا الموضوع، والكتاب هو في سلسلة «من قصص القرآن عن الطير والحيوان» التي تضم ٣٠ كتاباً، وإن قراءة هذا الكتاب تسلط الضوء على كثير من الأمور.

حوادث القصة:

احتلت حوادث القصة جزءاً كبيراً من الكتاب، نذكر منها:

١ ـ طلب قوم ثمود من صالح عليه السلام أن يخرج معهم للاحتفال بعيدهم الذي يخرجون فيه إلى أصنامهم.

٢ ـ طلبوا منه أن يخرج لهم ناقة بمواصفات محددة.

٣ ـ خروج الناقة من وراء صخرة عملاقة ضخمة شامخة لونها أحمر عيونها سوداء واسعة.

٤ ـ تقديم الناقة لبنها يشرب منه الناس كلهم، وأكلها العشب الأخضر، وطردها لماشية القوم وحرمانهم من الماء.

٥ ـ تآمر القوم على صالح والناقة، وإنذار الرسول عليه السلام أهله ووصفه لقاتل الناقة.

٦ ـ قتل ثمود لصغير الناقة، وطلب الرسول منهم أن ينقذوه، فقد يرحمهم الله وينجيهم من عذابه بعد أن قتلوا أمه.

٧ ـ إنذار صالح عليه السلام القوم بأن وجوههم ستصفرّ وتحمرّ وتسودّ قبل أن يأتي العذاب.

٨ ـ توجه الرسول ومن آمن معه إلى فلسطين.(٩)

هذه هي جملة حوادث ذكرت في القصة وهي حوادث تعتمد على أخبار لم ترد في أي مصدر صحيح السند. لا في القرآن الكريم ولا في السنة الصحيحة، ومصدرها مفسرون وبعض أهل التأويل قد أخذوها عن أهل الكتاب. والمطلع على كتاب الثعالبي «قصص الأنبياء المسمى عرائس المجالس»، يقرأ كثيراً منها في باب خاص بعنوان «مجلس في قصة صالح عليه السلام»(١٠)، والكتاب دليل على مبلغ شغف الثعالبي بالخرافات والغرائب والأعاجيب.(١١)

مجازفات في القصة:

وإضافة إلى إيراد تلك الأخبار التي لا سند صحيحاً لها، بدت في الكتاب أمور أخرى تستحق أن تذكر:

١ ـ رويت القصة بأكملها على لسان ناقة صالح عليه السلام، وفي هذا مجازفة، فكيف تخبر «ناقة الله» هذه الأخبار وتعلق عليها وتبدي ملحوظات؟!! ثم إنها تخبر أخباراً بعد أن عقرت! وقد انتشرت رسوماتها في مختلف صفحات الكتاب!

٢ ـ ذكر أن صالحاً عليه السلام ابتعد عن الأصنام وعن قومه يعبدالله إلى أن جاءه الوحي!(١٢)، فكيف يعبدالله ولم يأته الوحي بعد؟! ومن أين لنا بأخبار عن طفولته وشبابه؟!

٣ ـ اعتبر أن الصراع في القصة بين الفقراء والأغنياء، وأن الأغنياء كانوا يخافون على أموالهم ونفوذهم من دعوة صالح عليه السلام؟!(١٣) فمن أين استقي هذا الخبر؟! إنه كلام لا يعتمد على مصدر صحيح

٤ ـ اعتبر أن قوم ثمود قد شربوا من الناقة وأنهم أخوة لصغيرها في الرضاعة!!(١٤) ومعنى هذا أن نكون نحن البشر شربنا من لبن النوق والخراف والماعز والأبقار إخوة في الرضاعة لصغارها؟! أهذا كلام يتوجه لأولادنا ونحن نخبرهم بأحسن القصص؟!

العبر والدروس المستفادة من القصة:

ورد في الكتاب أن ثمود قد نسوا فضل الله عليهم فأرسل عزّ ذكره الرسول صالحاً عليه السلام ناصحاً لهم بأن يكفوا عن عبادة الأصنام بأن يؤمنوا بالله وحده، ولكنهم تمردوا وعصوا أمر الله ورسوله، فجاءهم العذاب فكان هلاكهم.(١٥) وهذا جانب من العبر، ولكن الأخبار التي احتلت مساحة كبيرة من الكتاب، قد حالت دون بيان عبر كثيرة ودروس كان يتوجب عرضها.

والملاحظ في هذا الأمر أن السور القرآنية التي أوردت قصة الرسول صالح مع قومه بكل دلالاتها ومعانيها هي:

● الأعراف ـ الآيات ٧٣ : ٧٩. ● هود: الآيات ـ ٦٢ : ٦٨. ● الحجر ـ الآيات ٨٠ : ٨٤. ● الشعراء ـ الآيات ١٤١ : ١٥٩. ● النمل ـ الآيات ٤٥:٥٣. ● فصلت ـ الآيتان ١٧:١٨. ● الذاريات ـ الآيات ٤٣:٤٥. ● النجم ـ الآيتان ٥٠:٥١. ● القمر ـ الآيات ٢٣: ٣٢. ● الحاقة ـ الآيتان ٤:٥. ● الفجر ـ الآية:٩. ● الشمس ـ الآيات ١١:١٥.

فهي متفرقة ولم تُحدد في سورة أو آيات كما هو الحال في قصة ابني آدم عليه السلام على سبيل المثال.(١٦)

وقد اكتفي من تلك السور والآيات الكثيرة التي تناولت القصة ومعانيها بسورة الأعراف، وقد جاءت الآيات ٧٣ ـ ٧٩ مجزأة في موضعين من الكتاب، ولم يتم التعليق عليها، ولم يتم ذكر اسم السورة(١٧). كما أن عدم إيراد الآيات في السور المذكورة قد أغفل ذكر دلالات القصة والعبر المستقاة منها، والملحوظات على هذا هي:

١ ـ الألوهية لله عز وجل، فلا تجوز إلا له.(١٨)

٢ ـ الاستغفار، فكان يتوجب على قوم صالح أن يعملوا أعمالاً تكون سبباً ليستر الله عز وجل عليهم ذنوبهم عن طريق إيمانهم به وبما جاء به رسوله عليه السلام.(١٩)

٣ ـ صيحة الحق التي أخذتهم فهلكوا، فلم تغن عنهم بيوتهم التي نحتوها، ولم تمنع عنهم سخط الله، فأصبحت بيوتهم خاوية عبرة لمن يعتبر إلى ما شاء الله، وقد اتخذوها أشراً وبطراً وعبثاً من غير حاجة إلى سكناها.(٢٠)

٤ ـ الربط بين قصة ثمود والكفار مع الرسول ﷺ، فهي عظة لمن يعلم ما يفعل الله سبحانه وتعالى بمن يكذّب محمداً عليه أفضل الصلاة والسلام، فيما جاء به من عند ربه، وهي تنجية للمؤمنين الذين يتقون، وإن في إعراض القوم عن الرسول ﷺ نذير بصاعقة مثل صاعقة ثمود.(٢١)

٥ ـ ناقة الله كانت فتنة لهم وابتلاء واختباراً.(٢٢)

٦ ـ استعجال قوم صالح عذاب الله الذي أنذرهم به بدل أن يطلبوا هداه ورحمته، وقد أنكر الرسول صالح عليه السلام ذلك، وكان شأنهم شأن مشركي قريش مع النبي ﷺ.(٢٣)

٧ ـ التشاؤم وهو عادة الأقوام الجاهلة التي تجري وراء الخرافات والأوهام، وهذا عناد للفطرة وتطلعها إلى الإيمان.(٢٤)

٨ ـ مصرع القوم المرهوب الذي يكشف قوة الله، وربط هذا العذاب بعذاب أشد وأنكى وأبقى في الآخرة.(٢٥)

٩ ـ النهي عن عقاب الأشقى الذي هو البادئ من التسعة، وقد استحق القوم العذاب لأنهم لم يأخذوا على يده فحملوا التبعة، وهذا مبدأ إسلامي في التكافل والتبعية الاجتماعية في الأخذ باليد على من يحاول أن يخرج عن الحق حفاظاً على وحدة المجتمع المسلم.(٢٦)

١٠ ـ كراهة السؤال عن الآيات كما حدث لقوم صالح عليه السلام وغيرهم من الأقوام حتى لا يكون في ذلك فتنة، وقد روى الإمام أحمد رحمه الله عن جابر قال: «لما مر رسول الله ﷺ بالحجر قال: لا تسألوا الآيات، وقد سألها قوم صالح فكانت تلد من هذا الفج وتروح من هذا الفج، فعتوا عن أمر ربهم فعقروها...»(٢٧).

١١ ـ كراهة الاستسقاء من مياه بيار ثمود، ويلحق بها نظائرها من الآبار أو العيون التي كانت لمن هلك بتعذيب الله سبحانه وتعالى على كفره(٢٨)، وكراهة دخول مساكنهم، وقد روى البخاري في صحيحه: «كان جماعة من الناس قد نزلوا أرض ثمود الحجر فاستقوا من بئرها واعتجنوا به، فأمرهم الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام أن يهريقوا ما استقوا من بئرها وأن يعلفوا الإبل العجين(٢٩)، كما روى البخاري رحمه الله عن ابن عمر رضي الله عنهما: «قال لما مر النبي ﷺ بالحجر قال: «لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم أن يصيبكم ما أصابهم، إلا أن تكونوا باكين، ثم قنع رأسه وأسرع السير حتى أجاز الوادي»(٣٠).

هذه أمور قد غابت عن الكتاب موضوع المقالة.

الإسرائيليات في كتب التفسير:

إن المطلع على كثير من قصص الأنبياء والرسل في أدب الأطفال يدهش لكثرة الإسرائيليات فيها، وقد انتقلت هذه إلى أدب الناشئة من كتب التفسير دون تمحيص لها أو تدقيق، وهي حافلة بأساطير قديمة وأخبار دخيلة على تفسير كتاب الله(٣١)، وفيها قصص حبكت في خبث ودهاء لتذاع في أوساط العامة(٣٢) يتلقونها على أنها أخبار صحيحة.

ومما لا شك فيه أن هذه الإسرائيليات التي حوت من الأباطيل والخرافات ما لا حصر لها تفسد على المسلمين عقيدتهم(٣٣)، فيكفي أنها تصور الإسلام في صورة دين خرافي يعني بترهات وأباطيل لا أصل لها، بسبب غيابِ وعي كثير من الكتاب لخطورتها، وجهلهم بحقيقتها، وهم على مظنة من أنها أخبار صحيحة.

ويكفي أنها تكاد تصرف كثيراً من الناس عن الغرض الذي أنزل القرآن من أجله وتلهيهم عن التدبر بآياته والانتفاع بعبره ودروسه(٣٤)، وما كتاب «ناقة صالح» إلا مثال يجري فيه الاهتمام بأخبار لا سند لها من الصحة، وتجاهل كثير من العبر والدروس في القصة، كما بينتها الآيات وأحاديث الرسول ﷺ المتعلقة بها.

فالواجب التنبيه إلى خطر الإسرائيليات المبثوثة بصورة خاصة في قصص الأنبياء والرسل الموجهة لأولاد الأمة، حتى تغدو قصصاً كما شاء الله لها أن تكون في كتابه العزيز وفي سنة نبيه الصحيحة، فتنقية كتب الأولاد منها ضرورة حتى تكون تلك القصص مفاتيح خير وهداية للتعرف إلى الممارسات والعواقب ولاكتشاف سنن الله في السقوط والنهوض. ■

الهوامش:

١ ـ سورة يوسف الآية:١١١.
٢ ـ سورة الأعراف الآية: ١٧٦.
٣ ـ خالد محمد مصطفى عزب ـ تخطيط وعمارة المدن الإسلامية ـ الدوحة ـ وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ١٩٩٧م، مقدمة عمر عبيد حسنه ص ١٢.
٤ ـ سورة آل عمران الآيتان: ١٣٧ ـ ١٣٨.
٥ ـ سالم أحمد محل ـ المنظور الحضاري في التدوين التاريخي عند العرب ـ الدولة ـ وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ١٩٩٧م، مقدمة عمر عبيد حسنه ص ١٥.
٦ ـ سورة الأنعام الآية: ٩٠.
٧ ـ تخطيط وعمارة المدن الإسلامية ص ١٦.
٨ ـ سورة يوسف الآية: ١١١.
٩ ـ عبدالتواب يوسف ـ ناقة صالح ـ بيروت ـ مؤسسة الرسالة ـ من قصص القرآن عن الطير والحيوان، ٤.
١٠ ـ الثعلبي ـ قصص الأنبياء المسمى عرائس المجالس ـ بيروت ـ المكتبة الثقافية ـ ص٥٧ ـ ٦٣.
١١ ـ محمد السيد حسين الذهبي ـ الإسرائيليات في التفسير والحديث ـ ط٢ ـ دمشق ـ دار الإيمان ـ ١٩٨٥م ص ١٥٣.
١٢ ـ ناقة صالح ص ٢.
١٣ ـ المرجع نفسه ص ٣، ٤، ٩.
١٤ ـ المرجع نفسه ص ١٤.
١٥ ـ المرجع نفسه ص ١٥.
١٦ ـ ذُكرت قصة ابني آدم عليه السلام في سورة المائدة الآيات ٢٧ ـ ٣١.
١٧ ـ ناقة صالح ص١٠، ١٦.
١٨ ـ الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن ـ بيروت ـ دار الفكر ـ ١٩٨٤م، م٧ ج١٢ ص٦٢.
١٩ ـ المصدر نفسه م٧ ج١٢ ص٦٢.
٢٠ ـ المصدر نفسه م٨ ج١٤، ص٥٠، وم١٣ ج٢٧، ص٦، وابن كثير تفسير القرآن العظيم ـ بيروت ـ دار الأندلس، ١٩٦٦م ج٥ ص ١٩٩.
٢١ ـ جامع البيان م١٢ ج٢٤ ص ١٠٠ ـ ١٠١.
٢٢ ـ المصدر نفسه م١٣ ج٢٧ ص ١٠١.
٢٣ ـ سيد قطب في ظلال القرآن ـ ط١٥ ـ بيروت ـ دار الشروق ـ ١٩٨٨م ـ م٥ ج١٩ ص ٢٦٤٤.
٢٤ ـ المرجع نفسه م٥ ج١٩ ص٢٦٤٤ ـ ٢٦٤٥.
٢٥ ـ المرجع نفسه م٥ ج٢٤ ص٣١١٨.
٢٦ ـ المرجع نفسه م٦ ج٣٠ ص٣٩١٩.
٢٧ ـ ابن حنبل مسند الإمام أحمد بن حنبل ـ بيروت ـ دار الفكر العربي ج٣ ص ٢٩٦، وإسناده حسن كما قال ابن حجر العسقلاني ـ فتح الباري بشرح صحيح البخاري، تحقيق عبدالعزيز بن عبدالله بن باز ـ الرياض ـ مكتبة الرياض الحديثة ج٦ ص ٨٠.
٢٨ ـ فتح الباري ج٦ ص ٣٨٠.
٢٩ ـ البخاري ـ صحيح البخاري ـ القاهرة ـ مطابع الشعب ـ ١٩٥٨م ـ كتاب الأنبياء ـ باب قول الله تعالى وإلى ثمود أخاهم صالحاً ج٤ ص ١٨١.
٣٠ ـ المصدر نفسه ـ باب غزوة تبوك وهي غزوة العسرة ـ باب نزول النبي صلى الله عليه وسلم الحجر ج٦ ص ٩.
٣١ ـ الإسرائيليات في التفسير والحديث ص ٢١.
٣٢ ـ المرجع نفسه ص ٣٥.
٣٣ ـ المرجع نفسه ص ٣٩.
٣٤ ـ المرجع نفسه ص ٤٤.

قراءة في كتاب

الإسلام وضرورة التغيير



تأليف : د. محمد عمارة

عرض وتلخيص: محمود رمضان محمد

الاسلام دين الوسطية، يقول تعالى : (وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً) البقرة/١٤٣. الوسطية ميزة من ميزات الأمة المحمدية تنفرد بها. ومن هذا المنطلق نجد الإسلام ينبذ الغلو في الدين يقول تعالى:(ياأهل الكتاب لاتغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق)النساء/١٧١. وروى الإمام أحمد في مسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما ان النبي ﷺ قال : «إياكم والغلو في الدين فإنما هلك من قبلكم بالغلوّ في الدين».

من هذه الثوابت الإسلامية يتناول الدكتور محمد عمارة ويطرح الكثير من القضايا في كتابه «الاسلام وضرورة التغيير» الصادر عن سلسلة كتاب «العربي» العدد«٢٩» في ١٥ يوليو ١٩٩٧م. ويتألف الكتاب من ثلاثة فصول تطرح رؤية عقلانية من منطلق الوسطية السمحة، وسنحاول هنا طرح مجمل ماجاء في هذا الكتاب.

الإسلام وضرورة التغيير

التغيير ضرورة من ضرورات الحياة، والكاتب يفرق بين الثورة والإصلاح فالإصلاح تغيير شامل وجذري وعميق كالثورة تماما، ولكن يتميز عنها في الأدوات، فالثورة عنف وهياج، وفي الإصلاح تدرّج. ورسالات الأنبياء والرسل: تغيير جذري وشامل للحياة فهي متضمنة معنى الثورة في العمق والشمول.. لكن، لانها تبدأ بذات الإنسان ونفسه، كانت إصلاحا بريئا من العنف والهياج. ومشروعية الثورة كسبيل لتغيير نظم الجور والضعف والفساد، فإنها قضية اختلف فيها علماء الإسلام، وأجمعوا على وجوب التغيير السلمي.

وكما يقول الكاتب: سنجد في الاجتهاد ثورة على التقليد، وفي الجهاد ثورة على الاستسلام، وفي التجديد ثورة على الجمود، وفي الإبداع ثورة على المحاكاة، وفي التقدم ثورة على الرجعية، وفي العقلانية ثورة على ظاهرية وحرفية النصوصيين.

رؤية إسلامية لقضايا ساخنة

يطرح الكاتب تحت هذا العنوان، مجموعة من القضايا التي أثارت جدلاً ومازالت وهذه القضايا هي:

١- تكفير المسلم :

يركّز الكاتب على رأي الاستاذ «أبو الأعلى المودودي» الذي كفّر الدول والمجتمعات التي لاتطبق «الحاكمية الإلهية» و«الشريعة الإسلامية» والفروض الاجتماعية، ووجدنا، مع هذه الجرأة تحرجا في تكفير الأفراد بارتكاب المعاصي، كبيرة أو صغيرة.

والخلاصة كما يقول الكاتب:«ان النصوص التي كتبها المودودي يجب تفسيرها بالمنهج الذي أوصي به هو ذاته» وأيضا هناك تناقض في كلام الاستاذ المودودي بين رفضه تكفير الفرد بمعصيته في الفروع وبين تكفير المجتمع بعصيانه في ذات الفروع.. فالمجتمع هو مجموع الأفراد في طور كيفي أرقى وأكثر جدة... ومن ثم فإن معايير الكفر والايمان يجب أن تظل مقصورة على تقويم الالتزام، أو الخروج من العقائد والأصول والأركان الإسلامية، دون اقحامها في ميدان الدولة والخلافة والإمامة طالما كان الإجماع السني على أنها فروع وليست من أصول الدين.

٢- المرأة في الإسلام:

من خلال آراء المودودي ايضا، يطرح الكاتب قضية عمل المرأة وخروجها من دارها واحتكاكها بالمجتمع، وهي قضية طُرقت بكثرة، وتناولتها أقلام عده، واختلف فيها البعض.

ويؤكد الكاتب أن المودودي كان على حق في تصديه لقيم العري والتحلل والخروج عن الآداب الاسلامية والحشمة الشرقية، والتي غزتنا بها الحضارة الغربية.

ولكن وجه الاختلاف بينه وبين المودودي، ان المودودي يرى اختلافا كليا كاملا بين الرجل والمرأة، وايضا الافتراق في ميادين العمل إلا في الكوارث والنازلات.

والكاتب يرى عكس ذلك فالاختلافات الفسيولوجية بين الرجل والمرأة محدودة، أما في ميادين العمل، فالمرأة شاركت في الحرب

وخرجت مع رسول الله ﷺ الى ميادين القتال.

والمرأة في بيتها مسؤولة عنه كما الرجل مسؤول، ولها حق في ممارسة التجارة من بيع وشراء والخروج لمتابعة تجارتها.

أما عن مسألة الحجاب، فيرى المودودي ان الحجاب هو النقاب، وهو غلو واضح كما يذكر الكاتب، ويذكرنا الكاتب برأي الإمام محمد عبده الذي يقول فيه:« ان الرجل والمرأة كفآن متماثلان في الحقوق والأعمال، كما أنهما متماثلان في الذات والإحساس والشعور والعقل».

٣- البدعة والإبداع:

من منطلق الحديث النبوي الذي يقول: «ان أصدق الحديث كتاب الله وإن أفضل الهدي هدي محمد، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار»(١) فَسّر البعض أن الإسلام حرّم كل إبداع.

مع ان الإبداع هو إنشاء الجديد، واختراع غير المسبوق، وصناعة مالا مثال له سواء أكان في صناعة الفكر أم الصناعات العملية للأشياء.

وهناك فرق بين البداهة في الدين والإبداع في الفكر الانساني، وهذا مايلتبس على البعض، ويوضحه الكاتب ويطرحه، بل هناك بدعة محمودة وبدعة مذمومة فالبدعة المحمودة التي لاتخالف الشريعة، ومنها صلاة التراويح على سبيل المثال.

وكما يقول الكاتب: ان كان الإبداع واقعا تحت عموم ماندب الله اليه، ودعا اليه الرسول ﷺ فهو في حيز الممدوح، وكذلك اذا كان الإبداع فيما لايخالف أمر الله ورسوله فهو محمود، حتى وان لم ينزل به وحي ولم يرد فيه حديث.

حتى تتجاوز المفاهيم القديمة

تحت هذا العنوان يتطرق الكاتب للاجتهاد في الاسلام والعقلانية والمساواة، منطلقا من الوسطية الإسلامية.

١- الاجتهاد والعقلانية المؤمنة:

الاسلام فتح باب الاجتهاد أمام العقل باستثناء الغيب ومالم يدركه العقل، والاجتهاد فريضة إسلامية، وهو علم له قواعده وأصوله، ويذكر الكاتب ان شرعية الاجتهاد في الكتاب والسنة كثيرة، فآيات القرآن التي تحدثت عن فعل العقل والتعقل تسع وأربعون آية، وآياته التي تحدثت عن القلب، ومن وظائفه التفكير والتدبّر، تبلغ مئة واثنتين وثلاثين آية.

والأحاديث النبوية كثيرة ومتعددة

ويذكر الكاتب انه منذ الانقلاب الأموي والأمة الإسلامية أصابها الجدب في ميادين كثيرة منها إبداع العقل الاسلامي، فعلى سبيل المثال تراجعت مكانة «فقه المعاملات» ولدينا ثراء في «فقه العبادات» يقابله فقر في فقه المعاملات والفكر السياسي الأمر الذي يبرز حاجتنا الى إبراز فقه الواقع السياسي والاقتصادي والاجتماعي ليتسنى لأصول شريعتنا إتمام الفروع التي تظلل وتحكم وتصبغ بالإسلام هذا الواقع الجديد.

٢- المساواة في الإسلام:

المساواة في الإسلام شاملة «سياسية واجتماعية واقتصادية» مساواة تحقق التوازن والعدل بين الفرقاء، ويوضح الكاتب ذلك فيقول:« اذا جاز لنا أن نصور المساواة العادلة بين الفرقاء المختلفين في مجتمع من المجتمعات أو بين الأمم والقوميات والحضارات وفي المجتمع الدولي فإن صورة أعضاء الجسد الواحد هي الصورة للمساواة العادلة.

فإسهام كل عضو من الأعضاء في حياة الجسد وحيويته ليس متماثلا ولامتساويا لكن علاقة كل الأعضاء بكل الجسد هي علاقة «التوازن»- وليست علاقة «المساواة» فالتوازن والارتفاق الذي يصبح فيه كل عضو فاعلا متفاعلا ومتفاعلا مع الآخرين.

رؤية إسلامية لقضايا سياسية

تحت هذا العنوان، وفي الفصل الثالث والأخير يتوقف الكاتب عند بعض الموضوعات السياسية ويطرحها لنا من منظور إسلامي، مثل:

١- الاسلام والتعددية الحزبية:

الحزب هو: كل طائفة أو جماعة جمعهم الاتجاه الى غرض واحد سياسي أوغير ذلك، ومصطلح حزب في الأصول الإسلامية قرآنا وسنّة وفي تجربة الدولة الاسلامية الأولى، مقبول أو مرفوض باعتبار المبادىء والمقاصد، فإذا كان نابعا من الشريعة فلا بأس، ويجب أن تكون التعددية الحزبية نابعة من منطلق الوحدة - الوحدة الانسانية - والوحدة الاسلامية يقول الكاتب:« اذا كان التمايز في التنظيم الحزبي، على النحو الذي نفهمه اليوم من مصطلح «الحزب» هو من ثمرات التطور في الحياة الفكرية والسياسية- وهو تطور تتمايز فيه الحضارات والعصور والمجتمعات فإن التجربة السياسية لدولة الإسلام الأولى قد شهدت من المؤسسات مايشبه التمايز التنظيمي- على نحو من الأنحاء.

ويضرب لنا الكاتب أمثلة لمثل هذه التنظيمات مثل :«هيئة المهاجرين الأولى التي ضمت القيادات القرشية التي سبقت الى الإسلام و«هيئة النقباء الإثنى عشر» التي تكونت بالاختيار من الأنصار الذين عقدوا مع رسول الله ﷺ، عقد تأسيس الدولة الاسلامية في بيعة العقبة، وأسست «أسماء بنت يزيد بن السكن الأنصارية ٣٠هـ - ٦٥٠م» جماعة نسائية لنساء المدينة للمطالبة بحقوقهن، كما جاء في ترجمة ابن الأثير.

٢- الانفتاح على الحضارات الأخرى:

هناك ماهو مشترك بين الإنسانية جمعاء، وماهو «خصوصية حضارية» على حد تعبير الكاتب فما هو مشترك إنساني عام، نفتح له الأبواب والنوافذ، بل يطلبه العقلاء، ويجدّون في السعي لتحصيله، وبين ماهو خصوصية حضارية، يدققون- بحذر- قبل استلهامه وتمثله ويعرضونه على معايير حضارتهم لفرز مايقبل منه ويتمثل.

ويضرب لنا أمثله فعندما التقت الحضارة العربية الإسلامية بالحضارة الفارسية، بعد فتح فارس في عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه رفضت الخلافة الإسلامية النظم السياسية والتظلم الطبقي المغلق. كذلك كان الحال عندما فتحت بلاد الشام ومصر وبلاد الشمال الأفريقي ذات الميراث البيزنطي. لقد فتحت الحضارة الاسلامية بابها لعلوم الصنعة، وأوصدته في وجه كل مايخالف الشريعة الاسلامية. تناول الكتاب موضوعات أخرى متعددة أغفلنا الإشارة اليها عن قصد، وذلك لكثرة ماطرح فيها في الفترة الأخيرة، وايضا لأن بعضها موضوعات خلافية، لانريد أن نطرحها أمام القارىء مرة أخرى، والله الموفق والمستعان. ■

بقلم: يسري محمد شاهين

فرائد اللغة العربية

في لغتنا العربية كلمات فريدة . تسمى بالفرائد...

«فرائد كفرائد الآلئ... قد أهملت على الرغم من جدارتها بالاستعمال» ومن أمثله هذه الفرائد: مفردات تؤدي الواحدة منها معنى جملة . من بينها:

• **التجديد :**

أن يستتبع القوم فلا يتبعك أحد.

• **الأوشاب :**

أخلاط الناس المتفرقون، ومثلها «الأوزاع».

• **المُتَنَفْجِ :**

الذي يفتخر بأكثر ما عنده.

• **الوهين :**

الرجل يكون مع الأجير يحضه على العمل.

• **التَّنَصِّي:**

التزوج بأشراف القوم.

• **أَبْدَأَ الصبي:**

خرجت أسنانه بعد ظهورها.

• **البدئ:**

البئر التي حفرت في الإسلام.

• **القليب :**

البئر التي لا يعرف لها رب ولا حافر.

• **البراء :**

أول ليلة من الشهر.

ومن هذه الكلمات التي يستغني الإنسان بالكلمة فيها عن جملة . أو جمل، والتي تظهر في كتابة «البرقيات للرسالة والمقالة» من نماذجها:

• **أكى :**

كرمى، استوثق من غريمه بالشهود.

• **تَأَلَّقَتِ المرْأَةُ :**

شمرت للخصومة، واستعدت للشر، ودفعت رأسها.

• **التناهُد:**

إخراج كل واحد من الرفقة نفقة على قدر نفقة صاحبه.

• **التائر :**

المداوم على العمل بعد فتور.

• **جَرْدَبَ :**

وضع يده على الطعام، يكون بين يديه على الخوان، لئلا يتناوله غيره.

• **نخازر :**

ضَيَّق جَفْنَهُ ليحدد النظر.

• **زَوْقَلَ :**

زوقل فلان عمامته، أرخى طرفيها من ناحيتي رأسه.

• **طَهْفَلَ :**

أكل خبز الذرة، وداوم عليه لعدم وجود غيره.

• **كَمْهَلَ :**

جمع ثيابه وحزمها للسفر.

• **المباءشة :**

أن تأخذ صاحبك فتصرعه، ولا يصنع هو شيئاً.

• **الترويق :**

أن تبيع سلعة وتشتري أجود منها.

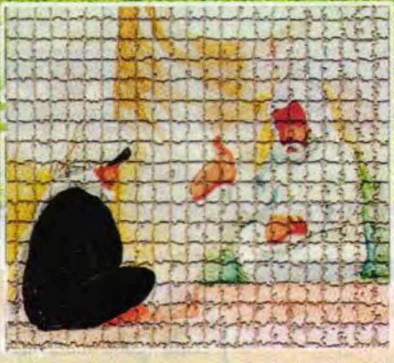
المراجــع:

١ . رشيد رضا . مجلة المنار.

٢ . أحمد تيمور . كتاب البرقيات

الوعي الإسلامي

العدد 405
جمادى الأولى 1420 هـ -
أغسطس / سبتمبر 1999 م



الأسرة المسلمة



عادة مصّ الأصابع عند الأطفال

الدوافع
النتائج
العلاج

العدول عن الخطبة والآثار المترتبة عليه

الطفولة أشد مراحل الحياة خصوبة

الطلاق ليس حلاً

كيف تعتد المرأة

أجرى الحوار: يسري محمد



الدكتور نبيل الزهار

الحركات العصبية عند الأطفال.. كيف نعالجها؟

ربما تحدث بعض العادات السيئة للأطفال الأمر الذي يقلق الآباء كثيراً... وهذه العادات تظهر عليهم عندما يكونوا عصبين أو متعبين وهي عادات غريبة وشاذة يقوم بها الأطفال ومنها شذوذ الشهية والحركات العصبية اللا إرادية وتقلصات الوجه... وتحدث هذه العادات بين سن ٦ أشهر و١٨ شهراً.

حول هذه العادات أسبابها وكيفية علاجها كان لـ «الوعي الإسلامي» هذا الحوار مع الدكتور نبيل الزهار أستاذ علم النفس وعميد كلية التربية في جامعة قناة السويس.

● **بدأ سألنا الدكتور نبيل الزهار ما المقصود بشذوذ الشهية؟**

- أجاب تناول الطفل أشياء خطيرة وضارة يجب ألا يتناولها فنجد الطفل يميل إلى التهام الطين أو التراب أو الطباشير أو الصابون وأحياناً الشعر وفي حالات نادرة نجد بعض الأطفال يتناولون برازهم، ويؤدي هذا إلى تعرض الطفل للإسهال أو القيء وآلام في المعدة والأمعاء...

ويضيف الدكتور أن هذه الظاهرة تحدث عند الأطفال الضعفاء المصابين بفقر الدم أو ديدان الأمعاء وكثيراً ما نلاحظها في حالات نقص القدرة العقلية.

● **وما السن الذي تبدأ فيه هذه العادة في الظهور؟**

- تبدأ هذه العادة بين الشهر الأول والشهر الثامن عشر من عمر الطفل وقبل أن يمشي، فنجده يحبو نحو حذاء والده ويمسكه بيده ويمتص التراب أو الطين الموجود على الحذاء أو يلعق التراب الموجود على عجلات عربته الصغيرة وإذا تعلّم المشي يصبح حراً في غرفته فإذا ما وجد بياض الحائط سهل الإزالة يلتقطه بشغف ويمصه بلذة ويبتلع كل ما هو عالق في يده.

الأضرار والعواقب

● **ما الأضرار والعواقب التي تنجم عن هذه العادة السيئة؟**

- يجب أن ندرك أن هذه العادة الخطيرة عند بدء ظهورها قد ننجح في إيقافها كلية... أما إذا تهاونا في علاجها فإنه قد يصعب فيما بعد وربما يستحيل إيقافها...

ويضيف يجب أن نعلم أن هذه

العادة الخطيرة قد تؤدي إلى عواقب وخيمة مثل ابتلاع الطفل كمية كبيرة من الشعر أو الرمل أو الحصى وينام بعدها فيتعرض للإصابة بالأمراض خصوصاً إذا ما تناول البراز أو أشياء أخرى كريهة.

ويشير الدكتور إلى أنه يجب أن نعلم أيضاً أن الحالات التي لا يصاحبها مرض آخر يشفي الطفل في سن الثالثة أو الرابعة من عمره فالخطورة تكمن في أنها قد تستمر إلى سن المدرسة وحتى سن المراهقة.

العلاج

● كيف يمكن علاج هذه الظاهرة؟

- يجب أن يُبعد الطفل قدر المستطاع عن المادة التي يميل إلى التهامها كما يجب أن يعالج من اضطرابات الجهاز الهضمي، وعلاج حالات الأنيميا التي يتعرض لها الطفل.

ويضيف يجب أيضاً إجراء نظافة مستمرة لبيئة الطفل وأن نحبب إليه بعض الألعاب ليلهو بها ولا يتجه إلى المواد والأشياء التي تجذب انتباهه.

عصبية الطفل

● يقوم بعض الأطفال بحركات عصبية عدة لا إرادية... ويحاول الآباء والمدرسون إبعاد الطفل عنها عن طريق الضرب... فما رأي الدكتور في ذلك؟

- يعاني بعض الأطفال من حركات عصبية لا إرادية تتخذ صفة العادة وهذه الحركات العصبية في الواقع تكون نتيجة لتوتره النفسي الناشئ عن اضطراب نفسي، وما يؤسف أن الآباء والمدرسين والمحيطين بالطفل يلاحظون هذه الحركات العصبية اللاإرادية ويحاولون إبعاده عنها عن طريق الضرب أو الهزء، كل هذه الأساليب عادة ما تؤدي إلى زيادة التوتر وإلى تثبيت هذه الحركات العصبية.

الحركات العصبية

● ما أنواع الحركات العصبية اللا إرادية التي يقوم بها الطفل عادة؟

- هز الرجل بطريقة شبه مستمرة، وتحريك الأنف إلى اليمين واليسار وتحريك جوانب الفم وتحريك الرقبة إلى اليمين أو إلى اليسار أو الخلف... ويضيف أن كل هذه الحركات تتم بطريقة عصبية تلقائية قهرية متتابعة ولا يقوى الطفل على منعها مهما نبهناه إليها ويصاحب هذه الحركات الخوف أو الغضب أو التقزز أو الاكتئاب.

العلاج

● كيف يمكن علاج هذه الظاهرة؟

- لعلاج الحركات العصبية اللاإرادية يجب على الوالدين إهمال هذه الحركات وعدم تنبيه الطفل إليها...

كما يجب تشجيع الطفل بكل الطرق الممكنة وتنمية شخصيته بمعنى إعطائه الثقة في نفسه، ويجب أيضاً تشجيع الطفل على الاشتراك في النوادي الرياضية ووسائل الترويح عن النفس.

تقلصات عضلات الوجه

● كثيراً ما نجد الطفل يعض شفته العليا أو يرفع حاجبه إلى أعلى... إلى غير ذلك من حركات الوجه... فما تفسيركم لذلك؟

- كثيراً ما ينتاب الطفل العصبي تقلصات في عضلات الوجه كأن يغمز بعينيه أو يمط شفته العليا أو يمص شفتيه أو يرفع حاجبه إلى أعلى أو يبلع ريقه أو غير ذلك من العوارض التي كثيراً ما نشاهدها في الأطفال ذوي المزاج العصبي وهي تدل على أن الطفل المصاب قلق غير مستقر...

ويضيف أن ظهور هذه التقلصات يبدء بعد سن الخمس سنوات وقد تبدأ هذه العادة في سن الثالثة ولكنها نادرة الحدوث في السنتين الأوليين من العمر.

● من أين تبدأ هذه التقلصات؟

- تبدأ هذه التقلصات أمامه فيقلدها الطفل بعد أن يرى شخصاً أكبر منه سواء في البيت أو في المدرسة أو التلفاز أو يرى طفلاً في سنه يتلاعب بعضلات وجهه فتعجبه الحركة فتطبع في ذهنه وتصبح عادة متأصلة معه...

ويضيف الدكتور وما يزيدها تأصلا في نفسه ما يتعرض له من تشديد والديه على أن يتركها فكلما رآهما يلحان عليه كلما زاد في تحريك أجزاء وجهه.

ويقول الدكتور لعلاج هذه العادة يجب على الوالدين أن يظهرا لطفلهما أن ما به من هذه العادة لا أهمية له مطلقا وأنه عارض بسيط لا يلبث أن يزول، وأنه غير لافت لاهتمام الآخرين...

ويضيف الدكتور بهذه الطريقة يسترد ثقته بنفسه ويسير نحو الشفاء، كما يمكن إعطاء الطفل بعض الفيتامينات إذا كان ضعيف الصحة مع إشغال فكره بنوع من الرياضة أو اللعب لكي ينسى عادته هذه. ■

بقلم: طارق البكري

9/1

التربية في الماضي والحاضر

الطفولة أشد مراحل الحياة خصوبة

يولد الإنسان على صفحة بيضاء، خالصة من العيوب، طاهرة لا دنس فيها، فقد أخرج البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما من مولود يولد إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء، هل تحسّون فيها من جدعاء» (رواه مسلم).

(فطرت الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم) الروم: ٣٠.

إن الطفولة حياة نقيّة، يحياها الإنسان، وهو كالفضاء الرحب الخالي من الشوائب، يتلقى من حوله ثمرات الحياة، وتزرع في نفسه نوازع الخير أو الشر، دون اختيار منه، ويستقبل بتلقائية ما يقدم إليه دون تمحيص، وتغرس فيه المبادئ والقيم، وينمو كما قال المعري:

وينشأ ناشئ الفتيان منا
على ما كان عوّده أبوه
وما دان الفتى بحجىً ولكن
يعوّده التدين أقربوه

والحديث عن الطفولة، ونحن نستقبل الألف الثالثة من التاريخ الميلادي، أصبح الهمّ الشاغل، والقلق الدائم لكل من أخذ من عالم الطفولة بطرف، فقد وعت البشرية في خواتيم القرن العشرين، هذا القرن الذي شهد أعظم ثورة تقنية في التاريخ، لقد وعت كم كان ثمن التقدم باهظاً ومكلفاً.

فساحة البناء الإنساني التي كانت طوال العقود الآنفة، مسورة بسياج الأسرة والمجتمع الضيق، اتسعت بشكل لم يسبق له مثيل، فتغيرت المفاهيم، وأطيح بكثير من القيم في الأنفس، بعد أن كان من السهولة غرسها، في من نشأ وتربى في أحضان الفضيلة.

وبعد أن كانت الأسرة الصغيرة المكونة من الأب والأم والأولاد تعيش في سلام ووئام، زاحمتها مؤثرات كثيرة، أشدها قوة، الإعلام بأنواعه، وكان عالمنا الإسلامي صيداً ثميناً، وهدفاً سهلاً، فدخل الإعلام يهدم بأيدي أعداء الأمة حيناً وبيد أبناء الأمة حيناً آخر، حتى غدا المسلمون لقمة سائغة، بعد أن عجز أعداؤهم مئات السنين، فوهن ساعد الأمة، بل كلت أطرافها، وها نحن اليوم نشعر بالأخطار التي تهدد مجتمعاتنا، وهذا الشعور وإن كان أمراً صحياً ومحموداً، إلا إنه يصيبنا بالإحباط والخوف من المستقبل، وينذرنا بالسوء المحدق بأبناء الأمة وهم يتلقفون ثدياً لا يمت إليهم بصلة، وفيه من السم أكثر بكثير مما فيه من غذاء.

وعندما نقلّب البصر، وحتى دون أدنى جهد يذكر، نرى أقدام مجتمعاتنا وقد غاص أكثرها في مستنقعات من الإعلام المسموم، بأساليب ترضي ضعاف النفوس وتشد انتباههم، وتسلب قلوبهم، فتلقي في أفهامهم على حين غرة منهم أفكاراً مغلوطة ومبادئ مشوهة، ما كانت لتنال حظها لولا هشاشة البناء، وضعف الأسوار وشفافية الأستار.

ولعل تلك الشوائب التي راجت في بلاد الإسلام، ولاقت قبولاً عند كثير من الأفراد والتجمعات، ليست سوى إفرازات آسنة امتصت من هؤلاء الذين نموا خارج رحم الدين الصافي الخالص، الخالي من كل سوء، فكانت تلك الشوائب كبذور ألقيت بأرض لا نبت فيها ولا ثمر، كما أسهم بسقياها رقّة الوازع في المجتمع، وخفّة الإيمان بالأنفس، فجاءت الثمار كما ابتغاها الزارعون، عقولاً مريضة، وأنفساً عليلة، وهي وإن كانت أمراً بيناً في زماننا هذا، إلا أن المسؤولية لا مفر منها على كل داع مهما صغر أمره أو علا قدره.

ولقد وعت الأمم المتقدمة في عصرنا الحديث ما للطفولة من مكانة سامية، لأنّ المستقبل لا يقوم إلا على أكتاف صغار الحاضر، عندما يكبرون ويتقلدون دفة الحياة ومقاليدها، وهذا الوعي واضح بيّن، ترشدنا إليه غزارة الإنتاج الموجّه للطفل أو المتعلق بالطفل من أحد الجوانب، ولاسيما في مجال التربية التي تصب حتماً في خانة أهداف تلك الأمم وما تصبو إليه.

وعلى الضفة الأخرى من العالم، وفي ظل التراجع الذي يعيشه الحاضر الإسلامي، قبل كثيراً من ذلك الإنتاج، واحتضنه وتبنّاه، وربما نسبه إليه في بعض الأحيان، ظناً منه أن في إنتاج الآخرين ثماراً يانعة، دون اعتبار أنّ هذا الإنتاج مصنوع أساساً بأيد كافرة، وأنّ هدف معظمه إما الإنسان غير المسلم، أو تدمير الإنسان المسلم.

ولا يعني هذا الكلام أن نرفض إنتاج الآخرين بالمطلق، ففيه من النافع أكثر مما فيه من الضار لو أحسنّا الاختيار، لعرفنا الجميل من القبيح، والفاسد من الصالح، بدلاً من تقبل الأشياء كما هي دون تمحيص ودراسة.

وهذه المسؤولية تقع على عاتق العاملين في كل حقل من ميادين الطفولة، في البيت، والمدرسة، والتأليف، والفن، والترفيه، والإعلام... وعلى هؤلاء مجتمعين أن يحسنوا الاختيار والتوصيل، لأن الإنسان، عندما يبدأ خطواته الأولى في الحياة يحاول أن يتلمس الأشياء من حوله، بحثاً عن الحقائق والثوابت

والمتغيرات، فإن تلقفها بشكلها السليم لم يكدره سوء، وإلا صاحبه الخطأ والانحراف، وقد يرافقه طوال حياته.

إنَّ الطفولة أرض بكر، ترتوي بالماء الذي يُساق إليها، إنْ عذب طابت وأثمرت وأينعت، وإن تعكر خبثت وفسدت، ولقد منَّ الله تعالى على عباده إذ يخلقهم على صفحات من نور، لا تدنسها شائبة، تسطع بهدي الرحمن، بالفطرة الربّانية الصافية الناصعة، فلا تلبث هذه الصفحات حتى تملأ بسطور وكلمات، إما أن ترفع صاحبها إلى المعالي أو أن تردي به إلى مهاوي الشرور والخسران.

ولما كان للطفولة هذه المكانة الباعثة إلى النهوض أو الانكفاء، لم يغفل الإسلام جانباً من جوانب حمايتها ورعايتها ونموها، بل سنَّ كثيراً من القواعد الراسخة التي تعين على رقي الإنسان الصالح حتى من قبل ولادته وتكوُّنه في رحم أمه حتى يبلغ أشده، وقد صور القرآن الإنسان في صورة بليغة حكيمة، يقول المولى في كتابه العزيز:

(هو الذي خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلاً ثم لتبلغوا أشدكم ثم لتكونوا شيوخاً ومنكم من يتوفى من قبل ولتبلغوا أجلاً مسمى ولعلكم تعقلون) (غافر:٦٧).

وقد حوت سيرة أفضل الخلق عليه وعلى آله وصحبه أفضل الصلاة والتسليم، درراً بيّنة، ودلائل وافية، وعطاءات لا تنضب، تنم عن المكانة العالية التي يتبوأها طفل الإسلام، باعتبار أنه رجل الغد، وحامل لواء الإسلام مستقبلاً.

فالأمة في الإسلام ليست بمجموعها بمعزل عن أفرادها، فلكل فرد فيها دور مهم وفاعل، وهذا الدور يتكامل في النشاط والحركة مع الأفراد الآخرين، بما ينتج ويحدث، وايما عطل أو خلل، خسران لا يعود على الفرد وحده، لأنه بذلك يتحول إلى عالة على المجتمع، أو مجرد مستهلك لا فائدة منه، وقد يصبح عضواً مشلولاً، هذا إذا لم تصحبه السموم فيغدو أمر استئصاله حلاً لا مفر منه، كيلا يستفحل المرض، فيعتل الجسد كله، وفي ذلك بلاء عظيم. ■

مخدرات إعلامية

بقلم : منى السعيد مصطفى الشريف

كلمة كريهة انتشرت في عصرنا وأصبحت من أشهر الكلمات في قاموس المشكلات والأوجاع الاجتماعية، وإذا ما ذكرت هذه الكلمة تبادر إلى الذهن سريعاً أنها تلك العقاقير أو النباتات الأخرى التي يتناولها البعض ثم ما تلبث أن تستعبده، فلا يستطيع الخلاص منها حتى تدمر حياته بتدمير عقله وجسده وهو غاية من يروّجون هذه السموم، ولكن عفواً لن يكون حديث اليوم عن تلك المخدرات بهذا المعنى، ولكنه عن نوع آخر من المخدرات لا يقل خطورة - في نظري - عن النوع الأول، لأنه يدخل حياتنا دون أن نشعر ويدمرنا دون وعي - وليتسع لي صدر القارئ الذي يمكن أن يمسه هذا الحديث.

وحديثي عن بعض المواد الإعلامية التي تدخل كل بيت في كل يوم وأثرها في نفوس الناس وتغيير معالم حياتهم وأحلامهم إنه نبض قلم وأنين قلب عاش وتعايش مع مشكلات عندما ننظر إليها نجد أن تلك المواد الإعلامية لها دور كبير في تكوينها ولكي تتفهم حديثي، فلتجلس بعض الوقت أمام شاشة التلفاز، لترى ولتسمع ولكن بعين الفاحص الناقد ولتقدر ما يمكن أن يكون لو أنك شاب من العالم الثالث - يعيش حياة متوسطة يكد أباه وأمه كي يوفرا له ضرورات الحياة، ثم تتراءى أمام عينيك القصور الفارهة والسيارات الفخمة، والملابس والمفروشات والمأكولات وغيرها... إنه العيش المنعم، أناس يقذفون بالملايين في أذنيك أرقاماً تكل أذناك أن تحملها، ثم فتيات الإعلانات وسلع الإعلانات والأغاني المصورة، حياة أخرى لا تعرفها، ولكن بالطبع تتمناها وتحلم بها وبخاصة بعد أن تصبح حياة مصورة أمامك، فيزيد شغفك بها واشتياقك إليها، ثم تنظر إلى واقعك الأليم، الذي يتنافى مع تلك الأحلام وهذه الحياة، فبالله عليك كيف سيكون شعورك؟.

وما زاد الطين بله أن هذا الشعور لا يدفع بالشاب إلى الجد والعمل، لأنه يعرف مقدماً أنه مهما اجتهد، فلن يصل إلى عشْر الربح الذي يحققه هذا الممثل أو ذاك المطرب والذي تصوره له وسائل الإعلام على أنه بطل وفارس هذا الزمان فلا يجد أمامه إلا تقليده تبركاً به في ملابسه وقصة شعره وغيرها. فيكتفي من تلك الأحلام بهذه القشرة البسيطة ويشعره ذلك بسعادة وهمية، إن من ينظر إلى الشباب في الحفلات العامة، وتزاحمهم حول المطرب حتى يكادوا يقتتلون للوصول إليه والسلام عليه ومن يراهم وهم يصفقون ويتراقصون، بل يترنحون على أنغام الأغنيات الصاخبة يدرك أنه شباب مخمور غاب عقله بتلك المخدرات، نعم إنها مخدرات تنسيهم همومهم وأحلامهم المفقودة وأوجاع أمتهم... وقد ابتليت في فترة من حياتي بمنزل لم يكن التلفاز يغلق فيه إلا عند النوم وبعد انتهاء الإرسال، وكنت أرى أنني كلما نويت فعل شيء طيب أو إقامة ليلة عدت فجلست أمام هذا الجهاز اللعين لبعض الوقت فقدت حماسي وتناسيت الأمر الذي كنت أرغب القيام به ولا أقوم به إلا بعد مجاهدة كبيرة لنفسي، حتى صلاتي لم تكن تخلو من خيالات المسلسلات والأفلام مهما حاولت.

والأشد خطورة أنني أعرف بعض الفتيات وقد دفعهم الحلم بهذه الحياة الرغدة إلى رفض عريس بعد الآخر رغم صعوبة الزواج في المجتمع الذي أعيش فيه ولكنها تحلم بالفارس الذي يحقق لها الأحلام دفعة واحدة ودون عناء أو تضحية، بل إن إحداهن تخلّت عن حجابها كي تحصل على وظيفة مرموقة تساعدها على جذب هذا المنتظر ثم ما لبث أن تسرب المكياج إلى وجهها الطاهر شيئاً فشيئاً ولا حول ولا قوة إلا بالله... وتلك بعض آثار هذه المخدرات في عقول الشباب ناهيك عن آثارها على الأطفال الذين انتزعت منهم البراءة انتزاعاً وحوّلتهم إلى مسوخ في حديثهم وحركاتهم وإشاراتهم.

وكلمة أخيرة أقولها لكل من يخطُّ على عقول شبابنا وأطفالنا أن اتق الله واعلم أنك محاسب على كل ما تقوم به، إننا في حاجة إلى من يوقظنا وينبهنا إلى المشاكل والأخطار المحدقة بنا ولسنا في حاجة إلى من يغيّب عقولنا وإدراكنا بمثل هذه المخدرات إن الكلمة أمانة فليتحملها من هو أهل لها. ■

بقلم: ليلى عبدالرحمن السلطان

عادة مصّ الأصابع عند الأطفال

الدوافع
النتائج
العلاج



تعتبر عادة مصّ الأصابع من أكثر العادات التي يمارسها الأطفال في مرحلة الطفولة الأولى، فبعض الأمهات لا يكترثن بهذه الحال، والبعض الآخر ينتابهن القلق بسبب هذه العادة السيئة، لذا يسارعن لمنع الطفل عن ممارستها وذلك باللجوء إلى التأنيب والتهديد أو حرق الأصابع بالنار أو دلكها بالفلفل الحار، ما يؤدي لردة فعل عكسية عند الطفل واللجوء إلى الصراخ والبكاء والانفعال الشديد وبخاصة إذا كان الطفل عنيداً... ويمتنع عنها موقتاً لكنه لا يلبث طويلاً، بل سرعان ما يعود إلى مصّ أصابعه مرة أخرى.

وقد اعتبر بعض الباحثين في علم نفس الطفولة أن مص الأصابع يشكل غريزة طبيعية عند الطفل يمارسها عادة في الأشهر الأولى، عقب ولادته، وغالباً ما تكون واضحة في الأشهر الستة الأولى من عمر الطفل، وفي معظم الأحيان يتخلى الطفل عن هذه العادة في السنة الأولى من عمره وفي بعض الأحيان تتأصل لدى الطفل وترافقه حتى سن البلوغ. وتنتشر هذه العادة عند أغلب الأطفال الرضع إذ تصل إلى نسبة ٨٥٪ منهم أحياناً. إن هذه العادة لا تثير القلق لأن عملية المصّ هي غريزة من أجل الإرضاع ومن ثمّ البقاء ومص الإبهام أمر طبيعي عند الرضع من أجل إشباع الرغبة الفموية، عدا أنها تجعل الطفل الذي يمارسها يشعر بسعادة ومتعة في ممارستها نابعين من شعوره بالدفء، والراحة، والاسترخاء وخصوصاً عند عدم حصوله على قدر كاف من الرضاعة الطبيعية التي تمنحه الحاجة إلى الأمن والحنان.

الدوافع:

هناك مجموعة من الأسباب والدوافع تؤدي بالطفل إلى اللجوء إلى هذه العادة منها:

- القلق والشعور بالوحدة، والعزلة، والانفعال الشديد، أو الانقباض والغضب.
- التأنيب والزجر المستمرين من قِبَل أحد الوالدين أو أحد أشقائه الكبار.
- منع الطفل من اللعب مع أقرانه الصغار أو رفضه من قبل رفاقه يؤديان إلى لوجئه إلى مص أصابعه.
- وجود الطفل في بيئة مشحونة بالانفعالات والقلق والمنازعات يؤدي إلى ممارسة العادة هرباً من واقعه.
- وجود طاقة فائضة وزائدة لدى الطفل تدفعه للجوء إلى هذه العادة وذلك بغية تفريغها والتخلص منها.
- شعور الطفل بعجزه الجسمي، أو الحسي، أو العقلي أو شعوره بأنه أقل ممن حوله في الجمال أو الأهمية، الأمر الذي يجعله غير مستقر عاطفياً ونفسياً.
- عدم اهتمام الوالدين بالطفل اهتماماً كافياً وشعوره بإهمال والديه له وعدم منحه الحنان الكافي.

النتائج:

تؤدي عادة مص الأصابع إلى مجموعة من النتائج السلبية، فقد ترافق هذه العادة الطفل حتى بلوغه سن الراشد والشباب، وقد يؤدي الإدمان عليها إلى تشوه الفك والأسنان، ما يتطلب عملاً جراحياً مستقبلاً لإعادة الفكين إلى وضعهما الطبيعي، وقد تؤدي هذه العادة إلى التهاب الفم واللوزتين إذا كان الإبهام متسخاً، وربما تؤدي في حالاتها الشديدة إلى تشوه الإصبع ويكون لها آثار سلبية أخرى مثل صعوبة المضغ، والتنفس، وضعف نمو عظام الفكين، إضافة إلى أن الطفل يكون أقل تفاعلاً مع الأطفال الآخرين، منشغلاً بعادته، قليل التركيز، وحديثه غير ناجح مثل من هم في سنه، كما أن هذه العادة تفسد التوازن العضلي الدقيق بين اللسان والعضلات الأخرى المحيطة بسائر الفم، وقد يؤدي الضغط المستمر للإبهام إلى دفع القواطع - أي الأسنان الأمامية - إلى البروز، والأسنان السفلية إلى الداخل ما يؤدي إلى التشوه. كما أن حركة المص تؤدي إلى انبساط سقف الفم ونتيجة لذلك قد تحدث لدى الطفل لثغة كلامية تشوه عملية النطق وتسب له إرباكاً في المستقبل.

العلاج:

إن التفهُّم التام من قِبَل الوالدين لمشاكل الطفل إنما يعطيه الثقة بالنفس ما يؤدي به إلى الإقلاع عن العادات السيئة وتركها بصورة تلقائية. فمن الخطأ الفادح أن يرتكب الأهل حماقات معينة بحق الطفل مثل ضربه أو تأنيبه أو حرق إصبعه بالنار أو دهن يده بالفلفل الحار... إن كل تلك التصرفات تؤدي إلى تكريس هذه العادة لدى الطفل وتجعله أكثر عناداً وشراسة وإصراراً على معاودة المص.

ومن أهم الطرق العلاجية الواجب اتباعها نذكر ما يلي:

- يجب على الوالدين عدم توبيخ الطفل أو معاقبته لأن ذلك يشعره بأنه يرتكب ذنباً، بل يجب عليهما أن يراقبا الظروف والأحوال التي تحبب إلى الطفل هذه العادة ويحاولا تحاشيها.
- يجب تحقيق وإشباع حاجات الطفل الضرورية وبخاصة الحاجة إلى الحب والحرية واللعب، والحركة وتوجيه الوالدين والإرشاد، والجمع بين الحزم والعطف في عملية التنشئة الاجتماعية.
- توافر الهوايات والأنشطة الملائمة للطفل وتوافر الهدوء اللازمين لممارسة تلك الأنشطة وإحاطة الطفل بجو صالح نفسياً لينشأ بهدوء وطمأنينة.
- العناية الصحية والفحوص الطبية الدورية للطفل، للتعرف على الأسباب الجسمية التي قد تساعد على وجود الحال العصبية لديه.
- أن يجلب للطفل الممارس لعملية المص، ألعاباً فموية، أو مصاصات مطاطية من النوع الجيد الذي لا يؤذي الفك، وذلك كمحاولة لإقلاع الطفل عن عادة مص الأصابع.
- إقناع الطفل بضرورة إقلاعه عن الحركات العصبية والعادات السيئة المنبوذة من الجماعة وتعزيز بُعده عن هذه العادات بالمكافآت المادية والمعنوية.
- عدم مبالغة الأبوين في الانتباه إلى هذه العادة ومراقبة الطفل، وذلك بالإهمال والتجاهل والتقليل من أهميتها وعدم مناقشة هذا الأمر في أثناء وجوده. ■

المراجـع:

١ - جريدة «تشرين» السورية، تاريخ ١٩٨٢/١/٥م.
٢ - المجلة العربية - السعودية - العدد ١٧١ - ربيع الآخر ١٤١٢هـ.
٣ - جريدة «تشرين» السورية، العدد ٦٦١٩ الاثنين ١٩٩٦/٩/١٦م.
٤ - مجلة «المعلومات» السورية، العدد ١٠٣٧٧ الأحد ١٩٩٧/٨/٣١م.

إعداد : محمد عباس محمد عرابي

العدول عن الخطبة والآثار المترتبة عليه

الخِطبَةُ لا تعدو أن تكون مجرد وعد بالزواج وليست عقداً، ولذلك يظل كل من الخاطبين أجنبياً عن الآخر، ولا يباح للخاطب من خطيبته في هذه المرحلة إلا ما يباح له من المرأة الأجنبية، فلا ينظر منها إلى ما عدا الوجه والكفين. ولا يترتب على الخِطبَةِ أي التزام بإتمام الزواج، وقد اتفق فقهاء الشريعة الإسلامية على أن العدول عن الخِطبَة أي التزام بإتمام الزواج، وقد اتفق فقهاء الشريعة الإسلامية على أن العدول عن الخطبة قبل إتمام الزواج جائز وليس ممنوعاً فمن حق كل من الخاطب أو المخطوبة أن يتوقف عن إتمام الزواج وذلك بالعدول عن الخطبة، والعلة في جواز العدول عن الخطبة قبل إتمام الزواج.

أن الخطبة لا تزيد عن كونها مجرد وعد بالزواج وليست عقداً ملزماً لأي من الخاطب أو المخطوبة، وإن كان العدول يعتبر خلفاً للوعد لهذا كان مكروهاً من الناحية الشرعية إذ لم يكن فيه مصلحة محققة للعادل وإلا كان جائزاً بلا كراهة.

ولكن قد يكون الخاطب قدّم المهر أو الهدايا أوالشبكة وقد يكون قد تسبب في ضرر مادي أو أدبي بعدوله عن الخطبة ولكل واحد من هذه الأمور حكم يختلف عن الآخر.

أولاً: استرداد المهر

إذا كان الخاطب قد أعطى مخطوبته جزءاً من المهر وحدث عدول منه أو منها عن الخطبة والزواج، فإنه يأخذ ما دفعه من مهر لأن المهر من أحكام الزواج والمخطوبة لا تستحق مهراً واحتفاظ المخطوبة به يكون بسبب غير شرعي وعليه فيجب عليه ردُّ ما أخذته من مهر إن كان قائماً لم يهلك أو يستهلك وترد مثله أو قيمته إن كان قد هلك أو استهلك.

ثانياً: استرداد الهدايا

الهدايا ما يقدمه أحد الخاطبين للآخر من أمتعة وملابس وما شابه ذلك وقد تكون الهدية متبادلة بينهما، فهي مقصورة على طرف واحد وهي مستحبة بين الخاطبين حيث قال رسول الله ﷺ : «تهادوا تحابوا» رواه البخاري وأخرجه البيهقي وغيره.

واسترداد الهدية اختلف فيه الفقهاء على النحو التالي:

أولاً : رأي الأحناف : يرى الأحناف أن الهدية في معنى الهبة، فعند العدول عن الخطبة لمقدِّم الهدية حق المطالبة برجوع هديته أي له أن يرجع عن هبته وذلك إن كانت باقية كالساعة مثلاً، أما إذا هلكت أو استهلكت فليس له الحق في المطالبة ببدلها أو قيمتها لأنه كما سبق الإهداء إلى المخطوبة يكون في معنى الهبة ومادامت كذلك فلابد أن تأخذ حكمها وحكم الهبة أنه إذا هلك الشيء الموهوب أو استهلك فإن ذلك يكون مانعاً من موانع الرجوع فيه، أي مانعاً من المطالبة ببدله أو قيمته.

وبذلك يتضح مذهب الأحناف في أن الهدية يجوز الرجوع فيها إلا إذا وجد مانع من موانع الرجوع كالهلاك أو الاستهلاك كأن تكون الهدية ساعة ضاعت أو طعاماً أُكل.

وهذا الحكم يستوي فيه إن كان فسخ الخطبة من جانب الرجل والمرأة معاً أو ما جانب أحدهما.

رأي الشافعية: في البلاد التي تطبق المذهب الشافعي يجوز العدول عن الخطبة بمبرر وبغير مبرر ويسترد المهر لأنه من أحكام الزواج وتسري على الهدايا أحكام الهبات فتسترد إن كانت قائمة أو قيمتها إن هلكت أو استهلكت لأن الهدايا هبات قُدِّمت على شرط إتمام الزواج والزواج لم يتم ويستوي في ذلك أن يكون العدول من الخاطب أو من المخطوبة أو بمبرر أو بغير مبرر.

وهناك رأي آخر من متأخري الشافعية يذهب إلى أن العادل لا يسترد الهدايا لأنه أهدى بشرط أن يزوجوه ولم يخل أحد بشرطه لأنه هو الذي اختار عدم إتمام الزواج.

- رأي الحنابلة: فرّق الحنابلة في حكم الهدية بين ما إذا كان العدول قبل العقد وبين ما إذا كانت الفرقة بعد العقد - ففي الأمر الأول: - تُردُّ الهدية للخاطب إن كان أهل المخطوبة وعدوه بالزواج ولم يفوا أما إذا كان الإعراض منه فلا رجوع، وكذلك إن مات الخاطب قبل أن يعقد عليها فليس لورثته حق استرجاع الهدايا من المرأة وأهلها.

أو ماتت هي أيضاً بعد الهدية قبل العقد لأن عدم إتمام العقد ليس من جهة المخطوبة ولا من جهة أهلها.

- أما في الأمر الثاني: يرى الحنابلة:

١ ـ أن الهدية تثبت بكل أمر مقرر لكل المهر أو لنصفه كدخول وخلوة وطلاق وخلافه ونحوه فلا يصح للرجل أن يرجع على زوجته المدخول بها بما قدمه لها من هدايا لأنه المفوت على نفسه، ولأن زوال العقد من قبلها.

٢ ـ أيضاً تُردُّ هدية الزوج إليه في كل فرقة اختيارية مسقطة للمهر كالفسخ لعيب ونحوه وكذا في كل فرقة قهرية كفسخ من قبلها لفقدان الكفاءة قبل الدخول إذا طلقها أو فسخ العقد باختياره.

ـ رأي المالكية: يرى بعد المالكية أن الخاطب ليس له حق في استرداد شيء من الهدايا سواء كان العدول منها أو منه وسواء أكانت الهدية باقية على حالها أم لا، ولكن البعض الآخر يرى تفصيلاً في ذلك فيرى أن العدول إذا كان عن إتمام الزواج من جهة المخطوبة فللخاطب حق الاسترداد للهدايا التي قدّمها إلا إذا كانا قد اشترطا عدم الاسترداد إذا لم يتم الزواج أو كان هناك عرف بين الناس يقضي بذلك. وإذا كان العدول من جهة الخاطب فليس له الحق في الاسترداد.

وما أرجّح العمل به هو رأي المالكية لما فيه من توسعة على الناس ومراعاة العدالة بينهم إذ لا يجمع على المهدى إليه بين ألم العدول وألم الاسترداد إن لم يكن هو الذي عدل عن الخطبة ولا يجمع على المهدي ألم العدول والغرم المالي إذا كان العدول من الجانب الآخر.

ثالثاً: استرداد الشبكة

الحكم في الشبكة يختلف باختلاف العرف، فإن كان العرف يعتبرها من المهر أخذت حكم المهر وإن كان العرف لا يعتبرها من المهر أخذت حكم المهر وإن كان العرف لا يعتبرها من المهر أخذت حكم الهدايا والعرف السائد في كثير من البلاد بالنسبة لما يسمى بـ«الشبكة» أنها جزء من المهر فتأخذ حكم المهر السابق بيانه.

ـ اختلافهما في أن ما قُدِّم هدية أو مهر: إذا قدم الخاطب لمخطوبته مفروشات أو أقمشة أو آلات أو نحوها ولم يبين وقت تقديمها أهي من المهر أم هدية وحدث التنازع بينهما بأن ادعى أن ما قدّمه من المهر وادعت أنه هدية فهنا يعتبر كل منهما مدعياً ومنكراً، ويحكم لمن أثبت دعواه، وإن أقام كل منهما بيّنة على دعواه رجحت بيّنتها وحكم لها لأنها تثبت خلاف الظاهر والبيّنات شرعت لذلك، وإن عجزا عن الإثبات فالقول لمن يشهد له العرف مع يمينه فإن لم يكن عرفٌ يشهد فالقول للخاطب بيمينه لأنه أدرى بما أعطى ولماذا كان الإعطاء.؟

حكم الضرر الناشئ عن العدول عن الخطبة

قد يترتب على العدول في الخطبة ضرر يلحق أحد الطرفين مادياً أو أدبياً، فمن أمثلة الضرر المادي إذا ما كلف الخاطب نفسه بإعداد مسكن للزوجية المرتقبة ثم عدلت المخطوبة عن الخطبة بغير مبرر، أو تكون المخطوبة قد أعدت جهازها أو استقالت من وظيفتها استعداداً للزواج، ثم عدل الخاطب عن الخطبة من دون مسوغ، ومن أمثلة الضرر الأدبي جرح الشعور والإحساس وتعريض الطرف الآخر للأقاويل والافتراء عليه وما أشبه ذلك، فهل يحكم بالتعويض على من عدل عن خطبته من دون مسوغ؟

قبل أن نسترسل في سرد الآراء في هذه المسألة يجب أن نلفت الأنظار إلى الأمور التالية:

أولاً: الخطبة كما هو متفق عليه مجرد وعد بالزواج ومن حق أي من الخاطب أو المخطوبة العدول عنها وعدم إتمام الزواج.

ثانياً: ليست هناك نصوص صريحة في الفقه الإسلامي تعرضت لحكم المسألة كتلك التي تعرضت لحكم الهدايا التي يقدّمها الخاطب عند العدول.

ثالثاً: هناك من القواعد العامة في الفقه الإسلامي ما ينهى عن الضرر والضرار، ويوجب إزالة الضرر إذا وقع كقول الفقهاء: «الضرر يزال».

رابعاً: هناك من القواعد العامة في الفقه الإسلامي ما يفيد أن ما يجوز فعله شرعاً لا ضمان على من فعله إذا نشأ عن مجرد فعله ضرر لآخر وذلك كقول الفقهاء «الجواز الشرعي ينافي الضمان».

وهناك اتجاهان في الفقه الإسلامي الحديث بشأن هذه المسألة:

١ ـ الاتجاه الأول: يرى أصحابه أنه لا يصح الحكم بالتعويض على من تسبب في ضرر الطرف الآخر نتيجة العدول عن الخطبة، لأن العدول عن الخطبة جائز شرعاً وبلا قيد ولا شرط وهو حق للخاطب والمخطوبة وقد عرفنا أن القاعدة العامة تقضي بأن الجواز الشرعي ينافي الضمان بمعنى أن من يستعمل حقه لا ضمان عليه عند استعماله وإن نشأ عن هذا الاستعمال ضرر للغير ما دام المستعمل لحقه لم يخرج عن الحدود المقررة لهذا الاستعمال، ثم إن كلاً من الخاطب والمخطوبة يعلم مسبقاً أن العدول عن الخطبة من حق كل منهما، وأن إتمام الزواج غير لازم له لأن الخطبة مجرد وعد بالزواج وعليه فإن ما يصيب أحد الخاطبين من أضرار بسبب إعداد الجهاز أو المسكن كبناء المسكن على طراز خاص أو إعداد الأدوات الخاصة به أو الخاصة بالمسكن لا يكون ناشئاً عن تغرير الطرف العادل به وإنما يكون ناشئاً عن اغتراره، وبأن الطرف الآخر سيستمر حتى إتمام الزواج هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإننا لو أجزنا الحكم بالتعويض على الطرف العادل لكنا مكرهين له على إتمام الزواج، ولكنا كمن يعطي الشيء بالشمال ويأخذه باليمين كما يقولون ومن المتفق عليه أن الزواج لا يكون صحياً منتجا لآثاره إلا إذا نشأ في ظل الرضا التام والتوافق الخاص عليه.

ـ الاتجاه الثاني: وهو اتجاه أحدث من الاتجاه الأول ويرى أصحابه صحة الحكم بالتعويض لمن أصابه ضرر من أحد الطرفين بسبب عدول الطرف الآخر عن الخطبة وعدم إتمام الزواج وقد استند هؤلاء إلى قاعدة لا ضرر ولا ضرار. ■

بقلم: محمود النجيري

الطلاق ليس حلاً

لا يعني نجاح الزواج براءته من كل عيب، فالقاعدة الذهبية في الزواج هي أنه قلما يوجد زواج بلا عيوب، وأنجح زواج هو الأقل عيباً، وهو الذي يكون فيه كل من الزوجين على دراية بذلك وعلى استعداد لتقبل الاختلافات بينه وبين الطرف الآخر، وأن يحاول التوافق معه بأكبر قدر مستطاع من التفهم والتبصر، ولو أن المتزوجين أدركوا هذه الحقيقة إدراكاً صحيحاً لطردوا عن أذهانهم الفكرة الخاطئة عن الطلاق كعلاج، ولعمل الزوجان معاً على تطوير زواجهما باستمرار في إطار من آمال معقولة يُراد تحقيقها، وعيوب يتفهمها الطرفان في كل زواج ناجح حتى لا تغرق سفينة الزواج في بحر الحياة المضطرب.

والخطأ الأكبر الذي يقع فيه كثير من المتزوجين هو المغالاة في تصوير الخلافات الزوجية وأن يسارع أحدهم عند كل مشكلة زوجية إلى التفكير في الطلاق، وأن يقول لنفسه: إن زواجي هو أشقى زواج على وجه الأرض، لقد حاولت الاستمرار كثيراً، ولكنني لم أعد احتمل، لا راحة إلا في الانفصال، فهو أهون من هذا الجحيم الذي أعيش فيه!!

وينسى هؤلاء أن الطلاق ما جُعِل إلا استثناء عندما يخفق الزوجان في العيش معاً في إطار من حدود الله تعالى، وحين تستحيل العشرة الزوجية بينهما لأسباب قوية مفهومة، ولكن المؤسف هو أن الأغلبية من الأشخاص لا يكون الطلاق عندهم رداً على مشكلة حقيقية، أو وقوعاً تحت ضغط أزمة قوية يكون معها استمرار الزواج مستحيلاً! وليت هؤلاء يتأملون قول النبي ﷺ: «استوصوا بالنساء خيراً، فإنهن خلقن من ضلع، وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه، فإن استمتعت بها، استمتعت بها وبها عوج، وإن ذهبت تقيمها كسرتها، وكسرها طلاقها» متفق عليه.

مشكلات لا حلول

حين يركب الزوج رأسه ويصرّ على الطلاق يتغافل عما سيجلبه ذلك من شقاء وحزن وألم لا ينتهي له ولزوجه، ويظن كثيرون في هذه اللحظة أن الطلاق يمكن أن يكون حلاً للمشكلات أو نهاية للمتاعب التي تصادفهم في حياتهم الزوجية، ولا يعلمون أن الطلاق تنشأ عنه مشكلات أكبر من طاقاتهم، لأنها مشكلات أكثرها لا حلول لها، وخصوصاً إن كان هناك أولاد وأهم هذه المشكلات ما يلي:

- مشكلة الأولاد: فالأطفال في حاجة إلى رعاية نفسية وتربوية ومالية بين الأبوين معاً، والطلاق يشرد الأطفال بين الأب والأم ويجعل الطفل تائهاً بينهما، يشعر أنه ليس كغيره من الأطفال الذين ينعمون بحياة أسرية مستقرة فيها الحنان والرعاية من الأبوين. وشقاق الطلاق بين الأبوين يلقي ظلالاً كثيفة على نفسية الطفل تؤثر في شخصيته وتحصيله واكتسابه المهارات. كما أن أحد الأبوين يحرم من الطفل حين يقيم مع الآخر، ويحرم الطفل من أحد الأبوين، وأحياناً ما تنشأ مفارقات محزنة، فقد يلقى الأب ابنه في الطريق وهو بصحبة والدته التي طلّقها، فيمر كل في طريقه وكأنه لا يعرف الآخر، وليس بعد هذا ألم للطفل والأب والأم معاً.

- المشكلات الاجتماعية: يحترم المجتمع الشخص المتزوج على حين يتخوف من المطلّق ويرفضه وهذا طبيعي لأن الطلاق هو عمل ضد المجتمع، والمطلّق يصير مصدر خطر للمجتمع أكثر من غيره، لأنه قام بفصم علاقة اجتماعية كانت في صالح المجتمع، وصار متحرراً من هذه الناحية، ولا نعجب إذ نرى كثيراً ممن يحيطون بالمطلّق يشعرون بالخوف شيئاً ما منه، ويجدون أنفسهم وقد تغيرت اتجاهاتهم نحوه وسلوكهم تجاهه، وغلّقت أمامه أبواب كثيرة كانت مفتوحة، وسحبت أيادٍ كانت ممدودة.

- المشكلات الشخصية: يفقد المطلق كثيراً من احترام المجتمع فيشعر بالمهانة والإحباط، وحين يفكر في فشل حياته الزوجية يحس بالغضب والحزن الذي لا ينتهي، كما أن حياته تتغير فيفتقد الحب والأنيس والمعين، ويحرم مما اعتاد من حياة منظمة مستقرة يشبع فيها حاجاته الحسية والعاطفية والمادية.

- المشكلات النفسية: يعاني المطلّق آلاماً نفسية متجددة تتغذى بإحساسه بالوحدة والاغتراب والفشل. فقد ظن أن الطلاق سيعالج مشكلاته، ولكن على العكس من ذلك أحسّ بلذع الواقع الأليم الجديد الذي يجتنبه فيه كثير من الأصدقاء ويتحرجون من التعامل معه أو دعوته إلى بيوتهم، كما يشعر المطلّق بالشقاء الذي جلبه لنفسه ولغيره، بأنه قضى على نفسه وعلى طليقه وعلى أطفاله بالتعاسة التي لا علاج لها والحرمان الذي لا يمكن تعويضه غالباً.

فالطلاق وضع استثنائي مخالف لطبيعة الامتداد الأسري والعائلي، إذ هو يهدم الأسرة ويقطع علاقات كانت قائمة، ويفصم عرى كانت موثّقة، وهو أشبه بالزلزال الذي يشقق الأرض، أو الانفجار الذي يبعثر الأشياء، وكل مطلّق يشعر لوقت طويل أن ذاته قد تبعثرت بعد زلزلة عظيمة ويحتاج إلى وقت طويل كي يجمع أجزاءه ولكي تلتئم جروحه، ولكن الأمر كثيراً ما يكون كما قال شاعرنا:

جراحات السنان لها التئام
ولا يلتئم ما جرح اللسان

- المشكلات المادية: يظن بعض الأزواج أن الطلاق مجرد كلمة ينطقونها، ولكن الأمر أكبر من ذلك بكثير، إذ ينشأ عن الطلاق واقع جديد يكلف الرجل من ماله ونفسه وراحته كثيراً جداً. فيترتب عليه أن يدفع للمرأة

مؤخر المهر، ونفقة العدة، ومتعة الطلاق، وهي تأخذ المنقولات والأثاث، فإن كان لهما ولد أضيف إلى ذلك أن يوفر المطلّق مسكناً أو يدفع أجر مسكن بالإضافة إلى أجر حضانة للأم ونفقة للصغير إلى أن يبلغ.

وإذا كانت المرأة لا تدفع في الطلاق عادة مالاً، إلا أنها تخسر من حياتها ومستقبلها أكثر مما يخسر الرجل، وخصوصاً في مجتمعاتنا التي فقدت نظرة الرحمة للمطلّقة والرعاية لها.

وأمام هذه الحقائق لا يتردد أحد من خبراء الزواج في التأكيد على أنه ليس في الطلاق حل لمشكلات زوجية ولا علاج لخصومات في الأسرة، إذ الطلاق يصنع المشكلات ولا يحلها، ويجلب الشقاء والأحزان للأبناء والأزواج والمجتمع، سواء في المجتمعات في الشرق أو الغرب، ولذلك يقول خبير الزواج فان ديفلد:(٢): «الطلاق ليس علاجاً للشقاق الزوجي، والواقع أن الطلاق معناه انتصار العداوة الزوجية انتصاراً تاماً نهائياً».

هدم أصعب منه البناء

حين تذهب السكرة، ويفيق العقل على حقائق الطلاق المرّة قد يتحسر كل من الزوجين على الفراق، ويندم حين لا ينفع الندم، فالطلاق يصيب عواطف الزوجين بشرخ عظيم، وقد تقف حوائل كثيرة تحول دون عودة ما تفرق، ومن ذلك قصة الشاعر الأخطل الأخطل الذي كان له زوجة يعجبه شأنها، إلا أنه طلّقها وتزوج بمطلقة رجل من بني تغلب، وكانت هي بالتغلبي الذي طلّقها معجبة، فبينما هي ذات يوم جالسة مع الأخطل، إذ ذكرت زوجها الأول فتنفست الصعداء، ثم ذرفت دموعها، فعرف الأخطل ما بها، فتذكر هو أيضاً امرأته الأولى، وأنشأ يقول:

كلانا على وجد يبيت كأنما
بجنبيه من مسِّ الفراش قروح
على زوجها الماضي تنوح وزوجها
على الطلة الأولى كذاك ينوح

وقد يتدخل الأب أو الأم فيدفعان ابنهما إلى طلاق زوجته، فيهدمان بيتاً كان راسخ الأركان دون سبب جوهري، ثم يريان من شقاء الابن بعد أن حرم من زوجته التي يحبها ما يدفع إلى إعادة ما تفرق، ومن هذا أن عبدالرحمن بن أبي بكر الصديق - رضي الله عنهما - تزوج بعاتكة بنت زيد ابن نفيل، وكان يحبها حباً شديداً، فأمره أبوه بتطليقها، فقال بعد طلاقها:

فلم أرَ مثلي طلَّق اليوم مثلها
ولا مثلها في غير جرم تطلق
لها خُلُقٌ سهل وحسن منصب
وخلق سوى ما يعاب ومنطق
أعاتك قلبي كل يوم وليلة
إليك بما تخفى القلوب معلّق
أعاتك ما أنساك ما ذر شارق
وما لاح نجم في السماء محلّق

فرقٌ له والده أبو بكر، الصديق ﷺ وأمره أن يراجعها.

وقد لا يمكن عودة المرأة إلى الرجل كأن تتزوج المرأة بآخر أو ترفض العودة بعد أن تبين من زوجها بيناً فحينئذ يجد المطلّق صعوبة كبيرة في بدء حياة زوجية جديدة من نواح عدة، فهو نفسه بما تكون لديه من خبرات في الحياة الزوجية يجد صعوبة في الوصول إلى كفء يرضى به ويستجيب لرغبته في الزواج ويبدأ معه حياة ينسى فيها الماضي. فالماضي لا يموت أبداً، وهذا بالنسبة للمرأة المطلّقة أشد وأقسى في مجتمعنا، إذ المطلقة يبتعد عنها الأزواج ويتحاشون الارتباط بها، ولأن عدد النساء أكثر من عدد الرجال في مجتمعاتنا، فالمطلّقة وإن كانت صغيرة السن يكون محكوماً عليها أن تقضي بقية حياتها بلا زواج، تلاحقها كلمة «مطلّقة» وكأنها أبدية، كما أن أولياء الفتيات يخافون من ناحية أخرى تزويج بناتهن لرجل مطلّق وخصوصاً إن كان له أطفال.

ويشقى المطلّق كثيراً حتى يستطيع أن يبني أسرة جديدة، فهو يدفع للهدم كثيراً من المال، ولكنه يدفع للبناء أكثر، ومع هذا يظل شبح الطلاق مخيماً على أسرته الجديدة، ومهما حاول أن يتخلص من الماضي، فإن للماضي توابعه، وقد أظهرت الإحصاءات في انكلترا أن نسبة الطلاق في الزواج الثاني تكون أعلى مما هي عليه في الزواج الأول، لأن كلاً من الرجل والمرأة في هذا الزواج خبر الحياة الزوجية من قبْل، وتشكلت شخصيته على نمط يصعب تغييره لكي يتكيف مع الأوضاع الجديدة. والزواج الثاني كثيراً ما يصاحبه تنازلات كثيرة في الاختيار، لأن المطلّق يشعر أنه الأدنى، والمجتمع ينظر إليه على أنه أقل، فيختار الأقل، ثم يقع في الندم بعد ذلك، ولا يستطيع أن يواصل الحياة مع غير كفء، وكان الأولى بمن فشل مرة أن يفهم أن سبب الفشل الأول هو انعدام الكفاءة، فلا يلدغ المؤمن من جحر واحد مرتين.

خطأ الاستسلام لأفكار الطلاق

أفضل ما يفعله الأزواج هو ألا يستسلموا لأفكار الطلاق التي تتوالد في النفس وتتعاظم لأوهى الأسباب، وأن يتمعنوا في كون حياة العزوبة بعد الطلاق كلها شقاء وعذاب وخسائر، ومهما يكن في الزواج من عيوب وأخطاء، فحياة المطلقين أكثر تعاسة وحرماناً وألماً، واستمرار زواج به عيب أو عيوب أفضل من طلاق به خسائر لا تعد ولا تحصى، والواقع يؤكد أنه من الأفضل الاستمرار في الزواج وبذل كل جهد لإنجاحه بدلاً من أن ينفصل الزوجان فيهدمان أسرة، ويشردان أطفالاً، ويحرمان نفسيهما من متع الحياة الزوجية المستقرة.

إن العاقل لابد له أن يوازن بين ما يعطيه الزواج له من مزايا كثيرة سيفقدها بالطلاق ولن يستطيع في الغالب تعويضها، والخسائر التي يسببها الطلاق، فالزواج مشاركة وجدانية وأنس بأليف يبثه الإنسان همومه وأحزانه، ويشاركه أفراحه، ويسانده في الحياة، والزواج إشباع لحاجات حسية وعاطفية، والزواج بيت وأسرة وأولاد كالأزهار المتفتحة تحتاج للرعاية والصيانة ومن المؤكد أن الأطفال هم أكبر ما يجمع بين الزوجين ويجعل حياتهما قابلة للاستمرار مهما يكن فيها من الخلاف.

والرجل الذي يستحق أن يوصف بالرجولة حقاً هو الذي يشعر بالواجب تجاه زوجته وأولاده وبيته، ويفهم أن الطلاق هو قطع رحم، وفراق واحتراق للمشاعر الجميلة، وأن امرأته مسؤولة منه، وأنها أُمُّ أولاده، وطلاقها جناية عليها وعلى أولاده بالشقاء الأكيد، فكيف يلقي بها إلى هذه الهوة السحيقة التي هي كالذبح بالخيط بلا رحمة للمرأة؟! فكم من كلام يُقال، وظنون تلحق بالمطلّقات!!

والزواج يتهدد باستمرار ما لم يكن هناك إحساس بالواجب وما لم يتسامح كل من الزوجين ويتنازل عن بعض حقه، ويحاول أن يتوافق مع قرينه، إذ العداوة بين الزوجين كامنة وستنطلق مع أقل كلمة أو حركة بعيدة عن الصواب والحكمة، والرباط الشرعي المقدّس الذي يستشعره المتدينون في زواجهم ينبغي أن يجعل حياتهم أكثر استقراراً من غيرهم، فالمؤمنون والمؤمنات بعضهم من بعض، نسأل الله تعالى أن يصلح ذات بيْنِ المسلمين ■

بقلم: منى السيد علي بلاسي

كيف تعتد المرأة المسلمة؟

تعريف العدة

العدة في اللغة مشتقة من العدّ، وهو إحصاء الشيء، يُقال عدَّه يعده عداً، وتعداداً، وعدة، وعدة المرأة: أيام قروئها، وعدتها أيضاً: أيام إحدادها على بعلها، وإمساكها عن الزينة شهوراً كانت أو أقراء، أو وضع حمل حملته من زوجها، وقد اعتدت المرأة عدتها من وفاة زوجها، أو طلاقه إياها، وجمع عدتها عدد.(١) أما في الشرع فهي: مدة حددها الشارع فيجب على من حصلت بينها وبين زوجها فرقة أن تتربص فيها دون زواج سواء أكانت هذه الفرقة من نكاح صحيح وبعد الدخول أو ما يقوم مقامه من الخلوة أو الموت، أم كانت من دخول في نكاح فاسد، أم كانت نتيجة وطء بشبهة.(٢)

دليل وجوبها

أولاً: من القرآن الكريم

جاء حديث القرآن الكريم عن العدة في ست آيات: آيتان في سورة البقرة وهما:

أ ـ (والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء)(٣).

ب ـ (والذين يُتوفون منكم ويذرون أزواجاً يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشراً) (٤).

وآية في سورة الأحزاب، وهي قوله تعالى: (يأيها الذين آمنوا إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن فما لكم عليهن من عدة تعتدونها فمتعوهن وسرحوهن سراحاً جميلاً)(٥).

ثلاث آيات في سورة الطلاق: وهي قوله تعالى: (يأيها النبي إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن وأحصوا العدة واتقوا الله ربكم لا تخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن إلا أن يأتين بفاحشة مبيّنة وتلك حدود الله ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً. فإذا بلغن أجلهن فأمسكوهن بمعروف أو فارقوهن بمعروف وأشهدوا ذَوَى عدل منكم وأقيموا الشهادة لله ذلكم يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ومن يتق الله يجعل له مخرجاً)(٦)، وقوله تعالى: (واللائي يئسن من المحيض من نسائكم إن ارتبتم فعدتهن ثلاثة أشهر واللائي لم يحضن وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن ومن يتق الله يجعل له من أمره يسراً)(٧).

ثانياً من السنة المطهرة:

يدل على وجوب العدة من السنة أحاديث كثيرة، منها ما ورد في صحيح البخاري من قول النبي ـ ﷺ ـ: «لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحد على ميت فوق ثلاث ليال، إلا على زوج أربعة أشهر وعشراً»(٨).

ثالثاً: الإجماع:

أجمعت الأمة على وجوب العدة عملاً بما ورد في القرآن الكريم والسنة المشرّفة وذلك حتى لا تختلط الأنساب، فضلاً عما تهيئه العدة من فرصة للوفاق بين الزوجين.

حكمة مشروعيتها

ذكر العلماء أن العدة كانت معروفة في الجاهلية وكانوا لا يكادون يتركونها فلما جاء الإسلام أقرها، لِما فيها من مصالح عظيمة، ومنها:

أ ـ معرفة براءة الرحم حتى لا تختلط الأنساب بعضها ببعض.

ب ـ تهيئة فرصة للزوجين لإعادة الحياة الزوجية، إن رأيا أن الخير في ذلك.

ج ـ التنويه بفخامة أمر النكاح، حيث لم يكن أمراً ينتظم إلا بجمع الرجال، ولا ينفك إلا بانتظار طويل، ولولا ذلك لكان بمنزلة لعب الصبيان، ينتظم ثم يفك في الساعة.

د ـ إظهار الحزن على الزوج.

هـ ـ أن مصالح النكاح لا تتم حتى يوطنا أنفسهما على إدامة هذا العقد ظاهراً، فإن حدث حادث يوجب فك النظام، لم يكن بدّ من تحقيق صورة الإدامة في الجملة، بأن تتربص مدة تجد لتربصها بالاً «أي حالاً وشأناً» وتقاسي لها عناء.(٩)

أسباب العدة

تجب العدة على المرأة في الأحوال التالية:

١ ـ إذا حصلت الفرقة بين الرجل والمرأة بعد الدخول بها حقيقة، سواء أكان النكاح صحيحاً أم باطلاً.

٢ - الفرقة بعد الخلوة في النكاح الصحيح، ولو كانت الخلوة فاسدة، فإذا كان العقد فاسداً فلا تجب العدة، ولو كانت الخلوة صحيحة.

٣ - تفريق القاضي للعنّة.

٤ - تفريق القاضي بإباء الزوج الإسلام، إذا كان الزوجان غير مسلمين، وأسلمت المرأة، وعُرض الإسلام على الرجل وامتنع، وفرّق القاضي بينهما، فحينئذ تجب العدة على الزوجة.

٥ - تفريق القاضي باللعان.

٦ - تفريق القاضي بسبب نقصان المهر، فإذا تزوجت المكلفة دون إذن وليِّها الغاصب رجلاً كفئاً بأقل من مهر المثل، ودخل بها، فاعترض الولي الغاصب، ولم يُتم الزوج مهر المثل، وفرق القاضي بينهما بناء على طلب الوالي، وجبت عليها العدة.

٧ - تفريق القاضي بخيار البلوغ.

٨ - إذا ارتد الزوج وفسخ عقد الزواج.

٩ - الفرقة بعد الوطء بشبهة كمن زفت لغير زوجها، وتم الدخول فعلاً.

١٠ - إذا حصلت الفرقة بالوفاة وكان العقد صحيحاً، وجبت العدة مطلقاً، سواء كانت الوفاة قبل الدخول أو بعده، وذلك لعموم قوله تعالى: (والذين يُتوفون منكم ويذرون أزواجاً يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشراً)(١٠).

عدة الصغيرة

تطلق الصغيرة ويُراد بها تلك التي لم تصل إلى سن البلوغ، أو من بلغت الحلم دون حيض وعدتها على قسمين:

أ - فهي إن كانت بسبب فسخ أو طلاق أو تطليق، فعدتها ثلاثة أشهر، إن كانت حرة لقوله تعالى: (واللائي يئسن من المحيض من نسائكم إن ارتبتم فعدتهن ثلاثة أشهر واللائي لم يحضن)(١١)، وأما إن كانت أمة فعدتها شهر ونصف.

ب - هذا إذا كانت الفرقة بسبب فسخ، أو طلاق، أو تطليق، فأما إن كانت العدة بسبب الوفاة فعدتها أربعة أشهر وعشرة أيام، من وقت الوفاة، ودليل ذلك قوله تعالى: (والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشراً).

عدة ذات الحيض

وتكون لمن حدث بينها وبين زوجها فرقة بغير وفاة، وكانت من ذوات الحيض ولم تكن حاملاً، فإن عدتها حينئذ - إن كانت حرة - ثلاثة قروء لقوله تعالى: (والمطلقات يتربصون بأنفسهن ثلاثة قروء)، والقرء الطهر بين حيضتين، فإن طُلقت في الطهر حسبت بقية الطهر قرءاً، وإن طُلقت في الحيض اشتُرط مضي ثلاثة أطهار كاملة(١٢) - وإن كانت أمـةً - فعلى النصف من الحرة، حيضتان، فإنهما أقرب عدد من عدة الحرة، الذي هو ثلاث حيضات، ولا يجوز أن تكون حيضة لأننا حينئذ نكون قد أسقطنا نصف حيضة، ولا يجوز أن يسقط عنها من العدة شيء(١٣).

فإن لم يكن لها عادة من الحيض مستقيمة، وادعت انقضاء الأقراء، صدقت بيمينها.(١٤)

والأقرب إلى الفقه في فهم المقصود من القرء - كما يذكر الدكتور محمد سلام مدكور - هو أنه بمعنى الحيض، كما قال الأحناف، ومن وافقهم، لأن قول الله سبحانه - (واللائي يئسن من المحيض من نسائكم إن ارتبتم فعدتهن ثلاثة أشهر) يدل على أن العدة لمن ترى الحيض ثلاث حيضات، مادامت لليائسات منه ثلاثة أشهر وعلى هذا فالتي تحيض، فإن عدتها - في غير فرقة الوفاة تكون ثلاث حيضات كوامل، وهذا بالنسبة للمطلقة بنص الآية، أما بالنسبة لمن فسخ نكاحها، فإنها تحمل على المطلقة لأنها في حكمها»(١٥).

حكم المرأة الحائض إذا لم تر الحيض

إذا طلقت المرأة وهي من ذوات الأقراء، ثم إنها لم تر الحيض في عادتها، ولم تَدْر ما سببه فإنها تعتد سنة، تتربص مدة تسعة أشهر، لتعلم براءة رَحمها لأن هذه المدة هي غالب مدة الحمل، فإذا لم يَبْن الحمل فيها، علم براءة الرحم ظاهراً، ثم تعتد بعد ذلك عدة الآيسات ثلاثة أشهر، وهذا ما قضى به سيدنا عمر - رضي الله عنه - وقد قال الشافعي رحمه الله بهذا الخصوص، هذا قضاء عمر بين المهاجرين والأنصار لا ينكره منهم مُنكرٌ علمناه»(١٦).

عدة المستحاضة

تعتد المستحاضة بالحيض، ثم إن كانت لها عادة، فعليها أن تراعي عادتها في الحيض، والطهر فإذا مضت ثلاث حيض انتهت العدة، وإن كانت آيسة انتهت عدتها بثلاثة أشهر.(١٧)

عدة الآيسة

نص القرآن على أن عدة الآيسة ثلاثة أشهر، وذلك في قوله سبحانه: (واللائي يئسن من المحيض من نسائكم إن ارتبتم فعدتهن ثلاثة أشهر).

والآيسة: العجوز التي لا تحيض، أو المرأة التي قعدت من الحيضة، فليست هذه من القروء في شيء، وفي قوله: (إن ارتبتم) في الآية: يعني إن شككتم.(١٨)

وحدُّ سن اليأس مختلف فيه، فقيل: خمسون، وقيل: ستون، والأشهر اثنان وستون سنة، ويعتبر إياسها بإياس أهل بلدها، وقيل بإياس أقاربها من الأبوين.(١٩)

عدة المتوفى عنها زوجها ما لم تكن حاملاً

ينقسم حال المتوفى عنها زوجها، بالنظر إلى العقد، إلى قسمين:

أ ـ من كان عَقْده عليها صحيحاً، وهذه عدتها أربعة أشهر وعشرة أيام، لقوله تعالى: (والذين يتوفون منكم ويذورن أزواجاً يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشراً)، سواء أكانت صغيرة أم كبيرة، من ذوات الحيض أم لا، دخل بها أو اختلى، أو لم يدخل، ولم يختل. وتبدأ العدة من وقت الوفاة، بحيث إذا علمت المرأة يقيناً تاريخ وفاة الزوج، اعتدت من يوم تكون الوفاة، وإن لم تعتد حتى انقضت مدة العدة أجزأها ذلك، لأن العدة إنما هي مدة تمر عليها، فإذا مرت فليس عليها تكرار مثلها.(٢٠).

حكمة التحديد بهذه المدة

ترجع حكمة التحديد بهذه المدة إلى كونها المدة التي تكمل فيها خلقة الولد، وينفخ فيه الروح، بعد مضي ١٢٠ يوماً، والمدة زائدة على أربعة أشهر لنقصان الأهلّة، فجبر الكسر إلى العقد، على طريق الاحتياط، وذكر العشر مؤنثاً، لإرادة الليالي، والمراد مع أيامها، عند الجمهور، فلا تحل حتى تدخل الليلة الحادية عشرة.(٢١)

ب ـ من كان عَقْده عليها فاسداً، فإنها ـ والحال هذه ـ لا تعتد عدة وفاة وإنما تعتد إذا كان قد دخل بها، بالقروء، إن كانت من ذوات الحيض ـ وتعتد بثلاثة أشهر إذا كانت لا تحيض، إلا أن العدة هنا، ليست ناشئة عن عقد الزواج الفاسد، وإنما تنشأ من الدخول الفعلي.(٢٢)

وكما انقسمت عدة المتوفى عنها زوجها ـ غير الحامل ـ بالنظر إلى العقد إلى قسمين، فإنها تنقسم ـ بالنظر إلى كون الزوجة حرة أو أَمَةً ـ إلى قسمين أيضاً:

١ ـ فإن كانت حرة فعدتُها ما تم تفصيله في الأسطر السابقة.

٢ ـ وإن كانت أَمَةً، فعدّتها شهران وخمسة أيام.

يقول الإمام الشافعي في «الأم»: لم أعلم مخالفاً ممن حفظت عنه من أهل العلم في أن عِدّة الأَمَةِ نصف عِدَّة الحرة، فيما كان له نصف محدود ما لم تكن حاملاً، فأما الحيض فلا يعرف له نصف، فتكون عدتها فيه أقرب الأشياء من النصف ـ إذا لم يسقط من النصف شيء ـ وذلك حيضتان.(٢٣).

عدَّةُ الحامل

إذا حدثت الفرقة وكانت الزوجة حاملاً، فإن عدتها تنقضي بوضع الحمل اتفاقاً، في جميع الأحوال، حتى لو كان الحمل بسبب دخول في عقد فاسد، أو بسبب وطء بشبهة، طالت مدة الحمل أم قصرت.(٢٤)

يستوي في ذلك أن تكون حرة، أو أمة، وذلك لقوله تعالى: (وأوْلات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن) سواء كان الحمل حياً أو ميتاً وسواء كان متخلقاً أو غير متخلق كالمضغة، بخلاف النطفة والعلقة فلا تسمى حملاً.(٢٥)

كما يستوي في وصف الحامل المعتدة أن تكون مُطلّقة، أو تكون قد مات عنها زوجها وذلك لظاهر الآية الشريفة: (وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن)، ولما في صحيح البخاري عن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ في المتوفى عنها زوجها، وهي حامل، قال: «أتجعلون عليها التغليظ، ولا تجعلون لها الرخصة فنزل: (وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن) وكما أخرج البخاري أيضاً أن سُبيعة الأسلمية ولدت بعد وفاة زوجها بنصف شهر تقريباً، فقال رسول الله ـ ﷺ ـ «حللت فانكحي من شئت».(٢٦).

حكم الحامل بتوأمين أو أكثر

يقول الإمام الشافعي ـ رحمه الله ـ: إن كانت حاملاً باثنين، أو ثلاثة فوضعت الأول، فلزوجها عليها الرجعة حتى تضع الثاني، فإن راجعها بعد وضع الأول وهي تجد حركة ولد، أوقفنا الرجعة، فإن ولد ت ولداً آخر، أو أسقطت سقطاً، تبين له من خلق الآدميين شيء فرجعته ثابتة، وإن لم تضع شيئاً إلا ما يخرج من النساء مما يتبع الولد، أو ما لا يتبين فيه شيء من خلق الآدميين فالرجعة باطلة، وكذلك هذا لو وضعت الأوَّليْن، وبقي ثالث، أو شيء تجده، تراه ثالثاً، أو ثلاثة وبقي رابع، لا تخلو أبداً من زوجها، إلا بوضع آخر حملها، وليس ما يتبع الحمل من المشيمة، وغيرها مما لا يبين له خلق آدمي، حملاً.(٢٧)

ما يجب على المعتدة ـ في أثناء عدتها

أولاً القرار في البيوت: أَلْزَمَ الشارع جميع المعتدات بالقرار في بيت الزوجية، الذي كانت تقيم فيه وقت حصول الفرقة، من نكاح صحيح، سواء أكانت الفرقة من فسخ، أم طلاق أم وفاة.

والحكمة في ذلك بالنسبة للمطلقة طلاقاً رجعياً، واضحة، وهي تيسير أمر الرجعة، وإيجاد السبيل لعودة الحياة الزوجية بينهما ـ على ما كانت إذا لم تكن الكراهة بينهما مستحكمة، فضلاً عن اطمئنان الزوج على مائه من شغل الرحم به أو براءته منه، وقد تكون بالنسبة للمعتدة من طلاق بائن ـ أيضاً ليسهل على الزوجين إعادة الحياة الزوجية بينهما، من جديد برضاها، أما

المعتدة من طلاق بائن بينونة كبرى، فإن القصد لا يظهر إلا باعتبار الاطمئنان من استبراء الرحم، وكذلك بالنسبة للمتوفى عنها زوجها، فلأنها تحتد عليه أيضاً.

والدليل على قرار المعتدة في بيتها، هو قول الله تعالى: (إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن وأحصوا العدة واتقوا الله ربكم لا تخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن إلا أن يأتين بفاحشة مبيّنة)(٢٨).

ولكن ماذا لو أراد الزوج أن يُخرجها من بيت الزوجية؟

الجواب: أنه لا يَحِلُّ له أن يخرجها منها، حتى ولو وقع الطلاق أو حصلت الفرقة وهي غير موجودة فيه، بحيث يجب عليها أن تعود إليه بمجرد علمها، يقول الله تعالى:

(يأيها النبي إذا طلقتم النساء فطلّقوهن لعدتهن وأحصوا العدة واتقوا الله ربكم لاتخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن إلا أن يأتين بفاحشة مبيّنة وتلك حدود الله ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه)(٢٩). فعن الفريعة بنت مالك بن سنان، وهي أخت أبي الخضري، أنها جاءت إلى رسول الله - ﷺ - تسأله أن ترجع إلى أهلها، في بني خذرة، فإن زوجها خرج في طلب أَعْبُدٍ له، أبقوا، حتى إذا كانوا بطرفة القدوم لحقهم، فقتلوه، فسألتُ رسول الله - ﷺ - أن أرجع إلى أهلي، فإني لم يتركني في مسكن يملكه، ولا نفقة، قالت: فقال رسول الله - ﷺ -: «نعم»، قالت: فخرجتُ، حتى إذا كنت في الحجرة أو في المسجد، دعاني، أو أمر بي، فدعيت له، فقال: «كيف قلت؟ فرددت عليه القصة، التي ذكرت من شأن زوجي فقال: امكثي في بيتك، حتى يبلغ الكتاب أجله، قالت: فاعتددت فيه أربعة أشهر وعشراً، قالت فلما كان عثمان بن عفان، أرسل إليَّ، فسألني عن ذلك، فأخبرته فاتبعه، وقضى به.(٣٠)

ثانياً الإحداد وترك الزينة:

ودليله قوله - ﷺ - فيما روى عن أم سلمة - رضي الله عنها أن امرأة توفى عنها زوجها، فخشوا على عينها، فأتوا رسول الله - ﷺ - فاستأذنوه في الكحل، «فقال لا تكتحل، كانت إحداكن تمكث في شر أحلاسها، أو شرِّ بيتها، فإذا كان حولٌ فمر كلب، رمت ببعره، فلا، حتى تمضي أربعة أشهر وعشرا»(٣١).

وكذلك لما روي عن أم سلمة، عن النبي - ﷺ - قال: «المتوفى عنها زوجها لا تلبس المعصفر من الثياب ولا الممشقة، ولا الحلي، ولا تختضب ولا تكتحل»(٣٢).

أما المطلقة طلاقاً رجعياً، فيستحب لها أن تتزين، فقد يؤدي ذلك إلى أن يراجعها زوجها.

وأما المطلقة طلاقاً بائناً، سواء أكانت مبانة بينونة صغرى، أو كبرى فللفقهاء في ذلك آراء:

أ - رأي السادة الأحناف: وجوب الإحداد، لعموم نهي النبي - ﷺ - المعتدة من استعمال الطيب، ولأن الزواج نعمة، وبهذه الفرقة زالت تلك النعمة، فيجب الإحداد لذلك.

ب - رأي الشافعية والمالكية والظاهرية: ليس عليها الإحداد، وحجتهم في ذلك أن الإحداد إنما يكون لحق الزوج، تأسفاً على ما فاتها من حسن معاشرته، وهذا إنما يكون بالنسبة لمن أبقى على زواجها، أما من طلّقها فإنه لم يُبق عليها، أو لم يحسن معاشرتها، فكيف تحتد عليه؟

ج - رأي الإمام أحمد: وقد ورد عنه قولان، قول بالإحداد وقول بعدم وجوبه.(٣٣)

ما يجب للمعتدة

اتفقت كلمة الفقهاء الأربعة، على وجوب النفقة للمطلّقة طلاقاً رجعياً، أما المبتوتة، فمذاهب العلماء حيال حقها في ذلك كالتالي:

١ - مذهب الشافعية والمالكية: تجب لها السكنى بكل حال، ولا نفقة لها إلا أن تكون حاملاً وذلك لأن عائشة، وابن المسيب، أنكرا على فاطمة بنت قيس حديثها، قال مالك: «سمعت ابن شهاب يقول: «المبتوتة لا تخرج من بيتها، حتى تحل، وليست لها نفقة، إلا أن تكون حاملاً، فينفق عليها حتى تضع حملها، ثم قال: وهذا الأمر عندنا.

٢ - مذهب الحنفية: تجب لها النفقة والسكنى، مثل المطلّقة الرجعية، لأنها مكلفة بقضاء مدة العدة، في بيت الزوجية فهي محتسبة بحقه عليها، فتجب لها النفقة، وتعتبر هذه النفقة ديناً صحيحاً، من وقت الطلاق ولا تتوقف على التراخي، ولا قضاء القاضي، ولا يسقط هذا الدين إلا بالأداء أو الإبراء.

٣ - مذهب الحنابلة: لا نفقة لها ولا سكنى، لحديث فاطمة بنت قيس أن زوجها طلّقها أَلْبتَّة فقال لها الرسول - ﷺ - ليس عليه نفقة.(٣٤)

ما يجب للمعتدة - لوفاة الزوج

ذهب الجمهور إلى أنه لا نفقة لها ولا سكنى مطلقاً، حاملاً كانت، أو حائلاً، وذهب بعضهم إلى أن لها النفقة والسكنى مطلقاً، وقيّد بعضهم وجوب النفقة والسكنى بأن تكون حاملاً، وقيل إن الحامل المتوفى عنها زوجها، لها النفقة دون السكنى وقيل العكس.

ودليل الجمهور أن آيات القرآن لم يرد فيها ذكر النفقة إلا للمطلقات الحوامل والزوجات، إذ يقول - جل شأنه -: (وللمطلقات متاع بالمعروف)، ويقول - جل شأنه -: (وإن كنَّ أولات حمل فأنفقوا عليهن حتى يضعن حملهن) الطلاق:٧، كما استدلوا بأن

الاحتباس هنا لحق الشرع، لا للتعرف على براءة الرحم، بدليل أنها تجب على الآيسة التي لا تحمل لبلوغها سن اليأس، وانقطاع حيضها، كما تجب على العقيم التي لا تلد أبداً.(٣٥)

ما يجب للمعتدة من دخول في ظل عقد فاسد، أو طء شبهة

وهذه لا نفقة لها، ولا سكنى، عند الحنفية، إذ لا زوجية بينهما، وحال العدة يعتبر بحال ما تكون منه، وهي قبل الفرقة لا تستحق أي نفقة عليه، حاملاً كانت أو حائلاً، لانعدام الزواج، وإنما وجبت العدة لمجرد استبراء الرحم، ومنعاً من اختلاط الأنساب، وقد وافقهم الظاهرية في الحالين.

هذا وما يسقط حق المعتدة - على وجه العموم - فيما وجب لها، أمورٌ منها:

١ - أن تخرج من بيتها من دون عذر، إذ تعتبر - والحال هذه - ناشزاً، فضلاً عن أنها آثمة وذلك على المذهب الحنفي - فالناشز لا نفقة لها، وكذلك إذا كانت سليطة اللسان على أهله المقيمين في بيته، والمتردِّدين عليه.

٢ - موت المعتدة نفسها.

٣ - ارتداد الزوجة، وهي في العدة، لأن ردَّتها معصية من جهتها تستوجب حبسها حتى تتوب.

٤ - موت المطلق بعد القضاء لها بها.(٣٦) ■

الهوامش:

١ - راجع: لسان العرب لابن منظور، مادة (ع.د.د)، والقاموس المحيط للفيروزأبادي ج١ ص٣٢٤.

٢ - اختار هذا التعريف الأستاذ الدكتور محمد سلام مدكور في كتابه: الوجيز في أحكام الأسرة في الإسلام، ص٣٦٠، نشر دار النهضة العربية، سنة ١٩٧٥م.

٣ - البقرة من الآية ٢٢٨.

٤ - البقرة من الآية ٢٣٤.

٥ - الأحزاب: ٤٩.

٦ - الطلاق: ١، ٢.

٧ - الطلاق: ٤.

٨ - صحيح البخاري، لأبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري، ج٣، ص٢٨٣، طبع دار إحياء الكتب العربية، نشر المكتبة التوفيقية.

٩ - راجع في ذلك فقه السنة للشيخ سيد سابق ٢/٢١٨، وكذلك الفقه على المذاهب الأربعة ٤/٥١٤.

١٠ - يراجع في هذا: الأحوال الشخصية «تعليق على نصوص العقوبات للمستشار أحمد نصر الجندي، ص ٣٢٢، ٣٢٣.

١١ - جاء في سبب نزول هذه الآية: (أن سيدنا رسول الله - ﷺ - سئل لما نزلت الآية المتعلقة بالعدة، والواردة في سورة البقرة، وهي قوله - تعالى - (والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء).

أقول: سئل سيدنا - رسول الله ﷺ - حين نزول هذه الآية: لقد بقي من عدة النساء عدة لم تذكر في القرآن: الصغار - والكبار اللاتي قد انقطع عنهن الحيض وذوات الحمل، فأنزل الله هذه الآية.

راجع في هذا: روح المعاني للألوسي، ج٢٨، ص ١٣٦، ١٣٧.

١٢ - انظر الفقه الميسر، أحمد عيسى عاشور، ص ٣١٨.

١٣ - راجع: الأم، للإمام الشافعي، ج٥ ص ٢١٦.

١٤ - انظر: الفقه الميسر: ص ٣١٨.

١٥ - الوجيز لأحكام الأسرة في الإسلام، للأستاذ الدكتور محمد سلام مدكور، ص ٣٦٣، وما بعدها.

١٦ - انظر: فقه السنة، للشيخ سيد سابق، ج٢، ص ٢٢٠.

١٧ - المرجع السابق، ٢/٢٢١.

١٨ - فقه السنة، ٢/٢٢٠.

١٩ - الفقه الميسر، أحمد عيسى عاشور، ص ٣١٨.

٢٠ - الأم، للإمام الشافعي ٥/٢١٦ (بتصرف).

٢١ - راجع: فقه السنة، للشيخ سيد سابق، ٢/٢١٩.

٢٢ - الوجيز لأحكام الأسرة في الإسلام للأستاذ الدكتور محمد سلام مدكور، ص ٣٦٦.

٢٣ - الأم، ٥/٢١٦.

٢٤ - الوجيز لأحكام الأسرة في الإسلام، أ.د. محمد سلام مدكور، ص ٣٦٦.

٢٥ - الفقه الميسر، أحمد عيسى عاشور، ص ٣١٩.

٢٦ - صحيح البخاري ٣/٢٨١.

٢٧ - الأم، للإمام الشافعي ٥/٢٢١، وراجع كذلك زاد المعاد ٤/١٨٤.

٢٨ - الآية الأولى من سورة الطلاق، وراجع الوجيز لأحكام الأسرة في الإسلام أ.د.محمد سلام مدكور، ص٣٧٩، وما بعدها.

٢٩ - الطلاق، الآية الأولى.

٣٠ - رواه أبو داود، والنسائي، وابن ماجة، والترمذي، وانظر فقه السنة ٢/٢٢٤.

٣١ - الحديث الشريف متفق عليه، وانظر نيل الأوطار للشوكاني، ٦/٢/٢٩.

٣٢ - رواه أحمد وأبو داود والنسائي، وانظر نيل الأوطار، ٦/٢٩٦.

٣٣ - راجع في ذلك: الوجيز لأحكام الأسرة في الإسلام، للأستاذ الدكتور محمد سلام مدكور ص ٣٨٢، ٣٨٣.

٣٤ - انظر: فقه السنة، ج٢، ص ٢٢٥، ٢٢٦.

٣٥ - الوجيز لأحكام الأسرة في الإسلام، ص ٣٨٤.

٣٦ - المرجع السابق، ص ٣٨٩.

ترجمات

إعداد : عبدالمنعم أحمد

هل تمحو التكنولوجيا تاريخنا المعاصر؟

تحت عنوان: «احذروا... التكنولوجيا تمحو تاريخنا المعاصر» نشرت مجلة «التايم» البريطانية مقالاً تناول بالتحليل الخسائر الجسيمة التي تتعرض لها المعلومات العلمية والتاريخية من جراء تخزينها على الشرائط المغناطيسية يقول المقال:

لا يتصور ميشيل وستيف بريغهام من نيويورك العيش من دون ابنتهما كورتني «ست سنوات» ولا يتصوران استخدام كاميرا الفيديو أو كاميرا التصوير العائليتين من دونها، وهذان الوالدان، مثل ملايين الأهالي، صوّرا شرائط فيديوية والتقطا صوراً فوتوغرافية حالما رأت طفلتهما النور، فصورا أولى حركاتها والخطوات وعيد الميلاد الأول وعشرات من الأحداث ليحفظاها في مكتبة منزلية تنامت باطراد لتحتوي أكثر من ١٨٠٠ دقيقة من التسجيلات الفيديوية وثلاثة آلاف صورة فوتوغرافية، وتعترف ميشيل بأن ذلك «ربما كان إفراطاً، لكني أعتقد أن كورتني ستقدر ذلك عندما تكبر».

المؤسف أن كورتني قد لا تجد شيئاً تشاهده، فعندما تبلغ الثلاثين، ربما يكون ضوء الشمس قد مسح معظم الألوان في صور الطفولة، وحتى لو استطاعت شرائط الفيديو تخطي امتحان الزمن بحره ورطوبته، فقد لا تجد كورتني جهاز فيديو مناسباً حتى تشاهد ما فيها.

ليست شرائط الفيديو المنزلية واللقطات الفوتوغرافية وحدها المعرضة للخطر، فاختصاصيو المكتبات والأرشيف يحذرون من أننا قد نخسر مقادير كبيرة من معلومات علمية أو تاريخية بفعل التلف والتقادم، فحتى الآن ضاع ٢٠ في المائة من البيانات المجموعة عن كمبيوترات مختبر الدفع النفاث لدى وكالة الفضاء الأمريكية خلال رحلة «فايكنغ» إلى المريخ عام ١٩٧٦م.

ويهدد الخطر أيضاً أربعة آلاف شريط من المعلومات الإحصائية السكانية المخزنة في سجلات أشد قتامة من أن يأمل اختصاصيو الأرشيف في استعادتها وبحلول السنة المقبلة، يكون ٧٥ في المائة من سجلات الحكومة الفدرالية الأمريكية مخزناً بصورة الكترونية، لكن أحداً لا يعرف مقدار ما نستطيع قراءته منها في غضون عشر سنين، وعن هذا قال أبي سميث من «مجلس المكتبات ومصادر المعلومات» إنه «كلما تطورنا تكنولوجياً اشتد ضعفنا».

مستقبل مظلم

طيلة سنين كان علماء الكمبيوتر يقولون: إن متواليات الواحد والصفر في البيانات الرقمية ستبقى إلى الأبد، لكنهم كانوا على خطأ، فقد أظهرت اختبارات أجريت في مختبر حكومي أمريكي في «مينيسوتا» أن الشرائط المغناطيسية قد تبقى صالحة عشر سنين فحسب، وكل شيء يتوقف على شروط التخزين، ولذلك يعتبر مستقبل الأقراص المرنة والشرائط الفيديوية مظلماً، وحتى الأقراص المدمجة التي اعتبرت من قبل مقاومة للفساد تبين أنها تتأثر بالحقول المغناطيسية العشوائية والأكسدة والرطوبة والتآكل، وليست هشاشة الوسائل الإلكترونية هي المشكلة الوحيدة، فكثير من المعدات والبرامج «الكمبيوترية» اللازمة لاستخراج المعلومات الواضحة من الأقراص والشرائط المخزونة يختفي من سوق الاستعمال باسم التقدم، وعن ذلك يقول «شارلي ماين» الذي يدير مختبر الحفاظ على الوسائط في الأرشيف القومي الأمريكي إن التكنولوجيا تتقدم بسرعة كبيرة».

ويستند شارلي إلى خبرته ففي الثمانينيات حول الأرشيف القومي نحو ٢٠٠ ألف وثيقة وصورة إلى أقراص ضوئية صارت في خطر عدم القدرة على قراءتها لأن النظام الذي استعمله المؤرشفون لم يعد موجوداً في السوق.

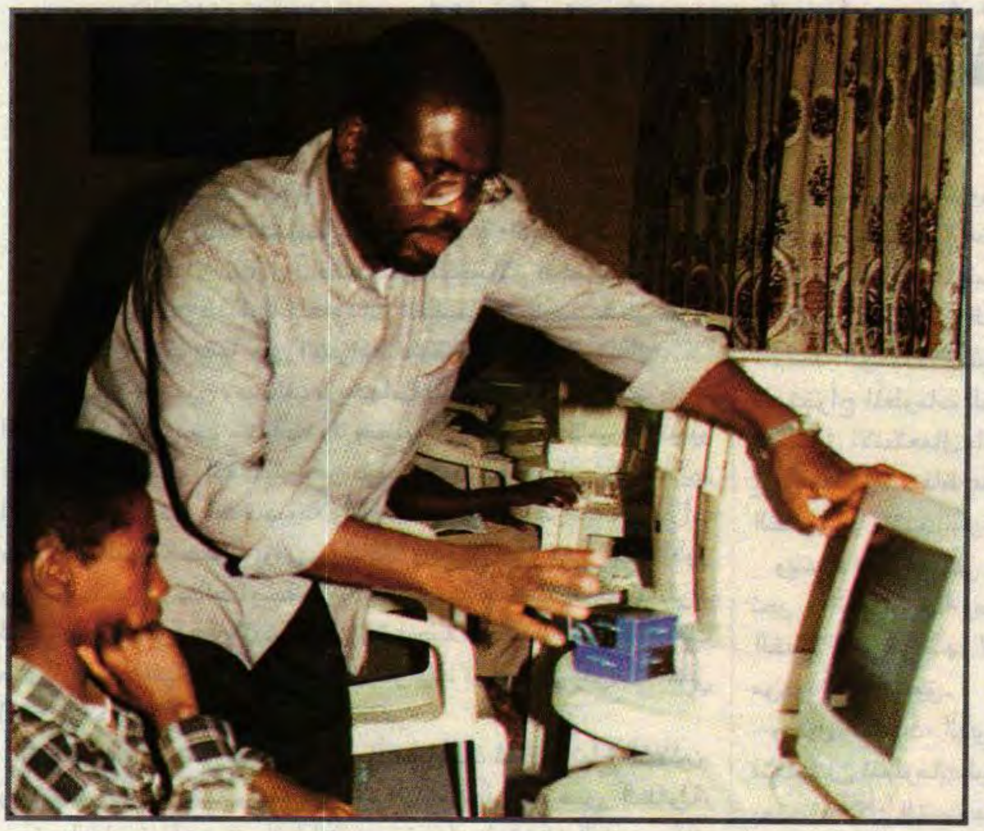
ويقول «سميث» الذي صارت أطروحته العلمية حبيسة قرص مرن متقادم أن المعلومات ليس أمامها فرصة كبيرة للبقاء إلا إذا احتفظت بمتحف لآلات التسجيل، وأجهزة الكمبيوتر «المتقادمة» لديك، وهذه الفكرة لا تجانب الصواب، فقد احتفظ «ماين» في مقر الأرشيف الوطني ذي الظروف الجوية المثبتة بكثير من الآلات التي استعمل في تسجيل التاريخ، وفي إحدى الغرف كل المؤرشفون يعملون على «إحياء» خطبة ألقاها الرئيس الأسبق «هاري ترومان» خلال جولة انتخابية بالقطار.

إنقاذ ما يمكن إنقاذه

والخطب من هذا النوع كانت مسجلة على شرائط فولاذية رقيقة هي أسلاف بكرات التسجيل الطويلة ورغم أن كثيراً من الشرائط الفولاذية تفتت بسبب الصدأ خلال التشغيل، فقد عمل «ماين» وفريقه على إنقاذ ما يمكن إنقاذه ونقله في وسائط حديثة، لكن النقل لم يكن للأسف حلاً صحيحاً فقد قال سميث: ليس جميع المعلومات ينتقل دوماً، وفي الآونة الأخيرة أفادت وكالة الأغذية والأدوية الأمريكية أن بعض شركات الصيدلة وجدت أخطاء حين نقلت بيانات اختبار الأدوية الجديدة من نظام «يونيكس» إلى نظام «ويندوز - إن - تي» ما العمل إذن؟ حسب ما يرى سميث «هذه مسألة لا يملك أحد جواباً عنها»، ربما يتمثل أحد الحلول بالفعل بين غير المهم وذي الأهمية التاريخية وتخزينه في إصدارات بسيطة. لكن اتخاذ مثل هذا القرار غير بسيط، لا سيما بالنسبة إلى عائلات مثل ميشيل وستيف بريغهام اللذين يواصلان تصوير شرائط الفيديو لابنتهما، وقال الأبوان: «لا نريد أن نفقد شيئاً»، لكنهما ربما يفقدان الكثير للأسف!!. ■

إعداد : تمام أحمد

مشكلة الكمبيوترات عام ٢٠٠٠ تهدد اقتصاديات العالم



الاستحقاق المحتوم للعام ٢٠٠٠ والكارثة التي ستنجم عنه لكل مستخدمي أجهزة الكمبيوتر تقترب منا كدقات الساعة لقنبلة موقوتة ولكن لا أحد يعي كثيراً مدى أبعادها وخطورتها، إن التأثير المحتمل لـ«علة القرن»، كما يطلق عليها بلغة المبرمجين سيكون هائلاً، ويشبه البعض الجهود المبذولة لتحاشي حدوث انهيار في أنظمة الكمبيوتر بعملية نزع فتيل أكبر قنبلة في التاريخ، وتنجم مشكلة العام ٢٠٠٠م «وهو اسم آخر للمشكلة» من ساعات الزمن في أجهزة الكمبيوتر التي تحدد السنوات في شكل آخر رقمين في العام والمشكلة تكمن في أن أجهزة الكمبيوتر لن تستطيع التمييز بين العام ٢٠٠٠ والعام ١٩٠٠م عند اليوم الأول من بدء الألفية الجديدة.

وترجع جذور المشكلة إلى طريق البرمجة المستخدمة في السنوات السابقة عندما كانت ذاكرة الكمبيوتر مكلفة للغاية ولذلك اعتبر أن استخدام رقمين بدلاً من أربعة لتحديد التاريخ طريق مختصر وفعال، بنك أمريكا كورب وحده يوظف ١٠٠ موظف للعمل على حل هذه المشكلة واستأجر مئات آخرين خارج نطاق العقود للمساعدة في تنفيذ المهمة، ويعرض على المبرمجين والخبراء في الكمبيوتر مبالغ طائلة إذا ضمنوا البقاء مع الشركة حتى انقضاء الموعد النهائي.

إلا أن المحللين حذروا من أن عملية الإصلاح الهائلة ستتطلب موارد مالية وبشرية كبيرة على حساب ميادين ومجالات أخرى، مما سيؤثر سلباً على الاقتصاديات المحلية، وتوقع مجلس الاحتياطي الاتحادي الأمريكي «البنك المركزي» بأن ينخفض النمو في العامين المقبلين نتيجة هذا التحول الكبير في المبرمجين والتقنيين للعمل على حل مشكلة القرن.

وفي بعض القطاعات استفحلت العلة بالفعل، فقد وجدت مجموعة «تيسكو» لسلسلة المحلات الكبرى في بريطانيا أن أجهزة الكمبيوتر لديها ترفض قبول البضائع المعلبة من أحد الموردين فأعادتها لهم، وكشفت التحقيقات أن تاريخ انتهاء صلاحية العلب هو ٢٠٠٠م، وفسرت أجهزة الكمبيوتر ذلك بأنه يعني أن البضائع قد تم تعبئتها في نهاية القرن الماضي، وبالتالي نفذ مفعولها ولم تعد صالحة.

وفي مصنع روفر لصناعة السيارات في بريطانيا رفضت أجهزة الكمبيوتر إصدار عربات بضمانات مدتها ست سنوات لأنها اعتبرت أن السيارات قد صنعت في العام ١٩٠٠م، كما أن حاملي بطاقات الائتمان في جميع أنحاء العالم بدأوا بالفعل يتأثرون لأن أجهزة الكمبيوتر في البنوك والمحلات وغيرها ترفض بطاقاتهم ذات الصفرين.

وفي عالم الإنترنت ازداد عدد الشركات التي تقدم خدمات البقاء بعد العام ألفين، وتتراوح هذه الخدمات من الملاجئ إلى الكتب حول البقاء بعد العام ألفين، وكأن حرباً عالمية على الأبواب، بعض الخائفين بدأوا بتخزين المؤن الغذائية خوفاً من حدوث توقف أو شلل في الإمدادات الغذائية بينما بدأ البعض الآخر وخاصة في الولايات المتحدة بتخزين البنادق وشراء الملاجئ والمخابئ في الأرياف للدفاع عن أراضيهم، وتعليقاً على مسألة الأمن العالمي، حذر جون كوسكينين مستشار الرئيس الأمريكي أخيراً من أن الدفاعات العسكرية الأمريكية وترسانتها النووية قد تتضرر، ويُقال إن وزارة الدفاع الأمريكية قلقة جداً بشأن احتمال فشل نظم الصواريخ النووية الروسية إلى درجة أنها تدرس تقديم المساعدة للتأكد من عدم وجود إنذارات كاذبة قد تسبب في حدوث هجوم نووي. ■

الشرق الأوسط

مولدات طاقة تحت مياه البحار



ستشهد نهاية هذا القرن ولادة جيل جديد من مولدات الطاقة الكهربائية الغريبة التي تعمل تحت مياه البحار بموجات أرخميدس وقد صرح المهندس الالكتروني . فرد غاردنو . الذي اخترع هذه التقنية الجديدة بأنه أطلق اسم العالم الاغريقي ارخميدس على اختراعه اعترافا بفضله وتكريما لعبارته الشهيرة (يوريكا) أي وجدتها.

وتعتبر تقنية توليد الطاقة الكهربائية بواسطة أمواج البحار من أوفر وأكثر التقنيات اقتصادا للجهد والمال إذ تتكون من مولدات مثبتة في قاع البحر فوق أعمدة معدنية غير قابلة للصدأ تعلوها غطاءات شبيهة بقبعات فطرية الشكل تدفعها الأمواج إلى أعلى ثم إلى أسفل بوتيرة تمكنها من توليد الطاقة. ■

مجلة الوسط

تليسكوب «شاندرا» يقرأ الجريدة عن بعد نصف ميل

أطلق قبل أيام أضخم وأقوى وأدق تليسكوب يعمل بواسطة أشعة إكس، في رحلة تستغرق خمسة أعوام لسبر أغوار المجرات والبحث عن علامات في الثقوب السوداء.

وهذا التليسكوب المعروف باسم شاندرا اكس راي أوبسرفاتوري المكون من أربعة طوابق ونصف الطابق ادخل إلى المركبة الفضائية كولومبيا، وهذا التليسكوب أقوى بـ ١٠ ـ ١٠٠ مرة من أي من التليسكوبات الأخرى التي أطلقت في رحلات مدارية في الماضي، إذ بوسع هذا التليسكوب قراءة صحيفة من على بعد نصف ميل، ويعلق رئيس وكالة الفضاء الأمريكية «ناسا» كين ليوبيتر «يمكننا أن نجعل سوبرمان يغار منا، من خلال قدرة تليسكوب أشعة إكس على رؤية الأشياء بدقة، ومن المقرر أن يطلق المكوك الذي تقوده للمرة الأولى امرأة هي ألين كولينز، التليسكوب chandra بعد سبع ساعات من بدء الرحلة، وسوف يبدأ التليسكوب عمله بعد شهر من إطلاقه.

مرايا مسطحة

ومن المعروف أن أشباه النجوم والمجرات وبقايا النجوم المنفجرة والكائنات السماوية الأخرى تنتج أشعة إكس لكن هذه الأشعة ليست مرئية للتليسكوبات التي تعمل على الأرض.

لكن الإشاعات سوف تدخل مباشرة إلى مرايا مسطحة كتلك التي تستخدم لتركيز الضوء على تليسكوب هابيل الفضائي، ولذلك سوف يستخدم تليسكوب شاندرا chandra مرايا مخروطية الشكل، وسوف تلامس موجات الضوء سطح المريا المخروطية كما يلامس حجر صغير سطح ماء ساخن.

ويقول مارتين ويسكبوف العالم الذي يعمل في المشروع منذ عامين أن «هذا هو عصر تستخدم فيه الأشياء الخارقة في كل شيء من الرياضة إلى السياسة، واستخدمنا هذه المواد مع التليسكوب أنها خطوة جبارة بالفعل».

وبلغت تكلفة هذا التليسكوب الذي انجزت بناءه مؤسسة Trw نحو ١,٥بليون دولار.

أما العملية كلها بما فيها المكوك نفسه فتصل تكلفتها إلى ٢,٨ بليون دولار. ■

يو إس ايه توداية

المؤتمر الإسلامي يستنكر إقامة وتوسيع المستوطنات اليهودية

في إطار خطة إسرائيل الرامية إلى فصل القدس عن الضفة الغربية وتهويدها كاملة.. يتابع المؤتمر الإسلامي العام لبيت المقدس بقلق واستياء شديدين إجراءات السلطات الإسرائيلية التعسفية والاستفزازية وذلك من خلال فرض سياسة الأمر الواقع التي تنتهجها إسرائيل على أرض القدس الشريف وباقي مدن فلسطين، حيث اتخذت الحكومة السابقة لإسرائيل بقيادة رئيس وزرائها نتنياهو قراراً بتوسيع ما سمي مستوطنة «معاليه ادوميم» بحيث تشكل ضاحية كبيرة للقدس بهدف توسيع الاستيطان حول القدس لربط الأحياء اليهودية الواقعة على الحدود البلدية للمدينة «بمعاليه ادوميم»، كما يستهدف القرار فصل القدس عن الضفة الغربية وشطر الضفة إلى قسمين.

والمؤتمر الإسلامي يعرب عن سخطه واستنكاره كذلك لكل الاعتداءات على حرمة المساجد في القدس الشريف، فقد ورد لمكتب المؤتمر الإسلامي أخبار عن اعتداءات على مسجد عين كارم، حيث تم إغلاق مدخله بالباطون، ولوحظ الانتهاك الصارخ لحرمة المسجد حيث تحتوي قاعة الصلاة على مخلفات متعاطي المخدرات، كما تم رسم صورة مئذنة مسجد تحيطها أفعى داخل قاعة الصلاة وكتب بجانبها «خطر على الجمهور»، وفي مسجد المالحة لم يستطع أحد الدخول إليه بتاتاً بسبب إغلاق جميع منافذه فقد قام اليهود بالسيطرة على أجزاء كثيرة منه حيث امتدت بيوتهم إلى داخل المسجد وقاموا أيضاً بنصب خيمة على سطح المسجد ووضعوا الفرش والكراسي لقضاء السهرات، ومسجد عسقلان الذي حولته الشركة الاقتصادية لبلدية عسقلان إلى متحف وتم افتتاح مطعم بداخله.

والمؤتمر الإسلامي إذ يستنكر وبشدة كل هذه الإجراءات والأعمال الظالمة بحق أهلنا وإخوتنا في القدس وفلسطين... ليطلب فوراً من المجتمع الدولي ممثلاً بهيئة الأمم المتحدة ولجان حقوق الإنسان في العالم والمنظمات والجمعيات الإنسانية المنتشرة في أرجاء العالم لوقف كل أعمال الاستيطان هذه، خاصة أعمال البناء في جبل أبو غنيم ورأس العامود بالإضافة إلى قرار توسيع مستوطنة «معاليه أدوميم» والانتهاكات لحرمة المساجد.

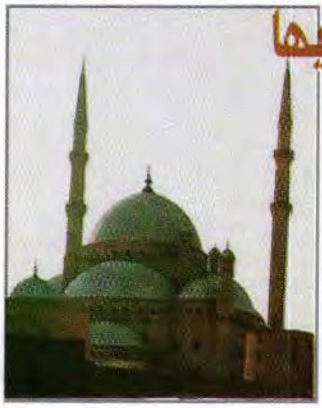
والمؤتمر الإسلامي العام لبيت المقدس يجري اتصالاته مباشرة مع المنظمات والمؤسسات والجمعيات الإسلامية الإنسانية في الداخل والخارج للوقوف على هذه الإجراءات الظالمة بحق الإنسان والأرض في فلسطين.

إن المؤتمر الإسلامي لبيت المقدس يناشد الأمتين العربية والإسلامية لتوحيد صفوفها وجهودها لمنع السلطات الإسرائيلية من التمادي في توسيع المستوطنات وسلب الأراضي من أصحابها وتشريدهم بهدف تهويد الأرض وتطهيرها من كل ما هو عربي ومسلم.

إن هذه الأعمال الاستفزازية والتعسفية من قبل السلطات الإسرائيلية جعلت المنطقة وخاصة منطقة القدس، منطقة شديدة الخطورة، قابلة للانفجار وأعمال العنف والدمار في أي لحظة.

والمؤتمر الإسلامي العام يهيب بمنظمة المؤتمر الإسلامي في جدة والمجلس الإسلامي العالمي للدعوة والإغاثة في القاهرة، ورابطة العالم الإسلامي في مكة، وجامعة الدول العربية، وهيئة الأمم المتحدة، وجميع المنظمات والمؤسسات والجمعيات الإسلامية والإنسانية والعالمية الخيرة في هذا العالم، يناشدها جميعاً للعمل يداً بيد لمنع السلطات الإسرائيلية من إجراءاتها الاستفزازية والتعسفية الظالمة والوقوف إلى جانب الحق والعدل والمساواة بين أبناء البشر للعيش بسلام وحرية وطمأنينة حتى يعم السلام في مدينة السلام... مدينة القدس الشريف. ■

مصر تحتفل بدخول الإسلام إليها



سيقام احتفال عالمي في القاهرة بمرور ١٤٠٠ سنة على دخول الإسلام إليها. وقد قرر مجلس الوزراء المصري تشكيل لجنة من وزراء الإعلام والأوقاف والثقافة للإعداد لهذا الاحتفال.

وذكر وزير الأوقاف المصري الدكتور محمود حمدي زقزوق أن وزارة الأوقاف المصرية ستبرز هذه المناسبة العظيمة وتصحح كل ما يكتب من مغالطات وافتراءات عنها.

وأضاف: أن الوزارة تسعى لتسليم أوقاف الأزهر إلى إدارة الأزهر وهي ٢٠٠٠ فدان وست عقارات.

وتجري الوزارة اختبارات لـ ٣٠٠٠ داعية جدد لإجازتهم في العمل الدعوي وأن الوزارة ضمت ٢٢ ألف مسجد وستة آلاف مصلى صغير وتم إنشاء مستشفى للدعاة كلف ٨٠ مليون جنيه مصري و ٥٠ مستوصفاً ملحقة بالمساجد الكبرى تابعة لمستشفى الدعاة. وسيتم إنشاء مستشفيين جديدين للدعاة في الشمال والجنوب من مصر، وقدمت وزارة الأوقاف ألف فدان من الأراضي ونصف مليون متر مربع لبناء مدارس ومستشفيات ومراكز للشباب بسعر رمزي. ■

سكان العالم ٦ مليارات

في صباح ١٩٩٩/٧/١٩م ومع ولادة طفل آخر في الساعة الواحدة وأربع وعشرين دقيقة، وصل عدد سكان الأرض إلى ستة مليارات نسمة، حيث أصبح يمثل هذا المولود الجديد لخبراء التضخم السكاني اتجاهاً مقلقاً، إذ وصل عدد سكان الأرض في أقل من ٤٠ عاماً إلى ضعف ما كان عليه.

وعلقت ايمي كوين رئيسة منظمة «العمل السكاني الدولي» في تصريح لصحيفة «الأوبزيرفر» البريطانية الأسبوعية قائلة: «خلال التطور الإنساني عبر التاريخ تكاثر الناس حتى وصل عدد سكان الأرض عام ١٨٠٤ إلى مليار نسمة، لكن بعد ذلك وخلال أكثر بقليل من ١٥٠ سنة، أي عام ١٩٦٠م، وصل عدد سكان الأرض إلى ثلاثة مليارات نسمة»، مضيفة أن هذا الرقم تضاعف ليصل إلى ستة مليارات في أقل من ٤٠ عاماً.

وهذه الأرقام، التي قدمها مكتب الإحصاء السكاني الأمريكي، «لا تعني أنها بهذه الدرجة من الدقة، أي معرفة كل مولود على وجه الأرض»، حسب رأي متحدث باسم المكتب، الذي أضاف أن المكتب يعتقد أن عدد سكان الأرض حسب التوجهات الإحصائية قد وصل في الساعة الواحدة و٢٤ دقيقة من صباح اليوم إلى ستة مليارات نسمة، لكن منظمة الأمم المتحدة تقول إن البشرية لن تصل إلى هذا الرقم قبل ١٢ أكتوبر المقبل.

مهما تكن التقديرات، فإن تعداد السكان وصل إلى درجة مقلقة من التضخم، حيث يزداد عدد سكان الأرض بمقدار ٧٨ مليوناً في السنة، مضيفين بذلك مدينة بحجم سان فرانسيسكو الأمريكية كل ثلاثة أيام، الأمر الذي أصبح منهكاً لموارد الأرض الطبيعية التي أصبحت شحيحة. وتضيف الصحيفة أن هذه الزيادة السكانية حدثت رغم أن نصف نساء العالم يستعملن وسائل منع الحمل مقارنة مع ١٠ في المائة فقط قبل ٣٠ عاماً. وقد انخفضت نسبة الإنجاب عند النساء في ٦١ دولة من أصل ١٩١ دولة في العالم إلى أقل من ٢,١ طفل للمرأة، لكن المجتمعات البشرية تحتاج إلى ٧٠ عاماً للوصول إلى نسبة إخصاب مستقرة.

ومع أن النمو السكاني تباطأ في السنين الأخيرة، إلا أن الخبراء يتوقعون أن يتضاعف الرقم مرة ثانية ليصل إلى ١٢ ملياراً مع حلول عام ٢٠٥٠. ■

٢٩ مليون نسمة عدد سكان الجزائر ربعهم أميون

أشارت نتائج الإحصاء العام للسكان والسكن في الجزائر والذي أنجز في يونيو في العام الماضي أن عدد سكان الجزائر بلغ ٢٩,٢٧٢,٣٤٢ نسمة تمثل النساء منهم نسبة ٤٩,٤٤ في المائة أي ١٤,٤٧١,٣١٨ امرأة، وحسب الديوان الوطني للإحصاء فإن ٧,١ مليون جزائري أميون كما أن متوسط عمر الزواج بلغ أكثر من ٣١ عاماً بالنسبة للرجال و ٢٧ سنة لدى النساء في حين أن ٤٥,٦٥ في المائة من البالغين من الرجال والنساء يعيشون حياة العزوبية.

وقال تقرير الديوان، الذي نشر يوم ١٩٩٩/٧/٧م، أن أكثر من ٨٠ في المائة من السكان يتواجدون في المدن الكبرى والمتوسطة وتحتل الجزائر العاصمة المقام الأول من حيث عدد السكان المقيمين فيها بـ ٢,٥ مليون ساكن ثم تليها ولاية سطيف شرقي البلاد بـ١,٣ مليون نسمة وتأتي ولاية وهران غربي الجزائر في المركز الثالث بـ١,٢ مليون نسمة وفي المقام الرابع ولاية تيزي وزو «البربرية» بـ١,١ مليون نسمة. ■

ازدياد الفقراء في اليمن والكثيرون يعانون من سوء التغذية

قال تقرير للأمم المتحدة حصلت عليه رويترز إن السكان في اليمن الذي يعاني من معدل مرتفع للنمو السكاني يزدادون فقراً وأن كثيرين منهم يعانون من سوء التغذية.

وقالت الأمم المتحدة في أحدث تقاريرها عن التنمية البشرية إن نسبة الفقراء ارتفعت إلى ٢٧ في المائة في ١٩٩٨م أو ٤,٣ مليون نسمة بالمقارنة مع ١٩,١ في المائة في ١٩٩٢م أو ٣,٢ مليون نسمة.

وقيس مستوى الفقر بالحرمان فيما يتعلق بالاستهلاك والرعاية الصحية والتعليم وعوامل أخرى.

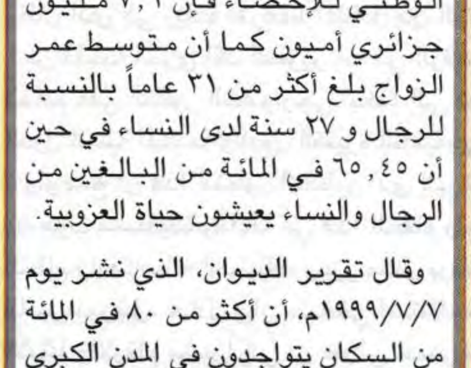
وأضاف التقرير أن السكان يتضاعفون كل ١٩ سنة على أساس معدل للنمو يبلغ ٣,٧ في المائة في السنة سجل بين ١٩٨٨ و ١٩٩٤، وتوقع أن يصل عدد السكان إلى ١٨,٩ مليون نسمة في ٢٠٠١م.

ويبلغ عدد السكان حالياً وفقاً للتقديرات الرسمية ١٧,٥ مليون نسمة.

وينفذ اليمن منذ عام ١٩٩٥م برنامجاً للإصلاح الاقتصادي بمساعدة صندوق النقد الدولي والبنك الدولي.

ويقول اقتصاديون إن اليمن لم يشعر بعد بمنافع الإصلاح الكاملة ومازال يعاني من أثر هبوط أسعار النفط العام الماضي.

وقال التقرير: «يعاني اليمنيون بصفة عامة من سوء التغذية»، مضيفاً أن اليمن لم يحقق الاكتفاء الذاتي في المنتجات الزراعية.



وتابع: أن البطالة «من المشاكل الاقتصادية والاجتماعية الرئيسة التي تواجه المجتمع اليمني». ■

نظام العولمة يفتقر إلى الإنسانية ويعمق الفارق بين الدول الغنية والفقيرة

انتقد التقرير السنوي الأخير لبرنامج التنمية للأمم المتحدة بشدة المخاطر الجسيمة التي يشكلها نظام الطابع الشمولي المعروف بـ«العولمة» للعلاقات الدولية ومستقبل الشعوب الفقيرة في العالم.

وأضاف التقرير أن هذا النظام العالمي الجديد «يخدم مصالح الدول الغنية وأرباح الشركات المتعددة الجنسيات ولا يخدم مصالح الشعوب لا سيما في الدول النامية، كما أنه لا يخدم مستقبل البشرية بشكل عام». وجاء في تقرير برنامج التنمية للأمم المتحدة والذي يتخذ من فيينا مقراً له أن الطابع الشمولي العالمي المتنامي لحركة الإنتاج والمال أدى إلى زيادة الارتباط المتبادل بين البشر في العالم بأسره.

من ناحية أخرى أكد التقرير أنه في الوقت نفسه أدى هذا التوجه القائم على التطور التكنولوجي أيضاً إلى تعميق الفارق والهوّة بين الدول الغنية المتقدمة والدول الفقيرة النامية في العالم.

وأوضح أن هذا التطور الخطير أدى إلى تقسيم العالم إلى «دول وشعوب مستفيدة وفاعلة في هذا النظام وأخرى متلقية لنتائج هذا النظام وانعكاساته السلبية»، وعزز ممثل برنامج التنمية للأمم المتحدة هانس دورفيل، خلال بيان صحفي استنتاجات التقرير بسلسلة من الأمثلة والأرقام مشيراً إلى أن حوالي خمس سكان العالم يملكون ٨٦ في المائة من الناتج الإجمالي الاقتصادي العالمي و٨٢ في المائة من أسواق التصدير العالمية و ٦٨ في المائة من الاستثمارات الخارجية الإجمالية المباشرة و٧٤ في المائة من مجموع خطوط شبكة العالم الهاتفية. وأردف دورفيل قائلاً إن كل ذلك مقابل حصة بنحو ١ في المائة فقط لخمس سكان العالم الأشد فقراً في مختلف هذه المجالات المهمة للبنية التحتية.

وذكر التقرير أن شعوب الدول الغنية المتقدمة التي لا تمثل سوى نحو ١٧ في المائة من مجموع السكان في العالم تسيطر على نحو ٨٨ في المائة من شبكة الإنترنت وتقنيات الاتصالات الحديثة في العالم.

وأكد تقرير برنامج الأمم المتحدة للتنمية أيضاً أن نظام العولمة قد زاد من المخاطر على أمن وحياة البشر في مختلف أنحاء العالم

وأشار إلى أن عصابات الجريمة المنظمة بأشكالها المختلفة تحقق حالياً مبالغ تقدر بنحو ١,٥ مليار دولار أمريكي بطريقة غير مشروعة نتيجة التهريب والاتجار غير المشروع بالمخدرات والأسلحة والنساء والأطفال اللاجئين.

وقال التقرير: إن شعوباً عديدة أصبحت تشعر بالخطر في المجال الثقافي للنظام العالمي الشمولي الجديد «لأن عملية التبادل الثقافي أصبحت تسير باتجاه واحد ولأن العادات والممارسات الثقافية الأمريكية هي التي أصبحت مسيطرة في جميع أنحاء العالم».

وخلص التقرير إلى القول: إن هذا النظام العالمي الجديد: «يفتقر إلى الإنسانية فقد يكون اقتصاد السوق السبيل الأفضل لدعم الإنتاج لكنه لا يصلح للتنمية البشرية وتطور الإنسانية».

وأكد الخبير دورفيل أنه بالإمكان تفادي هذا النقص ومواجهة الإفرازات الجانبية السلبية لنظام العولمة وذلك على الأصعدة المحلية والوطنية والإقليمية والدولية، وطالب باتخاذ إجراءات تمكن من مراعاة احتياجات البشر الثقافية والاجتماعية في البرامج الاقتصادية الشاملة للعالم وذلك عبر التفكير في إنشاء «منتدى عالمي يضم الشركات المتعددة الجنسيات والمنظمات غير الحكومية والنقابات» لبدء حوار عالمي يمكّن من سماع صوت الشعوب الفقيرة أيضاً وإشراكها بشكل أفضل في صنع القرارات ضمن هذا النظام العالمي الشمولي الجديد. ■

يزيد عددهم على أربعة ملايين : ثلث أطفال بريطانيا يعيشون دون حد الفقر

حذر باحثون من أن ثلث أطفال بريطانيا أي ما يزيد على أربعة ملايين طفل مازالوا يعيشون دون حد الفقر مما يشكل ثلاثة أضعاف عدد الذين عانوا من الفقر في السبعينيات.

وقالت كلية لندن للاقتصاد في جامعة لندن أن ما نسبته ١٠ في المائة من الأطفال لم يستفيدوا من ارتفاع مستوى المعيشة في بريطانيا.

وأضافت أن الأمر يحتاج إلى إجراءات جذرية إذا كانت الحكومة البريطانية تريد أن تحقق أهدافها بالقضاء على ظاهرة الفقر الذي يعاني منه الأطفال خلال ٢٠ عاماً. وأظهرت الإحصائيات أن العمل الذي يجب أن تقوم به الحكومة إذا أرادت أن تحقق أهدافها هو خفض مستوى فقر الأطفال بمعدل ٢٠٠ ألف حالة بحلول منتصف العام المقبل والقضاء عليه خلال جيل.

وقال رئيس الباحثين في كلية الاقتصاد في بريطانيا بول غريغ إن الإجراءات التي يجب أن تتخذ لمعالجة الفقر يجب أن تكون «كبيرة وفعالة» وثابتة لأعوام عديدة.

وقال غريغ: إن التخفيضات التي طرأت على المزايا الاجتماعية والإعفاءات الضريبية للعائلات قد جعلت من مشكلة الفقر لدى الأطفال أكثر سوءاً.

ومضى قائلاً: «إن مساعدات الأطفال في تدهور فإن الإعفاءات الضريبية القديمة ذهبت، كما أن مدفوعات المزايا الخاصة بالأطفال لا ترتفع، كل هذا يجر العائلات وأطفالهم إلى الأسفل». ■

شركات التبغ تضيف مواد كيماوية للسجائر لزيادة الإدمان



قال تقرير جديد نشر يوم ١٩٩٩/٧/١٤م إن شركات التبغ تضيف كيماويات لزيادة إدمان المدخنين للسجائر.

وأوضح تقرير مشترك للمؤسسة الملكية البريطانية لأبحاث السرطان وجماعة مكافحة التدخين «اش» وولاية ماساتشوستس الأمريكية أن أكثر من ٦٠ وثيقة خاصة بصناعة التبغ تتحدث عن استخدام مواد مضافة لترويج السجائر.

وقال كليف بيتس مدير جماعة مكافحة التدخين «اش» في مقابلة هاتفية «إنها فضيحة... إضافة مواد للسيجارة لكي يصبح المدخنون أكثر إدماناً في الوقت الذي تنفي فيه أن النيكوتين يسبب الإدمان».

ويعتمد التقرير على وثائق داخلية خاصة بصناعة التبغ تتحدث عن استخدام مواد إضافية تم الكشف عنها في الآونة الأخيرة في دعاوى نظرتها محاكم بالولايات المتحدة.

وتفيد هذه الوثائق بأن معظم المواد المضافة ومجموعها ٦٠٠ المستخدمة في إنتاج السجائر بدول الاتحاد الأوروبي ليست ضرورية وإن قليلاً منها كان يستخدم قبل عام ١٩٧١م.

وأوضح التقرير أن هذه المواد المستخدمة تحسن مذاق التبغ وتغطي رائحة الدخان وتزيد من امتصاص النيكوتين.

وتتحدث وثيقة للشركة البريطانية الأمريكية للتبغ أعدت عام ١٩٦٥م عن استخدام النشادر لزيادة امتصاص جسم الإنسان للنيكوتين، ونقل التقرير عن الوثيقة قولها: «أوضحت النتائج أن إضافة النشادر أدى إلى زيادة امتصاص المواد الأساسية في السجائر بما في ذلك زيادة نسبتها ٢٩ في المائة في امتصاص النيكوتين».

وقال الطبيب مارتن جارفيس من المؤسسة الملكية البريطانية لأبحاث السرطان: إن شركات التبغ تزعم استخدام هذه المواد لكي يصبح تدخين السجائر التي تقل بها نسبة القطران أسهل بالرغم من أن السجائر التي تقل بها نسبة القطران ضارة مثلها مثل السيجارة العادية.

وأضاف التقرير أن هذه الدراسة توضح أن هناك قضية يجب مناقشتها مع ضرورة وضع قوانين جديدة.

وقال بيتس إنه يتحتم على شركات السجائر الكشف عن المواد التي تضيفها على كل ماركة سجائر وإثبات عدم تسببها في أضرار أخرى. ■

جريمة في لندن كل أربع دقائق

أصدرت شرطة العاصمة البريطانية «اسكوتلنديارد» إحصائية أوضحت فيها أن هناك اعتداء إجرامياً يقع على شخص في لندن كل أربع دقائق، وبينت الإحصائية ارتفاعاً ملحوظاً لهذه الظاهرة حيث إنه خلال عام منذ أبريل ١٩٩٨م، بلغ عدد الاعتداءات الإجرامية العنيفة ٣١٥٤٩ اعتداء من بينها ١٣٨ جريمة قتل، وأوضحت الإحصائية أن ١٠٢ جريمة قتل قد وقعت منذ يناير الماضي وأن ٤٤ في المائة من هذه الجرائم العنيفة تضمنت اعتداءات وتحرشات جنسية وجرائم قتل مروعة قد تمكنت الشرطة من حل ألغاز ٤٤ في المائة فقط منها.

ومن جانب آخر، تسود حالياً موجة غير طبيعية من اغتصاب النساء بدأت تقلق الأوساط الحكومية والاجتماعية البريطانية على حد سواء.

وأظهرت إحصائية نشرتها الصحف البريطانية أنه يتم اغتصاب أكثر من أربعين امرأة أسبوعياً في لندن وحدها وقد بلغ عدد النساء اللواتي تعرضن للاغتصاب في العاصمة البريطانية الفين خلال أقل من عام.

وقالت الإحصائية إن العدد يتزايد بشكل مطرد من عام إلى عام، ففي عام ١٩٩٦م سجلت ١٨٣٨ بالمقارنة مع ألفين منذ بداية العام الحالي.

وأوضحت الإحصائية أن الاغتصاب يترافق مع عنف شديد في أغلب الحالات وهي ظاهرة بدأت تترك آثاراً سلبية على المجتمع حيث لا تشعر المرأة بالأمان. ■

من هدي كتاب الله

(ويوم يعض الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلاً. يا ويلتى ليتني لم أتخذ فلاناً خليلاً. لقد أضلني عن الذكر بعد إذ جاءني وكان الشيطان للإنسان خذولاً)

الفرقان: ٢٧-٢٩.

من هدي رسول الله ﷺ

عن أنس رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال:
يا رسول الله متى الساعة؟
فقال له: وما أعددت لها؟
قال: حب الله ورسوله.
فقال له النبي ﷺ: فإنك مع من أحببت.

عبرت .. فقال ذو النون

إن لهذا العقرب لشأناً فامض بنا فجعلنا نقفو أثرها، فإذا رجل نائم سكران، وإذا حية قد جاءت فصعدت من ناحية سرته إلى صدره وهي تطلب أذنه فاستحكمت العقرب من الحية فضربتها فانقلبت وانفسخت ورجعت العقرب إلى الغدير، فجاءت الضفدع فركبتها فعبرت، فحرك ذو النون الرجل النائم ففتح عينيه فقال:
يا فتى! انظر مما نجاك الله: هذه العقرب جاءت فقتلت هذه الحية التي أرادتك، ثم أنشأ ذو النون يقول:

يا غافلاً والجليل يحرسه
من كل سوء يدب في الظلم
كيف تنام العيون عن ملك
تأتيه منه فوائد النعم

فقال الشاب بعد أن أفاق:
إلهي! هذا فعلك بمن عصاك فيكف رفقك بمن يطيعك؟
(كتاب التوابين لابن قدامة المقدسي)

قالوا

- من كثر مزاحه لم يخل من استخفاف به أو حقد عليه. (ابن المعتز)
- حادثوا هذه القلوب بذكر الله فإنها سريعة الدثور. (الحسن البصري)
- من كانت فيه دعابة فقد برئ من الكبر. (علي بن أبي طالب)

الفرس

يستطيع الفرس أن يظل شهراً واقفاً على قدميه كما أنه ينام في هذا الوضع... إذ حباه الله بجهاز عضلي خاص يسمح لأرجله بأن تظل مشدودة على الدوام لتحمل جسمه الثقيل دون عناء... فسبحان الله.

أحمد الله على المصيبة

قال شريح القاضي: إني لأصاب بالمصيبة فأحمد الله عزَّ وجلَّ عليها أربع مرات، أحمده إذ لم تكن أعظم مما هي، وأحمده إذ رزقني الصبر عليها، وأحمده إذ وفقني للاسترجاع لما أرجو فيه من الثواب، وأحمده إذ لم يجعلها في ديني.

لا أدري

كان عبدالله بن يزيد يقول: ينبغي للعالم أن يورث جلساءه من بعده: لا أدري حتى يكون أصلاً منه في أيديهم إذا سئل أحدهم عما لا يعلم أن يقول: لا أدري... لا أدري. وسئل الشعبي عن مسألة فقال: لا أعلم، فقيل له: ألا تستحي وأنت فقيه العراقين «الكوفة والبصرة» قال: لا أستحي مما لا تستحي منه الملائكة حين قالت: (لا علم لنا إلا ما علمتنا).

تعاريف عامة في علم الحديث: أنواع الحديث

١ - المرفوع: وهو ما يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم ويسمى حديثاً.
٢ - الموقوف: وهو ما يروى عن الصحابي ويسمى أثراً.
٣ - المقطوع: وهو ما يروى عن التابعي ويسمى أثراً.

صفة الدنيا

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه:
الدنيا دار بلاء ونزل عناء، أسعد الناس فيها أرغبهم عنها، وأشقاهم بها أرغبهم فيها، فهي الغاشة لمن انتصحها، المهلكة لمن اطمأن إليها، طوبى لعبد أطاع فيها ربه ونصح نفسه وقدم توبته وأخر شهوته.

أخشى أن أكون شريكاً فيها .

جلس التابعي الجليل طاووس عند أبي جعفر المنصور فقال له المنصور:

ناولني هذه الدواة، فامتنع طاووس وتكرر طلب الخليفة وامتناع طاووس، فقال أبو جعفر غاضباً: ما يمنعك أن تناولنيها؟ فقال طاووس: أخشى أن تكتب ما يكون معصية لله، فأكون شريكاً فيها.

النائحة الثكلى والنائحة والمستأجرة

سُئل أحد الوعاظ: ما لك كلما تكلمت بكى كل من يسمعك ولا يبكي من كلام واعظ المدينة أحد؟ فقال: ليس النائحة الثكلى كالنائحة المستأجرة!

إجابة مسكتة

قدم على أمير المؤمنين عمر بن عبدالعزيز وفد، فأنابوا عنهم غلاماً يافعاً ليتكلم، فقال له عمر: يا غلام ليتكلم من هو أكبر منك سناً، فقال له: يا أمير المؤمنين، المرء بأصغريه قلبه ولسانه، ولو كان الأمر بالسن لكان في المسلمين من هو أحق منك بالخلافة، فقال عمر:

صدقت وتكلم الغلام فأثار دهشة الخليفة الذي أخذ ينشد:

تعلم فليس المرء يولد عالماً

وليس أخو علم كمن هو جاهل

وإن كبير القوم لا علم عنده

صغير إذا التفت عليه المحافل

يقول عبدالله بن المبارك :

يا عابد الحرمين لو أبصرتنا

لعلمت أنك بالعبادة تلعب

من كان يخضب خده بدموعه

فنحورنا بدمائنا تتخضب

أو كان يتعب خيله في باطل

فخيولنا يوم الصبيحة تتعب

ريح العبير لكم، ونحن عبيرنا

وهج السنابك والغبار الأطيب

خطأ لغوي شائع

أذن له في السفر:

يقولون أذن له بالسفر والصواب: «أذن له في السفر» أي: أباحه له لأن معنى (أذن بالشيء) هو: علم به.

وفعله: أذن يأذن إذناً وأذناً وأذانة: علم وقد قال تعالى في الآية ٢٧٩ من سورة البقرة: (فأذنوا بحرب من الله ورسوله)، أي كونوا على علم.

وأذن له في الأمر يأذن إذناً وأذيناً: أباحه له، وأذن له وإليه استمع معجباً.

عقوق وظلم نفس

قال حكيم: من أمضى يوماً من عمره في غير حق قضاه أو فرض أداه، أو مجد أثله، أو حمد حصله، أو خير أسسه، أو علم اقتبسه، فقد عق يومه ذاك وظلم نفسه.

دواء القلب

قال أحد الصالحين: دواء القلب خمسة أشياء: قراءة القرآن بتدبر، وخلو البطن، وقيام الليل، والتضرع عند السحر، ومجالسة الصالحين.

رؤوس النعم

رؤوس النعم ثلاثة: أولها نعمة الإسلام التي لا تتم النعم إلا بها، ثانيها: نعمة العافية التي لا تطيب الحياة إلا بها، ثالثها: نعمة الغنى التي لا يتم العيش إلا بها.

حدود

- للجود : حد متى جاوزه صار إسرافاً وتبذيراً، ومتى نقص عنه صار بخلاً وتقتيراً.
- للشجاعة : حد متى جاوزته صارت تهوراً، ومتى نقصت عنه صارت جبناً وخوراً.
- للغيرة : حد إذا جاوزته صارت تهمة وظناً سيئاً بالبريء، وإذا قصرت عنه صارت غفلة.
- للتواضع : حد إذا جاوزه كان ذلاً ومهانة، ومتى قصر عنه انحرف إلى الكبر والفخر.

إعداد : محمد هاني

نحو تقويم جديد للكتابة العربية



في سلسلة الكتب التي يصدرها مركز البحوث والدراسات بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في دولة قطر، صدر كتاب الأمة التاسع والستون تحت عنوان «نحو تقويم جديد للكتابة العربية» للأستاذ الدكتور طالب عبدالرحمن، وهذا الكتاب يشكل محاولة جادة لمناقشة مشكلة تعتبر من أخطر المشكلات التي تتعرض لها الكتابة العربية بعد أن اتسعت فجوة التخلف في العالم العربي والإسلامي، وما رافق ذلك من التطور الهائل لتقنيات الكتابة والاتصال، والدعوة العريضة إلى ضرورة استبدال الحروف الأجنبية بالكتابة العربية، الأمر الذي يعني أول ما يعني إحداث القطيعة مع القرآن الكريم، والسنة النبوية والتراث التاريخي للأمة المسلمة، ومسح ذاكرتها بحجة أن تعلم الكتابة العربية ورسمها وحروفها صعب قياساً ومقارنة بالكتابة بالحروف الأجنبية.

والباحث حاول تفنيد المآخذ المنسوبة إلى العربية، وعقد مقارنة متخصصة مع الفرنسية والإنكليزية، مبرزاً النقائص والمزالق الموجودة في أشهر لغات العالم المعاصر اليوم، وتأتي ميزة الكتاب في أنه ركز على مناقشة الأفكار لا الأشخاص، وحاول التفريق بين مناقشة القيمة «الفكرة»، بعيداً عن الذات، مبيناً أن دعاة التغيير لم يكونوا موضوعيين في عرضهم الحقائق، إضافة إلى أن الباحث تمكن من عرض النقاط الفنية المتخصصة بأسلوب سهل واضح ليصل إلى أكبر عدد ممكن من القراء.

الزكاة وتنمية المجتمع



عن رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة صدر العدد ١٨٧ في سلسلة دعوة الحق تحت عنوان: «الزكاة وتنمية المجتمع» للسيد أحمد المخزنجي وهذه الدراسة تأتي لتؤصل ملامح الزكاة، هذه الشعيرة الأساسية من شعائر الإسلام وأركانه، وتبرز في الوقت نفسه إلى أي مدى يكون دورها في تنمية المجتمع الإسلامي وإزالة حدة الفقر بين أفراده على مختلف فئاتهم وطبقاتهم، كما تأتي في الوقت الذي فشلت فيه النظم الاقتصادية المعاصرة ذات الأيديولوجيات المتصارعة في الوصول إلى نظام اقتصادي عادل يحفظ للإنسان كرامته وآدميته بعد أن جربت مناهجها الاقتصادية الخاطئة التي أدت ولا تزال إلى المزيد من البطالة والفقر والكساد على مستوى العالم، لتناقضها مع متطلبات الفطرة الإنسانية السوية، فبعد تخبط طويل لتلك النظم وما نجم عنها من مآس لعدة قرون يعود العالم اليوم لينتبه إلى ما سبق أن قرره الإسلام منذ أربعة عشر قرناً من نظام اقتصادي مرن يحقق التوازن بين الدوافع الذاتية ومصالح الأمة الاجتماعية، فالزكاة تعتبر من أهم الوسائل في بناء المجتمع، لأنها تساعد على إزالة الكراهية والحقد والحسد الذي تنبض به قلوب المحرومين، ومن ثم يسعد المجتمع ويعيش متعاوناً متآخياً مترابطاً بما يؤدي إلى قيام تنمية شاملة ومتوازنة دعامتها الإنسان نفسه ليكون بحق خليفة الله في أرضه.

كتاب جديد لتصحيح شبهات حول السيرة النبوية

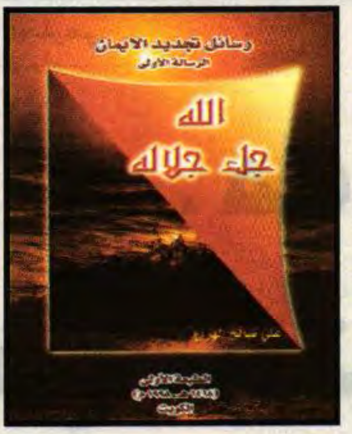
عن المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة «الايسيسكو» صدر كتاب جديد باللغة العربية حول تصحيح ما ورد في الموسوعة الإسلامية الصادرة عن دار بستل في «لايدن» بهولندا، في مادة السيرة النبوية التي تجدد طباعتها بصورة مستمرة وتصدر بالانجليزية والفرنسية والألمانية.

ويتناول هذا الكتاب بالرد المنصف القائم على الحجة والبرهان والمستند إلى المنطق والدليل ما ورد في هذه الموسوعة من أخطاء وشبهات حول السيرة النبوية لا يمت بأدنى صلة إلى حقائق التاريخ وأصوله الذي يقوم على الموضوعية والإنصاف والحياد الفكري وذلك نتيجة الاعتماد على مصادر ضعيفة ومراجع مشبوهة، والإهمال المقصود لما صح من المصادر التاريخية المنزهة عن الهوى والغرض، وقد صحح الأخطاء الواردة في هذه الموسوعة عن السيرة النبوية الدكتور أحمد أبو زيد، وستتولى المنظمة الإسلامية ترجمة هذا الكتاب إلى اللغتين الإنجليزية والفرنسية، وينقسم الكتاب إلى قسمين يشتمل أولهما وهو الخاص بالمرحلة المكية من السيرة النبوية على أربعة مباحث تتناول طفولة النبي ﷺ، ومن البعثة إلى الهجرة والتشكيك في أحداث السيرة قبل الهجرة.

بينما يختص القسم الثاني بالمرحلة المدنية ويتناول في ستة مباحث أخطاء الموسوعة في الحديث وأخطاء في وصف سيرة النبي ﷺ، وأخطاء في الحديث عن السرايا والغزوات والتشكيك في الرسائل النبوية إلى الملوك والحكام، ومزاعم متنوعة أخرى، ويحتوي الكتاب على تمهيد عام حول طريقة المستشرقين في كتابة السيرة النبوية وأسلوبهم في التعامل معها.

والكتاب هذا يقع في ١٤٨ صفحة من القطع المتوسط وصدر في إطار التعاون بين المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، والهيئة الخيرية الإسلامية العالمية التي يوجد مقرها في الكويت.

رسائل تجديد الإيمان





ثلاث رسائل من تأليف الأستاذ علي صالح الهزاع، وهي تعتني بثلاث مسائل رئيسة تعتبر كل مسألة فيها ركيزة من أهم ركائز العقيدة الإسلامية والتصور الإسلامي الصحيح وهذه الرسائل هي:

١ - وجود الخالق ووحدانيته.

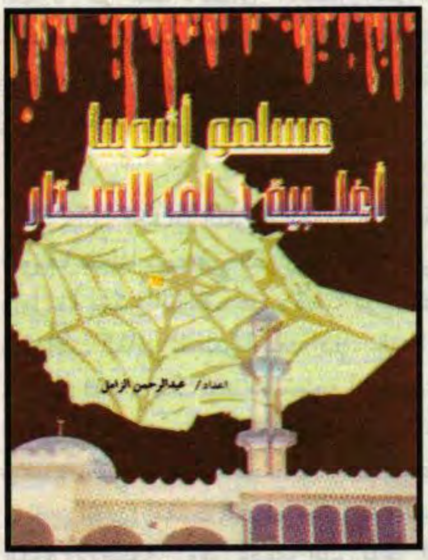
٢ - القرآن الكريم معجزة الإسلام.

٣ - رسالة البعث والنشور.

والرسائل عبارة عن تفصيل لمحتويات هذه النقاط ومواضيعها الأساسية التي هي بيت القصيد ومحط المخالفة والأخذ والرد عند خصوم الأديان على تنوع أساليبهم ومشاربهم، وهو عمل نشبهه بمفتاح نضعه بيد القارئ يفتح به مغاليق أبواب هذه المواضيع.

وقد اعتمد المؤلف على مادة القرآن الكريم وأسلوبه الفريد في سياسته الجدلية البعيدة عن التعقيدات المنطقية الاصطلاحية التي جاءت على ما هو مألوف من أساليب الناس البدهية وتميزت عليه في الجمع بين وضوح التعبير وسلامة التركيب وإيقاظ المدارك النفسية والعقلية التي تدفع إلى التفكر والنظر والاستلهام.

مسلمو أثيوبيا أغلبية خلف الستار



كتاب من تأليف وإعداد عبدالرحمن الزامل، وفهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية في الرياض، ويقع في حوالي ٩٠ صفحة من القطع المتوسط ويتحدث الكتاب عن المسلمين في أثيوبيا حيث يؤكد على ثلاثة أمور هي:

١ - إثبات أن المسلمين أغلبية في هذه البلاد.

٢ - إبراز وإيضاح أوضاع المسلمين تحت حكم النصارى خلال مائة عام مضت.

٣ - إظهار وكشف الدور الغربي النصراني في مسيرة الأحداث التي أدت إلى ظلم المسلمين وقهرهم.

مؤلف الكتاب اعتمد في أغلب جوانب هذه الدراسة على الخبرة الميدانية الذاتية له، وعلى المقابلات الشخصية مع ذوي الشأن والعمل والخبرة، كما أن بعض النقاط مما يتعلق بفترة الأمبراطور «منليك الثاني» وهيلاسي لاسي والحكم الشيوعي هي ترجمة بتصرف من كتاب: OROMIA لمؤلفه gadaa melleaa.

الشيوعية أفيون الشعوب



كتاب من تأليف عبدالرحمن علي فلاح، وتوزيع مؤسسة الأيام للصحافة والطباعة والنشر في البحرين.

يقع الكتاب في حوالي ١١٠ صفحات من القطع الصغير وهو عبارة عن موضوعات نشرت في أوقات متفرقة وفي مناسبات مختلفة، ولكنها تجتمع وتتعاضد في مضمونها حول قضية واحدة شغل الناس بها زمناً طويلاً ولايزالون مشغولين بها، هذه القضية هي قضية الشيوعية التي قامت على مبادئها دولة كبرى وكانت ملء السمع والبصر وكانت تتقاسم زعامة العالم مع دولة أخرى هي الولايات المتحدة الأمريكية، وعندما استنفدت أغراضها وانتهت مدة صلاحيتها سقطت، وسقطت بسقوطها الفكرة والمبادئ التي قامت عليها.

بقلم : د. رفيق حسن الحليمي

الرجم ... من أقدم العقوبات التي عرفتها البشرية

الدلالة اللغوية:

حملت الدلالة اللغوية لمعنى الرجم معان عدة، منها الرمي بالحجارة والقتل بها، والقذف باللسان بفاحش القول على سبيل اللعن والشتم، ومنها الهجر والطرد. وهذه المعاني تدخل جميعها ضمن العقوبات التي يوقعها الإنسان «أو المجموعة» على الآخر، إما بالرمي بالحجارة للقتل وإما بالشتم، وإما بالهجر، ومن معانيها اللغوية الغيب والظن من غير دليل كقوله تعالى: (رجماً بالغيب) الكهف:٢٢، وكقول الشاعر الجاهلي زهير بن أبي سُلمى:

وما الحرب إلا ما علمتم وذقتمُ

وما هو عنها بالحديث المُرجَّمِ(١)

الدلالة الشرعية:

أما من الجانب الشرعي: فالرجم شرعاً قتل الزاني المحصن رمياً بالحجارة، وسنأتي على هذا المعنى.

الرجم تاريخياً:

يبدو ـ وهذا ما تفترضه هذه الدراسة ـ أن الرجم بمعنى الرمي بالحجارة من أقدم العقوبات التي عرفتها البشرية، فإذا استثنينا حالة القتل التي ورد ذكرها في القرآن الكريم وهي قتل أحد أبناء آدم أخاه، فإن عقوبة الرجم يمكن أن تكون أقدم العقوبات التي مارسها الإنسان للتخلص من الخصوم، ولا ندري يقيناً الأسلوب الذي تم به قتل أحد أبناء آدم، فربما كان قتله رجماً بالحجارة أيضاً بعد تقييده والله أعلم.

وإذا أخذنا الرجم بمعنى اللعن والشتم أو الطرد، فإن خروج إبلس من الجنة (فاخرج منها فإنك رجيم) الحجر:١٥، يقع ضمن هاتين الدلالتين: اللعن والطرد، وأما خروج آدم وزوجه من الجنة فيقع ضمن دلالة الهجر والإبعاد، على أن معنى اللعن لغة الإبعاد «قاموس»، وهناك عدة آيات قرآنية تصف الشيطان بأنه رجيم كقوله تعالى: (وحفظاً من كل شيطان رجيم) الحجر:١٧.

ويبدو أن الإنسان ـ بعد هبوط آدم إلى الأرض ـ في سعيه لمعيشته اهتدى إلى الحجارة ـ وما أكثرها حوله ـ يرمي بها الطير والدواب والوحوش لاصطيادها، فأصبح الحجر أداة من أدواته في معركته مع الحياة، وأخذ يشكله في أشكال مختلفة كالسكاكين والخناجر... ولا يفوتنا تسمية المؤرخين هذه الحقبة من تاريخ البشرية بالعصر الحجري، وهو أقدم فترات التاريخ الإنساني وأطولها(٢)، وأغلب الظن أن أناس العصر الحجري القدي الباكر كانوا صيادين رحلاً جماعين للغذاء يأوون إلى الكهوف والمآوي الصخرية(٣)، خلال هذه الفترة ـ في ظننا ـ تجاوز الإنسان رمي الحجر للصيد به إلى «رجم الخطيئة» ورجم الخطّائين والمخالفين للتشريعات والمواضعات الاجتماعية التي بدأت تأخذ بها هذه المجتمعات بعد الانتقال من مرحلة الترحال إلى حياة الاستقرار.

الرجم في القرآن:

إذا كانت قضايا التاريخ القديم غامضة بحيث يغيب عنّا الكثير من أمورها فلعلنا نجد في القرآن ما يعين على جلاء بعض هذا الغموض، وأول ما يمكن التوقف عنده قصة نوح ـ عليه السلام ـ الذي يمكن أن يعد الأب الثاني للبشرية بعد آدم ـ عليه السلام ـ وتاريخه التفصيلي غامض لقدمه فلا أحد يستطيع أن يحدد بدقة الفترة الزمنية التي عاش فيها، غير أن القرآن ذكر شيئاً من حياته مع قومه وقصة سفينته التي أمره الله بصنعها، تلك السفينة التي حمل فيها (من كل زوجين اثنين) أنقذت الحياة البشرية والحيوانية من الطوفان الذي عمّ الكرة الأرضية... وفي قصته التي يذكر القرآن جانباً منها تأتي كلمة «الرجم» في قوله تعالى: (قالوا لئن لم تنته يا نوح لتكونن من المرجومين) الشعراء:١١٦، وهذه الآية تعدّ من الناحية التاريخية الآية الأولى التي تحدثت عن الرجم، ومما ينبغي أن نلحظه في قوله تعالى: (من المرجومين) أن حرف الجر (من) للتبعيض أي من من بعض المرجومين، وفي ذلك دلالة واضحة على أن قومه كانوا يمارسون رجم من يخالفهم، وأن الرجم عادة اتخذها قومه في العقوبات، يقول النسفي في تفسيره للآية: أي من المرجومين بالحجارة أو المقتولين بالحجارة، وقيل من المرجومين بالسيّئ من القول.

بهذه الآية يمكن أن نضع أصابعنا على أول استخلاص: وهو أن

الرجم من العقوبات القديمة التي عرفها قوم نوح، فقد هددوه بالرجم إن لم ينته عماً كان يدعوهم إليه من التوحيد وترك عبادة الأوطان، وهو أمر نجده مع قوم إبهيم ـ عليه السلام ـ فقد جاء بعد نوح ويعتقد أن موطنه الأول كان العراق على أكثر الظن، وقد كان قومه يعبدون الأوثان، وكان أبوه ينحتها(٥)، وفي حواره مع أبيه قال له أبوه: (إن لم تنته لأرجمنك وأهجرني ملياً) مريم:٤٦، أي لأقتلنك بالرِّجام «بكسر الراء جمع مفرده رجمة بضم الراء: حجارة تنصب على القبر ـ قاموس»، أو لأضربنك بها حتى تتباعد أو لأشتمنك(٦)، ويلحظ أن فعل الرجم في الآية مسند إلى ضمير المتكلم المفرد، وكأنه استولى أمر الرجم وحده دون أن يشاركه أحد من قومه، ربما لخصوصية بين الأب وابنه وربما جاء ذلك ضمن سياق الحوار المقتصر على الأب وابنه، ومع ذلك يمكن القول: إن عادة الرجم التي كانت عند قوم نوح ـ الذين أُبيدو بالطوفان ـ تجددت عند قوم إبراهيم وكأن البشرية آنذاك ارتضت هذه العادة وجعلتها ضمن تشريعاتها وقوانينها لرجم من يخالف الجماعة أو يخرج عليها وعلى ملتها ومعتقداتها.

وفي عهد موسى ـ عليه السلام ـ تستوقفنا الآية الكريمة: (وإني عذت بربي وربكم أن ترجمون) الدخان:٢٠، أي تقتلوني رجماً(٧) والتهديد موجه إلى موسى من قوم فرعون. كما تستوقفنا آية أخرى مع شعيب ـ عليه السلام (ولولا رهطك لرجمناك) هود:٩١، أي لقتلناك بالرجم وهو شر قتلة(٨)، وهذا ما نجده مع رسل عيسى ـ عليه السلام ـ الثلاثة الذين بعث بهم إلى القرية «أنطاكية» لهداية أهلها، ولكنهم رفضوا الهداية، وهددوهم بالقتل، قال تعالى على لسانهم: (لئن لم تنتهوا لنرجمنكم وليمسنكم منا عذاب أليم) يس:١٨، أي لنقتلنكم أو لنطردنكم أو لنشتمنكم.(٩)

وفي قصة أهل الكهف التي قيل إن أحداثها جرت بعد الميلاد بحوالي قرنين ونصف(١٠)، وردت كلمة الرجم في قوله تعالى: (إنهم إن يظهروا عليكم يرجموكم أو يعيدوكم في ملتهم ولن تفلحوا إذاً أبداً) الكهف:٢٠، يرجموكم أي يقتلوكم أخبث قتلة.(١١).

الرجم في الديانة المسيحية:

إذا صحَّت المقولة المنسوبة إلى السيد المسيح ـ عليه السلام ـ «من كان منكم بلا خطيئة فليرجمها» التي ذاعت في حق مريم المجدلية، تكون الديانة المسيحية بل اليهودية أول من تفرد بعقوبة الرجم في حق الزناة وليس فقط في حق الخارجين على الجماعة... فمريم المجدلية حسب المأثورات المسيحية تمثل رمز التوبة حيث أجمعت الآثار على أنها المرأة الزانية التائبة.(١٢)

من كل ما تقدم يمكن أن نستخلص أن عادة الرجم بالحجارة قديمة عرفتها البشرية منذ أقدم العصور، وقد ترسخت عند كثير من الشعوب القديمة على اختلاف أزمانها وأماكنها، ويبدو أن تلك الأماكن تمركزت في العالم القديم ما بين العراق والشام الكبرى ومصر، وهي الأماكن التي ظهر فيها الأنبياء، أو كانت موطناً لهم، وكأنهم بذلك يرجمون الخطيئة أو يرجمون من يتحداهم ويخرج على أعرافهم ومللهم... على أن هناك استخلاصاً مهماً في هذا السياق وهو أن الديانة المسيحية و اليهودية كانت تمارس الرجم في حق الزناة استناداً إلى المقولة الشائعة السابقة (من كان منكم بلا خطيئة فليرجمها).

الرجم في الإسلام:

وفي الإسلام أقرَّ النبيّ ـ عليه الصلاة والسلام ـ الرجم في حق الزاني والزانية إذا كانا محصنين «متزوجين»، استناداً إلى آية نسخت تلاوتها وبقي حكمها، فعن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ أنه خطب فقال: إن الله بعث محمداً بالحق وأنزل عليه الكتاب، فكان فيما أنزل عليه آية الرجم قرأناها ووعيناها وعقلناها، فرجم رسول الله ـ ﷺ ـ ورجمنا بعده، فأخشى إن طال بالناس الزمان أن يقلو قائل: ما نجد الرجم في كتاب الله، فيضلوا بترك فريضة أنزلها الله، وإن الرجم حق في كتاب الله على من زنى إذا أحصن من الرجال والنساء إذا قامت البينة أو كان الحبَل (بفتح الباء) أو الاعتراف» متفق عليه(١٣). وقد استرجمت امرأة من جهينة وهي المعروفة بالغامدية النبي فقالت له: يا نبي الله أصبت حداً فاقمه عليَّ... إلى آخر الخبر... ثم أمر بها فرجمت(١٤)، كما رجم رجلاً من أسلم «قبيلة» وهو ماعز بن مالك، ورجلاً من اليهود وامرأة.(١٥).

وبناء على هذه الروايات أصبح معنى الرجم من الجانب الشرعي: رجم الزاني المحصن(١٦).

وفي الحج أصبح رمي الجمرات من مناسك الحج وشعائره، فالحاج يقف في «منى» عند ثلاثة أماكن ترمز إلى إبليس أو الشيطان ويلقي عليها الجمرات مكبراً مهللاً إيذاناً بالتوبة إلى الله تعالى، وتخلصاً من الذنوب وغوايات الشيطان الرجيم.

وفي العصر الحديث نجد الرجم بالحجارة من الوسائل المختلفة التي يعبر بها الإنسان عن رفضه للظلم ورجم الخطيئة ونبذها والاستعلاء عليها. ■

المراجع:

١ ـ أبو بكر الأنباري، شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ص ٢٦٧، دار المعارف ط١٩٦٣م.

٢ ـ الموسوعة الميسرة ص ١٢١٥.

٣ ـ نفسه ص ١٢١٦.

٤ ـ تفسير النسفي ج٣ ص ١٩٦.

٥ ـ الموسوعة ص ٣.

٦ ـ تفسير النسفي ج٣ ص٣٧.

٧ ـ نفسه ج٤ ص١٢٩.

٨ ـ نفسه ج٢ ص ٢٠٢.

٩ ـ نفسه ج٤ ص٥.

١٠ ـ الموسوعة ص٢٠٢.

١١ ـ النسفي ج٣ ص٧.

١٢ ـ الموسوعة ١٦٩٠.

١٣ ـ والآية التي عناها عمر ـ رضي الله عنه ـ في خطبته وبها شرعت فريضة الرجم والتي اجتمعت الآراء على أنها من الآيات التي نسخت تلاوتها وبقي حكمها قوله تعالى: (الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة) وفي رواية عند النسائي أنها كانت في سورة الأحزاب، انظر: الحافظ العسقلاني: سبل السلام: شرح بلوغ المرام من أدلة الأحكام ج٤ ص٨ «المكتبة التجارية الكبرى ـ مصر».

١٤ ـ نفسه ج٤ ص١١ «بقية الحديث: فدعا رسول الله ـ ﷺ ـ وليّها فقال أحسن إليها فإذا وضعت فأتني بها، ففعل، فأمر بها فشكّت ـ بالبناء للمجهول ـ : أي شدّت، ثم أمر بها فرجمت ثم صلى عليها.

١٥ ـ نفسه ج٤ ص١٢.

١٦ ـ المعجم الوسيط «مادة رجم».

هذه الفتاوى منتقاة مما تصدره إدارة الافتاء والبحوث الشرعية في وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية في دولة الكويت. والمجلة على استعداد لتلقي الاسئلة مباشرة وتحويلها الى اهل الاختصاص للاجابة عليها. ويسر خدمة الفتوى بالهاتف تلقي الأسئلة الفقهية مباشرة من الساعة ٨ صباحا الى الساعة ١٢ ظهرا ومن الساعة ٤ عصرا الى الساعة ٨ مساء على الهواتف التالية :

هاتف مباشر خدمة الفتوى 149

النية عند دفع الزكاة

عُرض السؤال التالي من / عبدالعزيز :

لديَّ أموال في أحد البنوك في حساب التوفير، وقد حصلت على نسبة من الأرباح، وسألت بعض أهل العلم بالنسبة لهذه الفائدة هل آخذها أم أتركها للبنك؟ فقالوا: خذها واعطها للفقراء والمحتاجين، وقد فعلت ذلك بأن أعطيتها لمريض فقير محتاج للمال، وبعد مدة سمعت أن أخذ الفائدة من البنك لا يجوز وإنما تترك للبنك، فقمت بسحب مقدار الفائدة التي صرفتها للفقير من أموالي الخاصة وتركتها للبنك بدلاً من الفائدة المصروفة، واعتبرت ما قدمته للفقير من الصدقة، وأنا الآن أريد إخراج الزكاة، فهل اعتبر ما قدمته للفقير داخلاً ضمن أموال الزكاة التي سأخرجها أم لا؟

ـ أجابت اللجنة: إن السائل قد أخطأ عندما أخذ الفائدة من البنك ثم أرجعها إليه بعد ذلك، وكان الأفضل أن يأخذها ويصرفها في المصالح العامة للمسلمين، أما بالنسبة لما قدمه للفقير، فإنه لا يحتسب من ضمن أموال الزكاة التي سيخرجها.

تسلط الجن على الإنسان

عُرض على لجنة الفتوى السؤال التالي:

ماذا نقصد بالجن الخيّر والجن الشرير، وما الأمراض المتسببة عن الجن؟

ـ أجابت اللجنة:

الجن ـ كالإنس ـ فيهم الصالحون، وفيهم المفسدون، وذلك بنص القرآن الكريم في قوله تعالى في سورة الجن: (وإنا منَّا الصالحون ومنا دون ذلك كُنَّا طرائق قدداً) الجن:١١، وقوله: (وأنَّا منَّا المسلمون ومنا القاسطون) الجن:١٤، ومعنى القاسطون: الجائرون.

أما ما ينشأ عن تسلط الجن، فهو الصرع في بعض حالاته، وكذلك بعض الأمراض النفسية كالقلق، والوسوسة، والاضطراب في التصرفات المعاشية. والله أعلم

تسلط الجن على النساء

عُرض على اللجنة السؤال التالي:

لماذا يفضل «أو يميل» الجن إلى النساء؟

ـ أجابت اللجنة:

إن كثرة ميل الجن للتسلط على النساء «كما تدل على ذلك الوقائع، وليس على ذلك دليل شرعي» ربما كان من غلبة العاطفة، وقلة التقوى في بعضهن. والله أعلم

الأمراض المتسببة عن الجن

ورد إلى اللجنة السؤال التالي:

نحن نعتقد بالجن باعتبارنا مسلمين، لكن ما الدليل المستخرج من الشريعة على أن الجن قد يسبب الأمراض ـ وبخاصة الأمراض العقلية «النفسية» ـ وما الدليل على أن الشفاء يتم باستخراج أو طرد الجن؟

ـ أجابت اللجنة بما يلي:

وردت بعض الأحاديث الصحيحة التي تدل على أن الجن قد يتسلطون على ضعاف الناس ويسببون لهم أحوالاً مرضية لا يجدي فيها العلاج الطبي، وورد أن بعض هذه الحالات عُولجت بتقوية نفس المصاب وذلك بالتعوذ والأدعية وزجر الجني المتسلط عليه، ولا يقوى على ذلك إلاَّ من كان قوي الايمان والعزيمة. حتى يكون سلطانه على الأنفس الشريرة أقوى من سلطانها، فإذا تخلّص المصاب مما كان يعانيه دل ذلك على جدوى العلاج، هذا وإن درجة هذه الأحاديث تصلح للأخذ بها عملاً ولم تصل إلى درجة أن يُبنى عليها اعتقاد. والله أعلم

تنظيف الأسنان بدواء فيه كحول

عرض على اللجنة السؤال المقدم من الأخ مبارك ونصه التالي:

تنوي شركتنا استيراد نوع خاص من فُرَش الأسنان، مزوَّد أسفلها بأنبوب يحتوي على مادة تدعي «الاسيودنت»، ويدخل في تركيب هذه المادة ما يسمى بمزيج «سولفات الأثير»، مع كحول بنسبة ٢١٪.

فهل يجوز استعمال هذه المادة؟ علماً بأنها لا تدخل في الجوف، وتستعمل كمادة دوائية ومنظفة للأسنان؟ نرجو إعطاءنا رأي الشرع في هذه المسألة.

أجابت اللجنة:

إذا كان من شأن هذا «الأثير»، لو تعاطى إنسان منه كمية كبيرة أن يسكره، فيكون استعماله محرماً، حتى ولو لم يصل إلى الجوف، لأنه لو تمضمض بخمر لا يحل له ذلك، والله أعلم. ■

تعلم السحر

قدم المدعو عبدالرحمن السؤال التالي:

باعتبارنا مسلمين... هل نعتقد في السحر، وإذا كانت الإجابة بنعم فما موقف الشريعة منه؟

ـ اطلعت اللجنة على هذا السؤال ورأت أن ما جاء عن السحر في فتح الباري للحافظ ابن حجر يكفي للجواب وحاصله ما يلي:

اختلف في السحر، فقيل: «هو تخييل فقط ولا حقيقة له، وهذا اختيار أبي جعفر الاسترابادي من الشافعية وأبي بكر الرازي من الحنفية وابن حزم الظاهري وطائفة، قال النووي: والصحيح أن له حقيقة وبه قطع الجمهور، وعليه عامة العلماء، ويدل عليه الكتاب والسنة الصحيحة المشهورة» انتهى، لكن محل النزاع هل يقع بالسحر انقلاب عين أو لا؟ فمن قال: إنه تخييل فقط منع ذلك، ومن قال: إن له حقيقة اختلفوا هل له تأثير فقط بحيث يغير المزاج فيكون نوعاً من الأمراض؟ أو ينتهي إلى الإحالة بحيث يصيّر الجماد حيواناً مثلاً وعكسه؟ فالذي عليه الجمهور هو الأول، وذهبت طائفة قليلة إلى الثاني.

قال المازري: جمهور العلماء على إثبات السحر وإن له حقيقة، ونفى بعضهم حقيقته، وأضاف ما يقع منه إلى خيالات باطلة، وهو مردود لورود النقل بإثبات السحر، ولأن العقل لا ينكر أن الله قد يخرق العادة عند نطق الساحر بكلام ملفق أو تركيب أجسام أو مزج بين قوى على ترتيب مخصوص، ونظير ذلك ما يقع من حذاق الأطباء من مزج بعض العقاقير ببعض حتى ينقلب الضار منها بمفرده فيصير التركيب نافعاً.

قال النووي: عمل السحر حرام وهو من الكبائر بالإجماع، وقد عده النبي ﷺ من السبع الموبقات، ومنه ما يكون كفراً، ومنه ما لا يكون كفراً، بل معصية كبيرة، فإن كان فيه قول أو فعل يقتضي الكفر فهو كفر وإلا فلا.

وقد أجاز بعض العلماء تعلّم السحر لأحد أمرين: إما لتمييز ما فيه كفر من غيره، وإما لإزالته عن من وقع فيه، فأما الأول فلا محذور فيه إلا من جهة الاعتقاد، فإذا سلم الاعتقاد فمعرفة الشيء بمجرده لا يستلزم منعاً، كما يعرف كيفية عبادة أهل الأوثان، لأن كيفية ما يعمله الساحر إنما هي حكاية قول أو فعل. بخلاف تعاطيه والعمل به، أما الثاني، فإن كان لا يتم كما زعم بعضهم إلا بنوع من أنواع الكفر والفسق فلا يحل أصلاً، وإلا جاز للمعنى المذكور. والله أعلم.

التعاويذ المشروعة وغير المشروعة

قُدِّم هذا السؤال إلى لجنة الفتوى:

التعاويذ، ماذا تعني هذه الكلمة؟

ـ أجابت اللجنة:

يُقصد بالتعاويذ أحد أمرين:

التعاويذ المشروعة، وهي ما كان بالأدعية المأثورة أو بقراءة المعوذتين (سورة الفلق، سورة الناس) وفاتحة الكتاب، وآية الكرسي والتعوذات الواردة عن النبي ﷺ كقوله: «أعوذ بكلمات الله التامات من شرِّ ما خلق» وما كان بمعناها من الأدعية.

والثاني التعاويذ غير المشروعة، وهي ما كان مجهول المعنى أو متضمناً بالاستعانة بالشياطين والتزلف إليهم بما فيه كفر أو فسق أو بالذبح لهم وتقديم النذور.

حالات استعمال التعاويذ

عُرض على اللجنة السؤال التالي:

في أي الحالات تستعمل التعاويذ؟

ـ أجابت اللجنة:

تستعمل التعاويذ في كل وقت، وتتأكد حين شعور الإنسان بالضعف والخوف أو المرض، وينبغي أن يضم إلى ذلك استعمال الأدوية التي يصفها الأطباء المتخصصون، ولا حرج في أن يستعمل التعوذ بالله تعالى في كل حال. والله أعلم

تراويح أهل الله

بقلم: أ. د. مصطفى رجب

أخرج الإمام أحمد في مسنده، والنسائي وابن ماجه في سننهما، والحاكم في المستدرك عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «إن لله تعالى أهلين من الناس: أهل القرآن: هم أهل الله وخاصته» حديث صحيح. وأخرج ابن أبي الدنيا في «قضاء الحوائج» وأبو نعيم في الحلية والطبراني في الكبير عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: «إن لله تعالى أقواماً يختصهم بالنعم لمنافع العباد ويقرها فيهم ما بذلوها، فإذا منعوها نزعها منهم فحولها إلى غيرهم» حديث حسن. وأخرج الطبراني في الكبير بسنده عن النبي ﷺ أنه قال: «إن لله تعالى آنية من أهل الأرض، وآنية ربكم قلوب عباده الصالحين، وأحبها ألينها وأرقها».. حديث حسن. في هذه الأحاديث الثلاثة يحدد الرسول الكريم ﷺ ملامح طائفة من صفوة المؤمنين، أولئك الذين اصطفاهم الله سبحانه وتعالى وأحبهم وقربهم إليه وهم: أهل القرآن والقاضون لحوائج الناس. ورقاق القلوب من الصالحين.

أما أهل القرآن فالمقصود بهم أولئك الذين يشتغلون به حفظاً وتلاوة وتدريساً واتباعاً لأحكامه فتكتمل معرفتهم به وعلمهم بأحكامه فيكون ذلك نوراً يشع من وجوههم فيهتدون ويهدون الناس مصداقاً لقول الله سبحانه وتعالى: (لقد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم). فإذا أضاف أهلُ القرآن إلى نعمة الله والعمل بالقرآن نعمةَ التصدق وقضاء حوائج الناس فقد استكملوا بذلك أمهات الفضائل وحازوا أعلى درجات رضا الله لقوله سبحانه وتعالى: (إن الذين يتلون كتاب الله، وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية يرجون تجارة لن تبور، ليوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله إنه غفور شكور). ولا شك أن التعامل الصحيح مع القرآن قراءة وفهماً يتطلب تعليماً دقيقاً لأصول التلاوة وتصويب النطق ومعرفة أماكن الوقف والوصل وآداب التلاوة كما أن العمل به يتطلب ثقافة فقهية مناسبة حتى لا يعتمد الإنسان على نفسه في فهم النص فيلتوي به عن المراد به.

لذلك قال الإمام البغوي في مقدمة تفسيره «معالم التنزيل»: «اعلم أن الأمة كما هم متعبَّدون - بفتح الباء المشددة - أي مكلفون مأمورون بفهم معاني القرآن وإقامة حدوده، كذلك هم متعبَّدون بتصحيح ألفاظه وإقامة حروفه على الصفة المتلقاة عن أئمة القراءة المتصلة بالحضرة النبوية، والناس في ذلك بين محسن مأجور ومسيء آثم أو معذور». ومن هنا جاء الحديث الصحيح المتفق عليه «خيركم من تعلم القرآن وعلمه» وما على غراره من أحاديث أخرى تشير إلى علو منزلة من ينفقون عمرهم في هذه الرسالة النبيلة تحقيقاً لقول الله سبحانه وتعالى: (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون).

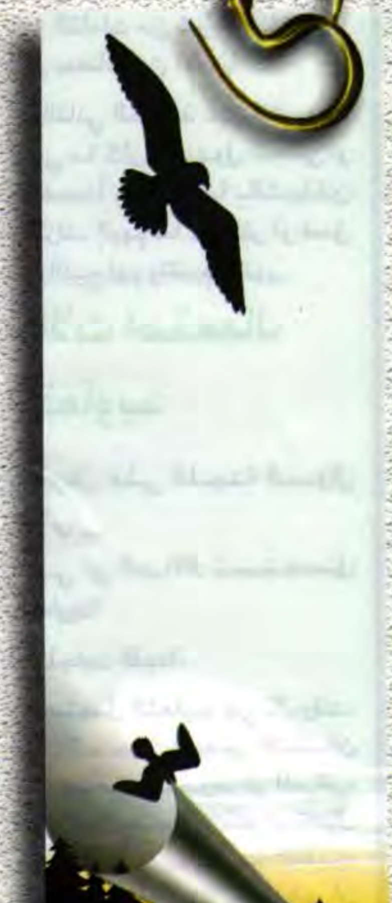
أما القاضون لحوائج الناس فالمقصود بهم أولئك الذين يبذلون جهدهم وجاههم ومالهم ووقتهم لإسعاد الآخرين وتحقيق مصالحهم، لا حباً في الشهرة ولكن التماساً لرضا الله سبحانه وتعالى عنه وطلباً لأجره والمغفرة والقرب من الله وحب رسوله ﷺ الذي قال: «إن من أحبكم إليَّ وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً الموطأون أكنافاً الذين يألفون ويؤلفون»... حديث صحيح.

فقوله «الموطأون أكنافاً» يشير إلى الفئة الثالثة من أهل الله سبحانه وتعالى وهم رقاق القلوب من الصالحين الذين لا يحول بينهم وبين من يحتاج إليهم حائل ولا حاجب، ولا يمنعهم مانع من أن يغشاهم ذوو الحاجات في أي وقت دون رهبة أو خوف. وقوله: «الذين يألفون ويؤلفون» يعني: الذين تنبسط نفوس الناس بلقائهم، وينبسطون بلقاء الناس.

وقد جعل الإمام البخاري أحد أبواب كتابه «الأدب المفرد» بعنوان «باب ما يجب من عون الملهوف» فأخرج فيه بسنده عن أبي بردة قال: سمعت أبي يحدث عن جدي عن النبي ﷺ قال: «على كل مسلم صدقة». قال: أفرأيت إن لم يجد؟ قال: «فليعمل فلينفع نفسه، وليتصدق». قال أفرأيت إن لم يستطع أو لم يفعل؟ قال: «يمسك عن الشر فإنه له صدقة»... حديث صحيح.

وعن جرير بن عبدالله قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يرحم الله من لا يرحم الناس»... حديث صحيح. وأقل ثمار هذه الخصال الكريمة: دعوة صاحبها بالخير لمن قدم له الخير وهي دعوة مستجابة إن شاء الله خصوصاً إذا كانت بظهر الغيب.

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأن ينفعنا بما علمنا ويعلمنا ما ينفعنا إنه سميع قريب مجيب. ■



الوعي الإسلامي

al-Waei al-Islami

شهرية جامعة إسلامية

على الانترنت On The Internet

e.mail: al_waei@hotmail.com

Homepage: www.kuwait.net/~awqafnet



ص.ب. : ٢٣٦٦٧ ـ الصفاة ـ 13097 ـ الكويت ـ هاتف : ٢٤٨٧٢١٠ (٩٦٥+) فاكس : ٢٤٣١٧٤٠ (٩٦٥+)

P.o.Box : 23667 - Safat - 13097 - Kuwait - Tel. (+965) 24 87 210 - Fax : (+965) 24 31 740

اللجنة الكويتية المشتركة للإغاثة

تشريد . إبادة وهتك أعراض .. دماء ودموع !!

كوسوفا تستغيث فهل من معتصم يجيب؟



قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : - « مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » رواه مسلم

تستقبل التبرعات في :

حساب كوسوفا : ٥ / ٣٦٥٨٣ بيت التمويل الكويتي

مقر اللجنة الرئيسي - الشرق - شارع أحمد الجابر - مبنى الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية - الدور الرابع ت : ٢٤٤٥٧٢٠ - بيجر : ٩٣١٧٥٥٧

وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية - بيت الزكاة - الهيئة الخيرية الاسلامية العالمية واللجان التابعة لها - جمعية الاصلاح الاجتماعي واللجان التابعة لها - جمعية احياء التراث الاسلامي واللجان التابعة لها - جمعية النجاة الخيرية واللجان التابعة لها - جمعية الشيخ عبد الله النوري الخيرية - لجنة الفلاح الخيرية - جمعية المعلمين الكويتية - الاتحاد الوطني لطلبة الكويت الجمعية الطبية الكويتية - جمعية الرعاية الاسلامية - الجمعية الخيرية للتضامن الاجتماعي - الجمعية الثقافية الاجتماعية النسائية - جمعية بيادر السلام النسائية

الوعي الإسلامي

إسلامية شهرية جامعة

al-Waei al-Islami

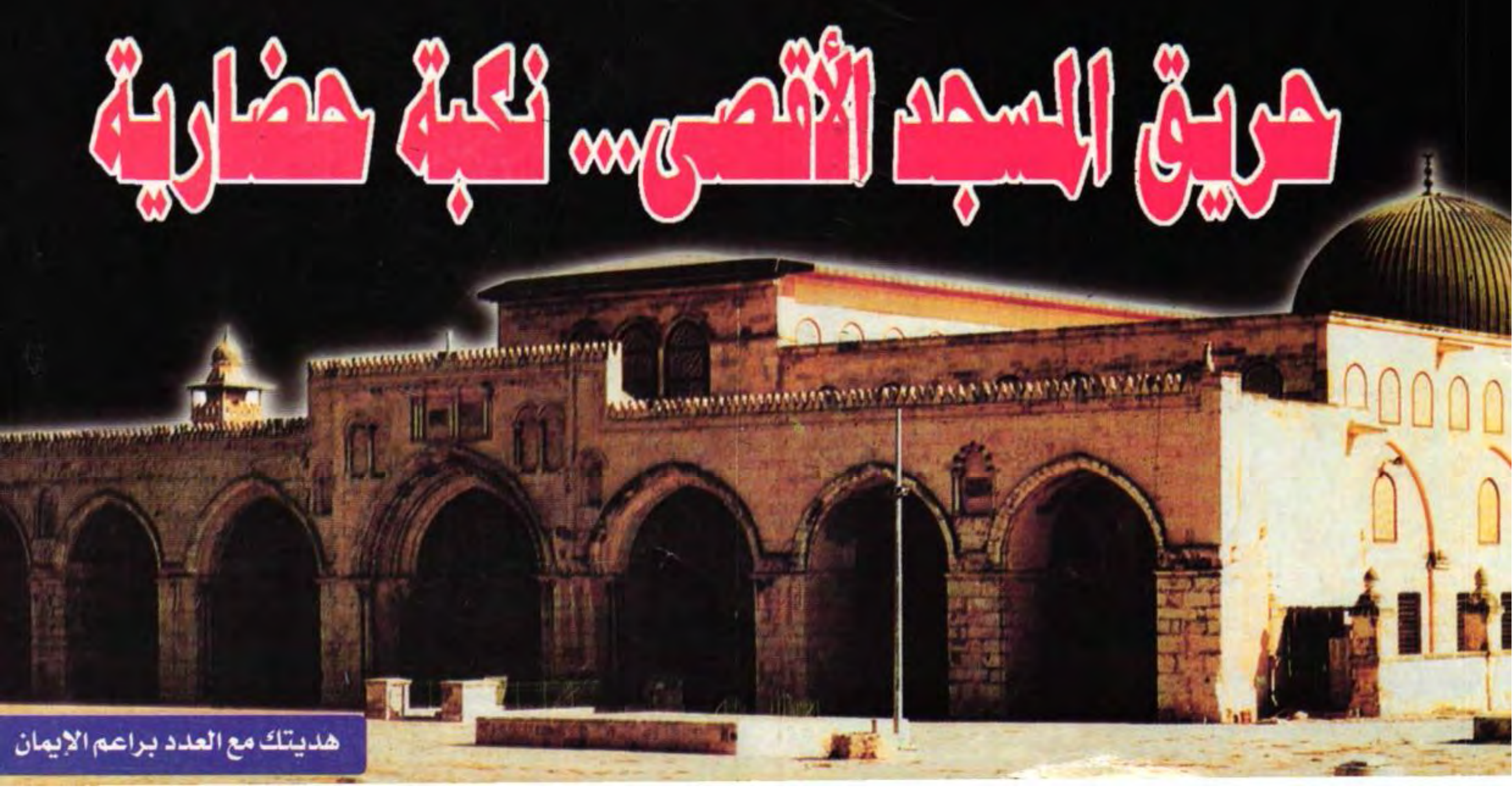
العدد ٤٠٦ ـ السنة السادسة والثلاثون ـ جمادى الاخرة ١٤٢٠ هـ ـ سبتمبر / أكتوبر ١٩٩٩

المراهنة على الزمن في الفكر الإسرائيلي

الإنقلاب الكوني



حريق المسجد الأقصى... نكبة حضارية



هديتك مع العدد براعم الايمان


قدسنا . . . أمانة في أعناقنا
مجلة الوعى الإسلامي

الوعي الإسلامي

al-Waei al-Islami

إسلامية ❖ شهرية ❖ جامعة

تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية
في دولة الكويت في مطلع كل شهر عربي

Islamic Monthly Magazine, Published By The
Ministry of Awqaf & Islamic Affairs - Kuwait

رئيس التحرير
CHIEF EDITOR
د. صالح أحمد الراشد
Dr. SALEH A. AL-RASHED

سكرتير التحرير
EDITORIAL SECRETARY
وائل أحمد الهنيدي
WAEL A. AL-HUNAIDI

المشرف الإداري والمالي
ADMN. & FINANCE DIRECTOR
خالد عبداللطيف بوقماز
KHALED A. BUQAMMAZ

الإشراف الفني
ART DESIGNER
صالح محمد صالح
SALEH M. SALEH

العدد 406 . السنة الخامسة والثلاثون - جمادى الآخرة 1420 هـ - سبتمبر / أكتوبر 1999 م

كلمة العدد

منظومتنا الحضارية

أعزاءنا القراء: يشهد العالم المعاصر متغيرات متسارعة وإنجازات مادية عظيمة وتسابق كبير للحاق بركب الحضارة الغربية التي ركّزت في منطلقاتها وأهدافها وغاياتها على تنمية الجانب المادي للإنسان وأهملت الجانب الروحي مما أوقعها في أزمة حقيقية نتائجها ما نراه اليوم من فتن وحروب وأمراض اجتماعية وبدنية وقلق وجشع وطمع وأنانية وتهافت على تحقيق المصالح الآنية.

لقد حاولنا في هذا العدد التركيز على الجانب الحضاري لديننا الإسلامي العظيم، القائم على التعاون والحوار والتعايش دون فقدان الخصوصية المتميزة الجامعة بين الروحانية والمادية في منظومة حضارية رائعة تستهدف بني الإنسان وتخاطبهم أينما كانوا (وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا) إنها موازنة مطلوب من المسلمين أن ينتهجوها في نهضتهم الحضارية المعاصرة حتى يعودوا كما كانوا وكما أراد الله لهم خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر.

الوعي الإسلامي

الأسعار

الكويت: ٣٥٠ فلسا . السعودية: ٤ ريالات . البحرين: ٣٠٠ فلس . قطر: ٤ ريالات . الإمارات: ٤ دراهم . سلطنة عمان: ٣٠٠ بيسة . الأردن: ٥٠٠ فلس . مصر: جنيه واحد . السودان: ٥ جنيهات . موريتانيا: ١٢٠ أوقية . تونس: دينار واحد . الجزائر: ٥ دنانير . اليمن: ٥ ريالات . لبنان: ١٠٠٠ ليرة . سوريا: ٢٠ ليرة . المغرب: ٦ دراهم . ليبيا: ٥٠٠ مليم . أوروبا: جنيه استرليني واحد او مايعادله . امريكا وبقية دول العالم الأخرى: دولاران او مايعادلهما.

المراسلات

المراسلات كافة باسم رئيس التحرير
مجلة الوعي الإسلامي
ص.ب: ٢٣٦٦٧ - الصفاة - 13097 - الكويت
هاتف ٥٣٤٨٩٧٦ (٩٦٥+) فاكس ٥٣٤٨٩٥٤ (٩٦٥+)

al-Waei al-Islami
P.O. BOX 23667 SAFAT
13097 KUWAIT
TEL. 965 5348976 FAX 965 5348954

e.mail: al_waei@hotmail.com
Homepage: www.kuwait.net/~awqafnet

الاشتراكات

- داخل الكويت:
للأفراد ٥ دنانير . للمؤسسات ١٠ دنانير كويتية
- الدول العربية:
للأفراد ٦ دنانير كويتية (او مايعادلها).
- دول العالم:
للأفراد ١٠ دنانير كويتية (او مايعادلها).
- للمؤسسات:
٢٠ ديناراً كويتياً (او مايعادلها).

ترسل قيمة الاشتراكات في شيك إلى إدارة المجلة باسم مجلة الوعي الاسلامي (الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)

المجلة غير ملتزمة بإعادة أي مادة تتلقاها للنشر. والمقالات لا تعبر بالضرورة عن رأي الوزارة

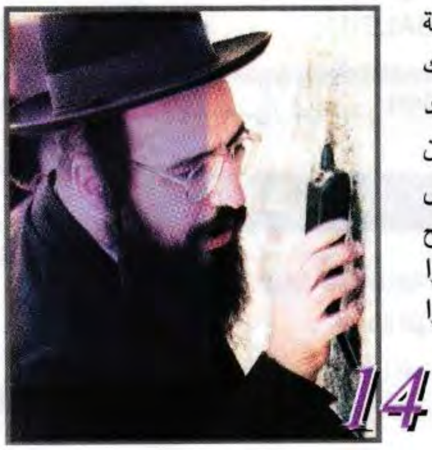
مطابع السياسة - الكويت

وكيل التوزيع شركة الخليج لتوزيع الصحف هاتف ٤٨١٦٨٨٤/٥ / ٤٨٣٥٠٤٧ ص.ب ٤٢٠٥٧ الشويخ 70651 الكويت - برقيا نيوزبيبر

فــي العــدد

في القضية الفلسطينية

المراهنة على الزمن في الفكر الإسرائيلي



14

الزمن قيمة حياتية كبيرة، وقاسم مشترك لدى جميع الأفراد والشعوب، والإسرائيليون راهنوا ويراهنون على الزمن لتحقيق مصالح أفضل وهم أول من عرفوا الأجل النسيء وراهنوا عليه.

فكـــر 22

عن التصادم بين الثقافتين الغربية والإسلامية

أبرز صور التصادم بين الثقافتين الغربية والإسلامية كانت بين نسبية الحقيقة في الثقافة الغربية وبين النص القطعي الثابت الدلالة في الثقافة الإسلامية.

علــوم 83

فصل المقال في حركة الجبال

الجبال مكونات أرضية تتحرك بحركة كوكب الأرض في الفضاء وهي محمولة على الأرض وتتحرك بحركتها لأن الجزء لابد أن يتبع الكل الذي ينتمي إليه ترى كيف تتحرك الجبال؟

أبــــواب ثابـــة

حدث في هذا الشهر سرايا رسول الله ﷺ 8

ثمرات الفكر من اتفاق أوسلو إلى الدولة ثنائية القومية 88

نافذة على العالم شبكة إسلامية على الإنترنت دشنتها وزارة الأوقاف القطرية 90

الفهــرس

الافتتاحية

حريق المسجد الأقصى... نكبة حضارية

يوم السبت الموافق ١٩٩٩/٨/٢١م مرت الذكرى الثلاثون على حريق المسجد الأقصى أولى القبلتين، وثالث الحرمين، والمتأمل في هذا الحدث الكبير تبرز له جملة علامات في حياة المسلمين ومستقبلهم، وفي الفكر الإنساني على العموم، إذ إن أبرز ما يمكن أن يُقال في حريق المسجد الأقصى في جانب الفكر الإنساني أنه نكبة حضارية بكل ما تحمل تلك الكلمة من معنى، ذلك أن الحضارة تعني الرقي والتقدم وهي في المفهوم الإسلامي أبعد أثراً باعتبار أن التقدم لايقتصر على علوم المادة وإنما كذلك الرقي في السلوك والآداب ومن هذا المنطلق فإن حريق المسجد الأقصى هدر لكل المعاني والقيم الحضارية التي تسمو بالإنسان إلى الأفضل وإلى الحياة السعيدة الطيبة بالذات إذا ما اعتمدنا نظرة الإسلام الحنيف ونظرة احترام الأديان بشكل عام، فهذا الاعتداء على أماكن العبادة والمقدسات يعتبر خروجاً على مفاهيم الحضارة، لذا يمكننا بكل ثقة أن نطلق على هذا الحدث الخطير بأنه نكبة حضارية، وأي نكبة تلك التي تم فيها التهجم على معلم مقدس لدى الأديان السماوية كافة!!

وإذا ما نظرنا إلى أثر هذا الحدث في حياة المسلمين، فإنه مما لا شك فيه أن النكبات والأزمات والكوارث تجمع الناس ولا تفرقهم، ومثل هذا الحدث أدانته واستنكرته كل الهيئات العالمية لحقوق الإنسان، وعقدت على إثره مؤتمرات وندوات وشجب واستنكار، إلا أن الشيء الأكثر أهمية في حياة المسلمين ومستقبلهم هو ألا يعيشوا ردة الفعل وحسب وإنما المهم تبني خطوات فاعلة وجادة للوقوف ضد المنهج الصهيوني في التعامل مع المقدسات الإسلامية والذي يدل على أن صراعهم هو صراع حضاري عقائدي وصراع وجود ومصير وليس صراع نزاع أو حدود، ولعلنا نلمس ذلك بعد مضي ثلاثة عقود من الزمن على حريق المسجد الأقصى حيث استمرت الاعتداءات الصهيونية على المقدسات الإسلامية متحدية مشاعر المسلمين، بل المجتمع الدولي كله، بينما أوضاع العرب والمسلمين مازالت ما بين تقدم وتأخر إن لم يكن غالباً هي إلى التأخر أكثر، بدليل أنها فقدت دورها الإيجابي الفاعل على الساحة العالمية. والأمة التي لا تحترم نفسها لا يمكن أن تحترمها الأمم الأخرى أو تحسب لها أي حساب لكن عزاءنا أن أمة المسلمين كافة التي قال فيها رسولها الكريم صلى الله عليه وسلم: «الخير فيَّ وفي أمتي إلى يوم القيامة» الحديث، تجعلنا في تفاؤل وأمل إلى أن مثل هذا الحدث وما تبعه من مسلسلات عدوانية يجب أن يدفعنا لمزيد من الترابط والتكاتف والوعي بالمستقبل المنشود لخير المسلمين، بحيث نكون أكثر حذراً لما يخطط له الأعداء والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون. ■

رئيس التحرير

ترحب الوعي الاسلامي برسائل القراء وتنشر منها ما يتوافق مع سياسات النشر لديها بما لا يتعارض مع حقوق الآخرين وحرية الرأي. وتحتفظ المجلة بحق تنقيح الرسائل واختصارها.

هيا بنا نغترب !

وهي دعوة أوجهها إلى كل من يكره أن يعيش إمعة في زمن التزاحم على كل شيء وينشد التميز ولو صار به غريباً... والغربة التي أعنيها ليست كالتي أخذت بعض كتابنا ومثقفينا ولم ترجعهم إلى الآن حتى أقلامهم أخذوها منهم وأعطوهم أخرى غيرها ملونة تناسب كل مقام وكل مقال.

كلا يا رفاق ليست كهذه مطلقاً ولكنها غربة من نوع خاص مستوحاة من حديث النبي - صلى الله عليه وسلم -: «بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ فطوبى للغرباء»... فهي غربة السلوك الإسلامي في المجتمعات الفاسدة.. وغربة السمت الإسلامي حيث التميع المظهري وغربة الهوية الإسلامية حيث المسخ ... نعم المسخ والذي يجب أن نقف عنده لحظة لخطورته الملموسة في عصب أمتنا...

وذلك لأن كثيراً من شبابنا قد أعجبتهم حياة الغرب حيث التحرر والانحلال فأرادوا تقليدها والسير في ركابها ولكنهم للأسف... أصبحوا كالطائر الذي أعجبته مشية الطاووس فأراد أن يحاكيها ويمشي مثلها.. ولكنه بعد فترة وجد أنه لم يستطع محاكاتها في الوقت نفسه الذي كان قد نسي فيه مشيته الأصلية فأصبح مسخاً بلا هوية... هذا هو حال عدد غير قليل من شبابنا حتى أصبح الشاب المتمسك بدينه بينهم يبدو غريباً أو لكأنه جاء من كوكب آخر ينال منهم السخرية والاستهزاء فيجني الألم والمعاناة... ولكن ماذا يضيره ومعلمه يقول: «يأتي زمان على أمتي القابض فيه على دينه كالقابض على جمر» وأظنه والله هذا الزمان... وأظن أيضاً أن هذه هي أيام عودة الإسلام غريباً أيضاً... ولكنا والله لن نبالي بالجمر ولن نتخلى عن غربتنا أيضاً والتي تمنحنا التميز... تميز الفكر والسلوك، وسنكون كما أوصانا صاحب الرسالة حين قال: «كونوا كالشامة بين الناس»، وسننظر إلى غيرنا من علٍ بقدر علو المنهج الذي نتبعه ولن نشعر بوحشة مطلقاً... فأي وحشة تلك ونحن في رحاب الحق وجنتنا في صدورنا.. تلك هي غربتنا وهذا هو حال غريبنا فهو ليس الذي فارق الديار وودع الأهل والخلان ولكنه من يجد والناس من حوله يلعبون، ويصحو والناس من حوله ينامون، ويسلك درب الخير والناس في ضلالهم يتخبطون، وصدق الشاعر إذ يقول:

قال لي صاحب أراك غريباً
بين هذا الأنام دون خليل
قلت كلا بل الأنام غريب
أنا في عالمي وهذي سبيلي

هذا هو الغريب غريب عند العابثين من البشر ولكنه عند ربه في مقام كريم. ■

عمران أحمد عطا الله شمروخ - مصر

فن إنشاد الشعر

إن روح الشعر التي يحيا بها، ويموت من دونها هي إنشاده، والإنشاد يحتاج إلى فنان موهوب، فكم من شعر قوي رصين تنفر منه النفوس، وتمجه الأسماع بسبب الإنشاد الميت، والإلقاء الضعيف ومعظم الشعراء موهوبون في فن الإنشاد لأن الشاعر يلقي القصيدة ويؤديها أداء جميلاً ممتعاً، لأن هذا شعره نبع من بين جوانحه وخلقته خوالج نفسه فتراه عند الإنشاد يرفع الصوت في المواضع التي تقتضي رفعه، ويخفضه في المواضع التي تتطلب خفضه، فيفرق بنبرات صوته بين مواقف الفرح ومواقف الحزن، فللعتاب صوته ونبراته، وكذا الحنين فبالانشاد يستطيع المنشد أن يسيطر على عواطف السامعين فإذا هم معه يعيشون في عالمه ينفعلون بما به ينفعل، فيطربون لما به يطرب، ويحزنون لما به يحزن فترى الجمع في فرد، والكل في واحد، فلا عجب إذا قلنا إن شاعراً أيقظ أمة، وبعث مجتمعاً.

ومما يحزن أنه في وقتنا الحالي مات الإنشاد في مدارسنا، فمات الشعر ناهيك عن أن دراسة النصوص الشعرية في مدارسنا دراسة ميتة تنفر الطلاب ولولا رغبتهم في النجاح والحصول على شهادة علمية ما أقبلوا عليها يحفظونها أو يدرسونها مكرهين، وبعد اجتياز الامتحان لا يبقى في ذاكرتهم منها شيء، لكل هذا يجب علينا أن نهتم بإنشاد الشعر حتى نشعر بجماله وحلاوته. ■

محمد عباس محمد عرابي - مصر

ردود خاصة

● **الأخ الحسن بو طاهيري - هولندا :**

وصلت رسالتكم وسنعمل على تعديل العنوان بإذن الله كما سنرسل لكم العدد المفقود لديكم وجزاكم الله كل خير.

● **الأخ د. محمد ضياء الحق - باكستان :**

سنرسل لكم العدد ٣٩٦ والذي نشرت فيه مقالتكم.

● **القارئ عبدالفتاح محمد الشناوي - مصر :**

أعانكم الله ويمكنكم مراسلة إحدى الجمعيات الخيرية في بلدكم أو في الكويت للحصول على المساعدة المطلوبة.

● **الأخ محمد الصالح بن عمر عزيز - تونس :**

أحياناً لا تتوافر لدينا بعض الأعداد لكن سنعمل بإذن الله على تأمين العددين ٣٨٥، ٤٠٠ وإرسالهما إليك في أقرب وقت ممكن ونود لفت انتباهك إلى أن رقم فاكس المجلة الجديد هو: (٥٣٤٨٩٥٤).

● **القارئ أحمد صدقي محمد حسن - مصر :**

شكراً على ملاحظتك وقد بلغنا الجهة المسؤولة عن الخطأ لتلافي ذلك في المستقبل.

تصحيح

نترقب دائماً ظهور العدد الجديد من مجلة الوعي الإسلامي، حيث اعتدنا منها أن تزودنا بالموضوعات القيمة ونحصل على جرعة دسمة من المعلومات المفيدة بكل عدد جديد منها، ولقد لفت نظري عنوان مقال: «الآثار النفسية لأسلوب القرآن الكريم المنشور بالعدد ٤٠٠ ذو الحجة ١٤١٩هـ على الصحفات ٤٨، ٤٩، وبعد مطالعة الموضوع والوقوف على محتواه اعتراني إحباط وخيبة أمل ذلك لأن الكاتب قد جانبه التوفيق حينما شبه آيات القرآن الكريم ببعض التشبيهات غير الصحيحة والتي لاتليق بكتاب الله إذ يقول إن القرآن جمع بين الشعر والنثر ونذكره بقول الحق تبارك وتعالى (وما علمناه الشعر وما ينبغي له إن هو إلا ذكر وقرآن مبين) (يس: آية٦٩)، ثم يسترسل المقال قائلاً إن ما في القرآن من سجع يشبه السجع الذي برع فيه العرب ونقول إنه لا يمكن لبشر أن يأتي بآية واحدة من كتاب الله وذلك هو سر إعجاز القرآن وصدق الله إذ يقول: (وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهدائكم من دون الله إن كنتم صادقين. فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين) البقرة:٢٤، كما جاء في قوله تعالى: (قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً) الإسراء:٨٨، كما ورد عن القرآن قول الحق تبارك وتعالى: (قل أوحي إليَّ أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآناً عجباً يهدي إلى الرشد فآمنا به) الجن:١، ٢. كما يقرر المقال أن القرآن فيه تكرار وتشابه في آياته لثبوت المعنى، والمعروف أن كل آية نزلت في القرآن لتعالج قضية معينة وفي مناسبة محددة وكل حرف من حروف القرآن له معنى خاص به وإن تشابه بعض الألفاظ كما في قوله تعالى: (ولاتقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم إن قتلهم كان خطئاً كبيراً) الإسراء:٣١، وقوله تعالى: (قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا بالله شيئاً وبالوالدين إحساناً ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم) الأنعام:١٥١، والمتأمل يجد أن المعنى هنا مختلف تمام الاختلاف وصدق الله إذ يقول: (هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات. فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم وما يذكر إلا ألوا الألباب) آل عمران:٦، ومع ذلك نجد المقال يشبه بعض آيات القرآن الكريم بالأمثلة الشعبية الدارجة هذه الأيام كما ورد في الصحفة ٤٩ حين شبه قوله تعالى: (بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه) بالمثل القائل من جهل شيء عاداه وقوله تعالى: (والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً) شبه ذلك بالمثال القائل خير الأمور أوسطها كما يذكر المقال في نهايته أن القرآن الكريم يعمد إلى التكرار في بعض آياته للتأثير ويشبه هذا بأصحاب الدعايات في عصرنا الراهن التي تعمد إلى التكرار لكي تكون مؤثرة فأنى لنا أن نشبه القرآن الكريم بأعمال الدعايات المتكررة مثل الدعاية عن شامبو أو نوع من الصابون أو خلافه لا يجوز أن نشبه كلام الله بكلام البشر ولو كان القرآن كذلك لملت الآذان من سماعه إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإن أعلاه لمثمر وإن أسفله لمغدق وهو يعلو ولا يعلى عليه، ينبغي إذا أردنا أن نستدل بمثل من القرآن أن نقول ولله المثل الأعلى. لأن أمور الدين لا ينبغي الخوض فيها إلا عن دراية كاملة وإن الخوض فيها دون وعي كافٍ كمن يجري عمليات جراحية وليس متخصصاً في علوم الطب.

بهذا أردت الإشارة ولا شك أن النوايا حسنة إن شاء الله. أسأل الله أن يهدينا إلى ما فيه خير الإسلام والمسلمين. ■

د. محمد حامد المسيري

أستاذ الفقه المقارن - كلية دار العلوم - جامعة القاهرة

تعقيب

قرأت بعمق العدد رقم ٤٠٠ من مجلتنا الحضارية «الوعي الإسلامي» ولفت انتباهي مقال (فاطمة وذريتها رضي الله عنهم) المنشور في زاوية «قضايا المرأة في الصحافة» التي استمتعت بها كثيراً شأنها في ذلك شأن باقي موضوعات «الوعي الإسلامي» العميقة التي تقدم إسلامنا المخلد بشكل حضاري، ولا شك في أن المقال جيد ممتاز ويشهد بجهد كاتبه، ولكنني أستأذنكم في أن أضيف بعض الإضافات المتواضعة.

ورد في مقدمة المقال أن النبي ﷺ دعا الله في عُرس سيدنا علي وابنته فاطمة - رضي الله عنهما - فقال: «اللهم بارك فيهما وبارك عليهما وبارك لهما في نسلهما» ثم ورد أنه ﷺ : «رش عليهما الماء من فيه الطاهر»، والقصة هي أن سيدنا علي باع درعه إلى سيدنا عثمان - رضي الله عنهما - بأربعمائة وثمانين درهماً كي تكون مهر خير النساء في حين لم يكن يملك سوى ذلك الدرع وفرسه، وانتظر الرسول ﷺ أمر الله سبحانه وتعالى حتى جاءه الوحي، فقال: «إن ربي أمرني أن أزوج فاطمة من علي» ثم خطب فقال بعد حمد الله: «إن الله تبارك اسمه وتعالت عظمته جعل المصاهرة سبباً لاحقاً وأمراً مفترضاً أوشج به الأرحام وألزم به الأنام»، إلى أن قال: «إن الله أمرني أن أزوج فاطمة من علي فاشهدوا أني قد زوجته على أربعمائة مثقال فضة إن رضي بذلك علي»، ثم دعا للعروسين فقال: «جمع الله شملهما وأطاب نسلهما وجعل نسلهما مفاتيح الرحمة ومعادن الحكمة وأمن الأمة» ثم أمر بطبق من بلح فوضع بينهم وقال: «انتهبوا منه» فجعلوا يأكلون وتبسم ﷺ في وجه علي وقال: «إن الله أمرني أن أزوجك فاطمة على أربعمائة مثقال فضة أرضيت بذلك قال: رضيت، فقال ﷺ : «جمع الله شملكما وبارك لكما وبارك فيكما وبارك عليكما وأعز جدكما وأخرج منكما الكثير الطيب»، وزفت فاطمة فانتقلت إلى بيت علي مع أم أيمن مولاة الرسول ﷺ ، وكان النبي ﷺ قد أوصى أن ينتظراه حتى يحضر بعد العشاء فلما حضر قال لفاطمة: «إئتني بماء» فقامت تتعثر في حياء، فأتته بقدح فيه ماء فأخذ منه في فمه الشريف ثم سكبه في الإناء وقال لها : «تقدمي» فتقدمت، فرش من الماء بين ثدييها وعلى رأسها وقال: «اللهم إني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم»، ثم قال لها: «ادبري» فأدبرت، فصب من الماء بين كتفيها، وفعل ذلك مع علي وعوَّذه ثم قال: «اللهم بارك فيهما وبارك عليهما وبارك لهما في نسلهما» ثم قال لعلي: «أدخل على أهلك باسم الله والبركة».

أسأل الله أن يلهمنا هدي نبينا ﷺ ويهدينا للتي هي أقوم، كما أشكر «الوعي الإسلامي» لأنها أفسحت لي صدرها ووقتها الثمين. ■

محمد محمود عبدالحميد فايد - أخصائي نفسي

بقلم: وائل أحمد الهنيدي

جمادى الآخرة

في مثل هذا الشهر نقف على نمط من أنماط السرايا التي كان يجهزها رسول الله ﷺ، لأهداف عدة، وجماع هذه الأهداف كلها هو القيام بواجب الدعوة إلى الله تبارك وتعالى.

نتحدث في هذا الشهر عن سرية ذات نمط خاص، يكاد يميزها عن غيرها من السرايا منذ الهجرة النبوية أو - بشكل أدق - منذ فرض الجهاد القتالي.

كانت هذه السرية على إثر غزوة مؤتة التي حدثت في العام التاسع للهجرة، وقد وجهها الرسول ﷺ إلى قبائل شمال الجزيرة من قضاعة وبلي، والذين انضموا إلى جيش الروم لغزو المسلمين أيام مؤتة، فكانت هذه السرية تؤكد لقبائل شمال الجزيرة أنهم ليسوا بعيدون عن سيوف المسلمين إن هم عادوا لمثل ما فعلوا في وقوفهم مع الروم ضد المسلمين.

استعرض رسول الله ﷺ صحابته، ثم اختار أحدهم، وقد كان عمرو بن العاص رضي الله عنه، الذي أسلم في أول سنة ثمانٍ للهجرة(١).

وما إن أكمل سنة أو فوقها بقليل حتى أمّرهُ رسول الله ﷺ على جيش ذات السلاسل، وفيهم كبار المهاجرين والأنصار، يقول عمر بن العاص رضي الله عنه: «بعث إليَّ رسول الله ﷺ فقال: «خذ عليك ثيابك وسلاحك، ثم ائتني» فأتيته وهو يتوضأ فصعَّد فيَّ النظر، ثم طأطأ، فقال: «إني أريد أن أبعثك على جيش فيسلمك الله ويغنمك، وأرغب لك من المال رغبة صالحة»(٢)، قال قلت يا رسول الله ما أسلمت من أجل المال ولكني أسلمت رغبة في الإسلام وأن أكون مع رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «نِعِمَّا بالمال الصالح للرجل الصالح»(٣).

ويتضح من هذا الحديث حرص رسول الله ﷺ في اختيار القادة، إذ بعث إلى عمرو بن العاص - رضي الله عنه - ولم يعلمه لِمَ طلبه، وأمره أن يهتم بلباسه ويأخذ سلاحه، فلما أتى كما أمره النبي ﷺ نظر إليه نظرة القائد الفاحص المدقق، ثم عرض عليه أمارة الجيش ووعده بالسلامة والغنيمة، وهنا يتضح إخلاصه رضي الله عنه، ليقول على الفور: ما أسلمت لأكسب مالاً إنما أسلمت كي أكون معك.

وها هو ذا أمير على الجيش الذي فيه من كبار الصحابة ممن أسلموا في مكة قبل الهجرة، لا لأنهم أقل منه فضلاً أو رتبة، بل لأن الحرب تحتاج الدهاء وسرعة البديهة أكثر من احتياجها لأي شيء آخر متى انتظم الناس في ظل عبودية لله مخلصة وامتثال لأمر نبيهم الكريم ﷺ.

وتتضح هذه الحنكة وذلك الدهاء في عدد من أفعال عمرو بن العاص رضي الله عنه منها:

أنه حين اقترب من قبائل شمال الجزيرة ورأى جمعهم بعث إلى رسول الله ﷺ يستمده، فبعث إليه أبا عبيدة بن الجراح في مائتين من سراة المهاجرين وفيهم أبو بكر وعمر رضي الله عنهم أجمعين، فكان عدد الجيش بالإضافة إلى المدد خمسمائة... فلما أراد أبو عبيدة رضي الله عنه أن يؤم الناس قال له عمرو بن العاص رضي الله عنه: إنما قدمت عليَّ مدداً وأنا الأمير، فأطاعه أبو عبيدة فكان يصلي عمرو بالناس.(٤)

ومنها أيضاً أن عمرا بن العاص رضي الله عنه منع الجيش من إيقاد النار وقد كانت تلك السرية في أيام باردة، وحاجة الجيش إلى النار لا تخفى على أحد، فلما علم بهذا المنع عمر بن الخطاب رضي الله عنه غضب وقال لأبي بكر الصديق رضي الله عنه: ألا ترى ما صنع بالناس... يمنعهم منافعهم؟ فقال له أبو بكر رضي الله عنه بلغة الواثق المطيع: دعه فإنما ولاه رسول الله ﷺ لعلمه بالحرب»(٥)، وتتضح ثمرة هذه الطاعة حين يعود الجيش إلى المدينة، فيسأل الرسول ﷺ الجيش عن عمرو وصحابته، فيثنون عليه خيراً وأخبروه بأمر النار وما أمر به عمرو بن العاص رضي الله عنه، فسأله الرسول ﷺ عن سبب منعه إيقاد النار، فقال عمرو: «كرهت أن آذن لهم أن يوقدوا ناراً فيرى عدوهم قلتهم، فحمد رسول الله ﷺ أمره»(٦).

ومنها أيضاً أن عمرو بن العاص رضي الله عنه أصبح من ليلة جنباً، وكانت ليلة باردة شديدة البرودة، فغسل فرجه وتوضأ وصلى بالناس وكان اجتهاداً منه في فهم الآية الكريمة: (ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيماً) النساء:٢٩.

إذ إنه لما غلب على ظنه أنه قد يموت من شدة البرد يومئذ توضأ وصلى بالناس، وظن الناس أنه صلى بهم جنباً، ومع هذا الظن الذي اعتقدوه، تراهم قد سمعوا وأطاعوا ولم يتمرد منهم أحد، وما نقل أن أحداً منهم - ومنهم أبو بكر

وعمر وأبو عبيدة ـ قد صلى بمفرده، احتراماً لأمر رسول الله ﷺ «اسمعوا وأطيعوا ...»، وإيماناً بروح الاجتهاد، ذلك الباب الواسع الذي يغطي كل أبواب الحياة بشتى صورها وأفكارها ونظمها، بل كل ما استحدثته من نظم المدنية والعصرنة، فلا يوجد باب يُعَظِّمُ فيه أمر الله، بحيث لا يتعارض مع صريح القرآن والسنة، إلا ووظفه في خدمة الدين، لا العكس.

إن الدين نزل ليحفظ للإنسان كرامته، ويؤصل إنسانيته، ولا يتم التكريم للإنسانية إلا بالالتزام بروح الشريعة انطلاقاً من فهم مقاصدها واستشعاراً لحاجتنا إليها في كل زمان ومكان، إذ ما من نظام يسعى فيه المفكرون من أرباب الفكر الغربي إلا وهو يبحث عن أصل ثابت ينطلق منه لفهم علاقة الإنسان بنفسه والكون من حوله نشأة وظهوراً، وذلك كيلا يصطدم بما يعارض مصالحه الثابتة التي مازال يقلب فيها النظر ليعرف بعضها ويغفل عن بعض، وقد تكون معرفته لبعضها فتحاً عظيماً كاكتشاف الكهرباء واستغلالها، وقد تكون تلك المعرفة من باب آخر نقمة لا تجر إلا الدمار كما في اكتشاف اليورانيوم المخصب، وغيرها من المواد الإشعاعية التي تهلك الحرث والنسل.

إن الإسلام حين يضبط علاقة الإنسان بخالقه حباً وطاعة من خلال الأحكام الثابتة، لا ليحجر على الإنسان تفكيره أو يقيد عقله، بل ليريحه من عناء الوصول إليها بصورة التجربة والخطأ، فيقول له: هذه الخطوط العريضة، إن أنت التزمت بها، أرحت نفسك من عناء الوصول إليها بعقلك، دع هذا الأمر لي، وأطلق لنفسك العنان في كل ما سخرته لك في الحياة من متع، وكل ما خلقته لك من ثروات تكاد لا تنضب إن أحسنت استغلالها.

فلا يمكن بحال أن نفهم الإسلام ذلك الدين الذي جاء للبشرية كلها يضبط شهواتها وأهواءها وينظم علاقاتها دون أن ندرك معنى الاجتهاد في ظل عبوديتنا لله. فإن العبودية بكل ما تعني من حب لله وطاعة له وامتثال لأمره واجتناب لنهيه تسد الفراغ الروحي كما أنَّ بذل الجهد والوسع والطاقة في معرفة ما يصلح لأمر الدين والدنيا معاً يسد الفراغ العلمي، وبهما معاً تبنى الحضارة ومهما رأينا من حضارات فإنها دون هذين الأصلين تبقى مبتورة منقوصة، بل قد تجر من الويلات والنكبات على الإنسانية الشيء الكثير.

ويؤكد رسول الله ﷺ على الاجتهاد بهذا المعنى في أحاديث كثيرة ومنها: «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته» «البر حسن الخلق والإثم ما حاك في نفسك وخشيت أن يطلع عليه الناس» وغيرها الكثير مما يدل بشكل مباشر أو غير مباشر لتقدير دور العقل في الحياة وتتبع مراقيها.

ومن تلك الصور المضيئة في تقرير الاجتهاد وقبوله أن رسول الله ﷺ حين سمع من عمرو بن العاص سبب عدم اغتساله وأنه خشي على نفسه أن يموت من البرد ضحك ولم يقل شيئاً.(٧)

إن حاجتنا لأن نقتدي برسول الله ﷺ قولاً وعملاً وحباً وتعاملاً، أضعاف حاجتنا لأي شيء آخر مهما عظم، فكان ﷺ مثال القيادة الفذة والأسلوب الراقي، والمعلم المربِّي والمهذب لنفوس من كانوا حوله.

وكان بالإضافة لهذا كله سمح التعامل ودمث الخلق، حتى يظن من يخالطه أنه أحب الناس إليه، لهذا نجد أن عمرو بن العاص رضي الله عنه بعد أن رأىٰ من رسول الله ﷺوقد ولاه على جيش فيه كبار الصحابة ممن أسلم قبله بكثير، يتساءل في نفسه: إلى أي درجة يحبني رسول الله ؟! فلم يتمالك أن يسأل الرسول ﷺ قائلاً: «يا رسول الله من أحب الناس إليك؟» فيجيبه صادقاً مصدقاً لا مجاملاً فيقول: «عائشة»، ثم يسأله عمرو بن العاص ونفسه ملأى من حب رسول الله وفرحاً بإجابته: من الرجال: قال «أبوها» ثم يعود ليسأله: ثم من؟ قال: «عمر» فقال عمرو فعدّ رجالاً فسكتُّ مخافة أن يجعلني في آخرهم».(٨)

هذا بعض ما حدث في مثل هذا الشهر، ولنا موعد في الشهر المقبل إن شاء الله مع أحداث أُخر، نستلهمها نوراً في حياتنا الدنيا ونجني ثمارها عند الله يوم القيامة، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم. ■

الهوامش:

١ ـ سير أعلام النبلاء ج٣ ص٥٥ ط سنة....

٢ ـ أرغب لك: أمنحك.

٣ ـ أخرجه البخاري في الأدب المفرد وأحمد وصححه ابن حبان.

٤ ـ الرحيق المختوم ص ٣٧٤.

٥ ـ تاريخ ابن عساكر.

٦ ـ أخرجه الحاكم في المستدرك وصححه، والترمذي وأحمد في مناقب الصحابة.

٧ ـ صححه ابن حبان والحاكم.

٨ ـ أخرجه الترمذي في مناقب عائشة رضي الله عنها

كتب : تمام أحمد

الأوقاف تكرّم الفائزين بمسابقة البحث والشعر والخط العربي

تحت رعاية وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية الدكتور عادل الصبيح أقام قطاع الشؤون الثقافية في الوزارة حفلاً تكريمياً وزع من خلاله الجوائز على الفائزين والفائزات في المسابقة الأدبية السادسة للبحث والشعر والخط العربي، وذلك في يوم الأحد ١١ جمادى الأولى ١٤٢٠هـ الموافق ١٩٩٩/٨/٢٢م بصالة عبدالعزيز حسين في منطقة مشرف، وقد ألقى الأستاذ عبدالعزيز البدر الوكيل المساعد للشؤون الثقافية في الوزارة كلمة في حفل الافتتاح نيابة عن وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية، أكد فيها حرص الوزارة على نشر الثقافة الإسلامية الراشدة من خلال قطاعاتها المتنوعة من قطاع الشؤون الثقافية والإفتاء والدراسات الإسلامية وغيرها، تدعيماً للقيم الفاضلة وترسيخاً للمبادئ السامية وحفاظاً على الهوية الإسلامية العربية في عالم تتزايد فيه التحديات.

وأضاف القناعي: أن نشر الثقافة الإسلامية الواعية بين أبنائنا وفي مجتمعنا والدعوة إلى التمسك بالقيم والمبادئ هو السياج الواقي الذي يحفظ الفرد والمجتمع ويجعل له دوراً إيجابياً في الحياة، مؤكداً أنه لابد للمؤسسات الثقافية أن تسهم في تنوير المجتمع والنهوض به وبأفراده ومؤسساته ليكونوا على بصيرة من واقعهم ومشكلات عصرهم ومؤهلين لمعالجة هذا الواقع والتغلب على المشكلات بروح واثقة ووعي راشد.

وهذا يدعونا إلى الارتقاء بأسلوب الخطاب الثقافي والدعوي والأخذ بالأسباب الحديثة واستغلال الوسائل المتاحة حتى نصل إلى هدفنا المنشود وهو بناء الإنسان المسلم المتحضر الواعي... المثقف ثقافة تنمي مواهبه وتحفز مداركه وتأخذ بيده إلى نور الإسلام والهداية وإلى العزة والكرامة.



● الفائزون في المسابقة في لقطة تذكارية

وأكد القناعي أن هدفنا من هذه المسابقة هو بث روح التنافس بين الشباب ودفعهم إلى بذل الجهد من أجل التثقيف الذاتي وتشجيعهم على البحث والكتابة وتنمية مواهبهم وليكون ذلك حافزاً لهم على مواصلة الطريق والإجادة في مجال العمل الثقافي حيث بلغ عدد المشاركين في المسابقة ستين مشتركاً فاز منهم في البحث الميداني ثلاثة وفي الخط العربي ستة وفي البحث العلمي أربعة والشعر ثلاثة.

ومن جهته ألقى الشاعر فاضل خلف كلمة لجنة التحكيم قال فيها: إن المسابقة الشعرية ضمت عشر قصائد وهي أجمل ما قرأت من شعر في هذه الأيام وشملت عدة مدارس شعرية ظهرت في هذا القرن الذي سوف نودعه بعد شهور وتلك المدارس هي مدرسة الشعراء الغنائيين والمدرسة الواقعية مؤكداً بقوله: لقد وجدت صعوبة في اختيار القصائد الثلاث الأولى لتقارب المستويات. وحث خلف الشعراء المتسابقين على ألا يسبق

استضافتها الكويت لشباب التعاون
اختتام المسابقة الثانية عشرة للقرآن الكريم والحديث الشريف

اختتمت يوم ١٩٩٩/٨/٩م المسابقة الـ١٢ للقرآن الكريم والحديث الشريف لشباب دول مجلس التعاون الخليجي التي نظمتها الهيئة العامة للشباب والرياضة بالتعاون مع وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في الكويت.

وأسفرت نتائج المسابقة على مستوى الفرق عن فوز الفريق السعودي بالمركز الأول يليه الفريق القطري ثم الفريق الكويتي. أما على مستوى مسابقة الفردي فقد فاز بالمركز الأول بالمتسابق محمد أحمد مغربي من السعودية يليه المتسابق هيثم محمد علي من قطر، ثم المتسابق سعيد خميس الشامي من سلطنة عمان.

ومن مسابقة القراءة الحرة فاز المتسابق علاء سالم باكوين من السعودية.

وكرمت اللجنة المنظمة للمسابقة المتسابقين الصغار المتميزين في الأداء رغم صغر سنهم وهم خالد جاسم العيناتي من الكويت وأحمد موسى البلوشي من الإمارات وخالد علي محمد من البحرين.

وبعد ذلك ألقى مدير إدارة الأنشطة الثقافية والرياضية في الأمانة العامة لدول مجلس التعاون الخليجي عبدالرحيم الأحمدي كلمة في حفل الاختتام أعرب فيها عن شكره وامتنانه لدولة الكويت لاستضافة هذا التجمع وهذه



● الوكيل المساعد للشؤون الثقافية يكرم أحد الفائزين



● لقطة من المؤتمر الصحفي الذي سبق حفل التكريم

القصيدة أي مقدمات لأن القصيدة الجيدة هي التي تفرض نفسها مع ضرورة عدم اختيار أي مصطلحات قاموسية وعدم الإكثار من الهوامش.

وعلى الصعيد ذاته ألقى علي البداح كلمة لجنة تحكيم الخط العربي، مؤكداً أن ارتباط هذا الخط بالقرآن الكريم هو الذي يجعلنا نعتز به وهو بحد ذاته فن من الفنون الجميلة.

وخلال الاحتفال ألقت شيماء قيس سليمان الفائزة بالمركز الخامس كلمة الفائزين في البحث الميداني وأكدت فيها أن البحث الميداني تأصيل للروافد الثقافية الإسلامية الحديثة والقديمة.

تكريم الفائزين

وبعد ذلك قام راعي الحفل بتكريم الفائزين حيث قامت لجنة التحكيم بحجب جوائز المراكز من الأول حتى الرابع في البحث الميداني لعدم توافر الشروط اللازمة وحصلت شيماء قيس على المركز الخامس وعبدالله أحمد عكاشة السادس، ثم تم حجب الجوائز من المركز السابع حتى التاسع وحل صبحي عبدالرضا عاشراً.

أما في البحث العلمي فتم حجب الجوائز من الأول حتى الثالث، كذلك السابع والتاسع والعاشر، وفازت أمينة علي الحميدان بالمركز الرابع ومختار عبدالهادي خامساً ومحمد عبد المنعم سادساً وحسام إبراهيم ثامناً، أما الشعر العربي ففاز فيه أيمن توفيق أولاً وإسماعيل عمر منصور ثانياً والثالث أحمد عمر أحمد السيد وتم حجب الجوائز من الرابع حتى العاشر. أما في الخط العربي، فتم حجب الجوائز من الأول حتى الرابع وفاز عمر عبدالعزيز محمد بالمركز الخامس وأيمن عبدالله السادس وحمود جلوي السابع، وحسن مفيد الثامن وعبدالمحسن رجب التاسع وجاء حسين طه محمد عاشراً.

تطور المسابقة

والجدير بالذكر أن المسابقة الأدبية بدأت منذ عام ١٩٩٣م حيث كانت بدايتها في القصة القصيرة والبحث، وأضيف الشعر إلى المسابقة الثانية عام ١٩٩٤م واستمرت على نفس النمط منذ المسابقة الثانية وحتى الخامسة وفي المسابقة السادسة أضيف البحث العلمي «الميداني» والخط العربي حيث حرصت الوزارة على إثراء الاطلاع والقراءة لدى الجنسين بعيداً عن التعصب مع التأكيد على احترام العلماء والاجتهاد من باب التنوير وتوسعة فكر الباحث لما فيه المصلحة العامة بعيداً عن الفرقة والتناحر في الرأي. ■

الجلسات المباركة.

وقال «لقد تميزت هذه المسابقة بالكثير من الإضافات الحميدة وهي تتجدد كل عام أينما أقيمت مما يشجع على الاستمرار في أقامتها». وأضاف الأحمدي «لقد كانت الفائدة عامة والكسب رابحا والتزود بالخير للمستقبل ذخيرة وفيرة».

وألقى المتسابق عبدالله بن أحمد من سلطنة عمان كلمة الوفود أعرب فيها عن بالغ سعادته بتمثيل بلاده في هذا التجمع والحضور بين أشقائه أبناء دول مجلس التعاون الخليجي في بلده الثاني الكويت.

وقال: «لقد حظي الشباب بمجتمعنا الخليجي بالشيء الكثير من العناية والرعايةوالاهتمام في شتى المجالات وعلى مختلف الأصعدة والقطاعات نتيجة لإيمان المسؤولين العميق بدور الشباب في الحفاظ على المنجزات الحضارية التي تشهدها دول المجلس في هذا العهد الزاهر».

وأضاف أنه بناء على هذا التوجه، فقد حرص المسؤولون على تنظيم العديد من البرامج والفعاليات التي من شأنها تنمية الروح وتعميق الصلات الأخوية بين شباب دول المجلس وتأتي هذه المسابقة لتؤكد هذا المعنى السامي، حيث تهدف إلى حث الشباب على حفظ كتاب الله ودراسة السنة النبوية الشريفة.

وقال: إن حفظ كتاب الله يعتبر من أهم الأمور التي يجب على كل شاب مسلم أن يوليها اهتمامه، مشيراً إلى أن «ترك كتاب الله وترك العمل به هو السبب المباشر لتأخر الأمة».

وحضر حفل اختتام المسابقة التي أقيمت في مسجد الدولة الكبير رئيس مجلس الإدارة والمدير العام للهيئة العامة للشباب والرياضة خالد الحمد ونائبه لشؤون الشباب ناصر العيار، إضافة إلى الوفود المشاركة في المسابقة. ■

كتبت : تمام أحمد









زلزال مدمر يضرب تركيا

ضرب زلزال مدمر دام ٤٥ ثانية بلغت قوته ٧,٨ درجات على مقياس ريختر يوم ١٩٩٩/٨/١٧م شمال غرب تركيا مما أوقع عشرات الآلاف من القتلى والجرحى، وسوَّى آلاف المباني بالأرض تماماً، وكان الرقم الرسمي لضحايا الزلزال حتى يوم ١٩٩٩/٨/٢٧م قد بلغ ١٣٤٧٢ قتيلاً و ٢٧١٥٤ جريحاً كما يعتقد أن آلافاً آخرين مدفونون تحت الأنقاض مما يجعل الحصيلة النهائية لعدد الضحايا قابلة للزيادة وقد تصل إلى أربعين ألفاً.

وتبعت الزلزال الكبير أكثر من ٢٠٠ هزة ارتدادية بثت الذعر في جميع أنحاء تركيا، وأصاب الزلزال قاعدة بحرية مهمة في مدينة «غولجوك» المطلة على بحر مرمرة بأضرار بالغة حيث قتل مئات الجنود ووقع مركز الزلزال قرب مدينة «أزميت» على نحو ٨٨كم جنوب شرق استنبول أما عمقه فكان على بعد ٣٢كم تحت الأرض وهو عمق قليل مما يفسر ضخامة الأضرار التي حدثت لأن الزلزال الضحل أكثر تدميراً من الزلزال العميق بسبب وجود طبقات صخرية كثيرة تمتص قوة هذا الأخير وكانت أسوأ كارثة زلزال تحل بتركيا قد حصدت أرواح أربعين ألف شخص في أرزنجان عام ١٩٣٩م.

وتحتاج تركيا بعد انتهاء إحصاء آلاف الضحايا في الزلزال الأخير إلى مساعدة مالية دولية ضخمة لإعادة بناء المناطق المدمرة وترفض الحكومة التركية المشغولة حالياً بعمليات الإنقاذ تقدير قيمة الدمار وشلل المنطقة الصناعية الأولى في البلاد.

مساعدات إلى تركيا من ٤٢ دولة

هذا وقد دفع حجم الكارثة الحالية العديد من دول العالم وفي مقدمتها الدول العربية والإسلامية إلى مد يد العون والمساعدة للشعب التركي المسلم، حيث قدمت ٤٢ دولة مساعدات مالية وعينية، كما شاركت نحو ثلاثين منظمة إنسانية وهيئات محلية من الهلال الأحمر والصليب الأحمر في حملة التضامن مع الشعب التركي الأمر الذي دفع الأمين العام للأمم المتحدة «كوفي عنان» إلى الإشادة بالمساعدات التي قدمتها الحكومات والمنظمات غير الحكومية والأفراد، وطالب بالمزيد منها لأن الاحتياجات ما تزال هائلة سواء لأغراض الإغاثة الدولية أو لإعادة التأهيل خاصة وأن هناك أكثر من ٦٠٠ ألف مشرد لابد من توطينهم قبل حلول فصل الشتاء.

مساعدات خليجية عاجلة

وكانت دول الخليج العربي في مقدمة الدول التي هبت لنجدة تركيا في أزمتها الحالية، حيث أقام بعضها جسراً جوياً لنقل المساعدات، ففي الكويت وبناء على أمر سمو أمير البلاد تم شحن كميات كبيرة من الأمصال والخيام والبطانيات ومولدات الكهرباء وأجهزة تقويم العظام، والكراسي المتحركة، وأجهزة تنقية المياه والمواد الغذائية المتنوعة، كما تم إرسال فريق طبي كويتي لإسعاف الجرحى والمصابين، وتأتي هذه المساعدات انطلاقاً من إيمان الشعب الكويتي بالمبادئ الإنسانية والأخوية واندفاعه إلى جانب الشعوب الصديقة ومساعدتها. وفي المملكة العربية السعودية أقيم جسر جوي لنقل المساعدات إلى المناطق المتضررة بالزلزال بناء على أمر خادم الحرمين الشريفين وكذلك فعلت باقي دول الخليج العربية، حيث قدمت حكوماتها وشعوبها مساعدات إنسانية كبيرة.

تبني الأطفال

من جهة أخرى، برزت في تركيا في أعقاب الزلزال المدمر عصابات من اللصوص تقوم بخطف الأطفال الذين فقدوا ذويهم تمهيداً لبيعهم ومن الصعب تقدير عدد الأطفال الذين أصبحوا يتامى بعد الكارثة، لكن المطلوب من الحكومة التركية والمنظمات الإسلامية، التنبه لهذه القضية، وإيجاد حل عاجل لها بما يكفل الحفاظ على هوية هؤلاء الأطفال، خاصة وأن عائلات من أوروبا والولايات المتحدة قد تقدمت بطلب تبني لهؤلاء الأطفال، تماماً كما حصل في أزمات البوسنة وكوسوفا والشيشان وغيرها. ■

زلازل ضربت تركيا منذ الأربعينات

- ديسمبر عام ١٩٣٩م قتل نحو ٣٣ ألف شخص حين هز زلزال قوته ٧,٩ درجة بمقياس ريختر مدينة أرزنجان الشرقية.
- ديسمبر عام ١٩٤٢م هز زلزال قوته سبع درجات بمقياس ريختر منطقة البحر الأسود وتسبب في مقتل ثلاثة آلاف شخص.
- نوفمبر عام ١٩٤٣م قتل نحو ٣٠٠٠ شخص حين هز زلزال قوته ٧,٢ درجة عدداً من المدن والقرى الواقعة شمال العاصمة أنقرة.
- فبراير عام ١٩٤٤م قتل نحو ٤٠٠٠ شخص من سكان مدينة بولو وما حولها حين ضرب المنطقة زلزال قوته ٧,٢ درجة.
- أغسطس عام ١٩٦٦م ضرب زلزال قوته ٦,٩ درجة بلدة فارتو الجنوبية الشرقية وقتل ٢٣٩٤ شخصاً.
- مارس عام ١٩٩٢م تعرضت ارزنجان مرة أخرى لزلزال قوته ٦,٨ درجة وسقط ٦٥٣ قتيلاً وأصيب نحو ٤٠٠٠ شخص.
- يونيو عام ١٩٩٨م ضرب زلزال قوته ٦,٣ درجة مدينة «أضنة» المطلة على البحر المتوسط وقتل ١٤٥ شخصاً.



المراهنة على الزمن في الفكر الإسرائيلي

بقلم : د. رفيق حسن الحليمي

تؤثر هذه الدراسة استخدام كلمة «إسرائيلي» للدلالة على جميع الفئات والسلالات من نسل «يعقوب. إسرائيل ﷺ»، وهذا أفضل من كلمة توراتي أو يهودي أو صهيوني، وفقاً للتسلسل التاريخي.



الزمن بمفرداته ومكوناته وعناصره المختلفة من ساعات وأيام وشهور وسنوات. قيمة حياتية كبيرة وقاسم مشترك لدى جميع الأفراد والشعوب، مع تفاوت فيما بينهم من نسبية في ادراك هذه القيمة ودرجة التعامل معها. فهذه الأزمنة. طويلة أو قصيرة. أوعية زمنية وظروف لمختلف أنواع الحياة والأعمال التي تصدر عن بني البشر... غير أن بني إسرائيل تنبهوا منذ القدم الى عامل الزمن في تعاملهم مع الآخر، وفي كثير من القضايا الحياتية والدينية بما يعود عليهم بتحقيق مصلحة أو منفعة أو غاية، ولهم. عبر تاريخهم الطويل القديم منه والحديث. حكايات مع الزمن ومواقف تستأهل التحليل والنظر.

ولعلنا في هذه الدراسة نستطيع أن نلقي بعض الضوء على أسلوبهم في التعامل مع الزمن بكل أبعاده وتداعياته، وما تولد عن ذلك من سلوكيات معينة تركت آثارها في محيط المجتمعات التي وجدوا فيها... وهي سلوكيات محكومة في محصلها بنظرتهم الى الزمن والهروب من الواقع الى الامام، أو كما يقال بلغة هذه الايام: رمي الكرة الى الأمام، فقد يحمل المستقبل في طياته. كما يتوقعون أو يخططون. شيئا ما يحاولون جعله لصالحهم دون غيرهم من الخصوم، حتى لو كان الخصوم من بني جلدتهم أو عقيدتهم أو من إخوانهم.

ولا تتجنى هذه الدراسة عليهم، فقد اعتمدت في كثير من الاستشهادات على التوراة كتابهم المقدس وعلى جانب من أساطيرهم ومروياتهم التي روجوا لها بأنفسهم على الأخبار التي صدرت عن المنظرين للسياسة الإسرائيلية لديهم، كما ستعتمد هذه الدراسة على القرآن الكريم، كمصدر لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تحدث في أمور كثيرة تتعلق بحياتهم وطبائعهم ومواقفهم ومنها قضية التلاعب بالزمن والمراهنة عليه.

صور من المراهنة على الزمن في التوراة

بين إسحاق وابنيه عيسو ويعقوب

تذكر التوراة أن إسحاق عندما بلغه الكبر وضعف بصره، طلب من ابنه الأكبر عيسو أن يذهب إلى البر ليعدّ له طعاماً مما يصطاده، لعله يأكل منه ويعطيه البركة أو الولاية من بعده، وقد علمت ربيكا «رفيقة» زوجة إسحاق بالخبر، وكانت تريد الولاية لابنها يعقوب، فاستغلت غياب عيسو وطلبت من يعقوب أن يقوم بإعداد الطعام لوالده قبل مجيء أخيه لينال البركة، فقام بذلك وقدمه له على أنه عيسو فنال بركة والده وأخذ الولاية أو «النبوة» من بعده، وقد تعجب الوالد من السرعة التي أعد فيها الطعام... «سفر التكوين عدد٢٧».

الزمن في هذه الرواية كان لصالح يعقوب الذي لم يغادر المنزل، فأخوه عيسو ما زال في الخلاء يبحث عن صيد ليعد منه طعاماً لأبيه، وبمعنى آخر: كان أخوه يعيش لحظات، يمكن أن تعد ضمن زمن المستقبل، وكان يعقوب يعيش لحظة في الزمن الحاضر، فأخوه بعيد، وهو قريب من صنع الحدث، فلما عاد عيسو أصبح الأخوان في زمن واحد ومكان واحد ولكن الأمر قد انتهى لصالح يعقوب حيث أصبحت الولاية له من بعد أبيه، ولم يُجدِ عتاب عيسو لأبيه، رغم انكشاف الحيلة بأن أخاه حلّ محله عند تقديم الطعام، وأنه نال البركة والنبوة بدلاً منه، ولعل هذه الرواية ـ وفقاً لما جاءت عليه في التوراة ـ تشكل بداية الاستفادة من عنصري الزمان والمكان في اتحادهما معاً، وهو ما يطلق عليه «الزمكانية» ومدى استثمارهما بصورة تحقق مصلحة ومنفعة لطرف دون طراف في النزاعات حتى لو كانت على حساب الأخوة.

بين يعقوب وخاله لابان وبداية تشكل ظاهرة الربا

هذه القصة امتداد للقصة السابقة، حيث أصرت «رفقة» أن لا يتزوج يعقوب من الكنعانيين، وطلبت منه أن يسافر إلى «حران» ويتزوج من إحدى بنات أخيها «لابان»، وما إن رأى يعقوب «راشيل» ابنة خاله حتى وقع في حبها وكانت لها أخت أكبر منها سناً وأقل منها جمالاً، فطلب من خاله أن يزوجه راشيل، فوافق على ذلك، وطلب منه أن يخدمه سبع سنوات مقابل ذلك، ولما انقضى الأجل أقيم «عيد» للزواج وفي الصبح اكتشف يعقوب أن الزوجة التي بنى بها ليست راشيل وإنما هي «ليها» أختها، فغضب وعاتب خاله، فأجابه: ابق معها أسبوعاً ثم نزوجك الثانية، لأنه لا يجوز لنا أن نزوج الصغرى قبل الكبرى، وهكذا تزوج يعقوب من راشيل على أختها «ليها» في مقابل خدمة خاله لابان سبع سنوات أُخر... وزادت الثورة وزاد المال وربا عند يعقوب ولابان، وللقصة بقية مطولة في كيفية الاستيلاء على الثروة والهروب بها ومطاردة لابان يعقوب لاسترداد ثروته، وقد رأي أخيراً أن يتركها له ولابنتيه وأولادهما، ثم قام بتوديعهم واستمر يعقوب في طريق العودة إلى أرض كنعان. «سفر التكوين أعداد ٢٨ـ٣١».

وهذه الرواية تؤكد كيفية استثمار الزمن حتى تربو الثروة وتزيد، ويتكئ بنو إسرائيل على هذه الواقعة في تسويغ الربا والدفاع عنه بأنه تجارة ومزارعة وعمل، وأن جدهم يعقوب ـ على حد زعمهم ـ أول من تعاطى الربا ربا الأجل أو «النسيء»، حيث قبل أن يعمل سبع سنوات وسبع سنوات أُخر مقابل الزواج والثروة وكأن الثروة والزواج ثمرة من ثمرات الأجل، ولم يكن العالم القديم آنذاك يعرف الربا قبل



● موروثات شعبية نسجها خيال الصهاينة !!

هذه الظاهرة التاريخية المتمثلة في قصة لابان مع يعقوب، وكان من الممكن أن تكون هذه القصة عارضة من عوارض التاريخ، فتهمل ولا يعتد بها، ولكن بني إسرائيل وجدوا فيها مسوغات لتكرارها في أشكال مختلفة من المعاملات المالية كرست ظاهرة الربا وفتحت أبوابه في العالم القديم وحتى أيامنا هذه.

تأجيل زواج دينا ابنة يعقوب ... حتى حين ؟

تزعم الرواية أن شكيم ابن أحد أمراء كنعان وقع في حب دينا، وكانت بينهما علاقة يعف القلم عن ذكرها، فطلب من أبيه أن يخطبها له، فعرض الأمير الأمر على يعقوب، كما عرض معه فكرة الزواج الجماعي من كلا الجانبين مقابل حياة كريمة لهم بينهم، حيث الزراعة والاستقرار، فبيتوا النية لمنع الزواج وتعللوا بأن الكنعانيين لا يطهرون أولادهم، ومن أجل تحقيق المصاهرة الجماعية وزواج شكيم من دينا لابد من الطهور الذي يطبقه بنو إسرائيل دون غيرهم... وهكذا تمت عملية طهور أبناء المدينة فمرضوا وأصبحوا مجهدين وفي اليوم الثالث دخل اثنان من أبناء يعقوب وهما «سيمون وليفي» وأعملا السيف في رقاب رجال القرية بمن فيهم شكيم ووالده ونهبا ما وجداه من الموجودات والمقتنيات ثم فرا بليل مظلم، وقد عاتبهما أبوهما يعقوب على ذلك... قائلاً: لقد دمرتماني. «سفر التكوين عدد ٣٤».

فالأجل أو رمي الكرة إلى الأمام لإعداد العدة والتدابير المناسبة، واضح في هذه الرواية، فقد كانوا يبيتون النية لرفض زواج أختهم من شكيم، فتعللوا بطلب طهور أبناء القرية جميعاً، وهو أمر يحتاج إلى وقت ولا يتم إلا بعد حين من الزمن، ولما تمّ لهم ذلك وتعب الرجال بسبب الطهور، كان الحسم على الطريقة الإسرائيلية وهو القضاء على رجال القرية ونهب ما فيها والفرار بليل.

صور من مراهنتهم على الزمن في القرآن

تعظيم يوم السبت وتحريم الصيد فيه

عندما خرجوا من مصر الخروج الكبير الأول، فراراً من فرعون وملئه، أقاموا في مدين في سيناء، وكانوا يعظمون يوم السبت «هناك

علاقة لغوية بين السبت والسبات بمعنى النوم»، وقد قطعوا على أنفسهم عهداً كما أمرهم الله بألا يعتدوا فيه بصيد الحيتان والأسماك وليتفرغوا للعبادة حيث يقبعون في بيوتهم ولا يأتون بعمل من شأنه أن يعطلهم عن العبادة.

وأراد الله سبحانه أن يختبرهم فابتلاهم بأن جعل الأسماك تظهر بكثرة أمامهم على وجه الماء في يوم السبت، وأما في باقي الأيام فتختفي، فأرادوا أن يعبثوا بالأيام ويجعلوا يوماً مكان يوم، لأن الأسماك لا تظهر إلا يوم السبت فيتمنون أن يكون ظهورها في غير ذلك اليوم لينعموا بالصيد، ولما عجوزا عن العبث بالأيام راحوا في يوم الجمعة يحفرون أحواضاً عند الشاطئ ويجعلون لها جداول فتدخلها الأسماك يوم السبت لأمنها من الصيد، فيتركون العبادة وينطلقون إلى الشاطئ ليسدوا فتحات الجداول، وليحبسوا الأسماك في الأحواض - وكأنهم بذلك لا يصطادون ولا يأتون بعمل نهوا عنه - ثم يصطادونها يوم الأحد. قال تعالى: (إذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شُرَّعا ويوم لا يسبتون لا تأتيهم كذلك لنبلوهم بما كانوا يفسقون) الأعراف:١٦٣، وانظر تفسير النسفي ج٢ ص٨٢م، أليس في ذلك أكبر دليل على التلاعب بالزمن والمراهنة عليه لتغيير الحقائق، فظاهر الأمر أنهم لا يصيدون الأسماك يوم السبت، لأنهم يسدون أبواب الحياض وفتحاتها فقط ثم يقومون بالصيد في يوم الأحد، وهذا احتيال لأن سد الحياض في حد ذاته يعدّ صيداً، لأنهم يحبسون الأسماك في مكان محصور يستطيعون السيطرة عليه وصيد ما فيه في أي يوم، وفي ذلك قلب للحقائق وتزييف للواقع، ولقد عدَّ الله فعلتهم تلك اعتداءً منهم وخروجاً على العهد الذي قطعوه على أنفسهم، قال تعالى: (ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت) البقرة:٦٥، وانظر تفسير النسفي ج١ ص٥٢.

المراهنة على الزمن في قصة البقرة

على أن قصة ذبح البقرة التي جاء ذكرها في القرآن الكريم خير شاهد على المراهنة على الزمن، وقد جاءت هذه المرة في غير صالحهم، وهذه القصة تدل على طبع بني إسرائيل في المماطلة والتسويف اعتقاداً منهم أن الزمن المستقبل كفيل بحل جميع المشكلات، جاء أمر الله على لسان نبيهم موسى عليه السلام (إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة)، والأمر هنا مطلق يعطي الحرية لهم بذبح أي بقرة، وكان من الممكن أن يأتوا إلى أول بقرة يرونها ويذبحونها وبذلك يكونون قد تحللوا من الأمر الإلهي، ولكن المماطلة والتسويف والنسيء من الأمور التي أصبحت تشكل سلوكاً معيناً يتحكم في أمور حياتهم.

يقول المفسرون: أول القصة مؤخر في التلاوة، وهو قوله تعالى: (وإذ قتلتم نفساً فادارأتم فيها) البقرة:٧٢، وذلك أن رجلاً موسراً قتله بنو عمه ليرثوه وطرحوه على باب المدينة ثم جاؤوا يطالبون بديته، فجاء أمر الله لهم بأن يذبحوا بقرة «تفسير النسفي ج١ ص٥٥»، فراحوا يراوغون ويماطلون ويسألون، فطرحوا أربعة أسئلة على نبيهم جاءت على النحو الآتي:

١ - (قالوا اتتخذنا هزوا)؟

٢ - (ادع لنا ربك يبين لنا ما هي)؟

٣ - (ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها)؟

٤ - ادع لنا ربك يبين لنا ما هي إن البقر تشابه علينا)؟

وبعد أن تعرفوا إليها، وفقاً لتلك الصفات التي جاءتهم وجاء ذكرها



● من أراد أن يعرف طباع اليهود فليقف على أساليبهم الشيطانية

مفصلاً في القرآن الكريم، قاموا بذبحها (وما كادوا يفعلون).

الرهان على الزمن في هذه القصة واضح من التساؤلات المتلاحقة لبيان صفات البقرة، وقد ذهب بعض المفسرين إلى أن مدة التساؤلات استغرقت زمناً طويلاً، وأياً كانت المدة فإنها تؤكد ما جبلوا عليه من مماطلة وتسويف، وقد ينخدع البعض عند قراءة هذه القصة، فيعتقد أن ذلك يدل على ذهنية ذكية وعقلية محكمة تريد التحقق والتثبت من الأمور، وهذا الاعتقاد خاطئ، لأن الأمر الإلهي جاء مطلقاً وغير مقيد بصفة محددة، حيث يبيح لهم ذبح أي بقرة يجدونها أمامهم في الطريق العام، فكلمة بقرة نكرة لا تحتاج إلى تحديد من الوجهة المنطقية، ولكنهم فتحوا على أنفسهم باب التساؤل لحاجة في نفوسهم وطباعهم، فالسؤال الأول جاء للتأكد من مدى جدية الأمر (قالوا أتتخذنا هزواً)، ثم توالت الأسئلة، ولعلهم اعتقدوا أن هذه التساؤلات قد تصرف الأنظار عن جريمة القتل التي ارتكبت في حق واحد منهم وظل القاتل مجهولاً إلى أن ذبحوا البقرة وأمروا أن يضربوا جثة الميت ببعض أجزائها، وقيل: ضربوه بلسانها، فأحياه الله ليخبرهم بلسانه من الذي قتله منهم، حتى يتم القصاص منه.

القصة في حد ذاتها ذات مغزى حيوي، ومن أراد أن يعرف طباعهم وطبائعهم فليعد إليها بين وقت وآخر، ليقف على أساليبهم في التعامل مع الآخرين ومحاولة صرف الأنظار عن الشيء «الواقع» في الزمن الحاضر إلى مستقبل أو أجل غامض، وبين الواقع أو الزمن الحاضر وبين المستقبل تمتد المسافات وتبعد المساحات، وتحدث أمور ومستجدات، وهم مع هذا التسويف لم يكونوا الفائزين هذه المرة ولم يكن الأمر في صالحهم، فبالإضافة إلى اكتشاف القاتل قيل إنهم دفعوا مالاً كثيراً ثمناً للبقرة، وهو ما لا يرضونه أبداً.

فتح مدينة أريحا بين البعدين الديني والأسطوري

تعلق بنو إسرائيل منذ القدم بأمل كبير، وهو أنهم سيعودون إلى أرض كنعان «الموسوعة ص ١٩٨٦م»، فعبد أن خرجوا من مصر وأقاموا في سيناء أمرهم الله أن يسيروا إلى أرض كنعان «الأرض المقدسة» التي كان يسكنها الكنعانيون العماليق، ووعدهم الله أن

ليست كل مراهنة في صفهم ولصالحهم ويقدرون وتضحك الأقدار

تكون لهم دار قرار كما وعدهم بنصرته، غير أنهم ترددوا وتهيبوا لما عرفوا ما لدى الكنعانيين من قوة وشوكة، وقد جاءت هذه الأخبار مفصلة في القرآن قال تعالى على لسان موسى: (يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم) المائدة:٢١، (قالوا يا موسى إن فيها قوماً جبارين وإنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فإن يخرجوا منها فإنا داخلون) المائدة:٢٢، ثم (قالوا إنا لن ندخلها أبداً ماداموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون) المائدة:٢٤، (قال فإنها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض) المائدة:٢٦، ثم دارت المعركة وانتصروا فيها بعد حرب ضروس، وكان قائدهم فيها يوشع بن نون، (انظر: تفسير النسفي ج١ ص٢٧٥).

في التوراة تفصيل مطول لدخولهم الأض المقدسة، ووصف للمعركة التي دارت بين الجانبين، وتضيف إلى جانب ذلك أنهم اعتمدوا على جاسوسة اسمها «رحاب» قدمت لهم معلومات كافية سهلت لهم العبور والانتصار، كما تضيف أن نهر الأردن جفَّ ليتمكنوا من العبور، وأنهم كانوا ينفخون في الأبواق فتتهدم المباني وتتهاوى البيوت «سفر يوشع عدد ٤-٥-٦»، غير أن أساطيرهم لم تترك المسألة كما جاءت في التوراة، بل ذهب خيالهم إلى تصور عجيب، وهو أن المعركة التي دارت رحاها يوم الجمعة لم تحسم وأوشكت الشمس أن تغيب وبعدها سيأتي يوم السبت حيث يسبتون، هنالك دعا يوشع ربه أن يجعل الشمس تتوقف في السماء وألا تغيب حتى تتم المعركة، فاستجاب له الله ووقفت الشمس حتى أتم المعركة وكتب الله له النصر، فقصة دخولهم الأرض المقدسة يختلط فيها البعد الأسطوري البطولي بالبعد الديني التوراتي الذي لم يسلم من الخيالات والزيادات والاتكاء على الجاسوسية. ويتدخل عامل الزمن «الأجل أو النسيء» - أو هكذا أرادوا أن يكون للزمن دوره - في توقف الشمس، حيث يتوقف معها الزمن ولا يمضي وفقاً لنواميس الطبيعة والكون، وتستمر المعركة التي لاحت بشائر النصر فيها إلى جانبهم، وقد شاعت أسطورة توقف الشمس حتى انتشرت في التراث العربي، وربما كان مصدر هذه الأسطورة لدى العرب ما شاع في كتب المفسرين من إسرائيليات تطفح بها أكثر كتب التفسير، حتى وصلت الشاعر أحمد شوقي فقال:

ألا يا أخت يوشع خبّرينا
بما فعلتْ قرونُ الغابرينا

فأطلق على الشمس أنها أخت يوشع، في إشارة منه إلى جوهر الأسطورة السابقة وهي توقف الشمس في السماء ريثما تنتهي المعركة.

المراهنة على الزمن في بعض الأعمال الأدبية

قدم الشاعر والكاتب وليام شكسبير (ت القرن ١٦م) مسرحية تاجر البندقية واتخذ من شخصية «شايلوك» رمزاً للمرابي اليهودي الذي راهن على الزمن ليكون في صالحه ضد خصمه المسيحي أنطونيو ومنافسه في البورصة، فقد أقرض شايلوك خصمه مبلغاً من المال



● لماذا ينسى اليهود أن الزمن ملك للجميع ؟

ووضع شرطاً تعجيزياً إذا لم يسدد أنطونيو ما عليه وهو اقتطاع رطل من لحمه، وظل هذا المرابي ينتظر بفارغ الصبر انتهاء الأجل عسى أن يصبح خصمه عاجزاً عن السداد لينتقم منه، وفقاً للعقد المبرم بينهما وجاءت الأخبار في صالحه، حيث شاع أن خصمه خسر جميع ثروته وتجارته، وفي يوم المحاكمة لم تنفع وسيلة ولا حيلة ولا ضمان يمكن أن يبعد شبح اقتطاع رطل من لحمه، وقد وجد شايلوك في هذا العجز المالي فرصة للانتقام... إلى أن جاءت سيدة تزيت بزيّ رجل للدفاع عن أنطونيو وقلبت الموازين لصالحه، حيث اعتمدت في دفاعها عنه أن العقد ينص على اقتطاع رطل من اللحم دون إراقة قطرة واحدة من الدم وطلبت من شايلوك أن ينفذ العقد وأن يقتطع رطل لحم كما ينص العقد، وفي حالة إراقة قطرة من الدماء سيكون تحت طائلة القانون، وبذلك ينجو أنطونيو من العقوبة ويقع شايلوك في قبضة العدالة ويتغرم بكل ما يملك، الربا هو موضوع المسرحية وهو يقوم أساساً على عامل الزمن الذي يوظف توظيفاً دراماتيكياً لصالح شايلوك أولاً ولمدة طويلة من العمل المسرحي، ثم يأتي لصالح أنطونيو آخراً كحل للعقدة المسرحية، ولم يقدم كاتبها على كتابتها واختيار موضوع الربا متمثلاً في شايلوك رمز المرابين إلا بعد أن غرقت أوروبا في مستنقع الربا الذي كان يتعاطاه اليهود في مختلف الأحياء ويمارسونه بشراهة على البسطاء والمحتاجين من أصحاب الحرف والأعمال البسيطة، حتى نبذتهم تلك المجتمعات فعاشوا في أحيائهم المنعزلة المعروفة «بالغيتو».

يهودي يفلت من حكم الإعدام بالرهان على الزمن

ظل عامل الزمن ضمن الموروثات الشعبية التي نسجها الخيال الإسرائيلي وضمن الوعي الجماعي الذي يدفعهم إلى تصرفات وردود أفعال تجاه الآخرين، فيروى أن أحد القياصرة حكم على يهودي بالإعدام، وكان القيصر يمسك بحبل كلبه، وفكر اليهودي كيف يتخلص من حكم الإعدام الذي سينفذ فيه بعد قليل، فقال للقيصر: أمهلني سنة واحدة أستطيع خلالها أن جعل كلبك يتحدث الروسية مثلك تماماً

الإسرائيليون راهنوا ويراهنون على الزمن لتحقيق مصالح أفضل

واقتنع القيصر بذلك وأخذ عليه عهداً، ثم أخذ اليهودي الكلب وخرج ومعه آخرون، فسأله أحدهم: هل تستطيع أن تجعل الكلب يتحدث الروسية خلال عام؟ فضحك اليهودي وقال: خلال عام إما أن يموت القيصر، وإما أن يموت الكلب، وإما أن أموت أنا، المهم أنني أجلت حكم الإعدام سنة... وهذه الحكاية تحمل في طياتها الكثير من الدلالات، في مقدمتها المراهنة على الزمن، والاستخفاف بعقول الآخرين.

المراهنة على الزمن والتلاعب به عند عرب الجاهلية

رأينا كيف راهن بنو إسرائيل على الزمن، فكانوا وما زالوا يلقون الكرة إلى الأمام من خصومهم، فيعطون لأنفسهم مهلة ووقتاً كافياً للتشاور والتساؤل، ومحاولة الانفلات من أمور لا ترضيهم أو تكلفهم أعباء لا يطيقونها ومسؤوليات هم في غنى عن تحمل تبعاتها، فكانوا يصيبون مرات ويخطئون مرات.

على أن المراهنة على الزمن ـ كما رأينا ـ أوجدت ظاهرة الربا، وقد انتشر الربا وتفشى في الأمم التي عاش بنو إسرائيل بين ظهرانيهم، وكان من بينهم عرب الجاهلية، كما أن ظاهرة التلاعب بالزمن وهو الوجه الآخر للمراهنة على الزمن أوجدت ظاهرة التلاعب بالشهور ومحاولة العبث بها وفقاً للمصلحة، وقد تأثر العرب في الجاهلية ـ فيما تأثروا ـ سلباً بكثير من سلوكيات بني إسرائيل، فبالإضافة إلى تعاطيهم الربا بصورة فاحشة، عبثوا بالشهور فكانوا يبدلونها فيضعون شهراً مكان شهر تحقيقاً للمصلحة، وقد نزلت آيات قرآنية تحرم تلك الظاهرة، وتبين ضرورة التقيد بالمواقيت، قال تعالى: (إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً في كتاب الله يوم خلق السموات والأرض منها أربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم)(التوبة:٣٦، وهي ذو القعدة وذو الحجة والمحرم لتحريمهم القتال فيه ورجب لتعظيم العرب له، وقد عرف العرب النسيء بعد مجاورة اليهود لهم، وهو تأخير حرمة الشهر إلى شهر آخر لارتكاب المعاصي والحروب والغارات، وقد حرمه الله، قال تعالى: (إنما النسيء زيادة في الكفر يُضلُّ به الذين كفروا يحلونه عاماً ويحرمونه عاماً ليواطئوا عدة ما حرم الله) التوبة:٣٧، وانظر تفسير النسفي ج٢ ص ١٢٥ـ١٢٦.

المراهنة على الزمن في السياسة الإسرائيلية

من البديهي ـ في هذه الأيام ـ أن يدرك أقل الناس حباً لمتابعة الأخبار السياسية أن سياستهم من بين سياسات العالم تراهن على الزمن في كثير من القضايا الجوهرية والمصيرية، بحيث أصبحت المراهنة عندهم على الزمن إحدى الدعائم الأساسية التي تقوم عليها فلسفتهم السياسية. فوعد بلفور المشؤوم (١٩١٧/١١/٢م)، على سبيل المثال ضرب من المراهنة على الزمن، فقد بذلوا الكثير لاستصداره وعملوا الكثير هم وغيرهم لتنفيذه، وبين ذلك الوعد وبين قيام دولتهم نحو ثلاثين سنة، وهم ينتظرون ويخططون، ولو لم تنتصر بريطانيا في الحرب العالمية الأولى والثانية لظل الوعد حبراً على ورق.

وهناك أمور كثيرة في سياساتهم تقوم على المراهنة على الزمن، إذ إن رفضهم للكثير من القرارات الدولية تكون لكسب الوقت وتوظيفه لصالحهم، من ذلك ما أدلت به جولدا مائير رئيسة وزراء إسرائيل سابقاً ذات مرة عن مشكلة اللاجئين: «إن الزمن كفيل بحلها، الكبار يموتون، والصغار ينسون»، ولكن الرياح تجري بما لا تشتهي السفن، ويقدرون وتضحك الأقدار، فقد ظهر من الصغار وهم الجيل الرابع لنكبة فلسطين ما عجز عنه الكبار الذين راهنت عليهم بالموت، من تضحية وفداء وحب لوطنهم وتشبث بحقهم في وطنهم وأرضهم.

الإسرائيليون ينسون أو يتناسون حقيقة جوهرية وهي أن الزمن ملك للجميع وقدرٌ يشترك فيه الناس كافة، ولكن الموازين قد تكون في صالح طرف دون طرف، وليست كل مراهنة على الزمن أو غيره رابحة، فكثير من المراهنات خاسرة، لأن عوامل الربح والخسارة ليست في مجرد المراهنة، بقدر ما تكون في درجة الاستعداد وأخذ الحيطة وإعداد العدة والعتاد، وللناس الحق المطلق في استثمار الزمن للصالح العام وللصالح الشخصي أيضاً دون مراوغة ومماطلة وتسويف واحتيال، ولهم أن يضعوا الخطط الخمسية وغيرها من خطط تنموية وإعمارية، وإلا تصبح الحياة دون ضوابط ودون معنى، وتصبح مفرغة من قيمها ومحتوياتها الحياتية والحيوية.

على أن هناك استخلاصاً لطيفاً من هذه الدراسة يتصل بموضوعها: وهو ما شاع بين العرب وغيرهم من وصف من لا تعجبهم تصرفاته بأنه «يهودي» أو كاليهودي، ويتساءل المرء: لماذا لم يقع الاختيار إلا على اليهودي من بين شعوب الأرض، وفيهم من الأجناس البشرية ومن الأشكال والألوان ما فيهم؟ في الواقع نرى أن هذا الوصف لم يأتِ اعتباطاً ولم يأتِ لمجرد الوصف أو السباب، فمعجم السباب عند العرب وغيرهم من الشعوب زاخر بألوان السباب المختلفة، ولا يعوزهم أن يجدوا فيه ما يريدون من الألفاظ والمفردات المطلوبة، ولكن الناس عندما يطلقون هذا الوصف على من يريدون شتيمته، ينظرون فيه، فيجدونه محباً للمال، عاشقاً للحياة، مرابياً، يحتال على الناس، يماطل لا يلتزم بعهد أو ميثاق، وأكثر من ذلك أنه يراهن على الزمن في تعاملاته مع الآخر مع استخفاف بالعقول، حينئذ يكون الوصف له بأنه يهودي مطابقاً للسمت الذي ارتسم في الذاكرة الإنسانية والوعي الجماعي، لذلك اليهودي الانتهازي المتقلب عبر التاريخ، وعبر شخصيته التوراتية، وعبر تمرده على الحق المطلق في جدلية تقوم أكثر ما تقوم، على الوهم والنرجسية وعبادة الذات، فيرسل الناس ذلك الوصف لعنة وسبة على ذلك السمت.

وهذا يؤكد الراوية القائلة إن بني إسرائيل، عندما خرجوا من مصر عاشوا فترة من حياتهم في التيه، على شاطئ البحر الأبيض شمال سيناء في منطقة تسمى اليوم «البردويل»، ومازال أهل هذه المنطقة يصيدون الأسماك في بعض المواسم بالطريقة نفسها التي كان بنو إسرائيل يصيدون بها الأسماك، فيفتحون فتحات الجداول عند المد، إلى أن تمتلئ بالماء بما فيه من أسماك، وعندما يبدأ الجزر يسدون الفتحات ثم يقومون بصيد الأسماك وجمعها. ■

ملحوظة: اعتمدت الدراسة على النسخة الإنجليزية للتوراة.

قضايا فقهية

بقلم : محمود النجيري

أسس التقريب بين المذاهب الفقهية

لايمكن أن ينجح التقريب بين المذاهب الفقهية إلا بأن يقوم به مجتهدون مخلصون يتحلون بنزاهة القصد وموضوعية الحكم، فلا ينصرون قولاً لفضل قائله، ولا يهملون قولاً لهوى في النفوس، ولا ينصرون مذهباً على آخر بالتشهي، ولا يقدسون إماماً، ولا يستخفون بإمام آخر.

وإذا كان الله تعالى قد بيّن الدين وأكمله، كما قال سبحانه: (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً)(١)، إلا أن الناس يتفاوتون في مراتب الفهم، بل قد يقصر أكثرهم عن فهم ما دلت عليه النصوص وعن وجه الدلالة، ولهذا يقع الاختلاف بينهم، ويلزم التقريب بينهم حتى يضيق الخلاف، ولا يتسع الخرق على الراقع، وتتحقق المصلحة الشرعية في الاجتماع والائتلاف.

ويمكن تفصيل الأسس والقواعد التي ينبغي أن تقوم عليها عملية التقريب بين المذاهب الفقهية في الآتي:

١ - تجمع الأمة الإسلامية على أن مصدر الأحكام الشرعية هو الكتاب والسنة الصحيحة، فلا تسليم لحكم إلا أن يكون مستنداً إليهما، فالله سبحانه هو المشرع كما قال تعالى: (أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله)(٢)، وعقيدة المسلمين أن الله وحده هو الذي يحل ويحرم، والفقيه في عمله الاجتهادي إنما يتلمس حكم الله في المسألة التي يجتهد فيها.

وأما المصادر الفقهية الأخرى - غير الكتاب والسنة - كالإجماع والقياس والاستحسان والمصالح المرسلة وغيرها، فهي ليست مصادر مستقلة لاستمداد الأحكام، ولكنها تابعة لنص شرعي، وإن كان مختلفاً في ثبوته أو دلالته.

ويجمع الأئمة على العمل بالحديث متى صح، وأنه لا رأي لأحد مع السنة الشريفة، كما يجمعون على العمل بحديث الآحاد الصحيح، وتقديم الحديث الحسن على القياس، بل يتفقون على تقديم الحديث الضعيف غير الواهي على محض القياس، ومذهب الأئمة الأربعة العمل بقول الصحابي على الجملة، ولكنه ليس حجة على الإطلاق، إذ هو ليس بمعصوم، وإنما العصمة بإجماع الصحابة أو بمجموع الأمة.

وهكذا يتفق الفقهاء على وحدة المصدر، ولكنهم يختلفون ف يالأحكام الجزئية التفصيلية.

٢ - القول لا يصح لفضل قائله، وإنما يصح بدلالة الدليل عليه، ولا يجوز تقديس شخص أو قول تقديساً يمنع من النقد والدراسة المنهجية الفاحصة في ضوء الكتاب والسنة وعلم أصول الفقه، وكلام العلماء ليس حقاً في ذاته، وليس بدليل شرعي، ولا حجة فيه بنفسه، وليس في هذا القول تنقيص لإمام ولا حط من قدره، وفضل الأئمة وعلمهم ونصحهم لله ورسوله لا يوجب قبول كل ما قالوه، وما وقع في كلامهم من المسائل التي خفي عليهم فيها ما جاء به الرسول: «فقالوا بمبلغ علمهم، وكان الحق خلاف ما قالوا»، لا يوجب اطراح قولهم جملة وتنقصهم والوقيعة فيهم، والحق ألا نؤثمهم، وألا نقول بعصمتهم، بل نقول في الأئمة الأربعة مثلما نقول في الخلفاء الأربعة وسائر الصحابة، فلا نقبل كل أقوالهم ولا نهدرها، ولا منافاة بين هذين الأمرين عند من شرح الله صدره للحق، وإنما يتنافيان عند من جهل مقدار الأئمة وفضلهم، أو جهل حقيقة الشريعة التي بعث الله بها رسوله - ﷺ - ومن له علم بالشرع والواقع يعلم قطعاً أن الرجل الجليل الذي له في الإسلام قدم صالح وآثار حسنة، وهو من الإسلام وأهله بمكان، قد تكون منه الهفوة والزلة التي هو فيها معذور، بل ومأجور لاجتهاده، فلا يجوز أن يُتبع فيها، ولا يجوز أن تهدر مكانته وإمامته ومنزلته من قلوب المسلمين.(٣).

٣ - لم يوجب الله على أحد اتباع إمام بعينه، ولا التزام مذهب معين، وإنما أوجب اتباع أهل العلم من غير تخصيص بعالم ولا بمذهب حيث يقول سبحانه: (فسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون)(٤).

ولا يلزم إن اتبع إماماً أن يتبعه في كل المسائل التي تعرض له، بل له أن يسأل من شاء من المجتهدين ويأخذ بقول من شاء منهم، وإن قلد إماماً في مسألة جاز له أن يقلد غيره في مسألة أخرى، وإن اتبع مذهباً جاز له الانتقال منه إلى مذهب آخر، وأقوال العلماء وآراؤهم في المذاهب المختلفة لا تنضبط ولا تنحصر، ولم تضمن لها العصمة، إلا إذا اتفقوا ولم يختلفوا، فلا يكون اتفاقهم إلا حقاً، ومن المحال أن يحيلنا الله على ما لا ينضبط ولا ينحصر، وإنما وقفنا عند المذاهب الأربعة لأنها منضبطة الأقول منحصرة المصادر معلومة المراجع، ولم تضمن لنا العصمة لواحد من الأئمة، ولا قام دليل على أن أحدهم أولى بأن نأخذ قوله كله، وندع قول غيره كله.(٥)

٤ ـ ليس للعامي مذهب، ولا يلزمه أن يتمذهب ببعض المذاهب المتبوعة، ذلك لأن المذهب إنما يكون لمن يعرف الأدلة، ولهذا قيل: «العامي مذهبه مذهب مفتيه»، فله أن يستفتي من شاء من فقهاء المذاهب ويتبع ما شاء منها شريطة ألا يكون ذلك بحثاً عن الرخص في كل مذهب، بل عليه اتباع الحق بحسب الإمكان. وأن يكون محباً للأئمة موالياً لهم جميعاً، وأن يقلد كل واحد منهم فيما يظهر له أنه موافق للسنة.(٦)ويمكننا أن نقول إنه قد انقضى عصر التمذهب عند العامة أو كاد، (بل هذا الرأي في المتفقهين المنتسبين للمذاهب الأربعة أكثر)، وهذا محفز للتقريب ومعين عليه، إذ إن التمذهب المتعصب تعصباً أعمى كان يحول دون ذلك فيما مضى، أما الآن فلا يلتفت المسلم من العامة «والخاصة أيضاً» على الجملة إلى الفروق بين المذاهب التفاتاً يرجح أحدها على الآخرين إذ كلها عند العامة مذاهب أئمة المسلمين، وليس أحدها أولى بالحق والاتباع من الآخر، وقد يوجد تمذهب في بعض المناطق لدى نفر قليل من الناس، ولكن هذا في طريقه إلى الانحسار والزوال، والحركة العلمية والتعليمية والدعوية الناشطة في أنحاء العالم الإسلامي كفيلة بالقضاء على العصبية المذهبية العمياء، والمشكلة كما قلنا في بعض المتمذهبين من المتفقهة المتعصبين، وفي قصور القانون في بعض الأقطار على الأخذ من مذهب واحد.

٥ ـ لم يجمع أحد بعد النبي ـ ﷺ ـ علم الدين كله، ولم يحط مذهب بكل الوقائع والأحداث، فلا يوجد إمام جمع كل الأحاديث ولا كل العلم بالأحكام، فبعضها كان يخفى على الواحد من الصحابة، وعلى رأسهم أبوبكر وعمر وعثمان وعلي، فليس أحد منهم ـ رضي الله عنهم ـ إلا قد خفي عليه بعض ما قضى الله ورسوله به، فهذا أبو بكر الصديق أعلم الأمة بالدين، خفي عليه ميراث الجدة حتى أعلمه به محمد بن مسلمة والمغيرة بن شعبة، وخفي عليه أن الشهيد لا دية له حتى أعلمه به عمر، فرجع إلى قوله، وخفي على عمر تيمم الجنب، فقال: لو بقي الجنب شهراً لم يصلِّ حتى يغتسل، وخفي عليه دية الأصابع، فقضى في الإبهام والتي تليها بخمس وعشرين حتى أخبر أن في كتاب آل عمرو بن حزم أن رسول الله ـ ﷺ ـ قضى فيها بعشر، فترك قوله ورجع إليه، وخفي عليه شأن الاستئذان حتى أخبره به أبو موسى وأبو سعيد الخدري، وخفي عليه توريث المرأة من دية زوجها حتى كتب إليه الضحاك بن سفيان الكلابي وهو أعرابي من أهل البادية أن رسول الله ـ ﷺ ـ أمره أن يورث امرأة أشيم الضبابي من دية زوجها، وخفي عليه أمر المجوس في الجزية حتى أخبره عبدالرحمن بن عوف أن رسول الله ـ ﷺ ـ أخذها من مجوس هجر، وخفي عليه سقوط طواف الوداع عن الحائض فكان يردهن حتى يطهرن ثم يطفن، حتى بلغه عن النبي ـ ﷺ ـ خلاف ذلك فرجع عن قوله، وخفي عليه شأن التمتع في الحج وكان ينهى عنه حتى وقف على أن النبي ـ ﷺ ـ أمر بها، فترك قوله وأمر بها، وخفي عليه جواز التسمية بأسماء الأنبياء، فنهى عنه حتى أخبره به طلحة أن النبي ـ ﷺ ـ كناه أبا محمد، فأمسك عمر ولم يتماد في النهي، وهو كما قال ابن مسعود: «لو وضع علم عمر في كفة ميزان، وجعل علم أهل الأرض في كفة لرجح علم عمر»(٧).

٦ ـ من الثابت أن كلاً من الأئمة الأربعة نهى عن تقليده والأخذ بكل ما يقول، ولم يكن أحد منهم يعتقد أن كل قوله صواب لا يشوبه الخطأ، وكذلك كان تلاميذهم وأهل الفضل والهداية الذين اتبعوا مذاهبهم من بعدهم، فهؤلاء تلاميذ مالك: عبدالله بن وهب، وابن القاسم، وأشهب، وعبدالله بن الحكم كانوا يجتهدون ويخالفونه أحياناً، كما خالف المزني والبويطي شيخهما الشافعي، وكما خالف أبو يوسف ومحمد بن الحسن أستاذهما أبا حنيفة.

وعلى هذا الهدى سار أهل الهداية من أتباع المذاهب، فهذا ابن عابدين من الحنفية المتأخرين زماناً يقول: «إذا سئلنا أي المذاهب صواب؟... فلا نجزم بأن مذهبنا صواب ألبتة، ولا بأن مذهب مخالفنا خطأ ألبتة بناء على المختار من أن حكم الله في كل مسألة واحد معين وجب طلبه، فمن أصابه فهو المصيب، ومن لا فهو المخطئ، ونقل «معناه» عن الأئمة الأربعة»(٨).

ومن العلماء من كان لا يتقيد بمذهبه بل يجتهد لنفسه، فإن صح عنده حديث عمل به، وإن وجد قولين للعلماء تخير لنفسه، ومن هؤلاء كثرة مثل: ابن تيمية وابن القيم، وابن دقيق العيد، والعز بن عبدالسلام، وابن كثير، بل من تلاميذ الأئمة أنفسهم من كان يفعله، فهذا محمد بن الحسن، لم يمنعه انتسابه إلى أبي حنيفة من اختياره من مذهب مالك، وهكذا غيره.

٧ ـ العمل بالحديث الذي على خلاف المذهب ليس ضد المذهب، ولكنه عمل بالمذهب نفسه، لأنه يسير على قواعد الإمام في تقديم السنة، وقد بيَّن أبو عمرو بن الصلاح أن المنتسب «الشافعي» إذا كان ذا اجتهاد فوجد حديثاً يخالف مذهبه، أو أداه اجتهاده إلى مذهب إمام آخر اتبع الحديث وصار إلى اجتهاده، وذكر أن ممن سلك هذا المسلك من الشافعية من عمل بحديث تركه الشافعي عمداً على علم منه بصحته لمانع اطلع عليه وخفي على غيره، مثل أبي الوليد موسى بن أبي الجارود من أصحاب الشافعي، إذ روى عنه أنه روى عن الشافعي قوله: «إذا صح عن النبي ـ ﷺ ـ حديث، وقلت أنا قولاً فأنا راجع عن قولي، قائل بذلك» قال أبو الوليد: وقد صح حديث: «أفطر الحاجم والمحجوم» فأنا أقول: قال الشافعي: أفطر الحاجم والمحجوم.(٩).

٨ ـ الأئمة لم يقصدوا إلى الخلاف، ولكنهم اجتهدوا فاختلفوا والخلاف الفقهي في الفروع قديم قدم الإسلام نفسه، وهو خلاف لا خوف منه على الدين، ولا بأس به مادام ناتجاً عن دراسة نزيهة من أهل الاختصاص على أصول العلم، وإنما ذم القرآن من الخلاف ما كان راجعاً إلى الهوى وعوج العقول والتشهي ومؤدياً إلى التنابذ والتحزب والتقاتل بين أهل الدين، بعد ترك البينات الظاهرة في النصوص المحكمة.

والخلاف طبيعة لا تزول، ذلك لأن أسباب الخلاف قائمة في طبيعة البشر، وطبيعة الحياة، وطبيعة اللغة، وطبيعة التكليف، فمن أراد أن يزيل الخلاف بالكلية فإنما يكلف الناس والحياة واللغة والشرائع ضد طبائعها، إلا أننا في مع هذا مأمورون بدرء النزاع والاجتماع على الحق بعد تحريه، كما في قول الله تعالى: (ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين)(١٠).

وقوله عز وجل: فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر)(١١).

والخلافيات بين المذاهب محصورة أو يمكن حصرها، كما يمكن التقريب بين أكثرها، وهي ليست في أصل الدين، ولكنها في الفروع الفقهية وبعض الأصول التي يقوم عليها الاستنباط، وهذه الخلافيات يمكن ردها إلى أسبابها، كما يمكن الوصول في أكثرها إلى قول واحد إذا قربنا بين المذاهب، وهذا دور من يقومون بعمل التقريب: اكتشاف الأرضية المشتركة بين المذاهب وتوسيعها، وتقليل الخلافات، ومحاولة الفصل في الأمور الاجتهادية، بما يلائم عصرنا، فكل عمل فقهي هو لعصره، ولذلك فالحاجة إلى الاجتهاد متجددة، ولا خير إن ظل هناك جانب من الخلاف لا يمكن حسمه، ولا يستطاع الفصل فيه برأي واحد، وذلك لتنوع النظر وتعدد المناهج في الاستدلال على الأحكام، ولا بأس بهذا الاختلاف، وخصوصاً في المسائل الفردية التي ليست ذات صفة عامة، أما المسائل العامة فحكم الحاكم يفصل في موضوع النزاع إذا لم يتفق الفقهاء فيها على قول واحد، وقد تقرر في الأصول أنه إذا حكم حاكم في مسألة خلافية، أن حكمه يرفع الخلاف، والمراد بالحاكم هنا كل من له سلطة شرعية، سواء كان السلطان، أو الوالي، أو القاضي أو نائبه.(١٢) وفي عصرنا الحاضر تعد التشريعات التي تصدرها الجهات المختصة والقوانين الصادرة عن الدولة في الأمور الشرعية مندرجة تحت هذه القاعدة الفقهية.

ويجب أن نفهم أن الاختلاف في الأحكام الفقهية لا ينافي كمال الإيمان، فأهل الإيمان قد يتنازعون في بعض الأحكام، ولا يخرجون بذلك عن الإيمان، وقد تنازع الصحابة في كثير من مسائل الأحكام وهم سادات المؤمنين وأكمل الأمة إيماناً.(١٣)

٩ ـ العمل الفقهي ينقسم إلى أصول وفروع، واختلاف الأئمة في الأصول ومناهج الاستدلال أدى إلى اختلافهم في الفروع، ولذلك ينبغي أن يعمل التقريب في الأصول والفروع معاً، وهناك الأصول التي اتفق عليها الأئمة والأصول التي اختلفوا فيها، والتقريب في هذا الجانب يناط به الاجتهاد في دراسة مصادر الأحكام التي نستفيدها من المذاهب الأربعة مجتمعة، فنأخذ من كل مذهب ما عنده من أصول تأخذ بيدنا إلى الحق، وأن ندع ما لا حاجة لنا به، ولسنا في حاجة إلى ابتداع أصول فقهية أخرى، ذلك لأن هذه الأصول قد استوت على سوقها ونضجت.

وليس من المبالغة أن نقول إن مناهج الأئمة في الأصول متقاربة أشد التقارب، بل لقد عبر أحد الدارسين عن أنها: «تكاد تكون واحدة في العدد، ولكن الاختلاف إنما هو في سعة الدوائر وضيقها، فإن ضاقت دائرة الحديث، واتسعت دائرة الرأي عند الأولين، كان الأمر على العكس عند الآخرين، أما عدد الدوائر نفسها فتكاد تكون واحدة»(١٤)

أما الاجتهاد في الفروع فيتسع لاتساع الاختلاف فيها، ومقصده الوصول إلى الدليل ومعرفة وجه الدلالة فيه، والتخير من المذاهب الفقهية في حال غياب الدليل، ويكون هذا التخير على أسس منها مراعاة المصلحة والتيسير وتحقيق العدل والمساواة بين الناس، وإعمال مصادر الأحكام في ذلك من قياس واستحسان ومصالح مرسلة وسد للذرائع واستصحاب وعرف وعادة وقواعد كلية فقهية.

١٠ ـ القطعيات (ثبوتاً ودلالة: قرآناً وسنة متواترة)، لا مجال فيها لعمل التقريب بين المذاهب مادام تم الاتفاق عليها، وهي نوعان: أحدهما ما يعلم من الدين بالضرورة كالصلاة والصيام والزكاة والحج، والآخر ما خفي على بعض الناس كمقادير المواريث.

والإجماع الصريح المنقول نقلاً صحيحاً لا مجال للتقريب فيه، أما الإجماع غير الصريح ففيه الاجتهاد لمعرفة حجيته وثبوته، ومن يقوم بهم الإجماع، ومن خالف فيه، وتغير الإجماع لتغير المصلحة إن كان الإجماع يقوم على مصلحة متغيرة.

وأما الظنيات ثبوتاً ودلالة، فهي مجال لعمل التقريب بين المذاهب، وأمثلتها:

أ ـ قطعي الثبوت ظني الدلالة، مثل قول الله تعالى: (والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء)(١٥)، وظنية الدلالة تأتي من فهم القرء: هل هو الحيض أو الطهر على خلاف في ذلك بين المذاهب والعلماء.

ب ـ ظني الثبوت قطعي الدلالة مثل قول النبي ـ ﷺ ـ:«إن الله أعطى كل ذي حق حقه، فلا وصية لوارث»(١٦) وهو ظني الثبوت لأنه حديث آحاد، إلا أن دلالته قطعية وعليها العمل.

ويتسع مجال الاجتهاد التقريبي ليشمل القواعد الفقهية، وأدلة الأحكام في المذاهب كما أسلفنا، ففي مجال القياس مثلاً، ترد الفروع والجزئيات إلى أصولها وتكشف علل الأحكام الباطنة أو حكمتها الظاهرة، وهكذا. ■

المراجع:

١ ـ المائدة:٣.

٢ ـ الشورى:٢١.

٣ ـ إعلام الموقعين لابن القيم (٢٤٨/٣).

٤ ـ النحل:٤٣.

٥ ـ د.عبدالمجيد مطلوب: المدخل في التعريف بالفقه الإسلامي، ص٢٢٤، إعلام الموقعين (١٦٤/٢).

٦ ـ انظر تفصيل ذلك في: إعلام الموقعين (٢٢٦/٤ ـ ٢٢٨)، حاشية ابن عابدين (٣٤/١)، أدب الفتوى لابن الصلاح ص ١٤٥ ـ ١٤٦.

٧ ـ إعلام الموقعين (٢٠٠/٢-٢٠١، ٢٣٠/٤)، وانظر أدب الفتوى لابن الصلاح، ص ٥٤.

٨ ـ حاشية ابن عابدين (٣٤/١).

٩ ـ أدب الفتوى لابن الصلاح، ص٨٧-٩٠، والحديث رواه أبو داود وابن ماجه وابن حبان، وانظر إعلام الموقعين (٢٠٦/٤).

١٠ ـ الأنفال:٤٦.

١١ ـ النساء:٥٩.

١٢ ـ المغني (٤٥٠/٦).

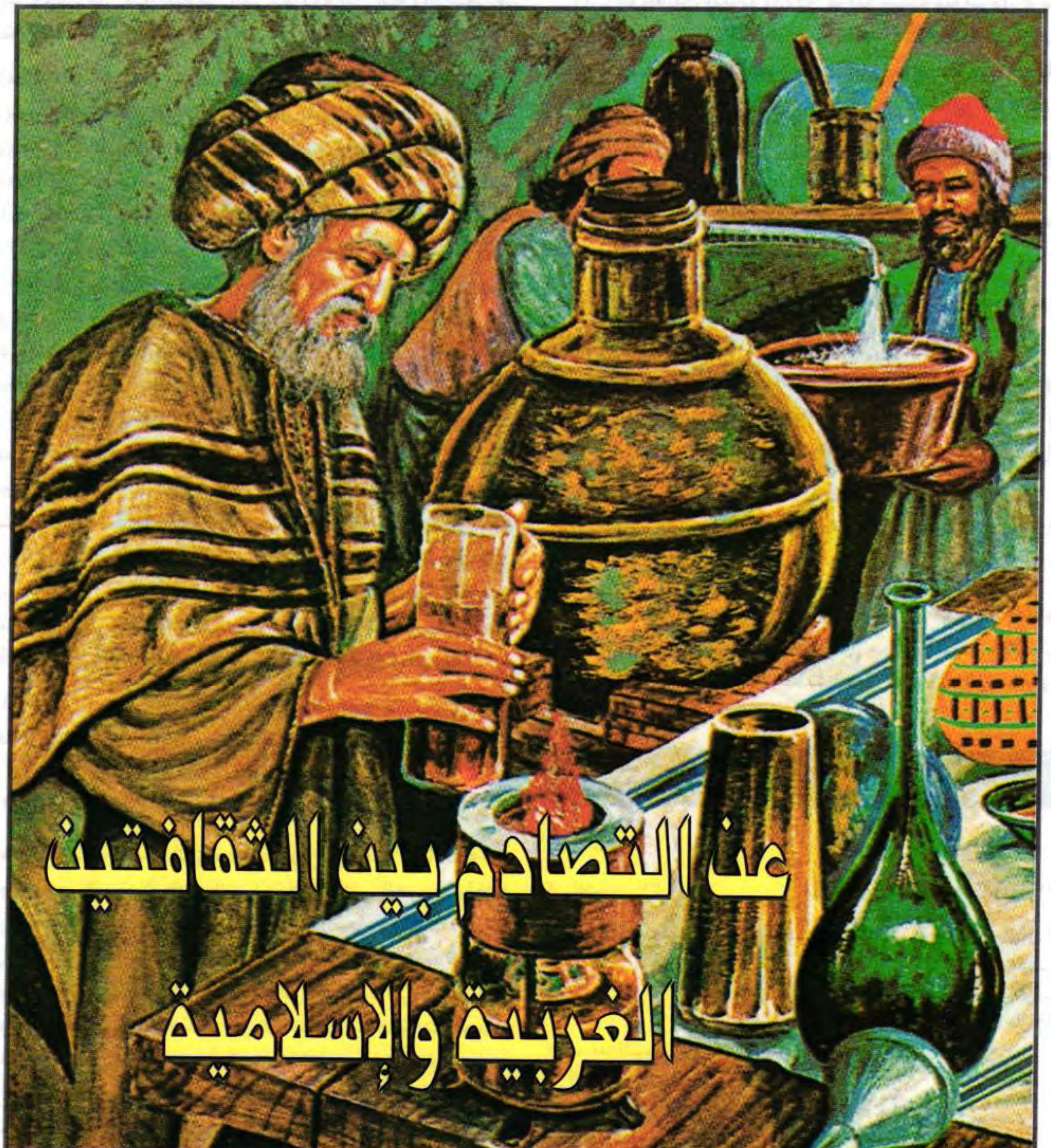
١٣ ـ إعلام الموقعين (٤٠/١).

١٤ ـ أحمد أمين: ضحى الإسلام (٢١٢/٢-٢١٣).

١٥ ـ البقرة:٢٢٨.

١٦ ـ رواه الترمذي وهو صحيح.

بقلم : غازي التوبة



عن التصادم بين الثقافتين الغربية والإسلامية

إنّ نسبية الحقيقة إحدى الركائز التي تقوم عليها الثقافة الغربية منذ نهضة أوروبا الحديثة، ويربط المفكرون الغربيون بين تلك الركيزة وتغير الظروف الاقتصادية والاجتماعية والسياسية المحيطة بالمجتمع، ويعتقدون أنّ تغير الحقائق الحياتية يقتضي نسبية الحقيقة، ولكنّ تكوّن تلك الركيزة في الثقافة الغربية يعود إلى فترة أبعد من العصور الحديثة ويرتبط بالعصور الوسطى، فمن المعروف أن الكنيسة كانت تنطلق آنذاك في حكمها لأوروبا من نص الإنجيل المقدس، والذي كان ثابتاً والذي كانت تحتكر تفسيره، وعندما قامت حقائق علمية وكونية متعددة تناقض النص المقدس الثابت، وتناقض

تفسير رجال الكنيسة له ووقع التصادم المريع بين الدين والعلم، وكانت النتيجة اضطهاد رجال العلم بحجة مخالفة النص المقدس الثابت، ولكنَّ الكنيسة انهزمت أمام الثورة عليها وأمام حقائق العلم، واعتبرت الثورة الدين عقبة في طريق العلم والتقدم، وصار الربط حينئذ بين النص المقدس وثبات الحقيقة، والعلم ونسبية الحقيقة.

ومنذ أن بدأ التفاعل بين الثقافتين: الغربية والإسلامية خلال الفترة الماضية، فإن أبرز صور التصادم كانت بين نسبية الحقيقة في الثقافة الغربية وبين النص القطعي الثبوت القطعي الدلالة في الثقافة الإسلامية، وسأعرض لبعض صور التصادم في السطور التالية.

من أول صور التصادم ما أثاره طه حسين في كتاب «في الشعر الجاهلي» عام ١٩٢٦م، فقد تعرض لنصوص قطعية الثبوت قطعية الدلالة تحدثت عن بناء إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام للكعبة، وتشكك في تلك الحقيقة، وحتى في وجودهما التاريخي، وفي هجرتهما، ورأى أن قريشاً اختلقت تلك القصة لأسباب سياسية واقتصادية، ورأى فيها نوعاً من الحيلة لإثبات الصلة بين اليهود والعرب من جهة، وبين الإسلام واليهودية، والقرآن والتوراة من جهة أخرى.

ومن صور التصادم أيضاً حديث الدكتور حسين أحمد أمين في كتابه «حول الدعوة إلى تطبيق الشريعة الإسلامية» عن حد السرقة الذي ورد في نص قطعي الثبوت قطعي الدلالة في قوله سبحانه وتعالى: (والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزءا بما كسبا نكالاً من الله) المائدة:٣٨، فقد ربط الدكتور بين ذلك الحد وبين الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية آنذاك، وبيَّن أن العربي كان ينقل كل متاعه على راحلته، وإنّ سرقته تعني سلبه كل ما يملك من جهة، وتعني هلاكه من جهة ثانية، لذلك جاء الحكم بتلك الصورة لأنه مرتبط بالأموال المنقولة، والآن أصبحت الأموال غير المنقولة أثمن وأغلى من الأموال المنقولة لذلك فهو يقترح تغير الحكم انطلاقاً من تغيّر الوضع الاقتصادي.

أما الدكتور نصر حامد أبو زيد فقد تحدث في كتابه «نقد الخطاب الديني» عن النصوص القطعية الثبوت القطعية الدلالة في عدة مجالات منها: صفات الله وفي مجال آخر هو الحسد والسحر والجن والشياطين، وقد اعتبر أن الألفاظ الأخيرة مرتبطة بواقع ثقافي معين ويجب أن نفهمها في ضوء واقعها الثقافي، وإن وجودها الذهني السابق لا يعني وجودها العيني، وقد أصبحت الآن ذات دلالة تاريخية، والدكتور نصر حامد أبو زيد في كل أحكامه السابقة ينطلق من أن النصوص الدينية نصوص لغوية تنتمي إلى بنية ثقافية محدودة، تم إنتاجها طبقاً لنواميس تلك الثقافة التي تعد اللغة نظامها الدلالي المركزي، وهو يعتمد على نظرية عالم اللغة «دي سوسير» في التفرقة بين اللغة والكلام، وينتهي الدكتور نصر حامد أبو زيد إلى ضرورة إخضاع النصوص الدينية إلى المناهج اللغوية المشار إليها سابقاً.

أما الدكتور محمد شحرور في كتابه «الكتاب والقرآن: قراءة معاصرة» فقد اعتبر أن جميع النصوص القطعية الثبوت القطعية الدلالة في مجال الحياة الاجتماعية: كالنكاح، والطعام، وفي مجال الحدود: كحد السرقة، والزنى، والحرابة، والقتل العمد إلخ...، وفي مجال الأحكام: كتوزيع الميراث، وأخذ الربا إلخ... اعتبر جميع تلك النصوص خاضعة لاجتهاد رسم له حدين: أدنى وأعلى، وقد اعتبر أن سنة الرسول ﷺ هي اجتهاد محمد ﷺ، لتطبيق حدود الإسلام ضمن بيئة الجزيرة العربية، وبالتالي فإن تطبيقه لها ليس ملزماً لنا في شيء.

لا شك أن نسبية الحقيقة هي النظام الذي يشمل كل تلك الطروحات بدءاً من تشكك طه حسين في الوجود التاريخي لإبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، وفي واقعة بنائهما الكعبة، ومروراً بربط الدكتور حسين أحمد أمين لحد السرقة بظاهرة الأملاك المنقولة، وباعتبار الدكتور نصر حامد أبو زيد السحر والجن والشياطين ألفاظاً ذات دلالات تاريخية، وانتهاءً باعتبار الدكتور محمد شحرور جواز تأرجح الحد بين اجتهادين أعلى وأدنى... ولا أريد أن أكرر الحديث عن الخصوصية التاريخية التي جعلت ثقافة الغرب تقوم على نسبية الحقيقة، ولا أريد أن أفصل مناقشة رأي كل كاتب فيما يتعلق بالنصوص القطعية الثبوت القطعية الدلالة التي تعرض لها فقد فعلت ذلك في مواضع أخرى أو فعل غيري ذلك، ولكني أرد موجزاً مختصراً فأتساءل: هل يجوز لطه حسين أن يرد نصوصاً قطعية الثبوت قطعية الدلالة في شأن وجود إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام وفي شأن بنائهما الكعبة من أجل وجود أساطير مشابهة قبلها الرومان عن بناء روما من قبل بإينياس بن بريام صاحب طروادة اليوناني؟ لماذا يربط الدكتور حسين أحمد أمين بين حد السرقة والأموال المنقولة ولا يربط ذلك بفعل السرقة الشنيع وما يشتمل عليه من ترويع وتخويف واعتداء على المسروق وما يصوره من طمع السارق ودناءته وتطلعه إلى ما في يد الغير بغير حق مشروع؟ لماذا يعتبر الدكتور نصر حامد أبو زيد الكلمات: السحر والحسد والجن والشياطين ألفاظاً ذات دلالات تاريخية؟ فهل نفى العلم بشكل قطعي وجود حقائق عينية لتلك الألفاظ حتى نعفي عليها ونعتبرها ألفاظاً لا حقائق لها وذات دلالات تاريخية؟ لماذا يُخضع الدكتور محمد شحرور كل الألفاظ القرآنية للتحليل اللغوي المعجمي مع أنَّ الإسلام أخرج كثيراً من الألفاظ من معناها اللغوي وجعلها مصطلحات أعطاها معاني أخرى أمثال: الصلاة، الزكاة، الإيمان، الكفر، الحدِّ إلخ... وعليه أن يحترم هذه المصطلحات عند أي بحث علمي؟

والآن أعود إلى نسبية الحقيقة التي تتصادم مع النص القطعي الثبوت القطعي الدلالة الذي يؤدي إلى ثبات الحقيقة وأتجاوز الظروف التاريخية التي جعلت نسبية الحقيقة جزءاً أساسياً من ثقافة الغرب والتي تختلف عن ظروفنا التاريخية وأتساءل: هل حقاً ليس هناك ثبات في الحقيقة؟ ومن أين جاء النص القطعي الثبوت القطعي الدلالة في ثقافتنا الإسلامية؟ وما سنده الواقعي في صيرورة الكون؟

لقد جاء النص القطعي الثبوت القطعي الدلالة الذي يشير إلى ثبات بعض الحقائق من الفطرة الثابتة التي لا تتغير، قال سبحانه وتعالى: (فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله) الروم:٣، فطالما أن هناك فطرة ثابتة لا تتغير، وهذا ما قادت الظروف التاريخية أوروبا لإنكاره، وليس بالضرورة أن يكون الصواب مع أوروبا. ■

المثال الفريد

دعوة مفتوحة من بلال رضي الله عنه لكل المضطهدين في العالم وحتى يعلموا أن النصر مع الصبر ومناسبتها مفتوحة لكل زمان ومكان.

شعر : محمود محمد إبراهيم أحمد

يا بلال والله عز المثال
في زمان يقل فيه الرجال

أنت في البذل والفداء فريد
لم تطاول بلوغه الأبطال

قد رضيتَ الإسلام ديناً وهانت
كل بلوى وما ثناك النكال

ورضيتَ العذاب لم تتضجر
من صنوف الآلام حين تكال

فسبقتَ الأشراف علماً وعقلاً
حين حادوا عن هديه واستقالوا

حزت بالدين عزة وفخاراً
خلدته الأيام والأجيال

إن قلباً يرضى بذاك مطيعاً
لهو قلب يطيب فيه المقال

أسلموه لصبية الحي منهم
وهو راض ولم يصبه الملال

جرجروه في كل حي وطافوا
ما عليهم فإنهم جهال

كادهم أن يروه جلداً صبوراً
لم يخفه العذاب والأغلال

فأرادوا أن يرهبوه وخابوا
ليس كل المأمول دوماً يُنال

أنت عبد تطيع أمري ذليلاً
ليس للعبد مهرب واحتيال

أنا عبد أجل ولكن لربي
وله العز والثناء والجلال

ها هوالجسم فافعلوا ما أردتم
قطعوه أو حرقوه وغالوا

فهو للترب لحمه ودماه
يأكل الدود عظمه والرمال

غير أن الفؤاد لن تملكوه
ومحال أن تكرهوه محال

لا تراعوا يا إخوتي من عذابي
فالأعادي هموا بما لم ينالوا

لا تبالوا بما جنوه كأني
دمية اللهو والعدا أطفال

لم تكن هذه القيود حديداً
بل سوار يزينني وجمال

هذه الصخرة التي وضعوها
فوق صدري تئن منها الجبال

لم تكن صخرة ولكن أراها
مثل حب الغمام إذ ينثال

والمهاد الذي طرحت عليه
حشوه الشوك والحصى والرمال

يتلظى في ساعة القيظ ناراً
لا تطيق المسير فيه الجمال

تحذر الطير أن تمر عليه
ما لجنب المجلود فيه احتمال

كأن عندي استبرقاً وحريراً
فيه نعمى وظلة وأخضلال

يئسوا من عذابه فأرادوا
أن يبيعوا ولو أتى مثقال

فيجيء الصديق عجلان يفدي
ذلك الطود والهموم ثقال

لم يكن حين عذبوه ضعيفاً
كان عزماً تزول منه الجبال

راودوه فلم يجبهم لشرك
وبريق الوعود: حر ومال

وأراهم من نفسه أي عزم
وإباء تهفو إليه الرجال

أحد قالها وقد أرهبتهم
من صنيع المملوك صالوا وجالوا

اقتلوه وخلصوا الأرض منه
ما لهذا المسحور حي وآل

إن يعش بينكم سيجلب شؤماً
وتضيع الهيبات والأموال

فطريد الأحباش صلب عنيد
وبه سوف تضرب الأمثال

يا بلال كان العذاب شديداً
يوجع النفس حينما ينهال

لا تظنوا أني رأيت عذاباً
كان حلماً بل إنه لخيال

إن صدق الإيمان في القلب أقوى
لم تزله الأحداث والأهوال

وجسوم العباد في الأرض تفنى
وإلى الله ترفع الأعمال

«فإذا لم يكن من الموت بد»
فمن الفخر أن يموت الرجال

في سبيل الإسلام نقضي ليحيا
وليكن موتنا له والقتال

إن يكن ذاك في الإله فحسبي
أن تكون الجنان نعم المآل

حين شاع الإسلام في كل حي
قرت العين واستراح البال

فاحفظوا الدين إخوتي وانشروه
ما بدا النجم واستدار الهلال

بقلم: محمد نور سويد

كيف تتجدد المعاني القرآنية

2/1

نزل القرآن بلسان عربي مبين، وهذا اللسان العربي، يضم في ثناياه عدداً من المعاني في بيانه، وذلك حسب السياق والموضوع الذي يبحث فيه، كما فيه المعاني الظاهرة والمجملة والمشتركة والمؤولة حسبما هو معروف في علمي: علوم القرآن وأصول الفقه، وحتى يظهر بيانه يحتاج إلى الترجيح، وترجيح معنى على آخر يكون بقرينة ذاتية أو خارجية، وأحياناً بمرجح من السنة أو من فهم الصحابة رضي الله عنهم، وهذا الترجيح متعدد الأنواع، ومختلف الاتجاهات، حتى يصل الأمر أحياناً إلى معنيين أو أكثر، وكل من المعاني له دليله ومؤيده من الأئمة الأعلام.

قال الله تعالى: (وكذلك أنزلناه حكماً عربياً ولئن اتبعت أهواءهم بعدما جاءك من العلم ما لك من الله من ولي ولا واق) الرعد:٣٧.

(ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر لسان الذي يُلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين) النحل:١٠٣.

(وكذلك أنزلناه قرآناً عربياً وصرفنا فيه من الوعيد لعلهم يتقون أو يُحدث لهم ذكراً) طه:١١٣.

(وإنه لتنزيل رب العالمين. نزل به الروح الأمين. على قلبك لتكون من المنذرين. بلسان عربي مبين. وإنه لفي زُبُر الأولين. أو لم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بني إسرائيل. ولو نزلناه على بعض الأعجمين. فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين) الشعراء: ١٩٢ - ١٩٩.

قال ابن كثير في تفسير قوله تعالى: (بلسان عربي مبين) أي هذا القرآن الذي أنزلناه إليك أنزلناه باللسان العربي الفصيح الكامل الشامل ليكون بيناً واضحاً ظاهراً قاطعاً للعذر مقيماً للحجة دليلاً إلى المحبة» انتهى.

وقال تعالى: (قرآناً عربياً غير ذي عوج لعلهم يتقون) الزمر:٢٨.

قال ابن كثير في التفسير: وقوله جل وعلا «قرآناً عربياً غير ذي عوج» أي هو قرآن بلسان عربي مبين: لا اعوجاج فيه، ولا انحراف، ولا لبس، بل هو بيان ووضوح وبرهان وإنما جعله الله تعالى كذلك وأنزله بذلك «لعلهم يتقون» أي يحذرون ما فيه من الوعيد ويعملون بما فيه من الوعد» انتهى.

وقال الله تعالى: (كتاب فصلت آياته قرآناً عربياً لقوم يعلمون) فصلت:٣.

قال ابن كثير في تفسيره: قوله تبارك وتعالى: (كتاب فصلت آياته) أي بينت معانيه وأحكمت أحكامه (قرآناً عربياً) أي في حال كونه قرآناً عربياً بيناً واضحاً فمعانيه مفصلة وألفاظه واضحة غير مشكلة كقوله تعالى: (كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير) أي هو معجز من حيث لفظه ومعناه (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حمدي) وقوله تعالى: (لقوم يعلمون) أي إنما يعرف هذا البيان والوضوح العلماء الراسخون) انتهى.

وقال تعالى: (ولو جعلناه قرآناً أعجمياً لقالوا لولا فصِّلت آياته أأعجمي وعربي قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمى أولئك ينادون من مكان بعيد) فصلت:٤٤.

> إن اكتفاء المفسر بأحد المعاني يغلق باب التأمل والتدبر في كتاب الله تعالى

(وكذلك أوحينا إليك قرآناً عربياً لتنذر أم القرى ومن حولها وتنذر يوم الجمع لا ريب فيه فريق في الجنة وفريق في السعير)الشورى:٧.

(إنا جعلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون) الزخرف:٣.

(ومن قبله كتاب موسى إماماً ورحمة وهذا كتاب مصدق لساناً عربياً لينذر الذين ظلموا وبشرى للمحسنين) الأحقاف:١٢.

فتأكيد الآيات السابقة عربية القرآن لمواجهة فصحاء العرب وإعجازهم الإتيان بمثله، فلو كان العرب يستطيعون السيطرة عليه لأتوا بمثله، ولكنهم عجزوا لأسباب كثيرة منها اتساع معاني الكلمة العربية لتشمل أغلب المعاني اللغوية المنتشرة بين القبائل العربية، وهذا لا يستطيع أن يحيط به إنسان بكل جزئيات المعاني للكلمة الواحدة.

وتأتي أهمية البيان الدعوي بالعناية الخاصة بلسان الرسول المبعوث بلغة قومه قال الله تعالى: (وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم فيضلُّ الله من يشاء ويهدي من يشاء وهو العزيز الحكيم) إبراهيم:٤.

قال القرطبي في تفسير الآية: قوله تعالى: «ما أرسلنا من رسول» أي قبلك يا محمد «إلا بلسان قومه ليبين لهم» أي بلغتهم، ليبينوا لهم

أمر دينهم، ووحد اللسان وإن أضافه إلى القوم لأن المراد اللغة، فهي اسم جنس يقع على القليل والكثير، ولا حجة للعجم وغيرهم في هذه الآية، لأن كل من ترجم له ما جاء به النبي ﷺ ترجمة يفهمها لزمته الحجة، وقد قال الله تعالى: (وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً) سبأ:٢٨.

وقال ﷺ: «أرسل كل نبي إلى أمته بلسانها، وأرسلني الله إلى كل أحمر وأسود من خلقه»(١).

وقال ﷺ: «والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم لم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار» أخرجه مسلم. انتهى

وأخرج ابن أبي حاتم بسنده عن إبراهيم التيمي عن أبيه قال: بينما رسول الله ﷺ مع أصحابه في يوم دجن،

إذا قال لهم: «كيف ترون بواسقها»؟

قالوا: ما أحسنها وأشد تراكمها!

قال: «فكيف ترون قواعدها»؟

قالوا: ما أحسن وأشد تمكينها!.

قال: «فكيف ترون جريانها»؟

قالوا: ما أحسنه وأشد سواده!

قال: «فكيف ترون رحاها استدارت»؟

قالوا: ما أحسنها وأشد استدارتها!

قال: «فكيف ترون برقها أو ميض أم خفق أم يشق شقاً؟».

قالوا بل يشق شقاً؟

قال: «الحياء الحياء إن شاء الله».

قال: فقال رجل: يا رسول الله بأبي وأمي ما أفصحك! ما رأيت الذي هو أعرب منك!

قال: فقال: «حق لي، وإنما أنزل القرآن بلساني، والله يقول: «بلسان عربي مبين» الشعراء: ١٩٥.(٢)

وتبرز أهمية المعاني المتجددة في تلاوة القرآن كخاصية أساسية من خواصه المتعددة والمتنوعة، وذلك في معالجة جميع المشكلات التي يعاني منها المسلم في مختلف الأزمنة والأمكنة.

وقد ورد في الأثر أن القرآن: (ولا يخلق على كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه» رواه الترمذي.(٣).

قال في تحفة الأحوذي شرح الترمذي: قوله: «ولا يَخلُق» بفتح الياء وضم اللام، وبضم الياء وكسر اللام من خلق الثوب إذا بلي، وكذلك أخلق «عن كثرة الرد»، أي لا تزول لذة قراءته وطراوة تلاوته، واستماع أذكاره وأخباره من كثرة تكراره. قال القاري: أي لا يصدر الخلق من كثرة تكراره كما هو شأن كلام غيره تعالى.

وهذا أولى مما قاله ابن حجر، من أن «عن» بمعنى «مع» انتهى. قلت: قد وقع في بعض نسخ الترمذي «على» مكان «عن»، وهو يؤيد ما قاله ابن حجر «ولا تنقضي عجائبه» أي لا تنتهي غرائبه التي يتعجب منها، قيل: كالعطف التفسيري للقرينتين السابقتين ذكره الطيبي» انتهى.

أي لا يجمد على معنى واحد بكثرة التلاوة، فالحالة النفسية للقارئ، ومدى تفاعله بالواقع، وقدرته العلمية، وتقواه وصلاحه، يؤهله بذلك أن يستنبط من المعاني ما لا يخطر ببال غيره، حتى ما كان ذلك الباحث يتوقع أن يخرج منه ذلك المعنى، وهذا سماه العلماء في كتبهم: بالفتح الإلهي أو بالفتح الرباني، أو بفتح الباري، أو بفتح القدير، أو بمنحة المعبود، فكل هؤلاء أقروا بالفتح بالمعاني بفضل من الله تعالى، وهذا أصبح ظاهرة عامة في كل عمل موسوعي إسلامي.

ومدام القرآن قد نزل بلغة العرب: (الر. تلك آيات الكتاب المبين. إنا أنزلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون)يوسف:٢.

قال ابن كثير في تفسيره: «وذلك لأن لغة العرب أفصح اللغات وأبينها وأوسعها وأكثرها تأدية للمعاني التي تقوم بالنفوس، فلهذا أنزل أشرف الكتب بأشرف اللغات وابتدئ إنزاله في أشرف شهور السنة وهو رمضان فكمل من كل الوجوه» انتهى.

من أسباب اعجاز القرآن اشتماله على أغلب المعاني اللغوية المنتشرة بين القبائل العربية

وقال القرطبي في تفسيره: (لعلكم تعقلون) أي لكي تعلموا معانيه، وتفهموا ما فيه. وبعض العرب يأتي بأن مع «لعل» تشبيهاً بعسى، واللام في «لعل» زائدة للتوكيد، كما قال الشاعر:

يا أبتا علك أو عساكا

وقيل: «لعلكم تعقلون» أي لتكونوا على رجاء من تدبره، فيعود معنى الشك إليهم لا إلى الكتاب، ولا إلى الله عز وجل.

وقيل: معنى «أنزلناه» أي أنزلنا خبر يوسف، قال النحاس: وهذا أشبه بالمعنى، لأنه يروى أن اليهود قالوا: سلوه لِمَ انتقل آل يعقوب من الشام إلى مصر؟ وعن خبر يوسف، فأنزل الله عزَّ وجلَّ هذا بمكة موافقاً لما في التوراة، وفيه زيادة ليست عندهم. فكان هذا للنبي ﷺ - إذ أخبرهم ولم يكن يقرأ كتاباً قط ولا هو في موضع كتاب - بمنزلة إحياء عيسى عليه السلام الميت على ما يأتي فيه» انتهى.

فالتعقل والتدبر في آيات القرآن مطلب قرآني، وذلك بحثٌ وتنشيط العقل على استنباط المعاني، وفق منهج القرآن ومنهج اللغة العربية التي نزل بها القرآن.

وقد اعتاد كثير من المفسرين على ترجيح معنى على غيره، والانتصار له بشتى طرق الترجيح العقلية واللغوية، فإذا استبعد المفسرون في عصر من العصور أحد المعاني، فلا يلبث إلا أن يثبته مفسرون آخرون في عصر لاحق.

إن اكتفاء المفسر بأحد المعاني عن طريق الترجيح وعدم سبر جميع المعاني، وعدم إيراده للمعاني الأخرى، يغلق باب التأمل والتدبر في كتاب الله تعالى، الذي دعيناه إلى تدبره، وتأمله، والتفكر فيه، والاعتبار عند عجائبه: الفكرية واللغوية والفقهية والعقدية والكونية والغيبية السابقة واللاحقة.

وإن انتصار المفسر لأحد تلك المعاني على غيرها، حسب علوم ذلك العصر، وقدرة المفسر اللغوية، والفكرية، والعملية، وصفائه النفسي، وشفافيته الروحية، يؤدي لحال الجمود التي تنافي خصائص القرآن التجديدية، ولكن الحقيقة التي يراها كاتب هذه السطور، أن كل تلك المعاني مقصودة، ولكن تحتاج إلى من يستطيع كشف تلك المعاني، وذلك حسب الربط بين المعاني في السياق القرآني الموضوعي واللغوي، والربط بين الكلمات، والربط حسب معلومات العصر، والقدرة اللغوية المتجددة.

والجديد الذي نحب أن نطرحه للتأمل والتدبر والدعوة إليه هو: أن المعاني اللغوية للكلمة القرآنية جميعها مطلوبة التأمل فيها، وما على هذا العقل إلا أن يتدبر في استنباط المعاني وإظهارها حسب السياق القرآني، وذلك لاستنهاض العقول والهمم في استحداث المعاني المتجددة للقرآن.

وقد وفق كل التوفيق على تجلية هذه الفكرة عملياً، الإمام يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم العلوي اليمني في كتابه القيم: (الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز) في تفسير أخطر موضوع حساسية، لدى أهل السنة والجماعة، وهو حول معنى كلمة «استوى» في قوله تعالى: (ثم استوى على العرش...) الأعراف:٥٤، نعرضه فيما يلي، لنثبت كيف أن العالم الرباني: (ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون) آل عمران:٧٩، يستطيع هذا العالم الرباني أن يضع الأمور في نصابها، ويهدي الحيارى إلى رشدها، وكيف يستطيع الا يستبعد أحد المعاني في أدق المواضيع التي تنزلق تحتها الأقدام، فإذا به يثبتها جميعاً ولا ينفيها، ويؤكد تفسيره لهذه الكلمة، القاعدة التي أدعو إليها، وهي: عدم استبعاد أي معنى لغوي ورد في اللغة، قال الإمام يحيى بن حمزة العلوي اليمني رحمه الله تعالى في مرشحه لقوله تعالى: (إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يُغشي الليل النهار يطلبه حثيثاً والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين) الأعراف:٥٤.

القرآن لا يجمد على معنى واحد بكثرة التلاوة وهذا هو المقصود من كونه لا يَخْلَقُ

وبعد أن استعرض الإمام المعاني الرائعة الجميلة التي أظهرها في الآية كلمة كلمة، قال رحمه الله:

قوله: (ثم استوى على العرش) ظاهر الآية دال على أن الاستواء إنما كان بعد خلق السموات والأرض، وإمال أحوالهما، أما خلق العرش فليس في ظاهر الآية ما يدل على تعين وقت خلقه، فبقي الأمر فيه على الاحتمال حتى يدل دليل شرعي على ذلك.(٤)

ولأن العرش والكرسي من أعظم المخلوقات، لما خصهما الله تعالى من عظم الخلق، ولما اشتملا عليه من الأسرار الإلهية، والحكم المصلحية التي لا يحيط بعلمها إلا الله تعالى.

والاستواء فيه وجهان:

أحدهما: أن يكون بمعنى الاستيلاء، يقال: فلان الملك قد استوى ملكه، أي استولى عليه وأحاط به، فلا يشذ عنه منه شيء.

وثانيهما: أن يكون الاستواء على حاله من غير تأويل، من قولهم: الأمير استوى على سرير مملكته، أي تمكن فيه. وتحقيقه: قعد عليه قعود المتمكن المستقر، لا قعود القلق المنزعج وكلاهما حاصل في حق الله تعالى:

فعلى المعنى الأول: أن الله استولى على العرش وملكه وأحاط به علماً واقتداراً

وعلى الوجه الثاني: يكون على جهة التخييل كقوله تعالى: (يد الله فوق أيديهم) الفتح:١٠.

وتقرير التخييل: أن الحالة الحاصلة للملك في الاستقرار والتمكن على تخت مملكته وسريره، هي حاصلةله تعالى على عرشه، كما في قوله تعالى: (بل يداهُ مبسوطتان) المائدة:٦٤، كما سنقرره في التخييل ونوضح أمثلته بمعونة الله تعالى.

وأتى بـ«ثم» دون الفاء ليدل بها على التراخي، ولأن نظام الآية يكون أسلس وأسهل، والسبك بها أتم وأعجب، وهذا يذوقه من جاد ذوقه، وسلم طبعه، عن عجرفة الكلام، وزال عن العنجهانية في القول. انتهى قول الإمام يحيى رحمه الله.

فأنت تلاحظ كيف استطاع الإمام يحيى تقرير المعنيين مع التنزيه الكامل لله تعالى، فالمعنى الأول يرد به على الفلاسفة الذين قالوا: إن الله تعالى خلق العالم ونظامه وتركه ولم يعد يتصرف به، فيأتي معنى استولى لاستوى، ليرد ذلك الزعم، فيثبت بأن الله تعالى أحاط بالعرش وما حوى فيه، علماً وقدرة وأنه على كل شيء قدير، وأنه على كل شيء وكيل، وأن المخلوقات كلها تستمد وجودها في كل لحظة وأجزائها، القدرة من القادر سبحانه وتعالى، وأنها كلها في قبضة الله تعالى، وبذلك تنقض مزاعم الفلاسفة.

وفي المعنى الثاني يقرر معنى الاستقرار للمملكة بأنها كلها تجري بمشيئة الله سبحانه، ودليل الاستقرار أنه لا راد لأمره، ولا معقب لحكمه، فهو سبحانه المتفرد في الملكوت، وهو الفعال لما يريد في مملكته التي خلقها، لا أحد غيره سبحانه، يفعل ما يشاء لما يشاء كيف يشاء، وبهذا يصبح معنى الاستقرار له عظيم الفائدة في النفوس، بتقريبه إلى العقول، عن طريق التخييل، ليتوصل به إلى معاني التنزيه والتقرير بآن واحد، ومعاني العظمة في القدرة والتصرف في الملك.

وبمثل هذا التفكير تتفتح معاني القرآن، وتظهر أفكاره الكثيرة، وتتضح معالم العمق اللغوي والفكري، والربط بينهما مع آيات القرآن الأخرى.

بينما نجد مدرستين مختلفتين، منها من تمسكت بمعنى «استولى» لـ«استوى» ومنها من تمسكت بمعنى «استقر» لـ«استوى» وتنافرت المدرستان وتضادتا حتى وصل الأمر إلى التضليل، وأحياناً إلى التكفير بينهما، بينما نلاحظ أن كلا المعنيين له جانبه السامق، لو عبر عنه بنحو ما أسلفنا، وهو التنزيه والتعظيم، والتقرير والإثبات لآيات القرآن وفهمها بوساطة التخييل حسب المعاني اللغوية وسياق وموضوع الآية.

والتخييل: هو اللفظ الدال لظاهرة على معنى، والمراد غيره على جهة التصوير.

ثم يشرحه فيقول: فقوله هو اللفظ الدال على معنى بظاهره: يحترز به عن اللفظ المشترك، فإنه غير دال على معنى بظاهره فإنه لا ظاهر فيه، وإنما دلالاته على جهة البدلية.

وقوله: والمراد غيره: يحترز به عن البصر، فإنه دال على معنى بظاهره وهو المراد بنفسه لا يُراد غيره.

وقوله: على جهة التصوير: يحترز به عن سائر المجازات كلها.

وقال ابن أبي الأصبغ المصري (٥٨٥ - ٦٥٤هـ) في كتابه (تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن) في باب التمثيل: «ومن شواهده في السنة قول الرسول ﷺ حكاية عن بعض النسوة في حديث أم زرع: «زوجي ليل تهامة، لا حر ولا برد، ولا وخامة ولا سآمة»(٥) فعدلت عن لفظ المعنى الموضوع له إلى لفظ التمثيل، لما فيه من الزيادة، وذلك تمثيلها الممدوح، باعتدال المزاج، المستلزم حسن الخلق، وكمال العقل اللذين ينتجان لين الجانب، وطيب المعاشرة، وخصت الليل بالذكر لما في الليل من راحة الحيوان، وخصوصاً الإنسان، لأنه يستريح فيه من الكد والفكر، ولكون الليل جعل سكناً، والسكن الحبيب، ولا سيما قد جعلته ليلاً معتدلاً بين الحر والبرد، والطول القصر، وهذه صفة ليل تهامة لأن الليل يبرد فيه الجو، بالنسبة إلى النهار مطلقاً لغيبة الشمس، وخلوص الهواء من اكتساب الحر، فيكون في البلاد الباردة شديد البرد، وفي البلاد الحارة معتدل البرد مستطابة، فقالت: «زوجي مثل ليل تهامة، وحذفت أداة التشبيه، ليقرب المشبه من المشبه به، وهذا مما يبين لك لفظ التمثيل في كونه لا يجيء إلا مقدراً بـ«مثل» غالباً»، ولا كذلك لفظ الإرداف، وإلا فانظر إلى قول صاحبتها في الإرداف: «زوجي رفيع العماد» فتجدها قد وصفته بصيغة المبتدأ والخبر، لكون الخبر غير المبتدأ لا مثله، إذ لا يجوز ها هنا تقدير «مثل» في الكلام لتعلم أن لفظ الإرداف أقرب إلى لفظ المعنى من التمثيل. اهـ.»(٦).

فاتضح من ضابط التخييل بتقدير «مثل»، ومن هنا نرى أن الآية الكريمة «ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) الشورى:١١، أفادت أن حصول التخييل يجب أن يصحبه نفي المماثلة، وبذلك نفهم سبب ورود «كمثله» ولم يرد: ليس كشبيه شيء، أو ليس كنظير شيء، لأن ضابط التخييل هو «مثل»، ومن هنا لم ينقل عن الصحابة رضوان الله عليهم الاختلاف بآيات الصفات لأنهم أكثر عمقاً باللغة العربية وفهماً لها من غيرهم والله أعلم بالصواب.

وقد استطاع الشهيد سيد قطب رحمه الله تعالى أن يتناول في كتابه «التصوير الفني في القرآن» جانب التخييل بالتصوير وأن يرقى إلى معنى عظيم، وذلك باستطاعته غرس فكرة التصوير القرآني للمعاني، وتقريبها من الأفهام، ليتناولها العقل بعد تصورها وتخيلها إلى معاني متعددة، وأفكار متجددة، وأن يحولها إلى واقع في الحياة.

ثم انتقل في «ظلال القرآن» إلى فكرة تصوير الواقع العملي في مكة والمدينة، ليعيش القارئ الجو الذي تنزلت فيه الآية القرآنية، والجو الدعوي الذي تعيشه الدعوة في صراعها مع المشركين المعاندين، والمنافقين الكاذبين.

والتخييل هو الفارق بين الإنسان والحيوان، فوجود عقل الإنسان وقدرته على التخيل والتخييل، والتصور والتصوير لما ليس موجوداً محسوساً، وهو الفارق الأساسي حتى بين العقول البشرية، وهذا ما عبَّر عنه القرآن بنعمة البيان التي منَّ الله بها على الإنسان: (الرحمن. علم القرآن. خلق الإنسان. علمه البيان.) الرحمن:١ - ٤، فالنعمة والرحمة الكبرى هي الهداية، ثم الإيجاد، ثم البيان، ومن لم يتعلم البيان فقد فاته خير كثير، لأنه لم يدرك الرحمة الإلهية فيه.

والإنسان يمارس في حياته اليومية البيان في كل شيء، فإذا رسم أو نطق «جبل» فهمه منه الشخص المقابل ويتصوره في ذهنه، وإن لم يكن الجبل حاضراً موجوداً الآن أمام كليهما. فعن طريق البيان يتعامل الناس حياتهم اليومية، فمالنا لا نتعامل به مع القرآن وهو قمة البيان؟!، بل هو كلام صاحب واهب البيان الإنساني، أفليس جديراً الغوص في معاني القرآن وعدم إهمال أي معنى من معانيه أمر مهم وضروري؟!. وأن يحصل التفكير في تبيان تناسق وتناسب هذه المعاني مع الآيات القرآنية الأخرى، وبذلك يفتح باب قوله تعالى: (أفلا يتبدرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً) النساء:٨٢.

إن جميع معاني الكلمة في القرآن الكريم مطلوبة لتوسيع دائرة التأمل

قال ابن كثير في تفسيره: «يقول تعالى آمراً لهم بتدبر القرآن وناهياً لهم عن الإعراض عنه، وعن تفهم معانيه المحكمة وألفاظه البليغة ومخبراً لهم أنه لا اختلاف فيه ولا اضطراب ولا تعارض لأنه تنزيل من حكيم حميد فهو حق من حق، ولهذا قال تعالى: (أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها) ثم قال: (ولو كان من عند غير الله) أي لو كان مفتعلاً مختلفاً كما يقوله من يقوله من جهلة المشركين والمنافقين في بواطنهم لوجدوا فيه اختلافاً أي اضطراباً وتضاداً كثيراً أي وهذا سالم من الاختلاف فهو من عند الله كما قال تعالى مخبراً عن الراسخين في العلم حيث قالوا: (آمنا به كل من عند ربنا) أي محكمة ومتشابهة حق فلهذا ردوا المتشابه إلى المحكم فاهتدوا والذين في قلوبهم زيغ ردوا المحكم إلى المتشابه فغووا ولهذا مدح تعالى الراسخين وذم الزائغين.

قال الإمام أحمد - وأسنده عن عمرو بن عشيب عن أبيه عن جده قال: لقد جلست أنا وأخي مجلساً ما أحب أن لي به حمر النعم، أقبلت أنا وأخي وإذا مشيخة أصحاب رسول الله ﷺ على باب من أبوابه فكر هنا أن نفرق بينهم فجلسنا حجزة إذ ذكروا آية من القرآن فتماروا فيها حتى ارتفعت أصواتهم فخرج رسول الله ﷺ مغضباً حتى احمرَّ وجهه يرميهم بالتراب ويقول: «مهلاً يا قوم بهذا أهلكت الأمم من قبلكم باختلافهم على أنبيائهم وضربهم الكتب بعضها ببعض إن القرآن لم ينزل ليكذب بعضه بعضاً إنما نزل يصدق بعضه بعضاً فما عرفتم منه فاعملوا به وما جهلتم منه فردوه إلى عالمه».

وهكذا رواه أيضاً عن أبي معاوية عن داود بن أبي هند عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: خرج رسول الله ﷺ ذات يوم

والناس يتكلمون في القدر فكأنما يفقأ في وجهه حب الرمان من الغضب فقال لهم: «ما لكم تضربون كتاب الله بعضه ببعض بهذا هلك من كان قبلكم» قال: فما غبطت نفسي بمجلس فيه رسول الله ﷺ ولم أشهده ما غبطت نفسي بذلك المجلس أني لم أشهده ورواه ابن ماجه من حديث داود بن أبي هن به نحوه.

وقال أحمد ـ وأسنده ـ عن عبدالله بن عمرو قال: هجرت إلى رسول الله ﷺ يوماً فإنا لجلوس إذ اختلف اثنان في آية فارتفعت أصواتهما فقال: «إنما هلكت الأمم قبلكم باختلافهم في الكتاب»، ورواه مسلم والنسائي من حديث حماد بن زيد به» انتهى.

ويفتح باب قوله تعالى: (أفلا يتبدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها) محمد:٢٤.

قال ابن كثير في تفسيره: «يقول تعالى آمراً بتدبر القرآن وتفهمه وناهياً عن الإعراض عنه فقال: (أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها) أي بل على قلوب أقفالها فهي مطبقة لا يخلص إليها شيء من معانيه.

قال ابن جرير ـ وأسنده ـ عن هشام بن عروة عن أبيه رضي الله عنه قال: تلا رسول الله ﷺ يوماً (أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها) فقال شاب من أهل اليمن بل عليها أقفالها حتى يكون الله تعالى يفتحها أو يفرجها فمازال الشباب في نفس عمر رضي الله عنه حتى ولي فاستعان به» انتهى.

وذلك لأن القرآن كلام الله تعالى: (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد) فصلت:٤٢.

ألا: (إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد) ق:٣٧. ■

الهوامش:

١ ـ روى الإمام مسلم عن جابر بن عبدالله الأنصاري قال قال رسول الله ﷺ : «أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي كان كل نبي يُبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى كل أحمر وأسود... الحديث» ورواه أحمد والدارمي.

٢ ـ انظر تفسير ابن كثير سورة الشعراء آية ١٩٥.

٣ ـ والحديث بتمامه قال الترمذي: حدثنا عبد بن حميد حدثنا حسين بن علي الجعفي قال سمعت حمزة الزيات عن أبي المختار الطائي عن ابن أخي الحارث الأعور عن الحارث قال: مررت في المسجد فإذا الناس يخوضون ف يالأحاديث، فدخلت على علي فقلت: يا أمير المؤمنين! ألا ترى أنالناس قد خاضوا في الأحاديث؟ قال: وقد فعلوها؟ قلت: نعم، قال: أما إن قد سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ألا إنها ستكون فتنة»، فقلت: ما المخرج منها يا رسول الله؟ قال: «كتاب الله فيه نبأ من قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم، وهو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قسمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، وهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، هو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا يشبع منه العلماء، ولا يخلق على كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه، هو الذي لم تنته الجن إذ سمعته حتى قالوا: (إنا سمعنا قرآناً عجباً يهدي إلى الرشد فآمنا به)، من قال به صدق، ومن عمل به أجر، ومن كم به عدل، ومن دعا إليه هدي إلى صراط مستقيم) خذها إليك يا أعور! قال أبو عيسى: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وإسناده مجهول، وهفي الحارث مقال».

٤ ـ انظر إلى أدب هذا العالم، فهو لم يقطع، ولم يجزم، وإنما أحال إلى الدليل، والدليل في ما البخاري في صحيحه عن عمران بن حصين قال: إني عند النبي ﷺ إذ جاءه قوم من بني تميم فقال: «اقبلوا البشرى يا بني تميم» قالوا: بشرتنا فأعطنا، فدخل ناس من أهل اليمن فقال: «اقبلوا البشرى يا أهل اليمن إذ لم يقبلها بنو تميم» قالوا: قبلنا جئناك لنتفقه في الدين، ولنسألك عن أول هذا الأمر ما كان؟ قال: «كان الله ولم يكن شيء قبله، وكان عرشه على الماء، ثم خلق السموات والأرض، وكتب في الذكر كل شيء»، ثم أتاني رجل فقال: يا عمران! أدرك ناقتك فقد ذهبت، فانطلقت أطلبها، فإذا السراب ينقطع دونها، وايم الله لو ددت أنها قد ذهبت ولم أقم» ورواه الترمذي وأحمد.

٥ ـ وتمام الحديث: أخرج البخاري عن عائشة قالت: جلس إحدى عشرة امرأة فتعاهدن وتعاقدن ألا يكتمن من أخبار أزواجهن شيئاً:

قالت الأولى: زوجي لحم جمل غث على رأس جبل لا سهل فيرتقى ولا سمين فينتقل.

قالت الثانية: زوجي لا أبثُ خبره إني أخاف ألا أذره إن أذكره أذكر عجره وبجره.

قالت الثالث: زوجي العشنق إن أنطق أطلق، وإن أسكت أعلق.

قالت الرابعة: زوجي كليل تهامة لا حر ولا قر ولا مخافة ولا سآمة.

قالت الخامسة: زوجي إن دخل فهد، وإن خرج أسد، ولا يسأل عمَّ عهد.

قالت السادسة: زوجي إن أكل لف، وإن شرب أشنف، وإن اضطجع التف، ولا يولوجُ الكف ليعلم البث.

قالت السابعة: زوجي غياياء أو عياياء طباقاء، كل داء له داء شجك أو فلَّك أو جمع كلاً لك.

قالت الثامنة: زوجي المسُّ مسُّ أرنب، والريحُ ريحُ زرنب.

قالت التاسعة: زوجي رفيع العماد، طويل النجاد، عظيم الرماد، قريب البيت من الناد.

قالت العاشرة: زوجي مالك وما ملك، مالك خير من ذلك، له إبل كثيرات المبارك قليلات المسارح، وإذا سمعن صوت المزهر أيقنَّ أنهنَّ هوالك.

قالت الحادية عشرة: زوجي أبو زرع وما أبو زرع! أناس من حُلي أذنيَّ، وملأ من شحم عضدي، وبجحني فبجحت إليَّ نفسي، وجدني في أهل غنيمة بشق، فجعلني في أهل صهيل وأطيط ودائس ومنق، فعنده أقول فلا أقبح، وأرقد فأتصبّح، وأشرب فأتفتح:

أم أبي زرع فما أم أبي زرع!: عكومها رداح وبيتها فساح.

ابن أبي زرع فما ابن أبي زرع!: مضجعة كمسلٍّ شطبة، ويشبعهُ ذراعُ بنتُ أبي زرع فما بنتُ أبي زرع!: طوع أبيها وطوع أمها وملء كسائها وغيظ جارتها.

جارية أبي زرع فما جارية أبي زرع!: لا تبث حديثنا تبثيثاً، ولا تنتقث ميرتنا تنقيثاً ولا تملأ بيتنا تعشيشاً.

قالت: خرج أبو زرع ولاأوطاب تمخض فلقي امرأة معها ولدان لها كالفهدين يلعبان من تحت خصرها برمانتين فطلقني ونكحها، فنكحت بعده رجلاً سرياً، ركب شرياً، وأخذ خطيا، وأراح علي نعما ثريا، وأعطاني من كل رائحة زوجاً وقال: كلي أم زرع وميري أهلك.

قالت: فلو جمعت كل شيء أعطانيه ما بلغ أصغر آنية أبي زرع.

قالت عائشة: قال رسول الله [: «كنت لكِ كأبي زرع لأم زرع» رواه مسلم.

٦ ـ انظر الطراز: الصنف السابع، وانظر (تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن) لابن أبي الإصبع المصري ص ٢١٤، إشراف محمد توفيق عويضة طبع المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بمصر.

بقلم : حيدر قفه

الرأي العام وأثره في المجتمع

ثمة مقولات كثيرة تلوكها الألسنة، وتبرق بها وسائل الإعلام من كل حدب وصوب، ومن هذه المقولات مصطلحات من مثل «الرأي العام» و«سلطان الرأي العام» و«اتجاه الرأي العام» و«قياس الرأي العام» و«حسابات الرأي العام» وما شابه.

كثر دوران هذا المصطلح على ألسنة وأقلام الكُتاب والمراقبين والمحللين وأهل الفكر عموماً، فماذا يعنون بالرأي العام؟ وما أهمية هذا الرأي العام؟ وهل عمل الإسلام على تكوين الرأي العام؟ وما ضوابطه في ذلك؟ وهل يفسد الرأي العام؟ وما موقف المسلم من الرأي العام؟... أسئلة كثيرة قد تجيب عليها مقالتنا هذه.

تعريف الرأي العام:

وفي رأينا المتواضع، أن الرأي العام هو: ما استقرَّ عند الأغلبية من قناعة تملي عليهم مشاعر ومواقف معينة تجاه أمر ما، وعندما نقول «الأغلبية» فهذا يعني أنَّ هناك قلة من الناس ليست داخلة في هذه القناعة، ومن ثمَّ لا تتصرف تصرف الأغلبية، وأغلب ما تكون هذه «القلة» من أهل الفكر وعلية القوم، أما الرأي العام فلحمته وسداه وجيشه اللجب فمن الطبقة المتوسطة، أو ما اصطلح على تسميته بالسواد الأعظم أو الدهماء، وعندما نقول «قناعة» فإنما نعني أنها حالة قابلة للتحول، وهي تفرق كثيراً عن «العقيدة» التي لا تتبدل ولا تتغير كالإيمان بالله ورسله وكتبه واليوم الآخر... إلخ، العقائد الراسخة، والقناعة أيضاً غير التقاليد، التي هي مواضعات تواضع الناس عليها في بيئة ما، ثم توارثوها كابراً عن كابر.

فالقناعة العقلية بأمر ما، قابلة للتحول إذا اعتراها ما يبدلها، ومن ثم تتبعها المشاعر والمواقف تجاه الأمر ذاته، وطالما أنها قابلة للتحول، فهي يقيناً قابلة للإيجاد من عدم، أو قابلة للتأثير أو التطوير أو التخطيط، ولذا قد نجد الرأي العام في إقليم تجاه قضية معينة يختلف ـ اختلافاً يبلغ حد التناقض ـ مع الرأي العام في إقليم آخر تجاه القضية نفسها، وأمامنا حرب الخليج وما أنتجته من تباين مواقف الرأي العام في أقاليم العالم العربي.

> **إذا استوت نفس المسلم على الجادة وآوت إلى ركن مكين من المقياس الصائب في التمييز بين الغث والسمين كان لا خوف عليه**

والرأي العام لايقتصر على السياسة، بل يتعدى ذلك إلى جوانب الحياة الأخرى كالطعام والشراب والسلوك وكل أمر له مساس بحياة الناس، فالرأي العام في البلاد العلمانية ـ أمريكا وأوروبا وروسيا وغيرها ـ لا يجد غضاضة في المخادنة، بينما الرأي العام في مناطق أخرى يرى أنها جريمة نكراء، والرأي العام في بلد يعتمد على مشروب القهوة «البن» اعتماداً كلياً في حياته، بحيث يتأثر به ارتفاعاً أو هبوطاً أو فقداناً كلياً أو ندرة مرحلية غير الرأي العام في بلد لا تشكل القهوة في حياته أهمية تذكر بينما الأهمية لغيره... وهكذا...

أهمية الرأي العام وأثره في السلوك

وللرأي العام أهمية لا يستهان بها في تحديد مسارات سلوك الناس، ذلك أن الإنسان مدني بطبعه، ويجب أن يعيش في مجتمع يُقدِّره ويحترمه، لذا يحرص على أن يتوافق مع مجتمعه ولا يختلف، ويفعل ما يرضي الناس وإن جار على ما يرضيه هو، وكثيراً ما يتنازل عن رأيه كلياً لرأي المجموع، أو يسلك سلوكاً يوافق المجتمع وإن كان لا يقره في داخله.

والرأي العام حاجز لمنع السلوك الخاطئ من الأفراد، خوف العار أو الآثار الاجتماعية المترتبة عليه أو على أسرته، لذا يتحسَّب لكل فعل أو سلوك قد يُعاب عليه مستقبلاً وفي هذا التحسب ما فيه من ضبط السلوك

ونهنهة الرغبات.

والرأي العام يعمل على تهيئة النفوس لقبول كل جديد، ومخالفة الرأي العام قد تؤدي إلى فتن وثورات، ولذا تحرص الحكومات على تهيئة الرأي العام قبل التجديد أو التطوير أو التغيير، فهي تسخر وسائل الإعلام من إذاعة وتلفاز وصحف ومجلات وخطب ومحاضرات وندوات لتسويق خطواتها قبل الإقدام على هذه الخطوات بمدة كافية، حتى إذا اطمأنت، مارست التغيير الذي تريد.

والرأي العام مسبار لاستكناه مقدرة اتجاه ما ـ سواء أكان حكومة أم هيئة أم جماعة ـ على توظيف قدراته التأثيرية في الإقناع، ومن ثم يكشف الفروق بين هذه الاتجاهات، فإذا قلنا إن الرأي العام الأمريكي مع اليهود مثلاً، تبين لنا قدرة اليهود على توظيف جهودهم في هذا المضمار، بينما كشف ـ الأمر ذاته ـ ضعف العرب والمسلمين في هذا الجانب.

والرأي العام ليس دائماً على صواب ـ لأنه قد يكون نتج عن تأثير قوى ضاغطة لها سلطان ونفوذ ـ كذلك لا يكون دائماً صالحاً، فقد يكون الرأي العام فاضلاً، وقد يكون فاسداً «كالإقرار بالفاحشة» مثلاً.

كيف عمل الإسلام على تكوين الرأي العام الفاضل؟

وقد اعتمد الإسلام في تكوين الرأي العام الفاضل في مجتمعه، على أسس ثلاثة رئيسة هي:

أولاً: العبادة، من صلاة وصيام وزكاة وحج... لتقوية الضمير المتصل بخالقه، الرقيب عليه في السر والعلن، ولو لم يكن هناك رقيب ظاهر من البشر، ولذا ينطلق المسلم من عقيدة راسخة بأن الله مطلع عليه في كل أفعاله وأحواله، وتذكّره بها عباداته المتنوعة المنضبطة الايقاع في أزمان وأوقات محدددة.

ثانياً: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهو ركن عظيم من أركان الإسلام، لخلق البيئة الصالحة التي يأتلف معها المسلم، ويتعايش فيها العابد، أما عبادة من دون بيئة تعين فقلما تثمر، بل العابد ـ والحالة هذه ـ يتعرض لضغوط كثيرة وجواذب شتى تصرفه عن عبادته.

ثالثاً: تقوية خُلق الحياء لأن من يتملكه الحياء لا يقدر على فعل ما يُعاب وإن نازعته في ذلك نفسه الجهول، ولا يُقصر في مطلوب منه ممدوح وإن استمالته للتقصير صوارف آنية ضاغطة، ولذا قال رسول الله ﷺ «الحياء لا يأتي إلا بخير»(١).

ضوابط صلاح الرأي العام

قلنا إن الرأي العام منه ما هو فاسد، وما هو صالح، والمطلوب شرعاً وعقلاً واجتماعياً تقوية الرأي العام الصالح ـ إن وجد أو إيجاده إن لم يكن موجوداً ـ ورفض الرأي العام الفاسد، ومقاومة استقراره إن بدرت بوادره، لكن، ما الذي يحكم هذه العملية؟ ومن الذي يقرر إن كان هذا الأمر فاسداً أو صالحاً؟ القضية تحتاج إلى ضوابط. والضوابط عندي أربعة:

١ ـ الاهتداء بالقرآن الكريم، لأن الله خالق البشر ومدبر الكون والعالم بصلاح أحوال خلقه يقول عن القرآن الكريم: (إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم) الإسراء:٩، ويقول لأناس أعوجت مسالكهم: (قل ءالله أذن لكم أم على الله تفترون) يونس:٥٩.

٢ ـ الاهتداء بالسنة النبوية المطهرة، لأن الرسول ﷺ مأمور من الله، وهو الحريص على هذه الأمة، ومن شأن الحريص ألا يدل إلا على ما فيه صلاح من يرعى، والايمان لا يكتمل إلا بطاعته والسير في ركابه، قال تعالى: (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) الحشر:٧.

وقال: (لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم) التوبة:١٢٨.

وقال ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به»(٢).

٣ ـ الاهتداء بإجماع الأمة، والمعنيّ بالأمة هنا أهل العلم والصلاح، لا الدهماء من الناس، ولا أهل البدع والأهواء وإن نالوا أعلى الشهادات، وتسنموا أرفع المناصب، فإن صلاح أهل العلم عاصم من الانحراف وقد قال ﷺ: «إن الله لا يجمع امتي ـ أو قال: أمة محمد ـ على ضلالة»(٣).

٤ ـ موافقة العقل ـ المسترشد بما سبق من ضوابط ـ فالعقل الذي لا تكون مرجعيته الثلاث السابقات عقل يضل، فالعقل السليم وما ينتج عنه لا يختلف مع القرآن والسنة، قال تعالى: (أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم) يوسف:١٠٩، وهي دعوة لاستخدام الحواس والعقل في الوصول إلى الحق، وقال تعالى أيضاً: (وقالوا: لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير) الملك:١٠.

هذه عندي ضوابط الحكم على الرأي العام إن كان صالحاً أو فاسداً.

القناعة العقلية بأمر ما قابلة للتحول إذا اعتراها ما يبدلها

إفساد الرأي العام

ويفسد الرأي العام نتيجة عوامل معينة تؤثر فيه، فيصبح الناس وقد فسد تصورهم وتقديرهم للأمور، فيرون المنكر معروفاً، والمعروف منكراً، وتموت المروآت وتتبلد الحواس، فيرضى الناس بما كان لا يسلك لهم في خيط من قبل، وربما رأوه غاية المُنى، ومن المؤثرات التي تفسد الرأي العام ما يلي:

أ ـ نشر خبر الجريمة دون نشر عقوبتها معها، وذلك أن نشر خبر الشر، وجعله يظهر على السطح، والناس تتحدث عنه، ثم تنزل العقوبة بفاعله بعد زمن طويل، يكون الناس عندها قد خرجوا من حالة الشعور المؤلم الرافض للشر، وهذا يؤدي إلى التآلف معه، وبالتالي يغري الناس بالتساهل، ومن ثمَّ يُجرِّئ ضعاف النفوس على التقليد، وكثيراً ما سمعنا بأن جريمة ارتكبت نتيجة لجريمة سابقة، ولذا حذر النبي ﷺ من إعلان الجريمة أو المجاهرة بالانحراف، واستعلان المعصية، قال ﷺ : «كل أمتي معافى إلا المجاهرين، وإن من الإجهار أن يعمل العبد بالليل عملاً، ثم يصبح وقد ستره ربه فيقول: يا فلان، قد عملت البارحة كذا وكذا، وقد بات يستره ربه، فيبيتُ يستره ربه، ويصبح يكشف ستر الله عنه»(٤)، وقال ﷺ أيضاً: «يا أيها الناس، قد آن لكم أن تنتهوا عن حدود الله.. من أصاب شيئاً من هذه القاذورات فليستتر بستر الله، فإنه من يُبد لنا صفحته، نقم عليه كتاب الله»(٥).

ب ـ ترك المنكر يستشري حتى يألفه الناس، فيمسي لا يُحرك فيهم نأمة رفض ومن ذلك الإعلانات العارية والفاضحة للراقصات، الموضات الجديدة في لبس الناس وما تكشف من عورات، ودعوات الاختلاط في المناسبات تحت ذريعة التقدم أو التحضر.

ج ـ انتشار الأكاذيب والتهاويل، والاستطالة في سرد الأخبار والحوادث والقصص بإضافة زيادات لم تكن فيها، حباً في جذب جمهور القرآء أو السامعين أو المشاهدين باسم الحرية الصحفية أو الإعلامية، تحت مظلة الديمقراطية، فتعمل هذه المسالك على دغدغة مشاعر الأغرار، ومن ثمَّ استدراجهم لتتبعها وانتظارها.

موقف المسلم من الرأي العام:

لقد هيأ الإسلام المسلم ليكون واعياً فطناً، فحصنه ضد بهرجة الكثرة ووقر في حسه أن الكثرة لا تكون دائماً على صواب، وإنما مقياس الصواب الصحة في ذاته لا الكثرة الملتفين حوله، وقد نزلت آيات كثيرة تصب في هذا المجرى، منها قوله تعالى: (وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون) يوسف:١٠٦، ومنها (... وإن كثيراً من الناس لفاسقون) المائدة:٤٩، ومنها (إن الله لذو فضل على الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون) البقرة:٢٤٣، (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) يوسف:٢١، وآيات كثيرة مبثوثة في سور المصحف، حتى إذا تهيأت نفس المسلم وتيقَّنت أن الصحة لا تكون حكماً لازماً مع الكثرة، ولا الخير ولا العلم ولا الصواب في صفها ضربة لازب، ألقى إليه بالحكم الفصل في توجيه رباني لنبيه ﷺ الذي هو أسوة المسلم وقدوته، والخطاب إليه خطاب للمسلم في أي زمان وأي مكان فقال تعالى: (وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله) الأنعام:١١٦.

الرأي العام ليس دائماً على صواب لأنه قد يكون نتج عن تأثير قوى ضاغطة لها سلطان ونفوذ

فالقضية إذن تمييز بين حق وباطل، لا انبهار بكثرة كاثرة، فقد تكون الكثرة خبيثة، فلا خير فيها عندئذ، والخير كل الخير مع القلة الصافية: (قل لا يستوي الخبيث والطيب ولو أعجبك كثرة الخبيث) المائدة:١٠٠.

فإذا استوت نفس المسلم على الجادة، وأوت إلى ركن مكين من المقياس الصائب في التمييز بين الغث والسمين، كان لا خوف عليه، وعليه أن يصطفَّ مع الرأي العام الصالح، ويرفض الرأي العام الفاسد، ومقياس الصلاح ما قدمنا آنفاً «القرآن، والسنة، والإجماع، والعقل»، وتأتي النصوص تترى لتثبيت المسلم المؤمن في مواجهة معمعان الحيرة، وضبابية الرؤية، وضغوط الباطل، وبهرجة الزائف، فيقول تعالى: (فلا تخشوا الناس واخشون ولا تشتروا بآياتي ثمناً قليلاً) المائدة:٤٤، (فاصبر إن وعد الله حق ولا يستخفنك الذين لا يوقنون) الروم:٦٠، ثم يأتي التوجيه النبوي المباشر الذي لا يحتمل تأويلاً ولا تخريجاً: «لايكن أحدكم إمعة يقول: إن أحسن الناس أحسنت وإن أساؤوا أسأت، بل وطنوا أنفسكم، إن أحسن الناس أن تحسنوا، وإن أساؤوا أن تجتنبوا إساءتهم»(٥)، وبذا تتحدد شخصية المسلم المستقلة المتميزة الواضحة الرؤية، السليمة النهج، ولا عليه من صيحات العوام، أو هيشات الطغام ـ من أنَّ الانفراد بالرأي خروج على إجماع الجماعة ـ فقد قال ابن مسعود ﷺ : «الجماعة ما وافق الحق ولو كنت وحدك.

الهوامـــش:

١ ـ متفق عليه من رواية عمران بن حصين ـ رضي الله عنهما ـ وفي رواية لمسلم «الحياء خيرٌ كله» انظر رياض الصالحين، كتاب الأدب، باب الحياءة وفضله ص ٢٩٠.

٢ ـ قال النووي في أربعينه: هذا حديث صحيح، انظر المشكاة ج١ ص ٥٩ رقم ١٦٧.

٣ ـ حديث صحيح، انظر مشكاة المصابيح ج١ ص ٦١ رقم ١٧٣.

٤ ـ رواه مسلم، صحيح مسلم ج٤ ص ٢٢٩١ رقم ٥٢.

٥ ـ رواه الإمام مالك في الموطأ عن زيد بن أسلم، نقلاً عن فقه السنة لسيد سابق ج٢ ص ٣٦٤.

٦ ـ هكذا أحفظه مذ كنت على مقاعد الدرس صغيراً، وما وجدته في سنن الترمذي من حديث حذيفة ـ قال رسول الله ﷺ : «لا تكونوا إمعة تقولون إن أحسن الناس أحسنا، وإن ظلموا ظلمنا، ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا، وإن أساؤوا فلا تظلموا» وقال الترمذي: هذا حديث غريب (٢٤٦/٣ رقم ٢٠٧٥) وفي صحيح البخاري من قول عثمان ﷺ : الصفوة أحسن ما يعمل الناس، فإذا أحسن الناس فأحسن معهم، وإذا أساؤوا فاجتنب إساءتهم» ج١ ص ١٧٨ باب إمامة المفتون.

حاوره : أحمد محمد عبدالعظيم

المفكر الإسلامي د . عبدالحليم عويس لـ : الوعي الإسلامي

الإسلام حسم الخصومة المصطنعة بين الدين والعقل

في ظل الواقع المؤلم الذي تعيش الأمة الإسلامية تحت إنقاضه وتتلظى بنيرانه وفي هذا الجو المشحون بالدسائس والمكائد والتربص إلى جانب السباق المحموم للإجهاز على المسلمين والقضاء على مواريث الإسلام ومقدساته.. وسط هذا كله من المكر والخيانات والتنازلات.. فإذا بخيط رفيع من النور يتدلى ليضيء الطريق نحو الخلاص والخروج من دائرة الأزمة وإذا بجيل الصحوة الإسلامية الواعد الذي ينتشر الآن من الخليج إلى المحيط ومن جزر الفلبين شمالاً إلى سواحل الهادي جنوباً.. هذا الجيل الذي تتعلق عليه آمال الأمة العظام ليستعيد شباب الإسلام ومجده وعنفوان حضارته، وفي هذا اللقاء مع أحد رموز الصحوة الإسلامية المفكر الإسلامي الدكتور عبدالحليم عويس الأستاذ بجامعة الزقازيق وعضو رابطة الأدب الإسلامي العالمية ... التقينا به لاستلهام رؤاه حول الصحوة الإسلامية ما لها وما عليها.. وحول القضايا الإسلامية الشائكة وكيفية البحث للخروج من مأزق التبعية والاستدانة الفكرية.. وهذا هو نص الحوار:



● د. عبدالحليم عويس

تطبيق الشريعة بشكلها الواعي يضع قطار المسلمين فوق القضبان الصحيحة

● هناك معركة مفتعلة في الآونة الأخيرة يروج لها العلمانيون والشيوعيون وهي قضية «العقل والنقل»... ترى ما مدلول هذه المعركة وأبعادها؟

ـ نعم... في الإسلام يستحيل تعارض النقل والعقل... فليس كما يزعم البعض أن العقل أولاً ويزعم آخرون أن العقل ثانياً... فليس في القضية أولاً ولا ثانياً... فالعقل الرشيد ابن شرعي للوحي الصحيح... ومن أبرز مهام الوحي تكوين العقل بعيداً من التقليد والتعصب والجزئية والعمى والجمود واستلاب الغرائز والضلال وتحكم الهوى والأثرة والعنصرية والتحيز والجهل وغيرها من صور الضغط والتوجيه التي تمنع العقل أن يرى الصورة كلها وأن يضع الأمور في نصابها وأن ينتهي إلى الحكمة الراشدة والرأي الدقيق المحيط السديد.

ولو أن الصحابة رضي الله عنهم انشغلوا بهذه المسائل مثلنا لتآكلوا داخلياً، ولما جيشوا الجيش وفتحوا الفتوحات ونشروا دين الله في الآفاق.

إن البناء الإسلامي منذ قام وهو يتكئ على تشابك خيوط الوحي والعقل معاً فإذا كان الأساس وحياً، فإن طبيعة الوحي لم تكن من مواد مناقضة للعقل أو عسيرة الاستيعاب بالنسبة له وليس في القرآن الكريم ولا في

د . عبدالحليم عويس

أكبر انحراف في العملية التربوية هو الذاهب إلى استيراد المناهج الغربية والنظريات الوضعية



سنة الرسول صلى الله عليه وسلم الصحيحة ما يتناقض مع العقل الصحيح.

وفي ضوء هذا نقول: إن علاقة الوحي بالعقل لم تكن مطروحة في عصر الرسالة أصلاً لأن الصحابة رضي الله عنهم وهم أصحاب عقول صافية نقية لم يكتشفوا تناقضاً بين حقائق الإسلام والفطرة والعقل والمبادئ البسيطة التي تعارف عليها الوعي الإنساني وقد كان الصحابة مشغولين بتغيير أنفسهم وتغيير العالم ولم يكونوا مشغولين بفلسفة الأشياء وفلسفة العالم وإغراق أنفسهم في متاهات جدلية شبيهة بمتاهات عصور السفسطة الجدلية.

إن بعض ما كان علماً في السابق في مجال الطب أو الجغرافيا أو الفلك قد أصبح خرافة مضحكة في عصرنا الحديث، وبعض ما هو موجود في عصرنا مثل الفاكسميلي والطائرة والكمبيوتر والهاتف كان خرافة غير معقولة في الماضي.

لكن الإسلام واجه البشرية منذ البداية بالإمكانية العقلية الكاملة للإبداع وكان حادث الإسراء والمعراج بداية تأكيد هذا الأساس وبالتالي فلم يظهر في عصور القوة الإسلامية ذلك التعارض الوهمي بين ما هو وحي وما هو عقل، ولم يطرح استفهام حول أسبقية الوحي أو العقل ومع أن الوحي كان السابق بيقين منذ علم الله آدم الأسماء كلها إلا أنه في الإسلام بخاصة لم يعقل تعارض الوحي مع العقل أبداً.

وقد حسم الإسلام الخصومة المصطنعة بين الدين والعقل وحرر الإنسان من أزمة الصدام بين الدين والعلم ولهذا فليس الإسلام في حاجة إلى العلمانية لأن الأسباب التي أدت إلى العلمانية في أوروبا لا مكان لها في الإسلام والزعم الشائع في تاريخ الفكر الإنساني بأن هناك صراعاً مستمراً وتناقضاً أبدياً بين الدين والعقل أو بين الدين والعلم لا ينطبق بحال من الأحوال على الدين الإسلامي فكلاهما - الدين والعقل - يشكلان في الإسلام وحدة واحدة تتشابك أنسجتها تشابكاً محكماً.

الإسلام جوهره

● ما تفسيركم لتلك النداءات التي تحارب تطبيق الشريعة الإسلامية في مختلف بلدان العالم الإسلامي على وجه الخصوص؟

- اتفقنا على أن هناك صحوة إسلامية... إذن كيف تعتبر إسلامية إذا لم يكن جوهرها شريعة إسلامية... ومهما التزمنا نحن المؤمنين بهذا الدين العظيم بالتسامح وبالدعوة الحكيمة وبإقامة الجسور بيننا وبين كل الناس، فإننا لا نستطيع أن ننكر أو نخفي أننا نرنو ونسعى لتطبيق شريعة الله... إنها حلمنا وهدفنا من كل كتاباتنا ونشاطاتنا.

والذين يتخيلون «صحوة إسلامية» لا تسعى لتطبيق الشريعة إنما يخدعون أنفسهم وأمتهم... فليس هناك «أمة إسلامية» من دون شريعة إسلامية أنها في هذه الحال أمة من الورق!!

إن تطبيق الشريعة سوف يضع قطار المسلمين فوق القضبان الصحيحة ليتجهوا الوجهة الصحيحة في التاريخ، وسوف يقدمون النموذج الإنساني والأخلاقي للحياة، ذلك الذي تبحث عنه - لاهثة - إنسانية اليوم التائهة.

فالشيء الطبيعي أن يحارب أعداء الإسلام تطبيق الشريعة وصياغة الحياة وفق مبادئها.

وفي رأيي - أن الذين يقاومون تطبيق الشريعة لا يمكن أن يكونوا مسلمين إذا كانوا واعين بما يفعلون، فهم بسلوكهم هذا يلغون خمسمائة آية قرآنية صريحة الدلالة أنه نوع من الكفر وإلا فبماذا نسمي إلغاء خمسمائة آية على أقل تقدير.

ويجب علينا أن نعلم أن الدعوة إلى تطبيق الشريعة مع الصحوة الإسلامية لم تتواكب عبثاً أو مصادفة، فالذي يعي المستوى الأخلاقي الذي انحدرت إليه الأمة الإسلامية سوف يدرك كم كان ضرورياً لدى كل المخلصين أن تكون المطالبة بتطبيق الشريعة لعلاج الانحدار الأخلاقي عملاً من أوجب الضرورات.

وبعد أن أفلست - في عصرنا الحديث - كل النظريات المستوردة والقوانين الوضعية، وأصبح المسلمون، بل البشرية كلها على شفا جرف هار، وانتشرت في ظل غيبة شريعة الله كل الموبقات من القتل والاغتصاب والسرقات والرشوة وتجارة المخدرات والربا والخمور... إلخ، أفلا يحق للمسلمين في كل قطر إسلامي العمل على تطبيق الشريعة بعد أن أفلست أمامهم النظريات الوافدة وبعد أن منوا بكل الهزائم في ظلال القوانين الوضعية التي يسهل كل السهولة النفاذ من ثغراتها لتقحيق كل الجرائم وحماية كل المجرمين!

أجل... إن الأمة الإسلامية في عصر الصحوة تنادي من أعماقها وتستصرخ ولاة أمورها ومفكريها المخلصين تناديهم أن يقودوها في رحلة العودة إلى تطبيق الشريعة وأن يكونوا مخلصين في تحقيق هذا المطلب المصيري مهما واجهتهم الضغوط الصليبية أو الصهيونية أو الشيوعية أو عملاء هذه التحديات.

● وماذا عن رأيكم نحو موقف الذين يرون إرجاء أو تأخير قضية تطبيق الشريعة الإسلامية واعتبار أنها ليست من أوليات العمل الإسلامي؟!

- إنه شيء أشبه بالخيال أن يجد المسلمون وهم يقاومون الغزو الثقافي الأوروبي أن هناك بعض جماعات ينضمون إلى صفوف الأعداء... فتارة يحاربون الشريعة بحجة أن الإسلام عقيدة شخصية وأنه لا نظام فيه!

وتارة يقولون بضرورة «التطور» بدون ثوابت! أو يقولون بأن الإسلام مجرد كليات أقرب إلى المواعظ الأخلاقية أو يشككون في

د. عبدالحليم عويس

الإسلام حرر الإنسان من أزمة الصدام بين الدين والعلم



الأحاديث وقيمتها، أو يقولون بأن العصر يوجب قصر هذه الأحكام على عصر السلف... وهذه تهدف إلى إلغاء الشريعة وتحويل الإسلام إلى عقيدة ميتة كالعقائد المنتشرة في الأرض... مع كل ذلك فالواقع يشهد أن الشريعة الإسلامية وقفت - كما يراها أبناؤها وخصومها - شامخة قادرة على استيعاب كل مشكلات العصر.. متجاوزة كل مراحل التشكيك والأرجاء، والتعطيل التي يتعلل بها خصومها من الخارج والداخل.

ومن هنا بدأ أعداء الشريعة يغيرون مواقعهم وقسموا صفوفهم قسمين، قسم يحارب تطبيق الشريعة بوضوح شديد ما دام تطبيق الشريعة قد أصبح مطروحاً طرحاً علمياً، بل بدأ تطبيقه فعلاً في بعض البلدان وهؤلاء معروفون سواء كانوا من القوى الخارجية المعادية للإسلام ديناً وحضارة صليبيين كانوا أو يهوداً، أو وثنيين أو شيوعيين ظاهرين أو مستترين أم من عملاء هذه القوى الذين حاولوا إخفاء هويتهم لكن الأمة كشفتهم.

وقسم آخر يحارب تطبيق الشريعة بنفاق شديد... وهذا الصنف هو الميكروب المؤذي الذي يدخل إلى الأحشاء ويحاول أن يغزو العقول بمغالطاته المفضوحة وبجرأته العمياء على دين الله وقوله فيه بالهوى، ويكاد هذا الصنف أن ينسخ شريعة الله وأن يهدم قواعدها قاعدة قاعدة وهو مع عدم تخصصه ومع انقطاع صلته بالشريعة يمنح نفسه حق القول فيها أكثر مما يسمح للعملاء والمتخصصين الذين اتصلت كل حلقات حياتهم بالشريعة، فهو وحده المجدد والفقيه والعصري.

والمهم أن هذين القسمين تصديا لتطبيق الشريعة وكانا السبب المباشر في إيقاظ الوعي العام لدى المطالبين بتطبيق الشريعة، من واقع الشعور بالغيرة والمسؤولية.

ليس مفروشاً بالورد

● ترى إذن ما الطريق لتطبيق الشريعة الإسلامية وسط هذا الخضم من الآراء والمقترحات والجهود المبذولة؟

- لا ينكر أحد من المفكرين المسلمين أن الطريق لتطبيق الشريعة ليس مفروشاً بالورد فإن القوى الخارجية تتربص بالمسلمين وتحول بينهم وبين شريعتهم بكل الطرق، كما أن الغزو الفكري الثقافي قد أوجد طبقة مسلمة «عازلة» تقاوم عودة الأمة إلى دينها، بالإضافة إلى كثير من الاتجاهات الفاسدة التي تراكمت كالاقتصاد الربوي والإعلام الهابط وهي تحتاج إلى جهود متدرجة في تغيير مجراها... ومن هنا فالفكر الإسلامي الحديث يمنع من عمليات التمهيد، والتدرج في كثير من القضايا التي تحتاج لهذا التدرج ... لكن مع ذلك لا نملك إلا أن نقول: إن هناك مغالطات لابد من فضحها في موضوع تطبيق الشريعة الإسلامية، فبعض الدول تزعم أنها في طريقها للتطبيق منذ سنوات طويلة وقد شكلت لذلك لجاناً استغرقت سنوات طويلة لتطوير القانون البحري حتى يوافق الشريعة... أما القانون البري الذي يعيشه كل الناس في كل يوم فات يأخذ الدرجة الثانية.

إننا لا نمانع في التمهيد لتطبيق الشريعة لكن هذا التمهيد لا يكون بالإعلانات المتكررة عن لجان التقنين ولكن التمهيد يكون:

بتنقية التلفاز من الأفلام المخلة والصحافة من الحرب على تطبيق الشريعة قولاً أو فعلاً والمذياع من الأغاني الماجنة. بتنقية المناهج الدراسية في المدارس والجامعات من كل ما يخالف الشريعة والإسلام كله. بتوفير العمل الشريف لكل المنحرفين حتى لا يتاجروا بأنفسهم حتى لا تكون لهم حجة في التطبيق.

بتنقية الاقتصاد والمؤسسات التجارية والمالية من الفائدة وكل صور الربا والاحتكار والفساد - وهذا أمر ميسور جداً بعد نجاح تجربة البنوك الإسلامية وشركات المال والتأمين الإسلامية.

بتطبيق مبدأ الشورى في كل المؤسسات والأجهزة صغيرها أو كبيرها... هذه الحلول المستقيمة النافعة.

انحراف العملية التربوية

● ما تفسيركم لمحاولات التغريب التي اكتسحت العالم العربي والإسلامي على السواء... خاصة في العمليات التربوية والتعليمية والتثقيفية؟

- إن العملية التربوية لابد أن تكون ذات صلة بالبيئة، بتحديات البيئة وبمستوى البيئة ولا بد أن تكون ذات هدف بالنسبة لمواصفات البيئة وعاداتها... وإلا فإنها ستكون كقصيدة شعر إنجليزي تلقى على مسامع من لا يعرفون كلمة في الإنجليزية ويبدو أكبر انحراف في العملية التربوية هو الذهاب - دون وعي - إلى استيراد مناهج للتربية قد لا تكون صالحة للتربة وللأرض التي يراد غرس بذور التربية فيها... ومظاهر هذا الانهيار كثيرة جداً في العملية التربوية، ولم يستطع المجتمع العربي أن يرسو على حال صحيح كما أنه لم يهدأ لحظة واحدة من الصراع الذي ينهك قواه ويشل حركته.

وبما أن المناهج المستوردة والعمليات التغريبية، والمحاولات التعليمية التي لم تراع ظروف التراث والتطور التاريخي والوضعيات الاجتماعية والفكرية... كلها لم تنجح ولا يمكن أن تنجح في زرع الفكرة التغريبية الدخيلة، مكان النبض القلبي الأصيل فإن الشك والقلق والضياع كان هو الحصاد لوضعية من هذا النوع.

وكما لم يلتئم العرب تربوياً وفكرياً... فإنهم لم يلتئموا عسكرياً وسياسياً وعقائدياً!!

ووسط هذا التيه والحيرة والضياع.. توالت على العرب نكبات من كل جانب، ووجد أعداؤهم الحضاريون الفرص سانحة لزرع كل بذور الشقاق بينهم وتحويلهم إلى أمم بعد أن كانوا أمة، وإلى عقائد بعد أن كانوا عقيدة وإلى عناصر متصارعة بعد أن كانوا يخضعون لراية واحدة!! ■

بقلم : د. محمد السيد بلاسي

منذ أن نشأت العلمانية وهي تحاول أن تضرب بجذورها في التربة العربية والإسلامية، مستخدمة في ذلك كل الوسائل المشروعة وغير المشروعة.

وقصة العلمانية في بلادنا هي في الحقيقة صراع بين بلادنا المسلمة والاستعمار كآخر حلقة من حلقات التحدي الوثني الأوروبي المتسربل بقشرة مسيحية مزورة!(١).

العلمانية.. خطر على الأمة الإسلامية

فما هي العلمانية؟

يقرر المرحوم الدكتور محمد البهي: أن العلمانية منسوبة - على غير قياس - إلى العالم أو العالمية.

ويراد بالعلمانية فكرة إيثار «الفهم» المادي للعالم، وسلوك «الاتجاه الدنيوي» في تصريف شؤون البشر، وسن القوانين لتنظيم حياة الإنسان على هذه الأرض.(٢)

والعلمانية بالإنجليزية SECULARISM وترجمتها الصحيحة: اللادينية أو الدنيوية، وهي دعوة إلى إقامة الحياة على غير الدين، وتعني في جانبها السياسي بالذات: اللادينية في الحكم.

وينبغي أن نعلم أنه اصطلاح لا صلة له بكلمة العلم SCIENCE والمذهب العلمي SCIENTISM(٣).

أفكار العلمانيين وأهدافهم (٤)

١ - العداء المطلق للكنيسة أولاً، وللدين ثانياً أياً كان، سواء وقف إلى جانب العلم أم عاداه.

٢ - إقامة حاجز سميك بين عالمي الروح والمادة، والقيم الروحية لديهم قيم سلبية.

٣ - فصل الدين عن السياسة وإقامة الحياة على أساس مادي.

٤ - الحياة تقوم على أساس العلم المطلق وتحت سلطان العقل والتجريب.

٥ - تطبيق مبدأ النفعية «البراكماتيزم» على كل شيء في الحياة.

٦ - اعتماد مبدأ «الميكيافيلية» في فلسفة الحكم والسياسة والأخلاق.

٧ - نشر الإباحية والفوضى الأخلاقية وتهديم كيان الأسرة باعتبارها النواة الأولى في البنية الاجتماعية.

العلمانية بدأت في أوروبا وصار لها وجود سياسي مع ميلاد الثورة الفرنسية

عقيدة العلمانيين (٥)

١ - بعض العلمانيين ينكرون وجود الله أصلاً!.

٢ - وبعضهم يؤمنون بوجود الله، لكنهم يعتقدون بعدم وجود أية علاقة بين الله وبين حياة الإنسان.

٣ - إنكار الآخرة وعدم العمل لها واليقين بأن الحياة الدنيا هي المجال الوحيد للمتع والملذات.

أهداف العلمانيين نحو الإسلام (٦)

أما معتقدات العلمانية في العالم الإسلامي والعربي التي انتشرت بفعل الاستعمار والتبشير فهي:

١ - الطعن في حقيقة الإسلام والقرآن والنبوة.

٢ - الزعم بأن الإسلام استنفد أغراضه وهي عبارة عن طقوس وشعائر روحية.

٣ - الزعم بأن الفقه الإسلامي مأخوذ عن القانون الروماني.

٤ ـ الزعم بأن الإسلام لا يتلاءم مع الحضارة ويدعو إلى التخلف.

٥ ـ الدعوة إلى تحرير المرأة وفق الأسلوب الغربي.

٦ ـ تشويه الحضارة الإسلامية وتضخيم حجم الحركات الهدامة في التاريخ الإسلامي والزعم بأنها حركات إصلاح.

٧ ـ إحياء الحضارات القديمة.

٨ ـ اقتباس الأنظمة والمناهج اللادينية عن الغرب ومحاكاته فيها.

٩ ـ تربية الأجيال تربية لا دينية.

نشأة العلمانية

من المشهور أن العلمانية بدأت في أوروبا وصار لها وجود سياسي مع ميلاد الثورة الفرنسية سنة ١٧٨٩م، وقد عمت أوروبا في القرن التاسع عشر وانتقلت لتشمل معظم دول العالم في السياسة والحكم في القرن العشرين بتأثير الاستعمار والتبشير.(٧)

ويرجع المؤرخون السبب الحقيقي من وراء نشأة هذه الدعوة الخبيثة إلى أنه كان ردّ فعل لتحكم الكنيسة المسيحية في أوروبا في شؤون الناس طوال القرون الوسطى وانحرافها عن النهج القويم، وممارساتها الظالمة للرعية، ووقوفها في وجه البحث العلمي وتطوره، وتكريسها تقسيم المجتمع إلى طبقات ثلاث هي:

أ ـ طبقة الإكليروس: وهم كهنة الكنيسة والقساوسة والرهبان، وعلى رأسهم «البابا» الذي كان بمثابة ملك ملوك أوروبا، ولهذه الطبقة قداسة مستمدة من قداسة الكنيسة، ولا يجوز معارضة قراراتها مهما كانت مجحفة.

ب ـ طبقة النبلاء والأشراف: وهم أصحاب الإقطاعيات الكبيرة، وعلى رأسهم الملك أو الأمير الحاكم، ولها من الرعية الطاعة العمياء ما دامت متمتعة برضا الكنيسة، ولهذا الرضا ثمنه المقرر من تبادل التأييد، واقتسام المغانم على حساب الشعب الخاضع.

ج ـ طبقة العامة: والذين هم غالبية الشعب من زراع وصناع وصغار تجار، وعليها كل الواجبات من قيام بالأعمال المختلفة، ودفع للضرائب الباهظة وخدمة للسادة، ولا حقوق

العلمانية بكل مدارسها وتياراتها ورموزها مشبوهة الارتباطات مشبوهة الأهداف

لها تذكر في واقع الأمر.(٨)

ونجح الاتجاه العلماني في بسط سيطرته على الدولة في أوروبا، وبخاصة الدولة الفرنسية، حيث كان من نتيجة الصراع بين الكنيسة من جهة، وبين الحركة الجديدة من جهة ـ ولادة الحكومة الفرنسية سنة ١٧٨٩م، وهي أول حكومة لا دينية تحكم باسم الشعب، وهناك من يرى أن الماسون استغلوا أخطاء الكنيسة والحكومة الفرنسية وركبوا موجة الثورة لتحقيق ما يمكن تحقيقه من أهدافهم.(٩)

كما نجح الاتجاه العلماني في إبعاد الكنيسة الممثلة للدين المسيحي عن شؤون السياسة والحكم، وحصر نشاطها في داخل الكنائس، وفي دويلة رمزية بلا شعب ولا أرض هي دولة «الفاتيكان» على جزء صغير من مدينة «روما» بإيطاليا، من باب إرضاء الخاطر، وتذكاراً لماضٍ عتيد باد واندثر.(١٠)

وعلى الصعيد الإسلامي:

استطاع الاستعمار أن يطبق العلمانية ويفرضها فرضاً على معظم بلاد العالم الإسلامي بوسائل ضغط عديدة وبواسطة أنظمة وحكومات تابعة له، خاضعة لتوجيهاته، فطبقها تطبيقاً كاملاً في «تركيا»

معتقدات العلمانية في العالم الإسلامي والعربي انتشرت بفعل الاستعمار والتبشير

المسلمة، مستغلاً ظروف هزيمتها في الحرب العالمية الأولى، بعد أن كانت مقراً للخلافة الإسلامية، وطبقها تطبيقاً شبه كامل في أغلب البلاد الإسلامية الأخرى التي ابتليت به، ولـمّا رحل الاستعمار عنها عسكرياً، بقيت هذه الأنظمة ذات الصبغة العلمانية «الكاملة أو الغالبة»، بقيت محتفظة بهذه الصبغة دون تغيير أو تبديل، بل كرستها ودافعت عنها، واعتبرت من يخرج عليها خارجاً على الدولة مناهضاً لها.(١١)

الرحلة التاريخية للعلمانية (١٢)

وأرى أن قصة العلمانية هي قصة الصراع بين الحضارة الوثنية الأوروبية أو آخر فصول هذا الصراع مع الحضارة الإسلامية، وهذا الصراع ممتد في التاريخ والجغرافيا وشهد الكثير من المراحل وأخذ الكثير من الملامح حسب الزمان والمكان.

وهذا الصراع بدأ مبكراً جداً في حياة الرسول ﷺ ، الذي أدرك بفراسته، ونبوته أن هذا الصراع سيشكل المساحة الأكبر في تاريخ الإسلام، ووضع له الأسس الصحيحة وهي أن الهجوم خير وسائل الدفاع، وهكذا خاض المسلمون في حياة الرسول ـ ﷺ ـ الكثير من المعارك ضد الدولة البيزنطية وحلفائها، على اعتبار أن هذه الدولة تمثل في ذلك الوقت المواقع المتقدمة للحضارة الأوروبية الإغريقية والرومانية، واستمر الصراع بعد الرسول ـ ﷺ ـ والتاريخ يحدثنا عن نتائج تلك الصراعات والتي تمثلت في الفتوحات الإسلامية، تلك التي عمّت العالم.

ولكن عندما أحست أوروبا بالخطر الشديد، قررت تغيير التكتيك من الصدام العسكري مع المسلمين إلى الاختراق الثقافي والسياسي، ومن خلال هذا الاحتكاك المباشر والذي وصل إلى قلب أوروبا عن طريق الأندلس إلى جنوب فرنسا وسويسرا، وعن طريق العثمانيين إلى كل أوروبا الشرقية ومن خلال جزر البحر المتوسط كان من الممكن أن يعرف الأوروبيون حقيقة الإسلام فيدخلوا فيه، وقد حدث هذا بالفعل في أكثر من مكان أوروبي مثل ألبانيا والبوسنة والهرسك وكوسوفا وغيرها، وكان لابد لأوروبا من جهاز للدعاية لحماية رعاياهم من الأثر الإسلامي، ونشأ من هنا الاستشراق الذي كان في البدء محاولة لمعرفة الإسلام

بهدف تشويه صورته في عيون الأوروبيين، ومع حالة النوم والاسترخاء التي عاشها العالم الإسلامي طمعت أوروبا في ذلك الوقت فيما هو أكثر من ذلك بعد أخذها بأسباب العلم والقوة، فتحول جانب من الاستشراق إلى تجسس أوروبي مباشر وغير مباشر على الدول الإسلامية، لمعرفة نقاط الضعف والتجهيز لحملة صليبية جديدة، تحت اسم الاستعمار، وكذلك نشأ التبشير، ومن الاستعمار والتبشير والاستشراق بدأت الحملة الصليبية الجديدة التي انتهت بسقوط الخلافة العثمانية ووقوع معظم بلاد العالم الإسلامي في قبضة الاحتلال الأوروبي، وحدث تطور جديد في الاستشراق فكان لابد أن يمنع أي محاولة للنهضة في العالم الإسلامي وأي محاولة للمقاومة، وذلك بطمس معالم القوة في الثقافة الإسلامية وإحداث ما سمي بـ «التفريغ الثقافي»، وهذا التفريغ الثقافي يقوم على تشكيل مدرسة ثقافية محلية تتلمذ على يد مستشرقين، وتردد نفس رؤيتهم للإسلام واللغة العربية والآداب الإسلامية وغيرها، وهكذا وجدنا أنفسنا أمام تيارين أسوأ من بعضهما:

التيار الأول: هو هؤلاء الذين ينظرون إلى الثقافة الإسلامية والآداب واللغة، بل والدين بمنظور المستشرقين، وفضلاً عما في هذا الأمر من تآمر واضح فإنه أيضاً أمر غريب وعجيب لأنه من البدهي أنه مهما كان المستشرق قد وصل في تعلم اللغة العربية أو الآداب فإنه سيظل مجرد تلميذ في هذا الإطار ولا يمكن أن يتحول إلى أستاذ أو صاحب مدرسة لأنه نشأ وتعلم واكتسب ثقافته في أرضية ثقافية أخرى، وبدهي أن أحداً لن يفهم لغة أو ثقافة ما إلا إذا كان ابناً لهذه اللغة ولهذه الثقافة.

أما التيار الثاني: وهو الذي التقطته أوروبا وعلمته بحيث أصبح غربيّ التفكير والسلوك وحصل على العلوم وخاصة الاجتماعي منها من منظور أوروبي، فهذا سيأتي إلينا للتبشير بالقيم الأوروبية مباشرة، أي أننا أمام تيار كامل تقريباً أو تيار يفهم اللغة والآداب، بل والدين من منظور المستشرقين وهو منظور سطحي في أحسن الفروض أو مشبوه في أسوئها.

قصة العلمانية هي قصة الصراع بين الحضارة الوثنية الأوروبية والحضارة الإسلامية

من هؤلاء وأولئك نشأت العلمانية وهي محاولة للتفريغ الثقافي الذي يخدم مخططات الغرب أو محاولة لزرع القيم الثقافية الأوروبية فينا، وكل هذا جزء من مخطط واضح المعالم معروف الأهداف.

وقد فضح نابليون نفسه هذا الأمر في رسالته إلى كليبر الذي يقول فيها: «اجتهد في جمع ٥٠٠ أو ٦٠٠ شخص من المماليك أو من العرب ومشايخ البلدان لنأخذهم إلى فرنسا فنحتجزهم فيها مدة سنة أو سنتين يشاهدون فيها عظمة الأمة الفرنسية ويعتادون على تقاليدنا ولغتنا وعندما يعودون إلى مصر يكون لنا منهم حزب ينضم إليه غيرهم».

وهكذا وجدنا كل الدعوات العلمانية: من دعوة إلى القومية العربية لضرب الوحدة الإسلامية وتقطيع أواصر المسلمين، أو دعوة إلى الفرعونية وغيرها من الدعوات المقيتة التي تستهدف استبعاد الإسلام، أو هؤلاء الداعين إلى الكتابة باللغة العامية نكاية في اللغة العربية وعزلاً لها، وبالتالي عزل القرآن الكريم عن الواقع حتى يضحى كل تراثنا طلاسم عن أبنائنا، يحتاج لمن يترجمه لهم، أو هؤلاء الذين يدرسون في الإسلام ما ليس فيه أو يهيلون التراب على قيمه الثابتة.

كلمة أخيرة

يجب أن نتيقن: أن العلمانية بكل مدارسها وتياراتها ورموزها مشبوهة الارتباطات، مشبوهة الأهداف(١٣)، وكلها تصب في النيل من الإسلام وإبعاد المسلمين عن دينهم، وتحقيق أطماع الأوروبيين وضمان استبقاء نفوذهم في ديار المسلمين، ونهب ثرواتهم، والحيلولة بينهم وبين تحقيق الرقي والرخاء والحياة الآمنة الكريمة.(١٤)

ومن الواجب علينا أن نعلم: أن لليهود دوراً بارزاً في ترسيخ العلمانية، من أجل السيطرة، وذلك من أجل إزالة الحاجز الديني الذي يقف أمام اليهود حائلاً بينهم وبين أمم الأرض.(١٥)

حفظ الله أمتنا الإسلامية من شرور العلمانيين وأذنابهم، وأمن مقدساتنا من بغيهم، وجعل كيدهم في نحرهم، إنه سبحانه على ما يشاء قدير، وهو نعم المولى ونعم النصير. ■

الهوامش:

١ ـ العلمانية ـ النشأة الخبيثة: محمد السيد عامر، ص ٦٤، (مقال منشور بمجلة الوعي الإسلامي: العدد ٣٦٣ ـ ذو القعدة ١٤١٦هـ).

٢ ـ العلمانية... مفهومها ومنشؤها، ونقدها، وبيان موقف الإسلام منها: للدكتور محمد عبدالمنعم العربي، ص٢ وهامشها، «بحث منشور بمجلة كلية اللغة العربية ـ جامعة الأزهر: العدد الخامس عشر، سنة ١٤١٥هـ).

٣ ـ الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة: إعداد الندوة العالمية للشباب الإسلامي بالرياض، ص ٣٦٧، الطبعة الثانية ـ سنة ١٤٠٩هـ.

٤ ـ المرجع السابق: ص٣٧، ٣٧١.

٥ ـ انظر المرجع السابق: ص ٣٧٠، ٣٧١.

٦ ـ المرجع نفسه: ص ٣٧٠، ٣٧١.

٧ ـ المرجع نفسه: ص ٣٧١.

٨ ـ انظر العلمانية: للدكتور محمد عبدالمنعم العربي: ص ٤، ٥.

٩ ـ راجع: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة: ص ٣٦٨.

١٠ ـ انظر: العلمانية: للدكتور محمد عبدالمنعم العربي: ص٥.

١١ ـ المرجع السابق: ص ٦.

١٢ ـ العلمانية... النشأة الخبيثة: ص ٦٤، ٦٥.

١٣ ـ المرجع السابق: ص ٦٥.

١٤ ـ العلمانية: للدكتور محمد عبدالمنعم العربي: ص ١١.

١٥ ـ الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة: ص٣٧١.

بقلم : د. خالص جلبي



الانقلاب الكوني

كان عام ١٥٩٣م عام العجائب(١) ففيه حصل أعظم زلزال عقلي في التاريخ الحديث، مشكلا العالم الحالي الذي ننتسب إليه، حيث تم اختراق المستحيل، والمجهول، والمسلم به، فأصبح المستحيل ممكنا ومفيدا، والمجهول معروفا ونافعا، والمسلم به عائقا يجب تجاوزه والتحرر منه!!

ما الذي حصل في هذه الحقبة القصيرة ما بين العقد الثاني والخامس من القرن السادس عشر الميلادي؟؟.

لقد تم اختراق ثلاث فضاءات جديدة للمعرفة الإنسانية، قلبت التصور الإنساني السائد، ودفعت حركة التاريخ باتجاه جديدة، وكونت العالم الحديث، وباكورة النهضة الغربية.

إنها ثلاث رحلات: الأولى في الجغرافيا، والثانية في البايولوجيا في جسم الإنسان، والثالثة في الفلك.

في الوقت الذي كان فيه ماجلان في العشرين من سبتمبر أيلول من عام ١٥١٩م يشق فيه طريقه عبر «صحاري» المحيطات المائية اللانهائية، كانت هناك مغامرات أخرى من نوع مختلف لارتياد مجاهيل جديدة، في القبة السماوية فوق رؤوسنا، في الكون الكبير، وفي أبداننا التي نحملها كل يوم، في مستوى العالم الصغير.

وفي عام ١٥٤٣م، تم صدور كتابين يعتبر كل واحد منهما ثورة في اتجاهه، الأول هو كتاب كوبرنيكوس في «دورات الأجسام السماوية»، والثاني هو «تركيب الجسم البشري» للمشرح فيساليوس، وبذلك وضعت خرائط جديدة لسطح الأرض، والجسم الإنساني، والفلك.

في الوقت الذي كان فيه ماجلان يعبر بحر الظلمات «الاتلانتيك»، ثم يلتف حول أمريكا الجنوبية عند رأسها السفلي ليصل إلى المحيط الهادئ «الباسفيك»، ليصل بعدها إلى جزر الفلبين، ويثبت بذلك ـ وعملياً ـ كروية الأرض، ويرسم بذلك خريطة جديدة للكرة الأرضية، كانت خريطة السماء تتغير شيئاً فشيئاً ليتشكل كون جديد وعالم مستحدث على يد كوبرنيكوس، كما أن بدن الإنسان بدا وتحت مبضع المشرحين الجدد يتم الكشف فيه عن بديع خلق الله.

بهذه الاختراقات الثلاث تغيرت صورة العالم بشكل جذري، فلم تعد السماء تلك السماء التي نحدق النظر إليها، كما لم تعد الأرض تلك الأرض التي نطأها بأقدامنا، كما لم يعد الجسم ذلك الشكل البسيط الذي نظنه، بل أصبح أشبه بماكينة هائلة التعقيد (وهو ليس كذلك!!).

ولكن كيف حدث هذا ودفعة واحدة؟؟

كيف نمت روح المغامرة عند ماجلان فهداه تفكيره أن يصل للشرق بواسطة الإبحار غرباً؟؟ كيف تجرأ فيساليوس أن يضع جلد الإنسان تحت المبضع؟؟ ويطرح السؤال الحيوي عن مصير الدم الذي ينطلق من القلب، أين مصيره؟ وكيف يتسنى له الرجوع إلى القلب مرة أخرى؟ وليس هناك من اتصال بين الشرايين والأوردة؟

كيف استطاع كوبرنيكوس أن يخالف الكنيسة بكل ضغطها الرهيب، وتعليماتها الوثوقية الدوغمائية، ليقول إن الأرض ليست بعد اليوم مركز الكون، بل هي تابع بسيط يدور حول الشمس من أصل تسع كواكب؟؟ ومنظر العين يقول إن الشمس هي التي تدور؟ بل وكيف يمكن التخلص من ضغط مسلَّمات بطليموس التي أصبحت أغلالاً في أعناق الناس فهي إلى الأذقان فهم مقمحون!!



ذلك أن بطليموس كان يرى أن الأرض لو مشت ودارت حول محورها ولم تكن ثابتة لطارت الأشياء من فوقها!! أو إذا قذفت بشيء إلى السماء لم يعد إلى مكانه الذي انطلق منه، حيث غادره من تحته بحركته!!

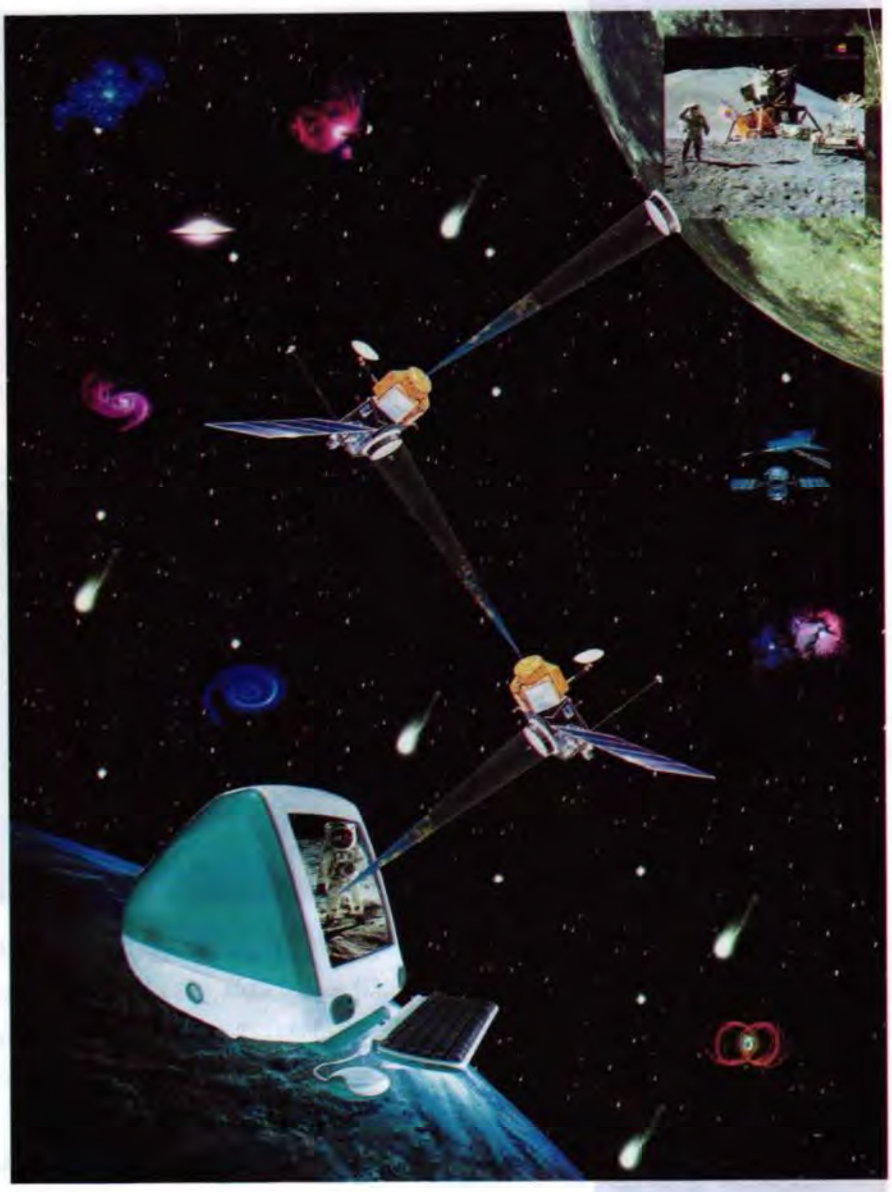
هل الوصول إلى أرض «التوابل» هو الذي حرك ماجلان ليقوم بهذه الرحلة التي استغرقت ثلاث سنوات، يقتل فيها ماجلان نفسه في جزيرة صغيرة في الفلبين، وليرجع من أصل ٢٦٥ بحاراً (١٨) فقط، ومن السفن الخمس سفينة واحدة هي «فيكتوريا» أصغر السفن حجماً، وأحقرها شأناً، وأضعفها تسليحاً وتموينا؟؟(٢).

ما الذي دفع كوبرنيكوس إلى هذا المركب الوعر ليقول بفكرة تُعتبر لإناس ذلك اليوم شيئاً إداً، وأمراً عظيماً منكراً؟؟

ما الذي حمل فيزاليوس على شطب آراء أرسطو وجالينوس وأبقراط في الطب، بل يقول إنه مصاب بالدهشة لاستنتاجات جاليونس التي توحي أنه لم يشرِّح جثث الآدميين مطلقاً؟؟(٣)، لماذا تحدث مثل هذه الانفجارات الاجتماعية، والزلازل العقلية، والتحولات النوعية في وقت قصير متقارب؟؟

وحتى يمكن تصور القفزة النوعية للفكر الجديد، من خلال سيطرة الفكر اليوناني السابق الذي بلغ من الشمول والسيطرة على العقول درجة أن أستاذ فيزاليوس نفسه اعتبر تفكيره وقحاً ومعتدياً على آراء القدامى، ومن أجل تطويق الفكر الجديد الذي يفقأ العين

جيوردانو برونو وتحت سحر «التأمل الإبراهيمي» للكون قال : إن الشمس لا تمثل شيئاً من هذا الكون الفسيح الممتد



بحقائق الواقع، وللمحافظة على قدسية جالينوس فقد اعتبروا أن جالينوس لم يكن مخطئاً أبداً في التشريح، ولكن جسم الإنسان هو الذي اعتراه التغير(٤)؟؟

وحتى يمكن معرفة ضغط الفكر الذي كان سائداً في تلك الأوساط، فيكفي أن نعرف مصير جيوردانو برونو، الذي دُشن مطلع القرن السابع عشر بإحراقه حياً في ١٧ من فبراير من عام ١٦٠٠م، وكانت جريمته التي أحرق من أجلها بعد إذلال طويل ومعاناة نفسية مرعبة في سجون ومحاكم التفتيش في إيطاليا لمدة ثماني سنوات (١٥٩٣م - ١٦٠٠م) شيء نضحك له هذه الأيام، فقد اعتبر أن ما جاء به كوبرنيكوس محدوداً ناقصاً، واعتبر أن الشمس ليست مركز الكون كما تصور كوبرنيكوس، صحيح إنه وافق كوبرنيكوس أن الأرض تدور حول الشمس، وهي ما تعتبر لوحدها هرطقة تلك الأيام، ولكنه أضاف أن شمسنا ليست أكثر من كوكب من مجموعات لانهائية من الكواكب التي تشكل عوالم أخرى غير عالمنا، ففكرة العوالم الأخرى التي ثبت عندها ولم يتراجع كلفته الحرق حياً، ويبقى أن نضيف

نمت روح المغامرة عند ماجلان فهداه تفكيره أن يصل للشرق بواسطة الإبحار غرباً ؟؟

هنا أن الكوسمولوجيا الكونية اليوم ترى أن الشمس التي نعيش حولها هي كوكب في ركن مجرتنا «الطريق اللبني» وليست في مركز المجرة، ويوجد في مجرتنا نحو مائة مليار نجم مثل شمسنا التي ندور حولها، وأما مجرتنا الحبيبة فهي أيضاً تنتسب إلى عالم المجرات التي يبلغ عدد المجرات فيه نحو مائة مليار مجرة، وليس هذا فقط، بل الكون الذي نعيش فيه يبلغ من العمر نحو عشرين مليار سنة، وهو يتمدد منذ ذلك الوقت من دون توقف، مثل البالونة التي تنتفخ نحو مصير مجهول لم يستطع العلماء الكونيون الكشف عن سر توجهه الأكيد حتى الآن (لا يجليها لوقتها إلا هو)، فأين مجمع الكرادلة الذي أدان جيوردانو برونو وطالب بإحراقه، والذين خاطبهم برونو بقوله: «ربما كنتم يا من نطقتم الحكم بإعدامي أشد جزعاً وخشية مني أنا الذي تلقيته» ليطلع على هذه المعلومات الجديدة المثيرة (هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزاً).

إن جيوردانو برونو وتحت سحر «التأمل الإبراهيمي» للكون فقال إن الشمس لا تمثل شيئاً من هذا الكون الفسيح المتد، من مجموعات شمسية لا يحصيها العدد، ولا ينفذ إليها البصر، ولا يصل إليها خيال، تأمل معي هذه الفقرة من كلامه التي كلفته حياته وهو في الثانية والخمسين من العمر: (هناك في الطبيعة أضداد، وقوى متعارضة، ومتناقضات، ولكن بعمل الكون بأسره بمشيئة الله تتوافق كل المتضادات وتختفي، ووراء التنوع المحير الساحر في الطبيعة توجد هناك وحدة أروع وأشد عجباً، تظهر في كل الأجزاء وكأنها أعضاء في كائن واحد، إنها وحدة تسحرني، فأنا بقوة هذه الوحدة حر ولو كنت مستبعداً، سعيد في غمرة الحزن، غني في حمأة الفقر، حيٌّ حتى في الموت»(٥).

إن الذي أطلق العقل الأوروبي بعد فترة التخمر من الفكر العربي الإسلامي واليوناني لمدة قرنين، هو التخلص من المسلمات العقلية، والعادات الفكرية، التي تشل التفكير وتمنع الإبداع، وإيجاد الحلول للمشاكل، بالسرعة المثلى، والمردود الأقصى.

إن الذي حرض «كوبرنيكوس» ومن بعده «تيكوبراهي» و«كبلر» و«جاليلو» للوصول إلى تأمل جديد للكون هو التخلص من ضغط المسلمات السابقة على العقل، حتى يعمل العقل بشكل حر واستقلالي، وللوصول إلى تفسير أكثر شمولاً، وأعظم دقة، وأقرب للصحة، وأنفع واقعية.

إن هذه العقدة «عقدة الآبائية، والإرهاب الفكري، والوصاية على العقول، واحتكار الفهم النهائي والمطلق لكل شيء، وادعاء القنص والقبض على الحقيقة الحقيقية المطلقة، والاتهام بالزندقة والهرطقة لكل من يختلف في التأويل، والفهم المضاد، والتي يجب أن تعتبر على العكس رحمة لتنمية جو البحث العلمي، إذ لا نمو

من دون خلاف، ولا تألق من دون تفاعل، ولا إنجاز مدهش من دون حوار عقلاني خصب»، هي أم الأمراض، وانتبه الإمام ابن تيمية إلى أن العلماء يخطئ بعضهم بعضاً عند الخلاف، في حين أن المبتدعة يكفر بعضهم بعضاً.

من هنا تأتي أهمية ممارسة النقد الذاتي لأفكارنا من دون توقف، وبإصرار ومن دون ملل ولا رحمة، لأن قوانين الكون أعوص وأعقد مما نتصور، وكل ما نحصله من الكون هو في الواقع صوراً ذهنية لا أكثر، كما حصل مع جيل ما قبل كوبرنيكوس الذين استرخوا على ظهورهم في كرة أرضية ثابتة هي مركز الكون وكل الكون يدور حول هذا الكوكب التافه (نسبة للكون).

وعندما لجأ فيساليوس إلى «الواقع العملي الذي يزكيه القرآن دوماً، أفلا ينظرون إلى الإبل... السماء... الجبال... الأرض» ليرى طبيعة الجسم كما هو في الواقع (وفي أنفسكم)، اكتشف أن كل الفكر اليوناني كان يتكلم من الكتب والورق، من دون الاتصال بالواقع، بما فيهم أسماء كبيرة من أمثال «جالينوس وأبقراط الذي يكلف الأطباء في العادة بترديد قسمه في أثناء التخرج»، هذه الأسماء الكبيرة لجمت الحركة العلمية حين خرجت من إطارها أنها كائنات تاريخية محددة إلى حقائق كونية ثابتة لذا كان لابد من كسر هذه الأصنام ليتحرك العقل، وصدق الفيلسوف الإسلامي حين قال: «تلون في كل حال مناة.... شاب بنو الدهر وهي فتاة».

وإليك هذه القصة في هذا الصدد:

يروى أن شاحنة كبيرة مرتفعة مرت تحت جسر لا يلائم ارتفاعها، فانحبست تحت الجسر، واجتمع العديد من الناس لمحاولة شدها للخلف أو دفعها للأمام عبثاً، وهي تزداد استعصاءً، وكان طفل صغير يراقب المنظر فتقدم إلى رجل البوليس الذي يشرف على عملية الإنقاذ الصعبة قائلاً: هل تسمح لي يا سيد بالمشاركة؟ فحياه الشرطي مبتسماً من فضوله وجرأته: نعم هل عندك شيء. فقال الصبي: فرِّغوا الإطارات من الهواء فتنخفض السيارة الشاحنة عن مستوى الجسر فتمشي بأي اتجه ترغبون!!

هذه القصة المعبرة تروي بشكل جوهري مشكلة العادات العقلية وضغطها على مسارات الفكر، فالحل الذي انقدح في ذهن الطفل الصغير، بسرعة وبشكل عفوي، سببه هو حرية الحركة العقلية نوعاً ما، وروح الفضول والسؤال، والدهشة، والفكر بدون قيود، وعدم التقيد بالعادات العقلية، التي سُجن في إطارها الآخرون، واستقبال الأحداث من دون قرارات مسبقة، حيث إن كل حادثة هي واقع مستقل قائم بذاته، كل هذا وغيره يقود العقل إلى عمل عقلي إبداعي، كما أن القصة تعطينا العظة من تشجيع الرأي من أي مستوى صدر، ومن أي عمر جاء، لذا فإنني أحياناً أقرأ مقالتي هذه على ابنتي الصغيرة في المرحلة الابتدائية، لشعوري أن الأطفال أذكى مما نتصور، لأنهم يفكرون بانطلاق، وعفوية، وحدة ذهن، وذكاء نشيط خلاب، ودماغ لا يشكو من تصلب في الشرايين؟!

وهكذا، فعندما سمح الشرطي للطفل بإبداء رأيه أراحهم من ورطة كبيرة بفكرة مبدعة جديدة، فالقصة تروي أن المشاكل الكبيرة يمكن حلها بأفكار صغيرة، وهذا يقودنا إلى بحث العقل والنقل، التقليد والإبداع، الاجتهاد والمتابعة، بين احترام رأي الآباء والمجتمع وانتقادها، لقد وضع القرآن علاقة جميلة بين الاقتفاء والاتباع فلا اقتفاء من دون علم (ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل ذلك كان عنه مسؤولاً) الإسراء:٣٦.

وكانت حجة فرعون في نقاشه مع موسى أيضاً: هل خفي ما تقول على آبائنا الأولين (فما بال القرون الأولى)؟!، في حين أن الحجة الإبراهيمية كانت: هل ينفعونكم أو يضرون؟ وكان جوابهم: بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون!! ■

بدن الإنسان تحت مبضع المشرحين الجدد كشف عن بديع خلق الله

المراجع:

١ - كتاب قصة الحضارة - تأليف ويل ديورانت - طبع الإدارة الثقافية في جامعة الدول العربية - الجزء ٢٧ - الفصل السابع والثلاثون ص ١١٤، بحث العلم في عصر كوبرنيق، تحت فصل السحر والتنجيم جاء ما يلي: «إن الحقائق الجديرة بالملاحظة أن هذا العهد الذي استغرقه اللاهوت والثقافة المدرسية قد أنجب رجلين لهما أرفع مقام في تاريخ العالم كوبرنيق وفيزاليوس، ومن العجيب أن الكتب التي احتوت عصارة حياتهما قد ظهرت في سنة واحدة هي سنة العجائب ١٥٤٣م.

٢ - راجع القصة المثيرة الوثائقية بعنوان ماجلان قاهر البحار - تأليف ستيفان زفايج - ترجمة حبيب جاماتي نشر مختارات الإذاعة والتلفاز - الكتاب الماسي - الدار القومية للطباعة والنشر.

٣ - قصة الحضارة - ويل ديورانت - مجلد ٢٧ - ص١٥٢: «وقد أدهشت أخطاء ندت عن جالينوس وكانت خليقة بأن يدحضها أبسط تشريح لجسم الإنسان كقوله مثلاً: إن الفك السفلي قسمان، وأن القص سبع عظام متميزة، والكبد عدة فصوص، وما كان ممكناً تعليل هذه الأخطاء واغتفارها إلا على فرض أن جالينوس لم يشرح قط آدميين بل حيوانات، وشعر فيساليوس أنه قد حان الوقت لمراجعة علم تشريح الإنسان بتشريح الآدميين وهكذا أعد أعظم كتبه».

٤ - قصة الحضارة - ويل ديورانت - الجزء ٢٧ - ص ١٥٤: «قال دوبوا إن جالينوس لم يخطئ، ولكن جسم الإنسان اعتراه التغير منذ عهد جالينوس، وعلى ذلك فعظام الفخذين الواضحة الاستقامة، والتي ليست مقوسة كما وصفها جاليونس إنما هي في رأيه نتيجة لارتداء أوروبي عصر النهضة سراويل ضيقة».

٥ - قصة الحضارة - ويل ديورانت - الجزء ٣٠ - ص٢٩٦.

بقلم : د. حسن عزوزي

من أجل تكريس مفهوم «تعارف الحضارات»

يعتبر عنصر التلاقي والتفاهم بين الحضارات والثقافات أمراً طبيعياً في مسيرة الفكر الحضاري الإنساني، ويشكل التفاهم والتعايش أبرز المبادئ التي تحكمت في التقاء الحضارات وتلاقحها عبر التاريخ، وإذا حدث أن كانت هناك صدامات بين الحضارات، فإنما كان ذلك أمراً شاذاً يرجع إلى اعتبارات مصلحية أملتها ظروف شخصية أو قومية أو إثنية، أثرت بشكل سلبي على مبدأ التعارف الإنساني بين الشعوب والحضارات.

إن على أبناء الحضارات والثقافات أن يتعاملوا فيما بينهم على أساس الانتماء إلى أسرة إنسانية مشتركة، تتفاعل في إطارها مختلف الروابط الحضارية بين الأمم والشعوب، وهذا الأمر كفيل بنزع فتيل الأحقاد والكراهيات والعصبيات التي طالما أنهكت الإنسانية برمتها بفعل الحروب المدمِّرة والصراعات المنهكة التي أثرت بشكل كبير على مستوى التقارب بين الحضارات والشعوب حتى أمست متنافرة متباعدة.

فالتعارف كمبدأ إنساني حضاري سام له أكبر الدور في منع النزاعات والصراعات، فهو يُقرِّب الأفكار والمسافات وينسج أواصر التعاون والتفاهم ويهدف إلى بناء أسس حوار حضاري مثمر وبناء، إنه المبدأ الذي دعا القرآن الكريم إليه بشكل صريح في قوله تعالى: (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير).

إن المبدأ القرآني في الدعوة إلى التعارف بين الشعوب والحضارات يهدف إلى تجاوز المصالح النفعية المحكومة بالأبعاد والميكانيزمات السياسية والاقتصادية، ويرمي أيضاً إلى استبعاد وإقصاء المعايير القومية الضيقة في التفاضل بالأعراق والأنساب واللغات، لكن بالمقابل لابُد من اعتبار الأسس الاجتماعية والأخلاقية القائمة على منظومة القيم والآداب لأنها الوحيدة الكفيلة باستمرار وتقوية أواصر ووشائج التقارب والتفاهم، ثم التعارف، فهي قواعد في التفكير والسلوك «يحكمها الضمير الإنساني السليم ويتفق على نظامها العام كل من كان سوياً رشيداً».

لقد راجت مصطلحات «حوار الحضارات» و«لقاء الحضارات» و«وحدة الحضارات» بشكل كبير في العقود الأخيرة، لكنها جميعاً من إنضاج الفكر الغربي الذي يفرض كل مرة، وحين من الأفكار والشعارات ما يناسب وضعه الاستراتيجي والأيديولوجي في إطار الحضارة الغربية التي تجد نفسها دوماً في تنافس وعداوة مع حضارات أخرى شرقية بالخصوص وإسلامية على وجه أخص.

من هنا كان المصطلح القرآني القاضي بضرورة التعارف بين الشعوب والقبائل، وبالتالي بين الحضارات والثقافات والذي يهدف إلى غايات أنبل ومقاصد أوسع، ذلك أنه إن لم يكن هناك تعارف، فلن يكون هناك حوار ولا تفاهم، فالتعارف ينجم عنه دوماً حوار هادئ وتعاون دائم، أما الحوار الذي يباشر بشكل مفاجئ فلا يعني بالضرورة حصول تعارف بين الأطراف، فكم من لقاءات حوارية أجريت إن على المستوى السياسي أو الديني لكنها جاءت بالفشل لأن جميع أطرافها الذين أخذوا مكانهم حول مائدة الحوار لم ينسجوا أواصر التعارف والتواصل من قبل، فلبث كل طرف جاهلاً للطرف الآخر.

إن للتعارف دوراً كبيراً في الحيلولة دون وقوع النزاع أو الصدام بين الحضارات، وهو يكفل نسبة كبيرة من نجاح لقاءات التفاهم والنقاش والتواصل، لأنه يرمي إلى تأصيل مفهوم الأسرة الإنسانية الواحدة ذات الأصل الإنساني الواحد، وهو مفهوم رمت إليه الآية القرآنية عندما دعت الناس جميعاً إلى التأمل في الأصل الإنساني الذي هو من ذكر وأنثى، وإلى التفكير في دعم أسس التعارف والتفاهم بين مختلف الشعوب والحضارات في إطار الجماعة الإنسانية الواحدة التي قد تختلف مشاربها الدينية والإثنية والحضارية لكنها تتعامل فيما بينها بمنطق الأسرة الوحدة ذات الأصل الواحد.

وإذا كانت الدعوة إلى حوار الحضارات التي تعتبر من الخصائص المميزة للعقود الأخيرة من هذا القرن، لم تؤتِ أُكلها الكامل، ولم تنجُم عنها نتائج ملموسة وواقعية على كافة المستويات، فإنما ذلك راجع بالأساس إلى عدم اكتشاف خصائص ومميزات وقيم الحضارات الأخرى، وخاصة من جانب الحضارة الغربية التي ما فتئت تضمر العداوة وحب السيطرة والتنافس تجاه الحضارةالأخرى، غير مكترثة بما تكتنزه تلك الحضارات من قيم ومُثُل وعناصر القوة الاستمرارية، ولعل هذا ما جعل الغري يُروج في الآونة الأخيرة لمقولة «صدام

الحضارات»، لأنه أكثر توجساً وتخوفاً من شبح التصادم الذي يدفع به إلى الإحساس ببعض المخاوف وهو يستشعر تقدم وصعود بعض الحضارات وخاصة منها الحضارة الإسلامية التي أخذت تقلق راحة الساسة الغربيين وتقض مضاجعهم بعدما أمست تشكل قوة حضارية كبيرة ما فتئت تتغلغل داخل الكيان الغربي جغرافياً ودينياً وثقافياً.

لذا وجب التأكيد مرة أخرى على أن أهم سبب جعل الحضارة الغربية تعادي وتناوئ الإسلام وحضارته هو جهل أبناء تلك الحضارة بمقومات الإسلام الحضارية ومثله العليا وروحه السمحة ودعوته السلمية.

إن الغرب لـمَّا يتعرف بعد على حقيقة الحضارة والديانة الإسلامية فهو يجهل عنهما كل شيء ولا تنطبع في مخيِّلته سوى مدلولات سلبية موغلة في التحامل والقدح والكراهية، فالإسلام في نظر الغرب متخلف يدعو إلى العنف، غير منفتح، ولا يستطيع مواكبة التطورات والمستجدات الحديثة، وهو بالتالي غير جدير بإدراجه في المنظومة الحضارية الإنسانية العالمية، وهكذا قلما نجد في صفوف الغربيين عقلاء ومنصفين يعون جيداً حقيقة الحضارة الإسلامية ورسالة الإسلام العالمية المنفتحة على كل الثقافات والشعوب والداعية إلى السلم والسلام، والأمن والأمان، وتبقى أصوات هؤلاء المنصفين خافتة لا تتجاوز آفاق معينة ومحدودة لتترك المجال أمام أبواق الآلة الإعلامية الغربية الرهيبة تقدح في الإسلام وحضارته وترميه بأبشع الصفات والنعوت، وتقذفه بشتى الإسقاطات والمصطلحات القدحية.

إن الغرب لم يُتح لنفسه الفرصة الكاملة للتعرف على الإسلام ديناً وحضارة والتعارف مع المسلمين شعوباً وقبائل وثقافات وذلك لكي يعي حقيقة هذا الدين وبعده التام عن نية إدخال العالم في أي صراع أو صدام كما يحلو لكثير من المحللين السياسيين الغربيين الترويج له.

إننا نستغرب حرص الغرب والدوائر الكنسية على عقد لقاءات الحوار والنقاش بين المسلمين والنصارى دون سابق وعي من الطرف الآخر بمدى تمثله لحقيقة الدين الإسلامي وحضارته، وهذا ما يجعل عقلاءهم - في لقاءات حوارية متعددة - يعترفون في كثير من الأحيان، عندما تتبين لهم حقائق الأمور بأنهم يجهلون الشيء الكثير عن حضارة الإسلام وقيمه، مما يستلزمهم التعرف أكثر على مبادئ الإسلام الصحيحة وتعاليمه الروحية وحضارته الإنسانية القيمة.

إن الغربيين باتوا يجهلون عن الإسلام أبسط مبادئه وأدنى مرتكزاته الحضارية، من هنا جاءت ضرورة تعرف الطرف الآخر على منظومة الإسلام وحضارته في أزهى صورها وأنصعها وذلك قصد تمهيد السبيل للحوار والتلاقي والتفاهم، فالتعارف أساس وشرط كل مبادرة للحوار، إذ من مستلزمات وشرائط نجاح ملتقيات الحوار التعارف مسبقاً واطلاع كل طرف على ما تختزنه حضارة الآخر في كل أبعادها الدينية والثقافية والفكرية قصد استيعابها وتمثلها جيداً من أجل الاتفاق على مواطن ونقاط التلاقي، وبالتالي مناقشة وتداول مواطن ونقاط الاختلاف.

من جهة أخرى، يظهر لنا من خلال صورة الإسلام المشوهة والكاريكاتورية التي يعمل الغرب على تمييعها ونشرها عبر مختلف وسائل الإعلام سوء الفهم العميق لمعالم الدين الإسلامي وحضارته وقلة المعرفة بحقائقه ومبادئه، وإن كنا لا ننكر أن الغرب ينهج في ذلك أحياناً منهج تعمد سوى الفهم وتبييت سوء النية.

إن دعوة الإسلام إلى التعارف والتواصل والانفتاح على الثقافات والحضارات الأخرى ومد الجسور معها يهدف إلى إزالة كل الأحقاد والعصبيات ومحو كل أشكال العنصرية والكراهية ونزع بذور النزاعات والصراعات، مما يكفل فتح المجال الواسع للتفاهم والتحاور، خاصة أن القرن المقبل الذي سيكون لا محالة عصر ثورة المعلومات والتقدم المذهل في وسائل الاتصال سوف يجعل العالم قرية كونية صغيرة، من المفترض أن يتعارف سكانها يفتحوا نوافذ التفاهم والتقارب.

وإذا كان الجميع ينساق بوعي ومن دون وعي وراء مصطلحات الحوار والتفاهم في ثوبها الغربي، فإن مضامينها ومدلولاتها وأبعادها وكذا ما ترمي إليه وفق ما يهدف إليه منظروها الغربيون يكاد ينطلي على كثير من فئات الناس، فتجد أن حوار الحضارات لا يكاد يفهم إلا حسب المفهوم الغربي وعلى أساس شروط الاستراتيجيين الغربيين أيضاً، فهم الذين يدعون إلى إقامة نوع الحوار المنشور وهم الذين يشترطون شرائطه ويضعون أسسه وأهدافه، ولعل هذا ما جعل قضية «حوار الحضارات» وفق المنظور الغربي تتطور وتساهم في تكوين إحدى دعائم ومقومات نظام العولمة الذي وإن كان يبدو لنا يرمي إلى ترسيخ مرتكزات الهيمنة الغربية على الشعوب الأخرى، فإن بريقه الخادع يوهمنا بوجود نوع من التعاون والانفتاح والتقارب والحوار بين الشعوب والحضارات خاصة إذا علمنا أن المفهوم الساذج للعولمة والذي يُروج له بشكل شائع يعني تقريب الشقة بين أبناء الدنيا وإزالة الحواجز والحدود أمام العلاقات والروابط السياسية والاقتصادية والثقافية على أساس من التعاون والحوار.

إننا بالتالي نكاد نجزم بأن مصطلح «الحوار بين الحضارات» يكاد يفرغ من مضمونه ومحتواه الصحيح لأنه لا يقوم في أغلب الأحيان على أساس من التعارف المسبق الكفيل بانفتاح كل طرف على الآخر، كما لا يقوم أيضاً على أساس من «احترام الخصوصيات الدينية والثقافية»، لكل الحضارات والشعوب وذلك باستبعاد أي محاولة هيمنة فكرية كانت أو اقتصادية من أي جهة تريد فرض قطبية أحادية الجانب تسعى من خلالها إلى استغلال واحتكار عولمة كاسحة، إنه باحترام هذه الشروط، يمكن فتح نوافذ التعارف بهدف تقريب الشقة بين مختلف الحضارات وجعلها ينفتح بعضها على بعض في سعي حثيث نحو تلاقح متميز وتفاهم مفيد مثاقفة مجدية وفعالة، كل ذلك مع الاعتراف بوجود مساحات الاختلاف بين جميع الحضارات والأديان وتمتع كل واحدة بخصوصياتها ومميزاتها مما لا يسمح بأدنى محاولات التذويب أو الانصهار، وهنا نود التنبيه إلى أن مفهوم «تعارف الحضارات» كما نرمي إليه لا يسمح بأدنى محاولات الاختراق الدينية ولا يهدف بتاتاً إلى التقاء الديانات السماوية تبعاً لالتقاء الحضارات كما تدعو إلى ذلك بعض التيارات الفكرية والدينية التي تسعى إلى صهر وإذابة مقومات الديانات السماوية الثلاث في بوتقة واحدة وضمن قالب واحد يحلو لزمرة منهم إرجاعه إلى ميراث إبراهيمي واحد.

ختاماً: نرى أنه لا قيمة للحديث عن حوار الحضارات والأديان إذا لم يَسعَ أتباعُ كل حضارة أو دين إلى التعرف أكثر على الحضارات الأخرى، وفهم مكوناتها واستيعاب قيمها ومُثلها قصد تصحيح المفاهيم الخاطئة والمغلوطة التي تكون قد تكونت بفعل ظروف وعوامل تاريخية وأيديولوجية معينة، ومن هنا نرى أن من أكبر أسباب عدم نجاح كثير من لقاءات الحوار التي تعقد بين الفينة والأخرى بين الجانب الإسلامي والجانب النصراني كون هذا الأخير لم يستطع حتى الآن تمثُّل قيمة الإسلام الحضارية وسمو مبادئه وتعاليمه الروحية التي تدعو إلى قيم السلم والأمن والسلام والتسامح مع الذات ومع الآخر. ■

بقلم: عطية فتحي الويشي

هانتنجتون وقضية التزاوج الحضاري

اعتاد البروفيسور صومييل هانتنجتون أن يصوغ أفكاره حول تصادم الحضارات: بدهاء شديد ففي إحدى صياغاته عن قضية التزاوج الحضاري: يستلفت أنظار الغرب تجاه مشاريع النهضة الحضارية لأمم وشعوب أخرى من أرض الله... فهو يحذر المؤسسات المعنية ـ بصفة خاصة ـ من الرباط الإسلامي الكونفوشيوسي، ملمحاً إلى أنه بمثابة التحدي الأكبر لمصالح وقيم وقوة الغرب... فيقول: «إن الارتباط العسكري بين التحالف الكونفوشيوسي والإسلامي هو شكل جديد من سباق التسلح بين الدول الغربية وبين الدول الكونونفوشيوسية والإسلامية، للوصول إلى الهيمنة والتفوق على الآخر... ولذلك من مصلحة الغرب أن يتحد من خلال حضارته، خاصة عن طريق التعاون بين أوروبا وشمال أمريكا حتى يستطيع التغلغل العسكري إلى أوروبا الشرقية وأمريكا اللاتينية لتقارب ثقافتهما من الغرب... ولكي يتسنى للغرب الحد من التوسع العسكري للتحالف الكونوفشيوسي الإسلامي، فعليه أن يساعد الحضارات المتحالفة مع القيم والمصالح الغربية...»أهـ.

قلت: لعله قد استقر لدينا بما لا يدع مجالاً للشك: أن الدين هو مداد رقم الهويات الحضارية للأمم على اختلافها، ومن ثم نفطن إلى امتناع تحقق أي من أشكال الترابط أو التداخل الحضاري بين الإسلام والكونفوشيوسية، رداً إلى تباين معتقداتهما الدينية، وتوابعها الثقافية والتاريخية.

ولا ندري كيف تجاهل السيد هانتنجتون حقيقة طويلة من الصراع الحضاري لم تزل ناره مستعرة عند حدود الإسلام الشرقية مع الصين الكونفوشيوسية في إقليم تركستان الشرقية ـ سنكيانج ـ المسلم، الذي تمد حساسيته وردود أفعاله إلى عمق آسيا الوسطى والعالم الإسلامي كله.

وبالمقابل ليس بوسعنا إنكار بعض الصور البارزة للترابط بين حضارتين مختلفتين... وذلك الترابط إنما يأخذ ـ في الحقيقة ـ بعدين أساسين في ضوء اعتبارات متعددة، نرى تبيانها من الأهمية بمكان كبير:

البعد الأول

ترابط منفعة، وينشأ ـ كنتيجة طبيعية ـ عن شعور مشترك تجاه خطر ما، بغض النظر عن حقيقة هذا الخطر، ومبررات الشعور به... وسنضرب لذلك مثالين:

١ ـ الرباط الصهيوهندوسي: ذلك الذي ارتبط بغايات مشتركة، ووسائل متشابهة.. «وكلما تابع المرء أقوال زعماء الأحزاب الهندية المختلفة يراها كلها مقتنعة بلزوم تدعيم الصداقة مع إسرائيل، ويرى أن هذا الشعور قد اكتسى لباس العقيدة»(١)، وإنني لأجد جواباً مقدماً على لسان أحد زعماء الهند بشأن قضية ربما عنَّ لأحدنا السؤال بصددها: وهو ما يتصل بحقيقة العلاقات الهندية ـ العربية... يقول مستر كامات أمام البرلمان الهندي في إحدى اجتماعاته التاريخية... «إن سياسة الهند نحو العرب ليست منبعثة من حبنا للعرب، بل من اعتبارات سياسية لخداع العرب»(٢)

وما بين اليهود والهنود علاقة أبجدية من «الود»! وقواسم أخلاقية مشتركة، أفقدت أي علاقة بين العرب والهنود مصداقيتها، فالهندوس لا يغيب عن خواطرهم ارتباط كشمير وقضايا المسلمين في الهند بتاريخ وحضارة العرب والمسلمين، كما أن القادة الهنود يزعمون على الدوام بأن: «الهند لا تدين للدول العربية بشيء، وسوف نستمر على الاحتفال بذكرى استقلال إسرائيل» ويضيف آخر: «هذا وليكن معلوماً فإن الأحزاب الهندية قد تختلف كثيراً بشأن الكثير من القضايا السياسية والاقتصادية، ولكنها تتفق كلها وتتوحد حينما يعرض عليها أمر يتعلق بالديانة الهندوسية، وكل هذه الأحزاب تؤمن إيماناً راسخاً بالقومية الهندوسية وإن عداءها التاريخي للعالم الإسلامي عامة ولمسلمي القارة الهندية خاصة يجعل الهنادكة يشعرون بغبطة وراحة بالتعاون مع عدو آخر للمسلمين ونعني به إسرائيل»(٣).

كما أنه لا ينبغي أن يغيب عن ذاكرتنا قضية الانزعاج السرمدي من جانب اليهود تجاه المشاريع الاستراتيجية الباكستانية لا سيما المشروع النووي رغم التشتت الجغرافي بينهما، فهل للهنود علاقة بهذا القلق اليهودي إزاء باكستان، والذي أخذ في بعض انطباعاته صور التهديد بضربة يهودية أو هندية للمشروع النووي الباكستاني؟ الدراسات والوثائق والمواقف السياسية.. تنطق بنعم، إذ إن طبيعة تلك العلاقة وغيرها تحكمها أساساً: محددات استراتيجية مصيرية كما هو باد للعيان.

٢ ـ الرباط الغربي ـ اليهودي المسيحي: لقد كان للخصومات التاريخية بين اليهود والنصارى، والتي تضرب بجذورها في أعماق التاريخ، منذ أن اعتقد النصارى بأن لليهود في قتل المسيح وصلبه: ضلع كبير... (وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبِّه لهم وما قتلوه يقينا...) النساء:١٥٧.

ولقد كان لتلك الخصومة الثأرية ارتباط وثيق - على امتداد التاريخ الأوروبي قبل الحديث - ببغض اليهود واضطهادهم، وقتلهم بوحي من بابوات أوروبا وأمرائها... مما أكسب اليهود خبرة هائلة في مجال فلسفة التحالف مع الأقوياء.

ولكن الدور الحديث من تاريخ العلاقات بين الطرفين - دور التحديث والعلمانية - شهد تقارباً والتحاماً... الأمر الذي أوحى بتلاشي وزوال ماشاب تلك العلاقة من رواسب تاريخية... ولقد كان وعد بلفور ١٩١٧م بإنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين، بمثابة الصدى الحقيقي لذلك التطور الإيجابي في العلاقات بين اليهود والغرب والذي أثمر بمرور الوقت عن سقوط الخلافة الإسلامية على أيدي ثلة من يهود الدونمة... ثم بعد ذلك قيام الدولة اليهودية على أشلاء أرض فلسطين المسلمة!.

وعلى الرغم من تقييمنا لتلك العلاقة على أنها نفعية، لكن هذا لا يمنع من أن ندفع بها إلى ما هو أعمق من ذلك، فبمقتضى العهد القديم كعنصر أساسي في تكوين الثقافة النصرانية: يمكننا أن نتكهن باحتمال حدوث تزاوج حضاري بين اليهود والنصارى، ولذلك التكهن مؤشرات واضحة، بل قوية أحياناً، ففضلاً عن ظاهرة الصهيونية المسيحية الأرثوذكسية «شهود يهوه» وغيرها من صور ومواقف المحاباة السياسية والاستراتيجية الغربية الراهنة لليهود... نسوق ما جرى بين أروقة المؤتمر السابع للحوار بين ما يسمى بالأديان السماوية، والذي انعقد بمدينة ميلانو الإيطالية، أواسط شهر أيلول ١٩٩٣م... حيث لقي الوفد اليهودي حفاوة بالغة في التصنع... قد أثارت حساسية الوفود المشاركة من مسلمين وغيرهم... ولا سيما بعد استقبال بابا الفاتيكان : «الراب إسرائيل مائير» كبير حاخاما اليهود، إثر قطيعة طويلة تمتد إلى ألفي عام تقريباً، مما ترجم على أنه مصالحة تاريخية...!! وبعدها بشهور اعترف الفاتيكان بالدولة اليهودية بعد أن أعلن عن تبرئة اليهود من دم المسيح عيسى عليه السلام!

ومنذ ذلك الحين وحتى الأسبوع الثالث من شهر مارس ١٩٩٨م، والفاتيكان بصدد إعداد مذكرة تاريخية توضيحية تفسر موقف الكاثوليك مما يسمى بمحرقة اليهود في أفران النازي - الهولوكست، حيث أعلن الفاتيكان رسمياً عن اعتذار الكنيسة الكاثوليكية عن عدم القيام بما يكفي لحماية اليهود من الاضطهاد النازي، واعتبرت أن المسيحيين يتحملون واجباً أخلاقياً لضمان ألا يتكرر أبداً، وأضافت تلك المذكرة: أن الكنيسة الكاثوليكية تطلب الغفران للأخطاء التي ارتكبها أعضاؤها، ووصف رئيس اللجنة الخيرية المكلفة بالعلاقات الدينية مع اليهود والتي أعدت المذكرة، هذا البيان بأنه «توبة وأكثر من اعتذار»!!، ترى ما مغزى تلك المصالحة التاريخية التي تنازل - بمقتضاها - البابا وأشياعه في الأرض عن دم المسيح عليه السلام؟! ألا فلينتبه الغافلون!!

البعد الثاني

وهو ما يتصل بما نسميه ظاهرة التزاوج الحضاري، والتي ترد إلى تمتع حضارة ما بقوة روحية ومادية فائقة... قوة ذات خواص استقطابية وجاذبية ذاتية... بحيث لا تملك حضارات أخرى تجاهها: إلا التمازج بها، والتزاوج معها، والذوبان فيها... فهي حالة من التغاير الجوهري على مسارات الفكر والعقيدة، والقيم والتصورات... وما يرتد عنها من أصداء في مجالات الاجتماع والسياسة والاقتصاد والعسكرية... إلخ، وتلك الظواهر المحورية لا تحدث غالباً إلا مع بواكير دعوات الأنبياء - صلوات الله عليهم أجمعين - وحوارييهم...، وفضلاً عن ذلك فقد كان ثمة تحول روماني مبكر - ولكنه نسبي - إلى المسيحية في عهد قسطنطين الملك - ٢٧٤ : ٣٣٧م - لكن لم تتجلَّ تلك الظاهرة بصورة أكثر دقة وشمولاً واتزاناً: إلا في عصور الفتوحات الإسلامية، والتي رصدت أكثر من حال تزاوج بين الحضارة الإسلامية ومجموعات حضارية مختلفة: مثل الفرس والمغول والتتر والأتراك وغيرها... لتشكل في مجموعها العام: نسيجاً حضارياً واحداً هو الإسلامي.

نرجع إلى فتنة الرباط الكونفوشيوسي الإسلامي التي وضع قسماتها هانتجتون لتأخذ وضعاً استراتيجياً مضاداً للغرب، ومن ثم تتجه إلى ذلك الرباط سهام العداء الغربي المسيحي المغرور، بعد أن أفلح المنظّر في تدبيج صياغة مثيرة وإنفاعلية حول الإسلام، واصطناع موقف غربي متحفز تجاهه... يعمد هانتجتون إلى إقحام الصين - في وضعها الكونفوشيوسي - إلى جانب الإسلام لتضخيم نموذج التحدي المواجه للغرب.

ولعلنا ندرك أن مبررات الحساسية الغربية من حضارة الصين الكنفوشيوسية: لا تنبع في الحقيقة من حسبانها كياناً حضارياً ذا ثوابت ومنطلقات عقدية، كلا، فذلك أمر مستهان كما هو ماثل مع اليابان بالنسبة للغرب، بل تعزى تلك الحساسية إلى أمرين آخرين:

أولاً: أن الصين تمثل معقلاً حصيناً للفلسفة الشيوعية المهذبة المرنة، مما يعد في حقيقته مصدر إزعاج وقلق من نوع ما لدى دوائر الفكر الرأسمالي الغربي.

ثانياً: تنامي حركة النشاط الاقتصادي الصيني لتمتد بخطوات راسخة وجريئة نحو أسواق العالم... والأهم من ذلك: أنها حركة إنسانية عصية على التبعية والاحتواء... وهذا يفسر إلى حد كبير دوافع قرار أمريكا في عام ١٩٩٦م بإبعاد الصين من تحت مظلة رعايتها!

وعموماً: فإن مجرد التعاون بين الصين وبعض الدول العربية والإسلامية.... لا يعني بالضرورة وجود رباط وتكتل حضاري كما يزعم هانتجتون، وإن كنا لا نتجاهل أبداً أن الشعور العام من جانب الصين والمسلمين وغيرهم بالتعالي والغطرسة الغربية... من الدوافع الأساسية لعملية التعاون هذه - إن تمت - لا سيما إذا وضعنا فلسفة التعسف والهضم والانتقاص الغربي تجاهها في الاعتبار.

ولكن ربما كان مبرر حساسية هانتجتون تجاه ذلك الرابط المزعوم متصل بصفقات تجارة السلاح بين الصين وكوريا من جهة وبعض العرب والمسلمين من جهة أخرى، وتلك الحساسية بالطبع ليست لصالح الغرب بقدر ما هي لصالح الكيان الصهيوني الغاصب ذلك الكيان الذي ينخلع قلب هانتجتون، وأترابه من منظري الحركة اليهودية الغربية رهباً عليه كلما كان ثمة تصاعد في مؤشرات أي تنسيق دولي عربي إسلامي - بعيداً عن الغرب - في هذا المجال!! ■

بقلم : مصطفى محمد طه



لم يعد الاهتمام بالمستقبل مجرد ترف ثقافي أو حتى تكهُّن ورجم بالغيب، وإنما أصبح ضرورة ثقافية تحتمها إيقاعات العصر الذي نحيا فيه، ولعل مرجع هذا هو أن دراسة المستقبل أصبحت محاولات علمية جادة تبذل من قِبَل الباحثين لرسم أبعاد صورة حية إلى حد ما لمعالم الغد المنظور واللامنظور الواقع الإنساني على ظهر هذا الكوكب الأرضي، وذلك وفقاً لنسق معرفي يستلهم كل القيم المشعة التي كوَّنت رصيد البشرية الحضاري عبر العصور، ودورات التاريخ المتتالية وذلك حتى يتسنى للبشرية تلافي كل سلبيات الماضي البعيد والحاضر الراهن ومن ثم سيكون المستقبل مشرقاً.

وفي ضوء هذا المنطلق تأتي أهمية دراسة المستقبل برؤية إيمانية سوف تساعدنا على تحقيق الارتقاء الحضاري الشامل لأمتنا الإسلامية في كل مناحي الحياة، ولن يتحقق لنا ذلك إلا بعد التخلص من كل السلبيات التي تراكمت على مدار التاريخ، ومن ثم أسهمت بصورة أو بأخرى في تأخير مسيرتنا عن اللحاق بركب الحضارة الذي يغز في السير الحثيث نحو الأمام دائماً ولا سيما في الجانب التطبيقي مع العلم «التكنولوجيا»، ولذا رأينا الفكر التاريخي يتناغم مع هذه النزعة المستقبلية التي أصبحت ملمحاً بارزاً لجميع مناحي المعرفة البشرية، سواء في جانبها النظري أم التطبيقي، أو إذا شئنا الدقة العلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم الطبيعية البحتة.

رؤية توينبي لمستقبل الحضارة الإسلامية

ومن هنا، يعتبر المؤرخ البريطاني (أرنولد توينبي ١٨٨٩م - ١٩٧٥م) في طليعة فلاسفة التاريخ الذين أولوا دراسة المستقبل الحضاري للبشرية بعامة، ومستقبل حضارتنا الإسلامية بخاصة أهمية قصوى، ولعل أهم ما يضفي نوعاً من الدينامية المفتجرة على المعطيات الفكرية للرجل هو أن أطروحاته في هذا السياق قد جاءت بمثابة دراسة وتحليل لكل التجارب الحضارية المتباينة التي عرفها التاريخ منذ انبثاق فجره وحتى لحظتنا الراهنة.

ولعل هذا الاهتمام راجع إلى أن الحضارة الإسلامية تكاد تكون - بل هي بالفعل - الحضارة الوحيدة التي تمتلك عناصر البقاء في عالم اليوم والغد، وذلك لأن الرسول - ﷺ - هو الرائد الأول لها، وقد جاء إخبار الله عن ذلك في القرآن الكريم: (ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شيء عليماً) الأحزاب:٤٠، كما أنه ﷺ قد بُعث للناس كافة ولم يُبعث للعرب خاصة، كما أوضح هذا القرآن الكريم: (وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً) سبأ:٢٨، (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) الأنبياء:١٠٧، علاوة على ذلك فشريعته السمحاء - ﷺ - قد جمعت رسالات الأنبياء والمرسلين أجمعين - عليهم صلوات الله وسلامه - (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه) الشورى:١٢، وبالتالي فقد تأذّن الله عزَّ وجل بحفظ الشريعة والرسالة - ومن ثم الحضارة الإسلامية - بحفظ القرآن الكريم، مصداقاً لقوله تعالى وهو أصدق القائلين: (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) الحجر:٩، ومن هنا كانت معجزة القرآن العقلية باقية تتحدى الإنس والجن إلى يوم القيامة، وفي الواقع إن كل ذلك يدل دلالة واضحة على أن هذه الرسالة وحضارتها جاءت لتبقى، ومن ثم فقد صُبغت تعاليمها ومعطياتها بصبغة إيمانية (صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ونحن له عابدون) البقرة:١٣٨، ولهذا تحمل هذه الحضارة بين طياتها أسباب هذا البقاء وخصائص هذا الدوام ولعلَّ أهم تلك الأسباب والخصائص هو كونها حضارة للحياة الكريمة.(١)

ولذا رأينا أن كل دعوى التغريب في العالم الإسلامي - بكل اتجاهاتها - قد حاولت ولا تزال - تبديل وتغيير ثوابت الكيان الحضاري الإسلامي حتى لا يكون هو المرتكز الأساسي للمستقبل الإسلامي المنشود، وقد أدركت بأنه لا يمكن تقويض الأسس العقدية للشخصية المسلمة إلا بإحداث الشروخ والتصدعات في البناء الحضاري الإسلامي تمهيداً لهدم البناء من قواعده، ولذلك تنكر الاتجاه التغريبي للشريعة والحضارة الإسلاميتين وذلك من أجل التبني الراديكالي لقيم النظام الغربي ومحاولة زرعها في البيئة الإسلامية بالاشتراك مع كافة الاتجاهات الاستشراقية والتبشيرية (التنصيرية) على حدٍّ سواء، وهذا يهدف إلى تجريد الأمة من خصوصيتها العقدية وأبعادها الثقافية وبهذا المنهج أيضاً يطمح الاستعمار الثقافي - بواسطة وكلائه في العالم الإسلامي - إلى إخضاع الإنسان المسلم للسير في ركاب المنظومة الغربية ومن ثمَّ فهو يكرس عجز العالم الإسلامي عن الانطلاق في المستقبل بمعزل عن التبعية الحضارية للنموذج الغربي.(٢)

الحضارة الأوروبية تحمل في طياتها التناقض بين الفكر والعمل أي بين أفكار المساواة والإخاء والحرية وبين التفرقة العنصرية التي تمارسها الآن بالفعل

وفي هذا ما لعله يحتم طرح تساؤل حيوي مفاده، تُرى ما هي ملامح وآفاق مستقبل هذه الحضارة، كما يراه توينبي وتؤكده إرهاصات المتغيرات الكونية التي تجتاح عالم اليوم وعالم الغد؟ وللإجابة عن هذا التساؤل الحيوي نقول: ليس ثمة مجال للشك في أن الحضارة الإسلامية هي حضارة المستقبل، وذلك لأنها حضارة الإنسان، ولذا فالإنسان يحتاج إليها في يومه وغده، كما يحتاج إلى فطرته السوية وإلى استقراره وسعادته، فليست حاجته إلى الحضارة الإسلامية هي مجرد رغبة تنقضي أو تبقى وإنما هي طبيعة وضرورة ملحة واستقرار وحتمية لابد أن يصل إليها إن عاجلاً أو آجلاً لسبب بسيط وهو أن هذه الحضارة هي من عند خالقها ومنظم الحياة ومدبر الأمر كله.(٣)

وفي هذا السياق، يقول توينبي وهو بصدد رسمه لملاح مستقبل الحضارة الإسلامية: «لو أن محمداً - ﷺ - كان قد ظل داعياً دينياً ولم يصبح رجل الإسلام من الناحية الروحية لكان حال الإسلام أسمى مما هو عليه الآن، وعنده أيضاً أن بداية انحلال الحضارة الإسلامية تبدأ منذ الهجرة أو بتحديق أدق منذ غزوة بدر الكبرى - أول حرب إسلامية ضد الكفار - وفقاً لقضيته التي طبعها بطابع العدم دون استثناء حيث يرى أن الحرب هي تغطية لاضطرابات داخلية وإنها تُعبِّر عن بداية انحلال الحضارة»(٤).

ويرى الأستاذ الدكتور أحمد محمود صحبي بأن هذا تقييم للإسلام من وجهة نظر مسيحية لا من وجهة نظر تاريخية، أي أن توينبي نظر إلى حضارة الإسلام بوصفه مسيحياً لا يرى إلا ضرورة الفصل بين الدين والدولة «أعطوا ما لقيصر لقيصر، وما لله لله» لا بوصفه مؤرخاً يُقيِّم الواقع بعد دراسة استقرائية له، يقول جرونبوم: «إنه إذا كان توينبي يعتبر أن خلط الدين بالسياسة يحط من قدر الدين، فإن المسلمين آنذاك على الأقل كانوا يرون العكس إنه يرفع من قيمة السياسة وإنه لا يحق لتوينبي أن ينظر إلى محمد - ﷺ - من خلال المسيح - عليه السلام - وإنما لابد من النظر إلى الحركة الإسلامية من وجهة نظر المسلمين، حيث إن



البذرة الإسلامية ما كان يمكن لها أن تنمو لو ظل الحال على ما هو عليه خلال مرحلة الدعوة قبل الهجرة إذ لم يُقدَّر لها النمو والازدهار إلا في مجتمع المدينة كما لم يقدَّر لها الانتشار إلا بما سلكته من غزوات وفتوحات»، ومن ناحية أخرى كيف تتصف الحضارة بالصفة الدينية وتُلقب لقباً دينياً إذا كان توينبي يريد أن تبتعد السياسة عن تأثير الدين.(٥)

ومن جانبنا نرى أن توينبي قد جانبه الصواب، وهذا لأنه لم يحاول الارتقاء ـ عبر تنظيره هذا ـ إلى مستوى الفهم الديناميكي لروح الإسلام الخالد وحضارته الباسقة، ومن ثم فهو لم يدرك أن الهجرة المباركة وما تلاها من غزوات حربية ـ ويقف على قمتها غزوة بدر الكبرى ـ إنما كانت على الحقيقة بمثابة التحولات التاريخية الحاسمة التي أدت إلى انبثاق حضارة الإسلام من رحم الزمن.

واستكمالاً لمعرفة أبعاد رؤية توينبي لمستقبل حضارتنا على ظهر هذا الكوكب الأرضي، فإن ثمة تساؤل يطرح نفسه ـ أيضاً ـ وهو: ترى ما هو مصير الحضارة الإسلامية؟ فهل ستنقرض هذه الحضارة، كما انقرضت حضارات أخرى؟ وهل ستتحجر كبعض الحضارات المتحجرة الماثلة أمامنا، أم أن تيار الحضارة الغربية المعاصرة سيجرفها ويتمثلها؟. والإجابة عن كل هذه التساؤلات عند توينبي هي أنه لا شيء من ذلك كله سيحدث، وإنما ستبقى الحضارة الإسلامية حيَّة، قد يعترض الفرد الأوروبي في صلف على ذلك، ويقول: «هل تنتظر حضارة من فلاح مصري أو حمال اسطنبولي؟!»، ولكن هذه العبارة قالها الإغريقي من قبل وبالذات بعد فتوح الإسكندر الأكبر للعالم السورياني، وتبيَّن أنه قول خاطئ، إن الحضارة الإسلامية قد تُنافس الحضارة الهندوكية أو بوذية الماهايانا من أجل السيطرة في المستقبل بوسائل تتعدى تصوراتنا، ولكن ماذا يكمن في الحضارة الإسلامية من طاقات غير موجودة في الحضارة الأوروبية المعاصرة تجعلنا نتوقع لها أن تكون هي حضارة المستقبل.(٦)

مستقبل الحضارة الإسلامية عند توينبي إنما هو إفراز حيوي لمعطيات تاريخ الإسلام الذي يتسم في أغلب مساحاته الزمنية بالتكامل والشمول والترابط

وللإجابة عن هذا التساؤل يرد توينبي قائلاً: «إن الحضارة الأوروبية تحمل في طياتها التناقض بين الفكر والعمل، بين أفكار المساواة والإخاء والحرية التي ورثتها عن الثورة الفرنسية، وبين التفرقة العنصرية التي تمارسها الآن بالفعل، ومن ثمَّ فهي تشكل خطراً عليها بزيادة وعي الشعوب الملونة، وهذا بينما طابع الحضارة الإسلامية الاتساق بين الفكر والعمل بصدد المساواة إذ تمكَّن في أزهى عصورها أن يصل إلى مراكز السلطة فيها الرقيق والعبيد «كافور الإخشيدي والمماليك»، الأمر الثاني هو تحريم الخمر، وقد لا يدرك الكثيرون قيمة هذا التحريم بالنسبة للحضارة، ولكن من يشاهد عن قرب سكان المناطق الاستوائية يُدرك أن توقف نشاطهم راجع إلى شرب الخمر إلى حد كبير، ولقد فشل الإداريون الأوروبيون في علاج هذه المشكلة التي لا تحلها القوانين المفروضة لأن الامتناع عن الخمر لا يتم إلا بوازع ديني»(٧).

وعلى الرغم من ذلك، يبدو أن طالع حضارة الإسلام في المستقبل القريب لدى توينبي إنما هو متوقف، على أي حال، على نتيجة اختبار القوة بين العالمين الغربي والروسي اللذين يطوقان العالم الإسلامي فيما بينهما ولقد تعاظمت أهمية العالم الإسلامي في نظر هذين المتحاربين منذ اختراع محرك الاحتراق الداخلي، فللعالم الإسلامي ـ كإطار جغرافي لحضارة الإسلام ـ أهميته القصوى في المستقبل كمصدر للسلع الأساسية ـ مصادر الطاقة ـ وكمعبر للمواصلات الرئيسة، فضلاً عن أن العالم الإسلامي يضم ثلاثة مواطن من مواطن الحضارات الأربعة الرئيسة في العالم القديم «أي الحضارات المصرية، السومرية، السندية، الصينية».(٨)

ومن هنا نرى أن مستقبل الحضارة الإسلامية عند توينبي إنما هو إفراز حيوي لمعطيات تاريخ الإسلام الذي يتسم في أغلب مساحاته الزمنية بالتكامل والشمول والترابط، فضلاً عن ذلك، فإن تاريخ الإسلام ليس دوائر منفصلة - ولكنه نسيج عضوي حي - فالحدث السياسي لا يُفهم إلا بإدراك تفاعله مع الأوضاع الثقافية والاقتصادية والاجتماعية، إنها خيوط واحدة تكوِّن «نسيج التاريخ» كل خيط له قيمته وأثره المتمثِّل في مدى التحامه مع سواه، ولذا فتاريخ الإسلام هو تاريخ حضارة مكتملة الدائرة - وليس تاريخ شعب أو قومية معينة - فالقوميات كلها حلقات يطبعها طابع موحَّد، وهو تاريخ ذو مضمون إنساني قوامه الحرية والعدل والتوحيد والمساواة، وتاريخ الإسلام هو فكر كلي شامل، وهذا الشمول يضم مختلف أوجه النشاط الإنساني، الاقتصاد والدين والعلم والفن والفلسفة والاجتماع.(٩)

وفي ضوء هذا المنطلق، ينبغي علينا أن نؤكد على أن أمتنا الإسلامية قادرة دائماً وأبداً على البعث والتجديد طالما اعتمدت على ذاتها الحضارية، واستنفرت إمكانياتها الخلافة، شريطة أن يكون ذلك طبقاً للقانون الإلهي للتغيير «إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) الرعد:١١، ومن هذا المنطلق يكون الإسلام - والإسلام وحده - هو البديل الحضاري الأمثل للتأزم الذي تعاني منه الحضارة المعاصرة في واقعها الراهن سواء على المستوى الداخلي أم الخارجي.

وبناء على ذلك، تتحدد أمام ناظرينا القسمات البارزة للصورة المشرقة لمستقبل الحضارة الإسلامية فيما يستقبلها من أيام تلوح في أفق الغيب، ولعل مرجع هذا هو أنه لا الحضارات السومرية والبابلية والمصرية ولا الحضارات الإغريقية واللاتينية والبيزنطية والهيلينية ولا حتى الحضارات الفارسية والصينية والهندية على ما قدمته جميعاً من عطاء زاخر - كما أثبت ذلك شاهد التاريخ - بقادرة على أن تسامت هذا الدور الرائد للحضارة الإسلامية في ارتقاء الإنسان كما أنه لا الفلسفات اليونانية والهندية ولا المذاهب الوضعية الغربية منذ عهد النهضة والتنوير حتى طوبويات الاشتراكيين والفرنسيين والإنجليز - ووجوديات هايدجر وكبر كجارد وسارتر وكامي - ومثالية هيجل ومادية ماركس وانجلز بقادرة أيضاً على تحويل القيم والأفكار إلى واقع منظور وتجربة معاشة وخبرات حية تتشكَّل في مساحات الزمان والمكان.(١٠)

الحضارة الإسلامية هي الوحيدة التي تمتلك عناصر البقاء في عالم اليوم والغد

ولعل هذا هو الذي أضفى طابعاً من الحيوية على الرؤية التاريخية الواعدة - بقدر ما هي واعية - التي ذهب إليها توينبي حيث أنه قد أكد عبر سياقها ومحتواها على أن الحضارة الإسلامية ستكون ولا ريب هي حضارة المستقبل، وذلك لأنها هي الوحيدة المؤهلة من ضمن الحضارات الست الباقية - وفقاً لمعطيات نظريته التحدي والاستجابة - لوراثة الحضارة الغربية المعاصرة التي تترنَّح آيلة للسقوط، ثم الزوال الحتمي شأنها في ذلك شأن كل حضارات الكون التي ضلت وانحرفت عن طريق الله المستقيم عبر تنكرها لسنن الله الكونية، إنها سنة الله الماضية في خلقه ولن تجد لسنَّة الله تبديلاً، ولن تجد لسنَّة الله تحويلاً.

وأخيراً وليس آخرا، فإن هذه المعالجة قد حاولت قدر الإمكان دراسة وتحليل آفاق وملامح مستقبل حضارتنا الإسلامية التي تُعبر عن هويتنا وذاتنا كأمة متميِّزة على خارطة الوجود الكوني للحضارات، في ضوء نظرية التحدي والاستجابة التي اتسمت بالموضوعية إلى حد ما، وذلك بعكس غيرها من النظريات التي جسَّدت ظاهرة التحيز الحضاري عند دراستها للمعطيات الحضارية للإسلام. ■

الهوامش:

١ - أ.د. توفيق يوسف الواعي - الحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارة الغربية - دار الوفاء - المنصورة ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م ص ٦٢٦.

٢ - د. سليمان الخطيب - دور المناهج الغربية في سيادة فكرة التغريب والاستلاب الحضاري والثقافي على العقل المسلم - ورقة مقدمة إلى ندوة قضايا المنهجية في الفكر الإسلامي - قسنطينة - الجزائر ١٢/٩ سبتمبر ١٩٨٩م - جامعة الأمير عبدالقادر للعلوم الإسلامية - قسنطينة - المعهد العالمي للفكر الإسلامي - القاهرة - من دون تاريخ - ص ٣٩.

٣ - أ.د. توفيق يوسف الواعي - المرجع السابق - ص ٦٣٧.

٤ - أ. آمنة تشيكو - مفهوم الحضارة عند مالك بن نبي وأرنولد توينبي - المؤسسة الوطنية للكتاب - الجزائر ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م - ص ٩٣.

٥ - أ.د. أحمد محمود - من فلسفة التاريخ - دار النهضة العربية للطباعة والنشر - بيروت ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م - ص ٢٩٦ - ٢٩٧.

٦ - أ.د. أحمد محمود صبحي - المرجع السابق - ص ٢٨٩.

٧ - أ.د. أحمد محمود صبحي - المرجع السابق - ص ٢٩٠.

٨ - أ. أرنولد توينبي - مختصر دراسة للتاريخ - الجزء الثالث - ترجمة فؤاد محمد شبل - مراجعة محمد شفيق غربال وآخر - لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة - الطبعة الأولى - ١٣٨٤هـ - ١٣٦٤م - ص ٣١٤.

٩ - أ. أنور الجندي - الإسلام وحركة التاريخ «رؤيا جديدة في فلسفة تاريخ الإسلام» - الموسوعة ا لإسلامية العربية - رقم (٥) - دار الكتاب اللبناني - بيروت - دار الكتاب المصري - القاهرة - ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م - ص ٤٨٥.

١٠ - أ.د. عماد الدين خليل - حول إعادة تشكيل العقل المسلم - كتاب الأمة رقم (٤) - رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية - الدوحة - رمضان ١٤٠٣هـ - ص٨٨.

حضـارة

م. : أحمد عبدالوكيل صافي

الحاسـوب بين الأميـة والحضارة



يقولون: الأمي ـ في عصرنا ـ هـو الـذي لا يـعـرف كـيـف يستخدم الحاسوب.

عبارة كثيراً ما نقرؤها في الصـحـف، فـي المجلات، فـي إعـلانات بـيـع الحواسيب، حتى أصبحت عبارة شائعة على لسـان الكثير مـن الناس وفـيهم المثقفون وصانعو الأجيال، ولكن لنقف مع أنفسنا وقفة صادقة فيها قليل من التمعن والتحري ونسأل: من صاغ هذه العبارة؟ ولماذا؟ وهل هي صحيحة مطلقاً أم أنها صحيحة إلى حد ما؟ وإذا كانت صحيحة فهل نحن في عالمنا العربي أميون أم لا بمفهوم هذه العبارة؟!!

الحقيقة التي لا مراء فيها أننا في عصر المعلوماتية، ولا تكاد تدخل مؤسسة أو وزارة أو شركة صغيرة كانت أم كبيرة في أنحاء العالم المتقدم إلا وترى الحواسيب والشبكات الحاسوبية تملؤه وإذا توقف الحاسوب عن العمل شُل العمل وانقطعت أوصاله فأصبح كل أمر عندهم يعتمد على الحاسوب في مجال الصناعة، في السياحة، في الجامعات والأبحاث العلمية حتى أصبحت بعدة أقراص مدمجة (CD.Rom) تستغني عن مجلدات من الكتب والمراجع في شتى مجالات العلوم ناهيك عن خدمة الشبكة العالمية أو ما يسمى «الإنترنت» التي تفتح لك العالم لتجوب فيه وتحلق في آفاقه وتحضر ما شئت في شتى مـجـالات الـعـلـوم الـطـبيـعـيـة والـهـنـدسـيـة والاجتماعية والسياسية والجغرافية وتستمتع بخدمات سياحية وغير ذلك من مستلزمات الحياة التي ما كنت لتصل إليها إلا بعد مشقة وجهد كبير، أما الأفراد في ذلك العالم فهم يعتمدون في بيوتهم عليه حتى أصبحت ترى طفلاً في الرابعة من عمره يتعامل مع الحاسوب ويستفيد من البرامج العلمية والرياضية التي يحويها والتي تناسب عمره ومستواه التعليمي.

وفـي عـالمنا الـعربي ـ وفـي بعض أقطاره بالتحديد ـ أصبح الحاسوب جهازاً شائع الاستخدام حتى في البيوت يحرص الأب والأم كلاهما على اقتنائه كما يحرصان على اقتناء الرائي إيماناً منهم أنه لغة العصر وبذلك يطمئنون أنهم لن يكونوا أميي هذا العصر وكلهم أمل أن يصبح أطفالهم كالطفل الياباني ـ مثلاً ـ يصمم برامج ويطور أجهزة وهو في سن الحداثة!!... آمال وآمال ولكن ما الواقع الذي يجب الاعتراف به؟

لنسأل أنفسنا بصدق: ماذا نستفيد من الحـاسـوب فـي المـنـزل؟ مـا هـي جـلُّ استخداماته؟ ساعات طوال قد يجلس فيها ابننا أمام شاشة الحاسوب يزيغ بصره وقد يترك واجباته الدراسية ويضيِّع حقوقاً ربانية واجتماعية، ماذا يستفيد مقابل هذه التضحيات الهائلة؟!!

لو قمنا ببحث ميداني كي نجيب بواقعية عن هذه الأسئلة لوجدنا أن ٨٠٪ من حالات استخدامه في البيوت «إذا تفاطنا» تكون في ألعاب معظمها لا فائدة ترجى منها من الناحية التربوية أو العلمية حتى «الإنترنت» التي هي وسيلة رائعة للبحث العلمي وهدية العصر لنا كي نجوب العالم من جميع جوانبه ونعرف أحواله الاجتماعية والسياسية والعلمية والجغرافية أصبحت على أيدي أبنائنا ومراهقينا أداة للمحادثة (MIRC) التي أقل ما يُقال فيها أنه لا فائدة منها (جرِّب أن تدخل مرة إلى برنامج المحادثة على الإنترنت في دولة عربية لتقرأ ما يندي له الجبين ويخدش له الحياء ولا تصدِّق أنك في بلد له تقاليد وأعراف محافظة»، وأصبح البريد الإلكتروني بين فتياتنا وفتياتنا



● هل استخدام الحاسوب يمحو عنا الأمية ؟

الأسلوب العصري للمراسلة وتبادل الأفكار «ليتها كانت أفكاراً بناءة» هذا إذا لم يتطور الاستخدام إلى أفلام تعود على المجتمع بالدمار والهلاك.

فهل استخدام الحاسوب بالشكل الذي ذكرته يمحو عنا الأمية ويرقى بنا في مصافّ الدول المتقدمة؟ وهل مجرّد استخدام الحاسوب يخلِّصنا من أمية هذا العصر؟!!

الحقيقة التي يجب أن نعيها ونفتح لها أذهاننا وقلوبنا، ونغرسها في نفوس أبنائنا: أن استخدام التكنولوجيا الحديثة بشكل عام يتطلب منا وعياً حضارياً وإحساساً بالمسؤولية يجعلنا - قبل أن نتحمس لهذه التكنولوجيا - نعي وعياً مسؤولاً: مجالات استخدامها، إيجابياتها وسلبياتها، وكيف نعمِّق الايجابيات ونقلل السلبيات وما السبل الموصلة إلى ذلك حتى تكون هذه التقنية الحديثة قوة لنا لا ضعفاً، بشراً لا شؤماً، تنهض بنا في سلم الحضارة وعمارة الكون لا تزيد في تخلفنا وبعدنا عن ركب الحضارة والعلم الذي نملك وسائله المادية التي يملكها العالم المتقدم ولكننا متجردون من الوعي الحضاري الذي يجعلنا نستخدم هذه الوسائل والأسباب المادية في رقينا سلم المجد واستعادة سيادتنا بين الأمم ولا سيما ونحن نملك مبادئ وماضياً يؤهلانا أن نحتل مكان الصدارة في هذا العالم الذي سادت فيه شريعة الغاب ولا مكان إلا للقوي والقوة هي قوة العلم والمادة مجتمعتين.

إن مهمتنا ومسؤوليتنا - التي سوف تحاسبنا الأجيال عليها عاجلاً أم آجلاً - خَلْق عقلية علمية لدى فلذات أكبادنا قبل وضع الحاسوب بين أيديهم، هذه العقلية تُنشأ بتعويدهم على احترام الوقت وتبصيرهم بقيمته في بناء الحضارات «والقدوة في هذه النقطة هي الأساس والمحرك»، وجعل القراءة المفيدة في شتى المجالات هوياتهم، وممارسة الرياضة التي تنمي أجسادهم وعقولهم شغل فراغهم، وعندها فقط يدركون أن اقتناء الحاسوب ليس هدفاً في حد ذاته، بل الهدف الرئيس استخدامه في الدراسة والبحث العلمي واستخدام برامجه في توسيع أفقنا وتحريك ذهننا وعندها فقط نودِّع الأميَّة إلى الأبد، وندخل القرن الحادي والعشرين بجدارة لأننا نملك وسائل العلم المادية ملكاً حقيقياً لا مزيفاً ونحن نملك في الوقت نفسه مقومات الحضارة وقد سبق أن سعد العالم بحضارتنا في وقت كان فيه غيرنا يعيش في ظلمات الجهل ويئنون تحت سلطان الخرافة وعلماؤهم يُحرقون ويُقتلون لأنهم يصلون إلى حقائق لا تروق لمن يسوسهم ويفتحون الأذهان على حقائق يجب أن تبقى مدفونة.

هلا استجبنا إلى نداء العقل وداعي القلب؟! ■

فقه

بقلم : د. أحمد محمود كريمة

الفقه الإسلامي وعبث المجترئين

إن الفقه الإسلامي على ما هو معلوم لكل ذي بصر وبصيرة من أشرف العلوم العملية التي يجب العلم والاهتمام بها، يقول العزيز الحميد في قرآنه المجيد (فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقوا في الدين ولينذروا قومهم...)(١).

ويقول سيدنا محمد - ﷺ - في سنته الراشدة «من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين...»(٢)

والنصوص فيما سوى ذلك مشهودة مشهورة، معروفة مألوفة تنبو عن الحد وتجاوز العد، كلها توضح بجلاء قدر الفقه الإسلامي، وقدرته على تقديم الحلول للمعضلات لأنه القانون التشريعي العملي للشريعة الإسلامية، ولا تسود الشريعة بين الناس إلا به، لهذا كان ولا يزال وسيظل جزءاً رئيساً من الدين، ولهذا كانت الدعوة الإسلامية مرتبطة ارتباطاً كاملاً بعلم الفقه الإسلامي، حيث لا يمكن تبليغ الدعوة الإسلامية على وجهها الصحيح إلا من خلال علم الفقه الإسلامي، وتثور بين الفينة والفينة دعوات مريبة غريبة عجيبة داخلية وخارجية، من بعض المنسوبين للإسلام أو الخارجين أو الناقمين عليه، تدعو لإلغاء الفقه الإسلامي وإحلال فقه جديد محله، وتعزو هذه الدعوات تخلف المسلمين الثقافي والفكري والعملي إلى الفقه التراثي الموروث أو القديم كما يحلو لهم تسميته.

وكتب في هذا مقالات وأقيمت ندوات لا تعدو إلا أن تكون رجع صدى للأبواق المجترئة المهترئة التي لا تفتأ عن هز الثقة بالحضارة الإسلامية والتشكيك في ثوابتها وجذورها وأصولها.

والمؤلم والمحزن صدور تلك الدعوات المريبة من غير المتذوقين لأسرار وجمال التشريع الإسلامي، بل من غير المشتغلين به، وقد تعامى هؤلاء عن الأسباب الحقيقية لتخلف الناس من تعطيل الأحكام الشرعية، وسلخ الأمة عن هويتها الإسلامية، ومحاولة التعلق بأذيال الحضارة المادية الترفيهية لتكون الأمة تابعة لا متبوعة مشهود عليها لا شاهدة بزعم الحداثة أو المعاصرة، وهذه أمور بدهية يقف على سماتها من له أدنى حظ من المرجعية المعرفية.

إذا علم هذا، فإن نقاطاً أساسية فيما يتصل بموضوعنا ينبغي الإشارة إليها:

الأولى: العلاقة بين الشريعة والفقه والتشريع:

أ - تعريف الشريعة لدى الفقهاء: هي مجموعة الأحكام التي سنها الله - تعالى - للناس جميعاً على لسان رسوله محمد ﷺ - في الكتاب والسنة.(٣)

ب - تعريف الفقه لدى الفقهاء: هو العلم بالأحكام الشرعية المستنبطة من الأدلة التفصيلية، ويعني بها خطاب الشارع الحكيم المتعلق بأفعال العباد من فعل أو ترك، وما في ذلك من صحة وفساد ونفاذ ولزوم ووقف... إلخ.

وعلى ضوء هذا، فإن الفقيه من له ملكة خاصة وقدرة متميزة على استنباط الأحكام الشرعية من أدلتها التفصيلية، وهو بهذا المعنى شمل المجتهد في الأحكام الشرعية (٤) يقول الله تعالى: (ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم...)(٥)

ج - تعريف التشريع: يُراد به - بالإطلاق العام - لدى الفقهاء: سن القوانين التي تنظم حياة الناس ومعاملاتهم.

أما التشريع الإسلامي فهو: «مجموعة الأوامر والنواهي والإرشادات التي يشرعها الله - تعالى - للناس ليعملوا بها ويهتدوا بهديتها».

د - علاقة الفقه بالشريعة: الفقه الإسلامي أخص من الشريعة الإسلامية، لأنه أحد أقسامها الكلية، لأن الشريعة تشمل: العقيدة، الأخلاق، الأحكام العملية (الفقه)، فهو بمثابة النوع من الجنس، إلا أن الشريعة الإسلامية كثيراً ما تطلق ولا يُراد منها إلا الفقه، وهذا من باب إطلاق العام وإرادة الخاص، أي أنه إطلاق مجازي متعارف عليه.

هـ - علاقة الفقه بالتشريع: سلف القول أن التشريع مجموعة الأوامر والنواهي والإرشادات التي يشرعها الله - تعالى - للناس... والمشرع في الإسلام هو الله تعالى وحده فيما أنزله على رسوله محمد - ﷺ - أما الفقيه: فهو الذي يقوم بأعمال الفقه استنباطاً وتعلماً وتعليماً وتقنيناً. حتى يتم تطبيق الأحكام تطبيقاً سليماً يرتكز على الفهم الصحيح لها، وهذا لا يتأتى إلا عن علم ومعرفة بها، وهذا يتوقف بداهة على الفقهاء.

الثانية: مصادر الأحكام الشرعية إجمالاً: أجمعت الأمة سلفاً وخلفاً على أن الحاكم الشارع الحكيم هو الله - تعالى - وهو مصدر الأحكام الشرعية، وأن المصادر التي يعتمد عليها الفقهاء ويلتمسونها في الأحكام الشرعية، إنما هي أدلة توصلنا إلى الحكم الصحيح الذي أراده الله - تعالى - أو خاطب به المكلفين، وهي التي تعرف بالأدلة التفصيلية، وهو تنوع بين أدلة أصلية وبين أدلة تبعية، لأنها ضربان:

أحدهما: ما يرجع إلى النص، وهي الأصلية «القرآن الكريم، والسنة النبوية الصحيحة».

ثانيهما: ما يرجع إلى العقل، وهي التبعية «الإجماع، والقياس والاستحسان والاستصلاح، وسد الذرائع، والاستصحاب، والعرف، وشرع من قبلنا»(٦).

واستنباط الأحكام الشرعية من هذه الأدلة لا يكون عن هوى أو كيفما اتفق، بل لابد من مسالك معينة يسلكها المجتهد، وقواعد يسترشد بها، وضوابط يلتزم بمقتضاها، وبهذا يكون اجتهاده صحيحاً، ووصوله إلى الأحكام الصحيحة ممكناً ميسوراً.

الثالثة: أسباب اختلاف الفقهاء إجمالاً:

لا خلاف بين المسلمين على أن المشرع الأصلي والأوحد هو الله - تعالى - فهو الذي يقرر الأحكام من وجوب وندب وحرمة وكراهة وإباحة، وله في كل أمر وفعل أو تصرف حكم شرعي، وأن مصدر الأحكام الشرعية وثبوت التكليف الشرعي بها في حق المكلفين الوحي المنزل على سيدنا محمد - ﷺ - واتفقوا على أن الخلاف في بعض الأحكام الجزئية التفصيلية يرجع إلى أسباب منها:

أ - الاختلاف في فهم دلالة النص الشرعي كالخلاف حول المراد من الكلمة والتردد بين حمل اللفظ على الحقيقة أو المجاز، عندما يحتمل الاثنين معاً من حيث الأصل والثاني بقرينة قوية.

ب - الاختلاف في العلم بالحديث: سنداً من حيث الحكم بالصحة أو عدمها، ومن حيث الدلالة اللفظية وفق ما سلف.

ج - الاختلاف في الأخذ ببعض الأدلة الأخرى كالقياس وصفة الإجماع، وحجية الأدلة الأخرى.

د - اختلاف الحكم باختلاف الزمان أو المكان: وهذا مرجعه إلى الظروف والملابسات طبقاً للعرف والمصلحة والحاجة ولزوال علة الحكم، والأمثلة والشواهد فيما سلف مبثوثة في المصنفات الفقهية.

وعلى ضوء ما تقرر وسلف فما وراء المجترئين على الأحكام الشرعية المستقرة المستنبطة من الأدلة التفصيلية من فقهاء الأمة عبر الأعصار والأمصار؟ وما مرادهم من تجديد الفقه؟ هل المراد تغيير الحكم الشرعي للأصول والفروع العامة فيقلب الواجب إلى حرام! والحرام إلى مباح! من الذي يملك هذا؟ وممن يملك؟ ولمن يفعل؟ هل إهالة التراب على التراث الفكري الإسلامي جملة وتفصيلاً بدعوى مصلحة البلد ومقتضيات العصر هو الدافع لهذا العبث بأكبر أصل من أصول المسلمين؟ وبالتالي يبيح أدعياء العلم لأنفسهم تحليل الحرام وتحريم الحلال؟ هل يريدون فصم الأجيال المسلمة عن سلفها لتكون تابعة للركام من القوانين الوضعية البشرية، وتفصيل الأحكام تفصيلاً يتفق والأهواء ويتسق والمطامع والمطامح على حساب قدسية الشريعة وأصالتها؟

هل تطوع النصوص قسراً لمشاريع الحداثة، والعصرنة، وتستحدث أبواب فقهية جديدة مثل: نواقض المكياج بدلاً من نواقض الوضوء؟ وموجبات التخاذل بدلاً من موجبات الجهاد؟ وفقه المرأة الرياضية بدلاً من فقه المرأة المسلمة؟ وحقوق الأشبال والطلائع بدلاً من حقوق الأولاد؟ ويستحدث التشريع الجنائي في عقوبات من يعدد الزواج ومن يمنع المدام من السهر من الصديق؟ وماذا لو استعملت «سوسو» و«فيفي» شامبو بالبيض؟ وتعدل أحكام المواريث ليضاف ثلاثة أرباع للأخت مع وجود أخيها؟ ويُضاف لمصارف الزكاة مصرف إعانة أندية الروتاري والليونز والروتاركت... والأنتراكت؟ أجل هذا هو الثواب

المرتقب للفقه الجديد وياما في الجراب يا حاوي! ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم! يا خلق الله يا معشر المتشدقين بالموضوعية والمنهجية البحثية طبقوا على أنفسكم الحد الأدنى مما تتشدقون به، وأعطوا القوس باريها وأسندوا العلم لأهل الاختصاص به، ولا تلجوا في بحر لاتعرفون مداخله ومخارجه، واتقوا الله في تراث المسلمين وفي شعوب المسلمين، ألا تعلمون أن الفقيه لابد أن يكون ملماً باللغة والحديث والتفسير وما يقتضي ذلك من أسباب نزول وأسباب ورود وسند الحديث ومتنه ودرجته وما يقتضيه ذلك من علم بأحوال الرجال، وكذلك علمه بلغات العرب ودلالات كلامها ونحوها وصرفها وغير ذلك مما يعرف خطره العارفون، ويجهله المتعالمون المجترئون، لماذا يا خلق الله أصبح فقه المسلمين كلأ مباحاً؟ وغدت الجرأة على الفتيا دون سند من علم أو ذرة من حكمة هي المطية الذلول لكل مأرب من مآرب الدنيا؟

إن كنتم حقاً تريدون الخير للمسلمين والتقدم والرقى فتأسوا بأسلافكم الذين سادوا الدنيا قروناً طوالاً، وكانت سيادتهم الدنيا خيراً للناس جميعاً مؤمنهم وكافرهم على السواء، فقد رأى أهل الذمة في سيادتهم من الخير والبر والإحسان ما لم يروه في سيادة بني جلدتهم.

الأحرى بكم أن تسعوا سعياً صادقاً حثيثاً للمحافظة على الفقه الإسلامي بتأصيل دراسته في الكليات والأقسام المتخصصة، وتعميم دراسته على شتى المراحل الدراسية بالجامعة كافة، وإنشاء معاهد ثانوية أزهرية فقهية ولو معهداً واحداً في كل منطقة للدراسة المتبحرة في الفقه الإسلامي وعلومه، وعمل لجنة مشتركة بين الأزهر ووزارة العدل للنظر العلمي في القوانين الوضعية الماضية والحاضرة والمستقبلة من جهة اتفاقها مع الأصول والقواعد التشريعية الإسلامية أم لا؟، وعمل قنوات اتصال مع المجامع الفقهية ذات الصلة لبحث المستجدات وفق أسس علمية معتمدة معتبرة.

ثم أليس من الغريب والعجيب ألا يكون بمصر الرائدة بأزهرها مجمع للفقه الإسلامي، ويكتفي بعدة لجان في المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بالأوقاف، ومجمع البحوث الإسلامية، ولم نسمع عن مؤتمرات فقهية جادة كالتي كانت منذ أمد بعيد، وقد قدمت فيها بحوث جادة هادفة.

فرق يا سادة بين تجديد الفقه وتطوير الفقه كالفرق بين الهدم والبناء، فهل من مستبصر؟! ■

الهوامش:

١ - الآية ١٢٢ من سورة التوبة.

٢ - رواه البخاري في كتاب العلم حديث رقم ٦٩.

٣ - المدخل لدراسة الفقه د. محمد الحسيني ص ٨، والمدخل الوسيط لدراسة الشريعة الإسلامية د. نصر فريد ص ١٣ بتصرف.

٤ - التعريفات للجرجاني مادة (فقه).

٥ - الآية ٨٣ من سورة النساء.

٦ - انظر فواتح الرحموت بشرح مسلم الثبوت ٥٤/١ وما بعدها، وإرشاد الفحول للشوكاني ص٥، الآمدي ١٢٧/١ وما بعدها، والمستصفى ١٤٩/١:١٧١، والإحكام لابن حزم ١٠٨/١، وما بعدها، وأصول السرخسي ٣٤١/١، والموافقات ٢١/٣ وما بعدها، والوجيز في أصول الفقه د. عبدالكريم زيدان، وأصول التشريع الإسلامي للشيخ علي حسب الله.

بقلم : محمد يوسف الجاهوش

رجال ومواقف

الزمان: أحد شهور سنة مئة وثلاث وثلاثين من الهجرة المباركة.

المكان: دمشق الفيحاء، وفي قصر من قصور بني أمية بعد زوال دولتهم، وتحوّل ملكهم إلى بني العباس.

يجلس في صدر المجلس والي دمشق الجديد عبد الله بن علي. عم الخليفة السفاح. في يده خيزرانة، والمسوِّدة. لابسو السواد من الجنود. عن يمينه وشماله، السيوف بأيدي بعضهم مصلتة، وعَمَد الحديد بأيدي آخرين.

هاماتهم ممتدة، وجوههم معروقة، وأجسامهم ممشوقة، مشدودة شد الوتر، تدور أعينهم، ترقب الحركة والسكون، وتستنطق اللحظ والإشارة، متوثبين لأمر يتلقونه، ليكون التنفيذ أسرع من ارتداد الطرف، أو رجع الصدى.

ساد الوجوم، وخيم الهدوء، فلا حديث، ولا كلام، الكل ينتظر نطق الوالي، وماذا عسى أن تكون أوامره!

لم يطل الصمت كثيراً، فها هو ابن علي يقطع هدوء المجلس وصمته، ويقول: أرسلوا في طلب الشيخ عبد الرحمن بن علي الأوزاعي، فإنه سيد جليل وفقيه عليم، وإمام يقتدى به، وقد بلغني أنه عندما ذهب لأداء فريضة الحج دخل مكة وسفيان الثوري أخذ بزمام جمله، ومالك بن أنس يسوق به، والثوري يقول: افسحوا للشيخ، حتى أجلساه عند الكعبة، وجلسا بين يديه، يأخذان عنه.

وإني أريد أن أعرف موقفه من دولتنا الجديدة، وما الذي يعتمل في نفسه بعد زوال بني أمية واندحار دولتهم، وقد عرف عنه أنه من العلماء الآمرين بالمعروف، الناهين عن المنكر، الصرحاء في قول الحق.

ومِثْل هذا يمثل نبض العامة، ويسهم إسهاماً وافراً في تشكيل رؤاهم، وتوجيه آرائهم.

الأوزاعي في مجلس الوالي:

حضر الأوزاعي بعد ثلاثة أيام، وأُدخل على الوالي.

الأوزاعي: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

لم يردَّ أحد السلام، الكل صامت واجم، والوالي ينكت الأرض بخيزرانته!

وقف الأوزاعي بعد إلقاء السلام ساهماً، يجيل الطرف في المجلس فيرى السيوف مصلتة، وعَمَد الحديد مهيأة، والوجوه عابسة متجهمة، والكل نحوه شاخص.

ذهبت به الأفكار مذاهب شتى، ومرت الخواطر خواطف كالبروق المرعدة: ما الذي يريده الوالي الجديد مني؟ وعمَّ عسى أن ينجلي هذا المشهد؟!

ولِمَ أعدَّ الجند الأسلحة والعتاد، ألمقاتلة فقيه معلم، ومحدِّث مفسِّر، وقف نفسه لدعوة الله تعالى، ونشر تعاليم دينه، وتبصير الناس بحقائق هذا الدين ومفاهيمه؟!

كان نُطق الوالي أسرع من استرسال الإمام في أفكاره وخواطره، فقطع عليه ما هو فيه عندما ناداه:

يا أوزاعي، ما ترى فيما صنعنا من إزالة أيدي أولئك الظلمة عن البلاد والعباد؟ أجهاداً ورباطاً هو؟

الأوزاعي: أيها الأمير سمعت يحيى بن سعيد الأنصاري يقول: سمعت محمد بن إبراهيم التيمي يقول: سمعت علقمة بن أبي وقاص يقول: سمعت عمر بن الخطاب يقول: سمعت رسول الله - ﷺ - يقول :

«إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله

ورسوله، فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها، أو امرأة يتزوجها، فهجرته إلى ما هاجر إليه».

صمت شديد، والأمير ينكت الأرض بخيزرانته أشد من ذي قبل، وجعل من حوله يقبضون أيديهم على قبضات سيوفهم. ولكن الوالي يتابع الكلام:

يا أوزاعي، ما تقول في دماء بني أمية؟

الأوزاعي: قال رسول الله - ﷺ - «لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث: النفس بالنفس، والثيب الزاني، والتارك لدينه المفارق للجماعة».

الوالي: يا أوزاعي، ما تقول في أموالهم؟

الأوزاعي: إن كانت في أيديهم حراماً فهي حرام عليك أيضاً، وإن كانت لهم حلالاً فلا تحل لك إلا بطريق شرعي.

اشتد تجهم الوالي، وازداد نكته بخيزرانته، وأطرق إطراقة طويلة، والجند يرقبون تحرك شفتيه، ليبتدروا تنفيذ ما يأمر به، وظن الأوزاعي أن روحه ستزهق لا محالة، وأنه لن يغادر المجلس حياً!

الوالي: ألا نوليك القضاء؟

الأوزاعي: أيها الأمير: إن أسلافك لم يكونوا يشقون عليّ في ذلك، وإني أحب أن يتم ما ابتدأوني به من الإحسان.

الوالي: بلغني أنك صائم منذ ثلاثة أيام، فهلا أفطرت عندنا؟

الأوزاعي: حبذا لو أعفاني الأمير، ومثله أهل للعفو والكرم.

الوالي: كأنك تحب الانصراف؟

الأوزاعي: إن ورائي حرماً، وهم محتاجون للقيام عليهن وسترهن، وقلوبهن مشغولة بسببي!

يقول الأوزاعي: وانتظرت رأسي أن يسقط بين يدي. ولكن الله حفظ وسلم.

الوالي: اذهب راشداً، وحبذا لو تعهدتنا بالنصيحة.

يسلم الأوزاعي مستأذناً بالانصراف، مبتدراً الباب، يشعر وكأنه ولد من جديد.

ما إن غادر بهو القصر، يتلمّس الطريق إلى الخارج حتى سمع رسول الأمير يناديه، فذهل حتى كاد يُصعق، وحسب أن الأمير قد بدا له في أمره، فأخذه من الهمّ ما حسب معه أنه ميت لا محالة، ولكن الرسول ابتدره قائلاً: هذه المئة دينار من الأمير. وهو يقول لك: استنفق هذه.

قال الأوزاعي: فأخذتها وتصدقت بها، وما أخذتها إلا خوفاً من أني لو رفضتها أن تكون القاصمة.

درس وعبرة:

* هلاك القرون وتداول الأيام بين الناس: سنة كونية، لا تتخلف ما تعاقب الليل والنهار. فما طلع نجم سعد على قوم إلا بغيابه عن آخرين.

* وقد مضت سنة الله في خلقه الا يستمر ظلم مهما طال أمده، وامتد ليله، ومهما زهت دنيا أصحابه، وكثرت نعماؤهم، وأحاطوا أنفسهم بأدوات القوة وأسباب البقاء.

إن من يركن إلى ذلك فقد خدعته نفسه وغرته الأماني، وجهل سنن الله في كونه، ولم يعتبر بمصير من سبقه ممن أمهلهم الله، فلما تمادوا في المعاصي والذنوب ولجُّوا في الظلم والطغيان لم يهملهم. بل أخذهم بذنوبهم وما كانوا معجزين (ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن مكّناهم في الأرض ما لم نمكّن لكم وأرسلنا السماء عليهم مدراراً وجعلنا الأنهار تجري من تحتهم فأهلكناهم بذنوبهم وأنشأنا من بعدهم قرناً آخرين) ٦ - الأنعام.

ولا يماري عاقل في أن انغماس أولي الشأن بالترف والنعيم والغفلة عن إقامة العدل، ومتابعة الأمور، للتغلب على أسباب الضعف وعوامل الزوال من أقوى الأسباب التي تعجل بوقوع البلاء ونزول المكروه.

وإن من عبر التاريخ التي يجدر تأملها والإفادة منها: ما رواه ابن كثير في كتابه البداية والنهاية ٥٠/١٠ عن آخر خلفاء الدولة الأموية مروان بن محمد قال: جلس مروان - آخر خلفاء بني أمية - يوماً وقد أحيط به، وعلى رأسه خادم له قائم. فقال مروان لبعض من يخاطبه: ألا ترى ما نحن فيه؟ لهفي على أيد ما ذُكرت، ونعم ما شُكرت، ودولة ما نُصرت.

قال الخادم: يا أمير المؤمنين، من ترك القليل حتى يكثر، والصغير حتى يكبر، والخفي حتى يظهر، وأخر فعل اليوم إلى الغد، حل به أكثر من هذا.

قال مروان: هذا القول أشد عليّ من فقد الخلافة.

ولئن كان هذا القول أشدّ على مروان من فقد الخلافة فإنه - وأمثاله من الأمور عندما تتفشى وتستشري، ولا تجد من يحاصرها ويقاوم المفسدين والمهملين الذين يتسببون في حصولها تكون من أقوى الأسباب التي تعجل بزوال النعمة وحلول البلاء.

* ومن الدروس التي يجب أن يتنبه لها الدعاة ولا تغيب لهم عن بال: أن التزام الصدق وموقف الحق أبرز أسباب النجاة والفلاح في الدنيا والآخرة، وكم نجا رجال من مواقف ما ظن أحد خروجهم منها بسلام، لكن الله تعالى حفظهم بصدق نياتهم، وإخلاصهم، وابتغائهم وجه ربهم بما يفعلون أو يذرون.

* ولا عجب «فإن قلوب العباد بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلّبها كيف يشاء».

* فالمسلم الصادق عندما يصدع بالحق على هدى من كتاب الله وسنة رسوله، ولا يبتغي من وراء ذلك سوى مرضاة الله تعالى فإن الله يتولى حفظه وحمايته، ويصرف عنه كل من يريده بسوء.

* فإخلاص النية في تبليغ الحق صمام الأمان الذي يشكل حاجزاً منيعاً بين صاحبه وبين من يتوخاه بسوء، أو يريده بشر.

وهو - كذلك - المعيار الذي يمتاز بموجبه الدعاة الصادقون عن المدعين الكاذبين.

سدد الله الخطى ووفق الجميع، والحمد لله رب العالمين. ■

تأليف: د. محمود حمدي زقزوق

عرض: د. أحمد محمد سالم

هموم الأمة الإسلامية



● د. محمود حمدي زقزوق

مما لا شك فيه، أن المؤلفات الفكرية لأصحاب القيادات الدينية، تحمل العديد من الأوجاع والهموم الخاصة التي تعاني منها الأمة الإسلامية، ولعل كتاب د. محمود حمدي زقزوق «هموم الأمة الإسلامية» من المؤلفات التي تحمل العديد من القضايا المهمة ولعل أهم القضايا التي عالجها الكتاب كالتالي:

١ - مفاتيح الحضارة في ضوء الأمر الإلهي اقرأ

وفي هذا الفصل يرى د. زقزوق أن أول ما نزل على الرسول الكريم من آيات كان يخض الإنسان على إعمار الأرض مادياً، ومعنوياً، أي صنع الحضارة فيها، ومن هنا كانت الآيات الخمس الأولى التي نزلت على النبي محمد ﷺ: (اقرأ باسم ربك الذي خلق. خلق الإنسان من علق. اقرأ وربك الأكرم. الذي علم بالقلم. علم الإنسان ما لم يعلم) ومن هنا تظهر دعوة الإسلام إلى الإعمار والبناء، والعمل من أجل الخير، والحق، وهذا ما يعني أن الإسلام إنما جاء من أجل الإنسان وسعادته في دنياه وأخراه (ص١٤).

ويرى د. زقزوق أن أول كلمة كانت من الوحي الإلهي على محمد ﷺ، وهي «اقرأ» تتجه إلى مخاطبة هذا العقل كما وردت في هذه الآيات الأولى من الوحي الإشارة إلى القلم، والعلم، وهذا تأكيد على أهمية القراءة التي هي مفتاح العلم، وبالتالي مفتاح الحضارة، وتأكيد على أهمية تدوين العلم بالقلم، وحفظه من الضياع، لتستفيد منه الأجيال، وذلك من المهام الرئيسة للعقل الإنساني»(ص١٧)، ومن الواضح أن الإسلام بذلك يؤكد على أهمية العلم، ودوره في بناء حياة الإنسان على الأرض ومن هنا يطالبنا د.زقزوق بضرورة تعلم منجزات العلم للتحرر من سيطرة الغرب على شؤون حياتنا، وهذا ما يتفق مع دعوة القرآن الإنسان إلى التعلم والقراءة، وتحصيل المعارف الإنسانية.

ومن ناحية أخرى، يؤكد د.زقزوق على تركيز الإسلام على أهمية الإنسان، ومخاطبة القرآن الكريم له فيقول: «وجدنا القرآن الكريم - وهو الكتاب المقدس للمسلمين - يشتمل على موضوع رئيس هو الإنسان، فكل ما في القرآن إما حديث إلى الإنسان، أو حديث عن الإنسان، أو أمر يتصل بشكل أو بآخر بالإنسان، فالإنسان هو قضية القضايا في الدين، وهو محور الكون، وهو سيد في الكون، والدين الإسلامي هو الذي أعطى له هذه المكانة المتفردة، لأنه خليفة الله في الأرض، وأسند إليه مهمة تعمير الكون، وصنع الحضارة فيه» (ص٨).

ويؤكد د. زقزوق على أن الإسلام ينظر إلى الإنسان نظرة واقعية يلبي من ناحية حاجاته المادية، وفي الوقت نفسه لا يهمل حاجاته الروحية، ومن خلال هذا المزج الفريد المتوازن بيَّن أنه بهذين الجانبين تستقيم حياة الإنسان، وبالتالي يكون شخصية قوية، وهذا ما ورد في الآيات التالية:

(وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنسى نصيبك من الدنيا) القصص:٧٧.

(وكلوا واشربوا ولا تسرفوا) الأعراف:٣١. (ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط) الإسراء:٢٩.

وإذا كان القرآن قد دعا الإنسان إلى عمارة الأرض، فإن تخلف

المسلمين عن عمارة الأرض يعني أنهم تخلفوا عن مسؤوليتهم وتركوها لغيرهم. (ص١٩).

ومن ثمَّ، فإن تخلف المسلمين الآن يرجع إليهم، وليس إلى الإسلام، فالإسلام سيظل شامخاً بتعاليمه، وإذا اشرأبت أعناق المسلمين، وقلوبهم نحوه - بصدق - جذبهم إلى أعلى، وإذا أرادوا أن يخضعوه لنهمهم السقيم تخلى عنهم وتركهم يسقطون في هذا التخلف» (ص٢٩)، ومن ثمَّ فلن يتحقق التقدم للمسلمين إلا باستعادة الوعي بالإسلام بوصفه دين العقل، والعلم، والحضارة.

٢ - الإسلام وتحديات القرن الحادي والعشرين:

وفي هذا الفصل يعالج د.زقزوق أهم التحديات التي يواجهها الإسلام في الفترة الراهنة ويقسمها إلى تحديات داخلية، وأخرى خارجية:

أ - تحديات داخلية: وتشمل على :

١ - ظاهرة الإرهاب: وتعد هذه الظاهرة على رأس التحديات الداخلية التي تواجه العالم الإسلامي، لأنها تهدف إلى زعزعة الاستقرار في المجتمع المسلم، وتهدد أمن الوطن وهذا ما يتضح في حادث الأقصر الذي أضر بسمعة مصر، وصورة الإسلام في الخارج (ص٣٧).

٢ - الفهم الخاطئ للإسلام: الإسلام دين الاعتدال والوسطية يكره التطرف والغلو ويدعو إلى التيسير على الناس والرحمة بهم، ورغم هذا فإن د.زقزوق يرى أن هناك اتجاهات تفسر الإسلام على هواها وتريد أن تشده ناحية اليمين مرة، وناحية اليسار مرة أخرى، وذلك بتفسيرات خاطئة تجعل منه إما ديناً جامداً متقوقعاً لا يقوى على مسايرة الزمن، ولا يراعي متغيرات الحياة، وإما أن تجعله ديناً دموياً عدوانياً، ولا مكان لهذه الاتجاهات في الإسلام (ص٣٨)، ومن ثمَّ يرى د.زقزوق أنه لابد من تقديم فهم مستنير للإسلام وتعاليمه، ويكشف عن الوجه الحضاري لهذا الدين الذي تتماشى تعاليمه مع كل زمان، ومكان، وبيان قدرته على التطور، ومواجهة متغيرات الحياة، وتاريخ الإسلام شاهد على ذلك. (ص٤٠)

ب - تحديات خارجية: وتشتمل على مسائل عدة :

١ - الخوف من الإسلام في الغرب: حيث إنه في الفترة الأخيرة راح الغرب يبحث عن عدو بديل للشيوعية، ولم يجد إلا الإسلام ليكون هو العدو البديل، إذ يبدو أن الغرب لا يستطيع أن يعيش دون أن يكون له عدو، ومن ثم بدأ الحديث في الغرب عن الأصولية الإسلامية، والإرهاب الإسلامي، والخطر الذي يهدد الحضارة الغربية من هذا الشر المدمر الذي هو الإسلام في زعمهم. (ص٤١)

٢ - صراع الحضارات: ويرتبط بقضية الخوف من الإسلام في الغرب الترويج لنظرية صراع الحضارات، وأن هذا الصراع أمر حتمي، وبطبيعة الحال يوضع في الاعتبار في هذا التفكير صراع

احتضان الغرب لسلمان رشدي حلقة من حلقات المخطط الإعلامي ضد الإسلام

الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية، ويرى د.زقزوق أنه إذا كان البعض في الغرب يتبنى حتمية صراع الحضارات، فإن الإسلام كدين لا يرى ذلك أمراً حتمياً لا مفر منه، لأنه الصراع القائم بين البشر لا يقتصر على الصراع بين الحضارات، فهناك صراعات تبرز بين البشر داخل الحضارة الواحدة وكذلك فإن الإسلام يؤمن بالتعددية، كما يبدو من الآية الكريمة (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا) الحجرات:١٣.

٣ - العولمة: حيث ظهر منذ سنوات ما يسمى بالنظام الجديد، وذلك بعد انهيار الاتحاد السوفييتي، وأصبح الحديث عن العولمة أمراً مطروحاً، ويعد نظام العولمة من التحديات الكبرى التي تواجه العالم الإسلامي في القرن المقبل، فهل يمكن إخضاع المسلمين لهذا النظام. (ص٤٤)، ويرى د.زقزوق أن حقائق الإسلام وطبيعته، لا يمكن أن تذوب في أي نظام آخر، فله ذاتيته، وكيانه الخاص، ولكن هذا التصور الإسلامي لا يتناقض مع أية كيانات أخرى لأن التعددية الدينية والحضارية قد كفلها الإسلام، منذ قامت للإسلام دولة (ص٤٤).

٤ - التطورات العلمية: وبالإضافة إلى التحديات السابقة تحدي آخر، وهو التطورات العلمية المتلاحقة على الأرض، وفي الفضاء، والتي تسارعت خطاها على نحو مذهل، ووصلت إلى إتمام الاستنساخ الكامل لبعض فصائل الكائنات الحية فأين موقف الإسلام والمسلمين من هذه المرحلة؟ وهل استعد المسلمون للمشاركة الجادة في الجهود العلمية؟ (ص٤٥).

ويؤكد د.زقزوق على أن الإسلام يساعد العلم، ويدعم مسيرته، ولا يمكن أن يكون هناك تعارض بين الإسلام، وحقائق العلم بأي شكل من الأشكال، ومجال العلم في الإسلام غير محدود، فهو يشمل السماء والأرض، وما بينهما، فليس هناك قيود، ولا سدود في الإسلام تقف في طريق التقدم العلمي مادام ذلك في مصلحة الإنسان، وهذه المصلحة تحوطها القيم الأخلاقية بسياج يحميها من سوء الاستغلال (ص٤٦).

وعن موقف الإسلام من الاستنساخ يرى د.زقزوق أن الاستنساخ إذا كان فيه مصلحة للإنسان في مجال النبات والحيوان فلا يستطيع عاقل أن يرفضها، أما الاستنساخ في مجال الإنسان فليس هناك اتفاق على أنه يحقق مصلحة واضحة للإنسان، بل العكس هو الصحيح لأنه يترتب عليه مشكلات عديدة على المستويات الدينية والأخلاقية والاجتماعية، والقانونية وغيرها. (ص٤٧)

الحملات الضارية ضد الإسلام والمسلمين اليوم ليست وليدة ظروف جديدة طارئة

٤ - الدين في مواجهة الإرهاب:

وفي هذا الفصل يؤكد د.زقزوق أن الإسلام دين تعمير لا تخريب، وأنه يراعي حقوق الإنسان، وأن الإسلام يؤكد على قيم الأخوة والتعاون.

(وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على

الإثم والعدوان) المائدة:٢. فهذه القيم هي التي تؤدي إلى التعمير والبناء، ولهذا فإن حضارة الإسلام هي حضارة العلم والعمل، والمسلمون مطالبون بالتعلم، والعمل حتى يعمروا الأرض. (ص٥٥)، ومن ثم فإن طبيعة الإسلام تأبى الإرهاب، وقتل النفس دون وجه حق، أو الفساد في الأرض، والتخريب فيها.

ومن جانب آخر يؤكد د.زقزوق على أهمية الاستنارة الدينية، أو التفكير العلمي، ويعني د.زقزوق الاستنارة الدينية أنها «تعني أن نعمل العقل في فهمنا للدين، وأن نقرأ الدين في ضوء مقررات العقل السليم... وإذا كان الدين الإسلامي لا يتعارض مع العقل، فإن الاستنارة الدينية أمر مطلوب وضروري، لأنها تعني استبعاد التفسيرات الخرافية واللاعقلية في فهم الدين، وظواهر الكون، ورفض ما يتعارض مع مقررات العقل السليم. (ص٦١)، ومن هنا يتضح مدى أهمية التوعية الدينية المؤسسة على مقررات العقل، والتوعية المبنية على المناهج العلمية الصحيحة، حتى يتبين أنه ليس هناك أساس للخصومة المصطنعة بين العلم والدين، فهذه الخصومة ليست في صالح الدين، ولا في صالح العلم، ولا في صالح المجتمع، وعلينا أن نربي أبناءنا، وبناتنا على هذه الأسس التي تهيئهم للإسهام الجاد في بناء المجتمع وتقدمه، وازدهاره، وفي الوقت نفسه تعصمهم من الانحراف، أو الجمود والانغلاق (ص٦٥)، ومن ثم نلاحظ مدى تأكيد د. زقزوق على أهمية الفهم السليم للإسلام الذي يتوافق مع مسلمات العقل، الفهم الذي يكشف معدن الإسلام الحقيقي، ولا يؤدي إلى تصرفات إرهابية تسيء إلى الإسلام والمسلمين في جميع أرجاء العالم.

من الضروري على مؤسسات الدعوة أن تقوم بتنشيط الدافع الذاتي لدى المسلمين

٤ ـ الإسلام والاستشراق:

مما لا شك فيه أن الدراسات العربية حول الاستشراق عديدة، إلا أن دراسة د.زقزوق حول علاقة الإسلام بالاستشراق، تكشف لنا العديد من الجوانب الجديدة، فهو يرى أن «الواقع الذي لا يمكن إنكاره، هو أن الاستشراق له تأثيراته القوية في الفكر الإسلامي الحديث إيجاباً أو سلباً، أردنا أم لم نرد، ولهذا فإننا لا نستطيع أن نتجاهله، أو نكتفي بمجرد رفضه، وكأننا بذلك قد قمنا بحل المشكلة، إننا لو فعلنا ذلك لكنا كالنعامة التي تدفن رأسها في الرمال» (ص١٤٥).

ويرى د.زقزوق أن الدوافع الأولى للاستشراق كانت «تتمثل في ذلك الصراع الذي دار بين العالمين الإسلامي والمسيحي في الأندلس، وصقلية، كما أدت الحروب الصليبية بصفة خاصة إلى اشتغال الأوروبيين بتعاليم الإسلام وعاداته، وقد نشط اللاهوتيون المسيحيون في ذلك الوقت ضد الإسلام، وزعموا فيه ما زعموا أن الإسلام قوة خبيثة شريرة، وأن محمداً ـ ﷺ ـ ليس إلا صنماً وإله قبيلة وشيطاناً» (ص١٤٦)، ويرى د.زقزوق أن هذا الاتجاه الخرافي عن الإسلام ورسوله ما يزال للأسف ـ حياً في العصر الحاضر في كتابات بعض المستشرقين... ولكن على الرغم من سيطرة هذه النظرة عن الإسلام في بعض الكتابات الاستشراقية إلا أن هناك اتجاهاً آخر أنصف الإسلام وقدم صورة مشرقة عن الإسلام، ونبيه ﷺ، ونظر إلى الإسلام بوصفه مهد العلوم الطبيعية، والطب، والفلسفة» (ص١٤٨).

وجود تلميذة مسلمة تغطي رأسها في مدارس الغرب أمر يشغل الرأي العام الغربي كله!!

ويكشف د.زقزوق عن علاقة الاستشراق بالاستعمار فيقول: «كان للمد الاستعماري في العالم الإسلامي دوره في استخدام فئة من المستشرقين للمساعدة على تحقيق الأهداف الاستعمارية في بلاد المسلمين عن طريق دراستهم الموجهة إلى خدمة الاستعمار» (ص١٥٣).

ومن ناحية أخرى يكشف د.زقزوق عن علاقة اليهود بالمؤسسات الاستشراقية فيقول إن «اليهود دخلوا ميدان الاستشراق بوصفهم الأوروبيين لا بوصفهم يهود، وبذلك فقد كسبوا مرتين، كسبوا أولاً فرض أنفسهم على الحركة الاستشراقية، وكسبوا ثانياً تحقيق أهدافهم في النيل من الإسلام، وهي أهداف تلتقي مع أهداف غالبية المستشرقين المسيحيين، فقد ظل اليهود طوال تاريخهم يتحينون كل فرصة متاحة ليكيدوا للإسلام والمسلمين، وقد وجدوا في مجال الاستشراق باباً ينفثون منه سمومهم ضد الإسلام» (ص١٥٤).

وإذا كان د. زقزوق قد اهتم بكشف النقاب عن علاقة الاستشراق باليهود، والاستعمار، فإن هذا لم يمنعه عن بيان الجوانب الإيجابية للاستشراق، فيرى أن أهم هذه الجوانب هي «إخلاص بعض المستشرقين ـ في العمل الثقافي، وتحقيق العديد من المخطوطات التراثية النادرة، وتأليف دائرة المعارف الإسلامية، وتأليف العديد من المعاجم المهمة عن الحضارة العربية» (ص١٥٥).

وبالإضافة إلى الجوانب الإيجابية، فإن هناك العديد من الجوانب السلبية ولعل أهمها «النظر إلى الإسلام أحياناً بمنظار القرون الوسطى المليئة بالضغينة على الإسلام، وعدم الموضوعية في اتهام الإسلام بأنه غير قادر على الإبداع والاجتهاد، وذلك لصالح العقل الغربي، ومحاولة المستشرقين التأكيد على أهمية الفرق المنشقة عن الإسلام كالبابية والبهائية، والقاديانية ومحاولة تعميق الخلاف بين السنة والشيعة، وكذلك من مساوئ الاستشراق تحالف بعض المستشرقين مع الاستعمار وذلك لخدمة أغراض استعمارية» (ص١٥٥).

وفي النهاية يدعو د.زقزوق إلى بناء استراتيجية عربية إسلامية تعمل على مواجهة الاستشراق والرد على سلبياته من خلال وجهة نظر أكاديمية عن الإسلام وتعاليمه.

٥ ـ دور مؤسسات الدعوة حيال الغزو الفكري

وفي هذا الفصل يرى د.زقزوق أن مؤسسات الدعوة مفهوم واسع يشمل وزارات الأوقاف، والمساجد التي تتبعها وما تقوم به من توعية دينية،

وتشمل أيضاً معاهد التعليم التي تعني بالتكوين الإسلامي، ومجالس الشؤون الدينية، وكل مؤسسة أو منصة إعلامية تهتم بالتوعية الدينية.

ويعرف مفهوم الغزو الفكري «بأن هذا المفهوم يقصد به كل التيارات الفكرية الهدامة الواردة من الغرب الرأسمالي أو الشرق الماركسي» (ص١٧٧). ويرى د.زقزوق أن دور مؤسسات الدعوة في مواجهة الغزو الفكري يتحقق من خلال عدة بنود رئيسة:

أ - تحصين الجبهة الداخلية: من الضروري على مؤسسات الدعوة أن تقوم بتنشيط الدافع الذاتي لدى المسلمين، وإبراز القيم الإسلامية المنسية مثل: قيم العمل، والوقت، والحق، والخير، والجمال وترسيخ هذه القيم في النفوس، فلن يجدينا في شيء أن نكتفي بسرد تاريخنا المشرق، والتغني بما كان لنا من أمجاد سابقة» (ص١٩١)، ومن ناحية أخرى، فإن د. زقزوق يرى أنه من الضروري تدريس الثقافة الإسلامية في الجامعات الإسلامية حتى لا يترك الطالب في هذه المرحلة الحاسمة من مراحل حياته نهباً لشتى التيارات الفكرية دون أن يكون لديه حصانة كافية من دينه وتراثه وقيمه، ودون أن يكون لديه الانتماء الراسخ لعقيدته وتاريخه» (ص١٨٣).

ب - المواجهة المباشرة: يرى د.زقزوق أنه من الضروري مواجهة الغزو الفكري مواجهة مباشرة عن طريق دراسة هذه التيارات، وتفنيدها وحماية المسلمين من أخطارها» (ص١٧٤).

ج - خطوات عملية: وهنا يطالب د.زقزوق بضرورة اتخاذ عدة خطوات عملية لمواجهة الغزو الفكري مثل إنشاء مركز علمي للدراسات الاستشراقية، ومركز علمي لدراسة التيارات المعاصرة، وموسوعة إسلامية عالمية، وجهاز عالمي للدعوة الإسلامية في الخارج» (ص١٨٩) هذه المؤسسات يكون دورها عرض الإسلام بشكل موضوعي، ومحاربة التيارات الهدامة.

٦ - مستقبل الإسلام في الغرب

وفي هذا الفصل يرى د.زقزوق أن الإسلام في الغرب يتعرض لتحديات عديدة، وذلك لظهور الخوف من الإسلام بطريقة شديدة في أوروبا لدرجة أن أحد علماء الطبيعة الألمان الذي كان من المعارضين لإنشاء مركز إسلامي في العاصمة الألمانية - بون - عبَّر عن مقدار سوء الظن بالمسلمين قائلاً: إنه أحب لديه أن يبنى «مفاعل ذري» أمام باب منزله من أن يُبنى مركز إسلامي معللاً بأن المفاعل الذري يمكن أن يحسب حسابه، أما المسلمون فلا يستطيع المرء أن يتنبأ بالأخطار التي ترد منهم» (ص١٩٨)، وقد أصبح وجود تلميذة مسلمة تغطي رأسها في مدارس الغرب أمر يشغل الرأي العام الغربي كله بوصفه ذلك أمراً يتعارض مع التقاليد والحضارة الغربية، ولأنه في الوقت نفسه يذكر الناس هناك بالإسلام، وهذا في حد ذاته أمراً غير مرغوب فيه» (ص١٩٨).

الإسلام ينظر إلى الإنسان نظرة واقعية يلبي من ناحية حاجاته المادية ولا يهمل حاجاته الروحية

ومن ثمَّ يرى د.زقزوق أن المسلمين يواجهون في الغرب مشكلات دينية، واجتماعية، وحضارية، وسلوكية، وأصبح الوجود الإسلامي في الغرب يتعرض اليوم لأبشع الحملات الإعلامية، وموجات الكراهية، والتخويف من جانب الجماعات المتطرفة من النازيين الجدد في ألمانيا، واليمينيين المتطرفين في فرنسا، وغيرهما من الجماعات المتطرفة في بلاد غربية أخرى، وهي حملات ليست موجهة ضد المسلمين كأشخاص فحسب، بل ضد الإسلام بوصفه ديناً غير مرغوب فيه، وما احتضان الغرب لسلمان رشدي، والدفاع عنه، إلا حلقة من حلقات هذا المخطط الإعلامي ضد الإسلام» (ص١٩٩)، ويفسر د.زقزوق هذا العداء من الغرب تجاه الإسلام إلى سوء فهم الغرب للإسلام، وسوء الفهم هذا نتاج تشويه متعمد للإسلام منذ قرون طويلة، فالحملات الضارية ضد الإسلام اليوم ليست وليدة ظروف جديدة طارئة، وإنما هي نتيجة ترسبات قديمة ترسخت في العقلية الغربية منذ فتح الأندلس» (ص٢٠٠).

ويرى د.زقزوق أنه من العجب أن يجد المرء الأديان الأخرى، وبخاصة الأديان البشرية تعامل من جانب الغرب معاملة منصفة، والإسلام وحده من بين كل أديان العالم هو الذي يهاجم، ويُساء إليه، وهو وحده الذي يرمي بكل النقائص، وترتعد فرائص الغربيين حينما يسمعون عما يسمى بالصحوة الإسلامية في بعض بلاد المسلمين، وينظر الغرب اليوم إلى الإسلام على أنه هو ذاته العدو البديل بعد انهيار الاتحاد السوفييتي... ولعل هذا ما يتضح في وقوف الغرب موقف المتفرج لأكثر من عامين من مأساة البوسنة والهرسك، وقد ظلت أوروبا تنافق طوال هذه المدة، وتكتفي بإصدار بيانات الشجب والاستنكار إلى أن يحقق الصرب أهدافهم» (ص٢٠١).

ويؤكد د.زقزوق على أن مستقبل الإسلام في الغرب يتوقف على المسلمين القاطنين في العالم الإسلامي، والمسلمين المقيمين في الغرب، وذلك من خلال الاتحاد في العمل على مواجهة هذا العداء من خلال:

١ - إنشاء دائرة معارف إسلامية باللغة العربية واللغات الأجنبية تعرض الإسلام عرضاً علمياً.

٢ - ترجمة معاني القرآن الكريم.

٣ - إصدار موسوعة فقهية مختصرة باللغات الأجنبية تشتمل على كل ما يهم المسلم معرفته في حياته التمهيدية.

٤ - ضرورة فهم العقلية الغربية.

٥ - ضرورة اتحاد المجموعات الإسلامية في الدول الغربية، وتوثيق الروابط فيما بينها.

٦ - ضرورة إيجاد الصيغة المناسبة للحفاظ على الذاتية الإسلامية للمسلمين في الغرب.

وخلاصة القول: إن كتاب «هموم الأمة الإسلامية» يتعرض للعديد من القضايا الشائكة التي تواجه العالم الإسلامي، وكيفية مواجهتها. ■

لا بد من بناء استراتيجية عربية إسلامية تعمل على مواجهة الاستشراق والرد على سلبياته

قصة العدد

بقلم: محمد علي وهبة

تائب إلى الله

جلس مهموماً بجوارها، وهي غارقة بكل أحاسيسها داخل رأسها، تفكر في إيجاد مخرج من الورطة التي وضع نفسه ووضعها معه في جحيمها، فكانا عائدين حالاً من بيت العروس، التي يهيم بها حباً، وترتعد هي منها ومن أهلها رعباً، حتى أنها فور خروجهما من عندهم، قالت له بنبرات صوت قاطعة متوجعة:

- لا أوافق على هذه العروس!

سألها متعجباً:

- لماذا يا أمي؟!

قالت وهي تلوي شفتيها بامتعاض:

- منبتها غير مأمون!

كان لقولها تأثير الصدمة على قلبه، فظل ملجوم الحلق، وهو يسير بجوارها، دون أن ينطلق بشيء، حتى وصلا إلى البيت.

ظل يتأملها، وهي جالسة أمامه في صمت، ثم قال بانفعال:

- مالي أنا ومنبتها؟!

أطاحت برأسها نحوه، وهي تنظر إليه، وعيناها تتسعان وتشتعلان، وكانت تود أن تثور غاضبة في وجهه، الذي ترى فيه صورة وجه المرحوم أبيه، الذي تجله كثيراً لهدايته، واستقامته التي ظل محافظاً عليها حتى وافته منيته، أخيراً هزت رأسها أمامه، وهي تقول في هدوء:

- إن الرسول ﷺ حذرنا من التزوج بهذه الطريقة.

وذكرت له أنه ﷺ قال:

«إياكم وخضراء الدمن، قيل: يا رسول الله وما خضراء الدِّمن؟ قال: المرأة الحسناء في المنبت السوء».

كانت تتوقع منه أن يوافقها على رأيها، لكنها رأت بوادر إحساس بالانقباض والرفض ترتسم على ملامح وجهه، ثم فوجئت به يقول، وهو يضغط على الكلمات بين شفتيه:

- إني أراها مفتاحاً للسعادة!

صاحت في وجهه:

- وإني أراها مفتاحاً للتعاسة!

لا يدري كيف انفلت منه عيار أعصابه، وهو ينهرها بشدة قائلاً:

- أرجوك يا أمي... لا تتحدثي عنها هكذا!

أصابها الوجوم، وغشت عينيها سحابات الغيوم، وهي تتأمله بنظرات مصدومة وأحاسيس مطعونة، فكانت لهجته معها نارية حارقة، ونبرات صوته خارقة صاعقة، وملامح وجهه مشتعلة بغضب كشوب من حميم في نار الجحيم، وذراعاه تعتصران، وهو يلوح بهما أمام وجهها في احتقان ملعون، حتى أن الدم كان موشكاً على الهروب من عروقها، وأوشكت أنفاسها على الانقطاع من فرط إحساسها بفجيعتها فيه، فلم تصدق أنه وليدها وفلذة كبدها، الذي ذاقت مرارات الدنيا في حمله ووضعه ورضاعته ورعايته، حتى صار رجلاً.

زاد إحساسها بالفجيعة عندما سمعته يقول:

- لا أستطيع العيش من دونها!

وعندما رأته يتهيأ للخروج سألته:

- إلى أين؟

أصابها الذهول، وهو يقول:

- إني ذاهب إليها!

استقر انصفاق الباب في رأسها بشدة بعد خروجه، فأحست بانهيار كل مباهج الحياة من حولها دفعة واحدة، وظلت متجمدة في جلستها، وقد أصيب قلبها برجفة مؤلمة مع ارتجاف عينيها بالدموع، وبدأ ينعقد شرر غضبها وسخطها عليه في قلبها، فلم تجد في البنت شيئاً يستحق الاهتمام، ولم يعجبها بريق ولمعان أصباغ وجهها، وصبغة شعرها باللون الأصفر، الشبيه بلون القش، لم يعجبها أيضاً شكل ملابسها الحاسرة الثائرة، ونظرات عينيها الشاطحة في بهارج الافتتان، الخالية من سكينة الايمان وهدأة الإحساس بالأمان.

وزاد عدم ارتياحها لها عندما سألتها:

- أتحفظين شيئاً من كتاب الله؟

تجمدت في جلستها وهي تفكر للحظات، ثم ابتسمت وهي تحاول أن تخرج من حالة إحساسها بالحرج وقالت بلا مبالاة:

- لا....!

كانت تود أن تترك البيت، وتخرج باندفاع غاضب مع ابنها، دون تعليق على قولها، لكنها استطاعت أن تكظم غيظها، حفاظاً على آداب السلوك في مثل هذه المناسبة، وظلت تنصت لكلامها، وكلام أبيها وأمها، الذي لم يخرج عن الحديث حول توافه الأمور ومظاهر الأشياء، وما تستحقه بنتهما من ذهب ومال، لأنها ذات جمال.

ما فائدتها إذا لم تكن ذات دين؟

قالتها في نفسها، وكانت تود أن تقولها لابنها، لكنه خرج وتركها وحدها بين نار قلقها وانكسار قلبها.

احتواه حلق الشارع المفتوح بعد خروجه من البيت، وكان قد بدأ ينطلق راكضاً إلى بيت العروس، لكنه أحس بخطواته تتباطأ فجأة، وهو يقترب من المسجد المجاور لبيتهم،

وكان الوقت عصراً، وصوت المؤذن ينطلق في سبحات الفضاء بالآذان للصلاة، فوجد نفسه يتوقف عن السير، وصورة أمه ترتسم في رأسه، وهي تحاول أن تكتم إحساسها بالارتعاد من الطريقة التي كان ينهرها بها، حتى تصور أنها موشكة على الإصابة بالشلل، فأصابته رعشة مرعدة في قلبه، أحس بسريانها في أعماقه حتى النخاع، فرفع رأسه للسماء، التي كانت ملبدة بالغيوم، واستجمع كامل أحساسيه، وإشعاع نبض قلبه وروحه، وحاول أن يبتهل إلى الله قائلاً:

- يا رب اجعل أمي تسامحني!

لكنه لم يستطع تحريك لسانه بالدعاء، وأحس بأن لسانه قد أصيب بالشلل، فأصابه إحساس مخيف بالفزع، ودارت الدنيا برأسه دورات خاطفة راجفة، وهو يستند بجبهته على عمود النور المجاور له في قلب الشارع الغارق في عتمة الغيوم، وكان ملمس العمود جامداً بارداً تحت ضربات عواصف الشتاء بصفيرها المدوي في خلاء الفضاء.

ظل واقفاً هكذا، مغمض العينين، وفي حالة أشبه بفقدان الوعي، وهو يرى كائنات غريبة ذات أشكال رهيبة، تدور حوله، وهي تقرع رأسه بقبضات حديدية، شبيهة بضربات المطارق، حتى أحس بصوت شيخ المسجد، الذي كان يعرفه ويعرف أباه وأمه، وهو يقترب نحوه، ويسأله:

- مالك يا بني؟!

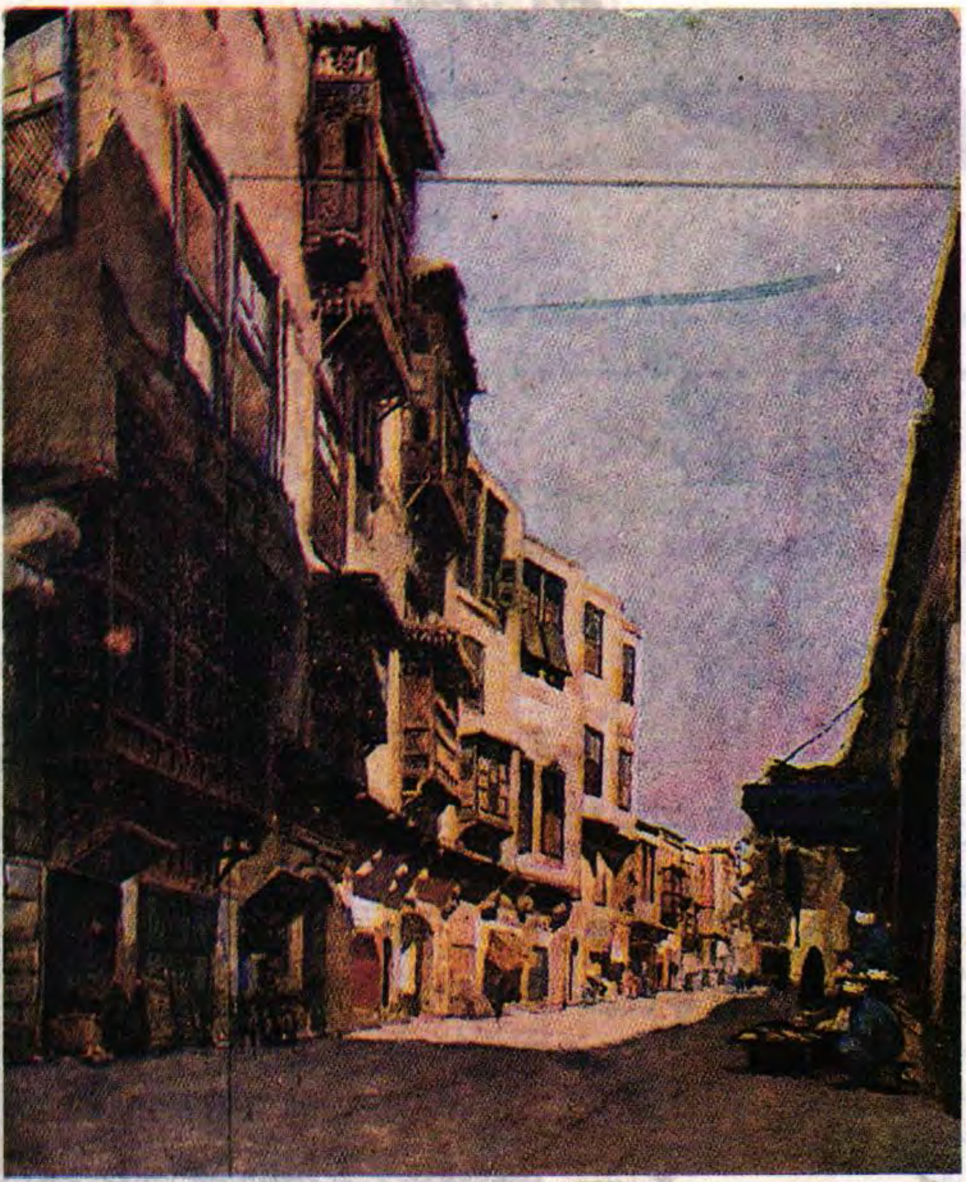
رفع رأسه نحوه في بطء ثقيل، وهو ينظر إليه بعينين تسحان بالدموع، استعاذ الشيخ بالله من الشيطان، ونطق باسم الله عليه، وهو يمسح براحة يده على رأسه في رفق وسأله:

- ماذا بك؟!

انتفض في وقفته، وهو يحاول أن يتكلم، لكنه وجد صعوبة في النطق، وتلعثم لسانه بكلماته الأولى، وظل يتلعثم وهو موشك على البكاء من جديد، والعرق يرشح غزيراً على جبهته، ولكن الله أنزل عليه رحمته وسكينته أخيراً، ومنحه القدرة على النطق، فبدأ يروي للرجل قصته، وانتفض نبض قلبه، مع انتفاض أوصاله بكاملها في هلع، وهو يصف له الطريقة التي نهرها بها في قسوة، وأصابتها بصدمة شنيعة وفجيعة مريعة.

زم الشيخ شفتيه في استياء، وهو يكتم أنفاسه ويتأمله بنظرات مشفقة، ثم قال له:

- سخط أمك عليك كاد يعجزك عن النطق



إلى الأبد!

ثم ابتسم، وهو يقول له في لهجة سريعة وبلا تفكير:

- عد إليها حالاً... واطلب رضاءها.

وواصل كلامه قائلاً:

- رضاؤها عليك أربح لك من الدنيا وما فيها.

وقال له، وهو يرى وجهه قد بدأ يشع ببسمة ساطعة:

- هيا... وحاول أن تلحق بنا في الصلاة.

لن تصدق أمه عودته سريعاً، ولم تصدق ما رأته في ملامح وجهه، التي تبدلت من العتمة إلى الإشراق.

عندما سألته عما حدث، حكى لها سريعاً، وهو مغمور بالسرور، ثم قال:

- أراد الله بي خيراً.

وتنفس في ارتياح، وهو يقول:

- الحمد لله.

وقال وهو يبادلها التبسم والشعور بالابتهاج:

- لن أعود لبيت هذه العروس مرة أخرى.

كان صوتها مرتعشاً في حلقها مع اهتزاز نبض قلبها وارتعاش عينيها بدمعات السرور، وهي تقول له:

- زادك الله من هدايته يا بني.

فأمسك بيديها وقبلهما: ثم سألها:

- أراضية عني يا أمي؟

قالت:

- راضية من كل قلبي يا حبيبي.

وزاد إحساسه بالسرور لسرورها، وهي تمطره بدعائها، النابع من أغوار قلبها، وكان يشعر بصوتها الساطع بالدعاء، كشعاع من نور خفي يمتد من أقاصي الأرض إلى آفاق السماء. ■

شخصيات

بقلم : حواس محمود

مفكر إسلامي ورائد من رواد النهضة الإسلامية الحديثة

مالك بن نبي

يعد مالك بن نبي (١٩٠٥م - ١٩٧٣م) أحد المفكرين الإسلاميين الذين قدّموا رؤاهم لنهضة بلادهم على هدي من القرآن الكريم للخروج من مأزق التخلف والتنمية، فاهتم بالوقت باعتباره ممراً يدخل المجتمع من خلاله أو يخرج من حركة التاريخ، وبالفاعلية على أنها فهم جوهر الإنسان والتاريخ وعلاقتهما الواحد بالآخر، وبالحضارة على أنها جملة العوامل المعنوية والمادية التي تتيح لمجتمع أن يوفر لكل فرد من أعضائه الضمانات الاجتماعية اللازمة لتقدمه، وكان مالك بن نبي - يرحمه الله - مفكراً تفهّم عصره فبقيت أعماله نابضة بالأصالة ومتوهجة بروح العصر، ولد الأستاذ مالك بن نبي بعاصمة الشرق الجزائري «قسنطينة» من أب موظف بسيط وأم خياطة، انتقلت به عائلته إلى «تبسّة» حيث ارتاد المدرسة القرآنية لمدة أربع سنوات بالتوازي مع المدرسة الفرنسية، ولكن مع بداية الحرب الكبرى سنة ١٩١٤م انتقل ثانية إلى قسنطينة ولكن جدته لم تستطع تحمل دلاله فعادت به أمه إلى تبسّة حيث دخل الإعدادية «لتحضير المرحلة الثانوية»، وكان متفوقاً على أقرانه، فأعطي منحة لمواصلة الدراسة بقسنطينة، وهناك زاوج بين تأثير الأستاذ مارتن والشيخ عبدالحميد بن باديس فكانت له ثقافة كبيرة متميزة باللغتين العربية والفرنسية، برغم صغر سنه، وتجدر الإشارة إلى أنه بين عامي ١٩٢١م - ١٩٢٢م بدأت تبرز قوة شخصيته ودرجات وعيه المبكر وكذا خيالاته وأحلامه من خلال محاوراته ومسامراته الليلية مع مختلف المدرسين القادمين من مختلف أرجاء الوطن.

الثقافة شغلت حيزا واسعا من الانتاج الفكري عند مالك بن نبي

الغوص في الفكرة المضادة ومحاولة تحليلها والرد عليها هو منهج ابن نبي

الاحتكاك بجميع شرائح المجتمع:

سافر مالك بن نبي سنة ١٩٢٥م إلى «مرسيليا» و«ليون»، فـ«باريس» بحثاً عن عمل مع أحد أصدقائه لكي يخفف عن نفسه وربما عن عائلته سغب العيش، ولكن دون جدوى، فعاد إلى الجزائر حيث عمل في تبسّة كمساعد كاتب في المحكمة إلى أن عيّن كاتباً رسمياً في منطقه آفلو «وهران» وقد أتاح له عمله هذا الاحتكاك بمختلف شرائح وطبقات المجتمع مما ساعده على تفسير ظواهر مختلفة فيما بعد، ولقد تعرّف إلى الشيخ عبدالحميد بن باديس سنة ١٩٢٨م، وذلك بعد عودته إلى قسنطينة، وعرف مالك قيمة الرجل التربوية والإصلاحية بعد سبع سنوات من وفاته (١٩٤٧م)، ومن ثم سافر مرة ثانية إلى فرنسا سنة ١٩٣٠م، إلا أنه لم تتح له الفرصة باعتباره جزائرياً، والجزائري يقيم سياسياً وليس علمياً، ولم يفقد الأمل فدخل مدرسة اللاسلكي، وتخرّج فيها مهندساً كهربائياً سنة ١٩٣١م، وتزوّج حينذاك فرنسية أسلمت وتسمَّت باسم«خيجة»، ولم تنجب له فتزوج ثانية بعد وصوله إلى مصر سنة ١٩٥٦م.

مراحل التكوين الفكري لمالك بن نبي:

يمكن تحديد المسار الفكري لمالك بن نبي عبر المراحل الثلاثة التالية:

المرحلة الأولى :

وتبدأ من بداية الوعي واكتشاف عالم المعرفة إلى أن تحدّدت وجهته.

المرحلة الثانية :

مرحلة التكوين، وهي التي امتدت منذ تحديد وجهته إلى مرحلة العطاء الفكري.

المرحلة الثالثة :

وهي مرحلة النضج والعطاء والتي امتدت منذ ظهر كتابه «الظاهرة القرآنية» عام ١٣٦٥هـ ـ ١٩٤٦م إلى وفاته ـ يرحمه الله.

مالك بن نبي ومفهوم الثقافة:

الحقيقة أن الثقافة تشغل حيزاً واسعاً من الإنتاج الفكري لمالك بن نبي الذي رأى إدراجه تحت إطار عام هو «مشكلات الحضارة» وذلك لما بين الثقافة والحضارة من علاقة لا تقبل الانفصام، فالثقافة ـ كما يرى ـ هي جوهر الحضارة، إذ إن الحضارة في حقيقتها قيم محققة في عالم الواقع ومن ثم فهو لا يلجأ إلى تقديم تعريف مدرسي عنها، وإنما يعرفها باعتبار صلتها الوظيفية بالحضارة، لذا جاء مفهومه عنها من زاويتين :

الزاوية الأولى التاريخية :

وهي بهذا الاعتبار مجموعة من الصفات الخلقية والقيم الاجتماعية التي تؤثر في الفرد منذ ولادته، وتصبح لا شعورياً العلاقة التي تربط سلوكه بأسلوب الحياة في الوسط الذي ولد فيه، فهي على هذا ـ المحيط الذي يشكل فيه الفرد.

الزاوية الثانية التربوية :

وتعني أن الثقافة تركيب عام لتراكيب جزئية أربعة هي الأخلاق والجمال والمنطق العملي والصناعة.

مراحل الحضارة :

يرى مالك بن نبي أن الحضارة في مجتمع معين تخضع للقانون الدوري فتمر بمراحل ثلاث، تبدأ بمرحلة الروح التي تكون الفاعلية فيها في أعلى مستوياتها، ثمّ مرحلة العقل التي يقلّ فيها مستوى الفاعلية بقدر ما يبرز من تعارض بين الروح والغريزة، ثم مرحلة الغريزة التي تتلاشى فيها الفاعلية، وتسود السلبية حين تستنفد الحضارة ما تبقى لديها من دفعة الروح، التي ابتدأ بها المجتمع الدخول لمرحلة الحضارة.

مشكلة الحضارة:

لقد خطّ مالك بن نبي طريقه في عالم الأفكار بدلاً من عالم الأشياء كيما يطرح لمسيرة النهضة الإسلامية طريقاً حديثاً يسبر المشكلات، إنها تبدو هنا الجهل، وهنالك الفقر، وفي مجال آخر النقص في

منهج ابن نبي يقوم على بناء مشروع حضاري اسلامي متكامل

الإمكانات والثروات الطبيعية، لقد طرح مالك بن نبي الأعراض هذه كلها في مختلف كتبه وعالجها معالجات متعددة، لكنها تصبّ كلها في إطار واحد: إنها مشكلة حضارة نحن خارجها، ومشكلة ثقافة لم يتكامل إطارها في متقلب حياتنا اليومية، ونحن لذلك شتى النوازع والقلوب والوسائل، تتعارض الإمكانات في مختلف الأصعدة ثم تسقط هذه في هوّة الفراغ والضياع وعدم الفاعلية.

مالك بن نبي والديمقراطية:

يعتمد مالك بن نبي في أعماله المتعلقة بالمقارنات مع الإسلام المنهج الرياضي القائم على الاستدلال بالخُلف، أي تحليل الطرف الآخر أو الفكرة المقابلة والغوص في معانيه ومحاولة اكتشاف مواطن الخلل أو العجز، مما يسهل عليه إعطاء البديل «الإسلامي» كضرورة معرفية أثبتت نجاعتها، وهذا ما فعله في كتابه «الظاهرة القرآنية» في مسألتي الوحي والنبوة مثلاً، والديمقراطية عنده تتعدى إطارها اللغوي إلى ما بعدها النفسي «السيكولوجي» والاجتماعي، فهي لم تعد بمعنى «حكم الشعب لذاته» أو «سلطة الشعب» اعتماداً على ما أورده توسيديد: «إذا كانت شؤون الدولة تدار عندنا لصالح الجماهير وليس لأقلية بعينها، فإنّ نظامنا قد اتخذ من الديمقراطية اسماً له».

إنها لم تعد بهذا المعنى الذي فرضته ورسخته الثورة الفرنسية بدساتيرها المختلفة وقوانينها الأساسية Statuts ونظامها الداخلي، ولو أن الثورة الفرنسية كانت تبتغي بذلك القضاء على النظام القديم، ويمكن القول إن فلسفة حكم الشعب لذاته من وجهة نظر التاريخ غير صحيحة لأننا نقرأ عن شعب سيّر شؤونه بنفسه، كما أورد الأستاذ عباس محمود العقاد في كتابه «الديمقراطية في الإسلام»، وإذا كانت السلطة تعني من جهة أخرى أن تحول الجماهير شؤونها إلى قائد فالتاريخ أيضاً يدلنا أن شعوباً كانت خاضعة لحكامها راضية عنها على الرغم من اضطهادها لها، ولهذا ينبغي علينا في الواقع أن نعيد الكرة في تحديد الديمقراطية دون ربطها مسبقاً بأي مفهوم آخر كالإسلام، فننظر إليها على أعمّ وجهها، أي في إطار عمومياتها قبل أن نربط الموضوع بأي مقياس آخر، هذا وقد نظر مالك بن نبي إلى الديمقراطية من ثلاثة وجوه وهي:

١ ـ الديمقراطية نحو «الأنا».

٢ ـ الديمقراطية كشعور نحو الآخرين.

٣ ـ الديمقراطية كمجموعة الشروط الاجتماعية والسياسية اللازمة لتكوين وتنمية هذا الشعور

عدم الفاعلية الفردية تقود في النهاية إلى تخلف على مستوى المجتمع بأكمله

في الفرد.

التخلف وجغرافية التخلف :

يعرّف مالك بن نبي التخلف بقوله: «نتيجة أو حاصل ضروب اللافاعلية الفردية، فهو فقدان للفاعلية على مستوى مجتمع معين»، وهذا يعني أن التخلف عنده هو عدم الفاعلية أو غيابها لدى الفرد في المجتمع، ويفرِّق مالك بن نبي بين النمو والتخلف كحالتين متناسقتين، على المستوى الجماعي، والفاعلية وعدم الفاعلية كحالتين متناسقتين أيضاً على المستوى الفردي، وهكذا فإن عدم الفاعلية الفردية تقود في النهاية إلى تخلّف على مستوى المجتمع بأكمله، وهو ما يصدق أيضاً على الفاعلية الفردية التي تقود المجتمع إلى النمو.

وتجدر الإشارة إلى أن مالك بن نبي يرى أن للتخلف جغرافيته وتاريخه، أما جغرافيته فتشمل المساحة التي تنتظم على وجه التقريب نصف الكرة الجنوبي، أما من الناحية التاريخية فهنالك شكلان للتخلف:

أ ـ الشكل الذي يعزى إلى عوامل مرضية كالتقهقر الذي ينتاب الآن أو انتاب في الماضي تطور المجتمعات التي كانت نامية سابقاً، كما هي الحال بالنسبة للمجتمع الإسلامي حتى آخر عهد دولة الموحدين.

ب ـ الشكل الذي يعزى إلى عوامل دائمة ومزمنة ومن الركود في المجتمعات البدائية، ويرجع مالك بن نبي التخلف إلى الإنسان المسلم الذي لم يتعلم طريقة استعماله وسائله الأولية أي التراب والوقت بصورة فعّالة، أو أن الإنسان قد نسي ما تعلمه من هذا الاستعمال بسبب الانفصال الذي

مراحل الحضارة عند مالك بن نبي تمر بثلاث مراحل : الروح والعقل والغريزة

علينا أن نعيد الكرة في تحديد الديمقراطية دون ربطها بأي مفهوم آخر

حدث للحضارة الإسلامية بين الفكر والضمير بعد معركة حطين عام ٥٣٨هـ التي قادها البطل الإسلامي الشهير صلاح الدين الأيوبي.

مؤلفاته وآثاره الفكرية:

أما بالنسبة لكتبه وآثاره الفكرية فيمكن القول بأنه لم يكف عن العطاء منذ سنة ١٩٤٦م حيث ألف أول كتاب وهو «الظاهرة القرآنية » هذا الكتاب كان سبب إسلام الكثير من الغربيين، تلاه برواية «لبيك» وهي رواية فلسفية سنة ١٩٤٧م، ثم «شروط النهضة» ١٩٤٨م، و«وجهة العالم الإسلامي» ١٩٥٤م، وبمناسبة انعقاد مؤتمر باندونغ كتب «الفكرة الأفروآسيوية»١٩٥٦م، ثم «حديث في البناء الجديد» ١٩٥٧م، و«مشكلة الثقافة ١٩٥٩م، و«الصراع الفكري في البلاد المستعمرة» ١٩٦٠م، وهو أول كتاب كتبه الأستاذ مالك بالعربية مباشرة، و«مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي» ١٩٧١م، و«المسلم في عالم الاقتصاد» ١٩٧٢م، و«بين الرشاد والتيه» (طبع بعد وفاته ١٩٧٨).

وختاماً: يمكن القول بأن العلامة مالك بن نبي بحق من أبرز أعلام النهضة الإسلامية الحديثة الذين نبغوا في مجال الفكر الحضاري وتطبيقاته الاجتماعية والإنسانية «الانثروبولوجية» كما عبَّروا بطريقة علمية رصينة عن الماضي الإسلامي الثقافي المشرق، وعن واقع الأمة الإسلامية الحضاري المعاصر بين الأمم الأخرى، إن أعماله قد قامت على بناء مشروع حضاري ضخم متكامل باتفاق كبير طوال حياته الفكرية من خلال استقرائه لمعطيات الواقع الإسلامي أولاً ومن معطيات الواقع الغربي ثانياً ومن معطيات التاريخ الإنساني ثالثاً. ■

المراجع :

١ ـ «مالك بن نبي من هم الغربة إلى هموم الوطن» مجلة الفيصل عدد ١٩٦ أبريل ١٩٩٣م ص٦.

٢ ـ عمر كامل مسقاوي «مالك بن نبي والدعوة للانتقال من التكديس إلى البناء» مجلة العربي العدد ٢٨٥ أغسطس ١٩٨٥م ص٦٧.

٣ ـ «معالم التكوين الفكري لمالك بن نبي» مجلة الفيصل العدد ١٩٦ أبريل ١٩٩٣م ص ٨.

٤ ـ د. عبدالله بن حمد العويسي «مفهوم الثقافة عند مالك بن نبي» مجلة الفيصل عدد ١٩٦، أبريل ١٩٩٣م ص ١٤.

٥ ـ فضيل بومالة «مفهوم الديمقراطية في فكر مالك بن نبي» مجلة الفيصل عدد ١٩٦ ص٢٤.

٦ ـ ابن نبي مالك: تأملات، دار الفكر ١٩٨٦م ص ٦٤.

٧ ـ هيام المالقي «التميّز الفكري عند مالك بن نبي» مجلة الفيصل عدد ١٩٦م أبريل ١٩٩٣م ص ٢٨.

٨ ـ محمد يحياوي «ربط الأصالة بالفاعلية في مشروع مالك بن نبي» مجلة الفيصل عدد ١٩٦ أبريل ١٩٩٣م ص٣١.

٩ ـ د. عدنان خليل باشا «إشكالية التخلف والمعادلة التنموية» مجلة الفيصل عدد ١٩٦ أبريل ١٩٩٣م ص ٣٣.

١٠ ـ مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، ١٩٧٢م القاهرة ـ ص٨٤.

١١ ـ مالك بن نبي، آفاق جزائرية، ص ٨٣.

١٢ ـ Thucydideo Histoir De La cuerredu Pélo - Po11ese. Livre 11 Chapitr 37.

الوعي الإسلامي
العدد 406
جمادى الآخرة 1420 هـ - سبتمبر / أكتوبر 1999 م

2



الأسرة المسلمة



لغة الطفل كيف نفهمها ؟

وقفات من اقتصاد البيت المسلم

التربية الاجتماعية وأثر البيئة في تربية الطفل

الاضطرابات الهضمية عند الأطفال



الإسلام .. والتربية الأسرية وتأثيرها على التنشئة الاجتماعية

عفواً سيدي الرجل

إعداد: د. حمد الرشيد

الإسلام... والتربية الأسرية وتأثيرها على التنشئة الاجتماعية

تعريف التربية

التربية في اللغة مصدر للفعل «ربَّى» الرباعي، وجاء مصدره على وزن تفعلة لأنه معتل على وزن فعل كما نقول في الفعل زكَّى تزكية ولمعرفة معنى هذه الكلمة لابد من الرجوع إلى أصولها في كتب اللغة العربية ومعاجمها.

قال في لسان العرب «ربا الشيء يربو ربواً ورباءاً زاد ونما وأربيته نميته، وربا المال زاد بالربا والربوة كل ما ارتفع من الأرض».

اهتم الإسلام بهذا الأمر فحث الزوج على اختيار الزوجة الصالحة التي ستكون أحد أركان الأسرة، بل أهم أركانها بالنسبة للمولود، وخاصة في مراحل حياته الأولى ولا غرابة:

الأم مدرسة إذا أعددتها

أعددت جيلاً طيب الأعراق

ولا شك أن حسن اختيار الزوجة من أقوى الأسباب في استقرار الأسرة وتماسك بنيانها يقول ﷺ: «تنكح المرأة لأربع: لمالها، ولحسبها، ولجمالها، ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك».

والمعنى الذي يهدف إليه الرسول - ﷺ - من هذا الحديث ونحوه مما ورد في معناه هو أن يحرص المسلمون في بنائهم للأسرة على تحري الزوجة الصالحة ذات الأصل الطيب لأن أخلاق المرأة تتأثر بالبيئة التي نشأت فيها وتربت في أحضانها كما أن أبناءها يرثون عنها الكثير من أخلاقها وطباعها إذ إن كل إناء ينضح بما فيه، لذلك ندب إلى اختيار المرأة من بيئة متدينة حتى تنقل إلى أبنائها وبناتها الطباع الكريمة والقيم الفاضلة»، وفي المقابل أيضاً جاءت الشريعة بحث ولي المرأة على حسن اختيار الزوج الكفء الذي يتمتع بالخلق الكريم ويلتزم بشرائع الإسلام، ولديه قدرة على قيادة الأسرة، والقيام بحقوق الزوجة والأولاد، روى أبو هريرة - رضي الله عنه - عن النبي - ﷺ - أنه قال: «إذا خطب إليكم من ترضون دينه وأمانته فزوجوه، إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير».

كما حرصت الشريعة على إثبات النسب للمولود وجعلته من أهم الحقوق لأن في انتساب الطفل إلى أب وأسرة يحفظه من الضياع ويحميه من التشرد الذي سيؤدي بلا شك إلى شر كثير عليه وعلى المجتمع عامة.

ولهذا أيضاً اهتم الإسلام بأمر اليتيم حتى لا يكون النقص والخلل الذي حصل في أسرته سبباً في شقائه أو انحرافه تلك هي أهم مظاهر اعتناء الإسلام بالأسرة.

اهتمام الإسلام بتكوين الأسرة

يتضح لنا مما سبق أن هناك أهدافاً شرع الإسلام من أجلها تكوين الأسرة، والمتأمل لهذه الأهداف يلحظ من ورائها غاية تربوية ترمي إلى إعداد النشء الصالح وتربيته تربية إسلامية صحيحة، والأهداف التي من أجلها اهتمت الشريعة بتكوين الأسرة كثيرة، ولكن من هذه الأهداف على سبيل المثال:

أ - التعارف بين الأمم والشعوب والقبائل.

ب - حماية المجتمعات من الرذيلة وانتشار الفاحشة.

ج - الطمأنينة والسكينة للشباب إذا تناكحوا وتزوجوا بالطريقة الشرعية.

د - حفظ الأنساب والأرحام والأعراض.

هـ - إيجاد النسل المؤمن الصالح وتكثير سواد المسلمين.

تأكيد الإسلام على أهمية الأسرة كمؤسسة تربوية

أ - الأسرة هي اللبنة الأولى من لبنات المجتمع ذلك أن المجتمع يتكون من مجموع الأسر وكل أسرة تكون وحدة أولية وبانضمام هذه الوحدات بعضها إلى بعض يتكون المجتمع، ومن هنا فإن

بناء المجتمع الصالح مشروط أولاً بالاهتمام بالأسرة وبنائها على أسس سليمة لتقوم بدورها على أكمل وجه.

ب - والأسرة «هي الخلية التي أصول النزوع الاجتماعي في الإنسان في أول استقباله للدنيا ففيها يعرف ما عليه من واجبات وما له من حقوق وفيها تتكون مشاعر الألفة والمحبة وتبذر بذور الإيثار وغيره من الخلال والفضائل فتنمو أو تخبو بما يصادفها من أجواء في الحياة العامة والخاصة».

ج - والأسرة لها أثرها البالغ الأهمية في تربية شخصية الناشئ الاجتماعية فإذا شب في أسرة يسودها الحب والتفاهم نقل ذلك إلى الخارج وتعامل به أفراد المجتمع حتى يكون هذا هو الشعور المتبادل بين أفراد المجتمع الإسلامي ككل.

د - وتأثر الطفل بالمجتمع المحيط به يبرز أهمية الأسرة التربوية فالتربية تبدأ أول ما تبدأ «عن طريق المحاكاة والتلقين ذلك إن الطفل ينشأ فيرى أبويه يقرآن القرآن ويقيمان الصلاة ويصومان رمضان وغير ذلك من الشعائر الدينية المختلفة فتنطبع في ذهنه هذه الصور ويترسم خطاها بالتقليد».

مظاهر اهتمام الإسلام بالأسرة

أ - رسخت الشريعة الإسلامية في قلبي الأبوين شعور العطف على الأولاد، وفطر الله قلبيهما على محبتهم وهذه المشاعر والعواطف الأبوية موجودة في قلب الأبوين متأصلة فيهما لبناء الأسرة التي تقوم على حماية الأبناء والرحمة بهم والاهتمام بأمورهم ولولا هذه المشاعر لما استمرت الحياة البشرية ولما كان صبر الأبوين على رعاية أولادهما، فالأسرة هي البيئة الطبيعية التي تتعهد بالتربية إلى القيام برعاية الطفل، وصيانته ولا سيما في السنوات الأولى من طفولته، والآيات القرآنية التي تصور ما أشرنا إليه من المشاعر الأبوية الجميلة كثيرة جداً.

يقول الله - تعالى - (المال والبنون زينة الحياة الدنيا). ويقول سبحانه: (والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذريتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماماً).

١ - فمن فضل هذا الإسلام على البشرية أن جاءها بمنهاج شامل قويم في تربية النفوس وتنشئة الأجيال وتكوين الأمم وبناء الحضارات وإرساء قواعد المجد والمدنية وما ذاك إلا لتحويل إنسانيته التائهة من ظلمات الشرك والجهالة والضلال والفوضى إلى نور التوحيد والعلم والهدى والاستقرار وصدق الله العظيم القائل في محكم تنزيله: (قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم) المائدة:١٦.

٢ - ويكفي شريعة الإسلام فخراً وفضلاً أن شهد الخصوم بنمائها واستمرارها واعترف الأعداء بحيويتها وخلودها وإليكم يا من تستهويكم شهادات الغربيين طائفة من أقوالهم وطاقة من أريج مدحهم وطيب ثنائهم لتعرفوا ماذا يقول المنصفون من غير المسلمين عن رسالة الإسلام الخالدة وتعاليمه السامية:

نقل الأستاذ «غوستاف لوبون» عن الأستاذ «ليبري» قوله: «لو لم يظهر العرب على مسرح التاريخ لتأخرت نهضة أوروبا عدة قرون».

وقال «لين بول» في كتابه العرب في أسبانيا: «فكانت أوروبا الأمية تزخر بالجهل والحرمان بينما كانت الأندلس تحمل إمامة العلم وراية الثقافة في العالم».

وقال «إلياس أبو شبكة» في كتابه روابط الفكر والروح بين العرب والفرنجة: «إن زوال الحضارة العربية كان شؤماً على أسبانيا وأوروبا، فالأندلس لم تعرف السعادة إلا في ظل العرب وحالما ذهب العرب حل الدمار محل الثراء والجمال والخصب».

وقال «سيد يلوت» في كتابه «تاريخ العرب»: «كان المسلمون في القرون الوسطى متفردين في العلم والفلسفة والفنون وقد نشروها أينما حلت أقدامهم وتسربت عنهم إلى أوروبا فكانوا سبباً لنهضتها وارتقائها».

والكثير من المثقفين يعلمون شهادة الفيلسوف الإنجليزي المشهورة: «برنارد شو» اسمعوا ما يقوله بالحرف الواحد:

«لقد كان دين محمد موضع تقدير سام لما ينطوي عليه من حيوية مدهشة، وأنه الدين الوحيد الذي له ملكة الهضم لأطوار الحياة المختلفة وأرى واجباً أن يدعى محمد منقذ الإنسانية وأن رجلاً كشاكلته إذا تولى زعامة العالم الحديث لنجح في حل مشكلاته...».

فهذه الأقوال وأقوال غيرها تعطي لكل ذي فهم وبصيرة البرهان تلو البرهان على ما انطوى عليه نظام الإسلام من قوة دفع حضارية ومبادئ تطويرية شاملة وتعاليم حيوية خالدة والفضل كل الفضل بما اعترف به المنصفون وشهد به الأعداء:

شهد الأنام بفضله حتى العدا

والفضل ما شهدت به الأعداء

٣ - وإذا كانت الشريعة الإسلامية تتصف بالربانية وتتسم بالشمول وتختص بالتجدد والاستمرار، فهل مبادئها الشاملة ومعطياتها المتجددة فكرة مجردة في الأذهان ونظريات مدونة في الكتب أم هي متحققة في أمة تلمسها الأيدي وتراها العيون.

والجواب على ذلك ما يشير به أحد

علماء الإسلام حيث يقول: «وانتصر محمد بن عبدالله ﷺ يوم صنع أصحابه - عليهم رضوان الله - صوراً حية من إيمانه تأكل الطعام وتمشي في الأسواق يوم صاغ من كلٍّ منهم قرآناً حياً يدب على الأرض يوم جعل من كل فرد نموذجاً مجسماً للإسلام يراه الناس فيرون الإسلام»، أن النصوص وحدها لا تصنع شيئاً وأن المصحف وحدة لا يعمل حتى يكون رجلاً وإن المبادئ وحدها لا تعيش إلا أن تكون سلوكاً.

ومن ثم جعل محمد ﷺ هدفه الأول أن يصنع رجالاً لا أن يلقي مواعظ، وأن يصوغ ضمائر لا أن يدبج خطباً وأن يبني أمة لا أن يقيم فلسفة أما الفكرة ذاتها فقد تكفل بها القرآن الكريم، وكان عمل محمد ﷺ أن يحول الفكرة المجردة إلى رجال تلمسهم الأيدي وتراهم العيون.

ولقد انتصر محمد بن عبدالله ﷺ يوم صاغ من فكرة الإسلام شخوصاً وحول إيمانهم بالإسلام عملاً وطبع من المصحف عشرات من النسخ ثم مئات والوفاً ولكنه لم يطبعها بالمداد على صحائف الورق إنما طبعها بالنور على صحائف القلوب وأطلقها تعامل الناس وتأخذ منهم وتعطي وتقول بالفعل والعمل ما هو الإسلام الذي جاء به محمد بن عبدالله ﷺ من عند الله.

ومن أراد أن يعرف شيئاً عن تربية الرعيل الأول من صحابة رسول الله ﷺ، ومن جاء بعدهم بإحسان فليستقرأ التاريخ ليسمع الكثير عن جليل مآثرهم وكريم فضائلهم.

فهل عرفت الدنيا أنبل منهم وأكرم أو أرأف أو أرحم أو أجل أو أعظم أو أرقى أو أعلم يكفيهم شرفاً وفخراً وخلوداً أن يقول القرآن العظيم في حقهم: (محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً سيماهم في وجوههم من أثر السجود) الفتح:٢٩.

ويقول: (كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون. وبالأسحار هم يستغفرون. وفي أموالهم حق للسائل والمحروم) ١٧، ١٨، ١٩ الذاريات.

ويقول: (والذين تبوؤوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون) الحشر:٩.

ويقول: (من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً) الأحزاب:٢٣.

هذا غيض من فيض مما نزل في كريم مآثرهم وجميل محامدهم وقد تحقق بهم فعلاً إقامة المجتمع الفاضل الذي كان حلم المفكرين وأمنية الفلاسفة منذ القدم كيف لا والقاضي يجلس بينهم سنتين ولا يتخاصم إليه اثنان ولماذا يتخاصمون وبين أيديهم القرآن؟ ولماذا يختلفون وهم يحبون لإخوانهم ما يحبون لأنفسهم؟ ولماذا يتباغضون والإسلام يأمرهم بالمحبة والإخاء ويحضهم على التعاطف والايثار؟

وإليكم ما قاله الصحابي الجليل عبدالله بن مسعود ﷺ في تعداد محامدهم وفضائلهم ووجوب التأسي بأفعالهم الحميدة وأخلاقهم الكريمة... «من كان متأسياً فليتأس بأصحاب رسول الله ﷺ فإنهم كانوا أبر هذه الأمة قلوباً وأعمقها علماً وأقلها تكلفاً وأقومها هدى وأحسنها حالاً اختارهم الله لصحبة نبيه ﷺ وإقامة دينه فاعرفوا لهم فضلهم واتبعوهم في آثارهم فإنهم على الهدى المستقيم».

٤ - وظلت الأجيال المسلمة عبر القرون تستقي من معين فضائلهم وتستضيء بنور مكارمهم وتنهج في التربية نهجهم وتسير في بناء المجد سيرهم... حتى العصر الذي انحسر فيه عن المجتمع الإسلامي حكم الإسلام وزالت في الأرض معالم الخلافة الإسلامية واستطاع أعداء الإسلام أن يصلوا إلى هدفهم الخبيث وغرضهم الدفين في تحويل العالم الإسلامي إلى أمم متناحرة ودول متخاصمة متنابزة تتقاذفهم الأهواء، وتجذبهم المطامع وتفرقهم المبادئ وينساقون وراء الشهوات والملذات ويتخبطون في أوحال التحلل والإباحية ويسيرون بلا هدف ولا غاية ويعيش من غير ما سعى إلى مجد ولا وحدة ولاكيان.. تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى وتظنهم قوة ولكنهم غثاء كغثاء السيل واستحوذ عليهم القنوط اعتقاداً منهم أن لا سبيل إلى إصلاح هذه الأمة وأن لا أمل إلى استعادة مجدها واسترجاع عزتها وكيانها، بل وجد من هؤلاء الدعاة من ينادي بالعزلة الكاملة والتزام أحلاس البيوت لظنهم أن هذا العصر هو آخر الزمان وأن الآوان أن يخرج المسلم بنفسه ببضع غنيمات يتبع بها شغف الجبال ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن حتى يدركه الموت.

وهذا التصور اليائس للإصلاح ناتج عن أسباب ثلاثة:

١ - ناتج عن الجهل بطبيعة هذا الدين.

٢ - وناتج عن حب الدنيا وكراهية الموت.

٣ - وناتج عن الجهل بالغاية أتى من أجلها خلق المسلم.

ويوم يفهم المسلمون إن الإسلام دين قوة وأن شعاره في ذلك: (وأعدوا لهم

ما استطعتم من قوة...) الأنفال:٦٠.

ويوم يفهمون أن الإسلام دين العلم: العلم الشرعي، والعلم الكوني على السواء، وأن شعاره في ذلك (وقل ربي زدني علماً) طه:١١٤.

ويوم يفهمون أن الإسلام اعتبر الإنسان خليفة الله في الأرض ليملك زمامها ويستخرج دفائنها ويطّلع على كل سر فيها وأن شعاره في ذلك: (هو الذي جعلكم خلائف في الأرض) الأنعام:١٦٥.

ويوم يفهمون أن الإسلام كرم الإنسان وفضله على كثير مما خلق الله ليضطلع بمسؤولياته ويؤدي المهمة الموكل بها إن شعاره في ذلك: (ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير مما خلقنا تفضيلاً) الإسراء:٧٠.

ويوم يفهمون أن الإسلام يعتبر الإنسان مسؤولاً عن عقله، ومسؤولاً عن حواسه إذا هو قام بدور الإهمال والتعطيل وأن شعاره في ذلك: (ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً) الإسراء:٣٦.

ويوم اعتبر الإسلام هذا الكون كله مسخراً للإنسان ليستعمله في خدمة العلم وخدمة الإنسانية وشعاره في ذلك (وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعاً منه) الجاثية:١٣، ويوم يفهمون أن الإسلام دين التأمل والتفكر في خلق السموات والأرض للوصول إلى الحقائق الثابتة وأن شعاره في ذلك: (قل انظروا ماذا في السموات والأرض...) يونس:١٠١.

ويوم يفهمون أن الإسلام دين العمل والنشاط والحيوية وأن شعاره في ذلك: (هو الذي جعل لكم الأرض ذلولاً فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور) الملك:١٥.

ويوم يفهمون أن الإسلام يحرم اليأس وينهى عن القنوط وأن شعاره في ذلك: (إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون) يوسف:٨٧.

ويوم يفهمون أن الإسلام دين العزة والكرامة فيجب أن يتوجوا رؤوسهم بها ويرفعوا في العالم لواءها وأن شعاره في ذلك: (ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون) المنافقون:٨.

يوم يفهم المسلمون عن دينهم كل هذا ويعرف الناس وعلى رأسهم الدعاة إلى الله طبيعة هذا الدين وحقيقة هذا الإسلام فلا يتملكهم يأس ولا يدب في نفوسهم قنوط، بل ينطلقون في مضمار الدعوة والإصلاح والبناء ليعودوا كما كان سلفهم أساتذة للدنيا وهداة للأمم ومنارات متلألئة في ظلمات الحياة فتستقي البشرية من علومهم وتنهل من معين معارفهم وحضارتهم على مر العصور إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

ويوم يتحرر المسلمون ـ وعلى رأسهم العلماء ورجال الدعوة إلى الله ـ من حب الدنيا والركون إليها والتمتع الزائد بلذائذها وطيباتها ويجعلون هداية الناس وإصلاح المجتمع والسعي إلى إقامة حكم الله في الأرض أكبر همهم ومبلغ علمهم وغاية الغايات ومنطلق العزائم والنيات.

ويوم يتحررون من الجبن والخوف وكراهية الموت ويوقنون من قرارة نفوسهم أن الأرزاق بيد الله وأن الذي يضر وينفع هو الله وأن ما أصابهم لم يكن ليخطئهم وإن ما أخطأهم لم يكن ليصيبهم وأن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوهم بشيء لم ينفعوهم إلا بشيء قد كتبه الله لهم وإن اجتمعوا على أن يضروهم بشيء لم يضروهم إلا بشيء قد كتبه الله عليهم.

يوم يوقن المسلمون بهذا ويتحررون من أسباب الضعف والوهن فعندئذ ينطلقون في ميادين الدعوة إلى الله وفي مجالات التربية والتوجيه والإصلاح غير هيابين ولا وجلين مبلغين رسالات ربهم لا يخشون أحداً إلا الله، بل واثقين كل الثقة أن الله سبحانه سينصرهم ويمكّن لهم في الأرض ويبدلهم من بعد خوف أمنا ومن بعد ذلة عزاً ومن بعد تفرق وحدة وما ذلك على الله بعزيز إن هم صححوا النيات وعقدوا الهمة والعزيمة وتحرروا من اليأس والخوف وحب الدنيا.

ويوم يعرف المسلمون أنهم خلقوا في الحياة لأجل هدف سام وغاية نبيلة قد قررها الله لهم في محكم تنزيله حين قال: (وما خلقت الإنس والجن إلا ليعبدون) ٥٦:الذاريات.

ولكن ما هذه العبودية التي يريدها الله منا ويأمرنا بها ويحضنا عليها؟

إنها الخضوع والانقياد لمنهجه الثابت وصراطه المستقيم.

إنها حمل الأمانة التي عرضها الله على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها.

إنها التكليف المستمر في إخراج الناس من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام. ■

المراجع:

١ ـ تربية الأولاد في ضوء الإسلام، تأليف الدكتور عبدالله ناصح علوان.

٢ ـ التربية والتعليم في الإسلام، تأليف الدكتور محمد أسعد طاس.

٣ ـ الأولاد وتربيتهم في ضوء الإسلام، تأليف الدكتور محمد بن مقيل بن محمد المقيل.

بقلم: عبد الرزاق زعال بن سمعو



أثر البيئة في تربية الطفل

في المرحلة الأولى من الطفولة وخلال الأشهر الأربعة الأولى من حياة الطفل، يكون لديه القليل من التصورات الذهنية عن أهداف المستقبل. فلا تتكون لديه الدوافع. بل إن أسباب تصرفاته تكمن في قوى أخرى.

فبعض الأشياء أو المواقف تستدعي استجابات منه لأنها جذابة في مظهرها أو لأنها تسبب تحريضاً مثيراً ومسراً. فكثير من الوقائع يمكن أن تحدث أفعالاً محدودة لدى الطفل لكن قد لا تكون هذه الأفعال بالضرورة منطلقة من فكرة عن هدف مرغوب به.

ومع اقتراب الطفل من النصف الثاني لسنته الأولى، تبدأ دوافعه بالظهور، والطفل الصغير في أسرة نموذجية يكون متأكداً من توافر الطعام والملابس الدافئة غير واع لمشكلة قبول أنداده له، لذا لا يشغل باله بأمر الحصول على هذه الأهداف، لكنه مع ذلك، يكون غير واثق من مسألة وجود أبويه وعاطفتهما، فتصبح الرغبة في تحقيق هذه الأهداف هي السائدة خلال السنة الثانية من عمره. وحين يكون الطفل في منزل غريب لا يستطيع فيه أن يرى أمه فإنه يصيح جزئياً إذا هي لم تعد. إن حاجته لحضورها هي التي تهيمن على وعيه، وبالتالي فإنه ما من جائزة مهما تكن جذابة ومغرية، يمكنها أن تجعله ينسى خوفه ومع بلوغ الطفل عامه الثالث، يتعلم طمأنة نفسه بأن غياب أمه هو مجرد غياب موقت لذا يتضاءل منشأ

الشك هذا لكن حينذاك يغدو دافع مرتبط بهذا الأمر هو الدافع السائد. فالطفل يغدو غير واثق من موقف أمه تجاهه ولا من أمارات موافقتها وعدم موافقتها وعقابها ورفضها، إنه يغدو حساساً تجاه أي معلومات عن مشاعرها تجاهه، فتسيطر الرغبة في معرفة علامة من علامات تقويمها الإيجابي له على رغبته الأولى في حضورها. ويبقى هذا الدافع مسيطراً حتى السنة الرابعة من عمره، حين يظهر منشأ جديد للشك لديه. فابن الرابعة يصبح مهتماً بقوته واستقلاله الذاتي بالنسبة لوالديه وإخوته.

ومع دنو الطفل من سن المدرسة يبدأ بتأسيس مفهومه عن ذاته انطلاقاً من كفاءته في المهارات ذات القيمة الحضارية. فالطفل ابن العام الواحد الذي يتعلم المشي والكلام والجري يقوم بالحقيقة بإنجاز جملة من الأعمال التي هي أمور طبيعية بالنسبة لكل الأطفال ولذا فهي سهلة المنال. بيد أن المهارات المتعلقة بالمدرسة هي مهارات أقل طبيعة من تلك، فملايين الأطفال في العالم لا يستطيعون تعلّم القراءة أو الكتابة أو الحساب وهي أصعب منالاً. والأطفال يقيمون كفاءاتهم في هذه المهارات، جزئياً، بمقارنة أنفسهم بالآخرين ولسوء الحظ يفترض الطفل أنه إذا ما كان أقلّ موهبة من طفل آخر فإنه سيكون أقل قيمة منه أيضاً والطفل لا يكون متأكداً من أنه يستطيع أن يقرأ أو يكتب. وفي الوقت نفسه يريد أن يعرف في الحال ما إذا كان باستطاعته أن يكسب الخبرة في هذه المهارات أم لا يستطيع، وكذلك فإنه يكون غير متأكد من قدرته على إقامة الصداقات، لذا فإن كفاءته وقبول الأنداد له يغدوان مصدرين رئيسيين من مصادر الشك لديه خلال أعوام المدرسة الأولى، والدوافع الخاصة بتحقيق هذه الأهداف تصبح هي العالية المقام في سلّم تدرج الدوافع.

وتتطور حياة الطفل الاجتماعية من صلته المباشرة بأمه إلى تفاعله الواسع مع المجتمع القائم وتمر هذه الحياة في تطورها بجماعات تتزايد في نطاقها ومداها تبعاً لنمو الطفل. وهي تبدأ بالجماعة التي تنشأ في إطار الارتباطات العضوية التي تصل الطفل بأمه وذلك في إشباعها لحاجاته الأساسية كالتغذية والدفء. وتتطور إلى علاقات نفسية تقوم على الانفعالات التي تعدّ بحق الدعامة الأولى لحياة الطفل العاطفية والاجتماعية، ثم تمتد هذه الصلة إلى علاقة الطفل بأبيه، وأخوته وتتكون بذلك الجماعة الأولية التي يتعلم فيها الطفل عادات الأسرة وتقاليد المجتمع، ثم يتطور به النمو الاجتماعي إلى الجماعة الوسطى التي تقوم على علاقة الطفل برفاقه وإخوانه، وينتهي هذا التطور إلى الجماعة الثانوية التي تعتمد على علاقة الطفل بالمدرسة وبالمجتمع الكبير الذي يترعرع في ربوعه.

إن دور الأسرة مهم جداً في تنشئة الطفل... تنشئة صحيحة سليمة لضمان مستقبل آمن يخلو من منغصات الحياة. فالطفل بارقة الأمل في هذه الحياة وعلينا منحه الحب والحنان والأمان والطمأنينة مع تجنب الدلال الزائد.

فالدلال الزائد يدفع الطفل إلى تصرفات وأفعال شاذة لتحقيق رغبة في أمر ما. فالأطفال في عنقنا أمانة ومن الواجب الحفاظ على الأمانة. هم غرسة ندية في حياتنا إن أحسنا رعايتها وزرعها. لابد وأن تزدهر وتثمر ويصلح أمرها ولكن إن أهملناها ولم نعطها حقها، فمصيرها الذبول وتصبح عديمة النفع والفائدة.

لقد كان من المتعارف عليه قديماً أن الطفل يولد في هذه الدنيا بسلوك محدود وذلك قبل تمام تكوينه، أي وهو جنين في أشهر الحمل الأولى. وتؤكد هذه النظرية نمو المظاهر الرئيسة للحياة خلال تفتحها التدريجي في إطارها المحدد. لكن علم النفس الحديث يخطّئ هذه النظرية. فالطفل يولد، وتولد معه دوافعه الأساسية التي تساعده على المحافظة المباشرة على الحياة، وتولد معه أيضاً بعض استعداداته التي تكفل له فهم هذه الحياة. لكنها لا تحدد سلوكه تحديداً ضيقاً سابقاً لولادته.

إن المثيرات البيئية هي التي تحدد هذه النواحي سيجد طريقه للظهور وأي هذه الدوافع يسود في تكوين السلوك... ونعني بالبيئة المؤثرات الخارجية التي تسهم في تشكيل حياة الفرد خلال مراحل نموه المختلفة. فعلاقته بأهله، وأخوته، وذويه، ومدرّسيه وغير ذلك من العوامل والمؤثرات التي تبدو في المنزل والقرية أو المدينة، كلها أو بعضها تعدّ من المؤثرات الخارجية التي يستقبلها الطفل، ويتفاعل معها، وتسهم في تشكيل أنواع سلوكه المختلفة.

إن السنوات الخمس أو الست الأولى من حياة الطفل لها أهميتها القصوى في تشكيل شخصيته، إذ إن الانطباعات المبكرة في الطفل لها تأثيرات ثابتة على تكوينه الدقيق. وهكذا يكون المعالم الرئيسة لسلوكه. إن هذه السنوات يجب أن تصل بالطفل إلى تكوين العادات الرئيسة التي تساعده على تكيفه للبيئة ومواجهته الإيجابية للحياة. ■

المراجع والمصادر:

١ ـ أطفالنا كيف نفهمهم ـ تأليف جيروم كانمان ـ ترجمة عبد الكريم ناصيف.

٢ ـ مشكلات الطفولة ـ تأليف ر. م. لادل ـ ترجمة الدكتور السيد محمود زكي.

٣ ـ صحيفة الاعتدال ـ العدد/ ٢١٣/ ـ ٢٥ يونيو/ حزيران ١٩٩٣.



وقفات من اقتصاد البيت المسلم

بقلم : د. زيد بن محمد الرماني

إن اقتصاد البيت المسلم بمجالاته المختلفة من تغذية وملابس وإدارة منزل ورعاية الطفولة يهتم بالأسرة التي هي نواة المجتمع.

ومن أهداف اقتصاد البيت المسلم تربية الأسرة مجتمعة تربية إسلامية وغرس المبادئ والقيم الإسلامية السمحة في أذهان وعقول الناشئة.

ولا شك أن اقتصاد البيت المسلم له علاقات كبيرة بالاقتصاد الوطني الأم، إذ يساعد على زيادة دخل الأسرة وتنمية مواردها المالية.

الوقفة الأولى

الاقتصاد المنزلي :

إن دراية الفرد باقتصاد الأسرة ومواردها البشرية والمالية والتخطيط السليم للانفاق يؤثر بدوره على الاقتصاد الوطني، ثم إن تصنيع الملابس للأسرة يعمل بدوره على تقليل المنفق على الملابس، فيزيد دخل الأسرة.

الاقتصاد المنزلي ضروري لمواجهة أعباء الحياة نتيجة زيادة أسعار السلع المختلفة والخدمات، الأمر الذي يتطلب الانتفاع بالموارد المتاحة لها أقصى حد ممكن وبطريقة سليمة.

ومما لا شك فيه أن الأسرة التي تهتم بتخطيط أسلوب حياتها، سوف تحقق أهدافها.

لذا، ينبغي مراعاة إمكانات الأسرة واتباع نظام الإنفاق السليم، من حيث عدم زيادة مقدار المنفق على الدخل وتوزيع الدخل قدر الإمكان على أبواب الإنفاق.

الوقفة الثانية :

ميزانية الأسرة :

تلعب ربة المنزل دوراً مهماً في إسعاد أسرتها، وذلك بإدارتها الحكيمة لشؤون المنزل وتدبير مصروفاته وصحة أفراده.

فالمنزل هو المكان الذي يسعد فيه جميع أفراد الأسرة.

ومن العوامل المساعدة على توفير السعادة في الأسرة، الناحية المادية من حيث تقدير دخل الأسرة وتنظيم ميزانيتها، بحيث توفر جميع حاجات ومتطلبات الأسرة للمحافظة على صحة الأفراد، وتأمين الملبس والمسكن المريح.

وحبذا لو اهتمت الأسرة بتخصيص مبالغ مالية للتوفير والإدخار لوقت الحاجة والطوارئ المفاجئة، إذ إن ربة المنزل الواعية هي التي توزع ميزانية الأسرة على الأبواب اللازمة للإنفاق.

لذا، ينبغي وضع ميزانية محكمة للأسرة، تضبط النفقات وتحدد الإيرادات وأوجه الصرف، مع المراقبة الدقيقة لهذه الميزانية.

الوقفة الثالثة: الخطة والتخطيط: كثيراً ما يكون لدى الفرد العديد من الأعمال التي تحتاج إلى إنجاز في وقت محدد، أو يحتاج إلى القيام بعمل لم يسبق له القيام به فيما مضى.

في هذه الحالات وغيرها يكون التخطيط هو الحل، إذ يحدد الخطوات الواجب اتباعها للوصول إلى هدف معين ويحدد الوقت المطلوب لإنجاز هذه الخطوات وعن طريقه يمكن تصور العقبات التي قد تصادفنا، والهدف الذي نريد الوصول إليه.

فالتخطيط هو الخطوة الأولى في العملية الإدارية والخطة هي تصور لبعض الأعمال المستقبلية، وهي مرحلة تسبق أي عمل من الأعمال.

وفي الأسرة، ينبغي أن يشترك جميع أفرادها في إدارة شؤونها، فمرحلة التخطيط أهم المراحل التي ينبغي إشراك أفراد الأسرة فيها، لمناقشة المشكلات المتوقعة والرغبات المطلوبة والمفاضلة بين الأهداف المطروحة على ضوء الموارد المتاحة.

إن في ذلك إلى جانب الفوائد الاقتصادية العديدة، تقوية للروابط الأسرية، وتكوين شخصيات فردية ذات مسؤولية عالية وذات تخطيط وتفكير سديد.

الوقفة الرابعة :

دراسة السوق :

لكي يلعب القطاع الخاص دوراً أكثر فعالية، ولكي يسهم في مسيرة التنمية بشكل أكثر إيجابية، فإن سبيله في ذلك هو رفع مستوى الكفاية الإنتاجية عن

طريق الاستفادة من عناصر الإنتاج المتاحة.

ولما كان السوق بمثابة المقياس الفعلي لتحديد مدى كفاءة العملية الإنتاجية، فإن دراسة السوق بغية التعرف على نوع المنتج المناسب لفئات المستهلكين يُعد مدخلاً علمياً لازماً لاتخاذ القرارات السليمة المتعلقة بالإنتاج والاستثمار.

وحيث أن تفهم سلوك المستهلك الذي يؤثر على نوع حاجاته ورغباته، يُعد نقطة البدء في أي تخطيط اقتصادي.

فإن الحاجة ماسة لإجراء البحوث والدراسات الهادفة للتعرف على احتياجات ومطالب المستهلكين، من أجل تقديم السلعة والخدمة المطلوبة في الوقت والمكان المناسبين، وبالسعر والجودة العالية.

الوقفة الخامسة :

عملية الشراء :

ليست عملية الشراء سهلة، كما يظن بعض الناس، بل تحتاج إلى تفكير ودراية.

إن قرارات مثل: كم من النقود لدى الأسرة معدة للشراء؟ وما نوعية الأطعمة التي تشترى؟ ومن أي الأماكن تشتري الاحتياجات؟ وكيف تخزّن هذه الأطعمة؟

إن هذه القرارات ستؤثر على أفراد الأسرة، لذا لابد من التفكير العميق والخبرة والمقارنة بين الأثمان والأنواع، ليكون قرار الشراء صائباً حكيماً.

ومن ثمَّ، فأول ما ينبغي مراعاته أثناء عملية الشراء هو عدم الشراء أكثر من الحاجة، أي شراء كميات الغذاء اللازمة فقط، لتجنب التلف لما يزيد عن الحاجة، كما ينبغي الشراء من المحلات النظيفة التي تتبع التعليمات الصحية في العرض والتغليف والبيع.

فقد أدى التقدم التقني والاجتماعي والاقتصادي إلى ظهور الأسواق المركزية التي سهلت للمشتري اختيار وشراء ما يطلبه من الأطعمة بالنوعيات التي يحتاجها وتناسب اقتصادياته.

الوقفة السادسة :

الطفل والنقود :

إن تجربة الطفل الأولى مع النقود يمكن أن يكون لها أثر انفعالي عميق، ومن الحكمة تدريب الطفل في سن مبكرة من حياته، وفي مستويات الدخل المختلفة على استعمال النقود، والسماح له بالتصرف في نقوده.

فالطفل بطبيعته مفطور على الجمع والتملك والادخار حسب بيئته الاجتماعية.

إذ المهم أن تكون المبالغ المعطاة للطفل مناسبة لسنه، وأن تعطى له بانتظام، مع مراقبة سلوكه في التعامل مع النقود.

كما أن من المهم أن يفهم الطفل أن المال شيء ثمين، ينبغي التعامل معه بشيء من الحرص.

فمن الأفضل أن يحصل الطفل على مبلغ ثابت منذ اللحظة التي يحتاج فيها إلى النقود لبعض المصروفات العارضة، إذ إن ذلك يساعد على إدراك قيمة النقود وكيفية التصرف بها.

ومن المناسب أن تتاح الفرص للطفل للتسوق لشراء ملابسه وألعابه وغذائه، ليدرك أن السلع المختلفة لها أسعار مختلفة، وأن السلعة الواحدة قد تكون لها أسعار متباينة.

علماً بأن كثيراً ما بدأ تعامل الأطفال بالنقود منذ نعومة أظفارهم عند شراء هدية لصديق، أو شراء سلعة نفدت من البيت من المتجر القريب أو شراء الحلوى من المدرسة.

إن وجود القدوة السليمة للأطفال يساعد على سرعة التعلم وغرس العادات والقيم واتجاهات الاستهلاك ومفاهيم ترشيد الاستهلاك وحسن التعامل مع النقود.

الوقفة السابعة :

دعوة للاقتصاد :

إن على ربة المنزل الواعية أن تكون أول من يحافظ على ميزانية الأسرة، وتحاول الاقتصاد في المصروفات والاعتدال في النفقات.

فقد جاءت مناهي شرعية وتحذيرات إلهية من الإسراف والتبذير، فقال سبحانه وتعالى: (ولا تسرفو) وقال عز وجل: (ولم يسرفوا)، وقال سبحانه (فلا يسرف...) وقال تعالى: (ولا تبذر).

ذلك لأن الله تعالى لا يحب المسرفين، كما أن المبذرين إخوان الشياطين.

إن المستهلك الرشيد هو ذلك المستهلك الذي يراعي مبدأ الرشد والعقلانية والاعتدال في أكله ومشربه وملبسه ومنزله وسيارته وأثاثه، واستخدامه للكهرباء والمياه، حماية لنفسه ولأسرته.

إن المستهلك الرشيد هو الذي يراعي قرارات الشراء والاستهلاك، بحيث تكون في الوقت المناسب وللحاجة المطلوبة ومن المكان المناسب وبالسعر المناسب وبالجودة المطلوبة وبالقدر اللازم والحجم المناسب والنوعية المطلوبة.

والمستهلك الذي يراعي ذلك يمكن أن يحقق الرشاد الاقتصادي والعقلانية الحكيمة من وجهة نظر الاقتصاد المعاصر.

بحيث لا يقع فريسة التلاعب والاستغلال، ولا ينساق خلف الإسراف والتبذير، ولا تتعرض سلعه وبضائعه للكساد والتلف والفساد. ومن ثمَّ، فلا بد من توفير القدوات الاستهلاكية، ومراعاة الاقتصاد في النفقات والاعتدال في المصروفات، والترشيد في الاستخدام والتقليل من مظاهر الإتلاف. ■



بقلم: د. رضوان أحمد بيطار



يصاب كثير من الأطفال بالكثير من الأمراض البسيطة وبخاصة في أثناء فترة الحضانة أو الروضة أو المرحلة الابتدائية.

ومعظم هذه الأمراض لا تحتاج إلى أكثر من الراحة والكثير من المداراة.

والأمر المهم هو أن تميز الأم متى يكون طفلها متوعكاً، ومتى يكون مريضاً فعلاً ويحتاج أن تعرضه على الطبيب؟ وتعتبر الاضطرابات الهضمية كالمغص والإقياء والإمساك والإسهال من الأعراض الشائعة التي تصيب الأطفال وتحتاج من الأم عناية خاصة.

الاضطرابات الهضمية عند الأطفال



المغص

يصيب المغص الأطفال الرضع ويتصف بألم متكرر في البطن مع نوبات من البكاء، ويبدأ منذ اليوم العاشر من العمر ويستمر حتى الشهر الثالث وربما يستمر بعده أيضاً. وهو أكثر ما يحدث بين الخامسة والعاشرة مساءً.

العلاج:

- اجعلي الطفل يتجشأ بحمله على كتفك والربت على ظهره.
- هدئي الطفل لتمنعي البكاء الذي يسبب مزيداً من ابتلاع الهواء وبالتالي مزيداً من المغص.
- جربي تهدئته بحمله والمشي به أو هزه وأرجحته أو دفعه داخل عربته أو حتى أخذه بجولة في السيارة.
- إذا كنت ترضيعينه بالزجاجة تأكدي أن حجم ثقب الحلمة مناسب وأنك تمسكين الزجاجة بطريقة صحيحة عند إرضاعه، وهي أن تجعلي الحليب يملأ الحلمة كي لا تسمحي ببلع كميات من الهواء الذي يصاحب عملية الرضاعة، فتزيد كمية الغازات في معدة الطفل فيشعر بالمغص.

متى تراجعين الطبيب؟

- إذا فشلت الوسائل البسيطة السابقة، وكنت تعتقدين أن الطفل متألم، أو أنك منهكة وساخطة إلى الحد الذي قد يجعلك تخطئين في الحكم والتصرف.
- إذا ترافق المغص مع أعراض أخرى كالإقياء والإسهال أو خروج الدم مع البراز، فراجعي الطبيب فوراً.

ماذا يمكن أن يفعل الطبيب؟

- سيطمئنك بعد فحص الطفل بعدم وجود حالة مرضية خطرة لديه.
- قد يصف للطفل مهدئا في الحالات الشديدة.
- قد يرتب في حالات نادرة إقامة قصيرة للطفل في المستشفى.

الإقياء



يبلع أغلب الرضع هواءً في أثناء الرضاعة، ولذا يجب الربت على الظهر مما يساعدهم على التجشؤ وإخراج الهواء، ولكن أغلبهم يخرج قليلاً من الحليب أيضاً في أثناء التجشؤ وهذا لا يعتبر إقياء وليس في ذلك ضرر على الطفل.

ففي بعض الأحيان يتقيأ الرضيع كمية لا بأس بها من الحليب إما مباشرة بعد الإرضاع أو بين الرضعات ومن النادر أن يكون هذا الإقياء شديداً بحيث يؤثر على تغذية الطفل، لكنه يقلق الأم وفي أحيان أخرى يتقيأ الطفل كميات كبيرة من الغذاء وربما يترافق الإقياء مع أعراض وعلامات مرضية أخرى كارتفاع في درجة الحرارة أو الإسهال، لذا يجب مراجعة الطبيب في مثل هذه الحال.

العلاج المنزلي:

إذا كان الطفل يتقيأ كمية لا بأس بها من الحليب، فيمكن تجريب أساليب مختلفة لمعالجة هذه الحال مثل :

– عدم ترك الطفل يبكي قبل إرضاعه.

– مراعاة الطرق الصحيحة للإرضاع بحيث لا يبتلع كثيراً من الهواء، وعلى الأم أن تجلسه بعد الإرضاع.

– كما يساعد إدخال بعض الأطعمة اللينة في غذائه في وقت مبكر - أي منذ نهاية الشهر الثالث من العمر، كمسحوق الذرة ومسحوق بذور الخروب - على معالجة هذه الحالة والتخفيف من حدتها.

أسباب يجب أن تقلق الأم وتدفعها لمراجعة الطبيب :

١ - إذا بدا الطفل مريضاً.

٢ - إذا احتوى القيء على دم أو مادة صفراء.

٣ - إذا استمر الإقياء وخشيت أن يسبب ذلك جفافاً أو سوء تغذية.

٤ - إذا تقيأ الطفل كميات كبيرة من الغذاء أو ترافق الإقياء مع أعراض وعلامات مرضية أخرى، فإنه يمكن أن يكون من أول المؤشرات على وجود التهاب عام وهو شائع في التهاب الكليتين والتهاب السحايا والتهاب المعدة والأمعاء أو غيرها، وفي جميع هذه الحالات يجب مراجعة الطبيب فوراً.

ماذا يمكن أن يفعل الطبيب:

- يشخص الحالة بعد أن يستمع من الأم لوصف الإقياء والأعراض المرافقة ويقوم بفحص الطفل؟

- قد يصف للطفل بعض الأدوية إذا كان الإقياء معتدلاً والأدوية هذه قد تساعد قليلاً على عدم الاقياء.

- إذا كان الإقياء شديداً قد يحيل الطفل إلى المستشفى لإجراء الفحوصات وإعطاء العلاج.

الإمساك عند الأطفال



يعتبر الإمساك شكاية شائعة في مختلف مراحل العمر، فكثير من الناس يعتقدون أن التبرز كل يوم يعتبر ضرورياً وأن ما هو أقل من ذلك يعتبر إمساكاً، لذلك تقلق بعض الأمهات إذا لم يفرغ الطفل أمعاءه كل يوم. ولكن بإمكان الأمهات القول إذا كان الطفل مصاباً بالإمساك فعلاً أن يُسألن عن البراز فإذا كان طرياً فهذا يعني أن الطفل غير مصاب بالإمساك حتى ولو تبرز كل عدة أيام.

وفي حال الأطفال الرضع فإنه من الطبيعي والشائع أيضاً ألا يتبرز الرضيع لمدة أسبوع، ونادراً ما يسبب هذا أي مشكلة، كما أن الأطفال الذين يرضعون من الثدي فمن المستبعد أن يصابوا بالإمساك لأن حليب الأم غذاء مثالي ومتوازن ويمتص الجسم معظمه ولذلك تكون الفضلات قليلة، لكن إذا تبرز الرضيع الذي يرضع من الثدي مرات عدة في اليوم فهذا يعني أنه أمر طبيعي فالمعول عليه في التقرير إذا كان الطفل مصاباً بالإمساك أو لا هو قوام البراز سواء أكان يابساً أم طرياً وليس ندرة مرات التبرز، فليس من المقبول أن يحتاج الطفل الحزق أو أن يسبب الإمساك له الألم في أثناء التبرز أو أن يكون البراز يابساً إلى الحد الذي يمزق الغشاء المخاطي للشرج مسبباً الألم وخروج الدم مع البراز.

كذلك الحال بالنسبة للإسهال فالمعول عليه أيضاً هو قوام البراز (لين أو سائل) وليس عدد مرات التبرز.

ومما لا شك فيه أن ما يأكله الطفل يؤثر على تكرار التبرز وطبيعة وشكل البراز.

أسباب الإمساك عند الأطفال:

١ - عدم تناول الرضيع كمية كافية من الحليب.

٢ - إعطاء الطفل حليباً مركزاً.

٣ - إعطاء الحليب البقري بدلاً عن حليب الثدي أو تركيبة حليب الأطفال.

٤ - يترافق الإمساك أحياناً مع الأمراض التي تسبب ارتفاعاً في درجة الحرارة.

٥ - قد يصاب الأطفال بعد سن الفطام بالإمساك إذا لم يتناولوا أغذية تحتوي على الألياف كالفواكه والخضار.

٦ - كما يصاب الأطفال الأكبر سناً بذلك إذا لم يستجيبوا إلى إحساسهم بالحاجة للتبرز بسبب انشغالهم باللعب.

٧ - يترافق الإمساك أحياناً مع بعض الاضطرابات المرضية ولكنه لا يكوّن الشكاية الأساسية ومن هذه الأمراض نقص إفراز الغدة الدرقية، ارتفاع نسبة الكالسيوم المجهولة السبب وغيرها في الدم.

العلاج المنزلي:

- أعطي الرضيع كمية كافية من الحليب.

- لا تعطيه حليباً زائد التركيز بل اتبعي الإرشادات الموجودة على علبة تركيبية حليب الأطفال في حال الإرضاع بالزجاجة.

- لا تعطيه الحليب البقري قبل إتمام الطفل السنة من العمر.

- أعطيه كمية زائدة من السوائل كالماء وعصير الفواكه.

- في حال الطفل الأكبر سناً تأكدي من أن غذاءه يحتوي على كمية من الألياف؛ أطعميه الفواكه والخضار والخبز الأسمر المحتوي على النخالة.

متى تراجعين الطبيب؟

ـ إذا كان التبرز مؤلماً أو كان البراز مصحوباً بدم، فهذا يعني أن الطفل مصاب بشق شرجي.

ـ إذا رافق الإمساك ألمٌ في البطن أو إقياء.

ـ إذا بدأ يلوث ملابسه الداخلية بالبراز بعد أن أصبح نظيفاً.

ـ إذا اعتقدت أنه بحاجة إلى مليّن لا تعطي الطفل مليّناً ما لم يصفه الطبيب له.

ماذا يمكن أن يفعل الطبيب؟

ـ يبحث عن أسباب الإمساك عند طفلك بسؤالك عن غذائه اليومي.

ـ يقوم بفحص الطفل وبخاصة في بطنه ليتأكد أنه لا يوجد أي مضاعفات.

ـ يزودك بنصائح حول غذاء طفلك.

ـ قد يصف للطفل بعض المليّنات أو الحقن الشرجية في بعض الحالات القليلة.

ـ قد يحيل الطفل إلى المستشفى في حالات نادرة إذا دعت الأسباب إلى ذلك أو لمعالجة بعض المضاعفات كالشق الشرجي أو تضخم القولون المكتسب.



الإسهال

من الطبيعي أن يتبرز الرضيع بعد كل إرضاع برازاً ليناً، لكن تبرزه مراراً برازاً سائلاً أو شبه سائل لا يمكن اعتباره طبيعياً، لذا يجب أن تدرك الأم أن الإسهال قد يكون خطيراً ويؤدي إلى الجفاف الذي قد يكون له نتائج وخيمة.

أسباب الإسهال:

ـ ينجم الإسهال عادة عن التهاب في الأمعاء أو في مكان آخر من الجسم كالتهاب المجاري التنفسية العلوية (التهاب الأذن الوسطى) أو التهاب في المجاري البولية أو التهاب السحايا (وهذا يترافق عادة مع الإقياء).

ـ كما قد ينجم الإسهال أحياناً عن أسباب جراحية (تستدعي إجراء جراحة) مثل التهاب الزائدة الدودية، أو الانغماد المعوي.

ـ وينجم أحياناً عن عدم قدرة الأمعاء على امتصاص سكر الحليب (اللاكتوز) أو بسبب استعمال الأدوية كالمضادات الحيوية.

ـ وفي الأطفال الأكبر سناً قد يكون سبب من الأسباب يبدو للأم على أنه إسهال إلا أنه في الحقيقة هو إمساك مزمن وشديد، حيث تسيل المحتويات السائلة إلى الأجزاء العليا من الأمعاء من حول كتل البراز الصلبة المحتبسة في الأجزاء السفلى من الأمعاء؛ تلك الكتل التي تبقي المستقيم والشرج مفتوحين باستمرار.

ـ كما يسبب التحسس لبعض الأطعمة أو القلق أحياناً الإسهال عند بعض الأطفال.

العلاج المنزلي:

ـ إذا كان الطفل يُرضع إرضاعاً طبيعياً، استمري في إعطاء الطفل ثديك مراراً ولأطول مدة يرغب فيها.

ـ أما إذا كان يرضع من الزجاجة، فأرضعيه التركيبة الخاصة الخالية من اللاكتوز.

ـ أعطيه ٥٠ ـ ١٠٠ ميلليتر من محلول الإرواء عن طريق الفم (يمكن الحصول عليه من عيادات رعاية الطفولة أو الصيدليات) بعد كل مرة يتبرز فيها الطفل برازاً سائلاً أو شبه سائل.

ـ استعملي كوباً نظيفاً أو ملعقة نظيفة لإعطاء محلول الإرواء بدلاً عن زجاجة الرضاعة التي كثيراً ما تكون مصدراً للالتهاب.

ـ عند توقف الإسهال يمكنك إعطاءه الحليب الصناعي ثانية.

ـ إذا كان الطفل عمره أكثر من ستة أشهر أطعميه الزبادي (الروب) والموز الناضج المهروس والبطاطا المسلوقة والتفاح المقشور أو عصير التفاح الطازج والجزر المسلوق أو عصير الجزر.

ـ قد يكون الإسهال معدياً ففي مثل هذه الحال احرصي على النظافة التامة واغسلي يديك بالماء والصابون بعد رعاية طفلك وتغيير حفاظته، فهذا يقي باقي أفراد الأسرة من الإصابة بالمرض.

متى يُراجع الطبيب؟

ـ إذا كان عمر الطفل تحت ستة أشهر واستمر الإسهال أكثر من نصف يوم.

ـ إذا أصيب الطفل بالجفاف: مثلاً الفم جاف والعيون غائرة واليافوخ (المنطقة اللينة في الرأس) غائرة أيضاً والجلد فاقد لمرونته وعدد مرات التبول قليلة (يجب الانتباه للفرق بين بلل الحفاظة بالبول وبللها بسبب البراز السائل)، عندها يجب مراجعة الطبيب فوراً.

ـ إذا ترافق الإسهال مع أعراض أخرى مثل الإقياء أو الألم أو كان البراز مصحوباً بالدم، أو ارتفعت حرارة الطفل أو بدا مريضاً.

ـ إذا لم يتحسن الإسهال خلال ثلاثة أيام، فربما يؤدي الإسهال إلى نقص وزن الطفل.

ماذا يمكن أن يفعل الطبيب؟

ـ سيسألك عن غذاء الطفل وعن عدد مرات التبرز وقوام البراز والأعراض الأخرى المصاحبة للإسهال.

ـ سيفحص الطفل ليتأكد ما إذا كان الطفل مصاباً بالجفاف ودرجة الجفاف عنده.

ـ سيزودك بالنصائح بخصوص غذاء الطفل.

ـ سيصف للطفل محلول الإرواء عن طريق الفم لتعويض السوائل المفقودة بالإسهال.

ـ قد ينصح بإعطاء الطفل تركيبة حليب خاصة خالية من سكر الحليب (اللاكتوز) بدلاً من تركيبة الحليب الابتدائية أو المكملة.

ـ قد يطلب إجراء فحص لبراز الطفل ليرى إن كان سبب الإسهال التهاباً بكتيرياً في الأمعاء.

ـ قد يصف بعض الأدوية مثل الكائولين أو الكوديئين التي تبطئ حركة الأمعاء.

ـ قد يحوّل الطفل إلى المستشفى إذا كان الطفل مصاباً بالجفاف بدرجة متوسطة أو شديدة حيث قد يحتاج إلى إعطائه محاليل عن طريق الوريد لتعويض السوائل المفقودة بالإسهال.

ـ يحوّل الطفل إلى الاختصاصي إذا أصبح الإسهال مزمناً. ■

بقلم: منى السعيد مصطفى الشريف

عفواً سيدي الرجل

أحياناً ما تكون الكلمة أمضى من السيف وخاصة إذا ما تعلقت عليها حياة وكيان بيت وأسرة وأطفال وقد شرع الله تعالى الطلاق لحكمة شاءت أن يكون رحمة منه لإنقاذ حياة زوجين استحالت بينهما العشرة وأصبح الانفصال هو قارب النجاة الوحيد لهما... ومعنى استحالت العشرة أنهما استنفدا كل محاولات الصلح والتوفيق التي شرعها الله في كتابه الكريم حيث يقول جل شأنه (واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن) النساء:٣٤، فإذا دب الخلاف بين الزوج وزوجته بدأ بالنصح والوعظ والكلمة الطيبة التي تذكرها بحق الله عليها وحق زوجها وتبصرها بعاقبة تصرفاتها التي تغضبه وقد تتسبب في هدم البيت، فإن لم تستجب لذلك هجر فراشها فإن لم يجدِ ذلك لجأ إلى الضرب الشرعي الذي لا يؤذي «غير المبرح»، فإن لم تفلح كل هذه المحاولات تكون خطوة أخرى شرعها الله تعالى في قوله: (وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكماً من أهله وحكماً من أهلها إن يريدا إصلاحاً يوفق الله بينهما النساء:٣٥.

فيأتي تدخل أهل الصلاح من الأقارب للتوفيق بين الزوجين... فتلك هي خطوات الصلح التي شرعها الله تعالى والتي لا يلتزم بها الكثيرون، فالبعض يلجأ للضرب كأول حل للخلاف، والبعض يُدخل الأهل والأصدقاء في أي خلاف مهما صغر أو كبر... وهناك نوع أخطر يلقي بكلمة الطلاق لأتفه الأسباب ودون تفكير... نعم للأسف بعض الرجال يسيء استخدام هذا الحق الذي شرعه الله له حتى ترى كلمة الطلاق تجري على لسانه طوال الوقت وفي أمور قد لا تتعلق بالبيت والحياة الزوجية على الإطلاق، فتراه إذا أراد أن يدعوك لزيارته أو يحثك على فعل أي شيء يحلف يميناً بالطلاق... إنني عندما أصادف مثل هذه النوعية من الرجال أتساءل في نفسي ترى كيف يكون شعور زوجة هذا الرجل وهي ترى أنها في نظره أقل شأناً من كوب من الشاي أو قطعة أثاث بالية؟

إن امرأة تعيش مع رجل كلمة الطلاق عنده أسهل من إلقاء السلام على المارة، لا يمكن أن تشعر بالأمان ولا بمكانتها في بيته، بل ولا حتى بإنسانيتها لأنها تمتهن كل يوم بسوء فهمه وتصرفه، ولقد كان لنا في رسول الله ﷺ خير أسوة، حيث أنه ﷺ لم يلجأ إلى الطلاق في حل الخلافات الزوجية... على العكس، لقد ضرب لنا رسول الله ﷺ أروع الأمثلة في الحلم وسعة الصدر مع زوجاته رضي الله عنهن حتى في أصعب وأدق المواقف التي يحق لها أن تعصف بعقول أعظم الرجال، وليس هناك مثال على ذلك أروع من موقفه مع السيدة عائشة - رضي الله عنها - في حادثة الإفك ويا لها من حادثة... ويا له من موقف عظيم عندما يواجه الرجل أكبر عاصفة يمكن أن تعصف بأي بيت عندما يطعن الرجل في عرضه وتحيط به ألسنة السوء والإشاعات فتشتعل النار حوله لتلتهم العقول والألباب، ولكن لم يكن رسول الله ليظلم أبداً، ولو طلق عائشة رضي الله عنها في هذا الموقف لأثبت عليها الشائعة، ولحق بها العار، ولكنه صبر وتحمل وعانى ما عانى من ألم وتحملت معه زوجته الطاهرة هذه المحنة حتى برأها الله تعالى من فوق سبع سماوات، وغير ذلك الكثير من الأمثلة من حلمه - ﷺ - مع زوجاته ومراجعتهن له وهجره لهن شهراً عندما طالبن بزيادة النفقة فلم يلجأ ﷺ إلى الطلاق.

فأين ذلك من رجل تجري الكلمة على لسانه ويلجأ إليها في أي خلاف بينه وبين زوجته، ثم يعود يلهث وراء أهل الفتوى قائلاً: لقد كنت في حالة غضب وانفعال... وقد أعجبني رد أحد مشايخ الأزهر على رجل طلق زوجته وكانت الطلقة الثالثة، ثم تعلل قائلاً: «كنت في لحظة غضب»، فرد عليه الشيخ قائلاً: «اتق الله يا رجل... وهل يطلق الرجل زوجته إلا وهو في حالة غضب؟! أم أنك تريد أن تصطحب زوجتك في نزهة كي تقول لها أنت طالق»، إن كثيراً من بيوت المسلمين عائمة على بحر من الحرام بسبب جريان كلمة الطلاق على لسان الزوج دون داعي.. وفي نظري أن الزوج الذي يلجأ إلى الحلف بالطلاق على زوجته باستمرار إنما هو رجل لم يستطع تحقيق قوامته الصحيحة عليها وفي بيته، فهو لا يستطيع أن يجعل زوجته تطيعه الطاعة الواجبة... ولذلك يلجأ إلى كلمة الطلاق لإجبارها على طاعته - وللمرأة دور في ذلك بالطبع - وقد اعترف أحد الأزواج بذلك قائلاً: «إن زوجتي لا تطيع لي أمراً إلا إذا حلفت عليها بالطلاق!».

ورغم أنه قد يكون معه العذر... ولكن عفواً سيدي لم يشرع الله تعالى الطلاق لهذا الغرض ولم يجعله تعالى سيفاً مسلطاً على الزوجة والأولاد ليل نهار، لقد جعل الله حق القوامة وأخذ قرار بالطلاق أو الاستمرار في يد الرجل لأنه الأعقل والأقوى على التحكم في عواطفه وقراراته كي تسير سفينة الحياة في سلام بالأسرة ولكن عندما يصبح قائد هذه السفينة أهوج طائش اللب ستكون السفينة معرضة للغرق كل دقيقة ويصبح كل ركابها في حالة قلق وتوتر دائم، فكيف يستطيع بيت هذا حاله وحال أهله؟ أن يربي النشء تربية صحيحة؟ أو أن يقوم أفراده بما عليهم من واجبات تجاه خالقهم ومجتمعهم - يقول رسول الله ﷺ : (ثلاث جدهن جد، وهزلهن جد: النكاح والطلاق والعتق).

وأخيراً... لا أحب أن ألقي بكل اللوم على الرجل... فالمرأة هي مفتاح سعادة الأسرة، وإن كان هناك رجال يسيئون استخدام كلمة الطلاق، فهناك نوع من النساء يدفعهن أزواجهن دفعاً إلى تطليقهن بالعناد الدائم وعدم الطاعة والاستفزاز السافر بطلب الطلاق في أي نقاش دون داعي... إن الرجل يا أختاه طفل كبير يبحث دائماً في زوجته عن الأم التي تسامح وتتغاضى عن الأخطاء الصغيرة، وتحنو، بل وتدلل أحياناً.

إن الكلمة الطيبة اللينة تطفئ نار الغضب، والابتسامة الهادئة تريح القلب قبل العين، فلتزيني لسانك ووجهك بهما، ولتتأكدي أن بيتاً هادئاً منظماً مستقراً وفيه زوجة ودود حانية مثل ذلك البيت لن يهجره صاحبه أبداً. ■

بقلم: د. حسن عبدالغني أبو غدة

مفاهيم تخص المرأة المسلمة



● **هل تعتبر الفتاة آثمة في حال رفضها الزوج، من أجل إتمام دراستها؟**

- من المقرر عند العلماء: أنه لا إثم على الإنسان إلا بترك واجب أو فعل حرام، والزواج تعتريه الأحكام التكليفية الخمسة، وهو يختلف من إنسان إلى آخر.

فقد يكون واجباً في حق إنسان ما - رجلاً أو امرأة - وذلك لحاجته إلى إعفاف نفسه، وصيانتها عن الوقوع في الحرام، مع تيسُّر أسباب الزواج، والقدرة على مسؤولياته..

وقد يكون الزواج مندوباً ومستحباً في حق فرد آخر، لأنه يأمن على نفسه من الوقوع في الحرام.

وقد يكون الزواج في حق أفراد آخرين مباحاً... إلخ

وكل إنسان أدرى بنفسه من غيره في هذه الأمور، فإذا كان بحاجة شديدة إلى الزواج، وتيسرت له أسبابه الشرعية، وامتنع عنه، فهو آثم في ضوء ما سبق، لأن ما لا يتم الواجب - وهو هنا: صيانة النفس عن الحرام - إلا به - وهو هنا: الزواج - فهو واجب، أي: الزواج.

أما إذا عرف الإنسان من نفسه: أن الزواج في حقه مندوب وليس واجباً، وأرجأ التفكير به والحديث فيه، حتى إتمام الدراسة، فلا حرج في هذا ولا إثم.

لكن ينبغي على الفتيات - بوجه خاص - أن يعلمن أنه كلما تقدمت بهن السن، قلت أمامهن فرص الزواج ممن يناسبهن، ووقعن في الندم، حيث لا ينفع الندم.

هذا، وإنَّ رفض بعض الفتيات فكرة الزواج كلياً، حتى الانتهاء من الدراسة، ظاهرة سلبية أسهمت بنسبة ما في انتشار مشكلة «العنوسة»، التي تفاقمت في كثير من المجتمعات الإسلامية، وحمَّلت الآباء والأمهات هموماً وأعباء نفسية كبيرة.

وعلى كل حال، فإن الزواج لا يعدُّ عائقاً عن إتمام الدراسة، وهناك وقائع وحالات كثيرة نعرفها جميعاً في أقربائنا وأصدقائنا وجيراننا، تزوّج فيها الشباب، وتزوَّجت الفتيات في أثناء الدراسة، وأتموا جميعاً دراستهم حتى النهاية، وكان بعضهم وبعضهن من المتفوقين والمتفوقات.

● **هل تعتبر الفتاة المثقفة آثمة إذا هي رفضت الزواج بمن هو أقل ثقافة منها:**

- أؤكد ما سبق: أنه لا إثم إلا بترك الواجب، ولا يجب على شاب ما، أن يتزوج فتاة ما بعينها، وكذلك العكس.

لكن لا ينبغي لنا السؤال عن الواجب الشرعي فقط، لنقوم به، ونبتعد عن الحرام، بل علينا أيضاً الحرص والسؤال عن المندوب «المستحب» والمباح، وذلك للعمل بهما، إذ من المعلوم أن في ترك المندوب، وفي ترك المباح أحياناً، تفويتاً لكثير من المصالح والمنافع الدينية والدنيوية التي قد لا تعوض في المستقبل.

ومعنى هذا: أن الفتاة التي ترفض الزواج بمن هو أقل ثقافة منها، بنسبة غير كبيرة، لا ترتكب إثماً، لكنها قد تفوِّت عليها فرصة لن تعود، وبخاصة إذا كان الشاب يتصف بأوصاف أخرى إيجابية، تلقى لها مكاناً

حسناً في قلب الفتاة.

● إذا كان أمام الشاب خياران اثنان: إما الزواج من فتاة مثقفة متقاربة معه في العمل، وإما الزواج من فتاة أخرى أصغر وغير مثقفة، فهل يعتبر إثماً إذا اختار الأصغر غير المثقفة؟ وهل يؤجر إذا تزوّج الكبيرة المثقفة؟

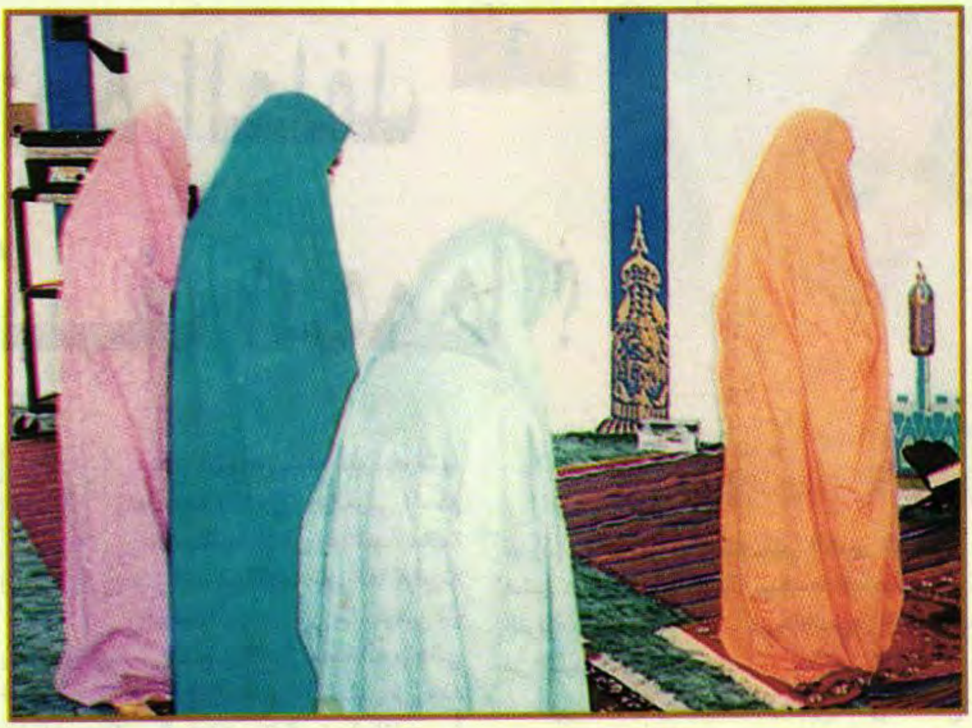
– الزواج ليس رغبات ومصالح مادية بحتة، لا معاني فيها ولا مشاعر، الزواج حياة وتفاهم، ومودّة ورحمة، وحبٌّ ووفاء وتضحية، وتجانس روحي، وتفاعل في المشاعر، وتحقيق للآمال في الاستقرار الأسري وإنجاب الأبناء الصالحين، الذين يفيدون أمتهم ودينهم ومجتمعهم.

وعلى الشاب وعلى الفتاة أن يختار كل منهما ما يراه مناسباً له، متوافقاً مع ميوله وتطلعاته وحبه المشروع ويتحرى الأسباب والأوصاف الشرعية المساعدة على استقرار الحياة الأسرية ودوامها.

أخرج أحمد والنسائي وابن ماجه أن فتاة قالت للنبي ﷺ : إن أبي زوّجني من ابن أخيه، وأنا له كارهة، فأرسل النبي ﷺ إلى أبيها فجاء، فخيَّر ابنته بحضوره...

وروى الحاكم وابن ماجه عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، عندنا يتيمة قد خطبها رجلان: موسر ومعسر، وهي تهوى المعسر، ونحن نهوى الموسر، فقال النبي ﷺ : «لم يُرَ للمتحابين مثل النكاح».

ففي هذين الحديثين بيان بأن الزواج مجمع للعواطف والحب والتآلف النفسي، وقد يكون هذا مع الفتاة المثقفة المتقاربة في السن مع الشاب، وقد يكون الحبُّ والميل والهوى مع الفتاة الأصغر غير المثقفة، وهذه مشاعر ورغبات شخصية عاطفية، ليس للآخرين سيطرة عليها... وليس على الشاب إثم إذا اختار الأصغر غير المثقفة، وترك الكبيرة المثقفة، كما أنه لا يؤجر أجراً خاصاً، لكونه تزوج الكبيرة المثقفة، إلا إذا كانت هناك موجبات أخرى للأجر.



● هل تُثاب الزوجة العاملة على عملها، سواء كانت مدرِّسة أو طبيبة؟ وهل يُثاب زوجها أيضاً؟

– نعم كلُّ من باشر عملاً، أو تسبب في عمل، أو أعان على عمل، يُبتغى به وجه الله تعالى وتحقيق الخير والسعادة للآخرين، فهو مأجور عليه إن شاء الله، سواء كان رجلاً أو امرأة، مدرساً أو مدرسة، طبيباً أو طبيبة، أو غير ذلك.

روى الشيخان أن رسول الله ﷺ قال : «كل معروف صدقة»، وروى العسكري وابن منيع والمنذري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ : «كل معروف صدقة، والدال على الخير كفاعله».

وروى الطبراني وأبو نعيم والبيهقي وغيرهم أن رسول الله ﷺ قال : «الخلق كلهم عيال الله - أي عبيد الله - فأحبهم إلى الله أنفعهم لعياله».

وهكذا، فإن أي نشاط يمارسه المسلم فهو مأجور عليه، إن كان هذا النشاط مشروعاً ويُراد به وجه الله تعالى، وذلك لأن حياة المسلم كلها لله وفي سبيل الله، قال الله تعالى: (قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين) الأنعام:١٦٢.

● عندما تحتاج الأمة للعاملات، وتضطر للاستعانة بغير المسلمات، فهل على الفتيات المسلمات مسؤولية دينية للعزوف عن هذه الأعمال؟ وهل على الأهل والأزواج مسؤولية كذلك، إذا كانوا لا يشجعون بناتهم وزوجاتهم على التعلم والعمل لسدّ الحاجة الاجتماعية؟

– أشير إلى أنه صدر الكثير من الفتاوى أكدت ضرورة الاستغناء على الخادمات، تجنباً للخلوة وغيرها من المحظورات، لكن حين الضرورة القصوى ينبغي الاستعانة بالعاملات المسلمات، وهنَّ أولى من غيرهن، لما في ذلك من أثر واضح في بناء شخصية المجتمع، وتوثيق صلة الأبناء بالإسلام وأحكامه وتشريعاته، ديناً وسلوكاً، حاضراً ومستقبلاً.

ومن الطبيعي أن تعمل الفتيات وأهلوهن وأزواجهن على تحقيق ذلك المطلب الديني والاجتماعي، وذلك من أجل مستقبل أفضل للجميع. ■

بقلم: أشرف سعد

لغة الطفل 1 كيـف نفهمها ؟



يعتز الإنسان بلغته القومية، لأنها لغة قومه وعشيرته، والعربي المسلم يعتز باللغة العربية لأنها علاوة على أنها لغة قومه فهي لغة عقيدته والعقيدة هي أسمى ما ينبغي أن يعتز به الإنسان المسلم والحق سبحانه وتعالى امتدحها حين قال: (ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل لعلهم يتذكرون. قرآناً عربياً غير ذي عوج لعلهم يتقون) الزمر: ٢٧ ـ ٢٨.

النمو اللغوي عند الطفل

الأصوات هي المادة الخام الأولية للغة وخلال الأشهر الأولى يكون الصراخ والصياح وسيلتاه للتعبير عن حاله، ومن المهم جداً خلال هذه الفترة ملاحظة الأم لوليدها بدقة، وتسجيل الملاحظات ومداومة الاتصال بالطفل وبخاصة في أثناء الرضاعة وذلك بالحديث إليه وتؤكد بعض البحوث العلمية معرفة الأم لنوع البكاء هل هو بكاء جوع أم بكاء ألم. ومن الضروري خلال هذه الفترة:

ـ أن تناغي الأم طفلها وتتحدث إليه وتحاول ترديد وحدات صوتيه معينة أمامه.

ـ عدم تعجل نطق الطفل بحروف أو كلمات واضحة هو أن الوحدات الصوتية التي ينطق بها الطفل لا يتحكم فيها النضج.

ـ ينبغي عدم كف الطفل أو نهره حينما يلعب بصوت مرتفع بدعوى أنه يسبب إزعاجاً لأن في حقيقة الأمر اللعب هنا هو تدريب للأجهزة الصوتية ومحاولة لاستخدامها.

متى ينطق الطفل الكلمة الأولى؟

يجمع علماء النفس على أن الشهرين الحادي عشر والثاني عشر من السنة الأولى هما المرشحان لنطق الطفل العادي. ولكننا نلاحظ تعجل بعض الآباء حديث أبنائهم وهذا ضرب من الوهم لأنه لابد من نضج الأعضاء الصوتية قبل ذلك وقد يتأخر النطق حتى الشهر الخامس عشر من عمر الطفل لذا ينصح اختصاصيو التربية بما يلي خصوصاً في الشهرين الأخيرين من السنة الأولى:

ـ تدريب حواس الطفل الرضيع على السمع كسماع تلاوة القرآن على أن يكون الصوت خافتاً.

ـ نداء الطفل باسمه وإشعاره بالحب والحنان.

ـ إرضاعه في مكان هادئ ومريح ولس كفيه وشعر رأسه ومناغاته.

ـ أثبتت الأبحاث أن الطفل المحروم من المداعبات يكون عصبي المزاج عدواني الطبع يميل للعزلة والحقد على الآخرين.

نمو قاموس الطفل في السنة الثانية

يتطور قاموس الطفل في السنة الثانية سريعاً ليشمل مفاهيم مهمة فهو يستجيب للأوامر والأسئلة ويستخدم الكلمات ويدرك معانيها والطفل في المتوسط يستخدم (٣٠) كلمة استخداماً متكرراً خلال عامه الثاني وهناك فروق فردية واضحة بين الأطفال وتتميز هذه الفترة بغلبة الأسماء على غيرها ويستطيع خلال هذه الفترة تركيب الكلمات لتنتج جُملاً بسيطة وعلى الآباء في هذه المرحلة اتباع التالي:

١ ـ استثارة الطفل لغوياً عن طريق:

أ ـ الحديث إليه بشكل شبه مستمر ويمكن أن يكون على هيئة أسئلة وحوار.

ب ـ دفعه للكلام بطريقة تشويقية واستثارته.

ج ـ عرض مثيرات بيئية مختلفة أمامه ليتعرف عليها.

٢ ـ مراعاة الفروق الفردية بين الأطفال فلا يضغط على طفل للنطق بكلمات نطق بها طفل آخر قبله أو معاقبته على ذلك لأن ذلك يعطل نموه اللغوي.

ومن الملاحظ أن البنات يفقن الأولاد في الجوانب اللغوية، حيث يسبقن الذكور في بداية الكلام ويزدن عليهم في عدد المفردات اللغوية، كذلك الفروق الاجتماعية لها دور أيضاً في سرعة نطق الطفل، فأطفال الطبقات الدنيا يصلون إلى مستويات عليا من التحصيل اللغوي ويعود ذلك إلى ما يلاقونه من استثارة لغوية.

تطور اللغة بعد سن الثانية

تزداد قدرة الطفل على فهم المجردات والأمور المعنوية ولكن بقدر يسير ويستخدم الكلمات التي تدل على المكان مثل هنا، فوق، تحت، لذلك على الوالدين مراعاة ما يلي:

ـ عندما يعبّر الطفل في حديثه عن حدث معين ويصفه للآخرين يجب الاستماع إليه باهتمام وإعطائه العناية الكافية حتى يعبّر عن نفسه وينشأ سوياً كما ينبغي عدم تكذيب الطفل إن رأى رؤية مخالفة لرؤية الكبار فهو لم يقصد الكذب.

ـ ينبغي أن نكف عن محاولاتنا جعل الطفل يفكر بعقولنا ويتصرف بمنطق الكبار.

ـ قد تبدو على الطفل أحياناً المشقة في التعبير عن نفسه فيكرر الكلام وهذه ظاهرة تتناقص مع زيادة قاموسه اللغوي وإذا استمرت هذه الاضطرابات فيجب علاجها.

وتوصي البحوث النفسية بالابتعاد عن مشكلة ثنائية اللغة في المرحلة الأولى من عمر الطفل، فلا يصح تعليم الطفل لغتين في وقت واحد لأن قدراته لا تسمح بذلك ولا ينبغي الخوف من الأخطاء الشائعة في ألفاظ الأطفال وكلماتهم لأنها ستزول بفعل النمو والخبرة. ■

بقلم : أ.د كارم السيد غنيم

فصل المقال في حركة الجبال

وردت لفظة الجبال في القرآن العظيم أربعاً وعشرين مرة بصيغة الجمع وست مرات بصيغة المفرد، فوردت بها لفظة «الجبل» في حالات خاصة كحالة نبي الله إبراهيم - عليه السلام - في التجربة العملية لإحياء الموتى لتثبيت عقيدة البعث لديه (سورة البقرة/٢٦٠)، واستحالة رؤية الله في الدنيا رؤية مجردة حتى على الأنبياء والرسل، كما وقع لكليم الله موسى - عليه السلام (سورة الأعراف:١٤٣)، وإسداء إحدى النعم على بني إسرائيل قديماً (سورة الأعراف:١٧١)، وعصيان ابن نوح لأبيه حين دعاه إلى ركوب سفينة النجاة (سورة هود:٤٣)، وخشية الله التي أودعها الله في نفوس مخلوقاته الحية ومخلوقاته الجامدة - ظاهرياً - كالجبال (سورة الحشر:٢١).

نلتقي في هذه المقالة حول آية قرآنية كريمة تحتوي إشارة صريحة لحركة الجبال، هي قول الله تبارك وتعالى: (وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب، صنع الله الذي أتقن كل شيء إنه خبير بما تفعلون) النمل:٨٨. ويقول ابن كثير في تفسير القرآن العظيم: تراها كأنها ثابتة باقية على ما كانت عليه، وهي تمر مر السحاب، أي: تزول عن أماكنها، كما قال الله تعالى: (يوم تمور السماء موراً. وتسير الجبال سيراً) الطور، وقال: (ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفاً. فيذرها قاعاً صفصفاً. لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً) طه، وقال: (ويوم نسيّر الجبال وترى الأرض بارزة) الكهف... وبهذا يكون ابن كثير قد فهم سير الجبال على أنه واحد من أحداث يوم القيامة، بدليل الاستشهاد بالآيات الأخر من سورة الطور وطه والكهف، أي أنه لم يدر بخلده إمكانية سير الجبال في الدنيا.

ومن التفسير بالمأثور «الذي يُعَدُّ ابن كثير واحداً من روّاده» إلى التفسير بالرأي «الذي يُعَدُّ الفخر الرازي واحداً من فرسانه»، فيقول صاحب مفاتيح الغيب: اعلم أن هذا هو العلامة الثالثة لقيام القيامة، وهي تسيير الجبال، والوجه في حسبانهم أنها جامدة فلأنَّ الأجسام الكبار إذا تحركت حركة سريعة على نهج واحد في السمت والكيفية ظن النظار إليها أنها واقفة مع أنها تمر مراً حثيثاً... ويعني هذا أن الرازي - هو الآخر - استبعد حركة الجبال في الدنيا، واعتبرها علامة من علامات القيامة، ولهذا ذهب المفسرون جميعهم - تقريباً.

ويستدلون على رأيهم «أو تفسيرهم» بأن الآيات السابقة والآيات اللاحقة لهذه الآية تتحدث عن بعض أحوال القيامة، يقول الله تبارك وتعالى: (ويوم نحشر من كل أمة فوجاً ممن يكذب بآياتنا فهم يوزعون. حتى إذا جاءوا قال أكذبتم بآياتي ولم تحيطوا بها علماً أمَّاذا كنتم تعملون. ووقع القول عليهم بما ظلموا فهم لا ينطقون. ألم يروا أنا جعلنا الليل ليسكنوا فيه والنهار مبصراً إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون. ويوم ينفخ في الصور ففزع من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله وكل أتوه داخرين. وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب صنع الله الذي أتقن كل شيء إنه خبير بما تفعلون. من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون. ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم في النار هل تجزون إلا ما كنتم تعملون) النمل، وتنتهي أقوال جمهور المفسرين إلى أن الجبال ستمر يوم القيامة مر السحاب لأجل أن تصل إلى الأرض فتسوى بها، ولعظم حجمها يراها الإنسان كأنها جامدة غير متحركة، وعلى الرغم من إجلالنا لهؤلاء المفسرين، فإن التفسير لا يمكن أن يكون قرآناً في يوم من الأيام، لأن التفسير كلام البشر، أما القرآن فكلام الله، كما أن عطاء الله في كلماته لا ينفد ولن ينقطع إلى يوم القيامة، وعليه، نوجز آراء العلماء المعاصرين في كون حركة الجبال المذكورة في الآية ٨٨ من سورة النمل في الدنيا، وليس في الآخر، وها هي الأدلة:

١ - يتحدث القرآن في مواضع عديدة عن أمور الآخرة ثم يلتفت إلى بعض أمور الدنيا التي لها علاقة بما ذكر عن أحوال الآخرة، وقد يأتي العكس أيضاً، ويقول علماء البلاغة: إن إزالة الحواجز الزمنية بين الدنيا والآخرة أبلغ تأثيراً في النفوس. وفي النص الذي معنا نقرأ الآيات ٨٣ - ٨٥ في أحوال الآخرة ثم الآية ٨٦ في أحوال الدنيا، ثم الآية ٨٧ في الآخرة، ثم الآية ٨٨ في الدنيا، ثم الآيتان ٨٩، ٩٠ في الآخرة...!!

٢ - يقول الله تعالى في الآية ٨٨: (صنع الله الذي أتقن كل شيء)، والإتقان هنا ذو صلة بالنواميس التي خلقها الله في الدنيا، ويريد أن يلفت أنظار الناس إلى التفكر فيها والتأمل في صنعها ومعرفة قدرة خالقها سبحانه وتعالى، أما في الآخرة فإن عقد كل شيء ينفرط، وتنخرق النواميس الكونية «الدنيوية»، فالجبال سيتم نسفها حسبما ورد في قول الله: (ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفاً) طه.

٣ - يقول الله تعالى في صدر الآية ٨٨: (وترى الجبال)، وهو فعل مضارع يأتي في القرآن ليقوم مقام فعل الأمر، فكأن الله سبحانه وتعالى يأمر برؤية الجبال، أي النظر إليها كمعجزة من معجزات الخلق في هذا الكوكب الأرضي، وفي القرآن شواهد عديدة على هذا، مثل قول الله تعالى: (وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج) الحج.

٤ ـ كما أن في الآية ٨٨ إشارة إلى أن حركة الجبال ليست حركة ذاتية، وإنما هي تابعة لحركة أكبر، وكما يفيد علم البلاغة بإمكان إطلاق الجزء وإرادة الكل، فإن الجبال تتحرك بحركة الكوكب الأرضي كاملاً ـ كما سنفصل هذا بعد قليل ـ وإنما ذكرت الجبال لأنها أبرز ما على الأرض، وكما أن السحاب لا يتحرك بذاته، بل بحركة وقوة دفع الرياح له، فهكذا الجبال تتحرك بحركة الأرض، وهو تشبيه بليغ. ومن نافلة القول أن الآية تشير أيضاً إلى وجود الحركة الدورانية للكرة الأرضية.

والناظر في الآية القرآنية يرى لفظة «تحسبها» قد جاءت لتلائم المستوى العلمي للمسلمين وقت نزول القرآن، فالكل يرى الجبال ثابتة مستقرة، ولا يرى لها حركة مطلقاً، فلم يثبت لأحدهم أن علم بحركة جبل من مكان إلى مكان آخر، ولذلك يقول الله (تحسبها جامدة)، وفي هذا معنى المغايرة لما يعقبها من معلومات، وهي (تمر)، أي: تتحرك حركة انتقال أو اختفاء من مكان وظهور في مكان آخر، ثم جاء تشبيه حركتها بحركة السحاب في قول الله تبارك وتعالى: (مر السحاب)، فهل تتحرك الجبال فعلاً، وهل توصل العلم الحديث إلى إثبات هذه الحركة، وما هو نوع هذه الحركة؟؟

تتلخص آراء علماء الجيولوجيا حالياً لفهم هذه الآية القرآنية الكريمة في ثلاثة أنواع من الحركة بشأن الجبال، وهي: حركة الجبال بحركة الأرض، وحركة الجبال بتعريتها وتغيير صخورها، وحركة الجبال بحركة القشرة الأرضية (فيما يسمى ظاهرة انزياح القارات)، وفيما يلي موجز لكل نوع من هذه الحركات.

حركة الجبال بحركة الأرض

أصبحت حركة الأرض، أو بالأدق حركات الأرض، اليوم حقيقة علمية يؤكدها العلماء المتخصصون، ومن هذه الحركات دوران الأرض حول نفسها مرة كل ٢٤ ساعة، ودورانها حول الشمس «أمها» مرة كل ٣٦٥ يوماً وربع اليوم، ويقدّر العلماء سرعة دوران الأرض في أي نقطة على سطح الأرض عند خط الاستواء بنحو ١٦٠٠ كيلو متر في الساعة، ودورانها في مدارها على بُعْد ١٤٩ مليون كيلو متراً من الشمس، ويُقدَّر بنحو ١٠٦٠٠٠ كيلو متراً في الساعة.

وأما تشبيه حركة الجبال بحركة السحاب، فهو تشبيه علمي بليغ، لأن السحاب عبارة عن كتل ضخمة من بخار الماء ونوى التكاثف العالقة به، وهو محمول بوساطة هواء ديناميكي متحرك، أي: الرياح، يعني أن السحاب لا يتحرك حركة ذاتية، بل يتحرك حركة مكتسبة من الرياح... وكما أشارت الآية القرآنية: (الله الذي أرسل الرياح فتثير سحاباً فسقناه إلى بلد ميت) فاطر، فلفظة «سقناه» في هذه الآية تدل على حركة ومرور السحاب من بقعة إلى أخرى، وكأن السحاب يركب الرياح ويسافر عبر البلدان، ويمر من مناطق الضغط المرتفع إلى مناطق الضغط المنخفض، والجبال هي الأخرى مكونات أرضية تتحرك بحركة كوكب الأرض في الفضاء وهي محمولة على الأرض وتتحرك بحركتها، أي ليست لها حركة ذاتية، كما هو الحال أيضاً بالنسبة للسحاب... فالأرض تقطع مسافات شاسعة وهي تحمل الجبال، وبالتالي تقطعها هذه الجبال، وهكذا لم تصرح الآية القرآنية الأساسية في هذا المقال بحركة الجبال الانتقالية حتى لا يتنافى ما تعارف الناس عليه في زمن نزولها، وحتى لا تصطدم بمعارفهم في ذاك الوقت، وفي الوقت نفسه انطوت الآية ذاتها على ما ينبئ بحركة الجبال، حتى جاء العصر الحالي وتوصل العلماء إلى هذه الحقيقة حديثاً.

ولعل الجزء الثاني من الآية ٨٨ من سورة النمل يشهد لصحة هذا المعنى، إذ يقول الله تبارك وتعالى فيه: (صنع الله الذي أتقن كل شيء)، فهو أتقن، والاتقان لايحدث إلا في الحياة الدنيا، ولم يقل «خرَّب» وهو ما يحدث عند قيام القيامة، إذن فالمعنى الذي ذهب إليه جمهور المفسرين لا يتفق مع معنى اللفظة القرآنية، وتعارضه المعطيات العلمية الحديثة، ومن المعروف أن كلام المفسرين يؤخذ منه ويُردّ، لأنه اجتهاد بشر يصيب ويخطئ، وربما كان ما ذهبوا إليه من معنى أو شرح أو تفسير يناسب مدارك الناس في العصور السابقة، وعموماً (فالتفسير ليس قرآناً).

وإذا عدنا إلى التشبيه البليغ للجبال بالسحاب، في الحركة، نجد أن حركة السحاب محمولاً على متن الرياح فيها خير ومنافع للكائنات الحية، وكذلك في حركة الجبال محمولة على متن الأرض، فيها منافع ومنها تعاقب الليل والنهار وتوزيع الحرارة والظروف المناخية على مدار العام، وما كان يحدث هذا ولا ذاك إلا بحركة ودوران الأرض، وعلى متنها الجبال. والخلاصة هي أن الجبال جزء من الأرض، ولما كانت الأرض متحركة وتدور في فلكها حول نفسها وحول الشمس وفي الفضاء الكوني، فإن الجزء لابد وأن يتبع الكل الذي ينتمي إليه، فلابد وأن الجبال في حركة دائمة، ولا يستطيع أن يفهم المرء هذه الحركة إلا إذا علم يقيناً أن الأرض تتحرك وتدور، فيكون ثبات وجمود الجبال من الأمور غير الحقيقية، أي: مما يقع في دائرة الظن، ولذلك جاءت اللفظة القرآنية «تحسبها».

حركة الجبال بحركة القشرة الأرضية «انزياح القارات»

تنص نظرية الألواح الأرضية على أن الغلاف الصخري للأرض تنتشر به شبكة هائلة من الصدوع التي تقسمه إلى عدد من الألواح واللويحات «وتسمى أيضاً: «الصفائح التكتونية، أو الألواح الأرضية المتجاورة، أو الشرائح أو القطع الصخرية الرئيسية في وشاح الأرض»، وتطفو هذه الألواح فوق طبقة الوشاح **Mantle** الصخرية الساخنة اللدنة عالية الكثافة عالية اللزوجة، وتساعد هذه الصفات في انزلاق الألواح واللويحات على هذه الطبقة بسهولة، ويساعد في هذا أيضاً دوران الأرض حول محورها أمام الشمس، ووجود تيارات حرارية كثيرة ناتجة عن النشاط النووي لتلك الطبقة من الأرض، وعندما تتحرك هذه الألواح واللويحات قد تصطدم ببعضها فتحدث هزات أرضية وأنشطة بركانية عند حوافها، وعندما تتباعد عن بعضها البعض تندفع الصهارة الصخرية «وهي كتل سيال جرانيتية» لتملأ المسافات الموجودة فيما بينها... وتتحرك الألواح عبر محيط الأرض وتحمل معها القارات فتصطدم قارة بأخرى، وتصطدم القارات ببعضها أيضاً نتيجة اختفاء المحيط الفاصل فيما بينها، ويؤدي هذا إلى ظهور أعظم السلاسل الجبلية ارتفاعاً، وهي السلاسل التي تؤدي إلى إبطاء حركة كل من اللوحين المصطدمين بالتدريج حتى يتوقفا عن الحركة، أي أن هذه السلاسل الجبلية «رواسي» تعمل على إرساء القشرة الأرضية.

يقول فجنر: إن كتلة السيما الباطنية كانت أكثر لزوجة عما هي عليه الآن، وساعد ذلك على طفو كتل القارات من مادة السيال، الخفيفية وتزحزحها بفعل قوة الجذب الأرضية التي زحزحت بالدفع صخور السيال القارية نحو المناطق الاستوائية، وأن ذلك أدى إلى تكوين سلاسل الجبال الالتوائية الشامخة المستعرضة كسلسلة جبال الألب والهيمالايا، وكان المناخ القديم للأرض مختلفاً عن المناخ الحالي... وكان من نتاج الزحزحة الجانبية الأفقية أن «انفتقت» الأمريكيتان عن

أوروبا وأفريقيا وزحفتا نحو الغرب، واتجهت قارة أنتارتيكا نحو الجنوب، وهضبة الدكن وأستراليا نحو الشرق.

هذا، وتمر الجبال مع الألواح واللويحات الأرضية، مروراً بطيئاً لا يستطيع الناس إدراكه فيظنون أنها جامدة أو ساكنة أو ثابتة، ولكن العلماء المعاصرون أثبتوا أنها تتحرك على مر ملايين السنين، بل وقدروا معدل هذه الحركة البطيئة المستمرة بنحو ١ ـ ١٢سم كل عام، في ظاهرة تدعى «انزياح «أو إزاحة أو زحزحة القارات» التي تشرحها «نظرية إزاحة القارات» في أن جميع القارات كانت قديماً متصلة ببعضها البعض، ثم انفتقت وتشققت ثم تباعدت عن بعضها البعض فظهرت البحار والمحيطات التي نراها الآن... وبناء على هذه النظرية كانت قارة أفريقيا متصلة بالقارة أمريكا الجنوبية، ويدل على ذلك تطابق سواحل غرب أفريقيا مع سواحل شرق أمريكا الجنوبية، لكنها ـ ومع حدوث إزاحة للقارات بحركة الألواح الأرضية وتباعدها ـ انفصلتا عن بعضهما البعض، ومن الذين بحثوا في زحزكة القارات كلفن، سولاس، لابوارث، لاف، فجنر، جولي، هولمز، فرانسيس بيكون، وانا، فوربس، سيندر، بييس، تايلر... ومرت هذه النظرية بمراحل، أولاها كان بزحزحة القارات رأسياً، ثم آخرها بزحزحة القارات أفقياً، وهو ما استقرت عليه آراء العلماء حالياً، وعموماً، فإن هذه النظرية تؤكد أن قارات الكرة الأرضية كانت في الأصل والمنشأ كتلة واحدة «رتقا» فتشققت «تفتقت» خلال فترات وأحقاب جيولوجية مختلفة، ولم يتغير في هذه القارات «أي: أجزاء الأرض» إلا الهوامش فقط، إذ إن أنواع الحيوانات والنباتات واحدة، ومعظم أشكال الحواف متطابقة، ولقد تكونت الجبال الالتوائية الشامخة «الرواسي» بعد حدوث الأحداث العظام في زحزحة قارات الأرض وتباعدها عن بعضها البعض، ويُقال إن هذه الرواسي قد تشكلت في بداية العصر البرمي منذ ٢٠٠ مليون سنة، وإذا رُصَّت قارات الأرض بجوار بعضها لتداخلت تعاريج ونتوءات سواحلها مع بعضها تماماً، كما لو كانت قطعة ورق تمزقت ويمكن إعادتها إلى حالتها الأولى تماماف، كما قال بهذا العالم فجنر.

وعلى هذا، يتوقع علماء الجيولوجيا تزحزح قارة أفريقيا إلى الشمال لتغلق البحر المتوسط، وسوف تتزحزح إلى الغرب فيتسع البحر الأحمر ليصل إلى حجم محيط في يوم من الأيام، وهكذا، تتحرك الجبال مع الألواح الأرضية بمرور السنين فتنتقل من مكان لآخر، حركة بطيئة وئيدة، وكأنها مرور سحاب، كما عبَّرت الآية القرآنية الكريمة في سورة النمل.

حركة الجبال بتعريتها وتغيير صخورها

يصنِّف الجيولوجيون صخور الأرض ـ تبعاً لطريقة تكوينها ـ في ثلاثة أنواع، هي:

١ ـ صخور نارية: تكونت في درجات حرارة عالية جداً، وهي كتل متبلورة من مواد ملتهبة معروفة باسم الصهارة «أو لافا»، وتُقذف مع البراكين. ومن أنواعها: الجرانيت والبازلت.

٢ ـ صخور رسوبية: تكونت بترسيب وتراكم مواد جمعتها عوامل التعرية «أو التجوية» أو أنتجتها كائنات حية، ثم تماسكت هذه المواد مع بعضها البعض بتأثير الضغط والحرارة، ومن أنواعها: الحجر الجيري، والحجر الرملي.

٣ ـ صخورة متحولة: تكونت من صخور رسوبية أو نارية تعرّضت لدرجات شديدة من العوامل كالحرارة أو الضغط، ومن أنواعها: الرخام والاردواز.

وللصخور دورة مع الزمن، يتحول فيها نوع إلى آخر، فمثلاً تتحول الصخور النارية إلى صخور رسوبية بفعل عوامل التعرية والنقل والترسي، وتتحول الصخور الرسوبية إلى صخور متحولة، حيث تندثر تحت سطح الأرض أثناء تكون الجبال، وقد تتحول الصخور الرسوبية إلى صخور نارية حين تتحول درجة حرارتها إلى درجة الانصهار، وهكذا اكتشف العلماء التغير المستمر لصخور الجبال، والأرض عموماً، وهو التغير الذي يحدث تدريجاً يبطئ، أو فجأة «كما هو الحال في الكوارث الطبيعية كالخسف المفاجئ مثلاً»، وقد أعلن جيمس هاتون «في القرن السابع عشر الميلادي» مبدأ التغير التدريجي المستمر للقشرة الأرضية على مر الأحقاب الجيولوجية، وبناء على هذا المبدأ، وما دعمته من بحوث وكشوف حديثة، فإن زوال جبال وظهور أخرى، أو الانتقاص من جبال وازدياد أخرى، عمليات تتم مع الزمان، وكأن الجبال تنتقل من مكان إلى آخر... وهكذا تذوب الجبال بفعل عوامل التعرية، وفي هذا يظهر أحد المعاني المفهومة في مرور الجبال الذي ورد في الآية القرآنية رقم ٨٨ بسورة النمل، وهكذا يتضح مدى الفائدة التي يمكن تحصيلها لخدمة القرآن العظيم وتفسيره وعرضه على الشعوب المختلفة وخاصة الشعوب المتقدمة علمياً، وهكذا تتضح أهمية توظيف المعطيات العلمية الحديثة في هذا المجال.

ومن نافلة القول أن هذه الآية القرآنية احتوت قول الله تبارك وتعالى: «وترى الجبال»، وليس «وترى الأرض»، وهذا تعبير علمي معجز، لأن الأرض لا يراها الإنسان وهي تمرّ إلا إذا خرج منها ونظر إليها من الفضاء الخارجي، وقد تحقق له ذلك بعد اختراع سفن الفضاء حديثاً، وإنما جاءت «وترى الجبال» لأن الجبال مما يقع في مجال رؤية الإنسان، كما لزم أن ترد اللفظة القرآنية «تحسبها» «أي: تظنها»، لأن في الظاهر أمام العيان هي ثابتة، بل وراسية ـ كما أخبرت بذلك آيات مثل: الآية ٣٢ في النازعات، ولكن العلم الحديث كشف «كما قلنا» عن معنى عظيم لم يكن ليعرفه الناس إلا بعد الدراسة والبحث عبر مئات السنين... أما كيف لم يفهم المسلمون الأوائل مثل هذه الحقائق العلمية القرآنية في عصر نزول الوحي العظيم بين ظهرانيهم، فلأنهم كانوا مشغولين ـ بالدرجة الأولى ـ بمقاومة الشرك والإلحاد، وتنقية النفوس من أدرانها، ودعوة الناس إلى توحيد الله رب العالمين، فلا وقت لديهم إذن للتفتيش عن كل ـ أو معظم ـ مكونات الآيات القرآنية، وحتى الذين علموا بعض هذه الأسرار العلمية من رسول الله صلى الله عليه وسلم رأوا من الحكمة ألا يتحدثوا بها، فهي مما لا يصدقه العقل في ذلك الزمان، ومن ثم أمسك الصحابة عن إذاعة ما علموه من مثل هذه الأسرار العلمية للآيات الكونية في القرآن الكريم، فكيف يشرحون للناس حركة الجبال ـ مثلاً ـ وهي ثابتة جامدة أمام أعين الناس وأنظار الناظرين... إن هذا إذا حدث لأدّى إلى وقوع فتنة للناس في ذاك الزمان، وختاماً، فإن الآية القرآنية التي معنا الآن (النمل:٨٨) تدل أيضاً على حركة الأرض، وخصوصاً سباحتها في فلكها، حول نفسها، وحول أمها الشمس، وفي الفضاء الكوني العظيم بمرافقة الشمس، وسبحان من هذا كلامه المنزَّل، وهذا كونه المخلوق، سبحان الله الخالق العظيم، وصلى الله على خاتم الرسل والأنبياء أجمعين وسلم تسليماً كثيراً. ■

بقلم : عبدالمنعم أحمد

المسلمون في روسيا

الإسلام انتشر قبل قرن من اعتناقها المسيحية !

كتب الكسندر سميرنوف مقالاً عن أوضاع المسلمين في روسيا في أعقاب انهيار الاتحاد السوفياتي السابق تناول فيه بالتفصيل تطلعات المسلمين للحفاظ على هويتهم الثقافية والدينية، يقول المقال :

حديقة «إسماعيلوفو» الشهيرة في موسكو تغدو مع إطلالة الربيع المكان الأثير لأبناء الجالية التترية، حيث يقيم التتر في موسكو منذ سيطرة أسلافهم على روسيا في القرنين الثالث عشر والرابع عشر، وفي العاصمة الروسية الآن زهاء ٦٠٠ ألف تتري، إلا أن كثيرين منهم لم يعودوا يتكلمون لغتهم الأصلية، وتصدى عدد من الشخصيات والمنظمات ذات الطابع القومي والديني لمهمة «إحياء الأصول» لدى الشعب التتري.

وفي هذا السياق، وقع الاختيار على «إسماعيلوفو» لعقد لقاءات ربيعية كان لها في البداية طابع أقرب إلى الفولكلوري، إذ كان التتر يقيمون حلقات الرقص والغناء ويتعارفون فيما بينهم وفيما بعد ظهرت مسحة دينية على هذه اللقاءات، وغدا الرجال يرتادونها وهم يعتمرون طاقيات سوداء أو خضراء أو بيضاء، أما النسوة فأخذن يربطن رؤوسهن بالمناديل.



● المسلمون في روسيا حريصون على تعليم مبادئ الإسلام

وغالباً ما تسمع هنا وهناك عبارات «السلام عليكم» و«الحمد لله»، ويمكن أن تجد في أكشاك متنقلة كتباً دينية إسلامية إلى جانب مؤلفات في التراث والأدب التتريين.

بالإضافة إلى «إسماعيلوفو» يلتقي التتر وسائر مسلمي موسكو في المساجد الخمسة القائمة في العاصمة وفي مؤسسات اجتماعية - دينية وغالباً ما تشاهد طوابير طويلة عند محلات خاصة تبيع اللحم الحلال، وثمة مستشفيان مختصان بعمليات الختان التي تجرى وفق أحدث القواعد بعدما كانت في الماضي تجرى سراً وبطريقة بدائية.

وظهرت أخيراً منتديات تترية وداغستانية وأذربيجانية وشركسية وفي إطارها تقام دروس ومحاضرات دينية وندوات عن الإسلام ودوره في روسيا.

وفي حديث صحفي أشار رئيس مجلس

المفتين في روسيا الشيخ راوي عين الدين إلى أن في منطقة موسكو وضواحيها أكثر من مليوني مسلم، وذكر أن العدد ارتفع بعد انهيار الاتحاد السوفييتي وتعاظم موجات الهجرة بسبب النزاعات الإقليمية، فثمة تقديرات تفيد بأن زهاء ٤٠٠ ـ ٦٠٠ ألف أذري وصلوا إلى موسكو من منطقة قره باخ أو العمق الأذربيجاني، كما أن قرابة ١٥٠ ألف طاجيكي هربوا من الحرب الأهلية وتدفقوا إلى موسكو.

ويؤم الكثيرون من هؤلاء المساجد التي غدت تغص بالمصلين، إلا أن الأزمة الاقتصادية الخانقة تعوق إنشاء مصليات جديدة، وكان يمكن للمسلمين أن يحصلوا على موقع مهم للالتقاء لو اكتمل إنشاء «المركز الإسلامي» الذي صمم كمجمع يضم مسجداً وفندقاً ومشفى، وداراً للأيتام ومؤسسات ثقافية وخيرية، وتعهدت جمعيات إسلامية روسية وأجنبية الإنفاق عليه، إلا أن منظمات حماية البيئة تدخلت لعرقلة بناء المشروع في منطقة «تروباريوفو» في غرب موسكو، كما احتجت جهات متنفذة في الكنيسة الأرثوذكسية على إقامة جامع جديد في حي زعمت أن عدد المسلمين فيه «ضئيل»، وبدأت في السنوات الأخيرة حركة دائبة للطباعة والنشر، وقال رئيس دائرة الإعلام في الإدارة الدينية الإسلامية فريد أسدالله: إن صحيفة «منبر الإسلام» تصدر في موسكو باللغتين التترية والروسية، وتنشر فيها نصوص دينية باللغة العربية، ويرأس تحريرها البروفسور طالب سعيد بايف الذي كان ألف عدداً من الكتب القيمة عن الإسلام، وحتى الآن تصدر في شكل غير منتظم صحيفة «التوحيد» التي تمثل ما يوصف بالتيار الراديكالي.

وعلى الصعيد السياسي كان «حزب النهضة» أول تنظيم سياسي إسلامي نشأ في أوائل التسعينيات، إلا أنه عانى من انقسامات زادها عمقاً انهيار الاتحاد السوفييتي، وبالتالي انفصال فرع طاجكستان الذي كان الأقوى في الحرب، وأصبح عدد من مؤسسيه قادة لحركة المعارضة وأعضاء في الوزارة الطاجيكية. وخاضت الانتخابات البرلمانية الأخيرة في روسيا حركتان أصابتا نجاحاً نسبياً، وإن لم تتمكنا من إيصال نواب إلى مجلس الدوما، وهما «اتحاد مسلمي روسيا» الذي يغلب عليه نفوذ القوقازيين وحركة «نور» التي تستند أساساً إلى الجالية التترية.



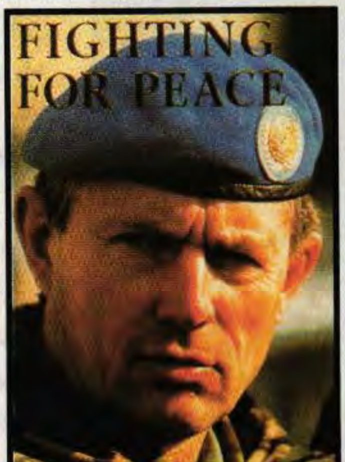
● مسجد في جمهورية تتارستان يجري بناؤه حالياً بالقرب من دار الحكومة في العاصمة قازان

وبرز في الآونة الأخيرة «المركز الثقافي الإسلامي» بقيادة عبدالواحد نيازوف الذي تثير شخصيته جدلاً في الوسط الإسلامي، كما أثيرت تساؤلات عن مصادر تمويله، وتضم النخبة السياسية في العاصمة الروسية عدداً من الوجوه البارزة من أبناء الجالية الإسلامية مثل وزير شؤون القوميات رمضان عبداللطيفوف ووزير أملاك الدولة فريد عزيزالله، إلى جانب عدد من كبار الأدباء والمفكرين مثل حيدر جمال وولي الدين صدر.

إلا أن المسلمين يشيرون إلى أن تمثيلهم في هيئات السلطة لا يزال متخلفاً إلى حد كبير عن نسبتهم في المجتمع ، وإلى ذلك، فإن السلطة المدنية تجهر بتعاطفها مع الكنيسة الأرثوذكسية، متناسية أحياناً أن خُمس أبناء روسيا من المسلمين، وأن الإسلام بدأ الانتشار في روسيا قبل قرن كامل من اعتناقها المسيحية.

إعداد : محمد هاني

قتال من أجل السلام



مؤلف الكتاب : الجنرال البريطاني «سير مايكل روز» قائد قوات حفظ السلام في البوسنة

وهذا الكتاب يقدم شهادة زور موجعة ومؤلمة عبر صفحاته ولا يوجد ما ينطبق على هذا الكتاب خير من المثل العربي الشهير «سكت دهراً ونطق كفراً»، فبعد أكثر من أربع سنوات من أسوأ المجازر البشرية في القرن العشرين التي جرت في البوسنة وشاهدها العالم على شاشات التلفاز جاء الكتاب ليزوِّر الحقائق.

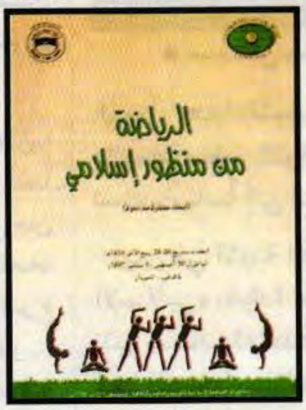
فروز وقواته لم يقاتلوا من أجل السلام، بل وقف وقواته يتفرجون على وحوش الصرب وهم ينقضون على ما سُمِّي بالمناطق الآمنة - التي يقطنها مسلمو البوسنة، بعد أن جردتهم قوات روز من أسلحتهم وتعهدت بحمايتهم - ويقتلون الرجال والنساء والأطفال، وعزَّ على روز ألا يشارك الصرب أمجادهم، فكان جنوده يخطفون له صبايا من مناطق المسلمين ليغتصبهم، وهو ما كشفه ابن جلدته في صحيفة الأندبندنت.

وفي ثنايا الكتاب تضيع الحقيقة ولا تعرف من المعتدي ومن الضحية في تلك المجزرة، فالكتاب يحفل بأحط الصفات للساسة والعسكريين المسلمين الذين يتهمهم روز بأنهم كانوا عقبة في الطريق إلى السلام، أما الجنرال الصربي راتكو ميلاديتش الذي تبحث عنه محكمة لاهاي الدولية لمحاكمته كمجرم حرب بعدما أباد عشرات الألوف من الشيوخ والنساء والأطفال المسلمين، فهو في رأي روز «رجل يحترم كلمته!» ولا غرابة فالرجلان ينطبق عليهما المثل الرعبي «وافق شن طبقة».

ويقدم روز تفسيراً مدهشاً للقصف الوحشي الذي نفذه الصرب ضد المدنيين من المسلمين في المناطق السبع الآمنة، فذلك القصف كان رداً على خداع المسلمين الذين استفزوا الصرب عمداً حتى يقصفوهم ويقتلوا مزيداً منهم استدراراً للعطف الدولي!

والأكثر إيلاماً، أن روز يلتمس العذر لوحوش الصرب، هو نفسه الذي هدد حكومة سراييفو بضرب قواتها الموجودة في المناطق الآمنة، وحجته - كما أوردها في الكتاب - أن هذه المناطق يجب أن تكون منزوعة السلاح، مع أن منطوق قرارات الأمم المتحدة يقول بسحب القوات غير الموالية للحكومة البوسنية، أي قوات الصرب.

الرياضة من منظور إسلامي



صدر ضمن مطبوعات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة «الايسيسكو» كتاب جديد بعنوان «الرياضة من منظور إسلامي» وهذا الكتاب يشتمل على أبحاث مختارة من الندوة العلمية حول موضوع «المفهوم الإسلامي لرياضة الشباب» التي عقدت في الخرطوم في صيف عام ١٩٩٧م في إطار التعاون بين المنظمة ومنظمة الدعوة الإسلامية، ويهتم الكتاب بإبراز المبادئ الإسلامية السامية في تكوين الأجسام والنفوس والتأكيد على المفاهيم الأساسية حول الرياضة في المنظور الإسلامي، وتدور محاور الأبحاث التي يتضمنها الكتاب حول الأخذ بالمفاهيم الإسلامية الشرعية في الألعاب الرياضية وتهذيب الأنواع الرياضية العنيفة التي تلحق الأذى والموت أحياناً بممارستها والتخطيط لإقامة منافسات على مستوى دول العالم الإسلامي والتركيز أكثر على القيم الإسلامية الأخلاقية.

موسوعة علمية مصورة توثق الطيور في الكويت

ذكر مدير الصندوق الوقفي للتنمية العلمية داود الأحمد أن الصندوق قدم دعماً لطباعة وإصدار موسوعة طيور الكويت لمؤلفها المستشار مشعل أحمد الجريوي، مبيناً أن هذه الموسوعة العلمية تعتبر مرجعاً موثقاً تاريخياً لحياة الطيور المحلية والمهاجرة في الكويت والخليج العربي.

وأشار الأحمد إلى أن هذا الدعم يجيء انطلاقاً من أهداف الصندوق في دعم النشر العلمي بين أفراد المجتمع.

وذكر أن الموسوعة التي استغرق المؤلف في إعدادها أربع سنوات تشتمل على الاسم العلمي للطائر باللغة الإنكليزية والعربية ومسماه باللهجة المحلية، ورتبة الطائر وموطنه ووزنه وطوله والصفات العامة والغذاء وأماكن مشاهدته ومسالك وفترات الهجرة.

وقال: أفرد المؤلف صورة لكل طائر وتاريخ ومكان تصويره، موضحاً أن جميع الصور المحتواة في الكتاب التقطت من خلال الكاميرا الشخصية للمؤلف في دولة الكويت وفي أكثر من ١٠ مواقع.

وأفاد: يهدف هذا الكتاب للتعريف بأكبر عدد ممكن من الطيور وأهميتها للبيئة الكويتية باعتبارها أحد عناصر الحياة الفطرية المرتبطة بالبيئة المحلية، كما يخدم هذا الكتاب الكثير من الباحثين وعامة المواطنين والوافدين والمهتمين في مجال الطيور والبيئة.

الاعتراف بجامعة روتردام الإسلامية على المستوى العالمي

شهد يوم ٧ يونيو الماضي حدثاً تاريخياً مهماً في مجال التعاون المشترك بين جامعة روتردام الإسلامية وجامعة طشقند الحكومية، فبالإضافة إلى الاعتراف المتبادل بالشهادات شمل العمل المشترك - أيضاً - وفي مختلف المجالات مثل وضع المشاريع المشتركة وتبادل الأساتذة والطلبة والإشراف المشترك على درجتي الماجستير والدكتوراة.

وتعتبر جامعة طشقند الحكومية بأوزبكستان من أشهر وأعرق جامعات العالم الإسلامي، فإبان مرحلة ازدهار وتطور العلوم الإسلامية لعبت المدن مثل: طشقند وبخارى دوراً مهماً في التطور العلمي، وكان الإمام أبو عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري رحمه الله أحد أشهر الذين ينتمون إلى هذه المنطقة، والذي يرجع إليه الفضل في جمع الأحاديث النبوية الشريفة وتصنيفها في كتاب «صحيح البخاري» الذي يحمل اسمه، كما أن العديد من العلماء والفقهاء المعروفين قد تلقوا علومهم في طشقند وبخارى وغيرها.

وجامعة روتردام الإسلامية هي مؤسسة أكاديمية ذات نظرة اجتماعية واضحة، فهي تريد أن تقدم تقريراً حقيقياً عن حياة المواطنين المسلمين الهولنديين وذلك عن طريق التعليم الأكاديمي والبحث العلمي، فعدد المسلمين القاطنين في هولندا يناهز ٧٠٠ ألف مسلم، حيث إن نسبة كبيرة منهم تعتبر من المهاجرين، لكنهم يتخذون - بالدرجة الأولى - صفة مواطنين مسلمين متعايشين في هولندا، وانطلاقاً من قواعدهم الدينية يريدون التعبير عن مواطنتهم بشكل مسؤول ونشيط، ولديهم أيضاً رغبة أكيدة في ربط مبادئهم الدينية بالأسئلة الحساسة وبالمشاكل المطروحة على مستوى التعايش في هولندا.

من هذا المنطلق، تعتزم جامعة روتردام الإسلامية تقديم تقرير واف حول التطورات اللاحقة للمواطنين ومخططهم حول التعايش في هولندا.

من اتفاق أوسلو إلى الدولة ثنائية القومية

عن دار الشروق للنشر والتوزيع في عمان صدر مؤخراً كتاب بعنوان: «من اتفاق أوسلو إلى الدولة ثنائية القومية» للباحث الفلسطيني منير شفيق والكتاب يمثل في مجمله رداً على ما يدعو إليه كل من إدوارد سعيد وعزمي بشارة وآخرون وبخاصة أطروحة الدولة ثنائية القومة أو «دولة لمواطنيها» وما حملته من خلال إدوارد سعيد من استراتيجية للعمل السياسي الفلسطيني خارج الساحة الفلسطينية، كما يعالج الكتاب مجموعة من القضايا التي أثيرت خلال السنتين الماضيتين، وكانت جميعها نتاجاً مباشراً وغير مباشر مؤيداً أو معارضاً لاتفاق أوسلو وما انبثق عنه من مسارات واتفاقات.

ويركز الباحث على مناقشة وتبيان خطورة ما يدعو إليه بعض الفلسطينيين وبخاصة ما يدعو إليه عزمي بشارة ويسميه «الحالة الفلسطينية الإسرائيلية» منطلقاً من التركيز على اعتبار سمته الأساسية تتمثل بحالة «الابارتايد» أي الفصل العنصري ومن ثم فإن بشارة يرى أن الحل يكمن في المطالبة بالعدل والمساواة ورفع الظلم العنصري وصولاً إلى الدولة ثنائية القومية، ويرى الباحث أن إدوارد سعيد الرافض لاتفاق أوسلو يدعو إلى ما هو أخطر من ذلك بالنسبة للقضية الفلسطينية، فالقضية الفلسطينية ومشكلة الشعب الفلسطيني تنحصران في مشكلة الحصول على حق المواطنة في الدولة العبرية.

وفي الكتاب العديد من القضايا الفلسطينية المثيرة للجدل، إذ يتساءل الباحث مثلاً عن سر تحمس المعارضة الإسرائيلية لإعلان الدولة الفلسطينية ويجيب بأن خطوة إعلان الدولة يحرر إسرائيل من قضايا مثل القدس والاستيطان واللاجئين، ويحذر الكتاب في النهاية من الاستسلام للعبة المفاوضات التي يرى أنها لن تعيد الحقوق للشعب الفلسطيني ومن الانجراف وراء سراب الوعود والانسلاخ من المحيط العربي والإسلامي بحيث لا تبقى للمفاوض الفلسطيني أي أوراق، ويقول: لعل أخطر ما يحدث في الساحة الفلسطينية هو نسف ما هو أصل وقاعدة ووضع ما هو شاذ وطارئ مكانهما.

«فقه الجنائز» دراسة فقهية مقارنة جديدة

إضافة علمية غير مسبوقة للمكتبة الإسلامية، تتمثل في مصنف «فقه الجنائز» الذي يعد موسوعة فقهية في هذا الجانب من العلم، فقد بذل مصنفه الشيخ الدكتور/ أحمد محمود كريمة، مدرس الفقه المقارن بجامعة الأزهر بالقاهرة جهداً مضنياً في التوثيق العلمي لمسائل «فقه الجنائز» في أحكام: الاحتضار، أفعال عقب الوفاة، التغسيل، التكفين، التشييع، صلاة الجنازة، الدفن، القبور، التعزية، القربات، وبيان المذاهب الفقهية بأدلتها النصية والعقلية والمختار أو الراجح وفق معايير علمية معتمدة معتبرة، وبلغت تلك المسائل ما يزيد على ثمانين مسألة فقهية مقارنة، ويقع الكتاب في ٤٥٥ صفحة من القطع المتوسط.

أخبار ثقافية

- افتتحت مؤخراً الأكاديمية الإسلامية في النمسا وتم الاتفاق بين الأكاديمية وجامعة الأزهر على تدريس المناهج الأزهرية في الأكاديمية والاعتراف بشهادتها كشهادة معادلة للشهادة الجامعية الأزهرية.
- انتهى السيناريست وحيد حامد من كتابة فيلم تسجيلي عن علاقة المسلمين بالأقباط المصريين منذ الفتح الإسلامي لمصر وحتى الآن، ويأتي الفيلم رداً على مزاعم غربية بوجود اضطهاد للمسيحيين في مصر وإثارة القضية بصورة متكررة.
- حددت الفترة من ٢٣ نوفمبر وحتى ٣ ديسمبر المقبل موعداً لإقامة معرض الكويت للكتاب، وهو يُقام للمرة الأولى منذ سنوات منفصلاً عن مهرجان القرين، وسيأخذ المعرض الصفة الدولية لأول مرة وسيطلق عليه اسم: «معرض الكويت للكتاب العربي» أسوة بالمعارض الأخرى.

شبكة إسلامية على الإنترنت دشنتها وزارة الأوقاف القطرية

دشنت وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية القطرية موقعها على الإنترنت بعنوان الشبكة الإسلامية، ويشتمل على عشرة محاور، بعضها ثابت لا يتغير وهو القرآن الكريم وتفسيره الذي يقدم بالصوت والصورة وكذلك السنة النبيوة ثم السيرة النبوية.

وتتضمن المحاور التي تتغير المدرسة الإسلامية التي تعتبر مدرسة إسلامية متكاملة تزود الزائر لها بمبادئ عامة في العلوم الإسلامية والموسوعات الإسلامية التي تشمل: أعلام الإسلام والعالم الإسلامي، وموسوعة الأديان والمذاهب المعاصرة، ثم محور لماذا أسلمت؟ والمكتبة الإسلامية التي تقدم بالعربية والإنجليزية ثم ركن الفتوى.

وصرح رئيس لجنة الإنترنت بالوزارة يوسف بن أحمد الكواري بأن هناك محورين آخرين هما: منتدى الحوار ويتم فيه تبادل وجهات النظر حول القضايا الإسلامية التي تُطرح من المفكرين والباحثين المتخصصين إثراء للفكر الإسلامي.

وهناك المحور العاشر: وهو دليل للمواقع الإسلامية ونشرها التعريف بها.

وصرح عبدالله سالم غراب ـ نائب رئيس اللجنة ـ بأن الوسطية وعدم التجريح ومد الجسور مع الآخرين هو منهج الشبكة الإسلامية كما أن تفسير الشعراوي هو أحد تفاسيرها.

مجمع إسلامي في العريش بتكلفة ٥ ملايين جنيه

قرر المجلس الإسلامي العالمي للدعوة والإغاثة إنشاء مجمع إسلامي في مدينة العريش بالتنسيق مع محافظة سيناء في مصر يضم مسجداً ومكتباً لتحفيظ القرآن الكريم وعيادة طبية وحضانة إسلامية ومكتبة دينية وداراً للأيتام وجمعية لتنمية المجتمع المحلي.

وقال توفيق الشريف مدير المجلس في القاهرة إنه تم اعتماد مبلغ خمسة ملايين جنيه مصري لبناء المجمع الذي يعد الأول من نوعه الذي يقيمه المجلس داخل مصر، مشيراً إلى تبرع محافظة سيناء بقطعة أرض مساحتها عشرة آلاف متر مربع لإقامة المجمع عليها، وأشار الشريف إلى أنه تم اختيار مدينة العريش لقلة عدد المجمعات الإسلامية في هذه المدينة مقارنة بالمدن المصرية الأخرى.

الناس في القرن المقبل مسنون ويسكنون المدن



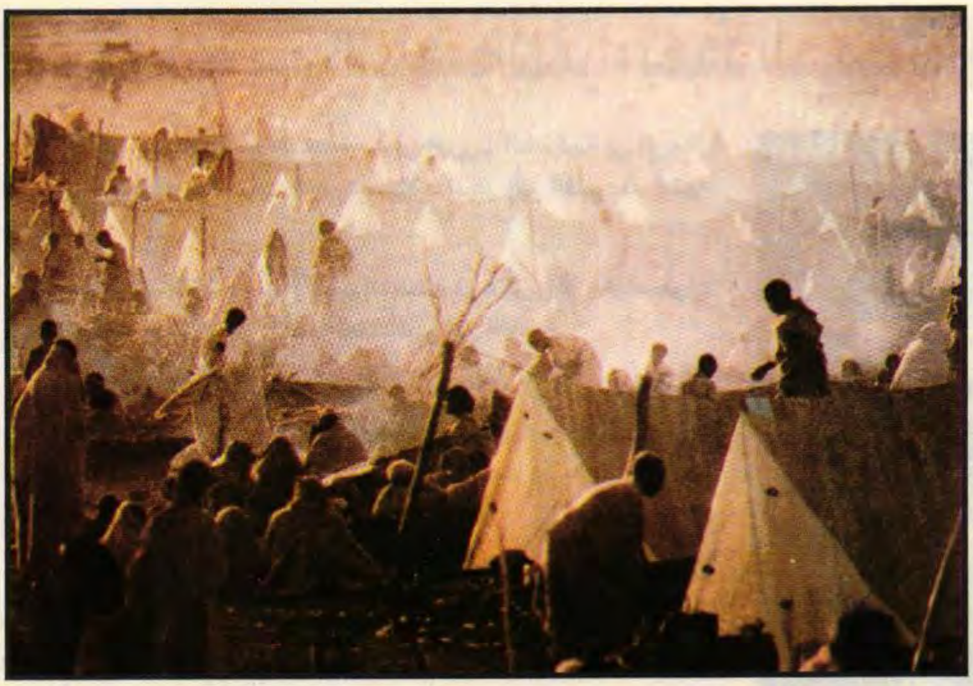
سيرتفع عدد سكان الأرض من ستة مليارات نسمة عام ١٩٩٩م إلى تسعة مليارات في ٢٠٢٤م، وإن كانت الأرقام تخفي اتجاهاً يشير إلى زيادة عمر سكان الأرض وتمركزهم في المناطق الحضرية.

ويتميز سكان الأرض حالياً بارتفاع نسبة الشبان بينهم، فالسنوات التي شهدت نمواً سكانياً مرتفعاً جعلت عدد الشبان من سن ١٥ إلى ٢٤ سنة يصل إلى ١,٠٥ مليار شخص، كما أن نصف السكان في معظم الدول النامية هم دون سن الخامسة عشرة، إلا أنه يتوقع أن يؤدي التباطؤ التدريجي في معدل الولادات إلى خفض عدد المواليد الجدد إلى ٣٠ مليون سنوياً اعتباراً من ٢٠٤٥ بدلاً من ٧٨ مليوناً في الوقت الحالي، وفق تقديرات الأمم المتحدة، هذا التناقص في عدد الصغار سيؤدي إلى جانب ارتفاع متوسط الأعمار إلى زيادة كبيرة في عدد المسنين.

ففي ١٩٩٨م كان يعيش على الأرض ٥٨٠ مليون إنسان فوق سن ٦٠ عاماً من بين حوالي ستة مليارات، أما في ٢٠٥٠ فسيرتفع عدد هؤلاء إلى ملياري إنسان من أصل تسعة مليارات.

في تقرير اليونيسيف السنوي

أفريقيا أخطر مكان لحياة الأطفال



أفاد صندوق الأمم المتحدة لرعاية الطفولة «يونيسيف» أنه رغم قطع خطوات كبيرة على طريق القضاء على مرض شلل الأطفال، فإن الحروب والفقر يعوقان تحقيق النجاح النهائي بحلول عام ٢٠٠٠م.

وقالت مديرة الصندوق كارول بيلامي في معرض تقديمها التقرير السنوي الجديد للصندوق «نحن على وشك أن نودع سلة التاريخ مرض شلل الأطفال الذي طالما روع المجتمعات ودمر حياة نفوس بلا حصر».

واستطردت بيلامي «لكن الصراعات الأهلية الدائرة في أماكن مثل أنجولا وجمهورية الكونغو الديمقراطية تهدد حملة مكافحة شلل الأطفال ونحن نقترب من خط النهاية».

ويقول تقرير «تقدم الأمم في ١٩٩٩م» إنه رغم ذلك انخفض عدد حالات الإصابة بالمرض بنسبة ٨٦ في المائة من ٣٥ ألف حالة إلى خمسة آلاف فقط منذ أن بدأت منظمة الصحة العالمية حملات التطعيم في ١٩٨٨م وتحذو حذوها الآن اليونيسيف ومنظمات أخرى.

وشرحت بيلامي كيف جاب موظفو الصحة الصحاري وخاضوا غمار المياه وامتطوا ظهور الإبل وركبوا القوارب والدراجات لتسليم جرعات المصل الواقي من المرض، الذي يؤخذ عن طريق الفم.

مجلس الأمم المتحدة الاقتصادي والاجتماعي يدعو إلى استئصال الفقر في العالم

اختتم مجلس الأمم المتحدة الاقتصادي والاجتماعي دورته السنوية في جنيف بعد أعمال استغرقت شهراً، بتوجيه نداء لاستئصال الفقر في العالم.

وعرض رئيس الدورة السفير الإيطالي باولو فولتشي عشرة «أهداف استراتيجية» لاستئصال الفقر يفترض ألا تتجاوز كلفتها الإجمالية ٤٠ مليار دولار سنوياً أي «عشر ما تدره تجارة المخدرات غير الشرعية» على حد تعبيره.

ومن بين هذه الأهداف التقليدية توفير الغذاء عبر مكافحة سوء التغذية والحق في الحصول على خدمات صحية وعلى التربية والخدمات الاجتماعية.

وأضاف: أنه عبر الطلب من الدول المتطورة تخصيص ٠,٧ في المائة من إجمالي الناتج القومي سنوياً، «يمكننا أن نخفض الفقر بنسبة النصف في العالم بحلول العام ٢٠١٥».

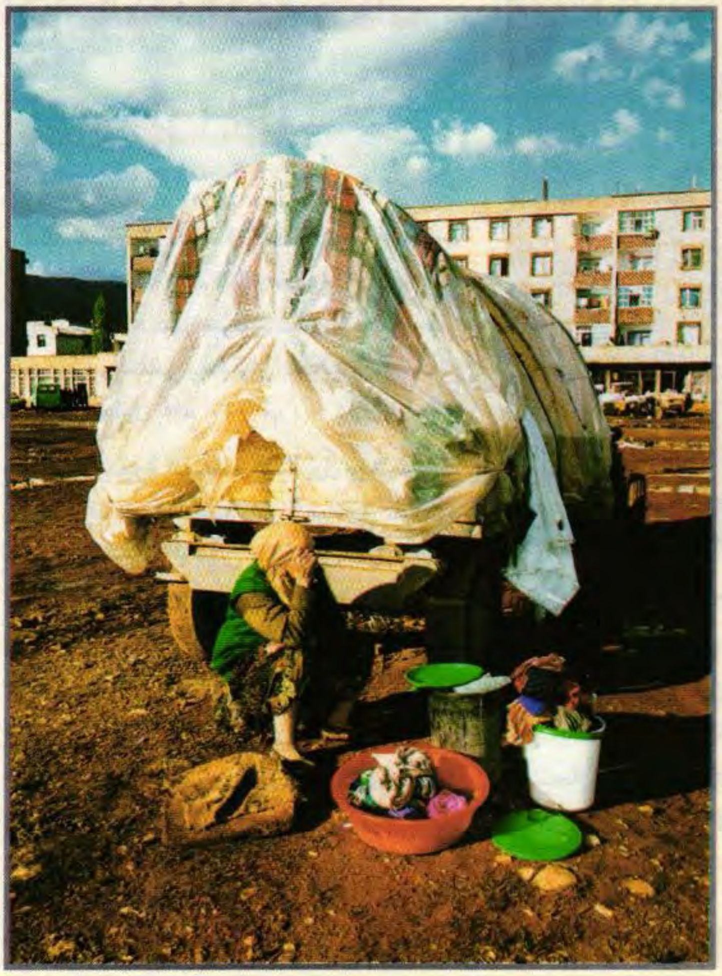
ودعا المجلس أيضاً إلى اهتمام عالمي أكبر بالقارة الأفريقية التي لا تزال تجمع بين أسوأ الأمور: الفقر والنزاعات المسلحة بأعداد كبيرة.

من جهة أخرى، تمنى المجلس الاقتصادي والاجتماعي الذي يرغب في أن يضطلع بدور المجلس الاقتصادي لمجلس الأمن الدولي، وضع خطة طويلة الأمد من أجل هايتي.

طفل مصري كل ٥,٢٤ ثانية

بلغ عدد سكان مصر في أحدث إحصاء سكاني ٦٣ مليوناً و ٩١٥ ألفاً و ٣١٩ نسمة من بينهم مليون و ٩٠٢ ألف من الهجرة المؤقتة العاملة خارج مصر وذلك في أول يناير الماضي. وأعلن ايهاب علوي رئيس الجهاز المركزي للتعبئة العامة والإحصاء، في مؤتمر صحافي، أن عدد سكان مصر يزيد بمعدل طفل واحد كل ٥,٢٤ ثانية وبمعدل ٣٥٢٧ يومياً و ١٠٧ آلاف و٢٩٠ نسمة كل شهر.

اتساع الهوة بين الأغنياء والفقراء يهدد الديمقراطيات الناشئة



قال تقرير جديد للأمم المتحدة بشأن أوروبا الشرقية إن الرجال الروس يموتون في منتصف العمر بمعدلات تدعو إلى القلق منذ انتهاء الشيوعية.

وقال برنامج التنمية التابع للأمم المتحدة في تقرير له: «إن سنوات التحول كانت قاتلة بمعنى الكلمة لعدد كبير من الناس».

وأدت عملية تحول الاقتصاديات من الاشتراكية إلى الرأسمالية إلى زيادة معدلات الفقر والبطالة والجريمة والانتحار مع انتهاء الرعاية الاجتماعية الحكومية للفرد من المهد إلى اللحد ولا سيما الرعاية الصحية الملائمة.

وحذر التقرير المؤلف من ١٠٠ صفحة من أن اتساع رقعة الفقر وتزايد الهوة بين الأغنياء والفقراء في دول الكتلة السوفييتية السابقة يهدد الديمقراطية.

وعلى الرغم من تزايد العمر الافتراضي في بقية العالم فمازال العمر الافتراضي للإنسان كما هو أو نقص في معظم الدول الثلاث والعشرين التي شملها المسح في أوروبا الشرقية والاتحاد السوفييتي السابق باستثناء جمهورية التشيك وأوزبكستان، ولكن معدلات المواليد تناقصت في كل هذه الدول منذ عام ١٩٨٠م.

وكانت أكثر الإحصاءات شداً للانتباه هي انخفاض العمر الافتراضي للرجل الروسي فيما بين عامي ١٩٨٠م و ١٩٩٥م وهو أدنى معدل في المنطقة ويتوقع أن يعيش الرجل الروسي المتوسط ٥٨ عاماً أي أقل عشر سنوات عن نظيره الصيني.

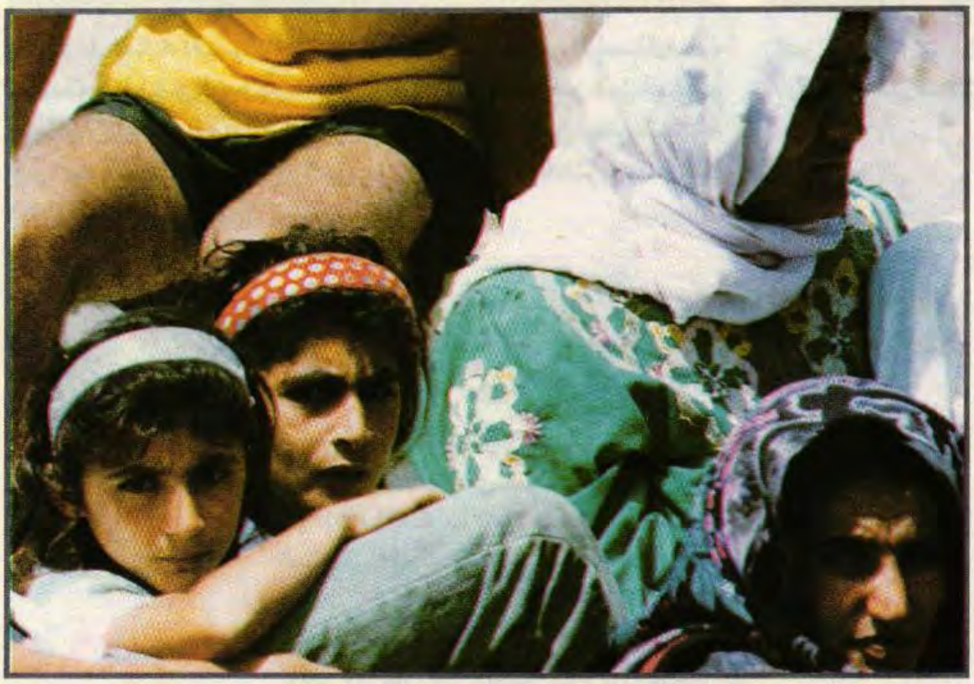
٥ جرائم قتل «زوجية» في ألمانيا كل أسبوع

طالب الادعاء العام في محكمة ريجنربورغ بإنزال عقوبة الحبس لمدة عشرة أعوام بحق المهندس ديتر هولتز ٦٤ عاماً بسبب إقدامه في مارس ١٩٩٨م على قتل زوجته بسكين المطبخ، وقال قاضي المحكمة كونراد دينجلر إن لجريمة التي نفذها هولتز ضد زوجته تجري مع الأسف كل يوم في ألمانيا وبشكل يتطلب تدخل القضاء بهدف وضع حد لتفاقم هذه الظاهرة، وجاء تعليق القاضي على طلب الادعاء العام بعد ورود أنباء جريمتين أخريين حدثتا في ولاية بافاريا وارحت ضحيتهما امرأتان ألمانيتان، إذ قام رجل ألماني من مدينة ميونيخ بقتل زوجته النائمة طعناً بسبب خلاف حول إرث، وطعن رجل آخر من مدينة بامبيرغ زوجته في قلبها كي يتسع له المجال للسياحة مع صديقته في الخارج، وتشير الإحصاءات إلى أن ما معدله خمس جرائم قتل يرتكبها الأزواج ضد زوجاتهم أو بالعكس أسبوعياً في ألمانيا.

وفيما انشغلت صحافة بافاريا بعرض تفاصيل الجرائم وأسبابها نشرت مصادر الشرطة الألمانية إحصاءات عن عدد الجرائم الزوجية والجرائم المرتكبة في إطار العائلة الواحدة في عموم ألمانيا.

ويتضح من الإحصائية أن عدد الجرائم المرتكبة في إطار العائلة الواحدة يشكل الجزء الأكبر من جرائم القتل التي بلغت ١٣٠٠ جريمة عام ١٩٩٧م، فنسبة الجرائم بين أفراد العائلة الألمانية ترتفع إلى نحو ٤٠٪ من جرائم القتل، علماً أنه لم يحتسب عدد المحاولات وإنما عدد الجرائم التي ارتكبت وأدت إلى موت أحد أفراد العائلة.

زيادة ديون الدول النامية إلى ٢,٢ تريليون دولار



يشهد العالم استقطاباً مطرداً بين الأغنياء والفقراء سواء بين الدول أو داخلها، ويشكل الفقر وسط الوفرة مشكلة متزايدة تنطوي على أخطار كبيرة بالنسبة للغرب وللعالم.

ويقول جيمس سبيث في «الهيرالد تريبيون» إنه انخفضت حصة الفرد من الداخل في أكثر من ١٠٠ بلد خلال الأعوام الخمسة عشر الماضية، كما انخفض الاستهلاك الفردي بنسبة تقارب الواحد في المائة سنوياً في أكثر من ٦٠ بلداً.

وخلال العامين المقبلين ستحدث زيادة حادة في عدد الفقراء في شرق آسيا من ٤٠ مليوناً إلى ١٠٠ مليون إذا استمر الاتجاه الراهن، وسوف يرتفع عدد الإندونيسيين الذين يعيشون على أقل من دولار واحد في اليوم من ١٣ مليوناً عام ١٩٩٧م إلى ٣٤ مليوناً خلال العام الحالي.

ولذلك، فإن هناك خطراً حقيقياً في أن هذه الطبقة الدنيا الهائلة في العالم ستقوض الاستقرار العالمي.

وكان يتوقع لأفريقيا أن تحقق في عام ١٩٩٨م نمواً اقتصادياً يتجاوز ٤ بالمائة ولكنه كان في الحقيقة أقرب إلى ٢,٢ بالمائة، وفي أمريكا اللاتينية انخفضت توقعات النمو من ٥,٣ بالمائة قبل الأزمة المالية العالمية إلى ٤,٦ في المائة لعام ١٩٩٩م.

وفي الوقت نفسه، أدى انهيار الاتحاد السوفييتي إلى إفقار نحو ١٥٠ مليون شخص.

ومن أصل ٤,٤ مليارات شخص في البلدان النامية يعيش ثلاثة أرباعهم في مجتمعات تفتقر إلى المنشآت الصحية الأساسية، ويشرب ثلثهم مياهاً غير نظيفة، ويفتقر ربعهم إلى سكن كاف ويعاني خمسهم من سوء التغذية.

كما أن ١,٣ مليار شخص يعيشون على أقل من دولار يومياً، ويتوقع أن ثلث سكان البلدان الأكثر فقراً، خصوصاً الواقعة جنوب الصحراء الكبرى، سيموتون قبل سن الأربعين.

ومن أجل ذلك يتعين على البلدان الصناعية أن تبادر قبل كل شيء إلى تقليص عبء البلدان النامية من الديون الخارجية، التي يبلغ إجماليها حالياً أكثر من ٢,٢ تريليون دولار والتي يشكل الدين الحكومي طويل الأجل ثلثيها.

ويجب أن تكون هناك برامج خاصة تتصدى لتحديات الأسواق قبل ـ الناشئة حيث أنظمة البنوك والإشراف وإمكانات الإدارة أقل تطوراً بكثير مما هي عليه في آسيا.

وتقوم منظمات دولية مثل برنامج التنمية =التابع للأمم المتحدة بحشد الإرادة السياسية الدولية من أجل تخفيض الديون وتحسين قدرة البلدان الفقيرة على إدارة ديونها ومساعدتها على تحويل مواردها من الديون إلى التنمية الاجتماعية.

اليتامى . . ضحايا الإيدز

وأفاد التقرير أيضاً أن مرض نقص المناعة المكتسب «إيدز» اجتاح الدول النامية بمعدل ١٦ ألف حالة جديدة يومياً، مما زاد من عدد اليتامى إلى عشرة ملايين شخص.

وفي أوغندا يوجد على سبيل المثال ١,١ مليون طفل يتيم وهو ما يمثل ١١ في المائة من إجمالي الأطفال هناك، مقارنة بأيتام الدول الصناعية الذين لا تزيد نسبتهم عن واحد في المائة فقط.

وأشار التقرير إلى تردي أحوال الأطفال على نحو خطير في الدول النامية مقارنة بالدول المتقدمة.

فالطفل يولد في الدول النامية ونصيبه من الدين القومي ٤١٧ دولاراً، وتنفق الدول الأفريقية الأشد فقراً على خدمة ديون خارجية تبلغ ٣٠٠ بليون دولار أكثر مما تنفق على قطاعات الصحية والتعليم لنحو ٢٠٦ ملايين طفل.

ووضعت اليونيسيف في تقرير ١٩٩٩م «مقياس الخطر على الأطفال» لقياس معدل الوفيات بين الأطفال دون سن الخامسة وحالات انخفاض الوزن المعتدل أو الخطير، ومعدل الالتحاق بالتعليم الأولي إلى جانب مخاطر الايدز والصراعات المسلحة، وكلما ارتفع المؤشر كان معنى ذلك أن الأطفال أسوأ حالاً.

ووفقاً لهذا المقياس، ظهر أن أسوء الأطفال حالاً في أفريقيا، وإن أشد الدول خطراً بالنسبة لهم هي أنجولا (٩٦) وسيراليون (٩٥) والصومال (٩٢) وأثيوبيا (٨٥) وغينيا بيساو والنيجر (٨٠) ثم الكونغو الديمقراطية (٧٦).

وفي الشرق الأوسط وشمال أفريقيا كان الأطفال أكثر عرضة للخطر في السودان (٥٩) واليمن (٤٩) والعراق (٣٩) والجزائر (٢٦).

حديقة الوعي

إعداد: أحمد عبدالجبار

من هدي كتاب الله

(وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً يعبدونني لا يشركون بي شيئاً ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون) النور:٥٥.

من هدي رسول الله ﷺ

عن أنس - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال:
«لغدوة في سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها»
متفق عليه.

أقوال وحكم

قال أبو الدرداء: ثلاث لا يحبهن غيري: أحب الموت اشتياقاً إلى ربي، وأحب المرض تكفيراً لخطيئتي، وأحب الفقر تواضعاً لربي، فذكر ذلك لابن شبرمة فقال: ولكني لا أحب واحدة من الثلاث:

أما الفقر فوالله للغنى أحب إليَّ منه لأن الغنى به توصل الرحم، ويحج البيت، وتعتق الرقاب، وتبسط اليد بالصدقة، وأما الموت فوالله ما يمنعنا من حبه إلا ما قدمناه، وسلف من أعمالنا فنستغفر الله.

محاورة

سأل ملك وزيره فقال: ما خير ما يرزقه العبد؟ قال: عقل يعيش به. قال: فإن عدمه؟ قال: أدب يتحلى به،

قال: فإن عدمه؟ قال: مال يستره. قال: فإن عدمه؟

قال: فصاعقة تحرقه وتريح منه البلاد والعباد!

الأغنياء أفضل أم العلماء؟

قيل لأحد الحكماء: الأغنياء أفضل أم العلماء؟

قال: العلماء.

قيل له:

فما بال العلماء يأتون أبواب الأغنياء أكثر مما يأتي الأغنياء أبواب العلماء؟

قال:

ذلك لمعرفة العلماء بفضل المال وجهل الأغنياء بفضل العلم.

الفرج من الله

يا صاحب الهم إن الهم منفرج
أبشر بخير فإن الفارج الله

اليأس يقطع أحياناً بصاحبه
لا تيأسن فإن الكافي الله

الله يحدث بعد العسر ميسرة
لا تجزعن فإن الصانع الله

إذا بليت فثق بالله وارض به
إن الذي يكشف البلوى هو الله

والله ما لك غير الله من أحد
فحسبك الله في كل لك الله

من اصطلاحات المحدثين

- إذا قالوا متفق عليه: يعني رواه البخاري ومسلم، وكذلك إذا قالوا: أخرجه الشيخان.

- إذا قالوا: رواه الأربعة: يريدون الترمذي وأبو داود والنسائي وابن ماجة.

- إذا قالوا رواه الثلاثة: فإنهم يريدون الأربعة السابقين ما عدا ابن ماجه.

- إذا قالوا رواه الستة: فإنهم يريدون أصحاب السنن الأربعة والبخاري ومسلم.

من الأسماء العربية

خالص: صاف أبيض لا غش فيه.

خبير: عالم بالأمر وعارف بالخير.

خزيمة: تصغير خزامى وخزام وهو نبت طيب الأزهار أو هو ناظم اللؤلؤ.

ثلاثة

قال الأحنف بن قيس:

ثلاثة لا ينتصفون من ثلاثة: شريف من دنيء، وبر من فاجر، وحليم من أحمق.

مخالفة الهوى

قال عتبة بن أبي سفيان: إذا اجتمع في قلبك أمران لاتدري أيهما أصوب، فانظر أيهما أقرب إلى هواك فخالفه، فإن الصواب أقرب إلى مخالفة الهوى.

الدنيا

سئل رجل عن الدنيا فقال: «ما أصف من دار أولها عناء، وآخرها فناء، وفي حلالها حساب، وفي حرامها عقاب، من أمن فيها سقم، ومن مرض فيها ندم، ومن استغنى فيها فتن، ومن افتقر فيها حزن، ثم إن الدنيا دار لمن صدقها ودار غنى لمن تزود منها، مسجد أبينا آدم ومحيط ومتجر أوليائه، فاكتبوا منها الرحمة وادخروا منها للجنة».

في مغفرة الرب

قال الفضيل بن عياض: قال إبليس: يا رب الخليقة تحبك وتبغضني، وتعصيك وتطيعني، فقال الله سبحانه: لأغفرن لهم طاعتهم إياك ببغضهم لك ولأغفرن لهم معصيتهم إياي بحبهم لي.

مؤنثات مجازية

يستدل على التأنيث المجازي بضمير المؤنث، أو شارته أو لحوق التاء بفاعله مثل: هذه الشمس رأيتها طعلت، وظهور التاء في تصغيره كأذنية، أو حذفها من اسم عدده كأربع آذان والمؤنثات المجازية الفاظ محصورة سمعت عن العرب فيقتصر عليها ومنها:

- جهنم: وهي علم على النار التي يعذب الله بها العصاة من عباده ولا تصرف قال تعالى: (فجزاؤه جهنم خالداً فيها).
- الجحيم: وهي النار الشديدة التأجج قال تعالى: (فإن الجحيم هي المأوى).
- السعير: هي النار قال تعالى: (وسيصلون سعيراً).
- سقر: وهي جهنم واسم من أسماء النار، معرفة ممنوعة من الصرف قال تعالى: (وما أدراك ما سقر لا تبقى ولا تذر».
- الأرض: مؤنثة وجمعها: الأرضون، قال أبو زيد: وسمعت العرب تقول في جمع الأرض: الأراضي والأروض كفلوس وجمع فعل على فعال من أرض وأراض وأهل وأهال وليل وليال بزيادة الياء على غير قياس.
- العقاب: طائر من الجوارح معروف، جمعها: أعقب وعقبان.
- العنز: الأنثى من المعز إذا أتى عليها حول وهي أيضاً الأنثى من الظباء، وجمعها أعنز وعنوز.

ثلاثة عيوب

ثلاثة عيوب من كُنَّ فيه:

البغي: قال تعالى: (يا أيها الناس إنما بغيكم على أنفسكم) والمكر السيء: قال سبحانه وتعالى: (لا يحيق المكر السيء إلا بأهله)، والنكث: قال سبحانه وتعالى: (فمن نكث فإنما ينكث على نفسه).

من أراد

- من أراد زاداً فالتقوى تكفيه
- ومن أراد عزاً فالإسلام يكفيه.
- ومن أراد عدلاً فحكم الله يكفيه.
- ومن أراد أنيساً فذكر الله يكفيه.
- ومن أراد جليساً فالقرآن يكفيه.
- ومن أراد واعظاً فالموت يكفيه.
- ومن أراد غنى فالقناعة تكفيه
- ومن أراد زينة فالعلم يكفيه.
- ومن أراد جمالاً فالأخلاق تكفيه.
- ومن أراد راحة فالآخرةتكفيه.
- ومن لم يكفه كل هذا فالنار تكفيه.

بال الثعلب فأسلم بأو ذر !!

كان أبو ذر الغفاري رضي الله عنه يعبد صنماً في الجاهلية لا يفارقه في حضر ولا سفر فخرج يوماً إلى السفر وقال:

أيها الصنم احفظ متاعي، فلما ذهب جاء الثعلب وبال على الصنم، فلما رجع أبو ذر وجد الصنم مبتلاً فقال:

واعجباً!! السماء لم تمطر فمن أين جاء هذا البلل؟ فتبين أن الثعلب بال عليه، فرمق السماء بطرفه وقال:

أرب يبول الثعلبان برأسه

لقد ذل من بالت عليه الثعالب

فلو كان رباً لكان يمنع نفسه

فلا خير في رب نأته المطالب

برئت من الأصنام في الأرض كلها

وآمنت بالله الذي هو غالب

أمثال إيطالية

- يدفع الجندي من دمه ثمن شهرة قائده.
- كل طحان يجر الماء إلى طاحونته.
- نعلن الحرب عندما نريد وننهيها عندما نستطيع.
- المصيبة تجر أخرى.
- من يعش آملاً يمت راغباً.
- من يتكلم يزرع ومن يصمت ينضح.
- أسوأ اللصوص كتاب تافه.
- كلما استنبط قانون جديد استنبطت طريقة للتخلص منه.

الفتاوى الشرعية

هذه الفتاوى منتقاة مما تصدره إدارة الافتاء والبحوث الشرعية في وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية في دولة الكويت. والمجلة على استعداد لتلقي الاسئلة مباشرة وتحويلها الى اهل الاختصاص للاجابة عليها. ويسر خدمة الفتوى بالهاتف تلقي الاسئلة الفقهية مباشرة من الساعة ٨ صباحا الى الساعة ١٢ ظهرا ومن الساعة ٤ عصرا الى الساعة ٨ مساء على الهواتف التالية :

هاتف مباشر
خدمة الفتوى
149

من أسباب جمع الصلاة

عرض على اللجنة السؤال التالي:

نحن موظفون في شركة، هل يجوز لنا الجمع بين الظهر والعصر والمغرب والعشاء، لأن الشركة لا تترك لنا مجالاً للصلاة وتفرض علينا مواصلة العمل، وكذلك لا نعطى وقتاً في رمضان للصلاة والإفطار، أفتونا مأجورين.

ـ أجابت اللجنة:

إذا كان واقع الحال كما هو في السؤال، من أن الشركة لا تترك لهم مجالاً للصلاة، وتفرض عليهم مواصلة العمل، فيجوز لهم الجمع بين الظهر والعصر وبين المغرب والعشاء، ولكن إذا أمكنهم أن يصلوا ف يالوقت فلا يجوز لهم تأخير الصلاة حتى يخرج وقتها، ويستوي الحال في رمضان أو في غير رمضان، والله أعلم.

التكلم في الصلاة

عُرض على اللجنة السؤال التالي:

مسلم كان في الركعة الأولى، فطرق الباب، فأجاب الطارق بعد طرقتين بكلمة «نعم»، وفتح له الباب، ثم عاد أدرك الركعة الثانية في قراءة الفاتحة، ولم يعد الركعة الأولى، فهل الصلاة تامة؟ علماً بأن المصلي عندما خرج من الركعة الأولى خرج بتسليم وعندما عاد إلى الصلاة كبر للتحريم، وما القاعدة العامة في البناء على الصلاة عند قطعها لمثل هذه الحالات؟

ـ أجابت اللجنة بما يلي:

هذه الصلاة فاسدة لأمرين: خروجه منها بالتسليم وبكلامه بقوله «نعم»، وعليه أن يعيدها، أما القاعدة العامة في البناء على الصلاة عند من أجازه من الفقهاء وهم الحنفية فهي أن يسبقه حدث كرعاف، أو ناقض للوضوء غير متعمد، فيذهب للوضوء ويعود ليبني على ما صلى، شريطة ألا يأتي بمناف للصلاة، ككلام، أو كشف عورة، أو انحراف عن القبلة، إلا لضرورة في هذا الأخير. والله أعلم

الجمع بين الصلوات

عُرض على اللجنة الاستفتاء التالي:

شخص كبير السن وقد ناهز المائة عام، ويجد صعوبة في استعمال الوضوء لكل صلاة ورخاوة في البول، فهل يجوز له أن يجمع بين الصلوات كصلاة الظهر مع العصر أو صلاة المغرب مع العشاء، إما تقديماً أو تأخيراً؟ وجزاكم الله خيراً

ـ أجابت اللجنة:

الأولى لمن هذه حالته أن يجمع الجمع الصوري بأن يؤخر الظهر إلى أن يقرب وقت العصر، بحيث يتوضأ ويصلي الظهر قبل دخول وقت العصر، ثم يصلي العصر بعد دخول وقتها، وكذلك يفعل بالنسبة لصلاة المغرب والعشاء. والله أعلم

زكاة العقار والأراضي

عُرض على اللجنة السؤال التالي:

رجل يقوم بشراء الأراضي والبناء عليها بقصد بيعها، ثم بعد انتهاء البناء والبيع يقوم الرجل بسداد تكاليف البناء، ثم يخرج زكاتها، فهل هذه الطريقة صحيحة أم لا لإخراج الزكاة؟ مع العلم أن مدة البناء تستغرق عدة سنوات؟

ـ أجابت اللجنة:

إن على هذا الرجل أن يحدد موعداً سنوياً لإخراج الزكاة، فيحسب قيمة الأراضي وما عليها يوم وجوب الزكاة، ويضم إليها ما لديه من الأموال الزكوية، ويسقط منها ما عليه من الديون، ثم يخرج زكاته بنسبة ٢,٥٪. والله أعلم

ـ وعُرض على اللجنة السؤال التالي:

هل زكاة العقار تكون من رأس المال أم من الإيراد؟

ـ أجابت اللجنة:

إنه إذا اشترى العقار بقصد التجارة فهو من العروض التجارية، يثمن في يوم الزكاة بسعره القائم وتخرج زكاته، أما إذا اشترى بقصد الاستثمار أو السكنى فليس في قيمته زكاة، والزكاة على وارد المأجور أو المزروع. والله أعلم

بيع الذهب بالذهب بزيادة نقدية

عُرض على اللجنة الأسئلة التالية:

أ ـ ما حكم من يشتري مصاغ ذهب جديد بمصاغ ذهب قديم مع زيادة نقدية؟ علماً أن المصاغين متماثلان وزناً موضحين ما يلي:

إن الجاري في تجارة الذهب أن التاجر الذي يشتري مصاغاً جديداً يدفع فيه قيمة وزن الذهب، كما هو سعره في السوق، وأيضاً قيمة الصياغة، وهي هنا الزيادة التي يأخذها بائع المصاغ الجديد، فهل هذا البيع جائز أم يدخل في النهي الوارد في الأحاديث المعروفة في هذا الباب؟

ـ أجابت اللجنة بما يلي:

إن هذا البيع المشار إليه في السؤال يدخل في النهي الوارد عن بيع الذهب بالذهب متفاضلاً، والطريقة الصحيحة لمثل هذه المبادلة التي يجري العمل بها هي:

بيع الذهب غير المصوغ بالعملات النقدية ثم شراء الذهب المصوغ بالعملات النقدية أيضاً أي لابد من إجراء عقدين منفصلين، وقد ورد في نحو هذه المعاملة في عهد الرسول ﷺ فقد روى ما نصه «أن رسول الله ﷺ استعمل رجلاً على خيبر فجاءه بتمر جنيب، فقال رسول الله ﷺ أكل تمر خيبر هكذا؟ قال: لا والله يا رسول الله: إنا نأخذ الصاع من هذا بالصاعين، والصاعين بالثلاثة، فقال رسول الله ﷺ : لا تفعل، بع الجمع بالدراهم، ثم ابتع بالدراهم جنيباً» رواه البخاري والجنيب: هو الذي أخرج منه حشفه ورديئه، وهو الذي لا يخلط بغيره، بخلاف الجمع، والجمع: هو التمر المختلط. (فتح الباري ج٤ ص٣٩٩ حديث رقم ٢٢٠١، ٢٢٠٢) ولابد من التقابض في المجلس. والله أعلم.

ب ـ هل التماثل في المصاغات الذهبية يكون في الوزن فقط أو أن التماثل ينبغي أن يكون كذلك في نوع القطعة نحو قلادة، سوار، خاتم، وكذلك في عيار الذهب نحو ذهب عيار ١٨، ٢١، ٢٤... إلخ؟

ـ أجابت اللجنة بما يلي:

إن التماثل في بيع الذهب بالذهب سواء كان مصوغاً أو غير مصوغ العبرة فيه بالوزن، فقط، ولا ينظر إلى نوع القطعة المصوغة، كما لا ينظر إلى عيار الذهب ما دام الذهب هو الغالب كالعيارات المشار إليها في السؤال، فإن صار الذهب مغلوباً كعيار (١١) فما دونه فيعتبر نوعاً آخر بحسب المعدن الغالب فيه، إذ العبرة للأكثر، والحل الشرعي في مبادلة هذه الأنواع من الحلي أو العيارات المختلفة، بعضها ببعض هو ما سبقت الإشارة إليه في جواب السؤال الأول من بيع النوع الأدنى بالنقد، ثم شراء النوع الأعلى بالنقد أيضاً مع الأخذ في الاعتبار وجوب التقابض في المجلس. والله أعلم

ج ـ ما حكم من يسعّر بسعرين مختلفين لمصاغ ذهب واحد، فمثلاً إذا أراد بائع المصاغ أن يأخذ قيمة المصاغ نقداً يكون السعر المعطى له أقل مما لو أراد بائع المصاغ أن يشتري بثمن مصاغه مصاغاً آخر، حيث يكون السعر المعطى أكثر، فهل يجوز هذا؟ وهل هذا هو المراد في البيعتين ببيعة؟

ـ أجابت اللجنة بما يلي:

إن كان المراد من هذا السؤال تطبيق ما عليه العمل من بيع المصوغ بمصوغ آخر مع فرق في الثمن فهذا ما تقدم منعه إلا عن طريق البيع بالعملة النقدية ثم الشراء بالعملة النقدية، وقد سبق بيان الحكم الشرعي فيه.

أما إن كان المراد شراء المصوغات القديمة بسعر أعلى إذا كان البائع يريد شراء مصوغ جديد فيما بعد، وشراءها بسعر أدنى إذا كان لا يرغب فيما بعد شراء مصوغ جديد فهذا التفاوت جائز بشرطين:

أولاً: أن يتم ذلك بعقدين مستقلين.

ثانياً: أن تكون هذه الرغبات مساومة قبل العقد، وأن يقع العقد على سعر واحد، وإلا كان من «بيعتين في بيعة» وعلى جميع الأحوال لابد من التقابض في المجلس. والله أعلم

بيع وشراء الأسهم

١ ـ هل يجوز البيع والشراء في الأسهم المتداولة في بورصة الكويت والمضاربة بها، علماً بأن هذه الشركات صناعية كانت أو عقارية تودع بعض أموالها في البنوك، وتأخذ عليها فوائد، أو تقترض من البنوك بفائدة لتكملة مشاريعها؟

٢ ـ الشركات السالفة الذكر تدفع أرباحاً سنوية للمساهمين وفيها نسبة من فوائد البنوك داخلة ضمن أرباح هذه الشركات، فما حكم هذه الأرباح وأين تنفق؟

ج ـ توزع الشركات المساهمة سنوياً أسهم منحة من الشركة بقيمة اسمية أو رمزية مقدارها دينار، علماً بأن هذا السهم يقدر في السوق بأضعاف قيمته، علماً بأن هذا السهم الموزع على المساهم كمنحة مجانية له من الشركة دخل ضمن قيمته الاسمية، فما حكم هذه الأسهم؟ وهل تجوز المضاربة بها والانتفاع بأرباحها أم لا؟

د ـ هل يجوز بيع الأسهم بالأجل؟

ـ وبعد عرض الموضوع على اللجنة أجابت بما يلي:

(أ،ب) إن الشركات التي ليس عملها الأساسي التعامل بالربا أو المحرمات فلا مانع من التعامل معها أو المساهمة فيها، أما إن كان عملها الأساسي التعامل بالربا أو المحرمات فتحرم المساهمة فيها. أما إذا تعاملت بالربا إقراضاً فعلى المساهم أن يتخلص من الربح الذي أصابه من هذا السبيل بإنفاقه بأي عمل من أعمال الخير، بشرط أن لا يقضي به ديناً، وأن لا يبني به مسجداً، وأن لا ينفقه على أهله، ولا يحتسبه من الزكاة. أما إن كانت الشركة تقترض بالربا فإن كان الاقتراض لضرورة أو حاجة ملحة فلا إثم على الشركة، وإنما الإثم على المقرض بالربا ويكون الإثم مضاعفاً.

وإن كان الاقتراض لغير ذلك فيكون شريكاً في الإثم إذا أقرت الشركة على هذا التصرف، وعليه أن يعمل على التخلص من هذه المعاملة الربوية.

ج ـ لا مانع شرعاً من أن توزع الشركة أسهماً على مساهميها مع ملاحظة أن يكون أصل هذه الأسهم من كسب حلال، وتجوز التجارة بها وبيعها وشراؤها إذا كان مصدرها حلالاً، حتى ولو بيعت بأكثر من ثمنها الرمزي.

د ـ السهم ما هو إلا جزء شائع في شركة وبيع المشاع جائز سواء كان حالاً أو مؤجلاً.

بقلم: علي مدني رضوان

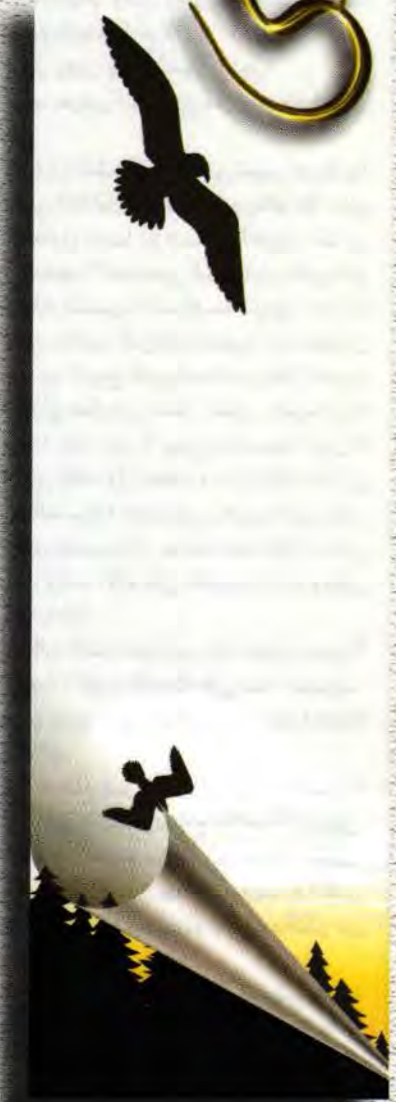
القوة .. القوة

يكاد الإسلام يولي أمر القوة والبأس اهتماماً خاصاً، فليس من عجب إن وجدناه يكره الضعف بجميع أشكاله ويمقت العجز بكل أنماطه وعلى كل مستوياته، فلم يرض للمسلم البتة في يوم من الأيام أن يكون طرفاً ضعيفاً واهناً، بل يرضاه معتداً بكل مظاهر القوة معتزاً بها، رافضاً لكل مواطن الضعف والعجز واليأس، وسر ذلك أن الإسلام يعلم أن هناك أعداء يتربصون به الدوائر ويفرحون بما يصيبه من فجائع لينالوا منه ويصيبونه في مقتل، ومن أجل هذا كانت البيئة الصحراوية القاسية هي موطن هذا الدين ومهده ليكون ذلك رمزاً للقوة والمشقة.

إنما الإسلام في الصحراء امتهد ... ليجيء كل مسلم أسد

نعم يريده الإسلام أسداً لكي يركب الصعب والذلول ويتجشم الحزون والسهول ويقطع الفيافي والقفار ويسلك البر والبحر فلا غرو أن يوصي القرآن الكريم أتباعه بإعداد القوة وأخذ العدة (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل)، ويلفت الأنظار إلى أنّ في الحديد بأس شديد ومنافع للناس ليكون المسلم مسيطراً بالقوة في أوقات السلم والحرب، فتراه يشير إلى استخدام الصناعات العسكرية الثقيلة بقوله: (فيه بأس شديد)، ثم يشير إلى الصناعات المدنية بقوله: (ومنافع للناس)، فيكون المسلم حارساً أميناً بقوته على مقدرات الأرض، عادلاً بين الشعوب، يعدل بميزان الله الذي لا يطغى وليس هذا فحسب، بل إن إدراك التعاليم والأخذ بها على النحو الأمثل يحتاج إلى قوة (يا يحيى خذ الكتاب بقوة) (فخذها بقوة وأمر قومك يأخذوا بأحسنها)، وإن صناعة المجد لتحتاج إلى قوة نفسية وأخرى بدنية ولن يتحقق لنا ذلك القدر ما لم نترك أسباب الخلاف وموارد النزاع لكي نتوحد من جديد أمام الخطر الأكبر ولم ينس التاريخ الإسلامي أن يسجل في رائعة من روائعه (في معركة الزلاقة) عندما استغل ألفونس السادس «الأذفونش) ملك الفرنجة ضعف ملوك الطوائف من المسلمين في بلاد الأندلس وقد صاروا يؤدون إليه ضريبة يصالحونه عليها حتى يأمنوا على أنفسهم، وكان قد استولى على طليطلة عام ٤٧٨هـ، وثمة خلاف كان قد وقع بين «المعتمد بن عباد» أكبر ملوك الطوائف وبين «يوسف بن تاشفين» زعيم المرابطين فقال المعتمد بن عباد قولته الرائعة الحكيمة: «لأن يرعى أولادنا جمال المرابطين أحب إلينا من أن يرعوا خنازير الفرنج.

إنّ الفشل الذريع ينشأ حتماً عن الخلاف ويؤدي في نهاية الأمر إلى ذهاب الريح وفناء القوة فهلا تدرك أمتنا ذلك وتستقرئ التاريخ من جديد لتربط بين الماضي والحاضر والمستقبل، لعلّ الله تعالى يطلع على صدق نواياها فيمن عليها بعناية ترفع البناية إنه على ذلك قدير وهو حسبها ونعم الوكيل. ■



الوعي الإسلامي

al-Waei al-Islami

إسلامية شهرية جامعة

على الانترنت On The Internet

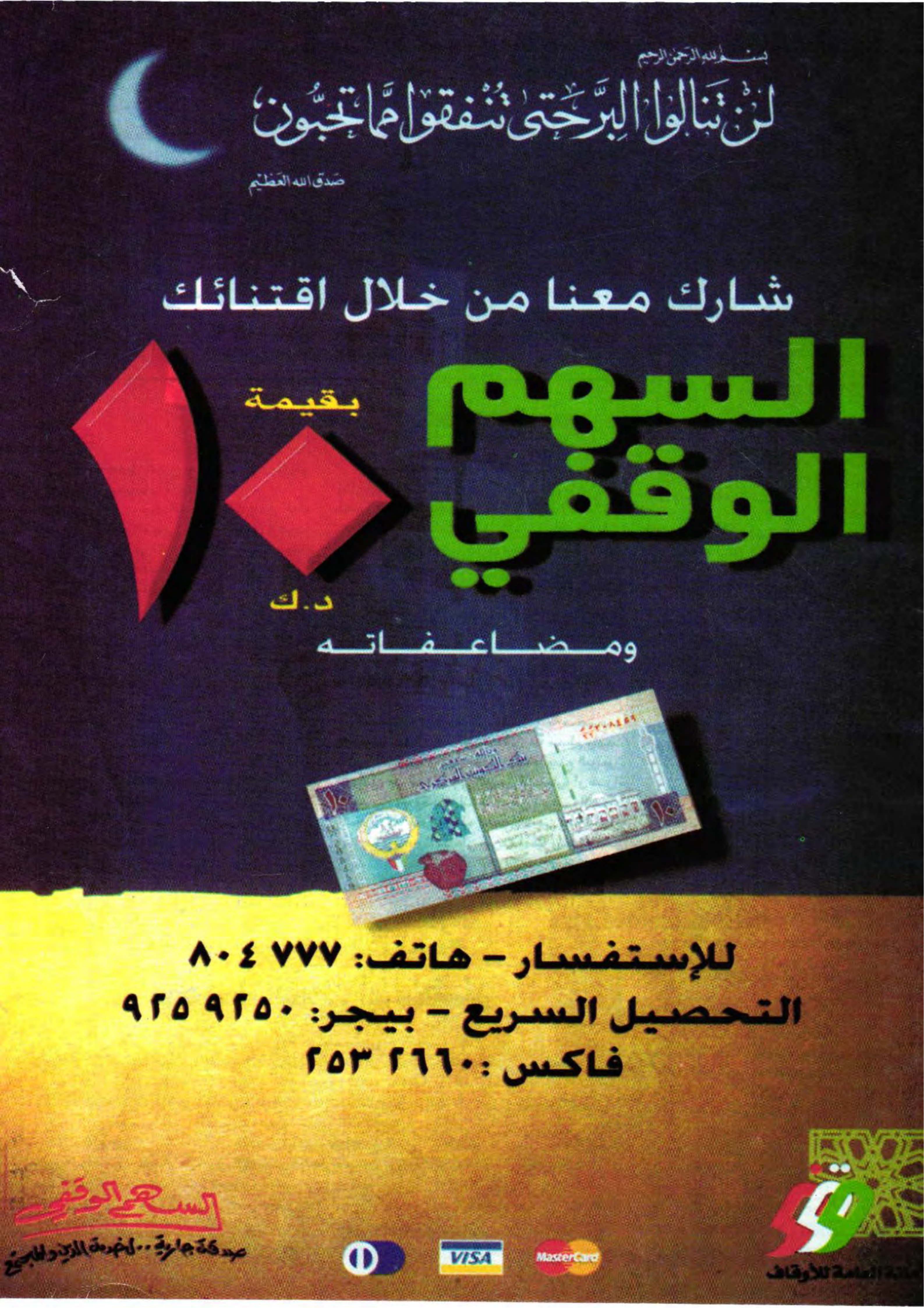
e.mail: al_waei@hotmail.com

Homepage: www.kuwait.net/~awqafnet



ص.ب: ٢٣٦٦٧ ـ الصفاة ـ 13097 ـ الكويت ـ هاتف: ٢٤٨٧٢١٠ (٩٦٥+) فاكس: ٢٤٣١٧٤٠ (٩٦٥+)

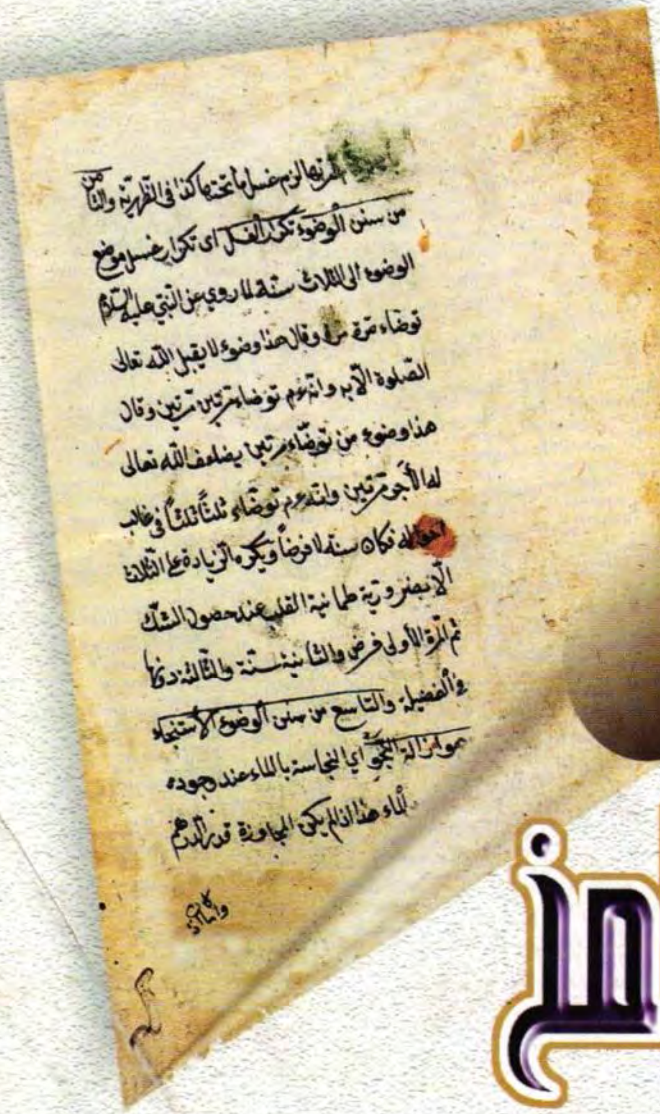
P.o.Box : 23667 - Safat - 13097 - Kuwait - Tel. (+965) 24 87 210 - Fax : (+965) 24 31 740


بسم الله الرحمن الرحيم
لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ
صدق الله العظيم
شارك معنا من خلال اقتنائك
السهم الوقفي
بقيمة
١٠
د.ك
ومضاعفاته
للإستفسار - هاتف: ٨٠٤ ٧٧٧
التحصيل السريع - بيجر: ٩٢٥ ٩٢٥٠
فاكس: ٢٦٦٠ ٢٥٣
السهم الوقفي
VISA
MasterCard

الوعي الإسلامي
إسلامية شهرية جامعة
al-Waei al-Islami
العدد ٤٠٧ ـ السنة السادسة والثلاثون ـ رجب ١٤٢٠ هـ ـ أكتوبر / نوفمبر ١٩٩٩ م

أزمة الفكر العربي المعاصر

معطيات الهداية في الإسراء والمعراج



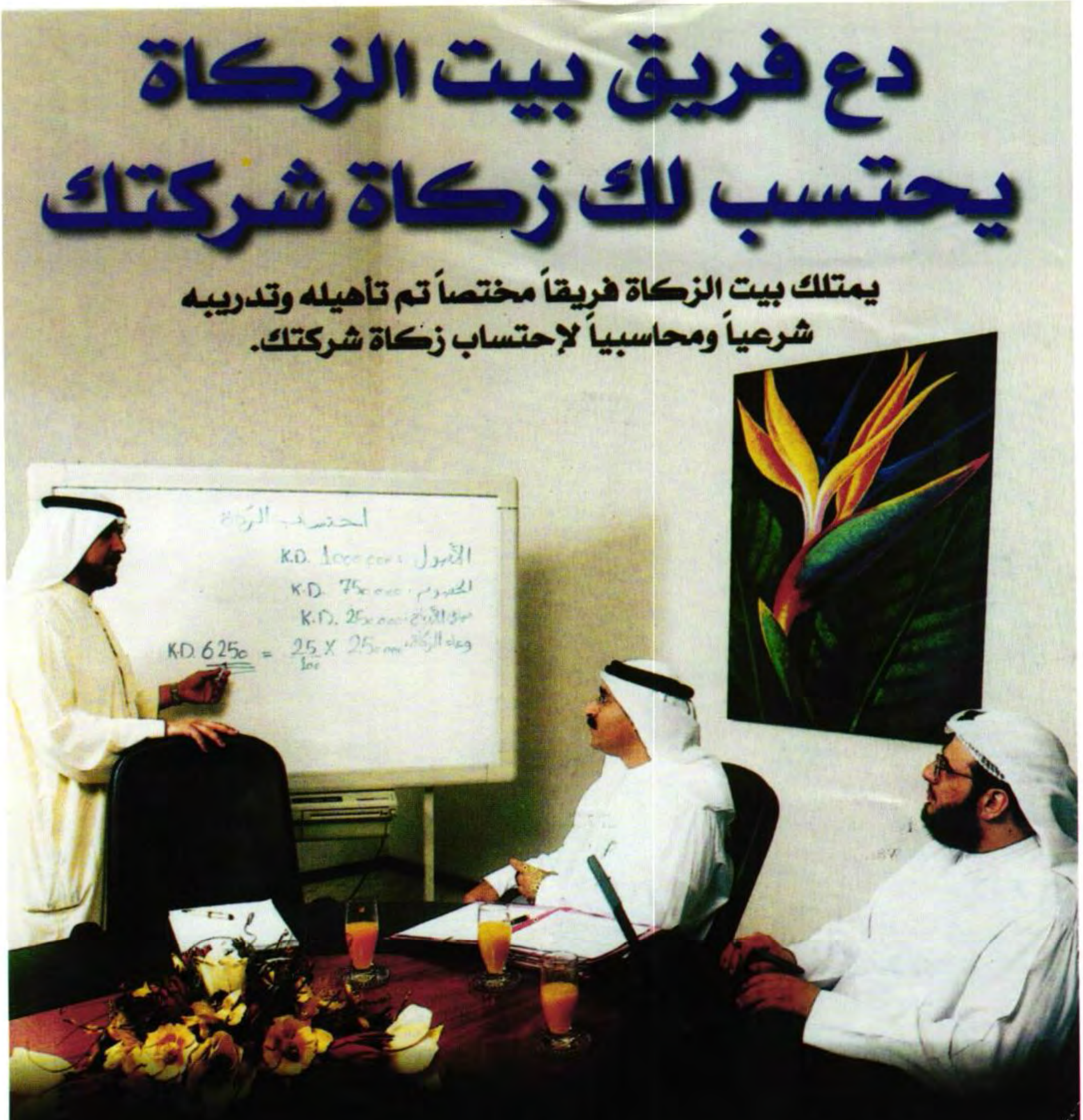
إدارة المخطوطات والمكتبات الإسلامية

صرح ثقافي شامخ

العقوبة ودواعيها بين الشريعة والقانون

ملامح المنهج الإسلامي في إدارة الأفراد

هديتك مع العدد براعم الإيمان



السالمية – شارع قطر
ص.ب (23865) الصفاة (13099) الكويت
عنوان الصفحات الإعلامية على الإنترنت
http://www.zakathouse.prg.kw
عنوان التراسل الإلكتروني العام
zakat@zakathouse.org.kw

بيت الزكاة
هيئة حكومية مستقلة
دولة الكويت

% 2.5
زكاة أموالكم

الوعي الإسلامي

al-Waei al-Islami

إسلامية ❖ شهرية ❖ جامعة

تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية
في دولة الكويت في مطلع كل شهر عربي

Islamic Monthly Magazine, Published By The
Ministry of Awqaf & Islamic Affairs - Kuwait

رئيس التحرير
CHIEF EDITOR
د. صالح أحمد الراشد
Dr. SALEH A. AL-RASHED

المشرف الإداري والمالي
ADMN. & FINANCE DIRECTOR
خالد عبداللطيف بوقماز
KHALED A. BUQAMMAZ

سكرتير التحرير
EDITORIAL SECRETARY
وائل أحمد الهنيدي
WAEL A. AL-HUNAIDI

الإشراف الفني
ART DESIGNER
صالح محمد صالح
SALEH M. SALEH

العدد 407. السنة الخامسة والثلاثون - رجب 1420 هـ - أكتوبر / نوفمبر 1999 م

كلمة العدد

القرآن صلة الأرض بالسماء

قراءنا الكرم

إذا كانت معجزة الإسراء والمعراج التي حدثت في مثل هذا الشهر هي الدليل العملي على اتصال الأرض بالسماء، فإن القرآن الكريم هو المعجزة الخالدة التي تؤكد هذه الحقيقة الربانية على مدى الشهور والدهور وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، لقد حاولنا في هذا العدد. ومن خلال موضوعات عدة منها: «كيف تتجدد المعاني القرآنية؟، ومع القرآن الكريم في مواقف حوارية، ومضات تربوية من سورة النور». تأكيد دور القرآن الكريم في ترسيخ الصلة بين الإنسان وخالقه في زمن ارتفعت فيه بعض الأصوات النشاذ من أبناء جلدتنا مطالبة بقطع هذه الصلة، وفصل الدين عن الدولة، وعزل الإسلام وسنامه القرآن عن حكم الحياة «فمال قيصر لقيصر ومال الله لله».

واعتبرت هذه الأصوات أن هذه الصلة هي السبب الرئيس في تخلف أمتنا وابتعادها عن ركب الحضارة والمدنية المعاصرتين.

إن تمتين الصلة بين السماء والأرض هي الرد العملي الحاسم على مثل هذه الدعوات الزائفة، وإن الأمة كل الأمة حكاماً ومحكومين مطالبون بالاستعلاء بقيمها وأفكارها والاستجابة لنداء السماء الموصل للتقدم والازدهار، وصدق الله العظيم: (ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين).

الوعي الإسلامي

الأسعار

الكويت : ٣٥٠ فلسا . السعودية : ٤ ريالات . البحرين : ٣٠٠ فلس . قطر : ٤ ريالات . الامارات : ٤ دراهم . سلطنة عمان : ٣٠٠ بيسة . الأردن : ٥٠٠ فلس . مصر : جنيه واحد . السودان : ٥ جنيهات . موريتانيا : ١٢٠ أوقية . تونس : دينار واحد . الجزائر : ٥ دنانير . اليمن : ٥ ريالات . لبنان : ١٠٠٠ ليرة . سوريا : ٢٠ ليرة . المغرب : ٦ دراهم . ليبيا : ٥٠٠ مليم . اوروبا : جنيه استرليني واحد او مايعادله . امريكا وبقية دول العالم الاخرى : دولاران او مايعادلهما.

المراسلات

المراسلات كافة باسم رئيس التحرير
مجلة الوعي الإسلامي
ص.ب : ٢٣٦٦٧ - الصفاة - 13097 - الكويت
هاتف ٥٣٤٨٩٧٦ (٩٦٥+) فاكس ٥٣٤٨٩٥٤ (٩٦٥+)

al-Waei al-Islami
P.O. BOX 23667 SAFAT
13097 KUWAIT
TEL. 965 5348976 FAX 965 5348954

e.mail: al_waei@hotmail.com
Homepage: www.kuwait.net/~awqafnet

الاشتراكات

- داخل الكويت :
للأفراد ٥ دنانير - للمؤسسات ١٠ دنانير كويتية
- الدول العربية :
للأفراد ٦ دنانير كويتية (او مايعادلها).
- دول العالم :
للأفراد ١٠ دنانير كويتية (او مايعادلها).
- للمؤسسات :
٢٠ ديناراً كويتياً (او مايعادلها).

ترسل قيمة الاشتراكات في شيك إلى إدارة المجلة باسم مجلة الوعي الاسلامي (الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)

المجلة غير ملتزمة بإعادة أي مادة تتلقاها للنشر. والمقالات لا تعبر بالضرورة عن رأي الوزارة

مطابع السياسة - الكويت

وكيل التوزيع شركة الخليج لتوزيع الصحف هاتف ٤٨١٦٨٨٤/٥ / ٤٨٣٥٠٤٧ ص.ب ٤٢٠٥٧ الشويخ 70651 الكويت. برقيا نيوزبيبر

في العدد

تحقيق

إدارة المخطوطات والمكتبات



إدارة المخطوطات والمكتبات في وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في الكويت كنز ثقافي كبير ينهل منه الباحثون والمحققون ترى كيف يسير العمل في هذا الصرح؟ 10

مناسبات 22

معجزة الإسراء والمعراج

مهما تقدم العلم ومهما تطورت التقنيات الإعلامية ستبقى معجزة الإسراء والمعراج رحلة ربانية خالدة لا تخضع للمقاييس الحسية والمادية والعقلية، وخارقة لأنظمة الطبيعة لأنها من صنع خالقها

دراسات فقهية 30

العقوبة ودواعيها بين الشريعة والقانون

إذا كان الفكر القانوني المعاصر قد استقر على هدف استصلاح المجرم في فترة تنفيذه عقوبة السجن دون الاهتمام بكون هذه العقوبة رادعة زاجرة، فإن فكرة العقوبة في الإسلام تنطلق من كونها رداً إصلاحياً على تصرفات أخلت بالمقاصد الشرعية.

أبـــواب ثابـــة

الفهرس

الافتتاحية

معطيات الهداية في الإسراء والمعراج

ما أن تحل علينا ذكرى الإسراء والمعراج إلا وتتوارد الخواطر إلى الأذهان وتكثر الأفكار وتتعدد وجهات النظر في تلك الذكرى التي تفوق التصور والخيال، فهي ليست معجزة في شأن بسيط وإنما شملت رحلتين طويلتين في ساعات محدودة، وتبين لنا من خلالها العجائب تلو العجائب مما يدعو إلى الهداية والإيمان الراسخ بالخالق العظيم، فهو تبارك وتعالى أطلع نبينا الكريم - ﷺ - على أسرار من الغيب ونقلها لنا عليه الصلاة والسلام، كي تكون لنا مواعظ هدى وبينات اعتبار.

إننا إذا نظرنا إلى المحطات التي انتقل منها المصطفى ﷺ من موقع إلى آخر، نجد أن هناك رحلتين أرضية هي «الإسراء» وسماوية هي «المعراج» وفي كل منها أحداث جسام عظام تقدم لنا المعطيات الأكيدة الثابتة في الهداية إلى الله سبحانه وتعالى، وأنه الواحد الأحد الذي لا شريك له وتؤكد أسماءه الحسنى وصفاته العلى، ولنلق نظرات على بعض تلك المعطيات.

أولاً - القدرة الإلهية: إنه مما لا شك فيه أن النظر في الكون يبعث في النفس التسامي والنزعة إلى التوجه إلى أن هذا الكون له خالق عظيم بيده كل شيء وهو القادر المقتدر الذي جلت قدرته على كل شيء، فالله سبحانه وتلك قدرته هينٌ عليه تيسير الأحداث للنبي ﷺ بأن يقوم بهذا المسار برفقة الأمين جبريل عليه السلام، ... إنها القدرة الإلهية المطلقة بلا حدود ولا قيود.

ثانياً - تكريم النبي ﷺ: لعل أول تكريم له ﷺ من الرب الجليل هو اعتباره عبداً لله وذلك بقوله جل وعلا (سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير) هذه الآية، وآيات في سورة النجم وهي قوله: (ما زاغ البصر وما طغى. لقد رأى من آيات ربه الكبرى).

وقد أظهر المفسرون الحكم البليغة في آيات كل من الإسراء والمعراج، وهي في مجموعها تبين التكريم الكبير منه سبحانه للنبي ﷺ، ولا أدل على ذلك من صلاته بالأنبياء وترحيبهم به، وفي المعراج كان من عظيم مراتب التكريم فرض الصلاة خلافاً لبقية الأركان التي فرضت في الأرض وكيف أن مكانة الصلاة عالية، وإطلاعه ﷺ على مشاهد في الجنة والنار وغير ذلك كثير.

ثالثاً - المنهج الإسلامي: من عميق معطيات الهداية تأمل هذا المنهج الإسلامي الذي يقوم على النظرة والسماحة والمنطق والبيان وذلك بفضل الله سبحانه بما سهله للنبي ﷺ من انتقاله إلى بيت المقدس وعروجه إلى السماء بأدوات خاصة وقدرات يعجز البشر عن مثلها. فتلك الخطوات الرتيبة تبين لنا كيف أن المنهج الإسلامي مرتب منظم ما إن يتأمله العاقل حتى يقر بالإيمان والاستسلام للرب العظيم.

رابعاً - موقف الناس: في مثل هذا الحدث العظيم، اختلفت مواقف الناس، فمنهم المؤمن المصدق، كسيدنا أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - والمؤمنين أمثاله - رضوان الله عليهم - ومنهم المتشكك، وهناك الكافرون الذين أنكروا الإسراء والمعراج جملة وتفصيلاً ومن هنا فتلك المعجزة امتحان للناس، لكنها في طابعها العام تظهر أن تأمل مواقف الناس سبيل إلى معرفة الحق والاهتداء إليه.

إن معجزة الإسراء والمعراج حدث شمل معطيات للهداية كثيرة، ولعل أبرزها ما أمكن الإشارة إليه وأدعو الله بإلحاح وضراعة صادقة أن يهتدي المسلمون في المشارق والمغارب بالتوجه نحو هذا الدين حفاظاً على عزتهم وقوتهم، ونحن نرى الدوائر تحيق بهم وتدور على الأقصى مسرى النبي الكريم ﷺ... فاللهم وفقنا للخير واهدنا به اللهم آمين.

رئيس التحرير

ترحب الوعي الاسلامي برسائل القراء وتنشر منها ما يتوافق مع سياسات النشر لديها بما لا يتعارض مع حقوق الآخرين وحرية الرأي. وتحتفظ المجلة بحق تنقيح الرسائل واختصارها.

يمحق الله الربا «بالأرقام»

«فتح الديون» أصبح تعبيراً شائعاً، فما أن تستدين دولة نامية حتى تكتشف أن معدلات النمو لا تتحسن، فتعود الدولة للاستدانة لتسدد الديون القديمة.

هذا الفخ عبر عنه تقرير صادر عن الأمم المتحدة عام ١٩٩١م يقول: إن ديون العالم الثالث عام ١٩٩٠م فقط بلغت ١٢٠٠ مليار من الدولارات.

وفي تقرير أصدره البنك الدولي عن التنمية في العام ١٩٩٢م أن نمو دخل الفرد الحقيقي في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، إذ سجلت حقبة الستينيات ٦ في المئة سنوياً والسبعينات ٣,١ في المئة، ثم يبدأ التدهور في الثمانينات فيسجل –٢,٥ في المئة بالسالب، وبلغ دخل الفرد العام ١٩٩١م بالسلاب أيضاً –٤,٦ أي أن متوسط الدخل كان يتراجع في ظل القروض الفاحشة خلال الأربعين سنة الماضية.

فالديون الخارجية لبعض الدول العربية تفوق أحياناً قيمة الناتج المحلي الإجمالي السنوي أي أن جهد عام كامل لا يكفي لتسديد قيمة تلك الديون، كما كانت الديون السبب الرئيس للاحتلال العسكري للعالم الإسلامي في القرن التاسع عشر.

عبدالكريم أحمد عوض الله - مصر

العربية لغة الإسلام

لفت نظري في كتابة هذا الموضوع مقالة للأخ نجدت كاظم «العدد ٤٠٣» حيث أشار إلى أن العربية لغة القرآن، وليست لغة الإسلام، وهذا ما أردت التعقيب عليه في هذه السطور.

اللغة العربية ليست لغة القرآن فحسب، كما زعم الأخ نجدت كاظم لاطة، بل لغة الإسلام، فإن استخدام العربية بين المسلمين له فائدتان - فيما أحسب - وهما:

١ - الوحدة المنشودة بين المسلمين، فوحدة اللغة تجعل التفاهم والتقارب بين المسلمين موجوداً، وطالما وجد التفاهم وجدت الوحدة، هذا ما حدا الخليفة عبدالملك بن مروان إلى تعريب الدواوين في جميع الأمصار لتأكيد وحدة الدولة الإسلامية.

٢ - فهم الإسلام فهماً صحيحاً، فمعظم مصادر الإسلام الموجودة باللغة العربية، وترجمة النص كما نعلم ليس هو السبيل الأمثل لفهم هذا النص، بل معرفته من خلال لغته هي الطريقة المثلى لفهمه، والعجيب أن أمهات الكتب الإسلامية العربية ألفت من غير العرب كالبخاري والرازي والغزالي وغيرهم كثير.

وكيف لمسلم صحيح الإسلام أن يكتفي بحفظ الفاتحة وسورتين لأداء ا لصلاة صحيحة.

والمرء يعجب من تخوف المسلمين غير العرب من العربية وكأنهم يخافون من تسلط العرب عليهم، بل نجدهم يتقنون لغات كثيرة إلى جانب لغاتهم القومية، ولا يعرفون شيئاً عن العربية، وقد نجد بعض المسلمين الذين يقطنون الأماكن المقدسة منذ سنين عدداً يحفظون القرآن عن ظهر قلب ولا يفقهون من العربية ولا القليل على الرغم من وجودهم في بيئة عربية خالصة.

وهذه ليست دعوة لمحو قوميات المسلمين أو لغاتهم القومية، بل ندعو لجعل لغة مشتركة بين جميع المسلمين لكي يتفاهموا ويتوحدوا، فالمرء تعجب عندما يلتقي مسؤولا بلدين مسلمين ويستخدمان الإنجليزية لغة للتفاهم، فأين العربية التي اختارها الله لتكون لغة القرآن الذي هو مصدر الإسلام الأول.

فهل نداء للمسلمين لتعلم العربية لكي تتوثق الروابط بيننا، ولكي نفسهم هذا الدين من مصادره فهماً صحيحاً.

محمد أحمد فتحي عبدالله

ردود خاصة

● **الأخ محمد علي وهبة - مصر:**
وصلت رسالتكم المتضمنة رغبتكم في تحويل بعد المقالات لمجلات أخرى... بارك الله فيكم وشكراً على تواصلكم ومشاعركم تجاه المجلة والقائمين عليها.

● **الأخت مني السعيد الشريف:**
المجلة لا تهمل أي رسالة والموضوعات في حال مطابقتها لقواعد النشر تأخذ طريقها بشكل طبيعي، وأما بخصوص المكافآت فستصلك بإذن الله وجزاك الله كل خير.

● **القارئ وليد صابر حلاوة:**
شكراً لملاحظتكم حول الخطأ المطبعي الذي ورد في عدد البراعم رقم ٢٧٤ بخصوص الآية الكريمة (أنا صببنا الماء صباً)، حيث وردت خطأ (أننا) لذا اقتضى التنويه مع اعتذارنا لكل الإخوة القراء.

● **القارئ محمد أنور عبيد:**
شكراً على مقترحاتكم بشأن قضية «كوسوفا» والمجلة غطت الحدث في حينه وبخصوص ما طرحتموه فهذا ليس من اختصاصنا.
وجزاكم الله خيراً.

● **القارئ عبدالله بن سالم بن راشد الشعيلي - سلطنة عمان:**
اقتراحكم بشأن تبني مسابقة ثقافية في المجلة اقتراح طيب، نأمل أن يأخذ طريقه إلى التنفيذ في الخطة المستقبلية للمجلة، وجزاكم الله كل خير.

حول الجرثومة الألفية

بخصوص القضاء على الجرثومة الألفية في أجهزة الكمبيوتر سواء كان في أميركا أو في غيرها أريد أن أسأل سؤالاً:

أليس من المبالغ فيه الحديث عن هذه المشكلة بهذه الصورة المرعبة التي تصورها أجهزة الإعلام؟ هل هناك دلائل أو علامات تؤكد حقيقة ما ذهب إليه المتخصصون في الكمبيوتر من حدوث هذه المشكلة وهي مشكلة الصفرين (١٩٠٠) بعد (٩٩)؟ أم أن هذا محض خيال وتوقع فقط وليس حقيقة؟

هل يوجد دليل على أن مؤسسات الكهرباء والماء والطاقة... إلخ، سوف تتوقف عند انقلاب ٩٩ إلى ٠٠ بمعنى آخر: هل هناك أمر Commond في داخل أجهزة الكمبيوتر يأمرها بالبدء من نقطة الصفر من جديد؟ هل كانت هناك أجهزة كمبيوتر تعمل في ١٩٠٠ وسوف ترجع للعمل من هذا التاريخ مرة أخرى؟! أعتقد أن هذا ضمن الحملات الإعلامية القوية التي يقوم بها الغرب للحصول على أموال الشركات التي لديها دوائر كمبيوتر لاستنزاف ثرواتهم وأموالهم من أجل «إنقاذ» شركاتهم من هذه المصيبة الكبيرة وقد حدث هذا بالفعل من قبل مع العالم كله حينما روجت المخابرات الأمريكية لمصيبة ثقب الأوزون في شمال الكرة الأرضية الناتجة عن البخاخات، واتضح فيما بعد - وتأكد ذلك للعلماء - أن هذه خرافة أساسها انتهاء حق ملكية إنتاج هذا الغاز من شكرة أمريكية معينة، وطمعها في الترويج لغاز آخر بديل عنه هي نفسها التي تملك حق إنتاجه كذلك! هذه واحدة.

الأمر الثاني: لديَّ شك في أن أجهزة الكمبيوتر الموجودة الآن لدى المؤسسات والشركات تم تصنيعها وفيها هذا العيب المتعمد «على اعتبار أنه موجود» على أساس أنه قبل نهاية القرن وبدء القرن الجديد تثار هذه المشكلة ومن ثمَّ يطلبوا من الشركات والمؤسسات أموالاً لمحاولة البحث عن حل لهذه المشكلة، وفي الحقيقة فهم الذين صنعوا المشكلة وعندهم الحل المسبق لها، ولكنهم اختبأوا هذا الحل، لبيعه بأموال طائلة في الوقت المناسب بعد إغراق العالم كله في حال منالخوف والفزع نتيجة لهذه المشكلة المعدة والمتعمدة سلفاً؟ ونحن بحسن نية نشارك في تخويف الناس من هذه المشكلة وأعتقد أنها لا أساس لها في الحقيقة.

الأمر الثالث: تُباع الآن في الأسواق أجهزة كمبيوتر P.C وتجد في الإعلان عنها مثل هذه العبارة «هذا الجهاز يتوافق للعمل مع عام ٢٠٠٠» والسؤال الآن: إذا كان قد تم تصنيع أجهزة متوافقة مع العام ٢٠٠٠م فلماذا لا تستخدم تقنيتها في تعديل باقي الأجهزة؟ وهل هذه المشكلة موجودة أصلاً في جهاز P.C الكمبيوتر الشخصي أم لا؟ مع العلم أن كل الحديث عن هذه المشلكة في الدوائر الكبيرة وليس في الأجهزة الشخصية فلماذا يعلنون عن طرح أجهزة شخصية ليس فيها هذه المشلكة، على الرغم من أن هذه المشكلة ليست موجودة فيها من الأساس؟

هذا إن دلَّ على شيء، فإنما يدل على أن الأمر في أساسه يعتمد على الدعاية لجمع الأموال، ولا يعتمد على أساس علمي صحيح.

خالد عبدالرحمن اللقاني - جيبوتي

هارون الرشيد - الوجه الآخر

هالني حينما رأيت ملهى ليلي يحمل اسم هارون الرشيد وقد رسمت صولة له وهو يدخن النرجيلة، ولعل صاحب كتاب «الأغاني» كان له النصيب الأوفر في تشويه صورة الكثيرين من القدماء ومنهم هارون الرشيد وقد كانت خلافة الرشيد أعظم ما عرفته دولة في العصور الوسطى وكان قد أوتي من كل شيء سبباً: الفروسية المثلى، إلى جوار النفس الشاعرة، والبراعة في الشؤون السياسية، والحكم والحرب إلى جوار التقوى والورع، والاهتمام العظيم بالعلم ومعه اهتمامه بترجمة العلوم من اليونانية والفارسية والهندية والسريانية والقبطية، لتنقل علوم العرب وعلوم الأقدمين معها فيما بعد إلى أوروبا مترجمة من العربية، فتبدأ بها نهضة أوروبا الحديثة.

يصلي في اليوم مئة ركعة منذ حداثته الباكرة، وحج ماشياً ولم يحج خليفة قبله ماشياً.

غزا الروم اثنتي عشرة مرة في حكمه الذي دام ثلاثة وعشرين عاماً، وسيَّر جيوشه إلى أنقرة وأنطاكية وطرسوس والبسفور في الشمال، وقاد جيوش أبيه إلى القسطنطينية سنة ١٦٥هـ وهو في السادسة عشرة من عمره، وفي الغرب كان جنوب أوروبا الشرقي مذعناً للرشيد في حين كان جنوبها الغربي حتى شواطئ المحيط الأطلسي في يد المسلمين بالأندلس وفي حين كانت أمصار الدولة الإسلامية حتى الهند تعج بأصوات العلماء والمتعلمين في شؤون الدنيا والدين في حين كان «شارلمان» إمبراطور أوروبا أمياً لا يقرأ ولا يكتب.!

عبدالكريم أحمد عوض الله - مصر

بقلم: وائل أحمد الهنيدي

رجب

في أواخر العام الرابع للبعثة، وبعد أن أخذ عدد المسلمين يزداد شيئاً فشيئاً، كان الحنق والغيظ يستبدان بالمشركين شيئاً فشيئاً، وأخذ كل من الفريقين يزداد إصراراً، حتى بلغ الحمق من المشركين مبلغاً عظيماً، فأخذوا يعذبون من أسلم ممن لهم عليه سلطة، فالأب يعذب ابنه، والأم تشق على ابنها، والسيد لا يدع فكرة جديدة يعذب بها مَوْلِيَّهُ إلا فعلها، حتى بلغ الأذى رسول الله ﷺ، ولكن جرأتهم على غيره ﷺ كانت أكبر، إذ كان عمه أبو طالب ذا مكانة من قريش تمنعهم من التعدي عليه.

مع بداية العام الخامس للبعثة المشرّفة كان أذى المشركين قد بلغ مبلغاً كبيراً، فاستأذن بعض الصحابة رسول الله ﷺ بالخروج من مكة، وكان ذلك بعد نزول سورة الزمر التي تشير إلى سعة الأرض وفضل الصبر(١)، قال تعالى: (للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة وأرض الله واسعة إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب) الزمر:١٠.

ويبدو أن رسول الله ﷺ قد علم أن ملك الحبشة آنذاك ملك لا يُظلم عنده أحد، فوجه من أراد الهجرة من أصحابه إلى الحبشة وكانوا اثنا عشر رجلاً وأربع نسوة، في طليعتهم: عثمان بن عفان رضي الله عنه وزوجه رقية بنت رسول الله ﷺ، وقال فيهما رسول الله ﷺ: «إنهما أول بيت هاجر في سبيل الله بعد إبراهيم ولوط عليهما السلام»(٢).

وما يلفت الانتباه أن الرهط ممن هاجر من مكة إلى الحبشة كانوا ذوي منعة في قومهم، فلم يكن بينهم غير عبدالله بن مسعود رضي الله عنه من غير قريش(٣)، ترى ما السبب الذي يدعو هؤلاء الصحابة ذوي المنعة إلى الهجرة قبل غيرهم من الضعفاء؟

السبب - والله أعلم - شدة حرص الصحابة آنذاك على سد كل الثغرات التي تحول دون إتمام هذه الرحلة المباركة، فلو قُدِّر أن طليعة المهاجرين كانوا ضعافاً في انتماءاتهم إلى قريش بالنسب، وظفر بهم المشركون لفتكوا بهم فتكاً وحالوا بينهم وبين الهجرة إلى الحبشة بالقتل، إذ لا عشائر تمنعهم، ولا وشيجة تربطهم بهم يحفظون بها دماءهم.

فكانت طليعة المهاجرين من صلب البناء الاجتماعي لقبيلة قريش فلا يستطيع المشركون قتلهم لو ظفروا بهم قبل بلوغهم الحبشة.

واختيارهم لشهر رجب - الذي كان المشركون يعظمون فيه القتال - كان لتأمين الطريق إلى الحبشة، فلا حروب تنشأ ولا دم يُستباح في هذا الشهر.

فهم يبذلون في سبيل الله لذائذ الدنيا، ورغد العيش، لأن إيمانهم بالله يفيض على عقولهم نوراً طالما استشرفوه وتطلعوا إليه، ما إن لامس قلوبهم حتى طهّرها من كل ما سوى الله حباً وإجلالاً وتعظيماً، فلا همَّ لهم إلا تتبع ما يرضي الله، والبعد عن كل ما يسخطه سبحانه وتعالى، نصروا الله في أنفسهم فجعلوا طاعته فوق كل طاعة، فاستحقوا - بفضل الله ومنّه - نصر الله لهم.

تلك سنة الله التي لا تتبدل ولا تتحول، ما من نبي إلا وجحده قومه، وأفرغوا كل ما يستطيعون من قوة في صدِّ من آمن بالله عن دينه، وهذا ما يوجهنا الله إليه. إذ يذكرنا تبارك وتعالى، بأقوام فعلوا ما فعلوا بمن آمن من قومهم فكان نصر الله - ولا يزال - لايتخلف أبداً شرط استمرار المؤمنين على إيمانهم. قال تعالى: (وقال الذين كفروا لرسلهم لنُخْرِجَنَّكُمْ من أرضنا أو لَتَعُودُنَّ في ملَّتنا فَأوحىٰ إليهم ربُّهم لَنُهْلِكَنَّ الظالمين. ولنسكننَّكُمُ الأرضَ من بعدهم ذلك لمن خاف مقامِي وخاف وعيد) إبراهيم:١٣-١٤.

بمثل هذا الاستسلام استجاب الصحابة - رضوان الله عليهم: لأمر الله ورسوله ﷺ، لا يدخرون وسعاً في تمثُّل أوامر الله واجتناب نواهيه مهما كانت الظروف قاسية. فاستحقوا ببركة هذه الطاعات أن يكونوا قادة الدنيا ومعلموها الإنسانية، كأبهى وأجمل ما يكون وكان أتقاهم لله وأكثرهم استسلاماً لأمره رسول الله ﷺ، فاستحق ما لم يستحقه غيره من البشر من لدن آدم حتى قيام الساعة.

ففي مثل هذا الشهر من السنة العاشرة للبعثة وقعت حادثة الإسراء لرسول الله ﷺ، والمعراج به إلى السماء السابعة في تلك الأنوار القدسية، فبلغ ما لم يبلغه نبي قبله ورأىٰ ما يثبت فؤاده ويسرّي عنه صلف كفار قريش وتجهمهم له، وكأن الله تبارك وتعالى يقول له: إن ضاقت عليك الأرض فهذا مكانك عندنا في السماء، لن تلبث أن تلحق به... فاصبر إن العاقبة للتي ترى هنا تنعم برضوان الله عليك فلا تبتئس إن الله ناصرك.

صلِّ اللهم وسلم وبارك وزد وأنعم على نبيك ورسولك وحبيبك محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، واجمعنا معه تحت ظل عرشك مع الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقيين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً.

الهوامش:

١ - الرحيق المختوم - صفي الدين المباركفوري، ص ٨٩.

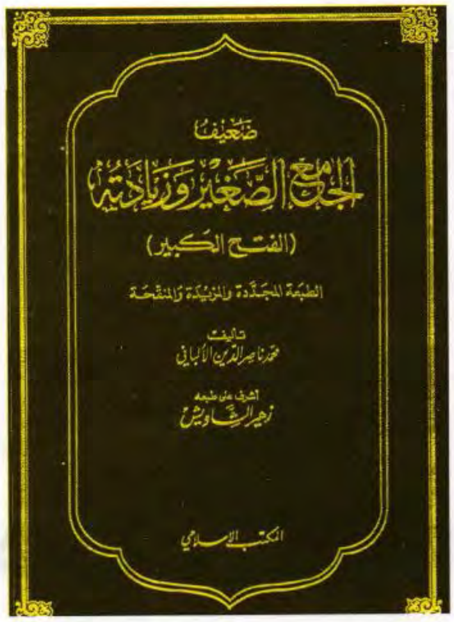
٢ - زاد المعاد، ١/٢٤.

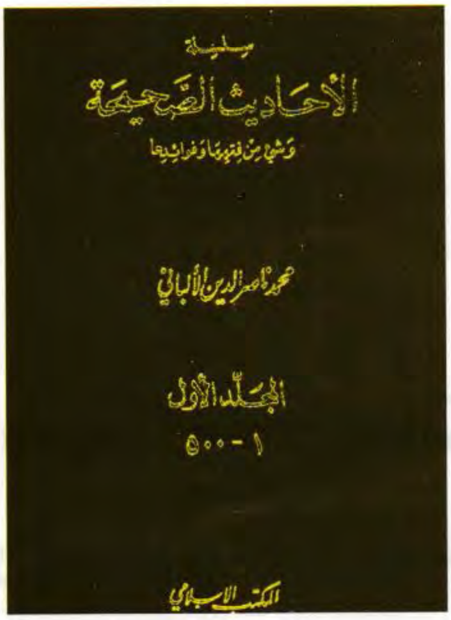
في ذمة الله

الشيخ محمد ناصر الدين الألباني

عن عمر يناهز الـ٨٥ عاماً، انتقل إلى رحمة الله تعالى يوم السبت ٢٢ جمادى الآخرة ١٤٢٠هـ الموافق ٢ أكتوبر ١٩٩٩م، علامة الشام المحدِّث الجليل محمد ناصر الدين الألباني، وكان رحمه الله قد أوتي علماً وافراً في ميدان الحديث الشريف، وفتح الله عليه من كنوز العلم والمعرفة والبيان، وسخره الله لينير للمسلمين طريق الإيمان واليقين من خلال كتبه التي جاوزت المئة مؤلف في علوم السنة والحديث النبوي الشريف وله تراث زاخر من المحاضرات السمعية والمرئية والمناظرات للذود عن الإسلام والسنة النبوية، قال عنه العلامة الراحل ابن باز رحمه الله: «الألباني من المجاهدين في حفظ السنة، وهو من خواص إخواننا الثقات المعروفين».

وقال عنه الشيباني: «الشيخ ناصر عالم ضليع وخبير وهو طبيب الإسناد في العصر الحديث. عمل بالحديث نحو ستين سنة فأكثر». كان - رحمه الله - قد ولد في ألبانيا، وهاجر إلى الشام واستقر فيها في بدايات القرن العشرين، وأقبل على طلب العلم في مدارسها ومساجدها، حتى أصبح من علماء هذا العصر الذين يُشار إليهم بالبنان، كان زاهداً في الحياة الدنيا، يعيش من كسب يده يعمل في إصلاح الساعات، وكان يمضي معظم أوقاته في مكتبات دمشق العامرة، وفي مقدمها المكتبة الظاهرية التي تضم عشرات الآلاف من الكتب التراثية والمخطوطات، وقد فاز - رحمه الله - بجائزة الملك فيصل العالمية للدراسات الإسلامية في مجال تحقيق كتب السنة: «سنن النسائي، سنن أبي داود، جامع الترمذي، سلسلة الأحاديث الصحيحة، سلسلة الأحاديث الضعيفة، وصحيح الجامع الصغير، وضعيفه، وحجاب المرأة المسلمة، وصفة صلاة النبي، وللفقيد الراحل مؤلفات من الكتب أثَّرت في طلاب العلم وأخذوا ينهلون منها من معين السنة النبوية بسهولة ويسر وفائدة كبيرة ومنها:





- صحيح الجامع الصغير فهو من تحقيقه وتعليقه، والجامع الصغير من تأليف الإمام السيوطي.
- ضعيف الجامع الصغير (٦ مجلدات).
- سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها (١٢ مجلداً).
- حجاب المرأة المسلمة.
- صفة صلاة النبي - ﷺ - منذ التكبير إلى التسليم كأنك تراها.
- تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد.
- آداب الزفاف في السنة المطهرة.
- شرح العقيدة الطحاوية تقديم وتحقيق وتعليق.
- إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل لابن ضويان.
- كتاب السنة ومعه ظلال الجنة في تخريج السنة لأبي عاصم الضحاك.
- تخريج كتاب إصلاح المساجد من البدع والعوائد لجمال الدين القاسمي.
- صحيح ابن خزيمة للأعظمي.
- مختصر كتاب العلو للعلي العظيم للذهبي.

ومهما قلنا عن فقيدنا الراحل، فلن نوفيه حقه وندعو الله له ولمن سبقه من العلماء العاملين أن يدخلهم فسيح جنانه مع النبيين والصديقين والشهداء وحسن أولئك رفيقاً، وأن يجزيه عنَّا وعن المسلمين خير ما يجزي به الله عالماً مجاهداً مخلصاً ولا نقول إلا ما يرضي ربنا: إن العين لتدمع وإن القلب ليخشع وإنا على فراقك لمحزنون.

رحم الله الشيخ الألباني رحمة واسعة وأثابه بقدر ما قدم وألهم أهله وذويه ومحبيه الصبر والسلوان.

(إنا لله وإنا إليه راجعون).

الوعي الإسلامي

تحقيق

تحقيق : مغشغش زايد


من سنن الوضوء تكرار الغسل اى تكرار غسل موضع
الوضوء الى الثلاث سنة لما روي عن النبي عليه السلام
توضأ مرة مرة وقال هذا وضوء لا يقبل الله تعالى
الصلوة الا به وانه توضأ مرتين مرتين وقال
هذا وضوء من توضأ مرتين يضاعف الله تعالى
له الاجر مرتين وانه توضأ ثلثاً ثلثاً في غالب
فكان سنة لا فرضاً ويكره الزيادة على الثلاث
الا بضرورة طمانينة القلب عند حصول الشك
ثم المرة الاولى فرض والثانية سنة
والفضيلة والتاسع من سنن الوضوء الاستنجاء
اي النجاسة بالماء عند وجوده
اذا لم يكن المجاوزة قدر الدرهم

إدارة المخطوطات والمكتبات الإسلامية

صرح ثقافي شامخ

في منطقة العديلية في الكويت هناك تقع عمارة صغيرة الحجم، لكنها بما تحتويه تعتبر كنزاً ثميناً... يتوجه إليها الباحثون عن المجد للنيل من تلك الكنوز الموجودة في داخلها... فإذا ما دخلت إليها أحسست بهدوء غريب، ولكن ما أن تسير حتى تجد مجموعه من الشباب العامل الناضج كأنهم خلية نحل تعمل بجد واجتهاد دون كلل أو ملل في الحفاظ على تلك الكنوز من التلف والدمار، ودخلت هناك فوجدت نظاماً وتنظيماً وعلماً ومعرفة وفناً وترتيباً، وجدت تلك الروائع من المخطوطات التي تحمل علماً لتلك الحضارة الزاهرة الحضارة الأصيلة خطته يد العلماء ونقشته إبداعات النسَّاخ وحفظته لنا الأجيال الواعية المدركة لأهمية العلم وما أن جلت في معرض تلك المخطوطات وشاهدت تلك الروائع وكيفية الحفظ لها والمحافظة عليها حتى أكبرت العاملين فيه وأحسست بقيمة ذلك المكان الصغير في مساحته الكبير بمحتوياته وهنا تذكرت مقولة

د. سعود العصفور:

المخطوطة كنز وتحقيقها ثروة



● إحدى المخطوطات النادرة



● د. سعود العصفور

لدينا ٢٤٠٠ مخطوطة اصلية

و٤٠ الف مخطوطة مصورة

جمعت من شتى أنحاء العالم

هل تعرف سر مرارة الثور؟

ابن عباس الخالدة حيث يقول «العلم أفضل من المال لأن العلم ميراث الأنبياء والمال ميراث الفراعنة، ولأن العلم يحرسك وأنت تحرس المال، ولأن العلم لا ينقص بالبذل والعطاء، والمال ينقص بهما، ولأن صاحب المال إذا مات انقطع ذكره، والعالم إذا مات فذكرهُ باقٍ».

تلك والله حقيقة فكم من أصحاب الملايين من مات واندثر بعد أيام اسمه وكم من العلماء الأجلاء من أبقى ذكره خالداً بما ترك لنا من العلم وبما دوَّن قلمه وأعمل فيه فكره... ونظرت حولي فإذا بالدليل واضح جلي في تلك المخطوطات الرائعة والمعروضة في دار المخطوطات والمكتبات التابعة لوزارة الأوقاف، فأبقت تلك المخطوطات ذكر أصحابها وخلدت أسماءهم، بل بقي العلم إلى يومنا هذا ينهل منه الباحثون والمحققون... وإذا أردت الاسترسال عن إدارة المكتبات والمخطوطات الإسلامية فربما لايقف القلم، ولكن هي دعوة لنقف معاً على ما حوت هذه الإدارة ونبدأ المشوار.

المخطوطة تراث الأمة الباقي:

وكانت وقفتنا الأولى مع الدكتور سعود العصفور مدير إدارة المخطوطات والمكتبات الإسلامية والذي قال: المخطوطة هي تراث الأمة الباقي، التراث الذي لم ينشر ولم يُعرف تراث العرب والمسلمين كأمة وحضارة... ومن هنا فإن إخراج هذا التراث وتحقيقه أمر مهم جداً ويقدم لنا جميعاً شتى أنواع المعرفة التي تركها لنا المبدعون في كل الفنون والعلوم النقلية منها والعقلية... فالمخطوطة كنز وتحقيقها ثروة والعمل بها ومن خلالها مجد ورقي. وعن مشاعره إذا حصل على مخطوطة جديدة يقول الدكتور سعود العصفور في تلك اللحظة: أشعر بسعادة غامرة لأنني أكون قد حصلت على علم جديد وصيد سمين... ولكن هنا لابد لنا نحن المسلمين أصحاب الحضارة ألا نبخس الآخرين حقهم في دفع السعر المناسب لذلك التراث الخالد.

وأضاف العصفور قائلاً: إن شراء المخطوطة يخضع لمعايير وأسس معروفة للعاملين في هذا المجال، فلابد من إخضاع تلك المخطوطة لمعايير الشراء من حيث : موضوعها، وزمن كتابتها، ومكانة مؤلفها العلمية. وكلما كانت المخطوطة قديمة كان لها قيمة تجارية تزيد من مكانة مؤلفها ويجب أن يُعرف هل هي بخط يده أم بخط ناسخ وهل كتبت في زمن المؤلف أم في زمن بعده... كل ذلك يؤثر في سعر المخطوطة.

انشاء إدارة المخطوطات

يقول الدكتور سعود العصفور: من أجل ذلك تأسست هذه الإدارة «إدارة المخطوطات والمكتبات الإسلامية» العام ١٩٩٦م حيث كان الهدف من إنشائها هو حفظ هذا التراث الخالد وإبرازه بالصورة اللائقة وبعد تأسيس هذه الإدارة بدأ العمل على إخراج هذا التراث وإعطائه المكانة



● خالد عبدالله المطوطح

المطوطح : للنسَّاخ الكويتيين دورهم في حفظ التراث

اللائقة به... والآن ولله الحمد يحق لنا أن نفخر وبشهادة المتخصصين في المراكز الأخرى العملية من داخل وخارج الكويت بأن لدينا إدارة للمخطوطات ذات مكانة متميزة وعمل متقن وكل ذلك بجهد الشباب وبدعم من الشيخ مشعل مبارك الأحمد الصباح رئيس قطاع الافتاء والبحوث الشرعية.

لجان متخصصة:

وعن اللجان المتخصصة العاملة على إبراز هذا التراث الإسلامي الخالد يقول الدكتور سعود العصفور: بشخصي المتواضع أحمل شهادة الماجستير والدكتوراة في التاريخ الإسلامي، وأحمل أيضاً شهادة الماجستير «تخصص وثائق ومكتبات»، وحينما أنيطت إليَّ مهمة هذه الإدارة بدأت أسعى وأتلمس أوجه القصور إذكان لابد لنا من إظهار تلك النفائس لهذه الحضارة الإسلامية من ذلك الموروث العلمي فقد حرصنا من خلال قطاع الإفتاء والبحوث الشرعية بالوزارة على تكوين لجنة تراث متخصصة تُعنى باستقبال طلبات التحقيق والنشر، وطلبات طباعة هذه المخطوطات وإخراجها بطرق علمية على هيئة كتب معتمدة... وهذه اللجنة مميزة في أشخاصها وما يحملون من مؤهلات علمية وكفاءة ميدانية وهم: الدكتور محمد عبدالغفار الشريف ـ عميد كلية الشريعة والدراسات الإسلامية رئيساً. الدكتور سعود العصفور ـ مدير إدارة المخطوطات والمكتبات نائباً للرئيس. الدكتور محمد الأحمدي أبو النور ـ أستاذ علم الحديث في جامعة الكويت والوزير المصري السابق عضواً. الدكتور أحمد الحجي الكردي ـ خبير الموسوعة الفقهية ـ عضواً. الدكتور عبدالله غنيم ـ رئيس المركز الكويتي للوثائق التاريخية ـ عضواً. الدكتور وليد المنيس ـ مساعد عميد كلية الآداب لشؤون الأبحاث والدراسات العليا ـ عضواً. خالد شعيب ـ مدير البحوث والموسوعات ـ عضواً. ماهر الساير ـ مقرراً.

والحقيقة أن دور هذه اللجنة كان بارزاً في إسناد تحقيق المخطوطة لمن هو من ذوي الكفاءة العلمية والدراية الميدانية لأن هذه المخطوطة تنسب للمؤلف ولكن بعد التحقيق تصبح للمؤلف والمحقق معاً.

أقدم المخطوطات:

وفي أثناء التجول في معرض إدارة المخطوطات شاهدت الكثير من المخطوطات ذات القيمة العلمية وبخط المؤلف نفسه وقد وقفنا على الكثير منها حيث زودنا الدكتور العصفور بمعلومات قيّمة عن تلك المخطوطات، وهناك شاهدت أقدم مخطوطة في المركز وهي كتاب «الخصال والعقود والأحوال والحدود» لمؤلفه ابن البناء: الحسن بن محمد بن عبدالله أبو علي الحنبلي المتوفى العام ٤٧٠هـ ولكن الكتاب منسوخ العام ٤٦٠هـ أي في عهد المؤلف، وهذا يزيد من قيمة ذلك الكتاب ونفاسته.

وهنا أشار لي الأخ خالد المطوطح مراقب إدارة المخطوطات والمكتبات الإسلامية لمخطوط آخر وهو «إدراك الغاية في اختصار الهداية» لمؤلفه



● جهاز قراءة الميكروفيلم





● بعض المخطوطات المحفوظة في إدارة المخطوطات والمكتبات الإسلامية

ابن عبدالحق بن شمائيل عبدالمؤمن بن عبدالحق صفي الدين الحنبلي والمنسوخ العام ٧٢٣هـ... وهو بخط يد المؤلف نفسه وقد توفي رحمه الله العام ٧٣٩هـ.

النساخ الكويتيون ودورهم في حفظ التراث:

وقال الأخ خالد المطوطح وهو ياخذ بيدي: إن لأهل الكويت وعلمائها دور بارز في إثراء هذا العلم، ذلك أن الحركة العلمية في دولة الكويت لها مكانة قديمة، والدليل على ذلك أعمال النسخ والنسَّاخ التي وجدت وذلك الاهتمام البالغ بالكتب والمخطوطات منذ زمن بعيد.

ووقفنا أمام مخطوط قديم هو كتاب نيل المآرب بشرح دليل الطالب لمؤلفه عبدالقادر بن عمر بن أبي تغلب بن سالم الشيباني الحنبلي وقد نسخه ابن الكويت المرحوم عبداللطيف بن عبدالرحمن ابن حمد المطوع.

ثم تحول بنا إلى مخطوط آخر هو «كتاب العين والأثر في عقائد أهل الأثر»، والمؤلف العام ٣١٠هـ لمؤلفه عبدالباقي بن عبدالباقي بن عبدالقادر تقي الدين البعلي، وقد نسخه بيده الشيخ عبدالله بن خلف الدحيان.

الأيادي الخيِّرة

وتناول الدكتور سعود العصفور الحديث فقال: وتلك المخطوطات كنز لا يقدر بثمن ولدينا منها ولله الحمد ٢٤٠٠ مخطوطة أصلية وهي نسبة عالية قياساً للمراكز الأخرى... كذلك نملك نحو ٤٠ ألف مخطوطة مصورة جُمعت من شتى مراكز العالم المعروفة.

وأضاف العصفور قائلاً: وهنا لابد من الإشارة إلى روح الكرم العربي الأصيل المتأصلة في نفوس أهل الكويت، حيث أهدوا لنا ثروة علمية لا تقدر بثمن ونذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر.

ورثة المرحوم عبدالله الخلف الدحيان. الأستاذ عبدالرحمن سالم العتيقي مستشار صاحب السمو. الشيخ أحمد الغنام.

وهناك أيضاً شخصيات من خارج الكويت شاركوا في الإهداء نذكر منهم:

الشيخ حافظ ثناء الله زاهدي رئيس مركز البخاري في باكستان. الأستاذ شامل الشاهين مدير مركز مرمرة في تركيا. مركز الشيخ جمعة الماجد والذي أهدى لنا جهاز الترميم الآلي.

المخطوطة كنز:

وتبقى المخطوطة تحكي لنا تراث أمه وتنقل لنا عصارة عقول الآخرين ولابد لأي مخطوطة حتى تنال هذا الاسم أن تكون منسوخة قبل القرن العاشر إذ اخترعت الطباعة بعده... ومن هنا تم وضع قواعد وأسس لمعرفة المخطوطة الأصلية من المزورة وذلك من خلال معايير علمية ثابتة ودقيقة مثل معرفة عمر المخطوطة الزمني - العصر الذي كتبت فيه - نوعية الورق المستخدم - نوعية المداد المستخدم - غلاف المخطوطة... إلخ.

ومن خلال هذه المعايير يستطيع الباحث المختص أن يتحقق من تلك المخطوطة، هل هي أصلية أم مزورة فهناك قسم المعالجات الكيمياوية والفحص المخبري لنوعية الورق والمداد.

وللمخطوطة الموقوفة مكانة مميزة فهي لا تباع ولا تهدى ولا يتم التبادل عليها إلا وفقاً لإجراءات صارمة... بل إن المخطوطة الموقوفة تبقى في الدار إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، ذلك أن الشريعة الإسلامية الغراء تحرِّم التصرف بها.

ولكن لا مانع من الإهداء أو التبادل شرط أن تكون هناك أكثر من نسخة للمخطوطة نفسها أو أن تكون مصورة. وذلك من اجل الحفاظ عليها. وقد عقدت اجتماعات متعددة مع الجهات المختصة في دول مجلس التعاون للوصول إلى أفضل السبل للمحافظة على هذا التراث العزيز، ومن ثم طرحنا فكرة إنشاء رابطة لمراكز المخطوطات في دول المجلس وقد رحب الجميع بتلك الفكرة. خصوصاً أن من أهدافها:

- تبادل الخبرات في مجال المخطوطات.
- تسهيل طلب المحققين والباحثين من طلبة الدراسات العليا في الحصول على بغيتهم من المخطوطات.
- ضمان عدم ازدواجية التحقيق فالمخطوطة التي تحقق في الكويت مثلاً لا تحقق في دولة أخرى.
- إصدار نشرة دورية محكمة في مجال نشر التراث وتبادل المعلومات.

وسيعقد بإذن الله اجتماع لإقرار تلك الرابطة في نهاية هذا العام، وللحرص على هذا التراث أيضاً تم عقد اتفاقات متنوعة مع مراكز عالمية مهتمة بالمخطوطات مثل مكتبة «خدابخش» في الهند والتي تحتوي بمفردها على ٢٨ ألف مخطوط عربي أصلي... كذلك هناك اتفاق مع

مركز مرمرة في تركيا... وغيرها من المراكز.

المعشوقة الأثيرة:

وبابتسامة هادئة وطرح علمي موثق وأسلوب راق في الحديث وإيمان مطلق بأهمية ذلك التراث وباعتزاز العقيدة التفت إلينا الأخ خالد عبدالله المطوطح مراقب إدارة المخطوطات والمكتبات الإسلامية فقال: المخطوطة معشوقة الشباب في هذه المراقبة.. ومكانتها في النفوس واعتزازهم بها كتراث خالد جعلهم يقومون بالعناية بها أكثر من أي شيء آخر...

عملية حفظ المخطوطة:

ويقول الأخ المطوطح ما أن تتم عملية اقتناء المخطوطة حتى تبدأ عملية الفهرسة وتدوين المعلومات على بطاقات معينة تحمل: اسم المؤلف واسم الكتاب وسنة التأليف وسنة النسخ وعدد الأوراق.

- وصف المخطوطة حتى أن من يقرأ تلك الفهرسة يجد نفسه كأنه يشاهدها عياناً.

- تشخيص المخطوطة «هل المخطوطة مصابة، فيها أرضة، فيها رطوبة، فيها نقص في البداية أو النهاية، هل هناك نسخ مشابهة لها في مراكز العالم المختلفة، ما رقم تصنيفها هناك... إلخ».

وبأدب جم طلب إلينا أن نقف مع الأخ مساعد العتيقي رئيس قسم الحفظ والمعالجة ليشرح لنا تفصيلاً كيف يتم الحفاظ على المخطوطة.

يقول الأخ مساعد العتيقي: إن علم حفظ المخطوطات علم كبير ومجاله واسع جداً وهو يتم بناء على خطوات علمية مدروسة... فأول عمليات الحفظ تبدأ بالتعقيم حيث يتم إدخال المخطوطة إلى جهاز خاص فيه نوع من البودرة حيث يتم تسليط السخانات بحرارة معينة ترتفع تدريجياً ولمدة ستة أيام، يتم من خلالها قتل جميع الحشرات والفطريات والبكتيريا العالقة



● مساعد العتيقي

العتيقي : عملية حفظ المخطوطة تمر بمراحل مدروسة

بالمخطوطة.

بعد ذلك يتم إخراج المخطوطة، حيث يبدأ المرمم وبدقة متناهية وبوساطة الفرشاة بتنظيف المخطوطة، ثم يقوم بعد ذلك بوضعها داخل جهاز التنظيف على الناشف ويقوم الموظف بالجلوس خلف حاجز زجاجي، ومن ثم يدخل يديه إلى الجهاز ويبدأ بتغليف صفحات المخطوط بينما يبدأ الجهاز بسحب كل ما هو عالق بالمخطوطة حتى تخرج سليمة من كل الآفات العالقة بها.

ثم تبدأ مرحلة غسل المخطوطة سواء كان ذلك بالكحول أو بالماء، ولكن قبل ذلك لابد من التأكد من نوعية المداد والمادة المناسبة للغسل حيث إن بعض المداد يزال بالماء... وهناك من المخطوطات ما تحتاج إلى مادة «المسبار» لغسلها إذ تعمل هذه المادة بعد وضعها على المداد على حفظه من الزوال وبعد إتمام عملية الغسيل يتم رفع هذه المادة عن محتويات المخطوطة.

وما أن تتم عملية الغسل حتى تبدأ عملية الترميم على يد المرمم المختص وهذا يكون بمثابة الدكتور الذي يشخص المرض ثم يصف له الدواء المناسب، فالمرمم يقوم بتقدير مدى إصابة المخطوطة ونوعية الإصابة، ثم يبدأ في العلاج سواء أكان ذلك يدوياً أم على الجهاز الآلي الخاص بالترميم.

الغرفة الكنز

وبكل عناية تُحمل المخطوطة إلى خزانة خاصة ذات مواصفات معينة وبعد أن يتم تصويرها على الميكروفيلم والميكروفيش يوضع أصل تلك المخطوطة في تلك الخزانة ثم تنقل إلى غرفة الحفظ وهي محكمة الإغلاق ومعزولة بمادة معينة ومزودة بفلاتر مركزية تنظف الغرفة بصورة مستمرة من أي شوائب أو عوالق سواء أكانت بكتيريا أم حشرات أم أتربة.... وهناك جهاز لضبط الحرارة بين ١٥ - ٢٠ درجة مئوية وضبط درجة الرطوبة بين ٥٠ - ٥٥ درجة... كذلك يوجد جهاز حريق يعمل تلقائياً... كل ذلك لتبقى تلك المعشوقة «المخطوطة» في أمن وسلام داخل إضبارة خاصة في خزانة ضد الحريق في غرفة ضد كل التقلبات الجوية وغيرها.

كنز في داخله كنز:

كنت أستمع للأخ مساعد العتيقي عن تلك الغرفة العجيبة ذات المواصفات الغريبة وأنا مُدهش مما أسمع وأشاهد... كل ذلك من أجل المخطوطة ولم أتمالك نفسي إلا وأنا أتوجه للأخ مساعد قائلاً: هل لي أو لغيري أن يشتري هذه الغرفة بما فيها، وكم تطلب ثمناً لذلك... فتبسم الجميع وكانت الإجابة واحدة... إنها أغلى مما تتصور أن الثروة العلمية والكنوز التراثية التي فيها لا تقدر بثمن... فما كل تلك الآلات وهذه الاحتياطات إلا لحماية تلك المعشوقة «المخطوطة».

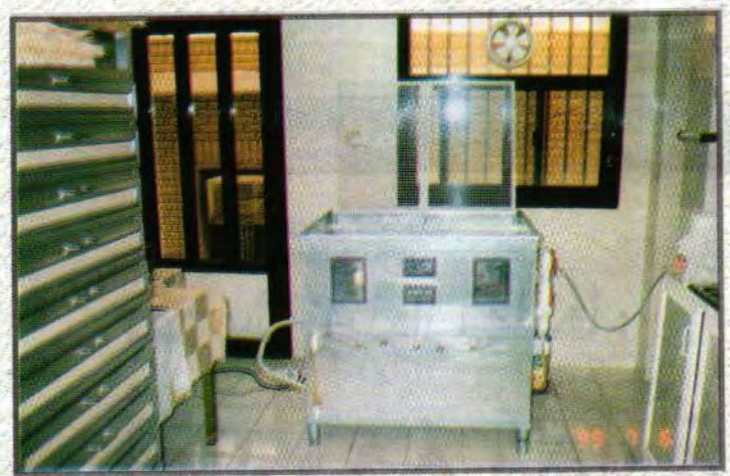
إخطار وإصرار:

وعقّب الأخ مساعد العتيقي قائلاً: إننا نعرض أنفسنا للخطر من أجل أن تبقى المخطوطة سليمة ومن أجل أن يبقى التراث محفوظاً للباحثين والمحققين، إن تلك الحشرات والفطريات تسبب أمراضاً لمن لا يحتاط منها... وقد انتبه المسؤولون لذلك فخاطبوا الوزارة والمجلس الطبي





● جهاز التعقيم وبداخاله إحدى المخطوطات



● جهاز الترميم الآلي للمخطوطات

العام الذي شكل لجنة لذلك ومنح علاوة خطر للعاملين ونحن بانتظار النتيجة... ثم إن خطر مادة الأمونيا المستخدمة في التصوير كبير جداً... فإذا كنا نفضّل تلك المخطوطة على أنفسنا فهل تفكر بعد ذلك في بيعها... إنه أمر محال محال.

فن الإيبرو:

وسار بنا الأخ خالد المطوطح إلى مكان آخر وقال: ماذا تقول في هذه الرسومات واللوحات... فإذا بي أقف أمام لوحات فنية جميلة وغاية في الدقة والروعة... ولم ينتظر مني الإجابة.... وإنما استطرد قائلاً إن الأمة الإسلامية أمة ذات حضارة وعطاء حتى إن العلماء أدخلوا بعض الفنون الأخرى إلى المخطوطة كفن الإيبرو... وهو باختصار فن جميل رافق فن الخط العربي عبر فترة تاريخية طويلة فأضفى عليها حلة جمالية... ويمكن تعريف هذا الفن بشكل مبسط بأنه مداد ملون على شكل سائل واستغلال استقرارها على سطح هذا السائل على شكل بقع لونية وذلك بتحويلها إلى هيئات وأشكال يمكن نقلها وطباعتها على الورق بالتماس المباشر.

ويقال إن هذا الفن «الأيبرو» ظهر في اليابان وهناك من يقول إنه ظهر في تركستان «آسيا الوسطى» وانتقل إلى إيران ثم تركيا... حتى إن فرنسيس بيكون الفيلسوف يقول عنه: «لدى المسلمين الأتراك فن جميل لمزج الألوان لا نملك أن نقوم بمثله، رأيتهم يأخذون الألوان الزيتية ويضعون تشكيله منها على شكل قطرات تطفو على سطح الماء ويحركون الماء قليلاً لإحداث تداخلات لونية متماوجة وبها تعاريج رخامية وأحياناً تبدو كجلد الحرباء».

سر مرارة الثور:

ووقفت مدهوشاً أسمع شرحاً لكيفية هذا الفن الجميل حيث إن هناك وعاء مستطيل الشكل من الألمنيوم أملس الجوانب... حيث توضع بداخله مادة الكثيراء المستخرجة من نبات عشبي لتخلط بالماء المقطر وتسكب في الحوض... ثم يُؤتي بفرشاة مصنوعة من شعر ذيل الحصان... وتخصص كل فرشاة للون معين وبعد خلط الألوان الطبيعية وتشكيلها يضاف لكل زجاجة من الألوان قطرات من سائل مرارة الثور والتي فيها يكمن سرُّ فن الإيبرو... حيث إن سائل مرارة الثور يعمل على: تحقيق الاتساع المطلوب لنقطة اللون على سطح السائل.وضمان استمرار اللون عند سحبه باستخدام الإبرة. ومنع امتزاج الألوان مع بعضها بعضاً على سطح السائل. وتثبيت الأصباغ على الورق.

ويُبدأ بعد ذلك وبطريقة فنية عملية رش اللون المطلوب ويتكرر ذلك مع الألوان الأخرى المرغوب رشها لكل تصميم، وبعد تمام تشكيل التصميم المطلوب من خلال الإبرة المخصصة لتحريك الألوان يتم وضع الورقة فوق سطح الوعاء ولمدة عشر ثواني تقريباً بغية امتصاصها للتشكيل المعمول ثم يتم سحبها إلى الخارج لتكون بين يديك لوحة فنية رائعة.

جهاز التعقيم الآلي «الماجد»:

وتبقى العقلية العربية الإسلامية في محيط العطاء مستمرة ويبقى الإبداع عالياً... ذلك أن هذه المخطوطة وذلك التراث يحتاجان إلى حفظ ورعاية حيث تسابقت الأمم على تسخير الآلة لخدمة وحفظ هذا التراث إلى أن أنتجت ألمانيا جهازاً آلياً لترميم المخطوطات... ولكنه للأسف لم يستخدم في البلدان العربية وذلك لغلاء ثمنه «٨٠ ألف دولار» وغلاء ثمن الألياف السيللوزية المستخدمة فيه «٣٠٠ دولار للكيلو الواحد» أضف إلى ذلك تعقيد الجهاز وتكلفة صيانته الدورية الباهظة وقلة الخبراء العاملين عليه... من أجل ذلك تعذر انتشاره في البلاد العربية... ولكن العقلية العربية أبت إلا أن تبقى متقدة واستطاع الشاب العربي السوري بسام داغستاني الخبير بمركز جمعة الماجد في دبي تصنيع جهاز مشابه للجهاز الألماني أعطى النتيجة نفسها بالنسبة للترميم ولكن بتكلفة قليلة جداً وبمواد متوافرة ورخيصة مستخلصة من نبات القنب «الخيش» وسعف النخيل... وقد نال الجهاز شهادة الجودة من مؤسستين عالميتين هما الايسيسكو واليونسكو... وحصلت مادة الفيبر المستقاة من سعف النخيل والقنب على شهادة جودة من الخبير الفرنسي بباريس.

والحقيقة أن طريقة عمل جهاز الترميم الآلي «الماجد» عملية بسيطة تبدأ بملء الخزان الرئيس بالماء عبر صمام الإدخال حتى مستوى العلامة المحددة على أنبوب القياس ثم يبدأ في ضخ الماء إلى الداخل بعد أن توضع المواد المراد ترميمها على الشبكة وبعد التأكد من خلوها من الفقاعات الهوائية ليتم بعد ذلك إنزال الغطاء الشبكي على المواد السابقة ثم يضخ الماء بالدرجة المطلوبة وتسكب الألياف السيللوزية المستخلصة من القنب ويتم تحريكها باليد ليتم التجانس، وبعدها يفتح صمام الضغط السالب ويرفع الغطاء الشبكي وبهدوء ثم يفرغ الماء وفي المستوى العلوي لتخرج لك المخطوطة بعد ذلك وقد تم ترميمها وبصورة دقيقة وسلسلة.

علم وعمل وبذل وأمل:

وظلت الجولة مستمرة في إدارة المخطوطات والمكتبات الإسلامية التابعة لقطاع الإفتاء في وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية لترسم لنا جميعاً ما خلفه الأجداد من ذلك التراث الخالد وذلك الموروث الإنساني الذي يحكي وبصمت حياة هذه الأمة... وحينما تلتقط إحدى تلك المخطوطات وتطلع على ما فيها من علم وعلى الجهد الذي بذله المؤلف في جمع مادتها العلمية ومن ثم تدوينها بيده تقف مبهوراً أمام تلك الروح العالية في الإخلاص للعلم وفي الصبر عليه وفي الحلم والتأني في تدوينه، بل تقف مبهوراً أمام تصميمه على تجميل خطه ورسمه لتبقى تلك المخطوطة إضافة إلى علمها جميلة في مظهرها... وصدق من قال: الخط لسان اليد، والقلم أحد اللسانين، والعلم شجر والخط ثمر. ■

بقلم : إدريس الكنبوري

بعد عشر سنوات عليها :

أطروحة نهاية التاريخ والمركزية الحضارية الغربية

كانت نهاية عقد الثمانينات وبداية التسعينات مرحلة تميزت في التاريخ العالمي الحديث بسرعة التحولات الدولية وتسارع الحركة على المستوى الدولي، ففي دول المنظومة الشيوعية أو ما كان يطلق عليه المعسكر الشرقي، كانت الأنظمة الشيوعية الحاكمة تنهار تباعاً تحت معول الثورة الجديدة التي فتحتها البيريسترويكا والغناسنوست، وأخذت الأقليات العرقية والدينية تخرج إلى العلن معبّرة عن مطالبها في التحرر والاستقلال الذاتي عن الإمبراطورية السوفييتية أو المظلة اليوغسلافية، وتقرير مصيرها والعودة إلى تاريخها وتقاليدها المحلية التي طمستها الأيديولوجية الماركسية بقوة الحديد والنار، وشكل هدم جدار برلين وتوحيد الألمانيتين الشرقية والغربية اللتين كان تقسيمهما بعد الحرب العالمية الثانية رمزاً لانقسام العالم إلى قطبين متقابلين اشتراكي ورأسمالي نهاية لظاهرة الثنائية القطبية وبداية الزحف الشرقي نحو الجناح الغربي سياسياً واقتصادياً وأيديولوجياً، وبدا للوهلة الأولى أن التحولات العميقة التي شهدتها دول المعسكر الشيوعي لم تكن بحثاً عن طريق جديد أو مسالك مغايرة للاشتراكية السابقة والرأسمالية المتوحشة بقدر ما كانت تلك التحولات تعبيراً عن الرغبة في اللحاق بالنمط الاقتصادي والخيار الأيديولوجي للرأسمالية الغربية والأميركية التي كان نموذجها يغري الشعوب في تلك الدول، حيث تكميم الأفواه والتخطيط الذي لم يقتصر على المجال الاقتصادي، بل تحول إلى عملية تعليب أو برمجة جاهزة للإنسان ولحريته.

وهكذا بات الغرب الرأسمالي مزهواً أمام هذه التحولات في المعسكر المقابل الذي طالما قاسمه العداء، وظهرت نهاية الحرب الباردة كعلامة انتصار كبرى للنموذج الاقتصادي الغربي، ما شكل سبباً في انبعاث النزعات الأوروبية والغربية القديمة المتمثلة بالخصوص في مركزية الغرب الحضارية وأهليته على قيادة العالم غير الغربي، ولأن الولايات المتحدة الأميركية هي الدولة الكبرى التي تقف على رأس هرم الرأسمالية الغربية وتتزعم قيادة النظام العالمي الجديد الذي كان قد بدأ التبشير به منذ بداية هذا العقد، وكان من الطبيعي أن تعتبر نهاية الحرب الباردة وغياب الاتحاد السوفييتي تأكيداً نهائياً لغلبتها وانتصارها واحتلالها مركز القوة الوحيد في العالم.

وفي هذا الإطار التاريخي الجديد المتولد كان لابد أن تظهر أطروحة أيديولوجية تسند فرضية الهيمنة الغربية عموماً والأميركية على وجه الخصوص، فظهرت مقولة «نهاية التاريخ» لفرانسيس فوكوياما الياباني الأصل والأميركي الجنسية، وبالتأكيد فإن فوكوياما حاول ترجمة الإحساس الأميركي والأوروبي بالنصر التي كانت حاجة لابد منها في ذلك المشهد العالمي الجديد قيد التشكل، بحيث إن الغرب كان سيبحث عمن يحرك هذه المقولة أو شبيهاً بها لتسويغ هيمنته حتى وإن لم يكن هو فوكوياما نفسه، ففي كل محطة من محطاته، كان الغرب يبحث عن ما يؤسس شرعيته عالمياً، ويدعم سياساته الدولية ذات الطابع التوسعي ويبرر أدواره وأهدافه العالمية التي تتجاوز حدوده القومية، إذ في العهد الاستعماري وجدنا الغرب

ينتج نظريات حضارية وثقافية تقدم مفاهيم محددة للتقدم والتخلف لتبرير حملاته الاستعمارية، ونشأت في النصف الأول من هذا القرن نظريات استشراقية تحاول رد التقدم والتخلف إلى أسباب عرقية أو دينية أو جغرافية ومناخية تضع الشعوب المتخلفة بباقي مناطق العالم في مربع التخلف وتعطي للغرب ذريعة القيام بدور «إنساني» في نقلها إلى صف الحضارة، وتأهيلها للتقدم، وهكذا أصبحت النظريات والمفاهيم الثقافية والفكرية الأوروبية والأميركية عرضة للتغير والتبدل مع كل محطة من محطات الحضارة الغربية الحديثة، بحيث إن النظريات تتبع الأحداث وليس العكس، حتى أصبح خلق النظريات الفكرية «موضة» غربية تتغير باستمرار كما تتغير الأزياء، ويكفي أن نشير إلى تسارع ظهور بعض هذه المقولات والنظريات في هذا العقد وحده، منذ أطروحة النظام الدولي الجديد مروراً بنهاية التاريخ وصراع الحضارات وصولاً إلى الطريق الثالث الذي ظهر أخيراً.

وأطروحة «نهاية التاريخ» لفوكوياما هي بالدرجة الأولى مقولة أيديولوجية أكثر مما هي أطروحة علمية لها ما يؤكدها في الواقع التاريخي للدول والشعوب، سواء في المراحل التي سبقت ظهورها أو في تلك التي أفرزتها التطورات بعد ظهورها والفكرة المركزية لهذه المقولة هي أن التاريخ الإنساني قد حقق نضوجه واكتماله مع الدولة الرأسمالية المعاصرة، وأن ما شهده التاريخ البشري السابق لم يكن سوى تمهيد لهذا الانتصار الذي يعتبر نهاية للتاريخ وبروزاً لإنسان جديد هو الإنسان الأخير الذي حقق الاعتراف الكامل به كإنسان حرّ في مجتمع ليبرالي ديموقراطي، كما حقق كل رغباته وحاجاته في نظام رأسمالي أساسه الاستهلاك والوفرة الاقتصادية، فنهاية التاريخ هي بهذا الاعتبار إعلان بانتصار الليبرالية الاقتصادية «الرخاء» والليبرالية السياسية «الحرية» معاً.

غير أن هذه المقولة، على الرغم من الجلبة الإعلامية التي رافقتها ولحقتها إلى اليوم، لم تكن من النجاعة والسلامة المنطقية التي ترسخ بقاءها كمقولة علمية لها أسانيد، لكن ذلك، في المقابل، يؤكد ما ذهبنا إليه من أنها واحدة من القوالب المفاهيمية الجاهزة التي تهدف إلى تسويق أهداف محددة أكثر مما تسعى إلى التعبير عن حقيقة قائمة.

لقد أغفل فوكوياما عند صياغة أطروحته تلك، نماذج عدة، وحالات تعاكس منطقها وتفنده، وأول هذه النماذج هو النموذج الياباني الذي كثيراً ما تمت الإحالة إليه من طرف مفكرين غربيين أنفسهم من طينة فوكوياما كنموذج حضاري متميز عن النموذج الغربي في تحقيق التنمية الاقتصادية ومجتمع الرفاه والوفرة بعيداً عن الأنماط الغربية والأوروبية، ومن داخل المنظومة الثقافية والدينية الآسيوية لليابانيين التي تختلف نظرتها إلى قيم السوق والعمل، وإلى الإنسان نفسه، عن نظرة الغرب، كما أن النجاح الاقتصادي للنمور الآسيوية هو الآخر يؤكد فشل تلك المقولة، وإذا كانت أطروحة فوكوياما تستمد مشروعيتها من زعم الارتباط بين الديموقراطية السياسية والوفرة الاقتصادية الذي تمثله في نظره الدولة الرأسمالية الغربية، فإن النماذج الآسيوية تؤكد بوضوح أن الوفرة الاقتصادية يمكن أن تتحقق حتى في المجتمعات ذات الأنظمة الشمولية، وحالات اليابان والدول الآسيوية المذكورة خير دليل على ذلك.

لكن دفاع فوكوياما عن الحضارة الرأسمالية الغربية واعتبارها نهاية التجارب البشرية وأرقى ما وصلته الإنسانية في تاريخها يصطدم بواقع الدول الرأسمالية نفسها، وعلى رأسها الولايات المتحدة الأميركية قمة هذا الهرم الرأسمالي، فتصوير العالم الغربي على أنه الفردوس الأرضي أو الجنة الاقتصادية ومهد الرخاء والوفرة والحرية يجانب الحقيقة ويجنح إلى أقصى حدود الخيال، ذلك أن انتشار الظواهر الاجتماعية التي تهدد كيان الغرب ووجوده، وذيوع الإجرام والاغتصاب والمخدرات وبروز مرض السيدا الفتاك «الإيدز»، والتفكك الأسري، كل هذه الظواهر وغيرها تثبت اهتراء مقولة فوكوياما وسقوطها، كما أن المجتمعات الغربية والأميركية خصوصاً مازالت تعشش فيها الصراعات الإثنية والعرقية والطائفية، وتبين لنا قضية «مونيكالوينسكي» التي تهدد بإطاحة الرئيس الأميركي بيل كلينتون أن السلطة نفسها في الولايات المتحدة لم تعد بمنجى من التسيب الخلقي والانفلات القيمي الذي يسود في المجتمع الأميركي، وأن ظواهر الشارع وانحرافاته بدأت تتسرب إلى دواليب السلطة ودوائر الحكم، بمعنى آخر أن من يمثلون المواطنين الأميركيين ويقدمون المثال والقدوة في المواطنة والأخلاق سقطوا هم الآخرين في الحمأة.

إذن لا يمكن النظر إلى أطروحة فوكوياما حول نهاية التاريخ إلا باعتبارها أطروحة أيديويلجية هدفها تمجيد المركزية الحضارية الغربية والذاتية الأوروبية ووسيلة لتسويق النموذج الغربي على نطاق واسع، ويعتبر ظهور مفهوم «الطريق الثالث» أخيراً من وحي المزاوجة بين قيم السوق والضوابط الاجتماعية، كما كتب ذلك رئيس الوزراء البريطاني توني بلير في مقال ترجم إلى كل اللغات ونشر على نطاق واسع، يؤكد أن الغرب لم يستقر بعد على نموذج بعينه، وأنه في طور البحث عن آليات جديدة لضبط التحولات الداخلية فيه واستباق الانفجارات التي تهدده. ■

حـوار

أجرى الحوار: تمام أحمد

رئيس مركز الأناضول الإسلامي في كندا الاستاذ بن علي بلوط لمجلة الوعي الإسلامي:

الجاليـة الإسلاميـة فـي كنـدا بحاجة إلى معهد إسلامي متكامل



● الاستـاذ بن علـي بلـوط

خلال زيارته الأخيرة للكويت التقت مجلة الوعي الإسلامي الأستاذ بن علي بلوط رئيس مركز الأناضول الإسلامي في مقاطعة أونتاريو الواقعة في الجزء الجنوبي من كندا حيث سلط الأضواء على أوضاع الجالية الإسلامية هناك واحتياجاتها والدور الذي يؤديه المركز من أجل الحفاظ على هوية المسلمين العقدية والفكرية والثقافية.

● في البداية نود أن تقدموا للإخوة القراء نبذة مختصرة عن الوضع العام في كندا.

ـ كندا من حيث الموقع: تقع في الجزء الشمالي من قارة أمريكا الشمالية ومساحتها عشرة ملايين كيلو متر مربع، يعيش فيها ما يقارب ثلاثين مليوناً، واللغة الرسمية فيها هي الإنجليزية والفرنسية، ويعيش غالبية السكان في الجزء الجنوبي من البلاد، وخاصة في مقاطعة أونتاريو التي يبلغ عدد سكانها حوالي عشرة ملايين نسمة، ويعيش في مدينة تورنتو لوحدها ما يقارب ثلاثة ملايين ونصف نسمة ويصل عدد المسلمين المقيمين في مدينة تورنتو حوالي ٣٥٠ ألف نسمة، أيضاً مقاطعة الكيبك حيث يعيش فيها ما يقارب سبعة ملايين نسمة منهم حوالي ١٠٠ ألف مسلم.

تعتبر مدينة تورنتو هي العاصمة التجارية لكندا، حيث تتركز فيها معظم المصانع والشركات والتجارة الخارجية.

وحتى عهد قريب، لم يكن للجالية المسلمة على الرغم من كثرة أفرادها تجمع واحد يسدد مسيرتهم ويؤمن لهم الخدمات، ويمثلهم لدى الحكومة الكندية.

● وماذا عن الوضع الاجتماعي للمسلمين في كندا؟

ـ يتشكل غالبية أفراد الجالية المسلمة من عائلات كثيرة العدد وتتميز بقلة الدخل عادة، يشتغل بعضهم في مصانع أو شركات

> **منهجنا إيصال العقيدة الصحيحة للناس وتصحيح الأخطاء والانحرافات التي وقع فيها كثير من المسلمين في ديار الهجرة**

يمتلكها غيرهم، وقد اشترى المسلمون عدة مراكز إسلامية وأماكن للعبادة صغيرة وكبيرة الحجم تجمع حولها أفراد الجالية مما ساعد أيضاً على إنشاء بعض المصالح التجارية التي تقوم على خدمة المسلمين، وعلى الرغم من هذا الأمر الطيب، إلا أنه لا يساعد كثيراً على حل مشكلات الجالية المسلمة التي ذكرتها.

وهناك بشائر لتحسين وضع الجالية المسلمة من نواحي عدة وهي أن الأجيال المسلمة الناشئة التي درست في الجامعات والمعاهد المختلفة والتي زودت بمختلف أنواع العلوم سوف يتهيأ لها فرصة العمل والمشاركة في الحياة السياسية والاقتصادية وغيرها أكثر مما تهيأ للأجيال الأولى وهذا يبشر بخير إن شاء الله.

● باعتقادكم ما أبرز المصاعب والاحتياجات الضرورية للجالية المسلمة في كندا؟



- يواجه المسلمون في كندا أربع صعوبات أساسية:

أولاً: أماكن للعبادة.

ثانياً: الحاجيات التعليمية والتربوية، فعلى الرغم من أن القانون الكندي يمنح حرية العبادة لجميع أفراد المجتمع، وكذلك إنشاء مدارس لأفراد الجاليات المختلفة، إلا أن الجالية المسلمة تعاني من قلة الموارد المالية للقيام بإنشاء مدارس توفر التربية الإسلامية لأفرادها.

ثالثاً: الحاجة إلى سوق مركزي إسلامي يتوافر فيه حاجيات الأسرة المسلمة اليومية من اللحوم وغيرها من المواد الغذائية.

رابعاً الحاجة إلى وجود أماكن ترفيهية يجتمع فيها أفراد الجالية المسلمة والشباب المسلم ويقضون فيها أوقاتهم، ويتعلمون ما ينفعهم من أمر دينهم وثقافتهم.

من هذا المنطلق قمنا بشراء المبنى الذي يضم مركز الأناضول الإسلامي مع محتوياته، وقد بدأنا بجمع التبرعات من الجالية المسلمة، والحمد لله رب العالمين فقد تم تجميع حوالي ربع قيمة المبنى.

● وما الخدمات التي يقدمها المركز؟

- يقدم المركز أربع خدمات رئيسة هي:

١ - الخدمات العلمية: وهي إقامة الصلوات الخمس اليومية، وصلاة الجمعة وصلاة الجنازة وكذلك صلاة العيدين ومحاضرات أسبوعية في أيام الجمعة والسبت والأحد، وتعليم القرآن الكريم للأولاد والناشئة، وتقديم محاضرات في مختلف العلوم الإسلامية الأخرى، كذلك إقامة المؤتمرات الإسلامية ودعوة واستضافة علماء وأساتذة من العالم الإسلامي لعمل المحاضرات والدورات في مختلف العلوم الشرعية.

٢ - الخدمات الاجتماعية والثقافية: دورات في التعليم المهني، وكذلك دورات في تعليم اللغات العربية والإنجليزية والتركية، وكذلك إقامة الحفلات الإسلامية في الأعياد والأعراس، كذلك عمل دورات في الكمبيوتر، إضافة إلى الرحلات الجماعية ومعارض للأعمال اليدوية، وخدمات للترجمة القانونية للقادمين الجدد والأمور المتعلقة بدائرة الهجرة، إضافة إلى النشاطات الرياضية المختلفة.

٣ - الخدمات التعليمية: روضة للأطفال من سن الثالثة إلى السادسة، الإعداد لإنشاء مدرسة بدوام كامل تضم الصفوف الابتدائية والإعدادية والثانوية، عمل مخيمات علمية تعليمية للبنين والبنات، عرض أشرطة فيديو لبعض المحاضرات العلمية.

٤ - الخدمات الاقتصادية: دورات تعليمية اقتصادية، دورات لتعليم المحاسبة والسياقة، إقامة سوق إسلامي يحتوي على المواد الغذائية واللحوم الحلال، مع ثلاجات لحفظ اللحوم الحلال.

● منهجكم في التعليم مم تستمدونه؟

- منهجنا هو منهج الإسلام الواضح، نتبع في ذلك كتاب الله تعالى وسنة النبي ﷺ، وسلفنا الصالح الذين كانوا في إسبانيا وفي البلقان وفي آسيا الوسطى وفي بلاد كثيرة أخرى، نبغي من ذلك إيصال العقيدة الصحيحة للناس وتصحيح الأخطاء والانحرافات التي وقع فيها كثير من المسلمين في ديار الهجرة والغربة.

● سمعنا أن التعليم في كندا مجاني لجميع الناس بغض



النظر عن معتقداتهم وانتماءاتهم فما تعليقكم على ذلك؟

ـ هذا الكلام صحيح، وأود أن أوضح أكثر من ذلك بأن التعليم في كندا يتم من خلال ثلاث أنواع من المدارس:

١ ـ المدارس الحكومية. المدارس الحكومية تعطي فرصة التعليم المجاني لمواطنيها جميعاً، وفي هذه المدارس يتمكن جميع الأجانب الحاصلين على إقامة من التعليم في هذه المدارس من دون مقابل، ولكن في هذه المدارس المستوى التعليمي رديء بالإضافة إلى ذلك، فإن المناهج التعليمية تعطي الديانة المسيحية أهمية خاصة وتدرس بشكل كثيف.

٢ ـ المدارس المسيحية الكاثوليكية. هذه المدارس تابعة للكنيسة الكاثوليكية ومدعومة بالكامل من الحكومة والدولة، والمستوى التعليمي فيها عالٍ وجيد.

٣ ـ المدارس الأهلية «الخاصة». هذه المدارس مؤسسة من قِبَل المؤسسات الخيرية الخاصة «الإسلامية ـ المسيحية» أو الأشخاص الميسورين وهذه المدارس لا تحظى بأي دعم مادي من الدولة.

والحكومة الكندية وضعت شروطاً عدة لإنشاء المدارس الخاصة:

أ ـ مبنى مناسب.

ب ـ عدد كافٍ من الطلاب.

ج ـ رأسمال كافٍ لإدارة المدرسة ويشمل رواتب الموظفين لمدة عام في حالة توافر الشروط السابقة، فالحكومة لا تمانع في فتح مدارس أهلية للتعليم الإسلامي في كندا.

● لماذا إذن لا يفتح المسلمون مدارس أهلية خاصة بهم؟

ـ كما ذكرت سابقاً التعليم الإسلامي في كندا يمكن أن يتحقق عن طريق الجمعيات الخيرية الإسلامية أو الأشخاص الأغنياء، وعلى الرغم من تقديم الحكومة تسهيلات لفتح المدارس، إلا أنها لا تقدم أي إعانات مادية إليها. لذلك، فإن فتح مدارس من هذا النوع يتم عن طريق التعاون بين الإخوة المسلمين في دفع القادرين إلى البذل في مجال الخير.

المسلمون في كندا عبارة عن عمال وأصحاب دخول منخفضة لذلك لا يمكنهم فتح مدارس من هذا النوع، ويضطر كثير من أبناء المسلمين إلى الذهاب إلى المدارس الحكومية المسيحية بسبب قلة المدارس



الأجيال المسلمة الناشئة التي درست في الجامعات سوف يتهيأ لها فرصة العمل والمشاركة في الحياة السياسية والاقتصادية



الإسلامية وعدم كفايتها من الناحية التعليمية الإسلامية، وبذلك يفقد أبناء المسلمين الهوية الإسلامية الأصلية، وأن المدارس الحكومية والكاثوليكية تهدف إلى إبعاد أبناء المسلمين عن دينهم الإسلامي وثقافته والتشجيع على الديانة الكاثوليكية.

وعلى الرغم من شعور المسلمين بهذه الحملة ونظراً لإمكاناتهم المادية الضيقة، فهم يقفون عاجزين عن العمل في فتح مدارس خاصة بهم، ومما يزيد الحاجة إلى التعليم الإسلامي، أنه يعيش في مدينة تورنتو أكثر من ٣٥٠ ألف مسلم، ولهؤلاء المسلمين أكثر من ٣٠ ألف ابن وابنة في حاجة إلى التعليم الابتدائي والمتوسط. ومن هؤلاء المحتاجين إلى التعليم يواصل فقط ٧٥٠ طالباً وطالبة تعلمهم في المدارس الأهلية الإسلامية منهم ٣٠٠ طالب وطالبة يواصلون تعليمهم في مدرسة (ISNA) الخاصة فيما ينتظر أكثر من ٦٠٠٠ طالب دورهم للحصول على التعليم في الوقت الحاضر للأسباب التي ذكرتها، وهكذا يظهر لنا مدى احتياج الجالية الإسلامية في كندا إلى معهد إسلامي متكامل.

● يوحي اسم مركزكم «الأناضول» بأنه خاص بالمسلمين الأتراك فما تعليقكم؟

ـ نحن في المركز نسعى لخدمة المسلمين جميعاً في تلك البلاد بغض النظر عن جنسياتهم وأعراقهم والخدمات التي يقدمها المركز مفتوحة أمام الجميع، وقد تأسس هذا المركز عام ١٩٩٠م وبدأ بمبنى صغير مساحته ٤٠م٢، وفي عام ١٩٩٤م، انتقل المركز إلى مبنى مساحته ٥٠٠م٢، ويتسع إلى ١٠٠ مصل، وفي عام ١٩٩٨م تم شراء مبنى كبير تقدر مساحته بـ١١ ألف م٢، ومساحة البناء ٣٠٠٠م٢، وهذا يتسع لعدد كبير من المصلين مما يجعله من أكبر مساجد تورنتو وهو مركز متكامل لجميع الأنشطة العامة، ولازال هذا المركز عليه دين حوالي مليون دولار من جراء تكاليف التجهيز والإعداد، ونأمل من الإخوة المحسنين دعمنا حتى نتمكن من أداء المهام الكبيرة الملقاة على عاتقنا والله لا يضيع أجر المحسنين.

عنوان المركز:

5280 Maingate Dr., Miss., Ontario,
L4W 1G5 CANADA,
Tel. : (905) 62 94 764 / 62 90 477
62 90 577
Fax : (905) 62 94256

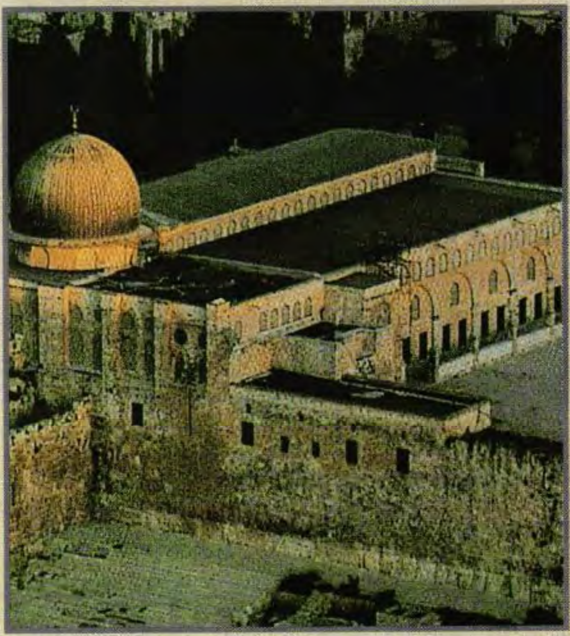
شعر

شعر : د. رفيق حسن الحليمي *

في ذكرى حريق المسجد الأقصى

إنِّي ذَكَـرْتُ مَـعَ الأيام " مَحْرَقَـةً "
دَوَّتْ لهـا فـي رُبُـوع الكَـوْنِ أَصْـداءُ
ضَجَّتْ لها الأرْضُ باديْها وحاضرُها
واسْتَنْكَرَ الغَـدْرَ إخْـوانٌ أَشِـقَّـاءُ
الـدِّيْـنُ يَجْمَعُهـم في كُلِّ ناحيـةٍ
والقُـدْسُ قـدْسٌ لهمْ ، والجَمْعُ أَكْفاءُ
لكـنَّ ضَعْفـاً عَـرَى قَوْمي بلا عِلَـلٍ
فالـرُّوحُ فـي وَهَـنٍ والْجِسْـمُ أَشْـلاءُ
" أيْدي سبا " ، مثلاً ، قَدْ صارَ حَالُهُمُ
فـانْظُـرْ لواقعِـنا تَـأْتِيْـكَ أَنْبـاءُ
قدْ خابَ طِبُّ العِدَى في وَصْفِ عِلَّتِنا
وليْـسَ في الطِّبِّ ما يأْتِيْـهِ أَعْـداءُ
كـلٌّ يغَنِّـي على " ليْلاهُ " مُنْفَـرِداً
عَـزْفاً على " النَّاي " ، إِذْ مَسَّتْه سَرَّاءُ
أَينَ العُرُوبةُ تَسْـري فـي عُرُوقِهـمُ
وأَيْـنَ مِنَّـا مَـغَـاوِيْـرٌ أَشِـدَّاءُ
يـا قُـدْسُ صَبراً علـى ذُلٍّ على مِقَـةٍ
لـنْ يَنْسَـى أَسْـرَكِ أَحْيَـاءُ أَصِحَّـاءُ

يـا غادراً في ظَـلام الليلِ جئْتَ لنا
مِنْ كُـلِّ صَـوْبٍ أَتَتْنـا مِنْـكَ ضَـرّاءُ
حَسِبْتَ أنَّ عُهُـوْدَ الغابِ قَدْ رَجَعَتْ
فَجُسْـتَ فيهـا دِيَاراً ، مِثْلَما شَـاءُوا
تُحَرِّقُ المَسْجِدَ الأقْصَـى ؛ فهلْ عِظَـةٌ
أَتَتْـكَ يومـاً بأنَّ القُـدْسَ رَمْضَـاءُ ؟
سَلِ الزَّمانَ وسَلْ ما شِئْتَ من أُمَمٍ :
كـمْ كـانَ فيهـا صَنَـادِيْـدٌ أَعِـزَّاءُ ؟
سَـتَصْطَلي نارَهمْ يومـاً " بمحْرَقَـةٍ "
تَبَّـتْ يداك ، وتَبَّـتْ مِنْـكَ غَـوْغَـاءُ



ذِكْـرى تَمُـرُّ علـى الذِكْـرى مُجَـدَّدَةً
مـا حِيْلَـةٌ لمـريْـضٍ كـلُّـه داءُ
يَمْضـي الزَّمـانُ وذِكْـراهـا تُؤَرِّقُنـا
لا القَـوْلُ فِعْـلٌ ، ولا الآذانُ إصْـغـاءُ
ما زالَ صَوْتُ لهيبِ النَّارِ في أُذْنِـي
والـصَّدْرُ فيهِ جِراحـاتٌ ، وأَشْـيـاءُ
إنـّي ذَكَرْتُ ، وهـلْ أنْسَـى إذا فَنِيَـتْ
مَـعَ الحَـوادثِ أجْسَـامٌ وأَعْـضـاءُ ؟
نـوَرِّثُ الثـأْرَ لـلأجيـالِ قـادِمَـةً
فـالثَّـأْرُ بَـاقٍ ، وهلْ يَنْسـاهُ أَبْنـاءُ ؟
مهمـا تَشَـتَّتَ فـي الآفـاقِ جَمْعُهُمُ
فـالعَهْـدُ دَيْنٌ ، ولَـنْ يَنْسـاهُ أَحْـيـاءُ

* مدرس بجامعة غزة الإسلامية، جامعة الكويت - كان

بقلم : د. ماجد أحمد المومني



معجزة الإسراء والمعراج خالدة إلى يوم الدين

يُقصد بالإسراء الرحلة الربانية والمعجزة التي كرَّم الله بها نبيه محمداً عليه صلوات الله وسلامه والتي بدأت من المسجد الحرام بمكة المكرمة إلى المسجد الأقصى بالقدس الشريف.

ويُقصد بالمعراج، ما عقب هذه الرحلة الربانية في ارتفاع في طباق السموات حتى الوصول إلى مستوى تنقطع عنده علوم الخلائق، ولا يعرف كنهه أحد، وتعجز الفضائيات، وتتوقف الشبكات العنكبوتية «الإنترنت» عن البث ويتجمد المبهورون بالعولمة والتقنية والمعلوماتية أمام عظمة الخالق، ليدركوا أنه مهما تقدم العلم سيبقى ما يناله العلماء بهذا التقدم سديماً في فضاء الكون الذي لا يعلم مداه إلا الله مصداقاً لقوله تعالى: (... وما أوتيتم من العلم إلا قليلا) الإسراء:٨٥.

ولكي نتخيل علمه تعالى ضرب لنا مثلاً في قرآنه الكريم يصور لنا مدى اتساع علمه تعالى بقوله: (... قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مدداً) الكهف:١٠٩.

ثم الأوبة بعد ذلك إلى المسجد الحرام بمكة. وقد أشار القرآن الكريم إلى كلتا الرحلتين. ذهاباً وإياباً. في سورتين عظيمتين هما:

. سورة الإسراء والمعراج.

. سورة النجم.

وتنظيماً للبحث تم تبويبه إلى العناوين التالية:

. حكمة الإسراء والمعراج.

. الآيات الكبرى في سورة الإسراء.

. الآيات الكبرى في سورة النجم.

. خلود هذه الآيات بما نعيشه الآن وفي كل آن.

وان الإنسان ليقف مشدوهاً عندما يعلم أن الذرة تمثل في داخلها نظام المجموعة الشمسية الدوارة في الفلك، ومع أنها لا تُرى بالعين المجردة، تكمن فيها حرارة هائلة عندما فجرها الإنسان أحرقت الأخضر واليابس.

وحينما يعلم أن هذه المجموعة الشمسية ما هي إلا هباءة تافهة في خضم مجرة التبان العملاقة، ويزداد انبهاراً حينما يعلم أن مجرة التبان تحوي ملايين النجوم وأنها واحدة من بين ملايين المجرات التي تدور في أفلاك هذا الكون الواسع، وكلما تقدم العلم كلما انبهر بما يكشفه من مدى اتساع هذا الكون والذي لا يعلم مداه إلا الله.

ومثل هذا الانبهار هو فقط في حدود السماء الدنيا... فكيف إذا علمنا أن رحلة الإسراء والمعراج تخطت السماء الدنيا إلى السموات السبع بل إنها وصلت إلى سدرة المنتهى التي عندها جنة المأوى والتي لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر ببال بشر، كما وصف الرسول الكريم.

بل إن الله قد تجلى بنوره لحبيبه محمد عليه الصلاة السلام فكان منه قاب قوسين أو أدنى ـ كما أخبرنا الله في سورة النجم.

وإذا علمنا أن بعض النجوم لم يصلنا ضوؤها منذ خَلْقِها وحتى الآن إلا بعدما كشفته سفن الفضاء.. بل إن بعض هذه النجوم هي من بعدها لا يصلنا ضوؤها حتى قيام الساعة... مع أن سرعة الضوء تسعين ألف ميل في الثانية أو ١٨٦ ألف كيلو متر في الثانية وعمر أقل النجوم حجماً يقدره العلماء بملايين السنين.

فأي سفينة اخترقت هذا الكون الواسع وحملت أول رائد فضاء إلى السموات العلا! إنها معجزة باقية خالدة مادام العقل يبصر، وما دام الكون لم ينتهِ!

أولاً: الآيات الكبرى في سورة الإسراء:

أ ـ القدس والأقصى في صميم عقيدة المسلمين وجزءاً من تراثهم الحضاري والفكري والديني.

فالقدس أولى القبلتين، وثالث الحرمين الشريفين، ومسرى النبي محمد ﷺ، ومنها عرج إلى السموات العلا في ذهابه وعودته... مصداقاً لقوله تعالى: (سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير) الإسراء:١.

فبدء الحديث الرباني بهذا الشكل تأكيد للعالمين أن بيت المقدس والمسجد الأقصى هما من صميم عقيدة المسلمين وأنهما مكان طاهر فيه من النفحات والخيرات والبركات ما لو فقهته الأمة الإسلامية في عصرنا لما توانوا عن تحريره لحظة واحدة. فتحرير الأقصى والقدس الشريف واجب مقدس على كل مسلم، بل إن بعض الفقهاء اعتبروه فرض عين على كل مسلم ومسلمة استناداً لقوله ﷺ: «لا تشد الرحال إلا لثلاث... المسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الأقصى» وبعضهم زاد لفظة «الذي بارك الله حوله» وهذا اللفظ يتفق مع الآية الكريمة رقم ١ من سورة الإسراء. أخرجه مسلم والبخاري والإمام أحمد في مسنده والبيهقي... وغيرهم.

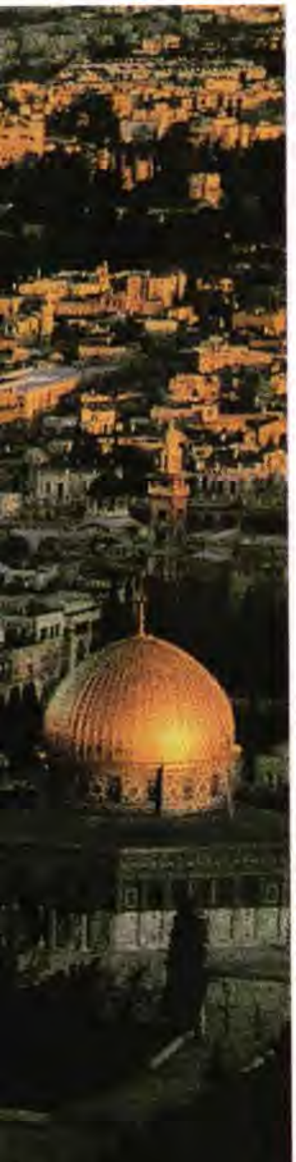
والقدس والأقصى هما أيضاً جزء من التراث الحضاري والفكري لسائر المسلمين، فمنذ أن تسلمها الخليفة عمر بن الخطاب «من سفروينوس» وهما في عُهدة المسلمين مع أماكنها المقدسة عند المسيحيين واليهود... ولم تستطع الحملات الصليبية أن تغيِّر من هذه المعالم شيئاً وبقيت العهدة العمرية ـ كما شاء الله لها أن تكون بأيدي المسلمين... وكما يسَّر الله صلاح الدين لفك أسرها من الصليبيين سييسِّر الله من يفك أسرها من العبرانيين... والصهاينة الغابرين.

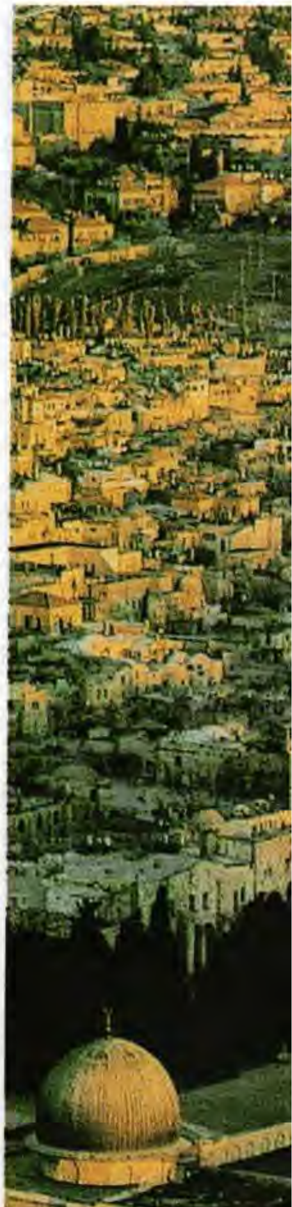
أما من الناحية التاريخية فالقدس عربية منذ خمسة آلاف سنة، وقبل أن يدخلها أنبياء بني إسرائيل بألفي سنة قبل الميلاد، وقد بناها العرب اليبوسيون قبل أن يجيء إليها داود وسليمان ـ عليهما السلام ـ بأكثر من ألفي سنة قبل الميلاد، وأن المدة التي قضاها داود وابنه سليمان لا تتجاوز نصف قرن من الزمان، كما أن اليهود جاؤوا من خارج القدس كغزاة ـ وبمشيئة رب العالمين ـ دونما أن يكون لهم بها صلة ودخلوا منطقة التلال الداخلية، دون أن يسيطروا على الساحل، وقامت بينهم وبين أهل البلاد الأصليين معارك لم تهدأ إلا بإخراجهم من القدس الشريف وسائر أرجاء فلسطين.

ولذا نقول أيعقل أن يقارن الحق التاريخي المزعوم لخمسين سنة من الزمان بالحق التاريخي الناصع البياض للعربي الفلسطيني مدة خمسة آلاف سنة من الزمان... بل إن مكوثهم خمسون عاماً زمن داود وسليمان ما كان إكراماً لهم بقدر ما كان إكراماً لأنبيائهم ـ داود وسليمان وموسى ـ عليهم السلام، امتثالاً لقضاء الله وقدره.. وتصديقاً لقوله تعالى: (وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين ولتعلن علواً كبيراً. فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عباداً لنا أولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعداً مفعولاً. ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيراً. إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها فإذا جاء وعد الآخرة ليسؤوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيراً) الإسراء: ٤ـ٧.

إنها حقائق ربانية تشير وبكل وضوح ـ رغم تعدد التفاسير والتأويل ـ إلى ما يلي:

ـ الإفساد الأول لليهود وحدث بكفرهم وقتلهم الأنبياء بغير الحق فحلت عليهم اللعنة والطرد من رحمة الله





مصداقاً لقوله تعالى: (لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون. كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون) المائدة: ٧٨ـ٧٩.

ـ حصيلة إفسادهم الأول.. طردهم من رحمة الله.. وسلط الله عليهم من سباهم ودمرهم وشردهم بزعامة «تيطس الروماني».. ونبوخذ نصر الأشوري العراقي.

ـ ثم قضت مشيئة الله أن يعودوا ثانية إلى الديار الفلسطينية وأن يمدهم العالم بالأموال والسلاح والتقنية والكوادر البشرية المدربة فجاؤوا إلى فلسطين مهاجرين من جميع أنحاء العالم مستوطنين إلى حين، ومكنتهم التقنية ودول العالم المتقدمة من أن يكونوا أكثر نفيراً في الحروب بعد أن امتلكوا سائر أنواع أسلحة الدمار الشامل مع تحريم اقتنائها على غيرهم.

ـ وصول اليهود إلى مراكز اتخاذ القرار في دول مجلس الأمن وتحكمهم في الاقتصاد الأميركي والعالمي ساعدهم على هذا التفوق في التسلح والتنقية العسكرية.

ـ ومع هذا التفوق في التقنية والتسلح فمصيرهم معروف في فلسطين وهذا المصير يعرفه رهبانهم وأحبارهم مع كونهم يكتبون خرافاتهم التوراتية بأيديهم.

فالهجرات اليهودية ـ والتي نشطت بعد سقوط الاتحاد السوفييتي ـ وتوطينهم في مستوطنات أقاموها على مصادرة الأراضي واقتلاع سكانها وهدم بيوتهم وتكسير عظام أطفالهم بالبغي والعدوان هي أول علامات زوالهم وهلاكهم.

بل إنني أكاد أجزم بأنهم في الربع الأخير في زمن حياتهم كدولة... قياساً على أن وجودهم في فلسطين مع فترة انقسامهم لم يتعد في التاريخ السبعين عاماً.

ومن الدلائل العقلية على حتمية زوالهم وهلاكهم... مع اقتراب هذا الزوال والهلاك ما يلي:

ـ ظهور الانتفاضة الفلسطينية... وإن كانت اتفاقات أوسلو والخليل وواي ريفر قد أخمدتها... لكنها لم تسطع إطفاءها... وستظهر إلى الوجود مع حتمية نقض اليهود للعهود الاتفاقات الدولية مصداقاً لقوله تعالى: (كلما عاهدوا عهداً نبذه فريق منهم بل أكثرهم لا يؤمنون) البقرة: ١٠٠.

فنقض العهود وعدم الالتزام بالمواثيق الدولية صفة ملازمة لكل يهودي منذ وجودهم وإلى يوم الدين.

ـ ظهور الصحوة الإسلامية في سائر أرجاء بلاد المسلمين، وليس أدل على ظهور هذه الصحوة من تزايد عدد المساجد والإقبال المنقطع النظير على أداء الصلوات والعبادات من الشبان المسلمين... وهم عدة الإسلام وقوته.

ـ ظهور التقنية في بلاد المسلمين مثل باكستان جعل من احتكار هذه التقنية على إسرائيل وحلفائها أمراً مستحيلاً فالنادي الذري يرشح خمسة عشر بلداً لإمكانية اقتنائها منها سبعة بلدان إسلامية.

بل إن تدمير المفاعلات النووية الباكستانية وترسانتها النووية كان مقرراً قبل يوم واحد فقط من استئناف باكستان لترسانتها النووية وصواريخها الموجهة... فالله غالب على أمره، فأحبط محاولة الهند بالتعاون مع إسرائيل... وتم اكتشاف الطائرات الإسرائيلية المحملة بالصواعق الذرية من أجهزة الدفاع الباكستانية... ما حدا باستنفار ترسانتها الذرية والصاروخية فمنعت العدوان الهندي الإسرائيلي.

ـ انكماش التأييد العالمي لإسرائيل وبخاصة دول الاتحاد الأوروبي، ودول آسيا وأفريقيا ولم يبق بجانبها سوى التأييد الأمريكي والبريطاني.

ـ العدوان الإسرائيلي المستمر على جنوب لبنان ومظاهر الظلم والطغيان الذي تمارسه سلطات الاحتلال على الفلسطينيين من هدم البيوت ومصادرة الأراضي وتكسير عظام الأطفال وزجهم في دياجير السجون والاحتلال... كل ذلك أورث قناعة لدى العالم بأن إسرائيل هي دولة الظلم والعدوان... وأنها تمارس التمييز العنصري للفلسطينيين.

ـ صلف إسرائيل بتحدي المجتمع الدولي وعدم تطبيق الشرعية الدولية لقرارات مجلس الأمن... والتنصل من الاتفاقات الدولية في مدريد وأوسلو واتفاقية الخليل ووادي عربة، وواي ريفر، أورث قناعة لدى العالم أن إسرائيل لا تريد السلام... وأنها تريد الأرض والأمن والنفط والاقتصاد بتقنية أميركية وحقد صهيوني لتدمير العالم بهذه التقنية وهذا الحقد.

ـ الانقسام داخل المجتمع الإسرائيلي... فإسرائيل هي الدولة الوحيدة في العالم التي تضم أكثر من سبعين قومية... بأصول ولهجات وألوان وتاريخ وثقافات مختلفة، ومثل هذا التباين ظهر واضحاً في القيادات السياسية... فالأحزاب السياسية مثلت أكثر من ثلاثين تناقضاً في الاعتقاد والاتجاهات والأفكار والخطط والتعامل مع الأحداث... هذا التناقض سيقوِّض دولة الباطل وبتسارع يتناسب مع عدوانها وأطماعها مصداقاً لقوله تعالى: (وألقينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله ويسعون في الأرض فساداً والله لا يحب المفسدين) المائدة: ٦٤.

وفي سنة واحدة أشعلوا الفتن والحروب في سائر أرجاء العالم وبخاصة العالمين العربي والإسلامي... بين إيران وأفغانستان، وتركيا وسوريا، بين أريتريا والحبشة، بين اريتريا واليمن، بين الجزائر والمغرب، بين

مصر والسودان، بين الهند وباكستان، بين كوريا الشمالية والجنوبية... إلخ... يشعلون الحروب ويثيرون الفتن... فيطفئها الله، والله من ورائهم محيط.

ثانياً: حكمة الإسراء والمعراج:

١ - ارتباط مكانة القدس الشريف والمسجد الأقصى من حيث القداسة والتعظيم عند سائر المسلمين بالمرتبة الثالثة بعد الحرم المكي بمكة المكرمة والمسجد النبوي في المدينة المنورة.

وبهذا الارتباط انتقلت هذه القداسة إلى الأبد إلى سائر المسلمين، لصيانتها من رجس اليهود... وجعل هذه الصيانة أمانة في أعناق سائر أمم المسلمين.

وفي هذا الارتباط:

أ - تذكير لسائر المسلمين بما حل بالقدس والأقصى أيام الحملات الصليبية وكيف تم لهم تحريرها.

ب - تحرير القدس والأقصى واجب مقدس يقع على عاتق سائر دول المسلمين - بالاعتصام بحبل الله وسنة رسوله.

٢ - إمامة الرسول بأنبياء الله جميعهم تعني انتقال الخلافة في هذه الأرض للمسلمين بزعامة نبيهم محمد ﷺ، وانتهاء عصر خلافة بني إسرائيل وإلى الأبد... فقد جاء في صحيح مسلم في حديث طويل أن النبي محمداً ﷺ قد أم جميع الأنبياء بصلاة جامعة في بيت المقدس... وفي هذا إشارة واضحة إلى أن محمداً والذين معه هم خلفاء الأرض إلى يوم الدين مصداقاً لقوله تعالى:(... وهو الذي جعلكم خلائف الأرض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فيما أتاكم إن ربك سريع العقاب وإنه لغفور رحيم) الأنعام:١٦٥.

وقوله تعالى: (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً) النور:٥٥.

أ - تحرير القدس الشريف والأقصى وسائر أراضي المسلمين المحتلة لا يكون إلا بالعودة إلى دين الله وسنة نبيه محمد ﷺ، فتمسك المسلمين بدينهم هو ضمان قوتهم وسر انتصاراتهم... مصداقاً لقوله تعالى: (واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا) آل عمران:١٠٣، فاجتماع كلمة المسلمين وعدم تفرقهم هو بداية التحرير لسائر بلاد المسلمين.

ب - النصر من عند الله.. وإن كان اليهود والغرب أكثر تقنية في الحروب الحديثة فقد كان من قبلهم الفرس والروم أقوى وأوسع ملكاً.. وانهارت الأمبراطوريات أمام جحافل الحق والهداية.

قال تعالى: (إن ينصركم الله فلا غالب لكم) آل عمران:١٦٠.

وقال تعالى: (يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم) محمد:٧.

ج - ما أخذ بالقوة لا يسترد إلا بالقوة... وما حصل عليه العرب والمسلمون من أراض محتلة كانت على حساب كرامتهم وشرفهم وحضارتهم وكانت بشروط إسرائيلية مذلة ومنزوعة السلاح... مع تطبيع بفساد اليهود وإفسادهم.

قال تعالى: (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم) الأنفال:٦٠.

د - حتمية زوال الأنظمة العالمية - ومنها النظام العالمي الجديد - وبالسرعة نفسها والتسارع الذي سقط به الاتحاد السوفييتي دون أن تسعفه العولمة والتقنية، وسيشهد العقد الأول أو الثاني من الألفية الثالثة سقوط هذه الأنظمة وهلاك اليهود... ذلك أن الله لا يحب المفسدين.

قال تعالى: (ولا تبغي الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين) القصص:٧٧.

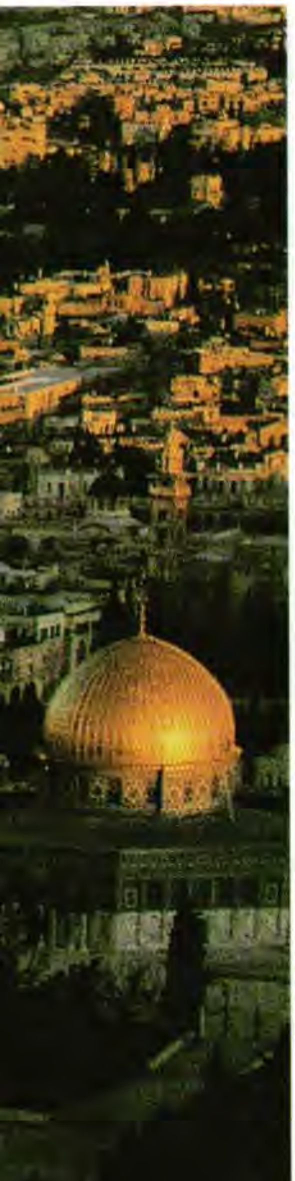
وقوله تعالى: (قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون إلى جهنم وبئس المهاد) آل عمران:١٢.

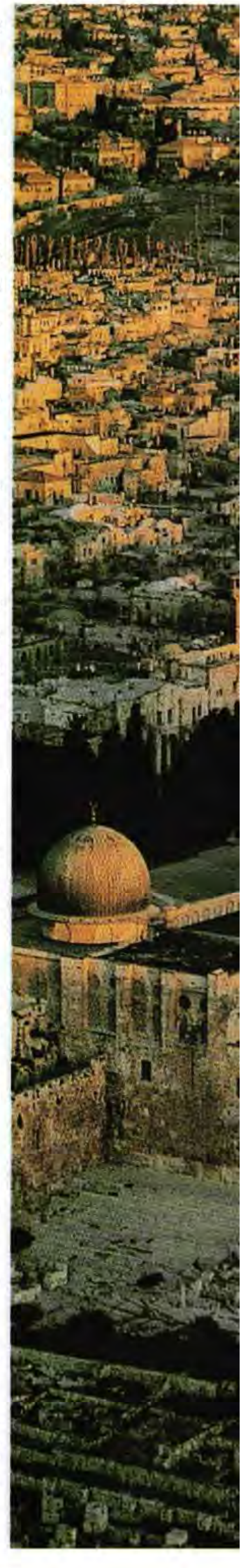
ثالثاً: الآيات الكبرى في سورة النجم:

الإسراء والمعراج رحلة ربانية كرَّم الله بها نبيه محمداً ﷺ فلا تخضع في وقائعها وأحداثها وحيثياتها إلى القوانين الطبيعية، بل إن هذه الرحلة اخترقت قوانين الكون والتي هي أصلاً من صُنع خالق الكون سبحانه وتعالى، فكانت الآيات الكبرى التي كرَّم الله بها محمداً دون غيره من سائر الأنبياء وسائر خلقه... لتبقى هذه الحادثة بآياتها الكبرى حادثة فريدة وخاصة بخاتم الأنبياء والمرسلين ولتبقى خالدة بخلود القرآن الكريم الذي وصفها بسورة النجم في قوله تعالى: (والنجم إذا هوىٰ. ما ضل صاحبكم وما غوىٰ. وما ينطق عن الهوىٰ. إن هو إلا وحي يوحىٰ. علمه شديد القوىٰ. ذو مرة فاستوىٰ. وهو بالأفق الأعلىٰ. ثم دنا فتدلىٰ. فكان قاب قوسين أو أدنىٰ. فأوحىٰ إلى عبده ما أوحىٰ. ما كذب الفؤاد ما رأىٰ. أفتمارونه على ما يرىٰ. ولقد رآه نزلة أخرىٰ. عند سدرة المنتهىٰ. عندها جنة المأوىٰ. إذ يغشى السدرة ما يغشىٰ. ما زاغ البصر وما طغىٰ. لقد رأى من آيات ربه الكبرىٰ). النجم:١-١٨.

ومن هذه الآيات الكبرى التي تضمنتها هذه السورة الكريمة وفسرتها أحاديث نبوية شريفة ما يلي:

١ - إسراء الرسول من مكة إلى بيت المقدس والمسجد الأقصى، كان بامتطائه «البراق» وهو كائن من خلق الله





يضع خطوه عند أقصى طرفه... وكأنه يمشي بسرعة الضوء، ولعل كلمة «بارق» يشير اشتقاقها إلى البرق... وقد وصفتها الأحاديث الصحيحة بأنه دابة عجيبة دون الحصان وأكبر من الحمار... ربطها الرسول عند الجدار الغربي من المسجد الأقصى... وهي على العموم ليست من دواب هذه الأرض... وبعض المفسرين والفقهاء يرون أنها الدابة التي ستخرج في آخر الزمان لتطبع على جبين كل واحد من الناس «كلمة مؤمن» للمؤمن وكلمة «كافر» للكافر، وظهورها من العلامات الكبرى لقيام الساعة - والله أعلم -.

٢ - إمامة الرسول بأنبياء الله تدل على انتقال الخلافة في الأرض إلى المسلمين بزعامة محمد ﷺ.

٣ - معراج الرسول إلى السموات العلا كان بصحبة شديد القوى «الوحي جبريل عليه السلام»، وهو من ملائكة الله المقربين لله تعالى.

٤ - وعند وصوله ﷺ إلى سدرة المنتهى، رأى من آيات ربه الكبرى، فتجلت الأنوار الربانية إلى بصيرته ﷺ، والتي لا أذن سمعت ولا عين رأت ولا خطر ببال بشر... وهذه الأنوار لا توصف ولا تسمع ولا تُرى بالمقاييس الحسية... (ليس كمثله شيء...) وبأنوار التجلي:

أ - رأى الجنة بنعيمها عند سدرة المنتهى...

ب - رأى أصنافاً من أصحاب النار في شقائهم الذي لا يوصف منهم أصحاب الموبقات السبع، وصنفان آخران من أهل النار - لم يرهما في زمانه - نساء كاسيات عاريات، ورجال يضربون الناس بسياط كأذناب البقر... كما جاء في الأحاديث النبوية الصحيحة.

ج - استقبال الأنبياء له في كل سماء... في السموات السبع ومن هؤلاء الأنبياء... عيسى وموسى ويوسف وإبراهيم وإدريس ويحيى... وهارون عليهم السلام، وذلك استناداً إلى حديث طويل رواه أنس بن مالك عن رسول الله ﷺ وأخرجه مسلم والبخاري.

د - ثم كانت أنوار التجلي الرباني لبصيرة نبيه محمد ﷺ فكان قاب قوسين أو أدنى، ثم فرضت الصلوات على المسلمين بعد توسلات محمد لربه أن يخففها على المسلمين فكانت الصلوات الخمس في أوقاتها وأحكامها وعدد ركعاتها كما هي الآن.

وتذكر لنا كتب الحديث أن هذه التوسلات كانت بناء على نصيحة النبي موسى من خلال تجربته مع بني إسرائيل، فقد كانت خمسين صلاة وخففت إلى خمس صلوات مع كرم الله بأن يكون أجر قيام الخمس صلوات كأجر الخمسين صلاة رحمة من رب العالمين للمسلمين المؤمنين - الذين هم على صلواتهم يحافظون.

٥ - إنها رحلة ربانية لا تخضع للمقاييس الحسية والمادية أو العقلية - التي هي بحدود القوانين الطبيعية، إنها رحلة خالدة وخارقة لأنظمة الطبيعة واختراق هذه الأنظمة كان من خالقها وبارئها وحده لا إله إلا هو الحي القيوم.

٦ - أوردت كتب الأحاديث الصحيحة الكثير من الشواهد الحسية التي صادفها الرسول برحلته رداً على مزاعم اليهود فكانت الآيات الكبرى بوصف القوافل وبيت المقدس مطابقة للحقائق الحسية الواقعية... فكيف بالحقائق الربانية.

وقد غضب اليهود وأنكروا هذه الرحلة بعد يقينهم أن الخلافة في هذه الأرض انتقلت إلى المسلمين بالرسالة التي نزلت على محمد ﷺ، فبدلوا التوراة وكتبوها بأيديهم لتتفق مع أهوائهم وأشار القرآن الكريم إلى كفرهم وطغيانهم بقوله تعالى: (فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون) البقرة:٨٠.

وقوله تعالى: (يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون) البقرة:٧٥.

وأقسم ان أحبارهم ورهبانهم يعلمون علم اليقين بصدق رسالة محمد ويعلمون علم اليقين بفساد بني إسرائيل وطغيانهم وكفرهم وقتلهم الأنبياء بغير الحق... ويعلمون علم اليقين بمصيرهم وهلاكهم - وعلى أرض فلسطين بالذات - إنهم يستهزؤون ويكابرون ويفاخرون باقتنائهم أسلحة الدمار الشامل دون غيرهم... متناسين أن رحلة الإسراء والمعراج خرقت التقنيات والفضائيات وعطلت سفن الفضاء... وجمدت الصواريخ الموجهة، ومتناسين أن ما أوتوا من علم ما هو إلا قليل... وحتى هذا القليل من العلم يعلمه الله لمن يشاء من عباده... وقد يفتح الله على المسلمين بإيمانهم ما استعصى عليهم من حصون التقنية والمستوطنات والطائرات، وكما دمرت حصونهم وقلاعهم في خيبر وخط بارليف... سيتم تدمير مستوطناتهم وحصونهم وتدك على رؤوسهم، مصداقاً لقوله تعالى: (فإذا جاء وعد الآخرة ليسؤوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا) الإسراء:٧. ■

المراجع:

- القرآن الكريم... والسنة النبوية الواردة بالصحيحين «البخاري ومسلم».
- السيرة النبوية الشريفة - الأستاذ محمد الغزالي - رحمه الله.
- المنقذ من الضلال - الإمام الغزالي.
- أصول الدين الإسلامي - الأستاذ الدكتور قحطان الدوري - جامعة آل البيت.

بقلم : أحمد عبدالعظيم محمد

ملامح المنهج الإسلامي في إدارة الأفراد

يعتبر مدخل العلاقات الإنسانية في الإدارة من أحدث ما وصل إليه الفكر الإداري المعاصر، ووفقاً لهذا المدخل ينظر إلى العنصر الإنساني على أنه أهم عناصر العملية الإدارية، حيث أنه هو الذي يحدد الأهداف وهو الذي يقوم بتنفيذها، وهو الذي يستطيع التأثير في كل العناصر الأخرى.

ومن هذا المنطلق، تغيرت النظرة إلى إدارة الأفراد فلم تعد إدارة فرعية تابعة، وإنما أصبحت إدارة رئيسة مستقلة لها هدف حيوي هو تكوين قوة عمل مستقرة وفعالة وقادرة على تحقيق الأهداف المطلوبة.. وعلى ذلك، يمكن النظر إلى إدارة الأفراد على أنها المسؤولة عن «النشاط الإداري المتعلق بتحديد احتياجات التنظيم من القوى العاملة وتوفيرها بالأعداد والكفاءات المحددة، وتنسيق الاستفادة من هذه الثروة البشرية بأعلى كفاءة ممكنة»(١)

وبناء على هذا التعريف، فإن وظائف الأفراد تشمل:

- تحديد الاحتياجات.
- وضع سياسة الأجور والحوافز.
- التدريب.
- تهيئة مناخ العمل المناسب، وتوفير العلاقات الإنسانية السليمة.
- الجزاءات.

ومن اللافت للنظر أن مدخل العلاقات الإنسانية في الإدارة كان هو المدخل الذي أخذ به الفكر الإسلامي منذ أربعة عشر قرناً، ليس في إدارة الأفراد فحسب، بل في المجالات الأخرى كافة.

والمتأمل لحديث الرسول - ﷺ -: «إن لله عباداً اختصهم بقضاء حوائج الناس، حببهم إلى الخير وحبب الخير إليهم، إنهم الآمنون من عذاب يوم القيامة» رواه أبو الشيخ عن ابن عباس، يجد فيه دعوة إنسانية إلى القائمين على أمور الناس بالتزام منهج الخير ومنح السلوك الإنساني.

ويؤكد الرسول عليه الصلاة والسلام هذا أيضاً في حديث آخر فيقول: «من ولاه الله من أمر المسلمين شيئاً فاحتجب عن حاجتهم، احتجب الله عن حاجته يوم القيامة» رواه أبو داود والترمذي.

بل إن القرآن الكريم يأمر كل القائمين على الأمور العامة في المجتمع الإسلامي بالتزام المنهج الأخلاقي، يقول تعالى: (ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون) المائدة:٨.

وإذا كان اهتمام الفكر الإسلامي بالمدخل الإنساني في الإدارة قبل أن يعرفه العالم بعشرات القرون من الأشياء التي تثير العجب، فإنه من ما يثير الدهشة أكثر أن نجد هذا الفكر وقد اهتم بجميع وظائف إدارة شؤون الأفراد، ووضع لها قواعد وأسساً تضمن لها المساهمة الفعلية في تحقيق الأهداف... ولنرى ذلك الآن:

> **قاعدة الإسلام في منح الحوافز والمكافآت أن تعطى لمن يستحقها متجردة من الهوى والعلاقات الشخصية**

أولاً: تحديد الاحتياجات والتعيين:

يبدأ دور إدارة الأفراد بتحديد الاحتياجات والمواصفات اللازمة لكل وظيفة وهو ما يعرف الآن باسم «توصيف الوظائف»:

ونظرة الإسلام للوظيفة العامة تقوم على أنها خدمة عامة تجلب من المسؤولية أكثر مما تحمل من الغنائم، والسنة النبوية تضع بعض القواعد العامة في مفهوم الوظيفة نذكر منها:

١ - الوظيفة خدمة عامة تستوجب الحساب أمام الله والناس.

٢ - الوظيفة تتضمن الالتزام بقضاء مصالح الناس والسهر على خدمتهم.

٣ - الوظيفة وإن كانت تجلب شيئاً من السلطة إلا أنها مسؤولية ضخمة تتطلب الصبر وقوة الاحتمال وصحوة الضمير.

٤ ـ الوظيفة في المنهج الإسلامي لمن يستحقها وليس لمن يطلبها.

روي عن أبي موسى الأشعري أنه قال: «دخلت على النبي ﷺ أنا ورجلان من بني عمي، فقال أحدهما: يا رسول الله أمِّرنا على بعض ما ولاك الله عز وجل، وقال الآخر مثل ذلك.

فقال عليه الصلاة والسلام: «إنا والله لا نولي هذا العمل أحداً يسأله أو أحداً حرص عليه» رواه مسلم، لكن هذا المفهوم لا ينفي أن هناك من رشحوا أنفسهم لوظائف كانوا أحق بها فنالوها، ومن ذلك أن نبي الله يوسف رشح نفسه لشؤون المال، وقال للملك: (اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم) يوسف:٥٥. وكذلك رشح خالد بن الوليد نفسه لقيادة جيش المسلمين في موقعة اليرموك لأنه رأى في نفسه القدرة على تحقيق النصر للمسلمين.

ووفقاً للمفهوم الإسلام، فإن للوظيفة شروطاً عامة يشترط توافرها في جميع شاغلي الوظائف، وشروطاً خاصة بكل وظيفة.

أما الشروط العامة فقد حددها الإسلام في مفهومي القوة والأمانة، إذ أنهما شرطان أساسيان في جميع الوظائف.

يقول ا لقرآن الكريم على لسان ابنة شعيب، حين رشحت موسى عليه السلام للعمل عند والدها: (قالت إحداهما يا أبت استأجره إن خير من استأجرت القوي الأمين) القصص:٢٦.

ومن المأثورات في التاريخ الإسلامي أن عمر وعثمان وعلي ـ رضي الله عنهم جميعاً ـ دخلوا مكان الصدقة فظل عثمان يكتب في الظل، وبجواره علي يملي عليه ما يقول عمر الذي ظل واقفاً في الشمس في يوم شديد الحر وهو يتفقد إبل الصدقة، فقال علي لعثمان: أما سمعت قولة ابنة شعيب في كتاب الله عز وجل (إن خير من استأجرت القوي الأمين)، وأشار إلى عمر وقال: (هذا هو القوي الأمين).

أما الشروط الخاصة فهي تختلف من وظيفة لأخرى، فالوظائف المالية تتطلب دراية وإلماماً بالشؤون المالية، والوظائف العسكرية تتطلب الشجاعة والإلمام بفنون الحرب، ووظائف القضاء تتطلب العدالة والتفقه في الأمور الشرعية والقانونية.

وقد أوضح ذلك القرآن الكريم، فحين طلب عزيز مصر من يوسف عليه السلام أن يطلب ما يشاء من الوظائف قال يوسف: (اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم).

وهنا حدد صلاحيته لتولي وظيفة وزير الخزانة متمثلة

القرآن الكريم يأمر كل القائمين على الأمور العامة في المجتمع الإسلامي بالتزام المنهج الأخلاقي

في العلم بإدارة الأموال والقدرة على الحفاظ عليها، كما أن هذه الشروط حددها موسى عليه السلام حين طلب من ربه أن يعين له مساعداً في المهمة التي كلف بها، وهي دعوة قوم فرعون إلى الإيمان فقال: (رب إني أخاف أن يكذبون. ويضيق صدري ولا ينطلق لساني فأرسل إلى هارون) الشعراء:١٢-١٣، وهنا يقدم سيدنا موسى الشروط الواجب توافرها في مساعده وهي: الفصاحة وسعة الصدر وقوة التحمل.

ولابد أن نوضح هنا أن وضع شروط خاصة لكل وظيفة لا يعني أن من يصلح لوظيفة لايصلح لغيرها، فمن الناس من يصلح لشغل وظائف متعددة إلا أن الإنسان عادة يكون أصلح لوظيفة أكثر من غيرها، وهذا ما دعا إلى الأخذ بمبدأ التخصص الوظيفي.

الاختيار والتوجيه

بعد أن تقوم إدارة الأفراد بتحديد المواصفات المطلوبة للوظائف، تأتي مرحلة الاختيار والتوجيه، والهدف من الاختيار هو إيجاد التوافق بين مستلزمات الأعمال وخصائص الأفراد، باختيار أفضل المرشحين، أما التوجيه فيقصد به إرشاد الفرد إلى المهنة أو الوظيفة التي يصلح لها أكثر من غيرها لتناسبها مع قدراته وميوله ورغباته وظروفه الاجتماعية.

وحسن الاختيار من أهم الوظائف التي يتوقف عليها نجاح إدارة الأفراد.

قال عليه الصلاة والسلام: «وإذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة... قالوا: «وما إضاعتها يا رسول الله؟».

قال: «وإذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة» رواه البخاري.

وقال عليه الصلاة والسلام: لأبي ذر حينما طلب منه الولاية: «إنها أمانة، وإنها يوم القيامة خزي وندامة، إلا من أخذها بحقها وأدى الذي عليه لها» رواه مسلم.

لهذا كان منهج الإسلام في الاختيار يقوم على اختيار أصلح من وجد.

قال عليه الصلاة والسلام: «من ولي من أمر المسلمين شيئاً، فولى رجلاً وهو يجد من هو أصلح للمسلمين منه فقد خان الله ورسوله» رواه أبو داود.

ومبدأ الكفاية هذا طبقه عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ حتى على نفسه، إذ قال: «لو علمت أن أحداً أقوى مني على هذا الأمر لكان ضرب العنق أحب إليَّ من هذه الولاية».

قرار التعيين

بعد إتمام مرحلة الاختيار يتم إصدار قرار التعيين، وقرار التعيين يحدد اختصاصات ومسؤوليات القائم بالوظيفة، وقد كان قرار التعيين في الإسلام يعرف باسم

«العهد» ويحتوي على اسم العامل وسلطاته وواجباته، وكان في أول الأمر يحمل خاتم الخليفة، ويشهد عليه عدد من أهل الصفوة، وكان هذا العهد لا يكتمل إلا بإعلانه على جمهور المسلمين في المسجد حتى يعرف كل مواطن حقيقة سلطات الوالي ومسؤلياته.

ومن المبادئ الأساسية التي وضعها الإسلام في هذا الشأن ما عُرف حديثاً باسم «إقرار الذمة المالية»، فقد كان كل عامل من عمال المسلمين يقدم عند تعيينه قائمة بكل ما يملك أو يقتني من عقار وأموال، ثم يحاسب بعد ذلك على أي زيادة غير عادية في ممتلكاته وأمواله.

ومن أمثلة قرارات التعيين المشهورة في التاريخ الإسلامي قرار سيدنا عمر بن الخطاب بتولي أبي موسى الأشعري القضاء، وقد جاء فيه: «إن القضاء فريضة محكمة وسنة متبعة، فافهم إلى من أدلى إليك، وأنفذ إذا تبين لك، فإنه لا ينفع حق لا نفاذ فيه، آخ بين الناس حتى لا يطمع شريف في حيفك، ولا ييئس ضعيف من عدلك، البينة على من ادَّعى واليمين على من أنكر، والصلح جائز بين المسلمين إلا صلحاً حرم حلالاً أو أحل حراماً، ولا يمنعك قضاء قضيته اليوم ثم راجعت فيه نفسك أن ترجع إلى الحق، فإن الحق قديم، والرجوع إلى الحق خير من التمادي في الباطل».

ثانياً: الأجور والحوافز:

الأجـر : هو المقابل الذي يتقاضاه الموظف نظير العمل الذي يقوم به، ويرتبط الأجر بمعدلات الأداء الموضوعة، ويعرف معدل الأداء بأنه متوسط حجم العمل الذي يقوم به الشخص العادي في وقت معين، فإذا وصل الموظف إلى هذا المعدل الموضوع فإنه يستحق أجراً أما إذا زاد عن ذلك فإنه يستحق حافزاً إضافياً.

والمنهج الإسلامي يجعل الأجر حقاً للعامل، ويفرض على صاحب العمل أن يدفعه له، يقول تعالى: (وليوفيهم أعمالهم وهم لا يظلمون) الأنفال:١٩.

ويقول الرسول ﷺ : «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يستعملن أجيراً حتى يعلمه أجره» في رواية عبدالرزاق عن أبي سعيد الخدري «من استأجر أجيراً فليسم له أجرته»، ويقول ﷺ : «اعط الأجير أجره قبل أن يجف عرقه» رواه ابن ماجه.

والإسلام يشترط الأجر المناسب للعامل، وهو ما يكفي حاجته وحاجة من يعول، وقد كان الرسول عليه الصلاة والسلام يحدد الأجر بما يتناسب مع أعباء الوظيفة وحجم العمل... وأضاف أبو بكر - رضي الله عنه - مبدأ مهماً حين تولى الخلافة فقد فرض للعامل ما يشبه «إعانة غلاء المعيشة»، إذ إنه راعى الأعباء العائلية، فكان الأعزب يعطي نصيباً واحداً، والمتزوج يعطى نصيبين نظير إعالته زوجته.. أما عمر - رضي الله عنه - فبعد إنشاء الدواوين فرض

مدخل العلاقات الإنسانية في الإدارة كان هو المدخل الذي أخذ به الفكر الإسلامي منذ أربعة عشر قرناً

لكل مولود عطاء قدره مائة درهم، وكلما نما المولود زاد عطاؤه تأكيداً لمبدأ الكفاية، وهو حق لكل موظف في أن يكون له من الأجر ما يستغني به عن التماس أي مادة أخرى تصرفه عن العمل ومواصلة الكفاح.

الحوافـز : تتعلق الحوافز بالقوى المادية والمعنوية التي تؤثر في الفرد فتدفعه إلى العمل بأقصى ما لديه من طاقة، وهي قد تكون في شكل مادي، وقد تكون في أشكال معنوية، والمنهج الإسلامي حين يقرر الحوافز إنما يحاول دفع المجد إلى مزيد من العمل والإنتاج، ودفع الآخرين إلى تقليد هذا المجد حتى ينالوا مثله التكريم.

يقول فضيلة الشيخ الشعراوي - رحمه الله - في خواطره حول قوله تعالى: (وأما من آمن وعمل صالحاً فله جزاء الحسنى) أنه عندما يجازيه بالحسنى فمعنى ذلك أنه سيعطيه مكافآت، لكن المكافآت لن يعرفها كل إنسان، لذلك يضيف «وسنقول له من أمرنا يسراً»، إن تكريم المؤمن يعطي المثل لمن في طبيعته حب الثناء فيتساءل ولماذا تم تكريم هذا الإنسان؟ ويعرف الإجابة من سلوك الذي تم تكريمه، فيقلده حتى ينال التكريم».

وقاعدة الإسلام في منح الحوافز والمكافآت أن تعطى لمن يستحقها متجردة من الهوى والعلاقات الشخصية، ويؤكد فضيلة الشيخ الشعراوي هذه الحقيقة فيقول:

«ولذلك نجد العمل حيث يوجد التكريم والعقوبة وتوجد المكافأة التشجيعية شرط أن توضع في موضعها، فلا يجب أن تجعل مكافأة تشجيعية لأن الذين يعلمون تحت أمرك نجحوا في إرضاء هواك، ولكن لتضع المكافأة التشجيعية جزاءً لمن نجح في تنفيذ المنهج الحق، وحين يعلم الناس أنه لا يجازى بالخير ولا يكرم بالقول إلا من فعل فعلاً حقيقياً فالكل يندفع إلى الفعل الحقيقي، ولكن عندما يجد الناس أن أحداً لا ينال المكافأة إلا بالتزلف وبالنفاق، وبالأشياء غير المشروعة فسيفعلون الأشياء غير المشروعة، وعندما يفعلون ذلك تهبط الكوارث على المجتمع»(٢).

بقيت من وظائف إدارة الأفراد التي أشرنا إليها في بداية الموضوع مهام ثلاث هي:

- التدريب.
- توفير مناخ العمل المناسب والعلاقات الإنسانية السليمة.
- الجزاءات.

وسنحاول الحديث عن هذه المهام في لقاء قادم بمشيئة الله حتى تكتمل ملامح المنهج الإسلامي في إدارة الأفراد... والله ولي التوفيق. ■

الهوامـش :

١ - انظر د.علي السلمي - إدارة الأفراد والكفاية الإنتاجية ص ١٧.

٢ - انظر جريدة اللواء الإسلامي - العدد ١٧٣ - ٢٦شعبان ١٤٠٥هـ.

دراسات فقهية

بقلم : د. حسن عبدالغني أبو غدة

العقوبة ودواعيها بين الشريعة والقانون

تعريف العقوبة:

هي في اللغة: الجزاء على الذنب، ويُقال لها أيضاً: العقاب، ومن هنا قالوا: قانون العقوبات، وقانون الجزاء.

وهي في الفقه الإسلامي: جزاءات توصف بأنها حدود أو تعازير، على محظورات شرعية زجر الله تعالى عنها.

والعقوبة في القانون الوضعي: جزاء يقرره القانون على من تثبت مسؤوليته عن جريمة محددة.

أصل مشروعية العقوبة:

يستدل لأصل مشروعية العقوبة بالعديد من الآيات القرآنية، من ذلك قوله تعالى في سورة البقرة الآية ١٧٨ ـ ١٧٩: (يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى الحرُّ بالحرِّ والعبدو بالعبد والأنثى بالأنثى فمن عُفي له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان ذلك تخفيف من ربكم ورحمة فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم. ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب لعلكم تتقون).

وأما الأحاديث النبوية فكثيرة في هذا الصدد، من ذلك ما رواه الشيخان من قول النبي - ﷺ - «لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها».

ثم إن الحاجة والعقل يدعوان إلى تشريع العقوبة، لردع المنحرفين والمجرمين وكف الضرر والفساد عن المجتمع أفراداً وجماعات، وهذا ما تلتقي عليه الأديان والشرائع والقوانين في القديم وفي الحديث.

الوقاية خير من العلاج:

عمل الإسلام على الوقاية من الجريمة قبل وقوعها، وقرَّر مجموعة أمور تساعد على ذلك منها:

١ ـ تربية الفرد على مراقبة الله تعالى والبعد عن معصيته، وقد شرع من التكاليف والطاعات ما يُغذِّي هذه المعاني وينمِّيها، وذلك من مثل الصلاة والصوم والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر...

٢ ـ تلبية مطالب المرء الفطرية، وتيسيرها أمامه بالطرق المشروعة لتحقيق ما يطمح إليه من تملك وتمتع بالطيبات من الطعام والشراب والزواج والسكن والاستقرار.

٣ ـ إلزام السلطة الحاكمة بإقامة العدل الاجتماعي وإعانة مواطنيها على التصرف الرشيد في المجالات والمبادئ المادية والمعنوية.

وبعد أن شرع الإسلام هذه الأمور، رصد العقوبة الرادعة لمن يعتدي على أرواح الناس وأعراضهم وأمنهم وأموالهم... و يتنكَّب الطريق السوي، لأنه يكون ـ حينئذ ـ شخصياً تمكنت الجريمة في نفسه، واستوطنت نوازع الشر في ذاته، فلابد من وقاية المجتمع من ضرره وعدوانه.

صفات العقوبة الشرعية:

لم يرصد الإسلام العقوبة انتقاماً أو تحقيراً، ولا يريد بها إهدار كرامة الإنسان وحرمته، بل إنما شرعها ضمن الضوابط والصفات التالية:

١ ـ دفاعها عن المجتمع مستقبلاً: ومعنى ذلك أن تقوم العقوبة بالردع عن الجريمة مستقبلاً أو الحدِّ من انتشارها، لئلا تنقلب إلى ظاهرة متفشية، تأتي على الأخضر واليابس.

٢ ـ كونها على قدر الحاجة: وذلك من حيث التشديد والتخفيف، ومن هنا راعت الشريعة الإسلامية في العقوبات، القدر الذي يظن انزجار الجاني به، بلا نقص ولا زيادة.

٣ ـ اتصافها بالتقويم والاستصلاح: فقد تضافرت النصوص على وجوب تنزيه العقوبة وإبعادها عن المقاصد والمعاني السيئة، كالتحقير والتعذيب والقسوة والإهانة... روى البخاري وأبو داود أن رجلاً حُدَّ في الخمر مراراً فلعنه بعض الصحابة فقال لهم النبي - ﷺ : «لاتقولوا هكذا، لا تعينوا عليه الشيطان، ولكن قولوا: اللهم ارحمه، اللهم تب عليه».

٤ ـ كون العقوبة مقدَّرة ومعروفة الماهية في الحدود، ومفوَّضة إلى رأي الحاكم في التعزير، لأن جرائم الحدود معلومة وخطيرة في كل زمان ومكان، أما جرائم التعزير فهي غير محصورة، بل تتجدَّد مع تطوُّر الحياة وتغيُّر المكان والزمان.

صفات العقوبة في القانون الوضعي

ينطلق أصل فكرة العقوبة من رد فعل المجتمع على السلوك الخاطئ تجاهه، ومن صفات العقوبة وأنواعها في القديم: التحقير، وتقطيع الأوصال والحواس، وبقر البطن، وإلباس أطواق الحديد، أو الحرق أو الوسم بأداة محمَّاة في النار... وكان الغرض منها الانتقام والإرهاب، لأن القوانين القديمة كانت تنظر إلى المجرم نظرة غير إنسانية.

ثم طرأ تغيير طفيف على هذه النظرة دون أساليب العقوبة، فظهرت فكرة المعاقبة للتكفير عن خطايا المجرم، وهذا ما ذهبت إليه اليهودية والنصرانية.

وبقي الأمر كذلك عند الغربيين، حتى ضعفت سيطرة الكنيسة في منتصف القرن الثامن عشر، وكانت من قبل تعاقب بالأساليب الفظيعة، التي لا تتفق مع مقدار الجريمة وضررها على الأفراد وعلى المجتمع.

وكان البرلمان في باريس يوقع عقوبة واحدة على القاتل والسارق ومحتكر القمح، كما كان القانون البريطاني - حتى القرن الثامن عشر - يعاقب على مائتي جريمة بعقوبة الإعدام، ومن ذلك سرقة ما يعدل قيمة دجاجة.

ومن عجائب ما يروى في العقوبات عند الغربيين حتى القرن السابع عشر: أن المحاكمات والعقوبات كانت تشمل المجانين والأموات، بل والحيوان، وكان يؤتى ببعض الحيوانات إلى قاعات القضاء، لسماع الحكم عليها بالشنق أو الحرق، أو قطع القرون والأطراف، كما يذكر صاحب كاتب «موسوعة غرائب العالم».

ويعتبر كتاب: «الجرائم» الذي صنَّفه القانوني الإيطالي «بيكاريا» في سنة ١٧٦٤م، أول كتاب يحدث انطلاقة هائلة في صفة العقوبة وأهدافها عند الغربيين، فقد اتجه فيه إلى جعل العقوبة ذات غاية علمية اجتماعية، تجمع بين إصلاح المجرم وردع غيره عن الجريمة، وهذا ما سبق إليه الإسلام من قبل.

ثم بدأ الفلاسفة وعلماء الاجتماع والعقاب يعملون على تقويض أسس العقوبات القديمة، وبناء فلسفة جديدة في ضوء المعاني التي دعا إليها «بيكاريا» فانحسرت وتراجعت أساليب وأنواع العقوبة القديمة، وبرزت إلى الصدارة عقوبة الحبس وازدادت أهميتها.

وجاء الفكر القانوني المعاصر، فاستقرَّ على هدف استصلاح المجرم في فترة تنفيذ عقوبة السجن، ولم يهتم اهتماماً كبيراً بكون هذه العقوبة رادعة وزاجرة لغيره، ممن يفكر بالجريمة، فكان أن ازدادت أعداد المجرمين المبتدئين والعائدين، وتطورت أنواع الجرائم وأساليبها بطرق مدهشة، فما كان من الجمعيات القانونية الدولية، إلا أن دعت كل دولة إلى وضع قوانينها العقابية المكافحة للجريمة، بحسب ظروفها الاجتماعية وموروثاتها الثقافية وتجاربها الخاصة.

أنواع العقوبة الشرعية:

تتنوع العقوبة بحسب الجرائم المرتكبة إلى ثلاثة أنواع:

الأول: الحد، والثاني: القصاص، والثالث: التعزير. وقد فصلت كتب الفقه أقوال الفقهاء فيها، وأكتفي هنا بالكلام على أحكامها العامة وذلك على النحو التالي:

أولاً: الحدود:

وهي: جمع حدّ، ويُراد به في اللغة: المنع، لأنه يمنع عن الجريمة، أو يقلل منها، والحد في الاصطلاح الفقهي: عقوبة مقدرة واجبة حقاً لله تعالى، وبناء على هذا، لا يسمى القصاص حداً، لأن حق العبد غالب فيه، وكما يقول المالكية: «ما من حق لآدمي إلا ولله تعالى فيه حق، إذ من حق الله على كل مكلف ترك أذية غيره».

وبناء على هذا أيضاً يستقل التعزير عن الحد، لعدم تقدير الشرع له نوعاً ومقداراً في جرائم معينة.

هذا، وتتنوع جرائم الحدود إلى سبعة أنواع:

١ - جريمة الزنى: وعقوبته الرجم للمحصن، والجلد مائة مع النفي سنة لغير المحصن «غير المتزوج».

روى الشيخان أن النبي - ﷺ - رجم ماعزاً حين زنى وكان محصناً، ورويا أيضاً أنه رجم زوجة صاحب العسيف، واتفق الصحابة على رجم الزاني المحصن.

أما الجلد والنفي فللآية: (الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة) النور:٣٤، والحديث الشيخين: «البكر بالبكر: جلد مائة، ونفي سنة».

٢ - جريمة القذف: وعقوبته الجلد ثمانين وعدم قبول شهادة القاذف الذي يتهم الأبرياء في أعراضهم، قال الله تعالى: (والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً وأولئك هم الفاسقون...) النور:٤.

٣ - جريمة شرب الخمر: وعقوبته الجلد، لما ثبت في الصحيحين أن النبي - ﷺ - حد شارب خمر، ولاجتماع الصحابة في زمن عمر - رضي الله عنه - على جلد شارب الخمر ثمانين.

٤ - جريمة السرقة: وعقوبتها قطع اليد للآية: (والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا) المائدة:٣٨، ولحديث الشيخين أن رسول الله - ﷺ - قطع يد سارق من الرسغ.

٥ - جريمة الحرابة: وهي قطع الطريق وتخويف الآمنين في أنفسهم وأعراضهم وأموالهم ومصالحهم، وقد فصلت عقوبتها في الآية: (إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض...) المائدة:٣٣.

٦ - جريمة البغي: وهو الخروج المسلَّح على السلطة الحاكمة العادلة، وعقوبته القتل إن لم يوقفه غيره للآية: (فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله) الحجرات:٤٤، وقد اتفق الصحابة - رضي الله عنهم - على قتال البغاة، كما قاتلوا الخوارج ونحوهم.

٧ - جريمة الردة: وهي الرجوع عن الإسلام إلى الكفر، وعقوبتها القتل، لحديث البخاري والترمذي: «من بدَّل دينه فاقتلوه» ولفعل الصحابة رضي الله عنهم في قتال المرتدين.

ثانياً: القصاص:

ويُراد به: معاقبة الجاني على جريمة القتل أو القطع أو الجرح عمداً بمثلها، قال تعالى: (ولكم في القصاص حياة) البقرة:١٧٩.

ويلحق بالقصاص الدية والأرشُ، والدية: المال المؤدَّى بدل النفس المقتولة ظلماً، والأرْش: المال المؤدَّى فيما دون النفس من جراحة أو تعطيل منفعة عضو.

وقد شرع الله تعالى القصاص والدية والأرش ردعاً لمن يفكر بالعدوان على النفوس والأبدان، ومواساة وتعويضاً للمجني عليه ولأهله، ليكبح جماح الانتقام غير المنضبط، ويقرر الجزاء العادل المتوازن مع الجريمة.

ثالثاً: التعزير:

ويُراد به: عقوبات غير مقدَّرة - سلفاً - على جرائم وأفعال أخلَّت بحقوق الله تعالى أو بحقوق الناس، التي ليس فيها حد ولا كفارة، ويمثل لذلك بعقوبة من يأكل في نهار رمضان من غير عذر أو يروِّج للمخدرات ونحوها، أو يتطاول على الناس بالضرب والشتم والأذى.

وقد فوَّض الشرع القاضي في تحديد وتقدير عقوبة التعزير بحسب حال الجريمة وفاعلها وآثارها، لأن ذلك يختلف باختلاف

الزمان والمكان والفعل الشخصي، وما تفويض القضاة - في القوانين الوضعية المعاصرة - في اختياعقوبة من مجموعة عقوبات على فعل ما، إلا صورة من صور التعزير.

ومن أنواع التعزير التي ذكرها العلماء: القتل في الجرائم الخطيرة كالتجسس وترويج المخدرات والدعوة إلى الانحلال والفساد الأخلاقي الذي يهدد كيان الأمة وشخصيتها.

ومن ذلك الجلد، والإبعاد عن المدينة التي وقعت فيها الجريمة، وذلك حتى ينساها الناس، ومن ذلك التوبيخ، والعزل من الوظيفة، والحرمان من بعض الحقوق كالسفر والتوظيف وأداء الشهادة أمام القضاء.

ومن ذلك: شهر أمر الجاني أمام الناس ليحذروه، وغالباً ما يكون هذا في التصرفات التي تُخلُّ بالثقة والأمانة، كما هو معمول به اليوم في القوانين الوضعية، وذلك من خلال نشر مضامين بعض الأحكام في الصحف ونحوها.

ومن التعزير: الغرامة المالية، التي أجازها عدد من الفقهاء منهم أبو يوسف وابن تيمية وآخرون.

أنواع العقوبة الوضعية المعاصرة:

تنقسم العقوبة في القوانين الوضعية المعاصرة إلى ثلاثة أقسام:

أولاً: عقوبات أصلية:

وهي تعتمد على السجن الذي أضحى العقوبة شبه الوحيدة في كثير من بلدان العالم، وقد يصاحبه حكم الأشغال الشاقة بنوعيها: المؤبدة والمؤقتة.

كما أن من العقوبات الأصلية الإعدام الذي هجرته كثير من البلدان بحجة قسوة هذه العقوبة، وفضلاً عن هذا أو ذاك فهناك عقوبة الغرامات المالية التي تفرض على الجاني في بعض الحالات.

ولا حرج في القانون الوضعي في الحكم بالسجن على الجرائم الفظيعة كالقتل والاغتصاب والإرهاب ونحوه، مما يعتبره الإسلام جرائم خطيرة الآثار يهزُّ كيان المجتمع وتفقده الأمن والاستقرار.

ثانياً: عقوبات تبعية:

وهي جزاءات ثانوية أيضاً، مثالها مصادرة الممتلكات أو بعضها، ومراقبة الشرطة للجاني، ومراجعته لها في فترات يحددها القاضي.

دواعي العقوبة بين الشريعة والقانون

تنطلق فكرة العقوبة في الإسلام من كونها رداً إصلاحياً على تصرفات أخلَّت بالمقاصد الشرعية الخمسة وهي: حفظ النفس، والعقل، والنسل، والدين، والمال.

ويعتبر كل إخلال بواحد من هذه المقاصد عدواناً على حقوق الله تعالى: (الذي يسمى اليوم الحق العام أو حق المجتمع) أو على حقوق الأفراد.

ويختلف هذا العدوان من حيث الشدة والخفة في وقوعه على موضوع المصلحة، فالعدوان على الفرد - مثلاً قد يكون بالقتل، أو بالجرح، أو بالضرب، أو بالشتم، ومعلوم أن هذه التصرفات ليست سواءً في العقوبة والمؤاخذة. ويُقال مثل هذا في كل اعتداء على بقية المقاصد الخمسة: العرض، المال، العقل... لذلك قسم الفقهاء الجرائم إلى ما يوجب الحد، وما يوجب القصاص، وما يوجب التعزير.

وأمر آخر هو أن الشريعة الإسلامية لا تتغيّر نظرتها إلى جرائم الحدود والقصاص وجرائم التعزير المتعلقة بأصول الدين والأخلاق، لأن أساس التجريم فيها مستند إلى فعل ما نهى الله تعالى عنه أو ترك ما أمر به، وهو مستقبح في كل زمان ومكان لإخلاله بالمقاصد الشرعية الخمسة.

أما القوانين الوضعية: فلا تقيم وزناً كبيراً لبعض هذه المقاصد الخمسة، ولا تنظر نظرة ثابتة ودائمة إلى الجرائم الخطيرة المتصلة بها، بل تتبدل نظرتها إلى فعل ما فيصبح مشروعاً بعد أن كان ممنوعاً معاقباً عليه، وربما تغيرت النظرة إلى موضوع الجريمة بالحذف والإضافة والتخفيف والتشديد كما هو حاصل في كثير من القوانين.

مثال ذلك: إن بعض القوانين - وبخاصة الأوروبية والأمريكية - لا تعتبر زنى غير القاصرين جريمة إذا تم بالتراضي، وكان هذا من قبل من الجرائم المعاقب عليها، ومثل ذلك الشذوذ الجنسي، والردة عن الدين، وغيرها من الأفعال التي سُمح بها تحت دعوى الحرية الشخصية واحترام الإرادة الخاصة.

والأصل في دواعي العقوبة بين الشريعة والقانون: أن القانون الجزائي في الإسلام مرتبط بحفظ الأخلاق الفردية والاجتماعية، بينما هي في القانون الوضعي مفصولة عنه، لأن أهدافه تنحصر في الحقوق دون الأخلاق، وهي تعالج الجريمة والمجرمين دون مجاوزتهما إلى قضايا أخرى، وذلك بسبب انتشار فكرة فصل الدين عن الدولة.

وليس من العجيب بعد تلك المقدمات أن تكون النتائج مزيداً من الجرائم والمفاسد والأزمات في البلدان التي لا تقيم وزناً لشعائر الدين وقيم الأخلاق، بل إن الإحصائيات تشهد بأن الجرائم تزداد بطريقة مخيفة في البلدان التي تدَّعي مزيداً من الرقي والمدنية والحرية الشخصية...

لذا تتعالى صيحات الفلاسفة والمفكرين ورجال الإصلاح مطالبة وسائل الإعلام ومناهج التربية والتعليم ورجال القانون بتحمل مسؤولياتهم، وسنِّ التشريعات الكفيلة بالحد من هذا التدهور الخطير الذي تشهده مجتمعات اليوم على كل الأصعدة... وصدق الله العظيم القائل: (ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكاً) طه:١٢٤. ■

المراجع:

١ - الأحكام السلطانية للماوردي.

٢ - بداية المجتهد لابن رشد.

٣ - تبصرة الحكام لابن فرحون.

٤ - التشريع الجنائي لعبدالقادر عودة.

٥ - دراسات معمقة في الفقه الجنائي المقارن د.عبدالوهاب حومر.

٦ - العقوبة لأبي زهرة.

٧ - القاموس المحيط للفيروزآبادي.

٨ - المعجم الوسيط لمجمع اللغة العربية بالقاهرة.

٩ - المغني لابن قدامة.

١٠ - الموسوعة البريطانية الجزء ١٤.

١١ - موسوعة غرائب العالم لإبراهيم شرف الدين.

١٢ - الموسوعة الشرطية القانونية للعقيد الدكتور قدري الشهاوي.

بقلم : غازي التوبة

القياس الأصولي والقياس المنطقي

أيهما أكثر صواباً؟

عرَف الفقه الإسلامي القياس الأصولي الذي يقوم على أربعة أركان هي: الأصل والفرع وحكم الأصل وعلّة الحكم، وقد عرَّفه الأصوليون فقالوا: هو إلحاق واقعة لا نص على حكمها بواقعة ورد نص بحكمها، في الحكم الذي ورد به النص، لتساوي الواقعتين في علة الحكم، ويمكن أن نمثّل على القياس الأصولي بالمثال التالي: شرب الخمر واقعة ثبت بالنص حكمها، وهو التحريم الذي ورد في قوله تعالى: (إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه) المائدة: ٩٠، لعلة هي الإسكار، فكل نبيذ توجد فيه هذه العلة يسوّى بالخمر في حكمه ويحرم شربه.

وقد اعتبر القياس الأصولي في مرحلة لاحقة مصدراً من مصادر التشريع، وكان الشافعي أبرز العلماء الذين قننوا القياس الأصولي، وقد كان هذا القياس مثار شغب في الماضي والحاضر، ومن أبرز الذين شغبوا عليه في الماضي: الغزالي وابن حزم، وفي الحاضر: الدكتور محمد عابد الجابري، وقد كان هذا الشغب لصالح قياس آخر هو القياس المنطقي الذي ينسب إلى أرسطو المعلم الأول، فقد اعتبر الغزالي في كتاب «المستصفى» أن المنطق مقدمة العلوم كلها ومن لا يتقن المنطق فلا ثقة بعلومه، وكان ابن حزم قد سبق الغزالي في الدعوة إلى استخدام المنطق في كتاب «التقريب لحدود المنطق»، وكان قد رفض القياس الأصولي لأنه يقوم على التعليل، وهذا الموقف استمرار لموقفه الظاهري الذي يقوم على أن أقوال الله تعالى وأوامره غير قابلة للتعليل ولا حكمة فيها، وقد نحا علماء آخرون منحى آخر فقالوا بخلاف ما قاله ابن حزم، وجزموا بالحكمة في أقوال الله تعالى وأوامره ونواهيه وشرائعه، واستشهدوا على وجهة نظرهم ببعض الآيات التي ورد فيها مثل هذا التعليل كقوله تعالى في بعث الرسل: (رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون لناس على الله حجة بعد الرسل) النساء:١٦٥، (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) الأنبياء:١٠٧، وكقوله تعالى في أصل الخلقة (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون) الذاريات:٥٦، (الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً) الملك:٢، وقد ذهب ابن القيم إلى صعوبة إحصاء الآيات والأحاديث التي ورد فيها تعليل الأحكام لكثرتها، وقد أخذ هذا الاتجاه مداه على يد الشاطبي في علم المقاصد حيث قنَّن قواعده وفنونه في كتاب «الموافقات».

وهناك عدد كبير من العلماء فنّدوا منطق أرسطو واعتبروه لا يضيف علماً، كما فندوا القياس المنطقي المنبثق عنه، ومن أبرزهم ابن تيمية في عدة كتب منها: «نصيحة أهل الإيمان في الرد على منطق اليونان»، وسار على منواله تلميذه ابن القيم، ومن المفيد في هذه المرحلة التي مازالت فيها أصوات تدعو لاعتماد القياس المنطقي وتوهن من شأن القياس الأصولي، ومن ضمنهم الدكتور محمد عابد الجابري، من المفيد إجراء الموازنة بين القياسين: الأصولي والمنطقي من أجل تقرير أيهما أكثر إفادة للعلم، وأيهما ساندته العلوم الحديثة.

وقبل الولوج بالموازنة بين القياسين: الأصولي والمنطقي، سأوضح بعض القواعد التي قام عليها القياس المنطقي اعتماداً على كتاب «المستصفى» للغزالي، فقد بيَّن فيه أن إدراك الأمور يبدأ من إدراك الذوات المفردة، ثم إدراك نسبة هذه المفردات بعضها إلى بعض بالنفي أو الإثبات، كما تنسب القدم إلى العالم بالنفي فتقول: ليس العالم قديماً، والأول: أي الذوات المفردة الذي يستحيل فيه التصديق والتكذيب، والضرب الأخير هو الذي يتطرق إليه التصديق والتكذيب، وقد سمى المنطقيون معرفة المفردات تصوراً، ومعرفة النسبة الخبرية بينهما تصديقاً، فقالوا: العلم إما تصور وإما تصديق، ثم بيَّن أن المطلوب من المعرفة لا يُقتنص إلا بالحدّ، والمطلوب من العلم الذي يتطرق إليه التصديق والتكذيب لا يُقتنص إلا بالبرهان، وينتهي الغزالي إلى القول: «فالبرهان والحد هو الآلة التي تُقتنص بها سائر العلوم المطلوبة»، ووضح الغزالي حد الشيء فقال: هو حقيقته وذاته، وفي قول آخر: هو اللفظ المفسِّر له على وجه يمنع ويجمع، واعتبر أن برهان القياس المنطقي لابد له من مقدمتين: الأولى يجب أن تحتوي معنى كلياً ثم مقدمة وسطى ثم تأتي النتيجة كقولنا:

كل إنسان فان، سقراط إنسان، إذن سقراط فان

ويمكن أن توجّه الملاحظات التالية إلى القياس المنطقي ومنها: أنه لا ضرورة للقضية الكلية وأنه ما من قضية كلية وتجعل مقدمة في البرهان إلا والعلم بالنتيجة ممكن من دون وجودها، وأن ما ثبت للكل فقد ثبت لكل واحد من جزئياته، وإن المقدمة الوسطى لا ضرورة لوجودها أيضاً، فإن أنماطاً من التصديقات لا وجود فيها للحد الأوسط منها: البديهي، والمتوترات، والمجربات. كما أن المقدمتين لا ضرورة لوجودهما في علم نظري فالدليل قد يكون من مقدمة واحدة وقد يكون من مقدمتين وقد يكون من ثلاث مقدمات.

ويوجه النقد إلى حد المناطقة بأنه لا يصور المحدود، إنما هو تصوير للماهية، والماهية تابعة لما يتصوره الذهن وليست تابعة إلى الحقائق ذاتها في الخارج، وكل فرد يمكن أن يخترع ماهية في نفسه تغاير ما اخترعه الآخر، لذلك فإن الحد الأصولي أقرب إلى معرفة المحدود من حد المناطقة من جهة كونه يصور بالمشاهدة والمعاينة التي تؤدي إلى التمييز بينه وبين غيره، وهو في هذا أوجز وأجمع وأخصّ. وأما القول بأن التصديق لا ينال إلا بالقياس فهذه القضية غير صحيحة لعدم وجود دليل على صدقها،، وأن مدار الاستدلال على مادة العلم لا على صورة القياس.

والخلاصة التي يمكن أن ننتهي إليها جواباً على السؤال الذي طرحناه كعنوان لهذا المقال وهو: أيهما أكثر صواباً: القياس الأصولي أم المنطقي؟ نجد أن الجواب على هذا السؤال مرتبط بسؤال آخر: هل العلم يأتي من القضية الجزئية أم القضية الكلية؟ الحقيقة إن العلم يأتي من القضية الجزئية، وفي المقدمة الكبرى التي ذكرناها في القياس المنطقي وهي «كل إنسان فان» فإن هذه المقدمة جاءت نتيجة للعلم بأن فلاناً مات، وبأن فلاناً الثاني مات، وبأن فلاناً الثالث مات، إلخ... وهكذا حتى تتكون لدينا القاعدة الكلية: «كل إنسان فان»، إذن العلم بدأ بالقضية الجزئية وانتهى بالكلية، وهو ما أيدته العلوم الحديثة فقد بدأت أوروبا تتخلى عن القياس المنطقي، وتضع أسساً تلتقي فيها مع الأسس التي يقوم عليها القياس الأصولي. ■

بقلم: أ. د. أحمد الحجي الكردي

ومرة ثانية ... مع الاستنساخ والنعجة دولي

قبل سنتين أو أكثر برز على الساحة العلمية موضوع الاستنساخ الحيواني، وظهر ظهوراً مميزاً غطى على الكثير من الأحداث العلمية الأخرى، وقد أزكى بروزه على الساحة بشكل مفاجئ نجاح العلماء في استنساخ النعجة دولي بعد إخفاق محاولات كثيرة سبقت ذلك الحدث، وربما محاولات أخرى سوف تلحق بها أيضاً، وقد كثرت تعليقات العلماء من شتى الاختصاصات على هذا الحدث الجديد، وذلك بالنظر إلى خطورته على الحياة البشرية عامة، وأهميتها لها في الوقت ذاته، وكتب في ذلك الأطباء، وكتب فيه علماء الاجتماع، وعلماء القانون، وعلماء الدين، وغيرهم، وقد تباينت هذه الكتابات بين مؤيد ومعارض، ومتفائل ومتوجس خيفة، كل يدلي بدلوه ويقول قوله ويبدي وجهة نظره التي أداه اجتهاده إليها، وقد كنت فيمن شارك في الكتابة في هذا الموضوع في أكثر من مقال نشر في وقتها، وكان فيما انتهيت إليه من القول أن هذا الموضوع مهم جداً ويعود على الإنسانية - إذا نجح - بخير وفير، إلا أنه في الوقت نفسه خطير جداً ويمكن أن يعود على البشرية كلها بأفدح الأضرار، ولهذا فإن الحكم الشرعي فيه في نظري منوط بما يرجح فيه من الخير أو الشر، المنافع أو المضار، فإن رجحت منافعه على مضاره كان مشروعاً، وإن غلبت



مضاره على منافعه كان ممنوعاً شرعاً ومحرّماً، ومدار معرفة ذلك كله على نتائج التجارب، وشهادة العدول من العلماء والمختصين، ذلك أن أكثر الأشياء في الدنيا دائرة بين النفع والضرر، والخير والشر، والحكم الشرعي فيها مبني على الغالب من أمريها، فما غلب خيره أجيز، وما غلب شره منع منه، حتى الخمرة التي هي أم الخبائث، قال الله تعالى فيها:

(يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما) ٢١٩/ البقرة.

والعلماء والباحثون في الاستنساخ ما زالوا في أول الطريق، ولم يتضح لهم بعد - فضلاً عن أن يتضح لنا - ما في هذا الأمر من خير أو شر، أو فوائد أو مضار، بشكل قاطع أو بغلبة ظن، وفي كل يوم تأتينا التجارب والبحوث بجديد، وفي كل يوم يأتي نبأ ويظهر أمر كان خفيا، وقد نشرت جريدة الشرق الأوسط في عددها/ ٧٤٨٦/ الصادر بتاريخ ٢٨/٥/١٩٩٩ تحت عنوان: (النعجة دولي تشيخ بسرعة كبيرة) نبأ مفاده: أن مظاهر الشيخوخة بدأت تظهر على النعجة دولي التي كانت أول ما استنسخ من الحيوان، أو في أول ما استنسخ منه، ولا ندري هل كل ما يستنسخ في المستقبل سيحمل هذه الصفات، أم أن ذلك في دولي كان نتيجة أخطاء علمية وقع فيها من عملوا على استنساخها، وأن ذلك أمر يمكن التغلب عليه في المستقبل بعد تقدم الدراسات والبحوث والتجارب؟

ما دام الأمر لم يبت فيه علميا بعد فلن يُبتّ فيه شرعاً أيضاً، وذلك لما بين الأمرين من ارتباط وثيق.

وإننا لمنتظرون، والأيام حبلى وستلد العجائب، والحكم الشرعي في هذا الموضوع العام والخطير في الوقت ذاته مرتبط بما تأتي به الأخبار الصحيحة والنتائج القاطعة. ■

بقلم : محمد عصام علوش

رسالة نقدية

الأفلام السينمائية العربية، والمسلسلات التلفازية العربية، والأغاني العربية هي في معظمها تتحدث عن الحب والهوى والغرام، عن الذكر والأنثى، وعن العشق واللوعة والهيام، إنك تجدها تبتدئ بلذة الوصال لتنتهي بمرارة الحرمان، تتكلم على جمال اللقاء وحلاوة الاجتماع وليالي الأنس، وجمال المحبوب، لتكون من قبلها قد أثارت أعصابنا، وألهبت مشاعرنا وعبأت انفعالاتنا بمشاهد البعد والفراق وعذاب النأي، وتباريح الهجر... إنها في معظمها قصة حب... وأي حب هذا؟ إنه حب الخيال المجنح، والطيوف الحالمة، والأماني والأوهام الخادعة، وهو في لحظة الوصال حب مريض وفي أيام الهجر حب مريض وعليل لا يمكن أن يعيش في عالم الواقع أو يكون له رصيد في دنيا الناس... إنه الحب الذي يؤدي إلى تعطيل مسيرة حياة صاحبه، وعلى فرض أن هذا الصاحب موجود.. إن هذه الأفلام والمسلسلات والأغاني لتوهم سامعيها ومشاهديها أن حب الذكر للأنثى والشبان للفتيات إنما هو النشاط الوحيد في هذا العالم ولا يوجد غيره أو سواه، وهي تريد أن تقنعنا أن الحياة بجملتها إنما هي قصة حب من هذا النوع وإذا ما انتهى هذا الحب أو وجدت العراقيل في وجهه انتهت الحياة وحق لأبطاله عندئذ أن يذرفوا الدموع أو أن يسجنوا أنفسهم في الغرفات، أو أن تصاب عقولهم بلوثة أو أن يفكروا في الانتحار... ولا أريد أن أناقش هنا جوانب أخرى تعرضها هذه الأفلام وتلك المسلسلات أو توصلها لأسماعنا هاتيك الأغنيات من خيانة زوجية أو استهتار بصاحب وصديق، أو عبث ولهو ومجون، أو تزوير لحقائق التاريخ وتراث الأمة وتشكيك بكل القيم والمثل أو لماذا كان هذا الموضوع بالذات غالباً عليها، ألأننا شعب عاطفي؟ أم لأننا نحتاج إلى العاطفة؟ أم لأن الموضوع الذي يدر عليها المكاسب العظيمة والأرباح الوفيرة والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والأنعام والحرث؟ وما يهمها بعد ذلك أصلح الشباب أم فسدوا! استقاموا في حياتهم أم انحرفوا؟ ومن يدري لعل لها في كثير من البلدان الأخرى رسالة ومهمة وهي تمضي قدماً في تنفيذها.

ولعل معترضاً يقول: ولماذا لا تكون هكذا الحياة «قصة حب» ومن قال لك إن هذه المسلسلات لا ترصد واقعاً أو تحكي شيئاً حادثاً والمجتمعات مليئة بالمتناقضات ومنها ما يسر وما يحزن وفيها الحب والكراهية والوئام والحقد والوصال والخصام... وما قولك بقيس وليلى، وجميل وبثينه، وكثير وعزة، وعروة وعفراء، في تاريخنا القديم، ألا ندرسهم وندرسهم لطلابنا، ألا نفتخر بهم على أنهم مثال الحب العذري والطهر والعفاف في تراثنا؟! ثم أين أنت من الشعر الجاهلي؟ أين أنت من أولئك الشعراء الذين جعلوا الوقوف على أطلال المحبوبة نهجاً يسيرون عليه في قصائدهم، والتغزل بمحاسنها والتشبيب بجمالها طريقة يتبعونها في كل شعرهم، ألا تذكر قول زهير:

أمن أم أوفى دمنة لم تكلم

بحومانة الدراج فالمتثلم

وقول النابغة:

يا دار امية بالعلياء فالسند

أقوت وطال عليها سالف الأمد

وقول امرئ القيس:

قفا نبكِ من ذكرى حبيب ومنزل

بسقط اللوى بين الدخول فحومل

وقول طرفة بن العبد:

لخولة أطلال ببرقة ثهمد

تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد

وقول الأعشى:

ودِّع هريرة إن الركب مرتحل

وهل تطيق وداعاً أيها الرجل

أم أنك سوف تردد مع ابن قتيبة في شعره وشعرائه من أنهم كانوا يبتدئون قصائدهم بالوقوف على الأطلال ويشببون في بدايتها بمحاسن محبوباتهم وذلك ليجذبوا إليها أنظار مستمعيهم، ويلفتوا إليهم انتباه الحاضرين لأن التشبيب قريب من النفوس لائط بالقلوب، وكل إنسان لابد أن يأخذ منه بنصيب كبير أو صغير... أو لعلك تردد الرأي الآخر من أنهم إنما يفعلون ذلك ليفتحوا نفوسهم ويفتقوا مواهبهم بالموضوع الذي هو أقرب إلى نفوسهم، أو أن ذلك لا يعدو عادة تعودوها وسار المتأخر على خطا المتقدم فيها.

لعل قائلاً يقول كل هذا ليثبت أن الحب موجود في كل زمان ومكان، وأنني أتجنى على الأفلام وما إليها في الإشارة بأصابع

الاتهام لها، ومع أننا لا نستقي أحكامنا وآراءنا من الشعراء الجاهليين «لأن أعذب الشعر أكذبه» ـ كما يقولون ـ ولنا من أحكام ديننا الحنيف وتعاليمنا الإسلامية ما ينير لنا الطريق ويهدينا إلى السبيل القويم إلا أنني أعود فأقول: نعم إن الحب موجود وفي كل زمان ومكان والشاعر الجاهلي عندما كان يبتدئ قصائده بالغزل والوقوف على آثار المحبوبة، ربما كان يتحدث عن حب حقيقي أو حادثة واقعة، ولكنه حب الرجال الذين كانوا يعتقدون أن الحب إنما هو نشاط إنساني، ولكنه واحد من نشاطات متعددة، ولا يعني الفشل فيه توقف الحياة عن مسارها إنه الحب الذي لا يعني بابتعاد المحبوبة فيه وهجرها ظلام الكون وهبوب العواصف والرياح، إنه الحب الذي لا يفكر صاحبه بالانتحار أو الانزواء في منعزل عن الناس والمجتمع والحياة... إنه الحب الذي لا يأخذ أكثر من مساحته التي يجب أن يكون عليها ولا أقل... نعم كان الشاعر الجاهلي يبتدئ قصيدته بالوقوف على أطلال المحبوبة، نعم كان يتغزل بمحاسنها ولكنها عندما تهجره أو ترحل مع أهلها كان يتعالى ويتسامى ويتابع نشاطاته كرجل وإنسان... كان يعمل وكان يرتحل، وكان يمدح ويفخر ويهجو ويسافر ليتكسب بل كان يحارب ويكون أشد ما يكون... إن حبه حب العزة والتعالي لا حب الذل والدنية والمهانة وتعال معي لتراه في معظم قصائده أيضاً وبعد أن يقف على الأطلال ويتغزل يقول:

فعد عما ترى إذ لا ارتجاع له

أو يقول:

دعْ ذا وعدِّ القول في هرم

خير البُداة وسيِّد الحَضَرِ

بل لعل وقوفه على الأطلال قبلها لا يعدو كونه خصلة من خصال الوفاء لمن أحب لا أكثر ولا أقل... نعم إن الحب موجود ولكنه حب متعدد ومتنوع، فهناك حب الله عز وجل وحب رسوله الكريم عليه الصلاة والسلام وآله وأصحابه، وهناك حب الوالدين والأخوة والأبناء والأهل، وهناك حب الوطن وحب العمل وحب الطبيعة التي خلقها الله تعالى هناك حب المبادئ والمثل العليا... هناك حب وحب كثير ولكنه ليس من النوع الذي تفطن له أفلامنا ومسلسلاتنا. ■

قضايا فكرية

بقلم : عمر الرماش

أزمة الفكر العربي المعاصر



يعاني الفكر العربي المعاصر أزمة وانتكاسة خطيرتين في الوقت الراهن على جميع المستويات وخصوصاً على مستوى الأطاريح الفكرية النظرية التي يتبناها ثم على مستوى التطبيقات العملية التي يمارسها، وتعود أسباب انتكاسة الفكر العربي في العصر الحديث إلى مجموعة من العوامل الداخلية والخارجية التي أسهمت في جعل المفكرين والمثقفين العرب يعيشون مظاهر التخلف والتردي والانحطاط والتيه والضلال، وهكذا تحفل البلاد العربية والإسلامية بمجموعة كبيرة من الاتجاهات والمدارس الفكرية والثقافية والأحزاب السياسية والنقابات العمالية والطلابية... ما كرس المزيد من التفرق والتمزق والتشتت في صفوف الأمة وبالتالي التخلف العام في جميع مجالات الحياة والتأخر عن اللحاق بركب الحضارة المتقدمة والضعف في مواجهة التحديات الخطيرة التي تعيق النهضة العربية والإسلامية.

مظاهر أزمة الفكر العربي المعاصر:

إن مظاهر وتجليات الأزمة والانتكاسة التي يعيشها الفكر العربي المعاصر تتعدد وتتنوع باختلاف الدول العربية والإسلامية، ويمكن أن نبرز أهم مظاهر الأزمة الفكرية في النقاط التالية:

الانسلاخ عن الهوية: إن من أبرز مظاهر الأزمة الفكرية التي يعيشها المفكرون والمثقفون العرب في الوقت الحاضر هي الانسلاخ عن الهوية العربية والإسلامية والتنكر للأصول والمقومات الحضارية التي تنبني عليها الأمة مثل الدين واللغة والتراث والتاريخ والثقافة والحضارة والعادات والتقاليد الأصيلة، إن مجموعة كبيرة من

المفكرين والمثقفين العرب لا يخفون انسلاخهم عن الهوية الدينية والعقدية والثقافية والتربوية ويجهرون باغترابهم وتنكرهم لأصولهم التاريخية والحضارية، وهكذا يدعون إلى نبذ الدين والتراث واللغة العربية الفصحى والتقليل من قيمتها باعتبارها لغة القرآن الكريم ووعاء الفكر والثقافة الإسلاميين ثم يدعون إلى نشر اللهجات العامية والمحلية.

التبعية العمياء للغرب: إن من بين الأزمات الخطيرة التي يتخبط فيها الفكر العربي الحديث هي عدم الاستقلالية والتبعية العمياء للفكر الغربي وللثقافة التغريبية حيث نجد معظم المفكرين والمثقفين العرب يتبنون التيارات الفكرية والفلسفية والسياسية والأيديولوجية والاقتصادية والاجتماعية للغرب كالرأسمالية والليبرالية والعلمانية والوجودية والعبثية وغيرها من المذاهب والمدارس المادية الإلحادية التي لا تعترف بالدين والأخلاق والمبادئ... وهكذا عمل الفكر العربي الحديث على استيراد بضائع فكرية جاهزة معلبة نبتت جذورها في بيئة غريبة ثم أراد استنباتها في بيئتنا التي تختلف تمام الاختلاف في خصائصها ومميزاتها حتى بلغ من غلو بعضهم في ذلك أن دعا لأخذ الحضارة الغربية بخيرها وشرها وبإيجابياتها وسلبياتها.

الانسلاخ من الأخلاق: إن من بين مميزات الفكر العربي المعاصر هي الانحلال والتفسخ الأخلاقيين الناتجين عن فقدان الهوية الدينية الحضارية والذوبان في الحضارة الغربية المتفسخة والتبعية العمياء للفكر الغربي المادي العلماني وهكذا عمل الفكر العربي الحداثي على نبذ القيم الأخلاقية ونشر ثقافات الخلاعة والمجون والفجور والفساد، ولا عجب أن نجد مجموعة كبيرة من المفكرين والمثقفين العرب يتفلتون من الأخلاق والفضائل الكريمة وينغمسون في الذنوب والمعاصي صغيرها وكبيرها ويدمنون على الخمور والمخدرات والقمار والميسر و....

القدوة السيئة: إن الانحلال الأخلاقي والانسلاخ من الهوية الإسلامية والتبعية العمياء للغرب التي تميز المفكرين والمثقفين العرب تجعلهم يمثلون قدوة سيئة للشباب خصوصاً التلاميذ والطلبة وطلاب العلم والمعرفة ما يكرس أزمة حقيقية في المجتمعات العربية والإسلامية تتجلى في التخلف الفكري والسياسي ما ينعكس سلباً على باقي مجالات الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية.

محاربة الإسلام وأهله: إن من بين الخصائص الأساسية التي تطبع الفكر العربي المعاصر هي محاربته للإسلام وأهله، وتتمثل في الطعن والتشكيك والتحريف لمقومات الحضارة الإسلامية كالدين والعقيدة والشريعة والمسلمات والثوابت والأصول الشرعية والقرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ثم الهجوم على الصحوة الإسلامية وروادها وإثارة الضغائن والفتن بين الحركات الإسلامية وتشويه سمعتها ونعتها بأقبح الأوصاف والمسميات الغربية كالأصولية والرجعية والظلامية والتطرف وخصوصاً عبر وسائل الإعلام المختلفة المرئية والمسموعة والمقروءة وذلك من أجل تحقيق الفكر العربي الحديث لأغراضه وأهدافه السياسية والمصلحية الضيقة ضارباً عرض الحائط بالمقدسات والمصالح العليا للأمة العربية والإسلامية.

الاستبداد والتسلط: إن رموز الأحزاب السياسية ومفكريها يتشدقون بمصطلحات الديمقراطية، والحرية وحقوق الإنسان أثناء خطاباتهم وندواتهم ومؤتمراتهم وفي مقالاتهم وكتاباتهم الصحفية لكن عندما يتعلق الأمر بدعاة الإسلام والحركات الإسلامية فإنهم يمارسون عليهم كل أنواع التسلط والاستبداد ويصفون المفكرين والمثقفين المخلصين لدينهم وأوطانهم وأمتهم بشتى أنواع الأوصاف والألقاب كالأصوليين المتطرفين الذين يشكلون خطراً كبيراً على الحرية والديمقراطية، والدليل على ذلك هي التجارب المتكررة في معظم البلاد العربية والإسلامية التي أثبتت تفوق المشروع الحضاري الإسلامي لكنها ووجهت بكل أشكال العنف والقمع والاستبداد من طرف الأحزاب السياسية الليبرالية والعلمانية ومفكريها.

الفكر العربي المعاصر وانعكاساته السلبية على الأمة

إن التأثيرات والانعكاسات السلبية للفكر العربي المعاصر على الأمة العربية والإسلامية كثيرة ومتعددة وتتمثل في تفشي مظاهر الفرقة والتشتت والتمزق، ولا أدل على ذلك من تعدد الأحزاب السياسية والجمعيات الثقافية والمنظمات النقابية والحقوقية والتي تتميز علاقاتها بالتوتر والصراع والتطاحن من أجل تحقيق المكاسب والأطماع السياسية والمادية والمعنوية والاجتماعية بشتى الطرق والوسائل حتى ولو كانت غير شرعية أو قانونية أو أخلاقية انطلاقاً من تبريرها الواهي الذي يقول إن الغاية تبرر الوسيلة، هكذا وبفعل شيوع مظاهر الفرقة والشتات تعيش الأمة العربية والإسلامية الفوضى والاضطراب وعدم الأمن ما يهددها باندلاع الحروب والفتن والصراعات العسكرية، كما أن الفكر العربي المعاصر بفعل تبنيه للمذاهب المادية الإلحادية الغربية والشرقية أثر بشكل سلبي وخطير على الشباب وخصوصاً التلاميذ والطلبة ما جعلهم يعيشون التيه الفكري والانحراف العقدي والفراغ الروحي والضلال والزيغ ثم الانحراف الأخلاقي والسلوكي كتعاطي الخمور والمخدرات، بالإضافة إلى أن الفكر العربي الحداثي مكن للعلمانية التي تدعو إلى فصل الدين عن الحياة وخصوصاً فصل الدين عن الدولة، كما أنه مكّن للثقافة الغربية في بلاد العروبة والإسلام بالنيابة عن المفكرين والمثقفين والفلاسفة الغربيين ما جعل الثقافة العربية والإسلامية مهددة في عقر ديارها بالاندثار والفناء وخصوصاً التراث والفكر الإسلاميين.

ومن الانعكاسات السلبية الخطيرة للفكر العربي الحداثي هو ما يعرف بقضية تطبيع العلاقات السياسية والثقافية والاقتصادية... مع اليهود والصهاينة الذين احتلوا الأراضي العربية وعاثوا فيها الفساد وبالأخص فلسطين وعاصمتها القدس الشريف، وهو ما يعني أن رواد الفكر العربي الحديث يعترفون بشرعية الكيان الصهيوني في قلب الأمة وخصوصاً فلسطين ولا يعنيهم ما يقوم به من انتهاك الحقوق والاستحواذ على الأراضي وبناء المستوطنات وقمع واعتقال المناضلين المخلصين لدينهم ووطنهم وأمتهم.■

بقلم : محمد نور سويد

كيف تتجدد المعاني القرآنية 2/2

المعاني اللغوية للكلمة القرآنية جميعها مطلوبة التأمل فيها على العقل إلا أن يتدبر في استنباط المعاني وإظهارها حسب السياق القرآني وذلك لاستنهاض العقول والهمم في استحداث المعاني المتجددة للقرآن الكريم.

وقد نشرنا في العدد الماضي الحلقة الأولى من هذا البحث، وفي هذا العدد ننشر الحلقة الثانية والأخيرة.

نضرب فيما يلي بعض الأمثلة العملية لتجلية الفكرة، إذ التطبيق العملي ونجاحه دليل على صحة الفكرة، والعكس بالعكس:

مثال ١: إذا استخدمنا معاني قوله تعالى في وصف نفسه «الظاهر والباطن» سورة الحديد ٣، فيما ورد من الصفات فإننا نجد مصداق التخييل في معاني البديع للتفسير.

فـ (يد الله فوق أيدهم) سورة الفتح ١٠، الظاهر فيها الجارحة وتعني الوجود والقرب من الإنسان، والباطن منها أنها ليست بجارحة في حق الله تعالى.

وإنما تمثل حال القادر المقتدر أنه شهد البيعة شهادة من وضع يده على تلك البيعة وضعاً حسياً بحيث لا يزول معناها بأي من معاني الشك والريب.

فالظاهر والباطن مطلوبان في التقرير والإثبات والإيمان بهما، وبذلك يزول الاختلاف في الآراء، ليصبح العنيان «الظاهر الباطن» قاعدة للفهم، وبذلك يتحقق مذهب الإثبات بـ «الظاهر» ويتحقق مذهب التأويل بـ «الباطن» ضمن (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) سورة الشورى ١١.

فمن نفى «الظاهر» فقد أخطأ، ومن نفى «الباطن» فقد أخطأ، ومن جمع بينهما فقد حصل له التوفيق، وهذا من فضل الله يؤتيه من يشاء.

ودليله: أن ذات الله تعالى لا يعرفها إلا الله تعالى، فعلمنا الله سبحانه أوصافه الجليلة في كتابه الكريم المعجز.

فالقرآن كلام الله تعالى، لا نعرف كنه كلامه سبحانه في ذاته سبحانه (وهو الباطن)، وإنما ندرك معانيه من خلال اللغة وهو «الظاهر»، وكذلك في كل الصفات نتبع المنهج نفسه وبالتالي نفهم الخطاب القرآني فهماً مفتوحاً لا نستبعد فيه المعاني اللغوية وحتى في أخطر المواضع وأدقها.

مثال ٢: لقد علم الله تعالى من خلقه للإنسان أنه يعظم ويقدس الملوك، فأقام سبحانه نفسه الملك الحقيقي للوجود، وأزال تقديس الطواغيت من النفوس حتى تنفرد له الألوهية، ويختارها الإنسان، بعد أن انفرد سبحانه بالربوبية «الربوبية هي علاقة الله تعالى بخلقه، فهو الخالق الرازق المحيي المميت وهي علاقة جبر» رغم أنف الناس جميعاً، وأقر بها أغلب الناس، وينتج عن الإقرار بالربوبية لله تعالى، الإقرار بألوهيته سبحانه «الألوهية هي علاقة العبد بالله تعالى، وهي عبادته سبحانه وهي علاقة كسب للاختيار»، لهذا فإن المؤمنين الموحدين أقروا لله تعالى بالألوهية وأنه المستحق للعبادة والاستعانة، وأنه سبحانه له الأمر كله، يحكم ولا معقب لحكمه، وأنه الذي شرع للبشر الأحكام فلا يتعدونها، فالربوبية لها حكم «الظاهر» لأن الجميع مقر بأن الله تعالى هو الخالق، الموجد، القادر، وهو رب الناس ورب العالمين، والألوهية لها حكم (الباطن) لأنها خفيت عن الكافرين، وأحياناً يجحدونها مع علمهم بها (وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً فانظر كيف كان عاقبة المفسدين) سورة النمل ١٤.

أما المؤمنون فآمنوا بألوهية الله تعالى، لأن من كان هو الرب الحق فهو الإله الحق.

مثال ٣: جاء أعرابي إلى الرسول ﷺ فقال يا رسول الله: أفبعيد ربنا فنناديه أم قريب فنناجيه؟ فنزل قوله تعالى: (وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون) سورة البقرة ١٨٦.

ونلاحظ أن الجواب (قريب) ولكن هذا القرب يشعر به ويلمسه من استجاب لله وآمن به: (يأيها الذين أمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا

دعاكم لما يحييكم واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه وأنه إليه تحشرون) سورة الأنفال ٢٤، ونلاحظ في كلتا الآيتين موضوع الاستجابة، وأن الله قريب، وأنه يحول بين المرء وقلبه. فمن تحقق بالاستجابة لله تعالى نال حال القرب منه سبحانه. وهذا يعرفه أهل درجة الإحسان وهي: «أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك». رواه مسلم

«فالظاهر» يعلمه كل مسلم بأن الله تعالى يرانا ويعلم بنا، و«الباطن» يعلمه أهل الخشية، وأهل القرب، وأهل الاستجابة السريعة لأمر الله تعالى، وأهل الإحسان الذين يعبدون الله كأنهم يرونه.

ونلاحظ في الحديث الشريف نفسه ظاهراً وباطناً، فالظاهر «أن تعبد الله»، والباطن فيه كاف التشبيه «كأنك تراه»، لأنه يستحيل على المرء أن يرى الله تعالى في الدنيا، لذلك جاءت كاف التشبيه لتدل على الخفاء والباطن.

مثال ٤: و«الظاهر الباطن» مسلك المؤمنين الموحدين من أهل السنة والجماعة من أهل الله الذين استطاعوا أن يفهموا ذلك، ومن عمي عن ذلك وقف مع «الظاهر» فقط ووقع في التشبيه والتجسيم، ومن وقف مع (الباطن) وقع في التأويل في كل شيء حتى ينحرف إلى إبطال التكليف الشرعي عن طريق ما يسمى «بالتفسير الباطني» ومن جمع بينهما «الظاهر الباطن» فقد وفق لأنه جمع بين (ليس كمثله شيء) وبين (وهو السميع البصير)، فأصبح لديه: (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) فلم يترك شيئاً من القرآن وهذا منهج الصواب والله أعلم.

الأضداد اللغوية في تجديد المعاني القرآنية:

هناك كلمات في اللغة لها أضداد، نلاحظ المفسرين يثبتون إحداهما وينفون الأخرى، والذي يراه كاتب هذه السطور، أن استبعاد المعنى الآخر بعيد عن الصواب، ودليله ما يلي:

١ ـ لو كان كما يقولون، لما اختار سبحانه تلك الكلمة من الأضداد، ولبين بالكلمة الصريحة، وأوضحها في بيان جلي، فلما جاءت الكلمة من الأضداد، علمنا أن كلام الحكيم الخبير له مقصد في ذلك.

٢ ـ لو كان الأمر محدداً بأحد المعاني المتضادة لذهب الجمال الإعجازي في القرآن، ولكان يمكن معارضته بالمعنى المحدد الذي يلتزمه المفسرون.

٣ ـ في حالة تفسير القرآن بأحد المعاني المتضادة، لم يعد التدبر والتأمل في القرآن كثير فائدة. وهذا يعارض قوله تعالى: (أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً) سورة النساء ٨٢ وقوله تعالى: (أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها) سورة محمد ٢٤. فالتدبر مطلوب، وهذا مجمع عليه، فكيف يمكن التفكر بمعنى واحد؟

٤ ـ إن القرآن حمال أوجه كما قال الإمام علي كرم الله وجهه، فإذا حدد معنى واحداً فتذهب خاصية الأوجه التي هي صفة القرآن الكريم.

٥ ـ إن القرآن كتاب الله المعجز الخالد إلى يوم القيامة، يرفد كل عصر، ويعالج كل قضية إنسانية، وكل العلاقات البشرية، فإذا فرض أحد المعاني فإنه تذهب تلك الخاصية الخالدة، لأنه يصعب ـ أحياناً ـ تطبيق أحد المعاني في كل الظروف والأزمان، وفي كل البلاد والأماكن، والتي نزل القرآن ليعالجها، فهو للناس كافة، وهؤلاء الناس مختلفون في العلوم والأمزجة والمشاكل، فكل بحاجة إلى أن ينهل من معين القرآن، فإذا فرض أحد المعاني في زمان أو مكان فقد لا يستقيم ذلك لزمان ومكان آخر.

٦ ـ إن كلام البشر لابد أن يحصل فيه نقص أو عيب أو تناقض أو اختلاف أو عدم مطابقة الواقع وهو قابل للخطأ والصحة، والحق والباطل، أما كلام الله تعالى فهو (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد) سورة فصلت ٤٢.

(أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً) سورة النساء ٨٢، فوصف القرآن (تنزيل من حكيم حميد) سورة فصلت ٤٢، وليس فيه اختلاف، وهو حق كله، فهو ممن يعلم الغيب وما تخفي النفوس، وما تفكر به العقول، فوظيفة العقل التفكر والتدبر، وأن يقوم بدور إبراز تلك المعاني لا إلغائها، وإظهار جمال الكلمات المتضادة لا إبطال إحداهما، لأننا علمنا أنها صدرت من حكيم دعانا للتأمل والتفكر فيما قال، وفيما أنزل، فلا أحد يستطيع أن يمنع من التدبر والتفكر في ذلك إلا بوحي ثابت متواتر الإثبات والدلالة.

العلاقة بين الخشوع في الصلاة واليقين هي علاقة طردية عكسية

أمثلة عملية:

كلمة «ظن» من الأضداد وهي لليقين والشك، يقول أبو حاتم سهل بن محمد بن عثمان السجستاني في مقدم كتابه الأضداد.

«حملنا على تأليفه أنا وجدنا الأضداد في كلامهم، والمطلوب شيء كثير فأوضحنا ما حصر منه، إذا كان يجيئ في القرآن الظن: يقيناً وشكاً، والرجاء خوفاً وطمعاً، وهو مشهور في كلام العرب، وضد الشيء: خلافه وغيره، فأردنا أن يكون لا يرى من لا يعرف لغات العرب أن الله عز وجل حين قال: (وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين) (٤٥) الذين يظنون.. (٤٦) «سورة البقرة» مدح الشاكين في لقاء ربهم، وإنما المعنى يستيقنون. وكذلك في صفة من أوتي كتابه بيمينه من أهل الجنة: (هاؤم اقرءوا كتابيه (١٩) إني ظننت إني ملاق حسابيه) (٢٠) «سورة الحاقة» إني ظننت ـ يريد إني أيقنت، ولو كان شاكاً لم يكن مؤمناً.

وأما قوله: (وإذا قيل إن وعد الله حق والساعة لا ريب فيها قلتم ما ندري ما الساعة إن نظن إلا ظنا وما نحن بمستيقنين) (٣٢) «سورة الجاثية» انتهى.

وعند كاتب هذه السطور أن الأمر غير ذلك، فكلمة اليقين والشك وردت في آيات أخرى صريحة، ولو كان المراد من الظن إحداهما لوردت كما ورد اليقين والشك (١). وهو كلام الحكيم، فإذاً يريد من إيراد الظن أمراً آخر نحتاج إلى الوصول إليه، فما هو يا ترى؟!

إن حال النفس البشرية تعيش دائماً حال الظن بمعناه المتضاد، أي

حال الشك واليقين، وفي لحظات عجيبة تنتقل النفس بينهما، فأما حال المؤمن فتستقر وتنتصر فيها حال اليقين، وأما نفس الكافر فتستقر فيها حال الشك.

فبالصلاة تزيد حال المؤمن يقيناً (أرحنا بها يا بلال) رواه أبوداود وأحمد.

و(إن الصلاة تنهي عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون) (٤٥) سورة العنكبوت فالصلاة تزيل الفحشاء والمنكر التي هي حال التردد في فعلها، وتزيل الشك في فعل الفحشاء والمنكر. لهذا جاء: (وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين. الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم..) سورة البقرة:٤٥-٤٦.

فهذا الشك في النفس يتحول إلى يقين عند المؤمن، لذلك فإن العلاقة بين الخشوع في الصلاة واليقين، هي علاقة طردية عكسية:

أي إذا زاد الخشوع زاد اليقين، وإذا زاد اليقين زاد الخشوع وبينهما العلاقة دورية: أي عند البعض الخشوع يسبب اليقين، وعند البعض الآخر اليقين يسبب الخشوع.

ومن هنا جاءت كلمة يظنون، ولم تأت كلمة يوقنون، مع العلم بأنه ورد وصف المؤمنين: (وبالآخرة هم يوقنون) (٤) «سورة البقرة». فكلمة «يظنون» تدل تحقيق معنيي الظن: الشك واليقين، لتفيد انتصار معنى اليقين على معنى الشك عند المؤمن، ولهذا يستحق الأجر والثواب من الله تعالى.

إن الاختلاف في الفهم وبطريقة الاستنباط دليل الإعجاز لاستيعاد الحياة كاملة زماناً ومكاناً

أما حال الكافر فينتصر معنى الشك عنده على اليقين، فيستحق عذاب الله تعالى، لهذا يظهر الكافر الجحود رغم اليقين الذي في قلبه (وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً فانظر كيف كان عاقبة المفسدين) (١٤) «سورة النمل». وهذا أكبر دليل على أن معنى الظن مراد بضديه، لإظهار الحال الاعتقادية والقولية لكل من المؤمن والكافر، واستحقاق المؤمن الجنة ليقينه، واستحقاق الكافر النار لشكه وجحوده.

فنلاحظ أنه بقطع المفسر أن أحد المعاني مراد، ونفيه للآخر، حرم الفكر والعقل من الغوص في التأمل والتدبر في معاني الآيات، وبالقاعدة التي وضعناها تتجدد المعاني القرآنية، ويظهر إعجاز القرآن أكثر، وتتسارع العقول لتتبارى في الغوص في المعاني القرآنية، فتزداد حركة التفكير والاجتهاد، ضمن قواعده اللغوية والشرعية. ما يساعد على تقدم الأمة الإسلامية، لأنها عندها يمكن أن تقود العالم بعقل متفتح مستنير بكتاب الله تعالى، فتحل مشكلاتها ومشكلات الآخرين. أما الجمود على معنى واحد، فيؤدي إلى الجمود والتبلد، وهذا ليس من صفات من يقود، وإنما صفات من يقلد. وبالله التوفيق وهو حسبي ونعم الوكيل.

تجدد المعاني القرآنية باختلاف المعاني عند القبائل العربية التي نزل القرآن بها:

من المعروف أن اللغة العربية كانت لغة القبائل العربية: أهل الحجاز وتميم ونجد وغيرهم، والقرآن يخاطبهم جميعاً، فمترادفات الكلمة لها معانٍ عدة حسب كل قبيلة، ويكون لها معنى معروفاً بينهم، فمن الصعب قلب ذلك المعنى عندهم لمعنى آخر موجود في القبيلة الأخرى، وبالتالي عندما ترد الكلمة القرآنية ويكون لها معنى في كل قبيلة يكون ذلك إعجازاً قرآنياً، وتيسيراً على الناس في فهم القرآن وتطبيق أوامره، وإن كانت الكلمة القرآنية من الأمور التكليفية التشريعية فإنه يؤدي لحصول فارق بسيط في المعاني، جعله الله من التيسير على الأمة (يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر) (١٨٥) سورة البقرة، ويكون ذلك المعنى قريباً من جميع القبائل، لأن الخضوع أمر الله في التطبيق العملي هو غاية التشريع، حتى لو حصل خلاف في الفهم، لأن التلقي والتطبيق مطلبان شرعيان، وبذلك يتحقق الغوص في المعاني القرآنية، وتتماشى الكلمة القرآنية مع كل الأعراف البشرية فلا ترهق القبائل بتغيير عرفها الذي نشأت وترعرعت عليه، ولا تضطرب في استبدال ما تعلمته، وإنما تبادر إلى التطبيق العملي، وهو المراد الأعظم من التشريع، مثلما يحصل باختلاف الليل والنهار من بلد لآخر، فيؤدي لاختلاف مواعيد الصلاة، وساعات الصوم بين البلدان الإسلامية إلا أن الجميع يقيمون الصلاة والصيام.

ومثاله العملي: القرء من قوله تعالى (والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء) (٢٢٨) سورة البقرة..

قال أبو عبيدة (٢): القرء واحد القروء: الدخول في الحيض، وكذلك الخروج من الطهر، أقرأت المرأة: حاضت، وأقرأت: طهرت، وأقرأت النجوم إذا تحولت من موضع إلى موضع.

وقال ابن السكيت (٣): قال أبو سعيد: «القرء عند أهل الحجاز الطهر، وعند أهل العراق الحيض، وقال أبو عمر بن العلاء: إنما القروء الأوقات، فقد تكون وقتاً للطهر، ووقتاً للحيض». انتهى.

وقد أخذ الحنفية معنى الحيض للقرء وأثبتوه بطرق الإثبات، وأخذ الشافعية معنى الطهر وأثبتوه، ونلاحظ هنا أن الطلب الشرعي هو الالتزام بعدة الطلاق وهي ثلاثة قروء، سواءً كان القرء حيضاً أم طهراً، وكونه طهراً أم حيضاً ترك إلى القبائل العربية وفهمها والمتعارف فيما بينها.

فاختيار القرآن لكلمة (قرء) اختيار مقصود، وذلك ليتماشى مع جميع الأفهام والعقول. وإنما للقرآن طلب أساسي جوهري، هو الالتزام به، وجعله المصدر الوحيد لتلقي التشريع.

ومن هنا سادت الشريعة الإسلامية بهذا العقل المتفتح المستنير، بعدم إلغاء أي معنى من معاني اللغة، وبذلك حفظ القرآن لغة العرب بإيراده مثل تلك الكلمات.

أما نتيجة الفرق بين ثلاث حيضات أو ثلاثة أطهار، فهو عدد من الأيام ليس من هدف التشريع الأصلية، وإنما هدف التشريع الأصلي هو تلقي التشريع أولاً من الله تعالى، صاحب ذلك الحق، والذي تعبد به المؤمنين، ثم يأتي في الدرجة الثانية فهم التشريع وفق النظام اللغوي لكل قبيلة إن لم يرد به سنة تبينه. مثل تطبيق ثلاثة قروء على أي معنى متعارف بين أهل اللغة. والله اعلم.

تجدد المعاني القرآنية باختلاف المدارس النحوية واختلاف التقديرات النحوية في كل مدرسة:

إن المدارس النحوية والاختلاف النحوي بين المدرسة الكوفية والبصرية والبغدادية له كبير الأثر في توجيه المعنى، حتى لو كان معنى الكلمة محدداً بمعنى واحد، وهذا رافد آخر لتكثير المعاني القرآنية، ومن هنا يظهر الذوق النحوي كأحد العوامل المؤثرة في جمال المعنى وبيانه وتجليته بوضوح.

والأيام والوقائع والتقدم العلمي والعملي هو محل صدق ذلك المعنى المستنبط أو ذاك، وبالتالي يرجع الخطأ في حال ثبوته إلى المفسر لا إلى القرآن، وهذه إحدى فوائد قبول تكثير المعاني القرآنية وعدم الجمود على أحدها. والله أعلم.

تجدد المعاني القرآنية بتعدد القراءات القرآنية:

ثبت عند أهل السنة والجماعة عشر قراءات متواترة وأربع مشهورة، والقراءات منها ما يكون بتغير الصوت والإمالة والتفخيم والترقيق والمد والوقف، ومنها ما يكون بتغير بنية الكلمة، ومنه ما يكون بتغير تشكيل الكلمة، فكل ذلك يثري القرآن بتجدد المعاني، كما تؤكد القراءات والحفاظ عليها أنها نوع من أنواع الإعجاز القرآني، إذ يستحيل الحفاظ على ذلك لأي كتاب آخر.

- مثال التغير في النطق:

كلمة (النبي) قرأها نافع (النبيء) مع المد.

- مثال بنية الكلمة:

قوله تعالى: (يأيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا..) (٦) سورة الحجرات.

وقرأ حمزة والكسائي وخلف: (فتثبتوا) ووافقهم الحسن والأعمش.

- مثال تشكيلة الكلمة:

قوله تعالى: (ولا تلمزوا أنفسكم..) (١١) سور الحجرات بكسر الميم، فقرأ يعقوب: (ولا تلمزوا) بضم الميم، ووافقه الحسن وهي قراءة شاذة.

ومن رجع إلى كتاب (الميسر في القراءات الأربع عشرة) (٤) سيجد أمثلة كثيرة.

نتائج البحث:

مما تقدم بيانه، نحب أن نوضح أنه ليس الهدف من هذه المقالة هو تكثير المعاني عن طريق الفوضى، وليس الهدف هو تضييع الحق بتكثير الآراء، وإنما الهدف منه هو إعمال آلة العقل واللغة في كتاب الله تعالى الذي أمرنا باستخدامهما فيه. ضمن الأطر الشرعية المعهودة. وذلك من أجل تفعيل دور القرآن القيادي في توجيه وسعادة الإنسان، وتبيان قدرة القرآن على حل مشكلات كل العصور، وأنه يلبي حاجة الإنسان زماناً ومكاناً. لأنه كلام من خلق الإنسان وخلق الزمان والمكان، وهو أعلم بما خلق وما احتياجاته.

وإن الاختلاف في الفهم وبطريقة الاستنباط دليل الإعجاز، وأنه كذلك لاستيعاد الحياة كاملة زماناً ومكاناً، وبالتالي من هنا تظهر صلاحية القرآن للبشر كافة، وهذا أحد مظاهر الإعجاز الدال على أنه كلام الله تعالى، وليس كلاماً بشرياً، لأن كلام البشر لا يستطيع أن يتجاوز الزمان والمكان، كما لا يستطيع أن يعطي لكلامه معان عدة صحيحة سليمة خالية من الطعن من قبل عقول البشر المتمايزة، ولهذا وجدنا أن العرب عجزت أن تأتي بآية من مثله. لأنها أيقنت أنها لا تستطيع، وإن هي أظهرت تجربتها فسرعان ما سيظهر الخزي والعار على صاحبها، لذلك خرست وسكتت، ولم تستطع القول سوى (فقال إن هذا إلا سحر يؤثر) (٢٤) «سورة المدثر»، سحر البيان، وسحر المعاني، وسحر العقول والأفهام، ومن مكابرتها قالت: (إن هذا إلا قول البشر)(٢٥) «سورة المدثر»، فكيف يكون: (سحر يؤثر) مع (قول البشر) ولو كان من (قول البشر) لما كان (سحر يؤثر) ولاستطاع البشر أن يأتوا بمثله، وبخاصة أنهم أصحاب المعلقات العشر، وأصحاب سوق عكاظ الأدبي اللغوي البياني، بل الأنكى من ذلك أن نجد كبراءهم كأبي جهل وأمية بن خلف والوليد بن المغيرة يأتون في الليل متنكرين ليسمعوا القرآن من رسول الله ﷺ وهو يقرؤه في هدأة الليل، ويأتون في النهار ليحاربوا الرسول ﷺ! وهذا من عجائب التكبر والطغيان البشري، الذي لا يستجيب لأمر الله تعالى وأمر رسوله ﷺ!

> إن كلام البشر لابد أن يحصل فيه نقص أو عيب أو تناقض وهو قابل للخطأ والصحة والحق والباطل

والنتيجة الثانية تقوم على سابقتها وهي ما كانت دلالته قطعية فالحق فيه لا يتعدد، وما كانت دلالته ظنية فالحق فيه متعدد، لأنه لم تكن الدعوة للتأمل وإعطاء الأجر والثواب من الله تعالى للمتأمل المجتهد إلا دليل وقوع تعدد الحق عند الله وعند رسوله ﷺ وحادثة: «لا يصلين العصر أحد إلا في بني قريظة» دليل أكيد على ذلك.

ولأن الله تعالى لما جعل في كلامه ظني الدلالة كان عن قصد الحكيم الخبير، وبالتالي تكون المعاني المجتهدة من قبل الأئمة الأعلام كلها مقصودة، وبالتالي فالحق فيها متعدد وليس بواحد.

وهذه النتيجة بحاجة إلى دراسة وتجلية أكثر، ومناقشة أوسع والله أعلم ■

الهوامش:

١ - قال تعالى: (وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقينا) النساء:١٥٧.

٢ - كتاب الأضداد للأصمعي مادة قرأ.

٣ - كتاب الأضداد لابن السكيت مادة قرأ.

٤ - إعداد محمد فهد خاروف ومراجعة الشيخ محمد كريم راجح، طبع دار ابن كثير ودار الكلم الطيب بدمشق.

بقلم : إدريس أوهنا

مع القرآن الكريم في مواقف حوارية

حوار الله مع الملائكة :

النص القرآني: (وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدِّس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون. وعلَّم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين. قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم. قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون) البقرة:٣٠-٣٣.

خلاصات واستنباطات:

أولاً: نستفيد من قول الملائكة عندما قرر الله تعالى خلق آدم: (أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك) أنه إذا كانت علاقة الملائكة الكرام بالله تعالى المنزَّه عن كل نقص تقوم على أساس حرية التعبير، وحق إبداء الرأي، فمن باب أولى أن تقوم العلاقة بيننا نحن البشر سواء كأفراد أو كهيئات وجماعات، ونحن المتصفون بالنقص والقصور والخضوع للأهواء، على الأساس نفسه، فننبذ بذلك كل أشكال التعصب والإقصاء والانغلاق في علاقتنا مع الآخرين سواء الذين يتقاسمون معنا التوجهات نفسها أو الذين يخالفوننا في القناعات والتصورات.

ثانياً: يوحي قول الملائكة لله تعالى: (أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدِّس لك) بأنه كان لديهم من شواهد الحال أو من تجارب سابقة في الأرض أو من إلهام البصيرة ما يكشف لهم عن شيء من فطرة هذا المخلوق، أو من مقتضيات حياته على الأرض، وما يجعلهم يعرفون أو يتوقعون أنه سيفسد في الأرض وأنه سيسفك الدماء... ثم هم - بفطرة الملائكة البريئة التي لا تتصور إلا الخير المطلق، وإلا السلام الشامل - يرون التسبيح بحمد الله والتقديس له، وهو وحده الغاية المطلقة للوجود، وهو وحده العلة الأولى للخلق... وهو متحقق بوجودهم، يسبحون بحمد الله ويقدسون له ويعبدونه ولا يفترون عن عبادته.(١)

إلا أن منطقهم هذا، على ما يستند إليه من قرائن يتهافت أمام المنطق الرباني، والحكمة الإلهية من خلق آدم المتمثلة في عمارة الأرض وتسخيرها، ولذلك قال لهم الله تعالى: (إني أعلم ما لا تعلمون).

والعبرة المستقاة من ذلك أن على المحاور ألا يؤمن بإطلاقته ما يعتقده من أفكار وآراء مهما تكن القرائن التي قد تبدو دالة على صوابها، إذ مهما كان رأيي صائباً في اعتقادي الشخصي، فإنه يحتمل الخطأ، ومهما كان رأي غيري خطأ، في اعتقادي الشخصي أيضاً، فهو يحتمل الصواب، وكما جاء في القرآن الكريم - في موضع آخر - : (وإنا وإياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين) سبأ:٢٤.

ثالثاً: في حالة عجز المحاور عن إدراك أمر من الأمور، أو في حال وقوعه في خطأ من الأخطاء، فإن ما يفرجه الجو الصحي للحوار وكذا التواضع للحق والعلم، أن يعترف بعجزه، ويقر بمعبودية علمه: (قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم)، وهذا بطبيعة الحال يقتضي كبت الأهواء، واستحضار البعد العقدي والتعبدي والأخلاقي والمقاصدي في العملية الحوارية.

حوار الله مع إبليس :

النص القرآني :

(ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس لم يكن من الساجدين. قال ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين. قال فاهبط منها فما يكون لك أن تتكبر فيها فاخرج إنك من الصاغرين. قال أنظرني إلى يوم يبعثون. قال إنك من المنظرين. قال فبما أغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم. ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين. قال أخرج منها مذءوماً مدحوراً لمن تبعك منهم لأملأن جهنم منكم أجمعين) الأعراف:١١-١٣.

خلاصات واستنباطات:

أولاً: إذا كان الله تعالى لم يستنكف عن محاورة إبليس اللعين، فإن في ذلك درساً لنا حتى لا نغلق باب الحوار مع أي كان.

ثانياً: نستخلص من هذا النص الحواري البديع كذلك، إن هناك أموراً ومسائل لا تقبل الحوار والنقاش من حيث القيام بها أو عدم القيام بها، وهي الأمور القطعية الثبوت والدلالة... فالسجود مثلاً - في الآية (٨٥) - امتثالاً لأمر الله عز وجل به لا يناقش، ولا يدخل فيه اعتبار لـ«النار» أو «الطين» أو غيره من الاعتبارات، لأنه كما يقول الأصوليون: «لا اجتهاد مع ورود النص»، أما الحوار والنقاش بهدف

فهم روح وفلسفة التكاليف والأحكام ومقاصدها، فهذا أمر محمود، يفيد في ترسيخ القناعة، وإيضاح الفكرة، وتقوية الالتزام.

ثالثاً: نستفيد منه أيضاً أن التكبر من الأمراض الخطيرة التي تفسد العمليات الحوارية وتعصف بها، وتؤدي إلى نتائج سلبية.

حوار الله مع آدم وحواء :

النص القرآني :

(فدلهما بغرور فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوءاتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما إن الشيطان لكما عدو مبين. قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين. قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين. قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون) الأعراف:٢٢-٢٥.

خلاصات واستنباطات:

أعلى ما نستفيده من هذا الحوار بين الله سبحانه وتعالى، وبين أبوينا آدم وحواء، تلك المراجعة الصريحة للذات، أو ما يعرف بالنقد الذاتي الذي قدمه آدم وحواء اعترافاً بخطئهما: (قالا: ربنا ظلمنا أنفسنا)، وهو ما يحتاجه المسلمون اليوم، جماعات وأفراد، في حواراتهم حتى تكون هذه الحوارات نافعة وهادفة تدفع بعجلة المشروع الحضاري إلى الأمام.

الحوار الداخلي :

«نموذج حوار إبراهيم مع نفسه»:

النص القرآني:

(وكذلك نري إبراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين. فلما جَنَّ عليه الليل رأى كوكباً قال هذا ربي فلما أفل قال لا أحب الآفلين. فلما رأى القمر بازغاً قال هذا ربي فلما أفل قال لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين. فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا أكبر فلما أفلت قال يا قوم إني بريء مما تشركون. إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين). الأنعام:٧٥-٧٩.

خلاصات واستنباطات:

نستخلص من هذا النص أن الحوار تجاوب وتواصل مع النفس قبل أن يكون تجاوباً وتواصلاً مع الآخر، إذ نجده يبدأ في حديث الإنسان مع ذاته، في حركة الفكر في الداخل، حيث يدور الجدل بين احتمال واحتمال، وفكرة وفكرة، وظاهرة ودلالة، في نطاق السلب هنا والإيجاب هناك، وذلك هو دوره في صنع العقيدة في الشخص المنتمي، وربما يتحرك الحوار في الداخل في عملية الالتزام والاستقامة في الخط والواقع، عندما يدور التجاذب بين منطق العقل، ومنطق العاطفة ونقاط الضعف، ونقاط القوة، وذلك هو دوره في تركيز الشخصية الملتزمة المستقيمة، وفي كلتا الدائرتين تكون المهمة الحوارية، الوصول إلى وحدة الإنسان في التزاماته الذاتية فلا يبقى في الازدواجية التي تجعل منه إنساناً يتحرك بين الشيء ونقيضه في عملية اهتزاز فكري، وحسي، وعاطفي، لأن التعددية المتحركة في الذات لا تمنح الإنسان الطمأنينة والاستقرار.(٢)

فالمراجعة الذاتية باعتبارها قيمة تشكل قانوناً في التطور، توجب على الفرد المسلم الدخول في عملية حوارية مع نفسه، يراجعها، يحاسبها، يجاهدها، ينتقدها، يطهّرها، يقوّم مواقفها إلخ...، وإن غياب أو تغييب هذه المراجعة الذاتية أو هذا النقد الذاتي يعتبر من وجهة نظر الشرع منهجاً إبليسياً: (لاتلوموني ولوموا أنفسكم)، حين كان خطاب آدم عليه السلام وزوجه حواء خطاباً نقدياً يعبر بحق عن خلق رفيع: (قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين) الأعراف:٢٣.

وحاجتنا إلى الحوار مع النفس أو إلى التفكير الداخلي الذي يشكل المناعة والحصانة الذاتية تزداد في ظل الواقع المعيش الذي يعرف انفجاراً إعلامياً ومعلوماتياً رهيباً، وهجوماً فكرياً وثقافياً خطيراً، بوسائل وتقنيات جد متطورة وجذابة تستغلها العولمة الثقافية لتدمير الكيان العربي والإسلامي.

حوار إبراهيم مع أبيه

النص القرآني:

(واذكر في الكتاب إبراهيم إنه كان صديقاً نبياً. إذ قال لأبيه يا أبت لِمَ تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئاً. يا أبت إني قد جاءني من العلم ما لم يأتك فاتبعني أهدك صراطاً سوياً. يا أبت لا تعبد الشيطان إن الشيطان كان للرحمن عصياً. يا أبت إني أخاف أن يمسّك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان ولياً. قال أراغب أنت عن آلهتي يا إبراهيم لئن لم تنته لأرجمنك واهرجني ملياً. قال سلام عليك سأستغفر لك ربي إنه كان بي حفياً. وأعتزلكم وما تدعون من دون الله وأدعو ربي عسى ألا أكون بدعاء ربي شقيا) مريم:٤١-٤٨.

خلاصات واستنباطات:

في زمن ارتفعت فيه نسبة العقوق، وانتفى الجو الدافئ عن داخل مؤسسة الأسرة... تأتي هذه الآيات لتطلعنا على إبراهيم وهو يحاور أباه بمحبة وهدوء ورقة وأدب... ومهما يكن رد فعل الأب شنيعاً وقاسياً يبقى موقف إبراهيم عليه السلام ثابتاً، وطريقته في مراجعة أبيه هي طريقته: حب ورأفة وحنان... وهذا درس بطبيعة الحال نستلهم منه كيف ينبغي أن يكون الحوار - في الوقت الحاضر - داخل الأسرة، وخصوصاً بين الأبناء والآباء في جو من الألفة والمحبة والاحترام، دون انفعال أو توتر، هذا بغض النظر عن أهمية أو تفاهة الموضوع مناط الحوار والاختلاف.

وهذا الأمر يعتبر قاعدة عامة في العملية الحوارية لأنه «كم من حالات تحاورية تدهورت وفشلت بسبب أن نبرة صوت المتحاور كانت حادة عندما ذكر شيئاً يتسم بنوع من الحساسية الخاصة لطرف الحوار الآخر، وهناك حالات أخرى أدت فيها تقلصات وجه المتحدث، وحركة يده إلى ترك انطباع لدى أحد أطراف الحوار بأن أحد المتحاورين يتكلم بأسلوب يشبه أسلوب التهديد والتحدي والعداء والاستهتار بالآخر وفي أحيان أخرى كان إيقاع المتحدث سريعاً وحماسياً، فتصور الطرف الآخر أن المتحدث منفعل ويريد أن يستأثر بالحوار، هذا في الوقت الذي ثبت فيه بالدراسة أن هذه الحالات كانت لا إرادية، ولم يقصد المتحاورون أي عداء أو تهديد أو جفاء أو

استهتار أو استئثار بالحديث، ولكنهم لا يشعرون بوقع ما يقومون به على الآخرين وحجم الازعاج الذي يتسببون فيه لغيرهم»(٣).

إن التفكير العميق والتعبير الهادئ هما الوسيلتان الناجعتان في أي حوار «أما المهاترة والمنافرة فأمر تستخدم فيه اللغة أداة صوتية للصراخ حيث تقف قنوات العقل، وتبدأ الحبال الصوتية في الارتفاع، ارتفاعاً ما يتماشى بشكل عكسي مع ضعف الحجة عندها ربما تمتد إلى الكف أو العصا فيتوقف العقل عن الكلام، ويصبح المتحاوران أطرشين يتكالمان بلغتين متضادتين لأنهما كما قال الشاعر:

سارت مشرقة وسرت مغرباً

شتان بين مشرق ومغرب»(٤)

ـ هذا ونستفيد من هذا الحوار البديع أيضاً كيف أن أدب إبراهيم عليه السلام مع أبيه، وهو يحاوره، لم ينسه أولية آصرة العقيدة على آصرة القرابة عندما تمادى أبوه في الغي والضلال، وأبى إلا أن يستمر على دين آبائه الباطل، وقال: (واعتزلكم وما تدعون من دون الله)، وفي سورة الزخرف (وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه إنني براء مما تعبدون. إلا الذي فطرني فإنه سيهدين) الزخرف:٢٦ـ٢٧، وفي سورة التوبة: (فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه إن إبراهيم لأواه حليم) التوبة:١١٤.

فكذلك ينبغي لكل ملتزم بدينه في وقتنا المعاصر أن يضحي بكل شيء: بماله ونفسه وذويه من أجل دينه وعقيدته، يقول تعالى: (يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء إن استحبوا الكفر على الإيمان ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون) التوبة:٢٣، ويقول: (لاتجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حادّ الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها رضي الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون) المجادلة:٢٢... ولنا عبرة في قصة نوح عليه السلام مع ابنه ولوط عليه السلام مع زوجه، وآسية بنت مزاحم مع زوجها فرعون، ومحمد ﷺ مع عمه أبي لهب.

فالمعاملة الكريمة للأقارب ومحاورتهم بالتي هي أحسن لا تعني أبداً طاعتهم في معصية الله تعالى حتى وإن كانوا آباءً، قال تعالى: (ووصينا الإنسان بوالديه حسناً وإن جاهداك لتشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما إليَّ مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون) العنكبوت:٨.

وإذا كان الحوار مع الأقارب المعادين للدين ينبغي ألا يُقدِّم فيه المحاور الملتزم تنازلات تضرُّ بدينه وعقيدته، فمن باب أولى أن يكون ذلك مع المخالفين والمعادين للدين من غير الأقارب، بحيث لا نعطي ـ في حوارنا معهم ـ الدنية في ديننا، ولا نتنازل عن مقوم واحد من مقومات حضارتنا، ولا عن شبر واحد من ترابنا المقدس كالتراب الفلسطيني الذي يعتبر وقفاً على المسلمين أجمعين لا يحق التنازل عن حبة رمل منه باسم مفاوضات السلام ـ أو بالأحرى مفاوضات اللئام ـ، ولا نواليهم بأي شكل من أشكال الولاء، قال تعالى: (يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم) المائدة:٥١.

الحوار مع المشركين :

النص القرآني:

(قل أرأيتم ما تدعون من دون الله أروني ماذا خلقوا من الأرض أم لهم شرك في السموات إئتوني بكتاب من قبل هذا أو أثارة من علم إن كنتم صادقين) الأحقاف:٤.

خلاصات واستنباطات:

أولاً: أهمية الاستفادة من الكون، واستقاء الدليل والحجة منه في مواجهة الشخص المحاوَر وإقناعه.

ثانياً: نتعلم من الآية طريقة الاستدلال الصحيح، والمنهج السليم في المناقشة والمحاورة: (إئتوني بكتاب من قبل هذا أو اثارة من علم إن كنتم صادقين)، تماماً كما يقول الأصوليون: «إن كنت ناقلاً فالصحة أو مدعياً فالدليل»، وليس كما نلاحظ اليوم في واقعنا، حيث الاتهام بلا بينة، والحكم من غير دليل، مما يسهم في توسعة دائرة الخلافات بين الأحزاب والجماعات والأفراد.

ثالثاً: شساعة مجال العملية الحوارية بالشكل الذي تنفتح على كل القضايا والمسائل حتى العقدية منها، وبطبيعة الحال في حدود ما يجوز التحاور فيه شرعاً وعقلاً.

الحوار مع الملحدين :

النص القرآني:

(أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون) الطور:٣٥.

خلاصات واستنباطات:

أولاً نستنتج أن القرآن الكريم لم يغلق باب الحوار مع أيٍّ كان، حتى مع من يدعي الإلحاد، وفي ذلك عبرة لنا، نحن المسلمين، اليوم، حتى تتسع صدورنا، وتنفتح حواراتنا على كل من له رغبة جادة في الحوار بغض النظر عن توجهه الأيديولوجي، أو انتمائه السياسي أو ما إلى ذلك، لأن المهم أن تظهر الحقيقة ويتحقق الشهود... وما يدريك لعل الله يهدي من تحاوره إلى الحق، ويلين قلبه للصواب بعدما بعدت الشقة بينه وبين الهداية.

ثانياً: نستفيد من هذا النص الحواري أيضاً أهمية البرهان العقلي الرصين في الحوار كسبيل من السبل الموصلة للإيمان، وكطريق لترسيخ القناعات بشكل عام، وبالإضافة إلى هذا الأسلوب الأمثل في الحوار ـ الأسلوب العقلي ـ هناك أساليب أخرى: كالأسلوب العاطفي، والأسلوب الحسي، وأسلوب حزب الشّبائه والأنظار، وأسلوب التحدي... ولكل مقام مقال ـ كما يقُال ـ والحكيم هو الذي يقول ما ينبغي، كيف ينبغي، متى وأين ينبغي.

الحوار مع المنكرين للنبوة :

النص القرآني:

(وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً. أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيراً. أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفاً أو تأتي بالله والملائكة قبيلاً. أو يكون لك بيت

من زخرف أو ترقى في السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتاباً نقرؤه قل سبحان ربي هل كنت إلا بشراً رسولاً. وما منع الناس أن يؤمنوا إذاجاءهم الهدى إلا أن قالوا أبعث الله بشراً رسولاً. قل لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين لنزّلنا عليهم من السماء ملكاً رسولاً. قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم إنه كان بعباده خبيراً بصيراً) الإسراء: ٩٠-٩٦.

خلاصات واستنباطات:

أولاً: إن منطق المزايدات في العملية الحوارية منطق غير سليم، لذلك نرى الرسول ﷺ أمام طلبات المنكرين التعجيزية الساذجة - أنظر في الآية ٩٠ إلى الآية ٩٣، يقف عند حدود بشريته ويرد ببساطة ودون مزايدة (قل سبحان ربي هل كنت إلا بشراً رسولاً)، وهو ما ينبغي استحضاره من قبل أبناء الحركات الإسلامية اليوم في الجامعة والمجتمع.

ثانياً: تلمس في آخر النص أهمية الدليل العقلي المنطقي في المحاججة والحوار: (قل لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين لنزّلنا عليهم من السماء ملكاً رسولاً)، وهذه الآية ومثيلاتها، اعتبرها بمثابة إشارات استفزازية ومنبهات للعقل المسلم حتى يصحو من نومه، ويفك عنه الطوق المضرب من جراء شيوع التقليد، وعزوف الناس عن الاجتهاد، وإعمال العقل والنظر.

ثالثاً: نستفيد من النهاية التي أنهى بها الرسول ﷺ حواره مع المنكرين للنبوة أنه ينبغي على الداعية المحاور في حال تعصب الطرف المحاوَر وتعنته أن ينهي الحوار معه كما بدأه فلا يتشنج ولا يغضب ولا يتوتر، لأن القضية قضية رسالة ودعوة يجب أن يغيَّبَ فيها الانتصار للذات.

رابعاً: ينبغي أن تحمل نهاية الحوار من المعاني ما يجعلها، إذا ما اختمرت في ذهن المتعنت، فاتحة وبداية لحوار جديد قد تكون نتائجه إيجابية... وهو ما نستشفه من قول الرسول ﷺ الأخير: (قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم إنه كان بعباده خبيراً بصيراً)، فإن الآية تحمل من القوة والثقة بما يقدمه الرسول ﷺ، ما يجعل المنكرين لنبوته يراجعون ذواتهم وآراءهم ويعيدون النظر في ذلك كله.

الحوار مع أهل الكتاب :

النص القرآني:

(ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالله والذي أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون) العنكبوت: ٤٦.

خلاصات واستنباطات:

- نستخلص من النص أصالة الحوار مع أصحاب الرسالات السماوية الأخرى، ما يمكن أن نسميه اليوم بحوار الحضارات، وهو أمر له أصوله في التاريخ الإسلامي أيضاً، فالرسول ﷺ تعاهد مع اليهود في إطار التعايش السلمي بين الأديان، وقصة حوار جعفر بن أبي طالب مع وفد المهاجرين للنجاشي ملك الحبشة وجماعته واضحة في هذا الشأن.

لكن إذا كان هذا هو موقفنا المبدئي في علاقتنا مع أصحاب الديانات الأخرى وهو: الحوار أو الجدال بالتي هي أحسن - وهو الموقف الذي يحاول الكثير الانطلاق منه لإضفاء الشرعية على مفاوضات السلام مع الكيان الصهيوني - فهل يا ترى يمكن اعتبار هذا الموقف ممكناً مرحلياً في واقعنا المعاصر، في ظل حرب الإبادة وصراع الوجود المعلن ضد المسلمين، وفي ظل كذلك اختلال موازين القوى ما يجعلنا نحاور من موقع ضعف وتنازل؟

في نظري الشخصي أرى أن ما سلب بالقوة لا يعود إلا بالقوة، والحوار الحقيقي هو الذي يكون من موقع قوة، أو على الأقل من موقع النِّدية، وليس من موقع ضعف وتنازل، خصوصاً فيما يتعلق بالقضايا المصيرية التي تحتاج إلى حسم، ما يطرحنا أمام تحد واقعي، وهو تحدي الرهان على أصول القوة، بالمفهوم الشامل للقوة طبعاً، وهو تحد شرعي قبل أن يكون تحدياً واقعنا، قال تعالى: (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة) الأنفال: ٦٢، وأنئذ مرحباً بكل حوار عادل ومتكافئ.

الحوار القصصي :

(نموذج: حوار موسى مع فرعون)

النص القرآني:

(وإذا نادى ربك موسى أن ائت القوم الظالمين. قوم فرعون ألا يتقون. قال رب إني أخاف أن يكذبون. ويضيق صدري ولا ينطلق لساني فأرسل إلى هارون. ولهم عليَّ ذنب فأخاف أن يقتلون. قال كلا فاذهبا بآياتنا إنا معكم مستمعون. فأتيا فرعون فقولا إنا رسول رب العالمين. أن أرسل معنا بني إسرائيل. قال ألم نربّك فينا وليداً ولبثت فينا من عمرك سنين. وفعلت فعلتك التي فعلت وأنت من الكافرين. قال فعلتها إذاً وأنا من الظالمين. ففررت منكم لما خفتكم فوهب لي ربي حكماً وجعلني من المرسلين. وتلك نعمة تمنها عليَّ أن عبَّدت بني إسرائيل. قال فرعون وما رب العالمين.

قال رب السموات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين. قال لمن حوله ألا تستمعون. قال ربكم ورب آبائكم الأولين. قال إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون. قال رب المشرق والمغرب وما بينهما إن كنتم تعقلون. قال لئن اتخذت إلهاً غيري لأجعلنك من المسجونين. قال أوَ لو جئتك بشيء مبين. قال فأتِ به إن كنت من الصادقين. فألقى عصاه فإذا هي ثعبان مبين. ونزع يده فإذا هي بيضاء للناظرين. قال للملأ حوله إن هذا لساحر عليم. يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره فماذا تأمرون) الشعراء: ١٠-٣٥.

خلاصات واستنباطات:

١ - ضرورة امتلاك عناصر القوة، أو بتعبير آخر ضرورة الإعداد التام قبل الدخول في أي عملية حوارية، تأسياً بموسى عليه السلام في قصته هذه مع فرعون... إذ تمثلت عناصر القوة بالنسبة إليه في أخيه هارون، وفي استجابة الله لدعائه، وحل عقدة لسانه، وكذا في معجزة العصا واليد البيضاء، وهو إعداد تام ومتكامل.

٢ - يجب على المحاور المسلم المؤمن ألا ينتصر لذاته، بقدر ما يجب عليه أن يحرص على انتصار الدعوة، وتفوق الرسالة، فموسى عليه السلام لما طلب من الله عز وجل أن يرسل معه أخاه هارون خوفاً من

أن يقتله فرعون كان يخشى على الرسالة أن تتوقف بقتله، لذلك أراد أن يصحبه هارون حتى إذا قتلوه حمل أخوه هارون أعباء الدعوة بعده.

٣- أن موسى عليه السلام كان جريئاً في قول الحق بلا حذر ولا تدرج منذ الوهلة الأولى للحوار، وهذا طبيعي - بالنسبة إليه - لأن الله طمأنه وعهد إليه بألا يمسه سوء من فرعون. أما نحن - كدعاة اليوم - انسجاماً مع طبيعة الواقع المعيش، وانسجاماً كذلك مع الخط العام للدعوة وما يقتضيه من تدرج، ومراعاة لطاقاتنا وإمكاناتنا، فإن الموقف الصحيح في تعاملنا مع طواغيت العصر هو أن نقول الحق على قدر المستطاع احتياطاً للدعوة حتى تستمر وتنتصر، وليس جبناً وزهداً في الجهاد بالنفس، وهذا الاحتياط في قول الحق أمام سلاطين الجور - من أجل الدعوة - لا يعني مطلقاً إقرارهم على المنكر والتواطؤ معهم عليهم.

٤ - نستنتج من حوار موسى مع فرعون كذلك، كيف أن موسى عليه السلام لم ينته ولم يصرفه هزء فرعون وسخريته وتهديده، عن هدفه المنشود، وهو بيان الحق والانتصار للدعوة، لذلك لم يتوتر ولم ينفعل في بداية الحوار إلى نهايته، وهذا خلق أساسي - خلق الأناة وربط الجأش - ينبغي أن يتحلى به كل الدعاة في حواراتهم الدعوية اليوم.

٥ - نستفيد كذلك من هذا النص الحواري أن على الداعية أن يتجنب الوقوع في زلة قد يستثمرها الطاغية للتشهير به إعلامياً - كقتل موسى للقبطي - وقد كان هذا شأن الرسول ﷺ مع من ظهر نفاقهم، حيث إنه امتنع عن قتلهم حتى لا يُقال إن محمداً ﷺ يقتل أصحابه.

٦ - على المحاور أن يدرك طبيعة المحاوَر ونفسيته، ويحاوره بناءً على ذلك، فموسى في حواره مع فرعون بدأ أول ما بدأ بالعزف على الوتر الحساس بالنسبة لفرعون، أو على العقدة القائمة في نفسه وهي ادعاؤه الربوبية، لذلك خاطبه بقوله: (إنا رسول رب العالمين). وانظر كيف عبر بصيغة المفرد «رسول» عوض «رسولا» دلالة على وحدة الرسالة وإن تعدد المرسَل.

٧ - عدم حرق جميع الأوراق مرة واحدة، فهذا موسى عليه السلام ترك أمر معجزاته جانباً ولم يظهرها إلا في الوقت المناسب وهو الوقت الذي هدده فيه فرعون بالسجن وهذا ينسجم مع القاعدة الحركية التي تقول: (ليس كل ما يعرف يُقال، وليس كل ما يُقال حان وقته، وليس كل ما حان وقته حضر أهله».

٨ - على الداعية أن يشعر دائماً بأن الله معه ويستحضر معونته ونصره سبحانه وتعالى، حتى يقوى على مجابهة المواقف الحرجة، ويتمكن من تجاوز كل العراقيل والصعاب.

٩ - كما أننا نستفيد من رد موسى عليه السلام على فرعون لما سأله: (ما رب العالمين)؟ - وأداة الاستفهام «ما» هنا تدل على أنه طلب معرفة حقيقة الرب، فقال موسى: (رب السموات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين)، إنَّ الذي يجب أن يحكمنا في حواراتنا مع الآخرين هو البعد المقاصدي، فنقف عند حدود ما فيه مصلحة أو من ورائه فائدة، ونصرف الإجابة إلى هذا الاتجاه حتى تتعطل المصلحة بعيداً عن الجدال العقيم، وهو ما فعله الرسول ﷺ مع من سألوه عن الأهلّة: ظهورها، ونموها، وتناقصها، ما بالها تصنع هذا؟ فوجهه الله تعالى إلى صرف الإجابة إلى ما هو أهم وعملي في حياتهم بقوله: (قل هي مواقيت للناس والحج)(٥).

١٠ - على المحاور أن يعرض أفكاره بكل وضوح مدعومة بالدلائل والحجج كما فعلَ موسى عليه السلام، فإن ذلك يؤدي إلى أحد أمرين:

الأمر الأول: أن يفتح الله على المحاوَر فينفتح - بكل روح حوارية - على الحق ويتبنى الصواب.

الأمر الثاني: أن يعاند ويتعنت على وضوح الفكرة وقوتها، فيكون المحاور قد أدى رسالته وقام بواجبه، وحقق عليه الشهادة، كما قال تعالى: (ليهلك من هلك عن بيِّنة ويحيي من حيَّ عن بيِّنة وإن الله لسميع عليم) الأنفال:٤٢.

١١ - نستخلص من قصة موسى عليه السلام مع فرعون أيضاً مسألة مهمة وهي أن تمرد الطغاة وتعنتهم يرجع في الأصل إلى سببين:

السبب الأول: طبيعتهم النفسية: التكبر والاستعلاء والتجبر والظلم والاستبداد.

السبب الثاني: «البطانة أو الحاشية التي تقوم بتزيين وتبرير مواقف الطاغية من جهة وتشارك في التخطيط وفي وضع القرار بالشكل الذي يخدم مصالحها ومصالحه من جهة أخرى.

١٢ - الايمان العميق بأن الإنسان مهما طغى وتجبر وابتعد عن الله فإنه يظل متحسساً لدعوات الحق ومعاني الخير من خلال الدوافع الخيرة المنطلقة من فطرة الله التي فطر الناس عليها، الراقدة في أعماقه، المستيقظة - في بعض الحالات - على صوت خير، وكلمة حلوة، تنفتح عليها الروح في حالة الهدوء والتأمل... ولذا فإن علينا أن نلقي إلى كل إنسان - مهما كانت درجة انحرافه - بالكلمة الحلوة والصوت الخير المملوء بالمحبة فربما يلتقيان بالجو الروحي الهادئ الذي يكون منفتحاً على الهداية من خلال ذلك كله... وربما كان هذا هو السر في التوجيه الإلهي لموسى وهارون، أن يتحدثا - مع فرعون - بالقول اللين، أملاً في أن يتذكر بتذكيره بمعاني الخير وأن يخشى بتخويفه من المصير المظلم الذي يستقبله عند الله إذا استمر في طريقه المنحرف في أجواء الضلال»(٦).

١٣ - الحوار قد يستفيد منه غير المعني به أو الموجه إليه مباشرة - كما هو الشأن بالنسبة لمن آمن مع موسى عليه السلام ومنهم السحرة - الشيء الذي يبعث الداعية على التفاؤل دائماً، وعدم الاستسلام لليأس، مهما تكن النتائج الظاهرة للحوار، مادام القصد هو الله تعالى، ونصرة الحق. ■

الهوامش:

١ - في ظلال القرآن الكريم: سيد قطب ٥٧/١.

٢ - محمد حسين فضل الله، المنطلق، ع ٩٨، ص١١٨.

٣ - مجلة الفيصل، ع: ١٨٨، ص ٢٥.

٤ - مجلة الفيصل، ص:٨.

٥ - والآية كاملة هي: (يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج) البقرة:١٨٩.

٦ - «الحوار في القرآن» حسين فضل الله، ص: ٢٧٠.

إعداد : د. حمد الرشيد

إن القرآن الكريم خاتم الرسالات السماوية، أنزله الله تعالى على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين لينتشل الناس من ظلام الجهل إلى نور الإيمان ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام وقد تكفل الله عز وجل بحفظ هذا القرآن، قال تعالى: (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) وأرشدنا فيه إلى الطاعات وحذرنا فيه من المعاصي، ففي كل سورة منه تجد أمراً ونهياً، وترهيباً وترغيباً إلى غير ذلك من المواعظ والقصص الربانية وسورة النور، من السور العظيمة التي تستوقف المسلم وتشد انتباهه، لما تحمله من المعاني الأصيلة والقيم النبيلة، والدروس المؤثرة، والابتلاء بشيء من صوره وأشكاله.

وما سوف نشير إليه هو شيء قليل من الظلال التي تحمله هذه السورة:

ومضات تربوية من سورة النور



(٢٤) سورة النور مدنية
وآياتها ٦٤ نزلت بعد الحشر

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة أنزلناها وفرضناها وأنزلنا فيها آيات بينات لعلكم تذكرون ﴿١﴾ الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين ﴿٢﴾ الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين ﴿٣﴾ والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا وأولئك هم الفاسقون ﴿٤﴾ إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فإن الله غفور رحيم ﴿٥﴾

والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء إلا أنفسهم فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين ﴿٦﴾ والخامسة أن لعنت الله عليه إن كان من الكاذبين ﴿٧﴾ ويدرؤا عنها العذاب أن تشهد أربع شهادات بالله إنه لمن الكاذبين ﴿٨﴾ والخامسة أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين ﴿٩﴾ ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله تواب حكيم ﴿١٠﴾ إن الذين جاءو بالإفك عصبة منكم لا تحسبوه شرا لكم بل هو خير لكم لكل امرئ منهم ما اكتسب من الإثم والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم ﴿١١﴾ لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا وقالوا هذا إفك مبين ﴿١٢﴾ لولا جاءو عليه بأربعة شهداء فإذ لم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله هم الكاذبون ﴿١٣﴾ ولولا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والآخرة لمسكم في ما أفضتم فيه عذاب عظيم ﴿١٤﴾

المبحث الأول

تربية الإسلام على وجوب التثبت والنهي عن قذف المؤمنات المحصنات الغافلات

قال تعالى: (والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فأجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً وأولئك هم الفاسقون) النور:٤.

وقوله تعالى: (إذ تلقونه بألسنتكم وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم وتحسبونه هيناً وهو عند الله عظيم) النور:١٥، لقد ربى الإسلام المسلمين على وجوب التثبت وعدم قذف المحصنات وهن العفيفات.

لأن ترك الألسن تلقي التهم على المحصنات الحرائر ثيبات أو أبكاراً من دون دليل قاطع يترك المجال فسيحاً لكل من شاء أن يقذف بريئة أو بريئاً بتلك التهمة النكراء، ثم يمضي آمناً فتصبح الجماعة وتمسي وإذ أعراضها مجرحة وسمعتها ملوثة وإذ كل فرد فيها متهم أو مهدد بالاتهام وإذ كل زوج فيها شاك في زوجه وكل رجل فيها شاك في أصله وكل بيت فيها مهدد بالانهيار وهي حالة من الشك والقلق والريبة لا تطاق.

لهذا وصيانة للأعراض من التهجم وحماية لأصحابة من الآلام الفظيعة التي تصب عليهم شدد القرآن الكريم في عقوبة القذف فجعلها قريبة من عقوبة الزنا ثمانين جلدة قال تعالى: (والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً أولئك هم الفاسقون) إضافة إلى الجلد، وهناك عقوبة سقوط عدالة القاذف إلا أن يتوب فإنه تعود إليه عدالته، فالتثبت هو منهج في التربية أصيل استمدت أصالته من الإسلام.

والتثبت لغة: هو التأني في الأمر والرأي واصطلاحاً: تفريغ الوسع والجهد لمعرفة حقيقة الحال المراد. ويتصل بهذه الألفاظ لفظ التحري وهو لغة القصد والطلب واصطلاحاً: طلب الشيء بغالب الرأي عند تعذر الوقوف على الحقيقة.

التثبت من كلام الفساق قبل نقل الأخبار.

إن الإسلام دين شامل وواسع وموافق للفطرة مما أدى إلى انتشاره، وبعد أفقه فمثل جماعة عظيمة تتمثل في المسلمين، ومن أجل أن تستثمر هذه الجماعة وتؤدي رسالتها في الحياة كان لزاماً أن لا يشيع الشك بين هذه الجماعة المسلمة في كل ما ينقله أفرادها من أنباء، فيقع ما يشبه الشلل في معلوماتها، فالأفضل إذن في الجماعة المؤمنة أن يكون أفرادها موضع ثقتها، فأما الفاسق فهو موضع الشك حتى يثبت خبره وبذلك يستقيم أمر الجماعة وسطاً بين الأخذ والرفض لما يصل إليها من أنباء، ولا تعجل الجماعة في تصرف بناء على خبر فاسق: فتصيب قوماً بظلم عن جهالة وتسرع فتندم حينئذ لارتكابها ما يغضب الله ولات حين مندم(١). الأدلة على وجوب التثبت مما يأتي به الفساق من أنباء.

لما مضى تبيان فلسفة نقل الأخبار عن الفساق والتثبت في ذلك، وجب ذكر شاهد عليه وهو قوله سبحانه (يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينو أن تصيبو قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين) الحجرات:٦.

من حلف على شيء ورأى أن غيره خيراً منه كفر عن يمينه وفعل الذي هو خير

وقد قرئ «فتثبتوا» بدلاً من «تبينوا» والمراد بالتبين، التثبت، ولقد ذكر كثير من المفسرين أن هذه الآية نزلت في الوليد بن عقبة بن أبي معيط حين بعثه رسول الله ﷺ على صدقات بني المصطلق وقد روى ذلك من طرق ومن أحسنها ما رواه الإمام أحمد وفيها يقول الحارث بن ضرار الخزاعي رضي الله عنه : قدمت على رسول الله ﷺ وكان فيها أن النبي ﷺ وبعث الوليد إلى الحارث ليقبض ما كان عنده مما جمع من الزكاة، فلما سار الوليد حتى بلغ بعض الطرق، فرق - أي خاف - فرجع حتى أتى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله: إن الحارث قد منعني الزكاة وأراد قتلي فغضب رسول الله ﷺ بعث البعث إلى الحارث رضي الله عنه، وأقبل الحارث بأصحابه حتى إذا استقبل البعث وفصل عن المدينة لقيهم الحارث فقالوا: هذا الحارث فلما غشيهم قال لهم إلى من بعثتم؟ قالوا: إليك، قال ولِمَ؟ قالوا: إن رسول الله ﷺ بعث إليك الوليد بن عقبة فزعم أنك منعته الزكاة وأردت قتله، فقال رضي الله عنه: لا والذي بعث محمداً ﷺ بالحق ما رأيته بتة ولا أتاني، فلما دخل الحارث على رسول الله ﷺ قال: «منعت الزكاة وأردت قتل رسولي؟ «قال: لا والذي بعثك بالحق ما رأيته ولا أتاني وما أقبلت إلا حين احتبس عليَّ رسول رسول الله ﷺ، فخشيت أن يكون سخطة من الله تعالى ورسوله، قال فنزلت الحجرات: (يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ) النور:١٩.

ويُستفاد من هذه الآيات:

نستفيد منه أن التأني في كل الأمور مطلوب.

نستفيد أن التثبت له مداخل شرعية كثيرة.

نستفيد منه أن الأمة الإسلامية تتمثل في جماعة والفاسق فيها شاذ عنها إذ الأصل فيها الثقة.

ونستفيد وجوب التثبت من الخبر الفاسق، ودلالة الضد في الأمر تدل على عدم وجوبه في خبر العدل وهو الأصل في أي قرار.

المبحث الثاني

تغليظ العقوبة لمن كان سبباً في إشاعة الفساد

قوله تعالى: (إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم لا تحسبوه شراً لكم بل هو خير لكم لكل امرئ منهم ما اكتسب من الإثم والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم) النور:١١.

قد بيَّن الإسلام حكم من كان سبباً في إشاعة الفساد بين العباد فقد ذكر المولى عز وجل أن «له عذاب عظيم» يناسبه نصيبه من ذلك الجرم العظيم، والذي تولى كبره، وقاد حملته، واضطلع منه بالنصيب الأوفى في هذه الآيات السابقة هو رأس النفاق عبدالله بن أبي بن سلول، وهذا الخطاب له ولكل من سار على شاكلته، قال السعدي: وإذا أراد الله أمراً جعل له سبباً ولذلك جعل الخطاب عاماً مع المؤمنين كلهم(٢)، إن الذين يرمون المحصنات إنما يعملون على زعزعة ثقة الجماعة المؤمنة بالخير والعفة والنظافة وعلى إزالة التحرج من ارتكاب الفاحشة، وذلك عن طريق الإيحاء بأن الفاحشة شائعة فيها، وبذلك تشيع الفاحشة في النفوس لتشيع بعد ذلك في الواقع.

المؤمنين يخطئون ثم يحبون من الله أن يغفر لهم ليغفروا للناس ليغفر الله لهم

المبحث الثالث

التربية في النهي عن تتبع خطوات الشيطان

قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان فإنه يأمر بالفحشاء والمنكر ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحد أبداً ولكن الله يزكي من يشاء والله سميع عليم) النور:٢١.

ربى الإسلام المؤمنين على تجنب خطوات الشيطان وهي المعاصي، وأنها لصورة مستنكر أن يخطو الشيطان فيتبع المؤمنون خطاه، وهم أجدر الناس أن ينفروا من الشيطان وأن يسلكوا طريقاً غير طريقه المشؤوم، صورة مستنكرة ينفر منها طبع المؤمن ويرتجف لها وجدانه، ويقشعر لها خياله.

يقول الطبري في تفسيره: يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله لا تسلكوا سبيل الشيطان وطرقه ولا تقتفوا آثاره، بإشاعتكم الفاحشة في الذين آمنوا، بحديثكم عنها فإن الشيطان يأمر بالفحشاء وهي الزنى والمنكر من القول(٨)، قال ابن كثير: هذا تنفير وتحذير من ذلك بأفصح عبارة وأبلغها وأوجزها وأحسنها، وقال قتادة: كل معصية فهي من خطوات الشيطان.(٤)

المبحث الرابع

تربية الإسلام على السماحة ونسيان أخطاء الآخرين والترفع عنها

قوله تعالى: (ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم).

نزلت هذه الآية في أبي بكر الصديق ﷺ وقد عرف أن مسطح بن أثاثة كان ممن خاضوا فيه، وهو قريبه، وهو من فقراء المهاجرين وكان أبو بكر ينفق عليه فآلى على نفسه لا ينفع مسطحاً بنافعة أبداً، فنزلت هذه الآية تذكر أبا بكر، وتذكر المؤمنين، بأنهم هم يخطئون ثم يحبون من الله أن يغفر لهم، فليأخذو أنفسهم - بعضهم مع بعض، فليغفروا للناس ليغفر الله لهم.

هنا نطلع على أفق عال من آفاق النفوس الزكية، التي طهرت بنور الله أفق يشرق في نفس أبي بكر الصديق ﷺ - أبي بكر الذي مسه حديث الإفك في أعماق قلبه، والذي احتمل مرارة الاتهام لبيته وعِرضه، فما يكاد يسمع دعوة ربه إلى العفو «ألا تحبون أن يغفر الله لكم» حتى يرتفع على الآلام، ويرتفع عن الضعف البشري ويلبي داعي الله في طمأنينة وصدق يقول: بلى والله إني لأحب أن يغفر الله لي ويعيد إلى مسطح النفقة التي كان ينفق عليه، ويحلف: والله لا أنزعها منه أبداً.(٥) ويستفاد من هذه الآيات:

حث الإسلام على الترفع عن الأخطاء وتجاوزها.

محبة الله عز وجل لمن يتصف بالسماحة.

عظم رحمة الله بعباده المؤمنين وحلمه مع ظلمهم لأنفسهم.

من حلف على شيء ورأى أن غيره خيراً منه كفر عن يمينه وفعل الذي هو خير.(٦)

الأمة الإسلامية تتمثل في جماعة والفاسق فيها شاذ عنها إذ الأصل فيها الثقة

المبحث الخامس

تربية الإسلام على الاستئذان عند دخول البيوت

قال تعالى: (يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون فإن لم تجدوا فيها أحداً فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أزكى لكم والله بما تعملون عليم) النور:٢٨.

هذه آداب شرعية أدب الله بها عباده المؤمنين وذلك في الاستئذان وهو تعبير أمرهم ألا يدخلوا بيوتاً غير بيوتهم.

والتعبير عن الاستئذان - بالاستئناس يوحي بلطف الاستئذان ولطف الطريقة التي يجيء بها الطارق، فتحدث في نفوس أهلها أهل البيت أنساً به، واستعداداً لاستقباله وهي لفتة دقيقة لطيفة، لرعاية أحوال النفوس، ولتقدير ظروف الناس في بيوتهم، وما يلابسها من ضرورات لا يجوز أن يشقى بها أهلها ويحرجوا أمام الطارقين في ليل أو نهار وبعد الاستئذان إما أن يكون في البيوت أحد من أهلها أو لا يكون، فإن لم يكن فيها أحد فلا يجوز اقتحامها بعد الاستئذان، لأنه لا دخول بغير إذن، وإن كان فيها أحد من أهلها، فإن مجرد الاستئذان لا يبيح الدخول، فإنما هو طلب للإذن، فإن لم يأذن أهل البيت فلا دخول كذلك ويجب الانصراف دون تلكؤ أو انتظار.(٧)

وينبغي أن يستأذن ثلاث مرات فإن أذن له وإلا انصرف كما ثبت في الصحيح من فعل أبو موسى الأشعري، وقوله تعالى: (وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أزكى لكم)، ارجعوا دون أن تجدوا في أنفسكم غضاضة ودون أن تستشعروا من أهل البيت الإساءة إليكم أو النفرة منكم، فللناس أسرارهم وأعذارهم، ويجب أن يترك لهم وحدهم تقدير ظروفهم وملابساتهم في كل حين.

قال ابن كثير كان الرجل في الجاهلية إذا لقي صاحبه لا يسلم عليه ويقول: حييت صباحاً وحييت مساء وكان ذلك تحية القوم وكان أحدهم ينطلق إلى صاحبه فلا يستأذن حتى يقتحم ويقول: قد دخلت ونحو ذلك فيشق ذلك على الرجل ولعله يكون مع أهله فغير الله ذلك كله في ستر وعفة وجعله نقياً نزيهاً من الدنس والقذر.(٨)

والسنة ألا ينظر إلى داخل البيت قبل الإذن، بل يقف إلى جانب الباب ويستأذن. لأن الاستئذان إنما جُعل من أجل البصر، قال ﷺ: «إنما جعل الاستئذان من أجل البصر».

وينبغي عدم التضجر إذا منع الرجل من الدخول لأن هذا الأمر تربية إسلامية ربى الله به المؤمنين.

المبحث السادس

التبرج وغض البصر

قال الله تعالى: (قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون) النور:٣٠.

التبرج لغة: التكشف والظهور للعيون.(٩)

اصطلاحاً: هو إظهار الزينة لمن لا يحل له النظر إليها.

شدد القرآن الكريم في عقوبة القذف فجعلها قريبة من عقوبة الزنا ثمانين جلدة

غض البصر لغة :

اصطلاحاً: هو صرف البصر عما حرمه الله(١٠).

لقد نهى الله سبحانه وتعالى المرأة عن التبرج فقال «ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى»، وهذا النهي وهذه الحرمة تتناول جميع أشكال التبرج المختلفة.

وكذلك أمرنا الله سبحانه وتعالى بغض البصر في قوله: (قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهم).

وهذا أمركما سبق ـ للمؤمنين والمؤمنات أن يغضوا من أبصارهم عما حرمه الله عليهم دون من أباح لهم رؤيته.

الحكمة من الحكم التكليفي:

قال شيخ الإسلام أحمد بن تيمية: «المرأة يجب أن تُصان وتحفظ بما لا يجب مثله في الرجل ولهذا خصت بالاحتجاب وترك إبداء الزينة، وترك التبرج.

فيجب في حقها الاستتار باللباس والبيوت ما لا يجب في حق الرجل، لأن ظهور النساء سبب الفتنة وهذا في التبرج والسفور، أما عن غض البصر فيجب لأن البصر داعية إلى فساد القلب الذي يسوق إلى الفاحشة بالتمني أو السعي إليها ولذلك أمر الله بحفظ الفروج كما أمر بحفظ الأبصار التي هي بواعث إلى ذلك.(١١)

وقال العلامة ابن القيم في قوله تعالى: (والذي هم لفروجهم حافظون... الآية)(١٢)، فأمر الله تعالى نبيه أن يأمر المؤمنين بغض أبصارهم وحفظ فروجهم، وأن يعلمهم أنه مشاهد لأعمالهم مطلع عليها (يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور) ولما كان مبدأ ذلك من البصر جعل الأمر بغضه مقدماً على حفظ الفرج، فإن الحوادث مبدؤها من البصر كما أن معظم النار من مستصغر الشرر، فتكون نظرة ثم خطرة ثم خطوة ثم خطيئة.

ولهذا قيل: من حفظ الأربعة أحرز دينه: اللحظات، والخطرات، واللفظات، والخطوات.

مفاسد النظر:

بما أننا تناولنا غض البصر فلابد من تناول مضاده قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ فأما اللحظات فهي رائدة الشهوة ورسولها، وحفظها أصل حفظ الفرد، فمن أطلق بصره أورد نفسه موارد المهلكات، قال النبي ﷺ لا تتبع النظرة النظرة، فإنما لك الأولى وليست لك الأخرى.(١٣)

وأول تلك المفاسد:

١ ـ أنه يورث الحسرات والزفرات والحرقات، فيرى العبد ما ليس قادراً عليه ولا صابراً عنه، وهذا من أعظم العذاب قال الشاعر:

وكنت متى أرسلت طرفك رائداً
لقلبك يوماً أتعبتك المناظر
فرأيت الذي لاكله أنت قادر
عليه ولا عن بعضه أنت صابر

٢ ـ وكذلك فالنظرة عامة الحوادث التي تصيب الإنسان منها، فالنظرة تولد خطرة ثم تولد الخطرة فكرة، ثم تولد الفكرة شهوة ثم تولد الشهوة إرادة فعزيمة، فيقع الفعل ولابد، ما لم يمنع منه مانع وفي هذا قيل «الصبر على غض البصر أيسر من الصبر على ألم ما بعده».

٣ ـ النظرة تجرح القلب جرحاً، فيتبعها جرح على جرح ثم لا يمنعه ألم الجراحة من استدعاء تكرارها.

الإسلام انتداب المسلمين للمساعدة على تزويج الأيامى من المسلمين الأحرار

فوائد غض البصر:

حلاوة الايمان ولذته التي هي أحلى وأطيب مما تركه لله فإن «من ترك شيئاً لله، عوضه الله خيراً منه» غض البصر يورث نور القلب والفراسة قال تعالى عن قوم لوط (لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون) الحجر:٧٢، فالتعلق بالصور يوجب فساد العقل، وعمى البصيرة، ولهذا يوجد في المتبع هواه ذل النفس وضعفها ومهانتها»(١٤).

المبحث السابع

تربية الإسلام في الحث على الزواج والعفة

قال تعالى: (وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله والله واسع عليم) النور:٣٢.

وإذا كانوا مأمورين بإنكاح من تحت أيديهم، كان أمرهم بإنكاح أنفسهم من باب أولى.

ثم يأمر تعالى الشباب الذين لا تتيسر لهم سبل الزواج لأسباب مادية أو عقبات اجتماعية بالعفة عن الفواحش والابتعاد عمَّا حرم الله حتى يوسع عليهم الله، ويسهل لهم أمر الزواج، فإن العبد إذا اتقى الله جعل له من أمره فرجاً ومخرجاً.(١٥)

ومن الكذب والزور ما يقوله بعض أدعياء العلم اليوم من أن «الكبت والحرمان» يولدان عند الإنسان عقد نفسية وأن عليه أن يخفف طغيان الغريزة.

إنهم يقيسون الإنسان على الحيوان الذي يعيش طليقاً بلا قيود ولا حدود يأتي شهوته متى شاء وينال غريزته بأي طريق أحب.

يقول سيد قطب: ولا عبرة بما يقال من أن البغاء صمام أمان يحمي البيوت الشريفة لأنه لا سبيل لمواجهة الحاجة الفطرية إلا بهذا العلاج القذر عند تعذر الزواج أو تهجم الذئاب المسعورة على الأعراض المصونة إن لم تجد هذا الكلأ المباح.

إن في التفكير على هذا النحو قلباً للأسباب والنتائج فالميل الجنسي يجب أن يظل نظيفاً بريئاً موجهاً إلى إمداد الحياة بالأجيال الجديدة، وعلى الجماعات أن تصلح نظمها الاقتصادية بحيث يكون كل فرد فيها في مستوى يسمح له بالحياة المعقولة وبالزواج، فإن وجدت بعد ذلك حالات شاذة عولجت بهذه الحالات علاجاً خاصاً.. وبذلك لا تحتاج إلى البغاء، وإلى إقامة مقاذر إنسانية، يمر بها كل من يريد أن يتخفف من أعباء الجنس، فيلقي فيها بالفضلات تحت سمع الجماعة وبصرها.(١٦)

ويُستفاد من هذه الآيات:

انتداب المسلمين حاكمين ومحكومين للمساعدة

لابد أن يستأذن الخدم والصغار المميزون الذين لم يبلغوا الحلم كي لا تقع أنظارهم على عورات أهليهم

على تزويج الأيامى من المسلمين الأحرار.
وجوب الاستعفاف على من لم يجد نكاحاً والصبر حتى ييسر الله أمره.
عدة الله للفقير إذا تزوج بالغنى.
حرمة الزنى بالإكراه أو بالاختيار ومنع ذلك بإقامة الحدود.

المبحث الثامن

تربية الإسلام للمسلمين في آداب الاستئذان وأوقاته

قول تعالى: (يا أيها الذين آمنوا ليستذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلاة العشاء ثلاث عورات لكم ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن طوافون عليكم بعضكم على بعض كذلك يبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم) النور:٥٨.

ربا الإسلام المسلمين على الاستئذان كما تقدم في المبحث السابق وقد نظم لذلك أوقاتاً، فالإسلام منهج حياة كامل فهو لم يترك الإنسان عبثاً إنما تلقفه منذ أن كان نطفة في رحم أمه إلى أن يوارى في التراب، وهذه السورة نموذج من ذلك التنسيق، فالخدم من الرقيق، والأطفال المميزين الذين لم يبلغوا الحلم يدخلون بلا استئذان، إلا في ثلاثة أوقات تنكشف فيها العورات عادة، فهم يستأذنون فيها، وهذه الأوقات هي:

قبل صلاة الفجر حيث يكون الناس في ثياب النوم عادة أو أنهم يغيرونها ويلبسون ثياب الخروج، وقت الظهيرة عند القيلولة، حيث يخلعون ثيابهم في العادة ويرتدون ثياب النوم، وبعد صلاة العشاء حيث يخلعون ملابسهم كذلك ويرتدون ثياب الليل.

المرأة يجب أن تُصان وتحفظ ولهذا خصت بالاحتجاب وترك إبداء الزينة وترك التبرج

وسماها عورات لانكشاف العورات فيها، وفي هذه الأوقات الثلاثة لابد أن يستأذن الخدم، وأن يستأذن الصغار المميزون الذين لم يبلغوا الحلم، كي لا تقع أنظارهم على عورات أهليهم، وهو أدب يغفله الكثيرون في حياتهم المنزلية، مستهينين بآثاره النفسية والعصبية والخلقية، ظانين أن الخدم لا تمتد أعينهم إلى عورات السادة، وأن الصغار قبل البلوغ لاينتبهون لهذه المناظر، بينما يقرر النفسيون أن بعض المشاهد التي تقع عليها أنظار الأطفال في صغرهم هي التي تؤثر في حياتهم كلها، فأما حين يدرك الصغار سن البلوغ، فإنهم يدخلون في حكم الأجانب يجب أن يستأذنوا في كل وقت حسب النص العام، الذي مضت به آية الاستئذانات.

ويستفاد من هذه الآيات:
وجوب الاستئذان عند الدخول وتعليم الأولاد والخدم ذلك.
أن الصغير الذي لم يبلغ لا يجوز أن يمكَّن من رؤية العورة، ولا يجوز أن ترى عورته، لأن الله لم يأمر باستئذانهم إلا عن أمر ما يجوز، وكذلك العبد المملوك.
جواز كشف العورة لحاجة كالنوم والبول والغائط ونحو ذلك.

المبحث التاسع

تربية الإسلام على احترام النبي ﷺ

قال تعالى: (لاتجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً قد يعلم الله الذين يتسللون منكم....... فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم) النور:٦٣.

ربا الله عز وجل عباده في هذه الآية على تعظيم وتوقير النبي عليه الصلاة والسلام وذلك لأنه نبي هذه الأمة وهو خير الأنبياء ولأنه قائد الأمة فلا بد وأن يختلف أسلوب المخاطبة معه، فإن الله عز وجل قد رفع منزلته فكذلك الواجب على المسلمين أن يقدروا له قدره وذلك بأن لا يدعونه باسمه: يا محمد ولكن يقولون يا رسول الله أو يا نبي الله وأن يخفضوا أصواتهم عنده ولا يخاطبوه إلا باللين.

واحترام النبي عليه الصلاة والسلام، فكما كان في حياته يكون أيضاً بعد وفاته وذلك بأن لا ترفع أصوات الناس في مجلس يذكر فيه أحاديث النبي عليه الصلاة والسلام وكذلك القرآن من باب أولى.

الميل الجنسي يجب أن يظل نظيفاً بريئاً موجهاً إلى إمداد الحياة بالأجيال الجديدة

يقول الشيخ الجزائري: أن يحاذر المؤمنين إغضاب رسول الله بمخالفته فإنه إن دعا عليهم هلكوا لأن دعاء الرسول لا يرد فليس هو كدعاء غيره.(١٧)

ويستفاد من هذه الآيات:
تعظيم رسول الله ﷺ.
وجوب طاعة الله ورسوله.
المتجرئ على الاستهانة بسنة الرسول يخشى عليه سوء الخاتمة. ■

الهوامش:

١ - الظلال لسيد قطب ٦/٢٣٤١.
٢ - ابن كثير ٤/٢١٠ - ٢١١.
٣ - تيسير الكريم الرحمن ٣/٣٢٥.
٤ - الطبري ٩/٢٨٨.
٥ - تفسير القرآن لابن كثير ٣/٢٦٧.
٦ - أيسر التفاسير للجزائري.
٧ - سيد قطب/ ٢٧٠.
٨ - ابن كثير ٢٧٢.
٩ - المصباح المنير مادة (برج).
١٠ - الموسوعة ٨/٩٩.
١١ - بهجة الناظرين شريح الصالحين ٣/١٤٣.
١٢ - المصدر السابق ٣/١٤٣.
١٣ - حسن، رواه أحمد وأبو داود والحاكم والترمذي وقال هذا حديث حسن غريب وحسنه الألباني.
١٤ - من كلام ابن تيمية مجموعة رسائل في الحجاب والسفور ٣٥، ٣٦.
١٥ - تيسير الكريم الرحمن للسعدي ٣/٣٥٩.
١٦ - الظلال ٢/١٧٩.
١٧ - أيسر التفاسير للجزائري ٣/٥٩٤.

بقلم : د. أحمد عبدالعزيز المزيني

اللغة العربية في المدارس الأجنبية

الواقع والمستقبل

أهداف تدريس اللغة

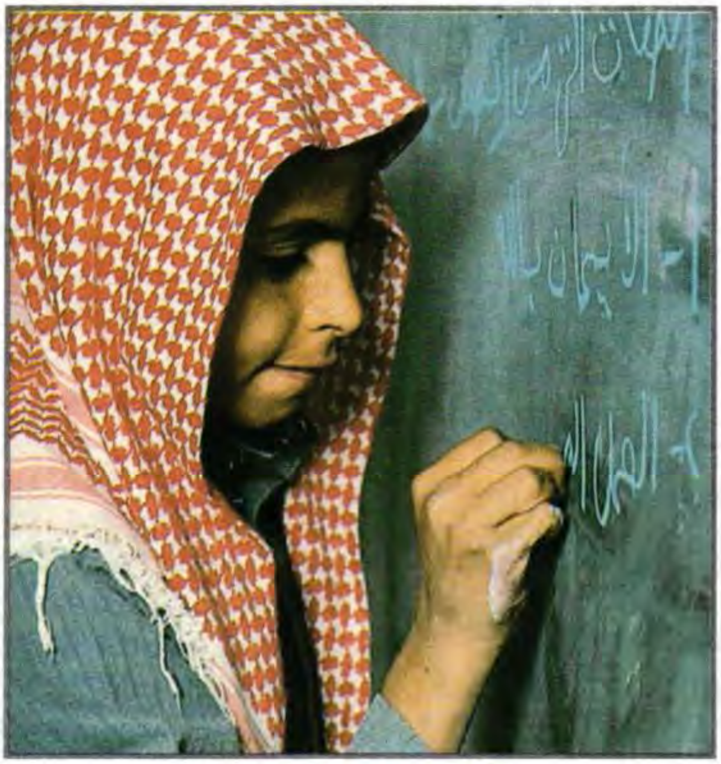
لعل من أبرز أهداف تدريس اللغة العربية - في الوطن العربي على امتداده وعلى اختلاف مدارسه ومعاهده - أن يتعرف الطالب من خلال دراسته لها إلى أصول الكتابة العربية من نحو وبلاغة وأدب، بحيث يصبح قادراً على اكتساب المهارات الأساسية الأربع وهي:

الاستماع والمحادثة والكتابة والقراءة، وهي مهارات تتفاوت قدرات الدارسين في اتقانها وتحقيقها وفقاً لقدراتهم ووفقاً للأساليب المتبعة والتقنيات التربوية المستخدمة في تحقيق ذلك، إضافة إلى الكم والنوع المتمثلين في المنهج الدراسي أو ما يسمى بالكتاب المدرسي.

ويمكن أن يعدَّ تحقيق هذا الهدف في ذوات الدارسين مطلباً أساسياً ينضوي تربوياً تحت الأهداف العامة والخاصة لتدريس اللغات بصفة عامة، غير أن هناك هدفاً غير معلن صراحة يتحقق تلقائياً وبصورة عشوائية أو شبه تحكمية وهو التعرف إلى العديد من العادات والتقاليد والقيم ومعرفة الكتاب والأدباء والشعراء والمفكرين والعلماء الذين لهم إسهاماتهم في بناء الثقافة العامة في كل مجتمع من المجتمعات.

الازدواجية اللغوية

وإذا كان الطالب العربي منذ تلقيه دروس اللغة العربية يبدأ بالإحساس بأنه أمام لغة جديدة تختلف إلى حد ما عما ألفه في المنزل والحيِّ من لهجة دراجة، إلا أن هذا الإحساس يكاد يتبدد مع الوقت، إذ يصبح التعايش مع اللغة العربية التي يدرسها دراسة منهجية ومع اللهجة الدارجة التي اكتسبها أمراً طبيعياً، ويعيش حياته كلها في ازدواجية لغوية، ليس في كل واحدة منهما ما يعيق الآخر أو يقف في طريق المتحدث إذا أراد الحديث أو الكتابة أو القراءة أو الاستماع بإحداهما دون الأخرى، اللهم إلا في حالات يكون التدريب على اللغة الفصحى لم يحظ بالاهتمام المطلوب، وعالمنا العربي من أقصاه إلى أقصاه يعيش حالة من الازدواجية اللغوية منذ أقدم العصور، وقد ذهب بعض الدارسين إلى أن العرب في العصر الجاهلي كانوا



يعيشون حالة من الازدواجية، وأن صراعاً بين مختلف اللهجات قد وقع فعلاً وانتهى في نهاية المطالف إلى بروز لهجة قريش كلهجة رسمية للأدب والشعر والخطابة، وبقيت مختلف اللهجات تعيش جنباً إلى جنب مع لهجة وقريش... وربما كانت اللهجات العربية في فترات مختلفة تنبئ عن قبيلة المتحدث وتكشف عن هويته وموطنه وربما عن قريته الصغيرة التي يعيش فيها إذا ما التقى بإنسان على اطلاع قليل بالخصائص اللهجية لبعض المناطق والأقاليم.

يهمنا من هذا كله أن الازدواجية اللغوية من الأمور التي لم تتجاوزها ولم تغفلها العملية التربوية، فهناك من قبل المدرسين والموجهين إصرار على المطالبة بالحديث باللغة الفصحى، والتخلي عن الحديث بالعامية، وهناك عملية تفصيح وتصويب للمفردات العامية التي تقع في كلام المتحدثين.

اللغة العربية مادة دراسية

عندما وضع التربويون اللغة العربية مادة للدراسة أصبح هذا الأمر يعني الشيء الكثير، وهو أن هناك منهجاً معيناً خاصة بهذه اللغة فيه من التسلسل والبناء الهرمي ما يمكن الدارسين من إتقان هذا المنهج والنجاح فيه من التفاوت في درجات الإتقان وتحقيق المهارات الأساسية الأربع «الاستماع - الحديث - الكتابة - القراءة»، والأمر في المدارس العربية «حكومية أو خاصة» يفترض إلى جانب ذلك أن مناهج المواد الأخرى من تربية إسلامية ومواد اجتماعية وعلوم ورياضيات وتربية بدنية أنها تدرس باللغة العربية المفصحة أو الفصيحة إلى حد ما... وهذا الأمر من شأنه أن يزيد من الثروة اللغوية لدى الطلاب الدارسين ويعمل على تحقيق المهارات الأساسية سابقة الذكر، بحيث تصبح عملية التواصل بين الماضي والحاضر أمراً طبيعياً وليس هناك من عوائق تحول دون ذلك، فضلاً عما تقوم به هذه المناهج من تعزيز لعملية تعلم اللغة العربية واكتسابها، لما تشيعه في الوسط المدرسي من أجواء عربية تصب في خدمة اللغة.

وهذا الأمر مختلف جداً في المدارس الأجنبية حيث تصبح اللغة العربية لغة غريبة ومستهجنة في هذا الخضم الهائج من المواد التي تدرس باللغة الأجنبية وتصبح اللغة العربية غير مستحبة من قِبَلِ الطلاب الذين نهلوا طويلاً وتشبعوا كثيراً من المناهج الغربية.

فاللغة الإنجليزية - على سبيل المثال - يتم تناولها في المدارس العربية على أنها لغة أجنبية، وليست لغة ثانية، والفرق كبير جداً بين أن تكون لغة ما أجنبية وبين أن تكون لغة ثانية، فهناك فروق في أهداف تدريس اللغة الأجنبية وأهداف تدريس اللغة الثانية، فضلاً عن اختلاف الوسائل والتقنيات في تدريس هذه وتدريس تلك.

فعندما تكون اللغة أجنبية يطمح المربون إلى أن يتعرف الطالب إلى لغة يمكن أن يستخدمها عند الحاجة وعند الضرورة في الحل والترحال، وعندما تكون اللغة ثابتة فإن الدارس يصبح مخيراً بين اختيار هذه اللغة وسيلة للتعبير والكتابة والبحث وبين اختيار لغته الأم أو اللغة الأولى، وتصبح اللغتان الأولى والثانية في معادلة واحدة



> **واللغة العربية في المدارس الأجنبية لم تحظ باهتمام ولا احترام وتقدير**



ودرجة متساوية في الاستخدام، والطالب ثنائي اللغة يقف دون شعور منه حائراً بين الميل إلى اللغة الأولى واللغة الثانية، ولابد أن تنتصر إحدى اللغتين في شخصه بحيث تتراجع آليات إحداهما على الأخرى، وفي كثير من المجتمعات ما يؤكد تغلب هذه على تلك بعد صراع لغوي طويل، ينتهي آخر الأمر إلى عملية إحلال لغوي، كما يحدث في الصراع اللغوي بين العاميات والفصحى، مع الاختلاف الواضح في حدة الصراع وطبيعته وبين المهادنة هنا والمعادة هناك، شعوب كثيرة يعرفها القارئ اندثرت لغاتها الأصلية وحلت مكانها لغات أخرى بعد صراع لغوي انضوى تحت صراعات ثقافية وحضارية وسياسية وغزو استعماري معروف.

واللغة العربية في المدارس الأجنبية لم تحظ باهتمام ولا احترام وتقدير، سواء أكان هذا الأمر صادراً عن الطلاب أم عن هيئة التدريس الأجنبية، وعلينا ألا ننخدع كثيراً عندما يُقال: إن مناهج وزارة التربية لمادة اللغة العربية تطبق وتقرر في جميع المدارس، سواء العربية منها والأجنبية، فالطالب في المدرستين العربية والأجنبية يدرس خمس حصص، وهذا قول مردود لأنه يخفي حقيقة مؤلمة شديدة الألم، لأن زمن الحصة في المدارس الأجنبية أقل بكثير من زمن الحصة في المدارس العربية، ثم ماذا عن طبيعة إشراف التعليم الخاص توجيهاً وإرشاداً ومتابعة وتقويماً لواقع اللغة العربية في المدارس الأجنبية، ثم ألا يوجد بين الطلاب العرب من يأبى دراسة اللغة العربية بحجة أنهم ينوون استكمال دراستهم في الخارج، ويصرون على الرفض باعتبار أنهم ليسوا في حاجة إلى اللغة العربية... وليس لهذه المدارس وإداراتها التي تتلقى الإنفاق عليها من أولياء الطلاب إلا الإذعان أمام رغبات الطلاب الجامحة وعواطفهم المشبوبة بما يشبه الهوس تجاه اللغة الأجنبية.

وهناك بدعة جديدة ابتدعتها هذه المدارس، وهي إسناد تدريس اللغة العربية والتربية الإسلامية للطلاب الأجانب إلى حملة المؤهلات الإنجليزية بحجة أنهم قادرون على التحدث باللغة الإنجليزية، وكأن الأمر يحتاج إلى شروح مطولة وتفصيلات دقيقة لا يقدر على تقديمها من لديه إلمام يسير باللغة الإنجليزية.

والخطورة كل الخطورة تكمن في تخريج هذه الأجيال على هذا النهج المريب من التغريب، وهي أجيال لن تعود لها صلة بماضيها وتراثها وثقافتها، ولن يكون لها ولاء ولا انتماء لآبائها وأقرانها ممن يتخرجون في المدارس العربية، وكأننا بذلك نعمل على إيجاد حالة من الانفصام في شخصية المجتمع وبنيته الأساسية، تبدو آثاره في ظاهرة استعلاء لغوي ومباهاة بلغة الغرب وثقافاتهم وإعلامهم.

والأمر أكثر خطورة في واقع تدريس التربية الإسلامية في هذه المدارس الأجنبية فهناك من يعلّم هذه المادة دون تخصص فيها أو إلمام بها أو إدراك لمبادئها، وإذا تلا بضع آيات عرفته من لحن القول وسقط من حسابك. ■

بقلم : محمد رجاء حنفي عبد المتجلي

أُرِيدَ به الوصول إلى النّفس المطمئنّة

الجهاد الأكبر

إن المولى سبحانه تبارك وتعالى عندما خلق الإنسان أعده ليكون خليفته في أرضه، وحامل أمانته بين خلقه، وسخر له القوى الأرضية، والطاقات الطبيعية، وطوع له الوسائل المادية، ورصد له المدارك العقلية، ونفث فيه الفطرة الدينية، وفضله على كثير ممن خلق تفضيلا.

واقتضت حكمته سبحانه عز وجل بعد ذلك أن يبث في كل نفس النزعات المادية، والنزعات الحسية، وشاءت ارادته أن تكون النفس البشرية ميدانا للصراع بين الخير والشر، وبين الفضيلة والرذيلة، وبين الرشاد والضلال، ليحمل كل إنسان عاقبة ما اقترفت يداه وما جناه، فيموت من مات عن بينة شاهدها، ويعيش من عاش عن حجة عاينها، يقول المولى سبحانه تبارك وتعالى: (ليهلك من هلك عن بينة، ويحيي من حيَّ عن بينة، وليمحص الله الذين آمنوا، ويمحق الكافرين) سورة الأنفال: الآية (٤٢).

فمن أخلد إلى الحياة الدنيا، واتبع هواه، وكان أمره فرطا، وآثر العاجلة على الآجلة، استحق العقاب بأن يكون مصيره إلى الجحيم، ومطعمه من الزقوم، ومشربه من الحميم، ومن زكى نفسه، وطهر حسه، وراقب الخالق سبحانه عز وجل في السر وفي العلن، وخاف القيام بين يديه، وحكمه فيه، ونهى النفس عن هواها، وردها إلى طاعة مولاها، وآثر الحياة الآخرة على الحياة الدنيا، استحق الثواب الجزيل، بأن يكون منقلبه ومصيره ومرجعه إلى الجنة.

يقول المولى سبحانه تبارك وتعالى: (فأما من طغى وآثر الحياة الدنيا فإن الجحيم هي المأوى، وأما من خاف مقام ربه، ونهى النفس عن الهوى، فإن الجنة هي المأوى) سورة النازعات: الآيات (٣٧/٤١).

ولقد اقتضت حكمة المولي سبحانه تبارك وتعالى ورحمته، قبل أن يعرض الإنسان لهذا الاختيار الصعب أن يرسل إليه رسلاً، وأن ينزل إليه كتبا، وذلك على امتداد التاريخ البشري، من عهد آدم عليه السلام، إلى المصطفى صلوات الله عليه وسلامه، ليزيلوا ما ران على فطرة الإنسان من شرور وفساد، وليقيموه بعد ارتكاسه في مهاوي الضلال والرذيلة إلى سواء السّبيل، وليرشدوه ويعرفوه طريق الشر ومساوئه، وطريق الخير وفضائله ومحاسنه، وذلك للعهد الذي قطعه المولى سبحانه تبارك وتعالى على نفسه في قوله: (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) سورة الإسراء: الآية (١٥).

ومن هنا تكون العدالة الالهية، والعناية الربانية، قد أنصفت الإنسان في تطبيقها لقانون المسئولية والجزاء، فلا حساب دون بيان، ولا جزاء دون توضيح للسبل أمام الإنسان، يقول المولى سبحانه تبارك وتعالى: (كل نفس بما كسبت رهينة) سورة المدثر: الآية (٣٨).

ويقول سبحانه وهو أصدق القائلين: (من عمل صالحا فلنفسه، ومن أساء فعليها، وما ربك بظلام للعبيد) سورة فصلت: الآية (٤٦).

ويقول سبحانه عز وجل: (فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره) سورة الزلزلة: الآيتان (٧، ٨).

وقد أجمعت الكتب السماوية كلها على أن الطريق القويم، والصراط المستقيم هي طريق الايمان والعمل الصالح.

والايمان وحده لا يكفي، بل لابد من الابتلاء، فالمولى سبحانه تبارك وتعالى يبتلي عباده المؤمنين بحسب ما عندهم من الايمان، كما جاء في الحديث الصحيح، عن رسول الله صلوات الله وسلامه عليه: «أشد الناس بلاء الأنبياء، ثم الصالحون، ثم الأمثل فالأمثل فالمؤمن يبتلى على حسب دينه، فإن كان في دينه صلابة زيد له في البلاء.

يقول الحق سبحانه وهو أصدق القائلين: (أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا: آمنا.. وهم لا يفتنون.. ولقد فتنا الذين من قبلهم، فليعلمن الله الذين صدقوا، وليعلمن الكاذبين) سورة العنكبوت: الآيتان (٢، ٣)، أي: الذين صدقوا في دعوى الايمان ممن هو كاذب في دعواه، والحق سبحانه تبارك وتعالى يعلم ما كان، وما يكون، وما لم يكن، لو كان كيف يكون، وهذا مجمع عليه عند أئمة السنة والجماعة.

العناصر الأساسية في تكوين النفس الإنسانية:

لقد اختلف العلماء والباحثون في العناصر الأساسية التي تكون النفس الإنسانية اختلافا كبيرا، فذهب فريق منهم إلى أن الوراثة هي العامل الأكبر في هذا التكوين، وهم يبالغون في تأكيدهم على أهمية الوراثة، لدرجة أنهم يتجاوزون دائرة التكوين الجسمي والعقلي إلى التكوين الخلقي، حيث يقولون: إن الناس يرثون عن آبائهم القدوة والمشاعر، والحالات النفسية، بالطريقة التي يرثون بها الشكل واللون، وطول القامة، وما إلى غير ذلك.

وقلل فريق آخر من العلماء والباحثين من أهمية الوراثة، وجعلوا تأثير البيئة هو كل شيء في حياة الإنسان، ويقولون: إن العوامل الوراثية التي يبالغ الناس في أهميتها لا قيمة لها ولا وزن، وليس لها أدنى أثر إذا ما قورنت بأثر العوامل البيئية التي لها أكبر الأثر في حياة الإنسان.

والحقيقة أن كلا من الطرفين المختلفين مبالغ في رأيه تماما، حيث أن لكل من الوراثة والبيئة معا أكبر الأثر في تكوين النفس الإنسانية.

إن صفات الجسم هي أكثر الصفات تأثراً بالوراثة، وتليها صفات العقل، من حيث درجة التأثر بالوراثة، أما الصفات الخلقية كالصدق والأمانة، والشجاعة والعدالة، وما إلى غير ذلك من الصفات الأخرى، فهي أقل الصفات جميعا تأثراً بالوراثة.

الوراثة والبيئة معا أكبر الأثر في تكوين النفس الإنسانية

والنفس الإنسانية مكبلة بقيود الوراثة وأغلال البيئة، فهي تعاني وتكابد في سبيل التخلص من هذه القيود وتلك الأغلال الشيء الكثير، وإن كان الصلف والغرور الإنساني يخيل للإنسان أنه قادر بما يملكه من قوة، وما يحرزه من مال، على فعل أي شيء، بيد أنه في الحقيقة عاجز وضعيف، ولا سبيل أمامه لاقتحام هذه الأسوار المحيطة به إلا سبيل الاستعانة بقوة فوق قوته.

وهذه القوة ليس لها مصدر سوى الإيمان بالمولى سبحانه تبارك وتعالى، والعمل الصالح، يقول الحق سبحانه وهو أصدق القائلين: (ومن يتق الله يجعل له مخرجا) سورة الطلاق: الآية (٤).

ولقد لخص القرآن الكريم النفس البشرية أبدع تلخيص، وصورها أروع تصوير، مبينا أثر الوراثة والبيئة في تكوين النفس الإنسانية، في عبارات قليلة موجزة، ولكنها موجهة، يقول الحق سبحانه عز وجل: (لا أقسم بهذا البلد. وأنت حل بهذا البلد. ووالد وما ولد. لقد خلقنا الإنسان في كبد) سورة البلد: الآيات (١، ٤).

إن المولى سبحانه تبارك وتعالى ينوه في هذه الآيات القرآنية الكريمة بالبيئة، وهي «البلد»، وينوه بالوراثة وهي «الوالدية»، ثم يشير إلى ما يقاسيه الإنسان من عناء الفكاك منهما، وأن غروره بقوته وماله لا ينفعه في التخلص منهما، وإنما الذي ينفعه هو أن يستغل ما وهبه المولى سبحانه تبارك وتعالى له من حواس جسمية، ومواهب عقلية، مستعيناً بخالقه سبحانه جل شأنه، ومهتدياً بهداه.

الجهاد الأكبر:

إن الإسلام يدعو إلى العزة والكرامة، والسمو من حال إلى حال، وهذا هو ما يسميه المصطفى صلوات الله وسلامه عليه بـ «الجهاد الأكبر»، فعن طريقه يخرج الإنسان من قيد النفس الأمارة بالسوء، التي تنقاد لغرائزها العمياء إلى ساحة النفس المسئولة، التي تعي التقاليد المرعية، وتدرك الأوضاع الاجتماعية، وتستطيع التمييز بين الخير والشر، وتقدر النتائج، لأن المولى سبحانه تبارك وتعالى قد عرفها طريق الهدى وطريق الضلال، وجعلها تميز العواقب.

ومن النفس المسئولة يهاجر الإنسان إلى النفس اللوامة، وهي التي تمثل السلطة العليا للمجتمع، بما فيه سلطة الوالدين، وهذه النفس هي التي يسميها علماء النفس بـ «الذات العليا»، أو «الرقيب»، ويطلق عليها علماء الإسلام اسم «الضمير».

وهذه النفس تنمو بنمو الفرد، وتعد بحكم تكوينها متصلة بـ «الذات السفلى»، و«الذات الشعورية»، وتسيطر سيطرة كاملة على النفس البشرية.

والضمير هو الذي يتولى سؤال النفس ومحاسبتها، وهو الذي يعطيها الأوامر، ويصدر الأحكام، ويحاسبها على الأعمال كما يحاسبها على النيات، فهو بمثابة المراقب على العلاقة بين «النفس الأمارة بالسوء»، و«النفس المسئولة».

وهذه الهجرة عبارة عن هجرة روحية، من قرارة الأرض إلى أعلى السموات، وفي هذا يقول رسول الله صلوات الله وسلامه عليه: «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئٍ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها، أو امرأة ينكحها، فهجرته إلى ما هاجر إليه».

ويقول عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام: «لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة، ولا تنقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها».

ويقول صلى الله عليه وسلم: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه».

وهذه الهجرة الروحية إن لم يصاحبها الإيمان الثابت، واليقين القوي، والعزم المتين، والعمل الدائب، والجهاد المستمر، فقد تتعرض للنكسة، ولهذا وصف المولى سبحانه تبارك وتعالى المؤمنين بأنهم البعيدون كل البعد عن الريب والشكوك، فقال سبحانه وهو أصدق القائلين: (إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله، ثم لم يرتابوا، وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله، أولئك هم الصادقون) سورة الحجرات: الآية (١٥).

والوسيلة إلى بلوغ هذه الغاية، هو أن يجعل الإنسان غرائزه وعواطفه متعلقة بمرضاة الله سبحانه تبارك وتعالى، فيجعل غريزة الخوف متعلقة بالله سبحانه عز وجل وحده: (وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه) سورة الأحزاب: الآية (٣٧).

وغريزة المقاتلة يجب أن يرتفع بها إلى أرفع المراتب نبلا، وأعظمها شرفا، وأجلها غاية، وأسماها هدفا، وهي التي يسعى إليها أصحاب الهمم العالية، والنفوس الأبية، والأرواح الطاهرة النقية، وهذه المرتبة هي مرتبة الجهاد في سبيل المولى سبحانه تبارك وتعالى، نشراً

للعقيدة، ودفاعاً عن الوطن من أن يستباح، وذوداً عن العرض من أن يمتهن.

ولقد أخبر المولى سبحانه تبارك وتعالى أنه عوض من عباده المؤمنين عن أنفسهم وأموالهم إذا بذلوها في سبيله بالجنة، وهذا من فضله وكرمه وإحسانه، فإنه قبل العوض عما يملكه بما تفضل به على عبيده المطيعين له، يقول سبحانه وهو أصدق القائلين: (إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة، يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون، وعداً عليه حقاً في التوراة والإنجيل والقرآن، ومن أوفى بعهده من الله، فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به، وذلك هو الفوز العظيم) سورة التوبة: الآية (١١١).

وغريزة الفرار يصلها بالخالق الحكيم سبحانه عز وجل: (ففروا إلى الله إني لكم منه نذير مبين) سورة الذاريات: الآية (٥٠).

وغريزة حب الاستطلاع يوجهها إلى البحث والتدبر، والتأمل والدراسة، في الوصول إلى معرفة الحق، والنظر في دلائله نظر اعتبار، مستخدماً في ذلك جميع حواسه، من: سمع، وبصر، وعقل، وغير ذلك، يقول المولى سبحانه تبارك وتعالى: (ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس، لهم قلوب لا يفقهون بها، ولهم أعين لا يبصرون بها، ولهم آذان لا يسمعون بها، أولئك كالأنعام، بل هم أضل، أولئك هم الغافلون) سورة الأعراف: الآية (١٧٩).

وعلى هذا النحو يمكن التسامي بجميع الغرائز الحسية، وجعلها مرتبطة بخالقها ومتعلقة به سبحانه عز وجل.

والعواطف الوجدانية يجب أن تتجه هي الأخرى بكاملها إلى المولى سبحانه تبارك وتعالى، إذ أن الإنسان السوي يحب في الله سبحانه عز وجل، ويبغض في الله سبحانه عز وجل، مصداقاً لقول المصطفى صلوات الله وسلامه عليه: «أفضل الأعمال الحب في الله، والبغض في الله».

والمؤمن إذا انشغل قلبه، وتعلقت روحه، بصحبة المولى سبحانه تبارك وتعالى أمن على نفسه من النكسة أو الانحدار، الذي يسببه ضعف الإيمان، ووساوس الشيطان، ولقد حذرنا الحق سبحانه جلت حكمته من هذه النكسة أو الانحدار، فقال سبحانه عز من قائل: (ولا تتخذوا أيمانكم دخلا بينكم، فتزل قدم بعد ثبوتها) سورة النحل: الآية (٩٤).

ويقول سبحانه وهو أصدق القائلين: (ومن الناس من يعبد الله على حرف، فإن أصابه خير اطمأن به، وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه، خسر الدنيا والآخرة، ذلك هو الخسران المبين) سورة الحج: الآية (١١).

ويقول سبحانه تبارك وتعالى: (إن الذين ارتدوا على أدبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى، الشيطان سول لهم، وأملى لهم) سورة محمد: الآية (٢٥).

ولقد وعد الحق سبحانه عز وجل المؤمنين الصادقين بأن يعينهم، ويهيئ لهم سبل الاستقرار والثبات، يقول سبحانه عز من قائل: (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة، ويضل الله الظالمين، ويفعل الله ما يشاء) سورة إبراهيم: الآية (٢٧).

الرحلة شاقة ومضنية:

إن الرحلة التي يأمرنا بها المولى سبحانه تبارك وتعالى، والهجرة التي يدعونا إليها رسول الله صلوات الله وسلامه عليه، للانتقال من حضيض الحياة الحيوانية الشهوانية، إلى آفاق السموات الروحية، هي رحلة شاقة ومضنية، تعترضها العقبات، وتحفها المشقات، وتقف أمامها الصعوبات، وتحيط بها المكاره، ولذلك فهي تحتاج إلى زاد كبير من التقوى، وفي هذا يقول رسول الله صلوات الله وسلامه عليه: «حفت الجنة بالمكاره، وحفت النار بالشهوات».

وهذه الرحلة على ما فيها من أخطار ومصاعب، فإن المولى سبحانه تبارك وتعالى يعين عباده عليها إذا اتجهوا إليها، واعتمدوا عليه، ووثقوا به، يقول سبحانه وهو أصدق القائلين: (الله ولي الذين آمنوا، يخرجهم من الظلمات إلى النور، والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت، يخرجونهم من النور إلى الظلمات، أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) سورة البقرة: الآية (٢٥٧).

وهذه المعونة الإلهية تتجلى أقوى ما تتجلى في أن يمنح المولى سبحانه تبارك وتعالى المؤمنين نوراً يضيء أمامهم ظلمات الطريق، من بدايته إلى نهايته، يقول المولى سبحانه جلت حكمته: (يأيها الذين آمنوا: اتقوا الله، وآمنوا برسوله، يؤتكم كفلين من رحمته، ويجعل لكم نورا تمشون به، ويغفر لكم، والله غفور رحيم) سورة الحديد: الآية (٢٨).

عندما يمتلئ قلب المؤمن بالحكمة، فإنه يكون قد بلغ مرتبة التقى والإخلاص

وشتان بين من يسير تحت أشعة الأنوار، في طريق ظاهر مرسوم، ومنهج واضح محدد، لا عوائق أمامه ولا صعوبات، وبين من يسير متخبطا في الظلام، في دائرة مغلقة يميناً ويساراً، وهو لا يدري أين يسير، ولا كيف يسير، يقول المولى سبحانه جل شأنه في محكم كتابه: (أو من كان ميتا فأحييناه، وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس، كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها؟.. كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون) سورة الأنعام: الآية (١٢٢).

ومن لطف المولى سبحانه تبارك وتعالى بالإنسان أنه يعلم مدى ضعفه البشري، ويعلم ـ أيضاً ـ أنه عرضة للخطأ والنسيان والعجز، بيد أن الحق سبحانه عز وجل وهو الرحمن الرحيم، الذي وسعت رحمته ومغفرته كل شيء، رفع عنه الخطأ والنسيان، وما أكره عليه، وفتح أمامه أبواب التوبة والمغفرة على اتساعها، ووعده بأنه إذا رجع إليه وأناب، بدل سبحانه عز وجل سيئاته حسنات، وأنسى الحفظة ذنوبه، يقول سبحانه جل وعلا: (إن ربك واسع المغفرة، هو أعلم بكم، إذ أنشأكم من الأرض، وإذ أنتم أجنة في بطون أمهاتكم، فلا تزكوا أنفسكم، هو أعلم بمن اتقى) سورة النجم: الآية (٣٢).

ويقول سبحانه عز وجل: (قل: يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم: لا تقنطوا من رحمة الله، إن الله يغفر الذنوب جميعا، إنه هو الغفور الرحيم) سورة الزمر: الآية (٥٣).

وفي نهاية الرحلة يطهر المولى سبحانه تبارك وتعالى قلب الإنسان

ويزكيه، ويعطيه الحكمة التي تعصم من النكسة أو الانحدار، وتجعل خشية الله سبحانه عز وجل في قلبه على الدوام، إذ أن «رأس الحكمة مخافة الله»، يقول المولى سبحانه تبارك وتعالى: (يؤت الحكمة من يشاء، ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً، وما يذكر إلا أولوا الألباب) سورة البقرة: الآية (٢٦٩).

وعندما يمتلئ قلب المؤمن بالحكمة، فإنه يكون قد بلغ مرتبة التقى والإخلاص، واستحق أن يصفه المولى سبحانه عز وجل بأنه من عباده المخلصين، وكان أهلاً لاصطفاء الله سبحانه عز وجل وولايته، وكان جديراً بالأمن والاطمئنان، والنجاة من المخاوف والأحزان، يقول الحق سبحانه تبارك وتعالى: (فمن اتقى وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون) سورة الأعراف: الآية (٣٥).

مرتبة النفس المطمئنة:

إن النفس البشرية إذا وصلت إلى هذه المرحلة من السمو عمتها السكينة، وشملتها الرحمة، وعمها الهدوء، وازدادت إيماناً فوق إيمانها، يقول المولى سبحانه عز وجل: (ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون) سورة يونس: الآية (٦٢).

وعن أبي هريرة - رضي الله تعالى عنه - أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ان من عباد الله عباداً يغبطهم الأنبياء والشهداء»، قيل: من هم يا رسول الله لعلنا نحبهم؟.. قال: «قوم تحابوا في الله من غير أموال ولا أنساب، وجوههم نور على منابر من نور، لا يخافون إذا خاف الناس، ولا يحزنون إذا حزن الناس»، ثم قرأ: (ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون).

والنفس في هذه الحالة تكون مطمئنة بذكر المولى سبحانه تبارك وتعالى، يقول سبحانه وهو أصدق القائلين: (الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله، ألا بذكر الله تطمئن القلوب) سورة الرعد: الآية (٢٨).

وهذه المرتبة يسميها القرآن الكريم مرتبة «النفس المطمئنة»، وهي المرتبة السامية التي لم تَسْمُ إليها معارف علماء النفس المحدثين، لأنها فوق فهم وتصور العلماء والباحثين، وفيها يقول المولى سبحانه عز وجل: (يأيتها النفس المطمئنة: ارجعي إلى ربك راضية مرضية، فادخلي في عبادي، وادخلي جنتي) سورة الفجر: الآيات (٢٧/ ٣٠).

وبعد:

فلقد وصف القرآن الكريم مراحل النفس البشرية وصفاً حكيماً، ووضح معالمها توضيحاً دقيقاً، وبين وسائل اجتيازها، وأعان السالكين فيها على بلوغ غايتها، لمن أراد الادراك النبيل.

ولم يكتف القرآن الكريم بهذا، بل وصف السالكين في هذه المرحلة، وبين أن بعضهم قد ينقطع به الطريق، وبعضهم قد يؤثر الراحة على التعب، وبذل الجهد، فيخلد إلى الحياة المادية، ويقنع بالشهوات والنزعات، وبعضهم قد يصل إلى منتصف الطريق، فيختلط عليه الأمر، فيمزج عملاً صالحاً بعمل سيئ، وبعضهم يواجه كل العوائق والصعوبات، ويصل إلى نهاية الطريق.

ولقد قسم القرآن الكريم السالكين في هذه المرحلة إلى ثلاثة أقسام، وهي على الترتيب الآتي:

١ - الظالمون لأنفسهم: وهؤلاء هم الذين يؤتون صحائف أعمالهم بشمائلهم، فهم في حر نار ينفذ في المسام، وماء متناه في الحرارة، وظل من دخان أسود، لا بارد كسائر الظلال يستظل به، ولا كريم ينتفع به.

٢ - المقتصدون: وهم الذين خلطوا عملاً صالحاً بعمل آخر سيء، وهؤلاء عسى أن يتوب عليهم المولى سبحانه تبارك وتعالى، ويغفر لهم، فإذا حقت لهم التوبة، دخلوا في أصحاب اليمين.

٣ - السابقون بالخيرات: وهؤلاء هم المقربون، الذين أنعم عليهم المولى سبحانه تبارك وتعالى، وجعل مكانهم مع النبيين، وبجوار الصديقين والشهداء، وحسن أولئك رفيقا.

يقول المولى سبحانه تبارك وتعالى في هؤلاء جميعاً: (فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة، وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة، والسابقون السابقون، أولئك المقربون، في جنات النعيم، ثلة من الأولين، وقليل من الآخرين، على سرر موضونة، متكئين عليها متقابلين، يطوف عليهم ولدان مخلدون، بأكواب وأباريق وكأس من معين، لا يصدعون عنها ولا ينزفون، وفاكهة مما يتخيرون، ولحم طير مما يشتهون، وحور عين، كأمثال اللؤلؤ المكنون، جزاء بما كانوا يعملون) سورة الواقعة: الآيات (٨/ ٢٤).

المؤمن إذا تعلقت روحه بصحبة المولى أمن على نفسه من النكسة أو الانحدار

ويقول سبحانه وهو أصدق القائلين في محكم كتابه: (فأما ان كان من المقربين، فروح وريحان وجنة نعيم.. وأما ان كان من المكذبين الضالين، فنزل من حميم، وتصلية جحيم، ان هذا لهو حق اليقين، فسبح باسم ربك العظيم) سورة الواقعة: الآيات (٨٨/ ٩٦).

فمن أراد أن يصل إلى هذه المرتبة السامية ويبلغ الذروة العالية، وينعم بالنفس الهادئة المطمئنة، فليشمر عن ساعد الجد، ويواصل الكفاح والكد، ويبذل أقصى طاقات الجهد، ويتحمل التبعات، ويحتمل المشقات، وينبذ الشهوات ، ويبتعد عن النزعات، ويستعين بفاطر الأرض والسموات، يقول رسول الله صلوات الله وسلامه عليه في حديثه الشريف: «من خاف أدلج، ومن أدلج بلغ المنزل.. ألا ان سلعة الله غالية.. ألا ان سلعة الله الجنة».

أعان المولى سبحانه تبارك وتعالى كل من هذب نفسه، وتحكم في أهوائها وشهواتها، وجاهد في سبيل التغلب على نزعاتها، وجعل ضميره إمامه في كل عمل يعمله، سواء صغر هذا العمل أم كبر، وخشى الحق سبحانه عز وجل حق خشيته، وجعله ممن (جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجري من تحتها الأنهار، خالدين فيها أبدا، رضي الله عنهم ورضوا عنه، ذلك لمن خشي ربه) سورة البينة: الآية (٨).

وجعلنا سبحانه جلت حكمته ممن يرددون - على الدوام - في دعائهم، قول رسول الله صلوات الله وسلامه عليه: «اللهم إني أسألك نفساً بك مطمئنة، تؤمن بلقائك، وترضى بقضائك، وتقنع بعطائك».

والله سبحانه تبارك وتعالى من وراء القصد، وهو الهادي إلى سواء السبيل. ■

بقلم : د. حسان شمسي باشا

كيف كان الطب في أوروبا ... وعند المسلمين؟



للمسلمين فضل لا ينكر على الحضارة الإنسانية قاطبة، ولا سيما على حضارة الغرب المعاصرة، فقد نبغ علماء المسلمين في شتى العلوم والمعارف، ويخطئ من يظن أن المسلمين كانوا مجرد نقلة، نقلوا التراث الإغريقي فقط، ذلك لأنهم قد استوعبوه وهضموه وفهموا أسراره ومضامينه، وأضافوا إليه ومزجوه بعلوم الإسلام والقرآن، وشهد الله ما ذكر ذاكرٌ حضارة العرب إلا استهلت بعبراتنا الشجون، حسرة على من كانوا رُسُل خير ورحمة، وحملة علم وعرفان، أن تذهب جهودهم الإنسانية سدى على يد مَنْ خلفوهم في الحضارة، فرجعوا بالفضيلة قروناً إلى الوراء.

وفي مجال الطب نبغ المسلمون في علوم الطب وفروعه، وألَّفوا فيه الكتب والمراجع وابتكروا الآلات الطبية، وأقاموا المستشفيات الثابتة والمتنقلة. واتسم العمل بالمستشفيات بالطابع الإسلامي، والطابع الخلقي والإنساني بما يفوق نظام العمل بأرقى المستشفيات في بلاد الغرب.

ومن مفاخر المسلمين حقاً أن أول المستشفيات في بلاد الإسلام كان خيمة «رفيدة»، وهي امرأة كانت تداوي الجرحى، وتحتسب بنفسها على خدمة من أصابته الجراح من المسلمين. ولقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أصاب سعد بن معاذ ـ رضي الله عنه ـ السهم في غزوة الخندق: «اجعلوه في خيمة رفيدة حتى أعوده من قريب».

ولما تتابعت الفتوح كان للجيش مضارب فيها الممرضات من النساء يداوين الجرحى، وهذا من جهادهن.

وكان العرب يسمون المشافي «بيمارستانات» ويخففونها فيقولون «مارستانات». وهي في الأصل كلمة فارسية معناها «معسكر المرضى».

وكانت البيمارستانات منذ أول عهدها وحتى زمن طويل مستشفيات عامة، تعالج فيها جميع الأمراض والعلل من باطنية وجراحية ورمدية وعقلية، إلى أن أصابتها الكوارث، ودار بها الزمن وهجرها المرضى فأقفرت إلا من المجانين، فصارت كلمة «مارستان» تعني مأوى المجانين، وفي الوقت الذي كانت فيه المشافي تشاد في كل مدينة من المدن الإسلامية، كانت أوروبا تغرق في ظلام الجهل والتخلف.

وكان من أشهر المشافي في أوروبا في القرون الوسطى مستشفى «أوتيل ديو» في باريس، وقد جاء ذكره في كتاب ألّفه «ماكس نوردو» قال فيه عن هذه المستشفى: «كان يستلقي في الفراش الواحد أربعة مرضى أو خمسة أو ستة، فترى قدمي الواحد في جانب رأس الآخر، وكان الأطفال الصغار إلى جانب الشيوخ الشيب، حقاً إن هذا لا يُصدَّق، ولكنه الحقيقة والواقع، كانت المرأة تئنُّ من مخالب المخاض إلى جانب رضيع يتلوى من التشنجات، ورجل يحترق في هذيان الحمى إلى جانب مسلول يسعل سعلته الجارحة، ومصاب بإحدى الأمراض الجلدية يمزق جلده الأجرب بأظافره الثائرة.

كان رائحة الهواء في قاعات المرضى فاسدة حتى أن الزوار ما كانوا يجرؤون على دخولها إلا بعد أن يضعوا على وجوههم إسفنجة مبللة خلاً، وتبقى جثث الموتى أربعاً وعشرين ساعة في الفراش، وقد وصفه في القرن الثاني عشر باللي ويتنون، ولافوازيه في تقريرهم وصفاً تقشعر منه الأبدان، إذ رأوا الموتى جنباً إلى جنب مع الأحياء، كما رأوا الناقهين مختطلين في غرفة واحدة مع

المحتضرين، وكانت غرفة العمليات حيث الشق والقطع والبتر تأوي الذين تُعمل لهم العمليات في الغد. فكانت تعمل في وسط الغرفة نفسها، وكان المريض يرى أمامه تحضيرات العذاب ويسمع صراخ المعذبين، فإن كان ممن ينتظر دوره في الغد كانت أمامه صورة أوجاعه المقبلة، وإن كان ممن مرَّ بهذا الجحيم كان أمامه منظرٌ يذكّره بالأوجاع التي قاساها.

ولم تعمل يد التحسين في المستشفى الذين أنشئ في العام ٦٦٠م إلا بعد الثورة الفرنسية العام ١٧٨٩م.

هكذا كانت حال أحد أشهر مشافي أوروبا في العصور الوسطى كما يصفها الدكتور أحمد شوكت الشطي، فماذا كانت حال مستشفياتنا التي كان يطلق على البيمارستانات؟

يقول المؤرخون إن المشافي العربية والإسلامية كانت تكرّس للرفيع والوضيع، والملك والمملوك والجندي والأمير.

وكان الخلفاء والأمراء والسلاطين وذوو الجاه يتبارون في بناء المشافي حتى أصبح في كل مدينة من المدن الإسلامية الكبرى مستشفى عام واحد على الأقل للعناية بالمرضى، وكان البيمارستان مؤسسة حكومية يقوم على نفقاتها أحد الخلفاء أو الأمراء، وكان المرضى يُفحصون في المستشفى فيُعطون من لا يحتاج إلى الاستشفاء فيه وصفة تُحضَّرُ في صيدلية المستشفى، أما المرضى الذين يحتاجون إلى دخول المستشفى، فتدوَّن أسماؤهم لقبولهم، ثم يستحمّون ويُبقون في المستشفى حتى الشفاء التام، وعلامة شفاء المريض أكل رغيف من الخبز وفروج كامل!!

وعندما يخرجون المرضى يعطونهم ثوباً خاصاً مع كمية من الدراهم لتقوم بنفقاتهم الضرورية خارج المستشفى، وكان الناس يتمارضون رغبة منهم في الدخول إلى المستشفى والتنعم بما فيه، والأطباء يغضُّون الطرف أحياناً عن هذا التحايل.

قال خليل بن شاهين الظاهري في كتاب «النجوم الزاهرة» بعد أن زار دمشق: «وفيها بيمارستان لم يُرَ مثله في الدنيا، وعندما دخلت دمشق سنة ٨٣١هـ كان بصحبتي رجل عجمي من أهل الفضل والذوق، فلما دخل البيمارستان، تمارض وأقام به ثلاثة أيام ورئيس الأطباء يتردد إليه، فلما فحصه وعلم حاله وصف له ما يناسبه من الأطعمة الحسنة والفواكه والحلوى، وبعد ثلاثة أيام كتب له الطبيب كلمة جاء فيها: إن الضيف لا يقيم فوق ثلاثة أيام، وهذا يوحي بأنه أدرك أنه متمارض، ومع ذلك فقد عامله كأحد الضيوف».

وكان لكل مستشفى عام أروقة خاصة للذكور والإناث، وخُصصت فيها شُعبٌ للحمى والإسهالات والجراحة والتجبير والإصابات العينية وغيرها، وأُلحق بأكثر المستشفيات حمام عام، ومن أقسام المستشفى صيدلية يشرف عليها صيدلي مجاز، ومجهزة بالأدوية والشرابات والعقاقير المختلفة.

وجُهز كل مستشفى بمكتبة تضم المفيد من مخطوط أبقراط وجالينوس وأطباء المسلمين، يجتمع فيها الأساتذة والطلاب بعد جولة الصباح على المرضى.

وكان للمستشفيات أوقاف تعولها، وكانت الإدارة الطبية يرعاها الطبيب الأول يعاونه رؤساء مختلف الشعب، ويعاون هؤلاء معاونوهم وتلاميذهم.

وانتشرت البيمارستانات انتشاراً كبيراً في العالم الإسلامي، وكان منها نوعان:

النوع الأول: وهو «البيمارستان الثابت»، ومن ذلك بيمارستان النوري الكبير في دمشق وبيمارستان قلاوون في القاهرة.

النوع الثاني: وهو «البيمارستان المحمول»، وهو الذي يُنقل من مكان إلى آخر بحسب انتشار الأمراض والأوبئة والحروب.

وبلغ من اهتمام الأمراء بالبيمارستان أن بعضهم كان يشرف بنفسه على سير العمل فيها، ومن هؤلاء أحمد بن طولون الذي اعتاد أن يتفقد أحوال المرضى في كل يوم جمعة في البيمارستان العتيق.

ولم تكن رسالة البيمارستان قاصرة على الرعاية والعلاج، وإنما امتدت لتشمل إعداد الأطباء، وتأهيلهم فكان بمثابة جامعة تخرِّج فيها الأطباء، ويتبعون ما يطلق عليه في الوقت الحاضر اسم «فريق العمل» حيث يشترك أكثر من طبيب في تشخيص الحالة وعلاجها، وهذا المنهج الإسلامي هو الأصل الذي نشأ عنه ما يعرف في الوقت الحاضر في مجال العمل الطبي باسم «مؤتمر الحالة» حيث يجتمع عدد من الأطباء والاختصاصيين ويدرسون حالة مريض معينة، ويبدي كل منهم رأيه، ويتبادل الجميع الخبرة والمشورة.

أما المجاذم: فقد خصصت لعلاج المجذومين، وأول مؤسسة عرفت في بلاد العرب هي مجذمة الوليد بن عبدالملك في دمشق سنة ٨٨هـ، ثم تعددت المجاذم بعد ذلك، وتُعدُّ المجاذم العربية أول دور عولج فيها المصابون بالجذام معالجة فنية، وكان الدخول إليها غير تابع لقيد أو شرط، بينما كانت المجاذم في الغرب مخصصة لفئة من الناس، وكان على المقبول فيها أن يدفع رسماً باهظاً وأن يصطحب معه ما يحتاج إليه من مقاعد وأسرة وأواني الطعام والشراب.

وأما بيمارستانات الأمراض العقلية فقد تأسست في زمن الأمويين للعناية بالذين أصابهم مسٌّ أو اعتراهم ضعف عقلي، فقد كان المسلمون يعتبرون المعتوهين معدمين وعالة على إحسان الدولة، لأن إصابتهم بقضاء من الله وقدره.

ولقد جاء في صك الأوقاف التي حُبس ريعها لصالح المستشفى النوري أو العتيق بحلب أن كل مجنون يخصُّ بخادمين فينزعان عنه ثيابه كل صباح، ويحممانه بالماء البارد، ثم يُلبسانه ثياباً نظيفة ويحملانه على أداء الصلاة، ويُسمعانه قراءة القرآن يقرؤه رجلٌ حسنُ الصوت، ثم يفسِّحانه في الهواء الطلق.

أما في أوروبا، فكان المجانين يُحرمون من دخول المستشفيات، وكانوا يُقيَّدون بالسلاسل في بيوت الجنون، تلك البيوت التي كانت شراً من السجون، فيبقون فيها حتى ينتهي أجلهم!.

فهل أتاك بعد هذا كله أن الغرب سبق حضارتنا بقرون حين اهتدوا إلى المستشفيات؟ ولعلنا في الختام نذكر كلمة «رينان» التي يقول فيها:

«ما دخلت مسجداً قط إلا اعتراني خشوعٌ يمازجه أسفٌ على أني لم أكن مسلماً» فيتمنى أن يكون مسلماً من ذلك الطراز: طراز نور الدين وصلاح الدين.

فإلى شحذ الهمم ودفن الظلام، نسأل الله أن يهدي المسلمين في كل مكان. ■

قراءة في كتاب

تأليف: د. السيد رزق الطويل

عرض: محمد علي وهبة

الحياء سمة الحضارة الإسلامية

الحياء هو السمة الغالبة التي تحكم الملامح الخلقية المتسامية للإسلام، فقد أخرج الإمام مالك في الموطأ «باب حسن الخلق» عن زيد بن طلحة التركاني أن النبي ﷺ قال: «إن لكل دين خلق، وإن خلق الإسلام الحياء» رواه ابن ماجه.

فالمسلم في حضارته يستحيي من الذل والهوان، يستحيي من حياة الخمول والضعف، يحكم سلوكه قول النبي الكريم ﷺ: «اليد العليا خير من اليد السفلى» رواه البخاري.

يستحيي المسلم كذلك من الوقوف في ذيل القافلة البشرية، كما لايقبل معاناة الإحساس بالعجز والحرمان وعيشة الهوان، ولا يكتفي برفض أمثال هذه المثالب لنفسه فقط، بل إنه لا يقبل أن يعيش أي إنسان على وجه الأرض عيشة هوان، لأنه يوقن أن بينه وبين كل إنسان صلة ما، كما يشير الرسول الكريم ﷺ إلى ذلك بقوله: «كلكم لآدام وآدم من تراب» رواه البزار.

فلأن المسلم قد تربى على مقتضيات الكتاب والسنة، وهما أرقى وأسمى دستور للحياة البشرية في أبهى مراتب ارتقائها، فهو لذلك يحب أن ينزع ثوب الهوان عن نفسه وعن كل إنسان، بأن يأخذ بيده إلى حضارة الإسلام الخالدة المتجددة على مر العصور، بكل ما فيها من بهاء وأسباب رخاء وارتقاء، وعدل ورحمة، واستقامة على صراط الله الحميد.

تلك جوانب ما يتناوله هذا الكتاب القيم، الذي - كما يقول الباحث في مقدم كتابه - إنه يعرض لموضوع قديم جديد، أي متجدد بالتبعية لتجدد الإسلام، الذي لا يخبو نوره قبل أن يولد من جديد والكتاب من إصدارات المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، وزارة الأوقاف - القاهرة - سلسلة دراسات إسلامية - العدد ٣٠ - ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، وينقسم إلى فصول ثلاثة، مبسوطة في ١١ صفحة من القطع المتوسط.

الحياء والحضارة علاقة لغوية وأخلاقية

ويشر الباحث في الفصل الأول إلى ما جاء في المعاجم اللغوية حول المعنى اللغوي البحت للفظ الحياء، بأنه الاستحياء، ويشير في الوقت ذاته إلى اشتقاقات لفظ الحياء، بأنه من الحيا، ومن الحياة، فالحياء مدد للفضائل والقيم، والحيا هو المطر، يحيي الأرض، وينشر الخصب، والحياة، هي الحيوية والعطاء والنماء والحياء يعني كل ذلك، وفق المنهاج الأخلاقي في كل أعراف البشر، ويستعرض بعد ذلك العلاقة بين الحياء والحضارة، موضحاً أنه على الرغم من التباعد في التركيب اللفظي - من حيث الشكل - فيما بين الحياء والحضارة، فبينهما علاقات وصلات معنوية وثيقة، حيث تتداخل دلالات اللفظين إلى حد الاندماج في ظل الدين الحق.



● غلاف الكتاب

فنجد في الحضارة الكثير من دلالات ومعاني الحياء، حيث من دلالات الحضارة، أنها عمل وبناء، وسعي لاكتشاف سنن الكون، وهي علم ومعرفة، وتوظيف لقدرات الإنسان من أجل عمران الحياة، والحفاظ على البيئة، وحرص على جمالها وطهرها، وهي، أي الحضارة كذلك دعم للعلاقات الإنسانية.

وإننا نجد في الحياء كذلك الكثير من دلالات ومعاني الحضارة، حيث يعني الحياء، الاستحياء من القبول بما يخدش كرامة الإنسان وصفته واعتباره، والاستحياء من القعود والبطالة، والاستحياء من الغفلة عن التأمل في سنن الكون، والاستحياء من الجهل الذي ينتقص من القدر، والاستحياء من عدم المشاركة في بناء الحياة والسمو بها، والاستحياء من الحياة في بيئة ملوثة يعوزها الطهر والجمال، والاستحياء من تفسخ العلاقات الأسرية والإنسانية، ويعني الحياء كذلك الاستحياء، كل الاستحياء من التعامل مع الجنس بأسلوب حيواني، متعارض مع ما أوجبه شرع الله.

وينتهي الباحث إلى ما يمكن القول معه إن الحياء صفة حضارية، وأن الحضارة صفة حيائية، حيث الحضارة الراشدة لا تنفصل عن الحياء.

بواعث الحياء

إن فضيلة الحياء ذات السلطان الأخلاقي على سائر الفضائل - كما يرى الباحث في الفصل الثاني من الكتاب - تكمن وراءها بواعث تعزز وجودها في أعماق النفس الإنسانية وتجعل منها ما يشبه العقيدة الإيمانية التي تفرض الالتزام بها في سلوك الفرد والمجتمع.

ويؤكد أن الباعث الديني يأتي على رأس بواعث الحياء، متمثلاً

بصفة خاصة ـ في تقوى الله، التي تعني جماع الحكمة والمعرفة، وجماع الخير كله، وجماع أسباب الترقي في الدنيا والآخرة، ويؤكد في الوقت ذاته أن أرفع درجات الحياء، وأعلاها منزلة، هي درجة الحياء من الله تعالى، الذي أغدق النعم على الإنسان، بلا حصر، ويعلم ما يدور في ذاته ونفسه، وخلجات صدره، كما جاء في قوله تعالى: (ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير) الملك:١٤.

كما روى ابن مسعود رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «استحيوا من الله حق الحياء، قلنا: إنا نستحيي يا رسول الله من الله، والحمد لله. قال: ليس ذلك، الاستحياء من الله حق الحياء، أن تحفظ الرأس وما وعى، والبطن وما حوى، وتذكر الموت والبلى.

ومن أراد الآخرة ترك زينة الحياة الدنيا، وآثر الآخرة على الأولى، فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء» أخرجه الترمذي.

والباعث الثاني للحياء ـ كما يرى الباحث ـ يتمثل في الفطرة السليمة، وهي كما قال جل شأنه: (فطرت الله التي فطر الناس عليها) الروم:٣٠.

وكما قال رسول الله ﷺ: «كل مولود يولد على الفطرة حتى يعرب عنه لسانه، فإذا عبر عنه لسانه، إما شاكراً، وإما كفوراً» رواه الإمام أحمد.

فالفطرة السليمة كباعث للحياء، نجد فيها كل معاني السمو الأخلاقي المرتبطة بالسمو السلوكي كنتيجة للسمو الايماني، وفق تعاليم وأحكام الشريعة الغراء، وهو عكس ما نراه أو نسمع أو نقرأ عنه اليوم من انحدار أخلاقي في الحضارة الغربية، التي سوغت للإنسان كل صور التهاوي والسقوط، لبعدها عن الفطرة السليمة كباعث للحياء والسمو الأخلاقي القويم.

أما الباعث الثالث للحياء ـ كما يرى الباحث ـ فيتمثل في المجتمع وقيمه وأعرافه، ويقول في ذلك: تحكمه أخلاقياته، وهي ثوابت، لاتختلف باختلاف الجنس، أو اللون، أو الثقافة، وهي تقوم على احترام الإنسان، والاعتداد بمكانته التي أولاه الله تعالى إياها، وبهذا أصبح المجتمع المسلم بقيمه العالمية باعثاً آخر على الحياء، الذي هو بمنظوره الإسلامي قيمة وزينة، يعلو به الفرد، ويعلو به شأن المجتمع إذا أصبح ظاهرة غالبة، وهو الفصل فيما بين ما يزين وما يشين من سلوك المجتمعات، كما قال الرسول ﷺ في ذلك:

«ما دخل الفحش في شيء إلا شانه، وما كان الحياء في شيء إلا زانه» أخرجه الترمذي

ويشير الباحث إلى باعث رابع مهم، يسهم في تدعيم فضيلة الحياء في المجتمع المسلم، وفي ظل الالتزام بالأدب الإسلامي الرفيع، يتمثل هذا الباعث في العلاقات الإنسانية، التي تتمثل بدورها في صلة القرابة والصداقة، وفي العلاقات بين أرباب العلم، والمعلم والمتعلم، وبين أرباب العمل، والرئيس والمرؤوس، وبين الكبير والصغير، وفي علاقات الجوار، وقد جاءت الشريعة الغراء، متمثلة في الوحيين الإلهيين الخالدين «الكتاب والسنة» زاخرة بما لا يندرج تحت حصر من تعاليم وأحكام وآداب متسامية ترتقي بهذه العلاقات الإنسانية لأعلى عليين، نجد من ذلك مثلاً ما جاء في قوله تعالى: (واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً وبذي القربى واليتامى والمساكين والجار ذي القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل) النساء:٣٦.

ومن قول الرسول ﷺ في جانب من هذه المعاني: «ليس منا من لم يرحم صغيرنا، ويعرف شرف كبيرنا» أخرجه أبو داود والترمذي، وكذلك قوله ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره» من حديث رواه البخاري.

فضيلة الحياء في المنظور الإسلامي

وللحياء ـ كما يقول الباحث في الفصل الأخير ـ مكانة متسامية في المنظور الإسلامي، وهو قوة قيادية للبشر متعاظمة الرفعة، وهو أيضاً سمة حضارية مثلى، ومعلم شديد الإشراق والإضاءة، تعرف به توجهات المجتمع الإسلامي الفكرية والسلوكية رفيعة ا لمستوى.

والحياء فضلاً عن ارتباطه بالعقيدة، فله معالم سامية كثيرة في المنظور الإسلامي تمنحه التميز والقدرة الواسعة على ترشيد السلوك وسموه، كما يقول الرسول ﷺ: «الحياء لا يأتي إلا بخير» متفق عليه.

كما أن الحياء من أبرز فضائل النبوة، حيث يقول أبو سعيد الخدري رضي الله عنه: «كان رسول الله ﷺ أشد حياء من العذراء في خدرها، فإذا رأى شيئاً يكرهه عرفناه في وجهه» متفق عليه.

والحياء شعبة من شعب الايمان، كما قال الرسول ﷺ: «الايمان بضع وسبعون شعبة، أعلاها: لا إله إلا الله، وأدناها: إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من شعب الإيمان» متفق عليه.

كما قال الرسول ﷺ كذلك: «الحياء والايمان قرناء جميعاً، فإذا رفع أحدهما رفع الآخر» رواه الحاكم في مستدركه.

ويشير الباحث إلى مسألة مهمة هنا، وهي أن الحياء صمام أمن للعقد الاجتماعي، بمعنى أنه إذا سقطت إحدى حبات هذا العقد، تتابعت بقية الحبات الأخلاقية في التهاوي والسقوط، مما يؤذن بانهيار وشيك لأي مجتمع يغرب عن ساحته خلق الحياء. ويؤكد ذلك بقول الرسول ﷺ: «إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى: إذا لم تستح فاصنع ما شئت» رواه البخاري.

كما قال ﷺ كذلك: «إن الله عز وجل إذا أراد أن يهلك عبداً نزع منه الحياء، فإذا نزع منه الحياء لم تلقه إلا ممقوتاً» رواه الترمذي.

ومن الفضائل المتسامية، التي يستعرضها الباحث، مما يتنامى في ظل فضيلة الحياء في المنظور الإسلامي، نجد: الصدق، والأمانة والمروءة، والكرم والشجاعة، ونجدة وإجارة المستجير، والعدل والإحسان، وبر الوالدين وإيتاء ذوي القربى، والقصد والاعتدال.

الله لا يستحيي من الحق

وتحت هذا العنوان يشير الباحث في ختام الفصل الأخير إلى نوع من الحياء مرفوض إسلامياً، هو أن يستحيي المسلم من الجهر بكلمة الحق، أو يسكت في موقف للرد فيه مقال، أو تتضاءل شخصية المسلم بحياء يسوقه إلى سلبية ممقوتة، حيث قال تعالى في ذلك: (والله لا يستحيي من الحق) الأحزاب:٥٣. كما قال الرسول ﷺ: «الساكت عن الحق شيطان أخرس» متفق عليه.

والكتاب إجمالاً وتفصيلاً يمثل إضافة مهمة للمكتبة الإسلامية، فهو يكشف لنا مدى القبح الذي أصاب حضارة الغرب، حضارة عبادة المادة، وعبادة الفحش والإباحية، والتخلف الروحي والخلقي المريع، ويدعو ـ في الوقت ذاته ـ لحضارة الإسلام المقبلة، حضارة الحياء النابعة من الإسلام، دين الحياء، دين الخير العميم للإنسانية. ■



بقلم: نجدت كاظم لاطة

الشباب وقضية تكفير الشعراء المعاصرين

تُعتبر قضية تكفير الناس من أخطر القضايا في المجتمع الإسلامي، لأن الكفر يُخرج المسلم من الملة، ويترتب على ذلك أحكام كثيرة، وتشيع الفوضى الفكرية، وقد يجر ذلك إلى استخدام العنف والقتل كما يحدث في بعض البلدان اليوم.

وقد حذّر الإسلام بشدة من استخدام الألفاظ التكفيرية، فعن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا قال الرجل لأخيه: يا كافر، فقد باء بها أحدهما، فإن كان كما قال وإلا رجعت عليه» رواه البخاري ومسلم، وقد سألت فقيهاً عن قوله «فقد باء بها أحدهما» فقال بأن المعنى: إن كان من قيلت فيه يستحق الكفر كأن وقع في الكفر حقيقة فهو يستحق هذا الوصف، وإن كان لا يستحق ذلك فلا يكفر القائل بهما ولا يخرج من الملة، وإنما يعود إثم الكفر عليه، بمعنى أنه وقع في إثم كبير. وتكفير الشعراء يختلف تماماً عن تكفير الناس العاديين، وذلك لأن دلالات اللغة الشعرية تختلف وتبتعد عن دلالات اللغة العادية بل تفيد - أحياناً - عكس المعنى المألوف، تبعاً لما تحتويه اللغة الشعرية من مجازات واستعارات وكنايات... وحينما يقول الشاعر امرؤ القيس «قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل...» فهو لا يقصد أنه يطلب من صديقيه أن يتوقفا معه للبكاء على ذكرى حبيبته، وإنما يدل قوله على حزنه الشديد لفراق الحبيبة.

وقد كثر الحديث في السنوات الأخيرة عن خروج بعض الشعراء المعاصرين على مفاهيم الإسلام، وظن البعض أن هذا الخروج حدثٌ جديد في الشعر العربي لا سابق له، والحقيقة أن هذا الخروج له وجود في الشعر العربي عبر تاريخه الطويل، حتى لقد تعرَّض لفكرة الخروج القرآن الكريم في قوله تعالى: (والشعراء يتبعهم الغاوون، ألم تر أنهم في كل واد يهيمون. وأنهم يقولون ما لا يفعلون. إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيراً) الشعراء:٢٢٤ وما بعدها.

وشعراء العرب السابقون خرجوا على مفاهيم الإسلام ولا سيما في العصر العباسي كبشار بن برد وأبي نواس، وفي ذاك قول أبي نواس:

ورأيت إتياني اللذاذة والهوى
وتعجلي من طيب هذي الدار
أحرى وأحزم من تنظر آجل
علمي به رجم من الأخبار
ما جاءنا أحد يُخبر أنه
في جنة من مات أو في النار

فهو هنا يشكك في مجيء اليوم الآخر، وينكر مجيء الرسل الذين حذروا الناس من عقاب الله في حالة العصيان والكفر.

وشعراؤنا المعاصرون خرجوا كذلك، ولكن هذا الخروج بدأ يتعرّض

للذات الإلهية نفسها، ولم ينضبط بضوابط الشرع معها، وهو أمر لم يكن مألوفاً في تاريخ الشعر العربي القديم، مما دفع كثيراً من الشباب المتدين إلى تكفيرهم، حتى طال هذا التكفير من لم يستحقه منهم، وصحيح أن بعض الشعراء المعاصرين وصلوا إلى درجة اللامبالاة باستخدام الألفاظ الكفرية والإلحادية والخروج على عقيدة الأمة الإسلامية والتعرض للذات الإلهية، ولكن لا يعني هذا أن نُطلق لأنفسنا العنان في إطلاق ألفاظ الكفر على كل شاعر منهم دون رقابة شرعية ودون تفهم لمضمون شعرهم، حتى وصل الأمر ببعض الشباب إلى اللامبالاة بإطلاق ألفاظ الكفر والتكفير في حق هؤلاء الشعراء، وهو سلوك مرفوض لا يجوز للمسلم أن يتصف به.

وأذكر هنا موقفاً من هذه المواقف التكفيرية التي تسترعي الوقفة، فقد حدث في أيام الخمسينيات من هذا القرن أن قامت ضجة كبرى على قصيدة قالها الشاعر بدر شاكر السياب، فقد أتهم بأنه وقع في الكفر وأنه أساء إلى الذات الإلهية، إلى هنا لم يستفزني الخبر، وإنما قلت في نفسي: لعل القائمين بالضجة هم من عامة الناس الذين لايفقهون من الإسلام إلا قليلاً، ولكن حين علمت أن بعض القائمين هم من علماء الشريعة شعرت بالخطأ الكبير الذي وقع فيه هؤلاء العلماء، لأني قرأت القصيدة وراجعتها - للتأكد - فلم أجد فيها كفراً، وإنما وجدت جهل هؤلاء المكفرين، ووجدت - أيضاً - حجم الإثم الذي ارتكبوه.

فكل ما في القصيدة هو أن الشاعر السياب قال بيتاً يُفهم من ظاهر لفظه أنه كفر وإساءة للذات الإلهية، بينما هو في مضمونه بعيد عن ذلك المعنى الذي فهموه، فلغة الشعر - كما قلت قبل قليل - تختلف في دلالاتها ومعانيها عن اللغة العادية، وإذا رجعنا إلى القرآن الكريم - الذي هو قمة البلاغة - سنجد أساليب أدبية يمكن أن تُوقع القارئ في مثل تلك الأخطاء السابقة التي أوقعت قارئي قصيدة السياب إن لم نفهمها وندرك دلالاتها وما تحمله من مضامين أخرى غير ما يوجه الظاهر، فمن ذلك - مثلاً - قول الله تعالى: (ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلاً) الإسراء:٧٢، فهذه الآية يبدو ظاهر لفظها أنه من كان في الدنيا أعمى البصر فسيحشر كذلك، بينما المعنى الحقيقي هو أن الأعمى عن الحق يحشر أعمى البصر ويُذهب به إلى نار جهنم، ولا علاقة للرؤية البصرية فيها بهذا المعنى المراد به في الآية.

والشعر له عالمه الخاص به لا يفهمه حق الفهم ولا يدرك مراميه إلا الشعراء ونقاد الشعر، مثلما لا يفهم القرآن إلا العلماء والمفسرون، كل له اختصاصه، لا يجوز لأحد أن يُفتي إلا في اختصاصه، ورحم الله امرءاً عرف قدر نفسه، وقد علمنا الإسلام أن نرجع إلى أهل الاختصاص حين يستشكل علينا أمر، وهو ما توحيه الآية (فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون)، فلو استشكلت علينا مسألة فقهية نرجع إلى الفقهاء، وإن استشكلت علينا مسألة طبية نرجع إلى الأطباء، وإن استشكلت علينا مسألة شعرية أو بعض الألفاظ في بيت أو قصيدة نرجع إلى الشعراء ونقاد الشعر، وهكذا مع كل علم وكل فن، وهل يختلف في هذه الفكرة اثنان؟!

ولو أن هؤلاء العلماء الذين كفّروا الشاعر السياب رجعوا إلى الشعراء والنقاد واستفتوهم في القصيدة لما قامت هذهالضجة ولما وقعوا في هذا الإثم الكبير.

المشكلة تكمن في أن بعض العلماء يعتقد أنه يفهم الشعر والأدب مثل فهم الشعراء والنقاد لهما، بحجة أنه درس الشعر والبلاغة أيام دراسته للعلوم الشرعية التي منها اللغة العربية بنحوها وصرفها وبلاغتها، وقبل أن يعترض على طلاب الشريعة وعلمائها أقول إن عالم الشعر لا يحيط به إلا من احترف حرفة الشعر وأعني الشعراء الكبار والنقاد، لأن الشعر له تاريخ طويل وله رموز ومصطلحات وغير ذلك لا يعرفها إلا مَن اختص به.

ومما يُروى أن الشاعر الحطيئة هجا أحد أشراف العرب وهو الزبرقان بن بدر بقصيدة طويلة جاء فيها:

دع المكارم لا ترحل لبغيتها

واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي

فشكاه الزبرقان إلى الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وكان عمر عالماً بالشعر، ولكنه أراد أن تقوم الحجة على الحطيئة من شاعر مثله، فاستدعى حسان بن ثابت، وقال له: ما تقول أهجاه؟ فقال حسان: ذرق عليه «كناية عن شدة الهجاء وقبحه» فعندئذ أنزل الخليفة عقابه بالحطيئة.

وأرجو أن ننتبه قليلاً إلى قول الراوي «وكان عمر عالماً بالشعر» لأنه فيه الدرس البليغ للذي يُفتي في غير اختصاصه، فالرواية تفيد بأن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يفقه الشعر، وأخباره وتؤكد هذا، إلا أنه آثر استفتاء أهل الاختصاص، علماً بأن المسألة مسألة هجاء، فكيف بعمر لو سئل في قضية تكفير شاعر؟ أكان يفتي فيها أم يرجع إلى أهل الاختصاص.

وحدث مرة أن تدّخل الإمام الكبير أبو حامد الغزالي رحمه الله في علم لا يختص به وهو علم البلاغة، فقال في قوله تعالى: (فبما رحمة من الله لنت لهم) أن «ما» هنا زائدة لا معنى لها، فتكون الآية: فبرحمة من الله لنت لهم، فيقول ابن الأثير في كتابه «المثل السائر» الجزء الثاني الصفحة ٩٤ مخطئاً الإمام الغزالي: «إن «ما» هنا وردت تفخيماً لأمر النعمة التي لان بها رسول الله ﷺ ، وهي محض الفصاحة، ولو عُرِّي الكلام منها لما كانت تلك الفخامة، وأما الغزالي رحمه الله تعالى فإنه معذور عندي في ألا يعرف ذلك لأنه ليس من فنه، ومن ذهب - مازال الكلام لابن الأثير - إلى أن في القرآن لفظاً زائداً لا معنى له فإما أن يكون جاهلاً بهذا القول، وإما أن يكون متسمّحاً في دينه واعتقاده «أي دينه ضعيف»، وقول النحاة إن «ما» في هذه الآية زائدة فإنما يعنون به أنها لا تمنع ما قبلها من العمل».

فيريد أن يقول ابن الأثير إن «ما» هنا زائدة نحوياً وغير زائدة بلاغياً وجمالياً، وقول الغزالي أفاد بأنها زائدة بلاغياً لأنه قال «لا معنى لها» ولم يقل زائدة نحوياً وهناك فرق بين المعنيين.

فالمسلم حين يتدخل فيما لا يختص به يقع في الخطأ، ويكبر الخطأ إذا كان في قضايا التكفير.

ويُعجبني ما فعله العلماء في قضية الطفل الأنبوب، فقد استشاروا الأطباء واستوضحوا منهم الأمر، وعندما صار لديهم اطلاع كامل عنه أعطوا رأيهم فيه، وهكذا ينبغي علينا في سائر نواحي الحياة والعلوم.

وأرجو أن لا يُفهم عني أني أدافع عن السياب، وأمثاله من شعراء الحداثة، فهؤلاء كتبوا شعراً منافياً للعقيدة الإسلامية، ولكن هذا لا يعذرنا في إطلاق ألفاظ الكفر دون رقابة شرعية.

ومن نافلة القول، وإن كنت لا أرى أنها من نافلة القول إن المسلمين اليوم بحاجة إلى دعوة الناس إلى الرجوع إلى هذا الدين، وليسوا بحاجة إلى تكفيرهم، ولا أدري لماذا أصبح بعض المسلمين اليوم بارعين في صنع الأعداء أكثر من براعتهم في دعوة الناس إلى الإسلام. ■

قصة

عندما حل الظلام...

بقلم: محمد مكين صافي

كيف انقلبت تلك الحافلة؟ سؤال ظل ينهمر عليَّ من كل زائر.. شديداً وقاسياً كما كان وقع الخبر على الجميع... ليس يخلو من اتهام! مع أنني كنت أول المصابين!.

ألم تعدوا الخطة اللازمة؟!... ألم تتحسبوا للمفاجات والمعوقات؟!.. ألم تفطنوا إلى تأثير المناخ على حرية الحركة أو وضوح الرؤية أو سلامة الطريق؟!

واستمع إلى هذا وأنا أحاول أن ألملم نفسي وشظاياي وذاكرتي، وأهدهد المواجع التي لا تفارقني من داخلي ومن الخارج، والسؤالات التي تؤنبني:

كيف استجبت لدواعي الاسترخاء وأنا المؤتمن على سلامة الناس وعافيتهم؟ كيف سمحت «للآخرين» أن يفسدوا بغبائهم وشهوة التقليد التي تتحكم فيهم كل شيء... كل شيء ياه!... يا لتلك الساعات الأخيرة كيف مرت!!...

كنا نجهد أن يسير كل شيء مثلما أعددنا... بدءاً باختيار الشيخ «صالح» مرجعاً نتحاكم إليه إذا اختلفنا، وحتى نهاية الرحلة التي قدرنا أنها ستستغرق يوماً وبعض يوم... واعتمدنا - ما استطعنا - الوضوح والصدق والشفافية عندما عرض البرنامج... وتفصيل شروط الرحلة وآدابها... محطات التوقف النظامية



ومواعيدها... ما هو جماعي نؤديه معاً، وما هو ذاتي يستقل كل مسافر بممارسته كيفما شاء... متفقين أن رأي الأغلبية هو الذي يمشي، ثم انطلقنا، على بركة الله، مستهلين بدعاء الركوب وشيء من القرآن يتلوه مقرئ جليل عبر شريط للتسجيل...

ورغم ما توقعناه من سوء توزيع وأثرة عند من لا نثق برصيده الداخلي، وافقنا على اقتراح تلك السيدة ذات النظارة الثمينة أن يكون فطورنا عند المحطة القادمة مشتركاً «تحقيقاً للتعاون والمشاركة، وتجسيداً للمساواة فيما نملك وفيما ننفق» كما قالت:

حتى الترفيه ندبنا إليه أحد الأخوة ممن له خبرة في إدارة المخيمات الشبابية فأمتعنا بخبرته وظرفه وشاع شيء من المرح في جو الحافلة بأكملها، حتى علت ضحكات بعض السيدات مما أثار حفيظة الشيخ «صالح» لولا أنني هدهدت خاطره وقلت «دعهم يا شيخ... دعهم واحسبهم في يوم عيد!...».

بعد الغداء - وكان فردياً - تركناها ساعة «حرة» - أخلدت فيها الأكثرية إلى الدعة... وعمَّ الحافلة جو السكون... حتى قامت سيدة محجبة وبيدها شريط تسجيل تعلن أنه يحتوي أناشيد للأطفال... فعاجلها الجميع باستنكار يكاد يكون إجماعاً، لكنها ثبتت حتى تهدأ الضجة كانما تتوقعها وابتسمت قليلاً ثم قالت «ثلاث دقائق... ثلاث دقائق من فضلكم.. ثم احكموا...» إلا أن الدقيقة الأولى لم تكن في صالحها... ولا الثانية الحيادية... في الدقيقة الثالثة دبت الحياة في الأنام الهامدة وراحت تقفز متجاوبة مع اللحن الندي وأخذت الشفاة تدندن شيئاً من كلمات الأغنية.. فعات السيدة المحجبة مطمئنة إلى أن الشريط سيكمل رسالتها، وعلى ثغرها ابتسامة لا يخفى معناها!.

من أين بدأ الخلل إذاً؟!... هل يمكن لنا أن نتوقع لابتسامة - ليست ضمن المنهج بالتأكيد - أن تكون بداية الخلل كله!! مستحيل... وإلا لما أمكن لأحد أن يبتسم!... ما أذكر أن حركة هامسة - ولكن حثيثة - بدأت تدور في ركن من الحافلة... لم أشعر بسوء... لكن سيدة قامت بعدها تقدم شريط فيديو لم يلفتنا ولا توقعنا جديداً فيه... لكن شفتيها المخضبتين أعلنت لنا شيئاً أزعجنا «أتحصنوا... عسى نزيل البثور التي غطت وجه الرحلة.. أو تقتلع اليباس الذي امتد إلى كوامن السواق فينا!!...».

استفزتنا كلماتها ومنظر الحليق الذي يبتسم بلزوجة خلفها.. وكاد الأخ «ماجد» يمنعها لولا أنني أمسكته بحزم وهمست «انتظر الأغلبية» فتأكد أن الأغلبية ستبطله، غافلاً - وهذه غلطتي - أن الدعة التي كانوا عليها والاسترخاء جعلهم يعزفون عن المساهمة... فمر.. ومرت ساعته ضيقة الأنفاس - لزجة ... رخوة مترجرجة... تكاد تميز من الغيظ، دون أن يمنع ذلك تعليق الرجل الحليق خلفها «لاباس فهكذا كل جديد... تخافه الدهماء لأنها تجهل... لكنها ستعتاده... بل ستدمنه...».

أحسست بالغيظ ولم أعد أحتمل السكوت... فهرعت إلى «الشيخ صالح» متوسلاً (أدركنا... عدل البرنامج استخدم صلاحيتك قبل فوات الأوان!...» فاستجاب الشيخ وأشار إلى أحد الأخوة الذين بادرنا حديثاً شيقاً من وحي اختصاصه العلمي ومن وحي ما نرى من منظر الحيوانات الصحراوية اللطيفة التي كانت تتقافز حولنا كأنما تحيينا... ثم عرَّج بلفتة ذكية إلى ما يريد، فقال: «هذا الإبداع في التكوين، والتوافق بين فطرة هذه المخلوقات وبين ظروفها القاسية، تشير إلينا بفكرة بسيطة وعميقة، إنها تقول لنا إن للحياة غاية أسمى من إشباع بطن، أو إرضاء لذة، أو الاستجابة لنوازع البقاء... وأن حياتنا - بالتالي - إما أن تسير وفق نفس النواميس الكونية أو تتحطم».

تنهدنا بارتياح وشعرنا أثر ذلك أن الشريط قد انمحى... فقمنا متطمئنين - إلا أقلَّنا إلى صلاة المغرب جماعة، لنعلن بعدها أن وقت الراحة أو النوم قد أزف.

لما هبط الظلام راودني أرق زاده سؤال الشيخ صالح اشتعالاً، «السائق؟! هل أنت مطئن إلى خبرته وأمانته...» أدركت ما في سؤاله من خوف، فقد صرنا في الظلمة وانعدمت الرؤية إلا قليلاً وصرنا - كلنا - رهائن بصر السائق وبصيرته وأي خلل هناك في المقدمة لن يكون في صالح السلامة التي نهتم لها، ومع هذا فقد اجبته «نعم .. نعم ... وثقتي بالمرافق أكبر!».

لكنني بشر... وكل المسافرين معنا بشر أيضاً، وما حدث فاق مقدرتي على التوقع أو طاقتي على الحركة المناسبة، فقد لمحت شبح امرأة خلعت في العتمة حشمتها ولم التفت إلى أنها تتجه إلى موقع السائق لأمر ذي بال... رأيتها تميل على السائق قليلاً وتهمس بشيء ما في أذنه، وهو مطمئن ويهز رأسه إلى أعلى لكنها ألحت ومالت يضحك أكثر... فاصر بصوت مرتفع أثارها - ربما - فعلاً صوتها «سأثبت لكم جميعاً أنني أفوقك قدرة على هذا...» انتبه الجميع وانتبهت وانتبه المرافق هلعاً ليجد السائق مقصياً عن مقعده والمرأة تكاد تحتل مكانه... هبَّ بسرعة وسحب يدها العارية عن المقود فاهتزت الحافلة محدثة دبيباً مخيفاً - وهي تصرّ على موقعها بحبور - دفعها بكل ما يسمح له حياؤه فارتجفت الحافلة أكثر حتى تمكن شيئاً فشيئاً أن يزحزحها عن المقدمة لكن في اللحظة التي غدا فيها الانحراف أكبر من إمكانية السيطرة... فتمايلت بعنف ورهبة... وحادت عن جادتها، وزعق محركها مستنكراً قبل أن... قبل ...

ووجدت نفسي تلقائياً في سرير البياض، أتلقى التهاني بالنجاة!... وشيئاً آخر - من داخل ومن خارج - أشد قسوة وإيلاماً... والسؤال الذي لا يزال يدور: كيف انقلبت تلك الحافلة؟ ومن يعوض على ركابها المصابين؟!.. ■

بقلم: سيد عطا محمد عبدالله

دراسات لغوية مبسطة

الهمــزة المفــردة

نظراً لأهمية التعرف على مفردات وتراكيب اللغة العربية معنى وأسلوباً واستعمالاً، والتطبيق عليها مما يحفظ اللسان من الخطأ في النطق ولا سيما المثقفين الذين يستعملون اللغة العربية أسلوباً لأدائهم الوظيفي كالمدرسين بالمدارس والجامعات والعاملين في وسائل الإعلام المختلفة.

لذلك رأيت أن أتناول بعض مفردات وتراكيب اللغة في أسلوب سهل مبسط مع التطبيقات اللازمة ومن ثم أقدمها للقارئ كوجبات خفيفة سهلة الهضم إن شاء الله تعالى والله أسأل أن يوفقني لما فيه الخير لطلاب العلم، وأن يتقبل مني ومنكم صالح الأعمال فهو نعم المولى ونعم النصير.

١ - الهمزة المفردة:

الألف المفردة هي الحرف الأول من الحروف الهجائية للغة العربية، وتسمى: الهمزة، والهمزة المفردة تكون همزة قطع دائماً - وهمزة القطع ينطق بها في بدء الكلام وفي أثنائه، ويكتب فوقها رأس عين صغيرة وترسم هكذا: أ.

معاني همزة القطع واستعمالاتها:

أ - حرف نداء، وتستعمل للقريب نحو: أمحمد قف، وللمنادى البعيد وتكون ممدودة نحو: آمحمد أقبل، وقد تحذف الهمزة وتقدر نحو: محمد قف.

ب - حرف قسم وجر، ولم يذكره سيبويه، وذكره غيره، وتستعمل ممدودة كما جاء في الحديث الشريف - عن معاوية رضي الله عنه - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج على حلقة من أصحابه فقال: «ما أجلسكم؟ قالوا: نذكر الله ونحمده على ما هدانا للإسلام ومنَّ به علينا قال: «آللهِ ما أجلسكم إلا ذاك؟ قالوا: آللهِ ما أجلسنا إلا ذاك... الحديث.

ج - حرف استفهام: وتعتبر الهمزة الأصل في أدوات الاستفهام، ولذلك تختص بأنها تستعمل للتصور، والتصديق.

١ - التصور: وهو طلب العلم بالمفرد الذي لم يكن معلوماً من قبل لدى السائل: نحو: أزيد عندك أم عمرو؟ لأن النسبة معلومة للسائل أي يعلم أن أحدهما موجود عند زيد ولكنه يتردد بين زيد وعمرو ولذا يكون الجواب بتعيين أحدهما فتقول: زيد - أو تقول عمرو، ويلاحظ أن المستفهم عنه يقع بعد الهمزة مباشرة ويذكر معادل له بعد أم.

٢ - التصديق: هو طلب العلم بالنسبة المجهولة: «وهي مضمون الجملة» بالإثبات أو النفي نحو: أزيد عندك؟ فالسائل يجهل وجود زيد عند المخاطب، ولذلك يكون الجواب بالإثبات أو النفي فتقول: نعم: زيد عندي أو تقول: لا: ليس زيد عندي، وذلك بخلاف هل فإنها تستعمل للتصديق فقط، نحو: هل زيد عندك؟ وبقية أدوات الاستفهام للتصور فقط نحو: أين زيد؟ متى السفر؟ من نجح في الامتحان؟... إلخ.

وقد تخرج همزة الاستفهام عن الاستفهام الحقيقي في صور ثماني:

١ - التسوية، وليس ذلك خاصاً بالهمزة الواقعة بعد كلمة سواء بل كذلك الواقعة بعد: ما أدرى، وما أبالي ونحوهن، وضابطها أنها الهمزة الداخلة على جملة يصح حلول المصدر محلها نحو: سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم، وما أبالي أقمت أم قعدت - أي سواء عليهم الاستغفار وعدمه، وما أبالي بقيامك وعدمه.

٢ - الإنكار الإبطالي: رد أفأصفاك ربكم بالبنين واتخذ من الملائكة إناثاً، وهذه الهمزة تفيد النفي لأن المراد أن ما بعدها غير واقع وأن مدعيه كاذب.

٣ - الإنكار التوبيخي: وتفيد أن ما بعدها واقع، وأن فاعله ملوم عليه نحو: أتعبدون ما تنحتون؟

٤ - الاستفهام التقريري: والمراد حمل المخاطب على الاعتراف بأمر قد استقر عنده على سبيل الإثبات أو النفي، فالإثبات نحو: (ألم نشرح لك صدرك؟) لأن الهمزة هنا تفيد النفي، ونفي النفي إثبات بدليل عطف المثبت عليه وهو: ووضعنا عنك وزرك، ويجاب عنه بـ بلى فيقال: «بلى شرح الله لي صدري، ومثل: (ألم يجعل كيدهم في تضليل). وعطف عليه بالإثبات وهو قوله تعالى: (وأرسل عليهم طيراً أبابيل)، والنفي نحو: ألم تسافر أمس يا علي؟ لمن لم يسافر، ويجاب عنه بـ نعم، فيقال: نعم لم أسافر أمس، وجعل من الاستفهام التقريري ما إذا دخلت هذه الهمزة على مثبت ويُراد بها تقرير المسؤول بالإثبات أو النفي نحو: أضربت زيداً؟ فيُجاب عنه بـ نعم أو لا، فيقال: نعم ضربت زيداً - أو لا لم أضرب زيداً مع أن هذا يحتمل الاستفهام الحقيقي.

٥ - التهكم: نحو: أصلواتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا.

٦ - الأمر: نحو، أأسلمتم؟ والمراد أسلموا.

٧ - التعجب نحو: (ألم تر إلى ربك كيف مدّ الظل؟).

٨ - الاستبطاء نحو: (ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله)؟

د - تستعمل الهمزة للتعدية:

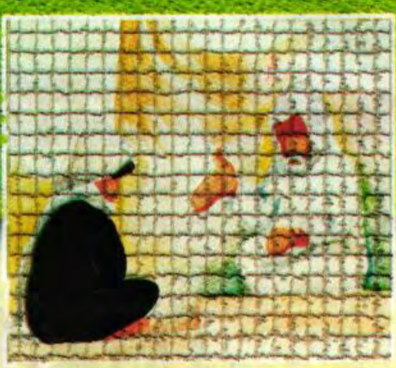
١ - تدخل الهمزة على الفعل اللازم فتجعله متعدياً لواحد نحو: خرج علي من المنزل أخرج محمد علياً من المنزل.

٢ - وتدخل على الفعل المتعدي لواحد فتجعله متعدياً لاثنين نحو: رأى خالد الجبل، أريت خالداً الجبل، علم خالد المسألة بمعنى عرف وتدخل الهمزة فيصير: أعلم محمدٌ خالداً المسألة.

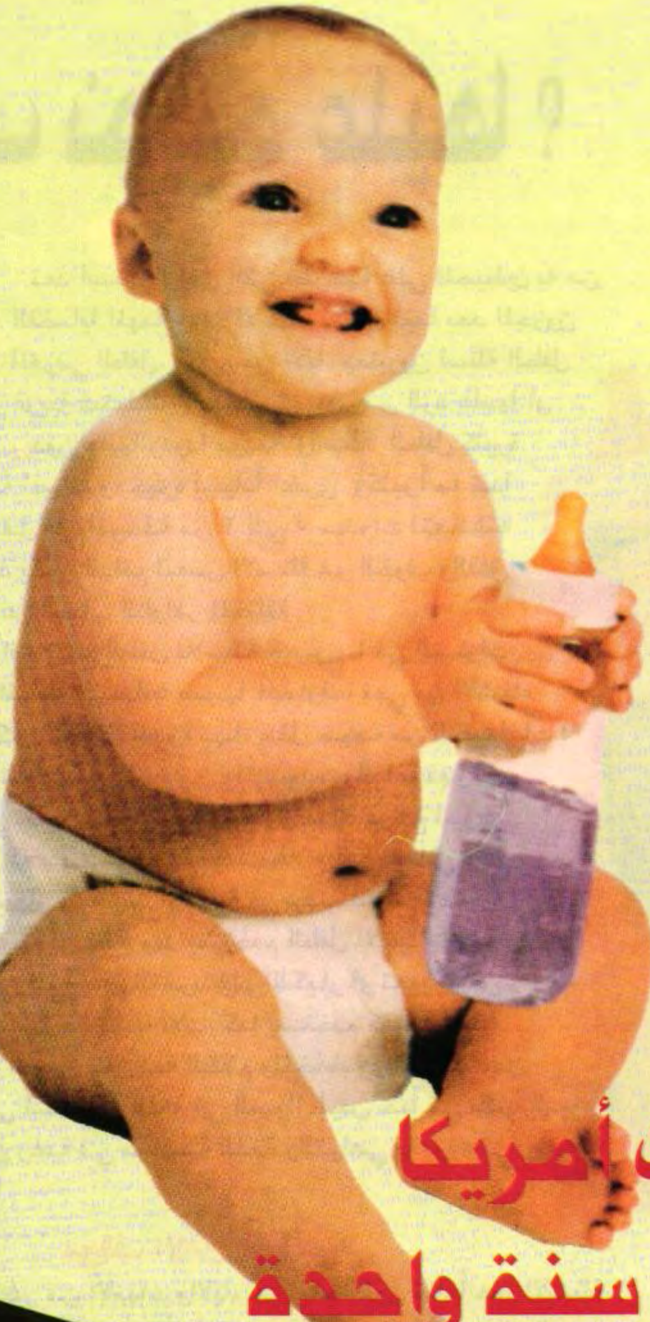
٣ - وتدخل على الفعل المتعدي لاثنين فتعديه إلى ثلاثة نحو: علم محمد زيداً ناجحاً - تدخل الهمزة فيصير: أعلمت محمداً زيداً ناجحاً.

هـ - وتستعمل الهمزة للإزالة: بمعنى أنها تدخل على الفعل فتحول معناه إلى العكس نحو: صرخ الطفل. تقول: أصرخت الطفل - أي أزلت صراخه، وإلى لقاء آخر إن شاء الله تعالى مع الهمزة المتصلة بغيرها. ■

الوعي الإسلامي
العدد 407
رجب 1420 هـ
أكتوبر / نوفمبر 1999 م



الأسرة المسلمة 2



التأثير الخطير للخمر على الجنين والطفل

أسئلة الطفل كيف نجيب عليها؟

رياض الأطفال أهميتها - وظائفها - أهدافها

حساسية الأنف كلفت أمريكا ١,٨ بليون دولار في سنة واحدة

بين الأم والجدة

بقلم: أشرف سعد

أسئلة الطفل كيف نجيبه عليها؟



تعد أسئلة الطفل التي يطرحها على المحيطين به من القضايا المهمة وهذه الأسئلة تشكل فيما بعد المخزون المعرفي للطفل، وكثير من الآباء يعتبرون أسئلة الطفل غريبة فيتململون منها ويتهربون من الرد عليها أو يردون عليها ردوداً مبهمة، وأسئلة الطفل كثيرة جداً وغريبة أحياناً ومحيرة أحياناً أخرى. وكثيراً ما تبدأ أسئلة الطفل في المرحلة من ٢ إلى ٥ سنوات لتعطشه للمعرفة وقد يكون الدافع لبعض الأسئلة هو الخوف والقلق مثل سؤاله عن أسباب الظواهر المختلفة.

وهناك دوافع تدفع الطفل للأسئلة خصوصاً في السنوات الأولى من المرحلة الابتدائية سببها المخاوف، فهي من الأشياء التي لم يكن للطفل خبرة بها، مثل خوفه من الحيوانات كالكلب أو اللصوص والمجرمين والمتسولين والباعة فهو لم يسبق له أي خبرة بهم، وكثيراً ما يكون هناك دوافع أخرى تدفع الطفل للأسئلة: منها حب الاستطلاع الذي يعاني منه الأطفال الصغار ورغبتهم الطبيعية في جذب انتباه الآخرين إليهم عن طريق الأسئلة، وقد يستخدم الطفل الأسئلة الملحة للتعبير عن المقاومة والتمرد على الكبار أو تعبيراً عن سخطه واستنكاره لسلطة الأب، كما يستخدم كثرة الأسئلة لإدراكه أنه أصبح يتقن لغة الكلام والمخاطبة والتفاهم، ومن ثم يلجأ إلى استخدام اللغة في السؤال ليس حباً في طلب الإجابة، بل رغبة في ممارسة اللغة والتباهي بقدرته في استخدامها.

موقف الأهل الخاطئ

يخطيء كثير من الأمهات والآباء حين يتجاهلون تماماً هذه الأسئلة وأحياناً يضيق الأهل ذرعاً بأبنائهم عندما يصلون إلى هذه السن، لأن كثيراً من أسئلة الأطفال محيرة ويعجزون عن إعطاء إجابات مناسبة عليها، وبعض الآباء والأمهات يحاولون التخلص من إلحاح الطفل في تساؤله بإعطائه أجوبة غير صادقة أو ناقصة أو محرفة عن الحقيقة وسرعان ما يكتشف الطفل عدم كفايتها فيفقد الثقة في أبويه ويلجأ في الحصول على معلوماته إلى أقرانه أو أي إنسان آخر قد يعطيه معلومات ربما تضره نفسياً أو ثقافياً، كما أن إشعار الطفل بعدم القبول لأنه سأل سؤالاً أحرج والديه يؤدي إلى شعور الطفل بالذنب دون أن يدري ما ذنبه مما يعرضه للقلق النفسي والانزواء والخجل، وقد دلت البحوث العملية على أن التهرب من الرد على أسئلة الطفل وتعمد تأجيل الإجابة على بعض الأسئلة الحساسة التي يسألها يجعله يعيش في حيرة.

أما الموقف السليم للرد على أسئلة الطفل:

فهو أن نجيب الإجابة الصحيحة التي تتناسب مع مدارك الطفل حسب سنه، كما يجب أن يدرك الآباء والمربون أن الأخذ والعطاء مع الطفل في الإجابة على أسئلته له فوائد كثيرة، أهمها تنمية شخصية الطفل وتنمية مقدرته اللغوية وتمرينه على استعمال الكلمات والتعابير الجديدة واكتسابه خبرات في استخدام الأفكار والآراء المجردة التي لا يمكنه أن يصل إليها بمفرده، والقاعدة الأساسية في الإجابة على أسئلة الأطفال أن تكون الإجابة محددة مبسطة وقصيرة وبطريقة ذكية من دون الدخول في تفاصيل وبذلك تسد الطريق على الطفل للدخول في أسئلة أخرى.

ومع ذلك يجب علينا أن نجيب على كل أسئلة الطفل ونقدّر أهمية الأسئلة وأهمية إجاباتها بالنسبة لمدارك الطفل وفقاً لسنه ودرجة نموه وذكائه، فهناك بعض الأسئلة تزيد مفردات الطفل اللغوية، مثل ما هذا؟ وما ذلك؟

أمثلة لبعض هذه الأسئلة

من أين جئت؟ قد يشعر الآباء أن السؤال شديد الحساسية، وأنه ليس من الحكمة أن يجيبوا على الطفل، ومن ثم يتهربون من الإجابة بالرد التقليدي عندما تكبر ستعرف، ولكن الاتجاه التربوي السليم هو أن تظهر الأم اهتمامها بسؤال الطفل ويكفي أن تقول لطفلها ابن الرابعة: إنه جاء إلى الدنيا من بطن أمه، وعندما يصل الطفل لسن الثامنة يمكن للأم أن تستعين في إجابتها بالتمثيل بمخلوقات يراها الطفل ويعرفها مثل الطيور، فتقول له: الطفل يخرج من بطن أمه مثل خروج البيضة من الفرخة وميل الطفل للمعرفة في الاتجاه ميل طبيعي نقي يتجه إلى المعرفة الخالصة.

أين يوجد الله؟ فالأطفال أكثرهم يسمعون عن المولى عزَّ وجلَّ، يسأل ابن الرابعة أين الله؟ والإجابة تكون إجمالية دون الدخول في تفاصيل: «الله في السماء» وهو موجود في كل مكان.

أين توجد الجنة؟ الإجابة يجب أن تعتمد على الكتب السماوية، فنقول للطفل: إن الدين يعلّمنا أن الجنة مكان مريح يذهب إليه الصالحون، وإنها لم يرها أحد من الأحياء، وتوجد في السماء.

لماذا يخرج القمر؟: يمكن للأم أن تشرح لابنها خروج القمر بأن تحضر له كرة أرضية ثم تأتي بلعبة صغيرة وتلف بها حول الكرة وتقول للطفل: إن القمر يلف هكذا حول الأرض مثل الأخت عندما تلف حول أخيها فيراها مرة ولا يراها مرة أخرى.

لماذا حدث الطلاق بينك وبين أمي؟ يجب ألا نثقل على الطفل ونشرح له أسباب الطلاق حتى لا ندفع الطفل إلى كراهية الأب أو كراهية الأم، بل تكون الإجابة عن سبب الطلاق إننا أصبحنا غير متفقين أنا وأمك وسيعش كل منا في منزل، وأنت ستعيش معي واختلافنا مثل اختلافك مع أصدقائك، ونحن لا نزال نحبك وسوف نزور والدتك من آن لآخر.

وعلينا أن نعلم أن كثيراً من أسئلة الطفل قد تكون أحياناً موجهة للتهكم على الكبار أو للدخول في حديث الكبار وكل هذه الأساليب هي في الواقع للتمركز حول الذات وتأكيدها، لذلك ينبغي أن نجيب للطفل على أسئلته الإجابة الأمينة بما يشبع شغف الطفل وحب استطلاعه. ■

خاطرة

علي مدني رضوان الخطيب

حسن العشرة

أعظم البيوت بيت يُقدّس الحياة الزوجية، ويحتفي بها، ويحوطها ويحميها ويهش نحوها، ويشتد إليها، وينزلها منزلة الإيمان المحض، والتدين الخالص الذي يرجى من ورائه خيري الدنيا والآخرة.

وما حلاوة العيش لزوجين لم يحترم كلٌّ منهما المواثيق الغلاظ؟! ولم يفهما شيئاً عن أكسير المودة والرحمة؟! فلم يتلقيا على معنى أو يتفقا لغاية!

هذه الفكرة وتلك الغاية تشدهما إلى نظرة حانية أو إشراقة وجه وبسمة ثغر، أو لمسة يد، ولن يلتقي ذلك كله، إلا في باب حسن العشرة، فهو «ترياق الحياة الزوجية»، ومرفأها الآمن، بل هو الإيمان كله كما ذكرنا... ألم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم: «خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي».

وما انهارات بيوتات ولا تمزقت أسر أو اتسع الشقاق وفرّق بين قلبين إلا من سوء العشرة والنكد.

فمن بورك سعيهما، فقطعا الطريق بأشواق الحب، ومعالم الصفح، ودلائل الرحمة أو شك كلٌّ منهما أن يستريح على بساط التحنان والود، وقطع المفازة.

فهما سعيدان على الرغم مما يشعر به غيرهما من شقاء، راضيين على الرغم مما يجري بغيرهما من سخط أو كدر، كريمين على الرغم من انكسار البيوت، وضعة النفوس التي تفور بالمذلة والصغار.

إنه الإيمان يرفع القدر، والمنزلة، ويرقى بالأسرة ليجعل منها نبتة صالحة متوافقة... بل متجانسة فيعود الزوجان إلى الأصل الأول «من نفس واحدة».

(والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه والذي خبث لا يخرج إلا نكداً). هذا فليتأمل العاقل. ■

د. غنية عبدالرحمن النحلاوي

التأثير الخطير للخمر على الجنين والطفل



قال رسول الله ﷺ: «سيكون في آخر الزمان خسف وقذف ومسخ، إذا ظهرت المعازف والقينات واستحلت الخمر» حديث صحيح عن سهل بن سعد.

(وما ينطق عن الهوى. إن هو إلا وحي يوحى) النجم: ٤-٥.

نعم... فلقد ازدادت نسبة التشوهات الخلقية في السنوات الأخيرة في جميع دول العالم... فازداد اهتمام الأطباء بالبحث عن الأسباب، أو ما سمي: العوامل الماسخة... وكان للخمر نصيب كبير إذ تشربه الحامل... أو الأم التي يمكن أن تحمل في أي لحظة... وفيما يلي بسط للموضوع:

أولاً: مبادئ الأمساخ والغول(*) كعامل ماسخ:

حاول العلماء وضع خطوط عامة لعلم المخيات، ومع أن «الامساخ» يعني «التشوه البنيوي»، فإنه يستعمل أيضاً للإشارة إلى أي خلل لدى الجنين، ولذا فإنه يشمل: موت الجنين أو تأخر نموه أو حدوث خلل كيمياوي حيوي أو فيزيولوي لديه، أو تطور اضطرابات سلوكية أو جسمية لدى الوليد أو الطفل الذي سيكون هذا الجنين مستقبلاً.(١)

وإضافة للمبدأ السابق، هناك مبادئ أخرى منها: أن العوامل الماسخة قد لا تسبب ضرراً للأم، وأنها تعبر المشيمة إلى الجنين بسهولة، وهي تؤثر على الجنين بناء على استعداد وراثي محدود أو تجاوب خاص له علاقة بمدة التعرض وشدته للعوامل الماسخة.

ويصنف الغول «أو الكحول» على رأس العوامل الماسخة المؤثرة بالدرجة الأولى على الجملة العصبية المركزية للجنين، وهو التأثير الذي يتجلى في مراحل الطفولة المتتالية بأشكال مختلفة أقلها ضرراً حدوث تشوهات عظمى في الوظائف العليا الآمرة للإدراك، تتظاهر بعدم القدرة على التعلم، أما الإصابات الأخرى فكثيرة سنتناولها بالتفصيل بإذن الله.

وما يؤسف له أن مناهج التدريس في المدارس والكليات والمعاهد الجامعية في بلادنا لم تتناول موضوع الغول من وجهة النظر العلمية، ولم توفه حقه بما يتناسب مع الدراسات العالمية: العلمية «الإحصائية للموضوع نفسه» وهو أمر تبرز الحاجة إليه وتزداد في عصر تضطرب فيه التيارات العلمية والتعليمية، ويصبح التسلح بالحقائق المجردة ضرورياً لترسيخ الإيمان بالحقائق اليقينية المنزلة.

وبالمقابل نجد أبناء الحضارات الأخرى، ومثالهم البارز - عادة - الأوروبيون والأميركيون، فهم لا يألون جهداً في التنقيب في كتبهم التراثية، وقد يذهبون بعيداً حتى المعتقدات الرومانية والإغريقية، بحثاً عن أي قشة يتعلقون بها تشير إلى أنهم قد سبقوا... وقد عرفوا، وقد أعلنوا... أن للخمر أضراراً على الجسم والعقل عموماً وأحدث من ذلك، أنه يسيء للحمل والجنين(٢) (وهذا يقوم به علماء وراثة وأطباء وليس وعاظ أو علماء اجتماع)، ونجد كتبهم ودورياتهم العلمية والعامة تحفل بالدراسات المحكمة في هذا الموضوع الذي تخلو منه كتبنا ودورياتنا، ولعل السبب هو كثرة متجرعي الخمر ومدمنيها في تلك المجتمعات من جهة، وتعودهم الصراحة مع أنفسهم ومع مجتمعاتهم من جهة أخرى، فيما يتعلق بالسموم والأمراض والكوارث فقد علموا، كما علمنا، أن التشخيص هو الخطوة الأولى لمعرفة العلاج الناجع (والفرق أنهم طبقوا

هذه المعرفة... وهذا لعمري أحد عوامل السبق في مضمار الحضارة).

ولقد أدى تعاظم خطر الخمر وإدراك هذا الخطر إلى تحريمه كما هو معلوم العام ١٩٢٠م في الولايات المتحدة الأميركية بقرار حكومي بشري... لم يصمد أكثر من ١٣ عاماً... نشطت خلالها الجرائم والتجارة المحرمة والمصانع السرية، ولم ينقص عدد المدمنين... رغم العقوبات الكثيرة من سجن وغرامات ومصادرات... وحتى الإعدام الذي طبق في ٣٠٠ حالة(٤)، ومع ذلك أفرزت هذه الفترة الكثير من الدراسات وعشرات الألوف من النشرات التي أسهبت في شرح أضرار الخمر للناس واستمرت النشاطات والجمعيات الخاصة تقوم بهذا حتى الآن.

ومقابل هذا الفشل، نعرف جميعاً الصورة المذهلة التي تم تحريم الخمر من خلالها في صدرالإسلام... فقبل أن يكتشف العلم بمئات السنين ضرورة الفطام التدريجي عن الخمر، تدرج الإسلام في تحريم الخمر، فنُهي المسلمون أولاً عن الصلاة وهم سكارى... وكان هذا كافياً لإنقاص مستوى الغول في دمائهم، وليذوقوا طعم التحرر من هذا السم الفتاك في أجسامهم وعقولهم... وهكذا عندما جاء الأمر الإلهي بالتحريم القطعي كان التجاوب عظيماً، فكسروا دنان الخمر بأيديهم وأراقوها في طرقات المدينة المنورة.

عود على بدء:

ويبدو أن الحضارة الغربية تتبع الأسلوب نفسه حالياً، أسلوب التدرج... وعن غير قصد منها، فتمنع تناول الخمر في اثناء قيادة السيارات، وفي اثناء العمل، وخلال الحمل بالنسبة للأمهات تسعة اشهر... ألخ، وهذا كله حسن، ولكن لابد من القوة الايمانية التي تجعل القرار النهائي سهلاً، بالإقلاع عن الخمر، ورغم أننا لا نملك الإحصاءات الاجتماعية والبيئية، إلا أن ظاهر الأمر يدل على استمرار الآثار الإيجابية لهذه التربية الربانية في بلادنا وعلى الرغم من قلة عدد شاربي الخمر في بلاد المسلمين إذا ما قورن بعددهم في الدول الأخرى من العالم... ويستمر هذا ما لم «نستحل الخمر»... فإذا استحلت وقع علينا وعيد رسول الله ﷺ... وكان المسخ الذي ظهر حتى الآن بعض أشكاله نصنفها فيما يلي:

ثانياً: المتلازمة الغولية الجنينية:

أفردت هذه المتلازمة بالوصف والتصنيف منذ العام ١٩٧٣م، حيث ثبت أن الغول بمروره عبر المشيمة من دم الحامل إلى جنينها يؤدي إلى أثر ماسخ يتجلى بسحنة خاصة للطفل عندما يلد وبوجود تشوهات في كل أجهزة جسمه، وتأخر عقلي.

مسؤولية الأبوين معاً... نعم...

ولدهشة القارئ، فالدراسات تصنف تأثير الغول إلى ما يلي:

١ ـ التأثير على الأمشاج: النطفة القادمة من الأب والبييضة التي من الأم... والمعنى المهم لهذا أنه في هذه المرحلة يستوي الأب والأم في الإضرار بالذرية، وأن الضرر يقع قبل الحمل.

٢ ـ التأثير على المضغة والجنين في كل أطواره في الرحم، وهنا تحمل الأم الوزر كله.

ورغم أن موضوع شرب الخمر وأضراره على الشاربين أنفسهم أمر يتعرض له أطباء الداخلية لا الأطفال، فإننا سنشير بسرعة إلى ما قد يهم الأمهات والآباء أنفسهم قبل الانتقال إلى الجنين والطفل.

شخصية المدمن وأثر شرب الخمر على الجسم والعقل:

لم تصل الدراسات إلى مواصفات قياسية عامة ترسم نمط المدمن على الغول، وعموماً يسود الشعور بأن الإدمان يرتكز على اضطراب نفسي سابق، وتأتي المادة المُدْمَنْ عليها، وظاهرها ستر هذا الاضطراب بالنسبة للمدمن، فتزيده شدة ووضوحاً وتزيد عليه اضطرابات أخرى وأمراضاً خطيرة، فنجد المدمن يتصف بأمور منها(٥): الشعور بالحرمان والغيرة وعدم الاطمئنان والانطواء، إضافة إلى ضعف المحاكمة العقلية وربما بطء التفكير، وقمة هذه الإصابة بالأهلاس السمعية والبصرية ثم الهذيانات «الزور الغولي» والتي تنتهي إلى التدهور العقلي والعته الصريح أي «الخرف المبكر» وعضوياً يحدث التهاب أعصاب كثيرة وارتجاف باليدين واللسان والتهاب العصب البصري وتشمع الكبد باختلاطاته الواضحة، علماً بأن السُكر الواضح ليس شرطاً لحدوث الانسجام الغولي المزمن وعوارضه التي وصفناها، فقد ثبت إصابة حتى المدمنين على المقادير القليلة من الغول به، وهذه ملاحظة مهمة تؤكدها الدراسات مثبتة أنه ليس هناك زي موحد يتعامل به الغول مع الإنسان وكل حالة يتم تقويمها بمفردها.

أما الانسمام الغولي الحاد «أو حالة السكر» فهذا يرافق تحطيم حياة المدمن وحياة بقية أفراد أسرته مع كل نوبة سكر، والتي غالباً ما تنتهي بالسبات الذي قد لا يستفيق منه المدمن إذا كانت جرعة الغول كبيرة، إذ يحدث قصور قلبي حاد ينتهي بالوفاة.(٦)

وهكذا... يَعُم الأثر السلبي لشرب الخمر على الطفل في جميع مراحل عمره... منذ أن يكون نطفة وبييضة وحتى يغدو طفلاً، مذهولاً من تصرفات أحد أبويه أو يتيماً فقد أحدهما!!.

نسبة حدوث المتلازمة الغولية الجنينية وأهم مظاهرها:

تتراوح هذه النسبة من ١/٦٠٠ ولادة حتى ١/٣٠٠ ولادة حسب الدراسات العالمية، وهي نسبة عالية تعكس ارتفاع نسبة تناول الخمر بين الأمهات والآباء وتعتبر هذه المتلازمة في الولايات المتحدة الأميركية ثالث سبب بين الأسباب الأكثر شيوعاً للتأخر العقلي مجتمعة.

من المهم تأكيد أن الغول مثل الماسخات الأخرى يولّد طيفاً من العيوب، وبالتالي يبدو الأطفال المصابون بأنماط مختلفة تتراوح من عرض واحد من الأعراض أو أكثر إلى

الأعراض مجتمعة ومتكاملة، لهذه المتلازمة الخلقية، وقبل أن نعرض هذه الأعراض والعلامات نذكر بأنهم وجدوا أن هذه المتلازمة تحدث بسبب تجرع ٣٠سم٣ «أونصة واحدة» باليوم من الكحول، ولكن نظراً لأن أدنى جرعة من الغول يمكن أن تحرض التشوهات الخلقية هي غير معروفة، فلا يمكن أبداً النظر إلى تجرع الغول خلال الحمل على أنه سليم»(٧) مهما بلغت الجرعة.

أهم العلامات والأعراض في المتلازمة الغولية الجنينية:

أ ـ تأخر النمو: يحدث تأثراً في النمو قبل وبعد الولادة يتجلى بنقص الوزن وقصر القامة.

ب ـ الأداء والإنجاز: تبدأ الأعراض المبكرة كاضطراب الوظاف المحركة الدقيقة عند الرضيع، والضعف في التناسق العيني اليدوي مع هياج وفرط نشاط، وتتطور إلى نقص في مدى الانتباه والتركيز ومشاكل في القدرة على الكلام، ومن الواضح أن عدم نمو الرأس المترافق مع خلل في تطور دماغ الجنين في رحم أمه هو أخطر ما يحدث له، وكانت نسبة الذكاء عند أبناء المدمنين أو شاربي الخمر وسطياً: ٦٣٪ وهي تقع في أسفل السلم «لأن معدل الذكاء I Q يصنف كما يلي:

١٢٠ ـ ١٢٥ عند الأذكياء ١٠٠ عند المتوسطين ٧٠ إلى صفر عند المتخلفين.

علماً بأن حالات أولئك الأطفال تراوحت بين الذكاء المتوسط أو دون الوسط، وبين التأخر العقلي العميق، إضافة لاضطربات التعلم والانحرافات السلوكية، والتي تحدث عادة بسبب التعرض المتأخر خلال الحمل لمادة الغول، أو التعرض المديد طوال فترة الحمل ولكن بجرعات قليلة.

ويخطئ من يصنف القصور العقلي المتوسط والخفيف على أنه إهمال أو حرمان عاطفي اجتماعي فقد ثبت أن سببه غالباً الكحول.(٨)

ج ـ القحف والوجه: والتشوهات فيهما واسعة، وتشمل صغر حجم الجمجمة، صغر الفرجة، الجفنية، انسدال أجفان، نقص تصنع الفك العلوي، أنف قصير مقلوب للأعلى وشفتين رقيقتين.

د ـ الهيكل العظمي: يلاحظ تشوهات مفصلية مثل انعطاف المفاصل في أصابع اليدين، انكماش بالمرفقين بوضع الانعطاف، خلع ورك ولادي، صغر حجم السلامى الانتهائية مع نقص في تصنيع الأظافر باليدين والقدمين إضافة لتشوهات بالفقرات الرقبية وتغير نموذج الالتئام في الراحتين.

هـ ـ تشوهات قلبية: وجود فتحات بين حجرات القلب «البطينين والأذنين».

٦ ـ تشوهات أخرى: مثل انشقاق الشفة أو انشقاق قبة الحنك، أو كليهما.

قصر البصر، الحول، سوء تطابق الأسنان، فقد السمع، بروز الأذنين، قفص صدري غير طبيعي، تشوهات كلوية «وهي تحدث رغم تدني المقدار الغولي المتجرع من قبل الحامل»(٩).

والجدير بالذكر أن المظاهر الوجهية التي تساعد في تشخيص المتلازمة الغولية الجنينية تعود جزئياً إلى تأثير الغول على تطور الدماغ المبكر، كما ثبت بالتجارب على الفئران، بما أن الكثير من الاضطرابات العظمية المفصلية التي ذكرنا بعضها هي أيضاً ثانوية لتأثير الغول على تطور الدماغ، فالمفاصل الطبيعية تعتمد في تشكلها وتطورها على حركة الجنين ونشاطه في الرحم من أجل اتساقها وتمايزها المتناسق، وهكذا عندما تنقص حركة الجنين في الرحم تحت تأثير الغول، تتوقف أو تضعف حركة المفاصل أو تتخذ اتجاهات غير سوية «زوال الاتساق والتوازن» فتحدث الانكماشات والتقلصات التي وصفناها، ويحدث الالتحام الشاذ في الفقرات الرقبية بنسبة ٤٣٪ من الحالات ويمكن كشفه فقط بعد السنة الأولى من العمر.

أثر تناول الغول حتى نهاية الحمل:

يعاني المولود من أعراض الفطام أو الانقطاع المفاجئ عن الغول الذي كان يمر إلى دمه من خلال المشيمة وتبدأ لديه الارتعاشات والهياج خلال ١٢/ ساعة من الولادة وهي تحتاج لتدابير خاصة ومتابعة.

العوامل المؤثرة على الإنذار وسير المرض:

ففي دراسة أجريت في ألمانيا، لوحظ أن (٥٤) طفلاً إصابتهم كانت خفيفة إلى متوسطة (من أصل ٧٢ طفلاً مصاباً بالمتلازمة الغولية الجنينية» لفترة طويلة، ووجد أن ١٧٪ منهم تمكنوا من الالتحاق بالمدارس العادية بما يتناسب مع أعمارهم، وظهر عند الباقين صعوبات في التعليم بسبب فرط الحركة وعدم القدرة على التركيز، كما عانوا من سلبية المزاج ومخاوف مرضية وهمية أو الرهبة، وتبين أن مشاكلهم مع الأشقاء والآخرين لا تنتهي، وقد خلصت تلك الدراسة إلى أنه في الحالات الخفيفة يقل وضوح الأعراض الشكلية مع مرور الزمن، وتبقى الأعراض العقلية والعصبية والنفسية، واقترحوا طلب مشاهدة صورة المريض وهو في مراحل الطفولة الأولى، أو الرضاعة، عندما تكون المشكلة الأساسية ضعف قابلية التعلم مثلاً عند مراهق أو يافع.(١٠)

وتابعت دراسة أخرى بشكل دقيق أطفالاً حالهم أشد خطورة، لتناول الأمهات للغول ولفترات طويلة قبل الولادة، وباستثناء ثلاثة أطفال «أحدهم فُقد في المتابعة والثاني توفي بعيد الولادة بقليل والثالث غرق في حوض الاستحمام وعمره ثلاث سنوات ونصف السنة»، فإن الثمانية الباقين استمروا بالنمو البطيء مع دلائل على القصور العقلي والفشل المستمر، إضافة لوجود التشوه الوجهي القحفي وبعض التشوهات القلبية والمفصلية واستمرت المتابعة لمدة عشر سنوات، فوجد أن نصفهم كانوا معاقين بشدة وبحاجة إلى رعاية خاصة ومستمرة في مراكز التأهيل والنصف الثاني كانوا متأخرين نسبياً وأميل للبلادة.

وبمتابعة أمهات الأطفال المعاقين بشدة

«وهم أربعة» توفيت ثلاث منهن خلال ست سنوات فقط، من وضع الطفل المصاب، لأسباب تتعلق بتناول الغول!! ولم تحدد الدراسات مدى نجاح معالجة الأمهات المتناولات للغول في تحسين نتائج الحمل، بل إن بعض الدراسات أثبت أن المرأة التي كانت مدمنة بشدة قبل الحمل ثم انقطعت كلياً عن الغول خلاله، لن ينجو طفلها بالضرورة من التأثيرات الضارة وعلى رأسها نقص وزن الولادة والتشوهات الوجهية، إذ وجد أن الفترة الحرجة لحدوث هذه التشوهات وما يرافقها من تأثر الدماغ المستقبلي، هي فترة حدوث الإلقاح!! أي لحظة بدء الحمل، وقبل أن تدركه المرأة وتتوقف عن تجرع الغول ويأسف الباحثون لأن البيئة المنزلية الجيدة لا تحسن الإنذار المستقبلي فلم يستفد الأطفال من وضعهم في بيوت رعاية خاصة شديدة الاستقرار، تتبع أحدث وسائل التربية وتقدم أفضل تغذية لهم.

وهذا بحق بدهي... فهذه الدور مهما بلغت من كمال، تبقى تفتقد للدفء والحنان الوالدي في منزل الأسرة، وحتى لو كانت الأم المدمنة تنتمي لأكثر الطبقات رفاهية.. فإن الغول هو الغول، وسيبقى الطفل المصاب قصير القامة، صغير الرأس، منسدل الأجفان، غبي النظرة، ذو سلوك مضطرب وطاقة فكرية منحدرة، لأن التأثيرات العضوية للغول «كما وجدوها» هي نهائية، ذلك أنه يخرب البنى الحساسة عند الجنين بآلية لا تزال موضع بحث.

ورغم الجهود المبذولة لانقاذ أولئك الأطفال، إلا أن الفشل في ذلك أثبت أن الوقاية هي الأساس، فلم توجد حتى الآن معالجة نوعية لحالاتهم كما قال أحد الدراسين الأميركيين متابعاً: «وهم سيستمرون رخويين، ويرتجفون رغم استعمال المهدئات، أما عقولهم المصابة فلا علاج لها... والإنذار عندهم ضعيف»(١١).

وفي الختام... نذكّر:

بأن المتلازمة الغولية الجنينية هي السبب الثالث للتأخر العقلي بين الأطفال، ويصاب بها نحو ٤٠٪ من مواليد الأمهات اللواتي يتناولن الغول بدرجة كبيرة، و١١٪ من مواليد الأمهات اللاتي يتجرعن الغول بدرجة متوسطة.

ولأمر ما، «هناك عوامل مازالت مجهولة»، فإن ما يمكن أن يكون كمية ضئيلة غير ضارة من الغول بالنسبة لبعض الحوامل، يمكن أن يكون مدمراً للطفل المنتظر بالنسبة للبعض الآخر... وعليه فإن أهم نقطة على الإطلاق هي حتمية الوقاية بتجنب شرب الخمر... وإنني أنقل هنا ترجمة للنتيجة التي توصل لها بعض المهتمين جداً بهذا الموضوع في الولايات المتحدة الأميركية حيث ختم بحثه بالقول: «لقد أصبح جلياً الآن أن الغول ماسخ للبشر وإضافة للأثر المباشر لهذا على مستوى الأسرة، فإنه يمكن أن تحدث صدمة عميقة اقتصادية وثقافية على مجتمعنا بسبب ولادة المصابين بالمتلازمة الغولية الجنينية، ومن وجهة نظر عملية، فإن مأساة هذا الخلل يمكن تلافيها إلى مدى بعيد بإدراك أن التعرض للغول هو أمر يمكن تجنبه تماماً... وإلى هنا، فإن برنامجاً يثقف النساء بنجاح خلال سنوات الإخصاب حول الآثار السيئة للغول على أطفالهن المنتظرين يمكن أن يمثل أبسط الطرق وأكثرها فعالية...»

والأكثر فاعلية يا أخي الباحث... ويا جميع إخواتنا في الإنسانية، هو اتباع ما أمرنا به الديان المبدع، من اتباع تعلميات «دليل الصانع» كتابه المنزل وسنة نبيه، الذي حمانا من «قليله» و«كثيرة»... («أنتم وجدتم أن قليله قد يكون ضاراً جداً مثل كثيره بعد مئات السنين من ورود هذا على لسان محمد ﷺ».

وبعد... بأبي أنت وأمي يا رسول الله، ما أصدقك وأنت تنذر أمتك وكل الأمم.. وكأنك ترانا رأي عين... «سيكون في آخر الزمان خسف وقذف ومسخ... إذا ظهرت المعازف والقينات واستحلت الخمر»(*) صحيح عن سهل بن سعد. ■

الهوامش والمراجع:

(*) أصل كلمة كحول هو غوْل، وهي كلمة عربية أخذها الأوروبيون عنا حين نهلوا من حضارتنا وعلومنا وترجموها للغاتهم، والكلمات التي لم يجدوا لها رديفاً نقلوها كما هي ولكن بحروفهم، فصار الغول ألكولا بالفرنسية والكور بالإنجليزية، وعندما عدنا لنستورد ما سبق أن صدرناه نقلنا هذه الكلمة إلى أحرفنا وسميت «كحول».

(**) صحيح الجامع الصغير ـ تحقيق الألباني، نشر المكتب الإسلامي.

١ ـ المجلة الطبية العربية ـ العدد ٩٦ أيلول ١٩٨٧م ص ١٧ ـ ترجمة الدكتور أحمد بدر الدين.

٢ ـ كينيث ـ ل ـ جونز ـ المتلازمة الغولية الخبيثة ـ تشرين الأول ١٩٨٦م.

٣ ـ د. مصطفى الرافعي ـ الإسلام ومشكلات العصر، دار الكتاب اللبناني ـ بيروت ـ ص١٧١.

٤ ـ مبادئ الطب الباطني ـ هاريسون، ترجمة مجموعة من أعضاء هيئة التدريس بجامعة دمشق.

٥ ـ روبرت دريسباج ـ كتب التسميات ـ طبعة الشرق الأوسط ـ المجلد ١١ ـ ١٩٨٣م ـ ص ١٨٧.

٦ ـ ويليام بيك ـ كتاب التوليد وأمراض النساء، جامعة بنسلفانيا ـ المجلد الثاني ١٩٨٨م.

٧ ـ فريدريك بالمر ـ التأخر العقلي ـ كانون الثاني ١٩٩٤م ـ ص ٤٧٥.

٨ ـ جاني ل. ميلز ورفاقه ـ تجرع الخمر بدرجة معتدلة خلال الحمل وترافقه مع ازدياد في التشوهات الخبيثة ـ أيلول ١٩٨٧م.

٩ ـ أوسكي وستوكمان ـ الكتاب السنوي لطب الأطفال ـ ١٩٨٨م.

١٠ ـ كتاب طب الأطفال ـ نلسون ـ بهرمان وفوغهان ـ المجلد ١٤.

بقلم: فاطمة حسين

طفلي يخاف من الظلام



هل يخاف طفلك من الظلام؟

كل طفل في العالم يخاف من الظلام في طفولته، حيث تترأى له الأشباح والخيالات، إلا أن هذه المخاوف تكون طبيعية وتنتهي مع الكبر.

ولكن قد تأخذ بعض المخاوف عند الأطفال ظاهرة مرضية، وتستمر معهم بعد ذلك، وتكون هذه المخاوف المرضية بداية لكثير من الحالات «العصبية» والذهنية «العقلية».

والخوف عموماً حال انفعالية داخلية، يشعر بها الإنسان منا في موقف ما، فيسلك سلوكاً يبعده عن مصدر الضرر، ولكن الأمر المقلق أن يتضخم الخوف ويتكرر ويصبح شاذاً.

ويتقارب الخوف والقلق في مرحلة الطفولة، بحيث يصعب التفريق بينهما، وتؤدي زيادة المخاوف لدى الطفل إلى إعاقة حريته، وضعف قدرته على مواجهة البلوغ وعلى العموم تزداد المخاوف شيوعاً في مرحلتي الطفولة المبكرة وفي حال الاقتراب من سن البلوغ.

وربمايخاف الطفل من شيء، أو شخص، أو موقف أو حركة، وعادة ما يستقبل مصدر الخوف على انه أقوى منه، ويحمل له التهديد والايذاء ويتضاءل شعور الطفل بقدرته وبنفسه تجاه هذا التهديد وتختلف المخاوف المرضية في شدتها، كما تختلف من طفل إلى آخر، ويواجه الطفل أكثر من خمسين نوعاً من المخاوف المرضية: الخوف من الأماكن العالية، والخوف من الأماكن المفتوحة، والأماكن المغلقة، والخوف من ظواهر الطبيعة، والخوف من الحيوانات، والخوف من الوحدة، والخوف من الظلام، والخوف من الغرباء، والخوف من الخيالات.

وعادة يرتبط الخوف من الظلام بأشياء أخرى تخيف الطفل، وربما يسبب الظلام الجزئي وما به من مرئيات وظلال خوفاً أشد من الظلام الحالك.

وفترة الطفولة المبكرة هي الفترة التي تتكون فيها المخاوف المرضية من الظلام. نتيجة اتساع دائرة الطفل مع بيئته ولكي تعرف هل ينطبق على خوف طفلك من الظلام أنه خوف مرضي، قارنيه بأطفال آخرين قريبين من سنه: سواء إخوته، أو بأطفال الآخرين من الأهل والجيران والمعارف، فلو كان خوفاً متضخماً من الظلام ناتج عن حدة الموقف عند أقرانه من الأطفال، هل يتكرر هذا الخوف من الظلام بشكل غير عادي أو هو شائع.

وخطورة المخاوف المرضية من الظلام أنه يصعب التخلص منها والسيطرة عليها لأنها تجعل الطفل قلقاً عصابياً، وتجعل سلوكه إلزامياً وكأنه مغلوب على أمره.

وتساعد خصوبة خيال الأطفال على تضخم إحساسهم بالتخوف من أشكال ومرئيات الظلام، فالسرير يتحول في الظلام إلى وحش، والمشجب يتحول إلى غول متحفز، والحذاء يتحول في الظلام إلى حيوان خرافي، فالطفل يضفي على الجوامد والأثاث والجدران سمات إنسانية وبخاصة في سنوات عمره الأولى، وقد يرتبط الطفل في مخاوفه حول الأشياء والجوامد الموجودة في الأماكن المظلمة بما قد رآه على شاشة التلفاز من وجوه مخيفة أو مواقف تفزعه.

وأحياناً يرتبط الطفل بين تأنيب الأهل له، وتهديداتهم بسبب شقاوته والخسائر التي يسببها وتمرده على أوامرهم وتعليماتهم بمخاوف الظلام، فيعتقد أن الظلام يخفي عقوبة أو تهديداً ما، وخصوصاً في ظل التهديد الخاطئ من الأهل للطفل، واتهامه بإغضاب الكائنات الخرافية «الغول - أبو رجل مسلوخة - الذئب - النداهة... إلخ»، وعادة ما يتوهم الطفل بأن الظلام هو موطن

هذه الكائنات المخيفة.

وتدل نتائج الدراسات السابقة على أن البنات أكثر خوفاً من الظلام من الأولاد، كما قد يستجيب الأطفال الفقراء للظلام أكثر من الأغنياء وبخاصة في الريف والأحياء الشعبية بالمدينة حيث يسود التفكير الخرافي بين الكبار أنفسهم.

ويمكن أن نقسم موقف الآباء ومواجهة المخاوف المرضية من الظلام عند الصغار إلى قسمين: وقائي وعلاجي.

وطبعاً يتولى الأطباء والمرشدون النفسيون علاج المخاوف المرضية للأطفال من الظلام، والكبار أيضاً... ومن بين طرق العلاج الممارسة المعززة القائمة على التعرض التدريجي للظلام، والتعزيز الموجب تجاه السلوك أو التقدم الذي يحققه الطفل في مواجهة الأماكن المظلمة.

كما يستخدم اللعب في علاج الخوف من الظلام لدى طفل ما قبل المدرسة والذي يكسب الطفل تحصيناً تدريجياً ضد هذا الخوف من الظلام.

من الأسباب العلاجية تقوية نزعة الاستقلال عند الطفل من خلال ممارسة الطفل الذاتية لتحمل الظلام، والدعم الخارجي في أثناء هذه العملية بتشجيع الأب أو المرشد النفسي على دخول الأماكن المظلمة.

كما أظهرت دراسات كثيرة أثر الدفء الوالدي في تكوين شخصية الطفل وبالتالي قدرته على مواجهة الخوف من الظلام، والنظر إلى العالم كمكان مهدد، مفعم بالأخطار، كما يتحقق تقديره لذاته وثقته بنفسه عند غياب الدفء الأسري.

إننا بحاجة إلى إضفاء المزيد من الود على العلاقات الأسرية، ومن الاحترام المتبادل بين الأفراد، ومن إضفاء المشاعر الفياضة - دون مبالغة - على صغارنا وهو ما يعني زرع الثقة والقوة لدى الصغير، الأمر الذي يشكل مناخاً إيجابياً يمكن أن يقلل من احتمالات كثير من المخاوف المرضية، وفي مقدمها المخاوف من الظلام. ■

قصة

بعض الوفاء

بقلم: علي محمد محاسنة

«مسكينة.. هذه الـ«جويدة» تقرق على غير عشها..» «هكذا كانت نساء الحي أو بعضهن على الأقل، يرين ذلك العطف والبذل من «جويدة» زوجة الأب التي لم تنجب فمنحت الدفء والحنان لأطفال زوجها الذين فقدوا أمهم وبقي لهم أب يكد ليدرك الكفاف... بيت متواضع يؤويهم... «يا سبحان الله... سبحان المدبر... من لا أب له... له رب...

عجيبة هذه المرأة في هذا الزمان... إنها تؤثر أبناء زوجها كما لو كانت أمهم... وحتى أطفال الحي كانت مظاهر الغيرة تبدو على وجوههم وهم يتأملون منظر الخالة جويدة وهي تفك صرة القروش متهللة الوجه لحظة خروج أبناء زوجها الأربعة إلى المدرسة لتناول كلاً منهم قرشه الصباحي بيده مع دعاء دافئ له بأن يرعاه الله ويحرسه... ومسحة حانية على رأسه الصغير...

كبُر الصغير... اندفع الأبناء شباباً على طريق الحياة... تزوج الأكبر ثم الذي يليه... وجويدة لا تبخل تعطي عطاء الأم للأبناء وزوجاتهم... وأطفالهم الذين أرادتهم جويدة بنقاء وبساطة أحفاداً لها.

هكذا عُرفت في الحي بأوصاف... الآدمية... المستورة... بنت الحلال... الدافية... التي تخاف الله... وأحياناً الفقيرة... أو البلهاء.

وجاء يوم... توعك «موسى» الزوج والأب العجوز... واشتد عليه المرض... جويدة كما عرفت ... لم تكلّ من الخدمة والرعاية... سهرت بجوار الزوج الذي هدّه المرض... وحرصت دوماً على تحمل عبء ذلك وإعفاء الأبناء منه... فهم «مساكين يتعبون وراء عيشهم...» لم تتذمر... صبرت واحتسبت... هي هكذا... والجزاء عند صاحب الملك المطلع.

أسابيع... وشهور تمرُّ والحال على ما هو... سهر وخدمة ولا بوادر تبشر.... إلا بقية من إيمان واحتساب في صدر امرأة قضت السنين قانعة بما قسم الباري... مع «موسى» لتكون له رفيقة الدرب الأمنية الراضية وحاضنة لأطفاله و«أماً» بديلة ترافقهم درب الحياة على مدى عشرين عاماً... وأخيراً ممرضة لا تكلُّ ولا تطلبُ أجراً. «موسى» في حال احتضار... ربما بقيت له أيام قلائل... هكذا... قال من رآه... وبالكاد تبقى لجويدة ساعة تختلسها لبعض حاجة... الأبناء كل له من الكدح والمشاغل ما يكفي... الحال ليس على ما يُرام... وبالكاد يسير المركب.

قالت أم صالح «لم أصدق ما سمعت يومها... حتى التقيت «سليم» أصغر أبناء موسى... أكّد لي الخبر وعيناه في الأرض... «صحيح... لقد أرسلوا إلى جويدة ورقة طلاقها من والدي... بعد أن ذهبت لزيارة أختها في الجنوب... وكيف... و... ليش... وأبوكم الذي... على حافة ...؟ حملوا الوالد بالتاكسي... إلى المحكمة... فعلوها.... خائفين على التركة.... مع انها ... مسكينة امي جويدة... أرسلوا لها الورقة... هناك في بيت أختها حتى....

قالتها أمُّ صالح... وهي تلعن... زماننا... وكل... وفي عينيها تجولُ دمعةٌ... فتمسحها بظاهر يدها... وتابعت... «بعد خمسين يوماً بالعدد... ماتت جويدة هناك في بيت أختها... لم ترجع نهائياً إلى الحي... لم تكن مريضة ولم نرها كذلك أبداً.

... اليوم وبعد ثلاثة أعوام من ذلك اليوم... قابلتُ في الطريق «سليم» إيّاه... كان يقودُ سيارة صغيرة مهلهلة وقد وضع على المقعد الخلفي بقايا إنسان يحتضر عاد بها للتو من المستشفى... بها نفس يشير إلى بقية حياة... لكنه لم يمت ... بعد أعوام ثلاثة كاملة... من خروج جويدة... بدا لي وجه «موسى» بعيون غائرة مطبقة الجفون أشبه بوجه مومياء... ولم أكد أميزه لولا تلك الندبة الكبيرة التي تقسم حاجبه الأيمن إلى نصفين والتي عُرف بها في الحي أكثر مما عُرِف باسمه...! ■

إعداد: محمد عباس محمد عرابي

رياض الأطفال أهميتها ـ وظائفها ـ أهدافها



تُعد مرحلة رياض الأطفال من المراحل التعليمية المهمة، وذلك لما لها من أثر في تكوين شخصية الطفل واتجاهه في الحياة، وتأتي أهمية رياض على أنها مرحلة تمهيد وتهيئة للأطفال لدخول المرحلة الابتدائية، فمدارس رياض الأطفال تساعد على التأقلم للمرحلة الابتدائية، بحيث تجعل النقلة من البيت إلى المدرسة أقل صعوبة، خصوصاً أن الأطفال يتعلقون كثيراً بالأسرة عاطفياً، ويشعرون بالأمن والاستقرار طيلة أيام الطفولة التي يتمتعون خلالها بالسعادة والانشراح، وإذا لم يهيأوا للمدرسة الابتدائية بوساطة رياض الأطفال فإن عملية الانتقال تعتبر في حد ذاتها صدمة عنيفة لهم يشعرون خلالها بفقدان تلك السعادة التي ألفوها فتنقلب في أسوأ الظروف إلى حزن وهم قد يؤديان في بعض الأحيان إلى إخفاق الطفل في المسيرة الدراسية مع أقرانه ممن أتيحت لهم فرصة التهيئة الاجتماعية لعملية التعلم في مرحلة رياض الأطفال.

لذا، فإن هذه العملية من التهيئة هي التي تحدد معالم الفلسفة لرياض الأطفال والأهداف المرجوة منها، مع التأكيد على أن هذه المحاولة لمساعدة الطفل على التهيؤ والتأقلم للمرحلة الابتدائية التالية، يجب أن تكون بعيدة كل البعد عن الرسمية والتقيد بأسلوب التعليم المعتاد في المراحل الأكثر تقدماً كالابتدائية مثلاً وأن يُعطى الطفل كامل الحرية في اكتشاف الخبرات الذاتية من خلال المرح واللعب، حيث إن مدلول كلمة رياض الأطفال وتعريفها الأساس يؤكد أنها «جماعة من الأطفال تتعاون على اللعب والحركة والاختيار وتنمية الحواس والتعبير عن الغرائز النفسية تعبيراً طبيعياً بعيداً عن الأساليب العلمية والفنية التي لا طاقة للطفل على تحملها».

أما فلسفة رياض الأطفال، فيجب النظر إليها من حيث الأهداف التي تسعى إلى تحقيقها والتي تحدد تبعاً لثقافة المجتمع التي تنشأ به هذه الرياض وأن نأخذ بعين الاعتبار نمو الأطفال الجسمي والعقلي.

أهمية رياض الأطفال:

تتمثل أهمية رياض الأطفال فيما يلي:

- أنها مؤسسة تربوية تتم فيها العمليات التربوية الهادفة لتنمية شخصية الأطفال.
- هي مرحلة قبلية أساسية لما يتلوها من مراحل النمو ولذلك فهي الأساس الذي ترتكز عليه حياة الفرد من المهد إلى الشيخوخة.
- الرياض ضرورة اجتماعية لرعاية الأطفال جسمياً وعقلياً واجتماعياً ووجدانياً.

- تساعد التربية على النمو المبكر للشخصية لما تقدمه للطفل من خبرات.

- إن الأسرة المعاصرة لا تستطيع - في ظل الظروف الحالية - أن تشبع حاجات ومتطلبات نمو الطفل ومن هنا كانت الحاجة شديدة إلى الاستعانة بالرياض لمساعدتها في رعاية وتربية أطفالها.

وظائف رياض الأطفال:

للرياض دور كبير في تربية الطفل وتعليمه، فهي تقوم بوظائف كثيرة منها:

- تنمية قدرات الطفل واستعداداته وميوله.

- إكساب الطفل المهارات الحسية، الحركية، الاجتماعية والمعرفية.

- رعاية الطفل رعاية شاملة لجميع النواحي الجسمية، العقلية والاجتماعية.

- توجيه الطفل وإكسابه السلوك المرغوب فيه.

- تمكين الطفل من التجريب والاكتشاف واختيار مكونات بيئته الخاصة.

- إعداد الطفل وتهيئته للتعلم.

- الإسهام في نمو ذكاء الطفل.

- توافر سبل النمو الاجتماعي وذلك بما تتيحه له من فرص التعاون والمشاركة مع الأقران.

أهداف رياض الأطفال :

فلرياض الأطفال أهداف كثيرة وشاملة لجوانب نمو الطفل المختلفة وتتمثل هذه الأهداف فيما يلي:

١ - أهداف تتعلق بنمو الطفل النفسي.

- تنمية شعور الطفل بقدرته وإمكاناته.

- تعويد الطفل الاعتماد على الذات.

- تكوين الاتجاه الإيجابي نحو التعلم.

٢ - أهداف تتعلق بنمو الطفل الاجتماعي.

- تعويد الطفل على احترام الآخرين.

- بث روح التعاون والمشاركة بين الأطفال.

- تعويد الطفل على التمسك بمواقفه الصحيحة وتقدير حقوق غيره من الأطفال.

٣ - أهداف تتعلق بقدرات الطفل العقلية والإدراكية:

- إعطاء الطفل الفرص الكافية للقيام بالتجريب والمحاولة.

- تنمية روح الجرأة والمبادأة.

- إتاحة الفرص لتنمية قدرات الطفل الرياضية والعددية.

- زيادة ثروة الطفل اللغوية من خلال القصص والأناشيد والأحاديث.

٤ - أهداف تتعلق بنمو الطفل الجسمي والحركي:

- تنمية عضلات الطفل.

- تدريب الطفل على الاستخدام الصحيح للأدوات.

- تدريب الطفل على رسم الخطوط والدوائر والمنحنيات، وذلك لإكسابه مهارات الاستعداد للكتابة.

- تعويد الطفل على العادات الصحية.

٥ - أهداف تتعلق بالنمو الروحي والديني:

- تعويد الطفل على ذكر الله تعالى، وحبه لرسوله الكريم.

- تعريف الطفل ببعض العبادات كالصلاة والصوم والزكاة.

- تعويد الطفل على شكر الله تعالى وحمده، وذكر «بسم الله الرحمن الرحيم» عند القيام بأي عمل.

٦ - أهداف تتعلق بتطوير الإبداع الفني:

- مساعدة الطفل على الإبداع من خلال الرسم.

- تدريب الطفل على الأعمال اليدوية.

٧ - أهداف تتعلق بالتكيّف المدرسي.

- مساعدة الطفل على أن يألف الوقت الذي يقضيه في الرياض.

- تدريب الطفل على الإنصات والانتباه ومتابعة التوجيهات.

- مساعدة الطفل على التكيّف بالعمل مع مجموعة من أقرانه.

٨ - أهداف تتعلق بنمو الشعور الوطني والقومي.

- تنمية مشاعر الطفل الوطنية من خلال الأناشيد.

- تعويد الطفل على الاعتزاز بنشيده الوطني.

- تعويد الطفل على الشجاعة والتضحية.

يتضح مما سبق أن أهداف الرياض تشمل جوانب نمو الطفل المختلفة، كما تقوم على أساس إشباع حاجات هذا النمو، ودور الرياض هنا أن تترجم هذه الأهداف وتحققها عن طريق الأنشطة التعليمية المختلفة، ويجب ألا تهتم بالأهداف الثانوية على حساب الأهداف الرئيسة. على سبيل المثال، لو كان من الأهداف الرئيسة تشجيع الإبداع الفني، فإن التدريب على استخدام الأدوات الفنية، يصبح هدفاً ثانوياً، ويتطلب قدراً أقل من الاهتمام مما يتطلبه تشجيع الأطفال على تجريب الأدوات بحلها والتعرف على أجزائها وتركيبها، وهذا يدع له فرص التفكير والاستكشاف والإبداع. ■

المراجع:

١ - أحمد رشوان، تنمية المهارات والمفاهيم الدينية لدى الأطفال، جامعة أسيوط، كلية التربية، ١٩٩٧م.

٢ - نبيل عبدالفتاح، وعبدالفتاح صابر، في سيكولوجية النمو «طفولة ومراهقة»، جامعة عين شمس، كلية التربية، ١٩٨٨م

دخان السجائر المنبعث من سجائر الآخرين.

- يجب تجنب روائح وأبخرة الدهانات والأصباغ،

- يجب استعمال أدوات الزينة في الحدود الدنيا.

- يفضل استبدال الفراش إذا كان قديماً.

- يفضل التقليل من لعب الأطفال قدر الإمكان مع وضعها في صندوق محكم الإغلاق، كما يجب غسل الألعاب الطرية بماء حار «حتى درجة ٦٠ إن أمكن» أو وضعها في المجمدة «الفريزر» مرة كل شهر.

يفضل تنظيف السجاد والأثاث بالمكنسة الكهربائية الشافطة مرة في الأسبوع على الأقل.

- يفضل تنظيف الفراش بالمكنسة الكهربائية الشافطة بعد نزع الغطاء عنه وذلك مرة في الأسبوع.

- يجب وضع مُرَشِّح «فلتر» ناعم للمكنسة إذا كانت غير مزودة به.

- يجب تهوية الغرفة بانتظام.

- يجب إغلاق كل الفتحات في الجدران وخصوصاً قرب أجهزة التكييف.

- يجب استبدال أجهزة التكييف غير الجيدة أو تصليحها.

- يجب وضع مُرشح «فلتر - شبك» ناعم الفتحات على النوافذ لمنع دخول الحشرات وبخاصة القراد الذي ينقل السوس، كما يمكن استعمال مبيدات القراد، لكن يجب عدم وضعها على الفراش.

- يجب تجنب كل ما من شأنه زيادة الحساسية، وهذه تعرف بالتجربة



١٨ توصية لتجنب حساسية الأنف



● وبر الحيوانات وريشها وجلودها أهم مسببات الحساسية

الشخصية حسب كل مريض.

كيف نعالج حساسية الأنف؟

تحتاج معالجة حساسية الأنف إلى صبر طويل، وتختلف طريقة المعالجة



● التحية التحسسية عند الطفل المصاب بالحساسية

حسب شدة الحالة وعمر المريض، وتعتمد بشكل رئيس على إعطاء قطرات داخل الأنف لتخفيف الاحتقان، وإزالة الانسداد إن وجد، كما تعتمد على إعطاء أدوية مضادة للحساسية «تسمى مضادات الهيستامين» حيث تخفف رد فعل الجسم تجاه العوامل التي تثير أو تسبب الحساسية.

وأخيراً يبقى الكورتيزون الخيار الأخير - والأفضل - في حالات معينة يحددها الطبيب فقط، ويجب على المريض أن يثق بالطبيب وألا يخاف من هذه المركبات، فالكورتيزون ومشتقاته أدوية معروفة عالمياً ومضمونة وفعّالة إذا استعملت تحت إشراف الطبيب، وعليه قد يعطى الكورتيزون بشكل قطرة، أو بخاخ في الأنف، أو يعطى عن طريق الفم بشكل أقراص في بعض الحالات التي يحددها الطبيب... والطبيب فقط. ■

بقلم: منى السعيد الشريف

بين الأم . . . والجدة

الأبناء هم زهرة الحياة والعمر الجديد الذي يوصل بعمر الإنسان... وهم هبة من الله وزينة الحياة الدنيا، ولكن أحياناً ما يعتري الزهرة ذبولاً وإعياءً وأحياناً ما تصبح زينة الحياة مصدراً للمتاعب والقلاقل... بل قد يتحول الابن أو الابنة إلى آلة تعذيب تنغص حياة الأب والأم ليل نهار... ولكن ذلك لابد أن يكون له سبب وما يعرف سببه يسهل في الغالب معرفة علاجه.

وسن المراهقة هو أكثر سن تكثر فيه المشاكل بين الآباء والأبناء وبخاصة إذا كان لتلك المشكلات جذور في الماضي وهذا هو ما حدث مع صديقتنا التي جاءت تشكو مر الشكوى من ابنتها قائلة: «إن المرأة عندما تضع أول مولود لها ويكون بنتاً تفرح كثيراً لأنها ترى أنها جاءت بأم أخرى لأبنائها، تستطيع أن تكمل رسالتها في تربية أخوتها إذا شاء الله ألا تكمل هي تربيتهم... تشعر أنها ستكون صديقتها وأقرب الناس إليها ولكن خاب رجائي في ابنتي ولا ألقي اللوم عليها فقد كانت جدتها السبب... ثم تستطرد قائلة عندما أنجبت ابنتي فرحت بها جدتها كثيراً خصوصاً بعد أن بدأت تكبر وتدرك، وكانت تجد في رعايتها والعطف عليها العوض عن أبنائها الذين كبروا وانشغلوا عنها بأمور حياتهم... وقد كنت سعيدة جداً بحبها لها ولكن الأمر زاد وأسرفت الجدة في تدليل الطفلة الصغيرة وكانت تسعد كثيراً بتعلقها بها وإصرارها على البقاء معها أكبر وقت ممكن، وشيئاً فشيئاً شعرت أنني أفقد ابنتي بعد أن أصبحت تقضي معظم الأيام عند جدتها... بل لم يصبح لي الحق في نظر الجدة في المطالبة بعودتها معي إلى المنزل... حتى إذا حاولت معاقبتها على خطأ ارتكبته كأي أم كانت تثور وتتشاجر معي وتتهمني أنني لا أحبها بقدر حبي لإخوتها وأني قاسية عليها، كان ذلك كله يحدث أمام الطفلة وكنت أتمزق عندما تسمع تلك الكلمات من جدتها ومللت الشجار والجدال... واكتفيت بدور هامشي في حياتها وعوضني أخوتها بعض الشيء عن غيابها، فلم تكن تأتي إلى البيت غير بضعة أيام وتعود مسرعة إلى جدتها ومرت السنوات مسرعة، ثم حدثت الطامة الكبرى عندما توفيت الجدة رحمها الله وفرحت بعودة ابنتي واستقرارها معي ومع إخوتها كي تسير الأمور بالشكل الطبيعي، ولكن هباء كانت أحلامي لقد بدأت المشكلات مع عودتها... فقد تحولت إلى مخلوق لا أعرفه ترفضني وترفض إخوتها والحياة معنا يظهر ذلك جلياً في كل تصرفاتها وبعدها عنا... وبدأت تهمل تحصيل دروسها... تقضي معظم النهار نائمة، وإذا ما استيقظت جعلت سلوتها استفزازي ومضايقتي حتى أتشاجر معها، ورثيت لحال تلك الأم المسكينة عندما غالبها البكاء وهي تقول: «لقد حولت حياتي إلى جحيم لا يطاق ولا أعرف كيف أتصرف معها؟»... وحاولت مساعدتها ولكن لم يكن في يدي غير النصيحة فالأمر كله في يدها فقلت لها: يا أختاه يجب أن تدركي أن ابنتك تمر بمرحلة غاية في الصعوبة بعد وفاة جدتها التي كانت تمثل لها مصدر الحب والحنان والأمان لقد كان دورك في حياتها كما وصفتيه تماماً دوراً هامشياً وهذا هو ما يجب أن يتغير لأنه أمر غير طبيعي... يجب أن تستدركي الأمر وتأخذي دورك الطبيعي في حياتها لقد انقلبت حياتها رأساً على عقب بوفاة جدتها لذلك هي ترفض في داخلها الوضع الجديد الذي أصبحت فيه لقد كانت تمثل لجدتها كل شيء وبانتقالها للحياة معكم أصبحت تمثل مجرد عضو في الأسرة... وقد يداخلها الشعور بأنها عضو غير مرغوب فيه نتيجة ما كانت تسمعه من جدتها من أنك قاسية عليها ولا تحبينها قدر حبك لإخوتها... إن نومها لساعات طويلة هو مجرد عملية هروب نفسي من واقع ترفضه ولكنها لا تملك تغييره... حتى محاولاتها لاستفزازك ومضايقتك هي محاولة لا شعورية كي تثبت لنفسها صحة كلام جدتها القديم إن الأمر يا صديقتي يتطلب الكثير من الصبر والوقت والحنان الغامر لهذه الابنة.

وحاولي ملء حياتها واشعريها بأن لها دوراً في حياتك، دور مهم بإشراكها في بعض أمور المنزل الخفيفة وفي مشاكل إخوتها وأمورهم، لا تجعليها تشعر بأنها محل انتقاض وشكوى مستمرة منك... استمعي دائماً لحديثها. شاركيها في أحلامها ومشكلاتها مهما بدت لك تافهة أو مستفزة اصطحبيها معك إلى المسجد لأداء صلاة أو سماع درس ديني... ومع الوقت ستشعر بحبك ورعايتك لها وتعود لها الثقة والأمن، وستشعر أنها جزء من تلك الأسرة، وعضو له دوره ومكانته فيها وقتها تستطيعين توجيهها لأنها ستقبل منك النصيحة... أنا لا أدعي بالطبع أن الأمر سهل أو سيحدث بين يوم وليلة... لا إن الأمر يتطلب الكثير من الوقت... الكثير من الحلم والصبر... الكثير من الحنان والعطاء فإذا ضاق صبرك تذكري أنك تستردين ابنتك وهذا هدف يستحق المحاولة الجادة وتذكري قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن أراد الله تعالى بأهل بيت خيراً أدخل عليهم الرفق، وإن الرفق لو كان خلقاً لما رأى الناس خلقاً أحسن منه، وإن العنف لو كان خلقاً لما رأى الناس أقبح منه».

... وبعد أخي القارئ فإن تلك المشكلة هي تعبير صادق عن أثر خطأ تقع فيه بعض الأسر ألا وهو استقطاب الجد أو الجدة لأحفادهم والمبالغة في الاستمتاع بحبهم بشكل يبدو في بعض الأحيان مرضي، وذلك عوضاً لهم عن دورهم الذي فقدوه ببلوغ أبنائهم، واعتمادهم على أنفسهم، وإنشغالهم عنهم حتى إن إحدى السيدات كانت تفتخر في حديثها بأن أبناء ابنتها تحبها أكثر من حبهم لأمهم وأبيهم وهذا خطأ فادح لأن سعادة الطفل وصحته النفسية لا تكتمل إلا بحياته بين أبيه وأمه وبشعوره أنهم أكثر خلق الله حباً له واعتناء به... إننا لا ننكر أبداً عن الجد والجدة حبهم لأحفادهم ولكن يجب ألا يتعدى ذلك الحدود المعقولة والمقبولة، فإن الجدة تدلل ولا تربي... ودور الأم والأب له أثره الكبير في حياة الطفل ذاك الأثر الذي لا يعوضه شيء... كما أنه من الخطأ انتقاد تصرفات الأم أو الأب أو عقابهم للطفل أمامه. فإن هذا يورث في نفسه الازدواجية والنسبية في تقدير الخطأ والذنب، فهو يرى أن ما تراه أمه خطأ وتعاقبه عليه وقد لا يراه الأب والجد كذلك أو العكس، إذن فالخطأ سيصبح في نظره نسبياً يتغير من شخص لآخر وهذا مبدأ غاية في الخطورة... فالطفل يجب أن يدرك أن الخطأ الذي يعاقب عليه هو فعل مذموم عند كل الناس ومكروه من وجهة نظر أي إنسان حتى لا يصاب بالتشويش والريبة في معتقداته ومبادئه التي يتلقاها داخل الأسرة إن أبناءنا يتعرضون في كل وقت للكثير من الضغوط والمؤثرات من الخارج، وهم في حاجة أن يكون البيت والأسرة قلعة حصينة تحميهم وتظلهم بالرعاية والأمن... لا أن يصبح البيت جبهة أخرى للصراع والمتناقضات... نعم إن هذا هو الواقع في بعض الأسر بين الأمهات والفتيات وبخاصة في سن المراهقة حيث تسيء بعض الأمهات فهم طبيعة تلك المرحلة وتتلاشى العلاقة بين الفتاة وأمها أو تصبح مجرد صراع وخلاف بين امرأة وامرأة... وكلمة أخيرة... ليعلم كل أب وكل أم أن الوصول بأبنائهم إلى بر الأمان والنجاة من مخاطر تلك المرحلة لن يكون إلا حصيلة ما غرسوه في أبنائهم منذ نعومة أظفارهم من تمسك بمبادئ الدين والفضيلة والخلق. إنهم أمانة في أعناقنا أمام الله و«كفى بالمرء ظالماً أن يضيع من يعول» يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم «رحم الله والداً أعان ولده على بره». ■

بقلم: عبدالرزاق زعال



هل ترتيب الطفل بين أخوته يحدد سلوكه ؟!

ترتيب الطفل بين أخوته يحدد سلوكه غالباً وقد لاحظت الأمهات هذه الحقيقة منذ زمن وأكدتها الدراسات الحديثة بعد أن أخضعت أطفال الأسرة الواحدة للملاحظة كما أكدت أن الطفل الأكبر غيور والأوسط هادئ والأصغر مدلل ولكنه مستقل، وقد أجرت هذه الدراسة جامعة كاليفورنيا على أطفال المدارس ودور الحضانة من أبناء الأسرة الواحدة، وأشارت الباحثة «جين روبرت» إلى أن ترتيب الطفل يحدد سلوكه غالباً وأن هذه السلوكيات قد تتحول إلى أمراض نفسية تؤثر على مستقبل الطفل إذا لم يدرك الآباء أن طريقة تعاملهم مع أطفالهم يجب أن تعتمد على العدل والمساواة وليس التفضيل أو تقديم المميزات لمجرد وصول الطفل متقدماً أو متأخراً.

والغيرة سلوك عام بين الأطفال الذين يجيئون في الترتيب المركز الأول فالطفل الأكبر يشعر أنه أصبح مهدداً بعد وصول الطفل الثاني وأنه فقد مكانه المميز الذي كان محاطاً بالعناية والرعاية من الأبوين ولأن الغيرة أحساس طبيعي يجب أن نتعامل معها بهدوء وصبر، وأن نتفهم مشكلة الطفل ونحاول التخفيف عنه بكل الطرق، هذا وتعتمد الغيرة على درجة الفارق العمري بين الأطفال، فإذا كان الفارق اقل من سنتين ستكون درجتها كبيرة جداً، لأنه لا يفهم معنى وجود طفل آخر في الأسرة وكلما زاد فارق العمر كلما قلت درجة الغيرة، حتى ان الطفل يتحول إلى أب لأخيه الأصغر، وكثيراً ما يتساءل الطفل عند وصول أخيه أو أخته، لماذا تريد أمي طفلاً آخر، هل أنا طفل سيئ، متى يختفي هذا القادم الذي تحمله أمي وترضعه، من هنا تبدو أهمية التمهيد لوصول طفل جديد قد يساعد الطفل الكبير، وعلى الأم أن تشركه في اختيار الملابس واللعب وأن تشركه بعد ذلك في العناية بأخيه على قدر الإمكان، وأن تحتضنه كثيراً وتؤكد له أنها سوف تستمر في حبه مع وجود شقيق له وأنه سيلعب معه عندما يكبر ويكون صديقاً دائماً له، كما لاحظت الدكتورة «جين»: إن الطفل الأوسط في يكون أكثر شكوى وتذمراً من أخوته فهو الطفل الذي ضاعت حقوقه بين إرضاء الأول ومداعبة وتدليل الأصغر فهو البين بين الذي وقف في منتصف الطريق، فلا هو في أوله ولا في آخره، فهو يعوض نفسه بنفسه، فيمارس الفنون ويعشقها ويضع لنفسه أهدافاً خاصة يسعى دائماً إلى تحقيقها، وهو أكثر هدوءاً ولا يحب التنافس الشديد، وتنصح الدكتورة الباحثة الآباء بعدم معاملة الطفل الأوسط بجفاء وعدم المقارنات بينه وبين أخيه الأكبر، فالمقارنة غير مجدية، بل ستأتي عكسية، والاعتراف بالفروق النفسية بين الأطفال وبخصوصية الطموحات والقدرات سوف تصل بنا إلى نتائج أفضل، وأوضحت الدراسة: أنه على الرغم من حصول الطفل الأصغر على أكبر قدر من التدليل إلا أنه أكثر الأطفال استقلالية، والسبب إدراكه المبكر أن اهتمامات الأسرة موجهة إلى أفراد عديدين وليس هو فقط، فيقرر أن يكون صاحب قراره، وتجبر الحياة العملية الطفل الأصغر على الاستقلالية لأنه إذا طلب المساعدة من أحد فعليه أن ينتظر كثيراً قبل أن يحصل عليها، وعادة ما يكون الطفل الأصغر عصبي المزاج لأنه يبذل جهداً كبيراً ليحصل على ما يريد وبخاصة إذا كان وسط عائلة كبيرة، ولذلك فهو أكثر احتمالاً للتوترات والضغوط في الحياة حين يكبر، وخلاصة الدراسة تقرر: أن تعامل الآباء مع الأطفال بعقل مفتوح يعترف بتفرد كل منهم في القدرات والملكات وإعطاء كل منهم حقه في الحب والاحترام والتفاهم، هذا الحل الذي يضبط إيقاع الحب الأسري. ■

بين الاقتصاد والسياسة

بقلم: د. زيد بن محمد الرماني

بين الاقتصاد والسياسة ترابط وثيق وتأثير متبادل، والسياسة في جوهرها إدارة للحياة الاقتصادية والاجتماعية.

من هنا، يجري استخدام السلاح الاقتصادي في العلاقات الدولية للتأثير على السياسة الخارجية والداخلية لدولة معينة.

وقد شهد الصراع السياسي بين معسكري الحرب الباردة الماضية استخداماً واسعاً للسلاح الاقتصادي في هذا الصراع.

قد يبدو لأول وهلة أنه هو الذي أدى إلى إسقاط الأنظمة الشيوعية في الاتحاد السوفييتي السابق وغيره، لكنه، في جوهره ليس إلا عاملاً ثانوياً، وكان العامل الأهم في ذلك السقوط إنما يعود إلى الطبيعة الذاتية لتلك الأنظمة أكثر مما هو ناتج عن عامل خارجي.

هذا ما جعل بعض الاقتصاديين والمحللين يقول: إن السلاح الاقتصادي لم يؤد إلى نتائج مهمة على صعيد الواقع.

السلاح الاقتصادي في العلاقات الدولية يعني استخدام دولة للعلاقات الاقتصادية ومبادلاتها التجارية والمالية مع دولة أخرى للحصول على بعض التنازلات في مجال السياسة الداخلية أو الخارجية أو لأهداف معينة أخرى، ويعني ذلك إما معاقبة هذه الأخيرة بسبب عمل اعتبر غير مقبول، فيُحكى حينذاك عن «العصا الاقتصادية» أي عقوبة اقتصادية، وإما مكافأتها لتطوير يُعتبر إيجابياً، فيُحكى حينذاك عن «الجزرة» أي مكاسب تجارية أو مالية.

لقد استخدم السلاح الاقتصادي منذ أزمنة كوسيلة مرنة وسيطة بين الضغط بأسلوب الاحتجاجات الدبلوماسية أو الضغط بأسلوب العمل العسكري المشحون بالمخاطر دائماً.

إن السلاح الاقتصادي جزء مهم في صلب الدبلوماسية، لكنه يحمل سمعة سيئة كما لو أن اللجوء إليه يكون مرغماً، وبسبب غياب وسيلة دبلوماسية أكثر فعالية.

ومن أهم أشكال السلاح الاقتصادي ما يلي:

١ ـ الحظر، ويعني منع التصدير نحو البلد المستهدف.



٢ ـ المقاطعة، ويعني... منع الاستيراد من البلد المستهدف.

٣ ـ التمييز التعرفي، حيث تعرض على المستوردات الآتية من البلد المستهدف ضرائب أعلى مما على المستوردات من البلدان الأخرى.

٤ ـ سحب مبدأ الدولة الأكثر رعاية، حيث تتوقف معاملة المستوردات الآتية من البلد المستهد بشكل تساهلي كما في مستوردات البلدان الأخرى المستفيدة من هذا المبدأ.

٥ ـ التسجيل على اللائحة السوداء، حيث يتم وقف التعامل التجاري مع المؤسسات التي تتعامل تجارياً مع البلد المستهدف.

٦ ـ نظام الحصص، حيث يتم التقييد الكمي لبعض المستوردات أو الصادرات.

٧ ـ رفض الرخصة، حيث يرفض السماح باستيراد أو تصدير بعض المنتجات.

٨ ـ تجميد الممتلكات، حيث يتم وضع اليد على الممتلكات أو يمنع أي سحب للودائع المصرفية أو الممتلكات المالية الأخرى العائدة للبلد المستهدف.

٩ ـ وقف المساعدات، سواء بتخفيضها أو تعليقها بالنسبة للبلد المستهدف.

١٠ ـ المصادرة، حيث تتم مصادرة ممتلكات البلد المستهدف.

وتتمثل أهداف استخدام السلاح الاقتصادي ضد دولة ما فيما يلي:

أ ـ الحصول على تغيير محدود في سياسة البلد المستهدف.

ب ـ عدم استقرار حكومة البلد المستهدف.

ج ـ كسر مغامرة عسكرية ذات نطاق معين.

د ـ إضعاف الطاقة العسكرية للبلد المستهدف.

هـ ـ تحقيق تغيرات مهمة في سياسة البلد المستهدف.

أما شروط استخدام السلاح الاقتصادي فيمكن تحديدها في التالي:

١ ـ التباين في الأرباح الاقتصادية للشركاء، ومثال ذلك العقوبات الأمريكية ضد الاتحاد السوفييتي السابق.

٢ ـ إرادة ممارسة الربط، طالما أن البلد المعني يربط مبادلاته الاقتصادية مع بلد آخر في سياسة هذا الأخير.

٣ ـ القدرة على التنفيذ. بيد أن استخدام السلاح الاقتصادي قد يكتنفه بعض المخاطر من مثل: التقييمات الخاطئة المرتبطة باستخدام السلاح الاقتصادي، وكذا إعطاء الشأن السياسي الأولوية على الشأن التجاري.

جاء في كتاب «الصراع الاقتصادي في العلاقات الدولية» لمؤلفه ماري هيلن لابيه: هل السلاح الاقتصادي فعَّال؟ وكانت الإجابة بالسلب، وقد تذرَّع المؤلف بأنَّ العقوبات نادراً ما بلغت أهدافها، وكان لها في معظم الأحيان تأثيراً مضادة للإنتاج.

وعلى الرغم من ذلك، فإن السلاح الاقتصادي سيستخدم أكثر فأكثر لمواجهة مخاطر الاضطراب العالمي الجديد، لأنه يبقى الخشبة الرئيسية غير القابلة للاستبدال في سُلم الإقناع بين الجذب الدبلوماسي والفعل العسكري. ■

طفل يرفع عدد سكان الهند إلى مليار نسمة

طلعت الشمس على الهند بلاد التوابل والبهارات، المختلفة بمرور ٥٢ سنة على استقلالها عن بريطانيا يوم ١٥/٨/١٩٩٩م وهي مكتظة بمليار نسمة أو ما يزيد، بحيث يكون هناك هندي من بين كل ٦ أشخاص في العالم.

ولادة الطفل الرقم مليار، منتظرة في الهند منذ بدأ القيّمون على الإحصاءات فيها، عداً عكسياً لمقارنة الولادات بالوفيات ليستقر قرارهم على هذا اليوم بالذات ليكون موعداً للآتي كمكمل للمليار، مقدرين في الوقت نفسه أنه سيكون من طبقة البائسين الجائعين حتماً، فهم أكثر من ٧٠٠ مليون نسمة هناك، يقابلهم ٢٠٠ مليون متوسطو الحال و١٠٠ مليون ميسور، يجعلون من البلاد ثاني علبة سردين مكتظة بالبشر بعد الصين المحتوية أراضيها على أكثر من مليار و٢٧٠ مليون نسمة.

إلا أن الفرق كبير بين بلاد الدراجات وبلاد البهارات، فالصين أكبر منها بثلاث مرات، وفيها يبصر النور ٩ ملايين طفل في السنة تقريباً.

أما الهند فشيء آخر، لأنها تتزايد ١٦ مليوناً، بعد حسم الفرق بين الوفيات والولادات كل عام، أي أنها تستقبل ما يزيد على عدد سكان سورية سنوياً، أو لنقل اللبنانيين والأردنيين وسكان الإمارات والكويت وقطر والبحرين وليبيا وتونس دفعة واحدة، لذلك فهي تمضي لتستوعب مليارين من البشر بعد ٥٠ سنة على الأكثر، ولأربعة مليارات في نهاية القرن المقبل، في حين لن يزيد عدد الصينيين على ثلاثة مليارات، وفقاً لتقارير للأمم المتحدة يشرف على أعدادها اللبناني جوزف شامية منذ ٣٠ سنة.

والسيناريو المقبل على الهند لا يبشر بالخير الكثير، بحسب ما تشير إليه أرقام شامية عن مستقبلها، فبومباي التي يعيش فيها ١٨ مليون نسمة حالياً «ستكتظ بأكثر من ٣٠ مليوناً من البشر بعد ٢٥ سنة، وبنحو ٧٠ مليوناً في نهاية القرن المقبل» فإلى أين المفر؟

يقول شامية في أحد تقاريره الحديثة عن السكان الحاليين والمقبلين «حيث كل شيء نسبي في الهند، باعتبار أن الأميين يمثلون نصف عدد السكان هناك» إن البلاد أمامها حل واحد لتنهي أزمة التكاثر في الأنفس البشرية «هو محو الأمية، حيث تعلم الثقافة الناس بضرورة تنظيم الأسرة» وإلا فإن بلاد الطنافس والمهراجا، المنتجة للصواريخ والقنابل الذرية والأقمار الصناعية، ستتضخم من الداخل ولن يجد شعبها مخارج من الأزمة إلا أبواب المرافئ والمطارات والشعاب البرية، ليعبر منها إلى حيث يصبح العالم هندياً في السنوات الأخيرة من القرن الثاني والعشرين، لأن الهند تحتل ٢,٥ من مساحته الجغرافية فقط، وأرضها ستضيق بمن عليها وقد أصبحوا ١٢ ملياراً، يزيدون على نصف سكان الدنيا في ذلك الوقت، ولا مفر إلا بالانتشار وفقاً لعدد السكان «وهي نظرية العالم الجديد بعد قرنين بالتأكيد».

أول سفير أميركي مسلم يقسم على القرآن والإنجيل

أدى أول سفير أميركي مسلم يمثل بلاده في جزر صغيرة عدة جنوب المحيط الهادي، القسم الدستوري على القرآن والإنجيل، في أثناء مراسم تنصيبة التي أقيمت في وزارة الخارجية في واشنطن يوم ١٧/٨/١٩٩٩م.

والسفير الجديد يدعى عثمان صديق، وهو مولود في بنغلاديش وسيمثل الولايات المتحدة لدى جزر فيجي وناورو وتونغا وتوفالو، وهو رئيس مجلس إدارة شركة لسفر رجال الأعمال تدعى «اي تي تي ترافيلوغ» مقرها في واشنطن، وشغل مناصب عدة داخل المنظمات الإسلامية الأميركية.

وقال مساعد وزيرة الخارجية توماس بيكربينغ الذي رأس المراسم إن «السفير صديق هو كما تعلمون أول سفير يتحدر من جنوب آسيا وهو يجسد حقيقة الوعد الأميركي».

ويذكر أن ديانة السفراء المعتمدين تسجل منذ السبعينيات في وثائق وزارة الخارجية الأميركية.

إلغاء نظرية داروين من الامتحانات المدرسية بولاية كانساس الأميركية

أفاد مصدر في دائرة التربية والتعليم في ولاية كانساس الأميركية أن المجلس التربوي في الولاية قرر إلغاء أي إشارة إلى نظرية داروين حول نشوء الأجناس وتطورها من برامج الامتحانات المدرسية المقبلة في المدارس الرسمية.

وأعلنت الناطقة باسم الدائرة كاثي تولكيس لوكالة فرانس برس أن التصويت جرى بتأييد ستة أصوات مقابل أربعة.

ويشكل هذا القرار انتصاراً بالنسبة إلى اتباع نظرية الخلق الأصولية المسيحية التي ترتكز إلى تفسير حرفي للإنجيل في ما يتعلق بأصول الإنسان. ويشمل التعديل برامج الامتحانات في جميع الصفوف الابتدائية والثانوية، ولا يرد فيه أي ذكر لنظرية النشوء والتطور أو لأصل الكون.

من جهتها أعلنت رئيسة المجلس التربوي لولاية كانساس أن «الدوائر المحلية حرة في اختيارها لتطبيق هذه البرامج».

إلا أن معارضي هذا التعديل يخشون أن تلجأ المدارس في هذه الدوائر إلى اعتماد برامجها المدرسية بما يتوافق مع التوجيهات الجديدة للمجلس التربوي، كما أن المعلمين سيواجهون ضغوطاً لعدم تدريس نظرية النشوء والتطور إذا لم تعد إلزامية في الامتحانات.

وكان حاكم ولاية كانساس بيل غيريفز حذر المجلس التربوي من أي تعديل، معلناً أنه سيؤيد اقتراحاً لإلغاء المجلس.

الأمم المتحدة:
عشرة ملايين سوفييتي في عداد المفقودين بعد انهيار الاتحاد!!

قال تقرير جديد للأمم المتحدة في شأن أوروبا الشرقية إن الرجال الروس يموتون في منتصف العمر بمعدلات تدعو إلى القلق منذ انتهاء الشيوعية.

وقال برنامج التنمية التابع للأمم المتحدة في تقرير نُشر أخيراً أن «سنوات التحول كانت قاتلة بمعنى الكلمة لعدد كبير من الناس»، وأدت عملية تحول الاقتصادات من الاشتراكية إلى الرأسمالية إلى زيادة معدلات الفقر والبطالة والجريمة والانتحار مع انتهاء الرعاية الاجتماعية الحكومية للفرد من المهد إلى اللحد ولا سيما الرعاية الصحية الملائمة، وحذر التقرير المؤلف من ١٠٠ صفحة من أن اتساع رقعة الفقر وتزايد الهوة بين الأغنياء والفقراء في دول الكتلة السوفييتية السابقة يهدد الديموقراطية.

وعلى الرغم من تزايد العمر الافتراضي في بقية العالم فمازال العمر الافتراضي للإنسان كما هو أو نقص في معظم الدول الثلاث والعشرين التي شملها المسح في أوروبا الشرقية والاتحاد السوفييتي السابق باستثناء جمهورية التشيك وأوزبكستان. ولكن معدلات المواليد تناقصت في كل هذه الدول منذ العام ١٩٨٠م.

وأفاض التقرير أن العمر الافتراضي للرجل الروسي بين عامي ١٩٨٠م و ١٩٩٥م وهو أدنى معدل في المنطقة، ويتوقع أن يعيش الرجل الروسي المتوسط ٥٨ عاماً أي أقل عشر سنوات عن نظيره الصيني، وقال التقير إنه بالإضافة إلى روسيا كانت زيادة معدل الوفيات ملحوظة بشكل كبير في أوكرانيا ولاتفيا تليهما بلغاريا ورومانيا واستونيا وليتوانيا وروسيا البيضاء.

وفي تطور آخر كشف التقرير النقاب عن أن قرابة عشرة ملايين شخص أصبحوا في عداد المفقودين كنتيجة مباشرة لتداعيات المرحلة الانتقالية التي أعقبت انهيار الاتحاد السوفييتي السابق وتفكك جمهورياته في أوائل عقد التسعينيات.

وأوردت وكالة أنباء «د.ب.أ» الألمانية فقرات من ذلك التقرير جاء فيها أن نحو ٥,٩ مليون من هؤلاء المفقودين من مواطني روسيا و ٢,٦ مليون من مواطني أوكرانيا والباقين من مختلف الجمهوريات السوفييتية السابقة.

علل التقرير أسباب تلك الظاهرة الخطيرة بعوامل معقدة ومتشابكة من بينها وقوع جرائم قتل وإقدام كثيرين على الانتحار وتدهور مستوى الرعاية الصحية بشكل عام وارتفاع نفقات المعيشة بشكل باهظ تجاوز حدود الدخل الاقتصادي وتنامي سلوك التدمير الذاتي لدى العديدين وهروب الآلاف إلى غير عودة.

وأشار التقرير إلى أنه قد تكون هناك مكاسب جوهرية نجمت عن استقلال جمهوريات الاتحاد السوفييتي السابق خصوصاً على صعيد الديموقراطية السياسية غير أن تلك المكاسب تبدو هشة ولا تكاد تكون محسوسة بالمقارنة بالآثار السلبية التي انعكست على التنمية البشرية في هذه الجمهوريات في ظل استفحال ظواهر الفقر والمرض والبطالة مع ازدياد الهوة بصورة مضطردة بين الأغنياء والفقراء الأمر الذي يعرض للخطر ما يمكن تسميته بـ«الأمن البشري» إن جاز التعبير.

وأوضح التقرير مدى الخسائر الفادحة الناجمة عن مسيرة دول الاتحاد السوفييتي السابق الرامية إلى التحول إلى اقتصاد السوق عقب عقود طويلة من سيطرة الحكومة المركزية حيث أصابت تلك المسيرات في مقتل دخول مختلف فئات المواطنين فارتفعت نسبة الذين كانوا يعيشون بمتوسط دخل يومي قيمته أربعة دولارات من ٤ في المئة العام ١٩٨٨م إلى ٣٢ في المئة العام ١٩٩٤م.

كذلك تضاعف عدد جرائم المخدرات في روسيا خمس مرات خلال الفترة من العام ١٩٩١م حتى العام ١٩٩٦م فضلاً عن عودة انتشار أمراض كثيرة مثل الانيميا وشلل الأطفال والدرن نتيجة لتوقف برامج التحصين فيما أصبحت تجارة السوق السوداء تشكل المصدر الوحيد لدخل الكثير من المواطنين وتمثل نسبة ٢٥ في المئة من إجمالي الناتج الوطني في روسيا.

الفقر والحروب يعوقان القضاء على شلل الأطفال

قال صندوق الأمم المتحدة لرعاية الطفولة «يونيسيف» في تقرير نشره أنه على الرغم من قطع خطوات كبيرة في طريق القضاء على مرض شلل الأطفال، فإن الحروب والفقر يعوقان تحقيق النجاح النهائي بحلول العام ٢٠٠٠م.

وقالت كارول بيلامي مديرة الصندوق في معرض تقديمها التقرير السنوي الجديد للصندوق: «نحن على وشك أن نُودع سلة التاريخ مرض شلل الأطفال الذي طالما روع المجتمعات ودمر حياة نفوس بلا حصر»، لكنها أضافت أن «الصراعات تهدد حملة مكافحة شلل الأطفال، ونحن نقترب من خط النهاية».

ويقول تقرير «تقدم الأمم في ١٩٩٩م» أنه على الرغم من ذلك انخفض عدد حالات الإصابة بالمرض بنسبة ٨٦ في المئة منذ أن بدأت منظمة الصحة العالمية حملات التطعيم في ١٩٨٨م، والتي بدأت تحذو حذوها الآن «اليونيسيف» ومنظمات أخرى.

هدم ضريح زعيم الحزب الشيوعي البلغاري

هُدِمَ أخيراً الضريح الذي يضم الجثمان المحنط للزعيم الشيوعي جورجي ديميتروف يوم١٩٩٩/٩/٢٧م في صوفيا بعد عدد من المحاولات الفاشلة لإنقاذه.

وكان المبنى الذي شُيِّد في العام ١٩٤٩م على غرار ضريح لينين في موسكو قاوم لمدة أسبوع محاولات الهدم المتعددة التي قامت بها الحكومة.

وقد انحنى حتى بات أشبه ببرج «بيزا» عقب محاولة أولى لهدمه بالمتفجرات تلتها سلسلة من محاولات التفجير والهدم بوساطة الجرارات استمرت ليل نهار طيلة أسبوع. وتتألف جدران الضريح التي بلغت سماكتها ١,٣٠ متر من القرميد ومن طبقتين من الإسمنت المسلح المغطى بالرصاص.

وأعلنت وزارة الإعمار البلغارية أن المبنى كان يمكن أن يستخدم ملجأ في حال حدوث انفجار نووي وبعد عملية تفجير أخيرة، لم تبق من الضريح سوى أكوام من الحجارة انهمكت الجرارات في إزالتها.

تضاعف معدلات الجريمة في اليابان

حذرت دراسة يابانية من تضاعف معدلات الجريمة في المجتمع الياباني بصورة غير مسبوقة في أعقاب تزايد نسبة البطالة بين اليابانيين. كشفت الدراسة عن ارتفاع نسب الجرائم بنحو ٥,٤ في المئة خلال الأشهر الستة الأولى من هذا العام. ويقول علماء الاجتماع وخبراء الجريمة إنه في حال استمرار معدلات الجريمة في ارتفاعها فإنها ستفوق المعدلات المسجلة العام الماضي «نحو مليوني جريمة». وتشير البيانات إلى ارتفاع جرائم العنف والتعدي بالضرب بنحو خمس عشرة في المئة في الوقت الذي شهدت فيه جرائم التعدي على الممتلكات الخاصة زيادة تراوحت نسبتها بين عشرة في المائة إلى خمس وعشرين في المئة. أظهرت الدراسة أن جرائم القتل كانت الوحيدة التي تراجعت نسبتها بنحو ٥,٤ في المئة وانخفضت نسبة الجرائم المرتكبة من قِبَل الأجانب بنحو ٨,٤ في المئة لتشكل نحو واحد في المئة فقط من إجمالي الجرائم المرتكبة في اليابان.

السعودية تحظر التدخين على رحلاتها الدولية

قررت الخطوط السعودية حظر التدخين على رحلاتها الداخلية والدولية في كل القطاعات وسيتم تطبيق الحظر فيها على ثلاث مراحل.

ويبدأ تنفيذ المرحلة الأولى منها، وفقاً لحمود الجديبي مساعد المدير العام لخدمات العملاء في الخطوط السعودية، اعتباراً من الأول من شهر سبتمبر الماضي، وذلك بمنع التدخين على رحلات السعودية المتجهة من السعودية إلى دول مجلس التعاون الخليجي، وتليها المرحلة الثانية في بداية شهر ديسمبر المقبل على رحلات السعودية المتجهة من السعودية إلى مناطق الشرق الأوسط وأفريقيا والتي تشمل دمشق وصنعاء وبيروت وعمان والقاهرة والخرطوم وأسمرة وأديس أبابا، أما المرحلة الثالثة والأخيرة فسيتم حظر التدخين الجزئي فيها على رحلات السعودية إلى كل من نيويورك وبانكوك وسنغافورة ومانيلا وكوالالبور وجاكرتا وواشنطن وكراتشي ولاهور وإسلام أباد ودلهي وبومباي ومدراس ودكا وكولمبو والدار البيضاء وداكار ونيروبي ولندن وباريس وجنيف وفرانكفورت واسطنبول وجوهانسبورغ وروما وذلك اعتباراً من بداية شهر يونيو من العام ٢٠٠٠ والتي ستخفض فيها مقاعد المدخنين بنسبة ٢٥ في المئة من مجموع المقاعد على رحلات السعودية إلى تلك المحطات.

السعودية تنشئ أحد أطول الجسور المعلقة في العالم

بدا عمال آسيويون منهمكين في إنهاء المراحل النهائية من تنفيذ أسوار قمة أحد أبراج جسر وادي لبن المعلق غرب العاصمة السعودية الرياض غير آبهين بحرارة شمس الصيف الحارقة. ورغم أن العمل كان يتم ظهراً وفي يوم يقع ضمن أشد الشهور حرارة في المنطقة، إلا أن موقع العمل كان يتعرض لتيارات باردة بسبب ارتفاعه عن قاع الوادي بما يزيد عن ١٨٠ متراً، ويصف وكيل وزارة المواصلات السعودية للطرق المهندس عبدالله بن عبدالرحمن المقبل، الجسر بأنه يعتبر أحد الجسور المعلقة الفريدة في العالم من حيث طوله وارتفاعه وشكل المقاطع الخرسانية فيه. وقال المقبل: إن الجسر يتميز باستخدام كوابل التعليق من المنتصف لمواجهة طبيعة الوادي واتساع عرضه وعمقه الذي يصل إلى ٨٠ متراً. ويبلغ الطول الإجمالي لكوابل التعليق ٣٢ كيلو متراً في حين يتراوح قطر كوابل التعليق الخارجي بين ١٤٠ إلى ٢٢٥مللمتراً متر وتظهر للناظر باللون الأبيض على هيئة شعاع الشمس. وتتكون كوابل التعليق الحاملة للجسر المعلق كما يقول المقبل من ثلاثة أجزاء رئيسة تعمل بمجموعها على حمل وحدات الجسر المسبقة الصب بمعدل وحدتين لكل كيبل. وبيَّن المهندس المقبل أن تصميم الجسر روعي فيه الحفاظ على طبيعة الوادي وعدم إعاقة حركة النمو فيه ومستوى خدماته. وأضاف أن طول الجسر الإجمالي يبلغ ٧٦٣ متراً وعرضه ٣٥ متراً أما الركائز الوسطية فتتكون من عمودين بارتفاع ٧٢ متراً للعمود و ٨٠ متراً للعمود الجنوبي بالإضافة إلى برجين هما استمرار لجسم الأعمدة يرتفعان إلى مسافة ٩٠ متراً.

الديون الخارجية للقارة الأفريقية ارتفعت بنسبة ١١ في المئة العام الماضي

قال تقرير اقتصادي إن الديون الخارجية على دول القارة الأفريقية تعد أكبر المعوقات التي تواجه عملية التنمية الاقتصادية في القارة، إذ ارتفعت بنهاية العام الماضي بنسبة ١١ في المئة إلى ٢٣٣,٥ بليون دولار من ٢١٠,٥ بليون في العام السابق، وتمثل هذه الديون نحو ١٨,٥ في المئة من إجمالي صادراتها.

. وأوضح التقرير السنوي الصادر عن «المصرف العربي للتنمية الاقتصادية في أفريقيا»، الذي يتخذ من الخرطوم مقراً له، إن إجمالي خدمة الديون الخارجية للقارة ارتفعت أيضاً إلى ٢٥,٧ بليون دولار بنهاية العام ١٩٩٨م من ٢١ بليوناً العام ١٩٩٧م.

وأشار التقرير إلى أن بعض الدول الأفريقية التي تنفذ برامج إصلاح اقتصادي، تشمل سياسات التحرير الاقتصادي وحرية التجارة، حققت معدلات نمو اقتصادي بلغ متوسطها نحو ٣,٦ في المئة مقابل ٣,٢ في المئة خلال الفترة قبل المقارنة.

وذكر التقرير أنه على الرغم من الظروف الاقتصادية والسياسية والاجتماعية الصعبة التي يعيشها بعض دول القارة نتيجة انفجار بؤر الصراع والتأثر بالتقلبات والأوضاع الاقتصادية العالمية، إلا أن معدلات التضخم تحسنت على نحو ملموس إذ تراجعت بنهاية العام الماضي إلى نحو ٨,٥ في المئة من ١١ في المئة العام ١٩٩٧م.

وفي مجال التجارة الخارجية أشار التقرير إلى هبوط معدل نمو الصادرات والواردات العام الماضي بنسبة ٦,٠٪ و ٢,٨ في المئة على التوالي، مقابل أربعة في المئة و ٨,٧ في المئة في العام الذي سبقه.

وقال التقرير: إن المصرف يواصل مسيرته في دعم التنمية الاقتصادية والاجتماعية للدول الأفريقية المستفيدة من عملياته وفقاً للخطة الخمسية الثالثة (١٩٩٥م - ١٩٩٩م) التي أعطت الأولية القصوى للقطاع الزراعي والبنية التحتية لأثرها المباشر في تحقيق التنمية الدائمة.

وأضاف أن حجم التعهدات لعام ١٩٩٨م بلغ ١١٠ ملايين دولار منها ١٠٥ ملايين للمشاريع، وخمسة ملايين دولار للعون الفني، وذلك بزيادة قدرها ١٠ ملايين دولار على حجم التعهدات العام ١٩٩٧م.

وأشار التقرير إلى أن المصرف خصص نحو ١٠٤,٩٥ مليون دولار العام ١٩٩٨م للإسهام في تمويل ١٤ مشروعاً وقرض ائتماني واحد ومبلغ ٤,٩٩ مليون دولار تمثل ٩٩ في المئة من المخطط السنوي للإسهام في تمويل ٢٠ عملية للعون الفني.

وأضاف أنه تم خلال العام الماضي التوقيع على ١٤ اتفاق قرض وبلغ مجموع هذه القروض ١٠٧,٧٢ مليون دولار، مشيراً إلى أن المصرف يمنح تمويلاته بشروط تفضيلية وميسرة، إذ بلغ متوسط الفائدة نحو ٣,١٠ في المئة العام ١٩٩٨م مقابل ٣,٠٥ العام ١٩٩٧م، أما فترة السداد فارتفع متوسطها المرجح من ١٧ إلى ١٨ سنة العام ١٩٩٨م.

وذكر أن عنصر المنحة الذي يستخدم كمقياس لمدى يسر القروض التي تم التصديق عليها بلغ العام الماضي نحو ٤٢,٧ في المئة مقابل ٤٣,٧٥ في المئة العام ١٩٩٧م، ما يدل على استمرار يسر شروط المصرف الإقراضية ومراعاتها للظروف الاقتصادية التي تجتازها الدول المستفيدة من مساعداته.

وعن تمويل التجارة العربية الأفريقية ذكر التقرير أن المصرف قرر تخصيص ٥٠ مليون دولار قابلة للزيادة إلى مئة مليون لتمويل الصادرات العربية إلى البلاد الأفريقية، واتفق مع «البنك الإسلامي للتنمية» لإدارة المبلغ نيابة عن المصرف وبدأت أول عملية تمويل صادرات بمبلغ ٣,٤ مليون دولار في أكتوبر الماضي.



من هدي كتاب الله

قال تعالى :
(من كان يظن أن لن ينصره الله في الدنيا والآخرة فليمدد بسبب إلى السماء ثم ليقطع فلينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ. وكذلك أنزلناه آيات بينات وأن الله يهدي من يريد)
الحج : ١٥ ـ ١٦

من هدي رسول الله ﷺ

روى الطبراني عن النعمان بن بشير رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:
ما من عبد ولا أمة إلا وله ثلاثة أخلاء: فخليل يقول: أنا معك فخذ ما شئت ودع ما شئت فذلك ما له. وخليل يقول: أنا معك فإذا أتيت باب الملك تركتك فذلك خدمه وأهله. وخليل يقول: أنا معك حيث دخلت وحيث خرجت فذلك عمله.

من صفات اللسان

قال النحاس: الحُكلة في اللسان والغتمة والبهمة والعجمة واحد، والطمطمانُّي الذي لا يفصح، الفَدْم الثقيل اللسان. والأرتُّ: الذي لا تكاد كلمته تخرج من فيه. والتمتام: الذي يعجل في الكلام ولا يفهمك. والألف: الثقيل اللسان، والفأفاء: أن يسبق الرجل كلمته إلى شفتيه فيردها بشفتيه مراراً لا يفصح، ورجل لسن فصيح وملسون كذاب.

غاية الإحسان في خلق الإنسان للسيوطي

من الأسماء العربية

بسام: كثير الابتسام.

بسطام: اسم فارس مشهور في الجاهلية.

بسيل: عابس من الغضب أو الشجاعة فهو بسل وباسل وبسول.

بشار: مفرح بالبشرى واسم أشهر المولدين «بشار بن برد».

بشارة: حسن وجمال.

بشارة: خبر مفرح.

بُشامة: واحدة البشام وهي شجر عطر الرائحة يستاك بعيدانه.

أربعة يزيلها أربعة

قال علي ـ رضي الله عنه :
أربعة جواهر في جسم بني آدم يزيلها أربعة أشياء.
أما الجواهر: فالعقل والدين والحياء والعمل الصالح:
فالغضب يزيل العقل
والحسد يزيل الدين
والطمع يزيل الحياء
والغيبة تزيل العمل الصالح.

عجبت من ثلاثة

قال يحيى بن معاذ: عجبت من ثلاثة!

رجل يرائي بعمله مخلوقاً مثله، ويترك أن يعمل لله،

ورجل يبخل بماله، وربه يستقرضه منه، فلا يقرضه منه شيئاً،

ورجل يرغب في صحبة المخلوقين ومودتهم، والله يدعوه إلى صحبته ومودته.

اتباع سبيل الحق

يأيها الآباء اجهدوا جهدكم أن تربوا أولادكم على اتباع سبيل الحق، فإن لم تفعلوا ذلك، فلا تحملوهم على سبيل الضلالة والغي، وأعينوهم فيما التمسوه لأنفسهم من سبيل الوصول إلى مرضاة الله برضاكم عنهم، أو بسكوتكم عليهم على أقل تقدير.

أمثال عالمية

العنزة الجرباء تعدي القطيع بكامله

«مثل إيراني».

جيفة واحدة تجمع الغربان

«مثل ألماني».

حمصة في حرية خير من وليمة في عبودية.

«مثل إنكليزي».

كيف تتولد الثقة ؟

قيل لنابليون: كيف استطعت أن تولد الثقة في جيشك؟ فأجاب: كنت أرد بثلاث على ثلاث: من قال: لا أقدر قلت له: حاول، ومن قال: لا أعرف، قلت له: تعلم، ومن قال: مستحيل قلت له: جرب.

منزلة البنات

دخل عمرو بن العاص ذات يوم على معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما، وكانت عنده ابنته عائشة فقال: من هذه يا أمير المؤمنين؟ فقال معاوية: هذه ابنتي عائشة... إنها تفاحة القلب. فقال عمرو: انبذها عنك يا أمير المؤمنين، قال معاوية: ولم يا عمرو؟ فقال: إن البنات يلدن الأعداء، ويقربن البعداء ويورثن الضغائن، فقال معاوية: لا تقل ذلك يا عمرو، فوالله ما مرَّض المرضى، ولا ندب الموتى ولا أعان على الأحزان مثلهن، وإنك لواجد خالاً قد نفعه بنو أخته، فقال عمرو: ما أعلم إلا أنك حببتهن إليَّ يا أمير المؤمنين.

إجابة حكيم

قال رجل لإياس بن معاوية :

يا أبا وائلة: حتى متى يبقى الناس؟ وحتى متى يتوالد الناس ويموتون؟ فقال لجلسائه: أجيبوه، فلم يكن عندهم جواب، فقال إياس: حتى تتكامل العدتان: عدة أهل الجنة، وعدة أهل النار.

وقال أبو العلاء المعري:

ولما صار ودّ الناس خبا
جزيت على ابتسام بابتسام
وصرت أشك في مَنْ أصطفيه
لعلمي أنه بعض الأنامِ

حكم

- لا تعمل في السر ما تستحي منه في العلانية.
- ما عقل دينه من لم يحفظ لسان.
- العفة مع الفقر خير من الغنى مع الفجور.
- لكل شيء طريق وطريق السعادة الاستقامة.
- طريقان للنجاح: صدق دائم وعمل دائب.
- لا تستحي من إعطاء القليل فالحرمان أقل منه.
- المخلص من يكتم حسناته كما يكتم سيئاته.
- العاقل من ذكر الموت ولم ينس الحياة.
- حبّان لا يجتمعان: حب الله وحب المعاصي، والجهاد وحب الحياة، حب التضحية وحب الراحة.

مواعظ

من قل اعتباره قلَّ استظهاره، ومن لم يتعظ بغيره وعظ الله به غيره، وقال حكيم: السعيد من وعظ بغيره، والشقي من وعظ به غيره، وقيل: يا لها من موعظة لو وافقت في القلوب حياة.

طعم الذل

قال صالح بن حسان: دخلت على عمر ابن عبدالعزيز فسمعته يقول: لا يتقي الله عبد يجد طعم الذل.

قم واجلس مع الخصم

دخل أشعث بن قيس على شريح القاضي في مجلس القضاء، فقال شريح: مرحباً وأهلاً بشيخنا وأجلسه معه، فدخل رجل يتظلم من أشعث، وفقال شريح لأشعث: قم فاجلس مع خصمك. قال: أكلمه من مكاني فقال شريح: لتقومن أو لآمرن من يقيمك.

إنصاف المظلوم

خرج بريد عمر بن عبدالعزيز من مصر ومعه كتاب من فرثونه السوداء مولاة ذي أصبح تذكر فيه أن لها حائطاً قصيراً وأنه يقتحم عليها منه فيسرق دجاجها فكتب إلى ابن شرحبيل عامله على مصر: إذا جاءك كتابي هذا فاركب أنت بنفسك إليه حتى تحصنها، ففعل.

بم سدت قومك ؟

قال معاوية لعرابة: بم سدت قومك؟

قال: كنت أحلم عن جاهلهم، وأعطي سائلهم، وأسعى في حوائجهم، فمن فعل مثل فعلي فهو مثلي، ومن جاوزني فهو أفضل مني، ومن قصر عني فأنا خير منه.

إعداد : محمد هاني

التربية وحقوق الإنسان



إيماناً بأهمية الوعي التاريخي بحقوق الإنسان حيث يتم التسامح في عالم يضج بالويلات والكوارث التاريخية الناجمة عن قيم التعصب والعنف والعدوان أولت السلطات التربوية والثقافية في دولة الكويت حقوق الإنسان أهمية خاصة، وأوعزت إلى تدريسها في المناهج المدرسية والجامعية وتأصيلها في وعي الطلبة والناشئين، وانطلاقاً من هذا التوجه للسياسة التربوية في الكويت جاء كتاب «التربية وحقوق الإنسان» لمؤلفيه د.علي أسعد وطفه، ود.صالح أحمد الراشد محاولة علمية لترشيح هذا النهج وبناء مدخل علمي وتربوي لحقوق الإنسان وقيم الحق والتسامح، وإلى تشكيل وعي تربوي حقوقي يمكّن الطلبة في الجامعة وفي المؤسسات التربوية المختلفة من التفاعل الوجداني مع حقوق الإنسان تاريخاً ونشأة وتطوراً في سياقها التراثي الإسلامي النبيل، والكتاب في مجمله يقدم رؤية تاريخية في المفهوم ،ورؤية تاريخية في الممارسة، حيث يوضح كيف نشأت فكرة حقوق الإنسان؟ وكيف تطورت؟ ومن ثم كيف أخذت أبعادها ومراميها في حياة الشرق والغرب وفي مختلف الاتجاهات والتيارات؟ كما عرج الكتاب على طبيعة الممارسة التاريخية لهذه الحقوق في التاريخ الإسلامي ووضعيتها في الحياة العربية المعاصرة ومن خلال فصول الكتاب السبعة، قدم المؤلفان لمحة تاريخية حول تطور حقوق الإنسان وشرحا مفهومي الإنسان وحقوق الإنسان، وتعرضا لحقوق الإنسان وقيم التسامح في الإسلام ومنها حق الحياة وحق المساواة وحرية الاعتقاد والتسامح الديني وحق العدل وحرية الرأي وحرمة البيت وحق اللجوء السياسي وعرجا بعدها على الإعلان العالمي لحقوق الإنسان والإعلان الإسلامي لحقوق الإنسان، وانتقلا بعدها للحديث عن الأنظمة العربية وموقفها إزاء حقوق الإنسان وما المنطلقات التربوية لتأصيل قيم التسامح وحقوق الإنسان في الوطن العربي.

الكتاب يقع في نحو ٣٠٠ صفحة من القطع المتوسط. قامت بنشره وتوزيعه مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع في دولة الكويت - حولي - هاتف ٢٦٤١٩٨٥ - فاكس ٢٦٤٧٧٨٤

موسوعة علمية مصرية باللغة الإنكليزية

صدر في القاهرة عن المركز القومي للبحوث «موسوعة باللغة الإنكليزية» تتناول أبرز العلماء الباحثين العاملين بالمركز في مختلف التخصصات العلمية بهدف توثيق الحياة العلمية في مصر وأبرز الكوادر البشرية التي تكون قاعدة علمية عريضة في مختلف المجالات، وتتخصص الموسوعة التي تقع في أكثر من ٥٠٠ صفحة في السيرة الذاتية للعلماء وإنجازاتهم العلمية المنشورة والموثقة عالمياً ومحلياً بالإضافة إلى التعريف بـ٤٧٠ عالماً من أبرز الأساتذة الباحثين بالمركز، ويذكر أن المجالات العلمية التي يخدمها المركز تتناول الصناعات الكيمياوية والفارماكولوجية، والنسيج، والزراعة والأحياء والهندسة والطب والبيئة، والكيمياء العضوية، وغير العضوية، والعلوم الأساسية والفيزياء والهندسة الوراثية والتكنولوجيا الحيوية.

الإسلام في أميركا

أكد كتاب أميركي جديد أن الدين الإسلامي يواصل الانتشار والتغلغل في المجتمع الأميركي بعد أن وصل عدد أتباعه إلى ستة ملايين شخص في أنحاء الولايات المتحدة.

ويستعرض كتاب «الإسلام في أميركا» لمؤلفته جين سميث تاريخ انتشار الدين الإسلامي في الولايات المتحدة.

ويغطي الكتاب قواعد السلوك في ظل الإسلام والتحديات التي يواجهها المسلمون المتدينون في ظل الثقافة الأميركية التي تمجد النزعة الفردية والاستهلاكية.

وتستعرض المؤلفة وهي أستاذة للدراسات الإسلامية في كلية هارتفورد في ولاية كونيكتيكت الأميركية كيف أن المسلمين انتشروا في أنحاء الولايات المتحدة، حيث يوجد حالياً مسجد واحد على الأقل في معظم المدن الأميركية المتوسطة الحجم وتوظف وزارة الدفاع الأميركية أئمة للشؤون الإسلامية في مراكز التجمع العسكري الكبرى بينما يحرص البيت الأبيض على إصدار تهنئة سنوية للمسلمين الأميركيين في عيد الفطر.

ويوجد حالياً نحو ستة ملايين مسلم في أنحاء الولايات المتحدة معظمهم من نسل المهاجرين من الشرق الأوسط والعالم الإسلامي، وإن كان قسم لا يستهان به ممن اعتنقوا الإسلام من المواطنين الأميركيين.

الإعلان من منظور إسلامي

في سلسلة الكتب التي تصدر عن مركز البحوث والدراسات في وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في دولة قطر صدر كتاب الأمة الحادي والسبعين تحت عنوان «الإعلان من منظور إسلامي» للدكتور أحمد عيساوي وهذا الكتاب يشكل إحدى المحاولات الأكاديمية لاقتحام موقع من أخطر المواقع وأكثرها تقدماً، حيث يكاد يكون الإعلان هو الأفق الثقافي الأكثر تأثيراً للقرون المقبلة، وهو إحدى القوى المرنة المتحكمة في قيادة الحضارة وتحويل مسارها إلى حيث يريد... وقد تكون الإشكالية الكبيرة في الإعلان اليوم هي في انفلاته من جميع الضوابط والقيم الأخلاقية، واستباحته لكل شيء يمكّن من الترويج والإثارة والإغراء



بالاستهلاك، وكشف المستور، والعبث بالعورات، واعتبار ذلك من مستلزمات الفن وأسباب النجاح وتوظيف جسد المرأة الذي بات يعتبر المحور الرئيس للإعلان.

فالخطورة اليوم تكمن في فلسفة الحضارة الغربية، التي تتركز حول إشباع الغرائز والشهوات والفصل بين الأخلاق والجمال، وتعيش لحظتها الآنية بعيداً عن أي نظر في العواقب والمآلات، تحت شعار: «اليوم خمر وغداً أمر».

في هذه اللحظة الحضارية، يأتي دور الحضارة الإسلامية بضوابطها وأخلاقياتها كمنفذ حضاري.. وتتأكد أهمية مثل هذه الدراسة في أنها تشكل خطوة على الطريق الحضاري والثقافي الطويل.

الأطفال والإدمان التلفازي

في سلسلة كتاب عالم المعرفة العدد ٢٤٧ الصادر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب في الكويت صدر كتاب «الأطفال والإدمان التلفازي» وتنبع أهمية هذا الكتاب من عوامل متعددة، في طليعتها طبيعية الموضوع المطروح وكيفية معالجته، كونه قد عولج من قبل اختصاصية في مجال الكتابة عن الأطفال والأسرة، فالمؤلفة ماري وين، قدمت للآباء والأطفال اثني عشر كتاباً، وتكتب بانتظام في مجلة «ذي نيويورك تايم ماغازين»، وهي أم لطفلين، ولدى أسرتها جهاز تلفازي واحد يستعمل في المناسبات الخاصة فقط.

هذا السرد عن المؤلفة يعطي صورة أشمل وأوضح عن التلفاز، الذي مازال يواصل ضغوطه السلبية على الأسرة الأميركية، فاللافت في كتاب ماري وين، هو أن هناك شرائح واسعة في المجتمع الأميركي تبدي امتعاضها من هذا الجهاز، وتعتبره مشكلة كبيرة، والمؤلفة تتابع ذلك بمنهجية لا تخلو من المسحة التجريبية، إلى جانب المعطيات الحيوية والأبحاث الميدانية المستخدمة والتي أعطت لكتابها دفقاً وتنوعاً ومنطقية فيما طرحته في مجال الأطفال والإدمان التلفازي.

فالكتاب بأقسامه الأربعة يعطي نتيجة واحدة، وهي توجّه الطفل في المنحى التدميري لمجتمع كامل، هو مجتمع الأطفال، ومن الواضح كما تشرح المؤلفة أن برامج التلفاز الأميركي عنيفة أكثر مما ينبغي، ومفرّغة وضحلة المضامين، حتى بالنسبة لبرنامج من نوع «شارع السمسم» المعد للأطفال خصيصاً، بسبب إساءته لهم، لأنه موضوع بلغة غير لغة الأطفال، والمؤلم أن الأهل يطلقون لأطفالهم العنان في مشاهدة برامج تسيء في الواقع إلى نشأة الطفل ونموه بشكل طبيعي، وصولاً إلى الهبوط الشامل في المواد المدرسية، وكأن ماري وين قد كتبت عن أطفال العالم كلهم، وليس عن أطفال أميركا فقط، لأن الأطفال بشكل عام يشتركون بهذا الإدمان التلفازي، وإن كان بشكل نسبي ومن هنا والكلام لماري وين فإن العلماء والباحثين قد وجدوا في التلفاز دماراً للأسرة، بعدما لعب - ومازال يلعب - دوراً مركزياً في تفكك الأسرة الأميركية، من خلال قبضته الشديدة على العلاقات الأسروية، بحيث يتم انسحاب الأبوين من القيام بدور فاعل في تربية أطفالهم الذين يمضون وقتهم أمام التلفاز، وكذلك أزاح التلفاز المناسبات الأسروية الحلوة، بل ساعد أيضاً على تفكك علاقات الجوار الاجتماعية، فهذه الظواهر تسهل وتمهد لضرب المجتمع من الداخل، وغير ذلك والكلام لماري وين، فالجلوس الطويل أمام التلفاز يؤثر في القشرة الدماغية، ويجعلها بليدة، وهذا يؤثر في النمو العقلي والجسدي للطفل، وبما أن التلفاز قد أصبح جزءاً مهماً لابد منه في حياة الطفل، فعلى الآباء تبقى النتيجة أولاً وأخيراً، وعلى عاتقهم تقع مسؤولية أطفالهم، وهنا يمكن القول إن الوسط الاجتماعي يلعب دوراً كبيراً في بناء الطفل وفي إعداده، وحتى في تخليصه من هذا الإدمان المخدر الذي بات سمة هذا العصر المريض.

لقمان محمود

أخبار ثقافية

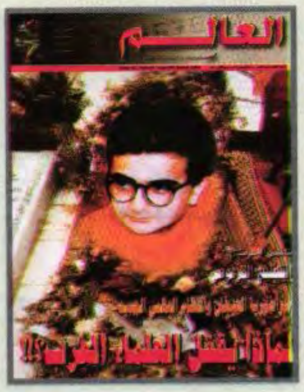
- أعلنت دائرة الثقافة والإعلام لحكومة الشارقة في الإمارات العربية المتحدة عن المسابقة الثالثة ١٩٩٩م - ٢٠٠٠م لجائزة الشارقة للإصدار الأول وهي جائزة تخص المخطوطات المعدة للإصدار الأول للكاتب أو الكاتبة ولم يسبق نشرها في المجالات التالية: القصة القصيرة «مجموعة»، الشعر الفصيح «مجموعة»، الرواية، المسرحية، أدب الأطفال «مسرحية الطفل»، النقد وتخصص هذه الدورة لجماليات الشعر.
- تجرى الاستعدادات حالياً لعقد المؤتمر الأول لجميعة علماء الاجتماعيات في بريطانيا في الفترة بين ٣٠ - ٣١ أكتوبر ١٩٩٩م وقد تقرر عقد المؤتمر في قاعة «هونك كونك» في كليمنت هاوس التابع لمعهد العلوم الاقتصادية والسياسية في جامعة لندن.
- أعلن د. محمود حمدي زقزوق وزير الأوقاف المصري أنه تقرر تشكيل لجنة من الخريجين الأندونيسيين وطلاب الدراسات العليا الذين تلقوا تعليمهم في مصر لترجمة معاني القرآن إلى اللغة الأندونيسية من واقع المنتخب في تفسير معاني القرآن الكريم.
- أصدرت منظمة الأمم المتحدة للتربية والثقافة والعلوم «اليونسكو» ملفاً تعليمياً متكاملاً حول التراث العالمي تحت عنوان «التراث العالمي بين الأيدي الشابة بعرضه على المعلمين في بعض المدارس المنتسبة لليونسكو لتجربته، وإعطاء الملاحظات بشأنها تمهيداً لإقرار الملف بشكل نهائي وتضمينه.

لماذا يُقتل العلماء العرب ؟!

صدر حديثاً العدد الثامن من مجلة «العالِم» التي تُعنى بفكر العلماء وعلماء الفكر في وطننا العربي حافلاً بالكثير من القضايا والحوارات الصريحة والمثيرة فكرياً وعلمياً المطروحة على الساحة العربية.

في هذا العدد يأخذنا البروفيسور محمد بن حمود الطريقي - رئيس التحرير - في افتتاحيته تحت عنوان «النهضة بين الفكر الاستراتيجي والفكر الديماغوجي!!» ومن خلال تحليلاته الجريئة التي تمس كبد الحقيق مشخصاً الواقع العربي قائلاً: لقد تحول الجزء الأكبر من بلادنا إلى بلاد محروقة وتحول الجزء الأكبر من شعوبنا إلى شعوب حائرة مضطهدة... متسائلاً، كيف سينظم المضطهد فكره نحو المستقبل؟ ثم يوضح أكثر فيقول نحن مقبلون على القرن الحادي والعشرين دون سلاح، دون مشروع موحد، دون نظرة وفكر استراتيجيين ودون خطط مستقبلية، ويشير الدكتور الطريقي قائلاً: إن أمل النهضة يبدأ في بناء الإنسان العربي من فكره المنظم ورسائله الاستراتيجية ومن كرامته وقدراته وإبداعاته وتعاونه مع واقعه السياسي والكوني... لهذا الأمر يؤكد أننا اليوم مدعون بشدة إلى فكر يحدد لنا ما نريد واستراتيجية تحدد لنا كيف نحقق ما نريد.

في العدد تقرأ عن الفكر والنهج والأطاريح المتعمقة للفيلسوف العالمي المسلم رجاء غارودي ولا سيما أنه يعاني مثلنا من الكيد المادي - الصهيوني الذي أصبح يسيطر على العالم شئنا أم أبينا من خلال باب «رحلة الفكر» بعنوان «امبراطورية الشر».



وشمل ملف العدد الذي تناول التطبيع مع إسرائيل حواراً صريحاً أجراه مدير التحرير مع شفيق الحوت العضو الدائم في الوفد الفلسطيني المراقب في الأمم المتحدة الذي استقال بسبب مواقفه الرافضة للاتفاقات والمفاوضات مع إسرائيل، وحواراً مع الدكتور محمد الحسن عميد كلية العلوم - جامعة الملك سعود - عن حقيقة السلاح الجرثومي في إسرائيل بجانب الكثير من المقالات والتحقيقات الجادة عن التطبيع ما له وما عليه.

كما طرح العدد السؤال المحير: لماذا يُقتل العلماء العرب؟! الذي مازالت مجلة «العالِم» تبحث له عن إجابة حتى الآن لمناسبة رحيل العالِم اللبناني الدكتور علي أسعد أستاذ فيزياء المفاعلات النووية الذي توفي أخيراً في باريس في ظروف غامضة لم يُعرف سبب الوفاة حتى الآن. كذلك تقرأ الكثير من الموضوعات الفكرية والعلمية المتنوعة الهادفة، فهناك المراقب الثقافي الذي يتناول الكثير من القضايا الساخنة والمنبر الحر الذي خُصص لآراء قراء المجلة.

مجلة «العالِم» شهرية تصدر موقتاً كل شهرين عن المركز الوطني للدراسات الاستراتيجية «دار الاستشارات الطبية والتأهيلية في الرياض».

نحـــن والآخـــر

«نحن والآخر» كتاب صدر حديثاً للدكتور عاصم حمدان علي حمدان يذكر في مقدم الكتاب: تمثل العلاقة مع الآخر إشكالية متجددة في الواقع الفكري العربي، فهناك فريق يتماهى مع ذلك الآخر، ويتبعه حذو النعل بالنعل، ولا يرى سبيلاً للرقي والنهضة إلا بالسير على الدرب نفسه الذي سار عليه ذلك الآخر، وفريق ثان يرى في ذلك الآخر شيطاناً رجيماً كان ولا يزال من أبرز أسباب تخلف الأمة، ولنا على الفريقين ملاحظتان:

- الفريق الأول أهمل الفرق بين صحة الفكرة وصلاحيتها، وغره النسق الفكري المحكم، وأهمل علاقته بالواقع أو صلاحيته للنهوض بذلك الواقع، فرأينا أفكاراً تنبت نهضة عند الآخرين، وتنبت عندنا خراباً، لأن أصحابها لم يعرفوا طبيعة التربة التي يغرسونها فيها، خذ مثلاً: فكرة فصل الدين عن الدولة، إذ أثمرت في أوروبا دولة قومية متحررة من أوهام الكنيسة، ومتسلحة بالعلم، حققت خطوات جبارة على طريق النهضة، ولكن تطبيق الفكرة عندنا أسقط آخر حصن في وجه الاستعمار، فسقطت معظم بلداننا في قبضته، وحيُّدت جماهير الأمة المسلمة عن نخبها المتغربة، التي لم تجد سبيلاً لإجبار هذه الجماهير على السير في طريق النهضة المزعومة سوى السوط! وهكذا ولدت العلمانية ديموقراطية هناك وديكتاتورية هنا.

- أما الفريق الثاني، فهو يختزل الآخر في الغرب، مع أن ثنائية «شرق وغرب» لم تعد تنطبق على عالم يموج بالحضارات، وإذا كان هذا الفريق محكوماً في رؤيته بالسلوك العدواني الغربي الذي رافق إملاء حضارته على العالم، ومأخوذاً بالجوانب المدمرة في تلك الحضارة، فإن الغرب ليس كل العالم، وحضارة الغرب ليست كلها شروراً وآثاماً.

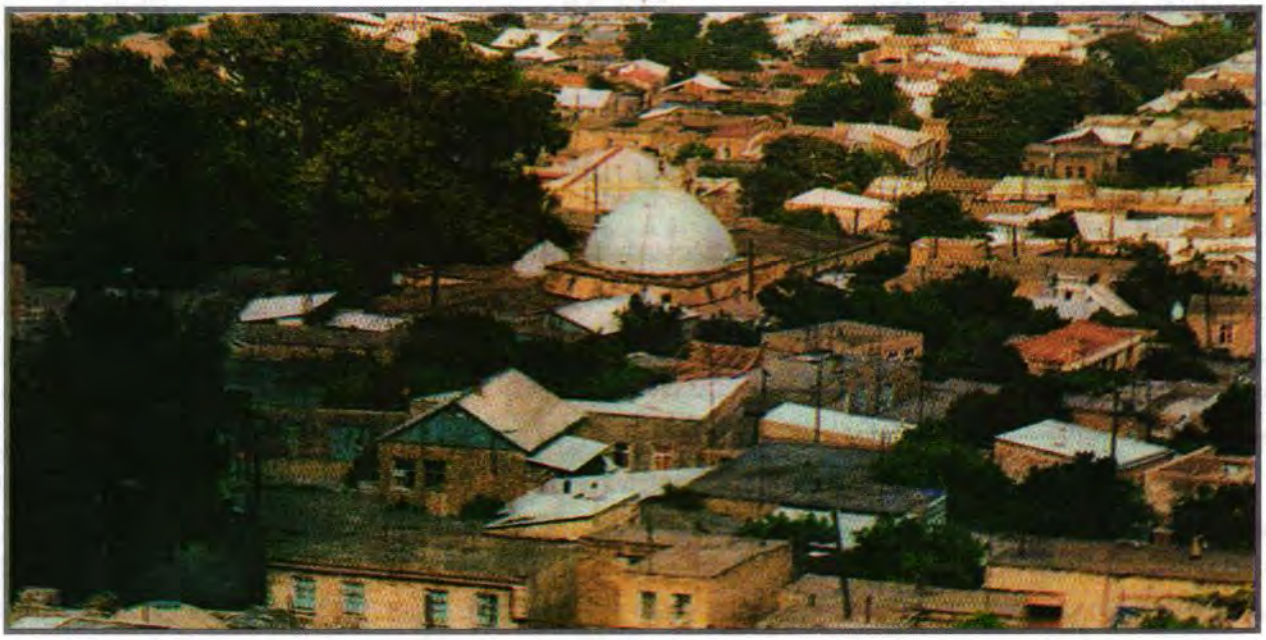
سُقتُ هذه المقدمة لتأكيد أهمية موضوع الكتاب الذي بين أيدينا، والنقطة المحورية في الكتاب أن المنهج الفكري أو النقدي كالشجرة التي يتفيأ الناس ظلالها، وتنظّم حياتهم سلوكاً وقناعة، هذه الشجرة لن تنمو وتكبر في غير تربتها ومناخها، ولن تحظى بالرعاية والاهتمام من غير أبنائها، فالمؤلف يتلمس تأصيل رؤية فكرية مستقاة من العقيدة، ويسعى لتكريس منهج فكري يفسر نظرتنا للكون والحياة، ويستقي مفاهيمه من الدين الإسلامي، وهو في مسعاه هذا ظل متفتح الذهن مطلعاً على إبداعات العقل البشري في الحضارات الأخرى مستأنساً بها ومستفيداً منها، ولكنه كان رافضاً في الوقت نفسه أن تكون هي المعيار الذي يحدد لنا أنفسنا أو خياراتنا، فالمؤلف ينعي على بعض النقاد محاولتهم تطويع العقيدة لإجراءات المنهج الغربي كما تمثل في كتابات محمد أركون، فهو من المؤمنين باستحالة تطبيق مناهج الفكر الغربي، على تراثنا أو الاحتكام إليها في تحليل ودراسة عقيدتنا.

ويمثل الكتاب محاولة للاحتكام إلى الذات والخروج من مأزق التضاؤل والتقزّم بالارتماء في أحضان الآخر، ولنا فيما يفعله الآخرون ألف مثال: فهذه فرنسا التي يجمعها مع بلدان أوروبا الكثير من المصالح، وتلتقي معها في الكثير من الأهداف، ولكن عند مناقشة اتفاقية «الغات» توقفت فرنسا كثيراً عند الموضوع الثقافي، ثم رفضت أن تفتح أبوابها أمام الغزو الثقافي والفكري.

إعداد : عبدالمنعم أحمد

داغستان مع روسيا ومن دونها

نشرت صحيفة «ينزا فيسيما غازيتا» الروسية مقالاً بقلم «غوريا موكليسنكايا» حول الأوضاع في جمهورية داغستان ذات الحكم الذاتي ضمن روسيا الاتحادية «المقال كُتب قبل الأحداث الجارية في داغستان» ورغم ما في الموضوع من مغالطات فاضحة ومعلومات خاطئة تتعارض تماماً والمنطق والفكر السليم، إلا أنه يدل على العقلية التي يفكر بها الروس في معالجة قضاياهم الداخلية ومشاكلهم المتشعبة التي ازدادت سوءا في أعقاب تفكك الاتحاد السوفيتي السابق. يقول المقال:



● عاصمة داغستان

ينسب معظم المراقبين المختصين بقضايا شمال القوقاز جذور مطامع الدول العظمى إلى احتياطي النفط الكامن في منطقة قزوين ومع أنني لا أقلل من أهمية العامل النفطي في تاريخ القوقاز الحديث، إلا أن النفط والاقتصاد ليسا في الوقت نفسه مفتاح حل كل القضايا.

إن صحة هذه النتيجة تجد مدلولها في تعامل التحالف الغربي مع الدول العربية التي تعمل - حسب زعمه - عبر أجهزة مخابراتها على زرع أفكار التطرف الإسلامي الأصولي في الأقاليم الروسية، ويبدو من الوهلة الأولى أن استقرار هذه المنطقة يصب في مصلحة الغرب إذا كان هدفه الرئيس الحصول على النفط، إلا أنه خلافاً لذلك يعمل على دعم التغلغل الديني للعرب في شمال القوقاز، الأمر الذي يمكن أن يسفر عن نزاع طائفي في أي لحظة وهدف العرب هنا واضح، فهم يعتبرون أن كل ما ينفقونه من مبالغ لنشر أصولية وتدريب الإرهابيين يمكن أن يعوض تماماً، لأن نشوب حرب في المنطقة تجعلهم يتحكمون في أسعار النفط على المدى الطويل، أما التكتيك الغربي، فيهدف إلى تفكيك روسيا وزعزعتها أيضاً عن طريق هذا التدخل الإسلامي، وفي هذا الإطار تعتبر الشيشان أفضل مترجم لهذه السياسة، فهي تأمل أن تضمن لها هذه الاستراتيجية تحقيق فوائد كثيرة، من بينها

الحصول على منفذ بحري وتدعيم الاستقلال، وإقامة دولة إسلامية ذات صلة بنفط قزوين وتتوافر فيها أيد عاملة رخيصة من غير الجنسية الشيشانية، وكل هذا تحت حماية الولايات المتحدة وحلف الناتو وبهذا نخلص إلى أن العامل النفطي يحتل المركز الثاني من حيث الأهمية في شمال القوقاز.

تعرضت داغستان في تاريخها الذي يمتد عبر قرون لغارات وحملات مختلفة ابتداء من الساسانية الإيرانية وعصر الخلافة الإسلامية، والزحف المغولي التتاري والإمبراطورية العثمانية، وبعد كل هذا وذاك أخذت تركيا تعير اهتماماً بالغاً لهذه المنطقة إذ قدمت الدعم لحركة التحرر الجبلية أنصار شاميل، وكان الأتراك يتغلغلون سراً إلى داخل الأراضي الداغستانية في أثناء الحرب الأهلية في العام ١٩١٧م، بقصد التدخل في الشؤون الداخلية لهذه الجمهورية.

ويؤكد الوضع السياسي الاجتماعي المحيط بمنطقة شمال القوقاز وتحديداً في داغستان أن الأهداف القديمة ظلت كما هي وكل ما تغير هو الأسلوب وطرق تحقيق أهداف القوى الأجنبية وبدلاً من الهجوم العسكري المباشر يجري الإعداد بصورة سرية لزعزعة الأوضاع باستغلال العامل الإسلامي وذلك بهدف إبعاد روسيا بصورة كاملة عن منطقة القوقاز، وبعض الدول العربية والإسلامية في مقدم الدول التي تأمل تحقيق هذا الهدف سعياً إلى تحقيق مصالحها الاقتصادية والسياسية في هذه المنطقة.

إن كل الأحزاب السياسية والحركات القومية في داغستان مضطرة إلى أخذ عامل الإسلام الذي يعتنقه ٧٠ في المئة من السكان في الاعتبار، والتغيرات السياسية التي عمت البلاد، فأحوال القوقاز وداغستان خصوصاً قد تركت آثارها السلبية على وضع القيادات القيادية، لذلك نجد اليوم تناقضاً شديداً في الوضع الديني في داغستان، وخصوصاً أن المبادئ الإسلامية لم تنعكس بعد في سلوك المسلمين الأخلاقي والروحي.

لقد وصل عدد المساجد العاملة في داغستان حتى الأول من يناير العام ١٩٩٩م ١٦٧٠ مسجداً، وهناك ٢٥ مدرسة و ٩ معاهد إسلامية عليا، و٣ أحزاب إسلامية، وتتبع هذه المساجد ٦٥٠ مدرسة، كما يعمل في المؤسسات الدينية ألف وخمسمئة إمام ومؤذن، وتفيد آخر الإحصاءات أن عدد الشباب الذين يتلقون الدراسة في ١٠ دول إسلامية وصل إلى ١٢٣٠ طالباً، ويؤدي عشرات الآلاف الحج في مكة المكرمة كما تم إلى جانب الإدارة الدينية الداغستانية إقامة إدارات دينية أخرى، وبالإضافة إلى ذلك، فقد جرى خلال الخمسة أو الستة أعوام الماضية ترميم أو تشييد نحو ٤٦٠ مسجداً، وتم استعادة ٣٠٠ مبنى للطوائف الدينية، ووصل عدد المراكز الإسلامية إلى عشرة، وهكذا أصبحت هذه الجمهورية مركزاً لنشر الإسلام الأصولي، وتؤكد حقائق كثيرة أن داغستان ستصطدم يوماً ما بظاهرة التطرف الديني وبخاصة في مناطقه المتاخمة للحدود الشيشانية.

إن نشاط التيارات الأصولية الإسلامية في الجمهورية بمراكزها الدعائية التي تم تأسيسها يعتبر من العوامل الأساسية لزعزعة الاستقرار في المنطقة، ويهدف هذا النشاط إلى بسط سلطة الأصوليين في المجتمع، وإقامة نظام إسلامي في الجمهورية، وزرع المبادئ الإسلامية في الحياة السياسية والاجتماعية تمهيداً لإعلان الدول الإسلامية، وهم في ذلك يختلفون عن أنصار الطرق الصوفية في كونهم لا يكتفون بالنفوذ الديني، بل يتطلعون إلى الاستيلاء على السلطة السياسية العليا، ولهذا الغرب يجري نشر وتوزيع الكتب الإسلامية مجاناً وتؤسس شبكة من المعاهد الدينية.

إن ما يميز الحركات الأصولية عن غيرها في فهمها للإسلام تركيزها وتبنيها لقضية الجهاد الذي توليه أهمية خاصة وهم، «أي الأصوليون»، يحضون أتباعهم على إتقان أساليب العمل المسلح والتدريب على الأعمال الإرهابية مستغلين الدين لتنفيذ مآربهم.

ويسعى الأصوليون بإصرار إلى جذب الحركات الوطنية والقومية إلى جانبهم وأسلمتها كما يلعبون بورقة العامل الإثني آخذين بعين الاعتبار مصلحة هذا الطرف أو ذاك ويركزون في ذلك على جر القيادات القومية التي تملك مجموعات مسلحة إلى جانبهم، وهذه التناقضات والخلافات بالذات بين المؤمنين هي التي أدت إلى الوضع الراهن في الجزائر وطاجيكستان ويوغسلافيا والشيشان، كما أن انهيار الاتحاد السوفييتي وضعف السلطة بصورة عامة وترك الباب مفتوحاً للدخول والخروج منه أعطى الحركات الأجنبية المتطرفة فرصة سانحة لاستغلال هذا الوضع لتحقيق أهدافهم وتطلعاتهم.

عزل داغستان عن بقية الكيانات الروسية يعد أسوأ الآثار التي تركتها الحرب الشيشانية

إن القناة الأساسية لنشر التطرف في داغستان هي التوسع غير المحدود الذي تقوم به مراكز التطرف الإسلامي في الخارج، حيث يتوافد على داغستان الدعاة الإسلاميون من الدول الإسلامية، فيزورون المساجد، ويلقون المحاضرات وينشرون الكتب الدينية، دون أي قيود، ويتأثير من هؤلاء ترفع الأحزاب الأصولية «نهضة» و«جماعة المسلمين» شعار إنشاء دولة إسلامية موحدة على الأراضي الشيشانية والداغستانية، وتعتبر المراكز الإسلامية الأجنبية المختلفة ومنظمات التوعية والمؤسسات الخيرية الأجنبية الأداة الأساسية لأسلمة داغستان وكل شمال القوقاز.

لقد ثبت أن نشاط بعض البعثات الأجنبية التي تزور داغستان قادمة من الدول العربية والإسلامية، وهذا يتعارض مع الأهداف الأساسية التي أعلن عنها رسميو هذه البعثات، ومن المعروف أن هناك إمكانات كبيرة تسخرها هذه الحركات في الدول العربية لدعم الحركات الراديكالية في الخارج التي تقود حرباً ضد الحكام المعتدلين هناك.

ومن الملاحظ أن أكثر النشاطات المعادية لروسيا التي تستغل العامل الإسلامي تأتي من طرف دول عربية للحيلولة دون المد الإيراني في جمهوريات الاتحاد السوفييتي الإسلامية، بالإضافة إلى ذلك، تستخدم أميركا ورقة العامل الإسلامي في روسيا ودول الرابطة المستقلة لتحقيق أهدافها الرامية لإضعاف روسيا وفرض هيمنتها على دول الاتحاد السوفييتي السابق.

وتقوم الولايات المتحدة الأميركية في بادئ الأمر باختيار وانتقاء ممثلي الجاليات الإسلامية ذوي النزعة القومية المؤيدين لفكرة تشكيل

أحزاب وحركات ومنظمات إسلامية، كما حدث في داغستان «حزب النهضة الإسلامي، والمركز الإسلامي، قوقاز. ومؤسسة سانت لاذا»، وبفضل الأموال الواردة من الخارج، تتشكل وتتسلح المعارضة الراديكالية الإسلامية في شمال القوقاز.

وهنا يجب الإشارة بصورة خاصة إلى نشاط منظمة «س.ا.ا. رفاونديشن» التي يقع مركزها في مدينة محج قلعة وتتعاون هذه المنظمة مع الحركات الإسلامية المتطرفة، كما يجري تمويل مؤسسات سانت لادا من الخارج، عن طريق مؤسسة «س.ا.ا. رفاونديشن» ومن جانبها تدفع مؤسسة سانت لادا ما يقدم لها من العملة الصعبة لطبع ونشر الكتب ذات المحتوى الرجعي في دور النشر في موسكو كما أن الهدف الرئيس لهذا النشاط هو إبعاد القيادات الدينية «الرسمية» ذات التأثير في داغستان.

وبعد الولايات المتحدة يأتي دور بعض الدول العربية المتمثل في نشر الكتب الدينية المتطرفة وتمويل بناء وترميم المساجد وإنشاء المدارس الإسلامية والإنفاق على الحج وتقديم المنح الدراسية وكما هو معرف، فإن هذه الدول تمارس نشاطها خلف غطاء من المشاريع الإنسانية التي تقوم بها المراكز الإسلامية والمؤسسات الخيرية، وكان نفوذ ودور هذه الهيئات واضحاً على الأراضي الشيشانية حيث تقام باستمرار قواعد لتدريب الإرهابيين من قبل مدربين أجانب.

وتركيا تعتبر داغستان أحد المواقع المهمة لنشر نفوذها وتحقيق مصالحها في المنطقة «إقامة تحالف بالقرب من الحدود الجنوبية لروسيا يضم الدول الناطقة باللغة التركية»، وفي هذا الاتجاه تعتمد الاستراتيجية التركية على شعاري «الأتركة والأسلمة» كما تتابع باهتمام الأوضاع الاقتصادية والسياسية في داغستان، وهذا ما تؤكده اعترافات إسحاق كاب عميل المخابرات التركية الذي تم القبض عليه في داغستان والذي اعترف أمام الصحافيين بأنه كان ينفذ مهمات خاصة على أراضي الشيشان وداغستان، وكان يجمع معلومات اقتصادية وسياسية عن الجمهوريتين، بالإضافة إلى ذلك قامت منظمة طوروس التركية بإنشاء معهد دراسي علماني في مدينة دوبنتن بمشاركة المنظمة الدينية التركية «الفقه الديني التركي» وتم افتتاح كلية شرقية في معهد يوجاق لتدريس المواد الدينية هذا بالإضافة إلى الكليات الداغستانية، التركية وفروعها في بوغلين وديزبنت. ويبدو للوهلة الأولى أن تدريس اللغة التركية ليس شيئاً مضراً لداغستان إلا أن السؤال المشروع هو لماذا كل هذه النفقات على الأساتذة الأتراك الذين يقومون بتدريس اللغة التركية للأطفال الداغستانيين بينما لا يصرف الأتراك فلساً واحداً على تعليم الداغستانيين الذين هاجروا إلى تركيا منذ أمد بعد لغتهم الأم؟

وفي الوقت نفسه، هناك حقائق أخرى تؤكد عدم رغبة إيران في انهيار روسيا حتى أن القيادة الايرانية ترى في روسيا الحليف الاستراتيجي ضد أميركا، وتعارض إيران السياسة التركية في الدول الإسلامية «السوفييتية سابقاً» وعلى حد رأي السفير الإيراني في موسكو، فإن تركيا تمارس سياسة إقليمية تخدم بصورة مباشرة مصالح الولايات المتحدة الأميركية، ولذلك تعمل إيران على كسب أصدقاء لها في المنطقة ويلاحظ في الفترة من بين ١٩٩٦م - ١٩٩٨م تكثيف نشاط الدبلوماسيين الايرانيين في الجمهورية.

أما باكستان فقد أبدت أخيراً اهتماماً في داغستان، حيث تزورها بصورة دورية مجموعات متخصصة من أوساط القيادات والأحزاب الدينية ويقوم هؤلاء بعمل منظّم لزرع أفكار التيارات الإسلامية المتطرفة، وتعبئة مسلمي الجمهورية أيديولوجيا، ففي العام ١٩٩٨م قضى ١٥ من الدعاة الباكستانيين مدة شهر في قرية غويدن بدعوة من الحركة الدينية الريفية «الجماعة الإسلامية» مع العلم أن عدداً قليلاً منهم ذو تعليم ديني، ومجموعة أخرى من الدعاة الباكستانيين زارت إقليمي روتول وافتيت وأيضاً إقليم بوتليخ وكيزيورتوف.

والدعاة العرب يعملون على إثارة النزاع بين المؤمنين ودفعهم لتأجيج الخلاف بين مختلف المذاهب الدينية ولا يمكن هنا تجاهل دور المراكز الإسلامية في تأزم الوضع في مناطق غويدي وكراماني وكادار ويسيطر هؤلاء المتطرفون على الرغم من قلة عددهم على كل أهالي المنطقة بقوة السلاح والعتاد، وتعد هذه المناطق بمثابة قواعد عسكرية لجماعة القائد الميداني الأردني خطاب على الأراضي الداغستانية وتجري إدارة هذه القاعدة عبر اتصالات الأقمار الصناعية من الأراضي الشيشانية، وتعتبر هذه المنطقة مقفولة لغير الوهابيين.

كل الأحزاب السياسية في داغستان تأخذ الإسلام الذي يعتنقه ٧٠ في المئة من السكان في الاعتبار

ووفقاً لمعلومات أجهزة الأمن الداغستانية، فإنه خلال الفترة من العام ١٩٩٦م وحتى الوقت الراهن وصل عدد المقبوض عليهم في قضايا جنائية نحو ٤٠ أجنبياً ومعظمهم من دعاة المراكز الإسلامية ومواطنو بعض الدول العربية والإسلامية، كما وصل عدد المخالفين لقوانين الإقامة ٢٠٠ شخص طرد منهم ١٦ شخصاً ويستخدم هؤلاء الدعاة أساليب مختلفة لاجتياز الحدود الداغستانية بما في ذلك الرُشا، ومعظم هؤلاء يقيمون في داغستان بوثائق مزورة.

ومن المدهش أن هؤلاء الدعاة الإسلاميين - حسب زعمه - لا يلتزمون بقوانين البلد الذي يعيشون فيه ويخالفون في سلوكهم الأخلاقيات التي وردت في كتابهم المقدس - القرآن الكريم.

ولتحقيق أهدافهم يمارسون كل أنواع الكذب والنفاق. ومثل هذه الحوادث تتكرر وبصورة دورية من قبل المواطنين العرب والمسلمين من دول الشرق الأوسط.

إن حصار جمهورية داغستان وعزلها عن بقية الكيانات الروسية يعد من أسوأ الآثار التي تركتها الحرب الشيشانية، ولذلك يعد الخط الحديدي المقترح خلف الأراضي الشيشانية أحد وسائل تخفيف العزلة عن الجمهورية.

وعلى الرغم من الضغوط الشيشانية وكرم المخابرات الأجنبية، فإن شعور الانتماء لروسيا الاتحادية لا يزال راسخاً في وعي الشعب الداغستاني، وهذا ما تؤكده استطلاعات الرأي العام في الجمهورية. ■

الفتاوى الشرعية

هذه الفتاوى منتقاة مما تصدره إدارة الإفتاء والبحوث الشرعية في وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية في دولة الكويت. والمجلة على استعداد لتلقي الاسئلة مباشرة وتحويلها الى اهل الاختصاص للاجابة عليها. ويسر خدمة الفتوى بالهاتف تلقي الاسئلة الفقهية مباشرة من الساعة ٨ صباحا الى الساعة ١٢ ظهرا ومن الساعة ٤ عصرا الى الساعة ٨ مساء على الهواتف التالية :

هاتف مباشر
خدمة الفتوى
149

البيع بالأقساط

عُرض على اللجنة الاستفتاء التالي:

إنني أعاني من حيرة في أمر تشابه عليّ أرجو أن أجد عندكم الكلمة الفصل فيه، وإني أردت أن أشرح الأمر ثم أذيله بأسئلة متعددة راجياً من العزيز القدير أن يفتح عليكم بالإجابة عليها:

لقد توجهت لإحدى وكالات السيارات التي لا تتعامل بالفوائد البنكية، لأشتري منها سيارة بالأقساط دون فوائد بنكية، وذلك لضيق ذات اليد في أن أمتلك مثل هذا المبلغ ولكن الموظف قال: إن الوكالة أوقفت التعامل بالأقساط فلا تبيع إلا بدفع كامل الثمن، ولكن من أراد أن يدفع القيمة مقسطة فعليه أن يتوجه إلى ب.ت.ك. أو شركة ت.ت. وكلتا الشركتين نظامهما التالي:

تذهب إليهم وتقول لهم: إنك تريد شراء سيارة وقيمتها مثلاً خمسة آلاف دينار وإنك لا تستطيع دفع الثمن كاملاً، فإنهم يتوجهون إلى الوكالة ويشترون السيارة ويمتلكونها، ولكنهم يبيعونك إياها بسعر أغلى على أن تدفع جزءاً من قيمتها والباقي يقسط عليك لمدة سنتين أو ثلاث سنوات، فمثلاً يشترونها بخمسة آلاف دينار أو أقل. وذلك كمعاملة خاصة بينهما وبين الوكالة، ويحدد بعضهم أن نبيعها لك بخمسة آلاف وخمسمئة دينار، وتدفع مثلاً عشرين في المئة من هذه القيمة والباقي يقسط عليك لمدة سنتين ونصف السنة، وتسجل السيارة باسمك كمالك لها.

بينما بعضهم يبيعها لك بستة آلاف دينار، وتدفع مثلاً خمسة عشر في المئة من هذه القيمة، والباقي يقسط عليك لمدة سنتين ونصف السنة، وتسجل السيارة باسمك كمالك لها، ويزيد نظام الأول على الثاني أنه يشترط أن تحول راتبك الشهري في حساب خاص لك عنده، وهذا أمر ظاهره أنه ضمان له وباطنه أنه يستغل راتبك عنده خلال تحويله إليه يتعامل به تجارياً كمال سائل.

والآن إليكم هذه التساؤلات:

١ - هل هذه المعاملة حلال شرعاً أم هي حرام؟

٢ - هل هذه المعاملة في البيع تعتبر بالأجل أم بالمرابحة؟

٣ - هل هذه المعاملة التي يقوم بها الأول تعتبر حلالاً أم حراماً، وإن كانت حلالاً فهل هذا ينسحب على الثاني؟ وإن كان الجواب بالنفي فلماذا؟

أفيدونا في هذا الأمر أثابكم الله، فإن الإنسان يتمنى أن تكون ركوبته حلالاً في حج أو سفر وترحال.

- أجابت اللجنة بما يلي:

إذا كانت طريقة التعامل تقوم على أساس أن السائل يشتري السيارة من الوكالة وتكون الجهة الثالثة يقتصر دورها على التمويل بدفع الثمن نقداً إلى الوكالة وتحصيله بمبلغ أكبر مؤجل من المشتري فإن هذا رباً، أما إذا كان الشخص يشتري السيارة بعد قيام أحد هذين بشراء السيارة لنفسه وحيازته لها ثم يبيعها بعقد جديد للسائل بثمن أعلى، حالٍ أو مؤجل، فهذه تجارة مشروعة، وأما اشتراط تحويل المرتب لضمان دفع الأقساط فذلك من توثيق العقد بالرهن أو شبهه، فهو شرط جائز شرعاً وملزم لأنه يؤكد مقتضى العقد، واستغلال الراتب يتم بإذن، لإيداعه حسب أصول التعامل في ذلك المصرف، وله أن يودعه لحسابه من دون مخاطرة الاستثمار إذا شاء. والله أعلم.

صلاة المعذور

عُرض على اللجنة الاستفتاء التالي:

أنا شاب مصاب بمرض سلس البول - أعزكم الله - وهذا السلس لا يكون إلا بعدما أقضي حاجتي بفترة بسيطة، وهو لا يكون بكمية كبيرة، بل بكمية قليلة، فالرجاء إفادتي بالشروط التي يجب توافرها لكي تصح طهارتي وصلاتي بالثوب الذي قد أصابه سلس البول، وهل بإمكاني أن أبدل ثوبي للصلاة والطهارة؟ وهل صحيح أن المصاب بسلس البول - أجلكم الله - لا يصح أن يؤم الناس في الصلاة عندما يكون ثوبه قد أصيب بسلس البول؟

- أجابت اللجنة بما يلي:

إذا كان السائل يجد وقتاً يكفي للوضوء والصلاة لا يعتريه فيه السلس فلا يكون معذوراً، وعليه أن يتحين هذا الوقت لأداء صلاته، وعليه أن يطهر ثوبه أو يبدله أو أن يتحفظ بأي وسيلة تمنع تنجيس ثوبه. والله أعلم.

توقيت الصلاة في البلاد النائية

عُرضت الرسالة المقدمة من مسلمي ألمانيا الغربية والذي جاء فيها ما يلي:

مشكلتنا تتلخص بالتالي... التوقيت هنا في ألمانيا الغربية مشكلة، ففي فصل الشتاء معتدل وهو يشبه التوقيت في مصر وسوريا ولبنان مثلاً، أما في فصل الصيف والربيع فيقصر الليل كثيراً ويطول النهار كثيراً إلى درجة يحتار معها المسلم هنا كيف يحافظ على إقامة الشعائر الإسلامية من صلاة وصوم، ويوجد هنا مجموعة كبيرة من الإخوة المسلمين الأتراك منتشرين في برلين وفرانكفورت وغيرهما، وهم يصدرون «رزنامات» سنوية يعرف من خلالها هذا التوقيت الذي نحدثكم عنه الآن: ففي هذه «الرزنامات» - وهي المصدر الوحيد لمعرفة الوقت هنا - التوقيت الشتوي فيها يشبه التوقيت في القاهرة وسوريا وغيرهما أما في الصيف فالتوقيت هو كالتالي:

يحين موعد أذان الظهر الساعة ١٢,٣٠ بتوقيت القاهرة، وأما موعد أذان العصر فله توقيت مزدوج أحدهما الساعة الخامسة مساء، والثاني الساعة السادسة مساء بتوقيت القاهرة، وأما المغرب فيحين موعده الساعة ٩,٤٠ ليلاً بتوقيت القاهرة، وموعد أذان العشاء الساعة ١٢ ليلاً، وموعد أذان الصبح الساعة ١٢,٣٠ ليلاً، أي بعد موعد أذان العشاء بنصف ساعة فقط... هذه هي مواقيت الصلاة هنا، مما يترتب على المسلم حيرة ومشقة كبيرتين نحو تأدية الصلاة، طبقاً لهذا التوقيت المذكور، والأهم من ذلك أيضاً هو أداء فريضة الصوم، حيث إن المسلم يترتب عليه بناء على هذا التوقيت أن يصوم منذ الساعة ١٢,٢٠ ليلاً حتى الساعة ١٠ ليلاً، أي نحو إحدى وعشرين ساعة ونصف الساعة صوماً، ولا يحل له الطعام والشراب ونحو ذلك إلا في خلال ساعتين ونصف الساعة فقط، وهي المدة التي تفصل بين موعد أذان المغرب وموعد أذان الصبح... ولقد قرأنا في مجلتكم العزيزة «رسالة الصيام والزكاة»، وهي ملحق لمجلة الوعي الإسلامي التي تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية حول هذا الموضوع ما يلي:

ذكر الفقهاء مسألة تقدير وقت الصيام في البلاد غير المعتدلة حيث يطول فيها الليل ويقصر النهار أو العكس ما يلي:... قال البعض: تقدر أوقات الصلاة والصوم بحسب أقرب البلاد المعتدلة إليهم، وقال البعض الآخر: تقدر بحسب البلاد المعتدلة التي نزل فيها التشريع كمكة المكرمة، والمدينة المنورة، وكل من الرأيين جائز، فإنه اجتهادي لا نص فيه، انتهى... وقرأنا أيضاً في كتاب فقه السنة لفضيلة الشيخ سيد سابق حول هذا الموضوع مثل ما جاء في مجلتكم العزيزة... وإننا نطلب منكم مشكورين ما يلي:

أ - هل يصح لنا ونحن هنا في جمهورية ألمانيا الغربية أن نصلي ونصوم بحسب توقيت مكة المكرمة أو المدينة المنورة؟

ب - هل يجوز أن يكون لصلاة العصر توقيت مزدوج كما ذكرنا لكم في هذه الرسالة؟

ج - نرجو منكم شاكرين أن ترسلوا لنا ما يبين لنا ويعرِّفنا على المواقيت في مكة المكرمة أو المدينة المنورة في حال إذا كان يصح لنا أن نصوم ونصلي على توقيت مكة المكرمة أو المدينة المنورة.

- وبعد الاطلاع على الرسالة رأت اللجنة ما يلي:

إن استفتاءكم يدل على أن دورة الأرض اليومية حول محورها الشمس - عندكم - تتم في كل أربع وعشرين ساعة، وإذا كان الليل يطول في بعض فصول السنة ويقصر في بعضها الآخر، إلا أن الأوقات الخمسة متعاقبة عندكم فلا مجال لإسقاط فرض من الفرائض وعلى كلٍّ فإن المطلوب هو بيان الصلاة وأحكام الصيام.

أما فيما يتعلق بالصلاة فإن أقصر ليلة في السنة - كما تقولون - تكون في الساعة التاسعة وأربعين دقيقة، فيمكنكم أن تصلوا المغرب والعشاء جمع تقديم أو تأخير، أو أن تؤدوا كل فرض في وقته - إن تيسر لكم ذلك من غير حرج، أما ما يتعلق بوقت العصر الأول والثاني فهذا مبني على خلاف بين أبي حنيفة وجمهور الأئمة بما فيهم صاحباه، فأبو حنيفة يرى أن وقت العصر يدخل من حين صيرورة ظل كل شيء مثله سوى ظل الزوال، فالأولى أن تصلوا الظهر قبل العصر الأول وأن تصلوا العصر بعد أذان العصر الثاني ومع ذلك فلو صُلِّيَ العصر بعد العصر الأول فهو صحيح عند أكثر الأئمة، ولكم أن تأخذوا بأي رأي من هذه الآراء، ولعل إخواننا الأتراك أثبتوا هذا في «رزناماتهم» لأنهم يلتزمون مذهب أبي حنيفة رضي الله عنه.

وأما ما يتعلق بالصيام فإن طول النهار عندكم لا يبيح الفطر إلا إذا كان الشخص مريضاً لا يحتمل الصيام، وعندنا في المشرق نرى أن كثرة كثيرة من الناس يكتفون بوجبة واحدة في الصيام ومع ذلك يقومون بأعمال شاقة مع ارتفاع درجة الحرارة إلى درجة شديدة، وعندكم وإن طال النهار، فإن الجو لا يدعو إلى الشرب وهو أكثر ما يتشوق إليه الصائم - عادة - ولا بدَّ أن يراعى أيضاً أن هناك أياماً في السنة - كما في فصل الشتاء وآخر في الخريف - يقصر فيها النهار قصراً شديداً، فليكن هذا بذاك. وأما الاعتماد على توقيت مكة المكرمة أو المدينة المنورة أو أقرب بلد إسلامي فهذا وإن أجيز فهو لمن ينعدم الليل أو النهار تماماً عندهم، كالمناطق القطبية التي يدوم فيها الليل أشهراً والنهار أشهراً، والمناطق القريبة منها التي قد يطول الليل فيها أياماً والنهار أياماً كشمال النرويج والسويد وليس الوضع عندكم كذلك. والله أعلم.

بقلم : عبدالغني أحمد ناجي

ذكرى الإسراء تذكير بالقدس وإنهاض للنفس

لشد ما تألم النفس: نفس كل مسلم غيور عندما تحين ذكرى الإسراء والمعراج كل عام، إذ يتذكر المسلمون في جميع بقاع الأرض ذلك المكان الطاهر الذي أسرى الله تعالى بعبده ونبيّه إليه، والذي عرج منه إلى السموات العلا حتى سدرة المنتهى، إذ كلّم ربه ومولاه، وفرضت عليه حينئذ الصلاة، معراج الأرواح إلى خالق الأرواح... يتذكر المسلمون القدس، والمسجد الأقصى: أولى القبلتين، وثالث الحرمين، ذلك المسجد الذي أبيح لكل مسلم شدّ الرحال إليه مع أخويه: المسجد الحرام، ومسجد الرسول عليه الصلاة والسلام، تأتي تلك الذكريات هاصرة للقلب، عاصرة للنفس لوجود ذلك المكان المقدس الميمون في براثن من لا يرحمون ولا يرعوون، يفعلون به ما يأباه الضمير، وترفضه القوانين والدساتير، وتمجُّه الأعراف الدولية، والقيم الإنسانية.

ومع ألم الذكرى يكاد ينطق اللسان مُترحّماً على الخليفة الثاني: عمر بن الخطاب رضي الله عنه تعالى، وهاتفاً: أين أنت يا صلاح الدين؟!

وفي خضم الذكريات تجيء هذه الأبيات:

من قدسنا يعلو النداء
أين الشهامة والفداءْ؟!

عاث اليهود بجرمهم
قد دنّسوا طهر السماءْ

مات الضميرُ لديهمو
لا عهد يعصمُ أو حياءْ

حتى متى سيظلُّ جرْ
حي نازفاً تلك الدِّماءْ؟!

حتىٰ متى سأظلُّ آهْ
تفُ عالياً: كيف الشفاءْ؟!

هل تذكرون بأنني
مهدُ الهدى والأنبياءْ

مَسْرى الرسول محمد
وعروجه نحو السَّماءْ

ذكرى يعيها المسلمو
نَ المخلصون الأوفياءْ

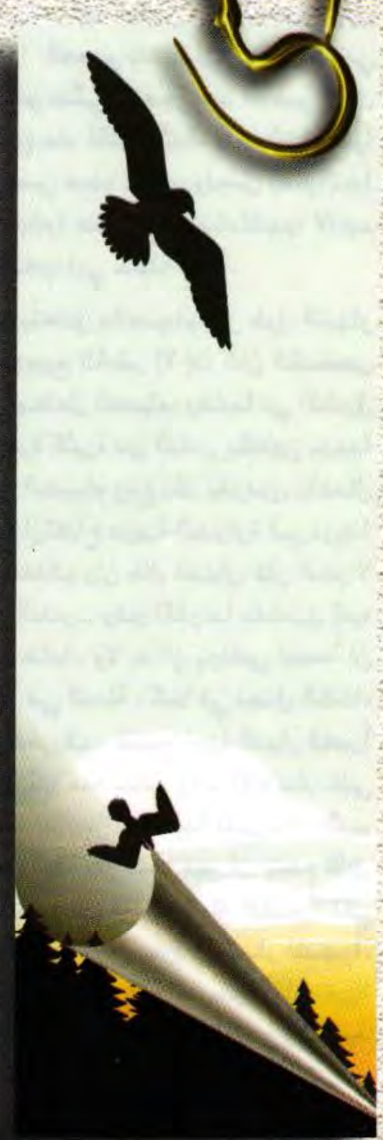
فغداً «صلاح الدين» يأ
تي هاهنا صُلْبَ المضاءْ

فيجيبُ في عزم الأبا
ة تساؤلاً دُونَ انحناءْ

ويطهرُ المهدَ المقدْ
سَ ناشراً حُسنَ الرواءْ

ومآذنٌ تعلى الندا
ءَ «اللهُ أكبرُ» في الفضاءْ

أملٌ يُرادُ أنفساً



الوعي الإسلامي
إسلامية شهرية جامعة
al-Waei al-Islami

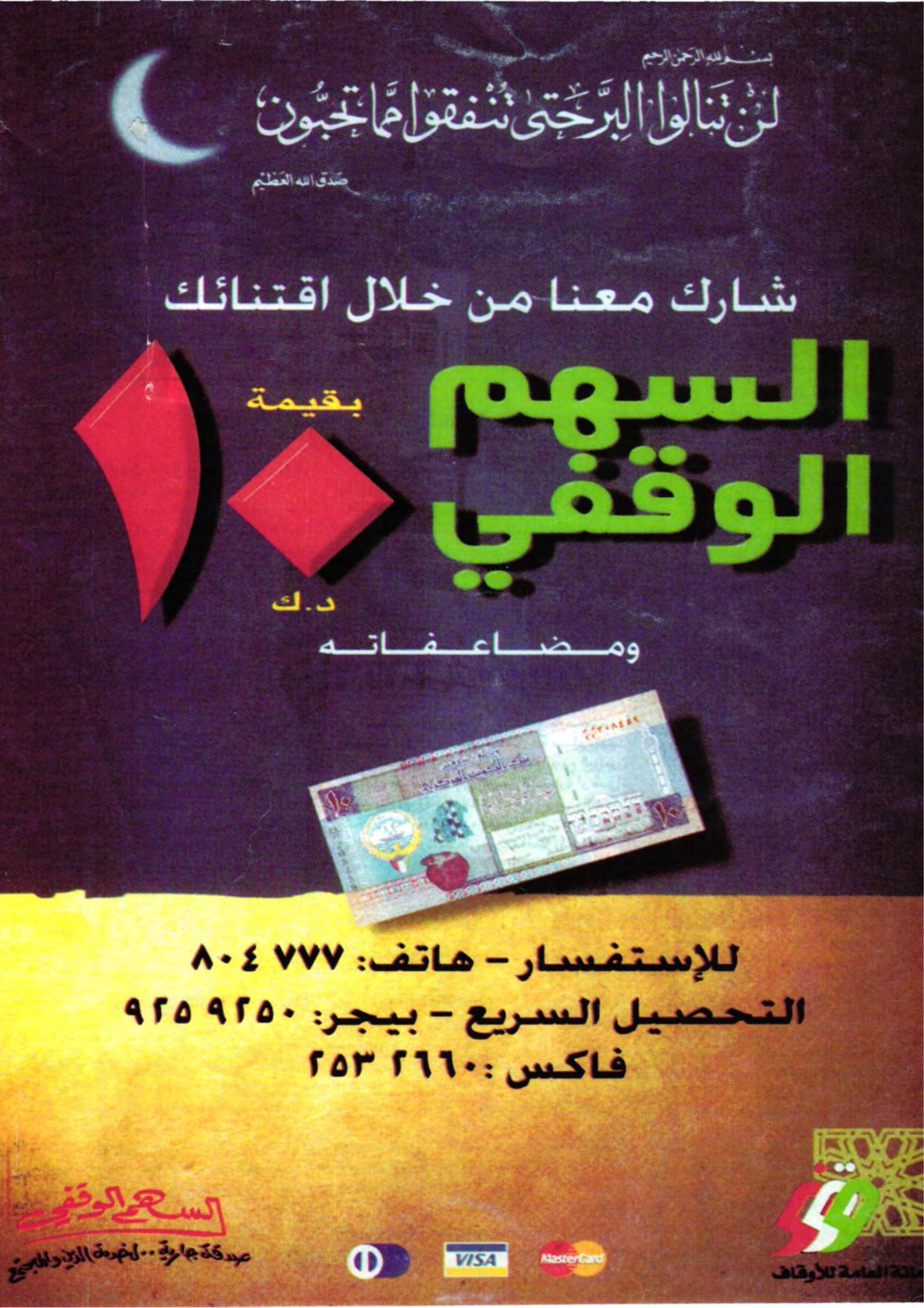
On The Internet على الانترنت

e.mail: al_waei@hotmail.com

Homepage: www.kuwait.net/~awqafnet



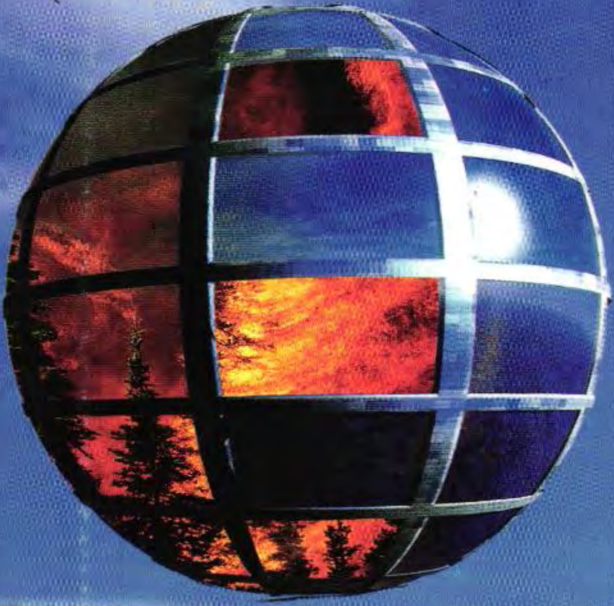
ص.ب: ٢٣٦٦٧ - الصفاة - 13097 - الكويت - هاتف: ٢٤٨٧٢١٠ (٩٦٥+) فاكس: ٢٤٣١٧٤٠ (٩٦٥+)
P.o.Box : 23667 - Safat - 13097 - Kuwait - Tel. (+965) 24 87 210 - Fax : (+965) 24 31 740


بسم الله الرحمن الرحيم
لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ
صدق الله العظيم
شارك معنا من خلال اقتنائك
السهم الوقفي
بقيمة
١٠
د.ك
ومضاعفاته
للإستفسار - هاتف: ٨٠٤ ٧٧٧
التحصيل السريع - بيجر: ٩٢٥ ٩٢٥٠
فاكس: ٢٥٣ ٢٦٦٠
السهم الوقفي
صدقة جارية... لخدمة الدين والمجتمع
VISA
MasterCard
العامة للأوقاف

الوعي الإسلامي

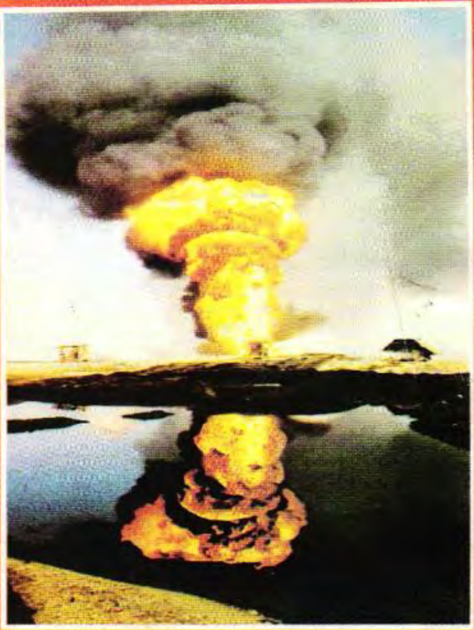
إسلامية شهرية جامعة
al-Waei al-Islami

العدد ٤٠٨ ـ السنة ٣٦
شعبان ١٤٢٠ هـ
نوفمبر / ديسمبر ١٩٩٩ م



استقبال نفحات شهر رمضان المبارك

التصور الإسلامي للبيئة



إعلام
سياسة التخويف من الإسلام في الإعلام الغربي

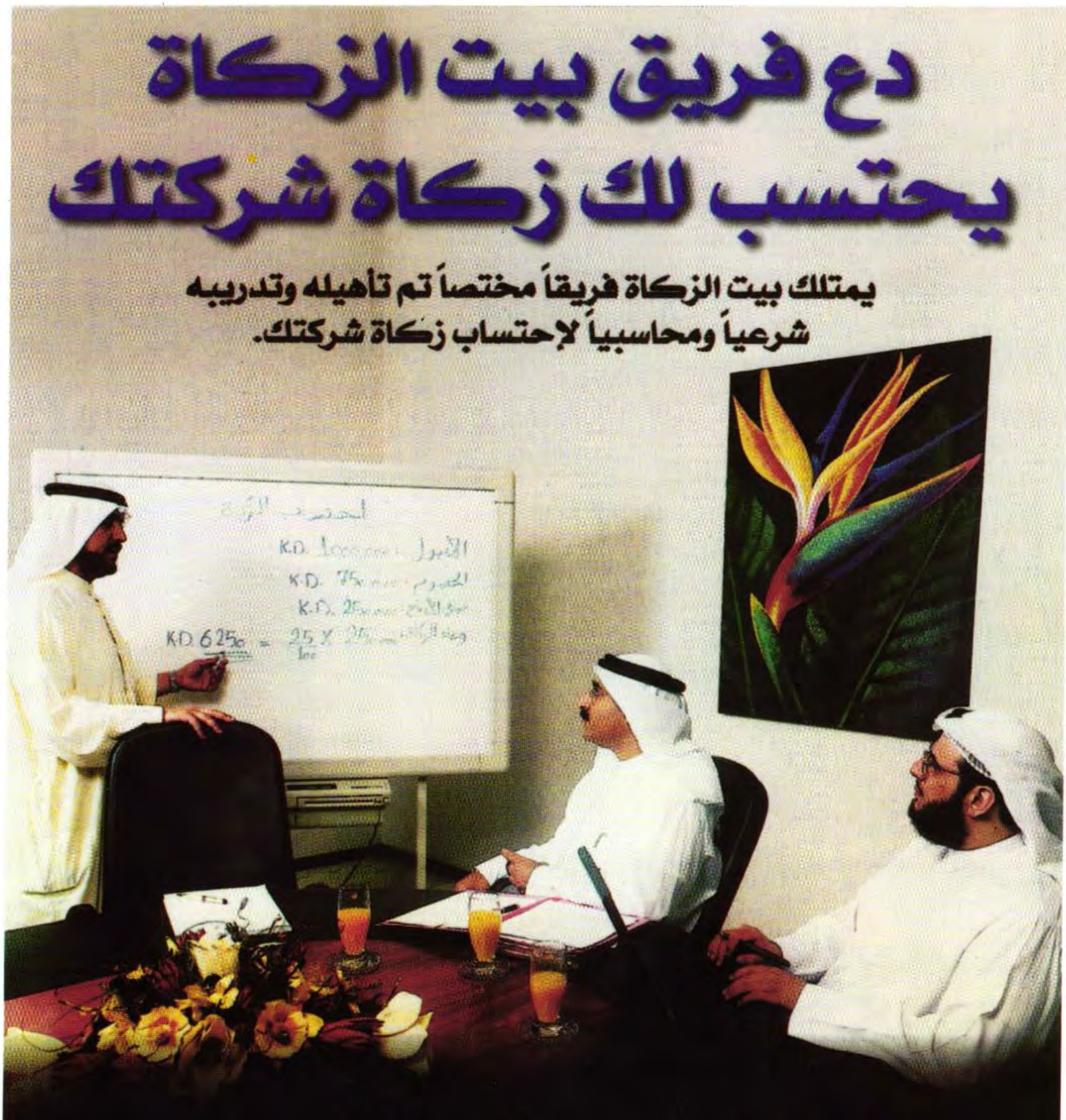
فكر
الخطاب الإسلامي وتجاهل السنن القرآنية

حوار



الأمين العام للاتحاد الإسلامي لمسلمي أميركا الشمالية

هديتك مع العدد براعم الإيمان



السالمية – شارع قطر
ص.ب (23865) الصفاة (13099) الكويت
عنوان الصفحات الإعلامية على الإنترنت
http://www.zakathouse.prg.kw
عنوان التراسل الإلكتروني العام
zakat@zakathouse.org.kw

هيئة حكومية مستقلة
دولة الكويت

2.5 %
زكاة أموالكم

الوعي الإسلامي

إسلامية ❖ شهرية ❖ جامعة

تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية
في دولة الكويت في مطلع كل شهر عربي

Islamic Monthly Magazine, Published By The
Ministry of Awqaf & Islamic Affairs - Kuwait

رئيس التحرير
CHIEF EDITOR
د. صالح أحمد الراشد
Dr. SALEH A. AL-RASHED

المشرف الإداري والمالي
ADMN. & FINANCE DIRECTOR
خالد عبداللطيف بوقماز
KHALED A. BUQAMMAZ

سكرتير التحرير
EDITORIAL SECRETARY
وائل أحمد الهنيدي
WAEL A. AL-HUNAIDI

الإشراف الفني
ART DESIGNER
صالح محمد صالح
SALEH M. SALEH

العدد 408 - السنة الخامسة والثلاثون - شعبان 1420 هـ - نوفمبر / ديسمبر 1999 م

كلمة العدد

حضارتنا البيئية

قراءنا الكرام

من منطلق شمولية تعاليم الإسلام لكل مناحي الحياة، حاولنا في هذا العدد ومن خلال مقالات عدة أن نقدم النظرة الإسلامية لقضايا البيئة التي تعددت أشكالها وأنواعها وإفرازاتها في عالمنا المعاصر، فانعكست سلباً على حياة البشر بسبب استغلال الإنسان السيء للموارد والثروات الطبيعية، فبدَّد بقسوة الموارد الطبيعية في الإنتاج والاستهلاك، ولوَّث البيئة الطبيعية ما أضر بحياة البشر والحيوان والنبات بل الجماد.

إن النمط الغربي للتنمية القائم على الأنانية والجشع، وبغض النظر عما حققه من تقدم مادي هائل، قد حمل في طياته سلبيات بيئية خطيرة نسمع أخبارها في وسائل الإعلام المختلفة، الأمر الذي دفع برجال الفكر والسياسة والاقتصاد في كل مكان من المعمورة لرفع أصواتهم، مطالبين بمراجعة هذا النمط حفاظاً على الطبيعة المتوازنة، التي أودعها الله سبحانه وتعالى في هذا الكون الفسيح، وهذا بالطبع يلتقي مع النظرة الإسلامية، ويؤكد عظمة حضارتنا وصلاحية مبادئنا، وما تحمله من قيم نبيلة لصالح الإنسان الذي هو خليفة الله في الأرض والله من وراء القصد. ■

الوعي الإسلامي

الأسعار

الكويت: ٣٥٠ فلسا. السعودية: ٤ ريالات. البحرين: ٣٠٠ فلس. قطر: ٤ ريالات. الإمارات: ٤ دراهم. سلطنة عمان: ٣٠٠ بيسة. الأردن: ٥٠٠ فلس. مصر: جنيه واحد. السودان: ٥ جنيهات. موريتانيا: ١٢٠ أوقية. تونس: دينار واحد. الجزائر: ٥ دنانير. اليمن: ٥ ريالات. لبنان: ١٠٠٠ ليرة. سوريا: ٢٠ ليرة. المغرب: ٦ دراهم. ليبيا: ٥٠٠ مليم. أوروبا: جنيه استرليني واحد أو مايعادله. امريكا وبقية دول العالم الأخرى: دولاران أو مايعادلهما.

المراسلات

المراسلات كافة باسم رئيس التحرير
مجلة الوعي الإسلامي
ص.ب: ٢٣٦٦٧ ـ الصفاة. 13097 ـ الكويت
هاتف ٥٣٤٨٩٧٦ (٩٦٥+) فاكس ٥٣٤٨٩٥٤ (٩٦٥+)

al-Waei al-Islami
P.O. BOX 23667 SAFAT
13097 KUWAIT
TEL. 965 5348976 FAX 965 5348954

e.mail: al_waei@hotmail.com
Homepage: www.kuwait.net/~awqafnet

الاشتراكات

- داخل الكويت:
للأفراد ٥ دنانير. للمؤسسات ١٠ دنانير كويتية
- الدول العربية:
للأفراد ٦ دنانير كويتية (أو مايعادلها).
- دول العالم:
للأفراد ١٠ دنانير كويتية (أو مايعادلها).
- للمؤسسات:
٢٠ ديناراً كويتياً (أو مايعادلها).

ترسل قيمة الاشتراكات في شيك إلى إدارة المجلة باسم مجلة الوعي الإسلامي
(الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)

المجلة غير ملتزمة بإعادة أي مادة تتلقاها للنشر. والمقالات لا تعبر بالضرورة عن رأي الوزارة

مطابع السياسة ـ الكويت

في العدد

استطلاع

لجنة العالم الإسلامي تاج العمل الخيري



12

المتابع للعمل الخيري الكويتي يرى أنه أصبح سفير الأمة الإسلامية نظراً لما يتصف به من مزايا جعلته في مقدم المؤسسات الإنسانية العالمية...

لجنة العالم الإسلامي الكويتية بذلت جهوداً جبارة في مجال الإغاثة والبناء والتعمير منذ الأزمة البوسنية العام ١٩٩٢م.

فكر إسلامي 58

الخطاب الإسلامي وتجاهل السنن القرآنية

غياب الحديث عن السنن الكويتية في خطاب الحركات الإسلامية أمر خطير للغاية مع أن الناظر إلى كتاب الله تعالى يدرك أن السنن والقوانين التي حركت التاريخ تعد من الواجبات المطلوبة من المسلمين لتكليف شرعي له قداسته وقدره وأجره وثوابه.

أبواب ثابتة

الفهرس

الافتتاحية

استقبال نفحات شهر رمضان المبارك

ما أن يقترب حلول شهر رمضان المبارك ذلك الشهر الفضيل العظيم إلا وتهب علينا نفحاته وشذاه ذات العطر الفواح الذي لاينقطع، ولعلّنا نجد ذلك جليا واضحاً في عمل سيدنا المصطفى رسول الله ﷺ.

فقد ثبت عنه ـ عليه الصلاة والسلام ـ أنه أكثر مايكون صائماً في شهرشعبان فكأن هذا العمل استعداد وإيذان وتهيئة للنفس على استقبال شهر الصبر شهر رمضان المبارك.

انه لحري بنا ونحن نعيش أيام شهر شعبان أن نتذكر جميل المزايا وحميد الصفات التي يسكبها علينا الشهر الفضيل، وأن نحاول جادين التعوّد عليها، إذ إنها تذكرنا بالخلق الكريم والمحمدة الرفيعة والسلوك النبيل، فإذا ما تذكرنا ـ بعضا من معجزات رسول الله ﷺ، والدعوة إلى دين الله وانتشار الإسلام وتوسع الفتوحات الإسلامية والأعمال العظام في التاريخ الاسلامي، فإننا نجد ذلك كله في رمضان ،هذا الشهر الذي هو غرة الشهور وواسطة العقد.

فلا غرو ولا عجب ان يكون الحديث مرسلا مدرارا عن الشهر المبارك لما نأمل فيه من حدوث خير عميم للمسلمين كافة في مختلف أقطارهم وأصقاعهم كما نأمل أن تبنى الحلول لمشاكلهم حيث تعالج قضاياهم.

إنه شهر الجهاد، جهاد النفس، وجهاد الأعداء. إنه شهر الانتصارات والمعجزات، وكم هو جدير بنا ان نقف على آثاره وأبعاده في الخير والعطاء والتراحم والتواصل وصفاء النفوس ووحدة الصفوف، وأن يكون لنا نهجا جديدا وطريقا مستقيما، نهتدي فيه بتوجيهات نبينا الكريم ﷺ فنكسب ثواب الدارين وهذا هو المبتغى والمراد .. فهل نكون كذلك؟

اللهم اجعله شهر خير وبركة على المسلمين، وأنعم به علينا كما أنعمت على الصديقين والصالحين.

هذا وبالله التوفيق. ■

رئيس التحرير

بريد القراء

ترحب الوعي الاسلامي برسائل القراء وتنشر منها ما يتوافق مع سياسات النشر لديها بما لا يتعارض مع حقوق الآخرين وحرية الرأي. وتحتفظ المجلة بحق تنقيح الرسائل واختصارها.

أين عزة المسلمين ؟!

مثال واحد في تاريخ المسلمين العظيم يبين إلى أي مدى وصل حال المسلمين الآن وكيف كان حالهم يوم أن كان الإسلام بعزته هو سبيلهم: (ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين). امرأة حُبست في سجون الروم فقالت: «وامعتصماه» وما أن وصل الخبر إلى الخليفة العباسي المعتصم بالله، حتى كانت النتيجة، أنه أرسل رسولاً برسالة هذا نصها: «من المعتصم أمير المؤمنين إلى كلب الروم» أما بعد، فإن وصلتك رسالتي فأطلق سراح المرأة المسلمة وإلا أرسلت لك جيشاً أوله عندك وآخره عندي. هم رجال يحرصون على الموت أكثر من حرصكم على الحياة»، من أجل امرأة مسلمة يجهز الجيش ويدخل المعارك هذا هو الإسلام وهذه هي عزة المسلمين يحافظ على المسلم في نفسه وفي ماله وفي عرضه مصداقاً لقول الرسول ﷺ: «مثل المسلمين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى».

أما حال المسلمين اليوم فيُرثى له، إذ الظلم واقع على المسلمين في جميع أرجاء الأرض في الفلبين وفي بورما وكشمير، والبوسنة والهرسك وفي كوسوفا، ليس هذا فحسب، بل الكارثة هي محاربة المسلمين بعضهم بعضاً. يا أمة الإسلام، اعملوا بالأسباب واتركوا النتائج إلى الله مصداقاً لقوله سبحانه: (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم) المطلوب منا العمل قدر الاستطاعة لا تنظروا إلى قوة عدوكم، فالله قادر على تدميره. أقيموا دولة الإسلام في قلوبكم تقم على أرضكم. ■

العدل حسين العدل الغنيمي - مصر

المسلمون وواقع التكتــلات العالميــة

يُحار الذهن عندما ينعم المرء النظر في حال المسلمين اليوم، فبينما العالم كله يسعى إلى التوحد الحقيقي. يسعى المسلمون إلى التفرق الحقيقي... ما جعل أحد الظرفاء يقول: «لكي يكون المسلمون متفردين، فهم يسعون لأن يكونوا منفردين».

أي (أنه من أجل رغبتهم الأصلية التي تُناسب هواهم الشخصي في التفاخر والتباهي فهم مغرمون حتى الثمالة بالعمل فرادى... يقول البعض: إن تاريخ العرب كله تفرق وترحال؟ وإنهم لم يجتمعوا قط في تاريخهم إلا مرات معدودات استجابة لضغوط شعبية هائلة وأمام ظرف تاريخي عصيب ضد الصليبيين وضد التتار، مع أن من أبرز سمات ديننا هي القوة المبنية على الاتحاد والاستمرار والثبات. (يأيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفاً فلا تولوهم الأدبار. ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفاً لقتال أو متحيزاً إلى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير) الأنفال: ١٥-١٦.

هل هذا الطبع القبلي يصح علينا كلنا فأضحى وباء الجميع لا نستطيع منه فكاكاً؟... إن كان ذلك كذلك فيجب استئصال شأفته، ولكن للعروبة - حتى في أيام الجاهلية - أيام مجيدة وقفت فيها أمام عتو الفرس والروم...

لا نريد أن ندخل في دوامة مهاترات وسفسطات فالإسلام يَجُبُّ ما قبله، والرسول ﷺ ينهانا عن العصبية القبلية قائلاً: «دعوها فإنها منتنة»، من هنا يجب الاستمساك الحق بأهداب الدين الذي يأمرنا بالإعداد والأخذ بأسباب القوة حال السلم وحال الحرب، على مستوى الفرد والجماعة والدولة قائلاً: (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم) الأنفال: ١٠. ■

محمد عبدالعزيز محمود

ردود خاصــة

- **القارئان مصطفى عبدالعاطي، أحمد إبراهيم حسين ثابت - مصر:**
شكراً على مشاعركما الطيبة، ونأمل تحقيق رغبتكما بخصوص جدول المواريث.
- **عبدالولي شيخ أحمد محمد - مصر:**
يمكنك إرسال قيمة الأعداد المطلوبة حتى يُصار إلى إرسالها إليك وشكراً لك.
- **حمدي حاج سعيد - تايلاند:**
من أجل الحصول على مساعدة مالية عليك مراسلة الجمعيات والهيئات الخيرية.
- **سليمان محمد سليمان:**
شكراً على اقتراحاتكم، ونأمل أن نستفيد من بعضها بما يتناسب ونهج المجلة وخططها المستقبلية.
- **أحمد بن سعيد بن هلال الحوسني - سلطنة عمان:**
صفحات المجلة مفتوحة أمام الجميع وكل المقالات التي تصلنا تخضع لعملية التقييم والمراجعة لمعرفة مدى صلاحيتها للنشر، يمكنكم إرسال نتاجكم الأدبي.
- **الأخت فاتحة كعبي - المغرب:**
المكتبات الإسلامية عامرة بالكثير من الكتب التي تبحث في الطب النفسي من منظور إسلامي وشكراً على ثقتك بالمجلة.
- **الأخت حماني نعيمة: المغرب:**
ملاحظتك قيمة للغاية فحدث من دون مرجع يُنقص من قيمة الجانب الإقناعي بالحدث نأمل من الإخوة الكتاب والباحثين توثيق كتاباتهم والاهتمام بالجانب التوثيقي للأحداث والإشارة إلى المراجع والمصادر التي يستقون منها.

أميركا تتوب إلى الله

يستحق الخبر الذي نشرته جريدة الأهرام القاهرية يوم الخميس الموافق ١٩٩٩/٧/١م على مساحة صغيرة في صفحتها الأولى أن يكون واحداً من الأخبار المهمة ونحن على أعتاب قرن جديد وألفية جديدة أن يكون تعليقاً موجزاً، وفي الوقت نفسه غاية في الدلالة على ما يجب على الأمم جميعاً وبخاصة المنكوبة منها أن تفعله إزاء الأزمات والمشكلات العضال التي تعاني منها، يقول الخبر: إن مجلس النواب الأميركي كان بصدد الإعلان عن يوم للتوبة يدعو فيه الشعب الأميركي أن يصوم ويتوب إلى ربه بعد أن اجتاحته النوائب الداخلية ولاسيما ما حدث من قتل وترويع للأبرياء في إحدى المدارس منذ فترة ليست ببعيدة «بعد نشر هذا الخبر بأيام قليلة فُجع الشعب الأميركي على مختلف طوائفه بمقتل جون كنيدي الابن والذي كان يتمتع بشعبية كبيرة وكان يُعد ـ مجازاً ـ سليل الأسرة المالكة في أميركا».

هذا، وقد علل أعضاء المجلس تلك الأزمات الطاحنة، بأن الشعب الأميركي أدار ظهره لله لفترة طويلة، ورغم أن المجلس المذكور لم يستطع تمرير هذا القرار لاحتجاج بعضهم على إقحام الدين في السياسة، فإن ما يهمنا هنا أن عدداً كبيراً من الأميركيين ـ وغيرهم كثير في المجتمعات المادية ـ قد أدركوا أخيراً أن الوقت قد حان ليراجعوا أنفسهم، وألا يركنوا إلى ماديتهم وعقلانيتهم. كما يعكس ذلك الخبر المثير توجهاً مهماً في الفكر العالمي المعاصر، بدأت معالمه تتضح على وجه الخصوص في النصف الثاني من القرن العشرين، إذ خرجت طائفة كبرى من مفكري العالم تنادي بضرورة التسلح بالإيمان بالله ولا سيما بعدما اكتوى العالم بنيران المادية والإلحاد والفردية والأمراض النفسية والعضوية المستعصية على الحل والاختراعات التكنولوجية المدمرة كالقنبلة الهيدروجينية وغيرها، وبعدما أفلحت الشيوعية في «تخدير» عقول قطاع كبير من المجتمعات وإقناعها أن «الدين أفيون الشعوب» ما ساعد على تصاعد المد الإلحادي في العالم بأسره، ورغم ذلك اندثرت الشيوعية في معقلها الرئيس منذ مطلع العقد الأخير من هذا القرن وفتحت الباب على مصراعيه أمام سيادة نظام رأسمالي أكثر ضراوة وأشد عداوة للدين.

وقد كتب الروائي الروسي الشهير الكسندر سولجينيتسن ـ «الذي ولد سنة ١٩١٨م» والحاصل على جائزة نوبل في الأدب، العام ١٩٧٠م ـ مقالاً مهما يحذّر فيه أيضاً من مغبة تنحية الدين عن حياة الإنسان المعاصر ويخلص فيه إلى أنه أنفق خمسين عاماً منْ عمره في دراسة هذه الظاهرة، ولا سيما في روسيا، وتوصل إلى أنه لا سبيل للخلاص من وهدة الإلحاد وتدمير الذات و«البحث الأجوف عن السعادة» ـ تلك الصفات التي استشرت في القرن العشرين ـ إلا بالرجوع إلى الله:

إذا أردنا تحقيق الآمال التي فشلت البشرية في تحقيقها فليس أمامنا سوى أن نسعى جادين لطلب العون من الله... والسير على هذا الدرب حتى تنجلي أمامنا الخطيئات التي وقعنا فيها في القرن الماضي التعيس وحتى نتمكن من تصويب تلك الخطيئات.

والحق أن الخبر الذي تدور حوله هذه المناقشة يحمل في طياته دعوة لجموع المسلمين على أن يتوبوا إلى بارئهم وأن يستمسكوا بحبله المتين إن هم أرادوا أن يُنتَشلوا من وهدة اضمحلالهم وتخلفهم وأن يفيقوا في الوقت ذاته من التقليد الأعمى لكل ما هو غربي أو أميركي، فالإسلام بشموليته وصلاحه لكل زمان ومكان من شأنه أن يكون أساساً لنظام عالمي جديد تجد فيه جموع البشر حلولاً ناجعة لكل ما يعترضها من عقبات ومشكلات، ويعبّر الأستاذ عباس محمود العقاد في كتابه «الإسلام دعوة عالمية عن هذا المعنى خير تعبير حيث يقول:

«لكن الإسلام وسط بين نظام رأس المال ونظام الشيوعية، ينفي المساوئ عن النظامين معاً، ويأخذ بالمحاسن منها بالقدر الصالح للجماعات، فهو يكره للمسلم أن يكنز الذهب والفضة قناطير مقنطرة، ويحرّم عليه الربا الذي يتيح لأصحاب رؤوس الأموال أن يستغلوا جهود العاملين بغير جهد مفيد، ثم هو يأمر بالزكاة ويسمح بالملك، ويطلق السبيل للمنافسة المشروعة، فلا يقتل في النفوس دواعي السعي والتحصيل. وقواعده الخلقية صالحة لإنشاء الوحدة العالمية، لأنه يساوي بين الأجناس، ولا يرى للأبيض على الأسود فضلاً بغير التقوى، ويعترف للأفراد بالمساواة والحرية، ويجعل الحاكم «إماماً» يُقتدى به ولا يجعله رباً متصرفاً بمشيئته في عباد الله، لأنه يقود العالم كله إلى الخلاص بعد فشل رأس المال، وفشل الشيوعية، وقصور العقائد الروحية الأخرى عن تدارك أحوال المعاش وتدبير الحلول للجماعات الإنسانية في مشكلات الاجتماع والاقتصاد وما يتفرع عنها من مشكلات الأخلاق والآداب». ■

د. عبدالجواد علي النادي ـ مصر

تعقيب

في كلمة العدد ٤٠٥ جمادى الأولى ١٤٢٠هـ من الوعي الإسلامي، تناول المحرر ما تلقاه من رسائل القراء حول ذكرى المولد وعملية الفرز الحضاري،ومع ما ذكره المحرر إلا أنني أحب أن أوضح مشروعية الاحتفال بميلاد النبي ﷺ.

وأقول: إن الاحتفال بمولده ﷺ مستحب لما فيه من إظهار الفرح والسرور بمولد المصطفى ﷺ، وإطعام الطعام، إلى غير ذلك من الأفعال الحسنة كذكر حياته وأخلاقه، والأدوار التي مر بها منذ صغره حتى توفاه الله. واستدل شيخ الإسلام الحافظ بن حجر العسقلاني أن المولد بدعة حسنة بخبر في الصحيحين، أنه ﷺ لما قدم المدينة وجد اليهود يصومون يوم عاشوراء فسألهم فقالوا: «هذا يوم أغرق اللهُ فيه فرعون ونجَّى موسى فنحن نصومه شكراً لله تعالى فقال ﷺ: «أنا أحق بموسى منكم فصامه وأمر بصيامه».

قال شيخ الإسلام «يستفاد منه في فضل الشكر لله تعالى بأنواع العبادات على ما منَّ به في يوم معين من إسداء نعمه أو دفع نقمه ويعاد ذلك في كل سنة في مثل ذلك اليوم»، وأي نعمة أفضل وأعظم من نعمة بروز نبي الرحمة ﷺ في ذلك اليوم.

وذكر الشيخ أحمد بن تيمية ـ رحمه الله ـ في كتابه «اقتضاء الصراط المستقيم» بعد أن ذكر أن محبة النبي ﷺ في اتباعه والاقتداء بهديه وأطال في هذا الكلام إلى أن قال: «فتعظيم المولد واتخاذه موسماً قد يفعله بعض الناس ويكون له فيه أجر عظيم لحسن قصده وتعظيمه لرسول الله ﷺ. ■

صلاح عبدالستار ـ مصر

تابع الندوة : د. عماد الدين عثمان - أ. تمام أحمد

تحت رعاية سمو أمير البلاد

المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية تنظم ندوة

«حقوق المسنين من منظور إسلامي»



● د. يوسف القرضاوي إحدى جلسات المؤتمر

إدراكاً من المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية لقيمة الإنسان وفضله وحقه في التكريم، فقد كرَّست الكثير من ندواتها ومؤتمراتها لبحث ما قد يعرض للإنسان من أمور، وما يعترضه من مشكلات طبية وصحية مستجدة وذلك وفق رؤية إسلامية، واتخذت ذلك محوراً أساسياً من محاور نشاطاتها، وهدفاً سامياً من أهداف إنجازاتها فبحثت حق الجنين في البقاء - وهو في رحم أمه - وكذلك بداية حياة الإنسان ونهايتها، وتدارست ما يعتري جسمه من أمراض وأحداث يحتاج منها لاستبدال عضو بآخر أو غشاء جلدي بدلاً من جلده الذي فقده، أو ما يلم به من داء خطير كالإيدز أو تغيير أو تعديل في جيناته البشرية.

ما يطعمه الإنسان

وتناولت كذلك ما يطعمه هذا الإنسان من المآكل والمشارب والأدوية مما خالطها أو مزج بها من مواد محرمة أو نجسة أو مواد تمس حياته وعافيته جسمياً ونفسياً وروحياً وغير ذلك مما يتصل بالإنسان.

١٩٩٩م عام المسنين

واتساقاً مع ما رسمته المنظمة لنفسها من الاهتمام بالإنسان في صغره وشيخوخته وفي صحته ومرضه تجد لزاماً عليها وانسجاماً مع ما ارتأته الأمم المتحدة من اعتبار العام ١٩٩٩م عاماً للمسنين، أن تعقد هذه اللجنة لاستجلاء حقوق المسنين من منظور إسلامي.

تحت رعاية
صاحب السمو أمير البلاد

عُقدت الندوة تحت رعاية حضرة صاحب السمو الشيخ جابر الأحمد الجابر الصباح أمير دولة الكويت، وشارك فيها الكثير من المنظمات والهيئات وهي: المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة «الايسيسكو»، منظمة الصحة العالمية «المكتب الإقليمي لشرق المتوسط»، مجمع الفقه الإسلامي بجدة والاتحاد العالمي للمنظمات الصحية.

كبار الفقهاء والأطباء والعلماء

وقد اختير للمشاركة في الندوة جمهرة متميزة من كبار الفقهاء والأطباء والعلماء من تخصصات مختلفة وكان من بينهم الدكتور محمد الجار الله وزير الصحة الكويتي، والدكتور محمد الحبيب بن خوجة الأمين العام لمجمع الفقه الإسلامي بجدة، الدكتور عبدالعزيز التويجري المدير العالم للمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، والدكتور حسين الجزائري المدير الإقليمي لمنظمة الصحة العالمية، والدكتور جون براينت رئيس الاتحاد العالمي للمنظمات الطبية، والدكتور عبدالرحمن العوضي رئيس المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية، والدكتور عزالدين إبراهيم، والدكتور صبحي عبدالحكيم، والدكتور صلاح الفيقي، والأستاذ محمد بركات، والدكتور أنطوني دي يونو، والدكتور هشام مخلوف والدكتور عاطف خليفة، والدكتور أحمد الرويح، والدكتور مالك البدري، والأستاذ ايريث هوسكينر، والدكتور حسان حتحوت، والدكتور هيلموت وايجلندر، والدكتور أنور حسن أنجلو، والأستاذ عزام حوري، والدكتور محمد الهواري، والدكتور جون كويلاند، والدكتور مأمون المبيض، والدكتور مالك البدري، والدكتور جوزيف تراوس، والدكتور العربي الكشاط، والدكتور عدنان الشطي، والدكتور إبراهيم بدران، والدكتور جمال زكي، والأستاذة ماري قن، والأستاذة إليزابيث موليين، والدكتور محمد هيثم الخياط، والدكتور نديم عطا إلياس، والشيخ نظامي يعقوبي، والدكتورة صديقة العوضي، والدكتور كمال نجيب، والدكتور عمر زيدان، والدكتور خالد الصالح، والدكتور عبدالله نصيف، والدكتور عبدالله محمد عبدالله، والدكتور محمد عمارة، والدكتور عيسى السعدي، والدكتور ماهر


تحت رعاية حضرة

صاحب السمو الشيخ

جابر الأحمد الجابر الصباح -حفظه الله-

أمير البلاد

تعقد المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية
الندوة الفقهية الطبية الثانية عشرة

«حقوق المسنين من منظور إسلامي»

بالتعاون مع

منظمة الايسيسكو
ومنظمة الصحة العالمية
ومجمع الفقة الإسلامي بجدة
ومنظمة الـ CIOMS

في الفترة من ٩ - ١٢ رجب ١٤٢٠هـ
الموافق ١٨-٢١ أكتوبر ١٩٩٩م

الكويت ١٩٩٩

مهران، والدكتور إحسان بن صالح، والأستاذ عزام حوري، والدكتور غلام رضا أنصاري، والدكتور عبدالرحمن آل محمود، والدكتور علي السيف، والأستاذ خالد سعيد، والدكتور كليان يجانش، والدكتور عصام الشربيني، والدكتور يوسف القرضاوي، والشيخ محمد التشجيري، والمستشار طارق البشري، والدكتور أحمد الحجي الكردي، والأستاذة خولة العتيقي، والدكتور عجيل النشمي، والدكتور عبدالحي العوضي، والدكتور عبدالستار أبو غدة، والدكتورة غادة الحافظ.

تأبين الحكيم «محمد سعيد»

وألقى المستشار عبدالله العيسى عضو مجلس الأمناء باسم المنظمة كلمة تأبين بحق الحكيم محمد سعيد رئيس مؤسسة «همدرد» في باكستان، وعضو مجلس أمناء المنظمة، الذي وافاه الأجل المحتوم باستشهاده في باكستان إثر عدوان آثم استهدفه، وقد تلا محاضرة تذكارية عن السنوات الأخيرة من

تأكيد وتأصيل القيم الدينية التي تحض على البر بالوالدين وتوقير كبار السن

العمر في ضوء الهدي الإسلامي ومعطيات الدراسات العلمية ألقاها الدكتور عز الدين إبراهيم.

أربعة محاور:

ودارت أبحاث الندوة حول أربعة محاور أساسية تمت مناقشتها في إحدى عشرة جلسة علمية وهذه المحاور هي:

المحور الأول: ارتفاع نسبة المسنين في العالم العربي والإسلامي.

المحور الثاني: أمراض الشيخوخة وكيفية توقيها.

المحور الثالث: تقارير بعض الدول الإسلامية عن الخدمات التي تقدم للمسنين.

المحور الرابع: حقوق المسنين.

قتل المرحمة

وعلى هامش الندوة عقدت حلقة نقاش حول قتل المرحمة (EUTHENASIA) تحدث فيها كل من: الدكتور يوسف القرضاوي، والشيخ محمد المختار السلامي، والشيخ محمد مهدي التشجيري، والدكتور جون براينت، والدكتور عصام الشربيني، والدكتور جمال زكي.

واتفق على أن تصدر توصية بمضمون ما توصَّلت إليه حلقة النقاش، تدرج مع التوصيات الخاصة بالندوة.

وقد شكلت لجان فرعية لصياغة التوصيات الخاصة بكل محور من محاور ندوة المسنين، وبعد أن تدارست اللجنة العامة للتوصيات ما توصلت إليه تلك اللجان، انتهت إلى ما يلي:

١ - اتخاذ مختلف التدابير لحفظ صحة المسنين ابتداء من الحياة الجنينية والطفولة، ومواصلة ذلك في المراهقين والبالغين، وتقوية شبكة العلاقات الاجتماعية في الأسرة والمدرسة والحي والمجتمع المحلي، وتقوية صلتهم بالله والتزامهم بتعاليم الدين، ووقايتهم من الممارسات الضارة كالتدخين ومعاقرة المخدرات والمسكرات ومكافحة تلوث البيئة.

٢ - توعية المسنين بما يعزز صحتهم ولاسيما التغذية المتوازنة والنشاط البدني المعقول، وممارسة الهوايات المناسبة والحفاظ على ما أمكن من العلاقات الاجتماعية، والتزكية الروحية التي تقوِّي الإيمان وتنزل السكينة في النفس، وتسعدها بالأنس بالله.

٣ - توفير العناية المناسبة للمسنين على مستوى الرعاية الصحية الأولية والعيادات وسائر مستويات الرعاية الصحية، وتكييف الخدمات الصحية بما يمكنها من أخذ



● الندوة الفقهية الطبية عن حقوق المسنين في المنظور الإسلامي

احتياجات المسنين الخاصة بعين الاعتبار، وتدريب الأطباء الممارسين العاملين على اكتشاف وعلاج الأمراض النفسية والجسدية التي قد تختلف أعراضها في المسنين عنها في الشباب.

٤ ـ ضمان العدالة والمساواة في تقديم الخدمات الصحية إلى المسنين رجالاً ونساء، والعمل على إنشاء نظام شامل للتأمين الصحي والاجتماعي يغطي مختلف قطاعات المسنين بمن فيهم المزارعون والحرفيون وصغار الكسبة، ممن لا تغطيهم نظم التأمين القائمة.

٥ ـ تشجيع إجراء وتمويل البحوث الموضوعية، والميدانية حول صحة المسنين الجسمية والنفسية وجمع كل ما يتعلق بممارساتهم ومشكلاتهم الصحية من معلومات، وتحليل هذه المعلومات، ووضعها تحت أنظار أصحاب القرار السياسي لمساعدتهم على اتخاذ القرارات وسنّ القوانين المناسبة في شأن رعاية المسنين.

٦ ـ اهتمام وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية بصحة المسنين، وتقديم التوعية المناسبة لهم ولأسرهم ولاسيما في ما يتصل بتغذية المسنين ونشاطهم البدني، ووقاية أنفسهم من الحوادث والمخاطر، وتنظيم تناولهم للأدوية، وتخصيص زوايا أو برامج خاصة للترفيه عنهم وتسليتهم.

٧ ـ إدراج مقررات عن صحة المسنين وطب المسنين ورعايتهم في مناهج كليات الطب والتمريض وسائر العلوم الصحية، وإنشاء اختصاص طب المسنين وتمريض المسنين في مختلف المؤسسات التعليمية الصحية.

٨ ـ تأكيد وتأصيل القيم والتعاليم الدينية التي تحض على البر بالوالدين وتوقير كبار السن ولاسيما من خلال تضمين المناهج في مختلف مراحل التعليم العام موضوعات حول التعريف بالمسنين، وإبراز مكانتهم وحقوقهم في الأسرة، وضرورة الوفاء لهم ومعاملتهم بالحسنى والرحمة، وزيارتهم في أماكن تجمعاتهم، وحضّ الطلبة على اتباع السلوك الصحي الذي يضمن لهم أن يبقوا أصحاء في شيخوختهم، وعلى الابتعاد عن التدخين والمخدرات وسائر الممارسات الضارة، وتوعيتهم بكيفية العناية بالمسنين ورعايتهم.

٩ ـ العمل على الاستفادة مما لدى المسنين من ذخيرة حافلة بالتجارب والمعارف، وذلك بإشراكهم قدر الإمكان في تربية الأجيال الصاعدة، واستشارة ذوي الخبرة منهم في الشؤون العامة من قِبَل أصحاب القرار.

توعية السلطات وأصحاب القرار بأهمية المسنين واحتياجاتهم الخاصة

١٠ ـ تعزيز دور الأسرة في رعاية كبار السن فيها، وتقديم التسهيلات والمساعدات الخاصة للأسر التي ترعى كبار السن، والحرص على أن يعيش المسن دوماً في جو عائلي سواء كان ذلك في أسرته الخاصة أو برعاية أسرة أخرى، أو في دار للمسنين تتواصل مع الأسرة ويتوافر فيها الجو العائلي وسائر الشروط التي تحفظ على المسنين كرامتهم وتوفر لهم كل ما يحتاجون إليه من رعاية بدنية ونفسية واجتماعية وروحية، والعمل على توزيع دور المسنين على الأحياء السكنية بحيث تكون كل دار منها نواة تضمن مشاركة نزلائها في أنشطة الحي الاجتماعية والثقافية والدينية.

١١ ـ تشجيع المنظمات الطوعية وغير الحكومية وسائر مؤسسات المجتمع المدني على القيام بدورهم في تقديم الرعاية الصحية والاجتماعية للمسنين رجالاً ونساء، ولاسيما أولئك الذين يتضاءل دور الأسرة في رعايتهم.

١٢ ـ توعية السلطات وأصحاب القرار بأهمية المسنين واحتياجاتهم الخاصة والعمل على استصدار أو استكمال التشريعات الخاصة برعاية المسنين في ضوء أحكام الشريعة الإسلامية، بما في ذلك رفع سن

التقاعد، واستحداث عقوبة على العقوق، ومساعدة غير القادرين على إعالة كبارهم، وإنشاء مجلس أعلى لرعاية المسنين، تُمثَّل فيه جميع الجهات المعنية، وتكون له الصلاحيات المناسبة والموارد الكافية.

١٣ ـ تقديم جميع الامتيازات والتسهيلات المناسبة للمسنين ولاسيما تمتعهم بالأولية في الأماكن العامة، وتخصيص مقاعد خاصة بهم في وسائل النقل العام والحدائق والمسارح والأندية الاجتماعية والثقافية، وتوفير وسائل تيسير حركتهم إن كانوا معاقين أو عاجزين، ومنحهم التخفيضات المناسبة في الرسوم وفي وسائل المواصلات البرية والبحرية والجوية وعضوية الأندية وسائر المؤسسات التي تقدم الخدمات الاجتماعية والترفيهية والرياضية وما إلى ذلك.

١٤ ـ تمكين كبار السن من تحديد احتياجاتهم بأنفسهم وإتاحة الفرص لهم لاستغلال مهاراتهم وخبراتهم التي اكتسبوها في حياتهم استغلالاً كاملاً بما يعود بالفائدة عليهم وعلى المجتمع، وتعزيز روح المبادرة لديهم، وتدريبهم على الاعتماد على أنفسهم، ومساعدتهم على القيام بأنشطة تتناسب ومستوى قدراتهم وإمكاناتهم، وعلى تكوين جمعيات يتولاها المسنون أنفسهم ويثبتون فيها ذواتهم من خلال مشاركتهم الفعَّالة في المجتمع.

١٥ ـ قيام الحكومات بتقييم الآثار المترتبة على التحولات والتغيرات السكانية بشكل مستمر، وأخذها في الاعتبار عند رسم سياسات التنمية الاجتماعية الشاملة، والاهتمام بصورة خاصة بالزيادة الكبيرة المتوقعة في أعداد المسنين ولا سيما النساء، واتخاذ التدابير المناسبة للتكيف مع هذا الوضع المتوقَّع.

تشجيع أهل البر والإحسان على تخصيص أوقات لرعاية المسنين والزَّمْنَى

١٦ ـ استعمال ألفاظ التوقير والاحترام في مخاطبة المسنين أو الإشارة إليهم.

١٧ ـ تهيئة المسن نفسياً قبل إحالته إلى التقاعد بما يجنبه الصدمة النفسية التي يمكن أن تواجهه من جراء العزلة والفراغ.

١٨ ـ تشجيع أهل البر والإحسان على تخصيص أوقاف لرعاية المسنين والزَّمنى.

١٩ ـ دعوة المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية إلى العمل على إصدار كتاب في «أحكام المسنين»، يشتمل على أحكام العبادات والمعاملات وسائر الأحكام الشرعية المتعلقة بكبار السن.

٢٠ ـ دعوة منظمة المؤتمر الإسلامي والمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة بالتعاون مع المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية إلى إصدار وثيقة بحقوق المسنين من منظور إسلامي وإعلانها.

٢١ ـ تشكيل لجنة لمتابعة تنفيذ هذه التوصيات تمثل فيها الجهات القائمة على هذه الندوة.

٢٢ ـ إصدار إعلان يسمى إعلان الكويت حول حقوق المسنين. ■

قتل المرحمه

على الرغم من أن المنظمة بحثت هذا الموضوع في ندوة سابقة، فقد أفردت له جلسة خاصة في هذه الندوة تحدث فيها الأساتذة: يوسف القرضاوي، ومحمد المختار السلامي، ومحمد المهدي التسخيري، وجون براينت، وجمال زكي... ود.عصام الشربيني، كما خصص وقت سخي للمداخلات والنقاش. وذلك لأن الموضوع زادت الدعوة إليه في بعض بلاد الغرب، في عالمنا الذي طوت الاتصالات أبعاده، والذي يتعرض فيه دارسونا في الغرب لتبشير ثقافي جديد، وتضم العمالة الطبية في بعض البلاد الإسلامية مزيداً من غير المؤمنين بالديانات السماوية أو الملتزمين بها.

وتؤكد الندوة من جديد أن موضوع قتل المرحمة مناف للإسلام مهما تغيَّرت أسماؤه «الموت بكرامة مثلاً» أو تشكلت وسائله من تدخل طبي مباشر أو تهيئة الأمر من قِبَلِ الطبيب ليقتل المريض نفسه.

ويستوي في ذلك التدخل الإيجابي والتدخل السلبي بحجب العلاج عن المريض إن كان ذلك بنية قتله. حتى لو طلب المريض أو آله ذلك.

على أن العلاج المقطوع بعدم جدواه ليس واجباً، فيمكن سحب الإجراءات العلاجية أو وقفها، على أن تبقى للمريض حقوقه الإنسانية العامة من الري والتغذية والتمريض والراحة من الألم.

وفي الختام رفع المشاركون في الندوة أسمى آيات الشكر والعرفان إلى حضرة صاحب السمو الشيخ جابر الأحمد الجابر الصباح أمير البلاد حفظه الله لرعاية سموه للندوة ودعمه الدائم والمستمر للمنظمة الإسلامية للعلوم الطبية.

كما تقدموا بخالص الشكر إلى سمو الشيخ سعد العبدالله السالم الصباح ولي العهد رئيس مجلس الوزراء على دعم سموه للمنظمة ويتقدمون بجزيل الشكر إلى معالي الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح النائب الأول لرئيس مجلس الوزراء وزير الخارجية وللحكومة الكويتية الرشيدة والشعب الكويتي الكريم على حسن الرفادة وكريم الضيافة داعين المولى جلت قدرته أن يحفظ الكويت وشعبها من كل مكروه في ظل حضرة صاحب السمو أمير البلاد، وأن يرحم شهداءنا ويفك قيد أسرانا إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وفوَّض المشاركون معالي الدكتور عبدالرحمن عبدالله العوضي رئيس المنظمة لرفع برقيات شكر وامتنان لحضرة صاحب السمو الشيخ جابر الأحمد الجابر الصباح أمير البلاد وإلى سمو الشيخ سعد العبدالله السالم الصباح ولي العهد رئيس مجلس الوزراء وإلى معالي الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح النائب الأول لرئيس مجلس الوزراء وزير الخارجية وإلى معالي وزير الصحة الدكتور محمد الجارالله. ■

استطلاع

بقلم: خالد ساير العتيبي

جهود جبارة ونوعية حافظت على كيان المجتمع البوسني المسلم

لجنة العالم الإسلامي تاج العمل الخيري


● مسجد حديث في سراييغو



● مكتبة سراييغو القديمة التاريخية

يعتبر العمل الخيري الكويتي صناعة وطنية تستحق التقدير والرعاية، وأينما يممت متوجهاً في بقاع المعمورة فإنك ومن دون شك سوف يقع نظرك على مشاريع الخير الكويتية، التي تبعث في النفس الارتياح، لما تتركه من أثر طيب في نفوس الملايين من المسلمين، الذين لا يفترون عن الدعاء لأهل الكويت على حسن صنيعهم في مد يد العون دون تردد أو تخلف سواء في الملمات «أي وقت حدوث الكوارث أو عند الرخاء عندما يفتقر المسلمون إلى أبسط حاجات الحياة»، وكل مطلع على العمل الخيري الكويتي أو من تسنح له الفرصة الاطلاع على مشاريعه فإنه يلحظ مزايا ونتائج طيبة تدل على توافر مقومات النجاح في العمل.

وعند تحديد بقعة جغرافية بعينها مثل «البوسنة والهرسك»، فإن المنصف يستطيع وبكل تجرد أن يصنف مؤسسات العمل الخيري الكويتي في مقدم المؤسسات الإنسانية العالمية التي استطاعت إبان الحرب وبعدها تحقيق جهود جبارة ونوعية حافظت على كيان المجتمع البوسني المسلم، وقد توجهت جهود اللجان الكويتية لتأهيل المجتمع البوسني وتحقيق الاكتفاء الذاتي له.

لذا يرى المتابع للعمل الخيري الكويتي، أنه سفير الأمة الإسلامية فضلاً عن كونه سفيراً فوق العادة لدولة الكويت، لما يتصف به من مزايا تجعله رائد العمل الخيري الكويتي.

أسلوب مميز

لجنة العالم الإسلامي «أسلوب مميز في العمل الخيري» فشعار التحدي الذي اختارته اللجنة هو تجسيد لواقع تمارسه اللجنة، في أبهى صوره، اعتبر نفسي من القلائل المحظوظين الذين أتيحت لهم الفرصة، للاطلاع على فخر الصناعة الكويتية في مجال العمل الخيري، فقد رأيت بالمعاينة عن قرب المشاريع المؤسسية التنموية التي قامت بها اللجنة في دولة البوسنة والهرسك منذ العام ١٩٩٢م وحتى يومنا هذا، وبعد المشاهدة والاطلاع على الأدبيات الخاصة باللجنة وعلى ضوء المقابلات الشخصية أستطيع أن أقول: إن جهود اللجنة المميزة قد مرت منذ تاريخ بدء الحرب العام ١٩٩٢م وحتى يومنا هذا بمراحل عدة:

● **المرحلة الأولى العمل الإغاثي:**

اقتضت ظروف الحرب أن تباشر اللجنة عملها في إغاثة البوسنيين المسلمين فانطلقت جهودها من الأراضي الكرواتية وبالتحديد في منطقة «سبليت» في إيواء المهاجرين بالخارج... لذا كان جهد اللجنة منصباً في هذه المرحلة على الإغاثة بكل أشكالها وصورها للمهاجرين، وقد وفقت في تحقيق نتائج كبيرة حيث خففت من معاناة المسلمين هناك، بالإضافة إلى العناية الخاصة بتعليم وتحفيظ القرآن الكريم وترجمة وطباعة الكتب الإسلامية لتوزيعها على المسلمين البوسنيين في الداخل والخارج.

● **المرحلة الثانية تقديم المساعدات الاجتماعية والصحية:**

وهي مرحلة مهمة جاءت بعدما تفاقمت الأزمة، نظراً لزيارة المهاجرين وكثرة سقوط الشهداء في صفوف البوسنيين، حيث بادرت اللجنة إلى ترسيخ نظامها في الداخل عن طريق تقديم المعونات المادية المستمرة والمقطوعة ليتوافر الأمن النفسي والاجتماعي للأسرة البوسنية، فقامت بإنشاء المراكز الصحية ووفرت الأدوية للمقيمين في الداخل، مع الاهتمام بإنشاء حلقات تحفيظ القرآن الكريم وتعليم اللغة العربية لهم.

● **المرحلة الثالثة تحقيق الاكتفاء الذاتي:**

استمرت اللجنة في عملها الإغاثي وتقديم المعونات الاجتماعية والصحية، وأضافت إليه خطوة مهمة وبخاصة على مستوى الداخل



● مسجد فرهد بيك

عندما انقطعت كل سبل الاتصال وفي ظل ارتفاع أسعار المواد الغذائية الرئيسة، قامت اللجنة بتوجيه اهتمام البوسنيين لممارسة دورهم في تحقيق اكتفاء ذاتي، وذلك تحسباً لتعقد واشتداد الظروف من جانب، ومن جانب آخر الاستعداد لأي احتمالات في إطالة زمن الحرب، وبالفعل بدأت اللجنة بالتعاون مع الهيئات المحلية الحكومية بإعداد مشاريع زراعية للمواد الغذائية الأساسية، ومشاريع للرعاية الحيوانية «الأرانب» وبطرق علمية يمكن من خلالها توافر غذاء جيد ووفير للسكان ومن دون تكلفة مالية.

● **المرحلة الرابعة المشاريع التنموية:**

أي مرحلة ما بعد الحرب، فقد اعتبرت اللجنة الخيار التنموي والنوعي في المشاريع هو المسار الاستراتيجي الذي يكفل استمرار الجهود التي تهدف إلى الحفاظ على الهوية الإسلامية للمجتمع البوسني، وقد ركزت هذه المشاريع على صناعة الإنسان البوسني القادر على تجاوز تبعات الحرب عن طريق تأهيله دينياً ونفسياً واجتماعياً وثقافياً ومهنياً، وذلك بإقامة مشاريع تعليمية ومهنية وصحية، كما أضيفت لها مشاريع استثمارية تكفل فرص عمل للبوسنيين وللإسهام في إعمار الدولة، لضمان موارد مالية تغطي التكلفة التشغيلية للمشاريع مع إيرادات ربحية تساعد على التوسع في مشاريع تنموية أخرى.

مقومات النجاح في لجنة العالم الإسلامي:

حسب تقديري الشخصي وبعد الاطلاع المباشر على مشاريع اللجنة، وما لمسته من نجاحات وإعجاب واستحسان في الأوساط الرسمية والأهلية، ومن خلال المقابلات الشخصية مع كثير من الشخصيات البوسنية، سواء في شكل مقابلات مبرمجة أو عفوية أستطيع إيجاز مقومات النجاح لمشاريع لجنة العالم الإسلامي في أمرين هما:

١ ـ جهاز العاملين «المديرون ـ المشرفون ـ المنفذون».

٢ ـ مرتكزات أساليب العمل «الاستراتيجية ـ المشاريع ـ التقييم والمتابعة ـ العلاقات».

● **أولاً: جهاز العاملين :**

يمتاز جهاز العاملين في اللجنة بمواصفات أسهمت بشكل كبير في تحقيق النجاحات الملموسة والتي أدركها الشعب البوسني قبل غيره.

١ ـ الإخلاص وصدق القائمين على المشاريع.

٢ ـ التحلي بالقيم الإسلامية القادرة على

عكس صورة إيجابية عن الإسلام والمسلمين.

٣ ـ الشعور بالتبعة الثقيلة على عاتقهم تجاه قضايا الأمة الإسلامية.

٤ ـ العلم والدراية بكل أبعاد العمل الخيري الإنساني والدعوي.

٥ ـ القدرة على التخطيط السليم مع الاعتبار لأهمية التنفيذ المناسب.

٦ ـ التفكير الدائم والدؤوب في استحداث أساليب جديدة للعمل وابتكار مشاريع متطورة.

٧ ـ الحرص على تكوين علاقات نوعية وعلى كل مستوى يدعمها والتي منها: إتقان اللغة المحلية واستيعاب البيئة المجتمعية للشعب البوسني بكل معطياته الدينية والتاريخية والسياسية والثقافية والاقتصادية والاجتماعية.



● جانب من الدمار الذي إصاب سراييفو إبان الحرب التي شنها المعتدون الصرب

● ثانياً: مرتكزات أساليب العمل :

وبعدما أشرنا إلى المواصفات التي تحلى بها القائمون على العمل، صار من بدهيات الأمر أن تنتج لنا مشاريع نوعية مميزة، تظهر في شكل أساليب وطُرح عمل متطورة مبنية على مرتكزات سليمة، ومن تلك المرتكزات:

١ ـ وضوح الاستراتيجية القائمة على ضمانات تحقق الاستقرار والديمومة للعمل.

٢ ـ التنوع في مشاريع العمل التي تكفل تنوع الشرائح المستفيدة من العمل.

٣ ـ التركيز على المشاريع التنموية التي تسهم في صناعة الإنسان القادر على تحقيق الاكتفاء الذاتي.

٤ ـ تنوع مناطق العمل ما يعني انتفاء الانتقائية في تحديد المستفيدين من المشاريع.

٥ ـ اقتران عملية الإنجاز بإجراءات تقييمية تقويمية لأساليب العمل.

٦ ـ تكوين شبكة من العلاقات الرسمية والأهلية مع جميع المؤسسات ومن دون تصنيف واستثمارها لخدمة المشاريع الخيرية.

المشاريع التي تمت زيارتها

- زيارة مستوصف «سناسا» التخصصي.
- زيارة مشغل وروضة القناعة.
- زيارة منازل أسر الشهداء «دار الأرقم».
- زيارة مركز الأمل والنور.
- زيارة مطبعة ال «سي بي يو» CPU.
- زيارة المراكز الصحية «جولة سريعة».

● زيارة مستوصف «سناسا» التخصصي :

وهو عبارة عن مركز صحي تخصصي يقدم خدمة صحية في مجال علاج العيون، الأسنان وكذلك تشخيص الأمراض الباطنية، تخطيط القلب، إجراء تحاليل طبية، ويستخدم فيه علاج الليزر، وهي أجهزة طبية حديثة «صناعة ألمانية»، وعلى الرغم من توافر أحدث الأجهزة، وإشراف فريق طبي عالي المستوى صاحب خبرة، فإن أسعار تقديم الخدمة الطبية زهيدة نسبياً.

وقد استقبلنا في هذه الزيارة الدكتور أبو ذر إدريس الهادي المدير العام للمستوصف الذي قام باطلاعنا على مرافق المستوصف وتعريفنا بالعاملين فيه، وشرح لنا أسلوب الإدارة المتبع في المستوصف.

● زيارة المشغل النسائي:

بعد نجاح التجربة البسيطة للجنة في إيجاد مشغل صغير لعدد محدود من النساء، وهن زوجات الشهداء، قامت اللجنة في توسيع نطاق التجربة ببناء وإعداد مشغل نسائي ذو



● في مقر فرع الجمعية الإسلامية

كفاءة عالية بقصد توافر فرص عمل شريفة لهؤلاء النسوة يحقق لهن الاكتفاء الذاتي، كما يعتبر مجال مناسب لتعليمهن مبادئ الإسلام ورعايتهن اجتماعياً ونفسياً، ومن دلائل نجاح المشروع هو زيادة طلبات الالتحاق بالمشغل، علماً بأن السعة الاستيعابية للمشغل في بداية التشغيل هي ٦٠ عاملة في الفترة الواحدة التي تستمر ٦ ساعات، مع الحرص على فتح التسجيل للفترة الثانية في المستقبل القريب، وقد وُفقت اللجنة عن طريق علاقاتها المميزة مع الجهات الرسمية لإيجاد موقع مناسب جداً لإقامة المشروع حيث يتوسط منطقة مأهولة بالسكان.

وقد أطلعنا الأخ وليد عز الدين على المشروع وأهدافه، وأجرى لنا جولة على المرافق المتعددة للمشروع، وأوضح لنا أن المشروع في مراحله النهائية إلا أنه يحتاج إلى بعض الدعم لإتمامه.

● زيارة روضة القناعة:

نظراً لاهتمام لجنة العالم الإسلامي بإقامة المشاريع التنموية توجهت اللجنة لإنشاء رياض للأطفال إحداها روضة القناعة التي نحن بصددها الآن وقد أنشئت الروضة في وسط منطقة سكنية، حيث صُممت بشكل حديث يتناسب والشريحة العمرية ما يساعد على تحقيق الأهداف التربوية، كما تم اختيار هيئة تربوية لديها خبرة تعليمية، واللافت للنظر المنهج المعد بشكل جيد في الرياض التابعة للجنة، حيث شمولية المناهج التي تهتم بالعقيدة الإسلامية والأخلاق الإسلامية، كما تراعى الاحتياجات الاجتماعية والنفسية والمهنية للمرحلة العمرية، وتخصص رعاية خاصة لهيئة التدريس وأولياء الأمور. وتتسع الروضة لـ١٢٠ طفلاً، علماً بأن الأعداد على قائمة الانتظار تجاوزت الأعداد المسجلة، وشاهدنا في أثناء الزيارة الأثاث الخاص بالروضة، وقد قام الأستاذ أحمد سهيلي بشرح تفاصيل المشروع، وأوضح لنا الإمكانات المتاحة في المشروع، كما أوضح لنا أن المشروع في مرحلته النهائية وسيبدأ التدريس به في بداية العام الدراسي ١٩٩٩ - ٢٠٠٠م، إلا أنه يحتاج إلى بعض الدعم لإتمام الخطوة الأخيرة.

● زيارة منازل أسر الشهداء «دار الأرقم»:



● داخل أحد فصول مركز الأمل والنور

هذا المشروع في طور الإنشاء وفي منتصف مراحله، وهو عبارة عن ٩ «بلوكات» مؤلف من ثلاثة أدوار كل دور يوجد فيه شقة واحدة مكونة من غرفة نوم وصالة ومطبخ وحمام في مساحة ٦٠ متراً مربعاً ويقدر لها أن تستوعب أسرة شهيد «زوجة وثلاث أطفال على أكثر تقدير»، كما يوجد أمام المشروع مسجد كبير في طور البناء ومرفق بالمسجد غرف عدة مخصصة لتقديم برنامج إيماني وتربوي واجتماعي لزوجات الشهداء وأبنائهم.

وقد قام الدكتور طه شنان مدير مكتب لجنة العالم الإسلامي بالبوسنة باطلاعنا على المشروع وأهدافه ومرافقه المتعددة، كما رافقنا في الزيارة الدكتور حسين ميزان الكندري في الكويت.

● زيارة مركز الأمل والنور:

هذه المراكز عبارة عن روضة للأطفال، يلتحق بها سنوياً ١٢٠ طفلاً، وقد بدأت في سنتها الأولى من دون رسوم، ونظراً للإقبال المتزايد عليها فقد خصصت رسوم رمزية في السنة الثانية، وهي الآن في سنتها الثالثة

موقع على الإنترنت لإدارة الإعلام الديني

تستعد إدارة الإعلام الديني في وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية لتدشين موقع خاص بها على شبكة الإنترنت حتى يمكن الاستفادة من رسالة الإعلام الديني بشكلها الصحيح.

وقال خالد ساير العتيبي مدير الإدارة: إن الموقع الجديد سيضمن التعريف برسالة واختصاصات وبرامج وأنشطة إدارة الإعلام الديني وكذلك الاستراتيجية الإعلامية للإعلام الديني الهادف في بناء وترسيخ الهوية الإسلامية والعربية للإعلام.

وأضاف العتيبي أن إدارة الإعلام الديني ستطرح من خلال هذا الموقع قضايا إعلامية مهمة ومتعددة يدور حولها الحوار مع مشتركي هذه الشبكة، مشيراً إلى أن الموقع سيتضمن مواد فيديو واوديو صوتية ومرئية متضمنة أهم البرامج التي أعدتها إدارة الإعلام الديني في الفترة السابقة.

وقد زادت الرسوم قليلاً لتحقيق أهداف عدة، تحسين مستوى التعليم، تخفيف العبء المتزايد من جراء الطلب على التسجيل، ويمتاز المركز ببرنامجه التربوي الراقي والحديث، كما يهتم المركز بهيئة التدريس، حيث يقدم برنامجاً إرشادياً عن الثقافة الإسلامية للأطفال، وقد توسعت دائرة الاهتمام لتشمل أولياء أمور الأطفال، فتم تخصيص لقاء شهري مع أولياء الأمور لسماع ملاحظاتهم، ويستثمر اللقاء لتوجيه الوعظ والإرشاد نظراً لحاجتهم الماسة لذلك، وقد أبدى الأولياء استحسانهم الكبير لهذه الخطوة المباركة، ومبنى المركز يتكون من ثلاثة أدوار ويشتمل على ٦ فصول، كل فصل فيه ٢٠ طفلاً، وتم تخصيص مركز للحاسب الآلي الذي سيقدم الخدمة للروضة وهناك دورات تدريبية على الحاسب الآلي للراغبين، ومن ضمن مرافق المركز مطبخ مركزي يقدم ثلاث وجبات، وتوجد ساحة كبيرة للألعاب خارج المركز، ومكان المركز يقع في منطقة مطلة على النهر الذي يقسم مدينة «سراييفو» إلى نصفين.

● زيارة مطبعة C P U

وهي مطبعة للقطاع الخاص قامت اللجنة بشراء نسبة من أسهمها، علماً بأن الحكومة البوسنية لديها أسهم في هذه المطبعة، وينتظر لها زيارة كبيرة في تشغيلها وتطويرها كما يتوقع لها توفير إيرادات كبيرة، وتهدف اللجنة من هذا الإسهام إلى تحقيق أهداف عدة:

١ - الإسهام في إعمار البوسنة.

٢ - إيجاد فرص عمل للمسلمين البوسنيين.

٣ - توفير موارد مالية للجنة في البوسنة لدعم المشاريع القائمة هناك.

٤ - والتوسع في الخطة التنموية للمشاريع.

وبفضل الله سبحانه وتعالى ثم جهد القائمين على المطبعة فإنها حازت على وكالة مطبوعات كوكاكولا في البوسنة، وهي في زيادة مطردة في التشغيل.

وقد استقبلنا الأستاذ فريد بشار يفتيش مدير المطبعة، الذي شرح لنا الصعوبات الكبيرة التي واجهتها المطبعة في إعادة تشغيلها نتيجة الدمار الكبير الذي لحقها من جراء الحرب، ثم أعد لنا جولة سريعة في المرافق التابعة للمطبعة، وقد كان برفقتي الدكتور طه شنان... مدير مكتب لجنة العالم الإسلامي في البوسنة.



● العاملون في المركز الصحي في ستاسا

● زيارة المراكز الصحية:

المراكز الصحية: عبارة عن مراكز صحية عدة يتراوح عددها بين «مركزين» وصيدلية، وهي تعتبر من المشروعات الأولى التي باشرت اللجنة تنفيذها في البوسنة، حيث بدأت في تقديم الخدمة الصحية لأهالي البوسنة في الداخل منذ بداية الحرب، وهي مستمرة في تقديم خدمتها حتى الآن، وتحرص اللجنة على تطوير وتوسيع خدماتها، لتشمل أكبر عدد ممكن من أهالي البوسنة وبالأخص مدينة سراييفو.

كان عدد العيادات في أثناء الحرب عيادة تخصصية واحدة، إضافة إلى عدد ٣ صيدليات وعدد ٧ عيادات أسنان وعيادتين للنساء والولادة.

● زيارة مقر المشيخة ودار الافتاء بالجمعية الإسلامية

قمنا بزيارة مقر الجمعية الإسلامية في سراييفو برفقة د.طه شنان مدير مكتب لجنة العالم الإسلامي في سراييفو، وقد كان في استقبالنا الأستاذ محرم نائب رئيس الجمعية الإسلامية، حيث قام بإيضاح جهود الجمعية الإسلامية في الحفاظ على الهوية الإسلامية للشعب البوسني، كما عرض علينا المناهج التربوية المعدة من قِبَل الجمعية، والتي تعتبر منهجاً دراسياً ملزماً على مستوى المراحل التعليمية المختلفة، كما أطلعنا على الإنتاج الإعلامي التربوي للجمعية الإسلامية والذي أنتج في وسائل متعددة.

● زيارة التلفاز البوشناقي «راديو الحياة سابقاً»:

وتعتبر هذه الزيارة فرصة للاطلاع على الجهود الجبارة التي قام بها المشرفون على هذا الجهاز الإعلامي في أثناء الحرب، ثم المراحل التي جاءت بعد الحرب، من تطوير وتأهيل وتنمية، حتى أصبح جهازا إعلاميا مؤثرا يسهم بشكل أساسي في ترسيخ الهوية الإسلامية للشعب البوسني، وقد كان في استقبالنا نائب المدير العام لمحطة تلفاز وإذاعة البوشناق بالإضافة لعضو الجمعية العمومية في المحطة الإعلامية.

ملاحظة

نظراً لضيق فترة الإقامة في البوسنة وارتباطي بزيارة شخصية لمدينة «ليفنو» التي تبعد ٤ ساعات عن مدينة «سراييفو» لم استطع الاطلاع على بقية مشاريع لجنة العالم الإسلامي في مدينة «سراييفو» وهي أكثر من أن تحصى، وبقية المشاريع الفرعية والتنموية في مدينة «توزلا» ومدينة «بيهاتش». ■

بقلم: وائل أحمد الهنيدي

شعبان

في مثل هذا الشهر من العام الثاني للهجرة، وبعد خمسة عشر عاماً من بعث رسول الله ﷺ وثبات عقيدة التوحيد المطلق لله تبارك وتعالى، وبعد أن أفاض هذا التوحيد استسلاماً تاماً خالصاً لله جل وعلا نزل الأمر من الله بتحويل القبلة إلى الكعبة المشرّفة التي كانت حينها في أرض يحيط بها الأصنام، ويحج إليها المشركون في كل عام، على الصورة المشوهة التي كانوا يتمثلونها.

ورب سائل يسأل، ما فائدة التحول من مكان إلى آخر والله سبحانه وتعالى يقول: (ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثمَّ وجه الله) البقرة:١١٥.

وما الذي يميّز الكعبة عن غيرها من بقاع الأرض، وما السرُّ وراء اختيار الكعبة تحديداً ولم تكن حينها بحال أفضل من بيت المقدس الذي كان المسلمون يتوجهون إليه من قبل؟

أسئلة كثيرة من الممكن أن تسبب شروخاً عظيمة في الدين والعقيدة لو أثيرت على نفوس لم يكن الدين الحق والتسليم المطلق الأصل في التزامها منهج الحق.

الأصل الوحيد في استقبال بيت المقدس هو الامتثال لأمر الله تبارك وتعالى، وهو السبب ذاته في تحول القبلة إلى الكعبة المشرّفة، إنه القبول دون أدنى درجة من درجات الشك أو التردد في تتبع ما يرضي الله، علمنا الحكمة منه أم لم نَعْلَمها، وبهذا الالتزام سبق من سبق وفاز من فاز وخسر من خسر.

إلا أن التفكر في هذه الحكمة مما يزيد في إيمان المؤمن، فإذا علمنا أن أصل العبادة هو الاستسلام لكل أوامر الله والابتعاد عن نواهيه، فإن بركة هذا الالتزام تفيض على قلوبنا - مع كثرة التفكر - إيماناً يقينياً بأن الإسلام هو - وحده - الدين الحق.

إذا ما تأملنا توجه الرسول - ﷺ - إلى بيت المقدس، وجدنا ما يدل على أن الإسلام هو دين جميع الأنبياء، إذ لا دين غيره من لدن آدم عليه السلام وحتى محمد - ﷺ - وما صلاة الرسول - ﷺ - بالأنبياء ليلة الإسراء إلا تأكيداً لهذا الرابط، الذي يدور الناس حوله اليوم بصورة مشوهة تحت أسماء: «التسامح الديني»، و«توحيد الأديان»، وكأن الدين نظام اتفق على صحته جمع من الناس خلال فترة من الفترات، وطوروا له طقوساً وخزعبلات توارثوها ونقّحوها وأضافوا عليها على مرّ الأزمان حتى أصبح لها هذا الانتشار!.

ليس الإسلام مذهباً فلسفياً، ولا نظاماً فريداً بيده عصىً سحرية يحوّل كل شيء يلمسه إلى «إسلامي» و«غير إسلامي» وليس الإسلام فئة من فئات الناس جاءت لشد الناس إلى إشكالية «مع» أو «ضد» في مجتمع يشهد لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، وليس الإسلام تياراً مضاداً يحمل في طياته من عماهة التوجه ورعونة الاختيار ما يجعله كسائر المذاهب الدنيوية الأخرى.

إن الإسلام نزل - أول ما نزل - ليصحح انحراف الفطرة وينقّيها من شوائب الجاهلية، فيخرجها من ظلمات الباطل إلى نور الحق، فيحارب كل باطل بما يناسبه ويبعده ويقصيه، سواء صدر عن من شهدوا بشهادة الحق من اتباعه أو غيرهم ويقرّب كل حق ويدعمه ويقويه حتى لو كان هذا الحق عند من لم يستجيبوا لنداء السماء.

وما أقوال وأفعال الرسول - ﷺ - إلا شاهد هذا التوجه وتمثلٌ خالصٌ نقيٌ لصورة هذا الدين الحق. الحق وكل ما عداه باطل.

ويجدر بنا أن نتنبه إلى حقيقة على درجة عالية من الخطورة، قد تغيب عن أذهاننا، وهي حقيقة الدعوة إلى الله، ما هدفها، هل تهدف إلى تمييز الناس وتصنيفهم؟ أم إلى شدهم - بطريق القسر - إلى القيام بواجبات الدين وفروضه؟ أم هي عرض الدين على أنه المخلّص، والنظرية الفريدة في تفسير الكون أم.... أم... إلخ.

إن الدعوة التي يشير إليها القرآن، وينبه المسلمين للقيام بها إنما هي تعريف الإنسان بذاته وتعريفه بعلاقته مع الكون من حوله، في ظل معرفة الله تبارك وتعالى، تعريفه بربه الرازق الخالق المهيمن المدبّر المقتدر، وربطه في مقام العبودية بهذا الإله الواحد في استسلام تام خاص وخالص لكل ما يأمر به، والانتهاء عن كل ما ينهى عنه.

فهدف الدعوة الأوحد هو تتبع ما يرضي الله والابتعاد عن كل ما ينهىٰ عنه خوفاً من سخطه جلّ وعلا.

ويكفي أن تقرأ - أخي الكريم - سورة الفاتحة قراءة متأنية دقيقة لتقفز لك هذه الصورة - دون سواها - لفهم حقيقة الألوهية والربوبية وعلاقة الإنسان اتباعاً للحق وبعداً عن غضب الله، وطلباً للهداية والبعد عن الضلال.

الإسلام دين الحق وكل ما عداه باطل، ومهما حاولنا وأجهدنا أنفسنا لبيان غير هذه الحقيقة الواحدة، نكون بحاجة إلى وقفة صافية مع ذواتنا لنصحح مسارها، ونعيدها إلى جادة الصواب، صراط الله المستقيم. ■

المراجع:

١ - الرحيق المختوم - صفي الدين المباركفوري، ص ١٩٢.

حوار: مصطفى أحمد خليفة

الأمين العام للاتحاد الإسلامي لمسلمي أمريكا الشمالية لـ الوعي الإسلامي

باعتراف الرئيس الأمريكي: الإسلام أسرع الأديان انتشاراً في أمريكا

أكد الدكتور أحمد الحطاب الأمين العام المساعد للاتحاد الإسلامي لمسلمي أمريكا الشمالية أن المنظمات والمؤسسات الإسلامية في أمريكا قامت خلال الأربعين عاماً الماضية، بجهود جبارة في خدمة الإسلام فوق التربة الأمريكية، واستطاعت خلال هذه الفترة أن تقدم الإسلام في صورته الوضاءة المشرقة، حيث أقنعت الأمريكيين بسماحة الإسلام وعدله، ونفت عنه تهم العنف والإرهاب، وذلك من خلال سلوك أعضائها الإسلامي اليومي الذي يتسم بالالتزام بقيم ومبادئ الإسلام السامية.

وقال الدكتور الحطاب خلال حوار صحفي لـ«الوعي الإسلامي» ان الاتحاد يضع في بؤرة اهتماماته توحيد الصف الإسلامي في أمريكا، ويحاول إحياء الوحدة الإسلامية في نفوس المسلمين، ويسعى جاهداً من خلال برامج متعددة أن يرقى بالمسلمين فوق كل العصبيات والفوارق.

وقال. في معرض إجابته عن سؤال حول التحديات التي يتعرض لها المسلم في ظل الثقافة الأمريكية. إن هناك تحديات وتيارات خطيرة يعيش المسلم في بوتقتها، ولم ينج من آثارها السلبية إلا من استعصم بالله، والتزم بكتابه، وبسنة رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم، وقال إن هناك كثيرين جرفتهم هذه الثقافة، ولكن هناك أيضاً نماذج قهرت كل هذه التحديات وخرجت بإسلامها في فخر وإعزاز، وقال إن الأسر الأمريكية بدأت تستشعر افتقادها لقيم الفضيلة والأخلاق، فراحت تلحق أبناءها بالمدارس الإسلامية التي تغرس في نفوس تلاميذها معاني الأخلاق والفضيلة.



● د. أحمد الحطاب

وقال الدكتور الحطاب إن عدد المسلمين الآن في الولايات المتحدة الأمريكية ١٠ ملايين مسلم حسب آخر إحصاء قامت بها أكثر من جهة، وأن المساجد والمراكز الإسلامية في تزايد مستمر، ولا يُقام مسجد أو مركز إسلامي في حي من الأحياء إلا وتقل فيه الجريمة، ويعم السلام والأمن بين أرجائه.

وإلى تفاصيل الحوار... خلال هذه السطور.

١٠ ملايين مسلم أمريكي ينتشرون في أرجاء الولايات المتحدة

توحيد المسلمين الأمريكيين في بؤرة اهتمام الاتحاد الإسلامي



● بداية نود من سيادتكم تعريف القارئ العربي والمسلم عن نشأة الاتحاد الإسلامي لمسلمي أمريكا الشمالية؟

ـ الحديث عن الاتحاد الإسلامي لمسلمي أمريكا الشمالية هو حديث عن هذه الدعوة المباركة التي لا تعرف الحواجز أو المستحيل، وتؤمن أن هذا الإسلام العظيم هو دين الله سبحانه وتعالى الذي ارتضى لعباده الصالحين وتكفل بحفظه وتمكينه وإظهاره على الدين كله، ونؤمن أيضاً أن هذه الرسالة الخالدة هي رسالة عالمية لم يختص بها قوم دون قوم آخرين، ولا أرض دون أخرى، ونتحرك بهذا المفهوم العالمي من منطلق قوله تعالى: (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين)

بدأ الاتحاد في أواخر الخمسينيات وبداية الستينيات، يوم أن استشعر طلاب العلم من أبناء هذه الأمة الذين وفدوا للدراسة، أن الوجود الإسلامي في أمريكا تعرض لسنين طويلة لصور شتى من التزوير وفقدان الهوية وطمس الشخصية الإسلامية، مع هذا الإحساس بهذا التحدي، ومع الحرص على إبقاء مقومات الهوية الإسلامية والاستعصام بدين الله، أنشأوا داخل الجامعات الأمريكية ما كان يسمى وقتذاك بالجمعيات الطلابية الإسلامية، والتي التقت في النهاية مع بعضها البعض، لتنشئ اتحاد الطلبة المسلمين (MAS) والذي بدأ في عام ١٩٦٣م.

هذا الاتحاد، مع تنامي وتعاظم الوجود الإسلامي في أمريكا، ومع انتشار دعوته خارج الحرم الجامعي، ووصولهم إلى الجالية المقيمة في الولايات المختلفة، بل وبدأ يتعامل مع الطلبة الأمريكيين أنفسهم من غير المسلمين، وتبلور في النهاية عام ١٩٨٣م اتحاد إسلامي عام وشامل، ضم إليه مؤسسات ومنظمات مهنية متخصصة مثل الجمعية الطبية (IMA) وجمعية العلماء والمهندسين (AMSE) وغيرهما، فهناك قرابة أربعمائة فرع وهيئة إسلامية تعمل من خلال الاتحاد، ويصل أعضاؤها إلى أكثر من مائة ألف عضو منتشرين في أرجاء الولايات المتحدة، وبالإضافة إلى مؤسسة الوقف الإسلامي التي أنشئت خصيصاً لتواكب هذا النمو المتعاظم والمتزايد في المساجد والمراكز الإسلامية، وتوفر المظلة القانونية الشرعية لمختلف الأنشطة، وهذا الوقف الآن يمتلك أكثر من مائتين وخمسين مسجداً ومركزاً إسلامياً.

توحيد المسلمين في أمريكا الشمالية

● يضع الاتحاد الإسلامي لمسلمي أمريكا الشمالية في بؤرة اهتمامه توحيد الصف الإسلامي في أمريكا، بغض النظر عن انتماءاتهم العرقية أو القومية أو حتى المذهبية، فإلى أي مدى حقق الاتحاد نجاحاً في هذا الجانب؟

ـ نعم، وضع الاتحاد هذه الأولوية من أولوياته الكبرى لتوحيد الصف المسلم في أمريكا، وبالتعاون والتنسيق مع المؤسسات الأخرى التي تلتقي معه في المنطلقات والثوابت والأهداف، نحاول إحياء الوحدة الإسلامية في نفوس المسلمين من منطلق قوله تعالى: (إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون)، فهو يحاول من خلال برامج متعددة أن يحرر المسلمين في أمريكا من أي انتماءات قومية أو حزبية أو غير ذلك، وهو يسعى جاهداً أن يرقى بالمسلمين فوق كل هذه العصبيات والفوارق التي مزقت صفهم سنوات طويلة.

● هل نستطيع القول بأن الجهود التي بذلها الاتحاد الإسلامي في أمريكا الشمالية، جعلت للمسلمين هناك شخصية اجتماعية مستقلة وكياناً خاصاً متميزاً؟

ـ مما لا شك فيه أن الجهود التي بُذلت فوق التربة الأمريكية، جهود ضخمة، كان الاتحاد الإسلامي من أعرقها اتساعاً وأكثرها اتزاناً بفضل الله، ومع الجهود الكثيرة التي تبذل لتحرير الوجود الإسلامي، وتقديم الصورة المشرقة للإسلام، ومع ميلاد مؤسسات إسلامية عدة، والنمو المطرد في المساجد والمراكز الإسلامية، بدأ الوجود الإسلامي في أمريكا الشمالية ينظم نفسه، ويهتم بالبعد الاجتماعي والسياسي، وبدأ ينشئ مؤسسات متخصصة في العمل السياسي، ويمد جسور الحوار مع أصحاب الديانات الأخرى، وأصبحت لغة الخطاب الرسمية من داخل القيادة الأمريكية معتدلة، والرئيس الأمريكي بيل كلينتون ذكر في كلمته الأخيرة أمام الأمم المتحدة، أن الإسلام أسرع الديانات انتشاراً في الولايات المتحدة وفي العالم، كما ذكر أن الإسلام بريء من التهم التي تلصق به من عنف وإرهاب.

مظاهر الإسلام في أمريكا

ويضيف الدكتور الحطاب قائلاً: يسمح الآن للمسلمين العاملين في مكاتب الكونجرس الأمريكي أن يؤدوا الصلاة في مكاتبهم، وقُدِّر لي أن أديت صلاة الجمعة داخل مبنى الكونجرس الأمريكي، في إحدى قاعاته الكبرى، وكان جمهور المصلين الذين شهدوا هذه الجمعة معظمه من الشباب العاملين في الكونجرس، من بينهم مستشارين وإعلاميين واقتصاديين، وغيرهم، ورأيتهم معتزين وفخورين بدينهم، وحريصين على إحياء شعائر دينهم.

وعلى الجانب الآخر، نرى معظم الوحدات العسكرية الآن بها أماكن للصلاة، حيث تجاوز عدد العسكريين المسلمين الذين يعملون في الجيش الأمريكي العشرين ألفاً، كما تم تعيين خمسة أئمة من القادة المسلمين العسكريين داخل الجيش الأمريكي بوحداته المختلفة لرعاية شؤون المسلمين في الجيش

الأمريكي، وكذلك يسمح الآن للمرأة المسلمة بارتداء الحجاب في مكان عملها، أو داخل الجامعة أو في المدارس الحكومية المختلفة، وغير ذلك من مظاهر الاعتراف والإقرار بالدين الإسلامي، حتى أن إدارة السجون الأمريكية عينت قرابة مائتي إمام تدفع رواتبهم لإمامة الصلاة والتعريف بالإسلام، وذلك لأنها أدركت أن سلوك السجين يتغير تماماً إذا داخل في الإسلام والتزم بأخلاقه وسلوكياته، وأسلم خلال الخمسة عشر عاماً الماضية أكثر من ثلاثمائة سجين أمريكي.

● هل معنى ذلك أن صورة الإسلام في أمريكا بدأت تتحسن؟!

- بفضل الله تعالى، بدأت الصورة الطيبة للإسلام الحقيقي تتحسن وبشكل ملحوظ للجميع، ولم تأتِ هذه الصورة من فراغ وإنما جاءت بعد سنوات طويلة من العمل المؤسسي الدؤوب، والذي قامت به المؤسسات الإسلامية المختلفة على الساحة الأمريكية، مع هذا الجهد المتواصل، ومع وجود نماذج إسلامية طيبة، أحسنت التعبير عن القيم والمبادئ الإسلامية الرفيعة، وجسدت أخلاقه الكريمة في سلوكها اليومي، فأكدت للناس سماحة الإسلام، وحسن معاملته وآدابه.

الشباب المسلم والحضارة الغربية

● كثير من الناس يعتقد، أن المسلمين في الغرب بشكل عام، وفي أمريكا بشكل خاص يتعرضون لضغوط وتحديات كبيرة في ظل الثقافة الغربية، ولا سيما لدى الشباب، فما وجهة نظركم في هذه القضية؟

- مما لا شك فيه أننا نعيش في بيئة بعيدة إلى حد كبير عن المنهج الإلهي، في كثير من مظاهرها وأنماطها السلوكية اليومية، وهو تحدٍ ضخم بكل ما تحمل هذه الكلمة من معنى، ويفقد إزاءه بعض المسلمين أبناءهم، الذين لا يستطيعون مقاومة هذا التيار الجارف من الإباحية والعنف وفقدان الثقة بالنفس، والصلة بالله سبحانه وتعالى.

ولكن على الجانب الآخر، هناك نماذج من الشباب استعصمت بحبل الله، ولم تستطع هذه الثقافة بكل ما تحمله من إغراءات في اجتذابهم، بل على العكس ثبتت وتألقت في ظل قيمها الإسلامية، فهناك شباب في المدارس الأمريكية يتفوق على كثير من أقرانه ممن تتوافر لديهم كل الإمكانات، بل إنني أستطيع القول إن هناك نماذج من الشباب المسلم في أمريكا يشاركون في تحسين مستوى التعليم في العديد من المدارس التي يدرسون فيها، فهناك أكثر من ٤٠٠ مدرسة إسلامية نظامية، نجد من بين طلابها طلاب من أسر غير مسلمة، أحس أهلهم أن هذه المدارس، توفر لأبنائهم أسباب الأمن، والالتزام بالقيم والأخلاق، ما لم يتوافر في المدارس الحكومية، حتى أن هذه المدارس على قلة إمكانات بعضها، كانت سبباً في أن تجيء تلميذة من التلاميذ ومعها أمها وخالتها ليعلن إسلامهن في المدرسة، والسبب أثر هذه المدرسة بالتزامها الإسلامي على سلوك البنت، وإحياء قيم الفضيلة الغائبة هناك. ويضيف... هناك لا يقام مسجد أو مركز إسلامي في حي من الأحياء إلا وتقل أو تختفي فيه الجريمة، ويعم الأمن والسلام، وتنتشر في أرجاءه قيم الخير والمحبة الإنسانية، إنما أردت أن أقول، أن مع كل التحديات الأخرى وفقدان من يذوب في الثقافة الإباحية، هناك أيضاً نماذج طيبة ومبشرة بالخير.

الاهتمام بقضايا الشباب

● هل هناك برامج خاصة يضعها الاتحاد الإسلامي لمسلمي أمريكا الشمالية لحماية الشباب المسلم من خطر الذوبان في الثقافة العلمانية؟

- الاتحاد إيماناً منه بخطورة الذوبان، وإيماناً منه أن مستقبل الإسلام في أمريكا مرهون بما يبذله من جهد في تأمين وحماية وتثبيت مقومات ودعائم الشخصية الإسلامية، بدأ يُنشئ من المؤسسات والبرامج ما يعينه على أداء هذا الأمر، ولعله من المناسب أن نذكر على سبيل المثال أن الاتحاد كان يشجع ومازال يحُس المسلمين في أمريكا على الاهتمام بالتعليم الإسلامي، ويشرف من خلال المجلس الأعلى للمدارس الإسلامية التابع له على قرابة المائة مدرسة، وهو يؤمن أن التعليم الإسلامي ركيزة أساسية ومطلب ملح لتأمين الوجود الإسلامي في أمريكا، كذلك أنشأ مؤسسة تُعني بالشبيبة المسلمة وتسمى (MYNA) أو الشبيبة المسلمة لمسلمي أمريكا Moslem Youth of North America وبدأت هذه المؤسسة بعضوية ستين فتى وفتاة، وتجاوزت الآن خمسة آلاف عضو، وتعقد مؤتمراً سنوياً لها، بالإضافة إلى الحلقات والندوات الدورية في المراكز الإسلامية المختلفة، فضلاً عن المخيمات والمعسكرات الشبابية، وهي تمثل مفخرة للوجود الإسلامي للشباب في أمريكا.

كذلك المؤتمرات السنوية التي يعقدها الاتحاد، والتي يحضرها أكثر من عشرين ألف مسلم، تعد برامج خاصة موجهة للشباب، سواء من هم في المرحلة الجامعية، وللاتحاد مؤسسة خاصة تعمل داخل الجامعات الأمريكية، وهو اتحاد الطلبة المسلمين، أو مؤسسة الشبيبة التي تعمل داخل المراحل الثانوية.

كذلك هناك مجلة الشباب الدورية والتي يصدرها الاتحاد باسم «آفاق إسلامية» Islamic Horizons، والذي يوزع منها ٥٠ ألف نسخة من كل عدد، وهي تخاطب الشباب وتتناول قضاياهم، وتحاول أن تنمي لديهم الانتماء لدينهم وهويتهم.

المؤتمر السنوي القادم «الإسلام هدى للناس»

● للاتحاد الإسلامي لمسلمي أمريكا الشمالية دور كبير في تنظيم المؤتمرات الإسلامية والمهنية المتخصصة، ونريد أن تلقي مزيداً من الضوء على أهم المؤتمرات التي نظمها الاتحاد خلال العام الماضي وهذا العام؟

- مما لا شك فيه أن المؤتمرات العلمية المتخصصة أو المؤتمرات العامة، والتي يدعى

لماذا عيَّنت إدارة السجون الأمريكية ٢٠٠ إمام وخطيب مسلم ؟

إليها علماء المسلمين بكل تخصصاتهم، وعلى اختلاف ثقافاتهم ومشاربهم.. هذا النوع من الأنشطة يعمق عند المسلمين انتماءهم ويربطهم ويقربهم بدينهم، بالإضافة إلى تبادل وجهات النظر في القضايا الإسلامية المختلفة ومحاولة إيجاد حلول علمية مدروسة لها، والاتحاد الإسلامي منذ أكثر من خمسة وثلاثين عاماً يسير على هذا النهج، وسوف يعقد مؤتمره السادس والثلاثين في مدينة شيكاغو، في الفترة من ٣ ـ ٦ سبتمبر ١٩٩٩م، ومن المتوقع أن يحضره أكثر من ثلاثين ألف مسلم، سيكون موضوعه «الإسلام هدى للناس»، وكان موضوع المؤتمر السابق «المسلمون من أجل كرامة الإنسان» وحضره ثمانية عشر ألف مسلم ومسلمة. والاتحاد يعقد أيضاً مؤتمرات متخصصة، مثل المؤتمر الأكاديمي العلمي، والذي يدعى إليه الخبراء والكتاب والمفكرون ويسمى «الإسلام في أمريكا»، وقد أتم هذا العام مؤتمره السادس في شهر يوليو، وعقد هذا العام بمدينة كولبس في ولاية أوهايو، وكذلك يعقد مؤتمراً متخصصاً عن المسلمين في السجون الأمريكية، وأيضاً يعقد مؤتمراً عن الاقتصاد الإسلامي وتجربة البنوك الإسلامية، وهناك أيضاً مؤتمر متخصص لإعداد الدعاة والقيادات للمساجد والمراكز الإسلامية في أمريكا.

١٠ ملايين مسلم أمريكي

● من يريد التعرف على عدد المسلمين في أمريكا، يجد أمامه إحصائيات مختلفة ومتباينة، فهناك إحصائية تقول إن عددهم ٦ مليون مسلم، وأخرى تضاعف هذا الرقم، وأخرى تقسمه، فما أسباب هذا التباين والاختلاف برأيكم... ونريد أن نتعرف على العدد الحقيقي للمسلمين في أمريكا؟

ـ يجب أن نعلم بأننا نتحدث عن وجود إسلامي في قارة واسعة مترامية الأطراف، يصعب فيها أن يكون هناك نظام واحد للإحصاء، ومن ناحية أخرى فإن الوجود الإسلامي في أمريكا يمثل أكثر من ٦٥ ـ ٧٠ جنسية مختلفة، فضلاً عن أن تنظيم العمل الإسلامي بأمريكا يعتبر حديث عهد، إذا ما وضعنا في الاعتبار عمره الذي لا يتجاوز الأربعين عاماً أما سبب الاختلاف في الإحصاءات المختلفة فيرجع إلى أن لكل هيئة من الهيئات تقديراتها الخاصة في العدد ومعدلات الزيادة، ولكن نستطيع أن نقول من خلال إحصائيات أقسام التسويق لشركات كبرى تابعة لـ AT&T أو لـ MC أو لشركات التليفون التي ذكرت في أحدث تقاريرها أن عدد المسلمين في أمريكا يناهز ١٠ ملايين مسلم، وهذا الرقم لم نعد نخشى قوله ونتهم بالمبالغة، وكنا قبل ذلك نتحفظ في ذكر عدد المسلمين في أمريكا، ولكن الآن نقول إن ١٠ ملايين مليون مسلم في أمريكا، هو الرقم الحقيقي بلا مبالغة أو نقصان.

● كيف يتعامل العالم العربي والإسلامي مع الغرب، هل يتعامل معه من المنظور نفسه الذي يتعامل به الغرب، باعتبار أنه يتخذ من الحضارة الإسلامية عدواً، أم أن صيغة التعامل تكون بالحوار والمجادلة الحسنة؟

ـ في الحقيقة بعد قرابة ربع قرن قضيتها في أمريكا، أستطيع أن أقول إنه قد آن الأوان أن نتعامل مع الغرب ليس كخصم وعدو، بل كتربة خصبة مهيأة لتتفاعل وتتعامل مع هذا المنهج الرباني الإسلامي، إذا أحسن المسلمون عرضه عليهم. ولابد أن ندرك أن الأرض كلها لله، وأن هذا الإسلام ملك للبشرية أينما وُجِدت، وأن في الولايات المتحدة الأمريكية الآن ١٠ ملايين أمريكي مسلم، وأمريكا بالنسبة لهم وطن وأرض، ولا نستطيع أن ندعي أن هذا العداء الأمريكي سينسحب على الأقليات الموجودة فيها، ويتحول وجودها إلى صراع مع هذه الحضارة ـ أقول وجودنا في هذه الحضارة وجود رحمة، وجسر من جسور الخير تعبر عليه رسالة السماء لتخاطب وتخالط العقل والروح، وتعيد للإنسان صفاءه واتزانه. ولابد أن تتعامل الأقليات المسلمة في أي مكان من العالم من هذا المنطلق، لأن هذه المجتمعات هي أحوج ما تكون إلى الرحمة، وإلى رسالة الإسلام، التي أفاض الله عليها من رحمته والله غالب على أمره.

الإسلام والقرن الحادي والعشرين

● ونحن على أبواب القرن الحادي والعشرين هناك تحديات كبيرة وخطيرة تواجه العالم العربي والإسلامي، فهل تعتقد أن هذه التحديات ستنتهي وتتلاشى، أم أنها ستزداد وتتسع؟

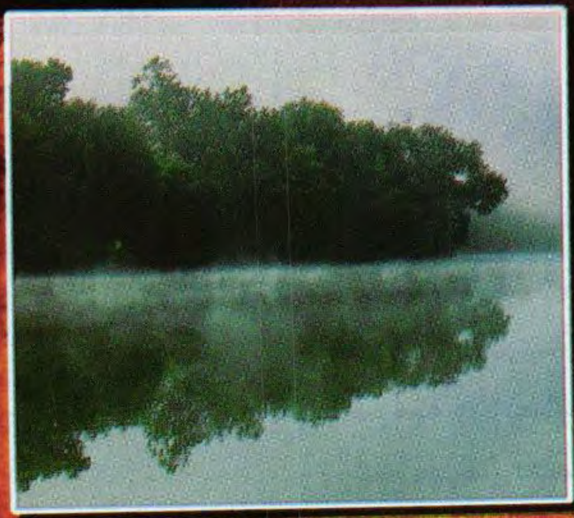
ـ لا شك أن هذه التحديات مرتبطة بوجود الإنسان على الأرض، ومرتبطة بقضية الصراع بين الحق والباطل، وهو صراع أبدي وتاريخي لا يمكن أن نقول إنه سينتهي أو يتلاشى، ولكنه يأخذ أشكالاً وصوراً مختلفة، وكلنا أمل في أن تدخل أمتنا القرن القادم وهي أكثر تماسكاً والتحاماً، لأنها عانت كثيراً من التشرذم والتفرق والهوان، وإذا أردنا أن نخدم البشرية، وأن نخدم أمتنا، لابد أن نعتصم بحبل الله جميعاً، وأن تتوحد كلمة المسلمين. وأنا أتصور أن التحديات التي ستواجه الأمة في القرن القادم هي تحديات أقوى وأخطر، وبدأت ملامحها تطفو وتظهر على مظاهر الحياة في العالم، كظاهرة العولمة والنظام العالمي الجديد، ومحاولات تذويب ملامح الثقافات الذاتية، والأمة لن تصمد أمام هذا المد الثقافي والتكنولوجي وهي ممزقة مشتتة، ولابد أن تعود إلى رشدها، وأن تضع برامج سياسية وعسكرية واقتصادية وفكرية موحدة تمكنها من مواجهة التكتلات القوية الأخرى.

الاتحاد على الإنترنت

● يوجد على شبكة الإنترنت موقع للاتحاد الإسلامي، ونريد أن نتعرف على أهم الخدمات التي يقدمها هذا الموقع في مجال الدعوة الإسلامية؟

ـ لا شك في أن عالمنا اليوم يشهد ثورة هائلة في مجال الاتصالات والمعلومات، ومن أبرزها شبكة الإنترنت التي اختصرت الزمان والمكان والتكاليف، والاتحاد إيماناً منه بهذا أنشأ موقعاً على هذه الشبكة يسمى (ISNA) وهي اختصار The Islamic Society of North America المجتمع الإسلامي لأمريكا الشمالية وعنوانه: (w.w.w. ISNA. net) لمن يريد أن يتعرف على الاتحاد ونشاطه وبرامجه ومجلته وأهم المقالات وأهم الأنشطة القادمة، كذلك يقدم الاتحاد على هذا الموقع بعض المسائل الأخرى التي تتعلق بالشريعة الإسلامية والفتاوى، وكذا بطاقات العضوية، واستمارات التسجيل للمؤتمرات، وغيرها. ■

ملف العدد







التصور الإسلامي للبيئة

التربية البيئية في الإسلام

بقلم: أ.د. عبدالراضي حسن المراغي

اهتم الدين الإسلامي الحنيف بالتربية البيئية للنشء والشباب، بل للأسرة عموماً اهتماماً كبيراً، وقد راعت تعاليمه الكريمة أن تكون التربية البيئية شاملة لكل جوانب الحياة الطبيعية والإنسانية والسياسية والاجتماعية والثقافية والتشريعية، كما حرص الإسلام على أن تكون التربية البيئية الإسلامية عملية مستمرة على مدى حياة المسلم سواء في المدرسة أو في الجامعة أو في الحياة عموماً، ويجب أن تكون التربية البيئية الإسلامية متعددة الأساليب ومتداخلة المعارف كما يجب أن تشجع المشاركة الفعلية في معالجة مشاكل البيئة ووضع المزيد منها في الحسبان وعلى سبيل المثال وليس الحصر تربية المسلم على حسن استخدام الطريق ومنع الأذى والضرر عنه، فقد أرشد الرسول ﷺ إلى نظافة الطريق ورفع الأذى عنه: «إماطة الأذى عن الطريق صدقة» متفق عليه، «من أذى المسلمين في طرقهم وجبت عليه لعنتهم» رواه الطبراني بإسناد حسن، «الإيمان بضع وستون أو سبعون شعبة أدناها إماطة الأذى عن الطريق» متفق عليه، «من أماط أذى عن طريق المسلمين كتبت له حسنة» رواه البخاري والطبراني، «إن المؤمن ليؤجر في إماطة الأذى عن الطريق» رواه الترمذي.

كل هذه الأحاديث النبوية الشريفة تربي المسلم وتغرس فيه سلوكاً بيئياً إسلامياً الهدف منه رفع الأذى بكل أنواعه عن الطريق وصيانته والحفاظ عليه كجزء أساسي من البيئة المحيطة من حولنا، كما أن هذه الأحاديث جعلت إماطة الأذى عن الطريق بكل أشكاله المادية والمعنوية عبادة وفرض عين على كل مسلم، والمقصود بالأذى ما يضر بالطريق ويشوه منظره وجماله ونظافته ويعيق استعماله ويتسبب في وقوع الحوادث أو إرباك المرور أو إلقاء القاذورات والمخلفات كالزجاجات والعلب الفارغة حيث يعتبر نوعاً من أنواع الأذى لأنه يسبب تلوث البيئة بهذه المخلفات.

إن إشغال الطريق أو جزء منه مثل أرصفته المخصصة للسير يجبر المشاة على السير في عرض الطريق ما يجعلهم عرضة للحوادث لذا يعتبر هذا السلوك نوعاً من أنواع الأذى الذي يجب على المسلم ألا يتسبب فيه ويجب عليه أن يزيله.

إن معالجة القضايا البيئية من وجهة النظر الإسلامية تكون بإعطاء قدر كاف من النصح الإسلامي المدعم بآيات من القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة، هذا ينمي في عقل المسلم السلوك البيئي الحسن، ويجب أن يكون للدعاة والموجهين الدعويين من خطباء المساجد وغيرهم دور كبير في النصح والتوجيه من خلال خطبهم ودروسهم.

ويمكن تدعيم المناهج والمقررات البيئية في المراحل التعليمية المختلفة بالنهج الإسلامي الرشيد الذي يلزم المسلم بالسلوك البيئي القويم الذي يحمي البيئة ويحافظ عليها.

وقد اهتم الدين الإسلامي الحنيف بالبيئة ومواردها المختلفة إذا كانت حية أم غير حية وأرسى الأسس والتعاليم للتعامل مع هذه الموارد والمصادر البيئية وصيانتها والحفاظ عليها، وقد جعل الخالق سبحانه وتعالى الإنسان خليفته في الأرض ليدير مواردها ومصادرها وخيراتها ويتصرف فيها تصرفاً حسناً، (هو الذي جعلكم خلائف في الأرض) فاطر:٣٩.

وقد نزل القرآن الكريم على سيدنا محمد ﷺ ليكون نبراساً شاملاً يرسم للإنسان طريق حياته وآخرته ويرتقي به لصلاح دينه وآخرته، (ما فرطنا في الكتاب من شيء) الأنعام:٣٨.

وأوضح الخالق جل وعلا لعباده كيف خلق الكون وكيف يسيره على أكمل وجه وكيف سخّر للإنسان السماء لتسقي أرضه وزرعه بالغيث وسخر له البحر ليأكل منه لحماً طرياً وخلق الأنعام فيها للإنسان فوائد ومنافع.

ولكن الإنسان استغل كل هذه المصادر والموارد البيئية التي أعطاها وسخرها له الخالق سبحانه وتعالى واستنزفها دون حساب وبلا حكمة خلافاً لما أقره الله تعالى في كتابه العزيز وأوصى به الرسول في سنته النبوية الشريفة، وقد نهى الإسلام عن الإسراف لما فيه من أضرار وهو سلوك يتعدى الحدود المعقولة: (ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوماً محسوراً) الإسراء:٢٩، (وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين) الأعراف:٣١.

وإذا نظرنا إلى هذا الأمر من زاوية بيئية وجدنا أن الاستخدام الجائر للموارد البيئية التي سخرها الله لنا هو سلوك ضار وخطير على هذه الموارد لأنه يستنزفها، والنتائج السلبية لهذا السلوك الجائر سببت الكثير من المشكلات البيئية مثل: تلوث التربة والهواء، التدمير التدريجي لطبقة الأوزون، التغيرات المناخية، قطع الأشجار وإزالة الغابات، انقراض بعض الأنواع النباتية والحيوانية ومشكلة التصحر وغيرها من المشكلات.

إن عالم اليوم عرضة لخطر نفاد الموارد البيئية والطبيعية ومعرض إلى خطر النفايات الصناعية والذرية وكل ذلك يشكل أزمة أخلاقية.

ولا يجوز للمسلم أن يظل مكتوف الأيدي حيال هذا الاستنزاف السائد، بل عليه أن يتدبر أمره ويلتزم بحماية البيئة بدافع من إيمانه بخالقه ويجب عليه أن يغير من أسلوب حياته ومعيشته ليحافظ على النظام البيئي الذي يعيش فيه وينعم بمصادره وخيراته.

إن حماية البيئة والحفاظ على الموارد الطبيعية هما من واجبات الفرد والمجتمع وديننا الإسلامي الحنيف يدعونا إلى النظافة للحفاظ على الأرض نظيفة والهواء نقياً والماء صافياً.

ويُقصد بالتربية البيئية الإسلامية وضع مناهج وسياسات تعليمية تهدف إلى خلق كوادر قادرة على فهم مقومات النظام البيئي الذي خلقه المولى عز وجل وأمرنا أن نحافظ عليه ولا نسرف في استنزاف موارده والتعامل مع القضايا والمشكلات البيئية المختلفة من خلال طرق وأساليب علمية وتربوية مختلفة يكون للتعاليم الإسلامية دور فعال في نصح وإرشاد المسلم.



ولابد من وضع استراتيجية للتربية البيئية الإسلامية بحيث يكون هناك أهداف برنامج تعليمي بيئي يتناسب وكل المراحل التعليمية منذ مرحلة التعليم قبل الأساسي وحتى التعليم الجامعي العام بما فيه الأزهري. ويجب أن يكون نتاج هذه الاستراتيجية إدراك كامل لمفاهيم ومبادئ القضايا والمشكلات البيئية.

وتتضمن هذه الاستراتيجية محاور عدة تتلخص فيما يلي:

١ - خلق المولى عز وجل الكون في صورة أنظمة بيئية يابسة وبحرية وزراعية وصحراوية ومياه عذبة.

٢ - جعل الخلاّق سبحانه وتعالى الموارد والمصادرالبيئية في هذه النظام تدور في دورات بديعة لصالح الإنسان.

٣ - نظّم الإسلام علاقة الإنسان بالبيئة التي يعيش فيها.

٤ - سخّر الله موارد الكون بنظمه البيئية المختلفة في صورة سلاسل وشبكات غذائية يعتمد عليها الإنسان في كسائه ومسكنه.

كما تتضمن هذه الاستراتيجية أيضاً أنه عندما خالف الإنسان تعاليم دينه الإسلامي الحنيف وأخذ يبذر ويسرف في مصادر وموارد البيئة ظهرت مشكلات تدهور المراعي وتصحر الأراضي الزراعية، وعندما استنزف طبقة الأوزون ظهرت التغيرات المناخية وتفاقمت مشكلات تلوث الهواء والتربة والمياه.

والأهداف التي يجب أن تحققها التربية البيئية الإسلامية للفرد المسلم والتي يجب أن ترسخ في وجدانه هي أن الخالق سبحانه وتعالى جعل الإنسان خليفته في الأرض ليدير مواردها وخيراتها ويتصرف فيها تصرفاً حسناً وأن النتائج السلبية لهذا السلوك تسبب المشكلات البيئية مثل تلوث التربة والهواء والماء وأن حماية البيئة والحفاظ على مواردها من واجبات الفرد والمجتمع المسلم. ■



نافذة على قضايا البيئة

بقلم: د. زين العابدين متولي

العلاقة بين الإنسان والبيئة قائمة على التوازن والألفة والانسجام لصالح الحياة والإحياء وليست أبدا علاقة قلق وتنافر وعداء كما يزعم أنصار النزعة المادية الذين يتعاملون مع بعض الظواهر الكونية على أنها كوارث خالية من أي خير ويعدون كل كشف لقانون من قوانين الكون وكل تسخير لطاقة من طاقاته انتصاراً على الطبيعة أو قهراً لها.

ولقد صور القرآن الكريم في كثير من آياته حقيقة هذا العلاقة الحميمة بين الإنسان والكون المسخر لكافة الأحياء قال تعالى: (ألم ترى أن الله سخر لكم ما في السموات وما في الأرض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير) لقمان: ٢٠.

كذلك تمضي السنة المطهرة بما يؤكد هذا التصور الإسلامي لعلاقة المودة الصافية بين الإنسان وبين ما تحتويه بيئته من موجودات حية وغير حية فقد كان الرسول ﷺ يقول عن جبل أحد وهو يدلله تدليل الصديق هذا جبيل يحبنا ونحبه وكان ذلك منه تعبير عن وشائج الألفة بين الناس وعناصر البيئة

وافتقاد البشرية لهذا البعد الإيماني في التعامل مع البيئة يدلنا على طبيعة الحرب التي شنها الإنسان على نفسه باسم التقدم الحضاري إنه كان ظلوماً جهولاً ويقول المولى عز وجل في محكم آياته (إنا عرضنا الأمانة على السموات الأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوماً جهولاً) الأحزاب:٧٢.

ولقد سبق الدين الإسلامي إلى وضع تشريعات محكمة لرعاية البيئة وحمايتها من آفات التلوث والفساد ورسم المنهج الإسلامي حدود هذه التشريعات التي يعيش فيها أما المبدأ الأول فهو «درء المفاسد» حتى لا تقع بالبلاد والعباد، وتسبب الأذى للفرد والمجتمع والبيئة حيث لا ضرر بالنفس ولا ضرر بالغير، وأما المبدأ الثاني فهو «جلب المصالح» وبذل كل الجهود التي تحقق الخير لكل البشر.

وأهم ما يميز المنهج الإسلامي في الحفاظ على البيئة هو الأمر بالتوسط والاعتدال والبعد عن الإسراف في كل تصرفات الإنسان حتى ولو كانت إنفاقاً في سبيل الله قال تعالى: (والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً)الفرقان:٦٧، وفي السنة النبوية المطهرة أيضاً ينهى رسول الله ﷺ عن الإسراف في استعمال الماء حتى ولو كان من أجل الوضوء ويزخر التراث الإسلامي بمؤلفات عديدة عن البيئة وسلامتها ففي كتاب «الطب النبوي» لابن القيم فصلاً عن الأوبئة التي تنتشر بسبب التلوث الهوائي.

وعموماً ففي الشريعة الإسلامية يوجد منهج كامل متكامل إسلامي حكيم ينهى عن التلوث والفساد بكل صوره وأشكاله ويجعل البيئة مرتبطة بتحمل الإنسان دون غيره من المخلوقات لأمانة الخلافة في الأرض وترقية الحياة عليها حتى يستكمل حكمة الله في خلقه وخلقها.

في الوقت الذي تؤكد فيه دول العالم المختلفة حرصها في الحفاظ على البيئة والموارد الطبيعية بكل صورها، وتوفر الاعتمادات المالية لمعالجة قضايا البيئة فإن الواقع يشهد اختلافاً كبيراً في ذلك إلى حد اعتبر المتخصصون أن حياة الملايين أصبحت في خطر بسبب دفن النفايات في التربة أو إلقائها في المحيطات فضلاً عن تلوث الهواء بسبب كثرة العوادم التي تبعثها عوادم السيارات ومداخن المصانع.

وقد شغلت هذه القضية المهمة اهتمام العلماء وأجمعوا على ضرورة علاج مثل هذه القضايا وأن عدم علاجها سيؤدي إلى كارثة بيئية واقتصادية هذه الكوارث ستؤدي إلى تدمير المحيطات والغلاف الجوي والتربة، وأهم القضايا البيئية التي تؤرق العالم هي:

- إنشاء محطات توليد القوى التي تزيد من درجة حرارة الأرض.

- المشروعات التي تشجع... على الزراعة والرعي بشكل يزيد على استهلاك واستنزاف التربة.

- المشروعات التي تستنزف الثروة السمكية في البحار والمحيطات.

معظم المحيطات تعرضت لعمليات استنزاف لمواردها وأكثر من ثلاثة أرباع الفصائل الحيوانية انقرضت أو أصبحت على وشك الانقراض بسبب الإهمال للمشاكل البيئية وهو الأمر الذي يهدد بشدة حياة ملايين الأشخاص على مستوى العالم.

أكثر من ٣ مليارات شخص سيعانون من نقص حاد في المياه خلال الـ٥٠ عاماً القادمة وذلك في الوقت الذي تعرضت فيه مساحة كبيرة من الأرض تصل إلى ١,٣٣ مليار فدان لتعديات مختلفة في قارة أفريقيا بمفردها.

والعالم لن يتحمل المزيد من عمليات احتراق وقود الفحم إذا ما تضاعف عدد السكان كما هو متوقع خلال الخمسين عاماً القادمة، في الوقت الذي تحتاج فيه البحوث والدراسات الخاصة بمصادر الطاقة البديلة إلى زيادة تحويلها لمنع المزيد من عمليات تلوث الهواء والتحول الذي يشهده مناخ الكرة الأرضية خاصة أن العالم يستهلك موارده بطريقة أسرع من أن يتمكن من تجديدها.

وقد توصلت الأبحاث والدراسات المستفيضة على المستوى العالمي إلى الأخطار التي باتت تهدد الموارد البيئية والطبيعية على مستوى العالم، وسنتناول كل مورد على حده في نقاط محددة على النحو التالي:

الماء:

معظم المحيطات تعرضت لعمليات استنزاف منظمة من قبل الدول المتقدمة و ٧٠٪ من النفايات التي تلقى في المحيط الهادي غير معالجة وتوجد في أفريقيا ١٩ دولة من بين ٢٥ دولة على مستوى العالم تعاني من ارتفاع عدد السكان الذين لا تتوافر لهم مياه صالحة للشرب، والطلب المتزايد على الماء تسبب في أن معظم مياه الأنهار في العالم تستهلك قبل أن تصب في البحار.

الغابات:

قد استمرت عمليات استنزاف الغابات الاستوائية وإن كان بمعدل أبطأ من الثمانينيات، فالغابات الأفريقية هي أكثر غابات العالم استنزافاً بينما الغابات الاستوائية يمكن أن تعيش لمدة ٤٠ عاماً قادمة فقط، ومن المتوقع أن تفقد الغابات الاستوائية ١٠٠ ألف نوع من أنواع الحياة الطبيعية فيها خلال الأربعين سنة القادمة.



الهواء:

وهناك اتفاق في آراء العلماء أن يد الإنسان تدخلت بالفعل في تغيير المناخ وإذا استمر معدل ثاني أكسيد الكربون في الجو في التضاعف وهو الأمر الذي سيحدث خلال جيلين أو أكثر في ظل السياسات الحالية وأن ٣٦ دولة ستغطيها المياه، سيضطر معظم سكانها لمغادرتها وتشير الأبحاث الحالية إلى وجود ١٢ دولة في جنوب قارة أفريقيا أصبحت بالفعل أدفأ وأكثر جفافا.

التربة:

نحو نصف مليار هكتار من الأراضي تم تدميرها في أفريقيا وأكثر نسبة من الأراضي المجرفة في العالم توجد في قارة آسيا وعلى الرغم من أن قارة أوروبا أضافت ١٠ ملايين هكتار من الأراضي المحمية منذ عام ١٩٥٢م إلا أن ٥٢٪ من ثروتها السمكية

و ٤٥٪ من ثروتها الحيوانية من فصيلة الزواحف والثدييات أصبحت مهددة بالانقراض.

السكان :

عدد سكان العالم يزداد نحو ٨٨ مليون شخص سنوياً وسوف يصل إلى ٦,٥ مليار شخص في عام ٢٠٠٠ هذا مع العلم أنه قد نجحت أكثر من ٣٠ دولة في ضبط معدلات زيادة سكانها وتمكنت دول أخرى من إبطاء معدل هذه الزيادة.

وتشير التقارير بأن عدداً كبيراً من دول العالم تهدف لتحقيق النمو الاقتصادي بأي ثمن متجاهلة حقيقة أن الدمار الذي سيلحق بالغلاف الجوي وبالمحيطات يمكن أن يهدد بالفعل اقتصادات العالم لقد حان الوقت كي نبادر لتصحيح ذلك الوضع، وإلا سنقتل أنفسنا بأنفسنا.

فالاهتمام بالبيئة وقضاياها يمثل اليوم اتجاهاً عالمياً متزايداً وخاصة بعد تزايد الآثار السيئة للتلوث البيئي على صحة الإنسان والحيوان والأسماك والطيور والنباتات، ويكفي أن نعلم أن نصف سكان الدول النامية يعيشون تحت خط الفقر وظروفهم المعيشية شبه مستحيلة، لقلة الموارد وتلوث الهواء والماء وقسوة الطبيعة وبخاصة في المناطق الاستوائية مع تدهور البيئة وندرة العلاج هذا بخلاف وجود أكثر من ١,٥ بليون مواطن من دول العالم الثالث يعانون من المرض بسبب قلة المياه الصالحة للشرب أو بسبب شرب مياه ملوثة مع العجز عن توافر مشاريع الصرف الصحي.

يجب أن نعلم أن هناك ما يقرب من أربعين حالة وفاة في كل يوم كلها بين الأطفال بسبب الإسهال والحصبة والملاريا وتبلغ حالات الوفاة في مصر بسبب الأمراض المنقولة عن طريق المياه الملوثة حوالي ٩ آلاف حالة في العام.

العالم المتقدم والمتحضر لا يسمح بأي حال من الأحوال لسكان الدول النامية دول العالم الثالث كما يطلق عليهم من قبلهم أن يعيشوا فوق خط الفقر ويحاولون بكل الطرق المشروعة وغير المشروعة أن يبقوهم دائماً تحت خط الفقر.

يسرق العالم المتحضر الموارد الطبيعية التي منحها المولى عز وجل للدول النامية وقيمة هذه السرقة تقدر بما يزيد على ٦٠ مليار دولار سنوياً وهذا المبلغ يكفي لمعيشة سكان الدول النامية عيشة أفضل بكثير مما هي عليه الآن.

ويحاول سكان الدول النامية بكل الطرق أن يخرجوا من هذا الموقف ويحاولون أيضاً التغلب وقتياً على الفقر فهل يكون ذلك بتدمير الغابات حقيقة أن هذا التدمير يزيد الطين بلة ويجعل مرض الفقر من الأمراض المزمنة ويكفي أن نعلم أنهم يدمرون كل سنة ٢٣ مليون فدان من الغابات، ومعظم هذه الغابات تتحول إلى أرض زراعية ذات قيمة منخفضة وتكون هذه الأراضي معرضة للتصحر، هذا بخلاف أن الغابات الاستوائية بها ثروات خشبية نادرة وتحوي نصف المعروف من أصناف النباتات والحيوان، وتبين الدراسات أن الغابات الاستوائية يتم تدمير ٧٩ مليون فدان سنوياً منها، وهذه المساحة تعادل ٧٠٪ من مساحة إجمالي



الغابات التي تدمر سنوياً في العالم كله.

أما حان الوقت للإنسان وخاصة إنسان الدول المتقدمة أن يصون ويحمي التنوع الأحيائي أي يصون الكساء الأخضر وأشجار الغابات والتربة وبخاصة الحشرات التي تعيش في بيئتها والحيوانات بكل أنواعها خوفاً من الانقراض ويكفي للاستدلال على ذلك مثلاً نزع شجرة واحدة من مكانها يعني موت كيان ضخم من الحشرات والعوائل التي تعيش عليها وكائنات أخرى عديدة عليها تتوازن الحياة على سطح هذا الكوكب ليس هذا فقط، بل إن الحيوانات المفترسة والمستأنسة تعيش في توازن دقيق نسقه المولى عز وجل وأبدعه من قديم الزمان، من أجل هذا يجب على الإنسان أن يحمي التنوع الأحيائي بالنسبة للحشرات والطيور وحيوانات البحر، وطيور الصحاري والغابات والنباتات والأعشاب الطبية التي تقوم عليها صناعة الدواء.

وتوضح الأرقام التفاوت في مستويات الاستهلاك الحقيقية، فأهل الشمال الأغنياء هم الأكثر تقدماً والذين يبلغ عددهم ربع سكان العام يستهلكون ٧٠٪ من الطاقة العالمية فهل هذا يرضي الله سبحانه وتعالى... ويستهلكون ٧٥٪ من المعادن، و ٨٥٪ من الأخشاب و ٦٠٪ من الغذاء في العالم، بينما يحظى الجنوب الفقير بالفتات، زد على ذلك فالدول المتقدمة مسؤولة مسؤولية تامة عن نسبة ٢٥٪ من ارتفاع درجة حرارة الجو وكذلك في إحداث الخلل الناشئ في طبقة الأوزون.

ويعتبر أهل الشمال أي أهل الدول المتقدمة مصدرين للتلوث للبلدان الجنوبية الفقيرة من المصانع الكثيرة التي يقيمونها، فهناك أكثر من ١٦٠ مليون طن من النفايات القاتلة تتخلف عن الأنشطة الصناعية الأوروبية تصنف إلى أكثر من ٤٥ مادة، تقوم الدول المنتجة لهذه النفايات بتصدير نحو مئة مليون طن منها إلى دول العالم الثالث، إما عن طريق دفنها في البحار في مواجهة سواحل هذه الدول في ظل غيبة الرقابة من حكوماتها وإما بدفنها في أراضيها عن طريق الاتفاق مع بعض المسؤولين أو مع بعض تجار السموم وفي هذه الأيام تزايدت حركة نقل السموم إلى الدول النامية نظراً لفرق الربح الكبير بين معالجتها في الدول الصناعية ونقلها إلى الدول الفقيرة ولا يخفى علينا أن هناك ما يزيد على ١٤٠ شركة ومتعهداً في الدول الأوروبية قاموا بإجراء الاتصالات والاتفاقات في أكثر من ٤٤ دولة من دول العالم الثالث لنقل ودفن ٤٠ مليون طن من النفايات في هذه الدول وهذا يتم دون علم شعوبها، كان الله في عونهم.

وأهل الشمال أيضاً هم الذين كانوا ينحرون الغابات في كل يوم عندما كانوا سادة العالم ومستعمري الجنوب وهم الذين استمتعوا بالسياحة والصيد في الغابات الاستوائية وهم الذين تاجروا بالعاج وكانوا هم سبب الدمار والخراب البيولوجي وكذلك كانوا سبباً في انتشار الأمراض التي جاءت بسبب التكولوجيا الدوائية الخطيرة، وكانت الدول المتقدمة أيضاً تسبب تلوثات كثيرة للدول النامية نتيجة للحروب التي تشنها الدول المتحضرة على الدول النامية، فعلى سبيل المثال دمرت الكيماويات التي استخدمتها أمريكا في الحرب ضد فيتنام الجنوبية في إسقاط أوراق نبات ١٥٠ كيلومتراً مربعاً من الغابات، كما أنها أتلفت ١٥ ألف كيلو متر مربع أخرى والذين تعرضوا لهذه الكيماويات الأمريكية أصيبوا بالسرطان والإجهاض وكانت هناك تشوهات في المواليد.

عندما وطأت قدم الإنسان سطح القمر انتابته حمى الغبطة والفرح وركبه الغرور وشعر كأنه يلمس السماء بيديه وبخاصة عندما أطلق الأقمار الصناعية وغزا الفضاء الخارجي، وأنتج القنبلة الذرية وفي حقيقة الأمر فالإنسان لم يخلق إلا ما يسمى بالقضاء على الصحة والرفاهية واستعجاله في لقاء ربه بالموت بسبب الأمراض التي صنعها لنفسه بيديه، وهو بذلك استطاع أن يلوث الهواء وقضى بذلك على البيئة وما عليها.

والآن أصبح الإنسان يفكر جدياً في الهروب من كوكب الأرض إلى أي كوكب آخر يكون صالحاً للإقامة عليه وكأن الكرة الأرضية أصبحت نسياً، فالإنسان يغامر ويقامر للسفر بين الكواكب ويترك الهواء والنسيم العليل وكذلك زرعها ومياه أنهارها وأمطارها والأكثر من ذلك أنه نسى أن الأرض تمده بأي طاقة من الطاقات التي يعتمد عليها في معيشته.

إن النشاط الإنساني المدمر يشمل قطع أشجار الغابات لتصبح حطباً واستمراره في إطلاق ملوثات المياه وأبسط صورة من صور نشاطه المخرب والمدمر هو الاعتماد على إشعال النار في الأوراق والأخشاب والحطب لاستخدامها في التدفئة والطهي وكلها تزيد من نسبة تلوث البيئة بصور تهدد حياة البشر وبهذا يكون الإنسان قد ظلم الأرض وجار عليها واعتدى على حقوقها فلماذا لا تشتكي الأرض من ظلم الإنسان لها ولجوها ولمياهها... أما حان الوقت لحماية الغابات وسكانها المحليين... وحماية أشجارها وخاصة أشجار المناطق الاستوائية ولماذا لا نحمي البشر والأحياء الأخرى من دخان المصانع وغبار التفجيرات الذرية وعوادم السيارات وحتى لا يتلوث الجو بهذه المواد السامة التي تسمم الماء والأرض وكانت نتيجة هذا النشاط المدمر هو ازدياد اصفرار الخضرة وأكل الصحراء للأراضي الزراعية، ففي كل سنة تتراجع في الدول النامية مساحات جديدة من الغابات وتتآكل مزيد من التربة وبذلك يتعاظم تدهور البيئة ومن ثم فإن انحسار الغابات يؤدي إلى تقلص إمدادات الحطب وإلى تناقص أعداد الكائنات البرية الحية وتنوعهاويمكن أن يؤثر ذلك حتى في المناخ، ناهيك عما يحمله من أخطار تزايد الفيضانات، ومن جهة أخرى، فإن تآكل التربة يؤدي إلى ندرة الأرض الصالحة للزراعة، مما يدفع المزارعين «كسباً للقوت» إلى البحث عن أرض جديدة قابلة للإنتاج، وتختلف درجة الإساءة إلى البيئة وسوء استخدام الموارد الطبيعية من بلد إلى آخر تبعاً للعوامل الفيزيائية والاجتماعية والمؤسسية السائدة في كل منها.



وتشير برامج الأمم المتحدة للبيئة في مطلع الثمانينيات إلى أن علاقة الإنسان بالمجال

الحيوي ستستمر في التدهور إلى أن يقوم نظام اقتصادي جديد كما تبين أن حفظ الموارد الطبيعية هو من أهم مستلزمات البيئة والتنمية.

تفيد التقارير العالمية أن أعلى معدل لإزالة الغابات كان في العالم النامي وبالتحديد في المنطقة الاستوائية من آسيا وجزر المحيط الهادي وأستراليا ونيوزيلاندا بمعدل مقداره ٩٨٪ وأن إزالة الغابات عموماً في العالم يعتبر مصدر قلق للأحياء في جميع أنحاء العالم حيث إن هذا يهدد الثروة الحراجية في البلدان النامية وعلى رأسها الحرائق والآفات والأمراض وتلوث الهواء يضاف إليها عوامل تدمير أخرى في البلدان المتقدمة للإفراط في استغلال المراعي في الأراضي القاحلة أو شبه القاحلة والتقطيع المتزايد للأخشاب كحطب وقود.

وعلى الرغم من هذا... وعلى الرغم من وجود مناطق أفريقية تمثل الموطن الطبيعي لحيوانات مهددة بالانقراض مثل «الغوريلا - الشامبانزي - الفيل الأفريقي وغيرها» في الوقت نفسه نجد أن هذه المناطق تحولت إلى ساحة عمليات لإزالة الغابات بقطع الأخشاب.

إن بعض بلدان أفريقيا حرمت إزالة الغابات بهذه الطريقة الوحشية ومثال ذلك دولة الجابون وهي إحدى دول وسط أفريقيا حيث تمثل الغابات ٨٠٪ من مساحتها كما توجد بها ٥ محميات تغطي بدورها ٨٠٪ من مساحة هذه الغابات.

إن هناك كارثة تنتظرنا سوف تقضي على الأخضر واليابس على سطح الكرة الأرضية... فهل سنقف مكتوفي الأيدي وننتظر هذا البلاء وخاصة أن الأرقام تشير إلى أن ٧٥٪ من الغابات في الساحل الغربي لأفريقيا قد دمرت والمتبقي يغطي مساحات بسيطة في الكاميرون والكونجو والجابون وغينيا الوسطى وزائير ورواندا ومن أجل هذا تركز المنظمات الدولية المهتمة بالبيئة مع علماء البيئة جهودهم الآن في محاولة لإنقاذ الغابات المدارية في وسط أفريقيا وذلك بمنع استمرار عمليات قطع الأشجار الجائر وبطريقة فظيعة للغابات.

وفي هذا المجال يجب علينا إقناع المواطن بعدم قطع أي شجرة لأن وجود هذه الشجرة هو في صالح المجموع العام، وهذا يكون بشكل حافز وعملي، كما يمكن اللجوء مثلاً إلى إلزام كل من يقوم بقطع أشجار باستبدال نباتات جديدة بها وخاصة التي لها تأثير وتغيير وتحديث للاقتصاد والدخل القومي ومثال ذلك زراعة أشجار الزيتون والتين والنخيل.

لماذا لا نزرع أشجاراً تفيدنا وتزيد من دخلنا القومي؟ ولماذا نلجأ إلى زراعة أشجار الزينة فقط، تعالوا بنا نضرب مائة عصفور بحجر واحد، فهناك أشجار مفيدة للاقتصاد والدخل القومي ولا تحتاج كثيراً إلى مياه أو أسمدة ولا حتى أرض خصبة، ولماذا لا نزرع الأشجار المثمرة التي تكون لها القدرة على مقاومة الكثير من الأمراض، والقادرة على التكيف في ظروف طبيعية متباينة تتحمل قسوة المناخ الحار وكذلك البارد أو الجفاف، تنمو في الصحراء وفي الأرض الزراعية على السواء، ولا تحتاج أيضاً إلى رعاية خاصة ومثال لذلك شجرة الزيتون يمكنها أن تنمو في سفوح الجبال الرملية والصخرية وكذلك في الوديان والسهول ومناطق البادية علاوة على ذلك، فالزيتون والنخيل والتين ليس فيهم جزء لا يستفاد منه أو ينتفع به فالأزهار والأوراق والأغصان والثمار والخشب والرماد تجد لها استعمالات كثيرة من النواحي الغذائية والطبية، ويستفاد من أوراق الزيتون في تغذية وتسمين حيوانات المزارع وذلك لاحتوائها على نسبة عالية من البروتين وكما أن لهذه الأوراق فائدة فكذلك توجد لأوراق النخيل والتين فوائد جمه، ويستعمل الخشب ونوى ثمار الزيتون في الصناعات الخشبية المختلفة والصناديق الفاخرة وفي الصناعات اليدوية الدقيقة مثل السبح وبراويز الصور وأغلفة الكتب وغيرها أما نوى الثمار فتستعمل في التدفئة حيث تطول مدة احتراقها بأقل ناتج لعوادم الاحتراق الضارة وأخيراً يستعمل الرماد في صنع الحرير الطبيعي وبقايا الزيت في صناعة الصابون.

فلماذا لا يزرع كل منا شجرة زيتون أمام منزله؟ ولماذا لا نكثر من زراعة مثل هذه الأشجار في الحدائق والمتنزهات نظراً لما تتميز به من شكل جميل ورائحة طيبة كما أنها شجرة مباركة كما ورد ذكرها في القرآن الكريم في سورة النور آية ٣٥: (الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور).

بالإضافة إلى أن شجرة الزيتون شجرة اقتصادية مهمة تدعم الاقتصاد فإنها شجرة دائمة الخضرة وتزود الجو بالأكسجين على مدار فصول السنة دون توقف وتعد شجرة الزيتون من أكثر الأشجار تواضعاً حيث تنمو في كل مكان سواء كان شرقيا حاراً أو غربياً بارداً ولا تحتاج أشجار الزيتون إلى رعاية خاصة فهي إحدى معطيات الخالق عز وجل التي أنعم بها على عباده عندما فطر السموات والأرض ولقد جاء ذكر هذه الشجرة «الزيتون» في العديد من الآيات الكونية التي تحثنا على زراعتها واستعمالها في الغذاء والدواء مثل الحج والأنعام والرعد والمؤمنون والنمل وغيرها، وقد ورد قسم صريح في القرآن الكريم بشجرة الزيتون في قوله تعالى في سورة التين الآية ٣:١ (والتين والزيتون وطور سنين وهذا البلد الأمين) وفي قول آخر للمولى عز وجل في كتابه المقروء في شجرة الزيتون: (وشجرة تخرج من طور سيناء تثبت بالدهن وصبغ للآكلين).

وبيَّنت البحوث أن زيت الزيتون يفيد في تجديد الشباب والحيوية ويقلل نسبة الإصابة بالسرطان وأمراض القلب، حيث أثبت باحثون ف يجامعة هارفارد الأمريكية أن نسبة الإصابة بسرطان الثدي تقل في النساء اللائي يتناولن زيت الزيتون في أطعمتهن لأكثر من مرة في اليوم الواحد بنما ترتفع النسبة في النساء اللائي تقل كمية زيت الزيتون أو تنعدم في غذائهم اليومي.

كما بينت هذه الدراسة أن نسبة الإصابة بسرطان الثدي في أسبانيا تقل بمقدار من ٣٠ إلى ٣٥٪ في النساء اللائي يتناولن زيت الزيتون بمقدار ملء ملعقتي شاي على الأقل يومياً.

وقد بينت دراسات أخرى أجريت في كاليفورنيا أن سكان منطقة البحر المتوسط تقل فيهم نسبة الإصابة بأمراض القلب بسبب تناولهم لزيت الزيتون بمقادير وفيرة وهذا يساعد على تقليل نسبة الكولسترول في الدم كما أنه يزيد من فاعلية فيتامين هـ

الذي يعتبر من أهم مضادات الأكسدة ضد كثير من الأمراض.

وحيثما توجد شجرة الزيتون تثبت التربة وتمنع انجرافها وتعتبر أشجار الزيتون مصدات ممتازة للرياح، كما أنها توفر الغذاء والمأوى للعديد من أنواع الطيور، وبالإضافة إلى كل ما ذكر تتصف شجرة الزيتون بجمالها وخضرتها الدائمة فتزيد من جمال المدن والقرى والجبال والوديان والبوادي وكل مكان.

وفي هذا المجال أيضاً سوف نقدم ملخصاً لمشروع مصري ـ ألماني لوقف التصحر بواحة سيوه المصرية، هذا المشروع يقوم بتنفيذ جهاز البيئة بالتعاون مع المؤسسة الألمانية للتعاون الإنمائي وتفيد الأخبار الواردة من واحة سيوه المصرية بأن فريق الخبراء الزراعيين قد نجحوا في تجربة زراعة الكثبان الرملية هناك وكذلك تمكنوا من علاج مشكلتي ارتفاع منسوب المياه بالأراضي الزراعية ومصارف الري، وكذلك زيادة ملوحة التربة.

وكان أول عمل قام به الخبراء هو تثبيت الكثبان الرملية الخطيرة وكبح جماحها باتباع عدد من الطرق الميكانيكية والبيولوجية والكيماوية وذلك باستخدام مخلفات النباتات والبرتامين وشباك السلك وشرائح البلاستيك وأسوار البوص والجريد التي تقام على هيئة مربعات شطرنجية ثم مد شبكة الري بالتنقيط التي تبدأ بمضخة ترفع مياه الصرف خلال أنبوب كبير إلى أعلى الكثيب الرملي ثم تتدرج إلى أنابيب أقل قطراً حتى تصل إلى مخارج المياه الرفيعة المجاورة لكل نبات.

وسوف يقوم الخبراء الزراعيون بزراعة مجموعة من النباتات الصحراوية النشيطة غير المنتجة وتصلح فقط كغذاء للحيوان مثل الصبار والأكسيا وغيرها من النباتات التي تحتوي على نسبة مرتفعة من الأملاح المعدنية ثم يتم استبدالها تدريجياً بمجموعة أخرى من شتلات النباتات الزراعية المنتجة مثل الزيتون والتين ونخيل البلح والرمان ويؤكد الخبراء نجاح هذا المشروع من جميع الوجوه خاصة علاج مشكلة ارتفاع منسوب المياه الأرضية بكل من الأرض الزراعية والمصارف حيث يتم رفع مياه المصارف لاستخدامها في ري المحاصيل الزراعية بطريقة تحقق الاستفادة من كل قطرة ماء فيها باستخدام الري بالتنقيط وبالتالي ينخفض منسوب المياه في المصارف وتسمح باستقبال مياه الري من الأراضي الزراعية الموجودة حولها هذه الطريقة كما يقول الخبراء مفيدة ومجدية ولكن السؤال المطروح هل قام الخبراء بتحليل مياه الصرف هذه؟ وهل عرفوا نسبة توافر العناصر الثقيلة بها؟ وهل تأكدوا بأن هذه النسب لا تزيد عن الحد الأقصى المسموح به دولياً في المياه ليست فقط المياه التي نشربها بل أيضاً في المياه التي تروى النباتات حتى لا تنتقل إلى الحيوان الذي يأكل النبات ثم ينتقل إلى الإنسان.

وعموماً فالمشروع المصري الألماني سوف يكون في مقدرته إضافة مساحات زراعية جديدة يمكن الاستفادة بها في المستقبل علاوة على تثبيت الكثبان الرملية وانتشار الزراعة فوقها بالنهج السابق بنحو مليون فدان. وهناك ثورة زراعية اجتاحت آسيا وأمريكا اللاتينية منذ مطلع الستينات، وغطت أكثر من نصف الأراضي تقريباً في هذه المناطق، وقد حققت الثورة الزراعية المسماة «بالثورة الخضراء» نتائج مرضية بفضل استعمال بذور وسمادات محسنة ومطورة بالإضافة إلى تحسين وسائل الإنتاج للمواد الزراعية غير التقليدية.

وهناك بعض الدول التي تقوم ببناء السدود العالية ومثالها السد العالي بمصر فعلى الرغم من قيام هذه السدود الكبيرة بأدوار اقتصادية مهمة في مجال إدارة الموارد الطبيعية، حيث إنها توفر الطاقة وكذلك ماء الري علاوة على ذلك فهي تضبط الفيضانات وتؤدي إلى تحسين عملية صيد الأسماك، ولكن للسدود مخاطرها فالمستودعات الخاصة بها تغطي مساحاتواسعة من المناطق الزراعية والغابات، وهذه بالطبع لها آثار سلبية على البيئة علاوة على تسببها لخسارات لا يمكن التقليل من شأنها ومن جهة ثانية فإن تفتت التربة كثيراً ما يقضي على السد قبل أوانه، مما يزيد من تلوث البيئة وإضعاف فاعليته وتخفيض عائداته الاقتصادية ولكن تحسين سياسات السدود كفيل بالتغلب على العديد من هذه الصعوبات.

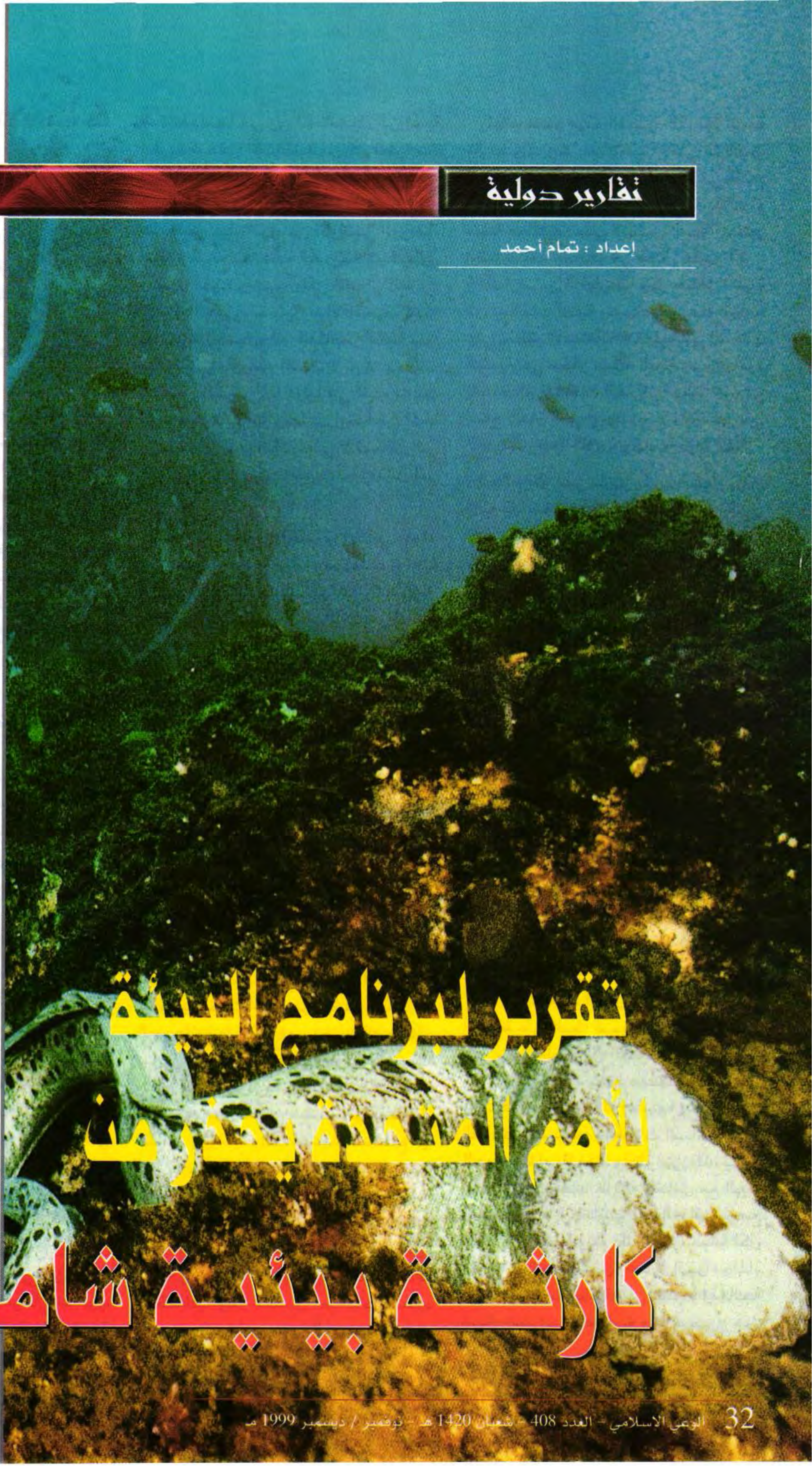
وتهتم مصر بهذه القضية القومية المهمة «التلوث» وذلك بالإسراع في تركيب المرشحات للمصانع وخاصة التي تنتج الاسمنت وتلزم المنشآت الصناعية بالالتزام بتنقية مخلفاتها حتى لا تضر بالبيئة، ومصر أيضاً تكثف جهودها في مجال تطهير الترع والمصارف من البلهارسيا وكل مظاهر التلوث من مخلفات آدمية وصناعية وتعمل أيضاً على تنظيم الاستفادة العملية من الأبحاث العلمية، في مجال حماية البيئة وسوف تقوم باستخدام المخلفات الحيوانية والزراعية في إنتاج الغاز الحيوي والسماد للقضاء على الآفات الزراعية الكامنة وخاصة دودة القطن.

العالم الآن يمر بأزمة تلوث الهواء والماء والغذاء بخلاف أن هناك نتائج أخرى للأنشطة المدمرة للبيئة مثل ارتفاع درجة الحرارة ووجود تمزق في ثوب الأرض الأوزوني وارتفاع منسوب المياه في المحيطات والبحار وزيادة شدة الفيضانات التي قد تغطي السواحل، من أجل هذا كله بدأت المجتمعات المتحضرة في معاملاتها لقضايا البيئة وبدأت بالفعل في العمل على الحفاظ على البيئة والبعد عما يصيبها من أضرار قد يستحيل علينا في المستقبل محو آثارها.



إذا كانت هذه الدول بالفعل جادة في الحفاظ على البيئة فيجب ألا يقتصر عملها على بحث الوسائل الكفيلة بجعل البيئة نظيفة، بل سوف يمتد عملها ليشمل كل المشكلات التي تؤثر عليها سلباً مثل النفايات الصناعية والغازات السامة وتلوث الهواء والماء والغذاء وأكثر من ذلك يجب عمل أسلوب يحدد طريقة التعامل مع البيئة لمنع تدهورها وحمايتها لصالح البشر مع استمرار التنمية ويتم ذلك بعمل حماية لكل مقومات الحياة مثل حماية الهواء والماء والغذاء والتربة وخلافه من التلوث ومعالجة مياه صرف المصانع وما يخرج من المداخن. ■

إعداد : تمام أحمد



تقرير لبرنامج البيئة للأمم المتحدة يحذر من كارثة بيئية شاملة

حذرت الأمم المتحدة من مخاطر أكيدة على مستقبل الجنس البشري في العقود المقبلة الأولى من القرن الواحد والعشرين نتيجة شح موارد المياه، وتغير مناخ الأرض بسبب ظاهرة الاحتباس الحراري في الأرض، وتلوث المياه بمشتقات النتروجين المتخلفة عن الأسمدة الكيمياوية.

وقال «كلاوس توبفر» المدير التنفيذي لبرنامج البيئة التابع للأمم المتحدة في مؤتمر صحافي عقد في لندن لمناسبة إصدار تقرير «نظرة مستقبلية على البيئة العالمية للعام ٢٠٠٠ وما بعد» أن سلسلة من الأزمات المقبلة والكوارث المحتومة «لا يمكن درؤها إلا بإرادة سياسية فاعلة وفيما يمتلك العالم التكنولوجيا اللازمة لحل الأزمات فإنها لا توظف» بالقدر المطلوب، وأضاف «توبفر» أنه يمكن عكس هذه العملية، إلا أن ذلك يتطلب خفض الاستهلاك في الدول الغنية بنسبة ٩٠ في المئة، ولا يعني ذلك خفض مستوى معيشة سكان هذه الدول، بل تطبيق منجزات العلوم، خصوصاً في ميدان إعادة تدوير المواد والمنتجات.

وأكد تقرير الأمم المتحدة أن «العالم المتقدم يمتلك التكولوجيا اللازمة لإجراء تغييرات جذرية تهدف إلى إنقاذ ملايين الناس من الجوع والعطش والمرض. إلا أنه لا توجد محفِّزات لتوظيف هذه المنجزات بسبب تهاون السياسيين في إجبار الشركات المنتجة لدعم هذه التوجهات، وأشار إلى أن الأهداف التي وضعت وفقاً لاتفاق كيوتا، لخفض صخ غاز ثاني أوكسيد الكربون نحو أجواء الأرض بنسبة ٥ في المئة بحلول العام ٢٠١٠، لن تتحقق. كما أن الجهود التي تُبذل للحد من ظاهرة تسخين الأرض لا تتناسب مع متطلبات الخفض بنسبة ٦٠ في المئة.

وذكر تقرير الأمم المتحدة أن ١٥ مليون طفل أعمارهم تقل عن ٥ أعوام في مختلف بقاع العالم، يهلكون سنوياً بعد إصابتهم بأمراض نتيجة لعدم توافر مياه شرب نقية، وستوفر عمليات توظيف التكنولوجيا اللازمة، وحسن الإدارة، إمكانات أفضل للتقليل من هذه الإصابات، وحذر التقرير من خطر الزيادة السكانية في العالم، حيث يصل عدد سكان إفريقيا اليوم إلى نحو عدد سكان أوروبا، فيما لم يبلغ عددهم العام ١٩٥٠م سوى النصف ، وبحلول العام ٢٠٥٠م سيزداد عددهم ثلاث مرات عن عدد سكان أوروبا.

العالم المتقدم يمتلك التكولوجيا اللازمة لإجراء تغييرات جذرية تهدف إلى إنقاذ ملايين الناس من الجوع والعطش والمرض

وأشار التقرير إلى مخاطر جديدة تهدد المياه تنتتج عن تسرب النتروجين من مياه التصريف غير المعالجة في المدن الجديدة، وبخاصة من الأسمدة الكيمياوية المستخدمة على نطاق واسع لزيادة إنتاج المحاصيل الزراعية، فقد ازداد انتشار الطحالب في الساحل الايطالي، وهلكت الأسماك في البحر الأسود بسبب تسرب هذه المواد. وقال التقرير إن الكثير من الآراء تزعم أن الوقت لا يزال متوافراً لاجتناب الكارثة البيئية، إلا أنه أكد أن الوقت قد فات لحل بعض المشكلات، فهنا وهناك تظهر حالات استثنائية خطيرة في مختلف مواقع العالم، حيث يعرقل شح المياه تطور الدول النامية، فيما يؤدي تدهور التربة إلى تقليل خصوبتها ما يهدد مستقبل الزراعة، كما أن تدمير الغابات المطرية الاستوائية يُحدُّ بلا رجعة.

وقال «توبفر» إن الكثير من الأنواع الحية على الأرض اختفت أو في طريقها إلى الزوال، ويهدد خطر الفناء ربع اللبائن على الكرة الأرضية، وفي البحار استغلت الثروة السمكية بشكل فظ، وتتهدد الأخطار الشعاب المرجانية، أما تلوث الأجواء داخل المدن الكبرى فقد وصل إلى مستويات الأزمة.

- تتسع رقعة المناطق الصحراوية الشاسعة والأراضي الجافة في العالم العربي، ويتوقع أن يزداد مناخه جفافاً، وقد وصلت موارد المياه إلى مستويات حرجة، حيث يزداد الاستهلاك عن حجم المياه الواردة، كما تزداد أعداد السكان بوتائر أسرع من ازدياد الموارد المائية. ويؤدي ازدياد الملوحة والمواد القلوية إلى تهديد خصوبة التربة، كما أن التلوث يعتبر مشكلة خطيرة، حيث تتلوث مياه الخليج بـ١,٢ مليون غالون من النفط سنوياً.

- أفريقيا هي القارة الوحيدة في العالم التي يتوقع أن يزداد الفقر فيها في القرن المقبل، وستعاني ٢٥ دولة أفريقية من شح المياه بحلول العام ٢٠٢٥م، ويعاني ٢٠٠ مليون أفريقي من سوء التغذية، وتبدو مظاهر اقتلاع الغابات والتصحر وتدهور التربة في مختلف بقاع القارة، فيما تتوسع المدن بسرعة كبيرة لا تسمح للحكومات بتهيئة الخدمات الضرورية لسكانها، ما يقود إلى مشكلات صحية.



- يعتمد سكان آسيا والمحيط الهادئ الذين يشكلون ٦٠ في المئة من سكان العالم، على ٣٠ في المئة من أراضيه ويبدو أن النمو الاقتصادي والطلب على الطاقة سيقودان إلى تخريب البيئة. ولا يحصل واحد من كل ثلاثة أفراد من سكان المنطقة على مياه صالحة للشرب، وتؤدي عمليات توسع المدن إلى نشوء مدن عملاقة مثل طوكيو ودلهي وجاكارتا وهناك تأثير ملموس على الوسط المحيط حيث تشكل حرائق الغابات مشكلة كبرى، وقد فقدت أندونيسيا مليون هكتار من غاباتها العام ١٩٩٧م، كما تدهورت الثروة السمكية بسبب سوء الاستغلال والتلوث. ■

بقلم: حسين عبدالفتاح أحمد

الإسلام وحماية البيئة الحيوانية

في منظور الإسلام، لكل كائن حي دور في البيئة المحيطة به، وعلى الإنسان ألا يعرقل هذا الكائن عن أداء دوره سواء عن طريق القتل لغير مصلحة نفعية له، أو عن طريق حرمانه من البيئة التي يعيش فيها. وقد أشار القرآن الكريم إلى أن للناس في الحيوان منافع، فقال تعالى: (والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون) النحل:٥. وقد أكدت السنة النبوية على الرفق بالحيوان وعدم التعرض له بالقتل أو الإيذاء أو التعذيب، وذلك من خلال الأحاديث التالية:

- عن عبدالله بن عمر - رضي الله عنهما - أن رسول الله ﷺ قال: «عُذبت امرأة في هرة سجنتها حتى ماتت، فدخلت فيها النار، لا هي أطعمتها ولا سقتها إذ حبستها، ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض»(١).

- عن ابن مسعود - رضي الله عنه - أنه قال: كنا مع رسول الله ﷺ في سفر فانطلق لحاجته فرأينا حمرة معها فرخان فأخذنا فرخيها، فجاءت الحمرة فجعلت تعرش، فجاء النبي ﷺ فقال: «من فجع هذه بولدها؟ ردوا إليها ولدها» ورأى قرية نمل قد حرقناها، فقال: «من حرق هذه؟» قلنا: نحن يا رسول الله: قال: «لا ينبغي أن يعذب بالنار إلا رب النار»(٢). - وعن عمرو بن الشريد قال، سمعت الشريد يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من قتل عصفوراً عبثاً عج إلى الله - عز وجل - يوم القيامة، يقول: يا رب إن فلاناً قتلني عبثاً ولم يقتلني لمنفعة»(٣).

- وقد نهى النبي ﷺ عن اتخاذ الحيوانات هدفاً لعبث أو تخريب، فعن ابن عباس رضي الله عنهما - أن رسول الله ﷺ قال: «لا تتخذوا شيئاً فيه الروح غرضاً»(٤)، أي هدفاً تصوبون إليه سهامكم.

ويحكي لنا التاريخ أن حمامة نزلت وعششت بفسطاط «خيمة» عمرو بن العاص إبان الفتح الإسلامي لمصر، فلما أراد الانصراف لم يهجها بتقويض الفسطاط، بل تركه من أجلها، فكان ذلك سبباً في تكاثر العمران حوله وقيام مدينة كبيرة عُرفت بهذا الاسم وهي مدينة الفسطاط.(٥) وقد أثبتت التجارب الكثيرة أن تدخل الإنسان في الطبيعة والإخلال بالنظم البيئية قد أدى إلى تخلخل النظام البيئي في كثير من بقاع الأرض، ومن الأمثلة الدالة على ذلك: في العام ١٨٨٦م اشتكى فلاحو إحدى الولايات الأميركية من فتك الطيور الجارحة بصغار الدجاج، فأصدرت الحكومة قانوناً يقضي بقتل واصطياد هذه الطيور، حتى قضي على نحو ١٢٥ ألف طائر من هذه الطيور خلال ١٨ شهراً، وكانت المفاجأة التي أعقبت حملة الصيد الجائر هذه ظهور مشكلة أخرى أعقد من السابقة، تمثلت في ازدياد عدد الفئران والجرذان زيادة مخيفة إلى الحد الذي أحدث من خلاله أضراراً بالغة بالمحاصيل الزراعية، يفوق قيمة الدجاج الذي تمت المحافظة عليه أضعافاً مضاعفة، ذلك لأن الصقور والبوم لم تكن تغذيتها مقصورة على الدجاج، وإنما كانت تتغذى على تلك الحيوانات أيضاً.(٦)

وهذا المثال - وكثير غيره - ليس إلا تأكيد لما جاء في القرآن الكريم حينما قال المولى - عزَّ =وجل - (إنا كل شيء خلقناه بقدر) القمر:٤٩ وقد دعا الإسلام كذلك حفاظاً على البيئة الحيوانية إلى إقامة المحميات الطبيعية، عندما جعل مكة والمدينة حرمان آمنان ووضع التشريع الملائم للحفاظ على الحياة البرية في هاتين المحميتين، فقد حرم الله - سبحانه وتعالى - الصيد على الحجاج في الأراضي المقدسة، فقال سبحانه وتعالى: (وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرماً...) المائدة:٩٦.

وقد روى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ يوم فتح مكة: «إن هذا البلد حرّمه الله، لا يعضد شوكه، ولا ينفر صيده، ولا تلتقط لقطته إلا لمن عرفها».(٧) ومن ثمَّ، فإن مكة والمدينة - شرَّفهما الله - تعدان أول محميتين طبيعيتين في العالم. أما العالم المعاصر فلم يعرف نظام المحميات الطبيعية إلا في القرن التاسع عشر، إذ إنه في العام ١٨٦٤م أعلنت حكومة واشنطن وادي «يوسميتي» محمية طبيعية.(٨) والجدير بالذكر هنا أن رسول الله ﷺ قد حمى النقيع، فعن ابن عباس رضي الله عنهما أن الصعب بن جثامة قال: «بلغنا أن النبي ﷺ حمى النقيع وأن عمر حمى الشرف والربذة».(٩) ■



الهوامش:

١ - أخرجه البخاري برقم (٣٤٨٢) ومسلم برقم (٢٢٤٢)، خشاش الأرض: حشرات الأرض.

٢ - أخرجه أبو داود برقم (٥٢٦٨). الحمرة: طائر صغير. تعرش: أي ترفرف بجناحيها.

٣ - أخرجه النسائي (٧/٢٣٩) عج: أي رفع صوته بالشكوى.

٤ - أخرجه مسلم برقم (١٩٥٧).

٥ - د. عبدالحكم عبداللطيف الصعيدي، البيئة في الفكر الإنساني، الدار المدينة، والشرف والربذة: موضحان بين مكة والمدينة.

٦ - المرجع السابق، ص٥٥.

٧ - أخرجه البخاري برقم (١٥٨٧) ومسلم برقم (١٣٥٣).

٨ - عبدالعظيم أحمد عبدالعظيم، الإسلام والبيئة، ومؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ٩٩م ص٦٣.

٩ - أخرجه البخاري برقم (٢٣٧٠) والنقيع: مكان على بعد ٢٠ فرسخاً من المدينة، والشرف والربذة: موضعان بين مكة والمدينة.

بقلم: عبدالعظيم السيد الطنطاوي

ليلة النصف من شعبان وتحويل القبلة

بين تشكيك اليهود

واستقلالية التوجه الإسلامي وتميزه

يتميز شهر شعبان في ذلك الحدث التاريخي الذي كان له أبعد الأثر في تاريخ المجد الإسلامي، فتحويل القبلة، عن بيت المقدس إلى الكعبة المشرّفة كان في ليلة مباركة هي ليلة النصف من شعبان، التي خصها الله تعالى بالكثير من الخيرات والرحمات.

وقد فرضت الصلاة على المصطفى ـ صلى الله عليه وسلم ـ ليلة الإسراء والمعراج، ويذهب بعض العلماء إلى أن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان يستقبل في صلاته وهو في مكة بيت المقدس قبل أن تُفرض الصلوات الخمس، وبعد أن فرضت، لم يكن يستدبر الكعبة، بل كان عليه الصلاة والسلام يجعلها بينها وبين بيت المقدس، وذلك بأن يقف بين الركنين الأسود واليماني.

ويذهب البعض الآخر إلى أنه كان يستقبل في صلاته وهو في مكة المسجد الحرام، لأن المسجد هو قبلة سيدنا إبراهيم عليه السلام، ولأنه صلى الله عليه وسلم عربي وأرسل بين قومه من العرب، واعتزازهم بالمسجد الحرام أشد من اعتزازهم بأي مسجد آخر، وعلى ذلك فالمصلحة والحكمة تقتضيان بأن يستقبل المسلمون وهم بمكة المسجد الحرام.(١)

الصلاة إلى بيت المقدس يكشف سوء نوايا اليهود وفساد ضمائرهم

لما هاجر الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم إلى المدينة المنورة، لم يكن الجمع ممكناً بين الكعبة المشرفة وبيت المقدس، بل لابد من استدبار إحدى القبلتين، وقد ترك النبي صلى الله عليه وسلم مكة المكرّمة والكعبة الشريفة تحيط بها الأوثان، ولم يكن ثمَّة ما يؤذن من الأمور بزوالها، فكان استقبالها لا يخلو من استقبال الأوثان المحيطة بها، والنبي صلى الله عليه وسلم كان حريصاً على أن تكون الكعبة الشريفة هي القبلة، وحريصاً على أن تزول الأصنام عنها.(٢)

ومهما يكن من أمر، فإن ما لا شك فيه، أن المصطفى صلوات الله وسلامه عليه بعد الهجرة لم يكن يستقبل في صلاته غير بيت المقدس، وذلك بأمر من الله عز وجل، وقد جاء في ذلك أحاديث نبوية شريفة صحيحة، فقد أخرج البخاري في صحيحه عن البراء بن عازب ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ صلى إلى بيت المقدس ستة عشر شهراً أو سبعة عشر شهراً، وكان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يعجبه أن تكون قبلته قِبَلَ البيت، وأنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ صلى أول صلاة صلاها كانت العصر، وصلى معه قوم فخرج رجل ممن كان صلى مع النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فمرَّ على أهل المسجد وهم راكعون، فقال: أشهد بالله لقد صليت مع النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قِبَلَ مكة، فداروا كما هم قِبَلَ البيت»(٣).

لقد كان في استقبال المصطفى صلوات الله وسلامه عليه ـ في صلاته بيت المقدس بعد هجرته إلى المدينة بعض التأليف لقلوب اليهود، لأنه رمز وحدتهم وقبلتهم، وكان ـ عليه الصلاة والسلام ـ يرجو أن يستجيبوا لدعوته، وأن يسارعوا في الدخول في الإسلام، والانضواء تحت رايته، ولكنه كان كلما أمعن في القرب منهم ازدادوا منه بعداً، وكلما أراد أن يتودد إليهم جددوا له بغضاً وكرهاً، وهم بسوء صنيعهم هذا قد بدّلوا نعمة الله كفراً، وأخذتهم العزة بالإثم وأصروا على الضلال والعناد، وأحلوا بالمسلمين أذاهم، وأعرضوا عن هداهم، وعارضوهم في مسعاهم، ولا غرابة في أن يحصل كل هذا وأكثر منه من اليهود، وقد أخبرنا الله تعالى بخبث طباعهم، وسوء نياتهم، وتغلغل العداوة والبغضاء في صدورهم، قال تعالى: (لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا) المائدة:٨٢.(٤)

وظل اليهود في طغيانهم يعمهون، وأخذوا يشيعون بين الناس أن محمداً قد اتجه إلى قبلتهم وعما قريب سيتبع ملّتهم ودينهم، وأن في اتجاه المسلمين إلى قبلتهم نوعاً من اقتباس الهدى منهم.

وقد كشفت آيات القرآن الكريم سوء نية اليهود والمنافقين: (سيقول السفهاء من الناس ما ولاَّهم عن قبلتهم التي كانوا عليها قل لله المشرق والمغرب يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم) البقرة:١٤٢.

تحويل القبلة عن بيت المقدس إلى البيت الحرام

لقد تأثر المصطفى ـ صلى الله عليه وسلم ـ من مواقف اليهود الدنيئة وافتراءاتهم عليه وعلى المسلمين، وحينئذ انبثقت في نفسه أمنية التحوّل إلى الكعبة الشريفة في صلاته، أخذ يدعو ويبتهل إلى الله عز وجل كي يوجهه إلى البيت الحرام.

واشتد تشوّق الرسول عليه الصلاة والسلام إلى نزول الوحي يأمره بالتوجه إلى بيت الله الحرام، وكان يتوقع أن يستجيب الله رجاءه ودعاءه، لأن الكعبة أقدم القبلتين، وهي قبلة أبيه إبراهيم عليه السلام،

وقد أجاب الله تعالى رجاءه وولاه القبلة التي يرضاها، ونزل قوله عز وجل: (قد نرى تقلّب وجهك في السماء فلنولّينك قبلة ترضاها فولِّ وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره وإن الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم وما الله بغافل عما يعملون) البقرة:١٤٤.

وقد استقبل المشركون ومن على شاكلتهم ممن في قلوبهم مرض هذا التحويل بالجحود والإنكار والاستهزاء، وبلبلة الأفكار وإثارة الشبهات وتشكيك المسلمين في عقيدتهم، فكان مما قالوه: إن محمداً قد تحيَّر في دينه، ويوشك أن يرجع إلى ديننا كما رجع إلى قبلتنا.

وقالت اليهود: «إن القبلة ـ وهي بيت المقدس ـ إن كانت على حق فقد تركتم ـ أيها المسلمون الحق، وإن كانت باطلاً، فعبادتكم السابقة باطلة، ولو كان محمد نبياً حقاً ما ترك قبلة الأنبياء، وتحوّل إلى غيرها، وما فعل شيئاً اليوم وخالفه غداً» وحاولوا فتنته مرة أخرى بقولهم: «إنهم يتبعونه إذا هو رجع إلى قبلته»(٥).

ولكن المولى تبارك وتعالى حسم الأمر وفضح نواياهم السيئة في كتابه العزيز: (سيقول السفهاء من الناس ما ولا هم عن قبلتهم التي كانوا عليها قل لله المشرق والمغرب يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم. وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وإن كانت لكبيرة إلا على الذين هدى الله وما كان الله ليضيع إيمانكم إن الله بالناس لرؤوف رحيم) البقرة: ١٤٢، ١٤٣.

ولم يكن مقصد اليهود وهدفهم الأول من وراء ذلك الكلام وهذا التشكيك سوى الطعن في شريعة الإسلام، ونبوة الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه.(٦)

وقد كان هذا التحويل امتحاناً صادقاً ميّز الله به الخبيث من الطيب، فأما المؤمنون فقد صدقوا ولم يرتابوا، والعرب قد رأوا في القبلة الجديدة إحياء لمجدهم ودعماً لمكانتهم.

ولما أمر رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالتوجه إلى البيت العتيق، خطب الناس فأعلمهم بذلك وكانت أول صلاة صلاها إلى الكعبة هي العصر، كما جاء في الصحيحين من رواية البراء، ووقع عند النسائي من رواية أبي سعيد بن المعلى إنها الظهر، وقال: كنت أنا وصاحبي أول من صلى إلى الكعبة، وذكر غير واحد من المفسرين وغيرهم أن تحويل القبلة نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد صلى ركعتين من الظهر وذلك في مسجد بني سلمة، فسمي مسجد القبلتين.

وفي حديث ثويلة بنت مسلم، أنهم جاءهم الخبر بذلك، وهم في صلاة الظهر، قالت فتحول الرجال مكان النساء والنساء مكان الرجال «ذكره الشيخ أبو عمر بن عبدالبر»، وأما أهل قباء فلم يبلغهم الخبر إلا في صلاة الفجر، من اليوم التالي، ففي الصحيحين عن ابن عمر رضي الله عنهما، أنه قال: «بينما الناس بقباء في صلاة الصبح إذ جاءهم آت فقال: إن رسول الله قد أُنزل إليه الليلة قرآن، وقد أُمر أن يستقبل الكعبة فاستقبلوها، وكانت وجوههم إلى الشام فاستداروا إلى الكعبة»، وفي هذا دليل على أن الناسخ لا يلزم حكمه إلا بعد العلم به، وإن تقدم نزوله وإبلاغه، لأنهم لم يؤمروا بإعادة العصر والمغرب والعشاء. والله أعلم.(٧)

ومن الجدير ذكره أن المصطفى صلوات الله وسلامه عليه ما قصد ذلك وأحبه عن سخط في التولي إلى بيت المقدس، ومجرد هوى في النفس وشهوة في التولي إلى الكعبة المشرّفة، ولكن ذلك كان لمقاصد دينية وأغراض سامية وافقت مشيئة المولى عز وجل، ولذلك فإن وعد الله جل شأنه لرسوله صلى الله عليه وسلم ـ ترتب عليه الإنجاز السريع والتنفيذ العاجل، حيث قال عز وجل: (فولِّ وجهك شطر المسجد الحرام)، ثم عمم هذا التشريع على الأمة الإسلامية جميعها، فقال جلّت حكمته: (وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره)، أي وحيث ما كنتم في بر أو في بحر فولوا وجوهكم جهة المسجد الحرام ونحوه.

وقد جاءت هذه الجملة موجهة إلى الأمة الإسلامية جميعها لدفع توهم أن يكون الخطاب في الجملة السابقة خاصاً بالمصطفى صلوات الله وسلامه عليه، ولأنه لما كان تحويل القبلة من بيت المقدس إلى المسجد الحرام أمراً على جانب كبير من الخطورة خصهم بخطاب مفرد ليكون ذلك أبلغ وآكد، فالآية الكريمة فيها أمر لكل من يتخذ من الإسلام ديناً أن يجعل قبلته الكعبة المشرّفة، فيتجه نحوها بصدره وقت قيامه بتأدية الصلاة سواء أكان بالمدينة المنورة أم في مكة المكرمة أم في أي مكان من العالم.(٨)

الحكمة من تأكيد وتكرار الأمر بالتولية نحو الكعبة

ورب سائل يقول: لماذا تكرر الأمر باستقبال الكعبة؟ ونقول أولاً :ذلك لحكمة بالغة اقتضتها العناية الإلهية، فهذا أول نسخ ورد بإزالة حكم بحكم آخر متأخر عنه، وفقد نسخ الأمر بالتوجه إلى بيت المقدس بالأمر بالتوجه إلى المسجد الحرام، فاقتضى ذلك التوقيت حتى لا تكون هناك فتنة أو تردد إلا عند الذين ظلموا، وثانياً: لأن كل آية من هذه الآيات لم تخل من فائدة مع الآية الأولى، قرن الله الأمر بالتوجه إلى المسجد الحرام بقوله: (وإن الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم وما الله بغافل عما يعملون) البقرة:١٤٤. وفي الآية الثانية، قرن الله تعالى الأمر بالتوجه إلى المسجد الحرام بقوله مبيناً الحكمة من ذلك: (لئلا يكون للناس عليكم حجة) البقرة: ١٥٠.

ويرى بعض المفسرين أن التكرار جاء لفائدة عظمى، فالآية الأولى: (فول وجهك شطر المسجد الحرام) البقرة:١٤٤ خطاب لمن في المسجد، والآية الثانية: (فول وجهك شطر المسجد الحرام) البقرة:١٤٩ خطاب لأهل الحرم، والآية الثالثة: (فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره) البقرة:١٥٠، خطاب لمن هم خارج الحرم في مشارق الأرض ومغاربها، ومن هنا فقد أفاد التكرار فوائد جمة.(٩)

ونأخذ من الآية الحكمة من تحويل القبلة كما نصت على ذلك:

فالحكمة الأولى: (لئلا يكون للناس عليكم حجة إلا الذين ظلموا منهم) البقرة: ١٥٠ فهذا قطع لمعاذير المبطلين، لقد علموا أن الحق في ما أمر الله به ورسوله وظهر واتضح لهم ذلك. (حتى جاء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون) التوبة:٤٨، فهؤلاء حجتهم داحضة عند ربهم وعليهم غضب ولهم عذاب شديد.

الحكمة الثانية: قوله تعالى: (فلا تخشوهم واخشوني) البقرة:١٥٠ إنكم يا أمة محمد على حق وهم على الباطل، وصاحب الحق لا يخشى إلا الله سبحانه، فالحق أبلج والباطل زهوق، فلا تخافوا مطاعنهم، بل اجعلوا خوفكم مني وحدي، ولا تخافوا اليهود ومن على شاكلتهم من المناوئين للإسلام والمسلمين من المشركين والوثنيين والمنافقين.

الحكمة الثالثة: قوله تعالى: (ولأتم نعمتي عليكم) البقرة:١٥٠، ومن

تمام النعمة أنه تعالى قد عرّفكم كيف تتجهون في صلاتكم حتى توحدوا صفوفكم وتكونوا على قلب رجل واحد، فالكل يتجهون في صلواتهم إلى الكعبة مهما بعدت مواقعهم، ولتكون قبلتكم مستقلة عن قبلة اليهود وغيرهم، والجملة معطوفة على قوله تعالى: (لئلا يكون للناس عليكم حجة).

الحكمة الرابعة: قوله تعالى: (ولعلكم تهتدون) وكلمة «لعل» هنا يُراد بها «اللام» الدالة على الغاية أي «ولتهتدوا»، لأن الترجي يفيد توقع حصول الأمر المحبوب، والتوقع يفيد الجهل بالمستقبل، والجهل على الله محال، ونعمة الهداية من أجل النعم (من يهد الله فهو المهتد) الإسراء:٩٧.

ويكون المعنى على هذا: «لتهتدوا بسبب إرسالنا فيكم رسولاً منكم، وتلك نعمة كبرى جعلها الله منّة منه على المؤمنين، فهو الرسول المعظّم والقدوة المقدم، قال تعالى: (لقد منَّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين) آل عمران:١٦٤.(١٠)

وعلى هذا، تكون جميع الآيات القرآنية الكريمة التي نزلت في شأن تحويل القبلة قد ثبتت المؤمنين وأبطلت كل شبهة أوردها اليهود وغيرهم ممن هم على شاكلتهم في هذه المسألة.

تحويل القبلة سمة من سمات التميز الإسلامي

وقد وضح هذا التميز الإسلامي في أكثر من جانب، وكان ذلك كله بأمر من الله تعالى، واستجابة لرغبة نبيه الكريم في الاستقلال والانفصال وصولاً إلى التميز المطلوب، ومن هذه الجوانب تحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة المشرّفة، وكان لهذا الحدث دوي كبير في المجتمع المسلم والمجتمع اليهودي على السواء، فقد أنهى كل نقاط الالتقاء بين الفريقين، وتمت المفاصلة بين المسلمين واليهود، وأصبح للمسلمين قبلتهم الخاصة بهم جهة الكعبة المشرفة، مما حرك الحقد والكيد الدفين في قلوب اليهود.

وكان هذا إيذاناً باحتدام المعركة مع قريش، فالمسجد الحرام قبلة المسلمين تحت سيطرة قريش، والوثنية ضاربة أطنابها فيه، ولا بدَّ من تحريره، وهكذا اتجهت أنظار المسلمين ثانية إليه، وبنظرة جديدة تحمل كل معاني الإصرار على العودة إليه، وتخليصه من براثن الوثنية.

ولم ينته الأمر في شعبان شهر التميز عند هذا الحد، فلقد جاء إضافة إلى التميز في قبلة الصلاة التميز في الصيام، فكأن الأمر بصيام شهر رمضان بعد أن كان الصيام قاصراً على صوم يوم عاشوراء الذي كان يصومه اليهود أيضاً.

فلقد فرض صوم رمضان في السنة الثانية للهجرة هو شهر الصيام للمسلمين، وإن كان أصل الصيام قائماً بين المؤمنين، كما وأن أصل الصلاة قائم ومشترك بين المؤمنين، لكن تميز القبلة يعني انفصالاً في الشعائر، وتحديداً للهوية الإسلامية: (ولئن أتيت الذين أتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك وما أنت بتابع قبلتهم وما بعضهم بتابع قبلة بعض) البقرة:١٤٥.(١١)

فجدير بنا معشر المسلمين أن نأخذ من تحويل القبلة العزم على أن يكون للأمة الإسلامية استقلالها في كل شأن من شؤون حياتها فلا تمشي في فلك غيرها ولا تتبع جهة غير الجهة التي أرادها الله لها، وقد أراد الله تعالى لنا أن نكون رؤوساً، فلا ينبغي أن نكون أذناباً، وأراد لنا أن نكون قادة فلا يصح أن نضع أنفسنا موضع المنقادين المتساقين.(١٢)

ونحن المسلمين عديدنا أكثر من ألف وخمسمئة مليون مسلم، توجد لنا قبلة واحدة، لذا يجب أن يوحد بيننا هدف واحد، وغاية واحدة، ويجب علينا أن نهب لإنقاذ المسجد الأقصى من براثن اليهود لأنه أولى القبلتين، وثالث الحرمين الشريفين، ولم يجعله الله تعالى أولى القبلتين لمجرد الصدفة، بل ليشد إليه القلوب، ويوجه نحوه الأبصار، ويحمِّل المسلمين مسؤولية تحريره والحفاظ عليه إلى أن تقوم الساعة، كما أن الله عز وجل قد خصَّ المسجد الأقصى بمعجزة الإسراء، وجعله نافذة الأرض إلى السماء، عندما جعل المعراج من حرمه، ومن فوق صخرته.

وبعد... فالواجب الديني يحتم على المسلمين أن يعملوا على إنقاذ القدس وتحرير المسجد الأقصى من براثن الصهيونية وأرجاس اليهود، لكي نمحو من أذهانهم ما تخيلوه من أن قبلتنا الثانية سوف تنسينا قبلتنا الأولى، أو سنتحول عنها، ولا نسعى إلى تخليصها، حتى يعود الأقصى الشريف ومدينة القدس إلى أحضان المسلمين من جديد.

ونحن اليوم أحوج ما نكون إلى تلك الروح القوية التي كان عليها المسلمون أيام المعتصم بالله العباسي وصلاح الدين الأيوبي لمواجهة أعداء المسلمين والبشرية جمعاء، لكي نخلص مقدساتنا من براثنهم ومكرهم... «ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله» عزَّ وجلَّ. ■

الهوامش:

١ ـ محمد رجاء حنفي عبدالمتجلي ـ شعبان وتحويل القبلة، مجلة منار الإسلام، شعبان ١٣٩٩هـ «بتصرف».

٢ ـ محمد أبو زهرة، خاتم النبيين صلى الله عليه وآله وسلم ص٦١.

٣ ـ عبدالحميد كشك، في رحاب التفسير، ج٢، ص ٢٦٥.

٤ ـ إبراهيم سليمان عيسى، ليلة النصف من شعبان يوحي فضلها بتحرير القدس، منبر الإسلام ع٨ «بتصرف».

٥ ـ محمد رجاء حنفي عبدالمتجلي، مصدر سبق ذكره «بتصرف».

٦ ـ المصدر السابق.

٧ ـ الشيخ إبراهيم الدسوقي، شعبان شهر الحصاد والإعداد، منبر الإسلام ع٨ «بتصرف».

٨ ـ محمد رجاء حنفي عبدالمتجلي مصدر سبق ذكره «بتصرف».

٩ ـ عبدالحميد كشك مصدر سبق ذكره ص ٢٧٤.

١٠ ـ المصدر السابق ص ٢٧٥.

١١ ـ منير محمد الغضبان، المنهج الحركي للسيرة النبوية، ص ٢٣٣ـ٢٣٦ «بتصرف يسير».

١٢ ـ عبدالمنصف محمود عبدالفتاح، إشراقات نورانية من السنة النبوية، ج١، ص ٢١٩ـ٢٢٠ بتصرف.

إعداد الدكتور: عبدالفتاح محمد العيسوي

أهداف القصة في القرآن الكريم

من المعروف أن القصة بمعناها العام وسيلة للتعبير عن الحياة أو عن قطاع معين من الحياة يتناول حادثاً أو عدداً من الحوادث بينها ترابط سردي وينبغي أن يكون لها بداية ونهاية فضلاً عن احتوائها على عناصر رئيسة كالموضوع والشخصيات والحوار وذلك من الناحية الفنية، والقصة في القرآن الكريم ليست عملاً فنياً مستقلاً في موضوعه وطريقة عرضه وإدارة حوادثه كما هو الحال في القصة الفنية الحرة التي ترمي إلى غرض فني طليق، إنما هي وسيلة من وسائل القرآن الكثيرة التي تهدف إلى أغراض دينية ذلك أن القرآن كتاب دعوة دينية قبل كل شيء والقصة إحدى وسائله لإبلاغ هذه الدعوة وتثبيتها.

ولقد خضعت القصة القرآنية في موضوعها وطريقة عرضها وإدارة حوادثها لمقتضى الأهداف الدينية، ولكن هذا الخضوع الكامل للهدف الديني لم يمنع بروز الخصائص الفنية ولا سيما التصوير في التعبير.

أنواع القصص في القرآن الكريم:

هناك ثلاثة أنواع من القصص في القرآن هي:

أولاً: قصص الأنبياء: وقد تضمن دعوتهم إلى قومهم والمعجزات التي أيدهم الله بها وموقف المعاندين منهم، ومراحل الدعوة وتطورها وعاقبة المؤمنين والمكذبين كقصص نوح وإبراهيم وموسى وهارون وعيسى ومحمد وغيرهم من الأنبياء والمرسلين عليهم جميعاً أفضل الصلاة والسلام.

ثانياً: قصص قرآني يتعلق بحوادث عابرة مثل قصة طالوت وجالوت، وأهل الكهف، ومريم وأصحاب الأخدود وأصحاب الفيل وغيرهم.

ثالثاً: قصص يتعلق بالحوادث التي وقعت في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم كغزوة بدر، وأحد في سورة آل عمران، وغزوة حنين وتبوك في سورة التوبة والهجرة والإسراء ونحو ذلك.

الأهداف الدينية:

تستهدف القصة القرآنية تحقيق أهداف دينية بحتة فتناولت عدداً كبيراً من هذه الأهداف يصعب استقصاؤه لأنه يكاد يتسرب إلى جميع الأهداف القرآنية وأهمها وضوحاً ما يلي:

١ ـ إثبات الوحي والرسالة وبيان أن الدين كله من عند الله تعالى منذ عهد نوح إلى عهد محمدﷺ، وأن المؤمنين كلهم أمة واحدة والله الواحد رب السموات والأرض، ففي سورة الأنبياء مظهر واضح لوحدة الرسالة، فقد ورد في السورة قصص الأنبياء فذكرت طرفاً من قصة موسى وهارون وإبراهيم ولوط وداود وسليمان وأيوب وإسماعيل وإدريس وذا الكفل وذا النون وزكريا ومريم، ثم جاء عقب ذكرهم جميعاً هذه الآية الكريمة (إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون) الأنبياء:٩٢، وذلك هو الهدف الأصيل من هذا الاستعراض الطويل وغير ذلك من الأهداف الأخرى التي تأتي عرضها في ثناياه.

٢ ـ بيان أن وسائل الأنبياء في الدعوة موحدة وأن استقبال قومهم متشابه وأن الدين من عند الله إله واحد، وأنه قائم على أساس واحد قال جلّ ذكره: (ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه إني لكم نذير مبين. ألا تعبدوا إلا الله إني أخاف عليكم عذاب يوم أليم) إلى آخر الآيات هود:٢٥ـ٤٩، (وإلى عاد أخاهم هوداً قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره إن أنتم إلا مفترون) إلى آخر الآيات: هود:٥٠ إلى (وإلى ثمود أخاهم صالحاً قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره...) هود:٦١. ومن الواضح في هذه الآيات الكريمة أن دعوة الرسل واحدة واستجابة قومهم تكاد تكون واحدة، وأن قصة كل نبي تتشابه مع الأخرى في الدعوة وسبل الجهاد والبداية والنهاية.

٣ ـ بيان أن الله ينصر أنبياءه في النهاية ويهلك المكذبين وفي ذلك تثبيت لقلب محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقلوب أمته وبث الثقة فيهم بنصر الحق وخذلان الباطل وأهله، لقد نصر الله تعالى نوحاً وأغرق قومه، وأنقذ إبراهيم من النار ونجّاه من كيد المكذبين، وأنقذ لوطاً وأهلك قومه. قال جل ذكره (وقارون وفرعون وهامان ولقد جاءهم موسى بالبينات فاستكبروا في الأرض وما كانوا سابقين. فكلاً أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصباً ومنهم من أخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الأرض ومنهم من أغرقنا وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) العنكبوت:٣٩ـ٤٠، هكذا يصف قصص الأنبياء نهاية المكذبين وما ذاقوه من ألوان العذاب وفي الوقت نفسه فيه موعظة وذكرى للمؤمنين قال تعالى: (وكلاً نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين. وقل للذين لا يؤمنون اعملوا على مكانتكم إنا عاملون) هود:١٢٠ـ١٢١.

٤ ـ تصديق الأنبياء السابقين وإحياء ذكراهم وتخليد آثارهم وبيان نعمة الله تعالى عليهم كقصص سليمان وداود وأيوب وإبراهيم وغيرهم فكانت ترد حلقات من قصص هؤلاء توضح النعمة في مواقف كثيرة.

٥ ـ بيان قدرة الله تعالى بالخوارق مثل قصة خلق آدم، وقصة مولد عيسى لأن مولدهما دليل القدرة الكاملة لله، قال تعالى: (إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون) آل عمران:٥٩، كما عرض القرآن قصة موسى من مولده وحتى نجاته من القتل وقصة إسماعيل حيث ولد لإبراهيم على الكبر، وقصة ميلاد يحيى حين استجاب الله لدعاء والده زكريا وفي ذلك إشارة واضحة إن الله يجيب دعوة الصالحين.

٦ ـ بيان عاقبة الاستقامة والصلاح، وعاقبة الانحراف عن جادة الصواب كقصة بني إسرائيل بعد عصيانهم، وقصة سد مأرب وقصة أصحاب الأخدود.

٧ ـ توضيح الفارق بين الحكمة الإنسانية العاجلة، والحكمة الإلهية بعيدة الأجل مثل قصة موسى والخضر وغير ذلك من الأهداف الدينية التي ترمي إلى أخذ العبرة والموعظة والتي كانت تساق لها القصص فتفي بمغزاها وتحقق أغراضها.

٨ ـ ذكر أنباء غيبية بأبلغ كلام وبتناسق لا يعرف له مثيل بهدف إبراز الإعجاز القرآني لأن محمداً صلى الله عليه وسلم لم يكن كاتباً ولا قارئاً ولا عُرف عنه أنه جلس إلى أحبار اليهود ورهبان النصارى، وعلى الرغم من ذلك جاءت قصص الأنبياء في القرآن كقصص إبراهيم ويوسف وموسى وعيسى دليلاً على أنه وحي يوحى، والقرآن الكريم ينص على هذا الغرض في مقدمات بعض القصص أو في ذيولها كما جاء في سورة يوسف (نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن وإن كنت من قبله لمن الغافلين) يوسف:٣، وجاء في سورة هود بعد قصة نوح (تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا فأصبر إن العاقبة للمتقين) هود:٤٩.

٩ ـ وصف الأنبياء والرسل بالكمال ومحاسن الأعمال ليكونوا قدوة صالحة لقومهم تزيد قدرتها إيماناً وهدى، فلم يقصد في القصص القرآني تاريخ الرسول ولا تاريخ قومه وإنما قصد دروساً وعبراً أخلاقية وموعظة وهدى لكل داع إلى الحق ولكل مدعو إليه كأن يعلن للناس أن الله في القديم كان يجازي المستقيم على استقامته ويعاقب الشرير على شره.

١٠ ـ بيان روحانية القرآن الكريم التي جاء ذكرها حين خاطب الله تعالى رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم بقوله: (وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نوراً نهدي به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم) الشورى:٥٢، فالله سبحانه وتعالى جعل القرآن روحاً لأنه يحيي به نفوس الخلق فله فضل الأرواح في الأجسام وجاء نوراً يضيء ضياء الشمس في الآفاق.

١١ ـ يستهدف القرآن من تكرار بعض آياته بعبارات مختلفة ولكن أصل المعنى واحد، كالذي يكون في بعض قصصه لتوكيد الزجر والوعيد وبسط الموعظة وتثبيت الحجة ونحوها، أو في بعض عباراته لبيان النعمة وتتابع المنة والتذكير بالمنعم، واقتضاء الشكر فضلاً عن أن ترديد الكلام حول معنى واحد في آيات مختلفة تتشابه لفظاً ومعنى وفصاحة وبلاغة سرّ من أسرار القرآن وضرب من ضروب القدرة الكلامية اختص بها القرآن حيث تنبل الأغراض وتبلغ المقاصد التي سيق لها الكلام قمم الرفعة والسمو، الأمر الذي لمثله يستطاب التكرار، وحكمة ذلك أن القرآن تحدى ببلاغته وهديه العرب وغيرهم ولهذا كرر بعض معاني آياته في موضع على طريقة الإطناب وفي آخر على طريقة الإيجاز ليتجلى إعجازه وتظهر فصاحته ورصانة لفظه، وليعلم أنه ليس بكلام البشر فالشاعر أو الكاتب أو القصص إذا كرر قولاً لا يكون كلامه الثاني بدرجة الأول في الفصاحة، بل تظهر عليه بوادر الصنعة والتكلف والتفكك.

والتكرار أيضاً من أفضل سبل الإقناع وأقوى الوسائل لتركيز الرأي والعقيدة في النفس البشرية ولهذا نرى في عصرنا الحالي أصحاب الدعايات يعمدون إلى التكرار في وسائل الدعاية مع التنوع في عبارتها للوصول إلى هدفهم، فخضوع القصة في القرآن الكريم للغرض الديني لم يمنع بروز الخصائص الفنية في عرضها فقد لمس القرآن الوجدان واتبع في ذلك طريقة التصوير فبلغ الغاية بمادته وطريقته وجمع بين الهدف الديني والهدف الفني من أقرب الطرق وأرفعها.

فالقرآن يجعل من الجمال الفني أداة مقصورة للتأثير الوجداني فيخاطب حاسة الوجدان الدينية بلغة الجمال الفني، ولكن مظاهر التنسيق الفني في القصة القرآنية، لا يخضع للقواعد الفنية للقصة الحديثة فهي تتوافق معها في بعض الأحيان، وتنفرد بإبداعها الفني في بعض الأحيان، ولكنها في حالتي الاتفاق والاختلاف تبقى دائماً قصة قرآنية لها سماتها وخصائصها وموازينها الخاصة دون أن تكون عملاً فنياً مستقلاً في موضوعه وطريقة عرضه وإدارة حوادثه، ويبقى هدفها الأول والأخير هو الهدف القرآني ذاته. ■

المراجع:

١ ـ محمد كامل حسن المحامي، القرآن والقصة الحديثة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة.

٢ ـ سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، دار الاعتصام، القاهرة.

٣ ـ مناع القطان، مباحث في علوم القرآن، لجنة النشر للجامعيين، القاهرة.

٤ ـ عبدالله محمود شحاته، علوم القرآن، دار الاعتصام، القاهرة، ١٩٨٥م.

٥ ـ مصطفى عبدالرزاق، الدين والوحي والإسلام، دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٩٨٥م.

٦ ـ خليل إبراهيم علي، لمحات من قصص القرآن الكريم، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٨٢م.

دراسات قرآنية

بقلم: محمد إقبال عروي

من أسرار عدم تكرار قصة يوسف في القرآن

المتأمل في طرائق السرد القصصي في القرآن يدرك أن هذا السرد اختار، وفق حكم ظاهره وخفيه، أنماطاً ثلاثة من البناء السردي.

١ ـ البناء الكامل: وهو بناء القصة بناءً تاماً من بدايتها إلى خاتمتها، مثل قصة يوسف عليه السلام التي قصت بدءاً من طفولته إلى أن صار وزيراً عند عزيز مصر.

٢ ـ البناء الالتفاتي: ولتحديد دلالة البناء الالتفاتي، لا بأس من التذكير بمفهوم الالتفات في الدراسات البلاغية، فهو يعني الانتقال من وضع زمني إلى آخر، مثل «انصراف المتكلم عن الإخبار إلى المخاطبة. أو الانصراف عن المخاطبة إلى الإخبار»(١) وبتأمل قصص القرآن، يلاحظ أن بعضها قُصّ بطريقة اعتمدت الالتفات والانتقال من الحاضر إلى الماضي، بشكل يخالف طبيعة الزمان الرياضي، ومن هنا يمكن أن نعرف البناء الالتفاتي في بعض قصص القرآن بأنه بناء يتقاطع فيه الحاضر مع الماضي، إذ يلتفت السرد إلى لحظات وأحداث ماضية خارج «سيرورة» الزمن الأول.

وقصة موسى في سورة طه نموذج لهذا البناء الالتفاتي، فقد ابتدأ الحديث عن موسى عليه السلام في الآية التاسعة، إذ أشار القرآن إلى رؤية موسى للنار، ثم تلقيه الوحي بجانب الوادي المقدّس، وكلام الله له إلى حدود الآية السادسة والثلاثين، ثم يعود السرد فجأة إلى لحظة موغلة في ماضي شخصية موسى، وهي لحظة ولادته ووضع أمه له في التابوت مخافة أن يقتله أعوان فرعون، وذلك في قوله تعالى: (ولقد مننا عليك مرة أخرى. إذ أوحينا إلى أمك ما يوحي. أن أقذفيه في التابوت فاقذفيه في اليم، فليلقه اليم بالساحل يأخذه عدو لي وعدو له) طه:٢٧ـ٢٩ ثم يستأنف السرد لمخاطبة موسى وهارون من أجل دعوة فرعون إلى الايمان، انطلاقاً من الآية الواحدة والأربعين.

٣ ـ البناء الحلقي: وهو راجع إلى مفهوم التصور التناسبي على أن السورة لاتستدعي من القصة إلا حلقة معينة تناسب السياق الحافّ بها سابقاً ولاحقاً. وهذا البناء الحلقي في الكثير من القصص مثل قصة موسى وإبراهيم وصالح، ذلك أن القرآن يركز في كل سياق على جانب معين من جوانب القصة المسرودة، أو على حلقة مخصوصة من حلقاتها، استجابة لمتطلبات السياق الواردة فيه، وخدمة للجو العام الذي يمثل طابع السورة. ولعل أدق تحديد لمفهوم البناء الحلقي في القصص القرآني هو الذي نجده عند د. أحمد أبو زيد في قوله: «إن القصص إنما يرد في سياق السورة ليؤدي وظيفة فيه، وقلّ أن ترد القصة بكل حلقاتها في سورة واحدة، وإنما يأتي في سياق كل سورة من حلقاتها ما يناسب موضوع السورة ومحورها وأهدافها»(٢)

وقد تنبه القدماء إلى هذا الجانب من قصص القرآن، يقول ابن أبي الأصبع: «فإنك ترى القصة الواحدة التي لا تختلف معانيها كيف تأتي في صور مختلفة، وقوالب من الألفاظ متعددة، حتى لاتكاد تشتبه في موضعين منه، ولابد أن تجد الفرق بين صورها ظاهراً»(٣)

والجدير بالذكر أن هذه الأنماط السردية تدعو إلى البحث في أشكالها وأنواعها وجمالها، وتشجع على الغوص في دقائق أمورها بغية الوقوف على بعض الأسرار المعنوية والفنية الكامنة خلف بناءاتها المتعددة.

وليس ادعاء القول: إن البحث في هذه المعطيات يمثل جزءاً من البحث في إعجاز القرآن، بل لعله يكون شعبة من شعبه. إلا أنه بحث داخلي لا يقوم على المقارنة بين خطاب القصص القرآني وخطابات الأدباء، وإنما يقتصر على البحث في البناء الداخلي لنظام القرآن اللغوي والتركيبي والدلالي.

وعلى ضوء ما سبق، نشير إلى أن قصة يوسف عليه السلام قُصّت في القرآن مرة واحدة، وهي مسرودة بكاملها في السورة التي تحمل اسم نبي الله يوسف.

وقد بحث المفسرون وعلماء البلاغة في أسرار عدم تكرار هذه القصة كما كرر غيرها من قصص النبيين والرسل، ووصلوا في ذلك إلى نتائج سنعمل على وضعها

داخل إطار منهجي، مع الاستدراك على بعضها مما نراه لا يقوى على أن يعد سراً في إفراد قصة يوسف بالحكاية مرة واحدة، محكمين في ذلك كله مقولة: «التوجيه والتفسير والتقويم»، توجيه أقوال السلف، وتفسير ما يستحق منها البسط والتوضيح، وتقويم ما يراه الدارس في حاجة إلى تقويم، إما من حيث زاوية النظر أو دليل النظر.

١ ـ السبب الأخلاقي:

وقد تبناه بعض المفسرين قديماً وحديثاً، وهو سر أخلاقي، مفاده، كما يقول الإمام السيوطي(٤)، إن في قصة تشبيب النسوة بيوسف، وحال امرأة ونسوة فتنوا بأبدع الناس جمالاً، وبما أن هذا المشهد داع للحرج، ناسب ألا تتكرر في القرآن. وكأن في تكرارها إحياء لنفسية الحرج، وقد استدل السيوطي لتأكيد سلامة هذا السر في عدم تكرار هذه القصة، بحديث قال عنه: إنه من تصحيحات الحاكم في مستدركه، وفحوى الحديث أن الرسول صلى الله عليه وسلم نهى عن تعليم النساء سورة يوسف.

وقد ذهب إلى هذا التفسير باحث معاصر هو د.عبدالعظيم إبراهيم المطعني في كتابه القيم: «خصائص التعبير القرآني» فهو يقول: «أما تكرار القصة في القرآن فذلك سمته الغالبة على معظم قصصه، إذ لم يأتِ فيه غير مكرر إلا القليل مثل قصة يوسف عليه السلام، وللعلماء توجيه في سردها مرة واحدة دون تكرار، أهم ما في هذا التوجيه أن حرص الإسلام على صيانة الأعراض كان سبباً في ذلك، لأن في قصة يوسف محاولة إغراء على جريمة خلقية، لذلك فرغ القرآن من سوقها للعظة والاعتبار مرة واحدة».(٥)

إن هذا التفسير يستند، بالأساس، إلى الحديث الذي قال عنه السيوطي: «إن الحاكم قد صححه في مستدركه»(٦)، وللرد على هذا التفسير، نستحضر الحقائق التالية:

١ ـ إن المتخصصين في علوم الحديث يعلمون أن الحاكم متساهل في تصحيح بعض الأحاديث الضعيفة وللعلماء في هذا الشأن كلام دقيق.

ب ـ لقد وضعتُ الحديث الذي رواه السيوطي سابقاً بين يدي مجموعة من المتخصصين في علوم الحديث، وقد أكد لي بعضهم أن «نسخ المستدرك» لا تتضمن ذلك الحديث أصلاً. وهذا الإشكال يجعل الباحث أقرب، في حالة قيام البرهان عليه، إلى وصف الإمام السيوطي بعدم الضبط في نقله هنا، إذ كيف يقول إن الحاكم قد صححه في مستدركه، وهو غير موجود فيه أصلاً؟

ونحن نوجه هذا السؤال لعلمائنا أهل الحديث، وبخاصة أننا نجد حديثاً آخر أغلب الظن أنه حديث ضعيف، مخالفاً لمضمون الحديث الوارد عند السيوطي في كتابه «معترك الأقران»، وهذا الحديث رواه الزمخشري بعد أن ختم تفسيره لسورة يوسف. قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «علموا أرقاءكم سورة يوسف، فإنه أيما مسلم تلاها وعلّمها أهله وما ملكت يمينه هوّن الله عليه سكرات الموت، وأعطاه القوة ألا يحسد مسلماً».(٧)

ج ـ إن من مقاصد الإسلام الكبرى أن يتعلم الناس تلاوة القرآن، وفهمه وتدبره وتطبيقه في حياتهم الخاصة والعامة، وبموجب هذا المقصد الأسمى، يتعين على الإنسان، ذكراً وأنثى، أن ينهل من كتاب الله دون قيد أو شرط، ومن هنا لا يعقل أن نحرم قطاعاً كبيراً من أفراد المجتمع المسلم من تعلم سورة يوسف بدعوى إثارتها لموضوع يتعلق بالأعراض، بل إن قصة يوسف تتضمن قيماً أخلاقية رفيعة لا تجاوز الصواب إن قلنا إن الشباب اليوم ذكوراً وإناثاً، في أمسّ الحاجة إليها لمواجهة قيم التغريب والميوعة والانحلال، إنها قيم العفة والالتزام بتقوى الله وخشيته، والابتعاد عن مواطن الإغراء، والتمسك بالوفاء للعهد، عهد الله وعهد الناس، وهذه القيم واجبة بنص القرآن والحديث، فكيف يحرم منها نساء المسلمين بدعوى الحرج الأخلاقي؟

د ـ إن الأمر الذي ينساه من ذهب إلى هذا التفسير هو أن مضمون الإغراء في القصة سرده القرآن بطريقة رائعة، متعمداً فيه على الحذف والإيجاز، حذف الكثير من الجزئيات، والإيجاز في التقاط المشهد المؤثر في البناء الكلي للقصة ومغزاها التربوي والنفسي.

هـ ـ إن القول بحرص الإسلام على صيانة الأعراض يمثل، في الأصل، دافعاً ومبرراً لأن يتكرر التذكير بقصة يوسف، لأن فيها تحذيراً من مغبة الانسياق خلف الشهوات، وهذا يعني أن الحاجة تدعو، منطقياً، إلى معاودة قراءتها من حين لآخر والاعتبار بها، وليس للنهي عن تعلمها.

لهذا فالدارس لا يرتاح إلى التفسير الأخلاقي للسر من وراء عدم تكرار قصة يوسف في القرآن كما كرر قصص آخر، وإذا كانت الأصوات ترتفع، من حين لآخر، داعية إلى تجديد التفسير ومناهجه، فلا شك أن أول مرحلة علمية ومنهجية أن يُعمد إلى ذلك التراث التفسيري، فينقتح ويهذب، ليزال عنه ما علق به من مستبعد التأويل ومرجوح التفسير ومردود التعطيل، فضلاً عن ضعيف الأحاديث وموضوعها، محكمين في ذلك معاني القرآن الكلية ومقاصده السنية.

٢ ـ السبب الإعجازي:

وقد قال به علماء أجلاء وفي مقدمهم الإمام أبو أسحاق الإسفراييني، ومؤدى هذا السبب أن القرآن الكريم تحدى العرب بوسيلتين من السرد القصصي: وسيلة السرد الحلقي الذي يقتصر على مشهد قصصي واحد، ووسيلة السرد الكامل للقصة من بدايتها إلى خاتمتها. وفي هذا الاختيار المتحدي إعجاز للعرب من جانبين: إعجازه لهم على أن يأتوا بمثل النمط الأول، وإعجازه لهم على أن يأتوا ـ لو ركبوا مطية العناد ـ بمثل النمط الثاني.

وقد يُفْتَرَضُ تعلقُ العرب بشبهة أن لا قبل لهم برواية القصص بالطريقة «الحلقية»، كان من الحكمة أن يسايرهم القرآن في أنماطهم المعهودة المتمثلة في سرد القصة كاملة، فجاء بما هو معهود لديهم حتى لا يتعلقوا بأي شبهة، وحتى يستقر التحدي في نفوسهم، ويظهر العجز جلياً عليهم.

وهذا السبب الإعجازي مقبول، لأن له تعلقاً بمقولة الإعجاز المشهود بحجيتها نصاً وعقلاً.

٣ ـ السبب المقامي:

تذكر كتب التفسير والسيرة أن من أسباب نزول سورة يوسف أن الصحابة رضوان الله

عليهم طلبوا من الرسول صلى الله عليه وسلم أن يقصّ عليهم قصة(٨)، فاستجاب الله لطلبهم، فقصّ عليهم قصة نبي الله يوسف وبتحليل هذا السبب النزولي، يتجلى أمران متلازمان:

ـ أما الأمر الأول، فهو أن الصحابة طلبوا من رسول الله ذلك المطلب، وقد اشتد عليهم الأذى النفسي والجسدي بعد محاصرة المشركين لهم وملاحقة خطواتهم نحو الإيمان بدعوة الرسول عليه الصلاة والسلام، فكان الطلب مجسداً لرغبة نفسية في التسلية والترويح عن النفس والنزوع نحو اليقين في أن الحق ظاهر رغم ضعفه وقلة حيلته، وأن الباطل زاهق رغم انتفاخه وتجبره.

ـ وأما الأمر الثاني، فهو أن من اقتضاءات الحكمة أن يستجيب الله عز وجل لطلب المؤمنين، وأن يقصّ عليهم القرآن قصة يوسف كاملة ضافية ليحصل لهم:

أ ـ التسلية والترويح.

ب ـ اليقين بظهور الحق ولو بعد حين.

وبهذا تتجلى أسرار سرد قصة يوسف كاملة، لأن خلفها سبباً معيناً ومقاماً خاصاً ارتبطت بموجبها رغبة الأرض بقدر السماء، فقد «نزلت مبسوطة تامة ليحصل لهم مقصود القصص من استيعاب القصة، وترويح النفس بها، والإحاطة بطرفيها(٩)، ولو أن سردها اقتصر على حلقة الأزمات التي اعترضت حياة يوسف مثل بغض إخوته له، ورميهم له في الجب، وبيعه في السوق، ودخوله السجن، لما أدت القصة وظيفتها التربوية والنفسية، ولانعكست سلباً على نفسية المتلقين من الصحابة المضطهدين والمعذبين، والله أعلم بأسرار نظم كتابه.

٤ ـ السبب الضمني:

يمكن للدارس أن يضع يده على القضية المحورية التي تتقاطع حولها مختلف قصص القرآن، وذلك بتأمل أهدافها ومقاصدها، فيصل إلى أن من المعاني الثابتة في قصص القرآن إفادة «إهلاك المكذبين».

والسبب الكامن خلف هذا المعنى الثابت هو إصرار المشركين على تكذيب رسول الله، وتكرار هم لهذا التكذيب بعد كل حجة وبرهان، فناسب أن تتكرر قصص القرآن المفيدة للوبال الذي ينزل بالمكذبين للأنبياء والرسل عبر التاريخ الطويل للرسالات والأمم، وهذا ما تشهد به آيات كثيرة في القرآن، مثل قول تعالى: (قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وإن يعودوا فقد مضت سنة الأولين) الأنفال:٣٨، وقوله تعالى: (ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم في الأرض ما لم نمكن لكم وأرسلنا السماء عليهم مدراراً وجعلنا الأنهار تجري من تحتهم فأهلكناهم بذنوبهم وأنشأنا من بعدهم قرناً آخرين) الأنعام:٦.

وقصة يوسف على خلاف هذا السياق العام، سياق التكذيب من جهة المشركين والتهديد بعاقبتهم من قبل الرسول عليه الصلاة والسلام عبر ذكر عاقبة مكذبي نوح وإبراهيم وموسى وعيسى وغيرهم، إذ إن مضمونها متصل بالتسلية والعفو والتجاوز عن الأخطاء.

ومادام الجو العام والمتكرر في علاقة الرسول صلى الله عليه وسلم بالمشركين هو الدعوة والنذير تلو النذير من جهته، والإنكار والإعراض من جهتهم، كان الأنسب أن تتكرر قصص الإنذار والهلاك، دون أن تتكرر قصص التسلية والغفران التي تنتهي نهاية إيجابية.

إننا، مع هذا السبب الضمني، إزاء توسعة شاملة لمفهوم مراعاة مقتضى أحوال المخاطبين، لئلا تتعلق هذه المراعاة بالمستوى اللغوي والأسلوبي، وإنما تمتد لتستوعب المستوى الدلالي، وكأن واقع المشركين يقتضي أن تتكرر قصص الإهلاك لأنهم مكذبون للرسول ومحاربون لدعوته، ولم يكن يقتضي أن تتكرر قصص التسلية والغفران، ولعل هذا ما قصد إليه السيوطي بقوله: «إن قصص القرآن إنما كررت، لأن المقصود بها إفادة إهلاك من كذبوا رسلهم، والحاجة داعية إلى ذلك لتكرير تكذيب الكفار للرسول صلى الله عليه وسلم».(١٠)

***

هذه باختصار شديد، بعض الأسباب الكامنة وراء السر في ورود قصة يوسف مرة واحدة في القرآن الكريم، والرأي ميَّال إلى قبول السبب الثاني والثالث والرابع، لأن لها اعتبارات، ومرجحات غير مختلف فيها، أما السبب الأول وهو السبب الأخلاقي، فلا يمكن قبوله، فضلاً عن كونه يشكل مدخلاً لتبعيض القرآن تلاوة وفهماً، ومنفذاً لتسرب الأوضاع التفسيرية المختلة التي تمثل أحد أسباب الأزمة الحضارية في علاقة المسلمين بكتاب ربهم.

إن أحد أهداف الاشتغال بمثل هذه الموضوعات التذكير بأن التراث التفسيري غني وقوي، لكنه محتاج في بعض جوانبه إلى تنقية وتقويم بغية التأصيل العلمي الشامل، والتجديد المنهجي الثاقب، وما قصة يوسف سوى نموذج جزئي نورده للتذكير بالإشكال العام، والله الموفق للصواب. ■

الهوامش

١ ـ ابن المعتز: «البديع» ص:١١٦.

٢ ـ د. أحمد أبو زيد: «التناسب البياني في القرآن»، مطبعة النجاح الجديدة، البيضاء، ط:١، ١٩٩٢، ص:٦٧.

٣ ـ ابن أبي الأصبع: «بديع القرآن» تحقيق: حفني محمد شرف، نهضة مصر، ط:١، ص:٢٩٠.

٤ ـ السيوطي: «معترك الأقران في إعجاز القرآن»، تحقيق: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط:١، ١٩٨٨م، ج١، ص ٢٦٤.

٥ ـ د. عبدالعظيم إبراهيم المطعني: «خصائص التعبير القرآني»، مكتبة وهبة، القاهرة، ط١، ١٩٩٢م، ص٣٣٣.

٦ ـ السيوطي: «معترك الأقران»، ج١، ص ٢٦٤.

٧ ـ الزمخشري: «الكشاف»، دار الفكر، بيروت، ط:١، ١٩٨٣م، ج٢، ص ٣٤٧.

٨ ـ انظر الأحاديث المروية في هذا الشأن في «جامع البيان» للطبري، دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٩٢م، المجلد السابع، ص ١٤٧ ـ ١٤٨.

٩ ـ السيوطي: «معترك الأقران» ج١، ص ٢٦٥.

١٠ ـ المرجع السابق نفسه.

بقلم: د.حسن عزوزي

يشكل الإعلام الغربي بكل مكوناته من صوت وصورة وكلمة وكاريكاتور أبرز قنوات الاتصال التي تنتج وتفرخ سياسة التخويف من الإسلام في ديار الغرب، فهي بما تمتلكه من إمكانات جبارة وقدرة هائلة على الانتشار وقوة الجذب والتأثير استطاعت أن تجعل الشأن الإسلامي ضمن اهتمامات الإنسان الغربي، وبالتالي فقد أمكنها استغلال هذا الأمر لترسيخ صورة إسلام رهيب مخوِّف وكاسح في مخيلة المشاهد أو القارئ الغربي. ولبلوغ هذا الهدف لا يتوانى الإعلام المطبوع والمرئي والمسموع في التنافس من أجل التركيز المغالي على كل ما قد يبدو مهدداً للغرب من جانب الإسلام والمسلمين، ويتم ذلك عن طريق العمل على تشويه صورة المسلمين والتعتيم على أمورهم وقضاياهم وتزييف الوقائع والحقائق بحسب المنطلق والأهداف والأطماع والمصالح المتعارضة.

سياسة التخويف من الإسلام في الإعلام الغربي



● مؤتمرات المسلمين في الغرب تبدد مخاوف الغربيين من الإسلام

وتعتبر الصحافة الغربية أكثر القنوات الإعلامية إثارة لهذا الموضوع، وذلك من خلال التقارير والاستطلاعات والملفات الصحافية التي تتبارى الجرائد والمجلات في تقديم أكثرها اجتذاباً وتأثيراً وأوفرها إثارة ولفتاً للانتباه.

وتتم تغذية تلك التقارير والملفات بما يجعل القارئ الغربي تأخذه الدهشة ثم الحذر والخوف، فالإحصاءات المبالغ فيها عن كثرة المساجد الموجودة ببلاده مثلاً أو عن ازدياد نمو الجالية المسلمة المقيمة على أرض بلاده والتوقعات المستقبلية لاحتمال وجود إسلامي قوي بالغرب، كل ذلك يسهم في إذكاء مشاعر الخوف والتوجس في صفوف الغربيين.

ولكي نكون أكثر وضوحاً، نشير إلى أن

الخبير الفرنسي في شؤون الحركات الإسلامية جيل كيبل كان قد أصدر العام ١٩٨٧م كتاباً ضخماً يحمل عنوان: «ضواحي بلاد الإسلام»(١) ضمنه الحديث بتفصيل عن واقع الوجود الإسلامي في فرنسا.

ومن خلال استطلاعاته الميدانية أمكنه استنتاج وجود أكثر من ألف مسجد في فرنسا «وهذا العدد يشمل بطبيعة الحال في أكثر من أربعة أخماسه قاعات للصلاة لا يتجاوز طولها بضعة أمتار»، لذلك كان كافياً التصريح بهذا العدد الكبير لكي يكون له وقعه وأثره السيئ في نفس المواطن الفرنسي الذي أمسى يتخيل وجود مسجد أو أكثر في كل ركن من أركان بلدته الصغيرة، وأذكر أن الصحافة الفرنسية عندما تحدثت عن الكتاب قبل وبعد صدوره كان أبرز عنوان مثير تصدر الحديث عنه هو «فرنسا بلاد الألف مسجد ومسجد»(٢)، وهو عنوان له بريقه وجاذبيته تناقلته مختلف الصحف والمجلات عن بعضها بعضاً سعياً وراء الإثارة والسبق الصحافي وتحريك مكامن الخوف والذعر في نفوس المواطنين الفرنسيين، إن مثل هذه الإثارة المقصودة لا يمكن أن تمر دون أن تعمل عملها في نفسية القارئ الغربي الذي لا يستطيع أن يتقبل مثل هذا.

من جانب آخر أظهرت بعض الإحصاءات الرسمية في الولايات المتحدة الأميركية في العام ١٩٩٨م أن عدد المسلمين بها ستة ملايين نسمة، أضحى يفوق عدد اليهود، وبذلك أمسى الإسلام هناك يحتل المرتبة الثانية بعد النصرانية، وهي المرتبة التي كانت اليهودية تحتلها إلى عهد قريب، ولم يكن الإعلان عن الإحصاءات الجديدة لتمر دون تعليق وتحليل من طرف الصحافة الأميركية، حيث أجمعت الصحف والمجلات السيارة في الديار الأميركية على إبداء امتعاض كبير وتخوف شديد من احتمال تكون لوبيات إسلامية قوية تعبّر عن انتمائها وتمسكها بمبادئ الإسلام وتعاليمه، وبذلك ستشكل لا محالة خطراً إسلامياً قد يتهدد الغرب برمته.

ولم تتورع الصحافة الأميركية ومعها الصحافة الأوروبية في الاستنجاد بالمصطلحات الرنانة التي يتم اقتناصها ببراعة، قصد توظيفها واستغلالها في أثناء أوقات الأزمات ونشوب الخلافات مثل مصطلحات «اليقظة الإسلامية» أو «الإحياء الإسلامي» أو «عودة الإسلام» أو «الانفجار الإسلامي» وغير ذلك.(٣)

وعلى سبيل الإيضاح، وتحت العنوان الأخير «الانفجار الإسلامي»، نقدم مثالين معبّرين، فقد نشر الصحافي الأميركي مايكل والترز مقالته «الانفجار الإسلامي» في ديسمبر ١٩٧٩م أي عند تفجر الثورة الإيرانية تناول فيها عدداً ضخماً من الوقائع والأحداث التي شهدها النصف الثاني من القرن العشرين، وأكد أن عنصري العنف والغلو موجودان لدى الثورة الإسلامية، كما أكد بشيء من الإلحاح على ما وقع في إيران وفلسطين ولبنان، وقد خلص بعد سرد تلك الوقائع بكثير من التشويه والتمويه إلى القول: إنه من الممكن تفسيرها كوقائع لشيء واحد مخيف هو «الإسلام»، فهو مرآة كل ما يقع ضد الغرب، وبالتالي فهو نمط ثابت من القوة السياسية الضاغطة على الغرب، كما أنه شعور معنوي وديني خلاق لكنه مخيف، فمثلاً عندما يقاوم الفلسطينيون الاحتلال الإسرائيلي يؤكد صاحب المقالة أن تلك المقاومة إنما هي مقاومة دينية لا سياسية أو مدنية أو تحريرية، ويبالغ والترز في تأكيد أن الإسلام شيء مخيف عندما يصفه لقرائه بأنه «قوة تتخطى المسافات زماناً ومكاناً، والتي تفصل بين كل الوقائع والأحداث التي تقع هنا وهناك».

ويؤكد الرجل في مقالته التي تنضح «بالنزعة الاسلاموفوبية» أنه حيثما وجدت الجرائم والحروب والنزاعات الدائمة التي تتخللها الفظائع والأهوال «لعب الإسلام بوضوح دوراً رئيساً» ويخلص والترز إلى القول: إن الإسلام بطبيعته معادٍ للولايات المتحدة الأميركية وضار بمصالحها، كما أن المسلمين أينما وجدوا يكرهون أميركا ويبغضونها.

من جهة أخرى، خصصت مجلة «التايمز» الأميركية في عددها الأخير من العام ١٩٧٩م صفحتين كاملتين لندوة تحمل عنوان «الانفجار في العالم الإسلامي» شارك فيها سبعة أشخاص: ثلاثة من العالم الإسلامي يقيمون في الولايات المتحدة وأربعة باحثين أميركيين مشهورين بتخصصهم في تاريخ الإسلام، وكانت جميع الأسئلة الموجهة إليهم أسئلة سياسية يشير كل منها إلى تهديد الإسلام للمصالح الأميركية، وخطره عليها، واستنتجت المجلة من خلال الندوة القول: «إنه إذا كان الإسلام يحكم تصرفات المسلمين فليتم التحاور مع الإسلام وجهاً لوجه، وأوحت المجموعة الأخيرة من أسئلة «التايمز» بوضوح أن المنطق والإقناع لن ينجحا، وعليه فقد يكون من المحتم اللجوء إلى القوة كملاذ أخير».(٤)

وهكذا أبانت مقالة والترز وندوة «التايمز» عن مدى ومبلغ البغض والكراهية اللذين يكنهما الإعلام الأميركي لظاهرة الصحوة الإسلامية، ويبدو من خلال استعراض الخطوط العريضة لما جاء في كلا التقريرين أن الهدف كان هو عرض مواقف ازدرائية ترمي إلى إذكاء هاجس اليقظة والحذر، كل ذلك من أجل إرضاء القراء الذين يملأ قلوبهم الشك والريبة والخوف والتوجس من الإسلام.

إن مثل هذه المقالات والندوات الصحافية التي يطالها كثير من التمييع والتشويه يراد من خلالها ترويج مقولات وشعارات التخويف والتحذير من الإسلام والمسلمين.

ولعل أبرز ما يحكم تلك التصورات الموغلة في التشاؤم ظاهرتان أساسيتان هما:

١- ظاهرة توجه التيار الإسلامي الجديد في الغرب إلى ممارسة دور سياسي متعاظم ينمو شيئاً فشيئاً، ويمثل أهمية كبرى ما فتئ الخبراء الاستراتيجيون والمستشرقون الغربيون يدرسونها تحت يافطة «الإسلام السياسي».

٢- ما يسمى ظاهرة «التطرف الديني» التي يحلو للغربيين أن يبالغوا في توصيفها وتحليلها وذلك بإلصاق تهم العنف والإرهاب والتعصب بكل ما يمت إلى الإسلام والمسلمين بصلة من غير تمييز أو تفريق.

يقول برنارد لويس الأستاذ بجامعة برنستون الأميركية وهو يرمي إلى ذلك: «الإسلام قوة جبارة جداً، وإذا كان الإسلام لم يلعب دوره في المجال الدولي، فما ذلك إلا لفقدان القيادة التي تستطيع القيام بذلك ولكن ظهور هذه القيادة محتمل جداً. إن وصول الإسلام إلى مركز القوة أمر له خطورته، فهل سيتسامح الإسلام مع غير المسلمين؟ هل سيتسامح مع اليهود في إسرائيل أو النصارى في لبنان أو مع أوروبا ذات الخلفية الصليبية»(٥)



● مجموعة من المسلمين الجدد في إحدى الدورات التي ينظمها مكتب الإعلام الإسلامي في السويد

إن الإسلام من منظور أجهزة الإعلام الغربية يبدو ديناً يتسم بالانغلاق والجمود، ويثير الخوف والرعب، ومن هنا تكمن ضرورة تقزيمه وتحجيم دوره وذلك عن طريق جعله مادة استهلاكية في وسائل الإعلام من أجل التأثير بشكل سلبي على تشكيل الرأي العام الغربي وحتى العالمي في رؤيته للإسلام.

وتعتبر سياسة التخويف من الإسلام أنجع السبل من أجل تحقيق الأهداف المرسومة لمجابهة هذا العدو الجديد ومقاومته، وهذه السياسة الجديدة التي تفتقت عنها أذهان الغربيين لها آلياتها ومناهجها، فلا يعزبن عن البال مثلاً أن التغطية الإعلامية للإسلام في الغرب ترتبط في جميع مراحلها وخطواتها بالتعمية والتمويه ما يعتبر إفرازاً «للأدلجة» وغياب إرادة المعرفة، إذ لم يكن استهداف الحقيقة يوماً ما غاية الإعلام الغربي في تغطيته للإسلام، فهو لا يريد الاستئناس بالمرجعية الأصيلة التي تؤرخ لهذا الدين وتبين حقيقته وطبيعة مبادئه وقيمه، كما لا يهمه تقديم الإسلام وتشكيله للرأي العام في قالب يبدو للمتتبع الحصيف أبعد ما يكون عن واقع الأمر وحقيقته مع أنه قد بات أمراً طبيعياً طرح أي رأي كائناً ما كان في حق الإسلام والمسلمين عبر شاشات التلفاز أو عبر الصحافة المكتوبة الغربية كي يسود المشاهدين والقراء على السواء قابلية لا مثيل لها لتقبل تلك الآراء المتحاملة والخاطئة والدعوات التخويفية المثيرة شرط أن تكون جديدة وطريفة غير تقليدية أو شائعة التداول، فتصبح بذلك الصورة السلبية عن الإسلام والنزعة التخويفية منه أكثر تمكناً في العقل الغربي.

ولا أحد يجادل في أن «وجبات الإسلام» التي أصبحت تقدم للمشاهد والقارئ الغربي بين الفينة والأخرى - وبخاصة في أوقات الأزمات - قد تميعت بشكل صارخ ومما زاد من حدتها ما يرافقها من مشاهد وصور تمثل الإسلام والمسلمين في أشكال مقولبة موغلة في التضليل والتعمية والإثارة، وهذا ما زاد من إقبال الغربيين على مشاهدة وقراءة كل ما ارتبط بالإسلام، لذلك كان من الطبيعي أن تدأب الصحافة الفرنسية مثلاً على الزيادة في حجم مبيعاتها من الصحف والمجلات بنسبة تتراوح بين ١٥ و ٢٠ في المئة، كلما كان ملف العدد الرئيس يتعلق بالإسلام، فالصحافة الفرنسية يحلو لها كثيراً أن تجعل من الحديث عن الإسلام موضوع «غلاف العدد» ولو كان عدد صفحات التحقيق حوله والمبثوث داخل العدد أقل من عدد الصفحات المخصصة لموضوعات أخرى يحملها العدد نفسه، فموضوع «الإسلام قد أضحى مثيراً وجذاباً ما يدفع إلى حبك صورة الغلاف بما يكون أكثر إثارة وتمييعاً ولفتاً للانتباه».

أما العناوين الطنانة والنعوت الرنانة التي ترفق بالمقالات والتحقيقات الصحافية المخصصة لموضوع الإسلام فهي بالغة التمويه والإثارة وموغلة في الاستفزاز والازدراء.

ونقدم فيما يلي أمثلة موثقة عن ذلك من الصحافة الأميركية والفرنسية.

* «الانفجار في العالم الإسلامي»: مجلة التايمز الأميركية، الأسبوع الثاني من ديسمبر ١٩٧٩م.

* «الإسلام المقاتل: الزوبعة التاريخية»: النيويورك تايمز - يناير ١٩٨٠م.

* «جذور السعار الإسلامي» مجلة اتلانتيك الشهرية ١٩٩٠م - مقالة كتبها برنارد لويس.(٦)

* «الإسلام في حمى»، جريدة لوموند الفرنسية، - ١٠ أعداد متتالية ١٩٨٩/٤/٣م - ١٩٨٩/٤/٤م.

* «فرنسا: هل يجب الخوف من الإسلام؟ مجلة «حدث الخميس» - العدد ٢٧٠ - ٤ يناير ١٩٩٠م.

* فرنسا: أرض للإسلام مجلة الاكسبريس - عدد ١٩٧٥ - ١٩ مايو ١٩٨٩م.

* صدام الإسلام والغرب مجلة L'evenement du Jeudi يونيو ١٩٩٦م.

الهوامش

١ - Gilles Kepel: Les Banlieus de L'Islam- Paris 1987.

٢ - انظر على سبيل المثال مجلة لونوفيل أو بسرفاتور عدد ١١٩٦ - أكتوبر ١٩٨٧م.

٣ - معظم تلك المصطلحات البراقة تجد طريقة وبسهولة إلى أغلفة أعداد المجلات التي تتضمن الحديث عن الإسلام، بل هناك كتب ضخمة تحمل عناوين مماثلة، كما هو الحال في كتاب «عودة الإسلام» لبرنارد لويس.

٤ - إدوارد سعيد: تغطية الإسلام، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٨٣م ص ١١١.

٥ - Bernard Lewis: Le retour de L'Islam, ed Gallimard - Paris 1985 p89.

٦ - تم تعريبها ضمن أبحاث كتاب «الإسلام الأصولي» لبرنارد لويس وإدوارد سعيد، دار الجيل - بيروت ١٩٩٤م ص٩ - ٢٣.

٧ - إمعاناً في التضليل والتشويه تم إرفاق كل مقال من المقالات العشر برسم كاريكاتوري موغل في الازدراء والاحتقار للإسلام وحياة المسلمين الاجتماعية.

بقلم: د. أحمد عبد الوارث مرسي محمد

حقيقة الشفاعة والرد على منكريها

الشفاعة: مصدر من الفعل الثلاثي «شفع» وهو ضد الوتر، يقال: كان وتراً فشفعه، والشفيع، هو صاحب الشفعة وصاحب الشفاعة واستشفعه إلى فلان سأله أن يشفع له إليه، وتفسير ذلك أن صاحب الحاجة كان مفرداً في طلبها فضم إليه آخر يتقوى به.(١)

وقد وردت الشفاعة في القرآن الكريم اثنتين وثلاثين مرة بالفعل واسم الفاعل والمصدر(٢) كما في قوله تعالى: (من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه) البقرة:٢٥٥، وقوله جل شأنه: (ولا يشفعون إلا لمن ارتضى) الأنبياء:٢٨، إلى آخره.

وعند علماء السنة أن الشفاعة نوعان رئيسيان هما: شفاعة دنيوية، وشفاعة أخروية، أما الأولى فمنها المحمودة والمذمومة، والمذمومة ما كانت في باطل أو الاعتقاد في شفاعة الموتى أياً كانت درجات إيمانهم وأعمالهم التي رأيناها منهم في حياتهم، وأما الشفاعة المحمودة في الدنيا فهي ما كانت في قضاء حوائج الناس، ورفع مطالبهم التي لا يستطيعون رفعها لدى أهل الشأن، والاستشفاع في رفع المظالم عن المظلومين وبيان حق من خفي حقه، وقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم، بها وحض عليها في مواضع كثيرة من السنة المطهرة كقوله صلى الله عليه وسلم: «من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، والله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه»، وغير ذلك الكثير والكثير مما يضيق المقام عن ذكره.

أما الشفاعة الأخروية أي الشفاعة في الدار الآخرة، فمنها المقبولة ومنها المردودة، فأما المردودة فهي شفاعة آلهة الشرك وشفاعة الكفار والشفاعة من دون إذن الله ـ سبحانه وتعالى ـ والأصل في ذلك قوله الله تعالى: (فما تنفعهم شفاعة الشافعين) المدثر:٤٨، وهم الكفار والمشركون وقوله: (ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له) سبأ:٢٣، وذلك عن رد شفاعة من لم يأذن له الله بذلك وقوله: (يومئذ لاتنفع الشافعة إلا من أذن له الرحمن) طه:١٠٩.

وأما الشفاعة المقبولة فهي شفاعة الأعمال الصالحة، وشفاعة العلماء والشهداء وشفاعة الملائكة وشفاعة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

وهذه الشفاعة ـ أعني شفاعة الأنبياء ـ وخصوصاً سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، هي مدار بحثنا هذا، فهي التي يقول فيها القائلون وينكرها المنكرون بما رسخ في أذهانهم من رغبة ملحّة وعطش شديد إلى الجدل الذي لا يأبهون بعاقبته، فلديهم الجرأة واللامبالاة وعدم الخوف بالعواقب الوخيمة التي تنتظرهم في الآخرة إن لم يتوبوا، وربما كانت الألقاب العلمية التي يحملونها تجعلهم يتجرأون على ذلك نسأل الله العفو والعافية لنا ولهم.

فأما هذه الشفاعة ـ أعني شفاعة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فهي ثابتة بالكتاب والسنة وإجماع الأمة وقد سبق وأن ذكرت بعضاً من آيات الله في ذلك، وهي وإن كانت تنكر الشفاعة فهي تنكر على الكافرين أو الشفاعة من دون إذن الله تعالى، وهذا في حد ذاته دليل واضح وحجة قوية على ثبوتها لغير من ذكرت الآيات، فإذا كان الله يعلمنا بأنه لا شفاعة للكافرين فالوجه الآخر هو ثبوت الشفاعة للموحدين المؤمنين وإذا كان الله يقول (لاتنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن ورضي له قولاً) فمفهوم الاستثناء أن من يأذن له الرحمن بها يصير شفيعاً، ومَنْ مِنَ الخلائق يرضى الله له قولاً ومن ثمَّ يأذن له بالشفاعة كسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم؟ وهو الذي تهرع الخلائق إليه جميعاً يوم النشور راجين منه الشفاعة وانتهاء الموقف العصيب والقضاء ذلك اليوم الذي يقول عنه رب العزة (ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود) هود:١٠٣، ويقول عنه في موضع آخر (وإن يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدون) الحج:٤٧، عند ذلك يقول أنا لها أنا لها ويسجد تحت العرش فيناديه الرحمن: «ارفع رأسك واشفع تُشفَّع وسل تعط».

تلكم هي الآمال التي نعيش عليها في الحياة الدنيا بعد أن أثقلت الذنوب والمعاصي كواهلنا فليس لنا من سبيل غير رحمة الجليل وشفاعة سيد المرسلين.

وأما السنة فمواضع الشفاعة وورودها كثيرة كثيرة وهي على درجة من الصحة والثبات لا يتطرق إليها شك أو زيف فقد رواها من أجمعت الأمة على صحة أحاديثهما، وهما الإمام البخاري والإمام مسلم رحمهما الله، فقد أخرج البخاري ومسلم في صحيحهما عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لكل نبي دعوة مستجابة فتعجل كل نبي دعوته وإني خبأت دعوتي شفاعة لأمتي إلى يوم القيامة فهي نائلة إن شاء الله لمن مات من أمتي لا يشرك بالله شيئاً»(٣)، كما أخرجا رضي الله عنهما ـ في صحيحهما عن عمران بن الحصين عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يخرج الله من النار قوماً بشفاعة محمد، صلى الله عليه وسلم فيدخلهم الجنة فيسميهم أهل الجنة الجهنميون»(٤).

وقد تعدى مقام سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم كل المقامات فلم تقتصر شفاعته على أمته فحسب، ولكن ورد إلينا بالطريق الصحيح أن شفاعته نائلة ـ إن شاء الله ـ الخلائق كلها يوم الفزع الأكبر، يوم الهول والحساب، وقد سبق لي ذكر ذلك وفي الحديث الذي رواه الإمام البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «إن الناس يصيرون يوم القيامة جثاء كل أمة تتبع نبيها يقولون: يا فلان اشفع يا فلان اشفع حتى تنتهي إلى محمد صلى الله عليه وسلم فذلك يوم يبعثه الله مقاماً محموداً».(٥)

وفي غير البخاري ومسلم جاءت أحاديث الشفاعة كثيرة وصحيحة منها ما رواه الإمام أحمد «شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي» وما رواه الترمذي وابن ماجه والبيهقي: «من استطاع منكم أن يموت بالمدينة فليمت بها فإني أشفع لمن يموت بها».

وقد أثبت الشفاعة خلق كثير من الفقهاء والعلماء والعارفين، فقد أورد الشيخ عبدالرحمن بن يوسف بن حسين في كتابه القيم عن الشفاعة بعنوان «شهب أهل السنة والجماعة على منكري المحمود والشفاعة»، موقف كبار الفقهاء في هذه المسألة، فروي عن الإمام الطحاوي: والشفاعة التي ادخرها لهم حق كما روى في الأخبار»، وعند القرطبي المفسر عن القاضي عياض(٦): شفاعات نبينا يوم القيامة خمس، شفاعات تدور كلها تقريباً حول ما ذكرناه سابقاً.

والإمام الغزالي(٧) يوسع دائرة الشفاعة فيرى أنها تصل إلى الصدّيقين والشهداء والصالحين، وقد نقل الإمام الغزالي قوله صلى الله عليه وسلم: «أعطيت خمساً لم يعطهن أحد من قبلي نصرت بالرعب مسيرة شهر وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد من قبلي وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً فأيما رجل أدركته الصلاة فليصل وأعطيت الشفاعة وكل نبي بعث إلى قومه خاصة، وبعثت للناس عامة».

وابن تيمية(٨)، يثبت للرسول صلى الله عليه وسلم ثلاث شفاعات، الأولى أنه يشفع في أهل الموقف - كما ذكرنا في الحديث الدال على ذلك سابقاً، الثانية أنه صلى الله عليه وسلم يشفع في أهل الجنة أن يدخلوا الجنة. وأما الثالثة فإنه يشفع صلى الله عليه وسلم فيمن استحق النار.

والخلاف في أمر الشفاعة موضوع قديم يرجع إلى عصر الجماعات والفرق الإسلامية، فقد رفضها المعتزلة أتباع واصل بن عطاء الذين قالوا لا يخرج من النار بشفاعة أحد أياً كانت درجته. كما أنكر الشفاعة - أيضاً - الخوارج بل رأوا أنها تتعارض مع القرآن الكريم، ذلك لأنهم استشهدوا بالآيات التي تنكر الشفاعة للكافرين مثل قوله تعالى: (ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع» غافر:١٨، وقوله - جل وعلا - (فما تنفعهم شفاعة الشافعين) المدثر:٤٨، ومما يذكر - كما هو معلوم - أن هذه الآية مسبوقة بقوله تعالى: (إلا أصحاب اليمين. في جنات يتساءلون. عن المجرمين. ما سلككم في سقر. قالوا لم نك من المصلين. ولم نك نطعم المسكين. وكنا نخوض مع الخائضين. وكنا نكذب بيوم الدين. حتى أتانا اليقين) المدثر:٣٩-٤٧. فهل هؤلاء المجرمون يستحقون شفاعة أحد من عدل الله المطلق الذي ينتظرهم يوم القيامة.

وامتداداً لفكر الخوارج وجرأتهم في هذا الأمر سلك أقوام في العصر الحاضر المسلك نفسه، ووقعوا فيما وقع فيه الخوارج والمعتزلة ومن سار على شاكلتهم فأنكروا الشفاعة واعتبروها على شاكلة محسوبيات الدنيا وعلى طريقة مراكز القوى وهم يعتقدون أنهم أهل الرأي الحر أو كما يقولون عن أنفسهم أهل التنوير «نور الله قبور المؤمنين فقط»فصالوا وجالوا ولو كانوا مغمورين لقلنا إنهم ساروا على طريقة «خالف تعرف» ولكن - للأسف - معروفون تماماً ولهم تاريخ أسود، ودارت المعارك بينهم وبين العلماء قبل ذلك سجالاً وكانت في أعز شيء على الإنسان والزاد الوحيد له في الآخرة وهو العقيدة.

وهاهم الآن يوجهون هجماتهم الشرسة إلى دين الله فيحاولون النيل من أساسياته، الكتاب والسنة فهم يقولون: إن ما جاء في البخاري حول أحاديث الشفاعة مناقض للقرآن، وهم يريدون - بذلك - أن يشككوا في كل ما جاء في أحاديث البخاري ليكتمل لهم بذلك التشكيك في أمر الفرائض كلها وبذلك يتحقق لهم ما أرادوا.

والإمام البخاري ما جاء بكلام من عنده، بل هو صاحب منهج نقدي في اعتماد الأدلة وتمحيصها ولو صح لهم ما قالوا عن البخاري - ولن يكون - لتطرق الكلام إلى القراء الذين رووا بالطريق الثابت الصحيح - القرآن على ما قرأوه به.

وهم يقولون إنها ليست شفاعة ولكنها بشارة من الملائكة، وهذا في حد ذاته - إثبات عفو إلهي وقد سماها رب العزة شفاعة وسموها بشارة، إذن فمن الذي تصح تسميته لدينا؟. الرحمن الرحيم أو أهل الجدل والضلالات؟ لقد كان أمر الشفاعة مسار مناقشة تمت في فجر الإسلام بين الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، وكأنه توقع ما نحن فيه الآن - وبين عمر بن الخطاب رضي الله عنه - فيما رواه الطبراني وفي مجمع الزوائد عن الجامع الكبير للسيوطي عن عبدالرحمن بن أبي رافع أن أم هانئ بنت أبي طالب خرجت متبرجة وقد بدا قرطاها، «ومفهوم التبرج - هنا ليس مفهوماً عصرياً ولكن التبرج المقصود هو بيان قرطيها فقط كما ذكر» فقال لها عمر بن الخطاب: اعلمي أن محمداً لا يغني عنك شيئاً... فجاءت إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبرته فقال: ما بال أقوام يزعمون أن شفاعتي لن تنال أهل بيتي إنها تنال حاوحكم(٩)(١٠)، أي أن شفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم حقيقة مؤكدة وسوف تنال - إن شاء الله - كل من مات مؤمناً موحداً غير ملحد ولا مجادل في أمور الدين وبخاصة في الثوابت فيه.

وباب التوبة مفتوح من الله على عباده حتى تطلع الشمس من مغربها. ويوم القيامة، يوم الخزي والندامة يوم يستحق - بجدارة - العمل له والاستغفار عن كل ما كان من الإنسان من خطأ فالله سبحانه وتعالى يقول: (وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون) الأنفال:٣٣.

فليعد هؤلاء إلى رشدهم وليلجأوا إلى ساحات دينهم الحنيف ولينفضوا عنهم غبار الخزي وبخاصة إذا كان الإنسان قد اقترب من باب قبره بتقدم عمره، وليعلم أن شهرة الدنيا بالاختلاف في الرأي في أمر الدين ستعود عليهم بالخسران والخذلان يوم الفزع الأكبر، نسأل الله لنا ولهم العفو والعافية في الدين والدنيا والآخرة وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

الهوامش:

١ - لسان العرب - مادة «شفع».

٢ - المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم.

٣ - البخاري ٧٤٧٤، مسلم ٣٣٨.

٤ - البخاري ٦٥٦٦، صحيح مسلم ٣٢٠.

٥ - صحيح البخاري.

٦ - في كتاب «التذكرة في أمور الموتى وأحوال الآخرة».

٧ - في إحياء علوم الدين.

٨ - في كتاب «العقيدة الواسطية».

٩ - حاوحكم: قبائل غير معروفة ولا نسب لها في الجزيرة العربية.

١٠ - رواه الطبراني وانظر اللسان مادة (ح و ح).

بقلم: غازي التوبة

عرَّفت الموسوعات السياسية الأمة فقالت: «أمة مجموعة بشرية يكون تآلفها وتجانسها القومي عبر مراحل تاريخية تحققت خلالها لغة مشتركة وتاريخ وتراث ثقافي ومعنوي وتكوين نفسي مشترك والعيش على أرض واحدة ومصالح اقتصادية مشتركة، ما يؤدي إلى إحساس بشخصية قومية، وتطلعات ومصالح قومية موحدة ومستقلة».

أمتنا وشخصيتها الحضارية التاريخية

ومع هذا، فهذه الشروط ليست نهائية ولا قاطعة، فهناك أمم لا تتوافر فيها كل هذه الشروط، وهناك شعوب توافرت فيها ولم تبرز إلى حيّز الوجود كأمم بل جماعات قومية داخل أمم متفرقة أخرى» (موسوعة السياسة، ج١ ص٣٠٥).

إذا دققنا في التعريف السابق لنرى مدى مواءمته للأمة الإسلامية، ومدى مناسبته لها لوجدناه منطبقاً عليها، متحققاً فيها، وقد جاء التجانس والاشتراك والوحدة في الثقافة والتراث واللغة والمصالح والتكوين النفسي، جاء كل ذلك من الوحدة الثقافية التي كانت تقوم على الدعامتين الرئيسيتين: القرآن والسنة اللتين أعطتا المسلمين تصوراً واحداً عن الكون والحياة والإنسان، ورسمتا لهم أهدافاً واحدة تزاوج بين التطلع إلى الآخرة وإعمار الدنيا، وحددتا لهم قيماً واحدة تقوم على التطهّر والتزكّي، وأوجبتا عليهم واجبات واحدة تعود على الفرد والمجتمع بالخير في الدنيا قبل الآخرة، وملأتا قلوبهم بتعظيم الله ورجائه وحبّه ما أورثهم غنىً نفسياً وامتلاءً معنوياً تجسد في أوقاف بلغت ثُلث ثروة العالم الإسلامي، ووجهتا عقولهم إلى التفكر والتدبّر والأخذ بالتجريب، والابتعاد عن الأوهام والظنون ما جعلهم يبتكرون مخترعات تغني الحياة البشرية في مختلف العلوم والمجالات: كالفيزياء والكيمياء والميكانيكا والرياضيات والفلك والطب والأدوية والصناعة والزراعة ... إلخ

إن وعي علماء الأمة وقادتها وأهمية الوحدة الثقافية في استمرار وحدة الأمة جعلهم يتوجهون إلى دعامتي الوحدة الثقافية الأساسية: القرآن والسنة، فيحرصون على جمعهما، ويبتكرون العلوم التي تساعد على ضبطهما، ويخترعون الأدوات التي تساعد على توحيد فهم حقائقهما، فكانت علوم المكي والمدني والناسخ والمنسوخ والنحو والصرف والبلاغة والبديع، ومصطلح الحديث وترجمة الرجال وعلوم الدراية والرواية وعلم أصول الفقه ومدارس التفسير ومعاجم اللغة ... إلخ

من هذه الزاوية يمكن أن نقرر أن اهتمام علماء الأمة بنصي القرآن والسنة لم يكن لقدسيتهما فقط، ولكنه اهتمام مرتبط بوعي أهميتهما في حفظ وحدة الأمة وتعزيزها، وتحقيق استمرار وجودها.

اهتمام علماء الأمة بنصي القرآن والسنة لم يكن لقدسيتهما فقط بل لحفظ وحدة الأمة ولتعزيزها

وإذا قارنا وضع الأمة الإسلامية التاريخية بالتعريف الذي ورد في الموسوعة السياسية السابقة نجد أن الأمة الإسلامية لم تحقق الوحدة فقط، بل حققت آفاقاً أخرى رسمها الإسلام لها وهي:

١ ـ أفق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي جاء في قوله تعالى: (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر) آل عمران: ١١٠، وقد أورث ذلك الأفق الأمة حيوية في مواجهة أمراضها الداخلية، وقد تجسدت تلك الصفة بمؤسسة الحسبة التي كان المقصود منها ضبط السلوك العام للمسلمين، وجعل السلوك المستقيم سجية وطبعاً عندهم وليس أمراً خارجياً، لأن الحدود كان المقصود منها أن تكون رادعة للمسلم، لذلك أناطتها الحكومة الإسلامية بالقاضي وهي تحتاج إلى إقامة البيّنة والشهود وتدرأ عند الشبهات، أما الحسبة فهي تشجيع على الخير وتوجيه وتنبيه وتأديب وزجر

وردع، ثم تأتي العقوبات والتعزير ويجب ألا تصل بحال من الأحوال إلى مستوى حد من الحدود، وللمحتسب واجبات متعددة منها: منع التعديات على الشوارع، والحفاظ على قواعد الاحتشام، ومراقبة الأسواق، والاطمئنان على النظافة العامة... إلخ

٢ - أفق الشهادة الذي يتمثل في قوله تعالى: (وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً) البقرة:١٤٣، وقد تجسدت الشهادة بوعي واقع الآخرين والحرص على هدايتهم، لذلك أصبح المسلم داعياً إلى الله في كل أحواله: حين يتاجر، وحين يسافر، وحين يتعبد، وحين يتعلم... إلخ، وقد كانت النتيجة انتشار الإسلام عن طريق الدعوة أكثر من انتشاره عن طريق الفتوح، ففي الواقع انتشر الإسلام في أفريقيا من الصومال شرقاً إلى السنغال غرباً عن طريق التجارة، فقد قامت شبكة القوافل التي كانت تعبر الصحراء الكبرى بهذا الدور، ولم يكن العرب هم الذين قاموا بالدور الحاسم في غرس الإسلام في هذه المناطق، لكن الفضل الأكبر يعود إلى البربر أصحاب الجمال الذين كانت قوافلهم تجوب دروب الصحراء، وفي الشمال الشرقي من أفريقيا لعب الصوماليون دوراً مماثلاً كتجار قوافل في الركن الشمالي من القرن الأفريقي، وكان هناك جماعات محلية أخرى مثل الهوسا وريولا في غرب أفريقيا قامت بعد اعتناقها الإسلام بنشر الدين من خلال علاقاتها التجارية الواسعة.

أما شرقي آسيا فوصل الإسلام فيه إلى أندونيسيا وماليزيا والفلبين عن طريق التجار المسلمين في الهند ووصل إلى سهولها الداخلية عن طريق المتصوفة والمبشرين المسلمين وعندما جاء القرن السادس عشر كانت جميع الشعوب التركية في أوراسيا مسلمة تقريباً، وبهذا يكون الإسلام قد حل مكان الأديان التي كانت منافسة مثل المسيحية والمانوية والبوذية.

الثالث أفق العالمية: وقد تحقق هذا الأفق لأن الرسول صلى الله عليه وسلسم بُعِثَ إلى الناس كافة وليس للعرب وحدهم، قال تعالى: (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) الأنبياء:١٠٧، وقال تعالى: أيضاً: (وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً) سبأ:٢٨، وقال تعالى: (قل يأيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً) الأعراف:١٥٨، وأكد الرسول صلى الله عليه وسلم ذلك في أحد أحاديثه فقال: «فضّلت على الأنبياء بست: أعطيت جوامع الكلم، ونصرت بالرعب، وأُحلّت لي الغنائم، وجُعلت لي الأرض طهوراً ومسجداً، وأرسلت إلى الخلق كافة، وختم بي النبيون» رواه مسلم.

وقد تحقق أفق العالمية لأن القرآن الكريم كتاب الله إلى الناس جميعاً فقال تعالى: (إن هو إلا ذكر للعالمين) ص:٨٧، ولأن الإسلام أقام الرابطة بين الناس على أساس الإيمان بالله ولم يقمها على جنس أو نسب أو قبيلة فقال تعالى: (إنما المؤمنون إخوة) الحجرات:١٠، وقال الرسول صلى الله عليه وسلم: «يأيها الناس إن أباكم واحد، كلكم لآدم وآدم من تراب، لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى».

عالمية الإسلام تتحقق لأن الرسول بعث للناس كافة وليس للعرب وحدهم

لذلك مزجت الأمة الإسلامية مختلف الأجناس والأعراق والقبائل والشعوب في بوتقتها، وهذا المزج هو ما حلم به الفيلسوف أرسطو وتلميذه القائد العسكري الإسكندر المقدوني، وسعيا إلى تحقيقه بمزج العرقين: اليوناني والفارسي في بابل من خلال زواج الإسكندر المقدوني بابنة كسرى ملك الفرس وزواج كبار ضباطه بشريفات الأسر الفارسية، لكن هذه المحاولة انتهت بوفاة الإسكندر المقدوني

وقد أثمرت عالمية الأمة الإسلامية حضارة عالمية كان للعرب دور مستقل في بداية ظهور الإسلام ولفترة وجيزة، لكن الشعوب الأخرى شاركتهم بعد ذلك في كل عناصرها العلمية والثقافية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية إلخ...، لذلك نجد أن الصرح العلمي في الحضارة الإسلامية بناه علماء من العرب والفرس والهنود إلخ...، وأن الأرض الإسلامية دافعت عنها قبائل وأسر سلجوقية وزنكية، وكردية، وتركمانية، وشركسية، وعثمانية ... إلخ، وأن القيادة السياسية تسلمها العرب من البربر والترك والفرس ... إلخ.

وما ساعد في تحقيق هذه الحضارة العالمية اعتبار الإسلام الأمة الإسلامية مع أمم الأنبياء السابقين أمة واحدة فقال تعالى: (وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون) المؤمنون:٥٢، وقال تعالى: (إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون) الأنبياء:٩٢، وقد جاء الوصف بالأمة الواحدة في السورتين بعد حديث تفصيلي عن معظم الأنبياء السابقين ومنهم: موسى، وهارون، وإبراهيم، ولوط، وإسحق، وداود، وسليمان، وأيوب، وإسماعيل، وإدريس، وذو الكفل، وذو النون، وزكريا، ويحيى، وعيسى ... إلخ.

وما عزز هذه العالمية إفراد مساحة تشريعية وبخاصة في التعامل مع أهل الكتاب: أتباع موسى وعيسى عليهما السلام، حيث أباح الإسلام أكل ذبائحهم والزواج بنسائهم فقال تعالى: (وطعام الذين أُوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حلٌ لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم) المائدة:٥.

الأرض الإسلامية دافعت عنها قبائل وأسر سلجوقية وزنكية وكردية وتركمانية وشركسية وعثمانية

إن هذه الآفاق الحضارية التي حققتها الأمة الإسلامية في التاريخ جديرة بأن تكون محل بحث تفصيلي لكي نحسن فهم واقعنا، ونحسن التعامل معه حاضراً ومستقبلاً. ■

قضايا عالمية

بقلم: أحمد محمد بكر موسى

يسعدني أن التقي بكم هذه المرة لكي نجيب على السؤال التالي: موضوعات حقوق الإنسان التي تختلف فيها المواثيق الدولية مع الشريعة الإسلامية، هل نتبع فيها المواثيق الدولية المستخلصة من الحضارة الغربية «الأميركية خصوصاً» أم من حقنا أن نتمسك فيها بالشريعة الإسلامية؟ أو بمعنى آخر هل نكون نحن كما نريد نحن أم نكون نحن كما تريد أميركا؟ هذا هو موضوع عولمة حقوق الإنسان، والذي نتناوله من خلال الموضوعات التالية:

عولمة حقوق الإنسان!!

العولمة:

إن التوصيف الإجرائي للعولمة يشير إلى الدعوة إلى سيطرة الاتجاهات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية الغربية على شعوب العالم الثالث، وعلى حساب تراث تلك الشعوب، بدعوة أن العالم أو الكوكب يعيش كقرية كبيرة تتأثر بما أنتجه الغرب من مؤثرات مادية وتكنولوجية، بل يؤدي هذا التأثر إلى غياب أصل التراث الحضاري لهذه الشعوب، وبذلك يعيش أفراد هذه الشعوب في غربة فكرية عن جذورهم الثقافية التي جعلت منهم شعوباً متميزة بثقافتها عبر العصور التاريخية.(١)

فالعولمة: تدل على فعل وليست صفة، يراد بها محاولة إخراج شيء عن طبيعته الإقليمية وفرضه على المجتمعات الأخرى، وإن لم يتفق في طبيعته ونتائجه مع طبيعة وظروف تلك المجتمعات، فالعولمة لا تعترف بالآخر، بل تنكر حقه في الاحتفاظ بخصوصياته الثقافية والاجتماعية.(٢) فهي واقع أخذت قوى الغرب بقيادة الولايات المتحدة في تطبيقه من أجل صياغة العالم على قالبها ونمطها ونموذجها الحضاري والثقافي والسياسي والاقتصادي وعلى دول العالم أن تغمض عيونها عن حقوقها وخصوصيتها الثقافية والحضارية والقانونية، أي أن التعددية والتنوع ينبغي أن ينتهيا من العالم لحساب القوة الأعظم.(٣) ولقد تناول المفكرون موضوع العولمة من أغلب الزوايا: السياسية، الاقتصادية، الإعلامية، الثقافية،، وغيرها، ولكن أحدا منهم لم يفرد موضوع عولمة حقوق الإنسان ببحث، ويسعدني أن أحاول ملء هذا الفراغ.

الاهتمام الدولي بحقوق الإنسان:

أشرنا في لقاء سابق إلى الاهتمام العالمي الكبير والمتنامي بحقوق الإنسان، وكيف نال هذا الموضوع الحيوي الاهتمام على المستوى العالمي المتمثل في الاهتمام البالغ من منظمة الأمم المتحدة ومنظمة اليونسكو وغيرها من المنظمات الدولية العالمية، ولقد تنوع هذا الاهتمام من الاهتمام بالإنسان عموماً، وذلك مثل الإعلان العالمي لحقوق الإنسان ١٩٤٨م، العهد الدولي للحقوق المدنية والسياسية ١٩٦٦م والعهد الدولي للحقوق الاقتصادية والثقافية ١٩٦٦م، وكذلك تناول الاهتمام بحقوق قطاعات معينة من البشر مثل اللاجئين، فصدرت لحمايتهم على سبيل المثال الاتفاقية الخاصة بوضع اللاجئين ١٩٥١م وغيرها، كما كان الاهتمام البالغ بالقضاء على التمييز العنصري، مثل الاتفاقية الدولية لقمع جريمة التمييز العنصري والمعاقبة عليها ١٩٧٣م وغيرها. وكذلك حماية حقوق الأطفال، مثل اتفاقية حقوق الطفل ١٩٨٩م وغيرها، وكذلك حماية حقوق المرأة، مثل اتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة ١٩٨١م وغيرها، وكذلك حماية حقوق عديمي الجنسية، مثل اتفاقية وضع الأشخاص عديمي الجنسية ١٩٦٠م، وغيرها الكثير والكثير من الإعلانات والاتفاقات العالمية التي لا يتسع المجال لذكرها، ولم تنل موضوعات حقوق الإنسان الاهتمام على المستوى العالمي فحسب، بل نالت الاهتمام على المستوى الإقليمي أيضاً، مثل ذلك الاتفاقية الأميركية لحقوق الإنسان الصادرة عن منظمة الدول الأميركية، الاتفاقية الأوروبية لحقوق الإنسان الصادرة عن مجلس أوروبا، الميثاق الإفريقي لحقوق الإنسان والشعوب الصادر عن منظمة الوحدة الإفريقية، الميثاق العربي لحقوق الإنسان الصادر عن جامعة الدول العربية، الإعلان العالمي لحقوق الإنسان في الإسلام وغيرها كثير.

واقعية الاختلاف:

من المتفق عليه أن أي مجتمع إنساني له خصوصيته الثقافية بحكم تاريخه الاجتماعي الفريد والذي لا يمكن أن يتكرر فهي أشبه بالبصمة الثقافية المتفردة، كما أن أي منطقة حضارية لها خصوصيتها الثقافية مثل المنطقة الإسلامية على سبيل المثال، وإن كانت هذه الخصوصية الثقافية لا تنفي في الواقع القاسم المشترك مع باقي المجتمعات والمناطق الحضارية، بحكم أننا جميعاً ننتمي في الواقع إلى القاسم المشترك مع باقي المجتمعات والمناطق الحضارية، بحكم أننا جميعاً ننتمي إلى الجنس البشري، فالإنسان أولاً وأخيراً هو الإنسان في كل مكان(٤)، وكما يقول هنتنجتون: فإن العالم توجد به سبع حضارات رئيسة هي الصينية، اليابانية، الهندية، الإسلامية، الغربية، أميركا اللاتينية، الإفريقية، وهذا بخلاف الحضارات الصغيرة(٥)، فعلى سبيل المثال الحضارة الغربية الراهنة هي نتاج الفكر اليوناني والمسيحي والنهضة الصناعية، وهي تختلف عن الحضارة الإسلامية أو الصينية التي تستند إلى أسس ثقافية وقيم وممارسات مختلفة.(٦)

وإذا نظرنا إلى قضية الاختلاف في الشريعة الإسلامية، نجدها قد حسمت بقول الله تعالى: (ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين. إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم) هود آية ١١٨ - ١١٩، فالشريعة الإسلامية تقرر واقعية الاختلاف، بل تعترف بحق الآخر في الاختلاف ثم تنظم ممارسة الاختلاف، انظر قول الله تعالى: (لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي) البقرة:٢٥٦.

شرعية الاختلاف:

وفي الواقع لا يتمتع الاختلاف بصفة الواقعية ولا بالشرعية الإسلامية فحسب، بل يتمتع أيضاً بالشرعية الدولية، فالاختلاف والحق في الاختلاف منصوص عليه في قرارات المنظمات الدولية العالمية والإقليمية، وكذلك التجمعات الحضارية، وفي معرض تدليلنا على أن الاختلاف مشروع ويقره القانون الدولي، وسنسوق من الأمثلة التي لا حصر لها، ثلاثة فقط أحدها عالمي، والثاني إقليمي، والثالث حضاري.

الدليل العالمي:

هذا الدليل مستمد من الأمم المتحدة «قمة المنظمات العالمية بلا خلاف» وبالتحديد من الجمعية العامة التي هي أصل السلطة في الأمم المتحدة، فقد تنبهت الجمعية العامة إلى أهمية الاختلاف والتباين بين المجتمعات وتأثيره على عالمية حقوق الإنسان، وقد جاء في قرار الجمعية العامة في ١٦ ديسمبر ١٩٧٧م ما يلي: «وأن بحث هذه الحقوق ينبغي أن يتم في إطار عالمي، مع الأخذ في الاعتبار تباين المجتمعات واختلافها».

الدليل الإقليمي:

يأتي هذا الدليل من آسيا، حيث اجتمعت الدول الآسيوية قبل شهرين من انعقاد المؤتمر العالمي الثاني لحقوق الإنسان والذي انعقد في فينا في الفترة من ١٤-٢٥ يونيو ١٩٩٣م وقد اجتمعت في بانكوك وأصدرت بياناً بأن حقوق الإنسان يجب النظر إليها «في إطار ... الخواص القومية والإقليمية والخلفيات التاريخة والدينية والثقافية المختلفة»(٧).

الدليل الحضاري:

وهو دليل حضاري وإقليمي أيضا وهو يأتي من جامعة الدول العربية، حيث الحضارة الإسلامية، حيث أصدر مجلس الجامعة قراره رقم ٢٦٨ وذلك في دورة الانعقاد العادية لمجلس الجامعة بتاريخ ١٥ سبتمبر ١٩٧٠م، وقد نص القرار على تشكيل لجنة من الخبراء لوضع مشروع إعلان عربي لحقوق الإنسان على أن يراعي هذا المشروع «الظروف التاريخية والتراث الحضاري والروحي والثقافي للأمة العربية».(٨)

وكذلك صدر عن مجلس الجامعة العربية القرار رقم ٥٨١٩ بتاريخ ١٩٩٨/٩/١٧م وذلك بخصوص الموافقة على الخطوط الاسترشادية في مجال وضع معايير لعالمية حقوق الإنسان، وقد جاء في القرار: توصي اللجنة العربية الدائمة لحقوق الإنسان بالاسترشاد بما يلي:

١ - التمسك بالخصوصيات الدينية والاجتماعية والثقافية، التي تشكل موروثات وروافد تسهم في إثراء المفاهيم العالمية المشتركة لحقوق الإنسان.

٢ - التمسك بالسمات الخصوصية والقيم الأصلية في كل مجتمع لايعني الاغتراب الحضاري أو الانغلاق على الذات.(٩)

نسبية حقوق الإنسان:

بعد العرض السابق الذي بان فيه أن الاختلاف واقع وأنه مشروع دولي، وذلك من واقع قرارات المنظمات الدولية العالمية والإقليمية وبعد هذا العرض أستطيع القطع بأن مفهوم حقوق الإنسان نسبي وليس مطلقاً. فمفهوم حقوق الإنسان بطبيعته ينتمي إلى العلوم الاجتماعية، وهي العلوم المتصلة بالقيم السياسية والأخلاقية، وهذه القيم بطبيعتها نسبية ومتغيرة فما يعتبره مجتمع ما قيمة سياسية أو أخلاقية لا ينظر إليه مجتمع آخر النظرة نفسها، ولنا في مفاهيم الحرية والديموقراطية والعدالة والمساواة والعلاقات الجنسية وغيرها خير شاهد على ما نقول، فكل مجتمع يفسر هذه المبادئ والمثل بطريقته، فبعض المجتمعات تهتم بالمفهوم السياسي للحرية، ومجتمعات أخرى تهتم بالمفهوم الاقتصادي، والشيء نفسه ينطبق على الديموقراطية والمساواة والعلاقة بين الجنسين، بل أحياناً بين أفراد الجنس الواحد فهي تدخل في نطاق حرية الفرد لدى مجتمع ما، وتدخل في نطاق القيم الأخلاقية لدى مجتمع آخر.(١٠)

ونسوق مثالاً للتدليل على أن ما يصلح لمجتمع ما قد لا يصلح لمجتمع آخر، وذلك تبعاً لاختلاف التراث والثقافة والعقيدة وغيرها من عوامل الاختلاف بين المجتمعات، وهناك مثل آخر عن ما صدر عن هيئة الأمم المتحدة موافقة الجمعية العامة في يوليو ١٩٩٩م على تطبيق التوصيات التي أقرها مؤتمر السكان والتنمية الذي عقد في القاهرة سنة ١٩٩٤م، ومن أهمها حق المرأة في الإجهاض، فهذا الحق المزعوم قد يوافق المجتمعات الغربية، ولكنه لا يوافق المجتمعات الإسلامية بأي حال من الأحوال، فمعلوم أن الشريعة الإسلامية أضفت حماية بالغة للجنين وحرمت الإجهاض وعاقبت على الجناية عليه بالدية إذا نزل حيا وبالغرة إذا نزل ميتاً بالإضافة إلى الكفارة وذلك على تفصيل لايتسع له هذا المجال. ولكن الذي

يعنينا في هذا المجال هو توضيح علة منع الشريعة الإسلامية للإجهاض والتشديد في معاقبة فاعله، تلك العلة التي تتمثل في الضرر الذي يلحق بالأم والمجتمع، فأما الضرر الذي يلحق بالأم فيتمثل في احتمال تعرضها للمخاطر الصحية التالية في أثناء عملية الإجهاض والتي منها:

١ ـ الصدمة العصبية في أثناء عملية الغسيل المهبلي أو عند إدخال الأجسام الغريبة داخل الرحم.

٢ ـ النزيف نتيجة فصل المشيمة أو قطع أحد الأوعية الدموية.

٣ ـ انثقاب الرحم عند استعمال الآلات.

٤ ـ تقيح الغشاء المبطن للرحم نتيجة استعمال آلات غير معقمة.

٥ ـ التسمم نتيجة استعمال العقاقير، وغيرها كثير من الأضرار الصحية التي لا يتسع المجال لذكرها.(١١)

وأما الضرر الذي يلحق بالمجتمع، فإن الإجهاض يؤدي إلى تناقص النسل مما يهدد بانقراضه ويؤدي إلى انتشار الفاحشة فتزداد الفوضى الجنسية وتقتل روح الأمومة عند المرأة والشعور بالمسؤولية عند الرجل.

هذا وقد نص إعلان حقوق الإنسان في الإسلام في الفقرة (أ) من المادة السابعة على التالي:

«لكل طفل منذ ولادته حق على الأبوين والمجتمع والدولة في الحضانة والتربية والرعاية المادية والصحية والأدبية، كما تجب حماية الجنين والأم وإعطاؤهما عناية خاصة»، وهل يعقل أن ننظر إلى الإجهاض على أنه حق للمرأة ولا ننظر إليه من ناحية حق الجنين في الحياة؟!

وعلى هذا فإباحة الإجهاض تتناسب مع الثقافة الغربية التي تقوم على الفوضى الجنسية والإباحة المطلقة.

وتجريم الإجهاض يتناسب مع الثقافة الإسلامية التي تقوم على تنظيم ممارسة الجنس وتحريم الزنى، فهل يجوز أن يفرض على المجتمعات الإسلامية إقرار حق المرأة في الإجهاض وهو يتعارض مع عقيدتها وأعرافها؟.

عولمة حقوق الإنسان:

عرضنا لواقعية الاختلاف وشرعيته في الشريعة الإسلامية والقانون الدولي، فماذا تفعل الولايات المتحدة حالياً بخصوص حقوق الإنسان؟!! إن أميركا التي تتشدق بالديموقراطية وتعدد الأحزاب، ترفض رفضاً باتاً الاختلاف وتعدد الحضارات على المستوى العالمي، فهي تسعى إلى فرض مفاهيمها عن حقوق الإنسان والتي بثتها في المواثيق والإعلانات الدولية على العالم أجمع بغض النظر عن مخالفة تلك المفاهيم لثقافات وعقائد الشعوب الأخرى، فالولايات المتحدة التي تحض العالم على إلغاء عقوبة الإعدام، قد حكمت بالإعدام على التنوع والاختلاف دون أن تسمع دفاع باقي الحضارات ولم تسمح لأحد بالطعن في الحكم وهي ماضية بالفعل في تنفيذ هذه العقوبة.

فعولمة حقوق الإنسان نقصد بها «محاولة فرض مفاهيم حقوق الإنسان الغربية ـ الأميركية وبخاصة ـ على سائر مفاهيم الحضارات الأخرى»، فهي ـ بهذا نوع من التعصب الأعمى للذات ـ التي تتطرف في تحويل ذاتها إلى مطلق وتكسب ما ينبثق عنها صفة «الإطلاقية والتقديسية»، كلماتها، أفكارها، شعارها، إلخ. وتفرضها على الآخرين الضالين الذين عليهم أن يرتقوا إلى سن الرشد المزعوم، وطلب الغفران، والرجوع بعد الضياع إلى فردوس أفكار المُخَلِّص.(١٢)

بالطبع لا يجوز بأي حال من الأحوال فرض تلك المبادئ المستخلصة من الثقافة الغربية على جميع أنحاء العالم، لأن في ذلك انتهاك لحق الإنسان في الاختلاف، إن لكل أمة هوية هي الأساس في تحديد النظم الاقتصادية والاجتماعية والأخلاقية والإنسانية لتلك الأمة، فلا يجوز فرض ثقافة على ثقافة أخرى لأي سبب أو بأي حجة، وعلى ذلك فما تفعله الولايات المتحدة حالياً من محاولة فرض إعلانات حقوق الإنسان على العالم أجمع ـ على ما فيها من مبادئ تتعارض مع ثقافات وعقائد الأمم الأخرى ـ ما هو إلا نوع من العنف الثقافي تسخّر له الولايات المتحدة كل إمكاناتها العلمية والتكنولوجية والاقتصادية والثقافية والإعلامية، بل قوتها العسكرية إذا اقتضى الأمر لفرض تصوراتها الخاصة عن السلام والأمن والحرية وحقوق الإنسان، وغير ذلك من المفاهيم التي لها تصور خاص عند كل أمة، بل عند كل توجه فكري وسياسي.

وحول هذه العولمة أو «الأمركة» قال جاك لانغ وزير الثقافة الفرنسي في عهد الرئيس ميتران أمام اليونسكو في المكسيك «إنني استغرب أن تكون الدولة التي علمت الشعوب قدراً كبيراً من الحرية ودعت إلى الثورة على الطغيان، هي التي تحاول فرض ثقافة شمولية وحيدة على العالم، وأن هذا الشكل من أشكال الإمبريالية الفكرية لا يحتل الأراضي ولكن يصادر الضمائر ومناهج التفكير واختلاف أنماط العيش». ويذهب عبدالإله بلقزيز إلى أن «الاختراق الثقافي ليس غير هذا العنف الذي يقوم على الإنكار والإقصاء لثقافة الغير، وعلى الاستعلاء والمركزية الذاتية في رؤية ثقافته وأن العولمة بهذا المعنى ليست سوى السيطرة الثقافية الغربية على سائر الثقافات بوساطة استثمار مكتسبات العلوم و«التقانة» في ميدان الاتصال، وهي «أي العولمة» التتويج التاريخي لتجربة مديدة من السيطرة بدأت منذ انطلاق عمليات الغزو الاستعماري منذ قرون وحققت نجاحات كبيرة في إلحاق التصفية والمسخ بثقافات الآخر، وبخاصة في أفريقيا وأميركا الشمالية والوسطى والجنوبية»، إن العنف الثقافي فعل عنف وتكثيف إعلامي شرس وإنكار للثقافات الأخرى وفتح العدسة إلى أقصاها على الثقافة الأميركية كي تبهر العيون، فلا يبقى سواها مع الوقت في عصر العولمة».(١٣)

والولايات المتحدة في سبيل عولمة حقوق الإنسان تستعمل الكثير من الوسائل، منها على سبيل المثال، الإعلام، المنظمات غير الحكومية، والمنظمات الدولية، الحكومات العميلة وغيرها كثير، وسنعرض لبعض هذه الوسائل، وقبل أن نعرض لهذه الوسائل أحب أن أشير إلى أن الولايات المتحدة وهي تقوم بدور العولمة هذا فهي تقوم بدور فرعون حين قال لقومه في القرآن الكريم: (قال فرعون ما أريكم إلا ما أرى وما أهديكم إلا سبيل الرشاد) غافر:٢٩، هذه الآية الكريمة

التي مثلت الوصفية والمعيارية الثقافية التي تحدث عنها هنتجتون في صدام الحضارات حيث يقول: «يمثل التنوع والاختلاف الحضاري تحدياً للاعتقاد الغربي والأميركي وبخاصة في عالمية الثقافة الغربية، هذا الاعتقاد يتم التعبير عنه على نحو وصفي وعلى نحو معياري في الوقت نفسه.

وصفياً: يرى أن كل المجتمعات تريد أن تتبنى القيم والمؤسسات والممارسات الغربية، وإذا ظهر أن لديهم الرغبة أو أنهم يريدون أن يكونوا ملتزمين بثقافاتهم التقليدية، فلابد أن يكونوا ضحايا وعي زائف.

معيارياً: فإن المعتقدات الغربية العالمية تفترض أن شعوب العالم بأسره لابد أن تعتنق القيم والمؤسسات والثقافة الغربية، لأنها تجسد أرقى فكر ولأنها أكثر استنارة وليبرالية وعقلانية وحداثة وتحضراً»(١٤).

فعلى هذا فإن قول الله تعالى على لسان فرعون: (قال فرعون ما أريكم إلا ما أرى) غافر:٢٩، ينطبق تماماً على الوصفية الثقافية، وقوله تعالى: (وما أهديكم إلا سبيل الرشاد) ينطبق تماماً على المعيارية الثقافية، هكذا تسير أميركا في طريق فرعون نفسه، فهل ستلقى مصيره أم ستدوم لها الهيمنة والزعامة والملك؟!.

وهيا بنا إلى الوسائل التي يتخذها فرعون - معذرة - التي تتخذها أميركا في سبيل عولمة حقوق الإنسان، لتحكموا بأنفسكم هل «تفرعنت» الولايات المتحدة أم لا؟

الإعلام:

لاشك أن الإعلام هو أهم وسائل الولايات المتحدة إلى فرض وجهة نظرها عن حقوق الإنسان على العالم أجمع، فهي تستغل إمكاناتها الاتصالية الفائقة في محاولة إقناع العالم بأفكارها وبمبادئها وذلك بغض النظر عن فكر ومبادئ الآخرين، فمثلاً تسمع من القسم العربي لصوت أميركا عقب نشرات الأخبار تعليقاً يصدره المذيع بعبارة «تقدم صوت أميركا وجهات نظر مختلفة وفيما يلي تعليق يعبر عن سياسة الحكومة الأميركية»، ثم يبدأ المذيع في كيل الاتهامات للدول التي يرى أنها تنتهك حقوق الإنسان فيقول إن دولة كذا تنتهك حق الإنسان في كذا، أو أنها تتبنى سياسة كذا، ومن أجل هذا فإن الولايات المتحدة ستتخذ ضدها إجراءات عقابية حتى ترتدع عن هذه الأعمال، ثم يختم المذيع التعليق قائلاً: «كان هذا تعليقاً يعبر عن سياسة الحكومة الأميركية»، إذا هي وجهات نظر وباعتراف أميركا نفسها، ولكنها تريد أن تفرض وجهة نظرها هذه على العالم أجمع، وكثيراً ما تكون هذه الأعمال التي تعتبرها الولايات المتحدة انتهاكاً لحقوق الإنسان لا تعد كذلك من وجهة نظر الحكومات التي تقول أميركا أنها منتهكة ولا من وجهة نظر شعوبها أيضاً، فأين حرية الرأي وأين حرية العقيدة وأين حق الإنسان في الاختلاف؟ إن هذه الأمور لا تعترف بها أميركا التي تقول «لا أريكم إلا ما أرى وما أهديكم إلا سبيل الرشاد».

ولقد أفلحت أميركا أيما فلاح في السيطرة على عقول الكثير من مفكري العالم بغض النظر عن ثقافتهم وعقائدهم، وهذا ما حدث بالفعل في عالمنا الإسلامي، وإن تفاوت هذا التأثر بهذا الغزو الأميركي المتمثل في محاولة عولمة حقوق الإنسان. حتى أن أساتذة الجامعات المتخصصين في الشريعة الإسلامية أنفسهم لم يسلموا من هذا التأثر، فكثير منهم أصبح يتحرج من قول إن الشريعة الإسلامية كفلت حقوق الإنسان أفضل من القانون الوضعي ويتردد أيضاً في الإشراف على رسائل الدكتوراه التي تقارن بين الشريعة الإسلامية وقانون حقوق الإنسان، فكأن هؤلاء يقولون كيف نواجه هذا السيل الإعلامي الأميركي المناصر لمواثيق حقوق الإنسان؟ وكيف نقول ما يخالف وجهة النظر الأميركية التي تريد أن ترفع تلك المبادئ إلا حد التقديس؟.

وفي الواقع لم يسلم من التأثر بهذه العولمة حتى كبار العلماء المدافعين عن الشريعة الإسلامية، ويحدث ذلك حتى في المؤتمرات التي تعقد خصيصاً لخدمة الشريعة الإسلامية، وإليكم مثالاً على ذلك من واقع أعمال المؤتمر العام الحادي عشر للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية المنعقد في القاهرة في الفترة من ٨ - ١١ ربيع الأول سنة ١٤٢٠هـ، فقد تقدم الدكتور صوفي أبو طالب رئيس مجلس الشعب المصري الأسبق ببحث إلى المؤتمر تحت عنوان «أثر العولمة على الهوية الثقافية في العالم الإسلامي»، وكان بحثاً بالغ الجودة والإتقان تعرض فيه لكثير من موضوعات الحضارة الإسلامية وبين تميزها وفضلها، ثم تناول موضوع حقوق الإنسان في الشريعة الإسلامية وهنا ظهر تأثره بالإعلام الأميركي حول حقوق الإنسان، فقد تعرض لبعض حقوق الإنسان في الشريعة الإسلامية فأجاد، ثم ختم موضوع حقوق الإنسان في الشريعة الإسلامية بالعبارة التالية «وهكذا يتبين أن الحضارة الإسلامية تتلاقى مع الحضارة الغربية في خصوص كفالة حقوق الإنسان»(١٥)، وتعليقي على هذه العبارة، أن الحضارة الغربية هي التي لن تتلاقى بأي حال من الأحوال مع الحضارة الإسلامية في كفالة حقوق الإنسان واحترام آدميته وكرامته، فالعقل البشري مهما تقدم لن يصل إلى مستوى التشريع الإلهي، فإعلانات ومواثيق حقوق الإنسان التي صاغها البشر مليئة بالأخطاء والمتناقضات، وذلك على خلاف الحقوق المستمدة من الشريعة الإسلامية التي هي من عند الله العليم بأحوال عباده وما يصلح دينهم ودنياهم في كل زمان ومكان، وبالطبع فإن الدكتور صوفي أبو طالب لا يجهل هذه الحقائق وهو خير من يصيغ العبارة، ولكن الذي دفعه إلى هذه الصياغة «من وجهة نظري» هو ذلك الغزو الإعلامي وذلك السيل الإعلامي الجارف الذي يؤيد إعلانات حقوق الإنسان، فكأنما تحرج سيادته أمام هذا السيل أن يقول إن الحضارة الإسلامية تتفوق على الحضارة الغربية وتتجاوزها.

المنظمات غير الحكومية:

وهذا الأخطبوط المسمى الولايات المتحدة لم يكتفِ بنسج خيوطه الإعلامية والسياسية والاقتصادية وغيرها لفرض وجهة نظره حول حقوق الإنسان على العالم أجمع بل راح يجند في الدول التي يريد أن يقتل ذاتيتها وخصوصيتها، يجند فيها من أبنائها من باعوا دينهم ووطنهم ويكوِّن منهم منظمات يسميها منظمات حقوق الإنسان و«الإنسان والإنسانية منها براء»، وهذه المنظمات لا همَّ لها إلا محاولة هدم ذاتية أوطانها وملء قلوب

المواطنين بتقديس مبادئ حقوق الإنسان، على الرغم من تعارض بعض تلك المبادئ مع عقائد هذه الشعوب.

وأعضاء هذه المنظمات لايؤمنون بصلاح ما في يد الأمة الإسلامية من تراث وعقيدة لمواجهة متطلبات المسلمين واحتياجاتهم الحاضرة والمستقبلية، فاتجه هؤلاء إلى الحضارة الغربية ينشدون عندها الحل، وأسرفوا في هذ الاتجاه بحيث تخلوا عن تفكيرهم المستقل وعن شخصيتهم المستقلة واستحسنوا كل ما رأوه في الحضارة الغربية دون مراعاة الفوارق بين المجتمعات الإسلامية والمجتمعات الغربية، وأن ما يصلح للمجتمعات الغربية قد لا يصلح للمجتمعات الإسلامية، وكانت نتيجة ذلك التعصب للنموذج الغربي وفرض سيطرته وهيمنته، مع السعي إلى اختراق خصوصيات الغير وطمس القسمات التي تتشكل منها شخصيات الأمم والشعوب الأخرى وبخاصة المستضعفة منها.(١٦) فلا شك أن المنظمات والاتحادات غير الحكومية تتأثر مواقفها بالاعتبارات الشخصية المرتبطة بأعضائها وبتوجهاتهم السياسية والفكرية، ما يجعل من الضروري أخذ ما تنشره تلك المنظمات والاتحادات بنوع من الحذر ومن ثمَّ فإن التدقيق والتحري لمعرفة صحة ما تحتوي عليه نشرات تلك المنظمات أمر مهم للباحثين والدارسين الجادين.(١٧)

ونسوق مثالاً لهذه الأعمال التي تقوم بها تلك المنظمات بدعوى الدفاع عن حقوق الإنسان، آخر هذه الأعمال ما قامت به تلك المنظمات العاملة في مصر، حيث ادعت وجود تمييز ضد العقيدة بمصر وأن الأقلية القبطية تتعرض لانتهاك حقوقها، وقد دحض تقرير أعده مجلس كنائس نيويورك عن أوضاع المسيحيين والأقليات في مصر كل ما يتردد في وسائل الإعلام الأجنبية وخصوصاً الأميركية من مزاعم حول تعرض الأقباط في مصر للاضطهاد، وأشار التقرير الذي قدمه الدكتور كورنيلس هالسمان عالم الاجتماع والصحفي ونائب رئيس جمعية المراسلين في القاهرة في مؤتمر صحفي عقده مجلس كنائس نيويورك أن وفداً من المجلس قد زار مصر في مارس ١٩٩٩م لاستطلاع أوضاع الأقباط في مصر وأن الوفد لم يلمس أي مظاهر للاضطهاد، وأشار الدكتور هالسمان إلى أنه التقى بثمانين فتاة مسيحية قيل إنهن قد تعرضن للاختطاف وأجبرن على اعتناق الإسلام، وأكد أنه لم يعثر على حالة واحدة استعملت فيها القوة أو القسر للإجبار على تغيير الديانة أو التحول إلى الإسلام.

وطالب هالسمان جمعيات حقوق الإنسان بمصر والخارج بضرورة توخي الدقة والموضوعية فيما يتعلق بمزاعم اضطهاد الأقباط وإجبار المسيحيات على اعتناق الإسلام.(١٨)

وبهذا يكون قد شهد شاهد من أهلهم ضد الكذب والافتراءات التي تروجها المنظمات بهدف النيل من مصر وشعبها، وأقول للدكتور هالسمان إن طلبك من تلك المنظمات أن تتوخى الدقة وعدم الاعتماد على الإشاعات لهو طلب في غير محله، إذ إنه يقوم على افتراض حسن النية لدى تلك المنظمات، والحقيقة غير ذلك تماماً، فهذه المنظمات تتعمد نشر الإشاعات ولا أبالغ إذا قلت إنها تختلق من تلقاء نفسها وقائع لم تحدث أصلاً، وذلك لتحقيق أهدافهم الخبيثة وإرضاء لمن يقدمون لهم الدعم المادي والمعنوي.

والعجيب في هذا الموضوع أن البابا شنودة الثالث بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية قد أعلن في أميركا أن الأقباط في مصر يتمتعون بكل حقوقهم، وأن الحكومة لا تفرِّق بين مسلم ومسيحي، فالكل أمام القانون سواء، وعلى الرغم من ذلك، فإن الولايات المتحدة قد أصدرت تقريرها عن وضع الأقليات واتهمت مصر باضطهاد الأقباط!! فهل أميركا أدرى بشؤون الأقباط من البابا شنودة؟ (١٩) حقاً إذا لم تستح فافعل ما شئت، وللحديث بقية إن شاء الله تعالى مع باقي وسائل الولايات المتحدة لعولمة الإنسان ونتائج العولمة ودور العالم الإسلامي في مواجهتها. ■

المصادر

١ ـ د.رأفت غنيمي الشيخ ـ جريدة العالم الإسلامي ـ عدد ١٦٠٨ ـ ٢١ ربيع الأول ١٤٢٠هجرية ـ ص٩.
٢ ـ د. السيد محمد الشاهد ـ جريدة عقيدتي ـ القاهرة ـ عدد ٣٤٨ ـ ١٤ ربيع الآخر، ١٤٢٠هجرية ـ ص٧.
٣ ـ د. محمد عبدالله الشرقاوي ـ جريدة عقيدتي ـ عدد ٣٣٧ ـ ٢٥ محرم ١٤٢٠ هجرية ـ ص١٠.
٤ ـ السيد ياسين ـ العولمة والطريق الثالث ـ مكتبة الأسرة ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ ١٩٩٩م ـ ص٤٠.
٥ ـ هنتنجتون ـ صدام الحضارات ـ دار سطور ـ القاهرة ـ طبعة ٢ ـ ١٩٩٩م ص٤٨.
٦ ـ د.محمد نعمان جلال ـ مصر العروبة والإسلام وحقوق الإنسان ـ الهيئة العامة للكتاب ـ ١٩٩٩م ـ ص ١٠١.
٧ ـ هنتنجتون ـ صدام الحضارات ـ مرجع سابق ـ ص٣١٤.
٨ ـ د. محمد نعمان جلال ـ مرجع سابق ص ص١٠١.
٩ ـ المرجع السابق ـ ص٣١٨.
١٠ ـ المرجع السابق ـ ص٢٤.
١١ ـ د.ماهر مهران ـ الإجهاض ـ ص١٠٩ وما بعدها.
١٢ ـ نضال درويش ـ مجلة الطريق ـ بيروت ـ عدد ٢ مارس ١٩٩٩م ـ ص٤٥.
١٣ ـ د. مصطفى عبدالغني ـ مجلة الكويت ـ عدد ١٨٩ ـ ربيع الأول ١٤٢٠هجرية ـ ص٢٦.
١٤ ـ هنتنجتون ـ صدام الحضارات ـ مرجع سابق ـ ص ٥٠١.
١٥ ـ نحو مشروع حضاري لنهضة العالم الإسلامي ـ سلسلة قضايا إسلامية ـ وزارة الأوقاف المصرية ـ القاهرة ١٩٩٩م ـ ص١٠٦.
١٦ ـ د.رأفت غنيمي الشيخ ـ جريدة العالم الإسلامي ـ عدد ١٦٠٨ ـ ربيع الأول ١٤٢٠هجرية ـ ص٩.
١٧ ـ د.محمد نعمان جلال ـ مرجع سابق ـ ص٤٥.
١٨ ـ جريدة الأخبار القاهرية ـ عدد ١٤٧١٦ ـ الأربعاء ٣٠/٦/١٩٩٩م ـ ص٥.
١٩ ـ جريدة عقيدتي القاهرية ـ عدد ٣٥٥ ـ ٤ من جمادى الآخرة ١٩٢٠ هجرية ـ ص٦.

واحة الأرواح

: عبدالغني أحمد الحداد

موئلُ النورِ والهُدىٰ والأمانِ
في مغانيهِ كمْ تطيبُ المعاني
تأنسُ الرُّوحُ في حِماهُ وتسمُو
في سماءِ علْويَّةِ الخفقانِ
ولها فيه دافقٌ من عطاءٍ
وانطلاقٌ في عالمٍ رَحْماني
إنَّهُ واحةٌ ترفُّ ظِلالاً
تَحْضنُ الروحَ في جفافِ الزمانِ
خَشَعَتْ أنْفُسُ الهُداةِ صفاءً
إذ تندَّت بعاطرِ القُرآنِ
وانطلاقُ الدعاءِ من كلِّ قلبٍ
خاشعٍ كي يؤوبَ بالغُفرانِ
إنَّهُ المسجدُ الذي يَحْتويها
منْهَلُ النُّورِ، موردُ الظمآنِ
أُسُّهُ كان من تُقى وصلاحٍ
فارْتقى شامخاً على البُنْيانِ
بين جَنْباتهِ لقاءُ نُفوسٍ
قد تداعتْ لموعدٍ ربّاني
إنَّهُ موعدٌ لنيلِ فلاحٍ
يتعالى مع انْطلاقِ الأذانِ
كُلَّ حينٍ لقاؤُها يتجلّى
فيه طُهْرُ القلوبِ والوجدانِ
قد تسامَتْ على مظاهرِ زَيْفٍ
لاحَ لألاؤها كموجِ دُخانِ

❖❖❖

من هُنا أشْرَقتْ حضارةُ هدي
تملأُ الأرضَ بالسَّنا الإيماني
من هُنا رايةُ الفُتوحِ أطلَّتْ
تنشرُ العدلُ في مدى الأزمانِ
هي للبذْلِ والبناءِ خُطاها
لا لِقَهْرِ الشعُوبِ والأوْطانِ
أحيتِ الحبَّ في النفوسِ وألْقَتْ
ظِلَّها السَّمْحَ فوقَ كونٍ يعاني
حلَقُ العلمِ كَمْ تخرَّج فيها
من دُعاةٍ وعالمٍ إنْساني
يأخذُ الناسُ من جَناها ضياءً
فهْي نورُ العقولِ والأذْهانِ
أيْنَ مِنّا رياضُ عِلْمٍ وهَدْيٍ
تُثْمرُ العِلْمَ وارِفَ الأفْنانِ؟
أين تلك الوجوهُ من كُلِّ فَذٍّ
خالدِ الذِّكْرِ عالمٍ ذي شأنٍ؟
هل نَراها تَعودُ بعدَ غيابٍ
تَرْفِدُ الفِكْرَ بالعَطاءِ الباني؟

❖❖❖

إيهِ مَهْوَى القلوبِ أنتَ رَجاها
ماسحاً حُزْنَها بكفِّ حنانِ
مَرْفأ الحائرِ الذي عاش حيناً
باحثاً في حياتهِ عن الشطآنِ
وشفاءَ النفوسِ من سَقَمِ الجَدْ
بِ وبُرْءَ القلوبِ من أحزانِ
صانَكَ اللهُ للضياءِ مناراً
هادياً كُلَّ مُتْعَبٍ حيْرانِ
سوف تَبْقَى على الزمانِ عزيزاً
موْئِلَ النورِ والهُدَى والأمانِ

بقلم: د.عبدالعزيز انميرات

فقه النقد وآدابه الشرعية

لسنا في حاجة إلى المزيد من التأكيد على ضرورة النقد، والنقد الذاتي بالأساس، لأنه أساس استمرار الرؤية المبصرة والهادية لعلاقة المسلم بدينه من جهة، وعلاقته بغيره من الناس من جهة أخرى، لكن الذي نرغب في تأكيده هنا، هو أن للنقد آداباً شرعية وسبلاً منهجية يقتضيها الفقه الدعوي، إذ لابد من معرفتها وامتلاكها حتى لا نسقط في الكثير من المشكلات والآفات، ونكرس مجموعة من الموبقات الحركية التي لا تخدم العمل الإسلامي، بقدر ما تكرس آفة اتباع الهوى والتعصب والجهل وربما في بعض الأحيان تمكّن لمرض الحزبية الضيقة من الاستحواذ على تفكير المسلم العامل، فتشل حركته وتعيق تواصله مع أفراد باقي الدوائر الأخرى، حتى وإن كان الرأي الذي يعتمده رأياً مخالفاً للهدي النبوي الصحيح.

إننا في حاجة ماسة إلى ممارسة وظيفة النقد، لا بمعناه القدحي والتجريحي، كما هو ملموس في المشهد الدعوي المعاصر، ولكن بمعناه ودلالته التربويتين اللتين بهما نتبين الحق من الباطل خصوصاً والاختلاف بين الناس الذي هو سنة من سنن الله في الخلق وللأنفس مصداقاً لقوله تعالى: (ولو شاء ربك لخلق الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين. إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم وتمت كلمة ربك) هود:١١٨ ـ ١١٩، قد تحول في كثير من الأحيان إلى الفتنة التي هي أشد من القتل، في حين كان عمل السلف الصالح من الصحابة والتابعين وأئمة الهدى، مؤسساً على قواعد شرعية وآداب تربوية كان لها الأثر البالغ في تمكين الإسلام من حياة الناس، لأنهم عرفوا المدلول الصحيح لقوله جل جلاله: (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن) النحل:١٢٥، وقوله جل جلاله كذلك: (إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت) هود:٨٨.

النقد نوعان: محمود ومذموم

وإذا كان النقد والتنقاد في اللغة يدل على تمييز الدراهم وإخراج الزيف منها(١)، فإنه في الاصطلاح يُراد به معنيان مختلفان، من حيث الغاية والوسيلة، فهناك النقد البناء، وهو الذي يسعى صاحبه من خلاله إلى بيان الجيد وتمييز الرديء، سواء في الأقوال أو الأفعال، مستعملاً الوسائل المشروعة المستوحاة من هدي النبوة، التي لا تجريح فيها ولا ثلب ولا طعن ولا تنقيص، يصدر عن المؤمن الصادق الذي لا يقوم بهذه الأمانة إلا غيرة على الدين وحرصاً على مصلحة المسلمين، وفي هذا يقول الحافظ ابن نصر الدين الدمشقي: «والكلام في الرجال ونقدهم يستدعي أموراً في تعديلهم وردهم، منها: أن يكون المتكلم عارفاً بمراتب الرجال وأحوالهم في الانحراف والاعتدال، ومراتبهم من الأقوال والأفعال، وأن يكون من أهل الورع والتقوى، مجانباً للعصبية والهوى، خالياً من التساهل، عارياً من غرض النفس بالتحامل مع العدالة في نفسه والإتقان، والمعرفة بالأسباب التي يجرح بمثلها الإنسان، وإلا لم يقبل قوله فيمن تكلم، وكان ممن اغتاب وفاه بمحرم»(٢) في مقابل هذا اللون من النقد، وهو المطلوب شرعاً وواقعاً، هناك النقد الهادم الذي يعتمد أسلوب التشهير والطعن وتتبع الأخطاء والهفوات، فصاحبه لا يعتمد المنهاج النبوي بقدر ما يستسلم لهواه وجهله بالوسائل والمقاصد معاً، فيقع في آفات التجريح الذي يتحول في كثير من الأحيان إلى الغيبة والبهتان، إذ اختلافه مع الآخر مؤسس على البغي ومجاوزة الحد وفساد النية، يقول ابن تيمية مشيراً إلى الاختلاف المذموم: «وهذا الاختلاف المذموم من الطرفين يكون سببه تارة فساد النية لما في النفوس من البغي والحسد، وإرادة العلو في الأرض بالفساد، ونحو ذلك، فيجب لذلك ذم قول غيره أو فعله، أو غلبته، ليتميز عليه، أو يحب قول من يوافقه في نسب أو مذهب، أو بلد، أو صداقة، ونحو ذلك، لما في قيام قوله من حصول الشرف والرئاسة له، وما أكثر هذا في بني آدم، وهذا ظلم، ويكون سببه تارة أخرى جهل المختلفين بحقيقة الأمر الذي يتنازعان فيه أو الجهل بالدليل الذي يرشد به أحدهما الآخر، أو جهل أحدهما بما مع الآخر من الحق في الحكم أو في الدليل، وإن كان عالماً بما مع نفسه من الحق حكماً ودليلاً، والجهل والظلم هما أصل كل شر، كما قال سبحانه: (وحملها الإنسان إنه كان ظلوماً جهولاً) الأحزاب:٧٢(٣).

دوافع النقد وأسبابه

من خلال ما سبق يمكن النظر إلى دائرة النقد من خلال الدوافع والأسباب التي تكمن وراءه، والتي يمكن إيجازها في دافعين اثنين تتفرع عنهما مجموعة من الدوافع، وهما: دوافع إيجابية ودوافع سلبية:

١ ـ الدوافع الايجابية ويمكن النظر إليها من خلال ما يلي:

أ ـ دافع الدعوة إلى الله تعالى.

ب ـ دافع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإصلاح حال الناس.

ج ـ دافع النصيحة.

د ـ دافع محاسبة الذات وتزكية النفس.

٢ - الدوافع السلبية، ويمكن النظر إليها من خلال ما يلي:

أ - دافع الجهل واتباع الهوى.

ب - دافع الحسد والبغض والكراهية والعداء والغيرة.

ج - دافع التعصب والتقليد الأعمى.

بعض صور النقد

إن القيام بمهمة النقد والتقويم يقتضي اتباع المنهاج النبوي في ذلك، وبالجملة يمكن رصد صوره من خلال ما يلي:

١ - النصيحة لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم، إذ الأصل في النقد تقديم النصيحة المناسبة للشخص المناسب في الزمان والمكان المناسبين وبالأسلوب المناسب.

٢ - الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومحاربة البدع والخرافات والوقوف في وجه الشر والفساد.

٣ - محاسبة النفس وتقويم السلوك وتصحيح الأخطاء، وهذه الصورة من أعظم وسائل النقد الذاتي.

٤ - الجرح والتعديل وهو من أعظم وسائل النقد المعرفي والفكري والتثبت والتبين.

بعض آداب النقد الشرعية

إن فهم فقه النقد والوقوف على مقاصده ووسائله يحتاج إلى فهم واستيعاب الآداب التي يقتضيها فعل التقويم الذاتي أو الجماعي، وسنسرد فيما يلي بعضاً منها، والتي بغيابها تغيب المقاصد فنسقط في آفات تضر بالأمة جمعاء:

١ - العلم واجتناب الظن، قال تعالى: (ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً) الإسراء:٣٦، وقال: (يأيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضاً...) الحجرات:١٢.

٢ - التثبت والتبين قال تعالى: (يأيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبإ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين) الحجرات:٦، وقال كذلك: (قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين) البقرة:١١١.

٣ - النصيحة لا الفضيحة، إذ النصيحة، كما قال الحافظ أبو عمرو ابن الصلاح «كلمة جامعة تتضمن قيام الناصح للمنصوح له بوجوه الخير، إرادة فعلاً(...) والنصيحة لعامة المسلمين: إرشادهم إلى مصالحهم وتعليمهم أمور دينهم ودنياهم، وستر عوراتهم، وسد خلاتهم، ونصرتهم على أعدائهم والذب عنهم، ومجانبة الغش والحسد لهم، وأن يحب لهم ما يحب لنفسه ويكره لهم ما يكره لنفسه وما شابه ذلك»(٤).

٤ - اعتماد الستر: قال صلى الله عليه وسلم: «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرَّج عن مسلم كربة فرج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة»(٥)، وقال عليه الصلاة والسلام: «إنك إن اتبعت عورات الناس أفسدتهم أو كدت تفسدهم»(٦)، وقال الفضيل بن عياض: «المؤمن يستر وينصح والفاجر يهتك ويعيِّر»(٧).

> **النقد الذاتي استمرار للرؤية المبصرة والهادية لعلاقة المسلم بدينه**

٥ - اتباع منهج الحكمة والرحمة والرفق، قال تعالى: (ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم) فصلت:٣٤، وقال عليه الصلاة والسلام: «إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ولا ينزع من شيء إلا شانه»(٨).

٦ - العدل وقول الحق، قال تعالى: (يأيها الذين آمنوا كونوا قوّامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنَّكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقو الله إن الله خبير بما تعملون) المائدة:٨، وقال ابن تيمية: «وأمور الناس إنما تستقيم في الدنيا مع العدل الذي قد يكون فيه الاشتراك في بعض أنواع الإثم، أكثر مما تستقيم مع الظلم في الحقوق وإن لم تشترك في إثم»(٩)، وقد بايع الصحابة رضوان الله عليهم الرسول صلى الله عليه وسلم على القسط وقول الحق، فعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: «بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة والمنشط والمكره، وألا ننازع الأمر أهله، وأن نقول بالحق حيثما كنا، لا نخاف في الله لومة لائم»(١٠).

خاتمة

لقد حاولنا، من خلال هذه المقالة، الوقوف مع بعض صور النقد وآدابه الشرعية وأساليبه التربوية، ملتمسين في ذلك حقيقته وضوابطه التي بها يتشكل فقهه الغائب في كثير من الممارسات الدعوية، عسانا نعي الوعي الشامل أن القصد من النقد، من الوجهة الإسلامية الصحيحة، تصويب الرؤية، وتصحيح المنهج، وفهم المقاصد، والسعي الحثيث لإقامة الإخوة الإيمانية البانية على قواعدها المطلوبة، إذ ما تفرقنا فرقاً وشيعاً إلا من بعدما جاءنا من البينات ولم نعتصم بحبل الله جميعاً، وأملنا في يوم من الأيام أن نكون من أمة التواصي بالحق: أمة الجسد الواحد. ■

الهوامش:

١ - أنظر لسان العرب: مادة نقد.
٢ - الرد الوافر ص ٣٧.
٣ - اقتضاء الصراط المستقيم بمخالفة أصحاب الجحيم ص ٣٧.
٤ - جامع العلوم والحكم لابن رجب، ص ٧٩ - ٨٠.
٥ - رواه البخاري - كتاب المظالم.
٦ - رواه أبو داود.
٧ - جامع العلوم والحكم، ص ٨١.
٨ - رواه مسلم.
٩ - الاستقامة ٢/٢٤٧.
١٠ - رواه البخاري: كتاب الأحكام.

بقلم: عثمان أحمد عبدالرحيم

كثر الحديث في العقدين الأخيرين عن أحوال الأمة الإسلامية وأسباب تخلفها وضعفها وهوانها على الناس باعتباره أحد المحاور الأساسية للحركة الإسلامية والتي تميزت بها تلك الفترة، ورأيناه قضية ملحّة تعقد من أجلها المؤتمرات وتقام لها الندوات والتي كانت تنظر لما يعرف بفقه ترشيد الصحوة وأخذ الحديث يتجه نحو عدم الاعتصام بالكتاب والسنة وفقدان القدوة ووقوع الفرقة وحدوث التهارج كأسباب وتفسير لما تعانيه الأمة.

الخطاب الإسلامي وتجاهل السنن القرآنية

غير أن هذه الأجوبة والأسباب مع أهميتها تكاد لا تقدم أو تأخر في حل المشكلة كثيراً، لأنها أجوبة واسعة فضفاضة شاملة فهي كما نرى تصلح أصولاً عامة تصلح لأن تكون عناوين لموضوعات مادة الإنشاء أو التعبير في أحد المعاهد الدينية فهي لا تبين لنا كيف تكون البداية؟ ولا كيف نتابع السير فيها؟ ولا الأصل الذي ترجع إليه والأساس الذي قامت عليه.

نعم... إن غياب الحديث عن السنن الكونية بهذا الشكل المخيف في خطاب الحركات الإسلامية ليوحي بأن القوانين الربانية لم تعرف بعد أهميتها ودقتها التي لها دقة القوانين العلمية والمعادلات الرياضية التي تسمح بجري السفن في البحار ودوران الآلات في المصانع.

إن الناظر إلى كتاب الله تعالى يجد أنه جعل السير في الأرض والنظر في أحوال الأمم السابقة وإدراك السنن والقوانين التي حركت التاريخ من الواجبات المطلوبة من المسلمين كتكليف شرعي له قداسته وقدره وأجره وثوابه، قال تعالى: (قل سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل...) الروم:٤٢، وقد تكرر مجيء هذا الأمر في القرآن ست مرات (الأنعام - النمل - العنكبوت - الروم - النحل - آل عمران) ما يوحي بأهميته وعظم قدره.

وجعل القرآن غفلة المشركين عن معرفة هذه السنن وإدراكها من أسباب ضلالهم وبوارهم فجاء الإنكار عليهم بقوله: (أوَ لم يسيروا في الأرض فينظروا...) الروم ١٠، مكرراً سبع مرات في كل من (غافر - يوسف - الروم - فاطر غافر - محمد).

ولا شك في أن معطيات الوحي في الكتاب والسنة تضمنت خلاصة السنن التي تحكم الحياة والأحياء بما عرضت له من القصص القرآني عن نهوض الأمم والحضارات وسقوطها وربط الأسباب بالمسببات والمقدمات بالنتائج ليعتبر أولو الأبصار قال تعالى: (لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب ما كان حديثاً يفترى ولكن تصديق الذين بين يديه) يوسف:١١١.

يقول الشيخ أبو حامد الغزالي في حديثه عن أقسام العلوم ومدى أهميتها «أما القسم المحمود وذلك أقصى غايات الاستقصاء فهو العلم بالله تعالى وبصفاته وأفعاله وسننه في خلقه». «إحياء علوم الدين:١/١٣٤»

ويقول الشيخ محمد رشيد رضا: «إن إرشاد الله إيانا إلى أن من خلقه سنناً يوجب علينا: أن نجعل هذه السنن علماً من العلوم لنستديم ما فيها من الهداية والموعظة على أكمل وجه، فيجب على الأمة في مجموعها أن يكون لها قوم يبينون لها سنن الله في خلقه كما فعلوا في غير هذا العلم من العلوم وبينها العلماء بالتفصيل، عملاً بإرشاده كالتوحيد، والأصول، الفقه، والعلم، بسنن الله تعالى من أهم العلوم وأنفعها والقرآن يحيل عليه في مواضع كثيرة...» (تفسير المنار:١/٢٦٠).

لقد قدم لنا القرآن قصة ذي القرنين كنموذج لإمكان الإنجاز بمعرفة الأسباب وكشف السنن وإدراك القوانين وربط المقدمات بالنتائج، فقد سار ذو القرنين في الأرض من أقصاها إلى أقصاها وتعرّف من خلال هذا السير إلى الظروف والشروط التي تكسبه المنعة وتعطيه القوة ليتمكن من نشر الحق فكان كالمهندس الذي عرف أسباب التردي ووسائل التمكين في الأرض فوضع الخطط ورسم الطريق واستحضر ما يلزم لإتمام الإنجاز من أيدٍ عاملة ومواد مطلوبة وأسباب مشروعة وسطّر القرآن هذه القصة حاضرة أمام العقل المسلم ليقرأها كل يوم جمعة.

لقد بذلت المذاهب الفكرية والمدارس الفقهية والمنتديات العلمية قديماً وحديثاً الجهود وأنفقت الأموال في الحديث عن المسائل الخلافية والاجتهادية ولو أنها أنفقت معشار ما بذلته وأنفقته لتأصيل هذا العلم وتأسيسه لكان ـ لا شك ـ خيراً وأحسن تأويلاً لأنه مهما كان قدر الفروع من الأهمية فلا خوف أن هذا الأصل أسبق والعكوف عليه أجدى.

يقول الشيخ رشيد رضا: «لم يقصر المنصفون من المتقدمين والمتأخرين في شيء من علم الكتاب والسنة كما قصروا في بيان ما هدى إليه القرآن والحديث من سنن الله تعالى...» (تفسير المنار:١/٤١٠).

ويقول الأستاذ عمر عبيد حسنة: «هذا السير وهذا الاستقراء الذي يحقق الاعتبار لأولي الأبصار لم يأخذ بعد البعد المطلوب في العقل المسلم المعاصر وعلى الرغم مما قيل حتى الآن من تعريف للسنن وأهمية إدراكها وضرورة التعامل معها، إلا أن رصيدنا لم يخرج في ذلك عن بدايات ونظرات لم تتجاوز إلى الكنه ولم تتسع لتشكيل مجرى ثقافياً عاماً في الأمة، وإنما بقيت في إطار بعض المفكرين والمتأملين الذين يمكن اعتبارهم رواد الاستطلاع والاستشراف على الرغم من أن القرآن حض على ذلك في أكثر من موضع. (مقدمة كتاب الأمة «أزمتنا الحضارية في ضوء سنة الله في خلقه» ص٢٠).

فإذا كان القرآن قد اهتم بتقرير هذه القاعدة أو أمر بها في أكثر من موضع فإن الواجب على الدعاة والمفكرين أن يهتموا بما اهتم به القرآن فأين هذا الاهتمام؟ وأين النظر؟ بل أين السير أصلاً؟ أين التعمق في التاريخ والتبحر في مدخلاته ودهاليزه لاكتشاف هذه السنن والقوانين للاهتداء بها والاتعاظ بما سبق منها أو حتى لتضع أيدينا على مكمن مصاب الأمة؟

إن من يسير في زماننا هذا إما أن يسير سير البلهاء اللاهين المترفين الذين ينتهي بهم قصدهم على مزابل الحضارة الغربية وما أنتجته من إباحية وفساد وإما أن يسير إلى هناك للدراسة أو البحث فيقرأ التاريخ قراءة خاطئة فيعود إلينا مفتوناً مسحوراً يطعن في ديننا ويسب نبينا.

إن غرس العلم في نفوس شباب الصحوة يعطيهم آفاقاً متسعة، وطاقات هائلة من الجد والاجتهاد والالتزام يعلمون من خلالها أن الصراع بينهم وبين أعدائهم يجري على قواعد ثابتة، وطرق قويمة من سار عليها فاز وانتصر وإن كان زنديقاً أو وثنياً، ومن تنكبها، انتكس وخسر وإن كان صدّيقاً نبياً لأن من طبيعة هذه السنن أنها لا تعرف المجاملة أو التمييز والتفريق وعلى ذلك يتخرج ما حدث للمسلمين يوم أحد حين خالفوا إحدى سنن الله بعصيانهم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم، ونزلت الآيات ترد كل ما حدث لهم من جراحات جسدية ومعنوية إلى مخالفة القوانين الإلهية والسنن القرآنية وتدعوهم إلى التبصر بها وإدراكها وانتهاجها سبيلاً إلى التمكين والغلبة قال تعالى: (قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين. هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين) آل عمران:١٣٧ ـ ١٣٨.

يقول الأستاذ سيد قطب في ظلاله عن الآية «والقرآن الكريم يرد المسلمين إلى سنن الله في الأرض يردهم إلى الأصول التي تجري وفقها والأمور، فهم ليسوا بدعاً في الحياة فالنواميس التي تحكم الحياة جارية لا تتخلف الأمور لا تمضي جزافاً إنما هي تتبع هذه النواميس، فإذا هم درسوها وأدركوا مغازيها تكشفت لهم الحكمة من وراء الأحداث وتبينت لهم الأهداف من وراء الوقائع واطمأنوا إلى ثبات النظام الذي تتبعه الأحداث وإلى وجود الحكمة الكامنة وراء هذا النظام واستشرفوا خط السير على ضوء ما كان في ماضي الطريق ولم يعتمدوا على مجرد كونهم مسلمين لينالوا النصر والتمكين من دون الأخذ بأسباب النصر والتمكين وفي أولها طاعة الله وطاعة الرسول والسنن التي يشير إليهاالسياق هنا ويوجه أبصارهم إليها هي عاقبة المكذبين على مدار التاريخ ومداولة الأيام بين الناس والابتلاء لتمحيص السرائر وامتحان قوة الصبر على الشدائد واستحقاق النصر للصابرين والمحق للمكذبين». (في ظلال القرآن:١/٤٥٠)

إن الأمر سهل ولا يحتاج لعناء أكاديمي أو إرهاق علمي لأن القرآن وضع أقدامنا على بداية الطريق في هذا العلم وقدّم لنا النتائج والمآلات والنماذج من خلال قصص الأنبياء مع أقوامهم والتي تعد منجماً زاخراً بالعبر والدروس، وبحراً لا ينفد عطاؤه بالسنن والعظات إضافة لما لهذه النتائج والدروس من قداسة ونزاهة حيث إنها إخبار العليم الخبير الذي لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء.

كل ما يحتاج الأمر أن تستنبط هذه القوانين وتصاغ في قالب تربوي، ومشروع نهضوي تتضمنه برامج المؤسسات الدعوية والتربوية المنوط بها إخراج الأمة من حفر التخلف التي تعيش فيها ليكون علماً مستقلاً له برامجه ومنهاجه وطرقه التقويمية.

إن ترسيخ هذه السنن والقوانين لن يتأتى بأسلوب وعظي رقائقي أو طرح سطحي هامشي، كما لا يتأتى بمؤتمر ينعقد تحت عناوين فضفاضة وينفض عن ورقة توصيات لا تسمن ولا تغني من جوع. إنما يكون ترسيخ هذا العلم من خلال قراءة متأنية ومعرفة كاملة بمقاصد الشريعة، ومقتضيات العقيدة تغرس في نفوس شبابنا منذ الصغر مع حفظهم للقرآن وتعلمهم الفقه، والتوحيد، والتبصير بمعاني القرآن من قصص وأحداث، وعدم الوقوف عند السرد التاريخي المجرد للوقائع دون نظر إلى الفوائد والعبر، لتكون هذه السنن حية في عقولهم، حاضرة في تصوراتهم، يرتبون عليها حياتهم، وينظمون عليها أولياتهم، ويقيسون بها مدى قربهم من تحقيق النصر والتمكين■

د. محمد السيد المليجي

العولمة وقيمنا الأخلاقية

من حين لآخر تهب علينا رياح عاتية، تحاول في كل مرة اقتلاعنا من هويتنا وانتزاعنا من قيمنا وأعرافنا وسجايانا الطيبة.

وكانت آخر هذه الرياح، إعصار «العولمة» الذي جرف العديد، وهنا تجدر الإشارة إلى إلقاء الضوء على مفهوم المصطلح نفسه ونشأته التاريخية.

تعريف العولمة:

اختلف الآراء حول معنى العولمة وتحديد مدلولها، ما أدى إلى تعداد التعريفات وتنوع الدلالات التي تحملها هذه التعريفات.

ويمكن القول: إن اختلاف الآراء حول مدلول «العولمة» لم يمنع من النظر إليها على أنها نظام عالمي جديد أفرزته الحضارة الغربية لتحاول من خلاله توحيد النظم والقوانين التي تحكم حركة الحياة في المجالات المختلفة مثل: المجال الاجتماعي والاقتصادي والثقافي... إلخ.

وأثبتت كتب التاريخ أن توحيد العالم على نظام عالمي واحد لم يكن من اختراع العقل الغربي في العصر الحاضر، بل دارت الفكرة في أذهان العديد من شخصيات الحضارات الأخرى.

وقد ذهب أحد الباحثين إلى أن تاريخ العولمة قديم قدم الحضارة المصرية الفرعونية، حيث كان الملك والفيلسوف «اخناتون» أول من دعا إلى تكوين دولة عالمية تخضع لقانون واحد.

ويذهب باحث آخر إلى أن العولمة خرجت من رحم الفكر اليوناني القديم وبخاصة «الفكر الرواقي».. وكانت مقابل فكرة دولة المدنية أو «المدنية الدولة» التي سادت الفكر اليوناني الأفلاطوني والأرسطي، حيث نادى الرواقيون بفكر سياسي مختلف قام على أساس فكرة «الدولة العالمية» التي تخضع لحاكم واحد وقانون عام.

ومن ثم تصبح «العولمة» مصطلحاً جديداً لمفهوم قديم، أسهمت فيه بعض الحضارات الأخرى بجانب الحضارة الغربية الحديثة.

أبرز التغيرات الأخلاقية في ظل العولمة

إذا أردنا الحديث عن التغيرات التي أحدثتها «العولمة» في مجالات حياتنا يجب علينا أن نلفت نظر - القارئ الكريم في البداية - إلى أننا لسنا ضد العولمة ولسنا معها، ولكن مع النظرة الواعية لهذه الظاهرة.

تاريخ العولمة قديم قدم الحضارة المصرية الفرعونية

فلا يخفى على كل بصير أو منصف ما أدت إليه العولمة من تغيرات واضحة في المجالات الحياتية المختلفة التي تحيط بالإنسان المسلم من كل جانب مثل: الجانب الاجتماعي، والجانب الاقتصادي، والسياسي، والثقافي... إلخ.

وتضيق المساحة التي تتسع لبسط هذه الجوانب ومناقشتها على ضوء الشريعة الغراء، ومن ثم انتقينا بعض هذه الجوانب لنخلص القول فيها، لعلنا نحقق الغاية التي من أجلها كتبت هذه الدراسة وهي «لفت أنظار المسلمين إلى تأثير العولمة السلبي على قيمنا الأخلاقية».

أولاً: في المجال الاجتماعي:

يُقصد بالمجال الاجتماعي - في هذا البحث - النظم والقوانين والآداب التي تسير عليها الأسرة في الإسلام انطلاقاً من الدستور «الكتاب والسنة» فقد لاحظ المتخصصون في مجال علم الاجتماع وعلم

النفس أن العولمة حاولت وتحاول أن تحطم سياج الأمن والأمان اللذين وهبتهما الشريعة الإسلامية للمجتمع المسلم ممثلاً في: الفرد، والأسرة، والقبائل والدول وذلك عندما أوقعت بين الرجل وزوجته، وساعدت الفتاة على اصطحاب الشباب - على اعتبار أن ذلك حرية شخصية - ودعت المرأة إلى منافسة الرجل خارج البيت، والإسراف في المعيشة، وتفنن بيوت الأزياء في إغراء الشباب عن طريق عروض الأزياء التي تسللت - أيضاً - إلى معظم النساء اللواتي أصبحن يجارين هذه السلعة أو تلك وإن كان ذلك بصورة غير مباشرة.

ولا يخفى على أحد ما يروج له الغرب - من خلال صور الإعلام المختلفة - عن طريق النظام الاجتماعي في الإسلام ورميه بالتخلف وظلم المرأة في الميراث وعدم المساواة بين الرجل والمرأة... إلخ.

إن حظ الجانب الاجتماعي من العولمة كبير، ولكن نكتفي بحض القارئ على متابعة أضرار العولمة على هذا الجانب في موضوعات أخرى.

ثانياً: في المجال الاقتصادي:

يذكر أحد الباحثين أن تأثير العولمة في المجال الاقتصادي يتمثل في اتجاه الشركات الكبرى إلى الاندماج، وتكوين كيانات اقتصادية عالمية بل قارية، وفي الوقت نفسه لم تستطع الدول الصغرى، وحتى الكبرى أن تدخل حلبة المنافسة الاقتصادية بصورة متفردة فقد بدأت تتجمع في كيانات ضخمة، كما يشاهد حالياً في السوق الأوروبية المشتركة.(٣)

ويرى الدكتور محمود حمدي زقزوق - وزير الأوقاف المصري - أن الجانب الاقتصادي من أبرز مجالات العولمة، وتتمثل العولمة في هذا المجال في حرية التسوق وما يرتبط بها من إزالة الحواجز وفتح أبواب التبادل دون عوائق وتكوين التكتلات الاقتصادية الكبرى.

كما يرى أن العولمة الاقتصادية ينبغي أن تحمل المسلمين على الاستفادة مما قامت عليه من تكتلات اقتصادية، وهذا يعني أن عليهم أن يتجهوا دون إبطاء إلى تكوين تكتل اقتصادي عربي، وتكتل اقتصادي إسلامي والمشاركة في تكتلات أخرى إقليمية ودولية.

وعندما ينجحون في هذا السبيل فلن تكون هناك على الأرض مخاطر ذات بال، من جانب العولمة على اقتصادات العالم الإسلامي.

وإذا واجهنا القوة الاقتصادية بقوة اقتصادية مقابلة فإننا سنكون مشاركين في العولمة وليس مجرد تابعين لغيرنا، وبالتالي سيكون لنا تأثيرنا الذي لا يمكن تجاهله على اقتصاد العولمة وتصحيح مساره.

ويرى وزير الأوقاف المصري أن القضية تدور حول أسلوب التعامل مع هذا الواقع الجديد والتفاعل معه بطريقة سليمة، أما إذا تجاهلنا الواقع واكتفينا بعبارات الرفض والتنديد والإدانة والاستنكار لأساليب الهيمنة والسيطرة وفرض النظرة الغربية، فإننا بذلك سنظل ندور حول أنفسنا مكتفين بدفاع الحناجر، وهذا أمر لا يرضاه مسلم عاقل(٤) ومن الطريف أن تأثير العولمة في المجال الاقتصادي لم يقف عند المسلمين، بل امتد إلى الغربيين أنفسهم، حيث يشير باحثان ألمانيان هما «هانس بيتر مارتين، وهارلد شومان» إلى أن ٣٥٨ مليارديراً في العالم يمتلكون ثروة تضاهي ما يملكه ٢,٥ مليار من سكان المعمورة، أي ما يزيد قليلاً على نصف سكان العالم.

العولمة حاولت تحطيم الأمن الذي وهبته الشريعة للمجتمع المسلم

٢ ٪ من دول العالم تستحوذ على ٨٥ ٪ من الناتج العالمي الإجمالي

وأن هناك ٢ في المئة من دول العالم تستحوذ على ٨٥ في المئة من الناتج العالمي الإجمالي، وعلى ٨٤ في المئة من التجارة العالمية، حيث يمتلك سكانها ٨٥ في المئة من مجمع المدخرات العالمية.

كما أدت العولمة في الدول المصدرة لها إلى زيادة نسبة البطالة.

ففي العام ١٩٩٥م، كان هناك ٣٤ مليون شخص من دون عمل في بلدان منظمة التعاون والتنمية في الميدان الاقتصادي أي ما يعادل ٧,٥ في المئة من القوة وبعد ذلك بقليل بلغت النسبة ١١ في المئة أي نحو الضعف.(٥)

وهذا أدى إلى التفاوت في مستوى الأفراد والشعوب، كما أدى إلى تكوين حواجز وموانع ساعدت على تربية الرغبة في القضاء على الثروات من قِبَلِ الفقراء وتفجير المشروعات التجارية التي تمتلكها الدول الغنية، ناهيك عن إنبات بذور الحقد والحسد في قلوب الفقراء تجاه الأثرياء وما يظهرونه من ترف بازخ وإسراف في مقابل الجوع والنقص والحرمان.

ومن هنا كان التفاوت الاقتصادي بين الأفراد والشعوب وراء أحداث العنف والإرهاب في شتى دول العالم.

ثالثاً: في المجال الثقافي:

في البدء نشير إلى المقصود بالعولمة الثقافية أو مفهوم العولمة في المجال الثقافي فالمراد بالعولمة في هذا المجال ذلك التقارب الذي يحدث بين ثقافات شعوب العالم المختلفة لدرجة ذوبان الفوارق الحضارية

بينها وصهرها جميعاً في بوتقة ثقافة واحدة ذات خصائص مشتركة واحدة.(٦)

وتظهر ألوان شتى لفكر العولمة في هذا المجال، وذلك عندما فرض الغرب أنماط تفكيره ومسلكه في الحياة وفي الغذاء، عن طريق تغيير برامج التعليم وإضعاف جوانب الثقافة القومية في هذه البرامج وبخاصة في المجالات النظرية «التاريخ والاجتماع»، بجانب غزو هذه الدول عن طريق برامج إعلامية كثيفة مصاغة بحبكة شديدة وجاذبية عالية، وتهدف في النهاية إلى تمجيد قيم معينة تتسلل إلى وجدان ملايين الشباب في هذه الدول بحيث يصبح القطب الرأسمالي هو المثل الأعلى والنموذج المحتذى وهو البدء والنهاية.(٧)

وقد ظهرت آثار هذا الاتجاه ـ الرأسمالي ـ على لغة التعامل بين شعوب أمتنا الإسلامية والعربية، كما ظهرت عند تقدير الناس لبعضهم بعضاً حيث أصبح صاحب المال أرجح ـ عند الكثير ـ من صاحب الدين وصاحب الخلق.

ومن الآثار السيئة للعولمة في هذا المجال تهديد الخصوصيات الثقافية للأمم والشعوب، فإن ذلك ربما يكون أهم اعتراض يطرح على الساحة الإسلامية وقد يعد أهم التحديات التي تواجه الهوية الإسلامية.

ولكن الأمر في حاجة إلى شيء من التأمل، فالإسلام دين متفتح لا يرفض ثقافة معينة لمجرد كونها أجنبية، وإنما ينظر فيها ويفحصها بعناية ويأخذ منها ما يفيد في مسيرته الحضارية.

فالعقلية الإسلامية يفترض فيها أن تكون عقلية مرنة ليست جامدة أو متشددة، ولدينا من رصيدنا الديني ما يمثل سياجاً قوياً يحمي أجيالنا من أي تيارات سلبية.

وليس بدعاً من الأمم عندما نعمل على تجنب السلبيات التي قد يكون لها أضرار على هويتنا الثقافية، فالدول الكبرى أيضاً تعمل على الحفاظ على هويتها الثقافية.

ويرى الدكتور حمدي زقزوق أن الحفاظ على الهوية الثقافية الإسلامية وحماية أبناء المسلمين من خطر الذوبان في أي ثقافة أخرى يكون بتحصينهم بثقافة إسلامية رشيدة تحرك المياه الراكدة في مجتمعاتنا الإسلامية وتؤدي إلى تغيير العقليات لتنطلق الأمة الإسلامية رشيدة تحرك المياه الراكدة في مجتمعاتنا الإسلامية وتؤدي إلى تغيير العقليات لتنطلق الأمة الإسلامية إلى آفاق التقدم والارتقاء.

الاحتياج إلى ثقافة الإبداع المستمد من القانون القرآني

إن ما تحتاجه الأمة هو ثقافة التغيير والإبداع التي تستلهم قدرتها على التغيير من القانون القرآني الثابت.(٨) (إن الله لا يغيّر ما بقوم حتى يغير ما بأنفسهم) الرعد:١١.

وليكن هذا التغيير مؤكداً لما يحمله الإسلام من عوامل تقدم وازدهار لكل الأمم وكل الشعوب التي تأخذ به، حتى يتم استعادة النظرة الحضارية التي أثبتها المسلمون الأوائل للإسلام.

واجبنا تجاه العولمة

إن عرضنا لبعض الآثار السيئة التي أتت بها العولمة على جوانب حياتنا الإسلامية، لا يعني يأسنا أو استسلامنا لهذه التيارات ولكن يجب أن نسخر هذه الرياح لمعطيات ديننا ونستروح بها تارة وندفع بها ما توقف في حركة حياتنا، في ضوء الهدي القرآني الكريم والهدي النبوي الشريف تارة أخرى.

«وإذا كانت العولمة تمثل دورة أو موجة من موجات الهيمنة، فإن تمسكنا بهويتنا الدينية والثقافية يشكل الأساس الأمتن في حفظ الذات وحمياتها من مخاطر العولمة، لكننا نرى في الوقت نفسه، أن تأكيد هويتنا الدينية لن يغطي ثمرته المرجوة إلا إذا جددنا فهمنا لأمور ديننا، وخلصناه مما ليس فيه».(٩)

وأخيراً يجب أن يلاحظ المسلمون في ظل العولمة ومع مشارف القرن الجديد، التالي:

أولاً: فقه السنن الإلهية في الكون.

ثانياً: تسييد منطق العلم في شؤون الحياة.

ثالثاً: حسن استغلال الثروات الكونية في العالم الإسلامي.

وبذلك يمكن أن نضع عولمة إسلامية موضوعية تدفع العالم إلى التقدم الحضاري الحقيقي الذي يخلو من الدمار ويبقي على الخير للبشرية. ■

الهوامش

١ ـ د.مصطفى النشار: العولمة الثقافية بين الإمكان والاستحالة ـ بحث قدم إلى مؤتمر الفلسفة الرابع ـ جامعة القاهرة ـ كلية دار العلوم في الفترة من ٤ ـ ٥ مايو ١٩٩٩م.

٢ ـ د.علي عبدالمعطي: العولمة من منظور تاريخي ـ بحث قدم في المؤتمر السابق.

٣ ـ د. حامد طاهر: ثقافة جديدة لعصر العولمة ـ بحث قدم في المؤتمر السابق.

٤ ـ د. محمود حمدي زقزوق: الإسلام في عصر العولمة ـ مقال بجريدة الأهرام المصرية ـ الجمعة ٧ مايو سنة ١٩٩٩م، ص ١٠.

٥ ـ محمد إبراهيم مبروك: الإسلام والعولمة ـ الدار القومية العربية ـ القاهرة ـ ١٩٩٩ ـ ص ١٩، ٢٠.

٦ ـ العولمة الثقافية بين الإمكان والاستحالة ـ مرجع سابق.

٧ ـ د.عبدالله هدية: العولمة والثقافة البائسة ـ مقال بجريدة الأهرام المصرية ـ الجمعة ١٨ يونيو سنة ١٩٩٩م ص١٠.

٨ ـ الإسلام في عصر العولمة ـ مرجع سابق.

٩ ـ د. محمد عبدالله الشرقاوي: العولمة وتكريس الهيمنة ـ بحث قدم في المؤتمر السابق.

١٠ ـ د. محمد السيد الجليند: المسلمون وفقه السنن الإلهية ـ الدار القومية العربية ـ القاهرة ـ ص٤٦، ٤٧.

بقلم: د. عبدالله المودن

«ضبط المصطلح مطلب شرعي وعلمي»

(علم أصول الفقه نموذجاً)

موضوع «المصطلحات» موضوع جدير بالبحث والمقارنة العلمية لما للمصطلحات من أهمية في تأسيس العلوم والمناهج وتوافر عنصر الوضوح العلمي فيها وضمان استمرارها «ومقاومة غزو» العلوم الأخرى خصوصاً الدخيلة منها... ونظراً لما تشكله نعت المصطلح واختياره من أهمية وما تواجهه من صعوبات، ارتأيت أن أسهم في هذا الموضوع بحبة رمل تتعدد في بيان مفهوم المصطلح عند العلماء المسلمين، وإبراز أهمية ضبط المصطلحات من الناحيتين الشرعية والعلمية عامة، وعند علماء أصول الفقه بخاصة.

١ - مفهوم المصطلح

من بين ما اعتنى به العلماء المسلمون بيان مفهوم المصطلح، فقد عرفه التهاتوي بأنه «هو العرف الخاص»(١) واعتبره الكفوي «هو اتفاق القوة على وضع الشيء وقيل هو إخراج الشيء، عن المعنى اللغوي إلى معنى آخر لبيان المراد»(٢)، وكذلك قال الجرجاني مورداً جملة من التعريفات هي على النحو التالي:

الأول: هو عبارة عن اتفاق قوم على تسمية الشيء باسم ما ينقل عن موضعه الأول.

الثاني: هو إخراج اللفظ عن معنى لغوي إلى معنى آخر لمناسبة بينهما.

الثالث: هو اتفاق طائفة على وضع اللفظ بإزاء المعنى.

الرابع: هو إخراج الشيء عن معنى لغوي إلى معنى آخر لبيان المراد.

الخامس: هو لفظ معين بين قوم معينين.(٣)

فاعتماداً على هذه التعريفات المتقاربة فيما ورد فيها من بيان لمعنى المصطلح وكيف يتم اختياره وشروطه وغايته ومن يقوم بذلك نلاحظ ما يلي:

- الاصطلاح عبارة عن اتفاق.

موضوع الاتفاق في الاصطلاح: وضع اللفظ بإزاء معنى معين.

- العلاقة بين المعنى المعين واللفظ الذي تم اختياره في الاصطلاح، علاقة مجازية، إذ

من شروط الاصطلاح، مناسبة اللفظ المختار للمعنى المعين

يتم إخراج اللفظ عن معناه اللغوي إلى معنى آخر.

من شروط الاصطلاح، مناسبة اللفظ المختار للمعنى المعين.

فالذين يقومون بعملية الاصطلاح والاختيار قوم معينون أو طائفة معينة، وهذا يفيد ضمنياً، ضرورة وجود ما يجمع بين عناصر تلك الطائفة.

أخيراً، غاية الاصطلاح وما يتم فيه من اتفاق: بيان المراد.

وعليه، يقصد بالاصطلاح اتفاق طائفة على وضع اللفظ بإزاء المعنى لبيان المراد، يقول الدكتور إبراهيم السامرائي: تطلق كلمة - مصطلح - في أوساط الناس اليوم ليُراد بها المعنى الذي تعارفوا عليه واتفقوا عليه في استعمالهم اللغوي الخاص أو في أعرافهم الاجتماعية.(٥)

٢ - أهمية ضبط المصطلحات

لا شك أن المصطلحات تمثل عنصراً

جوهرياً في جميع العلوم الشرعية، وذلك لأن ضبط المصطلح مطلب شرعي وعلمي معاً.

٣ ـ ضبط المصطلح مطلب شرعي

يجعل هذا المطلب ضبط المصطلحات يتجاوز الحدود والمعايير الضيقة المتعلقة بعلم معين ليشمل جميع مجالات الحياة باعتبار الشريعة الإسلامية شريعة شمولية واضحة المعالم، وهذا يقتضي أن تكون مصطلحات العلوم الشرعية الميسرة لتطبيقها واضحة ومضبوطة المعاني يقول الأستاذ السعدي في هذا الصدد: لما كان هدف التشريع الإسلامي هو تقويم الإنسان وإبعاده عن التخبط الأعمى أصبح موضوع المصطلحات التي يتعارف عليها الناس فيما بينهم موضوعاً ذا أهمية جسيمة كأنه موضوع ذو قيمة خاصة يستمدها من صلته بشؤون الحياة.(٥) ولما كان الأمر كذلك، فإن غياب الضبط الاصطلاحي يسبب البلاء والفساد... يقول ابن حزم «والأصل في كل بلاء وعماء وتخليط وفساد اختلاط أسماء ووقوع اسم واحد على معان كثيرة فيخبر المخبر بذلك الاسم وهو يريد أحد المعاني التي تحته، فيجعله السامع على غير ذلك المعنى الذي أراد المخبر فيقع البلاء والإشكال وهذا في الشريعة أضر شيء وأشده هلاكاً لمن اعتقد الباطل إلا من وفقه الله تعالى».(٦)

ويستمد هذا المطلب شرعيته من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، فنذكر هنا على سبيل التمثيل، قوله تعالى: (وعلَّم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين) البقرة:٣١.

كما نستدل على حرص الإسلام ـ كما في القرآن الكريم ـ على ضبط المصطلح بما ورد في القرآن الكريم من «كلمات بمعان غير المعاني التي وردت فيها من الشعر الجاهلي، وفي استعمال العرب قبل نزول القرآن...» وقد تنبه أحمد بن فارس في كتابه: الصاحبي ـ لهذا فقال: كانت العرب في جاهليتها على إرث من إرث آبائهم في لغاتهم وآدابهم ونسائهم وقرابينهم، فلما جاء ذلك جل ثناؤه بالإسلام حالت أحوال ونسخت ديانات وأبطلت أمور ونقلت من اللغة ألفاظ من مواضع إلى مواضع أخرى، بزيادات زيدت وشرائع شرعت وشرائط شرطت، فعفى الآخر الأول»(٧)، على أن الألفاظ التي تم نقلها من مواضع إلى أخرى، والتي تمت الزيادة فيها... كثيرة مثل الايمان ـ الإسلام ـ الكفر ـ النفاق ـ الصلاة ـ الزكاة...(٨) ويحق لنا هنا أن نسجل حرص القرآن الكريم على ضبط معاني الكلمات وإثبات معانيها الجديدة ذات الصبغة الإسلامية الدالة على إعجاز القرآن الكريم لما فيها من تطور دلالي يستحيل أن يصنعه فرد أو أمة في هذا الوقت المحدود»(٩) على أن ما لم يتم ضبطه في كتاب الله، تولت السنة بيانه كما بالنسبة لألفاظ: الصلاة والزكاة والحج.

وبهذا يتضح أن ضبط المصلح ـ مطلب شرعي حرص الإسلام على تحقيقه في مصدره الأساسي «كتاب الله» ومارسه النبي صلى الله عليه وسلم بوحي من الله تعالى، وأن ذلك الضبط دليل على إعجاز القرآن الكريم وعلى صدق الرسول صلى الله عليه وسلم، وقبل إعطاء نموذج دال على تنبه المسلمين لأهمية ضبط المصطلح، نثبت أن ضبط المصطلح أيضاً مطلب علمي.

المصطلحات تمثل عنصراً جوهرياً في جميع العلوم الشرعية

ضبط المصلح ـ مطلب شرعي حرص الإسلام على تحقيقه في «كتاب الله»

٤ ـ ضبط المصطلح مطلب علمي:

لما كان ضبط المصطلح مطلباً شرعياً إسلامي، وبما أن الإسلام دين العلم فإن ضبط المصطلح مطلب علمي. وتتجلى أهمية هذا الضبط من الناحية العلمية فيما يلي:

ـ ضبط المصطلحات أساس تأسيس العلوم وضمان استقلالية كل علم عن بقية العلوم والحفاظ على مرجعيته العليا «دين ـ ثقافة أو حضارة ما...» والسفلى «مذهب ـ نظرية».

ـ ضبط المصطلح يمكّن الباحث من تجنب الثغرات المنهجية والأخطاء المعرفية كذلك.

ـ في ضبط المصطلحات ضبط للمرجعية التي ينطلق منها ويستند إليها، فهي تمثل السلطة المعرفية للباحث في تحليله ومقاربته لموضوع ما واختلافه مع غيره... بل تجعله بعيداً عن الاضطراب والتناقض والإسقاطات الذاتية وغيرها من المزالق التي تؤثر سلباً في نتائج مقاربته، ولهذا فمن ظن أن العالم قادر على أن يتحدث في العلم من دون جهازه المصطلحي فقد ظلمه ما لا طاقة له به.(١٠)

وأعود لأقول من جديد: لما كان ضبط المصطلح مطلبا شرعيا وعلميا فهو مطلب أصول فقهي باعتبار علم أصول الفقه علماً شرعياً علمياً له جهازه المصطلحي ـ المفاهيمي الذي يميزه عن غيره والذي أفاد به مجموعة من العلوم الأخرى كعلم الفقه وعلم الكلام وعلم اللغة والبلاغة وغيرها... فكيف تعامل الأصوليون مع مسألة المصطلح؟

٢ ـ ضبط المصطلح مطلب أصول فقهي

لما كان علم أصول الفقه علماً شرعياً والعلوم الشرعية ذات جهاز مصطلحي خاص وواضح، ولما كان أيضاً علماً

منهجياً باعتباره «السبل النظرية والمسالك الإجرائية التي يسلكها الفقيه في ممارسته الفقهية»(١١)، اتجهت جهود الأصوليين إلى نعت المصطلح وضبط مدلوله وذلك منذ تأسيس هذا العلم مع الإمام الشافعي «المتوفى سنة ٢٠٤هـ» في مؤلفه «الرسالة» الغني بالمصطلحات الأصولية الواضحة المعنى كمصطلحات البيان والنسخ والاجتهاد والقياس... وغيرها، فعن مصطلح «البيان» باعتباره مصطلحاً مركزياً في «الرسالة»، وباعتباره الكلمة المفتاح لفهم تصور الشافعي لعلم أصول الفقه، عن هذا المصطلح يقول في ضبطه لمعناه: «البيان اسم جامع لمعانٍ مجتمعة الأصول متشعبة الفروع»(١٢)، فحدد بذلك ما يصح أن يطلق عليه المصطلح وما لا يصح، كما ميز به معناه في الاستعمال الأصوليين عن معناه في غيره من علوم البلاغة والنقد.

على أن الأصوليين ـ بعد الإمام الشافعي أولوا المصطلحات عناية كبيرة وانقسموا في ذلك إلى ثلاث طوائف:

ضبط المصطلحات أساس تأسيس العلوم وضمان استقلالية كل علم عن بقية العلوم

أ ـ طائفة حافظت على نهج الإمام الشافعي فاكتفى أصحابها بضبط المصطلح وبيان المراد منه في أثناء تحليل المسألة لأصول فقهية التي لها علاقة به. ومن ذلك مؤلفات أبي إسحاق الشيرازي(١٣) وأبي المعالي الجويني(١٤) وأبي حامد الغزالي(١٥) وغيرهم.

ب ـ طائفة تفتح مؤلفها بمبحث تخصصه لضبط المصطلحات المركزية في المؤلف وتبين الحدود التي يحتاج إليها في معرفة الأصول كما قال الباجي(١٦)، ومعنى الألفاظ الدائرة بين أهل النظر كما قال ابن حزم(١٧)، ممن نحا هذا المنحى أبو الوليد الباجي(١٨)، وابن حزم الأندلسي(١٩)، والعلامة البناني(٢٠) والفخر الرازي الذي قال: «أما المقدمة ففي تفسير الألفاظ المستعملة في هذا الباب»(٢١).

ج ـ طائفة تجاوزت عمل الطائفتين السابقتين، فخصت المصطلحات والحدود والأصول – فقهية بالتأليف كما هو الشأن بالنسبة لأبي الوليد الباجي في مؤلفه «الحدود في الأصول» الذي قام فيه بالتعريف بالألفاظ المصطلح عليها «عند الأصوليين خاصة»(٢٢).

وهكذا نخلص إلى أن ضبط المصطلحات من حيث اختيار المناسب منها وبيان معانيها وتميزها عن غيرها، وعن معانيها في حقول علمية تُستعمل فيها، عمل جليل يجنب الباحثين الشغب والالتباس والمضرة والاختلاف المضر كما انتهى إلى ذلك العلامة ابن حزم ولذلك فإن هذا الضبط مطلب مطلوب في عصرنا هذا حيث كثرت المصطلحات والمفاهيم، وتشابهت معاني الكثير مما ورثناه عن أسلافنا، بل قدمنا مصطلحات ومفاهيم الأخير ـ الغرب ـ سعياً وراء حداثة زائفة. ■

الهوامش

١ ـ كشاف اصطلاحات الفنون ـ للتهاتوي ـ تحقيق لطفي عبدالبديع ـ ترجمة النصوص الفارسية عبدالنعيم حسن ـ مراجعة أمين الخولي ـ دار الكتاب العربي ـ ١٩٦٩م ـ ج٤ ص ٢١٧.

٢ ـ الكليات ـ للكفوي ـ قابله على نسخة خطية ووضع فهارسه: عدنان درويش ومحمد المصري ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ ط٢، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م ص ١٢٩

٣ ـ التعريفات ـ للشريف الجرجاني ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط١، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م، ص ٢٨.

٤ ـ في المصطلح الإسلامي ـ للدكتور إبراهيم السامرائي ـ دار الحداثة ـ بيروت ـ ط ١ ـ ١٩٩٥م ـ ٥:٨.

٥ ـ أثر الدلالة النحوية واللغوية في استنباط الأحكام من آيات القرآن التشريعية ـ عبدالقادر السعدي مطبعة الخلود ـ بغداد ـ ط١ ـ ١٤٩٦هـ ـ ١٩٨٦م ص٣١.

٦ ـ الإحكام في أصول الأحكام، لابن حزم الظاهري ـ تحقيق لجنة من العلماء ـ دار الجيل ـ بيروت م٢ ج٨، ص ٤٦٤.

٧ ـ في المصطلح الإسلامي ـ للسامرائي ـ ص٨ نقلاً عن ابن فارس في كتابه «الصاحبي» المكتبة السلفية ـ ١٩١٠م ـ ص٤٤ ـ ٤٥.

٨ ـ المرجع نفسه ص ٩.

٩ ـ المرج نفسه ص ٧.

١٠ ـ قاموس اللسانيات ـ د. عبدالسلام المسدي ـ دار العربية للكتاب ـ ١٩٨٤م ـ ص٢٢.

١١ ـ المنهجية الأصولية والمنطق اليوناني ـ حمو النقاري ـ ط١ ـ ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م، ص٧.

١٢ ـ الرسالة ـ للإمام الشافعي ـ تحقيق أحمد محمد شاكر ـ دار الفكر ـ ١٣٠٩هـ ـ ص٢١.

١٣ ـ التبصرة في أصول الفقه ـ تحقيق محمد حسن هيتو ـ دار الفكر ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.

١٤ ـ البرهان في أصول الفقه ـ تحقيق عبدالعظيم الديب ـ دار الأنصار ـ القاهرة ـ ١٤٠٠هـ.

١٥ ـ المستصفى من علم أصول الفقه ـ دار الفكر.

١٦ ـ إحكام الفصول في أحكام الأصول ـ تحقيق عبدالمجيد التركي ـ دار الغرب الإسلامي ـ ط١ ـ ١٤٠٧هـ ـ ص١٠٧.

١٧ ـ الإحكام في أصول الأحكام م١ ـ ص٣٨.

١٨ ـ المرجع نفسه: إحكام الفصول.

١٩ ـ الإحكام في أصول الأحكام.

٢٠ ـ حاشية البناني على شرح الجلال الشمس الدين المحلي على متن جمع الجوامع للسبكي ـ مطبعة البابي الحلبي ط٢، ١٣٣٦هـ ـ ١٩٣٧م.

٢١ ـ الحصول في علم أصول الفقه ـ دراسة وتحقيق د. طه جابر العلواني ط١ ـ ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م ج١.

٢٢ ـ الحدود في الأصول ـ تحقيق د. نزيه حماد ـ ط١ ـ ١٣٩٢هـ ـ ١٩٧٣م ـ مؤسسة الزغبي ـ بيروت ـ ص١٦.

قصة قصيرة

اللص الذي سرقني

بقلم: عبدالستار خليف

هبط ذات مساء على بيتي، دخل بعد أن حطم النافذة، اغتال الأمن والأمان في حياتي الهادئة، سرق بعضاً من محتويات البيت.. من الجهد والعرق الذي بذلته وقضيت بعضاً من عمري في توفيره وادخاره للأيام القادمة.

قلت لنفسي: أمري لله، ماذا أفعل في لص سرقني؟ والسارق دوماً يكون أذكى من المسروق!! وإلا لما استطاع التسلل إلى بيتي وصدري وعقلي وفكري، ثم غافلني وسرقني، في لحظة وهن وضعف مني. لابد أنني كنت نائماً أو مهملاً في سد إحدى الثغرات التي تسلل منها، فلم أكن يقظاً تاماً.. حتى أضع كافة الاحتمالات لوجود مثل هذا اللص الذكي الذي يسرق ويفر من العدالة، نعم، لص ذكي، واعترف بأنه سرقني بذكاء ودهاء، وإن كان ذلك لا يخلو من الخديعة والغدر في الوقت نفسه.

وباع بضاعته المسروقة في السوق جهاراً نهاراً، على مشهد من الجميع، ولا يوجد عندي ما يثبت أنها بضاعتي، سوى دليل باهت وضئيل لم تأخذ به المحكمة، وفر اللص بالغنيمة... ضاع حقي ومتاعي وجهدي وعرق السنين، ورزقي على الله، قلت هذا لنفسي، وأنا أخرج من السوق مبتسماً في حسرة ومرارة وألم.

بعد أيام، شهور... لم يمض عام عندما التقيت مع اللص، قابلته مصادفة، وتعارفنا أكثر، كان لا يزال يذكرني، وكان حزيناً، سألته عن سبب حزنه البادي عليه، أجاب ولشدة المفاجأة قال في انكسار: لقد سُرقت...

عدت أتساءل: سَرقت أم سُرقت؟!. أجاب بضيق: هذه المرة، أنا المسروق، ضحكت بصوت مرتفع حتى كدت أسقط على ظهري، سألني بغرابة: لماذا تضحك هكذا؟! هل هي شماتة من جانبك بيَّ؟!. قلت: لا، أضحك لشيء آخر طرأ على ذهني، سأل بشوق: ما هو؟ قلت: هذه المعادلة الصعبة، كيف تكون السارق والمسروق في الوقت نفسه، الجلاد والضحية، القاتل والقتيل، الجرح والسكين... قاطعني بضيق ملوحاً بيده: كفى، تريد أن تقول فيَّ شعراً...

قلت: أنسيت أنني شاعر...

اعترض قائلاً: لا أعرف سوى أنك كاتب صغير، ترتزق من وراء الأخبار والأوراق...

عقبت: ومع ذلك سرقتني!!. صمت ولم يجب، تبادلنا النظرات الحادة، ثم استطردتُ مواصلاً حديثي: إنني أشعر بالألم، بالنار التي تحرقني ولذلك أنطق شعراً، وإن كان هذا الشعر ليس لي - حتى لا أعد سارقاً مثلك - ولكنني حزين في الوقت نفسه، لأنني اكتشفت بأن هناك ثالث... أذكى مني ومنك، وسرقك في وضح النهار، مثلما سرقتني تماماً، وكما تدين تدان ولو بعد حين، لم يعقب وظل صامتاً، قلت: الآن.. هل شعرت بالمرارة في حلقك وتحت الضروس، مثلما شعرت أنا بها «كيف تكون ضحية» هذه هي القضية، هل لك شعور مرهف وإحساس شفاف مثلي، أنا الضحية، أم أنك متبلد المشاعر كالجلاد؟!

لم يجب، ظل يتفرس بي في غيظ وضيق، فأنا جئت على موضع الألم وضغطت بشدة وقسوة، حاولت أن أكون «المشرط والألم»، والجرح والسكين.

استدار في صمت، ومضى.. وأنا واثق بأنه كان يجفف دموعه ولا يود أن أراها، وكان يضغط على جرحه الذي بداخله، حتى لا يفضحه وتنبجس الدماء أمامي... قلت في نفسي: كما تدين تدان... ولو بعد حين.. ■

الوعي الإسلامي
العدد 408
شعبان 1420 هـ
نوفمبر / ديسمبر 1999 م

2



الأسرة المسلمة

كريمة المرزوية فقيهة مكة في القرن الخامس الهجري



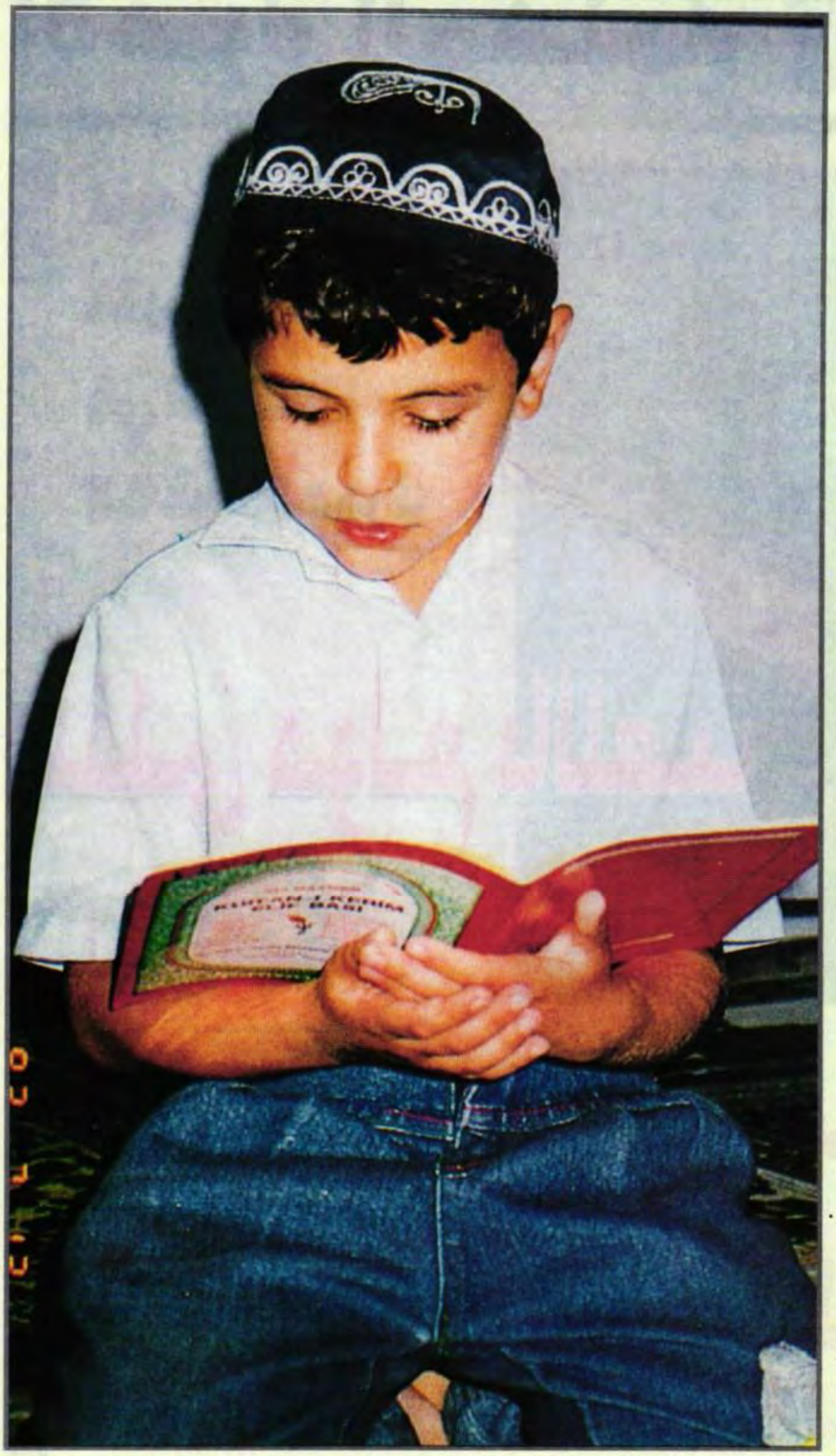
طفلي مولع باللعب... ماذا أفعل ؟

عندما يسرق الطفل كيف نعالجه ؟

تحرير المرأة بين كينونتها وبين المقايسة

الطفل في اللغة والاصطلاح

بقلم: آمال عبدالرحمن محمد



السبل التربوية لجعل الولد ودوداً رحيماً

ما أروع الرحمة وما أجملها من صفة إذا اتصف بها إنسان كانت مؤشراً على الصلاح وعمق الإيمان، وإذا سادت في مجتمع خيمت عليه السكينة وانتشرت الألفة والمحبة بين أفراده وصدق الله تعالى إذ يقول: (محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم) الفتح:٢٩.

ولقد جعل الله الرحمة من صفات الزواج السعيد كما جاء في قوله: (ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة) الروم:٢١.

فبالرحمة تسود المحبة والألفة والتعاون بين ربوع المجتمع وتقل الجريمة وينعدم الانحراف ويعم الخير ويصبح المجتمع كالبستان المثمر الفواح فيستنشق رحيقه الأفراد وينعم المجتمع في ظلها بالأمن والسكينة، فإذا كان للرحمة قيمة تربوية فما أجدرنا أن نربي أبناءنا على تلك الخصال وهذه العادات الحميدة حتى تصبح الرحمة عادة في كيانهم يتحلون بها.

ولا شك أن ذلك يبدأ من الأسرة فهي التي تؤسس اللبنة الأولى في حياة الصغير، فينبغي على الأسرة أن تربي أبناءها على الرحمة والمودة حتى تجعل ذلك جزءاً من شخصياتهم، غير أننا نلاحظ أن هناك شكلين من أشكال التربية للأطفال. شكل يساعد الأطفال ويبث فيهم روح التنافس، وشكل يبث فيهم روح التعاون.

ونجد في المنطقة العربية عموماً أن الأسرة تقوم عادة بتربية النشء على التنافس وليس على التعاون، وربما دل على ذلك موقفنا من بعض الألعاب الرياضية، حيث نلاحظ أن الفرق الرياضية التي تعتمد في فوزها على لعب الفريق مثل كرة القدم أو السلة... إلخ، قد لا تحقق فيها مراكز متقدمة، ولكننا نحقق المراكز المتقدمة في السباحة وكمال الأجسام والتنس والاسكواش على أساس أنها ألعاب فردية، وهذا يعني أن روح الجماعة تنقصنا في داخلنا ويكون منشأ ذلك هو تربية الأسرة للطفل على أساس حب التنافس، ولكن النوع الثاني من التربية، وهو الذي نريده لأطفالنا في المستقبل لأنه يساعد الطفل على التعبير عن مشاعره وأحاسيسه ويكون طفلاً رحيماً ودوداً مألوفاً، ولكي ننمي هذه الصفة عند الطفل علينا:

- ألا نقهره ونعني بالقهر هنا كم الأوامر والتعليمات التي يصدرها كل من الأم والأب للطفل بشكل صارم، وكلما زاد كم التعليمات قلت قدرة الطفل على التعاون معنا وبالتالي تقل فيه المودة والرحمة والحب.

- عدم توجيه الانتقاد إلى الطفل على ما يقوم به، بل نحاول أن نظهر مواطن القوة لدى الطفل ونبرز الأعمال التي يبدع فيها والجوانب التي ينجح فيها وليس ما فشل فيه ونقول له ما حققه وليس ما لم يحققه.

- نشجعه على التعاون مع أصدقائه في الفصل في بعض الأنشطة ليشارك الآخرين بشكل مستمر.

- نشجعه على استخدام الأشياء ومشاركة الآخرين مثل مشاركته في ركوب الأراجيح في حديقة الأطفال لفترة ونعوده على أن يتركها للآخرين.

- أن نعوده العطف على الحيوانات والطيور الصغيرة الحجم، كأن نقوم بتربية بعضها ويقوم هو بإطعامها وعندما يذهب إلى حديقة الحيوان يساعد الحارس في إطعام بعض الحيوانات.

- تعويد الطفل على مساعدة إخوانه ممن هم أصغر أو أكبر منه سناً في بعض الأمور.

- وينبغي أن نكون قدوة له فيعطف بعضنا على بعض، كما نجعله يرى تعامل أبويه معاً حتى نجعله يتحسس العطف على الفقراء والمساكين.

- بأن يشترك خلال شهر رمضان في تحضير بعض الوجبات التي نتبرع بها مثلاً أو في أثناء دفع الزكاة، وكذلك المناسبات الأخرى كتوزيع اللحم والنقود في العيدين الفطر والأضحى.

- إلى جانب إعطائه مثالاً في زيارتنا للأهل والأقارب لوصل الرحم، وعلينا أن نشمله بالحب بشكل مستمر، ويمكننا أخذه للقيام بزيارة بعض الملاجئ وأماكن رعاية الأطفال والمسنين والأيتام ليقدم لهم بيديه بعض الحلوى والملابس ويراهم وهو يدخل عليهم السرور.

وكل هذا يدفع الطفل لأن يكون ودوداً رحيماً حيث استطعنا أن نعطي له القدوة وأن نجعله يمر بخبرة العطف والرحمة والمودة، وهذه هي آراء علماء الصحة النفسية.

فضلاً عن أن التربية الإسلامية تدعو إلى الرحمة وتحض الأسرة على أن تقدم الأسوة الحسنة، فالطفل يتعلم بالمثال أكثر مما يتعلم بالمقال. فينبغي أن يرى من والديه ومعلميه أمثلة على الود والرحمة بين الناس وأن نعلِّمه الحب، وأن الحب عطاء لأن الرحمة والود تتولدان من عاطفة الحب، وأن نكوّن فيه روح البذل والكرم والشفقة على الضعفاء والمساكين وحب التعاون بين الناس ومساعدة الآخرين لأن هذه المعاني هي المعاني المحيطة بخلقي المودة والرحمة، ومراعاة مبدأ الثواب والعقاب وتطبيقهما على الطفل بحكمة بالغة بحيث يثاب عند صدوره ما يدل على الرحمة والمودة عنه على سبيل التشجيع غير المفرط، ويعاقب إذا ما ظهر منه ما يدل على القسوة والكراهية من غير إفراط أيضاً ولا تكرار له، بحيث يشعر أن الرحمة والود واجب من الواجبات التي لابد أن يتحقق إلا بهما، وأن القسوة والكراهية والبغض من الصفات الذميمة التي ينبغي أن يقلع عنها، والعمل على ربط هذه المعاني برضا الله والجزاء الذي يدخره لعباده المؤمنين في الآخرة.

وإننا نتخلق بهذه الأخلاق ولا ننتظر جزاء من أحد بل نفعل ذلك لوجه الله تعالى، فإن هذا المعنى كفيل بجعل الطفل يتخلق بهذه الأخلاق لعدم ربطها بمقابل مادي أو منفعة شخصية، وهنا يذكره والده ووالدته بأبسط آيات الرحمة وهي آية بسم الله الرحمن الرحيم، وحديث «الراحمون يرحمهم الرحمن» وكذلك حديث «ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء» وغيرها من الآيات والأحاديث التي تتناسب مع سن الطفل والتي تحضه على الود والرحمة. وتعويد أطفالنا على الرحمة والمودة من دون شك يعلمهم أن يرحموا الضعيف وكبير السن ونربيهم على حب الخير، كما أننا ندخر لأنفسنا رصيداً عند أبنائنا ليساندونا عند الكبر وإلا فإن فاقد الشيء لا يعطيه.

بهذا يمكن إنشاء جيل يتمسك بالرحمة في سلوكه وتكون عادة متأصلة فيه ونكون بحق خير أمة أخرجت للناس. اللهم حفنا برحمتك يا أرحم الراحمين. ■

بقلم: د. زيد محمد الرماني

الاستهلاك الرشيد خير وبناء

الوقفة الأولى:

ترشيد الاستهلاك: إن ترشيد الاستهلاك يعتبر من أهم أهداف المجتمعات عامة، فالدول تعمل جاهدة على ترشيد استهلاك مواطنيها وحضهم على تنظيم الاستهلاك الفردي والأسري.

ويتوقف نمط استهلاك الفرد على مدى وعيه بأهداف الدولة وسياستها الاقتصادية، كما يتوقف على نوعية المعلومات والعادات والاتجاهات التي تأصلت لدى الفرد منذ الصغر بالممارسة اليومية.

فلا شك أن التطبيع الاجتماعي للفرد له أثره في تحديد أنماط سلوكه الاستهلاكي، ولهذا، كان الاهتمام بمراقبة الفرد وتوجيه سلوكه التوجيه السليم أمراً ضرورياً، حتى يمكنه أن يشارك بنصيب من الجهد والعمل في تنظيم الاستهلاك.

كما يسعى المجتمع لتحقيق أهدافه الوطنية عن طريق تنمية الصفات المطلوبة في المواطن ووسيلته في هذا: التنشئة الاجتماعية.

وحيث إن كثيراً من المعلومات والبيانات المتعلقة بترشيد الاستهلاك والمستهلك بالدرجة الأولى وتكوين الاتجاهات السليمة لدى المستهلك ليست فطرية، وإنما هي مكتسبة.

ومن ثم فلابد من دراستها وممارستها وربطها ربطاً صحيحاً بجوانب الحياة اليومية ومتطلباتها.

الوقفة الثانية:

عادات الاستهلاك: إن لكل مجتمع من المجتمعات عاداته وتقاليده المتوارثة التي يعتز بها لأنها تحدد معالم شخصيته المتميزة عن باقي المجتمعات.

ومن العادات الغذائية التي يتصف بها المجتمع العربي وبخاصة، والتي ينبغي أن يتخلص الأفراد منها، عادة المبالغة في الشراء وكمية الطعام وتعدد أنواعه.

فقد يكون عدد أفراد الأسرة خمسة أشخاص والطعام الذي يُعدُّ لهم يكفي لسبعة أو ثمانية أشخاص، فإلى أين سيذهب هذا الطعام الزائد؟... لابد أنه سوف يُتخلص منه.

إلى جانب ذلك، هناك عادات خاطئة متبعة في الحفلات والمناسبات والزواج والولائم، المبالغة في النفقة فيها كنوع من التفاخر الاجتماعي وهذا يعتبر بذخاً.

بينما الهدي النبوي يوصي بأن المنهج الأسلم في الحياة الاعتدال والبساطة والاقتصاد في النفقات، وقد ورد عن رسول الله ﷺ قوله: «طعام الواحد يكفي الاثنين، وطعام الاثنين يكفي الثلاثة»، وورد عنه عليه الصلاة والسلام قوله: «خير النساء أيسرهن مؤنة وأقلهن صداقاً».

الوقفة الثالثة:

أضرار الاستهلاك: من المظاهر المادية للاستهلاك غير الرشيد ومن الصور الظاهرة الإسراف والترف على جسد الإنسان ما يُعرف بـ«البطنة».

وهي إعلان صارخ عن وقوع الفرد في دائرة الإسراف والترف المنهي عنه، وعدم وقوفه عند حد الاعتدال المأمور به، في سلوكه الغذائي، حيث استهلك ما لا يحتاج إليه في أداء وظائفه.

وانعكس ذلك على جسمه في شكل «البطنة»، وهي عِظَمُ البطن واتساع الأمعاء من جراء حشوها بالطعام فوق الحاجة.

ويترتب على «البطنة» عجز الإنسان عن أداء وظائفه الحيوية بطريقة جيدة، كما يترتب عليها الشبع المتزايد تعرّض الجسم لشتى الأمراض.

ولما كانت «البطنة» مظهراً من مظاهر الإسراف في استهلاك الطعام، فقد كان طبيعياً أن يقف الإسلام منها موقف الإنكار والتنفير والتحذير، للحفاظ على سلامة البدن وحماية له من شرور «البطنة».

يقول عليه الصلاة والسلام: «ما ملأ ابن آدم وعاء شراً من بطنه...».

وقال ﷺ لرجل سمين البطن وقد أومأ إلى بطنه بأصبعه: «لو كان هذا في غير هذا لكان خيراً لك...».

وقد ورد عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قوله: «إياكم والبطنة فهي ثقل في الحياة، ونتن في الممات».

الوقفة الرابعة:

إعلانات الاستهلاك: إن كثيراً من الناس يشترون طعاماً أو ملابس عن طريق الدعايات والأكاذيب التجارية لمنتجات غذائية أنواعها متعددة.

والحقيقة فإن الأسواق التجارية تروّج بضائعها بدعايات وإشاعات وإعلانات مبالغ فيها بكل وسائل الإغراء.

فمثلاً الإعلانات عن إنقاص الوزن باستعمال عقار ما يفقد الماء المخزّن بالجسم، واستغلال مصانع الأغذية إقبال الناس وإخراج الكثير من المستحضرات الغذائية للأسواق وتوزيع عينات مجانية من الغذاء الجديد مع كتيبات تشرح فوائدها وعناصرها الغذائية وطريقة تقديمها.

إن الإنسان بحاجة إلى الغذاء، لتقويم نفسه، مع العناية عند تناولها أن يكون ذلك باعتدال، فالإكثار مضرّ والإقلال مناسب.

لذا، ينبغي الابتعاد عن الدعايات التجارية والإعلانات المضللة، وكذلك ينبغي تعلّم أسس الغذاء والتغذية السليمة وعدم الانسياق وراء أقوال وأمثال لا أساس لها من الصحة.

الوقفة الخامسة:

أنماط الاستهلاك: درج الاقتصاديون على تصنيف أنماط الاستهلاك وفقاً للبنود الرئيسة، على أن يقسّم كل بند إلى أقسام فرعية.

فاستهلاك الطعام مثلاً يضمُّ قائمة بأهم بنود الطعام، كاللحوم والخبز والأرز والمشروبات بأنواعها المتعددة.

وهناك من الإحصاءات الرسمية ما يتبع هذا التصنيف نفسه.

وقد تمخضت الجهود في هذا المجال عن تصنيف دولي يضم عشرة بنود للاستهلاك هي:

١ - الأغذية.
٢ - المشروبات.
٣ - المواد الخام.
٤ - الوقود المعدني.
٥ - الزيوت.
٦ - المواد الكيمياوية.
٧ - البضائع المصنوعة.
٨ - الآلات ومعدات النقل.
٩ - مصنوعات منوَّعة.
١٠ - معاملات غير مصنَّعة.

ويتفق الباحثون في مجال الاستهلاك على مبدأ مفاده أن الأسرة أو الوحدة المعيشية تشكل خلية استهلاكية واحدة لها مصدر خاص بها للدخل، قد يسهم فيه فرد واحد أو أفراد عديدون، وأن جميع المستهلكين فيها هم أعضاء في وحدة استهلاكية واحدة.

الوقفة السادسة:

بطاقات الاستهلاك: نظراً لكثرة الاهتمام بالتغذية ورغبة في إيجاد وسيلة لنقل المعلومات الغذائية التي أسفرت عنها الأبحاث التي أجريت في هذا المجال للمستهلك لجأت كثير من الحكومات إلى استخدام ما يُعرف بـ«البطاقة الإرشادية».

البطاقة الإرشادية هي بيان أو إيضاح أو علامة وصفية سواء أكانت مصورة أم مكتوبة أم ملصقة أم محفورة بعبوة المادة الغذائية.

وتحوي البطاقة الإرشادية معلومات مكتوبة تشمل اسم المادة الغذائية، وقائمة المكونات ومحتويات العلبة واسم وعنوان صانع أو معبّئ المادة الغذائية وتاريخ الإنتاج والصلاحية، وبلد التصنيع أو المصدر الأصلي للسلعة.

والهدف من نظام البطاقات الإرشادية هو تثقيف المستهلكين غذائياً، وتشجيع شركات الصناعات الغذائية على رفع المستوى الغذائي لمنتجاتهم، ووضع رقابة على المنتجات الغذائية لحماية المستهلك من الغش التجاري. إن البطاقة الإرشادية قناة توعوية وإرشاد اقتصادية غذائية جيدة.

الوقفة السابعة:

مواقف من الاستهلاك: موقف الإسلام من الاستهلاك تحكمه قيم أساسية وقواعد ثابتة، مضمونها العام إباحة الاستهلاك، وإباحة تحقيق أفضل مستوياته الممكنة.

نؤكد ذلك ابتداء حتى لا يتصوّر أحد أن الإسلام يذمّ الاستهلاك أو يقف في وجه زيادته أو تحسين مستوياته.

ذلك أن معنى الاستهلاك لحق به في حسّ كثير من الأفراد مفاهيم غير صحيحة مفادها أن الاستهلاك عملية سلبية وسلوك مرذول يرهق اقتصادات الدول.

وقد ترسَّخ، وللأسف هذا الإحساس، بسبب ما تسكبه وسائل الإعلام وأجهزتها في آذان الناس من دعاية جوفاء تحبب في الإنتاج وتدعو إلى زيادته وتحذر من الاستهلاك وتنادي بتقليصه.

على أساس أن الإنتاج يعطي، ويضيف، ويفيد، وأن الاستهلاك تبديد وتحطيم، وغير مفيد.

وإذا كانت الأوصاف التي ألصقت بالإنتاج صحيحة، فإن ما ألصق بالاستهلاك خاطئ غير صحيح.

فالاستهلاك ليس شراً محضاً وليس تبديداً أو تحطيماً للسلع والخدمات وإنما هو خير وبناء للأجسام والعقول، فالبشر لا قيم لهم بغيره، والإنتاج لا وجود له بغيره.

إن موقف الإسلام من الاستهلاك الرشيد هو إباحته والدعوة إليه وجعله من القيام بالواجبات والتكاليف، فريضة لازمة، وجعله فيما هو في حدود ما يمكّن الفرد من أداء المسؤوليات، أمراً مباحاً، وربما واجباً، بشرط الاعتدال فيه ومراعاة القيم المشروعة. ■

بقلم: عبدالحميد غزي بن حسن

طفلي مولع باللعب ... ماذا أفعل؟



إن الحياة التي نعيشها ميزة من الصعب علينا - نحن الذين نحياها - تجاهلها، والظواهر الإنسانية تتغير، وتخضع كغيرها لحتمية التطور والتبدل... الحتمية التي تنسحب على تصرفات الناس... علاقاتهم... تصوراتهم... وأنماط تفكيرهم.

والناحية التربوية، هي من أكثر المتغيرات ومن أعظمها وأخطرها تأثيراً على البشر، فالديناميكية هي صفة الحياة، ولا أحد يستطيع توقيف عجلة الأيام، ولا تقييد الحياة بأمراس وسلاسل والذي يهمنا، أن التربية بكل عناصرها، باتت تقوم على وسائل حديثة بغية إعداد المخلوق البشري ليكون إنساناً سوياً، صالحاً ومن أجل ذلك يتطلب أن نعي حقائق ثلاث وهي: إعداد المربي إعداداً نوعياً متكاملاً متجهاً إلى الإنسان روحاً ومادة، ثم كيفية التعامل مع المتعلم، آخذين بعين الاعتبار حاجاته واستمداداته وسنه وقدراته والفروق بين المتعلمين... والنقطة الثالثة هي إشاعة الألفة والمحبة بين طرفي العملية التربوية عن طريق استخدام تقنيات الوسائل الحديثة في التربية والنزول إلى مستوى الأطفال تلافياً للهوة السحيقة بين المعلم والمتعلم وذلك باستخدام اللعب كطريقة في التربية... اللعب القائم على أهداف حديثة وسامية وخيّرة... وأمام كل ذلك، نجد عزوف الأطفال عن الروضة «نسبياً»، وتدني المستوى التعليمي لدى الأطفال بالرغم من إدخال السمعيات والبصريات ووسائل الايضاح... أليس السبب هو توجيه التربية في بداية المرحلة الابتدائية إلى عقل الطفل دون مشاعرة... ليكون حصالة معرفية متجاهلة قدراته، والتي هي السبب في إبعاد الطفل عن المدرسة، والضعف الواضح في مستواه التعليمي؟

وسأسوق مجموعة من القصص، تعرضت لها، أو حدثني أصدقائي عنها، وهي السبب في كتابتي هذه علّني ألقي الضوء على هذه المشكلة لنعمل على معالجتها.

القصة الأولى:

ثارت ثائرة إحدى الأمهات على معلّمة الصف الأول الابتدائي في إحدى المدارس، لأنها لا تلقن أو تعلم ابنها الصغير الذي لم يتجاوز سنه خمس سنوات ونصف السنة أو السادسة، الأرقام الكبيرة في الفصل، والضرب وعمليات القسمة وكان على الطفل أن يساعد والده وطبعاً لم تأبه المعلمة لطلب

الأم وتابعت عملها في إعطائه المنهاج المقرر بالطريقة التربوية الحديثة... لقد نسيت الأم أن المعلم لم يعد ملقناً ونبعاً للمعلومات وعليه أن يصب المعلومات كالجدول في مياه البحر... جدول المعلومات في بحر العقل «عقل الطفل» دون مراعاة لقدرات هذا الأخير ودرجة استيعابه ورغباته.

القصة الثانية:

منذ أيام استوقفني رجل طاعن في السن وأخبرني بأن طفلهُ في الخامسة من عمره وهو لم يسجل في المدرسة بعد، بل في الكتّاب والروضة وهو لا يحسن القراءة والكتابة حتى أنه يخاف من القلم أن يمسكه أو يحرك الحكك «الطبشور» على اللوح... قلت له: ماذا فعلت؟! قال: «أحضرت له سبورة... وعلبة مكعبات... وأحاول تلقينه حروف الهجاء والأعداد وأجبره على ذلك، لكن دون جدوى».

قلت له: دع ابنك دون أن تلقنه ولا تشعره بمراقبتك له، ولا تقل له: تعلّم كذا... افهم كذا، اتركه يتأمل ما حوله... ينفعل... يقلّد... يدرك عن طريق حواسه المرئيات والمدركات المحسوسة، دعه يرى ويعايش... يلمس ويتحسس ويلعب ويمرح، كن معه صغيراً ولا تطرح عليه الأسئلة المحرجة، اتركه هو الذي يسألك وأجب على أسئلته وتفسيراته بشكل مبسّط ومفهوم دون مواربة أو تهرّب وإذا أكثر عليك الأسئلة شجّعه على ذلك، لأن هذا بداية التعلّم بالنسبة للطفل... أترك ابنك يختار ويسأل.

القصة الثالثة:

تعاتب أم معلمة طفلها في الروضة، على أنها تأخذ راتبها دون مقابل... فهي لا تعلّم طفلها اللغة الأجنبية، ليكون طليقاً بها عندما يكبر علماً أنه لم يتعلم العربية، وتعاتب إدارة الروضة على



أنها لا تجبر معلمات الأطفال على إعطاء الأولاد الواجبات البيتية وغير هذا كثير، فهل الأم هنا محقة؟ أكيد هي مخطئة... ولماذا؟

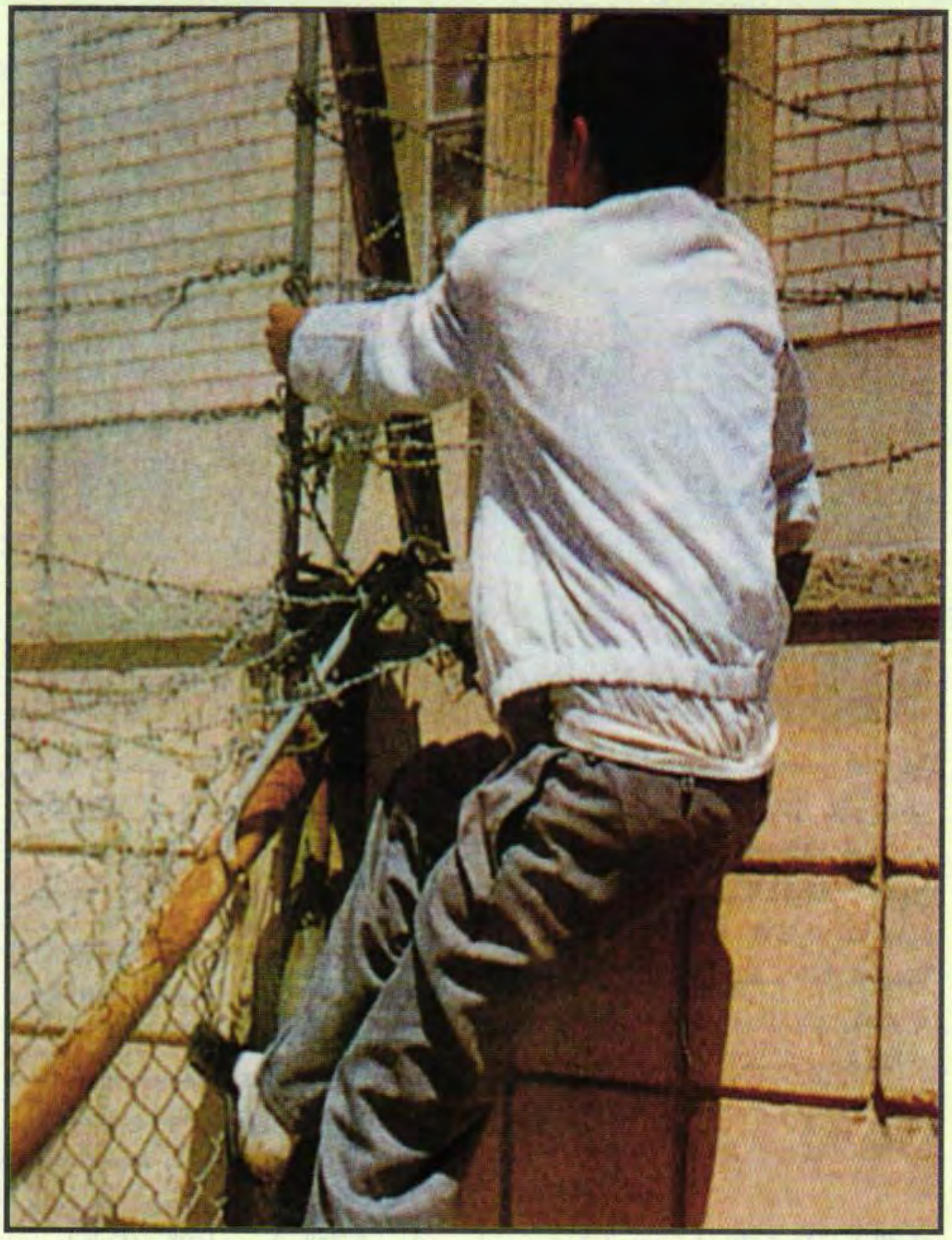
نسيت الأم أن مهمة الروضة، تربوية ترفيهية، وهي تعدّ مرحلة تمهيدية للأطفال، وهذا عملها الصحيح، تحضيراً نفسياً وانفعالياً لتقبّل المدرسة والعلم لدى الطفل حتى لا يشعر بكراهة التعلّم بعد ترك البيت - موئل الدلال والحنان - وبذلك نجد في حال إذا ما سما الجانب التعليمي أو التثقيفي على الجانب التربوي والترفيهي واتجهنا إلى الطفل كعقل متجاهلين النفس والأحاسيس أن رياض الأطفال تبتعد عن تحقيق رسالتها وتكون سبباً في إبعاد الطفل عن المدرسة والضعف الواضح في مستواه العلمي فيما بعد.

إن فترة ما قبل الدخول إلى المدرسة والتي نسميها رياض الأطفال... أو فترة ما قبل البدء بالتعليم أو التحصيل والتي نعني بها الأشهر الأولى من نصف السنة الأولى في المدرسة الرسمية الابتدائية، إن هاتين الفترتين مهمتان في حياة الطفل بل تؤثران في توجيهه إلى المدرسة والتحصيل... وعلينا أن ندرك هذه الحقيقة مبتعدين عن أسلوب الضغط والإكراه متوجهين إلى الطفل شعوراً ونفساً قبل توجهنا إليه عقلاً عن طريق اللعب والغناء، تاركين التلقين الإجباري بعيداً... مدركين أن الطفل ليس حصالة للمعلومات وعلى المربي أن يكون مرشداً وموجّهاً.

ونحن بدورنا، نقول: أيها الآباء والمربون، دعوا الطفل يلعب... يمرح... يغني ... يسأل... ويتعلم!. كل يتغير، كل يتبدل... يتطور... يتقدم.

فالألعاب وبخاصة «الألعاب الإلكترونية» فن جديد يختلف عن الفنون الأخرى، يعلّم الطفل التكيف مع الظروف التي تحول بينه وبين النجاح، لا تمنعوا أطفالكم من الغناء والموسيقا، حيث إن ذلك أفضل طريق لصقل الشعور وإنماء المواهب وبعث التفكير والانتباه. ■

بقلم: أشرف سعد



من مشاكل الطفولة

عندما يسرق الطفل كيف نعالجه؟

في السنوات الأولى من حياة الطفل وحتى سن الخامسة من عمره قد يحصل الطفل على أشياء لا تخصه «أي يمتلكها كل أفراد الأسرة»، ولكنه حين يفعل ذلك يكون بشكل عفوي، وعادة ما يكون سبب ذلك أن الطفل لم يتحقق له النضج العقلي والاجتماعي اللذين يجعلاه يميز بين الملكية العامة والملكية الخاصة. وسلوك الطفل في هذه الحال قد لا يزعجنا كوالدين ومربين، وكل ما هو مطلوب حينئذ من الكبار المحيطين بالطفل أن يوضحوا له الفارق بين ما هو ملك له وما هو ملك لغيره.

والسرقة سلوك يعبّر عن حاجة نفسية ويمكن التعرف على هذا السلوك في ضوء شخصية الطفل وطرق تكوينها فربما تكون السرقة وسيلة لإثبات الذات، وربما تكون تعبيراً عن ميل للتملك والاستمتاع بالقوة وقد تكون صورة من صور الاضطراب النفسي وهنا تكمن المشكلة.

فالسرقة عندما تظهر كسلوك مرضي على الأطفال فيما بعد سن الخامسة، عادة ما تسبب قلقاً شديداً للآباء والمعلمين الذين يتعاملون مع الطفل، لذا يجب أن نبحث عن دوافع السرقة.

والطفل يشعر بالحاجة للملكية شعوراً تلقائياً في سن مبكرة جداً وقد يظهر هذا الشعور في الفترة الأخيرة من السنة الأولى.

وللأسف الشديد قد يهمل بعض الآباء تكوين اتجاه للتمييز بين ما يملكه الطفل وما لا يملكه فيتركونه من دون ممتلكات... «أي من دون أدوات خاصة به» أو لعب أو يجعلونه ينشأ في منزل يتميز بأن كل ما فيه ملك للكبار، وأحياناً يتسبب الآباء عن قصد في عدم نضوج الوعي والتمييز بين ما يملكه الطفل وما لا يملكه وذلك بأن يشتروا لعبة واحدة يلعب بها أكثر من طفل في المنزل دون تميز ظانين خطأً أن هذه أحسن وسيلة لتعليم الأطفال الإيثار بدلاً من الأثرة، والتعاون بدلاً

الأطفال الإيثار بدلاً من الأثرة، والتعاون بدلاً من الأنانية، وهم بذلك يرتكبون خطأ كبيراً، ولعل أهم القواعد والأسس التي تكوّن اتجاهاً سلبياً نحو السرقة عند الأطفال بل تكون اتجاهاً إيجابياً نحو الأمانة هو احترام حقوق الطفل فيما يملك من أدوات خاصة ولعب ثم تركه يتصرف فيها التصرف المشروع. ويجب على الآباء أن يدركوا أنه قبل تكوين الاتجاهات السلوكية نحو الأمانة لابد من حدوث اعتداءات من الطفل على ما يملكه غيره من الأطفال وبخاصة حين يكون في المنزل أخوة متقاربين في السن.

لماذا يسرق الأطفال؟

١ ـ السبب الجهل قد يسرق الطفل لعبة أخيه أو زميله لأنه يجهل معنى الملكية ويجهل كيف يحترم ملكية الآخرين «أي أن نموه لم يمكنه من التميز بين ماله وما ليس له»، كما أنه لا يفهم أن أخذه للعبة غيره معناه أمر مشين، بل إنه لا يفهم لماذا يأخذها؟ ومثل هذا الطفل لا يمكننا أن نعتبره سارقاً ويكفي لكي نعوده على سلوك الأمانة أن ننمي فكره عن الملكية ونخصص له أدوات ولعبا خاصة به تختلف في لونها عن لون الألعاب الخاصة بأخوته.

٢ ـ بسبب الحرمان فقد يسرق الطفل شيئاً محروماً منه وليس في مقدوره الحصول عليه، فيشعر بحاجة ملحّة أو حافز للسرقة... كأن يسرق طعاماً يشتهيه لأنه جائع وقد يسرق لعبة غيره لأنه محروم منها أو قد يسرق النقود لشراء هذه الأشياء. والدافع للسرقة هنا هو محاولة لإشباع بعض الحاجات النفسية نحو ما يسرقه.

٣ ـ الانتقام: قد يكون الدافع إلى السرقة هو الانتقام فقد يسرق الطفل والده لأنه صارم في معاملته له فيتجه الطفل للسرقة انتقاماً من والده رداً على معاملته السيئة.

٤ ـ للتخلص من مأزق: أحياناً يكسر الطفل في المنزل بعض الأشياء الثمينة في أثناء لعبه ولكي يتخلص من المأزق يسرق النقود لكي يشتري بدل الحاجة التي كُسرت لإخفاء فعلته.

٥ ـ الحصول على مركز مرموق: فأحياناً يكون دافع الطفل للسرقة هو حصوله على مركز مرموق بين أقرانه فيسرق للتفاخر بما لديه أو ليقصده زملاؤه بأن يعطيهم مما سرق، ومثل هذا الطفل يعاني عادة من الشعور بالنقص.

٦ ـ الميل إلى إشباع عاطفة أو هواية: مثل ميل الطفل لركوب الدراجة أو دخول السينما أو شراء ما يلزمه لممارسة هواية خاصة مثل التفكير في شراء لعبة أعجبته ويكون الغرض من السرقة هنا إشباع هوايته.

٧ ـ تقليد الأقران وشغل أوقات الفراغ: أحياناً يكون سبب السرقة عند بعض الأطفال هو تقليد أقران لهم في البيئة أو لشغل أوقات الفراغ فيسرق الطفل ليشغل وقته ويحدث ذلك عادة للأطفال الذين يعيشون في جو عائلي مضطرب لا يتصف بالأمن والطمأنينة ومن ثم تنعدم فيه الرقابة والأبوة.

٨ ـ نشوء الطفل في بيئة إجرامية: فعندما ينشأ الطفل في بيئة إجرامية يتعود على السرقة والاعتداء على ملكية غيره وتشعره السرقة بأن هذا نوع من القوة والانتصار وتقدير الذات خصوصاً لأنه يفلت من العقوبة وقد يحدث ذلك عادة لأسباب اقتصادية تدفعه لإشباع حاجته إلى الطعام أو لشراء ما يحتاجه في المدرسة ويعجز والده عن تقديمه له.

٩ ـ شدة حرص الأم على الأشياء: في هذه الحال يلجأ الطفل إلى السرقة وبخاصة في الأسر التي تعودت فيها الأم على الاحتفاظ بكل شيء وتغلق على كل شيء ليكون بعيداً عن متناول الأطفال وهذه السرقة تعبر عن رغبة الطفل في الاستطلاع والمعرفة والوصول إلى ما تحويه الخزانة المغلقة فإذا نسيت الأم إحدى هذه الخزانات المغلقة مفتوحة فالطفل يسرع للعبث بها.

رد فعل الآباء عند حدوث السرقة:

عندما يكتشف الآباء أن ابنهم قد سرق شيئاً يصابون بحال من الذعر تنتابهم، وهم يفاجأون بمثل هذا العمل ويتصورون أن ما وقع هو كارثة كبرى وهذه المبالغة ليست إلا تصرفاً خاطئاً قد يترتب عليه أضرار بالغة لذلك لابد من السيطرة على الموقف وعلينا ألا نلجأ إلى العقاب العنيف حتى نتعرف على الأسباب التي أدت بالطفل إلى السرقة ومبدأ العقاب ليس سيئاً في حد ذاته ولكن علينا ألا نبالغ فيه.

يجب ألا نجرح كرامة الطفل ولا نجبره على الاعتراف بجرمه أمام أفراد الأسرة أو أمام أصدقائه في المدرسة ولا نعاير الطفل بالسرقة أو نعاقبه أمام أصدقائه لأننا لو فعلنا ذلك لعاد الطفل إلى السرقة مرة أخرى انتقاماً منا على عقابه.

كما يجب ألا نتساهل ونمدحه على مهارة وصوله إلى ما سرق لأن الطفل يعتقد في مثل هذه الحال أن كل شيء قد أصبح مباحاً له ويعتاد على السرقة مرة أخرى لأنه لم ينل العقاب أو التوبيخ المناسب على ما فعله.

كيف نتفادى السرقة عند الأطفال؟

١ ـ على الوالدين أن يتجنبا الاندفاع إلى إشعار الطفل بسوء ظنهما فيه وتخوفهما منه وعدم ثقتهما في تصرفاته بقفل جميع الأدراج بالمفتاح ولا يسرفا في ترك مبالغ كبيرة من النقود ملقاة في متناول يد الطفل حتى لا تكون السبب في إغرائه بالسرقة.

٢ ـ على الوالدين إفهام الطفل حقوقه وواجباته وأن هناك أشياء من حقه الحصول عليها، وأشياء ليس من حقه الحصول عليها ونعلّمه على ألا تمتد يده إليها وينصح علماء الصحة النفسية أن نروي للطفل القصص المشوّقة عن اللصوص وما ينالونه من عقاب وسوء معاملة ونهاية سيئة بينما الأمانة تلقى المكافأة ورضا المجتمع وتقديره.

٣ ـ على المربين أن يدرسوا كل حالة على حدة ويهتموا بمعرفة، هل السرقة عابرة أو متكررة؟

كيف نعالج السرقة عند الأطفال؟

١ ـ يجب أن يعيش الأبناء في وسط عائلي يتمتع بالدفء العاطفي المتبادل بين الآباء

والأبناء حتى يشعر الأبناء بالأمن والطمأنينة كما يجب لمن كان ذو سعة توفير الضرورات اللازمة للأطفال من مأكل وملبس ولعب وخلافه.

٢ ـ مساعدة الأطفال على الشعور بالانتماء والاندماج في جماعات سوية في المدرسة والنادي والمنزل.

٣ ـ خلق الشعور بالملكية عند الطفل منذ سنيه الأولى ويخصص للطفل دولاباً خاصاً به يحفظ به ألعابه التي يمكلها.

٤ ـ المرونة والتسامح في حالات السرقة الفردية العابرة التي تحدث في حياة الصغار وبخاصة بعد معرفة السبب الذي ورائها وعلاجه كإشباع حاجاتهم النفسية.

٥ ـ عدم الإلحاح على الطفل بالاعتراف لأن ذلك يدفعه إلى الكذب وقد يجد أنه نجح في الكذب... فيتمادى في السرقة وفي الكذب.

٦ ـ العلاج السلوكي وذلك يتم بتعديل سلوكيات الطفل السارق وبناء ألوان سلوكية جديدة.

٧ ـ العلاج باللعب كتب أستر «١٩٤٣» عن استخدامات اللعب في مجال العلاج ما يلي:

أ ـ يمكن أن يستخدم اللعب كأداة للتشخيص من أجل فهم الطفل.

ب ـ يمكن أن نستخدم اللعب في إقامة علاقة عمل مع الطفل.

٣ ـ يمكن أن يستخدم اللعب للتعرف على طريق لعب الطفل في حياته اليومية وعلى دفاعاته ضد القلق.

٤ ـ يمكن أن يستخدم اللعب لمساعدة الطفل على أن يعبّر بالألفاظ عن مادة شعورية معينة والمشاعر المرتبطة بها.

ولكي ننمي سلوك الأمانة في الطفل يجب أن نحترم ملكية الطفل ومن ثم نعلّمه احترام ملكية غيره ونشبع حاجاته النفسية ونشعره بالأمن والطمأنينة وبالشعور وبالتقدير حتى يشب على درجة معقولة من الثقة بالنفس، وبالتالي نتغلب على مشكلة السرقة إذا صدرت عنه. ■

خاطرة

بقلم: ليلى عبدالرحمن السلطان

إليك لجوئي

حين يستبدُّ بي الضجر... وتهيمنُ عليَّ براثنُ القهر واليأس... تسوء نفسي... وتجدب روحي... وينضبُ مائي... فافتقد نضارتي... ويخبو توهجي... فتفقد الحياة طعمها... ويبهتُ لونها... فيغدو السأمُ ديدني ومآلي... وتخمد جذوة عطائي وتدفقي... فأعيش حالة من الانهزام والتقهقر... وأتخبط في سلبية قاتلة... فيغدو الإحجام والتردد هاجسي... لا تدوم هذه الحالة طويلاً... فسرعان ما تتلاشى عندما أبحر في أمواج هذا الكون الفسيح... مرسلة أشرعة النفس المتعبة لترسو في مرافئ خلق الله العجيب... فأستعيد رباطة جأشي... وأعلن بداية جديدة لنضارتي وتدفقي مفتتحاً ذلك بـ«سبحان الله... والحمد لله... ولا إله إلا الله... والله أكبر» وهنا تنقلب الموازين... ليحل الأمل محل اليأس... والفرح محل الحزن... وتنساب شلالات هادئة من التأمل... والتفكر في عظمة خالق الكون... فيلينُ القلب بعد قسوة... وتعود الخصوبة من جديد إلى مسارب الروح المجدبة وتنبض العروق بدفقات جديدة عامرة بالحياة... فترقص النفس في نشوة... وإشراق، مفعمة بالأمل... والحيوية... والعطاء.

إنها ـ ولادة جديدة ـ مفتاحها «سبحانه الله... والحمد لله... ولا إله إلا الله... والله أكبر» وفي مخاض هذه الولادة... أرسل نظراتي إلى السماء... في ليلة افتقد فيها القمر... لأنتقل من نجمة إلى أخرى... وأنصتُ بخشوع لسكون الليل الرهيب... الذي تخترقه أصوات متداخلة لعناصر الطبيعة... وأصوات بعض الحيوانات في الغابة القريبة... إنها معجزة الخالق العظيم.

سبحانك يا رب... ما أعظمك!!... يا من خلقت كل شيء بدقة وإتقان... إليك ترنو العيون الحائرة... إليك تهفو القلوب العاشقة لروعتك وبهائك... يا رجاء ما خاب من وضعه بين ناظريه... يا حباً تزهرُ به القلوب المتصحرة... إليك أرفع أكفي بالدعاء:

اللهم بدد الحزن من نفسي وخاطري... وأبعد القهر واليأس عن جوارحي.

يا إلهي... وأملي... ورجائي... إليك أشكو عجزي... وقلة حيلتي وهواني.

اللهم أنت ملاذي... وإليك لجوئي... يا قويُّ يا رحيم.

ما خاب من تمسك برحمتك... يا رحمن.

ما خسر من طلبَ عفوك... ومغفرتك... يا غفور.

فاعفُ عني... واغفر لي... وتجاوز عن ضعفي... وذنوبي... وإسرافي في أمري.

إنك أنت التواب الرحيم... وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجميعن.

● **إضاءة:**

يقول الله تعالى في كتابه العزيز: (قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم) الزمر:٥٣. ■

إعداد: طارق البكري

الطفل في اللغة والاصطلاح

الطفل في اللغة

لم تختلف كتب اللغة القديمة والحديثة في تعريفها لمادة «طفل» فجاءت بمجملها متقاربة في المعنى شكلاً ومضموناً مع اختلاف باستخدام الألفاظ.

لسان العرب عرَّف الطفل والطفلة بالصغيرين وأبان أن الطفل هو «الصغير من كل شيء»، وكذا قال صاحب القاموس وفي المختار هو «المولود، وولد كل وحشية أيضاً طفل». وقد جاء في الوسيط أن الطفل هو «المولود مادام نعماً، رخصاً والولد حتى البلوغ» والرخص هو الشيء الناعم.

وفي معجم اللغة العربية «جنته والليل طفل، أي في أوله، إنه يسعى في أطفال الحوائج، «والطفل» سقط النار، أي الشرارة، تطايرت أطفال النار، عشب طفل أي لم يطل، والجمع أطفال».

وذكر معجم عين الفعل أن النبات إن لم يطل «فهو طفل».

أما الطفولة والطفولية فهي «المرحلة من الميلاد حتى البلوغ».

وكذا في الوسيط، وبيَّن اللسان أن «الصبي يدعى طفلاً حين يسقط من بطن أمه إلى أن يحتلم».

وعلى هذا النمط، أو ما يماثله، يسرد أصحاب المعاجم إيضاحات، وتعريفات لغوية لمادة «طفل»، وهي بمجملها تفيد معنى متشابهاً لا يخرج عن كونه دلالة على الصغر، إذا نعتت به الأشياء، أو للدلالة على مرحلة زمنية من عمر الإنسان، تلي المرحلة الجينية، أي منذ أن يخرج الإنسان من رحم أمه وليداً، إلى مرحلة البلوغ التي تدخل الإنسان تحت مظلة التكليف الشرعي، لأن خطاب «التكليف لا يتناول غير مكلف ولا خلاف في ذلك في الواجبات الشرعية»، إذا كان خالياً من العيوب العقلية، وقد حدد الله تعالى بدأ مرحلة التكليف بالاحتلام بقوله: (وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم) النور:٥٩.

الطفل في الاصطلاح:

الطفل في أبسط تعريفاته هو «كل إنسان لا يزيد عمره عن أربعة عشر عاماً».

إذن، فإن الطفل المقصود هو الإنسان، ويخرج بذلك كل المخلوقات الأخرى، كما أنه كل من لم يتجاوز الرابعة عشرة من عمره، وبهذا يخرج من تجاوز هذا العمر، وهو أمر لم تتفق معه جميع المراجع، حيث ضم بعضهم مرحلة المراهقة التي تمتد إلى أواخر العقد الثاني من عمر الإنسان، فالطفل كما عرفوه «هو ذلك الشخص الذي لم يبلغ سن الرشد بعد، وعلى ضوء هذا التعريف، فإن الطفولة تمتد منذ الميلاد حتى ما بعد سن العشرين، وهي السن التي يبلغ معظم البشر نضجهم البدني الكامل.

وهذا التعريف يرفع مرحلة الطفولة إلى ما بعد العشرين من عمر الإنسان، ويقيدها بالنضج البدني دون اعتبار للنضج العقلي والنفسي والوجداني.

ويرى بعض المتخصصين أن «الطفولة معنى جامع، يضم الأعمار ما بين المرحلة الجينينة ومرحلة الاعتماد على النفس، والطفولة تعبر بالفرد من حالة العجز التام والاعتماد على الآخرين عند الميلاد، إلى تلك المرحلة الفارقة التي يتاح عندها قسط بين اعتماد الفرد على نفسه واضطلاعه بنشاط إنتاجي وابتكاري خلاّق وفعّال لاستعداداته وقدراته الشخصية، وما يتوافر له في مجتمعه من متطلبات التطبيع الاجتماعي والتربية والرعاية الصحية وغيرها، ويعني هذا أن طول مرحلة الطفولة يتفاوت من جيل إلى جيل ومن ثقافة إلى أخرى، ومن مجتمع إلى آخر، طبقاً لمتطلبات الحياة ونوعيتها «بدائية - ريفية - صناعية ... إلخ» في بيئة الفرد وما يحيط به من ظروف خاصة».

ويطرح النص السابق، الذي يقدم صورة واقعية للطفولة - كما يبدو لنا - عدداً من النقاط المهمة التي من المفيد التوقف عندها قليلاً.

من هذه النقاط أن الطفولة على الرغم من أنها مرتبطة بالجانب العضوي، إلا أنها أشد التصاقاً بالجانب النفسي الفردي، لأن «الأفراد يختلفون فيما بينهم من حيث تكوين كل منهم، وأنه لا يوجد أي فردين متشابهين تشابهاً تاماً على الإطلاق، بل لكل شخص طابعه الفريد الذي يميزه عن غيره». وهذه الفروق بطبيعة الحال تختلف من بيئة إلى أخرى، ومن عصر إلى آخر، تأتي أولاً من طبيعة الإنسان نفسه ومدى استعداده النفسي، ومن ثم من محيطه الذي يغرس في نفسه عادات وقيماً، مع الاعتبار هنا أن هذا المحيط لم يعد في عصرنا ذاك المحيط التقليدي من بيت وأسرة ومجتمع ضيق، فقد تجاوز الإنسان هذا الحد كثيراً وأصبح العالم كله محيطاً بالفرد كالأسرة الصغيرة، على ضوء التطورات التقنية الكبيرة التي لم يعرف الإنسان لها مثيلاً في الأزمنة الغابرة.

وبما أن مجتمعاتنا الحديثة، بما حوته من تدفق كبير للمعلومات، وبما أنتجته من وسائل تسهل أساليب العمل، وبالتالي إمكان الاعتماد على النفس، بات ممكناً على الشاب أو الشابة الاعتماد على النفس في قضاء الأمور، بما يتلاءم مع السن والمسؤولية، دون وضع سقف محدد لهذه السن، لأن المسألة مرتبطة بالوعي الفكري وليست مرتبطة بالشكل العضوي.

من هنا يمكن لنا أن نقدم تعريفاً مختصراً للطفولة بأنها: المرحلة التي تعقب الولادة مباشرة وتستمر حتى مرحلة الوعي الكامل والقدرة على اتخاذ القرار والقيام بالمسؤوليات، وهي غالباً ما تكون بعد مرحلة البلوغ بسنوات قليلة. ■

بقلم: إيمان أحمد حسين

نساء في تاريخ الإسلام

كريمة المرزوية
فقيهة مكة في القرن الخامس الهجري

روى البخاري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: «جاءت امرأة إلى النبي ﷺ فقالت يا رسول: الله ذهب الرجال بحديثك فاجعل لنا من نفسك يوماً نأتيك فيه تعلّمنا مما عملك الله، فقال اجتمعن في يوم كذا، وكذا، فاجتمعن فأتاهن فعلّمهن مما عمله الله»، ولا يخفى ما في هذا الأمر المؤكد من تكريم للمرأة والعناية برفع مستواها وحضها على طلب العلم. وأي خير أعظم من الدعوة إلى الله وأي ثقافة أنفع من ثقافة الإسلام... إنها ثقافة تكسب الإنسان معرفة الخالق والخلق، وأصول الحياة وسنتها وأحكامها الصحيحة. ومن هنا نجد للمرأة في تاريخ الإسلام ما لا نجده للمرأة في العالم الحديث، فعلى الرغم من الدعوة العريضة لتحرير المرأة ورفع مستواها في أميركا وأوروبا، وعلى الرغم من وجود مدرّسات وطبيبات، لم تبغ فيهم المرأة التي تكون لكبار الرجال إماماً يأخذون عنها. بينما نجد في مختلف عصور الإسلام نساء لهن أثر بالغ يخلده التاريخ، حيث كن للرجال وللنساء قدوة. وهناك السيدة عائشة كانت شاعرة وأديبة وعالمه بالطب... وفقيهة مجتهدة يؤخذ عنها الدين والقرآن والسنن والفتوى.

وفي اتباع الصحابة «كانت حفصة بنت سرين» و«أم الدرداء» في علوم الدين وكانت «عائشة بنت عبدالرحمن» وغيرها في الشعر والأدب وهكذا كثر في العهد العباسي في الشرق وفي ظل الأمويين في الأندلس النساء اللواتي اشتهرن بمعارفهن العلمية والأدبية حتى كان ذلك كما قال «لوبون» من الأدلة على أهمية النساء أيام نضارة حضارة العرب «حضارة العرب غوستاف لوبون ص ٤٨٩». وفي الحديث النبوي الشريف أسهمت المرأة في هذا المجال بنصيب طيب بدأً بأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها التي مكّنتها صلتها بالنبي ﷺ من إثراء هذا العلم. وبرزت نساء أخريات في فترات متتالية في هذا العلم ومن أشهرهن «أم الكرام بنت أحمد المرزوية» التي انتهى إليها علو إسناد الجامع الصحيح للإمام البخاري في القرن الخامس الهجري، والتي كانت عالمة عصرها في الحديث، ومقصد علماء زمانها حيث كانوا يحضرون مجالسها العامرة في مكة المكرمة للأخذ عنها والدراسة عليها والرواية عنها. ومع كل ما قدمته كريمة أم الكرام للحديث النبوي إلا أنها لم تحظ في العصور المتأخرة بالذي يتلاءم ومكانتها الفذة. وفي هذا المقال محاولة لإلقاء بعض الضوء على حياة كريمة ودورها في خدمة الحديث النبوي الشريف.

نشأتها:

ولدت كريمة في العام ٣٦٥هجرية على وجه التقريب في قرية «كشميهن» إحدى قرى خراسان الواقعة في أقصى الشرق الإسلامي المعروف في ذلك الوقت، والدها هو أحمد بن محمد بن أبي حاتم الذي تغفل المصادر أمره، مكتفية بذكر اسمه فقط ما يدلل على أنه لم يكن له دور يذكر في ميدان العلم، ولكنه فيما يبدو عكف على تربية ابنته تربية حسنة مستغلاً ما لمحه فيها من ذكاء وألمعية في مخيلتها ليدفع بها نحو التحصيل والدرس، موفراً لها كل الظروف الملائمة مقدماً لها كل عون مطلوب، ويساعده ارتفاع المستوى الثقافي والفكري لقرية كشميهن التي ينسب إليها جمع من الفضلاء منهم الحافظ أبو الهيثم محمد بن زارع الكشميهني الذي كان أول أساتذتها والذي أدركته وهي صغيرة في السن فتلقت عنه مباشرة، ودرست الجامع الصحيح عليه دراسة متقنة حتى أن جلّ المصادر تجعله همزة الوصل بينهما فنجد الذهبي يقول: «روت الصحيح عن الكشميهني» «ويقول ابن خطيب الدهشة «سمعت جامع البخاري عن الكشميهني» ويقول ابن كثير «سمعت صحيح البخاري عن الكشميهني» ويقول ابن الجوزي «سمعت أبا الهيثم وغيره وإلى ذلك يشير كل من العاملية وكحالة».

وكانت كريمة في نحو الرابعة والعشرين من عمرها عند موت أبي الهيثم ولا نعرف على التحديد إذا ما كان لقاؤها به قد تم في كشميهن موطنها لأصلي أو في مدينة مرو الشاهجان التي هاجرت أسرتها إليها فيما بعد حسبما تذكر المصادر الكثيرة، وإذا كنا قد عرفنا علاقتها بأبي الهيثم فإن علاقتها بالحميدي غير معروفة فلعلها لم تلتق به. أما أستاذ كريمة الثاني فهو العلاّمة الإمام زاهر

ابن أحمد السرخسي الذي كان من أئمة الحديث في عصره، حظي باحترام معاصريه وتقدير أجيال كثيرة جاءت فيما بعد، وكان معاصراً لأبي الهيثم، ومات في العام نفسه الذي مات فيه أبو الهيثم وهو العام ٣٨٩ هـ. وقد درست عليه كريمة الحديث أيضاً، ولعل ذلك كان في مدينة مرو الشاهجان ولا تشير المصادر إلى علماء آخرين درست عليهم كريمة ولا تتحدث عن أساتذتها أو من أخذت عنهم في مجالات المعرفة الأخرى كالقرآن وعلومه والنحو والصرف واللغة والبلاغة والأدب والتي لا شك أنها قد أتقنتها وألمّت بها.

مجلسها العلمي:

وقد تفرغت لدراسة الحديث وتخصصت في الجامع الصحيح للإمام البخاري حيث ركّزت جلّ جهدها على دراسته وحفظه وروايته وضبطه، حتى أصبحت حجة في عصرها، ودفعها الشغف بالحديث الشريف ودراسته إلى الهجرة من مرو الشاهجان إلى منبع هذا العلم ومصدره «مكة المكرمة»، فرحلت تقطع الفيافي والقفار من أقصى الشرق الإسلامي حتى حطت رحالها في البلد الحرام مهاجرة لله تعالى طالبة مجاورة بيته العتيق، وكانت تشارف على الثلاثين من عمرها حين ذاك. وفي مكة المكرمة ملتقى أفئدة المسلمين، اشتهر أمر كريمة وذاع صيتها في الآفاق الإسلامية عبر الحجيج، فقصدها العلماء والفضلاء للأخذ عنها.

وتدل الأسماء الكبيرة التي أخذت عنها المنتمية إلى أقاليم إسلامية متفرقة في الشرق والغرب على أنها بلغت شأواً بعيداً في العلم وهي في مكة، حيث كان لها مجلس علم يحضره العلماء والطلاب وهي تلقي على كل نوع مما يطلبه بعبارة فصيحة المأخذ مفهومة المعنى.

وكان مجلس كريمة هذا مجلساً حافلاً حضره جملة من أعلام القرن الخامس ومشاهير علمائه من بينهم العالم المؤرخ «أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي» صاحب التاريخ المشهور والذي قرأ عليها صحيح البخاري في خمسة أيام وكذلك العلاّمة السمعاني صاحب كتاب الأنساب، والشريف العالم أبو طالب الزنبهي نقيب النقباء في بغداد وأحد علماء الحنفية وأبو عبدالله محمد بن بركات بن هلال السعيدي النحوي الذي يروي الصحيح عنها.

علماء يشهدون بمكانتها:

وما يجعلنا ندرك عظمة ومكانتة كريمة في ذلك العصر التي امتدح علمها وأثنى عليها كل من تحدّث عنها، فنجد ابن الجوزي يشير إلى أنها كانت عالمة صالحة، ويقول اليافعي إنها كانت ذات ضبط وفهم ونباهة ويصفها ابن الأثير بقوله «وهي التي تروي صحيح البخاري وإليها انتهى علو الإسناد للصحيح»، وعدّها ابن الأهدل من الحفّاظ كما نقل عن أبي ذر الهروي وكان من علماء مكة أنه قال عند موته «عليكم بكريمة فإنها تحمل كتاب البخاري عن طريق أبي الهيثم يقصد ترويه بإسناد عال وتقول عنها العاملية وروايتها من أصح الروايات للبخاري «وكانت تضبط كتبها وتقابل بنسخها وكان أكثر ميلها للحديث حتى بلغت فيه حداً لم يبلغه غيرها فكانت محدثّة فاضلة ذات فهم ونباهة. والواقع أن مكانه كريمة الرفيعة في مجال الحديث النبوي الشريف لم تحظ بمثله امرأة أخرى.

ومما لا مراء فيه فإن الشهرة التي حصلت عليها فاقت بها عشرات من العلماء الفضلاء الذين ظهروا في عصرها وبزت بها أساتذتها من الرجال مما دفع بعالم كبير مثل الخطيب البغدادي أن يحضر مجلسها ويسمع منها ويقف بين يديها موقف التلميذ من الأستاذ. وإذا كان الجانب الشخصي من حياة كريمة يشوبه الغموض، فإن الجانب العلمي من حياتها لا يرقى إلى درجة الوضوح الكامل.

فنحن لا نملك أدلة كافية على مشاركة علمية لها ظهرت في شكل كتاب مستقل، والمصادر التي نملكها لا تشير إلى هذه القضية، إشارة واضحة إذ كل الذي قيل عنها: إنها جمعت الصحيح برواياتها.

ويبدو أن قول العاملية: من أنها كانت تصنف كتبها وتقابل بنسخها لا يعني أنها وضعت مؤلفات خاصة بها لعلها إشارة إلى جمعها الصحيح للبخاري فقط ولكن على الرغم من ذلك فإن المرء لا يستبعد أن تكون لها مؤلفاتها الخاصة بها في الحديث وعلومه غير أن الجزم بذلك صعب لفقدان الدليل المادي الذي يؤيد هذا الرأي.

العالمة الصالحة:

ولم يكن الجانب العلمي هو كل ما اتصفت به كريمة، بل يضاف إلى ذلك الصلاح والتقوى والكرم والجود حيث وصفت «بالعالمة الصالحة». هذا إلى جانب تمتعها بشخصية قوية تتضح من خلال تفرغها التام للعلم والتدريس حتى إنها عاشت حياتها عازفة عن الزواج وماتت بكراً وهي تشارف على المئة سنة وكان ذلك في العام ٤٦٣ أو ٤٦٥ هجرية في مكة المكرمة، التي عاشت الجانب الأكبر من حياتها فيها مجاورة لبيت الله الحرم. والمؤسف أنه يُتناسى ذكر كريمة في العصر الحديث، مع أنها تمثل عظمة المرأة المسلمة ومشاركتها الفاعلة في الحركة الفكرية الإسلامية، انطلاقاً من قيم الإسلام الخالدة التي أعطت المرأة كل الحق في العمل الجاد والبنّاء والمشاركة. ■

المصادر:

١ - ابن الأثير عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم (٥٥٥ - ٦٣٠) الكامل - القاهرة - ١٢٩٠هـ.

٢ - الجاسر الحمد.. أثر الحج في نشرة الثقافة جريدة المدينة المنورة عدد ٢٣٧٥ ٧ ذو الحجة ١٣٩١هـ.

٣ - اللباب في تهذيب الأنساب، مكتبة القدس ١٣٥٧هـ.

٤ - ابن الجوزي «المنتظم في تاريخ الملوك والأمم» دائرة المعارف العثمانية ١٣٥٩هـ.

٥ - ابن الخطيب الدهشة تحف الأرب في شكل الأسماء والنسب.

٦ - العاملية - زينب بنت علي بن حسين - في طبقات ربات الخدور - القاهرة - المطبعة الأميرية ١٣١٢هـ.

٧ - ابن كثير عماد الدين أبو الفدا إسماعيل بن عمر القرشي ت٧٧٤هـ - البداية والنهاية في التاريخ - القاهرة - مطبعة السعادة - ١٣٥٨هـ.

بقلم: عبدالعزيز إدريس

تحرير المرأة بين كينونتها وبين المقايسة

إنه على الرغم من مرور نحو نصف قرن من المحاولات الخجلة للمرأة العربية لخلع الحجاب ودخول «عالم الرجال» ومرور خمس وعشرين سنة من محاولات ناضجة ومتطرفة، متفاوتة للخروج، سواء بالقهر أو بالتناطح، من وضعية الحرمة، لا يزال موضوع المرأة يطرح نفسه وبراهنية ولا يشعر بوضعها الوجودي إلا النساء الواعيات ومن عايشهن في هذه الفترة الانتقالية الخطرة.

والواقع أن وضعية المرأة كقاصر تضعها، حتماً في موضع الأقلية بالمعنى الاجتماعي والوجودي، والأمة التي تصفها بكلمة قاصر أمة قاصرة وسائرة في ملكوت التأخر، وأن وضعية المرأة كأقلية بالمعنى الاجتماعي والوجودي يطرح موضوع فالديموقراطية وحقوق الإنسان على طاولة البحث التي لم يسلم منها أي من المسلمات التي اعتقدنا أو نعتقد.

فالديموقراطية على هذا الأساس هي غياب الأقلية عن محاور الوجود اليومية، وابتلاع الأكثرية التدويبي لهذه الأقلية واعتبارها «عدداً» أو ملحقاً تشبيئياً.

وبالتالي نزع صفة الإنسان عن كائن كلي الحضور عياناً وروحاً، وعدم الاعتراف بأدنى الحقوق الإنسانية له.

إن مجرد الارتضاء الذهني بأن تذوب الأقلية على الحضور المميز يعكس أزمة عقلية ومجتمعية وتاريخية، تكمن في تخفيض الكائن إلى مجرد أو إلى تسمية أو إلى عدد، وبالتالي ينعكس «عموم القهر» إلى أيديولوجية وحس، وسلطة، ومنطق للعلاقات المجتمعية، منذ أكثر من نصف قرن ونخبة المجتمع تتحدث جدياً عن إخراج نصف المجتمع الآخر من أسوار منطق «الحرمة، والعار» وإدخالها إلى الواقع كممارسة وشغل وكفاح وحرية، أو مطالبة الحرية، ورغم مرور هذا الوقت الطويل فإن المطلب الحقيقي للمرأة لم يتقبل خطوة إيجابية نحو الأمام، والواقع أننا إذا أردنا أن نعامل قضية المرأة، فلن نستطيع أن نتناولها بمعزل عن واقع تاريخي ومجتمعي تعيشه الأمة. فوضع المرأة بالمعنى الضيق للكلمة يعكس كينونة الواقع وحصيلة القوى الحقيقية التي تفعل وتتفاعل مع هيكل الأمة ككل. ونحن ميالون إلى الجزم بأن أي تغير في واقع المرأة العربية لابد أن يصاحبه تغير حقيقي في الواقع التاريخي، ووضع على مستوى صراع البحث عن موطن في هيكل الحضارة، وبتجاوز الأنين و«العسيس» إلى المجابهة والتفاعل الجذري فإننا لا نعتبر حقاً أن وضعية المرأة الغربية قد تقدمت عندما دخلت التجربة الواقعية: ونالت حريتها الاقتصادية خصوصا على المستوى الإنساني العام فالتجربة التي تعيشها المرأة لا تزال، وبنسبة ٩٠ في المئة في شروط تاريخية اجتماعية وروحية يسوغها الرجال بالمعنى الزائد.

لقد شهدت تجربة تحرر المرأة في الوطن العربي محاولات جادة وعنيفة عبرت بها الكثيرات عن أزمة المشاعر المولودة، وعن وعي الاضطهاد التاريخي الذي تعيشه المرأة والواقع أن هذه التجارب الإنسانية الفذة، سواء على صعيد الكيان أو على صعيد الحياة الاجتماعية أو النضالية، لم تنعكس إيجابياً على وضع المرأة بشكل حقيقي، رغم أنها أسهمت في شيوع فكرة تحرر المرأة في بعض الأوساط المثقفة وبطبيعة الأحوال فإن الخاسر الوحيد في هذه التجارب هي المرأة ذاتها.

المشكلة في رأينا أن موضوع المرأة، مثل كل الموضوعات التي تدور في فلك التأخر العربي فهي لا تزال بحاجة إلى إعادة فتح ملفها لأنها لم تطرق كعمل جاد، فأغلب مصطلحات التغيير في الوطن العربي مثل الثورة، الشعب، التاريخ، التراث، تحرر المرأة، والأمة، المسألة القومية... إلخ، يغلب عليها الطابع «الوجداني» أكثر من الطابع العلمي أو الواقع المطابق، ولهذا فإن زمن التراجع العربي يطرح وبعنف هذه المسألة على أمل إعادة البحث من أجل إيجاد طريقها الحقيقي نحو التقدم.

إن مشكلة المرأة «من زاوية تجريدية بحتة» هي في منطق المقايسة مع الرجل على أنه المرجع الأساسي للحضور في الواقع وعلى أنه مقياس عكسي لتأخر المرأة، فبقدر حضور وتقدم الرجل تشير الأمور إلى تغييب المرأة، في منطق المقايسة مع الرجل تسعى دوماً للتقدم على منواله، وهي في غالب خطواتها نحو إثبات ذاتها تنظر إلى الرجل كمقياس.

ومن أجل الدخول في عالم «الذكور» فلابد لها من التشبه بهم،

إن هذا الواقع يفقد المرأة كينونتها ووجودها الخاص الذي طبع مكوناتها الإنسانية لفترة طويلة ويتجاوز واقع الافتراق والاختلاف عن الرجل وهو الواقع الأول الذي يجب أن يتم التعامل معه بواقعية كشوط في صلب مرحلة تغيير وضع المرأة.

والحق أن إلغاء هذه المقايسة على صعيد الحس العملي أمر صعب للغاية، بل يكاد يكون مستحيلاً، ولكن هذا الخلل المصاحب ضرورة، للوضع الذي تمر به أي مرحلة للتغيير، تشكل مقدمة أساسية ترافق هذه المرحلة الانتقالية الضرورية والمطلوب حالياً من المرأة عمل نهضوي «خاص»، ونقصد بخاص أنه سيكون عملاً نفسانياً وبنيوياً للبحث في الكينونة الايجابية للمرأة فرضتها طبيعتها التكوينية، وكما كونها النوع التاريخي، فنحن نرى أن المرأة ذات التكوين الخاص خضعت به لعملية التشريط التاريخي التي عاشتها ومن خلال هذا البحث ونتائجه، والذي لن تقوم به إلا الأنثى، وبحس عقلاني فإنه سيكون من الممكن أن تتفتح أزهار عالم جديد تكون المرأة فيه فاعلة قبل كل شيء.

إن مشكلة قضايا «التحرر»، التي طرحت على المرأة، لم تستطع أن تقدم للأخيرة عملاً نظرياً أو واقعياً يجعلها تتقدم حقاً على صعيد منطق الحقوق على سبيل المثال نسجل أن إحدى موضوعات القضايا التحررية ترى أن المرأة يمكن أن تتجاوز الواقع التاريخي والاجتماعي الذي تعيشه بكل بساطة وذلك للثورة عليه مهما كان، إن هذا الرأي الاستفزازي قد أفرز عوالم مختلفة ونتائج أكثر اختلافاً، ولكن كل هذه العوامل كانت تصب آنياً بعكس ما تصبو إليه المرأة، والخاسر الوحيد هو هذا الكائن الذي لا يجد طريقه.

لقد أدت هذه التجربة الفريدة للمرأة إلى مصادمة هيكل اجتماعي قاس لم تستطع المرأة إزاءه أن تخرج حقاً من اساءة وسرعان «ما نبذت». الأمر الذي أدى بالضرورة إلى حالة من الضياع ومزيد من القهر الاجتماعي فما استطاعت المرأة أن تتحرر وسرعان ما خسرت حتى حقوق المرأة الشرقية على قلتها.

من الواضح أن زمن التغيير الجذري لوضع المرأة ليس بقريب، وعلى المرأة أن تعي هذه الموضوعية التاريخية، فآلية التدرج والتدريج هي آلية لتحقيق المزيد من الحقوق، ريثما تتضافر الحيثيات لخلق اللحظة الفاعلة، إننا لا نتفكر لليوتوبيا والحلم، فالمواجهة الآتية هي أولاً: أمر لابد منه للتراكم والتأسيس والتجاوز وهي ثانياً: مقدمة لابد منها، ومكمل في سيرورة التغيير، فالعمل الإنساني كان دائم البدء «بحلم» وبيوتوبيا، ولكن الحس التاريخي يؤكد «ذاتية» التاريخ ومنطقه، وروحه، هي التي تحدد مسار التاريخ وطبيعة التغيرات التي تحدث فيه، فالعالم ليس سديما يشكل بقرار أو رغبة، والتاريخ الكوني شاهد على ذلك. فقد تضافرت في أوروبا ظروف مختلفة موضوعية غالباً لإدراج المرأة في مؤسسة الحياة والإنتاج والثورة القومية الديموقراطية «البورجوازية» لم تستطع حقاً أن تعمم مفهوم العمل على النساء، فقد بقيت المرأة الأوروبية البورجوازية تعارض عملها المأجور إلى أن أسهمت الظروف التاريخية لمجازر الحرب العالمية الأولى بإرغامها على العمل حيث ارتفعت نسبة النساء اللواتي لا معيل لهن وأسهمت أيضاً ظروف التضخم النقدي آنذاك في ذوبان الثورات العائلية ولذلك فقد أسست الحرب، كحدث تاريخي مهم عادات كانت أولى نتائجها أن تحل المرأة مكان الرجل في عديد من المهن، ولعل الثورة الفرنسية مثل آخر، فعلى الرغم من الجوهر التحرري الذي نادت به الثورة، فإن قادتها كثيراً ما رددوا حجة روسو، «هل أعطتنا الطبيعة حلمات حتى نرضع أولادنا»، وبطبيعة الأمور، فإن التاريخ ليس موقفاً آنياً، والمواقف الآنية قد تحمل ما يخالف توجهها المباشر، فقد حملت الثورة الفرنسية منطق الحريات، ليستخدم ذات يوم، بعد تجدر في الأرض وتبدلات نوعية في العقول والواقع، من أجل أن تتحرر المرأة وتدخل عصر التمرد رغم أن هذه الثورة ذاتها هي التي أعدمت روزا لا كومب ومدام دولان اللواتي طالبن بحقوقهن من هذه الثورة، وعصر النهضة الذي تشيد به أوروبا كأهم حدث تاريخي وعقلي قد أوجد المعطيات الأولى حقاً لتحرر المرأة، لكنه أغلق الأبواب الواقعة عليها بإحكام، حيث انفتح العالم على تقدم في العلوم والتقنية روادها الذكور وبطبيعة الأحوال، فطابع الذكورة بهما واضح وبارز ولعل أهم ما قدمته النهضة الأوروبية،والتي يقيمها الأوروبيون بحس تاريخي فذ للمرأة هو السعي العميق لاكتشاف الحياة الداخلية، والشعور بالتجربة والارتفاع العام في التوجه إلى مستوى الإنسان، الفاعل والخلاق «البروميثيوس» فقد احتاج الفكر الأوروبي إلى ما يقل عن خمسة قرون حتى تأتي اللحظة الفاعلة فيتسلل إلى القوانين والعادات الاجتماعية، ولكي تدخل المرأة على الصعيد العملي زمن بدايات التحرر.

لقد خضعت المرأة في سياق معركتها للدخول إلى العالم إلى ثنائية «الطبيعة ـ التكيف» الشهيرة، والمرأة العربية بحكم المنطق السلفي الذي يحكمها، يهيمن عليها التصور الذي يقول: إن طبيعتها تحدد كينونتها ومكانتها الاجتماعية، وإذ تحاول المرأة العربية الخروج من هذا التصور، فإنها سرعان ما تنتج نهجاً متطرفاً يقوم بإلغاء طبيعتها لحساب التكيف والتشريط الاجتماعي والتاريخي. وكلا التصورين في رأينا ليسا إلا نظرتين أحاديتين.

فالأولى: هي التي يحارب فيها الرجل والمرأة.

والثانية: هي تلك الرؤية القابعة في وجدان كل امرأة تصبو إلى دخول عالم الرجال وذلك وفق كينونة الرجال ذاتهم.

لقد اختلطت الأمور ـ كما قلنا سابقاً ـ والمرأة التي رفضت «الطبيعة»، رفضت في سياق الأزمة الاضطهادية كينونتها المتميزة

«كامرأة» وهي الكينونة التي تمثل الجانب التقدمي الإنساني الفذ في تكون بشرية خاصة.

وفي سياق رفض «الطبيعة»، رفضت المرأة هويتها النسوية والوجودية، ولعلنا نلامس اليوم المآل الذي آلت إليه الأمور بأشكال الرد على وهم المرأة ـ الصورة.

فالتشبه بالرجال في اللباس ومنطق القوة كإخضاع وإكراه وشراسة. كله قد أصبح الشكل العام لإظهار التحرر.

لقد ضاعت المرأة بين إحساس بالاضطهاد التاريخي، وبين الأيديولوجيات القائمة والتي لن تتغير ولن تتراجع فعالياتها الشمولية عالم يغير الوضع الحضاري الكلي للأمة، وقد زاد في حس الضياع تلك الرؤى «الثورية» والتي تؤكد أن تحرر المرأة الاقتصادي يعني تحررها الكلي باختزال العالم إلى علاقات إنتاج وربما مجرد نفوذ.

فالذي حصل، أن المرأة العاملة قد تضاعف عليها بالضرورة واقع الاضطهاد، فهي عاملة خارج المنزل تمارس الإنتاج في ظل مجتمع ذكري يضطهدها بدءاً من لحظة خروجها من عتبة بيتها وحتى في أثناء ممارستها لعلاقات العمل التي لا تخلو من تسلط المتسلطين، وتعود هذه المرأة لتضع راتبها في بيت زوجها دون أن يغير هذا في طبيعة علاقتها مع زوجها، فهي المسؤولة عن العمل المنزلي وعن خدمة زوجها.

إن هذا الواقع يعكس «الاغتراب» الذي تعيشه الأمة في ظل قدوم مفاهيم التطور والتقدم التي رافقت تشكيل المؤسسة العربية الحديثة والتي لم تستطع هذه المؤسسة إلا أن تأخذ بها مقطوعة عن سياق التقدم، إن هذا الواقع وفي ظل تراجع الأمة العام يمهد أمام ردة هائلة في صفوف النساء إلى مظلة الاستكانة للواقع القائم، وبالتالي العودة إلى مفهوم المرأة ـ سيدة المنزل، أو البقاء في حدود اليوتوبيا ومناطحة واقع لم يحدد اتجاهات التقدم. إننا لا نتصور إطلاقاً أن ثمة خروجا كامنا من هذه الأزمة حقاً وذلك صالح لتغيير وضع الأمة ككل. فإذا لم ندخل في الزمن الإيجابي، فإنه لن تكون هناك الإمكانية على إرغام أو إقناع الرجل بتغيير تعامله مع المرأة وتغيير ذاته، لقد شهدت بوادر النهضة التي رافقت امتداد الخط القومي الناصري في العالم العربي، والشعور بزمن أيجابي، كثيراً من التنقلات الاجتماعية وبعضاً من الأفكار التقدمية، كان من الممكن أن تتجذر وتتحول إلى واقع عام لولا الانتكاسات التي عانتها الحركة القومية العربية ككل.

لقد قلنا سابقاً إن تغيير وضع المرأة في أوروبا، على سبيل الوعي الكوني لا الاقتداء قد جاء انعكاساً لتقدم عام ولوضع قومي مستقر وحضاري متقدم. أو هو في سبيله إلى التقدم. ويبدو لنا أن الطابع الأيديولوجي المتميز في بلادنا يستحق أن يولي أهمية في البحث التاريخي وهو في رأينا المدخل لطريق يخرجنا من مأزق تغيير سريع ومطلوب في زمن لا يسمح لأي نقلة نوعية.

وطبيعة الأيديولوجية العامة في مناطق العالم العربي والمفعمة بالأساطير والنشاط العقلي البدائي والعادات والتقاليد والمذاهب... وفي ظل هذا الموزاييك الخاص تفرض قوى حاسمة، يجب أن تستثمر الجوانب الإيجابية فيها من أجل تغيير اتجاه فعل هذه القوى، وفي اتجاه التقدم وتقدم المرأة بشكل خاص.

فلسنا نعتقد أن ثمة تغييرا ما لا يستند إلى موجودات الواقع من قوى فاعلة ومسار تاريخي طويل وعميق التأثير، فهذا الواقع ضرورة موضوعية بالمعنى الفلسفي، ولسنا نقول هنا إطلاقاً بالتسليم لهذا الواقع أو استخدام القوى الأيديولوجية السائدة كما هي، إن ما نعنيه هو استخدام للجوانب التقدمية في هذه القوى بطريقة نفعية لحساب تقدم عام قد لا توافق عليه هذه القوى أصلاً.

إن طبيعة المؤسسات بشكل عام والتنظيمات القائمة والمنسجمة مع دور الرجل لثلاثة آلاف سنة على الأقل، قد خلقت تناقضاً حقيقياً في عمل النساء المنظم لدخول العصر والمجتمع، فواقع هذه المؤسسات التاريخي يوحي بأن دخول المرأة في هذا العمل أو في هذا المجال ضرب من الدخول إلى عالم الرجال، وهذا الحس بطبيعة الأحوال هو الذي يجعلنا نرى في نضالات المرأة السياسية وانتظامها في مؤسسات فاعلة ضرب من أشكال المقايسة بالرجال كمعيار موجود أصلاً في الواقع وبهذا فإن المرأة تفتقد في العمل المنظم حسها الخاص وإمكانية دخول معركة تحقيق ذاتي والبحث عن كينونتها التي ضاعت في زحمة «الهاجس العام» ولعله من الواجب علينا أن نوضح نقطة قد تبدو ملتبسة فلسفياً فنحن لا نعتقد بأن كينونة وطبيعة المرأة مسألة جوهرية ثابتة إنما نرى تلك الكينونة من خلال التطور التاريخي ومن خلال مفاهيم ومبادئ تعتني بالحس الإنساني الحضاري وبهذا فإن كينونة المرأة مفهوم يعبر عن تركيبة تقدمية حضارية في كاتب متميز، وعلى الرغم من أن هناك في بعض الدول العربية منظمات نسائية تسعى لتأطير عملها التحرري، فإن هذه التجربة المؤسسية قد بقيت في ظل تركيبتها الحالية عاجزة عن الخروج عن الخط المحافظ الذي يعكس المرأة كصورة وخيال لصورة الرجل.

في رأينا يجب أن تخرج المرأة في عملها النضالي في الاقتصاد عن الأشكال التقليدية للعمل، وبهذا فإن على المرأة أن تشكل ثقلاً اجتماعياً ومؤسسياً يجعل من نضالها التحرري جزءاً من عملية توازن القوى وليس مجرد استجداء وجداني، ويعتبر راهناً في أمر اليوم أن تشكل المرأة مؤسسة فكرية تحقق فيها طاقاتها الفكرية وتدرس وبجدية وهدوء عقلاني طابع التاريخ الذي تعيشه مستفيدة من التاريخ الكوني ومن آلية التغيير فيه

لتشكيل وعي نضالي أكثر ارتباطاً ومطابقة للواقع.

ولعل فكرة هذا المشروع تطرح علينا تساؤلاً مهماً: لماذا لم تدخل المرأة مجال الفكر من بابه الواسع؟ ولماذا لانرى إلا نادراً نماذج نسائية تقوم بأعمال فكرية ضخمة أو ذات طابع فلسفي؟ إن هذا التساؤل يستحق المعالجة بعيداً عن الحساسيات وردات الفعل. لقد استخدم شعار تحرر المرأة الذي لم تحدد هويته بشكل تاريخي، وواقعي في بلادنا العربية أدوات جديدة للمارسة اضطهاد مقنع من الرجال للنساء فقد أسقط هذا الشعار على المرأة وكأنه قد تم فعلاً إدراج المرأة في مشروع تحررها وهكذا طلب من المرأة ممارسة الواجبات التي يقتضيها وضعها كمحررة أساساً في الوقت الذي تبقى النظم الاجتماعية والقانونية وطبيعة الاتجاه العام للمجتمعات العربية على حالها ودون أي تقدم حقيقي.

إن الأشكال التي تبدت بها مقارعة المرأة للرجل بأشكال الممارسات اليومية في العمل المؤسسي مثلاً أو في الحس الأدبي، تؤكد يوماً بعد يوم غياب الاستقلالية الذاتية والحضور الكينوني المميز للمرأة، فسلاح المرأة هنا ليس أكثر من استخدام ضعيف لأسلحة الرجال المعتادة.

فالأيديولوجية المعادية للمرأة في الروح التقليدية الذكرية العربية السائدة هي ذاتها الأدوات التي تواجه المرأة بها منطقة نفوذ الرجال وهذه العقلية ليست في رأينا أكثر من تبعية تأخذ شكل المناوئ والمعارض، لقد أدت تجربة الرجل بعلاقته المباشرة مع الطبيعة بقساوتها ومخاطرها إلى اتضاح أشكال أيديولوجية لحس القتال مع الطبيعة وهي ذاتها الأشكال التي استمرت عبر التاريخ تشد بها وتجردها تجربة الإنسان الحضارية.

إن استدعاء المرأة لمنطق القتال بكل صنوفه المميزة للرجال تعبير عن حدة هذه التبعية من ناحية وعن غياب التحليل الموضوعي لسيرورة تطور وتبدل أشكال الصراع بين الجنسين واستنتاج الشكل الأكثر فاعلية لهذا الظرف التاريخي أن هذا الاستدعاء يؤكد ذلك «الأمر» الذكوري الذي يسم مواقف المرأة النضالية، وعلى هذا، فإن كفاح المرأة لنيل حرياتها ليس أكثر من عمل وجداني بدل أن يكون عملاً واقعياً منظماً.

إن دراستنا هذه أرادت أن تقوم بعمل أكثر إيجابية لإدخال المرأة كإنسان فاعل للحياة وعلى الرغم من الإشكالات التي نطرحها فإن هذه الدراسة تبقى مفتوحة للحوار والإغناء، ولا ندَّعي بالطبع استنفاد أي شيء، ولكننا ندَّعي أن ثمة باباً مغلقاً نحاول فتحه. ومهما كانت التأويلات فإن طبيعة العالم اليوم وواقعه القاسي هما اللذان يضعان كل محرم «تابو»، مقدس على طاولة البحث والشك والتمحيص والحوار الذي نقتنع به حوار اختلاف على أرضية الوحدة التي تشكل معيار الحركة التي تتنوع في مكانها وتتعدد بشكل دائري خلاق. ■

الكلمة البغيضة

بقلم: علي مدني رضوان الخطيب

ليت شعري كيف بالرجل يهدم بيتاً قائماً على عمده بكلمة تخرج من فيه فيصير الحلال حراماً، لا لشيء إلا لانتصار النفس في موطن من مواطن كيد الشيطان ونفثه... لقد وقع بنا ذات غداة سيل عرم ففرق - رغماً عنا - جار لنا كان يسكن بيتاً من اللبن، فاستوحش القلب وتألم... فكيف بالزوجة المفارقة؟! وهي من تساكن الزوج ويسكن إليها فتنقلك بصوتها وصورتها من الشتات إلى الشمل المجتمع، ومن اللاوعي إلى الوعي الكامل المتزن، بل أعجب كل العجب بمن يلقي بالكلمة البغيضة وتحته أفراخ صغار... أين عقله؟! أين عاطفته؟! وهو يرى فراغ البيت منهم جميعاً، وهب أنه أنشأ أسرة جديدة، فهل ينس أسرة عايشها وأرواحاً سارّها؟! إنّ كان ينسى فلست أشك في أنّ به علَّة مزمنة أو مرضاً مخوِّفاً يفقده الشعور العام الذي يحسٌ به الأسوياء... لو أمسك رجل معولاً ثم راح يهدم سقف الدار وجدرانها... ماذا يتحدث الناس عنه؟ وهل الطلاق والفراق إلا هذا المعنى؟ أحسب لا غير... وفي لحظات يضعف فيها إيمان الرجل عن احتمال الصبر، فيوحي إليه شيطانه أنه ربما يستريح بانفصال الجسد عن الجسد، وبعد الصورة عن الصورة عناداً أو جهالة أو مغالطة، ونسي أنّ المفارقة تؤثر في جوهر الروح أيضاً (وأفضى بعضكم إلى بعضكم)، وهل الإفضاء إلا حديث قلب لقلب، وتواصل الأرواح بعضها ببعض وهذا ما عناه الشاعر بقوله:

مالت تودعني والقلب يتبعها
كما يميل نسيم البان في الغصن

ثم استمرت وقالت وهي باكية
يا ليت معرفتي إياك لم تكن.

إن بيتاً يفرغ عن الزوجة والولد هو قبر من قبور الأحياء لا غير. ■

من هدي كتاب الله

قال الله تعالى:

(إن الذين كفروا بعد إيمانهم ثم ازدادوا كفراً لن تقبل توبتهم وأولئك هم الضالون. إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهباً ولو افتدى به أولئك لهم عذاب أليم وما لهم من ناصرين) آل عمران: ٩٠-٩١

من هدي رسول الله ﷺ

عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال:

«إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه».

رواه مسلم

قراءة القرآن

قال الحسن البصري:

القراء على ثلاثة أقسام: رجل اتخذه بضاعة ينقله من مصر إلى مصر يطلب به ما عند الناس، وقوم حفظوا حروفه وضيعوا حدوده واستدروا به الولاة واستطالوا به على أهل بلادهم وقوم قرأوا القرآن فبدؤوا بما يعلمون من دواء القرآن، فسهروا لياليهم وهملت عيونهم وتسربلوا الخشوع، وارتدوا بالحزن، وركدوا إلى محاريبهم، وجثوا في برانسهم، فيهم يسقى الغيث، وينزل المطر، ويرفع البلاء، والله لهذا الضرب في حملة القرآن أقل من الكبريت الأحمر.

التزم الشرف

اجتمع العلم والثروة والتعاسة والشرف في مكان واحد، وأخذ كل منهم يتحدث عن نفسه.

فقال العلم: إن من يطلبني يجدني في الجامعة.

وقالت الثروة: إن من يطلبني يجدني في الجد والمثابرة.

وقالت التعاسة: إن من يطلبني يجدني مع الكسل وفي صحبة قرناء السوء.

وقال الثلاثة للشرف: نحن سنفترق الآن، فأين نجدك؟

فقال الشرف: إن من يفارقني فلن يجتمع بي مرة أخرى.

الحق

لا يضير الحق قلة مؤيديه، ولا ضعف مناصريه، فالحق مؤيد بطبيعته قوي بذاته لا تقف في وجهه قوة الباطل مهما كانت عظيمة. نعم قد يغفل عن الحق أنصاره ويتخاذل أعوانه ويكثر أعداؤه، فتضعف في بعض المعارك شوكته، ولكن النصر في المعارك الأخيرة له والحياة له، وله الخلود.

الدليل

قيل للإمام الشافعي: ما الدليل على وحدانية الله تعالى؟ فقال: ورقة التوت تأكلها الدودة فتخرجها حريراً، ويأكلها الغزال فيخرجها مسكاً، وتأكلها النحلة فتخرجها عسلاً، وتأكلها الشاة فتخرجها لبناً، فمن الذي نوَّع الأشياء والأصل واحد؟!

على أي شيء ؟!

جاء إلى سفيان بن عيينه ابن أخيه فقال: جئتك خاطباً ابنتك، فقال له عمه: كفء كريم، ثم قال اجلس، فجلس، قال: يا بني اقرأ عشر آيات من كتاب الله تعالى، فلم يستطع الشاب، قال: ارو عشرة أحاديث، فلم يستطع، قال انشد عشرة أبيات من الشعر، فلم يستطع، فقال له سفيان: لا قرآن ولا حديث ولا شعر، فعلى أي شيء أضع ابنتي عندك؟ ثم قال له: لا أخيبنك وأمر له بأربعة آلاف درهم.

(مفيد العلوم للخوارزمي)

وصية

قال عبدالله بن الحسين لابنه محمد يوصيه: يا بني احذر الجاهل وإن كان لك ناصحاً، كما تحذر العاقل إذا كان لك عدواً، يوشك الجاهل أن تورطك مشورته في بعض غفلتك فيسبق إليك مكر العاقل، وإياك ومعاداة الرجال في كل الأحوال.

مأثورات خالدة في فضل أهل البيت

حج الفرزدق بعدما كبر وقد أتت له سبعون سنة وكان هشام بن عبدالملك قد حج في ذلك العام فرأى علياً بن الحسين في غمار الناس في الطواف والناس يفرجون له، فقال من هذا الشاب الذي تبرق أسرَّة وجهه كأنه مرآة صينية تتراءى فيها عذارى الحي وجوهها؟ فقالوا: هذا علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم.

فقال الفرزدق:

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته
والبيت يعرفه والحِلُ والحرمُ
هذا ابن خير عباد الله كلهم
هذا التقي النقي الطاهر العلمُ
هذا ابن فاطمة إن كنت جاهله
بجده أنبياء الله قد خُتموا
وليس قولك من هذا بضائره
العُربُ تعرف من أنكرت والعجمُ
إذا رأته قريش قال قائلها
إلى مكارم هذا ينتهي الكرمُ

فعندما سمع هشام بن عبدالملك هذه الأبيات غضب وأمر بحبسه بين مكة والمدينة.

فقال الفرزدق:

أتحبسني بين المدينة والتي
إليها قلوب الناس يهوى منيبُها
يُقلب رأساً لم يكن رأس سيد
وعيناً له حولاء باد عيوبها

فبلغ شعره هشاماً فأطلق سراحه.

هذا والله السيد

قدمت وفود أهل العراق على عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقام كل زعيم وفد يطلب من أمير المؤمنين الخير لقبيلته، ولما وصل الأمر إلى الأحنف بن قيس قال:

يا أمير المؤمنين، إن مفاتح الخير بيد الله والحرص قائد الحرمان، فاتق الله فيما لا يغني عنك يوم القيامة قيلاً ولا قالاً، واجعل بينك وبين رعيتك العدل والإنصاف سبباً يكفيك وفادة الوفود، فإن كل امرئ إنما يجمع في وعائه إلا الأقل ممن عسى أن تقتحمه الأعين، وتخونه الألسن، فلا يوفد إليك يا أمير المؤمنين.

فقال عمر: هذا والله السيد، هذا والله السيد.

نظرة اقتصادية متوازنة

الإسلام لا ينظر إلى المعاملات الاقتصادية على أنها معاملات بين الناس بعضهم مع بعض فحسب، بل ينظر إليها كذلك على أنها معاملات بين العبد وربه.

ولا يجعل ثواب من يسير على تعاليمه في شؤون الاقتصاد مقصوراً على ما عسى أن يناله من خير في الدنيا، بل يعده كذلك بأجر كبير في الآخرة. ولا يجعل عقاب من ينحرف عن تعاليمه في شؤون الاقتصاد مقصوراً على ما عسى أن يصيبه من ضرر في الدنيا، بل يتوعده كذلك بعذاب أليم في الآخرة، وبذلك يضم الإسلام في شؤون الاقتصاد إلى الوازع الديني وازعاً آخر أقوى كثيراً وأشد تأثيراً وهو الوازع الديني الأخروي.

شعر بلا حلاوة

أنشد رجل شعراً رديء النسج، فقال لصاحبه: كيف تراه؟ فقال: سكراً لا حلاوة فيه!!

ليست النائحة كالثكلى!

قال عمر بن أبي ذر لأبيه: ما لك إذا تكلمت أبكيت الناس فإذا تكلم غيرك لم يبكهم؟

قال أبو ذر: يا بني ليست النائحة الثكلى مثل النائحة المستأجرة.

أمثال عالمية

- حمار أركبه خير من حصان يرميني إلى الأرض.

(مثل فرنسي).

- العش الصغير أدفأ من العش الكبير.

(مثل إيرلندي).

- أفضل إحسان تطبيق العدالة على الجميع.

(مثل أمريكي).

- خادم البخيل يصبح لصاً.

(مثل أرمني).

جموع لا واحد لها

المرأة: أنثى الإنسان، تثنى فيقال: امرأتان، وإذا أريد جمعها جمعت على غير لفظها فيقال: نسوة أو نساء، أو نسوان.

المرء: الرجل يثنى فيقال: مَرْءَان، وإذا أريد جمعه جمع على غير لفظه فيقال: رجال.

إعداد : محمد هاني

أدب الأطفال في ضوء الإسلام

صدر عن مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع كتاب جديد للدكتور نجيب الكيلاني بعنوان «أدب الأطفال في ضوء الإسلام» ويقع في نحو ٢٠٠ صفحة.

يقول المؤلف في مقدم كتابه: إن الاعتقاد السائد في العالم اليوم هو أن قضية الطفولة تحتل أولية مطلقة، وحل مشاكل الطفولة هو الخطوة الأولى لإصلاح مسار الحياة والتغلب على تعقيداتها، حيث إن أدب الأطفال يلعب دوراً بارزاً في هذا المجال، مشيراً إلى أنه تناول في هذا الكتاب مفهوم هذا الأدب وعلى ضوء تعليم الإسلام وتجربته الحضارية أو بمعنى آخر «أسلحة أدب الأطفال»، ويقول المؤلف: إن المفهوم العام لأدب الأطفال حسب ما تناوله في كتابه هو التعبير الأدبي المؤثِّر الصادق في إيحاءاته الذي يستلهم قيم الإسلام ومبادئه وعقيدته ويجعل منها أساساً لبناء كيان الطفل ويسهم في تنمية مداركه وقدراته المختلفة، أي هو المفهوم الذي يشمل الاحتياجات الأساسية للطفل، مشيراً إلى أن أدب الطفل يشمل القصة والمسرحية والتمثيل والقصيدة أو النشيد أو الأغنية، إضافة إلى الآداب العامة كالتحية التي يستقبل بها الناس وبعض الأمور المهمة كالشهادتين والصلاة على النبي ﷺ، وحول وظيفة أدب الأطفال من وجهة النظر الإسلامية يقول المؤلف:



إنه إذا أردنا أن نسهم بأدب الأطفال في تشكيل الوجدان لدى الطفل تشكيلاً إسلامياً يجب أن نعرض للآداب والسلوكيات الإسلامية من خلال القصص المؤثِّرة. كذلك فإن صبغ الفكر لدى الطفل بالمنهج الإسلامي عملية تكتنفها الصعوبة لكنها تحتاج إلى إصرار وتأكيد على أن النهج الإسلامي نهج صادق ويجب أن يعرف الطفل أن الله هو الذي يعقل ويقدر وليس الطبيعة، وأن الحقائق العلمية تتصادم مع الحقائق الدينية، مشيراً إلى أن حجر الأساس في التوازن النفسي للطفل يتمثل في العقيدة الراسخة المستقرة وهي الإيمان بالله ورسله وكتبه وشريعته.

إصدارات للمعاقين

● تتطلع منظمة اليونيسكو إلى إنشاء موسوعة تربوية للمكفوفين في قطر بهدف تأهيلهم ومساعدتهم للاندماج في المجتمع والحياة الاقتصادية، من خلال تعليمهم استخدام تقنية المعلومات وتأمين الوسائل المساعدة لقراءة المعلومات وكتابتها، وتعزيز طباعة المراجع بطريقة «برايل» بالعربية الإنكليزية، إضافة إلى تجهيز مكتبة إلكترونية لحفظ النصوص بالأحرف والصوت وإعداد برامج لتدريب المعلمين.

● تجربة جديدة تتم للمرة الأولى في العالم الإسلامي حيث يقوم مركز التكنولوجيا ومتحدو الإعاقة في مصر بتحويل معاني القرآن الكريم إلى لغة إرشادية لخدمة أكثر من ٨٠ مليون أصم وأبكم في العالم الإسلامي بسبب قلة ما يصلهم عن طريق الإشارات، وقد وافق شيخ الأزهر د.محمد سيد طنطاوي على هذا المشروع وباركه بشرط أن تتفق هذه الإشارات الإيضاحية مع معاني القرآن الكريم ولا تتعارض مع ما اتفق عليه فقهاء وعلماء المسلمين السلفيين على أن تطبع هذه الإشارات الإيضاحية على أشرطة فيديو وديسكات «سي.دي» والتي سيتم توزيعها على سائر الجهات المعنية بالصم والبكم في جميع أنحاء العالم، بالإضافة إلى هذه التجربة ضمن أنشطة شبكة الإنترنت.

أحكام الزواج في الإسلام :

صدر كتاب بعنوان أحكام الزواج في الشريعة الإسلامية للدكتور محمد حسن أبو يحيى، أستاذ قسم الفقه وأصوله بكلية الشريعة في الجامعة الأردنية وعميد كلية الدعوة وأصول الدين في جامعة البلقاء التطبيقية، ويقع الكتاب في نحو ٤٣٧ صفحة ويشمل خمسة أبواب، تحدث فيها المؤلف عن الأمور التالية: مقدمات الزواج الصحيح، أركان الزواج الصحيح، شروط عقد الزواج الصحيح، آثار الزواج الصحيح اللازم، عقد الزواج الصحيح غير اللازم، والموقوف وغير الصحيح وآثارها، وفي خاتمة الكتاب يستخلص المؤلف أهم النتائج التي توصل إليها ومن بينها: أن الزواج في الشريعة الإسلامية إما أن يكون صحيحاً أو باطلاً أو فاسداً ولكل منها أحكامه وآثاره. أنه للوصول إلى زواج صحيح فإن الشريعة الإسلامية أوضحت مقدمات لهذا الزواج حتى تحافظ على استمراره. أن للزواج الصحيح والباطل والفاسد آثاراً مهمة. أن قانون الأحوال الشخصية الإردني أخذ بأحد الأقوال الواردة في مسائل الأحوال الشخصية المتعلقة بالزواج الصحيح والباطل والفاسد وكان يجنح إلى الأخذ بأيسر الأقوال، وإذا لم يوجد له رأي في قضية ما، فإنه يحيل العمل بالقول الراجح في المذهب الحنفي.

موسوعة أسبار



صدر عن دار أسبار للدراسات والبحوث والإعلام موسوعة «أسبار للعلماء والمتخصصين في الشريعة الإسلامية في المملكة العربية السعودية وهي موسوعة تضم تراجم العلماء والمتخصصين في العلوم الشرعية في المملكة العربية السعودية منذ العام ١٣١٩هـ إلى العام ١٤١٩هـ.

وقد ظهرت المجموعة في ثلاثة أجزاء وبلغ عدد تراجمها ١٧٦١ ترجمة شلمت نخبة من العلماء والمشايخ والقضاة والأكاديميين والمؤلفين في العلوم الشرعية، وقد أسهم في تمويل الموسوعة عدد من الشخصيات البارزة إيماناً منها بأهمية المشروع وفائدته.

اليوم سنغير العالم . . . أطفال الشوارع في الهند

أصدرت دار نشر فردريكنج الألمانية في ميونيخ كتاباً تحت عنوان: «اليوم سنغير العالم... أطفال الشوارع في الهند» للكاتبة ياسمين بارون فايند، تحدثت فيه عما رأته بنفسها خلال رحلاتها الكثيرة في أنحاء شبه القارة الهندية، وتؤكد الكاتبة من خلال الكتاب أن الهند تضم أطفال الشوارع وأحداثهم إذ يتجاوز عدد هؤلاء ـ الذين تتراوح أعمارهم بين ٣ ـ ١٢ سنة ـ المئة مليون طفل وحدث يتكدسون في المدن الكبيرة وأحيائها المهملة وبينهم عدد كبير من الفتيات الصغيرات اللواتي يضطررن إلى التسول والتشرد وممارسة الرذيلة بعد أن تتركهن أسرهن أو تعجز عن إيوائهن وإطعامهن وتعليمهن، وتشرح المؤلفة في كتابها العلاقة التي تربط العائلة الهندية بأطفالها، مؤكدة أنها رابطة وثيقة جداً تزول تدريجياً بسبب ضغط الفقر والجوع وأعباء المواليد الجدد، فتضطر العائلة إلى ترك أطفالها وإهمالهم وتركهم لمصيرهم في الشوارع المليئة بالصور المفجعة أو إجبارهم على ممارسة العمل في مهن هي غالباً المهن نفسها التي يمارسها الوالدان، كل ذلك في أجواء اجتماعية صعبة تدفع الأطفال والأحداث إلى التشرد والانحراف.

كذلك تقدم المؤلفة صوراً حزينة عن استغلال الأطفال والأحداث كعناصر اقتصادية وإنتاجية مستقلة من قبل البالغين الجشعين، وتضرب مثالاً على ذلك بما هو معروف في الهند باسم «أطفال حياكة السجاد» الذي يمثل أبشع صور استغلال الطفولة البريئة كايدٍ عاملة رخيصة تعمل في ورشات رديئة لا تتوافر فيها أبسط الشروط الصحية!.

اللغـة الاقتصادية المعاصـرة

في سلسلة كتاب الرياض الصادر عن مؤسسة اليمامة الصحافية صدر العدد ٦٧ من هذه السلسلة تحت عنوان «اللغة الاقتصادية المعاصرة» لمؤلفه د. زيد بن محمد الرماني يقول المؤلف في مقدمه: إن علم الاقتصاد فرع من فروع العلوم الاجتماعية، ولغته تعتبر لغة مشتركة وذات علاقات متنوعة بالكثير من تلك العلوم وغيرها، وعلى الرغم من تشعب اللغة الاقتصادية إلا أنها ترتكز على أدوات رئيسة هي: اللغة الاقتصادية الوصفية التنظيرية، لغة الرياضيات والإحصاء ولغة النماذج القياسية، وهذا الكتاب الذي يقع في نحو ١٧٠ صفحة من القطع الصغير يتحدث عن خمسة وأربعين نوعاً من أنواع اللغة الاقتصادية ومنها على سبيل المثال لا الحصر: لغة الإحصاءات الاقتصادية، لغة النصيحة الاقتصادية، واللغة الاقتصادية للبيئة، اللغة الاقتصادية للفقر، اللغة الاقتصادية للنفايات، لغة المخدرات الاقتصادية.

أخبـار ثقافيـة

- تعقد جامعة الأزهر في نهاية العام الحالي مؤتمراً عالمياً لمناسبة مرور ألف وأربعمئة عام على الفتح الإسلامي لمصر يستمر ثلاثة أيام يناقش خلالها ثمانية محاور أساسية: الأول: نهضة مصر ووحدتها الوطنية عبر العصور في ظل التسامح الديني . الثاني: تطور العلوم الشرعية واحتضان مصر لكبار علماء الإسلام. الثالث: العناية بلغة القرآن الكريم ونشرها في دول العالم. الرابع: دور مصر في الدفاع عن الأمة في مختلف العصور. الخامس: تكريم الإسلام للمرأة وعنايته بالطفل. السادس: التنوير الإسلامي في مختلف المجالات والفنون. السابع: جوانب الإبداع الإسلامي في العلوم الشعرية والتطبيقية قديماً وحديثاً. الثامن: حلقة نقاشية عن مستقبل العالم الإسلامي في ظل العولمة.

- صدر عن المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة «ايسيسكو» معجم «عربي ـ هوسا» بالحرف القرآني وهو إنجاز الدكتور هارون الرشيد وإلياس علي ويدخل صدور هذا المعجم في إطار العناية التي توليها المنظمة لإحياء اللغات الوطنية للشعوب الإسلامية في أفريقيا التي كانت تكتب أصلاً باللغة العربية قبل العهد الاستعماري الذي استبدل بالحرف العربي الحرف اللاتيني لطمس الهوية الثقافية والحضارية لهذه الشعوب والعمل على تنميط إعادة كتابتها بالحرف العربي.

- ألغت الحكومة الأردنية حظراً دام لوقت طويل على مئات الكتب التي اعتبرت مسيئة للإسلام والثقافة العربية، وقد شمل الحظر خمسمئة كتاب، ومن المتوقع أن يلغى الحظر أيضاً على ألفي كتاب بحلول نهاية شهر أكتوبر ١٩٩٩م.

- في سنغافورة سجّل جهاز كمبيوتر صغير، يسمح بقراءة بطاقات معلوماتية «صغيرة خُزِّنت فيها مختلف الكتب المدرسية، ويمكن للتلميذ أن يدخل بطاقة لا يتجاوز حجمها حجم الطابع البريدي، خُزِّن فيها كل محتوى الكتاب المطلوب».

مجلة التقوى

صدر العدد (٨٣) من مجلة التقوى وهي مجلة إسلامية أسبوعية مستقلة تصدر موقتاً في غرة كل شهر عربي ومقرها لبنان، وقد حمل غلاف هذا العدد عناوين غاية في الأهمية والموضوعية مما ينم عن قوة عالية في الإتقان والتنسيق وقد ضم بين غلافيه الكثير من المواضيع المهمة فجاءت كلمة العدد لرئيس التحرير تتحدث عن ضرورة التنبه إلى خطر الإسراف والتبذير وأنهما يفتكان بالمجتمع وتحض في الوقت نفسه على مراقبة النفس في كل صغيرة وكبيرة، ووقف الهدر المتفشي في مجتمعاتنا والتخفيف من وتيرة المنافسة في الانزلاق وراء ملذات الدنيا، وتدعو إلى ضرورة التعود على تحمل الأعباء ومقابلة النعم بالشكر والحفظ وعدم التفريط بها كما هو حاصل الآن بين أفراد أمتنا.

وقد حوى هذا العدد رداً قيّماً لسماحة الشيخ طه الصابونجي مفتي طرابلس والشمال على المطران جورج خضر مطران الروم الأرثوذكس يفنّد فيه ما زعمه المطران خضر إزاء أزمة كوسوفا، ويضع النقاط على الحروف ويرد كيد الماكرين حيث يخطئ في رده المطران خضر حول موقفه المناصر للصرب في البلقان، عندما يصف أعمالهم بالشهامة.

وتحت عنوان مراحل تطور الجنين في القرآن الكريم، أعد الشيخ حسن العرب مقالاً يتسم بالموضوعية والدقة بيّن فيه الإعجاز القرآني في بيان مراحل تكوين الجنين منذ أربعة عشر قرناً وجاء مقاله هذا مقسماً على الأطوار الواردة في الكتاب العزيز حيث يثبت فيه أن العلم الحديث لم يتوصل إلى معرفة جزء من هذه المراحل إلا منذ عهد قريب.

وتجري المجلة في هذا العدد مقابلة مع نائب المدير العام لبيت الزكاة الكويتي يتحدث فيها عن دور بيت الزكاة وأهدافه ونشاطاته، ويتطرق إلى موضوع الزكاة وأهميته، حيث يطالب الدول الإسلامية بضرورة إنشاء مؤسسات زكوية تعمل على تطبيق هذه الفريضة.

وتحت عنوان من أعلام وعلماء العالم الإسلامي تنشر المجلة ترجمة مفصّلة عن سماحة العلاّمة ابن باز تتحدث فيها عن مولده وحياته العلمية ومنهجه في الشورى وفقهه الواسع العميق وفهمه الدقيق وقد ذكرت أيضاً بعض من مؤلفاته ونبذة عن سيرته اليومية «رحمه الله».

وتحت عنوان دراسات إسلامية يكتب الدكتور زكريا المصري مقالاً بعنوان: «دور السنة النبوية في وحدة الولاء».

وكتب الدكتور محمد بلاسي بحثاً بعنوان «العلمانية... خطر الأمة الإسلامية» يعرض من خلاله إلى أهداف العلمانية في بلادنا وآثارها المدمرة ويذكر تاريخ وسبب نشأتها بالإضافة إلى عرض موفق لأفكار العلمانية وأهدافها وصولاً إلى ما يعانيه العالم الإسلامي من هذه الجرثومة الفتاكة.

أما ملف «قضايا إسلامية» فقد حمل قضية مروة قاوقجي، حيث عرضها بطريقة مشوّقة تشد القارئ وتنبهه إلى ما تقوم به الحكومة العلمانية في تركيا من تجنٍ على المسلمين مروراً بحل حزب الرفاه إلى منع المحجبات من دخول الجامعات وصولاً إلى حجاب مروة قاوقجي الذي أثار حفيظة الوحوش البشرية في البرلمان التركي احتجاجاً على دخولها البرلمان وهي تضع الحجاب على رأسها.

وتحت عنوان تحقيقات تنشر المجلة في هذا العدد تحقيقاً مفصّلاً عن أنظمة الحكم الأساسية في المملكة العربية السعودية.

وقد أعد أ.د. علي الآغا في هذا العدد بحثاً بعنوان «القرآن الكريم والكتب السماوية، نموذج رسائل النور لبديع الزمان سعيد النورسي»، وفي «محطة نافذة على الثقافة تنشر المجلة تعريفاً عن كتاب جديد بعنوان «كتب تراجم الرجال بين الجرح والتعديل» لسماحة العلاّمة المحدّث صالح اللحيدان.

ويكتب في هذا العدد أشرف شعبان مقالاً عن «فضل شكر الله» يعدد فيه فضائل شكر الله وأثر الشكر في دوام النعم، حيث يعرض للآيات والأحاديث بأسلوب جذاب يشد القارئ إلى مطالعته وتلقف الفوائد التي حملها في ثناياها.

وتحت عنوان مراصد التقوى يرصد الصحافي عبدالقادر الأسمر في هذا العدد الكثير من القضايا الجديرة بالنقاش والطرح.

حيث يناقش هذه القضايا بأسلوب هادئ ورصين يسهم مساهمة كبرى في تصحيح الكثير من الأفكار الخاطئة والإشاعات الكاذبة وما يُثار حولها موجهاً اللوم الشديد إلى الإعلام العربي على اهتمامه الكبير بانتخابات العدو التي جرت في فلسطين المحتلة، بالإضافة إلى مساءلة الذين يعملون على تمجيد الراحل نزار قباني حيث ينتقد بشدة هؤلاء الذين يريدون أن يجعلوا من نزار قباني علماً بارزاً مدللاً على ما يقول بأدلة تثبت مدى إباحية نزار وتحلله من الأخلاق بالإضافة إلى ذكر وعرض نصوص كتبها نزار يتعرض فيها للذات الإلهية، ويصف الله بأنه إنسان يصاحبه ويجالسه، وأشار الأسمر في انتقاده إلى أن هذا النص يدرّس في المدارس الرسمية للمرحلة المتوسطة في لبنان.

وفي الصفحة الأخيرة «إلى لقاء قريب» تتابع المجلة نشر كلمة أدبية للمرحوم الدكتور جهاد الأيوبي بعنوان حكاية شاعر حيث تعتبر هذه الكلمة قطعة نثرية إبداعية.

بالإضافة إلى مواضيع أخرى كثيرة ومتنوعة تضفي على المجلة أهمية كبرى وتجعلها جديرة بالمطالعة والاقتناء ولا سيما أنها تتسم بالشمولية والتنوع، حيث لم تغفل أي جانب من جوانب الثقافة والمعرفة، مما يجعل المجلة تتبوأ مرتبة عالية في صفوف الصحف الإسلامية في العالم الإسلامي إن شاء الله.

عرض وتحليل : د. رفيق حسن الحليمي

معجم أعْلام الحديث النبوي (من الصحيحين)



تأليف : د. محمد التونجي : مركز المخطوطات والتراث والوثائق - الكويت ؛ الطبعة الأولى ١٩٩٩م.

حظيت الأحاديث النبوية، منذ حياة النبيّ (ص) وحتى أيامنا هـذه باهتمام الصحابة والتابعين ومن تبعهم من العلماء والباحثين؛ لما لها من أهمية بالغة في العقيدة الإسلامية:

فمن موسوعات متعددة اهتمت بجمع الأحاديث في مؤلفات معروفة [كتب الصحاح وغيرها]، وفق منهجية علمية صارمة لتقف في طريق محاولات الوضع والتدليس، إلى مؤلفات مختلفة في رواة الحديث أنفسهم ومعرفة الرجال الذين أخذوا الرواية عن بعضهم بعضا وجيلا عن جيل، أو ما يسمي"بنقد السند"، وهو علم الجرح والتعديل، ورجال الحديث ومختلفه وعلله وغريبه وناسخه من منسوخه، إلى مباحث أخرى اهتمت بتصنيف الأحاديث بين صحيح وحسن وضعيف أو موضوع، وذلك وفقا لصحتها أو ضعفها من حيث صحة السند، إلى مؤلفات في شروح الأحاديث (مثل : فتح الباري بشرح صحيح البخاري)، إلى مباحث في تمحيص الأحاديث وهو ما يعرف "بنقد المتن" [نص الحديث] (مثل: كتاب مشكل الآثار للطحاوي، وكتاب الكفاية في علم الرواية للخطيب البغدادي، وهما يبحثان في هذا الجانب)، إلى مباحث تعنى بفقه السنّة ومكانتها من القرآن الكريم، كمصدر من مصادر التشريع وعامل مهم في تفسير القرآن (انظر :مقدمة في التفسير لابن تيميّة)... إلى مباحث في سلسلة الأحاديث الضعيفة (الألباني) وغيرها، بحيث يمكن القول: إن المكتبة العربية غنيّة في هذا الجانب، وتزداد غنًى مع الأيام بفضل جهود العلماء والباحثين في هذا الميدان الرحب من ميادين العلوم الدينية.

ويأتي كتاب: معجم أعلام الحديث النبوي (من الصحيحين)، ضمن الجهود الرامية إلى خدمة علم الحديث ، وهو في الواقع يسد فراغا في هذا الجانب ، فلم تشهد المكتبة العربية بحثا اهتم بإفراد معجم مستقل للأعلام الواردة في الأحاديث والتعريف بها من خلال المراجع ذات الشأن.

عمل موسوعي

ولعل المتأمل في هذا الكتاب يجد أنه أمام عمل موسوعي من حيث المادة العلمية وما تقتضيه من تبويب، ومن حيث المنهج الذي اتبع في دراستها وتصنيفها.

المادة العلمية

يقوم الكتاب على دراسة إحصائية لجميع الأعلام الواردة ضمن أحاديث الرسول (ص) في كتابين من أهم كتب الأحاديث وأوثقها، وهما صحيح البخاري وصحيح مسلم، وقد بلغ عدد الأعلام [٤٢٠] علما، كما جاء في مقدمةالكتاب. فيتناول المؤلف"العَلَمَ " وفقا لترتيبه الألفبائي، ثم يورد الحديث الذي يتضمن ذلك العلم مشفوعا بمصدر الحديث، وهو إما أن يكون صحيح البخاري أو مسلم، ثم يقدم ترجمة موجزة وتعريفا مختصرا لهذا العلم، ويعزز ذلك بالمراجع لتوثيق كلامه عن الأعلام وترجماته لها، ويتوسع المؤلف في مفهوم العلم فيورد أسماء المعارك والأماكن وغيرها، ويتبعها بتعريفات وشروح لها وفق خطته.

المنهج

حدد المؤلف منهجه في المقدمة في الأمور الآتية :

- الاكتفاء بحديث واحد إذا تكرر العلم في أكثر من حديث.
- الاكتفاء من الحديث إذا كان مطولا بالجانب الذي يرد فيه العلم من غير إخلال بالمعنى.
- الاكتفاء برواية واحدة إذا تعددت روايات الحديث بحيث يرد فيها العلم صريحا - إذا اشتمل الحديث علي أكثر من علم ، يذكر الحديث كاملا تحت علم واحد ويحيل إليه سائر الأعلام الأخرى، بحيث يكون هذا الحديث مرجعا لهذه الأعلام.
- قام المؤلف بتعريف جميع الأعلام بما فيها الأعلام المشهورة.
- إذا ورد العلم بكنيته أو نسبه فإنه يذكر الاسم ثم يحيل على الكنية ، وإذا ذكر بالكنية يحيل على الاسم.
- قام بضبط الأعلام ضبطا كاملا ليتم

نطقها على الوجه الصحيح.

القيمة العلمية للكتاب

لهذا الكتاب قيمتة العلمية، حيث يقدم معلومات كافية عن العلاقة بين هذه الأعلام بالنبي وبالدعوة الإسلامية.

ومما يلحظ أن أكثر أصحاب هذه الأعلام كانوا ممن عاشوا مع النبي وصاحبوه، ومنهم من عادوه وخالفوه (أبو جهل وغيره)، أو ممن عاشوا في الماضي وأصبحوا من التاريخ، ولكنه التاريخ الذي يطل على العقيدة الإسلامية ويتصل بحياة الرسل السابقين ومن صاحبهم أو عاداهم، ويبين موقف الرسول من أولئك الأعلام جميعا، في مثل قوله (ص):"لكل أمة فرعون، وفرعون هذه الأمة أبو جهل".

كما أن الشروح التي يقدمها المؤلف لكل علم تعدّ ثقافة معرفية، فكثيرا ما يقرأ الواحد منا حديثا نبويا، فيه بعض أسماء الأعلام أو الكنى والألقاب والأنساب والأماكن والمعارك وغيرها، ونمرّ عليها مرورا سريعا لعدم معرفتنا بها فيغيب عنا فهم الحديث فهما شاملا، إلا إذا عدنا إلى المؤلفات الخاصة بشروح الأحاديث مثل: (فتح البارى بشرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني وغيره من أمهات الشروح، أولبعض المعاجم اللغوية التي تعنى بالأعلام مثل: (اللسان أو المحيط)، وهيهات أن نجد السبيل ميسرا إلى ذلك؟ لقصور الهمم وندرة هذه الكتب بين أيدي القراء وانشغالهم بغيرها من مؤلفات.

ولهذا يعدّ هذا العمل العلمي انجازا له قيمته، وخاصة للطلاب المشتغلين في علوم الحديث، وللباحثين أيضا بما فيهم المشتغلون في المجال ذاته وفي مجال التفسير.

وهذه ملاحظة لا بد من التوقف عندها وهي أن بعض الأعلام الواردة في أحاديث الرسول ساعدت المفسرين كثيرا في تفسير النصوص القرانية وعلي سبيل المثال: هجرة الرسول، فقد كان معه أبو بكر الصديق ولم يرد في القرآن اسمه صريحا، وإنما جاء بصفته في قوله تعالى: [[إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا]]، وهناك أمثلة كثيرة من هذا القبيل، فتحديد هذه الأعلام ومعرفتها يساعد في التفسير ولا يدع مجالا للوهم.

ويمكن أن يعدّ هذا الإنجاز من المراجع المساندة للبحوث، فهو أشبه ما يكون بالمعجم اللغوي أو القاموس الذي لا يستغني عنه الدارسون عندما تعترضهم غرائب اللغة أو المفردات الصعبة التي تحتاج إلي شرح وتوضيح.

فما من حديث يقرأه الواحد منا – يشتمل علي عَلَم ما – إلا ونجد نصَّ الحديث كاملا أو نجد جزءا منه يتضمن العلم، فضلا عما يتبع ذلك من شروح وترجمات لهذا العلم، وبذلك يمكن أن تكون قراءته بين حين وآخر بعيدا عن الجانب البحثي أو الدراسي متعة تحمل زادا علميا وتاريخيا وجغرافيا، فهناك في أحاديث الرسول (ص) وردت أسماء لبعض المواقع والأماكن والنباتات يجهلها الكثيرون منا، ويأتي شرحها والتعريف بها مع توثيق ذلك بالمراجع اللازمة، دليلا علي حرص المؤلف علي خدمة الحديث النبوي، وتقديم ثقافة موسوعية في هذا الجانب، من خلال تلك الشروح والايضاحات والترجمات للأعلام.

مآخذ علي الكتاب

على أن هذا الكتاب – وهو من صنع البشر – لا يخلو من بعض المآخذ التي لا تقلل من قيمته وأثره المحمود.

وأول هذه المآخذ، أنه اقتصر على كتابين من كتب الحديث، وهما صحيح البخاري وصحيح مسلم، وحبذا لو امتد العمل ليشمل كتب الصحاح الستة المعروفة وهي: صحيح البخاري، ومسلم، وأبي داوود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجة، (هناك خلاف بين العلماء في الكتاب السادس، فمنهم من يجعله موطأ الإمام مالك ومنهم من يجعله مسند الدارمي، (انظر: صبحي الصالح، مباحث في علوم الحديث ص ١١٨).

ونأمل في الطبعات القادمة أن تضاف الكتب الأربعة الأخيرة إلى الصحيحين، وبذلك تكون الموسوعة أكثر إحاطة وإلماما بالأعلام الواردة في الأحاديث النبوية التي اشتملت عليها كتب الصحاح الستة، وهو بذلك يلتقي مع مجموعة الباحثين الذين أفردوا "معجما"خاصا بمفردات الأحاديث النبوية في تلك الكتب، إذ يعد هذا المعجم من أنفع الأعمال التي قدمت خدمة جليلة لعلوم الحديث وللباحثين، وحينئذ يصبح هذا الكتاب في ثوبه الجديد المقترح موسوعة شاملة لجميع أسماء الأعلام الواردة في معظم الأحاديث النبوية والتي دونت في كتب الصحاح وليس من خلال كتابين فقط.

وهناك مأخذ آخر، وهو أن جميع الأعلام جاءت مختلطة بعضها ببعض، وحبذا لو أعيد ترتيب المعجم في طبعته القادمة إلى أقسام، بحيث يقتصر كل قسم على مجموعة من الأعلام الخاصة بذواتها، فيصبح هناك قسم لأعلام الأشخاص، وقسم لأسماء القبائل، وقسم للأماكن، وآخر للنباتات، وآخر للغزوات.

وهناك مأخذ ثالث، وهو أن بعض الكلمات المعرفة بأل وردت ضمن المعجم، على أنها أعلام، وهي ليست أعلاما مثل: الأصنام – الأنصاب.

وهي على العكس من كلمة (الأعماق) التي شرحها المؤلف بأنها علم على مكان بالشام، وعكس كلمة (السمرة) وهي كما عرفها: علم على الشجرة التي بايعوا النبي (ص) تحتها، وبذلك يصح أن تدخل كلمة (السمرة) و كلمة (الأعماق) ضمن الاعلام.

ومع هذا كله، يبقى الكتاب الذي بين أيدينا عملا موسوعيا له قيمته وفائدته المرجوة في خدمة علم الحديث ، ولا يسعنا إلا أن نقدر لمؤلفه كل جهد ، فجزاه الله حسن الجزاء. ■

القرضاوي يدشن في قطر مشروعاً إسلامياً على الإنترنت

رأس الداعية الإسلامي الشيخ القرضاوي يوم ١٩٩٩/١٠/٥م اجتماعاً في فندق «شيراتون الدوحة» حضرته شخصيات من دول عدة، لتشكيل هيئة عالمية إسلامية لمشروع «خدمة الإسلام على الإنترنت».

ودُشن المشروع يوم ١٩٩٩/١٠/٤م في احتفال كبير حضره وزراء قطريون وحشد من الشخصيات الإسلامية، وسيكون مقره في الدوحة في «جمعية البلاغ الثقافية لخدمة الإسلام على الإنترنت»، وعلم أن نفقاته تبلغ سنوياً خمسة ملايين دولار.

وكان القرضاوي خاطب المشاركين في الاحتفال مؤكداً «عالمية الرسالة الإسلامية» وأهمية «تصحيح صورة الإسلام لدى المسلمين وغيرهم».

وأضاف: «نستطيع الآن ـ عبر الإنترنت ـ الوصول إلى كل مكان والقيام بالدعوة من دون جيوش وجنود، وكل ما نحتاجه هو كوادر بشرية قادرة على العطاء».

ورأى القرضاوي في حديثه عن الإنترنت أن «استخدام الوسائل الحديثة (وسائل الاتصال العصرية) أصبح ضرورة» لافتاً إلى أن ٢٠ ألف شخص زاروا موقع المشروع الجديد على الإنترنت (net - www. islam. online))

وخاطب الحضور الرئيس السوداني السابق المشير عبدالرحمن سوار الذهب، فنبه بدعم قطر للمشروع، وقال إن «العالم الغربي أسير خرافات وأباطيل، والإسلام ظل بعيداً عن الغرب لكن هناك من أنصفه»، وذكر بمحاضرة ألقاها ولي العهد البريطاني الأمير تشارلز في جامعة اكسفورد، اعتبر فيها أن الغرب يجهل الإسلام.

وشاركت في حفلة افتتاح المشروع شخصيات من السعودية ومصر ولبنان وفلسطين وبريطانيا وأميركا والبوسنة والكويت والإمارات والبحرين ومفتي القدس الشيخ عكرمة صبري، كما شاركت شخصيات نسائية في الافتتاح وفي اجتماع الهيئة التأسيسية.

ويتكون موقع «خدمة الإسلام على الإنترنت» من «الخط المعلوماتي والخط الإعلامي والخط الخدماتي»، ويتضمن الخط المعلوماتي «القرآن والتفسير والحديث والفتاوى والسيرة والحضارة الإسلامية»، و«كيف تمارس الإسلام»، وقضايا معاصرة و«بنك الفتوى».

وفي «الخط الإعلامي» معلومات تحت عناوين «الحدث وقضايا سياسية وحواء وآدم واستطلاعات، ومساحات للوعي والعلوم والتكنولوجيا ووثائق وبيانات».

أما «الخط الخدماتي» فيقدم خدمات هي البريد الإلكتروني والمفكرة الشخصية وأندية التعارف. وهناك خدمات اجتماعية في الخط المعلوماتي تحت عناوين «مشاكل وحلول والبحث عن مفقود، وتهان ومجاملات، وباب الزواج» وهو خدمة مجانية لمن يود من الجنسين إعلان رغبته في الزواج».

وجاءت في زاوية العلوم والتكنولوجيا في «الخط الخدماتي» عناوين تشمل «مؤسسات تهمك والبنوك الإسلامية والمراكز الإسلامية والقنوات الفضائية».

٦٥ مليون أمي في العالم العربي!

استناداً إلى تقرير أصدره مكتب اليونسكو الإقليمي في بيروت، تمثل الأمية في الدول العربية مشكلة خطيرة. يقول التقرير إن عدد «الأميين من البالغين فوق سن الخامسة عشرة في العالم العربي يصل إلى حوالي ٦٥ مليوناً، أي بنسبة ٤٣٪ (٣٢٪ من الرجال و ٥٦٪ من النساء)، ويعتبر التقرير أن من المفترض أن تنخفض هذه النسبة إلى ٣٠٪ العام ٢٠١٠م.

رابطة العالم الإسلامي تندد بـ«عداء الإسرائيليين» لغير اليهود»

نددت الأمانة العامة لرابطة العالم الإسلامي بـ«إمعان إسرائيل في العدوان على مشاعر المسلمين»، واصفة قيام إسرائيل بلصق صورة المسجد الأقصى على زجاجات نبيذ أطلق عليها «القدس ٢٠٠٠» بأنه عمل «يؤكد الإصرار الإسرائيلي على استخدام الأساليب الرخيصة والأعمال المستهجنة في تزوير التاريخ».

جاء ذلك في بيان أصدره الأمين العام للرابطة الدكتور عبدالله بن صالح العبيد، لفت فيه نظر الهيئات والمؤسسات الدولية القانونية والثقافية والتراثية إلى «أساليب إسرائيل غير الأخلاقية في الحط من مكانة المقدسات الإسلامية واستخدام رموزها لاستثارة المسلمين والطعن بقدسية مساجدهم خصوصاً المسجد الأقصى المبارك». وأشار الدكتور العبيد إلى أن «هذا العمل الرخيص دليل عملي على عداء الإسرائيليين للأديان والمقدسات غير اليهودية».

وكانت شركة الخمور الإسرائيلية «بارون» أعلنت أخيراً تراجعها عن وضع صورة قبة الصخرة على زجاجات النبيذ لكي لا تؤذي مشاعر العرب والمسلمين.

التدخين يقتل شخصاً كل عشر ثوان



أفادت دراسة نشرت في المؤتمر الأوروبي العاشر للسرطان المنعقد في فيينا أن شخصاً يموت كل عشر ثوان في العالم بسبب التدخين وهو معدل يمكن أن يزداد بحلول العام ٢٠٣٠م إلى حالة وفاة كل ثلاث ثوان.

وأشار الأطباء إلى أن الدول النامية التي تعاني من هذه المشكلة بنفس قدر الدول الصناعية ستكون معنية أكثر بهذه الظاهرة في السنوات المقبلة بسبب الخطط التي تتبعها الشركات المصنعة للتبغ والتي قد تؤدي إلى تحول التدخين إلى «وباء».

وأعلن البروفسور توماس تورز مدير معهد غوستاف ـ روسي في فيلوجويف بالقرب من باريس الذي يستقبل نحو عشرة آلاف مريض سنوياً أن «التدخين هو السبب الأول لارتفاع نسبة الوفيات الناجمة عن السرطان».

ويموت في أوروبا سنوياً نحو ٥٠٠ ألف من بينهم مئة ألف امرأة بسبب سرطان ناجم عن التدخين.

وأشار الخبراء إلى أن المدخنين المنتظمين يصابون بسرطان الرئة أو بمرض مزمن في الشعب الهوائية أو من مرض في القلب. ومنذ العام ١٩٩٥م أصبح سرطان الرئة الأكثر انتشاراً في العالم، وأصبح في العام ١٩٩٨م السبب التاسع في الوفاة في العالم مع ١,٢٥ مليون حالة وفاة.

والتدخين مسؤول أيضاً عن أكثر من عشرين مرضاً قاتلاً آخر منها سرطان البلعوم والفم والجلطات الدماغية.

وإذا كان التدخين يؤدي فعلاً إلى وفاة أربعة ملايين شخص سنوياً ـ مليونان في الدول الصناعية ومليونان في الدول النامية ـ فإن الخبراء يتوقعون ارتفاعاً مأساوياً في عدد الضحايا في دول العالم الثالث.

وأشار تورز إلى أنه من المتوقع تسجيل سبعة ملايين حالة وفاة ناجمة عن التدخين في العام ٢٠٣٠م في الدول النامية حيث «يمكن أن يتحول سرطان الرئة إلى وباء».

وأضاف أنه في المقابل «سجل انخفاض في نسب الوفيات الناجمة عن السرطان في الدول التي تعتمد سياسات متشددة حيال التدخين كالولايات المتحدة وبريطانيا».

إلا أن مخاطر التدخين لا تتوقف على المدخنين وحدهم إذ يواجه غير المدخنين ممن يستنشقون الدخان مخاطر فعلية بالإصابة بسرطان الرئة وأمراض القلب والأوعية الدموية أو الجلطات الدماغية.

النسل في أسبانيا الأقل مستوى في العالم

دق مؤتمر أسباني متخصص ناقوس الإنذار في البلاد ٩/٢٥ الماضي بإعلانه أن معدل النسل في أسبانيا هو الأكثر انخفاضاً في أوروبا والعالم إذ لم يعد يتجاوز ٩,٢ في الألف.

وكشف رئيس المؤتمر الأسباني لطب الحمل في ختام المؤتمر الذي استمر يومين أن أسبانيا بحاجة ماسة إلى معدل من التكاثر لا يقل عن ٢,١ ابن لكل امرأة من أجل ضمان وجود أجيال قادمة تحل مكان الجيل الحالي.

وأضاف مانويل مورو موجهاً حديثه لأكثر من ألف من المختصين أن المعدل الحالي الذي لا يتجاوز ١,١ ابن لكل امرأة «يعني واقعاً سكانياً مأساوياً بالنسبة لبلادنا».

وأضاف أن المؤتمر خلص إلى نتيجة أخرى وهي أن معدل عمر المرأة الأسبانية عند إنجاب ابنها الأول قد ارتفع في السنوات الأخيرة ليكون ثلاثين سنة بعد أن كان قبل ١٥ سنة لايتجاوز ٢٤ سنة.

وقال إن هذا المعدل المرتفع لسن المرأة عند إنجابها ابنها الأول يجعل من الصعب لجوءها إلى الإنجاب من جديد. وأتت هذه الأرقام حول معدل تكاثر السكان في أسبانيا في الوقت الذي أشارت فيه أرقام الأمم المتحدة إلى زيادة ألف مليون نسمة في عدد سكان العالم في السنوات الـ١٢ الأخيرة وهو ما يرفع عدد سكان كوكب الأرض إلى ستة بلايين نسمة.

ويذكر أن عدد سكان أسبانيا يتجاوز بقليل الثمانية والثلاثين مليون نسمة.

الإنفاق العسكري يفاقم عدد الفقراء في جنوب آسيا



جاء في تقرير نشر يوم ١٤/٩/١٩٩٩م أن الهند وباكستان ستنفقان نحو ١٥ بليون دولار خلال السنوات العشر المقبلة للحفاظ على ترساناتهما من الأسلحة، والمبلغ يكفي لإطعام وتعليم أكثر من ٣٧,٥ مليون طفل في جنوب آسيا.

وأفاد تقرير التنمية البشرية في جنوب آسيا لعام ١٩٩٩م الذي أعده «مركز محبوب الحق للتنمية البشرية» في إسلام أباد أن الهند وباكستان زادتا إنفاقهما العسكري بنسبة ١٤ في المئة و ٨,٥ في المئة على التوالي بعدما تبادلتا إجراء اختبارات نووية العام الماضي.

وحذر التقرير من أن الإنفاق العسكري المتزايد في المنطقة يثير الرعب، خصوصاً أن الفقر يزداد في جنوب آسيا.

وأضاف التقرير الذي نشر بالتعاون مع مكتب الأمم المتحدة في كولومبو عاصمة سري لانكا أنه «أثناء السبعينيات وأوائل الثمانينات كان الفقر يتقلص في مختلف أنحاء جنوب آسيا... وتباطأ هذا الاتجاه، بل ربما انعكس في كل دول المنطقة عدا الهند».

وتابع أن «التنمية البشرية في جنوب آسيا مثلت تحدياً كبيراً العام الماضي في ظل تغير سياسي سريع وكوارث طبيعية واسعة النطاق، وزيادة القدرات النووية وتباطؤ اقتصادي عالمي. وزادت عواقب تلك الأحداث المخاوف من انزلاق المنطقة الأفقر إلى مزيد من الفقر بما يحمله ذلك من نتائج أسوأ في مجالات التغذية والصحة والتعليم».

وذكر التقرير أنه على الرغم من أن الفقر في الهند - أكبر بلد في المنطقة - تراجع نحو ثمانية في المئة بين ١٩٨٨م و ١٩٩٣م فإن الفقراء في المنطقة مازالوا يمثلون ٤٣ في المئة من السكان.

ويعيش في جنوب آسيا ٤٠ في المئة من فقراء العالم، وأن «أكثر من سدس سكان المنطقة (٢٠٠ مليون نسمة) ليس من المتوقع أن يعيشوا إلى سن الأربعين». وأضاف أن ما يصل إلى ١٠٠ ألف طفل يبيعون أجسادهم يومياً ليكسبوا ما يسد رمقهم.

وأشار التقرير إلى أن «الفساد يكلف جنوب آسيا بلايين الدولارات سنوياً وأن الغرم يقع على أفقر الناس». وزاد التقرير أن «حجم الفساد في باكستان وحدها يتجاوز ١٠٠ بليون روبية باكستانية سنوياً أو خمسة في المئة من الناتج المحلي الإجمالي». وفي بنغلاديش تشكل الضرائب «الخاصة» الضمنية، أي تكاليف الفساد ٣٤٠ في المئة من التكاليف الرسمية المقدرة أصلاً.

نصف مواليد أفريقيا يحملون الإيدز

قال مسؤول في الأمم المتحدة إن نصف المواليد في أفريقيا يحملون فيروس «اتش. اي. في» المسبب للإيدز إلا أن المجتمع الدولي رغم ذلك لم يتحرك لمكافحة هذا المرض الفتاك. وأضاف الدكتور بيتر بيوت المدير التنفيذي لوكالة الأمم المتحدة الخاصة بالايدز أنه في الوقت الذي وجدت فيه القوى الغربية الإرادة للتعامل مع الأزمة، كما حدث في كوسوفا إلا أنها لم تقم بأي محاولة للتعامل بالطريقة نفسها مع مشكلة الايدز. وأبلغ بيوت رويتر: «الايدز يقلص إنتاجية الشركات، فالكثير من الناس لا يقدرون على العمل بسبب المرض. الطبقة الوسطى بأفريقيا تتآكل». وزاد أنه في بعض المجتمعات انخفض معدل العمر إلى ٢٥ عاماً بسبب الايدز. وفي ساحل العاج يموت مدرس كل يوم بسبب الايدز. وتساءل بيوت: «من سيدرس للأطفال؟ من سيحل محل المدرسين؟».

٩٥٪ من النمو السكاني في الدول النامية

ذكر تقرير أصدره صندوق الأمم المتحدة للسكان unfpa حول حالة سكان العالم ٩٩ بأنه سيكون هناك في يوم ١٢ أكتوبر المقبل نحو ٦ بلايين إنسان يعيشون في هذا العالم بزيادة بليون نسمة خلال ١٢ عاماً وسيكون قرابة نصفهم دون سن الخامسة والعشرين كما سيكون هناك أكثر من بليون من الشباب الذين تتراوح أعمارهم بين ١٥ و ٢٤ سنة وهم الذين سيكونون آباء الجيل القادم. وذكر التقرير أن سكان العالم ينمو بمعدل ٧٨ مليون شخص في السنة أي ما يقل قليلاً عن إجمالي عدد سكان ألمانيا وقد تضاعف عدد سكان العالم منذ عام ٦٠ وحدث أكثر من ٩٥٪ من النمو السكاني في الدول النامية.

بقلم: د. أحمد شوقي الفنجري

من الإعجاز الطبي في القرآن

«اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب»

سورة ص آية ٤٢

هذه الآية الكريمة رغم كلماتها القليلة تحمل الكثير من المعاني الطبية والتي تعتبر نوعاً من الإعجاز الذي ينفرد به القرآن الكريم.

ولكن اكتشاف هذا الإعجاز وفهمه يحتاجان من الباحث المدقق إلى الكثير من الدراسة والعلم والمقارنة بما جاء في الكتب السماوية الأخرى وما جاء في كتب الطب الحديث... وبغير هذه الخلفية التاريخية والعلمية فإن القارئ العادي للآية سيمر بها مروراً عابراً دون أن يدرك ما فيها من إعجاز علمي... فلنبدأ هذه الدراسة من أولها:

لقد جاءت قصة سيدنا أيوب عليه السلام في الكتب السماوية الثلاثة التوراة والإنجيل والقرآن. ولكنها ذكرت في القرآن وحده بمفهوم يختلف كل الاختلاف عما جاء في الكتابين السابقين. وهذه مقارنة علمية هادئة عما جاء في الكتب الثلاثة... لا من حيث القصة والرواية نفسها... وإن اختلفت الرواية أيضاً... ولكن الخلاف الذي يهمنا هنا حول مفهوم المرض وأسبابه وحول مفهوم العلاج.

ولنبدأ بما جاء في القرآن الكريم: بقول الله تعالى في سورة ص الآية ٤١ و٤٢: (واذكر عبدنا أيوب إذ نادى ربه أني مسني الشيطان بنصب وعذاب. اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب).

فقد جاء في التفاسير الإسلامية أن أيوب قد أصيب في جسده بقرح ودمامل حتى عجز عن الحركة ورقد في الأرض كالمشلول. فلما دعا ربه أن يشفيه أمره سبحانه وتعالى بثلاثة أنواع من العلاج الطبي:

الأول: هو ما يسمي في الطب الحديث بالعلاج الطبيعي، وذلك بقوله تعالى «أركض برجلك» والركض هنا غير المشي أو الحركة العادية إنه نوع من الجري أو الهرولة النشيطة والمقصود بها الرياضة البدنية والحكمة في ذلك أن أيوب كان قد استلقي في الأرض من آلام الدمامل وأصبح كالمشلول والمعروف في الطب الحديث أن الرقاد والاستسلام يؤديان إلى كسل الحركة الدموية وكسل جميع وظائف الأعضاء وهذا يؤدي بدوره إلى نقص المناعة في الدم وتغلب المرض. وقد كان الأطباء حتى عهد قريب يأمرون المريض بملازمة الفراش أطول فترة ممكنة وبخاصة بعد العمليات الجراحية، ولكن الطب الحديث جداً اكتشف أن هذا الرقاد يؤدي إلى نتائج عكسية وتأخر الشفاء فأصبحوا ينصحون المرضى الناقهين بالحركة المبكرة لأنها تساعد على زيادة المناعة والتئام الجروح.

الأمر الثاني: في قوله تعالى: (هذا مغتسل بارد) وهذا يحمل أكثر من معنى في الطب الحديث، فالاغتسال معناه غطس الجسم كله في المياه المعدنية. وقد جاء في تفسير هذه الآية أن الله تعالى قد فتح لأيوب عيناً من الأرض فيها نوع من المياه الكبريتية والمعدنية لعلاج القرح، ويعني أيضاً الدهون للجلد أو ما يسمى في الطب المعاصر الغسول وهي كلمة تستعمل في الطب الحديث عن الأدوية التي يدهن بها الجلد للعلاج. ولاحظ قوله تعالى: (مغتسل بارد) حيث إن التبريد أيضاً أصبح في الطب الحديث أحد أهم عناصر العلاج.

الأمر الثالث: هو كلمة الشراب أي الأدوية التي تؤخذ بالفم وهي كلمة عربية وردت أساساً في القرآن واستعملها أطباء المسلمين... ونقلتها أوروبا في الطب الحديث وما يزال اسمها العربي (SYRUP) مستعملاً في كتب الطب الحديث إشارة إلى الأدوية التي تؤخذ عن طريق الفم.

فهذه ثلاثة أنواع من العلاج للأمراض الجلدية وردت في آية واحدة وفي كلمات قليلة، وهي تشمل كل أنواع العلاج الجلدي المعروف في عصرنا. وهذا إعجاز أدبي إلى جانب الإعجاز الطبي.

نعود الآن إلى ما جاء في التوراة والإنجيل عن هذه القصة نفسها والمفاهيم والدروس التي نأخذها منها وكبداية نقول: إننا نحن المسلمين نؤمن بالأديان السماوية الثلاثة، ونكن لها كل تقدير واحترام، غير أن هذه الرسالات السابقة قد كتبت وسجلت بأيدي البشر وأفكارهم وبعد موت نبيهم بعشرات بل مئات السنين. والبشر عرضه للنسيان أو الخطأ أو التحريف ولو من دون قصد. وعلى قدر فهمه وعلمه. في حين أن القرآن هو الكتاب الوحيد الذي سجل من كلام الله مباشرة. وقد جاء الإسلام آخر الأديان ليصلح المسار الخاطئ في الرسالات

السابقة والمفاهيم الباطلة التي أدخلت عليها.

لقد جاء النص في قصة سيدنا أيوب في التوراة - في العهد القديم - سفر أيوب - الإصحاح الأول ما نصه: «فقال الرب للشيطان: هل جعلت قلبك على عبدي أيوب. لأنه ليس مثله في الأرض. رجل كامل ومستقيم يتقي لله ويحيد عن الشر. فأجاب الشيطان الرب وقال: هل مجاناً يتقي أيوب الرب؟ أليس أنك سيجت حوله وحول بيته!! ثم يقول الشيطان للرب: ولكن أبسط يدك الآن ومسَّ كل ماله فإنه في وجهك يجدف عليك» فقال الرب «هو ذا كل ماله في يدك وإنما إليه لا تمد يدك ثم خرج الشيطان من أمام وجه الرب»، وبناء على هذا الإذن من الله أخذ الشيطان يخرب كل شيء عند أيوب فحرق الزرع وقتل الغنم والبقر. وجاء بريح قوية هدمت زاوية البيت على أولاده وبناته فقتلتهم مرة واحدة ومع ذلك صبر أيوب ولم يكفر بالله، فعاد الشيطان يطلب من الله أن يأذن له أن يصيب أيوب في جسده زيادة في الامتحان.

فتقول التوراة: فخرج الشيطان من حضرة الرب وضرب أيوب في جسده بقرح رديئ من قمة رأسه إلى أخمص قدميه. ومع ذلك فلم يكفر أيوب بالرب وصبر على بلائه، وأخيراً أمر الرب الشيطان أن يترك جسد أيوب بعد أن نجح في الصبر فشفي في الحال، فارتباط الشيطان بالمرض هنا واضح لا لبس فيه وهو ارتباط عضوي وليس مجرد وسوسة ولا إيحاء.

والشيء نفسه في المسيحية، حيث يعتبر أن المرض شيطان يدخل جسم الإنسان عندما يرتكب معصية في حق الله، ولذلك فإن العلاج الوحيد لأي مرض هو الصلاة والصوم، فإذا لم يأتِ هذا بنتيجة فمعنى ذلك أن إيمان الرجل ضعيف وذنبه كبير جداً فلا يقبل الله له الغفران. ولابد في هذه الحال من تدخل رجال الكنيسة لكي يقرأوا له الصلوات والدعاء ويدهنوه بالزيت المقدس لطرد الشيان من جسده.

وفي ذلك يقول برنارد شو في كتابه «حيرة الطبيب»: «إن الكتاب المقدس صريح بموضوع علاج الأمراض. فرسالة جيمس الأصحاح الخامس تحتوي على الإشارات التالية ١٤ و١٥».

«أيوجد بينكم شخص مريض فليدع شيوخ الكنيسة وليصلوا عليه وليدهنوه بالزيت باسم الرب ثم إن الصلاة الايمان سوف تبرئ المريض ولسوف يرفعه الرب إلى أعلا وإذا كان قد ارتكب أوزاراً فسوف تغفر له».

ثم يقول برنارد شو: «وأبناء الطائفة الإنجيلية المسيحية يطيعون هذه التعاليم طاعة عمياء لأنهم يأخذون الكتاب المقدس مأخذ الجد التام».

ولم يمكن التخلص من هذا الاعتقاد الذي كان سائداً في المسيحية في بريطانيا حتى القرن التاسع عشر إلا بإصدار قانون يقضي بحبس الأب الذي يموت ولده دون أن يعرضه على الطبيب بحبسه مدة ستة أشهر».

وقد جاء النص في الإنجيل حول العلاقة بين الشيطان والمرض في أكثر من موضع. فقد جاء في إنجيل متى ١٤/٨.

«وعند حلول المساء أحضر إليه الناس كثيراً من المسكونين بالشياطين فكان يطرد الشياطين بكلمة منه وشفى المرضى جميعاً».

وجاء في إنجيل متى ٣٢/٩: «وجاء بعضهم بأخرس يسكنه شيطان فلما طُرد الشيطان تكلم الأخرس».

وجاء النص على أن علاج الأمراض بالصلاة والصوم فقط لطرد الشيطان في إنجيل متى ٢١/١٧:

«أما هذا النوع من الشياطين فلا يطرد إلا بالصلاة والصوم» الإنجيل - كما دونه متى - طبعة ١٩٨٢م ص٢٧.

وقد تسلطت هذه الفكرة عن مفهوم المرض والشيطان على أوروبا قروناً طويلة. ويذكر المؤرخون المسيحيون أن رجال الكنيسة كانوا يمنعون الناس من التداوي والعلاج لدى الأطباء... لأن هذا «بحد زعمهم» تدخّل في إرادة الله. وتقول الدكتورة زيجرد هونكة في كتابها القيم «شمس العرب تسطع على الغرب»: حول هذا الفكرة الشيطانية: «كان الكهنة يمرون على المرضى ويرشونهم جميعاً بالماء المقدّس ويصلون عليهم ويأمرونهم بتصفية أمورهم الدينية والدنيوية بالاعتراف بآثامهم التي أدت إلى مرضهم. فإذا شفي المريض لأي سبب جاء إلى الكاهن الذي يقول له «ها أنت قد عوفيت. فلا تخطئ مرة أخرى لئلا يصيبك ما هو أعظم». أما إذا لم يشف المريض فمعناه أن إيمانه ما يزال ضعيفاً وخطيئته لم تغفر، وكانت إحدى أهم وسائل العلاج هي ضرب المريض بالعصا لإخراج الشيطان من جسمه وكثيراً ما يؤدي الضرب إلى الوفاة».

الإسلام ومفوهم المرض والعلاج:

لقد جاء الإسلام بمفهوم جديد يختلف اختلافاً جذرياً في نظرته إلى هذه القضية:

- فإذا كان المرض في اليهودية والمسحية عبارة عن شيطان يدخل جسم الإنسان بسبب معصية يرتكبها في حق الله وأن من يمرض لابد أن يكون مذنباً.

- فإن المرض في نظر الإسلام يعتبر من قضاء الله وقدره وهو يصيب الطيب والشرير، والمخطئ والمصيب وأنه لا علاقة له بمعصية الله ولا علاقة له بدخول الشيطان في الجسم.

- وأن الشيطان لا يستطيع دخول جسم الإنسان لإحداث المرض، بل كل تأثيره هو الوسوسة والإيحاء السلوكي.

وبناء على هذه النظرية المنطقية التي تسبق كل علوم عصرنا الحاضر، فالإسلام أول من أقرّ بالطب والعلاج.

وكان المسلمون أول الأمر يأتون إلى الرسول لكي يشفي مرضاهم فكان - ﷺ - يزور المريض ويدعو له بالشفاء ثم يقول لهم «أدعو له الطبيب» فكانوا يتعجبون من ذلك ويقولون له: «وأنت تقول ذلك يا رسول الله» أي أنت أيضاً تطلب منا استدعاء الطبيب ولا تشفي المريض بيديك، فيقول لهم «نعم تداوا عباد الله فإن الله تعالى لم ينزل داء إلا انزل له الدواء عَلِمَهُ مَنْ عَلِمَ وَجَهِلَهُ مَنْ جَهِلَ فإذا أصاب الدواء الداء برأ المريض بإذن الله تعالى» رواه الترمذي وابن حنبل وكان الرسول نفسه يمرض ويطلب من الأطباء علاجه كأي بشر. فكانوا ينعتون له الأنعات «أي الوصفات الطبية» ويتناول الأدوية كما يصفونها له.

وهكذا يكون القرآن الكريم قد أحدث ثورة، بل معجزة علمية في الفكر الإنساني، وحوّله من عصر الخرافة وفكرة الشيطان الذي يتلبس جسم المريض ولا يغادره إلا بضرب المريض بالعصا... أو بالدعاء والاستغفار بوساطة الكهنة ورجال الدين.

إلى عصر العلم والنور، والاعتراف بالطب والعلاج، والتحليل في المعامل والاجتهاد في الدواء المناسب.

وما أجدرنا نحن المسلمين... أن نظهر هذه الحقيقة ونعلنها على الدنيا كلها... حتى تعرف الإنسانية كلها فضل الإسلام. ■

هذه الفتاوى منتقاة مما تصدره إدارة الافتاء والبحوث الشرعية في وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية في دولة الكويت. والمجلة على استعداد لتلقي الاسئلة مباشرة وتحويلها الى اهل الاختصاص للاجابة عليها. ويسر خدمة الفتوى بالهاتف تلقي الاسئلة الفقهية مباشرة من الساعة ٨ صباحا الى الساعة ١٢ ظهرا ومن الساعة ٤ عصرا الى الساعة ٨ مساء على الهواتف التالية :

هاتف مباشر
خدمة الفتوى
149

التأمين على الحياة

عُرض على اللجنة السؤال التالي:

وهو بشأن إنشاء صندوق للضمان الاجتماعي التعاوني بالاتفاق مع إحدى شركات التأمين على عمل وثيقة تأمين جماعية تغطي حالات العجز والوفاة للمشتركين بالصندوق.

وقد سبق للجنة أن اطلعت في جلستها السابقة على النظام الأساسي للصندوق وأرجأت الإجابة على السؤال الوارد إلى حين إحضار وثيقة التأمين الجماعية بين الصندوق وشركة التأمين، وقد أحضرت هذه الوثيقة.

وبعد أن اطلعت اللجنة على بنود مشروع التأمين الجماعي.

أجابت اللجنة بالتالي:

إن هذا النوع من التأمين في ظل الظروف الحاضرة مما تدعو إليه الحاجة وليس كتأمين على الحياة وحسب المعمول به خارج هذا الإطار، لأن التأمين على الحياة فيه استغلال وضرر فاحش ومرابأة في حال السلامة واسترداد الأقساط.

واللجنة ترى أن التأمين بالشكل الذي ورد في الاستفتاء خال من الربا، كما أن الغرر فيه قليل ولا يؤدي عادة إلى النزاع، كما أن مبلغ التأمين الذي يدفع عند الوفاة أو العجز الكلي أو الجزئي لا يتجاوز الضرر الفعلي، وقد استأنست اللجنة للحد الأعلى في تقدير الضرر بالدية الشرعية للنفس أو ما دونها، وبما أن التأمين على الأشياء الذي أجازته اللجنة وغيرها من الجهات الشرعية في صور شتى مقيد بقيود منها: ألا يتجاوز التعويض الضرر الفعلي. فإن اللجنة ترى أن هذا التأمين بهذه الصورة جائز مع الشبهة واللجنة لا تزال ترى أن مثل هذا الأمر يحتاج للبت فيه إلى رأي المجامع الفقهية، كما أن اللجنة توصي صناديق الضمان بالاقتصار على التأمين التعاوني، لأنه لا شبهة فيه، لقول النبي صلى الله عليه وسلم ـ في الحديث الذي رواه البخاري ومسلم: «فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام» ولقوله صلى الله عليه وسلم: «دع ما يريبك إلى ما لا يريبك» رواه الترمذي والنسائي وقال الترمذي: حديث حسن صحيح. والله أعلم

الشراء من بيت المال بالمزايدة

عُرض على اللجنة السؤال التالي:

هل شراء البضائع من بيت المال ـ تابع للجمارك والموانئ في دولة الكويت ـ حلال أم حرام؟ حيث إن أحد الأصدقاء المخلصين أخبرني عن هذا الأمر أنه حرام... من جانبي أقدم بعض الإيضاحات للجنة الموقرة وهو: أن التاجر يستورد بعض البضائع الشتوية: فيتأخر الشحن من بلد المنشأ لأسباب كثيرة، فيقوم التاجر الكويتي بإلغاء الطلبية حيث إنه من المؤكد أن تصل البضاعة بعد انتهاء فصل الشتاء، فلا يكون لها سوق للاتجار، فإن كانت الشركة قد أخلت بشروط الشحن مثلاً تقوم هي بإرسال البضاعة، وترسل مندوبين، أو تحول البضاعة إلى شخص من معارفها لتصريف البضاعة، فإن أخفقوا باعوها عن طريق بيت المال، وتعود الفائدة على الشركة بعد خصم الرسوم والجمارك المطلوبة، ثم أخبر اللجنة أن البيع يتم بطريق المزايدة.

ـ أجابت اللجنة:

أنه لا بأس بشراء البضائع من بيت المال المذكور. أما بالنسبة للبيع عن طريق المزايدة فإن الأصل فيه الإباحة إلا إذا كان هناك غرر وتدليس واتفاق غير مشروع فإنه حرام. والله أعلم

تزوير وتغيير الاسم

عُرض على اللجنة السؤال التالي:

اسمي الأصلي صلاح، وغيَّرت اسمي إلى محمد لاستخراج جواز السفر، وجئت هنا «الكويت» بهذا الاسم.

ما حكم هذا من الناحية الشرعية؟ علماً أن في كتاب الكبائر عُدَّ من الكبائر، وعلماً بأني في بلدي يعرفونني باسمي الأصلي فقط.

أجابت اللجنة بما يلي:

الأصل أنه يجوز للإنسان تغيير اسمه لمقصد مشروع، كما لو كان الاسم مما نهى الشرع عن التسمي به أو لمقصد مرغوب كاسم يتضرر منه بشرط أن لا يترتب على هذا التغيير تضييع حقوق الناس أو أكل حقوقهم بالباطل.

وأما ما جاء من عَدِّ ذلك من الكبائر، فالمراد ما يترتب عليه الانتساب إلى غير أبيه أو نفي نسبه عن أبيه وهذا شيء آخر، كما أنه ليس للشخص أن يغير اسم أبيه أو جده لأن ذلك يؤدي إلى تضييع النسب أو تجهيل القرابة. والله أعلم.

التعامل تجارياً مع غير المسلمين

عُرض على اللجنة السؤال التالي:

هل يجوز الشراء من المحلات اليهودية؟ وجزاكم الله خيراً.

- أجابت اللجنة:

الأصل جواز التعامل مع غير المسلمين، على أن الأولى معاملة المسلمين ونفعهم بدلاً من معاملة غيرهم. والله أعلم

عمل الكفار في منازل المسلمين

عُرض على اللجنة السؤال التالي:

هل يجوز استخدام الخادمة غير المسلمة في البيت المسلم؟

أجابت اللجنة:

إنه لا مانع من توظيف غير المسلمين في منازل المسلمين بشرط الحذر من مخالفة الأحكام الشرعية المتعلقة بهم، نحو ألا تنكشف المسلمات على غير المسلمات، كما يتكشفن على أخواتهن المسلمات، كما أنه يجب على الشغالات ستر عوراتهن أمام المسلمين، وألا يدع المسلمون أولادهم لتربية غير المسلمين محافظة على تنشئتهم تنشئة إسلامية، كما أن على المسلمين منعهم من مباشرة الذبح. والله سبحانه وتعالى أعلم.

العمل في الشركات الجمركية

عُرض على اللجنة السؤال التالي:

أعمل لدى شركة تجارية بوظيفة مخلّص جمركي، وطبيعة هذا العمل تتلخص في التالي: أقوم بترجمة المعاملات وأملأ النموذج المعدّ «بيان جمركي» ثم أقدمه لإدارة الجمارك بعد دفع الرسوم في البنك، فهل هذا يعتبر حلالاً أم حراماً؟ وهل به شبهة؟

أجابت اللجنة بما يلي:

إن العمل الذي تقدم به السائل عمل كتابي يجوز أخذ الأجر عليه بشرط أن يخلو عن الأعمال المحرمة من التزوير والرشوة والتهريب وتدليس الممنوعات ونحو ذلك. والله أعلم.

تحويل المقبرة إلى حديقة

عُرض على اللجنة الاستفتاء التالي:

لابد لنا من معرفة رأيكم حول النقاط التالية:

أ - متى يمكن تحويل المقابر إلى حدائق؟ بمعنى كم المدة اللازم مرورها بعد إيقاف الدفن في مقبرة ما حتى يمكن اعتبارها دارسة شرعاً وبالتالي استعمال أرضها كمرفق عام لحديقة مثلاً؟

ب - هل هناك إمكانية لغرس أشجار في أماكن محدودة في أرض المقابر الدارسة مع عدم تأثر القبول بحيث يحافظ على حرمة المقبرة ولا يسمح بارتيادها؟

يُرجى عرض هذا الموضوع على لجنة الفتوى، بوزارتكم الموقرة وموافاتنا بالنتيجة حتى نتمكن من اتخاذ الخطوات المناسبة بما فيه الصالح العام

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام

- أجابت اللجنة بما يلي:

إن تشجير المقبرة حتى مع بقاء الرفات جائز، على أن تغرس الأشجار في الفراغات التي بين القبور وليس على القبور نفسها، لأنه إذا غرست على القبر نفسه يلزم من ذلك نبش القبر وهو حرام إلا في حالات نادرة جداً على ألا تتخذ كمتنزه عام، وأما اتخاذ المقبرة متنزهاً عاماً كلها مع بقاء القبور فهذا لا يجوز إلا بعد التأكد من أن عظام الموتى بليت كلها، وإذا كانت أرض هذه المقبرة وقفاً فلا يجوز اتخاذها متنزهاً عاماً إلا عن طريق الاستملاك وفي حال الضرورة وأن يستبدل بها غيرها.

وأما مدة بلي العظام فليس هناك مدة مقدرة شرعاً، وإنما هذا أمر متروك لأهل الخبرة، لأن الأراضي تختلف في ذلك اختلافاً كبيراً. والله أعلم.

بيع مواد للزينة فيها كحول

عُرض على اللجنة الاستفتاء التالي:

إنني حريص على الكسب الحلال الذي أباحه الله سبحانه. بعداً عن الحرام وما اشتبه به أعرض عليكم الاستفسار التالي:

إني أريد الاطمئنان على صحة كسبي. هل العطور التي يدخل في تركيبها الكحول حلال أم حرام؟ وكذلك أدوات المكياج التي تستخدمها النساء في التبرج؟

- أجابت اللجنة بما يلي:

لا شيء في المتاجرة في الأشياء المذكورة لأنه يحل للمرأة أن تتزين لزوجها في بيتها، فإذا استعملت هذا المكياج أو أدوات الزينة للتبرج خارج بيتها كان إثمها على نفسها، وأما الكولونيا فترى اللجنة أنه لا بأس ببيعها واستعمالها للتعطر. والله أعلم

بقلم: محمود علي عبدالرحمن

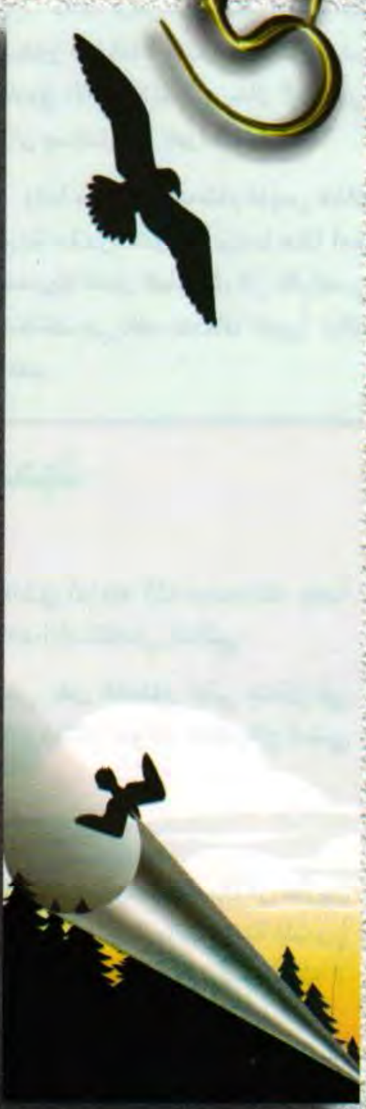
النون والقلم

(يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات) المجادلة:١١، تلك هي مكانة المؤمنين والعلماء، يرفعهم المولى درجات في الدنيا والآخرة، فطوبى لهم، والعلماء هم ورثة الأنبياء، وفي الحديث: « .. وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب...». وقد اهتم القرآن بأمرين هما مقاليد العلم والحصول على الحقائق، وهذان الأمران هما القلم والباحث الدائب على الحقائق حتى تصير له صفة تميزه فيسمى عالماً فالقلم ويتبعه القراءة والكتابة والمداد والصحف قد كرَّمه الله في أول آيات من محكم التنزيل فقال: (الذي علم بالقلم. علم الإنسان ما لم يعلم) يقول ابن كثير: هن أول رحمة رحم الله بها العباد وأول نعمة أنعم الله بها عليهم وإن من كرمه تعالى أن علم الإنسان ما لم يعلم فشرفه بالعلم وكرمه وهو القدر الذي امتاز به آدم على الملائكة» (وعلم آدم الأسماء كلها).

والقلم من لوازم العلم وضرورات التعلم وأدواته، وقد نال قدراً وافراً من التكريم فذُكر في القرآن أربع مرات. مقسماً به في سورة سميت باسمه (نون والقلم وما يسطرون)، وبصيغة الجمع في آل عمران (وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم) ولقمان (ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله)، وفي الحديث: «أن أول شيء خلقه الله القلم ثم خلق النون وهي الدواة ثم قال له اكتب، قال: وما أكتب؟ قال: أكتب ما هو كائن من عمل أو رزق أو أجل.

وقد عدّد ابن القيم أنواع الأقلام التي أحصاها في زمانه من دينيه في إثنى عشر نوعاً نسبة لما تكتبه لا لأشكالها وقال في القلم السادس وهو قلم الحساب هو قلم الكم المتصل والمنفصل الذي تضبط به المقادير وما بينها من التفاوت والتناسب ومبناه الصدق والعدل، فإذا كذب هذا القلم وظلم فسد أمر الملك وانتقص. وهذا القلم كائن في قمة الأقلام، ولا يحركه إلا عاقل عالم قد بلغ شأواً بعيداً في الحساب والفهم، ومنه نستطيع أن نشتق كل الأقلام التي كتبت العلوم والتي ما تزال تكتبها وعلى أي صورة تكون: من القلم الذي هو جزء من قصبة إلى صورة الحاسب الإلكتروني الآن.

ولا يغرب عنا أهمية القلم بشتى صنوفه وأشكاله في تدوين العلوم وترسيم الحضارات على مر العصور والأزمان، مما ساعد على توارث الأجيال لها فكان لذلك عظيم الأثر في تقدم الأمم ورقيها. فيا ليت شعري كيف نسينا ما للقلم من مآثر عظام، فصرنا نهمله ولا نحمله نستجديه من الغير . أحياناً . ولا نقتنيه، أم تُرى حل بنا نصب أم حاق بنا وصب من حمله فتركناه عامدين وراء ظهورنا، فمتى نفيق من غفوتنا فيكون القلم لنا رفيقاً في كل سكن أو طريق؟! ويا ليت شعري كيف يطيب لمن أنعم الله عليه بالعلم والقلم أن يسلَّ قلمه يوماً من غمده ليسطر به ظلماً أو زوراً أو ليعقد به باطلاً أو يكتب به حراماً، فحريٌّ بكل مسلم ملتزم أن يكون قلمه عدلاً دوماً وحقاً أبداً. ■



الوعي الإسلامي

al-Waei al-Islami

إسلامية شهرية جامعة

On The Internet على الانترنت

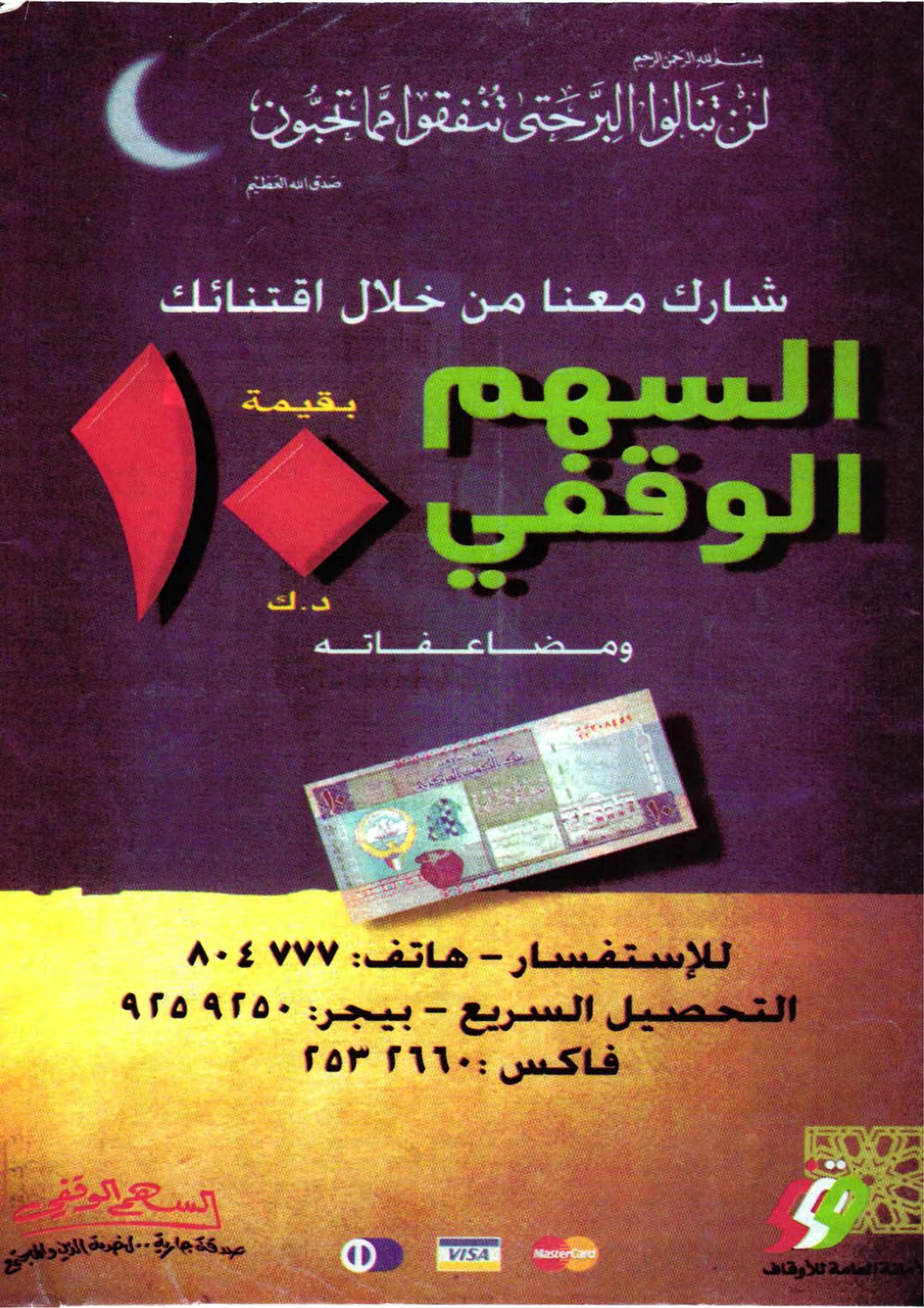
e.mail: al_waei@hotmail.com

Homepage: www.kuwait.net/~awqafnet



ص.ب. : ٢٣٦٦٧ ـ الصفاة ـ 13097 ـ الكويت ـ هاتف : ٢٤٨٧٢١٠ (٩٦٥+) فاكس : ٢٤٣١٧٤٠ (٩٦٥+)

P.o.Box : 23667 - Safat - 13097 - Kuwait - Tel. (+965) 24 87 210 - Fax : (+965) 24 31 740



بسم الله الرحمن الرحيم
لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون
صدق الله العظيم
شارك معنا من خلال اقتنائك
السهم الوقفي
بقيمة
١٠
د.ك
ومضاعفاته
للإستفسار - هاتف: ٨٠٤ ٧٧٧
التحصيل السريع - بيجر: ٩٢٥ ٩٢٥٠
فاكس: ٢٦٦٠ ٢٥٣
السهم الوقفي
صدقة جارية... لخدمة الفرد والمجتمع
VISA
MasterCard

الوعي الإسلامي

إسلامية شهرية جامعة

al-Waei al-Islami

العدد ٤٠٩ ـ السنة ٣٦ - رمضان ١٤٢٠ هـ - ديسمبر / يناير ١٩٩٩/ ٢٠٠٠ م

نشاط

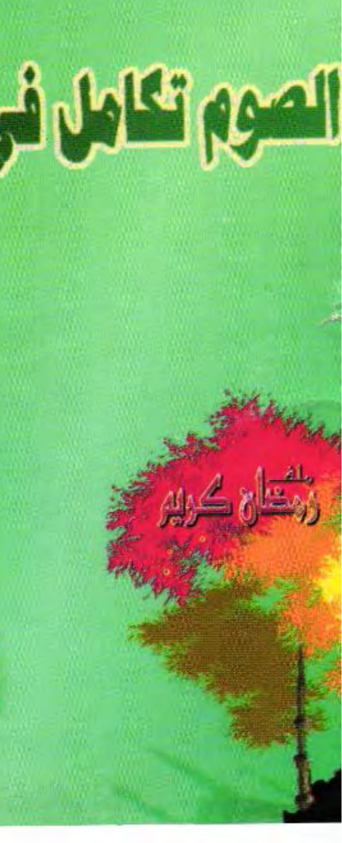
وزارة الأوقاف دور ريادي في مسيرة الفكر

العولمة طريق الهيمنة

نظرات عصرية في قضايا أصولية

الصوم تكامل في بناء الشخصية





رمضان منهج بناء للفرد والمجتمع

هديتك مع العدد براعم الايمان

لمناسبة حلول شهر رمضان المبارك

تتقدم

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية وأسرة تحرير مجلة الوعي الإسلامي بأجمل التهاني وأطيب التبريكات إلى

أمير البلاد

وولي عهده الأمين

ورئيس وأعضاء مجلس الأمة

وأعضاء الحكومة وأبناء الشعب الكويتي كافة

داعين الله عز وجل أن يجعل هذه المناسبة العزيزة منطلقاً لتدعيم مسيرة التقدم والبناء كما يسر مجلة الوعي الإسلامي أن تقدم تهانيها القلبية للمسلمين كافة في مشارق الأرض ومغاربها مقرونة بالدعاء إلى الله العلي القدير أن يوحد كلمتهم ويجمع صفهم ويأخذ بيدهم لكل ما فيه خير الإسلام والمسلمين كما ندعوه تعالى أن يرحم شهداءنا وشهداء المسلمين، ويفك قيد أسرانا وأسرى المسلمين إنه سميع مجيب

وكل عام وأنتم جميعاً بخير



الوعي الإسلامي

إسلامية ❖ شهرية ❖ جامعة

تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية
في دولة الكويت في مطلع كل شهر عربي

Islamic Monthly Magazine, Published By The
Ministry of Awqaf & Islamic Affairs - Kuwait

رئيس التحرير
CHIEF EDITOR
د. صالح أحمد الراشد
Dr. SALEH A. AL-RASHED

سكرتير التحرير
EDITORIAL SECRETARY
وائل أحمد الهنيدي
WAEL A. AL-HUNAIDI

المشرف الإداري والمالي
ADMN. & FINANCE DIRECTOR
خالد عبداللطيف بوقماز
KHALED A. BUQAMMAZ

الإشراف الفني
ART DESIGNER
صالح محمد صالح
SALEH M. SALEH

العدد 409 - السنة الخامسة والثلاثون - رمضان 1420 هـ - ديسمبر / يناير 1999/2000 م

كلمة العدد

وزارة الأوقاف .. دور فكري ريادي

انطلاقاً من الدور الريادي لوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في دولة الكويت وترسيخاً لمسيرة الفكر والثقافة ومواكبة للمتغيرات على الساحة الإسلامية والعالمية، عقدت وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ـ ممثلة في بعض إداراتها ـ خلال شهر نوفمبر ١٩٩٩م سلسلة من الندوات والمؤتمرات الفكرية التي تجدون تغطية شاملة لها في هذا العدد الذي بين أيديكم، وستقوم إدارة المجلة بنشر أهم الأبحاث التي ألقيت فيها خلال الأعداد المقبلة ـ إن شاء الله تعالى ـ لتعم الفائدة والمنفعة وتتحقق الأهداف المرجوة من ورائها.

كما ستجدون في ثنايا هذا العدد ملفاً خاصاً عن فريضة الصوم في شهر رمضان المبارك، تلك العبادة التي تهذّب النفس وتقوّي الإرادة، وتربّي الضمير على الصمود والاستعلاء فوق الرغبات والشهوات، وترسّخ أواصر التكافل والتراحم بين أبناء المجتمع الإسلامي الواحد، وقد اختص الله نفسه بها، وجعل جزاءها مقروناً به، فقال على لسان نبيه ﷺ: «الصوم لي وأنا أجزي به».

نسأل الله تعالى لنا ولكم حُسن القبول لهذه العبادة فهو ولي ذلك والقادر عليه، وهو حسبنا ونعم النصير وكل عام وأنتم بخير.

الوعي الإسلامي

الأسعار

الكويت: ٣٥٠ فلسا ـ السعودية: ٤ ريالات ـ البحرين: ٣٠٠ فلس ـ قطر: ٤ ريالات ـ الإمارات: ٤ دراهم ـ سلطنة عمان: ٣٠٠ بيسة ـ الأردن: ٥٠٠ فلس ـ مصر: جنيه واحد ـ السودان: ٥ جنيهات ـ موريتانيا: ١٢٠ أوقية ـ تونس: دينار واحد ـ الجزائر: ٥ دنانير ـ اليمن: ٥ ريالات ـ لبنان: ١٠٠٠ ليرة ـ سوريا: ٢٠ ليرة ـ المغرب: ٦ دراهم ـ ليبيا: ٥٠٠ مليم ـ أوروبا: جنيه استرليني واحد او مايعادله ـ امريكا وبقية دول العالم الأخرى: دولاران او مايعادلهما.

المراسلات

المراسلات كافة باسم رئيس التحرير
مجلة الوعي الإسلامي
ص.ب: ٢٣٦٦٧ ـ الصفاة ـ 13097 ـ الكويت
هاتف ٥٣٤٨٩٧٦ (٩٦٥+) فاكس ٥٣٤٨٩٥٤ (٩٦٥+)

al-Waei al-Islami
P.O. BOX 23667 SAFAT
13097 KUWAIT
TEL. 965 5348976 FAX 965 5348954

e.mail: al_waei@hotmail.com
Homepage: www.kuwait.net/~awqafnet

الاشتراكات

- داخل الكويت: للأفراد ٥ دنانير ـ للمؤسسات ١٠ دنانير كويتية
- الدول العربية: للأفراد ٦ دنانير كويتية (او مايعادلها).
- دول العالم: للأفراد ١٠ دنانير كويتية (او مايعادلها).
- للمؤسسات: ٢٠ ديناراً كويتياً (او مايعادلها).

ترسل قيمة الاشتراكات في شيك إلى إدارة المجلة باسم مجلة الوعي الإسلامي (الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)

المجلة غير ملتزمة بإعادة أي مادة تتلقاها للنشر. والمقالات لا تعبر بالضرورة عن رأي الوزارة

مطابع السياسة ـ الكويت

وكيل التوزيع شركة الخليج لتوزيع الصحف هاتف ٤٨١٦٨٨٤/٥ / ٤٨٣٥٠٤٧ ص.ب ٤٢٠٥٧ الشويخ 70651 الكويت ـ برقيا نيوزبيبر

في العدد

نـدوات :

نـدوة مجلة الوعي الإسلامي



9

انطلاقاً من أهداف المجلة في نشر الفكر الإسلامي ومعالجة القضايا الإسلامية على الساحتين المحلية والإسلامية، مجلة الوعي الإسلامي عقدت ندوتها حول: تهيئة الأجواء لتطبيق أحكام الشريعة الإسلامية.

حضـارة 38

الإنسانيـة الحائـرة

في إطار كراهية هانتنغتون وبرنارد لويس وحقدهما على الإسـلام وأهله، هل يعد الإسـلام مصدر تهديد ومبعث قلق وتوجس غير مبرر بحجج وبراهين وأدلة؟!.

أبـواب ثابـة

الفهرس

الافتتاحية

رمضان منهج بناء للفرد والمجتمع

ما أعمق توجيهات سيدنا رسول الله . ﷺ . في مختلف شؤون حياتنا اليومية... إننا إذا ما نظرنا إليها فتأملناها وجدنا فيها سمو العبارة، وجلالة البيان، وجزالة اللفظ، ولا غرو فهو سيد الفصحاء وأمير المعاني، فهو أفصح العرب، بيد أنه من قريش، ونشأ في بني سعد بن بكر.

ومن ثمّ نلمس في أحاديثه الشريفة، جمال التعبير، وقد حفل بيانه . ﷺ . فيما يتعلق بشهر الصيام، فجاءت كلماته بياناً شاملاً في بناء الفرد والمجتمع. ما يعتبر منهجاً متكاملاً يربط بين الدنيا والآخرة.

وهكذا جاءت الروايات عنه . ﷺ . فقد أبان في حديثه الشريف . ﷺ . في آخر يوم من شعبان، بأنه أظلهم شهر عظيم كريم، العمل فيه يزيد عما سواه سبعين درجة، وقد ذكر . ﷺ . في هذا الحديث الوعظي مزايا الشهر الفضيل، حيث حض المؤمنين على التزود منه، ولزوم الطاعة والعبادة والتوجه الجامع. وهذا الحديث الشريف يعد منهج بناء للفرد والمجتمع. غير أن هناك أحاديث أخرى أشارت إلى فضل رمضان. ففي الحديث الصحيح الذي يقول فيه . ﷺ: «من صام رمضان إيماناً واحتساباً غُفِرَ له ما تقدم من ذنبه».

هذا البيان من الرسول . ﷺ . يحض المؤمنين على الاجتهاد في طاعة الله طمعاً في رحمة الله ومغفرته والعتق إن شاء الله من النار.

وبما أن الرسول . ﷺ . رسول الرحمة بين أيضاً فضل رمضان لتحفيز المؤمنين على التوبة والعودة إلى الله فقال «رمضان أوله رحمه وأوسطه مغفرة وآخره عتق من النار»، فإذا ما نظرنا إلى توجيهه مرة أخرى . ﷺ . وجدنا الجزاء العظيم الذي ينتظر الصائم التائب الذي لم يشب صومه إثم ولا ذنب.

وهكذا يبين لنا رسول العزة «أن في الجنة باباً يُقال له الريان يدخل منه الصائمون يوم القيامة لايدخل منه أحد غيرهم فإذا دخلوا أغلق، فلم يدخل منه أحد» رواه البخاري ومسلم.

وعلى هذا، فإن شهر رمضان هو شهر البر والإحسان، شهر الخيرات والبركات والمعجزات، شهر التضحية والسخاء، شهر القرآن والفرقان. لذا علينا نحن المسلمين أن نعتبره منطلقاً وحافزاً لبناء صرح أمة الإسلام، ونكون على يقين بأنه منهج بناء للفرد والمجتمع. ■

رئيس التحرير

ترحب الوعي الاسلامي برسائل القراء وتنشر منها ما يتوافق مع سياسات النشر لديها بما لا يتعارض مع حقوق الآخرين وحرية الرأي. وتحتفظ المجلة بحق تنقيح الرسائل واختصارها.

معذرة «مليحة» معذرة «أمير»

من أراد أن يتعرف على مأساة العالم الإسلامي بحق فلينظر إلى وجه «مليحة» طفلة السبع سنوات المختومة بالشقاء والحرمان والتي ظلت تنزف من ذراعيها بشدة بسبب شظايا القذائف العربية التي انهالت عليها بلا شفقة أو هوادة...

ومن أراد أن يتعرف على وحشية الصرب ومدى إخلاصهم لعقيدتهم فلينظر إلى العين اليسرى للطفل «أمير» والتي فقدها بقذائف مدفعيتهم التي لا ترحم... حيث غطت الدماء وجهه وهو يصرخ... ولم تجد أمه حتى الماء لتغسل له وجهه... يقول الصغير بعدها : شعرت بألم شديد وشيء ساخن يسيل على وجهي... إنها دماء عينه اليسرى يا رفاق أما عينه اليمنى السليمة فإنني أتحدى جميع المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها أن يثبتوا أمامها... فسرعان ما سيصيبهم الخزي والعار فينكسون رؤوسهم ويدسون أعينهم في التراب، ولكنه هو ما زال ينظر إليهم بعينه الواحدة...

إنه موقف رهيب يجسد مأساتنا بكل صدق... إن ما يفعلونه بنا الآن ليس عجيباً أو غريباً أو جديداً إنما العجيب والغريب هو موقفنا نحن، فمعذرة مليحة... معذرة أمير.

عمران أحمد عطاالله سمروخ - مصر

مراعاة الآداب مع الكتب

إنَّ الكتاب لهو من أبرز علامات أمة الإسلام، ولا أدلَّ على ذلك من تلك الكلمة التي استهلَّ بها القرآن بركته على أهل الأرض «إقرأ» ويؤكد ذلك الشرف أن الله أقسم بالقلم أداة الكتابة (ن والقلم وما يسطرون)، وأمامنا نص كتب قبل ما يربو على الألف عام. يبيّن مكانة الكتاب في حياة المسلمين الأوائل. فيقول بدر الدين ابن جماعة الكناني: الكتب هي آلة العلم، وينبغي لطالب العلم أن يعتني بتحصيل الكتب المحتاج إليها ما أمكنه. ويستحب إعادة الكتب لمن لا ضرر عليه فيها ممن لا ضرر منه عليها، وينبغي للمستعير أن يشكر للمعير ويجزيه خيراً. ولا يطيل مقامه عنده من غير حاجة، بل يرده إذا قضى حاجته، فلا يحبسه، ولا يكتب شيئاً في بياض فواتحه أو خواتمه إلا إذا علم رضا صاحبه، ولا يعيره غيره ولا يودعه لغير ضرورة، وإذا نسخ منه بإذن صاحبه فلا يكتب منه والقرطاس «الورق» في بطنه «أي داخل الكتاب» أو على كتابته، ولا يضع المحبرة عليه، ولا يمر بالقلم المدود فوق كتابته، وإذا نسخ من الكتاب أو طالعه فلا يضعه منشوراً «مفروشاً على الأرض» بل يجعله بين كتابين أو شيئين أو كرس الكتب المعروف، ولا يضعها على الأرض كيلا تتندى أو تبلى.

وإذا استعار كتاباً فينبغي له أن يتفقده عند إرادة أخذه ورده، وإذا اشترى كتاباً تعهد أوله وآخره ووسطه، وترتيب أبوابه وكراريسه. ولو تأدبنا بمثل هذا الأدب لما فقدت الكتب بدعوى الاستعارة، وما يرجع منها رجع وقد بلي وقطعت أوصاله ومليء بالتعليقات والخطوط مما يثير الحسرة في نفسه صاحبه.

عبدالكريم أحمد عوض الله - مصر

● **الأخ أحمد سامي عباس - مصر:**

اقتراحكم بأن تقوم المجلة بنشر ترجمة لمحدث ديار الشام الشيخ محمد ناصرالدين الألباني - رحمه الله - قيد الدراسة ونأمل تحقيقه في المستقبل إن شاء الله تعالى.

● **القارئ هداية الله الحاج إظهار الحق - بنغلاديش:**

عنوان جامعة الكويت هو: ص.ب: ٥٩٦٩ - الصفاة 13060 - الكويت - هاتف: ٤٨١١١٨٨ فاكس: ٤٨٣٠٢٢١.

● **الأخ د. إسماعيل حسن جاب الله - مصر:**

ردود خاصة

قصة الهاتف للأستاذ محمد مكين صافي وما حصل بالنسبة لاسمكم فهو خطأ مطبعي نرجو المعذرة وشكراً لملاحظاتكم.

● **الأخ عبدالكريم أحمد عوض الله - مصر:**

ما يُنشر في صفحات بريد القراء لا يعطى أصحابه أي مكافأة... شكراً لكم وجزاكم الله كل خير.

● **القارئة دعاء محمد السيد زيادة - مصر:**

للاستفسار عن السهم الوقفي يمكنك مراسلة الأمانة العامة للأوقاف على عنوانها: ص.ب ٤٨٢ - الصفاة - الرمز البريدي 13005 الكويت - هاتف ٨٠٤٧٧٧ - فاكس: ٢٥٣٢٦٦٠.

● **القارئ محمد بن خميس بن خلفان السلماني - سلطنة عمان:**

قيمة الاشتراك لمدة سنة في سلطنة عمان هو ٣٠٠ بيسة، يمكنك إرسال شيك بالمبلغ إلى إدارة المجلة ليصار إلى إرسال المجلة إليكم وشكراً على عواطفكم الجياشة تجاه المجلة.

النظريات الجدلية بين العلم والدين

لايزال العالم الغربي يطلع علينا كل يوم باكتشافات جديدة وأفكار غريبة قد يكون لإحداها نفع جليل، ولكن لأكثرها بريق لامع لا يكشف عن حقيقة معدنه إلا بعد فوات الأوان، وإنني في الحقيقة كلما قرأت كتاباً يناقش قصة النشوء والنظريات الجدلية حول التطور التكويني للكائنات الحية على كوكب الأرض لا أجد إلا رأياً واحداً يكاد يفرض نفسه ويتبوأ مكانه في مقدمة السطور، وإن كان رأي يندى له جبين الكتاب والقراء خجلاً، ذلك أن الإنسان لم يخلق على صورته التي نعرفها، وإنما كان في الأصل قرداً من قرود الأدغال ينتقل بين فروع الأشجار لبضعة ملايين من السنين حتى استقر به الأمر إلى صورة إنسان طويل الأيادي معوج القامة قبيح المنظر، ثم اتخذ سبيله في التطور التكويني حتى استقر على شكله الحالي.!

ومن العجيب أننا نحن المسلمين الذين يؤمنون بكتاب الله وما أنزل به نتناقل تلك الأقاويل بحماس واقتناع، وكأن كل آيات الله التي نقرأها كل يوم في كتابه عرضة للجدال أمام آراء متطرفة لعلماء متحيزين، أمثال العالم اليهودي سيجموند فرويد.

وإذا كان فرويد قد وجد في نفسه حنيناً إلى القرود، ورأى أنهم أجداده الأوائل، فإن هذا ليس غريباً، إذ إنه في الحقيقة من أصل يهودي ينتشر مثل أجداده الآن في أنحاء الغابات كما قال تعالى في بني إسرائيل (فلما عتوا عما نُهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين) الأعراف:١٦٦، لكن الغريب أن يرى أن رأيه هذا عاماً، بل يعمل أيضاً على نشره عالمياً!.

ولذلك فإنه ليس غريباً أن نرى علماء «الباليونتولوجيا» ينسبون كل حفرية جديدة يعثرون عليها إلى إحدى حلقات التطور، فهم لايعترفون بأن هذه الحفرية إنما كانت لنوع من الطيور أو الحيوانات التي عاشت على سطح الأرض منذ زمن بعيد، وإنما يرون أنها لأحد أجداد النشوء والتطور، وأن الأنواع الموجودة حالياً ما هي إلا أحفادا متطورة لهذا النوع، فكل شيء عندهم يتطور من تلقاء نفسه متكئاً على الظروف البيئية المحيطة به، وصدق الله تعالى إذ يقول: (ويجادل الذين كفروا بالباطل ليدحضوا به الحق) الكهف:٥٦.

وعلينا أن نعي جيداً نحن المسلمين أن مثل هذه النظريات الداروينية قد ظهرت في مجتمعات قد خيَّم عليها الفساد وعدم الاحترام للشرائع الدينية أو الأخلاقية، بل امتد عدم الاحترام أيضاً إلى الآدمية نفسها، وهو الأمر الذي دعاهم إلى القول إن الإنسان هو حيوان ناطق أو حيوان ضاحك. ولعل العلم الحديث نفسه الذي يدّعون أنه من أرشدهم إلى ذلك يكون بين طياته سر جديد يثبط مزاعمهم الواهية، ويهديهم إلى طريق الصواب، ويبيّن لهم أن الإنسان إنما هو خليفة الله في الأرض وإنه أكرم وأحسن خلق الله كما قال في كتابه الكريم: (لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم) التين:٤، وقد فصل الله تعالى بمحكم آياته في هذا الجدال الواهي بكلمات بليغة تقطع الجدل قطعا بينا فقال: (ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً) الإسراء:٧٠.

محمد عبدالمنعم علي أحمد

تصويب

قرأت بكل اهتمام العدد رقم ٢٧٧ من ملحق مجلة الوعي الإسلامي «براعم الإيمان».. ولفت انتباهي في موسوعة براعم الإيمان في الصفحة ٣٥... حيث ورد خطأ في موضوع فاطمة الزهراء - رضي الله عنها - حيث ذُكِر التالي:

«ولما بلغت عامها الثامن عشر تزوَّجت بابن عمها علياً بن أبي طالب - رضي الله عنه».

والصواب: «ولما بلغت عامها الثامن عشر تزوَّجت بابن عم أبيها علياً بن أبي طالب - رضي الله عنه».

سعيد عبدالعظيم السيد - مصر

اقتراح

أقترح ونحن على بوابة عام هجري جديد نحاول فيه الإصلاح قدر الاستطاعة والتجربة والهجرة إلى الله تعالى بقلوبنا وبما أننا على مشارف قرن جديد، فإني أقترح أن يكون بمجلتنا الطيبة قسم باللغة الإنكليزية فدعوتنا الإسلامية دعوة عالمية ورسولنا - ﷺ - رسول للعالمين ومعظم الشباب المسلم على دراية باللغة الإنكليزية، فلماذا لا يكون هناك جزء من المجلة باللغة الإنكليزية؟! وأنتم تعلمون أن مجلة «الأزهر» التي تصدر في مصر فيها هذا الجزء الجميل، فلماذا تخلو مجلتنا الحبيبة في جزء منها من تفسير أو حديث أو فقه باللغة الإنكليزية وهذا - إن شاء الله - سيضفي على مجلتنا رونقاً وشمولية وهو درج إلى الكمال وسيحظى - بإذن الله - بإعجاب القراء. ونحن في عصر التقدم العلمي وفي عصر الإنترنت وهذا لا يُعجز القائمين على هذه المجلة الطيبة وحتى نتعلم ديننا بلغة أخرى. أرجو أن تنظروا في هذا الأمر بجدية وأن تعيروه الاهتمام الكافي، كما أرجو من الله تعالى أن أفتح المجلة في أعداد مقبلة لأجد هذا الجزء الطيب.

محمد حمدي محمد الجديدي - مصر

المحرر: شكراً على هذا الاقتراح الطيب، ونرجو الله تعالى أن يعيننا مستقبلاً على تنفيذه وجزاكم الله كل خير.

بقلم: وائل أحمد الهنيدي

رمضان

شهر رمضان شهر العزة والنصر، ينتصر فيه المؤمنون الصائمون على أنفسهم، فينتصرون على أعدائهم في جميع معاركهم، فالإيمان بالله أقوى أسلحة النصر (وكان حقاً علينا نصر المؤمنين) الروم:٤٧.

ولقد كانت الأمة الإسلامية عبر تاريخها الطويل، على موعد مع القدر في رمضان، ففي هذا الشهر المبارك وقعت أهم أحداث التاريخ الظافر، ومن صحفات الماضي الزاخر بالأمجاد الخالدة نقدم سجلاً لأبرز الأحداث التي شاء القدر الأعلى أن يربطها بشهر الصوم، وأن يكون لها مسرح على وجه الحياة.

- ففي رمضان اتصلت الأرض بالسماء بأول خيط من النور ومسَّت وجهها أولى قطرات الوحي المبارك فاهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج.

- فقد بدأ نزول القرآن الكريم على سيدنا محمد ﷺ، وهو في غار حراء في أول آية من هذا الكتاب العزيز، تأمر بالقراءة، وتدعو إلى العلم وتسمو بالمعرفة، وتغالي بقيمة العلماء (اقرأ باسم ربك الذي خلق. خلق الإنسان من علق. اقرأ وربك الأكرم. الذي علَّم بالقلم. علَّم الإنسان ما لم يعلم) العلق:١-٥.

- وفي السنة الثانية للهجرة، وقعت في رمضان غزوة بدر الكبرى، لسبع عشرة ليلة خلت منه، وكان خروجه ﷺ من المدينة لثماني ليال خلون من رمضان، على ما ذكره ابن هشام، وكان في هذه الغزوة أول انتصار حاسم للإسلام على قوى الشرك والباطل، وتولى الله تبارك وتعالى قيادة هذه المعركة: (فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى) الأنفال:١٧، وأصدر الله جل جلاله أمره إلى كتائب الملائكة لتشهد المعركة تثبيتاً للمؤمنين، وسحقاً للكافرين... (إذ يوحي ربك إلى الملائكة أني معكم فثبتوا الذين آمنوا سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان) الأنفال:١٢.

وفي رمضان من السنة نفسها، الثانية للهجرة، فرضت زكاة الفطر، وهي في حقيقتها انتصار للإيمان على النفس الإنسانية وحبها للمال.

- وفي رمضان من السنة الخامسة كانت الاستعدادات لغزوة الخندق حيث وقعت في شوال من العام نفسه، وقد انتصر المسلمون في هذه الغزوة وتسمى أيضاً «غزوة الأحزاب»، (وردَّ الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قوياً عزيزاً) الأحزاب:٢٥، وكان دخول الرسول - ﷺ إلى المدينة يوم الأربعاء، يوم منصرفه من الخندق، لسبع بقين من ذي القعدة (شرح المواهب).

- وفي يوم الحادي والعشرين من رمضان من السنة الثامنة للهجرة، أنعم الله على رسوله وعلى المؤمنين بفتح مكة، وقد خرج رسول الله - ﷺ - من المدينة لعشر مضين من رمضان، فصام رسول الله، وصام الناس معه حتى إذا كان بالكديد بين «عسفان» وأمج» أفطر، وأقام رسول الله - ﷺ - بمكة بعد فتحها، خمس عشرة ليلة يقصر الصلاة، قال ابن إسحاق، «وكان فتح مكة لعشر ليال بقين من شهر رمضان سنة ثمان للهجرة».

- في رمضان من العام نفسه، في السنة الثامنة للهجرة، بعث الرسول - ﷺ - سرايا عدة لهدم الأصنام الشهيرة حينئذ، فبعث خالد بن الوليد لهدم «العزى» وعمرو بن العاص لهدم «سواع»، وسعد بن زيد الأشهلي لهدم «مناة» فأدى كل منهم مهمته بنجاح.

- وفي السنة التاسعة من الهجرة شهد رمضان بعض أحداث غزوة تبوك، وعاد رسول الله - ﷺ - من هذه الغزوة في رمضان نفسه.

- وفي رمضان من السنة التاسعة أيضاً قدم وفد الطائف إلى المدينة، واعتنقوا الإسلام على يدي رسول الله - ﷺ - فأدوا الفرائض وصاموا مع المسلمين في المدينة.

- وفي الشهر نفسه من العام التاسع كذلك، قدم وفد ملوك «حمير» يعلنون إسلامهم، فأكرم الرسول الكريم وفادتهم وكتب لهم كتاباً حدد فيه الحقوق والواجبات ويعتبر هذا الكتاب وثيقة مهمة من وثائق التاريخ المتمدن.

- وفي العام العاشر من الهجرة، وفي رمضان، بعث الرسول - ﷺ - علياً - كرَّم الله وجهه - في سرية من المسلمين إلى بلاد اليمن، وقد حمل معه كتاباً نبوياً إلى أهل اليمن، وبخاصة قبيلة همدان التي أسلمت جميعها في يوم واحد، وصلوا جميعاً خلف علي بن أبي طالب.

- وفي رمضان سنة ٥٣ هجرية، فتح العرب جزيرة «رودس».

- وفي رمضان سنة ٩١هجرية نزل المسلمون على الشاطئ الجنوبي لبلاد الأندلس وغزوا بعض الثغور الجنوبية.

- وفي رمضان سنة ٩٢ هجرية انتصر القائد المسلم طارق بن زياد على ملك الفرنجة «فريدريك» في معركة فاصلة.

- وفي رمضان سنة ١٢٩ هجرية، ظهرت دعوة بني العباس في خراسان بقيادة أبي مسلم الخراساني.

- وفي رمضان ١٣٢هجرية، تم سقوط الدولة الأموية واستيلاء أبو العباس السفاح أول خليفة عباسي على دمشق.

- وفي رمضان سنة ٣٦١ هجرية، تم بناء الجامع الأزهر في القاهرة للعبادة وتدريس العلوم العربية والشرعية.

- وفي رمضان سنة ٥٨٤ هجرية، كان صلاح الدين الأيوبي قد أحرز انتصارات كثيرة على الصليبيين حتى استخلص منهم معظم البلاد التي كانوا قد استولوا عليها، فلما دخل رمضان أشار رجال صلاح الدين عليه أن يرتاح في شهر رمضان، ولكنه تخوَّف من انقضاء الأجل قائلاً: «إن العمر قصير، والأجل غير مأمون، وواصل زحفه حتى استولى على قلعة «صفد» الحصينة في منتصف رمضان.

- وفي رمضان سنة ٦٥٨هجرية، هزم المماليك جيوش التتار في «عين جالوت»، وأوقفوا زحف التتار الدموي نهائياً على باب مصر، وكان التتار يستهدفون القضاء الشامل على العالم الإسلامي. ■

كتب: تمام أحمد - د. عماد الدين عثمان

في إطار الخطط والبرامج التي وضعتها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية للارتقاء بمسيرة الفكر والثقافة والعطاء الحضاري والإنساني، عقدت الوزارة خلال الفترة الماضية سلسلة من الندوات والمهرجانات والمؤتمرات كان أولها: ندوة مجلة الوعي الإسلامي حول تهيئة الأجواء لتطبيق الشريعة الإسلامية ومراعاة واقع البلاد ومصالحها، والثاني ملتقى الأوقاف الرابع للمواهب والإنشاد، وثالثها: الملتقى السنوي السادس للإمانة العامة للأوقاف والذي عقد تحت شعار: «الوقف... عطاءات مجتمعية»، وآخرها المؤتمر الذي عقدته الوزارة بالتعاون مع كلية الشريعة والدراسات الإسلامية في جامعة الكويت تحت شعار: «ملامح استراتيجية المشروع الإسلامي في مطلع الألفية الثالثة»، وفيما يلي نقدم لقرائنا الأعزاء ملخصاً لما دار في أروقة هذه الفاعليات...

مجلة الوعي الإسلامي تنظم ندوتها الخاصة

تهيئة الأجواء لتطبيق الشريعة الإسلامية ومراعاة واقع البلاد ومصالحها

انطلاقاً من استراتيجية مجلة الوعي الإسلامي وخططها المستقبلية عقدت إدارة المجلة يوم ١٧ رجب ١٤٢٠هـ الموافق ١٩٩٩/١٠/٢٥م في مقر اللجنة العليا للعمل على استكمال تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية ندوة خاصة حول «تهيئة الأجواء لتطبيق الشريعة الإسلامية ومراعاة واقع البلاد ومصالحها» شارك فيها كل من:

د.خالد المذكور، ود.عادل عبدالله الفلاح، ود.عبدالحميد البعلي، ود.أنور الفزيع، وأدار الندوة الأستاذ عبدالعزيز البدر القناعي - الوكيل المساعد في وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.



● المشاركون في الندوة

محاور الندوة

ناقش المشاركون في الندوة جملة من المحاور من أبرزها: الإنجازات التي قدمتها اللجنة العليا للعمل على استكمال تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية وأهم الأعمال المطروحة للعمل خلال الفترة المقبلة، ودور المؤسسات الحكومية والشعبية في ظل العمل على تطبيق أحكام الشريعة، والشبهات المثارة من بعض المثقفين ودور اللجنة في الرد عليها، وكيف تنظم المعاملات المالية في ظل الاقتصاد والنظام المطبق في الوقت الحالي على جميع المصارف من منظور الشريعة الإسلامية.

وتحدث في بداية الندوة الوكيل المساعد لشؤون الثقافة الإسلامية عبدالعزيز البدر القناعي مبيناً أن مشروع تهيئة الأجواء كان استجابة لأمر الله تعالى، وتأكيداً على هوية المجتمع الكويتي المسلم.

وأوضح القناعي أن إنشاء اللجنة العليا لاستكمال تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية بمثابة استعادة واستئناف الحياة الإسلامية الراشدة في المجتمع المعاصر، مشيراً إلى تطلع الشعوب العربية والإسلامية إلى عمل اللجنة وما ستقدمه من حلول ليستفاد منها كتجربة رائدة في هذا المجال.

أما رئيس تحرير مجلة الوعي الإسلامي د. صالح الراشد فقد تحدث موضحاً أن الهدف من عقد الندوة هو مساهمة المجلة في إبراز هذا المشروع الوطني الإسلامي والمساعدة في تطبيق مهمة اللجنة وهي تهيئة الأجواء لاستكمال تطبيق أحكام الشريعة.

إنجازات على كل صعيد

أما الدكتور خالد المذكور رئيس لجنة استكمال تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية فتطرق في حديثه إلى عمل اللجنة منذ إنشائها وقال: إن اللجنة اتجهت في مسارين لتحقيق أهدافها: الأول: إعداد خطة كاملة لاستكمال الأحكام الشرعية.

والثاني: مراجعة القوانين المعمول بها لضمان توافقها مع الشريعة الإسلامية مع الأخذ بعين الاعتبار مراعاة ظروف البلاد والعباد. وأكد أن اللجنة الاستشارية العليا تدرك بلا شك أهمية الزمن وتتخذه أساساً للحساب في خطط أعمال اللجان الفرعية بدليل ما يتم تقديمه من إنجازات في مختلف المجالات، إلا أنها في الوقت نفسه تترك لطبيعة العمل وآلياته وتعدده وتنوعه - وهو يشكل مهمة اللجنة العليا في مرسوم إنشائها - فرصة الزمن اللازم والذي تستوجبه تلك المهمة في مراحلها الأولى من الإنشاء والتأسيس «التهيؤي والتشريعي» حتى الدخول في مرحلة المتابعة والتقييم وتذليل الصعوبات والمعوقات ومعالجة السلبيات التي قد تحصل مع التطبيق.



● الوكيل المساعد عبدالعزيز بدر القناعي



● د. خالد المذكور

وعرَّج الدكتور المذكور على أبرز الإنجازات التي انتهت منها اللجنة وقال: إن اللجنة تمكنت خلال فترة عملها من مراجعة كل القوانين على اعتبار أن المنهج الإسلامي دين شامل لكل مناحي الحياة.

وتطرق د. المذكور في حديثه إلى اللجان المنبثقة عن اللجنة الرئيسة وعمل كل لجنة منها واختصاصها بالإضافة إلى إنجازات اللجان العاملة سواء على الصعيد التشريعي أو الإعلامي أو التربوي والاقتصادي والاجتماعي.

وأشار إلى ثقل المسؤولية المناطة باللجنة مما جعلها تعمل بالتعاون مع المؤسسات ا لرسمية والأهلية والتنسيق معها لتتضافر الجهود من أجل إنجاز المهمة.

وبين د. المذكور أنه بعد الانتهاء من المهمة ستوزع الأدوار كل حسب ما يخصه من الجهات لتنفيذ ما يُناط بها من مسؤوليات أو يوكل إليها من مهام.

في الجانب الإعلامي

وتحدث الدكتور عادل عبدالله الفلاح رئيس اللجنة الإعلامية التابعة للجنة العليا لاستكمال تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية ووكيل الوزارة المساعد لشؤون الحج، مشيداً بدور مجلة الوعي في تهيئة الأجواء على المستوى الداخلي في الكويت وخارج حدود الكويت.

وبيَّن د. الفلاح إنجازات اللجنة الإعلامية من مراجعة المناهج التربوية في مراحل التعليم ومتابعة صحافة الطفل ومراجعتها نظراً لتأثيرها الشديد في العملية التربوية، وقال د. الفلاح: إن مهمة اللجنة ليست سهلة وإنما الأمر يحتاج إلى جهود كبيرة لإنجاح هذه المهمة واصفاً الفترة الحالية بأنها عصر الإعلام الذي بات فيه البقاء والتأثير لمن يملك إعلاماً أقوى، وبيَّن أن من الأمور المهمة التي حذرت منها اللجنة السيطرة الواضحة للإعلام الغربي في ظل غياب الإعلام الملتزم الذي يتفق مع قيم ومبادئ المجتمعات الإسلامية.

وأشار إلى تكامل الدورة المالية للإعلام الغربي والسوق الرائجة للمنتجات الإعلامية الخاصة بهم في الوقت الذي يواجه الإعلام البنائي في مجتمعاتنا العديد من الإخفاقات والحواجز فضلاً عن التعثر المالي الذي هو عصب الصناعة الإعلامية.

وتطرق الدكتور الفلاح للدراسات الميدانية التي قامت بها اللجنة الإعلامية والمتعلقة بأهم الأمور والموضوعات التي ترغب في معرفتها مثل قياس مدى رسوخ السلوكيات والأخلاق العامة في المجتمع الكويتي وظاهرة انتشار الأطباق وفي الموضوعات التي



● د. عادل الفلاح



● د. أنور الفزيع

تنشرها الصحف والمجلات ودورها في تهيئة الأجواء للعمل على استكمال تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية، كما قامت اللجنة الإعلامية بإجراء أربعة بحوث تحليل مضمون البرامج الدراسية التي تبثها القناة الثانية لتلفاز الكويت وبرامج الأطفال على القناتين الأولى والثانية وأفلام الفيديو التي يتداولها الجمهور، ومحلات الفيديو والأعمال المسرحية التي قدمت بعد التحرير وبناء على الجهود السابقة قامت اللجنة بإعداد مجموعة من المشروعات التي تسهم مساهمة فعالة في مواجهة السلبيات سالفة الذكر، وقد رفع عدد منها إلى حضرة صاحب السمو أمير البلاد، وأهم هذه المشاريع:

١ - اقتراح بإنشاء مؤسسة الكويت للتنمية الإعلامية.

٢ - مشروع بإنشاء نظام الكيبل.

٣ - اقتراح بتطوير البرامج الدينية.

٤ - اقتراح بدورة تلفازية نموذجية.

٥ - مشروع قانون لحماية المقومات الأساسية للمجتمع الكويتي.

٦ - مشروع لتدريس العلوم الشرعية عن بعد.

٧ - مشروع تشكيل لجنة متخصصة للرقابة والتقييم واختيار البرامج.

٨ - مشروع الالتزام بتطبيق القواعد والسياسات المعمول بها في تلفاز الكويت.

٩ - مشروع دراسة وتفعيل أهداف برامج الأطفال في التلفاز بحيث يتم التأكد من كل ما يضمن سلامة الطفل.

١٠ - مشروع توفير الدعم المالي لمجلات الأطفال التي تتقيد بالجوانب الإيجابية.

١١ - مشروع دراسة لوائح الرقابة في المنافذ ومدى حاجتها إلى أي تعديلات.

١٢ - مشروع تفعيل دور المسجد والمدرسة في التنبية على مخاطر البث التلفازي المباشر.

١٣ - مشروع إحياء المسرح المدرسي والجامعي ودعم الفرق وتطوير المعهد العالي للفنون المسرحية.

١٤ - إعداد مشروع للرقابة على بيع وتسجيل أشرطة الفيديو ومحلاتها وذلك بعد النظر في مدى كفاية القوانين واللوائح المعمول بها حالياً مع ضرورة تصنيف أفلام الفيديو.

في الجانب الاقتصادي



● د. عبدالحميد البعلي

وعن الجانب الاقتصادي، تحدَّث الدكتور عبدالحميد البعلي فاستعرض بإيجاز ست صفحات من أجندة الواقع الاقتصادي وهي:

صفحة من حضارة الإسلام، صفحة من حضارة الغرب المعاصرة، صفحة عن واقع الاقتصاد العربي، صفحة عن واقع الاقتصاد الإسلامي، صفحة عن استراتيجية المعاملات المالية الإسلامية، صفحة عن المصرفية الإسلامية.

وتطرق الدكتور البعلي لأهداف اللجنة الاقتصادية والمتمثلة في:

١ - دراسة الواقع الاقتصادي في دولة الكويت، وتحديد الأنشطة التي تتعارض مع الشريعة الإسلامية في كل قطاع من قطاعات الاقتصاد القومي مع إعطاء الأولوية للقطاع المالي والقطاع التجاري.

٢ - تقديم اقتراحات وبدائل إسلامية تحل محل الأدوات المخالفة للشريعة الإسلامية، بما لا يؤثر سلباً على السياسة الاقتصادية، ويتحقق بأقل تكلفة اجتماعية.

٣ - تحديد وتوفير الاحتياجات الفنية والتشريعية اللازمة لتشجيع قيام مؤسسات مالية واقتصادية تعمل وفق أحكام الشريعة الإسلامية.

٤ - حصر ومعالجة المعوقات المتوقعة للمؤسسات التقليدية في حالة رغبتها في تبني البدائل الشرعية.

٥ - إعداد خطة «تربوية إعلامية» للتوعية والتوجيه لتهيئة الأجواء لاستقبال النظم والأوضاع الاقتصادية الجديدة لضمان نجاحها واستمرارها.

٦ - إعداد تصور لإنشاء مركز دراسات وأبحاث لخدمة الاقتصاد الإسلامي.

وعرَّج الدكتور البعلي على أهم الإنجازات في الجانب الاقتصادي ومنها:

إعداد مشروع قانون بشأن المصارف والشركات الاستثمارية والمالية الخاضعة لأحكام الشريعة الإسلامية، ومذكرته الإيضاحية وإعداد إطار عام للمصرف الإسلامي، كما تم إنجاز مشروع قانون بإنشاء مركز الاقتصاد الإسلامي، وقدمت اللجنة الاقتصادية تقريراً يتضمن اقتراح أدوات تمويل إسلامية دائمة وموقتة تهدف إلى تمويل الموازنة العامة للدولة.

شبهات مثارة

وتحدث الدكتور أنور الفزيع الأستاذ

بجامعة الكويت حول الشبهات المثارة من بعض المثقفين ودور اللجنة في الرد عليها ومن هذه الشبهات: أن تطبيق الشريعة ربما يحدث فراغاً تشريعياً أو خلخلة في اقتصادات الدولة وأن البدائل المطروحة غير كافية وأن التطبيق سيرجعنا إلى الخلف، وقد فند الدكتور الفزيع هذه الشبهات وأكد أن تطبيق الشريعة الإسلامية لم يكن في يوم من الأيام وعبر العصور المختلفة عائقاً في طريق النمو وأن الشريعة الإسلامية معين لا ينضب لأي حالة أو لأي وضع نبحث عن حكم له وما يُقال من أن البدائل المطروحة غير كافية، فهذا الكلام مردود على قائله لأن الواقع العملي يكذب ذلك فالواقع العملي يقول: إن البنوك الإسلامية في نمو متزايد، والناس يتعاملون معها بكل ثقة، علاوة على أن جميع هذه البنوك الإسلامية مرتبطة مع البنوك الخارجية، وهناك تبادلات وتعاملات مالية معها والشيء نفسه بالنسبة للتأمين، فالتأمين ليس معضلة كبيرة، وهناك بدائل إسلامية كثيرة مطروحة، وإن كانت محل بحث ودراسة ولكن موجود اليوم شركات تأمين تعاوني في كثير من البلدان الإسلامية وتطرق لمسألة الكوادر الفنية وما يُقال من أن التطبيق للشريعة ربما يواجه مشكلة واقعية وهي عدم إعداد الكوادر الفنية لأن القواعد التشريعية هذه تخاطب القضاة وتخاطب المشتغلين بالقانون، وأكد أن اللجنة تعمل أصلاً على تحويل الأحكام الشرعية كنصوص وتطلب من القاضي أن يطبق أحكام الشريعة الإسلامية في القضايا المعروضة عليه.

وفي ختام حديثه أكد أن ما أنجزته اللجنة حتى الآن يُعد مفخرة للكويت والكثير مما أنجزته اللجنة من خلال لجانها الفرعية رأى النور سواء من خلال تشريعات أو من خلال قرارات لوزارات الإعلام والتربية والعدل وغيرها، وطلب الدكتور الفزيع أن نلتمس العذر للجنة لأن المهمة المناطة بها تتجاوز طاقتها وهذه المهمة ليست بالأمر السهل فالمشروع مشروع أمة ومشروع دولة والمفروض أن تتضافر كل الوزارات لتطبيق الشريعة وأن تعمل على تنفيذ الخطط التي تصدر من خلال اللجنة، ودعا لوضع استراتيجية واضحة على مراحل تأخذ كل جانب من جوانب الحياة على حدة توفيراً للوقت والجهد. ■

ملتقى الأوقاف الرابع للمواهب والإنشاد



● النائب ناصر الصانع والوكيل القناعي ورئيس قطاع المساجد القراوي يتابعون فقرات الملتقى

كتب : تمام أحمد

من أجل تشجيع ورعاية طاقات الشباب وترسيخ القيم الإسلامية الرفيعة والمشاعر الوطنية النبيلة في نفوسهم وتنمية مواهبهم، عقدت إدارة الثقافة الإسلامية في الوزارة على مسرح التحرير في منطقة كيفان خلال الفترة ما بين ٦ ـ ٨ شعبان ١٤٢٠هـ الموافق ١٤ ـ ١٦ نوفمبر ١٩٩١م، الملتقى الثقافي الرابع للمواهب والإنشاد تحت شعار «الإبداع والمبدعون»، وقد افتتح وكيل وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المساعد للشؤون الثقافية عبدالعزيز بدر القناعي نيابة عن وزير الأوقاف الدكتور عادل الصبيح فاعليات الملتقى بكلمة قال فيها:

إن هذا الملتقى يهدف إلى تشجيع ورعاية طاقات الشباب، وترسيخ القيم الإسلامية الرفيعة، والمشاعر الوطنية النبيلة، في نفوسهم، وتنمية مواهبهم، والتفاعل مع القضايا المجتمعية، والعربية، والإسلامية، والأخذ بالأساليب العصرية في نقل الرسالة الثقافية. كما يؤكد على الاهتمام بالإبداع والمبدعين من الشباب وأهمية الإبداع في حياتنا كي تستمر أمتنا في دعم الحضارة الإنسانية بإضافة المفيد لها في جميع مناشط الحياة.

وأضاف أن الإبداع هو سر قوة الأمم، وسر بقائها وزيادتها وكذلك كانت هذه الأمة العظيمة التي ننتمي لها، أمة إسلامية عربية عظيمة، عليها واجبات، ولها رسالة (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله). وقال تعالى: (وفي ذلك فليتنافس المتنافسون).

وأكد أن أهم ما تحرص عليه وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية من خلال قطاع الشؤون الثقافية بها، أن تترجم الثقافة الإسلامية إلى سلوك عملي، ولهذا فإنها تأخذ بكل الوسائل العصرية في الفن

الملتقى السادس للأمانة العامة للأوقاف

كتب : تمام أحمد

تقييماً لتجربة الأمانة العامة للأوقاف بعد مضي ست سنوات على قيامها وانطلاقاً من رؤيتها الاستراتيجية للنهوض بالدور التنموي للوقف عقدت الأمانة العامة للأوقاف خلال الفترة ما بين ٧ ـ ٨ شعبان ١٤٢٠هـ الموافق ١٥ ـ ١٦ نوفمبر ١٩٩٩م الملتقى السنوي السادس لها تحت شعار «عطاءات مجتمعية».

وخلال حفل الافتتاح الذي أقيم بمبنى الأمانة بالدسمة أكد نائب رئيس الوزراء ووزير الدولة محمد ضيف الله شرار باعتباره ممثل راعي الحفل سمو ولي العهد رئيس مجلس الوزراء: أن تشريف دولة الكويت بتكليفها من قبل منظمة المؤتمر الإسلامي مهمة تنسيق العمل الوقفي على صعيد العالم الإسلامي ككل لم يستند إلى فراغ أو مجاملة لدولة الكويت، بل هو بسبب إنجازات مشرقة على مختلف أصعدة العمل الذي تتصدى له الأمانة العامة للأوقاف وهو ما شهد به المواطنون والمسؤولون في مختلف المؤسسات.

وأوضح شرار أن هذه السنوات الست شهدت تطوراً متنامياً وصلت أخباره إلى أسماع العالم الإسلامي الذي عهد للكويت ممثلة في الأمانة العامة للأوقاف بمهمة تنسيق العمل الوقفي على صعيد العالم الإسلامي كي تنقل من تجربتها ـ ومن تجارب الآخرين الدروس المستفادة لتعمم على مختلف الأقطار الإسلامية في إطار رؤية استراتيجية للنهوض بالدور التنموي للوقف.

وأشار شرار للخطوات الكبيرة والعطاء الحافل المتميز للأمانة والذي تجاوزت به بجدارة تحديات ومصاعب البناء.

وانطلقت في تجربة رائدة حيث شيدت بناء مؤسسياً يتسم بالكفاءة والقدرة على الإنجاز، وأن تبدع وتطور أدوات ووسائل ونظماً للعمل حديثة وعصرية.. وعاد الاتجاه لإنشاء أوقاف للدكتور أيوب الأيوب كما شارك في العرض المسرحي والإنشادي كل من: علي العنزي بأنشودته: «مرحباً وأهلاً»، وبأنشودته: «اخترت طريق الله»، وبأنشودته: «الإسراء»، وأحمد جبار بأنشودته: «صبرت» وبأنشودته: «أن يدخلني ربي الجنة»، وإبراهيم السعيد بأنشودته: «قد كفاني»، والفرقة المالاوية بأنشودتها: «شكراً لله»، وبأنشودة جماعية بعنوان «القلب ينادي الله على بلادي».

أهداف رائدة

والجدير بالذكر أن هذا الملتقى جاء بعد سلسلة من الملتقيات نظمتها إدارة الثقافة خلال الأعوام الثلاثة الماضية فكان الملتقى الأول عام ١٤١٦هـ تحت شعار «مهرجان الأنشودة الأول» وكان الثاني عام ١٤١٧هـ تحت شعار «مهرجان الأنشودة الثاني»، وكان الثالث عام ١٤١٨هـ تحت شعار «أمة الخير» وتهدف هذه الملتقيات إلى إظهار دور الوزارة في الحفاظ على الهوية العربية والإسلامية ونشر الثقافة الإسلامية، وطرح رسالة الأدب والفن الإسلامي بأسلوب راقٍ يناسب العصر، وترجمة الثقافة الإسلامية إلى سلوكيات وتشجيع ورعاية طاقات الشباب والبراعم المؤمنة والتواصل مع الجاليات الإسلامية وتنمية مواهبهم الثقافية والإبداعية. ■

والأدب، وتتفاعل مع متطلبات العصر، بأسلوب متميز، يحقق التواصل بين الوزارة، والجمهور الكريم.

وقال إذا كانت ساحات الحوار الفكري، من خلال المؤتمرات والندوات واللقاءات الثقافية الفكرية، تقوم بأدوار رائدة، في بلورة الثقافة الإسلامية، ونشرها، وتعريف الناس بها، فإن الاقتصار عليها والاكتفاء بها، وغلق الأبواب دونها، يؤدي إلى حرمان بعض الفئات من أدوات ومنابر للثقافة الإسلامية تناسبها، وتلائم خصائصها، وتتجاوب مع اهتماماتها. لذلك فإن لهذا الملتقى الثقافي أهميته الخاصة التي لا يستمدها فقط من كونه أحد أدوات نشر الثقافة الإسلامية، بل إلى جانب ذلك، فإن هذا الملتقى يكتسب أهمية خاصة من طبيعة الأدوات التي يستخدمها في نشر هذه الثقافة، وتعريف الناس بها، معرباً عن أمله في أن يوفق في بلوغ أهدافه وإيصال رسالته الإسلامية لتستدرك نقصاً ملحوظاً في أدواتها لتحقيق التفاعل الكامل مع الفئات المجتمعية كافة ولا سيما الشباب.

فعاليات الملتقى

هذا، وقد شهدت فعاليات الملتقى عدة محاضرات ومسرحيات هادفة منها: الإبداع والمبدعون للدكتور نجيب الرفاعي والإبداع



● فقرة انشاد ضمن فعاليات الملتقى

جديدة، وامتداد مظلة خدمات الوقف إلى العديد من قطاعات المجتمع وفئاته بالإضافة لنجاح ملموس في تحقيق مؤشرات عالية لاستثمار أصول الأوقاف.

وأكد شرار أن إحياء سنة الوقف وتأكيد دوره الحضاري وتعظيم إسهاماته في خدمة المجتمع وتنميته والنهوض به في مختلف المجالات ليس من المستحدثات وإنما هو المفهوم الحقيقي والأشمل والأوسع للبر والخير وأضاف أن شعار الملتقى «الوقف عطاءات مجتمعية»، يعبر عن جوهر الفلسفة التي تقف خلف العمل في التجربة الوقفية المعاصرة... فعملية إيقاف الأموال تعتبر إحدى صور حركة المجتمع المدني في توفير آليات نموه وتطوره وضمان الخير له وللفئات المحتاجة من أبنائه.

كلمة الأمين العام للأمانة:

من جانبه، قال الأمين العام للأمانة العامة للأوقاف عبدالمحسن العثمان أنه على الرغم مما مرت به الأمانة من ظروف استثنائية هذا العام، فقد حافظت على مستوى أدائها، بل وتفوقت في مجالات عدة... وقد بلغت قيمة الأوقاف الجديدة والتبرعات التي حصلت عليها الأمانة خلال هذا العام ثلاثة ملايين دينار كويتي، كما أن عوائد الاستثمار من أول يناير وحتى ٣٠ سبتمبر بلغت ٨ ملايين و ٢٨٨ ألفاً، و٤٠٣ دنانير كويتية بعد خصم المخصصات أي بزيادة ٣٢,١٪ عن مثيلتها العام الماضي.

وأشار لتوقيع اتفاقات مهمة مثل إنشاء مركز تنمية المعلم بالتعاون مع وزارة التربية وجمعية المعلمين واللجنة الوطنية لدعم التعليم وإنشاء محفظة إعلامية لمكافحة المخدرات بالتعاون مع اللجنة الوطنية واتحاد الجمعيات التعاونية.. وأضاف العثمان: أن هذا العام شهد توزيع جوائز مسابقة الكويت للتميز المؤسسي في سنتها الأولى، بالإضافة لإنجازات أخرى عدة، وأوضح العثمان أن روح الفريق الواحد وتفاني موظفي الأمانة في أعمالهم وشيوع قيم العمل المؤسسي وراء هذا المستوى من الإنجازات على صعوبة المرحلة التي مرت بها الأمانة هذا العام.

وأكد العثمان أن سعر الوظيفة في الأمانة مقارناً بسعر الوظيفة البديلة هو الشيء الوحيد الذي أدى إلى تسرب معظم موظفي الأمانة أو امتناع الكفاءات عن الانضمام إليها... كما أنه العامل الذي يدفع بعض كفاءات الأمانة حالياً للتخطيط للخروج منها خلال الفترة المقبلة... وأعرب العثمان عن أمله أن تشهد الفترة القادمة تطوير وتأصيل نظام عادل للأجور يحقق الاستقرار للكفاءات الوظيفية المتميزة داخل الأمانة.



● المشاركون في الندوة

إنجازات طيبة

وأعرب العثمان عن سعادته بوجود الفائزين بجوائز مسابقة الكويت الدولية لأبحاث الوقف للسنة الأولى والتي تنظم تحت رعاية سمو ولي العهد ورئيس مجلس الوزراء... وقدم الأمين العام عرضاً موجزاً لإنجازات الأمانة على صعيد العمل الخارجي، مشيراً لقيامها بدور الدولة المنسقة للوقف بين الدول الإسلامية على أكمل وجه من خلال برنامج يشمل ٩ محاور من بينها إصدار كشافات عن الأدبيات الوقفية في الكويت وإيران والمغرب ومصر والهند والأردن وتركيا... وإقامة ندوات علمية حول التجارب الوقفية المعاصرة كان آخرها الأسبوع الماضي بالمغرب تحت رعاية الملك محمد السادس.

وتحدث عبدالمحسن العثمان عن مستقبل الصناديق والمشاريع الوقفية، مشيراً لمشروع تقويمها والتي أكدت نتائجه حتمية استمرارها كأداة استراتيجية للأمانة للنهوض بالدور التنموي للوقف وتفعيل دوره في تنمية المجتمع الكويتي مع ضرورة تطوير أساليب تحقيقها بوضع نظام جديد لها وتحديد منظومة الصناديق الوقفية التي ندخل بها القرن المقبل.

بعد ذلك قام نائب رئيس الوزراء ووزير الدولة محمد ضيف الله شرار والأمين العام عبدالمحسن العثمان ومنسق عام الملتقى صلاح الغزالي بافتتاح المعرض الدائم للأمانة الذي حوى إنجازات كل الصناديق والمشاريع الوقفية وشمل المعرض المتنقل للتنمية العلمية... والوحدة المتنقلة لفحص أمراض القلب.

هذا، وقد أقيمت ضمن فعاليات الملتقى ندوة «الأمانة العامة للأوقاف... إنجازات» شارك فيها كل من د.أحمد محمد علي رئيس البنك الإسلامي للتنمية بجدة وعبدالمحسن العثمان الأمين العام للأمانة العامة للأوقاف، وفيصل عبدالعزيز الزامل المدير التنفيذي للكويت بالبنك الإسلامي للتنمية، كما أقيمت حلقة نقاشية شارك فيها كل من الشيخ الدكتور خالد المذكور، الأستاذة خوله العتيقي، ود.عايد المناع، وأدارها يوسف الجلاهمة... وشارك في المناقشة عبدالمحسن العثمان وعبدالوهاب الحوطي وداهي الفضلي وفريق علمي من الأمانة قام بعرض مشروع تقويم الصناديق والمشاريع الوقفية.

وطالب د.المذكور بوقفة لمراجعة ما أنجزته الأمانة وإجراء دراسة للوقف قديماً وحديثاً، وأشاد بتطوير الأمانة لنفسها ورفعها شعار التنمية.

بينما وصفتها خولة العتيقي بأنها عمل رائد ونموذج يحتذى بين المسلمين، مؤكدة ضرورة الوقفة والتقييم.

وطالب د.عايد المناع الأمانة بمساعدة الأسر التي يحبس عائلها في قضايا الشيك بدون رصيد ومساعدة البدون بصفتهم بشر ومسلمين واتهم الأمانة بأنها تحوي في قياداتها تياراً سياسياً واضحاً وطالبها أن تكون غير حزبية.

وقد رد عبدالمحسن العثمان على هذه الملاحظات وانتهت الحلقة النقاشية بتوجيه الشكر للعاملين بالأمانة على جهودهم وفي ختام الملتقى أقيم حفل تكريم ٣٥ من الواقفين والمتبرعين لأوجه الخير في الأمانة. ■

نظمته وزارة الأوقاف وكلية الشريعة :

كتب: د. عماد الدين عثمان - تمام أحمد

مؤتمر ملامح استراتيجية المشروع الإسلامي في مطلع الألفية الثالثة

نظمت وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في دولة الكويت وكلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة الكويت مؤتمراً علمياً تحت عنوان: «ملامح استراتيجية المشروع الإسلامي في مطلع الألفية الثالثة»، تحت شعار الهوية في مواجهة العولمة»، وذلك خلال الفترة من ١٢ ـ ١٦ شعبان ١٤٢٠هـ الموافق ٢٠ ـ ٢٤ نوفمبر ١٩٩٩م تحت رعاية الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح النائب الأولى لرئيس مجلس الوزراء ووزير الخارجية.



● من جلسات المؤتمر

أهداف المؤتمر:

وقد هدف المؤتمر إلى تحقيق أهداف عدة رئيسة منها: وضع المعالم الأساسية الاستراتيجية للمشروع الإسلامي في مطلع القرن الحادي والعشرين، والنهوض بواقع العمل الإسلامي المعاصر، تطويراً للإيجابيات وتلافياً للسلبيات، والتنبية إلى أخطاء العولمة الحديثة بمختلف أبعادها وأشكالها، وتفعيل عالمية الإسلام، منهجاً وآليات في مواجهة العولمة لإيجاد البديل الصالح، وتطوير الخطاب الإسلامي على جميع المستويات وفي مختلف الميادين، على وجه يحقق الأصالة والمعاصرة.

محاور النقاش

واشتملت فعاليات المؤتمر على إحدى عشرة جلسة عمل انقسمت إلى جلسات علمية، وأخرى عملية، وضمت عدداً من المحاور والندوات بما فيها ندوتان للنساء. وجاء المحور الأول حول «العولمة ... الحقيقة والأبعاد» وتحدث فيه كل من الدكتور فتحي يكن والدكتور إسماعيل الشطي والدكتور غازي التوبة، والشيخ سلمان الداود الصباح، أما المحور السياسي، فجاء تحت عنوان «التناقض التاريخي والموضوعي بين المشروع الغربي والمشروع الإسلامي» وحاضر فيه الدكتور عبدالله النفيس وعقّب على محاضرته النائب أحمد باقر عضو مجلس الأمة والدكتور عبدالله الشايجي وأدار الجلسة الدكتور فهد صالح الخنة.

وجاء المحور الثالث حول دور الجامعات الإسلامية في النهوض بواقع الأمة وحاضر فيه كل من الدكتور حامد طاهر «الثقافة الإسلامية في الجامعات الشرعية بين التأصيل والتحديث»، والدكتور محمد عبدالغفار الشريف «تطوير التعليم الشرعي»، والدكتور صلاح الصاوي «استراتيجية الجامعات الإسلامية للتعليم عن بعد»، والدكتور أحمد العسال «دور الجامعات الإسلامية في الحفاظ على هوية المجتمعات المسلمة»، والدكتور محمد البلتاجي «الرسائل الجامعية وضرورة تلبيتها لواقع الأمة»، والدكتور محمد علي يوسف المحمدي «عقبات في طريق الصحوة الإسلامية ودور الجامعات الإسلامية في علاجها»، والدكتور السيد محمد نوح «أزمة الاختلاط في الجامعات الإسلامية»، أما المحور الرابع الدعوي فتحدث فيه الشيخ عبدالرحمن عبدالخالق حول المشروع الإسلامي الدعوي في مواجهة عصر العولمة، وفي المحور الخامس التربوي تحدث الشيخ محمد قطب حول «المجالات التربوية المطلوبة لإعداد جيل جديد يواجه القرن الحادي والعشرين»، وفي المحور السادس حول العمل الخيري المؤسسي تحدث كل من الأستاذ عبدالقادر

العجيل والأستاذ أحمد الجاسر والدكتور بسام الشطي. وفي المحور الفكري الرابع حول «العولمة الفكرية والثقافية والحفاظ على الهوية الإسلامية»، تحدث الدكتور صلاح الصاوي، وفي المحور الثامن الإعلامي حول «العولمة الإعلامية وسبل مواجهتها في المجتمعات الإسلامية» تحدث الدكتور باسم خفاجي.

ندوتان للنساء

أما الندوتان المخصصتان للنساء فناقشتا موضوع «المسلمة المعاصرة... إشكاليات وحقائق في عصر العولمة»، وتحدثت فيهما كل من: الأستاذة خولة العتيقي «المسلمة المعاصرة ودورها في حفظ الهوية - إشكاليات وحقائق في عصر العولمة الاجتماعية»، والأستاذة نسيبة المطوع «المسلمة المعاصرة ودورها في حفظ الهوية... إشكاليات وحقائق عصر العولمة التربوية»، والأستاذة نظيرة البدر «المسلمة المعاصرة ومستجدات العمل الدعوي النسائي»، والأستاذة نوال السباعي «المسلمة المعاصرة ودورها في حفظ الهوية... إشكالات وحقائق في عصر العولمة الثقافية».

أمسية شعرية

هذا وقد أقيمت خلال المؤتمر أمسية شعرية تناول فيها الشعراء د.عبدالرحمن العشماوي، والدكتور صلاح الصاوي، والشيخ عواد برد العنزي هموم الأمة الإسلامية وآمالها.

حفل الافتتاح

وفي بداية حفل الافتتاح ألقى الدكتور يوسف حمد الإبراهيم وزير التربية ووزير التعليم العام كلمة راعي المؤتمر معالي الشيخ صباح الأحمد نائب رئيس مجلس الوزراء ووزير الخارجية جاء فيها:

إن البشرية تستقبل القرن القادم بمفهوم يختلف عما كان سائداً في القرن الماضي من انكفاء الأمة على ذاتها، وسعيها إلى الانشغال بما يخصها، وانحصار أهدافها خارج أوطانها فيما كانت تريد السيطرة عليه، من مصادر الثروة التي كانت تتطلع إليها، فهي تستقبل القرن بمحاولة لبسط شعار العولمة الذي يبتغي به توحيد النظام الاقتصادي في العالم، وإزالة العقبات التي تعترضه من نظم أو عادات أو تقاليد، وما يلزم ذلك ويترتب عليه من انفتاح ثقافي واجتماعي.

وقد صاحب العمل على بسط هذا الشعار تخوف وحذر من طمس الهويات لبعض الشعوب، أو عزلة بعضها ممن يفرض على نفسه صد كل جديد ومعاداته، وتجنب مساراته دون فحصه للأخذ منه أو الرد عليه. والأمة الإسلامية التي يتميز دينها بأنه الدين العالمي الذي ختم الله به رسالته، وجعله خطاباً عاماً لكل الناس إلى أن تقوم الساعة، لا يخشى عليها أن تذوب، كما أنه لا يحسن بها أن تنعزل، وذلك مرهون بفهمها الصحيح لحقائق دينها التي تدعو إلى الاقتراب من الحياة، والانفتاح على الناس، والنظر إلى ما يسود حياتهم، والأخذ منه بكل ما يصلح أمرها وييسره، ويقيم جسوراً من التواصل تنطلق منها إلى غيرها من الأمم حاملة هداها، ومؤكدة عالمية دينها.

وما نحب أن نؤكده هو حرصنا على أن نهيئ في كليات الشريعة أجيالاً من الدعاة يفهمون عالمية الإسلام، ويتخذون من إيمان النظام العالمي الجديد بالعولمة التي تدعو إلى الانفتاح سبيلاً للتعريف بالهوية الإسلامية وتأكيد قيمتها، بل ونشرها في إطارها المشرق المتسامح الذي يجعل منها بديلاً لما يمكن أن تحمله العولمة معها إلى مجتمعاتنا من أعراف وعادات قد تتعارض مع قيم الأخلاق والفضيلة التي لا نستطيع أن نكون مسلمين إلا بالحفاظ عليها.

إن الانفتاح على النظام العالمي لن يكون خطراً علينا إذا ما استمسكنا بالجوهر الصحيح من قيمنا، بل إنه ربما يكون فرصة نجلو للناس حقائق ديننا، ونكشف عن البدائل التي يهيئها لمواجهة مستجدات الحياة دون تجاوز لحدود ما شرعه الله.

كلمة عميد كلية الشريعة

ثم ألقى الدكتور محمد عبدالغفار الشريف عميد كلية الشريعة والدراسات الإسلامية كلمة جاء فيها:

إن من واجب الدعاة والعلماء أن يقدموا للعالم ما يحملونه من نظام تشريعي وخلقي واقتصادي واجتماعي وسياسي في إطار النظام العالمي الجديد، الذي بدأت طلائعه تغزو بلادنا وحياتنا، شئنا ذلك أم أبينا.

إن الرفض والاستنكار - وحدهما - لا يكفيان في دفع خطر العولمة التي تهدف إلى تعميم النمط الحضاري الغربي على بلدان العالم كله.

إن العملاق الأميركي قد أعد كل عدده، إعلاماً وتعليماً وثقافة، واقتصاداً، حتى العسكرة، قد أعد كل هذه الأشياء لفرض نظامه العالمي على الجميع.

ودوركم دعاة وعلماء ومربين دور عظيم في حماية هويتنا العربية والإسلامية.

إن غياب المشروع الإسلامي الجاد والتفصيلي - أعني التفصيل الدقيق في كل ناحية من نواحي الحياة، مع بيان أدوات التطبيق، والمدد الزمنية المطلوبة للتنفيذ -، إن غياب ذلك فتح أبواب بلادنا على مصاريعها لقبول النظام العالمي الجديد.

ولذا إذا أردنا أن نثبت وجودنا، ونحمي هويتنا من الذوبان في أتون هذا النظام الجبار، فعلينا أن نتعامل مع وسائل العصر - المباحة - وتسخيرها في إطار عولمة المشروع الإسلامي، وتقديم الإسلام كبديل حضاري حي للبشرية المتعطشة للروحانية، كما هي جوعى للحضارة المادية.

إن شريعة الله الخالدة (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا) لها خصائص وميزات تؤهلها لأن تكون منهاجاً للبشرية كلها، قال تعالى: (وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً ولكن أكثر الناس لا يعلمون).

وأنا لا ألوم غير المسلمين إذا لم يعلموا بعالمية الإسلام، ولا ألوم عوام الناس إذا غابت عنهم هذه الحقيقة. ولكن الرزية كل الرزية أن يتعامل دعاة الإسلام وعلماؤه مع شريعة الله العالمية وكأنما هي شريعة إقليمية أو قبلية تخص جماعة من الناس في أرض جزيرة العرب.

إن عالمية الإسلام تتسع لجميع متغيرات الزمان والمكان، ولذا نص علماء الأصول «لا ينكر تغير الأحكام بتغير الزمان والمكان»، ولا يعنون بذلك الثوابت، إنما الأحكام المصلحية، التي تمس حياة الناس اليومية.

إن واجبكم عظيم، وإن ريادتكم للمجتمع تفرض عليكم أن تبينوا للناس ما أنزل الله لعباده من شرع ميسر صالح لكل زمان ومكان (وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه).

إننا اليوم في ظل اجتياح العولمة الحديثة للعالم كله يجب علينا أن نعمل على إحياء العالمية الإسلامية من جديد، لتكون الوجه الآخر للعولمة، الوجه الناصع النقي من الشوائب، الوجه الحضاري المشرق لجيل يؤمن بالأخوة الإنسانية (يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم).

وهذا العمل ليس نفلاً نتقرب به إلى الله تعالى، بل هو فرض إن قصَّرنا فيه تحملنا آثام الأجيال القادمة (قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين) فمن رضي بالاتباع فقد رضي بالسبيل.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

كلمة وكيل وزارة الأوقاف المساعد

وتحدث بعد ذلك السيد عبدالعزيز البدر القناعي وكيل وزارة الأوقاف المساعد للشؤون الثقافية فقال:

إننا في وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية أخذنا على عاتقنا بذل كل جهد مستطاع في خدمة العمل الإسلامي، وتنمية المجتمع، والمساهمة في تدعيم قيمه... وترسيخ أعرافه، محافظة على هويتنا العربية الإسلامية ... ومناقشة قضاياه المطروحة على الساحة المحلية، والعالمية... مع التفاعل مع الآخر إيجاباً وسلباً... نفتح ذراعينا لكل جديد نافع... ونرفض كل ضار فاسد.

إن الاستراتيجية التي تنتهجها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية تعتمد على التفاعل الإيجابي مع الحضارة المعاصرة بأبعادها الثقافية والاجتماعية والعمل على استيعابها، والإسهام الإيجابي فيها، ومناقشتها، كل ذلك وفق رؤية إسلامية شرعية تراعي الحفاظ على سماتنا الحضارية والثقافية الأساسية.

إننا نأمل من هذا المؤتمر الذي يضمُّ نخبة من المفكرين المبدعين، ورواداً من حاملي مشاعل الهدى، والنور... أن يساهم في تقديم تصورات لاستراتيجية المشروع الإسلامي في مطلع الألفية الثالثة... وبخاصة في زمن يشهد ثورة ثقافية، ومعلوماتية، جعلت من عالمنا قرية صغيرة.

إننا مطالبون أن نقدم رؤيتنا الحضارية، وحلولنا الإسلامية لقضايانا المجتمعية، والإقليمية، والعالمية.



● حضور مكثف لجلسات المؤتمر

ومن هذا المنطلق كان لزاماً علينا أن نُعرِّف بحضارتنا الإسلامية ذات المبادئ الإنسانية المثلى، ونوضِّح أهم مرتكزاتها، وأن ننهض بأمتنا إلى الأخذ بأسباب القوة المعنوية والمادية، وبناء الذات، فعالم اليوم متعطشٌ إلى القيم النبيلة، والعدالة الاجتماعية، والعقيدة الصافية، وهذه هي رسالتنا «رسالة الأمة المحمدية» التي زكَّاها الله فجعلها خير أمة أخرجت للناس تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتحقُّ الحقَّ.

إن العولمة فيما أرى تعني في الواقع سيادة حضارة معينة على حضارات أخرى، وترويج قيم ذات تأثير على قيم الآخرين، في الثقافة، والاقتصاد، والسياسة، وشتَّى مناحي الحياة. وإن كانت العولمة تواجه المقاومة في كلِّ مكان حتى في عُقْر دارها إلا أن وراءها قوى أكبر وأقدر مكوَّنةٌ من رؤوس أموال، ومؤسسات، وأفراد ومجتمعات وتحالفات عالمية. والمشكلة في المقاومة الراهنة للعولمة أنها لا تعي الأدوات الفعالة في هذه المواجهة، فالتجربة تؤكد أن التعامل الأفضل مع العولمة مرتبط بإتقان حركتها، ومراعاة قوانين القوة الجديدة التي تفرضها... وأن السير في هذا الاتجاه سوف يتطلب الكثير من الاستعداد الثقافي والعلميِّ والتكنولوجي... كما يتطلب أيضاً الكثير من الإصلاح الذاتي والسياسي، وهو لا يتناقض ومحاولات حماية الهوية وحماية الذات، هذا الاستعداد هو المفصل والأساس، إذ لا بديل عن عقلية المنافسة والاحتراف ولا بديل عن عقلية اقتناص الفرص عندما تبرز، والإسراع في الخطوات التي تسمح بتحقيق نجاحات.

فلا بد إذاً من المواجهة من خلال إتقان لغتها واقتناء نفس وسائلها وطرقها وفنونها وإبداعها، وفي النهاية هناك منتصر ومهزوم، ناجحون وساقطون، وفي هذه المواجهة الجديدة المنتصر هو الأقدر على التعامل مع العولمة من خلال الاستعداد لها، أما المهزوم فهو الذي وقع فريسة الخوف والارتباك ونسي ضرورات الاستعداد وحاجات البناء، وبين هذا وذاك يقع التحدي الأكبر أمام الأمة وأمام كلٍّ من يسعى لحماية الذات والمكتسبات وحفظ كيان الأمة والارتقاء بها.

وحضارتنا الإسلامية هي حضارة عالمية بما تحمله من قيم وهي في صالح الإنسان ومن أجل إسعاده.

التوصيات والقرارات

جاءت قرارات المؤتمر وتوصياته في سبيل الحفاظ على الهوية تجاه العولمة كثيرة ومتنوعة وتنقسم إلى: توصيات عامة شاملة، وتوصيات خاصة بمحاور المؤتمر وندواته.

وتضمنت التوصيات العامة للمؤتمر ما يلي:

- التمسك بالكتاب والسنة في استخلاص الأحكام الشرعية، والسير على هداهما في جميع مناحي الحياة، مع الاستفادة من التراث الفقهي الإسلامي الذي يعتمد في هذا المنهج القويم.

- ينبغي التعامل مع العولمة بما يتفق مع المبادئ والقيم الإسلامية، للمشاركة الفاعلة

في المجتمع العالمي، وتقبّل ما يتفق مع هذه القيم من نظم وأحكام، والعمل على نشر المبادئ الإسلامية، التي تعنى بالشؤون الإنسانية العامة، في جميع مناحي الحياة، ونبذ ما عدا ذلك والحذر كل الحذر من سلبياتها.

ـ العمل على إحداث تغيير شامل في مناهج وأهداف وأساليب التربية في المنازل وفي المدارس والمساجد، وأجهزة الإعلام لتتفق في نهجها العام مع المبادئ والقيم الإسلامية، ومتطلبات العصر.

ـ الاهتمام بالنشاط الدعوي والإعلامي والاجتماعي، ووضع البرامج المتكاملة لبث رسالة الإسلام بكل الوسائل الإعلامية التقليدية والمستجدة «كالإنترنت» والقنوات الفضائية المتخصصة، ليقف العالم على أحكام الإسلام بعيداً عن التهوين أو التهويل باعتباره الدين العالمي المتوافق مع المصالح الإنسانية العامة والخاصة.

ـ التركيز على أن المرأة المسلمة قد تحررت بالإسلام ولا تريد أكثر مما منحها الإسلام من حقوق، وما يحملها من واجبات حتى لا تذوب في قيم العولمة التي تتعارض أو تتناقض مع القيم الإسلامية التي كفلت لها الحياة الإنسانية الكريمة التي تتفق مع طبيعتها ومع تفعيل دورها في مجالات الحياة العامة.

ـ التأكيد على ضرورة أن تتلافى المعالم الأساسية والاستراتيجية للمشروع الإسلامي في مطلع القرن الحادي والعشرين، جميع سلبيات العولمة الحديثة بمختلف أبعادها وأشكالها وتعمل على تفعيل الإسلام في منهجه وآلياته لتوفير البديل الصالح لمخاطر العولمة المعاصرة.



● جانب آخر من الحضور

عالمية الإسلام

أما توصيات المحور الفكري فجاءت كما يلي:

ـ ضرورة التفريق بين العالمية التي جاءت بها شريعة الإسلام وما تحمله من خير ورحمة إلى العالم، وبين العولمة وما تعنيه من الهيمنة واستلاب الآخرين لحساب القوى العظمى.

ـ ضرورة تخير واصطفاء المظاهر الإيجابية والآليات التقنية المقبولة للعولمة، كسهولة الاتصال وتوافر التقنيات للاستفادة منها في مجالات الدعوة والبلاغ العام لدين الله.

ـ العمل على توحيد الجهود وإزالة التناقضات داخل الصف الإسلامي، وحشد الجهود في خط المواجهة الأول لتحدي مثالب العولمة وسلبياتها.

وضرورة إعادة النظر في مفردات المشروع الفكري الإسلامي على مستوى وسائل العمل وآليات التعبير في ضوء ظواهر العولمة.

ـ تأكيد الحاجة إلى إحياء فقه الاختلاف وآدابه في المسائل الاجتهادية في ضوء منهج السلف الصالح، وترتيب أوليات المواجهة كما تملي الضرورات العملية والعلمية.

الإسلام والغرب

وتناولت توصيات المحور السياسي النقاط التالية:

ـ التأكيد على أن العلاقة بين الإسلام والغرب ذات وجهين: سياسي وفكري، ولابد من إدراك منهج الخطاب المعرفي والفكري للغرب تجاه الإسلام، والتعامل معه في ضوء السياسات الشرعية المقررة.

ـ ضرورة قيام العلماء والدعاة بواجبهم تجاه الأوضاع السياسية للأمة، نصحاً وتسديداً ونقداً وتبييناً مما يصحح الأخطاء ويصلح الأوضاع.

ـ على المسلمين العمل على إقامة وحدة سياسية وثقافية واقتصادية وعسكرية فيما بينهم بقدر ما يمكنهم ذلك، لتحقيق التحرر من التبعية لغيرهم.

ـ إدراك الأهداف الاستراتيجية للغرب في المنطقة، والتعامل معها من خلال هذا الفهم الواقعي غير العاطفي لمصالح الغرب في العالم الإسلامي.

ـ التأكيد على أن أحد أهداف حملة التغريب المعاصرة هو إعادة صياغة دور المرأة في العالم الإسلامي على النمط الغربي وأهمية مقاومة ذلك. ■

التطرف ظاهرة عامة

تضمنت توصيات المحور الدعوي ما يلي:

ـ إبطال الدعوى القائلة: إن الإسلام هو العدو الأول للإنسانية، وتأكيد أن الإسلام رحمة للناس كافة: (وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً).

ـ مواجهة الحملة الغربية المنظمة لوصم الإسلام بالتطرف والأصولية، وبيان أن الأصولية والتطرف ظاهرة عامة لدى مختلف أصحاب الديانات والمذاهب.

ـ كشف المخططات المعادية للإسلام عامة، واليهودية والصهيونية منها خاصة، حتى لا يقع الناس في شباكها من حيث لا يشعرون. ■

ملف
رمضان كريم

- أضواء علمية على عبادة إسلامية
- الصوم ... تكامل في بناء الشخصية
- نظرات علمية في صيام رمضان
- الصيام في الأدب العربي
- أكرم الشهور
- غزوة بدر دروس وعبر

هلال رمضان . . . ودورة الزمان

أضواء علمية على عبادة إسلامية

بقلم : أ.د. عفيفي محمود عفيفي

«من الأسرار العلمية للعبادات الإسلامية أن مواقيتها مرتبطة بدورة بعض الأجرام السماوية هي بالتحديد: الأرض التي يعيش عليها الناس المكلفون بالعبادة، والشمس والقمر اللذان يبصرونهما بعيونهم المجردة... فالعبادة اليومية. وهي الصلاة. موقوتة بمواعيد شروق الشمس وغروبها وما بينهما من ضوء تختلف درجة ميله على ما تحمله الأرض من موجودات، وهذه الظواهر هي التعبير الملموس للدورة اليومية التي تدورها الأرض حول محورها أمام الشمس، أما العبادات الحوْلية «السنوية». وفي مقدمها الصيام. فهي موقوتة بموعد ظهور الهلال واختفائه «وهو الجزء المضيء من القمر»... وهذا هو المظهر الملموس لدورة القمر الشهرية حول الأرض... هذا التزامن بين العبادة وبين حركة هذه الأجرام إنما هو تجسيد للتواصل الروحي بين العابد والمعبود الذي خلقه، وخلق هذه الأجرام بما عليها ومنْ عليها...».

ملف رمضان كريم

موجات الدعوة إلى الحساب الفلكي :

منذ أكثر من أربعين عاماً انتشرت في مصر الدعوة إلى الاعتماد على الحساب الفلكي للتنبؤ ببدايات الشهور القمرية، ولاقت تشجيعاً من الحكم القائم آنذاك لكونها من ملامح الفكر العلماني الذي فتحت له مصر نوافذها مع بداية انحيازها إلى المعسكر الاشتراكي... وعلى امتداد تلك الفترة كانت هذه الدعوة تأخذ شكل موجات تعلو حتى الذرى مع حلول الأزمات بين مصر والعالم العربي «أو بتعبير أدق بين حكام الطرفين» وكان أبرزها: أزمة حرب اليمن «١٩٦٣م»، وأزمة النكسة العسكرية «١٩٦٧م» ثم أزمة كامب ديفيد «١٩٧٨م»... إلا أن كل هذه الموجات لم تتمكن من تحقيق بغيتها وهي تقويض القاعدة الشرعية لتحديد بداية شهر الصوم باستطلاع الهلال عملاً بقول النبي ﷺ : «صوموا لرؤيته... وأفطروا لرؤيته» تلك القاعدة التي ظلت السيادة معقودة لها بفضل الوحدة العقدية ورسوخ المؤسسات الإسلامية في كل بقاع العالم العربي.

غير أن خفافيش العلمانية عادت تحلّق في سماء مصر «بعد أن عادت إلى أحضان العرب» وكان ذلك منذ نحو ثماني سنوات وبالتحديد بعد اندحار الغزو العراقي عن الكويت حيث قام الجنود المنسحبون بإشعال النيران في بعض خزانات النفط... وهنا ابتدع دعاة العلمانية الجدد حجة تبدو وجيهة هي أن سُحُبَ

الدخان الأسود التي جللت سماء بلاد الخليج العربي وما حولها من بلاد، ضربت ستاراً كثيفاً يحجب رؤية الهلال، وكانت هذه أول كلمة حق تُقال على امتداد مسيرة تلك الدعوة، إلا أن ما أريد بها كان هو الباطل بعينه: ألا وهو التعميه عن الشق الثاني من الحديث الشريف: «فإن غم عليكم فأتموا الشهر ثلاثين يوماً». ولكن - وبفضل الله - فطن الأزهر الشريف ودار الإفتاء إلى تلك الخدعة الجديدة وتمكنّا من احتواء آثارها... وظل المبدأ الشرعي سارياً في ظل تضامن عربي لم يسبق له مثيل.

التقاويم والحسابات الفلكية في الميزان:

وبفضل سماحة الإسلام ومناخ الحرية السائد في مصر ظلت فكرة الاعتماد على الحساب الفلكي في تحديد بدايات الشهور القمرية موضع مناقشات مفتوحة تتجدد قرب نهاية شعبان من كل عام... ولقد أتاحت لي جولاتي خارج حدود الوطن العربي أن أكتشف أنها أيضاً قضية الموسم في كبريات مدن أوروبا وأميركا، حيث توجد مراكز إسلامية متطورة وتعيش جاليات إسلامية كبيرة العدد، اختلفت جنسيات أعضائها ومن ثم تباينت مشاربهم الثقافية، ويبدو أن مناخ الحرية الفكرية السائد هناك يفسح المجال للتعبير عن الأفكار الجريئة التي يعشقها أولئك الذين استوطنوا في مهجرهم وعايشوا الانفتاح الفكري المتحرر من كل القيود.

وفي شتاء العام الماضي أتيحت لي فرصة شهود ندوة نظمها المركز الإسلامي في مدينة «أن أربر» عاصمة ولاية ميشغان الأميركية مساء التاسع والعشرين من شعبان ١٤١٩هـ لمناقشة هذا الموضوع، اشترك فيها ثلاثة من أقطاب الفكر: أستاذ في الشريعة الإسلامية، وأستاذ في علم الفلك، ومستشرق ذو خبرة طويلة بالحضارات القديمة، وعلم بالتقاويم الفكرية «اعتنق الإسلام منذ بضعة أعوام» وكان هو أول المتحدثين، وقال ما خلاصته:

١ - التقويم الشمسي «وهو الذي يسمى حالياً بالميلادي» وحدته الزمنية هي السنة الشمسية وطولها ٣٦٥ يوماً وست ساعات تقريباً، وهي متوسط المدة التي تأخذها الأرض لتتم دورة واحدة حول الشمس، وتمر خلال رحلتها باثني عشر برجاً، وكان الإغريق واضعو هذا التقويم قبل الميلاد ببضعة قرون قد اصطلحوا على أن يكون دخول الأرض في برج الحوت «أول مارس/ آذار»، هو بداية السنة وخروجها من برج الدلو «آخر فبراير/شباط»، هو نهايتها، وعندما ظهرت المسيحية تم تقديم بداية السنة شهرين لتتزامن مع شهر ميلاد السيد المسيح «يناير/كانون ثاني»، موعد دخول الأرض في برج الجدي. وأن مدة بقاء الأرض في نطاق البرج الواحد تتراوح بين ثلاثين وواحد وثلاثين يوماً وهذا هو متوسط طول الشهر الشمسي.

٢ - التقويم القمري «وهو المسمى حالياً بالهجري» وحدته الزمنية هي الشهر القمري ومتوسط طوله تسعة وعشرون يوماً واثنتي عشرة ساعة تقريباً وهي المدة التي يتم فيها القمر دورة واحدة حول الأرض، وعندما تتم الأرض دورة حول الشمس يكون القمر قد دار حول الأرض اثنتي عشرة دورة وقطع شوطاً مدته نحو أحد عشر يوماً، في دورة حولية جديدة، اصطلح على أن تكون بداية سنة قمرية جديدة، وبناء على ذلك، فإن طول السنة القمرية يقدر بنحو ٣٥٤ يوماً في المتوسط «أي أقل من السنة الشمسية بنحو أحد عشر يوماً وبضع عشرة ساعة»... ولم يتم تسجيل تقويم قمري ثابت إلا في عهد عمر بن الخطاب الذي جعل عام الهجرة النبوية إلى المدينة المنورة بداية للتقويم، ولم يزحزح بداية السنة شهرين لتتزامن مع تاريخ مولد النبي، بل أبقى الوضع على ما كان عليه حتى يظل الحج مسك ختام العام.

ثم استلم أستاذ علم الفلك «الميكروفون» وتحدث عن دور الحساب الفلكي في التنبؤ ببدايات الشهور القمرية، وأوضح كيف أن أجهزة الرصد تلتقط صوراً للجزء المضيء من القمر ليلة بليلة وشهراً بعد شهر، وعاماً بعد عام، وأن أجهزة التصوير تسجل ذلك على خرائط دلت دراستها على أن خروج القمر من المحاق «الإظلام التام» وهو المبتدع مباشرة بظهوره على شكل قوس مفتوح «يميني التحدُّب» هو اللحظة الفاصلة بين شهرين متتاليين... وأن سجلات السنوات العشر الأواخر تدل على أن هذا التحول يحدث كل ٢٩ يوماً وعشر ساعات وثلاثين دقيقة مع هامش بالزيادة أو النقصان - في بعض الشهور - لا يتجاوز ست ساعات وأن الفلكيين «يجبرون كسر اليوم إلى أقرب رقم صحيح وبذلك يُقدَّر طول الشهر إما بتسعة وعشرين يوماً أو بثلاثين يوماً «وفي الأغلب يتم ذلك بالتبادل المنتظم»، وأن التطور الكبير في أجهزة الرصد قد خفض احتمال الخطأ إلى رقم متواضع يتراوح بين ست ساعات وثماني عشرة ساعة حسب درجة صفاء السماء، وبناء على ذلك، فإنه من الممكن الاعتماد على الحساب الفلكي في تحديد بدايات الشهور القمرية وعلى رأسها رمضان - لبضع سنوات مقدماً بدلاً من تكرار عمليات الاستطلاع البصري لكل هلال على حدة.

وأخيراً أحدّث أستاذ الشريعة الإسلامية الذي استهل كلامه بتلاوة الآية ١٨٥ من سورة البقرة: (شهر رمضان الذي أُنزل فيه القرآن هدى للناس وبيّنات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه)، وقال: إن القرآن هو دستور المسلمين وأن السنّة النبوية هي المذكرة التفسيرية للدستور القرآني ففيها تفصيل ما أجمله، وبيان ما لم يرد ذكره فيه، ومن هذا النوع الأخير طريقة تحديد بداية شهر الصيام، وفي هذا ورد بالنص في الحديث الصحيح قوله ﷺ: «صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته» وأشار إلى الهلال، فإن غُمَّ عليكم فأتموا شهركم ثلاثين يوماً».. وهذا نص مُلْزم لا اجتهاد معه، ولا بأس إطلاقاً بالاستعانة بأجهزة الرصد الفلكي لاستطلاع مولد الهلال في كل شهر على حدة لأن هذا يدخل في نطاق الرؤية البصرية، كما أن هذه الأجهزة حكمها حكم النظارات الطبية التي يستعين بها ضعاف البصر.

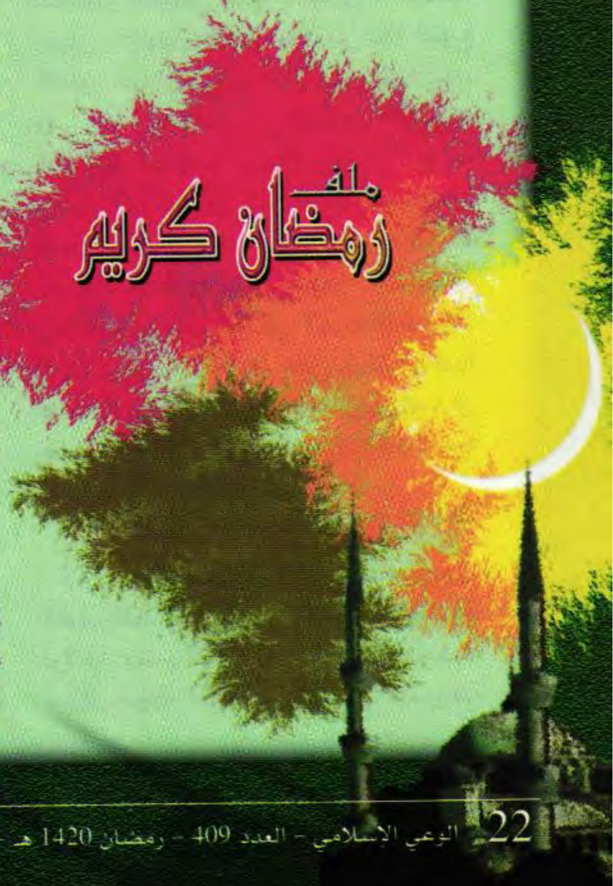
سؤال محرج... وإجابة مفحمة:

كان من الممكن أن تنتهي الندوة بهذا القول الفصل من رجل الشريعة الإسلامية: لولا أن منظم الندوة أعلن أنه ورد للمنصة سؤال موجّه لفضيلة أستاذ الشريعة

الإسلامية من الأخت المستمعة «روزماري» تقول فيه: «مع احترامي للإسلام والمسلمين: ألَمْ يكن بالإمكان تحاشي كل هذا الجدل الموسمي حول طريقة تحديد بداية شهر الصيام لو أنه كان يتم في شهر ميلادي محدد البداية والنهاية طبقاً للتقويم الشمسي المعمول به منذ قرون قبل الإسلام والذي لاشك كان معروفاً وسارياً وقت نزول القرآن؟».

سرت في القاعة همهمات لعدم الارتياح ولكن منظّم الندوة ناشد الحاضرين الهدوء وذكّرهم بالحرص على مبدأ حرية الفكر واحترام الرأي المضاد، ثم دعا فضيلة أستاذ الشريعة للرد على سؤال المستمعة، فقال ما خلاصته: إن الصيام عبادة ذات منزلة خاصة «وتلا الحديث القدسي الذي يدل على ذلك»، ولذلك اختار الله لصيام المسلمين شهراً مفضلاً هو شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن والذي فيه ليلة هي خير من ألف شهر، ولئن كان رمضان شهراً قمرياً فإن القمر كالشمس آية من آيات الله ونحن لا نملك حيال ذلك شيئاً».

وهنا نهضت السائلة وقالت في جرأة مغلفة بكثير من الأدب: «عفواً فأنا غير مسلمة، ولكني كباحثة في مركز للدراسات الشرقية أتحرّى الحقائق المجددة مدعمة ببراهين عقلية لا نقلية».



وهنا استأذن المستشرق في أن يتولى هو مناقشة السائلة ثم قال: «بحكم أنني كنت مثلك مسيحياً وأنك ستكونين عما قريب مستشرقة مثلي، فإنني سأعرض عليك مجموعة من الحقائق عن التقويم الميلادي الذي تتحمسين له: فقد تعرض لتدخل القياصرة من جانب، ورجال الكنيسة من جانب، «انسياقاً» للصراع البارد الذي كان قائماً بين الفريقين، ونتيجة لذلك، لحقت بالتقويم بعض التحريفات، وأهمها إصرار الإمبراطور «أوغستين» على زيادة أيام الشهر المسمى باسمه يوماً كيلا يكون أقل شأناً من الإمبراطور «جوليوس» وبذلك أصبح عندنا شهران كبيسان متتاليان «يوليو وأغسطس»، وبالمثال أصر رجال الكنيسة على جعل شهر ميلاد السيد المسيح شهراً كبيساً، وقد استقطعت الزيادات من شهر فبراير فأصبح ٢٨ يوماً بدلاً من ثلاثين. ونتيجة لهذا أصبحت البدايات المسجّلة لمعظم الشهور غير متزامنة مع مواعيد دخول الأرض في الأبراج المقابلة، والتحريف الثاني هو قيام أحد قياصرة الروم بزحزحة بداية أحد الشهور أسبوعاً لكي تتزامن مع تاريخ إحدى مناسبات حياته الشخصية، وقد جرَّ هذا إلى زحزحة بدايات باقي الشهور، وقد أدى هذا إلى ازدواجية تاريخ ميلاد السيد المسيح (٢٤ ديسمبر في أوروبا والسابع من يناير في الشرق)، والأخطر من ذلك أن مدة أي برج لم تعد متطابقة مع الشهر المقابل، بل أصبحت تحتل أسبوعاً تقريباً في آخر الشهر السابق، ويحتل باقيها ثلاثة أسابيع أو أكثر قليلاً في الشهر الحقيقي... وهذا مازال مثبتاً في أجندات المنجّمين (وهي تنشر في كثير من الصحف تحت باب حظك اليوم»)... وكل هذه التحريفات تجعل الخطأ في تحديد البدايات الحقيقية للشهور الميلادية أفدح من أن يعتمد على التقويم الميلادي كمصدر صالح لاختيار شهور العبادة بعد أن لم يعد فيه شهر واحد تتطابق بدايته ونهايته مع الظاهرة الفلكية التي قام هذا التقويم على أساسها...».

واكتفي بهذا لأترك المجال للزميلين الفاضلين لوضع النقط فوق الحروف».

وهنا انبرى أستاذ الفلك قائلاً: إننا - والحال هذه - فلا سبيل أمامنا لتحديد بادية أي شهر ميلادي تحديداً يقينياً إلا بالرصد الفلكي لموعد دخول الأرض في البرج المقابل له، وأقرب برج تفصل بيننا وبينه مئات السنين الضوئية «السنة الضوئية = عشرة ملايين مليون كيلو متر».

وعلى الرغم مما تحت أيدينا من أجهزة دقيقة، فإننا نلاقي مشقة كبيرة في تحدي هذه الظاهرة التي قد يصل معدّل الخطأ فيها يوماً كاملاً أو أكثر... أما رصد القمر فهو أسهل مئات المرات، فهو لا يبعد عن الأرض بأكثر من ٣٨٥ ألف كيلو متر - إذن فالحساب الفلكي لبدايات الشهور القمرية أضبط بكثير.. ومع ذلك فهو حتى الآن - لم يحظ بالرضا من رجال الشريعة».

برهان علمي جدي على وجوب الرؤية:

وهنا رفع أحد الحاضرين يده طالباً أن يتكلم وقدّم نفسه على أنه: «عبدالقيوم - باحث جيوفيزيقي»، وقال: إن هناك عاملاً لم ينتبه إليه الكثيرون على الرغم من أهميته: هو أن سرعة دوران القمر حول الأرض تتأثر بطبيعة مكونات قشرتها، إذ إنها تقل عند مروره فوق مناطق البراكين والزلازل، حيث تتعرى صخور ومعادن ذات خواص مغناطيسية يخترق تأثيرها الغلاف الجوي للأرض ويصل مجالها المغناطيسي إلى مدار القمر فيخفض سرعته، وقد كثرت الزلازل أخيراً في مختلف مناطق الأرض، بل بدأت تحدث في بقاع لا تقع داخل حزام الزلازل، ونتيجة لذلك، فمن الراجح أن موعد ظهور هلال أي شهر يختلف في العام نفسه من بلد إلى بلد، بل في البلد نفسه من عام لآخر، ومثل هذه التغيرات الطارئة لا تكون بالطبع مسجلة في الخرائط التي أعدّت بناء على عمليات رصد سابقة، وهذا عامل آخر من عوامل قصور الحساب الفلكي كأساس للتنبؤ بمواعيد الأهلّة، وبالتالي تحديد بدايات الشهور».

وما أن ختم الأخ عبدالقيوم كلمته

القصيرة حتى سرت في القاعة أصوات الاستحسان التي لم يقطعها إلا صوت منظّم الندوة وهو يدعو فضيلة أستاذ الشريعة إلى التعقيب، فقال فضيلته: «إن ما سمعناه من أهل الذكر في العلوم الفلكية وغيرها من العلوم الحديثة قد زاد إيماننا بأن الإسلام دين يسر لا عسر وأن أحكامه صالحة لكل زمان ومكان، فإلى جانب الحكمة الربانية في اختيار رمضان موعداً سنوياً لصيام المسلمين، فإن هذا الشهر - بحكم كونه قمرياً - فإن تحديد بدايته ونهايته أمر يستطيعه كل فرد سليم البصر لمجرد استطلاع الهلال دون حاجة إلى أجهزة معقدة لا تتوافر إلا للخاصة، كما أن الحقائق التي اكتشفها العلماء حديثاً فيها برهان جديد على وجوب استطلاع الهلال في كل شهر على حدة، وهذا هو ما نادى به نبي الإسلام الذي لم يقرأ كتاباً في أي فرع من هذه العلوم، وفي هذا دليل على أنه «وما ينطق عن الهوى. إن هو إلا وحي يوحى»، ولعل ابنتنا «روزماري» قد وجدت فيما سمعته من أهل الذكر عن عيوب التقويم الميلادي إجابة شافية على تساؤلها - هداها الله»... وعلى الفور وقفت «روزماري» لتعلن أنها سحبت سؤالها بعد أن اقتنعت بما أسفرت عنه هذه المناظرة المستنيرة من دلائل على سماحة الشريعة الإسلامية وتكامل الدين الإسلامي.

ومرت الأيام وانقضى رمضان على خير، وفي صبيحة يوم العيد - بعد أن قُضيت الصلاة - كان أول ما أذيع من نشرة أنباء الجالية الإسلامية هو خبر انضمام الأخت «روزماري» «صاحبة السؤال المحرج عن شهر الصيام» إلى الجالية بعد أن أعلنت إسلامها، وأصبح اسمها «مريم عبدالقيوم»، وقبل انصرافنا نهض الأخ عبدالقيوم «صاحب التعقيب حول سرعة القمر» وأعلن على الحاضرين دعوته إياهم لشهود عقد قرانه على الزميلة الجديدة «مريم» مساء ذلك اليوم.

الوجه الظاهر لفضل الصيام طبقاً للتقويم القمري:

لا مراء في أن اختيار الله شهر رمضان موسماً سنوياً لصيام أمة محمد ﷺ هو أمر تعبدي منزّه عن أي محاولة للبحث وراء الحكمة أو الهدف... ولا شك في أن الله جل وعلا قد أراد لنا بهذا الاختيار خيراً عظيماً احتفظ به في علم الغيب عنده. ومن هذا المنطلق، فإنني اعتقد أن تسليط أضواء الفكر على هذه القضية غايته استهداف الكشف عما يخفيه هذا التكليف من مكامن الخير للمكلفين، لا ينبغي أن ينظر إليه على أنه من سوء الأدب مع الله سبحانه وتعالى، بل هو - على العكس - أمر منسجم تماماً مع الهدف من التكليف... كما أن ممارسة هذا التفكير إنما هي اجتهاد في تجسيد معاني الطاعة التي هي جوهر كل العبادات. وفي هذا تعميق وتأصيل لإيمان العباد بقدوة من يتقربون إليه بها، وهذه محاولة مشكورة للكشف عن أبعاد جديدة لعظمة الإسلام الذي ارتضاه لهم ديناً.

- وأول نفع يتضمنه اختيار شهري قمري للصيام هو أنه يربط بين العبادة وبين ظاهرة فلكية تدركها حواس المتعبدين هي ظهور الهلال... وهذا الارتباط من شأنه أن يجسد ارتباطهم بمعبودهم عن طريق تحري الهلال وترقب ظهوره ثم مشاهدته... ففي كل ذلك استحضار لعظمة الخالق... ولعل هذا هو المعنى العلمي الكامن وراء أمر رسول الإسلام اتباعه بالتهليل والتكبير والتسبيح عند رؤية الهلال - وهو أمر يتجدد مع بداية كل شهر ويكون له أثره الخاص في آخر ليالي شعبان، حيث يكون ثبوت رؤية هلال رمضان مصحوباً بانتعاشة روحية فياضة، وبخاصة في آخر ليالي رمضان، حيث يبقى المسلمون في المساجد في انتظار الإعلان الشرعي، فإذا لم تثبت رؤية هلال شوال أقاموا صلاة التراويح وهم يغتنمون الزيادة في الخير، وإذا ثبتت الرؤية باتوا وأصبحوا مهللين مكبرين، وبادروا مع الفجر إلى المساجد وقد غمرت الفرحة قلوبهم ودبَّ النشاط في أبدانهم، وفي كلتا الحالين تكون المفاجأة - بعد الانتظار - مدعاة لإنعاش القلب والروح.

وإلى جانب هذه الفائدة التعبدية تتحقق للصائم فائدة من نوع آخر نتيجة للفرق بين طول السنة القمرية «التي هي ٣٥٤ يوماً تقريباً» وطول السنة الشمسية «التي هي ٣٦٥ يوماً وست ساعات»... ففي كل عام يحل رمضان في تاريخ ميلادي مبكّر عن تاريخ حلوله في العام السابق بأحد عشر يوماً، ومن عام لآخر يزيد هذا الفرق إلى اثني عشر يوماً، وبمرور السنين تتجمع الفروق لتصبح شهراً فشهرين فثلاثة أشهر، وعندئذ يهل رمضان في فصل جغرافي جديد فيصوم الناس في الخريف بعد أن ظلوا ثمانية أعوام أو أكثر يصومونه في الشتاء، وبعد انقضاء عدد مماثل من السنين يحل عليهم رمضان في الصيف ثم بالربيع، وهذا التغيير يحفّز الصائم إلى التفكير في مولج الليل في النهار، والنهار في الليل، فيستشعر قدرته مُسيِّراً لدورة الزمان... كما فيه ترويض للأبدان على مواجهة الجوع والعطش في ظروف مختلفة من حيث درجة الحرارة والطول النسبي بين الليل والنهار... فضلاً عن إبعاد الملل الذي كان من المحتمل أن ينتابهم لو ظلوا طوال حياتهم يصومون في ظروف مناخية واحدة في حال ما إذا كان شهر الصيام شهراً شمسياً «وهو الأمر الذي لم يشأه الحكيم العليم والذي نحمده عليه».

وبتوالي مرور السنين إلى أن تنقضي على أول رمضان صامه أي مسلم مدة ثلاث وثلاثين سنة وبضعة أشهر يتجمع الفرق الزمني بين السنة الشمسية والقمرية ليصبح عاماً قمرياً كاملاً، وبهذا يحل رمضان على الصائم ابن الخمسة والأربعين عاماً في الشهر الميلادي نفسه الذي كان قد حل فيها عندما صام للمرة الأولى في حياته... فتتاح له فرصة يستعيد فيها ذكريات صباه... فإذا امتد به العمر حتى بلغ الثمانين أتيحت له فرصة معايشة هذه التجربة النادرة مرة ثانية ليعيش في كهولته مع ذكريات شبابه أو رجولته... ويقف مع نفسه على محطات عمره وقفات ربما رفعته إلى محاسبتها والعمل على تلافي خطيئات الماضي، فلو نجح كان هذا دافعاً له إلى أن يشكر الله الذي جعل الحياة زيادة له في كل خير. ■

الصوم ...
تكامل في بناء الشخصية

بقلم : د. حسن عبدالغني أبو غدة

فرض الله تعالى صيام شهر رمضان في السنة الثانية للهجرة، وكان الصيام قبل ذلك معروفاً في الأديان السابقة، يقول الله تعلى في الآية ١٨٣ ـ ١٨٤ من سورة البقرة: (يأيها الذين آمنوا كُتب عليكم الصيام كما كُتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون. أياماً معدودات....)

وقد أومأت هذه الآية وغيرها، إلى أن الصوم ليس غاية لذاته، بل هو وسيلة تعبدية ناجعة لتحقيق الغاية الكبرى التي هي «التقوى»، ومن أجل ذلك ختم الله تعالى الآية السابقة بقوله «لعلكم تتقون». والتقوى في لغة العرب: لفظ مشتق من الوقاية، التي تعني: الحفظ والصيانة، والمنع من الأذى والضرر. وإذا كان الأمر كذلك، فما الذي نتقيه بالصوم؟ وما الذي يحققه الصوم لنا؟

الصوم دورة تربوية:

من فوائد الصوم ومنافعه المقصودة، تهذيب النفس وتربيتها على الخشية من الله تعالى في السرِّ والعلن، إذ لا رقيب على الصائم سوى ربه، فإذا أحسَّ بالجوع أو العطش، أو تراءت له الشهوات والملذات، أحجم عن تناولها وتسامى عنها، بدافع من إيمانه العميق وشعوره القوي بمراقبة الله تعالى له، وفي هذا يصدق الحديث القدسي الذي رواه البخاري: «يترك طعامه وشرابه وشهوته من أجلي، الصيام لي وأنا أجزي به».



الصوم التزام وانضباط:

يعتبر الصيام وسيلة فعالة في تعويد النفس على الالتزام والانضباط، ويظهر هذا في تحديد الأوقات التي يُباح فيها الأكل والشرب ونحوهما من المفطرات، وفي تحديد الأوقات التي يُمتنع فيها عن ذلك، قال الله تعالى في الآية ١٨٧ من سورة البقرة: (وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ثم أتموا الصيام إلى الليل...).

كما يظهر هذا الانضباط في التزام آداب الصيام، والبعد عن تفلُّت الأعضاء والجوارح، وكف اللسان عن الجهل في القول... قال النبي - ﷺ - «من صام رمضان وعرف حدوده، وتحفَّظَ مما ينبغي له أن يتحفَّظ، كفَّر ما قبله» رواه البيهقي وابن حبان في صحيحه. وروى الشيخان أن النبي - ﷺ - قال: «إذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب - أي لا يسبّ ولا يرفع صوته بالخصومة - فإن سابَّه أحد أو قاتله، فليقل: إني صائم، إني صائم...».

رمضان شهر الرحمة والجود والتكافل:

إن الصيام الشرعي يولد الإحساس المرهف في الصائم نفسه، ويبعث فيه مزيداً من الشفقة والرحمة، وتفقّد البائسين والمحرومين، الذين ضاقت

عليهم الدنيا بأسباب العيش الكريم المناسب، من غذاء وكساء ولباس ودواء وسكن، يجدون فيه الطمأنينة والاستقرار... وهنا يأتي دور الصيام ليحمل الصائم على مواساتهم والرفق بهم، والوقوف إلى جانبهم، وإيصال البسمة إلى أفواه أطفالهم... ولقد كان هذا ديدن الحبيب المصطفى ﷺ - فقد روى الشيخان: «أن رسول الله ﷺ كان أجود ما يكون في رمضان، كأنه الريح المرسلة...» أي: من كثرة هباته وصدقاته وعطائه للجيران والأصحاب والفقراء والمساكين بشكل خاص.

الصوم يحقق المساواة:

من فوائد صيام شهر رمضان المقصودة من الشرع تحقيق معنى المساواة في الانقياد والطاعة والتكليف، لا فرق في ذلك بين فقير وغني، وعظيم وسوقة فكلهم يؤدي فريضة واحدة، يشتركون معاً في بداية الوقت وفي نهايته، لا يتأخر بعضهم عن بعض، ولا يسبق بعضهم بعضاً، ويجمعهم ظرف زماني واحد، ومشاعر متماثلة، تحقق لهم جميعاً مزيداً من التآلف الاجتماعي والتعاضد الأخوي.

ولعل أوضح مثال تطبيقي لهذا المعنى من المساواة، ما نراه - على شاشة التلفاز - في المسجد الحرام والمسجد النبوي الشريف، حين يجتمع الصائمون - على اختلاف مستوياتهم ودون تعارف سابق - حول موائد الإفطار البسيطة المتواضعة، التي تُعدُّ للجميع، ويحضرها من شاء، دون تردُّد ولا تلوُّم... امتثالاً لقول النبي ﷺ : «من فطَّر صائماً كان له مثل أجره، وصلَّت عليه الملائكة في ساعات شهر رمضان، وعُتق من النار»، رواه الطبراني وابن حبان وابن خزيمة.

الصوم عافية للجسم:

من الأمور المتفق عليها عند الباحثين في العلوم الصحية: أن الصوم «الحمية» يحرِّر الجسم من الالتهابات والميكروبات والصديد، ويخلّصه من الرواسب الضارة والتخمُّرات المؤذية، وهو يريح الأعضاء والجوارح، وينشّط البدن، ويقوِّي الفكر.

بل إن كثيراً من الأطباء يعمدون إلى نصح مرضاهم بالصوم، «تقليل الطعام وضبط مواعيده» وهذا ما قصده الإسلام في تشريعه للإفطار وللسحور، ثم الامتناع عن المفطرات بقية اليوم، وصدق رسول الله ﷺ - حيث يقول: «صوموا تصحوا»، رواه أحمد والطبراني وأبو نعيم.

وقد جاء في إحدى «المجلات المتخصصة» أنه كُتب على مدخل إحدى المصحات الطبية في ألمانيا عبارة «صوموا تصحوا» وكتب في أسفلها عبارة: «محمد بن عبدالله».

هذا، ولا ينكر الأطباء أن الصوم علاج ناجع للأمراض الباطنية والجلدية، وأمراض السكر والالتهابات الكبدية وغير ذلك.

يقول البروفسور إليكسيس كارليل الحائز على جائزة نوبل في الطب: «إن كثرة وجبات الطعام وانتظامها ووفرتها، تعطل وظيفة أدّت دوراً عظيماً في بقاء الأجناس البشرية، وهي وظيفة التكيُّف مع قلة الطعام. ولذلك كان الناس يلتزمون الصوم في بعض الأوقات. والأديان كلها تدعو الناس إلى الصوم، وظهر الآن أن من فوائده تحريك سكَّر الكبد وتحريك الدهن المخزون تحت الجلد، وبروتينات العضل، والغدد وخلايا الكبد... ما ينتج عنه كمال في الوسط الداخلي للجسم وسلامة للقلب وتنظيف للأنسجة.

رمضان مظهر لوحدة المسلمين في العالم:

يحقق الصوم في رمضان مظهراً واضحاً ومطلباً عزيزاً على نفس كل مسلم، ألا وهو وحدة المسلمين في شتى أنحاء العالم، وهذا المظهر يذكّرنا بأمجاد الإسلام، وبقوة الأمة الإسلامية وتطلعاتها، كما يذكّرنا بقدرات المسلمين وإماكاناتهم في أنحاء الكرة الأرضية - التي يفترض أن توجه اليوم إلى الطريق الأمثل في التكافل والتعاون، ليتحقق للشعوب الإسلامية مزيد من الازدهار والرقي والتقدم.

رمضان شهر التواصل الاجتماعي:

من فوائد شهر رمضان أنه يجمع الأفراد والأسر بعضها إلى بعض، في أوقات الإفطار وفي أوقات السحور، في جو عائلي أسري، تغشاه معالم الألفة والمحبة والإيثار.

كما يحقق شهر رمضان لأهل كل حي، بل لأهل كل قرية ومدينة فرصة للالتقاء والتعارف، وتجديد الصلات والعلاقات الاجتماعية، وذلك في المساجد في أثناء الصلوات، وفي حلقات العلم والوعظ، وفي المحافل والندوات الثقافية والعلمية ما يعود على الجميع بالتآلف والتعاضد والتكافل.

هذه بعض مقاصد الإسلام من شهر رمضان، ومن الصيام فيه، وهي في مجملها تتنوع إلى أهداف تربوية، وسلوكية، وإنسانية، وسياسية، واجتماعية، وتعليمية.

أخيراً: إذا كان في شهر رمضان كلُّ هذه الفيوضات المتنوعة الخيِّرة التي تتجدد كل عام، فلا غرو أن يحتفي الإسلام بهذا الشهر ويفرض صيامه على المسلمين، لأنه الظرف الزماني الأنسب لتصعيد اتصال المسلم بخالقه، اتصال طاعة وانقياد، لترويض النفس والجسم على ما يُرضي الله تعالى، ويحقق المعنى المختزن في قوله: «لعلكم تتقون» وقاية مادية ومعنوية مطلقة. ■

نظرات علمية في صيام رمضان

بقلم : د. حسان شمسي باشا

مع إطلالة شهر رمضان يتوق مئات الملايين من المسلمين لصيام رمضان، وعلى الرغم من أن هناك ما يربو على ٤٠٠ مليون مسلم يصومون هذا الشهر العظيم، إلا أن ليس كل أولئك الصائمين من الأصحاء، فهناك الملايين من المرضى الذين يتوقون لصيام شهر رمضان، ويتحرقون لوعة وأسى أن وجدوا أنفسهم غير قادرين على الصيام. وللأسف الشديد، فمازالت الأبحاث العلمية حول رمضان قليلة جداً، ففي بحث علمي أجري العام ١٩٩٧م، لرصد كل ما نُشر في المجلات الطبية حول تأثير صيام رمضان، وجد الباحثون أنه لم يكن هناك سوى ٢٨٢ بحثاً نشر في المجلات الطبية. وقد أجريت تلك الدراسات في عدد من البلدان الإسلامية وأميركا، وفي شهر ديسمبر ١٩٩٧م عقد في استانبول مؤتمر أقامته منظمة الملك الحسن الثاني للأبحاث الطبية في رمضان، لدراسة تأثير الصيام على الأمراض المختلفة. وقُدِّم في هذا المؤتمر خمسون بحثاً، ومع ذلك تظل تلك الأرقام ضئيلة جداً نظراً للأهمية القصوى لذلك الموضوع بالنسبة للملايين من المرضى المسلمين الذين يتوقون لصيام شهر رمضان.

وفي حين أظهرت الدراسات عدم تأثر فحوص الدم المختلفة من سكر الدم، ووظائف الكلى وشوارد الدم، ووظائف الكبد بالصيام عند الأصحاء، فقد كان هناك بعض التباين في نتائج تأثير الصيام على دهون الدم، حيث أشارت بعض الدراسات إلى أن الكولسترول والدهون الثلاثية لا تتأثر بالصيام لا زيادة ولا نقصاناً، إلا أن دراسات أخرى أشارت إلى زيادة معدلاتها في رمضان. ويعزو الباحثون سبب ذلك لا للصيام، وإنما للإفراط في تناول الطعام واتخام المعدة بما لذ وطاب عند الإفطار.

ولم تظهر الدراسات العلمية أي تأثير للصيام على هرمونات الدم، كما أكدت الأبحاث انخفاض حدوث الذبحة الصدرية وارتفاع ضغط الدم، وهبوط معدلات الانتحار في رمضان، ولم يشاهد أي ازدياد في نسبة حدوث فشل القلب والسكتة الدماغية أو نوبات نقص سكر الدم خلال شهر رمضان.

مريض السكر في رمضان:

يقدِّر الباحثون - كما يقول الدكتور «عزيزي» في بحث قدّمه في المؤتمر الثاني عن الصحة ورمضان والذي عقد في شهر ديسمبر ١٩٩٧م - أن هناك ٨ ملايين مسلم مصابون بمرض السكر يصومون شهر رمضان كل عام. وهذا يكفي لدفع الأطباء في العالم الإسلامي إلى معرفة تأثيرات الصيام على مرضى السكر في رمضان معرفة عميقة، ومن ثم يستطيعون توجيه المرضى المصابين بمرض السكر إلى ما فيه خيرهم وصلاحهم.

وقد يتأرجح مستوى السكر بشكل طفيف تبعاً لعادات المريض الغذائية وآليات استقلاب سكر الدم.

وتشير الدراسات الحالية إلى أنه لم تحدث أي مشاكل مهمة عند صيام مرضى السكر من النوع الثاني «الذين يتناولون الحبوب الخافضة لسكر الدم»، أما المرضى الذين يتناولون الإنسولين فلا يُنصحوا عادة بالصيام، أما في الحالات الخفيفة لمرضى السكر المعتمدين على الإنسولين فقد يصر بعض المرضى على الصيام، وربما يمكن إعطاء هؤلاء جرعة واحدة من الإنسولين المتوسط التأثير قبل السحور، وقد يعطى مريض السكر جرعة أخرى عند الإفطار، ومع ذلك يجب استشارة الطبيب قبل ذلك.

أما في المرضى الذين يتناولون جرعتين من الحبوب الخافضة لسكر الدم. فينبغي تناول الجرعة الأولى عند الإفطار وهي الجرعة التي كانت تؤخذ عند الصباح، أما

الجرعة الثانية فتؤخذ عند السحور، ويعطى مريض السكر نصف الجرعة التي كان يأخذها في المساء.

هل يستطيع مرضى القلب الصيام؟

قدَّم كاتب هذا المقال بحثاً في مؤتمر جمعية أمراض القلب في شهر فبراير العام ١٩٩٨م وقد قام بإجراء تجارب هذا البحث في مستشفى الملك فهد للقوات المسلحة في جدة بالمشاركة مع الدكتور فواز الأخرس والدكتور مجد رستم على ٨٦ مريضاً مصاباً بأمراض القلب المختلفة من مرضى شرايين القلب أو فشل القلب أو آفات صمامات القلب، وكان وضع هؤلاء المرضى الصحي مسيطراً عليه بشكل جيد بالأدوية.

وقد استطاع ٨٦٪ من هؤلاء صيام شهر رمضان كله، و١٠٪ من المرضى اضطروا إلى الإفطار أياماً معدودة في رمضان. ومع نهاية شهر رمضان، شعر ٧٨٪ منهم بتحسّن في حالهم الصحية، في حين شعر ١١٪ منهم بازدياد الأعراض التي كانوا يشكون منها. وواظب على تناول الدواء ٩٣٪ منهم بشكل جيد، وتبيّن من الدراسة أنه لم تكن هناك تبدلات تذكر في الفحوص الدموية الكيماوية من سكر الدم أو الكولسترول أو شوارد الدم أو حمض البول أو ظائف الكبد.

واستنتج الباحثون أن معظم المرضى المصابين بأمراض القلب والمستقرين من الناحية الصحية، يستطيعون صيام شهر رمضان من دون أي مشكلات تذكر، شرط تناولهم لأدويتهم بانتظام، ولابد من الإشارة إلى ضرورة استشارة الطبيب قبل اتخاذ أي قرار في الصيام.

هل تتأثر هرمونات الجسم بالصيام؟

وجد الباحثون أن هرمونات الشدة وهي الكورتيزول والبرولاكتين لاتتأثران بالصيام. أي أن الصيام حال صحية غير مجهدة للجسم.

وفي بحث قدمه الدكتور فريدون عزيزي في مؤتمر استنابول، استعرض فيه كل الدراسات التي أجريت على الهرمونات في رمضان، فتبين أنه لم تحدث أي تبدلات تذكر في هرمونات الغدة الدرقية، ولم تحدث أي تبدلات تذكر في معدلات هرمون الذكورة التوستسرون، أو الهرمونات الأنثوية LH, FSH أو البرولاكتين.

واستنتج الباحث أن وظائف الغدد ومستوى هرمونات الغدة النخامية أو الغدة الدرقية أو هرمونات الذكورة والأنوثة لم تتغير خلال صيام رمضان.

هل تزداد دهون الدم في رمضان؟

وجد بعض الباحثين حدوث ارتفاع في معدل دهون الدم في رمضان، في حين لاحظ آخرون، عدم حدوث أي ارتفاع في كولسترول الدم خلال شهر رمضان.

وفي بحث نُشر العام ١٩٩١م، شرح الدكتور صباح محمد باقر أسباب ارتفاع دهون الدم عند الصائمين، ومن هذه الأسباب اقتصار بعض الصائمين على تناول وجبة طعام واحدة، ذات سعرات حرارية عالية عند الإفطار، وكذلك نوعية الطعام المتناول المفعم بالدهنيات والسكريات، كما أن عدم القيام بأي نشاط يذكر في أثناء الصيام، والخلود إلى الكسل والراحة من أسباب ارتفاع الدهون بالدم، فإذا ارتفعت الدهون قليلاً في نهاية شهر رمضان، فإنما سببه بعض الممارسات المغلوطة لبعض الصائمين، حيث يحرص هؤلاء على تناول كميات كبيرة من الطعام في أثناء شهر رمضان. وإذا ما أردنا أن نستفيد من صيام رمضان فلا بد لنا من التأسي بالرسول ﷺ في هديه عند الإفطار وفي تناول الطعام.

هل يزداد حدوث السكتة الدماغية في رمضان؟

سؤال طرحه باحثون في جامعة استنابول، فقد قام هؤلاء الباحثون بدارسة ٥٥٥٩ حالة سكتة دماغية حدثت خلال الفترة بين ١٩٨٤م - ١٩٩٤م، وأدخل أصحاب هذه الحالات إلى مستشفى جامعة استانبول، وكان عمر هؤلاء المرضى يتراوح بين ١٧ - ١٠١ سنة، استنتج الباحثون في نهاية بحثهم أن معدل السكتة الدماغية لم يختلف في رمضان عنه في الأشهر الأخرى، كما أن نسبة الوفيات بسبب السكتة الدماغية لم تختلف أيضاً في شهر رمضان عنها في بقية الأشهر. وقد قُدِّم هذا البحث في المؤتمر العالمي الثاني عن الصحة ورمضان، والذي عقد في استانبول في شهر ديسمبر ١٩٩٧م.

هل يتأثر التركيز في رمضان؟

أوجد الله في جسم الإنسان هرموناً يطلق عليه اسم «هرمون مانع خروج الماء»، ويفرز هذا الهرمون من الدماغ، ويعمل على امتصاص الماء في الجسم عن طريق الكليتين، ومن العوامل التي تزيد من إفراز هذا الهرمون عدم شرب الماء وكثرة التعرق... إلخ.

ومن المعلوم أن الصائم في رمضان يمتنع عن شرب الماء منذ الفجر وحتى الغروب، ومن المفترض أن مستوى هذا الهرمون يرتفع في فترة الصيام.

وقد وجد الباحثون في بحثين نشرتهما مجلة اللانسنت البريطانية، وأجريا على بعض الحيوانات المخبرية أن الهرمون يزيد من سرعة تعلّم تلك الحيوانات وينشّط ذاكرتها، ولا يعرف بالضبط علاقة هذا الهرمون بالذاكرة عند الإنسان، وربما تشير الأبحاث المستقبلية إلى أن الصيام لا يؤدي إلى ضعف ذهني أو قلة في التركيز كما يظن البعض، بل ربما يحسّن من القدرة على التركيز.

ونود أن نؤكد هنا أن المقصود بالصيام هو الصيام الصحي وليس صيام الذين يسهرون الليل كله وينامون معظم النهار!!.

وكنا في بريطانيا نصوم - عندما يأتي رمضان في فصل الصيف - حتى التاسعة أو العاشرة مساء «وقت الغروب»، ونعمل في المستشفيات بنشاط ومثابرة، ولم يتأثر عندنا لا التركيز الذهني ولا المحاكمة العقلية بالصيام!. ■

الصيام في الأدب العربي

بقلم : د.عبدالله عبدالعزيز إدريس

«من أحب الله تعالى أحب رسوله محمداً ﷺ، ومن أحب الرسول العربي أحب العرب، ومن أحب العرب أحب العربية التي نزل بها أفضل الكتب على أفضل العرب والعجم، ومن أحب العربية عني بها، وثابر عليها، وصرف همته إليها». (أبو منصور الثعالبي النيسابوري من مقدمة كتاب فقه اللغة)

من نعم الله على المسلمين أن شرع لهم من العبادات ما يوثّق صلاتهم بربهم، ويهذّب طباعهم من نوازع الأثرة، وألف العادة.

ومن أهم ما يحتاج إليه الإنسان تربية الإرادة، وقوة العزم على فعل الخير والابتعاد عن الشر.

والإسلام - الدين الخاتم - وهو يعني ببناء الفكر الإنساني، ويتعهد وجدانه كي لا يتبع هواه، فينحرف عن الصراط المستقيم، وحتى يكون وجدانه إنسانياً في عواطفه وميوله، يحب الآخرين لاشتراكهم معه في الإنسانية، باعتبارهم اخوة، برغم اختلاف لغاتهم وبلدانهم.

الإسلام وهو يعني بهذين الجانبين يعطي اهتماماً كبيراً لبناء الإرادة، لا ليتجرد الإنسان من تأثير الهوى والغرائز الطبيعية، بل لتكون له السيطرة على أهوائه، فيقودها ولا تقوده هي.

وبسيطرة الإنسان على إرادته يستقيم تفكيره، ويسلم منطقه، ويبتعد عن ضغط الهوى، ويكون إنساني العواطف والارتباطات، والصيام الركن الرابع من أركان الإسلام، عبادة بين العبد وربه، تتضح فيها قيمة الصدق فيما يفعله الإنسان بينه وبين نفسه، وبينه وبين خالقه، فالصيام عبادة «تضع الإنسان موضع الاختبار والامتحان أمام دوافع قوية تلح عليه وتشده نحوها... وهي دوافع البدن وما يتصل به من حاجات أو شهوات».

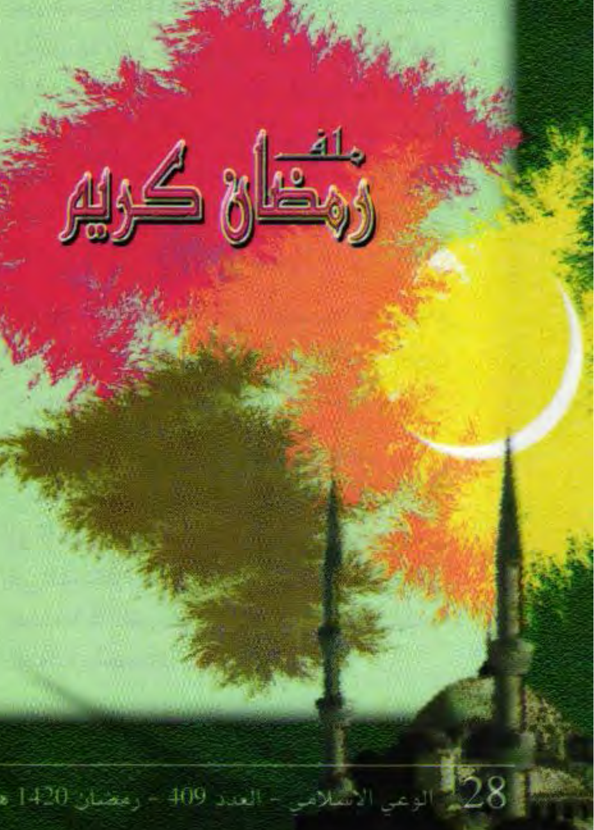
إن الصوم يضع الإنسان أمام امتحان المادة، امتحان الأكل والشرب والمتعة البدنية بكل ما لهذه المطالب من تأثير قوي، وما لحاجة الجسم إليها من إلحاح.

فإذا لم يستجب الصائم لتلك الإغراءات، إغراءات الأكل اللذيذ والمتنوع مصحوباً بتأثير الإلف والعادة، وإغراءات الشرب البارد والساخن، وإغراءات المتع البدنية... إذا لم يستجب الإنسان الصائم لكل هذه المغريات، ودفعها عن نفسه، فإنه سيصل إلى التمكن من قوة الإرادة، والتحكم في رغباته ومطالبه، بحيث يكون عزمه على العمل أو الترك بيده، فيقوى على مقاومة أي ضغوطات قد يتعرض لها في حياته، ويكون بذلك إنساني التفكير والوجدان، وإنساني الإنتاج، وباختصار مسلماً في أفكاره وسلوكه وأعماله.

وهكذا فالصيام يهدف إلى بناء الإرادة التي تعين الإنسان وتمده بطاقة تمكّنه من رفض المذلة، وعدم الاستجابة لما يمسّ الكرامة الإنسانية. إن أصعب ما يشد الإنسان إلى الأرض، ويحول بينه وبين التسامي بسلوكه هو المادة ومطالب المادة، ونوازع الأثرة، وبأداء عبادة الصيام يتعلم الصائم كيف يتحكم فيما يجب أن يفعله، وفيما يجب أن يتركه، وذلك على الرغم من توافر الدواعي التي من شأنها أن تجعل فعل ما يجب أن يترك أمراً صعباً وشاقاً على النفس التي لم تترق بأداء عبادة الصيام.

ولذلك كان الإنسان الذي تربى في مدرسة الصيام، وحصل على شهادة التحكم فيما يجب أن يفعل، وفيما يجب أن يترك، إنساناً لا يفرّط في كرامته الإنسانية تحت أي إغراءات، فلا يقبل حياة ذليلة، ولا يهبط إلى مستوى لا يليق به ولا يليق بمكانته كإنسان خلقه الله ليكون خليفته في هذه الأرض.

ومعلوم أن عبادة الصيام ليست العبادة الوحيدة التي أنعم الله بها على الإنسان لتربيته، حيث ترقى به إلى مستوى الإنسان المثالي، فهناك بقية العبادات التي منها الصلاة، والزكاة، والحج، تعمل جميعها



متناسقة متآزرة للارتفاع بالإنسان إلى المستوى اللائق به بين بقية الكائنات التي سخّرت له ليكون سيدها ترقى بأداء ما فرض الله عليه، أو يهبط إلى مستوى لا تهبط إليه الكائنات غير المكلفة إذا تخلى عن أداء ما يكون عبداً شكوراً، ومؤمناً ملتزماً بفرائض العبودية.

المعنى اللغوي للصيام:

الصوم مصدر، فعله: «صام» يصوم صوماً وصياماً، يقال: رجل صوم، ورجلان صوم، وقوم صوم، وامرأة صوم، لا يثنى ولا يجمع، لأنه نعت المصدر، ومعناه: رجل ذو صوم، وامرأة ذات صوم، ورجل صوّام قوام إذا كان يصوم النهار، ويقوم الليل، ورجال ونساء صوم وصيم، وصوام، وصيام.

وورد الصوم بمعنى الصمت في قوله تعالى في سورة مريم الآية:٢٦: (إني نذرت للرحمن صوماً فلن أكلم اليوم إنسياً).

قال أبو عبيد: كل ممسك عن كلام أو طعام أو سير فهو صائم، وبتتبع كلمة الصوم في الأدب العربي نجد أنها استعملت بمعنى القيم، بقول المزرد أخو الشماخ: يزيد بن ضرار بن حرملة شاعر ذبياني غطفاني مشهور، أدرك الإسلام وأسلم.

تقول إذا أبصرته وهو صائم
خباء على نشز أو السيد ماثل(١)

وهذا البيت من قصيدته التي يقول في مطلعها:

صحا القلب عن سلمى ومل العواذل
وما كاد لأيا حب سلمى يزايل

فؤادي حتى طار غي شبيبتي
وحتى علا وخط من الشيب شامل(٢)

يقنئه ماء اليرناء تحته
شكير كأطراف الثغامة ناصل(٣)

فلا مرحباً بالشيب من وفد زائر
متى بات لا تحجب عليه المداخل

وسقيا لريعان الشباب فإنه
أخو ثقة في الدهر إذ أنا جاهل(٤)

وفي خاتمتها يقول:

فلما تنهات نفسه من طعامه
وأمسى طليحا(٥) ما يعانيه باطل

تغش - يريد النوم - فضل ردائه
فأعيا على العين الرقاد البلابل

ووردت كلمة الصوم بمعنى القيام كذلك في قصيدة ربيعة بن مقروم بن قيس بقوله:

وبالماء قيس أبو عامر
يؤملها ساعة أن تصوما

وأبو عامر هو القانص، وتصوم هنا بمعنى تقف.

ما قيل في الصيام والجوع:

قال لقمان لابنه: يا بني، كل أطيب الطعام، ونم على أوطا الفراش، يقول: أكثر الصيام، وأطل بالليل القيام. ومما قيل في الجوع: «نعم الإدام الجوع، ما ألقيت إليه قِبَلَهُ»، ومما ورد في بيان مزايا الجوع، ما قيل من أن رجلاً من أهل المدن سأل رجلاً من أهل البادية: يا أخي، إني لأعجب من أن فقهاءكم أظرف من فقهائنا، وعوامكم أظرف من عوامنا، ومجانينكم أظرف من مجانينا.

قال: أو ما تدري لِمَ ذلك؟ قلت: لا، قال: من الجوع، ألا ترى أن العود إنما صفا صوته لخلو جوفه. وسئل بعض الأطباء: أي وقت عن الطعام فيه أطيب وأفضل قال، أما لمن قدر فإذا جاع، وأما لمن لم يقدر فإذا وجد.

وعادة الجوع فعلاً عصمة وغنى
وقد يزيدك جوعاً عادة الشبع

ومما قيل في الاستبشار بقدوم شهر رمضان:

جاء الصيام فجاء الخير أجمعه
ترتيل ذكر وتحميد وتسبيح

فالنفس تدأب في قول وفي عمل
صوم النهار وبالليل التراويح

وتزخر كتب الأدب والطرائف بالتعليقات الظريفة حول الصيام، أذكر منها ما جاء فيمن ترك صيام شهر رمضان: قدم أعرابي إلى أحد الولاة فقيل له: إنه أفطر رمضان، فقال الأعرابي: إن الله يعلم أني صائم، ولكني وجدت حماوة(٦) في فؤادي، فأردت أن أفتأها(٧) بشربة.

وقيل لجالينوس: إنك تقلّ من الطعام، قال: غرضي من الطعام أن آكل لأحيا، وغرض غيري من الطعام أن يحيا ليأكل.

لماذا سمي شهر الصيام بشهر «رمضان»؟:

وردت اجتهادات كثيرة حول تسمية شهر الصيام بشهر رمضان، قيل: لأن الرمضاء تطلق على الأرض الشديدة الحرارة، وكان الشهر حاراً عند تسميته، فأطلق عليه هذا الاسم «رمضان»، وقيل لأن التعبد فيه يرمض الذنوب ويحرقها، فلذلك سمي شهر رمضان.

فضل شهر رمضان:

عن أبي هريرة أن رسول الله - ﷺ - قال: قال الله - عز وجل - «كل عمل ابن آدم له إلا الصيام، فإنه لي، وأنا أجزي به، والصيام جنة، فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث، ولا يصخب، ولا يجهل، فإن شمته أحد، أو قاتله، فليقل: إني صائم، والذي نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم، أطيب عند الله يوم القيامة من ريح المسك، وللصائم فرحتان يفرحهما: إذا أفطر فرح بفطره، وإذا لقي ربه فرح بصومه» رواه مسلم «جنة: مانع من المعاصي، الرفث: الفحش في القول، يصخب: يصيح، يجهل: يسفه».

وعن سهل بن سعد إن النبي - ﷺ - قال: «إن للجنة بابا، يُقال له: الريان، يُقال يوم القيامة: أين الصوم أين الصائمون؟ فإذا دخل آخرهم أغلق ذلك الباب» رواه البخاري ومسلم.

وعن أبي هريرة أن النبي - ﷺ - قال لما أقبل رمضان: «قد جاءكم شهر مبارك، افترض الله عليكم صيامه، تفتح فيه أبواب الجنة، وتغلق فيه أبواب الجحيم، وتغل فيه الشياطين، فيه ليلة خير من ألف شهر من حُرِمَ خيرها فقد حُرِمَ». رواه أحمد والنسائي.

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله - ﷺ - : «من صام رمضان إيماناً واحتساباً غُفِرَ له ما تقدم من ذنبه» رواه أحمد وأصحاب السنن.

مدرسة الصوم:

إن الصوم مدرسة شاملة، تربي قوة العزيمة، وصلابة الإرادة، والشعور بالقدرة على الاستقلال، والاستغناء عن كثير من المطالب البدنية والغريزية. وهو مدرسة تعيد التوازن بين الروح والمادة، فبإضعاف الطغيان المادي تتجلى الروح بشفافيته ونصاعته، ويزال الغبش الذي ران على النفس بفعل الماديات وإشباع الغرائز، وتصفو النفس بإعادة التوازن بين مكوناتها.

والصيام مدرسة اجتماعية بما تفيضه على الصائمين من شعور أخوي يذكرهم بذوي الحاجة الذين يكاد يكون صيامهم متصلاً طوال العام بسبب الفقر والفاقة، فيقوى بسبب ذلك الشعور على مساعدة الآخرين، والإحساس بآلامهم، وتلك نعمة لا يدركها إلا من جرّبها.

إن المجتمع الذي لا يحس أفراده بآلام إخوانهم مجتمع أثرة، مقطوع الصلات، محروم من التراحم والتعاطف والتحابب، والمجتمع الذي يفقد هذه الصفات لا طعم للحياة فيه وإن غصت أسواقه بآخر المصنوعات والمرفهات، فليس بالخبز وحده يحيا الإنسان، وليس بالماديات تكون السعادة، وإذا كانت مدرسة رمضان لا تعلّمنا إلا أن نعيش لبعضنا بعضاً، وأن يشعر بعضنا بآلام بعض، وأن نكون كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعت له سائر الأعضاء بالسهر والحمى. فذلك وحده كاف ليكون هدفاً من أهداف صيامه. ناهيك عن الفوائد الصحية التي يستفيدها الجسم من الصيام، والتحرر من قيود العادة، وأسر التعود، وإلحاح المطالب المادية، وإغراءات إشباع الغرائز.

إن من أفضل من كتب عن فلسفة الصوم الأديب المرحوم مصطفى صادق الرافعي، ولدقة كتابات هذا الأديب المبدع، وعمق معانيها، وصدقها وجدت أن من المفيد اختيار نماذج منها غذاء للروح، وإثراء للأسلوب وإحياء اللغة:

«... الصوم فقر إجباري تفرضه الشريعة على الناس فرضاً، ليتساوى الجميع في بواطنهم، سواء منهم من ملك المليون من الدنانير، ومن ملك القرش الواحد، ومن لم يملك شيئاً، كما يتساوى الناس جميعاً في ذهاب كبريائهم الإنساني بالصلاة التي يفرضها الإسلام على كل مسلم، وفي ذهاب تفاوتهم الاجتماعي بالحج الذي يفرضه على من استطاع».

فقر إجباري يُراد به إشعار النفس الإنسانية بطريقة عملية واضحة كل الوضوح، أن الحياة الصحيحة وراء الحياة لا فيها، وأنها إنما تكون على أتمها حين يتساوى الناس في الشعور لا حين يختلفون، وحين يتعاطفون بإحساس الألم الواحد لا حين يتنازعون بإحساس الأهواء.

ومن هنا يتناول الصوم الإنسان المسلم بالتهذيب والتأديب والتدريب، ويجعل الناس فيه سواء: ليس لجميعهم إلا شعور واحد، وحس واحد، وطبيعة واحدة، ويحكم الأمر فيحول بين هذا البطن وبين المادة، ويبالغ في إحكامه فيمسك حواشيه العصبية في الجسم كله يمنعها تغذيتها ولذتها حتى نفثة من دخينة.

هكذا يصور قلم الرافعي - عليه رحمة الله - فريضة الصوم، ويتفنن في توضيح أهدافها وحكمها، وفوائدها ومحاسنها، بأسلوب كما وصفه المرحوم سعد زغلول: «بيان كأنه تنزيل من التنزيل، أو قبس من نور الذكر الحكيم». وعندما يصدق الإيمان، وتجتمع الموهبة والعلم، يكون الإبداع ويكون الفن الذي لا يزيد مع مرور الأيام إلا جدة، ونفاسة وتأثيراً.

الصوم يربي الرحمة في النفس:

لنقرأ ما كتبه الرافعي في مجال تربية الوازع الداخلي، وتقوية الروح الإنساني: «من قواعد النفس أن الرحمة تنشأ عن الألم، وهذا بعض السر الاجتماعي العظيم في الصوم، إذ يبالغ أشد المبالغة، ويدقق كل التدقيق، في منع الغذاء وشبه الغذاء عن البطن وحواشيه مدة آخرها آخر الطاقة، فهذه طريقة عملية لتربية الرحمة في النفس، ولا طريقة غيرها إلا النكبات والكوارث، فهما طريقتان كما ترى: مبصرة وعمياء، وخاصة وعامة، وعلى نظام وعلى فجأة.

ومتى تحققت رحمة الجائع الغني للجائع الفقير، أصبح للكلمة الإنسانية الداخلية سلطانها النافذ، وحكم الوازع النفسي على المادة، فيسمع الغني في ضميره صوت الفقير: «أعطني» ثم لا يسمع منه طلباً من الرجاء، بل طلباً من الأمر لا مفر من تلبيته والاستجابة لمعانيه، كما يواسي المبتلى من كان في مثل بلائه، أي معجزة إصلاحية أعجب من هذه المعجزة الإسلامية التي تقضي أن يحذف من الإنسانية كلها تاريخ البطن ثلاثين يوماً في كل سنة، ليحل في محله تاريخ النفس؟ وأنا مستقين أن هناك نسبة رياضية هي الحكمة في جعل هذا الصوم شهراً كاملاً من كل اثني عشر شهراً، وأن هذه النسبة متحققة في أعمال النفس للجسم، وأعمال الجسم للنفس، كأنه الشهر الصحي الذي يفرضه الطب في كل سنة للراحة

ملف رمضان كريم

والاستجمام وتغيير المعيشة، لإحداث الترميم العصبي في الجسم، ولعل ذلك آت من العلاقة بين دورة الدم في الجسم الإنساني، وبين القمر منذ يكون هلالاً إلى أن يدخل في المحاق، إذ تنتفخ العروق وتربو في النصف الأول من الشهر، كأنها في مد من نور القمر مادام هذا النور إلى زيادة، ثم يراجعها الجزر في النصف الثاني حتى كأن للدم إضاءة وظلاماً، وإذا ثبت أن للقمر أثراً في الأمراض العصبية، وفي مد الدم وجزره، فهذا من أعجب الحكمة في أن يكون الصيام شهراً قمرياً دون غيره».

الإعلان عن رؤية الهلال إعلان عن إثبات الإرادة:

والرافعي يفلسف معنى رؤية الهلال، ويستخرج منها الحكم، وهي حكمة تجد لها في النفس وقعاً وتأثيراً. «وفي ترائي الهلال ووجوب الصوم لرؤيته معنى دقيق آخر، وهو - مع إثبات رؤية الهلال وإعلانها - إثبات الإرادة وإعلانها، كأنما انبعثت أول الشعاع السماوي في التنبية الإنساني العام لفروض الرحمة والإنسانية والخير.

وهنا حكمة كبيرة من حكم الصوم، وهي عملية في تربية الإرادة وتقويتها، وبهذا الأسلوب العملي، الذي يدرب الصائم على أن يمتنع باختياره عن شهواته ولذة حيوانيته، مصراً على الامتناع، متهيئاً له بعزيمته، صابراً عليه بأخلاق الصبر، مزاولاً في كل ذلك أفضل طريقة نفسية لاكتساب الفكرة الثابتة، وترسخ لا تتغير ولا تتحول، ولا تعدو عليها عوادي الغريزة.

وإدراك هذه القوة من الإرادة العملية منزلة اجتماعية سامية، هي في الإنسانية فوق منزلة الذكاء والعلم، ففي هذين تعرض الفكرة مارة مرورها، ولكنها في الإرادة تعرض لتستقر وتحقق، فانظر في أي قانون من القوانين، وفي أي أمة من الأمم، تجد ثلاثين يوماً من كل سنة قد فرضت فرضاً لتربية إرادة الشعب، ومزاولته فكرة نفسية واحدة بخصائصها وملابساتها حتى تستقر وترسخ وتعود جزءاً من عمل الإنسان، لا خيالاً يمر برأسه مروراً».(٨)

إن الصوم مدرسة تربي في الصائمين قوة الإرادة، فتنقاد الشهوات للعقل، ويسيطر الحس الديني على النفس.

وصدق الله العظيم إذ يقول: (يأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على اللذين من قبلكم لعلكم تتقون) البقرة:١٨٣. وبالصوم يرتقي الإنسان بإنسانيته، وتسمو أخلاقه وطباعه.

ومن الأمور المسترعية للنظر أن أعظم انتصارات المسلمين حصلت في شهر رمضان المبارك. ففي السنة الثانية للهجرة، كانت غزوة بدر الكبرى.

وفي شهر رمضان من السنة الخامسة للهجرة كان استعداد المسلمين لغزوة الخندق حيث وقعت في شوال من العام نفسه.

وفي شهر رمضان في اليوم الحادي والعشرين من السنة الثامنة تم الفتح الأعظم فتح مكة، وتهاوت الأصنام، وتحررت مكة من الوثنية.

وفي رمضان من السنة التاسعة للهجرة كانت تبوك بدروسها وعبرها.

وفي رمضان من العام العاشر للهجرة كانت سرية اليمن.

وفي رمضان سنة ثلاث وخمسين للهجرة تم فتح العرب المسلمين لجزيرة رودس.

وفي شهر رمضان في العام واحد وتسعين للهجرة نزل المسلمون على الشاطئ الجنوبي للأندلس وظهرت بشائر النصر.

وفي شهر رمضان في العام اثنين وتسعين انتصر القائد المسلم طارق بن زياد على رودريك في معركة فاصلة، ودام بقاء المسلمين في الأندلس زهاء ثمانية قرون.

وفي شهر رمضان في العام أربعة وثمانين وخمسمئة للهجرة كان البطل صلاح الدين قد أحرز انتصارات كبيرة على الصليبيين حتى استخلص منهم معظم البلاد التي كانوا قد أخذوها.

وفي شهر رمضان في العام ثمانية وخمسين وستمئة للهجرة هزم المسلمون جنود التتار في عين جالوت.

إن هذه الأحداث تبرز الصلة الوثيقة بين الصوم وقوة الإرادة. وصدق الإيمان، فلا غرابة أن ينتصر المسلمون على أعدائهم بعد أن انتصروا على شهواتهم وغرائزهم وضعفهم، فانطلقوا في الأرض يعلون كلمة الله، ويرفعون لواء الحق عالياً، ينشرون الأمن والسلام، ويخلصون الناس من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الآخرة.

إن الذي لا يملك زمام نفسه لا يقوى على عمل شيء، وما لم يتم التوازن بين المادة والروح، وبين الدنيا والآخرة، فإن الإنسان يكون بعيداً عن إدراك دوره ووظيفته.

ولعل الصوم هو العبادة التي تعيد للإنسان توازنه، وتطهره من أدران الماديات، فيرتفع عن جاذبية الأرض إلى شفافية الروح الذي به ستكون عودته إلى دار النعيم إذا تغمده الله بفضل منه ورحمة. ■

الهوامش:

١ - الخباء: بيت من وبر أو شعر أو صوف يكون على عمودين أو ثلاثة ويطلق على المنزل كذلك، النشز: المكان المرتفع. السيد: الذئب، الماثل: الواقف. وهو من الأضداد، فيُقال للملاصق بالأرض ويُقال للذاهب أيضاً.

٢ - وخط الشيب: فشوه في الرأس. يقننه: يجعله أحمر قانياً، اليرناء: الحناء.

٣ - الشكير: أول ما ينبت من الشعر، الثغامة: نبت أبيض الثمر والظهر، ناصل: خرج من خضابه.

٤ - ريعان الشباب: أول الشباب.

٥ - طليحا: من الطلح والطلاحة، وهو الإعياء والضعف.

٦ - حمو الشمس: حرها، وحموة الألم: شدته.

٧ - أكسر حدتها.

٨ - مصطفى الرافعي، وحي القلم ج٢ دار الكتاب العربي - بيروت.

غزوة بدر دروس وعبر

بقلم : محمد الجاهوش

كانت غزوة بدر في شهر رمضان، من السنة الثانية الهجرية بعد أن كانت الفترة المكية غير مؤذن فيها بالقتال لأسباب نوجزها ـ بتصرف ـ مما كتبه شهيد الإسلام سيد قطب ـ رحمه الله ـ في ظلال القرآن:

أولاً: إن حرية البلاغ كان مكفولة في مكة، وكان صاحب الدعوة ـ ﷺ ـ يملك بحماية سيوف بني هاشم أن يصدع بالدعوة، ويواجه بها الأفراد والمجتمع.

ثانياً: لم يكن في مكة سلطة سياسية تمنعه من تبليغ الأفراد، أو تمنع الأفراد من سماعه، فليس ثمة حاجة لاستخدام القوة.

ثالثاً: إن الفترة المكية كانت فترة تربية وإعداد في بيئة معينة، لقوم بأعيانهم، ومن أهداف التربية في مثل هذه البيئة تربية الفرد، ليتعود الصبر على مالا يصبر عليه عادة من الضيم الذي قد يناله أو ينال من يلوذون به، ليتجرد من شخصه وذاته، ولا يعود شخصه وقومه محور الحياة في نظره وبذلك يتربى على ضبط أعصابه فلا يندفع مع أول مؤثّر، ولا يهيج مع أول مهيج، ليتم الاعتدال في طبيعته وحركته وتربيته على أن يتبع مجتمعاً منظماً له قيادة يرجع إليها في كل أمر من أمور حياته.

ولايتصرف إلا وفق ما يأمره به، مهما كان مخالفاً لمألوفه وعاداته، وقد كان هذا هو حجر الأساس في إعداد شخصية العربي ـ لإنشاء المجتمع المسلم، الخاضع لقيادة موجهة ـ المترقي، المتحضر، غير الهمجي أو القبلي.

رابعاً: ربما كانت الدعوة السلمية أشد أثراً في مثل بيئة قريش، ذات العنجهية والشرف، والتي قد يدفعها القتال إلى زيادة العناد، وإلى نشوء ثارات دموية جديدة كتلك التي كانت بين العرب في جاهليتهم.

خامساً: وربما كان ذلك الكف عن القتال اجتناباً لإنشاء معركة ومقتلة في داخل كل بيت، حيث لم يكن هناك سلطة نظامية عامة تعذب المؤمنين. إنما كان ذلك موكولاً إلى أولياء كل فرد، يؤذونه ويفتنونه، ومعنى القتال في مثل هذه الحال: أن تنشأ المجازر في داخل البيوت، ثم يقال: هذا هو الإسلام ولقد قيلت ـ والإسلام يأمر بالكف عن القتال ـ فقد كانت دعاية قريش في المواسم: أن محمداً يفرق بين الوالد وولده فوق تفريقه لقومه وعشيرته.

سادساً: ربما كان ذلك ـ أيضاً لما سبق من علم الله ـ تعالى ـ: أن كثيراً من المعاندين الذين يفتنون أوائل المسلمين هم أنفسهم سيكونون من جند الإسلام وقيادته، ألم يكن عمر بن الخطاب من هؤلاء وغير عمر كثير!.

سابعاً: ربما كان ذلك لأن النخوة العربية في بيئة قبلية من عاداتها أن تثور للمظلوم الذي يتحمل الأذى ولا يتراجع، وبخاصة إذا كان الأذى واقعاً على كرام الناس. وقد وقعت ظواهر كثيرة تثبيت صحة هذه النظرية في هذه البيئة، فابن الدغنَّة لم يرض أن يترك أبا بكر يهاجر ويخرج من مكة، ورأى في ذلك عاراً على العرب، وعرض عليه جواره وحمايته، وآخر هذه الظواهر نقض صحيفة الحصار لبني هاشم في شعب أبي طالب، بعدما طال عليهم الجوع واشتدت عليهم المحنة.

ثامناً: وربما كان ذلك لقلة عدد المسلمين حينذاك، وانحصارهم في مكة. ففي مثل هذه الحال قد تنتهي المعركة إلى قتل المجموعة المسلمة، حتى لو قتلوا هم أضعاف من سيقتل منهم، ويبقى الشرك وتنمحي المجموعة المسلمة، ولم يقم في



الأرض للإسلام نظام، ولا وجد له كيان واقعي، وهو دين جاء ليكون منهج حياة، وليكون نظاماً واقعياً عملياً للحياة.

أما بعد الهجرة فقد تغيّر الحال، وتبدّل الواقع، واختلفت البيئة، فقد أتت التربية المكية أُكلها، ونشأ الجيل المؤمن الملتزم المطيع الذي لايصدر عن ذاته ولا يتبع هواه، وأصبح للإسلام وطن يؤيه وجيش يحميه وراض ليس لغيره سيادة على ثراها، وأن للمؤمنين أن ينتصروا، وللمقهورين أن يثوروا، وأن لمن سلبت أموالهم أن يستردوها، ولمن طردوا من أوطانهم أن يجاهدوا ليحرروها.

وقد منَّ الله - تعالى - عليهم، وأنزل إذنه لهم بجهاد عدوهم قرآناً يُتلى على مرّ الدهور فقال تعالى: (أُذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير. الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز) الحج:٣٩-٤٠.

إرسال السريا إلى أطراف المدينة

وكان أول لواء عقده رسول الله - ﷺ - لواء حمزة بن عبدالمطلب، في شهر رمضان، بعد سبعة أشهر من الهجرة النبوية. ثم توالت تلك السرايا، يفصل بين إحداها والأخرى الشهر والشهران، وربما الثلاثة أشهر، حتى كانت سرية عبدالله بن جحش في شهر رجب، بعد سبعة عشر شهراً من الهجرة، وهي أول سرية يقع فيها قتال، وكانت في شهر رجب: الشهر الحرام، وقد استغل المشركون ذلك، وشنَّعوا على الرسول والمسلمين بأنهم يستحلون الشهر الحرام، فنزل قوله تعالى: (يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام وإخراج أهله منه أكبر عند الله والفتنة أكبر من القتل ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا) البقرة:٢١٧.

أسباب الغزوة:

عَلِمَ رسول الله - ﷺ - بقدوم قافلة تجارية لقريش قادمة من بلاد الشام، يحرسها أربعون رجلاً بقيادة أبي سفيان، فقرر اعتراض طريقها، ومصادرة ما تحمله من مال ومتاع، تعويضاً للمسلمين عن بعض ما سلبهم المشركون من أموالهم وديارهم، وترسيخاً للوجود الإسلامي في المدينة المنورة. ونادى منادي رسول الله - ﷺ - يستنفر المسلمين، ويطلب ممن سمع النداء، وكان ظهره حاضراً أن يلتحق برسول الله - ﷺ -، ولم يمهل رسول الله أناساً أن يحضروا ظهورهم من عوالي المدينة، وقال: لا يتبعنا إلا من كان ظهره حاضراً، فتجمع له ثلاثمئة وبضعة عشر رجلاً من المهاجرين والأنصار ومعهم فرسان وسبعون بعيراً، فاكتفى بهذا العدد، لأنه ما كان ينوي حرباً ولا قتالاً.

مسيرة الرسول - ﷺ -:

خرج رسول الله - ﷺ - بهذا العدد يتعاقب الرجلان والثلاثة على البعير الواحد، وكان رسول الله - ﷺ - وعلي بن أبي طالب، ومرثد الغنوي، يتعاقبون على بعير واحد، وعرضا على الرسول - ﷺ -: أن يسيرا ويركب، فأبى عليهما قائلاً: «ما أنتما بأقدر مني على المشي، ولا أنا بأغنى منكما عن الأجر» وسار الركب الكريم تحفُّه عناية الله، وترعى مسيرته قدرته عز وجل.

توزيع المسؤوليات:

لم يغفل الرسول - ﷺ - وهو خارج إلى عدوه شأن المدينة الداخلي، فعيَّن ابن أم مكتوم إماماً للصلاة، وأبا لبابة مسؤولاً عن شؤون الناس بعامة، ودفع لواء الجيش إلى مصعب بن عمير، وسلم راية المهاجرين إلى علي بن أبي طالب، وراية الأنصار إلى سعد بن معاذ، وعندما وصل - ﷺ - إلى منطقة الصفراء أرسل بسيساً الجهني، وعدي بن الرعناء يتجسسان أخبار الناس، ويستطلعان تحرك القافلة وما الذي قد جدَّ من أخبارها.

موقف أبي سفيان:

بلغ أبا سفيان أن رسول الله - ﷺ - قد خرج إليه في عدد من أصحابه مغيرين على قافلته، فأسرع باتخاذ التدابير التي رأى أنها تكفل له ولمن معه السلامة والنجاة، فاستأجر ضمضماً الغفاري وأرسله نذيراً إلى أهل مكة، ليعلمهم بالذي عزم عليه المسلمون من التعرض لقافلتهم وأموالهم، فذهب إلى مكة ودخلها منادياً: اللطيمة، اللطيمة، يا أهل مكة، أدركوا أموالكم وتجارتكم، لا يغلبنكم عليها محمد ومن معه.

فخرج القوم، ولم يتخلف من أشراف مكة سوى أبي لهب، وأرسل من ينوب عنه، واستنفروا من حولهم قبائل العرب، ولم يتخلف من بطون قريش سوى بني عدي، فلم يخرج منهم أحد.

ثم غيَّر أبو سفيان خط سير القافلة، واتجه نحو ساحل البحر قاصداً مكة، بعيداً عن الطريق التي سلكها المسلمون، ولما تيقن نجاة القافلة، أرسل إلى قريش يطلب إليهم العودة، فقد نجت قافلتهم ولم يصل إليها أحد بسوء.

موقف أبي جهل:

ولما بلغ قريشاً نبأ نجاة القافلة هموا بالرجوع، إلا ما كان من أبي جهل، فإنه أصرَّ على المضي وعدم الرجوع وأقسم باللات والعزى ألا يعودوا إلا بعد أن يقيموا على بدر أياماً، ينحرون الجمال، ويطعمون من حضرهم من العرب، حتى تخافهم الناس، ويرهبوا محمداً وأصحابه.

ولم يكن رأي أبي جهل هذا رأي القوم جميعاً، فقد وقف الأخنس بن شريق معارضاً، طالباً العودة بعد نجاة القافلة، فلما لم يستجب له عاد بقومه بني زهرة، وهمَّ بنو هاشم بالرجوع، فاشتدَّ عليهم أبو جهل متهماً إيَّاهم بأن هواهم مع محمد، فلم يرجع منهم أحد، وسار الجميع إلى بدر.

الرسول - ﷺ - يستشير أصحابه:

ولما بلغ رسول الله - ﷺ - نبأ القافلة، وأخبار قريش وما أجمعوا عليه، جمع أصحابه، وطلب المشورة، لأنه - ﷺ - لم يكن قد خرج للقتال، وإنما قد خرج لمواجهة القافلة، فتكلم المهاجرون فأحسنوا، واستشارهم ثانية، فتكلموا وأحسنوا، واستشارهم ثالثة، ففهم الأنصار أنه يعنيهم فبادر سعد بن معاذ فقال: يا رسول

الله، كأنك تعنينا؟ ولعلك تخشى أن الأنصار لايرون أن نصرتك واجبة عليهم إلا في ديارهم؟ وإني أقول عن الأنصار وأجيب عنهم: فاظعن حيث شئت، وصل حبل من شئت، واقطع حبل من شئت، وخذ من أموالنا ما شئت، وأعطنا ما شئت، وما أخذت منا كان أحب إلينا مما تركت لنا، وما أمرت فيه فأمرنا تبع لأمرك، فوالله لئن سرت حتى تبلغ البرك من غمدان لنسيرنّ معك، فوالله لئن استعرضت بنا هذا البحر لخضناه معك. وقال المقداد: لا نقول لك كما قال قوم موسى لموسى: «اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون»، ولكننا نقاتل عن يمينك، وعن شمالك، ومن بين يديك، ومن خلفك، فأشرق وجه رسول الله - ﷺ - عندما سمع هذا الكلام. وسُرّ بما سمع وقال: سيروا وأبشروا فإن الله وعدني إحدى الطائفتين، وإني قد أريت مصارع القوم.

سار الرسول ومن معه باتجاه بدر، والإيمان يملأ قلوب أصحابه بالنصر والظفر، كيف لا؟ أَلَمْ يخبرهم رسولهم المعصوم برؤية مصارع القوم؟ وفي بدر وقف الرسول - ﷺ - منادياً: أشيروا عليّ أيها الناس. قالها المصطفى وقد وضع الجيش رحاله على أدنى ماء من مياه بدر.

يا لروعة النبوة! إنه - وهو المعصوم - يستشير الجند أين ينزلون، لايقرر لهم مصيرهم منفرداً، ولا يرسم لهم خطة سيرهم وهو متكئ على فراشه، ولا هو جالس وراء مكتبه، إنه معهم في الميدان، في قلب المعركة يشاركهم شدائدها وضوائقها، وكل معاناتها، ثم لا ينفرد بعد ذلك باختيار المكان الذي ينزلون. والأكثر روعة من هذا أن يستجيب لمشورتهم، ومن غير نقاش، فيأمر بالمسير إلى حيث أشار الحباب بن المنذر، تاركين الآبار من خلفهم، وقد غوروها، وخيموا على آخر بئر منها ليكون الماء لهم وحدهم ولا يفيد عدوهم منه شيئاً.

عريش القيادة:

روى ابن إسحاق أن سعد بن معاذ قال: يا رسول الله، ألا نبني لك عريشاً تكون فيه؟ ثم نلقى عدونا فإن أعزنا الله وأظهرنا على عدونا كان ذلك ما أحببنا، وإن كانت الأخرى جلست على ركائبك فلحقت بمن وراءنا، فقد تخلف عنك أقوام، يا نبي الله ما نحن بأشد لك حباً منهم، ولو ظنوا أنك تلقى حرباً ما تخلفوا عنك، يمنعك الله بهم، يناصحونك، ويجاهدون معك، فأثنى عليه رسول الله - ﷺ - خيراً، ودعا له بخير، ثم بُني لرسول الله - ﷺ - عريش فكان فيه.

جو المعركة النفسي:

لقد حكى لنا القرآن الكريم أخبار المؤمنين الذين فاجأتهم الحرب التي لم يستعدوا لها نفسياً، ولا مادياً، فهم إنما خرجوا يطلبون القافلة وأموالها، فإذا بهم أمام عدوهم وجهاً لوجه، وإذا بالمعركة تُفرض عليهم، فلا يجدون بدا من الرضوخ لها وهم كارهون، فساروا إليها وكأنهم للموت سائرون. قال تعالى: (كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وإن فريقاً من المؤمنين لكارهون. يجادلونك في الحق بعدما تبين كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون) الأنفال:٥-٦، وقال تعالى: (وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين. ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون) الأنفال:٧-٨.

هذه هي إرادة الله - عز وجل -: إحقاق الحق وإبطال الباطل، إما الغنيمة، وإما القافلة وأموالها، فأمرها هيّن - جدّ هيّن عند الله عز وجل - فالله - تعالى - لم ينزل كتابه، ولم يبعث نبيه إلا لإحقاق الحق وقطع دابر الكافرين، هذا هو الهدف الأساس الذي يجب على المسلم أن يضعه نصب عينيه، والذي يجب أن يملك عليه جوارحه، ويشغل تفكيره، ويستحوذ على كل همه. فبإحقاق الحق وإبطال الباطل، وقطع دابر الكافرين يعم الأمن، ويعم الاستقرار والازدهار، ويعم الرخاء.

عناية الله بالعصبة المؤمنة:

لم يترك الله - تعالى - عصبة الإيمان فريسة للهواجس الداخلية، تتوزعها ذات اليمين، وذات الشمال، بل تولاها ورعاها، وردّ عنها كيد الشيطان الذي جهد في استغلال ما هم فيه من الحذر والضيق، فوسوس لهم كيف أنهم يلقون عدوهم وهم قلة قليلة؟ ليس معها أهبة المحاربين ولا سلاح المقاتلين، وهم قد أصبحوا جنبا فكيف يصلون، أو يلقون عدوهم على هذه الحال؟ لم يشأ الله أن يتركهم - وهم كذلك - نهبة للهواجس والوساوس، فغشاهم النعاس، وأنزل عليهم الماء من السماء، فشربوا، واغتسلوا، وتلبدت الأرض تحت أقدامهم، وحوطوا الغدران، قال تعالى: (إذ يغشيكم النعاس أمنة منه وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان وليربط على قلوبكم ويثبت به الأقدام). الأنفال:١١.

وهكذا أصبحت القلوب مطمئنة، والنفوس مستقرة، والأجسام مستعدة، (ليقضي الله أمراً كان مفعولاً).

صفّ الرسول الكريم - ﷺ - جيشه، واستعرضهم بنفس حانية وقلب رحيم، وذكّرهم بما لهم عند الله - تعالى - من الأجر والثواب، ماداموا ثابتين، وخاطبهم مطمئناً: «والذي نفسي بيده، لايقتل اليوم رجل مقبلاً غير مدبر إلا دخل الجنة. وجعل يشير بيده: هذا مصرع فلان، وهذا مصرع فلان، ذاكراً أسماء رؤوس الشرك وصناديده». وتأتي المعجزة الإلهية، فلا

يتعدى أحد سمّاه موضع إشارته. وعملت هذه الكلمات عملها في النفوس، فخلَّت الزاد، وعافت الشراب، وأقبلت على الله - تعالى - بالتقى وعمل الرشاد، حتى حبات التمر عافتها نفس آكلها، مادامت ستؤخرها عن لقاء الله ودخول الجنة.

نشوب المعركة:

ولما تراءى الجمعان وقف المصطفى - ﷺ - متوجهاً إلى السماء: «اللهم هذه قريش جاءت بخيلها وفخرها، جاءت تحاربك وتكذّب رسولك، اللهم أنجز لي ما وعدتني، اللهم إني أنشدك عهدك ووعدك، اللهم أحنهم الغداة، اللهم إن تهلك هذه العصابة فلن تعبد في الأرض» وألحَّ الرسول - ﷺ - بدعائه، وزادت ضراعته، ولقد استجابت العناية الإلهية لدعاء تلك القلوب الصادقة، والنفوس المؤمنة، فنزل المدد من السماء، نعم نزل المدد من السماء، نزلت جند السماء مدداً لجند الأرض، نزل أمين السماء يقود كتائب الملائكة، مدداً لكتائب أمين الأرض، نزل المدد بقدر الله - تعالى - وعنايته، يحمل أهله السلاح ومعهم خطة القتال. (إذ يوحي ربك إلى الملائكة أني معكم فثبتوا الذين آمنوا سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان. ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاقق الله ورسوله فإن الله شديد العقاب) الأنفال:١٢-١٣.

وتلاقى الجمعان، وأخذت سيوف الله مأخذها من رؤوس الشرك وأعمدته، وتضرع المسلمون لربهم، وأقبلوا عليه بقلوب منكسرة، ونفوس صادقة، تجردت من كل شائبة، ولم يبق فيها إلا حب الله - تعالى - وحب رسوله - ﷺ - واستبسلت تطلب إحدى الحسنيين: إما النصر، وإما الشهادة. ولم تعد غير ذات الشوكة مطلباً، بل المطلب ما أراده الله - تعالى - وجالت الملائكة في الميدان وصالت، تذب عن العصبة المؤمنة، وتذيق الكافرين مرّ الهوان، واندحر الشرك وأهله، وولى إبليس الذي ظهر بصورة سراقة، ووعدهم أن يكون جاراً لهم من الناس، فناداه أبو جهل قبل مصرعه - وهو يظنه سراقة - أن يبرَّ بوعده. فوكزه إبليس في صدره، ومضى لشأنه.

روى الطبراني في معجمه الكبير: عن رفاعة بن رافع قال: «لما رأى إبليس ما يفعل الملائكة بالمشركين - يوم بدر - أشفق أن يخلص إليه القتل، فتبشبث به الحارث ابن هشام - وهو يظنه سراقة بن مالك - فوكز في صدر الحارث فألقاه، ثم خرج هارباً حتى ألقى نفسه في البحر، ورفع يديه إلى السماء وقال: اللهم إني أسألك نظرتك إياي. ولقد ذكر الله تعالى خذلان إبليس إياهم في سورة الأنفال (الآية ٤٨)، قال تعالى: (وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال إني بريء منكم إني أرى ما لا ترون إني أخاف الله والله شديد العقاب).

ولم تلبث السيوف المؤمنة أن أردت أبا جهل صريعاً، ولما أراد عبدالله بن مسعود أن يحتز عنقه، سأله: لمن الدائرة اليوم؟ فقال ابن مسعود: لله ولرسوله، لقد أخزاك الله يا عدو الله.

حصاد المعركة:

وانجلت المعركة عن النصر المبين لجند الله، والخزي والدمار لأعداء الله عز وجل، وكان حصاد المعركة: استشهاد أربعة عشر رجلاً من المسلمين، ومقتل سبعين من الكفار، فيهم صناديد مكة وأشرافها، وأسر سبعين من المشركين.

ولقد أمر رسول الله - ﷺ - بقتلى الكفار، فجمعوا، وأمر بهم أن يلقوا في قليب من تلك القلب، وناداهم: يا أمية بن خلف، يا عتبة بن ربيعة، يا أبا جهل، يا فلان، يا فلان، هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقاً، فإني وجدت ما وعدني ربي حقاً، قال الصحابة: يا رسول الله، أتنادي أقواماً قد جيّفوا؟ قال: ما أنتم بأسمع لما أقول منهم، غير أنهم لا ينطقون، وفي هذا يقول حسان ابن ثابت:

يناديهم رسول الله لما
رميناهم كباكب في القليب
ألم تجدوا حديثي كان حقاً
وأمر الله يأخذ بالقلوب
فما نطقوا ولو نطقوا لقالوا
صدقت وكنت ذا رأي مصيب

ولقد حرص الرسول - ﷺ - أن تصل بشائر هذا النصر إلى المدينة لتطمئن النفوس، وتسكن القلوب، ويعلم أهل المدينة بهذا النصر، فأرسل زيد بن حارثة على ناقته القصواء، فوافاها وقد ملأتها الإشاعات الكاذبة عن البلاء الذي حلّ بالمسلمين، وكيف حصدتهم سيوف قريش، وكان لليهود القسط الأكبر في ترويج هذه الإشاعات، ولم يقطعها وصول زيد. بل قالوا: لقد قتل محمد، وهذه القصواء يركبها زيد بن حارثة، فلو كان حياً لما ركبها سواه.

وما راعهم إلا النبي وجيشه الظافر يغشون المدينة مهللين، مكبرين، وخلفهم الأسرى مصفَّدين بالأغلال.

مصير الأسرى:

اختلف رأي الصحابة في مصير الأسرى، فرأى أبو بكر أن يمنَّ الرسول عليهم، فهم الأهل والعشيرة، وفيهم الأرحام، ورأى عمر اجتثاث جذورهم، واستئصال شأفتهم في أول غزوة أمكن الله منهم، وطلب من الرسول أن يُدفع كل كافر من المشركين إلى قريبه من المسلمين، ليقتله بيده، حتى يعلم المشركون أن الأرحام والأنساب لا تغني عنهم شيئاً، وأن المسلم لم يعد له إلا إخوة الإيمان، والانتماء إلى الإسلام.

ولقد أخذ الرؤوف الرحيم - ﷺ - برأي أبي بكر، وأثنى على عمر خيراً، ونزل القرآن مؤيداً رأي عمر، فبكى الرسول، وبكى أبو بكر، قال تعالى: (ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم. لولا كتاب من الله سبق لمسّكم فيما أخذتم عذاب عظيم) الأنفال:٦٧-٦٨.

وأخذ المسلمون الفداء من القادرين، ومنُّوا على بعضهم دون فداء، وقَبِلَ من متعلميهم أن يكون فداؤهم تعليم عدد من أطفال المسلمين، وأصرَّ النبي - ﷺ - على أخذ الفداء من عمه العباس، ومن أسرى بني هاشم، ولم يقبل ما عرضه عليه المسلمون من إطلاق سراحهم دون فداء.

نتائج الغزوة:

كان لغزوة بدر نتائج منوعة، وآثار مختلفة على المسلمين وأعدائهم، فمن آثارها على المسلمين: أن مدينتهم لبست ثوب فرحتها، وهي تستقبل البواسل من أبنائها، وقد عادوا بالنصر والغنيمة، وغدت نفوس القوم في منتهى الراحة والاستقرار، تستعد لجولات قابلات مع أعداء الله.

أما مكة فقد لفُّها الحزن، وأظلم نهار أهلها، فلا بيت إلا وقد ثكل سيده وخيرة شبابه، وأقبل القوم على بعضهم يتلاحون ويتلاومون، ويوزعون التهم ذات اليمين وذات الشمال، ولم يرعووا عن غيّهم، وإنما باتوا يخططون لغزوة جديدة.

وفي الجزيرة العربية تطايرت أنباء انتصارات بدر، ووصلت سمع سكان الجزيرة وقبائلها المختلفة، وراع تلك القبائل ما حققه المسلمون من انتصارات وتواصى معظمهم أن ينصروا قريشاً في حروبها المقبلة.

وفاتهم أن الله - تعالى - لهم بالمرصاد، يوهن كيدهم، ويفرق شملهم، ويشتت جمعهم، (ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين). الأنفال:٣٠.

دروس وعبر:

إن دعوة الإسلام اليوم تواجه ظروف المسلمين الذين خاضوا معركة بدر، فنصرهم الله وأعزهم، وجدير بنا أن نتلمس العبر والعظات من هذه الغزوة المباركة لتكون لنا نبراساً وهادياً، ونحن نخوض معركتنا مع أعداء الله عز وجل، ويظهر للمتأمل جملة من الحقائق التي تنير الطريق.

أولاً: إن الدعوات الأرضية لن تجمع الأمة، ولن تنشئ قاعدة صلبة تحفظ الأمة، وتعيد لها كرامتها. فلا اللغة ولا القومية ولا الأنساب أغنت يوم بدر، بل تواجهت سيوف الأبناء مع سيوف الآباء بعدما فرقتها العقائد، وأعلنها الفاروق - رضي الله عنه - أنه لا ولاء لغير الإسلام.

ثانياً: إن النصر ليس بالعدد الكثير، ولا بالسلاح الوفير، إنه مقرون بالإخلاص في العمل، وجميل التوكل على الله عز وجل، ولقد خرجت قريش بحدها وحديدها، وخيلها وفخرها، تحادّ الله ورسوله، فما أغنت عنهم قوتهم من الله شيئاً، وضاقت عليهم الأرض بما رحبت، فولوا الأدبار أمام الفئة الصابرة التي ربطت مصيرها بدينها، وتوجهت بصدق النية إلى ربها، فأفاض عليها من بركات السماء، وأمدها بجند من عنده حتى ظفرت وانتصرت.

ثالثاً: إن الله - تعالى - تولى نصر المسلمين لأسباب بيَّنها المصطفى بقوله: «اللهم إن تهلك هذه العصابة فلن تعبد في الأرض» ولابد أن يعبد الله - تعالى - في الأرض مادامت الأرض. ومادام هناك بشر على ظهر هذه الأرض، والمسلمون هم الذين يعبدون الله، وهم الذين يعلّمون الناس كيف يعبدون الله، فلابد أن يكون النصر حليفهم، مادام هذا هدفهم، وتلك غايتهم.

رابعاً: إن النصر في بدر لم يكن عرضاً، ولا لفئة خاصة، وإنما هو سمة وقاعدة من قواعد هذا الدين، وسيبقى المؤمنون ظاهرين على الكافرين، مادام المؤمنون يمثلون وجهة الإيمان التي أراد الله - تعالى - وما استحق الكفار الهزيمة لأنهم قاتلوا أهل بدر فحسب، بل لأنهم شاقوا الله ورسوله (ومن يشاقق الله ورسوله فإن الله شديد العقاب) الأنفال:١٣، سواء في ذلك شقاق الكافرين في بدر أو شقاقهم في القادسية واليرموك، أو شقاقهم في أرض الإسراء والمعراج، وفي كل قطر تولوا قيادة أمره، وتسلطوا على أهله.

ومهما كاد الكائدون، وأرجف المرجفون، فالله من ورائهم محيط، وهو مع المسلمين بالنصر والتأييد (ذلكم وأن الله موهن كيد الكافرين) الأنفال:١٨.

وعلينا - ونحن في حربنا الحاضرة - ألا ترهبنا تلك المعدات التي يملكها أعداء الله ولا تهولنا تلك الأموال الطائلة التي تتدفق عليهم من كل طواغيت الأرض، فما لذلك في ميزان القدر حساب. فالغلبة لنا ما استقمنا على الطريق (إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون والذين كفروا إلى جهنم يحشرون) الأنفال:٣٦، هذه نهايتهم، وذلك مصيرهم.

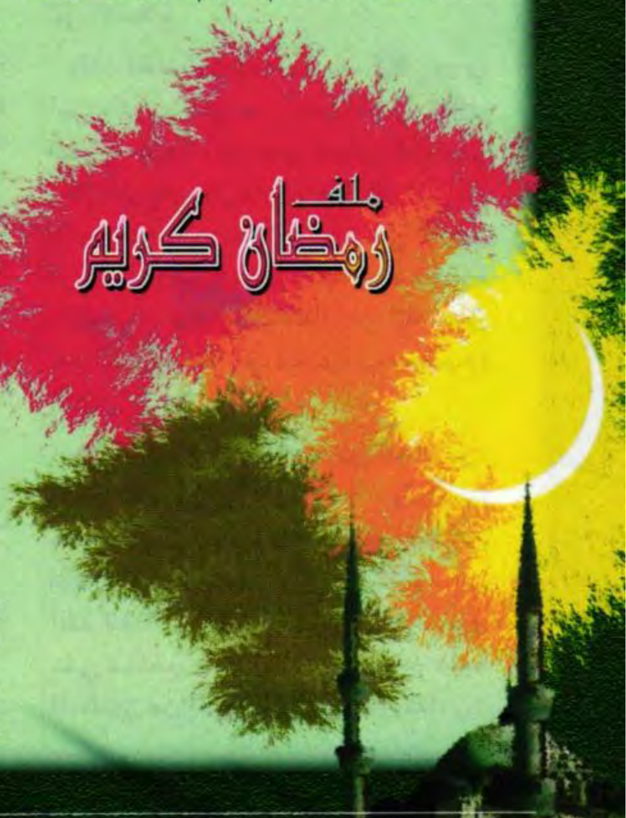
ويجب ألا يغيب عن الذهن: أن لله - تعالى - جنوداً أنزلها يوم بدر قلبت الموازين، وغيَّرت وجه المعركة وهي جاهزة للنزول كلما كانت الحرب لله، ومن أجل نصرة دين الله عز وجل، وما الملائكة التي أنزلها الله - تعالى - إلا بشرى ولتطمئن بذلك القلوب، وجنود الله كثير، لا يعلمها إلا هو - سبحانه وتعالى (وما يعلم جنود ربك إلا هو) المدثر:٣١.

خامساً: على المسلم ألا يستعجل النتائج، ولا يُطلب منه سوى القيام بالواجب.

فقد خرج أهل بدر لغير ذات الشوكة من الطائفتين، وأبى الله - تعالى - إلا أن يحق الحق ويبطل الباطل فعادوا بالنصر والغنيمة.

فصبراً أيها الأخوة المجاهدون، صبراً في لقاء العدو، ومصابرة في مقاومته، فالله معكم، ولن يتركم أعمالكم، أما الذين فاتهم شرف الجهاد، فالأبواب مشرَّعة أمامهم ليشاركوا المجاهدين أجر ما هم فيه، فما عليهم إلا أن يقدموا من أموالهم، ما يمد المعركة بالوقود، وأن يبذلوا من دعائهم ما عساه يوافق ساعة إجابة فيكون النصر.

سدد الله الخطى، ووفق الجميع، والحمد لله رب العالمين. ■



أكــــرم الشهور

شعر : جاك صبري شمُاس

أطلَلْتَ وجهاً مشرقاً ريَّاناً
وغمرت أفئدة الشعوب حنانا
وسموت بالأنداء ترفل بالشذى
وتسيل في ثغر الورى قطرانا
عاودت برّك والوفاء يشدّني
لأصوغَ من حلل القريض جُمانا
يا خير شهر قد تنزَّل بالتقى
يهمي خصالاً ينشد الفرقانا
تاجٌ يزين شهور عام بالسنا
ويخطُّ سفراً شامخاً ومُصانا
رمضان عفواً إن جفاني ملهم
أنت الذي تهب القصيد بيانا
وتجود باليمن المعبَّق بالشذى
وتفيض طهراً بلسماً وجنانا
يا ليلة القدر المبارك بالهدى
فالعبد يأمل رحمة، غفرانا
يمَّمْتُ نورك والأماني جمَّة
أن نستعيد القدس والجولانا

بقلم : عطية فتحي الويشي

الإنسانية الحائرة . . . بين تصادم الحضارات وعالمانية العالم

في إطار نظريته عن تصادم الحضارات: انصبَّت جهود المفكر الأميركي صموئيل.ب هانتنجتون، في استعداء الحضارات الإنسانية على الإسلام باعتبار ما يتمثل خطره . على حد قوله . في التيارات الأصولية المتشددة... تلك التيارات التي ألمح إليها في طيات نظريته، مشيراً إلى مقولة أخيه المفكر اليهودي الأميركي: برنارد لويس، والتي يقرر فيها: «إننا نواجه حالة نفسية، وحركة تتجاوز إلى حد بعيد مستوى القضايا والسياسات التي تنتهجها الحكومات، وهذا ليس بأقل خطراً من صدام الحضارات، وهذا إن كان رد فعل غير عقلاني، إلا أنه له جذور تاريخية مناوئة لتراثنا اليهودي المسيحي... وحاضرنا العلماني، والتوسع العالمي لكليهما» أ.هـ

ووفق هذا التصور الغربي الذي تغلب على جل أدبياته ـ الفكرية والسياسية وغيرها ـ مسحة الكراهية والرفض والتشويه... يعد الإسلام مصدر تهديد، ومبعث قلق وتوجس غير مبرور ببينة، فمن ناحية الواقع السياسي والاقتصادي الإسلامي: فإنه ليس ثمة مدعاة للخوف والترقب من جهة الغرب بأي حال... وقد تكون قضية الوعي التاريخي التي انفتحت ملفاتها مع خبر الاستفزاز الغربي المعاصر... فانتعشت ذكرى «الصليبيات» والاستعمار العلماني وكلها ذكريات بالغة في إيلامها الحس الإسلامي مبلغاً مروّعاً... هذا الوعي الذي تجسّده بصورة أو بأخرى: ظاهرة الصحوة الإسلامية التي تمتد طولاً في عالمنا الإسلامي المترامية أطرافه.

ولعل كراهية هانتنجتون وأخيه برنارد لويس، وحقدهما الفريد على الإسلام وأهله: لا يمنعان بحال من التوقف والتأمل فيما يعنُّ لحاضرنا العربي والإسلامي من منغصات وحساسيات علائقية بين بعض الحكومات ومؤسسات المجتمع المدني بلغت في جانب منها حدَّ المواجهات المسلحة تلبية لداعية الفتنة وتماشياً مع تخطيط المركز السياسي العالمي للحيلولة دون عملية التبلور الحضاري داخل النسق الإسلامي!.

إن مقولة لويس هذه تنطوي على بعض المعاني والدلالات... نرى تبيانها من الأهمية بمكان الكبير.

أولاً: إن الأحداث الكائنة على المسرح العالمي المعاصر تمخّض المفاهيم الإنسانية تمخضاً شديداً... فتنفض عنها غبار العوارض الآنية والملابسات الأيديولوجية... وتعود بها سيرتها الحضارية الأولى...! فبعد طلاق تاريخي موغل في القدم... ورغم عوارض العلمانية على مجتمعيهما: نلحظ ثمة إرهاصاً بحالة «رجعة» مسيحية إلى فراش الزوجية اليهودي... وعلى الرغم من كون تلك الرجعة تكتيكية... بيد أنها كما تبدو: حالة فريدة من التناغم المفاهيمي، والانسجام الفكري، والتنسيق الاستراتيجي المؤسس على قواعد وأصول عقدية وحضارية، والذي لا حيلة في الفراق من بعد مرة أخرى.

هذا، ولن يصبح الدعم الغربي للكيان الصهيوني مؤسساً وحسب على المصالح الاستراتيجية، وإنما على العقائد الدينية والأفكار كذلك... الأمر الذي يؤمّن بقوة مسيرة تلك العلاقة نحو أهدافها المنشودة في دنيا الوجود.

ثانياً: إن المرء يتشكك كثيراً إزاء المقولات التي تذهب إلى أن ميراث ما بعد القرون الوسطى ـ من عداء للدين ـ لا

يزال يلقي بظلاله على الوضع السياسي الأوروبي وتجدر في هذا السياق إشارتنا: إلى أن موقف العلمانية الغربية من المسيحية: قد خضع بدوره لمنطق المنفعة بصفة عامة، فتارة تعادي الدين إلى حد «شنق آخر ملك بأمعاء آخر قسيس»، وتارة تهادنه، حين تنص دساتيرها على احترام المشاعر الدينية للجميع، وعدم المساس بحرية العبادة، وتارة أخرى تسخّره لخدمة أغراضها، كما حدث في حملاتها الاستعمارية على الشرق المسلم مثلاً، حيث كانت الإرساليات التبشيرية بمثابة «هراوات حضارية» لضرب الفكر الإسلامي، وتفريغ جوهر التوحيد من مضامينه ومعانيه... كنوع من الإحلال الحضاري في البلاد المستعمرة... ولكن الكنيسة الغربية في كل الأحوال - والكنيسة البريطانية بصفة خاصة - استطاعت أن تتكيف مع البيئة العلمانية، ووفقت أوضاعها على نحو قد سهّل لها وعبّد كثيراً من صعوبات التغلغل بصورة أو بأخرى إلى عمق المؤسسة السياسية في الغرب المعاصر...!

وقد يتأكد هذا الزعم في ضوء الضغوط الغربية اللحوحة على بعض حكومات الدول الإسلامية... لتقويض أركان الصحوة الإسلامية، وتثبيط تيارها المتدفق بالخير على امتداد القرن العشرين... بل وصل الأمر إلى حد التلويح بالعقوبات والمضايقات السياسية للدول التي تبدي تجاوباً مع ظاهرة الصحوة... ليس هذا فحسب، بل إن عصا الاتهام الغربي باضطهاد الأقليات غير الإسلامية لا تزال ممتدة ومرفوعة من حين لآخر في وجه بعض البلاد المسلمة... ذلك فضلاً عن محاولات فرض الثقافة الغربية من غير سبيل على بعض البلاد الإسلامية، مثل الترويج لتيار الفرانكفونية في الشرق المسلم، وتحبيب التشيع لثقافة العولمة والطريق الثالث... وكلها وسائل للخروج بالعالم الإسلامي عن إطار خصوصياته الحضارية... وللحد من شعوره بذاتيته الإسلامية...! وقد وصل الأمر بالغرب إلى استصناع أنماط نخبوية حملت على عاتقها رسالة إنسانية - بزعمهم - تعني بتجميل تاريخ الاستعمار الغربي إلى درجة الدعوة إلى الاحتفال بالمئوية الثانية للحملة الفرنسية على مصر... إيماناً منها وإيهاماً بأن للحملة الفرنسية، فضلاً سابغاً ليس على مصر وحسب، وإنما على الشرق الإسلامي كله...! وهكذا تغرِّر التيارات العلمانية بالأمة المسلمة حتى لترديها في حُفَر التبعية وأغوار المهانة والضياع والتلاشي...!

ولعل ميلاد الحالة النفسية الإسلامية المناوئة للغرب: ليست مسؤولية المسلمين، بقدر ما هي إفرازات التعصب الغربي لثقافته وقيمه وأيديولوجياته السياسية المدبجة بأقلام وحركات ومنظمات... ليس بوسع أحد أن ينكرها، أو أن يجهل مدى نفوذها، وعظم تأثيرها الممتد أفقياً ورأسياً... حتى لم يبق للجغرافيا الغربية، أو التاريخ، أي حيلة إزاء زخمها الطاغي.

ومما يستغرب له: أن تلك الحالة النفسية الإسلامية، وهذا الشعور بالهضم والاحتواء، الذي يعم ويسود المجتمع الإسلامي... لم يصل حتى الآن إلى الدوائر العليا الحكمية في كثير من بلداننا المسلمة، التي لا يزال معظمها ينظر إلى الغرب كمركز للعلم كما هو مركز للتقنيات الواجب تبنيهما معاً، ولا جدوى لإحداها دون الأخرى...!

وفيما ضمَّن نظريته اتصالاً بالعلمانية: يزعم هانتنجتون أن «اقتلاع العالمانية من العالم هي إحدى حقائق الحياة الاجتماعية المهيمنة في أواخر القرن العشرين» أ.هـ

ومن جملة اعتباراتنا: نقرر أن ظاهرة اقتلاع العلمانية من العالم: تنمُّ في حقيقتها عن عمق في التصورات الدينية، وتعاظم في الشعور بحتمية صياغة الذات الحضارية لدى الأمم والشعوب على نحو صحيح يرتقي بنظرة الآخر الحضاري إليها وفق ما يتناسب وقدرها الذي تحسّه وتشعر به... وهذه الظاهرة، أبلغ ما توصف به: أنها حركة «تفلية» حضارية...!!

ومن غير الموضوعية أن نبدي إزاء ولاء هانتنجتون المطلق لليهودية أي شك... هذا ولن يغررنا في حال تدثُّره بلباس مسيحي باهت... تبدو بغير قصد منه في بعض الأحيان: أنياب تلمودية زرقاء...! ومن ثمَّ فهو حين يرصد أفكاراً من قبيل ظاهرة اقتلاع العلمانية من العالم: إنما يكرِّس العلمانية ذاتها بدهاء شديد...! فهو يرمي إلى أن الفائدة من بثٍّ وترويج الأفكار والفلسفات التي تدفع بالعالم بعيداً عن الدين والتدين: تتجلى في استئمان جانب الكيان الصهيوني الغاصب من خطر أي مواجهة حضارية مع الأخيار - ولا سيما العرب والمسلمين - في ظل فرضية اقتلاع العلمانية من العالم...! ومن ثم فهو يحض - من جهة أخرى - بل يعني بتحفيز آلة الفكر السياسي الغربي للتصدي ومواجهة تلك التيارات التي سمَّاها بالأصولية الرجعية...! وذلك بحسبانها لديه: الخطر الحقيقي الذي يتهدد فلسفة النظام العالمي الجديد، التي يسعى روَّادها إلى تكريس آليات العلمنة داخل الأنساق الإنسانية... ولا سيما عند نقاط التماس الحضاري الساخنة... ولدى البؤرة الأشد سخونة هناك في فلسطين المحتلة بصفة خاصة...!

والحقيقة منذ أن تجردت القضية الفلسطينية من بعدها الديني الحضاري، والأوضاع لا تزداد إلا خبالاً وتعقيداً، ومضياً نحو أفق مسدودة... ولئن عولجت تلك القضية في سياق مفاهيم التدافع... لكان أولى وأجدر ألا تدخل في تضاعيف الانتكاس والفشل الذريع...!

ولعل ما يعفينا من الاستطراد بهذا الخصوص: ما صرَّح به الزعيم الكوبي «فيدل كاسترو» حين قال: «على إسرائيل أن تسعى لتجعل كل دولة عربية غير إسلامية، كأن تكون وطنية أو اشتراكية... فإن منتهى المطاف لأي حركة مقاومة عربية ذات طابع علماني: هو التعايش السلمي مع الدولة الإسرائيلية»(١) لماذا؟ لأنه في ظل العلمانية: تتجاوز المؤسسات السياسية كثيراً من الثوابت الحضارية... وقد تتجاهلها إلى حد الرفض الصريح في بعض البلدان... وذلك تلافياً لأي أفكار من قبيل القيم الدينية التي نظنها

تصادمية... (إن الظن لا يغني من الحق شيئاً) يونس:٣٦.

إن خرق سنن التعددية ونواميس التنوع والاختلاف والتمايز بين الأمم والشعوب الإنسانية... إنما ينمُّ عن اتجاه ما إلى تحييدها قسراً وإخضاعها وتغييبها عن وعيها، فتفقد عناصر تكافؤها ومقومات تنافسها... ما يعد تكريساً لمنطق الأحادية والاحتكار الحضاري بكل صوره وأنماطه السياسية والاقتصادية والعسكرية والاجتماعية... الأمر الذي يتأكد في خضمه حدوث حال من الحساسية وفقدان معاير الصواب في سياق التدافع الإنساني... وهو ما يستدرج خطى البشرية إلى شفا الحروب والمشاحنات الإنسانية غير المحكومة باعتبارات مبرورة...! وهذه واحدة من أخطر مثالب العلمانية!

العلمانية وأوهام الحل

فإن أي مشروع بإزاء عزل الدين عن حركة الحياة بمختلف وجوهها ـ ولو بصورة نسبية ـ إنما يمثل في حقيقته انتحاء بهذه الحياة عن سياقها الفطري، وخروجها على مألوفها... والعلمانية بطبيعة الحال: تعد انحرافاً من التصور الإنساني لطبيعة الوجود... ذلك فضلاً عن كونها مظنة قوية لتصادم الحضارات... باعتبار ما سيقدر للقيم المادية من التوسُّع والانتشار... والأمر الذي يعد ذريعة لسنة كونية جديدة من التدافع الإنساني... ومن ثم يبزغ فجر جيل ربَّاني جديد يقود دورة جديدة من التاريخ الإنساني، بشيء من الوعي والتحضر والتفاعل الإيجابي المثمر بين حضارات هذا العالم مع بعضها بعضاً، وتفلت من ثم البشرية من كلاليب التصادم الأعمى، وسفك الدماء بغير حق...!

ومن ثمَّ فإن الفرضية القائلة بوجود «علاقة وثيقة بين تصادم الحضارات وعدم علمانية العالم ... إنما تطوي دلالات بالغة الخطورة ـ حسب رؤية هانتنجتون ولويس ـ فبمقتضى تلك الرؤية: تعمد كل من الأنساق الحضارية إلى تقلد خصال الحقد والطمع والجور والنهب والاغتصاب والتحرش والاصطدام... وتلك مغالطة فاحشة وزيف منكور...!

فإذا ساغ للبعض أن يتخوَّف من عواقب تلاشي العلمانية من العالم... ويلقي ببذور الرعب والترقب في روع الفكر الإنساني...! فحري بهم أن يبدوا تخوفاً أعظم من سلطان المفاهيم المادية وغلبة الشهوات والنوازع الشريرة على أدمغة البشر أجمعين.. والذي بلغ الصراع بزخمها: ذروة الهمجية والصراع والتوحش بين الأمم والشعوب على اختلافها... وليست الحروب الأهلية الأوروبية، التي لم تهدأ نارها منذ بدايات القرن السابع عشر... وانتهاء بالحربين العالميتين: الأولى، والثانية في القرن العشرين... بخافية على أحد.!

ذلك ولم يكن للتاريخ على امتداد عصوره.. أي نظرة إيجابية إزاء قضية التعايش السلمي بمنأى عن بيئة القيم الدينية الربانية... ولقد كانت قيم العلمانية ـ في المقابل على مدار تاريخها: مثاراً للأحقاد والبغضاء والتحرش والاحتكاك، والتصادم بين مختلف الحضارات، ولعله في ظل تلاشي العلمانية ـ على عكس مذهب هانتنجتون ـ أن يدرك العالم الراحة والسلام والتفاهم والحوار... لأنه كلما اقترب منحنى الوعي الحضاري من خط القيم الدينية والروحية... تحرك مؤشر التفاعل الإنساني ليسجل نتائج تفاؤلية...!

ونحن إذ نعني بمصطلح تلاشي العلمانية من العالم: فإنما نريد أن تتجه المجموعات الحضارية على اختلافها إلى تعاطي مناهجها وقيمها ومأثوراتها الدينية تعاطياً إيجابياً وافياً بغير فصل أو اجتزاء... فتكون هذه المناهج وتلك القيم معياراً أو قاسماً مشتركاً للسلوك الإنساني والتفاعل بمختلف أنماطه واتجاهاته... ما يعني ترسيخاً لمبادئ التسامح والتراحم... وتأصيلاً لمرجعية التفاهم والمجادلة بالتي هي أحسن، يقول أرنولد توينبي: «إن مستقبل الإنسانية يتوقف على إخوة روحية لا يمنحها غير الدين، وهو الشيء الذي يحتاج إليه النوع الإنساني في هذا الوقت، الشيوعية التي تزعم أنها تستطيع أن توحِّد النوع البشري، وقد فشلت، كما أن الإسلام يثبت صلاحيته كقوة موحدة للإنسان، والمسيحية أيضاً تستطيع أن تلعب هذا الدور إذا عملت بمبادئها، ولكن القومية لا تستطيع أبداً أن توحّد الإنسانية، بل إنها توزعها وتشتت شملها، ومن أجل ذلك ليس لها مستقبل، وإنها لا تستطيع إلا أن تدفن الإنسانية في ركامها»(٢).

وهنا ينبغي التقرير بأن حاجة الإنسانية إلى الإسلام ـ كرسالة عالمية: ليست حاجة ثانوية، من قبيل الترف والكماليات... كلا، بل هي ضرورة ملحة... فلقد أنبأت الخبرة التاريخية عن صلاحية ذلك الدين، المطلقة، لتأسيس علاقة إنسانية سويّة ومتوازنة بكل من الكون والحياة... علاقة ترفد البشرية بقيم الحق والعدل والحرية والمساواة... علاقة تفتح أبواب الحوار المتكافئ بين الحضارات، وتغلق وتسدّ ذرائع الصراع والمشاحنات الفوضوية التي تقتل في الإنسانية المؤمنة كل طموح إلى عمارة الأرض بمنهج السماء.

وغاية ما نخلص إليه: أن العقائد الدينية التي يسعى العلمانيون إلى تحييدها، ونزع مؤثراتها من واقع الحركة الإنسانية المؤرقة بهواجس تصادم الحضارات... هذه العقائد: إن لم تطلها يد التحريف، ولم تعبث بها الأهواء... أو تحركها النوايا الفاسدة.. كانت بحق: مأمن الإنسانية، وملاذها الوحيد مما يلاحقها من ويلات التناحر وهواجس الأحقاد... بل إن تلك العقائد تعد من أهم مقومات اندفاع التيارات الحضارية في مسارات سويّة ومعقولة... (والله يدعو إلى دار السلام ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم) يونس:٢٥.

وعلى الصعيد العلمي: حقق المسلمون في ظلال عقيدة التوحيد: ثورة علمية هائلة أثمرت عن منتجات حضارية فريدة... لم يكن للإنسانية إلف بها في أزمنتها الغابرة... تلك الثورة التي امتدت هداياتها العلمية والتطبيقية إلى العالم أجمع... حتى لقد أوعزت إلى حركة النهضة الغربية الحديثة بالفكاك من

إسار الجهل وامتلاك الفكر الظلامي الشائه... الذي غرق في بركه الآسنة قروناً طويلة...! يقول مونتنغمري وات في تقييم الظاهرة الإسلامية بأوروبا: «حين يصبح الإنسان على بيّنة من كامل التجربة العربية والتفكير العربي يعني التفكير الإسلامي فإن المرء يقول: إنه لولا العرب لما كان لعلم أوروبا وفلسفتها أن يتطورا... وحين أصبحت أوروبا مهتمة بالعلم والفلسفة، كان عليها أن تتعلم كل ما يمكن من العرب قبل أن تتمكن من تحقيق خطوة إلى الأمام»(٣)

ولقد أخطأت أوروبا ـ كما أخطأ مقلدوها ـ حين خاصمت السماء بالعلمانية، وأبدت لقيمها تنكراً بيّناً بوازع من ضغوطات كنسية موتورة... مورست ضد سدنة العلوم الكونية باسم المسيحية..! وبدلاً من أن تتجه ذمة التقدميين الغربيين إلى الإسلام، إقراراً بالفضل وعرفاناً بالجميل... نابذته الجحود والنكران والإلحاد، بل ظاهرت عليه بالإثم والعدوان... فحق عليها الحرمان من مدد الله... وأوكلت في مواجهة سعار ماديتها التي اصطنعتها بأيديها إلى تدبير فلسفتها المادية التي انتحت بالغرب كله... في حين من الزمن ـ شطر الضلالة والتمزق والهلاك!.

ولقد امتدت يد العلمانية الآثمة إلى كيان الخلافة الإسلامية: فطعنت قلبها... وصدّعت أركانها... ومزّقت أوصالها... وأقصت نخب الفكر الإسلامي ورموز الوفاء عن دائرة الحضور والفاعلية فيها... كان في هذا الإجراء: ردم لرافد حضاري ثري... وتدمير لمنهج مدني مؤسس على الضمير والفكر والروح الإنسانية المؤمنة... كان في إبعادهم والقضاء على بعضهم والتغرير بالبعض الآخر: حكماً على طبيعة الحياة الإنسانية في هذه البقعة الممتدة بالموت البطيء... كان في هذا الإجراء ـ كما في كل فلسفة علمانية ـ سلخ للروح عن الجسد، ونزع للعقل عن الضمير، وتغييب للقيم الأخلاقية النبيلة عن دنيا الناس أجمعين ـ إلا من رحم الله.

والذي تجدر الإشارة إليه في هذا السياق أسئلة كثيرة: ماذا بوسع الإنسانية أن تحقق من مكاسب بعيداً عن الدين والتدين؟ وماذا جنت بابتعادها عن قيم السماء وإعراضها عن منهج الفطرة وتنكيسها سبيل الأخلاق الفاضلة...؟ أو بتعبير آخر: ماذا كسبت الاتجاهات العلمانية بعد أن خسرت عبادة الله؟! وهل كانت العلمانية عند حسن الظن بها في تجنيب العالم مشكلات التصادم وفواجع الحروب؟!

لقد مضينا والعالمانية في بلداننا الإسلامية قرابة قرن من الزمان، ترى: هل حققت العلمانية وعودها إلى الجماهير من نهضة منشودة، وصحوة ممدودة، ومدنية موعودة، وعيشة مرغودة...؟! وهل تحرك مؤشر هذه المدنية التي زعم العلمانيون تخولها بفارغ وسعهم وغاية جهدهم، نحو الصعود بدرجة أو بأخرى؟ أم أننا ما زلنا منزوين في خانة التبعية والانحسار دون أن نلوي على شيء مما كنا نتطلع إليه بعيداً عن الله؟!!

إن القيم الربانية بأدبياتها الخلاّقة المبدعة، وآلياتها الفاعلة... هي وحدها مدعاة بلوغ الإنسانية أمر رشدها، الذي لا ضلال معه، ولا سبيل إلى تصادمها وتناحرها به، فالعلمانية ليس لها مكانة في وجود الإنسان مع الإسلام، فإما أن يوجد الإسلام ولا علمانية أو توجد العلمانية ولا إسلام»(٤)، فالتركيبة الحضارية الإسلامية ذات خواص متميزة ومضادة للعلمانية.. ومفطورة على مجافاة الابتذال الحضاري على هذا النمط الغربي الكريه...!

ولئن اختلطت بهذه التركيبة عناصر غريبة، قد غيرت من طبيعتها نوعاً ما... فإن ظواهر الصحوة الإسلامية على مر السنين... كانت بمثابة عنصر التوازن المنشود، الذي يعيد حيوية هذه التركيبة المدهشة الفاعلية.

والإسلام في هذا السياق كله، لا يعتدّ بأنصاف الحلول ولا بأرباعها، إما علمانية وإما إسلام، فلا تملق ولا تلفيق... يقول تعالى: (فاستقم كما أمرت ومن تاب معك ولا تطغوا إنه بما تعملون بصير. ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار وما لكم من دون الله من أولياء ثم لا تنصرون) هود:١١٢ـ١١٣.

إنني لأرى العالم بأسره شارعاً سفائنه ـ طوعاً أو كرهاً ـ باتجاه رياح العولمة والطريق الثالث... وكلها صوارف عن طريق الله المستقيم... وكأنني بالله ينادي في هذه القطعان الشاردة: (وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون) الأنعام:١٥٣، ينادي فلا تلقي له سمعاً أو تعيره أي انتباه... ثم ما يلبث نداء الله أن يتكرر ولا سيما إزاء أولئك الذين بينهم وبينه عهد وميثاق... ولكن أعياهم وَهَنَ التبعية لغيره جل وعلا... وصرفهم بريق الحول عنه سبحانه...!

فهل سيصغي المعنيون بنداء الله... فيفيئوا إلى مرافيء الهداية وشطآن النجاة... أم أنهم سيظلوا سادرين حتى تمخر بهم سفائنهم في لجج التخبط والحبوط... فتمضي بهم إلى المجهول غير مأسوف عليهم... فإذا بنداء رباني عاتب: (ألم أعهد إليكم يا بني آدم ألا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين. وأن اعبدوني هذا صراط مستقيم) يس:٦٠ـ٦١. ■

الهوامش:

١ ـ نقلاً عن مجلة نور الإسلام ـ مصر ـ العدد الثالث ـ السنة ٦٥ ـ ربيع الأول ١٤١٧هـ ـ ص١٤.

٢ ـ نقلاً عن: أبي الحسن الندوي ـ رجعية التقدميين ـ مقال ـ صحيفة الرائد الهندية ـ العدد ٨ ـ ١٤١٧هـ ص٤.

٣ ـ MONTGOMERY WATT, THE INFLUENCE OF ISLAM ON MEDIEVAL EVROPE, EOLIM 6 URGH, 1972. P.58.

٤ ـ محمد البهي ـ العلمانية والإسلام ـ كتاب مجلة الأزهر ـ مصر ـ ١٤١٥هـ ـ ١٥.

بقلم: د. أحمد عبدالرحيم السايح

أضواء حول العلوم الإسلامية

إن الدارس أو الباحث في العلوم الإسلامية المختلفة، يلحظ بوضوح: أن كل جماعة متخصصة في علم، قدمت هذا العلم على غيره من العلوم، وجعلته المطلب الأول في طلب العلم والتعلم. ولما كان غير من المعقول أن يعبد الإنسان رباً لا يعرفه، دعا علماء علم الكلام وعلم التوحيد، وعلم أصول الدين. إلى تعلمّ هذا العلم، واعتبروه مقدماً على العلوم كلها. لأنه يعلّم الإنسان كيف يصل إلى معرفة الله.

أنشد أبو عبدالله بن مجاهد المتكلم لبعضهم:

أيها المغتدي ليطلب علماً

كل عِلْمٍ عبدٌ لعلمِ الكلام

تطلب الفقه كي تصحح حكماً

ثم أغفلت مُنْزل الأحكام(١)

وكثير من العلماء يقدمون علم أصول الدين على غيره من العلوم فيقولون:

وقبل تعلم أصول الدين

أول من الفرع أبا معين

وبعد ذا ما الناس فيه أحوج

تعليمه أولى إليه ينهج(٢)

وبعض العلماء يرى: «أن علم التوحيد أشرف العلوم لأنه العلم الكلي وعليه يتوقف كل علم من الشرعيات والعقليات»(٣).

وذهب جماعة إلى تقديم علم الحديث في التعليم الديني لأن السنة جامعة وشارحة ومفصّلة وموضحة، لما جاء في القرآن الكريم، ومن هؤلاء ابن عساكر، فقد أنشد في تفضيل الحديث على غيره قائلاً:

ألا أن الحديث أجلّ علم

وأشرفه الأحاديث العوالي

وأنفع كل علم منه عندي

وأحسنه الفوائد في الأمالي

فإنك لن ترى للعلم شيئاً

يحققه كأفواه الرجال

فكن يا صاح ذا حرص عليه

وخذه عن الرجال بلا محال

ولا تأخذه من صحف فتؤتي

من التصحيف بالداء العضال(٤)

وهناك علماء قدموا الفقه كعلم يجب تعلّمه وطلبه وفسروا قول الرسول ﷺ: «طلب العلم فريضة على كل مسلم»(٥)، بأنه علم الواجبات والأحكام، ومعرفة ما يحل ويحرم في الدين.

وقالوا: إن علم الفقه هو العلم الذي دعا إليه القرآن ورفعه إلى مرتبة الجهاد في سبيل الله.

قال تعالى: (فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون)(٦). وهذه الآية الكريمة تشير إلى أن تعلّم العلم واجب على الأمة جميعاً وجوباً لا يقل عن وجوب الجهاد والدفاع عن العقيدة والمجتمعات الإسلامية فإن الوطن يحتاج إلى من يناضل عنه بالسيف، وإلى من يناضل عنه بالحجة والبرهان.

وفي الآية إشارة إلى وجوب التفقه في الدين والاستعداد لتعليمه في مواطن الإقامة، وتفقيه الناس فيه بالمقدار الذي تصلح به حالهم، فلا يجهلون الأحكام الدينية العامة التي يجب على كل مؤمن أن يتعرفها.

«والناصبون أنفسهم لهذا التفقه على هذا القصد لهم عند الله أسمى المراتب، فلا يقلون في الدرجة عن المجاهدين بالمال والنفس في سبيل إعلاء كلمة الله، والذود عن الدين والملة»(٧).

وبعض العلماء يساوي بين الحديث والفقه، فهما جامعان لأحكام الدين. ومن هؤلاء الشافعي حيث يقول:

كل العلوم سوى القرآن مشغلة

إلا الحديث وإلا الفقه في الدين

العلم ما كان فيه قال حدثنا

وما سوى ذاك وسواس الشياطين(٨)

وقال بعضهم:

العلم قال الله، وقال رسوله

قال الصحابة ليس بالتمويه

ما العلم نصبك للخلاف سفاهة

بين الرسول ورأي فقيه

كلا ولا جحد الصفات ونفيها

حذراً من التمثيل والتشبيه(٩)

والصوفية يرون «أن العلم الذي هو فرض عين يتمثل، في علم الحلال وعلم الوقت فمن جهل وقته وما عليه، فقد جهل العلم الذي أُمر به».(١٠)

ولم تنفرد العلوم الدينية على اختلاف مراتبها طويلاً باهتمام المسلمين، فقد استدعت بطبيعتها العلوم اللغوية كمقدمات وأدوات إليها، ولا يمكن الاستغناء عنها في تحصيل العلوم الدينية.

ويقرر ابن خلدون، «أن معرفة علوم اللسان العربي ضرورية على أهل الشريعة، إذ مأخذ الأحكام كلها من الكتاب والسنة وهي بلغة العرب».(١١)

ويقول المبرد مشيداً بأهمية النحو:

النحو يبسط من لسان الألكن

والمرء تعظمه إذا لم يلحن

فإذا أردن من العلوم أجلّها

فأجلّها منها مقيم الألسن(١٢)

«وألحقت بالعلوم الدينية علوم تابعة تفيد عالم الدين في علمه أو في أمور دينية كالفرائض أو علم المواريث».(١٣)

ويرى ابن رشد، «أن الاشتغال بالطب تأكيد علمي لحقيقة الإيمان بالله وبيان إعجازه في خلق الإنسان».(١٤)

ويقول أبو العلاء المعري:

عجبت للطبيب كيف يلحد

من بعد درسه التشريحا(١٥)

وكثير من الفلاسفة رأوا: أن الفلسفة من أفضل العلوم لأنها تبعد الأضاليل التي تلحق بالشريعة، وينشد في ذلك أبو الفتح يحيى بن علي البستي:

خَفِ الله واطلب هدى دينه

وبعدها فاطلب الفلسفة

لئلا يغرّك قوم رضوا

من الدين بالدور والسفسفة

ودع عنك قوماً يعيبونها

ففلسفة المرء قبل السفه(١٦)

وعند أبي حيان التوحيدي «الفلسفة علم العلوم، وصناعة الصناعات، ولا تعطيك موضع الشك من اليقين، ولا موضع الظن من العلم»(١٧)

لقد توسع العلماء في ذكر علوم مختلفة تتصل بالفكر والحياة، إلا أن هناك طائفة ضيقت من دائرة العلم.

يقول ابن القيم: «كل طائفة اعتقدت أن العلم ما معها وفرحت به وأكثر ما عندهم كلام وآراء خرص، والعلم وراء الكلام، والعلم الحقيقي هو ما جاء به القرآن»(١٨).

وابن رجب البغدادي، يرفض العلوم التي جدت بعد عصر الصحابة ويعتبرها بدعة، ويقول في ذلك: «وأما حدث بعد الصحابة من العلوم التي توسع فيها أهلها وسموها علوماً وظنوا أن من لم يكن عالماً بها فهو جاهل أو ضال. فكلها بدعة»(١٩).

ويعلق الدكتور محمد قمبر، على بعض النصوص، فيقول: «إن هؤلاء ومن كانوا على شاكلتهم، أخذوا ببعض الأحاديث والآثار، ونزعوها من سياقاتها الخاصة، والتي تؤكد أهمية العلم الديني المفروض تعلّمه، ووقفوا عند هذا الحد، جاعلين منهم موانع طاردة لكل ما يغايرها من علوم، من ذلك حديث: «العلم ثلاثة ما خلاهن فهو فضل: آية محكمة، أو سنة قائمة، أو فريضة عادلة».

أو قول عمر بن الخطاب: «العلم ثلاثة: كتاب ناطق، وسنة ماضية ولا أدري» ويتركون بقصد أو بغير قصد الأحاديث والأقوال المأثورة الأخرى، والتي تدعو المسلمين إلى تعلّم ما يفيدهم في حياتهم.

إن حصر مفهوم العلم في حده الديني التبليغي الذي جاء به القرآن والسنة تعسف ينكره الواقع العلمي الذي فجرته الحضارة الإسلامية وكشف عن عبقرية المسلمين».(٢٠)

وبجانب هؤلاء الذين ضيقوا دائرة العلم، نفر توسع في هذا المعنى وجعل من القرآن كتاب علوم أو موسوعة أكاديمية تضم منظومة المعارف العلمية التي يحتاجها البشر في دنيا العلم والعمل.

وقد وجد هذا النفر من العلماء في عصور الإسلام المختلفة القديم منها والحديث، وقد ردَّ العلماء على هذه الأقوال.

ويقول العقاد: «ليس من الحق أن نزعم أن كل ما تستنبطه العقول مطابق للكتاب مندرج في ألفاظه ومعانيه فإن كثيراً من آراء العلماء التي يستنبطونها أول الأمر لا يعدو أن يحسب من النظريات التي يصح منها ما يصح، ويبطل منها ما يبطل، ولا تستغني على الدوام عن التعديل، وإعادة النظر من حين إلى حين».(٢١)

ولكن ما العلم الذي جعل الحديث طلبه فريضة على كل مسلم؟ قد تباينت الأقوال، وتناقضت الآراء في هذا العلم المفروض على نحو عشرين قولاً ـ كما يقول العلامة المناوي ـ «فكل طائفة تقيم الأدلة على فرضية علمها هي، وكان لكل معارض، وبعض لبعض مناقض، فمن متكلم يحمل العلم عن علم الكلام، ويحتج بأنه العلم المتقدم رتبة لأنه علم التوحيد، الذي هو أساس البناء.

ومن فقيه يحمله على علم الفقه. إذ هو علم الحلال والحرام. وبه يعرف المسلم كيف يعبد الله، وكيف يعامل الناس. ويقول: «إن ذلك هو المتبادر من إطلاق العلم في عرف الشرع.

ومن مفسر يرى أن أول ما يطلق عليه العلم هو العلم بالمراد من كلام الله تعالى بقدر الطاقة البشرية وهذا هو علم التفسير.

ومن محدث يحمل العلم على معرفة السنن والآثار التي بها بيان القرآن وفيها تفصيل ما أجمل، وتبيين ما أبهم، وتخصيص ما عمم، وتقييد ما أطلق... وهي مع القرآن النجاة.

ومن نحوي يحمله على علم العربية، إذا الشريعة إنما تتلقى من الكتاب والسنة، وقد قال تعالى: (وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم)(٢٢) فلابد من إتقان العربية ليعرف البيان المشار إليه في الآية الكريمة.

ومن متصوف يحمله على علم البعد بحاله ومقامه من الله عز وجل أو العلم بالإخلاص، وآفاق النفوس، ومداخل الشيطان إليها.

وقال أبو طالب المكي: «هو العلم بما يتضمنه الحديث الذي فيه مباني الإسلام (بني الإسلام على خمس... إلخ)، لأن الواجب هذه الخمس. فيجب العلم بكيفية العمل فيها، وبكيفية الوجوب».(٢٣)

يقول الشيخ القرضاوي معلقاً على ما ساقه من آراء وأقوال: «وهكذا تعددت الآراء واختلفت الأقوال، ولكل وجهة هو موليها. والذي أراه: أن العلم الواجب طلبه وتعلمه عيناً على المسلم هو ما لابد له منه في دينه أو في دنياه.

أما في دينه فلابد له أن يتعلم علوم الشرع:

١ - عبادته لربه ظاهراً، بأن تكون على الصورة المشروعة. وباطناً بأن تتوافر فيه النية الخالصة لله تعالى.

٢ - وما يزكي به نفسه، ويطهّر به قلبه. بأن يعرف الفضائل (المنجيات) ليتحراها ويتخلق بها. ويعرف الرذائل (المهلكات) ليتجنبها ويتوقاها.

٣ - وما يضبط به سلوكه في علاقته مع نفسه، أو أسرته، أو مع الناس، حكاماً ومحكومين، مسلمين وغير مسلمين، فيعرف في ذلك الحلال من الحرام، والواجب من غير الواجب، واللائق من غير اللائق.

ولايضيرنا أن يدخل هذا القدر اللازم تحت اسم (الوصية) أو (الفقه) أو (التصوف) أو (الآداب الشرعية) أو (الزهد) أو غير ذلك.

فهذه التسميات مصطلحات محدثة، ولم يتعبدنا الله بها. وإنما يهمنا المضمون ولا عبرة بالأسماء والعناوين، متى وضحت المسميات والمضامين».(٢٤)

«وحسب الإنسان ما ورد في القرآن الكريم من الإشادة بالعلم، ومحاربة الجهل. ولا يخفى أن العلم هو الأساس لكل نشاط إنساني وحركة إرادته. فالمرء لايعمل ما لم يرد، ولا يريد ما لم يعلم. إذ النفس لاتتجه إلى المجهول».(٢٥)

ويذكر علماء النفس: «أن الفكر في الشيء يسبق العمل به حتماً. فالعمل الاختياري إنما يعمل بعد التفكير».(٢٦).

«والواقع أن تاريخ العلم عند المسلمين يكشف لنا عن دوافع نبيلة لعلماء كبار كان لهم جهد بارز مشكور في سبيل تحصيل العلم وإنتاجه وترقيته والتجديد فيه، والإبداع فيما كان وقفاً عليهم، وابتدأوا به.

«لقد آمنوا بأن العقل أفضل ما أعطاه الله للإنسانية، ولذلك حرصوا على جمع ونقل وتطوير الميراث العلمي الذي أسهمت أمم الأرض في صنعه عبر تاريخها الطويل، ولم يقفوا منه موقف المتفرج، ولم يعادوه، ولم يدفنوه كما فعل الرومان في بطون الأوراق، وخزانات الكتب، ولم يبددوه كما بددته أمم سلفت، وإنما استخدموه بما يجليه ويرقيه، ويوظفه، لخير الحياة، وسعادة الإنسان».(٢٧)

والباحث والدارس: «يجد أنه عندما جاء الخليفة المأمون في مطلع القرن الثالث من الهجرة كانت العلوم الدينية واللغوية في معظمها قد تأسست في المجتمع الإسلامي، وتم وضعها على الابتداء، ولدت كاملة أو شبه كاملة، بشكل يذهل المؤرخ للعلوم في الإسلام.

فالفقه قد تضخم وترفع وتقعد، وتأصلت مذاهبه مع الأئمة الكبار، وأصوله قد نقحت ورسخت، والحديث جمع في أكثره، وصححت أسانيده ومتونه، واللغة وضع معجمها مع الخليل»(٢٨)، وخرج على يديه علم العروض، وأصلحت قواعد النحو مع سيبويه. ولم يكن هناك من نقص في هذا الصرح العلمي إلا ماراه المأمون من علوم فلسفية وطبيعية فبذل ما وسعه الجهد من استقدام كتب الأوائل وترجمتها.

«وقف المسلمون على ثمار العلم الذي عرفه الهنود، والفرس، والرومان، وسرعان ما تعدوا طور التلمذة في هذه العلوم، وأصبحوا فيها أساتذة ناقدين لامعين، يردون منها أكثر مما يأخذون - تبعاً لمعطيات دينهم ونوعية حضارتهم - وصححوا منها الكثير، وأضافوا إليها الكثير أيضاً مما أخرجها في النهاية علوماً إسلامية في مضامينها، ومناهج بحثها.(٢٩).

والمسلمون كما كانوا علماء في دينهم، كانوا علماء في الكون وأئمة العلم، ولن يستغني الدين عن العلوم إلا إذا استغنت المقاصد عن وسائلها ومقدماتها، أو الدعاوى عن حججها وبيّناتها، «فكما أن المجهول لا يتوصل إليه إلا عن طريق المعلوم، والغائب لا يدرك إلا على الضرب من القياس على الشاهد.

كذلك الحقائق العليا لا يسهل الصعود إليها إلا على سلّم من حقائق الدنيا».(٣٠).

وحسب التصور الإسلامي لا تعتبر أهمية علم من العلوم إلا إذا كان يمثل امتداداً للأصول الشرعية الخالصة، أو فرعاً من فروعه الثانوية، فللعلوم الإسلامية مهمتان أساسيتان متكاملتان تتميزان بهما؛

فهي من جهة عبارة عن تطبيقات الوحي تسمح لكل أنساق

الحقائق أن تتوثق فيما بينها، وأن تندمج في وحدة التركيب الشامل. ومن جهة أخرى فإن هذه العلوم ـ بتوافق مع استعدادات أنساق الحقائق هذه ـ تمثل توطئة لمعرفة أعلى، ونوعاً من التوجه نحوها. فهي عبارة عن تدرج يمكّن من الارتفاع نحو الحق.

«إن هاتين الوظيفتين اللتين تقوم بهما العلوم الإسلامية وظيفتان متكاملتان. لا تناقض بينهما، وإن كان لكل واحدة منهما اتجاه خاص.

أما الوظيفة الأولى، فهي انفتاح المعرفة انطلاقاً من الأسس الأصولية بحكم التوافق مع ضرورات الحياة البشرية ومصالحها.

وأما الوظيفة الثانية: فهي تطابق البحث التدريجي عن هذه المعرفة الربانية بالذات للتصرف مع الأسفل نحو الأعلى، ومن الخارج إلى الداخل».(٣١)

ومن هذا المنطلق تعمق المسلمون في علوم الحياة والحضارة الإنسانية. فكان منهم نوابغ الأطباء، والفلكيين، والرياضيين، والكيمياويين، وأوائل من اكتشفوا حقائق علمية في مجالات، كانت أول المعالم على طريق الباحثين، والدارسين. وكان العلماء ينظرون إلى الكون وما فيه، على أنه من الأمور الموضوعة للدراسة، والبحث والانتفاع.

والباحث في المنهج الإسلامي الذي جاء لترشيد العملية التعليمية، والأخذ بيد العلماء، يجد أن هذا المنهج يقوم على دعائم أساسية، من شأنها حراسة الإنسان، حتى لايضل في المتاهات.

وأول دعامة في المنهج الإسلامي هي تحرير العقل والفكر، تحرير الإنسان من أصفاد الجهل وظلمته، لأن الجهل يقتل مواهب الفكر والنظر، ويطفئ نور القلوب، ويعمي البصائر، ويميت عناصر الحياة والقوة في الأفراد والجماعات والأمم، ويفسد على النص مناهج الاستقامة، والسلوك السليم... والجهل هو الذي يجعل النفوس مستعدة لقبول الزيف، والبدع، والأهواء، والخرافات، والأساطير.

والدعامة الثانية في المنهج الإسلامي، هي تحرير الإنسان من أغلال الحجر العقلي، وسيطرة التبعية العمياء، وتربيته تربية إسلامية تقوم على حرية الفكر، واستقلال الإرادة. ليكمل بذلك العقل ويستقيم التفكير، وتكمل الشخصية الإنسانية. لأن كمال العقل واستقامة التفكير، أساس في صحة العقائد، وكمال التدين، ومعرفة الحق الذي يجب أن يتبع ومعرفة الباطل الذي يجب أن يجتنب.

وقد عنى الإسلام ببناء تحرير الإنسان من أغلال الحجر العقلي عناية كبرى. فجعل البرهان أساس الإيمان الصحيح، وبيَّن أن كل اعتقاد أو عمل لايقوم على دلائل الحق. فهو مردود، وأنذر الذين يجادلون في الله بغير علم ولا كتاب، قال تعالى: (ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير. ثاني عطفه ليضل عن سبيل الله له في الدنيا خزي ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق)(٣٢).

والدعامة الثالثة في المنهج الإسلامي: تحرير الإنسان من طاعة الأهواء، والانقياد الأعمى لمغرياتها. لأن طاعة الأهواء تقوي انحراف الإنسان في سلوكه، والتوائه في نظره وتفكيره.

وهؤلاء الذين يطيعون الأهواء، لا يستقيم لهم رأي، ولا تعتدل لديهم موازين، ولا يخضعون لحق ليس في جانبهم، ولهذا عنى الإسلام بتحذير الناس من اتباع الهوى، ونعى عليهم ضلالهم.

قال تعالى: (فإن لم يستجيبوا لك فاعلم أنّما يتبعون أهواءهم ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله إن الله لا يهدي القوم الظالمين)(٣٣).

«وإذا كان الإسلام يدعو إلى تحرير الإنسان من أصفاد الجهل، وأغلال الحجر العقلي، وسيطرة التبعية العمياء ـ كما عرضنا في دعائم المنهج الإسلامي لترشيد العملية التعليمية ـ فإن ذلك يعني أن التقليد الذي ذمه الإسلام هو التقليد الذي لايميز بين الخير والشر، وتقليد أهل الغواية والضلال. أما تقليد أهل الحق من الأئمة والدعاة الذين استمدوا علومهم من القرآن الكريم والسنة النبوية فهو من قبيل القدوة الواعية.

ويرى أهل البحث، أن حرية الفكر التي دعا إليها الإسلام هي الحرية التي تطلق العقول والأفهام من أغلال الحجر العقلي، والكبت الفكري، وتجلي معالم الحقائق، وتجعل قيادة التوجيه، قيادة بناء وإصلاح وإرشاد تستمد مقوماتها من هدي الإسلام، وتعاليمه، وتوجيهاته.

لهذا كله أقبل المسلمون على التعلم ينشدونه في مظانه ووجهوا عزائمهم إلى الفكر الأصيل القائم على توجيهات الإسلام. فانتبهوا إلى آيات الله الشرعية، وآيات الله العلمية، والعقلية والحضارية. ولم يشغلهم عن ذلك ترف الحضارة، ولم يثنِ عزائمهم بأساء الحياة.

واستطاعوا في سرعة لم يعهد لها مثيل في التاريخ، أن ينتقلوا من أمة الأمية إلى أمة العلم، والقيادة الفكرية، وأن يصبحوا أساتذة العلم، وقادة الفكر، ورواد المعرفة، فبحثوا، ودرسوا، وأضافوا، وجددوا، وابتكروا، فكان ذلك النتاج الحضاري الأصيل.

وقد حققوا ذلك على الرغم من الأحداث العاتية التي حملوا أعباءها، والحروب الطاحنة التي خاضوا غمارها، لأن الأحداث والخطوب، وإن بلغت لا تستطيع أن تقف في طريق العقائد التي انطوت عليها القلوب، ولا أن تمنع العزائم القوية من الوصول إلى أغراضها وأهدافها».(٣٤)

ولا يخفى أن تاريخ الفكر الإنساني وعلومه: «يؤكد أن النهضة الأوروبية الحديثة لم تكن من عدم، كما أنها لم تكن امتداداً مباشراً لحضارة الأغريق والرومان»(٣٥) لأن النهضة الأوروبية بدأت في القرن الخامس عشر، بينما انقرضت الحضارة الرومانية والإغريقية في القرن السابع الميلادي، وما بينها هو فترة ثمانية قرون كان ظلاماً وجهلاً وانحطاطاً ساد أوروبا كلها.

وذلك ما تسميه النهضة الأوروبية نفسها القرون الوسطى

المظلمة هذه الفترة كان يحمل مشعل الثقافة الإنسانية والحضارة العالمية فيها: «العلماء المسلمون في المشرق الإسلامي ومغربه في الأندلس.

وكانت اللغة العربية هي اللغة العلمية العالمية. ثم إن الأوروبيين لم يدرسوا كتب اليونان والأمم المتقدمة إلا مترجمة للعربية أولاً كما أن كثيراً من الكتب العلمية للنهضة الفكرية الإسلامية لكبار الأطباء والرياضيين والكيمياويين والفلكيين والجغرافيين والنباتيين لاتزال شاهدة موجودة بنسخها الأصلية، أو المترجمة إلى اليوم في دور الكتب الغربية الكبرى في موسكو وبطرسبرغ وبرلين ولاهاي وأوكسفورد ولندن وروما وباريس وقرطبة.

ودليل آخر ما تحفل به اللغة العربية في معاجمها العامة من ألفاظ علمية في مجال الطب، وكذلك في مجال الجبر والهندسة والفلك. ووضع الكلمة ما يدل على قيام معناها ومدلولها. بل هناك مئات الكلمات العلمية العربية التي دخلت كما هي أو بشيء من التحريف في اللغات البرتغالية والأسبانية وحتى الألمانية والفرنسية والإنكليزية».(٣٦)

إذاً نحن أمة لها تاريخ من السيادة، والعظمة، والنماء، والانتشار، والقوة، وكلنا يعرف أن الإسلام في القرنين الأول والثاني استطاع أن يضم إليه تقريباً الرقعة التي كان قد استولى عليها الإسكندر الأكبر.

«وحينما جاءت الحروب الصليبية كانت حروباً بين شرق مسلم متعلّم، وغرب متعطش إلى المعرفة، لأن مراكز العلم في القرنين الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين كانت في بغداد والقاهرة، وفي بخارى وفي سمرقند، وفي الشام وغيرها من بلاد الأمة الإسلامية، وكان القسس والرهبان يأتون إليها ليتعلموا فيها.

إذاً في أزهى عصور الإسلام كان هناك علم، وكان هناك عقل، «والذي حدث أنه في القرن الثالث عشر الميلادي حينما جاء فرسان الصليبيين، ورأوا العلم وكيف يزدهر، عادوا لكي يتعلموا وانبروا لكشف الثراء العقلي والثراء المادي بالكشوف الجغرافية، وكوّنوا ثروات مادية، واستغرقوا في الدراسات العلمية، وجمعوا بين الثراء العقلي، والثراء المادي، وعلى هذا الأساس قامت النهضة الأوروبية».(٣٧)

ومن المعلوم أن صحوة أوروبا من سباتها، لم تكن إلا في الزمن المتأخر. فبنت مدنيتها وعلومها الغربية. على علوم المسلمين ومدنيتهم. لقد حصلت أوروبا على القوة في الحياة الدنيا لسموها ونجاحها في العلوم التجريبية في الكون، ووصلت إلى السيطرة والغلبة في مجالات عدة من الحياة المادية.

«ونحن المسلمين - أمة العلم التي علّمت الإنسانية - تأخرنا عن ركب العلم، ومعرفة آفاق التعلّم، لعوامل داخلية وخارجية - ليس من خصائص هذا البحث رصدها - وأصبحت مجتمعاتنا الإسلامية المختلفة هنا وهناك. تستهلك ما ينتجه غيرها. بل تنبهر وتتباهى بعض المجتمعات بأنها تملك - طبعاً عن طريق الاستيراد - أحدث ما أنتجه العلم وجاد به العلماء.

وهكذا أصبحنا عالة وسوقاً استهلاكية، نقف مبهورين أمام التقدم العلمي الهائل الذي أحرزه غيرنا.

إن بعض مجتمعاتنا الإسلامية رضيت أن تعيش حالات الجهل، والتبعية، والتأخر». وليس أَقْتَلُ للشعوب من أن تحس بالحرية والاستقلال والتقدم بينما هي ترسف في قيود الذل والتبعية والجهل. وليس أضيع لمستقبل أمة من أن تعجز عن أن تخطط لمستقبلها ألا وهي دائرة في فلك غيرها، ذاهلة عن حقيقة ما تعانيه من تبعية».(٣٨)

إن المجتمعات الإسلامية تعيش أزمة نفسية حادة، ولابد أن يعمل المخلَصون على فتح آفاق التعلّم، الذي يرشد الناس إلى مواكبة العلم والتقدم. وقد يرى بعض الراصدين لحركة الأمم. أنه لكي تخرج الأمة الإسلامية من أزمتها لابد لها من أن تتعلم من غيرها. والعلم الذي دعا إليه الإسلام منفتح الحدود الفكرية، والنفسية والمادية. والنصوص الإسلامية التي تعلن هذه الحقائق كثيرة منها:

قال رسول الله، ﷺ، «الحكمة: الإصابة في غير النبوة»(٣٩).

وقال ﷺ: «الكلمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق بها».(٤٠)

وبناء على هذه النصوص وغيرها، لامانع من أن نتعلم من غيرنا ونستفيد من هذه العلوم. فالتأثيرات الحضارية، والاستعارات الثقافية، والأفكار، والنظريات، والعلوم المتبادلة بين الأمم والشعوب ظاهرة صحية طبيعية سليمة، لا خطر فيها، ولا خوف منها.

ولا عيب أن نأخذ من حضارات الأمم ما يفيدنا. ولكن العيب أن نظل عالة على أمم الأرض نأخذ منها ولا نعطيها.

إذاً لكي نخرج من الأزمة الحادة التي تكاد تعصف بمجتمعاتنا الإسلامية نفسياً. لابد أن نتعلّم. ولا مانع من أن نتعلّم من غيرنا.

ولكن السؤال المهم: هل غيرنا سيسمح لنا أن نتعلّم منه كما سبق له أن تعلّم منا؟

إن الناظر والباحث في الأمر يجد أن غيرنا من أمم الأرض لم يساعد على أن تنال المجتمعات الإسلامية حظها من العلوم. حتى تلك التي «تعلمنت وتغرّبت»، ومازال هناك كثير من المأجورين الذين تبلد حسّهم، وتهاوى كيانهم من يدعو في جرأة، ويقول إنه لكي تكون مجتمعاتنا لها نصيبها من العلوم العصرية: لابد أن تكون علمانية أو تابعة.

وقد كانت هناك مجتمعات «علمانية متغربة». فأصبحت مسخاً شائهاً تائهاً. ولم يحدث أن أتيح لها أن حصلت على علوم متقدمة.

وإذا كانت أمم الأرض تعمل بكل ما تملك من إمكانات: على أن تظل المجتمعات الإسلامية بعيدة عن حركة العلم والحياة. فإن معنى ذلك أن مجتمعات هذه الأمة وقعت فريسة لتكالب مسعور، ومخطط مرعب.

ونحن إذا تأملنا حال الأمة الإسلامية، وجدنا أنها من وجهة نظرنا محاصرة بين غربتين: «غربة زمان»، و«غربة مكان». أما

غربة الزمان، فهي بعد الأمة عن ماض حضاري مشرق، لم تعد تربطها به عوامل الثقافة الفاعلة أو البانية، وأنت تجد أن العرب لم يكن لهم وجود في عالم العلم والحضارة، إلا بالإسلام.

فالإسلام هو الذي علّمهم، وهو الذي بنى لهم شخصيتهم، وهو الذي هذّبهم، وجعل لهم مكانة، فلا حياة للعرب من دون الإسلام، فإذا ابتعد المسلمون عن الإسلام، واتخذوه شكلاً من الأشكال لتحقيق أغراض مختلفة فإن في ذلك الضياع للأمة.

وأما غربة المكان فهي بعد الأمة عن واقع حضاري معاصر تجهل عنه كل شيء مما مثل فجوات حضارية كبرى، ليس من السهل على الأمة الإسلامية تجاوزها أو تجاهلها... ولذلك كان لابد من خروج الأمة من الاغتراب الزماني والاغتراب المكاني، وذلك بالربط بين الواقع والثوابت الإسلامية وبين عوامل التقدم. وليس هناك من وسيلة للربط غير الفهم الصحيح للدين، والعلم والحياة في إطار من حرية الفكر، والتسامح والعقلانية. ■

الهوامش:

١ ـ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد أو مدينة السلام، ج١، ص٣٤٣، ط: دار الكتاب العربي.

٢ ـ جميل خميس السعدي، قاموس الشريعة، ج١، ص٦٤، ط: وزارة التراث القومي ١٩٨٢م، مسقط.

٣ ـ أبو علي عمر السكوني، عيون المناظرات، ص ١٣-١٤، ط: الجامعة التونسية ١٩٧٦م.

٤ ـ أبو العباس المكناس، ذيل وفيات الأعيان، ج٢ ص٣٥، ط: دار التراث بالقاهرة، ١٩٧٤م.

٥ ـ رواه ابن ماجة في سننه وابن عبدالبر في بيان العلم وفضله، والبيهقي في شعب الايمان وغيرهم.

٦ ـ سورة التوبة: الآية رقم ١٢٢.

٧ ـ تفسير المراغي، ج١، ص٤٨، وانظر الدكتور أحمد السايح، فلسفة الحضارة الإسلامية ص ١٣٥ ط، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بالقاهرة ١٩٨٩م.

٨ ـ انظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ج١، ص ٢٥٤، ط: دار الكتاب العربي، بيروت.

٩ ـ ابن قيم الجوزية، الفوائد، ص ١٣٧، ط: دار النفائس، بيروت ١٩٨٢م.

١٠ ـ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد أو مدينة السلام، ج٥، ص٣٠.

١١ ـ عبدالرحمن بن خلدون، المقدمة، ص ٢٤٥، ط: بيروت.

١٢ ـ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد أو مدينة السلام، ج٤، ص ١٣.

١٣ ـ الدكتور محمود قمبر، حولية كلية التربية، العدد ٨ ص ٢٤، جامعة قطر.

١٤ ـ الدكتور محمود قنبر، دراسات تراثية في التربية الإسلامية، ج٢، ص ٣٠٧، ط: دار الثقافة، قطر.

١٥ ـ الدكتور محمود قمبر، حولية كلية الشريعة، عدد ٢٨، ص ٢٥.

١٦ ـ ظهير الدين البيهقي، تاريخ حكماء الإسلام، ص ١٠٩، ط: المجمع العلمي العربي، دمشق ١٩٤٦م.

١٧ ـ أبو حيان التوحيدي، المقياسات، ص ١٧٢ ط: مطبعة الرشاد بغداد، ١٩٧٠م.

١٨ ـ الدكتور محمود قمبر، حولية كلية التربية، العدد ٨، ص٢٥.

١٩ ـ انظر المصدر السابق، العدد ٨، ص ٢٥، وراجع ابن رجب الحنبلي، فضل علم السلف على الخلف ج٢، ص ١٦٩.

٢٠ ـ انظر: الدكتور محمود قمبر، حولية كلية التربية، العدد ٨ ص ٢٦.

٢١ ـ عباس محمود العقاد، التفكير فريضة إسلامية، كتاب الإسلاميات، المجلد الخامس، ص ٣٤١، ط: دار الكتاب اللبناني، بيروت، الطبعة الأولى.

٢٢ ـ سورة إبراهيم الآية ـ ٤.

٢٣ ـ الدكتور يوسف القرضاوي، الرسول والعلم، ص ٨٧، وراجع: الغزالي، إحياء علوم الدين، ج١، ص١٤.

٢٤ ـ انظر: الدكتور يوسف القرضاوي، الرسول المعلّم، ص ٢٨.

٢٥ ـ انظر: الدكتور عبدالستار محمد نوير، القرآن والعلم، حولية كلية الشريعة، العدد ٤، ص ٢٠٥، جامعة قطر ١٤٠٥هـ.

٢٦ ـ المصدر السابق، ص ٢٠٥، وراجع أحمد أمين، كتاب الأخلاق، ص ٤٨، ط: بيروت.

٢٧ ـ انظر: الدكتور محمود قمبر، هدفية العلم في الإسلام، حولية كلية التربية، العدد الثامن، ص ٣٨.

٢٨ ـ الخليل بن أحمد الفراهيدي.

٢٩ ـ راجع الدكتور محمود قمبر، هدفية العلم في الإسلام، حولية كلية التربية، العدد الثامن، ص ٣٨.

٣٠ ـ انظر: الدكتور محمد عبدالله دراز الدين، ص٧٥، ط: دار القلم بيروت، وراجع: الشيخ محمد عبده «الإسلام بين العلم والمدنية» ص ٢٠٣، ط: دار الهلال.

٣١ ـ انظر: جمعة المغربي، مقارنة بين مفهومي العلم، مجلة الرائد، عدد رقم ١١٠، ص ٦٠، المانيا.

٣٢ ـ سورة الحج: ٨، ٩.

٣٣ ـ سورة القصص، الآية رقم ٥٠.

٣٤ ـ انظر: الدكتور أحمد السايح، فلسفة الحضارة الإسلامية، ص ١٠٧ ـ ١١٤، بتصرف، ط: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بالقاهرة، ١٩٨٩م.

٣٥ ـ حيث يدعى بعض المؤرخين من علماء أوروبا: أن العصور العلمية تنقسم إلى عصرين رئيسين:

العصر الأول: العصر الأغريقي ويمتد من سنة ستمئة قبل الميلاد إلى سنة مئتين من الميلاد.

والعصر الثاني: هو عصر النهضة الحديثة التي تبدأ من سنة ألف وأربعمئة وخمسين من الميلاد.

وإذا كان هو ادعاء بعض المؤرخين الأوروبيين، فإن بعض المستشرقين يزعم: أن العقلية العلمية لم تتوافر للمسلمين، وأن التفكير العلمي في مجال العلوم الموضوعية والكونية والتطبيقية لم تدركه العقلية الإسلامية، ولا شك أن هؤلاء، وأولئك قد تناسوا أو أغفلوا ما قبل عصر الإغريق، من مصريين وآشوريين وبابليين وغيرهم ممن أسهموا في الحضارات الإنسانية، والعلم الإغريقي لم يبدأ من العدم، بل لابد وأن تكون سبقته معارف استطاع الإغريق بما توافر لهم من إمكانات متاحة وبحث ونظر، أن ينهلوا منها في مسيرتهم، وهؤلاء وأولئك قد تناسوا وأغفلوا عن عمد العصر الإسلامي الزاهر والذي يعد من أزهى عصور المعرفة في تاريخ الإنسانية وذلك أن الإسلام قد رفع من شأن وقدر العلماء.

٣٦ ـ انظر: الدكتور أحمد السايح، أضواء حول الحضارة الإسلامية، ص ٧٩، ط: دار اللواء الرياضي، ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م.

٣٧ ـ انظر: الدكتور أحمد محمد خليفة، تنمية المجتمع العربي بين العلم والوهم، كتاب من ثمار الفكر، الموسم الثقافي العاشر، ١٤٠٥هـ، ص ٩٩، طبع جامعة قطر ١٩٨٥م.

٣٨ ـ الدكتور أحمد السايح، في الغزو الفكري، ص ٧٥، كتاب الأمة، رقم ٣٨، ط: وزارة المعارف، قطر ١٤١٤هـ.

٣٩ ـ رواه البخاري.

٤٠ ـ رواه الترمذي.

بقلم: أحمد أبو الدهب محمود

تمزيق حواجز الغيب: وجه من الإعجاز القرآني

حينما جاء القرآن مزق حواجز الغيب... مزق حواجز الزمان والمكان... كيف ذلك؟ حواجز الغيب ثلاثة... أولها حاجز المكان... أي أن الأشياء تحدث في اللحظة نفسها... ولكن لا أعرف عنها شيئاً... لأنها تحدث في مكان ما... وأنا موجود في مكان آخر، ثم هناك حاجز الزمن الماضي... وهو شيء حجبه عني زمن مضى... فأنا لم أشهده، وحاجز المستقبل وهو ما سيحدث غداً لابد حاجز الزمن المستقبل. قد حجب عني فلم أشهده؟! فحواجز الغيب ثلاثة: حاجز المكان، وحاجز الزمن الماضي، وحاجز الزمن المستقبل.

أولاً: تمزيق حاجز الزمن الماضي:

إذا قرأنا القرآن وجدنا أنه يمزق حاجز الزمن الماضي... فيخبرنا بما حدث للأمم السابقة، ويروي لنا قصص الرسل السابقين ويحكي لنا أشياء لم يكن أحد يعرفها وعلى لسان من على لسان نبي أمي لا يقرأ لا يكتب يحكي إذاً أسرار الماضي ويتحدى الذين يكذبون... مزق له الله حجاب وحاجز الزمن الماضي... ويكفي أن تقرأ في القرآن «وما كنت وما كنت وما كنت» لتعرف كم أخبر الله رسوله بأنباء من غيب الماضي.

فمن العجيب المتنع على من لم يقف على الأخبار، ولم يشتغل بدرس الآثار وقد حكى في القرآن تلك الأمور حكاية من شهدها وحضرها.

ولذلك قال الله تعالى: (وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذاً لارتاب المبطلون) العنكبوت ٤٨.

وقال: (وما كنت بجانب الغربي إذ قضينا إلى موسى الأمر وما كنت من الشاهدين) القصص: ٤٤.

وقال: (وما كنت بجانب الطور إذ نادينا ولكن رحمة من ربك لتنذر قوماً ما أتاهم من نذير من قبلك) القصص: ٤٦. فبين وجه دلالته من إخباره بهذه الأمور الغائبة السالفة.

> **من أسباب أي الاعجاز القرآني هو الحديث عن التاريخ القديم والرسول الكريم أي لا يقرأ ولا يكتب**

وقال: (تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك وما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا فاصبر إن العاقبة للمتقين) هود: ٤٩. ومن العلماء «من رأى أن سبب الإعجاز، هو الحديث عن التاريخ القديم، والرسول ﷺ أمي لا يقرأ ولا يكتب ولا يجالس الرهبان ولا من يمكن أن يستقي منهم هذا التاريخ».

بل إن الإعجاز هنا جاء في تصحيح ما حدث من تحريف الكتب السماوية التي سبقت القرآن... وكان محمد ﷺ يتحدى بالقرآن أحبار اليهود ورهبان النصارى... ويقول لهم هذا من عند الله... في التوراة والإنجيل... وهذا حرفتموه في التوراة أو الإنجيل... ولم يكونوا يستطيعون أن يواجهوا هذا التحدي أو يردوا عليه... ذلك أن التحدي للقرآن في تمزيق حجاب الماضي... وصل إلى أدق أسرار الرسالات السماوية الماضية فصححها لهم... وبيّن ما حرفوه منها وما أخفوه... وتحداهم أن يكذبوا ما جاء في القرآن فلم يستطيعوا... ومن ذلك قوله تعالى في سورة مريم: (ذلك عيسى ابن مريم قول الحق الذي فيه يمترون) مريم: ٣٤.

ثانياً: تمزيق حاجز المكان:

ثم جاء الأمر الثاني... فمزق الله حجاب المكان لمحمد

عليه الصلاة والسلام... وجاء في أمر من أدق الأمور وهو حديث النفس.

وهنا وقبل أن نبدأ... أحب أن نضع في أذهاننا أن القرآن هو كلام الله المتعبد بتلاوته... وأنه يبقى بلا تعديل ولا تغيير ولا يجرؤ أحد على أن يمسه أو يحرفه ومن هنا فإن هذا الكلام حجة على محمد عليه الصلاة والسلام مأخوذة عليه... فإذا أخبر القرآن بشيء... واتضح أنه غير صحيح... كان ذلك هدماً للدين كله...

يأتي القرآن وقد بينت خطورة ما يقول... (ويقولون في أنفسهم لولا يعذبنا الله) المجادلة: ٨... ما معنى هذا الكلام؟ معناه! إمعان في التحدي... فالقرآن هنا لا يقول لهم لقد هتكت حاجز الماضي... وأخبرتكم بأنباء الأولين... ولا يقول لهم سأهتك حاجز المكان وأخبركم بما يدور في بقعة قريبة لا ترونها بل يقول: سأهتك حاجز النفس... وأخبركم بما في أنفسكم... بما في داخل صدوركم... بل بما تهمس به شفاهكم... وكان يكفي لكي يكذبوا محمداً أن يقولوا لم تحدثنا أنفسنا بهذا... لو لم يقولوها بالفعل داخل أنفسهم لكان ذلك أكبر دليل لكي يكذبوا محمداً ويعلنوا أنه يقول كلاماً غير صحيح... إذا فالقرآن في هتكه لحجاب المكان... دخل إلى أعماق النفس البشرية... وإلى داخل نفوس من؟ إلى داخل نفوس غير المؤمنين الذين يهمهم هدم الإسلام وقال في كلام متعبد بتلاوته لن يتغير ولا يتبدل... قال: (ألم تر إلى الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون لما نهوا عنه ويتناجون بالإثم والعدوان ومعصية الرسول وإذا جاءوك حيوك بما لم يحيك به الله ويقولون في أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير) المجادلة: ٨... صدق الله العظيم... قال ما يدور في أنفس غير المؤمنين فهل هناك أكثر من هذا تحدياً... لحجاب المكان... إنه تحد فوق قدرة كل الاختراعات البشرية التي وصل إليها العلم الآن لاختراق حجب المكان.

ثالثاً: تمزيق حاجز المستقبل:

ثم جاء الأمر الثالث ومزق القرآن حجاب المستقبل كان لابد أن يكون الحديث عن المستقبل والصدق والإصابة في ذلك كله.

فهو كقوله تعالى: (قل للمخلفين من الأعراب ستدعون إلى قوم أولي بأس شديد تقاتلونهم أو يسلمون) الفتح: ١٦ فأغزاهم أبو بكر وعمر رضي الله عنهما إلى قتال الفرس والروم.

وكقوله: (ألم. غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون. في بضع سنين) الروم: ١ ـ ٤ وراهن أبو بكر الصديق ﷺ في ذلك وصدق الله وعده.

وكقوله في قصة أهل بدر: (وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم) الأنفال: ٧.

وكقوله: (سيهزم الجمع ويولون الدبر) القمر: ٤٥.

مزق القرآن حجاب المستقبل البعيد ليعطي الأجيال اللاحقة من إعجازه ما يجعلهم يصدقون القرآن ويسجدون لقائله

وكقوله: (لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلّقين رؤوسكم ومقصرين لا تخافون) الفتح: ٢٧.

وكقوله: (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً) النور: ٥٥. وصدق الله تعالى وعده في ذلك كله.

وقال في قصة المخلفين عنه في غزوته: (لن تخرجوا معي أبدا ولن تقاتلوا معي عدواً) التوبة: ٨٣ فحق ذلك كله وصدق، ولم يخرج من المنافقين (المخالفين) الذين خوطبوا بذلك معه ـ أحد.

وكقوله: (ليظهره على الدين كله) التوبة: ٣٣.

وكقوله: (فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين) آل عمران: ٦٠.

فامتنعوا من المباهلة ولو أجابوا إليها اضطرمت عليهم الأودية نارا على ما ذكر في الخبر.

وكقوله: (قل إن كانت لكم الدار الآخرة عن الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت إن كنت صادقين. ولن يتمنوه أبداً بما قدمت أيديهم) البقرة: ٩٤ ـ ٩٥.

ومن ذلك ما وعد الله تعالى نبيه، عليه الصلاة السلام، أنه سيظهر دينه على الأديان، بقوله عز وجل: (هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، ولو كره المشركون) التوبة: ٣٣. ففعل ذلك.

وكان أبو بكر الصديق ﷺ، إذا أغزى جيوشه عرفهم ما وعدهم الله من إظهار دينه، ليثقوا بالنصر ويستيقنوا بالنجاح.

وكان عمر بن الخطاب، ﷺ، يفعل كذلك في أيامه، حتى وقف أصحاب جيوشه عليه، فكان سعد بن أبي وقاص، رحمه الله، وغيره من أمراء الجيوش، من جهته يذكر ذلك لأصحابه ويحرضهم به ويوثق لهم؛ وكانوا يلقون الظفر في حروبهم حتى فتح آخر أيام عمر، ﷺ، إلى بلخ وبلاد الهند وفتح في أيامه مرو الشاهجان، ومرو الروذ، ومنعهم عن عبور نهر جيحون، وكذلك فتح في أيامه فارس إلى إصطخر، وكرمان ومكران وسجستان، وجميع ما كان من مملكة كسرى، وكل ما كان يملكه ملوك فارس، بين البحرين من الفرات إلى جيحون، وأزال ملك ملوك الفرس، فلم يعد إلى اليوم، ولا يعود أبدا، إن شاء الله تعالى، ثم إلى حدود أرمينية، وإلى باب الأبواب وفتح أيضاً ناحية الشام والأردن وفلسطين وفسطاط مصر، وأزال ملك قيصر عنها، وذلك من الفرات إلى بحر مصر، وهو ملك قيصر، وغزت الخيول في أيامه إلى عمورية، فأخذ الضواحي كلها، ولم يبق منها إلا ما حجز دونه بحر، أو حال عنه جبل منيع،

أو أرض خشنة، أو بادية غير مسلوكة.

ومن ذلك نرى عجبا... الوليد بن المغيرة العدو الألد للإسلام والمشهور بكبريائه ومكابرته وعناده... يأتي القرآن ويقول عن هذا الإنسان المكابر العنيد... (سنسمه على الخرطوم) القلم: ١٦... أي أنه سيقتل بضربه على أنفه... ويحدد موقع الضربة... وبعد ذلك يأتي في بدر... وقد وسم على خرطومه أي ضرب على أنفه... من الذي يستطيع أن يحدد موضع الضربة ومكانها... من الذي يستطيع أن يجزم... ماذا سيحدث بعد ساعة واحدة.

نأتي بعد ذلك إلى قوله تعالى: (تبت يدا أبي لهب وتب. ما أغنى عنه ماله وما كسب. سيصلى نارا ذات لهب) المسد: ١ ـ ٣.

هذا قرآن وفي من؟ في عدو الإسلام... ألم يكن أبو لهب يستطيع أن يحارب الإسلام بهذه الآية؟ ويستخدمها كسلاح ضد الإسلام... قالت له الآية يا أبا لهب ستموت كافرا ثم تعذب في النار... وكان يكفي أن يذهب أبو لهب إلى جماعة من المسلمين... ويقول أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله... يقولها نفاقا... يقولها رياء... يقولها ليهدم بها الإسلام... لا ليدخل في الإسلام... يقولها ثم يقف وسط القوم يقول: إن محمداً قد أنبأكم أنني سأموت كافراً وقال إن هذا كلام مبلغ له من الله... وأنا أعلن إسلامي لأثبت لكم أن محمداً كاذب... «لو كان أبو لهب يملك ذرة واحدة من الذكاء لفعل هذا... ولكن حتى هذا التفكير لم يجرؤ عقل أبي لهب على الوصول إليه... بل بقي كافراً مشركاً ومات وهو كافر... ولم يكن التنبؤ بأن أبا لهب سيموت كافراً أمراً ممكنا... لأن كثيراً من المشركين اهتدوا إلى الإسلام كخالد بن الوليد وعمرو بن العاص وعمر بن الخطاب... وغيرهم... فكيف أمكن التنبؤ بأن أبا لهب بالذات لن يسلم ولو نفاقا؟ المعجزة هنا أن القرآن قد أخبر بما سيقع من عدو... وتحداه في أمر اختياري... كان من الممكن أن يقوله ومع ذلك هناك يقين أن ذلك لن يحدث... لماذا؟ لأن الذي قال هذا القرآن... هل هناك إعجاز أكثر من هذا.

رابعاً: مواكبة الاكتشافات العلمية الحديثة لما جاء بالقرآن:

ومن إعجاز القرآن الكريم اشتماله على تحقيق كثير من المسائل العلمية والتاريخية التي لم تكن معروفة في عصر نزوله بل عرفت بعد ذلك بما انكشف للباحثين والمحققين من طبيعة الكون وتاريخ البشر وسنن الله في الخلق؛ فمن ذلك قوله تعالى: (وأرسلنا الرياح لواقح) كانوا يقولون فيه: إنه تشبيه لتأثير الرياح الباردة في السحاب بما يكون سبباً لنزول المطر بتلقيح ذكور الحيوان لإناثه. ولما اهتدى علماء أوربا إلى هذا وزعموا أنه مما لم يسبقوا من العلم صرح بعض المطلعين على القرآن منهم بسبق العرب إليه، قال مستر «أجنيري»: المستشرق الذي كان استاذاً للغة العربية في مدرسة اكسفورد في القرن الماضي: إن أصحاب الإبل قد عرفوا أن الرياح تلقح الأشجار والثمار قبل أن يعلمها أهل أوربا بثلاثة عشر قرنا!.

نعم إن أهل النخيل من العرب كانوا يعرفون التلقيح إذ كانوا ينقلون بأيديهم اللقاح من طلع ذكور النخل إلى إناثها ولكنهم لم يكونوا يعلمون أن الرياح تفعل ذلك ولم يفهم المفسرون هذا من الآية بل حملوها على المجاز.

ومنه قوله تعالى: (يغشي الليل النهار يطلبه حثيثاً) وقوله عز من قائل: (والشمس تجري لمستقر لها) ومثل هذه الآيات كثير في القرآن سنذكر منه ما تيسر إن شاء الله تعالى في هذا الجزء من البحث.

فمزق الله حجاب المكان لمحمد عليه الصلاة والسلام... وجاء في أمر من أدق الأمور وهو حديث النفس.

مزق القرآن حجاب المستقبل البعيد ليعطي الأجيال اللاحقة من إعجازه ما يجعلهم يصدقون القرآن ويسجدون لقائله وهو الله ولكن القرآن نزل في زمن لو أن هذه المعجزات المستقبلة جاءت تفصيلية لكفر عدد من المؤمنين وانصرف آخرون ذلك أن الكلام كان فوق طاقة العقول في ذلك الوقت ومن هنا وحتى لا يخرج المؤمن عن إيمانه ويستمر الإعجاز جاء القرآن بنهايات النظريات بقمة نواميس الكون إذا تليت على المؤمنين في ذلك الوقت مرت عليهم ولم ينتبهوا إلى مدلولها الحقيقي العلمي وإذا قيلت بعد ذلك للأجيال اللاحقة عرفوا ما فيها من إعجاز وقالوا إن هذا كلام لا يمكن أن يقوله شخص عاش منذ آلاف السنين إذن لابد أن هذا القرآن حق من عند الله وأن قائله هو الله الخالق.

بقيت نقطة، هل يأتي هذا في الأحكام؟ الجواب: لا... إن أحكام الدين إفعل ولا تفعل نزلت كاملة واضحة لا لبس فيها ولا إضافة عليها ولا تبديل ولا غموض، منهج الله كامل فسرته الأحاديث القدسية والأحاديث النبوية، وشرح وفسر في عهد الرسول ﷺ تفسيراً كاملاً... بحيث أصبح واضحاً لكل إنسان يريد أن يعبد الله وأن يعيش في الأرض طبقاً لقوانين الله: وأصبح الحلال بيّنا والحرام بيّنا، والدين بيّنا.

ـ التحدي بعدم الهروب من الموت:

قال تعالى: (أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة) النساء: ٧٨ أي أن الله سبحانه وتعالى يتحدى مهما وصلتم من العلم... فلن تستطيعوا أن تنجوا من الموت إنكم تقولون في العلم الأرضي إن الموت يحدث بسبب جراثيم كذا وأمراض كذا إلى آخره... حسنا... شيدوا برجا وضعوا فيه إنسانا... وأبعدوا عنه كل المخاطر التي في رأيكم ونظركم وفي علمكم تسبب الموت... فلا هو يحارب ولا يمشي في أي مكان ليصاب في حادث... فلا يستنشق هواء ملوثاً بل يستنشق هواء نقيا ويأكل من طعام مطهر على أحدث الوسائل

الصحية... ويشرب من ماء ليس فيه جرثومة واحدة والجو الذي يعيش فيه منقى إلى آخر درجات العلم... هنا نكون قد أبعدنا عن هذا الإنسان كل مسببات الموت التي نعرفها... ومع ذلك هل يمكن أن يكتب لهذا الإنسان مثل هذا الخلود رغم أننا منعنا عنه كل الأسباب الظاهرية للموت... الجواب طبعاً مستحيل... لأن الله هو الذي يحيي ويميت... والأسباب لا تفعل بنفسها ولكنها تفعل بإرادة الله.

وقد رأينا أن نسوق هنا تفسير آية من آيات القرآن الكريم أصبناه في بعض كتب الحكيم العلامة داود الأنطاكي المتوفى سنة ١٠٠٨ للهجرة فتح عليه به وهو في أضعف الأزمنة وأشدها انحطاطاً وفقراً من الوسائل العلمية.

أما الآية فهي قوله تعالى: (ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين).

والتفسير: قال جل من قائل: (ولقد خلقنا الإنسان) يعني إيجاداً واختراعاً لعدم سبق المادة الأصلية (من سلالة) هي الخلاصة المختارة من الكيفيات الأصلية بعد الامتزاج بالتفعل الثاني مما ركب منها بعد امتزاج القوى والصور، والتنويه باسمه إما للصورة والرطوبات الحسية أو لأنه السبب الأقوى في تحجر الطين وانقلابه وكسر سورة الحرارة وإحياء النبات والحيوان اللذين هما الغذاء الكائنة عنه النطف وهذا الماء هو المرتبة الأولى والطور الأول، وقله «من سلالة» يشير إلى أن المواليد كلها أصول للإنسان وأنه المقصود بالذات الجامع لطباعها، ثم جعله نطفة بالانضاج والتخليص الصادر عن القوى المعدة لذلك، ففي قوله (ثم جعلناه نطفة) تحقيق لما صار إليه الماء من خلع الصورة البعيدة والضمير إما للماء حقيقة أو للإنسان بالمجاز الأولي.

وقوله (في قرار مكين) يعني الرحم وهذا هو الطور الثاني ثم قال مشيراً إلى الطور الثالث: (ثم خلقنا النطفة علقة) أي صيرناها دما قابلا للتمدد والتخلق باللزوجة والتماسك ولما كان بين هذه المراتب من المهلة والبعد ما سنقرره، عطفها بـ «ثم» المقتضية للمهلة - كما بين أدوار كواكبها فإن زحل يلي أيام السلالة المائية لبردها، والمشتري يلي النطفة لرطوبتها، والمريخ يلي العلقة لحرارتها وهذه الثلاثة هي أصحاب الأدوار الطوال.

ثم شرع في المراتب القريبة التحويل والانقلاب التي يليها الكواكب المتقاربة في الدورة وهي ثلاثة: أحدها ما أشار إليه بقوله (فخلقنا العلقة مضغة) أي حولنا الدم جسماً صلبا قابلاً للتفصيل والتخليط والتصوير والحفظ وجعل مرتبة المضغة في الوسط، وقبلها ثلاث حالات وبعدها كذلك. لأنها الوساطة بين الرطوبة السيالة والجسم الحافظ للصور، وقابلها بالشمس لأنها بين العلوي والسفلي كذلك وجعل التي قبلها علوية، لأن الطور الإنساني فيها لا حركة له ولا اختيار، فكأنه هو المثوليه اصالة وإن كان في الحالات كلها كذلك لكن هو أظهر، فانظر إلى دقائق مطاوي هذا الكتاب المعجز وتحويله العلقة إلى المضغة يقع في دون الأسبوع.

القرآن في هتكه لحجاب المكان... دخل إلى أعماق النفس البشرية

وثانيها مرتبة العظام المشار إليها بقوله: (فخلقنا المضغة عظاما) أي صلبنا تلك الأجسام بالحرارة الإلهية حتى اشتدت وقبلت التوثيق والربط والإحكام والضبط، وهذه مرتبة الزهرة، وفيها تتخلق الأعضاء المنوية المشكلة للعظام أيضاً ويتحول دم الحيض غاذيا كما هو شأن الزهرة في أحوال النساء.

وقوله (فكسونا العظام لحما) أي حال تحويل الدم غاذيا للعظام لا يكون عنه إلا اللحم والشحم وكل ما يزيد وينقص، وهذا شأن عطارد تارة يتقدم وتارة يتأخر ويعتدل، وكذا في اللحم البدن وهذه المرتبة هي التي يكون فيها الإنسان كالنبات ثم يطول الأمر حتى يشتد، ثم يتم إنسانا يفيض الحياة والحركة بنفخ الروح، فلذلك قال معلماً للتعجب والتنزيه عند مشاهدة دقيق هذه الصناعة (ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين) وهذا هو الطور السابع الواقع في حيز القمر.

وفي هذه الآية دقائق: (الأولى) عبر في الأول بخلقنا، لصدقه على الاختراع، وفي الثاني بجعلنا لصدقه على تحويل المادة، ثم عبر في الثالثة وما بعدها كالأول لأنه أيضاً إيجاد ما لم يسبق، (الثانية) مطابقة هذه المراتب لأيام الكواكب المذكورة، ومقتضياتها للمناسبة الظاهرة وحكمة الربط الواقع بين العوالم، (الثالثة) قوله فكسونا: وهي إشارة إلى أن اللحم ليس من أصل الخلقة اللازمة للصورة، بل كالثياب المتخذة للزينة والجمال؛ وأن الاعتماد على الأعضاء والنفس بخاصة، (الرابعة) قوله تعالى (ثم أنشأناه) سماه بعد نفخ الروح إنشاء لأنه حينئذ قد تحقق بالصورة الجامعة (الخامسة) قوله خلقا ولم يقل إنسانا ولا آدميا ولا بشراً لأن النظر فيه حينئذ لما سيفاض عليه من خلع الأسرار الإلهية، فقد أن خروجه من السجن وإلباسه المواهب، فقد يتخلق بالملكيات فيكون خلقاً ملكياً قدسياً أو بالبهيمية فيكون كذلك، أو بالحجرية إلى غير ذلك فلذلك أبهم الأمر وأحاله على اختياره وأمر بتنزيهه على هذا الأمر الذي لا يشاركه فيه غيره.

وفي الآية من العجائب ما لا يمكن بسطه هنا، وأنت لو عرضت ألفاظ هذه الآية على ما انتهى إليه علماء الأجنة وعلماء التشريح وعلماء الوراثة النفسية، لرأيت فيها دقائق علومهم، كأن هذه الألفاظ إنما خرجت من هذه العلوم نفسها، وكأن كل علم وضع في الآية كلمته الصادقة، فلا تملك بعد هذا أن تجد ختاماً للآية إلا ما ختمت هي به من هذا التسبيح العظيم «فتبارك الله أحسن الخالقين». ■

بقلم: د. أحمد عبد العزيز المزيني

حركات التبشير والمسألة الدينية واللغوية

من المعروف أن حركات التبشير قد نجحت نجاحا كبيرا في كثير من المناطق في العالم؛ وبخاصة في تلك المناطق التي خضعت إلى النفوذ الاستعماري التقليدي بأشكاله المعروفة. ولعل نجاح تلك الحركات يعود في المقام الأول إلى قوة النشاط التبشيري المتمثل في شيء من الرعاية الصحية والتعليمية وجمعيات الإحسان، مع وجود فراغ ديني وحضاري عند تلك الشعوب التي طالها الغزو التبشيري، إضافة إلى قوة النفوذ الاستعماري المتمثل أيضا في آلته الحربية وتقنياته العلمية: ما أدى إلى خلق ميل شديد لدى الشعوب المغلوبة إلى تقليد الشعوب الغالبة ومحاكاتها في أساليب المعيشة والحياة، وفي تعلّم لغاتها باعتبار اللغات من أهم وسائل الاتصال البشري.

فشل التبشير في المسألتين: الدينية واللغوية

وما يمكن ملاحظته على مساحة الخارطة الكونية أن الغزو التبشيري لم ينجح في المناطق التي تسكنها الأغلبية العظمى من المسلمين: لأسباب كثيرة لسنا بصدد بحثها، ومن الطبيعي - والحالة هذه - أن يراجع دهاقنة المشرفين على تلك الحركات بين وقت وآخر أساليبهم وخططهم، وأن يعملوا على تجديد تلك الأساليب وتفعيلها ليكون لها دورها القوي والمؤثر في تلك المجتمعات، ومنها المجتمعات العربية والإسلامية؛ وكم من أساليب وأفكار تبنتها الحركات التبشيرية متعاضدة مع الحركات الاستعمارية، التي قد تمّ طرحها على مختلف المستويات والأصعدة. ومن بين تلك الطروحات وأخطرها المسألة اللغوية والانقضاض على اللغات الأم عن طريق إحلال اللغات الأجنبية محلها، بهدف تثبيت الوجود الاجنبي الدخيل وإطالة آماده، بحيث يصعب الانفلات من قبضته تحت أي ظرف من الظروف المستقبلية؛ وهذا ما حدث فعلا في كثير من المناطق في العالم التي تحررت ونالت استقلالها، ولكنها بقيت تتحدث بلغة الغالب الفاتح وتستخدمها في خطابها اليومي والرسمي؛ تاركة وراء ظهورها اللغة الأم.

ولعل المتتبع للحركات التبشيرية في المحيطين العربي والإسلامي، يرى أن تلك الحركات - متعاضدة مع الهيمنة الاستعمارية - قد نجحت إلى حد كبير في فرض أنماط المجتمع المدني الغربي وأساليبه في كثير من شئون الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، ولكنها لم تفلح كثيرا في مسألتين أساسيتين كانتا من بين الأوليات والأهداف لديهم على مدى تاريخ حركات التبشير،وهما المسألة الدينية عند المسلمين، والمسألة اللغوية وهما مسألتان متلازمتان لا تنفصل إحداهما عن الأخرى.

(١) المسألة الدينية

تجدر الإشارة إلى أن تلك الحركات اقتصرت على المبشرين النصارى دون اليهود.

وذلك لأن العقيدة اليهودية لا تدعو إلى التبشير باليهودية، وقد يكون ذلك في حدود ضيقة تصل إلى درجة الندرة والقلة، لأسباب متعددة يعود بعضها إلى موقع عقيدتهم وموقف العقيدة المسيحية منها مباشرة، حيث جاءت تصحيحا وتنقيحا لما اعوج من سلوكيات بني إسرائيل في عقيدتهم... وقد يعود بعضها إلى طبيعة تكوين المجتمع اليهودي المنغلق وموقعه بين المجتمعات الأخرى، حيث لم يكن شيئا مذكورا إبّان الحركات الاستعمارية التي كانت تقودها دول معروفة، وليس مجتمعات ضيقة في دول، ولكنهم مع ذلك نشطوا في طرح الكثير من الأفكار والطروحات في محاولة لإيجاد نفوذ لهم في تلك المجتمعات.

ويهمنا أن نؤكد أن العقيدة الإسلامية ظلت راسخة في النفوس المؤمنة فلم تفلح حركات التبشير في تحويل المسلم من عقيدته السماوية (الإسلام) إلى عقيدة سماوية أخرى (النصرانية)، وكل ما يمكن قوله إن المبشرين متعاضدين هذه المرة مع بعض الباحثين المستشرقين عمدوا إلى دراسة الإسلام في كثير من جوانبه، وعملوا أساتذة في معاهد الاستشراق المختلفة، وعمل بعضهم في بعض الجامعات العربية - ولم تكن نوايا الكثيرين منهم حسنة ومنصفة - وتتلمذ على أيديهم - هنا وهناك - الكثير من أبناء العرب المسلمين، وظهر منهم نخبة معينة أعدت إعدادا جيدا، لتلعب دورا آخر مميزا من أدوار المستشرقين، وقد تستروا بالجلباب العربي حينا وبعباءة الإسلام حينا آخر، وهذا موضوع يعرفه كثير من المثقفين ولا يحتاج منا إلى بيان.

(٢) المسألة اللغوية

لا يختلف اثنان على أن اللغة العربية هي المدخل إلى تعلم القرآن

الكريم وقراءته بلسان عربي مبين، وقد كانت هذه اللغة وما زالت هدفا من أهدافهم منذ الحروب الصليبية فصوبوا لها سهامهم المسمومة، وكلما تكسر سهم صنعوا سهما آخر أشد فتكا من سابقه ، لعلهم بذلك يصيبون الأمة في الصميم في وجودها وكيانها ، كما أصابوا شعوبا كثيرة تنازلت - كرها أو طوعا - عن لغاتها ، وهي ليست عن أعيننا ومسامعنا ببعيدة ، كما أن محاولة فرنسة الجزائر وغيرها من أقطار مغربية ومشرقية لا تغيب عن الأذهان.

من ذلك ما تعرضت له اللغة العربية في أوائل هذا القرن من العديد من الحملات المغرضة على أيدي المبشرين والمستشرقين، إضافة إلى دعاة التغريب والتحلل اللغوي من أبناء العرب، استهدفت إضعافها والنيل منها وإزاحتها عن الخطاب اليومي والرسمي أيضا . فقد انطلقت حملة شرسة لهدم اللغة العربية وتقطيع أوصالها التي تربط الشعوب العربية ببعضها بعضا، وتربطهم جميعا في حاضرهم ومستقبلهم بماضيهم وتراثهم الديني والأدبي والعلمي ، الذي يعد ركيزة أساسية ودعامة قوية في وجودهم وتوحدهم وعزتهم .فقد كانت الدعوة إلى استبدال الحرف اللاتيني بالحرف العربي واتخاذه أداة للكتابة من بين ما تبنته الدوائر المشبوهة من مبشرين ومستشرقين وعرب «متغربين».

ولنا أن نتصور كيف لو أن هذه الحملة نجحت، وأصبحت الأمة العربية من دانيها إلى قاصيها تكتب ما تريد أن تكتب بالحرف اللاتيني - السهل على حد زعمهم الباطل - حينئذ لن نقدر على قراءة ورقة واحدة تمت كتابتها قبل تطبيق هذه الدعوة ، لأنها كتبت بالحرف العربي ، وبمعنى آخر سيصبح هناك يوم فاصل - وربما تحتفل به بعض الدوائر المشبوهة كعيد من أعيادها التي تعتز به - بين أداتين للكتابة: الأولى الحرف العربي، والثانية الحرف اللاتيني وفي ذلك اليوم سيصبح للأمة تاريخان أحدهما قديم يحتوي على جميع ما صدر عنها في الماضي من كتابة القرآن والحديث والمؤلفات والمخطوطات وغيرها مما كتب بالحرف العربي على مدى أربعة عشر قرنا وتاريخ حديث تصبح فيه جميع الكتابات بالحرف اللاتيني ، حينئذ يدخل تراثنا القديم متاحف التاريخ، ويصبح المواطن العربي بحاجة ماسة إلى تعلم الحرف العربي من جديد ليقرأ شيئا من متاحف تاريخه الإسلامي والعربي... ولو حاولنا إعادة كتابة تراثنا القديم بالحرف اللاتيني فسوف نحتاج من الوقت والمال ما يكفي لنهضة أمة بأسرها، وإلى زمان طويل يكون العالم قد قفز قفزات نحو التقدم والارتقاء والسبق الحضاري والعلمي ، ولو افترضنا أن جزءا من الأمة رفض هذه الدعوة وظل يكتب بالحرف العربي ، فيما مضى بعض من الأمة العربية يكتب بالحرف اللاتيني ، لأصبحت هذه الأمة منقسمة، وستصبح المسألة اللغوية من الأمور المعقدة التي تحتاج الى اجتماعات ومؤتمرات لإصلاح ذات البين وهدم هوة الخلاف، وهناك سؤال يطرح نفسه - في هذا السياق - وهو لماذا كانت هذه الحملة الخبيثة موجهة إلى الحرف العربي - أينما كان - من بين الحروف الأخرى المستخدمة في العالم، مثل الحروف الصينية واليابانية والهندية والعبرية؟ ولعل الجواب يأتي في غاية البساطة، ولا يحتاج إلى تفكير، وهو أن القرآن الكريم كتب بهذا الحرف، وانتشر في أرجاء المعمورة به، وأصبح تعلم اللغة العربية سبيلا إلى قراءته ، لدى العرب وغير العرب من أبناء المسلمين .

لقد كانت تركيا البلد المسلم إحدى محطات هذا المشروع الخبيث ، فبعد أن كانت تستخدم الحرف العربي في كتابة اللغة التركية هجرته وتخلت عنه وراحت تستخدم الحرف اللاتيني ، بعد محاولات معروفة فرضها «أتاتورك» وأعوانه ، وأصبح التركي أمام إشكالية ، فهو ما زال مضطرا مع ذلك إلى تعلم الحرف العربي إذا أراد أن يقرأ القرآن أو شيئا من تراثه المكتوب بالحرف العربي ، فأي قطيعة أصبحت بينه وبين ماضيه وتراثه،"إن الأتراك أنفسهم أضاعوا مركزهم في الشرق بتبديل حروفهم"، (سعيد الأفغاني، من حاضر الغة العربية، ص ١٨٤).

ثم اتجهت أنظار دعاة الحرف اللاتيني إلى بلاد فارس التي تستخدم في كتابتها الحرف العربي، وقد رفضت ذلك بصراحة وأبقت الحرف العربي أداة لكتاباتها (المرجع السابق). وقد علمت أن بدو فلسطين في صحراء النقب الخاضعة إلى إسرائيل تعلموا الحرف العبري وراحوا يكتبون بهذا الحرف كل ما يريدون كتابته في شئون حياتهم ، لأنهم لم يتعلموا الحرف العربي، وهذا على عكس العرب في شمال فلسطين، فما زالوا يستخدمون الحرف العربي.

«واتجهت الأنظار إلى البلاد العربية، وبخاصة مصر وبلاد الشام وبلاد المغرب، وللأسف الشديد، وجدت هذه الدعوة الخبيثة من النخبة المثقفة «المتغربة »من يروج لها ويتبناها تحت مزاعم باطلة (المرجع السابق).

لقد كانت تلك الحملة في حينها من أشرس الحملات المنظمة التي أوشكت أن تنجح لولا أن تصدى لها نخبة من العلماء الفضلاء من أصحاب الأقلام النظيفة ، وهي اليوم قد أصبحت من التاريخ ولكنه التاريخ المر الذي لا ينبغي أن ينسى أو يهمل ، ويكفي أن نعرف أن أكبر مروج لتلك الحملة الخبيثة هو المستشرق اليهودي (مرجوليوث) المعروف بدهائه ودسائسه في التراث، فهو مؤلف كتاب أصول الشعر العربي الجاهلي (انظر: المستشرقون ص ٥١٩)، الذي كان أساسا لنظرية كتاب الدكتور طه حسين في التشكيك في أصول الشعر الجاهلي.

على أن هناك حملات أخرى لا تقل خطورة وشراسة عن الحملة السابقة شارك فيها النخبة المثقفة من «المتغربين» العرب، وهي الدعوة إلى العاميات وإحياء اللهجات المحلية والترويج لها والدعوة إلى الكتابة بها، في محاولة لإضعاف اللغة الفصحى المشتركة، بحيث تصبح هذه اللهجات والعاميات مع مرور الزمان بدائل للغة الأم، مع ما ترشحه هذه البدائل من إيجاد "مجتمعات" لغوية متباعدة عن أصولها ومختلفة عن جذورها، وهناك محاولة للتشكيك في التراث الإسلامي وقيمه وتفريغه من محتوياته الإنسانية والحضارية ، ومحاولة للطعن في رموز التراث الإسلامي والعربي والغمز في رجالاته من خلال مواقف وهنات وسقطات بسيطة وجدوا في تضخيمها وتهويلها ما يريحهم ويشفي أحقادهم ويحقق ومآربهم. ■

بقلم : غازي التوبة

قراءة في كتاب «الدين والدولة وتطبيق الشريعة» للدكتور محمد عابد الجابري

نظرات عصرية في قضايا أصولية

يدعو الدكتور محمد عابد الجابري في مقدم كتابه «الدين والدولة وتطبيق الشريعة» إلى تكوين مرجعية منفتحة، ثم يبين لنا أن هذه المرجعية المنفتحة التي يدعو إليها تقوم على عمل الصحابة، ثم يوضح لنا أيضاً أن المصالح الكلية هي التي كانت تحرك عمل الصحابة، لا خلاف أن الصحابة خير من فهموا الإسلام وخير من طبقوه وعملوا به، لكن هل صحيح أن المصالح الكلية فقط هي التي كانت تحرّك عمل الصحابة؟ لقد كانت المصالح الكلية جزءاً من منظومة كاملة تحرك عمل الصحابة وهي: التوحيد، القرآن، السنة، الجماعة، الآخرة، الجنة... إلخ، وكانت المصالح الكلية تظهر عندما يختفي الحكم الواضح والأمر الشرعي.

ثم يتعرض الدكتور الجابري إلى «مسألة الدين والدولة في المرجعية التراثية»، ويرى أن السؤال «هل الإسلام دين أم دولة؟» سؤال لا وجود له في المرجعية التراثية، وإنما جاء السؤال في منتصف القرن الماضي عندما قامت النهضة ووقع الاحتكاك بالحضارة الغربية التي عرفت مثل هذا السؤال، ويرى أنه يصبح قابلاً للجواب إذا أعدنا صياغته ووضعنا كلمة «أحكام» مكان كلمة «دين»، وكلمة «سلطة» مكان كلمة «دولة»، ثم ينتقل في فقرة ثانية إلى اعتبار حادث اجتماع المهاجرين والأنصار في سقيفة بني ساعدة بالمدينة لاختيار الخليفة هو الإطار المرجعي الرئيس الذي استند إليه فقهاء أهل السنة في تشييد نظريتهم في الخلافة، وفي النهاية يرى الجابري أن نظرية الخلافة عند أهل السنة هي في جملتها تقنين لأمر واقع، وأن مسألة علاقة الدولة بالدين لم تكن مطروحة ولا كان يمكن أن تطرح على الساحة الإسلامية، لأن جميع المتعاملين مع

إنزال الشرائع كان القصد منه حفظ الضرورات الخمس وهي : الدين والنفس والعقل والمال والنسل

موضوع الدولة مسلمون، أو على الأقل يتصرفون بوصفهم كذلك.

ثم ينتقل الجابري في الفقرة التالية ويشير إلى أن هناك فراغاً دستورياً في لغة العصر برز في نهاية حكم الخليفة عثمان ﵁ تجلى في ثلاث مسائل رئيسة هي:

عدم إقرار طريقة مقننة لتعيين الخليفة، وعدم تحديد مدة ولايته، وعدم تحديد اختصاصاته، ثم يعرض الجابري في فقرة: «الأيديولوجية السلطانية والخلقية الإسلامية» السند الشرعي الذي كان يعتمد عليه الحكمان الأموي والعباسي في تبرير وجودهما، ثم يبين أن التجربة التاريخية للأمة الإسلامية ليست هناك السياسة المطبقة وحدها، بل إنها أيضاً ما يعبر عنه بـ«الخلقية الإسلامية» في الحكم، تلك الخلقية التي بقيت تلهم الفكر الحر وتنعش الآمال في الإصلاح والتغيير ومنها: الشورى، والمسؤولية التي تتوزع في جسم المجتمع، وترك أمور الدنيا لأهل الاختصاص.

والآن يمكن أن ندون الملاحظات التالية على ما ذكره الجابري بخصوص «الدين والدولة في المرجعية التراثية»:

١ - أصاب الجابري عندما اعتبر أن إشكالية فصل الدين عن الدولة لا وجود لها في التجربة التاريخية للأمة الإسلامية.

٢ - يلحظ الدارس للمؤلفات الحديثة عن الحكم الإسلامي أن النظام الديموقراطي الغربي بصورته الغربية الحديثة هو النموذج الذي يستند إليه الباحثون في محاكمة النظام الإسلامي وفي إصدار الأحكام عليه، ولا شك أن هذا ظلم كبير للنظام الإسلامي، لأن الحكم الإسلامي حكم له تاريخه الخاص وله مؤسساته

الخاصة وله آليته الخاصة في تحقيق أهدافه، وإنما يجب أن يحاكم النظام الإسلامي بحكومات عصره من جهة، وبمعايير إنسانية عامة من جهة ثانية.

٣ - اعتبر الجابري أن ثغرات دستورية حولت الخلافة إلى ملك، وحدد أبرز هذه الثغرات الدستورية بعدم إقرار طريقة واحدة مقننة لتعيين الخليفة، وعدم تحديد مدة ولاية الخليفة، وعدم تحديد اختصاصاته، ويمكن الرد عليه وبخاصة فيما يتعلق بالنقطة الأخيرة وهي عدم تحديد اختصاصات الخليفة بأن الحاكم الإسلامي ربما كان أكثر الحكام وضوحاً في تحديد واجباته واختصاصاته على الأقل في تلك الفترة التاريخية وذلك لوجود القرآن الكريم والسنة النبوية التي تم اختيار الخليفة على أساسهما، واللذين يمثلان الدستور المشترك المتفق عليه بين الرعية والخليفة، وما يؤكد ذلك أن الثوار الذين ثاروا على عثمان رضي الله عنه أرادوا عزله لأنه خالف قواعد مقررة معروفة بينهم، لكن البحث عن سبب التحول التاريخي في تجربة الحكم الإسلامي يجب أن يتجه إلى تكوين الطائفة الثائرة: ما تركيبتها الاجتماعية؟ وما ذهنيتها السائدة؟ وما فهمها للدين؟ إن الإجابة عن هذه الأسئلة يمكن أن يعطينا جواباً أدق عن أسباب التحول التاريخي في الحكم الإسلامي.

إن الطائفة الثائرة تحولت إلى فرقتين تاريخيتين هما: الخوارج والشيعة، وإذا بحثنا عن أجوبة الأسئلة السابقة في بنية الفرقة الأولى، وجدنا أن الواقع القبلي هو الذي حكم انتماء عناصرها، وأن الفهم الظاهري للدين هو الذي حكم ذهنيتها نتيجة حياتها البدوية التي لا تتيح التعمق والتدبر في فهم آيات الله، وكذلك بالنسبة للفرقة الثانية نجد أنَّ المنتمين لها من أبناء المناطق التي دخلت في الإسلام نتيجة الفتوحات الإسلامية، وقد جلب الداخلون في الإسلام من بيئتهم السابقة بعض مفاهيمهم التي تقوم على العلم عن طريق الغنوصية، إن هذه العوامل الثقافية في فهم الدين هي التي أسهمت في تشطير المنطقة وفي تكوين المنعطف التاريخي في واقعها.

إن الخوف على وحدة الأمة والحرص على عدم تصدّعها بعد المخاض العسير لوصول علي رضي الله عنه إلى الخلافة وليس قول الأمويين بالجبر في مجال القضاء والقدر هو الذي أتاح لنهج الأمويين أن يكون مقبولاً لدى طائفة من المسلمين بغض النظر عن صدق الأمويين في تلك المقولة أو عدم صدقهم لأنَّ الأمويين ليسوا هم مصدر المسلمين في فهم القضاء والقدر، وما يؤكد ذلك احتفال المسلمين وابتهاجهم عند تنازل الحسن لمعاوية عن الخلافة وتسميتهم ذلك العام بعام الجماعة.

ثم ينتقل الجابري في الفقرة الثانية من كتابه إلى معالجة «الدين والدولة في المرجعية النهضوية»، فيرى أن طرح فصل الدين عن الدولة عند بعض دعاة النهضة المسيحيين كبطرس البستاني إنما جاء من استلهامهم للنهضة الأوروبية من جهة، ولكونه مسيحياً عاش فتنة ١٨٦٠م في لبنان، ويريد أن يتخلص من الحكم العثماني من جهة ثانية، وإذا كان لهذا الوضع الطائفي خاصيته، فإنه لا يمكن تعميم هذه الخاصية على كل البلدان العربية، ثم يرى الجابري أنه يمكن استبدال العلمانية بالديموقراطية والعقلانية، لكن الجابري في الفقرة الأخيرة من هذا القسم يعود إلى مناقضة نفسه فهو عندما يقر بأنَّ العلمانية التي تعني فصل الدين عن الدولة لا معنى لها في مجتمع إسلامي لأسباب متعددة، يدعو إلى فصل الدين عن السياسة لأسباب متعددة منها: أنَّ الدين يمثل ما هو مطلق وثابت، بينما تمثل السياسة ما هو نسبيّ ومتغيّر، والسياسة تحركها المصالح الشخصية الفئوية، أما الدين فيجب أن ينزّه عن ذلك، وأنَّ الدين يوحّد في حين أن السياسة تفرّق، ولا أدري ماذا تعني الدعوة السابقة؟ ألا تعني فصل الدين عن الدولة؟ ألا تعني قبول ما رفضه الجابري قبل قليل؟ لنتجاوز هذا ولنسأل: من أين جاءت هذه المقولة؟ جاءت هذه المقولة من الديانة المسيحية التي تميّز بين ما هو مقدّس وما هو دنيوي، الديني هو المقدس والدنيوي هو النجس، في حين أن هذه القسمة ليست مطروحة في الحياة الإسلامية، بل كل عمل يمكن أن يؤديه المسلم يعتبر جزءاً من عبادته لله، وجزءاً من دينه، حتى شهواته الخاصة من طعام وشراب وجماع ورياضة ونزهة إذا نوى فيها التقوى على طاعة الله أو ذكر الله في بدايتها كانت عبادة وكان له فيها أجر ويدل على ذلك الحديث الذي قال فيه الرسول - ﷺ - مخاطباً الصحابة: «في بضع أحدكم صدقة» قالوا: يا رسول الله أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر؟ قال: «أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه فيها وزر؟ كذلك إن وضعها في الحلال كان له فيها أجر».

أما اعتبار الجابري أن الدين يمثل ما هو مطلق وثابت فكلام عام وغير دقيق، فإن الدين يحوي أحكاماً ثابتة وأخرى متغيرة، الثابت منها ما يتعلق بصفات الله سبحانه وتعالى والآخرة والعبادة ... إلخ، وأعطانا الدين في الوقت نفسه القواعد التي نحكم بها على المتغير من أمور الحياة وقد تجسدت هذه القواعد في علم أصول الفقه ومقاصد الشريعة، وإلا لما أمكن اعتبار الدين الإسلامي صالحاً لكل زمان ومكان.

أما الحجة الثانية وهي اعتبار الجابري أن الدين يوحد وأن السياسة تفرّق فهي أمور نسبية وليس على إطلاقها، فيمكن للدين أن يفرق ويمكن للسياسة أن توحد، يمكن للدين أن يفرّق إذا كان هناك اختلاف في

النظام الديموقراطي الغربي بصورته الغربية الحديثة هو النموذج الذي يستند إليه الباحثون في محاكمة النظام الإسلامي

فهم بعض قضاياه وعقائده وأحكامه، كما يمكن أن يوجد إذا كان هناك تطابق في ذلك الفهم وفي طرق التوصل إلى ذلك الفهم، وإما ما حدث في زمن عثمان ﷺ وما بعده من اختلاف ليس سببه توظيف الدين في السياسة كما ادعى الجابري، ولكنه نتج من أفهام متباينة لبعض القضايا نتيجة تداخل عناصر موروثة لم تستطع بعض الفرق التخلص منها كما عرضنا ذلك في موضوع سابق من المقال عند الحديث عن الخوارج والشيعة.

أما قول الجابري: «السياسة تحركها المصالح الشخصية أو الفئوية أما الدين فيجب أن ينزه عن ذلك» فهو مرتبط بالتمييز بين المقدس والنجس بين أمور الدين والدنيا في الديانة المسيحية، وهذا لا أصل له في الدين الإسلامي، فطالما أن تحقيق المصالح الشخصية والشهوات مباح، بل تعتبر عبادة في نظر الشرع الإسلامي مثل أي ممارسات دينية ولمن قام بها ضمن حدود الشرع له أجر، كذلك كانت السياسة الساعية إلى تحقيق هذه المصالح والشهوات مشروعة ومقبولة ولا ضير في ذلك، ولكن السياسة ليست كلها مصالح شخصية، بل هناك مصالح الدين والجماعة والأمة ... إلخ، ويمكن التوفيق بين كل هذه المصالح في حال تضاربها من خلال قواعد الشرع ومن خلال الخلفية الإسلامية التي من عناصرها: الإيثار والتضحية والحرص على الفوز بالآخرة ... إلخ

ثم ينتقل الجابري في القسم الثاني من كتابه إلى «مسألة تطبيق الشريعة»، فيميز بين الصحوة والتجديد وبين أن المطلوب هو تجديد الدين، ويتحدث الجابري في فقرة ثانية ويبين أنه لم يكن هناك تعارض بين السلفية والوطنية وبخاصة في المغرب العربي، ويعتبر أن السلفية كانت دائماً جزءاً من التجربة التاريخية للإسلام الشيء الذي تستعيد به هذه التجربة ما يحفظ لها الوجود والاستمرار عندما يفرز تطورها الداخلي ما يهددها بالاندثار، ومع ذلك فهو يرى أنه لم يعد استلهام النموذج السلفي كافياً، بل لابد من استلهام التجربة التاريخية للأمم التي تناضل مثلنا من أجل وجودها وللحفاظ عليه، وهو يرى منطق الحضارة المعاصرة يتلخص في مبدأين هما: العقلانية والنظرة النقدية، فهو يرى الأخذ بهذين المبدأين وقصر السلفية على تقديم السيرة الأخلاقية، ولكي يمكن أن نفعل ما اقترحه الجابري فيما إذا كانت السلفية مبادئ أو تاريخاً تناقض العقلانية والنظرة النقدية، ولكننا نجد أن السلفية لاتتناقض مع هذين المبدأين لا كأصول ولا تاريخ، فالسلفية كانت عقلانية منذ نشأتها مع الصحابة، واستمرت مع علماء الأمة كالشافعي وأحمد ابن حنبل وابن تيمية وابن القيّم والعزّ بن عبدالسلام

العوامل الثقافية في فهم الدين هي التي أسهمت في تشطير المنطقة وفي تكوين المنعطف التاريخي في واقعها

والشاطبي... إلخ، والشواهد على ذلك أكثر من أن ندونها ونحصيها، والأمر أجل من أن ندلّل عليه، وإلا لما استطاعت القيادات السلفية استيعاب علوم عصرها والابتكار فيها والإضافة إليها، والسلفية كانت دائماً ذات نظرات نقدية لذلك كانت رسالة أحمد بن حنبل في الرد على الزنادقة والجهمية، وكانت كتابة الشافعي في نقد أستاذه مالك بن أنس وفي نقده للساحة الفقهية التي أنتجت رسالة «الأصول»، وكان تدوين الباقلاني لكتاب «التمهيد» في الرد على المعتزلة، وكانت كتابات ابن تيمية في تفنيد التصوّف والمنطق والفلسفة ... إلخ، صحيح أنّ هناك فترات كانت تضعف فيها العقلانية أو الجانب النقدي في واقع الحياة الإسلامية، لكن التصحيح لهذا الواقع كان يحدث من خلال استلهام النموذج التاريخي السلفي، ومازالت الفرصة موجودة الآن لمعالجة الواقع المرضي باستلهام النموذج السلفي بأجزائه: الأخلاقي والعقلاني والنقدي.

ويبين الجابري في فقرة «التطرف يميناً ويساراً» أن التطرف الذي يحدث في مجال اليمين إنما يتجه بالخصومة والاعتراض على التيار الإسلامي الوسطي المعتدل، وهو يرى أن مبررات وجوده لعدم تمكن الاتجاه السلفي من القيام بالتجديد في المجال النقدي، والتجديد الذي يقترحه هو تأصيل جديد للأصول وذلك باعتماد كليات الشريعة ومقاصدها، بل الاقتصار على تفهم معنى النصوص واستنباط الأحكام منها، وهو من أجل التدليل على وجهة نظره يرى أن هناك طريقتين في الاجتهاد: الأولى الطريقة التي تعتمد القياس والتعليل واستثمار الألفاظ، والثانية: هي التي تدعو إلى اعتبار المقاصد أساساً ومنطلقاً، ويقع الجابري في خطأين عندما يدعو إلى منهجه الجديد:

الأول: تصويره أن هناك تناقضاً بين الطريقتين السابقتين، والحقيقة أنه ليس هناك تناقض، بل جاءت الطريقة الثانية تطوراً واستكمالاً للطريقة الأولى كما وضّح ذلك أحمد الريسوني في كتابه عن المقاصد عند الشاطبي.

الثاني: الفصل بين تطبيق الشريعة الإسلامية وتحقيق المصالح العامة للمسلمين، ومع أن الشاطبي وغيره من الفقهاء الذين قالوا إن إنزال الشرائع كان القصد منه حفظ الضرورات الخمس وهي: الدين والنفس والعقل والمال والنسل، قالوا إن الطريق لتحقيق المصالح المذكورة أعلاه يتأتى عن طريق تطبيق الشريعة الإسلامية، وعندما نطبق الإسلام بكل تفصيلاته يمكن أن نوسع النظر في الضرورات والحاجات والتحسينات التي يتطلبها العصر، والتي قد لا تكون مطبقة في داخل المجتمع الإسلامي. ■

بقلم : د. أحمد محمد سالم

أصداء سقوط الخلافة بين العلمانيين والأصوليين

١ ـ سقوط الخلافة:

بدأت الدولة العثمانية تعيش مرحلة الانهيار، والانحطاط في أواخر القرن التاسع عشر، فقد تولى السلطان عبدالحميد خان الثاني الحكم في العام ١٨٧٦م، ليرث تركة من التدهور، والانحطاط، والانقسامات الكثيرة داخل نطاق دولته، وقد حاول السلطان ـ قدر الإمكان ـ أن يرمم جدران دولته من الداخل، حيث كانت الخلافة تعاني من تراكم الديون الكثيرة، وظهور النزعات العرقية في أراضي الدولة العثمانية بين المسلمين والأرمن، وبين المسلمين والدروز... إلخ، وقد كان الاستعمار الغربي يسعى إلى تعميق هذه النزعات لإضعاف الدولة العثمانية.

ولقد ترتب على ضعف الدولة العثمانية ازدياد أطماع الدولة الاستعمارية في ممتلكاتها، والسيطرة على أراضيها، وقد حاول السلطان عبدالحميد أن يواجه أطماع الدول الاستعمارية من خلال توظيف تصور جمال الدين الأفغاني للجامعة الإسلامية، حتى يجمع شتات المسلمين في أرجاء العالم حوله، إلا أن الفكرة قد واجهها الاستعمار الغربي بتعميق التوجهات القومية العلمانية، مثل القومية العلمانية، والفرعونية، والآشورية، والعربية... إلخ، وقد أسهمت دعوات القومية العلمانية الجزئية إلى إضعاف أثر الخلافة الإسلامية.

ومن ناحية أخرى، فقد قام الاستعمار بمساندة حركة الاتحاد والترقي حتى تنتشر مبادئها الرافضة للخلافة الإسلامية، وقد كانت الحركة تسعى إلى تأسيس تركيا العلمانية على النمط الغربي وبالفعل فقد كانت دعوات التحرر النابعة من حركة الاتحاد والترقي تُحْدِث خللاً واضحاً في الأوضاع الداخلية للخلافة العثمانية. ومن جهة أخرى فقد عمل اليهود على إسقاط الخلافة العثمانية، وذلك بعد أن رفض السلطان عبدالحميد فكرة تأسيس وطن قومي لليهود في فلسطين، وقد أرسى رفض السلطان عبدالحميد لإنشاء وطن قومي لليهود الحقد بداخلهم، وجعلهم يسعون إلى إسقاط الخلافة، من خلال الانخراط في حركة الاتحاد والترقي، والعمل على إسقاط نظام الخلافة.

ومن ثمَّ فقد تراكمت الأسباب المختلفة داخلياً، وخارجياً للعمل على إسقاط الخلافة الإسلامية، وبظهور أتاتورك على مسرح الأحداث، بدأت مرحلة النهاية للخلافة، فقد تم إسقاط السلطان عبدالحميد في ١٩٠٩م، وبسقوط السلطان عبدالحميد أصبح أمر الخلافة مجرد أمر صوري، فقد تحكم الجيش بقيادة أتاتورك في جميع شؤون الحكم، وبالفعل تم إعلان فصل الخلافة عن السلطنة في العام ١٩٢٢م، ثم انتهى الأمر إلى إعلان سقوط الخلافة نهائياً في مارس ١٩٢٤م.

وبسقوط الخلافة بدأت تركيا تنتقل بقوة على يد أتاتورك إلى الانسلاخ من العالم الإسلامي بإعلان علمانية الدولة، وتغيير كل الرموز الإسلامية، مثل إلغاء الشريعة الإسلامية وإحلال القانون السويسري محلها، وإعلان سفور المرأة بدلاً عن الحجاب، وإلغاء الأوقاف الإسلامية، وكتابة اللغة التركية بالحروف اللاتينية بدلاً من الحروف العربية، وبالتالي فقد تم مسخ الروح الإسلامية في تركيا، وسعى أتاتورك إلى اللحاق بذيل الحضارة الغربية.

ولقد أثار سقوط الخلافة الإسلامية في مارس ١٩٢٤م، ومن قبله فصل الخلافة عن السلطة العام ١٩٢٢م جدلاً واسعاً في الأوساط الفكرية، ما بين مؤيد لسقوط الخلافة، ومعارض لها، فالتوجه العلماني يرى أن سبيل التقدم يتحقق في سقوط الخلافة، في حين أن التيار الإصلاحي يرى أن نهضة الأمة الإسلامية لا يمكن أن يتحقق إلا بخلافة راشدة قوية، وهذا يجعلنا نتساءل، ما أبعاد هذا الجدل، وما حدوده؟

٢ ـ التوجه العلماني:

يتحدد موقف التيار العلماني من الخلافة في كتابين، الأول أصدره أتاتورك ليبرر به سقوط الخلافة، وهو بعنوان «الخلافة وسلطة الأمة» صدر العام ١٩٢٣م، والثاني كتاب للشيخ علي عبدالرزاق «الإسلام وأصول الحكم» وقد صدر العام ١٩٢٤م.

«بدأ مسلسل إسقاط الخلافة العام ١٩٢٢م حين أعلن أتاتورك

فصل الخلافة عن السلطة تمهيداً لإلغائها، وقد قدّم أتاتورك بياناً مفصّلاً لمجلس الأمة لفصل الخلافة عن السلطنة، برهن فيه - مستنداً إلى التاريخ الإسلامي التركي - على إمكان فصل الخلافة عن السلطنة، وعلى إمكان تمثيل مجلس الأمة التركي لمقام الحاكمية، والسلطنة الملية».(١)

«ولقد جاء في مضمون البيان أن مسألة الخلافة مسألة دينية صرفة، وليست دنية، وأنها من مصلحة الأمة نفسها، لذا لم توجد تفاصيل في شأنها في النصوص الشرعية، ولم يرد بيان صريح في القرآن الكريم، ولا في الأحاديث النبوية في كيفية نصب الخليفة، وتعيينه، وشروط الخلافة»(٢)، «فالخلافة من الأمور الدنيوية لذا ترك الرسول - ﷺ - أمرها إلى أمته، ولم ينصب خليفة له، ولم يوص به حين ارتحاله أيضاً»(٣)، ومن الواضح أن البيان يتجاهل مدى التداخل الواضح بين الديني والدنيوي في الإسلام، فكونها مسألة دنيوية لا يقلل من كونها أداة لتطبيق الكثير من المسائل الدينية، وبخاصة تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية.

ويندد البيان بالخلافة التي سادت في أغلب فترات التاريخ الإسلامي «فما يسمى بالخلافة منذ العصور لم يكن سوى سلطنة مذمومة، وحكومة مردودة شرعاً، وإن الذين كانوا يسمون أنفسهم بالخلفاء، لم يكونوا غير الملوك والسلاطين»(٤) ومن هنا فإن الحديث عن «ما يتعلق بإرجاع الخلافة إلى وضعها الأصلي، فإن الخلافة قد أخرجت عن وضعها منذ أيام معاوية قبل ألف وثلاثمئة سنة، ولم ترجع لأصلها بعدا، وردها لوضعها الأصلي وإن أمكن عقلاً، لكن لا يمكن طبعاً وعادة لتعذر جمع شروطه»(٥)، ونرد على البيان بالقول: إن عدم تحقق الخلافة في فترات طويلة من التاريخ الإسلامي بسبب توارث الحكم، وسيادة القهر والتغلب، إلا أن هذا لا ينفي وجود تصور نظري لإقامة الخلافة في الكتاب والسنة، هذا التصور أقامه الرسول ﷺ، والخلفاء الراشدون من بعده، وتحقق تطبيق الخلافة على مستوى التاريخ، ووجود الخلافة على المستوى النظري، يؤكد إمكانية قيام الخلافة الإسلامية، وليس كما يقول البيان باستحالة ذلك.

ويرجع البيان التركي تخلف الأمة التركية إلى الخلافة العثمانية، ويطالب البيان الأمة بالتمسك بسلطتها الشعبية فيقول: «إن ما أصاب الأمة التركية كان بسبب هذه السلطنة، ومن مقتضيات البصيرة أن تتمسك بسلطتها الشعبية التي دخلت في يدها، وألا تفرّط في هذه النعمة العظيمة بأي وسيلة كانت»(٦) ونحن نرد على البيان بالقول: إن فساد النموذج العثماني للخلافة، لا يعني فساد الخلافة الإسلامية، فالعيب في التطبيق، وليس في النظرية.

والواقع أن البيان التركي الذي صدر في حق الخلافة الإسلامية إنما هو محاولة للاستخدام الفكري في تبرير الممارسات السياسية، ولقد كان هذا الأمر سائداً في الحضارة الإسلامية فيما عُرف بفقهاء السلطة، وقد حاول مصطفى كمال أن يبرر موقفه في سقوط الخلافة بعمل فكري، وهو هذا البيان الذي قام بتأليفه مجموعة من علماء الدين الإسلامي، وذلك لكي يسقط الخلافة، ولهذا يمكن القول «إنه من الخطأ تعميم الحكم بصدد صلة الأديان بالحضارات، فإذا كان للكهنوت دور في تدهور حضارة العصر الوسيط، وكانت العلمانية من أهم مقومات الحضارة الأوروبية الحديثة، فإنه من الخطأ كل الخطأ تعميم ذلك على أي دين آخر، بما في ذلك الإسلام، فليس صحيحاً أنه لا تتقدم أمة إلا إذا فصلت الدين عن أمور الدنيا، وشؤون الحياة، فما صح في الحضارة الأوروبية قد يكون فيه هلاك آخر»(٧)، «ومن ثم فإن فصل الدين عن السياسة كما فعلت أوروبا المسيحية، وكما فعل مصطفى كمال شيء لا يقتضيه الإسلام، لأنه لابد أن يدخل الدين في السياسة لينقّحها ويهذّبها، ويحسّن من نيات ولاة الأمور، ويوجههم نحو ما ينفع رغبتهم»(٨).

ولقد جاء علي عبدالرازق في العام ١٩٢٤م ليؤلف كتاب «الإسلام وأصول الحكم»، ساعياً إلى هدم مقام الخلافة، ومؤكداً أن الرسول - ﷺ - كان صاحب دعوة دينية، وذكر في كتابه: «أن محمداً - ﷺ - ما كان إلا رسول لدعوة دينية خالصة، لا تشوبها نزعة ملك، ولا حكومة، وأنه - ﷺ - لم يقم بتأسيس مملكة بالمعنى الذي يفهم منه سياسياً من هذه الكلمة، ومرادفاتها».(٩)

«ومن ثمَّ فإن ولاية الرسول على قومه ولاية روحية منشؤها إيمان القلب، وخضوعه خضوعاً صادقاً تاماً، يتبعه خضوع الجسم، وولاية الحاكم ولاية مادية تعتمد على إخضاع الجسم من غير أن يكون لها بالقلوب اتصال، تلك ولاية هداية إلى الله، وإرشاد إليه، وهذه ولاية تدبر لمصالح الحياة، وعمارة الأرض، تلك للدين، وهذه للدنيا، تلك لله، وهذه للناس، تلك زعامة دينية، وهذه زعامة سياسية»(١٠) ومن ثم يصل علي عبدالرازق إلى نتيجة مؤداها: «أن الدين الإسلامي بريء من تلك الخلافة التي يتعارفها المسلمون (...) الخلافة ليست في شيء من الخطط الدينية، كلا، ولا القضاء، ولا غيرهما من وظائف الحكم، ومراكز الدولة، وإنما تلك كلها خطط سياسية صرفة لا شأن للدين بها»(١١) ونحن بدورنا نتساءل هل كان الشيخ علي عبدالرازق يجهل طبيعة التداخل في الإسلام بين الروحي والمادي، الديني والدنيوي، الديني والسياسي؟! وهل كان الشيخ يجهل طبيعة تدخل الإسلام في كل شؤون الفرد من عبادات ومعاملات، وأن تطبيق ذلك يتطلب أن يكون هناك سلطة سياسية تحكم البلاد بالقوانين والتشريعات الواردة في الكتاب والسنة، واجتهادات الفقهاء؟!! وأما كلام الشيخ علي عبدالرزاق في أن ولاية الرسول ﷺ كانت ولاية روحية، فكيف نفسّر ولاية الرسول صلى الله عليه وسلم للمسلمين في كل الأمور الدنيوية مثل الفتوحات، وتوزيع الزكاة، وتطبيق أحكام الشريعة... إلخ؟!!

ذلك هو موقف التيار العلماني المؤيد لسقوط الخلافة، فما عساه أن يكون موقف التيار الإصلاحي من قضية سقوط الخلافة الإسلامية.

٣ - التوجه الإصلاحي:

ظهر رد فعل التيار الإصلاحي على فصل أتاتورك للخلافة عن السلطنة في العام ١٩٢٢م في مؤلَفين، الأول لمحمد رشيد رضا «الخلافة أو الإمامة العظمى»، والثاني لمصطفى صبري «النكير على منكري النعمة من الدين والخلافة والأمة» وقد صدر المؤلفان العام ١٩٢٣م.

فيرى الشيخ رشيد رضا أن سقوط الخلافة يرجع إلى سببين رئيسيين، السبب الأول: «أن آل عثمان على ادعائهم الخلافة الإسلامية جائرين جارين في أكثر أحكامهم على ما يسمى في عرف أهل هذا العصر بالملكية المطلقة»(١٢)، والسبب الثاني: «أن ملاحدة المتفرنجين يعتقدون أن الدين لا يتفق في هذا العصر مع السياسة، والعلم والحضارة، وأن الدولة التي تتقيد بالدين تقيداً، لا يمكن أن

تعز وتقوى وتساوي الدولة العزيزة»(١٣).

ويرى محمد رشيد رضا: أن ضعف المسلمين يرجع إلى ضعف الخلافة، فيقول: «إن العلاج الشافي من هذا الداء، والدواء المستأصل لهذا الوباء هو إحياء منصب الإمامة، بإعادة سلطة أهل الحل والعقد المعبّر عنهم بالجماعة، لإقامة الحكومة الإسلامية، التي هي خير حكومة يصلح بها أمر المسلمين، بل أمر سائر البشر، بجمعها بين العدل والمساواة، وحفظ المصالح، ومنع المفاسد، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وكفالة القاصرين، والعاجزين، وكفاية الفقراء والمساكين من صدقات المسلمين. ففيها علاج لجميع المفاسد الاجتماعية في حكومات المدنية المادية»(١٤)، ومن ثم فإن «الخلافة هي منطق الوحدة، ومصدر الاشتراع، وسلك النظام، وكفالة تنفيذ الأحكام»(١٥) وذلك لأن «إقامة الحدود، وتنفيذ الحكم القاضي بالحق، وصون نظام الجماعة، لا يكون إلا بقوة مجتمعة في يد الخليفة»(١٦)

ومن ناحية أخرى، فقد قام الشيخ مصطفى صبري ـ آخر شيوخ الإسلام في الخلافة العثمانية ـ بتأليف كتابه «النكير على منكري النعمة من الدين والخلافة والأمة»، ليرد على دعوى أتاتورك بفصل الخلافة عن السلطنة. فتجد مصطفى صبري يؤكد أن الخلافة العثمانية لم تكن تمشي على الصراط المستقيم فيقول: «يأبى بنا الحق والإنصاف إلا أن نعترف بأن الحكومة التركية قبل الكماليين ـ في عصر الخلافة ـ لا تمشي على الصراط المستقيم السوي، والمنهج الشرعي، بل كانت لا تحكم بما أنزل الله في كل الأمور (...)، لكن لاحق مع ذلك يأمرنا أن نشهد بعدم بلوغها في إهمال الشرع، وإعمال التقليد مبلغ الحكومة الكمالية»(١٧)، وقد انتقد مصطفى صبري فصل الخلافة عن السلطنة، مؤكداً أنه إذا كان هناك فساد في الدولة العثمانية، فالعلاج هو تبديل المفسدين بالمصلحين، لا تبديل الشريعة والدين، فهذا الفصل مؤامرة على الدين، فيقول: «حقيقة الأمر إن هذا الفصل مؤامرة بالدين للقضاء عليه، ولقد كان في كل بدعة أحدثها العصريون المتفرنجون في البلاد الإسلامية كيد للدين ومحاولة للخروج عليه، لكن كيدهم في فصله عن السياسة أدهى وأشد من كل كيد غيره، فهو ثورة حكومية على دين الشعب».(١٨)

وبناء على ما سبق ينتقد مصطفى صبري فصل الخلافة عن السلطنة وذلك «لأن الخلافة لا تصح مجردة عن الحكومة، بل هي عين الحكومة، ونوع من أنواعها، بمعنى أن الحكومة تنوب عن حكومة محمد ـ ﷺ ـ فإذا أخليت الخلافة عن الحكومة فلا يبقى فيها شيء من آثار الوجود، ولا لوجودها معنى من المعنى»(١٩)، كما أن هذا التفريق قد «أدى إلى انسلاخ الحكومة عن الصفة الدينية، وأوجب تبعيد الشريعة الإسلامية عن ساحة التنفيذ إلى حضيض الإهمال ضمن تبعيد الخلافة عن تلك الساحة»(٢٠). ومن ثم ينتهي مصطفى صبري إلى أن فصل الخلافة عن السلطنة هو هدم للإسلام، ذلك لأن الخلافة هي التي تقوم بتطبيق الشريعة الإسلامية، بل تحديد كل المعالم المحددة لهوية المجتمع الإسلامي. ذلك هو الجدل الذي دار حول سقوط الخلافة الإسلامية ويمكن التعقيب عليه فيما يلي:

١ ـ حاول التوجه العلماني أن يقيم أدلته على سقوط الخلافة الإسلامية بناء على أن الخلافة الإسلامية في تاريخها كانت ملكاً سياسياً أكثر من كونها خلافة راشدة، ولكن هذا لا ينفي أن الإسلام قد وضع أسساً نظرية للخلافة يتم من خلالها تطبيق الشريعة الإسلامية، وإقامة الحدود...إلخ، كما تحققت الخلافة في عهد الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ وفي عهد الخلفاء الراشدين.

٢ ـ استند التوجه العلماني في نقد الخلافة على أحوال الدولة العثمانية السيئة المنافية لأصول الحكم الإسلامي، ولقد اتفق الإصلاحيون معهم في تدهور أحوال الدولة العثمانية.

٣ ـ إن التاريخ الإسلامي لا يؤيد كلام عبدالرازق في قوله: «إن ولاية الرسول ـ ﷺ ـ ولاية روحية»، فقد انخرط الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ مع المسلمين في كل شؤون الحياة الدنيوية، وقام الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ بتسيير أمور الدنيا من خلال شريعة الإسلام العالمية.

٤ ـ اتفق كل من محمد رشيد رضا، ومصطفى صبري على أن قوة العلمانية نابعة من تدهور أحوال الخلافة العثمانية، وكذلك من ازدياد التبعية للمفاهيم الغربية العلمانية، دون الوعي بخصوصية الإسلام كدين ودولة.

٥ ـ اتفق كل من رشيد رضا ومصطفى صبري على أن هدم مقام الخلافة، وفصلها عن السلطنة هو هدم للدين الإسلامي، وفاعليته في المجتمع، وهدم إقامة الشريعة الإسلامية وتطبيقها، من هنا أكد كل منهما على أهمية الخلافة حتى تستقيم شؤون المسلمين في كل أرجاء الأرض، وحتى يُقام شرع الله في الأرض.

٦ ـ مما سبق يتضح مدى أهمية الأصداء التي أثارها سقوط الخلافة في الأوساط الثقافية والفكرية في تلك الفترة، ومدى الخلاف البارز بين التوجهات العلمانية التي تتبع الرؤية الغربية، وبين التوجهات الإصلاحية التي تحاول أن تحافظ على الروح الإسلامية وعلى استمرار تنفيذ الشريعة الإسلامية. ■

الهوامش:

١ ـ عبدالله عبدالرحمن ـ الرجل الصنم ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ ط٤ ـ ١٩٨٢م ـ ص٢١٥.
٢ ـ عبدالغني سني بك ـ الخلافة وسلطة الأمة ـ دار النهر ـ القاهرة ـ ط٢ ـ ١٩٩٥م ـ ص٩٥.
٣ ـ المرجع نفسه ص٦٢.
٤ ـ المرجع نفسه ص ١٢٧.
٥ ـ المرجع نفسه ص ١٣٨.
٦ ـ المرجع نفسه ص ١٢٨.
٧ ـ أحمد صبحي ـ هاؤم اقرؤوا كتابيه ـ دار النهضة العربية ـ ط١ ـ ١٩٩٦م ـ ص١٢.
٨ ـ أحمد أمين ـ يوم الإسلام ـ مؤسسة الخانجي ـ القاهرة بدون ـ ص١٨٩.
٩ ـ علي عبدالرازق ـ الإسلام وأصول الحكم ـ دراسة وتحقيق محمد عمارة ـ المؤسسة العربية ـ بيروت ـ ط٢ ـ ١٩٧١م ـ ص١٥٤.
١٠ ـ المرجع نفسه ـ ص١٥٧.
١١ ـ المرجع نفسه ـ ص١٧٣.
١٢ ـ محمد رشيد رضا ـ الخلافة أو الإمامة العظمى ـ الزهراء للإعلام العربي ـ القاهرة ط٢ ـ ١٩٨٨م ـ ص٤٩.
١٣ ـ المرجع نفسه ـ ص٧٠.
١٤ ـ المرجع نفسه ـ ص٧٧.
١٥ ـ المرجع نفسه ـ ص١٠٥.
١٦ ـ المرجع نفسه ـ ص١٤٠.
١٧ ـ مصطفى صبري ـ النكير على منكري النعمة من الدين والخلافة والأمة ـ دراسة وتحقيق محمد مصطفى حلمي ـ دار الدعوة ـ الإسكندرية ـ ١٩٨٥م ـ ص٢٤٣.
١٨ ـ المرجع نفسه ـ ص١٥٧.
١٩ ـ المرجع نفسه ـ ص١٨٩.
٢٠ ـ المرجع نفسه ـ ص١٤٣.

بقلم: بربر علوي السادة

العولمة طريق الهيمنة

لقد أفاق الاستعمار الغربي من نومه بعد الاستعمار العسكري للدول الشرقية على أنه لا يمكن الاستمرار في السيطرة والهيمنة على تلك الشعوب وثرواتها بالقوة العسكرية.

فقد عانى الاستعمار ضراوة المواجهة مع الثوار فهم يكلفونه الكثير من السلاح والجنود إلى جانب ما يبثونه من وعي في صفوف رجالهم بأن الاستعمار يظلمهم ويسلب خيراتهم.

لهذا كان الانسحاب العسكري من الدول المستعمرة هو الخيار على أن يتم زرع التبعية في شعوب تلك الدول لصالح المستعمر من خلال بعض الموروثات الفكرية التي تترك فيها، مثل عامل اللغة كما في الهند اللغة الإنكليزية واللغة الفرنسية في الجزائر، يقول الدكتور الميداني «المستعمرون إذا أرادوا وضع سياسة تعليمية لبلد يخضع لسلطان دولتهم المتسلطة فإنهم يجعلون من أول المواد التي يقرونها في هذه السياسة التعليمية تربية جيل يدين لهم بالولاء والطاعة وينسلخ عن ولائه لدينه أو لقومه» ويقول جون ديوي المربي الأميركي في كتابه «الديموقراطية والتربية»: إن الأمة إنما تعيش بالتجديد وأن عمل التجديد يقوم على تعليم الصغار وأن هذه الأمة تكوّن بطرق متنوعة من الأفراد الأميين ورثة صالحين لوسائلها ونظرية حياتها وتصوغهم في قوالب عقائدها ومناهج حياتها.

ولقد ظل الترف الفكري ينتقل من مرحلة إلى أخرى فمن الكتاب إلى التلفاز وما حمله من ثقافة هوليود إلى مرحلة الكمبيوتر والإنترنت عصر العولمة التي تمثل الوجه البشع من الحملات اليهودية على الأجيال القادمة فهي قادمة تحت شعارات العلم للجميع.

في هذا المقال البسيط سوف نسلط الضوء على العولمة من خلال قراءة في أبعادها الثقافية والاقتصادية.

التعريف والأهداف:

العولمة كما يراها كثير من المفكرين والكتاب هي سيطرة وغلبة ثقافة من الثقافات على جميع الثقافات في العالم أو كما يقول البعض: كونية الثقافة بغية الهيمنة وسلب خيرات الشعوب لصالح تلك الثقافة، يقول الشيخ محمد محفوظ «أغلب المفاهيم المتداولة اليوم في العوالم الثقافية والفكرية المختلفة تنطلق في جوهرها من محورية الغرب وحاكميته»، وهي تأخذ طريقين: الأول: التسلط الثقافي في محاولة لإذابة الثقافات الأخرى وحضارتها ضمن الثقافة الجديدة.

الثاني: السيطرة الاقتصادية من خلال فرض آليات تعامل معينة ضمن بقاء الاستهلاك التجاري لصالح الشركات والدول العملاقة.

ففي ألمانيا نشرت دراسة تقول: إن الأطفال هناك يشاهدون التلفاز لمدة ثماني ساعات أسبوعياً، وأن الآباء قلقون مما يحمله التلفاز من ثقافة هوليود الأميركية على أطفالهم.

ويشير مؤلف كتاب «فخ العولمة» المترجم ضمن كتب سلسلة عالم المعرفة «أنه مع نمو العولمة يزداد تركز الثروة وتتسع الفروق بين البشر والدول فهناك ٣٥٨ مليارديرا في العالم يمتلكون ثروة تضاهي ما يملكه ٢,٥ مليار من سكان المعمورة وأن هناك ٢٠٪ من دول العالم تستحوذ على ٨٥٪ من الناتج العالمي الإجمالي وعلى ٨٤٪ من التجارة العالمية».

ويقول الكاتب عدنان الأمين: «إن كسر الحدود بين البلدان يفضي إلى إضعاف الدولة وإلى تغليب الحسابات والمقاييس العالمية على الحسابات والمقاييس المحلية في الحقول التي تقوم عليها العولمة ويقول أيضاً وكان تداول العملات الأجنبية مثلاً يخضع في أغلبية البلدان للرقابة الحكومية وكانت للدول سياسات تتضمن الحماية والخيارات، أما اليوم فإن الرقابة هي رقابة السوق العالمية على الدول ورجال السياسة فيها فقد أصبحت ذات أولية على المقاييس المحلية، ويتضح أن العولمة الأمريكية تهدف من خلال هذين الاتجاهين إلى السيطرة العامة على جميع مجالات الحياة لكي يتسنى لها استنزاف الثروات الفكرية والاقتصادية لفترات أطول مما كانت عليه والتي يترتب عليها اختلال المؤسسة في أي بلد يتعرض لهذه الهيمنة.

يقول محمد غلوم في ترجمته لكتاب النظرية الاجتماعية «وبتطور الرأسمالية إلى نظام يقوم على وجود شركات عملاقة ووجود دول مركزية قوية، يتضعضع دور العائلة وقوة الأب سواء داخل العائلة أو خارجها.

ولقد ظلت الكتابات الفكرية الغاضبة، على العولمة وما تحويه من إجحاف بحقوق المجتمعات، تدور في دائرة مغلقة تنبئ بسقوط العولمة وأنها لن تستمر حتى يصيبها السقوط الذي أصاب الاتحاد السوفييتي دون أن تكون هناك تطلعات لمرحلة ما بعد العولمة وما الآثار التي سوف تتركها على الأجيال القادمة حتى بعد السقوط غير أن بعض النقاط الصغيرة التي طرحت من بعض الكتاب والمفكرين متغافلين أن هذا الإهمال قد يوقعنا في متاهات أخرى أكبر من العولمة.

نقاط في وجه العولمة:

إن الموقف الذي تواجهه المؤسسات الإسلامية بافتقارها لآليات التعامل الحضاري في إيجاد الحلول البديلة للنسق الغربي أفقدها الكثير من حيويتها حتى عند أبنائها الذين باتوا يمارسون الإسلام كإرث حضاري مقدس، يجب الحفاظ عليه لا كثقافة قادرة على مواجهة الأزمات الحضارية المختلفة.

وفي ظل هذه الأزمة نحن بحاجة لبناء وطني قادر على الاكتفاء الذاتي في سبيل إفشال العولمة وامتصاصها من خلال بعض النقاط:

١ ـ بناء الذات، ونقصد به التربية الإسلامية السليمة بحيث تكون ذات حصانة فكرية ضد التيارات الفكرية الغربية وهي تحتاج إلى تقديم الإسلام على أنه النموذج الحضاري الأفضل والقادر على التصدي لكل متطلبات الحياة.

٢ ـ الانفتاح على العلوم الطبيعية والتطبيقية بغية عمل قاعدة لهذه العلوم تكون منطلقاً للدراسات الطبيعية كتجربة سورية في الطب، وكذلك إيجاد العلاقة بين هذه العلوم والعلوم الدينية لخلق علاقة بينها وبين الإسلام تقوم على الدراسات العلمية.

٣ ـ فتح التبادل التجاري بين الدول العربية والإسلامية وتقليل التبادل التجاري الخارجي.

٤ ـ تدريب الأيدي العاملة المحلية بحيث تكون قادرة على النهوض بالتكنولوجيا وسوق العمل.

٥ ـ تشجيع الاستثمار المحلي في سبيل تحقيق الاكتفاء الذاتي في جميع الاتجاهات.

٦ ـ تأسيس قاعدة اقتصادية بين الدول الإسلامية والعربية تقوم على تبادل المعلومات والخبرات في هذا المجال وتحجيم ثقافة الاقتصاد الغربية والتي تؤدي إلى خلل في البنية الاقتصادية والاجتماعية.

٧ ـ ترشيد استهلاك العولمة والتمييز بين النافع والفاسد منها بغية التقليل من تأثيرها على الأجيال اللاحقة.

وأخيراً يقول الشيخ محمد محفوظ: «إن نموذج البناء الوطني يحول العولمة إلى وهم» ويقول: «إن التكامل الإقليمي هو شرط الدخول إلى العالم الجديد». ■

يــا رب الأكــوان

شعر: عبدالهادي صافي

مازالتْ أيدينا
يا ربَّ الأكوان
تمتدُّ إليكَ وتَقرعُ بابَكْ
أنْ تنجينا من عاقبةِ الأمر
أن تمنحَنا ذاك الألقَ الأخضرْ
يملأُ أنفسنا بالحب الأخويَ الصادق
يزرعُ فينا حبَّ الخير
مازلنا ندلجُ في غربتَنا
بطريقٍ مظلمْ
ونغذ السيرَ بدربٍ موحلْ
لا نرتفع عن سفساف الأمرِ
لا نسمو فوق الأهواءِ
مازلنا نمشي عبر دروب الجهل
الأوّلْ
تملأنا أحقادُ الماضي والحاضرْ
وتعرّش فوق مشاعرنا
أزهارُ الشوك
ما بالأموال نضمُّ الناسَ إلينا
نَسعُ الناسَ بالحبِّ
وبالأخلاق
نضمُّ إلينا عَبْرَ الآفاق
كلَّ قلوبِ الخلق
يا بؤسَ المرءِ حين يموتُ
ويُدرجُ في الثوب الأبيض
يلقى الله بلا أعمال
تنجيه من أهوال النار
ويجوزُ إلى دار الفوز
ازرعْ زهراً تجنِ زهراً
ازرعْ خيراً تحصد خيراً
لن نخلدَ في هذي الدنيا
ليستْ هذي الدنيا بدارِ مُقامْ
نرحلُ عنها ...
لابدَّ من زاد نتزودْ
نشكوكَ يا ربَّ الأكوان
عمَّ الظلمُ وانتشر
في كلِّ الأصقاع
خلصنا يا ربَّ الأكوان
منْ محن الظلم
ومنْ أهوالِ الغدر
ضاقت فينا الأرض بالرحبة
ضاقت حلقاتُ القيد!
بأيدينا

بقلم : المهندس عز الدين صديق

هندسة المباني في القرآن والسنة



لقد أنزل القرآن على الرسول عليه الصلاة والسلام، قبل أن يعرف الناس أي شيء عن علم الهندسة، بل قبل علوم الحساب والجبر وغيرهما بمئات السنين ومع ذلك جاء في القرآن الكريم العديد من الأسس الهندسية المهمة جداً في مجال هندسة المباني والإنشاءات.

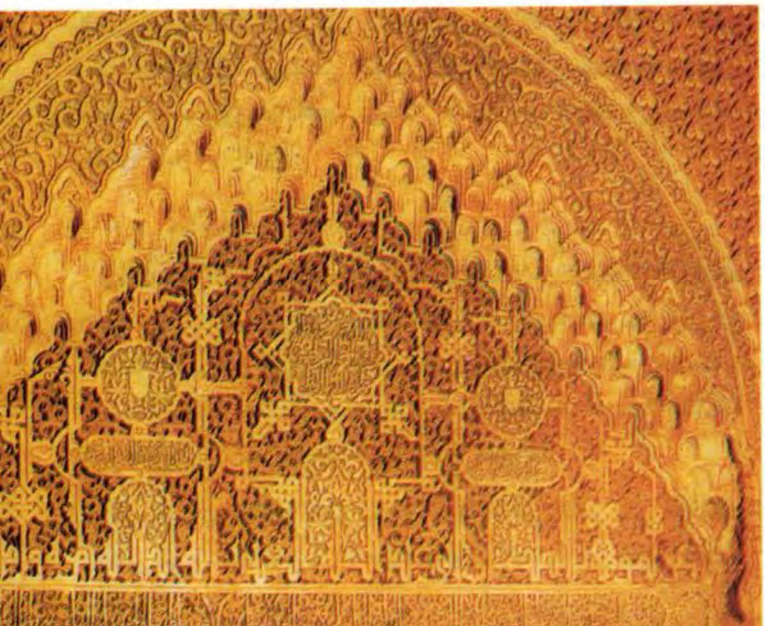
في سورة التوبة يقول الله سبحانه وتعالى:

(أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به في نار جهنم والله لا يهدي القوم الظالمين).

في هذه الآية الكريمة يشبه الله سبحانه وتعالى، تقوى الله ورضوانه بالتأسيس على تربة قوية، وعكس ذلك التأسيس على حافة ضفة وادٍ لتربة ضعيفة وهو وضع هندسي خطر جداً على الأساس وذلك للأسباب التالية:

- ضفة الوادي «الجُرف» هي مكان مرتفع عن الوادي والتأسيس على حافة مكان مرتفع يعتبر خطأ وخطرا حتى لو كانت التربة قوية فما بالنا لو كانت التربة ضعيفة أيضاً مثل النموذج الذي تقدمه الآية الكريمة.

- إن المياه التي تجري في الوادي تسبب نخر وتآكل أسفل جدران ضفتي الوادي، لذلك فإن جدار تربة ضفة الوادي يكون أسفله متآكلاً وسطه وأعلاه يصبح كما لو كان تربة كابولية تعتمد فقط على قوة التماسك بين حبيبات التربة من دون رد فعل الجزء الأسفل حيث أنه غير موجود بسبب نخر المياه، وهذا الوضع خطير لدرجة أن جدار ضفة الوادي قد لا يستطيع أن يحمل نفسه فينهار تلقائياً فهل يمكن لحافة ضفة الوادي التي لا تستطيع أن تحمل نفسها أن تتحمل أي أساس فوقها.



- من المعلوم في علم ميكانيكا التربة والأساسات أن المنحنى الأفقي لتوزيع الإجهادات لقاعدة الأساس يلاحظ فيه أن اجهادات قاعدة الأساس لا تتوقف عند حدود القاعدة ولكنها تستمر لمسافات معينة يميناً ويساراً عن القاعدة وإن كانت تتناقص كلما ابتعدنا عن منتصف القاعدة، وبصورة تقريبية يمكن تعيين الجزء الفعال من التربة تحت قاعدة الأساس وذلك بخطين مائلين بزاوية ٤٥ درجة من الأركان السفلية لقاعدة الأساس وسواء أثناء تشييد المبنى أو بعد الانتهاء من التشييد فإنه يحظر تماماً عمل أي حفريات تتدخل في هذه المنطقة المحصورة بالخطوط المائلة المذكورة، وقد تسببت مثل هذه الحفريات في انهيار العديد من

المباني نتيجة لخلخلة التربة في الجزء المذكور وبناء على ذلك، فإن خطورة التأسيس على حافة جدار مرتفع من التربة ترجع أساساً لأن الجزء الفعال من التربة التي ستحمل الأساس هو جزء غير كامل وذلك ما يشكل خطورة كبيرة للتأسيس في هذا المكان.

وفي هذه الآية أيضاً ملاحظة مهمة جداً في روعة التعبير البلاغي فيها وهي أن الآية أعطت معنى تربة الأساس القوية تشبيهاً لتقوى الله ورضوانه، وذلك دون استخدام لفظ القوة حيث عرضت الآية الكريمة حالتان متباينتان عكسيتان أحدهما التأسيس على شفا جرف هار، وخير من ذلك هو الحالة العكسية في التباين وهي تربة الأساس القوية، كما يستنتج ذلك بسهولة من التباين بين الحالتين في الآية الكريمة.

ويقول الله سبحانه وتعالى في سورة النحل: (قد مكر الذين من قبلهم فأتى الله بنيانهم من القواعد فخر عليهم السقف من فوقهم وآتاهم العذاب من حيث لا يشعرون).

في حالة عدم اتزان قواعد الأساسات يتعرض المنشأ إلى هجوم إجهادات إضافية تؤثر بالضرر على أعضاء هيكل المبنى وتصل هذه الاجهادات في تأثيرها الأقصى إلى انهيار سقف المبنى ضمن الانهيارات الجزئية أو الانهيار الشامل الذي تسببه هذه الاجهادات الآتية أصلاً من عدم اتزان القواعد ويذكر بعض أساتذة الأساسات في كلية الهندسة، أن نحو ٨٠٪ من انهيارات المباني يرجع أصلاً إلى حدوث مشكلات في قواعد الأساسات بهذه المباني.

وهنا ملاحظة مهمة في هذه الآية الكريمة أن الآية خصت الماكرين بهذا الانتقام الرباني، والسبب في ذلك ربما كان أن الإنسان الماكر يتصرف تصرفات يكون ظاهرها الخير ولكنها مرتبة ومحددة بحيث ينتج منها الضرر في النهاية، أي أن الضرر من الإنسان الماكر يأتي بطريقة غير مباشرة وكذلك الضرر في المباني بسبب القواعد لا يكون بصورة مباشرة حيث أن العضو المصاب قد يكون مصمماً جيداً، ومنفذاً بدقة سواء في التسليح أو بسبب الخلطة الخرسانية أو أمور الصناعة ومع ذلك فإن الاجهادات الإضافية التي تهاجم المبنى نتيجة حركة الأساسات هي اجهادات طارئة لم يستعد لها التصميم، فتدمر المبنى بصورة غير مباشرة أيضاً.

وفي سورة الكهف نجد قمة الهندسة في قول الله سبحانه وتعالى: (فوجدا فيها جداراً يريد أن ينقض).

إن هناك مجموعتين من القوى تؤثران على أي منشأ، المجموعة الأولى هي مجموعة القوى التي تحاول تحريك أعضاء المنشأ ومخالفة الاتزان والمجموعة الثانية في القوى تحاول المقاومة وصيانة الاتزان.

(راجع مقال، تشرخات المباني الخرساني ـ المهندس عز الدين صديق ـ مجلة عالم الهندسة ـ الإمارات ـ العدد الأول).

والمجموعة الأولى إذا استطاعت السيطرة على المنشأ مع ضعف أو قصور المجموعة الثانية حدثت التشرخات والانهيارات الجزئية بالمنشأ والتي ما هي إلا أنواع من الحركة استهدفت تفريغ جزء من الطاقة الاستاتيكية بالمنشأ إلى طاقة ديناميكية محدثة للحركة والانهيار.

وتأتي روعة التعبير القرآني في وصف الحالة الحرجة للاتزان وهي حالة بداية، أو على وشك البداية لسيطرة المجموعة الأولى من القوى وعبر عنها القرآن بنزعة أو إرادة الانهيار، وفي هذه الحالة فإن الاتزان مازال موجوداً، ولكنه اتزان حرج على وشك الانهيار، وفي هذه الحالة فإنه يظهر على المبنى العديد من الظواهر التي تبين هذه الحالة الحرجة مثلاً انتشار تشققات كثيرة بالمبنى.. وحدوث تفتت للخرسانة وما إلى ذلك.

وبالطبع فإنه إذا لم يتم علاج وإصلاح الجدار بأسرع وقت ممكن فإن إرادة الانهيار سوف تأخذ فرصتها في إحداث الانهيار فعلاً.

ويشبه الله سبحانه وتعالى الذين يتخذون أولياء من دونه بنموذج هندسي يمثل قمة الضعف والوهن، حيث يقول الحق في كتابه الكريم: (مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون). العنكبوت:

ويقول الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ (الصلاة عماد الدين)، ويعني ذلك تشبيه الصلاة بالعمود في المبنى لأن العمود في المبنى هو عماد المبنى ويؤكد على ذلك المعنى حديث آخر للرسول عليه الصلاة والسلام: «رأس الأمر الإسلام وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد»، واسترشاداً بهذه الأحاديث يمكننا تشبيه أركان الإسلام بالهيكل الخرساني للمبنى، شهادة أن لا إله إلا الله تناظر أساس المبنى لأنها الأساس في إسلام أي إنسان ومن دونها لا يكون المسلم مسلماً والصلاة تناظر العمود، ويمكن تشبيه أركان الإسلام الأخرى الحج والزكاة والصيام بالجسور والأسقف.

والهيكل الخرساني رغم أهميته الكبرى إلا أنه لا يكفي ولا يصلح لإقامة أي إنسان في هيكل خرساني فلابد من الأعمال الأخرى مثل الحوائط وما يكسوها والتركيبات الصحية والكهربائية وهذه الأعمال تناظر الممارسات الدينية المهمة مثل «الأمانة ـ الصدق... المعاملة... إلخ»، وهذه الممارسات الدينية مهمة جداً ومن دونها يفرغ الإسلام من مضمونه بل أن الله قد لايقبل أركان الإسلام ما لم تنعكس على تصرفات وممارسات الإنسان في الحياة، ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم: «من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه»، ومن دون هذه الأعمال الصالحة والاكتفاء بأركان الإسلام يكون الدين عند الإنسان كالهيكل الخرساني فقط، فهو يقف شامخاً كأنه مبنى ومع ذلك لا يصلح للاستخدام.

ويستخدم الرسول صلى الله عليه وسلم التشبيه بالمباني مرة أخرى وذلك في المقارنة بينه وبين الأنبياء الأولين في حديثه الشريف: «إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتاً فأجمله وأحسنه إلا موضع لبنة من زاوية، فجعل الناس يطوفون ويعجبون له ويقولون هلا وضعت هذه اللبنة فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين. ■

شخصيات

بقلم : د. حسن عزوزي

بعد سبعين سنة على وفاته

ناصر الدين دينيه
فرنسي مسلم دافع عن الإسلام

يُعدُّ ناصر الدين دينيه «إتيني دينيه» في طليعة الباحثين الغربيين المتحررين الذين رأوا في تعاليم الإسلام نوراً يهدي إلى الحق المبين، فأقبل على اعتناقه واثقاً من هدايته النافعة ورسالته الهادفة، ومُنافحاً عن مبادئه وتعاليمه ضد من همُّوا بنقده والافتئات عليه، ولم يكن ناصر الدين دينيه في رجاحة عقله وسلامة ضميره ووضوح منطقه ممن يقولون إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون، بل كان ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله.

واليوم وقد مرت سبعون سنة على وفاته (١٩٢٨م ـ ١٩٩٩م)، وما زال هذا المستشرق الفرنسي المسلم مغموراً بين المثقفين المسلمين، ولا يكاد يُعرف بين الخاصة من المهتمين والمتتبعين، وإذا كان دينيه يُعد في نظر الدارسين للمنظومة الاستشراقية واحداً من أعلام المستشرقين في أوائل هذا القرن فإننا لا نحسبه كذلك مهما حُشر في زمرة هؤلاء، لأن المنطق السليم يفرض ألا يكون الغربي الذي درس الإسلام وآمن به وعُد من أبنائه عن هداية واقتناع في صف واحد مع من يدرس الإسلام من زاوية خارجية وفق منظور غربي وغريب عن الروح الإسلامية، والدارس لسيرة الرجل الذي يتبين له مدى حبه للإسلام والمسلمين سرعان ما يتنبَّه إلى أن الرجل قد أمسى شرقياً لا مستشرقاً.

النشأة

وُلد إتيني دينيه العام ١٨٦١م في باريس لأب لا يكن للأديان أدنى احترام أو تعاطف، ولأم مُتنسِّكة تميل إلى سلوك طريق التصوف النصراني، عشق الرسم منذ نعومة أظفاره، ومهر في فنه مهارة كبيرة حتى إنه حصد جوائز عدة وهو لا يزال يافعاً، وفي العام ١٨٨٥م، قام بزيارة للجزائر التي كانت ترزح تحت نير الاستعمار الفرنسي، فأقام في بلدة «الأغواط» حيث قام بتنفيذ رسومات لمناظر خلابة عدة اجتذبته واسترعت انتباهه، وكان أبرزها لوحة «سطوح الأغواط» التي اقتنتها الحكومة الفرنسية، وهي الآن تزين بها جدران متحف اللوكسمبورغ.

تردَّد دينيه على الجزائر مرات عدة بعد زيارته الأولى التي أثرت في فكره ووجدانه، حيث تأثر ببساطة العيش فيها وجمال الصحراء الممتدة التي تجعل الروح تسيح في عالمها الواسع، ولم يكن في وسعه الاستقرار وحط الترحال بصفة نهائية بمدينة «بو سعادة» الجزائرية إلا في العام ١٩٠٥م، ويرجع سبب حبه لهذه المدينة إلى الصداقة التي ربطته بأحد علمائها ومثقفيها ويُدْعى سليمان بن إبراهيم، وسبب تعرفه عليه، هو أنه في إحدى زياراته لـ «بوسعادة» نشبت عداوة بينه وبين بعض اليهود الذين انهالوا عليه بالضرب والتنكيل، فرآه سليمان بن إبراهيم فأسرع لحمايته وإنقاذه من أيدي أعدائه، ولما عاد دينيه إلى فرنسا انتقم جماعة اليهود من سليمان فطعنوه بخنجر في ظهره، ولما بلغ الخبر صديقه دينيه تأسف على ذلك، فبادر إلى الذهاب إلى بوسعادة للاطمئنان على صحته، وقد اصطحبه بعد ذلك معه إلى باريس، وعندئذ ابتدأت صداقة قوية بين الاثنين حتى إن كثيراً من مؤلفات دينيه الإسلامية كانت مشتركة بينه وبين صديقه.

الطريق إلى الله

عندما يقدر الله تعالى الهداية لأحد من خلقه فإنه يهيئ له من الأسباب والدواعي ما يكفل له تلمُّس خيوط الطريق المؤدية إلى الهداية الربانية والنور الإلهي المشرق، وبالنسبة لمترجَمِنا فقد شاءت الأقدار أن يكون في الرسم الذي يهواه منذ صغره

سبباً رئيساً في انتقاله إلى الجزائر البلد الإسلامي ذي الصحاري الشاسعة، والفيافي الواسعة التي توحي للرسامين بأبهى الصور الفنية وأروع المشاهد الجمالية والتي يجد فيها أولو النُّهى الأولياء ما يفتح القلوب إلى العالم ا لعُلوي ويفسح المجال للتدبُّر والتفكُّر والتأمل في الخالق سبحانه.

لقد كان دينيه عديم الثقافة الدينية في أثناء دراسته في المرحلة الثانوية، حيث لم يكن يُعير للقضايا والمسائل الروحية في إطار النصرانية التي كان ينتمي إليها أدنى اهتمام، لكن مع مرور السنين وبلوغ سن الرشد والنضج بدأت الدوافع الفطرية تُلح على باطنه كي يبوح عن حقيقة الكون والوجود، وأثناء وجوده في الجزائر وجد الرجل في عالم الصحراء اللامتناهي ما يستهويه ويجذبه إلى التأمل في النواميس الكونية واستكناه أسرار الخلق والوجود والطبيعة، وبموازاة مع ذلك كان يشاهد من حوله البدو الرحل سكان الصحراء وهم يؤدون صلواتهم تحت أشعة الشمس وعلى صفحات الكثبان الرملية الناعمة بكل تلقائية وبساطة ومن دون اعترافات غفرانية أو وساطة كما هو الحال في الكنيسة، كل واحد من المصلين يناجي ربه مباشرة وبكل حرية. هنا لم يجد دينيه بُداً من مشاركة هؤلاء صلواتهم، فكان يؤديها معهم جماعة ويسألهم كل مرة وحين عن أسرار الصلاة والصيام وغيرهما من شعائر الإسلام، لقد أحب دينيه حياة العرب وهو ذلك الفنان الكبير، فاتخذ له بينهم مقاماً محموداً في تلك الواحة السعيدة «بوسعادة» واستمر على تلك الحال أشهر عدة، يشارك أبناء الصحراء حياتهم الدينية والاجتماعية وكأنه واحد منهم إلى أن أعلن إسلامه بصفة رسمية العام ١٩١٣م، واستبدل اسمه إتيني باسم «ناصر الدين» تفاؤلاً منه بأن يكون له حظ ونصيب في نصرة الإسلام والدفاع عنه ضد أعدائه. لقد أعلن إسلامه عن روية وتيقن وتفكر وتعمق، بعد تجاوزه سن الأربعين، لذلك كان في عقيدته مكيناً راسخاً، وفي إسلامه كاملاً ملتزماً.

مؤلفاته

قبل إسلامه بعامين كان ناصر الدين دينيه قد سطَّر كتابه «الفيافي والقفار»، مشاهداته وذكرياته في صحراء الجزائر معبراً عن تأثره بالحياة الصحراوية ودور ذلك في تغيير سلوكه الديني ونمط حياته، وقد كان لصديقه ابن إبراهيم الذي يرافقه ويلازمه دور كبير في ذلك، حيث كان يُقرِّب إليه صورة صحراء الحجاز ويصوِّر معالم الحياة المكية قبل بعثة الرسول ﷺ وبعدها،

وكان للمقارنة العجيبة بين صحراء الجزائر وصحراء الحجاز وكذا للتصوير الفني الرائع الذي تفنَّن سليمان في تقديمه لصديقه ما جعل هذا الأخير يفكر في تأليف كتاب عن حياة محمد ﷺ التي كان يعرف عنها الشيء الكثير لكن من خلال بطون الكتب فحسب، شأنه في ذلك شأن جميع المستشرقين الغربيين ـ فلما استطاع الرجل أن يمزج في ذهنه معالم السيرة النبوية كما هي مبثوثة في الكتب ومشاهد الصحراء الحجازية التي انبعثت منها أنوار الرسالة المحمدية انساب إلى قلب الرجل أملُ وضع كتاب عن سيرة النبي الكريم صلوات الله وسلامه عليه تكون مخالفة تماماً لما سطَّره المستشرقون ونابعة من قلب مؤمن يهفو إلى تدوين حياة خاتم النبيين وفق أبهى صور البيان وأصدق مشاعر التعبير، وقد ألف الكتاب المأمول بمساعدة صديقه سليمان، وتُرجم إلى لغات منها اللغة العربية، حيث قام بها شيخ الأزهر آنذاك الدكتور عبدالحليم محمود ونجله الدكتور محمد عبدالحليم محمود.

من مؤلفات ناصر الدين دينيه أيضاً: «أشعة خاصة بنور الإسلام» وهي عبارة عن محاضرة ألقاها في جمعية الأخوة الإسلامية في باريس، وهي عبارة عن عرض لمبادئ الدين الإسلامي بصورة عصرية وواضحة تلائم العقلية الغربية، وقد نشر الكتاب للمرة الأولى العام ١٩٢٩م وترجمه إلى العربية الأستاذ راشد رستم، وهو أول ما ترجم من كتبه.

ثم ألف كتابه «الشرق في نظر الغرب» العام ١٩٢١م بالاشتراك مع صديقه سليمان بن إبراهيم، والكتاب عبارة عن رد علمي على طروحات المستشرقين هنري لامنس البلجيكي المعروف بعدائه الشديد للإسلام، وكازانوفا في كتابه «محمد ونهاية العالم»، ويعتبر هذا الكتاب من أبرز كتب ناصر الدين دينيه، حيث دافع فيه بشدة على حياض الإسلام ودعوته ونبيِّه ضد افتراءات وطعون المستشرقين السالفي الذكر اللذين كانا في أوائل هذا القرن من ألد أعداء الإسلام وأكثرهم تحاملاً عليه.

لقد تم تفنيد مزاعم هنري لامنس في كثير من كتبه مثل «مهد الإسلام» وكتاب «فاطمة بنت محمد ﷺ»، وكتاب «محمد ونهاية العالم»، فقد اشتط به التفكير، ورأى وبئس الرأي أن محمداً ﷺ كان شديد الترقب لقيام الساعة التي كان يراها وشيكة الوقوع، لذلك لم يجمع القرآن في مصحف ولم يعيِّن خليفة له، وقد ردَّ العلماء بإسهاب على مثل هذه الشبهات في كتب علوم القرآن وكتب الأحكام السلطانية، وكتاب دينيه هذا الذي يندر العثور على نسخة منه في أصله الفرنسي يعتبر مرجعاً مهماً في إطار الرد على المستشرقين وبخاصة أنه من تأليف فرنسي مسلم خبير بخلفيات بني جلدته من المستشرقين ومراميهم وأغراضهم.

ومن أهم كتب دينيه أيضاً كتابه «الحج إلى بيت الله الحرام» الذي لم يطبع إلا بعد وفاته بعام واحد ١٩٣٠م، وقد وصف فيه مناسك الحج بتفصيل دقيق وبروح علمية مؤمنة وثَّابة حيث كان لدى حديثه عن كل منسك أو مشعر يؤكد الحكمة الجليلة التي يهدف إليها والغاية المثلى التي يرمي إليها محبباً ذلك إلى قلب القارئ الذي يخيل إليه وهو يستعرض بشغف وشوق مراحل وأشواط الحج وكأنه يسبح في سبحات ربانية في ظل ضيافة رب العالمين.

والكتاب قد طبعته دار النشر الفرنسية الشهيرة HACHOLTA اعتبر أول كتاب ينتشر في أوروبا معرّفاً الغربيين بالركن الخامس من أركان الإسلام بأسلوب علمي مُشوِّق يخاطب العقلية الغربية ويقرب إليها روح الإسلام ومقاصده السامية، لقد ختم حديثه في آخر الكتاب بقوله: «لو كان الإسلام الحقيقي معروفاً في أوروبا لكان من المحتمل أن ينال أكثر من أي دين آخر العطف والتأييد وذلك من جراء روح التدين

التي عمت أوروبا بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى»(١).

وفاته

أحب ناصر الدين دينيه مدينة بوسعادة الجزائرية التي قضى بها ردحاً من الزمان، وقرر العيش بين أهلها وسكانها ما تبقى له من حياته، وقد بلغ حبه لتلك الحياة العربية الصحراوية مبلغاً عظيماً جعله يأمل في أن يدفن بعد موته في مدينة بوسعادة وليس في باريس، ولما لم يكن له أهل ينفذون وصيته لأنه لم يتزوج طوال حياته، كما أن والديه قد توفيا عامي ١٩١٤م، و١٩٢٠م، فقد قرر أن يبنى ضريحاً له ويهيئ قبراً ليوم موته حتى يدفن فيه، وكتب وصية في ذلك أودعها لدى صديقه سليمان بن إبراهيم، وبقي كذلك إلى أن وافته المنية العام ١٩٢٩م وهو في باريس، فتحدد نقله إلى بوسعادة يوم ٦ يناير، وتم دفنه يوم ١٠ يناير ١٩٣٠م، ويذكر أن سبب التأخير في دفنه كان توافد الوفود العربية والصحراوية لإلقاء نظرة أخيرة عليه، إذ كان - رحمه الله - مشهوراً وذائع الصيت بين كل الجزائريين الذين دافع عن حقوقهم أمام السلطات الفرنسية، وفي يوم دفنه اصطف الآلاف من الناس الذين هرعوا إلى بوسعادة من كل أرجاء الجزائر وتونس للصلاة عليه والترحُّم على روحه.

من أفكاره وأقواله:

لقد كان ناصر الدين مقتنعاً أشد الاقتناع بأن الإسلام يسمو بعقيدته ومبادئه وقيمه عن غيره من الأديان، فهو خالٍ من الأسرار وعبادة القديسين وهو ليس في حاجة إلى الهياكل والمعابد مادامت الأرض كلها مسجداً لله.

لقد رد دينيه للإسلام اعتباره في أوساط الغربيين مبيناً أصالته الحضارية وسموه في التفكير وإنسانيته التي لا تُقاس بها مادية الغرب وفساده وعدوانه الذي لا يقف عند حد، وظلمه المؤسس على المادية والاستغلال، لقد أظهر في كتبه نُبل العرب المسلمين وعمق فهمهم للأمور فهماً يتفق مع الفضيلة، ويتلاءم مع أسمى المبادئ الإنسانية، وقد خبرهم جيداً وعاش بينهم واطلع على أسرار حياتهم ومدى حبهم لدينهم.

لقد انبهر كثيراً أمام سمو شعائر العبادات الإسلامية فيشير إلى مزاياها وفضائلها ويتحدث عن الحكمة منها ومقاصدها، فالصلاة مثلاً التي أداها قبل أن يدخل الإسلام يرى أنها «ذات بساطة ولطافة لم يسبق لها مثيل من نوعها في صلاة غيرها. كما أنها لا تدعو الوجوه بالتظاهر والتكلف ولا العيون بالشخوص إلى السماء واستنزال الدموع. حقاً - يقول - إن الصلاة في الإسلام خالية من تلك الأمور الشائنة التي خصها المسيحيون بالصور المسيحية مما جعلها في غير جمال ولا جلال ولا وقار. حقاً إن الأقوال والحركات التي في الصلاة الإسلامية هي ذات دلالة على الرزانة والهدوء والاطمئنان وهي خالية من مبالغات الورع وتكلفات الخضوع والتظاهر بذلك مما هو غريب في العبادات لأن الله سبحانه وتعالى عليم بما في الصدور وهو الغني العزيز»(٢)

ويقول أيضاً: «لقد كتب الله الصلاة على عباده واقتضت حكمته أن تكون أنفع وأصح ما منحهم من خير، نعم خمس صلوات في اليوم تمكّن بني البشر من الراحة التامة خمس مرات يومياً، فتحول بينهم وبين الانفعالات والعواطف المثيرة التي تؤدي تارة إلى المغالاة في الفرح، وذلك طريق يؤدي إلى الرذائل وتارة إلى المغالاة في الحزن وذلك طريق قد يؤدي إلى جنون اليأس، خمس صلوات يومياً بما لهن من مقدمات الطهارة يلزمن الإنسان بالتفكير في نظافة بدنه وصفاء روحه»(٣).

وهكذا وقف الرجل المؤمن الغيور يبرز أسرار العبادات الدينية في الإسلام ويكشف اللثام عن مقاصدها وحكمها الروحية فضلاً عن تأثيراتها الايجابية في نفوس المسلمين، فعندما تعرض للحديث عن فريضة الحج أبرز المعاني والقيم الروحية التي يفجرها فيقول: «إن احتشاد الناس في عرفات موقف من مواقف الحشر حقاً، إن جميع أجناس الإنس على تباينها تحتشد في ذلك المكان الذي اعتاد الإقفار، ولن نرى في غير هذا المكان من العالم جمعاً اجتمع فعرض في آن واحد كل تلك الوجوه الآدمية المختلفة الشبه وكل تلك اللهجات واللغات المتباينة، لقد تآخى هؤلاء جميعاً في تلك الساعة العظيمة، تآخوا لغة وقلباً، ونسوا فروق الأجناس والدرجات والطبقات، نسوا أحقادهم مذهبية كانت أو سياسية. ففي عرفات يرجع الإسلام إلى اتحاده الشامل وحماسته القوية كما كان في أيامه الأولى»(٤).

ويرى ناصر الدين دينيه أن من أبرز خصائص التشريع الإسلامي وميزاته ملاءمته لكل الأجناس البشرية والشعوب والحضارات، إذ منذ فجر الإسلام لم يكن العرب وحدهم الذين اعتنقوا الإسلام، بل كان فيهم الفارسي والرومي والقبطي وغيرهم، مما يؤكد أن عالمية الإسلام وروحه الوثابة تؤكدان أنه دين الفطرة التي لا تختلف في إنسان عن آخر، لذلك فهو صالح لكل زمان ومكان، يقول رحمه الله: «فكما أن الإسلام قد صلح منذ نشأته لجميع الشعوب والأجناس، فهو صالح كذلك لكل أنواع العقليات وجميع درجات المدنيات... لقد أكد هذا الدين من الساعة الأولى لظهوره أنه دين عام صالح لكل زمان ومكان، وإذا كان صالحاً بالضرورة لكل جنس كان صالحاً بالضرورة لكل عقل... وهو لكل هذا صالح لكل درجة من درجات الحضارة».(٥)

لقد راح ناصر الدين دينيه في كل كتبه يشيد بخصائص الإسلام ومزاياه، ويُنقب عن مزيد من فضائله وقيمه ومُثله، هذا فضلاً عن دفاعه عن الإسلام وتشريعاته ضد مطاعن المستشرقين الحاقدين، حيث استأصل شأفتها وأبان عن تهافتها وبطلانها بالحجة والبرهان. ■

الهوامش:

١ - الحج إلى بيت الله الحرام ص ٣٢٤.

٢ - أشعة خاصة بنور الإسلام، ترجمة راشد رستم، المكتب الفني للنشر - بيروت - ١٩٦٠م.

٣ - محمد رسول الله ﷺ، ترجمة د. عبدالحليم محمود ومحمد عبدالحليم محمود ص ٣٦ - مطبعة دار المعارف بالقاهرة ١٩٦٥م ص ١٤١.

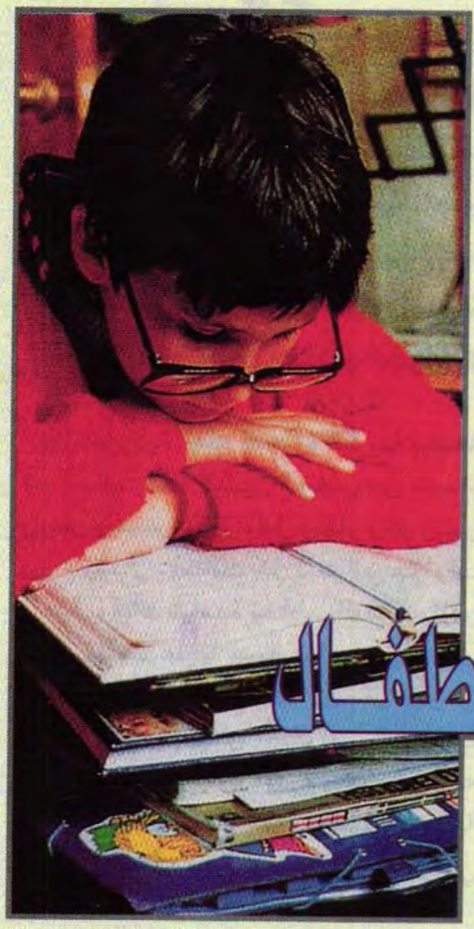
٤ - نفسه ص ٢٩٧

٥ - نفسه ص ٣٤٥

الوعي الإسلامي
al-Waei al-Islami
العدد 409
رمضان 1420 هـ
ديسمبر / يناير 1999/2000 م



الأسرة المسلمة



الشجار بين الأطفال أسبابه وعلاجه

دور المدرسة في تنمية الإبداع والابتكار لدى الأطفال



قضم الأظافر وثلاثية «العصبية - القلق - التوتر»

سيكولوجية القلق عند الكبار والصغار

سورة لقمان ومواقف تربوية

بقلم: عاطف إبراهيم المتولي

سورة لقمان ومواقف تربوية

هذه السورة الكريمة سورة مكية إلا آيتين وقيل ثلاثة(١) وآياتها أربع وثلاثون آية، وهي نموذج من نماذج القرآن الكريم في مخاطبة ومحاورة القلب البشري في مجال علاج قضية العقيدة في نفوس المشركين، هذه القضية التي تولت سور العهد المكي علاجها بأساليب شتى وزوايا متنوعة، كلها تقرر هذه القضية الواحدة، والتي تتلخص في توحيد الله ـ تعالى ـ وعبادته وحده وشكر نعمه مع اليقين بالآخرة وما فيها مع الحساب الدقيق والجزاء العادل.

والمتأمل لآيات هذه السورة الكريمة يجدها قد أحالت هذا الكون الرحب من سماء وأرض وشمس وقمر وليل ونهار وجو وبحر وزرع وثمار ـ أحالت كل ذلك إلى مؤثرات ناطقة، وآيات شاهدة تخاطب القلوب وتؤثّر فيها، وتأخذ عليها مسالكها، ودوربها، كل ذلك مع أن القضية واحدة، ومجال العرض واحد. وهذا الأسلوب القرآني العجيب يستدعي التدبّر الطويل لإدراك بعض وسائله في مخاطبة النظر والقلوب بطريقة ممتعة للقلب والعقل، بجانب ما فيها من دواعي التأثر والاستجابة.

وهنا نكتفي بهذا العرض السريع للأسلوب القرآني المعجز مع الإحالة إلى مصادره(٢) وذلك لخروجه عما نحن فيه من تلمّس للمواطن التربوية في هذه السورة الكريمة، والتي تبدأ من قول الله تعالى: (ولقد آتينا لقمان الحكمة) الآية ١٢، إلى قوله تعالى: (إن أنكر الأصوات لصوت الحمير) الآية:١٩.

وهذه الآيات الكريمات تعالج القضية ذاتها قضية توحيد الله، والإيمان بالآخرة والعمل لها، والجزاء العادل، تعالج هذه القضية من خلال أعماق النفوس الآدمية عن طريق الحكاية، حكاية لقمان الحكيم، الذي وهبه الله تعالى الفهم للأمور، والعمل بما عَلِم، والهداية للمعرفة الصحيحة، فكان حكيماً، ولعل ذلك هو السر في كون أن كل ما دعا إليه لقمان وأمر به ابنه كان من دواعي الحكمة، ومقتضيات الفطرة السليمة، وهذا كله بناء على الصحيح من أقوال أهل العلم من أن لقمان كان حكيماً وليس نبياً.(٣)

وقد اشتملت توجيهات لقمان لابنه على مواقف تربوية عدة، تمثل في مجملها منهاجاً للحياة الرشيدة، فمن هذه المواقف التربوية:

- علاقة الفرد بربه.
- علاقة الفرد بوالديه.
- علاقة الفرد بنفسه.
- علاقة الفرد بالناس عامة.

فأول تلك التوجيهات الحكيمة والتي تنظم علاقة الفرد بربه وخالقه قوله تعالى على لسان لقمان (يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم) الآية ١٣.

وقال ابن كثير ـ رحمه الله ـ : يقول تعالى مخبراً عن وصية لقمان لولده.... وقد ذكره الله تعالى بأحسن الذكر، وأنه آتاه الحكمة، وهو يوصي ولده الذي هو أشفق الناس عليه، وأحبهم إليه، فهو حقيق أن يمنحه أفضل ما يعرف، ولهذا أوصاه أولاً بأن يعبد الله ولا يشرك به شيئاً، ثم قال محذراً (إن الشرك لظلم عظيم) أي هو أعظم الظلم. أهـ(٤).

فأعظم الحقوق، وأوجب الواجبات توحيد الله تعالى، ولذلك بدأ به لقمان فأمر ابنه بالتوحيد، وحذره من الشرك بالله تعالى، ومما لا يشك فيه أن عقيدة التوحيد الخالص ـ حين تعيش في أعماق النفوس، وتتمكن من حنايا القلب، ويحيا المؤمن في ظلالها وعلى أنوارها ـ فإنها ـ بلا ريب ـ تضفي على صاحبها ـ فرداً كان أو أمه ـ أعمق صفات الكمال، وتلبسه أروع ثياب الطمأنينة، وذلك أن هذه العقيدة الخالصة تحرر أصحابها من العبودية لغير الله، والخوف على الرزق والأجل، وتحررهم من الشح، والبخل، والظلم، والأنانية، وتحرر عقولهم من الخرافات والأوهام، وبهذا التحرر من هذه الصفات يتحول الفرد بممارستها الصحيحة إلى عقيدة تمشي على الأرض، ودين يتحرك بين الناس، فيؤثر فيهم بالقدوة الحسنة، والأسوة الطيبة، والسلوك المستقيم، وكل ذلك ليس سوى نتيجة طيبة مباركة كلمة الإخلاص وعقيدة التوحيد، وصدق الله القائل ـ سبحانه ـ: (ألم تر كيف ضرب الله مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء. تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها...) إبراهيم:٢٤، ٢٥.

فكما أن البذرة الصالحة إذا وضعت في أرض طيبة، جاءت بأكمل الثمار وأنضجها، فكذلك كلمة التوحيد، إذا حلّت بقلب المؤمن فإنه يرى بنور الله، ويعمل برضاه ويهتدي بهداه، فتحول صاحب هذه العقيدة ـ من كم مهمل لا يحسب له حساب إلى قوة هائلة وطاقة كبيرة يعمل لها ألف حساب.(٥)

هذه هي بعض آثار العقيدة الصحيحة، تحرير للنفس الإنسانية، وتكوين للشخصية

المتزنة، وتحقيق للأمن والطمأنينة، واجتماع على كلمة طيبة، أصلها ثابت وفرعها في السماء.

وتلك كانت أولى توجيهات لقمان لابنه، والتي اقتضتها حكمته التي أنعم الله بها عليه، فأنعم بها من وصية غير متهمة، وأكرم به من توحيد مبرأ من كل شبهة، بعيد عن كل ظن.

ونصح لقمان لابنه هو الوضع الصحيح بين الأب وبنيه، يعظمهم ويرشدهم ويجنبهم المهالك، فإذا تغير الوضع وصار الأب والأم مدعاة للشرك، ومصدراً للعصيان فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، ولذلك جاءت الوصية بالوالدين، وكيفية معاملتهما، وهنا يأتي التوجيه الثاني في الوصايا الحكيمة، والذي ينظم علاقة الفرد بوالديه خاصة، وذلك في قوله تعالى: (ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهناً على وهن وفصاله في عامين أن أشكر لي ولوالديك إليَّ المصير. وإن جاهداك على أن تُشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفاً واتبع سبيل من أناب إليَّ ثم إليَّ مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون) لقمان:١٤، ١٥.

بر الوالدين قرين التوحيد، وآية الوفاء لما سلف من عطائهما المبرور، ولذا على كل مسلم أن يؤمن بحق الوالدين عليه، وواجب برهما وطاعتهما، والإحسان إليهما، لا لكونهما سبب وجوده فحسب لكونهما قدما له من الجميل والمعروف ما وجب معه مكافأتهما بالمثل، بل لأن الله عز وجل أوجب طاعتهما، وكتب على الولد برهما والإحسان إليهما، حتى قرن ذلك بحقه الواجب له من عبادته وحده دون غيره فقال عز وجل: (وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً...) الإسراء:٢٣.

وقال الرسول ﷺ للرجل الذي سأله: «من أحق الناس بحسن صحبتي؟ قال: أمك، قال: ثم من؟ قال: أمك، قال ثم من؟ قال: أمك، قال: ثم من؟ قال: أبوك»(٦) وقال ﷺ: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: الإشراك بالله، وعقوق الوالدين...»(٧)، وقال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: سألت النبي ﷺ أي العمل أحب إلى الله تعالى؟ قال: الصلاة لوقتها، قلت ثم أي؟ قال: بر الوالدين، قلت ثم أي؟ قال: الجهاد في سبيل الله»(٨)، وجاء رجل إليه عليه الصلاة والسلام يستأذنه في الجهاد فقال: «أحي والداك؟ قال نعم، قال: ففيهما فجاهد»، وجاء رجل من الأنصار فقال يا رسول الله هل بقي عليَّ شيء من بر والديَّ بعد موتهما أبرهما به؟ «قال نعم، خصال أربع: الصلاة عليهما، والاستغفار لهما، وإنفاذ عهدهما، وإكرام صديقهما، وصلة الرحم التي لا رحم لك إلا من قبلهما، فهو الذي بقي عليك من برهما بعد موتهما»(٩)، وقال عليه الصلاة والسلام: «إن من أبر البر أن يصل الرجل أهل ودّ أبيه بعد أن يولي الأب»(١٠).

والمسلم إذ يعترف بهذا الحق لوالديه ويؤديه كاملاً طاعة لله تعالى، وتنفيذاً لوصيته فإنه يلتزم كذلك إزاء والديه بالآداب التالية:

١ - طاعتهما في كل ما يأمران به، أو ينهيان عنه مما ليس فيه معصية لله تعالى، ومخالفة لشريعته، إذ لا طاعة للمخلوق في معصية الخالق، ولقوله تعالى: (وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفاً) لقمان:١٥ وقول الرسول ﷺ: «إنما الطاعة في المعروف»، وقوله ﷺ: «لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق».

٢ - توقيرهما وتعظيم شأنهما، وخفض جناح الذل لهما، وتكريمهما بالقول وبالفعل، فلا ينهرهما ولا يرفع صوته فوق صوتهما، ولا يمشي أمامهما، ولا يؤثر عليهما زوجة ولا ولداً، ولا يناديهما باسمهما، بل بيا أبي ويا أمي، ولا يسافر إلا بإذنهما ورضاهما.

٣ - برهما بكل ما تصل إليه يداه، وتتسع له طاقته من أنواع البر والإحسان، كإطعامهما، وكسوتهما، وعلاج مرضهما، ودفع الأذى عنهما، وتقديم النفس فداء لهما.

٤ - صلة الرحم التي لا رحم له إلا من قبلهما، والدعاء والاستغفار لهما، وإنفاذ عهدهما، وإكرام صديقهما.(١١)

ولا يظن ظان أنه إن التزم بكل ذلك يكون قد جازى والديه على ما أسديا إليه من المعروف، ذلك لأن فضل الوالدين على الإنسان أعظم من كل بر، وأكبر من كل إحسان، ولن يستطيع الإنسان مهما بذل أن يجازيهما على إحسانهما، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «لا يجزي ولدٌ والده إلا أن يجده مملوكاً فيشتريه فيعتقه»(١٢).

وقد رأى ابن عمر رجلاً حمل أمه على رقبته في الطواف فقال يا بن عمر: أتراني جازيتها؟ قال: «لا، ولا بطلقة واحدة من طلقاتها، ولكن أحسنت والله يثيبك على القليل كثيراً». ومن الوفاء ألا ينسى الإنسان المعروف، ولا يجحد الفضل، ومن كافأ على معروف أسدي إليه، وهو لا يزال يعد نفسه مقصّراً تجاه صاحبه كان أكثر الناس وفاء ومروءة، والولد المغمور بأفضال والديه حري أن يرى نفسه عاجزاً مقصّراً ومديناً ولو بلغ في البر أقصاه.

وللحديث بقية مع سورة لقمان والفوائد التربوية ■

الهوامش:

١ - راجع القرطبي ١٤/٥٠، وفتح القدير للشوكاني ٤/٢٣٣.

٢ - راجع تفسير الظلال للأديب الأريب سيد قطب ٥/٢٧٨٠.

٣ - القرطبي ١٤/٥٩، ابن كثير ٣/٥٨٥، الشوكاني فتح القدير ٤/٢٣٧.

٤ - راجع القرطبي ١٤/٦٢، ابن كثير ٣/٥٨٧، سيد قطب (الظلال) ٥/٢٧٨٨.

٥ - كتاب العقيدة المقرر في دار القرآن، الفصل الثاني/١٣٥ بتصرف.

٦، ٧، ٨ - متفق عليه.

٩ - رواه أبو داود.

١٠ - رواه مسلم.

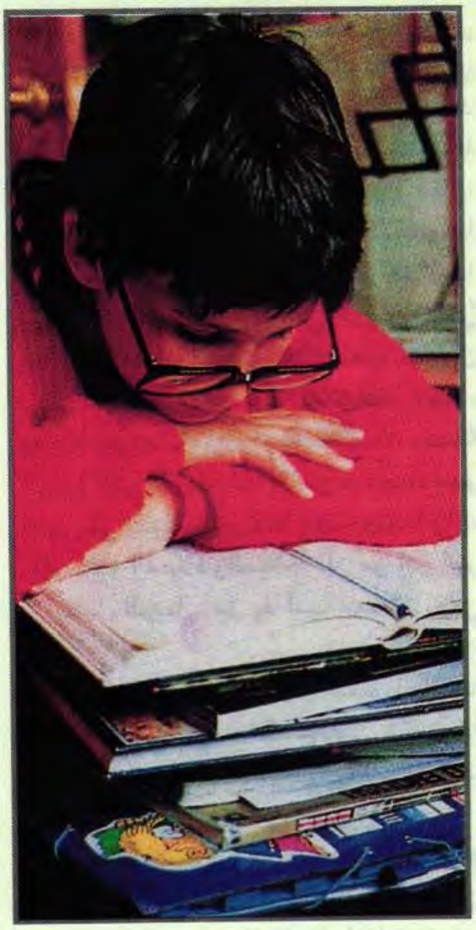
١١ - منهاج المسلم للشيخ أبي بكر الجزائري (٩٢، ٩٣) بتصرف.

١٢ - رواه مسلم.

دور المدرسة في تنمية الإبداع والابتكار لدى الأطفال

إعداد: محمد عباس محمد عرابي

إن المدرسة لها أهمية واضحة في التشجيع على الإبداع، وتنميته أو التنفير منه وإعاقته، فهي تقدم للمتعلم خبرات متنوعة شاملة ومتكاملة من خلال المنهج المدرسي بمفهومه الواسع، والمتعلم يتلقى من هذه الخبرات المنظمة ما يعده للاستجابة بطريقة موجبة أو سالبة لخبرات حيوية مقبلة، ويتم تدريبه على تنظيم بعض وظائفه الحيوية، ويصحب التدريب جو وجداني خاص يغلب عليه الحب والتقبل والتشجيع أو عكس ذلك، ويتعلم من خلال هذه الخبرات التي تقدم له والتي يعايشها أنه متميز يمكنه السيطرة على وظائفه وأنه يمكنه إنجاز الخبرات وحل المشكلات، بل يتم تدريبه على إعادة التوافق مع ظروف الإحباط والفشل خلال محاولاته التوصل للحلول المناسبة، فالمدرسة باعتبارها بيئة نقية أوجدها المجتمع للتربية، والمنهج الدراسي باعتباره حياة المدرسة يتيح الفرص لحرية توجيه الأسئلة والاستفسارات ومحاولات الاستكشاف واستخدام الخيال وتقبّل الخبرات الجديدة الوافدة من المنزل أو جماعات الأصدقاء بل تأييدها، ويتيح المنهج الدراسي الفرص أمام المتعلمين لتحقيق الثقة بالنفس وروح المخاطرة العلمية المحسوبة من أجل الاكتشاف والتحرر من الأساليب المعتادة



للتفكير، والميل إلى البحث في الاتجاهات الجديدة، والإقدام نحو ما هو غير يقيني، وتفحص البيئة بحثاً عن الخبرات الجديدة، والمثابرة في الفحص والاستكشاف من أجل مزيد من المعرفة لنفسه وبيئته. وهذا

يعني أن المدرسة توفر سياقاً نفسياً اجتماعياً يراعى سمات الإبداع وينميها خلال عملية التربية، كما أنها تصاحب تلك التغيرات التكنولوجية والاجتماعية المتلاحقة المتسارعة بمحاولات للكشف عن ظروف تنمية إمكانات الإبداع لدى المتعلمين الفائقين. والمعلمون المبدعون يمثلون بدورهم عاملاً حاسماً في الأداء للمتعلمين من حيث كونهم نماذج للتوحد، ومن حيث استثارتهم لمواهب تلاميذهم ومحاولة تنمية هذه المواهب عن طريق تحقيق جو من التسامح والدفء العاطفي، ولما كانت المدرسة تمثل ثقافة جزئية للمجتمع إلا أنها تمثل ثقافة مؤثرة على الطفل في المراحل العمرية التي ينمو فيها معرفياً ووجدانياً ومهارياً، كما أن المدرسة تمثل جانباً مهماً من جوانب التربية في حياة الطفل، بل ربما هي كل التربية النظامية التي تؤثر فيه، وبالتالي فإن دور المدرسة في تنمية الإبداع والتأثير إيجابياً أو سلباً في القدرات الإبداعية هو دور أساس وجوهري.

ولا شك أن طرق ووسائل التعلم التي تمارس في المدرسة لها تأثيرها المباشر على خبرات التلاميذ واتجاهاتهم نحو عملية التعلم، وعملية التعلم كغيرها من العمليات العقلية العليا تتأثر بعوامل متعددة داخل البيئة التعليمية، كطريقة التدريس، ووسائل التقويم والعلاقات الجيدة المتبادلة بين المدرّس والطالب. وهذه العوامل مجتمعة كانت أو منفردة فإن لها أثرها المباشر في تشجيع وتنمية قدرات التفكير الابتكاري لدى الأطفال:

أ ـ طريقة التدريس: المعروف أن الطرق التقليدية للتعلم والتعليم تؤكد وتركز على أهمية التلقين والحفظ والتذكر، الذي يركز على جانب واحد من جوانب العمليات العقلية «الذاكرة» ويهمل بقية العمليات العقلية الأخرى. ولا نقصد هنا التقليل من أهمية الذاكرة، ولكن ينبغي أن ينصبَّ الاهتمام أيضاً على القدرات العقلية

الأخرى للإنسان كالقدرة على التحليل والتركيب، والتطبيق، والتقويم. وقد أشار «جيلفور» إلى أنه يجب أن نعطي التربية الانتباه الكافي، وفرص الممارسة لكل القدرات العقلية، لأن كل قدرة تستدعي طريقة خاصة لإشباعها، كما يستلزم ذلك مناهج، وطرق تدريس متنوعة، ووسائل تعليمية مختلفة لإنجاز أحسن وأفضل النتائج. وأشارت نتائج الدراسات إلى وجود علاقة بين طريقة التدريس وقدرات التفكير الابتكاري، وإلى أن الطلاب في المدارس غير التقليدية تحصلوا على درجات مرتفعة في اختبارات التفكير الابتكاري أفضل من أولئك الطلاب الذين يدرسون في المدرس التقليدية.

ب ـ التقويم: ينبغي أن نهيئ الفرصة للطلاب لأن يتعلموا ويفكروا ويكشفوا دون اللجوء إلى التقويم الذي يخشاه الطلاب، وإذا أردنا أن يفكر الأطفال بصورة مبتكرة، يجب أن نتعلم كيف نكافئ السلوك المبتكر، فنحن نكافئ الأطفال ليس من خلال الدرجات فقط، ولكن أيضاً من خلال أنواع السلوك التي نشجعها أو لا نشجعها، وبالطريقة التي نستجيب بها لاحتياجات حب الاستطلاع لدى الأطفال ولدى صغار الناس.

ج ـ العلاقة بين المدرّس والطالب: يشير «تورانس» إلى أهمية العلاقة الابتكارية بين الطالب والمدرّس، حيث يقول: «إن العلاقة الابتكارية بين المدرّس والطالب تتطلب الرغبة، أو الاستعداد لدى المدرّس بأن يجيز شيئاً ما، والذي بدوره يقود إلى شيء آخر. كما ينبغي على المدرّس أن يشارك مع الطفل في الخبرة المثيرة غير المعروفة. هذه العلاقة تشبه عملية التفكير الابتكاري، حيث من المحتمل أن المدرّس يعمل بجد لتكوين هذا النوع من العلاقة، ويكون متحمساً لها ويريدها، ولكن قد يفشل في ذلك، إلا أن العلاقة قد تحدث بعد ذلك فجأة. فيجب على المدرّس أن يكون جاهزاً لأن يتقبل هذه العلاقة عندما تحدث». ■

قضايا أسرية

بقلم: منى السعيد مصطفى الشريف

بين حجري الرحى

يقرر علماء النفس والاجتماع أن الإنسان كائن اجتماعي يؤثر في البيئة ويتأثر بها، وما البيئة إلا مجموعة الظروف والعلاقات الاجتماعية التي تحيط به، وأنا أرى أنا السعادة الزوجية والاستقرار العائلي هي أيضاً كائن يتأثر بالبيئة المحيط به، ولعل أهم ما يؤثر في هذا الكائن «السعادة الزوجية» هو علاقة كل من الزوجين بعائلة الآخر، ذاك أننا على الرغم مما طرأ على علاقاتنا الاجتماعية من تغيير. مازلنا نؤمن بأهمية الترابط العائلي ولو بشكل نظري عند البعض، بل إن معظم الزيجات في مجتمعنا تشكل عملية مصاهرة بين أسرة وأسرة في المقام الأول وليس بين الزوج والزوجة فحسب... والمشكلة تحدث عندما يقع الخلاف بين أحد الزوجين وعائلة الآخر، فيجد الزوج أو الزوجة نفسه بين حجري الرحى، لا يستطيع أن يرضي أحد الطرفين على حساب الآخر، وتكون المشكلة أكبر بالنسبة للمرأة فهي بطبيعة الحال في الموقف الأضعف، والزوج أحياناً ما ينظر إليها على أنها لابد أن تكون تابعة له وأن يكون ولاؤها الأوحد لزوجها وبيتها قبل أهلها، وقد يكون معه الحق في ذلك، فحق الرجل على زوجته من أكبر وأقدس الحقوق، وهي مطالبة بطاعته والعمل على راحته وإسعاده ولا أحد يمكن أن ينكر عليه هذا الحق... ولكن دعونا نتساءل ويصدق أليست تلك الزوجة هي ربيبة بيت أبيها؟ أيمكن أن تتنكر لعاطفتها نحو أهلها وتقابل إحسانهم بالجحود؟ ولو استطاعت أن تتحامل على نفسها لبعض الوقت إرضاء لزوجها فهل سيستمر هذا؟ وماذا ستكون نتيجة هذا الضغط النفسي؟ إنني سأسوق لكم تلك القصة التي قد نجد فيها الإجابة عن بعض التساؤلات، وقد يكون فيها العبرة والمثل لمن أراد أن يذكر واعتذر مقدماً لكل من تتشابه ظروفهم مع أحداث تلك القصة التي سأسوقها بإيجاز على لسان بطلتها حيث تقول «كانت حياتي تسير هادئة مستقرة. فأنا زوجة وأم، كل أملي أن أحقق السعادة والرعاية الكاملة لأسرتي - ولكن حياتي تبدلت واكفهرَّت سمائي وعصفت الريح بسعادتي عندما دبّ الخلاف بين زوجي وأبي... وصل الأمر إلى حد القطيعة... كنت في حيرة ممزقة بين الإثنين لا أعرف كيف أتصرف؟ فإرضائي لأحدهم سيغضب الآخر، وبدأ زوجي يطالبني بل يأمرني بمقاطعة أهلي وعدم زيارة والدي وأسرتي... وبعد محاولات وتوسلات صرَّح لي بزيارتهم على أن يستمر هو في مقاطعتهم نهائياً، وتنفست الصعداء لهذا التحسن الطفيف ومنيت نفسي أني سأكون حمامة السلام بينهما حتى ينتهي هذا الأمر. فكنت أحاول تخفيف حدة الخلاف بينهما، فأتحمل ثورة أبي عندما أفاتحه في أمر المصالحة مع زوجي، وأتحمل كلمات زوجي اللاذعة عن أبي كلما ذكرته أمامه دون أن يقدر أن هذا الرجل ومهما كان رأيه فيه هو والدي الذي لا أستطيع أن أتنكر لحبي له. واستمر الحال على هذا المنوال فترة طويلة وقلبي يعتصر ألماً وأنا أرى القطيعة تزيد حدة الخلاف بينهما... حتى كان ذلك اليوم الذي رجوت فيه زوجي بل توسلت إليه بكل التوسلات أن يلبي طلبي بحضور عقد قران شقيقتي الصغرى ولو لبضع دقائق. للمحافظة على مظهرنا أمام الناس على الأقل. فما كان منه إلا أن انهال عليَّ بكلماته اللاذعة ولم أكن لأتحمل أكثر من ذلك فانفجرت ثورتي وغضبي واشتد الحوار بيننا ولم يقطعه غير جرس باب منزلي، ذهبت لأعرف من الطارق فإذا به أبي ولا أعرف حتى الآن أي شيطان أتى به في هذه اللحظة بالذات؟ كنت في شدة الغضب وكان وجهي ينبئ عما بداخلي - وسألني أبي ما الأمر؟... والغضب ريح تطفئ

سراج الحكمة.

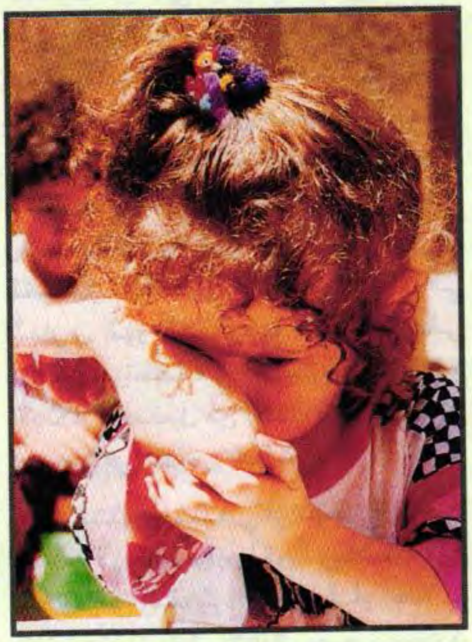
فاندفعت دون وعي أحكي له كل ما دار بيني وبين زوجي وكل كلمة قالها زوجي عنه، واشتعل الموقف بينهما ووجدتني في أقل من ربع ساعة «مطلقة» وقعت عليَّ الكلمة كالصاعقة، ارتميت على الكرسي في ذهول ثم انفجرت في نوبة بكاء هستيري. ونظر إليَّ زوجي وكأنه أفاق من غفوة وشعرت أن جدران المنزل قد انهارت على رأسي. وحملت أمتعتي وأولادي عائدة إلى بيت أبي... تحول العرس إلى مأتم وبقيت وحدي أتجرع كأس حسرتي وألمي حتى الثمالة، إنها لحظات فقدت عقلي وحلمي فضاع كل شيء أنا أعلم أنني أخطأت وقد يكون زوجي أيضاً أخطأ ولكن بماذا يفيد الندم؟ وبدأ الأمل يدب في حياتي من جديد عندما حاول زوجي مراجعتي ولكن والدي رفض ذلك وهدد بمقاطعتي إذا فكرت في هذا الأمر، وعدت أدور وأغرق في بحر حيرتي من جديد فإما أن أحرم من زوجي وبيتي وأحرم أبنائي من أبيهم وإما غضب أبي ومقاطعته لي... أمران أهونهما الجحيم فماذا ومن يرفق بي؟».

وبعد عزيزي القارئ، ألا ترى أن قليلاً من الرفق... قليلاً من التسامح كان يمكن أن يبدل الأمر وينقذ تلك المرأة المسكينة وأسرتها. ألم يقل الله تعالى في كتابه الكريم: (ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم) فصلت:٣٤. ويقول رسوله - صلى الله عليه وسلم - «رحم الله رجلاً سمحاً إذا باع وإذا اشترى وإذا اقتضى» رواه البخاري، فكيف نتخلى عن تلك الصفة إلى الحد الذي يصل بنا إلى تعذيب أقرب الناس إلينا وتمزيق أقوى العلاقات الإنسانية... ولعل مرور الوقت ووساطة بعض المخلصين يمكن أن يسكن من ثورة الأب ويجعله يفكر بعقلانية في مصير ابنته وأطفالها، ويسمح لها بمواصلة حياتها مع زوجها، ولكن على الرغم من هذا، فإن ما حدث سيكون له أثر في العلاقة التي تجمع بينهم، فلا شك أن تلك الحوادث قد تسببت في شرخ تلك العلاقة، مما يحتاج إلى وقت وجهد عظيم لإصلاحه، لقد كان يمكن أن نتجنب كل هذا لو أننا تعلمنا كيف نحطِّم صرح عنادنا في الوقت المناسب، ونعود إلى تسامحنا وودنا قبل فوات الأوان، أن قليلاً من اللين والسماحة لن يضر بكرامتنا ولكنه يمكن أن يوفر علينا الكثير من المتاعب التي قد نسببها لأنفسنا وللآخرين. ■

قضايا الطفولة

بقلم: أشرف سعد

الشجار بين الأطفال أسبابه وعلاجه



شجار الأطفال وبخاصة الأخوة أمر طبيعي فالطفل الأكبر كثيراً ما يحاول السيطرة على باقي إخوته فيتشاجرون، والأولاد عادة يحاولون السيطرة على أخواتهم البنات، وكثيراً ما يتشاجر الأطفال لامتلاك بعض اللعب أو الأشياء بالمنزل، وكثيراً ما يتجه بعض الاخوة ضد أخيهم المدلل إذا كان مقرباً للوالدين لصغر سنه أو لوسامته أو لمرضه ويكون هذا هو السبب للشجار.

ماذا يفعل الآباء عند تشاجر الأطفال؟

عادة ما يضيق الآباء بمشاجرات أبنائهم لما يحدثونه من ضوضاء في المنزل لأنهم يشغلون الآباء عن القيام بعملهم فيثورون عليهم وقد يلجأون إلى أسلوب عنيف لوضع حد للمشاجرات كالضرب أو التعنيف وهذا الأسلوب خاطئ تربوياً. ومن الخطأ أن يتصور الآباء أن الأبناء يتصرفون بتفكير الكبار الناضج.

أسباب الشجار بين الإخوة:

الغيرة وهي شعور مؤلم يدب في نفس الطفل عندما نفضل أخاه عليه أو نميزه نتيجة لمرضه أو لتفوقه، ويظهر الشجار نتيجة للشعور باضطهاد الأولاد الكبار، لذلك يجب عدم المبالغة في رعاية أي طفل من الأولاد وتمييزه عن طفل آخر، بل يجب أن تمتد الرعاية إلى كل الأبناء في

وقت واحد. كذلك الخلافات الأسرية ثبت أنها تؤثر إلى حد كبير على نمو الجوانب الانفعالية عند الطفل، كما تسبب الاضرابات النفسية كذلك اضطراب علاقة الأب بأبنائه لأن القسوة والإهمال وانشغال الوالد في عمله إلى حد كبير يؤدي إلى فقد العلاقة الحميمة بينه وبين أبنائه فيبدأ الشجار بينهم لفقدهم مثلهم الأعلى.

وللشجار فوائد إذا تصرف الآباء بحكمه فشجار الأطفال هو أحد وسائل إثبات الذات والسيطرة وكلاهما من الصفات اللازمة لنجاح الإنسان في الحياة والشجار فرصة ليتعلم فيه الطفل كثيراً من الخبرات مثل وجوب احترام حقوق الغير، والعدل، والحق، ومعنى الصدق والكذب هذا إذا عنى الآباء والمربون إلى انتهاز مناسبات شجار الأطفال ووجهوهم الوجهة التربوية السليمة.

علاج المشاجرات بين الإخوة:

١ ـ يجب أن يكون تدخل الآباء مرناً وبأسلوب التوجيه وليس بالقسوة والعنف لأن الطاعة العمياء لمجرد الطاعة تخلق من الطفل فرداً لا شخصية له، كذلك يجب الإقلال من التدخل في أعمال الأطفال والحد من حركتهم حتى لا يشعروا بكابوس الكبار ويثوروا غضباً وتزداد نوبات الشجار بينهم.

٢ ـ عند تشاجر الأطفال ممن هم في سن متقاربة يحسن تركهم ما أمكن ليحلوا مشاكلهم بأنفسهم وإذا تدخل الكبار يكون ذلك للتوجيه دون التحيز لأحدهما.

٣ ـ يجب مساعدة الأطفال بقدر الإمكان على تحقيق رغباتهم المشروعة في التنفيس عن مشاعرهم المكبوتة وذلك بتحويل نشاط الأطفال بعيداً عن المشاجرات بشغل أوقات فراغهم باللعب النافع أو الرسم الموجه. لأن هذه الأنشطة تنفس الكبت الموجود داخل الأطفال وتكسبهم خبرات جديدة كما تساعدهم في حل مشكلاتهم في المستقبل.

٤ ـ يجب دراسة علاقة الأطفال بالأسرة وأسلوب التربية الذي يعامل به الأطفال في المنزل والمدرسة لتكوين فكرة صحيحة عنهم.

٥ ـ على الآباء ألا يستخدموا عصبيتهم وثورتهم لأتفه الأسباب بل يعملوا جاهدين لضبط النفس قدر الإمكان عند مشاجرة الأبناء فالطفل السوي هو الذي ينشأ في منزل يسوده الحب والانشراح والود والتسامح، فكلما شعر الطفل بالاستقرار والهدوء النفسي كلما وجه نشاطه وطاقته وحيويته بشكل سليم وتغلب على غضبه وضغطه العصبي المؤدي إلى التشاجر. ■

خاطرة

بقلم : ميسون صافي

حينما كنت طفلة

كانت المحبة غصناً أخضر يعرش من دفء القلوب ليلتقي هناك مع صفحة السماء...

تحية الصباح يتبادلها الناس في طريقهم إلى أعمالهم... «السلام عليكم» تحمل البشر والرضا فإذا المدينة نهار مؤرج بالحب والمودة.

وكان «بائع الحلوى» يعمل بإتقان وحماس وابتسام في حيّنا... ما ألذ طبق الحمص إلى جانب البصل والشاي والجمع الجميل واللمة الحلوة، تمتد إليه أيد نظيفة بشوق وروية.

ضحكة الطفولة كانت دليلي السياحي الممتع إلى دروب لا تزيغ فيه العينان ولا تضطرب منه خفقات القلب ولا تتعثر القدمان.

وحينما كنت طفلة كانت أمي تخفي جمالها عن غير أبي وحينما سألتها يوماً لِمَ تفعلين ذلك... كانت تجيب بكلمات تشعُّ بالزنابق والأقحوان «جمالي لبيتي وأنا ملكته... وجمال دعواتي لأهل مدينتي ولأهل الأرض كي يعيشوا بسلام وأمان».

واليوم تبدل الحال بغير الحال... نرى الطيش ينتشر باسم الحركة والمرونة وعصر السرعة، والأنانية تدعى استقلالاً في الشخصية، والبخل صار اسمه حرصاً والحرص واجب في كل الأحوال، والعري له مسابقات ومؤتمرات وجوائز وعروش، والغريزة تدعى حرية الإنسان.

لكن على الرغم من هذا السراب المتسربل بالعتمة! يبدو الطارق الثاقب في ليالينا يرشّ النور والضياء في الكون.

لابدّ أن يعلو الحق مرّة أخرى، ويعيد التاريخ نفسه، وينتصر النور على الظلام والعدل على الظلم، والريح تغلبه السفين، وإن الله سبحانه وتعالى مع القلوب الخافقة المسبِّحة بحمده والمقدِّسة له. ■

بقلم : حسين سباهي - جواس محمود



سيكولوجية القلق عند الكبار والصغار

الإنسان منذ ولادته يتأثر بعوامل خارجية تسبب له انعكاسات داخلية باعتباره يمتلك مجموعة من الأحاسيس والمشاعر، فعملية التداخل والتبادل بين هذه الأحاسيس والمشاعر والمسببات الخارجية قد تولّد لديه حالات من الخوف والقلق، ومع أن القلق الخفيف - في عصر نتعرض فيه للمنغصات كل يوم - مفيد للإنسان لأنه كالضوء الأحمر الذي ينبّه، إلا أن الإفراط بهذا القلق يجعل الأمور صعبة للغاية، والحقيقة أن القلق ليس شيئاً طارئاً على بني البشر فهم لايزالون يعانونه منذ أقدم عصور التاريخ إلا أن القلق الذي يستحوذ على أبناء القرن العشرين قد فاق الأولين والآخرين، والقلق ظاهرة عامة في حياتنا كما هي في عيادات الأطباء وهو - كظاهرة - لا تعني الأطباء وحدهم، بل جميع المشتغلين بالعلوم الإنسانية ومنهم رجال الدين، ولقد ذهب البعض في تفسير القلق على أنه «الغُرم الذي يتكلفه المرء ثمناً لإرادته الحرة» وتجدر الإشارة إلى أن الأطباء قد أخذوا كلمة القلق عن اللاتينية ومعناها «ضيق واضطراب»، والقلق في المفهوم الطبي مدلول له أكثر من جانب فهو ظاهرة طبيعية، ومشكلة أحياناً، ومرض أحياناً أخرى.

يعرّف القلق بأنه اضطراب يصيب الشخص أي أنه حال نفسية على شكل توتر يعتور الفرد حين شعوره بوجود خطر يتهدده، ويصاحب هذا التوتر اضطرابات فسيولوجية مختلفة، ويعرفه الدكتور عبدالرؤوف ثابت على الوجه التالي:

أولاً: القلق انفعال غير محبب إلى النفس أو محتمل ولو أننا كثيراً ما نتطلبه ونحتاجه إذ يثير البعض في نفوسهم عندما يتبارون على رياضة خطرة، يتساوى في ذلك اللاعبون والنظارة الذين يذهبون للاستمتاع بمشاهدة اللعب، وكلنا يعرف وقع الإثارة في نفوسنا عند مشاهدة «فيلم» مشوق أو المسلسلات التلفازية - بعد نشرة الأخبار - أو سماع الحوادث المخيفة عند الأطفال.

ثانياً: القلق انفعال لاحق أي متعلق بما سيحدث مستقبلاً على عكس الانفعالات «الماضية» مثل الندم والشعور بالذنب.

ثالثاً: للقلق مسميات متشابهة مترادفة مثل الضيق - الاضطراب - الكرب - الغم - الخشية - الجزع - الذعر - إلى غيرها من «لغة الانفعالات».

الإنسان القلق: عندما نصف إنساناً ما بأنه «قلق» فإنما نعني بذلك أن القلق من مقوِّمات شخصية، وذوو الطبيعة القلقة لا يشكون عادة من قلقهم بحد ذاته، وإن كانوا أكثر استعداداً للإصابة بنوبات القلق الحاد، أو ما يمكن التعبير عنه بأنهم اكتسبوا «مناعة قلقية» والإنسان القلق يتعلم من خبرته في الحياة كيف يتفادى المؤثرات المقلقة، وبهذا يمكنه أن يحفظ عليه هدوءه النسبي، ويمكننا قياس الاستعداد القلقي بوساطة الاختبارات النفسية التي تساعدنا على دقة التشخيص النفسي ومنها على سبيل المثال: «ايزنك» EYSENCK.

أنواع القلق: يميز د.دافيد.ف شيهان بين نوعين من القلق هما:

١ - القلق خارجي المنشأ: أو القلق المستثار وهو ردة الفعل الفورية على مثير خارجي «الضغط من الخارج» عندما يتهدد أمن وسلامة الإنسان «مثال ذلك»، أن يصوب لص مسدساً إلى رأسه، فشل كوابح أو فرامل السيارة التي يسوقها «الإنسان» توقع هجوم من شخص معاد له... إلخ.

٢ - القلق داخلي المنشأ: وهو الذي ينبع من ذات الإنسان نتيجة اضطرابات داخلية وشعور بعدم الاستقرار، ويوصف هذا القلق بـ«القلق من لا شيء» ويبدو أن ضحايا هذا القلق قد ولدوا باستعداد وراثي له وهو يبدأ عادة بنوبات من القلق «مرضية» تداهم المصابين فجأة دون انذار أو سبب ظاهر معروف.

الإصابة بمرض القلق: يشير الباحثون إلى أن نحو ٥٪ من السكان يصابون بمرض القلق في أي وقت بعينه، وهو يصيب ١٪ تقريباً إلى درجة العجز وأغلب المصابين به

٨٠٪ من النساء والأغلبية من هؤلاء في سنوات القدرة على الإنجاب، ولعل سبب ارتفاع نسبة الإصابة بين النساء هو تعرضهن لضغوط ينفرد بها مجتمعنا والدور التقليدي للمرأة كربة منزل، إن القلق داخلي المنشأ يظهر في أواخر العقد الثاني وأوائل العقد الثالث، ونادراً ما يبدأ المرض قبل سن الخامسة عشرة أو بعد سن الخامسة والثلاثين.

أعراض القلق: لا شك أن الانفعالات والصداعات النفسية الداخلية عند الإنسان تتبدى من خلال ملامح الوجه ولهذا فالوجه من أكثر الدلالات على وجود الخوف أو القلق ويمكن ذكر أعراض القلق وهي:

- فقدان التوازن والأرجل الرخوة الهلامية.
- صعوبة التنفس، جفاف الحلق مع شعور بالاختناق.
- خفقان في القلب.
- آلام الصدر والضغط عليه.
- شعور بالوهن أو الضعف أو دوخة .
- التنميل والخدر.
- توهج الحرارة أو الهبوب الساخن - أي الإحساس بتوهجات حرارية تسري في جسم الإنسان القلق.
- الغثيان.

علاج القلق: يمكن أن يتخذ علاج القلق أحد أو كل الحلول والإجراءات التالية:

أ - التكيف مع القلق: يمكن للإنسان أن يوظف قلقه لخدمته بما يلي:

١ - إذا كنت كثير القلق فخصص من وقتك نصف ساعة في اليوم للتركيز على مشاعر القلق وحاول أن تنسى أسباب القلق خارج هذا الوقت المحدد إذ إن ذلك التحديد الضيق يضيّق الخناق على القلق ويمنعه من تدمير سائر يومك، فإذا وجدت أن القلق قد أخذ يتسرب إلى نفسك فانصرف إلى ممارسة شيء ينسيك القلق وأسبابه كالرياضة والمطالعة أو السياحة أو العمل.

٢ - دوّن أسباب قلقك في مفكرة خاصة واكتب مسودات حلول مهما بدت غير مجدية كثيراً، اختر ما تراه أنسب منها وحاول تطبيقه.

٣ - عندما يداهمك أو يوشك أن يداهمك القلق فتخيّل أسوأ عواقب ما أنت مقدم عليه كالفصل عن العمل بسبب التأخير حتى إذا لم تفصل فإن عقوبة التأخير تأتي خفيفة.

٤ - المعرفة هي القوة - كما يقول فرنسيس بيكون إذا أقلقك شيء ما فحاول أن تفهمه وتتأكد من وجوده قبل أن يلتهمك القلق.

٥ - شارك أقرباءك وأصحابك وأصدقاءك وذويك في قلقك أي بح بما يعتمل في نفسك من حالات الخوف والاضطراب والقلق لمن تجده يستمع إليك وترتاح في بثّ معاناتك إليه والاستماع منه إلى الحلول التي يقدمها لك عندها تخف حالة القلق التي كانت موجودة لديك مهما كانت ثقيلة.

ب - استراتيجية علاج القلق: يمكن تحديد الاستراتيجية الإجمالية في علاج مريض القلق في خمس مهمات.

١ - المهمة الأولى: هي الوصول إلى التشخيص الصحيح.

٢ - المهمة الثانية: هي السيطرة على الأساس الآلي للمرض عن طريق العلاج بالدواء.

٣ - المهمة الثالثة: أن تتغلّب على القيود التي تفرضها «الفوبيا» أو المخاوف المرضية بوساطة العلاج السلوكي.

٤ - المهمة الرابعة: أن تتناول المشكلات النفسية عن طريق العلاج النفسي.

٥ - المهمة الخامسة: أن تمنع النكسات عن طريق توعية المريض وضمان الرعاية على المدى الطويل.

ج - حلول علاجية أخرى: هذا وبالإضافة إلى ما تمّ ذكره فإنه في حال العلاج النفسي يمكن أن نشير إلى بعض الحلول العلاجية الأخرى.

١ - العلاج الأخضر: أن يذهب المريض إلى الحدائق والبساتين وأماكن الخضرة، لأن اللون الأخضر مريح للأعصاب وملطف للنفس ومخفف للتوترات العصبية، فالذهاب إلى الأماكن المذكورة له أثر كبير في تحسين حال المريض العلاجية ويسمّى هذا العلاج بـ«العلاج الأخضر».

٢ - العلاج المائي: أن يذهب المريض إلى التنزه والارتحال إلى البحار، وإلى جانب الأنهار والينابيع، والسباحة في البحر أو النهر، من شأن ذلك أن يسهم في تخفيف حال القلق، كما أن التحمم بالماء الساخن له دور في إزالة حالة القلق التي تنتاب المريض لأن العلماء والباحثين يؤكدون أن الاستحمام بالماء يؤدي إلى تفريغ الشحنات الكهربائية العصبية التي تكونت في جسم الإنسان نتيجة مؤثرات داخلية وخارجية عدة.

٣ - العلاج القرآني: قراءة القرآن أو الاستماع إليه مفيد جداً للإنسان فالقرآن يغرس الطمأنينة في القلب ويخفف التوترات العصبية ويزيده إيماناً وصبراً على الشدائد، ويكفي أنه نازل من عند الله جل وعلا فكيف لا يسهم في علاج المريض.

٤ - العلاج الموسيقي: للموسيقى دور كبير في إراحة النفس، وتلطيف أجوائها، فهي تهدّس الأعصاب، وتمنح الدماغ راحة جميلة تبثّ فيه عوالم الخيال الهادئة وتجعله يستسلم لحالات رومانسية بديعة.

٥ - العلاج الفني: اللوحات التشكيلية والطبيعية للرسامين المبدعين والصور الجميلة لبعض الفنانين تسهم في علاج القلق والتخفيف من حدوثه نتيجة لما تبثه في نفس الإنسان من عوالم الروح والخيال الجميلة، ونتيجة لما تجسّده من معاناة الإنسان فيجد الإنسان معاناته وقد تم التعبير عنها من خلال لوحة معبرة وجميلة.

٦ - العلاج الطفلي: يمكن أن يسهم اللعب والسمر مع الأطفال في علاج القلق فعالم الأطفال عالم مفرح وجميل وصادق وبريء ويحتاج الإنسان إلى ممارسة براءته مع هؤلاء الأطفال الذين هم كالعصافير الصغيرة ينشرون الدفء والحيوية والجمال في أنحاء البيت كافة فلماذا لا يستمتع الإنسان القلق وغير القلق مع هذا العالم الجميل والرائع عالم «الطفولة».

وما دمنا تطرقنا - أعلاه - إلى الأطفال واللعب معهم كعلاج للكبار لكن كيف تكون الحال عندما يكون الصغار هم القلقون عندها يختلف الأمر لذا لابد من تحديد حال القلق عند الأطفال، وللقلق عند الأطفال أسباب عدة منها:

١ - أسباب وراثية وفسيولوجية: هناك بعض الأطفال الذين يصابون بالقلق نتيجة

استعداد وراثي فلقد بيَّنت الدراسات على أن التوائم تتشابه في الجهاز العصبي، وهناك المتشابهة في الاستجابة للمنبهات الخارجية والداخلية، ودلَّت دراسات أجريت لعائلات أن ما نسبته ١٥٪ من آباء وأخوة مرضى القلق يعانون من المرض نفسه مما يدل على إمكان تأثير الأطفال بالقلق الذي يصيب ذويهم.

٢ ـ أسباب نفسيه: هناك تعدد واختلاف في تحديد الأسباب النفسية للقلق عند الأطفال يرى مورر أن القلق ناتج عن أفعال ارتكبها الإنسان فعلاً ولم يرض عنها، وأن القلق يمثل عدم شعور الطفل داخلياً بالأمن وينجم هذا أحياناً عن النقد المستمر من قبل الراشدين والزملاء، وللإحباط الزائد أثر كبير في تكوين القلق عند الأطفال، كما يرى العالم أوتورانك أن القلق ينشأ عن صدمة الميلاد لدى الطفل نتيجة انتقاله من مكان ينعم فيه بالدفء والعادة إلى عالم مليء بالمثيرات المزعجة، والعالمة هورني ترى أن القلق الأساس في الطفولة ينشأ عن كبت الطفل لرغباته العدائية نحو والديه، ويعبر عن ذلك الشعور بسرعة اعتراضية وميله للتخريب.

٣ ـ أسباب بيئية واجتماعية: دلَّت الدراسات أن الآباء القلقين يكون أبناؤهم قلقين أيضاً، وهذا يؤشر إلى أن الأطفال الذين يعيشون في بيئات تتسم بالحرمات وغياب الأمن والطمأنينة، وسيادة الإحباط، يكونون أكثر عرضة للقلق من أقرانهم الذين يعيشون في بيئات مريحة ومطمئنة وغير قامعة لرغباتهم، ويشير «كاغان» إلى أن عدم وجود نموذج ذكري أبوي واضح يتطابق معه الطفل يعرقل تطابق البعد الجنسي، ويكون ذلك سبباً في نشأة القلق.

علاج القلق عند الطفل: يمكن أن يُعالج الطفل طبياً أو نفسياً.

العلاج الطبي: يحدده الطبيب، ويتم اللجوء إليه في حال القلق الشديد عند الأطفال ويتم استخدام بعض العقاقير المهدئة للأعصاب.

العلاج النفسي: يستند إلى مجموعة من الخطوات والإجراءات اللازمة لإخراج الطفل من دائرة القلق والتخفيف عنه والترويح عنه، ويمكن أن يحصل ذلك بمجموعة من التدابير.

١ ـ تدريب الطفل وتعليمه على فهم ووعي المشكلات التي تعترضه ومواجهتها إذ إن فهم الطفل لأسباب حدوث بعض الأشياء من شأنه أن يخفف من حال القلق التي تتكون لديه، وعلينا أن نعلِّمه أن الفشل أفضل من عدم المحاولة لأن الفشل مرة واحدة وثانية وثالثة لا يعني الفشل دائماً وإنما يمكن النجاح بالاستمرار والمواظبة ودوام لمثابرة.

٢ ـ علينا أن نشعِر الأطفال بالراحة والاطمئنان دائماً بتوفير أجواء هادئة ومريحة بعيدة عن الخوف والقلق، وعلينا أن نذكر الأطفال بشكل مستمر بأن هناك الكثير من المشكلات في الحياة ويجب التعامل معها أو توقعها على الأقل ومن ثمَّ نسيانها.

٣ ـ تشجيع الأطفال على أن يعبروا عن انفعالاتهم ومشاعرهم إن تعبير الأطفال عن انفعالاتهم من شأنه أن يخفف حال القلق لديهم ومن شأنه أن يسهم في إزالة القلق لأن القلق ينتج عن كبح الانفعالات الداخلية فعندما يفسح المجال للتعبير عنها، فإن مبرر القلق لايوجد أو يقل إلى درجة كبيرة، لأن الطفل يقوم بتفريغ الشحنات الانفعالية المتراكمة في أعماقه، ويمكن أن يسهم اللعب في التعبير عن انفعالاته، وبالتالي في تخفيف توتر الطفل وقلقه.

٤ ـ تشجيع الطفل على الاسترخاء والهدوء، وعملية التخيل الإيجابي خصوصا حالات قبل النوم، إذ كثيراً ما يقول الطفل لوالده أو لوالدته أنني لا أستطيع النوم، فعلى الأب أو الأم تشجيعه على تخيل أشياء جميلة وإيجابية ما يدفعه إلى حالات رومانسية حالمة جميلة تجعله يهدأ، ومن ثمَّ ينام مرتاحاً.

٥ ـ يمكن أن يخفف الطفل من قلقه بالقراءة والمطالعة والذهاب للحدائق والمتنزهات وأماكن الألعاب والمسارح وشواطئ البحار، والطبيعة الجميلة كالأنهار والجبال والأماكن الفسيحة المشعبة فكلها فاعليات ممتعة مضادة للقلق.

الخاتمة: وأخيراً، يمكن القول إن القلق متعدد الجوانب ـ كما تدل الدراسات الحديثة ـ فنحن قد تقلقنا أعمالنا أو أوضاعنا المالية، أو أحوالنا العاطفية أو الأسرية وقد تهمنا خبراتنا الاجتماعية وشؤون صحتنا ومستقبلنا، ولايفوتنا أن نهتم بما يجري حولنا من أحداث العالم «الاقتصادية والبيئية والسياسية والعلمية»، وهذا الاهتمام غير قاصر على الأوضاع والمواقف وإنما يتباين مع العمر أيضاً ففي ميعة الصبا وعمر المراهقة يكون اهتمامنا منصرفاً إلى حد كبير على الصورة التي نستطيع رسمها في المجتمع، وعندما نتوغل في العمر يتحول اهتمامنا إلى الأمور الاقتصادية والاجتماعية فالوالدان ـ مثلاً ـ يظلان في هم مقيم على أولادهما «أوضاعهم الدراسية والتعليمية والأقران» إذ إنهما يخشيان عليهم من شرور الأشرار من حولهم «رفاق السوء» ومن خطر اتباعهم عادات سيئة مثل «الإدمان، الإهمال الدراسي، المكوث أمام التلفاز ساعات طويلة جداً... إلخ». ■

المراجع:

١ ـ «مرض القلق» تأليف د.دافيد ف شيهان ـ ترجمة د. عزت شعلان مراجعة د.أحمد عبدالعزيز سلامة ـ عالم المعرفة الكويتية «نيسان» ١٩٨٨م ص١٧، ٢٠، ٢٥، ١٣٤.

٢ ـ نصرة سليمان أبو زايد «القلق عند الأطفال» المجلة الثقافية «الأردن» العدد ٤٠ سنة ١٩٩٧م ص ٣٠٠.

٣ ـ د.عبدالرؤوف ثابت «القلق» مجلة العربي العدد ٢٤٨ يوليو ١٩٩٧م ص ١٣٠.

٤ ـ نعيم الرفاعي «الصحة النفسية» دراسة في سيكولوجية التكيف ط٦ جامعة دمشق سنة ١٩٨٢م ص ٢٠٠.

٥ ـ أحمد الزعبي «الأمراض النفسية والمشكلات السلوكية والدراسية عند الأطفال، دار الحكمة اليمانية صنعاء ١٩٩٤م ص ٥١.

٦ ـ سامي محمد «القلق أسبابه وعلاجه» المركز العربي للنشر ـ الإسكندرية ص٥٣، نقلاً عن المجلة الثقافية الأردنية ـ مصدر سابق مذكور.

٧ ـ مجلة «طبيبك» مقالة بعنوان «القلق شيء منه مفيد» نيسان ١٩٩٥م العدد ٤٤٤، ص ٧٠.



إعداد : د. محمد مصطفى السمري

من أمراض الأطفال :

السعال الديكي



السعال الديكي مرض معدٍ يصيب الجهاز التنفسي عند الأطفال ابتداء من سن الرضاعة وحتى سبع سنوات، ويشكل خطورة بالغة على حياة الأطفال وبخاصة الرضع منهم. ويتميز بنوع خاص من السعال التقلصي الذي ينتهي عادة بشهقة مميزة تشبه شهقة الديك والتي بسببها سمي هذا المرض بالسعال الديكي.

وتحدث العدوى عن طريق الرذاذ الذي يخرج من أنف وفم الطفل المريض وقت السعال أو العطس، أو استعمال أدوات المريض مثل المناشف أو المناديل أو اللعب... إلخ. ويلعب اختلاط الأطفال في المدارس دوراً مهماً في إنشاء المرض.

أعراضه :

تمر أعراض السعال الديكي بثلاثة أدوار:

١ ـ الدور الزكامي (١ـ٢ أسبوع): وأعراضه تشبه أعراض الزكام، حيث يبدأ بسعال خفيف وبخاصة بالليل، مع رشح وعطس وسيلان دموع العينين وارتفاع بسيط في درجة الحرارة.

٢ ـ دور النوبات (٢ـ٦ أسابيع): وفيه تزداد نوبات السعال في عددها وحدتها، حيث تبدأ النوبة بحركة شهيق تشنجية تعقبها سلسلة طويلة من السعال، وتنتهي هذه النوبة ـ فجأة ـ بتلك الشهقة المميزة للمرض، وقد يصل عدد النوبات إلى نحو ٤٠ مرة في اليوم، وتستمر النوبة بين دقيقتين إلى ثلاث دقائق.

٣ ـ دور النقاهة: وفيه تقل حدة نوبات السعال، ويقل عددها تدريجياً حتى تختفي في نحو ٤ أسابيع.

المضاعفات :

بالإضافة إلى هذه الأعراض القاسية ومدة المرض الطويلة، هناك مضاعفات كثيرة وخطيرة منها: الالتهاب الرئوي الشُعَبي، التهاب الأذن الوسطى، تنشيط بؤرة الدرن الملتئمة، الجفاف نتيجة تكرار القيء... وغيرها.

الوقاية والعلاج :

ويجب على كل أم أن تطعّم طفلها بالطعم الثلاثي الواقي من السعال الديكي والدفتيريا والتيتانوس. وعند ظهور أعراض المرض على الطفل يجب أن يُعزل عن إخوته ويُمنع من الذهاب إلى المدرسة، حيث ترتفع درجة العدوى بهذا المرض منذ بدايته وحتى ظهور الشهقة المميزة له.

العلاج :

فيقوم الطبيب بوصف بعض الأدوية التي تعمل على إقلال عدد النوبات ومنع حدوث المضاعفات، ويجب على الأم الاهتمام بتغذية طفلها بمقادير صغيرة من الطعام وعلى فترات متقاربة (٦ـ٨ وجبات يومياً). وفي حال حدوث القيء في أثناء الأكل يُعطى الطفل وجبة أخرى. ■

بقلم: غادة عدلي الشافعي

قضم الأظافر وثلاثية «العصبية ـ القلق ـ التوتر»

يؤدي القلق والتوتر النفسي للطفل إلى عادات وأنماط سلوكية قد تختلف وتتنوع من طفل إلى آخر. فالرعاية الصارمة، أو الخوف الناجم عن النزاع العائلي، أو جهل الأبوين بطريق الرعاية السليمة قد يعمل على تعزيز السلوك غير المرغوب فيه، وكبت السلوك الذي يساعد على سرعة وسلامة عمليات التنمية النفسية والعضوية للطفل... من هذه السلوكيات غير المرغوب فيها ظاهرة قضم الأظفار.

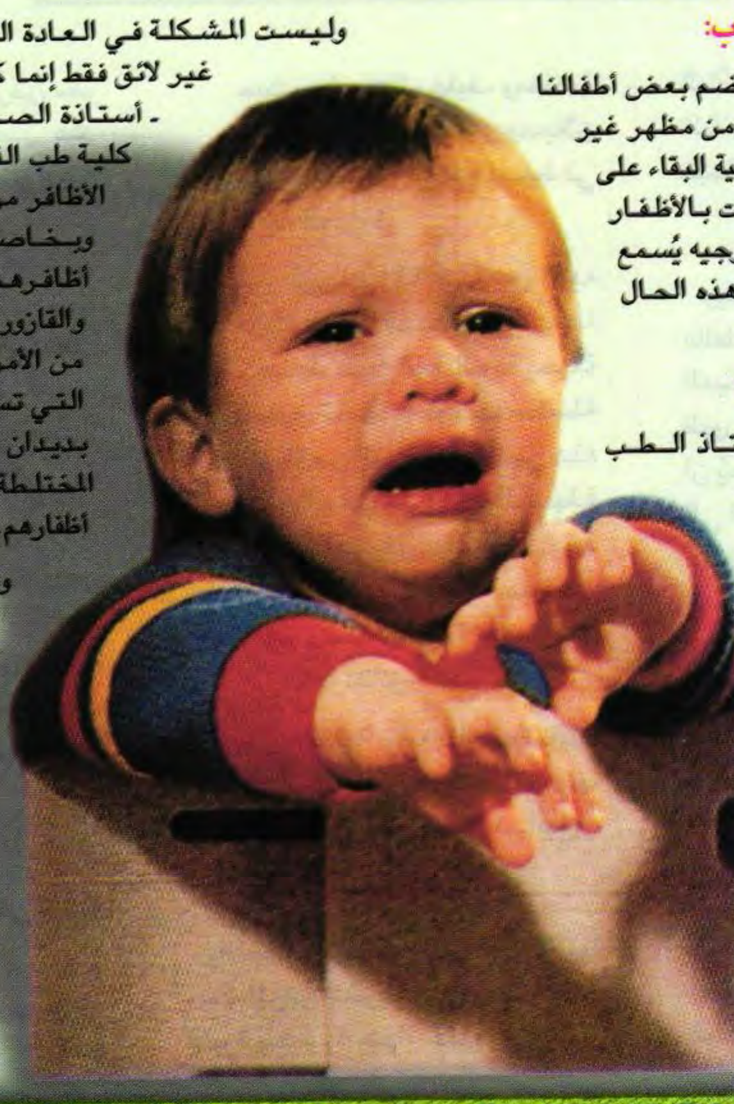
الأسباب:

لا نعرف السبب الذي هو وراء قضم بعض أطفالنا لأظفارهم وما تحمله هذه الظاهرة من مظهر غير لائق، وقد تاهت منا الوسيلة في كيفية البقاء على تلك العادة التي تسبب تشوهات بالأظفار والأصابع... فلا ضرب يجدي، ولا توجيه يُسمع في مثل هذه الحال، وقد تستمر هذه الحال السيئة حتى الكبر.

التشخيص والعلاج:

يقول د.فاروق لطيف ـ أستاذ الطب النفسي في كلية طب عين شمس ـ
إن مشكلة قضم الأظافر منتشرة وتظهر مع الشعور بالقلق وعدم الأمان ومثلها شد شعر الرأس وتحدث في الفترات التي تحدث بها تغيرات في مرحلة النمو أو عند دخول الطفل المدرسة أو الانتقال من مدرسة إلى أخرى، وهي قد تكون ناجمة عن تقليد الطفل لطفل آخر، أو كبديل للمقصر، أو بسبب الخجل أو في المواقف الصعبة».

على أن أغلب من يقضمون أظفارهم هم أطفال عصبيون... وهذا ما يؤكده الدكتور فاروق وصفي ـ أستاذ طب الأطفال في الأكاديمية الطبية ـ أن عادة قضم الأظفار من العادات السيئة اجتماعياً وصحياً وتعتبر ظاهرة للتفريغ عن التوتر العصبي والقلق، وهي منتشرة بين الأطفال الصغار وحتى الكبار الذين يعانون من التوتر العصبي فتظهر عند الصغير نتيجة لحرمانه من العطف والحنان والمداعبة من الكبار أو استخدام العنف معهم مثل الضرب أو التهديد أو السب.



وليست المشكلة في العادة السيئة وما تحمله من مظهر غير لائق فقط إنما كما تقول د.محاسن عبدالفتاح ـ أستاذة الصحة العامة والطب الوقائي في كلية طب القاهرة ـ هي فيما يوجد تحتها الأظافر من ميكروبات وديدان وطفيليات وبخاصة لدى الأطفال الذين تكون أظافرهم أكثر عرضة لتكون الأوساخ والقاذورات والتي تنقل إليهم عدوى كثير من الأمراض أشهرها الدودة الدبوسية التي تسبب حكة بالشرج، والإصابة بديدان الأسكاريس وأكياس الأميبا المختلطة بأتربة الشارع والنادي تحت أظفارهم.

وقاضموا الأظافر أكثر عرضة للإصابة بالتهابات وخرّاجات الأصابع نتيجة للعملية المتكررة لشد الجلد ولذلك فإن من اللازم لمعالجة عادة قضم الأظافر علاج السبب بمزيد من العطف والحنان والمداعبة للصغير وعدم تهديده أو ضربه أو سبه.

ومن ناحية أخرى يجب التظاهر لعدم الاهتمام بما يفعله الطفل سواء بالتوبيخ

عندما يقضم أظافره أو بالاستحسان عندما يتوقف عن ذلك، لأنه ففي كلا الحالين يشعر باهتمام الأهل بما يفعله وذلك يدفعه للمراوغة.

والطريقة الأخرى التي عادة ما يلجأ إليها الأهل ولايوافق عليها الأطباء النفسيون هي زيادة زجر الطفل ومنعه بالعنف من قضم أظافره أو بوضع مادة مرّة كالصبار عليها فهذا لا يحل المشكلة مادام التوتر والقلق موجودين... وإن توقف عن هذه العادة، فإنه سيتحول إلى أخرى للتنفيس والتي قد تكون أكثر ضرراً مثل التبول اللاإرادي، ولذلك لابد من علاج السبب الجذري وليس العادة فقط. لهذا كان من اللازم في مثل هذه الحالات أن نعمل أول ما نعمل على علاج الحالة العامة، فنعالج العلل البدنية، ونبحث عن مشكلات النوم والأكل.

وما يعين عوناً كبيراً على علاج هذه الحال أن نصرف الطفل إلى الرياضة خارج البيت في صحبة غيره من الأطفال وأن ندفع الآباء بالنظر إلى المشكلة كأنها في الطفل كله لا في أظافر يديه فقط.

ونذكر المثال التالي... طفلة تبلغ أربع سنوات من العمر، تدمن على قضم أظافرها، كانت تنام قليلاً وتتقلب في نومها كثيراً ويعلو صياحها، لا تستقر خلال النهار ويصعب عليها أن تركز انتباهها ولم تكن تسكن لحظة، تحطم اللعب وتمزق الكتب، وكانت تخجل كل الخجل من الأغراب، ولما ذهبت إلى روضة الأطفال لم تكن تشترك في اللعب مع غيرها. وقد دلّ الفحص الطبي على ضرورة إزالة اللوز والزوائد الأنفية... في الحال وعقب العملية ظهر على الطفلة تحسّن سريع، فتقدمت صحتها، وبدت عليها العافية وتحسّن سلوكها وصارت تستغرق في نومها وبدأت تزيد لعبها مع أصدقائها، وقلّ خجلها وقد أفلح العلاج سريعاً.

كما يمكن الحصول على خير النتائج إذا لجأنا إلى احترام الطفل وتقليم أظافره تقليماً حسناً، وعلى إبقائها نظيفة بيضاء حسنة الشكل، فإن هذا يبعث الاهتمام في نفس الطفل، ويدفعه إلى بلوغ المستوى الذي يرسم له.

أما تكرار نهر الطفل لعادات معينة، فإنه يؤدي إلى تقويتها، وهذا أقرب طريق لدفعه إلى الضار والمقاومة.

وما يستلزم كثيراً من المهارات واللياقة وقدراً من حسن الفهم والتصرف أن نلتمس الطرق والوسائل للقضاء على هذه المشكلات بطريق غير مباشر، أي بتحويل نشاط الطفل إلى سبيل أخرى دون إدراك منه لذلك.

فإذا أحسنا اختيار تلك السبل فسرعان ما تحل الميول الجديدة محل القديمة، وسرعان ما تختفي العادة الممقوتة وتنقضي. ■

قصة

بقلم: عبدالستار خليف

نداء الأمومة !!

في صباح أحد أيام الجُمع، من الأيام الخوالي الطيبة... كان الصغير يلهو في دروب الوادي المتشعبة، مع أحد الرفاق ممن هو في مثل عمره، وعندما افترقا، وسار عائداً إلى بيته. في الطريق عثر على ماعز رضيع، لا تستطيع السير إلا بصعوبة بالغة، حمله بين ذراعيه وهو في غاية السعادة والسرور وما أن دخل فناء البيت.

حتى سألته الأم: من أين أتيت به؟ أجاب الصغير ببراءة: عثرت عليه في الطريق. قالت الأم معترضة: هذا ليس مالك!!. عقب الصغير خوفاً من فقدان الماعز: لقد وجدته وحيداً، بلا راع، فحملته وعدت!!

حاولت الأم أن تقنعه بأن هذا الماعز الرضيع له أم ستبحث عنه، لكنه عقّب بكل سهولة: لقد ماتت، وتركته. قالت للصغير: له أصحاب سيسألون عنه، وليس لك الحق أن تأخذ مال غيرك، عقّب ضاحكاً: كان يقف وحيداً بلا أصحاب، ولو كان له أصحاب ما ترك في الخلاء. قالت الأم بحنان: هل تقبل أن يأخذك أحد مني؟ ردّ قائلاً: ولكنه حيوان ليس له أحد، وأنا أخذته حتى يأكل ويشرب عندي.

احتارت الأم وقالت آمرة: عليك بإعادته إلى الخلاء الذي كان فيه. قال في حزن: سيموت من الجوع إذاتركته بالطريق، أما أنا فسأقدم له اللبن ليشرب يكبر ويكبر.

حاولت الأم انتزاع الماعز الرضيع من بين يدي طفلها، إلا أنه تشبث به بقوة فقالت بهدوء وحيلة: غداً سنذهب إلى سوق الأغنام، وسأشتري لك ماعزاً جميلاً... قال الصغير في لؤم: أنا أحب هذا الماعز الصغير. ولم يفلح الحوار أو النقاش والحيلة، ويبدو أن الجدل طال بين الأم وصغيرها حول الحقوق والواجبات... وفجأة!! من خارج الفناء، علا صوت الأم الثانية «الماعز»، التي فقدت رضيعها، وارتفع ثغاء الماعز الصغير متجاوباً مع نداء الأم الحيرى الباحثة عن وحيدها. ودفعت باب الفناء وأطلت برأسها، تبحث عن مصدر الثغاء.

عندما شاهدت صغيرها، اندفعت في جنون إليه وهي متحفزة للانقضاض والنطاح للدفاع عن وحيدها... فألقى الصغير بالماعز على الأرض، وفر هرباً، محتمياً بأمه التي قالت: ها قد جاءت من هي أقوى منّي لتسترد صغيرها. وخرجت الأم الثانية «الماعز»، وخرج خلفها رضيعها، يقفز قفزات رشيقة وسريعة. والأم في غاية السرور وهي تنظر إلى الصغير الذي وضع خده على راحة يده في حزن وأسى، ما أعظم حنان الأم. وما أجمل العبرة من هذا الدرس العظيم. ■

بقلم: عمر الرماش بن إدريس



ظاهرة التسول: الأسباب - النتائج - العلاج

تنتشر بالمجتمعات العربية والإسلامية ظواهر سلبية خطيرة على الفرد والأسرة والمجتمع والوطن والأمة، مما يهددها بعدم الاستقرار والفوضى والتسيب...

ومن أهم هذه الظواهر غير العادية ظاهرة التسول بالأماكن العمومية كالشوارع والأزقة وقارعات الطرق ومحطات المسافرين والأسواق وأبواب المساجد والبنوك ومكاتب البريد والاتصال... ويتعاطى التسول أغلب أفراد وفئات المجتمع ومن كل الأجيال والأعمار فمنهم الأطفال والشباب والنساء والشيوخ هؤلاء يتسكعون ويتشردون في كل مكان في ظروف مأساوية من أجل الحصول على المال وضمان لقمة العيش واستمرار الحياة. وهكذا نراهم في كل لحظة وحين يفترشون الأرض ويلتحفون السماء. ويجوبون الشوارع ويقتحمون المقاهي والإدارات العمومية وعلامات الحزن والبؤس والحرمان والسخط تميز سمات ووجوههم وحركاتهم وسكناتهم ويشكون وضعهم المادي والمعنوي المزري، وقساوة الحياة والعيش. هذا بالإضافة إلى معاناتهم المتكررة التي تتمثل في قساوة المناخ كالمطر والبرد والحرارة والرياح، أضف إلى ذلك الجوع والمرض والبؤس وما يزيد الطين بلة هو لا مبالاة الناس وأغلب شرائح المجتمع بمعاناتهم ومطالبهم.

أسباب انتشار ظاهرة التسول:

إن أسباب استفحال ظاهرة التسول والتسكع والتشرد بالمجتمعات العربية والإسلامية كثيرة ومتعددة ومتداخلة فيما بينها، ويمكن أن نحدد أهمها في النقط التالية:

- انتشار المشكلات الاقتصادية والاجتماعية كالفقر والبطالة والبؤس والحرمان.

ثم شيوع الظلم والعدوان وغياب العدالة الاجتماعية والتضامن والتكافل الاجتماعي.

- تفكك الأسر والعائلات بفعل المشكلات العامة المختلفة.
- تفشي ظاهرة الطلاق بشكل كبير ومخيف.
- الهجرة القروية الجماعية نحو المدن من البوادي والأرياف وما يترتب عنها من سلبيات.
- العزوف المبكر للأطفال والشباب عن متابعة

الدراسة والتعلم.

- غياب البدائل الحقيقية التي بإمكانها احتضان المتسولين والمشردين مثل الملاجيء الخيرية ودور الأطفال والعجزة من النساء والشيوخ.

الانعكاسات السلبية الخطيرة:

إن ظاهرة التسول والتشرد تترتب عليها انعكاسات سلبية خطيرة على الفرد والأسرة والمجتمع والأمة. ونذكر من أهمها ما يلي:

- الانحراف الأخلاقي والسلوكي المتمثل في تعاطي الفساد والمخدرات والخمور والقمار والإجرام والعدوان كالسرقة والنصب والاحتيال.
- غياب الأمن والاستقرار وشيوع الفوضى والاضطراب والتسيب.
- تشويه سمعة المجتمعات والمدن والسكان.
- تفشي الجهل والأمية والخرافة والشعوذة.

سبل الوقاية والعلاج:

إن استفحال ظاهرة التسول والتشرد وما يترتب عليها من عواقب وخيمة يتحمل مسؤوليتها كل أفراد وفئات المجتمع المدني كالأسرة والمجتمع والدولة ومؤسساتها العمومية المختلفة والجمعيات الحقوقية والثقافية وكذلك وسائل الإعلام المتعددة، وذلك انطلاقاً من حديث الرسول ﷺ الذي يقول فيه: «كلكم راع وكل راع مسؤول عن رعيته» رواه مسلم.

وتتمثل مسؤولية الدول في محاربة كل الأسباب التي تؤدي إلى انتشار ظاهرة التسول والتشرد والتسكع في الأماكن العمومية ثم إنشاء الملاجيء الخيرية لإيواء المتسولين والاهتمام والرعاية بهم صحياً وغذائياً ومعنوياً والعمل على تربيتهم وتعليمهم وتأهيلهم مهنياً... وتضطلع المساجد ودور القرآن والكتاتيب القرآنية بواجب التوعية الدينية ونشر العلوم الشرعية المفيدة وتحفيظ القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة وذلك من أجل تقوية الوازع الديني والإيماني والتحصين من الوقوع في براثن الانحراف والانحلال الأخلاقيين. كما تتحمل وسائل الإعلام العربية والإسلامية وخصوصاً المرئية منها مسؤولية نشر الثقافة العربية والإسلامية الأصيلة ومواجهة الغزو الإعلامي الغربي الخطير الذي يعمل على تفكيك الأسر والعائلات، وتغريب المجتمعات وتدميرها عن طريق البرامج والأفلام والمسلسلات التي تعالج قضايا وموضوعات تتعارض مع خصوصياتنا الحضارية كالعنف والجنس والتدخين والمخدرات والخمور والقمار والميسر والفساد بكل أنواعه. ■

طب وعلوم

بقلم : د. عبدالرزاق السباعي

مريض الداء «السكري» والصيام

فرض الله صيام شهر رمضان على عباده، لكنه أعفى المرضى من مشقة الصيام فقال جل وعلا: «وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين» لكن ليس كل مرضى الداء «السكري» ممنوعين من الصيام، إنما يمكن تقسيمهم إلى المجموعات التالية:

أ - المجموعة الأولى: المرضى الذين يسيطرون على الداء «السكري» عن طريق تنظيم وجباتهم الغذائية «أي يعتمدون على الحمية فقط»: وهؤلاء مرضى مصابون بالسمنة غالباً، لذلك فالصيام مفيد لهم ولا يؤثر على صحتهم، ولا يشكل خطراً على حياتهم، حيث سيفقدون كيلو غرامات عدة من وزنهم الزائد، ويتخلصون من مخزون الشحم المتراكم في جسدهم.

ب - المجموعة الثانية: المرضى الذين يسيطرون على الداء «السكري» عن طريق تنظيم الوجبات الغذائية مع تناول الأقراص الخافضة للسكر عن طريق الفم (أي الداء «السكري» غير المعتمد على الأنسولين) حيث يكون السكر مضبوطاً عادة، وهؤلاء يمكن أن يصوموا أيضاً من مراعاة ما يلي:

١ - المرضى الذين يتناولون قرصاً واحداً في اليوم «صباحاً»: يمكن أن يتناولوا القرص «الجرعة نفسها» مع وجبة الإفطار وقت المغرب «بدل الفطور الصباحي».

٢ - المرضى الذين يتناولون قرصين في اليوم «صباحاً ومساء»: تؤخذ الجرعة الأولى مع وجبة الإفطار عند المغرب وتكون مساوية للجرعة التي تؤخذ في الصباح، وتؤخذ الجرعة الثانية مع وجبة السحور وتكون مساوية لنصف الجرعة التي تؤخذ في المساء، وذلك لقلة الحاجة لجرعة كاملة نظراً لانخفاض مستوى سكر الدم خلال ساعات النهار نتيجة الصيام.

أما المرضى اللذين يتناولون الأقراص حيث السكري عندهم غير مضبوط أو لديهم مضاعفات «مشكلات» مثل إصابة العين أو الكلية أو وجود حال عامة غير جيدة فيرخّص لهم بعدم الصوم.

ج - المجموعة الثالثة: المرضى الذين يسيطرون على الداء «السكري» عن طريق تنظيم الوجبات الغذائية مع تناول الأنسولين، هؤلاء يمنعون من الصيام لأنه خطر عليهم ولديهم رخصة شرعية من الله عز وجل، وتشمل هذه المجموعة:

١ - المرضى الذين يعالجون بالأنسولين مرتين يومياً: لأن الصيام يعني بقاءهم فترة طويلة دون طعام، ما يتعارض مع مبدأ توزيع الطعام الضروري عندهم وقد يحدث لديهم نقص في سكر الدم في نهاية فترة الصيام، أو ارتفاع في سكر الدم بعد وجبة الإفطار.

٢ - المرضى الذين يعالجون بالأنسولين مرة واحدة يومياً وبجرعة أكثر من ٤٠ وحدة أنسولين.

أما المرضى الذين يعالجون بالأنسولين مرة واحدة يومياً وبجرعة أقل من ٤٠ وحدة أنسولين فيمكن لهم أن يصوموا بعد مناقشة ذلك مع الطبيب المعالج.

من المهم التأكيد أن كل مريض يمثّل كياناً

مستقلاً قائماً بذاته، وله وضعه الخاص ولا يمكن التعميم، فلكل مريض ظروفه ووضعه، وعلى كل مريض أن يستشير طبيبه ويناقش حاله الصحية معه، ومن ثم يقرر الطبيب إمكانية الصيام من عدمه. وعلى المريض أن يلتزم بنصيحة الطبيب الذي يجب أن يكون طبيباً صالحاً تقياً يخاف ربه.

نصائح لمريض السكري في أثناء الصيام:

١ ـ راجع طبيبك قبل بداية شهر الصوم ليحدد إلى أي مجموعة تنتمي حالتك، فالتعاون مطلوب بل واجب بين المريض والطبيب.

٢ ـ حافظ على كمية ونوعية الغذاء نفسه «السعرات الحرارية» الذي وضعه لك الطبيب، ولا تنس نفسك مع أطباق رمضان التقليدية «وبخاصة أطباق الحلويات».

٣ ـ تناول الأقراص الخافضة للسكر عن طريق الفم مع مشروب دافئ قليل الحلاوة أو بضع حبات من التمر ثم قم وصلّ المغرب، وبعدها تناول الإفطار خلال أقل من ١٥ دقيقة، حيث يكون القرص قد امتُصّ من الجهاز الهضمي.

٤ ـ أخّر سحورك قدر الإمكان، فذلك يقلل من احتمال تعرضك لنقص سكر الدم في أثناء ساعات الصيام، ويفضل أن يشتمل السحور على بضع حبات من التمر أو التين الجاف لمن هم عرضة لهبوط السكر في الدم لأن التمر يبقى فترة طويلة في المعدة وبذلك يشكل غذاء احتياطياً للمريض خلال فترة النهار.

٥ ـ لاتكثر من الأطعمة بين الإفطار والسحور، بل يجب الاكتفاء بوجبة واحدة يحددها الطبيب ـ وهي مهمة جداً فلا تحاول إلغاءها.

٦ ـ مارس نشاطك اليومي بشكل عادي وامنح نفسك شيئاً من الراحة بعد الظهر لأنه مع اقتراب نهاية يوم الصوم يكون مستوى السكر في الدم في أدنى مستوياته، ويجب تجنب الرياضة أو بذل مجهود بدني في أثناء الصيام.



٧ ـ عليك زيادة عدد مرات فحص سكر الدم الذاتي «في المنزل» عن طريق فحص البول أو الدم خلال فترات الليل والنهار. ويفضل أن تسأل طبيبك عن درجة اللون المسموح به في البول أو نسبة السكر المسموح بها في الدم. ومن الأفضل الإبقاء على نسبة ضئيلة من السكر في البول لتجنب آثار نقص السكر في الدم وهو الاحتمال الأكثر حدوثاً في أثناء الصيام، علماً أن فحص الدم لا يفسد الصوم.

٨ ـ عليك أن تفطر فوراً وتنهي صومك وتتناول كمية من السكر «حسب ما هو معروف».

ـ إذا شعرت بأعراض نقص السكر في الدم فعليك ملاحظة ما يلي:

ـ إذا شعرت بتعرق غزير.

ـ رجفة في اليدين والساقين والجسم.

ـ إذا انتابك فتور عام مع ضعف شديد.

ـ إذا شعرت بزيادة عدد دقات القلب.

ـ إذا شعرت بدوار أو صداع.

ـ إذا شعرت بتنميل في الشفتين واللسان.

ـ إذا شعرت بالجوع الشديد.

ـ إذا شعرت باضطراب في الرؤية.

ـ إذا أحسست باضطراب بالتفكير وتداخل بالكلمات في أثناء الحديث.

ـ التشنجات.

٩ ـ عليك أن تفطر وتنهي صومك وتراجع طبيبك فوراً إذا شعرت بأعراض ارتفاع سكر الدم وهي:

ـ صعوبة في التنفس.

ـ العطش الشديد.

ـ الغثيان أو الرغبة بالتقيؤ.

ـ زيادة عدد مرات التبول.

فكل ذلك قد تكون أعراضاً لارتفاع سكر الدم نتيجة تناول كمية زائدة من الطعام في فترة وجيزة أو قم بفحص سكر الدم الذاتي إذا كان لديك جهاز للفحص الشخصي.

١٠ ـ أخبر طبيبك عن أي دواء آخر تتناوله لمعالجة مرض آخر، فقد يعدل من النظام الغذائي أو من جرعة الدواء المحددة لك في أثناء الصيام.

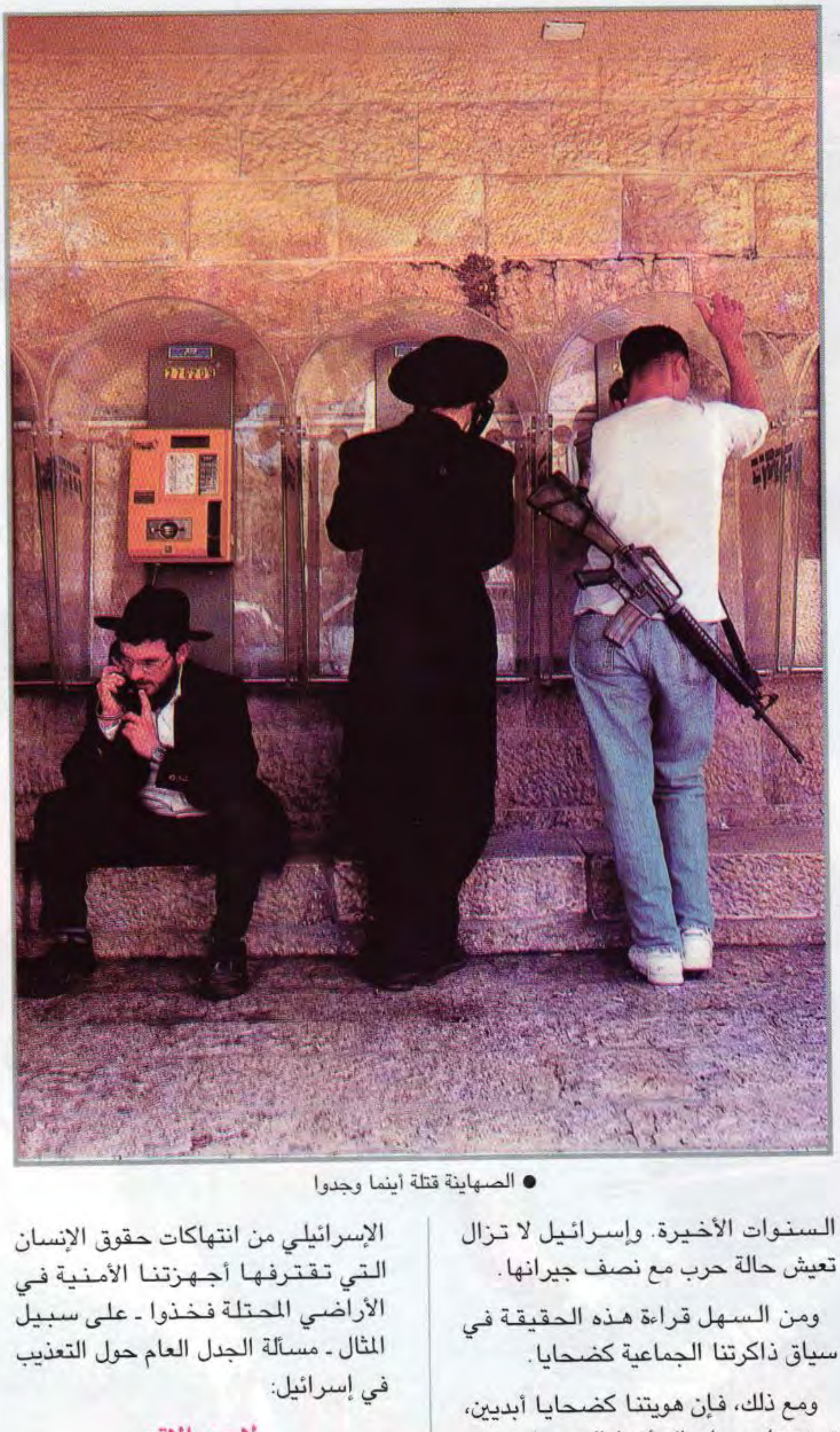
١١ ـ بعد انتهاء الصيام، عليك بالاستمرار بالتزام التوازن في الغذاء مع التحول التدريجي والعودة للنظام الأساسي قبل الصيام. ■

إعداد : عبدالمنعم أحمد



عقدة المجتمع الإسرائيلي كما يراها الصهاينة !

نشرت الفايننشال تايمز مقالاً. للكاتب الإسرائيلي «إتان فلنر» المدير التنفيذي لمركز المعلومات الإسرائيلي لحقوق الإنسان في الأراضي المحتلة «بيتساليم» رئيس فرع إسرائيل لمنظمة العفو الدولية. تناول فيه طبيعة المجتمع الإسرائيلي المعاصر القائم على القمع وفقدان الإحساس بمشاعر الآخرين يقول المقال:



● الصهاينة قتلة أينما وجدوا

المجتمع الإسرائيلي يعاني من عقدة الطفل الذي تعرض للاعتداء عليه ربما كان ذلك هو الجواب المنطقي الوحيد على السؤال الذي يتكرر طرحه كثيراً وهو: كيف يمكن لشعب عانى ردحاً طويلاً من الزمان، وظل ضحية لأكثر من ثلاثة آلاف عام، أن يتخذ موقفاً لا مبالياً إزاء ما يلحقه من معاناة بشعب آخر؟

لقد أقيمت دولة إسرائيل على خلفية أبشع حرب إبادة وقعت في القرن العشرين. ولا يمكن لإسرائيل أن تهرب من ماض يبعث على الصدمة. فكما في حال رجل نجا من طفولة تعرض فيها للاعتداءات، فإن الشعور بعدم الأمان الذي يسكننا ينبئ عن تصورنا للحقيقة.

الذاكرة الجماعية:

ففي كل مرة نتعرض فيها للخطر - سواء كان هذا الخطر حقيقيا أو تخيلياً كبيراً أو صغيراً - فإننا نتعامل معه من منظور تاريخ طويل من الاضطهاد.

وليس من الصعب علينا - نحن الذين نعيش في إسرائيل - تبرير إدراكنا الذاتي بأننا ضحايا. فالعمليات الانتخابية في المدن الإسرائيلية أدت إلى مقتل وجرح العشرات من المدنيين خلال السنوات الأخيرة. وإسرائيل لا تزال تعيش حالة حرب مع نصف جيرانها.

ومن السهل قراءة هذه الحقيقة في سياق ذاكرتنا الجماعية كضحايا.

ومع ذلك، فإن هويتنا كضحايا أبديين، تمنعنا من إدراك أننا اليوم، لم نعد ضحايا فقط، وتماماً كما يتحول الكبار الذين تعرضوا للاعتداء في أثناء طفولتهم، إلى جناة لضحايا آخرين، تحولنا - نحن الإسرائيليين - بعد أن امتلكنا القوة على الآخرين، إلى جناة.

إنها عقدة الطفل الذي تعرض إلى الاعتداء التي تصوغ موقف الرأي العام الإسرائيلي من انتهاكات حقوق الإنسان التي تقترفها أجهزتنا الأمنية في الأراضي المحتلة فخذوا - على سبيل المثال - مسألة الجدل العام حول التعذيب في إسرائيل:

لا مبالاة:

استخدام التعذيب من قبل أجهزة الأمن الإسرائيلية ضد الفلسطينيين، أصبح أمراً روتينياً، فالآلاف من المعتقلين الفلسطينيين يتعرضون للهز العنيف والخوف لأيام عدة، حيث يحرمون من النوم لفترات طويلة أو يتعرضون لضجيج شديد أو يرش عليهم الماء



● يتناقشون في أوهام زائفة

البارد أو القاذورات ويعترف المسؤولون الإسرائيليون علانية بوقوع هذه الممارسات.

فالوصمة التي يلحقها التعذيب بفاعله، تدفع معظم الدول لنفي استخدام القوة في أثناء التحقيق، لكن الرأي العام الإسرائيلي - في معظمه - يؤيد استخدام التعذيب كوسيلة مشروعة للدفاع عن الأمن. ولجوء إسرائيل إلى أساليب العقاب الجماعي من شأنه أن يثير ردود فعل مشابهة. فعلى مدى السنوات العشر الماضية، أقدمت إسرائيل على هدم أكثر من أربعمئة منزل لفلسطينيين مشتبه في قيامهم بأعمال عنف ضد إسرائيل. ولم تصدر احتجاجات إسرائيلية عامة على هذه السياسة، التي تركت المئات من الفلسطينيين الأبرياء، ومنهم الأطفال والمسنون، دون مأوى.

وكذلك، ظل الرأي العام الإسرائيلي يتخذ موقفاً لا مبالياً، إزاء التمييز الفاضح في تطبيق هذه السياسة، فالفلسطينيون وحدهم، هم الذين يتعرضون للعقاب الجماعي.

فقبل أربع سنوات، حين قُتل تسعة وعشرون فلسطينياً على يد مستوطن يهودي، في الحرم الإبراهيمي بمدينة الخليل، طبقت إسرائيل القاعدة القانونية الأساسية التي تذهب إلى أن كل شخص مسؤول لوحده، عن أي عمل يقوم به، فلم تعاقب الأبرياء مثل عائلة أو جيران مرتكب المجزرة.

الهولوكوست والفلسطينيون:

ولا يمكن مقارنة سياسات إسرائيل العقابية بأهوال الهولوكوست، ومع ذلك لا يمكن استخدام معاناتنا في الماضي - مهما بلغت شدتها - ذريعة لما نرتكبه من أخطاء بحق الفلسطينيين اليوم.

فعقدة الطفل الذي تعرض للاعتداء لا تؤدي إلا إلى تصعيد دورة العنف في الشرق الأوسط. فتجربة الاحتلال والاقتلاع حولت الفلسطينيين إلى جيل جديد من «الأطفال المعتدى عليهم»، وهكذا... يبرر الفلسطينيون عادة، المآسي التي تسببها العمليات الانتحارية في تل أبيب أو القدس بالمعاناة التي ألحقناها بهم.

وهذا بدوره يعزز شعور الإسرائيليين بأنهم ضحايا أبديون.

فهذه الدورة من «الضحية وضحية الضحية» لها آثار عميقة على آفاق التوصل إلى تسوية سلمية للصراع. لقد بدأت عملية السلام، ولكن أي سلام يقوم على انتهاكات حقوق الإنسان سيكون هشاً، فالعقاب الجماعي والوحشية والإهانات التي لا داعي لها، تضعف الرغبة بالمصالحة والسلام.

فاللحظات المفصلية في تاريخ الشعوب تعتبر مناسبة لمراجعة الأفكار والمواقف، ففي هذا العام احتفلت إسرائيل بالذكرى الخمسين لتأسيسها، واحتفل العالم بالذكرى الخمسين لصدور الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، إنها لحظة مناسبة للاعتراف بالعقدة التي نعاني منها والبدء بمعالجتها.

ويجب علينا ألا ننسى ماضينا، ولكن علينا ألا نسمح لتاريخنا الحافل بالآلام أن يشعرنا بالرضا تجاه المعاناة التي نسببها للآخرين. ■

قراءة في كتاب

تأليف: د. زين العابدين متولي

عرض وتقديم: محمد علي وهبة

نحو بيئة أفضل

يكشف هذا الكتاب القيّم عن الدور المتعاظم للإسلام وتوجيهاته المتسامية نحو إيجاد بيئة نظيفة من جميع أنواع التلوث الهوائي والمائي والضوضائي، وغيره من أنواع التلوث، التي لم تظهر في عالمنا المعاصر، لتنشر الفساد والدمار، والأمراض الساحقة، وجميع أنواع البلاءات المقيتة، إلا بسبب غياب المنهاج الإلهي المعصوم، الذي أودعه الله تعالى في كتابه العظيم، لحفظ أسباب الحياة على الأرض.

إنها عظمة الإسلام:

وفي مقدمة الكتاب، التي كتبها الأستاذ الدكتور عبدالصبور مرزوق، نائب رئيس المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بالقاهرة، يستعرض فضيلته العلاج القرآني لمظاهر الفساد البيئي الشامل الذي أصاب كوكب الأرض، بما كسبت أيدي هؤلاء الذين تسببوا في هذا الفساد، مستعرضاً قول الله تعالى: (ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون) الروم:٤١. فقد استخدم جل شأنه صيغة الماضي، في قوله تعالى: (ظهر) في الحديث عن الفساد، وكذلك في تحميل الإنسان مسؤولية هذا الفساد في قوله تعالى: (بما كسبت). وفي هذا الاستخدام بهذه الصيغة تقرير لحقيقتين:

الأولى: ظهور الفساد في الأرض، بما يخرجها عن الصورة، التي خلقها الله تعالى عليها، لتكون للإنسان (مهاداً)، و(معاشاً) يجد فيها أمنه وسعادته، ويمارس من خلال (إعمارها) عبادة من سخرها له سبحانه، ولتحقيق الهدف الأسمى من الخلق، كما اقتضت حكمة الخالق سبحانه. كما في قوله تعالى: (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون) الذاريات:٥٦.

والثانية: كما يقول فضيلته، هي تقرير بعض طبيعة الإنسان، وبعض ما قام وما سيقوم به من إفساد، من خلال مخالفة سنن الله وقوانينه في خلقه.

وفي قوله تعالى في سورة الروم:٤١: (ليذيقهم بعض الذي عملوا) كما جاء في تفسير ابن كثير، أي يبتليهم بنقص من الأموال والأنفس والثمرات، اختباراً منه جل شأنه، ومجازاة لهم على سوء وفساد صنيعهم. (لعلهم)، أي يعودون إلى تقوى الله تعالى فيما خلق لهم من مظاهر أصيلة جليلة للحياة، فيكفون عن إفسادها، ويرجعون عن ارتكاب المعاصي والمفاسد في حقها، لتعود إلى سابق عهدها كما خلفها الله سبحانه على أجمل وأكمل صورة من النقاء والصفاء.

ويقول فضيلته في موضع آخر من المقدمة: من هنا يكون المجد للإسلام، فذلك الدين العظيم، الذي حذر الإنسان - منذ خمسة عشر قرناً - من الإفساد في الأرض، وانطلقت آيات القرآن المباركة، تنهى صراحة عن الإفساد في الأرض. بل تحذر صراحة من خطر السعي وراء الرفاهية والترف، وأثرهما على إفساد الحياة وإهلاك الأمم، كما في قوله تعالى: (وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميراً). الإسراء:١٦، ويقول جل شأن كذلك: (ولاتفسدوا في الأرض بعد إصلاحها) الأعراف:٥٦.



بل يتوعد جل شأنه المفسدين في الأرض بالهلاك، كما في قوله سبحانه: (الذين طغوا في البلاد. فأكثروا فيها الفساد. فصب عليهم ربك سوط عذاب. إن ربك لبالمرصاد) الفجر:١١-١٤. وفي قوله تعالى: (إن ربك لبالمرصاد)، أي إنه جل شأنه يهلك المفسدين في الأرض أولاً بأول، حتى لا يبقى في أرض الله إلا الصالحون من عباده. كما تعهد جل شأنه بذلك في قوله تعالى: (ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون) الأنبياء:١٠٥. وفي ذلك ترهيب للمفسدين في الأرض، ليكفوا عن التمادي في إفسادهم، وترغيب لهم - في الوقت عينه - للرجوع إلى طريق الله، والسير على سنن الله في حفظ أسباب الحياة، وإبقائها على نقائها وبهائها بالحالة الأصلية البهيجة التي خلقها الله تعالى عليها.

والكتاب من إصدارات المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية في القاهرة، ضمن سلسلة قضايا إسلامية، العدد (٤٣)، ١٤١٩هـ ١٩٩٨م. وقد بسطه المؤلف في ١٢٦ صفحة من القطع المتوسط.

تلوث الهواء:

ويشير الباحث تحت هذا العنوان إلى أن هناك مصدرين لتلوث الهواء:

المصدر الطبيعي: ويتمثل في الشوائب الغازية مثل ثاني أكسيد الكبريت وكلوريد الهيدروجين والفلوريد والكبريتيت، ذات الأصل البركاني، وهي في أحوالها العادية تكون طفيفة، ولا تؤثر كثيراً في تلوث الهواء. وكذلك غاز ثاني أكسيد النيتروجين الناتج من التفريغ الكهربائي في عمليات البرق والرعد، وكذلك غاز الأوزون، كما توجد في الجو أيضاً مواد دقيقة من الضباب والأتربة السطحية والغبار والرماد الناتج من الحرائق الطبيعية للغابات، والغبار الكوني، المتساقط من الفضاء الخارجي، وحبيبات اللقاح، والرماد الدقيق المتخلف عن ثورات البراكين.

المصدر الصناعي: ويشمل المواد الناتجة من النشاطات الصناعية المتزايدة الضارة للإنسان. والمتكونة من أدخنة وسائل النقل المختلفة

وأدخنة المصانع، والمواد الكيمياوية السامة الناتجة من رش المبيدات الحشرية، والغازات الضارة الناتجة من إحراق النباتات الضارة، أو إحراق القمامة والمخلفات، والملوثات الإشعاعية الناتجة من المواد النووية. وكذلك الغازات الضارة الناتجة من استخدام الطاقة الأحفورية، وبالأخص الفحم، الذي تستخدمه بكثرة دول الشمال، وخصوصاً الولايات المتحدة الأميركية، وبلدان أوروبا الغربية.

التلوث وتغير المناخ:

ويوضح الباحث أن زيادة تركيز الملوثات الغازية في الهواء الجوي تؤدي إلى الكثير من التغيرات المناخية الخطيرة، التي تتمثل بصفة خاصة في ظاهرتين على جانب كبير من الخطورة:

الأولى هي ظاهرة هطول الأمطار الحمضية، التي تنتج من تفاعل أكسيد النيتروجين وأكسيد الكبريت مع بخار الماء الموجود في الهواء، ويتكون من ذلك حمض النيتريك والكبريتك، وتسقط الأمطار الحمضية على الأنهار والبحار والبحيرات ومصادر المياه المختلفة على شكل سائل يشبه إلى حد كبير ماء النار، فتزيد من حموضة المياه، وتهلك كل ما بها من أسماك وكائنات حية.

والثانية، هي ظاهرة الاحتباس الحراري، التي تنتج من زيادة نسبة تركيز الغازات الضارة بالجو، وبالأخص غاز ثاني أكسيد الكربون، الذي يحذر العلماء من أنه إذا زادت معدلات نسبة تركيزه في الجو عن معدلها الطبيعي، فسيؤدي ذلك إلى ارتفاع درجة الحرارة على سطح الأرض بمعدل درجة مئوية كل ٢٥ عاماً. وسيؤدي هذا الارتفاع البسيط إلى كوارث رهيبة، منها زيادة أمراض النباتات، وتغير طبيعة الحياة البرية، وظهور أوبئة جديدة من الحشرات والطفيليات والميكروبات. والكارثة الكبرى تتمثل في انصهار جانب من جليد القطبين، وارتفاع منسوب سطح مياه البحار والمحيطات بنحو ٢٠ سنتيمتراً. وهذا الارتفاع يهدد باختفاء الكثير من الجزر، وإغراق بعض الوديان والسهول، والمدن والموانئ المطلة على سواحل البحار، وغرق مبانيها وسكانها وسائر ما بها من أحياء! وتأتي هذه المشكلة على رأس اهتمامات العلماء في سائر بلدان العالم، لمحاولة إيجاد الحلول العلمية المناسبة لها.

البيئة وقضاياها:

وتحت هذا العنوان، يوجه الباحث إصبع الاتهام بشدة للعالم الغربي بصفة خاصة، «الذي يسمي نفسه بالمتحضر والمتقدم»، وهو بسلوكه المدمّر للبيئة يعتبر أبعد ما يكون عن معنى التحضر والتقدم، بل إن هذا العالم الذي يسمي نفسه بالمتقدم، وبارتكابه للكثير من الآثام في حق البيئة، مما يهدد بتحولها عن طبيعتها الجليلة الجميلة التي خلقها الله تعالى عليها، إلى طبيعة أخرى أكثر بؤساً وأكثر توحشاً، ما قد ينتهي إلى رجوع هذا العالم في غياهب التخلف والرجوع للوراء لملايين السنين!!.

ويستشهد ببعض الدراسات العلمية المؤيدة لهذا الاتهام، والمدعمة بأرقام إحصاء دقيقة، لإثبات ما يرتكبه العالم المتحضر من جرائم في حق البيئة، وفي حق الشعوب والبلدان الأخرى، التي يتشكل كياناتها الحية أكثر من نصف حجم البيئة العالمية، فيقول:

«يسرق العالم المتحضر الموارد الطبيعية، التي منحها المولى عز وجل للدول النامية. وقيمة هذه السرقة تقدر بما يزيد عن ٦٠ مليار دولار سنوياً. وهذا المبلغ يكفي لمعيشة سكان الدول النامية عيشة أفضل بكثير مما هي عليه إذاً».

كما أثبتت الدراسات أن الغابات الاستوائية يتم تدمير ٧٠ مليون فدان منها سنوياً، وهذه المساحة تعادل ٧٠٪ من مساحة إجمالي الغابات التي تدمر سنوياً في العالم كله. مع العلم بأن الغابات، هي أفضل آلية إلهية، خلقها الله تعالى، لتحافظ على التوازن البيئي على الأرض، فهي تمتص الكميات الزائدة من ثاني أكسيد الكربون في الجو، فتمنع تسمم الهواء، وفي الوقت ذاته، تمنح كميات كافية من غاز الأوكسجين اللازم لاستمرار حياة كل الكائنات على الأرض.

وفي موضع آخر يوضح التفاوت في مستويات الاستهلاك بين الشمال والجنوب، فيشير إلى أن أهل الشمال الأغنياء، الأكثر تقدماً، والذين يبلغ عددهم ربع سكان العالم، يستهلكون ٧٠٪ من الطاقة العالمية، و٧٥٪ من المعادن، و٨٥٪ من الأخشاب، و٦٠٪ من الغذاء في العالم، بينما يحظى الجنوب الفقير بالفتات. وهكذا نرى أن الشمال هو المسؤول الأول عن تلوث البيئة، وعن ارتفاع درجة حرارة الجو، وعن إحداث الخلل يوسع الثقب في الأوزون. فهل هذا يرضي الله سبحانه وتعالى؟!

تلوث المياه:

وتحت هذا العنوان، يشير الباحث إلى أن أكثر من ١٠٪ من أنهار العام اليوم ملوثة بسبب تحويل مياه المجاري إليها، كما تقف الصناعة والزراعة في قفص الاتهام على ذمة التحقيق في قضية تلوث مياه الأنهار في الدول المتقدمة، ومعظم ملوثات الأنهار مصدرها الصرف الصحي، وكذلك الصرف الزراعي.

والأكثر من ذلك ـ كما يشير الباحث ـ أن مياه البحار قد تأثرت خصوصاً عند مصبات الأنهار فيها، علاوة على انسكاب البترول فيها، ما يؤثر على الثروة السمكية، التي تمثل ٣٠٪ من الغذاء البروتيني للإنسان في العالم.

وتنقسم ملوثات مياه الشرب إلى نوعين: كيماوية، كالمبيدات الحشرية والمركبات الأخرى السائلة أو الصلبة الناتجة من مخلفات الصناعة بصفة خاصة، كالزرنيخ، والكادميوم، والرصاص والزئبق والزيوت والشحوم وغيرها كثير.

أما الملوثات البيولوجية، فتتمثل في الكائنات البكتيرية، والفيروسات والديدان والطالحب، وتنتقل كلها من الماء إلى الثروة السمكية، وكذلك للخضراوات والفواكه والحيوانات، وكل الكائنات التي ترتوي بهذه المياه الملوثة، فتصيبها بالكثير من الأمراض الفتاكة.

وتتضافر جهود العلماء في كل بلدان العالم اليوم، لمواجهة أخطار الملوثات البيئية التي تتفاقم مشكلاتها يوماً بعد يوم، وذلك لمحاولة إيجاد العلاجات الشافية لها، وإعادة التوازن الطبيعي لها الذي خلقها الله تعالى عليها.

ويوصي الباحث بضرورة أن نأخذ حذرنا. وألا نتمادى في السير باتجاه ارتكاب المزيد من الآثام في حق البيئة التي فيها معاشنا واستمرار حياتنا كما أرادها الله تعالى لنا. وألا ننسى أن الله تعالى قد خلق كل شيء بقدر معلوم ودقة متناهية، وحكمة سابقة، كما في قوله تعالى: (إنا كل شيء خلقناه بقدر. وما أَمْرُنا إلا واحدة كلمح البصر) القمر:٤٩ـ٥٠.

وكما في قوله سبحانه كذلك: (الذي خلق سبع سموات طباقاً ما ترى في خَلْق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور) الملك:٣.

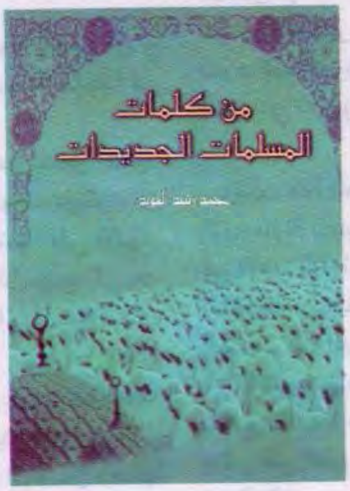
كما قال تعالى فيما يجب على الإنسان نحو حفظ الماء، الذي جعل منه سبحانه كل شيء حي: (أفرأيتم الماء الذي تشربون. أأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المُنزلون. لو نشاء جعلناه أجاجاً فلولا تشكرون) الواقعة:٦٨ـ٧٠.

وليس المقصود بالشكر هنا مجرد التلفظ به باللسان، وإنما يقصد بالشكر إلى جانب ذلك العمل الفعل والسلوك الإنساني القويم، المهتدي بهدى الله تعالى. ويقصد به أيضاً التعبير السلوكي للإنسان بالخشية من الله سبحانه في تعامله مع كل مظاهر وأسباب الحياة، بمحافظته عليها، لتبقى على حالها من الجمال والكمال، كما خلقها الله جل شأنه دون زيادة أو نقصان أو مسخ أو تشويه. وبعد، فالكتاب يعتبر إضافة مهمة للمكتبة الإسلامية. وهو جدير بالقراءة والاقتناء. ■

من كلمات المسلمات الجديدات

في أحاديث اللواتي هداهن الله تعالى إلى الإسلام كلمات لها دلالات مهمة، ومعان عميقة، تشير إلى ما يحمله هذا الدين للبشرية من حلول لمشكلاتها وإرواء لفطر أبنائها. محمد رشيد العويد قرأ طويلاً في هذه الأحاديث، واختار منها هذه الكلمات الغنيات بالمعاني والدلالات، وضمها في كتاب صدر عن مكتبة المنار في الكويت بعنوان «من كلمات المسلمات الجديدات».

يقول العويد في مقدم كتابه: كنت أتمنى، وأنا أقرأ كلام من أسلم من النساء، أن تطلع عليه بنات ولدن مسلمات، وتعلّمن العربية، فلم يكن هناك أي حاجز أو عائق بينهن وبين إسلامهن الذي زهدن فيه، وابتعدن عنه، فلم يلتزمن به التزام المحب كما التزمت به هؤلاء اللواتي ولدن بعيدات عنه، جاهلات اللغة التي نزل بها كتابه الحكيم، ومع هذا اهتدين إليه، أو هداهن الله تعالى إليه، فوجدن فيه سعادتهن وراحتهن ورضاهن. من كلمات المسلمات الجديدات عن الحجاب مثلاً: زادني الحجاب جمالاً - الحجاب إعلان عام بالالتزام - الحجاب شعار تحرر - الحجاب يوفر لي مزيداً من الحماية - عندما أسلمت أصررت على ارتداء حجابي بالكامل من الرأس إلى القدم - الحجاب جزء مني، من كياني فقد ارتديت الحجاب قبيل إسلامي لإحساسي أنني أحترم نفسي وأنا أرتديه.



وهذه كلمات أخرى تعني كل منها الكثير: اكتسبت من الإسلام القوة لمواجهة الناس - أجاب الإسلام عن جميع تساؤلاتي - وجدت في الإسلام ضالتي وعلاج أزمتي - قبل إسلامي كنت لا شيء - الجمعيات النسائية بدأت تدرك خطأها - أصبح هدفي الأسمى الدفاع عن هذا الدين - صارت الصلاة ملاذي والسجود راحتي وسكينتي - فرحتي لا توصف - شدتني العلاقة المباشرة بين العبد وربه - المرأة الغربية لا تعرف ماذا تريد - تعرفت إلى وحدانية الله فبكيت - استيقظت من الحلم منشرحة الصدر - المرأة الغربية ليست متحررة كما قد تتوهم المسلمة - نطقت بالشهادتين فسرت في عروقي قوة خارقة - الإسلام هو الذي أعطاني الأمان - اكتشفت كنوزاً كنت أجهلها.

ومن الكلمات التي تعبر عن الفرح الغامر، الذي تفيض به قلوب الداخلات في دين الله، كلمة اليونانية «تيريز»: «لا أريد أن أتحدث، ففرحي بالإسلام لا يوصف أبداً، ولو كتبتم كتباً ومجلات لن تكفي لوصف شعوري وسعادتي. أنا مسلمة، مسلمة، مسلمة. قولي «تخاطب المحررة»: لكل الناس إنني مسلمة وسعيدة بإسلامي. قولي لهم عبر وسائل الإعلام كلها: تيريز اليونانية أصبحت خديجة: بدينها، بلباسها، بأعمالها، بأفكارها».

جائزة مكتب التربية العربي لدول الخليج في مجال البحوث التربوية

أعلن مكتب التربية العربي لدول الخليج العربية عن جائزة المكتب للإنتاج العلمي في مجال البحوث التربوية للعام ١٤٢٠هـ - ١٤٢١هـ / ١٩٩٩م - ٢٠٠٠م وفق الشروط التالية:

١ - أن يكون المرشح من مواطني الدول الأعضاء بالمكتب.

٢ - ألا يكون المرشح قد نال جائزة عن الإنتاج المقدم، أو حصل به على شهادة علمية «ماجستير/ دكتوراة».

٣ - يمكن قبول العمل المشترك من قبل المؤلفين أنفسهم إذا كانوا من مواطني الدول الأعضاء.

٤ - يقبل تقديم البحث للمكتب مباشرة من قبل المؤلف نفسه، أو بترشيح من إحدى المؤسسات العلمية.

٥ - أن يكون البحث المقدم يمثل نظرية تعليمية تربوية، أو مساهمة مبتكرة في مجال البحث التربوي، أو يكون تحقيقاً علمياً مكتوباً باللغة العربية الفصحى لأحد مصادر التراث التربوي العربي الإسلامي.

٦ - في حال تقديم بحث منشور بلغة أجنبية يجب أن يرفق معه مستخلص باللغة العربية.

٧ - أن يكون العمل المقدم ملتزماً بالمنهج العلمي.

٨ - أن يكون البحث المقدم منشوراً وفق قواعد النشر العلمي وأصوله أو مقبولاً للنشر بتأكيد من مؤسسة أو هيئة علمية معترف بها، ويمكن قبول الأعمال غير المنشورة إذا حظيت بتزكية من مؤسسة أو هيئة علمية متخصصة في مجال العمل المقدم.

٩ - أن يكون العمل المقدم غير ممول من مؤسسات أو هيئات.

١٠ - يمكن قبول الأعمال المترجمة المتميزة التي تخدم الثقافة والتربية والتعليم في منطقة الخليج العربية، مع تقديم دراسة تحليلية وتقويمية للعمل ومدى الاستفادة منه في دول المنطقة، ولم تتجاوز طبعته الأولى في لغته الأصلية خمس سنوات من تاريخ نشر الإعلان.

ثانياً: إجراءات التقديم:

أن تكون طلبات الترشيح مصحوبة بما يلي:

١ - عشر نسخ من الإنتاج المرشح للجائزة، ولا يعاد الإنتاج سواء فاز المرشح أو لم يفز، وبالنسبة للإنتاج المترجم، يرفق نسخة من الأصل المترجم عنه.

٢ - بيان تفصيلي عن حياة المرشح العلمية والشخصية ومؤلفاته المنشورة.

٣ - ثلاث صور فوتوغرافية للمرشح.

٤ - العنوان البريدي للمرشح ورقم هاتفه.

٥ - توجه طلبات الترشيح إلى: المدير العام لمكتب التربية العربي لدول الخليج - ص.ب (٩٤٦٩٣) - الرياض (١١٦١٤) - المملكة العربية السعودية.

على أن تصل طلبات الترشيح إلى المكتب في موعد لا يتجاوز يوم الأربعاء ١٤٢٠/١٢/٣٠هـ، الموافق ٢٠٠٠/٤/٥م.

وقد أسند المكتب مسؤولية اختيار الفائزين إلى لجنة من علماء ومفكري المنطقة، حيث تقوم بدراسة الأعمال المقدمة، ودراسة آراء المختصين في موضوعاتها، وتمنح جائزة المكتب وقدرها مئة ألف ريال سعودي، وشهادة منح الجائزة للعمل الفائز، ويمكن منح الجائزة مناصفة لعملين.

تكوين الملكة الفقهية

في سلسلة ا لكتب التي يصدرها مركز البحوث والدراسات في وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في دولة قطر صدر كتاب الأمة الثاني والسبعون تحت عنوان: تكوين الملكة الفقهية للأستاذ الدكتور محمد عثمان شبير. هذا الكتاب الذي يقع في نحو ١٨٠ صفحة من القطع الصغير ويتناول موضوعاً معيناً أو يطرح قضية غاية في الأهمية، يفتح ملفها ويستدعيها للبحث. والمناقشة والدرس. بعد أن كادت تغيب عن الذهنية الإسلامية المعاصرة بشكل عام، ومعاهد التعليم الشرعي - محاضنها الطبيعية - بشكل خاص، في هذه الحقبة الثقافية التي بدأ يكثر فيها المتحمسون، ويقل فيها الفقهاء والخبراء المتخصصون.

والكتاب محاولة استعرض فيها الكاتب وجهات النظر المتعددة منهجاً ومذهباً ولغة واصطلاحاً في تعريف الملكة الفقهية وكيفية تنميتها ورعايتها وإعادة بنائها.

إن هذه القضية التي أعاد الباحث «مؤلف الكتاب» فتح ملفها لا تزال تستدعي مزيداً من التوسع والنقد والتقويم وإعادة النظر في شروط الاجتهاد وأدواته بعد هذا التطور العظيم في تصنيف العلوم وترتيبهابحسب موضوعاتها، وتقدم وسائل الحفظ والاسترجاع.



● غلاف الكتاب

براءة الصحابة من النفاق

عن مكتبة العبيكان في الرياض صدر كتاب جديد يدافع عن براءة الصحابة من النفاق للكاتب الإسلامي منذر الأسعد، يقع الكتاب في نحو ١٣٠ صفحة من القطع المتوسط، يقول المؤلف في بداية كتابه: إن العداء للصحابة والسنة الشريفة قديم وتلك المقولات مشهورة منذ قرون وهذه هي المقولات تبناها غلاة المستشرقين الحاقدين أمثال «الأب لامانس» و«جولدزيهر» فغرّبوا بها وشرّقوا في إطار غاياتهم المريضة وأهمها العمل على تشويه رسالة الإسلام، وفي عصرنا الحديث أنعشها المتطرفون في عداوتهم للإسلام.

والكتاب يرد على هذه الفرية من خلال خمسة فصول تناول المؤلف في الفصل الأول موضوع: الصحابة بين الغلو والافتراء، وفي الفصل الثاني تطرق إلى: افتضاح المنافقين والتمايز بين الصحابة والمنافقين وشهادات حذيفة بن اليمان. وفي الفصل الثالث تناول الكاتب تحت عنوان «مع آل البيت» الحق مع علي وموقف الإمام أحمد بن حنبل، وموقف ابن تيمية وموقف ابن كثير، ونتيجة إنكار السنة، بينما تطرق في الفصل الرابع إلى «معاوية في الميزان» وفي الفصل الخامس والأخير تحدث عن ابن عمر والزهري المفترى عليهما وختم المؤلف فصوله قائلاً:

لقد اتضح من كل ما سلف بيانه من أدلة عقلية ونقلية أن أهل السنة لا يبالغون في تقدير صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فالصحابي عندهم بشر يخطئ ويصيب وليس معصوماً من المعصية غير أن الصحابة لا يكذبون في تبليغ نصوص الكتاب والسنة وتلك خلاصة تزكياتهم الرفيعة الواردة في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف.

متغيرات الأمن القومي في القرن المقبل

صدر في عمان عاصمة الأردن عن مؤسسة عبدالحميد شومان والمؤسسة العربية للدراسات والنشر في بيروت كتاب «القدس والحال الفلسطيني وقراءات في الأمن القومي العربي»، وهو مجموعة من المحاضرات ألّفها نخبة من الباحثين والمفكرين العرب خلال العام ١٩٩٧م - ١٩٩٨م في منتدى عبدالحميد شومان في العاصمة الأردنية، وتناول مواضيع ذات صلة بأبرز التحديات الاستراتيجية التي تواجه الأمة العربية في العقود المقبلة.

يتألف الكتاب - الذي يقع في نحو ١٦٤ صفحة من القطع الكبير - من قسمين تضمن القسم الأول عدداً من الدراسات المتميزة حول قضايا وهموم الأمن القومي والعربي، وما يتصل به ويتفرع عنه في حين يتحدث القسم الثاني عن تحديات هذا الأمن في مناطق محددة تتمثل فيها عناصره بكل أبعادها المباشرة، والكتاب بقسميه يتضمن معلومات موثّقة وبالغة العمق يحتاجها الناس لإشاعة أكبر قدر ممكن من التنوير بحقائق الأمس واليوم في سبيل استشراق المستقبل ومواجهة التحديات أياً كان مصدرها.



إدارة الأزمات

صدر أخيراً كتاب «إدارة الأزمات: الأسس، المداخل، الآليات» للدكتور فهد أحمد الشعلان ويتناول الكتاب عبر تسعة فصول مفهوم الأزمة وإدارة الأزمات وأنواع الأزمات، والكوارث مع تحديد أنواعها وسماتها المشتركة وآثارها كما يبحث في المنظور الإداري للأزمات متناولاً أولاً: التخطيط ومبادئه وأنواعه وعناصر خطط الطوارئ، ثم التنظيم ومبادئه وكيفية إدارة الأزمات والكوارث، ويغطي الكتاب الجوانب الإدارية المختلفة للتعامل مع الأزمة بعد تشخيصها وتحديد نوعها وصولاً إلى اتخاذ القرار السليم لمعالجتها وتخطيها. ويخصص المؤلّف فصلاً لدور المعلومات والاتصالات في أثناء الأزمات، كما يلقي الضوء على الجوانب النفسية والاجتماعية ودور الإعلام في مراحل الأزمة المختلفة من خلال الإرشاد والتوعية ودعم الخطة الإعلامية الصائبة، وتحديد نوعية الخطاب الإعلامي، وأخيراً كيفية التعامل مع الحملات المعادية والإشاعات، وهذا الميدان كما يقول المؤلّف، ميداناً جديداً لم ينل حظه من الاهتمام الأكاديمي إلا في أوائل التسعينات وبالتحديد إثر أزمة الصواريخ الكوبية في أكتوبر ١٩٦٢م، وعلم إدارة الأزمات علم مختلف في أساليبه وتطبيقاته عن العلوم الإدارية الأخرى، إذ إنه يهدف إلى التحكم في أحداث مفاجئة ومتفاقمة والتعامل معها ومواجهة آثارها المختلفة ونتائجها.

نظرية الانعدام في الإجراءات الجزائية

صدر عن لجنة التأليف والتعريب والنشر التابعة لمجلس النشر العلمي في جامعة الكويت كتاب جديد من تأليف د.غنام محمد غنام بعنوان: «نظرية الانعدام في الإجراءات الجزائية».

ويتناول في أبوابه الثلاثة: مفهوم الانعدام وحالات الانعدام وتقرير الانعدام، وذلك من خلال خطة تقوم على تحديد مفهوم الانعدام والتمييز بينه وبين غيره من الجزاءات الإجرائية ثم تتبع المؤلف نصوص القانون الكويتي في ظل قانون ـ الإجراءات والمرافقات ـ وقلّب في أحكام القضاء المصري والكويتي لاقتفاء أي أثر للانعدام في أحكام المحاكم، ومن ثم تعيين الآثار التي تترتب على الانعدام وأخيراً تحديد الوسائل القانونية التي تصل إلى تقرير حالة الانعدام.

ترجمة إنكليزية لكتاب الرؤية الإسلامية لإعلام الطفل

صدرت ضمن مطبوعات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة «الايسيسكو» الترجمة الإنكليزية لكتاب «الرؤية الإسلامية لإعلام الطفل» لمؤلفه الدكتور محيي الدين عبدالحليم رئيس قسم الصحافة في جامعة الأزهر والمستشار الإعلامي لوزير الأوقاف في مصر.

ويعالج الكتاب الذي يقع في أربعة فصول ـ في ١٣٢ صفحة من القطع المتوسط ـ الأسس الفلسفية والعلمية للإعلام الموجه إلى الأطفال، ويبسط المنهج الإسلامي المميز لإعلام الطفل، ويدرس وسائل إعلام الطفل، ويبحث بعمق واستفاضة التحديات التي تواجه إعلام الطفل، ويناقش المشكلات التي يعاني منها الطفل ويقدم حلولاً علمية لها من واقع التجربة والخبرة والدراسة الميدانية.

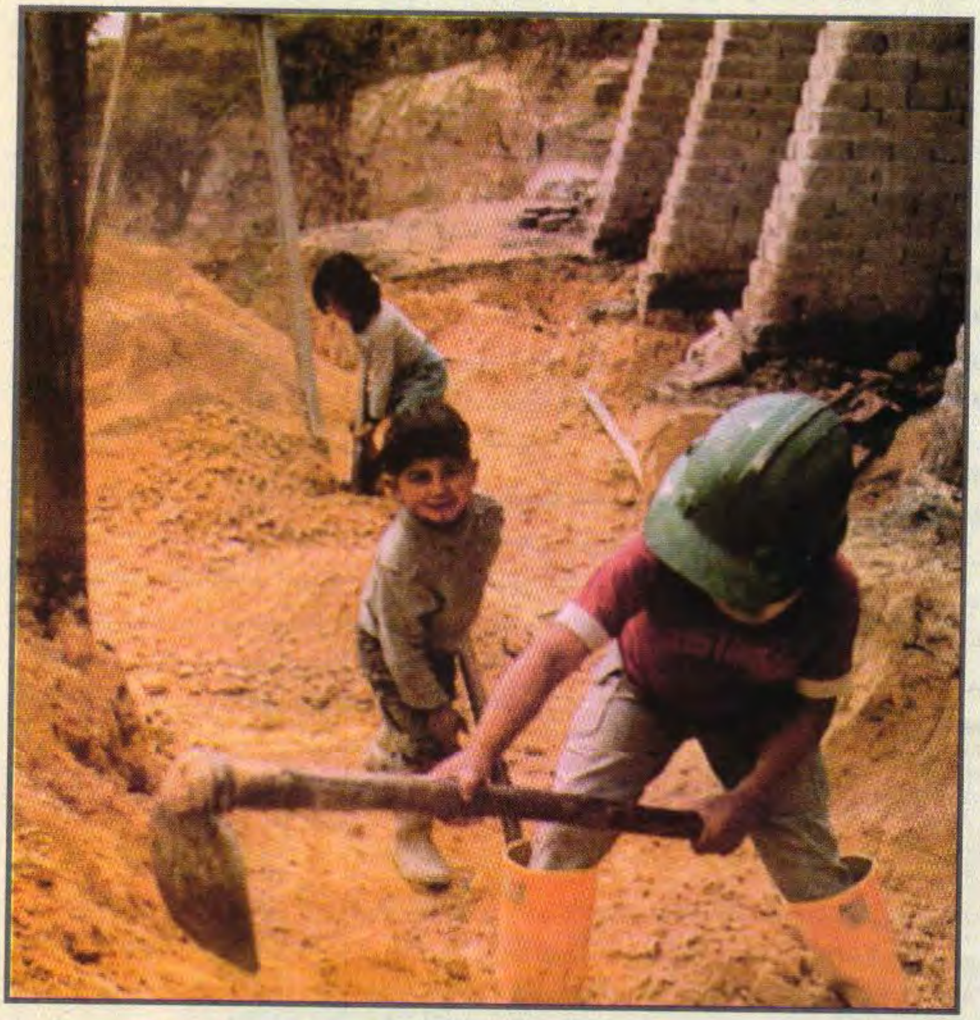
ويعرض المؤلف الذي يعد من الأكاديميين المتخصصين في الإعلام العربي الإسلامي، في خاتمة الكتاب، للأصول والقواعد التي تحكم الرؤية الإسلامية لإعلام الطفل، ثم يلخّص النتائج ويقدم مجموعة من التوصيات والمقترحات للنهوض بهذا القطاع الإعلامي وللرفع من مستواه المهني والتعليمي والتوجيهي لتعميق تأثيره في المجتمع.

قدّم للكتاب الدكتور عبدالعزيز بن عثمان التويجري المدير العام للمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، وعيسى خليفة السويدي الأمين العام لهيئة أبو ظبي الخيرية. صدر الكتاب في الرباط بالتعاون بين المنظمة والهيئة.

أخبار ثقافية

- من المتوقع أن يصدر عن المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية في عمان الأردن العام ٢٠٠٠م المجلد الأول من مشروع كتاب حول القدس منذ أقدم العصور حتى الآن «القدس ٢٠٠٠م».
- أعلن اتحاد جامعات العالم الإسلامي عن تقديمه عدداً من المنح الدراسية للعام الدراسي ١٩٩٩م ـ ٢٠٠٠م المقدمة من الجامعات الأعضاء في الاتحاد.
- أعلنت الكويت في ١٩٩٩/١١/١م عن أسماء العلماء والباحثين العرب الفائزين بجائزة مؤسسة الكويت للتقدم العلمي للعام الماضي وقد كُرّم الفائزون يوم ١١/٢٩ في حفل كبير أقيم تحت رعاية أمير الكويت الشيخ جابر الأحمد الجابر الصباح.
- مُنحت جائزة سلطان بن العويس الثقافية يوم ١٩٩٩/١١/٣م للشيخ يوسف القرضاوي وتعتبر الجائزة من الجوائز المهمة في العالم العربي وتبلغ قيمتها الإجمالية نصف مليون دولار توزع على خمسة من المبدعين.
- يعقد في مدينة «كيب تاون» في جنوب أفريقيا خلال الفترة من ١ ـ ٨ ديسمبر الجاري مؤتمر برلمان أديان العالم وهذا المؤتمر تشرف على تنظيمه هيئة المبادرة الدولية للأديان ومقرها مدينة شيكاغو في الولايات المتحدة الأمريكية.

٧ ملايين طفل عربي يهربون من المدارس ويعملون في المصانع والأعمال الخطرة



كشفت دراسة عربية حديثة عن وجود ٦,٧ مليون طفل من الدول العربية في سن التعليم غير مقيدين في المدارس منهم ٢,٤ مليون من الذكور و ٤,٣ مليون من الإناث يتوجه أغلبهم إلى سوق العمل في الورش والمصانع والأعمال الخطرة التي لا يلتزم أصحابها بالمعايير وقوانين العمل والتشريعات. وأكدت الدراسة التي أعدتها منظمة العمل العربية تحت عنوان: «عمل الأطفال في الوطن العربي» ان ظاهرة عمل الأطفال أصبحت من أكثر الظواهر والقضايا إثارة للقلق في كثير من دول العالم ومن بينها الدول العربية سواء من حيث ارتفاع نسبة الأطفال في سوق العمل أو من حيث الظروف أو الشروط القاسية التي يعمل فيها الصغار ـ ولا تتفق مع آدميتهم بل تشكل خطراً كبيراً على حياتهم وتعتبر انتهاكاً صارخاً لحقوق الإنسان ومعايير العمل العربية والدولية.

وأشارت الدراسة إلى أن ما يزيد على ٢٥٠ مليون طفل تتراوح أعمارهم بين خمس سنوات إلى ١٤ سنة يعملون في العالم منهم ٦١٪ في قارة آسيا و ٣٢٪ في أفريقيا و٧٪ في أميركا اللاتينية. موضحة أن هناك ثلاثة عوامل أساسية تدفع بهؤلاء الأطفال إلى العمل هي: العامل الأول الفقر الذي يدفعهم إلى اللجوء إلى أعمال محفوفة بالمخاطر.

العامل الثاني انخفاض الإنفاق على التعليم وعدم استيعاب كل الأطفال المؤهلين للالتحاق بالمدارس. العامل الثالث الضائقة الاقتصادية في كثير من الدول إضافة إلى التقاليد والأنماط الاجتماعية المتأصلة ودورها في توجه الأطفال للعمل، والعامل الثالث هو الأهم في تلك الأسباب. وركزت الدراسة على أن هناك أربعة أسباب رئيسة أسهمت في نشوء ظاهرة عمل الأطفال في الوطن العربي، أولها الزيادة الديمغرافية المرتفعة في العالم العربي، وعجز النظام التعليمي عن استيعاب الأطفال المؤهلين للالتحاق بالمدارس، والركود الاقتصادي بسبب الأزمات الاقتصادية وتراجع مستويات المعيشة، وارتفاع معدلات الفقر وتفشي البطالة وانتشار الأمية في الوطن العربي.

وأوضحت الدراسة أن هناك تزايداً في حالات الاستغلال الاقتصادي لعمل الأطفال وتشغيلهم في ظروف وشروط عمل غير لائقة تخضع لمعايير العمل وذلك نظير أجور متدنية، ومقابل مادي ضئيل ما يعرضهم لأخطار جسدية وفكرية وصحية وأخلاقية تحد من نموهم الطبيعي، وتشكل عقبة أمام تدريبهم وتعليمهم، وتقود هؤلاء الأطفال للانحراف وتصبح أماكن عملهم في بعض الحالات بؤراً للانحراف والجريمة، الأمر الذي يتطلب من الحكومات ومنظمات أصحاب الأعمال والعمال ومنظمات المجتمع المدني والقيام بعمل ضخم لحماية الأطفال.

كما طالبت الدراسة أطراف الإنتاج في العالم العربي «حكومات وأصحاب أعمال وعمالاً» الاهتمام والعناية بالصغار العاملين وتحسين ظروفهم والوصول إلى أفضل السبل لحمايتهم جسدياً وفكرياً «لكونهم مستقبل الأمة العربية ولاعتبارات عدة أخرى منها أنهم في طور النمو الجسماني والثقافي وهذا يجعلهم أقل قدرة على التحمل من كبار السن».

مسجد للمسلمين في غوتينبرغ بالسويد

حصل مسلمو مدينة غوتينبرغ السويدية أخيراً وبعد انتظار طويل زاد على عشر سنوات على موافقة البلدية لبناء مسجد يؤدون فيه شعائرهم الدينية، وجاءت الموافقة بعد جهد كبير قامت به الرابطة الإسلامية وبدعم عدد كبير من رجال الدين المسيحيين لإقناع سياسيي البلدية بضرورة بناء المسجد كمطلب ملح لأكثر من ٤٠ ألف مسلم يعيشون في ثاني أكبر مدن السويد. ونجحت هذه الجهود في إزالة مخاوف الناس أيضاً، ففكرة بناء مسجد في غوتينبرغ ليست جديدة، فقد بدأت في العام ١٩٨٠م ولكنها جوبهت باحتجاجات قوية من أهالي المنطقة التي كان يُفترض بناء المسجد فيها بحجة خوفهم من أن يتجه عدد كبير من المعادين للأجانب إلى المنطقة والقيام بأعمال عنف ضد المسلمين. وأكدت البلدية أن العمل بالمشروع سيبدأ في بداية العام المقبل في منطقة هينسينكن، حيث سيشيد هناك، وستزيد تكلفة المشروع على ٥٠ مليون كرونة «ما يعادل ٦ ملايين دولار» تكفلت رابطة العالم الإسلامي ومقرها جدة بتغطية ٧٥٪ منها، فيما ستسهم البلدية بقسم آخر من النفقات، تستكمل بالتبرعات التي ستجمعها الجمعيات والروابط الإسلامية في البلدية.

وأبدى يوسف شاهين رئيس الرابطة الإسلامية شعوره بالفرح الحذر، وقال: سأشعر بسعادة أكبر عندما أرى أول ضربة معول في تراب هذا الصرح، أما عن تخطيط الرابطة لعمل المسجد فقال: ستؤدى الصلوات في أوقاتها الخمسة وسنخصص جزءاً من مساحة المسجد التي تبلغ ٨٠٠ متر لمصلى النساء، أما الأذان فسيقتصر على عدد محدد من أيام السنة، كما سنحاول جعل المسجد دراً لتعليم الصغار والشباب ومركزاً إعلامياً لنشر تعاليم الإسلام.

مولـود كـل دقيقـة في السعوديـة

تسجل المملكة العربية السعودية النسبة الأعلى في المواليد على مستوى العالم.

واعتبر آخر إحصاء سكاني صادر عن الأمم المتحدة أن نسبة زيادة المواليد في المملكة العربية السعودية وصلت إلى الحد الأعلى بين جميع دول العالم، ففي حين يولد طفل مصري كل خمس دقائق، وطفل صيني كل ثلاث دقائق، وطفل هندي كل دقيقتين ونصف الدقيقة، يولد طفل سعودي كل دقيقة.

وتوقعت هذه الإحصاءات أن يصل عدد السكان في مدينة جدة وحدها في نهاية العام ٢٠١٨م إلى سبعة ملايين نسمة أكثرهم من البنات، وكانت مصلحة الإحصاء العامة في المملكة العربية السعودية قد قدَّرت أن ٤٥٪ من سكان السعودية البالغ عددهم ١٢ مليون نسمة هم من الإناث.

القوقاز مركز لغسل الأموال في العالم

تتميز جمهوريات روسيا القوقازية بغناها بالموارد الطبيعية، وأيضاً بانهيار إنتاجها الصناعي، وبالعجز الهائل في ميزانياتها التجارية وفي ميزانيتها العامة وبتسجيلها لأكبر معدلات الجريمة. وعلى الرغم من ذلك، فإن خبراء النقد والمال، الذين يعتمدون في تحليلاتهم على معلومات سرية يتساءلون عن التناقض بين واقع هذه الجمهوريات الاقتصادية المتمثل بتراجع الإنتاج والعجز في الميزانية من جهة والسيولة النقدية الكبيرة من جهة أخرى. فمعدل دخل الفرد في هذه الجمهوريات أقل بكثير من معدل دخل الفرد في عموم روسيا وفي الوقت نفسه، فإن السيولة النقدية في هذه الجمهوريات هي الأكثر ارتفاعاً في جمهوريات روسيا الاتحادية.

وبعبارة أخرى، فإن الجمهوريات القوقازية الروسية تعتبر بمثابة النافذة الكبيرة التي تدخل منها الأموال والعملات الأجنبية إلى روسيا، ويتم ذلك من خلال حلقات أو مراحل عدة.

الجزء الأكبر من هذه الأموال يستخدم في شراء البضائع من أسواق الجملة في المدن الروسية الكبيرة، ثم تباع هذه البضائع في المناطق التي تحتاجها، بل حتى التي تتعطش إليها. ويعتبر الخبراء أن القوقاز هي أكثر منطقة تتعامل بالدولار الأميركي في روسيا، وهذا أمر طبيعي بالنسبة لمنطقة تعاني من ضعف القطاع المصرفي، وبخاصة أن المنطقة تشهد تبادلات تجارية نشيطة مع أذربيجان وجورجيا وتركيا.

وتغذي هذه المبالغ الكبيرة سواء أكانت بالدولار أم بالروبل، اقتصاد الظل، فمنطقة القوقاز تمثل أكبر باب لتهريب الكحول إلى روسيا. ومن يتحدث عن تهريب الكحول بمقدوره أن يتخيل أن ذلك مرتبط بالجريمة، وهناك أيضاً تهريب «ثمار بحر قزوين» وبخاصة الكافيار.

وأخيراً يُقال إن منطقة التبادل الحر في جمهورية أنغوشيا هي التي تسهم في تبييض كل أموال السوق السوداء النفطية. وهكذا تحولت منطقة القوقاز بسبب إجراءات القمع الروسية إلى مركز لتبييض أموال الجريمة.

إن تطهير هذا النظام النقدي أو القضاء عليه أو جعله «حضرياً» يتطلب حلاً من نقطتين:

الأولى إيجاد نظام سياسي مستقر، والثانية تأمين النمو الاقتصادي.

وحتى الآن، لا يبدو أن السلطات المحلية أو السلطات الفدرالية الروسية، قادرة على تأمين الاستقرار السياسي كما أن النظام الاقتصادي الشرعي والنظامي غير قادر على تأمين النمو الاقتصادي للقوقاز.

ولم يعد ثمة خيار سوى انفصال النظام الاقتصادي القوقازي الجديد عن الاقتصاد العالمي أيضاً.

قرض كويتي لبنغلاديش قيمته ٥,٥ ملايين دينار

أعلن الصندوق الكويتي للتنمية الاقتصادية العربية أنه وقع في العاصمة البنغلاديشية دكا يوم ١٩٩٩/١٠/٢٨م اتفاق قرض بقيمة خمسة ملايين ونصف المليون دينار كويتي للإسهام في تطوير مشروع شبكة نقل وتوزيع الكهرباء في مدينة راجشاهي الكبرى. ووقع الاتفاق عن الصندوق نائب المدير العام عبدالوهاب أحمد البدر فيما وقعه عن بنغلاديش وكيل وزارة المالية للشؤون الاقتصادية محمد سيف الدين وذلك بحضور سفير الكويت لدى بنغلاديش علي السماك.

وذكر الصندوق في بيان صحافي أن المشروع الذي أسهم في تمويله الصندوق الكويتي يهدف إلى الإسهام في تلبية الطلب على الطاقة الكهربائية في راجشاهي الكبرى والتي تشمل بلديات مدينة راجشاهي وناطور ونجوان وجاباي ونوابغانغ.

وأضاف البيان أن المشروع يشمل أعمال توريد وإنشاء محطة تحويل بسعة إجمالية تبلغ نحو ٥٠ ميغافولت أمبير فضلاً عن توريد وإنشاء ١١ محطة تحويل بسعة إجمالية نحو ٢٠٠ ميغافولت أمبير وإنشاء ٤٥ كيلو متراً من خطوط النقل و ٥٠٠ كيلو متر من خطوط التوزيع من المعدات والأجهزة المساندة، إضافة إلى الأعمال الكهربائية والميكانيكية والمدنية الكبرى.

وذكر بيان الصندوق أن المشروع الذي تقدر تكاليفه الإجمالية بنحو ١٧ مليون ونصف المليون دينار كويتي يتضمن أيضاً استملاك أراض لإنشاء محطات التحويل ومساكن للموظفين ومبان للإدارة، فضلاً عن الخدمات الاستشارية لإعداد التصاميم وتحليل العروض والإشراف على تنفيذه.

الجريمة تخيف الفرنسيين

أثبت تحقيق أجراه في فرنسا معهد الدراسات العليا للأمن الداخلي وجود فرق شاسع بين انحرافات الأشقياء التي يعانيها الناس والبيانات الصادرة عنها من الشرطة والدرك، وأظهر التحقيق أن البيانات الرسمية تغفل أربعة من كل خمسة حوادث. وتعترف الشرطة الفرنسية ضمناً أن إحصاءاتها لا تعكس حقيقة الجرائم والجنح وفي المقابل اكتشف التحقيق حقيقة مخيفة هي وقوع أكثر من ١٦ مليون حادث في أمكنة عامة في العامين ١٩٩٧م و ١٩٩٨م بما في ذلك ضربات وجروح أو تهديدات أو ابتزاز في حين كانت إحصاءات الشرطة أقل من ذلك بخمس مرات. لكن كان هناك تباين في طريقتي الإحصاء، فالتهديدات أو أعمال الابتزاز التي تمثل ربع الحالات ما كانت تحتل غير ١٦٪ من بيانات الشرطة، أما حوادث النزاعات كما في حوادث السيارات مثلاً فكانت لا تعلن كثيراً، إما لأن المتورطين فيها لا يبلغون الشرطة، أو لأن الشرطة تعتبرها بسيطة أو عابرة.

لكن التحقيق أثبت أنه هناك ١٠٪ من أصحاب السيارات الخاصة تعرضوا لاعتداءات أو محاولات سرقة أو نشل في هاتين السنتين.

وهذا أظهر أن أبناء الأحياء الشعبية هم الأكثر تعرضاً للاعتداءات. وفي ما يخص التهديدات والإهانات، تبين أن الموظفين الكبار أو المتوسطين أكثر تعرضاً لها من الموظفين العاديين، بل إن التحقيق أظهر خطورة التهديدات بالقتل إلى حد أنها أفقدت بعض الناس الإحساس بالأمن فصاروا يخشون من أن يسيروا منفردين ونسبة هؤلاء ١٠٪ ممن شملهم التحقيق.

الأزهر يوافق على ظهور شخصيات تمثل الصحابة في التلفاز

انقسم أعضاء مجمع البحوث الإسلامية في الأزهر حول قضية جواز ظهور شخصيات تمثل الصحابة في الأعمال الفنية ما عدا كبار الصحابة والعشرة المبشرين بالجنة، وآل البيت النبوي، وذلك بعد أن تقدمت إحدى شركات الإنتاج الفني بشكوى إلى الشيخ الدكتور محمد سيد طنطاوي شيخ الأزهر بعد رفض مجمع البحوث الإسلامية الموافقة على عرض المسلسل التلفازي «مشرق النور» بحجة ظهور بعض الصحابة في حلقات هذا المسلسل.

قال الدكتور عبدالمعطي بيومي عضو المجمع وعميد كلية أصول الدين لـ«الشرق الأوسط» :إنه بعد أن تساوت الأصوات رجَّح صوت شيخ الأزهر قرار إباحة تمثيل الصحابة ما عدا كبار الصحابة والعشرة المبشرين بالجنة، وآل بيت النبوة مع ضوابط غاية في التشدد، مثل أن يعرض السيناريو على المجمع قبل الإذن بالتصوير، وأن تعرض كل حلقة يظهر فيها صحابي على المجمع قبل الإذن بعرضها، وألا يعرض صحابي في مشهد غير مرض وألا يظهر الممثل الذي يمثل دور الصحابي في موقف يتناقض مع الصورة التي مثلها. وأضاف الدكتور بيومي إنه استقر رأي علماء المجمع على أن فن التمثيل له من التأثير في الرأي العام وخلق الأفكار والقيم ما جعله يشكل خطورة في زرع المفاهيم الحسنة أو الضارة، وبالتالي رأى علماء المجمع أنه لا يمكن تجاهل استخدام هذا الفن في إبراز ما كان عليه الصحابة من قيم فاضلة.

من هدي كتاب الله

من هدي كتاب الله

﴿شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون﴾

البقرة:١٨٥.

من هدي رسول الله ﷺ

قال رسول الله ﷺ:

«ثلاثة لاترد دعوتهم الصائم حتى يفطر، والإمام العادل، والمظلوم»

رواه الترمذي.

عن عامر بن ربيعة - رضي الله عنه - قال:

«رأيت رسول الله ﷺ ما لا أحصي يتسوّك وهو صائم»

رواه أحمد وأبو داود والترمذي.

الإنسان

الإنسان واحد الناس وجمعة ناس. قال ابن عباس رضي الله عنهما: إنما سمي إنساناً لأنه عهد إليه فنسي، وقال الإمام الفيروزأبادي: «هو اسم على وزن فعلان وجمعه من حيث اللفظ أناسين، كسرحان وسراحين وجمعه المعروف ناس وأناس وأنس وأنس، وسمي به لأنه يأنس ويُؤنس به، وقيل للإنسان أُنسان: أُنس بالحق وأُنس بالخلق، فروحه تأنس بالحق وجسمه يأنس بالخلق وقيل: لأنه له أُنساً بالعقبي، وأُنساً بالدينار!» إلى هذا المعنى أشار القائل:

ولقد جعلتك في الفؤاد محدّثي

وأبحت مني ظاهري لجليسي

فالجسم مني للجليس مؤانسي

وحبيب قلبي في الفؤاد أنيسي

ويُقال: إنَّ اشتقاق الإنسان من الإيناس وهو الإبصار والعلم والإحساس لوقوفه على الأشياء بطريق العلم ووصوله إليها بطريق الرويّة وإدراكه له بوسيلة الحواس.

فعيل وأفعل

قيل للإمام علي - رضي الله عنه - وهو في مجلس من مجالسه يداعب أصحابه: يا أمير المؤمنين: ما واجب وأوجب، وصعب وأصعب، وغريب وأغرب، وقريب وأقرب.

فقال رحمه الله:

واجب على الناس أن يتوبوا لكن ترك الذنوب أوجب، والصبر في النائبات صعب لكن فوت الثواب أصعب، والدهر في صرفه غريب وغفلة الناس عنه أغرب، وكل ما يرتجى قريب والموت من كل ذلك أقرب.

مكارم الأخلاق

يقول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرَّم الله وجههُ:

إنَّ المكارمَ أخلاقٌ مطهَّرةٌ

فالعقلُ أولُها والدينُ ثانيها

والعلمُ ثالثها والحلم رابعها

والجود خامسها والعرف ساديها

والبر سابعها والصبر ثامنها

والشكر تاسعها واللين عاشيها

والعين تعرف من عيني محدثها

إن كان من صحبها أو من أعاديها

والنفس تعلم أني لم أصدقها

ولست أرشد إلا حين أعصيها

أمـات

يُقال: أم القرى للنار، وأم النجوم للمجرة، وأم خنور للدنيا وهي من كنى الضبع، وأم الطعام للحنطة، وأم عامر للضبع، وأم عوف للجرادة، وأم طلحة للقملة، وأم ملدم للحمى، مأخوذة من اللدم وهو ضرب الوجه حتى يحمر، وأم الخل للخمر، وأم عبيد للمغارة، وأم شملة للشمس لأنها تشمل الخلق بطلوعها، وأم جابر للسنبلة، وأم الندامة للعجلة، وأم الفضائل للعلم، وأم الرذائل للجهل.

إبـدأ بنفسك

قال علي كرم الله وجهه: من نصّب نفسه للناس إماماً فعليه أن يبدأ بتعليم نفسه قبل تعليم غيره، وليكن تأديبه بسيرته قبل تأديبه بلسانه.

يأيها الرجل المعلّم غيره	فابدأ بنفسك فانهها عن غيها
هلاً لنفسك كان ذا التعليم	فإذا انتهت عنه فأنت حكيم
تصف الدواء لذي السقام وذي الضنى	فهناك يقبل ما تقول ويهتدى
كيما يصحّ به وأنت سقيمُ	بالقول منك وينفعُ التعليم
ونراك تصلح بالرشاد عقولنا	لا تنه عن خلق وتأتي مثله
أبداً وأنت من الرشاد عديمُ	عارٌ عليك إذا فعلت عظيم

دواء لكل داء

وقف أعرابي أمام طبيب فقال له: أعندك دواء لداء الذنوب يرحمك الله.

فأطرق الطبيب برأسه إلى الأرض ثم قال: خذ دواء....، وإن عملت به كان الشفاء من الله، خذ عروق الفقر وروح الصبر وامزجهما برقائق الفكر واجعل معهما قدراً مساوياً من التواضع والخشوع، ثم دقّ المخلوط في مهراس التوبة والخضوع، وبلله بماء الدموع، وضعه في وعاء التذلل إلى الله جل وعلا، وأوقد تحته نار التوكل على الله، وحركه بمعلقة الاستغفار حتى يظهر عليه زبد التوفيق والوقار، وانقله إلى آنية المحبة، وبرّده بهواء المودة، وصفِّه بمصفى الأحزان، واجعل معه حقيقة الإيمان، وامزجه بخوف الرحمن، ودُمْ على هذا ما عشت من الأيام، وإياك أن تقرب في أيام دوائك شيئاً من الآثام، وتجنب الرياء والبس لبس الحياء، واشدد على قلبك بالصدق والوفاء، وإياك أن يدخل بيتك إلا من باب التوبة والصفاء، فإذا داومت على هذا الدواء صفا قلبك من الذنوب وزالت أوجاع ألم الذنوب.

كيف تكون ملكاً ؟

قال محمد بن واسع لتلميذه: كن ملكاً في الدينا والآخرة فسأله: كيف ذلك؟ قال: ازهد في الدنيا تكن ملكاً في الدنيا والآخرة.

كارثة اجتماعية

خمسة يعتبر موتهم كارثة اجتماعية:

- الحاكم الصالح في قوم فاسدين، والعالم الناصح في قوم جاهلين، والمصلح المخلّص في قوم غافلين، والقائد الشجاع في قوم متخاذلين، والحكيم الشيخ في أحداث طائشين.

لا علم لي

سُئل الشعبي عن مسألة فقال: لا علم لي بها، فقيل له: ألا تستحي؟ فقال: ولِمَ أستحي مما لم تستح الملائكة منه حين قالت: لا علم لنا.

دواء القلب

قال إبراهيم الخواص رحمه الله: دواء القلب خمسة أشياء: قراءة القرآن بالتدبّر وخلو البطن، وقيام الليل، والتضرع عند السحر، ومجالسة الصالحين.

نيل العلم

يقول الإمام الشافعي:

أخي لن تنال العلم إلا بستةٍ

سأنبيك عن تفصيلها ببيان

ذكاء وحرصٌ واجتهاد ولغة

وصحبة أستاذ وطول زمان

هذه الفتاوى منتقاة مما تصدره إدارة الافتاء والبحوث الشرعية في وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية في دولة الكويت. والمجلة على استعداد لتلقي الاسئلة مباشرة وتحويلها الى اهل الاختصاص للاجابة عليها. ويسر خدمة الفتوى بالهاتف تلقي الاسئلة الفقهية مباشرة من الساعة ٨ صباحا الى الساعة ١٢ ظهرا ومن الساعة ٤ عصرا الى الساعة ٨ مساء على الهواتف التالية :

هاتف مباشر
خدمة الفتوى
149

ما يبطل الصوم وما لا يبطله

عُرض على اللجنة الاستفتاء التالي:

هل يبطل الصيام ما يلي؟:

١ - إعطاء المريض حقنة دوائية تحت الجلد أو في العضل.

٢ - إعطاء المريض حقنة من الفيتامينات تحت الجلد أو في العضل.

٣ - إعطاء حقنة دوائية في الوريد.

٤ - إعطاء محلول الغلوكوز «نوع من السكر» في الوريد كعلاج أو كمحلول لإذابة الأدوية وكذا محلول الملح «السالاين» كمحلول لإذابة الأدوية التي تعطى في الوريد.

٥ - استخدام التحاميل الدوائية وإدخالها في فتحة الشرج بين أذان الفجر وأذان المغرب.

٦ - سحب دم من مريض كعلاج أو لغرض إجراء التحاليل الطبية عليه.

أ - أجابت اللجنة عن السؤالين الأول والثاني بما يلي:

لايبطل الصوم إعطاء المريض حقنة دوائية من الفيتامينات تحت الجلد أو في العضل، وكذلك أي دواء يعطى بهذه الكيفية. والله أعلم

ب - قررت اللجنة بالنسبة للسؤالين الثالث والرابع الإجابة بما يلي:

إن إعطاء الحقنة الدوائية أو الغذائية من الغلوكوز أو محلول الملح في الوريد لا يفطّر، ولكن يحسن ألا يتخذ ذلك حيلة لدفع الجوع، وذلك لأن المفطّر هو ما وصل إلى الجوف أو الدماغ عن طريق فتحة طبيعية أو مباشرة. والله أعلم.

ج - وبالنسبة للسؤال الخامس أجابت اللجنة:

إن استخدام التحاميل الدوائية وما في معناها من الحقن الشرجية المائعة أو التي تتحلل يفطر بها الصائم وعليه القضاء دون الكفارة. والله أعلم.

د - وبالنسبة للسؤال السادس أجابت اللجنة بما يلي:

إذا كان يترتب على سحب الدم الضعف أو الهزال يكره للصائم ذلك ولا يفطر به بحال. والله أعلم.

إفطار المسافر في الطائرة

عُرض على اللجنة الاستفتاء التالي:

كنا على سفر بالطائرة من جدة إلى الكويت وبعد إقلاع الطائرة بعشر دقائق حان موعد أذان المغرب والذي كان نحو الساعة السابعة إلا عشر دقائق، وكنا نرى الشمس وحان موعد أذان المغرب الساعة السابعة وخمس دقائق في الكويت، وغابت الشمس الساعة السابعة واثنين وعشرين دقيقة، وكنا على ارتفاع ٢٧ ألف قدم فما حكم موعد الإفطار؟

- أجابت اللجنة بما يلي:

إن المسافر لا يراعي في موعد فطره توقيت بلده الأصلي الذي غادره، ولا توقيت البلد الذي يقصده، وإنما يراعي مشاهدته غروب الشمس عنه، سواء كان على الأرض أو على جبل أو مرتفعاً في الهواء، ولكن إذا ترتب على توجه طائرة نحو الغرب تأخر الغروب وطال الزمن بحيث يجهده البقاء صائماً فإنه يفطر للمشقة وعليه الإعادة. والله أعلم.

هل للصائم أن يأكل بعد طلوع الفجر ؟

عُرض على اللجنة السؤال التالي:

نشرت إحدى الجرائد اليومية فتيا بجواز الأكل والشرب بعد أن يؤذن لصلاة الفجر استناداً إلى حديث رواه أحمد والطبري وصححه الألباني «إذا سمع أحدكم النداء والإناء على يده فلا ينزله حتى يقضي حاجته». **فما مدى صحة هذه الفتيا وهل هي موافقة لمذاهب الأئمة الأربعة؟ ومتى تنتهي هذه الحاجة، هل لها وقت محدد أم هي مطلقة؟ وهل يجوز للإنسان إذا سمع الأذان أن يقضي حاجته من الجماع؟**

- أجابت اللجنة:

لم يأخذ أحد من العلماء بظاهر هذا الحديث فيما نعلم، وهو محمول عند الجمهور على أن المراد بالأذان في هذا الحديث إن صح هو الأذان الأول، أو يحمل على حالة من لم يتأكد من طلوع الفجر، أما إذا تأكد من طلوع الفجر فليس له أن يأكل أو يشرب لقوله تعالى: (وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ثم أتموا الصيام إلى الليل) والله سبحانه وتعالى أعلم.

قطع الصوم المتتابع خطأ

يقول السائل: **إنه صدم شخصاً بالسيارة وتوفي المصاب إثر الحادث، وإن شركة التأمين تكفلت بدفع الدية لأهل المتوفى إلا أنه لا يطمئن المتسبب - كما يقول - للمبلغ المدفوع من قبل شركة التأمين، لذا قرر أن يصوم شهرين متتابعين كفارة عن قتله بالخطأ. وفعلاً بدأ بالصوم وفي اليوم الرابع والثلاثين من صيامه استيقظ من نومه في الساعة السادسة إلا ربعاً وهو يظن أن الساعة الخامسة إلا ربعاً فأكل وشرب وجلس ينتظر أذان الفجر، ولما طال به الانتظار نظر إلى ساعته مرة أخرى فتبين أنه أخطأ في التوقيت إلا أنه أمسك عن الطعام في ذلك اليوم واستمر صائماً حتى المساء.**

وهو يطلب من لجنة الفتوى أن تمنحه الجواب بشأن ما وقع فيه من خطأ.

أجابت اللجنة:

بالأخذ بما خرَّجه ابن قدامة في المغني وصححه من جاء بعده من فقهاء الحنابلة، من أن الخطأ لا يقطع التتابع، بل صرَّحوا بأن من أكل ظاناً أن الفجر لم يطلع ولكنه قد طلع فإن هذا عذر لا يقطع التتابع. والأخذ بهذا فيه تيسير على المستفتي.

كما أفهمته اللجنة أنه لا علاقة بين وجوب الكفارة والدية، لأن الدية حق لأهل المتوفى والكفارة حق لله عز وجل، ولا يحسب له ذلك اليوم الذي أفطر فيه وعليه أن يقضيه متتابعاً. والله أعلم

تتابع صوم كفارة القتل

عُرض على اللجنة السؤال التالي:

شخص عليه صيام ستين يوماً كفارة نتيجة لقتل خطأ حصل في حادث سيارة، وخلال صيامه لهذه الأيام أصابه «أيام الكفارة» مرض في الكلى، وأمره الطبيب بأن يفطر مدة معينة ثم يكمل الصيام، بعد الشفاء، إلا أنه في أحد الأيام قد أفطر ناسياً وأكل حتى شبع وكانت الساعة ١١ ظهراً، ثم تذكر أنه يجب أن يكون صائماً، إلا أنه استحق إكمال صيام هذا اليوم لشبعه الكثير ولتناوله الطعام في ساعة متأخرة من ذلك اليوم، حيث لم يبق من اليوم المذكور إلا الوقت القليل لذلك أمضى باقي اليوم مفطراً.

السؤال: هل يعد هذا الفطر للمرض قاطعاً للتتابع؟ وهل يعد إفطاره ناسياً قاطعاً للتتابع علماً بأنه كان في البر ولم يكن معه من يسأله، وعلى هذا أتم يومه مفطراً.

وهل يجوز إخراج فدية مثلاً لذلك اليوم الذي نسي فيه، وهل هناك عمل آخر غير الصيام يسقط هذه الكفارة؟

- أجابت اللجنة بما يلي:

إن الإفطار لمرض لا يقطع التتابع، وكذلك أكله ناسياً لا يفطر به فلا يقطع التتابع، أما ما وقع منه من الأكل عامداً بعد أكله ناسياً، فإنه يفطر به ويقطع التتابع، وكونه أكل جاهلاً بالحكم الشرعي ليس عذراً، ولا يجزئ إخراج الطعام فدية عن اليوم الذي نسيه، وعليه أن يصوم شهرين متتابعين، وليس هناك عمل آخر يمكن أن يسقط هذه الكفارة. والله أعلم.

الاستقراض من أموال الزكاة للمشاريع الإسلامية

عُرض على اللجنة السؤال التالي:

جمعية إسلامية فيها صندوق للزكاة والخيرات ينفق منه على المحتاجين من العوائل والأفراد، ويدفع لبعضهم مرتبات شهرية، واحتاجت الجمعية إلى سلفة لبعض مشروعاتها الخيرية «دفعة لمقاول مبنى لها أنجز وليس لديها حالياً مبلغ من المال، وإنما ستحصل على مبالغ في فترة مقبلة» فهل يجوز لها الاقتراض من صندوق الزكاة ثم تسدد ذلك فيما بعد؟ علماً بأن لديها فتوى سابقة بجواز الصرف عليها من أموال الزكاة، وأن في الصندوق المذكور وفراً من المال يزيد عن مصروفاته الشهرية.

- بعد عرض الموضوع على اللجنة أجابت بما يلي: يجوز للجمعية المذكورة الاقتراض من صندوق الزكاة لإنشاء هذا المشروع وغيره من المشاريع التي يُقصد منها نشر الدعوة الإسلامية والله أعلم.

إفطار الحامل

عُرض على اللجنة السؤال التالي:

ذكر رجل أن زوجته قد تعرَّضت لأمراض عدة وبسبب أحد هذه الأمراض أجريت لها عملية جراحية، وأفاد الأطباء بوجود ضعف عام في جسدها. **فهل يجوز له أن يسمح لها بالإفطار - في شهر رمضان علماً أنه مضى على حملها ستة أشهر - حفاظاً على سلامتها وسلامة الجنين؟**

- أجابت اللجنة:

أنه إذا غلب على ظنها إما بتجربة أو بإخبار من تثق به من الأطباء المسلمين الموثوق بدينهم، بأن صيامها يعرّضها أو يعرّض جنينها للضرر أبيح لها أن تفطر وتقضي إذا استطاعت ذلك، أو تفدي إذا تحقق عدم قدرتها على القضاء، بأن تعطي لفقير ما مقدار ما يكفيه غداء وعشاء، أو فطور وسحور في رمضان من أوسط طعامها وطعام أهلها وذلك عن كل يوم تفطره من أيام رمضان. والله أعلم.

بقلم: شعبان محمود شعبان

الرقابة بين القانون والضمير

هل يستطيع الإنسان أن يكون رقيباً على نفسه أميناً على حدود الله محافظاً على حقوق المجتمع... دون أن يخضع في ذلك لسطوة القانون وعينه الساهرة؟

إن تجربة «الصوم» في شهر رمضان تعطي الإجابة عن هذا السؤال الذي يبدو للوهلة الأولى وكأنه سرحة من سرحات الخيال.

إن الصائم قد يشتد به الجوع أو الظمأ وهو وحيد داخل غرفة مغلقة لا يراه فيها أحد، ولديه ما يشاء من الطعام والشراب الذي يسد به جوعه ويطفئ ظمأه فلا تمتد يده إلى شيء من ذلك لا خوفاً أو حياء من رقيب ولكن خضوعاً لرقابة ضميره عن إرادة حرة واقتناع أكيد.

ولابد لكل مجتمع من قانون ينظّم العلاقة بين أفراده وينظّم العلاقة بين الدولة والمجتمع، ويضع حدوداً تحقق الأمن والعدل وتحول دون العدوان والظلم والانحراف.

على أن القانون بنصوصه وحدها مهما تكن سلامة هذه النصوص وسمو مبادئها لا يكفل تحقيق هذه الأهداف ما لم يصحب ذلك سلامة التطبيق من جانب القائمين على تنفيذه، والشعور بحرمة القانون من جانب أفراد الشعب.

فكيف إذاً تنشأ رقابة الضمير؟

كيف يتخذ الإنسان من ضميره رقيباً وحسيباً على تصرفاته؟، سواء أحضر القانون أم غاب، أم كان في خفية عن الناس وأجهزة الرقابة أم كان تحت أعين الشهداء؟

لنعد إلى تجربة الصوم نجد عندها الجواب.

إن الصائم يؤمن بأنه يخضع لرقابة عليا لا تخفى عليها خافية، وهو يستشعر هذه الرقابة في ضميره، ويقيم من ضميره رقيباً على نفسه، ممتنعاً عن أمور هي قوام حياته متخذاً من ذلك عبادة يتقرب بها إلى الله.

هذه الرقابة الإلهية العليا هي مفتاح الموقف كله.

والشعور بالرقابة الإلهية وتمثلها في ضمير الإنسان يتصل بالإيمان الفطري بالثواب والعقاب، بالحوافز على أداء الخير، بالزواجر عن فعل الشر بالعدالة الإلهية المطلقة في الميزان. ■




قنوات التحصيل
6 طرق سهلة لدفع زكاة أموالك
صالة المتبرعين:
تستقبل المحسنين الكرام في مقر البيت الرئيسي، حيث يقوم موظفون مختصون بتقديم الخدمات اللازمة لهم، ويجيبون على تساؤلاتهم. وللإتصال هاتف: ٥٧٤٥٠٠٠
الخدمة الهاتفية لدفع الزكاة:
من خلال بيت التمويل الكويتي رقم: ٨٠٣٣٣٣ وأضغط الرقم (١).
التحصيل السريع:
يصلكم مندوب البيت لإستلام زكواتكم وصدقاتكم في حال الإتصال على هاتف رقم: ٥٧٥٢٥٧٧
صناديق الخير:
تنتشر في جميع مساجد الكويت، ويمكن للمحسن الكريم إيداع زكواته وصدقاته من خلالها.
صندوق الخدمة المستمرة:
يستطيع المحسن الكريم إيداع زكواته وصدقاته من خلال هذا الصندوق طوال اليوم، في مقر البيت الرئيسي.
الفروع الإيرادية:
افتتح البيت (٢٧) فرعاً قرب الجمعيات التعاونية في المناطق المختلفة، وتستقبل هذه الفروع المحسنين الكرام وتقدم لهم خدمات البيت المتنوعة.
بيت التمويل الكويتي
KUWAIT FINANCE HOUSE
بيت الزكاة
توصيل الزكاة لمستحقيها أمانة فدعنا نحملها عنك
574 5000
السالمية - شارع قطر
ص.ب (23865) الصفاة (13099) الكويت
عنوان الصفحات الإعلامية على الإنترنت
http://www.zakathouse.org.kw
عنوان التراسل الإلكتروني العام
zakat@zakathouse.org.kw
بيت الزكاة
هيئة حكومية مستقلة
دولة الكويت
2.5 %
زكاة أموالكم


بسم الله الرحمن الرحيم
لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ
صدق الله العظيم
شارك معنا من خلال اقتنائك
السهم الوقفي
بقيمة
١٠
د.ك
ومضاعفاته
للإستفسار - هاتف: ٨٠٤ ٧٧٧
التحصيل السريع - بيجر: ٩٢٥ ٩٢٥٠
فاكس: ٢٥٣ ٢٦٦٠
السهم الوقفي
VISA
MasterCard
الأمانة العامة للأوقاف

الوعي الإسلامي

إسلامية شهرية جامعة

al-Waei al-Islami

تأسست عام ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م

العدد ٤١٠ ـ السنة ٣٦ - شوال ١٤٢٠ هـ - يناير / فبراير ٢٠٠٠ م

المعلوماتية ووحدة الأمة



لماذا فشل الفكر القومي العربي في إحداث النهضة؟

في ذمة الله



أبو الحسن الندوي
عالم آخر تفقده الأمة

مؤسسات إسلامية

لجنة فلسطين الخيريـة قلعة من قلاع الخير

مفتي أستراليا



حاكم العراق طغى واستكبر وصار جسرا لعبور المصائب الى ديار المسلمين

هديتك مع العدد براعم الايمان

« من برّد كبد عطشان سقاه الله حتى أرواه من شراب الجنة »
حديث شريف

قطرة ماء

حفر آبار..
تشييد سدود ..
توفير برادات ماء ..

الملايين يعانون من الجفاف والعطش

فهل تشارك في إنقاذ طفل من هلاك محقق ؟!

طريقة المساهمة : ١ - حفر بئر سطحي ابتداء من ١٠٠د.ك
٢ - توفير براد ماء ١٣٠د.ك
٣ - السهم المائي ١٠ د.ك

الوقف المائي

د.ك باستطاعتك دفعها نقدا أو على أقساط شهرية
واستلم الحجة الوقفية

الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية
معا .. لا يعود السائل إلى السؤال

٣ ٤٨٤ ٤٨٤

المندوب السريع : ٩٢٨٨١٨١ - المقر الرئيسي : ٢٤١٨٠٢٥ - فرع العاصمة : ٤٨٤٢٠٤٢ - ٤٨٤١٠١٦ - فرع الفروانية : ٤٨٩٨٨٣٣/٤٤ فرع الأحمدي :٣٩٦٤٤٨٠/١
فرع الجهراء : ٤٥٥٩٨٣٣/٤٤ - مكتب الفحيحيل : ٣٩٢٠٠٩٠ - مكتب الصباحية : ٣٦١٠٠٣٣ - مكتب الفروانية : ٤٧٣٣٦٧٣

الوعي الإسلامي

تأسست عام ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م

إسلامية ❖ شهرية ❖ جامعة

تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية

في دولة الكويت في مطلع كل شهر عربي

Islamic Monthly Magazine, Published By The
Ministry of Awqaf & Islamic Affairs - Kuwait

رئيس التحرير
CHIEF EDITOR
جاسم محمد مطر شهاب
Jasem M. M. Shehab

سكرتير التحرير
EDITORIAL SECRETARY
وائل أحمد الهنيدي
WAEL A. AL-HUNAIDI

الإشراف الفني
ART DESIGNER
صالح محمد صالح
SALEH M. SALEH

العدد 410 - السنة الخامسة والثلاثون - شوال 1420 هـ - يناير / فبراير 2000 م

الأسعار

الكويت : ٣٥٠ فلسا . السعودية : ٤ ريالات . البحرين : ٣٠٠ فلس . قطر : ٤ ريالات . الامارات : ٤ دراهم . سلطنة عمان : ٣٠٠ بيسة . الأردن : ٥٠٠ فلس . مصر : **جنيه** واحد . السودان : ٥ جنيهات . موريتانيا : ١٢٠ أوقية . تونس : **دينار** واحد . الجزائر : ٥ دنانير . اليمن : ٥ ريالات . لبنان : ١٠٠٠ ليرة . سوريا : ٢٠ ليرة . المغرب : ٦ دراهم . ليبيا : ٥٠٠ مليم . اوروبا : **جنيه** استرليني واحد او مايعادله . امريكا وبقية دول العالم الاخرى : **دولاران** او مايعادلهما .

كلمة العدد

ترويح القلوب في ميزان الإسلام

الإخوة القراء:

يصادف صدور هذا العدد من مجلة الوعي الإسلامي حلول عيد الفطر السعيد، وقد حرصت المجلة في هذه المناسبة السعيدة على فتح ملف خاص لقضية الترويح والفكاهة والمسرة في الإسلام على اعتبار أنها أمور مستحبة تخفف من وطأة الحياة ومشقاتها ما كانت في حدود الصدق والواقعية ووفق الضوابط الشرعية التي رسمها ديننا الإسلامي الحنيف، ومن جانب آخر، وبعيداً عن قضية الفرح والبهجة والسرور، عالجت المجلة في هذا العدد قضايا جادة ومهمة تهم مجتمعاتنا المسلمة في مسيرتها المعاصرة وفي مقدمها دور الزكاة في تنمية المجتمعات المسلمة، لماذا فشل الفكر القومي العربي في إحداث النهضة؟ هل يجوز إنكار حديث نبوي لمخالفته العقل؟، هل المعلوماتية يمكن أن تكون مدخلاً حاسماً للوحدة العربية؟

كلنا أمل أن تحوز هذه الموضوعات التي وردت في العدد على رضاكم، آخذين بعين الاعتبار استمرار التواصل بيننا وبينكم، خدمة لديننا وأمتنا وقضايانا الإسلامية العادلة.

وكل عام وأنتم بخير.

الوعي الإسلامي

المراسلات

المراسلات كافة باسم رئيس التحرير
مجلة الوعي الإسلامي
ص.ب : ٢٣٦٦٧ . الصفاة . 13097 . الكويت
هاتف ٥٣٤٨٩٧٦ (+٩٦٥) فاكس ٥٣٤٨٩٥٤ (+٩٦٥)

al-Waei al-Islami
P.O. BOX 23667 SAFAT
13097 KUWAIT
TEL. 965 5348976 FAX 965 5348954

e.mail: al_waei@hotmail.com
Homepage: www.kuwait.net/~awqafnet

الاشتراكات

- داخل الكويت :
للأفراد ٥ دنانير . للمؤسسات ١٠ دنانير كويتية
- الدول العربية :
للأفراد ٦ دنانير كويتية (او مايعادلها).
- دول العالم :
للأفراد ١٠ دنانير كويتية (او مايعادلها).
- للمؤسسات :
٢٠ ديناراً كويتياً (او مايعادلها).

ترسل قيمة الاشتراكات في شيك إلى إدارة المجلة باسم مجلة الوعي الاسلامي (الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)

المجلة غير ملتزمة بإعادة أي مادة تتلقاها للنشر. والمقالات لا تعبر بالضرورة عن رأي الوزارة

مطابع السياسة - الكويت

وكيل التوزيع شركة الخليج لتوزيع الصحف هاتف ٤٨١٦٨٨٤/٥ / ٤٨٣٥٠٤٧ ص.ب ٤٢٠٥٧ الشويخ 70651 الكويت . برقيا نيوزبيبر

فـــي العــــدد

ظاهرة إنسانية :

عبثيــة الحــرب



أدرك العالم أخيراً عبثية الحرب، ولكن بعد معاناة رهيبة دفعت الشعوب جراءها ثمناً باهظاً. والسؤال الذي يطرح نفسه هو: لماذا يمارس البشر هذه العبثية؟ وهل الحرب إفراز بيولوجي وتعبير طبيعي، أم تشكيل ثقافي ومرض اجتماعي؟

حديــث : 54

هل يجوز إنكار حديث نبوي لمخالفته العقل ؟

حملة التشكيك بالسنَّة مرض عقلي، ووباء فكري، أُصيب به الحاقدون المتذرعون بحجج واهية مع أن كتابة السنَّة تعتبر معجزة لا تستطيع أمم الأرض جميعاً أن تفعل مثلها؟

تيارات هدامة :

ظاهرة الإرهاب في تعاليم التلمود 30

ارتكب اليهود ما يزيد عن خمسين مجزرة ضد الفلسطينيين منذ العام ١٩٤٧م... وجاءت كلها في إطار العقيدة التلمودية التي تمجد منفذيها، لأن في تمجيدهم تمجيد للخالق حسب زعمهم!!

الفهـــرس

الافتتاحية

العيد وسعادة الأمة

مع إطلالة عيد الفطر السعيد، تبتهج النفوس وتسعد بعد موسم العبادة في شهر رمضان الكريم، إنه يوم الفرحة والأنس والشكر لله سبحانه وتعالى لإتمام الطاعة بالصلاة والقيام إعلاناً بانتهاء هذا الشهر الفضيل.

تهبط الفرحة والسرور على الأمة الإسلامية وكأنها ضيف عزيز يحلّ في الربوع الإسلامية كلها.

إنها فرحة العيد، دعوة للتلاحم والتعاطف بين الكبير والصغير، والغني والفقير، والرجال والنساء... دعوة للجميع لصفاء القلوب، وانشراح الصدور، ونسيان الخلافات والنزاعات بين الجميع، شعوباً وأفراداً.

في هذا العيد لابد أن نتدبّر أحوال المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، شمالها وجنوبها، فلا نجد إلا أنيناً هنا، وحزناً هناك، في فلسطين، والشيشان، وكشمير...

شعوب تغرق في ظروف اقتصادية قاسية، وشعوب لاتكاد تحصل على لقمة العيش التي تسد رمقها ورمق أبنائها.

أسرى ومرتهنون في غياهب السجون. أمهات وأطفال يرمقون عودة آبائهم وأبنائهم من سجون الظلم والطغيان.

مسلمون منتشرون في بقاع العالم تكاد هويتهم تفنى وتضيع، ويكادون يذوبون في مجتمعات غير مسلمة، فهم في غربة عن عالمهم الإسلامي وتعاليمه السمحة.

وإزاء كل ذلك، فإننا مدعوون وفي هذا العيد السعيد أن ندخل السعادة والفرح في نفوسنا ونفوس أبنائنا. فثقتنا بنصر الله كبيرة مهما ضعفت هذه الأمة وزادت جراحاتها شرقاً وغرباً، ومهما تعاظمت هذه النكبات إلا أننا موعودون بيوم سعيد مثل يوم العيد، ويومئذ يفرح المؤمنون. بنصر الله. ■

رئيس التحرير

ترحب الوعي الاسلامي برسائل القراء وتنشر منها ما يتوافق مع سياسات النشر لديها بما لا يتعارض مع حقوق الآخرين وحرية الرأي. وتحتفظ المجلة بحق تنقيح الرسائل واختصارها.

ملاحظات

أكتب إليكم معاتباً بدافع من غيرتي الشديدة على الإسلام، ثم على المجلة الأولى للمسلمين «الوعي الإسلامي»، تلك التي حملت مشعل الدعوة الإسلامية فيما يربو على ٣٤ عاماً، قدَّمت خلالها الكثير مما يخدم الدعوة الإسلامية السمحة في شتى صنوف المعرفة. غير أنني قرأت أحد الموضوعات المنشورة بالعدد ٤٠٠ ذو الحجة الذي يحمل عنواناً براقاً «الآثار النفسية لأسلوب القرآن الكريم»، وهو معد بمعرفة الدكتور عبدالفتاح العيسوي وما أن اطلعت على المقال وعلى كل مادته العلمية حتى ألمَّ بي حزن عميق.

فقد ورد في المقال بعض العبارات التي تصف القرآن وتشبهه ببعض التشبيهات في غير موضعها، ومن غير اللائق أن نصور القرآن على نحو ما أورده الكاتب في المقال ولن أتناول كل ما ورد بالمقال حرفياً، بل سأكتفي بذكر بعض العبارات التي وردت في المقال وحرّفت معاني القرآن السامية زاعماً كاتب المقال أنه يضيف بعض المحاسن إلى القرآن الكريم والواقع أن القرآن الكريم بعد ١٤ قرناً من الزمان ليس في حاجة إلى الثناء عليه وبأنه حسن، وإذا بنا نرى المقال يذكر أن القرآن جمع بين الشعر والنثر وهو خطأ جسيم وتحريف للكلم عن مواضعه لأن الشعر والنثر من الفنون البلاغية التي لا ترقى إلى كتاب الله ويكفي وصف رب العزة بأنه «قرآن كريم في كتاب مكنون لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه يهدي إلى الرشد»، ثم يذكر كاتب المقال أن ما في القرآن من سجع قد برع فيه العرب وهذا يخالف الواقع لأن الله عز وجل قد أنزل القرآن باللغة العربية حتى يوضح عجز أهل الفصاحة والبيان على أن يأتوا بمثله وهناك كثير من القصائد التي برع فيها شعراء العرب وتعرف بالمعلقات ومع هذا لاترقى إلى آية واحدة من كتاب الله.

ثم يقرر الكاتب أن القرآن به تكرار لثبوت المعنى وهو ما لا يتفق مع واقع كتاب الله فمعناه ثابت وإيقاعه محكم «إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ويبشر المؤمنين» ذلك الذي جعل عمر بن الخطاب يرق قلبه فور سماعه آياته رغم قسوة الجاهلية، وإذا به يتجه إلى الرسول - ﷺ - ليعلن إسلامه، وما زاد الطين بله أن يشبه صاحب المقال بعض آيات القرآن الكريم بالأمثلة الشعبية وفي هذا إثم كبير حيث يهبط بالقرآن إلى مستوى الأمثلة الشعبية التي قد تقال في المقاهي وأماكن اللهو والمجون.

كما يقرر المقال أن القرآن الكريم يعمد إلى التكرار مثلما يعمد أصحابه الدعايات هذه الأيام وذلك للتأثير بالنشر. فكيف نهبط بالكتاب المكنون إلى مستوى أعمال الدعايات التي تخرج عن القيم، ولست أدري ماذا يهدف صاحب المقال... أيريد أن يقول إن القرآن حلو وأسلوبه بليغ. ويضيف أشياء مجهولة لا يعرفها المسلمون؟.

إن القرآن ليس في حاجة إلى شهادة من بشر مادام رب العزة قال وهو أصدق القائلين: (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه). فصلت:٤١

(لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله). فشكراً لصاحب المقال ونسأل الله أن يفقهنا في ديننا وأن يفتح بيننا وبين قومنا بالحق ربنا اغفر لنا وتجاوز عن سيئاتنا إنك سميع الدعاء.

والله الموفق إلى سواء السبيل، وما هذا العتاب إلا لدافع غيرتي على أمور ديننا الحنيف.

د. صالح علي عثمان
أستاذ التفسير وعلوم الدين
كلية أصول الدين - جامعة الأزهر - جمهورية مصر العربية

حــق الآخــوة

ليس من الآخوة أن يعيش المسلم وحده ويسعد وحده، وينام ويدع إخوانه في الشيشان يُقتلون ويُذبحون، ليس هذا من الإيمان، وقد صوَّر النبي - ﷺ - العلاقة بين المسلمين في حديثه الشريف حيث قال: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر».

إذا كنا إخوة حقاً فلابد للمسلم أن ينصر أخاه كما قال ﷺ: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً» وشبك بين أصابعه.

إذا كانت هذه هي توجيهات النبي - ﷺ - فأين نحن الآن أمام هذا الدخان الكثيف الذي يغطي سماء الشيشان بأكملها؟، وأين نخوة المعتصم حينما نادت امرأة «وامعتصماه»؟

إنها مأساة لن تنتهي إلا إذا جاء المعتصم الذي يحرِّر الأرض ويفك القيد، ويهزم قوى الطغيان.

(ويقولون متى هو قل عسى أن يكون قريباً) الإسراء:٥١.

مصطفى شحاتة حنفي - مصر

مشاركة في الرأي

من المؤسف أننا بتنا نعيش في مجتمع متفكك العرى والروابط، كادت أن تسود فيه الأنانية بدل الأثرة، وأن تطغى البغضاء على المحبة، وأن يعمَّ الكذب عوضاً عن الصدق، وأن تطغي المصلحة المادية على معظم جوانب الحياة... كأن الإنسان لم يخلق إلا ليقضي نزواته وأهواءه وشهواته دون رادع من دين أو حتى ضمير... ورويداً رويداً انحسرت تلك الأواصر التي كانت تجمع أفراده فتؤلف فيما بينهم، وتجعل للرحمة دوراً عظيماً في أخلاقهم ومعاملاتهم.

ولا شك أن الخلل قد أصاب كثيراً من دعائمه وركائزه التي ينهض بها قوياً عزيزاً ولعلي فيما أتصوره في هذه العجالة الموجزة أشارك مشاركة متواضعة في تسليط الضوء على أخطر الجوانب التي تحتاج للإصلاح والمعالجة فأقول:

- إن أولى الركائز التي يجب أن تحظى بالرعاية والعناية الجادتين هي: الأسرة، تلك النواة الأساسية في بناء المجتمع، فهي بالنسبة له كالخلية للجسد إذا أصاب بعضها ضرر أو شذوذ أثَّر ذلك عليه بمقدار درجة خطورة الاضطراب الذي يصيبها، إذ قد تسلب منه حياته إذا كان سرطاناً أو نحوه... ولا ينفع حينها الطبيب ولا ترياقه... وهذا ما نخشاه على مجتمعنا من أن يصل إلى مرحلة اللاعودة إن لم نسارع بنية صادقة وعزيمة نافذة نحن الأفراد فنصلح أنفسنا بالتصالح والتصارح معها عقلانياً ووجدانياً، نرى ما لها من واجبات وما عليها من حقوق، فنطالب بأولاها، ونقوم بثانيها باعتدال ووسطية مستمدة من روح ديننا الإسلامي الحنيف الذي أمر بذلك، وذلك مما يجعل تلاحم الأسرة أمراً هيناً فاعلاً في آن.

- يعدُّ التعليم ركيزة مهمة في مساندة المجتمع ليقوى ويصمد وينهض بدوره الحضاري... ولكن غدا وللأسف بضاعة يتاجر بها من يفترض أن يكونوا أكثر الناس نزاهة عن ذلك... لأنهم حاملوا رسالة، ومن البدهي في أصحاب الرسالة أن يكونوا أعظم الناس تضحية وفداء دون طمع في مكسب مادي أو دنيوي... فترى الأستاذ والمعلم لا يقدم لطلابه إلا النذر اليسير من العلم كأنما يقطره تقطيراً على قدر مرتبه، مع منٍّ واستعلاء... هذا إن كان ذا علم، وما أقلَّ من هم كذلك... وإلا فجاهل يتجاهل على الآخرين!!

ناهيك عن ضعف الكتاب وضبابية المنهج في تدريسه وإغفال جوانب التربية المؤثرة العملية وجعلها أفكاراً ومواعظ لا تجد لها نفساً للممارسة أو التطبيق... مما قلل تفاعل الطالب مع أجواء التعليم وجعل منه آلة تسجيل للمعلومة لا يتأثر ولا ينفعل ولا يمارس ما تعلم بشغف ورغبة حتى ينطبع في فكره وسلوكه ونتاجه.

- أما الركيزة الثالثة والتي لا تقل أهمية عن سابقتيها فهي: الإعلام الذي يلعب دوراً خطيراً في زماننا هذا، فقد أصبح كالشمس تدخل كل بيت، وكالهواء المتنفس لايستغني عنه أحد في عالم أصبح كقرية صغيرة... بل لا أكون مبالغاً إذ قلت إن السلاح الفتاك الذي يوظفه الآن من يريد تميزاً وتفرداً أو هيمنة... ونحن لا نريد منه سوى أن يكون نبراساً لأفراد مجتمعنا يوجههم في ظلمتهم الحالكة التي تلفهم، ويعرّي لهم الحقائق صافية كالزلال دون تضليل أو تهميش أو تشويش، ويميز لهم ما بين صالح وطالح، ويصدع بالقيم النبيلة ويسفّه ويحط سواها من الرذائل... فيجعل منهم رقباء لا ذيول وأتباع، وأقوياء به لا ضعفاء بسببه.

تلكم ركائز ثلاثة سيقوم عليها بنيان متين متماسك قادر على المقاومة عن يمينه وعن شمال، ومن فوقه ومن تحته، ومن أمامه ومن خلفه فإن أهملنا إحداها أو جميعها لم تقم لنا قائمة، وصرنا ركاماً تدوسه الأقدام، وعفاء ليس بعده إلا عدم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

ممدوح المحارب - مصر

تصحيح على تصحيح

لفت انتباهي في العدد ٤٠٦ من مجلة الوعي الإسلامي تصحيح الأخ د. محمد المسيري بما سوّده كاتب مقال «الآثار النفسية لأسلوب القرآن» المنشور في عدد سبق هو العدد ٤٠٠، فجزاه الله خيراً، إذ إنَّ القرآن الكريم منزَّه عن الشعر وأقرانه، وهو أسلوب فريد معجز بنظمه وجرسه ورسمه، بل إعرابه وحرفه، وقد كان لي شرف كتابة موضوع عن هذا الأمر بعنوان «إعجاز الحرف في القرآن الكريم» ونشر في العدد رقم ٣٤٩ من هذه المجلة الزاهرة - رمضان ١٤١٥هـ، ولكن لي تصحيح على تصحيح الأخ المسيري حفظه الله.

- النقص في الآية ٦ من سورة آل عمران التي استشهد بها الكاتب في تصحيحه وهي: (هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هنَّ أمُّ الكتاب وأُخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغٌ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاءَ الفتنةِ وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكَّرُ إلا أولو الألباب). آل عمران:٧

وصدق ابن خلدون حين قال في مقدمته إن القرآن ضربٌ من العربية متميز عن النثر والشعر، فهو نوع مستقل اسمه القرآن، تنزيل الحميد المجيد، فيكون تقسيم فنون العربية إلى نثر وشعر وصنف آخر مستقل هو القرآن.

- «فكلمة (النوايا) في التصحيح تحتاج إلى تصحيح، فهي من الأخطاء الشائعة عند أهل الصحافة، والصواب نيَّات» جمع نيّة، وهي القصد، أما (نوايا) فهي جمع نويّة ونواة. وهذا واضح في حديث المصطفى ﷺ، «إنما الأعمال بالنيّات». هذا والله أعلم.

محمد فتحي الحريري - دبي

تتقـــدم وزارة الأوقــاف والشـــؤون الإسلاميــة

وأســـرة تحريـــر مجلـــة الوعي الإسلامي من

صاحب السمو أمير البلاد

وسمو ولي العهد رئيس مجلس الوزراء

وأعضاء الحكومة الموقرة

ورئيس وأعضاء مجلس الأمة

بأطيب التهاني وأجمل الأماني

لمناسبة عيد الفطر السعيد

سائلين المولى سبحانه وتعالى أن يعيده على

المسلمين قاطبة باليمن والخير والبركات

وأن يرحم الشهداء الأبرار

ويفك قيد الأسرى ويعيدهم سالمين غانمين

إنه سميع مجيب

عيدكم مبارك

وعساكم من عواده

كلمة سمو أمير البلاد لمناسبة العشر الأواخر من رمضان

لن يثبت في قرننا إلا ذوو الهمم العالية والنفوس الثابتة

أشار سمو أمير البلاد في نطقه السامي لمناسبة العشر الأواخر من رمضان إلى الطبيعة الاقتصادية لهذا القرن وقال إنه لايثبت في مضماره إلا ذوو الهمم العالية والنفوس الثابتة القادرون على مغالبة المشكلات ومواجهة الصعوبات. وفي ما يلي نص الكلمة:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد أكرم المرسلين.

الإخوة والأخوات

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

بعد هذه الرحلة المباركة مع أيام شهر رمضان ولياليه، أيام العبادة والصيام، وليالي التلاوة والقيام، نلتقي كعادتنا في حديث الإخاء والصفاء، حديث العشر الأواخر من رمضان.

وتصادف بداية الألفية الثالثة للميلاد يوماً من أيام شهرنا هذا، ويعتبر العالم هذا التاريخ بداية لبدء مرحلة متميزة من مراحل التسابق بين الشعوب، وكلنا نعلم أن معالم الزمان ليست هي الأرقام، بل هي ما يسطره الجهد البشري من علم وحضارة، وتقدم وثقافة، وصمود ومغالبة للعقبات أياً كان نوعها.

أيها الإخوة والأخوات:

هكذا نحن في الكويت، بحمد الله وفضله، شعباً وقيادة، جماعات وأفراداً، حريصون على شعائر ديننا الحنيف، وعلى فعل الخير ما استطعنا إلى ذلك سبيلاً، فهذه المساجد ودور العبادة تعج بالعابدين، والفقهاء والواعظين، وهذه معالم شهر الصوم المعظم بادية في كل مكان.

تمتد أيدينا بالزكوات والصدقات في سخاء ملحوظ لمساعدة ذوي الحاجات داخل الكويت وخارجها، وإننا لنذكر ذلك، لا منّاً على أحد، وإنما تحدثاً بنعمة الله تعالى علينا كما أمر، ولقد كان ذلك دأب الشعب الكويتي قبل النفط وبعده، ولله وحده المنّ والفضل، فهو الوهاب ومنه التوفيق.

الإخوة والأخوات:

إن امتلاء النفس سروراً ورضا وهي تشيع الخير من حولها هو غاية النفوس الطموحة، التي يربيها القرآن، ويرفع درجتها في الدنيا والآخرة، وكلنا بحمد الله نحفظ صفة الأتقى التي سجلها الذكر الحكيم. إنه (الذي يؤتي ماله يتزكى. وما لأحد عنده من نعمة تجزى. إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى. ولسوف يرضى).

إنها ليست صفات تهب صاحبها الامتياز الفردي فقط، بل هي صفات المواطن الأمثل الذي يشعر بغاية الفرح والسرور والرضا وهو يضع لبنة ترفع وطنه، ويقدم فكرة تسعد إخوانه، أو اختراعاً ييسر الحياة من حوله... فكل هذا بذل وعطاء دون انتظار مردود إلا من الله وحده.

الإخوة والأخوات:

إذا كنا قد أحيينا ليالي رمضان بتلاوة القرآن، فإن الآيات الجامعة في الكتاب الكريم، وهي كثيرة، ينبغي أن تكون موازين لنا، نزن بها أنفسنا، لنعلم مقدار التزامنا بقيمنا، ومقدار ما نستحقه بعين الله التي لا تغفل ولا تنام لا بعين الناس التي تخدعها المظاهر وتغلبها الأهواء.

لنأخذ هاتين الآيتين القصيرتين، وهما من قصار السور، ونجعلهما ميزاناً وشعاراً، يقول عزّت كلمته (إن الأبرار لفي نعيم. وإن الفجار لفي جحيم)، والبر لفظة جامعة لمعاني الصلاح والإحسان ومكارم الأخلاق، وعلى الضد منه الفجور، الذي يجمع كل المعاصي والمخالفات كبيرها وصغيرها.

لو أن كل أسرة، وكل مؤسسة تربوية، جعلت همّها تحويل هذه الدعوة الإلهية إلى برامج عمل وفق رؤية موضوعية مفصّلة لكل ما يندرج تحت البر والفجور، لكانت لنا في النهاية حصيلة رائعة من أجيال تزيد الكويت رفعة وعزة.

الإخوة والأخوات:

لقد امتلأت نفوس أسلافنا من الآباء والأجداد بالمعاني السامية، فقدسوا الدين، وعظّموا الوطن، واحترموا العمل، حتى صارت هذه القيم أعرافاً مرعية، وتقاليد مقررة، ومن ثم لم يلوكوها ألفاظاً، وإنما ترجموها أعمالاً، فاستطاعوا أن يجعلوا من الكويت دولة حرة، ومنطقة جذب حتى في أيام الشحة الاقتصادية، وذلك لما امتازوا به من حيوية، وتفان في العمل، والتحام بالعالم. واليوم ونحن في أولى خطواتنا بطريق القرن الحادي والعشرين علينا أن نواصل طريق الآباء في الحفاظ على الكويت حرة مستقلة، والارتفاع بها نامية مزدهرة. وتجمع كلمة المحللين في كل المجالات على أن قرننا هذا قرن الصراع الاقتصادي، والعلمي والتكنولوجي، ولن يثبت في مضماره إلا ذوو الهمم العالية والنفوس الثابتة، القادرون على مغالبة المشكلات، ومواجهة الصعوبات.



الإخوة والأخوات:

لئن اغتنمنا مناسبة رمضان المعظّم بقيمه السامية، أو دخول القرن الحادي والعشرين بنذره المتجهمة، لنتحدث حديث القلوب والمشاعر، فإن حديثنا كله مداره وطننا العزيز. نضرع إلى الله تعالى في هذه الأيام المباركة، أن يحفظ الكويت، ويؤيدها بالحق والتوفيق، ونستودعه تعالى شهداءنا الأبرار، وندعوه جل وعلا أن يعيد الأسرى لذويهم وافرين بقدرته ورحمته، إن سميع مجيب.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته. ■

بقلم: د.طارق البكري

ثمانون عاماً في الدعوة والإصلاح والبناء:

أبو الحسن الندوي عالم آخر تفقده الأمة

وَقْع المصاب الأليم كان جسيماً عندما ودعنا قبل أيام فقيد الأمة العلامة الشيخ أبو الحسن علي الحسني الندوي الذي رحل عن هذه الدنيا عن عمر يناهز العقد التاسع قضاها في عمل دؤوب متواصل قَلَّ نظيره وتشهد له الدنيا بهذا العطاء الممزوج بتاريخ مسلمي الهند الذين برعوا في شتى العلوم الدينية وجذبوا أنظار الأمة رغم بعدهم النسبي عن قلب العالم الإسلامي، ووقوعهم فريسة سهلة لأعداء الإسلام في سني وجودهم في شبه القارة الهندية منذ مئات السنين.

ورأس الشيخ الندوي رحمه الله هيئة الأحوال الشخصية لعموم مسلمي الهند إلى جانب توليه الأمانة العامة لندوة علماء الهند التي مضى على إنشائها أكثر من مئة عام.



ويقول - رحمه الله - إنه درس في ندوة العلماء وفي معهد ديوبند، كما درس على يد كبار من أدباء العرب والمسلمين أمثال الشيخ خليل بن محمد اليماني والشيخ العلامة د.تقي الدين الهلالي المراكشي، كما تعلم في جامعة «لكنو» التي تبعد عن العاصمة نيودلهي نحو ٥٥٠ كم، وتخرج - رحمه الله - في هذه الجامعة في الأدب العربي إضافة إلى تخصصه بالفقه والتوحيد وسائر العلوم الإسلامية، وكأنه قدر أن العلم الديني يستوجب إتقان لغة القرآن الكريم لفهم كتاب الله واستيعاب مضامينه فضلاً عن السنة النبوية الشريفة.

ويعزو الراحل الكبير فضل غرس حب العلم في نفسه إلى إنسانة عزيزة هي والدته، رحمها الله، التي نشَّأته على الطاعة والإيمان ومزاحمة أهل العلم، وتولت مسؤوليته بعد وفاة والده، وكانت حريصة على عدم إشعاره باليتم، فكانت تحرص على أن يحيا بشكل طبيعي ما جعلها تكرس حياتها من أجله رحمها الله.

وقد حاول الشيخ الراحل محاربة الأمية والجهل بين أبناء وبنات المسلمين، وذلك بنشر فكرة إنشاء المدارس الأهلية التي تقوم على التعليم الإسلامي واللغتين العربية والأردية، مع بعض العلوم العصرية المتوافقة مع الإسلام ومواكبة التعليم الموازي.

واستقطب العلامة أبو الحسن الندوي كثيراً من طلاب العلم داخل وخارج البلاد، وكان يسعده أن يكون صلة وصل بين طالبي العلم والمؤسسات العلمية الإسلامية في العالم، ولا سيما السعودية ومصر وغيرهما في دول العالم، وكان عضواً في أكثر من مجلس وهيئة مثل المجمع الفقهي لرابطة العالم الإسلامي، والمجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية في الأردن، والمجمع العلمي في دمشق إضافة إلى رأسته مركز

من كلمات الفقيد

- هناك مخطط دقيق وحاسم لإبادة الشعب الهندي المسلم دينيا وعقدياً وتحويل هذا القطر الذي حكمه المسلمون نحو ثمانية قرون وارتقوا به حضارياً وثقافياً وعقدياً إلى أندلس ثانية.
- الأدب يؤثر فيما لا يؤثر كثير من العلوم وكثير من المناهج الفكرية.
- الطريق الوحيد لمواجهة الخطوب يكون بإثارة الحمية الدينية واجتماع الكلمة والتعاون.
- لقد آن الأوان لتجتمع الأمة بغض النظر عن الجنسيات واللغات والثقافات على الحمية الدينية.
- قلَّة الحمية الدينة وقلَّة التعاون وقلَّة الحماس الإسلامي من الأسباب التي ساعدت اليهود لإحكام السيطرة على فلسطين.
- الشعب الهندي المسلم قام بواجبه وأدى ما عليه ويستحق الاهتمام به والتحمس له.

أكسفورد للدراسات الإسلامية، هذا المركز الذي أُنشئ ليكون نقطة انطلاق للفكر الإسلامي في جامعة غربية عريقة.

ويظهر من كتابات الراحل مدى حرصه على امتثال الثقافة العامة المبنية على الفهم الحقيقي للإسلام، ومن منطلق ارتباط الواقع المحيط بالمسلمين الهنود بمستقبل الإسلام في جنوب شرق آسيا، حيث يعتبرون أقلية مضطهدة ضعيفة في مقابل قوى فكرية وعقدية ووثنية متعددة ما يحتم على الدعاة أن يعملوا أولاً للحفاظ على الوجه الحضاري الإيماني للمسلمين في هذه الظروف الخطرة ومن ثمَّ مواجهة التحديات والمشكلات الكثيرة، ولا سيما أن هناك قضايا ساخنة ومشكلات تشتعل في المنطقة وأبرزها قضية كشمير التي تزداد استعاراً نتيجة التعنت الهندي ورفض تحرير الكشميريين المسلمين من القبضة الهندوسية.

كما أن المسلمين الهنود في خطر دائم، ولعل ما حدث لمسجد بابري قبل سنوات، وما يشعر به المسلمون من اضطهاد، كل ذلك كان حافزاً لهذا العلامة الكبير أن يمد جسور الاتصال بين مسلمي شبه القارة وإخوانهم المسلمين في العالم العربي وفي مختلف الدول الإسلامية وحتى في أوروبا وأميركا.

وقد وهب - رحمه الله - كل وقته لإعلاء كلمة الحق، ولخدمة المسلمين والدفاع عنهم، ومواجهة أعداء الإسلام الذين تتعدد دياناتهم ومعتقداتهم في هذه البلاد الفسيحة.

وقد قام الشيخ الندوي بتأسيس عدد كبير من المؤسسات العلمية والاجتماعية، كما أسهم مع إخوانه بإنشاء مراكز دعوية وأدبية متنوعة، منها رابطة الأدب الإسلامي العالمية ومدرسة دار العلوم في لكنو وغيرها، لاعتقاده أن تأسيس مثل هذه التجمعات يمثل حاجة ملحة من حاجات العصر، ولاسيما في دولة مثل الهند التي تزخر بالتحديات على اعتبار مسلمي الهند يُقدر الشيخ عددهم بـ٢٠٠ مليون مسلم، يعتبرون أقلية في دولة يتجاوز عدد سكانها المليار نسمة.

ويعتبر الشيخ الندوي أن هذا التحدي كان يشيع في الطبقة المثقفة في الهند، وهي الطبقة المتخرجة في الجامعات العصرية التي يعتقد بعض منها أن الإسلام قد ولى زمنه. وما عاد يصلح لقيادة البشرية الفكرية أو الحضارية مشيراً إلى أن ذلك هو التحدي الكبير الذي واجه المسلمين في الهند ما كان يفقد كثيراً من المسلمين مع مرور الأيام الشعور بجدارة الإسلام للقيادة وبجدارته للخلود أيضاً، ومن ثمَّ اتسعت الفجوة كما اتسعت الجفوة بين طبقةالعلماء الراسخين في العلم، وغيرهم، ما استدعى إنشاء المدارس والمعاهد الدينية التي أسهم الراحل بإنشاء عدد كبير منها حتى لا يكون التعليم الديني في واد والتعليم العصري في واد آخر، وذلك لفهم نفسية الطبقة المثقفة بالثقافة العصرية والتعامل معها بأساليب علمية معاصرة مستندة إلى أسس دينية صحيحة بعيداً عن الشوائب الكثيرة التي راجت في الظروف المعاصرة للأمة الإسلامية.

لقد وعى الشيخ الندوي حاجات المسلمين الهنود الدينية، فكان داعياً وواعظاً ومؤلفاً ومؤسساً لكثير من المؤسسات، كما امتد نشاطه إلى خارج الهند فزار كثيراً من الدول الإسلامية والأجنبية، وشارك في عدد كبير من الندوات والمحاضرات، ونظراً لعالميته فقد قام عدد من الباحثين بإجراء كثير من الدراسات والأبحاث عنه وعن مؤلفاته، كما أن هناك عدداً من رسائل الماجستير والدكتوراه تناولت الشيخ الندوي في جوانب شتى.

لقد قدم الشيخ الندوي مئات المؤلفات من كتب ودراسات ومقالات فضلاً عن محاضرات كثيرة أَثْرت الوعي الديني وأضافت إلى تراث الأمة إضافات كريمة ما هي إلا أنوار تحسب في سجل العلاَّمة الفقيد الذي بكت الأمة رحيله، وكان فقده هولاً ليس لمسلمي الهند، بل للأمة الإسلامية.

شهادات بالفقيد

- يقول الشيخ علي الطنطاوي: كنت في مقابة إذاعية فسألني المذيع أي الأماكن أقرب إلى قلبك وأيها يشتمل على أحلى ذكرياتك، وكان في ظنه أن أقول له دمشق، ولكنه فوجئ ودهش لما قلت: ندوة العلماء في لكنو، فقال: وأين لكنو، قلت: هي مدينة أبي الحسن الندوي، ثم يعلق الشيخ الطنطاوي - رحمه الله - أي والله يا أبا الحسن أنت أشهر في العالم العربي منها حتى إنها لتعرف بك.

- ويقول الدكتور :يوسف القرضاوي: أُشهد الله أني أحبه، وأرجو أن يكون حباً لله تعالى، فقد أحببته لتجرده وإخلاصه وربانيته، وأحببته لاعتداله ووسطيته، أحببته لنقاء فكره من الخرافة، وصفاء قلبه من الحسد، وسلامة عقيدته من الشركيات وسلامة عبادته من المبتدعات ونظافة لسانه من الطعن والتجريح بالتصريح أو التلويح، أحببته لانشغاله بالقضايا الكبيرة عن المسائل الصغيرة وبالحقائق عن الصور وبالعمق عن السطح، ولست وحدي الذي أحبه، فأحسب أن كل من عرفه واقترب منه أحبه على قدر معرفته به وقربه منه، وكلما زاد منه قرباً ازداد له حباً، ولهذا فلا عجب أن يتفق الناس على شخص أبي الحسن الندوي. ■

الشيخ يوسف محمد طه في ذمة الله

بقلم : المهندس محمد يوسف هاجر - الأمين العام

بقلوب مؤمنة بقضاء الله وقدره، تنعى الأمانة العامة للمنظمة الإسلامية لأميركا اللاتينية، فضيلة الشيخ يوسف محمد طه أحد الأعضاء المؤسسين لهذه المنظمة والمرشد الديني في ولاية مندوسا في الأرجنتين، وقد وافاه الأجل المحتوم يوم الثلاثاء ١٥ من شعبان ١٤٢٠هـ الموافق ٢٣ نوفمبر العام ١٩٩٩م، بعد حياة حافلة بالجهد والكفاح في سبيل الدعوة الإسلامية ونشر الإسلام والدفاع عنه في الأرجنتين وأميركا اللاتينية والمحافظة على أبناء المسلمين في المهجر من الضياع والذوبان.

نسأل الله تعالى أن يتغمد الفقيد الراحل بواسع رحمته ومغفرته ويسكنه فسيح جناته وأن يعوض الجالية الإسلامية في أميركا اللاتينية فيه خيراً، وإنا لله وإنا إليه راجعون. ■

جاسم مطر شهاب رئيساً للتحرير



أصدر وكيل وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية الأستاذ عبدالعزيز عبدالغفور، قراراً بتعيين جاسم محمد مطر شهاب رئيساً لتحرير مجلة الوعي الإسلامي.

ويذكر أن رئيس التحرير :

- خريج كلية الإعلام في جامعة الإمارات العربية المتحدة عام ١٩٨٤م.
- عمل بوكالة الأنباء الكويتية منذ عام ١٩٨٤م حتى ١٩٩٣م.
- عمل نائباً لمدير إدارة العلاقات العامة والإعلام في بيت التمويل الكويتي خلال الفترة من ١٩٩٣م حتى ١٩٩٩م.

شغل مناصب صحفية عدة ،

- مدير تحرير لجريدة المؤشر الاقتصادية.
- مدير تحرير لمجلة التعاون.
- عمل عام ١٩٩٢م رئيساً للجنة الإعلامية في اللجنة الوطنية لشؤون الأسرى والمفقودين.
- عضو في جمعية الصحفيين الكويتية.

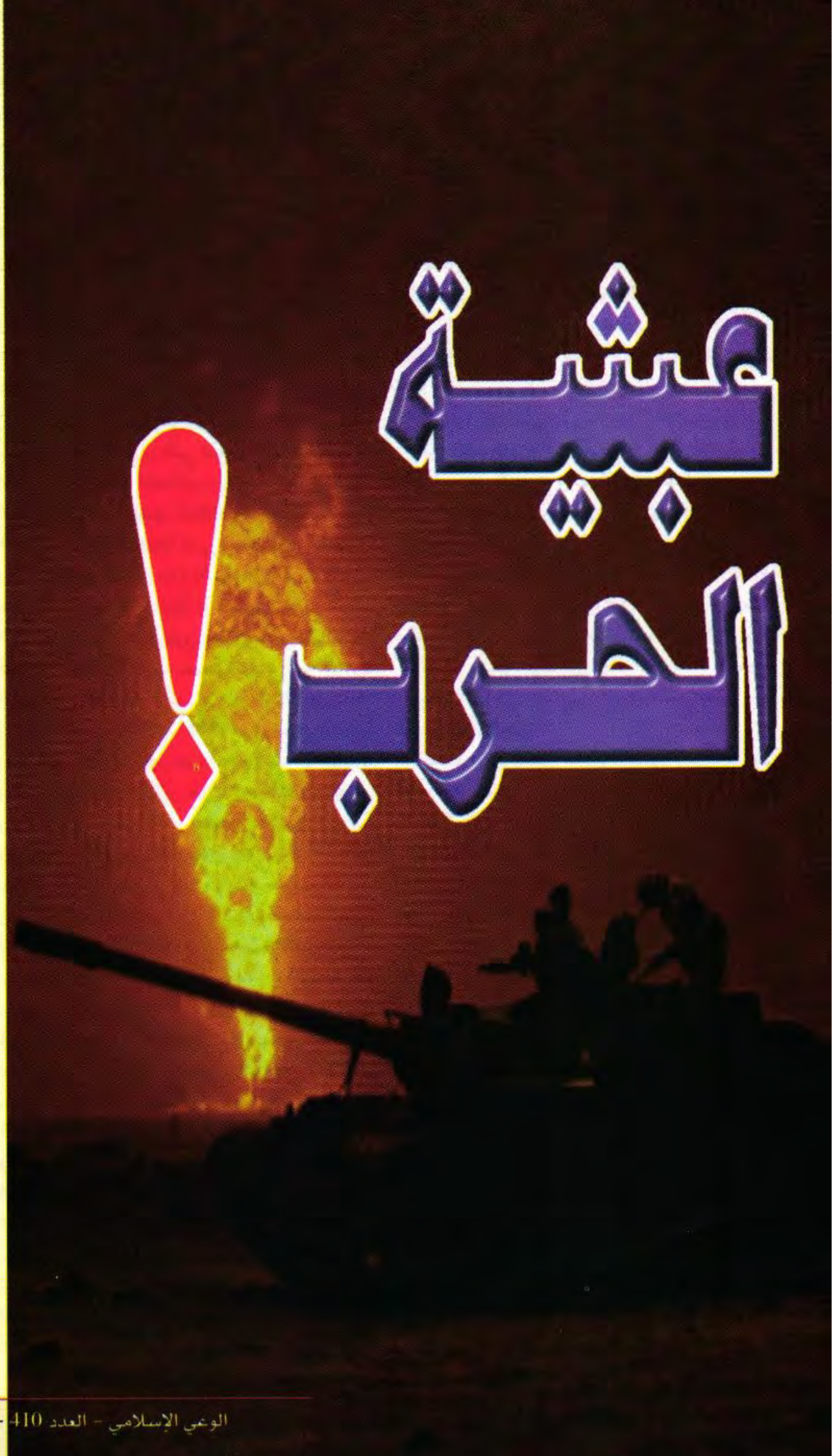
ولديه مشاركات واسعة في مؤتمرات وندوات محلية وعالمية، تمنياتنا له بالتوفيق والنجاح.

كما نتمنى لرئيس التحرير السابق الدكتور صالح الراشد التوفيق والسداد، وجزاه الله خيراً على ما قدّمه خلال الفترة التي تولى فيها رئاسة التحرير من جهد وعطاء وبذل من أجل الارتقاء بالمجلة، ودفع مسيرتها نحو الأفضل. جعل الله ذلك في ميزان حسناته يوم القيامة ووفقنا جميعاً لما يحبه ويرضاه إنه سميع مجيب.

إدارة الوعي الإسلامي

ظاهرة إنسانية

بقلم: د. خالص جلبي



عبثية الحرب!

لن يطول قدوم ذلك اليوم، حتى يقف الناس في المتحف مشدوهين، يتأملون فوهات المدافع، أو أصناف الأسلحة التي لا تنتهي، والتي صُممت بعناية من أجل الفتك بالإنسان؟! سوف يتعجبون من نوعية ذلك الإنسان البدائي «القاتل»، وينظرون إليه كما ننظر نحن اليوم إلى الديناصورات التي اختفت عن وجه اليابسة. وإذا كانت الديناصورات قد غيّبها الثرى قبل (٦٥) مليون سنة، وإذا كانت الحياة قد بدأت قبل ثلاث مليارات سنة ونصف، وإذا كان أمام الحياة أن تتابع سيرها في الأرض خمس مليارات سنة ونصف أخرى، فقد نتحسر أننا وُلدنا مبكرين للغاية، لأن التاريخ «الفعلي» للإنسان لما يبدأ بعد!! عندما كنت في ألمانيا الغربية «سابقاً» أعمل في مركز لجراحة الأوعية الدموية في منطقة «وستفاليا»، وكان ترخيص مزاولة المهنة يصدر من مدينة «منستر»، لم يكن يخطر في بالي مطلقاً، أن هذه المدينة تحمل «ختماً» لعهد مريع ودعته ألمانيا في القرن السابع عشر حين تم توقيع معاهدة «صلح وستفاليا» العام ١٦٤٨م التي ختمت حرباً ضروساً استمرت ثلاثين عاماً؟!

اندلعت هذه الحرب المروعة بسبب خلافات بسيطة وتنافسات تافهة بين أمراء الإقطاعات، ولم يكن يخطر في بال أحد أنها ستكون كما قال الشاعر العربي امرؤ القيس قديماً:

أولُ ما تكون الحرب فُتيّة
تسعى بزينتها لكل جهول
حتى إذا حميت وشُبّ ضِرامها
غدت عجوزاً غيرُ ذات حليل
شمطاء جزت رأسها وتنكرت
مكروهة للشم والتقبيل

اشتركت في هذه الحرب جيوش شتى منها ألمانية وسويدية وفرنسية وهولندية وإسبانية ودانماركية، وتطاحنت مذاهب متفرقة من كاثوليك وبرتستانت وكالفانيين، ودُمرت الأرض الألمانية شرُّ مُدمّر، وقضى نحبهم نحو ستة ملايين نسمة من أصل ٢١ مليوناً، أي مات نحو ثلث السكان، وبالطبع معظمهم من الشباب، ففي الحرب تنقلب الآية فيدفن الآباء أبناءهم، لا كما هي سنة الحياة يدفن الصغار آباءهم الكبار المسنين!! ولم تقم لألمانيا قائمة إلا بعد قرن من هذه الحرب الأهلية المدمرة. جاء في كتاب قصة الحضارة لويل

ديورانت: «تناقص عدد سكان ألمانيا بسرعة في أثناء الحرب، وتقول التقديرات المعتدلة إن عدد سكان ألمانيا والنمسا، هبط من ٢١ إلى ١٥ مليوناً، وبين ٣٥ ألف قرية في بوهيميا هناك نحو ٢٩ ألف قرية هجرها أهلوها في أثناء الصراع، وهناك في مختلف أنحاء الأمبراطورية مئات من القرى لم يبق فيها ساكن واحد، وقد يقطع المرء في بعض الأقاليم ستين ميلاً دون أن يرى قرية أو بيتاً، وتُركت آلاف الأفدنة الخصيبة دون فلاحة أو زراعة إما بسبب نقص الرجال أوالدواب أو البذور، أو لأن الفلاحين لم يكونوا على ثقة من أنهم سوف يحصدون نتاج ما يزرعون، واستخدمت المحاصيل لإطعام الجيوش، وكان ما يتبقى من المحصول يحرق لئلا يستفيد منه الأعداء، واضُطر الفلاحون في كثير من الأماكن إلى أكل الفضلات المخبأة أو الكلاب والقطط والفئران أو جوز البلوط والحشائش، وقد وجد بعض الموتى وفي أفواههم بعض الحشائش، وتنافس الرجال والنساء مع العقبان والكلاب على لحم الخيول الميتة، وفي إقليم الألزاس انتزع المعتدون المشنوقين من المشنقة تلهفاً إلى التهام جثثهم، وفي أرض الراين كانت القبور تنبش وتباع الجثث لتؤكل، واعترفت امرأة في مدينة الساربروكن بأنها أكلت طفلها، وأصبحت المدن الكبرى أطلالاً خربة «ماجديبورج وهايدلبرج ونورمبرغ وبايروث»، وتدهورت الصناعة، وكسدت التجارة، وصار التجار الذين كانوا يوماً أثرياء، يتسولون أو يسرقون ويسلبون من أجل لقمة العيش، وبات الهواء ساماً بسبب الفضلات والنفايات والجثث المتعفنة في الشوارع، وانتشرت الأوبئة مثل التيفوس والدوسنتاريا والتيفود والأسقربوط بين السكان المذعورين، ومرت القوات الإسبانية بمدينة ميونيخ فتركت وراءها طاعوناً أودى بحياة عشرة آلاف ضحية في أربعة أشهر، وذوت وذبلت في أتون الحرب الفنون والآداب التي كانت تضفي على المدن شرفاً ومجداً، وانهارت الأخلاق والروح المعنوية على حد سواء، واختفت كل المثل الدينية والوطنية بعد جيل ساده العنف». كانت نهاية هذه المعاناة في العام ١٦٤٨م، وأما في العام ١٨٦٤م، فقد بدأت كارثة لاتكاد تصدق، ولم تسلط عليها الأضواء تماماً حتى الآن، وهي حرب الباراغواي ضد تحالف الأرجنتين والبرازيل والأورغواي. مات في هذا النزاع الدموي الذي استمر ست سنوات نحو ٨٠٪ من سكان الباراغواي، وكان عدد السكان مليون وثلاثمئة ألف نسمة، لم يبق منهم سوى ٢٠٠ ألف فقط؟!.

هذان مشهدان من صفحات التاريخ المظلمة والمؤلمة، والسؤال: إذا كانت الحرب تحوي كل هذه الفظاعات والقسوة، وكل هذه الآلام والخسائر، وهذا التدمير فلماذا يمارسها البشر؟ هل الحرب إفراز بيولوجي وتعبير طبيعي أم هي تشكيل ثقافي ومرض اجتماعي؟

وقف العالم الفرنسي غاستون بوتول أمام هذه الظاهرة متأملاً وكان ذلك بعد الحرب العالمية الثانية، وهو يعجب من عدم وجود معاهد علمية تدرّس مثل هذه الظاهرة المخيفة، التي تفترس الجنس البشري وتهدد وجوده «لِمَ تأخر الباحثون كل هذا التأخر الكبير عن تأسيس علم اجتماعي حقيقي للحروب؟ ولِمَ لمْ تبعث أهم ظاهرة اجتماعية أي باحث على دراسة خصائصها وجوانبها الوظيفية دراسة موضوعية؟!. من الغريب أن الأمراض العضوية البدنية أُسس لها من المختبرات والمصحات والمستشفيات ما لا يحده عدد، في حين أن هذه الظاهرة الاجتماعية المرعبة ليس لها معهد يدرس بنيتها، ويتقصى أسبابها، ويعرف وظيفتها، ويصل بالتالي إلى إيجاد مصل واق لهذا المرض المعضل والمعاند؟! «إننا نرى منذ نصف قرن شيوع المختبرات المخصصة لدراسة السرطان أو السل أو الطاعون أو الحمى الصفراء، وهي تزداد كل يوم، فلِمَ لمْ تبعثْ على إيجاد أي معهد للأبحاث، تلك الحرب التي تذهب وحدها بضحايا أكثر من كل هذه المصائب مجتمعة؟»!. يبدو أن اللامبالاة تجاه هذه الظاهرة، سببها روح الاعتياد وليس الدهشة التي تبعث على الفضول والاكتشاف، فليس منا إلا وشارك أو سمع أو عانى من الحرب قليلاً أو كثيراً. وفي العام ١٧٩١م استطاع غاستون بوتول تأسيس المعهد الفرنسي لعلم الحرب، حيث تمت دراسة ظاهرة الحرب في أكثر من قرنين من الزمان القريب منا، بين عامي ١٧٤٠ - ١٩٧٤م، ووضع لها مواصفات حتى تعتبر حرباً، فمناوشات الحدود ومقتل العشرات لاتعتبر حرباً!!، وهكذا تم وضع ستة شروط حتى تندرج تحت مفهوم الحرب، ومن مثل «أكثر من ألف قتيل واشتراك أكثر من دولة واستمرار أكثر من عام!»، فوجد أنه قد وقع في الفترة المذكورة ٣٦٦ نزاعاً مسلحاً بحيث لم تمر إلا أعوام نادرة لم يحصل فيها نزاع مسلح!! وقد كلفت هذه النزاعات المروعة ٨٥ مليون قتيل، منها ٣٨ مليون قتيل في الحرب العالمية الثانية وحدها فقط!! فأي جنون هذا وأي عبث هذا؟.. في الحرب يموت الشباب والذكور بوجه خاص، والحرب عموماً ذكورية!! وبذا تندثر الطاقة الإنتاجية، ويتدمر النسيج الاجتماعي، وتذوي الأمة وتهبط طاقتها، بل قد تؤول إلى الفناء بشكل أو بآخر، فدولة مثل «الباراغواي» لم تستفق من دمار حرب سبعينات القرن التاسع عشر حتى الآن، وألمانيا تحتاج إلى قرن كي تسترد عافيتها، واضطرت الكنيسة في كلا البلدين «المسيحيين والتي تحرِّم فيها الكنيسة تعدد الزوجات» إلى إصدار مشروع في إباحة تعدد الزوجات، لتعويض الذكور الذين هلكوا في الحرب، وخسرت ألمانيا في الحرب العالمية الثانية خمسة ملايين وستمئة ألف قتيل، وكان الخاسر الأكبر في ضحايا الحرب الأخيرة الاتحاد السوفييتي حيث سقط ٢٢ مليون قتيل في أقل التقديرات، أما في يوغسلافيا، فقد ذهب واحد من كل عشرة من السكان إلى القبر، فأي دمار وبؤس هذا؟

في عالم الحشرات والحيوان لم يعثر على ظاهرة الحرب، أي حشد كمية كبيرة من عناصر جنس معين، ضد عناصر أخرى من النوع نفسه، يفتك كل فريق بالآخر، بأوامر «من فوق» وبأدوات تدمير رهيبة، ثم ترك الجثث من دون افتراسها!! باستثناء بعض طوائف النمل وبشكل محدود، ومن أجل سرقة الغذاء والمؤونة. كما لم يعهد بشكل عام في عالم الحشرات والحيوان أن العنصر يقتل الآخر لمجرد القتل، فقد تفترس سمكة أخرى للتغذية، وتطارد اللبوة الفريسة لتأمين وجبة لعائلة الأسد، أما القتل «للقتل» فلم يعرفه سوى هذا الكائن المرعب المسمى الإنسان!! إن ما يسمى شريعة الغاب يقوم على اعتداء عنصر على آخر، من أجل أكل لحمه، فالدافع هو الجوع، والهدف هو الغذاء للمحافظة على النوع، وليس لمجرد القتل، والموجود في الفصيل الإنساني. وتابع الإنسان تفننه في القتل، فوصل إلى المقابر الجماعية كما كشف العام ١٩٨٣م في أسبانيا عن تلك المقبرة المخبأة تحت الأرض التي ضمت آلاف الجثث، وغرف الإعدام بالغاز، وأفران محارق الجثث بالجملة، وتبخر الإنسان بالحرارة النووية التي بلغت ١٠٠ مليون درجة مئوية!!.

يبدو أن الذكور لعبوا الدور المركزي في تصنيع الحروب، وخلق مؤسستها «الجيوش» وممارستها «في ساحات المعارك». فالجيوش في العالم ذات طابع ذكوري، وهكذا فالمرأة - لاعتبارات لا نفهمهما على وجه الدقة - هي التي بدأت بالزراعة وتوليد الحضارة، والمرأة هي التي تحمل الحياة، وتنجب الحياة، وتحافظ على الحياة، ولا تشترك في الإبادة، بل تشترك بالتعويض عن كوارث الحروب بالتوالد، وهي بذلك نموذج مُعدَّل عن الذكر متكيف بشكل أفضل مع الحياة في هذا الجانب. فالذكور هم الذين سيطروا على قيادة المجتمع، ويبدو أن التركيب العضلي وهورمون «التستيرون» كان له دور التفوق في المراحل الأولى لنشأة الحضارة، ونزلت المرأة لتكون من الطبقة «المستضعفة»، وبذا زرع الذكور «بذرة» الحرب ليحصدوا نتيجتها المرّة في ساحات القتال، وليعانوا من أهوالها المرعبة، ومازال مرض «التيتانوس - الكزاز» في الذاكرة الإنسانية من تلوث الجروح وموت المقاتلين المجروحين شر ميتة.

جاء في كتاب «في سبيل ارتقاء المرأة» «وهكذا تفهم المؤسسة العسكرية أكثر المؤسسات تميزاً في النظام الذكوري، التي تعتبر نموذجاً لجميع المؤسسات الأخرى وتقوم على الطاعة غير المشروطة، وتنتزع من الإنسان بعده الإنساني الخاص، أي ذلك البعد المتسم باستقلال الواعي والمبادرة والمسؤولية، والذي من دونه لا يكون التجمع الإنساني الخاص، إن لجهة ابتكار أشكال جديدة للحياة، أو حتى لجهة الدفاع بالمعنى الحصري كالمقاومة أو حركات التحرير، التي لا يمكن تصورها من دون نظام مقبول، بحرية ومجازفة وتضحية يختارها الفرد، والجيش هو النموذج الأصلي المحتذى لجميع الأشكال الأخرى للتفويض واستلاب المسؤولية، إن هذا الاختراع الذكوري المحض يقوض بمقتضى المبدأ نفسه الذي يقوم عليه كل إمكانية حقيقية للدفاع، أي الدفاع عن استقلال الشخص الإنساني ضد أي اقتحام خارجي، أو أي اضطهاد داخلي، والدولة ليست إلا تعميم الصلة العسكرية بين السيطرة وخنق استقلال الشخص الإنساني على جميع مظاهر التنظيم الاجتماعي الأخرى، ومركزية العنف العسكرية هي نموذج لجميع أشكال المركزية الأخرى: الأبوية والبيروقراطية والإدارية والبوليسية وحتى التربوية والثقافية، والتنظيم المدني الخانق للمجموعات الكبرى، ليس إلا التغيير المدني للثكنة، شأنه في ذلك شأن الجامعة أو الكلية ذات الأصل «النابوليني» وهي كلها حسب فكرة مؤسسها تؤمن الموظفين والضباط، كما تؤمن - في غياب أي فكرة - لدى خلفائه التكنوقراطيين والبيروقراطيين، تلك هي النهاية المحتمة للثقافة التي لم تدرها إلا نصف الإنسانية فقط، أي النصف الذكوري».

يُقيِّم المفكر الفرنسي المشهور فولتير ظاهرة الحرب على الشكل التالي: «ساعة أكلمكم ثمة مئة ألف مجنون يلبسون القبعات، يقتلون مئة ألف حيوان آخر في سبيل بضعة أكوام من الوحل العظيم... ولا يتعلق الأمر إلا بأن نعرف أينتمون إلى رجل اسمه سلطان أم إلى آخر - لا أدري لماذا - قيصر»؟.

وتحت ظاهرة الطاعة والإذعان يحدث أمر عجيب، فتحت كلمة «أوامر» تهجم مجموعة مسلحة على أخرى لا تعرفها ولم تجتمع بها من قبل، فيفتكون ببعضهم بعضاً فتكاً أشد من الذئاب «لا تفعل الذئاب ذلك كما دلت على ذلك دراسات العالم الانثروبولوجي كنوراد لورنتز» ومن دون أي رحمة، فقط لأن «الأوامر» جاءتهم؟! وهو ما برر به النازيون المجرمون في الحرب العالمية الثانية كل جرائمهم التي قاموا بها «كان عليَّ تنفيذ الأوامر؟!! كل ما فعلته تنفيذ الأوامر التي صدرت إليَّ، حاكموا من أصدر الأوامر»

ومن الغريب أن القاتل والمقتول في هذه المذبحة المروعة، لو اجتمعا خارج هذا الميدان لتبادلوا التحيات والكلام والضيافة، فكيف يحصل أن يقتل إنسان إنساناً آخر لم يعرفه من قبل، ليس بينهم أحقاد، ولا ثأر سابق، كيف يحصل هذا الشيء بهذه البساطة؟ حقاً إن الإنسان كان أكثر شيء جدلاً؟!

لا غرابة إذاً إن دعا الفيلسوف الألماني «إيمانويل كانت» إلى إلغاء الجيوش وهو الشيء الذي تفكر فيه حالياً سويسرا. «يجب أن تزول الجيوش النظامية كلياً مع الوقت... لأن ظهور هذه الجيوش الدائم على أهبة الاستعداد للقتال يجعلها تهدد الدول الأخرى بالحرب تهديداً مستمراً، ومن شأن هذا الواقع أن يدفع بكل دولة من الدول إلى محاولة ابتزاز الأخرى من حيث حشد الأعداد غير المحدود من الفرق العسكرية، فيترتب على هذه المنافسة نفقات مالية تجعل السلام أكثر تكلفة من القيام بحرب قصيرة، وتسبب أعمالاً عدائية تُعتمد للتخلص من العبء المالي المعني. أضف إلى ما تقدم أن إكراه الناس ليقتلوا أو يُقتلوا إنما هو، على ما يبدو، معاملة البشر كما لو كانوا مجرد آلات بأيدي الآخرين «الدولة»، الأمر الذي قلما يتوافق مع حق الإنسانية المتمثلة في شخص كل منا...» ويعقب الفيلسوف على ما مر بهذه القصة: أجاب أحد الأمراء البلغاريين، امبراطوراً يونانياً كان قد اقترح عليه الاقتراح الشهم بالمنازلة لإنهاء الخلاف بينهما من دون سفك دماء رعاياهما فقال: الحدَّاد الذي لديه ملقط لا يستخرج من كيره قطعة الحديد المحماة بيده!!».

قام المؤرخ البريطاني «جون أرنولد توينبي» بدراسة للتاريخ والحضارات، في مدى نصف قرن من الزمان، درس فيها بزوغ ٢٨ حضارة من أصل ٦٠٠ مجتمع بدائي، وكان السؤال الذي يقلقه دوماً كيف تنهار الحضارات بعد أن تستوي على سوقها؟ وما الأمراض التي تعصف بها فتقوضها؟ في الوقت الذي يظن أصحابها أنهم قد تمكنوا من كل شيء؟! يقول: توينبي في كتابه مختصر دراسة التاريخ: «قادنا بحثنا عن علة انهيار الحضارات إلى رتل من الاستنتاجات السلبية التالية:

الأول: ليس الانهيار الحضاري من فعل القضاء والقدر بالمعنى الذي يعنيه رجال القانون.

الثاني: لايعتبر الانهيار إعادات عابثة لقوانين الطبيعة الجامدة.

الثالث: لن يتيسر ردُّ انهيار الحضارات إلى فقدان السيطرة على البيئة سواء أكانت طبيعية أم بشرية.

الرابع: لا يرجع الانهيار إلى انحطاط الأساليب الصناعية أو التكنولوجية.

الخامس: لايرد الانهيار إلى عدوان مهلك يشنه خصوم دخلاء.

وإذا كانت كل هذه العناصر حسب - توينبي - ليست سبباً لسقوط الحضارة، فما السبب الجوهري إذاً؟!

يرى توينبي أن علة سقوط الحضارات هي داخلية بالدرجة الأولى «وقادتنا عملية الاستنفاد المنطقية في كل حالة تقريباً إلى العودة، إلى الفكرة القائلة إن «الانتحار» هو علة «الانهيار» وإذا كان مصير الحضارة داخلي بالدرجة الأولى فأين مكان العنف في صورة السقوط والانهيار؟ يسوق إلينا توينبي مثلاً مروعاً من التاريخ، لإمبراطورية وحضارة أرعبت لمئات السنوات منطقة غرب آسيا بأكملها، وحملت شعوباً بأكملها إلى معسكرات الاعتقال، وسوت مدن الشرق الأوسط بالتراب، وكانت تمتلك عدداً حربية مدمرة تشرف على تطويرها بانتظام، بل لقد سقطت «إمبراطورية آشور»، وهي في أوج امتلاكها للآلة العسكرية الرهيبة البطاشة!!.

«كانت الكارثة التي أودت بالقوة الحربية الآشورية ٦١٤ - ٦١٠ ق.م إحدى الكوارث العارمة المعروفة في التاريخ، فإنها لم تتضمن دمار أداة الحرب الآشورية فحسب، ولكنها تضمنت محو الدولة الآشورية من الوجود، واستئصال الشعب الآشوري، والشعب الآشوري جماعة استمر وجودها أكثر من ألفي سنة، وقامت بدور رئيس في جنوب غرب آسيا طوال فترة تعادل قرنين ونصف القرن من الزمان، ثم محيت محواً يكاد يكون تاماً، ومصداقاً لذلك فإنه بعد انقضاء مئتين وعشر سنوات، تعاقب عشرة آلاف جندي يوناني من جنود قورش الصغير المرتزقة على موضع «كالاه» ونينوى، في أثناء اتجاههم عبر وادي الدجلة من ميدان معركة كوناكسا إلى ساحل البحر الأسود، فأصابهم ذهول بسبب عدم عثورهم على شيء يعتد به مقارنة بفخامة التحصينات، وبمدى المنطقة التي كانت تضمها بين ظهرانيها، إذ يخلو مشهد تلك الأعمال البشرية الشاسعة من السكان، ويشير التراث الأدبي، الذي خلَّفه أحد أعضاء التجريدة العسكرية اليونانية، إشارة ضمنية واضحة إلى سحر هذه الهياكل الخاوية، التي تشهد طاقتها الجامدة على حيوية زالت»، لم يدرك العالم عبثية الحرب إلا متأخراً، وبعد معاناة رهيبة، وبثمن أكثر من باهظ، والذي قاده إلى هذه العتبة هو «العلم»، ورأس العالم المتقدم يطير الآن إلى المستقبل بجناحي «العلم والسلم»، ويبقى الذي لم يشترك في صناعة العالم المعاصر» يجتر أحلام بطولات عنتر والمتنبي ويكرر:

السيف أصدق أنباء من الكتب
في حده الحد بين الجد واللعب؟!

ولكن كما يقول المثل الحكيم «السعيد من وعظ بغيره والشقي من شقي بنفسه».■

حـوار

حاوره في القاهرة : عطا عبدالعال

سماحة الشيخ تاج الدين الهلالي مفتي القارة الأسترالية، أزهري، يعرفه المسلمون في أستراليا وغيرها بأنه لا يداهن ولا يماري ويجهر بالحق، وخلال الشهر الماضي زار القاهرة، وهناك التقته مجلة «الوعي الإسلامي» في هذا الحوار الذي تطرق فيه إلى موقف مسلمي أستراليا من حرب الخليج الثانية، وقضايا المسلمين الشائكة في فلسطين وكوسوفا والشيشان والبوسنة والهرسك وغيرها، ووصف حاكم العراق في غزوه للكويت بأنه طغى واستكبر وجعل من نفسه جسراً عبرت عليه كل المصائب التي توالت على المسلمين بعد ذلك، وتحدَّث بعد ذلك عن صراع المسلمين في أستراليا مع الصهاينة، ثم شرح الجرائم الناجمة عن زواج المسلمين في أستراليا بغير المسلمات، وكيف أن المرأة الأسترالية تصر على إحراق زوجها بعد وفاته في فرن درجة حرارته ألف درجة مئوية، وترفض أن يدفنه المسلمون هناك في مقابر المسلمين على الطريقة الإسلامية، ويستعرض الشيخ الهلالي بعض القصص عن إصابة بعض المسلمين في أستراليا بالجنون ودخولهم السجون لزواجهم بغير المسلمات هناك. كما يتطرق إلى الأسباب الخمسة للزواج الناجح ويحذر من أربعة أنواع من الزواج، كما يحذر من انتشار الزواج العرفي بين التلاميذ والتلميذات في بعض المدارس وفي بعض البلدان الإسلامية، ويكشف الشيخ الهلالي الأسباب التي أدت إلى انتشار مثل هذه الزيجات ويحمل الحكام والمحكومين مسؤولية فساد الأمة، وتدهور أحوال المسلمين إذا استمرت الأوضاع كما هي عليه الآن.



مفتي أستراليا لـ«الوعي الإسلامي» :

حاكم العراق طغى واستكبر وصار جسراً لعبور المصائب إلى ديار المسلمين

موقفنا من حرب الخليج

● في البداية أود أن أتعرف من سماحتكم مدى ارتباط المسلمين في أستراليا بقضايا إخوانهم المسلمين في سائر البلدان الإسلامية وهل وجود شخص فضيلتكم كشخصية عربية على رأس دار الفتوى هناك له تأثير على تفاعل مسلمي أستراليا مع أحداث المسلمين في الوطن العربي وغيره من دول العالم الإسلامي؟

ـ بالطبع المسلمون في أستراليا لا ينفصلون عن سائر أمتهم الإسلامية وأحداثها المختلفة امتثالاً لقول رسول الله ﷺ: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى»، ونحن نحاول دائماً أن نيسر ولا نعسر، وأن نبشر ولا ننفر، وأن نجمع ولا نفرق، ونعالج القضايا الإسلامية بقوة، فنحن لنا موقفنا من حرب الخليج سواء كان من صدام حسين أو من أميركا ولنا موقفنا من القضية الفلسطينية وتأييد أفغانستان وضد روسيا، ثم بعد ذلك موقفنا المساند لإخواننا المسلمين في البوسنة وكوسوفا والشيشان وغيرها. ويمكن القول ان المسلمين الأستراليين يتأثرون ويؤثرون يتفاعلون مع جميع القضايا العربية والإسلامية ولنا اتصالاتنا مع جميع المؤسسات الإسلامية التي ندين لها بالولاء والانتماء سواء كانت هذه المؤسسات هي الأزهر في مصر والرئاسة العامة للدعوة الإسلامية والإفتاء بالمملكة العربية السعودية أو وزارات الأوقاف والشؤون الإسلامية في البلدان العربية والإسلامية.

حاكم العراق سبب كل مصائبنا

● أشرتم إلى موقفكم من بعض الأحداث التي جرت في منطقة الخليج وموقفكم من حاكم العراق صدام حسين نود أن نعرف تفاصيل أكثر عن هذه المواقف؟

ـ نحن اعتبرنا ومازلنا نؤكد أن صدام حسين هو القنطرة أو الجسر الذي عبرت من خلاله جيوش الدول الغربية إلى بلداننا لمصادرة قراراتنا والاستيلاء على خيرات بلادنا وإيقاع الفتنة بيننا، فهو رأس كل مصيبة لحقت بالأمة الإسلامية، فقد أوقعنا

من الخطر المحدق أن يتزوج الشاب فتاة لا تشاركه عقيدته الإسلامية

هذا الشقي في الفتنة بغزوه لبلد مسلم وأرغمنا أن نثق في سياسة أميركا التي تتربص بالمسلمين الدوائر ولاتحركها إلا مطامحها ومصالحها، وعلى الأمة الإسلامية والعربية أن تتدارك الآن ما يمكن تداركه وأن تحافظ على ما تبقى من ثرواتها وخيراتها والعمل من أجل بدء صفحة جديدة تجمع ولا تفرق، تقارب ولا تباعد طاعة لله تعالى الذي أمرنا بالاعتصام ونحن أمة تمتلك من الإمكانات ما يجعلنا نتبوأ مكان الريادة والسيادة بين الأمم، ويستطرد سماحة الشيخ تاج الدين الهلالي قائلاً: كل الكوارث والفتن التي لحقت بالأمة العربية والإسلامية إنما هي جريمة بحق عروبتنا وإسلامنا وقد بدأ أولى خطوات هذه الفتنة صدام حسين بحماقته وتسرعه، ويضيف قائلاً: الدال على الخير كفاعله والدال على الشر كفاعله، وأنا أعتبر هذا الرجل مصدر كل شر وقد فتح باب الشر على الأمة الإسلامية والعربية.

المسلمون والصهاينة في أستراليا

● يتردد أن سماحتكم تقودون معركة واسعة في أستراليا ضد الوجود الصهيوني هناك للحيلولة دون سيطرة الصهاينة على توجيه دفة بعض الأمور على غرار ما يحدث في بعض البلدان الأوروبية فما أبعاد أو ملامح هذه المعركة؟

ـ تعداد اليهود في أستراليا ٦٣ ألف نسمة، بينما تعداد المسلمين هناك ٦٠٠ ألف نسمة، ويشكلون الدين الثاني هناك بعد المسيحية ولنا حضورنا السياسي والثقافي والفكري والإعلامي بفضل الله سبحانه وتعالى وننتهج هناك المنهج الوسطي ولذلك فإن أستراليا لم تشهد حادثاً إرهابياً واحداً ولا حادثاً طائفياً أو فتنة مذهبية. ولكن معركتنا مع الصهيونية هنا بدأت منذ زمن، ومازالت قائمة ولن تتوقف حتى تعود فلسطين كاملة لأهلها الشرعيين. ولن يتحقق أي نصر للصهاينة في أستراليا، ونحن نقف لهم بالمرصاد في يقظة تامة في جميع محاولاتهم التي يحاولون أن يوجهوا من خلالها طعناتهم للحركة الإسلامية هناك. وقد حاولوا إدخال المدعو نصر أبو زيد إلى أستراليا لإلقاء محاضرة تطعن في الإسلام وتتطاول على رسالة الإسلام، ونبينا الكريم محمد ﷺ ولكننا لم نحقق لهم هذا المراد فقد صارعنا ومنعنا «أبو زيد» من الدخول إلى الأراضي الأسترالية بعد أن اتصلنا بالحكومة الأسترالية وأفهمنا المسؤولين هناك خبث نوايا الصهيونية من ذلك.

المعركة مع اليهود بدأت ولن تتوقف حتى تعود فلسطين لأهلها

يحرقن أزواجهن المسلمين بعد الموت

● فضيلة المفتي... القارة الأسترالية أرض جديدة وتتجه إليها أحلام أعداد كبيرة من شبابنا العربي والإسلامي بالهجرة إليها والاستقرار فيها ولكن ذلك لايتسنى لهم إلا بالزواج من نساء أستراليات وهذا الزواج يحمل مخاطر كثيرة لهوية هؤلاء الشباب المسلم، فكيف تعالجون هذه المشكلة هناك بصفتك مسؤولاً عن هؤلاء المسلمين في هذه البلاد البعيدة؟

ـ عملي كمفت في أستراليا ربما يختلف عن عمل الإفتاء في البلدان العربية والإسلامية وذلك لعدم وجود جهات اختصاص في هذه القارة الشاسعة ومن هنا فنحن نقوم بمهام دعوية وثقافية وفكرية واجتماعية ورياضية وسياسية واقتصادية عن طريق قنوات متعددة في الجمعيات والمراكز والمجالس الإسلامية واللجان التي

تنهض لهذه التبعات ومن أهم القضايا التي نعتبرها مشكلة المشاكل هو ذلك الخطر المحدق الذي يتهدد الأجيال بالضياع والذوبان، فنحن نعتبر الأسرة هي اللبنة الأولى في تكوين المجتمع والجالية الإسلامية تستمد قوتها من قوة الأسرة وهذه الأسرة تعتمد في قوتها على ركيزتين أساسيتين هما الزوج والزوجة، ولذلك فإذا أردنا أن ننشئ أسرة ناجحة سوية وقوية فيجب أن نقيم الزواج على أصول ثابتة، ومن هنا تأتي مشكلة الزواج والطلاق التي تتفشى بين المسلمين في أستراليا ونحاول أن نواجه هذه المشكلة من خلال نشر المؤلفات التي تنبه إلى ذلك وتنشر الوعي لدى المسلمين هناك، كما نقوم بعرض أشرطة مسموعة ومرئية تحمل تجارب من هذه المخاطر وتحذر من الوقوع في مثلها كما تحدد شروط نجاح الزواج الإسلامي.

ويضيف سماحة الشيخ تاج الدين الهلالي قوله: ومن الخطر المحدق أن يتزوج الشاب المسلم من فتاة لا تشاركه عقيدته الإسلامية وقيمه وعاداته فيترتب على مثل هذا الزواج كثير من المآسي منها أن بعض الزوجات تقمن بالاستغناء عن أزواجهن بمجرد أن ينجبن منهم أطفالاً كما يقمن بتعميد أطفال المسلمين في الكنائس خصوصاً أن القانون هناك يعطي الأم الحق في حضانة الأطفال كما يعطي الزوجة الحق في الحصول على نصف تركة الرجل وأمواله إذا عاشت معه سنة واحدة، أما إذا أنجبت منه أولاداً فإنها تحصل على ٧٠٪ من هذه التركة والأموال التي يمتلكها، فضلاً عن ذلك، فإن الزوجات المطلقات يحجبن عن أزواجهن بعد عملية الطلاق رؤية أبنائهم، وهناك عدد كبير من المسلمين الذين تزوجوا بهذه الطريقة أصيبوا بالجنون، والبعض الآخر منهم أدخلوا السجون لإقدامهم على قتل زوجاتهم. والأدهى من ذلك، كم من زوجة أسترالية أقدمت على قتل زوجها، وكم من امرأة غير مسلمة قامت بحرق زوجها بعد وفاته، لأنها استكثرت أن تدفع له ألفي دولار لدفنه، ووجدت إنه من الأفضل لها أن تتخلص منه ميتاً مقابل مبلغ أقل، فاختارت حرقه بدلاً من دفنه لأن عملية الحرق تكلفها ٣٠٠ دولار فقط، وذلك بأن يوضع زوجها في تابوت خشبي مغلق وتضعه في فرن ناري درجة حرارته آلاف من الدرجات الحرارية، وبعد لحظات ينفجر رأس هذا الزوج المسلم، ثم تأخذ منه هذه الزوجة غير المسلمة بعض الرماد وتضعه في علبة في حجم علبة الكبريت الصغير أو تضعه في زجاجة صغيرة، ثم تضع هذا الرماد في صندوق خشبي مثل حجم صندوق البريد وتعلقه على أي حائط بعد أن تكتب عليه الاسم وتاريخ الوفاة. ويستطرد فضيلة الشيخ الهلالي: إذاً هناك حرق في نار الدنيا قبل نار الآخرة والعياذ بالله.

شروط الزواج الناجح

وهكذا تبدو مشكلة الزواج في أستراليا شائكة، ولذلك فإنني أعالج هذه القضية مع الشباب المسلم هناك من خلال الوسائل الإعلامية المختلفة، وقمت بوضع شروط الزواج الناجح في مؤلفات وأشرطة وقلت إن الزواج في أستراليا لا يكون ناجحاً إلا إذا توافرت فيه خمسة شروط هي: مراعاة حق الله وحق رسوله وحق الوالدين وحق الأبناء وحق القلب امتثالاً لقول الله تعالى: (ولأمة مسلمة خير من مشركة ولو أعجبتكم) وقوله (وأنكحوا الأيامى والصالحين من نسائكم) وقوله (ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله).

ويضيف سماحة الشيخ تاج الدين قوله: على الشاب المسلم عندما يقدم على الزواج أن يختار المواصفات والحقوق والواجبات التي افترضها المولى تبارك وتعالى فإذا نسى الله، فإنه قد اغفل حقاً من حقوق الله... وهل من زواج ليس لله فيه نصيب؟ وبعد ذلك حق رسول الله ﷺ في هذه الشركة بأن نتبع تعاليمه في الزواج ومنها قوله ﷺ: «تنكح المرأة لأربع لمالها وجمالها وحسبها ودينها فاظفر بذات الدين تربت يداك».



مفتي أستراليا يتحدث لـ « الوعي الإسلامي »

ويؤكد: من هذه الحقوق أيضاً حق الوالدين. حيث إنه ينبغي على الشاب أو الفتاة استشارة الوالدين عند الزواج ونيل رضاهما في طاعة الله ورسوله، ولذلك فإن الفتيات والشباب الذين يتزوجون اليوم قصراً على الرغم من أنف الوالدين دائماً يحالفهم الفشل في حياتهم الزوجية لأنه مهما كان الشاب أو الفتاة ناضجاً فإنهما يتعاملان مع قضية الزواج بقلبيهما وعواطفهما دون تعقل وروية بينما الوالدان ينظران إلى الزواج من خلال قضايا وجوانب كثيرة يبصران بها الأبناء تفادياً لمشاكل هذا الزواج.

فالوالدان لايريدان لأبنائهما إلا النجاح والفلاح، ولذلك فاستشارة الأبناء لهم في الزواج واجبة حتى يفوزوا بمتاع الدنيا والآخرة عندما يفوزون برضاهما.

ويوضح سماحة الشيخ تاج الدين قوله: من هذه الحقوق أيضاً حق القلب، فالإسلام لايصادر العواطف ولا يعارض الحب حيث يقول رسول الله ﷺ: «من سرّه أن يرى من امرأة ما يرغبه في زواجها فليفعل». ويستطرد مشيراً إلى أن جابر راوي الحديث النبوي قال: «كنت أختبئ لزوجتي خلف الأشجار حتى رأيت منها ما أعجبني فتزوجتها».

ويضيف سماحة الشيخ تاج الدين الهلالي قوله في هذا الصدد: «فلا مانع أن تكون هناك رؤية بقصد الزواج وأن تكون هناك خطوبة وفق ضوابطها الشرعية ثم بعد ذلك أحب زوجتي بعدد أوراق الشجر وعدد قطرات المطر.■

تحقيق

أجرى التحقيق: د. عماد الدين عثمان. أ. تمام الصباغ

دور الزكــاة في تنميــة المجتمعات الإسلاميـة

يشهد العالم اليوم تحولات كبيرة شملت شتى مجالات الحياة إذ يستأثر الجانب الاقتصادي بالنصيب الأوفى في هذه التحولات، في حين استطاعت دول كثيرة أن تصل إلى معدلات نمو اقتصادي مرتفع جداً إلا أن المجتمعات الإسلامية مازالت تدور في حلقة مفرغة من التخلف الاقتصادي على الرغم من إمكاناتها الكبيرة وتوافر الوسائل اللازمة لدفع عجلة الاقتصاد... وفي مقدمها الزكاة، فالزكاة المفروضة للفقراء في أموال الأغنياء فهي إلى جانب كونها طهارة للنفس من الشح والبخل وكونها عبادة، فهي أيضاً أداة للنمو الاقتصادي والتكافل الاجتماعي... مجلة الوعي الإسلامي أجرت هذا التحقيق حول دور الزكاة في تنمية المجتمعات الإسلامية وخروجها من دائرة التخلف.

د . عبدالحميد البعلي :



الزكاة تحفّز دور الدولة الاقتصادي على أساس من التوازن

● يقول د. عبدالحميد البعلي المستشار باللجنة العليا للعمل على استكمال تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية في الكويت:

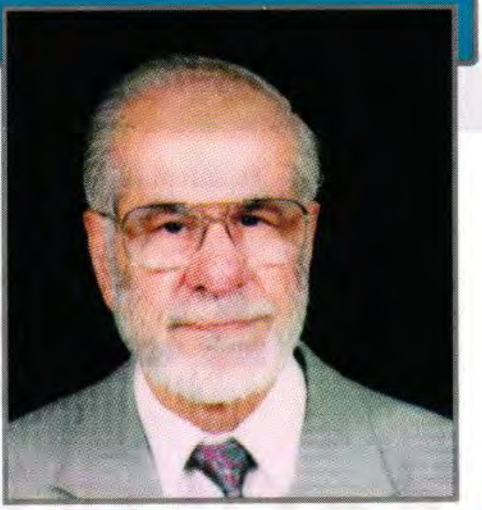
إن خصوصية الزكاة في الفكر أو الفقه الاقتصادي والعمل المصرفي تجعل منها نظاماً فريداً ومتفرداً... فالزكاة يعجب لها ويحار فيها الفكر الاقتصادي الوضعي إذ جمعت فأوعت وأنجزت فأوفت في الجوانب العقدية، والإصلاحية الاقتصادية والاجتماعية والأخلاقية وعموم صلاح الإنسان أو الإنسان الصالح.

وتتعدد أموال الزكاة ووعاؤها بين زكاة الزروع والثمار والثروة الحيوانية من الإبل والغنم والبقر والماعز، وزكاة النقود من ذهب وفضة وعملات معدنية وورقية وزكاة عروض التجارة وزكاة المعادن.

كما تتنوع مقاديرها ونسبها... ويتجلى دور الزكاة وأثرها في السياسة المالية للدولة الإسلامية وما تهدف إلى تحقيقه تلك السياسة بصفة عامة من التأثير في الأنشطة الاقتصادية للمجتمع وتحقيق المستويات المرغوبة والمناسبة من الأسعار وتكييف نمط الاستهلاك بتوافر القدر اللازم من السلع والخدمات التي تكفل مستوى لائقاً للمعيشة، والحد من الإسراف والاستهلاك الترفي وتشجيع الإدخار والاستثمار وتوظيف الموارد الإنتاجية وترشيد استخدامها وعدالة توزيع الثروات والدخول وتحقيق العدالة الاجتماعية.

وهكذا تحفّز الزكاة دور الدولة الاقتصادي، لكن ليس على حساب آلية السوق والملكية الخاصة، بل على تشجيعهما، ومن ثم على أساس التوازن في أنواع الملكية في الفقه الاقتصادي الإسلامي انطلاقاً من ضرورة تحقيق التوازن بين المصلحتين العامة والخاصة، وتحديد عوامل وأسباب الترجيح بينهما دون افتئات أو تجاوز، فالدولة تؤدي الدور الأول في السياسة المالية التي تشكل حجر الزاوية في السياسة الاقتصادية، وما يرتبط بهما تأثيراً وتأثراً من السياسة النقدية وما تقوم عليه من تنظيم السيولة العامة للاقتصاد بهدف المحافظة على استقرار الأسعار وقيمة النقد، والمحافظة على مستوى العمالة الكاملة للاقتصاد والتخفيف من البطالة، وخدمة أهداف التنمية وتوفير التمويل اللازم لها، وإذا كان هذا على مستوى الاقتصاد الكلي، فإن للزكاة دوراً بالغاً أيضاً على مستوى الاقتصاد الجزئي، بتأثيرها على دخول وثروات المكلفين، وكذلك على أثمان عوامل الإنتاج والمنتجات، سواء كان ذلك بسبب تحصيل الزكاة من مواردها أو إنفاقها في مصارفها وتأثيرها على العرض والطلب في السوق ومرونتها.

د. محمد رواس قلعجي :



التخلف الاقتصادي في بلاد المسلمين سببه عدم الاستقرار السياسي

● **يقول د. محمد رواس قلعجي الأستاذ في كلية الشريعة - جامعة الكويت:**

إن الله تعالى شرع الزكاة لتنمية قدرات الأفراد في الأمة الإسلامية، حيث تزيد في دخلهم، وتتحسن أحوال معايشهم، والتي منها تحسين الغذاء، وتأمين الدواء، وتوافر ضرورات العيش، وإذا تحسنت الأحوال المعيشية للفرد، تحسَّن أداؤه في عمله، وزاد إنتاجه نظراً لتحسن صحته ومستوى تعليمه، وبزيادة إنتاجه يتحسن الدخل الفردي، وبتحسن الدخل الفردي ينقلب المرء مسهماً في مجال الإنتاج العام، ومن هنا كانت السياسة الإسلامية في الزكاة ألا يعطى المرء من الزكاة ما يسدّ رمقه ويسد جوعه فقط، بل يعطى منها ما يمحو فقره ويجعله امرءاً منتجاً، فقد قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «إذا أعطيتم فأغنوا» وسئل رضي الله عنه عما يؤخذ من صدقات الأعراب كيف يصنع بها؟ فقال: «والله لأردنَّ عليهم الصدقة حتى يروح على أحدهم مئة ناقة أو مئة بعير».

وإذا قلنا بجواز استثمار أموال الزكاة لصالح الفقراء، أمكن إنشاء مؤسسات اقتصادية إنتاجية يعمل فيها الفقراء، ويوزع ريعها على الفقراء أيضاً، وتقوم بجانب من جوانب التنمية في البلاد الإسلامية والتخلف الذي تعاني منه البلاد الإسلامية متعدد الجوانب، فهناك تخلف اقتصادي، وهناك تخلف علمي، وهناك تخلف تكنولوجي إلى غير ذلك.

ولنبق في حدود التخلف الاقتصادي، إن هذا التخلف يقود مجموعة من التخلفات، فهو المسؤول عن التخلف التكنولوجي، والتخلف العلمي، والتخلف الصحي وغيرها.

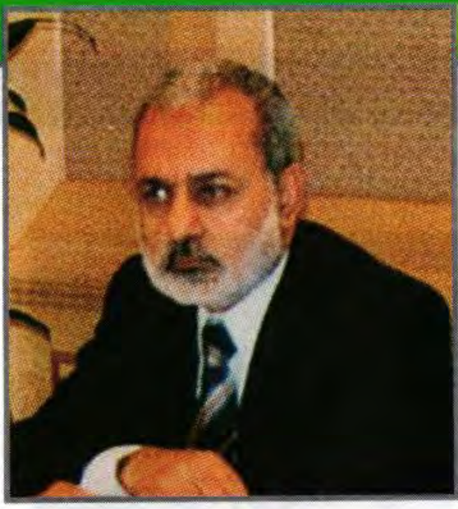
وسبب هذا التخلف يعود بالدرجة الأولى لعدم الاستقرار السياسي والاقتصادي في بلاد المسلمين، وهو أمر مفروض عليها من الخارج، ما جعل أصحاب الأموال يهربون بأموالهم لاستثمارها حيث يوجد الاستقرار خارج الوطن الإسلامي، ولكي ينهض المسلمون باقتصادهم لابد أن تعود ثرواتهم لتستثمر في بلاد المسلمين، ولكي يتمكنوا من هذا الاستثمار لابد من تأسيس شركات الاستثمار على أصول إسلامية.

إن المجتمع الإسلامي مجتمع إدخاري، فالذهب الموجود في حوزة النساء للزينة كفيل لأن يمول أكبر عملية تنمية في الوطن الإسلامي، فلو قامت شركات استثمار على مستوى رفيع يثق به الناس لألقى الناس بمدخراتهم إليها، وألقى النساء ذهبهن بين يديها بغية الاستثمار، وعندئذ ترى المال الكويتي يستثمر في الباكستان، والمال السعودي يستثمر في بنغلاديش، وهكذا.

إن المال لا يعترف بالحدود السياسية للدول، ووطنه حيث يوجد الاستقرار الاقتصادي والسياسي، فهل تمكّننا الدول الكبرى من إيجاد هذا الاستقرار لئلا يهرب مالنا إليها؟

● **يقول الأستاذ د. أحمد الحجي**

د . أحمد الحجي الكردي :



جباية الزكاة من قِبَلِ أولياء الأمور تجارب رائدة يجب ترسيخها وتطويرها

الكردي الخبير في الموسوعة الفقهية:

التجارب المحدودة التي قامت بعض الأقطار الإسلامية بها لجباية الزكاة من قِبَل أولياء الأمور أو من قِبَلِ لجان مأذون لها بذلك - من قِبَلِ أولياء الأمور - هي تجارب رائدة وجديدة على الساحة الإسلامية بعد أن مضت عصور طويلة كان صرف الزكاة فيها متروكاً لمن وجبت عليهم، ينفقونها في مصارفها بمعرفتهم، ولهذا فإنها تصادف عقبات وصعاباً تحد من نجاحها وإن كانت تؤدي بكل تأكيد الكثير من المصالح العامة، وتعمل إلى حد مناسب على التأليف بين أفراد المجتمع الإسلامي، ولابد من الاستمرار فيها وتطويرها على يد المخلصين من أبناء هذه الأمة الإسلامية وتصحيح الأخطاء، وذلك لما في تنظيم هذا الموضع من أثر بالغ على وحدة الأمة وتماسكها.

بــدر القاســمي :



الزكاة وسيلة مهمة للقضاء على ظاهرة الفقر وتأهيل الفئات الكادحة

● يقول الأستاذ بدرالحسن القاسمي:

الزكاة تختلف عن الصدقات النافلة والتبرعات العامة وقد حضَّ الإسلام على الإنفاق في سبيل الله لسد احتياجات الفقير وذوي الحاجة الآنية، وأن الرسول صلى الله عليه وسلم أكد: أن في المال حقاً سوى الزكاة والقرآن رغَّب في إنفاق العفو.

أما الزكاة فالأصل فيها أن تؤدى بنظام وتحت إشراف أولي الأمر وهي إلزامية على كل من يملك النصاب وأن إنفاقها أيضاً يكون في مصارفها المحددة لها فتجمع كضرائب إلزامية وتنفق على المصارف التي حددها الشرع فنظام الزكاة في الإسلام نظام تكافلي شامل، ويهدف هذا النظام ألا يبقى المال دولة بين الأغنياء بل يهيئ الفرص لجميع الطبقات للنهوض وتحسين وضعها المعيشي ومن هنا جاء التصريح: «بأنها تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم».

ولما شعر أبو بكر الصديق رضي الله عنه بالتقصير في أداء الزكاة وعدم إعطائها لخليفة المسلمين، أعلن من غير تردد: «والله لأقاتلن من فرَّق بين الصلاة والزكاة».

هناك رواية في مصنف ابن أبي شيبة: أن الناس سألوا ابن عمر رضي الله عنهما بعد تغير أحوال الخلافة في عصر بني أمية: إلى من ندفع الزكاة؟ فقال: إلى الحكام. فقالوا: إذاً سيتخذونها ثياباً وطيباً. فقال: وإن. يقصد أن أداء الزكاة بنظام مطلوب ولو ظهر سوء التصرف من بعض الحكام في صرف أموال الزكاة لذا يجب الالتزام.

فالحاصل: أن الزكاة يمكن أن تؤدي دوراً تنموياً إذا تم تحصيلها بنظام وإنفاقها بنظام وفي المصارف المحددة من قِبَلِ الشرع. ولعدم جعلها مثل الصدقات النافلة بتغطية الحوائج والنكبات اليومية والآنية، فيمكن أن تؤدي الزكاة دوراً مهماً في القضاء على ظاهرة الفقر وتأهيل الفئات الكادحة لرفع مستواها المعيشي وتنمية المجتمع.

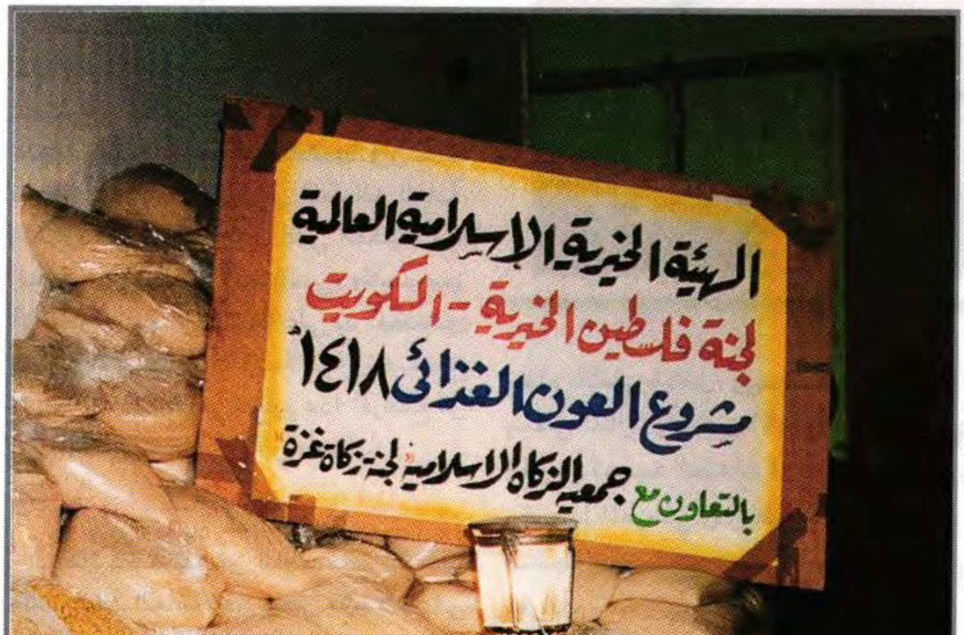
خروج الدول الإسلامية من دائرة التخلف يتطلب الإجراءات والخطوات التالية:

- الاستقلالية في النظام التعليمي والتربوي وجعل الإسلام أساساً في المنهاج التعليمي لإعادة الثقة في نفوس الأجيال الجديدة بدينهم وعقيدتهم والقوة والاعتماد في شخصيتهم.

- الاستفادة من تجارب الأمم الراقية في مجالي العلوم والتقنية بدل الاكتفاء بالفنون الجميلة والأدب الإباحي الهابط ومناهج السلوك الاجتماعي الفاسد.

- تربية النشء الجديد على الإنتاجية والإبداع والابتكار بدل بث روح الانهزامية والإتباع والتقليد من خلال الإعلام المضلل والفن الرديء. وبذلك يمكن تحقيق الانتصار والخروج من مأزق التخلف الخطير ■

إعداد : تمام أحمد



انطلاقاً من عالمية الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية وشمولية رسالتها وأهدافها واستكمالاً للدور الخيري الرائد الذي تقوم به الهيئة وايماناً بأهمية العمل الخيري المتخصص، وضرورة الاهتمام بالمقدسات الإسلامية على أرض فلسطين، لم تأل الهيئة جهداً في مساندة ومساعدة الشعب الفلسطيني، وفي ١٩٨٨/٦/١٥م الموافق غرة ذي القعدة ١٤٠٨هـ، قامت الهيئة بإنشاء لجنة فلسطين الخيرية لتقوم بتقديم الدعم اللازم لكل أوجه الحياة لأبناء أرض الإسراء فلسطين الاجتماعية والتعليمية والاقتصادية والبشرية وإغاثة المنكوبين منهم.

لجنة فلسطين الخيرية قلعة من قلاع الخير

أهداف اللجنة:

- الاهتمام بالتراث والمقدسات الدينية والمعالم التاريخية على أرض فلسطين.
- دعم برامج التنمية البشرية وتقديم العون الأكاديمي والمادي لطلبة العلم.
- تنفيذ ودعم المشاريع الإنتاجية وبرامج التنمية الاجتماعية والصحية.
- تعزيز روح التضامن والإخاء مع أبناء أرض الإسراء.

ومن أهم المشروعات التي نفذتها وتنفذها الهيئة عبر لجانها المتخصصة ما يلي:

١ ـ مشروع وقفية الأقصى ومساجد فلسطين:

وسيراً على نهج الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية في الاهتمام بالمشاريع الوقفية، فقد أنشأت اللجنة مشروع وقفية الأقصى ومساجد فلسطين وهو مشروع وقفي يتم استثمار المبالغ التي يوقفها المتبرعون في أصول ثابتة والصرف من ريعها في إعمار وترميم وصيانة المسجد الأقصى وكل مساجد فلسطين والعمل على تمكينها من القيام برسالتها في المجالات الثقافية والاجتماعية.

ويمكن المشاركة بأسهم الوقفية «سهم القبة الماسي ٥٠٠د.ك ـ سهم القبة الذهبي ٣٠٠د.ك ـ سهم القبة الفضي ١٠٠» وتدفع نقداً أو باستقطاع شهري، رقم حساب المشروع ٨٧٢٢/٣ بيت التمويل.

٢ ـ مشروع وقفيات الإسراء:

كذلك سعت اللجنة ولرغبة متبرعيها الكرام لتوافر وقفيات أخرى تخدم جوانب عدة فقد تم استحداث الوقفيات التالية:

● **وقفية الإسراء للأيتام :**

تضمن لك الإسهام في كفالة يتيم بعد يتيم، وينعم اليتيم بالأمان والرعاية الشاملة في استمرار عطائكم له بإذن الله، قال رسول الله ﷺ: «أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا وأشار بالسبابة والوسطى وفرج بينهما» رواه البخاري.

● **وقفية الإسراء لخدمة القرآن والمراكز الدعوية:**

تضمن خدمة ورعاية كتاب الله تحفيظاً وتعليماً وطباعة ونشراً، والمشاركة في حماية النشء ليكونوا خير دعاة يحملون النور والهداية لمجتمعاتهم.

● **وقفية الإسراء للمشاريع الخيرية والإنتاجية:**



تضمن الإسهام في بناء وإدارة المدارس والمستشفيات وإنشاء المشاريع الإنتاجية من ورش حدادة وخياطة وتدريب ومزارع ومناحل، فتقي بذلك المحتاج ذل السؤال وتعينه على الكسب الحلال قال رسول الله ﷺ: «لأن يأخذ أحدكم حبله فيأتي بحزمة حطب على ظهره فيبيعها فيكف الله به وجهه خير من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه» رواه البخاري

● **وقفية الإسراء لطلبة العلم:**

تضمن لك الإسهام في تنشئة وتعليم الكثيرين ممن حرموا الدراسة والتعليم ليكونوا في المستقبل نواة طيبة تسهم في تنمية أوطانهم ومجتمعاتهم.

٣ ـ مشروع إعمار التسوية الشرقية في المسجد الأقصى:

تقع التسوية الشرقية في الجهة الجنوبية الشرقية من المسجد الأقصى وبمساحة (٤) دونمات تقريباً وتتسع لعشرة آلاف مصلٍّ، وقد تم افتتاح التسوية الشرقية للمسجد الأقصى بعد صيانتها كما أسهم في صيانتها محسنون من دولة الكويت والسعودية ومصر وغيرهم.

٤ ـ مشروع سقيا الأقصى:

وهو مشروع على غرار نظام السقيا في الحرمين الشريفين حيث يتم توافر ثلاجات ماء وثلج ومطارات كبيرة توزع في جميع أنحاء المسجد الأقصى ومرافقه وساحاته ليتوافر ماء الشرب البارد دون عناء يقول رسول الله ﷺ: «أفضل الصدقة سقي الماء».

٥ ـ مشروع دينار الأقصى:

ويهدف هذا المشروع إلى دعم تنفيذ الأعمال الخيرية والإنسانية في المسجد الأقصى وأكناف بيت المقدس وهو تحت شعار «كن وفياً للمسجد الأقصى» ويركز المشروع على ترميم وصيانة وتجهيز المساجد، ويمكن المشاركة في هذا المشروع عن طريق الاستقطاع الشهري أو أي مبلغ مقطوع.

٦ ـ مراكز تحفيظ القرآن الكريم:

إيماناً من اللجنة بأهمية حماية النشء اللاحق من مخاطر التذويب العقائدي والحضاري لهويتهم تسهم اللجنة بتشغيل ودعم الكثير من مراكز تحفيظ القرآن الكريم في فلسطين تحت شعار «حتى يبقى القرآن عالياً في أرض الإسراء»، ويمكن المشاركة في هذا المشروع عن طريق الاستقطاع الشهري أو التبرع النقدي مباشرة، حيث تبلغ كفالة الطالب ١,٢٥٠د.ك شهرياً (١٥د.ك سنوياً)، وتبلغ قيمة كفالة مركز واحد ٤٠د.ك شهرياً (٣٦٠د.ك سنوياً) رقم حساب المشروع ٨٨٢٤٩/٣ بيت التمويل الكويتي الرئيس.

٧ ـ مشروع البراق الخيري

ويهدف هذا المشروع إلى تمويل أعمال الخير والبر العام في بيت المقدس وأكناف بيت المقدس وخدمة العمل الخيري لأرض الإسراء والمعراج ويمكن المشاركة عن طريق التبرع النقدي أو الاستقطاع الشهري بقيمة (١٠ د.ك).

٨ ـ مشروع كافل اليتيم:

تقوم اللجنة بتنفيذ مشروع كافل اليتيم تحت شعار «لأني حرمت الحنان أريدك والدي أريدك والدتي» وتسعى اللجنة لتوافر الرعاية الشاملة للأيتام والذي يقوم على التوعية والرعاية لليتيم وذويه من خلال برامج تربوية وتعيين مرشدات تربويات لهذا الغرض، ومن مظاهر اهتمام اللجنة بالأيتام المكفولين من قبلها أيضاً قامت بطرح مشروع «عيدية وكسوة اليتيم» ومشروع «الكسوة والحقيبة المدرسية للأيتام» وتبلغ كفالة اليتيم الواحد ١٥د.ك شهرياً، كما يمكن الإسهام بأي مبلغ لدعم المشروع، رقم حساب المشروع ١٥٥٤١/٥ بيت التمويل الكويتي ـ الرئيس.



٩ ـ مشروع طالب العلم:

● **طلبة المدارس الخاصة في الكويت:**

وتقوم اللجنة سنوياً باستقبال الأسر الفقيرة والتي أثقلت كاهلها أقساط المدارس حيث يتم دراسة طلباتهم وتقديم ما يمكن تقديمه من مساعدة وتقدم اللجنة سنوياً الدعم لـ ٥٥٠ طالباً وطالبة في المراحل الدراسية المختلفة داخل الكويت وتبلغ كفالة الطالب ١٠د.ك شهرياً، رقم حساب المشروع ١٥٥٤٢/٣ بيت التمويل الكويتي ـ الرئيس.

● **طلبة المدارس والجامعات داخل فلسطين:**

ويسهم مشروع طالب العلم سنوياً بتقديم المساعدات من رسوم مادية وشنط وملابس للطلبة الأيتام والفقراء داخل أرض الإسراء فلسطين من خلال مشروع الكسوة والحقيبة المدرسية، وتبلغ قيمة الكسوة ١٠د.ك والحقيبة المدرسية ٦د.ك، رقم حساب المشروع ١٥٥٤٢/٣ بيت التمويل الكويتي الرئيس.

● **طلبة العلم في الخارج:**

يتم مساعدة الطلبة الجامعيين المحتاجين من أبناء فلسطين وخصوصاً المتفوقين منهم الموجودين في بلاد الغربة من الذين يهدفون لدراسة تخصصات مهمة وحيوية تسهم في تلبية احتياجات الصامدين في أرض الإسراء، وقد كفلت اللجنة ما يزيد على ٣٠٠ طالب من كل التخصصات، وتبلغ كفالة الطالب ١٠د.ك شهرياً، رقم حساب المشروع ١٥٥٣٢/٣ بيت التمويل الكويتي ـ الرئيس.

١٠ ـ وجبات الافطار:

حيث تقوم اللجنة سنوياً بإحياء قيم التكافل والتراحم الإسلاميين وتقديم اللازم للأسر الفقيرة والمحتاجة، وقد قدمت اللجنة منذ نشأتها أكثر من (٦٥٠٠٠٠) وجبة إفطار وتحرص اللجنة على تنفيذ هذا المشروع على هيئة طرود غذائية توزع على الأسر المحتاجة، رقم حساب المشروع ١٥٨٨٩/٩ بيت التمويل الكويتي ـ الرئيس.

١١ ـ مشروع الأضاحي:

تقوم اللجنة بذبح الأضاحي وتوزيعها على الأسر المحتاجة داخل فلسطين بالتعاون مع لجان الزكاة هناك، وقد قدمت اللجنة منذ نشأتها أكثر من (١٤٠٠) أضحية وتحرص اللجنة في كل عام على اتخاذ كل الأساليب للحد من ارتفاع سعر الأضحية داخل أرض الإسراء فلسطين، رقم حساب المشروع ١٥٨٨٩/٩ بيت التمويل الكويتي ـ الرئيس.

١٢ ـ المشاريع الخيرية والإنتاجية:

قامت اللجنة بدعم وتنفيذ الكثير من المشاريع الخيرية والإنتاجية، حيث نفذت ١٥ مشروعاً خيرياً شملت بناء المساجد والمدارس والوحدات الصحية والمستشفيات، أما بالنسبة للمشاريع الإنتاجية فنفذت ١٦ مشروعاً شملت مشاغل خياطة ومناحل عسل ومصانع وحظائر دواجن وأبقار بالإضافة إلى توزيع ٧٩٠ «ماكينة» خياطة وتمليك ٩٩٠ رأس غنم و١٠٤٠ رأس ماعز حلوب، إيماناً منها بتحقيق الاكتفاء الذاتي وتعزيز جوانب التنمية للارتقاء بالأحوال المادية والاجتماعية لأبناء فلسطين ويمكن الإسهام في هذه المشاريع سواء بتبني أحد المشاريع كاملة أو بمبلغ مقطوع أو عن طريق الاستقطاع الشهري، رقم حساب المشروع ١٥٥٤٣/١ بيت التمويل الكويتي ـ الرئيس.

١٣ ـ مشروع رعاية الأسر الفقيرة:

تقوم اللجنة سنوياً بتخصيص مساعدات إغاثية للأسر الفقيرة في أرض الإسراء بالتعاون مع لجان الزكاة، وتسعى اللجنة في الفترة المقبلة إلى تقديم مساعدات إنتاجية تساعد الأسرة في نفقاتها الشهرية وذلك ضمن سياسة الهيئة: «معاً لا يعود السائل إلى السؤال».

١٤ ـ مركز الإسراء للعلاج الإشعاعي:

تقوم اللجنة الآن بالعمل على تسويق المشروع بالتعاون مع الجمعية الكويتية لمكافحة التدخين والسرطان مع لجنة زكاة نابلس «التي تبرعت بالأرض حيث توجد حاجة ملحّة للمشروع لانتشار مرض السرطان وضعف إمكانات علاجه، وتقدر التكاليف الأولية للمشروع بنحو مليون وثلاثمئة وخمسون ألف دينار موزعة على البناء والأجهزة الفنية والميزانية التشغيلية للسنة الأولى.

وبفضل الله سبحانه وتعالى، فقد أسهمت هذه المشروعات في مؤازرة الصامدين في أرض الإسراء، واستطاعت أن تقدم المساعدات الإغاثية اللازمة، كما قدمت الدعم في المجالات الاجتماعية والتربوية والصحية، وعلى الرغم من أن ما نُفذ من مشروعات هو جهد المقل، إلا أنه ينبغي أن نقدم ولو القليل فهو خير من أن نقف عاجزين. ■

قضايا فكرية

بقلم : مولاي الخليفة لمشيشي

نحو تجديد الفهم لمشروع مالك بن نبي :

مالك والحركة الإصلاحية : أي علاقة ؟

لقد شكّل التخلف والانحطاط أهم السمات العامة التي ميَّزت وضعية العالم الإسلامي في قرن «الظاهرة الاستعمارية»، وهي ظاهرة ميَّزت القرن العشرين، وغدت مرجعاً ضرورياً لتفسير معطياته الحضارية خصوصاً حال اللاتكافؤ الحضاري بين العالمين الإسلامي والغربي، مما انعكس بشكل مباشر على المناخ الفكري عالمياً، فظهر الفكر الاستشراقي لخدمة الهيمنة الاستعمارية، كما ظهر بالمقابل فكر النهضة والمقاومة، أو سُمي بـ«الخطاب النهضوي العربي» بشقيه العلماني والسلفي... خصوصاً الشق السلفي الذي استمد حضوره وقوته في المجابهة من أصالة مبادئه في الوجدان النفسي والعقلي «لإنسان» العالم الإسلامي بما يجعله نقيضاً موضوعياً للفكر الاستشراقي الاستعماري بكل ثقله وصدماته.

لقد كان لتلك الظروف أثر كبير في إضفاء سمات معينة تميز خطاب الحركة الإصلاحية سواء من حيث طبيعة التصور الذي تطرحه ضمن مشكلة العالم الإسلامي، ومنبع تخلفه وانحطاطه، أو من حيث طبيعة الحلول التي تطرحها إزاء ذلك، لقد كان للمفكر الجزائري مالك بن نبي إسهام خاص في دراسة الحركة الإصلاحية وذلك ضمن منهجيته العامة في تحليل قضية الحضارة ومشكلاتها بعقلية موصوفة بالحكمة، وبرؤى ومفاهيم لم تُعهد في أدبيات النهضة العربية. وذلك من خلال مشروعه الرائد «مشكلات الحضارة»، فللرجل والمشروع خصوصيات جمة تحتم التوقف أمامهما لزمن طويل لاستكناه درر جديدة قدمها للعقل الإسلامي المعاصر صاحب مشروع «مشكلات الحضارة» الأعجمي اللسان والمغترب المكان وقليل الحظ من علوم الشريعة والبيان، لكن له باعه في علوم الإنسان مع إيمانه الصادق بضرورة أن تخضع مناهجها لعقيدة القرآن.

وحتى نعرف موقع مشروع مالك بن نبي من «مشروع» الحركة الإصلاحية التي عايشت أزمة التكيف مع العالم الحديث، لابد من عرض رؤيته لها وتقييمه لحصادها في كتبه الأولى، خصوصا بعد تشييده لمصطلح «القابلية للاستعمار»، رغم ما أقره مالك بن نبي للحركة الإصلاحة من تجديد للقيم الإسلامية، ومن إنجازات فكرية مهمة إلا أنه يسجل عدم استطاعتها المساس بمعطيات «القابلية للاستعمار»، التي تفرعت عنها كل الأعراض المرضية التي تناولتها الحركة الإصلاحية ما يجعلنا ـ في نظره ـ أمام أعمال للدفاع والتبرير لا للبناء والتوجيه، وبدل أن تكون الجهود كلها في صورة مذهب منسجم دقيق حول النهضة، انطلقت تلك الجهود كلها في صورة شعلات دفاعية أو جدالية مع المستشرقين أمثال سجالات محمد عبده مع «أرنست رينان»، وعلى الرغم من ذلك، فهي جهود من وحي الصدمة الحضارية القاسية التي أحدثها الغزو الاستعماري. «فالأفغاني ومدرسته قاما بعملية لا شك أننا إذا وضعناها في إطارها الزماني والمكاني تكون عملية ضخمة جداً أحدثت هزة فكرية وهزة سياسية كبيرة وضعت المسلمين على طريق التساؤل وعلى طريق إعادة النظر وعلى طريق المحاسبة وعلى طريق معرفة الحاضر وتخطيط المستقبل»(١)، يقول عمر مسقاوي: «الرواد إذن ـ يقصد رواد الحركة الإصلاحية ـ يبحثون عن أسلوب جديد يُقلع بمجتمع ما يزال غارقاً في أسوار التفكيك في عوالم ثلاثة كثيراً ما أشار إليها مالك بن نبي في كتبه: عالم أشخاصه، فلم يعد للعلاقات الاجتماعية قيم أخلاقية بل قيم ذاتية، وعالم أفكاره، حيث توقف الفكر عن كل إبداع وكل الاجتهاد، وعالم أشيائه حيث توقف المجتمع عن كل تطوير لوسائله»(٢).

فقد قام الأوروبي - في نظر ابن نبي - بدور الديناميت الناسف لمعسكر الصمت، والتأمل والأحلام، ليستيقظ إنسان ما بعد الموحدين، ليقف أمام الخيار الصارم الذي هو الحفاظ على الحد الأدنى من كرامته، وضمان الحد الأدنى من الحياة، فكان ذلك حافزاً للمجتمع الإسلامي للبحث عن أسلوب جديد يتفق وشرائط الحياة الجديدة خلقياً واجتماعياً، ويعتقد مالك بن نبي أنه لو استطاعت الحركة الإصلاحية أن تقوم بتركيب أفكارها، وأن توحد الأفكار والأصول التي توصل إليها الشيخ محمد عبده والآراء السياسية والاجتماعية لجمال الدين الأفغاني لوصلت إلى طريق أفضل من مجرد إصلاح مبادئ العقيدة، مشيراً إلى عامل آخر من عوامل انعدام فاعلية أفكار الحركة الإصلاحية، وهو اتجاه الثقافة إلى امتداح الماضي فحسب،

فلم تستطع الحركة الإصلاحية ترجمة فكرة الوظيفة الاجتماعية للدين إلى لغة الواقع «ومن جراء هذا ظلت الفكرة معزولة ومحايدة كأنها العزلة من سلاحها»(٣)، لأنها فقدت الفعالية المطلوبة.

ويتناول مالك بن نبي نموذجاً حياً على ذلك وهو جهود محمد عبده في إحياء علم الكلام حين «ظن أنه من الضروري إصلاح علم الكلام بوضع فلسفة جديدة حتى يمكن تغيير النفس... وعلم الكلام لا يتصل في الواقع بمشكلة النفس إلا في ميدان العقيدة أو المبدأ، والمسلم حتى مسلم ما بعد الموحدين لم يتخلَّ مطلقاً عند عقيدته، فلقد ظل مؤمناً، وبعبارة أدق ظل مؤمناً متديناً، لكن عقيدته تجردت من فاعليتها لأنها فقدت إشعاعها الاجتماعي، فأصبحت جذبية فردية، وصار الإيمان إيمان فرد متحلل من صلاته بوسطه الاجتماعي، وعليه فليست المشكلة أن نعلم المسلم عقيدة هو يملكها، وإنما المهم أن نرد إلى هذه العقيدة فاعليتها وقوتها الإيجابية وتأثيرها الاجتماعي.(٤)، والسمة الظاهرة التي وصف ابن نبي ضعف فاعلية أفكار الحركة الإصلاحية في هذا الوصف الدقيق الذي ينم عن دقة تحليل وسلامة توصيف هذه السمة هي «عجز الفكر عن الإمساك بالواقع أو التحكم به، هذا العجز ليس إلا من نتائج المنهج السجاني الذي يجد مبرراته وغايته في البرهنة على صحة الأيديولوجيات والمواقف وفي الدفاع عنها أكثر مما يجدها في معاينة الواقع وفهمه، وتحليل عناصره»(٥)، ومن جهة نظر أخرى، يطرح تقييم حصاد الحركة الإصلاحية على مستوى آخر وهو المؤهلات التي يجب أن تتوفر في المجتهدين والتي بقيت تقليدية.

فمن خلال تناول مالك بن نبي للحركة الإصلاحية تتضح مميزات مشروعه ومقترحاته للتجاوز نحو أفق فكري أنسب. فيظهر لنا مفرق «المشروع الحضاري الإسلامي» عن المشروع الإصلاحي».

فما موقع مشروع مالك بن نبي وجهوده الفكرية من الحركة الإصلاحية؟ هل هو داخل في «رجال الإصلاح»؟ أم أنه مرحلة من مراحل الحركة الإصلاحية. أم أنه قطعة فكرية مغايرة خضعت لغير الظروف التي حددت قسمات وجه الحركة الإصلاحية؟ وهنا استحضر بعض دراسات مفكرين إسلاميين صنفوا مشروع ابن نبي ضمن الحركة الإصلاحية كالأستاذ غازي التوبة في كتاب «الفكر الإسلامي المعاصر»، والدكتور أسعد السحمراني في كتابه «مالك بن نبي مفكراً إصلاحياً» والشيء نفسه فعله بعض المستشرقين كـ«لوي غاردي» مثلاً.

وللإجابة عن الأسئلة والإشكالات السالفة الذكر أطرح المعطيات التالية التي قد تغير الموقف تجاه مالك بن نبي في علاقته بالحركة الإصلاحية لنعرف كونه مفكراً إصلاحياً ومفكراً مصلحاً:

أولاً: طبيعة المرحلة التي ظهر فيها مشروع مالك بن بين غير مرحلة الحركة الإصلاحية التي أسهمت بشكل كبير في إعطاء سمات معينة لآليات تناول مشكلة التخلف والاستعمار، والظروف النفسية والعقلية التي طبعت «الفكر الإصلاحي مما اضطره إلى تحمل أعباء الثقل الاستعماري بكل الوسائل الممكنة واستحضار قوة الفكر الاستشراقي آنذاك، ويظهر أن مالك بن نبي - وإن عاش مخلفات تلك المرحلة - يشكل جيل التجاوز والانتقال من الوصف إلى طرح البديل في صورة «شروط النهضة»، ومثالاً على ذلك يظهر جلياً تميُّز مشروع مالك بن نبي عن أفكار الحركة الإصلاحية في نقد الحضارة الغربية، يقول عبدالحليم عويس: «ولعل أفضل الدراسات في الاتجاه الأول (يقصد اتجاه الحضارة الغربية) كتابات المفكرين الإسلاميين الكبار، وعلى رأسهم العلامة محمد إقبال والشيخ عبدالحميد بن باديس والعلامة مالك بن نبي والعلامة أبو الأعلى المودودي... وهؤلاء هم الذين تجاوزوا مرحلة «المفاجأة» التي لاقاها جيل المصلحين الرواد من أمثال جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده ومحمد فريد وجدي وغيرهم، فكان هذا الجيل أكثر وعياً وقدرة وقد جمع أقطابه في اتزان وشمول بين خير ما عند جيل المفاجأة، وبين ما استطاعوا بكفايتهم واحتكاكهم بالحضارة الغربية أن يحصلوه من أعماق منهجية ونظرات ثابتة، فنقدوا الحضارة الغربية بمنهجياتها... وعمقوا الرؤية الإسلامية والحضارة أيما تعميق»(٦).



ثانياً: لم يكن مالك بن نبي يهدف إلى مجرد الإصلاح، بل دعا إلى تصفية سلبيات الماضي، وإعادة تركيب عناصر الحضارة «الإنسان - الزمن - التراب»، وفق الفكرة الدينية، عكس مجرد الإصلاح الذي يركز على جزئيات بعينها «الأفغاني في المسألة السياسية، محمد عبده في القضايا الاجتماعية». ولذلك نجد ابن نبي في «وجهة العالم الإسلامي» ينتقد الحركة الإصلاحية التجزيئية التي تناولت بها مشكلات العالم الإسلامي، مقترحاً أن تكون الجهود كلها في صورة مذهب منسجم للأفكار والأصول أي أن تتكامل لتصل مستوى طرح مشكلة العالم الإسلامي في صورتها المتكاملة «الحضارة».

ثالثاً: التقييم الذي قام به مالك بن نبي لجهود رواد الإصلاح ينم عن توقه إلى خلق مشروع فكري يطعِّم تلك الأفكار ويتجاوز ما تعثرت فيه - فمن البداهة والمعقولية أن يأتي مشروعه ونهجه الفكري مختلفاً عن النهج الفكري لرواد الإصلاح، ليس عن الحركة

الإصلاحية فحسب، بل عن اتجاه النهضة العربية على المستوى الفكري، خاصة عندما نجده يطرح أسباب الضعف الذي لحق هذا الاتجاه، وهي أسباب نابعة من تصوره لمشكلة العالم الإسلامي.. وهذه الأسباب تتمثل في: «عدم تشخيص غاية النهضة بصورة واضحة، عدم تشخيص المشكلات تشخيصاً صحيحاً، وعدم تحديد الوسائل تحديداً يناسب الغاية المنشودة والإمكانات»(٧).

فلا شك - إذا - في أن مشروعه سيأتي متلافياً لذلك فيستقيم الحال مع المنشور في المآل.

رابعاً: نحن بصدد الحديث عن مشروع متكامل الجوانب في إطار سماه صاحبه «مشكلات الحضارة»، فكل المواضيع التي تناولها ابن نبي على اختلافها وتعددها خاضعة لضابط منهجي هو «المشكلة الحضارية» رؤية ومنهجاً ومفاهيماً، فالباحث في فكر ابن نبي مضطر إلى معرفة المنهجية المعرفية العامة للمؤلف في التحليل والتناول، وبذلك يستطيع أن يتجاوب مع كل كتاب كُتِبَ ضمن المشروع، فنجد مثلاً بعض المفاهيم والمصطلحات التي يشرحها ابن نبي في كتاب، ليستعملها في كتب أخرى غير مضطر إلى إعادة تحديد المقصود بها كمفهوم «القابلية للاستعمار»، و«شبكة العلاقات الاجتماعية»، و«العوالم الثلاثة». ولفهم موضوع معين من خلال مشروع ابن نبي يستوجب ذلك الاستقراء الكلي للمشروع، فـ«مشكلات الحضارة» يحمل الدلالات العميقة لمفهوم «المشروع» المتمثلة في «تحديد أسس النظرية والآليات التطبيقية المبنية على دراسة الواقع وشروطه ومكوناته ومتطلباته ومقتضياته... فالمشروع يفترض فيه الوضوح والواقعية، أي أنه يلبي حاجة الواقع والاستعداد للتطبيق بتشخيصه الآليات... لهذا نجد أن كلمة المشروع كانت غائبة عن الخطاب الإسلامي حين كان هذا الخطاب ينزع نحو الجوانب النظرية»(٨).

هذه التحديات التي يعرضها زكي الميلاد، يصرح ابن نبي عن جانب كبير منها «الصلة بالواقع» حين يقول: «على من يكتب واجبًا إزاء الكلمات التي يكتبها، أن يتبعها خارج مكتبه في معركة الحياة والصراع الفكري، وأن يتبعها في عمله في المجتمع، يجب عليه ألا يغفل تلك الصلة التي تنشأ بصفة أوتوماتيكية بين من يكتب فكرة ومن يصيرها أو يحاول أن يصيرها عملاً».(٩)

لقد تمكن مالك بن نبي - رحمه الله - من أن يحقق الفهم الشمولي لمشكلات العالم الإسلامي مستوحياً ذلك من مرجعية الإسلام والواقع الاستعماري، مستفيداً في دراساته من مناهج العلوم الإنسانية، للتطرق لأغلب المجالات الحضارية التي يطالها التخلف، فكان مشروعه لبنة أساسية في صياغة المشروع الحضاري الإسلامي، ونحن نرى نتائجه في الصحوة الإسلامية المعاصرة، فهو امتداد تاريخي على مستوى الأفكار في الحاضر، ويشير د.طه جابر العلواني إلى أنه «لو قُدِّر لمالك ابن نبي أن يكون هو المحتوى الفكري والمنهجي والثقافي الذي يشكل عقلية الصحوة الإسلامية أو الحركة الإسلامية المعاصرة، لكانت هذه الصحوة اليوم في موقع القيادة لهذه الأمة، ولكن مالك بن نبي، كان يطلق أفكاره، فيقبل عليها من يقبل، ويعرض عنها من يعرض، ومن المؤسف أن مختلف البرامج الثقافية للحركات الإسلامية قد أهملت فكر مالك بن نبي ولم تعطه من الاهتمام ما يستحقه وما هو جدير به، ولم تلتفت بشكل مناسب إلى أهميته البالغة، وحاجة الأمة إلى تحويل هذه الأفكار إلى واقع معاش»(١٠).

كما ينفرد ابن نبي إضافة إلى ما سبق ذكره بتأكيد ضرورة خروج الفكر الإسلامي في حل مشكلات العالم الإسلامي من الخصوصيات المحلية ومن الذاتية المنغلقة إلى رحابة عالمية الدعوة والحضارة الإسلامية. يقول عمر مسقاوي: «والأستاذ مالك بن نبي يطرح الإسلام كملهم لقيمنا وقادر على استعادة دور الإنسان مبرّأ من ثقل الحضارة الإمبراطورية، وهو يرى أن الإسلام لا يقدم إلى العالم ككتاب، وإنما كواقع اجتماعي يسهم بشخصيته في بناء مصير الإنسانية»(١١).

فعالمية الإسلام شرطها مقاومة القابلية للاستعمار وتصحيح المسار الحضاري للإنسانية ومنطلقه أن ندرك بأن قضية العالم الإسلامي هي قضية بناء وحضارة لا تكديس منتجاتها، وهذا يتم بنقل القيم الاجتماعية والأخلاقية الذاتية من حالتها الطبيعية الجامدة المنفصلة عن الحركة إلى حالة نفسية زمنية، فكل القيم النفسية ليست إلا ترجمة للعلاقة العضوية بين الفكرة الدينية والفرد، والحضارة ما هي إلا «نتاج حركة أبناء المجتمع بتوازن معنوي - مادي إلى أهداف محددة تحقق ممارسة الدور لهذا المجتمع في تاريخ البشرية»(١٢).

الهوامش:

١ - مجلة الهدى، العدد ١٥، ص٣٠، د. جيني ١٩٨٦م، حوار مع الدكتور محسن عبدالحميد.
٢ - نظرات في الفكر الإسلامي ومالك بن نبي، عمر مسقاوي ص ١٥، ١٩٧٩م دار الفكر.
٣ - فكرة كومنولث إسلامي، ص ٧٣، مالك بن نبي، الطبعة الثانية، دار الفكر.
٤ - وجهة العالم الإسلامي، ص٧٣، الطبعة الثانية، دار الفكر.
٥ - «مناهج التغيير والحركات الإسلامية» محمد أبو القاسم حاج حمد، بحوث ندوة مناهج التغيير في الفكر الإسلامي المعاصر المنعقدة في دولة الكويت (من٢٤ إلى ٢٦ يناير ١٩٩٤م) ص ٣٦٧.
٦ - «موقف الفكر الإسلامي المعاصر من الحضارة الحديثة». د.عبدالحليم عويس، مجلة المنهل عدد ٤٩٥، ص ٢٢، ١٩٩٢م.
٧ - تأملات مالك بن نبي، ص١٨٦، الطبعة الثالثة ١٩٧٧م دار الفكر.
٨ - «المشروع الحضاري الإسلامي المعاصر»، د.زكي الميلاد، مجلة الكلمة، ص٢١ العدد السابع - ١٩٩٥م.
٩ - في مهب المعركة، مالك بن نبي، ص ١٨٦، الطبعة الثانية، ١٩٧٢م دار الجهاد.
١٠ - «مالك بن نبي وحركة التجديد الحضاري» د.طه جابر العلواني، الشروق الثقافي، ملحق جريدة الشروق العربي - العدد ١٥، الصفحة الأخيرة.
١١ - نظرات في الفكر الإسلامي ومالك بن نبي - عمر مسقاوي ص ٤٧.
١٢ - مالك بن نبي مفكراً إصلاحياً. د.أسعد السحمراني - ص١٤٦، الطبعة الثانية، ١٩٨٦م - دار النفائس.

قضايا فكرية

بقلم: غازي التوبة

لماذا فشل الفكر القومي العربي في إحداث النهضة؟

إن أي بحث في المدى الذي أحرزته الأمة في تحقيق أهدافها في النهضة أو عدم تحقيقها خلال القرن الماضي يجب أن يتجه إلى تفحص بنية الفكر القومي العربي وآليات عمله، لأن نظرياته وآراءه هي التي سادت المنطقة وهي التي قادتها وهي التي رسمت سياساتها التربوية والاقتصادية والاجتماعية.... إلخ.

إن رائد الفكر القومي هو ساطع الحصري وهو الذي أثرت نظرياته وأقواله وآراؤه في كل الحركات القومية التي قامت بعد ذلك بصورة من الصور، لذلك يجب أن يتجه البحث إلى أفكار ساطع الحصري القومية عند البحث في أوضاع المنطقة ونجاحات نهضتها أو فشلها.

تحتل الأمة مركزاً جوهرياً في أدبيات الفكر القومي وقد اعتبر ساطع الحصري الأمة تتكون من عنصرين هما اللغة والتاريخ، واعتبر أن اللغة روح الأمة وحياتها وأن التاريخ ذاكرتها وشعورها، فهل كانت الأمة الموجودة آنذاك عند قيام الفكر القومي بدعوته مرتكزة على هذين العاملين فقط: اللغة والتاريخ؟ لقد كانت الأمة الموجودة آنذاك أمة ترتكز على عاملي اللغة والتاريخ بالإضافة إلى عامل آخر أساسي هو الدين الإسلامي، وربما يكون العاملان: اللغة والتاريخ نتيجة لعامل الدين الإسلامي.

إن نظرة متفحصة متأنية موضوعية إلى واقع المنطقة في القرن التاسع عشر يقول: إن الدين الإسلامي كان عاملاً رئيساً في تشكيل الأمة التي كانت تسكن المنطقة العربية، فهو الذي وحَّد عاداتها وتقاليدها انطلاقاً من شرائعه، ووحَّد تاريخها الذي دار حول انتصارات المسلمين وهزائمهم، ووحَّد مقاييسها الاجتماعية والأدبية في الواجب والحلال والحرام انطلاقاً من قيمه، ووحّد ثقافتها في النظرة إلى الكون والإنسان والحياة انطلاقاً من أفكاره، ووحد حضارتها وجعلها تقوم على التوحيد وعلى إعمار الدنيا والتطلع إلى الآخرة انطلاقاً من عقائده، ووحّد اقتصادها الذي يقوم على تشجيع الكسب الحلال وعدم الإسراف في الإنفاق وتحريم الربا ووجوب أداء الزكاة انطلاقاً من أحكامه، ووحّد لغتها فكانت العربية هي لغتها في العبادة والمعاملة والتأليف انطلاقاً من قرآنه، ووحد مخيالها الذي اتجه إلى تعظيم الرسول والصحابة والقادة الفاتحين.... إلخ.

إغفال الدين الإسلامي كعامل في بناء الأمة جعل الفكر القومي فكراً بعيداً عن واقع الأمة

طرح الحصري في بعض كتاباته الشعوبية قديماً وقيام بعض المنازعات بين الترك والعرب في القرن التاسع عشر حديثاً دليلين على عدم صلاحية الدين لأن يكون عنصراً رئيساً في تكوين الأمة، أما الشعوبية فهي تدل على موقف فئة من رعايا الخلافة الإسلامية نحو الأمة الإسلامية، لكن هذا لا ينفي أن بقية الأمة كانت موحدة في عقائدها وأفكارها وعاداتها وتقاليدها وأخلاقها وثقافتها وحضارتها ولغتها وتاريخها وأرضها وإرادتها التي تستمدها من الدين الإسلامي، أما فيما يتعلق ببعض المنازعات بين العرب والترك، فهذا أمر طبيعي في كل مجتمع حتى ولو كان عربياً كله أو تركياً كله، وكانت تلك المنازعات تجد أطراً لحلها كما حدث في الاتفاق الأخير بين هيئة الاتحاد والترقي التركية وبين هيئة الشبيبة العربية غداة الحرب العالمية الأولى والذي نص على أداء العرب للخدمة العسكرية الإجبارية في ولاياتهم، وزيادة نسبة المسؤولين العرب في الدوائر العليا، وفي إصلاح إدارة الولايات وفق ما يقتضيه نظام اللامركزية ... إلخ. ولكن هذا لا ينفي دور الدين الإسلامي في إيجاد لحمة بين العرب والأتراك خلال تعايشهم مع بعضهم لقرون سابقة، ويؤكد ذلك اعتراف ساطع الحصري في كتابه السابق «محاضرات في نشوء القومية»، أن السواد



● الصحوة الإسلامية عماد النهضة المعاصرة

الأعظم من العرب كان مرتبطاً بالدولة العثمانية، متكلاً عليها، مستسلماً لها، ومعتبراً الخلافة ممثلاً له.

لم يقف ساطع الحصري في كتاباته القومية عند إغفال عامل الدين الإسلامي من تشكيل أمتنا، بل تعداه إلى نفي أن يكون الدين عاملاً من عوامل تشكيل الأمة وهو في ذلك كان يقرأ الواقع الأوروبي الذي لم يشكل الدين منه عاملاً من عوامل بناء الأمة عنده، وكان الواجب عليه أن يتفحص واقعنا ومفرداته دون أن ينظر إليه بعين أخرى أو يسقط عليه واقعاً آخر، إذا فعل ذلك فسيرى أن الدين عامل رئيس في تشكيل الأمة التي كانت تسكن المنطقة العربية.

إن إغفال الدين الإسلامي كعامل في بناء الأمة جعل الفكر القومي فكراً بعيداً عن واقع الأمة، وجعله فكراً نخبوياً لا تتجاوب الأمة معه، لذلك كان عدد أعضاء حزب ١٥٠ شخصاً، عندما قادوا انقلاب عام ١٩٦٨م في العراق، ووصل أعضاء حركة القوميين العرب إلى مائة عضو في جميع العالم العربي بعد عشر سنوات من بداية عملهم، وهي أرقام تدل على قلة تجاوب الأمة مع هذا الفكر.

لم يقف الفكر القومي العربي في مرحلة الاشتراكية التي بدأت في الستينيات والتي زاوج فيها بين القومية والاشتراكية عند نفي كون الدين عاملاً من عوامل بناء الأمة، بل انتقل إلى مرحلة أبعد هي الدعوة إلى اتهام الدين الإسلامي بأنه أساس التخلف وسبب الجمود والانحطاط وأنه العقبة أمام النهضة، لذلك لابد من محاربته وإبعاده وتحطيم البنى الاجتماعية المتصلة به من أجل أن يتحقق التقدم في المجتمع العربي.

إن عدم اعتراف الفكر القومي العربي بالدين الإسلامي كعامل من عوامل بناء الأمة، ونفيه إمكان أن يكون الدين بالأصل عاملاً من عوامل بناء الأمة، ثم اتهامه للدين الإسلامي في مرحلة الاشتراكية بأنه سبب جمود الأمة وانحطاطها، كانت له نتائج متعددة، منها: أنه أقام فجوة كبيرة بينه وبين جماهير الأمة، وجعله يغفل عن كثير من خصائص الأمة وصفاتها ومكامن القوة والضعف فيها، وجعله لا يعالج مشكلاتها معالجة صحيحة، ولا يحسن مخاطبتها خطاباً مناسباً، إن كل ذلك وغيره أدى إلى عجز قيادات الفكر القومي العربي عن تحقيق أهداف الأمة النهضوية في الوحدة والاستقلال والرفاه والمشاركة في البناء الحضاري، بل على العكس جعلها تكرس التجزئة والقطرية، وجعلها تقع فريسة التغريب بدلاً من صياغة النموذج الخاص بالأمة في مختلف مجالات الحياة، وجعلها تفشل في تعبئة الأمة التعبئة الصحيحة ليكون في مقدورها التغلب على الخطر الصهيوني وصد خطره الداهم، وجعلها تفشل في إطلاق طاقات الأمة العلمية والإبداعية ليكون لها دورها في البناء الحضاري للبشرية، وجعلها لا تنجح فبناء الاقتصاد البناء الذي يجعل الأمة غنية عن مدّ يدها إلى المعونات الأجنبية.

طرح الحصري في بعض كتاباته دليلين على عدم صلاحية الدين لأن يكون عنصراً رئيساً في تكوين الأمة

لم يعجز الفكر القومي العربي عن إحداث نهضة للأمة فقط، بل أحدث سقوط، وأفقر الأمة، وسبَّب النكسة التي أدت إلى احتلال إسرائيل للقدس والضفة الغربية والجولان وسيناء، وسبب ذلك تنكره للدين الإسلامي، وإغفاله دوره في بناء الأمة وإنشاء كيانها، ليس هذا فحسب، بل عادى الفكر القومي العربي الدين الإسلامي في مراحل لاحقة، واجتهد في اقتلاعه من حياة الناس والمجتمع، لأنه اعتبره أصل التخلف والجمود مما جعل الأمة تعيش صراعاً مريراً، لكن هذا الصراع انجلى بانتصار الصحوة الإسلامية، وانهزام الفكر القومي العربي، ولكن بعد أن دفعت الأمة ثمناً غالياً لهذا الصراع من أرضها واقتصادها وأبنائها وقيمها ومبادئها ووجودها. ■

بقلم : د. عبد الرحيم أحمد حسين

يعد التلمود أحد أهم كتابين دينيين عند اليهود، ويؤلف مع التوراة أساس الشريعة التي يعتنقها اليهود الآن. ولا أحد يدري متى بدأ أحبار اليهود كتابة التلمود، لكنهم انتهوا منها في القرن الخامس للميلاد، أي بعد مضيّ أكثر من ألف وسبعمئة سنة على ظهور موسى عليه السلام ؛ ووصل أحبار اليهود إلى كتابة تلمودين: الأول تلمود بابل، وهو الأكثر قوة عندهم، والثاني التلمود الفلسطيني. وينقسم التلمود إلى قسمين: المشنا، وهو الجزء المبسط من التلمود، الذي يمكن فهمه من دون الاستعانة بأحد الحاخامات، والجمارا وهو الجزء الأكثر صعوبة، ويحتاج فهمه إلى دراسة متعمقة.

وقد حاول أحبار اليهود إضفاء الأحاديث الموسوية على التلمود وجعلوا شأنه كبيرا، بحيث لا يجوز فهم التوراة إلا في ضوء التلمود، وله مدارس متخصصة في دراسته، ينكبّ عليها الدارسون ساعات طويلة، ولا يباح للمرأة اليهودية مثل هذه الدراسة، وهو أساس منهج المدارس الدينية اليهودية التي تبدأ بالهيدر ثم الشيفا ثم الكول. وقد أدخل كتاب التلمود مفاهيم غريبة أصبحت من صميم معتنقي الديانة اليهودية اليوم، وأهم هذه المفاهيم: التفرد اليهودي، واصطفاء عنصره والسماح بالقتل لليهود وغير اليهود، إذا ما رأى الحاخامات ذلك استنادا إلى فهمهم الخاص والمتغير للتلمود!

ظاهرة الإرهاب في تعاليم التلمود

أشهر مظاهر الإرهاب

ارتكب اليهود ما يزيد عن خمسين مجزرة ضد الفلسطينيين المسلمين منذ عام ١٩٤٧م وما بعدها، وأشهرها، دير ياسين، والدوايمة، وقبية، ومحطة غزة... إلخ. وهذه مذابح إرهابية معروفة لسنا بحاجة إلى الاستدلال بها، وحديثنا يبدأ عن باروخ جولدشتين.

كان «باروخ جولد شتين» يهوديا أميركيا، درس التلمود وانتمى إلى طائفة «الهسيديم» اليهودية المتطرفة، وانتقل إلى الكيان الصهيوني ليعمل ضابطا في قوات الاحتلال حتى قتل في عام ١٩٩٤م. وكان يرفض علاج أي شخص غير يهودي، حتى لو كان درزيا مجندا في الجيش الإسرائيلي، ورغم أن سلوكه العنصري هذا غير إنساني، ويعدّ تمردا على قوانين الانضباط العسكري، إلا أن أحدا لم يحدث أن حاكمه أو سأله عن سوء تصرفه أو مخالفته للانضباط.

ذكرت صحيفة أحدوت أحرونوت الصهيونية في ١٩٩٤/٣/٣١م على لسان أريخ كيسل: «التحق جولدشتين بكتيبة مدفعية في لبنان كطبيب، ورفض معالجة الأغيار (غير اليهود) وأعلن صراحة أنه لا ينوي معالجتهم، فهو لا يعترف إلا بمصدرين دينيين فقط هما: ابن ميمون (المتوفى في القرن الثالث عشر الميلادي)، وكاهانا (الحاخام الذي علّمه الحقد)، كما أعلن أمام مسؤوليه العسكريين عندما نقل إلى منطقة الخليل أنه لن يعالج غير اليهود لسبب ديني». وعندما أصبح ظاهرة عنصرية واضحة ومتمردا علنيا على الانضباط جرى التخلص منه بأن نقل إلى مستوطنة (كريات ٤) قرب الخليل التى يسكنها مجموعة جوش أمونيم «المتطرفون». ووجد في هذه المستوطنة الجو التلمودي المعادي لكل ما هو غير يهودي، وبخاصة الفلسطينيين المسلمين.

انطلق جولد شتين في ٢٥ فبراير ١٩٩٤م برشاشه نحو الحرم الإبراهيمي في الخليل،

حيث كان المسلمون يؤدون صلاة الفجر في شهر رمضان المبارك، وانهال رصاصه عليهم، فأودى بحياة تسعة وعشرين مصليا، لقوا ربهم خاشعين محتسبين، وتمكن الناجون منهم من قتل هذا الإرهابي.

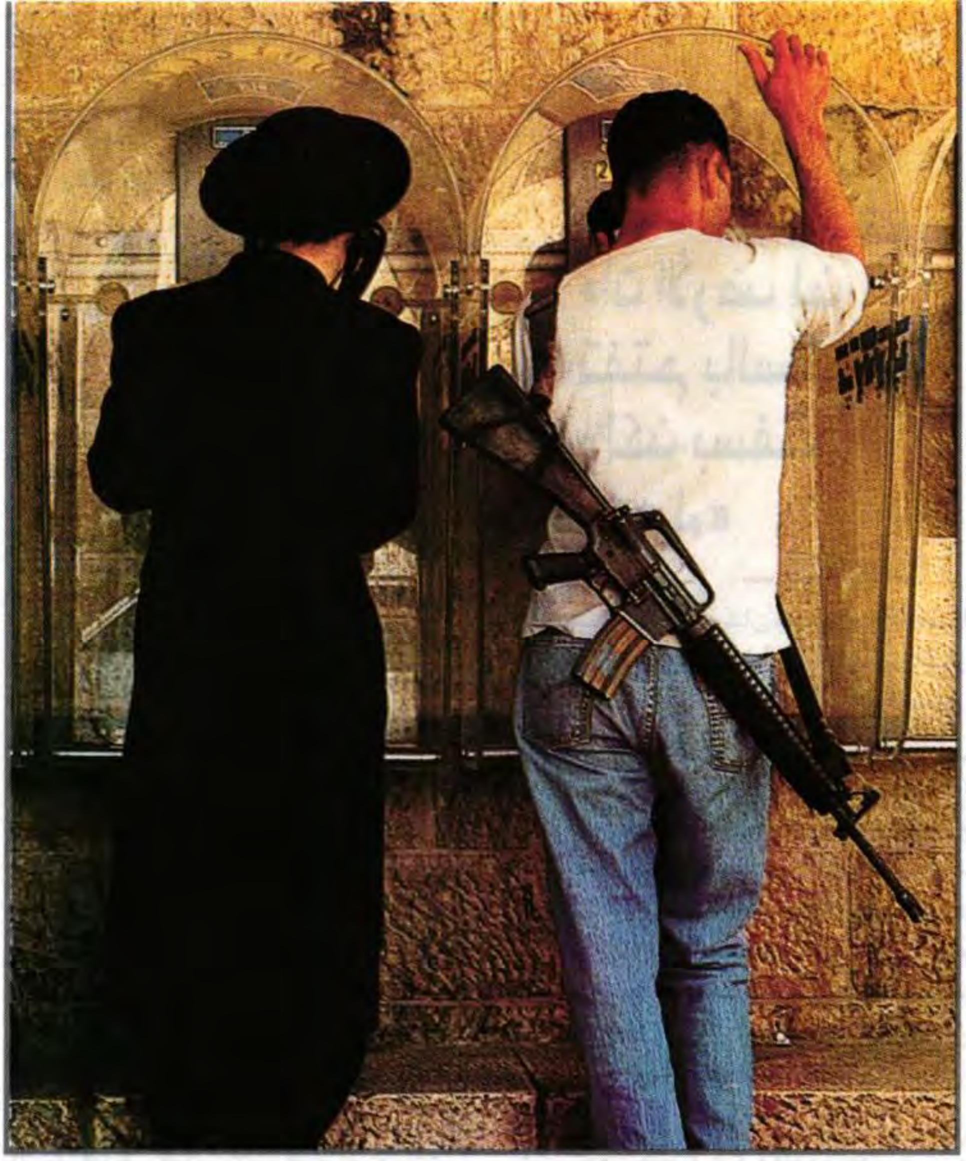
الحكومة والشعب يباركان الإرهاب:

إن الغرابة لم تكن في سلوك هذا الحاقد المعروف وحسب، لكنها كانت في سلوك الجهات الصهيونية الرسمية والدينية، إذ إن جهة ما لم تصف وحشية باروخ جولدشتين بالجريمة أو القتل أو العدوان . وتحدثت هذه الجهات عن «عمل» أو «فعل».

باروخ ! ولقي «عمله» هذا قبولا شعبيا بين اليهود حتى الأطفال منهم، وعلّقوا على صدورهم عبارة تقول: «لقد شفى جولدشتين علل إسرائيل»(١)، وزادت منزلة هذا القاتل عندهم حتى عدوه قديسا وشهيدا! وشُيّع في جنازة ضخمة بدأت من القدس، ردّد اليهود عند انطلاقها: «يا له من بطل»، «يا له من تقيّ ورع»، «إن ما فعله شتاين فعله باسمنا جميعا» (٢). أما أحد قادة جوش أمونيم المدعو إسرائيل أريل فقد أعلن «أن الأرض لن تفتح بالسلام ولكن بسفك الدماء». سارت الجنازة من القدس متجهة نحو كريات ٤ قرب الخليل في حماية رسمية وردّد المشاركون في أثناء السير: «الموت للعرب» وأعلن أحد الإرهابيين أن: «جولد شتين شهيد»، واستمر هذا المشهد الإرهابي العنصري حتى ووري جثمان القاتل ليتحول قبره إلى مزار ويضاء بالشموع تمجيدا له؛ لأنه قتل المسلمين وهم يصلون في مسجد الله وعلى أرضه.

جولد شتين والتلمود

كان جولد شتين في جريمته منسجما مع عقيدته التلمودية التي تقول: «إن من يقتل غير اليهودي من اليهود يعفى من العقاب الإنساني»، وعليه فإن جولد شتين معفي من العقاب لأنه قتل مسلمين يصلون ! كما لا يجوز تسمية جولد شتين في نظر تلموده بالقاتل، فسفك الدماء جريمة محرّمة إذا كانت ضد اليهودي، فكيف الحال مع الفلسطينيين وهم في نظر جماعة جوش أمونيم: «لصوص عرب». لقد كان هذا الموقف الإرهابي مدعاة لتساؤل «يهو شفاط هاركابي» قبل وفاته واستغرابه عندما قال:



«لا أتصور أن يفهم اليهود الحق التاريخي بهذا الشكل»، وهاركابي هذا، كان مديراً لاستخبارات العدوالصهيوني، وغيّر من موقفه المعادي للفلسطينيين قبيل موته.

واستنادا إلى هذا الفهم التلمودي، فإن أحد جماعة جوش أمونيم المدعو شلومو أفنيري يقول: «إن الشريعة اليهودية تقرّ إعدام العرب الذين يلقون الحجارة على اليهود حتى لو كان هؤلاء أطفالا، فإعفاء الأطفال من العقوبة تحت سن ١٣ للذكور وتحت سن ١٢ للإناث لليهود فقط، ويقول

نفذ اليهود حكم الإعدام في كل من عارضهم من الشعب أو انتقص من هيبتهم

أفنيري إن من حق مجلس الحاخامات اليهود أو ملك اليهود قتل أي إنسان غير يهودي، إذا ما اعتقد أن هذا القتل من مصلحة العالم (اليهودي)» (٣). ومن هنا فإن القتل باسم الدين اليهودي شاع بين أكثر من طائفة يهودية، وأبرزها الهسديم التي ينتمي إليها باروخ جولدشتين.

وأبيح القتل ضد كل من رفع صوته مطالبا بالإصلاح، كما شاع بين الحاخامات القتل ضد بعضهم بعضا بسبب النفوذ أو المال أو الهيبة، لذا تساءل أحد اليهود قائلاً: هل كان باروخ جولد شتين وإيجال أمير (الذي قتل رابين) ويوناح أفرونشمي (الذي ألقى قنبلة على مظاهرة سلمية) وآمي بوير (الذي قتل سبعة عمال فلسطينين عمدا وجعله الصهاينة بطلاً) هل كان سلوك هؤلاء جزءاً من التقليد اليهودي؟ وأجاب على سؤاله: إن من يتفحص التاريخ اليهودي خلال الألف وخمسمئة سنة الأخيرة يرى أن اليهود ذبحوا مسيحيين، وأن حاخامات قتلوا حاخامات آخرين لأسباب ادعوا أنها دينية،

كما قتلت الزانيات اليهوديات سرا وجدعت أنوفهن دون شهادة أو إثبات على يد الحاخامات، لذا فالإرهاب في صلب العقيدة التلمودية. وما دام الأمر كذلك فأنصار التلمود من اليهود من أمثال إسرائيل أريل يرى أن على اليهود أن يحرروا البلاد الواقعة غرب الفرات حتى جنوب الكويت من المسلمين (٤)، ويبيح أنصار هذا الرأي شن الحروب واستخدام وسائل القتل بما فيها السلاح الذري. فالصراع مع المسلمين يستحيل حلّه سياسيا، إذ يعتقدون أن طرد هؤلاء من وطنهم فلسطين والمناطق الإسلامية الأخرى أمر إلهي يجب تنفيذه في نظرهم!

قتل اليهود لليهود

كان قتل المسلمين المصلين بدعوى تلمودية وضعها الحقد اليهودي في بابل، فماذا عن قتل اليهود لليهود ؟ وهل يجوز لليهودي سفك دم اليهودي؟ إن اغتيال إسحق رابين في نوفمبر عام ١٩٩٥م أبلغ دليل على إباحة سفك دم اليهودي من اليهود، وسبق اغتيال حاييم أرلوزروف عام ١٩٣٣م على شواطئ تل أبيب من حزب المباي ورئيس الدائرة العربية في الوكالة اليهودية أساس حزب العمل الحالى الذي ينتمي إليه رابين وينتمي إليه بيريز. وكان قتل هؤلاء وغيرهم بأمر من حاخامات التلمود، وكان قاتل رابين إيجال أمير دارسا للتلمود، مقتنعا أن قتله لرابين إنما هو أمر إلهي يدخله الجنة ! لم يكن اغتيال رابين أو من سبقه حادثا فريدا غريبا في التاريخ اليهودي، فتاريخهم مملوء بالإرهاب والقتل، لكن مؤرخي الصهيونية من أمثال إسرائيل بارتل وجاكوب تلمون زينوا التاريخ اليهودي، وزيّفوه وحوّلوا سفك الدماء والإرهاب إلى بطولات، ولعل في أشهر حادثة في تاريخهم خير مثال على ما نذهب إليه، وهي حادثة مسادا MASADA في عام ٧٣م، ومسادا موقع في غرب البحر الميت بنى عليه هيرودوس قصرا يصطاف فيه، ويذكر المؤرخون الصهاينة أن بعضا من اليهود لجأوا إلى هذا القصر هربا من الرومان وعندما حاصرهم الرومان قاوموا ورفضوا التسليم وأقدموا على الانتحار الجماعي، وأصبحوا في نظر الأجيال اليهودية أبطالا ! إلا أن هؤلاء كانوا في حقيقة الأمر عصابة من القتلة يسمون سكاري كن SIKARIKIN وهي كلمة تعني السيف القصير، وكان يحمله هؤلاء سرا ويغتالون أعداءهم وسط الجماهير، ولم يذكر التلمود شيئا عنهم، كما لم تذكرهم المصادر الدينية اليهودية التقليدية، هرب هؤلاء إلى مسادا من اليهود أنفسهم لا من الرومان، وذلك بعد أن حاولوا فرض رئيسهم مناحيم ملكا على اليهود بالقوة في أثناء الثورة ضد الرومان، لكن اليهود رفضوا ذلك وهاجموهم في الهيكل وقتلوا معظمهم، ومن بقي منهم فرّ إلى مسادا، حيث مارسوا السلب ضد قرى المنطقة إلى أن انتهوا ولم يحدث أن قاتلوا الرومان أو حاصرهم الرومان (٥).

جوش أمونيم : «أن الأرض لن تفتح بالسلام ولكن بسفك الدماء»

بعد هذا نعود إلى إيجال أمير قاتل رابين، الذي كان امتدادا للاغتيالات الدينية السابقة، التي استندت إلى قانونين عندهم، أولهما: قانون التتبع الذي يبيح قتل أي يهودي فكر في قتل يهودي آخر. وثانيهما: قانون الإبلاغ الذي يبيح قتل أي يهودي يبلّغ أجنبيا عن اسم يهودي مطلوب للسلطة، أو يبلّغ عن أملاك يهودية. وقد استغل الحاخامات هذين القانونين استغلالا تاما لصالحهم فنفذوا حكم الإعدام في كل من عارضهم من الشعب أو انتقص من هيبتهم؛ ولم يسلم الحاخامات أنفسهم من غضب.

بعضهم ضد بعض واغتيال الحاخام أفراهام كوهين عام ١٨٤٨م في النمسا على يد الحاخامات الأخرين مشهورة في التاريخ اليهودي.

العقيدة التلمودية : «إن من يقتل غير اليهودي من اليهود يعفى من العقاب الإنساني»

إن الإرهاب والاغتيال عقيدة تلمودية، وتنفيذها في نظر مرتكبيها تمجيد للخالق، لذا فإن القرآن الكريم عندما يقول: (ولتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود)، إنما يقرر ذلك عن علم إلهي، وعندما يحذر القرآن الكريم من موالاة غير المسلمين، فإنما يحذر لمصلحة المسلمين المؤمنين، لأن الخالق سبحانه أدرى بخبث هؤلاء ومكرهم وتربصهم بالمؤمنين.

وربما ظهر من يقول: هذه فئة محدودة لا تأثير لها في المجتمع الصهيوني الذي نسعى إلى التصالح معه، لكن ذلك القول غير سليم، فهؤلاء يؤلفون خمس سكان الكيان الصهيوني، ولهم ما يقرب من عشرين نائبا في الكنيست «البرلمان الصهيوني»، وهم ذوو أثر واضح في صنع القرار، خصوصاً بعد الثمانينيات، فقادة الكيان الصهيوني بدءا من بيريز ونهاية بشارون يتملقون هذه الجماعات ويدعمونها ماديا وعسكريا، فهي أداتهم الاستيطانية في الأراضي المحتلة بعد عام ١٩٦٧م في الضفة والقطاع، وهي حجتهم في بناء القواعد العسكرية التي تقطع أوصال القطاع والضفة من أجل حماية هؤلاء الحاقدين.

إننا نضع الصورة كما نراها، ونحن على يقين أن أولي الأمر منا يرونها، ولا ينتظرون ماء عذبا فراتا سائغا للشاربين، من سراب الإرهاب التلمودي. ■

الهوامش :

The Jewish Fundementalism in Israel,Israel Shahak and Norton Mezvinsky ,1999 London , USA

(وقد كان هذا الكتاب مصدرا أساسيا لهذه الدراسة)

1. Sahak , p 101
2. Opcit , Shahak , p72
3. Opcit , Shahak p 77
4. Opcit, Shahak, p72
5. Opcit , Shahak,p71

٦ ـ صحيفة أحدوت أحرنوت (٣١ / ٣/ ١٩٩٤م).

بقلم: محمد عبدالله القولي،

الضحك في منظور الإسلام

لا أحد ينكر أن الابتسام خير من العبوس، وأن الانشراح أفضل من الانقباض، وأن الضحك أشهى للنفس من البكاء... وما هذه الحالات جميعاً إلا ردود فعل يواجه بها البشر مؤثرات مختلفة ويستجيبون لها الاستجابات المتباينة.

المسألة تحتاج إلى الاعتدال والتوازن ليحيا الإنسان هادئاً مستقراً فلا يسرف في أحد ردود الفعل تلك بحيث يؤدي إلى إرهاق نفسه أو الإضرار بجهازه العصبي مثلاً أو بقلبه أو بسواهما.

ولهذا يدعونا الله تعالى في كتابه العزيز إلى الاعتدال فيقول: (يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين) الأعراف:٣١.

فهو يدعونا إلى الاعتدال في أهم الأشياء في حياة الإنسان ألا وهي:

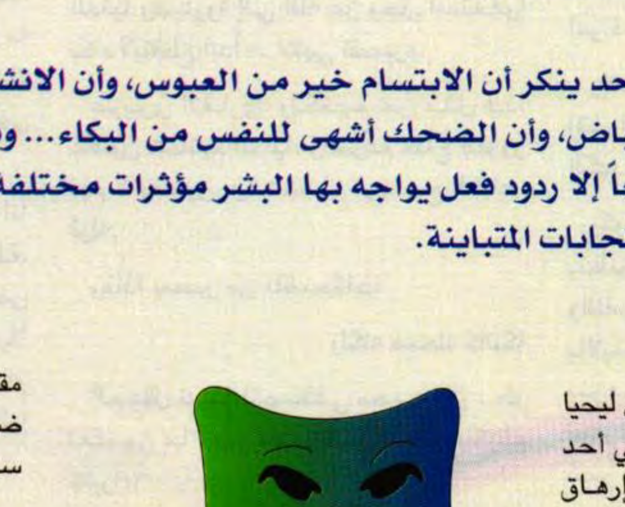
أ ـ حسن المظهر.

ب ـ طيب المأكل.

ج ـ هنيء المشرب.

واللافت لنظر المتأمل في الآية الكريمة هو أن الله عزَّ وجل لا ينهانا عن الإسراف في أولئك فحسب، بل يؤكد لنا هذا النهي بأنه لا يحب المسرفين.

والإشارة واضحة جداً في هذا القول: إن ما لا يحبه الله، علينا أن نبغضه نحن كذلك، وأن لا نميل إليه أيضاً فإذا كان حسن المظهر والطعام والشراب مطلوبا فيها كلها الاعتدال وعدم الإسراف.



فما بالُنا اليوم بالضحك؟!

بكل تأكيد فإن حاجتنا الحياتية إلى الضحك أقل بكثير من حاجتنا إلى الطعام والشراب وحُسن المظهر...

لذلك يستحسن أن نراعي الاعتدال في الضحك أيضاً بحيث يحقق السرور والبهجة لنا ولا يخلف أذى أو أسى عند الآخرين.

ولكن للأسف فإن كثيراً من الناس في زماننا أو في الماضي ـ يهمهم أن يضحكوا مقهقهين ملء أشداقهم، غير مبالين إن سبَّب ضحكهم سوءاً للآخرين في اغتيابهم، أو سبَّب أذى بالسخرية منهم والاستهزاء بهم... فما أعجب أن يُسْعد إنسان نفسه على حساب شقاء الآخرين.

نحن بحاجة إلى الضحك!!

إننا لا نقلل من أهمية الضحك في حياتنا، بل نقول: إننا بحاجة إليه لأن له وظيفة بناء.

وقد أشار بعض العلماء مثل «برغسون» في كتابه عن الضحك وفلسفته ـ إلى أهمية الضحك في استمرار الصحة النفسية.

من منظور إسلامي

لا نقلل كذلك من أهمية الضحك في إعادة بناء التوازن النفسي لدى الإنسان وإعادة ترميم ما يتلف من خلاياه العصبية نتيجة الصدمات أو الهزات أو الأحداث الجسام التي تعترض حياته فتبدلّها وتغيّر صفوها وتفسد رونقها.

أوَ ليس في قول النبي ﷺ: «روّحوا القلوب ساعة فساعة»(مسند الشهاب ـ لأبي عبدالله القضاعي ص٩٣).

ما يؤكد هذه الأهمية؟! بلى...

- المطلوب الاعتدال في ميكانيكية الضحك نفسه

نعود مرة أخرى للتأكيد على ضرورة العفوية والاعتدال في الضحك وعدم المبالغة في الافتعال.

أكدت مجلة «ميمز ميديكال ماغازين» التي تصدر في «لندن» في مقالة كتبها الدكتور «مايكل سمبسون» على وجوب عدم إرهاق القلب بالشكل الذي يفوق قدراته، وعلى ضرورة الإبقاء على مستوى معين من الجهد، وذكر «سمبسون» في آخر مقالته أن أكثر ما يضر القلب الآن هو تمضية جلسة ضحك وقهقهة طويلة بعد وجبة عشاء ثقيلة. انتهى كلام سمبسون.

أستميح القارئ الكريم عذراً إن قلت له: أنا متأكد أن كثيراً من الضحكات الثقيلة، والقهقهات العالية المفرقعة التي اعتاد بعض الناس على اصطناعها وتكلّفها ليست دليلاً على سرور حقيقي داخلي لدى أصحابها أو علامة على سعادتهم وانشراحهم... بل غالباً ما تدل على عكس ذلك.

فكثير من أولئك المقهقهين تغشاهم الهموم وتحيط بهم الكآبة ويحدق بهم الانقباض عقب ضحكتهم المجلجلة تلك مباشرة، بل ربما وجدنا بعضهم ينتهي ضحكه الصاخب المفرقع إلى بكاء حقيقي شديد.

وكان المفروض أن يحصل غير ذلك لو كان ضحكهم العالي ذاك نابعاً عن السعادة والبهجة الحقيقتين وفي كتابنا السماوي القرآن الكريم إشارات غاية في اللطف والدقة وليتنا نستفيد منها لبناء حياة مستقرة متوازنة.

ألم يقل ربنا جل جلاله (فليضحكوا قليلاً وليبكوا كثيراً جزاء بما كانوا يكسبون) التوبة:٨٢؟

أما نفهم من هذا القول: إن أولئك الضاحكين سواء أجاء ضحكهم متكلفاً ليسخروا من المؤمنين وليستهزئوا بهم؟ أم جاء منسجماً مع قصور نظرتهم إلى الكون وخالقه، وغاية وجودهم في هذه الحياة ومتفقاً مع تبلد إحساسهم بما سيصير إليه الفرد من فناء وما سيؤول إليه الخلق من انتهاء؟!

أما نفهم أن أولئك مهما كان سبب ضحكهم إذا وزنوا هذا الضحك بتلك الدموع التي سيذرفونها باكين في الآخرة فسوف يجدون أن ضحكهم كله لا يساوي بكاء يوم مما ينتظرهم؟

وقد جاء في صفوة التفاسير (ج١ ص٥٥٣) حول تفسير هذه الآية الكريمة يقول الشيخ الصابوني: «أمر يُراد به الخبر معناه فسيضحكون قليلاً وسيبكون كثيراً. قال ابن عباس رضي الله عنهما: الدنيا قليل فليضحكوا فيها ما شاؤوا فإذا انقطعت الدنيا وصاروا إلى الله عز وجل استأنفوا بكاء لاينقطع أبداً» - انتهى تفسيره.

عزيزي القارئ: ولكنهم عن مثل هذا غافلون شغلتهم الدنيا، وأسرهم متاع الغرور فهم لا يعلمون، وحسبنا أن نردد مع الشاعر قوله:

وماذا بمصر من المضحكات؟

ولكنه ضحك كالبكا

ألم يقل نبينا المصطفى محمد ﷺ : «لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً وبكيتم كثيراً»؟

وهنا لابد أن نلاحظ ذلك التوافق التام بين القرآن الكريم والسنة الشريفة... بين كلام الله وكلام رسوله فقد مرَّ بنا قوله تعالى: (فليضحكوا قليلاً وليبكوا كثيراً)، وها هو قول نبيه عليه الصلاة والسلام:

«لضحكتم قليلاً وبكيتم كثيراً»... ولأنه عليه الصلاة والسلام يعلم ما لايعلمه الناس فإنه كان دائم الفكرة متواصل الأحزان - كما وصفه أصحابه رضي الله عنهم.

الضحك والقلب:

إذا كان الدكتور «مايكل سمبسون» - في مقاله المنشور في مجلة «ميمزميديكال ماغازين» اللندنية - يؤكد في نهاية القرن العشرين أن كثرة الضحك تضر بالقلب، فإن نبينا محمداً ﷺ معلم البشرية قد سبق «سمبسون» قبل أربعة عشر قرناً فنهانا عن كثرة الضحك لأنها لا تضر القلب فحسب، بل تميته، فقد جاء في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«خمس خصال من يأخذهن عني فيعمل بهن أو يعلمهن من يعمل بهن؟ فلم يَرُدَّ أحد غير أبي هريرة قال: أنا يا رسول الله فقال مُدَّ يدك، فمد يده فعد خمساً: اتق المحارم تكن أعبد الناس، وارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس، وأحب للناس كما تحب لنفسك تكن مؤمناً، وأحسن إلى جارك تكن مسلماً، ولا تكثر الضحك فإن كثرة الضحك تميت القلب».

النبي محمد ﷺ والضحك:

الرسول محمد ﷺ إنسان كامل - وقد أخبر بذلك عن نفسه مهدئاً ذلك الرجل الذي ارتجف هيبة منه فقال له ﷺ: «إنما أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد».

وكما أخبر ربه عنه في قرآنه العظيم بقوله: (قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إليَّ...) الكهف:١١٠.

وكونه - عليه الصلاة والسلام - إنساناً فإنه ينطبق عليه ما ينطبق على الناس جميعاً والناس يُسرّون بأمور ويعبّرون عن سرورهم بالابتسام أو الضحك أو بغير ذلك... وقد ينزعجون لمصائب فيقطّبون أو يبكون أو يصرخون... والرسول عليه الصلاة والسلام يُسرُّ أيضاً، ولكنه كان يكتفي بالتبسم كما ورد في بعض الأحاديث أنه ﷺ «تبسم حتى بدت نواجذه».

وفي حديث آخر «وكان ضحكه تبسماً» - أو فيما معناهما -

والرسول أيضاً يحزن كغيره ويتأثر ولكنه لا يصرخ وإنما تذرف عيناه الشريفتان الدمع وقد جاء في بعض الأحاديث أنه بكى لموت ولده «إبراهيم» وقال في ذلك: «إن العين لتدمع وإن القلب ليخشع وإنا عليك لمحزونون يا إبراهيم» أو كما قال.

وهو عليه الصلاة والسلام على الرغم من كونه مكتفياً بالتبسم فإنه لم يقل لا تضحك، لأنه من الطبيعي والبديهي أن يضحك الإنسان لأمر ما، ولكنه ينهانا عن الإكثار من الضحك. ولعل عبارته ﷺ «لاتكثر الضحك» لا تحتاج إلى توضيح لهذا المفهوم، ومع ذلك، فإنه أكد المعنى وعلّل السبب بأن كثرة الضحك تميت القلب.

الضحك الطبيعي فطرة ربانية:

إذاً فكثرة الضحك هي المؤذية وهي التي تميت القلب، وليس الضحك الطبيعي المعتدل

الذي يعتبر فطرة إلهية فطر الله تعالى الناس عليها.

قال عز شأنه: (وأنه هو أضحك وأبكى. وأنه هو أمات وأحيا) النجم:٤٣ـ٤٤.

وقد جاء في صفوة التفاسير (٣ج ص٢٧٩):

أي هو الذي خلق الفرح والحزن والسرور والغم فأضحك في الدنيا من أضحك وأبكى من أبكى، وكما قال مجاهد: «أضحك أهل الجنة وأبكى أهل النار».

نعم عزيزي القارئ فالضحك لغة إنسانية عامة يشترك فيها كل بني البشر... إذ كثيراً ما يجد الإنسان نفسه في مواقف حياتية مختلفة ضاحكاً سواء مما يسرّ من الأمور أو حتى مما يزعج أحياناً... وقد تقول لي مستغرباً: كيف نضحك مما يزعج فاقول لك: نعم نفعل ذلك، وإلا لما قالوا قديماً في المثل العربي: «شر البلية ما يضحك».

الضحك دليل على التوازن:

أخي القارئ: إن الضحك أو التفاؤل علامة على استجابة الكائن البشري للحياة، كما أن العبوس والتشاؤم دليل على عدم الانسجام وعدم التقبل لها.

ورسولنا العظيم الرؤوف الرحيم يدعو المسلم إلى تنظيم علاقته مع الحياة بحيث يفيد من دنياه لآخرته، فلذلك يأمره بما معناه «واعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً».

فيسعى ويكد ويبني ويعدّ ولكنه لا يفرّط في جانب صلته بالله تعالى ولا يشغله متاع الدنيا عن الآخرة... ومن أجل هذا قال له النبي ﷺ: «واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا» أو كما قال.

فيحسب المسلم حساباً للآخرة متوقعاً أنه يموت بين عشية وضحاها وهو في الوقت نفسه يأخذ حظه مما أحلّه الله له مستجيباً لأمر الله تعالى له:

(ولا تنس نصيبك من الدنيا) القصص:٧٧.

التفاؤل والتوازن:

لذلك ومن أجل إقامة التوازن بين طرفي هذه المعادلة يحضنا ﷺ على التفاؤل بقوله: «تفاءلوا بالخير تجدوه»، بل إنه ينفي التطير والتخوّف من المجهول والتشاؤم من أي شيء فيقول «لا طيرة ولا تشاؤم في الإسلام» ـ أو كما قال..

إذاً فالإسلام الذي يدعونا إلى التفاؤل فإنه من الطبيعي ألا ينهانا عن الضحك، ولكنه إنما يحذر من الإسراف والمبالغة في كثرته.

ما علاقة القلب بالضحك؟:

في اعتقادي إن كلمة القلب التي وردت في الحديث الشريف والتي وردت في مقال الدكتور «مايكل سمبسون» لها مدلولان مختلفان، فلفظ القلب عند «سمبسون» المقصود به عضلة القلب أو مضخة الدم، ولكن المقصود بالقلب في الحديث الشريف إنما هو الفؤاد الذي هو موطن الإيمان أو الكفر والذي هو مصدر المشاعر الإنسانية من حب أو كره وانشراح أو انقباض إلى آخر ذلك... وإن الآية القرآنية الكريمة تؤكد هذا المفهوم إذ تقول: (يوم لا ينفع مال ولا بنون. إلا من أتى الله بقلب سليم) الشعراء: ٨٨ ـ ٨٩.

ولعلك تتفق معي عزيزي القارئ بأن المقصود بقوله: «بقلب سليم» ليس عضلة القلب أو مضخة الدم، وإنما هو ذلك الفؤاد الذي خلا من التكبّر والتعالي وسلم من الشرك وسما بصاحبه عن الدنايا والرذائل وسفاسف الأمور.

ومن عجيب التوافق أنك أي تفسير للقلب أردت فإن كثرة الضحك تضرُّ به وتؤذيه، وأي خطر أكبر من موت القلب عضلة ضخ الدم؟ أو موت القلب الذي هو الفؤاد الذي لا يقبله الله من صاحبه إلا سليما.

أليس الإنسان جزءاً من الطبيعة؟:

بلى عزيزنا القارئ، إن الإنسان أيضاً شبيه بالطبيعة التي يحيا فيها... والحياة ليست دوماً ضاحكة، فهي تارة تبتسم وتارة تعبس، وطوراً ترضى، وطوراً تغضب، ومرة تضحك وأخرى تبكي وأحياناً تهدأ وأحياناً تثور.

ومادام الإنسان صورة مشابهة للطبيعة فلا يمكن أن تكون حياته ضحكاً متواصلاً بشكل دائم، بسبب أو من دون سبب، وما أصدق قول الشاعر إذ يقول:

أتحسب أنك جرم صغير
وفيك انطوى العالم الأكبر؟!

«الشاطر» الذي يضحك في الآخر:

وأخيراً تلوح أمام تأملاتي كلمات الهدي النبوي العظيم حيث يقول رسول الله ﷺ: «الحكمة ضالة المؤمن أينما وجدها التقطها».

ولذلك سنلتقط حكمة تتردد على ألسنة العامة ولها علاقة بموضوع الضحك ألا وهي «الشاطر الذي يضحك في الآخر».

إي والله إنها لحكمتنا وضالتنا في هذا الصدد نرددها متأملين في أبعادها ومراميها ونقولها بيننا وبين أنفسنا بتأنٍّ وتمعن: «الشاطر الذي يضحك في الآخر».

ويأتي القرآن الكريم بما يؤيد هذه الحكمة وذلك في وصفه لنا حال السعداء حقاً يوم القيامة الناجين من العذاب المتجهين إلى الجنة وفدا فرحين بنتيجة نجاحهم وفوزهم برضوان ربهم ضاحكين سروراً وبهجة بما حباهم الله تعالى من فضله وبما آثرهم من جوده. قال عز شأنه:

(وجوه يومئذ مسفرة. ضاحكة مستبشرة) عبس:٣٨ـ٣٩، فهي وجوه مضيئة مضيئة مشرقة من البهجة والحبور، فرحة مسرورة بما رأته من كرامة الله ورضوانه، مستبشرة بذلك النعيم الخالد.

بصدق عزيز القارئ، وبموضوعية أليس هؤلاء هم العقلاء السعداء حقاً الذين ضحكوا أخيراً، بينما سواهم يبكون كثيراً جزاء بما كانوا يعملون، ويعضون أصابع الندم ولات ساعة مندم... ويتذكرون آثارهم إذ كانوا في الدنيا يحتقرون المؤمنين بالله ويستهزئون بهم ويضحكون منهم.

ويأتي تقويم النتائج لكلا الفريقين بما يذهل المجرمين الكفرة الفسقة وتأتي الآية الكريمة التالية لتصفعهم صفعاً:

(إن الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون. وإذا مروا بهم يتغامزون. وإذا انقلبوا إلى أهلهم انقلبوا فكهين. وإذا رأوهم قالوا إن هؤلاء لضالون. وما أرسلوا عليهم حافظين. فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون. على الأرائك ينظرون. هل ثوِّب الكفار ما كانوا يفعلون) المطففين:٢٩ـ٣٦. ■

بقلم : عمر الرماش

مرض قساوة القلوب

إن قساوة القلوب مرض خطير ينخر كيان المجتمعات الإنسانية بما فيها الإسلامية ويهددها بمخاطر وعواقب وخيمة في حال استفحال الظاهرة، وقد تطرق القرآن الكريم لآفة قساوة القلوب في مجموعة كثيرة من الآيات القرآنية حيث يقول الله سبحانه وتعالى في محكم كتابه العزيز في الآية ٤ من سورة المطففين: (كلا بل ران على قلوبهم). كما يقول في الآية ١٠ من سورة البقرة (في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً) ولظاهرة قساوة القلوب واسودادها أعراض وأسباب كثيرة سنحاول أن نحلل أهمها في الفقرات التالية، بالإضافة إلى أساليب ووسائل العلاج.

١ ـ أعراض قساوة القلوب واسودادها:

إن مرض قساوة القلوب له أعراض ومظاهر كثيرة ولعل أهمها شعور الإنسان بقسوة قلبه وخشونته حتى ليحس أن قلبه قد انقلب حجراً صلداً لا يتأثر بشيء ولا يرق لشيء. وليس في قولنا هذا مبالغا وتهويل، فقد أثبت القرآن الكريم أن القلب يقسو حتى يصبح كالحجارة أو أشد. يقول الله تعالى في الآية ٧٤ من سورة البقرة: (ثم قست قلوبكم بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشدة قسوة). وفيما يلي بعض أهم أعراض ومظاهر الصد أو الضعف اللذين يصيبان القلوب.

● انحباس الطبع وضيق الصدر والتضجر من لا شيء، والشعور بالقلق والضيق بالناس وعدم المبالاة بما يصيبهم من نكبات ومصائب بل الشعور بكرههم.

لعدم التأثر بآيات القرآن الكريم أو بوعيده وتخويفها وفي طلبه ونهيها وفي وصفه ليوم القيامة وأهواله الكثيرة.

لعدم التأثر بحوادث الحياة ومصائبها والاعتبار واستخلاص الدروس والعبر كالمرض والموت والآيات الكونية والزلازل والفيضانات.

● الشغف بملذات الدنيا وشهواتها وحظوظها كالمال والجاه والمنصب والسكن واللباس والإحساس بالألم والحسد والكراهية عند رؤية الآخرين ينعمون بشهوات الدنيا المتعددة.

● الشعور بظلمة الروح التي تنعكس على الوجه والتي لا يحس بها إلا أصحاب الفراسة الإيمانية.

● إتيان المعاصي والذنوب صغيرها وكبيرها وعدم الإسراع بالتوبة والندم والإقلاع عنها والقيام بالأعمال الصالحة والنافعة.

● التكاسل عن القيام بأعمال الخير والإحسان وعن الواجبات الدينية كالصلاة وأدائها في أوقاتها مع الجماعة بالمسجد مصداقاً لقول الله تعالى في الآية ٤٢ من سورة النساء: (وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى).

● لعدم تعظيم الله والخوف منه وعدم ذكره باللسان والجوارح وهجر القرآن الكريم والسنة النبوية.

٢ ـ أسباب مرض اسوداد القلوب:

إن أسباب ودوافع قساوة القلوب واسودادها كثيرة ومتعددة: ولعل أهمها ضعف الوازع الديني والإيماني، والغفلة والإعراض عن الله واليوم الآخر، ثم الانغماس في الذنوب والمعاصي بالإضافة إلى حب الدنيا والتكالب عليها.

١ ـ ضعف الوازع الديني والإيماني: لقد قست قلوب المسلمين وأصيبت بالران بفعل تخليهم عن دينهم وإسلامهم وإيمانهم، فبالإيمان يميز الإنسان بين الحق والباطل والطيب والخبيث

والصواب والخطأ ثم يرق القلب ويستقيم على الهداية وطريق الله، لكن روح التدين والالتزام بتعاليم الإسلام ضعفت عند بعض المسلمين وانحرفت عقائدهم وأخلاقهم ومعاملاتهم وعلاقاتهم بسبب تفشي مظاهر الجهل والأمية والغفلة عن القرآن الكريم والسنة النبوية وهجرهما ثم تقليد الغرب واتباع الأهواء والشهوات.

٢ ـ الغفلة عن الله واليوم الآخر:

تتجلى مظاهر الغفلة عن الله في مجموعة كبيرة من الأمور منها على سبيل المثال: الانحراف عن عقيدة التوحيد الصحيحة ـ الشرك الأكبر والأصغر ـ عدم إعمال العقل وتوظيف الفكّر في الكون وخالقه ومخلوقاته الكثيرة ـ جمود حواس التأمل والتدبّر والتفكر والاعتبار والإيقاظ ـ عطالة العقول والقلوب والنفوس ـ الفراغان الفكري والروحي ـ اتباع الهوى والباطل ـ تقليد اليهود والنصارى ـ العبث واللهو واللامسؤولية، بالإضافة إلى الإعراض عن اليوم الآخر والموت والقبر وأهوالهما والبعث والحساب والعقاب والجزاء وعدم الاستعداد الكامل بالقول الطيب والعمل الصالح والنية الصادقة لما بعد الموت والبعث... ولهذا قست قلوب بعض المسلمين وفسدت نياتهم وأعمالهم بفعل الغفلة عن الله واليوم الآخر وهجر القرآن الكريم والسنة النبوية، ما أدى إلى تفشي مظاهر التيه والضلال والزيغ عن الحق والهدى والطريق المستقيم.

٣ ـ الانغماس في الذنوب والمعاصي:
إن من أسباب قساوة القلوب إتيان الذنوب والمعاصي صغيرها وكبيرها والإدمان عليها وعدم المبادرة بالتوبة والندم والإقلاع والإصلاح، والمعاصي والآثام المقترفة كثيرة ومتنوعة، منها ظاهرة ومنها باطنة، نذكر منها على سبيل المثال: الفساد بكل أنواعه وأشكاله «الربا ـ الرشوة ـ الكلام الفاحش ـ انحطاط الأخلاق...» الظلم والعدوان ـ الشرك ـ السرقة ـ شهادة الزور ـ عقوق الوالدين ـ أكل أموال الناس بالباطل «الاستغلال والاحتكار ـ الغش ـ القمار والميسر» وغير ذلك من الكبائر والفواحش ما ظهر منها وما بطن والتي تؤثر بشكل سلبي وخطير على الفرد والمجتمع والأسرة، والوطن والأمة وتؤدي إلى نتائج وخيمة لا قدَّر الله.

٤ ـ حب الدنيا والتكالب عليها:

إن من أهم دوافع قساوة القلوب حب الدنيا وشهواتها والاشتغال المفرط بها وبملذاتها كالأموال والثروات والنساء والأولاد... ومرض حب الدنيا وكراهية الموت أو ما عبَّر عنه الرسول ﷺ بالوهن هو مرضٌ خطيرٌ متفشٍ بالأمة بسبب ضعف الوازع الديني والإيماني وانعدام القناعة وعبودية الشهوات والأهواء والغفلة عن الله واليوم الآخر والحساب والجزاء والعقاب. وقد تطرق القرآن الكريم غير مرة لآفة حب الدنيا وكراهية الموت في مجموعة كثيرة من الآيات وحذر من عواقب ذلك ودعا لعدم الركون إلى متاع الدنيا الفانية والعمل من أجل الدار الباقية بالطاعة والتقوى والعمل الصالح وفعل الخير.

٣ ـ العلاج هو إصلاح القلوب والنفوس:

إن علاج مرض قساوة القلوب ليس بالأمر الهين، بل لابد من التسلح بالإيمان والصبر واعتماد أساليب ووسائل إصلاح النفس وتزكيتها والمداومة على ذلك عن طريق مراقبة الله وخشيته واستدامة ذكره وطاعته وتقواه ثم استحضار الموت والآخرة وكذلك طلب العلم والتفقه في الدين بالإضافة إلى صحبة الجماعة المؤمنة.

أ ـ ذكر الله وطاعته ومراقبته:

لكي يرق قلب الإنسان لابد من الإيمان الصادق بالله والتوكل عليه وذكره باللسان والجوارح والتفكر في مخلوقاته وطاعته وتقواه للمتمثلين لامتثال أوامره وأوامر الرسول واجتناب نواهيهما ثم مراقبةالله في السر والعلن في كل لحظة وحين، ولا يتأتى ذلك إلا بتلاوة القرآن الكريم وأداء الصلوات في أوقاتها مع الجماعة بالمسجد والدعاء والتضرع والاستغفار والقيام بالأعمال الصالحة ثم الاستقامة والثبات على الحق وطريق الله مع المداومة على إصلاح النفس وتزكيتها.

ب ـ استحضار الموت والآخرة:

إن من بين وسائل تجنب قساوة القلب استحضار معاني الآخرة باستمرار كتذكّر الموت وأهوال القبر وعذابه ومشاهد البعث والنشور والوقوف بين يدي الله من أجل الحساب والجزاء والعقاب. ولا يتأتى ذلك إلا عندما نعتبر الدنيا أرض غربة وسفر ومحطة للآخرة ونؤمن بحتمية الموت والمصير المحتوم. وكل هذه الأمور يجب الاستعداد لها عن طريق ملازمة تقوى الله وخشيته والقيام بالعمل الصالح وعلينا أن نعتبر ونتعظ بغيرنا لكي ترق القلوب وينجلي عنها الصدأ والران فتستنير بنور الله والإيمان.

ج ـ طلب العلم والتفقه في الدين:

تتمثل أهميتهما في حياة المسلم في تنوير العقل والبصيرة والقلق والهداية إلى سبيل الرشاد والإيمان والصلاح وتقوية جانب مراقبة الله وخشيته انطلاقاً من الآية الكريمة في الآية ٢٨ من سورة فاطر التي تقول: (إنما يخشى الله من عباده العلماء). والعلوم المطلوبة في هذا المجال هي العلوم الدينية الشرعية كعلوم القرآن والسنة المختلفة التي تعين على الاستقامة والطاعة وإصلاح النفس وتزكيتها.

د ـ صحبة الجماعة المؤمنة:

لا تخفى علينا أهمية صحبة الجماعة والتزامها وعدم الافتراق عنها لأنها تعمل على توطيد أواصر المحبة في الله والتعاون على البر والتقوى والتكافل والتضامن مصداقاً لقول الله سبحانه وتعالى في الآية ١٠٣ من سورة آل عمران: (واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرَّقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداءً فألَّف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً)، ويقول الرسول ﷺ: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى». ■

بقلم : د. حسن عبدالغني أبو غدة

الأعيـاد الإسلاميـة سمـوٌّ روحـي وتـواصـلٌ اجتماعي

للأعياد منزلة عظيمة في النفوس، فهي تشيع فيها البهجة والسرور، ومع أن مظاهر الاحتفالات بهذه الأعياد تختلف من مجتمع إلى آخر، ومن بلد إلى بلد، فإن للإسلام مفهوماً متميزاً عن غيره، فما هذا المفهوم؟ وما مظاهر هذه البهجة؟ وما مقاصد الإسلام في تشريع الأعياد؟

معنى العيد:

العيد: هو يوم يُحتفل فيه بذكرى كريمة أو مناسبة عظيمة(١)، وجمعه أعياد، وسُمِّي عيداً، لأنه يعاود الناس ويعود ويرجع إليهم حيناً بعد حين، بذكريات الأمجاد والمواسم بما تحمله من عبق التاريخ.

والأعياد في حياة المسلمين اثنان يرتبطان بمناسبات جليلة حبيبة إلى نفس كل مسلم، فالعيد الأول هو: عيد الفطر، والعيد الثاني: هو عيد الأضحى.

وقد نشأ مع نشوء المجتمع الإسلامي الأول في المدينة المنورة، حين قدم إليها النبي - ﷺ - مهاجراً، فوجد الناس يحتفلون ويلعبون ويلهون في بعض الأيام، فقال: ما هذا؟ قالوا: يومان كنا نلعب فيهما في الجاهلية، فقال: قد أبدلكم الله خيراً منهما: يوم الأضحى، ويوم الفطر.(٢)

مقاصد الإسلام من الأعياد:

الأعياد ظاهرة اجتماعية إنسانية عامة، ولا تخلو أمة أو مجتمع من عيد، يذكرها بماضيها، ويربطها بحاضرها، ويجدد العهد في النفوس والهمم على الارتباط بأصولها وأمجادها وتاريخها وثقافتها.

والإسلام لم يحرم أهله وذويه من هذه السنّة الفطرية، والتطلعات النفسية الحقة، لكنه ضبطها وهذَّبها بما يستقيم مع هديه القويم، ومقاصده وقيمه السامية، ودينه وتشريعه الكريم، فشرع الاحتفاء بعيد الفطر، وعيد الأضحى.

وجعل العيد الأول عقب شهر الصوم «رمضان» الذي يُغالب فيه المسلم نفسه، وذلك بتقييد حريته في الطعام والشراب والشهوة الجنسية المباحة استجابة وطاعة لله تعالى، وطلباً لمرضاته، إضافة لما في ذلك من تهذيب للنفس، وتدريب للإرادة، وضبط للتصرفات، وغير ذلك من المقاصد التربوية...

الإسلام نظر للأعياد على أنها حاجة نفسية فطرية بعد الجد والتعب والتضحية

لذا كافأه الله تعالى بيوم الفرحة والبهجة عقب شهر الصوم، فكان عيد الفطر، ولا أدل على هذا من قول النبي ﷺ :

«إذا كان يوم الفطر، وقفت الملائكة على أبواب الطرق، فنادوا: يا معشر المسلمين، اغدوا إلى رب كريم، يمنُّ بالخير ثم يثيب عليه الجزيل، لقد أُمرتم بقيام الليل فقمتم، وأُمرتم بصيام النهار فصمتم، وأطعتم ربكم فاقبضوا جوائزكم، فإذا صلوا نادى مناد: ألا إن ربكم قد غفر لكم، فارجعوا راشدين إلى رحالكم، فهو يوم الجائزة، ويسمى ذلك اليوم في السماء يوم الجائزة»(٣).

أما العيد الثاني: فقد جعله الإسلام عقب التضحية في سبيل الله بالمال والوقت والجهد والسفر والارتحال والاغتراب إلى الحج الأكبر،

في مكة المكرّمة وعرفات، وما يقرب منهما من المشاعر المقدسة، فهذه الجموع الحاشدة تعبِّر عن إرادة جميع المسلمين في كل مكان، وترمز إلى أمانيها وآمالها في طاعة الله...

لذا كافأ الله تعالى جميع المسلمين، بأن جعل لهم عقب يوم عرفة - وقت التجمع الأكبر - مناسبة كريمة هي عيد الأضحى، الذي يربط المسلمين بالنبي إبراهيم الذي أراد التضحية بابنه إسماعيل طاعة لله تعالى.



واقعية الإسلام وسماحته في الأعياد:

ومع ما تقدم في هاتين المناسبتين فهما ترمزان أيضاً إلى واقعية وسماحة الإسلام، ورغبته في التوسعة على المسلمين، بإظهار الفرح وإشاعة جو السرور، وتبادل التهاني والزيارات، والعمل على التزيُّن والتجمُّل، والتمتع بالطيبات من الرزق بعد أيام الجد والعبادة والاجتهاد والصوم والحج...

لذا حرَّم الإسلام الصوم في يوم عيد الفطر ويوم عيد الأضحى، ويومين اثنين بعده «أيام التشريق»(٤)، قال رسول الله ﷺ:

«أيام التشريق أيام أكل وشرب وبعال»(٥) أي معاشرة ومباسطة وملاعبة وفرح(٦).

وبهذا يتضح أن الإسلام نظر للأعياد على أنها حاجة نفسية فطرية، بعد الجد والتعب والتضحية، ويُطوِّر فيها الإنسان حياته الرتيبة، ويزيد في مشاركته للآخرين في أفراحهم واجتماعاتهم ومسراتهم وسعادتهم، وذلك بما لايخرج عن المعاني الإنسانية والاجتماعية النبيلة والقيم الدينية والأخلاقية السامية.

مظاهر الأفراح في الأعياد:

إن الإسلام يرحب بكل مظهر من المظاهر التي تشيع السعادة والحبور بين الناس، وتقوِّي العلاقات الاجتماعية والرحمية بينهم، من مثل: تبادل الزيارات والهدايا والأعطيات، وتفقُّد الضعفاء والمحرومين، وبإدخال السرور إلى نفوس وبيوت الأيتام والمحتاجين ومواساتهم، لتظهر البسمات على وجوههم، حتى يشاركوا أفراد المجتمع في فرحهم وزينتهم وتزاورهم والتنعم بالطعام الطيب واللباس الحسن.

ولا بأس في تبادل عبارات التهاني والمباركات ونحوها من المجاملات المحببة الصادقة، قال محمد بن زياد:

«كنت مع أبي أمامة الباهلي وغيره من أصحاب رسول الله ﷺ، فكانوا إذا رجعوا من صلاة العيد، يقول بعضهم لبعض: تقبل الله منا ومنكم».(٧)

الإسلام يرحب بكل المظاهر التي تشيع السعادة والحبور بين الناس

دور الآباء والأمهات:

لاشك أن للآباء والأمهات دوراً عظيماً في تعريف الأبناء بكل الأعياد ومقاصدها وآدابها، وتوعيتهم بالسلوك الصحيح للفرح والابتهاج، بعيداً عن العبث والإسراف، وإزعاج الآخرين أو إيذائهم، أو الإضرار بالأنفس والممتلكات.

كما ينبغي حض الأبناء وبخاصة المراهقين على التزام العادات الإسلامية والآداب الاجتماعية السليمة، وتجنب الاستهتار وإضاعة المال دون جدوى، والحرص على مصاحبة أصحاب الخلق القويم، والابتعاد عن رفاق السوء، وتقديم المعروف لمحتاجيه ونصيحة المخطئ، والصبر على إساءة الآخرين، وتصحيح سلوكهم بالكلمة الطيبة والفعل الجميل.

ومن الأهمية بمكان أن يقوم الآباء والأمهات باصطحاب أبنائهم لزيارة ذوي القربى والجيران والأصحاب، والتعرف عليهم عن قرب، وتبادل الأحاديث المفيدة، وتقوية الوشائج الاجتماعية والرحمية، والتعوُّد على أصول الحديث مع الآخرين، وآداب المجالس، واكتساب مزيد من المهارات المعرفية والسلوكية والاجتماعية.

الخاتمة:

هكذا نرى أن الأعياد في حياة المسلمين تمثل مناسبة بل مناسبات جليلة لتحقيق مزيد من السمو الروحي والوجداني، واكتساب فوائد تربوية واجتماعية ونفسية، تعود على الجميع بمظاهر التراحم والتلاحم والسعادة. ■

الهوامش:

١ - المعجم الوسيط: مادة «عاد».
٢ - رواه أحمد في المسند ١٠٣/٣ والنسائي في السنن ٥٤٢/١.
٣ - رواه الطبراني في المعجم الكبير كما في الترغيب والترهيب للمنذري ٦٣/٢.
٤ - زاد المعاد لابن القيم ٢٤٧/٢ وبداية المجتهد لابن رشد ١٩٣/٢.
٥ - رواه مالك في الموطأ ٣٧٦/١ وأحمد في المسند ٢٢٤/٥ والدارقطني في السنن الكبرى ٢١٢/٢.
٦ - المعجم الوسيط، مادة: بَعَل.
٧ - المغني لابن قدامة ٢٩٥/٣ نقلاً عن حاشية السنن الكبرى للبيهقي.

تربيـة

بقلم: محمود علي

قطوف باسمة من حدائق الفكاهة والمرح

ما من شك أن أعباء الحياة ثقيلة وهمومها كثيرة والكدح فيها حثيث والكلُ يكابد فيها سعياً وراء رزقه، وتلك طبيعة الحياة الدنيا «لقد خلقنا الإنسان في كبد» فما أحوج الإنسان مع مكابدته فيها إلى بشاشة الوجه ولطافة اللفظ علها تخفف وطأة الحياة وكدرتها فنتقاسم فيها اللغوب والنصب.

وهناك صنف من البشر جُل حياتهم هزل ولا يعرفون الجد فهزلهم هزل وجدهم هزل، وهكذا يعيشون بقلوب أماتها، كثرة الضحك ويفتقدون لذلك هيبتهم أمام أقرانهم وذويهم، وهم يهربون دوماً من مسؤولياتهم ويتملقون من واجبات تلقى عليهم فهم بالتالي طاقات معطلة وقدرات مهدرة في المجتمع.

وصنف آخر لاتعرف البسمة لشفاههم طريقاً ولا تلقى أحدهم إلا متجهماً عبوساً مقطِّب الجبين، وكأن مآسي الحياة بأسرها تكالبت عليه، وحياة كهذه ما أثقلها وما أتعسها، وبعض من البشر لا تفارقه الابتسامة بين أصدقائه وأخلائه وفي عمله أو متجره أو حقله فإذا ما دلف إلى بيته ولقى أهله وأبناءه حلَّ العبوس وجفَّ اللفظ وغلظ الطبع وأدخر ظرفه وفكاهته لحين فكاكه من داره فما أغرب طبائعهم.

وتعاليم ديننا الحنيف لا مع أولئك ولا مع هؤلاء، ولكن الرسول ﷺ يعلمنا «أن نروح القلوب ساعة بعد ساعة فإن القلوب إذا كلَّت عميت»، ويضع الضوابط لذلك فيقول: «إني لأمزح ولا أقول إلا حقاً» رواه الطبراني.

الضحك والتبسم والفكاهة في القرآن:

والمتتبع لآي القرآن يجد أن لفظ الضحك والتبسم والسرور والبشر قد وردت مرات عدة في الآيات فكلمة الضحك ومشتقاتها نحو «تضحكون فلتضحكوا ضاحكة أضحك» وردت بالقرآن عشر مرات.

ووردت لفظ «تبسم» في الآية (١٩) من سورة النمل (فتبسم ضاحكاً من قولها)، ووردت كلمة البشر ومشتقاتها نحوا: «بشرناه - بشرناك - بشروه - أبشرتموني - مبشرين - بشراكم - فبشرهم - بشرى - مبشرات - مبشراً - فاستبشروا - يستبشرون - مستبشرة» ثمانين مرة كما وردت كلمة السرور «مسروراً - وسرورا» ثلاث مرات.

وهكذا حوت الآيات الكثير من المواقف التي احتملت ضحكاً وسروراً وتبسماً، وقد تردد البشر والبشرى كثيراً مما يعلمنا مدى أهمية هذه الانفعالات الطيبة في الحياة.

أهمية التبسم والفكاهة في الحياة:

لاشك أن القلوب تمل كما تمل الأبدان، فلابد أن نلتمس في بعض كلامنا وفعالنا طرائف الحكمة، ولابأس من المزاح والتفكه بما يشرح الصدر ويروح عن النفس، وذلك في إطار «إعط الكلام من المزاح بقدر ما يعطى الطعام من الملح»، حتى لا تبدو الحياة عابسة المظهر ثقيلة.

ويقول د. القرضاوي: «إن الإسلام دين واقعي لا يحلق في أجواء الخيال المثالية الواهمة، ولكنه يقف مع الإنسان على أرض الحقيقة والواقع ولا يعامل الناس على أنهم ملائكة أولوا أجنحة مثنى وثلاث ورباع ولكنه يعاملهم بشراً يأكلون الطعام ويمشون في الأسواق».

وفيما رواه حنظلة الأسيدي: يحدثنا عن نفسه - لقيني أبو بكر وقال: كيف أنت يا حنظلة؟ قلت: نافق حنظلة!! قال: سبحان الله ما تقول؟ قلت: نكون عند رسول الله - ﷺ - يذكرنا بالنار والجنة حتى كأنا رأي عين، فإذا خرجنا من عنده عافسنا «لاعبنا» الأزواج والأولاد والضيعات فنسينا كثيراً!! قال أبو بكر: فوالله إنا لنلقى مثل هذا: قال حنظلة: فانطلقت أنا وأبو بكر حتى دخلنا على رسول الله - ﷺ - قلت: نافق حنظلة يا رسول الله، فقال: وما ذاك؟ قلت: يا رسول الله: نكون عندك تذكرنا بالنار والجنة حتى كأنا رأي عين فإذا خرجنا من عندك عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات ونسينا كثيراً، قال رسول الله - ﷺ - «والذي نفسي بيده لو تدومون على ما تكونون عندي وفي الذكر لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفي طرقكم، ولكن يا حنظلة ساعة وساعة - وكررها ثلاثاً». رواه مسلم.

ضوابط الضحك والإضحاك:

والضحك والإضحاك كأي سلوك إنساني يجب أن يكون في الأطر

التي لا تجلب من ورائه الشرور والآثام، فقد يطلق الإنسان لخياله العنان لتلفيق الأضاحيك بشتى الصور، وتدور على لسانه أحاديث مختلفة يتندر لها جلساؤه وقد يؤلف من الوقائع والأحداث ما لا يمت للحقيقة أو الواقع بصلة، رامياً إلى إضحاك أخلائه وهي أمور لا تخلو من التعريض بطباع الآخرين أو أعراضهم تصريحاً أو تلميحاً ولا تخلو أيضاً من الغمز واللمز معتقداً أن مجال اللهو لا حظر فيه على إخبار أو اختلاق فالحق تعالى يقول: (يأيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم) الحجرات: ١١.

يقول الشيخ الغزالي - رحمه الله: «إن الإسلام الذي أباح الترويح عن القلوب لم يرض وسيلة لذلك إلا في حدود الصدق المحض فإن في الحلال مندوحة عن الحرام وفي الحق غناء عن الباطل».

ولذا فالرسول يحذرنا من الكذب عند المزاح فيقول «ويل للذي يحدث بالحديث ليضحك منه القوم فيكذب ويل له ويل له» رواه الترمذي وفي حديث آخر «أنا زعيم بيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحاً» رواه البيهقي، فحري بالمسلم الفطن ألا يجعل من مزاحه في الدنيا طريقاً لعذابه في الآخرة فيقوده لسانه بذلك إلى سوء العقاب، يقول المصطفى - ﷺ -: «لا يؤمن العبد الايمان كله حتى يترك الكذب في المزاح والمراء وإن كان صادقاً» رواه أحمد.

الضحك والتبسم في هدي النبي:

والرسول يعلمنا أن الضحك والمزاح أمور مستحبة طالما كانت في حدود الصدق وبعيداً عن التعرض للآخرين بشيء وعن اختلاق الأخبار، فكان - ﷺ - دائم البشر، ضحوك السن، يمازح أصحابه ويداعبهم ويتفكه حيناً ويطرب للفكاهة حيناً آخر، وفي هذا حكمة بالغة لمسها الزرقاني عندما قال: «فلو ترك ﷺ الطلاقة والبشاشة ولزم العبوس لأخذ الناس أنفسهم بذلك على ما في مخالفة الغريزة من المشقة والعناء فمزح - ﷺ - ليمزحوا».

أمثلة من مزاحه ﷺ :

إن المزاح المروي عن المصطفى من نوع الكناية أو التورية، فهو إذاً في إطار الصدق التام، ومن ذلك أن امرأة من الأنصار أتت النبي - ﷺ - فقالت له: ادع الله أن يدخلني الجنة، فقال لها: «أما علمت أن الجنة لا يدخلها عجوز» فبكت، فتبسم الرسول - ﷺ - وقال لها: «لست يومئذ بعجوز أما قرأت قوله تعالى: (إنا أنشأناهن إنشاء. فجعلناهن أبكاراً. عرباً أتراباً).

وروي أن امرأة شكت زوجها عند النبي - ﷺ - فقال لها: أتعنين زوجك الذي في عينه بياض؟ فذهبت المرأة إلى زوجها تتأمله فقال لها: مالك تُحدِّقين هكذا إليَّ؟ قالت: قال رسول الله إن في عينك بياضاً» فقال لها وأكثر من سوادها إلى كم تكونين ساذجة؟!

ومما روى أيضاً أن بلالاً مؤذن الرسول - ﷺ - لم يكن عنده ما يذبحه كأضحية غير ديك فقدم به إلى الرسول - ﷺ قائلاً: أيجوز أن أذبح هذا كأضحية؟ فقال له الرسول - ﷺ - وهو يمازحه: «أيضحى مؤذنٌ بمؤذنٍ؟

الرسول يمزح مع أهله:

وقد كان - ﷺ - يُداعب الحسن والحسين ويلاعبهم ويلاطفهم وكان كذلك في بيته ومع أزواجه، فقد سُئلت السيدة عائشة رضي الله عنها كيف كان رسول الله إذا خلا في بيته؟ فقالت: «كان ألين الناس، وكان رجلاً من رجالكم إلا أنه كان ضحاكاً بساماً».

نستدل من هذه الأحاديث أن النبي - ﷺ - كان يمزح ويضحك ويمازح زوجاته كما حدث وسابق السيدة عائشة فسبقته مرة وسبقها مرة فقال لها «هذه بتلك».

الظرف والفكاهة عند العرب:

حفل التراث العربي والإسلامي بالكثير من المصنفات التي تناولت الحديث في هذا الموضوع وقد شملت بعضها تقسيماً لما يروى منها عن الأنبياء، وما يروى عن الصحابة، وما يروى عن العلماء والحكماء وفيما يروى عن الأعراب.

ويبين ابن الجوزي - رحمه الله - في كتابه «أخبار الظّراف والمتماجنين» معنى الظرف والمجون فيقول: «الظرف: يكون في صباحة الوجه ورشاقة القد ونظافة الجسم والثوب وبلاغة اللسان وعذوبة المنطق وطيب الرائحة والتقزز من الأقذار والأفعال المستهجنة، ويكون في خفة الحركة وقوة الذهن وملاحظة الفكاهة والمزاح ويكون في الكرم والجود والعفو وغير ذلك من الخصال اللطيفة وكأن الظريف مأخوذ من الظرف الذي هو الوعاء فكأنه وعاء لكل ظريف» أما المجون فيعرفه بأنه صرفُ اللفظ عن حقيقته إلى معنى آخر وذلك يدل على قوة الفطنة.

ويقول الجاحظ في كتابه «البخلاء» ما نصه: «ولك في هذا الكتاب ثلاثة أشياء: تبين حجة طريفة أو تعريف حيلة لطيفة أو استفادة نادرة عجيبة وأنت في ضحك منه إذا شئت وفي لهو إذا مللت الجد».

ويقول: أبو حيان التوحيدي في كتابه «الإمتاع والمؤانسة»: النفس تملُّ كما أن البدن يكل وكما أن البدن إذا كلَّ طلب الراحة، كذلك النفس إذا كلت طلبت الروح - الراحة - وكما لابد للبدن أن يستمد ويستفيد بالاستجمام - أي: الراحة - كذلك لابد للنفس من أن تطلب الروح عند تكاثف الملل الداعي إلى الحرج».

ويرى ابن عبد ربه في «العقد الفريد» أن: «الفكاهات والملح نزهة النفوس وربيع القلب ومرتع السمع ومجلب الراحة ومعدن السرور»، كما يقول: ابن اسحاق: «إذا مدحت رجلاً قالت: «هو ضحكوك السن بسام العشيات هش إلى اضيف وإذا ذمته قالت: هو عبوس الوجنة جهم المحيا كريه المنظر».

نوادر العلماء والحكماء العرب في الفكاهة:

من نوادرهم أن خالد بن صفوان لقي الفرزدق وكان دميماً فقال: يا أبا فراس ما أنت بالذي قالت: «فلما رأينه أكبرنه وقطعن أيديهن»، فقال الفرزدق: ولا أنت يا أبا صفوان بالذي قالت الفتاة لأبيها في حقه: «يا أبت استأجره إن خير من استأجرت القوي الأمين»، وقال سليمان الأعمش لابنه: إذهب فاشتر لي حبلاً يكون طوله ثلاثين ذراعاً، فقال يا أبت في عرض كم؟ قال في عرض مصيبتي فيك، وقال أعرابي قيل لكذاب تذكر أنك صدقت؟ قال: لولا أني أخاف أن أصدق لقلت نعم، واشترى أحدهم غلاماً فقيل له إنه يبول في الفراش، فقال: إن وجد فراشاً فليُبل به، وعض ثعلب أعرابياً فأتى راعياً فقال له ما عضك؟ فقال: كلب واستحى أن يقول ثعلب، فلما بدأ يرقيه قال له

واخلط بها شيئاً من رقية الثعالب!

وعن ميمون بن هارون قال: قال رجل لصديق له: ما فعل فلان بحماره؟ قال: باعِهِ، قال: قل: باعَهُ، قال: فلم قلت بحمارِهِ؟ قال: الباء تجر، قال: فمن جعل باءك تجر، وبائي ترفع؟!

البديهة والذكاء في لطافة الرد وفكاهته:

كان الإمام أبو حنيفة يمشي يوماً بين صاحبيه أبي يوسف ومحمد، وكان قصيراً وهما طويلان، فقال أحدهم مداعباً له: أنت كالنون في «لنا»، فرد الإمام على الفور: إذاً لولا أنا لكنتما «لا».

وكان الشيخ عبدالعزيز البشري مشهوراً بسرعة خاطره وطرافة أجوبته مدعواً مع بعض أصدقائه من الوجهاء عند أحدهم، فلما حان وقت الصلاة خلع الشيخ جبته السوداء وذهب يتوضأ وفي أثناء ذلك أحبَّ أحد الوجهاء أن يمازحه فرسم بالطباشير على الجبة وجه حمار فلما عاد الشيخ ورأى الرسم التفت إلى الحضور وقال: من الذي نشَّف وجهه بالجبة؟

الظرف والفكاهة وحسن التخلص:

والظرفاء وأصحاب الأرواح المرحة تساعدهم تلك الطبيعة في النجاة من المواقف المهلكة فما أعظم تلك الفكاهة وأحسنها فمما يروى أن معاوية أسر عمر بن أوس الأسدي، وكان من أصحاب علي كرم الله وجهه - يوم صفين - فقدمه للقتل فقال: لاتقتلني لأنك خالي، فقال معاوية: من أين أنا خالك ولم تكن بيننا مصاهرة؟ فقال: إن أخبرتك تعفو عني؟ قال: نعم، قال: أليست أختك أم حبيبة أم المؤمنين، قال: بلى، قال: فأنا ابنها وأنت أخوها فاستظرف منه ذلك ثم خلَّى سبيله.

ومما يروى أن الرشيد تغير يوماً على زوجته زبيدة فقال لها: أنت طالق ثلاثاً إن بت الليلة في مملكتي فاستفتوا في ذلك القاضي أبا يوسف فقال: تبيت في أحد المساجد، فإن المساجد لله فولاه القضاء بجميع مملكته.

وعزم معن بن زائدة على قتل جماعة من الأسرى فلما مثلوا بين يديه قام أصغرهم فقال: أيها الأمير: أتقتل أسراك وقد جاعوا وعطشوا، فأمر لهم بطعام وشراب، فلما أكلوا وشربوا قام إليه فقال أيها الأمير: أتقتل ضيوفك؟ فحلم عليهم وخلَّى سبيلهم.

ويروى أن رجلاً نظر إلى امرأته وهي تصعد السلم فقال لها: أنت طالق إذا صعدت وطالق إن نزلت وطالق إن وقفت، فرمت نفسها على الأرض، فقال لها: فداك أبي وأمي إن مات الإمام مالك احتاج أهل المدينة إليك في فتواهم.

ومما يروى أن سليمان بن عبدالملك أتى برجل فعل جناية يجب فيها التعزير لا غير فأمر بقتله، فقال: يا أمير المؤمنين أذكر يوم الأذان؟ قال: وما يوم الأذان؟ قال: اليوم الذي قال فيه تعالى: (فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين) فبكى سليمان وأمر بعدم قتله.

حسن الجواب من الظرف واللطافة والذكاء:

ومن اللباقة أيضاً انتقاء الإجابة الحسنة في المواقف، فكلما كانت الإجابة لطيفة كلما أحدثت استحساناً لدى السامع، ومما يروى أنه قيل للعباس بن عبدالمطلب - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أنت أكبر أم رسول الله - ﷺ - قال: هو أكبر مني وأنا ولدت قبله، ودخل سعيد بن مرة على معاوية فقال له: أنت سعيد قال: أمير المؤمنين سعيد وأنا ابن مرة، وقال الحجاج للمهلب: أنا أطول أم أنت؟ قال: الأمير أطول وأنا أبسط قامة منه، ووقف المهدي على امرأة من بني طي فقال لها: ممن العجوز؟ قالت من طي: قال: ما منع طياً أن يكون فيها آخر مثل حاتم؟ قالت: الذي منع العرب أن يكون فيها آخر مثلك.

وقال رجل من اليهود لعلي بن أبي طالب: ما دفنتم نبيكم حتى قال الأنصار: منا أمير ومنكم أمير، فقال علي - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - ما جفت أقدامكم من ماء البحر حتى قلتم: (يا موسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة).

وقال المتوكل يوماً لجلسائه: نقِمَ المسلمون على عثمان أشياء منها أن أبا بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لم تسنَّم المنبر هبط عن مقام النبي - ﷺ - بدرجة، ثم قام عمر دون مقام أبي بكر وصعد عثمان ذروة المنبر، فقال أحد الجالسين: ما أحد أعظم منَّة عليك من عثمان يا أمير المؤمنين، قال وكيف؟! قال: لأنه صعد ذروة المنبر ولو أن كل خليفة نزل درجة ونزل عثمان كمن تقدمه لكنت أنت تخطبنا من بئر! فضحك المتوكل ومن حوله لظرف قوله.

وبعد، فهي دعوة للتبسم والضحك والإقلاع عن التجهم والعبوس والخروج إلى الأبد من «نقابة ثقلاء الظل» التي تعلي شعار «لا للضاد لا للحاء لا للكاف» إليهم نسوق ما قاله ابن الجوزي: أن عامراً الشعبي قيل له: هل تمرض الروح قال: نعم من ظل الثقلاء، قال بعض أصحابه: فمررت به يوماً ومعه ثقيلين فقلت: كيف الروح قال: في النزع!

وللذين يُفْرطون في الضحك حتى تسقط مهابتهم نسوق رأي الجاحظ إذ يقرر أن للمزاح موضع وله مقدار متى جاوزهما أحد أو قصر عنهما أحد صار الفاضل خطلاً - أي خطأ - والتقصير نقصاً، فالناس لم يعبوا الضحك إلا بقدر ولا يعبوا المزاح إلا بقدر ومتى أريد بالمزاح النفع وبالضحك الشيء الذي جعل له الضحك صار المزاح جداً والضحك وقاراً. ■

المراجع والمصادر:

١ - أخبار الظراف والمتماجنين لابن الجوزي.
٢ - الحلال والحرام في الإسلام، د. القرضاوي.
٣ - المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبدالباقي.
٤ - الأربعون في التبسم والضحك، أبو مطيع السندي.
٥ - خلق المسلم، الشيخ: محمد الغزالي.
٦ - لطائف من سيرة الرسول - ﷺ - والسلف الصالح، حسن آدم وجمال عز الدين.
٧ - متفرقات في الدين والحياة، أحمد عيسى عاشور.

الدوريات:

١ - إياد فرعون «المزاح في حياة الرسول» - مجلة المنهل، العدد ٥٤٢ الربيعان ١٤١٨هـ.
٢ - محمد رجاء حنفي «الفكاهة غريزة إنسانية ومفهوم إسلامي» مجلة الوعي - العدد ٣٧٦ ذو الحجة ١٤١٧هـ.

بقلم: محمد الجاهوش

داء ودواء

روى الإمام الذهبي بسنده إلى عبدالله بن عون أنه قال: ذكر الناس داء، وذكر الله دواء» اهـ سير أعلام النبلاء، ج٦ ص٣٦٩.

ذكر الناس داء: إن الداء فيه واضح، لا لبس فيه ولا غموض، فالخائض في أمور الناس أحد رجلين:

الأول: مادح لهم، وهذا يخشى عليه من الإفراط والرياء، وكلاهما داء وبيل، ومرض خطير. والتزام القصد ـ هنا ـ أمر عسير، لذلك أمرنا أن نحثوا التراب في وجوه المادحين.

الثاني: ذاكرٌ لهم بالقدح والذم: ينفث سموم صدره حقداً وحسداً، أو غيبة ونميمة، وإفساداً بين الناس. وكلها علل تميت القلب، وتقتل المواهب، وتدمر أخلاق الأمة، وتذهب ريحها. فضلاً عما ينتظر صاحبها من سوء الحساب، وأليم العذاب. وكلا الرجلين ـ المادح والقادح ـ أنفق وقته عبثاً، وأضاع عمره سدى، فلا نفسه أفاد، ولا انتفع به الآخرون.

وسلامة الإنسان: أن يكف لسانه عن شؤون الناس وأحوالهم. وإن كان لابد من الكلام، فليحرص أن يكون في دائرة المباح، والدعاء لهم بالخير والصلاح، وإظهار الحسنات لتتخذ قدوة وأسوة، والحذر كل الحذر من تلبيس إبليس، فالمجال هنا خصب لنزغه ووسواسه. والعاقل من احترز، وكان على وجل.

وذكر الله دواء: ما أنزل الله داء إلا وجعل له دواء. عَلِمَهُ مَنْ عَلِمَهُ وَجَهِلَهُ مَنْ جَهِلَهُ.

والمرضى يهرعون إلى الأطباء، فيشخصون عللهم، ويصفون المناسب من العلاج، فإذا أصاب الدواء الداء برئ بإذن الله تعالى (وإذا مرضت فهو يشفين).

أمراض القلوب: أما أمراض القلوب وعلل النفوس، فخفية أعراضها، عزيز دواؤها، قليل شفاؤها. ذلك أن الإنسان ما ينفك يتقلب في إحدى حالين:

الأولى: حال النعمى، وما يرافقها غالباً من ترف، وتيه، واستكبار في الأرض، وتفلّت من ضوابط الخلق والدين، يحسب صاحبها أن إشراقة الدهر لن تغيب عنه، وأن حظه منه: إقباله ومسراته، وأنه قدم له ما أخره عن غيره.

أما وجه الدهر الكالح فهو من نصيب الآخرين. وما الذي يعنيه من شأنهم؟ (كلا إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى).

الثانية: حال البؤس والإدبار والمصائب والمرض، والإنسان في هذه الحال ينكر نفسه، ويكره غيره، ويضيق ذرعاً بأهله وولده، يتوهم واقعه قدراً نافذاً، وقضاء مبرماً، وأن الدهر الذي جثم على صدره، لن يصرفه عنه صارف، فهو في قلق وألم، وهمٍّ ناصب.

سبيل الخلاص: يبقى أثر الشدة والرخاء في حياة الناس ماداما متعاقبين فيهم، وليس ثمة وسيلة تحول دون ترف أهل النعيم، أو ضجر أهل البلاء، إذا ذكر الله ـ عز وجل ـ لأن ذكر الله ـ تعالى ـ يغرس في القلوب السكينة، والطمأنينة (الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب) الرعد:٢٨، كما يملؤها بالخشية والرهبة منه سبحانه وتعالى: (إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون) الأنفال:٨.

وغير خاف ما للخشية والطمأنينة والآثار الحميدة في القلب والنفس.

أثر الطمأنينة: إذا اطمأن القلب حلّته السكينة، وتمّ له كمال اليقين، ونعم بالأنس والرضا، وصغرت عنده الدنيا فلا يحزنه ما فاته من زهوتها، فما نعيمها إلا متاع (وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور) الحديد:٢٠.

لقد سمت همته إلى الفوز بما ادخر الله تعالى للمؤمنين في دار الخلود (وما عند الله خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون) الشورى:٣٦ فلتذهب الدنيا حيث أرادت، ولتحل في رحال من اختارت، فما نيلها غنى، ولا فوتها فقر.

أثر الخوف: الخوف ـ بعامة ـ دافع للتوقي والحذر، ومن خاف من الله، تمثل عظمته ومهابته، والتمس مرضاته، وتجنب موجبات سخطه وغضبه.

ومتى حل الخوف قلباً كبح جماحه، وألجم هواه واستل من أعماله سخيمة الأشر والبطر، والاستعلاء على من حرموا الحظ الوافر من الجاه والثراء، وأيقن أنه محاسب عن كل ما خوله الله عز وجل (ثم لتسألن يومئذ عن النعيم) التكاثر.

صفوة القول: وهكذا نجد أن ذكر الله ـ تعالى ـ وقاية لمن أدبرت عنهم الدنيا، أو قل حظهم منها، وهو وقاية لمن أقبلت عليهم بزخرفها وزينتها.

إنه يهون شدائد الأمور، ويخفف من وقع البلاء، بل يرتفع بأقوام، فيرون البلاء نعمة، يسعدون بها أكثر من سعادة غيرهم بالعز والنعيم.

كذلك، فإنه يتمثل أهل المال والثراء من الانسياق وراء رغبات النفوس، والانهماك في إثم الملذات، ويسمو بهم حتى ينزلوا أنفسهم منزلة القيّم الأمين: يكسب حلالاً، وينفق قصداً ويتصدق قصداً.

فما أجمل أن يحرص المؤمن على الاستجابة لنداء الحق ـ سبحانه (يأيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً وسبحوه بكرة وأصيلاً) الأحزاب:٤٢، ويجعل هذا النداء مبدأ متأصلاً في حياته، ولسوف يحمد عقباه في حالي: الشدة، والرخاء.

سدد الله الخطى ووفق الجميع والحمد لله رب العالمين ■

بقلم : د.أحمد الحجي الكردي

الاجتهاد الجماعي وطفل الأنابيب

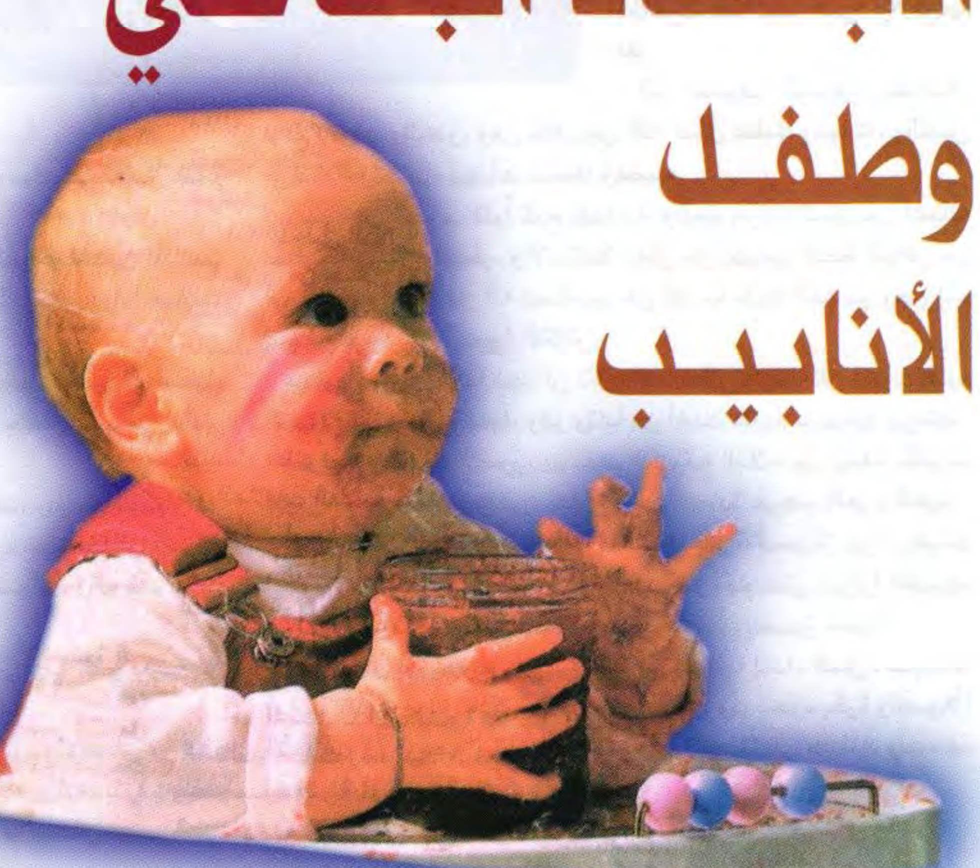
القرآن الكريم والسنة المطهرة هما المصدر الأول للتشريع الإسلامي باتفاق المسلمين، من يوم بعث الله تعالى محمد بن عبدالله ﷺ إلى يوم يرث الله تعالى الأرض ومن عليها، وهما مصدر التشريع العام للبشرية كلها على اختلاف ألوانها ولغاتها وأجناسها وأنسابها، قال تعالى: (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) الأنبياء:١٠٧، إلا أن مسائل الناس ومشكلاتهم متجددة وغير محدودة، ونصوص القرآن والسنة على سعتها محدودة، والمنطق يقول: إن المحدود لايصلح حلاً لغير المحدود، ولهذا فإن الشارع قضت حكمته سبحانه - حلاً لهذه المشكلة - أن يجعل نصوص القرآن والسنة على نمطين:

بعضها قطعي الدلالة على معناه، ولا يحتمل التفسير والتأويل بأي معنى آخر غير المعنى الظاهر فيها والمتبادر منها، وذلك في أمور العقيدة، وأمور العبادة، وأمور المعاملات الأساسية. وذلك حسماً للجدال والاختلاف حولها، ولتيسير فهمها على عامة الناس، مثل قوله تعالى: (إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً) النساء:١٠٣، فإنها دالة على فرضية الصلاة على كل مسلم مكلف، ولا يختلف في فهم ذلك منهم أحد لقطعية دلالاتها على هذا المعنى، وكذلك قوله تعالى: (ياأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كُتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون) البقرة:١٨٣، فإنها قاطعة في فرضية الصوم على كل مسلم مكلف...

وبعضها الآخر ظني الدلالة على معناه، ويحتمل المعنى المتبادر منه والظاهر فيه، ويحتمل معاني أخرى يمكن للعلماء استخراجها منها على أسس من اللغة والمنطق، وذلك توفيراً لمرونة، في النصوص التشريعية، كافية لتلبية معطيات العصور ومستجداتها، من ذلك العام والمطلق والمجمل. كما أن الشارع الإسلامي أحال - بموجب نصوص القرآن والسنة نفسها - علماء الأمة على مصادر أخرى غير القرآن والسنة، ليستنبطوا منها الحكم لمسائلهم المستجدة إذا ضاقت نصوص القرآن والسنة القاطعة والظنية عن استيعابها كالإجماع والقياس والاستحسان و... فأما النصوص القاطعة فإن فهمها واستخراج الأحكام منها ميسور لكل إنسان بالغ عاقل يعرف لغة العرب، ولا يستعصي على أحد منهم من حيث الجملة، ولا يجوز صرفها عن معانيها المتبادرة منها إلى أي معنى آخر، وكل صرف لها عن ذلك يعني الخروج عنها ومخالفتها، للقاعدة الفقهية الكلية: «لا مساغ للاجتهاد في مورد النص» م/١٤ من مجلة الأحكام العدلة.

أما النصوص الظنية فإن أكثرها يحتاج إلى حنكة ودربة خاصة لا يستطيعها إلا علماء الأمة ومتخصصوها، ولا يستطيع ذلك عامة الناس، ولذلك أمر الله تعالى العامة بالرجوع في فهم هذه النصوص واستخراج الأحكام منها إلى العلماء ورثة الأنبياء، فقال جل من قائل: (وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً نوحي إليهم فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون) النحل:٤٣، وقال سبحانه وتعالى: (وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان إلا قليلاً) النساء:٨٣.

ولهذا فإن على كل مسلم عاقل بالغ أن يرجع في أموره وتصرفاته كافة في حياته إلى نصوص القرآن والسنة، فإن وجد فيها الحل الكامل لمشكلته عمل بها، وإن لم يجد فيها الحل الكامل لمشكلته وخفي عليه الحكم، فإن عليه الرجوع إلى علماء الأمة ومتخصصيها المأمونين على شرع الله تعالى في علمهم وتقواهم، ليخبروه بحكم الله تعالى مما فهموه من النصوص أو استنبطوه من المصادر التشريعية الأخرى التي أذن الله تعالى ورسوله ﷺ لهم بالرجوع إليها واستنباط

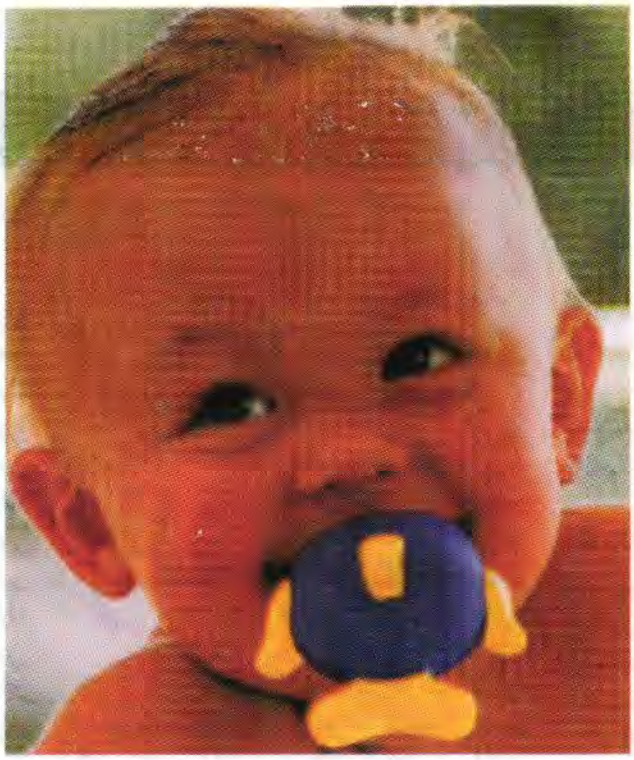


الأحكام منها كالقياس والاستحسان... كما تقدم.

وقد يسر الله تعالى لهذه الأمة بعد انتقال النبي ﷺ إلى الرفيق الأعلى أئمة أعلاماً من الصحابة والتابعين ومن بعدهم، فدرسوا نصوص القرآن الكريم والسنة المطهرة واستخرجوا منها الأحكام التي تضمنتها، كما رجعوا إلى المصادر الأخرى التي أذنت نصوص القرآن والسنة بالرجوع إليها، واستنبطوا منها الأحكام الشرعية التي تضمنتها، وأقاموا لنا مذاهب متكاملة هي بحق صروح تشريعية شامخة نباهي بها أمم الأرض، وعلى رأس هؤلاء الأعلام الأئمة الأربعة: أبو حنيفة النعمان بن ثابت، ومالك بن أنس الأصبحي، ومحمد بن إدريس الشافعي، وأحمد بن حنبل، رحمهم الله تعالى جميعاً، إلا أنه لا يمكن لأحد أن يدَّعي أن الفقه أو الاجتهاد وقف على هؤلاء الأربعة وحدهم، بل الباب في الفقه مفتوح إلى يوم القيامة ليلج منه من تأهل للاجتهاد في العلم والتقوى، ليستوعب الفقه الإسلامي كل ما يستجد من المسائل، إلا أن ذلك لا يعني بحال من الأحوال أن يلج باب الاجتهاد كل جاهل وكل مغرض وكل فاسق، ليخبط فيه خبط عشواء، بل هو مقصور على العلماء المأمونين الذين توافرت شروط الاجتهاد فيهم، إلا أنه في - عصرنا الحاضر - بالنظر لصعوبة الاجتهاد ودقته وخطره على الأمة، وقلة العلماء المتخصصين المتفرغين له، لانشغال أكثرهم في أمور كثيرة من أمور الحياة، فقد اتجه الكثيرون من المعاصرين إلى الاستعاضة عن الاجتهاد الفردي بالاجتهاد الجماعي، وذلك له طريقان:

الطريق الأول إقامة مجامع فقهية تضم نخبة مختارة من فقهاء الأمة المأمونين في فقههم وتقواهم، ليبتوا فيما استجد من الأمور، ويستنبطوا لها الأحكام الشرعية المناسبة من المصادر التشريعية المعتبرة.

والطريق الثاني أن يقوم من يظن في نفسه العلم والمعرفة بأحكام الدين بكتابة ونشر ما أداه إليه استفراغه للجهد فيما عرض عليه من المسائل، ليطلع عليها العلماء، ثم يقول كل منهم فيها قوله، موافقاً أو مخالفاً، مع الدليل والبرهان الشرعي، بطريقة موضوعية بعيدة عن الدعوى وغاية إثبات الذات، حتى يتضح من خلاله الحق، ويظهر الحكم، وتختفي الشبهات، ويلتزم الجميع بما اتضح بعد المناقشة والرد الموضوعيين.



وربما كانت الطريقة الأولى هي الأجدى والأولى، إلا أنها قد لا تتيسر في كل الظروف لأسباب مختلفة فتكون الطريقة الثانية هي الرديفة لها. هذه مقدمة كان لابد منها للدخول إلى موضوع أريد التنويه عنه، فقد كتبت بحثاً في أوائل السبعينات من هذا القرن تحت عنوان: «أطفال الأنابيب»، نشرته مشكورة مجلة الوعي الإسلامي الكويتية في تاريخه، في وقت كانت فيه فكرة أطفال الأنابيب في باكورة عهدها ولم يبحث فيها من الفقهاء إلا القلة، وكانت الحاجة إلى بيان حكمها الشرعي ملحة نظراً للتقدم العلمي المذهل في هذا النطاق، كتبت هذا البحث على أنه باكورة بحث أو مقدمة بحث لا بحثاً مكتملاً، وقدمت فيه ما حضرني من حجج، وقلت هي معالم في الطريق إلى حكم هذه المسألة وليست أدلة مكتملة ناهضة، وطلبت من كل من له علم في هذه المسألة أن يدلي بدلوه في هذا المضمار، لينجلي الحق ويظهر حكم الله تعالى، وقد بادر أخ كريم - جزاه الله تعالى خيراً - بعد ربع قرن إلى تلبية هذا الطلب، ووضع بصماته على المعالم التي وضعتها في طريق البحث والوصول إلى الحكم، هو الأستاذ عبدالوكيل أحمد صافي، ونشر ذلك في مجلة الوعي الإسلامي نفسها في العدد (٤٠٢) بتاريخ شهر صفر ١٤٢٠هـ، الموافق مايو - يونيو/١٩٩٩م، فله لذلك شكري وتقديري، وإنني متابعة مني للبحث الذي أشرت إليه أسجل الملحوظات التالية، فلعلها تنير الطريق إلى نهايته:

أولاً: إن ما رآه الباحث الكريم وما أشار إليه في بحثه من ضعف في بعض ما قدمته من الحجج في بحثي السابق هو صحيح في كثير منه، وإنني أشاركه الرأي فيه، ولكن لابد من الانتباه هنا إلى أنني عندما أوردت هذه الحجج قلت بالنص: «فإن ما قدمته لا يزيد على أنه نقاط وملاحظات ومعالم في طريق البحث عن حكم الله تعالى في هذا الموضوع الخطير وليس بحثاً في ذاته»، وقد أوردت هذه الحجج على ضعفها لتكون معالم في الطريق وربما قويت بدعم غيرها لها أخذاً من أن العلماء يروون ويكتبون الحديث الضعيف إذا لم يتناه ضعفه أو يكون موضوعاً - على الرغم من عدم صحة الاحتجاج به على حاله - انتظاراً منهم إلى تقويته بحديث ضعيف آخر ليكون به حسناً لغيره، فيكون حجة لذلك.

ثانياً: إن هذا البحث مضى عليه ربع قرن أو نيف، وقد جدت دراسات كثيرة في موضوعه في خلال ذلك، وصدرت قرارات مجامع فقهية فيه، مما جعلني أعدل في الرأي الذي كنت توصلت إليه من خلال المعالم السابقة، لما اتضح واستجد من الأدلة.

وانتهيت إلى أن عملية التلقيح الصناعي مباحة بالشروط التالية:

أ - أن يثبت عقم الزوجين أو عقم أحدهما بأدلة ناهضة، ويتعذر الإنجاب بينهما بغير هذا الطريق.

ب - أن يخلو أحد الزوجين أو كلاهما عن الأولاد الأحياء عند إجراء هذه العملية، من بعضهما أو من غيرهما.

ج - أن يثبت نجاح هذه العملية بنسبة مقبولة طبياً.

د - أن يقتصر العمل على تلقيح بويضة الزوجة بحوين زوجها.

هـ - أن تتم هذه العملية في ظروف مأمونة على يد متخصصين عدول يطمئن قلب الزوجين إلى أنهم لن يدخلوا في العملية هذه بويضة أو حويناً من غير الزوجين.

ولابد أن أشير أخيراً إلى أن الزوجين العقيمين إذا تركا أمرهما إلى الله تعالى، ورضيا بقضائه، واستسلما لأمره، واحتسباه عنده، وتنزهاً عن إجراء هذه العملية ابتغاء مرضاته والفوز بالأجر والمثوبة على صبرهما، كان ذلك أعلى وأسمى وأفضل، حيث إن إباحة هذه العملية بهذه الشروط رخصة، والصبر على العقم عزيمة، والأخذ بالعزيمة أولى من الأخذ بالرخصة مع الإقرار بإباحتها، بعداً عن الشبهات، واتقاء لما قد يبقى في هذه العملية من المحاذير ■

بقلم : محمد مصطفى قاسم

التألّي والتزكية

لقد قصَّ علينا القرآن الكريم قصص الصالحين لنقتفي آثارهم ونقتدي بسلوكهم كما قصَّ علينا قصص المنحرفين لنتجنب الوقوع بأخطائهم ونبتعد عن مناهجهم ومن أبرز هذه القصص قصة إبليس مع أبينا آدم عليه السلام، لقد فقد إبليس منزلته بقوله: (أنا خير منه) ص:٧٦، أي أنه زكّى نفسه وفضَّلها على آدم عليه السلام، فجاء الجواب الإلهي على قوله هذا: (فاخرج منها فإنك رجيم. وإن عليك لعنتي إلى يوم الدين) ص:٧٧-٧٨، وجاء اليهود بعد ذلك ليدَّعوا أنهم أبناء الله وأحباؤه ولم يتعظوا بحادثة إبليس ونتائجها. وكان الرد الإلهي عليهم حاسماً موضحاً لكل من تسوّل له نفسه سلوك هذا الطريق: النتائج الخطيرة له، فقال جل جلاله مخاطباً الحبيب الأعظم في الآية ٤٩-٥٠ من سورة النساء: (ألم تر إلى الذين يزكون أنفسهم بل الله يزكي من يشاء ولا يُظلمون فتيلاً. انظر كيف يفترون على الله الكذب وكفى به إثماً مبيناً). فجعل قولهم هذا هو افتراء الكذب على الله عز وجل ولقد أوضح القرآن عقوبة هذه المعصية فقال: (ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودَّة أليس في جهنم مثوى للمتكبرين) الزمر:٦٠، ولم يقل مثوى للكافرين وذلك للعلاقة الوثيقة بين تزكية النفس والتكبر.

وخاطب جل شأنه أمة محمد ﷺ في سورة النجم الآية ٣٢: (الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم إن ربك واسع المغفرة هو أعلم بكم إذ أنشأكم من الأرض وإذ أنتم أجنة في بطون أمهاتكم فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى). وكي يتضح معنى التزكية. والمراد به في شريعتنا أعود إلى صحيح البخاري وإلى حديث ورد فيه خمس مرات، وفي مسند الإمام أحمد برقم ٤٣٦ ونص الحديث: «حدثنا يحيى بن بكير: حدثنا الليث عن عُقيل عن ابن شهاب قال: أخبرني خارجة بن زيد بن ثابت: أن أم العلاء امرأة من الأنصار بايعت النبي - ﷺ - أخبرته: أنه اقتسم المهاجرون قرعة فصار لنا عثمان بن مظعون. فأنزلناه في أبياتنا فوجع وجعه الذي توفي فيه. فلما توفي وغسّل وكُفن في أثوابه، دخل رسول الله - ﷺ - فقلت: رحمة الله عليك أبا السائب، فشهادتي عليك لقد أكرمك الله فقال النبي - ﷺ -: وما يدريك أن الله قد أكرمه، فقلت بأبي أنت يا رسول الله فمن يكرمه الله؟ فقال: أما هو فقد جاءه اليقين والله إني لأرجو له الخير والله ما أدري وأنا رسول الله ما يفعل بي. قالت: فوالله لا أزكّي أحداً بعده أبداً» فالتزكية إذاً من خلال الحديث هي القول: إن الله قد أكرم فلاناً فكيف بالقول بقبول عمل عبد ما عند الله أو بقبول عمل الإنسان نفسه. جاء في لسان العرب «زكى نفسه تزكية: مدحها وفي حديث زينب كان اسمها برة فغيره ﷺ وقال تزكي نفسها، وزكى الرجل نفسه: إذا وصفها وأثنى عليها».

ولقد تم النهي عن التزكية لأننا نشاهد عمل الإنسان وتصرفاته ولكننا لا نعلم لماذا يقوم بهذا العمل وما الغاية التي يتطلع إليها. وهذا أمر جلي وواضح، فعن أمير المؤمنين أبي حفص عمر ابن الخطاب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله - ﷺ - يقول: «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو إلى امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه» متفق عليه.

فنحن نرى الرجل قد هاجر فراراً بدينه من مكان إلى آخر فنقول: إنه مهاجر، ولكننا لا نستطيع أن نقطع بأن هجرته قد قبلها الله جل جلاله أم لا، لأن قبول أي عمل من الأعمال متعلق بالنية الكامنة وراء هذا العمل الأمر الذي لا يعلمه إلا الله جل جلاله، حتى وإن علم الإنسان النية الكامنة وراء عمله فلا يستطيع أن يحكم بقبول هذا العمل عند الله جل جلاله، ولذلك نرى الأنبياء يتوجهون إلى الله بالرجاء بقبول عملهم، فها هو سيدنا إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام يطلبان من الله جل جلاله قبول عملهما ببناء الكعبة، (وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم) البقرة:١٢٧.، وجاء في تفسير قول الله تعالى (والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون) المؤمنون:٦٠، أي يعطون العطاء وهم خائفون وجلون ألا يتقبل منهم لخوفهم أن يكونوا قد قصَّروا في القيام بشرط الإعطاء، ولقد سألت عائشة - رضي الله عنها - رسول الله - ﷺ - فقالت: يا رسول الله «الذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة» هو الذي يسرق ويزني ويشرب الخمر وهو يخاف الله عز وجل؟ قال: «لا يا بنت الصديق، ولكنه الذي يصلي ويصوم ويتصدق وهو يخاف الله عزَّ وجل». تفسير ابن كثير

إذاً العمل مرهون بحكم الله عليه بالقبول أولاً، ولذلك لم يكن من حق أي إنسان مهما بلغ شأنه أن يحكم بقبول عمله أو قبول عمل الآخرين ولقد نقل الإمام البخاري رحمه الله في الأدب أن رسول الله ﷺ قال: «ويل للمتألين من أمتي الذين يقولون فلان في الجنة وفلان في النار».

إن الأمر خطير جداً فكلمة «أن الله قد أكرمك» اعتبرها الرسول - ﷺ - تزكية وهدد من يقول فلان في الجنة أو فلان في النار، فكيف بمن يتوغل أكثر من ذلك، فيدَّعي الولاية وينسب لهذا أو ذاك أنه قطب للزمان أو غوث للزمان، بل يتجاوز ذلك كله فيطلب المدد والعون منه وهو بمكان آخر أو هو متوفى. إن إبليس عندما فضَّل نفسه على آدم فضَّل معلوماً على مجهول فكيف بمن يفضّل هذا الشيخ أو ذاك على شيخ آخر أو على جميع العلماء فيكون قد فضَّل مجهولاً على مجهول أو مجاهيل. آن لنا أن نستيقظ من هذا السبات ونضبط أقوالنا وأفعالنا بضوابط الشريعة، بضوابط الكتاب والسنة النبوية الشريفة.

ولعل سائلاً يسأل وإن شاهدنا الرجل يقوم بخوارق العادة أو بما يسمَّى الكرامات ألا يجوز أن نقول: إنه ولي وحبيب لله جل جلاله، أجيب على ذلك بقصة بلعام بن باعوراء ذلك الرجل من بني إسرائيل الذي أجرى الله على يده الكرامات وشاع ذكره ولكن الخاتمة كانت والعياذ بالله على غير الإيمان ولنقرأ قوله تعالى: (واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين. ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ذلك مثل القوم الذين كذَّبوا بآياتنا فاقصص القصص

لعلهم يتفكرون) الأعراف:١٧٥-١٧٦. إذاً وإن ظهرت خوارق العادة على يد الإنسان لا نستطيع أن نحكم أنه من أهل الجنة فلا يعلم أحد ماذا سيكون شأنه مع الله بعد قليل. ناهيك عن أن بعض الخوارق للعادة تكون بفعل السمو الروحي كما يفعل البوذيون في الهند أو ناتجة من استخدام الجن، ولقد جاء في صحيح البخاري ومسلم عن سهل قال: «إن رسول الله ﷺ لقي المشركين في بعض مغازيه فاقتتلوا فمال كل قوم إلى عسكرهم وفي المسلمين رجل لا يدع من المشركين شاذة ولا فاذة إلا اتبعها فضربها بسيفه فقيل يا رسول الله، ما أجزأ أحد كما أجزأ فلان فقال رسول الله ﷺ : إنه من أهل النار فقالوا أيُّنا من أهل الجنة إن كان هذا من أهل النار، فقال رجل من القوم لأتبعنه فإذا أسرع وأبطأ كنت معه حتى جرح فاستعجل الموت فوضع نصاب سيفه بالأرض وذبابه بين ثدييه، ثم تحامل على سيفه فقتل نفسه، فجاء الرجل إلى رسول الله ﷺ فقال أشهد أنك رسول الله، فقال وما ذاك فأخبره الخبر فقال: إن الرجل يعمل عمل أهل الجنة فيما يبدو للناس وهو من أهل النار وإن الرجل ليعمل عمل أهل النار فيما يبدو للناس وهو من أهل الجنة» وأضيف في الحديث رقم ٦٤٩٣، «وإنما الأعمال بخواتيمها».

حقاً نحن لا ننكر وجود الأولياء فلقد قال تعالى: (ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون. الذين آمنوا وكانوا يتقون) يونس: ٦٢-٦٣.

فالقرآن يحدد من هم الأولياء إذ هم الذين آمنوا وكانوا يتقون، والتقوى كما علّمنا الحبيب الأعظم هي في القلب ولا يعلم ما في القلوب إلا علاّم الغيوب. فالولي لا يعلم نفسه أنه ولي وبالتالي لا يعلم أحدٌ أن هذا أو ذاك ولي فعلم ذلك لله وحده. حتى وإن رأى إنساناً ما أن الكرامات تظهر على يده فيظل الخوف من الغد يحجب عنه حقيقة مكانته عند الله هذا الخوف الذي ملأ قلوب الأنبياء، فكانت أمنيتهم العظيمة أن يتوفاهم الله على الإسلام وهذا يتضح بقوله تعالى على لسان يوسف عليه السلام: (رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الأحاديث فاطر السموات والأرض أنت وليي في الدنيا والآخرة توفَّني مسلماً وألحقني بالصالحين) يوسف:١٠١. فأمنية يوسف عليه السلام بعد أن حقَّق الله له كل أمنياته الدنيوية أن يتوفاه الله مسلماً وأن يلحقه ولم يقل وأدخلني وشتان بين الإلحاق والإدخال وهذا شأن إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، إذ قالا: (ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التوَّاب الرحيم) البقرة:١٢٨.

لقد التبس على البعض ما جاء بحديث رواه الترمذي وابن ماجة عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إذا رأيتم الرجل يعتاد المسجد فاشهدوا له بالإيمان فإن الله عز وجل يقول: (إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر)» التوبة:١٨.

فالرسول قال «فاشهدوا» ولم يقل «فاحكموا» وشتان بين الشهادة وبين الحكم، الشهادة على ما تراه العين والحكم على قبول العمل أو عدم قبوله. حتى بالشهادة بيَّن لنا رسول الله ﷺ «كيف تصاغ وكيف يتم التلفظ بها.» فعن أبي بكرة رضي الله عنه قال: أثنى رجل على رجل عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم: «ويلك قطعت عنق صاحبك قالها مراراً ثم قال: من كان منكم مادحاً أخاه لا محالة فليقل أحسب فلاناً والله حسيبه ولا أزكي على الله أحداً أحسبه كذا وكذا إن كان يعلم ذلك منه» رواه الشيخان وأبو داود.

كما أن البعض الآخر أخذ يستنبط من حديث الرسول الذي رواه أبو داود برقم ١٠٧٨-١٠٧٩، في الجنائز عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «مروا على رسول الله ﷺ بجنازة فأثنوا عليها خيراً فقال: وجبت ثم مروا بأخرى فأثنوا عليها شراً فقال: وجبت ثم قال: إن بعضكم على بعض شهداء». أخذ يستنبط أنه إذا شهد بعض المسلمين على جنازة بالصلاح فقد وجبت لها الجنة، وغاب عن تفكيرهم الحديث الذي أوردته قبل قليل عن ذلك الرجل الذي حاز على إعجاب الصحابة وشهدوا واستقلوا عملهم بالنسبة إليه، ومع ذلك لم تنفعه شهادتهم، وكذلك ما جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «خرجنا مع النبي ﷺ إلى خيبر ففتح الله علينا فلم نغنم ذهباً ولا ورقاً. غنمنا المتاع والطعام والثياب ثم انطلقنا إلى الوادي ومع رسول الله ﷺ عبد له وهبه له رجل من جذام يدعى رفاعة بن زيد من بني الضبيب فلما نزلنا الوادي قال عبد رسول الله ﷺ يحل رحله فرمي بسهم فكان فيه حتفه فقلنا هنيئاً له الشهادة يا رسول الله، قال رسول الله ﷺ، «كلا والذي نفس محمد بيده إن الشملة لتلتهب عليه ناراً أخذها من الغنائم يوم خيبر لم تصبها المقاسم» رواه مسلم.

إذاً لم تنفع عند رسول الله شهادة الأصحاب له ومباركتهم له بالجنة فالشهادة إن وافقت قبول العمل عند الله كان من أهل الجنة، وإن لم توافق فلا جدوى منها، وهذا يبينه قوله تعالى: (وأن ليس للإنسان إلا ما سعى) النجم:٣٩. إذاً التزكية أمر منهي عنه بنص القرآن بقوله تعالى: (فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى) النجم:٣٢، وبتسميتها (أي تزكية النفس) افتراء الكذب على الله جل جلاله وبحديث الرسول لأم العلاء، والعقوبة كما بيَّن القرآن هي اسوداد الوجه يوم القيامة وإحباط عمل الفاعل كما بيَّن ذلك ﷺ بحديثه، عن جندب أن رسول الله ﷺ حدّث أن رجلاً قال: «والله لا يغفر الله لفلان وإن الله تعالى قال من ذا الذي يتألى عليّ ألا أغفر لفلان فإني قد غفرت لفلان وأحبطت عملك» رواه مسلم.

وأي أمر أخطر من ذلك على المسلمين وأي مرض أخطر من هذا المرض. وبخاصة أنه يتفاقم يوماً بعد يوم ويُرفد إما بدوافع الجهل وعدم المعرفة وتعظيم الذات، وإما بخبث الذي يريد الإجهاز على عقيدة هذه الأمة وكلا الأمرين يتطلب التيقظ والانتباه ووضع النقاط على الحروف لتتضح الرؤية أمام الجميع فلا يبقى عذر لمعتذر.

لقد كان من أبرز النتائج التي أوصلنا إليها هذا المرض استبدال سيرة الرسول - ﷺ «وأصحابه» رضي الله عنهم - والتي وصلت إلينا مدققة ومحققة وموثّقة والتي بذل رجال الإسلام الأوائل من الجهد ما لا يحيط به قلم حتى نقلوا إلينا تلك السير مطابقة للواقع ومجسّدة لتعاليم الشريعة كما أراد الله جل جلاله وبيَّن رسوله ﷺ.

ويحمل هذا الاستبدال للسير معنى آخر خطيرا هو استبدال سير من زكّاهم الله جل جلاله بسير من زكّاهم الناس، أي استبدال السير التي إن اطلع عليها المسلم وسار على نهجها كان مجسداً لأحكام الشريعة ومطبقاً لأوامر الله جل شأنه، بالسير التي إن اعتقد المسلم بأن أعمال صاحبها مقبولة عند الله كان مخالفاً لأحكام الشريعة مبتعداً عنها.

إنه الاستبدال للقضاء على العقيدة. إنه الاستبدال لإبعاد المسلمين عن الطريق الصحيح والنهج القويم. كيف لا وقد أصبح آلاف المسلمين يحجون إلى قبور من نصبوهم أحباباً لله لقضاء حوائجهم وللاستغاثة بمن لا يصح أن نقول: إنه من أهل الجنة وإن كنا نرجو له ذلك، بل استبدلت الاستغاثة والاستعانة بالله، بالاستغاثة والاستعانة بهذا أو ذاك فعطلوا قوله تعالى الذي نتلوه في كل ركعة من سورة الفاتحة (إيَّاك نعبد وإيَّاك نستعين).

إن فهم هذا الحكم الشرعي ومعرفة أن التزكية أمر منهي عنه، وأنه لا يحكم على قبول عمل أحد إلا الله وحده وأن مقولات قطب الزمان وغوث الزمان، وأركان الدولة الباطنية مقولات لا أساس لها في شريعتنا، وأنه لا تسميات جديدة في الشريعة بعد انقطاع الوحي بوفاة الرسول ﷺ، نسأل الله أن يعيد هذه الأمة إلى جادة الصواب، وإلى الطريق المستقيم، وأسأل الله أن يتجلى علينا بالهداية والسداد إنه سميع مجيب. ■

فقــه

بقلم: د.مصطفى رجب

فقــه الاستعــاذة

إن الإيمــان بــوجــود الجــن والشيــاطين كمـا أخبـر القرآن الكريم جزء من عقيدة المسلم، لايـتـم إيمانـه إلا بـه، وإذا آمن المسلم بهذه الحقيقة وجب عليه ألا يغفل عن آداب الإسلام وأحكامه في مجال التعامل مع هــذه المخلـوقــات، وذلـك أن تـلـك الآداب تستهدف في النهاية تحقيق مصلحة المسلم قطعاً قـال جل شأنه (فإذا قرأت القرآن فـاسـتـعـذ بـالـلـه مـن الـشيـطـان الرجيم) النحل:٩٨.

قال الإمام الشوكاني رحمه الله «ظاهر الآية جعل الاستعاذة عقب القراءة وبه قال الظاهرية، والجمهور على أن ذلك على حد قوله سبحانه وتعالى: (يأيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم...) المائدة:٦، وقوله جل جلاله: (يـأيـهـا الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة ذلك خير لكم وأطهر فإن لم تجدوا فإن الله غفور رحيم) المجادلة:١٢.

ويقصد الشوكاني بذلك أن الاستعاذة تكون قبل القراءة كما أن الوضوء يكون قبل الصلاة وتقديم الصدقة يكون قبل المناجاة وذلك خلافاً لما ذهب إليه الظاهرية لأن المصلحة في الاستعاذة وهي دفع وسوسة الشيطان تقتضي الإتيان بها قبل الشروع في القراءة.

وكيفية الاستعاذة أن يقول «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم» عند الجمهور، وكيفيتها عند الحنابلة أن يقول «أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم».

والأمر في هذه الآية يفيد الندب عند الجمهور أي أن الاستعاذة سنة مندوب فعلها، وذهب الإمام الثوري إلى أنها واجبة لأن الأمر في ظاهر الآية يفيد الوجوب.

الاستعاذة في المذاهب الفقهية:

وقد اختلف الفقهاء في حكم الاستعاذة في الصلاة ويرجع اختلافهم في هذا الحكم إلى اختلافهم فيما إذا كانت الصلاة عملاً واحداً أم أكثر من عمل.

فقال الأحناف: التعوذ سنة وهو أن يقول: «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم»، بعد تكبيرة الإحرام، والثناء «عند الأحناف أن يقول المسلم بعد تكبيرة الإحرام سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك».

ولا يأتي المصلي بالتعوذ عندهم إلا في الركعة الأولى سواء أكان إماماً أم مأموماً، إلا إذا أتى المصلي بعد أن شرع الإمام في القراءة، ففي هذه الحالة يقول الأحناف أن التعوذ سقط عنه لأن القراءة بدأت قبل أن يدخل في الصلاة بل إنهم ينهون عنها في هذه الحالة.

وقال الشافعية: التعوذ سنة في كل ركعة من الركعات ولكنه في الركعة الأولى يأتي عندهم بعد دعاء الافتتاح الذي يقولونه بعد تكبيرة الإحرام وهو (وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفاً مسلماً وما أنا من المشركين إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين).

وصيغته كما قلنا عند الأحناف إلا أن بعض الشافعية رأى إضافة السميع العليم، وقال: إنها سنة، متفقين في ذلك مع الحنابلة.

وقال الحنابلة: إن التعوذ سنة في الركعة الأولى وهو أن يقول: أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم.

أما المالكية فقد ذهبوا إلى أن التعوذ مكروه في صلاة الفرض سواء أكان سراً أو جهراً أما في صلاة النافلة فيجوز التعوذ سراً ويكره جهراً، ويستند الذين لا يرون وجوبها إلى أن الرسول ﷺ لم يعلمها للرجل الأعرابي الذي أساء صلاته فعلمه النبي ﷺ كيف يصلي فلم يذكر له الاستعاذة وكما روي أيضاً أنه ﷺ تركها روي عنه أنه أتى بها، ومن هنا اختلفت أحكام الفقهاء.

والذي ينصح به ضرورة أن يأتي بها المصلي في الركعة الأولى وإن أتى بها في باقي الركعات يكون أفضل له بشرط أن تكون سراً لا جهراً.

وتسن الاستعاذة أيضاً عند دخول دورات المياه فقد صح عن النبي ﷺ أنه أمر بذلك، وصيغته أن يقول الداخل «بسم الله، اللهم إني أعوذ بك من الخبث والخبائث» (والخبث بضم الباء والخاء معاً جمع خبيث وهو ذكر الشياطين والخبائث جمع خبيثة وهي الأنثى).

وقيل: الخبث بتسكين الباء بمعنى المصدر وهو ضعيف في رأينا لأن عطف جمع المؤنث أولى به أن يكون على جمع المذكر إذ لو اكتفى بالمصدر لما أصبح هناك ضرورة للإتيان بأفراد من جنس الخبث.

مم يستعيذ الإنسان؟

والأحوال التي يستعيذ فيها الإنسان بالله سبحانه وتعالى ويلجأ إليه كثيرة، نأخذ لها أمثلة مما ورد في القرآن الكريم:

١ ـ الاستعاذة عند مواجهة التكبر:

إذا تعرض الإنسان لضغوط أكبر من طاقته فإنه يلجأ إلى الخلاق الأعظم جل شأنه فهو أكبر من كل كبير، وأعظم من كل عظيم، وقدرته سبحانه وتعالى لا تدانيها قدرة.

وفي قصة مؤمن آل فرعون نرى أثر هذه الاستعاذة، حيث تمرد فرعون وجنوده على رسول الله موسى ﷺ لما جاءهم بالحق قال تعالى: (فلما جاءهم بالحق من عندنا قالوا اقتلوا أبناء الذين آمنوا معه واستحيوا نساءهم وما كيد الكافرين إلا في ضلال. وقال فرعون ذروني أقتل موسى وليدع ربه إني أخاف أن يبدل دينكم أو أن يظهر في الأرض الفساد) غافر:٢٥ـ٢٦.

وهنا بغلت الأزمة ذروتها، فها هي ذي أوامر الطاغوت قد صدرت بالقتل، وإزهاق الأرواح، فكان لابد من الاستعانة والاستعاذة بمن لا تأخذه سنة ولا نوم. (وقال موسى إني عذت بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب» غافر:٢٧.

قال الإمام الزمخشري: «لما سمع موسى عليه السلام بما أجراه فرعون من حديث قتله قال لقومه (إني عذت) بالله الذي هو ربي وربكم وقوله: (وربكم) فيه بعث لهم ـ أي حث وتشجيع وحفز ـ على أن يقتدوا به فيعوذوا بالله عياذه، ويعتصموا بالتوكل عليه اعتصامه، وقال: (من كل متكبر) لتشمل استعاذته فرعون وغيره من الجبابرة.

وقد احتوت سورة غافر نفسها على موطن آخر يظهر فيه أثر الاستعاذة عند الشدة حيث يقول تعالى: (إن الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم إن في صدورهم إلا كبر ما هم ببالغيه فاستعذ بالله إنه هو السميع البصير) غافر:٥٦.

وقد نزلت هذه الآية في أعداء الدعوة في كل زمان ومكان، قال الإمام أبو السعود في تفسيره: «وتقييد المجادلة بذلك ـ يعني بوجود السلطان ـ مع استحالة إتيانه للإيذان بأن المتكلم في أمر الدين لابد من استناده إلى سلطان مبين ألبتة. وهذا عام لكل مجادل مبطل وإن نزل في مشركي مكة» ونحن نستشعر هنا عظمة هذا الرأي للإمام أبي السعود إزاء ما تواجهنا به الآن وسائل الإعلام القميئة في عصرنا هذا من دعاوى باطلة لأناس لا سلطان لديهم في دين الله، ولا مصداقية لأقوالهم، ومع ذلك نراهم يطلعون علينا ليل نهار بإفكهم وأكاذيبهم وافتراءاتهم. وصدق فيهم قول الله تعالى في هذه الآية :(... إن في صدورهم إلا كبر ما هم ببالغيه...)، وقوله تعالى في نهاية الآية: (... فاستعذ بالله إنه هو السميع البصير)، أي فالتجئ إليه من كيد من يحسدك ويبغي عليك. وقال آخرون إنها نزلت في اليهود، ولا يختلف الأمر في شيء، فالاستعاذة واجبة في كل موقف مشابه يواجه فيه الإنسان شدة أو يخشى بطشاً أو كيداً من باغ أو حاسد.

٢ ـ الاستعاذة من الجهل:

وقد استعاذ الأنبياء من الجهل، وللجهل في لغة العرب معنيان الأول: بمعنى الظلم كما في قول الشاعر:

ألا لا يجهلن أحد علينا
فنجهل فوق جهل الجاهلينا

وهو غير المراد هنا، والثاني: ضد العلم، بمعنى الحماقة وسوء التدبير، فعندما أمر الله تعالى بني إسرائيل على لسان موسى ـ عليه السلام ـ أن يذبحوا بقرة استنكروا ذلك وخيل إليهم أنه يستهزئ بهم فاستعاذ موسى ـ عليه السلام ـ بربه من أن يكون من الجاهلين، فذلك حيث يقول جل شأنه (وإذ قال موسى لقومه إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة قالوا أتتخذنا هزواً قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين) البقرة:٦٧.

ولما طلب نبي الله نوح ـ ﷺ ـ من ربه أن ينجي ابنه من الغرق لأنه من أهله كما تراءى له، أبان له الحق جل وعلا أن العلاقة بين الناس هي علاقة العقيدة الصحيحة، ومادام هذا الابن العاق قد كفر فهو ليس ـ في الحقيقة ـ ابناً لنوح، فذلك حيث يقول سبحانه وتعالى: (قال يا نوح إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح فلا تسألني ما ليس لك به علم إني أعظك أن تكون من الجاهلين. قال رب إني أعوذ بك أن أسألك ما ليس لي به علم وإلا تغفر لي وترحمني أكن من الخاسرين) هود:٤٦ـ٤٧. وفي هذه الآية درس عظيم لكل من تسول له نفسه أن يتدخل فيما لا يفقهه. فيجب عليه إذا فعل هذا على سبيل الخطأ وأفتى فيما لا يعلم أن يستعيذ به ويتوب إليه.

٣ ـ الاستعاذة عند الشدة:

وإذا وقع الإنسان في ضيق وشدة فإن عليه أن يلجأ إلى الله عائذاً لائذاً ليفرج عنه ما هو فيه كما حدث مع السيدة مريم عندما انتبذت من أهلها مكاناً قصياً واتخذت من دونهم حجاباً ثم فوجئت بمن يقتحم عليها خلوتها فصرخت: (قالت إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقياً) مريم:١٨، أي: إنني ألجأ إلى الله لائذة به مستنجدة بقدرته. فإن كنت ذا تقى وإيمان بالله فإنه ملجئي وملاذي، فطمأنها الملك إلى أنه رسول من عند الله ليبشرها بآية من آيات الله على نحو ما حكت الآيات بعد ذلك.

٤ ـ الاستعاذة من الظلم:

كما أن على الإنسان إذا خاف ظلماً يقع عليه أو يقع منه أن يفزع إلى ربه كما فعل سيدنا يوسف ﷺ، حين طلبت إليه امرأة العزيز أن يفعل الفاحشة فاستعظم هذه الفعلة الشنعاء (... قال معاذ الله إنه ربي أحسن مثواي إنه لا يفلح الظالمون) يوسف:٢٣.

وتكرر هذا الموقف مع يوسف نفسه في السورة نفسها حين عرض عليه أخوته أن يأخذ أحدهم مكان أخيه الذي اتهم بسرقة سقاء الملك وكان إخوته قد آتوا أباهم موثقاً أن يعودوا بأخيهم معهم، فلما عرضوا أن يتركوا أحدهم مكانه على سيدنا يوسف (قال معاذ الله أن نأخذ إلا من وجدنا متاعنا عنده إنا إذاً لظالمون) يوسف:٧٩.

آثار الاستعاذة في حياة المسلم:

لا شك في أن مراعاة الاستعاذة فوائد منها:

١ ـ ثواب العمل بكتاب الله الكريم حيث وردت فيه صيغة الأمر السابقة، وورد أيضاً قوله تعالى: (وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين. وأعوذ بك رب أن يحضرون) المؤمنون:٩٧ـ٩٨.

٢ ـ ثواب العمل بالسنة، فقد كان الرسول ﷺ يتعوذ بقوله: «أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق» إلى جانب الصيغة السابقة المعهودة.

٣ ـ محاربة الشيطان الذي أمرنا الله سبحانه وتعالى أن نتخذه عدواً، ذلك الشيطان أقسم بعزة الله على أنه لا ينفك يغوي بني آدم إلا المخلصين منهم.

٤ ـ النجاة من شر الجن الكفرة والشياطين وأذاهم.

٥ ـ تحصيل ثواب الذكر لأن الاستعاذة تعتبر من ذكر الله.

فما أجدر المسلمين ألا يهملوا هذه الفضيلة العظيمة كما هو واقع الآن. ■

بقلم: أحمد محمد بكر موسى

في محاولاته لتأليب الغرب على غيره وبخاصة الإسلام، في مؤلفه صدام الحضارات، يبني هانتنغتون استنتاجاته وتوقعاته للمستقبل على افتراضات يعتبرها صحيحة، ولكنها في الواقع خاطئة، وليس الواقع هو الذي يحكم بخطأ تلك الافتراضات فقط، وإنما هو الذي سيحكم بنفسه بخطأ تلك الافتراضات، ولكن في مواضع تالية من الكتاب ظاناً أن القارئ قد نسي ما كان أولاً، واسمحوا لي أن أتناول بعض هذه الافتراضات التي بنى عليها هانتنغتون أطروحته. والتي مرت على المعلقين. على هذه النظرية دون أن يتنبهوا إليها.

هانتنغتون والافتراضات الخاطئة ! !

أهم هذه الافتراضات هو الإخلاص، فقد افترض الإخلاص في قيادات الحضارات غير الغربية وافترض فيها أنها تسعى لصالح حضاراتها وثقافاتها ولم يفرق في هذا الإخلاص المفترض بين القادة والشعوب، فإذا نظرنا إلى الحضارة الإسلامية مثلاً. ولو سلمنا لهانتنغتون بالإخلاص المفترض للشعوب الإسلامية فإننا لا نسلم له بالإخلاص المفترض في قيادات العالم الإسلامي، وسنرى هانتنغتون وهو يفترض الإخلاص في قيادات العالم الإسلامي ونراه أيضاً وهو يحكم بخطأ هذا الافتراض بنفسه. يقول هانتنغتون: «السياسة الكونية يعاد تكشيلها الآن على امتداد الخطوط الثقافية، مدفوعة بالتحديث. والشعوب ذات الثقافات المتشابهة تتقارب، والشعوب والدول ذات الثقافات المختلفة تتباعد. فالانحيازات التي تعتمد على الأيديولوجية والعلاقات مع الدول الكبرى تفسح الطريق لتلك التي تعتمد على الثقافة والحضارة. والحدود السياسية يعاد رسمها لكي تتوافق مع الحدود الثقافية: «العرقية والدينية والحضارية». كما أن المجتمعات الثقافية عنده تحل محل تكتلات الحرب الباردة، وخطوط التقسيم بين الحضارات تصبح هي خطوط الصراع الرئيسة في السياسة العالمية... في العالم الجديد، أصبحت الهوية الثقافية هي العامل الرئيس في تحديد صدامات دولة ما بدولة أخرى عدوتها.(١) انظر كيف افترض الإخلاص في الشعوب وأغفل احتمال تعرضها لوعي زائف - وذلك مثلما أحدثه ويحدثه الإعلام العلماني بالشعوب الإسلامية - انظر كيف افترض الإخلاص في القادة وأغفل احتمال دكتاتوريتها ومصلحتها وخيانتها لحضارة أوطانها. وسنعرض لحال كل من تركيا والعراق كمثالين من الحضارة الإسلامية، وذلك للتدليل على أن افتراض الإخلاص هو خطأ فادح:

تركيا :

«أفاض هانتنغتون في ذكر تركيا واعتبر اتجاهاتها دليلاً على صحة نظريته، وأنها تسعى لصالح حضارتها الإسلامية، واستدل على ذلك بالدعم الذي قدمته تركيا إلى كل من البوسنة وأذربيجان والجمهوريات الإسلامية المستقلة عن الاتحاد السوفييتي واعتبر ذلك انحيازاً حضارياً».(٢) والواقع ينفي هذا الإخلاص، فمساعدة تركيا للبوسنة موجهة إلى اليونان التي على خلاف دائم مع تركيا حول بحر إيجة وقبرص والتوازن العسكري. ومساعدة أذربيجان والجمهوريات الإسلامية تهدف به تركيا أول ما تهدف إلى كسب رضا حلف شمال الأطلنطي، وفتح مجالات جديدة لها أيضاً بعد رفضها من الاتحاد الأوروبي، وهذا ما يؤكده هانتنغتون بنفسه في مواضع كثيرة من مؤلفه. ولو افترضنا أن تركيا مخلصة حقاً في انحيازها للحضارة الإسلامية، فبماذا نفسّر التحالف القائم بينها وبين إسرائيل والذي يقوله هانتنغتون أنه أثار انتقادات الإسلاميين الأتراك، فهل توقف هذا التحالف؟ كلا إنه قائم وفي تطور مستمر متزايد. فكيف يقول هانتنغتون «إن الشعوب ذات الثقافات المتشابه تتقارب، والشعوب ذات الثقافات المختلفة تتباعد»، وبماذا يفسر استماتة تركيا ومحاولاتها المستمرة للانضمام إلى الاتحاد الأوروبي؟، وهل بينها وبين دول الاتحاد الأوروبي علاقات ثقافية؟! وماذا يقول هانتنغتون: «في عالم ما بعد الحرب الباردة أصبحت الدول تحدد مصالحها على أسس حضارية تتعاون وتتحالف مع دول ذات ثقافة مشتركة؟، وغالباً ما تكون في حالة صراع مع دول تنتمي لثقافات مختلفة».(٣)

العـراق :

يقول هانتنغتون: «إن الشعوب ورجال الدولة

لا يتوقعون تهديداً محتملاً من شعوب يشعرون أنهم يفهمونها ويثقون بها بسبب اللغة أو الدين أو القيم أو المؤسسات أو الثقافة المشتركة، إنهم يتوقعون التهديد بدرجة أكبر من دول مختلفة عنهم ثقافياً»(٤).

فبماذا يفسر هانتنغتون ما فعله صدام بالكويت؟، أليس الشعب الكويتي يشترك مع الشعب العراقي في كل ما ذكره هانتنغتون، أضف إليه الأصل القومي والتاريخ المشترك وغيرهما؟! وإذا افترضنا الإخلاص في الشعب العراقي حيال حضارته ـ واعتقد ذلك ـ فهل صدام مخلص لحضارته أيضاً!؟ وهل استطاع الشعب العراقي الوصول إلى هذا الطاغية حتى يخلو له الطريق للعمل لصالح حضارته الإسلامية؟، انظر كم يستخف هانتنغتون بعقولنا عندما يريد أن يقنعنا أن الطريق ممهد أمام الشعوب للعمل لصالح حضاراتها وأديانها.

هانتنغتون يناقض نفسه :

ليس الواقع فحسب هو الذي يحكم بخطأ افتراضات هانتنغتون، ولكن هانتنغتون نفسه يحكم بذلك، انظر ماذا يقول: «إن الحكومات الموالية للغرب في الدول العربية وتركيا تسقط الواحدة بعد الأخرى بفعل الحركات الإسلامية».(٥)، هذه العبارة وإن كان هانتنغتون يسوقها من خلال سيناريو لحرب كونية يتخيلها، إلا أن هذه الحرب الخيالية يبنيها على حقائق واقعية حالية ومن بين هذه الحقائق أن هناك حكومات عربية موالية للغرب، وذلك بالإضافة إلى تركيا، ولكن هل لنا أن نتساءل في أي موضوع من الكتاب يعترف هانتنغتون بفقدان الإخلاص للحضارة الإسلامية لدى تلك الحكومات؟! إنه يعترف بذلك في السطور الأخيرة من الفصل الأخير في الكتاب «الفصل الثاني عشر»، إنه يراوغ من أجل أن يقنع المتلقي بنظريته، وهذا نوع من الاستخفاف بعقل القارئ.

واستخفاف هانتنغتون بعقل القارئ، لايقف عند حد بناء لنظريته على افتراضات يحكم بخطئها الواقع ويحكم هو نفسه بخطئها ـ لم يقف استخفافه بعقل القارئ إلى هذا الحد ـ وإنما تعداه إلى التضليل المتعمد للقارئ وذلك عن طريق ذكره لما يؤيد نظريته، وإغفاله عمداً لما يتعارض مع هذه النظرية، وذلك ما يتضح من خلال التالي:

يقول هانتنغتون: «إن المنظمات الدولية التي تعتمد على دول بينها عناصر ثقافية مشتركة مثل الاتحاد الأوروبي، أكثر نجاحاً من تلك التي تحاول أن تتجاوز الثقافات».(٦)



فهو يذكر الاتحاد الأوروبي الناجح لأنه يؤيد نظريته، في حين يغفل عمداً ذكر المنظمات الفاشلة التي تقوّض نظريته، ومن أمثلة هذه المنظمات جامعة الدول العربية، تلك الجامعة التي تملك من العوامل المشتركة بين أعضائها ما لا تملكه أي منظمة عالمية أو دولية أخرى، فماذا عن هذه الجامعة؟ ـ ومعذرة إذا كان الاسم على غير المسمى، ولكن هكذا يَدْعُونَها ـ وإلى أين تسير؟!.

إننا كعرب، وكأمة عربية انتهينا إلى ألا نعرف شيئاً سوى الاختلاف والفرقة، شيء واحد نتفق عليه هو ألا نتفق، وهذا أمر مؤسف جداً، عد إلى إضبارات القرارات التي صدرت عن جامعة الدول العربية بجميع منظماتها، حتى الصادرة عن القمم العربية، تجد ألا شيء طبق منها سوى طباعتها على الورق. «فنحن ننتمي إلى أمة تحكمها النزاعات الإقليمية، والنظرات الخاصة بكل دولة على حدة، ولا أجد لذلك أي أمل لتطبيق ما يتفق عليه حتى في القمم العربية».(٧) وبالطبع يغفل هانتنغتون ذكر الجامعة العربية وغيرها من المنظمات المتعثرة والتي تجمعها روابط ثقافية لأنها لا تؤيد نظريته، ألا ترون أن هذا نوع من التضليل؟!.

لقد اعتاد الناس التعظيم، فهم عندما يسمعون أن هذا الكاتب بارع، أو أن هذا الكتاب قيّم، حينئذ يبدؤون في تعظيم هذا الكاتب أو هذا الكتاب ويعتبرون أن كل ما يصدر عن هذا الكاتب، أو كل الموجود في هذا الكتاب هو حق وصدق. أعزائي: إن كتاب صدام الحضارات به من الأخطاء والمتناقضات الكثير الكثير، ولكننا اعتدنا التعظيم.

أخي القارئ: أدعوك أن تنحي شهرة هانتنغتون الطاغية جانباً، وتقرأ معي الفقرة التالية من كتابه: «للقدرة العسكرية أبعاد أربعة:

ـ بعد كمي: عدد الأفراد والأسلحة والمعدات والمصادر.

ـ بعد تكنولوجي: فاعلية وتعقد الأسلحة والمعدات.

ـ بعد تنظيمي: التماسك والانضباط والتدريب ومعنويات القوات وفاعلية علاقات القيادة والسيطرة.

بعد مجتمعي: القدرة والاستعداد لدى المجتمع لاستخدام القوة العسكرية بكفاءة.

في العشرينات، كان الغرب سابقاً الجميع في كل تلك الأبعاد. في السنوات التالية لذلك، إنهارت قوة الغرب العسكرية بالنسبة لتلك الحضارات الأخرى، وهو انهيار يتضح من الميزان المتغاير في عدد العسكريين، أحد المقاييس رغم أنه ليس أهمها لقياس القدرة العسكرية».(٨)

انظر كيف تجاهل البعد التكنولوجي والبعد التنظيمي والبعد المجتمعي وجميع عناصر البعد الكمي، وأمسك بعنصر عدد الأفراد وعلل به زعمه انهيار قوة الغرب العسكرية، يتجاهل أسلحة التدمير الشامل، النووية والبيولوجية والكيمياوية وتجاهل أيضاً الطائرات والصواريخ الموجهة وغيرها، ويتحدث عن عدد الأفراد، يا له من منطق عجيب!! منطق لا يقره أي عاقل، وإن كان الأمر كذلك فبماذا يفسّر العالم الكبير بقاء الشرذمة القليلة «المسماة إسرائيل» وسط العالم العربي والإسلامي، وعموماً فإننا لن نقتنع بهذا الكلام إلا إذا ضمن لنا هانتنغتون قصر أدوات الحرب على السيف والرمح فقط لا غير!!. ■

المراجـع :

١ ـ صامويل هانتنغتون ـ صدام الحضارات ـ دار سطور ـ القاهرة ـ ط٢ ١٩٩٩م، ص ٢٠٣.
٢ ـ المصدر نفسه ص ٢٤٣.
٣ ـ المصدر نفسه ص ٥٧.
٤ ـ المصدر نفسه ص ٥٧.
٥ ـ المصدر نفسه ص ٥٠٨.
٦ ـ المصدر نفسه ص ٤٧.
٧ ـ يوسف الجاسم ـ مجلة الكويت ـ عدد ١٩٢ ـ أكتوبر ١٩٩٩م ـ ص ١٨.
٨ ـ صامويل هانتنغتون ـ المرجع السابق ـ ص ١٤٥.

بقلم: عبدالله بدران

أهداف الأخبار في الإعلام الإسلامي

أدرك العاملون في الإعلام الإسلامي ما للخبر من أهمية ومكانة، وتيقنوا من تأثيره الفاعل ودوره الكبير في توجيه الرأي العام، وإمداد المجتمع بالمعرفة، وتزويده بالمعلومات الضرورية، ونشر الأفكار والمعتقدات، وعرض الصورة السليمة الواضحة للدين الحنيف، والذود عن عقيدته، والدفاع عن تعاليمه ومنهجه، والإسهام في عملية التربية والتنمية والإرشاد.

وفي ضوء هذا الاهتمام والإدراك اجتهد هؤلاء وأعملوا فكرهم للتوصل إلى معرفة الأهداف التي أراد البيان الإلهي تحقيقها من الأخبار الواردة فيه، كما درسوا بعناية شديدة الأخبار الواردة في السنّة النبوية الشريفة، وتأملوا كثيراً في مقاصد الشريعة الإسلامية من خلال القواعد الأصولية التي وردت عن علماء السلف الصالح.

ولم يغفل الإعلام الإسلامي دراسة الأهداف المبتغاة من نشر الأخبار في الإعلام الغربي والإعلام الشيوعي، لا بهدف وضع البدائل الإسلامية لها، وإحلال مصطلحات إسلامية بدلاً من مصطلحاتها، ولا بهدف التقليد الأعمى لها، بل من أجل إدراك النتائج المترتبة على هذه الأهداف، والتوصل إلى معرفة التأثيرات التي تحدثها.

ويعرّف الخبر في الإعلام الإسلامي:

«بأنه تزويد الجماهير بالحقائق الموضوعية المتعلقة بالأمور المهمة والضرورية وغير المعروفة مسبقاً بهدف الإفادة الدينية والدنيوية، وذلك باستعمال مختلف وسائل الإعلام الحديثة المتطورة والمناسبة».(١)

أو هو من وجهة نظر أخرى:

«المعلومات الدقيقة والصادقة التي تصف أو تشرح واقعة جرت وتهم فئة من الفئات أو جماعة من الجماعات التي تعرفها للمرة الأولى».(٢)

وقد وضع الإعلام الإسلامي أهدافاً عدة للخبر الصحفي منها:

١ - الذود عن الدين والنفس والمجتمع الإسلامي:

كثيراً ما يتعرض أعداء الإسلام لتعاليم هذا الدين الحنيف، ويهاجمون منهجه في الدعوة إلى الحق واتباع الصراط المستقيم، ويحاولون تشويه صورته، وتحريف عقيدته، وإبراز جماعات متطرفة على أنها الوجه الحقيقي للإسلام.

وليس هذا الأمر بجديد، فمنذ انطلاقة الدعوة الإسلامية، توجهت قريش إلى كيل التهم المختلفة إلى نبي الإنسانية، فوصفته تارة بأنه شاعر، وأخرى بالمجنون، وأحياناً بالكاهن.

قال تعالى: (فذكّر فما أنت بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون. أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون) الطور:٢٩-٣٠.

كما حوربت النفس المسلمة، واتهمت بالسلبية والانهزامية والتخلف، واتهمت من جهة أخرى بحبها لسفك الدماء، وشغفها بالذبح والقتل والنساء. ووُصف المجتمع الإسلام بالتخلف والأمية والجهل، واتهم بالابتعاد عن روح العصر والتقوقع على الموروث الثقافي القديم، والعيش في قمقم العادات والتقاليد البالية، وإلزام أفراده بأمور تحد من انطلاقتهم نحو الإبداع والابتكار، وتقف حجر عثرة أمام اللحاق بالأمم المتقدمة.

ومن هنا لزم الذود والدفاع عن هذه الاتهامات، وتوجيه الرد السليم المفحم لها، المدعم بالبراهين والأدلة الدامغة. ويمكن استنتاج «ذلك مما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم من استخدامه الخطب والشعر للذود عن الإسلام، ولبثّ الحماسة في نفوس المسلمين، وللرد على هجمات

الخصوم الكلامية، وفي القضاء على الإشاعات والفتن»(٣).

٢ - تحقيق التعارف بين الناس:

إن نشر الأخبار العامة عن شؤون المسلمين وأمور حياتهم، يسهم في تحقيق معرفة بعضهم بعضاً، وتمتين أواصر العلاقات فيما بينهم، وزيادة تلاحمهم وتماسكهم، إضافة إلى خدمة المجتمع الإسلامي «بالمساهمة في عملية تنظيم العلاقات بين أفراده، وحفظ حقوقهم، كما هو الحال في نشر أخبار الزواج والولادة، واشتراط الشهود في عقود النكاح والبيوع وكتابة الوصية».(٤)

٣ - العظة والاعتبار:

حملت أخبار القرآن الكريم والأحاديث النبوية عن الأقوام السابقة عبراً وعظات جلّى، كان هدفها الأساسي تقديم صورة للمسلمين عما جرى للأقوام السابقة الذين أضاءت نفوسهم أنوار الحق والهداية، وتبيان الخاتمة السيئة لمن أعرضوا عن درب الهدى، وتنكبوا طريق الغواية والضلال، ونبذوا تعاليم رسلهم وراء ظهورهم، وتنكروا للنعم والهبات التي حباهم إياها الباري عز وجل.

وتفيد تلك العبر والعظات في انتهاج المسلمين طريقاً قويماً «لفهم التاريخ فهماً صحيحاً يؤدي استثماره في الأمة الإسلامية إلى العزة والسؤدد، باعتباره بياناً شافياً عن مسيرة موكب الإيمان، ذلك أن بناء مستقبل مشرق عزيز يتطلب فهماً سليماً للماضي، إذ هو مادة الحاضر وأساس المستقبل»(٥).

ولقد أوضح البيان الإلهي ذلك بالقول:

(لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب ما كان حديثاً يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون) يوسف:١١١.

وقوله تعالى: (أوَ لم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أشد منهم قوة وأثاروا الأرض وعمروها أكثر مما عمروها وجاءتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) الروم:٩.

وبما أن العبرة قد تحصل «دون نشر الأسماء، فالاتجاه العام «في الإعلام الإسلامي» هو عدم نشر الأسماء إلا في بعض الحالات التي تقتضي فيها المصلحة العامة التصريح بأسماء الأشخاص أو المؤسسات».(٦)

٤ - حماية المجتمع من الأخطار:

يتعرض المجتمع الإسلامي لأخطار كثيرة، بعضها داخلي والآخر خارجي. ولا ريب في أن الأخطار الداخلية أكثر ضرراً وأشد تأثيراً، فهي تنخر في البناء الداخلي للمجتمع شيئاً فشيئاً حتى تؤدي إلى تآكله وانهياره، كما أن أصحاب هذا الهدم قد يكونون بمنأى عن تسليط الأضواء عليهم، إذ ينشغل الناس عادة بالحديث عن مؤامرات خارجية وفتن واتهامات آتية من خارج حدود المجتمع.

لذا كان لزاماً على الإعلام الإسلامي أن ينشر الأخبار التي تحمي المجتمع من أعدائه الداخليين والخارجيين، وكشف مؤامراتهم، وفضح أعمالهم، ووقفهم عن التمادي في بث الفتن ونشر الاضطرابات.

كما أخذ الإعلام الإسلامي منحى خاصاً في تعامله مع المتسببين في انهيار النسيج الداخلي للمجتمع الإسلامي، أو الباثين أفكاراً تشكك في العقيدة، أو العاملين في مراكز عامة عندما يخونون الأمانة الموكلة إليهم، ويتسببون في ضياع أموال الأمة، وإهدار حقوقها.

ويمكن إدراك ذلك «من الحالات الاستثنائية التي يسمح فيها الإسلام بالغيبة والتشهير. ومن تلك الحالات حالة المطالبة بالحقوق والاستعانة على تغيير المنكر، وبذل النصح لطالب المشورة، ومن هذه الحالات تحذير المسلمين، مثل كشف ضعف رواة الحديث، والشهود، وكشف عيوب الصهر والشريك والأجير، ومن هذه الحالات، أيضاً كون المخالف للقانون إنساناً مجاهراً بمخالفته ولا سيما إذا كان يقوم بوظيفة عامة، وفي حالة كون الإنسان لا يعرف إلا بلقب، كالأعمش والأعمى».(٧)

لقد وضعت هذه الأهداف من أجل بناء الإنسان المسلم بناء عقدياً سليماً، وتحقيق أواصر التلاحم والترابط بين أبناء المجتمع الواحد، وإشاعة الأمن والسلام والطمأنينة والرخاء، واطلاع المجتمعات الأخرى على حقيقة رسالة الإسلام، وهديه في جميع الأمور. ■

الهوامش:

١ - عبدالوهاب كحيل: الأسس العلمية والتطبيقية للإعلام الإسلامي، عالم الكتب - مصر، ١٩٨٦م، ص ١١٧.

٢ - كرم شبلي: الخبر الصحفي وضوابطه الإسلامية، دار الشروق، جدة، ١٩٨٤م، ص ٥١.

٣ - سعيد إسماعيل صيني: مدخل إلى الإعلام الإسلامي، دار الحقيقة لإعلام الدولي، القاهرة، ١٩٩١م، ص ٢٢٤.

٤ - المرجع نفسه، ص ٢٢١.

٥ - سيد محمد ساداتي الشنقيطي: أصول الإعلام الإعلامي وأسسه، عالم الكتب، الرياض، ١٩٨٦م، ٢/ ١٥٠.

٦ - سعيد صيني: ص٢٢٢.

٧ - المرجع نفسه، ص ٢٢٢.

بقلم: محمد نور سويد

دفاع عن السنة النبوية

2/1

هل يجوز إنكار حديث نبوي لمخالفته للعقل ؟!

لايوجد دين أو مبدأ أعطى العقل دوره مثل الإسلام، ولا يوجد كتاب خاطب العقل مثل القرآن، ولا يوجد رجل أو نبي أو رسول حض على استخدام العقل مثل سيدنا محمد ﷺ، الرجل الأمي، والأدلة كثيرة جداً.

إذ يكفي أن تعلم الإحصائية التالية التي قمت بها على الحاسب الآلي لترى الحقيقة الناصعة التي نطق به القرآن:

وردت كلمة العلم ومشتقاتها في القرآن ٨٥٤ مرة.

وردت كلمة الألباب ومشتقاتها في القرآن ١٦ مرة.

وردت كلمة التفكر ومشتقاتها في القرآن ١٨ مرة.

وردت كلمة قرأ ومشتقاتها في القرآن ٨٨ مرة.

وردت كلمة يتدبر ومشتقاتها في القرآن ٤٤ مرة.

وردت كلمة يتذكر ومشتقاتها في القرآن ٢٩٢ مرة.

وردت كلمة يعقل ومشتقاتها في القرآن ٤٩ مرة.

وردت كلمة ينظر ومشتقاتها في القرآن ١٢٩ مرة.

وردت كلمة يبصر ومشتقاتها في القرآن ١٤٨ مرة.

وأنت تعلم أن مناط التكليف هو العقل، فمن فقد عقله سقط عنه التكليف.

ودور العقل هو البحث في الموجود، والتأكد من صحة الماضي والاعتبار به، والاستعداد للحاضر والمستقبل.

ودور العقل في الفقه الإسلامي مفتوح من أوسع أبوابه، وهذا يعرفه القاصي والداني، فمكانة العقل في الإسلام لا يستطيع أحد أن يزاود عليها أو ينال منها شيئاً.

أما أن يستخدم فكرة التفكير والعقل في التضليل والتشكيك والإلحاد فهذا تحريف لمكانة التفكير والعقل، واستخدام في غير مكانه، فضلاً عن الجنون الذي يرفضه جميع العقلاء.

واستخدام فكرة التفكير والعقل من أجل التضليل، مثل استخدام فكرة تحرير المرأة بوساطة إبعادها عن منهج الله تعالى لتعرية جسدها أو تحريضها على الإنفلات الجنسي باسم التحرر والتطور والتقدم والمعاصرة وأنها نصف المجتمع!! وأصبحت المعاني معكوسة، والأفكار متضادة وكل ذلك سنتناوله إن شاء الله بالبيان: بحجة النقل للمؤمنين وحجة العقل للمعاندين.

بقي أن نعرف ما موقف العقل عندما يجد حديثاً نبوياً مخالفاً له؟ وكيف يتعامل معه؟

لابد بادئ ذي بدء أن نتعرف ما المقصود من كلمة العقل؟ فهل هو عقلي وعقلك وعقل فلان وفلان أم هو شيء آخر؟ ثم نتعرف إلى نوعية المخالفة له.

أقول: إن العقل المقصود به هو مجموع عقول العقلاء من أهل الاختصاص في المسألة التي يتحدث عنها الحديث النبوي، فإن كان الحديث يبحث في الطب، فإجماع الأطباء يكون هو المقصود بالعقل، وإن كان الحديث النبوي يبحث في أمر اجتماعي فإجماع علماء الاجتماع هو المقصود بالعقل، وإن كان الحديث النبوي يبحث في التشريع، فإجماع علماء التشريع هو المقصود بالعقل.

وبذلك يخرج العقل غير المتخصص ليفتي في مسألة تخصصية، وكذلك يخرج اختلاف أهل الاختصاص عند وجود اختلافهم، لأن منهم مؤيد ومنهم معارض، فيبقى الحديث النبوي مؤيداً من عقول بعض المتخصصين، ومعارضاً للبعض، وهذا لا يلغي العمل بالحديث النبوي.

وأما في حال إجماع أهل الاختصاص في مسألة ما على استحالة معنى الحديث النبوي، فهنا ننظر في معنى الحديث:

- هل هو مما يحصل في التجارب البشرية؟:

فإن كان الجواب نعم، توقف العمل بالحديث النبوي إلى أن تستجد وسائل جديدة تلغي الإجماع السابق، أو يكون لمعنى الحديث النبوي معنى مخالف لإجماع أهل التخصص فيبحث عنه.

وإن كان مجرد عقل فلان لم يرق له المعنى في الحديث النبوي فهذا يُسقط العمل بالحديث النبوي، لأن العقل الفردي لا اعتبار له أمام عقل المجموع في مسألة تخصصية تجريبية تأبى التفرد بالرأي.

- وإن كان الحديث النبوي مما هو خبر عن غيب:

فلو أجمعت الدنيا على استحالته، فإننا نقول ونعتقد بحصوله ووقوعه ولو بعد حين، فإن كان الحديث صحيحاً، فموقفنا هو موقف أبي بكر الصديق ﷺ من حادثة الإسراء والمعراج، وهو التصديق الكامل لإخبار رسول الله ﷺ، وهو موقف علي نفسه ﷺ، عندما قال: لو كان الدين بالرأي والعقل لكان مسح الخف من أسفله أولى من أعلاه.

ويبرز بين الفينة والأخرى على مدار التاريخ من يدَّعي أن العقل يرفض خبراً نبوياً، أو تشريعاً نبوياً بحجة مخالفته لعقله، وقد بيَّنا أن المقصود من مفهوم العقل في الإسلام هو إجماع العقول المتخصصة، لأن غير المتخصصة تكون عابثة في المعاني، وتحتاج إلى مقدمات وعلوم الآلة، أو العلوم الأساسية المادية للفهم.

فإنكار الأديب لمعادلة رياضية لم يستطع عقله استيعابها لا يعني إبطال التعامل مع المعادلة الرياضية، كما أن إنكار الرياضي للمجاز لبيت شعر لم يرق لعقل الرياضي لا يعني إبطال المجاز، وإنكار الاثنين الأديب والرياضي لحركة الدورة الدموية، لن يبطل وجود الدورة الدموية، وإنكار الجميع لعدم وصول المركبات الفضائية إلى سطح القمر، لن يبطل حقيقة الوصول إلى القمر.

أي إن إنكار عقل غير المتخصص في مسألة تخصصية ليس له قيمة علمية تحترم، وبذلك

دور العقل هو البحث في الموجود والتأكد من صحة الماضي والاعتبار به

يمكن القضاء على الفوضى العلمية، والفوضى الدينية، والفوضى الاقتصادية، بل الفوضى في كل شؤون الحياة.

وموقف عقل المسلم من القرآن والسنة هو الإيمان والتصديق بأخبارهما السابقة والمستقبلية لأن ذلك يمثل عقيدة المسلم.

وأما آيات الكون فقد حض القرآن والسنة على التفكير في كل شيء يدور حول الإنسان، وأن يكون إيمانه راسخاً فيزداد نوره بالطاعة والتأمل الفكري، وقد بيَّنا في الإحصائية السابقة دور القرآن في حض العقل على التدبر والتأمل والتفكر في كل شيء حوله.

وأما آيات التشريع، فهي آيات الأمر والنهي التي تنظم السلوك البشري وشهوات الإنسان، فمنها المعلل الذي يدور مع علته، فهي تفتح طريق التفكير من أوسع أبوابه. ومنها الثابت الذي لايتغير، ولكن يتغير حكمه بين السقوط والتكليف والقضاء بحسب حال الشخص نحو الفطر للمسافر، وسقوط الصلاة عن الحائض والنفساء، وحال من يقع في المشقة فتجلب له التيسير، وهذا يمثل قمة الرحمة بالمكلَّف، يتقدمه قوله تعالى: (يُريد اللهُ بكمُ اليسرَ ولا يُريدُ بكمُ العُسْرَ) البقرة:١٨٥.

واليوم بدأت حملة التشكيك بالسنة وتحريف معاني القرآن تنفث سمومها، تارة بمخالفة الحديث النبوي للعقل، وتارة بأنه مخالف للقرآن، وثالثة بأنه كتب في عهد بعيد عن الرسول ﷺ، ورابعة بأن بني أمية حرَّفوا وكتبوا ما راق لهم من الأحاديث النبوية، وكأن السنة التي بين أيدينا مجموعة من خيال الكتّاب، أو ملفقة من قصاصين، أو مدسوسة على الرسول ﷺ!! وسبب ذلك تصور المعارض والمنتقد حفظه واهتمامه بالعلم مثل أولئك الرجال الأبطال حفَّاظ سنَّة رسول الله ﷺ، ونسي المنتقد أن كتابة السنة تعتبر في ميزان العقل البشري والعلمي معجزة لا تستطيع الأمم جميعها في الحاضر والمستقبل أن تفعل مثلها.

ودقة علم الجرح والتعديل لدى علماء السنة في دراسة سند ومتن الحديث النبوي، لا تستطيع أي أمة من الأمم - في السابق واللاحق - أن تأتي بمثله، وأن تلتزمه في ميدان التطبيق العملي.

إنكار عقل غير المتخصص في مسألة تخصصية ليس له قيمة علمية تحترم

وانظر بعد قليل إلى دقة المحدثين في التفريق بين حدَّثنا وأخبرنا في رواية الحديث الذي رواه مسلم فذكر في السند: قال عبد أخبرنا وقال ابن رافع حدَّثنا، والتي تدل الأولى على قراءة التلميذ وسماع الشيخ، بينما حدَّثنا حال العكس، فأي دقة أعلى من هذه الدقة في التعبير عن حال التلقي وطريقة سماع الحديث

النبوي في التاريخ الماضي والمعاصر والمستقبل.

ودليل آخر على ذلك أن التاريخ لم يحفظ لنا - من بين جميع الأمم - حياة رجل منذ طفولته إلى وفاته مثلما حفظه المسلمون عن رسولهم ﷺ بكل دقة، وبكل حب وإخلاص.

فَحَمْلَةُ التشكيك بالسنة مرض عقلي، ووباء فكري، يصيب الحاقدين، وهو مذهب المجانين.

وإن شاء الله سنبيّن ذلك بالحجج النقلية والعقلية، وكلام العلماء، مستعيناً بالله تعالى، وطالباً من الأحبة الدعاء، وأبدأ بالحدث الساخن في هذه الأيام:

١ - حديث موسى مع ملك الموت:

ردَّ أحد الأطباء حديث البخاري الصحيح الذي يفيد ضرب الرسول موسى - عليه السلام - لملك الموت مدَّعياً أن الحديث يخالف عقله، وقال: إن الحديث من الإسرائيليات المدسوسة - ذكر ذلك في قناة إقرأ الفضائية - وإليك بيان الجواب:

أولاً: روايات الحديث

أخرج مسلم في صحيحه - فضائل الأنبياء - فقال: حدَّثني محمد بن رافع وعبد بن حميد قال عبد أخبرنا وقال ابن رافع حدَّثنا عبدالرزاق أخبرنا معمر عن ابن طاوس عن أبيه عن أبي هريرة قال: أرسل ملك الموت إلى موسى عليه السلام فلما جاء صكه ففقأ عينه، فرجع إلى ربه فقال: أرسلتني إلى عبد لا يريد الموت!، قال: فرد الله إليه عينه، وقال: «ارجع إليه فقل له: يضع يده على متن ثور فله بما غطَّت يده بكل شعرة سنة». قال: أي ربِّ ثم مهْ؟ قال: «ثمَّ الموتُ». قال: فالآن، فسأل الله أن يدنيه من الأرض المقدسة رمية بحجر، فقال رسول الله ﷺ: «فلو كنت ثمَّ لأريتكم قبره إلى جانب الطريق تحت الكثيب الأحمر».

وأخرج مسلم في صحيحه - فضائل الأنبياء - فقال: حدَّثنا محمد بن رافع حدَّثنا عبدالرزاق حدَّثنا معمر عن همام بن منبه قال هذا ما حدثنا أبو هريرة عن رسول الله ﷺ فذكر أحاديث منها وقال، وقال رسول الله - ﷺ -: «جاء ملك الموت إلى موسى عليه السلام فقال له أجب ربك، قال: فلطم موسى عليه السلام عين ملك الموت ففقأها، قال: فرجع الملك إلى الله تعالى فقال: إنك أرسلتني إلى عبد لك لا يريد الموت وقد فقأ عيني، قال: فرد الله إليه عينه وقال: «ارجع إلى عبدي فقل: الحياة تريد، فإن كنت تريد الحياة فضع يدك على متن ثور، فما توارت يدك من شعرة فإنك تعيش بها سنة». قال: ثم مه، قال: ثم تموت، قال: فالآن، من قريب ربِّ أمتني من الأرض المقدسة رمية بحجر، قال رسو الله ﷺ: «والله لو أني عنده لأريتكم قبره إلى جانب

المقصود من مفهوم العقل في الإسلام هو إجماع العقول المتخصصة

الطريق عند الكثيب الأحمر» قال أبو إسحق حدَّثنا محمد بن يحيى حدَّثنا عبدالرزاق أخبرنا معمر بمثل هذا الحديث.

وأخرج البخاري في صحيحه - كتاب الجنائز/ باب من أحب أن يدفن في الأرض المقدسة - فقال: حدَّثنا محمود حدَّثنا عبدالرزاق أخبرنا معمر عن ابن طاوس عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أرسل ملك الموت إلى موسى عليهما السلام فلما جاءه صكه فرجع إلى ربه فقال: أرسلتني إلى عبد لا يُريد الموت فرد الله عليه عينه، وقال: «ارجع فقل له يضع يده على متن ثور فله بكل ما غطَّت به يده بكل شعرة سنة». قال: أي رب ثم ماذا؟ قال: ثم الموت، قال: فالآن، فسأل الله أن يُدنيه من الأرض المقدّسة رمية بحجر. قال: قال رسول ﷺ: «فلو كنت ثمَّ لأريتكم قبره إلى جانب الطريق عند الكثيب الأحمر».

وأخرج البخاري في صحيحه - كتاب أحاديث الأنبياء/ باب وفاة موسى - فقال: حدَّثنا يحيى بن موسى حدَّثنا عبدالرزاق أخبرنا معمر عن ابن طاوس عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أرسل ملك الموت إلى موسى عليهما السلام فلما جاءه صكه فرجع إلى ربّه، فقال: أرسلتني إلى عبد لايريد الموت. قال: «ارجع إليه فقل له: يضع يده على متن ثور، فله بما غطَّت يده بكل شعرة سنة». قال: أي رب! ثمَّ ماذا؟ قال: ثم الموت، قال: فالآن، قال فسأل الله أن يدنيه من الأرض المقدسة رمية بحجر. قال أبو هريرة فقال رسول الله ﷺ: «لو كنت ثمَّ لأريتكم قبره إلى جانب الطريق تحت الكثيب الأحمر».

قال وأخبرنا معمر عن همام حدَّثنا أبو هريرة عن النبي ﷺ نحوه.

والحديث رواه كذلك النسائي وأحمد والبيهقي والطبراني وغيرهم.

ثانياً: ردود العلماء على المعترضين:

نقل النووي في شرحه على صحيح الإمام مسلم:

قال المازري: وقد أنكر بعض الملاحدة هذا الحديث، وأنكر تصوره، قالوا كيف يجوز على موسى فقء عين ملك الموت؟ قال: وأجاب العلماء عن هذا بأجوبة:

أحدها: أنه لا يمتنع أن يكون موسى - عليه السلام - قد أذن الله تعالى له في هذه اللطمة، ويكون ذلك امتحاناً للملطوم، والله سبحانه وتعالى يفعل في خلقه ما شاء، ويمتحنهم بما أراد.

والثاني: أن هذا على المجاز، والمراد أن موسى ناظره وحاجّه فغلبه بالحجة، ويقال: فقأ

إنكار الأديب لمعادلة رياضية لم يستطع عقله استيعابها لا يعني إبطال التعامل بها

فلان عين فلان إذا غالبه بالحجّة، ويُقال: عورت الشيء إذا أدخلت فيه نقصاً.

وقال: وفي هذا ضعف ما لقوله ﷺ: فردّ الله عينه فإن قيل: أراد رد حجته كان بعيداً.

والثالث: أن موسى عليه السلام، لم يعلم أنه ملك من عند الله، وظن أنه رجل قصده يريد نفسه، فدافعه عنها، فأدت المدافعة إلى فقء عينه، لا أنه قصدها بالفقء، وتؤيده رواية «صكه»، وهذا جواب الإمام أبي بكر بن خزيمة وغيره من المتقدمين، واختاره المازري والقاضي عياض، قالوا: وليس في الحديث تصريح بأنه تعمد فقء عينه.

فإن قيل: فقد اعترف موسى حين جاءه ثانياً بأنه ملك الموت؟

فالجواب: أنه أتاه في المرة الثانية بعلامة عَلِمَ بها أنه ملك الموت، فاستسلم بخلاف المرة الأولى. والله أعلم.

وقال ابن حجر في شرحه فتح الباري في شرح صحيح البخاري:

قال ابن خزيمة: أنكر بعض المبتدعة هذا الحديث وقالوا: إن كان موسى عرفه فقد استخف به، وإن كان لم يعرفه فكيف لم يقتص له من فقء عينه؟!

والجواب: أن الله لم يبعث ملك الموت لموسى وهو يريد قبض روحه حينئذ، وإنما بعثه إليه اختباراً، وإنما لطم موسى ملك الموت لأنه رأى آدمياً دخل داره بغير إذنه، ولم يعلم أنه ملك الموت، وقد أباح الشارع فقء عين الناظر في دار المسلم بغير إذن.

وقد جاءت الملائكة إلى إبراهيم وإلى لوط في صورة آدميين فلم يعرفاهم ابتداء، ولو عرفهم إبراهيم لما قدَّم لهم المأكول، ولو عرفهم لوط لما خاف عليهم من قومه.

وعلى تقدير أن يكون عرفه فمن أين لهذا المبتدع مشروعية القصاص بين الملائكة والبشر؟ ثم من أين له أن ملك الموت طلب القصاص من موسى فلم يقتص له؟

ولخّص الخطابي كلام ابن خزيمة وزاد فيه: أن موسى دفعه عن نفسه لما ركب فيه من الحدة، وأن الله رد عين ملك الموت ليعلم موسى أنه جاءه من عند الله فلهذا استسلم حينئذ. وقال النووي: لا يمتنع أن يأذن الله لموسى في هذه اللطمة امتحاناً للملطوم.

وقال غيره: إنما لطمه لأنه جاء لقبض روحه من قبل أن يخيّره، لما ثبت أنه لم يقبض نبي حتى يخيّر، فلهذا لما خيَّره في المرة الثانية أذعن، قيل: وهذا أولى الأقوال بالصواب، وفيه نظر لأنه يعود أصل السؤال فيقال: لم أقدم ملك الموت على قبض نبي الله وأخل بالشرط؟ فيعود الجواب أن ذلك وقع امتحاناً.

التاريخ لم يحفظ لنا من بين الأمم حياة رجل مثلما حفظه المسلمون عن رسولهم ﷺ

وزعم بعضهم أن معنى قوله: «فقأ عينه» أي أبطل حجته، وهو مردود بقوله في الحديث نفسه «فرد الله عليه» وبقوله: «لطمه وصكه» وغير ذلك من قرائن السياق.

وقال ابن قتيبة: إنما فقأ موسى العين التي هي تخييل وتمثيل وليست عيناً حقيقية، ومعنى رد الله عينه أي أعاده إلى خلقته الحقيقية، وقيل على ظاهره، ورد الله إلى ملك الموت عينه البشرية ليرجع إلى موسى على جمال الصورة فيكون ذلك أقوى في اعتباره، وهذا هو المعتمد.

وجوّز ابن عقيل أن يكون موسى أُذن له أن يفعل ذلك بملك الموت، وأُمر ملك الموت بالصبر على ذلك كما أُمر موسى بالصبر على ما يصنع الخضر.

وفيه أن الملك يتمثل بصورة الإنسان، وقد جاء ذلك في أحاديث كثيرة. انتهى

وقال السندي في شرحه على سنن النسائي بعد ذكره لأقوال من سبق:

«والأقرب أن الحديث من المشتبهات التي يفوض تأويلها إلى الله تعالى لكن إن أُوّل فأقرب التأويل أن يُقال: كان موسى ما علم أولاً أنه جاءه بإذن الله بسبب اشتغاله بأمر من الأمور المتعلقة بقلوب الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فلما سمع منه أجب ربك أو نحوه وصار ذلك قاطعاً له عما كان فيه ولم ينتقل ذهنه بما استولى عليه من سلطان الاشتغال أنه جاء بأمر الله حركه نوع غضب وشدة حتى فعل ما فعل ولعل سرّ ذلك إظهار وجهاته عند الملائكة الكرام فصار ذلك سبباً لهذا الأصل. وأما قول الملك لا يريد الموت فذاك بالنظر إلى ظاهر ما فعل من المعاملة.

وأما قول موسى «ثم ماذا» فلعلّه لم يكن لشك منه في الموت بالآخرة، بل لتقرير أنه لايستبعد الموت حالاً إذا كان هو آخر الأمر مآلاً وكون الموت آخر الأمر معلوم عنده، فلم يكن ما وقع منه لاستبعاده الموت حالاً، وذلك لأنه حين انتقل إلى حال اللين علم أن ما وقع منه لا ينبغي وقوعه منه، وكذا علم أن ما جاء به الملك عنده من قوله يضع يده... إلخ، بمنزلة الاعتراض عليه بأنه يستبعد الموت أو يريد الحياة حالاً فأراد بهذا الاعتذار عما فعل، وقرر أن الذي فعله ليس لاستبعاده الموت حالاً، إذ لا يجيء ذلك ممن يعلم أن الموت هو آخر أمره فصار كأنه قال: «إن الذي فعله إنما فعله لأمر آخر كان من مقتضى ذلك الوقت في تلك الحالة التي كان فيها والله تعالى أعلم» انتهى.■

التشكيك بالسنة مرض عقلي ووباء فكري يصيب الحاقدين وهو مذهب المجانين

العيد واحة الحياة

تشدو الخلائق أعذب الألحان
فالعيدُ جاء ببهجة الإنسانِ

كالواحة الخضراء في جوف اللظى
تهب السرور لمدلج حيران

تمضي الشهور بعبئها، وكأنها
صحراء تلهب وراف الأزمان

حتى يجيء العيد في أنواره
وبهائه، ومباهج الأكوان

يأتي النفوس بهالة ميمونة
من بهجة الأرواح والأبدانِ

فتعيد للبشر المعنى جهده
ونشاطه بعد الجهاد العاني

فيه الصفاء يعمّ آفاق النفو
س فتغتدى كملائك الرحمن

الله أكبر للنفوس نشيدها
نغم النفوس يصبُّ في الآذانِ

الناسُ فيه تطهَّرت من حقدها
واستروحت ظلَّ الرضا الفينان

نبذو الخلاف حفاوة وعبادة
تركوا أورا البغض والشنآن

ما أروع الحبَّ الذي غمر القلو
ب بنوره في عيدها الجذلان!!

ما أروع اليوم الذي من سحره
وجماله قرَّت به العينانِ!!

ما أروع الصفحَ الجميل يضمنا
قلبٌ يصافح غيره، ويدانِ!!

يأيها العيد الجميل تحيّة
من مسلمين أتوك بالإحسان

صاموا، وصلوا للإله وكبروا
مستلهمين الخير للأوطان

عبدوا الإله مخافة ومحبة
هم ينشدون مراقيَ الرضوان

يا عيد عُدْ عَودَ الحبيب لخلّهِ
فلعلَّ فيك مهابط الغفرانِ

شعر: عبدالغني أحمد ناجي

المرتقى

بقلم: محمد مكين صافي

«... رحماك يا رب... هذا الشيخ الكبير... لا تحمّله ما لا طاقة له به... ولا تبلونا برؤيته يتألم... رحماك رحماك... إن تكن في العمر بقية فلا تجعل أسوأ أيامه خواتيمها... وإن تكن الأخرى ـ ولا رادّ لقضائك ـ فارفق به وبنا... وأكرم رحيله على سنة رسولك الكريم...».

ثم رنوت إليه... أبيض الشعر معروق الوجه لا يُرىَ منه غير جلد وعظم يُمضي أيامه غافياً بعيداً عنا... طريحاً لا يأتي حركة ولا يملك شيئاً... وليس إلا ذلك الأنبوب الرفيع يتدلّى ما بين «الحوجلة» المغذية وبين يده يصله بالحياة والأحياء... ياه... أين أين!!... ذلك الجلدُ المهيب... الحازم المفعم بالحياة حباً وعزيمة وبناء... المسكون بالعباد خيراً وسعياً ولهفة... الممتلئ ـ بكل أعماقه ـ إيماناً ويقيناً لايثنيه عن قناعاته من خالفه مادام يشعر أن مولاه معه.

وانفض الزائرون إلا أنا ... شيء ما شدني إليه فالتمست للبقاء حيلتي... صحا قليلاً فشعّ من عينيه المتعبتين إشراق جليل، وتمتم بشيء ما فأنست منه قرباً ووعياً وسألته: «أتذكرني»!... حرك عينيه باتجاهي وهمس: أنت... وهل نسيتك؟! إنك أنا... فكرتي تكتسي وجهاً آخر!...».

قلت في إشفاق: «ولكن لو تدري كم يشق عليّ إعياؤك!!..».

تبسم شيئاً ما وقال: «وكنت تحسبني مخلداً العمر كله؟!».

قلت بوجل: لا ... ولكنّ فقدك علينا شديد!...

هزّ رأسه نافياً: لا أسمع منك هذا... إنما هي دورة الحياة بالأحياء... نستجيب لها فننسحب لنترك الساحة لكم لتعمروها... ولكم أن تهتدوا بمن سلف لتوفروا على أنفسكم مشقة البدايات!...».

أحسست أن أنفاسه بدأت تضطرب فتمنيت لو سكت رأفة به... لكنه مال برأسه ثانية نحوي وسألني «متى يأتي رمضان؟!...» فتراجعت مأخوذاً... ما اللذي يبغيه هذا العجوز المنهك من رمضان!!

وهممت أن أواري عنه رحمة به «وبي أيضاً»!... لكنه سيعرف... من إشراقة الليلة المباركة ربما... من طلعة هلال رمضان البهية ربما... لذلك لم أجد إلا أن أصدّقه فقلت «إنه الغد... الغد... فاطمئن!...»

استراحت تقلصات وجهه شيئاً ما وأشرقت عيناه... ثم نظر إليّ كأنما فهم ما يجول في خاطري فقال: «وتريدني أن ألقى ربي بغير صيام؟!...».

قلت متوسلاً: «كيف وقد أذن الله وأرخص... ألا ترحم نفسك؟!».

فتململ برأسه يميناً وشمالاً وقال بنزق: «أيها المتثاقلون... إنه يرخص رحمة بعباده... ولكن ما لنا نحن!!» كأننا نحمل عبادتنا كُرهاً حتى إذا ما سنحت أول رخصة رميناها مبتهجين!».

قلت متحصناً ببركة ما أحفظ: «ولكن الله يحبُّ أن تُؤتى رخصُهُ كما...».

فقاطعني وقال: «ذلك فيما هو له سبحانه يُعفي منها عباده المضطرين... فكيف نفرّط ـ مهما تعبنا ـ فيما هو لنا... ولا نقوم من دونه!!».

لم أدر بما أجيب... وملأتني نحوه دفقة حنو فاقتربتَ منه وهمست «هون عليك... فمازال الوقت مبكراً على السحور على كل حال...» فرمقني بنظرة حانية لا تخلو من تحذير... إلا أنني ـ حينما غفا ـ دعوت له من رحمتي أن يستغرق في نومه حتى الفجر... وغفوت بدوري يهدهدني هذا الخاطر مثل خدر لذيذ...!

وما أحسب أنني قد غفوتُ... فقد هب فيَّ هاتف قويّ يقول:

ومن أوهمك أنه لا يقوى؟!

قلت: ولكنه واهنٌ ضعيفٌ.

فردَّ عليَّ بإصرار: وإنك لأنتَ القوي المتين... أما لمست من قبل صوراً من عزيمته حينما كانت تخور عزائم الرجال؟!».

أجبت في إعياء: لقد كان... كان... ولكنه الآن... إنه ليس بينه وبين الحياة إلا...

أجابني الهاتف: «ذلك لأنك لا ترى إلا بعينيك؟!...».

ثم صحوت على صوت دبيب بدا لي من خلال هدأة السحر صوتاً مخيفاً... رباه... إلا هذه يا مولاي... إلا هذه أرجوك... كانت أصابعه الراجفة تزحف ببطء نحوها... إنه يريد بحزم أن يصوم... إنه... إنه يريد انتزاع الإبرة المغروسة في جلد يده... دمعت عيناي واقتربت نحوه في تسليم لأنني إن لم أفعل فسينزعها بنفسه كعادة همته حين يعطى ممن حوله... أعنته وسقيته شيئاً من لبن سمح به الطبيب، وقلبي يتمتم «اللهم أعنه وارحمني!...»...

والله وحده يعلم كيف مرّت عليَّ الدقائق والثواني في ذلك اليوم المبارك الجليل... حتى طالعتني عيناي الجميلتان المشرقتان بنور ربهما... المبتهجتان بيوم عاناه واكتسب أجره... حتى إذا أردت أن أسقيه حَرَف رأسه ورنا إليَّ باسماً وتمتم: «الآن... الآن تطمئن نفسي وترضى روحي في مستقرها...».

فرحت لفرحه... وأحزنني ـ للمرة الأولى ـ استعجاله لساعته... شعرت بحاجة شديدة إلى وجوده مجرد وجوده ولو هكذا... إنه يمنحني زاداً أنا في أمسّ الحاجة إليه.. نظراته... كلماته القليلة المشعّة... ابتساماته الموحية... إنها... إنها تهبني مدىً واسعاً دافئاً رحيماً يحيل دنياي أرحب وأحنا من نصب ساعة.. أو احتباس مكسب... أو مشقة العمر كله حتى... وغرّني الأمل، لكنني سمعته يرجوني بوهن، «أين الأحبة؟... أين الرجال الطيبون؟... ألا يعلمون أنني في شوق إليهم؟!... لقد زهدت في كل شيء من أجلهم.. وهجرت كل أحد طمعاً في صحبتهم... تعالوا... أين أنتم... أين أنت؟ نفسي تشتهي كأساً من ماء غير آسن... أو لبن لم يتغير طعمه... أو عسل مصفًّى... فالآن... الآن يحقُّ لنفسي أن تشتهي!...».

والتفت عنه طرفة عين أريد متلهفاً أن آتيه بشيء مما اشتهى... ثم انثنيت نحوه لأسقيه فوجدته قد... غاب... غاب وتركني هناك... حزيناً وحيداً عند بداية المرتقى الذي انتصب ساقياً يهيب بهمتي مع طلعة الشهر المبارك الكريم. ■

بقلم : د. عدنان رضا النحوي

لقد كان وراء كل مذهب أدبيّ عرفه الغرب قديماً وحديثاً مذهب فلسفيٌّ فكريٌّ يمدّه بالتصوّرات والأشكال والمعاني، ويرسم له مصادر الجمال وموازينه. فالمذهب الأدبيّ الكلاسيكي كان وراءه بعض المذاهب الفلسفية اليونانيّة والرومانيّة. فاعتمد هذا المذهب تقديس الأقدمين وسيادة العقل على العاطفة. والمذهب الرومانسي قام على أفكار «جان جاك روسو وشاتوبريان» وغيرهما. والمذهب الواقعي تأثر بالفلسفة التجريبية وفلسفة إيمانويل كانت وغيرهما ثم توالت المذاهب الأدبية ينقض بعضها بعضاً كما توالت المذاهب الفلسفية، فجاء المذهب البرناسي والمذهب الرمزي ومذاهب الحداثة الأخرى، ثم البنيوية والتفكيكية وغير ذلك.

الأدب بين الجمال والزخرف

فإذا حُقَّ لهذه المذاهب الفلسفية أن تدفع مذاهب أدبية وتصوغ لها تصوراتها، فإن الإسلام له الحق الأول في أن يدفع للبشرية أدباً نابعاً منه تصوراً وفكراً ولغة وجمالاً. هذا الأدب هو الأدب الذي يلتزم الإسلام حقيقة لا شعاراً وزخارف. ولا يستطيع الأدب أن يلتزم الإسلام إلا إذا التزم الأديب نفسه الإسلام، ليكون الأدب صوراً حقيقية ملتزمة بفكر وعاطفة وسلوك، وبنهج وبذل وعطاء.

لقد مثَّل هذا الأدب الملتزم بالإسلام شعراء الرسول - ﷺ - وخطباء المسلمين من الخلفاء الراشدين والصحابة والتابعين. وامتدت هذه القافلة مع الزمن بعد ذلك بين قوة وضعف على قدر المواهب والظروف التي تمرّ بها الأمة.

وكان جميع هؤلاء ينهلون من منهل عذب واحد لا ينفد أبداً، كانوا ينهلون من الكتاب والسنة من خلال مصاحبة منهجية غنيّة ممتدة في حياة المؤمن امتداد تدبّر ووعي، وامتداد ممارسة حيّة في الواقع.

لقد نقل الإسلام الأدب نقلة واسعة جداً لم يحدث مثلها في التاريخ البشري. فقد نقل اللغة العربية من كونها لغة شعب واحد إلى كونها لغة الوحي المتنزّل من السماء، ولغة القرآن الكريم، ولغة النبوّة الخاتمة، ولغة العبادة لكل مسلم أبد الدهر. لقد أصبحت لغة الإنسان، الإنسان المسلم، لغة أمة مسلمة واحدة امتدت أعظم امتداد عرفه التاريخ البشري. لقد أصبحت لغة رسالة ربّانية يحملها المؤمنون عبادة وطاعة لله على امتداد الأرض والزمان.

ونقل الإسلام الإنسان كذلك نقلة واسعة جداً، حين أعطاه التصور الحق للكون والحياة، للدنيا والآخرة، للموت والبعث والحساب والجنة والنار، فدخلت هذه في صميم التصورات الأدبية ألفاظاً وصياغة ومعاني وظلالاً، فكراً وعاطفة، بدلاً من أماني. ونقل الاقتصاد والسياسة والاجتماع ونظرياتها نقلة عظيمة كذلك.

هذه النقلة العظيمة للغة والإنسان والمجتمع والأمة كلها، وللفكر والتصور. هذه النقلة العظيمة نقلت معها الأدب نقلة رائعة عظيمة لا يكاد يدرك عظمتها إلا من يؤمن بالرسالة ويدرك الفرق الشاسع الهائل بين الجاهلية وبين الايمان والتوحيد.

إن المصدر الحق للأدب الملتزم بالإسلام هو الكتاب والسنة كما جاء باللغة العربية، إنه الأساس والمنطلق للفكر والتصور والممارسة والموقف. إن المنهاج الربانيَّ - قرآناً وسنة ولغة عربية - هو الحق المطلق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه. إنه المنهج

الكامل الشامل المترابط المتناسق. إنه النبع الغنيّ الصافي الذي لا ينقطع مدده أبداً، ماضياً مع الدهر، ليس للبشرية كلها مصدر سواه يجمع لها الحقّ لتخضع له وتتبعه دون سواه.

قدّمت الفلسفات المختلفة منذ القديم تصوّراتها في الفن والجمال. فجاءت هذه التصورات مضطربة متناقضة. فالجمال عند أفلاطون يُرد إلى المثل الخالد وهو من بقايا ذكريات الروح ويفسر ذلك بنظرية المحاكاة. أما أرسطو فنقض نظرية المحاكاة وعالم المثل واهتم بالواقع، وكان الجمال عنده تناسق التكوين.

وازداد الاضطراب مع الزمن. فربط «بومجارتن» في القرن الثامن عشر الجمال بالحس والشعور ووضع مصطلح «الاستطيقا» والجمال عند «ديدرو» مبعثه إدراك العلاقات بين الأشياء وفرّق بين الجمال واللذّة. وجاء «كانْتْ» ليدفع الفلسفة المثالية في الفن وفي الأدب والنقد دفعاً قوياً لتنتشر في أوروبا وأميركا. ويعتبر الفن غاية في ذاته. فالعمل الفني عنده له وجوده المستقل في ذاته. وتأثر بهذه المدرسة كثيرون، منهم «مدام دي ستايل» و«فكتور كوزان» و«تيوفيل جوتييه»، و«جوتييه» هو الذي يقول: لا وجود لشيء جميل حقاً إلا إذا كان لا فائدة له. وكلُّ ما هو نافع قبيح. ويرى «فيخته» الألماني، وهو تلميذ «كانْتْ» أن الفنّ هو تحرير الذات. ويقول الفيلسوف الألماني «شوبنهاور»: إن الجمال هو في التأمل الخالص روحياً دون أن نمزج به إرادتنا. فالغى إرادة الإنسان. ومضى هيغل في الفلسفة المثالية وظن أن الفن مر بمراحل ثلاث: الشرقي والمصري، اليوناني، النصراني، من خلال العلاقة بين الفكرة والمادة. ففي الفن الشرقي والمصري طغت المادة على الفكرة فجاء الفن في أشياء ضخمة، وفي النصراني طغت الفكرة على المادة كما في الرومانسية، أما في اليوناني فكان التوازن بين الفكرة والمادة فبلغ الفن أعظم درجاته، كما يظنّ ظناً باطلاً، وتجاهل في تصور الفن الشرقي رسالة الأنبياء الذين توالوا في التاريخ البشري وملؤوه. ورأى هيغل أن الجمال له وجوده المستقل، فيخالف الجمال بذلك الحقيقة. فالجمال له وجود حسّي عنده، والحقيقة لها وجود ذهني. وجاء بعد ذلك «نبدتوكرتشيه» الذي يرى أن الفن ليس محاكاة للطبيعة بل هو مستقل عنها،

الأدب الملتزم بالإسلام ثمرة تفاعل بين الخصائص الإيمانية الفنية

والعمل الفني ليس ثمرة العاطفة والشعور، ولكنه نتيجة ذكاء وفكرة وإرادة، ثم جاء «ت.إس.إليوت» وغيره ممن زادوا تناقض الأفكار واضطرابها حول الفن والجمال.

وإذا كان لمسيرة دراسة الفن والجمال في الغرب هذه المسيرة التي أوجزناها، فقد كان لدراسة الفن والجمال مسيرة أخرى في تاريخ المسلمين، مسيرة يوجهها التصور الايماني ويدفعها منهاج الله وتغذيها قلوب المؤمنين، فلا يصبح الانحراف عن ذلك إلا لحظات خاطفة.

وإذا كنا نؤمن أن منهاج الله ـ قرآناً وسنة ولغة عربية ـ هو الأساس لكل فكر وتصور، وهو النبع الغنيّ الذي لا ينفد، والذي يظل يطلق الفكر والتصور ويغذّيه في كل موقف ومع كل ممارسة إيمانية في مختلف ميادين الحياة، فلابد أن يكون للفن والأدب تصور نابع من ذلك، ونهج مرتبط به. ويمكن من خلال ذلك أن نعرض التصور التالي ـ لمفهوم الفن، ومن ثم لمفهوم الأدب، ولدورهما في الحياة ـ بإيجاز:

الفن هو التعبير عن قضية أو موضوع بوسيلة طاهرة نظيفة مباحة، وبأسلوب يرقى بالتعبير إلى درجة الجمال المؤثر في نفس الإنسان، ومن ثمَّ في واقعه، ليسهم في بناء حضارة إيمانية طاهرة وحياة إنسانية كريمة،

الأديب المؤمن الصادق في إيمانه لا يمكن أن يطلق كلمة لا يعبد الله بها

تحفظ للإنسان كرامته التي كرّمه الله بها، وحقوقه التي منحه الله إياها، وتدفعه للنهوض إلى مسؤولياته، وتتوافر بها الحرية المنضبطة بضوابط الإسلام لتعم الناس كافة، وتتوافر المتعة الحلال التي أحلها الله لعباده، ويتوافر الأمن والأمان، وليعين هذا كله الإنسان على الوفاء بعهده مع الله سبحانه وتعالى: «عبادة وأمانة وخلافة وعمارة للأرض بالايمان والتوحيد وحضارتهما وذلك كله من خلال ممارسة منهاج الله ممارسة إيمانية شاملة في جميع ميادين الحياة».

فالفن إذا يقوم على عناصر واضحة وأسس جلية نوجزها فيما يلي:

التعبير، والأسلوب، والوسيلة، والأهداف، ليكون له رسالة واضحة في الحياة تُحدد له أهدافاً واضحة، ودوراً جلياً، يبلغهما عندما تحقَّق عناصر الفن مجتمعة الدرجة المرجوّة من الجمال المؤثّر.

الفن في نظر الإسلام عمل يعبد المؤمن به ربه كما يعبده في كل أعماله، ليحمل الفن الجمال الحق الذي يحبه الله سبحانه وتعالى. فالفن والجمال ينطلقان من روح الإسلام ونهجه، «الكتاب والسنة»، ليرسما لنا حقيقة هذا وذاك نظرياً وممارسة.

فلننظر كيف يعلّمنا الإسلام حقيقة الجمال، نعرضه هنا بصورة موجزة سريعة، حيث نجد التفصيلات كل التفصيلات وافية في منهاج الله: فعن عبدالله بن مسعود عن رسول الله ﷺ قال: «إن الله جميل يحب الجمال» أخرجه مسلم والترمذي وغيرهما.

وعن أبي سعيد الخدري عن الرسول ﷺ قال: «إن الله جميل يحب الجمال ويحبُّ أن يرى أثر نعمته على عبده ويبغض البؤس والتباؤس» أخرجه البيهقي

وعن جابر بن عبدالله عن الرسول ﷺ قال: «إن الله جميل يحب الجمال ويحبُّ معالي الأخلاق ويكره سفسافها». أخرجه الطبراني في الأوسط.

وعن طلحة بن عبيدالله أيضاً: «إن الله تعالى جواد يُحبُّ الجود ويحبُّ معالي الأخلاق ويكره سفسافها» أخرجه البيهقي في شعب الايمان.

ويمتد الجمال حتى ينتشر في الكون كله مشهده وغيبه. ففي الغيب جمال الجنة الذي يصفه لنا الله ورسوله ﷺ:

فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «قال الله عزّ وجل: أعددتُ لعبادي الصالحين

ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر» فاقرؤوا إن شئتم قول الله تعالى الآية ١٧ من سورة السجدة: (فلا تعلم نفس ما أُخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون) رواه الشيخان.

وتمتدُّ الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة تصف الجنة الوصف الرائع، وتصف جمالها الأخّاذ.

ثم يمتد الجمال في التصور الإسلامي إلى عامل المشهد. فتصف الآيات والأحاديث آيات الله في الكون الذي خلقه الله سبحانه، فأتقن كل شيء خلقه. (وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمرُّ مرَّ السحاب صنع الله الذي أتقن كل شيء إنه خبير بما تفعلون) النمل:٨٨.

ويمتد جمال الآيات البينات في كل ما خلق الله إتقاناً وإحساناً وإعجازاً. ثم يمتد إلى الإنسان:

(لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم. ثم رددناه أسفل سافلين. إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجر غير ممنون) التين:٤-٦.

ويمتد الجمال في الإنسان المؤمن. فإذاً مصدر الجمال فيه إيمانه. فتراه في جمال الفطرة التي فطره الله عليها، ثمَّ في نفس الإنسان المؤمن وخُلُقه، ثم في عمله، ثم في كلمته وبيانه: صبر جميل، صفح جميل، سراح جميل، هجر جميل، وبيان جميل، وغير ذلك.

ويمتد الجمال إلى الكلمة والبيان ليكون الأدب في الإسلام هو الأدب الملتزم التزام صدق ويقين، والتزام لغة ودين، والتزام شكل ومضمون.

ويصبح الأدب الملتزم بالإسلام ثمرة تفاعل بين نوعين من الخصائص: الخصائص الإيمانية، والخصائص الفنية. فلا يمكن الاستغناء أو إيثار واحدة على الأخرى. فلابد من الخصائص الفنية لتجعل من الكلمة أدباً، ولابد من الخصائص الإيمانية ليكون الأدب ملتزماً بالإسلام. وإن كان لابد من التضحية، ولا داعي للتضحية هنا، فنضحي بكل شيء من أجل الإسلام والإيمان وطاعة الله. والكلمة التي لا نعبد الله بها لسنا بحاجة لها، فإنها زُخرف عارض أو فتنة مفسدة.

إن أهم معنى من معاني الالتزام في الأدب أن يعرف الأديب حقيقة «العبادة» التي خلقه الله لها، «والأمانة» التي حملها، «والخلافة» التي جُعِلت له، «والعِمارة» التي أُمِر بها. وإن

العمل الفني ليس ثمرة العاطفة والشعور ولكنه نتيجة ذكاء وفكرة وإرادة

محور ذلك كله هو ممارسة منهاج الله - قرآناً وسنة ولغة عربية - في واقع الحياة ممارسة إيمانية تستكمل شروط العبادة والأمانة. إنها مسؤولية كل مسلم قدر وسعه وطاقته الصادقة.

شتَّان بين أديب يَنْظُر إلى الدنيا وقلبه معلَّق بها، وهي هدفه الحقيقي سواءً أعلنه أم أخفاه، وبين أديب يطرق أبواب الجنة وقلبه معلَّق بالآخرة يرجو رحمة ربه ويخاف عذابه. هل يُعقل أن يكون الأدب الذي يخرج من ذاك مثل الأدب الذي يخرج من هذا؟!

في العالم العَلماني والوثني يكاد الجمال أن يكون جمال الشهوة وصنعتها الحرام. جسد المرأة العاري يمثِّل منذ أيام اليونان مصدر الجمال، وأساطير عشق «الآلهة» وما يدور معه من غضب بينهم وبين البشر، وصراع وأحداث كلها من نسيج الخيال. منذ ذلك الوقت عبَّر اليونانيون والرومان عن تصورهم للجمال بالتماثيل الحجرية للرجل والمرأة و«الآلهة»، تماثيل تكشف العورات كشفاً يزيدها قبحاً وفساداً. وامتد هذا التصور في الفكر الغربي إلى ميادين الأدب والرسم، وامتد كذلك إلى بقاع مختلفة من الأرض مع المنحرفين في أجواء الفتنة والعلمانيّة وأمثالها.

التصورات الغربية تسللت إلى العالم الإسلامي حينما وجدت الساحة خالية من المنافسة

نهجان مختلفان كل الاختلاف في تصور الجمال وتصور الأدب وممارسة ذلك في واقع الحياة. إنهما نهجان: نهج الإسلام والإيمان والتوحيد، ونهج الوثنيّة والشرك والانحراف تحت أي اسم من الأسماء والمصطلحات ورد ذلك.

لذلك يجد المسلم الحق أن النهج الإيماني له مصطلحاته الخاصة المتميزة، واستعمالاته الخاصة المتميزة كذلك. فبالنسبة لمصطلح «الجمال» وما يرتبط به نجد أن منهاج الله يرد فيه أربع مصطلحات، لكل منها ظلاله وإيحاءاته الخاصة واستعماله الخاص فكلمة «الجمال» لا ترد في منهاج الله الطاهر التطبيق الذي يحبه الله كما ورد معنا قبل قليل. وهنالك كلمة «الفتنة» تُعبِّر عما هو غير صالح ولا طاهر ولا نظيف، وعما يُغري بالفساد ويدفع إلى الشرِّ والضلال. فالمرأة التي منحها الله شكلاً محبباً مؤثراً في النفس نقول عنها: «جميلة» مادامت زوجة أو أماً أو أختاً ملتزمة بالطهر والصلاح الذي يحبه الله، ذلك لأن الله جميل يحبُّ الجمال. وأما إن كانت امرأة غير صالحة، فنقول إنها فتنة، لأنها وقعت في الشرِّ ودفعت إليه، هذا هو التصور الإيماني للجمال والفتنة، وهنالك لفظة أخرى عامة لكل ما يُعطى بهجة وسروراً، إنها كلمة «الزينة».

(إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملاً) الكهف:٧.

فالزينة تنقسم قسمين، إما «جمال» وإما «فتنة». وانظر في الآية الكريمة: (المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً وخير أملاً). الكهف:٤٦.

ثم انظر الآية الكريمة هذه أيضاً: (إنما أموالكم وأولادكم فتنة والله عنده أجر عظيم) التغابن:١٥، ثم انظر في الأحاديث السابقة التي ورد فيها: (إن الله جميل يحب الجمال...)

وانظر كذلك في الآية الكريمة: (والأنعام خلقها لكم فيها دفءٌ ومنافع ومنها تأكلون. ولكم فيها جمالٌ حين تريحون وحين تسْرحون).النحل:٥-٦.

وكلمة «الحسن» تنزل في معناها وظلالها منزلة «الجمال» حتى لا يكون الحسن والجمال إلا في الخير والصلاح، سواء أكان ذلك في الشكل والخلقة أم في الكلمة أم في العمل أم في اللباس، أو أي ميدان آخر. فانظر في هذه الآيات الكريمة والأحاديث

الشريفة:

(الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً. قيماً لينذر بأساً شديداً من لدنه ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً حسناً) الكهف:١-٢.

(خلق السموات والأرض بالحق وصوّركم فأحسن صوركم وإليه المصير) التغابن:٣.

(فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الأخرة والله يحب المحسنين) آل عمران:١٤٨.

وكذلك: (الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين) السجدة:٧.

وعن عائشة رضي الله عنها عن الرسول ﷺ قال: «إن المؤمن ليدرك بحسن الخلق درجة القائم الصائم» أخرجه أبو داود وابن حبان.

وعن شداد بن أوس رضي الله عنه عن الرسول ﷺ قال: «إن الله تعالى كتب الإحسان على كل شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة، وليُحدَّ أحدكم شفرته وليُرِح ذبيحته».

أخرجه أحمد ومسلم وأصحاب السنن الأربعة.

وعن عائشة رضي الله عنها عن الرسول ﷺ قال: «إن الله يحبُّ إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه» أخرجه البيهقي في شعب الإيمان.

وهكذا نرى أن «الجمال» و«الحسن» لفظتان اختصتا بما هو صالح طيب يحبه الله تعالى، وأن الفتنة لفظة اختصت بما هو شرٌّ خبيث، وأن «الزينة» لفظة عامة يبتلي الله بها عباده، فإن اتجهوا بها للخير فهي حُسْن وجمال، وإن اتجهوا بها للشرِّ فهي «فتنة».

وهناك لفظة أخرى ترد في كتاب الله هي كلمة «الزُّخرف» وهي قريبة الدلالة من كلمة «الزينة»، إلا أنها تحمل الإيحاء بالتهوين والتقليل من شأن ذلك الزخرف، وترتبط بالدنيا ولا حظَّ لها في الآخرة: (ولبيوتهم أبواباً وسرراً عليها يتكئون. وزخرفاً وإن كل ذلك لمّا متاع الحياة الدنيا والآخرة عند ربك للمتقين) الزخرف:٣٤-٣٥.

(وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون) الأنعام:١١٢.

فالأدب إذاً أعظم أبواب الفن وأشرفها، حتى يكاد يكون هو جوهر الفن والفن هو جوهر الأدب. والأدب هو فنّ التعبير باللغة، بالكلمة، بالبيان، ليكون هذا البيان نعمة من

الأدب الملتزم بالإسلام يتميز بالجمال كما يعرضه الإسلام لا يتميز بالفتنة ولا بالزخرف

الله على الإنسان وآية من آياته:

(الرحمن. علَّم القرآن. خلق الإنسان. علَّمه البيان) الرحمن:١-٤.

فالأدب الملتزم بالإسلام يتميز بالجمال كما يعرضه الإسلام. لا يتميز بالفتنة ولا بالزخرف. إنه زينة طاهرة اتجه بها الأديب المؤمن إلى ميدان الطهارة فكان حسناً وكان جمالاً.

وكيف يتولد النصف الأدبي من الأديب المؤمن ليحمل هذا الجمال. إنه ينطلق من قلب المؤمن ومن فطرته التي فطره الله عليها دون أن تفسد أو تشوَّه بالآثام والمعاصي والفساد الممتد حتى يَرينَ عليها ما يكسب الإنسان من إثم ومحوره الأدب وجماله ومضة تنطلق من تفاعل القوى المختلفة في فطرة الإنسان، حيث نعتبر الفطرة هي مستودع هذه القوى المختلفة المتنوعة التي وهبها الله للإنسان. وأهم هذه القوى الإيمان والتوحيد الذي يكوِّن النبع الغني الصافي ليروي جميع القوى الأخرى رياً عادلاً متوازناً حتى تؤدي كل قوة دورها الذي خُلقت له. والنية الخالصة لله هي التي تفتح هذا النبع عند كل فكر وعمل لينطلق الريُّ المتوازن العادل. فإن فسدت النية انقطع الريّ من هذا النبع الغني، وانفتح نبع آخر من قوى الفتنة والفساد حين تنمو

يخرج النصُّ الأدبيّ من كيان الأديب وفطرته ليحمل كل خصائصه الأسلوب والشكل والصياغة

إحدى القوى كالشهوة مثلاً نمواً زائداً طاغياً غير متوازن، فيؤثر فسادها على سائر القوى.

(ونفس وما سواها. فألهمها فجورها وتقواها. قد أفلح من زكاها. وقد خاب من دساها). الشمس:٧-١٠.

إن هذه القوى في فطرة الإنسان تعمل بطريقة ربانية نعلم القليل عنها وعن القوى التي تعمل فيها، ونجهل الكثير، ولكننا نستطيع أن نقول: إن هناك قوتين رئيستين في الفطرة: قوة الفكرة والتفكر والعقل، وقوة الشعر والعاطفة. وكل منهما تتأثر بما يكتسبه الإنسان من الواقع من تجارب وعلوم وأحداث. ويمكن أن نشبه هاتين القوتين بقطبين تتجمع عليهما شحنات الواقع من تجارب وأحداث وعلوم. وإذا صدقت النية، فهذه كلها تُروى بريِّ الإيمان وتصفَّى بمصفاته.

ففي لحظة معيّنة محدّدة بقدر الله، تنمو هذه الشحنات في الأديب المؤمن إلى درجة تصبح معها قابلة للتفاعل، تفاعل الفكر وشحناته، وتفاعل العاطفة وشحناتها. فتأتي قوة أخرى إذا توافرت بنعمة من الله لدى الأديب المؤمن، وهي الموهبة المحددة بنوعها وطاقتها، تأتي في اللحظة المحددة فتثير التفاعل بين القوتين وشحناتهما، وتنطلق الومضة من هذا التفاعل، غنيّة على قدر غنى القوتين وشحناتهما وعلى قدر غنى الموهبة ذاتها. هذه الومضة التي تنطلق من هذا التفاعل تحمل الإحسان «الإبداع في المصطلح المتعارف عليه»، هي الأدب الملتزم بالإسلام.

ومن خلال هذا التفاعل يتم معه تفاعل آخر. إنه تفاعل الخصائص الإيمانية المستقرة في الفطرة والخصائص الفنية العاملة في الفطرة مع القوى الأخرى. إن هذا التفاعل بين الخصائص الإيمانية والفنيّة هو الذي يهب النص الأدبي الفني حظه من الجمال الذي يحسّ به المؤمن، الجمال الذي يحبه الله ورسوله والمؤمنون.

إن هذا التصور نخرج به بيسر وسهولة عندما نستوعب ما أسميه «قانون الفطرة»، القانون الذي يعمل في كل ميادين نشاط الإنسان، والذي يمكن أن تنبثق عنه نظريات متعددة: في الأدب والنقد والتربية وعلم النفس، وفي السياسة والاقتصاد والحياة الاجتماعية وغير ذلك. ■

بقلم : د.: رفيق حسن الحليمي

كيف تلخص موضوعاً

يتطلب أكثر من موقف تلخيص موضوع مطوّل، بحيث يغني التلخيص . إلى حد ما . عن قراءة الموضوع بكامله. فالطالب في المرحلة الثانوية وفي الجامعة بحاجة إلى معرفة أسس التلخيص وقواعده والتدريب عليها، لتصبح هذه العملية سهلة بين يديه، بحيث تمكنه من تلخيص الكثير من الصفحات والأبحاث والمقالات في وريقات محدودة، يغنيه الاطلاع عليها . عند الحاجة . عن قراءة تلك الصفحات المطولة اختصارا للوقت. كما أنّ بعض الوظائف الرسمية كالسكرتارية الفنية وغيرها في الوزارات والإدارات المختلفة يحتاج القائمون عليها إلى تقديم ملخصات مختصرة إلى المسئولين والمديرين والوزراء، بحيث تتيح لهم الاطلاع على مجريات الأمور، والإلمام بما يدور حولهم، وما يطرح من موضوعات الساعة في الصحف والمجلات والدوريات العلمية المختلفة، ولا يتسع وقتهم للاطلاع عليها في جميع أصولها وأوعية نشرها..



مدى الحاجة إلى التلخيص

ابتداءً نود أن نؤكد أن التلخيص، مهما يكن متقنا وشاملا لجميع عناصر الموضوع، لا يغني غَنَاءً كاملا عن قراءة الموضوع الأصلي، ولكن الحاجة إلى التلخيص في ظروف العصر الراهنة وأمام تدفق المعلومات بصورة مذهلة من مختلف المصادر والجهات، تجعل الحاجة إلى التلخيص ملحة وضرورية في كثير من الأعمال والوظائف. وعلى سبيل المثال . هناك الكثير من نشرات الأخبار السياسية والاقتصادية والحياتية، لا يستطيع صانع القرار الاستماع إليها وقراءتها كما جاءت في أصولها ونشراتها المطولة التي تُبث على مدار الساعة، وأمام ضرورة الاطلاع عليها جميعا والوقوف على محتوياتها ومضامينها، مع ضيق الوقت والانشغال بالكثير من القضايا، تصبح الحاجة إلى الملخصات من ضرورات العصر اللازمة التي لا بد منها لذلك تقوم بعض الجهات المعنية بتقديم هذه الملخصات وهذه التقارير بين وقت وآخر، وترفعها إلى صانعي القرار ليكونوا على علم ودراية بما يجري، وبما يمسّ مختلف القضايا الحياتية. وفي أحيان قليلة يطلب المسئول بعض الأصول ليقرأها كما وردت في أوعية النشر لأهميتها.

كما أن كثيرا من الباحثين والمؤلفين، يكونون في أمسّ الحاجة إلى تلخيص موضوع بكامله أو فصل من فصول الكتب والمراجع، ليعرضوه على القارئ في فقرات محدودة تمهدا للتعليق عليه أو لتحليله أو لإبداء وجهة النظر فيه.وقد تعقد ندوة فكرية لمناقشة كتاب كامل، وعادة ما يحضرها المؤلف للمراقبة وللتعليق وللإجابة عن بعض الاستفسارات، كما يحضرها عدد من المثقفين

للمناقشة، بحيث يوكل إلى أحدهم ـ وفقا لتوزيع أدوار الحوار والمناقشة ـ تلخيص الكتاب وعرضه على جمهور المستمعين، ثم يأتي دور النقد والتحليل، ومن دون هذا التلخيص يتعذر على المستمعين فهم الموضوع، كما تتعذر عملية النقد والتحليل. كما أن مناقشات رسائل الماجستير والدكتوراه يسبقها عرض موجز «ملخص» يقدمه الطالب بين يَدَيْ لجنةِ المناقشة والجمهورمن الحضور، ليقفوا على موضوع البحث. وهناك الكثير من الجرائد والمجلات والدوريات، تخصص بابا من أبوابها لعرض «كتاب» ما، بحيث يطلع عليه القراء، فيصبحون على علم بمحتوياته وأهم الموضوعات التي بحثها وتطرق إليها في زمن قياسي قصير، وقد يشفع العرض ـ أحيانا ـ ببعض التعليقات التي يبديها من يتولون «عرض» هذه الكتب والمؤلفات الحديثة، وقد تحمل تلك العروض والتعليقات بعضا من ألوان الدعاية والإعلان لهذه الإصدارات.وقد يتمخض عن هذه العملية ظهور نوع من التخصص المهني المرغوب والمطلوب في هذا المجال، لدى الكثير من المجلات ودور النشر، فيصبح هناك باحثون لهم قدرات مميزة في فن التلخيص نتيجة لممارستهم وطول باعهم فيه. وهناك اعتقاد سائد لدى كثير من المثقفين، بأن هذه العروض والملخصات تفتح بابا من أبواب المعرفة والثقافة العامة لدى الكثيرين، وتساعد في الإقبال على القراءة والكلمة المكتوبة، في وقت أصبح العزوف عن القراءة ظاهرة عصرية، نتيجة للصورة المرئية والكلمة المسموعة عبر شاشات التلفاز المختلفة التي أخذت تزاحم الكتاب وتنحيه جانبا يصل معها إلى درجة الإهمال.

الخطوات الإجرائية للتلخيص

● فهم الموضوع فهما دقيقا :

لا تتم عملية التلخيص بنجاح ولا تكون على وجهها الكامل إلا إذا فهم الموضوع فهما جيدا، ويأتي ذلك عن طريق قراءة الموضوع قراءة أولى وثانية وربما ثالثة... والوقوف على معاني الكلمات الصعبة، إن وجدت إما بالرجوع إلى المعاجم اللغوية «القواميس»، وإما عن طريق محاولة فهمها من خلال سياقاتها في العبارات والجمل، (وهذا الأمر خاص بالطلاب في جميع المراحل الدراسية بما فيها المرحلة الجامعية) بحيث يصبح لديهم تصور عام لمضمون الموضوع المطلوب تلخيصه. وقد يرد في الموضوع بعض المصطلحات العلمية الحديثة التي نقلت إلى اللغة العربية دون ترجمة ودون تعريب، بحيث تبقى غامضة في دلالاتها، وهنا لا بد من الرجوع إلى القواميس الأجنبية وغيرها من مراجع لمعرفة دلالاتها الدقيقة، وقد يضطر المرء إلى سؤال ذوي الاختصاص عنها، وليس في ذلك أدنى حرج، بل هو باب من أبواب طلب العلم الذي حثنا عليه ديننا الحنيف، ودرجة راقية من الموضوعية العلمية التي تقتضيها أصول البحث..

● تحديد الفِكَر الأساسية:

لكل موضوع مجموعة من الفِكَر، وهي بمثابة العناصر الأساسية التي يُبْنى عليها الموضوع، الذي يشتمل عادة على فكر عدة أساسية وأخرى فرعية أو جزئية تأتي لخدمتها ولتعزيزها ولتقوية وجهة نظر الكاتب. وفي الأغلب تمثل كل فقرة من فقرات الموضوع فكرة مستقلة قائمة بذاتها... وتتسلسل الفكر كما تتسلسل الفقرات حتى النهاية. وتجدر الإشارة إلى أن الأفكار التي يتضمنها الموضوع شيء، وهدف الكتب شيء آخر، فهناك فرق بين الفكرة وبين الهدف.الفكرة ـ جزئية كانت أو كلية ـ تخدم الهدف، وهي بمثابة المقدمات، والهدف بمثابة النتيجة الحتمية لهذه المقدمات... وينبغي أن نلحظ أن الفِكَرْ في متناول اليد وتقع عليها العين ويدركها القارئ بسرعة ويمكن تحديدها بسهولة، ولكن الهدف أو المغزى من الكتابة يختفي أو يتخفّى وراء الفِكَر ولا يرد ذكره بصراحة، ويحتاج تحديده إلى فطنة وذكاء، وتفكير عميق في الموضوع، وهو يمثل الغاية الأساسية من كتابة الموضوع.

● تحديد هدف الكاتب:

لكل كاتب هدف محدد أوغاية من كتابته، وقد يبدو أن الموضوع يشتمل على أكثر من هدف واحد، ولكنه في النهاية يعدّ هدفا واحدا يسعى الكاتب إلى تحقيقه ونقله إلى القارئ، وقد يكون الهدف للإقناع بوجهة النظر التي يتبناها الكاتب، أو للتأثير في شخصية القارئ، وقد يكون للإمتاع، أو لتقديم معلومات جديدة، أو لمجرد الإشعار بالمشكلة التي يبحثها في موضوعه. وعلى الأغلب لا يعلن الكاتب عن هدفه بصراحة أو بوضوح تام، إذ يترك للقارئ فرصة التفكير والتأمل والبحث، ولذا ينبغي إدراك الهدف في أثناء القراءة الدقيقة وفي أثناء تحليل الموضوع، ويمكن معرفة الهدف إذا حاولنا أن نضع عنوانا جديدا مناسبا للموضوع في جملة بسيطة تكون مشتملة على مضمونه ومحتواه العام. «وفي قاعات الدروس يعدّ اتفاق الطلاب بنسبة عالية على تحديد عنوان واحد للموضوع، إدراكا صادقا وفهما صحيحا لهدف الكاتب».وهناك ما يسمى بالقراءة لما بين السطور، وهي القراءة الأكثر عمقا لما يبدو على السطح للوهلة الأولى، وهذا النوع من القراءة هو الذي يقود إلى تحديد هدف الكاتب، فضلا عن فهم أعمق للموضوع. ويمكن أن نضرب لذلك بأمثلة عدة: ـ مقال مطوّل يتحدث كاتبه عن مشكلة الروائح الكريهة التي تنبعث من مخلفات بعض المصانع، وما تتركه من آثار على تلوث البيئة وعلى التنفس وعلى الصحة العامة، وأن ذلك مظهر غير حضاري وغير لائق.الكاتب هنا يعرض لهذه المشكلة دون أن يذكر بالتحديد لمن يوجه خطابه، فليس هدفه التشهير بالمصانع، وبيان إهمالها وعدم مراعاتها لقواعد المحافظة على البيئة، بقدر ما يستهدف إشعار المسئولين بضرورة وضع حل لهذه المشكلة.

ـ مسئول في إدارة المرور يتحدث عن وقوع حادث مروّع راح ضحيتَه رجل عجوز، كان في طريقه إلى منزله...الهدف هنا ضرورة مراعاة المشاة من قبل السائقين، والتقيد بقواعد المرور. ـ كاتب قصة يتحدث عن رحلة إلى الديار المقدسة، قام بها في الماضي البعيد جماعة تعرضوا فيها إلى ألوان من الإرهاق والتعب، ولم تكن وسيلتهم إلا الإبل، وقد استمرت الرحلة أياماً عدة... الهدف هنا، شكر المولى عز وجل على نعمة الوسائل الحديثة في السفر من خلال وصف معاناة القدماء من الأهل.

● أسئلة لا بد منها

يحسن توجيه أسئلة عدة لأنفسنا قبل الشروع في كتابة التلخيص، إذ إنها تساعد في التعرف إلى الفكرة العامة التي يقوم عليها الكتاب أو المقال، وليس بالضرورة أن تثار جميع الأسئلة، إذ يكتفى ببعضها وفقا لطبيعة الموضوع ومادته العلمية، وهي:

ـ ماذا نعرف عن الكاتب من ميول فكرية، عادة يطرحها في كتاباته؟

ـ ما موضوع الكتاب أو المقال الذي نحن بصدده، في أي ميدان من ميادين المعرفة يبحث «سياسة ـ اقتصاد ـ اجتماع ـ عقيدة ـ أدب ـ فن»؟

ـ بماذا يتميز موضوع الكتاب، وما المشكلة

التي يعالجها وما الجديد فيها؟

- ما علاقة موضوع الكتاب بالزمن (التوقيت) الذي صدر فيه، وما علاقة ذلك بحياتنا الراهنة.

- ثم، ما الجدوى من تقديم التلخيص، ولمن نرفعه، ومن الذي سيطلع عليه؟

- ما الوسائل (أوعية النشر) التي نستعين بها لتقديم التلخيص (جريدة - مجلة - محاضرة عامة لتحليل كتاب ونقده - ضمن كتاب نؤلفه - نشرة لأحد المسئولين - حديث إذاعي...؟)

وهي أمور تساعد في فهم الموضوع من زوايا عدة، وتتحكم في كيفية التلخيص من حيث المساحة واللغة وأسلوب الخطاب.

أنواع الملخصات

● **التقارير :**

بعض الملخصات يأتي في صورة مختصرة للغاية في شكل « تقرير » لا يزيد عن فقرة قصيرة، صيغت في أسلوب سهل موجز، بحيث تعطي دلالة واضحة لما تحمله من أفكار ومضامين.وهذا اللون من الاختصارات يمكن أن نطلق عليه «التقرير»، أو « البرقية الإخبارية»، وغالبا ما يلجأ إليه الموظفون في السكرتارية الفنية، حيث يرفعون هذه التقارير إلى صانعي القرار من مديرين ووزراء...ولا شك أن هذا اللون من الكتابة أصبح من ضرورات الحياة المعاصرة، وقد ارتبط بشكل واضح بالمجتمعات المدنية الحديثة، وما تقوم عليه مما يسمى بالبيروقراطية أو العمل داخل المكاتب والشركات.

● **العناوين :**

بعض الملخصات تأتي في تراكيب شديدة الاختصار، تصاغ في شكل (عنوان) أو اسم لكتاب أو باب من كتاب أو مقال أو قصة. بحيث يتضمن العنوان ما أمكن مفهوما عاما ودقيقا وشاملا لمحتويات الموضوع أو الكتاب. وأغلب ما يكون ذلك عن طريق استدعاء الأفكار التي يمكن أن تنضوي تحت هذا العنوان.

ولا شك أن اختيار العنوان المناسب يدل على فطنة وفهم عميق من قبل واضعه، وقد يكون في كلمة واحدة (الكتاب : سيبويه) أو في كلمتين (البيان والتبيين: الجاحظ) وقد يكون في عبارة مسجوعة (مرآة الزمان في تاريخ الأعيان : ابن الجوزي). وقد سادت مثل هذه العناوين المسجوعة في الثقافة العربية مع انتشار ظاهرة السجع في الكتابة. وتعمد وسائل الإعلام الحديثة كالصحف والمجلات إلى اختيار العناوين ذات الوقع الخاص، الذي يعتمد على الإثارة ويسترعي الانتباه ويشد الأنظار، ويدفع إلى القراءة.

● **موجز النشرات الإخبارية :**

وهو قريب من التقرير من حيث الصياغة والأسلوب في الاختصار، حيث يقدم عادة قبل إذاعة نشرة الأخبار المفصّلة، وأحيانا كثيرة تعاد قراءته في آخر النشرة مع شيء من التعديل، وتأتي أهميته في أنه يقدّم المعلومات الإخبارية بصورة موجزة، وقد يكتفي بها بعض المستمعين عن متابعة النشرة المفصّلة.

● **الموجز الرقمي:**

وهو موجز لغته الأرقام الحسابية، وقد يستعين بالكلمات لمزيد من التوضيح كما هي الحال في الرسومات البيانية والجداول والخرائط، وقوائم أسعار النفط والسلع والأسهم والمعاملات المالية ودرجات الحرارة ورحلات الطائرات..

● **عروض الكتب :**

ويدخل ضمنها موجز الرسائل الجامعية والملخّصات وعروض الكتب، وهي تختلف عن المختصرات السابقة من حيث الطول والمساحة والأسلوب وفن الكتابة فهذه الملخّصات تشكل أو لابد أن تشكل موضوعا دراسيا متكاملا، من حيث عملية السرد، وتسلسل الأفكار وترابطها، وشموليتها لما ورد في الموضوع الأصلي «الأم» من أفكار، بحيث تصاغ في عبارات سهلة مفيدة تحكمها الأمانة العلمية والدقة في النقل، وتظهر فيها شخصية الباحث أو الكاتب وبراعته في الأداء، وتبدو عليها الملامح الأسلوبية واللغوية التي عادة ما يتميّز بها باحث من باحث وكاتب من كاتب. ويمكن القول : إن عملية تلخيص الكتب وعروضها - مع انتشار وسائل الإعلام وتدفق المعلومات والرغبة في تقديم ثقافة موسوعية ميسرة لجمهور القراء - أصبحت فنا قائما بذاته، له رواده وأربابه ومحترفوه.

● **الملخصات المدرسية:**

ولا أعني - هنا ما تقوم به بعض المكاتب التجارية من تلخيصات لموضوعات دراسية مقررة، الهدف منها الربح والتجارة، رغم أنها تدخل ضمن الموضوع الذي نحن بصدده، مع ملاحظة أن أكثر القائمين عليها لا يتقنون فن التلخيص لتعجّلهم وتسرّعهم في العمل بهدف الربح، وإنما عنيت ما يكلف به الطلاب في قاعات الدرس من إجراء بعض التلخيصات لموضوعات معينة بهدف التدريب على القراءة والفهم والكتابة المختصرة.

ولعل من بشائر الخير أن يصبح هذا اللون من الكتابة «التلخيص» ضمن البرامج التربوية في تدريس مادة اللغة العربية، وأن يتدرب الطلاب وبخاصة في المرحلة الثانوية على فن التلخيص ومعرفة أصوله، وأن ينال قدراً أكبر من اهتمام المربين والمعلمين، وأن يهتموا بكتابات الطلاب في هذا الجانب، حتى لو جاءت بعض العبارات في البداية ضعيفة وغير مترابطة، فكثرة المران والتدريب كفيلة بأن توجد لديهم القدرة الكافية التي تمكّنهم مستقبلاً من الكتابة الجيدة في هذا الجانب وفي غيره من جوانب.

الصياغة وكتابة التلخيص

وهذه هي المرحلة النهائية التي يقوم بها معدّ التلخيص، وفي هذه المرحلة تعاد كتابة الموضوع بصورة موجزة مختصرة، وبذلك يصبح لدينا موضوع جديد، هو صورة مصغرة عن الموضوع المطول، بحيث لا تزيد نسبة الاختصار عن الربع، ويفضل أن تقل عن ذلك، بحيث تتراوح بين ١٥ ٪ - ٢٠٪ أي بين السدس والخمس من عدد كلمات الموضوع الأصلي، وعند التلخيص لا بد من الإبقاء على ما يلي:

- الأفكار الأساسية للكاتب والمحافظة عليها، فلا يتعرض «الطالب أو الباحث» إليها بالنقد أو التعليق أو إبداء وجهة نظره، إذا كانت مخالفة لأفكار الموضوع الأصلي.

- إظهار شخصية «الباحث» من خلال كتابته في التلخيص، فلا ينبغي أن تطغى لغة المؤلف وأسلوبه على لغته وأسلوبه، وعليه أن لا ينقل لغة المؤلف وعباراته إلا في حدود ضيقة وللاستشهاد بها، بحيث توضع بين قوسين «...».

على الباحث أو الطالب أن يقتنع بأنه يكتب موضوعاً جديداً، له أساس من موضوع سابق، وأن العلاقة بين الموضوعين: السابق والمختصر، هي علاقة أفكار، صيغت في عبارات مختصرة، تصل أحياناً - كما مرَّ معنا - إلى درجة العناوين ولكنها تظل تعطي دلالة واضحة وسريعة لما ينضوي تحتها من أفكار ومضامين.

من الأفضل كتابة الملخص في مسودة أولاً، ثم إعادة كتابته بعد مراجعته وإدخال التعديلات اللازمة عليه. ■

الوعي الإسلامي
al-Waei al-Islami
العدد 410
شوال 1420 هـ
يناير / فبراير 2000 م

الأسرة المسلمة

2





مقاصد الزواج الإسلامي

حتى لا يكون الطعام معركة بين الطفل والأم

إحياء خصوصية المرأة

دور الأسرة في اكتساب القيم

المرأة المسلمة وإشكالية وجودها في الحركة الإسلامية

حوار حول الخمار

بقلم: إيمان أحمد حسين

المرأة المسلمة وإشكالية وجودها في الحركة الإسلامية

من الإصابات الخطيرة التي لحقت بالحركة الإسلامية على المستوى العام إن لم تكن أخطرها، أن شخصية المرأة المسلمة... بأبعادها التي رسمتها مرحلة السيرة والخلافة الراشدة... فترة القدوم لم تتكامل. ولم تأخذ موقعها في مؤسسات العمل الإسلامي مبايعة، ومهاجرة، وعاملة، وشاعرة، وراوية، وخطيبة، وطبيبة، ومجاهدة، وممرضة، وآمرة بالمعروف، وناهية عن المنكر.

وبقيت تعيش ضمن إطار هوامش ضيقة، ومعزولة عن المجرى العام للحركة الإسلامية، ولم تستطع الحركة التحرر من التقاليد الاجتماعية والخاطئة التي التبست بمفاهيم الدين، لأن الرصد لواقع المرأة المسلمة، في العمل الإسلامي يدرك تمام الإدراك مدى ما تعانيه مسلمة الصحوة المسلمة من تناقض مع واقع مجتمعها، ويكاد يختلط الأمر عليها في فهم أبعاد مسؤوليتها وحقيقة تلك المسؤولية.

فهي تارة تؤمر بالقرار في البيت لأن الإسلام إنما يريدها أماً وربة بيت. وتارة يُقال لها عليك بالخروج لساحة العمل الإسلامي لمشاركة الرجال في إنجاح الصحوة الإسلامية.

والمسلمة بلا شك تقف حائرة بين هذين الأمرين ومن ثمّ كان لابد من تحديد دور المرأة المسلمة وبيان أبعاده في الحياة الإسلامية، وحسم الإجابة عن مجموعة القضايا الكثيرة التي لاتزال محلاً للأخذ والرد.

وقد يكون المطلوب أيضاً إلى جانب تحديد الموضوع وبيان ضوابطه الشرعية ووضع سلّم الأوليات ضمن إطار هذا الدور المطلوب شرعاً، ذلك لأن الانحسار الواقع في دور المرأة المسلمة نتيجة لبعض الموروثات والتقاليد غير الإسلامية من البيئات والظروف وردود الفعل المختلفة إلى درجة أصبح يظن أن بعض التقاليد والعادات هي الدين الذي أنزله الله... وقد يصل الأمر في بعض الأحيان أن يتم ذلك كله تحت قاعدة درء المفسدة وسد باب الفتنة بسبب فساد العصر.

لقد انشغلت حركة الصحوة الإسلامية بالدفاع عن المرأة أكثر من اشتغالها بإخراج المرأة المسلمة بأبعادها المطلوبة إلى حيز الواقع، لقد كان همّ الحركة الإسلامية كله منصرفاً إلى المرابطة على الحدود والدفاع عن صورة المرأة وحمايتها أكثر من الاشتغال بتنمية شخصيتها وتربيتها على الحياة الإسلامية وإبرازها كأنموذج يثير الاقتداء والتأسي ولم تستطع أن تجعل الإسلام خياراً للمرأة وتقيم لذلك المؤسسات والروابط والاتحادات والمؤتمرات والجمعيات





والمجاهدات الميدانية التي تبرز من خلالها المرأة المستقلة ذات الحقوق والواجبات وإنما بقيت في الأغلب في إطار التبعية للزوج أو الأخ أو الأب الذي اختار الإسلام. ولابد أن نعترف أن وضع المرأة... في كثير من بيوت رجال الدعوة والحركة الإسلامية - إلا مَنْ رحم الله - لم يختلف عن واقعها في البيوت الأخرى اللهم إلا في الشكل الخارجي لأن المواريث الثقافية والتقاليد الاجتماعية واحدة وإن اختلفت العناوين أو تفاوتت درجة المعارف الشرعية.

إضافة إلى أن المساحة المسبقة التي رسمت لحركة العقل المسلم وفرضت عليه منذ أكثر من سبعة عقود تقريباً من الزمان لم تخرجه عن نطاق الفكر الدفاعي الذي اهتم في أغلب الأحيان بالشكل على حساب المضمون فبقيت معارك: الحجاب، وتعدد الزوجات، والطلاق، ونصيب الإرث، والشهادة، هي الخارطة المفروضة التي تستنفذ الطاقة وتحدد النشاط وتتحكم بالتفكير حيث لا نزال نبدئ ونعيد في هذه المساحات. ولم نستطع أن نغادرها إلى المواقع الفاعلة في بناء المرأة المسلمة البناء السليم الذي يقتضي الستر والالتزام بشريعة الله وتعاليم الإسلام وتحريرها من التقاليد الاجتماعية التي تفرض عليها باسم الإسلام وما هي من الإسلام. لذلك كانت المرأة المسلمة ولا تزال من الثغور المفتوحة والأعضاء المعطلة في جسم العمل الإسلامي.

ولا سبيل إلى تحديد دور المرأة وأبعاده إلا من خلال صورتها العملية في المجتمع الأول مجتمع القدوة، مدة السيرة، ويبقى ما وراء ذلك من التاريخ الإسلامي والممارسات البشرية الأخرى للاستئناس فقط، وليس لتقرير الأحكام، لأنها اجتهادات بشرية تخطئ وتصيب وتعدد وتختلف فيها الأفهام، ولا شك أن الوحي رسم حدود وظيفة المرأة المسلمة ونشاطها ودورها في المجتمع الإسلامي. وأن السنة جسدت هذا الدور بوقائع في حياة الناس.

لقد شاركت المرأة المسلمة في عصر القدوة في الغزو والشورى والبيعة والتمريض والدعوة ومجالس العلم ورواية الحديث، ونقل الإسلام. وأدركت حاجات مجتمعها، وأحسنت إعداد أبنائها والقيام بمهمتها التربوية الخطيرة على أكمل وجه. كما تحملت من البذل والعطاء والإيذاء والصبر في سبيل الله.

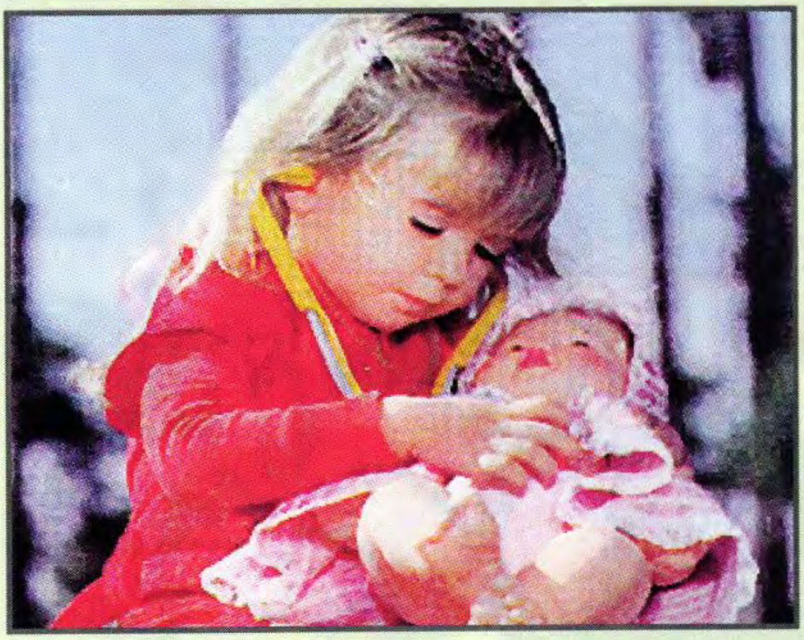
إذاً فنحن بحاجة لإعادة النظر في دور المرأة المسلمة وحقيقته لا من أجل تحجيم دورها كما يدَّعي المتخوفون عليها، ولكن من أجل مشاركة فعالة تشارك بها المرأة المسلمة في إنجاح أهداف الصحوة الإسلامية، لتؤدي دورها في إصلاح المجتمع عن فقه وعلم ودراية، وبأدب وسلوكيات طال غيابها لتخرج من عهد التكلف... ولها في الجيل الأول من الصحابيات الأسوة الحسنة.

ولابد أيضاً من إعادة النظر في قضية الفتنة وفساد العصر وحدود ذلك وضوابطه لأن الله الذي شرع الأحكام يعلم العصر وتقلباته.

فلا يجوز باسم فساد العصر ودرء الفتنة سلب المسلمة حقها الشرعي وتعطيل فاعليتها وإلغاء دورها المطلوب في الحياة الإسلامية اليوم.

إن حرمان المرأة المسلمة من المشاركة في الحياة الإسلامية وحرمانها من حقها كما شرعه الإسلام وحكمها بالعادات والتقاليد يجعلها عبئاً على الأمة وعلى نفسها ورسالتها التربوية.■

بقلم: محمد عباس محمد عرابي



دور الأســرة في اكتساب القيم

تعتبر مرحلة الطفولة من أهم مراحل حياة الإنسان، ففي هذه المرحلة تنمو القدرات وتتفتح المواهب، حيث قابلية الطفل المرتفعة لكل أنواع التوجيه والتشكيل. وفي هذه المرحلة أيضاً توضع اللبنات الأولى لشخصيته، وبالتالي فإنها تحتل مكانة خاصة، ذلك أن كل ما يكتسبه الطفل من قيم واتجاهات ومعارف هي التي تشكل ما سيكون عليه مستقبل هذا الطفل النامي.

وخبرات الطفولة المختلفة ـ النافع منها والضار ـ ليس إلا نتاج لعملية من العمليات المهمة في حياة الطفل، وهي التي يُطلق عليها اسم عملية التنشئة الاجتماعية، أو الأسرية أحياناً، أو عملية التربية أحياناً أخرى، وهذه الخبرات تؤثّر دائماً في حياة الطفل، فهي خبرات قد تيسّر اكتساب خبرات جديدة وقد تقف عائقاً مانعاً لكل خبرة جديدة، خصوصاً إذا كانت تلك الخبرة تتعارض أو تتناقض مع الخبرات السابقة، وبالتالي يدخل الطفل في حال من الصراع مع خبرات لا يدري عنها الكثير، وكأنه يقاوم عدواً مجهولاً، فأساليب الرضاعة وطرق الفطام وأساليب الثواب والعقاب قد تكون نواة لتكوين اتجاهات عميقة الجذور يصعب تعديلها بعد ذلك.

وتمثل الأسرة في الدراسات التربوية والنفسية والاجتماعية في مجال الطفولة والتنشئة الاجتماعية دوراً مهماً، ذلك أن جهاز الضبط الاجتماعي ـ وهو أحد مكوّنات الجهاز النفسي في الإنسان ـ ما هو إلا مركّب اجتماعي يكتسبه الطفل من خلال علاقته مع البيئة الاجتماعية والمادية، كما أن الضمير ـ وهو أيضاً من مكونات الجهاز النفسي يُطلق عليه أحياناً «النفس اللوامة» عبارة عن مركّب اجتماعي يكتسبه الطفل من خلال مظاهر الضبط المتمثلة في الأسرة «الأب والأم» وينمو جهاز الضبط الاجتماعي عند الطفل وشعوره بذاته المستقلة عن ذوات الآخرين، ويندمج الصغير تدريجياً في حياة الأسرة الاجتماعية، ويتم ذلك من خلال اكتساب القيم الاجتماعية، ومن هنا تظهر أهمية دور الأسرة في حياة الطفل، وذلك أنها هي البيئة الأولى التي يبدأ حياته فيها ومنها ـ ومن هنا أيضاً جاء اهتمام العلماء والباحثين بدراسة التنشئة الاجتماعية للطفل في الأسرة وخارجها، حيث تقوم العلاقة بين الآباء والأبناء وطريقة معاملتهم لهم بدور مهم في تشكيل شخصياتهم وتحقيق التوافق النفسي والاجتماعي.

إن الأسرة أهم المؤسسات الاجتماعية في اكتساب الأبناء لقيمهم فهي التي تحدد لأبنائها ما ينبغي وما لا ينبغي أن يكون، في ظل المعايير الحضارية السائدة، فعالم الأحكام القيمية لدى الطفل في المراحل العمرية المبكرة، عالم واسع وغير محدد، وذلك بسبب افتقاده إلى إطار مرجعي واضح من الخبرات، كما أن الطفل في بداية حياته لا يكون لديه ضمير أو مقياس للقيم، فهو يسلك بطريقة غير أخلاقية، لأنه لا يستطيع التمييز بين ما هو صواب وما هو خطأ، ثم ينمو ميثاقه الأخلاقي في ضوء علاقته بالآخرين، من أسرته وجماعة الأصدقاء وغير ذلك فيعاقب على الخطأ ويكافأ على الصواب.

كما أوضحت نتائج الدراسات أن تبني الطفل لقيم ومعايير الوالدين يعتمد على مقدار الدفء والحب اللذين يُحاط بهما الطفل في علاقته بوالديه. فنمو الضمير يتضمن عملية توحد الطفل مع والديه، ويقْوى هذا التوحد بينهما كلما كان الوالدان أشد رعاية وأشد حباً. أي أن الطفل الذي يتوحد بقوة مع الوالد يكون أسرع بالطبع في تبني المعايير السلوكية لذلك الولد. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى، فإن الطفل الذي يتمتع بعلاقة عاطفية دافئة مع الوالدين يكون حريصاً على الاحتفاظ بهذه العلاقة، ويخشى دون شك فقدانها. فالطفل يقلقه احتمال فقدان العطف والحب اللذين يتمتع بهما مع والديه، ولذلك فهو يحافظ على معاييره السلوكية حتى يقلل من حدة ذلك القلق. وهكذا تتضح أهمية شعور الطفل بالقلق من فقدان الحب كعامل من العوامل التي يتضمنها نمو الضمير. على أن هذا الشعور بالقلق ناتج من فقدان الحب ويتوقف على ما إذا كان هناك حب أصلاً. بعبارة أخرى فإن الطفل الذي لا يشعر والديه بالحب لا يكون لديه ما يخشى على فقدانه، وبالتالي فإنه

يصعب أن نتصور في هذه الحال كيف يمكن أن يتمثل الطفل معايير المجتمع وقيمه.

وبشكل عام يؤثر أسلوب التنشئة الاجتماعية الذي يتبعه الآباء مع الأبناء في تبني قيم معينة دون أخرى. فقد توصل «ماكيني» إلى أن هناك ارتباطاً بين التوجه القيمي للأبناء وتصورهم أو إدراكهم لأنماط معاملة الوالدين. فالأبناء ذوو التوجهات الآمرية، يدركون الآباء على أنهم أكثر مكافأة وأقل عقاباً، ولذلك فهم يميلون إلى عمل ما هو صواب، في حين أن الأبناء ذوي التوجهات الناهية يدركون الآباء على أنهم أكثر عقاباً وأقل مكافأة، لذلك يركزون انتباههم على عدم عمل ما هو خطأ.

وفي مجال العلاقة بين أساليب التنشئة الاجتماعية للأبناء وعلاقتها ببعض سمات الشخصية والأنساق القيمية، تبين أن هناك علاقة بين أسلوب التنشئة الاجتماعية المتّبع وما يتبناه الأبناء من قيم. فبالنسبة لمعاملة الوالدين للأبناء الذكور، وقعت أعلى درجات مقاييس القيم الإيجابية في المستوى المتوسط من معاملة الآباء والأمهات، فالمستوى المتوسط من تسامح الوالدين على سبيل المثال، يرتبط بظهور قيم، مثل العمل والتعليم كفاية، والعمل بدافع من الداخل، والطموح والسعي لتحسين الحال، والحرمان من متع عاجلة طمعاً في متع آجلة، أما بالنسبة لمعاملة الوالدين للإناث، فتبين أن أعلى متوسط معظم مقاييس القيم الإيجابية تظهر في ظل أعلى مستوى من تسامح الآباء وأدنى مستوى من تسامح الأمهات.

والأسرة كمؤسسة اجتماعية لا توجد في فراغ اجتماعي، وإنما يحكمها إطار الثقافة الفرعية التي تنتمي إليه، كما يتمثل في المستوى الاقتصادي - الاجتماعي والديانة، وغير ذلك من المتغيرات.

إذاً فالأسرة تلعب دوراً أساسياً في إكساب الفرد قيماً معينة، ثم تقوم الجماعات الثانوية المختلفة التي ينتمي إليها الفرد في مسار حياته الاجتماعية بدور مكمّل، بحيث تحدد للفرد قيماً معينة يسير في إطارها. فالفرد يتنازل عن بعض القيم التي اكتسبها في محيط الأسرة ليأخذ بغيرها مما تأثر به في إطار مختلف الجماعات المرجعية التي ينتمي إليها.■

تربية

بقلم: محمود علي عبدالرحمن

النية ومفهوم التعليم لدى الآباء والأبناء والمعلمين



ما من شك إن أعظم ما في الحياة أن ترى أبناءك وقد حققوا طموحاتهم وكل آمالك فيهم، فتلك سعادة لا تدانيها سعادة في حياة البشر. فالإنسان منا مفطور على حب أبنائه والانشراح لسعادتهم ولا سيما إن كانت ثمرة كفاح وجهد متواصلين في مراحل حياتهم المختلفة. فما أعظم أن تقدمهم للمجتمع نماذج صالحة وطاقات خلاقة.

فتربية الأبناء وتنشئتهم على الأخلاق الفاضلة والقيم النبيلة من أوجب واجبات الآباء وأولى مسؤولياتهم في الحياة. وأيما تفريط في أي من مراحل التربية أو التعليم ينجم عنه مآسي خطيرة وعواقب وخيمة، ليس على الأسرة فحسب ولكن على المجتمع بأسره. وإدراك هذا المعنى واستشعار هذا المفهوم لابد وأن يختمر في الذهن ويتبلور منذ لحظة الشروع في تكوين الأسرة.

وإذا ما توافرت من البداية الأسس السليمة في تكوين الأسرة كما علمنا المصطفى - صلى الله عليه وسلم - وقدّرنا معنى الأبوة ومسؤولياتها والأمومة ومقتضياتها تعمّق البعد المستقبلي لدى الأبوين تجاه أبنائهم، ومن ثمّ تواصل جهدهم الدؤوب في توافر كل الإمكانات ومختلف الوسائل التي ينعم في جوها الأبناء بالاستقرار والراحة والأمان، وبالتالي يمكن أن يواصلوا مسيرتهم التعليمية بنجاح وتفوق بل يساعدهم ذلك على الإبداع.

اهتمام القرآن الكريم بالعلم والعلماء:

اهتم القرآن الكريم بالعلم وكرّم العلماء لما لهم من صفة تميزهم عن سائر البشر وقد وردت في هذا الشأن آيات كثيرة يقول تعالى: (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات) المجادلة:١١.

ومنها قوله تعالى: (قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون) الزمر:٩، وقوله تعالى: (إنما يخشى الله من عباده العلماء) فاطر:٢٨، ولا يعزب عنا أن أول خمس آيات نزلت في محكم التنزيل تحض على القراءة والعلم يقول تعالى: (اقرأ باسم ربك الذي خلق.

خلق الإنسان من علق. اقرأ وربك الأكرم. الذي علّم بالقلم. علّم الإنسان ما لم يعلم) العلق:١ -٥. فقد ذكر فيها القراءة والعلم والقلم سبع مرات.

يقول ابن كثير: «هن أول رحمة رحم الله بها العباد، وأول نعمة أنعم الله بها عليهم وإن من كرمه تعالى أن علّم الإنسان ما لم يعلم فشرّفه بالعلم وكرّمه، وهو القدر الذي امتاز به آدم على الملائكة.

العلم والعلماء في السنة النبوية:

اهتمت السنة النبوية بالعلماء وكرمتهم ففي الحديث الشريف: «من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له به طريقاً إلى الجنة» رواه مسلم، وفي حديث آخر: «إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضاء بما يصنع» رواه أحمد. وعن أبي هريرة: «الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه وعالماً أو متعلماً». وفي حديث آخر: «إن الله وملائكته وأهل السموات والأرض وحتى النملة في جحرها والحوت في البحر ليصلون على معلّم الناس الخير».

فضل العلم والعلماء:

أبان القرآن في غير آية كما أبانت السنّة النبوية فضل العلم والعلماء لما لهم من مكانة عظيمة في تحقيق خير وسعادة البشرية وما للعلماء من فضل في تبصير الناس بالحقائق والمعارف التي تشمل علوم الدنيا والدين بما يولّد لديهم الإيمان التام ويرسخ فيهم العقيدة الكاملة وفي الحديث: «فضل العلم خير من فضل العبادة» رواه البزار.

ويقول النبي - صلى الله وسلم لأبي ذر: «يا أبا ذر لأن تغدو فتُعلّم باباً من العلم عُمل به أو لم يُعمل به خير لك من أن تصلي ألف ركعة» رواه ابن ماجه.

ومن قول الإمام علي لكميل ابن زياد: «يا كميل العلم خير من المال، العلم يحرسك وأنت تحرس المال، والعلم حاكم والمال محكوم عليه، والمال تنقصه النفقة والعلم يزكو على الإنفاق».

ولا شك أن أولي العلم تحكمهم بصيرتهم الذكية وتلهمهم الرشد في مسلكهم، فلو قلّ عملهم كثر ما يصحبه من سداد وبصيرة. ويقول الشيخ الغزالي - رحمه الله -: «إن المعرفة الجيدة أسبق عند الله من العمل المضطرب ومن العبادة الجافة المشوبة بالجهل والقصور».(١)

يقول الماوردي في «أدب الدين والدنيا»: العلم أشرف ما طُلب وجدّ فيه الطالب وأفضل ما كُسب واقتناه الكاسب. ويقول عبدالملك بن مروان لبنيه: «أطلبوا العلم فإن كنتم سادة فقتم وإن كنتم وسطاً سدتم وإن كنتم سوقة عشتم».

فلا مراء أن للعلم قيمة من أسمى القيم التي عرفها المجتمع البشري، فهو أساس تقدمه ودعامة تحضره، وهو الذي منحه القدرة على مهمة الاستخلاف التي خلقه الله على الأرض من أجلها. ولله در القائل:

فلولا العلم ما سعدت رجال
ولا عُرف الحلال ولا الحرام

طلب العلم فريضة:

«طلب العلم فريضة على كل مسلم بنص الحديث الشريف ذلك أن المؤمن لا يحسن به الجهل، فيطلب العلم لينفي عن نفسه الجهل وليعبد الله عز وجل كما أمره وليس كما تهوى نفسه».(٢)

«والعلم الذي يُقبل عليه المسلم ويستفتح أبوابه بقوة ويرحل لطلبه من أقصى المشارق والمغارب ليس علماً معيناً محدود البداية والنهاية، فكل ما يوسع منادح النظر، ويزيح السدود أمام العقل النهم إلى مزيد من العرفان، وكل ما يوثق صلة الإنسان بالوجود ويفتح له آماداً أبعد من الكشف والإدراك، وكل ما يتيح له السيادة في العالم، والتحكم في قواه، والإفادة من ذخائره المكنونة، ذلك كله ينبغي التطلع له والتضلع فيه. إن العلم للإسلام كالحياة للإنسان، ولن يجد هذا الدين مستقراً له إلا عند أصحاب المعارف الناضجة والألباب الحصيفة».(٣)

«وإسلامنا الحنيف يخاطب العقل ويدعو إلى العلم والتفوق فيه، والأخذ بأحدث أساليبه والنزول على حكمه في كل المجالات، ويعتبر التفكير فيه عبادة، وطلب كل علم تحتاج إليه الأمة فريضة، والتخلف عن ركب العلم المعاصر جريمة ومنكراً وإن التفوق في ميادينه النظرية والتطبيقية المدنية والحربية واجب ديني وكل وسيلة تؤدي إلى هذا الواجب فاتباعها واجب».(٤) فإذا ما استبان لأولي النهى فضل العلم وأهميته، فهل تحسن نواياهم وسمو مقاصدهم من وراء تعليم أبنائهم.؟

النية في الأعمال كافة:

معلوم أن النية هي أساس لكل العبادات، ففي الحديث: «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى» متفق عليه، والمسلم الفطن هو الذي يمكنه أيضاً أن يقلب المباحات إلى طاعات فتغيّر النية قبل العمل المباح تحوله إلى طاعة وبذلك يستفيد الإنسان من الأعمال كافة، فهذا هو عمر بن الخطاب يقول: «إني لأكره نفسي على الجماع رجاء أن يخرج الله نسمة تسبحه وتذكره». فهو يكره نفسه على الجماع «وهو مباح» وقت إخصاب زوجته حتى يرزقه الله منها في هذا الجماع مولوداً يذكر الله ويسبحه، وقد تناظر يوماً أبو موسى الأشعري ومعاذ بن جبل - رضي الله عنهما - في قيام الليل فقام أبو موسى: «أنا أقوم أول الليل وأنام آخره»، وقال معاذ: «وأنا أنام أول الليل وأقوم آخره فاحتسب نومتي واحتسب قومتي». «إن النهج الخيِّر هو المنهج الأمثل في نيل الحسنات وذلك بجعل النوم الذي هو مباح «لا يؤجر عليه الإنسان ولا يؤثم» عبادة يؤجر عليها.(٥) أَفَلَسْتَ معي أنه من الأحرى بنا أن نقتبس هذا المنهج العمري ونقتفي ذلك المسلك الجبلي في عملية تعليم أبنائنا؟

النية في تعليم الأبناء العلم:

لا شك أن العلم من العبادات وقربة من القربات فلابد من حسن النية في طلب العلم، وذلك بأن يُقصد به وجه الله تعالى، والعمل له إحياء الشريعة وتنوير القلوب.

لذا يجب أن توجّه النية منذ اليوم الأول لتقديم الأبناء لدور الحضانة أو المدارس إلى تعليمهم العلوم الدينية والدنيوية وإزالة جهلهم، وأن القصد من تعليمهم هو أداء الرسالة التي خلقنا الله من أجلها على الأرض (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون).

وفي الحديث الشريف: «ما نحل والد ولداً أفضل من أدب حسن». ويقول الإمام أبو الحسن: «الذي يُعلم ولده ويحسن تعليمه، ويؤدبه فيحسن تأديبه فقد عمل في ولده عملاً حسناً يرجى له منه تضعيف الأجر فيه».

«فيجب على كل أبٍ مسلم ألا يغفل هذه النية منذ البدء في تعليم أبنائه، كما يجب أن يكون قصده، وتعقد نيته على أن الغرض من تعليم الطفل وتربيته أن يتزود بخلاصة الحضارة التي تسود مجتمعه وأن يستعد لمواجهة مطالب الحياة الاجتماعية وأن تنمو ملكاته وأن يتعلم الاعتماد على النفس، ويكتسب القدرة على القيام ببعض الأعمال ويتجنب مواطن الذلل والانحراف ويكون عضواً نافعاً في مجتمعه».(٦)

يقول الإمام الغزالي في الإحياء: «إن الصبي أمانة عند والديه وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة ساذجة، وهو قابل لكل ما ينقش، ومائل إلى كل ما يُحال به إليه، فإن عوَّده الخير وعلَّمه نشأ عليه وسعد في الدنيا والآخرة».

لزوم النية لدى الأبناء أيضاً:

فإذا ما حسنت النية لدى الآباء كما سلف فلابد أن تتوافر النية ذاتها لدى الأبناء أيضاً، فعليهم أن يعلموا ويُعلَّموا أن الهدف الأسمى وراء تعليمهم هو أن يشبوا على عبادة الله تعالى أفراداً صالحين أقوياء بالعلم ومسلحين بكل العلوم الدينية والدنيوية، ليحققوا بذلك أيضاً النفع التام لأنفسهم ومجتمعاتهم.

وبالقطع فإن هذه المفاهيم لها تدرجها الطبيعي في عقول الأبناء من مرحلة إلى أخرى وعلى الآباء مهمة تأصيل هذا الفكر التربوي لديهم في مراحل حياتهم التعليمية المختلفة، وحسب كل مرحلة عمرية ما يناسبها من فهم الابن وإدراكه لهذا المعنى العظيم، ولا يغربن عن البال أن مرحلتي الطفولة والمراهقة هما أخطر مراحل العمر في مجال تكوين الشخصية وبناء الإنسان.

فمن الضروري أن يعي الشاب في بداية تلك المرحلة ومع إدراكه وتمييزه أن الإنفاق على تعليمه لسنوات طوال ليس من أجل الحصول على شهادة تؤهله فقط لوظيفة يرتزق بها ليعيش فحسب، بل لأهداف أسمى وأعظم من ذلك بكثير.

يقول أحمد بن مسكويه: «من اتفق له في الصبا أن يربى على أدب الشريعة ويأخذ بوظائفها وشرائطها حتى يتعود بها ثم ينظر بعد ذلك في كتب الأخلاق حتى تتأكد تلك الآداب في نفسه بالبراهين ثم ينظر في الحساب والهندسة حتى يتعود صدق القول وصحة البرهان ثم يتدرج في منازل العلوم فهو السيد الكامل».(٧)

أهمية النية في التعليم لدى المعلم والمدرسة:

إذا كانت أطراف مثلث العملية هم الآباء والأبناء ومعلم المدرسة فإنه يجب أن تصدق النيات لدى معلم المدرسة حتى تكتمل حلقات التعليم الأمثل للناشئة فلابد أن يعي المعلمون وكل القائمين على العملية التعليمية أنهم يؤدون أسمى رسالة في الحياة، وأن الهدف من ورائها أجلّ وأعظم من أن يؤدي كل منهم دوره على الوجه الأكمل أو أن يحققوا في نهاية كل عام النتائج المرجوة أو أكثر منها. فلابد أن تُحسن النية في أداء هذه الأعمال كافة.

فالوظيفة الأساسية للمدرسة في نظر الإسلام «هي تحقيق التربية الإسلامية وعلى رأسها هدف عبادة الله وتوحيده والخضوع لأوامره وشريعته وتنمية كل مواهب النشء وقدراته على الفطرة السليمة التي فطر الله الناس عليها، أي صون هذه الفطرة من الزلل والانحراف».(٨)

ومن فقهائنا من يتحدث عن النية التي ينويها الأب بقلبه عند إرسال أبنائه إلى المؤسسة التعليمية، وعن النية التي ينويها المعلمون عند مباشرتهم وظيفة التعليم: «فالأول ينوي أداء ما قلده الله به إزالة جهل ابنه إذ كل راع مسؤول عن رعيته. والثاني ينوي إبقاء مادة تلاوة القرآن إلى قيام الساعة وإبقائه على مفخرة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وكلاهما مأجور على نيته وقصده السامي.(٩)

المعلم المثالي في نظر الإسلام:

وفضلاً عن وجوب توافر النية الصادقة لدى المعلم فإنه يجب أن تتوافر بعض الشروط التي حددها الفقهاء فيمن يتولى تعليم الصبيان: أن يكون من أهل الصلاح والفقه والأمانة حافظاً لكتاب الله العزيز حسن الخط ليدرس الحساب. كما يجب أن تكون علاقته بتلاميذه قائمة على أساس العدل. فعن أنس: «أيما مؤدب وليَّ ثلاثة صبية من هذه الأمة فلم يعلِّمهم بالسوية فقيرهم كغنيهم، وغنيهم مع فقيرهم حشر يوم القيامة مع الخائنين». كما يجب أن يكون المعلم مع تلاميذه مهاباً ولا يكون عبوساً مغضباً ولا منسبطاً مترفقاً بالصبيان دون لين (أي دون مبالغة في اللين). «فالتعليم مرتبط بالتربية التي للعلم فيها دور أيضاً. وقد ارتبط التعليم عند المسلمين بالتربية إلى حد كبير. وبذلك سمت أغراضه وشرفت مقاصده».(١٠)

يقول ابن تيمية في شرح قوله تعالى: (كونوا ربانيين بما كنتم تعلِّمون الكتاب وبما كنتم تدرسون) آل عمران:٧٩، قال مجاهد: «الذين يربون الناس الصغار على العلم قبل كباره فهم أهل الأمر والنهي» وذلك هو المنقول عن السلف.

ونقل عن علي قوله: «هم الذين يغذون الناس بالحكمة ويربونهم عليها». وعن ابن عباس قال: «هم الفقهاء المعلمون». وقال ابن قتيبة: «واحدهم رباني وهم العلماء المسلمون» ثم ختم فقال: «إنهم منسوبون إلى التربية».(١١)

وقال هارون الرشيد لمعلم أبنائه: «ليكن أول إصلاحك لولدي إصلاحك لنفسك، فعيونهم معقودة بك فالحسن ما استحسنت والقبيح ما استقبحت».

لا جرم أن تعليم الأبناء مسؤولية بالغة الأهمية والخطورة في نظر الإسلام فما أعظم أن نصبوا مع بداية كل عام دراسي إلى تعليم الأبناء العلم النافع وأن نحسن النية من وراء ذلك، وأن يعي الأبناء أيضاً المقاصد الحقة من وراء تعليمهم كما ينبغي أن يضع المعلم الهدف ذاته نصب عينيه. وإذا ما تحقق ذلك وتضافرت هذه النيات بحلقاتها الثلاث فستتفتح المواهب، ويبرز النبوغ، وتنضج العقول، وتظهر العبقرية، نجحنا في ترسيخ دعائم المجتمع الأكرم والأنفع والأسمى ■

الهوامش:

١ ـ الشيخ محمد الغزالي، خلق المسلم، ص ٢٤٤.
٢ ـ الشيخ جاسم المهلل الياسين، العلم بين يدي العالم والمتعلم، ص ٥٤.
٣ ـ الغزالي، مرجع سابق، ص ٢٢٦.
٤ ـ دكتور يوسف القرضاوي، الوقت في حياة المسلم، ص ٣٦.
٥ ـ الشيخ جاسم المطوع، الوقت عمار أو دمار، ص ٥٢.
٦ ـ مليكة راجي، منهج تربية الطفل في التشريع الإسلامي، مجلة منار الإسلام، عدد ٩٦/٨.
٧ ـ المصدر نفسه.
٨ ـ عبدالرحمن النحلاوي، أصول التربية الإسلامية وأساليبها، مجلة الوعي الإسلامي العدد ٣٧٢.
٩ ـ ١٠ ـ مليكة راجي، مصدر سابق.
١١ ـ جاسم المهلل، مرجع سابق، ص ١١.

بقلم: أحمد محمد بكر موسى

إحياء خصوصية المرأة

نشرت مجلة الأهرام الاقتصادي القاهرية في عددها رقم ١٦٠٠ بتاريخ ١٩٩٩/٩/٦م مقالاً للدكتورة منى حلمي تحت عنوان «إجهاض خصوصية المرأة» وذلك في باب «هايد بارك» والذي يشرف عليه أحمد يوسف القرعي، وقد جاء في مقدمة المقال: «إن الثقافة أو الحضارة الأبوية القائمة على التفريق بين النساء والرجال، تعجز عن الاستمرار دون إجهاض كل خصوصية ممكنة تفيد المرأة باعتبارها ذاتاً لا موضوعاً، إن إجهاض خصوصية أي إنسان تقتضي إلغاء المساحة النفسية والمادية التي يتمتع بها، ولأن هذه المساحة ضرورية للنمو المستقبلي والتحقيق الإنساني المتكامل، فإن المرأة مواجهة بعائق أساسي أمام تحررها، منذ أن تعي الحياة، وهناك مؤامرة علنية ومقننة بكل الوسائل والأعراف لاقتحام الحيز الشخصي للمرأة، وبالتالي، يضمن المجتمع أولاً بأول إجهاض تكوين خصوصية للنساء في تفكيرهن وطموحهن»(١)

فقد بنت الكاتبة مقالها بالكامل على خصوصية المرأة، وبناء على هذه الخصوصية تعترض بشدة على ثالوث «الزواج، الأمومة، الطفولة» واعتبرته ضد تحقيق ذاتية المرأة وخصوصيتها، وتريد أن تستبدل به ثالوثاً آخر هو «التمرد، الحرية، السباحة ضد التيار»، فأي خصوصية تقصد؟ كلمة تكررها ببغاوياً ولم تحدد لها أي معنى ولم توضح ماذا تقصد بها، وكل ما فعلته أنها بنت على تلك الخصوصية - المزعومة - ما تريد أن تبثه في المجتمع من أفكار تريد أن تتبناها المرأة مثل «الحرية، التمرد، السباحة ضد التيار، الهوية الجديدة»، فهذه الخصوصية التي تتبناها لتأييد هذه الأفكار المسمومة - هذه الخصوصية - دليل ضدها وليس دليل لها، وسنشرح ذلك من خلال خصوصية المرأة التشريحية والنفسية، وخصوصية المجتمعات.

أولاً - خصوصية المرأة التشريحية والنفسية:

من المتفق عليه أن المرأة تختلف عن الرجل في تركيب جسدها تشريحياً ونفسياً، وعلى هذا فإن العدالة لا تتحقق بالمساواة بينهما في نوعية العمل، فمن المعروف أن العدالة لا تحقق بالمساواة بين غير المتساوين.

وعلى هذا فإنه يجب تقسيم العمل بين الرجل والمرأة، كل حسب خصوصياته وإمكاناته، فالمرأة تعمل داخل البيت - وأقول تعمل - والرجل يعمل خارج البيت. وهذا ما أكده فضيلة الدكتور نصر فريد واصل - مفتي الديار المصرية - حيث قال بمجلة عقيدتي «إن الرجل والمرأة كلاهما يكمّل الآخر وقد زود الله كل منهما بطاقات واستعدادات تتناسب مع المهمة التي يقوم بها ليحقق الخلافة في الأرض، ومع الدور الذي يُحسن أداءه في الحياة، وقد جعل الله لكل منهما ميداناً يمكن أن يؤدي رسالته فيه بيسر... وميدان المرأة هو البيت ورعايته رعاية تامة والإشراف على مصالح زوجها والقيام على الجيل الناشئ ورعايته. وجعل للرجل الكون الواسع الفسيح للسعي فيه على رزقه ورزق من يعول من زوجه وأولاده»(٢).

إن عمل المرأة خارج البيت ربما يؤدي إلى إهمال الأطفال من العطف والرعاية ولا شك أن عملية التربية تقوم على الحب والصدق والملاحظة وطول زمن الرعاية، ومن دون ذلك لا تحقق التربية، ومحاضن الرُضَّع وأعشاش الأطفال عند الآخرين تظهر - لمن يريد أن يرى ويعلم - أنها لاتحقق للأطفال ما يتحقق لهم في بيوتهم، إن المربية في المحضن مهما كانت على علم وتربية إلا إنها لا تملك قلب الأم، فلا تصبر ولا تحرص ولا تحب ولا تفعل ما تفعله الأم. فهل يوازي ما يخسره الأطفال من عطف الأمهات وعنايتهم ما تعود به الأم آخر النهار من دريهمات؟ كما أن من خصوصية المرأة أيضاً ما يؤكده الخبراء من أنها أقل عملاً وإنتاجاً من الرجل وذلك لما يعترضها من العادة الشهرية، وأعباء الحمل والرضاعة، والتفكر في الأولاد والأنوثة، ومطالبها، مما يشغلها عن العمل ويعوقها عن التقدم فيه، والنادر من النساء من لا تنقض القاعدة.(٣)

إنه من الظلم الفاحش أن نعتبر المرأة التي تدخر كامل جهدها لبيتها لا تعمل، إن دور

الأم في رعاية الأطفال لا يمكن أن تقوم به أخرى، وإنه لمن العجيب - في الوقت الذي تقوم فيه الدول بإنشاء كليات الطفولة ورياض الأطفال والتدبير المنزلي أن نرى من يعتبر المرأة التي لا تعمل خارج البيت عاطلة. انظر ماذا كتب الأستاذ حمد الحمد بمجلة الكويت تحت عنوان «المرأة... دعوة للتغير» «والمجتمعات التي تعطل طاقة المرأة إنما تعطل طاقة المجتمع، وتحد من تقدم المجتمع، والمجتمع الذي لا يسهم فيه الرجل والمرأة بدورهما الكامل إنما يسير برجل واحدة، أو هو مجتمع يسير ببطء، ولكن لا يتسطيع السير في المقدم لأن نصفه معطل».(٤) بالطبع هذا خطأ كبير، فعمل المرأة في داخل بيتها ليس تعطيلاً لطاقتها، بل هو إطلاق لطاقتها، حيث تمارس العمل الذي يتفق مع خصوصيتها ويتناسب مع تكوينها الجسمي والنفسي، إذاً فخصوصية المرأة تعني أن المرأة امرأة والرجل رجل فالمرأة تعمل العمل المناسب لها والرجل يعمل العمل المناسب له لا أن تزاحم المرأة الرجل في مجال عمله.

ثانياً - خصوصية المجتمعات:

إن لكل أمة هوية، هي الأساس في تحديد النظم الاقتصادية والاجتماعية والأخلاقية والإنسانية لتلك الأمة. فلكل أمة خصوصيات تميزها عن غيرها من الأمم وعلى هذا فإن عمل المرأة خارج البيت وتمردها وسباحتها ضد التيار يتناسب مع المجتمعات الغربية، وأما عملها خارج البيت في نطاق ضيق مثل تمريض النساء وتطبيبهن وتعليمهن وما إلى ذلك يتناسب مع المجتمعات الإسلامية وهذا ما سنوضحه فيما يلي:

● دواعي عمل المرأة خارج البيت في الغرب:

١ - إن المرأة في الغرب لا يتكفل والدها أو غيره بالإنفاق عليها متى بلغت الثامنة عشرة فلابد لها أن تعمل كي تنفق على نفسها، وكثيراً ما تدفع أجرة الغرفة التي تسكنها في بيت أبيها.

٢ - إن الناس في الغرب يعيشون لشهواتهم، فهم يريدون المرأة معهم في كل مكان، ألا ترى كيف يسخرونها لشهواتهم الدنيئة في الإعلانات وغيرها.

٣ - إن الغربيين يرفضون الإنفاق على من يعمل أعمالاً بسيطة - في وجهة نظرهم - مثل تربية الأولاد، لأنهم لا يهتمون بدين ولا بتربية.

٤ - المرأة في الغرب هي التي تهيء بيت الزوجية، فلابد لها أن تعمل وتجمع المال حتى تقدم مهراً «دوطة» لمن يريد الزواج بها.

٥ - المرأة في الغرب تجد الحرية في الخروج من البيت، فتخادن من تشاء، وتصادق من تشاء، وتذهب إلى حيث تشاء، وتنام حيث تشاء، وقد استمرأت هذه الحياة الفاسدة، واستمرء الرجال ذلك منها.(٥) وعلى هذا فإن عمل المرأة خارج البيت يتناسب وخصوصيات المجتمعات الغربية.

● دواعي عمل المرأة داخل البيت في المجتمع الإسلامي:

١ - في المجتمع الإسلامي لاتكلف المرأة بشيء من الإنفاق، فالزوجة نفقتها على ابنها والأخت على أخيها والبنت على أبيها.

٢ - اهتمام الإسلام البالغ بالأطفال ورعايتهم، حيث إن المرأة التي تعمل خارج البيت يفقد أطفالها الأنس والحب وذلك لطول غيابها عنهم.

٣ - تحريم الإسلام الاختلاط والخلوة بالأجنبي، وذلك لما قد ينتج عنه من آثار سيئة في النفوس والأخلاق، بل الفساد في الأعراض، وغيرها الكثير الكثير من دواعي عمل المرأة داخل البيت.

من هنا يتبين لنا أن عمل المرأة داخل البيت يتناسب مع المجتمع الإسلامي ويتفق مع خصوصياته، وعلى هذا فالمرأة يختلف أسلوب حياتها من مجتمع إلى آخر، فالمسلمة غير الأميركية غير الصينية وهكذا، ولكن الدكتورة منى تريد أن تكون كل النساء على نمط واحد بالطبع هو النمط الأميركي. ألا ترين أيتها الدكتورة أن ما تنادي به من الحرية والتمرد والسباحة ضد التيار هو السبب في وجود مئتي مليون من الرقيق الأبيض في العالم والعدد في ازدياد مستمر، إن المبادئ التي تنادي بها أيتها الدكتورة لم تجعل المرأة ذاتاً كما تريدين، ولا موضوعاً كما ترفضين، ولكن جعلتها سلعة تباع وتشترى، وأهدرت آدميتها تماماً، ألا ترين وضعها في المسارح والملاهي وغيرها. واسمحوا لي أن أقول للدكتورة: ما دمت تحبين حياة التمرد والحرية والسباحة ضد التيار، وتريدين من كل النساء أن يفعلن ذلك، وما دمت تبغين هوية جديدة، فلماذا لا «تغربين» عنا فتريحين وتستريحين، لا تستريحين أنت» ففي الغرب تستطيعين أن تعيشي حياة التمرد والحرية والسباحة ضد التيار، ونستريح نحن بالحفاظ على خصوصياتنا، تلك الخصوصيات التي ثبتت خيريتها وتميزها في حماية المرأة من الابتذال، والنزول من الإنسانية إلى الحيوانية، وأخيراً أيتها الدكتورة لماذا لا تقولينها صريحة: «أيتها النسوة: كن أميركيات» فهذه هي حرية الفكر كما ترينها، ويراها أحمد يوسف القرعي.

ومن العجيب أن أحمد يوسف القرعي يجعل شعاره الدائم في هذا الباب من الأهرام الاقتصادي ما يلي: «إذا كانت بريطانيا تفخر بحديقة هايد بارك، حيث يستطيع كل إنسان أن يقول ما يشاء ويعتبرها دليلاً على الديموقراطية وحرية الكلمة، فإن من حق مصر أن تفخر بازدهار الحرية فيها بغير قيود، وكدليل على ذلك نلتقي أسبوعياً وشعارنا هو: صراع الأفكار هو القوة الدافعة لتقدم بلدنا».

الشعار جميل ولكن الواقع غير ذلك تماماً فلابد للفكر من مرجعيات وإما أن نكتب لمجرد الكتابة فهذا ليس فكراً، وهذا لن يكون القوة الدافعة لتقدم بلدنا، بل سيكون القوة الدافعة لتأخر وهدم بلدنا، ثم إن أحمد يوسف القرعي جعل عنوان الباب «عمل المرأة... بين الرفض والتأييد والتحفظ» فكان عليه طبعاً أن يعرض للاتجاهات الثلاثة

الرفض، التأييد، التحفظ، ولكن انظر ماذا فعل، لقد عرض لخمسة آراء، الدكتور صلاح سالم زرنوقة والسيدة مريم مورو وهذا الاتجاه نستطيع أن نطلق عليه التحفظ على استحياء، حيث إنهما لا يعارضان عمل المرأة خارج البيت، وإنما دفعا بالخصائص الجسدية والنفسية لتقسيم العمل بين الرجل والمرأة، ثم عرض للدكتور إيهاب سلام والمؤيد لعمل المرأة خارج البيت وحقوقها السياسية، وعرض لرأي المستشار عبدالرؤوف حسن قبطان المؤيد لعمل المرأة خارج البيت وتوليها قاضية للأحوال الشخصية، ثم عرض أخيراً للرأي المغالي في التأييد لعمل المرأة وهو رأي الدكتورة منى حلمي، ونقول لأحمد يوسف القرعي: لقد عرضت للمتحفظ وعرضت للمؤيد لعمل المرأة وعرضت للمغالي في التأييد لعمل المرأة فأين رأي المعارض لعمل المرأة خارج البيت وأين رأي المغالي في المعارضة لعمل المرأة خارج البيت، أهذا هو صراع الأفكار كما تراه؟ اعتبره كما تشاء، ولكننا نعتبره حجراً على الأفكار، أهذه هي حرية الفكر كما تراها؟ اعتبرها كما تشاء ولكننا نعتبر هذا قتلاً للفكر.■

المصادر:

١ - الأهرام الاقتصادي - عدد ١٦٠٠ - الاثنين ٦ سبتمبر ١٩٩٩م - ص ٥٦.

٢ - جريدة عقيدتي - القاهرة - عدد ٣٥٤ - الثلاثاء ٢٧ من جمادى الأولى سنة ١٤٢٠هـ - ص ٥.

٣ - ففروا إلى الله - أبو ذر القلموني - دار الإرشاد للطباعة والنشر - القاهرة - ص ١٦٩.

٤ - مجلة الكويت - عدد ١٩١ - سبتمبر ١٩٩٩م - ص ٥١.

٥ - ففروا إلى الله - مرجع سابق ص ١٧١.

حوار

بقلم: سيد عبدالحليم الشوربجي

حوار حول الخمار

دخلت هناء على أبيها مسرعة أبي... أبي...!!

ماذا يا هناء؟!!

لقد حدث اليوم أمر أريد أن أعرف رأيك فيه.

ماذا حدث يا هناء؟

لقد كانت معلمة التربية الإسلامية تشرح لنا اليوم درساً عن «زي المرأة».

فقالت في معرض شرحها:

يا أولاد المهم ليس المظهر والشكل إنما المهم ما في القلب، فكم من فتيات كثيرات يلبسن «غطاء الرأس» ومع ذلك غير ملتزمات في داخلهن، وكم من فتيات مؤدبات ولا يلبسن «أغطية رأس» ولا غيرها.

فقلت لها مستأذنة: نفهم من هذا أن ارتداء «الخمار» ليس واجباً علينا نحن البنات؟!

قالت: لو أن البنت لبسته وأصبحت ملتزمة في داخلها «يبقى شيئاً جميلاً» فالمهم ما في القلب ليس الشكل والمظهر، فالبنت الملتزمة في داخلها لايهمها «خمار» أو غيره «فالخمار» ليس كل شيء.

فقلت لها: أنا أفهم أن الخمار ليس كل شيء، نعم لكن في الوقت نفسه لا يصلح أي شيء من دونه.

فتمتمت بكلمات ثم قالت سنكمل الحديث الحصة المقبلة ثم خرجت.

وبعد أن انتهينا من اليوم الدراسي وفي أثناء عودتنا إلى البيت كان هذا الموضوع محل نقاش وجدل بيننا نحن الطالبات.

قالت زميلة لنا: لقد اقتنعت بكلام المعلمة «صحيح... المهم ما في القلب ليس الشكل».

فردت عليها زميلة أخرى: كلام المعلمة غير صحيح، فالمرأة يجب أن تكون ملتزمة في مظهرها، وكذلك ملتزمة في داخلها. فقد علّمنا أبي أن البنت إذا بلغت المحيض يجب ألا يرى منها شيء غير الوجه والكفين.

قال الوالد: وماذا كان رأيك يا هناء في هذا الموضوع.

قالت: لقد كنت صامتة لا أتكلم ولكني لا أميل إلى رأي المعلمة ونصحت زميلتي بارتداء «الخمار» فهو عنوان المرأة، والآن ما رأيك يا أبي في هذا الموضوع.

يا هناء إنه ليس رأيي. بل هي أوامر الله ورسوله (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالاً مبيناً) الأحزاب:٣٦.

فقد وضع الله قواعد للمرأة يجب أن تلتزمها. وهذا هو خير لها لا كما يريده البعض لها من تحلل وعري يبعدونها به عن فطرتها وطبيعتها التي خلقها الله عليها (والله يريد أن يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلاً عظيماً) النساء:٢٧، لقد علّمنا الإسلام أن أقل شيء في زي المرأة أن تخفي جميع بدنها ما عدا الوجه والكفين.

فهذا هو أمر رسولنا يجب أن نلتزم به ولا نغير فيه أو نتخير منه.

وأرجو أن توصلي هذا المفهوم إلى «المعلمة» بحكمة وأدب فربما غاب عن ذهنها هذا الأمر فترجع عن رأيها وتصحح مفاهيمها.■

بقلم: محمود النجيري

مقاصد الزواج الإسلامي

الزواج تدبير إلهي وفطرة بشرية، فهو سنة من السنن التي فطر عليها الإنسان، وضرورة من الضرورات التي يقتضيها العمران البشري، تُحفظ به الأعراض، وتُصان الأحساب، وترعى الحرمات، وبه تتوثق الصلات وتتعمق الروابط بين أفراد المجتمع، وتلتحم الأسر وتتماسك بعد أن يصهرها الزواج صهراً، ولذلك قال الله تعالى: (وهو الذي خلق من الماء بشراً فجعله نسباً وصهراً وكان ربك قديراً) الفرقان:٥٤.

وقد ارتفع الإسلام بالزواج إلى درجة العبادة التي يؤجر عليها، ففي حديث النبي - ﷺ -: «من أماثل أعمالكم إتيان الحلال» (رواه أحمد وأبو نعيم في الحلية)، وقال النبي - ﷺ -: «وفي بضع أحدكم صدقة» قال يا رسول الله أيأتي أحدنا شهوته ويكون لها فيها أجر؟ قال: «أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه وزر؟ فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجر» (رواه مسلم وغيره).

وللإسلام غاياته النبيلة في التسامي بالعلاقة الزوجية من قضاء شهوة إلى علاقة يباركها الله ويرعاها، ويظهر هذا في إرشاد النبي - ﷺ - الزوجين إلى التسمية في فراش الزوجية، وذلك في قوله: «لو أن أحدكم إذا أراد أن يأتي أهله قال: بسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا. فإنه إن يقدر بينهما ولد في ذلك اليوم لم يضره الشيطان أبداً» (متفق عليه).

وهناك مقصدان أساسيان للزواج متفق عليهما في جميع الأديان وقوانين العمران والحضارات، وهما: قضاء الشهوة، وابتغاء النسل. ولكن الزواج الإسلامي له مقاصد أكثر من ذلك ويمكن إجمالها فيما يلي:

١ - طلب الذرية: بما يحقق حفظ النسل وبقاء النوع الإنساني كاملاً، وهذا دأب الأنبياء والمرسلين كما قال تعالى: (ولقد أرسلنا من قبلك وجعلنا لهم أزواجاً وذرية) الرعد:٣٨، والذرية نعمة يمتنّ الله بها على عباده، كما في قوله سبحانه: (والله جعل لكم من أنفسكم أزواجاً وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة ورزقكم من الطيبات) النحل:٧٢.

٢ - التحصن من الشيطان: وكسر توقان النفس إلى الجماع، ودفع غوائل الشهوة الحسية، وغضّ البصر، وحفظ الفرج. ويتحقق هذا بالإشباع الجنسي المنظَّم، بما يحفظ الأعراض ويصون الأنساب، فلا مسافحة في العلن، ولا مخادنة في السر.

٣ - ترويح النفس وإيناسها بالمجالسة بين الزوجين والملاعبة واللهو، إشباعاً للعاطفة وإراحة للقلب، ودفعاً للملل والسآمة، وتقوية على العبادة، كما بيّن الحق جل وعلا بقوله: (هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها) الأعراف:١٨٩، وقال الصالح أبو بكر الوراق: «كل شهوة تقسّي القلب إلا شهوة الجماع، فإنها تصفيه، ولهذا كان الأنبياء - عليهم السلام - يفعلونه».

٤ - مجاهدة النفس ورياضتها بالرعاية والولاية والقيام بحقوق الأهل والصبر على خلاقهن واحتمال الأذى منهن، والسعي في إصلاحهن وإرشادهن إلى طريق الدين، وتربية الأبناء، وتحصيل الكسب الحلال لكفاية الأسرة، وهذا من شأنه أن يكوِّن في الإنسان الصفات الفاضلة كالإيثار والخدمة، وقد حض النبي - ﷺ - على إكرام الأهل قائلاً: «إنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أجرت بها حتى ما تجعل في في امرأتك» (أي فم امرأتك).(١)

٥ - تفريغ القلب عن تدبير المنزل: وعن التكفل بشغل الطبخ والكنس والفرش وتنظيف الأواني وتهيئة أسباب المعيشة، وذلك حتى يجد الرجال الوقت الكافي للعمل والإنتاج.

٦ - بناء التنظيم الاجتماعي، وذلك بتكوين الأسرة التي هي لبنة أساسية فيه وإصهار الأسر بعضها إلى بعض بما يحقق نسيجاً اجتماعياً قوياً ومستقراً ودائماً وله حدود واضحة المعالم، تتوزع فيه الحقوق والواجبات توزيعاً عادلاً، وقد مر بنا قوله تعالى: (وهو الذي خلق من الماء بشراً فجعله نسباً وصهراً) الفرقان:٥٤، وقال سبحانه أيضاً في ذلك: (يأيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً) النساء:١.

٧ - مقاصد سياسية وعسكرية: وذلك بتوافر القوة البشرية التي هي وقود الحروب، وعمدة النشاط الاقتصادي وغير الاقتصادي والمخزون الاستراتيجي الطبيعي لكل تنمية وقوة ذاتية، والأساس لبناء الجبهة الداخلية المستقرة كما أمر الله سبحانه بقوله: (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم. وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم) الأنفال:٦٠، وقد جاء رجل إلى النبي - ﷺ - فقال: «يا رسول الله إني أحببت امرأة ذات حسب ومنصب، إلا أنها لا تلد، أفأتزوجها؟ فنهاه. فأتاه الثانية فقال له مثل ذلك، ثم أتاه الثالثة، فقال النبي - ﷺ -: «تزوجوا الولود الودود، فإني مكاثر بكم الأمم» (رواه أبو داود والنسائي وابن ماجه).

وقد نظّم ابن يامون بعض فوائد النكاح ومقاصده في الأبيات التالية:(٢)

فوائد النكاح غض البصر
تحصين فرج، ورجا نسل در
تصفية القلب، كذا تقويته
على العبادة وكذا استراحته
من تدبير المنزل، والتكيف
رياضة للنفس، فراغ واكتف
والغنى أيضاً واطلاع الإنسان
على الذي يشوقه إلى الجنان

الهوامش:

١ - أبو حامد الغزالي: إحياء علوم الدين، ص (٧٢/٢ - ٧٣)، وطارق كخيا: الزواج الإسلامي، ص ٢٣ - ٣٥.

٢ - قرة العيون بشرح نظم ابن يامون في النكاح الشرعي وآدابه لأبي محمد التهامي الأدريسي، ص١٣.

بقلم: منى السعيد الشريف

ومازالت منتظرة أسيرها

على شاطئ البحر وفوق الصخرة جلست العجوز كعادتها كل ليلة تنظر إلى البحر حتى تتحجر عيناها ثم ترفع رأسها إلى السماء طويلاً تناجي نجومها وكأنها تحاول أن تقتبس من نورها... كان البحر ثائراً وصوت الأمواج الصاخب حين تصطدم بصخور الشاطئ الحزين كأنه صراخ جنبات البحر التي طالما ملأت بقصصهن ليالي أبنائها وأحفادها



... كانت ليالي دافئة حانية... وكم تختلف عن تلك الليالي التي تعيشها الآن... إنه زمن بعيد حتى عن ذاكرتها وعقلها الذي لم يعد يفكر ويتذكر إلا الغائب وذكرياتها معه. كانت تجلس ساكنة وكأنها جزء من تلك الصخرة القابعة على الشاطئ تعبث رياح البحر بخمارها كيفما شاءت كما تعبث بعقلها الذكريات والهموم والأحزان، ثم بدأت تهمهم بصوت هزيل منكسر كمن يخرج من بئر سحيق قائلة «لقد انقضت ليلة أخرى ولم تعد... مازلت جالسة هنا يا ولدي أنتظرك ومازلت لم تعد... لقد قارب الفجر على البزوغ ومازال فجري بعيد... بعيد أتراك تعود يوماً أم أن الأرض هناك أحبتك كما عشقتك أرض وطنك وبلادك؟... نعم فالأرض تحب العبد الذاكر الشاكر هكذا علمتك منذ كنت صغيراً... وهكذا كنت صبياً وشاباً ورجلاً... عابداً تقياً أتراهم نزعوا قيودك؟ أم مازلت في أغلال أسرك... ولكن مهما قيّدوك وأبعدوك أنت هنا... روحك بجواري حر طليق أشم عطر أنفاسك مع رائحة البحر أسمع دبيب قدميك في حجرتك المغلقة

منذ أن تركتها وتركتي كل شيء هنا ينتظرك وأنا... أنا أنتظرك ولن أمل الانتظار سوف أكون هنا كل ليلة على موعد فوق صخرتك هذه... أتذكرها كنت تقول لي «إنني أعشق هذا المكان يا أمي منذ كنت طفلاً وعندما أقف على هذه الصخرة أشعر أنني أطاول السماء... أستطيع لمس نجومها وأحلم بالشاطئ البعيد»، وها هي الصخرة تنتظرك معي فلابد أن تعود فأنت لم تعتد البعد عني نعم لابد أن تعود... ثم تذهب في شرود بعيد وتعود إلى النظر للبحر مرة أخرى غارقة في أحزانها.

ويخترق جدار صمتها صوت تعرفه جيداً إنه صوت زوجة ابنها الغائب «سعاد» تقول مستغيثة أدركيني يا جدة أدركيني... كنت أعلم أنني سوف أجدك هنا على الشاطئ... إن فاطمة ابنتي تلد وأنا وحدي فزوجها مسافر... ولكن الجدة تظل صامتة لا تجيب. فتمسك سعاد بكتفيها وهي تحدق في وجهها الشاحب في ضوء القمر قائلة: لا أرجوك يجب أن تجيبي فليس هذا وقت الصمت والشرود إنها فاطمة، فاطمة ألا تذكريها... إن ولادتها متعسرة جداً، فهي تعاني آلام المخاض منذ ساعات طويلة وقد نقلتها إلى المستشفى ولكنها تلح في طلبك حتى اضطرتني أن أتركها وحدها لأبحث عنك.

ولكن الجدة مازالت لا تجيب وتيأس سعاد قائلة: لا فائدة... لا فائدة وتهمّ بالانصراف، إلا أن الجدة تلتفت قائلة بنبرات متقطعة: هل فاطمة تلد حقاً؟ فترد سعاد باكية: نعم يا جدة يجب أن تأتي معي فقد نفقدها هي الأخرى. فتنتفض الجدة قائلة: لا. فاطمة. لا... لا... وتهرول مع الأم مسرعة إلى المستشفى. وهي لا تكاد ترى طريقها تتراءى أمام عينيها صورة فاطمة تارة وصورة ابنها الغائب تارة أخرى فيزيد جزعها ولهفتها.

وفي ردهة المستشفى مرت الدقائق دهوراً والجدة تلهج بالدعاء والأم تجوب الردهة ذهاباً وإياباً حتى جاءت البشرى مع صرخات الوليد الجديد وابتسامة الممرضة وهي تفتح باب الحجرة قائلة «مبارك يا سيدتي لقد جاءكم طفل جميل».

وتقبّل الجدة جبين حفيدتها قائلة: حمداً لله على سلامتك يا صغيرتي.

فاطمة: وعلى سلامتك وعودتك لنا يا جدتي. هذه المرة الأولى التي أسمع فيها صوتك منذ أن غاب والدي.

فترد الجدة: أتظنين أني قد عدت حقاً يا فاطمة. لا أظن ذلك... إنني مازلت بعيدة مازلت معه هناك ولن أعود إلا مع عودته عندما تلمس عيناي ملامح وجهه وتضمه ذراعيّ من جديد ويغرّد صوته في أذني يومها فقط سأعود وستعود الحياة من جديد.

وتشارك الأم في الحديث وهي تضع الوليد في فراشه وتتجه إلى الجدة قائلة: لا يا جدة إننا جميعاً في حاجة إليك. بل إن كل منا في حاجة لآخر... فعندما يهاجمنا الشتاء ببرودته وقسوته يجب أن نتقارب... أن نكون أقرب ما يكون من بعضنا بعضاً حتى نلتحم... نشعر بالدفء والأمن ولو لبعض الوقت، ولن يهاجمنا شتاء أقسى مما نحن فيه من محنة وبعد عن الأحبة.

وتمسك فاطمة بيد جدتها قائلة: أتعرفين يا جدتي عندما حملت وليدي بين ذراعي وقبلته للمرة الأولى شعرت وقتها فاطمة بمدى ما تعانين من ألم لفقد والدي وأدركت أنه لا يمكن أن يحبه أحد قدر حبك له... ولكن أمي معها حق، فيجب أن نتكاتف ونتقارب. لا أن ينعزل كل منا وحده يجترّ أحزانه وآلامه... يجب أن نكون معاً دائماً حتى تمر المحنة... إنني أشعر أن فرج الله قريب وأنه عز وجل سوف يرد لنا أبي سالماً ويرد كل غائب إلى محبيه. إنه على ما يشاء قدير. أليس هو القائل في كتابه الكريم: (فإن مع العسر يسراً إن مع العسر يسراً) ولن يغلب عسر يسرين إن شاء الله.

فترد الجدة: نعم سوف يعود إن شاء الله أنا أعلم ذلك قلبي يحدثني بذلك، ولذا فأنا أنتظره وسوف أنتظره كل يوم على الشاطئ حتى يعود ويرى حفيده الصغير... يرى الأمل الوليد الذي أهداه الله لنا.

وعادت الجدة تجلس على الشاطئ من جديد تنتظر بسمة مسلوبة وفجراً مشرقاً يعود مع عودة الغائب... أترى سيطول انتظارها ويطول حتى تذوب على الشاطئ وتصبح جزءاً من صخوره ورماله أم أنه سيتحقق الحلم ويعود الغائب؟

إعداد: د.رشيدة محمد أبو النصر

من المشكلات المزمنة في البيوت التي قد تطول ويصعب علاجها «إطعام الطفل الصغير»، وتبدأ المعركة... الأم تريد والطفل يرفض، وتبدء الإغراءات والرُشا من الأم يقابلها تصميم من الطفل على موقفه فترغمه الأم على تناول الطعام... ويصبح وقت الطعام عقاباً للطفل وعذاباً للأم وضجة كبرى في البيت تنتهي بإحساس الطفل بالظلم والقهر وكراهية الطعام، وقد تبدأ اضطرابات الطعام عند الطفل والتي تشتمل على رفض الطعام والغثيان والقيء والمغص والإمساك وفقدان الشهية وسلسلة طويلة من الأمراض.



حتى لا يكون الطعام معركة بين الطفل والأم

ويمكننا في إيجاز التعرض لأسباب ضعف الشهية عند الأطفال فهي تتمثل في:

١ ـ أسباب مرضية: فالطفل المريض بنزلة شعبية أو معوية أو غيرها من الأمراض يصاب بضعف موقت في شهيته، ولعل هذا حماية له حيث إن جهازه الهضمي يتأثر بالمرض وفي قلة شهيته للطعام راحة لهذا الجهاز طوال فترة المرض وبانتهاء المرض تعود الشهية إلى ما كانت عليه.

٢ ـ أسباب طبيعية: ويرجع ذلك إلى تناول الطفل الحلوى أو أي طعام آخر بين الوجبات ومن الطبيعي أيضاً أن تقل شهيته إذا لم يُعط الفرصة ليجوع.

٣ ـ أسباب نفسية: وهذه المشكلة لها سببان هما الطفل والأم، فمن جهة الأم، فإنها أحياناً ما تلجأ إلى الإلحاح والتوبيخ والرُشا لطفلها كي يأكل كما تصر على أن تعطيه الأكل الذي يوافق مزاجها الشخصي ولا تعترف بأن لطفلها الحق في اختيار الطعام الذي يحبه كما أنها تحكم على شهيته بالمقارنة إلى ما كانت عليه في السنة الأولى من عمره.

أما من ناحية الطفل، فإنه غالباً ما يبدأ في السنة الثانية من عمره بالإحساس بذاته وبأن له شخصية تريد الاستقلال عمن حولها ويحاول إثباتاً لشخصيته التحكم في مقدار الأكل الذي يتناوله وفي أنواع الطعام المقدم له، هذا الطفل يزداد عناداً وتقلباً في شخصيته إذا ما أحسّ بما يصيب أمّه من توتر وعصبية بسبب رفضه الطعام، فهو يحسّ بأن امتناعه عن تناول الطعام قد جعله محور اهتمام العائلة ـ وهذا هو ما يريده ـ ولهذا فسيستمر الرفض والدلال فضلاً عن أن استعمال الضرب والتأنيب أو الثناء على أنواع الطعام يجعل من جلوسه على المائدة محنة مفزعة تتكرر ثلاث مرات يومياً وهذا الشعور يكفي لذهاب أي شهية لدى الطفل.

ولعل الحل الوحيد لعلاج هذه المشكلة أن يقدم الطعام للطفل ويُترك وشأنه ليختار ما يروق له. فالغريزة البيولوجية هي التي ستوجه الطفل لما يريده وما يحتاجه من طعام، وإذا ما شعر الطفل بقلق الوالدين

بسبب طعامه فسوف يستغل هذه النقطة في عنادهما خصوصاً إذا كان يعاني من مشكلة والداه مصدرها. وهنا يبرز تساؤل مهم مؤداه «هل تنطبق هذه النظرة على حالات فقدان الشهية؟ هل نترك أطفالنا يأكلون أو يرفضون الطعام حتى لو كانوا يعانون من فقدان الشهية؟ الحق أن أساتذة الطب النفسي يؤكدون أن فقدان الشهية يكون عصبياً وهو من الحالات النفسية الخطيرة التي تصيب الأطفال، وقد تمتد هذه الحال إلى سن المراهقة وهي أكثر انتشاراً عند الفتيات... فقد تفقد الطفلة شهيتها للطعام فقداً تاماً... وقد تكون لهذه الحال أسباب عضوية ولكن هناك عوامل نفسية تؤدي إلى ظهور هذه الحال مثل اضطراب علاقة الطفلة بأمّها مثلاً. ومن الأعراض المنتشرة بين الأطفال القيء والغثيان وهذه حالات تنتاب الأطفال إذا ما تعرضوا للخوف أو القلق. فالطفل الذي يخشى الذهاب إلى المدرسة من الممكن أن يتعرض للقيء كل صباح، والقيء الذي يصيب الطفل في المساء قد يرجع سببه إلى الإرهاق والتعب الشديدين أو الانفعال نتيجة الضغط الواقع عليه في شأن الدراسة، فمذاكرة الطفل تعتبر مشكلة في معظم بيوتنا حيث تحاط بالضغط وعقد المقارنات، مما يعرض الطفل إلى صراع نفسي يتحول إلى خوف يصاحبه حالات من القيء تنتابه على الأغلب وقت المذاكرة، ثم يلجأ بعد ذلك لهذه الوسيلة للهروب من الضغط الواقع عليه، وقد يبدأ الطفل في الشكوى المتكررة من منطقة المعدة والأمعاء، حيث إنها منطقة حساسة عند الطفل تتأثر إذا ما تعرض للانفعالات والقلق. لكن كيف نتغلب على ضعف الشهية عند أطفالنا؟!

يجب التأكد أولاً من أنه ليس هناك سبب مرضي لضعف الشهية كما يجب على الأم أن تعلم أن شهية الطفل ونموه يقلان طبيعياً بعد السنة الأولى من عمره فلا داعي للقلق أو الاضطراب. كما أن شهية الطفل عادة متذبذبة ومتقلبة فقد يصاب بضعف مفاجئ في الشهية وقد يستمر ذلك أسبوعاً أو أكثر ولم يعد لحاله الطبيعية، كما أن الشهية وسرعة النمو تختلف من طفل لآخر، فلا داعي للمقارنة بين طفلك وطفل الجيران. فضلاً عن أنه يجب على الأم ألا تناقش مسألة الأكل وألا تعطيها أهمية ولا سيما أمام الطفل. لذا فمن الضروري على الأم ألا تحاول إرغام طفلها على الأكل بالتهديد أو الضرب أو بترغيبه بالرُشا، بل يجب وضع الطعام أمامه لمدة تتراوح من عشرين إلى ثلاثين دقيقة ليأكل ما يشاء ثم يتم رفع الباقي دونما أي تعليق.

وغني عن البيان أن اعتراف الأم أمام طفلها بحقه في اختيار الطعام الذي يحبه - مادام الطعام مفيداً - يكون محفِّزاً للطفل على تناول الطعام.

ولعله من المفيد الإشارة إلى أن منع الطفل من تناول الحلوى أو أي طعام آخر قبل الطعام بساعتين أمر مفيد للغاية في تحسين شهية الطفل. كما يمكن للأم مساعدة طفلها ضعيف الشهية بالاستعانة ببعض المقويات التي تعوض النقص في غذائه طوال فترة العلاج.

يبقى أن نؤكد أن ضعف شهية الطفل هو مشكلة تثيرها الأم القلقة وينميها الطفل الذي يجد في قلق الأم وسيلة ناجحة لإشباع رغبته في إبراز شخصيته للعالم الصغير الذي يعيش فيه. وعلاجها هو هدوء الأعصاب والصبر والتفهم الكامل للجذور النفسية لهذه المشكلة.

وأخيراً ثقي يا سيدتي بأنك لو تركت لطفلك الحرية فيما يتناول من طعام فسوف يتناول ما يحتاجه جسمه... ولن يموت جوعاً ■



بقلم: حبيبة أحمد مطيوط

نساء في التاريخ

«الأمازونيات» جيوش تشكلت من النساء وكانت درعاً لمجتمعاتها يقيها غائلة الحروب والغزوات، ويوفر لها السلم والحياة كما تقول: «هيلين الميدا» في كتابها الشهير الأمازونيات «جيوش من النساء»، وكما يؤكد بيار صموئيل في كتابه الأمازونيات... «محاربات شديدات البأس».

وعلى الرغم من وفرة هذه الأمثلة في التاريخ القديم من أسبارطة والمدن الإغريقية إلى الشعوب والقبائل في عموم قارات آسيا وأفريقيا وأميركا، ظلت النزعة العامة، وهي نزع السلاح عن المرأة ما أمكن، مستمرة في التاريخ المعاصر، إذ غالباً ما تنظر المجتمعات إلى النشاط العسكري على أنه نشاط ذكوري فتحصر هذا الشأن في الرجال، وتحصر المرأة في كل ما يستدعي الرحمة والعاطفة واللين، غير أن البشرية عرفت عصوراً كان السلاح فيها من شأن المرأة، وهي العصور التي سميت بـ«الماتريركية».

«سلطة الأم» والتي انتهت بتراجع سلطة المرأة أمام الرجل وبداية العهود البطريكية «سلطة الأب».

وقد سادت تلك العصور أحداث يرويها المؤرخون تبدو أشبه بالأساطير وما هي إلا وقائع تاريخية، حقيقية كالنساء المحاربات اللواتي كن يقطعن نهدهن الأيمن لكي لا يعيق حركة شد القوس إلى أقصى مداه، سواء في الحرب أو الصيد.

وكتلك المدينة التي تمكنت نساؤها العام ١٢٠٠م من فك حصار فرضه عليها جيش غاز في أثناء وجود رجال المدينة على جبهة قتال أخرى على نهر الفرات.

كما يتحدث التاريخ عن نساء كثيرات كن ينخرطن في الجيوش مقنّعات الوجوه دون أن يكتشف أمرهن لأن الزيارات الطبية لم تعرف كضرورة في الجيوش إلا منذ القرن التاسع عشر.

وفي التاريخ العربي نجد أن المرأة العربية قد خاضت جنباً إلى جنب مع الرجل أعظم المعارك وأضخم الحروب، وضربت في ذلك أعظم الأمثلة، فهذه بلقيس ابنة شرح بن ذي حبرم تفتح بيديها بابل وفارس ويصل حكمها إلى خضوع أذربيجان لها، وهذه حليمة بنت الحارث بن أبي شمر الغساني المنسوب لها قول العرب: «يوم حليمة» تحرض الرجال على القتال وتحارب معهم.

وهذه الزرقاء بنت عدي بن غاضب الهمدانية، وعمرة بنت علقمة الحارثية، ونقدم في هذا العدد ... زنوبيا أو الزباء وهي من اللواتي لم تدخل التاريخ إلا من أوسع أبواب حروبه.

يقول المؤرخون: إنها ابنة شيخ عربي ينتهي نسبه إلى نسل سليمان الحكيم، كانت زنوبيا تلبس العمامة كالرجال، ولها سيطرة لا حدَّ لها على رجال مملكة تدمر كلهم، وكانت مثقفة وواسعة الاطلاع تتقن الكثير من اللغات، وقد ألّفت كتباً عن مصر، ولم يكن يهزمها أحد في حلقات النقاش.

قتل زوجها فأخذت بزمام الحكم نيابة عن ابنها الصغير وبسطت رقعة مملكتها فشملت شرقي آسيا الصغرى وسوريا والجزء الشمالي من بلاد النهرين ومصر.

كانت قائدة شجاعة ومحاربة فذة ولها القدرة على تنظيم الجيوش وقيادة المعارك، أرسل الأمبراطور «جالينوس» جيشاً لإخضاع زنوبيا وضم مملكة تدمر لحكمه، فأعدت زنوبيا العدة لمواجهة الغزو وقادت جيشاً عظيماً كانت تتقدمه بنفسها، وكان لفروسيتها وشجاعتها المنقطعة النظير أكبر الأثر في هزيمة جيش جالينوس هزيمة نكراء.

وبعد انتصارها أرسلت عدداً من التجار إلى مصر فأنشأت علاقات اقتصادية بين مملكتها ومصر، ووجدت الفرصة مواتية لتخليص مصر من حكم الرومان، ودخلت مصر بجيش جرار فرحب بها المصريون وانهزم الجيش الروماني.

لم تكتف زنوبيا بمصر، بل قادت جيوشها حتى فتحت ضفاف البوسفور وأطلقت على مملكتها اسم «الامبراطورية الشرقية». وهي نموذج للنساء العظيمات. ■



الإنترنت

إعداد : تمام أحمد

باب جديد يحتوي على مواقع مختارة على شبكة الإنترنت تهم القارئ العربي والمسلم نقدمها لقرائنا الأعزاء آملين منهم التواصل معنا ورصد المواقع الجيدة التي تخدم هذا الباب وإرسال عناوينها إلينا حتى نخدم من خلالها ديننا وأمتنا وقضايانا العربية والإسلامية والله من وراء القصد.



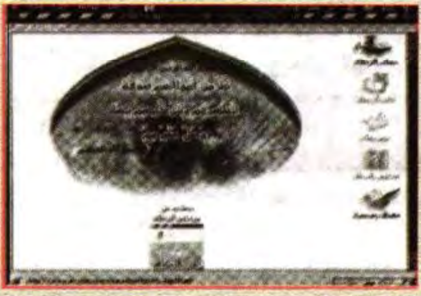
١ ـ موقع القرآن الكريم :

http:// www. al-eslam. com/ quran2

من أجمل المواقع التي تقدم القرآن الكريم نصاً وتلاوة بأصوات الحصري والحذيفي يحتوي على محرك بحث رائع يقدم العديد من مواضيع علوم القرآن من أحكام التلاوة وأسباب النزول وتفسير القرآن وترجمة معانيه لعدد كبير من اللغات الأجنبية.

٢ ـ موقع الحديث النبوي الشريف :

http:// www. al-islam. com/ hadith/



لابد من زيارة هذا الموقع المهم والغرف من المعلومات التي يقدمها. فقد تم إدخال كتب الأحاديث جميعها باللغة العربية حيث يمكن للقارئ أن يبحث عن أحاديث في أي موضوع يريد وذلك في غضون لحظات وطريقة البحث رائعة وسهلة. ويعتبر هذا الموقع مرجعاً إسلامياً مهماً على شبكة الإنترنت.

٣ ـ موقع حساب الزكاة:

http:// www. al-islam. com/ zakaaind/

إذا أردت حساب زكاة أموالك فما عليك إلا زيارة هذا الموقع المهم. فيحسب لك وبدقة ما يجب عليك أن تدفعه للزكاة. وفيه معلومات غزيرة عن الزكاة في الإسلام وطريقة حسابها. وفيه حل مثالي لمن يريد معرفة قيمة زكاة أمواله سنوياً.

٤ ـ موقع القاموس

http:// www. alqamoos.com/

قاموس عربي ـ إنجليزي، وإنجليزي ـ عربي. كما يقدم معاني المضادات والمرادفات للكلمات. يقوم بعملية البحث بسرعة هائلة يغنيك هذا القاموس عن القواميس الورقية الضخمة. وهو متوافر باستمرار ليساعدك في ترجمة كلمة مرت معك ولا تدري معناها في أثناء تصفحك لموقع الإنترنت.

٥ ـ الإسلام للمبتدئين:

http:// www. al-islam. for - beginners. com

الموقع موجه للمسلمين الجدد، لكن أسلوبه التعليمي يجعله مناسباً حتى للناشئة من المسلمين. ومع أنه بالإنجليزية إلا أنه مبسط ومقسم بشكل موضوعي مناسب.



٦ ـ موقع الحوار العربي:

http:// www. heewar.com

موقع يلتقي فيه العرب عبر شبكة الإنترنت للحوار والمناقشة حول العديد من المواضيع المهمة سياسية وفنية واقتصادية وعلمية.

وهي أيضاً دليل للعديد من مواقع الحوار على شبكة الإنترنت. يمكنكم الانضمام إلى أي حوار مباشرة أو الاستماع إلى آراء الآخرين.

بقلم : حبيبة مطيوط

المعلوماتيــة كمدخل حاسم للتوحد العربي

استثمارات معلوماتية بمئات البلايين

للتدليل على الأهمية البالغة للأخذ بالثورة المعلوماتية، ليس كمدخل للتوحيد الإقليمي فحسب، وإنما كمدخل للنهوض الشامل في المحاولات والأنشطة الإنسانية كافة وفي المال، في وقت زمني قياسي، قد لا يتعدى بضع سنوات، تكفي الإشارة إلى حجم الاستثمارات المذهلة لبعض البلدان في هذا المجال، إذ نجد أن الاتحاد الأوروبي مثلاً يخطط لاستثمار ٧٦ بليون دولار في بضع السنوات الباقية من القرن العشرين وحتى العام ٢٠٠٠، لتحقيق الاندماج المعلوماتي فيما بين بلدان القارة الأوروبية، وتحقيق النمو المعلوماتي الخاص بشقيه، الذهني Software والمادي أو التكنولوجي Hardware، وعلى أساس أن النمو المعلوماتي الذي يشمل اليوم كل أو معظم الأنشطة الإنسانية الحيوية قد أصبح من أهم مصادر الدخل القومي.

وللتدليل على صحة ذلك، تكفي الإشارة إلى أنه على الصعيد الاقتصادي الشامل، فإن منتجات صناعة معدات تكنولوجيا المعلومات باتت تحتل المركز الأول بين الصادرات الأميركية وقد بلغت قيمة هذه الصادرات ٦٢ بليون دولار سنة ١٩٩٣م، في حين بلغت قيمة صادرات أميركا من الطائرات في تلك السنة ٣٣ بليون دولار فقط، مع الإشارة هنا إلى أن صناعة الطائرات كانت أكثر القطاعات الصناعية تصديراً في أميركا من قبل، أما صادرات البرامج والأنظمة الحاسوبية فتقدر بأكثر من بليونين ونصف البليون من الدولارات.(١)

وقد دفع هذا السياق المحموم في مجال الاستثمارات المعلوماتية ببلد ناهض مثل الصين إلى رصد مبلغ ١٠٠ بليون دولار لتطوير شبكاتها المعلوماتية، بهدف جعل الصين بجميع أطرافها الجغرافية المترامية أكثر توحداً وتماسكاً، وأكثر انتعاشاً على جميع المستويات السياسية والاقتصادية والاجتماعية ومع ربط تلك الشبكات بالأقمار الصناعية الخاصة بالصين في الفضاء من خلال ثورتها المعلوماتية، والشيء نفسه تأخذ به الكثير من الدول والتكتلات الإقليمية كاليابان، ومجموعة النمور الأسيوية.

جانب من العطاءات المدهشة لثورة المعلومات:

والحاسب الآلي بوصفه الركيزة الأساسية لعصر ثورة المعلومات، وعلى الرغم من كونه في بدايات نشأته الأولى، حيث ظهر أول حاسب آلي في العام ١٩٤٨م، ولم يستغل جيله الأول عملياً إلا في الخمسينيات من القرن العشرين، إلا أنه قد تطور تطوراً سريعاً، حتى بلغ جيله الخامس الذي ينتظر أن يتغير معه وجه العالم في القرن المقبل.

ويصعب حصر المجالات التي يستخدم فيها الحاسب الآلي، حيث تصل إلى الآلاف اليوم، وهي قابلة للزيادة، ربما لتصل إلى ملايين الاستخدامات غدا مع التطور العلمي المستمر لأجيال الحاسب.

ومن هذه المجالات المهمة على سبيل المثال:

استخدام الحاسب الآلي في مجال التخطيط القومي:

والتخطيط القومي يحتاج دائماً إلى حسابات كثيرة، متعددة، معقدة، وإلى دراسات بديلة، عديدة، وإلى تعديلات متتابعة، بحسب الظروف الطارئة، وبالتالي فالحاسب الآلي يقوم بدور فعال في إمكانية الحساب السريع لبدائل النماذج الاقتصادية المختلفة، ودراسة التغيرات المتوقع حدوثها، ومن ثم رسم سياسات رشيدة تحقق الأهداف القومية بكفاءة أعلى، وأسلوب أدق.

كما أنه يمكن الإفادة منه في الحصول على الإحصاءات والبيانات بصورة شاملة، دقيقة، وسريعة، ما يفيد في دراسة تطور المجتمع، واحتياجاته الحالية والمستقبلية، وبالتالي تحديد الأهداف والآمال القومية، ورسم سياسات بديلة، عديدة، واتخاذ قرارات سليمة بشأنها.(٢)

استخدام الحاسب الآلي في الفضاء:

ومما لاشك فيه أن الفضل الأكبر في نجاح جميع رحلات الفضاء يرجع أصلاً لاستخدام الحاسب الآلي حيث أصبح يستخدم كوسيلة حتمية في إنجاز المخططات الموضوعية لغزو الفضاء، وحيث يقوم الحاسوب بعملية التوجيه لسفن الفضاء.

ويتم الاعتماد كلياً الآن على الحواسب الآلية في توجيه صواريخ الأقمار الصناعية، كما

تقوم الحواسيب بتجميع القوائم الفلكية، بحيث يمكن تحديد المواعيد التي يظهر فيها القمر الصناعي، ولم يكن الوصول إلى القمر بالمهمة السهلة، لولا استخدام الحواسيب، حيث تقوم الحواسيب الآلية بحساب المسار الفعلي لمحطات الفضاء المتجهة إلى القمر، وتساعد في تحديد الاتجاه السليم والملائم لهبوط المحطة بسلام على سطح القمر، وفي المكان الذي سبق تحديده لهبوطها بدقة متناهية.(٣)

ربط الأقاليم المتباعدة جغرافياً ببعضها بعضاً:

ولعل هذا النوع من الاستخدام للحاسب الآلي في هذا الشأن يشكل قمة ثورة المعلوماتية في الحاضر والمستقبل، والتي يتوقع العالم الكثير من عطاءاتها الحضارية المذهلة على مدى عقود عدة مقبلة، أو ربما على امتداد المساحات الزمنية للقرن المقبل بكامله.

وعماد هذه الثورة الجديدة هو شبكات المعلومات السريعة Information Networks Approach High Speed.

وتعمل شبكة المعلومات السريعة على ربط كل البلاد ببعضها بعضاً في وحدة عضوية متماسكة، تكون أشبه بالجهاز العصبي الذي يتبادل الإحساس النابض والحي فيما بين جميع أعضاء الجسم في أي كائن حي وتتكون هذه الشبكة من وسائل الاتصال بالألياف الضوئية ذات القدرات الفائقة غير المحدودة، التي في طريقها لتحل محل الكابلات النحاسية التقليدية ذات القدرات المحدودة، كما يدخل فيه وسائل الاتصال باللاسلكي، ويدمج فيها الحاسب الآلي، ووسائل الاتصال والتلفاز، حيث يتكون من هذا الثلاثي «الحاسوب، والاتصال والتلفاز» كيان إيداعي جديد ذو قدرات فائقة في القيام بآلاف المهام الجديدة غير المألوفة، كالتحاور عن بعد، والمشاركة في المؤتمرات عن بعد، والتعليم أو إجراء البحوث العلمية عن بعد وغير ذلك من المهام التواصلية والإنتاجية الفائقة في مستويات إنجازها، وسرعة أدائها.

وقد بدأت شبكات المعلومات السريعة تنتشر في الكثير من بلدان العالم غرباً وشرقاً وهي على ما يبدو قابلة للتطوير، ربما إلى ما لا نهاية.

المعلوماتية كمدخل حاسم لاندماج العرب:

ولا يسع أي عربي غيور على عروبته ذات الكيان الجغرافي والبشري العملاق، إذا أراد أن يدلي برأيه في السبيل الأمثل والسعي لتحقيق الاندماج العربي، حلم كل عربي، لا يسعه سوى أن يتفق مع ما ذهب إليه «د.نبيل علي» في كتابه الفذ «العبر وعصر المعلومات» حيث قال في هذا الشأن: «هناك إجماع أن الوطن العربي، لا يمكن أن ينهض من كبوته دون اندماجه، بشكل أو بآخر في كيان متكامل واقتراحي المحدد هنا هو أن يكون «المدخل المعلوماتي» هو منطلقنا لتحقيق هذا الاندماج كبديل للمدخل الاقتصادي، أو الأمني اللذين نادى بهما البعض في الماضي».(٤)

ويبرر «د.نبيل علي» ضرورة هذا التحول من الاعتماد على المدخلين الأمني إلى المدخل المعلوماتي بأن المعلومات، لم تعد تشمل الاقتصاد والأمن فحسب، وإنما باتت تهيمن على جميع الأنشطة الإنسانية المعروفة منها والتي لم تكتشف بعد، وهو يقول في ذلك:

في ظل هذا المفهوم «للمعلوماتية كمدخل للاندماج العربي»، لم تعد سياسة المعلومات مجرد شق مكمل للسياسة العلمية والتكنولوجية، بل هي قلب السياسة القومية الذي يصبغ السياسة العامة بطابعه، وتنطوي بداخله، أو تنبثق منه السياسات القطاعية في مجالات الاقتصاد والتصنيع، والإعلام والتربية، ولا يعني ـ بالطبع ـ اتخاذها كمدخل إغفال ما عداها من أمور، بل القصد من وراء ذلك هو إبراز ما للمعلومات من علاقات وثيقة مع الجوانب المختلفة لعملية التنمية(٥).

وينتقل بعد ذلك إلى إيجاز الدوافع السياسية والاقتصادية والثقافية وراء هذا الاقتراح العام، ونكتفي بعرض أربعة منها، ونحيل القارئ إذا أراد الاستزادة إلى كتابة «العرب وعصر المعلومات»، فلعله من أهم تلك الدوافع التي تحتم الأخذ بالمعلوماتية كمدخل للاندماج العربي ما يلي:

أ ـ تمثل المعلومات نشاطاً قائماً بذاته في الوقت الذي تعد فيه مقوماً أساسياً في جميع الأنشطة الأخرى دون استثناء، وهي بهذا التفرد رابطة العقد. أو «الميكروكوزم»، «أي الرؤية الشموية المصغرة للعالم»، الذي تتبدى على مساحته القضايا المختلفة لأشكال التنمية.

ب ـ يتحول العالم اليوم من نظام اقتصادي تسانده المعلومات إلى نظام معلوماتي، يطوي الاقتصاد بداخله، انطلاقاً من ذلك، يمكن القول: إن المدخل المعلوماتي، يَجبُّ المدخل الاقتصادي، «أي يغطيه».

ج ـ مع تزايد احتمالات إقامة سلام مع إسرائيل، يصبح التحدي التكنولوجي معها هو أساس التوازن الاستراتيجي، ومن المعروف أن إسرائيل تسعى منذ وقت طويل لتفوق حاسم في مجال المعلومات، كأداة أساسية للسيطرة على سوق التكنولوجيا الرفيعة في إطار الصيغة الشرق أوسطية، التي تعمل بشدة على فرضها.

د ـ تعد المعلومات هي القاسم المشترك، وإن تغير الاندماج العربي، وتباين مداه، سواء نظرنا إلى هذا الكيان المندمج كجماعة أمنية Securitey Community، أو جماعة اقتصادية (Economical) Community، أو جماعة ثقافية Cultural community، تظل المعلومات أحد المقومات الرئيسة لتحقيق الاندماج.(٦)

ولعل ما يبعث إلى التفاؤل في إمكان مواكبة العالم العربي لثورة المعلومات الحالية والمستقبلية الجامحة، هو أنها مازالت في بدايتها مع ضرورة أن يؤخذ في الاعتبار أن التطور الملاحق اللاهث إلى ما يفوق حد الجمود في هذه الثورة لا يحسب في الوقت الراهن بالعقود، أو بالسنين أو حتى بالشهور، وإنما يحسب بالأيام والساعات، وهو ما يستوجب أن يتوافر الحد الأقصى من الاستنفار لليقظة العربية، حتى يمكن للعرب اللحاق والمواكبة لهذه الثورة المعلوماتية الجارفة الطاغية، والتي تقطع شواهدها الملموسة الكثيرة بأنها أكثر الطرق اختصاراً لتحقيق التسديد والتفريق الحضاريين بين الذين طال انتظار الوطن العربي لهما. ولعله آن الأوان ليصبح حلم الوطن العربي الموحد حقيقية، يلمسها وينعم بثمارها اليانعة المواطن العربي في أرجاء وطننا العربي الكبير.■

الهوامش

١ ـ ثورة المعلومات وآفاقها التنمية والاقتصادية ـ نديم عبدة ـ مجلة الكمبيوتر والإلكترونات م١١ ع ٧، ١٩٩٤م «بتصرف بسيط».

٢ ـ مقدمة في الحاسبات الإلكترونية ـ مدحت الديب ـ المعهد الفني التجاري بالاسكندرية ١٩٨٥م «بتصرف».

٣ ـ المرجع السابق «بتصرف بسيط».

٤ ـ العرب وعصر المعلومات ـ د.نبيل علي ـ عالم المعرفة ـ الكويت ـ ع١٨٤ ـ الطبر ١٩٩٤م.

٥ ـ المرجع السابق.

٦ ـ المرجع السابق «بتصرف بسيط».

إعداد : عبدالمنعم أحمد

ننشر نص المحاضرة التي ألقاها نائب مساعد وزير الخارجية الأميركية في جامعة جورج تاون «واشنطن»، مترجمة إلى اللغة العربية حيث أكد أن السياسة الأميركية حيال القضايا الشرق أوسطية وحيال العالم الإسلامي لا ترتكز إلى اعتبارات دينية، وهي ليست سياسة متحجرة «ولا أتفق مع الطروحات التبسيطية حول احتواء الحركات والأنظمة الإسلامية ومنها الفكرة القائلة: لا أنظمة مثل إيران بعد اليوم». واليكم نص المحاضرة :

الإسلام والولايات المتحدة الأميركية

أبدأ خطابي منطلقاً من أساسين عامين:

أولاً: أن السياسة الأميركية في الشرق الأدنى وغيرها من مناطق تقوم على المصالح القومية لا الديانات.

ثانياً: لا توجد لدى الولايات المتحدة سياسة حيال الإسلام وينبغي ألا تنتهج مثل تلك السياسة.

إن الدين لا يمثل عاملاً في قراراتنا التي نضعها إزاء القضايا التي تهم مكتب شؤون الشرق الأدنى في وزارة الخارجية، وهي الإرهاب، وعملية السلام، وانتشار أسلحة الدمار الشامل، والمشاركة السياسية، واحترام حقوق الإنسان، والإصلاح الاقتصادي، والعلاقات ثنائية ومتعددة الأطراف.

وبدلاً من ذلك، نأخذ في حسباتنا ما يمكننا فعله لتعزيز السلام والاستقرار والرخاء إلى أبعد حد ممكن لكل من أميركا ولحلفائنا في المنطقة.

وما يؤثر على هذه الحسابات هو أعمال ونيات الدول والجماعات والأفراد والأيديولوجيات والديانات، قد تكون مهمة لفهم أو محاولة توقع أفعال بعض الدول أو الفعاليات، لكنها لا تشكل أساساً لسياستنا ولم تكن الأساس الوحيد لأعمال الدول العصرية.

هؤلاء نناهضهم

ونحن كحكومة أوضحنا أننا سنناهض كل من:

- يمارس الإرهاب.

- يناوئ التسوية السلمية للنزاعات، ولاسيما بين العرب والإسرائيليين.

- يستخدم البطش والعنف والإرهاب سعياً لتحقيق هذه الأهداف.

ونحن قمنا بالإعلان عن معارضتنا لأولئك الذين يقمعون الأقليات وينادون بالتعصب أو ينتهكون حقوق الإنسان. كما نقوم بتطوير سبل أفضل لدعم القيم الديموقراطية.

والتصدي للتحدي الذي يمثله أولئك الذين يعارضون بجلاء الحل السلمي للخلافات من خلال الحوار، ويتعمدون تبني خيار اللجوء للعنف للترويج لخططاتهم، تسعى الولايات المتحدة أولاً وآخراً لحماية أرواح المواطنين الأميركيين. كما نعمل من أجل عزل مثل تلك الدول أو الجماعات والحؤول دون تقويضها استقرار أصدقائنا وتقدم السلام.

الفلسطينيون والجزائر وإيران

وإلى المدى الذي تكيف فيه مثل هذه الدول والجماعات ممارساتها مع الأعراف المقبولة دولياً، فإننا جاهزون للتجاوب بالمثل.

وكذلك كانت حال منظمة التحرير الفلسطينية التي أقمنا معها حواراً حال نبذها العنف وقبولها حق إسرائيل في الوجود وموافقتها على مبدأ الحل السلمي للصراع العربي - الإسرائيلي على أساس قراري مجلس الأمن ٢٤٢ و ٣٣٨.

وفي موضوع الجزائر، شجبنا الإرهاب، وفي الوقت ذاته ساندنا مبدأ فتح المجال للمشاركة السياسية لكل الذين يرفضون العنف ويقبلون الحكم الديموقراطي.

وعليه، فإننا ندعم دعماً قوياً جهود الرئيس بوتفليقة للمصالحة الوطنية والمشاركة السياسية، عريضة القاعدة.

وبشأن إيران، نحن مستعدون للمشاركة في حوار بين الحكومتين حول قضايا تهمنا من أجل رسم مسار لعلاقات أفضل، وقد أوضحنا أن نهجنا يرتكز على إجراءات إيران، لا عقيدتها الدينية.

وهذه الأمثلة تبين أن السياسة الأميركية حيال الشرق الأوسط ليست متحجرة ولا تستند إلى أساس عقائدي، واستناداً للمبادئ التي ذكرتها آنفاً وإلى المصالح القومية، فإني أوحي بأننا أنجزنا مهمة

معقولة بالتأثير على الأحداث ضمن قدراتنا وبالاستفادة من الفرص المتاحة.

ويجري تحقيق تقدم مهم في عملية السلام وقد تم تطويق العراق وسلمت ليبيا المشتبه فيهما في حادث «بان أم ١٠٣» لمحاكمتهما، وقد جرت عملية انتقال سلمي للسلطة في كل من الأردن والمغرب، فيما تخطو الجزائر خطوات مهمة باتجاه المصالحة الوطنية.

مصر ... والخليج

والإصلاح والنمو الاقتصادي في مصر قويان جداً، كما أن علاقاتنا الأمنية مع الخليج ممتازة. أما دول شمال أفريقيا، فقد تبنَّت إصلاحات اقتصادية ذات شأن، وثمة خطوات باتجاه مشاركة سياسية في طائفة كبيرة من البلدان.

لا أودُّ أن أطيل في سرد هذه الحجة، لأنه من الواضح أنه لا يزال يتعين عمل الكثير، وفي كل مجال أو منطقة تقريباً فإن النجاح غير مضمون.

وقد اطلعت على إيحاءات مفادها أن التحديات المتمثلة بالتعامل مع العقيدة الإسلامية هي من الجدالات الفكرية القليلة الباقية في السياسة الخارجية للولايات المتحدة، وأن هدف السياسة الخارجية للولايات المتحدة، وإن هدف السياسة الأميركية طوال السنوات الـ١٨ الماضية كان احتواء انتشار الحركات الإسلامية والأنظمة الإسلامية، أي بمعنى آخر، لا أنظمة مثل إيران بعد اليوم.

ليست مسألة «ديني أو غير ديني»

وبصفتي دبلوماسياً كان يقوم بمهامه في هذه المنطقة خلال الأعوام الـ٢٦ الماضية، فإنني لا أتفق أبداً مع هذه الأقوال المبسطة. إن كون نظام الحكم دينياً أو غير ديني، ليس هو المسألة، ولايوجد تعارض متلازم بين الإسلام والغرب، ونحن لا نلمس «تصادم حضارات»، بل إن صدامنا هو مع أفراد وجماعات وأنظمة تحبذ العنف وتمارس القمع.

وسأطيل أكثر في شرح هذه النقطة وأقول: إن فكرة السياسة القائمة على ما يؤمن به الناس ويفكرون به تتناقض تماماً مع المبادئ الأساسية الأميركية. ونحن لا نضع سياستنا على أساس تفكير الآخرين، لأن من شأن



ذلك أن يلحق أذى بالأفكار والقيم التي نعتبرها عزيزة علينا.

كوسوفا: ليست قضية مسلمين

ولننظر إلى الجانب الآخر من هذا الموضوع، فتماماً كما لا نستطيع أن نعمل ضد حركات أو دول فقط على أساس دياناتها، فإنه لا يمكننا أيضاً أن نقرر العمل بالأصالة عن جماعات لهذا السبب فقط. فنحن لم نتدخل في كوسوفا لحماية المسلمين من المعتدين الأرثوذكس. لقد قمنا بما قمنا به من إجراءات استجابة لكارثة إنسانية وللحؤول دون تصعيد الحرب إلى ما وراء حدود كوسوفا وللحفاظ على استقرار البلقان. وأقر شخصياً بأن إجراءاتنا حظيت ببعض التأييد في العالم الإسلامي، ويعود ذلك جزئياً على الأقل لأن إجراءاتنا عملت على الدفاع عن سكان مسلمين مضطهدين. لكن يجب على المرء ألا يخلط بين السبب والنتيجة. فقد كان ذلك من تبعات سياستنا لا من مسبباتها.

التيارات المؤثرة على المسلمين

ونقطة أخيرة أود أن أدلي بها، أن التأكيد على أن الإسلام ليس عاملاً في سياستنا الخارجية لا يعني الإيحاء بأننا لسنا مكترثين بالتطورات في العالم الإسلامي. فالمصالح الأميركية في الشرق الأوسط وكذلك في جنوب آسيا ومنطقة المحيط الهادئ ستكون موضع رعاية أفضل من خلال فهم أشمل للتيارات الفكرية والحركات الاجتماعية التي تؤثر على المسلمين. وهذه قضية تتجاوز حدود أي منطقة جغرافية بمفردها. فالشعوب من تركيا إلى إندونيسيا ومن أوزبكستان إلى نيجيريا كلها تفتش عن طرق لتلبية توقعاتها بتنمية اقتصادية واجتماعية متكافئة وبالنسبة إلى الكثيرين، فإن الإسلام السياسي هو بديل حيوي.

وحينما تكون أنظمة الحكم قمعية وحين يتبين إفلاس الوعود الأخرى للتقدم الاجتماعي يصبح الدين «بديلاً» جذاباً، لكن في كل حالة، سواء في منطقة الشرق الأوسط أو غيرها من المناطق فإن الحقائق المعنية والتطور كانا متباينين.

وخلاصة القول: إننا بحاجة لأن نتصدى للتطرف، لكن علينا كذلك أن نتوخى الحذر الشديد من أن ذلك لن يصبح ذريعة لدعم كل أشكال البطش من قبل الحكومات القائمة وسيكون التوتر محيقاً بهذه الأهداف السياسية. وهذا أمر طبيعي والتحدي الذي يواجهنا يتمثل في دعم مبادئنا ومصالحنا. وهذا سيبقى تحدياً، لكن إذا قبلنا بتلك الحقيقة وأبقينا أنظارنا مركزة على حقائق كل وضع ورفضنا الاجتهادات الخاطئة والكاسحة، فإن النجاح سيكون حليفنا ■

سياسة الردع والصراعات الإقليمية



عن مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية صدر كتاب «سياسة الردع والصراعات الإقليمية المطامح والمغالطات والخيارات الثابتة» للباحث كولن جراي ويدعو فيه إلى إعادة النظر في أهمية سياسة الردع في الصراعات الإقليمية ويقول: إن سياسة الردع تتصف بالتقلب وأنها بكل بساطة لا تؤدي إلى أي وظيفة وأن التركيز على العوامل الإقليمية في التحليل الاستراتيجي إضافة إلى الحماس الزائد لسياسة الردع هما أقوى مبرر يدعو إلى إعادة النظر فيها وتقويمها ويوضح الباحث في هذه الدراسة أن سياسة الردع تعتبر في كثير من الأحيان جذابة وبراقة حين نقارنها مع بدائل أخرى كالحرب أو الاستسلام السياسي، لكن هناك أسباباً تجعلها قابلة لعدم الاعتماد والثقة فيها مثل إساءة فهم النيات السياسية، وأن تكون التهديدات أو الإنذارات غير مقنعة، وعدم كفاية القدرات العسكرية ووجود شخصيات لا ترتدع عن تنفيذ أعمال عدوانية، فسياسة الردع لا تتوقف على القدرات والإمكانات العسكرية، ولكنها مسألة تتعلق بالخيار السياسي الذي يتأثر بعدد من العوامل التي تدخل في النطاق الاستراتيجي، ولكي نطبق سياسة الردع فلابد أن يختار الخصم المحتمل التعاون وأن يقبل أن يرتدع.

ويضيف الباحث: أن الحاجة نحو اتباع سياسة الردع ستبقى بصفة مستمرة، وإن التطلعات نحو عالم لا يحتاج إلى سياسة الردع تطلعات مشروعة بقدر ما هي غير ملائمة وأن الثقة المفرطة في سياسة الردع قد تكون سبباً لهزيمة ذاتية لأنها قد تصرف الطرف المعني عن التفكير في احتمال عدم انصياع الطرف الآخر الذي يواجه الردع.

ويطرح الباحث بعض العناصر التي قد تشكل معالجة موقتة لمشكلة تقلبات سياسة الردع ومن أهمها ضرورة تزايد الوعي بوجود مشكلة التغلب، وعدم إمكانية الاعتماد على هذه السياسة، واتخاذ التدابير اللازمة للحرمان من الحصول على أحدث الأسلحة التقليدية وأسلحة الدمار الشامل عن طريق سياسات ضبط التسلح ومراعاة قدر أكبر من الاهتمام والتحفظ لإمكانية التعرض لتبعات ونتائج فشل أو عدم ملاءمة هذه السياسة لأوضاع معينة وتوافر القدرات الدفاعية والحربية المتعددة الأشكال واللازمة لحرمان الخصم من القيام بأي اعتداء.

السلام السياسي في روسيا

صدرت الدراسة الثانية عن مركز فيصل للبحوث والدراسات وهي سلسلة من دراسات معاصرة بعنوان «السلام السياسي في روسيا» للدكتور ميثم الجنابي أستاذ الفلسفة في الجامعة الروسية ورئيس تحرير الكتاب الدوري «رمال»، الذي يعنى بالشؤون الروسية في ميادين السياسة والفلسفة والتاريخ والأدب، وتتحدث هذه الدراسة عن ظاهرة الاندفاعة الجديدة للسلام في روسيا المعاصرة واتجاه تطورها، فهي ترمي إلى كشف ماهية الإسلام السياسي في روسيا المعاصرة واقعه وآفاقه، ومن ثمَّ كيفية التعامل معه على ضوء العلاقات العربية ـ الروسية في مختلف مستوياتها السياسية والثقافية والدينية، ففي الباب الأول تحدّث الكاتب عن الإسلام والسياسة، فذكر في الفصل الأول إشكالية علاقة الإسلام بالسياسة في الرؤية الأيديولوجية الأوروبية وأزمتها بين الاجتهاد النظري ومرجعيات الثقافة، وأما الفصل الثاني، فهو يتحدث عن تحليل الظاهرة الإسلامية في روسيا المعاصرة، وفي الباب الثاني أورد المؤلّف عرضاً للخلفية التاريخية لوجود الإسلام في روسيا وأهم الحركات الإصلاحية التي ظهرت قبل ثورة عام ١٩١٧م.

وذكر في الفصل الثاني أيضاً ما تعرض له الإسلام في روسيا من محاولة لإلغائه ومحوه. ثم تحدثت الدراسة عن واقع الصحوة الإسلامية والإسلام السياسي في روسيا المعاصرة، فقدّم المؤلف لواقع الصحوة الإسلامية وآفاقها بمقدمة عن حقائق الإسلام الروسي، ثم تحدث عن واقع الإسلام السياسي في منطقة حوض الفولغا والشيشان وداغستان، ثم أنهى المؤلف دراسته بخاتمة تكلّم فيها عن ظاهرة الإسلام السياسي في روسيا وكيفية التعامل معه من قبل من هم في العالم الإسلامي مقدماً بعض التوصيات في هذا المجال، ولا سيما أن للشعوب الإسلامية في روسيا طبيعة خاصة في تعاملها مع موروثها الثقافي.

الواقع العربي وتحديات قرن جديد

عن مؤسسة عبدالحميد شومان في عمان وبالتعاون مع المؤسسة العربية للدراسات والنشر في بيروت، صدر في عمان حديثاً كتاب عنوانه: «الواقع العربي وتحديات قرن جديد»، الكتاب لمجموعة من الباحثين العرب، ويقع في نحو ٢٥٠ صحفة وتتوزع محاضراته على محاور ثلاثة يكاد بعضها يأخذ بأطراف بعض لما بينها من تداخل ولما تتشعب عنه من واقع إنساني واحد وإن اختلفت تجلياته أو مناحي النظر فيه.

وقد تركز المحور الأول في هذا الكتاب: حول الواقع العربي وآفاقه وما حل به من أسباب التمزق والاضطراب وما رسخ فيه من معوقات النهوض وعقبات مختلفة، أما المحور الثاني: فتركز حول المستقبل العربي ورؤاه، ويتناول عدداً من الاضاءات المتداخلة المتباينة لجوانب هذا المستقبل، وقد انطلقت هذه المقاربات المستقبلية كلها من مقدمات واقعية مشهودة سواء على صعيد الثقافة والفكر أو على صعيد السياسة والاقتصاد أو على صعيد التحديات المصيرية إقليمياً ودولياً، ويتعلق المحور الأخير في الكتاب بالنهضة العربية وشروطها، ويتضمن عدداً من المحاضرات أو الرؤى التي توشك أن تتكامل حولها على اختلاف أدوات النظر والتحليل.



ويمكن القول بوجه عام: إن صدور هذا الكتاب يسهم في وضعنا أمام صورة بانورامية للفكر العربي في نهايات القرن العشرين.

الأطفال المهمشون قضاياهم وحقوقهم

صدر ضمن منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة - إيسيسكو - كتاب جديد باللغة العربية يحمل عنوان: «الأطفال المهمّشون: قضاياهم وحقوقهم» «تأليف الدكتورة رجاء ناجي». يعالج الكتاب ظاهرة الأطفال المهمشين، أو أطفال الشوارع حسب التسمية التي اختارتها اليونيسكو لهم، ويقع في أربعة فصول: الأول عن طبيعة الأطفال المهمشين وأحوالهم وصفاتهم وظروفهم والعوامل المتسببة في نشوء الظاهرة التي يشكلونها، والثاني عن الحماية الشرعية والقانونية للأطفال المهمشين، والثالث عن برامج مناهضة التهميش وأسباب الفشل في التنفيذ، أما الفصل الرابع فيبحث في استراتيجيات كفيلة بتقليص معاناة الأطفال المهمشين.



وتنطلق المؤلفة في كتابها من سؤال حول طبيعة الأطفال المهمشين، فتذهب إلى أنهم الأطفال المحرومون، والمهملون اجتماعياً، وغير المندمجين، وهم كل الأطفال على اختلاف فئاتهم العمرية - قبل سن الرّشد - الذين يعانون من الحرمان، أو عدم الاستقرار النفسي، أو العائلي، أو الاجتماعي، أو الاقتصادي، أو السياسي.

وتتناول المؤلّفة، وهي أستاذ في كلية الحقوق بجامعة محمد الخامس في الرباط، في الفصل الخاص بالحماية الشرعية والقانونية للأطفال المهمشين، حقوق الطفل، ومنها، الحق في الحياة، والحق في الحرية، والحق في الوضعية القانونية، والحق في الهوية الثقافية العقائدية، وحقوق الطفل على الأسرة، وحقوق الطفل على الدولة، وحقوق الطفل في الظروف غير العادية، وحقوق الطفل المهمَّش في المساواة مع الطفل العادي، وحق الطفل غير الشرعي في النسب، وحقوق الطفل المحروم من الأسرة في أسرة بديلة.

ويقدم الكتاب استراتيجيات كفيلة بتقليص معاناة الأطفال المهمشين، من خلال مبحثين اثنين، أولهما برامج مستعجلة لإنقاذ الأطفال المهمشين، وثانيهما عن سياسات ضرورية على المدَيَيْن المتوسط والبعيد. وتحت المبحث الأول يقدم الكتاب مطلبين، الأول عن نفعية الإنفاق على الطفولة واستعجاله، ويشمل رفع الموازنات المخصصة للطفولة، والتكفّل الآني والمستعجل بالأطفال المحرومين، ورعاية الأطفال في زمن الحرب، ودعوة المؤسسات غير الحكومية للمساهمة في تحمل أعباء رعاية الأطفال، وفرض إجبارية التعليم وتعليم البنات بالخصوص. أما المطلب الثاني، فهو تفعيل الآلة القانونية، ويشمل التصدي للمخاطر التي تهدد الطفل المهمش، وتقييد ممارسة الطلاق وتعدد الزوجات في إطار الضوابط الشرعية ووفق مقاصد الشرع، وإرفاق أحكام النفقة بالاستعجال، وزجر الجرائم التي تمسّ الأطفال، والتعامل بصورة أفضل مع الأحداث الجانحين، والتصدي بحزم لظاهرة المخدرات.

قدّم للكتاب الدكتور عبدالعزيز بن عثمان التويجري المدير العام للمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة.

عـدد جديـد من مجلـة التقـوى

صدر العدد (٨٧) من مجلة التقوى وهي مجلة إسلامية أسبوعية مستقلة تصدر في غرة كل شهر عربي موقتاً، وقد جاء هذا العدد حافلاً بالكثير من الموضوعات المهمة فقد جاءت الكلمة الأولى تحت عنوان «السلام عليكم» تتحدث عن الدعوة وواقع الدعاة منها وحثت الدعاة على العمل وانكرت على من اكتفى بالادعاء فقط.

وتناولت كلمة التقوى موضوعاً ألهب مشاعر المسلمين في لبنان بعنوان «مرسيل خليفة بين القصيدة الحاقدة وتحريم تلحين القرآن الكريم»، حيث تحدثت عن القضية المتعلقة بالمغنّي مرسيل خليفة وعرضت لما قام به دعاة العلمانية وادعياء الحرية من تحدّ لمشاعر المسلمين غير آبهين باستنكار المسلمين لهذا التجني والتعدي على كتاب الله إلى جانب ذلك فقد تضمنت فتوى دار الفتوى في هذا الشأن مع ذكر نص القصيدة.

أما موضوع الغلاف فقد حمل استطلاعاً واسعاً وشاملاً عن المسلمين في ألمانيا وما يحيط بهم من سلبيات وإيجابيات مع تسليط الضوء على النشاط الدعوي فيها والمتمثل بصحوة واسعة النطاق.

وكتب في هذا العدد الدكتور زكريا المصري مقالاً بعنوان قول الصحابي ووحدة الولاء. وتحت عنوان آفاق إسلامية كتب الأستاذ أشرف شعبان مقالاً بعنوان «التفرغ للعبادة».

وقد حمل هذا العدد ترجمة شاملة عن المحدث الشيخ ناصر الدين الألباني - رحمه الله - بقلم الشيخ زهير الشاويش ذكر فيها مسيرة الشيخ العلمية الحافلة وخدمته الفذة للحديث النبوي الشريف حيث خلّف وراءه ثروة علمية ثمينة تمثلت بمئات المؤلفات الحديثة.

وفي برنامج عالم الحيوان كتب الأستاذ نيازي جلول مقالاً بعنوان «عش النمل» يتحدث فيه عن النظام الطبقي للنمل والعمل داخل العش وعن الوظائف فيه.

وتفرد المجلة عدداً من الصفحات بعنوان: «بين السائل والمجيب»، يجيب على أسئلة القراء فضيلة الشيخ عصام الرافعي بأسلوب مبسّط قريب من الأذهان ما يجعله يحظى باهتمام القراء ويستحوذ على إعجابهم.

بالإضافة إلى ذلك فقد حمل هذا العدد أيضاً تحقيقاً عن الدور الإنساني للمملكة العربية السعودية يبرز دور المملكة الرائد في هذا المجال من خلال دراسات وإحصاءات دقيقة.

وقد عودت المجلة قراءها على الجديد دائماً فقد اشتمل هذا العدد على باب جديد أفردت له المجلة صفحات وعنونت له بـ«الأسرة المسلمة»، حيث ضم عدداً من الموضوعات المهمة منها «المرأة بين البيت والعمل في قصة وحوار مع إحدى النساء المجاهدات...» ومقالاً آخر بعنوان «من واجبات المرأة المسلمة نحو زوجها»، وآخر بعنوان «عواقب التبرج والاختلاط» وغيرها من المواضيع التي تعني بشؤون المرأة والأسرة المسلمة ما يجعل هذه الصفحات ضرورة ملحّة لكل امرأة وفتاة مسلمة.

وتحت عنوان «قصص الأنبياء» يواصل الشيخ ناجي علوش عرضه لقصص الأنبياء، وكانت حلقة هذا العدد بعنوان «نبي الله صالح عليه السلام»، حيث يعرض قصص الأنبياء لاستخلاص العبر والمواعظ منها وليتبين الدعاة منهجية الأنبياء والرسل عليهم السلام في دعوتهم أقوامهم، وموقفهم منها ويرصد الصحافي عبدالقادر الأسمر جملة وافرة من القضايا والأحداث المهمة على الساحة الإسلامية ويتناولها بالنقاش والانتقاد بأسلوب سلس جذاب يشد القارئ لمتابعة ما يرصده بشغف وحرص شديدين.

وقد ضم هذا العدد الفهرس العام لمواضيع مجلة التقوى «المجلد العاشر» ليسهّل على القراء والباحثين والمهتمين بالعلوم والثقافة الرجوع إليه بيسر لينهلوا من معينه ويعبوا من فيض ما جاء في إعداده.

وكتب الكلمة الأخيرة الدكتور عبدالمنعم بشناتي عميد الدراسات الإسلامية في جامعة الجنان، حيث حذر فيها من التعدي على حرمة القرآن والمسّ من قدسيته وأورد في كلمته موقف العلماء المسلمين منذ فجر الإسلام من تحريم تلحين القرآن والغناء المحرّم وحذر المغرضين والعلمانيين من الخوض في دين الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير.

هذا بعضاً مما جاء في هذا العدد الذاخر من مجلة التقوى بالإضافة إلى موضوعات أخرى من الأهمية بمكان لم يسع المقام لذكرها وهي مجلة لا غنى لأي مسلم عنها لما تحويه من موضوعات علمية وثقافية وقضايا جدُّ مهمة وهي جديرة بالمطالعة والاقتناء والتتبع.

عنوان المجلة طرابلس - لبنان - ص.ب: ٣١٦ - هاتف: ٠٣/٨٨٨٨٣٣

أخبـار ثقافيـة

- وافق د. محمد سيد طنطاوي شيخ الأزهر على إقامة المؤتمر السنوي السابع لمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر في شهر مارس المقبل احتفاءً بمرور ١٤ قرناً على دخول الإسلام إلى مصر ويذكر أن مؤتمر المجمع لم يعقد منذ العام ١٩٨٦م.
- دعا مكتب التربية العربي لدول الخليج الكتّاب والمؤلفين في منطقة الخليج العربية وفي الدول العربية إلى المشاركة في إعداد سلسلة الكتب الثقافية للأطفال «المرحلة الأولى» وحدد آخر موعد لاستلام الأعمال هو ٢٩ ذو القعدة ١٤٢٠هـ الموافق ٦ مارس ٢٠٠٠م، وقد أسند المكتب اختيار الأعمال التي تنشر في السلسلة إلى لجنة من المختصين، ويمنح المكتب كل عمل يختار للنشر في السلسلة مبلغ ألف دولار أميركي أو ما يعادلها علماً بأن عنوان المكتب هو: ص.ب ٩٤٦٩٣ - الرياض ١١٦١٤ - السعودية
- تم أخيراً في مدينة القيروان في تونس إنشاء نادي «اليونسكو والإيسيسكو والألكسو» ويعد هذا النادي الأول من نوعه في العالم الإسلامي، إذ إنه يستمد أنشطته من مبادئ المنظمات الثلاث الدولية والإسلامية والعربية، ومن أبرز أهدافه دعم قيم التسامح والاعتدال والتآخي بين البشر والتعاون الإيجابي من أجل عالم يسوده السلام العادل والتقدم.
- تم يوم ١١ ديسمبر الماضي توزيع شهادات السنة الأولى على أول فوج في جامعة روتردام الإسلامية في هولندا، والجدير بالذكر أن هذه الجامعة التي تأسست العام ١٩٨٧م تقوم بتخريج الأئمة والدعاة والمتخصصين في العلوم الإسلامية.

مناشدة إسلامية للتدخل لإنقاذ الشعب الشيشاني



ندد المجلس الإسلامي العالمي للدعوة والإغاثة ورابطة العالم الإسلامي في بيان مشترك صدر أخيراً في القاهرة بالمذابح والمجازر البشعة التي يرتكبها الروس ضد المسلمين في الشيشان.

ودعا الدكتور عبدالله بن صالح العبيد الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة، القادة المسلمين والأمين العام لمنظمة الأمم المتحدة بالتحرك لإنقاذ الشعب الشيشاني، والوقوف إلى جانب الحق والعدل ووقف المجازر التي يقوم بها الروس ضد المسلمين في الشيشان.

وناشد البيان الدول العربية والإسلامية وأعضاء منظمة المؤتمر الإسلامي القيام بدورهم لإغاثة المنكوبين من الشيشان وإرسال المواد الإغاثية، حيث يواجه أبناء الشعب الشيشاني نقصاً حاداً في مواد الإغاثة والأدوية والملابس.

كما طالب البيان العالم الإنساني وهيئاته ومنظماته الإنسانية بالتحقيق في هذه الجريمة البشعة التي تعتبر مثالاً حياً لانتهاك حقوق الإنسان وامتهان الكرامة الإنسانية من خلال ما يفعله الروس في الشيشان.

المغرب سيفقد نصف مياهه خلال ٢٠ سنة

قال البنك الدولي في تقرير له إن موارد المياه في المغرب قد تنخفض بمقدار النصف خلال ٢٠ عاماً ويتعين على الحكومة اتخاذ إجراءات سريعة لترشيد الاستهلاك وتطبيق إدارة أفضل للموارد. وأضاف التقرير أن المغرب يواجه تحديات عدة منها تدهور نوعية المياه والحاجة إلى توافر المياه لنسبة ٨٦٪ من السكان في المناطق الريفية، وإدارة أفضل للموارد المائية لتقليل التكاليف، وتابع التقرير: إن أي استراتيجية تنتهجها الحكومة لتحقيق نمو اقتصادي كبير يتعين أن تأخذ في الاعتبار مشكلة موارد المياه، وأضاف أن الإدارة الأفضل لموارد المياه يتعين أن تشمل فرض رسوم رشيدة على استهلاكها لتغطية التكاليف. ومن الضروري كذلك تحديد أولويات استخدامات المياه في القطاعات الاقتصادية المختلفة مثل الصناعة والخدمات والزراعة والاستهلاك المنزلي. ولدى المغرب نحو ٦٠ سداً تحتجز نحو ثمانية مليارات متر مكعب من مياه الأمطار، لكن هذه الموارد تستخدم أساساً في ري نحو مليون هكتار من إجمالي الأراضي المزروعة. وبيَّن التقرير وفقاً لمؤشرات زراعية كثيرة أن جودة المياه المتاحة للهكتار الواحد ستنخفض بنسبة ٣٠ في المئة في العام ٢٠٢٠م.

كندا غنية وأطفالها يعانون الفقر

أفاد تقرير نشرته منظمة تعنى بشؤون الأطفال أن كندا قد تكون واحدة من الدول الأكثر ثراء في العالم، لكنها تهمل أطفالها الذين لا يكفون عن السقوط في الفقر والعوز. وقالت منظمة «كامباين ٢٠٠٠» التي تضم أكثر من ٧٠ هيئة أن كندا بذلت قليلاً من الجهود لمكافحة الفقر لدى الأطفال وأن الأقليات والسكان الأصليين هم الأكثر تأثراً بهذه الآفة. وتؤكد المنظمة أن عدد الأطفال الفقراء ازداد بنسبة ٥٠٪ تقريباً في كندا خلال ١٠ سنوات. وأوضحت أن واحداً من كل أربعة من المولودين الجدد معرض لمواجهة الفقر طوال الأعوام الستة الأولى من حياته. وقد نشر التقرير في الذكرى العاشرة لاتخاذ مجلس العموم الكندي قراراً باستئصال الفقر لدى الأطفال بحلول العام ٢٠٠٠م. ودعت المنظمة وزير المال الفيدرالي بول مارتين إلى تخصيص ١٥ مليار دولار كندي (١٠ ملايين دولار أميركي) للسنوات الخمس المقبلة لاستئصال الفقر لدى الأطفال في كندا.

وأكدت «لوريل روثمان من كامباين ٢٠٠٠» أن القضاء على الفقر لدى الأطفال بات واحداً من التحديات المطروحة في كندا بحلول الألف الثالث.

الأزهر يجيز استخدام جلد الخنزير في علاج الحروق

أجاز الدكتور محمد سيد طنطاوي شيخ الأزهر استخدام جلد الخنزير في عمليات ترقيع جلد الإنسان الذي يعاني من حروق شديدة أو أي مرض جلدي. واشترط أن تكون حياة المسلم متوقفة على زرع قطعة من جلد الخنزير، وألا يكون هناك بديل آخر أمام الطبيب المعالج.

ولكن علماء الأزهر اختلفوا حول مشروعية نقل وزراعة الأعضاء، ومنها زراعة خلايا من جلود الموتى إلى الأحياء، وأيد الأطباء بشدة عمليات النقل، ويرى شيخ الأزهر أنه لا مانع من زراعة الأعضاء البشرية ومنها الجلد باعتباره عضواً من الأعضاء إذا كان ذلك عن طريق المتبرع والمتبرع إليه. وقال إن الشرع يبيح الاستفادة بجميع أعضاء أجساد المتوفين في حوادث أو بطريقة عادية إذا كانت هناك ضرورة ومنفعة للمريض المنقول إليه من المتوفى ودون الرجوع إلى الورثة أو النيابة العامة، لأن الضرورات تبيح المحظورات، فيما أفتى الدكتور نصر فريد واصل مفتي مصر بعدم جواز النقل، وأن نقل أي عضو من أعضاء الميت بما فيها الجلد يبدأ بالتعريف بالموت أولاً وهو مفارقة الروح الجسد، والتأكد من ذلك بكل الوسائل الطبيعة من أهل الاختصاص وهم الأطباء، وبعد التأكد من الوفاة التامة يمكن نقل أي عضو من المتوفى بشرط موافقته في وصية بذلك قبل موته.

مفتي مصر يناشد العلماء الإجماع على حرمة التدخين

شن الدكتور نصر فريد واصل مفتي الديار المصرية هجوماً عنيفاً على العلماء الذين يفتون بعدم حرمة التدخين ووصف الفتاوى التي يصدرونها بأنها فتاوى قاصرة. وأفتى الدكتور واصل بحرمة التدخين وإلحاقه بالمخدرات لفصل القاعدة الشرعية «كل ما فيه إفساد فهو حرام». وقال إن عقوبة التدخين تعزيرية أما الحرمة فقطعية، مؤكداً أن هناك أشياء حرّمها الله في جميع الأديان حفاظاً على حياة الإنسان وسلامة المجتمع من الآفات.

وأضاف مفتي الديار المصرية في الندوة التي عقدها مستشفى التأمين الصحي أخيراً بمدينة نصر بعنوان «التدخين والمراهقون» أن التدخين قتل للنفس ومفسد للعلاقات الاجتماعية والزوجية ويستنزف المال وأن كل ما فيه إفساد وحرام وأن التبغ ومشتقاته في جميع مجالات القياس الشرعي يساوي جميع مشتقات الخمر والمخدرات وغيرها في مجال التحريم بعد أن أثبت العلم الحديث وجود فساد وأضرار التدخين على صحة الإنسان والعلاقات الزوجية من حيث النسل والخصوبة والرجولة. وقال: إن الأطباء ومنظمة الصحة العالمية أجمعوا على ذلك، ويجب على العلماء أن يجمعوا على حرمة التدخين وتوعية الناس بأخطاره.

القدس على الإنترنت

قرر المجلس الإسلامي العالمي للدعوة والإغاثة بالتعاون مع منظمة المؤتمر الإسلامي والمؤتمر الإسلامي العام للقدس تنفيذ مشروع للرد على الافتراءات الصهيونية في القدس الشريف من خلال نشر وثائق عن تاريخ القدس وتأكيد الحق العربي والإسلامي في المدينة على شبكة المعلومات الدولية «الإنترنت» بعنوان «القدس في دائرة الحدث». وقال الشيخ توفيق الشريف مدير المجلس الإسلامي العالمي: يجري الآن إعداد المواد الخاصة وجمع الوثائق لكشف الادعاءات الصهيونية الكاذبة وفضح المخططات التي تنفذها إسرائيل لتهويد القدس وكشف الانتهاكات الإسرائيلية لحرمة المساجد والكنائس في القدس وغيرهامن المقدسات الدينية والرموز الحضارية.

المطالبة بإنشاء بنك عربي للجينات الوراثية

طالب مؤتمر بيولوجي عربي يوم ١٩٩٩/١١/١م بإنشاء بنك عربي للجينات الوراثية للاحتفاظ بالأصول الحيوانية والنباتية المرتبطة بالبيئات المحلية في الوطن العربي وبخاصة الأنواع النادرة والمهددة بالانقراض.

كما طالب المؤتمر الذي نظّمه اتحاد البيولوجيين العرب على مدى أربعة أيام لبحث قضايا البيئة مثل الحفاظ على الثروة الحيوانية والنباتية في الوطن العربي بتحريم الصيد العشوائي وبخاصة في الصحراء لحماية هذه الثروات العربية. وأكد ضرورة تشجيع البحوث العلمية التي تتناول مختلف القضايا البيئية في المناطق العمرانية الجديدة وحمايتها من الملوثات والآفات والطفيليات التي يمكن أن تنتقل إليها من المناطق القديمة. كما أوصى بتشجيع البحوث العلمية التي تتناول إعادة استخدام المياه الناتجة عن الصرف الصحي والزراعي والصناعي في أغراض الري بعد معالجتها باستخدام التقنيات البيولوجية الحديثة. كما أكد المؤتمر ضرورة الاهتمام بالبحوث التي تتناول بدائل المبيدات الكيمياوية التي تلوث البيئة مع استخدام منتجات من مصادر طبيعية في مختلف مجالات الإنتاج لمبيدات المكافحة البيولوجية للآفات.

أفريقيا قارة منكوبة

٢,٦ مليون شخص ماتوا في العالم بالإيدز

جاء في تقرير نشرته منظمة الصحة العالمية وبرنامج الأمم المتحدة لمكافحة الايدز أن فيروس الايدز قد يكون أسفر عن وفاة ٢,٦ مليون نسمة في العام ١٩٩٩م، وهو رقم قياسي، وإن معدلات الإصابة تضاعفت في دول الاتحاد السوفييتي السابق بين العام ١٩٩٧م و ١٩٩٩م. ويشكل عدد الإصابات رقماً قياسياً في تاريخ تفشي هذا الفيروس. حيث أصيب ٥,٦ مليون شخص بين راشدين وأولاد بالايدز في العام ١٩٩٩م. ومنذ بدء تفشي فيروس الايدز قدرت منظمة الصحة العالمية وبرنامج الأمم المتحدة لمكافحة الايدز عدد الأشخاص الذين أصيبوا بهذا الفيروس بنحو ٥٠ مليوناً. ومن أصل هذا العدد مازال نحو ٣٣ مليوناً على قيد الحياة ونحو ١٦ مليوناً توفوا. ونشرت الهيئتان هذا التقرير قبل أيام من اليوم العالمي للإيدز في الأول من ديسمبر. وسجل الارتفاع الأكبر لحالات الإيدز في العالم في الدول المنبثقة عن الاتحاد السوفييتي السابق، وفي هذه الدول وفي أوروبا الوسطى والشرقية ارتفع عدد الأشخاص المصابين بأكثر من الثلث في العام الحالي، ليصل إلى ٣٦٠ ألفاً.

ومازال تناول المخدرات بالحقن رائجاً، في صفوف الشباب العاطلين عن العمل، في عدد كبير من المدن الصناعية خصوصاً في روسيا وأوكرانيا الأمر الذي يزيد من انتشار الايدز. وفي نهاية ١٩٩٩م، كان ١٢,٢ مليون إفريقيا و ١٠,١ مليون إفريقي تراوح أعمارهم بين ١٥ و٤٩ عاماً يحملون فيروس الايدز. وكشفت دراسات أجريت في عدد من الدول الإفريقية أن إمكانية أن تحمل الشابات الإفريقيات اللواتي تراوح أعمارهن بين ١٥ و١٩ عاماً فيروس أكبر بخمسة أو ستة أضعاف منها لدى الشبان في الفئة نفسها.

وفي آسيا يبدو أن الجهود للوقاية من الايدز وبرامج العناية المكثفة تأتي ثمارها، ففي الهند يقدر عدد الإصابات اليوم بأربعة ملايين وهو الرقم، الأعلى في العالم لكنه أقل من التقديرات التي وضعت سابقاً.

وقد ازدادت مراكز مراقبة تفشي فيروس الايدز ثلاثة أضعاف في هذا البلد في ١٩٩٨م، وفي أميركا اللاتينية طبقت البرازيل في ١٩٩٩م برنامجاً مكلفاً بقيمة ٣٠٠ مليون دولار يقدم علاجاً يمنع عودة ظهور الفيروس لنحو ٧٥ ألفاً من المصابين، وأضاف البيان أنه يتم التعويض جزئياً عن هذه النفقات بتوافر العلاج في المستشفيات.

وفي ما يتعلق بالايدز في الدول الغنية في النصف الشمالي من الكرة الأرضية، وصف المدير التنفيذي لبرنامج الأمم المتحدة لمكافحة الايدز بيتر بيون الوضع بأنه «مأسوي»، مؤكداً أننا نلاحظ تراجعات في التصرف الجنسي، بسبب توافر علاجات جديدة.

١١٤ بليون دولار ديون شمال إفريقيا

بلغت ديون منطقة شمال أفريقيا العام الماضي نحو ١١٤ بليون دولار وهي تمثل ٣٧٪ من مجموع ديون القارة الأفريقية ونحو ٤٧٪ من خدمات الدين ما يجعلها من أكثر المناطق استدانة في العالم.

وقالت دراسة وزعت على هامش ندوة «إدارة الديون، الاستثمار والتجارة في شمال أفريقيا» التي اختتمت أعمالها يوم ١٩٩٩/١١/١٣م، أن خدمات الدين الخارجي للمنطقة تقدر سنوياً بنحو ١٢ بليون دولار، وستحتاج شمال أفريقيا إلى تمويلات جديدة للإنفاق على مشاريع استثمارية لتأهيل اقتصاداتها للمنافسة التجارية الدولية والدخول في تجربة الشراكة مع الاتحاد الأوروبي، وتمثل الجزائر أول دولة مدينة في شمال أفريقيا بنحو ٣١ بليون دولار تتبعها مصر ٢٩,٨ بليون دولار، والمغرب ١٩,٣ بليون، وتونس ١١,٣، والسودان ١٦,٣ بليون، وليبيا ٣,٨ بليون، ثم موريتانيا ٢,٤ بليون.

وأشارت الدراسة إلى أن ديون المنطقة الممتدة من المحيط الأطلسي إلى البحر الأحمر استقرت منذ العام ١٩٩٥م، وشهدت بعض التراجع بالنسبة لمعظم الدول التي قلصت من الافتراض الخارجي وواصلت تسديد ديونها السابقة خصوصاً مصر والمغرب والجزائر وتونس وليبيا.

واعتبرت الدراسة أنه لتقليص الفقر بنسبة أربعة في المئة سنوياً قبل سنة ٢٠١٥ تحتاج المنطقة إلى نمو سنوي في الناتج القومي يراوح بين خمسة وستة في المئة على أن تزيد حصتها من الاستثمارات والصادرات، فيما تحتاج دول جنوب الصحراء مثل السودان وموريتانيا إلى نمو لا يقل عن سبعة في المئة، وكشفت الدراسة أن عدم تجانس اقتصادات المنطقة واعتمادها على صادرات الطاقة والمواد الأولية والمنتجات الزراعية يجعلانها رهينة الأسواق الدولية من جهة أخرى، اعتبرت الدراسة أن قرب منطقة المغرب العربي من أوروبا وتحديث اقتصادها وشراكتها مع الاتحاد الأوروبي تمنحها فرصاً إضافية للاندماج في الاقتصاد العالمي.

حديقة الوعي

إعداد: أحمد عبدالجبار

من هدي كتاب الله

قال الله تعالى :

﴿ إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا إن الله يفصل بينهم يوم القيامة إن الله على كل شيء شهيد﴾ الحج:١٧.

من هدي رسول الله ﷺ

عن أبي أيوب رضي الله عنه أن رجلاً قال للنبي ﷺ:

أخبرني بعمل يدخلني الجنة، قال: «تعبد الله لا تشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصل الرحم»

متفق عليه

حسن الجوار

حكي أن ابن المقفع كان بجنب داره، دار صغيرة لأحد الورّاقين، وكان ابن المقفع يرغب في شراء الدار ليضيفها إلى داره، ولكن الورّاق كان يمتنع عن بيعها واتفق أن استدان الورّاق مبلغاً كبيراً لم يستطع سداده، فاضطر إلى عرض بيته للبيع، وعرض البيت على ابن المقفع فقال لبعضهم: ليس بي حاجة الآن إلى داره، فقيل له: ولكنك كنت قد عرضت عليه من قبل أن تشتري الدار، فقال: ما قمت إذاً بحرمة الجوار، إن رغبت في ابتياعها بعد أن باعها معدماً، ثم حمل إلى جاره ثمن الدار وقال له: أبق دارك لك وادفع بهذا المبلغ ديونك.

الموت

قال رجل لعبيد الله بن أبي بكرة: ما تقول في موت الوالد؟ قال: ملك حادث. قال: فموت الزوج: قال عرس جديد، قال: فموت الأخ: قال: قصر الجناح، قال: فموت الولد: قال: صدع في الفؤاد لا يجبر.

هُوَّمُ

لِمَ القوم حيرى بين دنيا تشدهم
وبين جهاد النفس والقوم هوّم

إذا غابت الأخلاق ماتت نفوسهم
وعربد طاغ والضمائر نوّم

حال أهل السنّة وأهل البدعة

قال أبوبكر بن عياش رحمه الله: أهل السنة يموتون ويحيا ذكرهم، وأهل البدعة يموتون ويموت ذكرهم، لأن أهل السنة أحيوا ما جاء به الرسول - ﷺ - فكان لهم نصيب من قوله تعالى: (ورفعنا لك ذكرك) وأهل البدعة شنئوا ما جاء به الرسول - ﷺ - فكان لهم نصيب من قوله تعالى: (إن شانئك هو الأبتر).

من هو السيد؟

قال رجل لعمر بن الخطاب - رضي الله عنه - من هو السيد؟ فقال: الجواد حين يسأل، والحليم حين يستعجل، والكريم المجالسة لمن جالسه، والحسن الخلق لمن جاوره.

حرية الصحافة

قال نابليون بونابرت:

ثلاث صحف تخيفني أكثر مما تخيفني ثلاثة جيوش.

حبان لا يجتمعان

حب الله
وحب المعاصي
حب الجهاد
وحب الحياة
حب التضحية
وحب المال
حب العدل
وحب الاستبداد
حب الشعب
وحب الطغيان

في النصيحة

قال الإمام الشافعي رحمه الله:

تغمدني بنصحك في انفراد
وجنبني النصيحة في الجماعة

فإن النصح بين الناس نوع
من التوبيخ لا أرضى استماعه

فإن خالفتني وعصيت أمري
فلا تجزع إذا لم تُعطَ طاعة

أمـــات

يُقال: أم القرى للنار، وأم النجوم للمجرة، وأم خنور للدنيا وهي من كنى الضبع، وأم الطعام للحنطة، وأم عامر للضبع، وأم عوف للجرادة، وأم طلحة للقملة، وأم ملدم للحمى، مأخذوة من اللدم وهو ضرب الوجه حتى يحمر، وأم الخل للخمر، وأم عبيد للمغارة، وأم شملة للشمس لأنها تشمل الخلق بطلوعها، وأم جابر للسنبلة، وأم الندامة للعجلة، وأم الفضائل للعلم، وأم الرذائل للجهل.

لا تلد البنينا

تزوج شيخ من الأعراب جارية من رهطه، وطمع أن تلد له غلاماً فولدت له جارية فهجرها وهجر منزلها، وصار يأوي إلى غير بيتها، فمر بخبائها بعد حول، فإذا هي ترقّص بنيّتها منه وهي تقول بعضاً من الرجز:

ما لأبي حمزة لا يأتينا
يظل في البيت الذي يلينا
غضبان أن لا نلد البنينا
تالله ما ذلك في أيدينا
وإنما نأخذ ما أعطينا

فلما سمع الأبيات، مر الشيخ نحوهما حضراً حتى ولج عليها الخباء فقبّلها وقبَّل بنيّتها، وقال: ظلمتكما ورب الكعبة.

أقوال في المراقبة

● قيل للجنيد - رحمه الله - بم يُستعان على غض البصر؟ قال:

بعلمك إن نظرة الناظر إليك أسبق من نظرك إلى المنظور له.

● قال سفيان الثوري:

عليك بالمراقبة ممن لا تخفى عليه خافية وعليك بالرجاء من يملك الوفاء، وعليك بالحذر ممن يملك العقوبة.

● قال ابن المبارك لرجل:

راقب الله يا فلان، فسأله الرجل عن المراقبة فقال له: كن أبداً كأنك ترى الله عز وجل.

أمثال أعجبتني

● الكذب حيض الرجال

مثل سوري.

● يجيء المرض على ظهر جواد. ويرجع ماشياً

مثل فرنسي.

● لا تستطيع أن تمنع طيور الهموم من التحليق فوق رأسك، ولكنك تستطيع أن تمنعها من أن تعشش فيه.

مثل ألماني.

● نحن أختان ولكن لنا بختان

مثل مصري.

● صنعة في اليدين خير من مال الجدين

مثل ليبي.

● العيال سوس المال

مثل عربي.

من كنَّ فيه كنَّ عليه

قال بعض السلف: ثلاث من كُنَّ فيه كنَّ عليه: المكر والبغي والنكث قال تعالى: (ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله)، وقال تعالى: (إنما بغيكم على أنفسكم)، وقال تعالى: (فمن نكث فإنما ينكث على نفسه).

لن يعرف الحق

إنك لن تعرف الأمور ما لم تعرف أشباهها، ولن يعرف الحق من يجهل الباطل، ولن يعرف الخطأ من يجهل الصواب.

الجاحظ

أين مكوكبها ؟

حكى الأصمعي عن رجل من العرب قال: خرجت في ليلة مظلمة، فإذا أنا بجارية كأنها فلقة القمر، تضيء سواد الليل ببهاء طلعتها، فوقعت في قلبي، فراودتها عن نفسها. فقالت: يا هذا أما لك زاجر من عقل إذا لم يكن لك واعظ من دين؟ قلت: ما يرانا إلا الكواكب! قالت: يا هذا، فأين مكوكبها، اتق الله في نفسك وفيّ. قال: فشعرت بالخزي واستغفرت الله.

الاستعداد مختلف

سلّم أحد الملوك ابنه إلى مؤدب فقال له: ربِّ هذا الولد كتربيتك أحد أبنائك، فجدّ المؤدِّب في تعليمه سنة فما أتى سعيه بطائل، وأما أبناء المؤدِّب فقد انتبهوا إلى الغاية في الفضل والبلاغة فعاتب الملك المعلم قائلاً: لقد خالفت وعدك وما وفيت بشرطك فقال المعلّم: أيها الملك - التربية كانت متساوية، ولكن الاستعداد مختلف.

الفتاوى الشرعية

هذه الفتاوى منتقاة مما تصدره إدارة الافتاء والبحوث الشرعية في وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية في دولة الكويت. والمجلة على استعداد لتلقي الاسئلة مباشرة وتحويلها الى اهل الاختصاص للاجابة عليها. وييسر خدمة الفتوى بالهاتف تلقي الاسئلة الفقهية مباشرة من الساعة ٨ صباحا الى الساعة ١٢ ظهرا ومن الساعة ٤ عصرا الى الساعة ٨ مساء على الهواتف التالية :

هاتف مباشر
خدمة الفتوى
149

خطبة الجمعة بغير العربية

عُرض على اللجنة الاستفتاء التالي:

أستفتي مما أنتم أهل له من بحور العلوم، الله يجازيكم عنا وعن الإسلام، في خطبة الجمعة، هل إلقاؤها بالعربية مع ترجمتها بالعجمية صحيح أم لا؟ لأن الأمر قد التبس علينا، كنا نقرأ الخطبة بالعربية ونترجمها في رطانتنا حتى طالعتنا فتاوى علماء الهند، فوجدنا فيها منع ترجمة الخطبة العجمية، وهذا نص بعض ما اطلعنا في فتاويهم: إن السنة المأثورة عن النبي - صلى الله عليه وسلم - والصحابة والتابعين وأتباع التابعين والأئمة المهتدين رضوان الله عليهم أجمعين هي الخطبة العربية فقط، ولم يرد عن أحد منهم أنه خطب بغير العربية أو ترجم الخطبة العربية فقط، ولم يرد عن أحد منهم أنه خطب بغير العربية أو ترجم الخطبة بغيرها من الألسن مع كثرة الدواعي وكانت الحاجة شديدة إذ ذاك إلى ترجمة، لشيوع الإسلام في بلاد العجم واحتياج أهلها إلى تعلُّم الأحكام الشرعية، فإحداث قراءة ترجمة الخطبة مع العربية أو دونها بدعة تراغم سنة مأثورة عن السلف والخلف، فهي بدعة سيئة يجب اجتنابها، ويأثم فاعلها، وقال أحد العلماء في آخر كلامه: وعلى الخطباء أن يذكروهم بلغتهم قبل خطبة الجمعة، أو بعد الصلاة، أو في وقت آخر فقط.. أفيدنا من فضلكم.

- أجابت اللجنة بما يلي:

إذا ألقيت خطبة الجمعة بالعربية ثم ترجمت إلى غير العربية فلا نعلم خلافاً في جواز ذلك وهو صريح كلام فقهاء المذاهب الأربعة، أما ادعاء أن ذلك بدعة وأنه لم يرد، فليس عدم النقل دليلاً على عدم الوقوع، وعلى عدم المشروعية، وهذه من مسائل المصالح المرسلة التي لم يرد نص بمنعها ولا بجوازها، وفعلها يحقق مصلحة أكيدة لنفع سامعي الخطبة ممن لا يعرفون العربية. والله أعلم.

خروج المرأة من بيتها معطرة

عُرض على اللجنة السؤال التالي:

يُرجى التكرُّم بإفادتنا بإجابات وافية بخصوص استخدام العطور للمرأة خارج المنزل؟

- أجابت اللجنة بما يلي:

ورد النهي في أحاديث صحيحة كثيرة عن خروج المرأة من بيتها متطيبة، لما يترتب عليه من مرورها على الرجال وما يسببه تطيبها من تحريك دواعي الشهوة المحرَّمة، ويشمل النهي جميع أسباب الخروج من البيت حتى ولو كان لشهود صلاة الجماعة في المسجد، لقوله - صلى الله عليه وسلم - «أيما امرأة أصابت بخوراً فلا تشهد معنا العشاء الآخرة» رواه مسلم، فإذا خرجت المرأة بوسيلة يؤمن معها شم رائحتها من قبل الرجال الأجانب - كخروجها بسيارة ليس معها أجنبي - فإن ذلك الخروج لا يدخل في النهي، لأن الخروج المنهي عنه معلل بتحريك داعي الشهوة كما صرَّح بذلك العلامة ابن دقيق العيد، ولا يشمل النهي فيما يظهر استخدام المواد المزيلة للروائح الكريهة في البدن إذا كانت خالية من الطيب الذي يبقى ريحه للعلة المشار إليها. والله أعلم.

صلاة الجمعة للنساء

بناء على طلب وكيل الوزارة عرض على اللجنة المقال المنشور تحت عنوان: «مطلوب أقسام للمصليات في المساجد المختلفة»:

حيث تطلب صاحبة المقال من وزارة الأوقاف، بحث مشكلة عدم وجود أقسام خاصة بالسيدات في المساجد، لأداء صلاة الجمعة التي أمرنا الله بأدائها في قوله تعالى: (يأيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون) الجمعة:٩.

- أجابت اللجنة بما يلي:

الأمر الذي ورد في هذه الآية الكريمة يقتضي وجوب إقامة صلاة الجمعة في المساجد على الرجال دون النساء، فلا تجب صلاة الجمعة والصلوات الأخرى على النساء في المساجد، لأنهن لم يكنَّ يؤمرن بذلك في حياة النبي صلى الله عليه وسلم، ولكن لا يمنعن من الصلاة فيها إذا التزمن بالأحكام الشرعية اللازمة لجواز ذلك شرعاً، وينبغي تمكينهن من ذلك بتوافر المكان اللائق بهن في المسجد حسب الإمكان. والله أعلم.

الفحوص الطبية للحامل والمتزوجين

عرض على اللجنة السؤال التالي:

يستطيع الطبيب اليوم بعد إجراء بعض الفحوصات الطبية أن يتوقع أو «يتنبأ» بأن الرجل والمرأة العاقدين العزم على الزواج، لديهم فرصة كبيرة جداً أن ينجبوا أطفالاً مشوهين بأمراض وراثية، في مثل هذه الحالات إذا قام «الرجل والمرأة» باستشارة طبيب مسلم، فهل يجوز لهذا الطبيب أن ينصحهما بما يلي:

١ - بعدم الزواج؟

٢ - بعدم إنجاب أطفال بل بتبني أطفال؟

٣ - بإسداء النصيحة إلى الزوجة بالإجهاض إذا كان الحمل أقل من ١٦ أسبوعاً؟

٤ - بإجراء اختبارات خاصة على المرأة في بداية فترة الحمل، للتأكد من وجود أمراض بالجنين أم لا؟ وبناء على النتيجة قد ينصح بالإجهاض مع الوضع في الاعتبار أن بعض هذه الاختبارات في حد ذاتها قد تؤدي إلى الإجهاض.

- أجابت اللجنة بما يلي:

يستحب، بل قد يجب في بعض الحالات إخبار الراغبين بالزواج بما تكشف عنه الفحوصات الطبية، سواء كان حصول التشويه بالحمل مؤكداً أو محتملاً، لقول النبي صلى الله عليه وسلم: «الدين النصيحة» والله أعلم.

إسقاط الجنين المريض

عُرض على اللجنة السؤال التالي ونصه:

امرأة حامل في شهرها السادس. مرض أحد أولادها بالحصبة الألمانية وانتقل الميكروب إلى الأم الحامل وبعد فحصها قرر الأطباء أن الميكروب انتقل أيضاً إلى الجنين، كما قرروا أن الجنين المصاب بهذا المرض سيولد مشوهاً، وأشاروا على والديه بإسقاطه. وفعلاً تم إسقاط الجنين لهذا السبب.

فما حكم إسقاط جنين لهذا السبب؟ وهل على والديه دية أو كفارة؟ أو هما معاً؟ وما مقدارهما؟ ولمن تدفع الدية؟

- أجابت اللجنة:

يحرم إسقاط هذا الجنين ولو كان مشوهاً مادام أنه لا خطر على حياة الأم.

والغرَّة على من باشر الإجهاض وهي نصف العشر أي ما يعادل ٥٪ من الدية الكاملة.

ويُحرم الأب والأم من الميراث لأنهما أثنا في إسقاطه، وينتقل الميراث إلى من بعدهما. والله أعلم.

التأمين على المعدات التأمين على الأفراد

عُرض على اللجنة الاستفتاء المقدم من جمعية خيرية ونصه كما يلي:

نحن نعمل في مجالات مختلفة في طول العالم الإسلامي وعرضه وهذا يقتضي منّا في كثير من الأحيان التعرض لكثير من المخاطر كالذهاب لتصوير اللاجئين والأحداث في مواقع خطرة في كثير من البقاع، وتعلمون فضيلتكم ولا شك أن وكالات الأنباء الأجنبية ترسل مُراسليها إلى مثل هذه المناطق تحت ضمانات عالية تشجيعاً لهؤلاء المراسلين، وكثيراً منهم لقي حتفه في هذه المهام، ونحن لسنا أقل منهم إقداماً، وإن كنا نمتاز عليهم بأن عملنا خالصاً لوجه الله تعالى، ومع كل نحاول أن نجعل أفرادنا يشعرون أن من يعولونهم سيكونون في أمان من بعدهم ما يدخل الطمأنينة في قلوبهم، فيذهبون إلى أعمالهم لا يشغلهم شيء إلا تأدية عملهم، وهؤلاء الأفراد مزودون بمعدات من قِبَلِ اللجنة قيمتها آلاف الدنانير، وهي كذلك معرضة للضياع أو التلف في كل لحظة،

والسؤال:

١ - هل يجوز شرعاً التأمين على المعدات التي بحوزة أفرادنا؟

٢ - هل يجوز التأمين على الأفراد الذين يقومون بهذه المهام؟

ونحن في انتظار ردكم لنبني عليه أعمالنا المقبلة، نسأل الله لكم السداد وجزاكم الله خيراً.

- أجابت اللجنة بما يلي:

بالنسبة للسؤال الأول: يجوز شرعاً التأمين على المعدات على أن يكون التعويض المستحق في حدود الضرر الفعلي الذي يصيب المعدات.

ثانياً: بالنسبة لموضع التأمين على حياة الأفراد: لايزال موضع بحث من قِبَلِ المجامع الفقهية ولم تقل فيه رأيها إلى الآن، ويمكن أن يُصار إلى صيغة من صيغ التأمين التعاوني بأقساط مُتبرَّع بها من الأفراد المُؤمّن عليهم، وذلك من غيرهم، بحيث يفتح باب التبرع لصالحهم وتُدفع لهم عند الحاجة المستحقات التي تسمح بها موجودات الصندوق. والله أعلم.

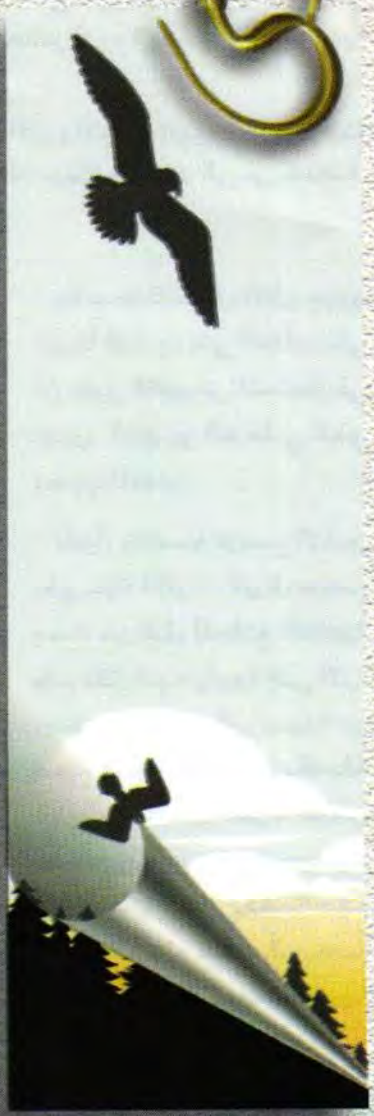
بقلم : علي مدني رضوان الخطيب

الفرحة الكبرى

سرور المؤمن بسعيه وكدحه أمر طبيعي، كما أن فرحته بثمرة عمله، ونتاج جهده من الأمور المسلَّم بها، إذ إن الإنسان يفرح ويُسر إذا ما فرغ من عمله بعد عناء النهار وشدائده، ولا سيما إنْ كان هذا العمل وذلك السعي مما يعودان على صاحبه بنفع عاجل ووفير، وإذا كان أصحاب الدنيا وأرباب التجارات يفرحون إذا ما انتهوا من أعمالهم، وعقد صفقاتهم منتظرين من وراء ذلك وافر الربح وعظيم الرواج، فأهل الآخرة وطلاب الفضيلة لأشد فرحاً بثمرة عملهم مع فضل الله الواسع ورحمته الغامرة (قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون).

ومن ثمَّ كان للصائم فرحتان يفرحهما، فرحة بفطره وانتصاره على نفسه الأمارة وقهراً لشيطانه وزجراً لهواه، وفرحة عند لقاء ربه، فيكون كالغائب يقدم على أهله وأحبته وقد يقول قائل: إن الصيام لا يخلو من نصيب كبير من المشقة والنصب. لكن، خبروني عن مغنم من مغانم الدنيا أو منفعة فيها يحصلها صاحبها بغير كلفة أو معاناة؟!

أثم إذا ما وقعت المنفعة الحقيقية، والحظوة الوافرة يضن المسلم بها! والله ما هذا بالإنصاف، وما هكذا تورد الإبل... لو لم يكن للصائم من ثمرة غير هذه الفرحة لوسعته ونشطت بذلك نفسه تواقة طيّعة في خدمة سيده فيقف على بابه فيكون من وراء ذلك ما وراءه من جائزة الله لعبده وجزاؤه له بتوفية الأجر، ومغفرة الذنب بجميل العفو والطاف المنن ثم الفوز بدار الخلد والمقام وفي ذلك فليتنافس المتنافسون.





%2.5
قد لا تؤثر قطعة الخبز الصغيرة
في إشباعك لكنها حتماً ستؤثر في
إشباع الآخرين
% 2.5
زكاة أموالكم
بيت الزكاة
هيئة حكومية مستقلة
دولة الكويت
السالمية - شارع قطر
ص.ب (23865) الصفاة (13099) الكويت
عنوان الصفحات الإعلامية على الإنترنت
http://www.zakathouse.org.kw
عنوان التراسل الإلكتروني العام
zakat@zakathouse.org.kw



بسم الله الرحمن الرحيم
لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون
صدق الله العظيم
شارك معنا من خلال اقتنائك
السهم الوقفي
بقيمة
١٠
د.ك
ومضاعفاته
للإستفسار - هاتف: ٨٠٤ ٧٧٧
التحصيل السريع - بيجر: ٩٢٥ ٩٢٥٠
فاكس: ٢٥٣ ٢٦٦٠
VISA
MasterCard
السهم الوقفي

الوعي الإسلامي

إسلامية شهرية جامعة

al-Waei al-Islami

تأسست عام ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م

العدد ٤١١ ـ السنة ٣٦ - ذو القعدة ١٤٢٠ هـ - فبراير / مارس ٢٠٠٠ م



الأمين العام للأمانة العامة للأوقاف :

اعتماد البعد الشعبي سر نجاح تجربتنا في تسيير شؤون الأوقاف

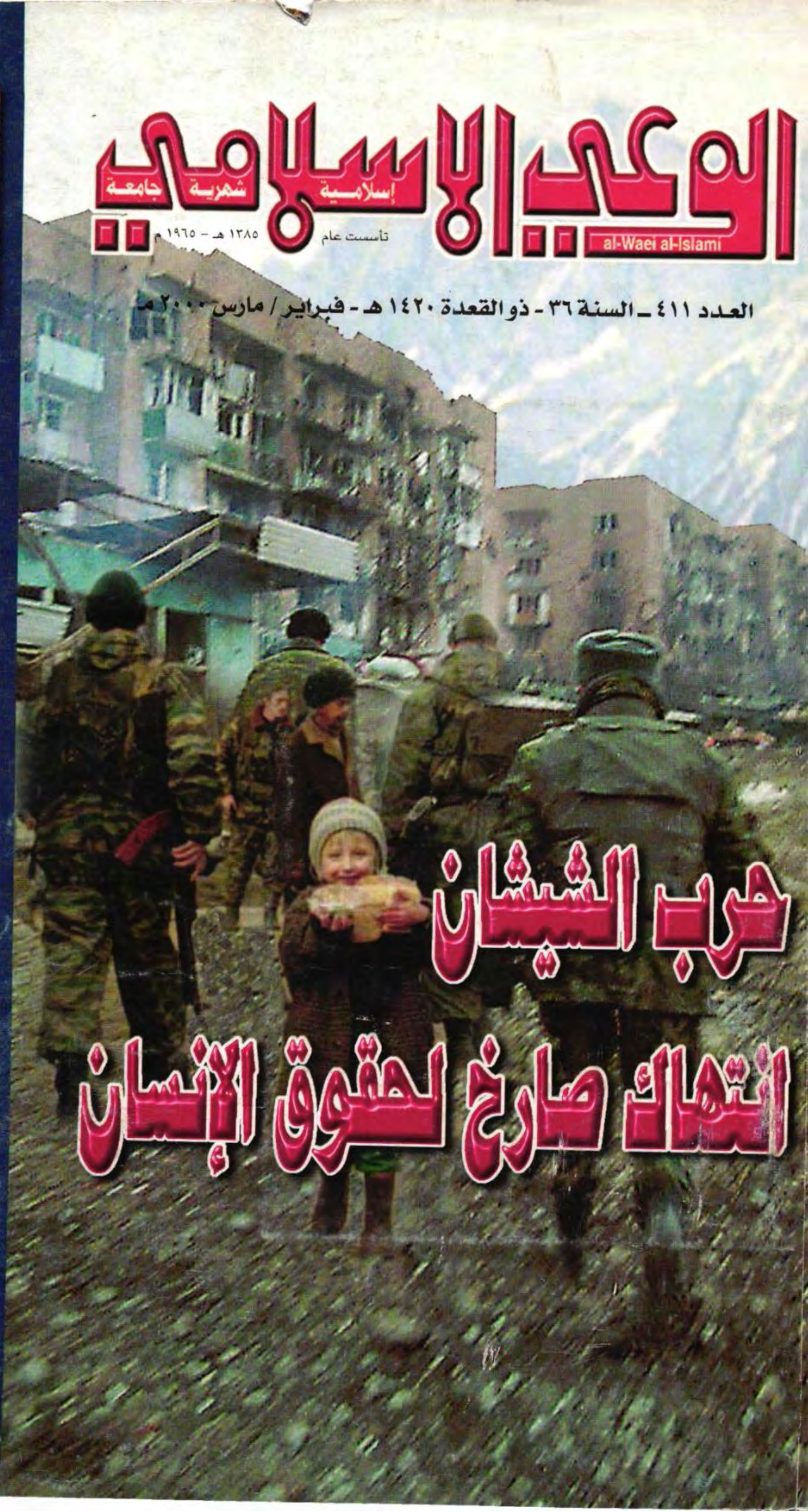
قضايا اسلامية

نحو أيديولوجية ملائمة لعلمائنا المغتربين

جامعات

كلية الإمام الأوزاعي اللبنانية تجربة رائدة للجامعات الإسلامية

هديتك مع العدد براعم الايمان



حرب الشيشان

انتهاك صارخ لحقوق الإنسان

أخي المواطن . . .
أختي المواطنة . . .
الجمهور الكريم
هل لديك اقتراح أو استفسار أو شكوى عن المساجد أوالحج أو دور القرآن الكريم أو عن أي نشاط لوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
فما عليكم سوى الاتصال على الأرقام التالية :

هاتف : ٢٤٨٧٥٢٤
٢٤٨٧٥٩٢
من ٨ صباحاً
حتى ٢ ظهراً .

فاكس : ٢٤٦١٨٩٢
٢٤٢٧٧٥٤

جهاز تسجيل المكالمات
٢٤ ساعة .

مكتب خدمة المواطن
وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

الوعـي الإسـلامـي

تأسست عام ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م

إسلامية ❖ شهرية ❖ جامعة

تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية

في دولة الكويت في مطلع كل شهر عربي

Islamic Monthly Magazine, Published By The Ministry of Awqaf & Islamic Affairs - Kuwait

رئيس التحرير
CHIEF EDITOR
جاسم محمد مطر شهاب
Jasem M. M. Shehab

سكرتير التحرير
EDITORIAL SECRETARY
وائل أحمد الهنيدي
WAEL A. AL-HUNAIDI

الإشراف الفني
ART DESIGNER
صالح محمد صالح
SALEH M. SALEH

العدد 411 - السنة الخامسة والثلاثون - ذو القعدة 1420 هـ - فبراير / مارس 2000 م

كلمة العدد

من أجل إعلام إسلامي متجدد

يقطف قارئنا العزيز من بستان «الوعي الإسلامي» قطوفاً يانعة دانية، ويلفته ابتداء من هذا العدد باقة ثرية من الموضوعات المتفرقة، فيلاحظ إضافات كثيرة في مجالات متنوعة منها ما يتناول الاقتصاد الإسلامي، ومنها ما هو خاص بالجامعات الإسلامية، وآخر للرسائل الجامعية، كما اعتمدنا فكرة عدم التطويل في الموضوعات، وإضافة جوانب تختص بالكمبيوتر والإنترنت والعلوم والطب والفن الإسلامي.

كما تعودنا دائماً على صفحات «الوعي الإسلامي» أن نحدث تطويراً متدرجاً، فإننا نترقب ترجمة فعلية لهذا الجهد الذي نراه واجباً علينا وحقاً لقارئنا العزيز... ونتوقع أن نتلقى اقتراحات ورؤى جديدة نتمنى تحقيقها مستقبلاً.

ولم ننسَ أيضاً أن نعمد إلى تطوير ملحق «براعم الإيمان»، لما نستشعره من دور لنا في بناء شخصية الطفل المسلم، وعسى أن نكون قد حققنا بعض طموحاتكم، والله الموفق إلى سواء السبيل.

الوعي الإسلامي

الأسعار

الكويت : ٣٥٠ فلسا . السعودية : ٤ ريالات . البحرين : ٣٠٠ فلس . قطر : ٤ ريالات . الامارات : ٤ دراهم . سلطنة عمان : ٣٠٠ بيسة . الأردن : ٥٠٠ فلس . مصر : جنيه واحد . السودان : ٥ جنيهات . موريتانيا : ١٢٠ اوقية . تونس : دينار واحد . الجزائر : ٥ دنانير . اليمن : ٥ ريالات . لبنان : ١٠٠٠ ليرة . سوريا : ٢٠ ليرة . المغرب : ٦ دراهم . ليبيا : ٥٠٠ مليم . اوروبا : جنيه استرليني واحد او مايعادله . امريكا وبقية دول العالم الاخرى : دولاران او مايعادلهما.

المراسلات

المراسلات كافة باسم رئيس التحرير
مجلة الوعي الإسلامي
ص.ب : ٢٣٦٦٧ . الصفاة . 13097 . الكويت
هاتف : ٥٣٤٨٩٧٤ / ٥٣٤٨٩٧٦ / ٥٣٤٨٩٥٦ (+٩٦٥)
فاكس ٥٣٤٨٩٥٤ (+٩٦٥)

al-Waei al-Islami
P.O. BOX 23667 SAFAT
13097 KUWAIT
TEL. 965 5348976 FAX 965 5348954

e.mail: alwaei@awkaf.net
Homepage: www.awkaf.net/alwaei

الاشتراكات

- داخل الكويت :
للأفراد ٥ دنانير . للمؤسسات ١٠ دنانير كويتية
- الدول العربية :
للأفراد ٦ دنانير كويتية (او مايعادلها).
- دول العالم :
للأفراد ١٠ دنانير كويتية (او مايعادلها).
- للمؤسسات :
٢٠ ديناراً كويتياً (او مايعادلها).

ترسل قيمة الاشتراكات في شيك إلى إدارة المجلة باسم مجلة الوعي الاسلامي
(الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)

المجلة غير ملتزمة بإعادة أي مادة تتلقاها للنشر . والمقالات لا تعبر بالضرورة عن رأي الوزارة

مطابع السياسة ـ الكويت

وكيل التوزيع شركة الخليج لتوزيع الصحف هاتف ٤٨١٦٨٨٤/٥ / ٤٨٣٥٠٤٧ ص.ب ٤٢٠٥٧ الشويخ 70651 الكويت . برقيا نيوزبيبر

في العدد

جامعات إسلامية

كليـة الإمام الإوزاعـي اللبنانيـة



56

جامعة الإمام الإوزاعي اللبنانية على الرغم من حداثة عهدها، إلا أنها أثبتت وجودها على الساحة العلمية، واستقطبت أعداداً متزايدة من الطلبة الراغبين في التزود بالعلوم الإسلامية.
التفاصيل عن هذه الجامعة...

دراسات قرآنية

22

الدراسات القرآنية في مناهج البحث الاستشراقي المعاصرة ٢/١

هل طرائق ومناهج المستشرقين في دراسة القرآن الكريم تختلف عن المناهج الموظّفة في العلوم الإسلامية الأخرى؟ وهل ثمة فرق بين الاستشراق القديم والاستشراق الحديث في هذا الخصوص؟
تفاصيل هذا الموضوع...

قضايا فكرية

40

العلوم العربية دعوة إلى منهج جديد

ما حقيقة المنهجية الجديدة في التعامل مع العلوم العربية التي يدعو إليها بعض الباحثين العرب؟ وهل ستلقى هذه المنهجية آذاناً صاغية أم أنها ستكون مرفوضة لعدم استنادها إلى الحقائق الموضوعية؟.

الفهرس

الافتتاحية

حرب الشيشان انتهاك صارخ لحقوق الإنسان

ما يجري اليوم على أرض الشيشان من قتل ونهب وتدمير وتشريد وانتهاك للأعراض والحرمات من القوات الروسية لأرض تتمتع بالحكم الذاتي حسب القانون الروسي، إنما يُعدُّ خرقاً صارخاً لكل الأعراف والتقاليد والقيم الإنسانية والشرائع السماوية، وإذا كانت حرب الشيشان الأولى عامي ١٩٩٤م ـ ١٩٩٦م قد نتج منها مقتل أكثر من ستين ألفاً من الشعب الشيشاني الصغير الذي تعداده (٢ مليون نسمة)، إضافة إلى أكثر من مئة ألف جريح، وتشريد نصف مليون لاجىء في الجمهوريات المجاورة، فإن الحرب الثانية التي اندلعت في العام الماضي (سبتمبر ١٩٩٩م) ومازالت مستعرة أفرزت نتائج أشد مأساوية لأن الآلة العسكرية الروسية استخدمت أسلحة أكثر تطوراً، وانتهجت فيها سياسة الأرض المحروقة لإخضاع الشيشانيين، وارتكبت فيها المجازر ما يشيب لهولها الولدان، يكفي أن نذكر منها المذبحة المروِّعة التي ارتكبها الجيش الروسي في قرية «الخان يورث» في الفترة الممتدة من ١ ـ ١٥/١٢/١٩٩٩م، والتي راح ضحيتها ٤١ مدنياً، وقد أكدت هذه المذبحة جهات عالمية منها منظمة مراقبة حقوق الإنسان، ومقرها نيويورك، وتلفاز B.B.C البريطاني وجريدة الإندبندنت البريطانية، كما أن الروس أنفسهم بعد أن أنكروا وقوعها عادوا واعترفوا بحدوثها، ونقل في هذا الخصوص ـ عن قائد الجبهة الغربية في الجيش الروسي «فلاديمير شامانوف» والمعروف بتعصبه وكرهه للشعب الشيشاني ـ تصريح لوكالات الأنباء العالمية بعد اتهامه بالتستر على المذبحة:

«لو صدرت لي الأوامر بإيقاف الحرب فسأقوم في الحال بنزع جميع النجوم والنياشين والشارات العسكرية من صدري وأترك الجيش...».

إن هذه المذبحة وغيرها من المجازر نتجت من عدم التكافؤ في العدد والعتاد بين الشيشانيين والروس، ما جعل الجانب الإنساني فيها يطغى على الجانب العسكري، حيث يرتفع يومياً عدد الضحايا من القتلى والمصابين والمشردين من المدنيين الآمنين العزّل الذين يسقطون بفعل القصف المدفعي والصاروخي والهجمات الجوية المستمرة، أما الجانب العسكري فلم يعد مستبعداً في نظر كثير من المراقبين أن تسفر الحرب عن نتائج شبيهة بما أسفرت عنه الحرب الأولى، والتي اضطرت في نهايتها روسيا بفعل الصمود والبطولات الشيشانية لتوقيع اتفاقية يتقرر بموجبها مستقبل الشيشان بعد خمس سنوات من التاريخ المذكور آنفاً.

لقد قلبت الحرب الجديدة في الشيشان الموازين والتوقعات كافة، وأكدت للعالم بطلان مزاعم الآلة العسكرية الروسية التي أطلقت شرارتها تحت ستار مقاومة الإرهاب وتأديب حفنة من قطاع الطرق وحماية شعب الشيشان من شرهم وبات الكل يتساءل: كيف تقوم دولة بحرب دفاعاً عن جزء من شعبها ومن ثم تتسبب في إبادة هذا الجزء وتفتيت أوصاله ومحاولة اجتثاثه من أصوله ونهب ثرواته ومحو هويته دونما وازع من ضمير؟!!

إن المطلوب اليوم من كل القوى والدول والأطراف المحبة للحرية والحق والسلام أن تتخذ من الوسائل والإجراءات ما يعمل على إيقاف هذا النزيف الدموي الرهيب وأن تخرج عن صمتها الرهيب نصرة لشعب لا ذنب له ولا جريرة، إلا أنه أبى أن يفرِّط في أرضه وكرامته وسيادته، وأبى أن يطأطئ رأسه للعدوان فوقف شامخاً دفاعاً عن حريته وعزته وهويته ومستقبل أبنائه.

إن الموقف الذي وقفته بعض الدول والهيئات والمنظمات الإسلامية إلى جانب شعب الشيشان على الرغم من عدم كفايته وعدم تلازمه مع الموقف الإسلامي المطلوب حقاً، إلا أنه عمل طيب نبيل يجب أن يوسّع ويزداد شمولاً ووضوحاً في كل أنحاء العالم الإسلامي استجابة لمبادئ الإخوة الإسلامية التي عبّر عنها المصطفى صلى الله عليه وسلم بقوله: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً».

وقوله أيضاً: «من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم»، وفي هذا الإطار جاءت خطوة أربعين عالماً من علماء الأزهر حين دعو المسلمين في كل أنحاء العالم إلى نصرة الشعب الشيشاني، كما أفتوا بجواز دفع أموال الزكاة للمعذبين والمضطهدين في الشيشان، ووجهوا دعوة في هذا الخصوص لإنشاء صندوق للجهاد لدعم المجاهدين الشيشانيين بالمال على أن يصب في مورد أموال الزكاة.

إن نصرة إخواننا في الشيشان أمر عاجل لا يجوز تأخيره نظراً للظروف المأساوية الصعبة التي يعيشونها، فباب التنافس في هذا المجال مفتوح لمن أراد كسب رضوان الله تعالى وصدق الله تعالى: «وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردّون إلى عالِم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون) التوبة:١٠٥.

رئيس التحرير

ترحب الوعي الاسلامي برسائل القراء وتنشر منها ما يتوافق مع سياسات النشر لديها بما لا يتعارض مع حقوق الآخرين وحرية الرأي. وتحتفظ المجلة بحق تنقيح الرسائل واختصارها.

الإسلام مقبل

«رغم الظروف الصعبة التي تمر بها الأمة اليوم وبالرغم من المؤامرات التي تُدبَّر لها والأحقاد التي توغر صدور الأعداء عليها، وكل ما حدث للبوسنة والهرسك من قتل وتعذيب وتنصير للمسلمين هناك، وما حدث في كوسوفا من طرد المسلمين من منازلهم، وهدم للمساجد في الهند وما يحدث في كشمير، وكل الخطط والمخططات التي تُفعل من أجل القضاء على المسلمين وإبادتهم، ورغم الفقر والحزن والضعف والذل والهوان الذي نحن فيه، والتمزق والتشتت بين أبناء الأمة، والحروب الدائرة بين الدول الإسلامية، والتكتل الصليبي الصهيوني، إلا أن الإسلام دين المستقبل، وقد بشَّر الرسول ﷺ بذلك حيث قال: «لاتقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم المسلمون حتى يختبئ اليهودي وراء الحجر والشجر فيقول الحجر والشجر يا مسلم يا عبدالله هذا يهودي خلفي تعال فاقتله».

حسام عبدالعظيم عبدالمنجي - مصر

رسالة عاجلة

إننا اليوم نواجه تحدياً خطيراً ألا وهو التمزق والتشتت، فكياننا الإسلامي كان في الماضي كياناً متماسكاً قوياً تربطه علاقات قوية، وكان الدين الإسلامي هو العقد الذي يجمع أركان العالم الإسلامي، وكان المسلمون صامدين كالبنيان المرصوص أمام الهجمات الشرسة الموجهة من المتربصين بديننا الحنيف. أما الآن وبعد أن تغلغل الخوف والتفتت والانهيار إلى نفوسنا بدأت حبات هذا العقد في الانفراط وتعرضنا إلى هجوم شرس لا نعرف إلى أين يودي بنا.

إذاً فلابد من إعادة التفكير في هذا المصير المجهول الذي ينتظرنا إذا استمر هذا التفكك والتمزق لأننا سنُحاسب على هذا التقصير.

أحمد حواتي - مصر

من قوانين السماء

كما أن للأرض قوانين، فإن للسماء قوانين، وكما أن للدنيا قوانين فللآخرة قوانين، وكما للجسد قوانين، فإن للروح أيضاً قوانين.

من قوانين الأرض: المال كلما أخذنا منه نقص، ولكن من قوانين السماء: ما نقص مال من صدقه. من قوانين الأرض: كلما حصلت على درجة أعلى تبوأت مكانة اجتماعية أسمى. من قوانين السماء: العالم كلما زاد علماً تواضع كالسنبلة كلما امتلأت انحنت. من قوانين الدنيا... أن أفضل ما ينزل من السماء المطر، وأن أفضل ما يخرج من الأرض الزرع. ومن قوانين الآخرة: أن أفضل ما ينزل من السماء التوفيق، وأن أفضل ما يصعد من الأرض الإخلاص... وإذا التقى الإخلاص بين أهل الأرض مع التوفيق من السماء كان نجاح الهدف وسمو الغاية.

من قوانين الأرض... كلما جمعت أكثر... كان حجمك أكبر، ولكن من قوانين السماء... من تعفف عن شيء من الحرام رزقه الله أضعافه حلالاً.

ثروت حافظ عبدالمنعم

ردود سريعة

● **الأخ مصطفى أحمد قنبر ـ مصر:**

المقالات الواردة إلينا تخضع لمعايير وقواعد النشر المتبعة في إدارة المجلة، يمكنكم إرسال المقالات في حال رغبتكم إلى أي مجلة تودون التعامل معها وشكراً

● **الراجحي عيد الرفقي ـ إندونيسيا:**

الانتساب إلى جامعة الكويت له شروط محددة لهذا يتوجب عليك مراسلة الجامعة مباشرة لمعرفة تلك الشروط.

● **الأخ محمد مدحت البيرقدار ـ مصر:**

مكافأة المقالات المنشورة ستصلك بإذن الله، أما بخصوص المقالين اللذين نشرا باسم آخر فقد جرت صياغتهما من جديد بسبب عدم توافق المادة مع منهج المجلة.

● **الأخ محمد مصطفى سيد ـ مصر:**

لسنا جهة مسؤولة عن تأمين العمل... أعانكم الله ووفقكم لما فيه الخير.

● **الأخت روضة إدريس حسن ـ سوريا :**

شكراً على عواطفك الصادقة تجاه المجلة والقائمين عليها، ويمكنك إرسال قيمة الاشتراك ليصار إلى وصول المجلة إليك.

● **الأخ إحسان إلهي ظهير ـ السعودية:**

قيمة الاشتراك السنوي في المجلة وملحقها براعم الإيمان ـ للدول العربية ـ ستة دنانير كويتية أو ما يعادلها، ويمكنك إرسال قيمة الاشتراك بشيك إلى إدارة المجلة وستصلك المجلة بعدها بانتظام.

تعقيـــب

قرأت في مجلتكم في العدد (٤٠٥) جمادى الأولى ١٤٢٠ هـ، تحت زاوية بريد القراء، مقالاً صغيراً مقتضباً حول كوسوفا، إلا أنه حمل في طياته أخطاء كثيرة، تمس العقيدة الإسلامية، وتخالف الواقع المحسوس، ولولا أن الأمر يمس العقيدة الإسلامية وروح الإسلام وجوهره ما تكلفت التعقيب على هذا المقال ولهان الأمر.

كتبت: «علية عبدالعال محمد» تحت عنوان: «كوسوفا كشفت الحقد الصربي»، فقالت واصفة الجنود الصرب وحربهم: «حيث الحرب دون عقيدة ولا مبدأ لتصفية المسلمين في كوسوفا»، فهل يا ترى يصح أن يُقال إن الصرب لا يحاربون لأجل عقيدتهم، ولا لأجل مبدئهم، فإن كانوا لايعتقدون ديانتهم النصرانية، فلهم مبدأ يحاربون من أجله.

ثم تقول: «كاشفة النقاب عن تنكرهم للمسيحية السمحة والتي يدَّعون الانتماء إليها وهي منهم براء، فلم تكن المسيحية يوماً إلا دين سماحة وخلق رفيع وقيم». فهل تقصد الكاتبة بالمسيحية ما كان عليه الحواريون والذين اتبعوا محمداً ﷺ، أم المسيحية المحرَّفة، فإن كانت تقصد المسيحية التي جاء بها المسيح عليه السلام فهي بريئة من الصرب وغيرهم، وهي دين السماحة والقيم والأخلاق الرفيعة، وهم الذين وصفهم الله بأنهم يسارعون في الخيرات وأنهم لا يستكبرون... وأنهم إذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول فاضت أعينهم من الدمع، وأما إن كانت تقصد المسيحية الموجودة، فليسوا برئين منها ولا هي بريئة منهم. وليست دين قيم ولا أخلاق رفيعة ولا دين سماحة، وكل دين عنده بعض الأخلاق التي توافقها الطباع البشرية ويقرهم عليها الإسلام، وإن كانت في النصارى أكثر من غيرهم. ولكن لا يُقال عن دين النصارى إنه دين السماحة والأخلاق الرفيعة والقيم. ولا يُقال: لمن يجعل لله الولد ويكفر بالنبي محمد ﷺ ويكذبه، إن له خلقاً رفيعاً وقيماً. والله عندما امتدح النصارى امتدح من انصاع منهم للحق وقبل دعوة محمد ﷺ، وبيَّن السبب في ذلك. وليس الصرب وحدهم هم الذين قتلوا المسلمين وذبحوهم، فهي شيمة أعداء الإسلام من دون استثناء، قال الله تعالى: (والكافرون هم الظالمون)، فهذه الحملات الصليبية منذ قرون عدة، استمرت أمداً بعيداً، واحتلوا بيت المقدس قبل اليهود واستمروا فيه قرابة مئة سنة، واليهود إلى الآن لم يبلغوا هذه السنوات، والنصارى الإنكليز هم الذين سلَّموا القدس لليهود، وهم الذين احتلوا مصر، والنصارى هم الذين استعمروا البلاد الإسلامية من أقصاها إلى أقصاها، ونهبوا خيراتها، والنصارى الفرنسيون هم الذين قتلوا أكثر من مليون مسلم في الجزائر، وهم الذين احتلوا لبنان وسورية وقتلوا أهلها من المطالبين بالحرية، ومازالوا إلى الآن يضطهدون المسلمين في فرنسا ويحاولون منع نسائنا من لبس الحجاب، والنصارى الإيطاليون هم الذين قتلوا المسلمين في ليبيا واستعمروها، وهكذا كل البلاد الإسلامية، لا يكاد يخلو بلد إلا احتله في يوم من الأيام مسيحيو أوروبا. فالتفريق بين الصرب وغيرهم، وأن الصرب هم المجرمون وغيرهم مسالم ضرب من مخالفة الواقع ولعدم معرفة الحقيقة، لقد بقي الغرب ساكتاً عن الصرب أو مدارياً لهم في أثناء حربهم مع المسلمين في البوسنة والهرسك، وظل يحتل بحيل ماكرة دور الوساطة في الصلح بين المسلمين والصرب، إلى أن اتفق الغرب اتفاقاً على ألا يعطي المسلمين كامل حريتهم ولا كامل سلطتهم، وكذلك الحال بالنسبة لكوسوفا، ظلوا يماطلون ويهددون ويتوعدون، حتى قضى الصرب على كثير من المسلمين في مجازر جماعية، ولو أرادوا أن يدافعوا عنهم منذ اللحظة الأولى لفعلوا، ولكن لما اقتضت مصلحتهم التدخل فعلوا ما تقتضيه هذه المصلحة، والكل قد سمع ورأى أن تدخل «الناتو» في كثير من الأحيان لم يكن لصالح المسلمين، حيث صعَّد الصرب حملاتهم القمعية ضد المسلمين، وأن حملات «الناتو» الجوية كانت تصيب أحياناً المسلمين - خصوم الصرب - وآخر المآسي ما يحصل في الشيشان من حرب إبادة ضد المسلمين على مسمع ومرأى العالم أجمع، ولم يكلف أحدهم خاطره ليفكِّر كيف يحقن هذه الدماء البريئة التي تعرضت للإبادة مرتين.



وخلاصة القول: إن الغرب لو كانوا حريصين على حقن دماء المسلمين لحاولوا احتواء الأزمة في وقت زمني أقل، وبخسائر بشرية من طرف المسلمين أقل من الذي حصل. فلنكن واعين ومدركين ما يفعل عدونا بنا، ولا نغتر بهرجه ومرجه. ثم قالت الكاتبة عن الإسلام: «والتاريخ يستشرف منه كثير من المواقف التي تدل على قمة التسامح وروح الإخاء والحب التي تملأ كل مسلم تجاه أخيه في الدين الآخر، وتؤكد أن فكرة التعايش السلمي بين الأديان، لم تكن مبدأ يطبق ويحق إلا في ظل العصور الزاهرة للإسلام والتاريخ مليء بالمواقف الدالة على ذلك».

قلت: هذا الكلام يحمل في طياته أخطاء ومفاهيم خاطئة حول الإسلام وتعامله مع الأديان الأخرى، والصواب الذي فيه ملبس بعبارات موهمة، فالإسلام دين العدل والإنصاف، وهو دين يحفظ للمخالف من الأديان الأخرى حقوقه بشروط بسطها أهل العلم في مواطنها، والإسلام حرَّم الاعتداء والظلم، وحضَّ على حسن الجوار وحسن المعاملة... إلخ، ولعل هذا ما تريده الكاتبة فأخطأت في التعبير - فقالت: «تدل على قمة التسامح وروح الإخاء والحب ... تجاه أخيه في الدين الآخر» - لأن حسن الجوار والمعاملة، لا تعني أبداً الحب والإخاء، فـ(إنما المؤمنون إخوة)، و(لاتجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادّون من حادَّ الله ورسوله...)، وقال الله عن نوح - عليه السلام - في خصوص ابنه: (يا نوح إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح...)، فالإنسان مأمور بعدم الظلم والتعدي حتى مع المعتدي، قال تعالى: (ولا يجرمنكم شنآن قوم أن صدوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا...) وقال: (ولاتعتدوا)، وقال: (فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم) البقرة:١٩٤.

وهنا نخلص إلى أن مصطلح: الإخاء والمحبة لا يجوز أن يكون إلا بين المسلمين، ومصطلح التسامح والتعايش السلمي مصطلحان عائمان محدثان حمّالان أوجهاً عدة لا يجوز استعمالها إلا ببيان المقصود منها حتى لا يتوهم القارئ منهما شيئاً مخالفاً للعقيدة الإسلامية.

أبو بكر سالم حسن - المدينة المنورة

ضوابط النشر
في مجلة الوعي الإسلامي

حرصاً من إدارة المجلة على إشاعة الثقافة الواعية والمعلومة الصحيحة منضبطة بضوابط التوثيق العلمي، فقد رأت المجلة أن تعيد التذكير بضوابط النشر على صفحاتها وفقاً للشروط التالية:

• ما يتعلق بالكاتب:

. أن يكون الكاتب متخصصاً في مجال كتابته أو ذا ثقافة تؤهّله للكتابة.

. أن يرسل صورة شخصية لشخصه الكريم بالإضافة لسيرته الذاتية.

. أن تكون المراسلات باسم رئيس التحرير.

. أن يكون العنوان كاملاً، مع كتابة رقم الهاتف والفاكس واضحين إن وجدا.

• ما يتعلق بالمادة العلمية للمقال:

. أن يعالج الموضوع فكرة متميزة، أو ملمحاً فريداً يخدم المعنى العام للوعي الإسلامي والثقافة النيّرة والعلم الشرعي.

. أن يكون المقال بلغة واضحة سليمة تناسب أكبر شريحة من القراء.

. أن تكون الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة مخرَّجة.

. أن تكون المراجع في هوامش المقال مشاراً إليها بأرقام تشتمل على اسم الكاتب، واسم المؤلف ودار النشر وسنة الطبع.

. ألا يزيد المقال عن ثلاث صفحات فلسكاب.

الوعي الاسلامي

شعب هذا شعاره
لن يُهزم بإذن الله



النشيد الوطني لجمهورية الشيشان

في ليلة مولد الذئب خرجنا إلى الدنيا
وعند زئير الأسد في الصباح سمونا بأسمائنا
وفي أعشاش النسور أرضعتنا أمهاتنا
ومنذ طفولتنا علمنا آباؤنا فنون الفروسية
والتنقل بخفة الطير في جبال بلادنا الوعرة
لا إله إلا الله
لهذه الأمة «الإسلامية» ولهذا الوطن ولدتنا أمهاتنا
ووقفنا دائماً شجعاناً نلبي نداء الأمة والوطن
لا إله إلا الله
جبالنا المكسوة بحجر الصوان
عندما يدوي في أرجائها رصاص الحرب
نقف بكرامة وشرف على مر السنين
نتحدى الأعداء مهما كانت الصعاب
وبلادنا عندما تتفجر بالبارود
من المحال أن ندفن فيها إلا بشرف وكرامة
لا إله إلا الله
لن نستكين أونخضع لأحد إلا الله
فإنها إحدى الحسنيين نفوز بها
الشهادة أو النصر
لا إله إلا الله
جراحنا تضمدها أمهاتنا وأخواتنا بذكر الله
ونظرات الفخر في عيونهم
تثير فينا مشاعر القوة والتحدي
لا إله إلا الله
إذا حاولوا تجويعنا سنأكل جذور الأشجار
وإذا منع عنا الماء سنشرب ندى النبات
فنحن في ليلة مولد الذئب خرجنا للدنيا
ونحن دائماً سنبقى مطيعين
لله والوطن وهذه الأمة
لا إله إلا الله



حوار أجراه : تمام أحمد

عبدالله شهاب مدير إدارة مساجد محافظة مبارك الكبير :

خطة طموحة لتخضير مساجد الكويت

أهمية التخضير لا تقتصر على المتعة الجمالية التي تجلبها الطبيعة الخضراء للناظر وعلى الانتعاش الروحي والجسدي الذي تمنحه لمن يتجول في رحابها فحسب، بل من شأن أي خطة تخضيرية مدروسة أن تسهم في تفاعل الفرد مع مجتمعه وهذا ما يسعى إليه قطاع المساجد في وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية الذي بدأ خطة طموحة لتشجير كل مساجد الكويت البالغ عددها ٨٢٠ مسجدا.. مجلة الوعي الإسلامي كان لها هذا اللقاء مع الأستاذ عبدالله محمد مطر شهاب مدير ادارة مساجد محافظة مبارك الكبير للاستفسار عن أهم الإنجازات التي حققتها شعبة الزراعة في قطاع المساجد بهذا الموضوع...



• مطلق القراوي



• عبدالله مطر شهاب

• بدءاً أستاذ عبدالله نريد أن نعرف الغاية التي من أجلها أُنشئت شعبة الزراعة في إدارتكم؟

- تعرضت مساجد الكويت مثل باقي المنشآت الكويتية للإهمال والتخريب في أثناء الغزو العراقي الغاشم، الأمر الذي دفع بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في فترة ما بعد الغزو لإجراء صيانة شاملة لها حتى تستعيد دورها الرائد في التوعية الروحية والاجتماعية.

ومن أجل هذه الغاية قامت الوزارة بإحضار شركات متخصصة ووقعت عقوداً مع هذه الشركات للقيام بأعمال الصيانة لكن



• استغلال مياه الوضوء في عملية الزراعة

عنصر التشجير ظل بعيداً عن عمل هذه الشركات ما دفع بالوزارة العام ١٩٩٧م إلى تشكيل فريق عمل مهمته وضع خطة لتشجير مساجد الكويت وذلك برئاسة الوكيل المساعد للمساجد في ذلك الوقت الأستاذ بدر المطيري، حيث كنت فيها نائباً للرئيس مع ستة أعضاء مهندسين ما بين كهربائي، ومدني، وزراعي، وتم إعداد دراسة ميدانية تضمنت مقترحات عدة لتنفيذ الخطة ومن أبرزها قيام شركات متخصصة بعملية التنفيذ، أو قيام الإدارات في المحافظات بالعملية، وقدمت الدراسة إلى رئيس قطاع المساجد آنذاك «الوكيل الحالي للوزارة» الأستاذ عبدالعزيز عبدالغفور، وطلب أن تتم الإجراءات بشكل مدروس توفيراً للنفقات، كما طالب بتشكيل فريق عمل من المديرين المتخصصين الموجودين في قطاع المساجد للقيام بهذه المهمة، وبناء على ذلك تشكلت شعبة الزراعة في إدارة مساجد الفروانية قبل أربعة أشهر لتكون نواة للمشروع. وتلقى الشعبة من رئيس قطاع المساجد الأستاذ مطلق القراوي كل أشكال الدعم المطلوب لنجاح هذا المشروع وقد كان لهذا الدور الأثر البالغ في أن يرى النور فله كل الشكر والتقدير.

● أستاذ عبدالله... كيف بدأتم عملكم في الشعبة؟

ـ بدءاً قمنا في إدارة المساجد في الفروانية بإنشاء مشتل خاص، ثمَّ بدأنا بالزراعة والتخضير في عدد من المساجد هي: مسجد الرفاعي في قطاع المساجد في ضاحية خيطان، ومسجد بلقيس الزهير في منطقة جليب الشيوخ، ومسجد ضاحية العمرية في منطقة العمرية ومسجد مجاهد بن جبر في منطقة الرحاب ومسجد أبو حنيفة بالشعب والإعداد الكامل لمسجد فاطمة بالضاحية ونأمل أن نستمر في تخضير باقي مساجد الوزارة ومن ثمَّ تعميم التجربة على كل مساجد الكويت.



● أحواض منسقة داخل قطاع المساجد

● ما أهم الإنجازات التي تحققت حتى الآن؟

ـ خلال الأشهر الماضية حققنا جملة من الإنجازات من أبرزها:

١ ـ تمت زراعة خمسة مساجد كما ذكرت سابقاً.

٢ ـ ثم عُمِلَ مسجد الرفاعي كأنموذج في مركز قطاع المساجد الرئيس حيث زرعنا جميع الأشجار التي ترغب الوزارة بزراعتها في المساجد وتعميمها، كما تمت تجربة الاستفادة من فائض الوضوء بما فيه:

أ ـ استغلال مياه الوضوء في عملية ري المزروعات وذلك بعد دراسة طويلة ارتأت الوزارة من خلالها صلاحية هذه المياه للري.

ب ـ الشعبة أنتجت عدداً من الشجيرات في المشتل الخاص بالوزارة تكفي لأكثر من ٣٠ مسجداً.

● هل هناك تنسيق بينكم وبين باقي إدارات المساجد؟

ـ هناك تنسيق كامل مع باقي الإدارات فالإدارة في الوزارة وجدت من أجل إمداد



● عبدالله شهاب يتسلم درع التكريم

يوم الوفاء

في بادرة هي الأولى من نوعها في مساجد محافظة الفروانية أصرَّ العاملون على تكريم السيد/ عبدالله محمد شهاب مدير مساجد المحافظة لمناسبة توليه إدارة مساجد محافظة مبارك الكبير وقد تجمع العاملون بمزرعة الأخ حزام العتيبي حيث كانوا في ضيافته الكريمة على شرف السيد/ عبدالله شهاب، وألقى الأخ/ أحمد شبكوه المراقب الإداري كلمة مؤثرة، أشاد فيها بأخلاق السيد عبدالله شهاب، وتعامله الطيب ما ترك أثراً بالغاً في نفوس العاملين، وتمنى له النجاح والتوفيق في إدارته الجديدة.



● رئيس شعبة الزراعة أسامة أحمد السرحان



● جانب من الأحواض الزراعية والمشاتل التي أقامتها الشعبة



● محمية زراعية لانتاج الشتلات



● مهندس المشروع محمود السيد محمود.

هذه الإدارات بالأشجار والشتلات اللازمة لذلك ومن ثمَّ الإشراف على تنفيذ زراعة وتخضير المساجد من خلال كل إدارة ومتابعتها عن طريقهم والسعي لتشكيل شعب أخرى في إدارات المساجد في المحافظات.

● هل لدى الشعبة ميزانية تشغيلية؟

- تم طرح موضوع توفير الميزانية مع وكيل الوزارة الذي بدوره تفهم الموضوع وأبدى استعداده لتوفير ما يلزم من الاحتياجات المالية لإنجاح المشروع.

● هل فكرتم في قطاع المساجد في موضوع زراعة أشجار مثمرة كالنخيل مثلاً للاستفادة من مواردها؟

- هذا الموضوع تم طرحه مع الوكيل ولكن لا يزال قيد الدرس تمهيداً لاتخاذ القرار اللازم بشأنه.

● هل لديكم طموحات مستقبلية لتطوير المشروع؟

- نطمح لتنفيذ خطة الوزارة التشجيرية خلال السنوات الخمس المقبلة حتى تكون جميع مساجدنا التي يبلغ عددها أكثر من ٨٢٠ مسجداً واحة خضراء بإذن الله تعالى.

● بماذا توصون العاملين في المساجد التي تم تخضيرها؟

- نأمل من الإخوة الأئمة والمؤذنين الذين تمت زراعة مساجدهم متابعة هذه الأعمال الزراعية وحفظها من العبث والتخريب حتى تتكلل أعمالنا بالنجاح وهذا بلا شك أمانة نُسأل عنها أمام الله تعالى.

● أعمال الزراعة تحتاج إلى تخصص فهل فكرتم في عمل دورات إرشادية للعاملين في المساجد؟

- نحن بصدد إصدار نشرة توجيهية كما أننا نفكّر بعمل دورات إرشادية داخلية للإخوة رؤساء الأقسام في المحافظات لمتابعة أعمال الزراعة والتخضير وتقديم الإرشادات اللازمة لنجاحها.

في ختام هذا اللقاء لا يسع مجلة الوعي الإسلامي إلا أن تشكر جميع القائمين على هذا المشروع العظيم وتشد على أيديهم متمنية لهم النجاح والتوفيق.

تكريم الفائزين في مسابقة حفظ القرآن الكريم الثانية

أقامت إدارة الدراسات الإسلامية في وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - في الكويت الحفل السنوي لتكريم الفائزين في مسابقة حفظ القرآن الكريم - الثانية وكرمت العاملين المتميزين والإعلاميين وذلك يوم ١٩٩٩/١١/٣٠م على مسرح صباح السالم في جامعة الكويت، وقد ألقى الأستاذ محمد العمر مدير إدارة الدراسات الإسلامية في الوزارة كلمة شكر فيها الطلبة الفائزين بالمسابقة وتمنى لهم بذل مزيد من الجهود الطيبة كما حضهم على الحفظ والمثابرة والمتابعة، وأكد حرص الإدارة على تأصيل القيم النبيلة والأخلاق الفاضلة في أوساط الناشئة، ثم عرج على أبرز الإنجازات والنشاطات التي قامت بها مراقبة حلقات تحفيظ القرآن الكريم بالإدارة، هذا وقد ألقى السيد وكيل الوزارة المساعد لشؤون الحج والدراسات الدكتور عادل الفلاح كلمة أشاد فيها بجهود مراقبة حلقات تحفيظ القرآن في إدارة الدراسات الإسلامية لتقديمها أفضل الخدمات لحفظة القرآن وتيسير سبل الحفظ في أي موقع كانوا، وتمنى بذل مزيد من الجهد والعطاء خدمة لديننا وأمتنا وفي ختام الحفل تم توزيع الجوائز والشهادات التقديرية على الفائزين التسعة في المسابقة، حيث فاز في كل فرع من فروعها الثلاثة ثلاثة طلاب كل حسب مستوى الحفظ «عشرة أجزاء، وخمسة أجزاء، وثلاثة أجزاء».



● د. عادل الفلاح يكرم أحد العاملين في الإدارة



● تكريم أحد الفائزين

دعوة للقراء إلى زيارة موقع المجلة على الإنترنت :

تلقت المجلة عبر صفحتها على الإنترنت مئات من رسائل القراء من جميع أنحاء العالم عبَّروا فيها عن سعادتهم بوجود المجلة عبر الإنترنت حيث أتاح الموقع الجديد للزوَّار الاطلاع على أبواب المجلة المتنوعة والقضايا الإسلامية... ويتيح الموقع الجديد التسجيل لطلبات الاشتراك بالمجلة داخل وخارج الكويت والتعرف على أسرة التحرير علماً بأن عنوان المجلة هو:

www.awkaf.net/alwaei

البريد الإلكتروني: alwaei@awkaf.net



اقتصاد إسلامي

إشراف: د. محمد جميل الشبشيري

نظراً لأهمية الاقتصاد في عالمنا المعاصر، فقد ارتأت المجلة فتح صفحاتها لنشر أهم أنشطة مؤسساتنا الاقتصادية الإسلامية وقضاياها المعاصرة، إضافة لنشر أبرز ما يدور على الساحة الاقتصادية العالمية، والباب مفتوح للإخوة والأخوات القراء للإسهام في إغناء وإثراء هذا الباب بكل ما يسهم في دفع عجلة الاقتصاد الإسلامي، باعتباره ركيزة أساسية في المشروع الحضاري الإسلامي المعاصر، والله من وراء القصد.



شركة المال الإسلامية تطرح صندوقاً جديداً للاستثمار العقاري

أعلنت شركة المال الإسلامية تحقيق أرباح صافية في الربع الثالث من العام ١٩٩٩م بلغت ٨٠٠ ألف دينار كويتي، حيث تدير الشركة محفظة مالية تبلغ ١٢٠ مليون دولار أميركي، وذلك في الوقت الذي أعلنت فيه شركة المال عن طرح صندوق جديد للاستثمار العقاري هو صندوق «السراج» الذي يعد أداة استثمارية تجمع الأموال من الأفراد والشركات.

ويمتاز صندوق «السراج» بميزات خاصة على صناعة الصناديق الاستثمارية، حيث يُتاح إمكان تقسيط المساهمة للأفراد، كذلك إمكان تحويل المساهمة إلى أرض فضاء أو إلى عقار، بالإضافة إلى إمكان الحصول على تمويل من شركة المال الإسلامية من أجل استكمال ثمن المنزل الخاص للعائلات الكويتية حديثة التكوين.

يذكر أن شركة المال الإسلامية تم تأسيسها في ديسمبر ١٩٩٨م برأس مال قدره (١٥) مليون دينار، وتخضع لرقابة بنك الكويت المركزي، وبدأت نشاطها في فبراير العام ١٩٥٩م، وهي متخصصة في أربع مجالات: مجال الخزينة وإدارة الأموال، وتمويل الشركات، وإدارة المشاريع الاستثمارية العقارية، وتقديم خدمات الوساطة المالية في الأسواق الدولية.

المحكمة العليا الباكستانية :

النظام المصرفي الذي يعتمد على الفوائد مخالف للإسلام

أعلنت المحكمة العليا في باكستان أن النظام الحالي في البلاد، الذي يعتمد على الفائدة، «نظام مخالف للإسلام» وقالت المحكمة إن كل أشكال المعاملات المصرفية التي تعتمد على الفائدة «تدخل في إطار الربا الذي يحرمه الإسلام».

وطالبت المحكمة الحكومة الباكستانية باتخاذ الإجراءات اللازمة لاتباع نظام مصرفي غير ربوي مع حلول منتصف العام ٢٠٠١م، ويأتي هذا الإعلان بعد سنوات عدة من المحاولات المتواصلة لتغير النظام المصرفي في باكستان.

وقد أعطت المحكمة العليا الحكومة الباكستانية مهلة شهر لتشكيل لجنة داخل المصرف المركزي الباكستاني للإشراف على تحول الاقتصاد، وستضم اللجنة علماء فقه واقتصاديين ومصرفيين وخبراء محاسبة.

الأولى للاستثمار تقدم استشارات شرعية لبنك ألماني

وقعت شركة الأولى للاستثمار اتفاقية مع بنك West LB المملوك للحكومة الألمانية تقدم بموجبها «الأولى» استشارات فنية وشرعية للمحفظة الاستثمارية التابعة للبنك والخاصة بصفقات التجارة الدولية Forfeiting حيث ستقوم الأولى بتقديم الدعم الفني لإعادة هيكلة تلك الصفقات لتتفق مع متطلبات الشريعة.

وأفاد حامد البدر رئيس مجلس الإدارة العضو المنتدب في شركة الأولى للاستثمار بأن الشركة الأولى للاستثمار ستقوم بتقديم الدعم الفني والشرعي للبنك الذي يطرح هذا المنتج الاستثماري لتمويل أنشطة التجارة الدولية بعوائد اتفاقية وفق الأسلوب الإسلامي في السوق الدولي.

وذكر البدر أن بنك West LB يعد أحد أكبر البنوك النشطة دولياً في تمويل صفقات التجارة الدولية، ويتمتع بخبرة عميقة في هيكلة التمويل لمختلف المشروعات وعمليات التصدير، ويزيد حجم عمليات For Feeting التي يديرها سنوياً عن ٥ بلايين دولار، تمتد ضمن ٤٤ دولة عبر العالم، ويأتي بنك West LB في المرتبة الثالثة بين البنوك الألمانية بأصول تبلغ ٦٠٤ بليون مارك ألماني، كما حصل هذا البنك على أعلى درجات التقييم من مؤسسات التقييم المتخصصة.■



● حامد البدر

الصقور الألماني أول صندوق استثمار إسلامي للاستثمار في الأسهم الأوروبية باليورو

أعلن بنك كوميرتز الألماني «أحد أكبر ثلاثة بنوك ألمانية عالمية» عن تأسيس أول صندوق استثمار إسلامي للاستثمار في الأسهم الأوروبية. وقال «فيلهلم جريتة» ممثل البنك بالقاهرة: إن كوميرتز بنك هو أول بنك أوروبي كبير يقدم صندوقاً للاستثمار يدار ويستثمر في الأسواق الأوروبية وفقاً لضوابط الشريعة الإسلامية، وذكر البنك في بيان صحفي إن مجموعة إدارة الموجودات في البنك ستدشن صندوق الصقور للاستثمار في الدول الأوروبية طبقاً للشريعة الإسلامية، ليمارس نشاطه في الربع الأولى من العام ٢٠٠٠م برأسمال ١٠٠ مليون يورو في العام الأول واقترحته وقدمته إدارة كوميرتز الدولية لإدارة الأموال.

وقال جيرهارد فيشو المدير التنفيذي: إن هذا الصندوق هو الأول من نوعه الذي يصدره بنك أوروبي كبير ليستثمر في الأسهم الأوروبية طبقاً للشريعة الإسلامية، مشيراً إلى أن الصندوق سيمتد نشاطه ليغطي أسواق آسيا والشرق الأوسط في نهاية العام، مؤكداً أن المستثمرين المحتملين في الصندوق يضمون نحو ١,٥ مليون تركي من العمال الأتراك المقيمين في ألمانيا وعائلاتهم.

وأكد كوميرتز بنك في بيانه الصحفي أن سوق الاستثمارات طبقاً للشريعة الإسلامية أحد أهم الأسواق الأكثر نمواً، حيث تمتلك إدارة الموجودات بالبنك خبرة طويلة في إدارة وتنمية المنتجات ذات الطابع الأخلاقي والقيمي وتمتلك إحدى شركاتها التابعة في المملكة المتحدة صندوقين للاستثمار في مثل هذه المنتجات ذات الطابع الأخلاقي والبيئي منذ العام ١٩٩٤م كما أن كوميرتز الدولية لإدارة الأموال لديها إدارة حسابات مالية وفقاً لمبادئ الشريعة الإسلامية منذ ١٠ سنوات، وستتولى شركتها لإدارة صناديق الاستثمار في دبلن بإيرلندا صندوق الصقور وإدارة الخدمات التابعة لها في فرانكفورت كاستشاري للصندوق الجديد الذي يستثمر ويُدار طبقاً للشريعة الإسلامية، كما ستقوم شركة التوفيق لصناديق الاستثمار السعودية إحدى شركات مجموعة «دلة البركة» كموزع لصندوق الصقور، وستقوم بالمشاركة مع مجلس شرعي مستقل للصندوق بتحديد الأسهم المسموح بالاستثمار فيها طبقاً لضوابط الشريعة الإسلامية، حيث تمتك شركة التوفيق خبرة طويلة في مجال صناديق الاستثمار الإسلامية في الشرق الأوسط. ويعد كوميرتز بنك من أكثر البنوك الألمانية والعالمية نشاطاً في منطقة الشرق الأوسط منذ ٤٠ عاماً، حيث لديه مكاتب تمثيل في كل من القاهرة وبيروت والبحرين وطهران، كما يرتبط بعلاقات عمل استراتيجية مع بنك مصر التجاري الدولي في القاهرة وبنوك أخرى عدة في المغرب وعُمان، ويأتي البنك في المرتبة الثالثة من حيث حجم القروض التي يضخها في منطقة الشرق الأوسط ومنطقة الخليج، حيث نفذ ١٤ عملية بلغت قيمتها ٣,٤ مليار دولار أميركي. وأكد ممثل كوميرتز بنك في القاهرة أن العملة التي سيتم استخدامها في صندوق الصقور للاستثمار الإسلامي هي اليورو، وأما الأسهم التي سيستثمر فيها فسيحددها ويختارها بدقة المجلس الشرعي للصندوق لاستبعاد أسهم الشركات التي لا تتفق أنشطتها وضوابط الشريعة الإسلامية مثل شركات الدخان والمشروبات الكحولية والشركات العاملة في مجال بيع السلاح.

بيت التمويل أول مؤسسة مصرفية كويتية تعلن أرباحها

المخيزيم : ١٠٥ ملايين دينار أرباح بيت التمويل العام ١٩٩٩م


● بدر عبدالمحسن المخيزيم

أعلن بيت التمويل الكويتي «بيتك» عن تحقيق ١٠٥ ملايين دينار كأرباح عن العام ١٩٩٩م، ليكون أول مؤسسة مصرفية كويتية تعلن أرباحها للعام المنصرم.

وصرح بدر عبدالمحسن المخيزيم رئيس مجلس الإدارة والعضو المنتدب بزيادة قدرها ٤,٧ مليون دينار عن صافي أرباح العام الماضي.

وقال المخيزيم في تصريح صحفي عقب اجتماع مجلس الإدارة: إن معدل الزيادة في الأرباح للعام ١٩٩٩م بلغ ٤,٧٪ منها أرباح للمساهمين قدرها ٤٤,٤ مليون دينار بزيادة عن العام الماضي قدرها ٢,٤ مليون دينار وبمعدل ٥,٧٪.

وأضاف المخيزيم أن هذه الأرباح جاءت منسجمة مع الخطط والأهداف الموضوعة ضمن الواقع الاقتصادي والتطورات على الصعيدين المحلي والدولي.

يذكر أن «بيتك» شركة مساهمة كويتية تأسست العام ١٩٧٧م تعمل وفق أحكام الشريعة الإسلامية، وحققت أرباحاً صافية العام الماضي بلغت ١٠٠ مليون دينار.

وأعلن المخيزيم عن توزيع الأرباح على المودعين المستثمرين عن السنة المالية المنتهية في ٣١ ديسمبر ١٩٩٩م حسب النسب المئوية التالية:

٥,٤٪ حسابات التوفير الاستثماري.

٦٪ الودائع الاستثمارية المطلقة المحددة.

٦,٧٥٪ الودائع الاستثمارية المطلقة المستمرة.

ويوزع على المساهمين توزيعات نقدية بنسبة ٤٠٪، وأسهم منحة بنسبة ٦٪.

وأعرب الميخيزم عن قناعته بأن الأرباح عبَّرت كذلك عن استمرار حركة التنامي الإيجابي في الأنشطة والخدمات التي يقدمها «بيتك» خلال العام الماضي.

١,٢ بليون متخم في العالم الصناعي ومثلهم سيئ التغذية في الدول النامية

حذَّر تقرير جديد عن الصحة والبيئة من أن المستقبل الاقتصادي للعالم مرهون بقدرة الشعوب على التعامل مع مشكلات رئيسة مثل التلوث والنمو السكاني وسوء التغذية.

ويقول تقرير معهد وورلد ووتش السنوي عن «حال العالم»: إنه من دون اتخاذ الحكومات لإجراءات مناسبة «سنواجه مستقبلاً يؤدي تدهوره البيئي المتواصل حتماً إلى تدهور اقتصادي».

وقال لستر براون، رئيس المعهد والكاتب الكبير في لقاء: «الحد الأدنى هو أن الاقتصاد العالمي يفوق النظام البيئي في النمو».

ويقول التقرير: «إن التحديات التي تواجه حضارتنا العالمية مع بدء القرن الجديد هي استقرار المناخ وتعداد السكان».

ويضيف أنه إذا فشل العالم في تحقيق ذلك «فلن نستطيع انقاذ أي منظومة بيئية على الأرض».

ويقترح التقرير فرض ضريبة على الفحم والبترول لتشجيع استخدام أنواع نظيفة من الوقود مثل الهيدروجين وطاقة الرياح والطاقة الشمسية.

ويحض التقرير الحكومات على تطوير استراتيجيات للتحكم في النمو السكاني بصورة إنسانية على غرار إتاحة خدمات تنظيم الأسرة على نطاق واسع.

وفي ما يتعلق بسوء التغذية يقول التقرير: إنه للمرة الأولى «ينافس عدد الأشخاص في العالم المصابين بتخمة غذائية وزيادة في الوزن، هؤلاء المصابين بسوء تغذية وانخفاض في الوزن يبلغ عدد كل منهم ١,٢ شخص».

والتخمة الغذائية هي مشكلة ظهرت حديثاً في الدول الصناعية، حيث تسمح الدخول المرتفعة بشراء أغذية ذات سعرات حرارية عالية.

ويحذر التقرير من أن الأنظمة الغذائية ذات النسب المرتفعة في السعرات الحرارية والدهون تؤدي إلى السمنة التي تزيد من مخاطر التعرض لأمراض القلب والسكتات الدماغية والسكري وأنواع مختلفة من السرطانات.

ويقول تقرير المعهد: «العالم في منتصف أزمة تغذية تأثيرها هائل على التنمية البشرية. لكنه غير مدرك لهذه الأزمة على نطاق كبير».■

بكلفة تصل إلى ٤ ملايين دولار

الصندوق العربي يسهم في ترميم الآثار الإسلامية بالقاهرة



● عبداللطيف الحمد

بكلفة تصل إلى ١٢ مليون جنيه مصري نحو (٤ ملايين دولار) يسهم الصندوق العربي للإنماء الاقتصادي والاجتماعي في ترميم بعض الآثار الإسلامية التي تحتوي على عمارة نادرة إضافة إلى أثاث أثري إسلامي.

وتسعى المنحة المقدمة بالكامل من الصندوق إلى ترميم كل من قصر الأبلق في قلعة صلاح الدين الأيوبي، وترميم أبواب القاهرة على مر العصور الإسلامية والتعريف بتاريخها وقيمتها الأثرية ووظيفتها عبر العصور التي وجدت فيها، كما يسعى المشروع أيضاً إلى ترميم بيت السحيمي في منطقة الجمالية الذي يعد تحفة معمارية ترجع للعصر العثماني.

«بنك المستثمرون» يصبح أكبر مساهم في «بنك البحرين الإسلامي»

أعلن أحمد الجناحي، عضو مجلس الإدارة، الرئيس التنفيذي لـ«بنك المستثمرون» أنه بناء على التوجهات الاستراتيجية لـ«بنك المستثمرون»، امتلك بشكل مباشر ونيابة عن محافظه خلال الفترة الماضية نسبة مؤثرة في «بنك البحرين الإسلامي»، بلغت ١٩ في المئة من رأس مال المصرف بعد الزيادة الأخيرة في رأس مال «بنك البحرين الإسلامي» في سبتمبر ١٩٩٩م الذي ضاعف رأس المال من ١١,٥ مليون دينار إلى ٢٣ مليون دينار بحريني.

وتم اتخاذ هذه الخطوة بعد دراسة مستفيضة إيماناً من «بنك المستثمرون» بالدور الفعَّال الذي بالإمكان أن يلعبه المصرف في المستقبل ولتحقيق طموحاته المستقبلية في رسم سياسة استثمارية تستطيع بموجبها مواجهة متطلبات السوق المالية في المنطقة، حيث إن من أحد أهداف «بنك المستثمرون» هوالمشاركة الفعَّالة في تطوير أنشطة وفعاليات المؤسسات المالية والتجارية في المنطقة وفي العالم الإسلامي بشكل عام انبثاقاً من إيمانها بأهمية ومستقبل المصارف الإسلامية عالمياً وليس إقليمياً فقط.

وباتت البحرين تلعب دوراً اقتصادياً مهماً من خلال مركزها المالي المتميز الذي يعتبر من أهم المراكز المالية العالمية، حيث إنها استطاعت أن تستقطب الكثير من المصارف والمؤسسات المالية العالمية والإسلامية لتتخذ من البحرين مركزاً رئيساً لممارسة أنشطتها، وبذلت «مؤسسة نقد البحرين» جهوداً فعَّالة ومتميزة في تقديم كل وسائل الدعم للتيسير على هذه المؤسسات مزاولة أنشطتها في ظل قوانين وأسس استثمارية على مستوى عالمي. كما تجدر الإشارة إلى دور وزارة التجارة في توافر المناخ العملي المناسب لهذه المؤسسات حتى تتمكن من مزاولة أنشطتها بمرونة وفعالية.



● أحمد الجناحي

كما أن دور سوق البحرين للأوراق المالية في استقطاب المؤسسات المالية الإسلامية، شجع «بنك المستثمرون» لاستقطاب استثمارات من دول الخليج المجاورة لتفعيل دور المؤسسات المالية في البحرين وفي المنطقة. ■

أجرى الحوار : محمد لشبيب



عبدالمحسن محمد العثمان

الأمين العام للأمانة العامة للأوقاف :

اعتماد البعد الشعبي سر نجاح تجربتنا في تسيير شؤون الأوقاف

بهذه العبارة الوجيزة يلخص «عبدالمحسن محمد العثمان» الأمين العام للأمانة العامة للأوقاف في دولة الكويت أحد أهم أسباب نجاح التجربة الوقفية في بلاده، فالأمانة العامة للأوقاف كما عرَّفها لنا، مؤسسة رسمية التنظيم أهلية الإدارة، وتتمثل رسالتها عموماً في إحياء سنة الوقف وتفعيل دوره في تنمية المجتمع، وفق الثوابت الشرعية ومعطيات الحاضر ومتطلبات المستقبل.

وانطلاقاً من رسالتها هذه تقوم الأمانة العامة للأوقاف على تنظيم الوقف والإشراف عليه وضبط حركته نحو تحقيق أهدافه في خدمة المجتمع، وذلك من خلال تشجيع المواطنين على إحياء هذه السنّة وتوظيف صرف ريعها في الاتجاه التنموي وتطوير استثمار أصولها، وتحقيقاً لهذه الأهداف ابتكرت الأمانة صيغاً وأساليب جديدة في سبيل تطوير العمل الوقفي وتعظيمه والنهوض به سواء في الجانب المؤسسي أو الإداري أو الاقتصادي... كل ذلك في إطار استراتيجية تهدف إلى التقليل من سلبيات العمل الحكومي الرسمي «البيروقراطية تعقد المساطر، الروتين...» وإشراك المجتمع في التسيير والإدارة واعتماد أسلوب الشفافية والوضوح باتباع منهج التقرير والمتابعة والمحاسبة.

ومن الصيغ التي ابتكرتها الأمانة العامة للأوقاف في هذا الإطار صيغة الصناديق الوقفية كصيغة عصرية وكقالب تنظيمي - تشارك فيه العناصر الأهلية - يتمتع بذاتية الإدارة ويشارك في مسيرة تنمية الوقف والدعوة إليه والقيام بالأنشطة التنموية من خلال رؤية متكاملة تراعي احتياجات المجتمع وأولياته، وتأخذ في الاعتبار ما تقوم به الجهات الرسمية والشعبية من مشاريع.

والصندوق الوقفي هو وحدة مؤسسية تتشكل من إدارة ونصيب محدد من الموارد الوقفية للإنفاق في أحد المجالات التي يحتاجها المجتمع وتتوافق مع وصايا الواقفين.

وقد وصل عدد الصناديق في الأمانة إلى أحد عشر صندوقاً تخصصت في مجالات عدة:

١ - الصندوق الوقفي للقرآن الكريم وعلومه.
٢ - الصندوق الوقفي لرعاية المساجد.
٣ - الصندوق الوقفي للتنمية العلمية.
٤ - الصندوق الوقفي للثقافة والفكر.
٥ - الصندوق الوقفي لرعاية المعاقين والفئات الخاصة.
٦ - الصندوق الوقفي للمحافظة على البيئة.
٧ - الصندوق الوقفي للتنمية المجتمعية.
٨ - الصندوق الوقفي لرعاية الأسرة.
٩ - الصندوق الوقفي للتنمية الصحية.
١٠ - الصندوق الوقفي للتعاون الإسلامي.
١١ - الصندوق الوقفي للأمانة العامة للأوقاف «ويهدف إلى تأمين الاستقرار المالي لباقي الصناديق».

هذه بعض من ملامح التجربة الوقفية في دولة الكويت التي أضحت تصنف كإحدى التجارب الرائدة في هذا المجال، اعتباراً لما تحويه من أدبيات ونظم إدارية متطورة، جعلت منها نموذجاً للإدارة المعاصرة للوقف.

ولتسليط مزيد من الضوء على هذه التجربة الرائدة، اغتنمنا فرصة مشاركة وفد عن

الأمانة في أشغال ندوة «التجارب الوقفية في المغرب العربي» بالرباط للقاء بأمينها العام عبدالمحسن محمد العثمان فكان لنا معه هذا الحوار:

● بدءاً نطلب إلى الأمين العام تقديم لمحة - ولو موجزة - عن أهم محطات التجربة الوقفية والمنجزات في هذا المجال الخيري الإحساني؟

- أنا شاكر لكم في الحقيقة على هذا اللقاء وحرصكم على إلقاء بعض الضوء على تجربة الكويت في تطوير الوقف والنهوض به وتفعيل دوره.

الوقف - كما هو معلوم - قديم في الكويت، ولعله تزامن مع وجود هذه الدولة، فالناس منذ زمن بعيد كانوا يوقفون وفقاً لحاجات المجتمع التي كانت مطروحة آنذاك، وفي حدود إمكاناتهم المادية التي يملكونها، وسار الوقف على هذا المنوال مدة طويلة تحت إدارة الأهالي بشكل مباشر وتحت رقابة القضاء الشرعي، إلى أن تطورت الأمور في دولة الكويت وبدأت تظهر المؤسسات الحكومية، وهنا تبلور شكل معين في إدارة الأوقاف وهو ما يجمع بين التنظيم الرسمي والبعد الأهلي، فتكونت دائرة الأوقاف التي يشرف عليها مجلس شؤون الأوقاف الذي يُشكل من الأهالي ذوي الاهتمام بشؤون الوقف واستمر هذا التنظيم إلى أن حل على هيئة الوزارات الحديثة مكان الإدارات الحكومية.

وهنا أقول - للأسف الشديد - إن الشكل الجديد لم يراع خصوصية الوقف، وبالتالي تحولت دائرة الأوقاف إلى وزارة تخلو من وجود البعد الأهلي في إدارتها، فالوزارة باعتبارها تنظيماً رسمياً حكومياً لا تسمح بإشراك السكان والأهالي، ولكن - والحمد لله - حُوفظ على الوقف بل نما من الناحية المادية على الرغم من جموده من ناحية الوقف الجديد وتفعيل دوره في حياة الناس، إلى أن أنشئت الأمانة للأوقاف في العام ١٩٩٣م، ورجعنا إلى الواقع الأقدم لما قبل الوزارة وهو القائم على إشراك الأهالي في تسيير شؤون الوقف، فالوقف - كما نتصوره، عمل خيري صادر عن أهالي المجتمع لصالح المجتمع، وصحيح أن تعقد مناحي الحياة يفرض ضرورة وجود تنظيم رسمي، ولكن لابد من فتح المجال للإدارة الأهلية في تسيير شؤون الوقف، لذلك قررنا أن يكون التنظيم رسمياً يشارك الأهالي في إدارته، وهذا ما



من صناديق الوقف

نعتبره العامل الأساس في نجاحنا في إحياء سنَّة الوقف، والحمد لله منذ إنشاء الأمانة إلى يومنا هذا ازدادت نسبة الوقف الجديد حتى بلغت ١٢٪ من الأوقاف الموجودة حالياً.

● ما أهم المجالات والمشاريع التي يتم تمويلها بريع الوقف؟

- كما تعلم - أن هناك قاعدة تقول: «شرط الواقف كنص الشارع»، ونحن أساساً نحترم شروط الواقفين ونوجه الأوقاف في المجالات التي يحددونها، لكن من حسن الحظ أن عندنا مجموعة أوقاف لعموم الخيرات، وهذه يتم العمل في الأمانة على توجيهها في كل ما ينفع المجتمع وفق الأوليات التي نراها في الأمانة.وفي هذا المجال استحدثنا صيغة تنظيمية سميناها: «الصناديق الوقفية»، وهي عبارة عن كيانات نشرك الأهالي من خلالها في توجيه الوقف وفقاً للمجالات التي تهتم بها هذه الصناديق بما يعود على المجتمع بالنفع العميم.

● إلى جانب قطاع الوقف كمشروع إسلامي للتنمية الاقتصادية والتنموية. شرع ديننا الحنيف فريضة الزكاة كإحدى الأسس الشرعية لتحقيق تلك الأهداف نفسها. كيف توفقون في دولة الكويت بين هذين القطاعين المهمين؟

- عندنا في الكويت مؤسسة مميزة ورائدة وهي بيت الزكاة الكويتي وهذه المؤسسة متخصصة في تلقي أموال الزكاة طواعية من المواطنين وإعادة توزيعها على المحتاجين حسب الطرق الشرعية المقررة للزكاة.

وبيت الزكاة الكويتي مؤسسة عامة مستقلة، والأمانة العامة للأوقاف كذلك مؤسسة معنية بشؤون الوقف وهناك مشاريع بينهما، فالمؤسستان معاً إضافة إلى وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية هذه المؤسسات الثلاث هي التي تكوّن قطاع الشؤون الإسلامية في دولة الكويت ويرأسها وزير واحد، وهي عادة تنسق فيما بينها وتتعاون مع بعضها بعضاً.

● أنتم الآن في المغرب للمشاركة في ندوة «التجارب الوقفية في المغرب العربي»، كيف تقومون تجربة الوقف في العالم الإسلامي؟ وماذا تنتظرون من هذه الندوة؟

- ابتداء هذه الندوة تأتي ضمن سياق متكامل، فوزراء الأوقاف والشؤون الإسلامية في العالم الإسلامي تبنوا في مؤتمرهم الخامس المنعقد في جاكرتا العام ١٩٩٧م استراتيجية النهوض بالوقف وتفعيل دوره التنموي في خدمة المجتمعات الإسلامية، وهي ورقة قدمتها الأمانة العامة للأوقاف وكلفنا بأن نتابع تنفيذ هذه الاستراتيجية، وبالتالي وضعنا برنامجاً تنفيذياً من تسعة محاور، أحد هذه المحاور هو تنظيم ندوات للتجارب الوقفية المعاصرة في الدول العربية والإسلامية، ونحن نتعاون في عقد هذه الندوات مع الكثير من المؤسسات المتخصصة وفي مقدمها البنك الإسلامي للتنمية والمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة «الإيسيسكو»، وفي هذا السياق يأتي انعقاد هذه الندوة التي تجمع تجارب دول المغرب العربي، باعتبار هذه الدول غنية بالأوقاف، فتاريخ الوقف قديم جداً وفيه من الإبداع الشيء الكثير، ونحن نحاول أن نتواصل كدولة بأن ننسق لملف الأوقاف مع الوزارات المعنية في دول المغرب العربي وندفع في اتجاه تبادل المعلومات والخبرات، ولا شك أن هذه الندوة والأوراق المقدمة فيها سوف تثري تجارب دولنا وسنستفيد منها في إثراء تجارب دول أخرى عربية وإسلامية.

نحن متفائلون كثيراً من هذه الندوة ونأمل أن تكون خطوة جادة تصب في جهود إحياء سنة الوقف وتفعيل دوره في خدمة مجتمعاتنا الإسلامية، وأنا شاكر لك مثل هذا اللقاء لتسليط الضوء على هذه السنَّة النبوية الكريمة التي نأمل أن تُحشد جميع الجهود في خدمتها.

ندوات

الرباط : محمد لشبيب

الرباط تحتضن «ندوة التجارب الوقفية في دول المغرب العربي»

احتضنت رحاب قاعة المجلس العلمي للعدوتين «الرباط وسلا» أيام ٩ و ١٠ و١١ نوفمبر ١٩٩٩م أشغال ندوة «التجارب الوقفية في المغرب العربي» بالتعاون بين وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب، والمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة - إيسيسكو، والأمانة العامة للأوقاف بالكويت، والمعهد الإسلامي للبحوث والتدريب التابع للبنك الإسلامي للتنمية.

وتستهدف الندوة التي شارك فيها ممثلو دول المغرب العربي ودولتي الكويت والإمارات وباحثون متخصصون التعرف على التجارب الوقفية في هذه الدول والاستفادة منها في تطوير عمل المؤسسات الوقفية وإبراز أسس العمل الخيري عن طريق الوقف والتوسع في أعمال الوقف وتنمية آثاره في المجتمع.

فسنة الوقف - كما يؤكد الكاتب العام لوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب - لها أهميتها القصوى في إرساء أسس التضامن والتكافل الاجتماعي، ويؤكد الدكتور «محمد فائق» في افتتاح هذه الندوة مدى احتياج العالم الإسلامي لمثل هذه اللقاءات التي تعني بتبادل التجارب والخبرات في مجال الوقف الإسلامي.



المشاركون في الجلسة الافتتاحية للندوة

ومن هنا تنبع الحاجة الماسَّة لدراسة هذا الموضوع لاستخلاص الدروس العملية من الحضارة الإسلامية بما ينفع مجتمعاتنا في أوضاعها الراهنة، ذلك أن «الوقف في المفهوم الإسلامي - يقول عبدالعزيز بن عطمان التويجري رئيس الأيسيسكو :- يعد الوقف من أهم النظم الاجتماعية التي عرفتها الحضارة الإسلامية، وهو مقوِّم راسخ من مقومات التكافل والتضامن والتعاون الجماعي فيما بين المسلمين بما يقوي الاستقرار ويثبت قواعد التآزر والتعايش والتساكن في المجتمعات الإسلامية.

ويمثل نظام الوقف وسيلة فعَّالة للتغلب على الصعوبات التي تعترض حركة البناء والنماء في البلدان الإسلامية، ولا يزال نظام الوقف في نطاق ضوابطه الشرعية إطاراً متكاملاً للعمل الخيري الذي يحقق التكافل الاجتماعي في أقوى دلالاته

تعزيز تبادل المعلومات بين الدول الإسلامية

وتشجيع إنشاء بنوك المعلومات لتوثيق الوقف

إحياء سنة الوقف واستعادة دورها التنموي

وفق الثوابت الشرعية ومتطلبات العصر

وأخص معانيه ومضامينه».

الأمين العام للأوقاف في دولة الكويت عبدالمحسن محمد العثمان أشار من جهته إلى السياق العام الذي جاء فيه تنظيم هذه الندوة، والتي تندرج في إطار استراتيجية النهوض بالوقف وتنمية دوره في المجتمعات الإسلامية وهي الاستراتيجية التي كُلفت الأمانة العامة للأوقاف بالكويت بتنفيذها من قبَلِ مؤتمر وزراء الأوقاف والشؤون الإسلامية المنعقد في جاكرتا العام ١٩٩٩م.

وإلى جانب الأمانة العامة للأوقاف، خوّل المؤتمر الإسلامي المنعقد في طهران البنك الإسلامي للتنمية اتخاذ الخطوات العملية لتنفيذ مقترحاته الرامية إلى تطوير العمل الوقفي وتأهيل المشروعات الخيرية التطوعية، وفي هذا الإطار يؤكد ممثل البنك، في هذه الندوة الدكتور «العياشي فداد» مدى المسؤولية الجسيمة الملقاة على عاتق البنك الإسلامي للتنمية، العمل على تطوير مؤسسة الوقف وتمكينها من الوسائل القمينة بدفعها لأداء وظيفتها الاقتصادية والاجتماعية.

وبعد الجلسة الافتتاحية قام ممثلو الدول المشاركة في هذا الملتقى العلمي بعرض تجارب بلدانهم وتقديم الاقتراحات الكفيلة بتطوير الأعمال الوقفية هذا في الوقت الذي ركّزت فيه الأبحاث المقدمة للندوة على بحث الجوانب الشرعية والتاريخية لمؤسسة الوقف ودورها في التنمية الاقتصادية والاجتماعية وجهود البنك للتنمية في مجال إنماء الأوقاف في الدول الإسلامية والنهوض برسالتها والمقارنة بين القوانين المنظِّمة للوقف في بلدان المغرب العربي.

وهكذا شهد اليوم الأول للندوة بحثاً بعنوان: «نظام الوقف الإسلامي: تطوير أساليب العمل وتحليل لنتائج الدراسات الحديثة» قدمه الدكتور أحمد أبوزيد «أستاذ الدراسات الإسلامية في الرباط» تناول فيه:

١ ـ أوضاع مؤسسة الوقف في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلادي.

٢ ـ بروز الوعي والحاجة إلى إصلاح وتطوير مؤسسات الوقف.

٣ ـ تحليل نتائج بعض الندوات والدراسات المهتمة بالموضوع.

أما البحث الثاني فيحمل عنوان: «معالم التكوين التاريخي للنظام الوقفي» قدمه الأستاذ الداهي الفضلي ـ نائب الأمين العام للأوقاف في دولة الكويت ركّز فيه على:

١ ـ معالم التكوين الاجتماعي والاقتصادي الوقفي من منظور تاريخي.

٢ ـ أصول البناء المؤسسي لنظام الوقف.

البحث الثالث كان عبارة عن «دراسة مقارنة لقوانين الأوقاف في دول المغرب العربي» قدمها الدكتور عبدالستار الخويلدي ـ أستاذ في كلية الحقوق بتونس ـ تطرّق فيه إلى:

١ ـ مقارنة بين تشريعات دول المغرب العربي في مجال الوقف.

٢ ـ إبراز خصوصيات هذه القوانين المنظِّمة للوقف.

وقد أعقب هذه البحوث مناقشة عامة مستفيضة، ركزّت على البعد الذي يكتسبه الوقف في المجتمع الإسلامي ودعت إلى وجوب ربطه بقضايا التنمية الشاملة، وإلى ضرورة تطوير أساليبه.

في اليوم الثاني لهذه الندوة العلمية الفقهية كان المشاركون على موعد مع اقتراحات مقدمة من ممثل البنك الإسلامي للتنمية، والتي أبرز خلالها الدكتور «العياشي فداد» (معهد البحوث والتدريب التابع للبنك الإسلامي للتنمية) جهود البنك في مجال تنمية الوقف، والتي ترتكز على محورين:

١ ـ الجانب العلمي البحثي، ويقوم على عقد المؤتمرات وندوات العمل حول مختلف مجالات الأوقاف، وتكليف باحثي المعهد وغيرهم القيام بدراسة الوقف دراسة علمية تبرز دوره وتحلل واقعه.

٢ ـ تمويل المشروعات الوقفية، وذلك إما بالتمويل المباشر أو عن طريق المعونة الخاصة.

بعد ذلك استعرض ممثلو الدول المشاركة في هذه الندوة تجارب بلدانهم في مجال إحياء هذه السنَّة النبوية والنهوض بها وتطويرها وتنمية مواردها.

ثم خلص المشاركون في ختام هذه الندوة إلى تقديم عدد من التوصيات المؤكدة على ضرورة مواصلة التعاون من أجل النهوض بدور الوقف التنموي، وذلك بتعزيز تبادل المعلومات والخبرات بين الدول الإسلامية للاستفادة من التجارب الرائدة وتشجيع إنشاء بنوك المعلومات لتوثيق الوقف، كما أوصى المشاركون بضرورة تنويع وتطوير أساليب الوقف والمحافظة عليه والاهتمام بالأطر والكوادر العاملة فيه والتركيز على البعد الشعبي بإشراك المواطنين في الإدارة والتسيير حرصاً على نيل ثقتهم للإسهام في تنمية الأوقاف.

وإذا كان البحث العلمي في تجارب البحث ـ كما هو شأن هذه الندوة ـ يعتبر فرصة للبحث الأكاديمي والنظري حول سنّة الوقف، فإن الأمل يبقى معقوداً على تجسيد هذه الأفكار إلى خطوات عملية لتطوير هذه السنّة النبوية وإنمائها ونفخ الروح فيها من جديد لنشر رسالتها في المجتمع وتنمية دورها ووظائفها الاقتصادية والاجتماعية والتنموية. ■

يمثل الوقف وسيلة فعَّالة للتغلب على الصعوبات

التي تعترض النماء في البلدان الإسلامية

بقلم : د. حسن عزوزي

الدراسات القرآنية في مناهج البحث الاستشراقي المعاصرة



القرآن الكريم كان ،ما زال محل دراسة

لابد في البدء من التأكيد على أن طرائق ومناهج المستشرقين في دراسة القرآن تختلف عن تلكم الموظفة في علوم إسلامية أخرى، ذلك المنهج الاستشراقي العام في دراسة تاريخ القرآن وعلومه يكاد يكون لا علمياً ولا مفصولاً عن سياق الموضوعية والحياد المطلوبين في كل بحث وبالتالي في كل منهج علمي، لقد بات من المعروف أن كل ما تعلق بالقرآن في دراسات القوم لا يمكن الاعتداد بها البتة، لأنه لا محالة محطِّم للمسلَّمات التي يجزم بها المسلمون ومشكك في البداهات التي يؤمنون بها، وأصبح في حكم اليقين أن عالِم الشرقيات عندما يتأهب لدراسة القرآن الكريم يضع نصب عينيه دعوى بشرية القرآن محتملاً أن يكون مصدره من كل جهة إلا من السماء، وبالتالي، وبناء على هذا الاعتقاد الذي يصبح عند الرجل مسلَّمة بدهية تأتي كل أبحاثه وجميع دراساته قد استوت على أساس غير صحيح، وانحرفت عن المنهج الصائب الذي يفرض نوعاً من التعاطف أو على الأقل نوعاً من الاحترام النسبي للمصدر الغيبي الذي ينبني عليه الوحي القرآني.

إننا بالمقابل لا ننكر تغيُّر المنهج الاستشراقي في هذا المجال نحو الأفضل والأحسن، فثمة فرق بين الاستشراق القديم والاستشراق المعاصر، لكنه فرق في الدرجة فقط وليس في النوع، لقد أضحى الاستشراق المعاصر أقدر على تفهُّم واستيعاب بعض قضايا ومسائل علوم القرآن وإيحاءاتها، عكس ما كان سائداً قبل مطلع هذا القرن، حيث كانت أبحاث المستشرقين القرآنية يطبعها منهج عدواني سافر يوجِّه من خلاله الشتم والسب والتجديف في حق القرآن الكريم والنبي الكريم. لقد بات من المفروض علينا ونحن نروم الحديث عن الجانب المعاصر في مناهج البحث أن نحدِّد الفترة التي تقع في إطارها أبحاث ودراسات المستشرقين المعاصرة، ولا نخفي أنه بعد الاجتهاد في الأمر والنظر مَلياً في اتجاهات الاستشراق وتحوُّلاته تبيَّن أن رجلاً لُقِب بشيخ المستشرقين في الدراسات القرآنية كان يمثل فعلاً حلقة وصل بين المنهج الاستشراقي القديم والمنهج الاستشراقي المعاصر، ويمثل فكر الرجل الذي هو «تيودور نولدكه» (ت١٩٣١م)، في هذا المجال كتابه الشهير «تاريخ القرآن»، الذي يُعد دستور المستشرقين في معرفة تاريخ القرآن، حتى أضحى الكتاب أبرز المصادر التي لا يستغني عنها الباحثون الغربيون في ميدان القرآنيات، فهو عرض تاريخي مفصَّل لكل المسائل والموضوعات التي تتصل بتاريخ القرآن الكريم وعلومه ومختلف مباحثه وقضاياه منذ نزول الوحي إلى عصر المؤلف. ومن أسباب شهرة الكتاب وتسنُّم صاحبه لمجد أثيل في أوروبا - نرى معشر الباحثين المسلمين أنه لا يستحقه - اتِّباع نولدكه لطريقة في التأليف استرعت انتباه زملائه المتخصصين في سائر معاقل الاستشراق في أوروبا وأميركا، حيث حرص على إبراز سائر وجهات النظر الثابتة في مسألة من مسائل علوم القرآن الكريم، معتمداً في ذلك على استقصاء مختلف الآراء من مصادر عربية وأجنبية شهيرة ومغمورة، مخطوطة ومطبوعة على حد سواء، كما أنه اتبع في عملية الاستقصاء والاستقراء ثم الاستدلال منهجاً أكاديمياً صارماً لم يكن معهوداً فيما قبل. وبذلك أمكن القول: إن نولدكه قد وضع منهجاً جديداً في الدراسات القرآنية لعل أبرز معالمه الرجوع مباشرة إلى المصنفات العربية اللصيقة بمجال القرآنيات في الوقت الذي كان فيه المنهج الاستشراقي القديم يخلط بين شيء قليل مما هو مبثوث في المصادر وما كانت تمليه تخيُّلات وتكهنات المستشرقين. بيد أن الحقيقة المتمثلة في استعمال نولدكه لأدوات بحث جديدة ولمنهج صارم في الدراسة والتحليل لا يمكنها أن تحجُبنا عن استبصار حقائق أخرى تتمثل في سوء توظيف تلك الأدوات البحثية بشكل مبيَّت فضلاً عن القصور والخلل في المنهج المطروق. وإذا أمكن اعتبار كتاب نولدكه منعطفاً بارزاً في سياق البحث الاستشراقي في الدراسات القرآنية، فإن مما زاد تكريس هذا الأمر اهتمام المستشرقين المتأخرين كافة بالكتاب واتكاءهم عليه في أبحاثهم ودراساتهم حتى إنه لا يكاد يخلو مؤلَّف في الموضوع من الاعتماد على الكتاب ومتابعة صاحبه فيما ذهب إليه من

آراء ومواقف، ولا يمكن أن ننسى بهذا الصدد دور مدرسة نولدكه الألمانية في حقل القرآنيات، وهي مدرسة اشتهرت وبزّت غيرها من المدارس الأوروبية حيث برز فيها ثلاثة رواد رابعهم شيخهم نولدكه الذي عَهِد إلى هؤلاء التلامذة شفالي واوتوبريتزل وبرجستراسر مهمة تنقيح الكتاب والتعليق عليه، وهو ما حصل فعلاً عندما تم إخراج جزءين منه العام ١٩١٩م، في حين تم إصدار الجزء الثالث العام ١٩٢٦م.(١)

لقد فتح نولدكه بكتابه هذا باباً ولجه كثير من المستشرقين النزّاعين إلى دراسة القرآن الكريم في نحو يرى أن الدراسات القرآنية لا يمكن أن تُبحث بمعزل عن الدراسات اللغوية والمناهج «الفلولوجية» واعتماد المصادر القديمة، ويمكن القول إن كتاب نولدكه كان فصلاً فاصلاً بين عهد كان يدرس فيه القرآن على أساس أنه هرطقة ومجموعة من التخيلات والتصورات جاء بها نبي مزيَّف، وبين عهد أخذ ينظر فيه إلى القرآن بقدر ولو ضئيل من الاحترام على أساس أنه كتاب المسلمين المقدَّس الذي يجب أن يدرس أسلوبه وتُبحث مضامينه وينقب عن حلقاته. غير أن المستشرق الذي يدرس القرآن ولا يؤمن بكونه من عند الله مهما حاول التجرّد من الهوى والتزام شيء من الموضوعية والحياد، فإنه واقع لا محالة في أخطاء فظيعة ونظريات واهية تتأرجح بين سوء الفهم تارة وسوء النية تارة أخرى، فهذا نولدكه نفسه لا يتردد في الحكم على نبينا محمد ﷺ بقوله - وبئس القول -: «صائغ غير موهوب لسور قرآنية مشوشة الأسلوب». لكن يمكن الاعتراف أن المستشرقين الأكثر معاصرة لنا في «النصف الثاني من القرن٢٠» هم أقدر على تحاشي وتفادي أساليب الطعن والتجريح في حق القرآن ونبينا عليه الصلاة والسلام، فقد فرضت علاقات هؤلاء بالدول العربية والإسلامية وبشخصياتها العملية قدراً من الاحترام والتعاطف ما أمكن معه القول: إن قصور وحلل المناهج الاستشراقية المعاصرة في مجال القرآنيات أمر قد لا يظهر جلياً لغير القلة من المتخصصين في علوم القرآن ممن يستطيعون تبيُّن واكتشاف مواطن الخطأ والضعف في إنتاجات المستشرقين في هذا الميدان. فهذا مونتغمري وات يقول في مقدمة كتابه: «محمد في مكة» وهو يوضح منهجه وطريقته في التعامل مع القرآن الكريم: «فيما يتعلق بالمسائل الكلامية التي أثيرت بين المسيحية والإسلام، فقد جهدت في اتخاذ موقف محايد منها، وهكذا ويعدد معرفة ما إذا كان القرآن كلام الله أو ليس كلامه امتنعت عن استعمال تعبير مثل «قال تعالى» أو «قال محمد» في كل مرة أستشهد فيها بالقرآن، بل أقول بكل بساطة: «يقول القرآن». وأقول: لقرائي المسلمين شيئاً مماثلاً، فقد الزمتُ نفسي، برغم إخلاصي لمعطيات العلم التاريخي المكرَّس في الغرب ألا أقول أي شيء يمكن أن يتعارض مع معتقدات الإسلام الأساسية.(٢)

فالرجل إذن تجاوز طريقة المستشرقين القدامى الذين كانوا ينسبون حديث القرآن ومعطياته إلى محمد - ﷺ - بقولهم «قال محمد صلعم أو ذكر محمد صلعم...»، لكنه في الوقت نفسه لا يستطيع أن يقول «قال الله تعالى» لأنه لا يؤمن بأن القرآن كلام الله، وهذا أمر يجب استيعابه جيداً لاعتبارين اثنين:

أولاً: يجب عدم الانخداع بما قد يُظهره بعض المستشرقين من تعاطف بالغ مع قضايا الإسلام ومن ذلك استشهادهم بنصوص قرآنية مسندين إياها إلى الله تعالى، فالأمر لا يعدو أن يكون مظهراً جمالياً وحضارياً يسعى المستشرق من ورائه إلى التقرب إلى المسلمين وكسب مودتهم.

ثانياً: يجب أن نعلم جيداً أن الباحث الغربي مادام مستشرقاً يدرس الإسلام من زاوية خارجية ووفق منظور تغريبي، فلا ينتظر منه أن يؤمن بما تؤمن به وإلا لدخل في الإسلام، ويقول المستشرق الفرنسي مكسيم رودنسون: «لو سايرت المسلمين في إيمانهم، ولو أخفيت عنهم حقيقة رأيي حول القرآن لكان ذلك أدعى لي إلى ربط علاقة وطيدة بيني وبين المسلمين وبين الحكومات الإسلامية، ولكنني لا أريد أن أخدع أحداً، وبإمكان المسلمين الامتناع عن قراءة كتابي «يقصد كتابه عن سيرة محمد ﷺ» والاطلاع على تفكير غير المسلم حول هذه القضية ولهم الحق في ذلك... فأنا لا أعتقد طبعاً أن القرآن هو كتاب الله، إذا لو كان الأمر كذلك لأصبحت مسلماً...».(٣)

من جهة أخرى لا بد من الإشارة إلى أنه إذا كانت هناك فئة من المستشرقين لاتزال تعتمد في أبحاثها القرآنية على الجمع والتدقيق في الجزئيات والبحث في مسائل فرعية دقيقة مردِّدين ما سبق لغيرهم أن بحثوه ومضغوه واستهلكوه، فإن فئة أخرى من المستشرقين ممن تبيَّن لهم عقم هذا المنهج التاريخي البالي وانسداد طرقه وعدم جدواه قد نحو منحى جديداً في دراساتهم مستخدمين طرائق العلوم المعاصرة ومستفيدين من تقدم العلوم الإنسانية: تاريخ العلوم وفلسفة العلوم وعلى الأخص توظيف المنهج التحليلي في نقد النصوص «ما يعرف بالمنهج الهرمينوطيقي».

ولما كانت هذه المحاولات قليلة ونادرة لا تتجاوز بعض الكتب والأبحاث المنشورة في مجلات المستشرقين العالمية، فإنه يصعب الحكم مبكراً على مدى جديتها وجدواها، ويبقى أن حصيلة الدراسات القرآنية المعاصرة التي أنجبتها معاقل الاستشراق الغربية والتي تكفل لنا تكوين نظرة عامة عن مناهج المستشرقين المعاصرين في الدراسات القرآنية لا تتعدى كتب كبار المستشرقين التي اهتمت بالحديث عن تاريخ القرآن وعلومه أو بموضوعات لها علاقة لصيقة بذلك من جهة أخرى لا نخفي ونحن نحاول استقراء مختلف مناهج المستشرقين المعاصرين في دراسة علوم القرآن وتاريخه صعوبة استبيان طرائق المعالجة وآليات المنهج الموظف والمطروق نظراً لتباين الخلفيات الفكرية التي ينطلق منها القوم، وكذا تنوع مداخل وطرق البحث المطبقة، ولهذا فإن الأمر يحتاج بالتأكيد إلى كثير من التنقيب والبحث واستعمال الحسّ النقدي الكفيل بمتابعة المستشرقين في علمهم خطوة بعد خطوة من أجل الوقوف على معالم المنهج المتبع ومواطن الخلل والضعف التي قد تطالها.

إننا بقدر ما ننوي استعراض مناهج القوم في دراسة القرآن الكريم والتي تعتبر إلى حد بعيد مُخِلة بقواعد المنهج العلمي الصحيح بقدر ما نتجاوز الإشارة إلى بعض الأعمال المفيدة التي قدَّمها زمرة من المستشرقين في مجال تحقيق ونشر النصوص المتعلقة بالدراسات القرآنية مثل التيسير والمقنع وكلاهما للداني(٤) وغاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري(٥) وبعض كتب شواذ القراءات ومعاني القرآن وغيرها، ويرجع لتلامذة نولدكه الألمان أكبرُ الفضل في ارتياد مجال نشر وتحقيق النصوص القرآنية، وهو ما كان يمثل بالنسبة إليهم جزءاً من مشروع أضخم شرع فيه هؤلاء بتأسيس معهد الأبحاث القرآنية بمدينة ميونيخ، وقد اهتموا بجمع كل المصادر المطبوعة والمخطوطة المتعلقة بالقرآن الكريم وعلومه مع الشروع في إنجاز أوسع وأضخم تفسير للقرآن يتمثل في وضع كل آية من آيات القرآن في علبة خاصة تجمع فيها تفسيرات الآية حسب مفسري القرآن منذ عهد الصحابة إلى عصرنا هذا. ورتبوا تلك الاقتباسات حسب زمن المفسّر الأقدم فالأقدم، فكان من الممكن أن يُعرف تطور التفسير لكل لفظة ولكل آية من القرآن. غير أن هذا المعهد الذي احتضن المشروع قد وقعت عليه قنابل الحرب العالمية الثانية فدمرته وأتلفت المشروع. إن مثل هذه الأعمال الإيجابية لن نقف عندها لأن مهمتنا في هذا البحث تقتضي الكشف عن مناهج هؤلاء المستشرقين في دراسة القرآن وعلومه والتي تؤكد مرة أخرى أن المستشرق مهما حاول أن يكون على درجة عالية من الحيادية والتزام الموضوعية في أبحاثه القرآنية فإنه لن يفلح في ذلك لأن دراسات المستشرقين في مجال القرآنيات كغيرها لا لشيء

إلا لكونها تنصبُّ على موضوع حسَّاس يرتبط بمسألة الوحي المحمدي الذي لا يؤمن به الباحث الغربي ولا يمكن أن يتعاطف معه مبدئياً، وبالتالي لابد أن تؤثر عليه قناعاته الدينية وخلفياته الفكرية في مجال البحث، كما أن المسائل القرآنية ترتبط بعالم الغيب الذي ليس بمقدور الحسّ أو العقل أن يُدلي بكلمة فيها إلا بمقدار، إذ إن رؤية المستشرق العقلية والمادية لابد أن تمارس نوعاً من التكسير والتجريح في حق القرآن الكريم وعلومه فترتطم بذلك بالبداهات والمسلَّمات.

وننتقل الآن إلى استعراض بعض أبرز المناهج الاستشراقية المعاصرة التي نراها سلبية ومغرضة: أولا: منهج التشكيك فيما هو قطعي: لقد انساق المستشرقون المعاصرون مع أسلافهم في اتباع منهج الشك والمبالغة في إثارة الشكوك حول الوقائع التاريخية الثابتة والروايات الصحيحة المرتبطة بتاريخ القرآن وعلومه، واعتمدوا في ذلك عملية الانتقاء بطريقة مغرضة وهادفة إلى ما يصبون إليه من نتائج عكسية، لقد وجد المستشرق «ولش» مادة «القرآن» في دائرة المعارف الإسلامية في طبعتها الجديدة(٦) في انفراد ابن مسعود - رضي الله عنه - بمصحف خاص خالٍ من ذكر المعوذتين(٧)، باباً يلجه كما ولجه غيره للتشكيك في مدى تواتر السورتين، وبالتالي التشكيك في القرآن الكريم، لقد حاول الرجل تدعيم ما ذهب إليه بنصوص منقطعة وضعيفة تصيدها من كتاب «المصاحف» لابن أبي داود وغيره من الكتب التي لم تتحر الصحة في النقل، ولا شك في أن الرأي المنسوب إلى ابن مسعود - رضي الله عنه - باطل من أساسه، وقد ردَّه كثير من العلماء، نكتفي هنا بذكر ما أورده الإمام الباقلاني (ت٤٠٣هـ) في كتابه «إعجاز القرآن» حيث قال:(٨) «... ولو كان قد أنكر السورتين على ما ادَّعوا لكانت الصحابة تناظره على ذلك وكان يظهر وينتشر، فقد تناظروا في أقل من هذا



وهذا أمر يوجب التكفير والتضليل، فكيف يجوز أن يقع التخفيف فيه؟ وقد علمنا إجماعهم على ما جمعوه من المصحف...» ثم بيَّن كيف أن الرواية المنقولة بهذا الصدد لا تعدو أن تكون خبر آحاد لا يُسكن إليه ولا يُعَوَّل عليها، فالمستشرقون إذاً على الرغم من اقتناعهم بتواتر جميع سور القرآن جيلاً بعد جيل، وبخاصة أن التاريخ لم يذكر لنا تبني أي طائفة من المسلمين لهذا الرأي الباطل المنسوب إلى ابن مسعود، فإنهم يسعون إلى التشكيك فيما هو قطعي ومتواتر وتنطق به ملايين النسخ من المصاحف المطبوعة في مختلف بقاع العالم. ثانياً: إهمال المصادر القرآنية الأصيلة والاحتفاء بدراسات المستشرقين السالفة: يبدو أن من أخطاء منهج المستشرقين في اعتماد مصادر ومراجع معينة تعمّد عدم الاكتراث بموثوقية وأولوية بعضها عن البعض الآخر، لهذا نجد أن المستشرق الذي يسعى إلى فرض فكرة معينة وتكريسها لا يُلقي بالاً إلى المصادر التي ترمي مضامينها إلى عكس ونقيض ما يذهب إليه. فالبحث الاستشراقي المعاصر في حقل القرآنيات يختلف عن المنهج الإسلامي المؤسس على ضرورة اعتماد الموثوق من المصادر والمشهود له بالأوّلية والتميز، فالمصادر القرآنية الموثوقة ليس فيها ما يُسعف القوم في تبرير وتسويغ ما يصبون إلى تأكيده من أحكام مُغرضة واستنتاجات مغلوطة وخاطئة أريد لها أن تكون كذلك، وإذا ما أرادوا الرجوع إلى شيء من المصادر العربية فإنهم يتهافتون جميعاً على تلك المصادر غير الموثوقة والتي عرفت لدى علمائنا الأسلاف بضعف نقولها ومروياتها مثل كتاب «المصاحف» لابن أبي داود (ت٣١٦هـ) والاتقان للسيوطي (ت٩١١) في كثير من مباحثه. إن بلاشير الفرنسي مثلاً لا يتوانى في الإحالة على كتاب نولدكه كلما تعلق الأمر بذكر أحاديث نبوية أو روايات مأثورة تختص بمسألة جمع القرآن مثلاً، والأدهى من ذلك أن نعثر في كتاب بلاشير «مدخل إلى القرآن الكريم» على هامش يحيل فيه على كتاب نولدكه ثم يضع بين قوسين إشارة إلى أن نولدكه قد أسند نقله إلى الطبري في تفسيره، لكن تبيَّن لبلاشير أن الإحالة غير صحيحة، ونص عليها، ومع ذلك نجد الرجل لا يعير المسألة أدنى اهتمام، بل يمضي قدماً ويستشهد بما ذكره سلفه من نقول أو روايات تخدم هدفه ومرماه.(٩)

أما لجوء المستشرقين إلى الإحالة على كتب زملائهم أولاً، ثم الإشارة بعد ذلك إلى المصادر العربية، فهذا أمر يكاد يكون مطرداً، فبلاشير مثلاً يحيل في هامش واحد على كتاب نولدكه ثم يقفّيه بكتاب الواحدي في أسباب النزول وتفسير أبي حيان ثم الإتقان للسيوطي.(١٠)

هذا إذاً هو منهج المستشرقين في تصيد النصوص الملائمة والموافقة لهواهم، لا يهمهم اعتماد الموثوق من المصادر بقدر ما يستهويهم الاستشهاد بنصوص تدعم نظرياتهم وآراءهم وهي من دون شك لا يُعثر عليها سوى في بطون كتب المستشرقين أو كتب الأدب والتاريخ مثل مروج الذهب للمسعودي، والأغاني للأصفهاني، والفهرست لابن النديم، فمثل هذه الكتب قد أكثر «جولدزيهر» النقل منها في كتابه «مذاهب التفسير الإسلامية».(١١) ■

الهوامش:

(١) Theodor N'oldeke:Gesctinchte des chorans leipzij 1919(Tome1-11)1933(1 111)

٢ - منتغمري وات «محمد في مكة» تعريب شعبان بركات، المكتبة العصرية بيروت ص.ك.

٣ - M Rodinson: Mohomet, ed le seiul 1961 p 256

٤ - نشرهما أوتوبرتزل ضمن سلسلة «نشريات إسلامية» وذلك العام ١٩٣٠م.

٥ - نشرة برجستراسر العام ١٩٣٢م.

٦ - Encyclapédie de e Islam, 2 edition 1985. tom 11 Qoin

٧ - من المعلوم أن بعض الصحابة - رضوان الله عليهم - كانوا يكتبون لأنفسهم مصاحف خاصة قيدوا فيها سور القرآن. وذلك بموازاة مع ما كان يكتب بإجماع الصحابة على يد جُمَّاع القرآن ممن كلفهم الرسول صلى الله عليه وسلم بذلك أو أبو بكر فيما بعد أو عثمان - رضي الله عنهما - عند الجمع النهائي. وقد جاءت هذه المصاحف متفاوتة ومختلفة سواء من حيث ترتيب السور أو من حيث تضمنها لقراءات شاذة متعددة أو قراءات تفسيرية كان الصحابي يُدرجها في مصحفه للاستعانة بها في استيعاب مضامين الآيات، ولذلك لما جمع عثمان - رضي الله عنه - الناس على مصحف إمام أمر بإحراق سائر المصاحف الفردية التي لا يمكن الاحتجاج بها.

٨ - الباقلاني: إعجاز القرآن، طبعة عالم الكتب بيروت ١٩٨٨م ص ٢٦٢.

٩ - Régis Blacére: Introluction au coran, 2 ed, lasis 1977 p 69 Note 89.

ونص كلام بلاشير: «انظر كتاب نولدكه تاريخ القرآن (مع هامش يحيل على تفسير الطبري لكنه غير صحيح) حيث يورد نولدكه رواية مفادها أن الصحابي أنس بن مالك (ت٩٨هـ) كان يعتبر قراءة «أقوم» مثل «أصوب» في الآية ٦ من سورة المزمل».

١٠ - Blachére: op cit p243, note 349

١١ - انظر اعتماد جولدزيهر على هذه الكتب في كتابه: طبعة دار اقرأ البيروتية الثانية ١٩٨٣ ص٧٨ - ٨٣ - ٩٠ - ٩١، وانظر اعتماد بلاشير على مروج الذهب في كتابه ص ٢٩ و٧٦ وغيرهما.

بقلم: محمود حسن إسماعيل

نحو أيديولوجية ملائمة لعلمائنا المغتربين

جيلنا من أحق الأجيال برحمة الله ولطفه، فهزائم المسلمين تتوالى على كل موقع والأزمة الحضارية الراهنة التي تمر بها أمتنا الإسلامية قد أغرت بها الأعداء من كل جانب، وإن الشمس والقمر لن ينكسفا لموت الأمة الإسلامية، ولا لفقدها بين الأمم، فلنرتق في الأسباب، ونطور من عالم الإنسان والبيئة أو لتلفظنا الحياة، وعصرنا عصر العلم، لكن يبقى هذا السؤال: ماذا وراء تطوير العلوم في عالمنا الإسلامي؟!

إن ظاهرة علماء من الشرق الإسلامي رحلوا إلى العالم الغربي، وكانت لهم جهودهم العلمية التي أثرت الحضارة الغربية تفرض نفسها للتناول، «الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق الناس بها»، ومن المؤسف أن هذه الظاهرة لم نعطها حقها من الاستفادة والتقنين الحضاري الملائم فمعظم هؤلاء العلماء بمجرد أن تخطوا عتبة العروبة أداروا ظهورهم لبلادهم، وانغمسوا في تيار الغرب المادي، وتأتي هذه العناصر إلى بلادنا وهي تجر وراءها خلفيات فكرية وثقافية متأثرة بالنظام الغربي إلى حد كبير.

ولقد تميزت هجرة هؤلاء العلماء برغبة جيل من أبناء الأمة في كسب الرزق وتحسين مستوى المعيشة، إضافة إلى عوامل الجذب من الدول الغربية مثل إغراء الوظائف الملائمة والوعد بارتفاع المستوى المادي، إضافة لعدم توفر المناخ العلمي والاجتماعي لهؤلاء العلماء في بلادهم وغياب التفعيل الحقيقي لدورهم، ولئلا تتحول هذه الظاهرة إلى هدف يخدم أعداء الإسلام - في عصر ازداد فيه الغرب هيمنة ونفوذاً - وأصبح المسلمون عالة على غيرهم في كثير من نواحي حياتهم الثقافية والمادية يحتاج المسلم إلى فقه ووعي بديناميكية الأخذ والعطاء بالنسبة للحضارة الغربية، وأولى الملاحظات التي يجب أن يلتفت إليها هؤلاء العلماء المغتربون هي أن مخاطبة الغرب بالإسلام تحتاج إلى كفاءة عالية وتضحيات إيمانية كثيرة وقدوة عملية صالحة مؤثرة فاعلة، تدعم التوجهات الغربية نحو الإسلام، وتنقذ المجتمع الغربي من روح الإلحاد والعلمانية والانحلال والضياع.

كما يجب ألا ينسى هؤلاء العلماء أن الوظيفة الاتصالية بين الشرق والغرب في جدول أعمال المسلم هي مهمة إسلامية دعوية إصلاحية، فرسالة محمد ﷺ للقارات كلها وسعينا للاتصال بهذا العالم الرحب يحتاج إلى بناء أيديولوجية واسعة المدى تجنب الأمة مزالق الشيطان والهوى وتبعدها عن كل مظاهر التبعية لمادية الغرب الزائفة.

إن الرجل قد ينال أعلى الإجازات العلمية في الطب أوالقانون، وقد يعين في أعلى المناصب في أوروبا وأميركا لكن صلته بدينه صفر، وعلاقته بجنسه هواء على حين يكون زميله اليهودي كالإعصار في خدمة الصهيونية وزميله النصراني أسرع من البرق في خدمة الاستعمار، فهل هذا المسلم البارد الشعور أو المرتد القلب يجدي على أمته شيئاً إنه كالجندي المرتزق بسلاحه يخدم أي مبدأ على ملء بطنه وإيثار عاجلته. (١)

ويوم أن يعيش علماؤنا في الغرب لأنفسهم فقط ولإشباع رغبتهم العلمية فلا تنتفع بهم أوطانهم ولا ينتصر بهم الإسلام، فإن هذا المسلك الضيق سيرجح كفة الغرب الصليبي علمياً وتقنياً، وهو الذي يرى في الإسلام منافسه الأكبر وعدوه الأول والوحيد.

لذلك يحسن بنا أن نقيم جسراً عريضاً يربط بين علمائنا في الشرق والغرب عن طريق إنشاء هيئات علمية متخصصة ترتكز على منهج البحث العلمي الإسلامي لدراسة أوضاع العالم الغربي وكيفية الاستفادة من إيجابياته، وبناء أيديولوجية البدائل التي ترتكز على تقديم التراث الإسلامي الأصيل إلى البشرية.

إن الصهيونية ومن ورائها الكيانات الكبرى تبذل جهوداً واسعة لاستقطاب مثل هذه العناصر الفاعلة، وصياغتها على النسق الغربي الذي يطفح بالدراسات الاستشراقية التي تطعن في ديننا الحنيف، وبذلك يضيعون الفرصة على هؤلاء العلماء أن يسهموا في تطوير الحياة الإسلامية، ورفع مستوى الكفاءات العلمية في مجال الطب والفلك والهندسة والعمران والحرف المختلفة، وهذه من سياسات العدو الصهيوني الذي يجعل من الأسلوب العلمي سلاحاً للسيطرة والنفوذ إلى قلب الأمة الإسلامية، وتقول البروتوكولات:

«إن نجاح داروين وماركس ونيتشه قد رأيناه من قبل وإن الأثر غير الأخلاقي لاتجاهات هذه العلوم لدى غير اليهود سيكون واضحاً، ولكن ينبغي أن ندرس ونعي ما يلائم منها أخلاق الأمم وميولها. (٢)

هذه نافذة أردت أن نطل منها على ظاهرة نزوح العلماء إلى الغرب والمجال مفتوح لذوي الخبرة والرأي لكي يسهموا في وضع الخطط المستقبلية للاستفادة من هذه الظاهرة وتفعيلها إسلامياً فتكتسب بعداً إيمانياً وتسهم في بناء الحضارة الإسلامية من جديد.

(١) الشيخ محمد الغزالي - مشكلات في طريق الحياة الإسلامية - «كتاب الأمة» ص ٤٩، ط٣ جمادى الآخرة ١٤٠٢هـ.

(٢) راجع بروتوكولات حكماء صهيون - محمد خليفة التونسي - دار التراث - القاهرة.

بقلم: محمد يوسف الجاهوش ❖

جهاد النية

النية الصادقة معيار قبول الأعمال، وأساس التوفيق والنجاح في شتى ميادين الحياة، بها تنقلب العادة عبادة، ويصعد العمل الصالح إلى الله - عز وجل - وكلما صدقت النية وصحَّت - كلما نزل العون والتأييد من السماء. ومن المواقف التي يتجلى فيها ذلك واضحاً جلياً: فتح المدائن.

ففي السنة السادسة للهجرة وعقب فراغ سعد بن أبي وقاص من فتح بلدة «نهر شير» على شاطئ دجلة، قرر العبور إلى المدائن على الشاطئ الآخر، لكن زيادة مياه دجلة كانت عظيمة لا يستطيع أحد عبورها، إذ لا وسيلة غير العبور، فماذا عساهم فاعلين؟

صدق النية والاعتماد على الله هما طريق الخلاص:

وقف سعد خطيباً بجيشه على شاطئ دجلة، فحمد الله وأثنى عليه، وقال: «إن عدوكم قد اعتصم منكم بهذا البحر، فلا تخلصون إليهم معه، وهم يخلصون إليكم إذا أرادوا، فيناوشونكم في سفنهم، وليس وراءكم شيء تخافون أن تؤتوا منه. وقد رأيت أن تبادروا جهاد العدو بنياتكم قبل أن تحضركم الدنيا، ألا إني قد عزمت على قطع هذا البحر إليهم، فمن مجيبي؟»

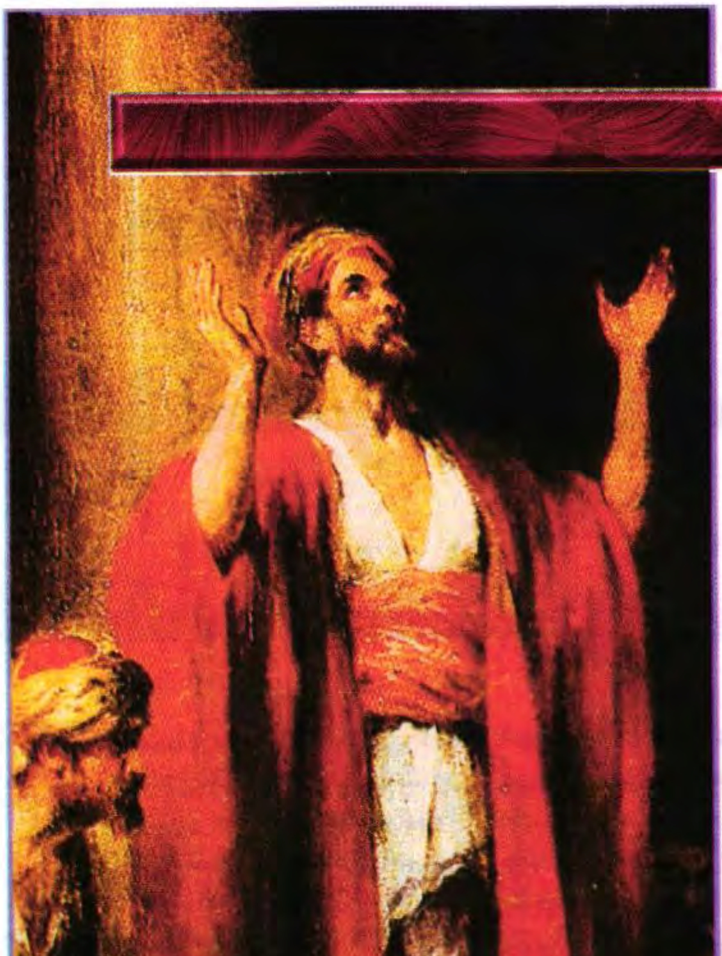
استجابة إيمان:

وعلت كلمات سعد على تلاطم أمواج دجلة، وسرت في نفوس جند الإيمان، فحركت في القلوب الشوق إلى لقاء الله - عز وجل - إنه جهاد النية إذاً!! هذا هو السلاح الذي لا يُفل، والقوة التي لا تُغلب. وهل خلف القوم وراءهم كل غال وعزيز؟، واستقبلوا الموت إلا من أجل هذه الغاية؟! فصاحوا جميعاً: عزم الله لنا ولك الخير، فافعل.

وسارع الشجعان وذوو البأس إلى العبور الفوري وبلغ عددهم ستمئة فارس، وصاح مقدمهم: أتخافون هذه النطفة! وقرأ قول الله تعالى: (وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتاباً مؤجراً) آل عمران:١٤٥. ثم أقحم فرسه في الماء، وتبعه إخوانه بخيولهم، فعبروا جميعاً كأنما يسيرون على اليابسة، وصدوا حامية الفرس، ليعبر سعد ببقية الجيش.

وكان يوماً عظيماً، وأمراً هائلاً، ومعجزة جاءت امتداداً لمعجزات سيدنا رسول الله، ﷺ، أجراها الله على يد أصحابه، لم يُرَ مثلها من قبل.

وسار على الماء بجوار سعد بن أبي وقاص: سلمان الفارسي، وكان سعد يردد: «حسبنا الله ونعم الوكيل. والله لينصرنَّ الله وليه،



وليظهرن دينه، وليهزمنَّ الله عدوه، إن لم يكن في الجيش بغي أو ذنوب تغلب الحسنات».

وخرج الجميع من الماء وساقوا وراء الأعاجم، حتى دخلوا المدائن، وكان الفتح المبين، ونزل سعد في القصر الأبيض، واتخذ الإيوان مصلى، وارتفع صوت الحق في معقل المجوسية وحصنها الحصين، وعلا صوت سعد بالقرآن الكريم: (كم تركوا من جنات وعيون. وزروع ومقام كريم. ونعمة كانوا فيها فاكهين. كذلك وأورثناها قوماً آخرين.

فما بكت عليهم السماء والأرض وما كانوا منظرين) الدخان:٢٥-٢٩.
ثم تقدم إلى صدر الإيوان وصلى صلاة الفتح ثماني ركعات.

دروس وعبر

أثر الإخلاص: عنصر الإخلاص من أهم عوامل حسم المعركة لصالح المخلصين، إنه حبل الرجاء الذي يربط أصحابه بمدد السماء، ويقوي عزائمهم على المضي في خوض معركة العقيدة وجهاد الدعوة. مستشعرين لطف الله وتأييده. هذا الرجاء الصادق هو السبب الرئيس في التفوق والتغلب على الأعداء. إنه السلاح الفعّال الذي أحرزه المؤمنون، وخلت منه ذخيرة العدو (وترجون من الله ما لا يرجون) النساء:١٠٤.

ومن هنا حرص سعد - رضي الله عنه - على إثارة هذا المعنى في نفوس جنوده: «وقد رأيت أن تبادروا جهاد العدو بنياتكم» فإنها سلاح خصكم الله - تعالى - به، وفضّلكم على من سواكم. به انتصر أسلافكم، وبه تقهرون عدوكم، وتظفرون بأمانيكم.

وتحقق لسعد ما أراد. فاجتاز دجلة بجيشه كما اجتاز موسى البحر بقومه، كلاهما جعل الله غايته، وسار في كنف العناية: تحفظه القدرة، وتحفه الألطاف الربانية، (ولما تراءى الجمعان قال أصحاب موسى إنا لمدركون. قال كلا إن معي ربي سيهدين) الشعراء:٦١-٦٢، وكان شعار سعد: نستعين بالله، ونتوكل عليه، حسبنا الله ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، فخرجوا من الماء بنعمة من الله وفضل، لم يمسسهم سوء ولا نالهم أذى.

الرعيل الأول: تفرد جيل الصحابة بكثير من الميزات والبطولات، ذلك أنهم تلقوا المنهج مشافهة عن النبي ﷺ، ثم وقفوا عند تعاليمه، لايتعدونها قيد شعرة، ولا يخلون بتطبيق جزئية منها، فآتى ثماره في حياتهم، وارتقى بهم إلى القمة السامقة، من محاسن الأخلاق، ومحامد الفعال، وكريم الصفات، وانتشلهم من مساوئ بيئتهم وضلالات قومهم، ليكونوا خير أمة أخرجت للناس، فأرست دعائم حضارة ما نعمت الإنسانية بمثلها منذ وجد الإنسان.

القدوة الصالحة: وتلقى جيل التابعين المنهج عن صحابة أوفياء، وأساتذة أمناء، كانوا هداة لهم بالأعمال والأفعال، فعلموهم العلم والعمل، ونقلوا إليهم عصر النبوة. بوضاءته وأنواره، ومثلوه لهم واقعاً عملياً، حتى لكأنهم يعايشون نزول الوحي - غضاً - على النبي ﷺ، فاستمر أثر المنهج في حياتهم، وأصبحوا امتداداً للجيل الرباني الفريد، وجزءاً مكملاً له.

أثر المنهج: والدارس لتاريخ الأمة الإسلامية يرى أن تقدمها وازدهارها أو تخلفها وانحدارها مرتبط ارتباطاً وثيقاً بمدى قربها من منهج الله أو بعدها عنه.

فما من فترة جعلت منهج الله نبراسها وهاديها إلا قادها إلى الخير والنصر، والتقدم والازدهار.

وما اتخذت منهج الله وراءها ظهرياً إلا انفرط عقدها، وتغلب عليها من هو أقل منها عدداً وأضعف عتاداً، فاحتل أرضها، وفرّق شملها واستباح حماها، وعاشت معه حياة ضنك وبلاء، لا يخرجها منها إلا عودة صادقة إلى منهج الله عز وجل.

صلاة الفتح: لم تشغل روعة المدائن وأبّهة الايوان سعداً وجيشه، ولم يخطف أبصارهم بريق الذهب والفضة، والأثاث والرياش، ولا ما جمعه الأكاسرة وشادوه على امتداد قرون من حضارتهم. نعم، لم يلقوا عصى التسيار وعدة الجهاد ليجنوا ثمرات الفتح، فينعموا بالجميلات من النساء ويخلدوا إلى الراحة والمتعة في الظلال الوارفة، يستعذبون صافي الماء ويستنشقون نقي الهواء! لا، لم يخطف بريق النصر أبصارهم، بل توجهوا إلى خالقهم بالشكر على ما أنعم، وبالدعاء أن يديم النعمة والانتصارات، فخطوا قبلتهم، وصلوا صلاة الفتح، حمداً لله على سابغ نعمته، ووافر فضله. إنهم بهذا يتجردون من حولهم وقوتهم، ويردون الأمر لصاحبه الذي خلق ورزق، وآوى ونصر.

أسباب النصر: بكلمات معدودات لخّص سعد بن أبي وقاص هذه الأسباب: «والله ليظهرن الله دينه، وليهزمنَّ عدوه: إن لم يكن في الجيش بغي، أو ذنوب تغلب الحسنات». إنها الحقيقة التي لا يمارى فيها، فإن البغاة إذا انتصروا ازدادوا عتواً عن أمر ربهم، وعصوه في عباده، وعطلوا أحكام دينه. ومنعوا مساجد الله أن يذكر فيها اسمه، وسعوا في خرابها. ثم تولوا في الأرض، ليفسدوا فيها، ويهلكوا الحرث والنسل، ويحاربوا الناس في أقواتهم، ويعتدوا على حرماتهم. فما كان الله ليمد هؤلاء بنصره، إن الله بالناس لرؤوف رحيم. وإن الجيوش التي تستمرئ الذنوب، وتنهكها المعاصي غير مؤهلة للذود عن حرمات الأمة، أو الذب عن حياضها. فضلاً عن حمل الرسالة، وتسنُّم الموقع الطليعي أو القيادي. فمن استسلم لأهوائه، وانقاد لشهواته، فمكانه خارج حلبة القتال أو قيادة الجيوش.

واجب القائد: قائد كل عمل هو العقل المدبر، والفكر المخطط لإنجاح عمله، وبمقدار حبه لعمله وحرصه على إنجاحه يستقيم العمل وينجح. وقائد الجيش ليس بدعاً بين القيادات، فهو المدبر لشؤون جنده، الحريص على تأمين سلامتهم، ومعرفة مشكلاتهم، يجنبهم مواطن الهلاك، ويدفع عنهم أسباب الضر كافة. إنه واحد منهم، لا يستأثر بشيء دونهم، ولا يتخلف عن معركة، أو موقعة يخوضونها.

وهذا ما اتسم به موقف سعد - رضي الله عنه - فقد أعلن للجيش عزمه على عبور دجلة، دون أن يجبر أحداً منهم على ذلك. ولما تدافع ذوو البأس من الرجال تريث مع جمهرة الجيش، ولم يدفعه الحماس إلى المخاطرة بالجميع، فلا بد من الاطمئنان إلى نجاح التجربة، وسلامة المغامرين، فإن نجحت خاضوها جميعاً، وإن أخفقت سلمت له غالبية جيشه، ليحول المعركة إلى ميدان آخر.

واقع مرير: لاتتحقق العبرة من دراسة التاريخ إلا بإسقاطه على الواقع. (لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب) يوسف:١١١. والناظر في واقع معظم جيوشنا يرتد طرفه حسيراً أسيفاً. حيث حيل بينهم وبين الفضيلة والأخلاق، وهيئت لهم جل أسباب الفساد، ففشت فيهم المعاصي والذنوب، وخاضوا معاركهم على أنغام الموسيقا، وغناء الراقصات، فعادوا مشاة في وهج الشمس ولفح الهجير، وقد جلبوا معهم الخيبة والهزيمة، وما كان أسهل النصر لو أعدوا له عدته.

رباه قد أصبحت أرواحنا شيعاً
فامنن علينا براع أنت ترضاه

راع يعيد إلى الإسلام سيرته
يرعى بنيه وعين الله ترعاه

وقال تعالى: (إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد) ق: ٣٧.

* كاتب اسلامي - الكويت

بقلم: محمد رجاء عبدالمتجلي



الكلمة

مسؤوليتها خطيرة ودلالتها عظيمة

تعتبر الكلمة ذات مسؤولية خطيرة، وسلاحها نافذ، ولخطورة الكلمة فقد حذّرنا رسول الله ﷺ ـ من أن نتحدث في أي شيء دون داع أو مبرر، وبخاصة إذا كان الكلام لا يعنينا، ولا يمسّنا من قريب أو بعيد، قال صلى الله عليه وسلم: «أكثر الناس ذنوباً أكثرهم كلاماً فيما لا يعنيه».

والمؤمن الحق هو الذي يفكّر قبل أن ينطق بالكلمة لسانه، فقد تكون هذه الكلمة سبباً في ضرره، أو سبباً في إلحاق الأذى بإنسان آخر، أو تكون سبباً في تدمير أمّةٍ بأسرها.

وأن من يتتبع أحاديث المصطفى صلوات الله وسلامه عليه يدرك مدى أهمية الكلمة، فلا يقول: إلا حقاً، ولا ينطق إلا صواباً، وأن يضع الكلمة في موضعها، يقول عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً ليغنم، وليسكت عن شرٍّ فيسلم». ولقد جعل صلوات الله وسلامه عليه كلمة المسلم التي يقولها في غير موضعها دليلاً على سوء تصرف قائلها، وتدخله فيما لا يعنيه، فيقول: «من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه».

وقد طالبنا عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام بأن ندرّب ألسنتنا على الاستقامة في القول، لأن استقامة اللسان دليل على استقامة القلب والإيمان، يقول ﷺ : «لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه، ولايستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه، ولايدخل الجنة رجل لا يأمن جاره بوائقه». ويقول ﷺ : «من خزن لسانه ستر الله عورته، ومن كفَّ غضبه كفَّ الله عنه عذابه، ومن اعتذر إلى الله قبل الله عذره».

ولقد ذهب المصطفى صلوات الله وسلامه عليه إلى أبعد من ذلك، في تحذيره من عثرات اللسان، حيث جعل كثرة الكلام هي الطريق إلى النار، فقال ﷺ : «وهل يكبّ الناس في النار على وجوههم ـ أو قال: على مناخرهم ـ ألا حصائد ألسنتهم».

وليس هناك أبلغ في التحذير من قوله عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده».

للكلمة ضوابط وحدود:

إن للكلمة ضوابط لا تخرج عنها، وحدوداً لاتتعدّاها، فهناك الكلمة التي يقولها الفرد ويذيعها، وتنتشر بين الناس، وهناك الكلمة التي لا ينطقها، ويحتفظ بها لنفسه، حرصاً على سلامته، أو سلامة غيره من المؤمنين، أو حرصاً على وطنه، وأمنه وأمانه، والفارق بين الفرد الكيّس الفطن وغيره إنما هو قدرته على التحكم في لسانه، فلا ينطق بالكلمة إلا في وقتها، وفي موضعها، وبعد رويّة وأناة وتفكير، ومن أجمل ما قيل في هذا الشأن، هو قول الإمام علي بن أبي طالب ـ كرّم الله تعالى وجهه ـ: «لسان العاقل من وراء قلبه... وليس كل ما يعلم يُقال».

وإذا كان الصمت حكمة، فإن ذلك لا يكون في جميع الأحوال، إذ إن هناك مواطن كثيرة يعد فيها الصمت من الجرائم الكبيرة، فالصمت ـ مثلاً ـ أمام القاضي، والامتناع عن أداء الشهادة فيه إثم عظيم، مصداقاً لقوله تعالى: (ولاتكتموا الشهادة ومن يكتمها فإنه آثم قلبه) البقرة:٢٨٣.

والصمت أمام افتراءات الذين يهرفون بما لا يعرفون، وبخاصة في الأمور الدينية، يعد من أسوأ الذنوب وأكبرها إثماً، إذ إننا بنصّ الحديث النبوي الشريف يجب أن نكون إيجابيين أمام المتمردين على التعاليم والقيم والمبادئ الإسلامية، والمؤازرين للبدع والمنكرات، والسائرين وراء الباطل، فالإسلام لا يدعو إلى التصدي لمثل هؤلاء بالكلمة فحسب، بل بالفعل أيضاً، يقول رسول الله ﷺ : «من رأى منكم منكراً فليغيّره بيده، فإن لم يستطع

فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان».

وإذا كنا مأمورين بالصمت، وحسن الاستماع، عند تلاوة القرآن الكريم، فإننا مأمورون أيضاً بالكلمة المعبِّرة الهادفة، يقول المولى سبحانه وتعالى: (ولتكن منكم أمَّةٌ يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون) آل عمران:١٠٤.

ولقد روى عبدالله بن مسعود - رضي الله عنه - عن رسول الله - ﷺ -، أنه قال: «إن أوّل ما دخل النقص على بني إسرائيل، كان الرجل يلقى الرجل، فيقول: يا هذا... اتق الله ودع ما تصنع، لا يحل لك... ثم يلقاه من الغد، فلا يمنعه ذلك من أن يكون أكيله، وشريبه، وقعيده، فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض، ثم قال في سورة المائدة في الآية ٧٨: (لُعِنَ الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم) إلى قوله: فاسقون، في السورة نفسها في الآية ٨١ ثم قال: «كلا... والله لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر، ولتأخذن على يد الظالم، ولتأطرنه على الحق اطراً، ولتقصرنه على الحق قصراً».

الكلمة الطيبة لها ثواب وأجر المجاهد

والكلمة الطيبة قد يكون لها من الثواب والأجر مثلما للمجاهدين في سبيل نشر دين المولى سبحانه وتعالى، وإجلاء نور الحق واليقين أمام العيون التي رمدت من ظلام الجهل المعتم.

ولقد شبّه القرآن الكريم الكلمة الطيبة بالشجرة الطيبة الصالحة، التي تمتد جذورها في باطن الأرض، فتعمل على تثبيتها، وتقويتها ضد الأعاصير والرياح الشديدة، وتمتدّ فروعها إلى أعلى، حاملة الثمار الناضجة الحلوة، وهي في الوقت نفسه تفيض على الناس بخيراتها وظلالها.

وشبّه الكلمة الخبيثة بالشجرة الخبيثة، التي لا تصلح لشيء سوى أن تؤذي المارة بأشواكها، وتسد عليهم الطريق، ولهذا فقد قطعها الناس، وأزالوها من فوق الأرض، فلم يعد لها أثر يذكر.

والكلمة الطيبة تعمل في الإنسان عمل السحر، فتستولي على قلبه، وتأسر روحه، وتمتلك مشاعره، وتهدئ من روعه، وتريح نفسه، وتُدخل الطمأنينة الآمنة إلى صدره، والتوفيق للنطق بها هبة ربانية عظيمة الشأن، ومنحة إلهية رفيعة القدر يمنحها المولى سبحانه وتعالى لمن رضي عنه، والهداية بها خير من الدنيا وما فيها، يقول المصطفى صلوات الله وسلامه عليه: «لأن يهدي بك الله رجلاً خير من الدنيا وما فيها».

شبّه الكلمة الخبيثة بالشجرة الخبيثة، التي لا تصلح لشيء سوى أن تؤذي المارة بأشواكها

نماذج معبرة لأثر الكلمة في مجريات الأمور

إن تاريخنا الإسلامي حافل بالنماذج، والمثل الهادية المعبرة، والتي توضح ما للكلمة من أثر فعّال في توجيه سير الأمور، وفي النتائج المترتبة عليها، إذ إن الكلمة سلاح ذو حدين.

وسنتناول في بحثنا هذا خمسة نماذج، للتدليل على ما للكلمة من أثر كبير في مجريات الأمور:

النموذج الأول: موقف الرسول الكريم أمام عمه وكبراء قريش:

لقد وقف رسول الله ﷺ أمام قريش، ومن سلك مسلكها صامداً صابراً، فقد وُجِّهت دعوته بأعنف أنواع الاضطهاد، وجرّبت معه «قريش» كل أنواع المغريات، علّه يرجع عن دعوته التي يدعو إليها، وعندما لم يجدوا صدى لمحاولاتهم ساروا إلى القبائل يحرضونهم على المسلمين، فوثبت كل قبيلة على من أسلم فيها، يعذبونهم ويفتنونهم عن دينهم.

وقد رُوِيَتْ روايات متعددة عن هذه المحنة، يُفْهَمُ منها أنها كانت من أشدّ ما أهمّ رسول الله ﷺ همّاً عظيماً، وأنه كان من صورها أن يُعَرَّى المسلم، ويُطْرَح فوق الرمال والصخور المتوهجة المحرقة من شدة حرارة الشمس، ويُوْضَعُ فوق جسده الصخور الثقيلة، ويُمْنَعُ عنه الماء والطعام، وتُقَيَّدُ يداه ورجلاه بقيود من حديد، ويُجْلَدُ بالسياط جلداً شديداً.

وكان من نتائج ذلك إزهاق أرواح بعض المسلمين، الذين استشهدوا لقاء اعتناق عقيدتهم التي اعتنقوها، ولم يرضوا عنها بديلاً، وقد عمل بعض الأغنياء من المسلمين على شراء الأرقاء المضطهدين من مالكيهم، وإنقاذهم مما كانوا عليه من العذاب.

وعندما تكاثرت على رسول الله ﷺ عوامل التهديد، وعوامل الإغراء، ولم يرضخ لهذا أو يستسلم لذاك، سارت جماعة من القرشيين إلى أبي طالب، عم رسول الله ﷺ، وقالوا: «يا أبا طالب... إن لك سناً وشرفاً، ومنزلة فينا، وسعينا إليك لتكفّ عنا ابن أخيك فلم تفعل - وكانوا قد ذهبوا إليه قبل ذلك، وردهم رداً جميلاً، فانصرفوا عنه، ومضى رسول الله ﷺ لما هو عليه وإنا والله لا نصبر على هذا، من شتم آبائنا، وتسفيه أحلامنا، وعيب آلهتنا، حتى تكفّه عنا أو ننازله وإياك في ذلك، إلى أن يهلك أحد الفريقين.

وحينما سمع أبو طالب كلامهم عظم عليه فراق قومه وعداوتهم، وفي الوقت نفسه لم تطب نفسه بإسلام رسول الله ﷺ لهم ولا خذلانه، فبعث إليه، وقال له: «يابن أخي، إن قومك قد جاؤوني - وأعلمه بما قاله له الوفد الذي أتى إليه -، فأبق عليّ وعلى نفسك يابن أخي ولا تحمّلني من الأمر ما لا أطيق.

وهنا يتجلّى الإيمان في أروع صوره، وأسمى مظاهره، ذلك بأن رسول الله ﷺ قد توقّع أن عمه سيخذله أمام هذا الضغط العنيف من «قريش»، ويسلمه إليهم، فنظر في هذا الأمر من خلال المعاني العميقة، التي انطبعت في نفسه بعد نزول الوحي عليه، والحصانة القوية التي أفرغتها العناية الإلهية في قلبه، وحينئذ هان كل شيء في هذا الوجود أمام أداء تلك الرسالة الكبرى، التي كرّمه بها المولى سبحانه وتعالى، فقال كلمته الخالدة المأثورة: «والله يا عم لو وضعوا الشمس في يميني، والقمر في يساري، على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه ما تركته».

ولقد تعجب أبو طالب من هذا الموقف الرائع من ابن أخيه، وثارت في نفسه عاطفة قوية غلاّبة لمؤازرته ومساندته في هذه المحنة الأليمة، فقال له - وقد رآه يخرج وينصرف -: «أقبل»، ثمَّ قال له: «اذهب يا بن أخي فقل ما أحببت، فوالله لا أسلمك لشيء تكرهه أبداً».

وقد كانت كلمة رسول الله - ﷺ - لعمه هي الدستور الذي وضع به

تاريخنا الإسلامي حافل بالنماذج والمثل المعبرة والتي توضح ما للكلمة من أثر في توجيه الأمور

لنفسه خطة السير في الدعوة حتى يحكم المولى سبحانه وتعالى بينه وبين أعدائه، ولم يحد عن هذا الدستور قيد شعرة.

النموذج الثاني في موقعة بدر

لقد نسجت الكلمة في موقعة «بدر» عوامل التحدي، بقوة الإيمان، وصلابة الإرادة، وبشائر النصر، فقد بعث رسول الله - ﷺ - باثنين من أصحابه، لاستطلاع قوات المشركين، واستعداداتهم الحربية.

وعند بئر «بدر» وجدا غلامين لـ«قريش» يستقيان، فأخذاهما إلى رسول الله ﷺ، الذي قام باستجوابهما، وسؤالهما، وعرف منهما موقع الجيش، وعدده، ومن به من القواد.

ولقد وضع المصطفى ﷺ خطته على أساس تفوّق المشركين في العدد والعدّة، فكان النصر المؤزر للمسلمين، والهزيمة النكراء الساحقة للمشركين، فولّوا مدبرين، بعد أن قُتل منهم سبعون، وأسر منهم مثل هذا العدد، وقد لعبت الكلمة في نصر المسلمين دوراً لا يقلل المؤرخون شأنه.

النموذج الثالث: في غزو الخندق

جاءت قريش بخيلها وخيلائها، وأنصارها وأتباعها، ومن سار في ركباها من القبائل العربية، تريد القضاء على الدعوة الإسلامية في بيتها وعقر دارها، والتخلّص من صاحبها وأتباعه.

وبدا الخندق الذي حفره المسلمون حول المدينة منيعاً، فلم تتمكّن الأحزاب من اجتيازه، وانضم إليهم يهود بني قريظة، وهم الذين ترك لهم المسلمون المؤخرة ليدافعوا عنها، طبقاً للعهد الذي كان مبرماً معهم، ولكنهم صرّحوا بنقضهم لهذا العهد - كعادتهم في الغدر والخيانة والخسة - الأمر الذي جعل رسول الله ﷺ يسحب كتيبتين لحماية المدينة، خوفاً على النساء والأطفال... وتأزّمت الأمور، واكفهر الجو، وصار الموقف دقيقاً، وبلغت قلوب المسلمين الحناجر. وفي وسط هذه المحنة، وطول حصار المشركين للمدينة، جاء نعيم بن مسعود بن عامر من قبيلة غطفان، إلى رسول الله ﷺ يعلن إسلامه، وأخبره بأنه لا أحد من قومه، ولا من اليهود الذين تربطه بهم صلات قديمة، ولا من وجوه قريش الذين يعرفونه حقّ المعرفة، يعلم بإسلامه، وعرض على المصطفى ﷺ خدماته، وطلب إليه أن يأمره بما شاء، فهو طوع أمره، ورهن إشارته، فقال له عليه أفضل

الكلمة الطيبة لها من الثواب والأجر مثلما للمجاهدين في سبيل نشر دين الله

الصلاة وأزكى السلام: «إنما أنت رجل واحد فخذِّل عنَّا، فإن الحرب خدعة»، وكان لهذه الكلمة تأثيرها الكبير في نفس نعيم.

وقد استطاع نعيم ببعد نظره، وحسن تفكيره، وسبك حيلته، وبكلامه المعبّر والمؤثّر أن ينفخ نار الخلاف فيما بينهم وبين اليهود الذين انضموا إليهم وغدروا بالمسلمين، حتى استطاع أن يفرّق جماعتهم، وإذا بالحلف الذي كان من المظنون أن يهدد المسلمين بالفناء المحتم يذهب هباء منثوراً.

وهكذا لعبت الكلمة دوراً كبيراً وخطيراً في تفويت الفرصة على الأحزاب، فلم يتمكّنوا من خنق الدعوة في بيتها ودارها كما أرادوا، وعادوا إلى ديارهم يجرّون أذيال الفشل والخيبة، فلو كان قُدّر لهم النجاح فيما أرادوه، لكان للأمور وضع آخر، ولكن الحق سبحانه وتعالى ردَّهم على أعقابهم خاسرين، دون حرب أو قتال.

النموذج الرابع: عيسى بن العوام في حرب الصليبيين:

«إن عظمة الإنسان فيما يحسن من عمل، لا فيما يتقلد من منصب... وأن الجندي الذي في موضعه المناسب، أفضل من القائد الذي ليس في موضعه المناسب». بهذه الكلمات القوية المعبرة عن مكمن البطولة في نفس الإنسان، والاعتزاز بها، قابل صلاح الدين الأيوبي عيسى بن العوام، الذي جاء ليشترك في القتال ضد الصليبيين، الذين حاصروا شواطئ فلسطين. وعندما سأله صلاح الدين عن قدراته في القتال والنزال، وما الذي يجيده من فنون الحرب، أجابه بأنه لا يعرف من ذلك شيئاً، ولكنه وهب نفسه للجهاد، وروحه للاستشهاد في سبيل عقيدته ومبدئه، وأنه يجيد العوم وفن الغوص، وأنه باستطاعته أن يقوم بالعوم والغوص، ويصل إلى الجنود والأهالي المحاصرين، حاملاً معه أقصى ما يستطيع من مؤنة. ولقد كانت هذه المسألة من أهم ما يشغل بال صلاح الدين، وتستولي على الكثير من تفكيره في ذلك الوقت، فوافق على أن يقوم عيسى بن العوام بهذا العمل، طالما أنه أعطى كلمته، وظهر الصدق والعزيمة في قوله. وفي أحد الأيام وصل إلى علم صلاح الدين أخبار تفيد بأن الأهالي والجنود في عكا، قد أصبحوا يعانون أشد الضيق من الحصار، وأن المسؤولين عن حماية المدينة قد استطاعوا التفاهم مع أحد القواد من الأعداء على أن يفتح لهم ثغرة من الحصار، وذلك نظير مبلغ كبير من المال يدفعونه إليه. وقد كلف صلاح الدين عيسى بن العوام بالقيام بهذه المهمة، فامتثل للأمر، وأعلن أنه سيقوم بإذن الله تعالى بما كُلِّف به خير قيام، ولو كلفه ذلك حياته. وحمل عيسى ثلاثة أكياس من الذهب مشدودة على وسطه، فيها ألف دينار، وكانت الليلة التي قرر فيها القيام بهذه المهمة شديدة الظلمة، وحالكة السواد، وقد قيل له أن يؤجل تلك المهمة إلى وقت آخر، فرفض ذلك، وأصرّ على أن يبادر إلى نجدة المحاصرين. وذهب عيسى، ومضت الليلة ولم يعد، وتبعتها الليلة الثانية والثالثة، ولم يصل أدنى خبر عن عيسى. وظن بعض الناس أنه قد طمع في الذهب وهرب به، وظن البعض الآخر أن الأعداء قد تمكنوا منه، ووقع أسيراً في أيديهم، بيد أن الظنون والتكهنات لم تطل كثيراً، فقد وصلت الأخبار تفيد بأن عيسى بن العوام قد وجدت جثته على شاطئ عكا، وأن البحر قد ألقى بها هناك. وقد انتفع المحاصرون بالمال الذي كان يحمله عيسى بن العوام في الغرض الذي طلبوه من أجله، وأنهم استطاعوا أن يخرجوا من الحصار المضروب عليهم.

وهكذا أراد المولى سبحانه وتعالى أن ينفع بعيسى بن العوام ميتاً كما نفع به حياً وذهب عيسى شهيداً، كما طلب في كلمته التي قالها للناصر صلاح الدين، من أنه وهب نفسه للجهاد وروحه للاستشهاد.

فإن الكلمة ذات مسؤولية خطيرة، ولها ما لها من الآثار الإيجابية، والآثار السلبية، وليت كل مسلم يعوِّد لسانه على النطق بالكلمة الصادقة الهادفة النافعة، حتى يستطيع أن يجتاز حياته بنجاح وفلاح، ويلقى المولى سبحانه وتعالى راضياً مرضياً. ■

المراجع:

١ - الترغيب والترهيب - المنذري.
٢ - الروض الأنف - السهيلي.
٣ - زاد المعاد - ابن القيم.
٤ - زعماء الإسلام - د. حسن إبراهيم.
٥ - أبو بكر الصديق - د.محمد حسين هيكل.
٦ - عصر الراشدين - د.عبدالحميد بخيت.
٧ - العرب وظهور الإسلام - د.محمد مصطفى النجار.

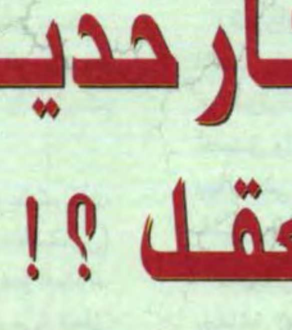
حديث

دفاع عن السنة النبوية

2/2

هل يجوز إنكار حديث نبوي لمخالفته للعقل ؟!

ذكر الكاتب في العدد الماضي أدلة العلماء على المعترض على حديث ضرب سيدنا موسى - عليه السلام - لملك الموت، والآن يزيد الباحث أدلة أخرى وحكماً كثيرة عن فائدة ورود ذلك الحديث الشريف من فم الرسول محمد ﷺ، وعلاقة الأنبياء والرسل مع بعضهم بعضاً في تبليغ رسالة الله تعالى للبشر فلنتابع مع الباحث:



بقلم : محمد نور سويد

هذا ما فعله العلماء الأفاضل - رحمهم الله تعالى - فيما سبق من ردود، وكأن المسألة قديمة، وأحب أن أضيف على ما سبق ما يلي:

١ - هب أن الأمر أنّ الملك كان في حالته الملائكية وعرف سيدنا موسى أنه جاء قابضاً لروحه، كما في رواية عمار بن أبي عمار عن أبي هريرة عند أحمد والطبري «كان ملك الموت يأتي الناس عياناً، فأتى موسى فلطمه ففقأ عينه».

فما الانتقاص الموجه لسيدنا موسى - عليه السلام -؟! وقد علمنا أن آدم رغب في شجرة الخلد وملك لا يبلى، كما أخبر الله تعالى.

أليس فيه دلالة بشرية سيدنا موسى عليه السلام على حبه للحياة، بأنه تعامل مع الموت كإنسان، وهل هناك مانع شرعي أو عقلي لحب الحياة؟! والله تعالى خلق هذا الحب.

أليس سيدنا محمد ﷺ عرّفنا على جزء من حقيقة سكرات الموت فقال: «إن للموت لسكرات»، فهل الإقرار بحقيقة ذلك - والتي يقرها جميع الناس - يعتبر مثلبة أو انتقاصاً؟!!.

ولكن رأينا أن الله تعالى أظهر أن موسى قد رضي بقبض روحه بعد تأكده أن الأمر من الله تعالى.

٢ - إن القرآن مملوء بإخبار الله تعالى عن بني إسرائيل، والتي بلغت أربعين آية بلفظ «بني إسرائيل»، وواحدة بلفظ «بنو إسرائيل»، وإحدى وثلاثين آية بلفظ «أهل الكتاب»، ومئة وتسع وعشرون مرة ذكر اسم سيدنا «موسى» وست عشرة مرة ذكر اسم سيدنا «عيسى» فهل نلغي تلك الآيات لأنها تتكلم عن بني إسرائيل؟!! ولأنها لم ترق لعقل فضيلة الدكتور أيضاً!!

٣ - إن الرسول - ﷺ - قد تحدث عن بني إسرائيل بحيث وصل عدد الروايات بلفظ «بني إسرائيل» ٤٢٢ رواية - إحصاء الحاسب الآلي - في الكتب التسعة، بل حض الرسول - ﷺ - الأمة على أن تتحدث عن بني إسرائيل بلا حرج، بما يوافق إخبار القرآن، فقال -

كل أمة يختبرها الله بما أراد لها من الشريعة فليس من العدل محاسبة من سبق بشريعة من لحق !!

ﷺ ـ: «بلِّغوا عني ولو آية، وحدِّثوا عن بني إسرائيل ولا حرج ومن كذب عليَّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار» رواه البخاري والترمذي وأحمد والدارمي.

فهل نلغي تلك الأحاديث النبوية أيضاً لأنها تتكلم عن بني إسرائيل؟!! ولأنها لم توافق عقل الدكتور!!

٤ ـ إن صلحاء بني إسرائيل ـ أتباع سيدنا موسى عليه السلام ـ جزء من تاريخ الأمة الإسلامية العريقة التي بدأت بآدم وتُممت بمحمد صلى الله عليهم أجمعين، فالقرآن بعد أن ذكر أخبار الرسل مع أقوامهم ختم ذلك بالآية: (إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون) الأنبياء:٩٢.

وكذلك في سورة «المؤمنون» يذكر أخبار الرسل ثم يختم ذلك بالآية: (وإن هذه أمَّتكم أمَّة واحدة وأنا ربكم فاتقون) المؤمنون:٥٢، فأمم الأنبياء والرسل والمؤمنين منهم، هم امتداد الأمة الإسلامية الواحدة، فهل نعزل ذلك التاريخ لأنه لم يرق لعقل الدكتور الفاضل؟!

٥ ـ إن معرفة تاريخ الرسل وأقوامهم إن تكن نتلقاه من القرآن والسنة فممن نتلقاه؟! وعمَّن نأخذه؟!، ولابد من الوصول إلى مصدر موثوق، فأي المصادر أوثق من القرآن والسنة لدى فضيلة الدكتور؟!

٦ ـ كثير من الأحداث والقضايا الفكرية تكون مرحلية، ولا تُفهم ولا تستوعب إلا في حينها، بحسب سياق الحدث والحاجة الحاصلة في حينها والوسائل المتاحة آنذاك، فإذا تغيَّر الزمان أو المكان لم تكن مناسبة للجديد، فهل يعني عدم التناسب الإنكار الكلي؟ فإن كان الجواب بنعم، فسوف يؤدي لإنكار كثير من القضايا، بل إنكار حقائق التاريخ اليومية، والتي سوف تُنكر في المستقبل، وبالتالي سيصيب الفوضى كل أمر من الأمور، ولا تستقر الحقائق، ولا تتزن العقول، وإن كان الجواب بلا انتهى الأمر، لأن الله تعالى جعل لكل أمة شرعة ومنهاجاً: (وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدِّقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً ولو شاء الله لجعلكم أمّة واحدة ولكن ليبلوكم في ما آتاكم فاستبقوا الخيرات إلى الله مرجعكم جميعاً فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون) المائدة:٤٨.

فكل أمة يختبرها الله تعالى ويمتحنها بما أراد لها من الشريعة، فليس من العدل محاسبة من سبق بشريعة من لحق!!.

٧ ـ كثير من القضايا الثابتة لا تقرها بعض العقول لعدم وجود القاعدة الأصلية لدى تلك العقول، ومثال ذلك تصديق أبي بكر لإسراء ومعراج الرسول ﷺ لأنه يملك قاعدة التصديق برسالة الرسول ﷺ، وإخباره عن الوحي، فمن يملك القاعدة يصدق بالتالي التي تليها، وحتى في القضايا العلمية، فمن لم يعرف المعادلات التفاضلية لا يستطيع أن يفهم المسائل الرياضية التكاملية والعقدية المتعلقة بها، وهكذا.

الرجوع إلى الحق يصدر عن الرسول من أولي العزم، فمن غيره أوجب

فالقصة الإخبارية يُشترط لقبولها أمران: صدق المخبر، وصدق السند الموصل إلى صاحب الخبر.

وقد رأينا أصح كتب السنة قد روت قصة موسى مع ملك الموت، ولو أردنا أن نستعرض أقوال جهابذة علم الجرح والتعديل عن توثيقهم لرجال السند الذين رووا هذا الحديث لوجدنا أنهم أصدق وأنبل وأصلح من يروي، فالمسلم ليس أمامه إلا التصديق بها، حتى لو خالفت عقله، لأن الخبر الصادق ليس تجربة مخبرية حتى يجريها لكي يصدق به أو يكذِّبه.

فالعقل ليس هو الميزان الوحيد لتصديق الحقيقة، فكم من حقائق تخالف المنطق العقلي إلا أن العقل مقر بها رغم أنفه، ومثاله أيضاً لو قسمت ورقة سماكتها ميللمتر واحد نصفين، والنصفين إلى أربعة أنصاف وهكذا فعلنا خمسين مرة، فالعقل يقول: إن السماكة ستصبح بضعة أمتار، ولدى الحساب يكتشف العقل أن السماكة تبلغ بين الأرض والقمر، فإذا كان هذا في ميدان الحساب الرياضي المحسوس الملموس البسيط، فهذا دليل على أن العقل بحاجة إلى إخبار الوحي فيما وراء الغيب.

٨ ـ من خلال القاعدة ـ التي ذكرت في مقدمة البحث ـ أن العقل المقصود به في الشريعة هو إجماع عقول أهل الاختصاص على استحالة الأمر، عند ذلك يمكن إيقاف العمل بالحديث النبوي، لكن لم نجد ذلك في هذا الخبر النبوي، والذي هو معجزة لسيدنا محمد ـ ﷺ ـ يحدث عما حصل لسيدنا موسى فيما بينه وبين ملك الموت، فمن أعلَمَ سيدنا محمداً ﷺ بذلك سوى الوحي، فهل يكذب فضيلة الدكتور خبر الوحي؟!!

(ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم وما كنت لديهم إذ يختصمون) آل عمران:٤٤.

(تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا فاصبر إن العاقبة للمتقين) هود:٤٩.

(ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك وما كنت لديهم إذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون) يوسف:١٠٢.

وكان الأجدر بالدكتور أن يطرح سؤالاً أوجه قبل تسرعه بالإنكار، ألا وهو ما الفوائد من ذكر ذلك الحديث النبوي؟ لأجبناه بما يلي:

النظر في عواقب الأمر بالسؤال «ثم ماذا ؟» يصحح المسار الفكري والسلوكي دائماً .

١ ـ إخبار الرسول ـ ﷺ ـ عن موسى كما ذكرنا معجزة للرسول ـ ﷺ ـ لأنه لم يطلع

على التوراة وهي باللغة السريانية، والرسول - ﷺ - عربي أمي لايعرف القراءة والكتابة، فعند إخباره بذلك يبطل مزاعم اليهود الذين لم يؤمنوا بالرسول - ﷺ - وهي دعوة صريحة لهم بالإيمان برسالة محمد ﷺ.

هل نلغي تلك الآيات لأنها تتكلم عن بني إسرائيل ؟!! ولأنها لم ترق لعقل فضيلة الدكتور

٢ - تقرير الحالة البشرية لسيدنا موسى بضربه للمَلَك، وهو الذي وكز رجلاً فقضى عليه.

٣ - أهمية الاستئذان في الحياة عامة، وبيِّن أصحاب المراتب خصوصاً، فحال الرسول أعلى رتبة من المَلَك، فعلى الأدنى أن يستأذن الأعلى.

٤ - حلم الله تعالى وكرمه مع موسى بإعطائه الاختيار في زيادة عمره، إلا أن الموت سيكون النهاية، فيختار موسى الموت اختياراً، وهذا من رحمة الله ومزيد فضله لموسى، وقد يسأل أحدهم فكيف بتقدير الله تعالى الموت والحياة، ثم يعطيه الاختيار فما معنى ذلك؟! والجواب بسيط جداً: إن اختيار موسى قبول الموت كشف علم الله السابق، وبعبارة أخرى ما يختاره العبد فعلاً ويفعله يكشف عندها لنا علم الله تعالى.

٥ - ضرب المثل في التعليم لتقريب الحقيقة، فقبض الشعر من ظهر الثور لاختيار عدد السنين التي يريد موسى بقاءها في الحياة، يدل على أهمية ضرب المثل الحسي للإقناع في عملية التعليم، وهذا من فضل الله تعالى بضربه الأمثال في كتابه، لتقريب الحقائق والمفاهيم.

٦ - رجوع الملك وشكواه عند الله تعالى يعلّمنا بأن الله تعالى يرجع إليه الأمر كله في الأرض والسماء، فلا أحد يخرج من قبضة الله تعالى.

٧ - شكوى المَلَك مظلمته لله تعالى يعلّمنا بأن المظلوم بحاجة إلى أن يبث شكواه لله تعالى، حتى ينصفه في الدنيا، أو السكوت لأخذ الأجر الوافر في الآخرة، كما يفيدنا بأن المَلَك يعلم ظاهر الإنسان ولا يعلم نيته، فعلم ما في القلوب مختص به الله تعالى.

٨ - يفيد الحديث قدرة الملائكة على التشكل بأشكال الإنس، وهذا كثير في أخبار القرآن والرسول - ﷺ - ما يوقظ الحذر والانتباه لدى المسلم التقي بكيفية التعامل مع الناس.

٩ - قبول سيدنا موسى خبر الموت في المرة الثانية، يعلمنا الرجوع إلى الحق، وعدم الإصرار على غيره، وهذا الرجوع إلى الحق يصدر عن الرسول من أولي العزم، فمن غيره أوجب.

١٠ - مبدأ تعلّم وتعليم السؤال المهم جداً في كل قضية: «ثم ماذا؟» وهذا السؤال يختصر كثيراً من الجدل الماحك، كما يوفر كثيراً من الزمان الضائع في البحث، وقد ألّف أحد علماء الرياضيات في روسيا - وترجم إلى العربية - عنوانه «ثم ماذا؟» ذكر فيه أنه انتصر على جميع خصومه من العلماء في شتى ميادين المعرفة في الحوار بطرح السؤال: ثم ماذا؟ في الوقت المناسب، وذكر تلك الحوارات.

فموسى ﷺ يعلمنا هذا المبدأ «قال: أي رب ثم ماذا؟ قال: ثم الموت، قال: فالآن». فالنظر في عواقب الأمر بالسؤال «ثم ماذا؟» يصحح المسار الفكري والسلوكي دائماً.

١١ - يعلمنا موسى - عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام - الدعاء وأدبه مع الله تعالى: «فسأل الله أن يُدنيه من الأرض المقدسة رمية بحجر».

١٢ - يعلمنا طلب موسى - عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام - طلب الموت والدفن في الأراضي المباركة الصالحة. والابتعاد عن مساكن الكفار وأراضي الفسقة، والقرب من الصالحين في الدنيا وحياة البرزخ «حياة القبر» وقد وردت آثار ذلك.

١٣ - يعلمنا الرسول ﷺ عن طريق وحي الله تعالى له مكان قبر أخيه موسى - عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام - أنه في «جانب الطريق عند الكثيب الأحمر» من صحراء سيناء، قال رسول الله ﷺ: «فلو كنت ثَـمَّ، لأريتكم قبره إلى جانب الطريق عند الكثيب الأحمر»، وبذلك ندرك أهمية التعرف على أماكن قبور المرسلين والأنبياء والصالحين، لأن ذكر ومعرفة ذلك القبر، مزيد إثبات لوجودهم، والتعرف على مآثرهم، فتعريف الجيل الحالي بمكان قبور من سبق من الرسل والأنبياء والعلماء والصالحين سنة نبوية.

ويمكننا قول الحقيقة التاريخية إنه لا يوجد قبر متوفى أكثر من ألف عام، معروف مئة بالمئة غير قبر سيدنا محمد ﷺ وصاحبيه أبي بكر وعمر رضي الله عنهما.

١٤ - قوله ﷺ: «فلو كنت ثَـمَّ لأريتكم» فيه جواز قول «لو كنت» في مكان كذا لفعلت كذا وكذا من الصالحات، لأن فيه شحذ الهمم لفعل العمل الصالح، وبخاصة إذا صدر ذلك التمني عن عالم أو فاضل، فإن فيه حض الآخرين على فعل الخير.

١٥ - رُوي الحديث مرفوعاً وموقوفاً، وهذا حال كثير من الصحابة رضوان الله عليهم، فإنهم كانوا يتورعون من قول قال رسول الله ﷺ، لذلك تجد كثيراً من الأحاديث الموقوفة لها حكم الرفع لأنها لاتروى بالعقل، وكذلك كان بعض الصحابة يروي الأحكام الشرعية ولا يقول قال رسول الله ﷺ خشية أن يكذب على رسول الله بحرف واحد.

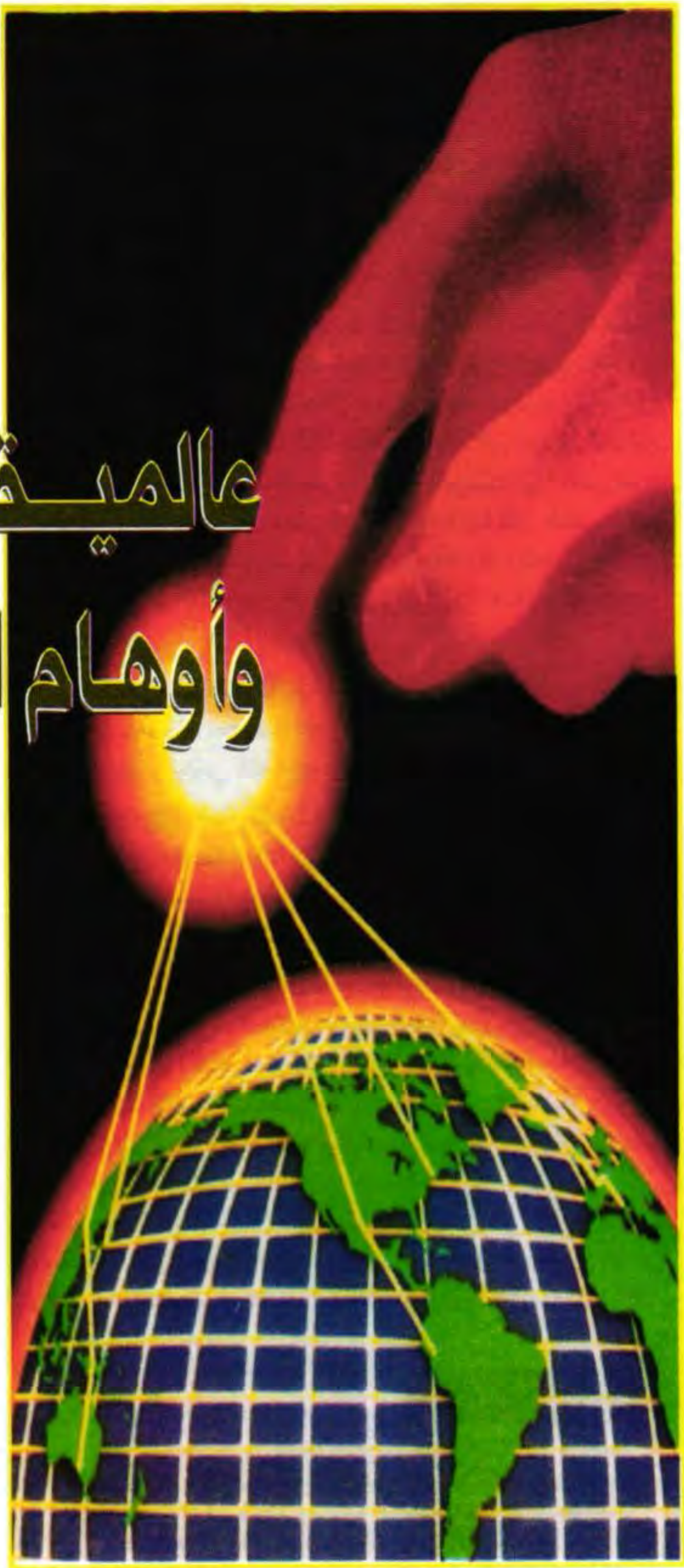
هذا ما بدا لي بشأن الحديث النبوي، والذي هو محل إنكار من فضيلة الدكتور، وهذا الذي أبديته، إسهاماً متواضعاً، وقد يأتي من يزيد، فالعلم بحر وفتح. والله أعلم وهو الهادي للصواب. ■

تصحيح

حصل خطأ مطبعي في الحلقة الأولى من هذا المقال المنشور في العدد الماضي شوال ١٤٢٠هـ، حيث سقطت سهواً كلمة «لا» الواردة في العمود الأول صفحة ٥٦ السطر ١٦. وصحيح العبارة هو: «فهذا لا يسقط العمل بالحديث النبوي» لذا اقتضت الإشارة ومعذرة من الإخوة القراء.

بقلم : محمد علي وهبه

عالمية الإسلام وأوهام العولمة



لعله من الحقائق المعروفة منذ بعثة محمد ﷺ، أن الإسلام دين عالمي، من حيث كون رسالة الإسلام شاملة من ناحية المكان، أي أنها لكل الناس في أي بقعة من بقاع الأرض، وكذلك من ناحية الزمان، أي أنها لأجيال البشرية منذ مطلع الإسلام وإلى يوم الدين. (١)

وعالمية الإسلام بهذا الوصف الشامل قد اتضحت منذ مطلع الإسلام، حيث وردت الآيات الخاصة بعالمية الإسلام في سور مكيَّة، منها ما جاء في قوله تعالى:

(وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً). (سبأ: ٢٨).

وعلى المستوى التطبيقي، فقد فتح الرسول ﷺ الباب باكراً لبلال الحبشي، وسلمان الفارسي، وصهيب الرومي، ليكون لهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم. (٢)

وذلك بخلاف موقف المسيح عليه السلام، الذي رفض علاج فتاة كنعانية وصرخ قائلاً: «لم أرسل إلا إلى خراف بني إسرائيل الضالة». (٣)

فدعوات الأنبياء السابقين، جعلها الله سبحانه، خاصة بأهليهم وقبائلهم، كما جعلها سبحانه محدودة بأمور العبادات، بوصفها دعوات تمهيدية، وذلك بخلاف رسالة الدين الخاتم الحنيف التي جعلها الله تعالى، شاملة لجميع أمور الدين والدنيا والآخرة، وشاملة أيضاً لكافة أجناس البشر منذ الأزل وإلى الأبد.

فعالمية الإسلام تعني فيما تعنيه أن الدعوة الإسلامية موجهة للعالمين، بما تحمله هذه الدعوة من إشارة إلى وحدة الإنسانية المدعوة للإيمان بالله الواحد الأحد، الذي لا شريك له في الملك، وذلك وفق مقتضيات كتاب الله تعالى، الفارق بين الحق والباطل، كما في قوله تعالى:

(تبارك الذي نزَّل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً). (الفرقان: ١)

كما قال الرسول ﷺ في ذلك:

«أعطيت خمساً لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي». فذكر منهن: «أنه كان النبي يبعث إلى قومه خاصة، وبعثت للناس عامة». رواه الإمام أحمد

وتعني عالمية الإسلام أيضاً أن الدعوة الإسلامية ذات طبيعة انتشارية ذاتية، أي أنها لا تحتاج لاستخدام أي وسائل تقنية، أو أي وسائل أخرى من أي نوع لتنتشر في المكان والزمان، حيث زودها الله تعالى بقوة إلهية ذاتية، تعينها على الانتشار التلقائي، بفضل من يقيضهم الله تعالى من عباده المؤمنين لتحقيق هذا الانتشار، بحيث تكون للإسلام الهيمنة الرحيمة الكاملة العادلة، والمهتدية بهدى الله دائماً، ومن أجل أن يبقى الإسلام ظاهراً على ماعداه من عقائد محرَّفة، أو نظم وضعية ضالة منحرفة، كما في قوله تعالى:

(هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله). التوبة: ٣٣.

وكما قال الرسول ﷺ في ذلك:

«إن الله زوى لي الأرض، فرأيت مشارقها ومغاربها، وأن أمتي سيبلغ ملكها ما زوى لي منها». رواه مسلم وأبو داود وغيرهما.

أوهام العولمة:

وإن كانت هناك ضجة مفتعلة تسود العالم في الوقت الراهن حول ما يطلق عليه اسم (العولمة)، ويقصد بها ـ وفق المدلول الشائع لها ـ أنها تعني الانتشار العالمي لمظاهر الحضارة المادية الغربية، المدفوع بها للهيمنة المادية على العالم، والتي تتوسل في ذلك بوسائل مادية بحتة، كشبكات الحاسب الآلي الدولية، وأقمار الاتصال الفضائية، وغيرها من وسائل تقنية مادية، فإنه لا وجه للمقارنة مطلقاً بين عالمية هذه الوسائل المادية، المحدودة بحدود الجانب المادي فقط من اهتمامات ومتطلبات الإنسان، وبين عالمية الإسلام الشاملة لجميع جوانب الحياة، مادياً وروحياً وعقلياً وخلقياً، حيث من هذه النزعة العالمية الشاملة للإسلام، تنبثق الحضارة الإسلامية المتجددة. والمتفردة بشموليتها لجميع مظاهر البناء الارتقائي المادي والروحي للإنسان.

فالحضارة الغربية المادية تعتبر ـ في حقيقتها ـ امتداداً للجانب المادي فقط من الحضارة الإسلامية، وهو الجانب الذي اكتفى الأوربيون بنقله عن الحضارة الإسلامية، ورفضوا ـ في الوقت ذاته ـ الدخول في الإسلام.

والاستشراف المستقبلي للرقي الحضاري الإنساني كما يتصوره أهل الغرب، لا يمكن وصفه ـ في حقيقة الأمر ـ سوى أنه ركام من الأوهام، وذلك على أساس أنهم يعتمدون على ثنائية الفصل بين الوحي والعقل، وبين الدين والعلم، وبين الدين والدنيا والآخرة، ما أوقع بهم فيما يمكن وصفه بالمأزق الانفصامي للشخصية الإنسانية التائهة، الشائهة، غير المتوازنة روحياً ومادياً. فهم يعتمدون في استشرافهم للمستقبل على تأليه العقل، وعالم المادة المحسوس، والاكتفاء بعلم ظاهر الحياة الدنيا، كما قال جل شأنه في أمثالهم:

(يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون). الروم: ٧.

المستقبل للإسلام:

ويختلف الاستشراف المستقبلي في المنهاج الإسلامي القويم تماماً عما هو معروف في الحضارة الغربية المادية، حيث تتوافر مقومات الإمكان الحضاري المستقبلي للإسلام، بصورة أكثر تسامياً وتكاملاً. ولعل من أهم تلك المقومات، وجود أنموذج الاقتداء التطبيقي المعصوم، الذي تم تطبيقه، وبناؤه على عين الله سبحانه، وفعل المعصوم، ﷺ، وخلفائه الراشدين رضي الله عنهم من بعده، لتنزيل القيم، والنص السماوي المطلق على الواقع النسبي، مستهدفاً الارتقاء بالسلوك الإنساني عبر الزمن المديد، وحتى قيام يوم الوعيد. (٤)

> يختلف الاستشراف المستقبلي في المنهاج الإسلامي القويم تماماً عما هو معروف في الحضارة الغربية المادية، حيث تتوافر مقومات الإمكان الحضاري المستقبلي للإسلام، بصورة أكثر تسامياً وتكاملاً

وتكثر الآيات القرآنية المباركة المبشرة بالمستقبل العالمي للإسلام، ومنها قوله تعالى:

(ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون). الأنبياء: ١٠٥.

فوراثة الأرض، مستقبل ينتظر الصالحين من عباد الله، الذين التزموا دينه، وأقاموا شرعته الارتقائية في كلا جانبيها الروحي والمادي الشاملين.

كما تكثر الأحاديث النبوية المطهَّرة، التي تؤكد المستقبل العالمي للإسلام وسيادته، ورخاء وارتقاء أهله بالمعنى الكامل الشامل للارتقاء والتسامي في مناحي الحياة كافة، كما في قول الرسول الكريم ﷺ:

(لا تقوم الساعة حتى تعود أرض العرب مروجاً وأنهاراً). رواه مسلم والإمام أحمد وغيرهما. ■

الهوامش:

(١) عالمية الإسلام ـ د. أحمد شلبي ـ س قضايا إسلامية ـ المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ـ وزارة الأوقاف ـ القاهرة ـ ١٤١٧هـ. بتصرف.

(٢) المرجع السابق. بتصرف بسيط.

(٣) إنجيل متى ـ الإصحاح ١٥ ـ فقرة ٢٤.

(٤) المستقبل للإسلام ـ د. أحمد علي الإمام ـ من مقدمة الأستاذ أحمد عبيد حسنة ـ س كتابة الأمة ـ وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية في دولة قطر ـ ع (٤٦) ربيع الآخر ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م ـ بتصرف بسيط.ش

بقلم : محمد مزيد فرج فراج

الدعوة إلى الله بين ثقل تبعتها وكرامة منزلتها

لقد شرَّف الله أمتنا إذ شرفها لا محاباة ولا مجاملة تنزه ربنا سبحانه وتعالى عن ذلك العمل المشين وإنما جاء هذا التشريف جائزة القيام بتكليف من أعظم التكاليف التي كلفنا بها الله جل وعلا وهو الذي أشار إليه ربنا جل وعلا في محكم التنزيل: (ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون) آل عمران:١٠٤.

وقال الله تعالى: (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله) آل عمران:١١٠.

والآيات في هذا المعنى كثيرة جداً وأما الأحاديث النبوية فتند عن الحصر إذ إن المجتمع الإسلامي ليس مجتمعاً مهلهلاً ولا ممزقاً ولا يتكون من أشتات مبعثرة ولا أجزاء متناثرة تجد كل جزء مقتصراً على نفسه. لقد بلغ المجتمع الإسلامي في تماسكه أن جعله رسول الله صلى الله عليه وسلم جسداً واحداً فأي تناسق وتعاون وتكامل أكثر من ذا الذي يتم بين أعضاء الجسد الواحد خدمة للكل.

ولا شك أن الأعضاء تعمل دون أن يحاسب كل منهم باقي الأعضاء على الأتعاب أو الأجور مقابل أعماله. إنما يقوم بواجب يحتمه عليه انتماؤه إلى هذا الجسد. كذلك المسلم يعمل لأمته دون أن يفكر مجرد التفكير أن يتقاضى أتعاباً أو أجوراً على ما قدم لهم ولا سيما إذا كانت هذه الخدمة «عملاً دعوياً أو إصلاحياً» فإن قانون الأجور المعمول به لدى هؤلاء قوله تعالى: (قل ما سألتكم من أجر فهو لكم إن أجري إلا على الله وهو على كل شيء شهيد) سبأ:٤٧.

ويرجع شرف هذا العمل إلى التكليف الإلهي به لصفوة خلقه حيث يقول تبارك وتعالى: (ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا).

إذاً فالتكليف ليس عشوائياً، بل يتم عن طريق أدق طرق الاختيار والاصطفاء فصفوة الخلق من الأنبياء المرسلين هم أئمة الدعاة إلى الله وأشرف القائمين على تبليغ رسالاته، وعلى جميع الدعاة الاقتداء بهم والسير على دربهم والتخلق بأخلاقهم والتي من أعظمها الصبر، إذ به يتم مجاوزة عوائق الدعوة التي لابد منها اختباراً أو تمحيصاً للدعاة حيث يقول تعالى مؤكداً تلك الحقيقة على لسان الحكيم الذي يؤدب ولده ويعدّه لتلك المهمة: (يا بني أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور) لقمان:١٧.

وبهذه الوصية نفسها جاء الخطاب الإلهي للنبي صلى الله عليه وسلم في أول وحي بعد الانقطاع الأول قال تعالى: (يأيها المدثر. قم فأنذر. وربك فكبر. وثيابك فطهر. والرجز فاهجر. ولا تمنن تستكثر. ولربك فاصبر).

فالأمر بالصبر دائماً وأبداً ملازم للتكليف بالدعوة إلى الله عز وجل وسيرة الأنبياء عليهم وعلى خاتمهم وسيدهم أشرف الصلاة والسلام أدل الأدلة على ذلك.

ومن أعظم المبادئ التي يجب وضعها في الاعتبار عند الدعوة مخاطبة الناس على قدر عقولهم والحلم على جهلائهم، واختيار الأسلوب المناسب لكل فئة من فئات المجتمع المختلفة سواء من حيث الأعمار أو الثقافة أو الاستعداد النفسي أو التأهيل التربوي لهم فكل هذه الحيثيات من العوامل المؤثرة في درجة التأثر والاستجابة للدعوة وعلى الداعي الموفق استيعاب كل هذه الفروق. ولن يكون هذا عملاً عسيراً أبداً ما دامت السيرة النبوية لا تفارق بصيرة الداعي.

والدعوة إلى الله أشمل من أن تقتصر على فئة من الأمة كالخطباء والوعاظ مثلاً أو في الأسلوب الخطابي أو ساعة الجمعة أو درس المساء بل هي عمل كل فرد في الأمة في كل مجالات الحياة المختلفة كل بحسب إمكاناته، فلقد أصبحت هذه الأمة بالنص القرآني أمة مبعوثة بمبعث النبي صلى الله عليه وسلم وهذا ما علمه لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، عندما أعلنها على الصحابة رضي الله عنهم عندما أرادوا تعنيف الأعرابي البائل في المسجد فقال صلى الله عليه وسلم: «إنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين».

وهكذا كان يعتقد الصحابة... ومن هذا المنطلق ومن واجبات تحمل هذه الأمانة كانوا رضي الله عنهم يسيرون في الأرض شرقاً وغرباً دعوة بهذا الدين حتى قال ربعي بن عامر رضي الله عنه لرستم مفهماً إياه دافعهم إلى الجهاد: «إن الله ابتعثنا لإخراج العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد». فكانوا رضي الله عنهم مدركين لثقل الأمانة التي في أعناقهم تجاه هذا الدين.

ومن الجدير بالذكر أن الدعوة إلى الله إذا كانت واجبة في الأمم السابقة فهي أشد وجوباً على هذه الأمة وذلك أنه لم تكن تخلو الأمم قبلنا من نذير، فكلما مات نبي أتبعه الله بآخر حتى لربما تزامن النبيان والثلاثة وهذا كان يرفع قدراً من العبء عن آحاد الأمم السالفة. أما بخصوص أمتنا فقد شاء الله أن تكون آخر الأمم وأن يكون نبيها آخر النبيين فمن يقوم بأمانة الدعوة إذا لم يقم بها أتباع النبي صلى الله عليه وسلم ولا أنبياء ولامرسلين بعده صلى الله عليه وسلم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها. والخلاصة: أن المجتمعات الفاسدة فحسب هي التي يغض كل طرف فيها نظره عما حوله من المنكرات وذلك حتى يغض الباقون أطرافهم عما هو واقع فيه من المنكرات.

ومن أعظم الأمور التي ترجع إليها أهمية الدعوة والإرشاد طبيعة النفس البشرية وما تتسم بها من ضعف يوقعها في بعض المحرمات والمنكرات والتي تتزايد نسبتها ما لم تقابل الناصح الأمين والمرشد الشفيق والداعي الحكيم نحو الطريق المستقيم وإذا كانت الدعوة بهذا القدر من الأهمية، فلا يحوط بجوانبها مقال مختصر. وجدير أن نختم مقالنا بدعوة كل شاب مسلم وفتاة مسلمة أن يؤهلا أنفسهما لتحمل تلك الأمانة والتي لا يؤديها حق الأداء إلا الموفقون إلى الحق القائمون على أنفسهم بمجاهدتها في طلب العلم. ■

بقلم : د.حسن عبدالغني أبوغدة ❖

الرفق بالحيوان بين الاعتدال والغلوّ

يظن كثير من الناس أن فكرة الرفق بالحيوان والإحسان إليه والعناية به، من الأفكار والقيم الحضارية المعاصرة، ويذهب هؤلاء إلى أن هذه الفكرة ولدت في أحضان المدنية الغربية الحديثة، التي انتشرت محاسنها وإيجابياتها، واتّسعت آثارها وفضائلها، فشملت حتى الحيوان الأعجم.

والحقيقة التي تغيب عن أذهان كثير من الناس، أننا نحن المسلمين، نملك رصيداً تراثياً أصيلاً من هذه النزعة الإنسانية، التي حفلت بها آيات القرآن الكريم، وأحاديث النبي - ﷺ - كما حفلت بها الحياة اليومية في المجتمعات الإسلامية عبر تاريخها الطويل، وخلال حضارتها المتألقة، التي نشرت فضائلها على أصناف المخلوقات حتى الحيوان، الذي شملته بالرفق والرحمة والعناية، من غير غلوّ ولا هَوَس، كما هو الحال اليوم في حياة كثير من المجتمعات الأخرى.

نظرة الإسلام إلى الحيوان:

إن أول ما يقرره الإسلام في ميدان التعامل مع الحيوان، وجوب مراعاة خصائص وصفات هذه المخلوقات، فلكل صنف منها عالم خاص به، وطبائع مستقلة عن غيره، ففي الآية ٣٨ من سورة الأنعام: (وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم).

وإذا كان الأمر كذلك، فللحيوان حق في الرفق والرحمة والمعروف، رعاية للروح التي فيه، بل إن الرحمة بالحيوان قد تدخل صاحبها الجنة: روى البخاري ومسلم أن رسول الله ﷺ قال: «بينما رجل يمشي بطريق، إذ اشتد عليه العطش، فوجد بئراً، فنزل فيها فشرب ثم خرج، فإذا كلب يلهث يأكل الثرى من العطش، فقال الرجل: لقد بلغ هذا الكلب من العطش، مثل الذي كان بلغ مني، فنزل البئر فملأ خفّه ماء ثم أمسكه بفمه حتى خرج، فسقى الكلب، فشكر الله تعالى له، فغفر له. قالوا: يا رسول الله، وإنَّ لنا في البهائم لأجراً؟ قال: «في كل ذات كبد رطبة أجر».



منع إيذاء الحيوان والقسوة عليه:

يعتبر الإسلام إيذاء الحيوان أو القسوة عليه أو تعذيبه مظهراً من مظاهر الغلظة

المذمومة والخشونة الممقوتة، بل هو فضلاً عن ذلك - من أسباب دخول النار، لما فيه من الاعتداء على هذا الحيوان الضعيف. روى البخاري وأحمد، أن رسول الله ﷺ قال: «عُذبت امرأة في هرّة سجنتها حتى ماتت، لا هي أطعمتها وسقتها إذ حبستها، ولا هي تركتها تأكل من خِشاش الأرض».

وتمضي الشريعة الإسلامية وهي تقرِّر وتشرِّع أحكام معاملة الحيوان، ووجوب رحمته والرفق به والإحسان إليه، فتحرِّم وتنهي عن طول المكث على ظهره وهو واقف، كما تحرِّم تجويعه وحرمانه، من الطعام والشراب، أو تقليلهما له، كما تمنع تعريضه لأسباب الضعف والهزال، أو إرهاقه بالعمل الكثير أو بالحمل الثقيل الذي لا يطيقه. روى أحمد وأبو داود أن جملاً جاء إلى النبي ﷺ فبرك أمامه، ثم ذرفت عيناه، فقال النبي ﷺ: من صاحب هذا الجمل؟ فجاء صاحبه، فإذا هو فتى من الأنصار، فقال له النبي ﷺ: «أفلا تتقي الله في هذه البهيمة التي ملَّكك إياها؟ أحسنْ إليه، فإنه شكا إليَّ أنك تجيعه وتتعبه من كثرة العمل».

تحريم رمي الحيوانات والتحريش بينها:

من فضائل الإسلام ورحمته بالحيوان أنه حرَّم اتخاذه هدفاً للرمي بالرمح أو السهم أو السكين أو الرصاص أو غيره، ولو كان ذلك من أجل التدرُّب على رفع مستوى كفاءة الرامي المتدرب، سواء كان الحيوان دجاجة أو هراً أو ثوراً أو طيراً أو غيره. روى البخاري ومسلم أن ابن عمر مرّ بفتيان من قريش قد نصبوا دجاجة يترامونها بسهامهم، أيهم يصيبها؟ فلما رأوه قادماً تفرّقوا، فقال ابن عمر: «من فعل هذا؟ لعن الله من فعل هذا، إن رسول الله ﷺ لعن من اتخذ شيئاً فيه روح هدفاً».

كما حرَّم الإسلام إثارة الحيوانات وتحريشها على بعضها بعضاً، كي تتقاتل أو تتناطح، أو يجرح بعضها بعضاً، أو يُدمي بعضها بعضاً، والناس يتفرَّجون وينظرون إليها فرحين مسرورين سعداء، روى الترمذي وأبو داود أن رسول الله ﷺ نهى عن التحريش بين البهائم.

وأين من هذه التعاليم السامية ما يجري - ونحن على أعتاب القرن الحادي والعشرين - في ميادين مصارعة الثيران من جرحها بالرماح في رؤوسها وأجسامها، تحت سمع وبصر ألوف الحاضرين الذين يقابلون ذلك بالتصفيق والهتاف والتشجيع والتأييد، وهم يطلبون مزيداً من الدماء المتقاطرة من تلك الحيوانات المسكينة!!.

هدي الإسلام في إزهاق روح الحيوان:

دعا الإسلام إلى إنهاء حياة الحيوان - حال الحاجة - بطريقة كريمة، بعيدة عن الفظاظة والهمجية والعبث، وحرَّم إنهاء حياة الحيوان والتخلص منه من غير سبب ولا مبرر مقبول. وأمر الذابح باستعمال آلة حادة حال الذبح للتقليل من معاناة الحيوان المذبوح، كما حثَّ على إراحة الذبيحة والإحسان إليها قبل الذبح، وذلك بإطعامها الطعام، وسقيها الماء، وأن لا يُذبح غيرها أمام عينيها.

روى النسائي وابن حبان أن رسول الله ﷺ قال: «من قتل عصفوراً عبثاً، اشتكى إلى الله يوم القيامة قائلاً: يا رب، إن فلاناً قتلني عبثاً، ولم يقتلني منفعة، أي للأكل».

وروى مسلم وأبو داود أن رسول الله ﷺ قال: «وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة، وليُحدَّ أحدكم شفرته، وليُرح ذبيحته».

وروى الطبراني والحاكم أن رسول الله ﷺ رأى رجلاً أضجع شاة وهو يحدّ شفرته، فقال له: «أتريد أن تُميتها موتتين؟ هلاَّ أحددت شفرتك قبل ذلك».

وروى الحاكم والأصبهاني أن رجلاً قال: يا رسول الله، إني آخذ شاة وأريد أن أذبحها، أفأرحمها؟ قال: «إن رحمتها رحمك الله».

وهكذا نرى أن الإسلام حفظ حياة الحيوان ورعاها، فمنع إنهاءها وإزهاقها إلا لجلب منفعة كأكل وغذاء، أو دفع مضرة وذلك في الحيوانات المؤذية والمفترسة ونحوها.

من حقوق الحيوان في الإسلام:

في ضوء ما تقدم من توجيهات قرآنية ونبوية، قرر العلماء المسلمون مجموعة من الأحكام التي يمكن أن يطلق عليها «حقوق الحيوان في الإسلام» مما لا يخطر على بال المعاصرين، الذين ينتسبون إلى جمعيات الرفق بالحيوان ومن ذلك: أن النفقة على الحيوان واجبة على مالكه، فإذا امتنع أُجبر على بيعه أو الإنفاق عليه، أو تركه ينطلق إلى مكان يجد فيه رزقه وطعامه وشرابه، أو يُجبر مالك الحيوان على ذبحه إن كان مأكول اللحم.

ومما قرروه أيضاً في حقوق الحيوان الأعجم: أن الهرَّة العمياء إذا دخلت بيت إنسان، وجبت نفقتها عليه، وذلك لعجزها عن السعي بحثاً عن طعامها وغذائها.

وذكروا أيضاً: أنه يحرم تحميل الحيوان أكثر مما يطيق، فإن أصرَّ صاحبه على فعله وتكرّر هذا منه عُوقب تعزيراً وزجراً له، وذلك لمخالفته المنهي عنه، والأصل في هذا قصة الجمل آنفة الذكر.

هذا، وإن المتتبع لنحو هذه الحقوق والمكرمات والفضائل الإسلامية التي قررها الإسلام للحيوان، والتي اشتملت عليها كتب الفقه والحسبة والآداب الشرعية، تتجمع لديه كثير من المبادئ والتوجيهات والأحكام التي جاء بها الإسلام في الرفق بالحيوان ورعايته وتجنب تعذيبه والإساءة إليه.

صور عملية من الرفق بالحيوان:

ازدحمت حياة المسلمين بكثير من الصور العملية والوقائع التطبيقية الرحيمة في معاملة الحيوان، ومن ذلك ما رواه عبدالرزاق أن عمر بن الخطاب مرّ برجل يسحب شاة من رجلها ليذبحها، فضربه عمر بالدرة «عاقبة من أجل إيذاء الحيوان» وقال له: ويلك، قُدْها إلى الموت قوداً جميلاً، أي: «خذها برفق ورأفه وعلى مهل».

وبلغ من اهتمام حكام المسلمين بحقوق الحيوان أن أوجبوا على الرعية مراعاة الرفق بالحيوان والابتعاد عن إيذائه وإيلامه أو الإساءة إليه، فهذا عمر بن عبدالعزيز يصدر «مرسوماً» إلى حكام الأقاليم ورؤساء الإدارات في أنحاء الدولة الإسلامية كافة - التي كانت تشمل وقتذاك أكثر من ثلاثين دولة عربية وإسلامية اليوم - يلزمهم بكفِّ الناس ومنعهم من إركاض البهائم واستعجالها في المشي، أو إرهاقها بالإسراع المتلاحق دون حاجة ولا موجب.

وكان المعمول به في المجتمعات الإسلامية -

كما تذكر كتب الحسبة - أن يمنع صاحب الدابة من تحميلها فوق طاقتها، أو تعذيبها، أو ضربها، أو تشغيلها وهي مريضة أو ضعيفة.

كل ذلك يدلُّك - بوجه من الوجوه - على مدى تجاوب أفراد ومؤسسات وهيئات وإدارات المجتمع الإسلامي، مع تعاليم الإسلام وتوجيهاته وآدابه، في معاملة الحيوان والرفق به، والإحسان إليه ورحمته.

وقد أدرك كاتب هذا المقال - قبل أربعة عقود - أماكن وقفية في عدد من المدن السورية، كدمشق وحلب وحمص، خصص لها المحسنون - منذ القديم - أموالاً كثيرة من الوقف الخيري، للقيام على إيواء ومعالجة ورعاية القطط المريضة والجريحة والمكسورة الأطراف، والتي كانت تأتي بنفسها إلى تلك الأماكن، أو يأتي بها الناس إليها، فتجد فيها - من موظفين خاصين - كل عطف ورعاية وعلاج واهتمام.

هذا، واستكمالاً للصور الخيّرة التي درج عليها المسلمون في رعاية الحيوان والرفق به، وحتى نقدِّر ذلك الفضل حق قدره، يجدر التعرف على الأساليب والطرق والعادات التي كانت المجتمعات الأخرى تعامل بها الحيوانات والبهائم.

معاملة الحيوان في المجتمعات الأخرى:

إن أول ما يلفت النظر في كثير من المجتمعات الأخرى: أنك لا تجد في تشريعاتهم وقوانينهم ما يحمل على الرفق بالحيوان والإحسان إليه، وبالتالي فليس هناك من نفقة مالية أو رعاية اجتماعية واجبة.

بل كان المقرر عند الفرس قديماً أن تقطع أذن الكلب اليمنى إذا عضَّ إنساناً أو جرحه، فإن تكرر منه، قطعت بقية أعضائه أو أطرافه.

وأما قدماء اليونان، فكانوا يعقدون محاكم خاصة لمحاكمة الحيوانات المتسببة في هلاك إنسان، وكان هناك من القضاة من يحكم بإعدامها أو رجمها بالحجارة حتى الموت.

بل إن الأمر بقي كذلك عند الأوربيين حتى قبل مئتي سنة - أواخر القرن السابع عشر الميلادي - حيث كان يؤتى بالحيوانات إلى قاعات المحاكم لتسمع النطق بالحكم عليها، سواء كان الحكم قطع أذن، أو رجل، أو جدع أنف، أو كسر قرون، أو كان حكماً بإعدامها وإزهاق روحها ... كما جاء في «موسوعة غرائب العالم». على أنه لابد من القول: إن الرفق بالحيوان الذي دعا إليه الإسلام، لم يكن على حساب الإنسان.

ولم يعرف التاريخ أن المسلمين كانوا ينفقون الأموال والثروات الطائلة، ويوصون بالمبالغ المالية الخيالية الكثيرة، لتنفق على تغذية كلب وتغسيله بالشامبو الفاخر، وتسريحه وتنظيف شعره، وتنويمه على فراش وثير، في درجة حرارة مناسبة، تحفّه نفحات موسيقية خفيفة، تدغدغ مشاعره، لينام ويصحو على خير حال...؟!!

وما أكثر هذه الطرق الغريبة العجيبة، التي يُحرم معها الأبناء والأقرباء، بل الآلاف والملايين من البشر، الذين يقضون جوعاً وفقراً ومرضاً، وهم لا يجدون ثمن طعام أوعلاج أو مأوى لهم، ولأولادهم الصغار الرضع، كما هو مشاهد في عالم اليوم، ونحن على عتبات القرن الحادي والعشرين؟!!

وهكذا يتضح أن الإسلام هو الأسبق والمتميز عن غيره بما شرعه وقرره ودعا إليه في مجال الرفق بالحيوان، وذلك بطريقة معتدلة، وأسلوب واع بصير متعقِّل، وذلك قبل أن تظهر الجمعيات المعاصرة التي تحمل لواء الدعوة إلى الرفق بالحيوان، ولكنها لا تحرك ساكناً وهي ترى أعداداً كثيرة من البشر: أطفالاً وأمهات، شيوخاً ومرضى، يموتون بسبب وطأة الجوع والفقر والعلل والنكبات والحوادث الأخرى.

لقد بلغ المسلمون الذروة التي لم يصل إليها غيرهم من قبل ومن بعد، ولاشك أن ذلك يعود إلى سلامة العقيدة وصفائها وسموها وإشراقاتها الخيرة، كما يعود إلى صفة العموم والشمول التي يتصف بها الإسلام، الذي جاء ليفيض بالخير والرحمة على جميع المخلوقات التي تسبِّح بحمد باريها وخالقها، وصدق الله العظيم القائل: (فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره. ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره) الزلزلة:٧-٨.■



* مدرس في جامعة الملك سعود بالرياض

المراجع:

١ - مجموعة من كتب الحديث النبوي.

٢ - كتاب المغني لابن قدامة.

٣ - الآداب الشرعية لابن مفلح.

٤ - نهاية الرتبة في طلب الحسبة للشيزري.

٥ - البادية والنهاية لابن كثير.

٦ - موسوعة غرائب العالم لإبراهيم شرف الدين.

٧ - الرسالة الخالدة لعبدالرحمن عزام.

٨ - الموسوعة البريطانية.

٩ - إحياء علوم الدين للغزالي.

١٠ - من روائع حضارتنا للسباعي.



قضايا فكرية

بقلم : غازي التوبة

العلوم العربية : دعوة إلى منهج جديد في بحثها

درس بعض الباحثين تاريخ حضارتنا وقسّموه إلى مراحل عدة، واعتبروا العهدين المملوكي والعثماني من عهود الانحطاط، وأبرز مظاهر الانحطاط في رأيهم: جمود العقول، وقلة الإبداع العلمي، والتكرار والاجترار في الإنتاج العلمي... إلخ، ومن أبرز الذين شرحوا هذه الحال ونظروا لها اثنين هما: مالك بن نبي ومحمد عابد الجابري. الأول: في كتبه عن مشكلات الحضارة، والثاني: في كتبه عن العقل العربي.

لقد اعتبر مالك بن نبي أن عوامل التعارض الداخلية في المجتمع الإسلامي بلغت قمتها في نهاية دولة الموحدين، ولم يعد الإنسان والتراب والوقت عوامل حضارة، بل أضحت عناصر خامدة ليس بينها صلة مبدعة، وربط مالك بن نبي بين الانحطاط وبين القابلية للاستعمار، فاعتبر أن هذه القابلية للاستعمار معامل باطني يستجيب للمعامل الخارجي، وأبرز نتائج هذا المعمل الباطني: البطالة، وانحطاط الأخلاق الذي يؤدي إلى شيوع الرذيلة، وتفرق المجتمع الذي يؤدي إلى الفشل من الناحية الأدبية.

لقد طرح مالك بن نبي آراءه عن مشكلات الحضارة في الخمسينيات من هذا القرن، ثم جاء محمد عابد الجابري في الثمانينيات ليطرح دراسته عن العقل العربي في كتابين: الأول: عن تكوين العقل العربي، والثاني: عن بنية العقل العربي، فماذا جاء فيهما مما له علاقة بموضوع مقالنا وهو انحطاط الأمة وجمودها العقلي والعلمي؟

لقد اعتبر الجابري أن أهم عامل أسهم في تكوين العقل العربي هو عصر التدوين، لأنه الإطار المرجعي الذي يشد إليه جميع فروع الثقافة وينظّم مختلف تموجاتها اللاحقة إلى يومنا هذا، فصورة العصر الجاهلي وصورة صدر الإسلام والقسم الأعظم من العصر الأموي إنما نسجتها خيوط منبثقة من عصر التدوين، وقد استند الجابري في تقرير ذلك إلى نص للذهبي يقول فيه: «في سنة ثلاث وأربعين ومئة للهجرة شرع علماء الإسلام في هذا العصر في تدوين الحديث والفقه والتفسير، فصنّف ابن جريج بمكة، ومالك للموطأ بالمدينة، والأوزاعي بالشام، وابن أبي عروبة وحماد بن سلمة وغيرهما بالبصرة، ومعمر باليمن، وسفيان الثوري بالكوفة، وصنف ابن إسحاق في المغازي، وصنف أبو حنيفة رحمه الله الفقه والرأي. ثم بعد يسير صنف هشيم والليث وابن لهيعة ثم ابن المبارك وأبو يوسف وابن وهب. وكثر تدوين العلم وتبويبه، ودونت كتب العربية واللغة والتاريخ وأيام الناس. وقبل هذا العصر كان الناس يتكلمون من حفظهم أو يروون العلم من صحف صحيحة غير مرتّبة». (تاريخ الخلفاء، جلال الدين السيوطي، ص٤١٦).

ثم درس الجابري الأنظمة المعرفية التي شكلت بُنية العقل العربي، وأشار إلى أن أزمته التي نتجت من تصادم وتداخل الأنظمة المعرفية الثلاثية وهي: البيان والعرفان والبرهان، وكان أبو حامد الغزالي الذي تشخّص في تجربته الروحية وإنتاجه الفكري هذا التصادم والتداخل.

ثم أشار الجابري إلى لحظتين متمايزتين في العقل العربي، الأولى: تمتد من بدايات عصر التدوين إلى لحظة الغزالي حيث كان العقل العربي فيها فاعلاً منتجاً.

الثانية: ما بعد لحظة الغزالي ابتدأ ما أسماه بالتداخل التلفيقي بين

النظم المعرفية الثلاثة وأصبح العقل العربي فيها جامداً.

لكن الدكتور جورج صليبا توصل في كتاب جديد له تحت عنوان «الفكر العلمي العربي: نشأته وتطوره» إلى نتائج مخالفة لما توصل إليه الكاتبان السابقان، لأنه اتبع منهجية جديدة في دراسة العلوم العربية، وتقوم هذه المنهجية على رصد التطورات العلمية للعلوم العربية وعلى عدم الانطلاق من نظريات مسبقة، وطبق ذلك على علم الفلك فتوصل إلى أن العصر الذهبي لعلم الفلك العربي هو العصر الذي يطلقون عليه عصر الانحطاط بالنسبة للعلوم العربية بشكل عام، ويشير في هذا الصدد إلى نظريات ابتدعها نصير الدين الطوسي في كتابيه «تحرير المجسطي» الذي ألفه العام ١٢٤٧م، و«التذكرة في الهيئة» الذي ألّفه بعد الكتاب السابق بنحو ثلاث عشرة سنة، وقد أفرد الطوسي فصلاً كاملاً للرد على علم الفلك اليوناني ولإقامة هيئته البديلة، وفي أثناء هذا العرض يستخدم الطوسي مرة ثانية النظرية الجديدة التي كان قد اقترحها بشكل مبدئي في كتاب «تحرير المجسطي»، وإذا بهذه النظرية تظهر هي الأخرى بعد نحو ثلاثة قرون في أعمال كوبرنيك بالذات وبالشكل الذي ظهرت فيه في «تذكرة» الطوسي.



وقد درس المستشرق «كارادي فو» هذا الفصل بالذات من «تذكرة» الطوسي في أواخر القرن التاسع عشر، وكان قد عثر فعلاً على نظرية الطوسي الجديدة، لكنه لم يستطع أن يضعها في إطارها الصحيح لأنه كان يعمل ضمن العقلية التي لا تتوقع أن تجد أعمالاً إبداعية في هذه المرحلة المتأخرة التي وسمت بعصر الانحطاط.

ولم يتوقف الأمر عند الطوسي وحده، بل شمل الإبداع في علم الفلك عشرات من الآخرين في القرون التالية وكان من أبرزهم شمس الدين الخفري الذي كان معاصراً لكوبرنيك والذي كان يتحلى بمقدرة رياضية وبدراية في دور الرياضيات في صياغة العلوم، ندر أن يوجد مثلها في أعمال الذين أتوا قبل القرن السابع عشر الذي تم فيه فعلاً تكوين العلم الحديث.

وأشار الدكتور صليبا إلى خطأ وقع فيه مستشرق آخر هو فرانسوا نو في قراءته أواخر القرن الماضي لكتاب «سلم الإدراك» السرياني لابن العبري من القرن الثالث عشر الميلادي عندما لم يستطع أن يفهم عمق الانتقادات الموجهة لعلم الفلك اليوناني التي كانت تتم في مدينة مراغة وفي غيرها من المدن الإسلامية، لأنه لم يكن يتوقع أي جديد أيضاً في هذه الحقبة المتأخرة التي كانت موسومة بالانحطاط والجمود العقلي.

وبناء على هذه الإشارات التي توافرت لدى الدكتور جورج صليبا دعا إلى إعادة النظر في تقسيم تاريخ حضارتنا إلى فترات: عصر نشأة، وعصر ترجمة، وعصر إبداع فكري، ثم عصر جمود وانحطاط، لأن هذا التقسيم منسوب إلى المستشرقين الذين يعتمدون مركزية الحضارة الغربية من جهة، ولأنه يناقض التطورات الحقيقية للعلوم العربية التي عرفت ازدهاراً في العصر الذي يسمونه عصر الانحطاط من جهة ثانية.

ولقد تحدث الدكتور صليبا في كتابه المذكور آنفاً عن قضية أخرى هي قضية نشوء العلوم العربية، وفنّد في البداية بعض النظريات التي عللت نشوء العلوم العربية وقد جمعها في نظريتين هما: «نظرية الاحتكاك» و«نظرية الجيوب»، أما «نظرية الاحتكاك» فهي التي تعتبر أن نقل العلوم من الحضارات الأخرى إلى الحضارة العربية جاء نتيجة الاحتكاك بها، فرد على ذلك، وقدم أدلة عدة على عدم صحة تلك النظرية، وبيَّن أن مجرد الاحتكاك لا يكفي وحده لإنتاج أعمال علمية في غاية الصعوبة ما لم يكن هناك تكامل فكري، ودلل على عدم جدوى نظرية الاحتكاك بما نشاهده في عصرنا من احتكاك بين العالم الثالث والعالم الأول دون أن نرى أي قفزة نوعية في المجال العلمي.

أما «نظرية الجيوب» فهي النظرية التي تقول: إن مدناً رئيسة مثل: حرّان وجند يسابور شكلت جيوباً حضارية وبوساطتها انتقلت العلوم من الحضارة الهلينية إلى الحضارة العربية، فنقدها الدكتور صليبا، وفصَّل في ذلك، وبيَّن أنه يكفي للتدليل على عدم صحتها أننا لا نستطيع أن نتحقق بوساطتها من كيفية انتقال هذه العلوم من الحضارة الهلينية إلى الحضارة العربية.

واعتبر الدكتور صليبا بعد تفنيده للنظريتين السابقتين أن الداعي إلى نشأة العلوم العربية هو ترجمة ديوان «وجوه الأموال» وهو الأمر الذي حدث في عهد عبدالملك ابن مروان، وهو غير «ديوان الجيش» الذي كان قد رسمه عمر بن الخطاب ﷺ بالعربية في أثناء حياته، وقد اقتضت ترجمة ديوان «وجوه الأموال» من الفارسية في الكوفة ومن الرومية في الشام إلى معرفة علوم عدة منها: المساحة، والفلك، والحساب، والجبر، لارتباط ذلك بمسح العقارات، ومعرفة توقيت دفع الخراج، والدقة في توزيع الإرث... إلخ، وانتهى الدكتور صليبا من عرضه السابق إلى أن هناك عوامل اجتماعية واقتصادية وسياسية وراء نشأة العلوم العربية وليس نظريتي «الاحتكاك» و«الجيوب».

إن هذه النتائج الجديدة توصل لها الدكتور صليبا سواء في مجال تاريخ العلوم العربية أو في تعليل نشأتها جعلته يدعو إلى اعتماد هذه المنهجية الجديدة في التعامل مع العلوم العربية، والآن يبرز التساؤل المشروع التالي: هل كانت الأحكام التي توصل لها الدكتور صليبا والتي جاءت مخالفة في بعض وجوهها لما توصل إليه الباحثان: مالك ابن نبي ومحمد عابد الجابري وغيرهما ناتجة عن اختلاف في مناهج البحث؟ أم جاءت نتيجة قصور في التحرير الموضوعي والاستقصاء العلمي عند السابقين؟ وهل ستلقى دعوة الدكتور صليبا إلى اعتماد المنهجية الجديدة آذاناً صاغية لدى الباحثين العرب؟ هذا ما ستترك الأيام المقبلة تجيب عليه. ■

بقلم: د. خالد سعد النجار

إن آيات القدرة الإلهية المتعددة من حولنا وفي أنفسنا تشهد للخالق بالقدرة والعظمة والتفرد ولقد أثنى الله تعالى في كتابه الكريم على عباده الذين يتفكرون فيما حولهم من معالم هذا الكون فتتكشف لهم من مظاهر الروعة وعجائب الصنعة ما يحملهم على الإيمان الراسخ. قال تعالى: (إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب. الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانك فقنا عذاب النار) آل عمران: ١٩٠-١٩١.

قال الحسن البصري: تفكر ساعة خير من قيام ليلة، وكان لقمان الحكيم يطيل الجلوس وحده فكان يمر به مولاه فيقول يالقمان إنك تديم الجلوس وحدك فلو جلست مع الناس كان آنس لك فيقول لقمان: «إن طول الوحدة أفهم للفكر وطول الفكر دليل على طريق الجنة». وقال: «بشر لو تفكر الناس في عظمة الله ما عصوا الله عز وجل».

يقول الإمام الغزالي: «وأما ثمرة الفكر فهي العلوم والأحوال والأعمال ولكن ثمرته الخاصة العلم لا غير. نعم إذا حصل العلم في القلب تغيّر حال القلب وإذا تغيّر حال القلب تغيّرت أعمال الجوارح فالعمل تابع الحال والحال تابع العلم والعلم تابع الفكر فالفكر إذاً هو المبدأ والمفتاح للخيرات كلها لذلك قيل تفكر ساعة خير من عبادة سنة فقيل هو الذي ينقل من المكاره إلى المحاب ومن الرغبة والحرص إلى الزهد والقناعة وقيل هو الذي يحدث مشاهدة وتقوى ولذلك

قال تعالى: (لعلهم يتقون أو يحدث لهم ذكراً).

ومن عجائب القدرة الإلهية نشأة الحياة من شيء ميت لا حركة فيه ولا نبض. إن النخلة الباسقة لتثير الدهشة في النفس البشرية حين نتأمل كيفية خروجها من تلك النواة الصلبة وكذلك خروج «الكتكوت» الصغير من تلك البيضة التي تحتوي على سوائل لزجة وصدق العلي القدير إذ يقول: (إن الله فالق الحب والنوى يُخرج الحيَّ من الميت ويُخرج الميت من الحي ذلكم الله فأنى تؤفكون) الأنعام: ٩٥.

من دلائل القدرة

البيضة



يقول سيد قطب - رحمه الله: «إنها المعجزة التي لا يدري سرها أحد فضلاً على أن يملك صنعها أحد معجزة الحياة نشأة وحركة وفي كل لحظة تنفلق الحبة الساكنة عن نبتة نامية وتنفلق النواة الهامدة عن شجرة صاعدة والحياة الكامنة في الحبة والنواة النامية في النبتة والشجرة سر مكنون لا يعلم حقيقته إلا الله ولا يعلم مصدره إلا الله وتقف البشرية بعد كل ما رأت من ظواهر الحياة وأشكالها وبعد كل ما درست من خصائصها وأطوارها تقف أمام السر المغيب كما وقف الإنسان الأول، تدرك الوظيفة والمظهر وتجهل المصدر والجوهر والحياة ماضية في طريقها والمعجزة تقع في كل لحظة.

لقد عجزت كل محاولة لتفسير ظاهرة الحياة على غير أساس أنها من خلق الله ومنذ أن شرَّد الناس من الكنيسة في أوروبا (كأنهم حمر مستنفرة. فرت من قسورة)(المدثر: ٥٠-٥١) وهم يحاولون تفسير نشأة الكون وتفسير نشأة الحياة دون الاعتراف بوجود الله ولكن هذه المحاولات فشلت جميعاً ولم تبق منها في القرن العشرين إلا مماحكات تدل على العناد ولا تدل على الإخلاص وأقوال بعض علمائهم الذين عجزوا عن تفسير وجود الحياة إلا بالاعتراف بالله تصور حقيقة موقف علمهم نفسه نفسه من هذه القضية.

ومع هذه الأسطر القليلة نعيش إحدى دلائل هذه القدرة الإلهية مع البيضة ومع قدرة الخالق في تركيبها وتكوينها وفقسها شاهد على الخالق البارئ المصور بالوحدانية والقدرة فسبحانه الذي لا إله إلا هو العليم القدير.

تركيب البيضة

للبيضة التي يضعها الطائر شكل يعرف بالشكل البيضاوي وهي في مجملها تتكون من قشرة صلبة خارجية وزلال ونواة صفراء اللون تعرف بالمح أو صفار البيضة ولكن التأمل في التركيب والتكوين الدقيق للبيضة نجد أنها تتكون من أجزاء عدة:

١ ـ قرص الإنبات Germinal Disc

هو قرص صغير من السيتوبلازم «سائل الخلية» يحتوي على النواة وهذا القرص هو بداية الجنين منه يبدأ النمو عند بداية رقاد أنثى الطائر على البيضة في فترة التفريخ.

٢ ـ المح :Yolk

هو النواة الكبيرة الحجم ذات اللون الأصفر التي ترى بالعين المجردة عند كسر البيضة ويتكون من سائل لزج يحتوي على ٥٠٪ من المواد الصلبة أهمها البروتين الذي يمثل ٩٩٪ من هذه المواد وينقسم المح إلى قسمين: المح الأبيض والمح الأصفر:

ـ المح الأبيض White Yolk: وثلثا هذا المح من البروتين، والثلث الأخير من الدهون وهو يتكون من مركز اللاتيبرا Center of Latebra، ثم عنق اللاتيبرا Nick of Latebra ثم قرص اللاتيبرا Disk of Latebra.

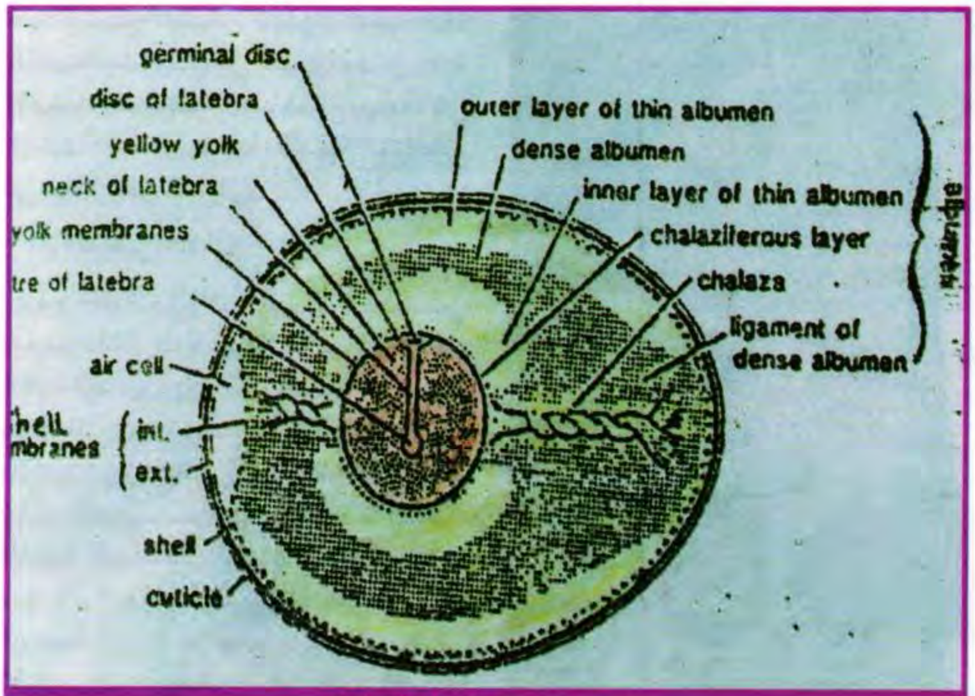
ـ المح الأصفر Yollow Yolk: وثلثا هذا المح من الدهون والثلث الأخير من البروتين وهو يكون معظم أجزاء المح.

٣ ـ أغشية المح :Yolk Membranes

وهي أغشية تغطي المح وتكون الجدار الخارجي له حيث تفصل بينه وبين زلال البيضة المحيط به من جميع الجوانب.

٤ ـ الزلال :Alburnin

وهو سائل أقل لزوجة من المح والزلال في البيضة الواحدة نوعان من حيث القوام زلال غليظ «كثيف» Dense Alburnin وزلال رقيق Thin Alburnin والجزء الغليظ من الزلال يحتوي على كمية كبيرة من مادة الأوفوميوسين Ovomucin وبعض ألياف الميوسين Musin Fiber، أما الجزء الرقيق فهو أقل لزوجة حيث إنه يماثل الماء في درجة لزوجته إلى حد كبير ويحتوي على كمية قليلة



رسم توضيحي لأجزاء البيضة

من مادة الأفوميوسين والزلال في البيضة يتركب من الطبقات الآتية:

طبقة الكلازا Chalaziferous: وهي طبقة رقيقة من الزلال السميك تحيط بغشاء المح.

والكلازا Chalazae: عبارة عن خيطين حلزونين من ألياف الأوفوميوسين يتصل أحد طرفيهما بطبقة الكلازا والطرف الآخر يتصل بالطبقة الوسطى من الزلال الغليظ.

ـ طبقة داخلية من الزلال الرقيق.

ـ طبقة وسطى من الزلال الغليظ «الكثيف».

ـ طبقة خارجية من الزلال الرقيق.

٥ ـ القشرة: Shell

وتتكون من جزءين:

ـ أغشية القشرة Shell Membranes: وهما غشاءان أحدهما داخلي والآخر خارجي ويتكون كل منهما من طبقات عدة من الألياف وعند الجزء المفلطح من البيضة ينفصلان عن بعضهما بعضاً بفقاعة من الهواء تسمى الخلية الهوائية Air Cell ومن الملاحظ أن الخلية الهوائية لا توجد في البيضة في أثناء وجودها داخل الطائر وبعد عملية وضع البيضة يدخل كمية من الهواء عن طريق ثقوب القشرة بفعل انخفاض ضغط الهواء داخل البيضة مكوناً هذه الخلية الهوائية التي تلعب دوراً مهماً في تنفس «الكتكوت» في أثناء فترة نموه داخل البيضة.

ـ الجزء الصلب من القشرة: ويتكون من كمية كبيرة من كربونات الكالسيوم وفي أغلب أنواع الطيور توجد آلاف من الثقوب في القشرة الخارجية للبيضة وفي بيضة الدجاج خاصة تكثر هذه الثقوب عند الجانب المفلطح من البيضة بجوار خلية الهواء الداخلية، وتغطي هذه القشرة من الخارج طبقة رقيقة من مادة عضوية تسمى Cuticle ولها دور في حماية البيضة من فقد كمية كبيرة من السوائل الداخلية كما أنها غشاء واقٍ من هجوم الميكروبات المختلفة.

ولكي نتعرف على ملامح القدرة الإلهية في مراحل تكوين البيضة لابد وأن نطل إطلالة سريعة على تركيب الجهاز التناسلي للطائر، المسؤول الأول عن إنتاج البيضة.

ففي الطيور ينحصر الجهاز التناسلي لأنثى الطائر في المبيض الأيسر وتوابعه من الأعضاء التناسلية وجدير بالذكر أنه في أثناء تخليق الكتكوت داخل البيضة يتخلق الجهاز التناسلي كاملاً حيث يظهر مبيض أيمن وآخر أيسر ولكل منهما توابعه من الأعضاء التناسلية ولكن في فترة نضوج الطائر يضمر المبيض الأيمن وتوابعه وينضج المبيض الأيسر وتوابعه ليقوم بوظائفه طوال فترة إنتاج البيض في الطائر، وتشذ هذه القاعدة في بعض أنواع قليلة من الطيور

حيث ينضج المبيض الأيمن والأيسر معاً ولكنهما يشتركان في تابع واحد من بقية الأعضاء التناسلية حيث تجمع بينهما في الوظيفة. أما عن أعضاء الجهاز التناسلي في الطائر فهي كما يلي:

١ ـ المبيض Ovary:

وهو أهم عضو في الجهاز التناسلي ويوجد داخل التجويف البطني في أسفل الكلية اليسرى، وفي أثناء النضوج الجنسي في الطائر «فترة وضع البيض» يزداد حجم المبيض نسبياً ويظهر وكأنه عنقود من العنب عليه العديد من البويضات Follicles المختلفة الحجم ذات لون أصفر مميز وتظهر منها ٤ ـ ٥ بويضات كبيرة الحجم يصل قطر الواحدة إلى ٤٠ مم بينما توجد البويضات الأخرى في أحجام أصغر متباينة يرى بعضها بالعين المجردة على سطح المبيض والآخر مدفون داخله، وهذه البويضات هي التي تكون المح في البيضة بعد انفصالها عن جسم المبيض وفي فترة الراحة والتوقف عن إنتاج البيض في أنثى الطائر يتقلص حجم المبيض ويظهر وكأنه خالٍ من البويضات وإن وجد القليل منها يكون حجمه صغيراً جداً ذا لون رمادي فاتح.

٢ ـ القمع Infundubulum:

ويتكون من جزءين الأول يشبه فوهة القمع يتصل به جزء أنبوبي الشكل هو عنق القمع الذي يصل القمع بالجزء التالي له وهو الأعظم.

٣ ـ الأعظم Magnum:

وهو أطول جزء في الجهاز التناسلي ويتكون من أنبوبة سميكة الجدار، كثيرة الالتفاف ويرجع السبب في سمك جدار الأعظم إلى وجود الكثير من الغدد المدفونة داخل الجدار والتي تقوم بإفراز زلال البيضة Albumin الذي يحيط بمح البيضة وتُكسب إفرازات هذه الغدد منطقة الأعظم لوناً أبيض مميزاً.

٤ ـ العنق Isthmus:

أنبوبة قصيرة جداً ضيقة القطر تصل بين الأعظم والرحم ويحتوي جدارها على غدد تفرز البروتينات الغنية بعنصر الكبريت Sulpher Containing proteins.



مراحل تكوين جنين الكتكوت داخل البيضة

٥ ـ الرحم Uterus:

أنبوبة لها قطر الأعظم نفسه وبالرحم تتكون قشرة البيضة الخارجية الغنية بعنصر كربونات الكالسيوم Calcium Carbonate.

٦ ـ المهبل Vagina:

ويحتوي جداره على عضلات قوية تجعله أكثر الأجزاء سمكاً في القناة التناسلية وبالمهبل يوجد نتوء Spermatic Fossa يخزن فيه السائل المنوي للذكر ما يجعل قدرة أنثى الطائر على تلقيح البويضات بهذه الحيوانات المنوية مستمرة لمدة أسابيع دون الحاجة إلى التلقيح الخارجي من الذكر مرة أخرى.

رحلة البيضة في التكوين داخل الجهاز التناسلي لأنثى الطيور

تنبعث البويضة بعد نضوجها من المبيض وتسمى في ذلك الحين بالمح Yolk حيث يلتقطها القمع وهو أول طريق الجهاز التناسلي فتظل في منطقة القمع نحو ٢٠ دقيقة ولو تصادف في هذه المدة وجود حيوان منوي تتم عملية التلقيح في منطقة القمع تلك، ثم تسافر البيضة الملقحة بعد ذلك إلى منطقة الأعظم حيث تظل هناك نحو ثلاث ساعات وفي هذه المدة تقوم الغدد المبطنة لجدار الأعظم بإفراز زلال البيضة Egg Albumin الذي يحيط بالمح وهذا الزلال يشمل طبقات وأجزاء كثيرة سبق ذكرها عند الحديث عن تكوين البيضة.

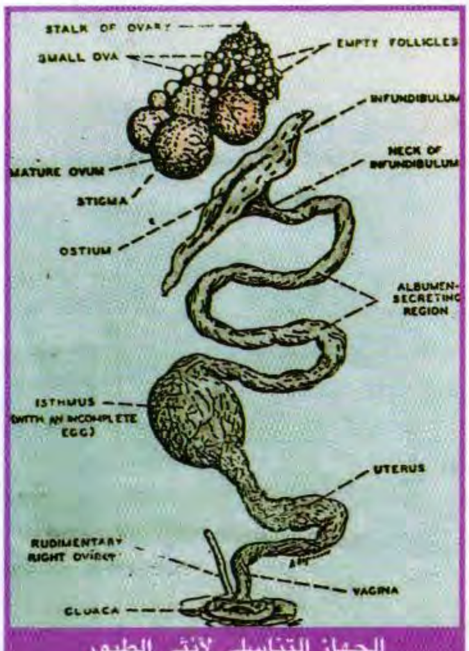
بعد انتهاء عملية تكوين الزلال تسافر البيضة إلى منطقة العنق حيث تستقر هناك نحو ساعة واحدة وفي هذه المدة يتم تكوين الأغشية المحيطة بالبيضة وهما غشاءان داخلي وخارجي: Internal & External Shell Membranes يلعبان دوراً مهماً في حماية البيضة من عوامل التلوث الخارجية وفي منطقة العنق أيضاً يُضاف إلى تكوين البيضة كمية من الماء والأملاح، ثم تسافر البيضة إلى منطقة الرحم حيث تستقر هناك نحو ١٩ ساعة وخلال المرحلة الأولى من هذه المدة تقوم غدد القشرة بإفراز كمية من الماء والأملاح التي تنفذ خلال الأغشية التي تغطي البيضة إلى داخل الزلال Alburnin ما يؤدي إلى تضخم حجم البيضة ثم بعد هذه المرحلة يتم إفراز مادة كربونات الكالسيوم التي تغطي أغشية البيضة من الخارج مؤدية إلى تكوين القشرة الخارجية الصلبة. وإذا كانت بيضة الطائر من النوع الملون لوناً خاصاً فإنه يتم إضافة الصبغيات الخاصة بالقشرة في هذه الفترة أيضاً. وبعد اكتمال القشرة الخارجية للبيضة ووصول البيضة إلى الشكل والتكوين النهائي يتم تحركها إلى منطقة المهبل حيث تظل فيه فترة قصيرة جداً ثم تنطلق خارج الجسم في عملية وضع البيض.

وفي حالة الدجاج تحتاج الأنثى إلى ٢٤ ساعة لإتمام تكوين البيضة الواحدة وفي خلال ٣٠ دقيقة من وضع البيضة يتم انبعاث بويضة أخرى من مبيض الدجاجة لتمر بعملية تكوين بيضة جديدة.

عملية التفريخ في البيضة وتكوين «الكتكوت»

في الحيوانات الثديية يتم تكوين الجنين داخل رحم الأنثى في مدة الحمل حيث يبدأ تكوين الجنين بالتقاء الحيوان المنوي المخلّق من خصية الذكر بالبويضة المخلّقة من مبيض الأنثى وهذه البويضة تكون صغيرة جداً لا ترى بالعين المجردة، ويتكون الجنين داخل الرحم الذي يستمد غذاءه وتنفسه من الدورة الدموية للأم عن طريق ما يعرف بالمشيمة Placenta إلا ن الأمر يختلف في الطيور، حيث إن تكوين الجنين يكون داخل البيضة بعيداً عن رحم أنثى الطائر، وهو ما يعرف بعملية التفريخ، وفي هذه الحالة تكون البويضة المخلقّة من مبيض أنثى الطائر كبيرة الحجم جداً إذا ما قورنت بالبويضة في الحيوانات الثديية، وهذه البويضة تعرف داخل بيضة الطائر بالمح Yolk كما ذكرنا، ويرجع كبر حجم المح إلى تراكم كمية كبيرة من المواد الغذائية داخله قبل انفصاله عن مبيض الأنثى وخروجه منها داخل بيضة كاملة النمو، وهذه المواد الغذائية الموجودة بالمح لا تتخلق داخل مبيض الدجاجة، ولكنها





الجهاز التناسلي لأنثى الطيور

تتخلق في الكبد ثم تنتقل عن طريق الدورة الدموية إلى البويضة في المبيض وتملأ منطقة السيتوبلازم Cytoplasm في هذه البويضة ما يؤدي إلى تضخم حجمها فتصل نحو ٥٥مم في بيضة الدجاجة وتعتبر تلك المواد الغذائية هي مصدرالغذاء اللازم لنمو الجنين داخل البيضة في عملية التفريخ، حيث تفتقر البيضة إلى مشيمة تربطها بالدورة الدموية للأم وتحمل إليها الغذاء اللازم لنمو الجنين كما في الحيوانات الثديية.

ولنأخذ عملية التفريخ في الدجاجة على سبيل المثال فنرى خطوات تكوين «الكتكوت» داخل البيضة، فعندما ترقد الدجاجة على البيضة المخصبة تمر بمراحل خلال ٢١ يوماً يمكن تلخيصها كما يلي:

في اليوم الأول: تظهر أولى علامات نمو الجنين في الساعات الأولى وبعد ذلك تظهر بدايات القناة الهضمية والعمود الفقري ثم يعقب ذلك تكون بدايات الجهاز العصبي ثم الرأس ثم يظهر تجمع دموي يعقبه تكوين العين.

في اليوم الثاني: يستكمل نمو الرأس ويبدأ نمو القلب وفي نهاية اليوم يبدأ القلب في الخفقان.

في اليوم الثالث: يبدأ ظهور الأرجل والأجنحة وتظهر السوائل حول الجنين.

في اليوم الرابع: يبدأ تكوين اللسان.

في اليوم الخامس: يبدأ تكوين الأعضاء التناسلية ويتميز الجنين ذكراً أم أنثى.

في اليوم السادس: يبدأ تكوين المنقار.

في اليوم الثامن: يبدأ تكوين الريش على سطح الجنين الخارجي.

في اليوم العاشر: يبدأ المنقار في التصلب.

في اليوم الثالث عشر: يبدأ تكوين المخالب.

في اليوم الرابع عشر: يبدأ الجنين في تحويل رأسه تجاه الجانب المفلطح من البيضة حيث توجد الخلية الهوائية.

في اليوم السادس عشر: تصبح المخالب والمنقار أشد صلابة.

في اليوم السابع عشر: يبدأ اتجاه المنقار إلى جهة الخلية الهوائية داخل البيضة.

في اليوم الثامن عشر: يتجه المح في الدخول إلى التجويف البطني «للكتكوت» ويملأ «الكتكوت» المتكون كل مساحة البيضة ما عدا الخلية الهوائية.

في اليوم الواحد والعشرون: تبدأ عملية الفقس.

وكما تختلف مدة الحمل في الحيوانات تختلف مدة التفريخ للبيضة من طائر إلى طائر حيث إنها في الدواجن ٢١ يوماً وفي الرومي ٢٨ يوماً والبط المسكوفي من ٣٣ - ٣٥ يوماً وفي الإوز ٢٩ - ٣١ وفي الحمام من ١٦ - ١٨ والسمان ٢٣ يوماً. إن المعايشة مع عالم البيضة أشبه بكتاب مفتوح نطالع فيه من آيات القدرة الإلهية ما يجعل النفس تزداد إيماناً بالله الواحد القادر وتستنكر كل دعوات الإلحاد والإباحية التي تصطدم مع الإيمان الصادق ولا تجد النفس إجابة إزاء كل هذا الركام العلمي إلا أن تردد قول الله تعالى: (هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه) لقمان: ١١. ■

المصادر:

- إحياء علوم الدين الغزالي
- في ظلال القرآن سيد قطب
- Veterinary Anatomy.
- Animale Production p. D Khatry
- Developmental anatomy Ali A. mansor

إعجاز قرآني

بقلم : د. زين العابدين متولي

أخطار الصعود إلى السماء



على الرغم من أن القرآن الكريم كتاب هداية بالدرجة الأولى، يبشر المؤمنين وينذر الكافرين. إلا أنه مع ذلك حوى عدداً من الأدلة العلمية والمعجزات الكونية وليس معنى ذلك أن القرآن الكريم اشتمل على جميع العلوم جملة وتفصيلاً بالأسلوب التعليمي المعروف وإنما أتى بأصول عامة لكل ما يهم الإنسان معرفته به ليبلغ درجة النضج جسداً وروحاً وترك الباب مفتوحاً لأهل الذكر من المشتغلين بالعلوم المختلفة ليبينوا للناس جزئياتها بقدر ما أتوا منها في الزمان الذي هم عاشوا فيه.

والرأي المعتدل هو عدم استخدام الآيات الكريمة لتفسير الظواهر العلمية أو العكس، ولكن إن اتفق ظاهر الآية مع حقيقة علمية ثابتة فهنا يمكن تفسير الحقيقة العلمية باستخدام الآية القرآنية الدالة على ذلك.

وفي هذا المقال سأتناول تفسير آية تحوي معلومات علمية توافق تمام الموافقة معطيات المعارف العصرية التي توصلنا إليها في خلال النصف الأخير من القرن العشرين. والآية القرآنية هي:

(فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضلَّه يجعل صدره ضيقاً حرجاً كأنما يصعّد في السماء). الأنعام:١٢٥

وسأركز على الصعود في السماء فقط، فإذا ما قُدِّر لإنسان ما أن يصعّد في السماء مبتعداً عن سطح الأرض لارتفاع أربع كيلومترات فقط فإنه سيلاحظ تخلخل الهواء، أي قلة تركيز جزئياته وبالطبع تخلخل الهواء له تأثيره الضار على الإنسان والحيوان، ففي مثل هذه الارتفاعات يتنفس الإنسان بصعوبة وتقل مع ذلك قدرته العقلية على التفكير. أما إذا لبس الصاعد كمامة على أنفه وفمه متصلة بأنبوبة مملوءة بغاز الأكسجين فوق ظهره ليتنفس منها فيمكن له أن يتحمل هذه الصعوبة والمشقة حتى ولو وصل إلى ارتفاع ست كيلو مترات، وإذا ما استمر في الصعود فوق هذا الارتفاع، فإن الأكسجين الذي يحمله فوق ظهره ويتنفس منه بوساطة الكمامة يصبح غير كافٍ للتنفس حتى ولو كان أكسجيناً خالصاً، ويكون بذلك صدره ضيقاً حرجاً كما ذُكر في الآية الكريمة وأن الإعجاز العلمي الموجود في هذه الآية يدل دلالة واضحة على أن القرآن كتاب أوحى الله تعالى به إلى محمد صلى الله عليه وسلم.

وتبيِّن الآية الكريمة الإعجاز العلمي في صعود الإنسان في السماء أو الفضاء الخارجي، ويقدر ما سيحدث له وبأي سرعة يحدث الموت والفناء إذا استمر في حمقه في الصعود، دون تكييف ضغط مركبة الفضاء التي يركبها، وسنذكر هنا نتيجة التجارب التي أجراها العلماء على الحيوانات وأحياناً على المتطوعين الآدميين في قاعات يمكن تفريغها من الهواء ومن ذلك تمكنوا من وضع جدول للعلاقة بين الارتفاع والزمن الذي سيندثر الإنسان عنده في الفضاء... حقيقة هذا الجدول مخيفة للغاية وآثارها سيئة جداً كما سترى في هذه السطور القليلة اللاحقة.

إذا استطاع الإنسان أن يصعَّد في الفضاء دون أن يلقى حتفه حتى ارتفاع ١٤ كيلو متراً تقريباً فإنه سيصاب بما يسميه الأطباء بـ«التنبيه المفيد» لمدة ثلاثين ثانية ثم بعد ذلك يفقد الوعي وإذا استمر في الصعود لفترة أطول فإنه سيؤدي إلى وفاته، ولذا يجب عليه أن يتوجه إلى أسفل أملاً في الوصول إلى طبقة هوائية ذات ضغط مرتفع قبل وفاته.

حقيقة هذه المعلومات تلخصها الآية في: (يجعل صدره ضيقاً حرجاً

كأنما يصعَّد في السماء)، وأن هذه المعلومات لا يمكن للرجل العادي الأمي مثل سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام إدراك معناها إلا إذا توافرت له المعارف العلمية الضرورية لذلك، ولقد أشرنا إلى هذه المعارف العلمية وقلنا إننا لم نتوصل إليها إلا في النصف الأخير من القرن العشرين.

وماذا يحدث لو استمر الإنسان في حمقه حتى يصل إلى ارتفاع ١٧ كيلو متراً تقريباً، فإن فترة التنبيه المفيد تقل إلى ١٥ ثانية وبعد ذلك يفقد وعيه لافتقار مخه الحساس إلى الأكسجين، وعند هذا الارتفاع يكون الضغط الجوي منخفضاً للغاية ويكون التنفس صعباً وحرجاً للغاية حتى لو تنفس الإنسان أكسجيناً خالصاً وبأقصى ما يستطيع، فإنه لن يتمكن من التخلص من هواء الزفير أو من ثاني أكسيد الكربون المتراكم في رئتيه ولن تمضي ثوان أخرى حتى يكون قد مات.

وعلى ارتفاع ٢٠ كيلو متراً تقريباً فإنه بذلك يقرب من الموت بخطوات أسرع وبصوره أشنع مما سبق، فإن الضغط عند هذا الارتفاع يكون من الانخفاض بحيث إن الماء يغلي في درجة حرارة دم الإنسان ومن ثم فإن دم الإنسان عند هذا الضغط يتحول في لحظة واحدة إلى رغوة كثيفة حمراء وينتفخ جسمه ويكاد الموت يحدث فوراً.

في حال صعود الإنسان، إلى أعلى بهذه الطريقة، فإن الماء الموجود في أنسجة جسمه يتمدد ويتحول إلى بخار وهذا يؤدي إلى تمزيق أنسجة جسم الإنسان.

وزوال الضغط معناه الموت المباشر، ومن ثمَّ يجب على الإنسان أن يبحث عن طريقة ما للتخلص من ثاني أكسيد الكربون وبخار الماء اللذين يخرجهما الجسم ويجعل عملية التنفس ضيقة وحرجة.

وللخروج من هذا المأزق الحرج قام العلماء بعمل لباس ضيق «شديد الضيق»، بحيث يمنع الماء الذي في أنسجة جسم الإنسان من التحول إلى بخار عندما يخف الضغط، هذا اللباس مصنوع من قماش قوي أخضر اللون كما يغطى رأس الإنسان في خوذة صلبة محكمة موضوعة داخل اللباس. وتوجد على طول الأطراف أكياس مطاطية تصلها أنابيب مرنة متصلة بأسطوانة مملوءة بالأكسجين ذات ضغط عالٍ.

فعندما يقل الضغط مع الصعود في السماء ينتفخ الصمام تلقائياً ويسمح للأكسجين بالتدفق إلى الخوذة والأكياس المطاطية ما يؤدي تمددها إلى ضغط اللباس على الجسم كله بحيث إن دم الإنسان الحار لا يتحول فجأة إلى رغوة مميتة، ولكن لفترة مؤقتة لا تزيد مدتها عن عشر دقائق على وجه التقريب، وفي خلال هذه الفترة يجب على الإنسان أن يتجه إلى أسفل لزيادة الضغط حتى يستطيع التنفس براحة وبذلك يتفادى تعرضه للموت.

ليست الحرارة هي العدو الوحيد الذي يأتي من الشمس، فإن إشعاع الشمس القوي الذي يتدفق في الفضاء يحتوي على أنواع من الأشعة فوق البنفسجية لا تصل إلى الأرض أبداً، لأن الجو يحجزها تماماً وبخاصة على ارتفاعات أكثر من ٢٠ كيلو متراً، فإذا صعد الإنسان إلى هذه الارتفاعات فإنه سوف يُحرق تماماً ويتفحم من هذه الأشعة حيث إن هذه الأشعة مميتة للخلايا الحية.

ومن ثم فإن الإنسان عندما يرتفع في الغلاف الجوي لابد له من أن يقي أنسجته من الأشعة فوق البنفسجية الحارقة القاتلة ووقاية الإنسان لنفسه من الأشعة فوق البنفسجية ليس بالأمر العسير، إذ كل مادة تقريباً تستطيع حجز هذه الأشعة، ولكنها لا تقف من دون مقاومة، بل إنها تُتلف بسرعة كثيراً من المواد التي تستخدم في وقاية الإنسان منها مثل الطلاء ومعظم المنسوجات واللدائن المرنة ولذلك فهي لا يمكن أن تستخدم عند الارتفاعات التي تزيد على أكثر من ٢٠ كيلو متراً لأنها تتحلل عندما تتعرض للأشعة فوق البنفسجية، أما الملابس المطاطية فإنه بلا شك لا تلبث أن تحترق.

وفي الفضاء، فإن أشعة الشمس تكون فيه أقوى بكثير من أشعتها عند سطح الأرض، حيث لا يوجد في الفضاء الخارجي تشتت لأشعة الشمس على الإطلاق، وهناك تبدو السماء سوداء وقد امتلأت بالنجوم اللامعة والظلال التي تحدثها أشعة الشمس تكون كالحة السواد، إذ إن الضوء الوحيد الذي يصلها هو ضوء النجوم وهو من الضعف بحيث لا يؤثر على شبكية العين.

ومن شأن هذا التباين الصارخ أن يكون عسيراً على الأعين البشرية التي لم تصمم بحيث تستطيع أن تتكيف بسرعة عند انتقالها من الظلام الحالك إلى ضوء الشمس الساطع. فعندما ينظر مسافر إلى السماء فعليه أن يقي عينيه من تغيرات الضوء الكبيرة.

كما ينبغي ألا يوجه نظره إلى الشمس لحظة واحدة، فإن عينيه اللتين اعتادتا على الظلام الذي يغشي السماء، تكونان مفتوحتين إلى نهايتهما وأقل كمية من ضوء الشمس تقع عليهما تبهرهما بشدة، بحيث تعرضهما للضرر، كما ينبغي أن يكون حذراً عندما ينظر إلى الأجسام الكبيرة التي تضيئها الشمس كالأرض أو القمر إذ إنها تكاد تبهر عينيه المعتادتين على الظلام بالشدة نفسها التي تبهرهما الشمس.

فإذا كان الإنسان في ضوء الشمس، فإن عينيه تضيقان حتى تصبحا بحجم رأس الدبوس ليحجب اللمعان الشديد... ومن ثم فإذا كان في الظل فسوف يختفي عن نظره الأشياء كما لو كانت غير موجودة بتاتاً، بل إن يديه تختفيان عن نظره وفي الظل، ولكي يستطيع الإنسان أن يرى شيئاً تتسع عيناه اتساعاً شديداً، وتتوتر أعواد وأقماع شبكتي عينيه لكي تصلا إلى أقصى حساسيتهما، كأنه يمشي في ليل حالك السواد تحت سماء لا تضيئها إلا النجوم.

وأشد أخطار الصعود في السماء هي الأشعة الكونية التي تتكون من جسيمات ذرية معظمها بروتونات يُقال إنها تأتي من أعماق الفضاء ولكن لا يعلم أحد مصدرها ولا علاقة لها على الإطلاق بالشمس، وذلك لأن ما يصل منها إلى جانب الأرض البعيد عن الشمس يعادل ما يصل منها إلى الجزء الموجه لها، ومعظم هذه الجسيمات لا تصل إلى سطح الأرض، إذ إن الهواء يمنعها ولا يصل إلى سطح الأرض إلا عدد قليل منها وبعضها يكون ذا طاقة عالية بحيث يستطيع أن يتغلل داخل الأرض الصلبة مسافة مئات الأقدام «ولاتستطيع أي درع مهما كانت سميكة أن تكون ذات وقاية» وكلما زاد الارتفاع عن سطح الأرض، كلما زادت شدتها فعلى ارتفاع ١٤ كيلو متراً تقريباً تبدأ هذه الجسيمات الثقيلة في الظهور. وكثيراً من الخلايا التي تتلقى هذه الطعنات الموجهة إليها من الفضاء تموت حتماً وعندما يموت عدد كبير من الخلايا في أحد الأنسجة فإن الإنسان لا يبقى سليماً وقد يعرض صحته للضرر أو على الأقل يفقده الأمل في إنجاب ذرية.



حقيقة إن هذه الآية تشتمل على بيان واضح وقيِّم بطريق التفسير العلمي وأن هذه الآية ليست هي الوحيدة التي تتميز بهذه الصفة، بل إن القرآن الكريم كله يبيِّن ذلك بكلماته وحروفه منذ أكثر من أربعة عشر قرناً، ثم عجزت هذه القرون التي ارتفعت فيها جميع العلوم والفنون أن تنقص منه آية واحدة، أو تبطل حكماً من أحكامه أو تكذِّب خبراً واحداً من أخباره.





بقلم : أ.د.خمساوي أحمد



لمحات من الإعجاز العلمي في القرآن الكريم

الطعام الذي هو خير

يقول الله تعالى في سورة البقرة الآية ٦١: (وإذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك يُخرج لنا مما تُنبتُ الأرضُ من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها قال أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير اهبطوا مصراً فإن لكم ما سألتم).

الطعام الذي لم يصبر عليه بنو إسرائيل وطلبوا غيره هو كما ذكر القرآن الكريم المنَّ والسلوى، والمنّ نوع من العسل يشبه عسل النحل والسلوى طائر معروف، وطلب بنو إسرائيل البقل والقثاء والفوم والعدس والبصل، فوصف الله عز وجل على لسان سيدنا موسى عليه السلام ذلك الطعام الذي طلبوه بأنه أدنى درجة من ذلك الذي اختاره الله تعالى لهم والذي وصفه بأنه خير.

وقال المفسرون في وجه المقارنة: إن المنَّ والسلوىٰ هو اختيار الله تعالى، فهو خير وما كان ينبغي لبني إسرائيل أن يطلبوا عن ذلك بديلاً، لأن ما سواه لابد أن يكون أدنى منه، وقد صدق المفسرون فيما ذهبوا إليه لأنه منطق سليم، لكن يبقى أن نبحث عن ماهية هذا الخير وتلك الفضيلة لهذا الطعام الذي اختاره الحق تبارك وتعالى لبني إسرائيل، وهو المنَّ والسلوى، وبين ما هو أدنى من الأطعمة التي اختاروها بأنفسهم.

ثبت مع نهاية القرن الماضي أن أساس الغذاء الذي يؤدي به وظيفته للجسم من بناء ومحافظة على الحياة والقيام بالنشاط

الحيوي والفسيولوجي وإنتاج ما يلزم إنتاجه إنما يرجع إلى شيئين، هما: البروتين والطاقة، صحيح أن هناك عنصرين مهمين هما: الفيتامينات والأملاح المعدنية لكن لأسباب يضيق المجال هنا لتفصيلها لا تقيم الأغذية من حيث قيمتها الغذائية إلا بكمية ونوعية ما تحويه من الطاقة والبروتين كما كشف عنه العلم الحديث.

ومن دون ذكر التفاصيل العلمية فإن أهم ما يتم التفاضل به بين الأطعمة بخصوص الطاقة هو أن تكون: سهلة الهضم، سهلة الامتصاص، أقل إنهاكاً لأعضاء الهضم والتمثيل، وأكثر أماناً على ميكانيكية التمثيل الغذائي في الجسم، فلا يتسبب عنها بدانة مفرطة أو تصلب للشرايين وغير ذلك.

وأما التفاضل بخصوص البروتين فهو أن يكون محتوياً على كميات كافية ومتوازنة من عشرة أحماض أمينية عرفت الآن وتم تقدير الكميات المتوازنة منها التي تحقق أعلى قيمة للبروتين، وعُرفت اصطلاحياً بالأحماض الأمينية الضرورية.

وقد وصف المفسرون المنَّ بأنه نوع من العسل يشبه عسل النحل وينتجه نبات أرضي كان بنو إسرائيل يجدون المنَّ متقاطراً عليه في الصباح وأن السلوى هي الطائر المعروف أو هو طائر شبيه له يعتقد أنه السمان، والأقرب إلى نص القرآن أن يكون المنُّ نوعاً من العسل كان مصدره حشرة كالنحل أو غيرها أو أي كائن حيواني قد يفرزه ويتركه على أوراق أو سيقان نبات أرضي، ربما يستفاد ذلك من قولهم: (فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض...) البقرة:٦١، أو يدل ذلك على أن ما كانوا يطعمونه ليس من نبات الأرض.

وبتطبيق قواعد التفضيل الحديثة بين الأطعمة على كل من المنّ والسلوى، نجد أن المنّ يمثل مصدراً للطاقة، وهو بهذا الوصف يعتبر أعلى درجات الطاقة قيمة فهو يحتوي على سكريات بسيطة سهلة الهضم، سهلة الامتصاص وأهما سكر: الغلوكوز والفركتوز، وهما أساس جميع السكريات وهما السُّكَّران اللذان يتحول إليهما جميع مصادر الطاقة بعد عمليات حيوية عدة في الجسم، وكأن التغذي على ذلك الطعام يعفي الجسم من جميع المتاعب ويوفر عليه معظم الاستهلاكات التي يلاقيها مع الأطعمة الأخرى، وأما السلوى فهي مصدر للبروتين الحيواني وهي تحتوي على الأحماض الأمينية العشرة بتناسب ممتاز، ما يجعل قيمة هذين الطعامين معاً أعلى قيمة مما سواهما من الأطعمة كمصدر للطاقة أو البروتين.

والأصناف الخمسة من الأطعمة التي ذكرها بنو إسرائيل هي: البقل وهو كل نبات لا ساق له ويمثله الجرجير والخس والبقدونس وأمثالها من الخضراوات الورقية والقثاء هو طائفة معروفة من النباتات القرعية، والفوم: وأرجح الآراء فيه أنه القمح، والعدس والبصل معروفان، وهذه الأطعمة الخمسة تمثل أجُناس الأطعمة النباتية كلها، فربما كان أفضل تقسيمات الأطعمة النباتية تقسيمان: الأول أن الأطعمة النباتية تنحصر في خمسة أقسام متميزة هي:



١ ـ الخضراوات الورقية ومثالها في الآية البقل.

٢ ـ ثمار الخضر والفكاهة ومثالها القثاء ومنها البطيخ والشمام والخيار.

٣ ـ الحبوب ومثالها الفوم ومنها الذرة والأرز والشوفان والدخن.

٤ ـ البقوليات ومثالها العدس ومنها الفول والفاصوليا والبسلة واللوبيا وغيرها.

٥ ـ النباتات العصيرية ومثالها البصل والثوم وغيرها.

أما التقسيم الثاني فينظر إلى الأطعمة النباتية من حيث كونها مصادر للعناصر الغذائية فصنفها في ستة أقسام:

١ ـ مصادر الألياف ومثالها البصل.

٢ ـ مصادر النشا ومثالها الفوم «القمح».

٣ ـ مصادر البروتين ومثالها العدس.

٤ ـ مصادر الفيتامينات والعناصر المعدنية ومثالها القثاء.

٥ ـ مصادر مكسبات الطعم والنكهة ومثالها البصل.

٦ ـ مصادر الزيوت كبذور القطن والقرطم والخس وهي بذور لا تؤكل ولكن تعصر فهي تعطي استفادة غير مباشرة كالأقمشة من القطن، فلم يذكر لهذا القسم مثال مأكول.

وفي هذا الحصر الجامع إعجاز آخر يجعلنا نلتفت إلى بلاغة البيان والحصر في جمع كل الأطعمة النباتية التي تنبتها الأرض.

ومن ناحية أخرى، فإن هذه الأصناف الخمسة هي أردء مصادر للطاقة والبروتين، فأما الطاقة فتوجد فيها إما على صورة نشا في القمح والبصل، أو على صورة ألياف في البقل والقثاء والبصل، وهي أصعب هضماً وأقل استفادة، أما البروتين وهو في هذه الأطعمة في العدس ثم في القمح ثم في الخضراوات الورقية فهو أقل قيمة إذ إنه ينقص في حمض أو أكثر من الأحماض الأمينية الضرورية نقصاناً يؤثر في التوازن بينها ما يجعلها ذات قيمة منخفضة في بناء أنسجة الجسم وتعويضه عما يفقد منه إذا ما قورن بالطعام غير النباتي مثل اللحوم بصفة عامة وأفضلها لحم الطير وأحسنها لحم السلوى.

وهكذا نرى بعد زمن طويل أن العلم قد كشف لنا تطابق كتاب الله المنظور هو ذلك الكون الفسيح الذي هو من خلق الله مع كتاب الله المسطور وهو القرآن الكريم في إعجاز بيانه حيث تكفل الحق تبارك وتعالى ببيانه ولو بعد حين، يقول تعالى: (فإذا قرأناه فاتبع قرآنه. ثم إن علينا بيانه) القيامة:١٨ ـ ١٩. ■

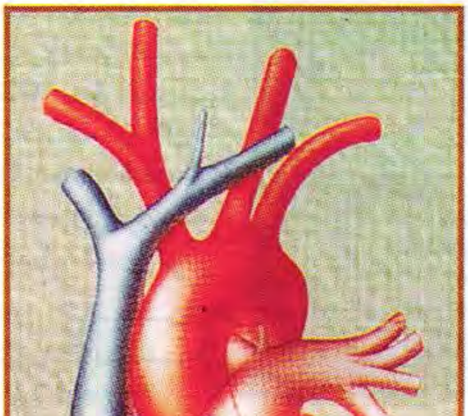
بقلم : د. محمد علي البار

ما الفرق بين القلب العضلي و القلب المعنوي؟

لقد ارتبط لفظ القلب على مدى التاريخ الإنساني بالعواطف والمحبة، بل بالإدارك والفهم.. وجاء العلم الحديث لينزع هذه الهالة عن القلب ويعتبره مجرد مضخة، وإن كانت في غاية الأهمية تضخ الدم إلى كل خلية في الجسم عبر شبكة معقدة طويلة من الشرايين والأوردة والشعيرات الدموية التي يبلغ طولها آلاف الكيلومترات، وتضخ هذه المضخة الجبارة خمسة لترات في الدقيقة الواحدة «دون كلل» أو ٣٠٠ لتر في الساعة أو ٧٢٠٠ لتر «أكثر من سبعة أطنان مترية» يومياً، وتبدأ هذا العمل الجبار منذ بداية الأسبوع الرابع من التلقيح إلى لحظة الوفاة دون توقف برهة من ليل أو نهار، والواقع كما يقرر كثير من فقهاء الإسلام الأجلاء أن القلب هو أول الأعضاء تكوناً وخلقاً، وآخرها توقفاً وموتاً.

إن وزن القلب لدى الشخص البالغ لا يزيد عن ثلث كيلو جرام، وحجمه في حجم قبضة اليد، وينقبض حوالي ٧٠ نبضة في الدقيقة، أو مائة ألف مرة في اليوم الواحد، أو قرابة أربعين مليون مرة في العام.

إن هذا القلب العجيب الذي وصفه رسول الله ﷺ وبقوله: «ألا إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب»، فلا شك أن هذا القلب إذا فسد فسدت الدورة الدموية واضطرب شأنها وتجمع الدم غير المؤكسد



في خلايا الجسم كلها، فتفسد بالتالي كل الأعضاء وتضطرب وظيفتها، أما إذا صلح القلب واستقامت الدورة الدموية نالت كل الأعضاء حظها من الدم الذي يحمل إليها الغذاء من الجلوكوز والأحماض الأمينية والدهنية والفيتامينات والهرمونات، وأهم من ذلك كله الأوكسجين الذين به سر الحياة، وبه يتم الاحتراق وتنطلق الطاقة من عقالها.

إن هذه المضغة العجيبة الفذة تدفع الدم إلى الدماغ في ثمان ثوان فقط، وتدفعه إلى الأقدام في أقصى أطراف الجسم في ١٨ ثانية، وإذا توقف الدم عن الدماغ لأي سبب من الأسباب لمدة دقيقتين أصيب الدماغ إصابة بالغة تؤدي إلى غيبوبة قد يفيق منها الشخص أو لا يفيق، كما قد تؤدي إلى مختلف أنواع الشلل وإصابات الدماغ، أما إذا توقفت الدورة الدموية عن الدماغ لمدة أربع دقائق فقط، فإن هذا الشخص يعتبر في عداد الموتى لأن دماغه قد توفي ومات، وبموت الدماغ يموت الإنسان.

وهنا يرد سؤال: أليس الطب قد تقدم واستطاع الأطباء إيقاف عمل القلب لمدة قد تصل إلى أربع أو خمس ساعات في عمليات القلب المفتوح؟ وإذا كان الأمر كذلك، فكيف لايعتبر الشخص ميتاً، وقلبه متوقف تماماً عن العمل؟

والجواب: إن القلب قد توقف فعلاً عن الضخ والعمل، ولكن عمله تقوم به آلة، حيث يتم أخذ الدم من الوريد الأجوف العلوي والأجوف السفلي عند دخولهما إلى الأذين الأيمن من القلب، ويتحرك الدم إلى مجازة تقوم بتنظيف الدم من ثاني أوكسيد الكربون وضخ الأوكسجين له، ثم يعاد الدم المؤكسد إلى الشريان الأورطي «إما مباشرة أو عبر الشريان الفخذي بواسطة قسطرة»، ويتمُّ ضخ ا لدم بواسطة المضخة عبر الشريان الأورطي إلى الدماغ، وإلى كل أجزاء الجسم

الأورطي إلى الدماغ، وإلى كل أجزاء الجسم بحيث لا تتوقف الدورة مطلقاً، ولا حتى لثوان، وفي هذه الأثناء يتم تبريد القلب كما يتم أيضاً تغذيته بواسطة قسطرة خاصة من الشريان الأورطي إلى الشرايين الإكليليني «الشرايين التاجية للقلب التي تغذيه».

وهكذا يتبين أن القلب رغم إيقافه إيقافاً تاماً لمدة قد تصل إلى ساعات عدة، إلا أن عمله الذي تقوم به المضخات الخاصة لا يتوقف على الإطلاق، وقد تم هذا الإنجاز الباهر لأول مرة في التاريخ في ٦ مايو ١٩٥٣م في الولايات المتحدة بواسطة الجراح جبون الذين قام بإيقاف القلب تماماً لمدة ٢٦ دقيقة، قام في أثنائها بإصلاح ثقب في جدار القلب بين الأذينين لفتاة تبلغ من العمر ١٨ عاماً، وتعاني من هذا العيب الخلقي الذي أدى إلى هبوط في عضلة القلب «احتشاء عضلة القلب».

ومنذ ذلك الوقت تطورت هذه المضخات والمجازات، وأصبح الجراحون المختصون يُجرون هذه العمليات الباهرة، ويوقفون القلب إيقافاً تاماً لساعات عدة حتى يتم إصلاح العيوب الكبيرة في القلب، أو في صماماته أو شرايينه.

ويتم إجراء الآلاف من عمليات القلب المفتوح سنوياً في مختلف أرجاء العالم بما فيه البلاد العربية والإسلامية.

هل تغيرت عواطف وعقائد من أجريت لهم عمليات زرع القلب؟

ورغم أن كل الثقافات الشعبية تعتد أن القلب هو محط العواطف، فإن كل هؤلاء الذين أجريت لهم عمليات زرع قلب لم تتغير عواطفهم ولا شخصياتهم، وقد تم زرع قلب من فلبيني مسيحي لسعودي مسلم، فلم يتغير السعودي المسلم، لا في عقيدته، ولا في أفكاره، ولا في عواطفه نحو أهله وبنيه وزوجته... ولم يتعلق قلبه بتلك الفلبينية التي يحبها صاحب القلب المتبرع به والمتوفى دماغياً، ولم يتحول السعودي إلى ماركوس لا في فكره ولا في لسانه ولا في عقيدته ولا في عواطفه.

وهذه العملية تكررت عشرات المرات في السعودية، وآلاف المرات على مستوى العالم.. وهو دليل عملي قطعي ينفي نفياً باتاً كل ما يتخيله الناس من وظائف القلب الوهمية في الحب والعاطفة، وإن القلب هو أيضاً مركز الفكر، وموطن العقائد ومنبع السلوك.

ولكن هناك إشكال واضح وهو ما ورد في القرآن الكريم والسنة المطهرة من ذكر للقلب، والآيات في ذلك كثيرة فهي تارة تتحدث باسم الفؤاد وتارة باسم القلب، فإذا كان القلب مجرد مضخة، على أهميتها فأين مركز العواطف والفكر؟ وأين منبع العقيدة والسلوك؟ وكيف نوفق بين هذه الحقائق العملية الدامغة وبين ما ورد في النصوص الشرعية من كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ومن سنة المصطفى صلوات ربي وسلامه عليه الذي لا يقول إلا حقاً.

وحل هذا الإشكال يتجلى في فهمنا لكلمة القلب فهي تستعمل على معنيين في لغة البشر:

أولهما: هو القلب العضلي الموجود في القفص الصدري، مائلاً إلى الجانب الأيسر منه، والذي لا يزيد في وظيفته عن مضخة تضخ الدم إلى أنحاء الجسم «رغم الأهمية القصوى لهذه المضخة»، وما يتصل بها من تنظيم هرموني وعصبي لإتمام عملها على أكمل وجه.

والثاني: هو القلب المعنوي المتعلق بالعواطف، بالحب والكره، بالميل والنفور، بل بالإدراك والفهم.

الإمام الغزالي يحل الإشكال ويكشف السرّ:

ولقد استطاع الإمام أبو حامد محمد بن محمد الغزالي المتوفى سنة ٥٠٥هـ «أي منذ تسعمائة عام ونيف» أن يعبر بكل وضوح عن هذين المعنيين اللذين يختلطان في أذهان الناس اختلاطاً شديداً.

ولله در الغزالي ما أدق كلامه وأروعه وأصدقه، فالقلب العضلي موجود لدى البهائم، وهو قطعة لحم وظيفته محددة معروفة بضخ الدم وجريانه في العروق، وهو أمر مهم في بابه إذ إن توقفه يعني توقف الحياة كلها «إلا الحالات التي شرحنا آنفاً توقفه فيها في أثناء عمليات القلب المفتوح»، وهو مع ذلك لا علاقة له واضحة بالعواطف وبالعقائد والأفكار.. وهو المعنى الثاني للقلب الذي يشرحه الإمام الغزالي بقوله: «والمعنى الثاني: هو لطيفة ربانية روحية لها بهذا القلب الجسماني تعلق (لاندرك كنهه).. وتلك اللطيفة هي حقيقة الإنسان، وهو المدرك العالم العارف من الإنسان وهو المخاطب والمعاقب والمعاتب والمطالب... ولها علاقة مع القلب الجسماني، وقد تحيَّرت عقول أكثر الخلق في إدراك وجه علاقته، فإن تعلقه به أيضاً هو تعلق الأعراض بالأجسام، والأوصاف بالموصوفات، أو تعلق المستعمل للآلة بالآلة...» ثم يقول: «والمقصود أنا إذا أطلقنا لفظ القلب في هذا الكتاب، أردنا هذه اللطيفة (الربانية)، وغرضنا ذكر أوصافها وأحوالها لا ذكر حقيقتها في ذاتها، وعلم المعاملة يفتقر إلى معرفة أوصافها وأحوالها ولا يفتقر إلى ذكر حقيقتها».

وحقيقة القلب المعنوي أو اللطيفة الربانية مرتبطة بمعنى الروح وحقيقته، وهو سرّ مغلق قال تعالى: (ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً) الإسراء:٨٥.

كيفية ارتباط القلب العضلي بالعواطف والجهاز العصبي:

إذا رأى العاشق الوهان محبوبة أسرع قلبه يدقّ صدره دقاً عنيفاً، وإذا غضب المرء انتفخت أوداجه واحمرّ وجهه وزادت ضربات قلبه سرعة وقوة، وإذا تعرَّض للخطر فإن وجيب القلب يزداد، وفي الهلع والخوف تدور الأعين في المحاجر وتبلغ القلوب الحناجر.

إن الجهاز العصبي والهرموني يتحكمان إلى حد كبير في سرعة ضربات القلب زيادة أو نقصاناً، كما يتحكمان في شدة الضربات وقوتها أو ضعفها وخفوتها، فنظمية القلب الموجودة في جيب الأذين الأيمن تنطلق بسرعة ١٢٠ نبضة في الدقيقة، ولكن الجهاز العصبي نظير التعاطفي يهدئ من روعها بواسطة العصب الحائر فيجعلها تنبض ما بين الستين والثمانين.

وعلى العكس من ذلك الجهاز العصبي التعاطفي «الودي» الذي يفرز مادة الأدرينالين والكاتيكول أينمس يجعل ضربات القلب سريعة قوية... وتتدخل في ذلك أيضاً هرمونات الغدة الكظرية والغدة الدرقية والشوارد مثل الكالسيوم والبوتاسيوم

والصوديوم.. وانعكاسات من الجسم بمختلف اجهزته، كلها تؤثر على مدى هذه السرعة وقوة تلك النبضات.

وهناك ميزان دقيق جعله الله سبحانه وتعالى لهذا القلب العضلي كي ينظم ضرباته وحركاته حسب الأحوال والطلب، فإذا استلقى الإنسان ومال للنوم قلّت الضربات وإذا قام يجري ازدادت سرعتها قوة وشدة.. وإذا انتابته الشجون وخطرت له الخواطر استجاب لها القلب بزيادة الضربات أو نقصانها حسب الحالة المزاجية، لهذا كله ارتبط القلب بالعواطف ارتباطاً وثيقاً فهو المعبر عنها سرعة وقوة وخفوتاً واتئاداً ... ولكن الأمر يظل في أن القلب ليس مقر العواطف ولا منبعها وإن كانت نبضاته تتأثر بها بواسطة الجهاز العصبي الذاتي بشقيه الودي ونظير الودي. وبواسطة الهرمونات والمواد الكيماوية العديدة التي تُصب في الدم فتؤثر على القلب ونبضاته.

ما ورد في القرآن والسنة عن القلب هو عن القلب المعنوي

ولكن ما ورد في القرآن والسنة من عجائب القلب ووظائفه لا علاقة له بالقلب العضلي الصنوبري الموجود في القفص الصدري، في الجانب الأيسر منه، فهو كما يقول الغزالي موجود لدى البهائم، بل ولدى الميت، ويؤكد الغزالي ذلك بقوله: «وحيث ورد في القرآن والسنة لفظ القلب، فالمراد به المعنى الذي يفقه من الإنسان ويعرف حقيقة الأشياء، وقد يُكنى عنه بالقلب الذي في الصدر، لأن بين تلك اللطيفة «الربانية» وبين جسم القلب علاقة خاصة».

ما أروع الغزالي وما أوسع علمه فقد سبق عصره بل قل سبق علماء عصرنا بمراحل تقاس بالسنين الضوئية.

وإليك بعض ما جاء في القرآن الكريم حول القلب المعنوي:

(هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا إيماناً) الفتح:٤، وقوله: (ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق) الحديث:١٦، (واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه وأنه إليه تحشرون) الأنفال:٢٤.

ووصف سبحانه وتعالى قلوب المنافقين والكافرين وأمراضها ووصف الران الذي يغطي القلب، والأكنة التي تمنع القلب عن الهدى فلا ترى بصيصاً من نور، ووصف القلوب القاسية الجاسية التي هي كالحجارة أو أشد قسوة من الحجارة قال تعالى: (كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون) المطففين:١٤.

وقال تعالى عن الكافرين: (ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة) البقرة:٧، وقال يصف المنافقين: (في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً) البقرة:١٠، وهو مرض الشبهة، وقال سبحانه وتعالى: (فيطمع الذي في قلبه مرض) الأحزاب:٣٢، وهو مرض الشهوة.

والآيات في هذا الباب كثيرة وفيما ذكرنا غنية.

وفي أحاديث المصطفى ﷺ يرد ذكر القلب المعنوي مثل قوله ﷺ: «اللهم مصرِّف القلوب صرف قلبي إلى طاعتك» أخرجه مسلم، وفي رواية الترمذي والحاكم: «يا مثبت القلوب ثبت قلبي على دينك».

ومثله قوله ﷺ: «لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا إلى ملكوت السماء».

وقد وصف ﷺ القلوب فقال: «القلوب أربعة، قلب أجرد فيه مثل السراج يزهر، وقلب أغلف مربوط على غلافه، وقلب منكوس، وقلب مصفَّح، فأما القلب الأجرد فقلب المؤمن سراجه فيه نوره، وأما القلب الأغلف فقلب الكافر، وأما القلب المنكوس فقلب المنافق عرف ثم أنكر، وأما القلب المصفَّح فقلب فيه إيمان ونفاق، فمثل الإيمان فيه كمثل البقلة يمدها الماء الطيب، ومثل النفاق فيه كمثل القرحة يمدّها القيح والدم، فأيّ المدتين غلبت على الأخرى غلبت عليه» أخرجه الإمام أحمد في مسنده ج٣/١٧ والطبراني في الصغير عن أبي سعيد الخدري.

وفي هذه الآيات والأحاديث المذكورة آنفاً لا يتبادر إلى الذهن سوى القلب المعنوي وهو واضح جلي لكل ذي فهم ولب.

ولكن هناك بعض الآيات والأحاديث التي قد يشتبه فيها الأمر ويتبادر إلى الذهن أنها مرتبطة بالقلب العضلي، وإن كان القصد منها على الحقيقة ينصرف إلى القلب المعنوي وذلك كقوله تعالى: (ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه) الأحزاب:٤، فمما لا شك فيه أن الله لم يجعل لبشر قلبين في جوفه، يقول ابن كثير في تفسيره: «إنه كما لا يكون للشخص الواحد قلبان في جوفه، ولا تصير زوجته التي يظاهر منها بقوله أنت عليَّ كظهر أمي أماً له، كذلك لا يصير الدعيّ للرجل إذا تبنّاه ابنا له»، ثم حكى الأقوال الأخرى حيث كان رجل من قريش يزعم أن له قلبين يعقل بكل واحد منهما كعقل محمد فكذّبه الله تعالى...».

وقال الإمام الغزالي: «وحيث ورد في القرآن والسنة لفظ القلب فالمراد به المعنى الذي يفقه من الإنسان ويعرف حقيقة الأشياء، وقد يُكنّى عنه بالقلب الذي في الصدر لأن بين تلك اللطيفة وبين جسم القلب علاقة خاصة».

ومن الأحاديث التي ذكرت القلب العضلي بوضوح وأشارت إليه قوله ﷺ في الحديث الصحيح «ألا إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب».

الحديث يشير بوضوح إلى وظيفة القلب العضلي «المضغة» وأنها إذا فسدت فسد الجسد المادي كله، هذا هو منطوق الحديث، ومفهومه أنه كذلك إذا فسد القلب المعنوي ورانت عليه الذنوب واكتنفته الظلمات صار أسود مربادّاً منكوساً كالكوز مجخيا، وفسد بفساده الإنسان كله، والعكس صحيح فإذا صلح القلب المعنوي وقذف الله فيه النور انشرح الصدر «المعنوي» وصَلُح ذلك الإنسان كله.. وهناك اتصال وثيق في كثير من الحالات بين شرح الصدر المعنوي وانشراحه الحسي، وضيق الصدر المعنوي، وضيقه الحسي، تماماً مثلما تتفاعل جميع أجهزة الجسم بين نفسي وجسماني، حتى أن الأمراض النفس جسمانية قد زادت في هذا القرن زيادة كبيرة، وهذا يوضح مدى الارتباط والتفاعل بين الجسدي والنفسي وبين الروحي والمادي والإنسان مكون من مجموعهما، لا من واحد منهما. والله الهادي إلى سواء السبيل.

وطن المسلم



شعر : أ.د.سعد دعبيس*

أيُّها السَّائلي... عن الأوطانِ
وهي قُدْسُ الأقداس.. في وجْداني!
كيفَ أحْكي عن الذي ليسَ يُحْكَى
غَيْرَ صَمْتِ المُغَيَّبِ النَّشْوانِ؟

●■●

مَوْطِنِي سابحٌ مع النَّجْمِ يَسْري
نَهْرَ ضَوْءٍ مُجَنَّحَ الشُّطْآنِ
موطني يُبْدِعُ الزمانَ اخضراراً
وربيعاً مُمَوْسَقَ الألوانِ
موطني أرْضُهُ حدائقُ ضَوْءٍ
وطيورٌ مَسْحُورةُ الألْحانِ
موطني أُفْقُهُ بِحارُ صفاءٍ
وَيَنَابيعُ فَرْحَةٍ وأمانِ

●■●

موطني حَيْثُما المآذِنُ تَسْري
بنداءِ التوحيد والإيمانِ
كُلُّكُمْ إخوةٌ فلا جِنْسَ يعلو
فوقَ جِنْسٍ بالزَّيْفِ والبُهْتانِ
رايةُ اللهِ وَحَّدَتْكُمْ جميعاً
إنْ تكُونُوا مُوَزَّعِي الأوطانِ
عربيٌّ وأعجميٌّ سواءٌ
أبيضُ اللونِ أسْوَدٌ سيَّانِ
لا لِفرْعَوْنَ انتمي حينَ أُعْزَى
أوْ «لِفينيقَ» أوْ «أشُورٍ» و«ماني»
لا لِكِسْرى وَقَيْصَرٍ لا لأَغْلَى
ما بَنَاهُ العبيدُ مِنْ أوثانِ

●■●

وطن الحُرّ... ليْسَ أرضاً وماءً
أوْ بُيُوتاً رفيعةَ البنيانِ
حيثُ تَسْمُو مَبَادئٌ حيثُ تعلُو
رايةُ اللهِ هذه أوطاني
حيثُ يغدو الإنسانُ حقلَ اخضرارٍ
يَرْتَوي مِنْ مَنَابِعِ الإيمانِ
حيثُ يُمْسِي أُفقاً ويُصْبِحُ افقاً
مِنْهُ تَسْرِي الشُّمُوسُ للأكوانِ
ويصيرُ الوجودُ نَهْرَ ضياءٍ
نابعٌ مِنْ مشاعرِ الإنسانِ
كُلُّ ما فيه دعوةٌ لإخاءٍ
كُلُّ ما فيه خافقُ الوجدانِ
حيثُ تَغْدو «الله أكبرُ» بَدْءاً
لنداءِ التحرير للإنسانِ
لِنِداءِ الثُّوَّارِ في كلِّ أرضٍ
حُوصِرَتْ بالقيودِ والقُضْبانِ

●■●

حيثُ يَغْدو «الصِّدِّيقُ» صِنْوَ «بلالٍ»
حيثُ تُمْحَى فوارقُ الألوانِ
حيثُ لا تُفْسِحُ الحياةُ مكاناً
للطواغيتِ صانِعِي الأوثانِ

موطني... موطني!!

موطني لَمْ أزَلْ أراهُ قريباً
رَغْمَ بُعْدِ المكانِ.. بُعْدِ الزَّمانِ
ذاك صَوْتُ «الفاروقِ» وهْوَ يُصَلِّي
خاشعاً في مَوَاكِبِ الرُّهبانِ
أسْلَمَ.. القُدْسَ.. يَوْمَهَا عربياً
مُسْلِمَ القَلْبِ.. يَعْرُبِيَّ اللسانِ
لِبَنِي المُسْلِمِينَ.. أَسْلَمَ قُدْساً
لحُمَاةِ الإسلامِ والقُرآنِ

كُلُّهُمْ كُلُّهُمْ.. سَيُسْأَلُ.. يَوْماً
كَيف أسْلَمْتَ دُرَّةَ الأوطانِ؟!
أيْنَ كنْتُمْ يا ألْفَ مليونَ يَوْماً
وحِمَى القُدْسِ في يد الشَّيْطانِ؟
مَنْ لأرْضِ الإسْراءِ وَالمَسْجِدِ الأقصى
وَأرض الأبطالِ والفرسانِ
قِبْلَةُ المُسْلِمينَ تَبْكِي بنيها
حاصرتْها مخالبُ الذُّؤبانِ
صارت الآن أدمُعاً ونحيباً
وملاذاً للبُومِ والغربانِ

***

نَسَبِي حين أنْتَمي إسْلامٌ
وَحَّدَ الكونَ مِنْ قديمِ الزَّمانِ
حيثُ تَغْدو «اللهُ اكبرُ» بعْثاً
لضحايا الظلام والطغيانِ
حيثُ تغدو حُرِيَّةً للسَّبايا
وانعتاقاً مِنْ ذلّةٍ وهوانِ
وانتماءً لِمَنْ يعيشون صَرْعى
لاغترابٍ مَوْتَى بلا أكْفانِ

●■●

وطن الحُرّ ليْسَ أرضاً وماءً
أوْ بُيُوتاً رفيعةَ البنيانِ
حيثُ تَسْمو مَبَادئُ حيث تعلُو
رايةُ اللهِ هذه أوطاني

* أستاذ الأدب العربي
بكلية التربية «جامعة عين شمس».

إعداد: عبدالمنعم أحمد

١,٣ مليار نسمة يعيشون على أقل من دولار واحد في اليوم

٧٠٪ من فقراء العالم يعيشون في آسيا رغم هبوط نسبة الفقر فيها إلى الثلث

قبل فترة قصيرة شهد العالم ولادة الطفل الذي أكمل الرقم إلى ٦ مليارات نسمة.

وفي الوقت نفسه كان عدد الفقراء في العالم، الذين يعيشون على دولار واحد أو أقل في اليوم، يصل إلى ١,٣ مليار شخص، وإذا ما أخذنا هذه الأرقام مجتمعة فسنجد أنها مخيفة وتشدد على مشكلة يبدو أنها تتفاقم يومياً.

إن ٧٠٪ تقريباً من فقراء العالم يعيشون في آسيا، حيث من المتوقع أن يُضاف مليار شخص إلى السكان خلال جيل من الزمان، ومن الواضح أن ميدان الانتصار في معركة الفقر العالمي سيكون في آسيا، ولا يمكن تحقيق هذا الانتصار إلا ببذل جهود متضافرة لتقليص الفقر.

ومثل هذا الفقر واسع النطاق أمر غير مقبول في آسيا التي شهدت نمواً اقتصادياً غير مسبوق قبل الأزمة المالية العام ١٩٩٧م.

والأخبار الطيبة هي أن آسيا حققت مكاسب مهمة في مكافحتها للفقر. فقبل أقل من ٣٠ عاماً كان نصف المنطقة يعيش في حال فقر، وكان متوسط العمر المتوقع ٤٨ عاماً، وكان ٤٠٪ فقط من السكان البالغين يعرفون القراءة والكتابة.

أما اليوم فإن نسبة الفقراء هبطت إلى الثلث وارتفع متوسط العمر المتوقع إلى ٦٥ عاماً وأصبح ٧٠٪ من البالغين غير أميين.

وفي حين قفز إجمالي عدد السكان من ١,٨ مليار إلى ٣ مليارات انخفض عدد الفقراء من أكثر من مليار إلى ٩٠٠ ألف.

ولكن الأخبار السيئة هي أن الفقر لا يزال منتشراً على نطاق واسع في آسيا. وتدل التجربة على أن حدوث تخفيض مهم للفقر غير ممكن إلا مع نمو اقتصادي سريع ومتواصل.

ولكن النمو وحده ليس ضمانة بأن كل أفراد المجتمع سيستفيدون منه.

ومن أجل تشجيع التنمية يجب علينا أن ندعم النمو بطريقة تحقق أقصى فائدة منه في مجال تقليص الفقر. علينا أن نحقق نمواً لصالح الفقراء. وعلينا أن نصل إلى أولئك المحرومين لأسباب ثقافية أو اجتماعية، إلى أولئك الذين لا يتمتعون بمهارات أو قدرات جسدية. ويشمل هذا صغار السن وكبار السن. ومعظمهم من النساء، كما أن العديدين منهم ينتمون إلى أقليات عرقية.

لقد بات من المقبول أن الفقر هو أكثر من مسألة نقص في الدخل. فهو يشمل أيضاً حرية الوصول إلى الخدمات الأساسية والفرص التي هي من حق أي فرد، مثل التعليم الأساسي والرعاية الصحية الأولية والتغذية والماء النظيف والصرف الصحي. يُضاف إلى ذلك أمور غير مادية مثل امتلاك الرأي والمشاركة في القرارات التي تؤثر في حياة الفقراء.



ومن خلال معرفته لأوجه النجاح والإخفاق في الماضي يعتقد بنك التنمية الآسيوي أن مكافحة الفقر في المنطقة تتطلب استراتيجية شاملة. وقد أعد البنك استراتيجية لخفض الفقر وافق عليها مجلس إدارته أخيراً. وهي تشتمل على عناصر أساسية عدة.

العنصر الأول: هو تحقيق نمو اقتصادي متواصل لصالح الفقراء.

ويعني هذا أن نمواً يستوعب الطاقة العاملة ترافقه سياسات وبرامج تسهل العمالة وتولد الدخل للفقراء خصوصاً النساء والمجموعات الأخرى المستبعدة عادة، كما يعني توفير مناخ مناسب للقطاع الخاص وتشجيع التمويل الصغير وخطط للرعاية مقابل العمل.

والعنصر الثاني: هو التنمية الاجتماعية، ويتطلب هذا تمكين الفقراء من استغلال الفرص التي يتيحها النمو بشكل كامل. ومن دون التعليم الأساسي والرعاية الصحية الأولية والخدمات الأخرى الأساسية لن يكون للفقراء أمل كبير في تحسين حياتهم أو الإسهام بشكل كامل في مجتمعاتهم.

وهناك ارتباط قوي بين الحجم الكبير للعائلة والفقر الذي يتفاقم تلقائياً.

ولذلك فإن توفير التعليم الشامل للإناث والخدمات الصحية المتعلقة بالإنجاب يحتل أهمية حيوية لتخليص الناس من فخ الفقر.

والعنصر الثالث هو الحكم الجيد، فالتقديم الفاعل للتسهيلات والخدمات يفترض مسبقاً وجود مساءلة للجهات المعنية في القطاع العام مثل وزارة الصحة ومستشفياتها ومراكزها الصحية الأولية. ولكي يحصل الفقراء على حرية أكبر في الوصول إلى هذه التسهيلات والخدمات سيحتاجون إلى أن يكون لهم صوتاً ومشاركة أكبر في الجهات الحكومية المحلية أو في تنظيمات المجتمع المدني. ومن الضروري أيضاً القضاء على الفساد خصوصاً على المستوى المحلي. فالفقراء هم أكثر الناس تضرراً على أيدي المسؤولين الفاسدين.

إن المسؤولية الأولية لتقليص الفقر تقع على عاتق البلد المعني نفسه. ولكن جسامة المهمة تتطلب إسهام كل من له مصلحة في ذلك. وعلى الحكومات أن تمسك بزمام الأمور وأن تضع استراتيجيات وطنية سليمة لخفض الفقر.

ويجب على الحكومة أن تشرك كل الأطراف الأخرى المعنية مثل المجتمع المدني والأعمال والجهات المانحة والفقراء أنفسهم، وأن تضمن أخذ آراء كل الأطراف بعين الاعتبار.

ولا يمكن ضمان النجاح إلا من خلال إدخال مزيد من المشاركة والشفافية والمساءلة إلى عملية صنع السياسة.

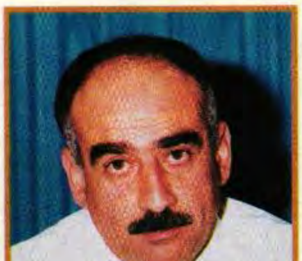
لقد كان الفقر الشديد إحدى حقائق الحياة في آسيا لزمن طويل، ولكنها ليست حقيقة أزلية. بل يمكن القضاء عليها بوساطة السياسة العامة والعمل، بحيث تعطي تجربة المنطقة حتى الآن مبرراً لثقة كانت غير واردة حتى إلى ما قبل عقد من الزمن، ثقة بإمكانها القضاء على الفقر. ■

مترجم من مجلة التايم

حوار : د. طارق البكري

كليـة الإمام الأوزاعـي اللبنانيـة

تجربـة رائـدة للجامعـات الإسلاميـة



د. بسام عبدالحميد



د. زكريا المصري

جامعة الإمام الأوزاعي للدراسات الإسلامية من الجامعات التي استطاعت خلال فترة وجيزة من عمرها أن تثبت لنفسها موقعاً فريداً ومميزاً على الساحة الإسلامية في لبنان والعالم، وبخاصة بعد أن خطت مسافات شاسعة في سبيل استقطاب نوعيات ممتازة من الطلبة الراغبين بخوض غمار الدراسات الإسلامية، في المرحلة الجامعية الأولى ومرحلة الماجستير ثم مرحلة الدكتوراة.

وقد أضافت الجامعة إلى إنجازاتها، إنجازاً متميزاً على امتداد العالم الإسلامي حيث أعلنت قبل سنوات عن افتتاح كلية لإدارة الأعمال الإسلامية، لتنضم إلى كلية الدراسات الإسلامية في إطار استكمال كليات مشروع جامعة الإمام الأوزاعي ومقرها الرئيس في بيروت.

تبدأ مجلة الوعي الاسلامي بفتح ملف الجامعات الاسلامية وهي تدعو الى تزويدها بمعلومات حول هذه الجامعات لنشرها في اعدادها المقبلة

أستاذ العلوم السياسية في كليتي إدارة الأعمال، والدراسات الإسلامية، والأستاذ في الدراسات العليا الدكتور بسام عبدالحميد، والذي زار الكويت أخيراً بصحبة الدكتور زكريا المصري أستاذ الفقه والعقيدة، وذلك للإشراف على امتحانات الجامعة التي بدأت في الكويت للمرة الأولى في العام الماضي، أكد أن كلية الإمام الأوزاعي، وكلية إدارة الأعمال لاقتا تجاوباً لافتاً من الجهات الشعبية والرسمية هنا في الكويت، واعتبر أن إقبال الطلاب كان لافتاً، حيث شهد مركز الامتحانات، التي عقدت في دار القرآن الكريم في الفروانية والتابعة لوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في الكويت، إقبالاً كبيراً من الطلاب الراغبين بالتسجيل للعام المقبل، مشيراً إلى مشاركة ٢٥ طالباً وطالبة مسجلين في الكويت من بين ٣٣ طالباً، فضَّل بعضهم إجراء الامتحانات في المركز الرئيس في بيروت أو في الإمارات العربية.

● كم عدد المراكز التي تجرى فيها الامتحانات؟

- تجرى امتحانات كليتي إدارة الأعمال والدراسات الإسلامية في ٦ مراكز في وقت واحد في أول يوم اثنين من شهر يوليو - تموز من كل عام، وذلك في بيروت ودمشق وعمان ودبي والقاهرة وفيينا والكويت، ونحن نتوقع ازدياد عدد هذه المراكز بسبب الإقبال الشديد والرغبة بتسهيل عملية تسجيل الطلبة وتخفيف عناء انتقالهم إلى بيروت.

● كم عدد جنسيات الطلاب المنتسبين إلى الكلية؟

- أكثر من ٤٠ جنسية، منهم العرب والأفارقة والآسيويون وبعض الطلاب من آسيا الوسطى، ونحن نأمل أن يتسع نشاط كلية الإمام الأوزاعي ليشمل مختلف أنحاء العالم.

● كم كان عدد الطلاب الذين شاركوا بامتحانات هذا العام؟

- عدد الطلاب المسجلين في مختلف مركز الامتحانات يزيد على ١٦٥٠ طالباً وطالبة، أغلبهم في مرحلة الماجستير والدكتوراة.

● دكتور زكريا المصري في العام الماضي أجريتم بروتوكولاً للتعاون مع كلية الشريعة بجامعة الكويت، ما بنود هذا البروتوكول؟

انطلاقاً من حرص كلية الإمام الأوزاعي للدرسات الإسلامية في بيروت على مدٍّ أواصر التعاون والتآخي مع الجامعات الإسلامية في العالم الإسلامي تم في العام الماضي توقيع اتفاق للتعاون الثقافي مع كلية الشريعة، وقعه عن الجانب اللبناني الحاج توفيق حوري رئيس مجلس أمناء وقف المركز الإسلامي للتربية، وهو الوقف المشرف على جامعة الإمام الأوزاعي، كما وقعه عميد كلية الشريعة بجامعة الكويت أ.د.محمد عبدالغفار الشريف عميد كلية الشريعة، وجاءت بنود الاتفاق لتؤكد التعاون وتبادل الزيارات والتعاون على صعيد رسائل الماجستير والدكتوراة، وتبادل الطروحات والرسائل الجامعية والمطبوعات وغير ذلك من المسائل التي تزيد من أواصر الإخوة بين الطرفين.

● ماذا عن رسوم الدراسة في كلية الإمام الأوزاعي وكلية إدارة الأعمال الإسلامية؟

- بكل فخر نقول: إن كلية الإمام الأوزاعي تعتبر أن متابعة الطالب لدراسته الإسلامية هي الأساس في خطة عمل الكلية، لذلك فإنها اتبعت ومنذ سنوات الأقساط الثابتة والمخفضة نسبياً، بما يتلاءم مع جميع الطلاب، وعلى الرغم من ارتفاع الأسعار، وارتفاع تكاليف التعليم والمصاريف الأخرى، أبقت الجامعة على أقساطها لسنوات عدة.

● د. المصري كيف هي عملية النظام الدراسي وما الشهادات الحالية؟

نظام الدراسة هو النظام السنوي، ولا ينقل الطالب من سنة إلى أخرى إلا إذا نجح في جميع المواد المقررة لتلك السنة أو إذا رسب في مادتين كحد أقصى.

لا يجوز للطالب أن يبقى في كل من السنتين الأولى أو الثانية أكثر من سنتين اثنتين. كما لا يجوز له أن يبقى في كل من السنتين الثالثة أو الرابعة أكثر من ثلاث سنوات.

ويجوز لمجلس الكلية تمديد عدد السنوات في الحالات الخاصة.

وتمنح كلية إدارة الأعمال الإسلامية درجة الماجستير ودرجة الدكتوراة لخريجيها، ويمكن قبول خريجي كليات أخرى بعد قيامهم بدراسات تكميلية لتغطية الفرق في البرامج بين الدراسة التي قاموا بها في كليات أخرى وبرامج كلية إدارة الأعمال الإسلامية.

ويحتاج إعداد الماجستير إلى ثلاث سنوات عادة، سنة دراسة مقررات، وسنة تحضير أبحاث تمهيدية، وسنة لإعداد الرسالة.

أما إعداد أطروحة الدكتوراة، فيحتاج إلى سنتين على الأقل بعد الحصول على الماجستير في إدارة الأعمال الإسلامية.

وسيصار - في مرحلة لاحقة - إلى تحديد موعد البدء بقبول الطلاب في مرحلتي الماجستير والدكتوراة وشروط التحاقهم بالكلية.

● وماذا يا دكتور عن الدراسات العليا في الكلية؟



أحد المؤتمرات التي تقيمها الكلية

د. زكريا المصري و د. عبدالحميد: مناهج حديثة ورسائل عليا تناقش القضايا المعاصرة

كلية للشريعة وأخرى لإدارة الأعمال ومشاريع مستقبلية

شهادات الكلية

- جميع الشهادات التي تمنحها الكلية معترف بها في لبنان، كما أن الكلية تمتلك قراراً يعترف بإنشاء الكلية ووزارة التعليم العالي تعادل شهاداتها، كما صدر عن وزارة التربية اللبنانية قرار بمعادلة شهادة كلية الإمام الأوزاعي بتاريخ ١٩٩١/٦/٢٥م.

- مجلس التعليم العالي في مصر وافق على أن يتابع خريجو كلية إدارة الأعمال دراساتهم العليا في الجامعات المصرية.

- كلية الإمام الأوزاعي عضو في رابطة الجامعات الإسلامية.

- كلية الإمام الأوزاعي للدراسات الإسلامية، وكلية إدارة الأعمال الإسلامية مدرجتان في الدليل الرسمي الذي يصدره الاتحاد الدولي للجامعات ومقره اليونسكو في باريس، والدليل لا يُدرج إلا الجامعات المعترف بها.

- كما أن الجامعة عضو في اتحاد رابطة الجامعات الإسلامية، وهناك كثير من الدول العربية تعترف بشهاداتها مثل الأردن وسوريا والبحرين، وهناك محاولات للحصول على اعتراف في دولة الكويت، لكن يبدو أن هناك بعض القوانين لاتزال تعيق هذا الاعتراف. ■



ندوة تنويرية للتعريف بالجامعة بكلية الشريعة في دولة الكويت

- إن الدراسات العليا في كلية الإمام الأوزاعي للدراسات الإسلامية تنقسم إلى المراحل التالية:

١ ـ مرحلة دراسة المواد الاستكمالية التي يكلف بها الطالب، وهذه المرحلة من الممكن إتمامها عن طريق الانتساب ودراسة المواد المكلف بها الطلاب والتقدم للامتحان في بيروت أو مراكز الامتحانات الأخرى «الموعد المحدد للامتحانات هو أول يوم اثنين يقع في شهر يوليو ـ تموز من كل عام» ومدة إتمام هذه المرحلة تتراوح بين السنة والسنتين.

٢ ـ مرحلة إعداد البحوث التمهيدية، لا يسمح للطالب بالمباشرة في هذه المرحلة إلا إذا كان قد أتم بنجاح ثلثي المواد الاستكمالية المقررة عليه. وهذه المرحلة تتطلب حضور الطالب على فترات متقاربة إلى بيروت للاتصال بالأستاذ الموجه الذي يعينه له مجلس الكلية، وكذلك الأساتذة المشرفين على الأبحاث، وأيضاً للاطلاع على مخزون مكتبة الكلية والمكتبات الجامعية الأخرى في لبنان. ومدة إتمام البحوث الأربعة المطلوبة من الطالب تتراوح بين سنة وسنتين. ويُنصح الطالب عادة باختيار موضوعات في الميادين التالية:

أ ـ بحث في موضوع «ديني» يدور في نطاق علوم القرآن أو الحديث أو العقيدة أو الفقه بحيث يتعرف الطالب إلى آراء أكبر عدد ممكن من أصحاب المذاهب الإسلامية في الموضوع الذي يبحثه في الوقت الذي يطلع فيه على أمات المصادر والمراجع لهذا المذهب أو ذاك.

ب ـ بحث مشكلة معاصرة من مشكلات المجتمع الذي يعيش فيه على ضوء الإسلام، سواء أكانت هذه المشكلة اجتماعية أم اقتصادية أم تربوية أم سياسية أم علمية... إلخ.

ج ـ بحث حول منطقة أو بلد أو مجتمع إسلامي، مقيم أو مهاجر، يتعرف من خلاله إلى جزء من عالمه الكبير.

د ـ بحث يثير اهتماماً خاصاً لدى الطالب، أو يربط بين دراسته السابقة «هندسة، طب علوم، أدب حقوق... إلخ»، وبين الدراسات الإسلامية التي بدأ تخصصه بها.

فإذا اتفق الطالب مع أستاذه الموجه على الخطوط العريضة التي يريد بحثها، أحاله الأستاذ الموجه إلى أساتذة متخصصين ليقوم بإعداد بحوثه بإشرافهم.

٣ ـ مرحلة إعداد رسالة الماجستير أو أطروحة الدكتوراة:

لايسمح للطالب بالبدء بإعداد رسالة الماجستير أو أطروحة الدكتوراة إلا إذا كان قد أنهى بنجاح جميع المواد الاستكمالية المقررة عليه، وكذلك قدم جميع الأبحاث التمهيدية المطلوبة منه وقبلت، وهذه تتطلب الإقامة في بيروت فترة تطول أو تقصر وذلك لمراجعة الأستاذ المشرف بانتظام، ومن ثمَّ الأستاذ المراجع، وكذلك الاطلاع على مخزون المكتبات والقيام بما قد يطلب منه من دراسات ميدانية، وكذلك يتطلب وجود الطالب للدفاع عن أطروحته أمام لجنة المناقشة.

● دكتور ذكرتم سابقاً أن الكلية تتبع وقف المركز الإسلامي للتربية، فما المركز وما أهدافه؟

- تأسس المركز الإسلامي للتربية في ١٣٩٦/١٠/٢٧هـ الموافق ١٩٧٦/١٠/٢٠م، وقد أعلن المركز وقفاً خيرياً عام المنفعة، وهو وما نشأ عنه من مؤسسات، وما ينشأ عنه مستقبلاً ـ بإذن الله ـ وذلك بموجب القرار الصادر عن المحكمة الشرعية السنية في بيروت التابعة لرئاسة مجلس الوزراء في الجمهورية اللبنانية.

كانت الكلية باكورة مشاريع المركز، وقد بدأت فيها الدراسة في ١٤٠١/١/١هـ، «مطلع ١٩٧٩م»، وجميع أساتذة الكلية يحملون الدكتوراة ويشرفون على رسائل الماجستير والدكتوراة.

ومن المؤسسات التي أنشأها المركز:

١ ـ المؤسسة الإسلامية للرقابة على الأغذية: كاللحوم والأسماك والمعلبات، ونتصل بكثير من الشركات كما نحاول أن ندرس الأغذية من حيث الحلال والحرام.

٢ ـ مركز التوثيق البيبلوغرافي عن الإسلام والعالم الإسلامي.

٣ ـ مركز توثيق المعلومات عن مدن العالم الرئيسة.

٤ ـ مركز توثيق المعلومات عن المصارف العالمية.

٥ ـ مركز بحوث ما بعد الدكتوراة.

كما قرر «وقف المركز الإسلامي للتربية» في إطار سياسته الداعية إلى إقامة مؤسسات ثابتة في المجتمع الإسلامي، إنشاء «كلية إدارة الأعمال الإسلامية» كإحدى كليات مشروع «جامعة الإمام الأوزاعي» والتي مقرها مدينة بيروت. ■

مؤسسات مختلفة تتحسس مشكلات المجتمع تعمل جميعها في إطار وقف المركز الإسلامي للتربية

عنوان كلية الإمام الأوزاعي

هاتف: ٧٠٤٤٤٩/ ٠٠٩٦١١

فاكس: ٧٠٤٤٥٣ / ٠٠٩٦١١

ص.ب : ١٤/٥٣٥٥ ـ بيروت ـ لبنان

أقساط متهاودة لا تهدف إلى تحقيق الربح المادي

بقلم: مجدي محمد عرابي

أيها العربي: صحح لغتك

مما لا شك فيه أن لغتنا العربية تعيش اليوم في محنة شديدة... هذه المحنة - للأسف - تتفرع إلى عوامل كثيرة، منها:

١ - انتشار الفوضى اللغوية بين المواطنين، وفي الشوارع تتضح في الأسماء الأجنبية المتداولة، والتراكيب غير العربية التي تتسمى بها المحلات، ونراها كثيراً في الإعلانات التجارية، كما تتضح أكثر في أسماء الأفلام والمسرحيات المغرقة في العامية.

٢ - ضعف الإعلاميين لغوياً وما يترتب على ذلك من فضائح وأخطاء يتأثر بها المستمع، أو المشاهد.

٣ - تعليم اللغات الأجنبية للطلاب في سن مبكرة، لأن ذلك يضعف من قدرتهم على تعلم لغتهم الأم... والمفروض أن يتقن الطالب لغته القومية أولاً، وبعد ذلك يتعلم ما يشاء من اللغات الأجنبية.

سنعرض بعضاً من الأخطاء اللغوية الشائعة، التي ترد على ألسنة وأقلام المثقفين والمتعلمين، موضحين - إن شاء الله - وجه الصواب فيها... ومن تلك الأخطاء ما يلي:



● **هام - مهم:**

يقول كثير من الناس «هذا خبر هام، وعندي فكرة هامة»، وهذا خطأ، لأن كلمة «هام» معناها: المثير للهم، وكذلك «هامة»، والصواب أن يقولوا: هذا خبر مهم، وعندي فكرة مهمة.

● **الرأس الذهبية:**

بعض النقاد الرياضيين يكتبون أحياناً أو يقولون:

«اعتزل اللاعب فلان صاحب الرأس الذهبية» - أي بتأنيث كلمة «الذهبية»، لأنها صفة للرأس، اعتقاداً منهم أن «الرأس» مؤنثة، وهذا خطأ.

والصواب: أن - الرأس - مذكر، ولهذا فصواب العبارة هو: اعتزل اللاعب فلان صاحب الرأس الذهبي.

● **التسعينات:**

يقولون: «نشبت حرب الخليج الثانية في التسعينات من القرن الماضي»، والخطأ هنا في كلمة «التسعينات»... والصواب هو: التسعينيات.

يقول الأستاذ أحمد حسن الباقوري - رحمه الله - في مقال بصحيفة الأخبار الصادرة في ١٩٧٧/٩/٢١م: «وجه الخطأ في هذا الاستعمال أن هذه الكلمة جمع لتسعينة، وهذه الكلمة ليست في متن اللغة».

ومن أمثلة هذه الكلمة:

العشرينات، والثلاثينات، والأربعينات... إلخ.

وكل هذه الكلمات خطأ. وصوابها هو: العشرينيات، والثلاثينيات، والأربعينيات... إلخ.

أي أنها تكون مستعملة - عن طريق ياء النسب - إلى العشرين والثلاثين والأربعين... وهكذا.

● **لم أهمل واجبي أبداً:**

كثير من الناس يقولون: «لم أهمل واجبي أبداً»، وهذا خطأ، لأن الحرف «لم» يفد نفي الفعل في الماضي، بينما «أبداً» ظرف لنفي الفعل في المستقبل، ولهذا لا تجتمع الكلمتان «لم، وأبداً» في جملة واحدة.

فالذي يناسب «لم» هو «قَط»، والذي يناسب «لن» هو الظرف «أبداً»، لذا فصواب العبارة السابقة أن نقول: لم أهمل واجبي قط.

● **المَثُل العُليا:**

معظم الناس يقولون: «المثل العليا»، وهذا خطأ، لأن «العليا» صفة للمُثُل، والصفة يجب أن تطابق الموصوف في الجمع، و«المثل» جمع، و«العليا» مفرد، ويجب جمعها لتطابق الموصوف، وجمع «العليا» هو «العلا»، ومن ثمَّ فصواب العبارة هو: المثل العلا. ■

حــوار

حاورها في القاهرة: عطا عبدالعال



د.سهيلة زين العابدين حماد

رئيسة لجنة الأديبات الإسلاميات في رابطة الأدب الإسلامي العالمية د .سهيلة زين العابدين حماد لـ«الوعي الإسلامي»:

أدباء الكلمة الخبيثة أفسدوا حياتنا الإسلامية

الأديبة والناقدة السعودية المعروفة سهيلة زين العابدين حماد رئيسة لجنة الأديبات الإسلاميات في رابطة الأدب الإسلامي العالمية زارت مصر أخيراً للمشاركة في مؤتمر الأديبات الإسلاميات الذي نظمته الرابطة بالتعاون مع تجمعات الشبان المسلمين بالقاهرة، وعلى هامش هذا المؤتمر التقتها مجلة «الوعي الإسلامي» وكان هذا الحوار الذي تطرقت من خلاله إلى الحاجة الماسة حالياً لوجود تيار قوي من الأدب الإسلامي على الساحة الثقافية الإسلامية لمواجهة التيارات الأدبية الإلحادية البغيضة التي طفت على السطح أخيراً في كتابات العديد من أدعياء الأدب على الساحة الثقافية في العالم الإسلامي.

ودعت زين العابدين إلى ضرورة تضافر جهود المؤسسات الاجتماعية والثقافية والتعليمية والإعلامية والدينية في عالمنا الإسلامي لتنقية أدبنا العربي من الشوائب الإلحادية التي علقت به مشيرة إلى عدد من الأدباء والأديبات اللاتي دأبن على القدح في ذات الله وسب الرسل وطعن الإسلام بحثاً عن الشهرة والمجد.

وتشدد د.زين العابدين على أهمية إعداد جيل جديد من الأديبات الإسلاميات اللاتي يتسلحن بالعلم ومشاركتهن في أحداث الأمة الإسلامية بما يعيد للمرأة المسلمة وعيها بقضايا أمتها الإسلامية، وتدعو زين العابدين إلى ضرورة بلورة وتأصيل نظرية للأدب الإسلامي. وتتهم أدونيس ونجيب محفوظ وصلاح عبدالصبور بالتعدي على الله والطعن في الإسلام.

أدب بلا روح

● ما مفهوم الأدب الإسلامي الذي بدأ يعود الحديث عنه من جديد الآن إلى الساحة الأدبية على صعيد العالم الإسلامي؟ ولماذا أصبحت الحاجة ماسة إلى الاهتمام بهذا النوع من الأدب الآن في ظل التقدم العلمي الكبير الذي بدأت تشهده البشرية خلال الفترة الحالية؟

ـ لو حللنا مفهوم الأدب الإسلامي لوجدنا أنه ذلك التعبير الهادف عن الخالق سبحانه، ثم عن الإنسان والكون والحياة برمتها وفق التصور الإسلامي. ومن هذا المفهوم نستقي خصائص هذا الأدب ومقوماته وأيضاً قواعد تقديمه، فهو أدب يتصف بشمولية المضمون وشمولية الإسلام، ويشمل جميع جوانب الحياة ومن خصائصه أنه صادق لتحقيق رسالة الإنسان في هذه الحياة، والغاية العليا من خلقه، وهي عبادة الله سبحانه وتحقيق أمانة الاستخلاف، حيث منحنا الله منهجاً ربانياً ننهل منه قواعد فكرنا وأدبنا وفقاً للتصور الإسلامي الذي رسمه الخالق سبحانه للحياة والكون والإنسان، وهو تصور افتقد الكثير ـ للأسف ـ من المقومات التي كان ينبغي أن يتسم بها كالسمو والجمال والتوازن والشمول والإيمان وجميع المعاني الإنسانية، حيث ابتعد أدب الأمة الإسلامية المعاصر في معظمه عن الروح الإسلامية بسبب انبهار بعض الأدباء المسلمين بحضارة الغرب وفقدان شخصيتهم فيها، فانعكس ذلك على إنتاج وفكر أدبائنا وأصبحنا نعيش كأننا في غربة وتمرد على شرع الله ومروق عن منهجه الرباني الذي رسمه لنا وللكون والحياة.

التمرد على الله في الأدب

● ما ملامح هذه الغربة الأدبية التي أصبحنا نعيشها الآن؟ وما صور هذا التمرد على قيمنا وأصالتنا والتي ترينها في بعض الأعمال الأدبية الحالية ولا سيما في بعض دولنا العربية والإسلامية؟

ـ من ملامح هذه الغربة وهذا التمرد أن أعمال الكثير من الأدباء والأديبات في وطننا



جانب من الحضور النسائي

شاعرة اتخذت زوجها «إلهاً» في قصائدها وأخرى عبدت آلهة الإغريق . وثالثة جعلت الله يبني في عرشه أعشاشاً لزغاليل الحمام

العربي بدءاً من أدونيس، ومروراً بصلاح عبدالصبور، ونجيب محفوظ، وانتهاء بصغار الأدباء والأديبات، فصلاح عبدالصبور المصري الجنسية الذي يسير في فلك أدونيس يقول في أحد قصائده: «الشيطان خالقنا» وفي قصيدة أخرى له بعنوان «الإله الصغير»، وضمن ما يقول فيها: «أنا رقصت وإلهي هذا... إلخ»، وأيضاً كتب مرثية ومسرحية الحلاج التي عظَّمه فيها مع أن الحلاج معروف أنه من دعاة الحلولية، وقد ادعى أن الله حل فيه فهو من غُلاة الصوفية الملحدين، وقد ناظره علماء المسلمين ودعوه إلى التوبة، ولكنه رفض التوبة وصدر عليه حكم الإسلام بأنه مرتد، أما بالنسبة لنجيب محفوظ فقد رمز في قصصه ورواياته إلى الله على أنه الأب.

وكتب ذلك الأديب جورج طرابيشي في إحدى دراساته عن «الله في كتابات نجيب محفوظ»، وقال: إن نجيب محفوظ رمز في قصصه ورواياته إلى الله بأنه الأب، ولم يعترض محفوظ على ذلك، بل أرسل له كتاباً قال له فيه: «أنت عبَّرت عما كنت أقصده».

وتستطرد زين العابدين قائلة: «إن ما تكتبه بعض الأديبات الجديدات الآن عن الجنس والجسد والمخدرات وغير ذلك، باعتبار ذلك من موضوعات لرواياتهن وقصصهن يعف أعتى الإباحيين والشواذ عن أن ينطقوا به أو يذكروه حتى لا يُصاب الآخرون بالغثيان، ويعتبر هؤلاء المشوهون أخلاقياً التطاول على ذات الله بطولة وطريقاً إلى الشهرة والمجد، وأذكر من هؤلاء الأديبات المشوهات من كتبت كلاماً فاحشاً في ذات الله سبحانه: وهناك قصيدة لإحدى الشاعرات تصف فيها زوجها بأنه إله وأن كلامه مصحف، حيث تقول في شطر من قصيدة لها: «أخشى زلاتك السماوية»، وقالت مرة أخرى: «شكراً لآلهة الإغريق التي أنجبت سيزيس»، وقالت قاصة ثالثة في إحدى قصصها بتعظيم عملية تناسخ الأرواح، وعقيدة تناسخ الأرواح من العقائد الهندوسية والمجوسية التي تتنافى مع أبسط قواعد الإسلام.

الدائرة الجهنمية للأديبات

● ولكن هذه الأزمة القاتلة التي تواجه الأدب في البلاد الإسلامية

الآن والتي أشرتِ إلى بعض منها كيف يمكن الخروج منها؟

- يمكن الخروج من هذه الأزمة التي يواجهها الأدب في بلادنا الإسلامية عن طريق عزل شوائب التغريب عن أدبنا وذلك بإتاحة المجال لبروز الأديب والأديبة المسلمة في الساحة الأدبية، مع التزام أدباء العالم الإسلامي وأديباته بعدم خروج أفكارهم وتصوراتهم وكتاباتهم عن الخط الإسلامي الذي رسمه الله سبحانه وتعالى.

وتضيف زين العابدين قائلة: لن يتأتى ذلك إلا عن طريق قيام المؤسسات الأسرية والتعليمية والاجتماعية بإعداد الأديبة المسلمة إعداداً جيداً وعندها يصبح مفهوماً لدى الجميع أنه ليس حقاً لأي من الأدباء أو الأديبات أن يقولوا قولاً فاحشاً باسم حرية الفكر والإبداع فينالوا من ذات الله ويدوسوا في وضاعة على تعاليم الإسلام باسم الأدب الخبيث كتلك الشاعرة التي تقول: في واحدة من قصائدها المثيرة للقرف والاشمئزاز: «الله يبني في عرشه أعشاشاً لزغاليل الحمام حتى يهتز العرش شجرة سدرية تأوي إليها الطيور الجائعة ويقاسم الفتيات ابتسامتهن البيضاء ولا يترك ابنة الجيران ترقص وحدها ويلعب الكرة مع الأطفال»، أو كتلك المعتوهة التي تدّعي زوراً وبهتاناً أن شياطين الشعر تلهمها فتقول: «شكراً لآلهة الإغريق التي أنجبت بطلاً كسيزيق، ثم تضيف فيما أسمته بإحدى قصائدها: «يا قدراً انتصب كالموت أمام سيزيف وأكدت الطبيعة بالتزاوج».

وتضيف زين العابدين: حتى يتسنى لنا الخروج من غربتنا الأدبية التي نعيش فيها على صعيد النساء، ينبغي أن تقوم كل المؤسسات الثقافية والاجتماعية والتعليمية والدينية في بلادنا الإسلامية، بإعداد النشء والشباب المسلم إعداداً عقائدياً قوياً وسليماً وبناء شخصيته فكراً وسلوكاً وعلماً وعملاً في إطار منهج إسلامي قوي وفعّال خصوصاً أن الإسلام يولي التربية الوجدانية والروحية والجسمية والخلقية والاجتماعية والعلمية اهتماماً كبيراً عن طريق الموازنة بين هذه الجوانب جميعاً في صقل شخصية الفرد المسلم فلا يطغى جانب على آخر، ومن هنا يشب العقل على الابتكار والإبداع في إطار من المنهج والتعاليم الإسلامية التي غايتها إسعاد الإنسان ورقيه وتقدمه وانتشاله من دائرة الجحيم الدنيوي التي يعيش فيها بسبب انتشار الأفكار الهدامة.

وتستطرد قائلة: أنا أقترح حتى يتحقق كل ذلك أن يعاد للمسجد دوره في المجتمع وأن يتم وضع خطة إعلامية موحدة في العالم الإسلامي من أجل التصدي لكل التحديات التي بدأت تواجه أمتنا الإسلامية مع ضرورة إجراء تنسيق جيد بين أصحاب القنوات الفضائية والمشفرة والمفتوحة من أجل النظر فيما تقدمه هذه القنوات الفضائية من برامج ملتزمين في ذلك بالمنهج والتعاليم التي أقرتها الشريعة الإسلامية، فنبتعد بهذه القنوات عن مجالات الإسفاف والإباحية التي تبثها قنوات البلاد غير الإسلامية، ومن هنا فإن الفرص تصبح متاحة أكثر لعرض الأعمال الإسلامية الواعية المعتدلة.

فضلاً عن ذلك، فإن المؤسسات التعليمية في العالم الإسلامي بات واجباً عليها أن تقرر على طلاب العلم في مدارس البلدان الإسلامية مناهج الأدب حتى يدركوا أدب الكلمة الطيبة وأدب الكلمة الخبيثة المضادة للتصور الإسلامي فلا يقعوا فرائس سائغة للمشوهين أدعياء الأدب.



الوعي الإسلامي تحاور د. سهيلة

أدعياء الأدب ظنوا أن قدحهم في ذات الله وسبهم للرسل وطعنهم في الإسلام أداة للشهرة والمجد

أدب الكلمة الخبيثة

● هل وردت آيات قرآنية تشير إلى أدب الكلمة الخبيثة التي أشرت إليها الآن؟ وما موقف هذه الآيات من هذا النوع من الأدب؟

- أجل هناك آيات كثيرة تشير إلى هذا المصطلح، ألم تقرأ من قبل في سورة إبراهيم قوله تعالى: (ألم ترَ كيف ضرب الله مثلاً كلمةً طيبةً كشجرة طيبةٍ أصلها ثابت وفرعها في السماء. تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون. ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة أجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار. يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء) إبراهيم:٢٤-٢٧.

ألم تقرأ قول الله تعلى في سورة الشعراء: (والشعراء يتبعهم الغاوون. ألم ترَ أنهم في كل وادٍ يهيمون. وأنهم يقولون ما لا يفعلون. إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيراً وانتصروا من بعد ما ظلموا وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون) الشعراء:٢٢٤-٢٢٧.

وتستكمل زين العابدين قولها: هذه الآيات

القرآنية تثبت بما لا يدع مجالاً للمنحرفين والمتشدقين من أدعياء الأدب أصحاب الكلمة الخبيثة أن هناك الكلمة الطيبة وأصحابها هم المؤمنون الذين يسيرون على منهج الله فيثبتهم على قول الحق في الدنيا والآخرة وتصير كلمتهم كالشجرة الطيبة التي تُؤتي أكلها كل حين دون أن تتأثر بهبوب الرياح والأعاصير لأنها ذات جذور طيبة. وأن هناك الكلمة الخبيثة وأصحابها من الظالمين الذين يضلهم الله لاتباعهم هواهم، ففي الظلمات يهيمون وتصير كلمتهم الخبيثة كالشجرة الخبيثة تؤتي ثماراً خبيثة وسرعان ما تُجتث من فوق الأرض لأنها لا جذور لها ولا قرار.

فكل أدب مضاد للمنهج الإسلامي هو كلمة خبيثة كهذه الشجرة الخبيثة ويتضح ذلك في وصفه تعالى في السورة الثابتة للشعراء الذين يتبعون الأهواء والذين يهيمون في عوالم موهومة فيتبعهم الغاوون الهائمون مثلهم وهؤلاء أناس ظالمون كما وصفهم الله تعالى.

أما الشعراء المؤمنون الذين استثناهم في الآية الكريمة فهم أصحاب كلمة طيبة، وهذه حقائق ينبغي أن نعرفها جميعاً.

الأديبة المسلمة

● ما الدور المطلوب الآن من المرأة في العالم الإسلامي حتى تكتب أدباً إسلامياً؟

ـ هذا الدور مطلوب من المرأة التي تتجه لكتابة الأدب في عالمنا الإسلامي ومن رابطة الأدب الإسلامي العالمية، بل من كل الأجهزة والمؤسسات التي لها صلة بخلق الشخصية الأدبية الإسلامية. فدور المرأة المسلمة الأديبة هو الفهم الجيد لرسالة الأدب الإسلامي، والعمل بكل قوة لنشرة رسالة هذا الأدب دون أن تغفل العمل المستمر لتقوية ملكتها اللغوية والإبداعية ودون أن تغفل دراسة الآداب الأخرى وتلم بمذاهبها ونظرياتها النقدية والفلسفية مع ضرورة إسهامها في تقويم هذه الآداب من وجهة نظر إسلامية، وتنقية أدبنا العربي مما علق به من شوائب إلحادية و«تغريبية» عبر مسيرته الطويلة.

وتضيف زين العابدين قائلة: الأديبة الإسلامية عليها واجب السعي الحثيث للعمل من أجل الإسهام أيضاً في تأصيل نظرية للتصور الإسلامي في النقد الأدبي فضلاً



المنصة الرئيسية لمؤتمر الأديبات الإسلاميات

الحضور القوي للأدب الإسلامي على الساحة الثقافية هو الطريق الوحيد للخروج من غربتنا الأدبية

عن الإلمام بدراسة الأديان والمذاهب المادية والفرق الإلحادية الباطنية وغيرها من المذاهب والفرق لأن معظم الآداب في العالم متأثرة إلى حد بعيد بالوثنية الإغريقية والوجودية الملحدة والعلمانية والمسيحية الغربية وعقيدتي التناسخ والحلول. ولا ينبغي أن يفوت الأديبة الإسلامية تفاعلها مع أحداث أمتها في كل مكان من العالم مع مشاركتها المستمرة للعمل من أجل صلاح المرأة المسلمة.

إعادة كتابة الأدب العربي

وتطالب زين العابدين رابطة الأدب الإسلامي بضرورة العمل بقوة من أجل

مطلوب جيل جديد من الأديبات الإصلاحيات حتى تستعيد المرأة المسلمة وعيها بأمتها

إعادة كتابة الأدب العربي من منظور إسلامي على أن تكون البداية إعادة كتابة تاريخ أدب المرأة العربية المسلمة من منظور إسلامي.

وتضيف قائلة: أرجو أن يكون لرابطة الأدب الإسلامي موقعاً باللغة العربية على شبكة الإنترنت حتى يتسنى للناس الاطلاع على الأدب الإسلامي وأهدافه ومقوماته ورسالته الإبداعية وفنونه المختلفة مع اهتمام الرابطة بأدب الطفل والعمل على تأسيس دار خاصة بها لنشر التراث والأدب الإسلاميين، فضلاً عن توزيع مجلة الأدب الإسلامي وإنشاء مكاتب للرابطة وأقسام لجمع التبرعات المادية حتى يمكن الاهتمام بالأدباء الإسلاميين المقيمين في دول غير إسلامية.

وتستطرد قائلة: على رابطة الأدب الإسلامي أن تقوم بتوجيه الاهتمام بالمواهب الأدبية الشابة وتوجهها بما يخدم القضايا الإسلامية، مع ضرورة تخصيص الدورة المقبلة للأديبات الإسلاميات مع رابطة الأدب الإسلامي لدراسة أدب المرأة المسلمة ومناقشته، بهدف تقويمه وحل مشكلاته وتذليل العقبات التي تقف أمام الأديبات الإسلاميات في شتى أنحاء العالم. ■

إعداد : تمام أحمد

أول دراسة دكتوراة عن «براعم الإيمان»

د . البكري : تتقدم مجموعة من القيم الهادفة وتمد الطفل بمعلومات دينية وأنماط تربوية سليمة

أكدت دراسة علمية مُعدّة لنيل درجة الدكتوراة في الدراسات الإسلامية مخصصة في إعلام الطفل المسلم أن ملحق براعم الإيمان يقدم مجموعة من القيم الهادفة، ويرسخ هذه القيم، ويمد الطفل بمعلومات دينية وأنماط تربوية، لحضه على العمل الصالح، وتدربه على بناء المجتمع المثالي الذي يدعو إليه الإسلام، كما تحضه على السلوك الحسن والعادات الحميدة.

وأكد الباحث الدكتور طارق البكري المتخصص في الإعلام الإسلامي والمحرر في جريدة الأنباء الكويتية في سياق بحثه الذي تقدم به إلى جامعة الإمام الأوزاعي للدراسات الإسلامية ونال به درجة الدكتوراة بتقدير جيد جداً بعد مناقشة من لجنة مؤلفة من د. محمد منير سعد الدين، مشرفاً ورئيساً، ود. نايف معروف الأستاذ بجامعة بيروت العربية، والدكتور عبدالله عبدالرحمن الأستاذ بجامعة الإسكندرية.

كما أكد الباحث أنه قام بدراسة مجلات الأطفال الكويتية بصورة شاملة وتناول مجلة براعم الإيمان كأنموذج للبحث الذي جاء بعنوان: «مجلات الأطفال الكويتية ودورها في بناء شخصية الطفل المسلم».



أعضاء لجنة المناقشة د. نايف معروف و د. محمد منير سعد الدين ود. عبدالله عبدالرحمن

وأوضح الباحث مدى اهتمام دولة الكويت بإعلام الطفل، وخصوصاً ما يتعلق بمجلات الأطفال، حيث ظهر بعد إجراء مسح شامل وجود ١٨ مجلة للأطفال منها خمس مجلات حكومية، ومجلتان أصدرتهما جهتان ذواتا صبغة رسمية، وخمس مجلات أصدرتها جهات مؤسساتية وست مجلات أصدرها أفراد.

كما تبين أن هناك ثماني مجلات فقط لا تزال تصدر حتى الآن، ومنها مجلة براعم الإيمان التي تصدر كملحق لمجلة الوعي الإسلامي الصادرة عن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في الكويت.

وقد قام د. البكري بدراسة «براعم الإيمان» بشكل تفصيلي طوال مدة عيّنة البحث وهي

الأعداد التي صدرت بعد الغزو العراقي للكويت لغاية نهاية العام ١٩٩٨م، وقد استخدمت الدراسة منهج تحليل المحتوى، والذي يعدُّ أحدث أساليب الدراسات المسحية، وتم حساب تكرار الفئات وترتيب كل منها بشكل تنازلي، واختيار مجموعة متفرقة من موضوعات «براعم الإيمان» لدراسة الأدوار التي تؤديها.

وقد لاحظت الدراسة أن القصص المصورة تطغى على محتويات المجلة، وكشفت عن أن أكثر من ربع المجلة يتألف من القصص المصورة.

وبعد أن استعرض الباحث في دراسته جميع مجلات الأطفال التي صدرت في الكويت، ماضياً وحاضراً، تناول في الجانب التطبيقي الذي يستطيع من خلاله الحكم على إحدى تجارب مجلات الأطفال في الكويت، مجلة «براعم الإيمان»، باعتبارها مجلة متكاملة، تصدر كملحق لمجلة «الوعي الإسلامي»، التي تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في دولة الكويت، منذ أكثر من ٣٥ عاماً.

وقد ظهر للباحث مدى اهتمام الكويت بالطفولة، ومدى التركيز على الجانب الإعلامي، مؤكداً أنه لايقلل من مستوى هذا الاهتمام، التعثر أو التوقف والتراجع، الذي تحكمه ظروف وأسباب.

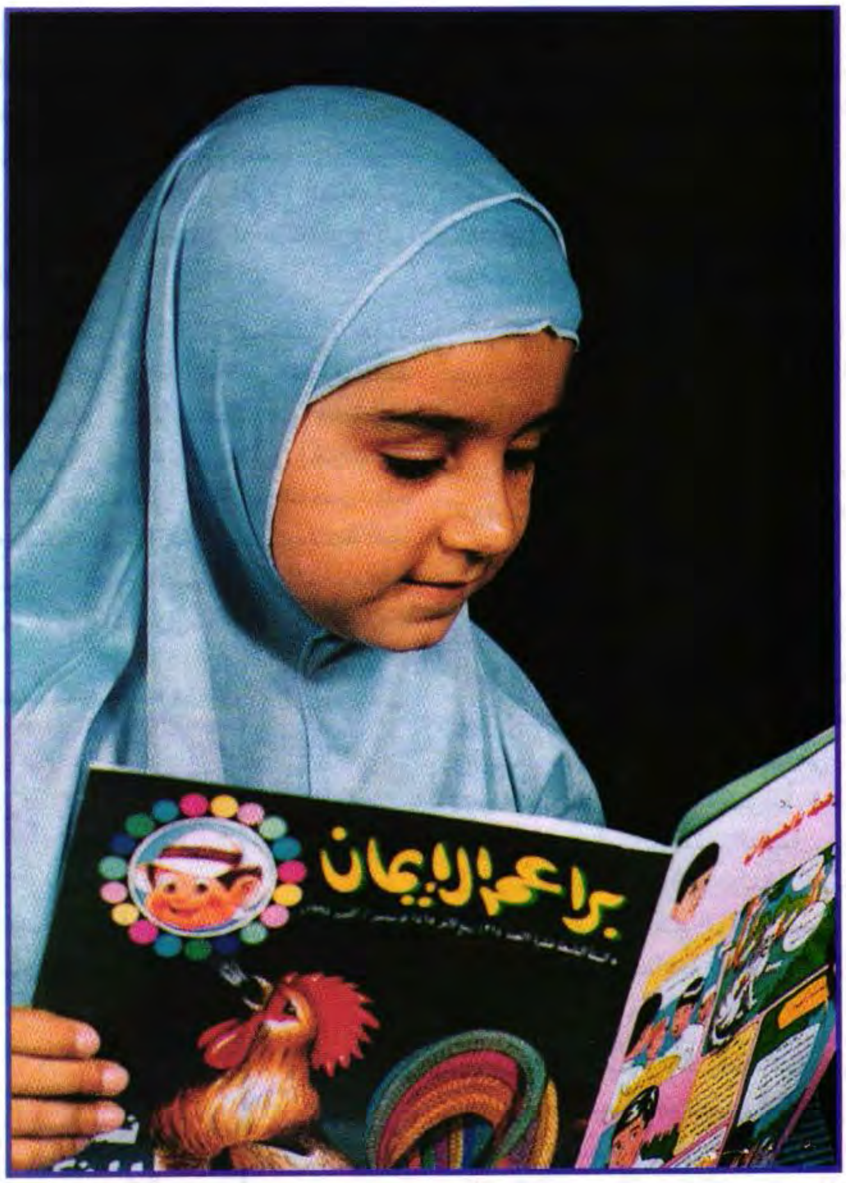
ولما كان الباحث يدرس مدى تأثير المجلات في بناء شخصية الطفل المسلم، فقد كانت «براعم الإيمان» محطته المتعلقة بالأنموذج التطبيقي، لثلاثة اعتبارات:

- أنها تصدر عن جهة إسلامية متخصصة.

- أنها تصدر ملحقة بمجلة إسلامية عريقة ومعروفة.

- أنها إسلامية، والوحيدة من نوعها في الكويت.

فضلاً عن أنها لا تزال تصدر حتى الآن، منذ صدور عددها الأول في شهر رجب ١٣٩٥هـ - يوليو ١٩٧٥م، ولم تتوقف إلا فترة الغزو العراقي. ويشير الباحث إلى أن رئيس تحرير المجلة السابق بدر القصار أكد له: أن الهدف من إصدار مجلة «براعم الإيمان»، توعية وتعليم أبناء المسلمين أمور دينهم قولاً وفعلاً، وغرس القيم الإسلامية والتربوية،



الدكتور البكري في سطور



د. طارق البكري

- مولود في بيروت سنة ١٩٦٦م.
- حاصل على ليسانس لغة عربية بتقدير جيد جداً مع مرتبة الشرف.
- حاصل على الماجستير في صحافة الكويت الإسلامية.
- عمل في إذاعة صوت الوطن اللبنانية لمدة سبع سنوات متتالية، إلى أن انتقل إلى الكويت ليعمل محرراً في جريدة الأنباء الكويتية منذ نحو ست سنوات متتالية.
- عمل في عدد كبير من الصحف والمجلات اللبنانية، وله عدد من المشاركات المتعددة.
- تولى إدارة تحرير مجلة الرسالة الإسلامية التي تصدر في بيروت لمدة ثلاث سنوات متتالية، وله إسهامات عديدة في كثير من المجلات الإسلامية.

وتوسيع دائرة المعارف من العلوم الشرعية والأدبية والعلمية، وهي تخدم شريحة الأطفال منذ سن السادسة إلى سن العاشرة.

وأوضح رئيس تحرير المجلة «أن موضوعات براعم الإيمان تعتمد على القصص الحقيقية المقتبسة من القرآن والسنة، وسير الصحابة والصالحين، ولاتعتمد على الموضوعات المترجمة، وتكتب بأسلوب قصصي جذاب، وبلغة مبسّطة مفهومة وبإخراج ورسوم فنية مشوقة».

وأشار الباحث في دراسته إلى أن عدد صفحات المجلة كان في بداية صدورها ١٦ صفحة، ثم تطورت تدريجياً، حتى زادت على الضعف، فوصلت في نهاية العام ١٩٩٨م إلى ٣٦ صفحة من الحجم الكبير (٢١×٢٧سم)، كما زاد عدد المطبوع من نسخ المجلة من خمسة آلاف نسخة إلى مئة ألف العام ١٩٨٦م، ثم انخفض العدد المطبوع بسبب تقليص الميزانية المخصصة للمجلة، إلى ٧٠ ألفاً، ثم ٥٠ ألفاً، ثم ٣٥ ألفاً، وفي نهاية العام ١٩٩٨م، وصل العدد المطبوع إلى ٣٢ ألفاً فقط.

وبالرغم من هذا التراجع في الأعداد المطبوعة شهرياً، ورغم التناقص المستمر، فقد أكد الباحث أن المجلة حافظت على مستواها وأهدافها، ورفعت من مستوى إخراجها، وطباعتها، وخطابها لتواكب العصر، ولم تضع نفسها في قوقعة صغيرة، ولاحظ أنها تمكنت من تقديم مجموعة من الموضوعات القيّمة، شكلاً ومحتوى، وهو ما بيّنه الباحث في دراسة ميدانية إلى جانب دراسة المحتوى، والأدوار والخصائص، وقد تبين بعد إفراغ محتويات المجلة في فترة عينة البحث وجود ٢٧ موضوعاً مختلفاً، كما سارت الدراسة في هذا الفصل وفق المنهج الوصفي التحليلي، بشكل تفصيلي يلقي الضوء على موضوعات المجلة وعلاقاتها بجمهورها.

ثم قدم مجموعة من الأنموذجات المختارة من مجلة «براعم الايمان»، مع تحديد الأدوار المختلفة لهذه الأنموذجات.

وأكد الباحث أن المجلة امتازت بالرسوم الموافقة للمواد المنشورة، بحيث لم يخل موضوع واحد من صورة مناسبة، ولا تخفى أهمية الرسوم في مجلات الأطفال، حيث «تعتبر حجر الزاوية في إخراج مجلات الأطفال، فالمجلة التي تفتقد هذا العنصر أو يندر فيها، لا تجد قبولاً من الأطفال. والرسوم جزء من التعبير الموضوعي، بل هي تتجاوز عملية الإخراج أحياناً، فالرسوم تربّي الذوق الفني عند الطفل، وتعطي القصص بعداً وجدانياً، وتنقل الطفل من عالم الفكرة إلى عالم الواقع الحي، وكلما كانت الرسوم الإبداعية كبيرة أقبل الأطفال على المجلة أكثر».

ولاحظ الباحث أن الرسوم تشكل وحدة موضوعية للمجلة، حيث وجد فيها توازناً في الألوان، والبعد عن الألوان الداكنة، والاستفادة من تقنيات التجهيزات المعاصرة في التعامل مع الألوان، وإخراج ألوان تناسب الموضوعات المرافقة.

وتستخدم مجلة «براعم الايمان» الصور والرسوم بطريقة حيَّة، توظف لتوصيل الأفكار والمعلومات، كما تستخدم الصور في القصص، إما بشكل قصص مسلسلة وإما أن تصاحب القصة صورة واحدة أو أكثر لتوضيح الأحداث، وأغلب الصور المستخدمة عبارة عن رسومات حية ومتحركة.

وأكد الباحث أنه رغم بعض الملاحظات والهنات على ضعف عدد من الصور والرسوم من الناحية الفنية، فإن من الواضح أن مجلة «براعم الايمان» أدركت أهمية الرسوم للأطفال، بحيث تكون وسيلة جذب وإيضاح، كما أن لها تأثيراً كبيراً على ذاكرة الطفل ما يسهل الاحتفاظ بها لفترات أطول مقارنة بالكلمة المكتوبة». ■

النسب المئوية لموضوعات ٨١ عددا من البراعم

الرقم	الموضوع	عدد الصفحات	النسبة المئوية
١	قصص مصورة	٤٩٤	٢٣,٧
٢	قصص سردية	٢٠٦	١٠,٢
٣	قصص حوارية	١٩٠	٩,٢
٤	بأقلام البراعم	١٤٤	٦,٩
٥	التسالي	١٢٧	٦,١
٦	معلومات علمية	١٢٢	٥,٩
٧	الأنشودات	١١٠	٥,٣
٨	أصدقاء البراعم	١٠٨	٥,٢
٩	الغلاف الأول	٨١	٣,٩
١٠	كلمة العدد	٨١	٣,٩
١١	مسابقة العدد	٨١	٣,٩
١٢	الغلاف الأخير	٨١	٣,٩
١٣	مسرحيات مدرسية	٧٠	٣,٣
١٤	موسوعة البراعم	٦٢	٢,٩
١٥	موضوعات متفرقة	٣٦	١,٧
١٦	مدن عربية وإسلامية	٢١	١
١٧	تلوين	١٤	٠,٧
١٨	تعارف الأصدقاء	١٢	٠,٦
١٩	تمثيليات تعليمية	٨	٠,٣١
٢٠	حوارات شعرية	٦	٠,٣
٢١	تمثيليات تربوية تاريخية	٦	٠,٣
٢٢	موضوعات عن اللغة العربية	٥	٠,٢
٢٣	من صفات براعم الإيمان	٥	٠,٢
٢٤	اقرأ في هذا العدد	٤	٠,١
٢٥	قصص شعرية	٤	٠,١
٢٦	مسرحيات شعرية	٤	٠,١
٢٧	ابتسامات البراعم	٢	٠,٠٩
	المجموع الإجمالي	٢٠٨٤	١٠٠ ٪

الوعي الإسلامي
al-Waei al-Islami
العدد 411
ذو القعدة 1420 هـ
فبراير / مارس 2000 م

الأسرة المسلمة 2





البكاء لغة الطفل الأولى

سيلفانا

إلتهاب الأذن الوسطى الحاد

مشكلات الأطفال السلوكية

النشاط الزائد للطفل المؤشرات والعلاج

وقفات مع إدخار البيت المسلم

رسالة إلى الآباء

بقلم: د.زيد محمد الرماني *

وقفات مع إدخار البيت المسلم

هل الإدخار ظاهرة تقدمية أم أنها من خصائص الدول النامية؟

فقد قيل: لا تقاس ثروة الإنسان بما يكسب ولكن بما يدّخره.

والإدخار قد يكون آنياً بقصد شراء حاجة تلزمنا، وقد يكون لفترة قصيرة، كتأمين سكن، أو مشروع سفر، أو شراء منزل، أو الاستقرار والزواج، وقد يكون لفترة طويلة لضمان المستقبل.

فلو قيل: هل الإدخار غاية؟

نقول: طبعاً، لا...

لأن الإدخار هو وسيلة للانطلاق لمرحلة جديدة.

ولو قيل: هل الإدخار هدف؟

نقول: طبعاً لا.

لإن الإدخار وسيط، والغاية منه قد تكون لضمان الشيخوخة والمستقبل، أو لزيادة الدخل أو رفع المستوى. وقد يكون الإدخار لشراء حاجات ضرورية أو لتأمين مستقبل الأولاد، أو مجرد تمضية إجازة ممتعة، لكن الإدخار يبقى ضرورة، لأن الأمور قد تتطور، وليس من يضمن دوام الحال.

فمن لم يحسب ذهاب نفقته لم يحسب دخله. ومن لم يحسب دخله فقد أضاع أصله. ومن لم يعرف للغنى قدره، فقد أذن بالفقر وطاب نفساً بالذل. إذ مستقبل أي إنسان مرهون بما أعدّه ونظّم شؤونه المالية لتحقيق برنامج حياته.

فلو قيل: مَنْ يستطيع أن يدّخر؟!

نقول: ليس من الضروري أن يكون لدينا ثروة لنبدأ الإدخار، فلكل إنسان إمكاناته وطاقاته وحدوده، وعندما يكون ثرياً لا يكون بحاجة للإدخار، فكل إنسان وحتى الطفل الصغير يمكنه أن يدخر، وهو في الواقع قد يستفيد من أخطاء أبوية، فهما عندما يشتريان له حصّالة يحاولان التعويض عن إهمالهما لأنهما لم يدخرا في حياتهما، فيزعمان أنهما سوف يوجّهان أولادهما نحو الإدخار.

فلو قيل: متى يبدأ الإدخار؟!

نقول: اليوم، نعم، فلنقرر اليوم أن ندخر إن كنا لم نقم بذلك حتى الآن، وإن كنا قد أخطأنا في الماضي، فليكن قرارنا حكيماً وصارماً ولنقرر الآن أن نبدأ.

فلو قيل: لِمَنْ ندخر؟!

نقول: لمستقبلنا ربما؟ ولكن المهم أن ندّخر لأنفسنا وأولادنا، ليستمروا في العيش بمستواهم «لأن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة».

فلو قيل: ما الإدخار، إذاً؟!

نقول: إن مفهوم الإدخار، كان في الماضي يعني الزراعة، بصورة عامة، كما يشير إلى ذلك جعفر الجزّار في كتابه «الإدخار والاستثمار»، وربما كان السبب، والكلام للجزار، هو في أن الزراعة تعطي إنتاجاً مضاعفاً وأمثالاً متعددة خلال فترة قصيرة، ثم انسحب مفهوم الإدخار على كل شيء يمكن إدخاره، سواء معنوياً كان أو مادياً، وإن كان معظم إطلاقه على الجانب المادي.

فالحيوان يدّخر طعام أولاده في عشه أو جحره أو في جوفه، يدّخر خلال فصل الصيف ليبقى ويعيش خلال فصل الشتاء وليسترد حياته في فصل الربيع.

وإذا أردنا أن نتعمق أكثر فبإمكاننا أن نقول إن جسم الإنسان وجسم الحيوان يدّخر الغذاء، أو المواد الضرورية لبقائه والتي يمتصها من غذائه.

والجمل يدّخر الماء والطعام، وهو مثال رائع لأسلوب حياتي متفوق، فبإمكانه أن يعيش في الصحراء القاحلة من دون ماء وتحت أشعة الشمس الحارقة أياماً معدودة، مستعيناً بالمواد التي ادخرها وخزّنها في سنامه إضافة إلى ما خزّنه وادخره في بواطن معدته.

إذاً: الإدخار هو جمع جزء من الموارد وحفظها لإنفاقها في المستقبل، عندما تنخفض أو تنضب الموارد.

وبلغة الاقتصاديين: الإدخار اقتطاع نقدي من الدخل بعد الجزء المتفق من هذا الدخل على العملية الاستهلاكية، وهذا الاقتطاع النقدي قد يوجه للاستثمار أو التوظيف أو الاكتناز.

فلو قيل: ما الإدخار الإجباري؟!

نقول: أهم ما يمكن اعتماده من أساليب الإدخار الإجباري هو استباق القرار، من حيث التنفيذ قبل الاستعداد الكامل. فإن بعض التصرفات وإن تبدو متناقضة، فإن المجتمع الاستهلاكي الذي نعيش في ظلاله، قد سهلها بحيث أصبح الكثيرون يرون فيها حلولاً سهلة ومقبولة ومفضّلة. والشراء بالتقسيط يأتي بالدرجة الأولى. وخطر التقسيط يتمثل في المبالغة وتضخيم المصروفات، وفي القدرة على الوفاء أو الحفاظ على مستوى الرفاه الناتج عن تسهيلات التقسيط.

فلو قيل: ما الإدخار المثالي؟

نقول: إن استباق القرار والتقسيط مجرد أمثلة عن الإدخار، بدءاً من الفراطة والفتات والإدخار الإجباري، فقد يجد بعض الناس أن مجرد التأمين على الحياة أو التأمين المرضي بأقساط مريحة هو إدخار مثالي ومقبول. ولا شك أن التأمين الصحي يعتبر فعلاً من الإدخار.

فلو قيل: لماذا ندخر؟!

نقول: إنه وفق إحدى الإحصاءات العملية نجد أن الإدخار يكون على الأغلب للأسباب التالية:

لضمان المستقبل والشيخوخة، للمرض والمفاجآت، لتأمين سكن، لشراء حاجات ضرورية، للزواج، لشراء سيارة، أو منزل، لسداد بعض الديون والمستحقات، لتمضية إجازة ممتعة، لزيادة الدخل، لتحمل تكاليف

الدراسة أو إعادة التأهيل، لرعاية مستقبل الأولاد.

فهل لدينا إدخارات كافية لذلك. وهل ضمنا لأولادنا سلاحاً لايستطيع أحد أن يأخذه منهم مثل «العلم والتخصص»؟!

وهل أمنَّا لأنفسنا ولأولادنا دخلاً معقولاً مناسباً، يكفي للمحافظة على مستوى حياة كريمة، إذا ما توقفنا عن العمل الذي نمارسه؟!

وهل فكَّرنا في عائلتنا وأولادنا، من بعدنا، وماذا يكون وضعهم بعد غيابنا، وكيف يتم التنسيق بما تركنا لهم وما سنتركه؟!

وإن كانت لنا بعض المدخرات، فهل هي في موضعها الصحيح.

فليس المهم أن يكون لدينا مال نقدي بقدر ما يكون لنا برنامج إدخاري واستثماري.

والحقيقة، فإذا كان الإدخار يأتي من الدرجة الثانية بالنسبة لسكان الدول الصناعية والدول الغنية والدول التي لديها صناديق مساعدة وجمعيات لضمان الشيخوخة وشركات لتأمين الدخل المستقبلي، فإن الإدخار هو أساس في الدول التي لم تصل لذلك المستوى والتي تترك الفقير يموت ولا تقوم السلطة ولا الجمعيات بأي جهد أو أي برنامج يضمن مستقبل العجزة.

ومن ثم، يمكن القول بعد ذلك كله: الإدخار هو الحرص المادي، والتبذير هو اللامبالاة، فالحرص من ضرورات الحياة، والتروي والاعتدال هو التصرف السليم في كل شيء، وكل تطرف، وكل مغالاة تجعلنا نستنزف طاقاتنا فتضعف إمكاناتنا وتنخفض مستوياتنا ويقصر عمرنا، وتبدأنهايتنا، فالإدخار بالنسبة للمادة كالوقاية بالنسبة للجسم. ختاماً أقول: علينا أن نميّز بين الاعتدال والاقتصاد والإسراف والإدخار من جهة، وبين الكرم والإسراف والتبذير من جهة أخرى. فإن كانت أوضاعنا تسمح لنا أن نتصرف بكرم وأن نجود بما أنعم الله به علينا، فإن أي تطرف سواء في البخل والشح أو الإسراف والتبذير مرفوض شرعاً وعقلاً. وصدق الله القائل: (ولا تبذر تبذيراً. إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفوراً) الإسراء:٢٦ - ٢٧. ■

* مدرس في جامعة الامام محمد بن سعود - الرياض

بقلم: علي مدني رضوان الخطيب

رسالة إلى الآباء

ترى ما الفائدة لزواج امرأة برجل لا تلتقي وإياه إلا عند النوم... فهو لا يكافئها إلا في سلسلة النسب... ثم يفترق عنها بعد ذلك في كل شيء من سنن الفطرة وحتى قوانين الذوق البسيطة... ترى هل يتساوى الدر بالبعر، والمسك بالرجيع؟! إن مثلها يتجرع عنده مرارة الأيام كلها منذ خلق الله الخلق، وفي بيته تموت مرات ومرات. «ومن لا دين له لا أمانة له» كيف والمرأة من أعظم الأمانات بعد أمانة الدين... فهل تراه يحفظها أم يصونها أم يتلهى ويعبث بها ويبددها مع جديد الأيام حتى تذهب نضارتها، وينضب حسنها، ويجف عطاؤها ويقسو قلبها ثم تتسع جراحها لتذبل وتضعف دون أن تملك لنفسها الموت أو الحياة؟.

إن الإسلام لا يرفض الكفاءة، بل لا يقبلها إلا متماثلة من كل وجه وإلا فاتباع السنة أولى وأوجب «إن جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه إلا تفعلوا تكن في الأرض فتنة وفساد كبير»... وفي رواية: «وفساد عريض».

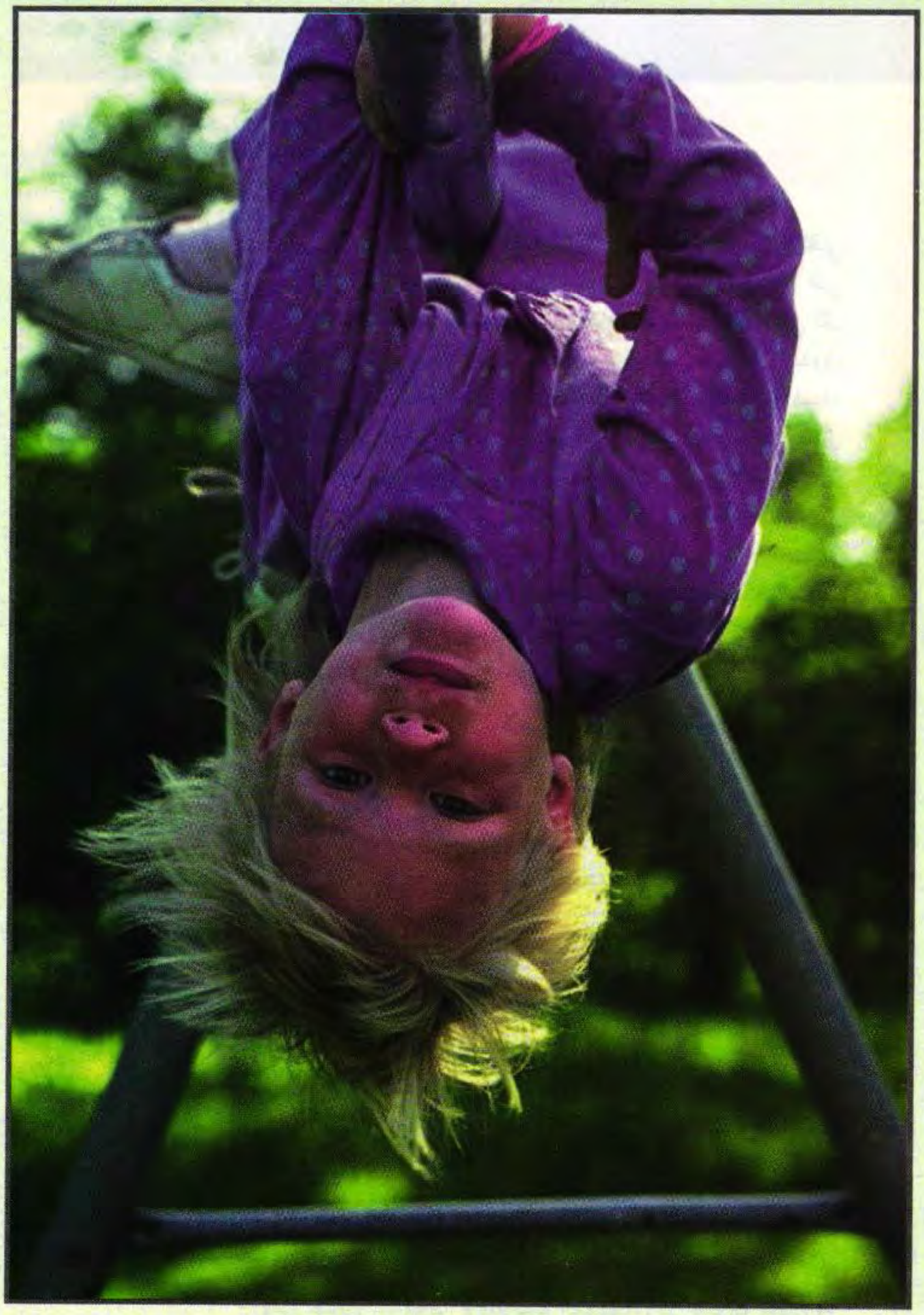
فأي فساد أكبر وأعرض من زواج امرأة عاقلة... موفورة الفهم والجمال والثقافة والأدب والخلق الرفيع المتسامي لزوج شأنه أنصاف الرجال ولا رجال. ضحل الفكرة، عليل التصرف، ماجن القلب، قاتم البصيرة؟!

وفي علم الأحياء: إن الطيور تتآلف بعضها إلى بعض، إذا تقاربت في شيء من الصفات التي تجمع بينها. فهل هناك قاسم مشترك أعظم من الدين والخلق؟!

ومن عجب أن قوماً أوقع بهم الشيطان في شركه فساروا وراءه حذو القذة بالقذة فوضع لهم من العادات والتقاليد ما يصادم العقل والفطرة لا لشيء إلا لضياع هذه الشريحة المؤمنة من النساء الفضليات لتزل قدم بعد ثبوتها.

فهل فهم الآباء والأوصياء ذلك... إن ليس غير الدين عاصم لبناتكم وبيوتكم، وليس من يدخل عليكم السعادة غيره وإلا فحزن مقبل وهمٌّ لازم وحسرة يتبع بعضها بعضاً - ألا هل بلغت؟!■

بقلم: عبدالحميد غزي بن حسن



النشاط الزائد للطفل
المؤشرات ـ العلاج

قد يفرح الوالدان بنشاط طفلهما في المدرسة، ويعدانه مؤشراً لنجاحه وتفوقه في المستقبل، وقد يكون ذلك صحيحاً، ولكنه قد يكون مؤشراً لمرض يسمى «ضعف التركيز الناتج عن الإفراط في النشاط»... وعلى صعيد الأسرة، قد تشتكي بعض الأمهات من أن ابنها دائم الحركة لا يهدأ منذ أن يستيقظ وحتى ينام، وهذا شيء متعب ومرهق للأعصاب، ما يضطر الأم للتفرغ الكامل لابنها.

فما سبب النشاط الزائد؟، وكيف يمكن التعرف على الطفل الذي يعاني من فرط النشاط الحركي وما علاجه؟

تعريف النشاط الزائد:

يعد النشاط الزائد من أنماط السلوك غير الناضج الذي يدل على أن الطفل لم ينمُ نفسياً أو سلوكياً أو معرفياً أو اجتماعياً تبعاً لبعض المعايير، والمعيار الشائع في هذا المجال هو التوسط، مقارنة بالرفاق ممن هم في العمر نفسه، فإذا ما أظهر الطفل أي تأخر في أي مظهر من مظاهر النمو، صنف على أنه غير ناضج، وعُدّ سلوكه سلوكاً يناسب الأطفال الأصغر سناً، كما عُدّ مؤشراً على عدم قدرته ـ الطفل ـ على التكيف مع المتطلبات المختلفة للموقف الذي يواجهه.

مؤشرات لتحديد النشاط الزائد:

المؤشر الأول: القلق:

إذ لا يستطيع الطفل أن يكون هادئاً وبخاصة بعد دخوله مرحلة الروضة أو الفصل الأول الابتدائي، كما لا يستطيع الجلوس في مقعده لفترة طويلة، بل يظل في حركة دائبة. لكن المهم هنا هو تحديد ما إذا كانت هذه السلوكيات زائدة عن نظيراتها لدى زملائه في السن نفسه. وكما يجب أن نضع في اعتبارنا أن الأطفال يميلون إلى النشاط أكثر من الفتيات.

المؤشر الثاني: هو عدم التركيز أو عدم الانتباه:

عدم الانتباه، حيث لا يستطيع الطفل معه التركيز في المدة نفسها التي يركز فيها زملاؤه، وتلازمه أحلام اليقظة، ما يوجب تكرار النداء عليه قبل أن يجيب، ويفقد التركيز معه وبخاصة بعد مرور دقائق عدة، وإذا نودي عليه لايعرف أين وصل المدرس في شرح الدرس، بل يفقد التركيز بسرعة، وينبغي أيضاً، أن نأخذ بعين الاعتبار، أنه كلما صغر سن الطفل، قلّت مساحة الانتباه لديه.

المؤشر الثالث: الشرود:

يكون الطفل دائم النظر فيما حوله... ولاسيما فيما يصرفه عن الفصل... أي ضوضاء أو حركة تحدث، على الرغم من تركيز بقية زملائه على مهامهم، وهو يقع في أخطاء في الحساب أو الكتابة بلا مبالاة، وعلى الرغم من معرفة «الطفل» لقواعدها وأسسها، وقد يأخذ الطفل وقتاً طويلاً في إنجاز مهامه في أثناء الفصل مع أنها تبدو سهلة وفي مستواه، ويواجه صعوبة في المذاكرة، حتى مع إصرار الآباء عليها... كل هذه إشارات على ارتفاع معدل الشرود عن المعدل العادي.

المؤشر الرابع: الاندفاع

أن يبدأ الطفل بالمهمة قبل أن يحصل على كل الإشارات، فيكتب في أي مكان من الصفحة ولا يتقيد بالوضع المنطقي عند ابتداء العمل، وقد يلقي بالكتب أو الحقيبة أو الأقلام في أي مكان يجده، لكي يبدأ مهمة أخرى، ويندفع في الإجابة على أسئلة المدرس من دون تفكير. وكما على المدرّس، عندما يلاحظ السلوكيات السابقة على تلميذ أو أكثر في فصله، عليه أن يناقش الأمر مع الآباء... لأن هذه السلوكيات تعوق تقدم الطفل وتخفّض من مستواه... فالتدخل المناسب قد يكون هو الفرق بين النجاح والفشل.



أسباب النشاط الزائد للطفل:

نظراً لخطورة النشاط الزائد لدى الأطفال، ولا سيما مما يواجهونه من صعوبات كبيرة في عدم القدرة على التعلّم، وغالباً لا تكون طرق التدريس التقليدية فعّالة مع الطفل، ما يؤدي إلى إصابة الطفل ووالديه والمدرّس بالإحباط... ما يعتبر ذلك مشكلة، والتي ترجع أسباب هذه المشكلة ـ الظاهرة ـ إلى خلل وظيفي في الدماغ، ما يسبب حركات كثيرة غير هادفة، أو إلى العوامل الوراثية، ما يظهر بعض الأطفال في نشاط زائد منذ الولادة، ويحدث في بعض الحالات نتيجة الصدمات على الرأس أو التسمم، وكثيراً ما يرافق ذلك حالات صرع، في حين يذكر بعضهم أن النشاط الحركي الزائد دليل أذية عصبية أو نقص أكسجة دماغية في أثناء الولادة.

لذا من الضروري تحديد سبب إصابة الطفل بالنشاط الزائد، والذي يترافق عند نسبة كبيرة من الأطفال (٦٥٪) لنقص التركيز، لذا يعد الفحص الطبي والنفسي مهم جداً. كما أن وعي الأهل بالأصول العصبية للنشاط الزائد يؤدي إلى مزيد من التفهم والتحمّل لمثل هذا السلوك، بدل لوم الطفل على إزعاجه للآخرين، حيث يتم التركيز على مساعدته ليصبح أكثر هدوءاً.

أساليب العلاج:

ولعلاج النشاط الزائد عند الطفل أساليب عدة هي:

١ ـ التعزيز اللفظي: وذلك بتعزيز السلوك الحسن والمرغوب بمكافأة الطفل على تطبيقه من مدح وتقدير.

٢ ـ الاتفاقات: مثل الاتفاق مع الطفل على تقديم مكافأة مقابل قيامه بعمل معين.

٣ ـ نظام النقط: ويشبه أسلوب الاتفاقات، إلا أنه يتم بوضع إشارات على جدول يوضح للطفل سلوكه المناسب وغير المناسب، وذلك عن طريق توضيح الإشارة المناسبة لكل سلوك، ويمكن أن يتم هذا النظام بإعطاء الطفل «إشارة، فيش» عند قيامه بالسلوك المناسب على أن يستبدل الطفل هذه الإشارات ببعض الألعاب الصغيرة، أو الامتيازات الإضافية، أو المشاركة في رحلة ما، ويمكن أن يحصل الطفل على هذه الإشارة، إذا جلس في البيت لفترات معقولة دون أن يظهر نشاطاً زائداً.

ومن مزايا هذا الأسلوب، أنه يمكن

اللجوء إلى تطبيقه في المدارس والرياض، ما يساعد الطفل على تجاوز هذه المشكلة، والعمل على خلق نوع من المشاركة والتفاعل في الصف كله.

العمل مع الطفل الذي يعاني من ضعف الانتباه الناتج عن الإفراط في النشاط، عملية صعبة، وقد تكون منهكة، ومع ذلك، فإن جهود المدرّس الجيد في استخدام الطرق والأساليب الصحيحة، كأن يجلسه في مقدم الفصل، حتى لا ينصرف اهتمامه إلى من أمامه من الطلاب، كما يجب العمل على جلوسه بالقرب من المدرّس، علماً أن الصياح الشديد في وجه الطفل، أو تعنيفه لعدم انتباهه غير مفيد، وقد يكون مدمراً.

وعلى الأغلب يكون الفهم والتشجيع من قبل المدرس المحك الأول في تحفيز الطفل على إتمام دراسته.. كل ذلك، يفيد في تقدّم الطفل بنسبة كبيرة، قد تصل إلى عشرة أضعاف ما يتبناه غيره من المدرسين العاديين. وذلك في الكثير من الحالات التي أدى تغيير المدرِّس أو المدرِّسة إلى تحسن مدهش في حال الطفل الذي يعاني من هذه المشكلة.

وثمة أمور تساعد الطفل على التخلص من النشاط الزائد إضافة لما سبق وهي:

- تجنب المنبهات الشديدة والإشارات الزائدة، كما يجب الحرص على الهدوء قبل موعد النوم بمدة كافية، ويحسن عدم أخذ مثل هؤلاء الأطفال في رحلات طويلة إلى الأسواق، وذلك مخافة التنبيه الزائد المستمر، ما يصعد نشاطهم.

- الحرص على إبعاد الأشياء القابلة للكسر أو الخطرة عن متناول يد الطفل، وفي حال فشل الوالدين في مواجهة النشاط الزائد عند الطفل وتعزيز النشاط الهادف.

- اللجوء إلى الطرق التي يستخدمها الاختصاصيون في الصحة النفسية المعتمدة على نوع من العلاج، والذي يكون تحت إشراف طبي مناسب. ■

البكاء لغة الطفل الأولى



عالم الطفل، عالم قائم بذاته يجب علينا نحن الكبار أن نتفهمه وأن نسبر أغواره لنتعرف على خفايا هذا العالم، وما يلفه من غموض نابع من كون الطفل لايستطيع التعبير عن حاجاته ورغباته كونه لايتكلم لذا فهو يلجأ إلى البكاء... فبكاء الطفل هو صرخة يطلب بها ما يريد أو يلتمس بها إنقاذاً له من حال تزعجه، وبالبكاء وحده يستطيع الطفل أن يعبر عن حاجاته فهو يعبِّر عن طريق البكاء عما يزعجه ويؤلمه ويريده. وهناك مزاعم غير صحيحة يتشدَّق بها الأهل منها أن إهمال الطفل عند البكاء حال صحية وتربوية كي لايفسده التدليل وفيها أيضاً أن البكاء يعتبر تمريناً لرئتي الطفل، وكل تلك المزاعم عارية عن الصحة لأن الطفل لايبكي دون سبب، فهو يبكي ليُفهِم أمه أنه يطلب شيئاً ما... كونه لا يتكلم... فالجوع والعطش من أسباب بكائه، وعندما يبكي ولايجد من يستجيب له يزداد صراخاً وبكاء لأن من يحيطونه لم يفهموه.

إن ضمَّةً حانية من الأم تعيد إلى الطفل هدوءه وسكنيته فلا الهز ولا اللعب ولا الرفع والخفض يفيدانه متى أهمل في مضجعه كونه يصاب بضيق وحرج وضجر، وينفد صبره.

إن وضعه في مكان يراقب منه حركات أمه جيئة وذهاباً يسكّن من جأشه، ويهدِّء من روعه ويزيل اضطراب نفسه، ويزيل ضجره وينسيه عزلته وبعده عن أمه، كما أن الحمَّالات المصنوعة خصيصاً له، والأرجوحات، والمهد المهتز، والأصوات الجميلة الحانية ترضيه وتبعث البسمة على شفتيه ووجهه، والأغنية الخفيفة تدخل الهدوء إلى نفسه. إن كثرة الملابس، والدفء الشديد، والبرد كل تلك الأمور تبكية، وثمة عوامل أخرى تخيفه وتجعله يبكي بصوت قوي، والوجه الغريب، والحركات المفاجئة والمؤلة كل ذلك يبكيه.

إن الطفل مرهف الحس، يعرف مزاج أمه وأبيه ويتفاعل مع هذا المزاج، وإذا تشاجر الأبوان أو تحادثا بصوت عال يجهش بالبكاء.

وقد يتألم الطفل ويبكي من الصخب والضجيج كونه تعوَّد الهدوء وهو جنين في بطن أمه.

وخلاصة القول: إن البكاء لغة الطفل الأولى، ووسيلته التعبيرية، ينطق به بطريقة فرديَّة خاصة، وليس للبكاء قاموس يشرح معانيه، بل إن الأم الحاذقة والذكية هي تلك التي تفهم ما يريده طفلها من خلال البكاء، ومع ذلك، فإن الأم مهما حاولت أن تفهم طفلها فإنها تقف أحياناً عاجزة عن فهم ما يريده.

ليلى عبدالرحمن السلطان

شعر: محمد الحسناوي

سيلفانا

امرأة أعلنت إسلامها في مسجد الهدى بمدينة روما يوم ٢١/٨/١٩٩٦م.



«سيلفانا» اسمٌ في الأسماء
نجمٌ في ظلماء
تُبحرُ ضدَّ التيارِ بإصرار لا تعرفهُ
حواء

•■•

أنا مسلمةٌ، مسلمةٌ حتى الإغماء
من فرحي لا تصحو الغَبراء
بالفطرة عانقتُ الإسلام، وجافيتُ
الأوثان
لم أسلبْ أرضاً
لم أجرحْ عرضاً
أنا لله... وبالله استغنيت
بعبير الطُّهر مشيتُ، وبالنُّور
استعليت
كان اسمي «سيلفانا»
لا كنتُ اسمي، لا كانا
سيكونُ اسمي «مريانا». ما
أحلى «مريانا»!
اسمي بالقرآن ازدان
«مريانا» أمُّ نبيِّ الله بتول
كان اسمي «سيلفانا»
لا كنتُ اسمي، لا كانا
ما أعذبَ هذا الترتيل!
يأخذني، يُرسلني في لمحة
طرف
أشربه صرفاً، يُسكرني حرف
لغةُ الجنة هذي أم ترنيمةُ داود؟
ما أعذبَ هذا التغريد!

•■•

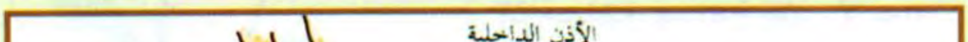
أنذرتُ بناتي أصهرتي بقراري
قالوا: هذي امرأةٌ من نور لا من نار
تقتحمُ النار ببرد الأنوار
أنا لله... وبالله استغنيت
بعبير الطهر مشيت، وبالتوحيد
استعليت
منْ ينفسني، منْ يزحمُ هذا الجبل
البيت؟!

•■•

في «روما» جمعتني الأقدار بـ
«سيلفان»
في ركن من أركان المسجد تتلو
القرآن
السَّمتُ أمان
الصمتُ بيان
إنسانٌ يختصرُ الحاضرَ...
والمستقبل في عُنْوان
حينَ سبَّحت الرَّحمان
أصغتْ تسترجعُ آذانُ البُنْيان
لا لقاءَ ولا فرعاء
في حجم الظَّبي إذا يَردُ الماء
وبحجمِ الشمسِ إذا تردُ الظَّلماء
«سيلفانا» اسمٌ في الأسماء
«مِريانا» منذُ اليومِ سَماء

إعداد: د. محمد مصطفى السمري

التهاب الأذن الوسطى الحاد



رسم توضيحي للأذن

التهاب حاد يصيب الغشاء المخاطي المبطّن للأذن الوسطى وهو مرض شائع يعاني منه الكبار والصغار، بيد أنه أكثر شيوعاً في الأطفال. ولاسيما في فصل الشتاء.

أسبابه:

يرجع انتشار هذا المرض بين الأطفال إلى الأسباب التالية:

١ ـ قناة استاكيوس «وهي قناة تصل الأذن الوسطى بالجزء الخلفي العلوي من الحلقوم» في الأطفال تكون قصيرة ومستعرضة وأكثر اتساعاً من مثيلتها في الكبار، ما يسهل انتقال الالتهاب والميكروبات من الأنف والحلق إلى الأذن الوسطى.

٢ ـ كثرة إصابة الأطفال بأمراض الجهاز التنفسي العلوي كنزلات البرد والأنفلونزا، أو بالحميات مثل الحصبة والنِكّاف، أو تكرار التهاب اللوزتين... وكلها تؤدي إلى وصول الميكروبات والفيروسات للأذن الوسطى إما عن طريق الدم أو عن طريق قناة إستاكيوس.

٣ ـ الوضع الخاطئ في أثناء الرضاع، حيث تقوم الأم بإرضاع طفلها وهو في وضع أفقي، وهذا معناه تسرب بعض اللبن إلى الأذن الوسطى عن طريق قناة استاكيوس «التي تفتح مع البلع في أثناء الرضاعة» وتبلغ الخطورة مداها إذا كانت الرضاعة صناعية، ففضلاً عن الوضع الأفقي لزجاجة اللبن ـ وهو وضع يساعد على رجوع بعض اللبن إلى فتحة البلعوم الأنفي ودخوله قناة استاكيوس ـ فإن اللبن الصناعي أكثر عرضة للتلوث عكس لبن الأم المعقم دائماً، ناهيك عن ضعف مقاومة الأطفال الذين يرضعون صناعياً... ولعل هذا يدل على الأهمية العظمى للرضاعة الطبيعية.

تركيب الأذن :

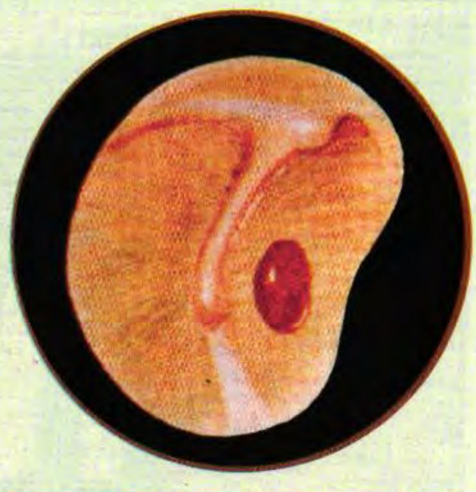
من المعروف أن الأذن البشرية تتكون من ثلاثة أجزاء:

أ ـ أذن خارجية :

وهي مكونة من صيوان الأذن لتجميع الأصوات، وقناة الأذن الخارجية لتوصيل الأصوات إلى الطبلة فتتذبذب تبعاً لها.

ب ـ أذن وسطى :

وهي عبارة عن تجويف عظمي يحتوي على ثلاث قطع عظمية مركبة بدقة أبدعها



غشاء الطبلة وبه ثقب نتيجة لازدياد ضغط الصديد المتكون في الأذن الوسطى

المولى عز وجل تسمى المطرقة والسندان والركاب نظراً إلى مشابهتها لهذه المسميات، ووظيفتها الأساسية تكبير الأصوات ونقلها إلى الأذن الداخلية مع التحكم في شدة هذه الأصوات.

ج - أذن داخلية :

وهي تحوي قنوات عدة معقدة الشكل، لكل واحدة منها، وتسمى القوقعة وظيفتها تحويل الذبذبات الصوتية إلى إشارات عصبية، تمر في عصب السمع إلى المخ، كما تحوي أيضاً قنوات نصف دائرية «هلالية» تعمل على حفظ توازن الجسم.

الأعراض:

تتلخص أعراض المرض في ارتفاع كبير في درجة حرارة الطفل، وآلام شديدة بالأذن نتيجة لتجمع الصديد في الأذن الوسطى ما يحدث شداً عنيفاً على طبلة الأذن، ويزول الألم بزوال الشد على الطبلة إما بخروج الصديد إلى الخارج عن طريق ثقب الطبلة أو زوال الصديد بالعلاج المبكر.

بالإضافة إلى حدوث أعراض أخرى كالقيء والإسهال والنوبات العصبية، وهي أعراض تتفق مع أعراض النزلات



غشاء الطبلة في حالة التهاب الأذن الوسطى الحاد قد بدا منتفخا نتيجة لضغط الصديد المتكون في الأذن الوسطى



غشاء طبلة الأذن سليم في الأحوال العادية

المعوية، مما يزيد الأمر صعوبة على الأم، ويجب عليها عندئذ سرعة عرض طفلها على الطبيب حتى لايزداد تجمع الصديد خلف الطبلة ما يهدد بانفجارها.

العلاج:

يقوم الطبيب بوصف المضاد الحيوي المناسب لحال الطفل، ويجب إعطاؤه مدة لا تقل عن أسبوعين أو خمسة أيام بعد زوال الأعراض. ويعد «الأمبيسلين» أفضل مضاد حيوي في هذه الحال، ويعطى بمعدل ٥٠ - ١٠٠ ملغ كل/يوم.

كما يعطى الطفل «نقطا للأنف» بمعدل ٣ مرات كل ساعتين. وهذا يساعد على انقباض الغشاء المخاطي المحيط بقناة استاكيوس، وبذلك تصبح القناة مفتوحة دائماً. كما يعطى الطفل دواء مخففاً للألم ومخفضاً للحرارة مثل «الأسبرين».

وفي حال عدم الاستجابة للعلاج يتم العلاج الجراحي المتمثل في عمل فتحة أو شق في طبلة الأذن Myringotomy وذلك لتصريف الصديد المتكون داخل الأذن.

ويجب تحذير كل أم من أن إهمال العلاج أو عدم تكملته بحجة زوال الأعراض، يؤدي إلى حدوث التهاب صديدي مزمن يصاحب عادة بمرض يطلق عليه كولستياتوما Cholesetatoma، وهو مرض خطير يؤدي إلى تآكل عظام الأذن وانتشار الالتهاب خارج الأذن، وحدوث مضاعفات خطيرة لا تؤدي إلى فقدان الطفل لسمعه فقط، بل قد يفقد الطفل حياته كذلك.

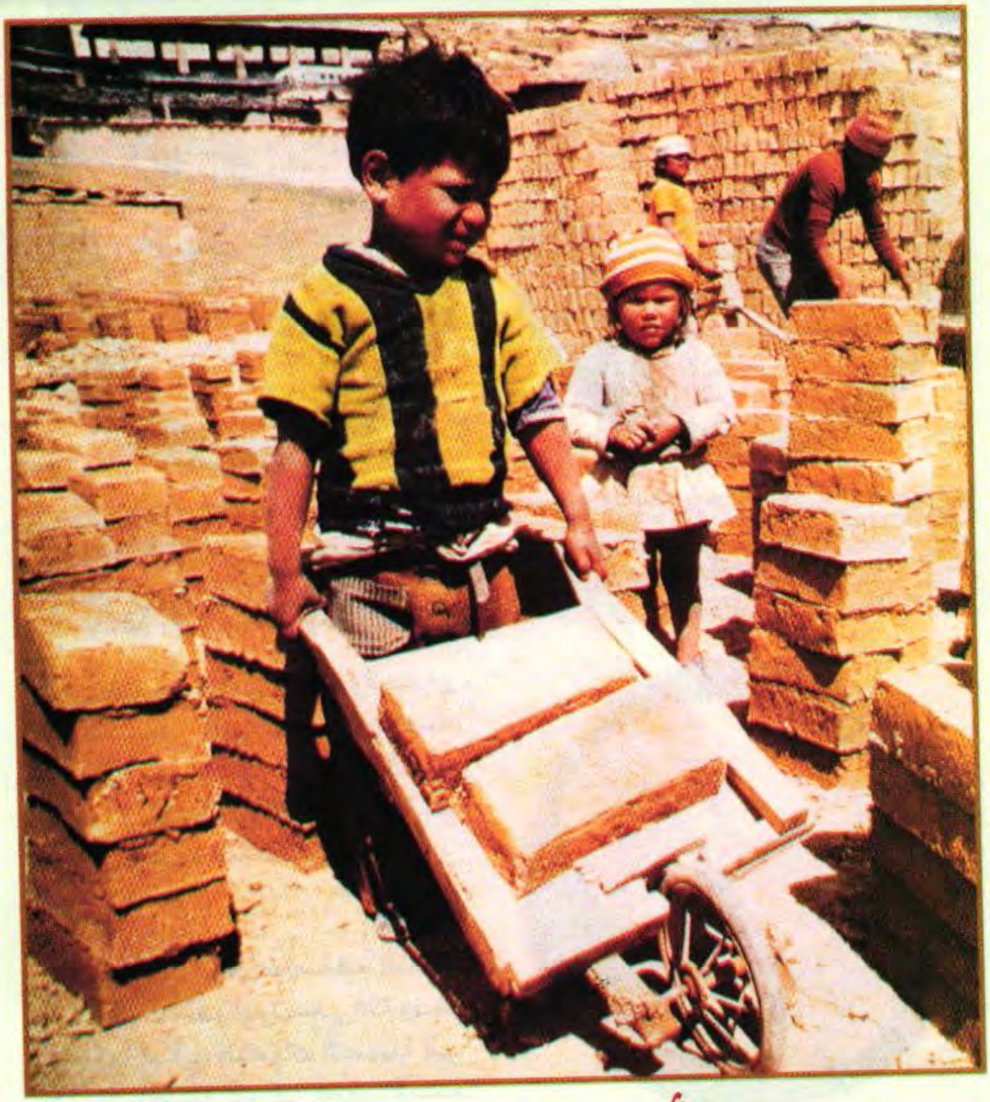
الوقاية:

يجب علاج نزلات البرد وبخاصة إذا صاحبت حميات الأطفال. وكذلك علاج التهابات الأنف والجهاز التنفسي. واستئصال اللوزتين إذا كانت من العوامل التي تؤدي إلى حدوث الالتهاب كما يجب إبعاد الطفل عن كل مريض بالرشح والأنفلونزا.

ويجب حض الأم على الرضاعة الطبيعية لما فيها من مزايا كثيرة، وإذا كانت الأم ترضع طفلها صناعياً فيجب الاهتمام جيداً بنظافة اللبن وأدوات الرضاعة. وينصح بإبقاء الطفل فترة في وضع رأسي بعد الرضاعة حتى تطمئن الأم إلى تخلص المعدة من الهواء، وبالتالي عدم تقيؤ الطفل إذا ما نام بعد الرضاعة، وبالتالي عدم رجوع اللبن ودخوله في قناة استاكيوس. ■

بقلم: عمر الرماش

ظاهرة أطفال الشوارع



أطفال الشوارع ظاهرة جديدة وخطيرة تستفحل بشكل كبير في مجتمعاتنا وتهدد كيانها واستقرارها وأمنها ومستقبلها. إنها ظاهرة الطفولة البريئة التي وجدت نفسها في الشوارع رغماً عن أنفها تمارس حرفاً كثيرة مثل مسح الأحذية وبيع السجائر بالتقسيط والجرائد اليومية وكذلك بيع المخدرات والاتجار فيها. كما أنها تمارس أفعالاً وسلوكيات مشينة مثل التسكع والتسول والتشرد والقيام بعمليات الإجرام والسرقة والنصب والاحتيال وممارسة بعض الأعمال اللاأخلاقية المشينة كالفساد والزنى ما يؤدي بالأطفال إلى الجنوح والانحراف.

سمات أطفال الشوارع:

إن أطفال الشوارع يميزون عن غيرهم من الأطفال بسمات ومميزات خاصة ينفردون بها مثل المظهر غير النظيف والثياب الرثة والأمراض الظاهرة والباطنة والعقد والأزمات النفسية وضعف القدرات العقلية والسلوك العدواني الناتج عن الحرمان العاطفي والوضعية المزرية التي يعيشونها في الشوارع والأزقة، ثم انحطاط الأخلاق وغير ذلك من الخصال السلبية.

دوافع ظهور هذه الظاهرة

إن ظاهرة أطفال الشوارع في المدن والمراكز الحضرية والقرى لم تبرز إلى الوجود من دون أسباب ومقدمات، بل جاءت نتيجة مجموعة كبيرة من العوامل من أهمها:

- ارتفاع عدد الأطفال لدى الأسر التي لا تملك السكن أو تعيش في أكواخ وبيوت الصفيح.
- المشكلات الاقتصادية والمادية المتمثلة في الفقر والبطالة والبؤس الاجتماعي وارتفاع الأسعار وانخفاض الأجور وضعف القدرة الشرائية وغلاء المعيشة.
- التفكك الأسري الناتج عن الطلاق أو هجرة أحد الوالدين أو موت أحدهما المفاجئ.
- انتشار أماكن الدعارة والفساد وممارسة الفاحشة.
- الانقطاع المبكر عن الدراسة وتفشي الجهل والأمية وانسداد آفاق التعليم وتفشي البطالة في صفوف المتعلمين ما يجعل الآباء يدفعون بأبنائهم إلى سوق العمل من أجل كسب لقمة العيش.
- سوء معاملة الأطفال كالضرب والتعذيب والإهمال والطرد.

الانعكاسات السلبية الخطيرة:

إن ظاهرة أطفال الشوارع التي استفحلت بشكل مخيف ولافت للنظر تترتب عليها نتائج سلبية وخيمة لا تعد ولا تحصى، حيث أصبحت طفولتنا مهددة في حال استمرار الوضع المتردي الذي تتخبط فيه. ومن العواقب الخطيرة المترتبة على ذلك ما يلي:

- الانحراف الأخلاقي والسلوكي المتمثل في تعاطي التدخين والمخدرات والخمور وممارسة الشذوذ الجنسي واللواط والقيام بأعمال الإجرام والاعتداء والنصب والاحتيال والسرقة.
- التسكع والتسول والتشرد.
- انحطاط أخلاق أطفال الشوارع وانتشار الأمراض... ما ينعكس بشكل سلبي عليهم وعلى الآخرين في الشوارع والأماكن العامة.

الحل والعلاج:

إن استفحال ظاهرة أطفال الشوارع والنتائج الخطيرة المترتبة عليها يتطلب الإسراع والتعجيل بإيجاد الحلول الكفيلة بتجاوز هذه الظاهرة السلبية والقضاء عليها. ومن أهم ما يستوجب القيام به في هذا المجال:

- ضرورة قيام الدولة ومؤسساتها وباقي فعاليات المجتمع المدني كالأحزاب والجمعيات بواجب التصدي لظاهرة أطفال الشوارع ومحاربة أسباب ودوافع جنوح الأطفال وانحرافهم.
- مسؤولية الآباء والأمهات، تجاه أبنائهم المتمثلة في التربية والتوجيه والنصح: زرع الوازع الديني والإيماني منذ الصغر، الرعاية الصحية والعاطفية، القدوة الحسنة في كل شي، زرع مبادئ الحب والثقة والإخوة والاحترام والتعاون، التوعية الاجتماعية، التشجيع على متابعة الدراسة وحب القراءة وطلب العلم والتفقه في الدين.
- وجوب اضطلاع وسائل الإعلام المختلفة السمعية والبصرية والمقروءة بواجبها الرسالي المتمثل في التوعية بمخاطر جنوح الأطفال وانحرافهم الأخلاقي والسلوكي.
- يجب على الكتاتيب القرآنية ودور القرآن العمل على تنشئة الأطفال تنشئة إسلامية وتربيهم على حفظ القرآن الكريم والأحاديث النبوية لأن الحفظ في الصغر كالنقش على الحجر.
- الزيادة في عدد المؤسسات والملاجئ الخيرية والتي يتوجب عليها العمل على توافر الرعاية الصحية والغذائية والتربية الدينية والأخلاقية والروحية والتدريب المهني والمتابعة والمراقبة والنصح والتوجيه والإرشاد.

إن ظاهرة انحراف الأطفال وخصوصاً أطفال الشوارع يتحمل مسؤولية ظهورها واستفحالها جميع مكونات الأمة كالدولة والمجتمع المدني والأسرة وقطاعات التعليم والتربية والأوقاف ووسائل الإعلام المختلفة مصداقاً لقول الرسول صلى الله عليه وسلم: «كلكم راعٍ وكل راعٍ مسؤول عن رعيته». ■



تزيني لزوجك

أدعو في ظهر الغيب لكل زوجة تتزين لزوجها المسلم، لتحفظه من الخطيئة، والتزين عبادة ووسيلة صالحة، تحبها الفطرة السليمة.

وهل هناك أعظم من الإيمان في حياة الإنسان؟ ومع هذا فقد زيَّنه الله وحببه إلى عباده لتقبله القلوب وتُسرُّ به الأرواح.

قال الله تعالى: (ولكن الله حبب إليكم الإيمان وزيَّنه في قلوبكم وكرَّه إليكم الكفر والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون) الحجرات:٧.

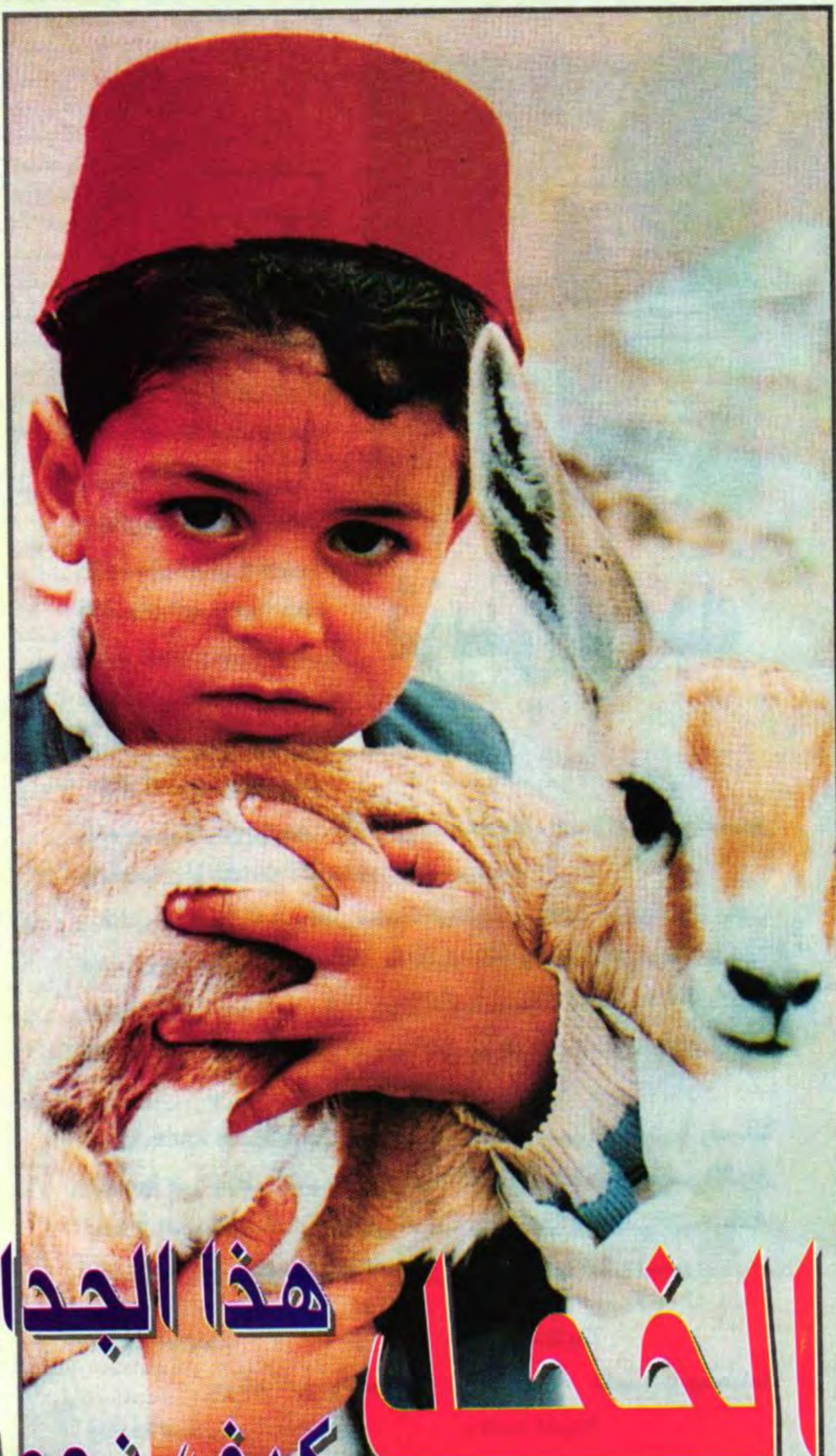
فالزوجة الذكية هي التي تعرف كيف تكسب قلب زوجها، وأن تكون دائماً زوجة جديدة في حياته، فالكلمة الحلوة زينة، والبسمة المشرقة جمال، والرائحة الطيبة، والثوب الأنيق بهجة، واللمسات اللطيفة للشعر، والاختيار الموفق لبعض الحلي البسيط المنسجم مع لون البشرة.

والنظافة المستمرة طهارة وعبادة فأنت حورية الدنيا، وسيدة القصور في جنات النعيم. بإذن الله. تعلَّمي أيتها الزوجة من القرآن أخلاق الحور، وتسابقي معهن إلى قلب زوجك، واجعلي دنياه جنة، ألبسي له الحرير، وضعي له العطور، وغني له كما تغني الحور:

لزوجة مطيعة	وغرفة نظيفة
عينك عنها راضيةْ	نفسك فيها هانيةْ
وطفلة صغيرة	ولقمة لذيذة
محفوفة بالعافية	من يد أغلى طاهية

بقلم: باسمة الحسن

الخجل هذا الجدار الأسمنتي كيف نحطمه؟



أود أن أحدثكم في موضوع، ليس، لأنه مشكلتي، فحسب، بل لأنني أخشى أن يصيب غيري كما أصابني، إنه الخجل، ذلك الجدار الأسمنتي، الذي يحجب ضوء الشمس عن العيون، حاجز يحيط بالإنسان الخجول، فيتركه في ظلام دامس لا يمكنه من رؤية العالم المحيط به، ويترك في النفس مأساة تكبر وتكبر حتى تصبح بركاناً يثور، فيطفئ كل شيء جميل في هذا الوجود.. فكيف يمكننا تحطيم ذلك الجدار الاسمنتي «الخجل» (١)؟!

يقول «ماك دوغال»: «إن تجربة الخجل لا يمكنها أن تتم إلا حين يكون قد نشأ لدى المرء إحساس بقيمة ذاته وتولَّد عنده احترام لهذه الذات». لذا يكون الخجل في مرحلة الطفولة المبكرة (من سنتين إلى ٦ سنوات) مرتبطاً بالخوف، بحيث لا يستطيع الفرد أن يقطع بأن الطفل خائف أو خجول، بينما في مرحلة الطفولة الوسطى (من ٦ سنوات إلى ٩ سنوات) يظهر الخوف تجاه الجنس الآخر فيظهر العداء بدلاً من الخجل، وكأن الطفل يبدّل إحساسه بالخجل إلى مظاهر التوتر تجاه الجنس الآخر، في حين أن في مرحلة الطفولة المتأخرة (من ٩سنوات إلى ١٢ سنة) يأخذ العداء الظاهري في الاختفاء ليحل مكانه إحساس بالتقدير الشديد تجاه الجنس الآخر، ولكن ما يدور بداخلهم يظل في طيِّ الكتمان، وما يزيد الخجل في نهاية تلك المرحلة ظهور علامات الذكورة المفاجئة، وكذلك ظهور علامات الأنوثة.

صفات الطفل الخجول:

الشخص الخجول يحمل في طياته نوعاً من ذمِّ سلوكه، لأن الخجل - بحد ذاته - هو حال عاطفية أو انفعالية معقدة، تنطوي على شعور بالنقص والعيب لا يبعث الارتياح والأطمئنان في النفس... وينبه العالم الفرنسي «فيليب زمباردو»

النفس... وينبه العالم الفرنسي «فيليب زمباردو» في كتابه «الولد الخجول»(٢) إن وجود «١٢» حال سلبية لدى الطفل الخجول تمنعه من النمو الصحيح... أولها امتناعه عن الناس وبخاصة الوجوه التي يألفها، وهذا عائق يحول بينه وبين المرح الصحيح، فيجب أن يشارك الصغير الآخرين ليصبح اجتماعياً... ولاسيما ما يتعرض له الطفل الخجول عند دخوله المدرسة من متاعب كثيرة تبدأ بالتهتهة وتردده في طرح الأسئلة وإقامة حوار مع زملائه، أو المدرسين، فلا يحصل على المعلومات التي يرغبها ومن ثمَّ يتخلى عن حقوقه وينكمش فلا يستطيع التعبير عن مشاعره الحقيقية... ناهيك عن انعزاله عن رفاقه وألعابهم وتجاربهم، وفي حين هو بحاجة إلى المشاركة فهي التي تساعده على النمو العاطفي والفكري الصحيحين.

والطفل الخجول، يشعر دوماً بالنقص والدونية، ويتسم سلوكه بالجمود والخمول في الوسط المدرسي أو البيئي عموماً، وبذلك ينمو محدود الخبرات غير قادر على التكيف السوي مع نفسه، أو مع الآخرين، وهو ما يسوء، بل يؤدي في نهاية الأمر إلى اعتلال صحة الطفل النفسية.

وقد يبدو الطفل الخجول أنانياً في معظم تصرفاته، لأنه يسعى إلى فرض رغباته على من يعيشون معه وحوله، كما يبدو خجولاً حساساً وعصبياً، وكثير الحركة وقلقاً متشائماً، حذراً ومتمرداً، وأحياناً متمارضاً لجذب الانتباه إليه..

أسباب الخجل:

للخجل أسباب كثيرة، أهمها، أن «الجينات الوراثية» لها تأثير كبير على خجل الطفل من عدمه، وهذا ما يؤكده البروفيسور «جيرام كاغان» ومجموعة من علماء النفس بجامعة هارفارد من خلال مراقبتهم لمئات الأطفال حديثي الولادة وتصويرهم، وتصوير حركاتهم بكاميرا خاصة، ومن النتائج التي تمخضت عن أعمالهم، أن حركات بعض الصغار تنبئ عن خجل مرضي... فتجربة تحريك دب صغير برتقالي اللون أمام عيني طفل في شهره الرابع، بحيث يراه للمرة الأولى جعل الطفل يقطب حاجبيه وبعدها بدأ بالصراخ وحرك يديه بشكل عصبي كمن يطلب النجاة..

فالخجل يولد مع الإنسان، وهذا ما أكدته التجارب، لأن «الجينات» تنقل الصفات الوراثية من الوالدين إلى الجنين، وتؤثر بنسبة ٥٠٪ (٣)، والطفل الخجول يكون له أب يتمتع بهذه الصفة، وإن لم يكن الأب كذلك، فيكون له جدٌ قريب أو بعيد، كان يتمتع بصفة الخجل هذه. وقد نجد في الأسرة الواحدة طفلاً خجولاً وآخر جريئاً، وهذا لا ينفي بالقطع عامل الوراثة ومدى تأثيره في صفة الخجل... فالطفل يرث بعض ما عند والديه فقط، ويدع البعض الآخر، وما قد يدعه الطفل من صفات يرثها أخوه، وهذا ما ينطبق على صفة الخجل. وبالتالي هذا ما يفسر ظاهرة «الفروق الفردية» بين الأخوة، ويوجد فيما بينهم نقاط التباين والاختلاف.

ويؤكد البروفيسور «كاغان»: «أن ٢٠٪ من الخجل يتكون عند الأطفال حديثي الولادة، وتحدث لهم أعراض لا يعاني منها الطفل العادي... فمثلاً: الطفل المصاب بالخجل يدق قلبه في أثناء النوم بسرعة أكبر عن مثيله... وفي الشهر الرابع يخيفه كل جديد ولا ينام نوماً عميقاً في أثناء الليل، وهو شديد الانفعال، كثير الشكوى عندما يكبر، ويختلف تخطيط دماغه عن الآخرين، وينتابه الخوف عندما يواجه موقفاً جديداً، وتتسع حدقتا عينيه ويختنق صوته(٤) وفي أحدث دراسة توصل إليها علماء النفس حول نسبة البالغين في دائرة الخجل هي ٤٠٪ علماً أن خجلهم ملازم لهم بصفة دائمة.

وثمة تساؤل: «هل تؤثر الظروف الصحية والنفسية للأم وما يحيطها من عوامل بيئية على الجنين؟!».

أثبتت الدراسات أن أي تغيير في كيمياء الدم عند الحمل، ينتقل إلى الجنين في رحم أمه، وذلك من خلال المشيمة والحبل السري، وحديثاً اكتشف العلماء أن العناء الانفعالي الطويل عند الأم في أثناء الحمل يؤدي إلى ولادة أطفال على مستوى حركي عال، ما يعطي مؤشراً للتأثير السيئ الذي يحدث للطفل.. كما أن الوسط الاجتماعي والثقافي اللذين يعيش فيهما الفرد، كعلاقة الطفل بوالديه، ونوع المعاملة التي يتلقاها، ولا سيما طبيعة علاقته بإخوته، وكذلك، نوع التعليم الذي أتيح له، وطبيعة الخبرات التي تعرض لها، والنمط الثقافي العام الذي عاش في ظله... ناهيك إلى بعض المعتقدات السلبية من الأبوين، كاعتقادهما بالحسد ما يجعلهما يخفيان ابنهما عن أعين الزائرين أو يلبسانه لباس البنات أو ما شابه ذلك.

وثمة عادات أخرى سائدة لدى بعض الأسر، كالمعاملة المتميزة للطفل الوحيد، وفي حين لم يجد مثل هذه المعاملة خارج المنزل سواء في الحي أو النادي أو المدرسة، ما تؤدي مثل هذه الأمور إلى شعور الطفل بالخجل الشديد، فيما إذا قوبلت رغباته بالصد، وإذا عوقب على تصرفاته بالتأنيب والعقاب والتوبيخ.

ومن حيث النتيجة، إن مثل هذه العادات تؤدي إلى تكوين ذلك الجدار الاسمنتي «الخجل» وكما أن خطأ الأمهات، هو تعويض الطفل الخجول بأنفسهن، فيأخذن دور الأصدقاء، ويشاركن الطفل الخجول اللعب، وهذا عيب، فاللجوء إلى الأم، وقيامها بالمساعدة يصبح تأكيداً لوضع خاطئ، والبديل له هو أن تعلّمه بعض المهارات وتجعله يشارك بها رفاقه... وعلى الوالدين تشجيع الطفل على الخروج من دائرة الذات والأنانية بأن يشارك بالحياة الاجتماعية، واللعب مع من هم في مثل سنه، والاشتراك بالأندية... وعلى الأم تدريب الطفل على البشاشة، فالابتسامة سلوك مكتسب يتربى عليه الصغير، فالوجه المبتسم مقبول، أما العبوس فينفر منه الأطفال المحيطون به. وكذلك السعي لمتابعة تصرفات الطفل بابتسامة هادئة وتشجيعية على الاستمرار في محاولته إذا فشل مرة سينجح في المرات المقبلة... وإذا شعر الصغير «الطفل» أنه غير مندمج مع أصدقائه، فما على الأم في هذه الحال، إلا أن تشجع طفلها على الاعتماد على نفسه، وعلى سبيل المثال استقلاله في ارتداء ملابسه وحذائه وغير ذلك.

وكذلك، العمل على جعل الطفل الصغير يعتمد على ذاته وبخاصة عند الاقتراب من سن المدرسة، ولا سيما توافر الوسائل التي تجعله يثق بذاته، والسعي إلى عدم مراقبته - محاصرته - وذلك بعدم فرض قيود تمنع الطفل من التصرف تلقائياً خصوصاً عند اللعب مع رفاقه، وحتى نحصل على طفل سوي، ولابد من تحطيم هذا الجدار الإسمنتي من الخجل، لأن الطفل سيكون رجل الغد، وقائد المستقبل، ومستقبل الأمة أمانة بين أيدينا. ■

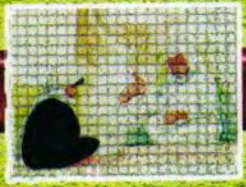
الهوامش:

١ - صحيفة الجزيرة الرياض - عدد ٨١١٤ - عام ١٩٩٤

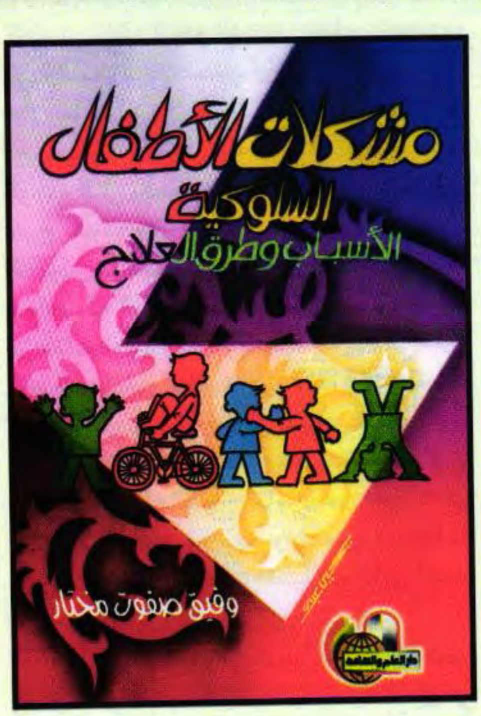
٢ - كتاب «الولد الخجول» لـ فيليب زمباردو.

٣ - مجلة الخفجي - العدد ١٢ للعام ١٩٩٦م.

٤ - قرر بعض علماء النفس أن الشخص صاحب الجهاز العصبي القوي يكون أقل عرضة للخجل من صاحب الجهاز العصبي الضعيف.



مشكلات الأطفال السلوكية
الأسباب وطرق العلاج



تأليف : وفيق صفوت مختار

عرض وتلخيص: محمود رمضان محمد

هذا الكتاب الذي نقدمه بإيجاز يتعرض لعشر من مشكلات الطفل السلوكية، باحثاً بأسلوب سهل وبسيط عن أسباب هذه المشكلات، طارحاً طرق العلاج لهذه المشكلات المتشابكة، والتي يعاني منها الأطفال بسبب البيئة وأسلوب التربية الخاطئ، ويعاني منها الآباء لعدم درايتهم بهذه المشكلات وأسبابها وطرق علاجها:

العصبية:

تظهر الأعراض العصبية في صورة حركات لا شعورية تلقائية لا إرادية مثل: قضم الأظفار، أو رمش العين، أو مص الأصابع... إلخ. وهي أعراض لها أسباب نفسية أو جسمية، ومن أهم الأسباب النفسية والجسمية لعصبية الطفل هو الشعور بالعجز والعداوة، وكذا الشعور بالعزلة نتيجة حرمان الطفل من الدفء العاطفي، والتفريق في المعاملة بين الأبناء، وتناقض البيئة بما تنطوي عليه من غش وخداع هذا بالنسبة للأسباب النفسية، أما الأسباب الجسمية فمنها اضطرابات الغدد «كزيادة إفراز الغدة الدرقية»، وسوء الهضم، كالإصابة باللوز، والديدان، والصرع، ولاشك أن مظاهر العصبية داخل أفراد الأسرة تؤثر على الطفل، وكذلك التدليل المبالغ فيه، والإفراط في الحماية يؤثران في عصبية الطفل كتدليل الطفل وحيد والديه، أو الطفل الأول، أو الأصغر.

وهناك علاقة وطيدة بين عصبية الأطفال والضعف العقلي ومستوى الذكاء، وأيضاً الطفل الذكي يعاني من العصبية لأن مستوى تفكيره يفوق مستوى أقرانه، وقضية الطفل الذكي لاتقل خطورة عن الطفل الغبي، فقد يستخف الطفل الذكي بأداء واجباته ويهملها، معتمداً على قدراته الذهنية، فيرسب، ومن ثمَّ يحبط وتزداد عصبيته.

وحتى نقي أطفالنا من العصبية، يجب على الآباء ضبط سلوكهم وإشاعة جو من الهدوء والأمن داخل المنزل، وعدم التدخل في شؤون الأبناء إلا بالقدر المعقول، وإتاحة الفرصة للأبناء لممارسة نشاطهم الاجتماعي السوي، وعدم التفريق في المعاملة بين الأبناء. وتؤكد الدراسات أن عصبية الطفل سلوك مكتسب نتيجة لكبت الآباء للأبناء، لذا يلزم التحلي بروح الهدوء والاتزان والصبر في التعامل مع الأطفال.

العناد والغضب

في مرحلتي الرضاعة والطفولة المبكرة يثور الطفل ويغضب إذا لم تحقق له الأسرة رغباته، وأيضاً إذا فشل في جذب انتباه من حوله، وأيضاً عند الاستحمام أو تبديل الثياب، وفي مرحلتي الطفولة الوسطى والمتأخرة تأخذ مظاهر الغضب شكل الاحتجاجات اللفظية أو الانزواء.

وأسلوب الغضب إما سلبي يتميز بالانسحاب والانزواء والإضراب عن تناول الطعام وهذا أسلوب خطر يجب أن ينتبه إليه الآباء، وإما إيجابي حيث يثور الطفل ويصرخ، ويعتبر هذا غضباً ظاهراً يمكن للآباء معالجته بسهولة لمعرفة الأسباب ومحاولة إزالتها بحكمة.

والجو الأسري بما فيه من مشكلات يساعد على غضب الطفل، وأيضاً تدليل الطفل يدفعه إلى الغضب والعناد، لأن الطفل المدلل أناني، ويثور ويغضب ويعاند إذا لم تتحقق رغباته، ويرى علماء النفس أن العناد إحدى وسائل إثبات الذات عند الطفل وله أهمية كبيرة في حياة الطفل في المراحل الأولى من عمره، حيث يساعده على الاستقرار واكتشاف نفسه، ويشعره بأنه شخص له كيان وذات مستقلان، وأن له إرادة حرة. ولكن عندما ينضج الطفل يكتشف أن العناد طريق غير سوي لتحقيق مطالبه، وحتى نتجنب مخاطر الغضب

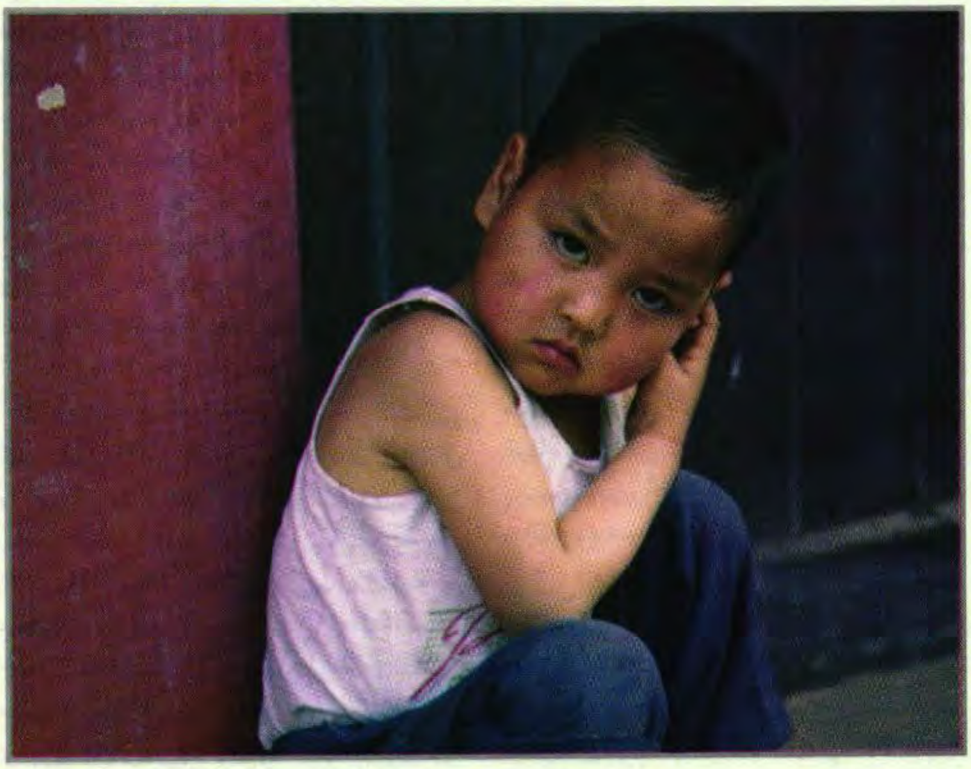
والعناد يجب أن يحافظ الآباء قدر المستطاع على هدوئهم إزاء ثورة غضب الطفل، وأن يكونوا القدوة والمثل الأعلى، وأن يحذروا تلبية رغبات الأطفال تحت تهديد البكاء والغضب والعناد، وعدم التدخل المباشر في شؤون الأبناء.

العدوان:

تختلف صور العدوان باختلاف السن والثقافة والبيئة، والمشاعر العدوانية فتظهر على الوجه بصور مختلفة كالتجهم والعبوس والنظرات الغاضبة، وباللفظ والكلام أو بالضرب، وتبدأ مظاهر العدوان لدى الطفل في مرحلة مبكرة فعندما يقترب من نهاية عامه الأول يشاكس أمه ويحاول شدها من شعرها مثلاً، وفي سن العامين يضرب غيره من الأطفال، ومع تطور السن تأخذ المشاعر العدوانية أشكالاً متعددة كالتلفظ والضرب والتعمد في إيذاء الآخرين. والأسباب التي تدفع الطفل إلى السلوك العدواني: التعامل مع الطفل بأسلوب خاطئ كالمغالاة في اللوم، ونقده بعنف، وعدم إحساس الطفل بوجوده الاجتماعي سواء كان في محيط الأسرة أو المدرسة، أو بين أقرانه، أو الإحساس بالعجز أمام أمور لا يفهمها، أو الشعور بالإحباط، وقد يكسب الطفل العدوان من الأسرة لشعوره بأنه غير مرغوب فيه من والديه، أو من الحياة المنزلية التي يسودها شجار دائم، والتلفاز وما يقدمه من برامج له تأثيره على السلوك العدواني عند الطفل، وقد أكدت ذلك دراسات كثيرة مثل دراسات: فشباخ، وسنجر، وفردريك، وستين... إلخ. وحتى نقي أطفالنا مغبة السلوك العدواني، يجب تفهم الأسباب التي تدفع الطفل للعدوان ومعالجتها، وأن يقوم الآباء بضبط السلوك العدواني عن طريق التعزيز، فيمدح عندما يأتي بموقف يخلو من العدوانية وتقدم له مكافأة، ويعاقب إذا فعل عكس ذلك كعزله مثلاً عن ممارسة نشاطه الاجتماعي، وأيضاً عدم إهمال الطفل ومساعدته على إثبات ذاته، وعدم القسوة على الأبناء أو تدليلهم على نحو مبالغ فيه.

المشاكسة:

المشاكسة لها مظاهر عدة كالمقاومة والعناد



والميل للمنازعة والتدمير والأنانية واستخدام الألفاظ البذيئة... إلخ.

وجميع هذه المظاهر تقلق الأسرة وخصوصاً أنها تبدأ في مرحلة مبكرة، فالرضيع يميل للمقاومة ويرفض الرقاد، ويصبح خائفاً عندما تتركه أمه وحيداً، كما يميل الأطفال وبخاصة الذكور للمنازعة، وضرب الآخرين للفت النظر مثلاً، والميل للتدمير، فقد يحدث أن يكسر بعض الأشياء عمداً نتيجة حب الاستطلاع وأيضاً تعبيراً عن الرفض، أما عن الأنانية فهي لصيقة بالطفل فلا يمكن نزعها إلا بعد السنة الثالثة من عمره، وذلك بتعليمه الإيثار بالتقليد والمحاكاة والتوجيه.

المشاجرات:

العوامل التي تؤدي إلى مشاجرات عدة منها: الطفل ذو النزعة العدوانية الذي يضطهد إخوته، بل يضطهد أطفالاً آخرين في الحي أو المدرسة، وأيضاً الطفل ذو النزعة الاستفزازية بطبيعته وهذا يدفع الآخرين للشجار معه، وكذلك الغيرة تؤدي إلى المشاجرات بين الأطفال، وقد يكسب الطفل هذا السلوك من البيئة التي نشأ فيها، ويعتقد «باندورا» أن الآباء الذين يتسمون بالغلظة والقسوة مع أبنائهم يتعلّم أبناؤهم السلوك العدواني، كما دلت الدراسات على أن القوة في عقاب الأطفال على عدوانهم في المنزل، من خلال المشاجرات ترتبط ارتباطاً موجباً بمقدار ما يبديه الأطفال من عدوان في خيالاتهم، وقد يكون لمشاجرات الأطفال بعض الفوائد، فالشجار إحدى الوسائل لإثبات الذات وتأكيدها، ومن الشجار يتعلم الطفل احترام حقوق غيره، واتباع قيم الحق والعدل، وإدراك معنى الصدق والكذب، والمحافظة على حقوقه.

التخريب:

قد يرجع التخريب إلى الغيرة أو الغضب أو إلى صراع عقلي مبهم عميق، أو إحباط وإعاقة لعدم الشعور بالراحة والأمان، وقد يكون التخريب ناتجاً عن عدم تعليم الطفل المحافظة على الأثاث والمقتنيات، وكيفية الاستخدام الصحيح للأشياء، وقد تؤثر القسوة في التربية في جعل الطفل شخصية عدوانية مقترنة بالتخريب، وقد تدفع ميول الطفل إلى حب الاستطلاع والبحث في التخريب، ومن هنا علينا أن نجنب أطفالنا مواقف الإحباط والإعاقة، ونمنحهم مشاعر الحب والحنو والأمن، وندرك أن اللعب وسيلة

مهمة من الوسائل التي تقي الطفل مغبة السلوك التخريبي، كما أن ضرورة توافر مثيرات متنوعة وواسعة للطفل، تتيح له إمكانات التعجب والتساؤل والتجريب والتفكير والبحث والملاحظة، وتوجه نزعة الطفل وحاجاته إلى البحث وحب الاستطلاع وإكسابه ثقافة مجتمعه، وتنمي خبراته السوية المناهضة لأساليب التخريب.

الهروب والجولان:

لقد تعددت شكاية الآباء من بعض أطفالهم الذين يهربون من المنزل بغية الجولان والتنقل في أماكن متعددة، والعوامل التي تؤدي إلى هروب الطفل وجولانه كثيرة منها نفسية مثل القسوة في المعاملة، وانعدام الشعور بالأمان، وأيضاً التراخي في المعاملة، كما أثبتت الدراسات أن معظم الأطفال الذين يلجأون إلى الهروب والجولان، يتربون في منازل تكثُر فيها الاحتكاكات الزوجية، وأيضاً عندما يفقد الطفل في مدرسته ما يشبع ميوله يتجه إلى الهروب والجولان. وحتى نقي الطفل أخطار الهروب والجولان، يجب على الوالدين إحكام غلق النوافذ والأبواب حتى يبلغ الطفل السن التي يستطيع فيها أن يدرك الضرر الذي يلحق به من تخطي تلك الحدود، وأن يبتعد الآباء عن وسائل العقاب البدنية المؤلمة، وأيضاً وجود نشاط مدرسي مثير متنوع ومثير، يهيئ للأطفال الفرص المتعددة للنمو الاجتماعي السليم، فالطفل في حاجة ملحّة إلى التغيير في حياته اليومية المدرسية، كما للرحلات والمعسكرات أهمية كبرى يتيحان للطفل فرصة للمرح الجماعي، والعمل التعاوني المنظَّم، كما تسهم الحفلات والجمعيات والنوادي في علاج المشكلة، فهي وسيلة إظهار نشاط التلاميذ وإشعارهم بمقدرتهم على النجاح.

التلكؤ:

تلكؤ الطفل يرجع مرده إلى الأم التي تحض الطفل على الهمة والنشاط بدلاً من التلكؤ والبطء بصورة متكررة، وهي التي تسبب تمادي الطفل للاستغراق في بطئه ومماطلته وتلكوئه، وهو سلوك يستخدمه الطفل للدفاع عن نفسه كلما أحسّ بالضغط النفسي أو الشد العصبي... وحتى نتخطى هذه المشكلة يجب أن يتجنب كلا الوالدين التدخل في المواقف التي يتلكأ فيها الطفل قدر الإمكان، كي يتيحا بذلك الفرصة المُثلى لأن يصبح شعور الطفل ووعيه هما الحافزان اللذان يدفعانه إلى الهمة والنشاط، وأيضاً يتولى الأب أو الأم الأكثر ميلاً إلى الصبر معالجة أمور الطفل المتلكئ، فيتحدث أحدهما مع الطفل في أثناء التنقل من غرفة إلى غرفة، وإذا كان تلكؤ الطفل في تناول الطعام يسبب ضجراً فيقدم له طعامه على انفراد، وبالتدريج سيقلع الطفل عن تلكوئه.

السرقة عند الطفل:

للسرقة دوافع وأسباب كثيرة منها: الجهل بمعنى الملكية، فقد يستولي على ممتلكات غيره لاستعمالها لا ليسرقها، وذلك بسبب الحرمان والحاجة لسد الرمق، أو للغيرة والانتقام... فقد يسرق من والديه كردٍّ فعل لتجاهلهما له، أو يسرق زميله الذي يشعر تجاهه بالضيق أو الغيرة، وقد يسرق رغبة في التملك، أو التخلص من مأزق، أو خوفاً من العقاب... فقد يسرق الطفل قلماً بدل من قلمه المفقود حتى لا يعاقبه والداه، وقد يقلد ويحاكي، فقد تمتد يد الأم في المنزل إلى جيب الوالد لأخذ بعض النقود سراً، أو يحاكي صديقاً له اعتاد على السرقة، وأحياناً يتجه الطفل للسرقة شغلاً لوقت الفراغ، هذا بالإضافة إلى البيئة الإجرامية التي تعوده على السرقة. وحتى نقي أطفالنا السرقة، لابد من توافر ضرورات الطفل، واحترام ملكية الطفل لتعويده على احترام ملكية الآخرين، ومداومة التوجيه وغرس القيم الدينية والأخلاقية في وجدانه، ولابد من دراسة الدوافع التي تدفع الطفل إلى السرقة.

الكذب:

الكذب أنواع، منه الكذب الخيالي أو التلفيقي... فربما نجد الطفل يلجأ إلى المفاخرة بقيمته الذاتية، فينسج قصصاً من خياله، ويكون علاج عادة التلفيق بتوجيه الطفل إلى الأمانة فيما يقوم به الآخرون من الحفاظ على الأمانة به. أما الكذب الالتباسي، فيحدث نتيجة لتداخل الخيال مع الواقع لديه، ولا يستطيع أن يفرق بينهما. والكذب الادعائي... يلجأ إليه الأطفال الذين يشعرون بالنقص والدونية وهو شائع بين الأطفال، ولا ضرر منه على أحد. وقد يلجأ الطفل للكذب من أجل الاستحواذ عندما يجد معاملة قاسية وتضييق فيكذب بغرض الاستحواذ على الأشياء والعواطف. أما الكذب الانتقامي فيعد من أخطر أنواع الكذب على الصحة النفسية للطفل، لأنه كذب ينم عن كراهية وحقد. أما الكذب الدفاعي أو الوقائي فهو أكثر الكذب شيوعاً بين الأطفال، وقد يدمنه الطفل، خصوصاً إذا ازداد خوفه من العقاب. أما الكذب الأناني فيلجأ إليه الطفل ليحقق منفعة لنفسه، وقد يلجأ للكذب لمقاومة القسوة والسلطة، وحتى نقي أطفالنا من الكذب يجب توضيح الأسس التي تقوم عليها العلاقات بين الأفراد، بحيث يدرك الطفل الحدود الصحيحة للحقوق والواجبات، وألا نعطي فرصة للطفل للكذب وذلك بعدم اللجوء للعقاب الشديد حتى يشعر الطفل بأنه يعيش في بيئة مرنة متسامحة، ويجب تجنيب الطفل المواقف التي تشجعه على الكذب وتضطره للدفاع عن نفسه.

وكما يقال: «الوقاية خير من العلاج»، والمطالع للكتاب سيلاحظ أن العلاج لمشكلات الأطفال السلوكية تكاد تكون متشابهة، فالأسرة لها دور، إذ هي المحضن الأول للطفل والبيئة الأولى التي تتلقفه وتتعهده بالرعاية، ومن ثمَّ يجب أن يشعر فيها الطفل بالحب والحنان والاهتمام. وإذا خرج للطفل إلى المدرسة يجد فيها كيانه من علم ومناشط يشبع بها هواياته ويكون ذاته، وسينخرط في مجتمع جماعي لا يشعره بالعزلة، بل يشعر بالألفة والتعاون ويمارس هواياته وسط أقرانه. فإذا وجد الطفل البيئة والمناخ المناسبان نشأ نشأة قويمة ويتخطى كل المشكلات السلوكية التي طرحها هذا الكتاب بأسلوب علمي شيّق وجذاب يفيد الدارس المتخصص، والقارئ العادي.

الكتاب صادر عن «دار العلم والثقافة» القاهرة - الطبعة الأولى رمضان ١٤١٩هـ - يناير ١٩٩٩م. ■

عرض: عبدالكريم خليل

الأمة الإسلامية صفاتها وإنجازاتها



الكتاب:

الأمة الإسلامية بين القرآن والتاريخ

دراسة وتحليل:

الكاتب: غازي التوبة

الناشر:

دار البشير «عمَّان» مؤسسة الرسالة «بيروت»

الطبعة الأولى: ١٤٢٠هـ. ١٩٩٩م

بيَّن الكاتب في مقدمة كتابه أن الحافز الذي دفعه إلى تأليف الكتاب هو أهمية موضوع الأمة من جهة وقلة الدراسات المتصلة به من جهة ثانية، وقد جاء الكتاب في خمسة أبواب، تناول الكاتب في الباب الأول ثلاثة تمهيدات: الأمة في اللغة، والأمة في الموسوعة السياسية، وتكوين الأمة الإسلامية، وبيَّن أن الأمة الإسلامية جاءت استجابة لدعوة إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام وهما يرفعان القواعد من البيت الحرام.

وحمل الباب الثاني عنوان «صفات الأمة الإسلامية في القرآن وكيفية تحقيق المسلمين لها»، وقد اشتمل على فصلين تناول الكاتب في الأول منهما صفات الأمة الإسلامية في القرآن الكريم فوجدها ثلاث صفات في ثلاث آيات هي: الخيرية في قوله تعالى: (كنتم خير أمة أخرجت للناس) آل عمران:١١٠، والوسطية في قوله تعالى: (وكذلك جعلناكم أمة وسطاً) البقرة:١٤٣، والوحدة في قوله تعالى: (إن هذه أمتكم أمة واحدة) المؤمنون:٥٢. وقد شرح الكاتب هذه الصفات بالعودة إلى تفسيري ابن كثير والقرطبي، ثم تناول الكاتب في الفصل الثاني من الباب الثاني كيفية تحقيق المسلمين للصفات السابقة في التاريخ، فبيَّن أن خيرية الأمة المرتبطة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تحققت في مؤسسة الحسبة فوضّح كيفية نشوئها، ثم بيَّن بعض واجبات المحتسب ووضّح أنها تشمل تحقيق نظافة الأسواق.

ثم تناول صفة الوسطية وبيَّن أن أبرز معانيها العدالة.

ثم تناول الكاتب صفة الوحدة، فبيَّن أن الإسلام أنشأ أمة واحدة بكل معنى الكلمة، وتجلَّت وحدتها في أمور متعددة: العقيدة الواحدة، والقبلة الواحدة، والقيادة الواحدة، والشريعة الواحدة... إلخ.

وحمل الباب الثالث عنوان: «مظاهر حيوية الأمة الإسلامية»، وحلّل الكاتب هذه الحيوية فوجدها تتمثل في أمرين:

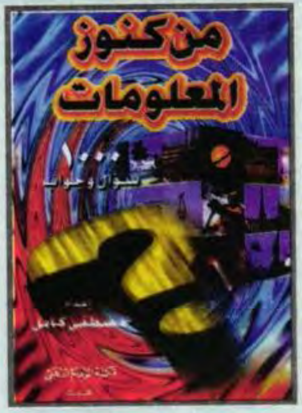
الأول: الإعمار الشامل الذي أصاب كل مظاهر الحياة.

الثاني: القدرة على صد التهديدات الخارجية: مثل الغزو الصليبي والاجتياح المغولي وقد تغلبت الأمة عليهما.

وللكتاب أهمية خاصة سيعرفها القارىء من خلال قراءته للكتاب.

وسيجد القارىء في الكتاب أيضا اجابات مقنعة وافية لبعض التساؤلات الملحة في وقتنا الحاضر.

من كنوز المعلومات



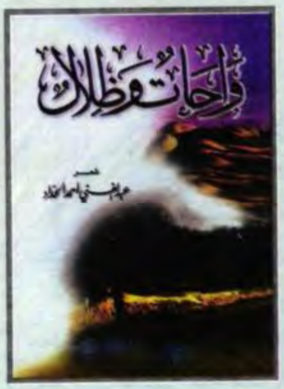
فضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب وإن الأنبياء لم يورِّثوا ديناراً ولا درهماً، وإنما ورَّثوا العلم، فالمرء كما يحتاج للغذاء المتنوع الذي يمد جسمه بكل المواد الضرورية لاستمرار الحياة، يحتاج إلى غذاء الروح والعقل بالثقافات المتنوعة والعلوم المختلفة والإلمام بكل ما يجري في الكون من أدناها إلى أقصاها. ولكي تؤتي هذه العلوم والآداب أكلها والأهداف المرجوَّة منها، لابد أن تكون محكومة بمنهج الله القويم الذي لا يحيد عن الحق، سائرة على تعاليمه، مسترشده بهداه، لتحقيق خير الدنيا والآخرة، وتجنب الوقوع في براثن الفساد والشرور.

من هذا المنطلق وضعنا بين يديك أخي القارئ الكريم هذا الكتاب: «من كنوز المعلومات» من إعداد الأخ الأستاذ مصطفى كامل.

يقع الكتاب في ٣٢٩ صفحة من القطع الكبير، ويحتوي على ١٠٠٠ سؤال وجواب، في ثقافة إسلامية مميزة جمع فيها من العلوم الإسلامية والآداب التاريخية والتراجم والأقوال المأثورة والشعر، وفنون أخرى متعددة. فنجد في كل سؤال علماً مفيداً أو بحثاً أو تحقيقاً نافعاً، بينما كانت الأسئلة مشتتة في كتب العلم والمراجع المختلفة، فجمع من بين سطورها كنوزاً وضعها بين يدي القارئ الكريم، وتعمَّد وضع الأسئلة والأجوبة بطريقة غير مرتبة، حتى يكون هناك جذب للقارئ من خلال التنقل من موضوع إلى آخر عبر الصفحة الواحدة.

الكتاب من إصدارات مكتبة الإمام الذهبي للنشر والتوزيع - الكويت - حولي - شارع المثنى - تلفاكس: ٢٦٥٧٨٠٦.

واحات وظلال



ديوان شعري صدر حديثاً للشاعر عبدالغني أحمد الحداد يضم بين دفتيه نحواً من خمسين قصيدة مبوبة ضمن خمسة عناوين اختارها الشاعر وهي: «تجليات الوطن وقضايا أخرى، صور عن الغربة والأسرة، عواطف» وجاءت قصائد الديوان انعكاساً لأحاسيس الشاعر ووجدانه وعواطفه ومشاعره التي تدفقت من أعماقه، فكانت نابضة بالحياة والمشاعر وقصائد الديوان صاغها الشاعر خلال فترة زمنية طويلة، أمضاها في الغربة بعيداً عن الأهل والوطن، الأمر الذي أدى إلى تنوع موضوعاتها بدءاً بالذات ومشاعرها الخاصة من أفراح وأتراح وتفاؤل، مروراً بقضايا الوطن والأمة إلى قضايا الإنسان وتطلعاته وأشواقه العليا، يقع الديوان في ١٤٤ صفحة من القطع المتوسط، وقامت بطباعته ونشره وتوزيعه دار البشائر الإسلامية - بيروت - لبنان - ص.ب ١٤ - ٥٩٥٥.

أحزان الكمان



عن سلسلة الأعمال الفكرية والأدبية للملتقى المصري للإبداع والتنمية في البيطاش سنتر في مصر، صدر ديوان الشاعر يس الفيل في نحو مئة صفحة من القطع الصغير، ويتضمن الديوان مجموعة من القصائد التي جاءت في صور موحية تجسيدية تعبر عن كثير من المشاعر الإنسانية المختلطة التي تحاصر الإنسان في هذا العصر المتلاطم الأمواج، فتعين على التشرب والمعايشة في بساطة عميقة ممزوجة بوجدان الشاعر وعواطفه الجياشة.

مستقبل الثقافة العربية

عن دار الهلال في القاهرة صدر كتاب «مستقبل الثقافة العربية» لمؤلفه الدكتور محمود محمد محمد الطناجي وقد تضمن الكتاب في أحد فصوله جهود المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة الإيسيسكو في صيانة التراث العربي الإسلامي والعناية به وتحقيق مخطوطاته ونشرها وذلك عبر المخطوطات العربية التي أصدرتها المنظمة منذ تأسيسها وإلى اليوم

رسالتان



عن دار المختار الإسلامي للطباعة والنشر صدر كتاب «رسالتان عن امرأة مسلمة قلبها يحترق» للأخت سلوى عبدالمعبود، والكتاب يقع في نحو ١٧٠ صفحة من القطع الصغير، يتحدث عن المجازر الوحشية التي ارتكبها الصرب الأرثوذكس ضد مسلمي البوسنة والهرسك، في أكبر مجزرة عرفها تاريخ البشرية المعاصر، وتحاول المؤلفة من خلال سرد الوقائع والأحداث أن تضع علماء المسلمين في العالم الإسلامي وقادة الكنائس الأرثوذكسية في العالم أمام مسؤولياتهم لمنع مثل هذه الأحداث من التكرار.

كشمير المسلمة



صدر العدد ٩٠ من مجلة كشمير المسلمة لشهر رمضان ١٤٢٠هـ - ديسمبر ١٩٩٩م، وهي مجلة إسلامية سياسية خاصة بالقضية الكشميرية، ويشرف عليها البروفيسور اليف الدين الترابي.

واصلت المجلة في في عدد رمضان فتح ملف حقوق الإنسان، كما أثارت قضية انتهاك حقوق الإنسان في كشمير، وناشدت العالم تشكيل محكمة دولية للتحقيق في جرائم الهند في كشمير، ودانت المسؤولين عنها وطالبت بمعاقبتهم.

كتب الترابي افتتاحية العدد (٩٠) وكانت بعنوان «أين المسلمون من العدوان الروسي على الشيشان».

كما حوت المجلة مجموعة من المقالات المتنوعة وأخباراً عن مسلمي الشيشان.

عنوان المجلة للمراسلة :

Islamabad, Pakistan P.O. Box 2292

نذر العولمة

عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر في عمان صدرت الطبعة العربية الأولى لكتاب «نذر العولمة» للدكتور عبدالحي زلوم وصدر الكتاب في الوقت نفسه باللغة الإنكليزية في الولايات المتحدة الأميركية، ويرى المؤلف من خلال الكتاب أن رؤية العولمة كانت وليدة دراسات «السلام والحرب» التي تمت خلال الحرب العالمية الثانية في الولايات المتحدة، والتي نتجت عن تأسيس الأمم المتحدة، ومؤسسات «بريتون وودز» ومنها صندوق النقد الدولي كأدوات لتنفيذ هذا النظام، ومن جهة أخرى، يعيد المؤلف تكون عالم ثالث في العالم إلى نمط هذه الرأسمالية التي نجم عنها تفاوت هائل في الثروة، إذ يمتلك ١٪ من سكان الولايات المتحدة نفسها نحو ٥٠٪ من مجموع الثروة، بينما يملك ٨٠٪ من السكان أقل من ٨٪، وهذا هو النمط الاقتصادي غير العادل الذي يتم تصديره للعالم عبر العولمة، ويخلص المؤلف إلى أن الرأسمالية المعلوماتية الأنكلوأميركية والشيوعية وجهان لعملة واحدة، وهي المادية، وقد اختلفا فقط على توزيع الثروات، وكلاهما أخفق في تقديم ما وعدا به، ومع ذلك، فإن الكاتب الذي يدعو إلى نظام آخر يجمع بين النمو والعدل والأخلاق، لا يرى أن الموقف السلبي من العولمة هو الموقف الصحيح، فهو يدرك أن الأدوات التكنولوجية ووسائل العولمة تطور تاريخي حتمي يدعو إلى معرفة أدواته وأسراره لتحويلها إلى وسيلة خير لأن من يقودها الآن في رأيه نظام طفيلي امتصاصي حَوَّل الاقتصاد العالمي إلى كازينو للمقامرة بثروات الآخرين ومدخراتهم، كما أورثت حضارة العولمة التي يتم الترويج لها ثقافة الاستهلاك وإطلاق العنان للشهوات والرغبات والتفكك الأسري والجريمة المنظَّمة حتى يتراءى لنا ونحن في بعض أحياء «نيويورك» أو «لوس أنجليس» أننا في بنجلاديش أو تايوان أو أي من العواصم والمدن الأخرى.

يحفل الكتاب في فصولة الـ٢٢ بالأرقام والمعلومات التي تؤكد أن وراء الأحداث السياسية في العالم دوافع اقتصادية بحتة. سواء في ما حدث في الجزائر أو الصومال أو البوسنة والهرسك والشيشان أو في روسيا وإندونيسيا وغيرها، ويختتم المؤلف كتابه بالقول: إن الرأسمالية العالمية القائمة على مبدأ السوق الحرة تتقاسم مع الماركسية المبادئ نفسها والقيم والنظم، وقد رفع كلاهما من شأن النمو الاقتصادي، جاعلينه في مرتبة العقيدة ولم يكن الاختلاف إلا في نظام الملكية وتوزيع الثروات.

مجلات وصلتنا

مجلة سدرة للأولاد والبنات



حوى العدد (١١٢) من مجلة سدرة مجموعة من الأبواب الثابتة والمتحركة التي تهم الأطفال، ومنها قصة مصورة بعنوان رجل المهام الصعبة. في رحاب الإسلام، معركة بدر، رمضان في بلاد المسلمين، مغامرات قطرة ماء، معلومات صغيرة، عالم العلم، أخبار من العالم، الزكاة نماء. عنوان المجلة: ص.ب: ١٠١٠١ الدعية - رمز ٣٥٤٥٢ - الكويت - تلفون : ٥٣٨٥٢٩٦

خالد



صدر العدد الثامن من مجلة خالد، وهي مجلة أطفال متنوعة وتحوي عدداً من الموضوعات التي تهم الطفل، وفيها قصيدة بعنوان: رمضان شهر الانتصارات، وأيام حفر الخندق، وهي قصة من السيرة النبوية الشريفة، وقصة مصورة عن هارون الرشيد، وقصيدة بعنوان إسلامي سر سعادتي، وغيرها كثير من الأبواب المتفرقة، مثل أبجديات المعرفة، ابتسامات كويت الماضي، مغامرات نواف وأخته لولوة، ألعاب وتسالي، تلوين، تعلم الإنكليزية، كحيان الفائز الأول، جحا الطريف. عنوان المجلة: ص.ب: ١٦٧٢٠ - القادسية - ٣٥٨٥٨ الكويت.

تفسير جديد للقرآن الكريم

صدر عن مكتبة غريب في القاهرة «تفسير القرآن الكريم» للدكتور عبدالله شحاتة أستاذ التفسير في كلية دار العلوم «جامعة القاهرة». وجاء في مقدمة التفسير: «إننا في حاجة إلى أن نستهدي القرآن الكريم غضاً طرياً، كما أنزله الله من السماء هدى ونوراً وشفاء ورحمة، يهدي للتي هي أقوم، ويبشر العاملين، ويحذّر الغافلين ويأخذ بيد الحيارى ليكشف لهم جوانب الخير ونوازع الشر. أيضاً نحن في حاجة إلى معرفة ما أثر عن سلفنا الصالح من تفسير لكتاب الله وفهم لآياته، فعليهم أنزل وقد قال الأئمة: «ينبغي أن يفهم القرآن من خلال اللغة التي كان الناس يتخاطبون بها وقت نزوله».

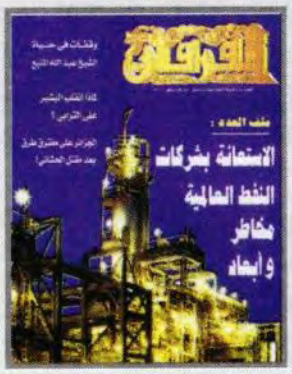
ويشير الدكتور شحاته إلى أن حاجة الصحابة إلى التفسير لم تكن كبيرة لأن حياتهم كانت تطبيقاً عملياً لأمر القرآن ونهيه، وفي عهد الصحابة اتسع التفسير نسبياً وكان المسلمون إذا رغبوا في توضيح آية، أو تفسير أمر غامض لجأوا إلى علماء الصحابة بالتفسير مثل أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب وعبدالله بن عباس، وكان عصر الصحابة امتداداً لعصر الرسول، فالقرآن وحي السماء وتشريع الله للناس، وأحكام القرآن مطبقة وآدابه وهديه نموذجان يقتدى بهما.

وفي عصر التابعين انتشر الإسلام واتسعت الأمصار وتفرق الصحابة في الأقطار وحدثت الفتن واختلفت الآراء وكثرت الفتاوى والرجوع إلى الكبراء فأخذوا في تدوين الحديث والفقه وعلوم القرآن.

وأول ما دوّنوه من العلوم «التفسير» وأقدم التفاسير تفسير أبي العالية رفيع بن مهران الرياحي المتوفى سنة ٩٠هـ، ومجاهد بن جبر المتوفى سنة ١٠١هـ، ثم تفسير عطاء بن أبي رباح المتوفى سنة ١١٤هـ.

ويشير الدكتور شحاتة إلى أنه يمكننا تقسيم التفسير إلى نوعين على وجه الإجمال، أحدهما: تفسير جاف لا يتجاوز حل الألفاظ، وإعراب الجمل، وبيان ما يحتويه نظم القرآن من نكات بلاغية وإشارات فنية، وهذا النوع أقرب إلى التطبيقات اللغوية منه إلى التفسير وبيان مراد الله من هداياته. والنوع الثاني: تفسير تجاوز هذه الحدود ويجعل هدفه الأعلى تجلية هدايات وتعاليم القرآن الكريم، أو حكمة الله في ما شرع للناس، على وجه يجتذب الأرواح ويفتح القلوب ويدفع النفوس إلى الاهتداء بهدي الله.

مجلة الفرقان



مجلة الفرقان من المجلات الإسلامية المتقدمة في الكويت والعالم الإسلامي، وقد حمل غلاف عددها الأخير (١١٧) ملفاً بعنوان: «الاستعانة بشركات النفط العالمية... مخاطر وأبعاد». وفي كلمة العدد الشيء الوحيد الذي تخشاه إسرائيل، وتعلم بأنه يفسد عليها مخططاتها ويقطع عليها أحلافها، هو الحركات الإسلامية التي تكشف حقيقتها وتبيِّن زيفها وكذبها. ومن موضوعات العدد: احتفالات الألفية ماذا تعني للمسلمين، العقيدة الطحاوية، الشيخ عبدالله بن منيع، البورصة في قفص الاتهام، الاتفاقات الأمنية في الميزان، كما أن المجلة ضمت في عددها ملفاً خاصاً بالأسرة وهو ملف ثابت ويحوي موضوعات متعددة ومتنوعة.

ويمكن مراسلة المجلة على العنوان التالي:
الكويت: ص.ب ٢٧٢٧١ صفاة - ١٣١٣٣ - هاتف ٤٨٤١١٣١ - فاكس ٤٨٤٨٦٥٣.

أخبار ثقافية

- صدرت الترجمة الرابعة لمعاني القرآن الكريم باللغة السويدية عن «دار بربريوس فس استكهولم» في نحو ألف صفحة من الحجم الكبير وقد استقبل هذا الإنجاز الرائع بحفاوة لائقة من قبل السويديين على الصعيدين الحكومي والثقافي واعتبره الجميع إنجازاً حضارياً وتاريخياً.
- وافق الدكتور محمد سيد طنطاوي شيخ الأزهر على إنشاء مقر في الأزهر للجنة الدائمة للحوار بين الأديان. يذكر أن لجنة الأزهر للحوار بين الأديان تم إنشاؤها منذ سنوات لتقوم بالتنسيق بين الأزهر ولجان الحوار بين الأديان في بلدان أوروبا وأميركا لبيان وإظهار رأي الأزهر في الكثير من القضايا التي تهم رجال الأديان السماوية.
- أعلنت إدارة الثقافة التعليمية بمؤسسة الكويت للتقدم العلمي ولجنة التوعية البيئية في الكويت عن فتح باب «مسابقة الريادة لعام ٢٠٠٠م» من أجل التعرف على البيئة وتشجيع روح التنقيب والدراسة والحض على البحث العلمي وقد حددت الإدارة يوم ٣ أبريل المقبل آخر موعد لتقديم مواد المسابقة.
- تأسس أخيراً في القاهرة صالون ثقافي عربي هو «صالون الهمداني» الذي يشرف على أنشطته سفير اليمن في مصر «أحمد محمد لقمان» ويحمل هذا الصالون اسم أحد أبرز علماء اليمن في القرن العاشر الميلادي هو «أبو محمد الهمداني» الذي جمع بين الفلسفة والشعر وعلم اللغة وعلم الآثار والجغرافيا.



إعداد : تمام أحمد

باب جديد يحتوي على مواقع مختارة على شبكة الإنترنت تهم القارئ العربي والمسلم نقدمها لقرائنا الأعزاء آملين منهم التواصل معنا ورصد المواقع الجيدة التي تخدم هذا الباب وإرسال عناوينها إلينا حتى نخدم من خلالها ديننا وأمتنا وقضايانا العربية والإسلامية والله من وراء القصد.



مركز المعلومات العربي

http://www. moheet.com

يعد هذا الموقع فريداً من نوعه لاحتوائه على كم هائل من المعلومات والأخبار التي تهم المتصفح العربي. الموقع باللغة العربية ويحتاج إلى برنامج «ويندوز العربي» لتصفحه. يمكنكم الاطلاع على أخبار العالم والأخبار الثقافية والفنية والعلمية أيضاً.

موقع اللغات

http://www.multilingualooks.com

كل ما يتعلق بتعلم اللغات من دورات وكتب وأشرطة فيديو وكاسيت وبرامج كومبيوتر لنحو ١٠٠ لغة. الموقع هو مرجع مهم لمن يريد تعلّم لغة جديدة. يمكنكم شراء كل حاجاتكم من هذا الموقع والبدء بالتحدث بلغة جديدة.

جامعة الإنترنت

http://www. aljamiah. com

الآن يمكنكم متابعة دراستكم الجامعية عبر الإنترنت. تقدم هذه الجامعة دروسها الجامعية باختصاصات متعددة بالتعاون مع كبريات جامعات أميركا. وتضم الجامعة قسماً للدراسات العليا.

دليل الإنترنت العربي

http://www.1001sites.com



هذا الموقع من المراجع العربية المهمة التي تتناول الحضور العربي على شبكة الإنترنت. موقع غني بالوصلات ومحركات البحث عن كل ما يتعلق بالمواقع العربية. وهو يشمل وصلات علمية وصحية وثقافية وإعلامية وغيرها.

موقع برامج التحويل العربية

http://www. hf.uib. no/ smi/ files/

أغنى موقع على الإنترنت ببرامج التحويل من نظام وندوز ودوس العربي إلى نظام الماكنتوش العربي وبالعكس. ويضم الكثير من البرامج المفيدة في مجال النصوص والبريد الإلكتروني العربي وغيرها.

موقع الشعر العربي

http://www. almubarak. net



أحد أجمل مواقع الشعر العربي. فيه الكثير من القصائد الشعرية القديمة والحديثة، موقع جميل لعشاق الشعر ومتذوقيه. عشرات القصائد لعشرات الشعراء العرب على مر العصور. فيه وصلات لمواقع شعرية جيدة.

موقع أين للبحث العربي

http://www. ayna. com

إذا كنت تبحث عن شيء له علاقة باللغة العربية، فما عليك إلا زيارة هذا الموقع. إنه أحد أهم مواقع البحث العربية حالياً على شبكة الإنترنت، البحث يشمل مواضيع متعددة كالصحة والشركات والكومبيوتر والتجارة والفنون والآداب والأخبار وغيرها.

مقتطفات من الصحافة

إعداد: تمام أحمد

حــرام أيهــا العلمــاء

حرام، يا سادة أن تقفر مساجدنا من ندوات العلم، وتتخلى عن تراث أكابر علمائنا الذين نشروا العلم الصحيح من خلال تلكم المجالس الوضاءة.

حرام، أن نرى بأم أعيننا شباب هذه الأمة لا يرتادون المساجد إلا للصلاة فقط، ثم ينتشرون دون أن يسمعوا كلمة حق، أو يتزودوا بشحنة إيمان، أو يتذاكروا عبر السلف، أو يستروحوا نسمات قرآنية، أو لطائف الأحاديث النبوية الشريفة.

حرام، أن يحجر على العلم في صدور العلماء وحرام ألا يتفجر أمام المتعطشين له من أبنائنا.

إن المسؤولية العظمى ملقاة على عاتقنا جميعاً كي نتخلى عن تقوقعنا وتثاقلنا لننطلق إلى رحاب المساجد ونؤسس لهذه الحلقات العلمية ونستعيد تراث من سبقونا لتطمئن قلوبنا وتستكين جوارحنا ونحيي رسالة المسجد العظيمة.

وقديما قالوا: «بئس العلماء على أبواب الأمراء، ونعم الأمراء على أبواب العلماء»، وإنها لفاجعة أن يصدق هذا القول الآن في علمائنا... ولا يصدق في أمرائنا.

فهل من مبادر إلى استرجاع كرامة العلماء وتأكيد رسالتهم وتحقيق دورهم المنشود؟ (وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون) العنكبوت:٤٣.

التقوى العدد ٨٨ - ديسمبر ١٩٩٩م.

ألفيتهــم وسباتنــا

في ظل أجواء احتفالات اليهود والنصارى لمناسبة الألفية الجديدة، نجد الفلسطينيين يجترون آلامهم، ويلعقون جراحهم التي مازالت تنزف دون أن يلتفت إليها أحد، بل نجد العالم تحت شعارات زائفة يعد بحل القضية، فلا يزيدها إلا تعقيداً، ولا يبذل إلا ما فيه ترسيخ لأقدام المحتل، وتجذير لوجوده، في الوقت الذي تتم فيه عملية تذويب دقيقة للفلسطينيين في المجتمعات الأخرى، وعملية تجاهل لحقوقهم وحقوق أبنائهم في الداخل والخارج، وفي الوقت الذي يتواصل فيه الاستيطان وبشراهة في كل مناطق فلسطين، وفي الوقت الذي تستمر فيه عملية ضم القدس وابتلاعها بتهجير أهلها، وتجريدهم من أرضهم ومنازلهم غصباً وأمام أعين دول العالم الذي يتجاهل هذا الأمر وكأنه يحدث في عالم آخر.

ويحدث هذا وسط نداءات صهيونية حاقدة تدعو لهدم المسجد الأقصى وإقامة الهيكل مع بداية الألفية الجديدة، ووسط محاولات متكررة لاقتحام المسجد الأقصى والعبث بمحتوياته، ووسط إصرار على اعتبار القدس عاصمة أبدية موحدة للكيان الصهيوني، وفي هذا الإطار يتوقع الإعلان عن نقل السفارة الأميركية للقدس مع بداية العام الجديد، وبخاصة بعد أن تم شراء المباني المخصصة لذلك، ولكن تم تأجيل الإعلان لأمر يعلمه الله.

هذا كله يحدث في وقت تعيش فيه أمتنا على الهامش، وتقف موقف المتفرج الذي لا حول له ولا قوة، بل تمضي مهرولة نحو اليهود والنصارى (أيبتغون عندهم العزة فإن العزة لله جميعاً) النساء:١٣٩، ولو تأملنا ما نحن فيه لرثينا لحالنا، كيف لا والفساد يستعلي بكل أشكاله في الأرض المباركة التي أسري إليها بنبينا ﷺ، والأمة تغط في سبات عميق، لا تملك أن تُسيّر مثل النصارى ثلاثة ملايين من أبنائها، وذلك للاحتفال في المسجد الأقصى بتطهير فلسطين الجريحة من دنس الاحتلال.

الجندي المسلم - يناير ٢٠٠٠م

الشيشان بين القمع الروسي وموات الضمير الدولي



لماذا تقترف روسيا هذه الآثام والجرائم؟

هل جنت؟

هل برح بها الشوق إلى الأيام الخوالي؟ أيام «إيفان الرابع» المسمى بإيفان الرهيب، وصفاً لما قام به من مجازر ضد المسلمين في قازان واستراخا، والأدمورت وغيرها؟

هل هو الحنين العميق إلى الاستبداد الذي مارسوه على طشقند وبخارى وأمثالهما؟

هل هو عودة شريرة إلى آخر عهد القيصر الإسكندر الثاني حيث احتل الروس أراضي المسلمين كافة؟

هل هو استئناف لحرب الإبادة التي شنها النظام الشيوعي السوفييتي على المسلمين وقتل منهم مئات الألوف على مدى ثمانية عشر عاماً قبل الحرب العالمية الثانية.

هل اشتاقت القوات الروسية إلى هوايتها الأثيرة المحببة هواية الكبت والقمع والقتل؟

هل اشتاقت إلى أيام قريبة مضت أيام أن قمعت أحرار المجر العام ١٩٥٦م وأيام أن ضربت وأذلت أحرار تشيكوسلوفاكيا العام ١٩٦٨م؟

وهل أغنى عنها ذلك القمع شيئاً؟

لقد سقط الاتحاد الذي كانت تحرسه، وتمارس الطغيان والقمع باسمه.

سقط في حين استقلت المجر، واستقلت تشيكوسلوفاكيا وعادت إليهما حريتهما وسيادتهما.

ما السبب وما الدافع؟

هل الدافع هو الشعور بالخزي الكامل الذي باء به الروس في قضيتي البوسنة وكوسوفا؟

بيد أنهم هم السبب المباشر في هذا الخزي فقد كان يمكنهم تفادي هذه المذلة بإرغام سفاح صربيا على سلوك أكثر اعتدالاً تجاه البوسنة وكوسوفا، ولكن قصر نظرهم وعصبيتهم أديا إلى تصلب القيادة الصربية حتى كان ما كان وهنالك باءت تلك القيادة بالخزي وباء معها الروس الذين داهنوها وأيدوها.

هل الدافع هو سحق المسلمين وتشتيتهم؟

هذا كذلك دافع أو حساب خاطئ جد خاطئ، فلقد قهر الحكم الشيوعي المسلمين قهراً متواصلاً، إذ عمد إلى تجفيف المنابع التي تصل المسلمين بإسلامهم، وزاد على ذلك بأن درَّس أبناءهم وأبناء غيرهم الإلحاد من خلال مناهج تعليمية وتربوية منظمة في مختلف مراحل التعليم منذ رياض الأطفال إلى الجامعة إلى برامج الماجستير والدكتوراة.

فكيف كانت النتيجة بعد سبعة عقود تقريباً؟

النتيجة هي الخيبة.

الشرق الأوسط

بقلم زين العابدين أسكاي

تقرير يحذر من المخاطر التي تواجه أطفال العام ٢٠٠٠م



حذر تقرير صادر عن منظمة الأمم المتحدة للطفولة «يونيسيف» حول وضع الأطفال لعام ٢٠٠٠م من الأخطار التي يواجهها أطفال العالم، داعياً إلى تأمين حقوقهم الإنسانية كاملة.

وطالب التقرير الحكومات ووكالات الأمم المتحدة والمجتمع المدني والقطاع الخاص بتجديد الالتزام بمساعدة الأطفال للحصول على حقوقهم كما وردت في ميثاق حقوق الطفل.

من جهتها قالت رئيسة مكتب «اليونسيف» في الأردن مزراق الياس: إن التقرير أداة للدفاع إذ إنه يبرز العمل غير المكتمل في تحقيق الأهداف التي وضعت في قمة العالم للأطفال في العام ١٩٩٠م والتحديات الحالية أمام تحقيق تلك الأهداف مثل مرض الإيدز والنزاع المسلح وتفاقم الفقر.

وحول الفقر أشار التقرير إلى أنه بالرغم من الثراء غير المسبوق في الاقتصاد العالمي، فإن هناك أكثر من ١,٢ مليار إنسان في العالم يصارعون من أجل البقاء ويعيشون على دخل لايتجاوز دولاراً واحداً في اليوم، من بينهم أكثر من ٦٠٠ مليون طفل من الأطفال.

وفي ما يتصل بالأردن، أشار التقرير إلى أن الفقر في الأردن أثّر على ثلث السكان البالغ عددهم ٤,٨ مليون نسمة، ويخطط مكتب «اليونسيف» إلى مساعدة الحكومة الأردنية لمواجهة حاجات الفقراء من خلال تنظيم دراسة التفاوت على المستوى المحلي لتحديد القطاعات الأكثر عرضة للفقر.

الجوع يحصد أطفالاً كل يوم في أثيوبيا

قالت منظمة إنسانية: إن ستة أطفال على الأقل دون سن الخامسة يموتون يومياً من الجوع في إقليم أوغادن في شرق أثيوبيا.

وقالت منظمة أوغادن المستقلة في بيان: إنه بعد انقطاع الأمطار خلال ثلاثة مواسم متلاحقة، فإن عشرات الأشخاص يموتون، كما تنفق أعداد كبيرة من الحيوانات شهرياً فيما تتفشى أمراض مثل الإسهال بسرعة في المنطقة شبه الصحراوية. وأضافت المنظمة أن آلاف الأشخاص غادروا قراهم، إلى مدن جيجيجا وجود وديجابور، بحثاً عن الطعام. وقال البيان: «يموت بين ستة وسبعة أطفال دون الخامسة يومياً في منطقة أمي في أوغادن حيث أكثر المناطق تأثراً بالمجاعة». وأضاف: في مدة شهر واحد نهاية السنة الماضية مات ٨٥ شخصاً بسبب الجوع «واكتشفت بقايا ٤٥ آخرين في الأدغال يعتقد أنهم أيضاً ماتوا بسبب الجوع». وقال سيمينج أريج من لجنة منع الكوارث والاستعداد: إن الحكومة نقلت بالشاحنات أكثر من ١٣ ألف طن من المعونات الغذائية إلى المنطقة.

وكان نحو مليون أثيوبي قد ماتوا في المجاعة التي ضربت شمال وشرق البلاد بين عامي ١٩٨٤م و١٩٨٥م.

الإيدز يصطاد القوى المنتجة في أفريقيا

ذكر تقرير جديد لمنظمة العمل الدولية أن مرض نقص المناعة المكتسبة «إيدز» يقتل الأفراد الأكثر إنتاجاً ضمن القوى العاملة في القارة السوداء. وقال التقرير: إنه قد تم جمع أكثر البيانات من زيمبابوي وتوغو حيث اكتشفت المنظمة أن من آثار هذا المرض الخبيث القضاء على أعداد كبيرة من السكان وبالتالي على القوى المنتجة هناك.

وتوقع التقرير أن تنخفض القوى العاملة في زيمباوي من ٢١ في المئة حسب إحصاء العام ١٩٩٧م إلى ١٧,٥ في المئة العالم ٢٠١٥م.

الأزهر يفوز بجائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام

مُنح الأزهر الشريف جائزة الملك فيصل العالمية المخصصة لخدمة الإسلام للعام ٢٠٠٠م، وذلك تقديراً للخدمات البارزة والمديدة التي قدمها للعالم الإسلامي. واتخذت لجنة الاختيار قرارها في اجتماع رأسه الأمير سلطان بن عبدالعزيز النائب الثاني لرئيس الوزراء وزير الدفاع والطيران في المملكة العربية السعودية، ومن ضمن الخدمات التي سجلت للأزهر التأثير الذي مارسه لأكثر من ١٠٠٠ سنة على التطور الديني والأكاديمي لأجيال من العلماء، بالإضافة إلى دورها الكبير في الحفاظ على التراث الإسلامي العربي ونشره.

وتعتبر جائزة الملك فيصل العالمية أشهر الجوائز التي تُمنح في الشرق الأوسط، وهي تصدر عن «مؤسسة الملك فيصل الخيرية» التي تعد أكبر منظَّمة خيرية في الشرق الأوسط وتتألف الجائزة من شهادة وميدالية ذهبية وجائزة نقدية مقدارها ٢٠٠ ألف دولار. وسيُعلن عن أسماء الفائزين بالجائزة في بقية المجالات، وهي الدراسات الإسلامية والأدب العربي والعلوم والطب، في مارس ٢٠٠٠م، وستقدم الجوائز في الرياض «مركز الفيصلية للمؤتمرات في أبريل ٢٠٠٠م».

إنشاء أول محكمة بيئية في دولة الكويت

قررت الكويت إنشاء أول دائرة بيئية في المحكمة الكلية، تعني بالنظر في الدعاوى القضائية البيئية المرفوعة من أفراد أو جهات حكومية.

وقال الدكتور محمد الصرعاوي المدير العام للهيئة العامة: إن هذا القرار جاء بعد موافقة المجلس الأعلى للبيئة الذي يرأسه النائب الأول لرئيس مجلس الوزراء، ووزير الخارجية الشيخ صباح الأحمد الصباح، وتنظر المحكمة البيئية في قضايا الزراعة والثروة السمكية والبلدية والتلوث والمياه الجوفية، بالإضافة إلى سلوكيات الأفراد تجاه بيئتهم. وأوضح الصرعاوي أن هناك قاضياً سينتدب من المحكمة الكلية للنظر في القضايا الموجودة في الدائرة البيئية داخل المحكمة ذاتها.

وتوقع أن تبدأ أول جلسات المحكمة البيئية بعد وضع اللائحة التنفيذية لهذه الدائرة المختصة بالنظر في مختلف القضايا البيئية. من جهة أخرى قرر المجلس الأعلى للبيئة في الاجتماع ذاته تشريع قانون جديد يسمى «قانون التلوث البحري».

٣٠٠ مليون أمي بين شباب الصين

أعلنت وكالة أنباء الصين الجديدة أن الصين لا تزال تعد ٣٠٠ مليون أمي بين شبابها على الرغم من تحقيقها تقدماً كبيراً في مجال التحاق الأطفال بالمدارس.

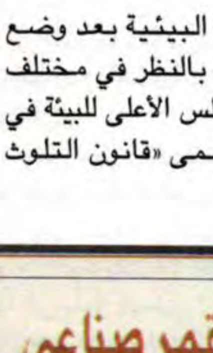
وأكدت الوكالة نقلاً عن الهيئة المشرفة على التعليم المدني أن الصين حققت أهدافها في مجال التعليم الابتدائي حيث تبلغ نسبة الالتحاق بالمدرسة ٩٨,٩ مقابل ٩٧٪ في بداية التسعينيات.

كما تبلغ نسبة الطلاب الذين يلتحقون بالمدارس الثانوية ٨٧,٣٪ مقابل ٧١,٤٪ في بداية التسعينيات.

إلا أن التقرير يشير إلى أن هناك ١٢٧ مليون طفل في سن الدراسة الابتدائية و١٨٢ مليوناً في سن المدرسة الثانوية تزيد أعمارهم على ١٥ سنة من الأميين.

وأكدت الوكالة الصينية أن الحكومة ستظل تواجه خلال السنوات التسع المقبلة مشكلة إزالة الأمية وتعميم التعليم الإلزامي.

مفتي مصر يطالب بإطلاق قمر صناعي لتوحيد المناسبات الإسلامية:



د. نصر فريد واصل

قدَّم الدكتور نصر فريد واصل مفتي الديار المصرية طلباً رسمياً للدكتور عاطف عبيد رئيس الوزراء المصري بأن تطلق الحكومة المصرية قمراً صناعياً يحدد بداية الشهور الهجرية، ومن المقرر أن تصل تكلفته إلى ١٠ ملايين دولار. وصرح الدكتور واصل لصحيفة «الشرق الأوسط» أن رئيس الوزراء وعد بالموافقة وإدراج الأمر في الموازنة الحكومية المقبلة. وأشار مفتي الديار المصرية إلى أن القمر المزمع سيسهم في توحيد مواقيت المواسم الإسلامية المهمة، مثل الصوم وعيد الفطر والحج وغيرها. وأضاف: لقد عرضنا فكرة هذا المشروع على علماء من المملكة العربية السعودية والإمارات العربية المتحدة وتونس والأردن وقطر ولبنان ولقي تأييداً كبيراً من علماء هذه الدول وحكوماتها.

٥, ١٢ مليون شاب عاطل عن العمل في الدول العربية



حذرت منظمة العمل العربية من مخاطر البطالة بالدول العربية، خصوصاً الشباب، على السلام الاجتماعي والأمن الوطني والقومي وتعطل مسيرة التنمية الشاملة وأثرها السلبي على نجاح برامج الإصلاح الاقتصادي وتحقيق الاستقرار الاجتماعي وضياع فرص التعاون العربي في مجال الموارد البشرية والتقارب الإيجابي بين شعوب المنطقة.

وقال إبراهيم قويدر المدير العام لمنظمة العمل العربية أن معدل البطالة الحالي بالدول العربية يبلغ نحو ١٤ في المئة من قوة العمل، كما أن هناك نحو ٥, ٢ مليون عاطل عن العمل معظمهم من الشباب إضافة إلى البطالة المقنَّعة والتشغيل الناقص.

كما أن أغلبية المتعطلين هم من الداخلين الجدد إلى سوق العمل العربية من الشباب والذين يمثلون نحو ٩٦ في المئة في البحرين، و٨٤ في المئة في الكويت وما يزيد عن الثلث في مصر والجزائر وتزيد النسبة عن ٣٠ في المئة في دول عربية أخرى.

وأضاف المدير العام لمنظمة العمل العربية، أن حجم القوى العاملة العربية يبلغ حالياً نحو ٨٩ مليوناً ومن المتوقع زيادتها إلى ١٢٣ مليوناً في العام ٢٠١٠م لزيادة نمو القوى العاملة والداخلين سنوياً إلى سوق العمل.

وقال المدير العام لمنظمة العمل العربية إبراهيم قويدار: إن البيانات التي أعدتها المنظمة حول البطالة تشير إلى استمرار تدني إسهام المرأة والشباب في النشاط الاقتصادي، حيث إن ٥٢ في المئة من الشباب دون سن العشرين عاماً.

وأضاف: أن الإضافة الجديدة لسوق العمل العربية تبلغ ٢,٥ مليون سنوياً، ومن المتوقع زيادتها إلى ٣ ملايين خلال السنوات المقبلة، ما يعني ضرورة توفير ما يتراوح بين ٢,٥ و ٣ملايين فرصة عمل سنوياً لاستيعاب الداخلين لسوق العمل أو الإبقاء على المستويات الحالية للبطالة دون زيادة مستقبلية وهو ما يمثل أكبر التحديات الاجتماعية للبلدان العربية.

وأشار قويدار إلى ظاهرة بطالة حملة الشهادات التعليمية خصوصاً المتوسطة وفوق المتوسطة والتي بدأت تستفحل منذ سنوات في الدول العربية، حيث تزيد معدلات البطالة بينهم لأكثر من ثلاثة أضعاف في الجزائر وخمسة أضعاف بالمغرب وضعفين بالأردن ومصر.

وقال المدير العام لمنظمة العمل العربية: إن التنقل الكثيف للعمالة بين الدول العربية والهجرة إلى أوروبا قد تراجع دورهما للتخفيف من حدة الباطلة بالدول العربية، كما أن توطين الوظائف في البلدان المستقبلة للعمالة، أصبحت تواجه صعوبات كثيرة رغم أن نسبة العمالة الوافدة بها تزيد على العمالة الوطنية كثيراً.

وحول أسباب ارتفاع معدلات البطالة في الدول العربية يقول المدير العام لمنظمة العمل العربية: إنها تعود إضافة إلى نمو القوى العاملة المرتفع إلى ضعف الأداء الاقتصادي وسوء توجهات التنمية الاقتصادية وضعف محتوى المؤسسات التعليمية والتدريبية وعدم الترابط بينهما وما أفرزته الإصلاحات الاقتصادية، كما أن الدول المستقطبة للعمالة تعاني من بطالة متزايدة بين الوطنين لأسباب اجتماعية واقتصادية.

اليابان بحاجة لقبول ٦٠٠ ألف مهاجر سنوياً

أفادت بيانات جغرافية أصدرتها الأمم المتحدة أخيراً أنه سيتعين على اليابان قبول نحو ٦٠٠ ألف مهاجر سنوياً على مدار فترة تصل إلى خمسين عاماً لتعزيز القوى العاملة التي تتضاءل بسرعة.

وذكرت وكالة «كيودو» اليابانية للأنباء أن الأمم المتحدة أشارت في أول دراسة لها عن المهاجرين في اليابان والولايات المتحدة وبريطانيا وخمس دول صناعية أخرى إلى أن العمال اليابانيين الذين تتراوح أعمارهم الآن بين ١٥ و ٦٤ عاماً سيتراجع عددهم إلى ٨٦ مليون عامل هذا العام ثم إلى ٥٧ مليوناً بحلول العام ٢٠٥٠م، وذلك من ٨٧ مليوناً في العام ١٩٩٥م، ونتيجة لذلك، فإن اليابان بحاجة وفقاً لتقرير الأمم المتحدة إلى قبول ٣٣ مليون مهاجر حتى العام ٢٠٥٠م أو نحو ٦٠٠ ألف مهاجر سنوياً، وذلك لتعزيز قوتها العاملة. وقالت الدراسة: إن العدد الإجمالي لسكان اليابان سينخفض إلى نحو ١٠٥ ملايين نسمة بحلول العام ٢٠٥٠م بعد أن يصل إلى ١٢٧ مليون نسمة في العام ٢٠٠٥م، وتخطط الأمم المتحدة إلى إصدار تقريرها النهائي الخاص بهذه الدراسة في نهاية مارس العام ٢٠٠٠م.

اختيار رئيس دولة الإمارات شخصية إسلامية عالمية للعام ٢٠٠٠م

تسلم رئيس دولة الإمارات الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان في احتفال في المسرح الوطني في «أبو ظبي»، جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم لمناسبة اختياره الشخصية الإسلامية العالمية لهذا العام، وذلك تقديراً لجهوده ومواقفه في خدمة الإسلام والمسلمين.

وقدَّم الجائزة للشيخ زايد في الاحتفال الذي حضره الشيخ مكتوم بن راشد آل مكتوم نائب رئيس دولة الإمارات وحكام الإمارات ونواب الحكام وأولياء العهود والوزراء وكبار رجال الدولة، الفريق أول الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم ولي عهد دبي وزير الدفاع راعي جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم في دورتها الثالثة.

وقال الشيخ محمد بن راشد في كلمة له بهذه المناسبة: «إننا كنا محظوظين أن جاد علينا الدهر بزايد»... مؤكداً أن الشيخ زايد استطاع بحكمته وبعد نظره وبكل صفات القيادة أن يبني دولة عصرية.

ثم قام الفريق أول محمد بن راشد بتكريم القراء المشاركين في جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، وتوزيع الجوائز على الفائزين العشرة الأوائل.

وفاز بالمركز الأول أحمد محمد سيد خطاب من مصر وحصل على جائزة مقدارها ٢٥٠ ألف درهم «نحو ٧٠ ألف دولار»، والثاني نجيب محمد عبدالله من اليمن وحصل على جائزة «قدرها ١٥٠ ألف درهم»، وجاء مال حسين موني من جمهورية تشاد بالمركز الثالث وحصل على جائزة «مقدارها ١٠٠ ألف درهم». وحصل بقية العشرة الأوائل من الرابع وحتى العاشر على جوائز قيّمة كل منها ٥٠ ألف درهم، فيما حصل بقية المشاركين في مسابقة حفظ القرآن الكريم وعددهم نحو ٧٠ متسابقاً على جوائز نقدية قيمة كل منها ٣٠ ألف درهم.

المجلس الإسلامي العالمي للدعوة ينسق مع الجامعة العربية للدفاع عن الإسلام

يجري المجلس الإسلامي العالمي للدعوة والإغاثة حالياً تنسيقاً مع جامعة الدول العربية للوقوف في صف واحد ضد محاولات التطاول على الدين الإسلامي والإساءات المتكررة من بعض المستشرقين للحضارة العربية والإسلامية، وقال الشيخ توفيق الشريف مدير المجلس الإسلامي في القاهرة: إن المجلس الإسلامي العالمي للدعوة والإغاثة يشارك الجامعة العربية ومنظمات إسلامية عدة للدفاع عن الإسلام داخلياً وخارجياً وتقديمه بصورة صحيحة بعيداً عن حملات التشويه المغرضة.

وأضاف الشريف أن المجلس الإسلامي استضاف أخيراً السفير أحمد بن حلي الأمين العام المساعد للجامعة العربية الذي أبدى تعاوناً لقيام الجامعة العربية بمساعدة المجلس الإسلامي في الدفاع عن الحضارة الإسلامية والعربية من خلال ندوات ومنتديات منظمة ومطبوعات تعكس قيمة هذه الحضارة الإنسانية الرائدة.

٦٥ ٪ من أطفال مصر الرضع مصابون بفقر الدم

أكدت دراسة طبية أن ٦٥ في المئة من الأطفال الرضع يعانون من الأنيميا، وما يقرب من ٥٠ في المئة من هؤلاء الأطفال يعانون من أنيميا نقص الحديد وهي الأنيميا المنتشرة في هذه المرحلة السنية، وتقول الدكتورة سهير البسيوني الأستاذة في مختبر التحاليل الطبية في قسم صحة الطفل بالمركز القومي للبحوث: «تمت دراسة أنيميا نقص الحديد عند الأطفال الرضع على عينة تتكون من ٢٠٠ طفل أعمارهم من (٦ - ١٢شهراً) ومن خلال هذه الدراسة أجري تقويم لجميع الاختبارات الدالة على نقص الحديد في جسم الأطفال». وأوضحت الدراسة أن الأطفال المصابين بالأنيميا يفتقر طعامهم إلى الكميات اللازمة من العناصر الغذائية.

ووجد أن كمية الحديد المأخوذة في الغذاء قد تتناسب طردأ مع مستوى الهيموغلوبين لدى هؤلاء الأطفال كما هو الحال بالنسبة لفيتامين (C)، وقد أوضح منحنى النمو لدى الأطفال الذين يعانون من الأنيميا أن هناك انخفاضاً في النمو أكثر من أقرانهم الذين لا يعانون من مرض الأنيميا.

وأوصت الدراسة بالتعرف على الأطفال المصابين بهذه الأنيميا لأهمية خطورتها على المدى الطويل على صحة الأطفال العقلية والجسمانية، كما أوصت بإجراء أبحاث ميدانية لأكثر من مؤشر في مختلف الأعمار السنية للوصول إلى مقاييس مرجعية مناسبة للأطفال في مختلف الأعمار.

حديقة الوعي

إعداد: أحمد عبدالجبار

من هدي كتاب الله

قال تعالى :

﴿ **إن تكفروا فإن الله غني عنكم ولا يرضى لعباده الكفر وإن تشكروا يرضه لكم ولا تزر وازرة وزر أخرى ثم إلى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم تعملون إنه عليم بذات الصدور** ﴾

الزمر:٧.

من هدي رسول الله ﷺ

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«**إن من الناس ناساً مفاتيح للخير مغاليق للشر، ومن الناس مفاتيح للشر مغاليق للخير، فطوبى لمن جعل الله مفتاح الخير على يديه، وويل لمن جعل مفتاح الشر على يديه**».

حديث حسن ورد في كتاب السنة للحافظ أبي بكر عمرو بن عاصم . رقم ٢٩٧ .

غلام يغلب المغيرة بن شعبة

قال المغيرة بن شعبة: ما غلبني أحد قط إلا غلام من بني الحارث بن كعب، وذلك أني خطبت امرأة من بني الحارث وعندي شاب منهم فأصغى إليَّ فقال: أيها الأمير لا خير لك فيها: قلت: يابن أخي وما لها؟ قال: رأيت رجلاً يقبّلها، قال: فأعرضت عنها، فبلغني أن الفتى تزوجها، فأرسلت إليه، فقلت: ألم تخبرني أنك رأيت رجلاً يقبّلها؟ قال: نعم، رأيت أباها يقبّلها .

أمثال

- **عند الامتحان يكرم المرء أو يهان**
مثل عربي
- **عند العطاء لا تستعجل في الأخذ.**
مثل كمبودي
- **لاتذهب إلى العرس إن لم تكن مدعوا.**
مثل فرنسي
- **لاتفعل بالآخر ما تخاف أن يفعله بك.**
مثل بولوني

مواساة

يقول الإمام ابن قيم الجوزية: المواساة للمؤمنين أنواع: مواساة بالمال، ومواساة بالجاه، ومواساة بالبدن والخدمة ومواساة بالنصيحة والإرشاد، ومواساة بالدعاء والاستغفار لهم، ومواساة بالتوجه لهم وعلى قدر الإيمان تكون هذه المواساة، فكلما ضعف الإيمان ضعفت المواساة، وكلما قوي قويت.

وكان رسول الله ﷺ أعظم الناس مواساة لأصحابه بذلك كله، فلأتباعه من المواساة بحسب اتباعهم له، ودخلوا على بشر الحافي في يوم شديد البرد، وقد تجرد وهو ينتفض، فقالوا: ما هذا يا أبا نصر؟ فقال: ذكرت الفقراء وبردهم وليس لي ما أواسيهم فأحببت أن أواسيهم في بردهم.

إن مع العسر يسرا

قال أبو محجن الثقفي:

عسى فرج يأتي به الله إنه
له كل يوم في خليقته أمر

عسى ما ترى ألا يدوم وأن ترى
له فرجاً مما ألح به الدهر

إذا اشتد عسر فارج يسراً فإنه
قضى الله أن العسر يعقبه يسر

(الأرج في الفرج للحافظ السيوطي)

مترادفات

قال الحسين بن السميدع الأنطاكي: كان عندنا في إنطاكية عامل من مدينة حلب، وكان له كاتب أحمق فغرق في البحر «اشلنديتان»، من مراكب المسلمين التي يقصد بها العدو، فكتب ذلك الكاتب عن صاحبه إلى العالم بحلب بخبرهما: بسم الله الرحمن الرحيم: اعلم أيها الأمير أعزه الله تعالى أن «شلنديتين أعني: مركبين» قد صفقا من جانب البحر أي غرقا من شدة أمواجه فهلك من فيهما، «أي تلفوا»، قال: فكتب إليه أمير حلب: بسم الله الرحمن الرحيم: «ورد كتابك أي وَصَلَ واستبدل به، أي اعزله، فإنه مائق أي أحمق والسلام، أي انقضى الكتاب».

كلمات بليغة

ـ قيل: إن احترام النفس أول دلائل الحياة، بل هذه هي الوطنية الحقة، ومهما وصف لنا المصلحون من الأدوية، فإنه لا دواء ينجع فينا مثل هذا الدواء.

ـ وقال أحد الحكماء: إن الأمم الراقية لم ترتفع إلا بالعمل وباحترام ما عمله أفرادها.

ـ العمل ضروري للرقي والتقدم، وأي نجاح لابد له من تعب وجهد مشقة وصبر على الأذى.

أخطاء لغوية

ـ من الخطأ أن نقول: ما رأيته «أبداً» والصواب: ما رأيته «قط»، ذلك لأن «قط» تكون مع الماضي، أما «أبداً» فتكون مع المستقبل أو المضارع، وليس مع الماضي.

ومن الخطأ أن نقول: «رجل فيه «سِمنة» أو «سُمنة»، والصواب رجل فيه سمن أو سمانة، لأن السمنة عشب من الأعشاب.

نظرة اقتصادية متوازنة

الإسلام لا ينظر إلى المعاملات الاقتصادية على أنها معاملات بين الناس بعضهم مع بعض فحسب، بل ينظر إليها كذلك على أنها معاملات بين العبد وربه. ولا يجعل ثواب من يسير على تعاليمه في شؤون الاقتصاد مقصوراً على ما عسى أن يناله من خير في الدنيا، بل يعده كذلك بأجر كبير في الآخرة. ولا يجعل عقاب من ينحرف عن تعاليمه في شؤون الاقتصاد مقصوراً على ما عسى أن يصيبه من ضرر في الدنيا، بل يتوعده كذلك بعذاب أليم في الآخرة، وبذلك يضم الإسلام في شؤون الاقتصاد إلى الوازع الديني وازعاً آخر أقوى كثيراً وأشد تأثيراً وهو الوازع الديني الأخروي.

هل تعلم ؟

- أن المرأتين اللتين ضرب القرآن بهما المثل في الإيمان هما زوجة فرعون ومريم ابنة عمران.
- وأن المرأتين اللتين ضرب بهما القرآن المثل في الكفر والخيانة هما زوجة نوح وزوجة لوط.
- وأن الصحابية الجليلة الملقبة بوافدة النساء هي أسماء بنت يزيد رضي الله عنها.
- وأن الصحابي الذي وطئ الجنة بعرجته هو الصحابي الجليل عمرو بن الجموح رضي الله عنه.
- وأن السورة التي نزلت بعد سورة الفاتحة هي سورة المسد.

دعاء

اللهم اهدني لأحسن الأعمال والأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت، وأصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها إلا أنت.

أسماء سيوف الرسول ﷺ

«المأثور، القضيب، التيار، القلعي، المخذم، الحتف، ذو الفقار، الرسوب».

من كنوز اللغة

قال أهل اللغة: الغيلم ذكر السلاحف والأنثى سلحفاة ويُقال: سلحفية، والعلجوم ذكر الضفادع، والشيهم ذكر القنافذ، والخرر ذكر الأرانب، وجمعه خران، والظليم ذكر النعام، والقط والضيون ذكر السنانير، والحيقطان ذكر الدراج، والحنبط ذكر الخنافس وهو أيضاً الخنفس، واليعاقيب ذكور الحجل، وأحدها يعقوب، والحزب ذكر الحبارى والفياد ذكر البوم ويُقال هو الصدى، واليعسوب ذكر النحل.

من هو ؟

قائد عربي غزا أفريقيا وبنى فيها مدينة القيروان اسمه مؤلف من عشرة حروف:

لوجمعنا:

١+٢+٨+٥ = قصاص.

٢+٣+١+٤ = غطاء الرأس

٢+٦+٨+١٠ = نقاب

٢+٨+١٠+٤ = أصابع

٧+٨+٩+١٠ نقيض صغار

هذه الفتاوى منتقاة مما تصدره إدارة الافتاء والبحوث الشرعية في وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية في دولة الكويت. والمجلة على استعداد لتلقي الاسئلة مباشرة وتحويلها الى اهل الاختصاص للاجابة عليها. ويسر خدمة الفتوى بالهاتف تلقي الاسئلة الفقهية مباشرة من الساعة ٨ صباحا الى الساعة ١٢ ظهرا ومن الساعة ٤ عصرا الى الساعة ٨ مساء على الهواتف التالية :

هاتف مباشر
خدمة الفتوى
149

إنهاء عقود العمال دون إنذار

حضر إلى اللجنة المدعو منذر، وطلب الاستفتاء بالتالي:

وقعت عقداً مع شركة محدد المدة مدته سنتان على أن اجتاز فترة التجربة ومقدارها ٩٠ يوماً، وبعد تجاوز فترة التجربة قامت الشركة بإنهاء خدماتي دون إنذار.

والسؤال: ما موقف الشرع من هذا الأمر؟ وما موقف الشرع من مدير الشركة إذا رفض منحي حقي كاملاً؟ الرجاء الرد كتابياً.

- تبيَّن للجنة:

بعد الاطلاع على العقد الموقَّع بين السائل وبين الشركة والخطاب الصادر عن الشركة إليه، أن السائل تعاقد مدة سنتين اعتباراً من ١٩٨٤/١/٣م، وتضمن أحد بنود العقد أنه تسلَّم العمل في ذلك التاريخ وأن الفترة التجريبية التي يحق فيها للشركة الاستغناء عنه من دون إبداء الأسباب هي تسعون يوماً تنتهي بانتهاء يوم ١٩٨٤/٤/١م، وبما أن كتاب الشركة بالاستغناء عنه مؤرخ بتاريخ ١٩٨٤/٤/١٢م، يكون هذا الاستغناء قد جاء بعد انتهاء مدة التجربة، وبانتهائها يصبح العقد سارياً مدة سنتين.

لذا أجابت اللجنة :بأن الشركة ملزمة بمضمون العقد «أي بتشغيله لديها حتى نهاية السنتين» وليس لها التحلل منه إلا باتفاق الطرفين أو لسبب آخر، ذلك ما تقضي به الأنظمة واللوائح ويطبق على سائر الموظفين.

هذا ما أجابت به اللجنة السائل على إفادته على العقد والخطاب اللذين قدمهما، واحتفظت اللجنة بصورة منها، فإن كان للشركة وجهة نظر أخرى، فعليها البيان. والله أعلم.

زكاة أموال القُصَّر

عُرض على اللجنة السؤال المقدم من إدارة شؤون القُصَّر ونصه التالي:

نرجو الإحاطة أنه سبق أن أثير أمام اللجنة الموقرة موضوع قيام الإدارة بصفتها وصية بإخراج الزكاة عن القُصَّر، والمحجور عليهم، الذين لا ينتمون إلى المذهب المالكي وكان الرأي هو أن العبرة بمذهب الوصي، ومن ثم فالإدارة بصفتها جهة حكومية تطبق مذهب الإمام مالك، وعليه يجب عليها إخراج الزكاة عن المذكورين. نرجو معرفة الحكم الشرعي في ذلك.

- أجابت اللجنة:

إنه نظراً لأن القاصر أو المجنون أو الصغير غير البالغ ليس أهلاً للخطاب، ووجوب الزكاة في ماله باعتبارها حقاً مالياً يكون المخاطب بأدائها وليه أو وصيه، وعلى هذا فالمعتبر إنما هو مذهب الوصي والولي. والله أعلم

التزوير في الفواتير

حضر إلى اللجنة شخص ما وقدَّم استفتاء هذا نصه:

أنا أعمل محاسباً في شركة خاصة نشاطها تجاري وهي كوكيل لشركة أجنبية، وفي إطار بعض الاتفاقات بينهما يحدث شيء كان لي فيه شك واستفسرت عنه فوجدته حراماً، ولكن لظروف معينة قد أُجبر على عمله أو عمل جزء منه، وأنا على استعداد تام لتوضيحه للجنتكم الموقرة حيث إنني أجد صعوبة في كتابته.

- وسألته اللجنة ما يلي: أوضح ما تريد الاستفسار عنه؟

وأفاد بما يلي: أنا أعمل في شركة محاسباً وتتضمن اتفاقات الشركة مع الشركة المصدرة على قيامنا بالإعلانات عن منتجاتها بالكويت يخصنا منها ٥٠٪ ويخصهم ٥٠٪ فإذا كان ما صرفناه هنا هو ١٠٠ دينار مثلاً، فنطلب من الشركة المعلنة تزويدنا بمبلغ ٢٠٠ دينار حتى يكون نصيبنا ما دفعناه فعلاً، وإذا كان هناك حد أعلى لايمكن التجاوز عنه يقوم أحد العملاء بهذه المهمة ولكن لظروف إجازته، فأنا المكلف بها حالياً ولا أدري ماذا افعل، ودوري هو إعداد فقط، والعمل ينسب لمدير الشركة، مع العلم بأن هذا ليس عملي الأصلي.

- أجابت اللجنة بما يلي:

إنه لا حرج عليه فيما يقوم به من عمل موكل إليه من الشركة إذا لم يكن دوره فيها شاهداً وينبغي مع ذلك أن ينكر قدر المستطاع وبلطف. والله أعلم

يفقد وعيه فيسبّ الدين ويهدد ويطلّق

حضر إلى اللجنة زوجان وطلبا الاستفتاء بالتالي:

لقد حصل أن تشاجرت مع زوجتي وكنت في حال غضب شديد وأخبرتني زوجتي بأني تلفظت بالطلاق وأنا لا أتذكر ذلك حيث تقول: إني قلت لها: أنت طالق، أنت طالق، أفتونا جزاكم الله خيراً.

- وسألت اللجنة الزوج ما يلي:

- كم مرة نطقت بالطلاق على زوجتك؟ قال مرتين.

- ما ظروف الطلقة الأولى؟ قال: حصل شجار بيني وبينها بسبب الأولاد، فقالت لي طلِّقني طلِّقني، فضربتها وأنا فاقد الوعي تماماً، ومن دون شعور قلت لها: أنت طالق، وبعد حصول الطلاق طلبنا أحد المشايخ إلى البيت فأصلح بيننا وقال: إن الطلاق غير واقع.

- كيف كانت حالك عندما نطقت بالطلاق؟ قال: كنت في حال هيجان ولا أعي ما أقول.

- كيف عرفت أنك طلقتها؟ قال هي التي ذكّرتني بالطلاق.

- ما ظروف الطلقة الثانية؟ قال: حصل شجار بيني وبينها، لأنها كانت تشتمني أمام أولادي وفي بيت أختها، فخرجت ثم رجعت ومن دون شعور طلّقتها وخرجت، ثم رجعت لكي آخذها مع الأولاد ونرجع إلى البيت، فقالت لي لن أذهب معك لأنك طلّقتني، فقلت لها والله لم يحصل مني ذلك ولا أذكر أبداً أنني طلّقتك.

- هل من عادتك إذا غضبت أن تتكلم من دون وعي وإدراك؟ قال: نعم، عندما أغضب وأثور أتكلم من دون وعي فأسب وأشتم من دون وعي حتى مع أخي الكبير.

- وسألت اللجنة الزوجة ما يلي:

- كم مرة نطق عليك زوجك بالطلاق؟ قالت: مرتان.

- ما ظروف الطلقة الأولى؟ قالت: حصلت سنة ١٩٨٤م فقد كان يأخذ الفيديو إلى خارج البيت ويشاهد الأفلام مع أصحابه، وفي إحدى المرات صدفة رأيت شريطاً خلاعياً ومخلاً بالآداب، فوبخته وبدأت ألومه على ذلك فقال لي: سأفعل ذلك رغماً عنك، فتشاجرت معه، وطلبت منه الطلاق، فضربني وقال لي: أنت طالق، وبعد حصول الطلاق بكى نادماً.

- كيف كانت حاله في أثناء الطلقة الأولى؟ قالت: كان في حال عصبية شديدة وفاقد الوعي تماماً، وقد مسك أحد الأولاد وقال لي: سأذبحه بالسكين أمام عينيك.

- ما ظروف الطلقة الثانية؟ قالت: حصل خلاف بيني وبينه في بيت أختي بسبب عمله عند أخيه لأنه يعمل بعد الظهر عند أخيه من دون أجر، ونحن محتاجون لأن الراتب الذي يتقاضاه من عمل الصباح لا يكفي، فكنت أنصحه بأن يعمل في مكان آخر بعد الظهر، أو يأخذ أجراً من أخيه مقابل عمله عنده فتذمر وغضب وأخذ يكفر ويلعن ويسب الدين، وخرج ثم عاد وقال لي عند الباب: أنت طالق ثم خرج، وعندما انتهت زيارتنا عاد ليأخذني فقلت له أنت طلقتني، فحلف لي بأنه لا يذكر أبداً أنه طلقني وبأنه غير واع عندما طلقني.

- وسألت اللجنة الزوج عما إذا كان سبَّ الدين، فقال: والله لا أذكر مطلقاً بأنني سببت الدين.

- أجابت اللجنة:

بعد سماع كلام الزوجين تبين عدم وقوع طلاق وتبقى معه على ثلاث طلقات، واحتياطاً طلبت منه اللجنة النطق بالشهادتين ففعل. والله أعلم.

ترك الحج بسبب الوباء

عُرض على اللجنة السؤال التالي:

حذر الرسول ﷺ من الوباء احتياطاً من انتشاره بما معناه «إذا سمعتم بالطاعون في أرض فلا تدخلوها، وإذا كنتم في أرض هو فيها فلا تخرجو منها» فكيف بالحجاج الذين يأتون من بلاد فيها وباء الكوليرا؟ هل يُباح للدولة السعودية أن تمنع دخول الحجاج من البلاد الموبوءة؟ وهل يترك من وجب عليهم الحج الحج؟

- أجابت اللجنة:

إذا ثبت علمياً خطورة هذا التجمع، بقرار أهل الخبرة والعدالة من الأطباء المسلمين المختصين، وأنه لا سبيل إلى منع انتشار هذا الوباء إلا بمنع التجمع، فلا مانع من أن تتخذ الإجراءات التي تراها الجهات المختصة، ومنها منع من يريد الحج من البلاد الموبوءة، أما من وجب عليه الحج إن منع من الحج بسبب الإجراءات الحكومية، فلا حرج عليه في التأخير. وإذا لم يمنع ولكن غلب على ظنه بسبب مقبول احتمال الإصابة بالوباء، فلا يأثم بالتأخير، حتى عند من يرى أن الحج واجب على الفور، لعدم الأمن، ولا عبرة بالخوف المبني على الوهم. وإذا أخر من وجب عليه الحج الحج بسبب الوباء فلا يسقط عنه الحج، بل عليه أداؤه عند زوال المانع. والله أعلم.

طلاء المرأة أظفارها

عُرض على اللجنة السؤال التالي:

يُرجى التكرُّم بإفادتنا بإجابات وافية بخصوص إطالة وصبغ الأظفار؟

- أجابت اللجنة بما يلي:

من خصال الفطرة التي سنَّها رسول الله، صلى الله عليه وسلم، تقليم الأظفار، وورد ما يفيد تعهد ذلك كل أسبوع، ويكره إطالة الأظفار، سواء كان في ذلك لدى الرجال أو النساء، أما صبغ الأظفار فإذا كان بمادة تشكل عازلاً يمنع وصول الماء عند الطهارة للوضوء أو الغسل كمستحضرات التجميل المعروفة فإنه لا يجوز استدامته، لما يترتب عليه من تعذر الوضوء وتفويت الصلاة، أما إذا استخدم بعد الطهارة وأزيل عند الحاجة إلى تجديدها وكان التزين به لمن يحل إبداء الزينة له فذلك جائز. والله أعلم.

بقلم: عبدالستار خليف

مأساة العصر الجميل!!

عصرنا هذا من أجمل العصور، ومن أروع العصور، الترفيه والتقدم والتكنولوجيا وصلت إلى أقصى الحدود... في حياتنا كبشر!! أصبحت حياتنا تسير بأقل جهد منا، وفي أسرع وقت. أصبحت الأزرار تتحكم في كل شيء، كل شيء... حتى مصير البشرية أصبح معلقاً بالأزرار النووية!!

وبالتالي، أصبح الخوف من التكنولوجيا والتقدم العلمي المذهل، ومن «الكاميرات السرية» التي أصبحت ترصد كل تحركات البشر... أصبح ـ الخوف ـ وأمسى أكثر من خوف الضمير الإنساني، ومن المثل والقيم العليا التي تمثل ضابطاً يتحكم في كل أفعال البشر!!

يا ألطاف الله... ألطف بنا يارب.

السرقة... في عصر التكنولويجا، أصبح الإنسان يراقب الكاميرا التي تراقبه ويعمل لها ألف حساب، قبل ضميره وأخلاقه ودينه، فالمحلات الكبيرة في شتى أنحاء العالم، تضع الكاميرات للجمهور والزبائن والعملاء حتى لا تتم عملية السرقة في غفلة من البائع أو الحارس!! لأن إنسان عصر التكنولوجيا ـ العصر الجميل ـ أصبح يقدر عدسة الكاميرا التي ترصده، وترصد تحركاته وانفعالاته من خارجه، وليس من الداخل... هذا الداخل المفروض أن يكون الضابط والوازع والمتحكم في كل تصرفات البشر... أصبح عديم الجدوى، منسياً، في منطقة مهجورة داخل أعماق الإنسان، وكلما سنحت الفرصة للإنسان أن يسرق، فإنه يسرق... بعيداً عن العيون، عن العدسات، عن الرقباء... والحراس!!

وهكذا بدأ ـ الخوف الخارجي ـ من التكنولوجيا، في هذا العصر الرائع، أكثر من الخوف الداخلي أكثر من الضمير والوازع الديني...

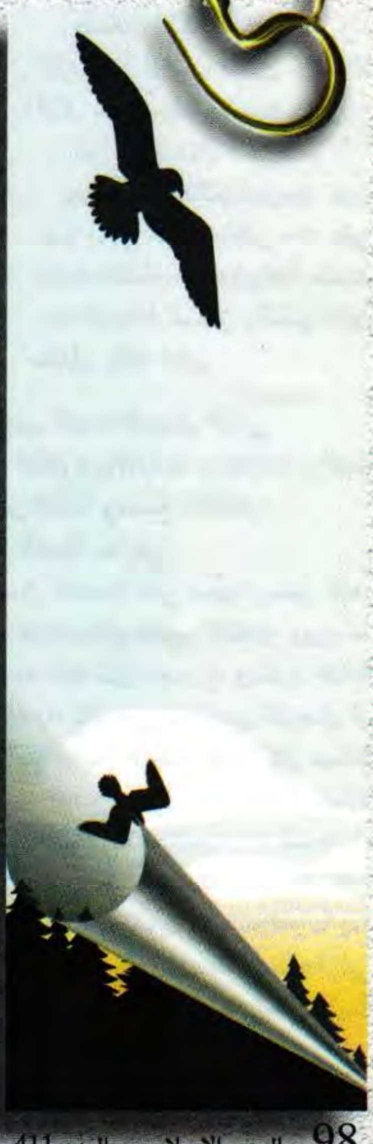
وهكذا ـ في هذا العصر الجميل ـ أيضاً تجد عدسات الرصد والتصوير مصوّبة نحوك، أمامك عند الدخول، وراء ظهرك عند الخروج... حيث أصبح «ضمير العصر الجميل»... هو الكاميرات السرية!!

وهنا... تحضرني حكاية «مركب بلا صياد» في مكان ما في العالم، المركب راس على أحد السواحل بلا حارس أو رقيب. وهناك على مقربة من القارب زوجة الصياد فيِّ كوخ بلا رجل... والسؤال المطروح الآن على الإنسان الوحيد الذي شاهد هذا المركب، ويقف على مقربة من الكوخ، يسمع غناء الزوجة التي تترنم بكلمات الحب والوفاء لزوجها الغائب.

السؤال هو: في هذا الخواء من العالم المجهول، وسط هذا القفر والضياع ولا أحد يراك: هل تسرق المركب وتستولي على الكوخ وتغتصب الزوجة الوفية المقيمة على العهد؟!

في هذا الزمان البعيد ـ الطيب والكريم ـ القديم والبدائي، كانت البساطة هي سمة الحياة، وكان الحب والخير والحق والجمال والصدق والأمانة والوفاء... هي قيم ثابتة وراسخة في وجدان البشر، ولم يكن هناك ـ في الأيام الخوالي الطيبة ـ رقيب أو خفير أو حارس ليلي أو كاميرا سرية ترصد..

كان... الضمير الإنساني حياً، ومتيقظاً، وحاجزاً... ولا حاجة لنا للإجابة على السؤال...؟



أصول

"عائلتك زينة حياتك"

أصول تـُعنى باحتياجات عائلتك

شركة أصول للإجارة والتمويل تقدم خدماتها المختلفة في مجال
التمويل وفق معايير الشريعة الإسلامية بأساليب متجددة بغرض
توفير كل ما يحتاجه العملاء بطرق أحدث .. أسرع .. وأكثر فاعلية.



أصول
للإجارة والتمويل

الري - الدائري الرابع 822228
الجهراء - شارع السوق 4577708

ننطلق بكم إلى العالم



خدمات مالية
إسلامية متميزة

نقدم خدمات إستثمارية من خلال محافظ و صناديق

عالمية بإطار شرعي ونوفر مختلف الخدمات المصرفية

والتجارية والتمويلية وفق الشريعة الإسلامية.

بيت التمويل الكويتي

KUWAIT FINANCE HOUSE

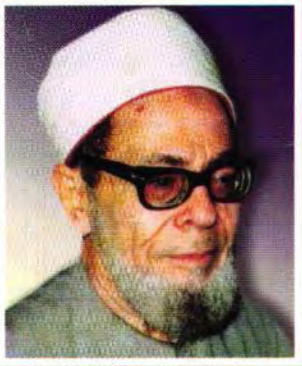
الوعي الإسلامي

al-Waei al-Islami

إسلامية شهرية جامعة

تأسست عام ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م

العدد ٤١٢ ـ السنة ٣٦ - ذو الحجة ١٤٢٠ هـ - مارس / أبريل ٢٠٠٠ م



رحيل فقيه العصر الشيخ سيد سابق

حوار



د. الشريف : الإسلام يتسع للخلاف الفقهي



وانطلقت رحلة العطاء

الخُلع بين النظرية والتطبيق

هديتك مع العدد براعم الإيمان

تتقدم

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

وأسرة تحرير مجلة الوعي الإسلامي من

صاحب السمو أمير البلاد

وسمو ولي العهد رئيس مجلس الوزراء

وأعضاء الحكومة الموقرة

ورئيس وأعضاء مجلس الأمة

بأطيب التهاني وأجمل الأماني

لمناسبة عيد الأضحى المبارك

سائلين المولى سبحانه وتعالى أن يعيده

على المسلمين قاطبة باليمن والخير والبركات

وأن يرحم الشهداء الأبرار

ويفك قيد الأسرى ويعيدهم سالمين غانمين

إنه سميع مجيب

عيدكم مبارك

وعساكم من عواده

الوعي الإسلامي

تأسست عام ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م

إسلامية ❖ شهرية ❖ جامعة

تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية

في دولة الكويت في مطلع كل شهر عربي

Islamic Monthly Magazine, Published By The Ministry of Awqaf & Islamic Affairs - Kuwait

رئيس التحرير
CHIEF EDITOR
جاسم محمد مطر شهاب
Jasem M. M. Shehab

سكرتير التحرير
EDITORIAL SECRETARY
وائل أحمد الهنيدي
WAEL A. AL-HUNAIDI

الإشراف الفني
ART DESIGNER
صالح محمد صالح
SALEH M. SALEH

العدد 412 - السنة السادسة والثلاثون - ذو الحجة 1420 هـ - مارس / أبريل 2000 م

الأسعار

الكويت : ٣٥٠ فلسا. السعودية : ٤ ريالات. البحرين : ٣٠٠ فلس. قطر : ٤ ريالات. الامارات : ٤ دراهم. سلطنة عمان : ٣٠٠ بيسة. الأردن : ٥٠٠ فلس. مصر : جنيه واحد. السودان : ٥ جنيهات. موريتانيا : ١٢٠ اوقية. تونس : دينار واحد. الجزائر : ٥ دنانير. اليمن : ٥ ريالات. لبنان : ١٠٠٠ ليرة. سوريا : ٢٠ ليرة. المغرب : ٦ دراهم. ليبيا : ٥٠٠ مليم. اوروبا : جنيه استرليني واحد او مايعادله. امريكا وبقية دول العالم الاخرى : دولاران او مايعادلهما.

كلمة العدد

ونحن على أبواب دورة ثقافية جديدة

إخواننا القراء... أخواتنا القارئات:

نقدم لكم في ثنايا هذا العدد الذي يصادف نهاية العام الهجري ١٤٢٠هـ مواضيع شتى تهم المسلمين في أمور دينهم ودنياهم، فقد عالجت المجلة، بالإضافة إلى المواضيع المتعلقة بالحج وأحكامه ومنهجه في التربية والبناء وإسقاطاته على واقع الأمة المزري، جملة من القضايا العقدية والفكرية والفقهية وفي مقدمها: الخلع بين النظرية والتطبيق، قتل الرحمة من منظور الشريعة الإسلامية، عولمة شرط أن تكون على أسس عادلة، الصحوة والدعوة والحاجة إلى فقه النقد والمناصحة... إضافة إلى حوار مطول مع عميد كلية الشريعة في جامعة الكويت د. محمد عبدالغفار الشريف... وغيرها من المواضيع الأخرى.

إن المجلة وهي على أبواب دورة ثقافية جديدة تبدأ بحلول العام الهجري الجديد تأمل من كتابها وقرائها الأفاضل مدها دائماً باقتراحاتهم وإرشاداتهم وخلاصة أفكارهم وتجاربهم ورصد القضايا والمشكلات بعين منصفة متجردة وتحليل الأحداث تحليلاً علمياً واقعياً نستطيع من خلاله وبالتنسيق والتعاون والتآزر ترشيد مسيرة أمتنا المتطلعة لواقع أفضل يعيد لها دورها الإيجابي الفاعل في مسيرة الحضارة الإنسانية. والله من وراء القصد.

الوعي الإسلامي

المراسلات

المراسلات كافة باسم رئيس التحرير

مجلة الوعي الإسلامي

ص.ب : ٢٣٦٦٧ ـ الصفاة ـ 13097 ـ الكويت

هاتف : ٥٣٤٨٩٧٤ / ٥٣٤٨٩٧٦ / ٥٣٤٨٩٥٦ (٩٦٥+)

فاكس ٥٣٤٨٩٥٤ (٩٦٥+)

al-Waei al-Islami
P.O. BOX 23667 SAFAT
13097 KUWAIT
TEL. 965 5348976 FAX 965 5348954

e.mail: alwaei@awkaf.net
Homepage: www.awkaf.net/alwaei

الاشتراكات

- داخل الكويت :

للأفراد ٥ دنانير ـ للمؤسسات ١٠ دنانير كويتية

- الدول العربية :

للأفراد ٦ دنانير كويتية (او مايعادلها).

- دول العالم :

للأفراد ١٠ دنانير كويتية (او مايعادلها).

- للمؤسسات :

٢٠ ديناراً كويتياً (او مايعادلها).

ترسل قيمة الاشتراكات في شيك إلى إدارة المجلة باسم مجلة الوعي الاسلامي (الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)

المجلة غير ملتزمة بإعادة أي مادة تتلقاها للنشر. والمقالات لا تعبر بالضرورة عن رأي الوزارة

مطابع السياسة ـ الكويت

وكيل التوزيع شركة الخليج لتوزيع الصحف هاتف ٤٨١٦٨٨٤/٥ / ٤٨٣٥٠٤٧ ص.ب ٤٢٠٥٧ الشويخ 70651 الكويت. برقيا نيوزبيبر

في العدد

مهرجات

مشاركة وزارة الأوقاف في مهرجان العطاء الوطني



10

شاركت وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في الكويت في مهرجان يوم العطاء الوطني الثاني الذي نظمه مكتب الشهيد في الفترة من ٢١ ـ ٢٦ فبراير الماضي.

طالع التفاصيل

أحكام 27

الخُلع بين النظرية والتطبيق

«الخُلع» بضم الخاء عقد بين الرجل وزوجه يتفقان فيه معاً على أن تفتدي الزوجة نفسها من زوجها بمبلغ من المال تدفعه إليه تعويضاً عما أنفقه عند الزواج بها... ترى ما أحكام هذا الخلع وماذا قال الفقهاء فيه؟

دعوة 46

الصحوة والدعوة والحاجة إلى فقه النقد والمناصحة

تجديد الدعوة إلى النقد والمناصحة دعوة إلى تمثل المنهج النبوي في صياغة حياة الإنسان المسلم وسلوكه وفق مقتضيات الشرع.

الفهرس

الافتتاحية

وانطلقت رحلة العطاء

إذا كان المسلمون - أتباع النبي محمد ﷺ - قد خرجوا من رحلة روحية استغرقت من زمان أعمارهم شهراً صاموا فيها - لله رب العالمين عن كل مقومات الحياة من طعام وشراب وشهوة جسد. فإنهم - بعدها - يدخلون في رحلة أخرى روحية وبدنية. تستهدف - ضمن ما تستهدف - ما تضمنته الرحلة الأولى من صفاء يشمل في الإنسان جوانب النفس كلها، عفة وسلوكاً قولاً وعملاً!!.

وإذا كانت التقوى غاية لرحلة الروح في رمضان، فهي كذلك غاية في رحلة الروح والبدن في جميع مشتملات مناسك الحج (الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج وما تفعلوا من خير يعلمه الله وتزودوا فإن خير الزاد التقوى واتقون يا أولي الألباب).

وها هم الحجيج من شتى رحاب الأرض يبدأون الرحلة المباركة متجردين من كل ما يميزهم من زينة وثياب. فيخلعون المخيط - محرمين - يلفون أجسادهم بقطع من القماش الأبيض. دلالة على أنهم جاؤوا إلى ساحات البيت الطاهر وقد تركوا من الدنيا ما يملكون فيها، ليس لهم وجهة ولا مبتغى إلا أن يكونوا مع الله، وليكونوا إنسانية عابدة - تتجه - في خشوع إلى أحدية معبودة، إنسانية تسجل على نفسها الولاء الكامل والخضوع المطلق لله رب العالمين.

إنهم يتحركون بشوق، قاصدين عرفات ليعقدوا مؤتمرهم الموسع الذي يشمل الجبهة العريضة الممثلة لكل فئات المسلمين في كل أنحاء الدنيا، يلتقون فيه لقاء أخ بأخ تحيتهم جميعاً «لبيك اللهم لبيك» ويلتقي فيه أبيض البشرة وأسودها وأصفرها وأحمرها، بلا تمييز طبقي، ولا تفريق عنصري، بل هو لون يؤاخي لوناً مؤاخاة في الله صادقة خالصة، ويلتقي فيه عالمهم بجاهلهم لقاء فكر بفكر ورأي برأي. ثقافات حرة مفتوحة على كل منافذ العلم... ويلتقي فيه المسلم الحاكم بالمسلم المحكوم، والسيد بالمسود مواجهة كتفاً بكتف. وهامة أمام هامة، مجتمعين على طاعة الله، يبتغون فضلاً من الله ورضوانا لا تعالي بينهم ولاتعاظم ولا تفاوت في الأحساب والأنساب. كلهم يجمعهم الإيمان، وجميعهم تربطهم شهادة التوحيد.!!

وهذا التكتل وهذا التآخي إنما هو شعار المسلمين جميعاً، وهو رمز يشير إلى تكافلهم وتآزرهم، فالمسلمون يد واحدة تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم، وهم يدٌ على من سواهم... كما يشير حديث رسول الله ﷺ. وإذا كانت الأمة الإسلامية تشهد الآن عدداً من السلبيات وتتعايش مع الكثير من الممارسات الخطيرة في أكثر من موقع فإن الحج مناسبة طيبة للقضاء على هذه الممارسات وتجاوز الأخطاء لنعود كما كنا خير أمة أخرجت للناس.

وفي هذه المناسبة نستذكر بالتقدير والعرفان الجهود المباركة في رعاية الحجيج وتهيئة كل وسائل الراحة والتي تقوم بها المملكة العربية السعودية بقيادة خادم الحرمين الشريفين والتي نسأل المولى عزَّ وجلَّ أن يباركها لما فيه خير ديننا وأمتنا إنه ولي ذلك والقادر عليه والحمد لله رب العالمين ■

رئيس التحرير

لماذا فرض الله الحج ؟

الحج ركن من أركان الإسلام، وقاعدة من قواعد الدين، فقد فرضه الله على كل مؤمن ومؤمنة يستطيع الذهاب إلى البيت الحرام - فرضه على القادرين المستطيعين - فرض الله هذه العبادة وهو غني عنهم فهم محتاجون إليه لا لمنفعة تعود عليه، بل ليزيدهم من فضله شرفاً ورفعة ويملأ قلوبهم من بيته هيبة وروعة وليغفر لهم ذنوبهم ويضاعف لهم جزاءهم ويفتح لهم أبواب السماء ويباهي بهم ملائكته المقربين.

فرض الله الحج منذ عهد خليل الله إبراهيم عليه السلام، ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله، وفي الحج هناك الطواف حول الكعبة، ثم السعي بين الصفا والمروة والصلاة في مقام إبراهيم، هناك مشاهد مباركات وآثار خالدات وأماكن طاهرات.

لايتخلف عن فريضة الحج إلا أحد رجلين، رجل أعجزه المرض أو الفقر والاحتياج ولو أن الله عجّل له الشفاء، أو يسر غناه لكان أول مطيع فهذا لا ذنب له ولا عقاب - أما الذنب والعقاب فهو على رجل قوي قادر غني موسر يعرض عن حج بيت الله الحرام وينفق ماله في الفسق والآثام ومثل هذا يقول فيه رسول الله ﷺ: «من ملك زاداً وراحلة توصله إلى بيت الله - ولم يحج فلا عليه أن يموت يهودياً أو نصرانياً».

فيجب أن نبادر إلى تأدية هذه الفريضة العظيمة، فإن على أحدنا ألا يضيع هذه الفرصة إذا سنحت له الظروف، ولا يدري ماذا يعرض له مستقبلاً، قال تعالى: (يأيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه وأنه إليه تحشرون). جعلني الله وإياكم من حجاج بيت الله الحرام، وأسعدنا بزيارة قبر النبي المختار ﷺ.

مصطفى محمد سليمان المراغي - مصر

ردود خاصة

● **الكاتب الأستاذ معالي عبدالحميد حمودة - مصر:**

ليس هناك أي موقف تجاهكم بخصوص النشر في المجلة لكن نأمل أن تكون مقالاتكم في المستقبل متوائمة وسياسة النشر الجديدة في المجلة وجزاكم الله كل خير.

● **وازي إدريس الساكن - المغرب:**

المجلة ليست مؤسسة خيرية، يمكنك مخاطبة الجهات الخيرية لحل مشكلتك، أعانك الله.

● **علي فتحي علي - مصر:**

يمكنك مراسلة الأمانة العامة للأوقاف في الكويت للحصول على الأبحاث الوقفية المطلوبة، وعنوان الأمانة هو: الكويت - ص.ب: ٤٨٢ - الصفاة 13005 - فاكس: ٢٥٣٢٦٦٠.

● **القارئ زياد عبدالله - المغرب:**

عنوان بيت الزكاة هو: السالمية - شارع قطر - قطعة ٦ - ص.ب: ٢٣٨٦٥ - الصفاة - 13099 - الكويت.

● **الأستاذ د. مصطفى أحمد النحاس - عميد كلية الدراسات الإسلامية والعربية في جامعة الأزهر:**

وصلت رسالتكم وشكراً على متابعاتكم لما يُنشر في المجلة، والكاتب المذكور تم وضعه على اللائحة السوداء، ولن يُنشر له أي مقال مستقبلاً.

● **عبدالوهاب عبدالحميد عامر:**

للحصول على دليل الجامعات الإسلامية الصادر عن منظمة الايسيسكو يمكنكم مراسلة المنظمة على عنوانها: الرياض - ص.ب: ٢٢٧٥ - رمز بريدي ١٠١٠٤ - الرباط - المغرب. هاتف: ٧١٥٢٩٤ - فاكس: ٧٧٢٠٥٨.

تعقيب

نشرت مجلة الوعي الإسلامي العدد (٤١٠) وتحت عنوان (ظاهرة إنسانية - عبثية الحرب) بقلم: د. خالص جلبي قال الكاتب:

«وإذا كانت الحياة قد بدأت قبل ثلاث مليارات سنة ونصف المليار، وإذا كان أمام الحياة أن تتابع سيرها في الأرض خمس مليارات سنة ونصف المليار أخرى، فقد نتحسر أننا ولدنا مبكرين للغاية لأن التاريخ الفعلي للإنسان لما يبدأ بعد». لقد آلمني أن يصدر مثل هذا الكلام من كاتب مسلم في مجلة تحمل اسم الوعي الإسلامي، ومع احترامي للأخ الكاتب وللإخوان المسؤولين عن المجلة، أجدني مضطراً لمعاتبتهم على عدم تحري الدقة في هذا الكلام، فهم يعرفون أن هذا الكلام يتناقض كلياً مع أقوال رسولنا المصطفى عليه الصلاة والسلام، فيما يتعلق بقرب يوم القيامة كقوله: «بعثت أنا والساعة كهاتين».

ولاينبغي لأي منا أن يأخذ الكلام على عواهنه مهما كان مصدره إذا كان مناقضاً أو معارضاً لما جاء في كتاب الله تعالى أو في سنة رسول الله ﷺ. كما لا يعفي المسؤولين عن المجلة قولهم «والمقالات لا تعبر بالضرورة عن رأي الوزارة».

أنا لا أناقش الكاتب في قوله عن بداية الحياة، ولكني - كمسلم مؤمن بما جاء في أقوال الرسول - عليه الصلاة والسلام - لا أقبل منه أن يقول: إن ما بقي من الحياة أكثر مما مضى، وإن التاريخ الفعلي للإنسان لما يبدأ بعد.

وأريد أن أسأل الأخ الكاتب عما يعنيه بالتاريخ الفعلي للإنسان، وإذا كان هذا التاريخ لم يبدأ بعد فماذا يكون التاريخ منذ آدم حتى اليوم؟! هل هو تاريخ قولي؟! وعندها تكون العبرة للأفعال لا للأقوال؟! وهل كان ما أتى به الأنبياء، والرسل لم يكن سوى أقوال؟! بما في ذلك الحضارة الإسلامية التي شهد لها الخصوم ولا ينكرها إلا مكابر؟! أنا لا أتهم الأخ الكاتب، كما لا أتهم القائمين على المجلة، معاذ الله، فهم جميعاً إخوة كرام أجلُّهم وأحترمهم، ولكني أعاتبهم على غفلتهم، وعدم تحري الدقة فيما يُكتب ويُنشر، فالمؤمن كيّس فطن، وكل منّا على ثغر من ثغور هذا الدين، فيجب أن يكون من اليقظة والانتباه بحيث لا يؤتين من قبله. أسأل الله تعالى أن يجعلنا جميعاً من الوعي بحيث نستأهل أن نكون من كتّابها، وأن يجعل لها من اسمها نصيباً كبيراً.

عبدالرحمن قره حمود

بطاقة العيد

يقبلِ العيد... وتبقى عيونُ الكويت تنتظر عودة أبنائها وأحبابها المعتقلين في سجون العراق.

العيد جاء ومقلتي ظمأى إلى
ماء الوجوه.. وضحكة الأحبابِ

العيد جاء وغرفتي تشكو الجوى
من ندرة في طرقة الأوابِ

العيد جاء وخافقي تعنو به
آهاتُ شعب فاقد الأسبابِ

العيد جاء ومهجتي ظمأى إلى
روحِ الحبيب ونفحةِ الغُيَّابِ

العيدُ أقبل والكويتُ بحسرة
لغيابةِ الأحبابِ والأصحابِ

يا فرحة ناحتْ وغاب حبيبها
فأطلَّ فجرُ الحزنِ بعد غيابِ

هذي البلاد كأننا أشلاؤها
على أنَّ شلوَ الروح في استغرابِ

على أن جمر الحقِّ فينا يختفي
ويذوبُ بين هشاشة وعتابِ

لا تعجبوا فالشعرُ حين تؤمُّهُ
أمواجُ نازلة... وفيضُ عذابِ

يلقى الترابَ كأنَّ فيه مدامة
نشوانَ ينأى عن دروبِ صوابِ

وكأنَّ في أعطافِ كلِّ قصيدةٍ
شعباً يذوق القهر بين شعابِ

شعباً ينوحُ الجوعُ بين ثيابه
والبردُ يسرقُ دفقةَ الأنسابِ

القهرُ يشربُ روحهُ وعظامَهُ
ونتيهُ نحن على رماد ضبابِ

صُوَرُ الحياةِ عجيبةٌ يا جرحنا
جرحٌ يضيقُ به فضاءُ خرابِ

زمنٌ أباحَ صفاءَهُ لقذارةٍ
وجِنانَهُ لحثالةِ وذئابِ

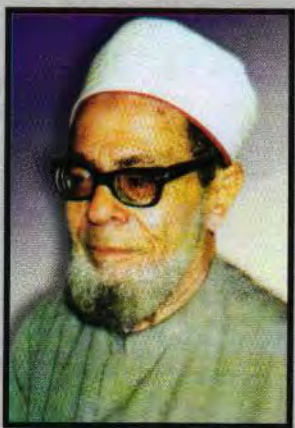
شعر: منير محمد خلف

ورحل فقيه العصر الشيخ سيد سابق

ضمن قافلة الدعاة المعاصرين الذين لبوا نداء ربهم خلال الفترة القريبة الماضية، انتقل إلى رحمة الله تعالى يوم ٢٠٠٠/٢/٢٨م العلاّمة والفقيه الشيخ سيد سابق، أحد أبرز علماء الأزهر وصاحب كتاب: «فقه السنة» الذي يعد أحد أشهر الكتب الفقهية في العصر الحديث، كما ترك كثيراً من المؤلفات الفقهية والتربوية من أهمها : العقائد الإسلامية، إسلامنا.

والشيخ سيد سابق . رحمه الله . من مواليد العام ١٩١٥م في قرية (اسنطها) مركز الباجور في محافظة المنوفية في جمهورية مصر العربية.

شارك في حرب فلسطين العام ١٩٤٨م، وذاق بعدها مرارة السجن، وفي العام ١٩٥١م استلم عمله في وزارة الأوقاف المصرية داعية وفقيهاً مميزاً، بدأ في تصنيف كتابه فقه السنة معتمداً على منهج الوسطية، وأخذ بأيسر الآراء من الفقه على المذاهب الأربعة، مما يسَّر على شباب الأمة الإسلامية فهم السنة النبوية الشريفة بأسلوب مبسَّط، وهذا ما جعل علماء الأمة يجمعون على أنَّ الشيخ السيد سابق أحد فقهاء هذا العصر.



كان . رحمه الله . عالماً عاملاً متواضعاً يعطي عمله حقه، كما ينبغي ويؤدي لكل إنسان حقه دون تقصير إلى جانب نبوغه في الجانب العلمي في الفقه.

وانتقل للعمل في المملكة العربية السعودية مدرساً في جامعة أم القرى في مكة المكرمة، وكانت له مدارس خاصة به في الفقه والتعليم، وهذه من صفات العالم الداعية، ومن ثمَّ جعل الله له محبة كبيرة في قلوب من عرفوه.

إن إدارة مجلة الوعي الإسلامي التي آلمها المصاب الجلل لتضرع إلى الله العلي أن يسكن الفقيد الراحل فسيح جناته مع النبيين والصديقين والشهداء وأن يلهم أهله وذويه ومحبيه الصبر والسلوان، وأن يعوّض الأمة الإسلامية خيراً وإنا لله وإنا إليه راجعون ■



تقرير خاص بالوعي الإسلامي

الدورة السادسة للمجلس التنفيذي انعقدت في جدة

وزراء الأوقاف يتابعون مستجدات العمل الإسلامي

تهنئة الكويت على جهودها المتميزة في إطار العمل الوقفي

عقدت في مدينة جدة بالمملكة العربية السعودية الدورة السادسة للمجلس التنفيذي لمؤتمر وزراء الأوقاف والشؤون الإسلامية بمشاركة وزراء الكويت والأردن وإندونيسيا وباكستان وغامبيا ومصر والمغرب والسعودية.

وتألف الوفد الكويتي من وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية د. سعد الهاشل، وأمين عام الأمانة العامة للأوقاف عبدالمحسن العثمان، ومدير عام بيت الزكاة بالإنابة عبدالقادر ضاحي العجيل، والوكيل المساعد للتنسيق والعلاقات الخارجية بدر ناصر المطيري، ومدير مكتب الوزير ناصر الصقر.

وقد انعقدت الدورة في يومي ٢٥ - ١٤٢٠/١٠/٢٦هـ الموافق ١ - ٢ فبراير ٢٠٠٠، برئاسة وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد في المملكة العربية السعودية الشيخ صالح آل الشيخ، وبحضور د.عبدالسلام العبادي وزير الأوقاف الأردني، ود. محمد حسن وزير الشؤون الدينية بإندونيسيا، ود. عبدالملك كاسي وزير الشؤون الدينية في باكستان، ومحمد باجو وزير الشؤون الدينية في غامبيا، ود. محمود زقزوق وزير الأوقاف المصري، ود. عبدالكبير العلوي وزير الأوقاف المغربي، إلى جانب الوفد الكويتي، وقد افتتحت الدورة بكلمة ترحيبية من رئيس المجلس الشيخ صالح آل الشيخ، نقل فيها



● د. سعد الهاشل

تحيات خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز،وسمو ولي عهده الأمير عبدالله بن عبدالعزيز، وسمو النائب الثاني الأمير سلطان بن عبدالعزيز، والحكومة السعودية، وأعضاء المجلس، ونوه بما توليه حكومة المملكة العربية السعودية من اهتمام خاص لكل ما يخدم الإسلام والمسلمين ومنها هذا المؤتمر ومجلسه التنفيذي وما يحظى به من أهمية في متابعة قرارات المؤتمر العام وتوصياته ومناشط الوزارات والارتفاع بشأنها وتطويرها. وأكد أهمية العمل المنوط بوزارات الشؤون الإسلامية وبخاصة في حمل أمانة الدعوة إلى الله.

وبعد ذلك بدأ المجلس أعماله حيث استعرض جدول الأعمال المقدم من الأمانة العامة، وأقره وذلك على النحو التالي:

تقرير متابعة، المحافظة على الأوقاف واستثمارها، خطة إعداد الدعاة، المحفظة الاستثمارية، المحافظة على كنوز التراث الإسلامي، خطة التعريف بالإسلام باللغات المختلفة، النظام الأساسي للمؤتمر، الزكاة، ترجمات معاني القرآن الكريم، الموضوعات المقترح عرضها على المؤتمر القادم.

وبعد أن اطلع المجلس على الأوراق المقدمة وناقشها اتخذ حيالها القرارات.

واطلع المجلس على تقرير المتابعة وما أثير حول مفهوم المتابعة وفي ضوء ذلك قرر ما يلي:

- شكر الأمانة العامة على ما تبذله من جهود في الإعداد والمتابعة لأعمال المجلس.

- بلورة مفهوم المتابعة وحدودها ودعوة الدول أعضاء المجلس إلى إعداد تصورها عن هذا المفهوم وإرساله إلى الأمانة العامة لاستخراج تصور متكامل مما سيرد إليها ليتم السير على منهاجه مستقبلاً.

وقد اطلع المجلس على التقرير المقدم من الأمانة العامة للأوقاف في دولة الكويت حول المشاريع التنفيذية لتنسيق جهود الدول الإسلامية في مجالات العمل الوقفي، وناقشها بشكل مستفيض وشكر المجلس الأوقاف والشؤون الإسلامية في دولة الكويت على ما قامت به من جهود متميزة في هذا العام ودعاها إلى الاستمرار في وضع

الأفكار والدراسات حول هذه المشاريع وتبادل الخبرات حولها، وتقديم تصور عن المشاريع التي يصعب تنفيذها أو الدخول فيها وعرضه على الاجتماع القادم.

كما أطلع المجلس على التقرير المقدم من وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية حول خطة إعداد الدعاة، ثم ناقش الموضوع من زاوية تحديد من هو الداعية والمفاهيم الأساسية لإعداد الداعية وكيفية التدريب كما لاحظ المجلس ما يحوط هذا الموضوع من معطيات وإمكانات وآليات تنفيذية وهذه جميعها متغيرة وتخضع للظروف الزمانية والمكانية والاجتماعية، كما لاحظ المجلس ما احتوته إجابات الوزارات المعنية من معلومات حول تلك الظروف، وفي ضوء ذلك، أوصى المجلس وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد السعودية بمواصلة جهدها في هذا الميدان مع إعداد دراسة أخرى في سياق الموضوع.

واطلع المجلس على الخطوات التي أنجزها البنك الإسلامي في سبيل إنشاء المحفظة الاستثمارية وقرر تكوين لجنة ناتجة من الوزارات أعضاء المجلس في كل من: جمهورية مصر العربية، والمملكة المغربية، والمملكة الأردنية الهاشمية، ودولة الكويت، والمملكة العربية السعودية، للاجتماع بالمسؤولين في البنك، وذلك لدراسة العقد المقترح من البنك ومدى ملاءمته وعدم تعارضه مع القواعد الشرعية للأوقاف. وعرض النتيجة على الاجتماع القادم.

واطلع المجلس على التقرير المقدم من وزارة الأوقاف في جمهورية مصر العربية حول موضوع المحافظة على كنوز التراث الإسلامي، ورأى المجلس أهمية إنشاء مؤسسة عالمية للتراث الإسلامي، وقيام وزارة الأوقاف بجمهورية مصر العربية بوضع دراسة وتصور عن هذه المؤسسة وذلك لعرضه على الاجتماع القادم.

واطلع المجلس على التقرير المقدم من وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمملكة المغربية حول خطة التعريف بالإسلام باللغات المختلفة، ورأى المجلس قيام وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمملكة المغربية بمواصلة جهدها في هذا الميدان مع إعداد دراسة ترسم استراتيجية عامة للتعريف بالإسلام باللغات المختلفة تتناسب مع مختلف البيئات.

كما اطلع المجلس على ورقة العمل المقدمة من مجمَّع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف حول المعايير والإجراءات والشروط الخاصة بترجمات معاني القرآن الكريم وأوصى المجلس بعرضها على المؤتمر القادم لتعميمها على الدول للاستفادة منها.

وقد استعرض المجلس ما سبق من مقترحات حول إعداد دراسات تستكمل دراسات سابقة لعرضها على المؤتمر القادم وعلى ضوئه قرر المجلس أن يكون جدول الأعمال للمؤتمر القادم على النحو التالي:

- خطة إعداد الدعاة في ضوء المعطيات المتغيرة من إعداد وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية.
- مشروع إنشاء المؤسسة العالمية للتراث الإسلامي من إعداد وزارة الأوقاف بجمهورية مصر العربية.
- الاستراتيجية العامة للتعريف بالإسلام باللغات المختلفة مع إعداد وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمملكة المغربية.
- ضوابط النشر على الإنترنت في مواقع وزارات الأوقاف والشؤون الإسلامية من إعداد وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية.
- ترجمات معاني القرآن الكريم «المعايير والإجراءات» من إعداد وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية.
- أبحاث الزكاة من إعداد وزارة الأوقاف والشؤون والمقدسات الإسلامية بالمملكة الأردنية الهاشمية.

وناقش المجلس موضوع الدورة السابعة ومكان انعقادها وتلقى بالشكر والترحيب الدعوة الكريمة من معالي وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمملكة المغربية باستضافة الدورة القادمة للمجلس في المملكة المغربية على أن يُدعى لحضورها معالي وزير الدولة للشؤون الإسلامية في ماليزيا. وأوصى المجلس بأن يكون موعد انعقاد المؤتمر السابع خلال شهر شوال القادم وقيام الأمانة العامة بالتنسيق والتشاور مع الجهة المختصة في ماليزيا في تحديد الموعد ■

وزارة الأوقاف شاركت في مهرجان يوم العطاء الوطني

كتب: تمام أحمد

شاركت وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في مهرجان يوم العطاء الوطني الثاني الذي نظمه مكتب الشهيد في الفترة من ٢١ ـ ٢٦ فبراير الماضي في ساحة العلم تحت رعاية أمير البلاد الشيخ جابر الأحمد الجابر الصباح بمشاركة جهات حكومية وأهلية، وقد تضمنت مشاركة الوزارة عرض أهم إنجازات القطاعات والإدارات المختلفة وإبراز دورها المميز في ميدان العطاء الحضاري، ومنها مجلة الوعي الإسلامي كما تضمنت مشاركة الوزارة عقد ندوة ثقافية عن «ماذا أعطيت الكويت» تحدث فيها بعض الوعاظ الكويتيين في إدارة الثقافة الإسلامية، كما قدمت الوزارة من نماذج كويتية متميزة لبعض حلقات تحفيظ القرآن الكريم التابعة لإدارة الدراسات الإسلامية وأولت الوزارة خلال المهرجان البراعم الصغار اهتماماً خاصاً، حيث تم توزيع أشرطة كاسيت ـ على من وطأ منهم أرض المعرض ـ حملت رسائل إعلامية قيّمة مصاغة بأسلوب فني جذاب أعدتها إدارة الإعلام الديني بعنوان: «أعزائي الصغار»، كما تم خلال المهرجان توزيع مجلة الوعي الإسلامي وملحقها براعم الإيمان، هذا وقد وزعت الوزارة على المشاركين في المهرجان الكثير من الأشرطة التربوية الهادفة مثل الجزأين الأول والثاني من رسالة الأبناء، إلى جانب أشرطة التجويد الإنشادي وأشرطة رحلة الحج وملتقيات الإيمان الثقافية والإنشادية وكذلك أشرطة حفلات المسجد الكبير.

الشرائع السماوية كرّمت الشهداء

وقد أشاد وزير شؤون الديوان الأميري الشيخ ناصر محمد الأحمد في حفل افتتاح المهرجان الذي نظّم تحت شعار: «ماذا أعطيت الكويت» بالرعاية السامية التي يوليها سمو الأمير لتكريم الشهداء والعناية بأسرهم لافتاً حرص سموه على إنشاء مكتب لتقديم العون والمساعدة اللازمة لهم، وأضاف: إذا كانت القوانين الوضعية والمجتمعات المدنية قد كرّمت الشهداء ومنحتهم الأوسمة وقدّمت لذويهم التسهيلات، فإن الشرائع السماوية سبقت كل تلك القوانين في تكريم الشهداء وأنزلتهم المنزلة العالية في الجنة، وناشد الشيخ ناصر كل من استظل بظل وطننا الكويت وعاش على ترابه أن يضاعف العطاء من أجل هذا الوطن المعطاء وأن يسأل كل منا نفسه: «ماذا أعطيت الكويت»؟، انطلاقاً من شعار الاحتفال بيوم العطاء الوطني لهذا العام موضحاً أن الإجابة على هذا السؤال شكل من أشكال محاسبة النفس، والوقفة الصادقة مع الذات.



● جناح مجلة الوعي الإسلامي

جئنا من رحم العطاء

من جانب أخر قل رئيس مجلس أمناء مكتب الشهيد الدكتور إبراهيم الخليفي: إن أفضال هذا الوطن علينا عزيزة عرفناها مذ تفتحت عيوننا على خيرة وتضحياته ورعايته، بل عرفها الآباء والأجداد منذ أيام شدته مثل أيام رخائه، مشيراً إلى أن فعاليات مهرجان العطاء الوطني تذكرنا بأقدس واجباتنا تجاه الكويت لوقفة محاسبة مع الذات ولإيقاظ الهمم والضمائر والوقوف صفاً واحداً لدفع مسيرة هذا البلد الخير ولفت الانتباه إلى أصالة هذا الشعب التي تبلورت إبان العدوان العراقي الغاشم على دولة الكويت.

وأضاف: جئنا من رحم العطاء وإليه ننتمي فكيف لا نقدم الغالي والنفيس اعترافاً بفضل هذا الوطن.



● اقبال على جناح المجلة في المهرجان

لقطات من المهرجان

بعد انتهاء رئيس مجلس الأمناء من إلقاء كلمته بدأت مراسم رفع العلم التي شارك فيها بعض من أفراد الجيش والحرس الوطني ووزارة الداخلية ثم بدأ عرض الجهات المشاركة وأطلقت خلال العرض البالونات الملونة بينما أنشدت الطالبات الأناشيد الوطنية، وقام الشيخ ناصر بجولة في الخيام المنتشرة في ساحة العلم والتقى القائمين عليها ■



● فتيان المهرجان يتابعون براعم الايمان



● قراءة واهتمام

الهاشل يكرِّم الأئمة والعاملين بقطاع المساجد



• من اليمين الهاشل وإلى جانبه وكيل الوزارة ورئيس قطاع المساجد



• الوزير والوكيل القناعي والوكيل العوضي

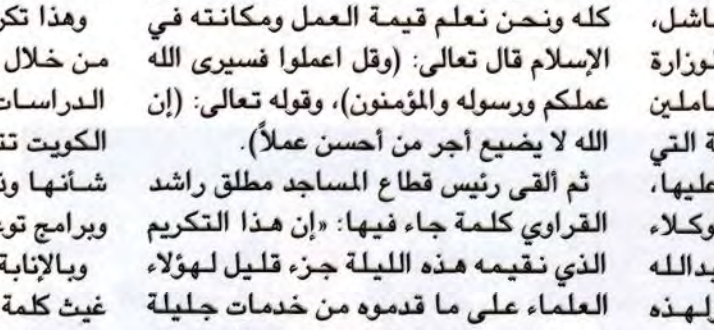
تحت رعاية وزير العدل وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية الدكتور سعد جاسم الهاشل، أقام قطاع المساجد في الوزارة حفلاً تكريمياً للأئمة والمؤذنين والعاملين بالقطاع، وهذا ضمن الاهتمام والعناية التي توليها الوزارة لبيوت الله والعاملين عليها، حضر الحفل وكيل الوزارة والوكلاء المساعدون وعضو مجلس الأمة عبدالله العرادة ورئيس نادي اليرموك، ولهذه المناسبة ألقى الوزير كلمة قال فيها: «أود أن أسجل كلمة شكر إلى قطاع المساجد بشكل خاص وإلى الوكيل عبدالعزيز العبدالغفور لاتاحتهم الفرصة كي أحضر هذا الحفل وهو تشريف لي بعد أن توليت مسؤولية وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية فلهم مني كل الشكر أن ألتقي هذه الكوكبة من العلماء والأئمة والعاملين بقطاع المساجد فجزاكم الله خيراً. وأضاف الهاشل: إن هذه المجموعة أفنت وقتها وحياتها من أجل بيوت الله والمحافظة عليها وتوجيه الناس إلى طاعة الله وفعل الخير، لذلك دأبت الوزارة متمثلة في قطاع المساجد على القيام بهذا الحفل وهو حفل بسيط ومتواضع بحق هذه الكوكبة، إلا أنه حفل إن دل فإنه يدل على تجسيد مشاعر الشكر والعرفان لهم جميعاً على ما بذلوه من عمل ومسؤولية وتفانٍ ولا شك أن هذا التكريم يدل على حسن التقدير والاحترام ليس للمكرمين فحسب، بل للقطاع كله ونحن نعلم قيمة العمل ومكانته في الإسلام قال تعالى: (وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون)، وقوله تعالى: (إن الله لا يضيع أجر من أحسن عملاً).

ثم ألقى رئيس قطاع المساجد مطلق راشد القراوي كلمة جاء فيها: «إن هذا التكريم الذي نقيمه هذه الليلة جزء قليل لهؤلاء العلماء على ما قدموه من خدمات جليلة لبيوت الله وأن هذا التكريم تحصيل حاصل لأن التكريم الأسمى لهم من الله سبحانه وتعالى حيث يقول في كتابه الكريم: (والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماماً) كما أن الرسول - ﷺ - كرَّم العاملين في بيوت الله وتمثل هذا التكريم عندما سأل عن تغيب امرأة كانت تُقم «أي تنظف» المسجد فقيل له - ﷺ - إنها توفيت فذهب الرسول - ﷺ - إلى قبرها وصلى عليها.

وهذا تكريم من الرسول للعاملين بالمساجد من خلال هذه المرأة، وأشار القراوي إلى الدراسات والبحوث التي تؤكد على أن الكويت تتميز بالعناية ببيوت الله ورفعة شأنها وذلك لما تقدمه من عمران وفرش وبرامج توعوية للمساجد.

وبالإنابة عن المكرمين ألقى الشيخ أحمد غيث كلمة قال فيها: إن من فضل الله علينا نحن المكرَّمين أننا نشرُف بالعمل في أحب بقاع الأرض إلى الله وهي المساجد، لأن الرسول - ﷺ - يقول: «أحب البقاع عند الله المساجد» وذلك لأنه يُذكر فيها اسم الله، ولا شك أن هذه نعمة وفضل من الله حبانا به الله سبحانه وتعالى، ونسأل الله أن يبارك لنا فيه ويجزينا عنه خير الجزاء. ونشكر وزارة الأوقاف وقطاع المساجد على هذا التكريم، والنبي - ﷺ - يقول: «من لم يشكر الناس لم يشكر الله» فجزاهم الله عنا خير الجزاء.

حضر الحفل وكيل الوزارة السابق خالد عبدالله الزير وكوكبة من العلماء والأئمة والمؤذنين والعاملين في قطاع المساجد وقام الوزير والوكيل والوكلاء المساعدون بتكريم الأئمة والعلماء والعاملين في قطاع المساجد ■



• الوزير وعضو مجلس الأمة العرادة والقراوي

القارئ مشاري راشد العفاسي لمجلة الوعي الإسلامي :

أمنيتي ألا يكون هذا الكتاب العظيم حجة علينا

حاوره: تمام أحمد

القرآن الكريم صلة الأرض بالسماء، مذ نزل على سيدنا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولا يزال إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، عليه تربى صحابة رسول الله ـ ﷺ ـ والتابعون من بعدهم، فنشأت منهم أمة لم يعرف التاريخ لها مثيلاً، ونحن مدعوون اليوم للاهتمام بهذا الكتاب العظيم حفظاً وتجويداً، تلاوة وتطبيقاً، رعاية ومنهجاً. مدعوون لتشجيع حفظته من الأطفال والشباب والفتيات والنساء والرجال ... مجلة الوعي الإسلامي كان لها هذا اللقاء مع أحد حفظة كتاب الله من جيل الشباب القارئ مشاري راشد العفاسي الذي بات معروفاً بقراءته وتلاوته الندية على الساحة الكويتية والخليجية عموماً.



● القارئ العفاسي

● كم تحفظ من القرآن الكريم ومتى تمَّ لك ذلك؟

ـ أحفظ القرآن كاملاً وقد مكثت في حفظه سنتين ٩٢ ـ ١٩٩٤م.

● هذا يعني أنك أتممت الحفظ في فترة ما بعد الغزو الغاشم؟

ـ في فترة ما قبل الغزو العراقي الغاشم كنت إنساناً عادياً، وكنت أوذن في بعض المساجد، وهذا ما شجعني على الحفظ وكان ذلك من خلال إمامتي للمصلين في الصلاة، ثم تدرجت بالحفظ والتلاوة حتى منَّ الله عليَّ بحفظ كتابه الكريم.

● ما أمنيتك بعد أن منَّ الله عليك بحفظ القرآن؟

ـ أمنيتي أن يعينني الله عز وجل على العمل بهذا الكتاب وألا يكون حجة عليَّ يوم القيامة.

● هل تفكر في عمل ختمة للقرآن الكريم كما يفعل بعض القراء؟

ـ ليس في تفكيري الآن عمل ذلك.

● سمعنا صوتك الندي في مسجد الدولة الكبير في العشر الأواخر من شهر رمضان الماضي فهل هذه هي المرة الأولى التي تؤم فيها المصلين وما شعورك آنذاك؟.



ـ نعم هذه أول سنة أوم فيها المصلين في العشر الأواخر من رمضان وقد ترددت في أول الأمر لرغبتي في عدم الظهور وتسليط الأضواء عليَّ، ثم تشجعت وتوكلت على الله وأخلصت النية له. الحقيقة أصابتني ربكة في اليوم الأول، لكن دونما خطأ في التلاوة، فقد فتح الله عليَّ وأحمد الله على ذلك.

● من هم القراء الذين تأثرت بهم، إذ قراءتك تدل على أنك أخذت عن أكثر من عالم؟

ـ الحقيقة إنني تأثرت كثيراً بعدد من القراء، أذكر منهم إمام الحرم المكي علي جابر، وإمام الحرم المدني محمد أيوب، والشيخ محمد صديق المنشاوي، وقد قلدت هؤلاء في البداية لكنني الآن لم أعد أهتم بالتقليد.

● هل هناك حلقة دائمة حفظت من خلالها القرآن وفق رواية معينة؟

ـ حفظت القرآن الكريم برواية حفص عن طريق أحد الأصدقاء ولم أتعلَّم على يد أي من العلماء.

● بماذا تنصح الشاب المقبل على حفظ القرآن الكريم؟

ـ طرق حفظ القرآن الكريم تختلف من شاب إلى آخر، إذ لابد من أمور رئيسة معينة على الحفظ يجب أن يلتزم بها الشباب، ومن هذه الأمور:

١ ـ الإخلاص لله عز وجل.

٢ ـ الفهم العام للقرآن الكريم.
٣ ـ استرجاع الحفظ والتشجيع الدائم.
٤ ـ عدم الاستعجال في الحفظ.
٥ ـ الصحبة الصالحة.
٦ ـ العزيمة والهمة.

ولا يفوتني هنا أن أذكِّر الشباب بالاهتمام بالمقصد من الحفظ ألا وهو العمل بآيات الله وتطبيقها عملياً في حياتنا، فالقرآن الكريم منهج حياة وعلينا العمل بمقتضاه ونشره والدعوة إليه، والعمل على إحيائه في نفوس المسلمين في شتى بقاع الأرض.

يقول ـ ﷺ: «خيركم من تعلَّم القرآن وعلَّمه»، ويقول عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه: «لو طهرت قلوبكم ما شبعت من كلام ربكم» وأذكِّر إخواني الشباب أيضاً بأن حرصهم على حفظ القرآن وإجادة تلاوته هو فضل ونعمة من الله عليهم لأنهم بحفظهم القرآن يكونون مع من اصطفاهم ربهم واختارهم لحفظ كتابه لقوله تعالى: (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) وإن تلاوتهم للقرآن تعد امتثالاً لقول الرسول ـ ﷺ ـ «زيِّنوا القرآن بأصواتكم».

● على ضوء ما ذكرتموه من نصائح إرشادية هل هناك من عوائق أمام من يريد حفظ القرآن؟

ـ لا شك أن هناك عوائق رئيسة تمنع من يريد الحفظ الوصول إلى مبتغاه ويمكن تلخيصها في ثلاث نقاط مهمة:

ـ الغرق في الذنوب، والانشغال في الدنيا، والاستعجال في الحفظ، لذا أشد على أيدي حفَّاظ القرآن وأوصيهم بالعمل الصالح والصدق في المعاملة والإخلاص لله.

● هل لديك فكرة أو نصيحة أو اقتراح تقدمه إلى وزارة الأوقاف أو المؤسسات والجهات المهتمة بتحفيظ القرآن؟

ـ لابد من إيجاد تنسيق مشترك بين كل الجهات المهتمة بتحفيظ القرآن الكريم سواء كانت رسمية أو أهلية، وصولاً إلى أفضل التجارب المميزة في الحفظ، وهناك حفظة أخذوا القرآن بالسند المتصل إلى رسول الله ـ ﷺ ـ حبذا لو استفادت حلقات تحفيظ القرآن من هؤلاء العلماء الفضلاء حتى تحقق الأهداف والغايات في أفضل صورة ممكنة، والله الموفق وعليه التكلان، وشكراً جزيلاً لمجلة الوعي الإسلامي التي أتاحت لي هذا اللقاء ■

لقاء عام للعاملين بمراقبة حلقات تحفيظ القرآن الكريم



● لقطة من حفل التكريم

في جو ساده الوئام والاتفاق التام على تطوير العمل وتحسين مستوى الأداء في حلقات تحفيظ القرآن عبدالله السنان، شهدت قاعة الاجتماعات في مسجد الدولة الكبير اجتماعاً عاماً للعاملين بمراقبة حلقات تحفيظ القرآن الكريم حضره كل من مدير إدارة الدراسات الإسلامية ومراقبة حلقات تحفيظ القرآن الكريم والمحفظون المتميزون والمشرفون والموجهون والفنيون.

واستهل الاجتماع بكلمة لمراقب حلقات تحفيظ القرآن الكريم ـ استعرض فيها الأهداف التي تسعى المراقبة لتحقيقها وأهم الإنجازات التي حققتها حلقات البنين والبنات في جميع المحافظات، وبعدها أشاد مدير إدارة الدراسات الإسلامية محمد علي العمر بجهود العاملين في المراقبة وتمنى لكل ولي أمر أن يكون مسؤولاً حتى يصبح الحلم حقيقة ويكون في كل بيت عدد من الحفظة.

واختتم اللقاء بحلقة نقاشية أدلى فيها الحضور بدلوهم من خلال تقديم بعض المقترحات البناءة التي تسهم في تطوير العمل الفني والإداري.



● جانب من لقاء العاملين بمراقبة تحفيظ القرآن

من جانب آخر، عقدت مراقبة حلقات تحفيظ القرآن الكريم حفلين لتكريم الطلبة الفائزين في الحلقات، الأول كان يوم ٢٠٠٠/٢/٦م في صالة أفراح منطقة الصباحية بحضور النائب علوش المطيري، والثاني يوم ٢٠٠٠/٢/٧م في صالة أفراح منطقة الرقة بحضور النائب خميس عقاب عضو مجلس الأمة ■

بعد اقتناعه بالإسلام

مسؤول تشادي كبير يعلن إسلامه في الأوقاف

كتب - أحمد فرغلي :

أشهر السلطان «تكورال مبيتار باتريس» سلطان منطقة دينا بجمهورية تشاد إسلامه أمام عدد من المسؤولين والعلماء في وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بعد أن درس الكثير عن الإسلام، وعلى إثر إسلامه، دخل أكثر من ٢٠ ألفاً من أتباعه الذين يدينون له بالطاعة والولاء.

وبعد نطقه بالشهادتين ألقى السلطان «تكورال» كلمة شكر فيها الكويت حكومة وشعباً على ما تقدمه من عطاء في كل بقاع الأرض، وقال: إنني أشعر أنني في بلدي الثاني الكويت إذ الغبطة تملأ قلبي لأن الله هداني إلى الحق، وما حدث ليس تكريماً لي فقط، ولكن تكريماً لأهلي في منطقة دينا بتشاد الذين ينتظرون بفارغ الصبر الكثير ليعرفوه عن الإسلام الذي هو دين الأمن والسلام، وهناك الكثير من أتباعي سيلتحقون بي للدخول في الإسلام.

وأضاف: أكرر شكري لشعب وحكومة دولة الكويت ووزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ولجنة مسلمي أفريقيا على استقبالهم لي وحفاوتهم بي في أحضان دولة الكويت كما أحمل لهم شكر أهالي منطقتي التي أعيش فيها. وكان الشيخ مشعل مبارك الصباح رئيس قطاع الإفتاء والبحوث الشرعية قد أقام لقاء احتفاء بسلطان دنيا حضره وكيل وزارة الأوقاف المساعد للشؤون المالية والإدارية يوسف العوضي، والوكيل المساعد للتنسيق والعلاقات الإسلامية الخارجية بدر ناصر المطيري ومدير إدارة الإفتاء ومدير إدارة الموسوعات والبحوث الإسلامية ومدير مكتب الوزير وعدد من مسؤولي الوزارة، كما حضر رئيس لجنة مسلمي أفريقيا الدكتور عبدالرحمن السميط.



● السلطان تكورال يتوسط أركان الوزارة

وألقى الوكيل العوضي كلمة رحب فيها بالسلطان تكورال قال فيها: «أتمنى لكم حياة جديدة ممتلئة بالإنجازات الإسلامية في منطقتكم، وأسأل الله أن يهدي على يديكم الكثير من أتباعكم، وقدَّم له هدية عبارة عن مجسم للمسجد الكبير، ونقل إليه تحيات وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية، الذي كان خارج الوزارة في ذلك الوقت، كما رحب الشيخ مشعل مبارك الصباح رئيس قطاع الإفتاء والبحوث الشرعية بالسلطان «تكورال» وأشاد بالدور الكبير الذي تقوم به لجنة مسلمي أفريقيا من نشر الإسلام في القارة الأفريقية. وقدم له الشيخ مشعل مبارك الصباح هدية تذكارية عبارة عن «بوم» (نوع من السفن الشراعية التي كانت تستخدم للسفر قديماً). وأكد الدكتور عبدالرحمن السميط على أهمية إرسال مبعوثين ودعاة إلى دولة أفريقيا، مبيناً إلى أن تشاد في حاجة إلى ٣٠ داعية على الأقل لتعليم الناس أمور دينهم ■



السلطان تكورال مبيتار باتريس في سطور

- من مواليد قرية دينا ـ تشاد
- عمل نقيباً سابقاً في الدرك منذ العام ١٩٦٤م وحتى ١٩٨٥م.
- عين عام ١٩٨٥م رئيساً لمركز ومنطقة دينا من قِبَلِ القائد العام للجيش آنذاك «إدريس دبي» والذي يشغل حالياً منصب رئيس جمهورية تشاد.
- في العام ١٩٨٥م تنازل له والده عن السلطنة لظروف صحية ولا يزال يشغل هذا المنصب حتى الآن.
- له علاقات اجتماعية واسعة في منطقته والقرى المجاورة حيث تتبع منطقته دينا العديد من القرى المنتشرة حولها.
- قام بمنح لجنة مسلمي أفريقيا قطعة أرض وسط القرية مساحتها ٨٠٠٠م٢ حول المسجد الذي تبرعت ببنائه المرحومة شيخة شنيف الهاجس وبنى حول المسجد مركزاً إسلامياً، وقد أطلق على هذه الرقعة المحاطة بالمسجد «حي الكويت» تكريماً لهذا التبرع السخي.
- هداه الله للإسلام وأعلن إسلامه في قطاع الإفتاء والبحوث الإسلامية واتبعه أكثر من عشرين ألفاً من قومه.

إعداد: حسن محمد حيدر *

ندوة الفقه الإسلامي : رؤية معاصرة

عُقدت في العاصمة الأردنية عمّان ندوة «الفقه الإسلامي... رؤية معاصرة» وذلك ضمن أنشطة، جمعية الدراسات والبحوث الإسلامية والمعهد العالمي للفكر الإسلامي، الرمضانية ٢٨ رمضان، حيث أكد العلماء المتحدثون في الندوة ضرورة ردم الهوة بين الفقهاء والمجتهدين من جهة، وبين الواقع وتطوراته والأمور المعاشة من جهة أخرى حتى لا يصبح القول الفقهي القديم قيداً للتحرك والتطور.

وفي المقابل، أكد المتحدثون ضرورة ألا يطوِّع الإسلام لعقول الناس ورغباتهم، وقال الدكتور علي الصوا نائب عميد كلية الشريعة والدراسات الإسلامية في الجامعة الأردنية: إن الفقه الإسلامي في تعريفه وتحديده «هو عبارة عن اجتهاد في ضوء قواعد استدلالية ومناهج أصولية... وهذا معناه عند الأصوليين» أما عند الفقهاء فالفقه «العلم بالأحكام الشرعية العملية التي تتعلق بأفعال الناس سواء أكان الناس أفراداً أم جماعات»

وأوضح الدكتور الصوا أنه من خلال هذا التعريف «نفهم أن سلوك البشر هو موضوع الفقه من حيث تناول الفقه له (سلوك الإنسان) بصفة عامة» وأكد أنه «لا علاقة للفقه بما يستبطن الإنسان من النوايا، فالفقه لايحكم إلا على الظواهر»، إذ النية تصلح العمل أو تفسده، ولكن لا يحكم الفقه على النية إلا إذا قامت أمارات دالة عليها «فموضوع علم الفقه هو أفعال الإنسان وتصرفاته من حيث وصفها بالأحكام الشرعية (الوجوب - الندب - الإباحة - الكراهة... إلخ) وهذه الأوصاف التي توصف بها الأفعال وهي التي يتمحور حولها الفقه الإسلامي».

واعتبر الدكتور الصوا أن ذلك يدلل على ضرورة استنباط الأحكام من الأدلة بالنسبة للمجتهد الفقيه حتى لا ينفرد العقل بعيداً عن الاهتداء بالهدي الشرعي والمنارات التي رسمها الشارع للسير في طريق الاجتهاد، واعتبر الدكتور الصوا أن الفرق بين فقه فقيه وآخر، يعود سببه الرئيس إلى سعة الأدلة التي يستدل بها فقيه ويعزف عنها فقيه آخر، ما يعكس أهمية الدليل العملي في الاستنباط الفقهي.

أما عن مقومات عمل المجتهد، كما يراها الدكتور الصوا فهي أولاً الواقعة، والمقصود بها المسألة المعروضة بما يحفّها من ملابسات وأحوال وظروف. ثم يأتي الدليل - كمقوم ثان - الذي يستند إليه المجتهد في استنباط حكم الواقعة، وقد يكون هذا الدليل نصاً أو استدلالاً بروح الشريعة، وقد يكون استئناساً بالمصلحة وما توخت الشريعة الإسلامية من مقاصد أن تحققها، هذا فيما لم يرد عليه نص بخصوصه، قد يكون هناك القياس الخاص الجزئي إذا تناظرت الأمور فتعطي حكم النظير لنظيره، وتنقل حكم الواقعة السابقة للاحقة.

أما المقوم الثالث لعمل المجتهد فهو الملكة الفكرية والطاقة الاجتهادية العلمية المتفهمة للواقعة من جهة، والمتفهمة للدليل المناسب الذي يستند إليها من جهة أخرى، وقد يكون تفهمه للواقعة من تلقاء نفسه أو يكون تفهمه من أصل الخبرة (فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون) النحل:٤٣، فليس بالضرورة أن يكون الباحث في الأمور الفقهية ملماً بأمور طبية، لكنه يستطيع أن يتفهم الواقعة عن طريق خبراء، فتعرض هذه الواقعة كما هي، وتوصف وصفاً دقيقاً فيلم بها من جوانب وأطراف متعددة حتى تتكون له صورة واقعية تساعده على استنباط الحكم المناسب.

أما المقوم الرابع لعمل المجتهد فهو التطبيق السديد مع مراعاة الظروف والملابسات، وقد طالب الدكتور الصوا أن يتم إدراك حقيقة في الفقه، هي أنه عند تطبيق حكم شرعي لا ينبغي أن ننظر إلى الحكم بصورة تجريدية، ولكن ينبغي أن ننظر إلى ما يمكن أن يؤدي إليه ذلك الحكم عندئذ أتوقف واذهب إلى حكم جديد آخر، وهذا الأصل في استخدام الفقهاء للاستحسان، لأن الاستحسان في الحقيقة هو استثناء من أصل كلي مخافة أنه لو طرد الحكم، أدى إلى تضار ومناقضة لحكم الشريعة الإسلامية أو أدى إلى مفسدة.

وأشار الصوا في محاضرته إلى نقطة مهمة في أصول الفقه الإسلامي وهي أن أحكام الشريعة لا ينبغي أن تكون مؤدية أو طريقاً إلى مفسدة، وأحكام الشريعة لا تتعلق إلا بالمصالح المحضة، لكن الدنيا، والأمور كلها الموجودة على

شبير : الاجتهاد الفقهي عملية شاقة تحتاج إلى بذل من العلماء

أرض الواقع من سلوك البشر أو الأشياء أو الأعمال، لا يوجد تصرفات تتمخض فيها المصلحة من كل وجه، أو المفسدة من كل وجه، وتبقى الأمور بشكل عام ممزوجة والحكم الشرعي يتعلق بالغالب منهما، فإذا كانت المصلحة هي الغالبة، جاء الحكم الشرعي طالباً لهذا الفعل ومجيزاً له، وإذا كانت المفسدة هي الغالبة جاء الحكم الشرعي طارداً لهذا الفعل، ناهياً عنه، محذراً منه.

ومثال ذلك قوله عز وجل: (يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما)، ثم قال عز وجل: (إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه)، إذ الأمور ممزوجة بالخير والشر، وخطاب الشارع لا يتعلق بالمفاسد قطعاً، إنما يتعلق بالمصالح طلباً، والمفاسد درءاً، وهذا أمر معلوم بالاستقراء، والاستقراء منهج يفيد حكماً كلياً قطعياً، يعني استقراء النصوص الشرعية من الكتاب أو السنة بالتحري، أوصلتنا إلى قاعدة مفادها «أن نصاً واحداً في كتاب الله أو سنة رسوله ـ ﷺ ـ بالاستقراء التام. لم يتعلق أمراً بمفسدة أو نهياً عن مصلحة وإنما تعلق أمراً بمصلحة أو نهياً عن مفسدة كقاعدة عامة أساسية ينبغي أن تشكل إطاراً للمجتهد، لأن اجتهاده لو أدى إلى مفسدة فهذا خلاف أمر الشارع، فتلقائياً ينبغي أن يغيِّر اجتهاده إلى اجتهاد آخر.

الصوا : أحكام الشريعة الإسلامية لا تتعلق إلا بالمصالح المحضة

أما بالنسبة للنص الظني الذي تتعدد فيه الاجتهادات، فللفقيه أن يرجح ما هو أكثر مصلحة للزمن الذي يعيش فيه للتيسير على الناس وتسهيل أمور الدين لكي يصير الدين ممكن التطبيق في أي زمان ومكان، وهذا يخدم معنى شمول الشريعة والشريعة، فيها من المرونة من حيث شمول مقاصدها، وتنوع دلالات النصوص، وقضية تفصيل المحظورات في التشريع تعطينا دلالة واضحة على ذلك، فعندما فصَّل الله تعالى المحظورات سكت عن أمور كثيرة، دلنا على أن «الأصل في الأشياء الإباحة»، فأي طعام أو شراب أو لباس جديد مباح مما لا نظير له فيما حرم الله.

ثم تحدث الدكتور محمد شبير أستاذ الفقه الإسلامي في كلية الشريعة بالجامعة الأردنية، عن كيفية معالجة القضايا المستجدة في الشريعة الإسلامية، حيث أكد أن الفقه الإسلامي فيه قضايا ثابتة لا تقبل التغيير، وهذه القضايا لها قدسية لا سلطة لحاكم أو مجتهد أو عالم أن يبدل أو يغير أحكامها. وهذا ما يعرف بـ«المعلوم من الدين بالضرورة» كوجوب الصلاة والزكاة والصوم... إلخ.

أما القضايا الجديدة، فكثير منها يخضع للتغير والتبديل ولكن ضمن أسس المنهج الإسلامي الأصيل. هذه القضايا الجديدة يمكن تقسيمها إلى أربعة أقسام:

القسم الأول: القضايا التي استجدت في هذا العصر من معاملات الناس، وليس فيها حكم سابق، مثل الشركات المساهمة اليوم، النقود الورقية، البطاقات المصرفية والائتمانية، وغير ذلك.

القسم الثاني: القضايا التي تغيَّر فيها مناط وسبب الحكم لأن هذا الحكم كان مبنياً على عرف وظروف أحاطت بها وتغيِّر هذا الظرف. وقد أقر الفقهاء أنه لا ينكر تغيُّر الأحكام بتغير الأزمان والمقصود بتغير الأزمان تغير الأعراف والظروف والأحوال، والإمام الشافعي عندما انتقل من العراق إلى مصر غيَّر في بعض الأحكام بناء على تغير الظروف والأحوال.

القسم الثالث: قضايا وأمور جديدة هي في الأصل صور لمعاملات قديمة لم يتغير الحكم بها، ولكن تغير الاسم والشكل ومن ثمَّ ينبغي للفقيه أن يتنبه لذلك لئلا يغترَّ الناس بالاسم الجديد، ويدخل في ذلك مسمى «الفائدة» وهي «الربا» والخمر الذي أصبح يسمى «المشروبات الروحية».

القسم الرابع: من القضايا الجديدة، القضايا المركبة، حيث إنه فيما مضى كانوا يعرفون عقد الإجارة، عقد البيع، عقد الوديعة... إلخ، لم تكن هناك صورة مندمجة بعضها مع بعض، لكن في عصرنا هذا اندمجت الصور ببعضها بعضاً، ونأخذ مثلاً على ذلك خدمة المرابحة التي تقدمها المصارف الإسلامية اليوم لعملائها، والمرابحة تتكون من ثلاث صيغ: أولاً شراء المصرف للسلعة من البائع وبيعها للعميل بزيادة للثمن من أجل التأجيل. ثم وعد العميل أن يشتري. وهو وعد ملزم كما قال الفقهاء.

وأكد الدكتور شبير في محاضرته أن هذه القضايا تحتاج إلى جهد من العلماء والفقهاء وهي مهمة شاقة تحتاج إلى اجتهاد، والاجتهاد يقوم على إدراك مناط الحكم، وإدراك العلة وتأدية العلة إلى القضية الجديدة أو الوقوف في وجه الألاعيب الشيطانية التي تأتينا من هنا وهناك.

وحدد الدكتور شبير ستة شروط حتى يكون المجتهد مجتهداً وهي: الإيمان بالله ورسوله، وأن يكون المجتهد مؤمناً في قوله عدلاً في دينه لا يماري ولا ينافق، أن يكون عالماً بكتاب الله، عالماً بمواطن أحاديث الأحكام، عالماً بقواعد وأصول الاستنباط، وأخيراً أن يكون فقيه النفس، وهو ما يُعرف بالملكة الفقهية التي تعينه على الاجتهاد، والقدرة على استنباط الأحكام.

يذكر أن جمعية الدراسات الإسلامية التي نظمت الندوة هي مؤسسة إسلامية غير حكومية، تتخذ من الأردن مقراً لها، وللجمعية إسهامات في الإنتاج الفكري الإسلامي عن طريق البحوث العلمية، والتمحيص الناقد لمعطيات المجتمعات المعاصرة، كما تقوم الجمعية بدراسات استطلاعية في مختلف فروع المعرفة، والتي يكون لها مردود للنفع العام للمجتمعات الإسلامية عامة، والتعاون لإنجاز ذلك مع المؤسسات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية ■

● مراسل المجلة في الأردن

الآثار التربوية للحج

العبادة هي الطاعة والخضوع المطلق لله تعالى، وتشمل فعل ما أمر الله به وترك ما نهى عنه ولهما معنيان:

أ ـ معنى عام: وهو كل عمل صالح بنية مرضاة الله تعالى.

ب ـ معنى خاص: يقتصر على العبادات التي فرضها الله علينا، وجعلها من أركان الإسلام الحنيف، قال رسول الله ﷺ: «بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحجُّ البيت لمن استطاع إليه سبيلاً».

ـ أخرجه الشيخان والنسائي والترمذي من حديث ابن عمر ـ وللعبادة ـ بحد ذاتها ـ أعظم أثر تربوي لأنها تبعث على الاستقامة، وتجعل العبد يقوى شعوره بمراقبة الله عز وجل، حتى يصل إلى درجة الإحسان التي أخبر عنها الرسول ـ ﷺ ـ بقوله: «الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك» ـ أخرجه الشيخان وأبو داود والترمذي عن أبي هريرة وعمر بن الخطاب ـ.

وعبادة الحج، تحتاج إلى سفر طويل ونفقات كثيرة، فإنها لم تفرض على غير المستطيعين لها، قال الله تعالى: (ولله على الناس حجُّ البيت من استطاع إليه سبيلا ومن كفر فإن الله غنيٌّ عن العالمين) آل عمران:٩٧.

ويجب الحج على المستطيع مرة واحدة في العمر، فمن زاد على ذلك فهو تطوع يؤجر عليه، فقد سأل الأقرع بن حابس: يا رسول الله الحج في كل سنة أو مرة واحدة؟ قال: «بل مرة فمن زاد فهو تطوع» ـ رواه أبو داود والنسائي وأحمد والحاكم وصححه عن ابن عباس.

وللحج أهم الآثار التربوية في النواحي الروحية والخلقية والاجتماعية:

١ ـ فهو كفارة للذنوب:

قال رسول الله ـ ﷺ ـ «من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه» رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي من حديث أبي هريرة.

وحين يضع المسلم ذنوبه عن كاهله فإنه يستأنف حياة نظيفة لا يدنِّسها بشيء من الخطايا، فتسمو نفسه درجات في سلم الكمال... وقال ابن عباس في الرفث والفسوق: «الرفث غشيان النساء والقبل والغمز، وأن يعرض لها

بقلم : ليلى محمد محمد

بالفحش من الكلام، والفسوق المعاصي كلها». أما عن تفسير قوله «ولا جدال في الحج» فهو معنى يشتمل على الكثير من مفاهيم التربية الأخلاقية النفسية الدينة التي يتزود بها المسلم في رحلة الإيمان ـ الحج ـ وقد فسر ابن كثير الجدال فقال: «فيه قولان:

الأول: لا مجادلة في وقت الحج في مناسكه.

الثاني: المخاصمة».

وعن نافع أن ابن عمر كان يقول: «الجدال في الحج: السباب والمراء والخصومات».

٢ ـ ويؤدي الحج إلى ترسيخ الإيمان، وذلك بالطواف بأول بيت وضع لعبادة الله في الأرض، قال تعالى: (إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركاً وهدى للعالمين) آل عمران:٩١، كما أن الحاج يتذكر الجهود التي قام بها إبراهيم وإسماعيل ـ عليهما السلام ـ وهما يبنيان الكعبة: «وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم) البقرة: ١٢٧.

ويتذكر عزم إبراهيم على ذبح إسماعيل امتثالاً للرؤيا، ورضا الابن بذلك، فتهون عليه التضحية بماله، فينفقه في سبيل الله، ويتصدق على المحتاجين، وينحر الإبل ويذبح الأضاحي ليطعم الجائعين، ويصبح الولد باراً بأبيه ومطيعاً له في أصعب الأحوال وأشق الأعمال قال الله تعالى: (فلما بلغ معه السعي قال يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين) الصافات:١٠٢.



ثم يتذكر سيرة الرسول ـ ﷺ ـ في طفولته وشبابه حين يرى البقاع التي نشأ فيها، فيتصف بفضائله ويتخلق بأخلاقه، ويتذكر ما عاناه في سبيل الدعوة إلى الإسلام، فيتمسك بهذا الدين، ويصبح داعية إليه، ويضحي بنفسه لنصرته.

كما أن دوران المسلمين حول الكعبة، يرمز إلى أنهم مهما تقلبت بهم الحياة، ومهما تصرفوا في شؤونهم.. فإن محور تصرفاتهم

جميعاً يجب أن يكون دين الله تعالى، وقطب رحى حياتهم ينبغي أن يكون هو شرع الله جلت قدرته.. وحين يخلع الحاج ثيابه للإحرام، ويلبس ثوبين غير مخيطين، يتصور نفسه حين يموت وتنزع عنه ثيابه ويوضع في أكفانه، فيزهد في الدنيا، ويقبل على طاعة ربه.

ويلبي الحجيج نداء التوحيد «لبيك اللهم لبيك. لبيك لا شريك لك لبيك إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك».

وهذا تجرد تام من الحيوانية وطغيانها وظلمها وغرورها واستبدادها، واتحاد تام من الإنسانية في توجهها إلى خالقها.. فالكل أحرار متساوون، لأن الحمد لله وحده، لا يذل إنسان إنساناً، ولا يملك إنسان إنساناً.. ومعنى هذا أن الإنسانية متضافرة متآخية متعاونة.. فهي كالجيش العامل، نصيب أصغر فرد فيه متمم لنصيب أعظم فرد.

والمقبَّل للحجر - مع أنه لا يضر ولا ينفع - زيادة في احترام أمر الله عز وجل.. والحجر الأسود في الكعبة روح الأرض، وهو رمز لروح الخير في الحياة.. كما أنَّ في المرمى الذي يُرمى بالجمار رمزاً لروح الشر في الأرض، فروح الخير يقبل ويصافح، وروح الشر يُلعن ويُرجم... وفي السعي بين الصفا والمروة نشاط في العبادة، وتباعد عن الكسل، ويستحب السعي الشديد بين الميلين الأخضرين - والمرأة تمشي مشياً عادياً - وثبت أن السيدة هاجر - عليها السلام - لما تركها سيدنا إبراهيم - عليه السلام - اشتدَّ بها الظمأ، فأخذت تذهب إلى الصفا مرة لعلها تبصر بماء، وإلى المروة أخرى كذلك، فشرع الله جل جلاله السعي، ليذكرنا بآثار سلفنا الصالح.

قال الله جل ثناؤه: (إن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حجَّ البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوَّف بهما ومن تطوَّع خيراً فإن الله شاكر عليم) البقرة ١٥٤ .

وفي موقف عرفات جهاد للحجاج.. كل حاج مشغول بعرض ما في خبيئة نفسه من الذنوب والآثام على ربه جلَّ وعلا.. ويتذكر الحجاج في عرفة تمام نعمة الإسلام على المسلمين، الذي أمر بإعداد العدة... قال الله جل ثناؤه: (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً) المائدة: ٣، وحجاج بيت الله الحرام يفيضون من عرفات إلى المزدلفة، ومنى... فالإسلام يعلم المسلم النظام في عبادة الحج، كما أن في رمي الجمرات حكمة تتعلق بالجهاد وهي أن اليد المؤمنة يجب أن تكون يداً ممرَّنة على أساليب الجهاد التي أهمها وأعظمها الرمي لإصابة الهدف... وكذلك في الهَدْي والأضحية التقرب إلى الله تعالى، والشكر لنعمة القيام بأعمال الحج... وفي ذبح الهدي إعلان من المسلم أنه إنسان لا تفزعه الحرب، ولا يهوله منظر الدماء، حين تجب إراقة الدم في سبيل العقيدة السامية.

قال رب العزة والجلال: (والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خيرٌ فاذكروا اسم الله عليها صواف فإذا وجبت جنوبها فكلوا منها واطعموا القانع والمعتر كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون. لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم كذلك سخرها لكم لتكبروا الله على ما هداكم وبشر المحسنين) الحج: ٣٦ - ٣٧.

٣ - ويتعرض الحاج للمشاق في طريقه فيتعلم الصبر، ويحرم عليه في أثناء الإحرام حلق الشعر وتقليم الأظافر والطيب وصيد البر، فيتعلم الزهد والعفة، وينقطع للعبادة والتلبية.

كما يحرم عليه الكلام البذيء، والتسبب في إيذاء الناس حتى بالجدال، قال الله تعالى: (الحج أشهر معلومات، فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج وما تفعلوا من خير يعلمه الله وتزودوا فإن خير الزاد التقوى واتقون يا أولي الألباب) البقرة: ١٩٧ .

وهذا يعلم المسلم الحلم ويعوده على طيب الكلام ومحاسن الأخلاق.

٤ - وتتجلى الآثار الاجتماعية في اجتماع أكبر عدد من المسلمين في مكان واحد، حيث تمحى الفوارق التي بينهم، ويتساوى الغني والفقير والشريف والوضيع... وتزول الشارات التي تميز بعضهم عن بعض، ثم يطوفون حول الكعبة المشرّفة باتجاه واحد، ويتجهون إليها في صلاتهم، فيعلمون أنهم أبناء أمة واحدة، وأنه لا يجوز أن يبقوا متفرقين، قال الله تعالى: (إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون) الأنبياء:٩٢.

والوقوف بعرفة أهم أركان الحج، والقصد من وقوف الجميع على صعيد واحد في يوم واحد أن يشعروا بالرابطة التي تجمعهم والقوة التي تنتج من وحدتهم، وأن يتعاونوا فيما بينهم، قال رسول الله - ﷺ -: «الحج يوم عرفة، من جاء قبل صلاة الصبح من ليلة جمع فتمَّ حجه» رواه أصحاب السنن من حديث عبدالرحمن بن يعمر الديلي، وليلة جمع: هي ليلة العاشر من ذي الحجة.

ولهذا كان الحج المبرور من أفضل الأعمال بعد الإيمان والجهاد:

سئل النبي - ﷺ: أي العمل أفضل: قال: «إيمان بالله ورسوله»، قيل ثم ماذا؟ قال: «الجهاد في سبيل الله»، قيل ثم ماذا؟ قال: «حج مبرور» رواه البخاري ومسلم والنسائي من حديث أبي هريرة.

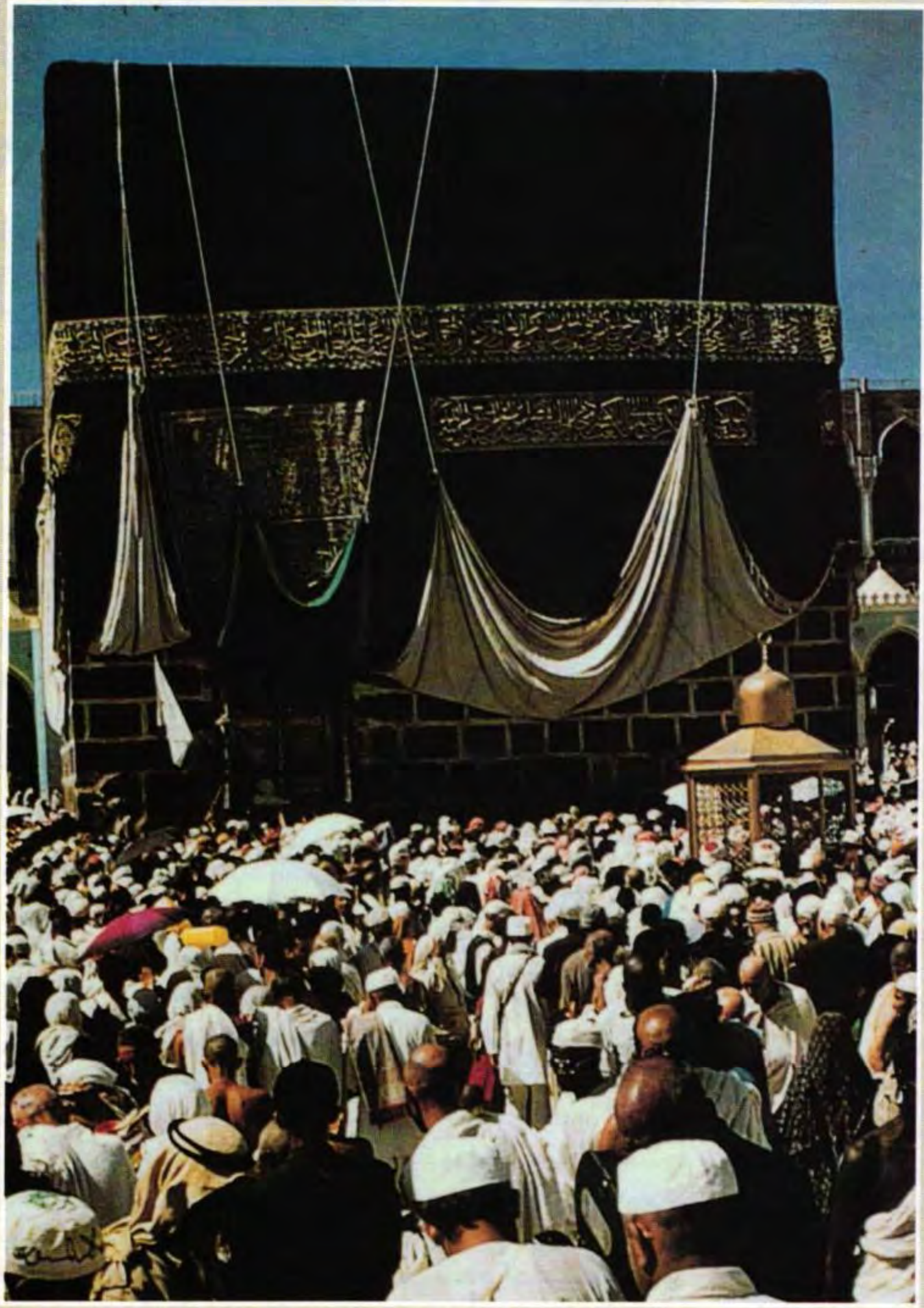
وخلاصة القول:

إن الحج مناسبة كبيرة، يتذاكر فيها المسلمون آلام الإنسانية، حيث ٢تتحقق في هذه المناسبة هذه الفريضة العظيمة من فرائض الإسلام... وعلى المؤمن الحاج، أن يتدرب على ضبط النفس وعدم الغضب، وأن يتجنب الإساءة للآخرين، وأن يترفع عن إثارة أخيه المؤمن، وأن يتمسك بسلامة أدائه للحج في أصوله ومناسكه وآدابه حين يقرأ قول رسول الله - ﷺ - «الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة».

فرحلة الحج، توجه إلى الله عز وجل.. وخروج من الديار ومفارقة للأهل، وزهد في الدنيا، وإقبال على الآخرة... والحج ركن من أركان الإسلام الخمسة... حيث تنشئ الإنسان المعتدل المتوازن في تصوره وسلوكه، الذي يعطي كل جانب من جسمه وعقله وروحه حقه، ويعمل لدنياه وآخرته... وكما تقدم، لا يمكن للتربية أن تكون متكاملة وتؤتي ثمارها ما لم تعتمد على العبادة «الحج، الصلاة... إلخ» ففي المقام الأول بعد الإيمان، العبادة، الحج، لما لها من أثر تربوي، لأنها تبعث على الاستقامة. ■

المراجع:

- الحج في الإسلام - محمد الفقي - مجمع البحوث الإسلامية - الأزهر - مصر - ط١٣٩٢هـ.
- الحج المبرور - أحكام وأسرار - د. عبدالحليم محمود ط ١٩٧١م.
- بعض أعداد من مجلة «نهج الإسلام» دمشق - وزارة الأوقاف.



إن هناك علاقة لطيفة بين البُشرى والعبادات التي افترضها الله عز وجل على المؤمنين.

فلقد عُني الإسلام بأمر الصلاة عناية فائقة، وحضّ عليها، ورغّب بمحاسنها، فهي مفتاح من مفاتيح الجنان، ومن خير الأعمال بعد شهادة الإيمان، وأول ما يحاسب عليه العبد بعد مفارقة الأهل والخلان، عندما يقابل ملائكة الملك الديان.

وقد جعل الله تعالى الصلاة صفة كريمة وحلية مباركة للمتقين المسلمين المستسلمين له، (ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين) البقرة:٢، فهؤلاء لهم رتبة مرموقة يوم القيامة، ومكانة محمودة، لأنهم من فريق المفلحين (أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون) البقرة:٥.

البشرى في موسم الحج

بقلم : د.زيد محمد الرماني

وفي السنة النبوية دعوة مرغبة إلى أداء الصلاة في جماعة في سائر الأوقات، وخصوصاً في صلاة الصبح والعشاء، حيث جاءتهم البشرى بذلك، فعن بريدة بن الحصين الأسلمي رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «بشروا المشائين في الظلم إلى المساجد بالنور التام يوم القيامة» أخرجه أبو داود في سننه.

والزكاة ركن مهم من أركان الإسلام، ودعامة من دعائم الإسلام، أداؤها عنوان على العمل بطاعة الله عز وجل، (ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون) الحشر:٩، فلما سمع المسلمون الأوائل هذه الدعوة المباركة (فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) الحج:٧٨، إلى الإنفاق فاضت أيديهم بالمعروف طلباً لرضوان الله سبحانه.

وقد حض الإسلام على الصدقة لما فيها من الخير العميم والثواب العظيم (الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سراً وعلانية فلهم

أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) البقرة:٢٧٤.

يقول تعالى: (ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً...) آل عمران:٩٧.

إن الحج رحلة كريمة يتوجه فيها المسلم إلى البلد الأمين مكة ليؤدي هذه العبادة التي فرضها الله عزَّ وجل.

وقد فرض الله سبحانه الحج على كل مسلم يملك الاستطاعة، والحج فريضة يؤديها المسلم في العمر مرة، حينما تتوافر الاستطاعة من الصحة وإمكان السفر، وأمن الطريق. والحج مؤتمر المسلمين السنوي العام، يتلاقون فيه عند البيت العظيم الذي صدرت لهم الدعوة منه ذلك البيت الذي جعله الله أول بيت في الأرض لعبادته.

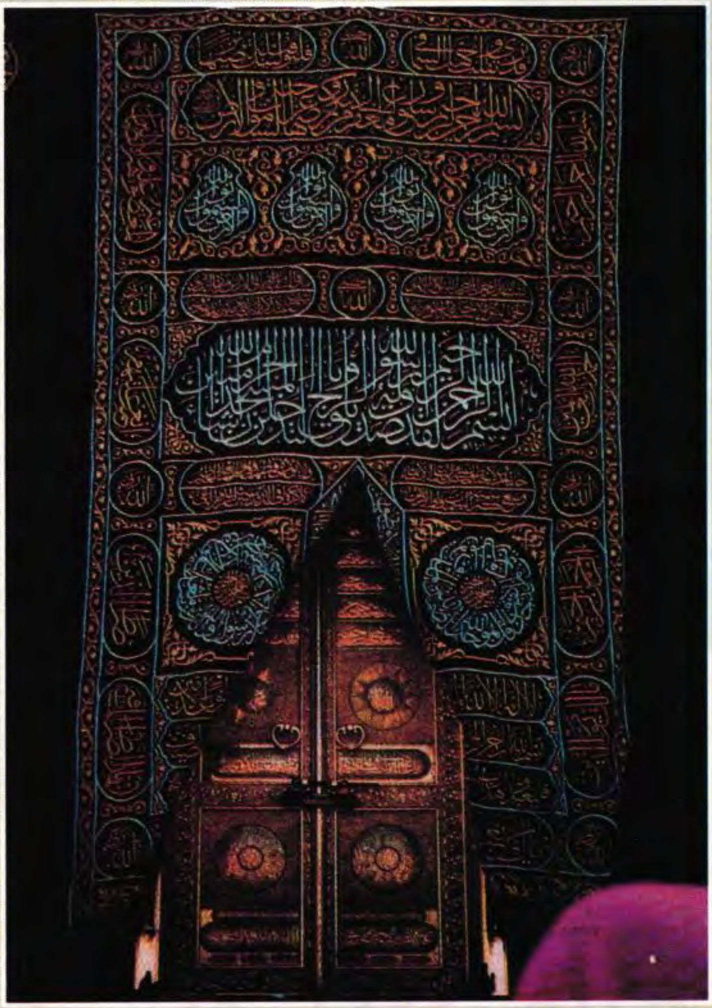
لذا، فإنه من يؤدي هذه الفريضة، فإن له أحسن الجزاء.

وفي الحج، منافع عظيمة في الدنيا والآخرة، منها الخير العميم من الله سبحانه للمؤمنين الذين يعظّمون حرماته، ويبتعدون عن محارمه (ذلك ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه) الحج:٣٠.

وفي أداء فريضة الحج غذاء روحي كبير، تمتلئ فيه جوانح المسلم خشية وتقوى لله، وعزماً على أداء طاعته، إذ تنمو فيه عاطفة الحب الصحيح لله عز وجل ولرسوله الكريم ﷺ.

وكذلك - في الحج - تأتلف مشاعر الأخوة الصحيحة في كل مكان ويعود الحاج من رحلته هذه وهو أصفى قلباً وأقوى عزيمة على الخير، لأنه قد حظي بالنقاء ونال البشارة بالقبول، لأن الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة.

وقد أخبر رسول الله ﷺ الحاج الذي أدَّى هذه الفريضة كاملة



دون عوج في الأعمال والأقوال أنه مقبول عند الله تعالى، قد غُفر له، كأنه وُلد وليس عليه من ذنب، وفي ذلك قال ﷺ: «من حج، فلم يرفث ولم يفسق رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه» صحيح مسلم، وفي الحج بشائر عديدة ونفحات إيمانية حري بالمسلم أن يغتنمها.

إن البشرى والاستبشار خلق كريم من الأخلاق الإسلامية التي حض عليها القرآن الكريم والسنة النبوية، بل إن البشرى جزء من الهدي النبوي.

فالمؤمن الذي خالطت بشاشة الإيمان قلبه من شأنه أن يكون مبشراً بالخير في كل حين ومبشراً بدعوة الحق في مكانها، ومستبشراً بين الناس.

والبشرى تلقي الضوء على ما يقوم به المؤمن من عمل، لأنه على ثقة من قبول هذا العمل.



وقد بيَّن الله تعالى سرور وفرح الشهداء واستبشارهم عندما قال: (فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم) آل عمران:١٧٠.

وللبشرى والاستبشار مكانة سامية في سُدّة الفضائل، فقد أخبر الله تعالى بأنه هو الذي يبشر من يستحقون البشرى ليكونوا من أهل الاستبشار، قال سبحانه: (الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون. يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم) التوبة: ٢٠ - ٢١.

ومما لا شك فيه أن أهل البشرى سيلقون نعيماً وملكاً كريماً عند مليك مقتدر، فهم ضاحكو الوجوه مستبشرون بالنعمي (وجوه يومئذ مسفرة. ضاحكة مستبشرة) عبس: ٣٨-٣٩ ■



أحكام

بقلم: محمود عبداللطيف فايد

السنن والبدع في الأعياد والمواسم

لله تعالى نفحات يتعرض لها الموفقون من عباده، ويغفل عنها المخذولون. والله ـ عزَّت قدرته، وجلَّت حكمته ـ قد فضل بعض الأيام والليالي والأشهر على بعض حسبما اقتضته حكمته البالغة، ثم أرشد عباده إليها طالباً منهم أن يجدّوا في وجوه البر، ويكثروا فيها من صالح الأعمال عسى أن يمسّهم شيء من رضوان الله وإحسانه.

والأعياد والمواسم هي تلك الأوقات الفاضلة التي رسمها الشارع لطلب القرب من الله، والقيام بشكره على ما تفضل به من جلائل النعم. وصدق الله العظيم إذ يقول: (وإذ تأذّن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابي لشديد) إبراهيم:٧، كما قال عزَّ وجلَّ: (وإن تعدُّوا نعمة الله لا تحصوها) إبراهيم:٣٤.

والعيد ما يكثر عوائد الله فيه بالإحسان على عبيده ـ والمواسم معالم الخيرات، ومظان التجارات، وعبيد الرحمن هم الذين يصدقون بسلوكهم قول الله عزَّ وجل فيهم: (إن الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية يرجون تجارة لن تبور. ليوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله إنه غفور شكور) فاطر:٢٩ـ٣٠.

وبالغفلة عن مواسم الطاعات يفوت الربح العظيم، كما أن البضائع لا تروج إلا في مواسم خاصة، والله تعالى إذا أحبَّ عبداً شرح صدره للخير، واستعمله في هذه الأوقات الفاضلة في أفضل الأعمال ليثيبه أفضل الثواب.

خداع الشيطان للناس:

الشيطان ـ لعنه الله ـ قد آلى على نفسه أن يصد الناس عن سواء السبيل، ويقعد لهم بكل صراط مستقيم ليحول بينهم وبين إحسان الله، ورحمته، ويقذف بهم في مهاوي الشقاء والحرمان، فزيَّن للناس أن أيام الأعياد والمواسم أوقات اعتبرت للراحة واللعب، وميادين للذات والشهوات، ورسم لهم فيها من ضروب الهوى والغواية ما استمال به قلوبهم، وصرفهم بذلك عن الهدى والرشد، ووضع لهم مكان كل سنَّة بدعة حتى تعرضوا في الأعياد والمواسم لمقت الله وغضبه بدل رضوانه وإحسانه، مع أن الدين واضح، والحلال بيّن، والحرام بيّن، والسنة جليّة نيّرة، والبدعة خفيّة مظلمة، فلاتكون السنة يوماً بدعة كما لاتكون البدعة يوماً سنة إلا إذا عميت البصائر، وانصرفت النفوس عن هدى رسول الله ـ ﷺ ـ وسار كلٌّ وراء شهواته وهواه (ومن أضلُّ ممن اتبع هواه بغير هدى من الله إن الله لا يهدي القوم الظالمين).

عمى البصيرة باتباع الهوى:

لا ريب أن السير وراء الهوى يعمى بصيرة القلب حتى لايدرك للخير سبيلاً، ونعوذ بالله من الخذلان، وقد روى عن سهل بن عبدالله التستري «من أخذ مهنأه في هذه الأيام الخمسة لم ينل مهنأه في الآخرة» أراد العيدين والجمعة وعرفة وعاشوراء.

وعنه أيضاً «أيام يُرجى فيها الفضل من الله فإذا اشتغلت فيها بهواك، ومتَّعت النفس فيها بالشهوات فمتى ترجو الفضل والمزيد؟».

وعن الإمام الشافعي رحمه الله ـ: «بلغنا أن الدعاء يستجاب في خمس ليال: أول ليلة من رجب، وليلة نصف شعبان، وليلتي العيد، وليلة الجمعة»، وعن الرسول ـ ﷺ ـ: «من أحيا ليلة الفطر والأضحى لم يمت قلبه يوم تموت القلوب» رواه الطبراني في الأوسط والكبير.



والإحياء يكون بالذكر والصلاة وقراءة القرآن وغير ذلك من الطاعات ومن أعيادنا الشرعية عيد الفطر والأضحى، وقد شرع الله إحياء ليلتيهما بالعبادة للحديث السابق، ولحديث أبي أمامة - رضي الله عنه - عن النبي - ﷺ - قال: «من قام ليلتي العيدين محتسباً لم يمت قلبه يوم تموت القلوب» رواه ابن ماجه ورواته ثقات، وجعل الجزاء حفظ القلوب من الموت يوم تموت القلوب، وموتها يكون بشغفها بحب الدنيا أخذاً من حديث «لا تدخلوا على هؤلاء الموتى. قيل من هم يا رسول الله؟ قال: الأغنياء» وقيل الكفرة لقوله تعالى: (أو من كان ميتاً فأحييناه) أي كافراً فهديناه، وقوله: (وما يستوي الأعمى والبصير. ولا الظلمات ولا النور. ولا الظل ولا الحرور. وما يستوي الأحياء ولا الأموات إن الله يُسمع من يشاء وما أنت بُمسمع مَن في القبور. إن أنت إلا نذير) فاطر:١٩-٢٣.

وقد غفل الناس عن إحياء ليلتي عيد الفطر، وتشاغلوا بمتابعة برامج الإذاعة المرئية أو المسموعة أو بالمبيت في المقابر أو بتدبير شهواتهم التي يأتونها أيام العيدين في عصر الدش والفيديو.

وشرع الله - من غروب الشمس ليلتي العيدين إلى الدخول في الصلاة - التكبير مع رفع الصوت ندباً في المنازل والأسواق والطرق ليلاً نهاراً إظهاراً لشعار العيدين. وقد أهمل كثير من الناس هذه السنة حتى لو أتى بها مسلم لغدا مبتدعاً - ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وشرع الاغتسال للعيدين كما شرع الذهاب إلى الصلاة من طريق والرجوع من أخرى، وأن يأكل قاصد الذهاب إلى المصلى قبل الخروج لصلاة عيد الفطر، ويؤخر الأكل في عيد الأضحى حتى يضحى، فهذه سنن أهملت وقليل فاعلها وكأنه شاذ في نظر بعض الناس.

تهاون كثير من العامة في سماع خطبتي العيد:

ومن العادات السيئة تهاون العامة في سماع الخطبتين، ونرى أكثرهم يسارع في الخروج من المسجد أو ترك المصلى عقب فراغ الإمام من الصلاة، وبعضهم ينتظر الخطبة الأولى فقط، وكل ذلك ترك للسنة، وفيه إعراض عن سماع الموعظة، وكثيراً ما يقع بقيام الناس حينئذ التشويش على الخطيب والمستمعين.

ومن البدع اشتغال بعض الناس عقب صلاة العيد بزيارة الأولياء أو القبور قبل الذهاب إلى أهلهم، ولقد كان رسول الله - ﷺ - يخرج مع الصحابة إلى الصحراء لصلاة العيد، وكان يذهب من طريق، ويرجع من أخرى، ولم يثبت أنه زار قبراً في ذهابه أو إيابه مع وقوع المقابر في طريقه، بل قال في عيد الأضحى: «أول ما نبدأ به في يومنا هذا أن نصلّي ثم نرجع فننحر، من فعل ذلك فقد أصاب سنتنا» متفق عليه.

وزيارة القبور أو الأضرحة يوم العيد من تلبيس الشيطان فإنه لا يأمر بترك سنة حتى يعوّض لهم عنها شيئاً يُخيل إليهم أنه قُربة فعوّض لهم عن سرعة الأوبة إلى الأهل زيارة القبور، وزيَّن لهم أن هذه الزيارة في هذا اليوم من البر، وزيادة الود لهم.

الاختلاف في التهنئة بالعيد والأشهر والأعوام:

واختلف في التهنئة بالعيد والأشهر والأعوام: قيل بدعة، وقيل مباحة لا سنة فيها ولا بدعة، واختار الإمام الحافظ ابن حجر أنها مندوبة فقد وردت في قول الناس بعضهم لبعضٍ في يوم العيد: «تقبَّل الله منا ومنكم»، آخبار وآثار ضعيفة يعمل بمجموعها في مثل ذلك، ومشروعية التعزية تدل على مشروعية التهنئة لما يحدث من نعمة أو يزول من نقمة.

ومن البدع التهاون بأمر الأضحية، فمنهم من يتركها، ومن لم يتركها يأتي بها على غير الوجه المشروع فيها، وهي من أهم ما شرع في عيدالأضحى حتى قيل بوجوبها، فمنهم من يذبح يوم عرفة أو ليلة العيد أو فجر يوم النحر، أو عند طلوع الشمس، وكل هذا خلاف المشرع لما في الصحيحين: «أول ما نبدأ به في يومنا هذا أن نصلي ثم نرجع فننحر من فعل ذلك فقد أصاب سنتنا، ومن ذبح قبل فإنما هو لحم قدّمه لأهله ليس من النسك في شيء»، ومنهم من لا يراعي السن المجزئة فيها، والصفات المعتبرة، ويأنفون من مباشرة الذبح، ومنهم من لا يحسنه وقد فعله النبي - ﷺ، والسنة لمن لم يباشر ذبح الأضحية أن يحضر ويشهد عملية الذبح لأن النبي - ﷺ - قال لابنته فاطمة - رضي الله عنها -: «قومي إلى أضحيتك فاشهديها فإنه بأول قطرة من دمها يُغفر لك ما سلف من ذنوبك» رواه البزّار وابن حبان.

وعلى الجملة: من يتَّبع أحوال الناس في العيدين يعلم أنهم ابتدعوا فيهما كثيراً، وتلاعبت بهم الأهواء حتى خرجوا بهما عن الحد المشروع فيهما، وجعلوهما أيام لعب ولهو، وأكثروا فيهما من المخازي والمنكرات وشرب الخمور، والعكوف على أماكن الفسوق والفجور.

ومن البدع تهافت الرجال والنساء فيهما على زيارة القبور، وتواطؤ الجميع على البيات فيها، ويتكلفون لذلك ما لا يرضاه الشرع، وينتهكون حرمات الله، وما ينال الموتى من الإيذاء فوق ما يصل إليهم! وأنَّى يصل إليهم رحمة من هؤلاء؟ (إنما يتقبل الله من المتقين) المائدة:٢٧ والخير كل الخير في الاتباع، والشر في ابتداع أمور جنحت إليها بعض الأهواء وإلصاقها بالدين - أعاننا الله على أهوائنا، ووفقنا إلى ما يحبه ويرضاه، (وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب) هود:٨٨ ■

إعداد : عبدالمنعم أحمد

القرن الواحد والعشرون يقلِّص الفجوة بين البلدان الغنية والبلدان الأشد فقراً



يُفترض في أكثر الأحيان أن البلدان الفقيرة محكوم عليها بأن تبقى فقيرة. ويبدو استمرار عدم المساواة بين الاقتصادات العالمية وكأنه يثبت صحة هذه الفرضية.

ولكن مجلة «الايكونوميست» البريطانية تقول: إن هناك نظرية أخرى أكثر صحة. فما فحوى هذه النظرية؟

على مدى القرنين الماضيين من النمو العالمي السريع اتسعت الهوة بين البلدان الغنية والفقيرة إلى درجة مذهلة. وفي العقود الأخيرة بدا أن الهوة استقرت إلى حد ما مع التقدم السريع الذي أحرزته بعض البلدان الفقيرة سابقاً، ولكن بشكل عام لم تتقلص عدم المساواة في الدخول بين الدول. بل اعتبرت بعض الأوساط ذلك وضعاً طبيعياً في عالم الرأسمالية العالمية، حيث يصبح الأغنياء أكثر غنى وكذلك الفقراء ولكن من دون أن يلحقوا بالأغنياء أبداً.

بيد أن الاعتقاد أن الهوة غير قابلة للتغيير هو اعتقاد خاطئ كما يتضح من النموذج البسيط التالي.

فالعملية ذاتها التي زادت عدم المساواة العالمي في الماضي يمكنها أن تقلصه أيضاً. وبحدة مماثلة تقريباً، في القرن الحالي. ويطرح هذا النموذج روبرت لوكاس أستاذ الاقتصاد في جامعة شيكاغو والمنظِّر الاقتصادي صاحب النفوذ الكبير.

ولنتصور عالماً مكوناً مثل عالمنا من اقتصادات كثيرة متباينة، ولنفترض أن متوسط حصة الفرد من الدخل في كل منها ٦٠٠ دولار «حسب قيمته عام ١٩٨٥م» وذلك في عصور ما قبل الثورة الصناعية، ولنقل في عام ١٨٠٠م على سبيل المثال. ولنفترض أنه منذ عام ١٨٠١م بدأ أحد هذه البلدان يشهد نمواً متواصلاً وثابتاً بمعدل ٢٪ سنوياً للفرد. «هذا البلد الافتراضي القائد» سيكون متوسط دخله اليوم، أي بعد ٢٠٠ سنة، أكثر من ٣٠ ألف دولار. ولنفترض أيضاً أنه بمرور الزمن وبعد تأخيرات شتى أخذت البلدان الأخرى بالنمو أيضاً، ولنفترض أن نموها كان أسرع من «نمو البلد القائد». أي بمعدل ٢٪ سنوياً مضافاً إليه هامش يناسب الفجوة بين القائد والتابع، في نهاية المطاف سيلحق التابعون «بالبلد القائد» وعندئذ ستنمو كل البلدان بمعدل واحد هو ٢٪. ومرة أخرى لنحدد هامش اللحاق بحيث إن الداخل الجديد لطور النمو عام ١٨٥٠م سينمو في البداية بمعدل ٤,٥٪، وأن الداخل الجديد عام ١٩٠٠م ينمو بمعدل ٧٪، وهلم جرا، حيث يزداد الهامش الأولي بمعدل ٢,٥ نقطة مئوية لكل ٥٠ عاماً من التأخير قبل بدء النمو. وستكون النتيجة أنه كلما تأخر بدء نمو كل بلد وكلما كانت الهوة في البدء أكبر بينه وبين «البلد القائد» كان نموه أسرع.

ولكن ما الذي يقرر، حسب هذا النموذج، فترة التأخير قبل أن يبدأ بلد ما بالنمو؟ يفترض النموذج أن فرصة بلد ما بالانطلاق على درب النمو تتوقف على معدل الدخول في العالم في ذلك الوقت. فكلما كان العالم ككل أكثر غنى كانت الفرصة أكبر أمام أي بلد في مرحلة ما قبل التصنيع لكي يبدأ بالنمو. وتقدم الأرقام التي يختارها البروفيسور لوكاس نمطاً للنمو يبدأ ببطء شديد في القرن التاسع عشر «حينما كانت الدخول العالمية منخفضة ويتسارع بشكل ملحوظ خلال معظم القرن العشرين (مع تزايد الدخول العالمية) ثم يبدأ بالتراجع في أواخر القرن العشرين (لأنه في هذا الوقت كان هناك عدد أقل متبق من

اقتصادات ما قبل التصنيع التي لم يبدأ فيها النمو بعد).

ولذلك فإن هذا النموذج الهيكلي له نوعان من (انسكاب) النمو العالمي، الأول هو أن معدل النمو، عندما يبدأ النمو فعلاً، يتوقف على فجوة الدخل بين «الاقتصاد القائد والاقتصاد التابع». والثاني هو أن فرصة النمو تتوقف على الدخول في العالم ككل. أن لدى النظريات الاقتصادية الحديثة الكثير مما تقوله عن الكيفية التي يمكن أن يعمل بها هذان النوعان من انسكاب اللحاق. فبعض الاقتصاديين يشددون على رأس المال البشري (المعرفة المنتجة في أي مكان يمكنها أن تفيد المنتجين في كل مكان). ويشير آخرون إلى دور السياسات والمؤسسات في عملية الانتشار، في حين يركّز آخرون على قانون «الغلقة المتناقصة» ويقولون على سبيل المثال: إن الأجور المرتفعة في «الاقتصادات القائدة» تسبب تدفق رؤوس الأموال إلى اقتصادات أخرى. ولكن لوكاس يطرح نقطتين. الأولى هي أن هذا النموذج البسيط يتتبع حقائق النمو العالمي على نحو أفضل مما يخيل للمرء. والثانية والأكثر أهمية هي ما يقوله النموذج، إذا كان صحيحاً، عن المستقبل.

وبالإمكان تقرير ذلك بشكل واضح. فمنذ أواخر القرن العشرين يبدأ النمو في التباطؤ في هذا الاقتصاد العالمي الافتراضي. ويرجع هذا إلى أن عدداً كبيراً من البلدان قد مرَّ سلفاً بالمراحل المبكرة الأسرع من عملية اللحاق.

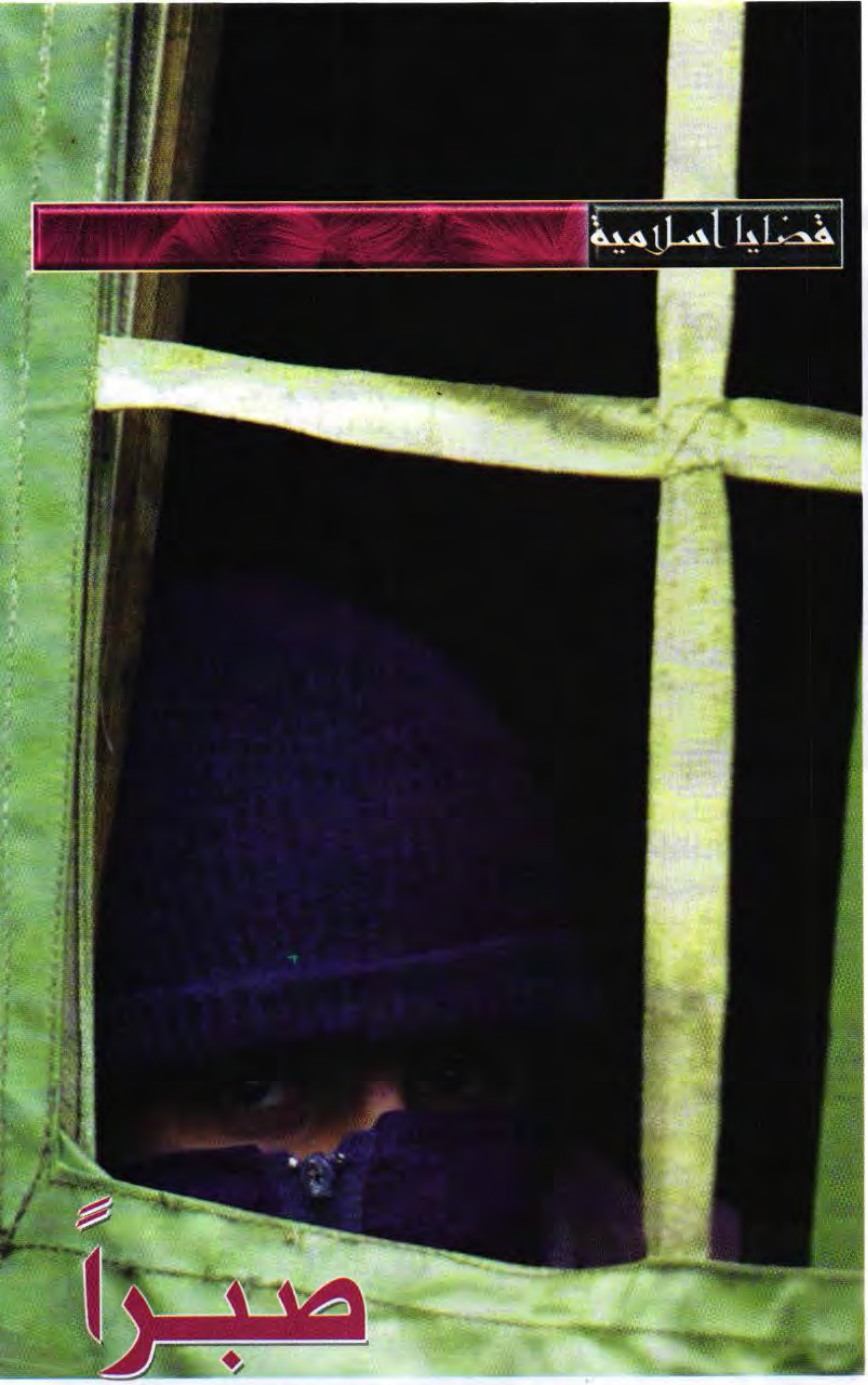
ومنذ الآن فصاعداً، وفي مرحلة انتقالية تدوم عقوداً من الزمن سيقترب العالم ببطء من معدل النمو طويل الأمد (المفترض) وهو ٢٪، ولكن لهذا السبب بالذات سيتناقص أيضاً عدم المساواة بين الدول. فالحسابات الرأسمالية نفسها لنشر الرخاء التي سببت زيادة عدم المساواة العالمية على مدى ١٥٠ عاماً بعد ١٨٠٠ ستسبب تناقصه خلال القرن الحالي.

وإذا كانت القيم التي اختارها لوكاس دقيقة، فإن التراجع المقبل في عدم المساواة سيكون حاداً. وهكذا فإن الاستقرار الذي شهدته العقود القليلة الماضية في أحجام عدم المساواة العالمية لن تكون مؤشراً على فجوة لايمكن تضييقها بين البلدان الغنية والفقيرة.

بل على العكس من ذلك ستمثل العقود الأخيرة نقطة تحوّل، فيما يتعلق بعدم المساواة، في العملية التي استمرت قروناً والتي بموجبها انتشر التقدم الاقتصادي للثورة الصناعية في أرجاء العالم ■

عن الايكونومست

قضايا إسلامية



صبراً أيها الشيشان

بقلم : عبدالرحمن قرة حمود

رب وامعتصماه انطلقت ... لامست أسماعهم لكنها

ملء أفواه السبايا اليتم ... لم تلامس نخوة المعتصم



صبراً أيها الشيشان فإن موعدكم الجنة، وهنيئاً لكم صبركم الذي لا يشبهه إلا صبر آل ياسر، بل إن صبركم أشد وبلاءكم أعظم، فآل ياسر - رضي الله عنهم - كان يعزّيهم وجود رسول الله - ﷺ - قريباً منهم، دعاؤه لهم، أما أنتم فلا عزاء لكم.

صبراً أيها الشيشان، فإن موعدكم الجنة، ففيكم يعيد التاريخ نفسه، حيث عاد الإسلام غريباً كما بدأ... فطوبى لكم أيها الغرباء، وكأني بكم في حصاركم أشبه ما تكونون بالمسلمين يوم حوصروا في شعب أبي طالب ومُنع عنهم كل شيء.

طوبى لكم أيها الشهداء على الناس، فإن وراء صبركم هذا خيراً كثيراً سيعود ثوابه إليكم. إن صبركم وجهادكم قد ملأ الدنيا وشغل الناس، فلقد أسمعتم بهما - بالإضافة إلى المسلمين - كل من لم يسمع بالإسلام من قبل، ولابد أن يكون من هؤلاء من يسلم ويؤمن، ولقد كشفتم بهما ضلال الضالين ممن يزعمون أنهم دعاة حقوق الإنسان، وعرّيتموهم، فعرف الناس حقيقة كونهم كاذبين.

فطوبى لكم أيها الدعاة بالفعل لا بالقول، فقد أضاء نوركم سماء أوروبا المظلمة، بل سماء العالم كله.

صبراً أيها الشيشان فإن موعدكم الجنة، فلقد أطشتم بجهادكم وصبركم عقل عدوكم، فصار يخبط خبط عشواء، ويضرب بلا وعي، لقد أفقدتموه صوابه، إذ لم يكن يتصور أن تصبروا هذا الصبر وتصمدوا هذا الصمود. إن غيظه منكم يكويه بنار أحرَّ من النار التي يرميكم بها ليل نهار، فما النار التي يرميكم بها ويقذفها عليكم إلا بعض ما ألهبه صبركم وصمودكم من غيظ في صدره (قل موتوا بغيظكم) - وقهر في نفسه - (وهو القاهرة فوق عباده) - مما انعكس حقداً ولؤماً وقبحاً في وجهه، ويكفي أن ينظر كل ذي عينين إلى وجه كبيرهم ووجه أي منكم ليرى الفرق الشاسع بين من أشرق وجهه بنور الإيمان، ومن أسودَّ وجهه بظلام الكفر والطغيان، ولعنة الله وغضبه.

فطوبى لكم أيها الشهداء على الناس، من مات منكم ومن بقي، من قضى نحبه ومن ينتظر.



صبراً أيها الشيشان، فإنما يوفّى الصابرون أجرهم بغير حساب، من قتل منكم حي عند ربه يُرزق، وتلك الدار هي الحيوان. ومن ينتظر فهو حي بقوة إيمانه واعتقاده بأن النصر من عند الله، ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً.

صبراً أيها الشيشان، وطوبى لكم حسن بلائكم، فليس عدوكم الروس وحدهم، ولكن عدوكم هو كل من حال بينكم وبين حقكم في الدفاع عن أنفسكم. فوالله لو أنكم خضعتم واستسلمتم لما لامكم أحد، لأنكم في وضع تعذرون فيه، ومع ذلك لم تفعلوا، وكأني بكم قد تمثلتم نصيحة ذات النطاقين أسماء بنت الصديق أم عبدالله بن الزبير - رضي الله عنهما - لابنها عبدالله حين كان في وضع مشابه لوضعكم، فكانت كل امرأة فيكم أسماء، وكان كل رجل فيكم عبدالله، فهنيئاً لكم جهادكم، وصبركم، وتسببكم في إيمان الكثيرين من المعجبين بكم ممن لم يسمعوا بالإسلام قبل محنتكم، وهنيئاً لكم إيقاظكم لمشاعر المسلمين، وتنبيهكم للغافلين منهم إلى ما يضمره لهم أعداؤهم، فوالله لو علم أعداؤكم النتائج البعيدة لصمودكم لما فعلوا ما يفعلونه بكم. ولكن ضل سعيهم وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً. فطوبى لكم، وصبر جميل، والله المستعان ■

الخُلع بين النظرية والتطبيق



بقلم: أ.د. أحمد الحجي الكردي *

الخَلع بالفتح في اللغة النزع، ومنه خَلَعَ الزوج زوجته «أي طلقها على مال تدفعه له»، وتخالع الزوجان إذا اتفقا على الطلاق بفدية، والخُلع بالضم اسم منه.

والخُلع في اصطلاح الفقهاء لا يخرج عن معناه اللغوي، قال الموصلي: «الخُلع أن تفتدي المرأة نفسها بمال ليخلعها به، فإذا فعلا لزمها المال، ووقعت تطليقة بائنة» الاختيار ١٥٦/٣.

والخُلع أو المخالعة عقد بين الرجل وزوجته، يتفقان فيه معاً على أن تفتدي الزوجة نفسها من زوجها بمبلغ من المال تدفعه إليه تعويضاً عما أنفقه عند الزواج بها، ولابد فيه من موافقة الطرفين ورضاهما، لأن المخالعة مفاعَلة، وهي من ألفاظ المشاركة، وهذه لا تكون بغير طرفين، ولا تحصل الفرقة فيه بمجرد بذل المال من الزوجة باتفاق الفقهاء، فلو قالت الزوجة لزوجها: خذ مني كذا من المال واخلعني أو طلقني، فلم يخلعها ولم يطلقها لم تنحل الزوجية، ولم يصح الخلع، قال ابن قدامة: «ولا يحصل الخُلع بمجرد بذل المال» المغني ٥٨/٧.

والمخالعة جائزة شرعاً عند جماهير الفقهاء بتراضي الزوجين، سواء في حالتي الوفاق أو الشقاق، وقال ابن المنذر: لاتجوز إلا في حال الشقاق، وحكمة مشروعيتها بتراضي الزوجين أمران:

الأول: أن عقد الزواج عقد رضائي تم باتفاق الزوجين، فكان مناسباً أن يقبل الحل برضاهما أيضاً.

الثاني: أن الزوجية قد تتعسر بسبب من الزوجة وحدها، دون أن يكون للزوج صنع في ذلك، ويأبى الزوج طلاقها لما تكلفه من النفقة في الزواج، ولا طريق إلى الحل في هذه الحال إلا ببذلها بدل تلك الكلفة للزوج لطلاقها، فكان مشروعاً لذلك، ومنه ما حصل لزوجة ثابت بن قيس، فقد روى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «جاءت امرأة ثابت بن قيس بن شماس إلى النبي ـ صلى الله عليه وسلم فقالت: يا رسول الله: ما أنقم على ثابت في دين ولا خُلق إلا أني أخاف الكفر فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فتردين عليه حديقته فقالت نعم فردت عليه وأمره ففارقها».

المخالعة جائزة شرعاً بتراضي الزوجين سواء في حالتي الوفاق أو الشقاق

وللخلع شروط لابد من توافرها لصحته، أهمها كمال أهلية المتخالعين، بأن يكون كل منهما بالغاً عاقلاً رشيداً مختاراً، وأن تكون الزوجة مطلقة اليد في مالها، أي غير محجور عليها وممنوعة من التصرف في مالها لسبب من أسباب الحجر.

والذي يقع بالخلع طلاق بائن عند أكثر الفقهاء، فينقص به عدد الطلقات، وذهب البعض إلى أنه فسخ، فلا ينقص به عدد الطلقات، وعلى ذلك فإذا أراد الزوج بعد الخلع أن يعود إلى زوجته، جاز له ذلك في العدة أو بعدها، ولكن بعقد زواج جديد مستوف لشروطه الشرعية، هذا ما لم يكن الخلع هو الطلقة الثالثة، فإن كان الخلع هو الطلقة الثالثة، بانت منه زوجته به بينونة كبرى، فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجاً غيره، وهذا على قول الجمهور الذين يرون المخالعة طلاقاً، أما من يقول: إن المخالعة فسخ، فإنه يجوز عندهم للزوج بعد المخالعة أن يعود إلى زوجته بعقد جديد مطلقاً.

واتفق الفقهاء على حرمة أن يُلجئ الرجل زوجته إلى المخالعة بمضايقتها وإيذائها لحملها على دفع البدل إليه، لقوله تعالى: (الطلاق مرتان فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئاً إلا أن يخافا ألا يقيما حدود الله فإن خفتم ألا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به تلك حدود الله فلا تعتدوها ومن يتعدَّ حدود الله فأولئك هم الظالمون) البقرة:٢٢٩.

وبدل المخالعة مال تدفعه الزوجة إلى زوجها إذا رغبت في مخالعته ووافقها الزوج على ذلك، ويصح في كل ما يصح فيه المهر، وليس لهذا

الذي يقع بالخلع طلاق بائن عند أكثر الفقهاء فينقص به عدد الطلقات

المال حد أعلى ولا حد أدنى، إلا أن الفقهاء كرهوا أن يأخذ الزوج منها أكثر مما دفع لها من المهر.

وكما يجوز للزوج أن يخلع زوجته بنفسه، فإن له أن يوكل غيره في خلعها عنه، وكما أن للزوجة أن تقبل الخلع من زوجها بنفسها، فإن لها أن توكل غيرها ليقبله عنها، لأن الخلع يمين أو معاوضة، وكلا الأمرين يقبل الوكالة باتفاق الفقهاء.

فإذا تم الخلع بين الزوجين باستيفائه أركانه وشروطه كافة، بانت به الزوجة من زوجها وانقطعت الزوجية بينهما بذلك فوراً، دون حاجة إلى حكم قاض بالفرقة، ولا تحل له بعد ذلك إلا بعقد جديد كما تقدم، وتجب على الزوجة العدة فور الفرقة، وهي عند عامة الفقهاء ثلاث حيضات لمن تحيض، وثلاثة أشهر لمن لا تحيض إلا الحامل، فإن عدتها وضع الحمل، لقوله تعالى: (والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء) البقرة:٢٢٨، وقوله سبحانه: (واللائي يئسن من المحيض من نسائكم إن ارتبتم فعدتهن ثلاثة أشهر واللائي لم يحضن وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن ومن يتق الله يجعل له من أمره يسراً) الطلاق:٤، وفي قول عند الحنابلة تعتد بحيضة واحدة.

ومن خلال هذا البيان المجمل لأحكام الخلع يتأكد لنا المبادئ التالية:

١ ـ الخلع اتفاق بين الزوج وزوجته على حل وإنهاء الحياة الزوجية بينهما بإرادتهما المشتركة، ولا يصح بإرادة الزوجة وحدها ولو بذلت المال، ولا بإرادة الزوج وحده، إلا أن يطلقها من غير بدل فيكون طلاقاً لا خلعاً.

٢ ـ الخلع جائز شرعاً بين الزوجين في حالتي الوفاق والشقاق ما دام قد تم بتراضيهما.

٣ ـ الخلع تقع به الفرقة بين الزوجين إذا تم مستوفياً لشروطه الشرعية دون حاجة إلى القاضي.

٤ ـ الخلع فرقة بائنة، فلا يحل للزوج بعده أن يعود إلى زوجته في العدة أو بعده، إلا بعقد زواج جديد مستوف لشروطه الشرعية، إلا أنه على مذهب الجمهور ينقص به عدد الطلقات، وهو ما ذهب إليه القانون الكويتي وعامة القوانين العربية، وعلى مذهب من يراه فسخاً لا ينقص به عدد الطلقات.

٥ ـ الخلع عقد لازم لكلا طرفيه بعد تمامه صحيحاً، ولا رجوع للزوجين بعده إلى الزوجية من جديد إلا بعقد زواج جديد.

٦ ـ يجوز للزوج أن يأخذ بدل الخلع من زوجته التي خالعها ما دامت راضية بذلك ولم يكرهها على دفعه له بالمضايقة والإيذاء ■

* خبير الموسوعة الفقهية في وزارة الأوقاف الكويتية

بصائر دعوية

سلسلة البصائر - ١

(هذا بصائر من ربكم وهدى ورحمة لقوم يؤمنون) ٢٠٣ . الأعراف

هذه سلسلة أحاديث تتناول بصائر دعوية عديدة من جوانب متنوعة، آمل أن تفتح لها القلوب قبل الأسماع، وأن تأخذ حقها من قراءتها والاستماع إليها، والتفكر والتدبر في أمرها، وأن يحرص على التمثل بها، والإفادة منها في دعوتنا إلى هذا الدين العظيم، لنكون جميعاً من الدعاة إليه على بصيرة. كما أراد الله ورسوله.

فإنه كلما كانت الدعوة إلى أمر عظيم، عظمت الحاجة إلى البصيرة فيها، وإلى الإحسان في مناهجها وأساليبها ووسائلها.

وهل هناك شيء أعظم من الدعوة إلى الله، وهل هناك شيء أحسن من أن يُلحق المؤمن بركب الأنبياء والمرسلين، وقوافل الدعاة والمصلحين!!.

(ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين) فصلت:٣٣.

على الداعية إذا لاحظ فشلاً في دعوته وإخفاقاً في أسلوبه ووسيلته عليه أن يراجع نفسه ويحاسبها في تقواها وإخلاصها لله

ولما كانت الدعوة إلى الإسلام تعني: (الدعوة إلى اعتناقه عقيدة، وشريعة، ونظام حياة، وذلك على جميع المستويات، وفي مختلف الميادين) وليست كما يتوهمها البعض: دعوة جزئية أو جانبية، تدعو إلى فضيلة خاصة، أو خلق

معين، كما أنها ليست قاصرة على مجرد انتساب المرء إلى جمعية من الجمعيات، أو جماعة من الجماعات.

ولما كان مفهوم البصائر الدعوية أشمل من أن يكون قاصراً على بصائر في منهج أو أسلوب أو وسيلة.

اخترت أن أجعل حديثي عن «البصائر الدعوية» متناولاً جوانب عديدة من هذه البصائر، من ذلك:

١ - بصائر في جانب العقيدة.

٢ - بصائر في جانب العبادة.

٣ - بصائر في جانب أصول الدعوة ومصادرها.

٤ - بصائر في جانب منهج الدعوة وأسلوبها.

٥ - بصائر في جانب وسائل الدعوة.

٦ - بصائر في جانب معالجة العقبات والمشكلات في طريق الدعوة.



بقلم :
د. محمد البيانوني ❖

كلما كانت الدعوة إلى أمر عظيم عظمت الحاجة إلى البصيرة فيها وإلى الإحسان في مناهجها وأساليبها ووسائلها

وإن هذه البصائر لا تكون بصائر بالمعنى الصحيح، إلا إذا كانت مأخوذة ومستوحاة من كتاب الله عز وجل، وسنة وسيرة رسوله - صلى الله عليه وسلم - ومنسجمة مع سيرة الخلفاء الراشدين الهادين المهديين، والعلماء العاملين، والدعاة الربانيين الذين أُمرنا باتباع سنتهم والاقتداء بهديهم.

كما أنها لا تكون كذلك إلا بقدر التفهم للواقع الذي تُراد فيه الدعوة إلى الله، والتبصر بأحوال المدعوين لهذا الإسلام.. وإلا كانت الدعوة دخولاً إلى البيت من غير بابه! ووضعاً للشيء في غير نصابه، فيسيء الداعي من حيث يريد الإحسان، وينفر من دعوته من حيث يريد الدعوة إليها، والتحبيب بها!!

لهذا كله: كان لابد للداعية إلى الله على بصيرة: من بصيرة واسعة في أمر دينه ودعوته أولاً، ومعرفة دقيقة بواقعه وواقع المدعوين من حوله ثانياً.

كما لابد لنجاح الدعوة وقبولها عند الله من تحقق شرطين أساسيين هما:

١ - الإخلاص لله في الدعوة، وتقوى الله فيها.

٢ - السداد والصواب في منهجها وأسلوبها.

فهذان الشرطان لابد منهما معاً لنجاح الدعوة من جهة، ولقبولها عند الله من جهة أخرى، وذلك على وجه يستحق صاحبها فيه رحمة الله ورضاه، وغفران ذنوبه.

كما يستحق أن تصلح أعماله، وتُثمر جهوده... مصداقاً لقول الله عز وجل: (يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً. يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً) الأحزاب: ٧٠-٧١.

إن على الداعية إذا لاحظ فشلاً في دعوته، وإخفاقاً في أسلوبه ووسيلته، ورأى انصراف الناس عنه وعدم قبولهم منه.

عليه قبل كل شيء: أن يراجع نفسه ويحاسبها في تقواها وإخلاصها لله من جهة، وأن يُعيد النظر في منهجه وأسلوبه ووسيلته من جهة أخرى، ليتيقن من مدى الصواب والسداد فيها، قبل أن ييأس من الناس ويوجه التهمة إليهم، أو يحكم عليهم... قال تعالى: (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفوا عن كثير) الشورى: ٣٠.

وروي أن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - جاءه البشير يوماً بالنصر على الأعداء، فسأله عمر: كم لبثتم أمام الأعداء؟ فقال البشير: من غداة إلى عشية، فبكى عمر، واستغرب المبشر بكاءه، وقال: أبشرك بالنصر وتبكي!؟ فأجابه عمر: لا يقف الكفر أمام الإيمان من غداة إلى عشية إلا بذنب أحدثتموه أنتم أو أنا!.

فأين هذا الموقف من موقف كثير من الدعاة اليوم، الذين قد لا يجدون تعليلاً لانهزامهم وفشلهم في مواقف دعوية، إلا في كثرة أعدائهم ومكرهم بهم!!.

نسأل الله عز وجل أن يُبصرنا في ديننا ودعوتنا، وأن يقينا شر نفوسنا، وأن يرزقنا السداد والإخلاص في القول والعمل، إنه سميع مجيب ■

❖ الأستاذ المساعد بقسم الفقه والأصول بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية في جامعة الكويت

2 / 2

بقلم : د. حسن عزوزي

ملخص الحلقة الأولى :

استعرض الكاتب في الحلقة الماضية منهجين من مناهج الدراسات الإستشراقية المعاصرة، الأول منهج التشكيك في ما هو قطعي، والثاني إهمال المصادر القرآنية الأصلية والاحتفاء بدراسات المستشرقين.

وفي هذه الحلقة يكمل الكاتب شرح باقي المناهج.



الدراسات القرآنية في مناهج البحث الاستشراقي المعاصرة

ثالثاً: منهج الأثر والتأثر

هذا المنهج يعني الأخذ بالنزعة التأثيرية وهي نزعة دراسية يأخذ بها معظم المستشرقين الذين اعتادوا ردَّ كل عناصر منظومة الإسلام بعد تجزئتها إلى اليهودية والنصرانية.

لقد كان المستشرقون القدامى أكثر اهتماماً بهذه النزعة في كتاباتهم حتى إن أحدهم «اليهودي أبراهام غايغر أصدر العام ١٨٣٣ كتاباً يحمل عنواناً مثيراً هو: «ماذا أخذ القرآن عن اليهودية»(١) وقد كان هذا الكتاب إيذاناً ببداية حقبة جديدة في البحث الاستشراقي تهدف إلى التنقيب عن كل ما قد يبدو للمستشرقين في القرآن منقولاً ومستقى من اليهودية، وقد أقبلت أبحاث هؤلاء تفكك وتقطع مضامين القرآن الكريم لتردها إلى عناصر توراتية ـ يهودية مزعومة.

ومما لا شك فيه، أن الأحكام التعسفية المرتبطة بهذا المنهج تكون حاضرة في كتابات المستشرقين كلما وُجِد تشابه بين الموضوعات القرآنية والموضوعات المبثوثة في الإنجيل أو التوراة، وهكذا يكون القصص القرآني مأخوذاً ـ في زعمهم ـ عن القصص اليهودي والنصراني، وتكون كثير من الأسماء الواردة في القرآن ذات أصل عبراني مثلاً حتى إن أحدهم وهو المستشرق الفرنسي اليهودي أندري شوراكي قد أصدر منذ ثماني سنوات ترجمة لمعاني القرآن لفظها المستشرقون قبل غيرهم من المسلمين، وقد احتفظ فيها بالأصول العربية لبعض الألفاظ من غير ترجمة إمعاناً في بيان أصلها العبراني كما يزعم.(٢)

إن المنهج العدواني الذي يجعل القرآن متأثراً ومقتبساً من التوراة والإنجيل ينفي بطبيعة الحال كل أصالة للدين الإسلامي ولربانية المصدر القرآني، والمستشرقون عندما يطبقون هذا المنهج على القرآن فإنهم يُرجعون أسسه ومبادئه ومضامينه إلى أصول يهودية ونصرانية، ولا يكاد ينجو من التأثر بهذا المنهج أي صنف من المستشرقين، سواء أكانوا قدامى أم معاصرين، فإن كان الباحث يهودياً غلبت نزعة التأثير اليهودي، وإن كان نصرانياً هيمنت نزعة التأثير النصراني.

فهذا المستشرق المجري إنياس جولدزيهر يقول بشيء من التحايل والدهاء، وهو يحاول النفاذ إلى القرآن بحثاً عن عناصر أجنبية يشده بها إلى أصولها المدَّعاة: «القرآن

مصدِّق لما سبقه من الرسالات الدينية، وقد استصفى منها بعد فترة من الرسل ما هو من جوهر الدين»، ثم يحاول أن يعتسف من الأدلة ما يعزز دعواه فيقول: «شعيرة الصلاة التي كانت بصورتها الأولى من قيام وقراءة وبما فيها من ركوع وسجود وبما يسبقها من وضوء تتصل بالمسيحية الشرقية. والصوم الذي جعل أولاً في يوم عاشوراء محاكاة للصوم اليهودي الأكبر، وفيما يتعلق بشعائر الحج التي نظَّمها الإسلام أو بالأحرى احتفظ بها من بين تقاليد العرب الوثنية جعل محمد - ﷺ - أهمية كبرى لنية التقوى التي يجب أن تصحب هذه الشعيرة حين يقول: (لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم)»(الحج:٣٧)

وهكذا يكون القرآن في نظر هذا المستشرق وغيره من زملائه اليهود قد تأثر بأفكار يهودية تسربت إليه وتضمن مصطلحات وشعائر دينية يهودية اقتبست من التوراة. كما أن قصص الأنبياء وأسماءهم إنما أخذت عن اليهود، إنهم يريدون أن يلجأوا إلى هذا المنهج الخطير الذي يزعم تأثر القرآن بغيره من الكتب السماوية لكي ينفوا ربانية المصدر القرآني، ولكي يثبتوا اختراق النصرانية واليهودية على وجه الخصوص للقرآن وتعاليمه.

إن تشبع المستشرقين بمنهج الأثر والتأثر راجع إلى كون هذا المنهج قد طُبِّق بصورة صارمة في بيئتهم، ذلك أن النهضة الأوروبية قد تأسست على الحضارة اليونانية التي تعتبر الميراث القديم للفكر الغربي، وهكذا كلما أُنشئ مذهب فكري وديني جديد إلا وَوُجِد له نظير في الحضارة اليونانية القديمة، ومن خلال هذا تم تطبيق هذا المنهج على كل معطيات التراث الإسلامي ومنها حقل القرآنيات، وذلك من غير اكتراث بخصوصيات وأصالة التراث الإسلامي ذي الأصول والأسس الواضحة المؤسسة على معايير دينية أصيلة مستمدة مباشرة من الوحي الإلهي المنزَّل على محمد ﷺ.

رابعاً: المنهج الافتراضي

إذا كان المستشرقون في منهجهم التشكيكي في الوقائع القطعية يشككون فيما هو أدنى إلى الصدق فإنهم في أخذهم بالمنهج الافتراضي يصدقون ما هو أدنى وأقرب إلى الكذب. ولعل أبرز حقل قرآني



● اليهود يزعمون أن القرآن تأثر بغيره من الكتب السماوية

مارس فيه القوم هذا المنهج هو ما تعلق بترتيب الآيات والسور في القرآن، حيث نجد معظم المستشرقين المعاصرين، قد أبدوا في مسألة ترتيب الآيات على وجه الخصوص موقفاً مخالفاً لما هو مقرر لدى المسلمين من كون ترتيب الآيات أمراً توقيفياً لا خلاف فيه، فهم إذاً - وانطلاقاً من منهجهم التاريخي الذي يفترض ترتيباً منطقياً يقبله العقل البشري - حاولوا افتراض ترتيبات جديدة يحكمها الهوى المجرَّد، وهذا الترتيب الجديد الذي قادهم إليه سلوكهم للمنهج التاريخي قد علَّق عليه المستشرقون أخطر النتائج في حقل القرآنيات واتخذوه أكبر مدخل للطعن في صحة القرآن وتضارب أحكامه وخضوعه إلى الظروف الزمانية والمكانية، فالمستشرق الإنكليزي أرثر جفري يأتي مثلاً بفرضية حول سورة الجن فيقول: «إن الآيات الخاتمة للسورة تختلف كثيراً في الشكل والأسلوب وتظهر وكأنها قطعة غريبة وضعها جامعوا القرآن أو كتبته»(٤).

وهذا رودويل الذي انطلق من كون الآيات التي نزلت مع أول الوحي كانت تتسم بالقِصر حاول أن تضع على أساسها ترتيباً جديداً للسور المختلفة فنراه مثلاً يعلق على سورة «الملك» بقوله: «من الواضح أن الآيات من ٨ إلى ١١ قد نزلت متأخرة عن بقية السورة ثم ألحقت بها لأن كلاً منها أطول بكثير من بقية آيات السورة».(٥)

وفي دراسة للمستشرق الفرنسي كلود جيليو الأستاذ في جامعة إكس آن بروفانس حول الآية الأولى من سورة الإسراء(٦) حاول الرجل أن يبرهن أن الآية الأولى المتعلقة بمعجزة الإسراء قد جاءت منفكة ومعزولة عن بقية الآيات، فهي تنتهي بفاصلة مخالفة لتلك السائدة في باقي آيات السورة، كما أن الحديث ينتقل بصورة مفاجئة إلى موضوعات أخرى لا علاقة لها بحدَث الإسراء. ويحاول المستشرق الفرنسي أن يعزز افتراءه بما سبق أن ذكره بعض المستشرقين السابقين مثل نولدكه في كتابه «تاريخ القرآن» الذي رجع بدوره إلى ما سبق أن أورده سلفه فايل فيقول بكل وقاحة: «قد تكون هذه الآية مختلقة بعد وفاة محمد - ﷺ - وأدرجت في القرآن في خلافة أبي بكر، لأنه من المستحيل أن يكون محمد - ﷺ - قد ادَّعى الإسراء به إلى بيت المقدس، ما دام كان يصرح دوماً أنه مجرد بشير ونذير وليس صانع معجزات»(٧).

إننا لسنا بحاجة في هذا المقام للرد على هؤلاء المغرضين بالقول إن هذه الآيات التي

نعتوها بالدمج المتأخر قد جاءت مترابطة بدرجة كبيرة وعلى أسس في بلاغية فائقة مع الآيات السابقة لها والتي تأتي بعدها وهو ما بيَّنه المفسرون في أثناء حديثهم عن تناسب مطلع سورة الإسراء لما بعدها(٨)، والحديث عن صنعة «الالتفات» الحاصلة بين الآية الأولى «صيغة الغيبة والآيات التي بعدها «صيغة الحضور» ما استغربه كلود جيليو في بحثه الآنف الذكر، ويكفي للرد على افتراضاتهم القول: إنه إذا كانت تلك الآيات لم تنزل في الوقت نفسه الذي أنزلت فيه بقية السورة، فما ذلك إلا دليل صريح على أن ما جاء في المصحف من ترتيب للآيات على غير الترتيب التنزيلي إنما هو من عند الله الحكيم الخبير وكفى.

إنه مما لا شك فيه أن طريقة المستشرقين في ترتيب الآيات ترتيباً زمنياً يتم عن تعسُّف في إطلاق الأحكام واتباع الهوى وحب الافتراض والتخمين، وفي ذلك تجاهل لقيمة الرواية الصحيحة التي تعتبر الطريقة الوحيدة في ترتيب القرآن ترتيباً دقيقاً وحكيماً، والجدير بالإشارة أن بعض المستشرقين المعاصرين قد وصلوا إلى نتيجة مفادها استحالة هذا الترتيب وعدم تحقيقه لنتيجة مرضية، ولهذا اقتنع نولدكه في آخر حياته بهذا الأمر حين سُئل مرة إن كان يشعر بالندم لأنه لم يُمض تلك العقود من السنين في دراسة تعود بالفائدة على الجنس البشري كالطب والكيمياء أو أي فرع آخر غير الدين واللغات والفلسفة؟ فأجاب بقوله: «إذا كان من ندم فلأنني درست علوماً لم أظفر منها في النهاية بنتائج قاطعة وحاسمة». وجاء بعد نولدكه ريجس بلاشير الذي كان قد ترجم معاني القرآن وفق ترتيب نزولي للسور ثم تراجع في ذلك لدى إعادة طبع الترجمة.

ونختم حديثنا عن المنهج الافتراضي لدى القوم بذكر مثال مثير للغرابة، فالمستشرق الإنكليزي المعاصر منتغمري وات وقف عند أمر القرآن للمؤمنين بالاستئذان قبل الدخول لبيوت غير بيوتهم(٩)، فلم يجد تفسيراً لذلك إلا أن يقول إن ذلك دليل على انحطاط في مستوى الأخلاق كان النبي - ﷺ - بحاجة إلى السمو به في نفوس أصحابه.(١٠)، فمن أين أتى الرجل بهذا الافتراض والاستنتاج؟ وهل هذا يعني أن الأخلاق لو كانت غير منحطة فهل ذلك يسمح بولوج بيوت الآخرين من غير استئذان؟

خامساً: المنهج الإسقاطي:

تفسير الوقائع والنصوص بالإسقاط أمر دأب المستشرقون على توظيفه في أبحاثهم القرآنية، ونعني بالمنهج الإسقاطي إسقاط الواقع المعاش على الحوادث والوقائع التاريخية. وهكذا يتم تفسير تلك الوقائع وفق المشاعر الإنسانية الخاصة والانطباعات التي تتركها بيئة ثقافية معينة، فالمستشرق الباحث عندما يضع في ذهنه صورة معينة يحاول إسقاطها على صور ووقائع معينة يُخضعها إلى ما ارتضته مخيلته وانطباعاته.

ومن أمثلة المنهج الإسقاطي لدى المستشرقين ما أورده بلاشير في سياق البحث عن أسباب عدم جمع القرآن في مصحف في عهد النبي - ﷺ - من أنه عليه الصلاة والسلام وأصحابه كانوا يميلون إلى ترك الأمور على ما هي عليه لأن العرب في جملتهم لا يفكرون إلا في الحاضر ولا يهمهم المستقبل. وهذا الميل يقف وراء عزوف المسلمين عن جمع القرآن في عهده ﷺ.(١١)

ولا شك أن هذا التفسير الإسقاطي الفاسد لا يستند إلى أدنى دليل علمي أو منطق عقلي، فهو منهج يخضع لهوى المستشرق وأحكامه المسبقة ما تنتج منه أحكام تعسفية وجائرة. إذ من المعلوم أن الرسول - ﷺ - كان يحض أصحابه على حفظ القرآن وكتابته خوفاً عليه من الضياع، وقد بلغ الحرص على كتابته وتدوينه في مختلف الوسائل التي كانت متاحة وقتئذ أن نهى أصحابه أول الأمر من كتابة الحديث حتى لا يختلط بالقرآن، كما أنه - عليه الصلاة والسلام - كان يستدعي كتبته الذين فاق عددهم الأربعين ويأمرهم بكتابة جميع ما ينزل عليه من القرآن ويشير إلى مواضع الآيات من السور. وهو ما يشير إليه حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه: «كنا عند رسول الله - ﷺ - نؤلف القرآن من الرقاع(١٢)، فكل هذا يدل على أن الرسول - عليه الصلاة والسلام - وصحابته كانوا يفكرون في حفظ القرآن مدوَّنا ومكتوباً لمن يأتي بعدهم، غير أن جَمعُه في مصحف لم يكن ممكناً آنئذ، لأنه - عليه الصلاة والسلام - كان ينزل عليه القرآن منجَّماً طيلة ثلاث وعشرين سنة فكان يترقب كل مدة ورود زيادة أو نسخ لبعض الأحكام أو التلاوة.

ومن أمثلة هذا المنهج الإسقاطي أيضاً ما ذهب إليه بعضهم من أن تمايز أسلوب القرآن المكي عن الأسلوب المدني يرجع إلى بيئة قريش المنحطَّة وبيئة المدينة المتقدمة والمتحضِّرة، فإذا كانت الآيات المكية قصيرة فلأن معظم أهالي مكة أميون جاهلون وأجلاف، وإذا كانت الآيات المدنية طويلة وواضحة فلأن البيئة المدنية مثقفة واعية ومتأثرة بالنفوذ اليهودي المهيمن بها.

لا شك أن هدف المستشرقين من هذا الكلام الذي يرمي إلى إثبات دعوى تأثر القرآن وأسلوبه بالبيئة التي نزل فيها هو القول: إن القرآن من كلام محمد - ﷺ - لا كلام الله تعالى، ويتجاهل المغالطون من المستشرقين الذين يعلمون جيداً مراحل تطور الدعوة الإسلامية من مكة إلى المدينة أن خطاب أهل المدينة لا يمكن أن يكون مماثلاً لخطاب أهل مكة، فتأسيس الدولة الإسلامية في المدينة في ظل بيئة جديدة قد أصبح يستدعي التفصيل في التشريع وبناء المجتمع الجديد، فلا غَرو إذاً أن يطنب القرآن بعدما كان يوجز، ويفصِّل بعدما كان يُجمل. أما في مكة فقد كانت الآيات التي تنزل تشتد في تسفيه أحلام المشركين ومقارعتهم بالحجج وتحديهم. فالأمر كان يتعلق بتأسيس أسس العقيدة الصحيحة وتدمير معالم العقائد الوثنية السائدة. فطبيعة الأسلوب القرآني قد اختلف من مكة إلى المدينة نظراً لمراعاة حال وتدرج الدعوة وليس في ذلك أدنى مراعاة لمدى تحضر أو تخلف الأقوام المخاطبين كما رمى إلى ذلك زمرة المغالطين والمغرضين من المستشرقين.

سادساً: التركيز على المرحلة التأسيسية للحقل القرآني بهدف تدمير الثقة في مقوماتها ورموزها:

إن من أبرز ما تميز به الاستشراق المعاصر عن الاستشراق القديم اهتمامه بشكل دقيق ومفصَّل بالمرحلة التأسيسية للعلوم القرآنية وعلى رأسها علم التفسير. فبعد الاهتمام البليغ بمراحل جمع القرآن وتكوين مصحف إمام، أخذ الاهتمام الاستشراقي يتوجه إلى بحث البدايات الأولى لظهور علم التفسير مع جيلي الصحابة والتابعين، ويبدو الهدف الرئيس من كل ذلك تحطيم أسس العلوم القرآنية وركائزها المتمثلة في المرويات والمأثورات المتصلة بالصحابة والتابعين قصد الخلوص إلى

نتيجة مفادها أن التراث التفسيري لم يُدون إلا في مرحلة متأخرة عن العصور الأولى. وقد نهج المستشرقون في كل ذلك طرائق عدة تمثلت التشكيك في الروايات الصحيحة والتقليل من أهمية ومكانة رموز علم التفسير كابن عباس ومجاهد ورواد الجمع القرآني كزيد بن ثابت وأبي بكر وعثمان - رضي الله عنهم جميعاً. لقد تبيَّن لهؤلاء المستشرقين أن العلوم الإسلامية وعلى رأسها العلوم القرآنية قد استوت معالمها ومرتكزاتها على أساس وبناء صرح المرحلة التأسيسية في عهد الصحابة والتابعين.

من أجل ذلك تفتقت أذهان القوم على التفكير في إعادة بحث ودراسة تلك المرحلة بصورة تهدف إلى قلب الحقائق المقطوع بها وتضعيف الروايات الصحيحة وليِّ أعناق النصوص المرفوعة وتعمُّد التحريف والخطأ، إلى غير ذلك من الطرق والمناهج التي استنفروا أجداها في إصابة المسلَّمات وأكثرها تحقيقاً لأهدافهم.

أما فيما يتعلق بجمع القرآن، فإن المستشرقين المعاصرين لم يتركوا مرحلة من مراحله الثلاث إلا ونسجوا حولها سياجاً من الافتراءات والشبهات، فالرسول - ﷺ - لم يجمع القرآن في مصحف لأنه لم يكن يفكر سوى في الحاضر ولأنه أيضاً كان يتوقع قرب قيام الساعة(١٣)، فلا داعي إذاً لجمعه، وزيد بن ثابت - رضي الله عنه - لم يكن ذلكم الرجل المؤهل والموثوق بأمانته في مهمة جمع القرآن في عهد أبي بكر - رضي الله عنه - ومصاحف الصحابة الخاصة التي انفردوا فيها بقراءات شاذة كانت أكبر دليل على عدم تواترية القرآن وموثوقيته إلى غير ذلك من الشبهات.

أما في علم التفسير فابن عباس - رضي الله عنهما - كان شخصية أسطورية حسب عنوان بحث نشره الفرنسي كلود جيليو(١٤) Lepartrait mythigve dibn abbos.

ويبدو أن الرجل قد تأثر بما سبق أن أفكه سبرنجر في أواسط القرن التاسع عشر من أن ابن عباس - رضي الله عنهما - كان كاذباً، وأن معظم الروايات التي تتصل به متناقضة ومكذوبة، ولم يجد جيليو ما يعزز به كلامه سوى الرجوع إلى ما أُثر عن بعض الصحابة والتابعين من أقوال تدل على تورعهم وامتناعهم من الخوض في التفسير، وكأن المستشرق الفرنسي أمام هذا العزوف عن القول في التفسير الذي أبداه بعض رجال السلف ممن خَشُوا القول بالرأي في التفسير استرعاه الكم الهائل من المرويات والمأثورات - وقد وصفها بالعدد الذي لا يُحصى، التي تسند إلى حَبر الأمة الذي دعا له الرسول - ﷺ - بقوله: «اللهم فقهه في الدين وعلِّمه التأويل»، ولم يكن في وُسع الرجل ولا في مقدوره أن يعي جيداً بركة هذا الدعاء النبوي، كما أنه تجاهل معايير وموازين النقد الحديثي للمرويات التي كانت تفرض على العلماء والنقاد قبل ما كان صحيحاً واستبعاد ما كان ضعيفاً أو مختلقاً.

لقد حاول الرجل أن يبرهن أيضاً على أن نمو وتكاثر الأحاديث والمرويات المنسوبة إلى ابن عباس كان الهدف منه إعطاء سند مرجعي موثوق لتلك الأحاديث التي كانت تخدم أغراض المذاهب السياسية والفقهية وغيرها. ويمكن القول: إن افتراءات المستشرق الفرنسي في حق ابن عباس - رضي الله عنهما - كأكبر رموز علم التفسير هي الافتراءات نفسها التي أيّدها جولد زيهر(١٥) وشاخت(١٦)، فيما قيل في حق أبي هريرة - رضي الله عنه - كأكبر رواة الحديث، فإذا كان هذان المستشرقان قد تضافرت جهودهما من أجل العمل على تدمير الثقة في رواية الإسلام فإن ذلكم المستشرق الفرنسي قد ولى وجهته نحو ميدان علم التفسير ووضع نصب عينيه مهمة توهين الثقة في ترجمان القرآن ابن عباس - رضي الله عنهما - وتحطيم الاعتقاد السائد لدى المسلمين بريادة ابن عباس وغيره من كبار الصحابة والتابعين في وضع أسس علم التفسير. ولا شك أن الرد على هذا المستشرق فيما افتراه على ابن عباس في مجال علم التفسير وما ادعاه مما لا أساس له من الصحة يحتاج إلى وقفات طويلة للرد على ما ضمَّنه أطروحته للدكتوراة حول تفسير ابن جرير الطبري(١٧)، وبحثين له حول ابن عباس والبدايات الأولى لظهور علم التفسير. وهو ما نعد بحول الله القيام به مستقبلاً.

هكذا إذاً يتبين لنا عقم المناهج الاستشراقية في دراسة القرآن الكريم وعلومه، لأنها مناهج تعالج الظواهر والوقائع وفق منظور مادي عقلي محض، وهذا ما لا يتناسب ودراسة القرآن الكريم التي لا تخضع لمنهج التجربة ولا يمكن أن تُطوَّع لأحكام العقل، وإذا كان علماء الأديان الغربيون قد درسوا التوراة والأناجيل وفق تلك المناهج المادية في إطار من الدراسات الدينية المقارنة، فإن أمر القرآن الكريم يختلف عن ذلك، فهو وحي إلهي لم تمسّه تحريفات الإنسان أو تغييرات الزمان، لذلك وجب على من يدرسه ويحلل قضاياه أن يدرسه بعقلية تؤمن بالغيب وما يترتب عن ذلك. وليس من المتاح لفئات المستشرقين قدامى كانوا أو معاصرين التخلّص من خلفياتهم الفكرية التي نسجتها بيئات معينة وظروف خاصة ولا مِنْ رؤاهم المادية والتغريبية التي أملتها في البحث والتحليل.

* كاتب مغربي

الهوامش:

١ - Abrahm Geijer: was hat muhammad ous dem Judentum aufgenammen Bann 1833.

٢ - Le goron, L'appel, trad de André choowraqin, ed Raloert Laffout - peris 1991.

٣ - جولدزيهر، العقيدة والشريعة في الإسلام، ترجمة محمد يوسف موسى وزميليه ص١٧.

٤ - Arthur Jeffery: the koran: Selected Swas Translated Heirege, new york 1982 p15.

٥ - Rodwell: the Koran. Loudon 1909 p69.

٦ - Clande Crilliat: Coran: Isra', 1ds lerechercle Occideugole in: ge vayageinitiatique enterre dIslam (owrrage collectif) Peaters, Louvoin = paris 1996 p9.

٧ - Gescichte des corans: 1-134 (cité Gilliot,ilon'd)

٨ - انظر على سبيل المثال ما أورده الرازي في تفسيره ٢٠/١٥٤ «طبعة دار الفكر ١٩٨١م» من حديث عن بلاغة الالتفات الحاصلة بين الآية الأولى وبقية الآيات.

٩ - سورة النور الآيات: ٢٧ - ٢٨ - ٢٩.

١٠ - وات: محمد في مكة ص ٤٣٠.

١١ - Blachére: opcit p16.

١٢ - الإتقان للسيوطي ١٦٤/١.

١٢ - هذه نظرية أوهى من بيت العنكبوت نسجها المستشرق الفرنسي كازانوفا في كتاب مثير حمل عنوانه «محمد ونهاية العالم» وقد ردَّ عليه كثير من المستشرقين أمثال بلاشير، ويعتبر المستشرق الفرنسي المسلم ناصر الدين دينيه أبرز من تصدى لنظرية كازانوفا في كتابه «الشرق في نظر الغرب».

١٣ - Arabica, no32 (1985) p62 - 67.

١٤ - Goldzihar: Mohammedanice Studien (1889) p161.

١٥ - J. Schacht: Introdnction au dint mnsnlman

١٦ - C.Gilliat: Exegése, langue et théologie en Islam. Léafese corsmiqua de Tabari, paris 1990.

١٧ - C. Gilliat: les débuts de l'euélés coraniqee in Rem MM no 58/1990.

قضايا فكرية

بقلم : محمود محمد درويش

منهج التفكير العلماني

العلمانية، اللادينية، أحدوثة العصر، وفتنة الأمصار العربية والإسلامية المعاصرة، ومهما تعددت الرؤى والأفكار حول هذه الظاهرة يبقى السؤال الملحّ الذي لم أجد إجابة عليه من وراء هذه الأحدوثة، ما طبقه المنهج الفكري الذي يسمي هذه المدرسة، ويرسم لها ملامحها الخاصة من ثنايا أبحاثها وتطوراتها في الكون والحياة الإنسانية.

لا ريب أن هذا المنهج ذو طبيعة زئبقية كما هي أفكاره ومسلّماته لا يثبت أن ينتقل بها من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار، تماشياً مع الأهواء، والتقلبات السياسية والاجتماعية التي عبرت بهذه الأمة ومن ثم يصعب على الباحث تلمس سمات أساسية يتصف بها هذا المنهج، إلا من بعض الثوابت التي لا يغفل عنها الباحث، حيث تبقى تلك الثوابت قسمات لابد منها في تمييز هذا المنهج من التفكير. أما إذا أجلنا النظر في باقي الأفكار والمسلمات الفكرية لدى هذا المنهج، وجدناها تفر من يدي الباحث من ميدان بحث لآخر، حيث طبيعتها الزئبقية كما قلنا تند عن التقعيد!.



● الفكر العلماني مرفوض لدى جماهير الصحوة الإسلامية

الثوابت العلمانية هدنة على دخن وجماعة على أقذاء

١ ـ العداء لدين الأمة :

تمثل الشريعة الإسلامية وعقائدها ، العدو الأول في منهج التفكير العلماني ومهما تنصل العلمانيون من هذا الاتهام، فأقوالهم وتصريحاتهم تكشف وتدل على هذا الاتهام، وكيفما فُسرت أقوالهم في شرع الله ودينه وعقائده، لا تجد مناصاً من القول: إن أصحاب هذا الاتجاه لا يوفرون مقولة أو كلمة تظهر إلا ويبادرون باستغلالها لضرب شريعة الله ورميها بكل أنواع القصور والعبث بمسلماتها لتطابق تصوراتهم العليلة ولا يعوزنا الدليل، فجل الصحف والمجلات العربية القائمة الآن هي منابر صداحة تعلن عقوقها لهذا الدين بطرف كل لسان جلي وخفي وكيفما كانت طبيعة البحث الذي يدور، فالسهام كلها في اتجاه واحد صوب هذا الدين ومن يمثلونه وحتى من ينتصر له من الذين لا يعتنقونه!!

٢ ـ العداء للأمة :

ربما يكون العداء لهذه الأمة هو الظاهرة الأشد غموضاً لدى أبناء هذه الأمة، كيف لا، وهم يصيخون السمع ليل نهار إلى أبواق العلمانية.. تصم آذانهم بالشعارات الجوفاء وأحياناً الخرقاء التي تقول بفدائها لهذه الأمة وخدمتها وبذل الجهود لرفعتها والذود عن حياضها ضد أعدائها!.

بينما هذه الشعارات تخفي وراءها كيد الثعالب ولؤم الذئاب، ونظرة متفحصة للمواقف العلمانية على مدى ظهورة في مطلع هذا القرن المشؤوم، نرى أحدوثة العلمانية بتكويناتها الحزبية والاجتماعية والفكرية كافة، هي الظهير والنصير لكل أجنبي حاقد وهي المساند الأقوى لكل القوى الإمبريالية على حد قولهم ـ التي ظهرت في أفق الوطن العربي والإسلامي.

ولا تنقصنا الشواهد والدلائل. فارتباطات هذه القوى العلمانية مع أعداء هذه الأمة مكشوفة للداني والقاصي، والدعم الذي تقدمه لهم المؤسسات الغربية وحكوماتها ، سودت فيها الجرائد والمجلات.

٣ - العداء لتاريخ الأمة «الماضي .. الحاضر.. المستقبل» :

لو تتبعنا مسيرة المنهج العلماني منذ بدايات تطوره حتى نهايات آجاله، لوجدنا هذا الكم الهائل من الحجب القاتمة على تاريخ هذه الأمة، ونصاعته وفرادته في تاريخ الأمم، فماضي هذه الأمة انحطاط وحاضرها، مذلة، ومستقبلها مزيج من هذا وذاك!؟ هذه خلاصة التفكير العلماني لتاريخ هذه الأمة إذ الماضي لديها حثالة تاريخ الأمم قاطبة. وحاضرها كنف للذل والمهانة اجتمعا في شخصية الأمة ومستقبلها يسيران باتجاه الانقراض والنهاية!

وهل في ذلك من عجب؟ لا أظن ذلك، فأمة صوِّرت للشعوب بأقلام ملؤها الحقد والسموم والعداء والكراهية للعرب والمسلمين لابد لها أن تكون كذلك، بل يجب أن تكون كذلك، حتى يجتمع وئام العلمانيين مع السادة الغربيين وحضارتهم.

كل شيء انقلب في ميزان التفكير العلماني الذي صُب في قوالب غربية مبرمجة، فالحسن في هذه الأمة أصبح قبيحاً والخيِّر فيها أصبح شريراً، والتحضُّر فيها بات تخلفاً، والتدين أصبح تعصباً، والحرية أصبحت وقاحة إلى آخر هذه المفارقات التي لا حصر لها في سلّم التفكير العلماني.

٤ - تقليدية التفكير العلماني «لا علمية التفكير العلماني» :

يُزكي التفكير العلماني نفسه عبر مجموعة من المصطلحات المبنية على الإيهام النفسي، قبل التفكير العلمي، الرؤية العلمية المستقبلية، التطور والتقدم ونحو هذه المصطلحات المستخدمة في غير موضعها الذي أنشئت عليه. بيد أن المهم في الأمر هو ذلك الاحتكار غير المبرر من طرف التفكير العلماني لهذه المصطلحات وإلصاقها وادعائها لنفسه دون التيارات الأخرى التي ينافسها ، هذا فضلاً عن رمي الآخرين بنقائض هذه المصطلحات، ظناً منه بأن ذلك يضمن له احتكارها دون الآخرين.. وهذه أولى النقائص التي تعتري منهج التفكير العلماني الذي يدَّعي العلمية، وها هو يُخلُّ بأول شرط من شروط العلمية التي تقول إن المصطلحات ليست حكراً على طرف دون آخر، وتفسيرها بالتالي لا يخضع للميول الحزبية أو الفكرية المتحيزة، بل يراعي فيها ما أنشئت له أصلاً، مع توخي الحذر من صبغتها من صبغة معينة، وبخاصة في حقل العلوم الإنسانية لأنها نسبية التناول عموماً، بيد أن التفكير العلماني القاصر غير مكترث بهذه الحقائق، ورغماً عنها تصبح له مطية سهلة توصله إلى أغراض وأهدافه، عبر غلاف علمي مدَّعٍ زائفٍ لا يملك برهاناً لنفسه.

لذلك نقول إن لا علمية التفكير العلماني أساسها هو الرفض المطلق للمنطق العلمي الذي لا يوافق إرادة التفكير العلماني حيث إن تقليدية هذا التفكير الأسير ضمن أيديولوجية ضيقة من التبعية والتقليد، تمنعه من الأخذ بالأطر العلمية الحقيقية دون الشعارات الزائفة التي يرددها كل حين أو بين حين والآخر، بل إننا نقول إن تقليدية هذا المنهج الفكري نابعة أساساً من عقم في طبيعة هذا التفكير الذي لا يولِّد إلا أفكاراً خدجاً لا تتناسب مع الطروحات العلمية السليمة التي تتوافق مع المنهج العلمي المحايد الذي لا يحابي أحداً وغير مؤسس أصلاً على الدعاوى دون البراهين والحجج. ■

قضايا فكرية

بقلم : عبدالعزيز الخطابي *

عولمة ؟ نعم شرط أن تكون على أسس عادلة

العولمة ليست صيغة مكروهة ومنفِّرة لذاتها بالنسبة للشعوب والأمم التي تحاول مقاومة طغيانها، ذلك أن العولمة كمفهوم بريء يعني التعاون والتشارك العالمين هي طموح كل البشرية، ولكن ما يراد لها أن تلبسه من أثواب ومفاهيم هو ما يبدو مخيفاً ومستفزاً للشعور بالخطر.

فمن المعلوم أن هذا المصطلح الذي ضجت به الأسماع وامتلأت بحروفه صفحات الجرائد والمجلات والكتب المتخصصة وتغنت به أصوات المحاضرين في الجامعات والندوات وحلقات النقاش، قد تم إطلاقه خلال العقد التسعيني الحالي وتحديداً بعد أن تناقلت وسائل الإعلام أخبار الانتحار المأساوي لعملاق الشرق السابق - الاتحاد السوفييتي - وأحد قطبي معادلة التوازن الدولي المعقدة التي كانت قائمة إبان النظام العالمي القديم، حيث قُدِّم مشروع العولمة كبديل وحيد لملء الفراغ الذي خلفه الانهيار المدوّي الذي تعرض له النظام السابق دون سابق إنذار.

عشر سنوات مرت من عمر النظام العالمي الجديد كافية لترسم ملامحه البشعة

وحتى قبل أن تترك فرصة للعالم كي يلتقط أنفاسه بعد هذه الفاجعة إن كان التعبير لائقاً ـ فقد بُدء على الفور بوضع هذه الصيغة الجديدة للنظام العالمي الأحادي القطب موضوع الاختبار العملي ـ وكشف منذ الوهلة الأولى عن الآلية التي ستتعامل بها القوى القائدة لمشروع العولمة مع المعطيات والإشكاليات المطروحة على الساحة الدولية وخصوصاً السياسية منها، وقدمت نماذج متوالية ومثالية عن هذه الآلية في طريقة تدخُّلها الفج الذي أقدمت عليه في أكثر من منطقة من العالم، بدءاً من تدخُّلها في الصراع بمنطقة القرن الأفريقي والذي انتهى بفضيحة عسكرية سياسية مزدوجة، ونهاية وليس انتهاء بالتدخل الأعنف والأقل رعونة الذي نفذته في البلقان والذي أسفر بدوره عن كارثة متعددة الوجوه ستظل المنطقة تدفع أقساط ثمنها إلى أمد لا يعلمه إلا الله.

يـجـب وضـع صياغـة جديـدة للعلاقـات الدولية عـلـى أسـس تـتـجـاوز أخطـاء الماضي البغيض

وبغض النظر عن المنطق الديماغوجي الذي سوغت تلك القوى من خلال شعاراته وتبريراته سياسة التدخل اللامحدود في شؤون وخصوصيات هذه الدولة أو تلك ممن أقحمت نفسها في مشكلاتها الخاصة، فقد بدا واضحاً من تمسكها وإصرارها على ممارسة هذه السياسة متخطية عن عمد كل ما تعارفت عليه دول العالم من احترام وحرص على سيادة واستقلال الكيانات القطرية السياسية، وتحريم أي مساس أو انتهاك لهذه السيادة والاستقلال إلا بموجب ضرورات قصوى حددها وشدد عليها القانون والمعاهدات الدولية... ... بدا واضحاً أن تلك القوى قد افتتحت فعلاً بهذه الممارسات عهداً جديداً في العلاقات الدولية قوامه وفحواه الاحتواء والهيمنة المطلقة على كل العالم وسبيلها إلى ذلك القوة العسكرية أولاً والتفوق الاقتصادي الساحق ثانياً... ولما كان قادة النظام العالمي الجديد يعلمون أن الذراع العسكرية الضاربة التي يملكونها قابلة للكسر أو على الأقل العطب حتى في المواجهة مع الشعوب الصغيرة، كما حدث في أكثر من سابقة تاريخية «فيتنام، الصومال، لبنان، ليبيا...» فقد أعطت للذراع الرديف... «القوة الاقتصادية» دوراً أكبر لتحقيق الأهداف السياسية والعسكرية التي تتضمنها مخططاتهم، ولعل برهان نجاح هذا الدور يتجلى في أقرب وأفضل مثال في تحجيم دور روسيا ولجم غضبها إبان الاعتداء الصاروخي والجوي الذي تعرضت له أراضي يوغسلافيا الحليف السابق «والجار الجنب» للاتحاد الروسي الذي ظلت قواته تلتزم الهدوء والصمت «المدفوع الثمن» وهي ترى أعداءها التقليديين السابقين يستعرضون عضلاتهم على مرمى حجر من قلب العاصمة «موسكو» في استفزاز مهين كادت تتشقق له قبور الموتى من الجنرالات الذين بنوا ترسانة البعبع الذي طالما أقض مضجع حكومات الغرب المنافسة، وكان يكفي في السابق أن تلوح مجرد التلويح باستخدام ذراعها حتى يبادر الآخرون إلى ترضيتها وتنفيذ شروطها فأصبحت اليوم مجرد دولة عاجزة تتلقى المساعدات الإنسانية وتتسول القروض من البنك الدولي وتقبض الرُشا من هنا وهناك.

إن ما يقرب من العشر سنوات مرت من عمر هذا النظام العالمي الجديد كانت كافية تماماً لترسم أمام العالم ملامحه الحقيقية البشعة، فهو أولاً نظام وضعته القوى نفسها التي كانت جزءاً من ثنائية العالم القديم بعد أن تخلصت من منافسها السابق وضمنته تصورها للسيطرة على المعمورة بشكل مباشر وبكل السبل دون أن تستثني السبيل العسكري، وهو ثانياً يعطي الحق لهذه القوى التي تشرف على إنشائه في أن تستعير صوت القانون والشرعية الدولية وتفرض رؤاها وتفسيراتها الخاصة لها بما يخدم مصالحها وسياستها الإمبريالية ما جمد أو بالأحرى قضى على أي دور فاعل للمؤسسات والتنظيمات الأممية التي يفترض بها أن تكون الممثل والمفسِّر الوحيد لنصوص ومفاهيم القانون والشرعية الدولية، وإذ يبدو أن نظاماً عالمياً يتأسس على مثل هذه المبادئ والقواعد الهشة التي لا تضع في حسابها المصالح والتطلعات المشروعة لكل دول العالم صغيرها قبل كبيرها، لا يمكنه الاستمرار إلى الأبد وفق تلك الشروط المرفوضة، فحتى الظرف التاريخي الراهن يسبغ على وجه هذا النظام مظهراً من القوة والثبات إلا أن انهياره مسألة محسومة معلقة على عامل الزمن، ليس إلا، فإن الجهود الدولية يجب أن تبذل منذ الآن لصياغة علاقات جديدة بين دول العالم على أسس وتواضعات تتجاوز أخطاء ومآسي الماضي البغيض الذي عانت البشرية ويلاته منذ الحرب العالمية الأولى وحتى الآن. حيث كان السبب في كل ذلك المنطق المختلل والرؤية الأحادية الجانب التي حاولت فرضها هذه القوة أو تلك على الآخرين، وليكن البدء في محاولة تطوير وزيادة فاعلية المنظمات والهيئات الدولية المنوط بها دور تنسيق وضبط العلاقات بين دول العالم، وذلك عن طريق إعادة توزيع الأدوار بين الشعوب والأمم في كل القارات بشكل أكثر عدالة ومساواة. ■

العولمة يراد لها أن تـتـلـبـس أثواب ومفاهيم مـخـيـفـة ومـسـتـفـزة للشعور بالخطر

* كاتب مغربي

أحكام

بقلم : د. أمل العلمي

قتل الرحمة هو ما يقابل المصطلح الفرنسي Euthanasie. ويعتري المصطلح الغربي هذا التباسات وغموض لأن مفهومه تغير عبر التاريخ والحقب من رعاية المريض المشرف على الهلاك بتهوين الموت عليه إلى مدلول معاكس تماماً وهو «قتل المريض» شفقة عليه أو خلاصاً منه من عبئه على ذويه أو على المجتمع!. فما موقف الشريعة الإسلامية يا ترى من هذه المسألة؟

قتل الرحمة في منظور الشريعة الإسلامية

استلهمنا هذا المبحث مما جاء مجموعاً من الآيات والأحاديث في كتب السنة العشر وكتاب التاج الجامع للأصول في أحاديث الرسول لشيخ الأزهر منصور على ناصف ـ رحمه الله، وفي كتاب فقه السنة للسيد سابق، فانتقينا منها ما يتعلق بموضوعنا ـ المحافظة على النفس، ندرس ذلك ضمن هذا المبحث. فكيف إذاً تحافظ الشريعة الإسلامية على النفس؟ إن الشريعة تضمن ذلك بتكريم الإنسان وصيانة حقه في الحياة وتحريم القتل، والترهيب من قتل النفس التي حرَّم الله إلا بالحق، وتحريم الانتحار، والترهيب من القيام به أو المساعدة عليه، وسنَّ عقوبة القصاص في القتل. وإليك تفصيل ذلك كله.

كرامة الإنسان

في صدد الحديث عن كرامة الإنسان يقول السيد سابق: «إن الله سبحانه كرَّم الإنسان: خلقه بيده، ونفخ فيه من روحه، وأسجد له ملائكته، وسخَّر له ما في السموات وما في الأرض جميعاً، وجعله خليفته، وزوّده بالقوى والمواهب ليسود الأرض، وليصل إلى أقصى ما قُدّر له من كمال ماديّ وارتقاء روحي.

ولا يمكن أن يحقق الإنسان أهدافه، ويبلغ غاياته إلا إذا توافرت له جميع عناصر النمو، وأخذ حقوقه كاملة. وفي طليعة هذه الحقوق التي ضمنها الإسلام: حق الحياة، وحق التملك، وحق صيانة العرض، وحق الحرية، وحق المساواة، وحق التعلم. وهذه الحقوق واجبة للإنسان من حيث هو إنسان بقطع النظر عن لونه، أو دينه، أو جنسه، أو وطنه، أو مركزه الاجتماعي» (المصدر نفسه). قال تعالى: (ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً) الإسراء:٧٠.

وقد خطب رسول الله ـ ﷺ ـ في حجة الوداع فقال: «أيها الناس، إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا. ألا هل بلّغت، اللهم فاشهد، كل المسلم على المسلم حرام: دمه وماله، وعرضه». حق الحياة: وفي مجال حق الحياة يقول السيد سابق مستشهداً بالكتاب والسنة ما يلي: «وأول هذه الحقوق وأولاها بالعناية حق الحياة، وهو حق مقدَّس لا يحل انتهاك حرمته ولا استباحة حماه».

يقول الله سبحانه: (ولاتقتلوا النفس التي حرَّم الله إلا بالحق) الإسراء:٣٣.

روى البيهقي عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال: «من أعان على دم امرئ مسلم بشطر كلمة، كُتب بين عينيه يوم القيامة: آيس من رحمة الله».

ويردف السيد سابق شرحه لموقف الإسلام بقوله: «ذلك أن القتل هدم لبناء أراده الله، وسلب لحياة المجني عليه، واعتداء على عصبته الذين يعتزون بوجوده، وينتفعون به، ويحرمون بفقده العون، ويستوي في التحريم قتل المسلم والذمي وقاتل نفسه.

ففي قتل الذمي جاءت الأحاديث مصرحة بوجود النار لمن قتله. (المصدر نفسه). روى البخاري عن عبدالله بن عمرو بن العاص ـ رضي الله عنهما ـ أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال: «من قتل معاهداً، لم يرحْ رائحة الجنة، وإن ريحها يوجد من مسيرة أربعين عاماً» (المعاهد: من له عهد مع المسلمين).

القصاص في القتل

ويتطرق السيد سابق لقضية القصاص وعقوبة القاتل بقوله: وقد شرع الله سبحانه القصاص وإعدام القاتل انتقاماً منه، وزجراً

لغيره، وتطهيراً للمجتمع من الجرائم التي يضطرب فيها النظام العام، ويختل معها الأمن. فقال: (ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب لعلكم تتقون) البقرة:١٧٩.

وهذه العقوبة مقررة في جميع الشرائع الإلهية المتقدمة. ففي الشريعة الموسوية جاء في الفصل الحادي والعشرين من سفر الخروج: «ان من ضرب إنساناً فمات فليقتل قتلاً، وإذا بغى رجل على آخر فقتله اغتيالاً فمن قدام مذبحي تأخذه ليقتل، ومن ضرب أباه وأمه يقتل قتلاً، وإن حصلت أذية فأعط نفساً بنفس، وعيناً بعين، وسناً بسن، ويداً بيد، ورجلاً برجل، وجرحاً بجرح، ورضًّا برضّ».

وفي الشريعة المسيحية يرى بعضهم أن قتل القاتل لم يكن من مبادئها، مستدلين على ذلك بما ورد بالإصحاح الخامس من إنجيل متى من قول عيسى \ «لا تقاوموا الشر، بل من لطمك على خدك الأيمن فحوّل له خدك الآخر أيضاً. ومن رأى أن يخاصمك ويأخذ ثوبك فاترك له الرداء أيضاً، ومن سخرك ميلاً واحداً فاذهب معه اثنين».

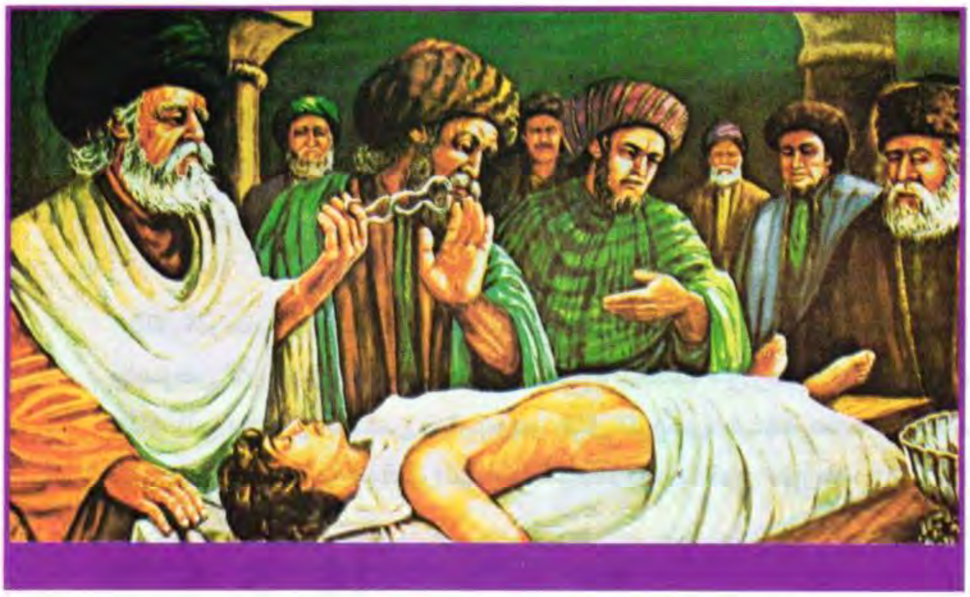
ويرى بعضهم الآخر أن الشريعة المسيحية عرفت عقوبة الإعدام مستدلين على ذلك بما قاله عيسى \ : «ما جئت لأنقض الناموس، وإنما جئت لأتمم».

وقد تأيد هذا النظر بما ورد في القرآن الكريم: (ومصدِّقاً لما بين يدي من التوراة) وإلى هذا تشير الآية الكريمة: (وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص) المائدة:٤٥.

ويوضح السيد سابق ذلك بقوله: «ولم تفرق الشريعة بين نفس ونفس، فالقصاص حق، سواء أكان المقتول كبيراً أم صغيراً، رجلاً أم امرأة. فلكلٍّ حق الحياة، ولا يحل التعرض لحياته بما يفسدها بأي وجه من الوجوه، وحتى في قتل الخطأ، لم يعف الله تعالى القاتل من المسؤولية، وأوجب فيه: العتق، والدية، فقال سبحانه: (وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمناً إلا خطأ ومن قتل مؤمناً خطأ فتحرير رقبة مؤمنة وديةٌ مسلَّمة إلى أهله إلا أن يصدَّقوا) النساء:٩٢.

وهذه العقوبة المالية إنما أوجبها الإسلام في القتل الخطأ احتراماً للنفس حتى لا يتسرب إلى ذهن أحد هوانها، وليحتاط الناس فيما يتصل بالنفوس والدماء، ولتسد ذرائع الفساد، حتى لا يقتل أحد أحداً ويزعم أن القتل كان خطأ.

ومن شدة عناية الإسلام بحماية الأنفس أنه حرَّم إسقاط الجنين بعد أن تدب الحياة فيه، إلا إذا كان هناك سبب حقيقي يوجب إسقاطه، كالخوف على أمه من الموت، ونحو ذلك، وأوجب في إسقاطه بغير حق غُرّة». (المصدر نفسه).



أدب الإسلام في المرض والطب

إن تعاليم الإسلام في المرض والطب، تشكل جانباً من التربية الروحية والسلوكية، والتي من شأنها أن تقوي معنوية المريض وتحسن رعايته داخل الأسرة والمجتمع.

ولقد أحسن الدكتور أحمد طه بتلخيص موقف الإسلام في هذا الموضوع في كتابه «الطب الإسلامي»: «الإسلام لا يقر القتل الرحيم» لأن مجرد تمني المؤمن الموت لضرٍّ أصابه منهي عنه... ووسائل الدين في تخفيف آلام المرض لا تعتمد طريقة القتل... فالإسلام يرشد من يدخل على المريض ولو كان مرضه لا أمل من شفائه أن ينفس له في الأجل، أي أن يبعث في نفسه الأمل بالشفاء...». ثم يشير الكاتب إلى أن الأطباء في العصور الإسلامية، كانوا يوصون بتلك التعاليم الإسلامية، فهذا لرازي يقول: يجب على الطبيب أن يواسي ويشجع المريض حتى ولو كان مشرفاً على الموت، لأن قوة الإنسان مستمدة من روحه المعنوية».

أما كتب السنة فتزخر بالأحاديث حول المرض ومفهومه وبعده الروحي والفلسفي، وكيف يمكن التعامل معه. فقد جاءت الأحاديث مصرحة بأن المرض يكفِّر السيئات ويمحو الذنوب. فقد روي عن النبي ﷺ أنه قال: «ما يصيب المسلم من نصَب ولا وَصب ولا هَم ولا حَزن ولا أذى، حتى الشوكة يشاكها إلا كفَّر الله بها من خطاياه».

الصبر عند المرض

على المريض أن يصبر على ما ينزل به من ضرٍّ، فما أعطي العبد عطاء خيراً وأوسع له من الصبر. روى مسلم عن صهيب بن سنان أن النبي - ﷺ - قال: «عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله خير - وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن - إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له». وروى البخاري عن أنس قال: سمعت رسول الله - ﷺ - يقول: «إن الله تعالى قال: إذا ابتليت عبدي بحبيبته فصبر عوضته منهما الجنة» يريد عينيه.

كراهة تمني الموت

يُكره للمرء أن يتمنى الموت أو يدعو به، لفقر أو مرض أو محنة أو نحو ذلك، لما رواه الجماعة عن أنس، أن النبي - ﷺ - قال: «لا يتمنيَّن أحدكم الموت لضر نزل به، فإن كان لابد متمنياً للموت فليقل: اللهم أحيني ما كانت الحياة خيراً لي، وتوفني إذا كانت الوفاة خيراً لي». وحكمة النهي عن تمني الموت ما جاء من حديث أم الفضل أن النبي - ﷺ - دخل على العباس، وهو يشتكي فتمنى الموت فقال: «يا عباس يا عم رسول الله لا تتمنَّ الموت إن كنت محسناً تزداد إحساناً إلى إحسانك خير لك، وإن كنت مسيئاً فإن تُؤخَّر تستعتب خير لك. لا تمنَّ الموت» رواه أحمد والحاكم وقال صحيح على شرط مسلم. «تستعتب: تسترضي الله بالإقلاع عن

الإساءة والاستغفار منها، والاستعتاب: طلب إزالة العتاب».

الإسلام يحضُّ على الصبر والعلاج

أفرد أبو حامد الغزالي في إحيائه كتاباً خاصاً بالصبر والشكر «الكتاب الثاني من ربع المنجيات من كتاب إحياء علوم الدين» واستهله بقوله: «فإن الإيمان نصفان: نصف صبر ونصف شكر كما وردت به الآثار وشهدت له الأخبار. وهما أيضاً وصفان من أوصاف الله تعالى واسمان من أسمائه الحسنى إذ سمى نفسه صبوراً وشكوراً، فالجهل بحقيقة الصبر والشكر جهل بكلا شطري الإيمان، ثم هو غفلة عن وصفين من أوصاف الرحمن ولا سبيل إلى الوصول إلى القرب من الله تعالى إلا بالإيمان، وكيف يتصور سلوك سبيل الإيمان دون معرفة ما به الإيمان ومن به الإيمان؟ والتقاعد عن معرفة الصبر والشكر تقاعد عن معرفة من به الإيمان وعن إدراك ما به الإيمان، فما أحوج كلا الشطرين إلى الإيضاح.

ولاحظ الغزالي أن ذكر الصبر في القرآن جاء في نيف وسبعين موضعاً. وجعل الغزالي الصبر نصف الإيمان استناداً لما جاء في الإخبار عن رسول الله ـ ﷺ ـ أنه قال: «الصبر نصف الإيمان» (أخرجه أبو نعيم والخطيب من حديث ابن مسعود).

لحياة الإنسان حرمتها ولا يجوز إهدارها إلا في المواطن التي حددتها الشريعة الإسلامية

الدستور الإسلامي للمهنة الطبية

صدر عن المؤتمر العالمي الأول للطب الإسلامي المنعقد في الكويت بين ٦ ـ ١٠ ربيع الأول ١٤٠١هـ الموافق ١٢ ـ ١٦ يناير ١٩٨١م (تحت رعاية المنظمة العالمية للطب الإسلامي)، وثيقة الكويت تحت عنوان «الدستور الإسلامي للمهنة الطبية»، وقد شارك في إعدادها عدد من رجال الفكر الإسلامي ومن الأطباء. ولأهمية هذه الوثيقة وعلاقة الباب السابع منها «ضمن ١٢ش باباً» بموضوعنارى من واجبنا أن نطلع عليها القارئ. ويتعلق هذا الباب بحرمة الحياة الإنسانية في ثمانية بنود وهي كما يلي:

● من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل إنه من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً) المائدة:٣٢.

● لحياة الإنسان حرمتها ولا يجوز إهدارها إلا في المواطن التي حددتها الشريعة وهذا خارج نطاق المهنة الطبية تماماً.

● ويحرم على الطبيب أن يهدر الحياة ولو بدافع الشفقة... فهذا حرام لأنه خارج عما نص عليه الشرع من موجبات القتل، بجانب ما يستدل عليه من قول رسول الله ﷺ: «كان فيمن قبلكم رجل به جرح فجزع، فأخذ سكيناً فحز بها يده فما رقأ الدم حتى مات. فقال الله تعالى: بادرني عبدي بنفسه... حرمت عليه الجنة» رواه البخاري ومسلم.

● التخلص من الحياة أو التخليص منها بدعوى الألم الشديد في الأمراض الميؤوس من شفائها دعوة لا تجد سنداً إلا في المنطق الإلحادي الذي يجعل مذهبه هو (إن هي إلا حياتنا الدنيا) الأنعام:٢٩. ويفوته أن الدنيا مرحلة تتلوها الآخرة... ولو صح هذا المنطق لكان أغلب الناس يفضلون الانتحار تخلصاً من آلام الحياة ومتاعبها. وأي حياة تخلو من الآلام! أما التخلص من الألم، فلا يوجد حتى في أقسى الأمراض ألماً مما لا يمكن التغلب عليه إما بالدواء وإما بالجراحة. وأما قتل المشوهين أو غيرهم فهذا إن أبيح فهو أول البغي، وسيتلوه حتماً قتل العجزة والمسنين الذين لا ينتجون وإنما يستهلكون طعاماً وشراباً في عالم عمت فيه الشكوى أنه يضيق بسكانه. وأن القيام برعايتهم هو ابتلاء لأهلهم وللمجتمع عامة. (أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون) العنكبوت:٢.

● وحياة الإنسان محترمة في كل أدوارها... وتنسدل هذه الحرمة على الحياة الجنينية في رحم الأم... فلا يجوز للطبيب أن يهدر حياة الجنين إلا عند الضرورة الطبية القصوى التي تعتبرها الشريعة الإسلامية.

أما الدعوى الحديثة بالترخيص في إباحة الإجهاض فلا يقرها الإسلام، فعلى إسقاط الجنين في الإسلام عقوبة مالية هي الغرة، وللجنين حقوق في تركة أبيه أو أحد مورثيه.

كما أنه إذا حكم على الحامل بالإعدام أُجِّل التنفيذ حتى تضع حملها. إقراراً بحق الجنين في الحياة حتى لو كان جنين سفاح. وكل ذلك يؤكد الحق الأصيل للإنسان وهو حق الحياة.

● والطبيب في دفاعه عن الحياة مطالب بأن يعرف حده ويقف عنده... فإذا تأكد لديه أنه من المحال ـ حسب المعطيات العلمية ـ السلوك بالمريض إلى الحياة استحالة بيِّنة، فإن مما لا طائل وراءه الإغراق في المحافظة على الكيان النباتي للمريض بوسائل الإنعاش الصناعية، أو بحفظه مجمداً أو غير ذلك من وسائل... لأن المطلوب هو بقاء الحياة لا إطالة عملية الموت، ولأن الموت حق، ولكن ليس للطبيب أن يقوم بخطوة إيجابية من أجل إماتة المريض. وعلى الطبيب أن يبذل جهده في أن يجتاز المريض ما بقي له من العمر في حسن رعاية وفي غير ألم ولا عذاب، بما تهيأ له من وسائل الرعاية والعلاج.

● والطبيب وهو صاحب الكلمة في أن مريضه مات أو لا يزال حياً، يقدر مسؤولية هذه الكلمة ولا تصدر عنه إلا بعد اليقين العلمي الممكن، وفي ذلك أمانة كاملة لا تشوبها شائبة. وله أن يستشير إن غمَّ عليه ويستعين بالمتاح له من وسائل العلم.

● وعلى الطبيب أن يصارح المريض بعلته إن طلب المريض ذلك... كما عليه أن يختار طريقة التعبير المناسبة فيخاطب كلاً على قدر فهمه، ويدرس نفسية مريضه دراسة تدله على التعبير المطلوب، وليتلطف، وليعمل على إذكاء إيمان المريض وإنزال السكينة في نفسه، وتوثيق رباطه بالله ثقة يهوِّن بها ما سواه.■

الإسلام حرَّم إسقاط الجنين بعد أن تدب الحياة فيه إلا إذا كان هناك سبب يوجب إسقاطه

بقلم : د.طارق البكري *

جمعية الاتحاد الإسلامي اللبنانية شجرة عطاء ومسيرة دعوة



● ختام دورات حفظ القرآن الكريم



● كفالة الأيتام

الشيخ حسن قاطرجي : نسعى إلى كفالة طلاب العلم وإغاثة أصحاب الحاجات

قبل سنوات قليلة أُعلن عن تأسيس جمعية الاتحاد الإسلامي للدعوة والتعليم الشرعي في لبنان، وانطلقت مجموعة من المؤسسات منبثقة من الجمعية لأجل نشر الدين الإسلامي الصحيح والدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة.

رئيس الجمعية الشيخ حسن قاطرجي أكد لـ«الوعي الإسلامي»، أن دور الجمعيات الإسلامية اتسع بشكل ملحوظ في السنوات الأخيرة نظراً للتحديات الكبيرة التي تواجه المسلمين في لبنان.

وأوضح الشيخ قاطرجي أن من أهم المؤسسات التي تتبع الجمعية مؤسسة دار القرآن الكريم للحفظ والتلاوة، مشيراً إلى أنه انقضت نحو أربع سنوات من سيرة العمل في دار القرآن الكريم، حيث يتم تعليم النساء والأطفال والرجال منذ الساعة الثامنة صباحاً حتى التاسعة مساء في صفوف منفصلة منعاً للاختلاط.

وأكد قاطرجي أنه قد استفاد من الدار ما يزيد على ١٥٠٠ طالب وطالبة، منهم ٢١ طالباً وطالبة حصلوا على الإجازة بالسند المتصل.

بينما أتم ١٤ واحداً منهم حفظ كتاب الله تعالى كاملاً، ويقوم عدد منهم بجمع القراءات بينما أكثر من نصف المسجلين في الدورات أتموا حفظ نصف أجزاء القرآن الكريم.



● صلاة القيام في شهر رمضان



● توزيع الأضاحي

وأشار قاطرجي إلى أنَّ الدار تجري مسابقات في حفظ القرآن الكريم، وقد بلغت الجوائز أكثر من عشرة آلاف دولار، مؤكداً أن الدار تواصل عملها على مدار العام، وتقيم خلال العطلة الصيفية دورات للناشئة يشارك فيها أكثر من ٢٠٠ طالب وطالبة.

وأوضح قاطرجي أنَّ التعليم في الدار يتم بصورة مجانية كاملة، كما أن المشاركين يحصلون على الهدايا والمكافآت والمساعدات المالية للمحتاجين منهم، تشجيعاً لهم على المتابعة، كما أن المتقدمين يحصلون على مكافآت تشجيعية كلما حفظوا أجزاء جديدة من القرآن الكريم.

صندوق التكافل الإسلامي

وأشار الشيخ قاطرجي إلى أن الجمعية أسست صندوقاً للتكافل الإسلامي مهمته مساعدة العائلات الفقيرة والأيتام والمعوزين.

وأوضح أن عدد العائلات التي استفادت من التقديمات حتى نهاية العام ١٩٩٩م نحوعشرة آلاف عائلة من مختلف المناطق اللبنانية، أما عدد الأيتام المستفيدين حتى الآن فقد بلغ نحو ٧٠٠٠ يتيم، والمساعدات العينية بلغت نحو خمسة آلاف مساعدة، استفادت منها كثير من العائلات المسلمة.



● موائد الافطار في شهر رمضان

وأردف قاطرجي أن فكرة الصندوق تقوم على مد جسر التراحم والتعاون بين الأغنياء والفقراء، مشيراً إلى أن الإسلام حضنا على عمل الخير والبر ورعاية المحتاج، وجعل الأخوة والتراحم بين الغني والفقير.

مشروع الأضاحي:

يقوم صندوق التكافل الإسلامي نيابة عن المضحين بذبح أضحياتهم ويمكّن الراغبين منهم من شهود ذبائحهم وأخذ حصص اللحم كما يقوم المتطوعون والمتطوعات بإيصال الفائض من الحصص نيابة عنهم إلى العائلات المحتاجة في منازلهم.

ومن أهداف المشروع إحياء سنة الأضاحي وتفعيل العمل الاجتماعي الخيري كونه أحد ركائز المشروع الإسلامي الحضاري، وإدخال الفرحة إلى قلوب الفقراء وبخاصة أيام الأعياد ومن ثمَّ الاتصال والتواصل مع مزيد من الناس.

قسم الناشئة

وعن قسم الناشئة يقول الشيخ قاطرجي: إن الشباب يعتبرون أهم الشرائح داخل المجتمع الإسلامي، ولهذا فالجمعية أنشأت قسماً خاصاً للناشئة وذلك من أجل تحصين وتربية هذا الجيل الصاعد وتوجيهه إلى مجالات ثقافية ورياضية متنوعة.

ومن النشاطات التي يقوم بها قسم الناشئة: توجيه الشباب للاهتمام بالبيئة، والرياضة والقيام بمخيمات ودورات ثقافية وتربوية متنوعة.وأكد قاطرجي أن الجمعية تهتم كذلك بالقسم النسائي حيث تهتم الأخوات بهذا الجانب وقد تم إصدار مجلة باسم منبر الداعيات، إضافة إلى كثير من المحاضرات المنوعة..

مشروع المركز الإسلامي

ومن خطط الجمعية المستقبلية إنشاء مركز إسلامي يحقق تلك الأهداف ويقدم الخدمات الدعوية والثقافية والاجتماعية للمسلمين في لبنان، لأن من أهم واجبات المركز وأفضل مساهماته إنشاء المراكز الإسلامية التي تهتم بالأنشطة الإسلامية المتنوعة والدروس الفقهية والندوات الفكرية والمحاضرات الشرعية والاجتماعية والتي يتخرج فيها الدعاة إلى الله سبحانه وتعالى وتزود بأحدث الأجهزة التقنية من أجل خدمة المسلمين. وقد اشترت الجمعية عقاراً لتشييد مركزها الإسلامي، وتجرى حالياً الاستعدادات اللازمة لإقامة هذا المركز. ■

* كاتب لبناني متخصص في مجال صحافة الطفل

أجرى الحوار : سامح عبدالله



رفض عميد كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة الكويت د.محمد عبدالغفار الشريف، الدعوة القائلة إن التراث الإسلامي يعيق حركة التقدم داخل الأمة الإسلامية، ووصف القائلين بها بأنهم لايفقهون من أمور دينهم شيئاً، مؤكداً أن الإسلام يصلح لكل زمان ومكان، وأن من لا ماضي له لا حاضر له ولا مستقبل ينتظره.

وقال د. الشريف في حوار مع «الوعي الإسلامي»: إن الإسلام يتسع للخلاف الفقهي الذي يسهم بدوره في فهم الدين فهماً صحيحاً، لافتاً إلى أن التيارات الفكرية العاملة على الساحة الإسلامية لو كانت تسير كلها على فكر واحد لحدث قصور في فهم أحكام الدين.

ورأى أنه لا مانع من أن يكون لدينا فكر إسلامي معاصر أو فكر إسلامي مستجد، لكنه اشترط التقيد بالضوابط الشرعية وعدم الانقلاب على الأصول، مشيراً ألى أن بعض الذين يدعون المعاصرة في الفكر يحاولون أن ينفلتوا من كل قيود الشرع وأن يجعلوا عقولهم أو ما يرون من حضارة غريبة حكماً على فهم النصوص.

د .محمد عبدالغفار الشريف

عميد كلية الشريعة لـ«الوعي الإسلامي»

نعم لتنقية التراث الإسلامي من الشوائب
لا للتخلص منه بزعم إعاقته للتقدم

● طُرح أخيراً ما يُسمى بالفكر الإسلامي المعاصر، ما ملامح هذا الفكر، وما مدى قبوله أو رفضه إسلامياً؟

الفكر هو إعمال العقل في مشكلة معينة للتوصل إلى حل لها، ولذلك، فإن الفكر هو اجتهاد، ولكل عصر اجتهاده وفكره، كما أن لكل زمان مشكلاته وأحداثه التي تحتاج إلى إعمال الفكر للوصول إلى حل هذه المشكلات ومعرفة أحكام الله عز وجل في الأحداث المستجدة، لذا ينبغي على الفكر الإسلامي ألا يقف عند حد معين، وأن يجدد نفسه بشكل مستمر، والاجتهاد يكون بمعرفة أحكام المسائل المستجدة التي لم تكن موجودة في العصور الماضية أو حتى في فهم بعض نصوص كتاب الله وأحاديث النبي ﷺ، وهي النصوص المحتملة وليست القاطعة، وفق المستجدات المعاصرة، والدليل على ذلك أن الإمام الشافعي كانت له اجتهادات في العراق فلما انتقل إلى مصر رأى مستجدات لم يكن قد رآها من قبل، ففهم الآيات والأحاديث على ضوئها فهماً جديداً، ومن ثمَّ غيَّر أكثر مذهبه، ولذلك يُقال: إن للشافعي مذهباً قديماً ومذهباً جديداً.

فلا بأس أن يكون لدينا فكر إسلامي معاصر، وفكر إسلامي مستجد، ولكن ينبغي التقيد بالضوابط الشرعية وعدم الانقلاب، فمع الأسف إن الذين يدَّعون المعاصرة في الفكر يحاولون أن ينفلتوا من كل قيود الشرع وأن يجعلوا عقولهم أو ما يرون من حضارة غربية حكماً على فهم النصوص، بينما هذا المنهج غير صحيح، فعندنا على سبيل المثال قضايا لا يمكن أن تتغير في هذا الزمان أو في غيره من الأزمنة والعصور، وهي قضايا العقيدة، فالعقيدة هي نفسها التي جاء بها آدم - عليه السلام - وجاء بها الرسل والأنبياء وآخرهم سيدنا محمد ﷺ. لم تتغير.

الأمة تعيش أزمة فكر وتسير نحو ضياع الهوية وبعض المناديين بـ«المعاصرة» يجهلون أحكام العقيدة

وهناك أيضاً قضايا تعتبر كمرتكزات للفكر الإسلامي والمجتمع المسلم، وهي كما يسميها العلماء: «المعلومات من الدين بالضرورة» التي لا يعذر أحد إذا جهلها، فهذ المرتكزات لا يمكن تغييرها أو تبديلها مهما استجدت الحوادث، ومن ذلك أيضاً مسائل العبادات فهي باقية،

وينبغي أن يكون الاجتهاد وفقاً لقواعد أصول الفقه وقواعد اللغة العربية، أي يجب أن نفهم كتاب الله وسنة نبيه - ﷺ - في ضوء اللغة العربية، كما ينبغي الإحاطة بمقاصد الشريعة أي الحكمة التي من أجلها جاءت هذه الشريعة.

فهناك قواعد ثابتة من الأحكام والملامح لكل مجتمع لا يمكن تغييرها، وهناك قواعد لفهم النصوص لا يمكن تجاوزها، وهناك مقاصد جاءت الشريعة لتحقيقها لا يمكن إهدارها، فإذا كان الفكر الإسلامي المعاصر جاء ملتزماً بهذه الأصول فهو فكر إسلامي أصيل، أما لو تفلت وجعل المصلحة فوق القواعد الشرعية فهو ليس فكراً إسلامياً.

تنقية التراث

● كيف تنظر للدعوة القائلة بضرورة تنقية التراث الإسلامي من الشوائب، وبم ترد على من يطالب بالتخلص من التراث بزعم أنه يشكل حملاً ثقيلاً يعيق حركة التقدم داخل الأمة الإسلامية؟

- التراث الإسلامي عبارة عن حصيلة اجتهادات وفهم الأمة للكتاب والسنة، ففي هذا التراث الغث والثمين، ولذلك نجد أن العلماء قد قسموا هذا التراث إلى تراث أهل السنة والجماعة وتراث الفرق الخارجة عن أهل السنة والجماعة.

ويجب النظر في هذا التراث، فما وافق الكتاب والسنة أخذنا به، وما كان مخالفاً مصادماً للنص الصريح أو لا يصلح مع واقع الزمان ولا يعضده نص نتركه ولا نهاجمه، فنحن قوم نحترم كل فكر لا يتعارض مع الكتاب والسنة، ولعلنا لم نفقه هذا الفكر اليوم وتظهر فائدته بعد ذلك، فهناك أحكام كثيرة قررها العلماء ونظر إليها الناس في حينها باستهزاء ومع الزمن عرفنا قيمة هذه الأحكام.

ومثل ذلك ما ذكره بعض الفقهاء «لو أن ولياً صلى العصر في المشرق ثم ذهب إلى المغرب فأدركه وقت العصر مرة أخرى، فهل يعيد الصلاة أم لا؟»



● د. الشريف وإلى يمينه د. أيوب الأيوب وإلى يساره د. عجيل النشمي

فهذه الفتوى في حينها كانت موضع سخرية الناس، ولكننا اليوم نعرف أن هذه الفتوى ضرورية لأن شروطها يمكن أن تنطبق على كل منا عندما نسافر بالطائرة إلى بلد أميركي أو أوروبي، فلولا هذه الأحكام التي افترضها العلماء لما عرفنا كيف نجتهد في هذه المسائل.

إذاً نحن نحترم كل قول وكل فكر ما لم يكن مصادماً للكتاب والسنة أو حقائق العقل، أما الاستخفاف والاستهزاء بما قاله الآخرون فهذا يدل على قلة عقل الإنسان، فما كان يوافق مصالح الناس نأخذ به وما دون ذلك نتركه لعله يصلح في زمان آخر.

وهناك الكثير من كتب التفسير والتاريخ، دخلت فيها الإسرائيليات كما دخلت فيها بعض الأشياء التي لم تحقق، ولا مانع من تنقية هذه الإسرائيليات والتحقق منها.

أما القول بالتخلص من التراث بزعم أنه يشكل حملاً ثقيلاً يعيق حركة التقدم داخل الأمة الإسلامية، فهو قول لا يأتي إلا من شخص غير عاقل أو شخص مغرض.

فكل الحضارات الحديثة قامت على أصول وجذور فلسفية قديمة، ولم يدَّع أحد في أوروبا أو أميركا بضرورة التخلص من نظريات الإغريق أو مؤلفات فلاسفة اليونان، بل على العكس تماماً انطلقت جميع الدعوات للاستفادة من هذا التراث وجعله نواة لصناعة الحضارة الحديثة، وهم إلى الآن يقدرون أرسطو وأفلاطون وغيرهما.

فالعاقل من يستفيد من تجارب من سبقه، والجاهل من يعتمد على نفسه فقط ويغتر بها ليصل في النهاية إلى ما بدأ به الآخرون، فهذا التراث فيه خير كثير وفيه فهم لكتاب الله وسنة رسوله ومسائل اجتهادية وقضايا فكرية كثيرة حفظت الأمة وتقدمت بها.

ونحن لا نقول إن هذا التراث مقدس، ولكننا نقول إنه نتاج بشري يحتاج إلى إعادة النظر والاستفادة منه، أما ما كان نصاً صريحاً فلا يمكن تجاوزه.

أنا لا أطمع في التقريب بين التيارات الفكرية بل أفرح بالاختلاف إذا كان هذا الخلاف صحيحاً ولا يؤدي إلى شقاق

رحمة واسعة

● كيف يمكن التقريب بين التيارات الفكرية العاملة على الساحة الإسلامية، وهل ترى اختلاف هذه التيارات من الظواهر الصحية، أم أنها ظاهرة مرضية يجب علاجها؟

أنا لا أطمع في التقريب بين هذه التيارات، بل أفرح بالاختلاف إذا كان هذا الخلاف صحيحاً ولا يؤدي إلى شقاق، فالصحابة - رضوان الله عليهم - قد اختلفوا في زمن النبي ﷺ، فعندما قال لهم النبي ﷺ، بعد غزوة الأحزاب «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يصلين العصر إلا في بني قريظة»، خرج الصحابة فأدركهم الوقت في الطريق، فبعضهم قال: إن النبي ﷺ لم يرد التأخير في الصلاة ولكن أراد الاستعجال في الخروج، فصلوا في الطريق، وبعضهم قال: والله لانصلي حتى نصل إلى بني قريظة، فوصلوا بعد العشاء فجمعوا بين الظهر والعصر والمغرب والعشاء، ثم أخبروا النبي ﷺ، بما فعلوا فما أنكر على أحد منهم، وهذا يدل على أن الدين فيه سعة في الاختلاف في الفهم.

كذلك اختلف الصحابة بعد النبي ﷺ فيمن يدفن النبي وفيمن يغسله وفيمن يتولى بعده، وما أدى هذا إلى الشقاق والفرقة لأنهم فقهوا روح الإسلام.

فسعة هذا الدين في اختلاف الفهم فيه وفي الاجتهادات لأنه كما يقول عمر بن عبدالعزيز «والله ما أحب أن أصحاب رسول الله ﷺ لم يختلفوا، فإنهم أئمة يُقتدى بهم ومن عمل بعمل رجل منهم وجد أنه في سعة».

فهذه توسعة على الناس قال ابن تيمية ومن قبله ابن قدامة - رحمهما الله - عن اختلاف العلماء: إنه «رحمة واسعة»، وعن اتفاقهم أنه «حجة قاطعة»، فما اتفقوا فيه فلنأخذ به، وما اختلفوا حوله فلنا سعة أن نأخذ بأي منهم، فلا أرى أن الخلاف فيه مشكلة، ولكن المشكلة في التعصب للرأي وتكفير الآخرين.

فيجب أن يكون منهجنا كما يقول الإمام الشافعي - رضي الله عنه - «إن قولي صواب يحتمل الخطأ وقول غيري خطأ يحتمل الصواب»، فهذه هي المنهجية



● د. الشريف يشارك في احدى الندوات

واعتقد لو كانت جميع التيارات الإسلامية على رأي واحد لوقع قصور في فهم الدين، فنجد بعض هذه التيارات يهتم بالقضايا العلمية وتأصيل البحث العلمي وبيان البدعة من السنة وغير ذلك، فيما يهتم فريق آخر بالقضايا السياسية والفكرية، وثالث يهتم بالقضايا الاقتصادية، ورابع يهتم بتوعية الناس بأمور دينهم... إلخ، ولو كانوا على رأي واحد لأهملت بقية الجوانب، لكن الاهتمام المختلف والمشارب المختلفة جعلت الاهتمام بجميع فروع هذا الدين، وهذه من حكمة الله عز وجل.

هناك قواعد ثابتة من الأحكام والملامح لكل مجتمع لا يمكن تغييرها وقواعد لفهم النصوص لا يمكن تجاوزها ومقاصد جاءت الشريعة لتحقيقها لا يمكن إهدارها

أزمة فكر

● هل تعيش الأمة الإسلامية أزمة فكر، وهل صحيح أن الفكر الإسلامي لم يعد قادراً على تلبية متطلبات العصر، وما العلاقة بين هذه الأزمة وبين تعدد جهات الفتوى وعدم اتفاقها في كثير من الأمور؟

- نعم، إن الأمة الإسلامية تعيش أزمة فكر، بل لقد أضاعت الأمة هويتها منذ أواخر الدولة العثمانية حتى الآن، فمشكلة الدولة العثمانية أنها اتجهت إلى القوة العسكرية والحروب، ما أنهك خزائنها، بينما اتجهت أوروبا إلى الصناعة فلما تمكنت منها اتجهت إلى الاستعمار، فلما رأى المسلمون حال التخلف التي يعيشونها انطلقت كثير من الدعوات لتقليد الغرب في كل شيء حتى نصل إلى ما وصلوا إليه، وانقسم الناس بين داعين إلى التمسك بالتراث كما هو بغثه وثمينه، وبين داعين إلى التحرر الكامل، وبين أناس وسط. والحقيقة أن الاستعمار نجح إلى حد كبير في أن يجعل فاصلاً داخل الدول الإسلامية بين العلوم الشرعية وغيرها من العلوم، فغيروا المناهج وجعلوا مدارس وكليات شرعية وأخرى مدنية، ثم أعطي للأخيرة جميع المزايا وتم إخلاؤها من الدراسة الشرعية. فهناك أزمة في الفكر الإسلامي، وليس من شك في ذلك، ولكن القول إن الفكر الإسلامي لم يعد قادراً على تلبية متطلبات العصر هو قول مغلوط وفيه الكثير من التجني، فالله تعالى يقول: (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً) المائدة:٣، وطالما أننا مؤمنون فيجب أن نؤمن بأن كل ما قاله الله حق وصدق ولا يتغير.

ومع ذلك أقول للمتشككين: لقد شهد بصلاح هذا الدين وقدرته على حل قضايا العصر أناس غير المسلمين، منهم المفكر الإيرلندي الشهير برناردشو الذي قال: «لو كان محمد بن عبدالله حياً بيننا لاستطاع أن يحل قضايا العصر وهو يُشرب فنجاناً من القهوة».

يجب النظر في التراث فما وافق الكتاب والسنة أخذنا به وما كان مخالفاً مصادماً للنص الصريح نتركه ولا نهاجمه

والعجب أن المسلمين هم الذين يجهلون شأن دينهم، بينما يعرف فضله غيرهم.

فالإسلام صالح لكل زمان ومكان، والواقع خير شاهد على ذلك، يقول تعالى: (ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر) القمر:١٧، فتطبيقه يسير وليس بعسير، وحيز الحلال فيه أكثر بكثير من حيز الحرام، لكن الناس لا يريدون الالتزام، حتى في قانون المرور، فالناس لايلتزمون إلا خوفاً من الشرطة، والدليل على ذلك أنه عندما لا يوجد شرطي بالقرب من إشارات المرور يحدث التجاوز وتقع الحوادث.

أما كون هذه الأزمة الفكرية لها علاقة بتعدد جهات الفتوى وعدم اتفاقها في بعض الأحيان، فنقول: إن الاختلاف توسيع على الأمة، إلا أن فهم الناس لهذا الاختلاف هو الذي يؤدي لمثل ذلك، فعندما يرى بعض الناس - إما عن جهل أو غرض وقصد - اختلاف جهات الفتوى يقولون أي إسلام نتبع؟.

وأقول: إنه طالما التزم الإنسان بقواعد وأصول الإسلام فلا بأس من الاختلاف في الفروع والجزئيات، ونحن نسمي هؤلاء جميعاً مسلمين، فمن أتقن منهم منهجاً فليقبله ويعمل به مادام يعتقد أنه الإسلام.

فالمشكلة ليست في الاختلاف، إنما المشكلة في تعصب الآراء والجهل بقواعد هذا الدين، فقد يكون هناك فكر مشوش عند بعض الناس، لكن يجب على العلماء أن يبينوا أن هذا الخلاف لا يضر، خصوصاً أن الأزمة الحقيقية في اعتقادي تكمن في تضييع الأمة لهويتها وفي انتسابها، فالبعض يريد أن ينتسب إلى هوية، ولكنه لا يعرف إلى أين، هل إلى الإسلام، أم إلى الغرب، أم إلى الشرق؟

فهذا التضييع هو الذي يضر بالأمة وليس الخلاف الفكري فيما بينها. ■

بقلم : عبدالعزيز انميرات *

الصحوة والدعوة

والحاجة إلى فقه النقد والمناصحة

تحتاج الأمة، من حين لآخر، وهي تسعى بكل ما تملك من إمكانيات ومعطيات، إلى استعادة دورها في المسار الحضاري العام للإنسانية، حتى يكون بإمكانها القيام بمهمتي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فتستحق، بذلك، صفة الخيرية والشهادة على الناس مصداقاً لقوله جل جلاله (ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر) (آل عمران: ١٠٤)، وقوله تعالى: (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله) (آل عمران: ١١٠) وقوله جل وعلا: (وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس، ويكون الرسول عليكم شهيداً) (البقرة: ١٤٣).

أقول، تحتاج الأمة، من حين لآخر، إلى وقفات متأنية تكون فرصة حقيقية للمراجعة والتقويم والتصويب والبناء القويم لفهوم الناس لقيم التدين وسلوكياتهم، في اطار تجديد تدينهم الذي أصابه الخلل بفعل عوامل عدة، منها ما هو ذاتي، ومنها ما هو خارجي. فقد أصيب السلوك الإسلامي المعاصر بنوع من الخلط الكبير بين (المرجعية) و(المصدرية) في الانطلاق والاستدلال والتأسيس، وما انتج هذا الخلط الخطير من آفات على مستوى تدين الكثير من المنتمين إلى الجغرافية الإسلامية. وتجدر الإشارة هنا إلى أن الدعوة إلى تدعيم خط المراجعة والمناصحة في حياتنا كأمة، يفرض الواجب استرشادها في كل حين بالقرآن والسنة النبوية الصحيحة، ما هي إلا رغبة في جعل فهوم الناس، قياديين وعاديين، ومهما اختلفت درجات ثقافتهم ومكاناتهم الاجتماعية وتفاوتت، فهي خاضعة للمرجعية الإسلامية العليا، وللنقد الذاتي القويم، الذي هو في آخر المطاف ضرورة لحماية قيم الدين ومنطلقاته من التشويه والتحريف والاستغلال السيئ، حتى لا تختلط بفهوم الناس وأهوائهم وميولاتهم، وما وصلوا إليه من اجتهادات قد تصيب وقد تخطئ.

بهذا نقول: إن تجديد الدعوة إلى النقد والمراجعة، دعوة إلى تمثل المنهاج النبوي في صياغة حياة الإنسان وسلوكه وفق مقتضيات الشرع، لا وفق الأهواء، وبذلك نكون قد تمثلنا قوله ﷺ فيما رواه مسلم عن تميم الداري: «الدين النصيحة. قلنا: لمن؟ قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم»، قال ابن حجر في الفتح (هذا الحديث من الأحاديث التي قيل فيها إنها أحد أرباع الدين) (١)، كما نكون من جهة أخرى قد استرشدنا بقوله ﷺ: «حق المسلم على المسلم ست»، فذكر منها «وإذا استنصحك فانصح له» (٢). وقوله ﷺ فيما رواه البخاري: «إذا استنصح أحدكم أخاه فلينصح له» (٣).

لقد جاء الإسلام رسالة ربانية هادية للإنسان، يسترشد بها في بناء حياته كفرد وعنصر في الجماعة، ويصحح بها تصوره نحو الحياة والوجود والماهية ومقاصد الخلق، ويقوم بها، من حين لآخر، منهاج صلته بخالقه، حتى يحقق في نهاية المطاف أسمى مقاصد الخلق، مصداقاً لقوله جل جلاله: (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون) «الذاريات: ٥٦».

فخطاب المناصحة والتقويم، سلوك إسلامي قويم له شواهده وأدلته، بل أهميته في حياة الناس، به تحفظ للدين قدسيته وعصمته من جهة، وتدفع الأمة، من جهة أخرى، إلى الرجوع باستمرار إلى الأصول الشرعية للاحتكام إليها، وليس إلى الفهوم البشرية، في كل عملية تصحيح تديُّنها، الذي يصيبه الخلل بفعل الابتعاد عن هذه الأصول، والخضوع للأهواء والعادات الشعبية. إننا في مرحلة إعادة تشكيل العقل المسلم، على المستويات الثلاثة: التفكير والتعبير والتدبير، ليكون المسلمون قادرين على الانتقال من الواقع المشهود، واقع التخلف والوهن والضعف، إلى الموقع المنشود، موقع الريادة والشهادة على الناس، شهادة تعكس التمثل الحقيقي لمتطلبات الاستخلاف والتكريم الإلهي للإنسان.

وبموزاة مع شعور التغيير والشهود الحضاري بضرورة امتلاك شوكة القيادة من

جديد، والسعي إلى بناء الشاكلة الحضارية المطلوبة، تطرح مداخل عدة للتغيير والاصلاح وتجديد تديّن هذه الأمة. لكن الناظر في خطاب كل توجه من التوجهات المشكّلة لخطاب الاصلاح والتغيير، سيخرج بنتيجة مفادها اختلاف المناهج بحسب اختلاف التيارات. فبالرغم من اتفاق معظم هذه التيارات حول المطلق، الذي هو العقيدة الإسلامية، وحول النتيجة، التي هي اصلاح حال الأمة، فإنها تختلف من حيث المناهج، سواء على المستوى التربوي أو العملي، وذلك تبعاً للخلفية المذهبية لكل تيار من جهة، ونوعية قراءته للمنطلق والمقاصد من جهة ثانية، الشيء الذي أدى إلى تعدد التيارات، إلى حد أن بعضها أصبح يقف عائقاً أمام مشروع التغيير المطلوب، لما يحمله من مواقف مسبقة تجاه الآخرين بصفة عامة، معتبراً نفسه الممثل الوحيد والأوحد للعمل الإسلامي الصحيح، ما كرس في نفوس المنتمين إليه عقدة التميز ورسَّخ في منهج تعاملهم أمراضاً زادت من تعميق الهوة بين العاملين في حقل الدعوة إلى الله تعالى، غابت معها حقيقة هذه الأخيرة ومقاصدها الأساسية، فاستبدلت الدعوة إلى الإسلام بالدعوة إلى التنظيم، والدعوة إلى التشبث بالمنهاج الرباني بالدعوة إلى التشبث بالمنهاج الذي صاغته بعض الرموز، ما زاد من عمق الابتعاد عن الإسلام، وتعميق الفهم الخاطئ للتدين. ولعل هذه النتيجة التي تعكسها حال الأمة اليوم، هي ما يدفعنا إلى الجزم بكون الخلل في الفهم: فهم الشرع من جهة وفهم الواقع من جهة ثانية، وما ترتب عن هذا من خلل على مستوى بناء وصياغة المناهج المعتمدة في الاصلاح والتغيير، ما يجعلنا نؤكد كذلك أثر هذا النوع من الخلل في نوعية التصور الذي يصيغه التنظيم الحركي، حتى إنه انقلب، في معظمه، إلى حواجز ومعوقات تمنع من تحقيق هدفين متكاملين في عملية الاصلاح والتغيير:

١ ـ الاتصال المباشر بالنصوص الشرعية، وما يلحق به من استفادة على مستوى بناء منهج الاصلاح والتغيير، وذلك لتضمن هذه النصوص جملة من القواعد والضوابط الاساسية التي يحتاجها المسلم بصفة عامة والداعي إلى الله، جل جلاله، بصفة خاصة.

٢ ـ الاتصال المباشر بواقع الأمة، حتى



● تحتاج الأمة إلى استعادة دورها في المسار الحضاري العام للإنسانية

تكون الدعوة إلى التغيير والاصلاح مطابقة للواقع، إذ تحقيق هذا النوع من المطابقة يحتاج إلى نوع من الفقه والمنهج، يستطيع من خلالهما المشتغل بالدعوة إلى الله تكوين الصورة الحقيقية للأمة، مع ما يستلزم ذلك من مراعاة الظروف الزمانية والمكانية. لكن انفصال العلماء والفقهاء وأصحاب الفكر والثقافة عن همِّ الأمة وقضايا العصر، والاقتصار فقط على ترديد ما سبق به المتقدمون، حتى دون القدرة على الاستفادة منه، أو الاقتصار على ما قاله بعض المحسوبين على العمل الإسلامي، انقلبت معه الأمور إلى معوقات، في حين كان الأساس تحويلها إلى دوافع للنهوض والتقدم.

إن عدم امتلاك العاملين بداخل الحركة الإسلامية لهذا النوع من الإدراك الخاص بطبيعة التعامل مع النص والواقع معاً، هو الذي أدى إلى إنتاج المنهج المعوَّج، الذي تعكسه سلوكيات بعضهم، ما يجعل من السؤال ـ الذي طالما طرحناه: هل يمكن فعلاً الحديث عن صحوة إسلامية راشدة تعكس طموح التغيير وتتمثل الأبجديات الأخلاقية للإسلام؟ ـ سؤالاً مشروعاً ومطابقاً للمرحلة، ذلك أن إلقاء نظرة عميقة على حال هذه الصحوة ستمكننا من التأكيد على أن المرحلة الراهنة تقتضي من العاملين في داخل الحركات الإسلامية، إعادة النظر في مداخل التعامل مع هذه الصحوة حتى تكون صحوة خير وبركة، معبرة عن جيل القدوة والبناء. فلابد إذاً من تجديد آليات ترشيد مدِّ هذه الصحوة بوضع الأوعية الشرعية والبرامج الواقعية، حتى يكون الجميع على بصيرة من الأمر.

فحينما تفتقد الأمة القيادة الراشدة، التي تجمع بين فقه الشرع وفقه الواقع، تصاب بالخلل والانحراف عن الشرعة القويمة، ولعل حصول هذا النوع من الفقه والبصيرة هو ما سيمكننا من امتلاك آليات بناء القدرة الذاتية التي تحصننا، ضد عودة الإسلام إلى حياة وسلوك الناس في المرحلة الراهنة، تسبقه المطالبة بصياغة مدخلات هذه العودة، ولعل من أبرزها وأهمها صياغة «فقه التدين» الصياغة المتكاملة التي تجمع بين الفهم والتنزيل. ولعل هذا النوع من الفقه هو ما تفتقر إليه مجموعة من الحركات والتنظيمات المحسوبة على العمل الإسلامي، لأنه وحده الكفيل بتصحيح الرؤية ورسم المنهج التربوي الصحيح. لكن استمرار مجموعة من المعوقات في حياة هذه الدعوة لا يفسح المجال أمام الوصول إلى هذه المرحلة الأساسية، وهو ما أثَّر سلباً على المنهج المتبع في الاصلاح والتغيير والتجديد، في المنهج المتبع في الإصلاح والتغيير والتجديد، لعل من أبرزها: غياب المقاصد والحزبية والوساطة وغياب فقه الواقع. ■

* أستاذ الفكر والعلوم الانسانية في جامعة فاس - المغرب

الهوامش:

(١) فتح الباري ١/١٣٨.
(٢) رواه مسلم.
(٣) رواه البخاري.



بيئة

بقلم: م.: محمد عبدالقادر الفقي

الحمى وأهميتها في المحافظة على التنوع الحيوي

يعد مصطلح «المحمية الحيوية» Biosphere Reserve مصطلحاً ومفهوماً بيئياً مستحدثاً في مجال صيانة موارد البيئة الحيوية وحمايتها وتنميتها. وقد برزت إرهاصات هذا المصطلح في العصر الحديث للمرة الأولى ضمن برنامج (الإنسان والمحيط الحيوي) MAB الذي طرح في مؤتمر المحيط الحيوي بدعوة من منظمة اليونسكو في سبتمبر ١٩٦٨م. وهو المؤتمر الذي حاول العلماء والباحثون أن يصنعوا من خلاله قاعدة علمية متطورة للاستغلال الأمثل للموارد الحيوية وتنميتها وصيانتها لمواجهة ما تعرضت له هذه الموارد ولا تزال تتعرض لمزيد من التدهور والاستنزاف. وكان من أهم التوصيات التي أقرها هذا المؤتمر: «ضرورة صيانة النظم البيئية Ecosystems للسلالات النباتية والحيوانية برية النشأة، لضمان استمرار وجودها كرصيد طبيعي إستراتيجي للجينات الوراثية لهذه السلالات». ولتحقيق ذلك أوصى المؤتمر بضرورة وضع مجموعة معايير وأسس نضمن من خلالها تحقيق الصيانة لهذه النظم الحيوية. وقد تمخض البحث، للوصول إلى هذه المعايير والأسس، عن ظهور أول تسمية «للمحمية الحيوية» عام ١٩٧٠م ضمن الخطة المقترحة والمقدمة للمؤتمر العام الذي عقد لوضع سياسة برنامج الإنسان والمحيط الحيوي الخاص بصون المناطق الطبيعية وما تضمه من سلالات أحيائية برية النشأة.

وفي مؤتمر الأمم المتحدة للبيئة البشرية الذي عقد في استوكهلم عام ١٩٧٢م، أثيرت فكرة المحمية الحيوية، وأقر المؤتمر توصية «ضرورة إنشاء شبكة عالمية من المحميات الحيوية بما يضمن صيانة نماذج منتخبة من النظم البيئة الحيوية العالمية» (١).

والحقيقة أن نظام المحميات يعد واحداً من أقدم النظم التي اتبعها العرب والمسلمون لصيانة موارد البيئة النباتية والحيوانية من التلف والتدهور ومن اعتداءات الغير عليها. وكان يطلق عليه اسم: الحمى. والحمي - في اللغة - هو: «الموضع الذي فيه كلأ يحمي ممن يرعاه»

(٢). وهو يجمع على (أحماء). وهو في اصطلاح علماء الشريعة: «موضع من الموات يمنع من التعرض له ليتوافر فيه الكلأ، فترعاه مواشي مخصوصة» (٣).

والحمى في الأدبيات البيئية المعاصرة يقصد به: المناطق التي تخصص لحماية الحياة الفطرية من نباتات أو حيوانات، أو هما معاً، فترة محددة من الزمن بهدف المحافظة على الأحياء النباتية والحيوانية من الانقراض.

وقد نشأت الأحماء - أول ما نشأت - في شبه الجزيرة العربية. وكانت مكة المكرمة هي أول حمى فيها. فقد حماها أبو الأنبياء إبراهيم عليه السلام، ويستشهد على ذلك بحديث جابر - رضي الله عنه - أن رسول الله - ﷺ - قال: «إن إبراهيم حرم مكة، وإني حرمت المدينة ما بين لابتيها: لا تقطع عضاهها، ولا يصاد صيدها» رواه مسلم وأحمد. (واللابة: الحرة من الأرض، وهي الأرض ذات الحجارة السود).

ويستشهد على ذلك أيضاً بحديث أبي هريرة - رضي الله عنه - أن النبي - ﷺ - خرج حتى السقيا من الحرة، قال:

«اللهم إن إبراهيم عبدك ورسولك حرم مكة، اللهم وإني أحرم ما بين لابتي المدينة، مثل ما حرم إبراهيم مكة» رواه عبد الرزاق (واللفظ له) وابن ماجه.

وإذا ربطنا بين الحديثين السابقين يفهم منهما أن تحريم إبراهيم لمكة تضمن عدم قطع أشجارها، والنهي عن صيد ما فيها من حيوانات وطيور (فضلاً عن تحريم القتال فيها).

ويقول الدكتور علي علي السكري: «كان الإسلام أول من قرر مبدأ المحميات الطبيعية، وأقام ثلاثاً منها في مكة والمدينة والطائف، وحدد حدودها وقدر أبعادها، وسن التشريعات المناسبة لحماية الحياة البرية بها، وبذلك كان له فضل السبق في إدخال هذه التشريعات الحضارية المتقدمة للحفاظ على البيئة.

وقد حددت لحرم مكة حدود نصبت عليها أعلام في جهات خمس. وهذه الأعلام أحجار مرتفعة قدر متر منصوبة على جانبي كل طريق. فحده من جهة الشمال (التنعيم) بينه وبين مكة ٦ كيلو مترات، وحده من جهة الجنوب (أضاة) بينها وبين مكة ١٢ كيلو متراً، وحده من جهة الشرق (الجعرانة) بينها وبين مكة ١٦ كيلو متراً، وحده من جهة الشمال الشرقي (وادي نخلة) بينه وبين مكة ١٤ كيلو متراً. وحده من جهة الغرب (الشميس أو الحديبية) بينها وبين مكة ١٥ كيلو متراً. وقدر حرم المدينة باثنى عشر ميلاً، ويمتد من عير إلى ثور. وعير جبل عند الميقات، وثور جبل عند أحد من جهة الشمال. أما الحرم الثالث بالطائف فهو واد اسمه وجاء، وهو عند بعض العلماء حرم، وعند الجمهور ليس بحرم» (٤).

والحقيقة أن نظام الحمى كان شائعاً في الجاهلية بسبب ظروف الجفاف وقلة المسطحات الخضراء بها. وكان الشريف من العرب إذا نزل بلداً في عشيرته استعوى كلباً، فحمى لخاصته مدى عواء الكلب، فلا يرعى في هذه المنطقة أحد غيره. قال الآلوسي:

«كان العزيز منهم إذا انتجع بلداً مخصباً أوفى بكلب على جبل أو على نشز (٥) من الأرض ثم استعوى الكلب، ووقف له من يسمع منتهى صوته بالعواء، فحيث انتهى صوته حماه من كل ناحية لنفسه، ومنع الناس منه» (٦).

وقد فسروا بذلك المثل المعروف: (أعز من كليب وائل)(٧).

ومن أنواع الأحماء التي عرفها العرب القدامى:

١ - الأحماء النباتية التي يحرم فيها الرعي طوال العام:

وهي أحماء لا يسمح فيها برعي الإبل والأغنام، ولكن بعد أن تبلغ النباتات الموجودة فيها طولا معيناً، وتكون قد ازدهرت وأثمرت، فإنه في هذه الحال يسمح بحش النباتات وأخذها إلى الحيوانات خارج منطقة الأحماء. ويحدد عدد الأشخاص المسموح لهم بالحش من كل بيت وأسرة في القبيلة. كما يحدد مرورهم واختراقهم للحمى عبر مسارات محددة، بحيث لا يؤثر السير المستمر في دك التربة أو تفكيكها.

٢ - الأحماء النباتية التي يجوز فيها الرعي لفترة محددة:

وهي أحماء كان يسمح فيها بالرعي أو الحش أو بالاثنين معاً وذلك خلال موسم معين من السنة، بحيث يضمن اكتمال إزهار النباتات وإثمارها، حتى تنتشر بذورها في التربة.

٣ - الأحماء النباتية التي يسمح فيها بالرعي طوال العام لأنواع معينة من الحيوانات:

وهي أحماء كانت تستهدف حماية المراعي من التدهور النباتي بسبب سلوك بعض الحيوانات في غذائها كالماعز. فقد كان يحظر دخول هذه الحيوانات إلى الحمى، في حين يسمح بدخول الإبل؛ لأن الأولى تدمر في رعيها كل ما تقابله، وتلتهم كل ما تصادفه تقريباً، في حين أن الإبل تتناول غصناً من هنا، وآخر من هناك، ولا تأتي على شجيرة أو شجرة فتجهز عليها كلها.

٤ - الأحماء الخاصة بتربية النحل:

وكانت هذه الأحماء تترك حتى ينتهي موسم الأزهار، لتتاح الفرصة أمام النحل لالتقاط الرحيق وتكوين العسل. ولذلك لم يكن يسمح بالرعي أو حش النباتات فيها إلا بعد انقضاء موسم الأزهار.

وكان من الطبيعي أن تحدث تجاوزات لنظام الحمى في الجاهلية. ففي بيئة صحراوية كشبه الجزيرة العربية كانت الحروب تدور بين القبائل بسبب الرغبة في السيطرة على أماكن الكلأ والماء. ولهذا، كانت الأحماء عرضة للمطامع دائماً، ومحلاً للصراع بين القبائل. ولعل أشهر حرب وقعت من أجل حمى هي حرب البسوس التي استمرت أربعين عاماً بين قبيلتي بكر وتغلب بسبب حمى لـ «كليب بن وائل». «وكانت القبيلتان تلتقيان معاً حول جد نسبي واحد يتمثل في وائل بن قاسط» (٨)، ولهذا كانتا «تنتجعان مواطئ الكلأ مختلطة إبلهم» (٩) حتى وقع الخلاف. وقد أورد ابن إسحاق رواية مطولة لبداية الصراع حول الحمى، جاء فيها:

«خرج كليب يطالع، فإذا بناقة الجرمي مع إبل جساس وأهله ترعى في الحمى حتى قربت من عش القبرة فاقتلعته، فدنا كليب والطيرة تصفر وتصيح، فتعرفها فلم يعرفها من إبل أصهاره، فنادى جساساً وسأله عن خبرها، فأعلمه بقصتها. فقال كليب: فأولى لها ثم أولى لها، لقد أن أن أفعل، لا تعودن هذه الناقة في الحمى أبداً بعد اليوم، فظن جساس أنه قال ذلك ليخرج إبله من الحمى، فقال بالله لتعودن بعد مرة، ولا تضع إبلي رأسها إلا وهي معها، قال كليب: وا أنصاب

وائل!! لئن عادت لأضعن سلاحي في ضرعها..» (١٠).

وقد حمل لنا شعر الجاهلية نصوصاً حول الحروب التي دارت بسبب الأحماء، قيل: كان أحد ملوك حمير قد حمى حِمَى ولم يسمح لغير قومه بالرعي فيه، فأجدب (الراعي الهمداني الشاعر، فحلّ فيه ورعاه، فبلغ ذلك صاحب الحمى فبعث إليه جنداً من حمير، فطردهم الشاعر وهزمهم وأنشد:

رعيت حمى الملك المتقي
فرمت بذلك أمراً كبيراً
فأسمن مني الفتى مهره
وأبطن ذو المال منا البعيرا
فوجه في طلبي حِمْيَراً
فولّوا غداة التقينا الظهورا
فقالوا دع الكلب يرعى به
فقلت اجعلوا الكلب كلبا عقورا (١١)

وكثيراً ما نرى العطشى - في الشعر الجاهلي - يهجمون على الماء، والجوعى يصيحون، وهم يتحدون أصحاب الحمى، فيبيحون حماهم، قال أوس بن حجر:

نبيح حمى ذي العز حين نريده
ونحمي حمانا بالوشيج المقوم (١٢)

وقال زيد بن عمرو التميمي:

ونرعى حمى الأقوام غير محرم
علينا، ولا يرعى حمانا الذي نحمي (١٣)

ومن جهة أخرى كان أصحاب الأحماء يدافعون عنها. قال عامر بن الطفيل:

ولكنني أحمي حماها وأتقي
أذاها وأرمي من رماها بمنكب (١٤)

وقال سحيم بن وثيل:

وذادوا يوم طخفة عن حماهم
ذياد غرائب الإبل النهال (١٥)

الأحماء في الإسلام:

وضع رسول الله - ﷺ - قاعدة سار عليها المسلمون من بعده، وتضمنها الحديث الشريف الذي رواه أبو داود بسند حسن عن الصعب بن جثامة أن النبي - ﷺ - حمى النقيع وقال: «لا حمى إلا لله».

وفي رواية له: «لا حمى إلا لله ولرسوله» من غير ذكر النقيع كما في الصحيح. وبذلك ألغى الإسلام نظام الأحماء القبلية التي كانت مصدراً للحروب والصراع. وقد شرح الإمام الشافعي - رحمه الله - حكم الحمى في الإسلام فقال: «قوله ﷺ: لا حمى إلا لله يحتمل معنيين: أحدهما: ليس لأحد أن يحمي للمسلمين غير ما حمى - ﷺ - فلا يكون لوالٍ أن يحمي. والثاني: أنه لا يحمي إلا على مثل ما حمى رسول الله ﷺ، فللخليفة أن يحمي على مثل ما حمى رسول الله ﷺ. والثاني هو أظهر القولين، وهو قول الأزهري: وقال يعني للخيل أن تركب في سبيل الله. وقيل: معناه: ليس لأحد أن يحمي لنفسه إلا النبي ﷺ فإن ذلك من خصائصه، وإن لم يقع منه، ولو وقع لكان من مصالح المسلمين، ولأن مصلحته مصلحتهم».

وقال في (الأم): «كان الرجل العزيز من العرب إذا استنجع بلداً مخصباً أوفى بكلب على جبل... ثم استعواه... فحيث بلغ صوته حماه من كل ناحية، ويرعى مع العامة فيما سواه، ويمنع هذا من غيره لضعف سائمته، وما أراد قربه منها، فيرى أن قوله - ﷺ - والله أعلم: (لا حمى إلا لله ورسوله): لا حمى على هذا المعنى الخاص، ورسول الله - ﷺ - إنما كان يحمي إن شاء لمصالح عامة المسلمين، لا لما حمى له غيره من خاصة نفسه، وذلك أنه لم يملك إلا ما لا غنى به وبعياله عنه... قال: وقد حمى بعده عمر - رضي الله عنه - أرضاً لم يعلم أن رسول الله - ﷺ - حماها» (١٦).

وقد ثبت أن الرسول - ﷺ - حمى النقيع لخيل المسلمين (١٧)، وهذا الحمى على عشرين فرسخاً من المدينة، وهو صدر وادي العقيق، وهو أخصب موضع هناك (١٨).

وقال السمهودي نقلاً عن الهجري: «إن أول الأحماء وأفضلها وأشرفها ما أحمى النبي - ﷺ - من النقيع، أحماه لخيل المسلمين وركابهم، فلما صلى الصبح أمر رجلاً صيتا فأوفى على عسيب وصاح بأعلى صوته، فكان مدى صوته بريداً، ثم جعل ذلك حمى طوله بريد وعرضه الميل في بعض ذلك وأقل، وذلك في قاع مدر طيب ينبت أحرار البقل والطرائف ويستأجم، - أي يستأصل أصله ويغلظ حتى يعود كالأجمة - يغيب فيه الراكب إذا أحيا، وفيه مع ذلك كثير من العضاه والغرقد والسدر والسيال والسلم والطلح والسمر والعوسج...» (١٩).

وقد جعل الإسلام منطقة الحرم في مكة (محمية) لا يمس فيها حيوان إلا المؤذي ولا نبات إلا ما اقتضته الضرورة. وحظر على من أحرم بالحج أو العمرة أن يقتل صيداً أو يقطع شجرة في الحرم أو يكسرها أو يحرقها، أو يزيل نباتاً إلا ما كان منه يابساً ولحاجته. قال رسول الله - ﷺ -: «لا يعضد (يقطع) شجرها، ولا يحتش حشيشها، ولا يصاد صيدها».

ولو تصورنا أن الأعداد الكبيرة من الحجيج سمح لها بقطع الأشجار في موسم الحج وحده (الذي يتغير موعده عاماً بعد عام) فإن النتيجة النهائية لذلك هي استئصال مظاهر الحياة النباتية جميعها في مكة المكرمة، وستختفي مع ذلك الأحياء الحيوانية التي تعتمد على هذه النباتات في غذائها ومأواها.

كما أن النبي - ﷺ - حدد حمى المدينة المنورة الذي لا يجوز انتهاكه عن طريق العدوان على الإنسان أو صيد الحيوان أو قطع الأشجار. قال الإمام أبو إسحاق الحربي في كتاب (المناسك):

«إن النبي - ﷺ - حرم ما بين لابتي المدينة إلى عير وإلى ثنية المحدث وإلى ثنية الحفياء وإلى مضرب القبة وإلى ذات الجيش، من الشجر أن يقطع، وأذن لهم في متاع الناضح أن يقطع. وقد تواترت الأحاديث النبوية الشريفة في حمى المدينة المنورة.

فعن أبي هريرة - ﷺ - أن رسول الله - ﷺ - قال: «إن إبراهيم حرم مكة، وإني أحرم المدينة بمثل ما حرم». قال: «ونهى النبي - ﷺ - أن يعضد شجرها أو يخبط، أو يأخذ طيرها» ذكره صاحب شرح معاني الآثار (١٩٩٣/٤).

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أنه كان يقول: لو رأيت الظباء بالمدينة ترتع ما ذعرتها. قال رسول الله - ﷺ -: «ما بين لابيتها حرام» رواه الشيخان والترمذي.

وزاد في رواية بعد قول أبي هريرة: ما ذعرتها: «وجعل اثنى عشر ميلاً حول المدينة حمى» رواه مسلم.

وعن أبي أيوب الأنصاري - رضي الله عنه - أنه وجد غلماناً قد ألجأوا ثعلباً إلى زاوية فطردهم عنه. قال مالك: أفي حرم رسول الله - ﷺ - يصنع هذا (الموطأ ٨٩٠/٢).

وعن شرحبيل بن سعد قال: أتانا زيد بن ثابت ونحن في حائط ننصب فخاخا للطير، وطردنا، وقال: إن رسول الله - ﷺ - نهى عن صيد المدينة». رواه أحمد في مسنده.

وفي رواية بلفظ: أنه دخل الأسواق فصاد بها نهسا - أي طائراً - فدخل عليه زيد بن

ثابت وهو معه ففرك أذنه، وقال: «خل سبيله لا أم لك، أما علمت أن النبي - ﷺ - حرم ما بين لابتيها» رواه ابن أبي شيبة وأحمد.

وعن عبد الله بن عباد الزرقي أنه كان يصيد العصافير في بئر إهاب، وكانت لهم، قال: فرآني عبادة بن الصامت وقد أخذت العصفور، فينزعه مني فيرسله، ويقول: «أي بني: إن رسول الله - ﷺ - حرم ما بين لابتيها كما حرم إبراهيم مكة» رواه أحمد.

إن الأحاديث السابقة توضح كيف أن حمى المدينة يشمل نباتاتها بمختلف أنواع الحياة البرية فيها من حيوانات وطيور. وقد ثبت أن رسول الله - ﷺ - أجاز حماية الورود والأشجار المزهرة لتربية النحل، فقد أذن - صلوات الله وتسليماته عليه - لأبي سيارة المتعي «أن يحمي نحلا له» رواه ابن أبي شيبة في مصنفه (٣: ١٤١). وقد حمى أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - «الربذة» لماشية الصدقة، كما حمى عمر بن الخطاب «الربذة وشرف» لماشية الصدقة (٢٠)، وكانوا يمنعون غيرها من الرعي فيها (٢١).

وكان خلفاء المسلمين يتشددون في حماية الأحماء، وما يؤكد ذلك - بالنسبة لعهد عمر ابن الخطاب رضي الله عنه - قول محمد بن زياد: كان جدي مولى لعثمان بن مظعون، وكان يلي أرضاً لعثمان فيها بقل وقثاء، قال: فربما أتاني عمر بن الخطاب نصف النهار واضعاً ثوبه على رأسه يتعاهد الحمى، أن لا يعضد شجرة، ولا يخبط، فيجلس إلي فيحدثني، فأطعمه من القثاء والبقل، فقال لي يوماً: أراك لا تبرح هاهنا؟ فقلت: أجل، قال: إني استعملتك على ما هاهنا، فمن رأيته يعضد شجرة، أو يخبط، فخذ فأسه وحبله» (٢٢).

ومن أشهر الأحمية وأكبرها في جزيرة العرب حمى ضرية. وقد حماه عمر بن الخطاب لإبل الصدقة وخيل الجهاد، وكذلك حمى فيد، وهو فلاة في الأرض بين أسد وطيء. وذكر البكري في (معجم ما استعجم) أن عمر بن عبد العزيز - رضي الله عنه - «كان لا يؤتى بأحد قطع عوداً واحداً من الحمى إلا ضربه ضرباً موجعاً».

وكان المسلمون في شبه الجزيرة حريصين على المراعي فلا يفرطون في استنزاف ما بها من كلأ، فلم يكونوا يسمحون برعي الأغنام فيها إلا بقدر، حتى لا تدمر تماماً ولا تكون هناك فرصة لتكوين البذور التي لابد منها لإنبات الكلأ مرة أخرى. ونحن نجد إشارة إلى ذلك في الحوار الذي دار بين أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - وأبي عبيدة ابن الجراح - رضي الله عنه - في حادث وباء عمواس.

فقد روي أن أبا عبيدة حين عرف بعزم عمر على الرجوع قال له: أفراراً من قدر الله يا عمر؟ فقال عمر: لو غيرك يقول هذا يا أبا عبيدة. نعم، فراراً من قدر إلى قدر الله. ثم أردف عمر قائلاً: أرأيت لو أن رجلاً هبط وادياً له عدوتان، إحداهما خصبة، والأخرى جدبة، أليس يرعى من رعى الجدبة بقدر، ويرعى من رعى الخصبة بقدر؟ (٢٣).

وقد حافظت القبائل العربية على مراعيها وحماها في العصور الإسلامية المختلفة. ويحفل الشعر (وهو ديوان العرب) بالكثير من الإشارات إلى ذلك. ونكتفي كمثال بما قاله الشاعر الأموي: الصمة القشيري (المتوفى سنة ٩٥هـ) في وداع الحمى الذي اضطر إلى فراقه، ولكن ما هون عليه الأمر أنه يحمل في فؤاده ذكريات جميلة عنه:

قفا ودِّعا نجداً ومن ظلَّ بالحمى
وقلَّ لنجدٍ عندنا أن يودَّعا

بنفسي تلك الأرضُ، ما أطيب الربا
وما أحسن المصطاف والمتربعا

وأذكرُ أيّام الحمى ثم أنثني
على كبدي من خشية أن تصدعا

فليست عشيات الحمى برواجع
إليك ولكن خلِّ عينيك تدمعا (٢٤)

وهكذا، يتضح لنا من العرض السابق أن نظام الحمى قد أسهم في المحافظة على المراعي وصيانة ما فيها من موارد نباتية وحيوانية، وكان لذلك دور كبير في حماية أراضي هذه الحمى من التصحر ومن الاستنزاف الكبير لثرواتها الحيوية من حيوانات ونباتات. ■

الهوامش والمراجع:

١ - د. زين الدين عبدالمقصود، المحمية الحيوانية: وسيلة متطورة لصون البيئة، سلسلة قضايا بيئية، جمعية حماية البيئة، الكويت، جمادى الأولى ١٤٠٩هـ ١٩٨٨م، صفحة ١٣.

٢ - نور الدين علي بن أحمد السمهودي، وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٩٨٤م، الجزء الثالث، صفحة ١٠٨٢.

٣ - المرجع السابق، صفحة ١٠٨٢.

٤ - د. علي علي السكري، البيئة من منظور إسلامي، صفحة ٢٠:٢١.

٥ - النشز: ما ارتفع من الأرض.

٦ - محمود شكري الآلوسي، بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، تحقيق: محمد بهجت الأثري، المكتبة الأهلية بمصر، ١٩٢٤م، الجزء الثالث، صفحة ٣٣.

٧ - أحمد بن محمد الميداني، مجمع الأمثال، طبع دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٦١م، ج ٣، ص٣٢.

٨ - ديوان عمرو بن كلثوم التغلبي، تحقيق: أيمن ميدان، النادي الأدبي الثقافي بجدة، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م، صفحة ٩٧.

٩ - أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري، شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، تحقيق وتعليق: عبدالسلام هارون، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الرابعة، ١٩٨٤م، صفحة ١٦٩.

١٠ - ديوان عمرو بن كلثوم التغلبي، مرجع سابق، صفحة ١٠٢ «نقلاً عن بكر وتغلب لمؤلف مجهول، رواية محمد بن إسحاق وابن الكلبي، مخطوط بدار الكتب المصرية رقم٢٠ - أدب ش، صفحة ٣٢».

١١ - الهمدانيون: شعر همدان وإخبارها، جمع وتحقيق: حسن أبو ياسين، طبع دار العلوم، الرياض، ١٩٨٣م، ١٩٨٣م، صفحة ٢٥٦.

١٢ - ديوان أوس بن حجر، تحقيق: محمد يوسف نجم، دار صادر، بيروت، ١٩٦٧م، صفحة ١٢٤.

١٣ - شعر بني تميم في العصر الجاهلي، جمع وتحقيق: عبدالحميد المعيني، نادي القصيم الأدبي، ١٩٨٢م، صفحة ٣٥٥.

١٤ - ديوان عامر بن طفيل بشرح الأنباري، تحقيق: كرم البستاني، دار صادر، بيروت، ١٩٦٣م، ص١٣.

١٥ - شعر بني تميم في العصر الجاهلي، مرجع سابق، صفحة ٢٦٦.

١٦ - نور الدين علي بن أحمد السمهودي، وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى، مرجع سابق، الجزء الثالث، صفحة ١٠٨٦:١٠٨٧.

١٧ - الحافظ نورالدين علي بن أبي بكر الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، مكتبة القدس، القاهرة، ١٣٥٢هـ، الجزء الرابع، صفحة ١٥٨.

١٨ - نور الدين علي بن أحمد السمهودي، وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى، مرجع سابق، الجزء الثالث، صفحة ١٠٨٣.

١٩ - المرجع السابق، صفحة ١٠٨٣:١٠٨٤.

٢٠ - د. محمد راكان الدغمي، في الإسلام: الغذاء لكل فم، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٣م، صفحة ٥٧.

٢١ - عبدالقديم زلوم، الأموال في دولة الخلافة، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٣م، صفحة ٨٦.

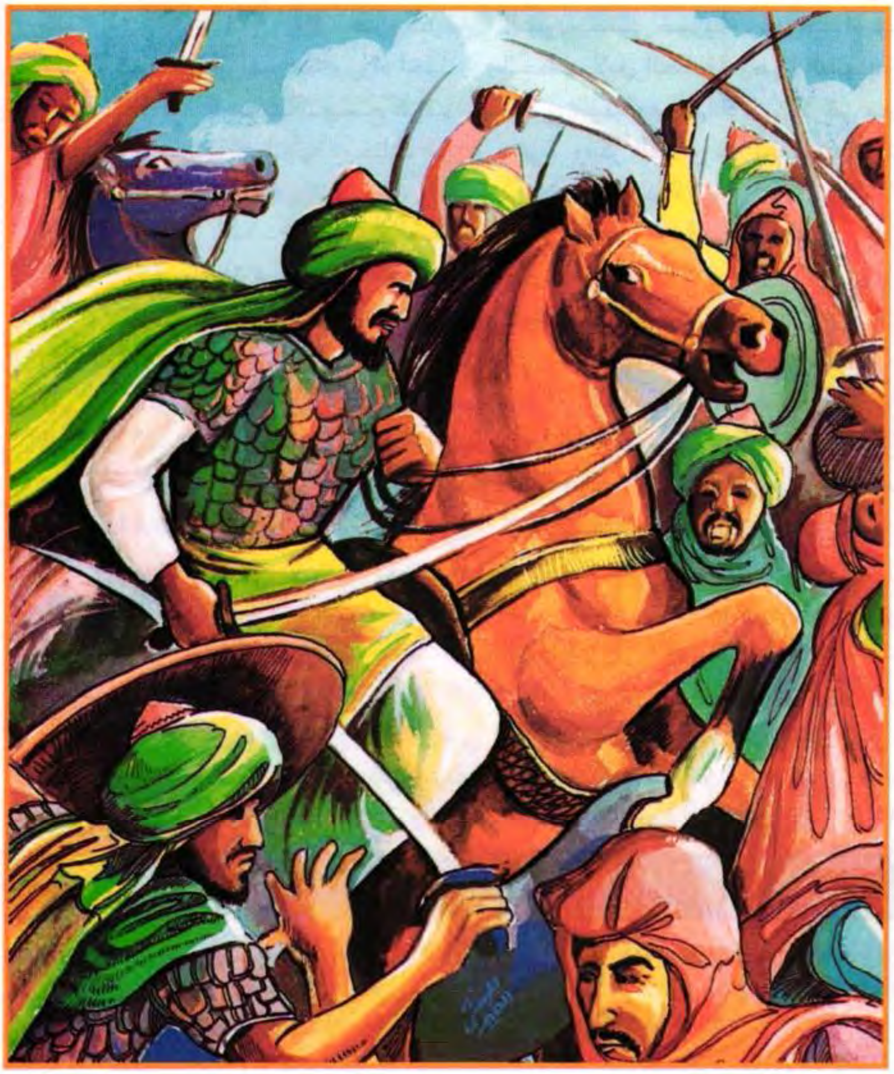
٢٢ - د. سليمان محمد الطماوي، عمر بن الخطاب وأصول السياسة والإدارة الحديثة: دراسة مقارنة، دار الفكر العربي، صفحة ١٩١:١٩٢.

٢٣ - عبدالحميد الهاشمي، الرسول العربي المربي، دار الثقافة للجميع، دمشق، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م، صفحة ٢٠٠:٢٠١.

٢٤ - الصمة القشيري، قصيدة بعنوان «حنين»، مجلة «البحرين الثقافية»، العدد ١٥، يناير ١٩٩٨م، صفحة ٢٤.

شعر: جاك صبري شماس

سيعود مجد الفاتحين



من أين أبدأ خانني الإيحاء
وتشتّت في خاطري الآراء
وامتدّ جنح الليل يطوي أنجماً
هل يهتدي في العتمة الغرباء
من أين أبدأ فالرماح تحوطني
لا النخل يعرفني ولا البيداء
أمضي فتزجرني الحدود بريبة
والساخران: العجم والقرباء
أوقفت راحلتي يبعثرني النوى
لا العمّ يرشدني ولا الحلفاء
ومسحت دمع الكبرياء بخفية
فاستيقظت لجراحي الخنساء
قالت شقيقي قد سمعتك شاكياً
فارتجّت البطحاء والجوزاء
كيف المنام وأمتي كسفينة
في اليمّ قد عصفت بها الأنواء
والمسجد الأقصى تحاصره اللظى
لا الخيل تصهل لا السيوف مضاء
يا «خنس» يحجب ناظري فجائعٌ
والصدر قد جاشت به الرمضاء
نامت على سرر الهوان كرامتي
والثائران: الدمع والأهواء

لولا الهداية من تليد شموخنا
لانهار من رحم التراب بناء
لكنه الأمل الموضّأ بالتقى
حيث العروبة بالتراث تضاء

تمتدّ أيد كي تصافح «خالداً»
ويرفّ في كبد السماء سناء
يا «خنس» يغمرني» الرجاء وفرحة
ويقودني في الحالكات ضياء
سيعود مجد الفاتحين لسفرنا
ويجلّ ضاداً وحدة عصماء
والعرب تقرض رأيها ووجودها
حيث اصطفاها «المصطفى» المعطاء

الوعي الإسلامي - خاص

الجامعة الإسلامية المفتوحة في أميركا تعتمد استراتيجية التعليم عن بعد

تستمر مجلة «الوعي الإسلامي» بنشر معلومات خاصة بالجامعات الإسلامية والعالمية في مختلف أنحاء العالم، وهي تدعو إلى المشاركة بهذا الجانب المهم لتعميم التعليم الجامعي ومساعدة الطلاب الراغبين بإكمال دراساتهم الجامعية وذلك بتزويدهم بكامل المعلومات الخاصة عن الجامعات في العالم، والمجلة تترقب مزيداً من التواصل.

هناك شبه إجماع على حاجة الأمة إلى إحياء العلم الشرعي الصحيح وإشاعة الانتفاع به، وتوافر الآليات القادرة على الاضطلاع بذلك هي حاجة ماسة، خاصة بعد أن ورثت الأمة عبر عصور الانحدار جملة من المفاهيم المغلوطة التي محت من ذاكرة سوادها الأعظم كثيراً من حقائق الإسلام، ولبَّست عليهم الحق بالباطل في كثير من الأمور.

وهناك حاجة المجتمعات الغربية إلى حسن التعريف بالإسلام والمعالجة العلمية الهادئة لشبهات خصومة. هي حاجة ماسة، خصوصاً بعد أن أقامت بعض الدراسات الاستشراقية المغرضة حاجزاً نفسياً كثيفاً يحول بين هذه المجتمعات وبين التدبّر الموضوعي لحقائق الإسلام، بل قتلت في كثير منهم مجرد الرغبة في التعرّف على حقائقه.

ولا يخفى أن الحاجة إلى تطوير طرائق التعليم وآلياته والاستفادة من وسائط التقنية المعاصرة لتخطي الحدود الإقليمية والحواجز الجغرافية للوصول إلى كل راغب في التزود من العلوم الشرعية، ونقل التعليم إليه بدل انتقاله هو إلى مؤسسات التعليم ذاتها حاجة ماسة كذلك، ذلك أن استيعاب الجامعات الإسلامية غير المفتوحة لكل المتطلعين إلى التزود من العلوم الشرعية يوشك أن يكون ضرباً من الخيال، وذلك لتقاصر الإمكانات المتاحة لهذه الجامعات دون استيعاب هذه الأعداد الهائلة التي تتنامى يوماً بعد يوم مع تنامي الصحوة الإسلامية المعاصرة من ناحية، ولعدم ملاءمة أنظمة هذه الجامعات وما تحتاجه من تفرغ وانقطاع للظروف الحياتية لهؤلاء الدارسين من ناحية أخرى.

من أجل هذا وغيره تم إنشاء الجامعة الإسلامية المفتوحة في الولايات المتحدة الأميركية.

وتنطلق الجامعة الإسلامية المفتوحة - كما يقول رئيسها د.صلاح الصاوي، من فكرة توافر الخدمات التعليمية للناس كافة، ونقلها إليهم في مواقعهم ليزاوجوا بين طلب العلم وبين الاضطلاع ببقية المسؤوليات الحياتية، ويكيِّفوا برامجهم الدراسية بما يتفق وأوضاعهم المعيشية، الأمر الذي يعني توفيراً واضحاً للطاقة البشرية والمادية وزيادة السنوات الإنتاجية في عمر الأمة.

وتطبق الجامعة الإسلامية المفتوحة المناهج الأكاديمية نفسها التي تطبقها الجامعات الإسلامية الأخرى غير المفتوحة، آخذة بعين الاعتبار خصوصية الزمان والمكان والمخاطبين، وقد اتخذت من مناهج جامعة الأزهر في مصر وغيرها من الجامعات الإسلامية بالمملكة العربية السعودية وغيرها منطلقاً لها، نظراً لما تتمتع به هذه الجامعات من عراقة وقبول عام في

عنوان الجامعة

The Americnopen Unversity.
3400 Payne ST. Suite 200. Falls
Church, VA 22041 U.S.A.
Tel (703) 671 - 2115
Fax (703) 671 - 2377

الأوساط التعليمية الجامعية على مستوى العالم الإسلامي، بالإضافة إلى بعض الإضافات العلمية الأخرى التي ترى ضرورة إضافتها نظراً لخصوصية المكان الذي نشأت به الجامعة وطبيعة المهمة التي أنيطت بها.

وتعتمد الجامعة الإسلامية المفتوحة أسلوب التقويم المعهود نفسه لدى الجامعات الأخرى غير المفتوحة من حيث البحوث الصيفية والاختبارات النهائية، بالإضافة إلى بعض المطالب الأكاديمية الأخرى التي تضمن حسن الإشراف على الطالب وتعوّض الفرق بين الانتظام وبين التعليم عن بعد.

وتتميز الجامعة بمرونة نظامها الإداري الذي يتلاءم وظروف جميع الدارسين. فهي لا تلزمهم بالحضور المنتظم إلى مقارها الأمر الذي يجعلها أقرب إلى نظام الانتساب، ولكنها تتفوق على الانتساب المعهود في الجامعات المفتوحة بما تتيحه من وسائط تقنية تنقل من خلالها شرحاً لجميع المقررات بوساطة نخبة من كبار الأساتذة معتمدة في ذلك على استخدام القنوات التلفازية العامة والتجارية، وعلى إعداد الأشرطة السمعية والمرئية واستخدام إمكانات الهاتف والحاسب الآلي والبريد الإلكتروني وغير ذلك من الوسائل والإمكانات المعاصرة، فضلاً عن التواصل مع الجامعة من خلال الساعات المكتبية التي تتيحها الجامعة في جميع المواد.

أيضاً، فإن الجامعة لاتلزم الدارسين القيام بالاختبار في مقر الجامعة، بل تقيم جملة من المراكز في مختلف المناطق بما يتيح للطالب أداء هذه الاختبارات في سهولة ويسر.

وتتيح الجامعة لطلابها فرصة التتلمذ على يد كبار أهل العلم في العالم الإسلامي في شتى المجالات، فهي لا تقتصر على الأساتذة المقيمين داخل الولايات المتحدة، بل تتعاون مع الأساتذة حيثما وجدوا، وتقوم وسائل التقنية بعملية الربط بين الأساتذة وبين الدارسين.



د.صلاح الصاوي

سياسة القبول

ويتسم قبول الطلبة في الجامعة الإسلامية المفتوحة بمرونة خاصة، فمن حيث المبدأ يمكن لأي شخص حاصل على شهادة الثانوية العامة كحد أدنى أو ما يعادلها، بغض النظر عن سنّه أن يلتحق بالدراسة في هذه الجامعة، حيث يقدم الطالب شهادتي تزكية من بعض العلماء أو الدعاة، أو المؤسسات الإسلامية ممن هم في محيط عمله الوظيفي أو الدراسي.

وتستوفي الجامعة رسوماً من الطلبة، أقل إجمالاً مما تستوفيه الجامعات الأخرى غير المفتوحة، وهي موزعة كما يلي:

• **رسم التسجيل:** (٣٥) دولاراً، و(٥٠) دولاراً لمرحلة الماجستير، و(١٠٠) دولار لمرحلة الدكتوراة، وهذا الرسم غير قابل للرد.

في حال تخلّف الدارس عن الدراسة

• **رسوم الدراسة:** وتحدد وفق الساعة الدراسية، إذ تكلف الساعة الدراسية (٤٠) دولاراً لمرحلة البكالوريوس، و(٦٠) دولاراً لمرحلة الماجستير، و(١٠٠) دولار لمرحلة الدكتوراة.

وتسعى الجامعة إلى توفير بعض المنح الدراسية لحفظة القرآن الكريم، ولكل من يحصل على تقدير امتياز في الاختبارات النهائية، ولأصحاب التفوق العلمي الخاص في مجال تخصصهم، كما تسعى قدر طاقتها لتوفير بعض المنح لغير القادرين مادياً.

وإذا انسحب الطالب من الدراسة قبل مرور شهر كامل على بدء الفصل الدراسي فيمكنه أن يسترد الرسم الدراسي الذي دفعه بالكامل، أما إذا استمر في دراسة الشهر الأول من الفصل فيضيع حقه في استرداد الرسم الدراسي.

نظام الدراسة

وتعتمد الجامعة نظام الساعات الدراسية على أساس أن الساعة الدراسية تعادل (١٥) أسبوعاً دراسياً، فيما تقسم السنة الدراسية إلى ثلاثة فصول «الخريف، والشتاء، والربيع».

ويحتاج الطالب في مرحلة البكالوريوس إلى مجموع ١٣٢ ساعة تؤهله لنيل درجة الإجازة العالية أو البكالوريوس في الدراسات الإسلامية، إضافة إلى تقديم بحث

د. الصاوي: نسعى لنشر وسطية الدين وإيجاد الحلول الشرعية للمشكلات المعاصرة

سياسة التقويم

تستخدم الجامعة أساليب متنوعة لتقويم تحصيل طلبتها في المقررات الدراسية، ويشمل هذا التقويم:

- التقويم الذاتي الذي يختبر به المتعلم نفسه أولاً بأول.
- التقويم في أثناء الفصل الدراسي من قِبَل المشرف الأكاديمي، وذلك من خلال إجابة الطالب على تعيينات تقوم الجامعة بإعدادها، وإعداده لبحوث ترسم الجامعة سياستها، وعلى اختبارات في أثناء الفصل الدراسي.
- التقويم الختامي الشامل، وذلك من خلال الامتحانات النهائية التي تكون في نهاية المطاف بعد اجتياز الساعات الدراسية المقررة بنجاح.
- يتم تقويم مستوى الطالب الأكاديمي على أساس مجموعة البحوث التي يقدِّمها لكل مقرر في الفصل الدراسي، بالإضافة إلى نتائج الاختبارات الفصلية.

١٣٢ ساعة دراسية للحصول على البكالوريوس و٣٥ ساعة للماجستير والدكتوراة



الجامعة تعتمد مناهج الأزهر الأكاديمية وتزاوج بين العلوم الشرعية والمادية

التخرج واجتياز الاختبار النهائي الشامل، وهذه الساعات تزيد تسع ساعات عن متطلبات البكالوريوس في الجامعات غير المفتوحة.

ويمكن لهذه الزيادة أن تضيف بعداً أكاديمياً للجامعة لتغطي الثُغر التي تتصف بها الجامعات المفتوحة والتي تتمثل في عدم توافر المتابعة الشخصية اليومية من الأستاذ لطلابه.

ويحتاج الطالب في مرحلة الماجستير إلى مجموع ٣٢ ساعة دراسية معتمدة بالإضافة إلى مناقشة الأطروحة التي تعادل ٦ ساعات دراسية واجتياز الاختبار الشامل.

كما يحتاج الطالب في مرحلة الدكتوراه إلى مجموع ٣٠ ساعة وهي عبارة عن دراسات منهجية بالإضافة إلى الأطروحة التي تعادل ٣٥ ساعة دراسية واجتياز الاختبار الشامل.

كيفية الالتحاق بالجامعة

ترسل الجامعة لطالبي المعلومات وراغبي الالتحاق نماذج المعلومات واللوائح وطلبات الالتحاق والتسجيل، فيما يتولى الدارس ملء هذه النماذج واستيفاء المتطلبات اللازمة للالتحاق وإرسال ذلك إلى الجامعة التي تقوم بدورها بإخطار الدارس بالقبول بعد تدقيق أوراقه وتتولى إرسال المواد التعليمية إليه «كتب، وأشرطة مسموعة ومرئية».

ويتولى الأساتذة الإجابة على أسئلة الدارسين وتذليل ما يعترضهم من صعوبات علمية وذلك من خلال الساعات المكتبية المقررة لكل أستاذ والمبينة في الجدول الذي يرسل مع المواد التعليمية في مطلع كل فصل دراسي، وترفق فيه أرقام الهواتف التي يتسنى الاتصال بالأساتذة من خلالها.

ترسل الجامعة إلى الدارس الاختبارات التحريرية بالفاكس أو بالبريد ويتولى الدارس أمر الإجابة عليها وإعادتها إلى الجامعة في مدة لاتتجاوز ثلاثة أيام من تاريخ وصولها إليه.

يؤدي الدارس اختباراً شفوياً في كل مادة في نهاية كل فصل دراسي وذلك من خلال الهاتف، ويتم ترتيب المواعيد حسب السياسة التي يرسمها الأساتذة بالتفاهم مع الجامعة، ثم يقدم الطالب ورقة علمية في كل مادة دراسية يسجلها في نهاية كل فصل دراسي، وتحسب نتيجة الفصل الدراسي على أساس مجموع درجات الاختبارات التحريرية والاختبار الشفوي ودرجة الورقة العلمية. ■

أهداف الجامعة

تسعى الجامعة الإسلامية المفتوحة إلى تحقيق عدد من الأهداف هي:

- التكامل مع الجامعات الإسلامية الأخرى غير المفتوحة في إحياء العلم الشرعي الصحيح، واستفاضة البلاغ بالوسطية الإسلامية التي تنأى عن كل من التغريب والغلو في الدين.
- إتاحة فرصة الدراسة الجامعية أمام الراغبين في التزود من العلوم الشرعية ممن لم يتح لهم ذلك عبر الجامعات الإسلامية الأخرى غير المفتوحة.
- إتاحة الفرصة للتعرف على حقائق الإسلام عقيدة وشريعة أمام الراغبين في ذلك من غير المسلمين في المجتمعات الغربية، وإزالة اللبس الذي أنشأته بعض الدراسات الاستشراقية المغلوطة.
- توسيع رقعة الاستفادة من العلم الشرعي، ونقل الدراسة الجامعية إلى كل بيت، وتجاوز الحدود الإقليمية والجغرافية التي تقف حائلاً دون ذلك.
- المحافظة على الهوية الإسلامية، ونشر التراث الإسلامي والعربي في الأوساط الغربية.
- المشاركة في إيجاد الحلول الأكاديمية للمشكلات المعاصرة ولا سيما تلك التي يواجهها المسلمون المستوطنون في المجتمعات الغربية.
- المزاوجة بين العلم والعمل، وتمكين الدارس من الاعتماد على الذات، وتكييف برنامجه الدراسي بما يتفق وأوضاعه وظروفه الحياتية.

إعداد: عبد الله بدران ◆

الشهيد في السنة النبوية



نوقشت في كلية الشريعة بجامعة الكويت رسالة علمية بعنوان «الشهيد في السنة النبوية من واقع الكتب الستة» نال بها الطالب الكويتي عادل جاسم المسبحي درجة الماجستير ضمن برنامج الحديث الشريف وعلومه.

وهدفت الرسالة إلى توضيح أمور عدة منها:

أولاً: التأكيد أن الإسلام دين الجهاد والقوة والعزة ولا يرضى بالذل والهوان.

ثانياً: المساهمة في تخليد ذكرى الشهداء تسلية لأهلهم وذويهم.

ثالثاً: معالجة بعض الأخطاء التي انتشرت إبان الغزو العراقي حول مفهوم الشهادة.

رابعاً: بيان الرأي الراجح في العمليات الفدائية المعاصرة.

خامساً: جمع مرويات الشهيد والشهادة من خلال الكتب الستة وهي: «صحيح البخاري ومسلم وسنن أبي داود وابن ماجه والنسائي وجامع الترمذي».

واقتضت الدراسة في هذا البحث أن يشتمل على مقدمة وتمهيد وخمسة أبواب وخاتمة، وتضمنت المقدمة أهمية الموضوع وسبب اختياره وخطة البحث ومنهجه، أما التمهيد فاحتوى على خمسة مباحث هي: تعريف الشهيد لغة واصطلاحاً، والشهادة والشهيد في القرآن الكريم، وتسمية الشهيد، وسبب خلاف العلماء في التسمية، وأقسام الشهادة.

وجاء الباب الأول بعنوان: أسباب الشهادة وضم فصلين أولهما الشهادة الكبرى والآخر الشهادة الصغرى، فيما حمل الباب الثاني عنوان: فضل الشهيد ومناقبه واشتمل على فصلين أولهما فضل الشهيد والثاني صور رائعة لبعض شهداء الصحابة.

وضم الباب الثالث الذي جاء بعنوان: تمني الشهادة وشروط اعتبارها، ثلاثة فصول أولها تمني الشهادة وطلبها، والثاني شروط الاعتبار بالشهادة، والثالث من صور انتقاض شروط الاعتبار بالشهادة.

وجاء الباب الرابع بعنوان أحكام الشهيد، وتضمن ستة فصول أولها غسل الشهيد، والثاني الصلاة على الشهيد، والثالث تكفين الشهيد، والرابع دفن الشهيد، والخامس إطلاق لفظ الشهيد، والسادس العمليات الفدائية.

وحمل الباب الخامس والأخير عنوان: الأحاديث الضعيفة الواردة في الشهيد والشهادة واشتمل على فصلين أولهما الأحاديث الضعيفة الواردة في أسباب الشهادة، والثاني الأحاديث الضعيفة الواردة في فضل الشهيد.

أقسام الشهادة وأسبابها:

تبين للباحث من خلال المقدمة أن الشهيد سمي شهيداً لأنه حي لم يمت، فهو عند الله تعالى شاهد حاضر حي.

وأن الشهادة أقسام:

١ ـ الشهادة الكبرى أو شهيد الدنيا والآخرة، وهو من قتل مجاهداً في سبيل الله مقبلاً غير مدبر في حرب الكفار.

٢ ـ الشهادة الصغرى أو شهيد الآخرة، وهو المبطون والمطعون وصاحب الهدم وغيرهم ممن مات بسبب فيه شدة على النفس تفضل الله بها على أمة محمد، ﷺ، فجعلهم من الشهداء، ممن جاءت الروايات الصحيحة بتسميته شهيداً.

كما أن لفظ «شهد» وما يشتق منه تكرر في كتاب الله تعالى نحو مئة وستين موضعاً.

وخرج الباحث من الباب الأول بنتائج عدة منها:

أ ـ أن أسباب الشهادة متعددة، منها ما يتعلق بأسباب الشهادة الكبرى، ومنها ما يتعلق بالشهادة الصغرى.

ب ـ من قتل مجاهداً في سبيل الله في حرب الكفار مقبلاً غير مدبر فقد نال الشهادة الكبرى.

ج ـ من سأل الله الشهادة بصدق بلغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه حتف أنفه.

د ـ من سأل الشهادة بصدق يسر الله له أسبابها.

هـ ـ أن الشهداء مراتب وهم في التفاضل منازل.

و ـ حرص الإسلام على حفظ الضرورات الخمس، فشرع من التشريعات ما يكفل حفظها وحصيانتها.

الشهداء والنعيم السرمدي:

وتبين للباحث من الباب الثاني نتائج عدة من أهمها:

أ ـ أسبغ الله على الشهيد النعيم السرمدي والسعادة الأبدية الخالدة.

ب ـ تكريم الله للشهداء حيث اصطفاهم للشهادة من دون سائر الخلق.

ج ـ يعطى الشهيد خصالاً بطريق الخصوصية مالم يعطه أحد من المؤمنين، ومن النعيم الذي يتنعم به الشهيد:

١ ـ أن الشهيد يضمن الجنة.

٢ ـ أن الشهيد في نعيم لم ير مثله قط.

٣ ـ أن الله يكرم الشهيد فيضحك إلى القاتل والمقتول في سبيل الله.

٤ ـ أن الشهيد مع الثلاثة الذين يحبهم الله.

٥ ـ أن الشهداء أحياء عند ربهم يرزقون.

٦ ـ استحقاق الشهيد لمرضاة الله سبحانه.

٧ ـ يغفر للشيهد كل ذنب إلا الدين.

٨ ـ يأمن الشهيد من عذاب القبر.

٩ ـ الشهداء مع النبيين والصديقين والصالحين.

١٠ ـ يأمن الشهيد من الفزع الأكبر.

١١ يوضع على رأس الشهيد تاج الوقار، ويحلى بحلية الايمان.

١٢ ـ يشفع الشهيد في سبعين من أهل بيته.

١٣ ـ المرابط الشهيد يجري عليه عمله ورزقه.

١٤ ـ يكرم الشهيد فيأتي يوم القيامة تثغب جراحه «أي تنزف»، اللون لون الدم، والريح ريح المسك.

السنة النبوية وطلب الشهادة:

وتبين للباحث من خلال الباب الثالث أن السنَّة النبوية جاءت بأحاديث وافرة ترغِّب المؤمنين في طلب الشهادة وتمنيها، وأن السنَّة المطهرة حرصت على بيان الشروط الواجب توافرها حتى يكون العمل متقبلاً عند الله، وهي أن يكون القتال في الإسلام نصرة لدين الله تعالى، لتكون كلمة الله هي العليا، وأن يقتل المسلم في ساحة القتال مقبلاً غير مدبر صابراً محتسباً.

أما نتائج الباب الرابع من الدراسة فتضمنت أمور عدة منها:

١ ـ لا يغسل الشهيد، ولا يزال عنه أثر الدم والجراح.

٢ ـ ينزع عن الشهيد الجلود والحديد والسلاح وغير ذلك مما ليس من جنس الثياب.

٣ ـ يكفن الشهيد بالثياب التي قتل بها.

٤ ـ يدفن الشهيد في موضعه الذي قتل فيه ولا ينقل إلى مكان آخر.

٥ ـ يجوز نقل الشهيد من موضعه الذي دفن فيه إلى موضع آخر وذلك عند الضرورة التي يقدرها أهل العلم الشرعي.

الشهادة أعظم أعمال الإسلام:

وبين للباحث في ختام رسالته أن الله سبحانه وتعالى كرَّم الشهيد إذ جعل الشهادة في سبيله من أعظم الأعمال في الإسلام، كما أن الإسلام اعتنى عناية خاصة بالجهاد وحض المسلمين عليه، إذ بلغت المرويات الخاصة بالشهيد والشهادة نحو ٣٦٠ حديثاً منها في الصحيحين ما يقرب من ١٥٠ حديثاً.

كما اتضح أن الإسلام دين الحق والعدالة، وأنه يرفض الظلم وينبذه، وقد أتاح للمسلم أن يقاتل من أجل حماية دينه وعرضه وماله ودمه، وأن الله رحيم بعباده، حيث بينت السنة النبوية ذلك من خلال النظر في عموم أسباب الشهادة، وأن كل ميتة فيها شدة على النفس تجعل صاحبها برحمة الله وفضله من الشهداء. كما تبين عدالة مبادئ الإسلام التي تمنع أن تكون الشهادة وسيلة لظلم الآخرين وسبباً لضياع حقوقهم. ■

---

* كاتب سوري متخصص في الاعلام الديني

رسائل وأطروحات

• **استدلالات الأصوليين بإجماع الصحابة (جمعاً وتوثيقاً ودراسة)**

أطروحة دكتوراه ناقشها الطالب يوسف حسن عبد الرحمن الشراح ـ المعيد في قسم أصول الفقه بكلية الشريعة في جامعة الكويت ـ في كلية الشريعة بالرياض، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. أشرف على الأطروحة الدكتور محمد بن عبد الرزاق الدويش.

• **الذخائر شرح منظومة الكبائر: شمس الدين أبو العون محمد بن أحمد بن سالم بن سليمان السفاريني النابلسي الحنبلي (١١١٤هـ ـ ١١٨٨هـ)**

رسالة ماجستير قدمها الطالب وليد بن محمد بن عبدالله العلي إلى قسم العقيدة في كلية الدعوة وأصول الدين بالجامعة الإسلامية في المدينة المنورة. أشرف على الرسالة الدكتور محمد بن خليفة بن علي التميمي.

• **«التعليقة الكبرى في الفروع» وهي «شرح مختصر المزني» للقاضي أبي الطيب طاهر بن عبدالله الطبري (٤٥٠هـ) دراسة وتحقيق من بداية كتاب الطهارة إلى نهاية باب جامع التيمم والعذر به.**

رسالة ماجستير ناقشها الطالب حمد بن محمد بن جابر في قسم الفقه بكلية الشريعة في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة. أشرف على الرسالة الشيخ عبدالله بن فهد الهجاري الشريف.

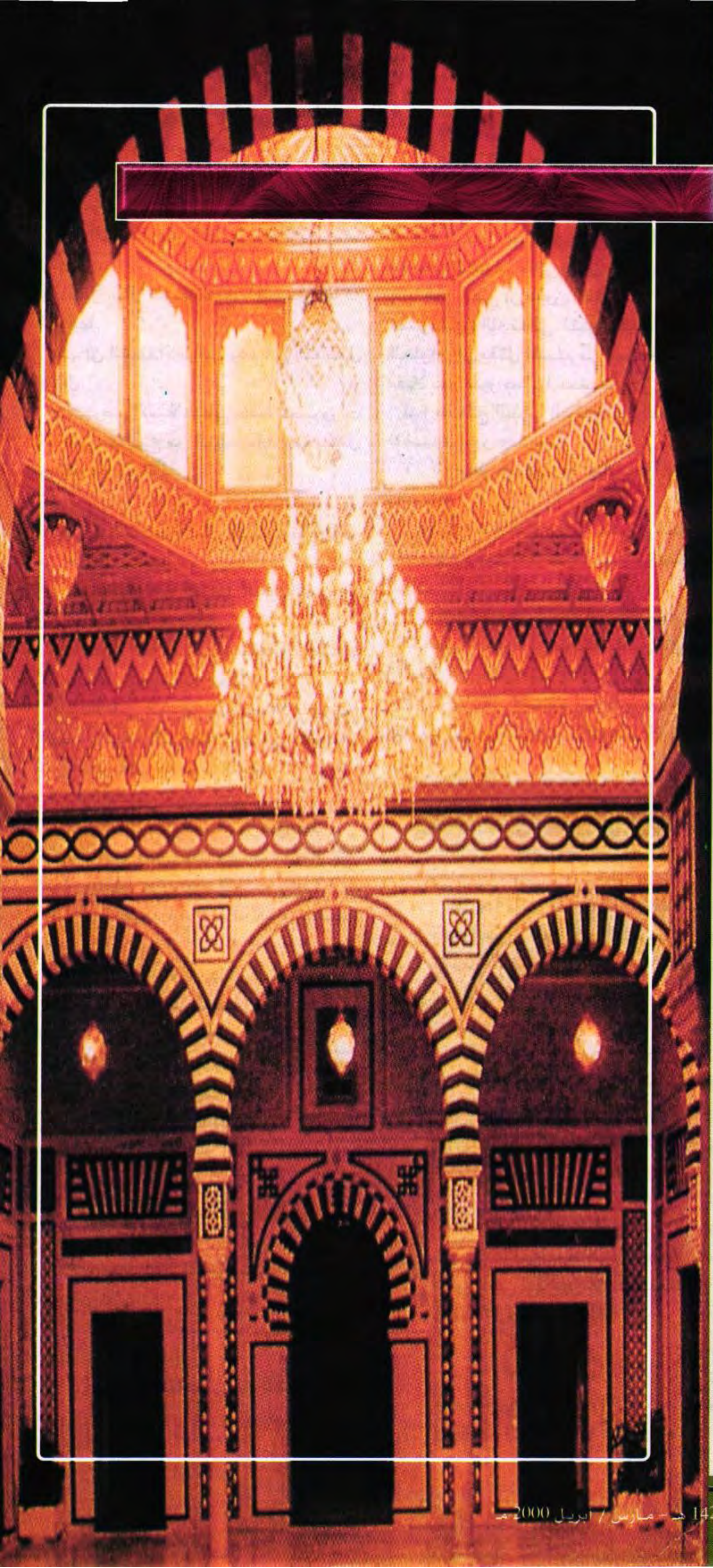
• **أحاديث العقيدة في مسند الإمام أحمد/ توحيد الإلهية.**

رسالة ماجستير قدمها الطالب سالم بن حسن الكندري إلى قسم العقيدة في كلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. أشرف على الرسالة الدكتور عبد الرحمن بن صالح المحمود.

بقلم : ابتهال محمد علي البار

الفنان المسلم

الطبيعة... الجمال... الكون... كلها عناصر تتضافر لتكوّن الفنان المسلم المتميز بحسه المرهف، الذي استطاع أن يترك بصماته الفنية واضحة عبر العصور التاريخية باختلاف البقاع التي وطأتها قدماه، وإنه من الحري بنا أن نسلط الضوء على تلك اللمسات الفنية الرائعة التي برزت في مظاهر كثيرة لتكون خير شاهد عبر القرون على أن المسلم هو أكثر الناس إحساساً بالجمال في كل مظاهر الحياة، بل حتى في تلك المظاهر التي قد تبدو بسيطة بعيدة كل البعد عن القيمة الفنية، لكن الفنان المسلم كان يحيا بروح جميلة فرأى الجمال في كل ما حوله مستعيناً على ذلك بصفاء سريرته وشفافية حسه.



«والفنان هو شخص موهوب ذو حساسية خاصة تستطيع أن تلتقط الإيقاعات الخفية للطبيعة التي لا تدركها الأجهزة الأخرى في الناس العاديين، وذو قدرة تعبيرية خاصة تستطيع أن تحول هذه الإيقاعات التي يتلقاها حسه مكبرة مضخمة إلى لون من الأداء الجميل، يثير في النفس الانفعال ويحرك فيها حاسة الجمال» (قطب:١٩٨١، ١٥)، ويرى الدكتور زكريا إبراهيم أن «الفنان إنسان نافذ البصيرة يعلم أن معنى الحياة ليس رهناً بالبحث العادي عن مطالب الجسد ومشاغل الحياة المادية، بل هو رهن بعملية البحث عن القيم والسعي وراء المعاني الروحية... وهو ليس مجرد إنسان يحيا لذاته ويعمل من أجل إشباع حاسته الفنية، بل هو أيضاً إنسان يحمل رسالة... إنه ذلك المخلوق الذي لا يحيا لنفسه، بل للآخرين... لأنه هو الذي يخرجنا من قواقعنا الذاتية لكي ينقلنا إلى العوالم الفنية الجديدة التي قد تؤلف بين قلوبنا وتوحد بين أفكارنا... والفن هو في صميمه لغة إنسانية يحقق البشر عن طريقها ضرباً من التواصل فيما بينهم» (ص١٥، ٢٣).

أما الأستاذ محمد قطب (١٩٨١م) فيرى أن «الفنان وكل بشر بصفة عامة لابد مادام حياً أن يتلقى من الكون إيقاعات معينة في حسه تتوقف على طبيعة هذا الحس بين العمق والضحالة والكبر والضآلة، وتتوقف على المساحة التي يكشف عنها حسه من صفحة الكون الكبير ثم يحاول التعبير عن هذه الإيقاعات بالطريقة الفنية الميسرة له، من لفظ أو لحن أو خطوط أو ألوان، ومن ثم لا يمكن الفصل بين الفن وبين الصورة التي يتخذها الوجود في نفس الفنان، لذلك يكون من المهم أن نعرف صورة الكون في حس كل فنان قبل أن نقوم بتقويم إنتاجه الفني، ويكون من أصلح المقاييس في هذا التقويم أن نعرف المساحة التي يشغلها الكون في نفسه، فعلى قدر اتساع هذه المساحة أو ضيقها يكون اتساع أفقه الفني أو ضيقه... وذلك مع الوفاء بشروط الأداء الفني بطبيعة الحال. فالفنان الذي يرى من الكون المادي مشاهده «الحية» وحدها أو «الجامدة» وحدها أصغر مساحة في التقويم الفني والإنساني من الفنان الذي يرى ذلك الكون المادي في مجاليه، فيحتفل حسه بالجمال المبثوث في ربوع الكون كله من أناس وطير وحيوان ونبات وجبال وأنهار... ويكون هذا الأخير أكبر مساحة في التقويم الفني والإنساني لو استطاع في الوقت ذاته أن يدرك الروح السارية في هذا الكون كله... الروح التي لا تجعله مادة جامدة حتى في الأشياء الصامتة بل تجعله حياً يتحرك ويحس ويتعاطف.

والتصور الإسلامي للكون والحياة والإنسان هو أشمل تصور عرفته البشرية حتى اليوم، إنه التصور الذي لا يأخذ جانباً من الوجود ويدع جانباً آخر... التصور الذي لا يجعل الحس بمعزل عن الحياة المنبثة في أعماق الكون، بل يطلق الحس ليتملى الحياة في كل شيء في هذا الكون ويتصل به اتصال المودة والقربى والإخاء.

إنه التصور الذي لا يأخذ الإنسان ضرورات قاهرة ويدعه أشواقاً طائرة... بل يأخذه بمجموعه كله، ثم لايأخذه فرداً واحداً في جيل واحد... بل لا يأخذه في الحياة الدنيا وحدها ويدع الآخرة، وإنما يأخذه فرداً وجيلاً وسلسلة متصلة من الأجيال ثم يأخذه كياناً ممتداً بين الدنيا والآخرة على نسق متصل مترابط الأجزاء... ذلك أصفى تصور لحقائق الوجود وأجمل تصور في تاريخ البشرية كله، فكل نظام آخر وكل عقيدة أخذت شيئاً من هذه الجوانب المتعددة فنشأ من ذلك قصور في التصور وخلل في التوازن» (من ص ١١ إلى ١٤).

ولكن كيف ربى الإسلام الحس الجمالي عند الإنسان؟

يقول سيد قطب «القرآن يوجه النفس إلى جمال السماء وإلى جمال الكون كله، لأن إدراك جمال الوجود هو أقرب وأصدق وسيلة لإدراك جمال خالق الوجود. هذا الإدراك هو الذي يرفع الإنسان إلى أعلى أفق يمكن أن يبلغه لأنه حينئذ يصل إلى النقطة التي يتهيأ فيهاللحياة الخالدة، في عالم طليق جميل، بريء من شوائب العالم الأرضي والحياة الأرضية، وإن أسعد لحظات القلب البشري لهي اللحظات التي يتقبل فيها جمال الإبداع الإلهي في الكون، ذلك أنها هي اللحظات التي تمد له وتهيئه ليتصل بالجمال الإلهي ذاته ويتملاه» (ص١٨٨).

«وصلة الإنسان بالأحياء الأخرى صلة وثيقة لأنها كلها يجمعها شعور واحد، فهي تتجه إلى خالقها بالتسبيح والعبادة كل على طريقته (ألم تر أن الله يسبح له من في السموات والأرض والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه) النور:٤١، ولا تقتصر علاقات القربى على هذه الإيحاءات الدقيقة... فهناك إيحاءات أخرى (والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين ومنهم من يمشي على أربع يخلق الله ما يشاء إن الله على كل شيء قدير) النور:٤٥، إن صلة القربى هذه ليست معنوية فحسب، بل هي مادية محسوسة، إنها الاشتراك الحقيقي في مادة واحدة خلقت منها الكائنات ثم تعددت أنواعها وتفرقت أشكالها، إن الإنسان إذاً ليس واهماً ولا متخيراً خيالاً شعرياً حين يحس بالرابطة الوثيقة بينه وبين الكائنات الحية في الوجود من حوله. إنها الحقيقة لكنها حقيقة تفتح للقلب منافذ شتى ليطل منها على الحياة، فتتسع مساحتها في نفسه وتتعمق أصولها في حسه ويجد فيها الشعر والفن منفذاً يصل بين النفس والكون في أوسع مداه» (قطب: ١٩٨١، من ٢٤ إلى ٣١).

والفنان المسلم يرى في الرعيل الأول نماذج فريدة فتلاميذ محمد - ﷺ - تلقوا تربية جمالية لم ينلها أحد في البشرية من قبل «فحرصه - ﷺ - على تفرد أصحابه وإغناء مكوناتهم الشخصية وتعميق استقلالها، ليس سوى تطبيق عملي لرغبة الإسلام في إقامة حضارته المتوحدة على فكرة تنوع النماذج الإنسانية، ورفضه الشديد لأن يتحول المجتمع المسلم إلى قطيع من الأغنام... فما قاله ﷺ لأبي بكر - رضي الله عنه - محركاً فيه صفاته الخاصة وصدقه الباطني وإيمانه العجيب بكل ما يمس الرسالة، غير ما قاله لعمر بن الخطاب مفجراً فيه إمكاناته الذاتية ورغبته في استعلاء المجتمع الذي ينتمي إليه... غير ما قاله لعثمان مقدراً فيه تجرده الكامل وحياءه العميق... وغير ما قاله لعلي عندما كان يناديه على تخوم المعارك الفاصلة... ليسلمه الراية ويدفعه إلى القتال... ولقد انعكس هذا التنوع الذي أراده الإسلام على أبناء أمته وروافد حضارته، انعكس بالضرورة وقبل كل شيء على التعبير الذاتي للإنسان المسلم، فتنوعت الأساليب والمضامين الأدبية، وطلع الفنانون المسلمون على الناس بصنوف وأنماط شتى لا يحدها إطار، ولا يحصيها عد في مختلف حقول

الآداب والفنون: الشعر... النثر... الموسيقى... العمران. وليس كالحضارة الإسلامية إذا ما قارناها بالحضارات الأخرى - قدرة على بعث هذا التنوع في الأساليب والمضامين الفنية، وفي إغناء الحضارة البشرية بمزيد من المعطيات والقوالب التعبيرية والرؤى والأخيلة الفنية». (خليل: ١٩٨٤، ٢٩، ٣٠).

وكما استطاع الإسلام أن يفتح للفنان آفاقاً للتعبير وأن يجعله يندمج مع الطبيعة والأحياء التي حوله جعله يرتبط بالبشرية جمعاء برباط الحب الطاهر الذي لا تشوبه أغراض دنيئة ولا نوايا خسيسة، كيف لا وقد وضع قلب المسلم حب الله خالق الموجودات، ومن هنا «كان الفنان هو مصدر لإنتاج الجمال ونشره في حياة الناس ودنياهم بما حباه الله من موهبة، وهذا يعني أن يشيع السعادة فيما حوله، وهذه أولية مهمة في شخصيته، وإلا فما فائدة أن يخط الجمال بقلمه أو ريشته ثم يعجز أن يخط به سلوكه أو يكون ممن يثبت المتناقضات بذلك السلوك؟؟

وإن نماذج الفنانين أصحاب المتناقضات لكثيرة، «فبيكاسو» الذي ملأت سمعته الآفاق تقول زوجته الرابعة في مذكراتها: إنه كان يرى الحياة رواية فاشلة، كما تشتكي من بخله الشديد رغم غناه الفاحش، بل إن هفوة بسيطة كافية أن تنسية عشرة طويلة، كما حدث لسائقه الذي طرده بعد خدمة ربع قرن» (الشامي: ١٩٩٠، ٧٣).

أما الفن الإسلامي، فله خصائصه التي تميزه عن سائر الفنون، ويستعرض الشامي تلك الخصائص بقوله:

- «الفن في التصور الإسلامي وسيلة لا غاية».

- الفن الإسلامي فوق العبث والباطل، فحياة الإنسان ووقته أثمن من أن يكون طعمة للعبث.

- كما إن له هدفاً يسعى إليه فله باعث يدفع إليه، هذا الباعث يغذيه جذران، جذر يمتد في أعماق النفس، فمن فطرة النفس البشرية السعي إلى الجمال، وجذر آخر يغذيه الشرع الآمر بإتقان العمل وإحسانه. «إن الله كتب الإحسان على كل شيء».

- وحدة الفن الإسلامي، هذه الوحدة التي



تخطت عالم المكان، فلم يفرقها بعد المسافات بين ديار المسلمين، كما تخطت عامل الزمان فلم يغيرها مرور الأيام وتتابع القرون.

- اختفاء جنسية الفنان وبقاء الإسلام هوية واحدة لكل فنان مسلم.

- «والفن الإسلامي فن منفتح على شتى المذاهب الفنية، مادمت منسجمة في اتجاهها وتفاصيلها مع حركة الكون والإنسان الإيجابية... فهو مرن يتسع لكل المذاهب ويزيد عليها في سعة نظرته الكونية وعمقها وشمولها. إنه كلاسيكي حين يعبر عن التناسق الرائع للأشياء والقيم الخارجية، وحين يمجد بطولة الإنسان وإيجابيته إزاء الأحداث... إنه رومانسي حين يعبر عن أعماق الإنسان المؤمن وعن تجاربه الشعورية المتنوعة التي تنبثق عن الايمان بالله... إنه واقعي حين يعلن ثورته الانقلابية على كل القيم المنحرفة عن الصراط المستقيم... حين يصرخ في وجوه القوى المتسلطة التي تعذب الإنسان بالظلم الاجتماعي وبالتناقض الطبقي بشتى مستوياته... واقعي حين يعبر عن لحظات الضعف البشري دون أن يمجدها، وهو وجداني في تعبيره عن نظرة الإنسان الشخصية المستمدة من تجربته الإيمانية... إلا أنه فن يأبى الانحراف يأبى مثلاً تأليه الإنسان كلاسيكياً، وإغراقه الذاتي رومانسياً، وتمجيد لحظات الضعف البشري واقعياً، وتصوير الانحراف الفكري أو النفسي أو الأخلاقي وجودياً» (خليل: ١٩٨٤، ٤٠، ٤١).

- «والإسلام وضع حدوداً... ألزم أدباءه وفنانيه بعدم تخطيها لئلا يقعوا في الحرام. لكن هذه المعالم ليست سوى إشارات تحذير للفنان المسلم كي لا يلتصق بالمستنقعات ويتحول إلى أداة رخيصة مبتذلة... تافهة... بالأحرى إمعة تكتب عن العفن والتفسخ والفساد... فهذه المعالم ليست كوابت أو ضوابط قسرية... لكنها نداءات يفجرها الإسلام في قلب فنانيه وأدبائه ليكونوا أكثر استقلالاً وأعمق تأثيراً، وأشد توحداً وأثرى عطاء». (خليل: ٣٣، ٣٤).

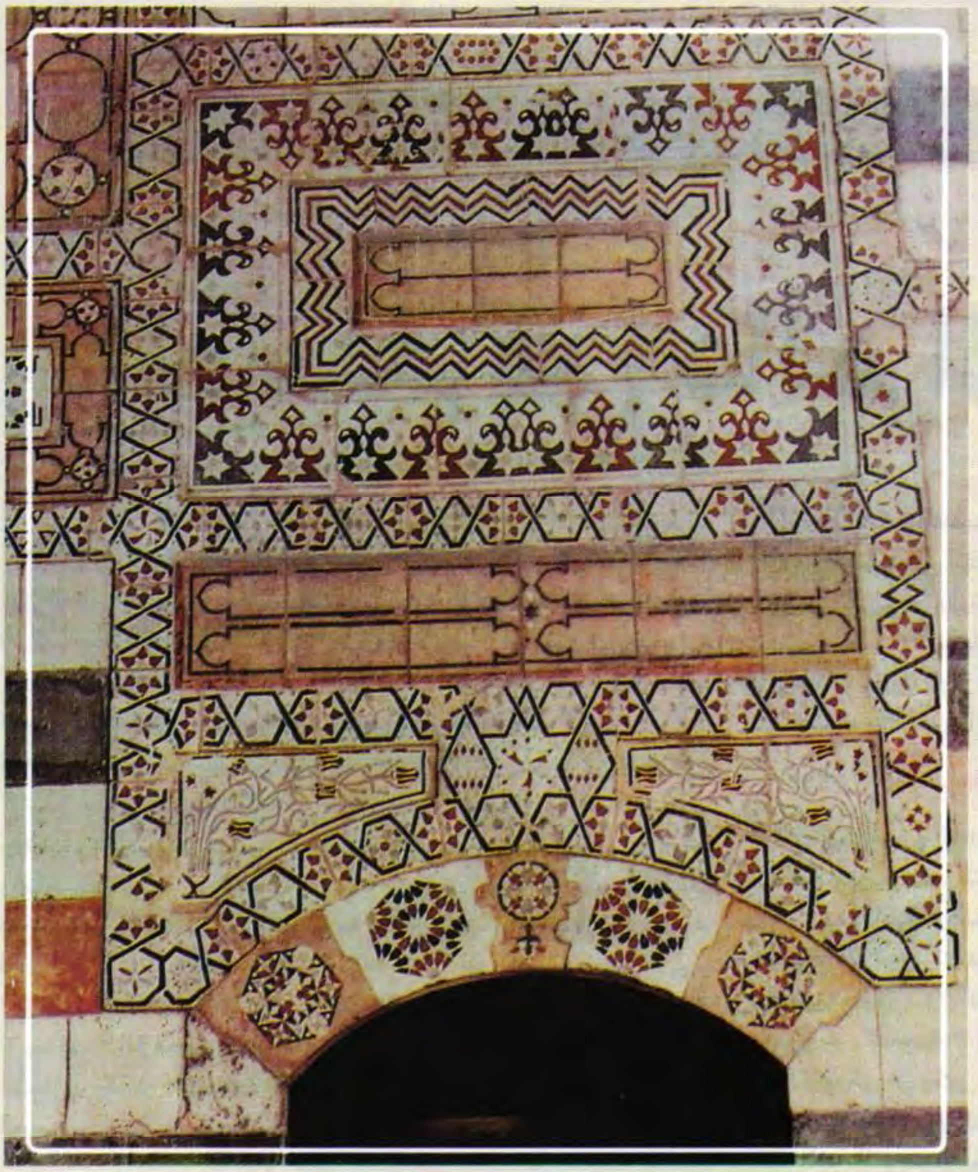
وهناك العديد من نماذج الفن الإسلامي التي تظهر فيها بوضوح تلك الخصائص، ذكر الشامي منها فن الخط العربي، «وقد كان فناً إسلامياً خالصاً فهو من صنع هذا الدين وله ارتباطه الوثيق بكتابه الكريم ولم يسبق للكلمة أن كانت فناً مرئياً في أمة من الأمم... ولا شك أن لكل أمة لغتها ولها كتابتها ولكن هذه الكتابات ظلت وظيفتها التعبيرية باعتبارها رموزاً منطقية لمعان يراد التعبير عنها.

ولم يحدث أن ارتفعت هذه الرموز لتصبح

فناً جمالياً، كما حدث للكلمة العربية بعد أن أضفى عليها القرآن الكريم رداء قداسته... ولم يقف المسلم في فن الخط عند حدود الحروف وتحسينه وتجميله وإبداعه، بل قطع شوطاً آخر إذ جعل الحرف نفسه مادة زخرفية فتحولت لوحات الخط إلى لوحات جمالية زخرفية. (من ١٩٦ إلى ٢٠٠)، «أما فن الرسم فقد حفلت به طائفتان من الكتب هي: الكتب الأدبية، حيث تكون مهمة الصورة الإسهام مع خيال القارئ في استكمال الواقعة الأدبية التي بين يديه والعيش في أجوائها، والكتب العلمية: وهنا يكون العبء الملقى على الصورة أقرب إلى الجانب التطبيقي منه إلى الجانب التزييني، فرسوم النباتات في كتب العقاقير ورسوم آلات العمليات في الكتب الطبية والرسوم الهندسية في كتب الهندسة تعتبر من وسائل الايضاح أكثر من كونها وسائل زينة». (٢٣٣).

ومن نماذج الفن الإسلامي المتميزة أيضاً الفن المعماري، «فالبيوت الإسلامية عامة وبيوت الأندلس خاصة كانت لها سمات متميزة» فالبيت العربي القرطبي بلونه الأبيض يبدو نظيف المظهر وهو يعكس عناية أصحابه به، كما تظل حجراته على الفناء في الوسط... وهذا الفناء الذي يمتلئ بالنور الطبيعي المنبثق من أشعة الشمس يؤثر جوه على النفس فتتفاعل معه المشاعر برقة يحس بها الفرد». (الخالد: من ٢٥ إلى ٢٨).

ولم يغفل الفنان المسلم عن معرفة تأثير الألوان على النفس، «فالكندي العالم الفيلسوف تخطى عالم الموسيقى وخرج من الألحان إلى الألوان ويقفنا على طبيعة كل لون وتأثيره في النفس... فالألوان كالألحان تعبر عن المعاني النفسية... وكذلك الحال في العطور أيضاً، إنها موسيقى صامتة هي في مملكة الروائح الجميلة لها أثرها وخطرها، فهذه زهرة تثير النخوة، وتلك أخرى تهيج بعبيرها لواعج الشوق، وثالثة تحمل في عطرها العجب والكبر، وهي كلها فيما تنبه من القوى كالألحان والألوان» (الحلو: ١٩٧٤، ٢٥٠)، وقد جاء في رسالة الكندي «فلنذكر أيضاً ما يصل إلى النفس بالحاسة البصرية من قوى مزج الألوان... إذا قورنت الحمرة بالصفرة تحركت القوة العزية، وإذا قورنت الصفرة بالسواد تحركت القوة الذاتية، وإذا قورن السواد بالحمرة والصفرة والبياض



معاً تحركت القوة الكرمية... ولنذكر ما يأتي إلى النفس من الحاسة الشمية، إن رائحة الياسمين تحرك القوة العزية... وإذا مزج السوسن مع الورد تحركت القوة المحببة مع الفخرية، وكل ما كان من رائحة العود والآس والبنفسج والياسمين... فإنها محركة للسرور والعز والجود والكرم» (الحلو: ٢٦٦، ٢٦٧).

فمتى يعود الفنان المسلم إلى تميزه وأصالته فيخط لنا ما يعبر عن عقيدته وثقافته وفكره ليضرب للبشرية أروع الأمثلة فيما يمكن أن ينتجه الإنسان الذي تربى على نهج السماء، ومتى يظهر الفنان المسلم الذي يستطيع أن يقود الإنسانية الضائعة بفنه الذي نفخ فيه من روحه فبدا متميزاً عن كل الفنون.■

المراجع:

١ ـ الحلو، سليم (١٩٧٤) تاريخ الموسيقى الشرقية، بيروت: دار مكتبة الحياة، ط١.

٢ ـ الخالد، طارق. بيوت قرطبة العربية.

٣ ـ خليل، عماد الدين (١٩٨٤م) في النقد الإسلامي المعاصر بيروت: مؤسسة الرسالة، ط٣.

٤ ـ زكريا إبراهيم، الفنان والإنسان، القاهرة: مكتبة غريب.

٥ ـ الشامي، صالح (١٩٩٠) الفن الإسلامي، دمشق: دار القلم، ط١.

٦ ـ قطب، محمد (١٩٨١) منهج الفن الإسلامي، القاهرة، دار الشروق، ط٥.

٧ ـ قطب، محمد (١٩٨٣) مذاهب فكرية معاصرة، القاهرة: دار الشروق، ط١.

قراءة في كتاب

بقلم : التهامي مجوري

المسلم في عالم الاقتصاد

«المسلم في عالم الاقتصاد» هذا عنوان لكتاب ألَّفه مالك بن نبي - رحمه الله سنة ١٩٧٢م، أراد من خلاله أن يبصِّر المسلمين بالتحديات التي تواجههم في عالم لم يعد فيه مكان للضعيف والفقير، حيث لم يعد يعول على الاقتصادات الضعيفة، ذات المساحات الضيقة، وإنما أصبح المعتمد هو الاقتصاد الجهودي والتكتلات ذات الأوزان المؤثرة، ويعرف العالم بما يمكن أن يسهم به المسلمون بقيمهم خارج الطرحين اللذين يقوم عليهما العالم آنذاك وهما الليبرالي - الرأسمالي - والاشتراكي - الماركسي - حيث إن الاقتصاد ليس مجرد دولارات وقناطير مقنطرة من الذهب والفضة فحسب، وإنما هو قيم أخلاقية واجتماعية قبل ذلك، فهو مجموعة أعمال وتجارب إنسانية مكدسة. وبعد أكثر من ربع قرن، يُصاب المسلم بخيبة أمل كبيرة، عندما لا يرى أثراً لما تضمنه ذلك الكتاب في واقع المسلمين وكأن الكتاب أو مضمونه لا يعنيهم، بالرغم من أنهم المعنيون به بالدرجة الأولى، باستثناء بعض التجارب القليلة المحتشمة، قياساً لحجم التحديات، وبخاصة أن العالم اليوم يتجه نحو تكريس الأحادية الاقتصادية.

أصول عناصر الاقتصاد

أصول الاقتصاد ثلاثة عناصر هي: الإنسان والأرض والتفاعل بينهما. وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك في معرض الكلام عن نزول آدم عليه السلام وزوجه إلى الأرض في سورتي البقرة وطه في قوله تعالى: (... ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين) وقوله تعالى : (إن لك ألاتجوع فيها ولا تعرى) طه:١١٨، وقوله: (... فإما يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى. ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى) طه:١٢٣-١٢٤. وجماع القضايا الاقتصادية كما هو واضح قد حوتها الآيات المشار إليها، وهي المستقر والمتاع في الأرض، فلا جوع ولا عري، بل هداية تامة تصحب هذه الضمانات.

فآدم - عليه السلام - أنزل إلى الأرض ومعه أصول الحياة الاقتصادية بكل أبعادها، وهو ما تبحث فيه الإنسانية اليوم وقبل اليوم وبعد اليوم، وأي خلل يقع في الحياة الاقتصادية في العالم بعدئذ، مصدره الإنسان، وكيفية توظيفه للمادة والأدوات الاقتصادية المسخَّرة من قِبَل إله سبحانه، ولذلك أسند اللوم والعتاب في القرآن الكريم للإنسان، بسبب تخليه عن أسباب العيش الكريم، وتهاونه في التفاعل الإيجابي مع الحياة كما في قوله تعالى: (ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس) الروم:٤١، وقوله: (ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض) الأعراف:٩٦.

التشريعات الإسلامية والاقتصادية:

قبل الكلام عن التشريعات الإسلامية، لابد من الإشارة إلى أن لبَّ رسالة التوحيد هو تحرير الإنسان من عبادة غير الله بما في ذلك الجوانب المادية، وكما قال الرسول - صلى الله عليه وسلم - «تعس عبدالدينار تعس عبدالدرهم»، وأن الارتباط بين التوحيد - العقيدة - والتشريع وثيق، ولا انفكاك بينهما، بحيث لا يمكن أن يتصور تشريع بمعزل عن العقيدة، لا فيْ الاقتصاد ولا في غيره من ضرورات الحياة، كما لا يمكن أن يكون الكلام عن الحياة معزولاً عن الآخرة، أو المادة معزولة عن الروح. وهذا لايتعارض مع ما نلاحظه في بعض التشريعات الإسلامية التي تبدو وكأنها لا علاقة لها بغيرها، فهي تتكلم عن العبادة وكأن الإنسان لم يخلق إلا للصلاة والصيام والحج...، وتتكلم عن استغلال المسخَّرات في الأرض وكأن المطلوب من المرء أن يولي اهتماماً لغيرها. ولكن الواقف عند التشريع الإسلامي ومقاصده، والتوحيد ومراميه القريبة والبعيدة، يدرك أن مجموع التشريعات الإسلامية يهدف إلى توازن يمكِّن الإنسان - رغم ضعفه - من إقامة الخلافة في الأرض، ومن ذلك قوله تعالى: (وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك) القصص:٧٧. فالتشريع الإسلامي جاء ليحفظ ما يعرف بالكليات الخمس وهي - الدين والنفس والعقل والنسل والمال -، وهو في جميع كلياته وجزئياته لا يخرج عن هذه المقاصد من حفظ الدين وحفظ النفس وحفظ العقل وحفظ النسل وحفظ المال. والمتمعن في هذه الكليات، يدرك أن أربعاً منها ذات مرام اجتماعية واقتصادية، وواحدة منها ذات علاقة بالله مباشرة أي لا حظَّ للإنسان فيها إلا بالمقدار الذي يقرِّبه من الله سبحانه، وإذا فإن ما يدعيه الجاهلون بشريعة الإسلام، من المبهورين بالمناهج الاقتصادية الغربية، من أن

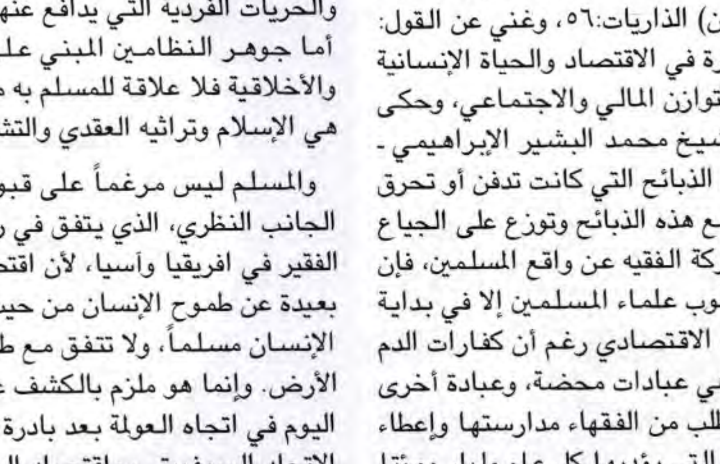
> بعض العبادات لها جوانبها المؤثرة في الاقتصاد والحياة الإنسانية عموماً كالزكاة مثلاً وأثرها في التوازن المالي والاجتماعي

الإسلام يفتقر إلى تصور متكامل للحياة الاقتصادية في الأوضاع الراهنة، قول يحتاج إلى مراجعة جميع علاقة هؤلاء بالاقتصاد ونظرياته العلمية، وإعادة النظر في تصورهم للدين عموماً وللإسلام خصوصاً، لأن نظرة هؤلاء للاقتصاد فيها الكثير من السطحية، وموقفهم من الدين فيه الكثير من الخداع للنفس.

العبادة والاقتصاد

إذا كانت العبادة توجه إلى الله بالفعل والقول طاعة وحباً، فإن مهمة الاقتصاد هي خدمة العبادة بشكل من الأشكال، والاستعانة به على مصاعب الحياة، وصرف الإنسان عن الاشتغال بعبادة الدنيا وملذاتها، (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون) الذاريات:٥٦، وغني عن القول: إن بعض العبادات لها جوانبها المؤثرة في الاقتصاد والحياة الإنسانية عموماً، كالزكاة مثلاً وأثرها في التوازن المالي والاجتماعي، وحكى الشيخ محمد الغزالي أنه سمع الشيخ محمد البشير الإبراهيمي - رحمهما الله - يقول سنة ١٩٥٢م عن الذبائح التي كانت تدفن أو تحرق إثر موسم الحج في كل عام، «لو تجمع هذه الذبائح وتوزع على الجياع في العالم»،؟ ولكن نظراً لتخلّف الحركة الفقهية عن واقع المسلمين، فإن هذه الأمنية لم تجد طريقها إلى قلوب علماء المسلمين إلا في بداية الثمانينيات، فهذه الفكرة لها بعدها الاقتصادي رغم أن كفارات الدم التي على الحجيج في موسم الحج هي عبادات محضة، وعبادة أخرى أثيرها - ولست من الفقهاء - وإنما أطلب من الفقهاء مدارستها وإعطاء الرأي فيها، وهي عبادة زكاة الفطر التي يؤديها كل عام مليار ومئتا مليون مسلم في العالم، فلو فرضنا أن مقدارها دولاراً واحداً، فإن المجموع سيكون مليار ومئتا مليون دولار، أي ما يسد حاجة شعب من الشعوب الإسلامية التي يطاردها شبح المجاعة والتنصير والتحكم في رقابها من طرف الدول المستكبرة. ليس سهلاً على العلماء التقول على الله في عبادات غير معقولة المعنى، وليس من حقنا الإلحاح في مطالبتهم بالكلام في أمور فضلوا السكوت عنها، ولكن في الوجه نفسه لا يمكن أن تكون العبادات مضادة أو منافية لمصالح الإسلام خصوصاً فيما يتعلق بمجموع الأمة وليس ببعضها بعضاً، وما يصلح حالها أو يؤثر على مسار حياتها.

ومع غياب الحركة الفقهية المتكاملة التي تجمع في النظر والدراسة والتحليل وبين مقاصد الشارع ومقاصد المكلف، وبين مصالح الدنيا وعواقب الآخرة. توجد شرذمة من أبناء المسلمين، ينظرون إلى العبادة كعامل معرقل للحركية الاقتصادية، ففكروا في التحلل من صلاة الجماعة بالمسجد مثلاً، وتعطيل الجمعة، والتحكم في شهر رمضان حتى لاينتقل عبر الفصول... إلخ، وعطلوا شعيرة الزكاة على المستوى الرسمي واستبدلوها بنظم مالية أخرى، كما عطلوا الكثير من تشريعات الإسلام المتعلقة بالحياتين الاقتصادية والمالية، فانعكس كل ذلك سلباً على علاقة الاقتصاد بالعبادة، وعلى علاقة العبادة بالحياة عموماً، ولعل ذلك كان نتيجة فصل الدين عن الحياة، واعتباره قضية شخصية لا تتدخل فيها مؤسسات الدولة، واجتهادات المفكرين والعلماء.



المسلم والاقتصاد:

لاشك أن علم الاقتصاد قد تطور على يد المسلمين، وبالتالي فهو بعيد عن كل القيم الدينية، بحكم التوجّه العلماني العام الذي تعتقده الفلسفات الوضعية التي طورت النظريات الاقتصادية التي يعيش بها العالم اليوم، وهي كما هو معلوم توجهين اثنين، توجه جماعي يساري اشتراكي، وتوجه فردي رأسمالي، والمسلم بطبيعة الحال لا علاقة له بهذا ولا بذاك، وحتى دفاع بعض المسلمين عن وجه أو أوجه من قضايا في النظامين الإشتراكي والرأسمالي، لا تتجاوز الدفاع عن الضمانات الاجتماعية التي يعد بها النظام الإشتراكي بتوجهه الجماعي، والحريات الفردية التي يدافع عنها النظام الرأسمالي بتوجهه اللبرالي. أما جوهر النظامين المبني على المادية المبعدة عن القيم الدينية والأخلاقية فلا علاقة للمسلم به من حيث هو مسلم، ذو مرجعية دينية هي الإسلام وتراثيه العقدي والتشريعي.

والمسلم ليس مرغماً على قبول هذا الأمر الواقع، على الأقل من الجانب النظري، الذي يتفق في رفضه مع شريحة عريضة من العالم الفقير في افريقيا وآسيا، لأن اقتصادات العالم الآن مبنية على نظريات بعيدة عن طموح الإنسان من حيث هو إنسان فضلاً عن أن يكون هذا الإنسان مسلماً، ولا تتفق مع طموحات الإنسانية وإقامة العدل في الأرض. وإنما هو ملزم بالكشف عن هذه المزالق التي يسير عليها عالم اليوم في اتجاه العولمة بعد بادرة سقوط اليسار الشيوعي، إثر سقوط الاتحاد السوفييتي، واقتصاد السوق الذي سيلتقي مع قيم جديدة لا مكان فيها للوسطية، وإنما ستستقر الأمور على أساس طرفين لا ثالث لهما، وهما الغنى الفاحش والفقر المدقع.

وإذا كان المسلم ينطلق من عقيدته التي تؤكد له أن الأرزاق بيد الله سبحانه، قد وضع الشريعة بكل أحكامها خادمة للاقتصاد، والالتزام بهديه - في الآفاق والأنفس - (فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى) طه:١٢٣، وأمرة بالتقيد بأحكامها وبالتزام أوامرها، كما جاء في الحديث القدسي الشهير، «... استهدوني اهدكم..، استطعموني أطعمكم،... استكسوني أكسكم...»، وجعل ذلك سبباً في ظهور الأرزاق التي بيده وحده سبحانه. إن الاقتصاد بصورته الحالية مستمد من فلسفة الصراع التي بني عليها الفكر الغربي عموماً بشقيه اليساري واليميني، سواء في صورة «الديالكتيك» والصراع الطبقي، أو في صورة دعه يعمل، دعه يمر والبقاء للأصلح.

في هذه الصورة من الصراع العقدي، يجد المسلم نفسه ملزماً بالتمرد على النظريات الاقتصادية القائمة على الاحتكار المضر، وعلى التحكم في رقاب العباد، بإظهار البدائل النافعة والمستمدة من التوجه العام للإسلام ومقاصده، وأي تقصير من المسلم في هذا الشأن يعد تقصيراً منه في وقت الحاجة، ولاسيما أن العالم في حاجة للإسلام - في جانبه المادي - الآن أكثر من أي وقت مضى. ■

أدب

بقلم: محمد منذر شعار *

جوانب من الأدب الإسلامي

تعليقات الشعراء على الشعراء

الرأي

من ينظر في الأدب العربي على مر عصوره يجد تعليقات من الشعراء على الشعراء، وهذا في جملته وتلخيصه بابٌ من النقد، ولكنه جليلٌ وطريفٌ في آن معاً، أن كان يُبيّن رأي الشاعر في زميله الشاعر، على أن ذلك الرأي وتلك التعليقات، في الواقع، إنما أُبدي وقيلت على تراخ من الزمن بين المعلِّق والمعلَّق عليه.

وكأن جُلُّها ثناء ومدحاً ورضاً ودفاعاً من لاحق لسابق، فتَدُل على الأدب الصافي والأخلاق السامية بين أبطال «أدبنا» العربي، وترى أثر الإسلام ظاهراً فيه، فلا نجد في تاريخ أدبائنا وشعرائنا شاعراً متأخراً يذم شاعراً متقدماً، وكانوا من ذلك في عافية.

ومن أمثله ذلك ما قاله وفعله الشاعر الأبيض، واسمه أبو بكر محمد أحمد الأنصاري، في الأندلس، زمن ملوك الطوائف، فقد سئل عن لغة فعجز عنها، فقيَّد نفسه في المسجد، حتى يحفظ «صحاح الجوهري»، فارتاعت أمه، فأنشد:

رِيعَتْ عجوزي أن رأتني لابساً
حِلَقَ الحديد ومثلُ ذاك يَروُعُ
قالت جُننت فقلت بل هي همَّةٌ
هي عنصر العلياء واليَنْبُوعُ
سَنَّ الفرزدق سُنَّةً فتبعتها
إني لما سنَّ الكرامُ تبوعُ(١)

يشير هنا إلى ما فعله الفرزدق قبله بدهر.

إذ هو غلام لما أخذه أبوه «غالب بن صعصعة» إلى مجلس علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - وقال له: يا أمير المؤمنين: اسمع من ابني فإنه شاعر مُضَر، فقال علي: علِّمه القرآن.

فلما عاد الفرزدق مع أبيه إلى البصرة دخل الفرزدق المسجد وقيّد نفسه بالسلسلة وآلى لا يَفُكُّ نفسه حتى يحفظ القرآن، فكانت أمه تأتيه بطعامه حتى حفظ القرآن فخرج.

فأشار الأبيض الأندلسي بعد سنين طويلة إلى هذه الحادثة وهو بقرطبة حين حدث له ما يشبه حال الفرزدق فعلّق هذه التعليقة المثيرة الجميلة التي تدل على ما يكنه للفرزدق من إكبار وإعزاز.

وفي الباب أن المتنبي سئل عن قول امرئ القيس:

كأني لم أركبْ جواداً للذة
ولم أتبطَّنْ كاعباً ذات خلخالِ

ولم أَسْبَأ الزِّقَّ الرَّدِيَّ ولم أقل

لخيلي كُرّي كرة بعد إجفالِ

فقيل له: إنه عيب عليه مقابلة سَبْي الزق الروي بالكر، وكان الأحسن مقابلته بتبطن الكاعب جمعاً بين اللذتين، وكذلك ركوب الجواد للكر أحسنُ من مقابلته لتبطن الكاعب، فقال: بل الذي أتى به أحسن، فإنه قابل مركوب الشجاعة بمركوب اللذة واللهو، فهذا مركب الطرب وهذا مركب الحَرْب والطلب، وكذلك قابل بين السّبائين: سِباء الزّق وسِباء الرِّق.(٢)

فكان تعليقاً بارعاً ودفاعاً جميلاً، وأتاح لنا ذلك أن نظفر بشيء من نثر المتنبي قلما نظفر به في حياته الحافلة بالشعر

وفي الأدب مثال آخر فيه المتنبي، فقد قال هذا الشاعر الكبير بيتاً في الغزل في مديحته البائية الرائعة لكافور الأخشيدي، وبدأها ـ كالعادة ـ بالغزل، والبيت هو:

أزورهم وسواد الليل يشفع لي

وأنثني وبياض الصبح يُغري بي

وقد كثر إعجاب الناس قديماً بهذا البيت وما فيه من متقابلات(٣)، لكن الشاعر المعتمد بن عباد وهو من ملوك الطوائف في الأندلس قال مرة لجلسائه:

ما قصَّر المتنبي في مقابلة كل لفظة بضدها، إلا أن فيه نقداً خفياً ففكّروا فيه، فعجز جلساؤه وقالوا: ما وقفنا على شيء، فقال: الليل لا يُطابق إلا بالنهار ولا يطابق بالصباح، لأن الليل كلي والصبح جزئي. وسكت جلساؤه.

ومر الزمن، وجاء صلاح الدين الصفدي، في الشام، بعد قريب من ثلاثمائة سنة، فردَّ على المعتمد وقال: ليس هذا بنقد صحيح، والصواب مع أبي الطيب ، لأنه قال: «أزورهم وسواد الليل يشفع لي»، فهذا محب يزور أحبابه في سواد الليل خوفاً ممن يشي به، فإذا لاح الصبح أغرى به الوشاة ودل عليه أهل النميمة، والصبح أوَّلُ ما يغري به قبل النهار، وعادة الزائر المريب أن يزور ليلاً وينصرف عند انفجار الصبح خوفاً من الرقباء ولم تجر العادة أن الخائف يتلبث إلى أن يتوضح النار ويمتلئ الأفق نوراً، فذكر «الصبح» هنا أولى من ذكر النهار.(٤)

والصفدي كاتب ومصنِّف وشاعر، فانتقد نقد المعتمد أو علَّق على تعليق المعتمد، وأبدل رأيه ودافع عن المتنبي، ولقد كان تعليق المعتمد خفيفاً لطيفاً، لكن الصفدي لم يقبل في المتنبي أي كلمة وحُقَّ له.

أما أبو تمام فهو ابن تجدة هذا الباب، في تعليقه على الشعراء قبله، واستئناسه بهم، وذكرهم وإشعارهم في أشعاره، لكنا نورد له مثلاً واحداً نراه الآن يكفي، وهو قوله في مديحة لأحمد ابن أبي دؤاد مستشفعاً بخالد بن يزيد:

إن كان مسعود سقى أطلالهم

سبل الشؤون فلست من مسعود

ظعنوا فكان بكائي حولاً كاملاً

ثم ارعويت وذاك حكم لبيد(٥)

فعلَّق هنا على شاعرين قبله: ذي الرُّمة، ولبيد بن ربيعة ـ رضي الله عنه ـ أما ذو الرمة فمعروف أنه شاعر في العصر الأموي، عريق في وصف البادية ومعالمها، وأما لبيد فهو أحد أصحاب المعلقات، وأدرك الإسلام وأسلم وافداً على النبي صلى الله عليه وسلم.

أما التعليق على ذي الرمة، فإن لذي الرمة أخاً اسمه مسعود، كان يبكي على الأطلال ثم استفاق من ذلك وأضحى يلوم أخاه ذا الرمة على بقائه على الأطلال، ويقول ذو الرمة:

عشيّة مسعود يقول وقد جرى

على لحيتي من واكف الدمع قاطرُ

أخي الدار تبكي، إذ بكيتُ صبابة

وأنت امرؤ قد حلّمتك العشائرُ(٦)

يقول شارح الديوان نقلاً عن الآمدي بعد تحقيق طويل: إن مراد أبي تمام أن يقول:

«إن كان مسعود بكى على الديار ورجع عن مذهبه في ترك البكاء وتفنيد من بكى فلست منه»، أي هو يخالفه وسيبكي على ديار الأحبة ولكن يبكي حولاً فقط... ثم يسكت ويرعوي... كما قرر لبيد الباكين بذلك، فيشير أبو تمام هنا إلى قول لبيد في آخر عمره:

تمنّى ابنتاي أن يعيش أبوهما

وهل أنا إلا من ربيعة أو مُضَرْ

إذا حان يوماً أن يموت أبوكما

فلا تخمشا وجهاً ولا تحلقا شعر

وقولا هو المرءُ الذي لا صديقهُ

أضاع ولا خان الخليل ولا غَدَرْ

إلى الحول ثم اسْمُ السلام عليكما

ومن يَبْكِ حولاً كاملاً فقد اعتذر(٧)

فكان تعليق أبي تمام على الشاعرين قبله بهذا الأسلوب الخاطف أدباً وحده، وفيه ثناء عليهما ولا سيما على لبيد ـ رضي الله عنه.

وإننا نستطيع أن نعد من هذه التعليقات، إن توسعنا، قصيدة صفي الدين الحلّي، في رثاء الملك المؤرّخ العالِم: أبي الفداء الأيوبي، في القرن الثامن الهجري، فإن أبا الفداء كان يجمع عنده في «حماة» ـ وهي عاصمة ملكه ـ علماء وشعراء كثيراً، منهم صفي الدين الحلّي، فلما مات أبو الفداء رثاه صفي الدين قبل مغادرته حماة إلى بلاده،

لكن جعل مرثيته تخميساً لقصيدة ابن زيدون المشهورة في ولّادة:

أضحى التنائي بديلاً من تدانينا

وناب عن طيب لقيانا تجافينا

فقد فعل صفي الدين عجيباً طريفاً، فقصيدة ابن زيدون في ولّادة غزل وأشواق وحسرة على زمن مضى، فجعلها صفي الدين الحلي بتخميسه رثاء وشوقاً وحسرة على زمن مضى له في حماة مع الملك البرِّ العالِم فقال في المطلع:

كان الزمانُ بلقياكم يمنّينا

وحادثُ الدهر بالتفريق يثنينا

فعندما صَدَقَتْ فيكم أمانينا

أضحى التنائي بديلاً من تدانينا

وناب عن طيب لُقيانا تجافينا

ويستمر:

خِلنا الزمان بلقياكم يسامحنا

لكن تُزانَ بذكراكم مدائحنا

فعندما سمحت فيكم قرائحنا

بنتم وبنا فما ابتلّت جوانحنا

شوقاً إليكم ولا جفّت مآقينا

إلى أن يقول:

إذا ذكرت حمى العاصي وملعبه

والقصر والقبة العليا بمرقبه

أقول والبرق سار في تلهُّبه

يا ساري البرق غاد القصر واسق به

من كان صرفَ الهوى والود يسقينا(٨)

فهذا كان تعليق من الحلِّي على ابن زيدون كأنه يقول: ما أجمل هذه القصيدة النونية لغرضي... إنها مناسبة جداً.

ولقد كان لأبي العلاء المعري من هذا الأدب حظ وافر، وبدا فيه هذا ـ واضحاً بانفجار في رسالة الغفران ـ لكن شعره أيضاً طفح بذلك، كقوله في اللزوميات:

أين امرؤ القيس والعذارى

إذ مال من تحته الغبيطُ

استنبط العُرْبُ في الموامي

بعدك واستعرب النبيطُ(٩)

يشير إلى قول امرئ القيس في معلقته المشهورة:

تقول وقد مال الغبيط بنا معاً

عقرت بعيري يا امرأ القيس فانزل

فيتحسر المعري، في زمة، على ما أصاب العروبية من هُجنة ودخول غير الأصليين فيها، واختلاط النَّبَط بالعرب، فيقول أين امرؤ القيس العربي الأصيل، وكانت كُلُّ أحواله عربية حتى غَزَلُهُ واتباعه صاحبته ونحن الآن يتصرف بنا ويتغزل شعراء أعجام يبتعدون بنا عن عاداتنا، وأجوائنا، وكان أبو العلاء المعري عربياً صُراحاً من تنوخ.

وهكذا حال الشعراء العرب، بعضهم مع بعض، على مدى عصورهم، يُثني لاحقهم على سابقهم، تقيداً بالدين، وحفظاً لمودة الأدب وعاطفة القافية، ودلَّ ذلك منهم على حُسن فهمهم بعضهم لبعض. كما يقول الشاعر القروي المهجري في قصيدة «الأم» المشهورة له:

وَمَنْ بالشعرِ كالشعراءِ يَفْهَمْ ■

* كاتب سوري مقيم في الكويت

الهوامش:

١ ـ دفتر المعلمين لقدري الكيلاني ص١٠٦ ـ ط حماة ١٩٣٠ مطبعة الإصلاح.

٢ ـ روضة المحبين لابن قيم الجوزية ص ٢٣٤ ط دمشق. ويلاحظ أن نثر المتنبي هنا فيه سجع لطيف وجناس جميل.

٣ ـ المتقابلات هي: «أزورهم ـ أنثني». «بياض ـ سواد»، «الليل ـ الصبح»، «يشفع لي ـ يغري بي»، فالبيت كله متقابلات.

٤ ـ نقلاً عن كتاب المعتمد بن عباد لعلي أدهم، سلسلة أعلام العرب ص ١٢٧ ـ ١٢٨.

٥ ـ ديوان أبي تمام ـ تحقيق محمد عبده عزام ـ دار المعارف ـ مصر ـ ص٣١٠ ـ ٣٩٢ وتروى أطلاله.

٦ ـ ديوان أبي تمام في حاشية شرح بيتي أبي تمام ص٣٩١، وهما في ديوان ذي الرمة تحقيق د. عبدالقدوس أبي صالح ـ ط مجمع اللغة العربية بدمشق ج٢ ص١٠١٢ ـ بتغيير طفيف.

٧ ـ الأغاني ـ صادر ـ أخبار لبيد وترجمته وهي في ديوانه تحقيق د. إحسان عباس.

٨ ـ ديوان صفي الدين الحلي، ط صادر ببيروت ـ ص٣٥٩ وما بعدها، ويشير صفي الدين هنا إلى قصر الدهشة لأبي الفداء في حماة، وقد اندثر الآن وبقيت ناعورة له لاتزال تسمَّى بحماة ناعورة الدهشة، وثمة جامع كان خطيبه «الفيومي» صاحب مجمع المصباح المنير.

٩ ـ الموامي: الصحارى، والغبيط قبلها مركب المرأة على الجمل، كالهودج إلا أنه أخف.

الوعي الإسلامي

العدد 412
ذو الحجة 1420 هـ
مارس / أبريل 2000 م

2



الأسرة المسلمة



اتركي طفلك يثرثر ولا تُضيقي فكره بالكبت !

هذا الجيل والقضية المفقودة

المرأة وحقوقها المالية والاجتماعية في الإسلام

المرأة في فكر الشيخ الغزالي

استراتيجية تربوية مقترحة لحماية طفل القرن الحادي والعشرين

مخاطر السينما على الأطفال والشباب

أحكام الزواج السري

الـــزواج ... سكـن ومـودة ورحمـة

الزواج سنة من سنن الله في الخلق والتكوين، سنة عامة مطردة، تشمل الكائنات كافة من إنسان أو حيوان أو نبات، مصداقاً لقول رب العزة جل وعلا: (ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكّرون). الذاريات:٤٩

ومؤسسة الزواج في الإسلام لها أهمية بالغة ومكانة معتبرة لما تشكله من أساس قوي لإنشاء الأسر وبناء المجتمعات وإقامة صرح الإنسانية، فالزواج عماد الأسرة، به تنشأ وتتكون، وفي ظله تؤدي دورها ورسالتها في الحياة.

والله عزَّ وجلَّ يذكر الإنسانية برباط الأسرة، داعياً إلى مراعاة مقوماتها، وحفظ حقوق وواجبات أعضائها، واستحضار تقوى الله في ذلك: (يأيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة، وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً). والزواج في الإسلام «ميثاق غليظ» والقرآن الكريم لم يصف ميثاقاً بأنه غليظ إلا في ثلاث حالات، أولاها عند الحديث عن الميثاق الذي أخذه الله تعالى من الأنبياء عليهم السلام: (وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم وأخذنا منهم ميثاقاً غليظاً). وثانيها عن الميثاق الذي أخذه الله من بني إسرائيل (ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم، وقلنا لهم ادخلوا الباب سجداً وقلنا لهم لاتعدوا في السبت وأخذنا منهم ميثاقاً غليظاً)، أما ثالثها فيتعلق برابطة الزواج حيث يقول سبحانه وتعالى: (وإن

بقلم : محمد لشبيب . المغرب

أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم إحداهن قنطاراً فلا تأخذوا منه شيئاً. أتأخذونه بهتاناً وإثماً مبيناً وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم إلى بعض وأخذن منكم ميثاقاً غليظاً) إنه تعظيم لعقد الزواج الذي يستحلُّ به الرجل المرأة التي يتزوجها، ومن ثمَّ تعظيم لمكانة وقيمة الأسرة، وتشديد من الله عزَّ وجلَّ وإنذار منه بعواقب التعرض لهذا الميثاق الغليظ والعظيم بسوء. والزواج في الإسلام عقد مبارك بين الرجل والمرأة، يحل به كل منهما للآخر، ويبدآن به رحلة الحياة، متحابين متعاونين، متسامحين، ومتآلفين... يسكن كل منهما إلى شريكه. فيجد فيه الأنس وفي صحبته المودة والطمأنينة، ويتصلان ببعضهما بعضاً في جو تشيع فيه ذرى المحبة والألفة والثقة والتفاهم والرحمة، ويفوح منه عبير الود والسعادة والبهجة والنعيم.

إنها الصلة الربانية في أوثق وشائجها، يعقدها رب العزة بين نفسي الزوجين المسلمين، فيجمع بين قلبيهما في مؤسسة

> **الرحمة بين الزوجين مدرسة تربوية متكاملة لصقل الإنسان وتحليته بالفضائل ومكارم الأخلاق**

واحدة، في بيت واحد، تحت سقف واحد، فيصيران قلباً واحداً وجسداً واحداً، وذلك مصداقاً لقوله تعالى: (هن لباس لكم وأنتم لباس لهن)، فالعلاقة بين الزوجين أشبه ما تكون العلاقة بين اللباس والجسد، يتصل قلباهما وروحاهما كل بالآخر، فيستر كل منهما الآخر ويحمي كل منهما قرينه من المؤثرات التي تفسد أخلاقه وتحط من عزته وكرامته وشرفه.

وبهذا كان الزواج باباً من أبواب السعادة والنجاح، والطريق الأمثل لذوي الفطر السليمة إلى حياة هنيئة مطمئنة. روى الطبري بسند جيد عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: «أربع من أصابهن فقد أعطي خير الدنيا والآخرة: قلباً شاكراً، ولساناً ذاكراً، وبدناً على البلاء صابراً، وزوجة لا تبغيه حوباً في نفسها وماله». وعن عبدالله بن عمرو بن العاص أن رسول الله |صلى الله عليه وسلم قال: «الدنيا كلها متاع وخير متاعها المرأة الصالحة». وللزواج في الإسلام حكم ومقاصد من أجلها شرع، ولغايتها يسعى الإنسان، وهو من آيات الله الكونية والإنسانية التي تدعونا إلى التذكر والتأمل فيها وفي حكمتها ومقصدها، قال تعالى في سورة الروم: (ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون).

فهذه الآية الكريمة تشير إلى فيض الحكمة الإلهية في الزواج، فهي تتلمس الغاية من ورائه، وتقررها حتى يستحضرها كل من الرجل والمرأة ويتفهماها، فتكون بذلك مدعاة إلى حفظ العلاقة الزوجية بينهما، والحرص على تطويرها. إننا ندرك مدى حاجة الزوجين إلى الرباط النفسي بينهما، وهو ما اصطلح عليه القرآن الكريم «السكون / السكن»، والسكن أعم من أن يكون قاصراً على السكن الجنسي، بل هو أشمل وأوسع، إنه سكن النفس وراحتها واطمئنانها بالركون إلى شريك الحياة، سكن الروح إلى التعاون على طاعة الله عز وجل وتحقيق مرضاته والسمو في مدارج عبادته.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: «ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله عز وجل خيراً له من زوجة صالحة، إن أمرها أطاعته، وإن نظر إليها سرّته، وإن أقسم عليها أبرّته، وإن غاب عنهانصحته في نفسها وماله» رواه ابن ماجه.

فالسكن سكن النفس وسمو الروح وارتياح القلب، واطمئنان البال وإحساس بالأمن والأمان وشعور بالسعادة، وتعاون مثمر وتبادل الآراء والمشورة، وبهذا يكون السكن من لوازم الحياة، معيناً على الآخرة، وبعد السكن تأتي المودة، فالقلب الذي يسكن إلى الآخر ويطمئن إليه، يأوي إلى ظلاله وكنفه.

والمحبة تستأمن التعامل القائم بين الزوجين، واقترانهما وحرصهما على ما يفضل الآخر وما يحبه، والحب ليس شعوراً فقط، بل هو أكبر من ذلك، إنه ثمرة فعل، فإن تحب معناه أن تخدم من تحب، وأن تطيعه، وأن تضحي من أجله وتقدِّره وتفهمه، وتمنحه ذاتك... فإذا فعلت ذلك فإنك لن تجني فقط ثمرة المحبة، بل تنشأ عنها بعد ذلك الرحمة (وجعل بينكم مودة ورحمة)، فالرحمة تنشأ بالتعاطف والحب، وتترعرع وتنمو وتزداد مع البنين والبنات بحيث تستكمن عواطف أساس التعامل في المجتمع الإنساني.

فالرحمة بين الزوجين مدرسة تربوية متكاملة لصقل الإنسان وتحليته بالفضائل ومكارم الأخلاق لينشأ وقد رضع الرحمة والرفق والحنان، ولقد رأى الأقرع بن حابس النبي - صلى الله عليه وسلم - يُقبِّل الحسن بن علي فقال: إن لي عشرة من الأولاد ما قبَّلت واحداً منهم، فقال عليه الصلاة والسلام: «إن من لا يرحم، لا يُرحم» رواه البخاري ومسلم.

هكذا تتجلى الحكمة من الزواج، وهذا تنبيه إلى ضرورة التفكير قبل الإقدام على تأسيس الأسرة، والوقوف على معاني رباطها المقدس، وبهذا يكون البيت المسلم الذي أسس على التقوى من أول يوم أقيم فيه حق على الله تبارك وتعالى أن يعين ركنيه (الرجل والمرأة) وأن يرعاهما برعايته حتى تحقق الأسرة المسلمة مرادها وسعادتها. ■

أحكام الزواج السري

بقلم : محمود النجيري

رتب الشرع أحكاماً عديدة للنكاح الصحيح، مثل المهر، والسكنى، والنفقة، والنسب، والتوارث، وحرمة المصاهرة. فإن فشل النكاح رتب له الشرع أحكاماً أخرى في الطلاق. والعدة، والمتعة، والمهر (إن تأخر أو تأخر جزء منه)، والحضانة. ويرتبط بالنكاح أحكام أخرى مثل: اللعان والظهار، والايلاء، والخلع.

ومن ناحية أخرى رتب الشرع للزنى أحكاماً في الحد، وحرمة المصاهرة والعدة. كما رتب الشرع أحكاماً أخرى للخلوة الصحيحة، ومقدمات الجماع.

أما الزواج السري الذي فشا في بعض مجتمعات المسلمين بين شباب المدارس والجامعات، فليس بنكاح صحيح، وليس زواجاً شرعياً حقيقة، وإنما هو زواج فاسد، والأنكحة الفاسدة لا توجب بمجردها شيئاً لأنها عقود باطلة، فهي كالبيع الباطل مردود أبداً، ولا يثبت للزواج السري - كغيره من العقود الفاسدة - أحكام النكاح الصحيح، بل له أحكام خاصة هي بين النكاح الصحيح والزنى.

وأول أحكام النكاح السري هو التفريق، فإن كان قبل الدخول فلا يترتب عليه أثر، بمعنى أن الزوجين السريين إذا افترقا قبل الدخول، فلا عدة على الزوجة، ولا مهر لها، ولا يثبت بينهما حرمة المصاهرة، ولا النسب، ولا يتوارثان لو مات أحدهما: وذلك لأن النكاح فسخ ونقض من أصله.

فإن كان التفريق بعد الدخول في الزواج السري، فإنه يترتب على هذا الدخول بعض آثار الزوجية، فيثبت المهر، وتجب العدة، ويثبت النسب، وتثبت حرمة المصاهرة. ولا يثبت بالزواج السري إحصان، ولا فيه لعان إلا إذا كان بينهما ولد يريد الزوج نفيه عن نفسه لكون النسب لاحقاً به، ولا يثبت التوارث، ولا تحل المرأة للزوج المطلق ثلاثاً بالوطء فيه، ولا يثبت الإيلاء ولا الظهار، وتفصيل ذلك فيما يلي:

أولاً: وجوب فسخ الزواج السري:

الزواج السري لا طلاق فيه، وإنما يجب الفسخ والتفريق بين الزوجين، ويحكم بهذا الفسخ حاكم، طالما أن الزواج السري اختلف فيه بعض الفقهاء وليس مجمعاً عليه في عصرنا، أما إن كان بطلانه مجمعاً عليه في وقت من الأوقات، فللزوجين الفسخ بنفسيهما من غير حكم قاض. وسبب توقفه على حكم القاضي هو أنه مبني على أمور هي محل تقدير بين يدي القضاء، فالسرية قد تكون مختلفاً في قدرها بين الفقهاء، ومن هنا احتاج الأمر إلى نظر حاكم، ثم إن تزويج المرأة من غير فرقة يوقعها القاضي يجعل المرأة تعتقد أن زواجها السري انتهى، على حين يعتقد زوجها السري أنها زوجته وأن نكاحها لم ينفسخ منه، وهذا يفضي إلى تسلط زوجين عليها كل واحد يعتقد حلها له وتحريمها على

تثبت الحرمة في الزواج السري كما في الزواج الصحيح بإجماع الفقهاء

الآخر، وهذا لا يجوز في الإسلام. وعلى هذا متى تزوجت بآخر قبل التفريق لم يصح الثاني، ولم يجز تزويجها حتى يطلق الأول أو يفسخ نكاحهما. والمرأة إن تزوجت من الرجلين معاً، وكان أحدهما سرياً فهي للزوج الصحيح الشرعي لا السري.(١)

الزواج السري ليس بنكاح صحيح وليس زواجاً شرعياً حقيقة وإنما هو زواج فاسد

وفي واقعات الزواج السري نرى كثيراً من الأزواج السريين لا يطلقون عند الانفصال، ولكن يكتفون في لحظة طيش وغضب بتمزيق الورقة التي سطر فيها العقد السري أمام الزوجة السرية، أو من ورائها، وقد يحتال بعض هؤلاء لأخذ ورقة الزوجة وتمزيقها، أو هم يختفون فجأة ويظهرون فجأة، أو ينكرون أي معرفة أو علاقة لهم بالزوجة السرية، وكل هذا يؤكد أنهم لم يقصدوا نكاحاً شرعياً، وأنه لم يكن كذلك، فالقاعدة الشرعية تقول: «لا طلاق إلا من نكاح صحيح» وهذا ما يعلمه الأزواج السريون ويستقر في ضمائرهم، فلا يكلفون أنفسهم عناء نطق كلمة الطلاق التي لا محل لها.

والحكم بفساد الزواج السري يحل مشكلة كثير من الفتيات اللاتي اختفى أزواجهن السريون أو امتنعوا عن تطليقهن وتركوهن مرهونات معلقات، تخشى كل واحدة منهن إظهار ورقة الزواج السري المرفوضة، فيمكن لهؤلاء الحصول على الفسخ قضاء دون حاجة إلى طلاق زوج سري هارب، أو خوف من جريمة الجمع بين زوجين في وقت واحد.

ثانياً: وجوب المهر في الزواج السري

يجب المهر على الرجل في الزواج السري بالدخول بالمرأة ووطئها على مذاهب كل العلماء لقوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: «أيما امرأة أنكحت نفسها بغير إذن وليها فنكاحها باطل، فإن أصابها فلها المهر بما استحل من فرجها»(٢). فإن كانت المرأة عالمة بالتحريم فلا مهر لها كالمطاوعة على الزنى، فأما إن جهلت المرأة التحريم فلها المهر، ويجب للمرأة مهر المثل إن لم يُسمَ لها مهر، أو الأقل من المسمى ومن مهر المثل إن سمى لها مهر في العقد.(٣)

وقد اختلف العلماء: هل يستقر المهر بالخلوة في النكاح الفاسد أو لا؟ والذي نرجحه هو أنه يجب لها المهر بالخلوة الصحيحة، وهي التي يجتمع فيها الزوجان في مكان يأمنان فيه من اطلاع الغير عليهما، ولم يكن ثمة مانع يمنع الدخول الحقيقي، ولو لم يحصل جماع، ونقل إجماع الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ على أن من أغلق باباً، أو أرخى ستراً، فقد وجب المهر، ووجبت العدة.(٤)

والظن بهذه الخلوة أن يكون فيها مقدمات الجماع إن لم يكن فيها جماع وخصوصاً في أصحاب الزواج السري، ولذلك نذهب إلى ما ذهب إليه الإمام أحمد من أن مقدمات الدخول كالتقبيل أو اللمس بشهوة، أو النظر بشهوة يؤكد المهر كالدخول، ولو حصل في غير خلوة، لأن هذا يعد استيفاء لبعض أحكام الزواج، فتأكد المهر بها، وقد رجح الشيخ محمد أبو زهرة ذلك، وقال: إنه نظر سليم لو أخذ به في مصر وطبقته المحاكم الشرعية لكان فيه احتياط للفتاة وأسرتها، ولهذا حجة في قوله تعالى: (فما استمتعتم به منهن فآتوهن أجورهن فريضة) النساء:٢٤، فالاستمتاع يدخل فيه مقدمات الجماع من تقبيل ومس بشهورة ونظر بشهوة، كما يشمل الجماع أيضاً.

الزواج السري لا طلاق فيه ويجب الفسخ بين الزوجين ويحكم بهذا الحاكم

ثالثاً: وجوب العدة في الزواج السري

المقصود بالعدة التعرف على براءة الرحم، وتعتد الزوجة السرية بعد التفريق بثلاث حيضات(٦)، إن كانت من ذوات الحيض، وإلا فثلاثة أشهر، فإن كانت حاملاً، فعدتها إلى وضع حملها، وتبتدئ العدة من وقت التفريق، وقال زفر: إن العدة في العقد الفاسد تبتدي من آخر وطأة. وهو رأي أشبه بالزواج السري، ولا تجب عدة الوفاة لأنها ليست بزوجة حقيقية، فإن جامعها الزوج السري في عدتها، وهما يعلمان الحرمة أقيم عليهما الحد، لأنهما زانيان، وتستأنف المرأة عدتها للوطأة الأخيرة، أما إذا خلا بها ولم يجامعها، فلا عدة عليها.(٧)

وقد اختلف العلماء في صحة زواج من كان وطأها في نكاح فاسد في أثناء عدتها منه، فمذهب الشافعي ورواية عن أحمد: يجوز له أن ينكحها في عدتها منه، لأن النسب لا حق في كليهما، ومذهب مالك ورواية أخرى عند أحمد: لا يجوز ليميز بين ماء الوطء الفاسد وماء الوطء المباح.(٨)

رابعاً: ثبوت النسب في الزواج السري

يثبت نسب الولد الذي تحمل به المرأة من الدخول في هذا الزواج الفاسد احتياطاً لحق الولد من الضياع، ودليله قول الرسول ـ صلى الله عليه وسلم: «الولد للفراش، وللعاهر الحجر».(٩) وفي لفظ: «لصاحب الفراش». ويوضح الشيخ عبدالوهاب خلاف ذلك قائلاً:(١٠)

«إذا ولدت الزوجة المدخول بها بعقد زواج فاسد ولداً قبل مفارقة زوجها لأقل من ستة أشهر من تاريخ الدخول الحقيقي بها، لايثبت نسب ولدها هذا من زوجها، لأنها حملت به قبل أن تكون فراشاً له بالدخول بها، وإذا ولدت لتمام ستة أشهر أو لأكثر من تاريخ الدخول الحقيقي بها ثبت نسب ولدها من زوجها، لأنها حملت به بعد أن صارت فراشاً له بالدخول بها. ولايمكن أن ينفي نسب هذا الولد أصلاً لأن النفي في حال قيام الزوج الصحيح إنما كان بعد اللعان. ولا لعان بين الزوجين بزواج فاسد، لأن الآية واردة في الذين يرمون أزواجهم. والزواج عند إطلاق الشارع لا ينصرف إلا إلى الزواج بعقد صحيح». ودعاوى النسب في الزواج الفاسد غير المسجل بوثيقة رسمية تسمع في المحاكم المصرية بمقتضى قانون رقم ٢٥ لسنة ١٩٢٩م، إذ منع سماع الدعاوى في الزواج غير الموثق رسمياً لا تشمل النسب، لأن هذا المنع لا تأثير له شرعاً في النسب.

خامساً: حرمة المصاهرة في الزواج السري

تثبت الحرمة في الزواج السري كما تثبت في الزواج الصحيح بإجماع الفقهاء، فيحرم على الزوج السري أصول وفروع زوجته السرية، وتحرم هي على أصوله وفروعه، على اختلاف بين العلماء: هل تجب الحرمة بمجرد العقد أم بالدخول؟

رتب الشرع للزنى أحكاماً في الحد وحرمة المصاهرة والعدة وللخلوة الصحيحة ومقدمات الجماع

قال ابن المنذر: «أجمع كل من نحفظ عنه من أهل العلم على أن الرجل إذا وطأ امرأة بنكاح فاسد... أنها تحرم على أبيه وابنه وأجداده وولد ولده». ومع هذا لا يصير الرجل بالزواج السري محرماً لمن حرمت عليه، ولا تصير المرأة به من محارم من حرمت عليه. وإكمالاً للفائدة نذكر أن الطحاوي حكى الإجماع عن السلف على أن التقبيل واللمس عن شهوة يوجب حرمة المصاهرة، والأصل قوله تعالى: (ولاتنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء) النساء:٢٢، والحمل على الوطء أولى لأنه أعم، فيصير معنى الآية: «ولا تطأوا ما وطأ آباؤكم مطلقاً»، فيدخل فيه النكاح والسفاح.(١١)

سادساً: هل يجب في الزواج السري عقوبة أوحد؟

لايجب الحد في النكاح الفاسد عموماً لأن الوطء فيه كان بشبهة، والشبهة هي صورة العقد، والحدود تدرأ بالشبهات لحديث النبي - صلى الله عليه وسلم: «ادرءوا الحدود بالشبهات»(١٢)، وأقوى الشبهات هي أن بعض المشايخ أفتوا بصحة الزواج السري. ولا تعتبر صورة العقد شبهة ولا موجودة إذا كان أحد العاقدين فاقد الأهلية، أو لا يكون الإيجاب والقبول في مجلس واحد، فالدخول في هذه الحال يوجب عقوبة الزنى المقررة في الشريعة الإسلامية، إذ لا شبهة قط ترفعها.(١٣) وإذا كان الزواج السري لا حد فيه إلا أن هذا لا يمنع ولي الأمر من تعزير من يتزوج سراً، فإن كان الزوجان السريان عالمين بفساده فإنهما يكونان زانين يجب عليهما الحد. ولو فرق القاضي ثم وطئها بعد التفريق يلزم الحد، ولو دخلته شبهة حتى امتنع وجوب الحد، يلزمه مهر آخر.

سابعاً هل تجب النفقة والسكنى في الزواج السري؟

السبب في وجوب النفقة الزوجية - كما يبين الشيخ محمد أبو زهرة - هو العقد الصحيح بشرط وجوب الاحتباس أو الاستعداد له، والعقد الفاسد لا يوجب نفقة قط، ويعلل ابن قدامة المقدسي ذلك بأن المرأة تبين بالفسخ كما تبين بطلاق ثلاث، ولا يستحق زوجها عليها رجعة، فلم تجب لها سكنى ولا نفقة، لقول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لفاطمة بنت قيس: «إنما السكنى والنفقة للمرأة إذا كان لزوجها عليها الرجعة».(١٤)■

المراجع:

١ - المغني لابن قدامة (٦/٤٥٤، ٥١١). الشرح الكبير لشمس الدين بن قدامة (٤/٣٣٧).

٢ - رواه أصحاب السنن عدا النسائي، وصححه الألباني والأرنؤوط.

٣ - انظر بداية المجتهد لابن رشد (٢/١٩، ٤١-٤٢). الشرح الكبير (٤/٣٠٢-٣٠٣).

٤ - روي أثر في ذلك عند أحمد ومالك وغيرهما.

٥ - انظر في ذلك: المغني (٦/٥٨١، ٧٢٤-٧٢٧). الشرح الكبير (٤/٣٢٢-٣٣٣). فتح الباري لابن حجر (٩/٤٠٥). الفقه على المذاهب الأربعة للجزيري (٤/٩٨-٩٩، ١٠٢-١٠٤).

٦ - يقول ابن تيمية في المنكوحة نكاحاً فاسداً: «إنما تعتد بحيضة، كما مضت به السنة». انظر مجموع الفتاوى (٣٢/٣٥٢).

٧ - انظر في ذلك: الاختيار لتعليل المختار للموصلي، ص١٤٥، ١٤٨. فتاوى ابن تيمية (٣٢/٣٤٨-٣٥٢). الفقه على المذاهب الأربعة (٤/٤٦١-٤٦٥).

٨ - مجموع فتاوى ابن تيمية (٣٢/٣٤٨) وما بعدها.

٩ - رواه الجماعة إلا أبا داود.

١٠ - أحكام الأحوال الشخصية في الشريعة الإسلامية لعبدالوهاب خلاف، ص ١٨٩.

١١ - انظر: موطأ مالك، كتاب النكاح (٢/٤٢٢). الشرح الكبير (٤/٢١٣-٢١٤). الاختيار لتعليل المختار، ص ١٨-١٩. الأحوال الشخصية قسم الزواج لمحمد أبو زهرة، ص١٤٩.

١٢ - الحديث له طرق كلها ضعيفة. وروي معناه صحيحاً موقوفاً على عمر بن الخطاب.

١٣ - يرجع في ذلك إلى: الأحكام السلطانية للماوردي، ص٢٨٠. صحيح مسلم بشرح النووي (٩/١٨١-١٨٢). المغني (٦/٤٥٥-٤٥٦). الأحوال الشخصية لأبي زهرة، ص١٤٦-١٤٩.

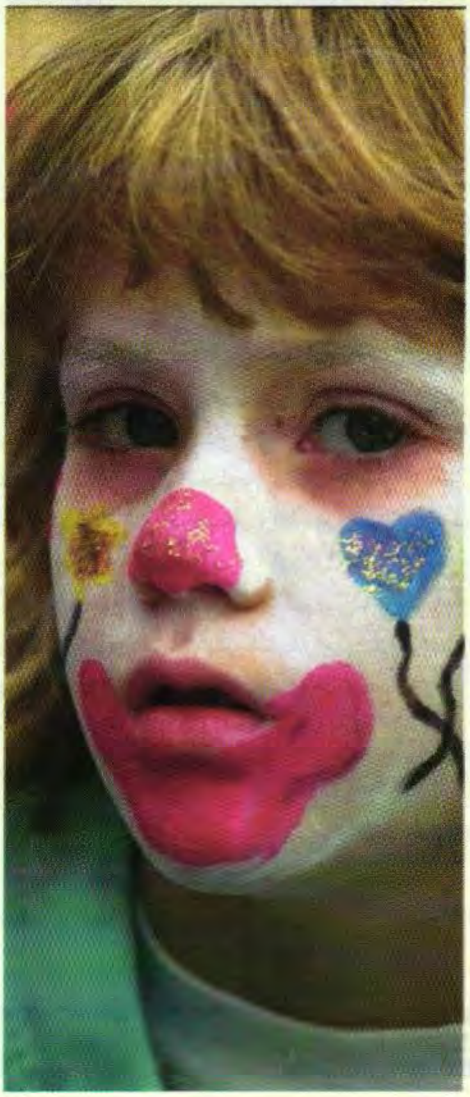
١٤ - الحديث رواه النسائي، وانظر المغني (٦/٦٥٧). والأحوال الشخصية لأبي زهرة، ص ٢٣٠.

بقلم: منى السعيد الشريف

هذا الجيل والقضية المفقودة

ربما إذا ما فتحت يوماً باب غرفة ولدك الشاب لم تكد ترى جدرانها من كثرة صور نجوم السينما الغربية ولاعبي كرة القدم وربما وجدت الغرفة تكتظ بشرائط الأغاني والموسيقا الأجنبية التي لا يعرف، هو نفسه، معظم المعاني التي تحملها... والملابس والأحذية ذات الألوان والأشكال الغريبة... فأخذك الغضب من كل ذلك ورحت تسخط على هذا الجيل وتصفه بالسطحية وفقدان الهواية... و... و... وقبل أن تسترسل في سيل قذائفك، عليك أن تقف ونقف لبرهة لنتساءل لماذا هم على هذه الشاكلة؟ لماذا فتنوا بتلك الحضارة ولهثوا وراء قشورها وحاكوا أسوء ما فيها محاكاة عمياء دون وعي؟ وهل كان لنا نحن دور في ذلك؟ إننا دائماً نذكر للجيل السابق أنه كان أكثر جديّة، أكثر عمقاً في النظر والحكم على الأمور، أكثر تمسّكاً بهويته العربية والإسلامية، أتدري لماذا؟

لأن المحن والظروف القاسية هما البوتقة التي تُصهر فيها معادن الرجال فيبرز كل نفيس ولأن المحن تصنع الرجال. والقضية المشتركة تجمع القلوب وتوحدها وتشحذ الهمم والعزائم في اتجاه محدد... لقد كان أي شاب يكفيه أن يتجول بضع دقائق في أحد شوارع مدينته في القاهرة ليرى جنود الإنكليز يعيثون فيها فساداً، أو في الجزائر ليرى ضباط الفرنسيين يقتحمون أحد المنازل أو في المغرب أو اليمن أو ليبيا... في كل دار عربي داستها أقدام مستعمر مغتصب ليشعر بالمرارة وكان ذلك كفيلاً بتجميع القلوب على قضية واحدة لأنه يلمسها ويعايشها في كل يوم وكان هذا الاستفزاز السافر في كل لحظة كفيل بتحريك الهمم للتمسك بالهوية التي يحاولون سلبها لقد شُغلت القلوب والعقول بهدف كبير وقضية سامية تدافع عنها فكان الشباب أكثر نضجاً وعمقاً وعقلانية.



أما الآن فقدْ فَقَدَ هذا الجيل القضية الموحدة التي تُشغل بها قلوبهم وتعمل لها عقولهم فكان من السهل حشو تلك العقول بهذا الفراغ وبخاصة مع وجود البطالة بشكلها الظاهر أو المقنع ووقت الفراغ الضائع دون هدف... ومن هنا جاءنا استعمار جديد... ولا أعني بذلك أن القضية غير موجودة لا... على العكس فالساحة ملأى بالقضايا وما أكثر أوجاع أمتنا.

ولكن ما فقدناه حقاً هو شعورنا بهذا عندما تناءينا واختلفنا وأصبح كل فرد منا عالم منفرد بعيد عن الآخر مشغول بنفسه ورغباته وأحلامه وفقدنا الحلم المشترك... إننا نُربّي على أننا أمة واحدة وكيان واحد ما مسّ فيه الفرد ترك أثره على الجماعة وتلك كلمات نحفظها، نلقّنها ونتلقاها ولكننا ومع الأسف لانمارسها في واقع الحال... لقد لمست ذلك جلياً عندما حدث الاجتياح العراقي للأراضي الكويتية - وكنا مازلنا طلبة في الجامعة - كان الخبر كارثة بكل ما تحمله الكلمة من معانٍ... كان ضرباً من الجنون وأي كارثة وأي جنون ونحن في عمق الأزمة نترك العدو وننقلب يقتل بعضنا بعضاً ولكن كان وقع الصدمة أكبر عندما ظهرت بعض الأصوات تحاول تبرير ما حدث رغم وضوح القضية، وأخرى تحاول تهميشها وبدا الأمر في أعينهم مجرد خلاف ونزاع من الخلافات التي اعتدنا عليها وإن اتخذ صورة أكثر عنفاً ووضوحاً من المعتاد... ووجدتني أتساءل في حسرة ألهذا الحد نحن متفرقون... مختلفون حتى في الحكم على الأحداث التي ينبغي أن تخضع لمبادئنا وقيمنا، ووجدتني ألتمس العذر لوالد إحدى صديقاتي من الفلسطينيات اللاتي يعشن معي في الحي نفسه، وهو يرفض أن يزوجها من أي رجل لا يحمل الجنسية الفلسطينية. ومازال يصرُّ على رأيه حتى الآن رغم بلوغها الثلاثين ربيعاً. ورغم أن تلك الفتاة لم تولد في فلسطين ولم ترها يوماً ما ولكن الأب يصرّ على أن يحمل أبناؤها الجنسية الفلسطينية وذلك لن يحدث إلا بزواجها من فلسطيني. فهو إذاً يحاول ولو بدور صغير أن يفوت على اليهود محاولة إضاعة الكيان الفلسطيني بتفريق أبنائه في الأرض وحمل

ذريتهم لجنسيات أخرى حتى وإن كلفه ذلك سعادة ابنته وسلب شبابها ولكن ترى لو شعر هذا الرجل بأن كل عربي مسلم يحمل بين جوانحه جرح القدس ويشغل بها ويعتبرها جزءاً مسلوباً من جسده لابد أن يسترجعه. لو شعر أن القضية لم تصبح قضية إسرائيل وفلسطين وإنما قضية إسرائيل والعرب تراه كان سيغير موقفه؟!

ونعود إلى قضيتنا مع شبابنا الذي لابد وأن نحتويه ونلتمس له العذر ونحاول دائماً أن نربطه بقضايا أمته ودينه... إن هذا الدين هو الذي وحّد القلوب وجمعها على قلب رجل واحد منذ البداية ولن يكون صلاح أمر آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها يقول الله تعالى في سورة الأنفال: (لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما ألّفت بين قلوبهم ولكن الله ألّف بينهم إنه عزيز حكيم) الآية:٦٣.

ولذا يجب علينا إعادة النظر في الشكل الذي يقدم به رجل الدين ومدرس اللغة العربية في المواد الدرامية في وسائل الإعلام. علينا أن نتبنى قضايا الشباب ونعايش همومهم. وأن يعود الأب لدوره كأب وقدوة وتعود الأم لدورها. علينا أن نُيسر لهم الطريق وأن توجد زمرة من العلماء الربانيين يلتف حولها هؤلاء الفتية ولا نتركهم يتخبطون في ظلمات الحيرة التي عانينا منها كثيراً عندما تفتحت أعيننا تبحث عن هذا النور الذي يسمو بالروح ويغذي العقول والقلوب، ولكننا لم نكن نعرف من أين نستقي المعلومات وما الطريق الصحيح إلى الله، كان كل شيء مبلبلاً والرؤية غير واضحة والمعلومات كثيرة ومتضاربة حتى أنار الله لنا الطريق إليه عز وجل.

إن هذا الدين حُمل على أعناق الشباب والرجال الذين التفوا حول رسول الله صلى الله عليه وسلم آمنوا به نصروه وأشاعوا النور الذي جاء به إلى الدنيا كلها وعندما يدرك شبابنا أن دماء هؤلاء الرجال مازالت تسري في عروقهم اليوم بالدراسة السليمة الواعية لتاريخنا وتراثنا سيدركون خطأ المسلك الذي هم عليه وسيتضح لهم زيف تلك المدنية التي افتتنوا بها. ■

مطبخ الأسرة

إعداد : أم عبدالرحمن

دجاجة ٢,٢٥٠ كلغ - ٢٥ غراماً من الزبدة - ملعقة كبيرة من زيت القلي - قطعة من «الجامبون البقري» الخالي من الدهون - ٢٢٥ غراماً من البصل - ١٠٠ غرام من الفطر الصغير - فص ثوم واحد، يقشر ويطحن - باقة من الأعشاب «حسب الاختيار» - خل أحمر ٣٠٠ ملليتر - ٢٥ غراماً من الطحين الأبيض - ٦ قطع خبز توست «قطعة لكل شخص» - مرقة دجاج محضرة ٣٠٠ملليتر - ٣٠٠ غرام من البهار الأسود - ملح «حسب الطلب» - خضار «حسب الطلب» خضار موسمية منوعة.

دجاج بالخل



طريقة التحضير

انزعي الفخذين بسكين حادة بين الفخذ والصدر، انزعي الجلد عن الفخذ وكذلك العظام - انزعي الجناحين بسكين حادة بين الجناح والصدر - اقطعي الرأس ثم انزعي الجلد عن الصدر - اقطعي بعد ذلك الدجاجة عند آخر الجناح لفصل الصدر - استخدمي مقصاً لنزع العظام عن لحم الصدر ثم اقطعي الصدر في الوسط إلى نصفين - ضعي على نار هادئة الزبدة والزيت في مقلاه، ثم حمّري قطع الدجاج، بعد ذلك انقلي القطع المقلية إلى قدر خاصة بالصلصة - اقلي قطع «الجامبون البقري» مع البصل المقطع قطعاً صغيرة والفطر والثوم المطحون، أضيفي إلى الكل باقة الأعشاب التي ترغبين بها - اجعلي الفرن ساخناً حتى ١٨٠ درجة، ضعي الطحين مع مرق الدجاج والخل في قدر، حركي الخليط بصورة مستمرة مدة خمس دقائق أخرى، ثم انقلي الخليط إلى قطع الدجاج، وضعي الكل على النار ذاتها مدة نصف ساعة - قطعي الخبز إلى مثلثات واقلي القطع بالزيت حتى تحمّر، ارفعي باقة الأعشاب من القدر، اتركي القدر على نار خافتة مدة ثلاث دقائق، ثم قدّمي الطبق مع قطع الخبز المقلي والخضار ■

ليس صحيحاً ما يزعمه المغرضون من أن الإسلام قد حطّ من قدر المرأة وأنه أهانها في الوقت الذي رفع فيه من قدر الرجل واحترمه كل الاحترام.

وبنظرة عادلة نجد أن حال كل من الرجل والمرأة متساوية، لكن تختلف وتتباين قدراتهما النوعية، وهناك أكثر من اختلاف بيولوجي «حيوي» بين التركيب الجسماني والنفسي لكل من الرجل والمرأة، لذلك وجب علينا أن نقف أمام هذه المزاعم الباطلة التي تتهم الإسلام بالتهوين في شأن المرأة. ولا سبيل أدق لرفض هذه التهمة إلا بالرجوع والعودة إلى قراءة كتب التاريخ لنرى أحوال المرأة قبل الإسلام وفي مختلف الحضارات.



المرأة وحقوقها المالية والاجتماعية في الإسلام

2 / 1

بقلم : د. إبراهيم سليمان عيسى

وسوف نجد أن الإسلام كرَّم المرأة وهذه بعض مظاهر وصور تكريم المرأة وإعطائها حقوقها الاجتماعية:

المساواة بين الرجل والمرأة:

يقول تعالى: (ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة والله عزيز حكيم) البقرة:٢٢٨.

ولن تجد المرأة في أرقى النظم قديمة أو حديثة قانوناً أعدل ولا أجمع من هذه الآية الكريمة التي ساوت بين الرجل والمرأة في الحقوق والواجبات، ولم تعين هذه الحقوق والواجبات لأنها تتبع العرف وتختلف باختلاف الطبقات والعادات، وخصت الرجل بدرجة الرئاسة، ولكنها رئاسة شورية لا استبدادية، يدل عليها قول الله تبارك وتعالى: (فإن أرادا فصالاً عن تراض منهما وتشاور فلا جُنَاح عليهما) البقرة:٢٣٣.

وعندما جاء الإسلام خاطب الرجال والنساء معاً بالتكاليف الدينية، وبيَّن أن الجزاء واحد لكل من الفريقين، وفي هذا يقول تعالى: (من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعلمون) النحل:٩٧.

ويقول تعالى: (وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ومساكن طيبة في جنات عدن ورضوان من الله أكبر ذلك هو الفوز العظيم) التوبة:٧٢.

ولقد سوى الله تعالى أيضاً بين المرأة والرجل في التكاليف الشرعية كالعبادات إلا ما تقتضيه طبيعتها البشرية من الأحكام، وحرَّم عليها ما حرَّم على الرجل من المنكرات، وَوُعِدَتْ الثواب وتوعدت بالعقاب كالرجل، لأنهما يتساويان في الإنسانية فلا تفاضل بينهما إلا بالأخلاق والأعمال، يقول الله تعالى: (فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض) آل عمران:١٩٥.

ويقول سبحانه: (إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين

والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيراً والذاكرات أعدّ الله لهم مغفرة وأجراً عظيماً) الأحزاب:٣٥.

ومن ذلك مشاركة النساء للرجال في الشعائر الدينية وفي العبادات الاجتماعية مثل صلاة الجماعة والجمعة والعيدين فقد شُرعت لهن، ولكن لا تجب عليهن تخفيفاً كما فرضت عليهن عبادة الحج الاجتماعية كالرجل.

وقد شرع الإسلام للمرأة أيضاً كثيراً من الأمور الاجتماعية والسياسية، ولكن كيف؟

لقد جعل من حقها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والتعاون المالي والاجتماعي والنصرة الحربية والسياسية، ولكنه أسقط عنها وجوب القتال إلا إذا اشتد الخطر، وجعل دورها في الحرب يناسب طبيعتها مثل سقي الماء، وتجهيز الطعام، ومداواة الجرحى.

يقول تعالى: (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم) التوبة:٧١.

ويدخل في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر نقد المسؤولين حيث روي أن عمر بن الخطاب رأى المغالاة في المهور فخاف عاقبة ذلك فنهاهم أن يزيدوا فيها على أربعمئة درهم، فاعترضت عليه امرأة من قريش وقالت: أما سمعت ما أنزل الله؟ إنه يقول: (وآتيتم إحداهن قنطاراً فلا تأخذوا منه شيئاً أتأخذونه بهتاناً وإثماً مبيناً) النساء:٢٠.

فقال عمر: «اللهم غفرانك، كل الناس أفقه من عمر»، وروي أنه قال: «امرأة أصابت وأخطأ عمر»، ورجع عن رأيه.

الإسلام يقرر للمرأة حق التعلم والتأديب:

وكم شاركت النساء الرجال في اقتباس العلم حتى كان منهن راويات للأحاديث النبوية والآثار والأديبات والشاعرات، ونبغ كثير من المسلمات في العلوم والمعارف وصرن قدوة لكثير من الرجال والنساء في العمل بالأحكام وفي فنون الأدب والشعر، وفي الحديث الشريف، «طلب العلم فريضة على كل مسلم» متفق عليه، وكان الغرض الأول من تعدد زوجات النبي أن يكن معلمات للنساء ومفتيات لهن، بل كان الرجال يرجعون إليهن فيما يشكل عليهم من بعض الأحكام الشرعية ولا سيما السيدة عائشة أم المؤمنين.

كما قرر الإسلام حق قبول من ترضاه زوجاً لها وردّ من لا ترضاه، ومنع أولياء الأمور من الاستبداد في تزويجها بغير رضاها كما منع المرأة من التزوج بغير كفء، يرضاه أولياؤها حتى لا يكون تزوجها به سبباً لوقوع العداوة والشقاق، وليس للأولياء ولا للوالد نفسه (عند بعض الفقهاء) أن يمتنع من زواجها بأي كفء ترضاه فإنْ أُكْرهت على الزواج أو خُدعت فيه كان لها أن تَفْصِم عقدة زواجها.

وقد أثبت الإسلام حق المرأة في الميراث، وأبطل ظلمها بحرمانها منه مصداقاً لقوله تعالى: (للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون مما قل منه أو كثر نصيباً مفروضاً) النساء:٧.

استقلال المرأة بذمتها المالية:

ومن تكريم الإسلام للمرأة أنه جعل لها ما دامت رشيدة حق الملك بأنواعه، وجمع التصرفات المشروعة في أموالها بما في ذلك مهرها من دون إذن زوجها أو غيره من والديها وأقاربها.

وكم جاء الإسلام بوصايا مضيئة من أجل المرأة، فوصاياه بالأمهات في كتاب الله وأحاديث رسول الله أكثر من أن تحصى، وهي معروفة مشهورة، وكذا الوصية بالبنات والأخوات، أما وصاياه بالزوجة فهي كثيرة كثيرة، نذكر منها قوله تبارك وتعالى: (وعاشروهن بالمعروف فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً) النساء:١٩.

وقال ﷺ : «استوصوا بالنساء خيراً» رواه البخاري، وقال: «ما أكرم النساء إلا كريم ولا أهانهن إلا لئيم» رواه البخاري، وقال لعمر حين سأله عن آية الوعيد عن كنز الذهب والفضة: «ألا أخبرك بخير ما يكنز؟ المرأة الصالحة: إذا نظر إليها سرته، وإذا أمرها أطاعته، وإذا غاب عنها حفظته» رواه البخاري.

وقد بيَّن - ﷺ ما للنساء وما عليهن من حقوق فقال من خطبته في حجة الوداع: «أيها الناس، إن لنسائكم عليكم حقاً ولكم عليهن حق، لكم عليهن ألا يوطئن فرشكم غيركم، ولا يدخلن أحداً تكرهونه بيوتكم إلا بإذنكم، ولا يأتين بفاحشة فإن فعلن فإن الله قد أذن لكم أن تهجروهن في المضاجع وتضربوهن ضرباً غير مبرِّح فإن انتهين وأطعنكم فعليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف، فاتقوا الله في النساء، واستوصوا بهن خيراً، ألا هل بلَّغت اللهم فاشهد» سيرة ابن هشام.

ومع كل ذلك يهاجم الإسلام باسم المرأة:

ومع كل هذا التكريم الإسلامي للمرأة نجد بين الناس من يقف عند آيات قلائل ويأخذ بظاهرها، ولو نفذ إليها ببصيرة ملهمة لاستشف منها معاني تحسب للمرأة لا عليها، من هذه الآيات البينات قوله تعالى: (وليس الذكر كالأنثى) آل عمران:٣٦، وقوله سبحانه: (الرجال قوامون على النساء بما فضّل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا) النساء:٣٤.

ومن هذه الآيات أيضاً قوله تعالى: (واستشهدوا شهيدين من رجالكم فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من النساء أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى) البقرة:٢٨٢.

وقوله تعالى: (يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين) النساء:١١.

وفيما عدا هذه الاستثناءات القليلة والمعللة بحساب دقيق نجد أن التسوية تامة بين الرجل والمرأة في التكاليف والواجبات العامة والتصرفات الشخصية والنواهي والمباح والثواب والعقاب والحدود.

وإذا كان الإسلام قد كرّم المرأة بهذه الصورة المشرقة، وإذا كان أمام كل حق واجب، فالسؤال الآن ما واجب المرأة لتكون خيراً وبركة في حياتها وحياة أسرتها؟

إن المرأة مطالبة قبل أيء شيء بأن تشكر الله الذي حررها وسوّى بينها وبين الرجل في هذه الحياة، مطالبة بأن تشكره قولاً وعملاً، لتكون امرأة صالحة في أي موقع من مواقع الحياة، فما أجملها زوجة صالحة، وأماً صالحة، وعاملة صالحة.

الإسلام خاطب الرجال والنساء معاً بالتكاليف الدينية وبيَّن أن الجزاء واحد لكل من الفريقين

وبالمناسبة أذكر أن المرأة في الإسلام قد أقامت الدليل على تحملها للمسؤولية وعلى مواهبها في العقل والتدبير والشجاعة والكرم والرواية والعلم، فالتي كان لها الفضل الأكبر في مناصرة الإسلام ناشئاً يتهدده جبابرة قريش امرأة وقفت وراء رسول الله تثبّت قلبه، وهدأت خاطره، وبذلت له من مالها وحنانها ما أفعم قلبه بالسلوى، وأسبغ على نفسه رضا الطمأنينة وطمأنينة الرضا ـ هذه المرأة هي أم المؤمنين خديجة، ومن قوله للنبي ـ ﷺ : «كلا والله ما يخزيك الله أبداً إنك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتعين على نوائب الحق».

وكذلك فعلت أسماء بنت أبي بكر وغيرهما كثير من النساء المسلمات.

وكان الرسول مكرّماً للمرأة يحرص دائماً على مرضاة أزواجه، فكان خير الناس لأهله، ومعروف أن كل رجل كريم لابد أن يكون في بيته متأسياً بالنبي عليه الصلاة والسلام، ونحن نعرف قصة الشخص الذي أراد عمر أن يجعله والياً، فقال: إذا دخلت بيتي جلس القائم وسكت الناطق، فعزله عمر وقال له: «إذا كنت في بيتك جباراً هكذا فماذا ستفعل مع المسلمين».

على كل حال هذا بالنسبة للزوجة، أما بالنسبة للأم «فالجنة تحت أقدام الأمهات»، وقد قال بعض الناس إن الرسول أوصى بالأم ثلاثاً، وأوصى بالأب مرة واحدة، أي أنه أوصى بها ثلاث أضعاف ما أوصى بالأب، وقد سأل شخص الإمام مالك وقال له: «لو أمرني أبي ونهتني أمي ماذا أفعل، فقال له مالك: أطع أباك ولا تعص أمك».

إن من تكريم الإسلام للمرأة السماح لها بارتياد المساجد وقد كان المسجد النبوي منذ إنشائه مدرسة تربى فيها الأولاد والنساء، فالرجال يقفون أمام الأولاد والأولاد أمام النساء، والنساء يقفن في آخر صفوف الصلاة ليس إهانة لهن، ولكن صوناً لهن، فالصلاة فيها ركوع وسجود ولا يصح أن تركع المرأة وتسجد أمام الأجانب. وطوال العهد النبوي لم يصدر نهي عن ارتياد المرأة المساجد، بل صدر الأمر للرجال بالسماح لنسائهم بالصلاة في وقتي الفجر والعشاء. وروى صاحب المحلى أن علياً بن أبي طالب أقام للنساء مسجداً خاصاً ليصلين فيه صلاة التراويح سواء أمّتهم امرأة أو أمّهن رجل. ومن هذا المنطلق فإن الحديث الذي رواه ابن حنبل: «إن صلاة المرأة في بيتها أفضل»، حديث مرفوض، وعلق عليه ابن حزم قائلاً: لو كان أفضل لها فلماذا ترك النساء وفي العهد النبوي يتحملن مشقة الذهاب إلى المساجد في الظلمة ويتحملن البرد والحرّ دون أن يُمنعن من ذلك؟. وقد رفضت هذا الحديث(٢) مع ابن حزم وفي الوقت نفسه خشيت أن يترك بعض النساء «الدراويش» بيوتهن ويقمن في المساجد للصلاة. ويتخلين عن وظيفتهن في البيت التي هي أساس حياتهن، يقول الرسول ـ ﷺ ـ فهي راعية فيه ومسؤولة عن رعيتها، فإذا كان البيت يحتاج إليها في إعداد الطعام أو رعاية الأطفال فإن صلاة الجماعة تسقط عنها، فإذا انتهت من أعمالها «فلا تمنعوا إماء الله مساجد الله»، لذلك فأنا أرى أن ابن حزم مُحقٌ في رفض عموم الحديث ولست معه في أن تترك المرأة واجباتها المنزلية من أجل إدراك الجماعة في المسجد، فالله يعطيها أجر الجماعة على أن تبقى في بيتها وتؤدي واجب رعاية الزوج والأولاد، فإذا انتهت من أعمالها فلتذهب إلى المسجد، وقد ورد في المحلى أن عمر قال لامرأته: «والله إني لا أحب ذهابك للمسجد، فقالت له: أتنهاني عن ذلك: فقال لها: لا أستطيع أن أنهاك. وقتل عمر وكانت زوجه تصلي الفجر في المسجد»، وهكذا كانت النساء في الصحيح «خير صفوف الرجال أولها وشرها آخرها، وخير صفوف النساء آخرها وشرها أولها»، وقد كان الرسول ـ ﷺ ـ يقصد بذلك قمع الفتنة والحركات التي تجعل الإنسان يتطلع إلى ما لا يجوز له أن يتطلع إليه، وهذه طبيعة النفس البشرية. وقد أمر الإسلام بغض البصر. والنظرة الأولى لا يستطيع أحد أن يملكها. روى مسلم أن الرسول ـ ﷺ ـ قال: «إذا أحدكم أعجبته المرأة فوقعت في قلبه فليعمد إلى امرأته فليواقعها فإن ذلك يرد ما في نفسه»، فالإسلام دين حقائق ودين فطرة ودين واقعي يرسم الأمور بواقعية حتى إنه سمح للمرأة حتى ولو كانت حائضاً أن تشهد صلاة العيد في مصلى العيد لكي تشهد الخير ودعوة الإسلام وتعرف أوضاع المجتمع. وفي بعض الدول الإسلامية تدخل المسجد فتجده ممتلئاً بالرجال والنساء الذين يتعلمون أمور دينهم ويعرفون حال المجتمع والعالم. ■

يتبع في العدد القادم

الهوامش:

١ ـ من محاضرة «بعنوان الإسلام والمرأة» المعهد العالي للفكر الإسلامي، الشيخ محمد الغزالي، الموسم الثقافي الرابع.

٢ ـ الكلام للشيخ محمد الغزالي في المحاضرة المشار إليها في المرجع السابق.

الحوار هو الأساس المتين الذي يقوم عليه بنيان الأسرة السليمة... ولا شكّ أن غياب الحوار داخل الأسرة يؤدي لخسائر وخيبات كبيرة، خاصة إذا كان هناك طرف قوي مستبد برأيه، متمسك بما يجول في خاطره... عندها تشلُّ حركة الطرف الآخر، ويصبح لا حول له ولا قوة فيكون ضعيفاً أمام جبروت الطرف المستبد وطغيانه وليس له خيار إلا الاستكانة والاستسلام للطرف القوي الذي يفرض آراءه بقوة وحزم. إن مثل هذه الحال - المأزق - تُعطل دور الحوار الإيجابي، وتصل بعملية التفاهم والتشاور إلى طريق مسدودة ما يؤدِّي إلى نتائج سلبية تنعكس آثارها الضارة على الطرفين وما بينهما من أولاد.



الأسرة... وضرورة الحوار...!!

بقلم: عبدالعزيز إسماعيل أحمد

لقد ركّز ديننا الحنيف على أهمية التفاهم واحترام الآراء بين الزوجين لبناء أسرة قوية، سعيدة، تقوم بدورها الايجابي البنَّاء في فعاليات المجتمع ونشاطاته وقد جعل الله تعالى من صفات العلاقة الحميمة بين الزوجين «المودة والرحمة» وذلك بقوله في القرآن الكريم: (وجعل بينكم مودة ورحمة) الروم:٢١.

لذا فإن مبدأ الحوار الإيجابي البنَّاء هو مبدأ عظيم، وأساس ضروري لبناء أسرة صالحة وقوية.

وقد أرسى الإسلام أسس الحوار وبنى عليه نظامه الأساسي بشكل عام متمثلاً بمبدأ «الشورى»، وكان الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم يحاور أصحابه في كل صغيرة وكبيرة، ويشاورهم في أمور دينهم ودنياهم ويتداول معهم الآراء في كل ذلك ليتوصل إلى قرارات سليمة وصحيحة في كل مسألة تعرض لهم أو أمر يهمهم، قال تعالى: (وشاورهم في الأمر) آل عمران:١٥٩. وقال أيضاً: (وأمرهم شورى بينهم) الشورى:٣٨.

وكون الأسرة هي الخلية الأولى في بناء المجتمع بصلاحها يصلح، وبفسادها يفسد لذا يجب أن تسود بين أفرادها لغة الحوار والتفاهم، فإذا كان الأب قوياً متسلطاً مستبداً برأيه، يرفض الحوار ويبقي بابه مغلقاً مع الزوجة والأولاد فإن هذا الوضع سيقود حتماً إلى تقويض دعائم الأسرة، وستيحوّل المنزل من جنة مفترضة يسودها الود والتفاهم والسلام إلى جحيم يحترق بلظاه جميع أفراد الأسرة.

وإن أسوأ ما يقود إليه هذا الوضع حال «الطلاق» أبغض الحلال إلى الله، حيث يكون الطلاق في هذه الحال بمثابة «قنبلة موقوتة» تنفجر فجأة لتدمر كيان الأسرة، وتفككها لأن من نتائجه قطع وشائج الصلة بين الأبوين فيفتقد الأولاد حنان أمهم، وقد يبقون رازحين تحت سلطة أبوية صارمة ومستبدة إذ يفرض الأب آراءه عليهم عنوة ولا يفسح لهم مجالاً للحوار معه أبداً ما يدفعهم إلى الهروب من جحيم المنزل الذي فقد إحدى دعائمه القوية «الأم».

وهذا الوضع يولّد كرهاً دفيناً للأب في نفوس أولاده ما يؤدي بهم إلى ردّات فعل عكسية تخرجهم عن مجال طواعيته وسماع آرائه فيكون التشرد والضياع ثمرة أكيدة من ثمرات الهروب إلى الشارع ومخالطة رفاق السوء، والسقوط في مهاوي الرذيلة، واكتساب العادات الذميمة وسلوك طريق الإجرام، وهذا هو الخُسْران الذي ما بعده خسران.

المرأة في فكر الشيخ الغزالي

كان الشيخ محمد الغزالي - رحمه الله - فارساً للكلمة، وأديباً للدعوة، صال وجال سنوات طوالاً، وكان عطاؤه فريداً ونضاله صادقاً، واجتهاده مخلصاً واعياً، وجهاده متواصلاً لا يكل ولا يتعب مهما تعرض للمتاعب والمضايقات، وكان معتزاً بدينه وبنفسه وبفكره... شجاعاً في الحق بالكلمة الهادفة البناءة وبالحكمة والموعظة الحسنة... يتذرع بالصبر ويتسم بالأخلاق الإسلامية الفضالة والآداب الإنسانية العالية... يحترم نفسه دون غرور، ويرحب بالحوار الهادف والنقد الموضوعي.

والشيخ محمد الغزالي الذي ترك لنا ثروة ثقافية قدرها ٩٤ كتاباً، كان من الدعاة الذين لهم أقدام ثابتة وخطى موفقة وبصيرة نافذة، وفكر وضّاء مستنير وكانت له مواقف خالدة في مجالات كثيرة دافع فيها عن الإسلام وعن الحرية وعن الديموقراطية ودعا إلى تعليم المرأة وعارض فكرة تحديد النسل واشتبك في معارك مع العلمانيين ودحض أفكارهم التي تهاجم الإسلام، ولا سيما قضايا المرأة المسلمة والتي تتمثل في الكثير من الزوايا والجوانب مثل خروج المرأة للعمل، صوت المرأة، زيها، حريتها، صورتها ووضعها داخل المجتمع المعاصر... إلخ.

وفي هذه الأيام تمر الذكرى الثالثة لوفاة شيخنا، حيث انتقل إلى جوار ربه في شوال سنة ١٤٢٦هـ ونستغل هذه الفرصة ولنقتطف شيئاً من فكره حول قضايا المرأة المسلمة المعاصرة، ولعل أشهر هذه القضايا قضية الحجاب أم النقاب، يقول الشيخ عنها: إن الأوروبيين يعرفون ملابس الفضيلة في أزياء الراهبات عندهم، وهذه الأزياء أقرب ما تكون إلى الحجاب الشرعي عندنا، وإذا نحن التزمنا بهذا الحجاب أنصفنا ديننا وأغرينا عشاق الفضيلة بالدخول فيه! أما إخفاء الأيدي في القفازات وإخفاء الوجوه وراء هذه النقب وجعل المرأة شبحاً يمشي في الطريق معزولاً عن

إعداد : د.رشيدة محمد أبو النصر

الدنيا فذاك ما لم يأمر به دين! بل ذاك ما يجعل كل التهم التي نفاها عنه... ويسأل الشيخ القائلين بالنقاب قائلاً: «إنكم تعلمون أن مذهبكم رأى لم تجنح إليه كثرة المفسرين والمحدثين والفقهاء، فماذا عليكم لمصلحة الإسلام أن تتركوه ترجيحاً لمصلحة أهم وتجنباً لضرر أفدح»؟

أما القضية الثانية التي يتعرض لها الشيخ في عدد غير قليل من كتبه هي أن الإسلام متهم بإهانة المرأة، واستضعافها، فهل في كتاب الله وسنة رسوله ما يبعث على هذه التهمة؟ يجيب الشيخ قائلاً: إن القرآن بين أيدينا لم يتغير منه حرف واحد وهو قاطع في أن الإنسانية تطير بجناحين هما الرجل والمرأة معاً، وأن انكسار أحد الجناحين يعني التوقف والهبوط! فلننظر إلى السُّنة ولنستبعد ما التصق بها من الواهيات والمتروكات. إن مصاب الإسلام في المتحدثين عنه لا في الأحاديث نفسها.

نبينا يوصي بأن تذهب النساء إلى المساجد «تفلات» أي غير متعطرات ولا متبرجات ولكن «القسطلاني» في شرحه للبخاري يرى أن تذهب النساء إلى المساجد بثياب المطبخ وفيها روائح البقول والأطعمة!! وغيره يرى ألا تذهب أبداً فأي الفريقين شر من صاحبه على الإسلام؟ وعن ضرورة تحسين صورة المرأة المسلمة يقول الشيخ - رحمه الله - أحسنوا «عرض دينكم ولا تصدوا الآخرين عنه بسوء الفهم وسوء العمل! لنفرض أن رجلاً كل رأسماله في السُّنة حديث الحاكم في المستدرك أن المرأة لا تتعلم الكتابة أو حديث صاحب الزوائد أن المرأة لا ترى رجلاً ولا يراها رجل، ثم جاء هذا المسكين ببضاعته المزجاة أو أحاديثه الموضوعة والمتروكة يعرض الإسلام على أهل أوروبا وأميركا، هل يدخل في الإسلام أحد؟ هل يحترم الإسلام رجل أو تحتفي به امرأة؟ إن بعض المسلمين يعرضون دينهم مزوراً، دميم الوجه، ثم يذمون الناس لأنهم رفضوه وفي نظر الشيخ يجب سجن أو جلد هؤلاء لأنهم صادُّون عن سبيل الله، فتانون عن الحقيقة التي صدع بها صاحب الرسالة الخاتمة عليه الصلاة والسلام».

وعن عِظَم الدور الذي تقوم به ربة المنزل المسلمة يقول الشيخ - رحمه الله - :«إن وظيفة ربَّة الأسرة ليست وظيفة هينة، إنها منصب آخر فوق مآرب اللذة ومطالب الشهوات الجنسية لأن وظيفة البيت ليست في توفير العلف لسكانه فحسب، حيث يقول الله تعالى: (يأيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة)، ويؤكد فضيلته على أنه عندما كان شاباً لاحظ امرأة أجنبية تجمع أولادها في الأصيل وفي أيديهم الكراسات لتشرف على أداء واجباتهم المنزلية فإذا نزلوا في الشارع للفسحة كانت ترقبهم من النافذة وكأنها تخشى عليهم أخطار الطريق أو مشاكسة الرعاع.

وعن حرمة صوت المرأة يقول الشيخ : «إنها إشاعة كاذبة، ويتسدل على ذلك قائلاً: ذكر ابن إسحاق: «أن أبا العاص بن الربيع - وكان صهراً لرسول الله - أقام بمكة كافراً بعد أن منَّ عليه الرسول الكريم - ﷺ - وأطلقه بغير فداء من بين أسرى بدر واستمرت زينب عند أبيها بالمدينة، حتى إذا كان قبيل الفتح خرج أبو العاص في تجارة لقريش إلى الشام فلما قفل عائداً بما معه لقيته إحدى السرايا، فاستولت على القافلة وفر أبو العاص تحت جنح الليل إلى بيت زوجته السابقة زينب محتمياً بها ومستجيراً، فأجارته - فلما خرج الرسول الكريم لصلاة الصبح وكبَّر، كبر الناس وراءه! صاحت زينب من صُفة النساء فقالت: «أيها الناس إني قد أجرت أبا العاص بن الربيع! فلما فرغ المسلمون من صلاتهم أقبل الرسول الكريم عليهم قائلاً: «أما والذي نفس محمد بيده ما علمت بشيء حتى سمعت

ما سمعتم! وأنه يجير على المسلمين أدناهم».
ثم انصرف رسول الله - ﷺ - فدخل على ابنته زينب وقال لها: «أي بنية أكرمي مثواه، ولا يخلصن إليك فإنك لا تحلين له»، ونهاية القصة معروفة في السيرة النبوية، وعاد إلى قريش ليرد إليهم ودائعهم ثم تحوّل إلى المدينة وجاهد مع المجاهدين... والشاهد في القضية حديث زينب إلى الناس، هل قال مسلم: إنه عورة!... وعند تعرض موسى لابنتي الرجل الصالح في مدين قائلاً: «ما خطبكما؟ قالتا: (لانسقي حتى يصدر الرعاء وأبونا شيخ كبير) وبعد قليل جاءت إحداهما تقول لموسى: (إن أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا) فهل قال مسلم: إن صوت المرأة عورة؟ ثم يستطرد الشيخ قائلاً: إن العورة في أصوات النساء - والرجال أيضاً - أن يكون الكلام مريباً مثيراً له رنين رديء! وقلَّ بين رجال الفقه من قال: إن صوت المرأة عورة.

وعن بيت الطاعة يقول الشيخ: إنه اجتهاد خاطئ حيث يذكر فضيلته أنه مع ثبوت الخلع في الكتاب والسنة، فقد رأى جملة من المشتغلين بالفقه يتجاهلونه، ويرفضون إنهاء عقد الزوجية به سواء بالفسخ أو بإيقاع الطلاق... وبعضهم يدخله للضرر! ويأبى أن يكون لمشاعر البغض عند المرأة وزن! ويستطرد الغزالي قائلاً: «إنه عاصر عهداً كان القضاء «الشرعي» يأمر بإرسال الشرطة إلى أسرة الزوجة لإرغامها على الذهاب إلى بيت الطاعة كي تعاشر زوجها، وكانت الأسرة تقوم بتهريب الزوجة إلى مكان بعيد فراراً من تنفيذ حكم القضاء! وكان الشيخ يسأل نفسه هل هذا هو تفسيرنا لقول الله سبحانه تعالى: (أمسكوهن بمعروف أو سرحوهن بمعروف ولا تمسكوهن ضراراً لتعتدوا)؟ إن من أبغض الأمور عند الغزالي تعريض الإسلام كله للرد والجحد بسبب اجتهاد خاطئ أو تعصب مذهب ضيق، فلنعرف طبيعة شريعتنا، وليكن وعيناً بأحكامها صوناً لحياتنا الخاصة والعامة ■

المراجع:

١ - قضايا المرأة بين التقاليد الراكدة والوافدة للشيخ محمد الغزالي.
٢ - كنوز من السنة - الشيخ محمد الغزالي.

مخاطر السينما على الأطفال والشباب

بقلم: عمر الرماش بن إدريس

انتشرت في البلاد العربية والإسلامية مختلف وسائل وأماكن اللهو والترفيه، كالملاهي والمقاهي والمسارح وقاعات الألعاب الإلكترونية والنوادي الليلية والحانات ودور السينما وغيرها، ويرجع سبب ذلك إلى التقليد الأعمى للغرب وغزو الحضارة الغربية ثم فقدان الأمة لهويتها الحضارية والدينية واللغوية والثقافية... ولعل من أبرز وسائل وأماكن اللهو والترفيه المنتشرة والخطيرة على الأمة وأفرادها وجماعاتها دور السينما التي تستفحل بالمدن والقرى وخصوصاً بالأحياء الشعبية التي يتكاثر فيها السكان.

مضامين أفلام دور السينما

إن معظم دور السينما في البلاد العربية والإسلامية تقدم على شاشاتها الكبيرة أفلاماً أجنبية وخصوصاً الغربية منها كالأميركية والأوروبية التي تعالج مواضيع وقضايا تتناقض مع خصوصيات مجتمعاتنا كالعنف والجنس والغريزة والرقص... وهكذا فإن أفلام المجون والخلاعة والتفسخ التي تعرضها دور السينما تعكس جو ومناخ الحضارة الغربية المنحطة أخلاقياً واجتماعياً وفكرياً ولا تعكس إطلاقاً المحيط المجتمعي الذي يعيش فيه الأطفال والشباب العرب والمسلمون. كما أن مضامين ومحتويات الأفلام الأجنبية، بل وحتى المحلية والوطنية والقومية تتناقض مع العادات والتقاليد الأصيلة والهوية الحضارية للأمة.

مخاطر أفلام دور السينما:

إن المخاطر والعواقب الوخيمة لأفلام دور السينما على الأطفال والشباب كثيرة ومتعددة ويمكن أن نوجز أهمها في النقط التالية:

- نشر الانحراف الأخلاقي والسلوكي في صفوف الأطفال والشباب كتعاطي الخمور والتدخين والمخدرات والفساد بكل أنواعه وكذلك أعمال الإجرام والعدوان والسرقة.
- شغل وإلهاء الشباب والأطفال عن القيام بالواجبات الدراسية والدنيوية والدينية.
- تحطيم القيم الأخلاقية النبيلة كالعفة والحياء والحشمة والاحترام.
- الترويج والدعاية للثقافة الغربية المادية الإلحادية وفي المقابل العمل على تحطيم المقومات الأساسية للحضارة العربية الإسلامية كالدين واللغة والتراث والعادات والتقاليد الأصيلة.
- تحقيق الربح المادي والمالي والاغتناء السريع.
- تهديد أمن واستقرار المجتمع والأمة ونشر الفوضى والاضطراب والتسيب.
- تفكيك الأسر والعائلات عن طريق نشر الفساد والتفسخ والانحلال.

المسؤولية عامة ومشتركة:

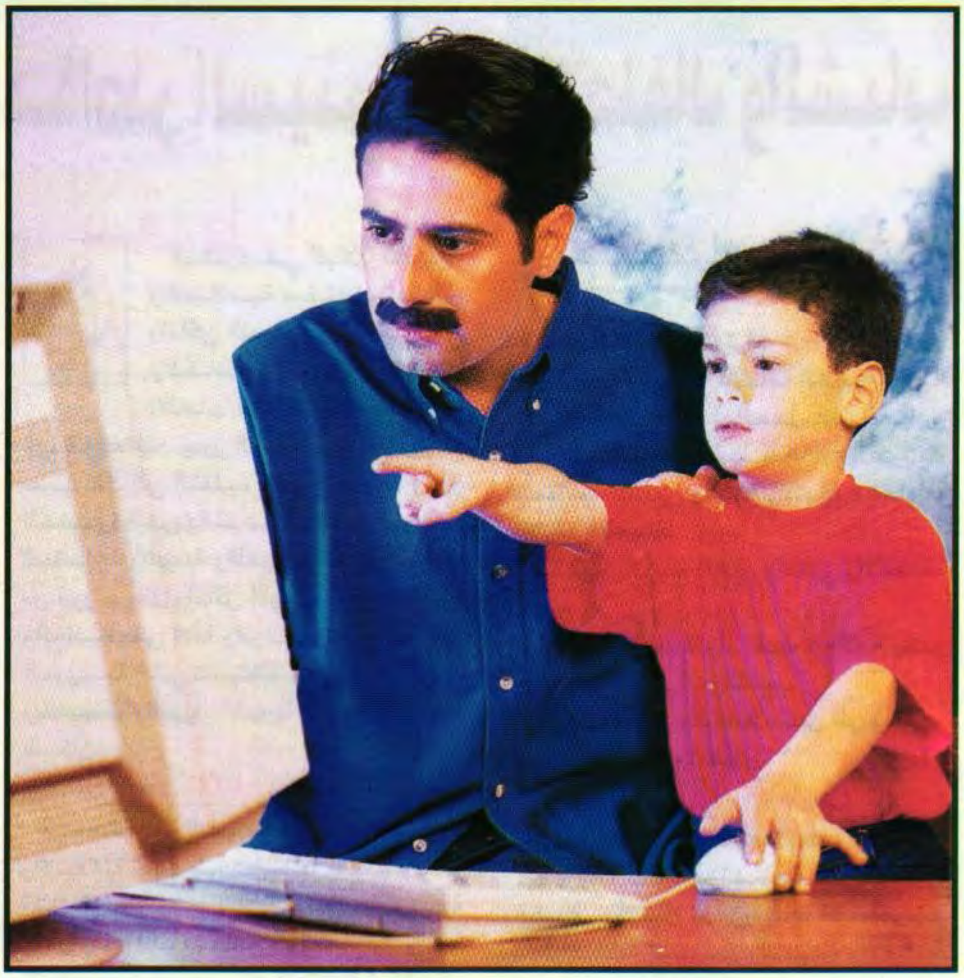
إن المخاطر المتعددة لأفلام دور السينما وخصوصاً منها اللاأخلاقية على الأطفال والشباب يتحمل مسؤوليتها كل مكونات وفاعليات الأمة السياسية والتعليمية والإعلامية والدينية مصداقاً لقول الرسول صلى الله عليه وسلم: «كلكم راع وكل راع مسؤول عن رعيته». وهكذا فإن المسؤولية عامة ومشتركة وتتمثل فيما يلي:

- واجب السلطات التنفيذية والتشريعية والقضائية بعدم الترخيص لأماكن اللهو العمومية نظراً لخطورتها اللاأخلاقية ثم التصدي لكل المخالفين والمعارضين.
- مسؤولية رجال التعليم والتربية ووسائل الإعلام المختلفة المسموعة والمقروءة والمرئية في التوعية بمخاطر أفلام دور السينما أخلاقياً وسلوكياً على الأطفال والشباب.
- مسؤولية الآباء والأمهات على أبنائهم وواجب رعايتهم وتربيتهم تربية حسنة وتوجيه النصح والإرشاد ومنعهم من ارتياد الأماكن العمومية التي تشكل خطراً عليهم.
- واجب الدعاة والعلماء وخطباء المساجد توعية وتحسيس الناس بمخاطر دور السينما ثم بث روح التدين والالتزام بتعاليم الإسلام العامة في صفوف الأطفال والشباب والآباء وأولياء الأمن ■

استراتيجية تربوية مقترحة لحماية طفل القرن الحادي والعشرين

قد أصبح الاهتمام بالطفولة من المسلمات البدهية التي تسعى إليها أي دولة، ولقد أجمعت مدارس علم النفس مع اختلافها على ضرورة الاهتمام بالطفولة، وفهم المربين للخبرات الأولى التي يكتسبها الفرد من مراحل طفولته، لأهميتها في مساعدته على النمو، وتكوين شخصيته.

إعداد : د.رشيدة محمد أبو النصر



وفي هذه المرحلة تتحد المعالم الرئيسة لشخصية الفرد، كما أنه من المتفق عليه أن ما يُتاح من خبرات يتفاعل معها في هذه المرحلة تؤدي إلى تكوين قيمه واتجاهاته الأساسية، ويتعلم أنماط سلوكه، وعاداته التي تصاحبه على الأغلب في كل مراحل حياته التالية وما يقدمه المجتمع للأطفال من ألوان الثقافة ـ باعتبارها أسلوباً للحياة ـ يعود ليظهر في سلوكهم كباراً، فطفل اليوم هو رجل المستقبل وهو أساس تقدم المجتمع.

ومن هذا المنطلق كان النزوع إلى استراتيجية تربوية لحماية الطفل، وترتكز هذه الاستراتيجية على المحاور التالية:

ـ المحور الأول: ضرورة ارتباط الاهتمام بالطفولة بجهود التنمية والتطوير الحضاري وهذا يتطلب: السعي نحو حل مشكلات الربط بين الجهود المبذولة في مجال الطفولة، والجهود المبذولة في ميدان التنمية بصفة عامة، وكذلك الربط بحركة التطوير الحضاري.

ـ المحور الثاني: ضرورة ارتباط تربية الطفل بحركة التربية في المجتمع، وهذا يعني:

ـ ضرورة ربط الجهود المبذولة للاهتمام بالطفولة بالجهود المبذولة في التربية بشقيها النظامي وغير النظامي، في إطار فلسفة متكاملة.

ـ توجيه الظروف الملائمة لربط حركة الاهتمام بالطفولة بما يجري في المجتمع من تطوير في المجالات المختلفة.

ـ المحور الثالث: تدعيم أجهزة خدمة الطفل

وكفالة مرونة حركتها. وهذا يتطلب:

● تغطية ميادين الأجهزة العاملة في خدمة الطفل، ومواجهة ما تعانيه من مشكلات بما يؤدي إلى تدعيمها بمختلف الوسائل والإجراءات والعناصر التي تضمن مواكبة هذه الأجهزة لمسؤوليات المستقبل القريب.

المحور الرابع: تكوين رأي عام بأهمية الطفولة واتخاذ موقف إيجابي تجاهها. ويركز هذا المحور على ميادين الوعي الاجتماعي بين المواطنين حول قضية الاهتمام بالطفولة، وتكوين وتدعيم حافز اجتماعي إيجابي يدفع بالمجتمع إلى الاهتمام بالطفولة.

المحور الخامس: تنويع البنى التربوية وتحقيق المرونة والتكامل فيها من أجل خدمة الطفل ويتم ذلك عن طريق:

- مرونة السلّم التعليمي، ومرونة التدفق في المتعلمين.

- مد النظام التربوي في الزمان والمكان بحيث يشمل التربية قبل المدرسة، في ضوء المشاركة الإيجابية والاندماج في المجتمع.

- توافر الأبنية التعليمية حسب توزيع السكان ومراعاة الشروط الوظيفية التربوية فيها.

المحور السادس: تجديد محتوى التربية وطرائقها ووسائلها وأساليب تقويمها حتى تتواءم مع تحديات القرن الحادي والعشرين، ويتحقق ذلك عن طريق:

- استخدام منهجية علمية للتطوير تصوغ أهداف التربية ومناهجها في مبادئ الاستراتيجية والفلسفة التربوية وتؤكد الشمول والتكامل في التربية والتفاعل مع المجتمع، ومع خصائص الأطفال، وتستوعب الثورة العلمية التقنية وتتابع الفكر التربوي الأصيل والحديث، وتنمي فكراً تربوياً عربياً متميزاً.

- ضرورة نقل الأنظمة التربوية من العفوية إلى تحديد الأهداف ومن الجزئية إلى الشمول، ومن محض التعليم إلى التعلم، ومن الاقتصار على المعرفة إلى الشمول، والعناية



● ضرورة توفر الأبنية التعليمية ومراعاة الشروط الصحية فيها

بالإبداع والإرادة والعمل، ومن اللفظية إلى الوظيفية، ومن الانعزال إلى الملاءمة مع المجتمع، ومن الجمود إلى الحيوية ومن الخطية إلى التنوع، ومن الثبات إلى التطور الابتكاري.

- ضرورة الاهتمام بجميع ميادين التربية، وتطوير طرق التعليم الذاتي والمتعة والمنفعة.

المحور السابع: تدعيم الرعاية المتكاملة للطفل، وذلك عن طريق:

- إعداد برامج تربوية لترشيد الآباء والأمهات بأساليب التربية السليمة للطفل لمالها من ارتباط وثيق بتفهم الطفل واستيعابه للحقائق وتنمية خياله الابتكاري، بدل الاعتماد فقط على الحفظ والتركيز والتقليد والتلقين.

- العناية بالبرامج الإعلامية الموجهة لطفل ما قبل المدرسة، وبالبرامج الموجهة لأسرة الطفل.

- إعداد برنامج للتأهيل التربوي لمدرسات الأطفال يركز على المهارات المطلوبة.

- تطوير المراكز المعنية بتقديم خدمات للطفولة وتكاملها مع بعضها بعضاً على المستوى المحلي والمستوى القومي.

المحور الثامن: الاعتماد على أساليب التخطيط التربوي السليم لقطاع الطفولة، وهذا يحتاج إلى:

- ضرورة ربط احتياجات الطفولة بقطاعات التخطيط الاقتصادي والاجتماعي، كالصحة والتغذية وخدمات الرعاية الاجتماعية والتعليم والعمالة والإسكان، لأن الأهداف النوعية لكل قطاع من هذه القطاعات ترتبط هي الأخرى بالمركب الكلي لمشكلات التنمية القومية من خلال تأثيرها على العملية الإنتاجية، أو تشكيلها للسياسة الاجتماعية للدولة.

- أن تتضمن خطة الدولة سياسة واضحة تشتمل على تحول متكامل للمشكلات الكبرى التي تواجه الأطفال فضلاً عن التوقعات القومية التي يمكن التوصل إليها من خلال الجهود المبذولة في هذا الميدان.

المحور التاسع: تطوير التشريعات التربوية حيث إن أحد وظائف التربية هي إعداد الطفل لحياة إيجابية وبناءة، ولهذا ينبغي أن تشتمل السياسة العامة للدولة على خطة تربوية طويلة المدى، تأخذ في اعتبارها الأهداف العليا لخطة التنمية الشاملة، فضلاً عن أن الخطط التربوية لابد أن تقابل احتياجات الأطفال الذين لم تتهيأ لهم فرص الانتظام المدرسي، أو الذين تسربوا من التعليم. ■



اتركي طفلك يثرثر ولا تُضيقي فكره بالكبت!

بقلم : ناهد إمام

«الأطفال في حياتهم الأولى أشد تأثراً في أفكارهم وأعمالهم بمركزية الذات من الكبار، وهم أقل تبادلاً لأفكارهم وأعمالهم مع بعضهم بعضاً من الكبار فيما بينهم، لكنهم لا يتحدثون في معظم الأمور عن أنفسهم بل على العكس من الكبار»، هذا ما تؤكده دراسة حديثة للدكتور نبيل جابر عبدالحق - أستاذ الدراسات النفسية والاجتماعية في معهد الدراسات العليا للطفولة - بعنوان: «مركزية الذات في لغة الطفل».

وأوضحت الدراسة أن فكر الطفل يضيق بالإخفاء والكتمان، فالطفل في المراحل العمرية الأولى من حياته (٥ أشهر - ٦ أشهر) لا يقدر على أن يحتفظ لنفسه بالأفكار والخواطر التي ترد إلى ذهنه، فهو يقول كل شيء ولا يقدر على أن يمسك نفسه عن الإفصاح باللفظ، وهذا لا يعني أنه يعبّر عن فكره ليشرك الناس، فالحقيقة أن الطفل يتكلم لنفسه أولاً وقبل كل شيء، فالكلام وظيفته مصاحبة النشاط الفردي وتعزيزه، قبل أن تكون وظيفته إشراك المجتمع في تفكير المتكلم.

أما الإنسان الراشد، فهو يفكر تفكيراً اجتماعياً حتى إذا كان منهمكاً في عمل شخصي خاص به، أو في بحث لا يفهمه أكثر زملائه ومن هم على شاكلته من الناس، فهو يتمثل بعين العقل صورة أنصاره ومعارضيه الموجودين بالفعل في صورة زملائه في مهنته، ممن سيعلن لهم إن عاجلاً أو آجلاً ثمرة مجهوده، وهذه الصورة الذهنية تلازمه طيلة عمله، فتحمله على أن يناقشه مناقشة موصولة، ومن ثم يكون العمل أو البحث مكيفاً مع واقع المجتمع، حتى إذا واجه الناس بأعماله وجهوده فسّر لهم ولو بصورة عامة أي شيء يستعصي عليهم فهمه.

ولو قُدِّر لطفل أن يكون في ظروف كتلك التي وصفناها، لابد أن يتكلم أكثر من الراشد، فيكاد كلامه يصاحب كل شيء يفعله «أنا أرسم سيارة» «أنا أرسمها خير منك» وهكذا... ومن ثم يبدو أن فكره أكثر اصطباغاً بالصبغة الاجتماعية، وأقل قدرة من الراشد على أن يمسك نفسه عن الكلام، لأنه لا يعرف الاحتفاظ لنفسه بشيء، فهو يتكلم كما لو كان بمفرده وكما لو أنه يفكر بصوت مسموع.

وبينت الدراسة أن الطفل لا يكاد يسائل نفسه ألبتة عما إذا كان كلامه مفهوماً من سواه، فهذا في نظره مسلَّم به، لأنه لا يفكر في غيره وهو يتكلم بل يناجي نفسه، ولا تصبح لغته شبيهة بلغة الكبار، إلا عندما يهتم اهتماماً مباشراً بأن يفهمه غيره، كما هو الحال عندما يصدر أوامر، أو يطرح أسئلته.

وأكدت الدراسة أهمية مراعاة قصور عقل الطفل في مراحل نموه الأولى عن عملية الاتصال، وكذا تمركزه حول ذاته بالنسبة لكل من يرغب في مخاطبة الطفل والتأثير عليه والاتصال به بأي طريقة خاصة ممن هم أمثال كُتّاب قصص الأطفال وواضعي برامج الأطفال، سواء في الإذاعة أو التلفاز وكذلك الموجه الديني.

فحتى تتم مخاطبة الطفل بفاعلية ونجاح، ينبغي تقديم المادة القصيرة المشوِّقة التي تستثير عقل الطفل وتمنعه من الاستغراق في الذات، وتساعده على التعاون والاتصال، وبالتالي نستطيع أن ننتشل الطفل من تمركزه حول ذاته.

وأوصت الدراسة بأهمية حضِّ الطفل على التعاون والاتصال بالآخرين، فإن ذلك يخرجه بالتدريج من تمركزه حوله ذاته، الذي إذا استمر طويلاً ربما يؤثر على سمات شخصيته، ويجعله يستغرق في الأوهام والخيالات، التي قد تشوش عملية التفكير عنده وتجعله مضطرباً! ■



اقتصاد إسلامي

إشراف: د. محمد جميل الشبشيري

نظراً لأهمية الاقتصاد في عالمنا المعاصر، فقد ارتأت المجلة فتح صفحاتها لنشر أهم أنشطة مؤسساتنا الاقتصادية الإسلامية وقضاياها المعاصرة، إضافة لنشر أبرز ما يدور على الساحة الاقتصادية العالمية، والباب مفتوح للإخوة والأخوات القراء للإسهام في إغناء وإثراء هذا الباب بكل ما يسهم في دفع عجلة الاقتصاد الإسلامي، باعتباره ركيزة أساسية في المشروع الحضاري الإسلامي المعاصر، والله من وراء القصد.



أعيان و وربة توقعات عقدا لبرامج وتغطيات متعددة وطويلة الأجل

وقعت شركة وربة للتأمين عقد وثائق التأمين على السيارات مع شركة أعيان للإجارة والاستثمار بالكويت. والذي سيتضمن برامج متعددة وبتغطيات تأمينية مختلفة ولمدد طويلة الأجل حسب التمويل الممنوح للعملاء.

وتتوقع الشركتان أن تبلغ الأقساط السنوية المحصلة من هذا العقد بحدود ٢٥٠ ألف دينار كويتي، وذلك عن طريق دراسات أخرى بين الطرفين للتأمين على الأصول المتمثلة بمختلف السلع الاستهلاكية وغير الاستهلاكية مثل الأجهزة الإلكتروني والأثاث المكتبي والمنزلي وأجهزة التكييف المركزي والحاسب الآلي وغيرها. والتي سيحلونها لأجل الغير على أساس التأجير أو التأجير مع المواعدة بالتملك، حيث ستكون هذه السلع ملكاً لشركة أعيان، وفي عهدة المتعاقد معها بموجب تسديد أقساط حتى نهاية العقد نحو ٥٠٠ ألف دينار، بالإضافة إلى عقد مكمل مع شركة AAA الأميركية لتقديم خدمات المساعدة وعلى مدار الـ٢٤ ساعة.

في مواكبة متطلبات السوق

«السعودي الفرنسي» يطرح صندوق النور كأداة استثمارية

أعلن البنك السعودي الفرنسي عن طرح صندوق النور الجديد بمفهوم المضاربة، ليضيف بذلك أداة استثمارية جديدة إلى مجموعة الصناديق الاستثمارية التي يوفرها البنك لعملائه، وقال البنك في بيان أصدره أخيراً: إن الهدف من طرح الصندوق الجديد هو تنويع قاعدة المنتجات الاستثمارية للبنك بما يتلاءم مع متطلبات السوق ولتلبية حاجات عملاء البنك الحاليين وجذب مستثمرين جدد.

ويعمل صندوق النور وفقاً لمبدأ المضاربة الشرعية، حيث يستثمر في شركات «مجازة من قبل اللجنة الشرعية» مدرجة في أسواق أميركيا وأوروبا وآسيا واليابان، حيث تتصدر أنشطة تلك الشركات لتشمل على سبيل المثال قطاع التكنولوجيا، والصناعة، والأغذية، والأدوية، والمنافع والطاقة. ويتبع البنك السعودي الفرنسي مفهوم الهرم الاستثماري الذي يقوم على تصنيف الصناديق الاستثمارية حسب درجة المخاطرة المصحوبة بكل صندوق، فصندوق البدر للمرابحة ينتمي للجزء الأزرق من الهرم الاستثماري، بينما ينتمي صندوق النور إلى الجزء الأصفر وبالاستثمار في الصندوقين يستطيع العميل تشكيل المحفظة الاستثمارية التي تناسبه من حيث درجة المخاطرة والعائد المصاحبان لاستثماره، وكان البنك السعودي قد حصل على جوائز عدة على مستوى البنوك المحلية تحت رعاية «مؤسسة النقد العربي السعودي»، تقديراً لموقعه البارز في سوق المنتجات الاستثمارية.

بنك طيب يطرح صندوقاً استثمارياً

أعلن بنك طيب بأنه بصدد طرح صندوق استثماري إسلامي تحت اسم «صندوق طيب الهلال العالمي» ليكون جزءاً من مجموعة الصناديق الاستثمارية المشتركة التابعة لبنك طيب. والهدف الأساس من صندوق طيب الهلال هو تحقيق عوائد عالية على المدى الطويل عن طريق الاستثمار في الاسهم المتفقة مع أحكام الشريعة الإسلامية الغراء والمدرجة ضمن مؤشر داوجنز الإسلامي، الذي لا يشتمل سوى الشركات التي يتفق نشاطاتها مع متطلبات الشريعة ولكي نصنف أي شركة على أنها متفقة مع أحكام الشريعة الإسلامية، فيجب أن نعتبر منتجاتها ونشاطاتها حلالاً، كما يجب أن تفي الشركة بثلاثة متطلبات مالية تتعلق بحدود المديونية والذمم المدينة، وإيراد الفوائد عن النشاطات التي تمارس ضمن متطلبات الشريعة.

تركيا تتراجع عن خطة لإغلاق البنوك الإسلامية

تراجعت الحكومة التركية عن خطة لإغلاق البنوك الإسلامية في البلاد وذلك نتيجة للمعارضة التي لقيتها هذه الخطة ليس فقط من جانب حزب الفضيلة أكبر أحزاب المعارضة، وإنما من جانب الشريك الأصغر في الائتلاف الحاكم وهو حزب الوطن الأم بزعامة مسعود يلماظ.

وقد اضطرت حكومة أنقرة إزاء هذه المعارضة إلى حجب مبادراتها بهذا الصدد بعد أن كانت قد أضافت بالفعل بنداً يدعو البنوك والمؤسسات المالية الإسلامية التي لا تعمل بنظام الفوائد إلى التحول إلى بنوك عادية وإلا تعرضت للإغلاق.

كانت الحكومة قد أضافت هذا البند إلى مسودة مشروع قانون شامل لإصلاح النظام المصرفي في تركيا ضمن اتفاقها مع صندوق النقد الدولي يجري بحثه الآن من جانب لجنة الشؤون المالية في البرلمان. وقال يلماظ: إن الحكومة قامت دون اتفاق بين كل شركاء الائتلاف الحاكم بإضافة هذا البند وبالتالي فقد كان عليها سحبه وحذر من أن حزبه الذي قامت هذه البنوك في عهده أصلاً قبل نحو ١٥ عاماً لن يسمح بإغلاقها، مشيراً إلى أن هناك مخاطر من أن تؤدي مثل هذه الخطوة إلى نزوح رؤوس أموال تصل إلى ٦ مليارات دولار إلى خارج تركيا، وأوضح أنه قد يكون للحكومة بعض الملاحظات على طريقة عمل هذه البنوك. لكن ذلك يمكن حله من خلال إيجاد نظام رقابي حكومي جيد عليها وعلى غيرها من مؤسسات التمويل الخاصة وليس إلغاؤها

في الذكرى الخامسة والعشرين

في الوقت الذي يحتفل فيه البنك الإسلامي للتنمية بمرور خمسة وعشرين عاماً على إنشائه باعتباره رمزاً للتعاون المالي والاقتصادي بين البلدان الإسلامية تواجه هذه البلدان تحديات اقتصادية كثيرة مع قدوم الألفية الثالثة وتزايد تيارات العولمة، وتبني نظام اقتصادي جديد من المتوقع أن يؤثر تأثيراً سلبياً على تلك البلدان التي مازالت معظمها تعاني من التخلف الاقتصادي، والبطالة والفقر، وتحتاج إلى جهود تنموية مضنية لرفع مستوى دخول الأفراد وإخراجها من حالة التراجع التي شهدتها معظم الاقتصادات الإسلامية، فطبقاً للتقرير السنوي الذي تصدره الأمم المتحدة عن التنمية البشرية في العالم، بما في ذلك الدول التي منَّ الله عليها بثروات طائلة دون عمل أو جهد، هل هو وضع طبيعي أن يكون ترتيب مصر في الموقع ١١٢ في التقريرالأخير، التي حظيت إسرائيل بموقع متقدم ٢٢، وهل يعقل أن تأتي دولة تمتلك موارد هائلة مثل السعودية في الترتيب رقم ٧٠.

وهذا يعكس مدى الحاجة الماسة إلى مؤسسات إسلامية مشتركة تعنى بنهضة التنمية الاقتصادية في البلدان الإسلامية، والحقيقة أن حقبة القرن العشرين واحدة من أهم حقب التاريخ الاقتصادي في العالم وأكثرها حيوية، وقد شهد الربع الثالث من القرن العشرين خطوات مهمة لتحقيق التضامن الإسلامي، تمثل في إنشاء منظمة المؤتمر الإسلامي، وهي خطوة مهدت الطريق بدورها لقيام التعاون الاقتصادي والمالي بين حكومات الدول الإسلامية، وتمخض ذلك كله عن إنشاء البنك الإسلامي للتنمية، ويعد البنك مؤسسة دولية للتمويل التنموي، أنشئت طبقاً للبيان الصادر عن المؤتمر الأول لوزراء مالية الدول الإسلامية الذي عُقد في جدة في المملكة العربية السعودية، في ديسمبر ١٩٧٣م.

ووقع على البيان ممثلو ٢٣ دولة من الدول الأعضاء في منظمة المؤتمر الإسلامي.

وقد تم افتتاح البنك رسمياً في اليوم الخامس عشر من شهر شوال ١٣٩٥هـ الموافق ٢٠ أكتوبر ١٩٧٥م، وبدأ أعماله بعضوية متواضعة لم تتجاوز ٢٢ دولة، وهو يضم اليوم في عضويته ٥٣ دولة منتشرة في قارات أفريقيا وآسيا وأوروبا وأميركا اللاتينية، وقد هدف البنك الإسلامي إلى دعم التنمية الاقتصادية والتقدم الاجتماعي لشعوب الدول الأعضاء والمجتمعات الإسلامية، مجتمعة

مؤسسات كويتية تسهم في تدشين خدمات مصرفية إسلامية في أميركا

تتجه بعض المؤسسات المصرفية الكويتية للمساهمة ومؤسسات أخرى لتدشين أول خدمات مصرفية إسلامية من نوعها في الولايات المتحدة الأميركية لاجتذاب عشرات الملايين من الأميركيين المسلمين والجاليات الإسلامية الضخمة في القارة الشمالية. وبدأت بعض المؤسسات المالية الأميركية حالياً تعديل نظم قروضها لتتلاءم أكثر مع المتطلبات الدينية للمواطنين المسلمين خاصة فيما يتعلق بنظام الفوائد المحتسبة على تلك القروض. وذكرت صحيفة «واشنطن بوست» الأميركية في عددها الصادر في أكتوبر ١٩٩٩م، أنه في الوقت الذي تتزايد فيه أعداد المسلمين في العاصمة الأميركية وبعض المدن الرئيسة الأخرى تستعد بعض الشركات المصرفية لتقديم خدمات تتضمن خيارات مالية تناسب القواعد المالية الشرعية الإسلامية، خصوصاً تلك الخدمات التي لم تتضمن فوائد يمكن اعتبارها ربا من وجهة النظر الإسلامية، وذلك لاجتذاب أكبر عدد ممكن من العملاء المسلمين. وأضافت الصحيفة أن مؤسستين مصرفيتين هما «انتربرايز بانكورب» في مدينة لارغو ومؤسسة «المنزل المالية الإسلامية» في نيويورك تعتزمان بدء مخاطبة الجاليات الإسلامية الأميركية الضخمة لاجتذابها نحو خدمات إسلامية مصرفية جديدة. وتعتبر مؤسسة المنزل إحدى شركات «بنك الكويت المتحد» والذي أنشئ بمساهمة عدد من البنوك الكويتية الوطنية في لندن للاستثمار الخارجي. وستقدم المؤسستان عروضاً بخيارات متعددة ميسرة للمسلمين في مجال الإسكان وخدمات مصرفية أخرى تسمح للمجتمعات الإسلامية بتجنب احتساب فوائد مالية محددة النسبة مسبقاً على قروضهم وودائعهم والتي يحرمها الإسلام بوصفها ربوية.

ويتجنب المسلمون الملتزمون بتعاليم الدين أغلب الخدمات المصرفية العادية التي تقدم في الولايات المتحدة التي يعتمد مواطنوها على نظام البطاقات الائتمانية للحصول على قروض عاجلة في مختلف نواحي الحياة تحتسب عليها فوائد محددة أو يودعون أموالهم في أوعية ادخارية تدر كذلك فوائد محددة. وقالت الصحيفة: إن من بين أبرز الخدمات التي تنوي المؤسسات المصرفية تقديمها قرضاً إسكانياً ضمن خدمة أطلق عليها «اتفاقية الهلال» والتي قالت إنها تتطابق مع أحكام الشريعة الإسلامية وتسمح بمشاركة الآلاف من العائلات الأميركية المسلمة التي ترغب في شراء منازل ولكنها تحجم عن ذلك بسبب النظام المصرفي الأميركي الربوي وتتجه بدلاً من ذلك لاستئجار المنازل.

وقال المدير التنفيذي لمؤسسة «المنزل» عبدالقادر ستيفن توماس للصحيفة: إن ثلث عدد المسلمين الأميركيين سيهتمون بالخدمة الجديدة، مشيراً إلى أن ذلك يعني سوقاً بحجم ١٠٠ مليار دولار. وقال: إن العقبة التي تواجه مؤسسته التي فتحت فروعاً لها في ولاية كاليفورنيا ومدينة سنسيناتي الآن هو تعليم المسلمين مطابقة نظام خدمة الهلال للشريعة الإسلامية وتفاصيل الخدمة.

لتأسيس البنك الإسلامي للتنمية

ومنفردة، وفقاً لمبادئ الشريعة الغراء، وقد تجاوز إجمالي التمويل الذي يقدمه البنك بالأساليب المختلفة ١,٥ مليون دولار أميركي حتى عام ١٩٩٨م، بعد أن بدأ بداية متواضعة لم تتجاوز قيمتها ١٨٥ مليون دولار أميركي، خصصت للتمويل التنموي في السنة الأولى من بدء عملياته.

وتؤكد الأنشطة الناجحة التي يضطلع بها البنك منذ إنشائه، حقيقة تفيد أن الممكن لمؤسسة تنشأ للتمويل التنموي أن تستند في عملياتها وإجراءاتها التمويلية إلى مبادئ وأحكام الشريعة السمحة.

وتضطلع مجموعة البنك الإسلامي للتنمية بأنشطة متنوعة في عدد من المجالات كتمويل المشروعات في القطاعين العام والخاص، وعمليات التجارة البينية للدول الأعضاء، وتقديم المساعدة إلى المجتمعات الإسلامية في الدول غير الأعضاء لتعزيز التنمية الاقتصادية والتقدم الاجتماعي لهذه المجتمعات. وقد تحقق ذلك كله بفضل الله سبحانه وتعالى، ثم بفضل الجهود المكثفة التي بذلها البنك لتعزيز التعاون بين الدول الأعضاء، وتحديد احتياجات هذه الدول عن طريق الحوار، واستحداث سلسلة من أساليب وأدوات التمويل، علاوة على البرامج والخطط الهادفة لتحقيق التنمية الاقتصادية.

ونحن إذ نحتفل بالذكرى الخامسة والعشرين لإنشاء البنك الإسلامي للتنمية، لننوه بالإنجازات التي تحققت حتى الآن. وندرك في الوقت نفسه، إن ما تحقق لا يزيد على نقطة في محيط المتطلبات والاحتياجات التنموية للدول الأعضاء. وعلينا أو نواجه، التحديات الجديدة، وأن نتعامل بنجاح مع الاتجاهات نحو العولمة والنظام الاقتصادي الدولي الجديد، لتقليص الآثار السلبية إلى أقصى حد ممكن، وتحقيق أقصى قدر ممكن من المكاسب.

وإن البنك الإسلامي للتنمية يعي تماماً المسؤوليات الجسام التي تنتظره. ولابد للبنك وللدول الأعضاء من بذل أقصى الجهود التنموية والارتقاء بهذه الجهود إلى مستويات جديدة متخصصة لمواجهة تحديات الألفية الثالثة. ولن يألو البنك جهداً في طرح وتشجيع وتنفيذ أفكار واستراتيجيات وبرامج جديدة للتنمية في الدول الأعضاء في المرحلة المقبلة، وخصوصاً في مجالات تنمية الموارد البشرية، وبناء القدرات، والتجارة البينية، وتمويل مشروعات البنية الأساسية، وتكنولوجيا المعلومات.

عوامل الضعف تدب في الاقتصاد الأميركي وقوى أخرى تندفع نحو القمة



أعلن الرئيس الأميركي بل كلينتون أخيراً أن القرن العشرين كان أميركياً وأن القرن الحادي والعشرين سيكون أميركياً كذلك... هذا الإعلان أقرب إلى الدعاية السياسية منه إلى الواقع، فالخبراء الاستراتيجيون في العالم يُجمعون على أن القرن الميلادي الجديد لن يكون أميركياً، وإنما متعدد الأقطاب، وأن الهيمنة الاقتصادية التي تكرست للولايات المتحدة في معظم سنوات القرن العشرين زائلة لا محالة، وأن هناك قوى دولية اقتصادية وعسكرية بدأت بالنهوض والتأهب على الصعيد الدولي للمنافسة ابتداء من الاتحاد الأوروبي مروراً باليابان والتنين الأصفر (الصين)، وانتهاء بالهند.

وإذا كان مقتل الاتحاد السوفييتي الذي أدى إلى تفككه في النهاية - رغم صواريخه النووية العابرة للقارات - اقتصادياً بسبب سباق التسلح الكبير الذي شهده النصف الثاني من القرن العشرين، فإن هذا السباق قد دمر أساسيات الاقتصاد الأميركي أيضاً، وإن كان بدرجة أقل فبلغ العجز في الميزانية الفيدرالية والديون أرقاماً خيالية، الأمر الذي دفع بالإدارة الأميركية إلى تقليل النفقات وبخاصة في المجالات الحيوية وفي مقدمها الإنفاق الدفاعي، وبمرور الوقت بدأت التصدعات في أركان القوى الاقتصادية الأميركية تظهر للعيان رغم طغيان القوة العسكرية الحالية.

المجتمع ١٣٨٦ - ذو القعدة ١٤٠٠هـ

النفاق الغربي والصمت الإسلامي

لماذا تقاعس الغرب عن الشيشان... واكتفى بالحديث عن حق المدنيين فقط؟! ولماذا لا يذهب أبعد من ذلك في الحفاظ على حياتهم وبلادهم من القصف والتشريد؟!

ولِمَ يقف العالم الإسلامي موقف المتفرج الذي ينتظر ما تسفر عنه الأحداث ولايحرك ساكناً؟ لماذا لا يتفاعل ويضغط على الحكومة الروسية، ويقيِّم علاقاته الاقتصادية وفق موقف الحكومة الروسية من الشيشان؟ علماً بأن العالم الإسلامي في دوله الكثيرة وتأثيره الكبير يستطيع عمل الكثير في ردع روسيا عن غيّها وإجبارها على الخضوع لإرادة الشعوب المسلمة في تلك المنطقة والتوقف عن إيذائهم، فلماذا السكوت؟!

أما أنتم يا شعب الشيشان فقد ضربتم أروع الأمثلة في الصمود والبطولة والتفاني في بذل النفس، ورفع راية الجهاد، والتمسك بالإسلام أمام قوة عظيمة متجبرة، فقد جابهتم الأعداد الغفيرة بالايمان بالله، وبالصبر فأذهلتم العالم كله بتماسككم ووحدتكم وإيمانكم... فهنيئاً لكم من شعب، وهنيئاً لكم من مجاهدين!!

الفرقان - العدد ١١٨ فبراير ٢٠٠٠م

مقتطفات من الصحافة

إعداد : تمام أحمد

محاولة غير بريئة لغسل الأفكار

التغريب في بلادنا كان يعني يوماً ما انبهار المرء بالتجربة الأوروبية وتعلقه بها ثم أصبح يعني انبهاره بالتجربة والنموذج الأميركيين، وأخيراً في التسعينيات صار للتغريب بعد آخر، بمقتضاه يغدو المرء إسرائيلي الهوى!

هذه المقولة ليست من عندي لكني سمعتها قبل حين من أحد المفكرين الوطنيين في مصر، الدكتور جلال أمين واختبرتها في حالات كثيرة، ثم اقتنعت بصوابها في نهاية المطاف، وإن كنت أذهب في تحليلها إلى أبعد من نقطة التغريب، زاعماً أن رحلة التحولات هذه تبدأ في العادة بالانحياز إلى الفكر العلماني، الذي يشكل منعطفاً في مسيرة الإنسان العربي المسلم ويدفعه إلى الانسلاخ على نحو تدريجي من نموذجه الحضاري الخاص والتعلق بالنموذج الحضاري الغربي،



وحين يولي الواحد منا وجهة شطر العالم الغربي فإنه يبدأ رحلة التنازلات التي تنتهي به على النحو الذي أشرنا إليه، ولسنا نبالغ إذا قلنا إن الشريحة الأكثر اندفاعاً باتجاه التطبيع والتعاون مع إسرائيل بغير تحفظ، تضم في المقدمة منها عناصر ينتمون إلى التيار العلماني الذي تغرب عقله ووجدانه، واعتبر أن التعامل مع إسرائيل نوعاً من «الليبرالية» والالتزام بمبدأ القبول بالآخر.

هم لم يختلفوا في ذلك عن الشيوعيين العرب في الخمسينيات ممن أيدوا قيام دولة إسرائيل «التي اعترف بها الاتحاد السوفييتي مبكراً»، واعتبروا ذلك نوعاً من التضامن مع اليسار الإسرائيلي والطبقة العاملة هناك تمهيداً لتوسيع جبهة النضال ضد الرأسمالية والبورجوازية في المنطقة، وقد ظنوا أنهم بذلك يقتربون من تحقيق حلم انتصار الطبقة العاملة، وتحقيق ديكتاتورية البروليتاريا.

ورغم التناقض المفترض بين الفكرين الليبرالي والماركسي، إلا أنه في صدد الصراع العربي الإسرائيلي اشترك أشياعهما في سمة واحدة هي: ضبابية الرؤية وفقدان «البوصلة» الصحيحة التي تضبط الإدراك وتوقظ الوعي.

الذي دفعني إلى رصد ظاهرة العلاقة بين العلمانية والتغريب والانبهار بالنموذج الإسرائيلي، معركة تابعتها في الصحافة قبل أسبوعين وثيقة الصلة بالموضوع الذي نتحدث عنه.

مجلة المجلة ١٠٤٤ - ١٩/٣/٢٠٠٠م

عودتنا إلى التقويم الإسلامي : مصدر عزتنا

مع اقتراب الألفية الثالثة، قامت جموع غفيرة من سكان العالم باحتفالية ضخمة لم تعرفها احتفالات قط أنفق عليها بالبذخ أموال ضخمة فاقت كل التوقعات.

وتحدث في هذه المناسبة الرئيس الأميركي بل كلينتون عن أن القرن الجديد هو قرن الحكم العالمي الجديد الذي تقوده أميركا وسينفذ جميعه.

وتحدث بابا النصارى عن برنامجه الجديد لنشر السلام في العالم الحكومات المختلفة رتبت برامجها للدخول في الألفية الثالثة.

والحقيقة التي لا غبار عليها أن التقويم الميلادي تقويم نصراني وبما أن السيطرة اليوم للعالم النصراني والمؤسسات المالية وكبرى الشركات في أيديهم، فالتقويم المسيطر اليوم هو التقويم النصراني.

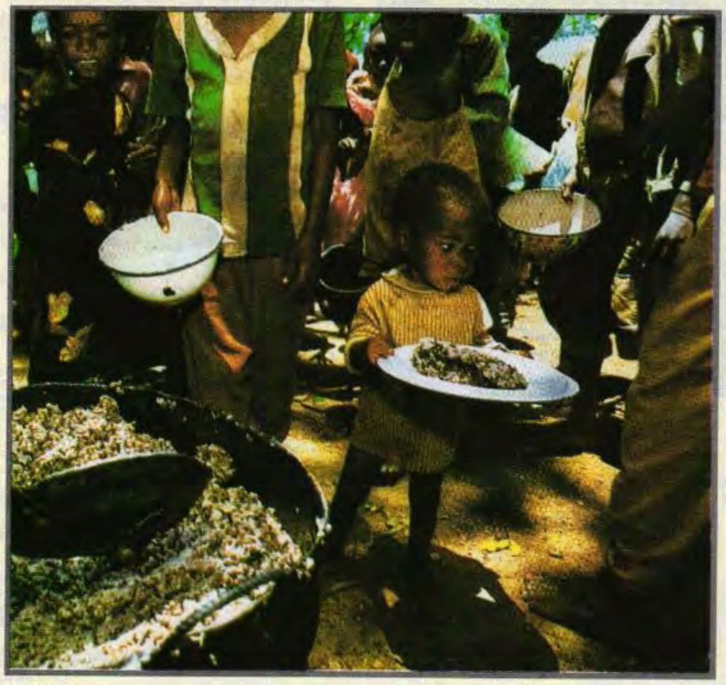
ومن المؤسف القول: إن الدول الإسلامية حكومات وشعوباً يسيرون في هذا الركب بل ويقلدونهم في احتفالاتهم ومعظمهم لم يعد يذكر التاريخ الهجري الإسلامي. ولهذا السبب انشغلت وسائلنا الإعلامية المقروءة والمكتوبة والمرئية والمسموعة بهذه الاحتفالات وأعدت لها جنداً. وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على تأثير الثقافة الغربية علينا ومدى تغلغلها في أوساطنا.

ونلاحظ بوضوح الآثار التي تركها العالم الغربي علينا نحن المسلمين في الملبس والمأكل والقضاء والإدارة وهي وسائل للسيطرة والتأثير. علينا نحن المسلمين أن نصلح من أحوالنا فالوقت عنصر مهم في التاريخ ولابد من مراعاة التقويم الهجري الإسلامي بدل التقويم النصراني وأن نعيش عيشة إسلامية نراعي فيها أحكام الإسلام وقد نهانا قدوتنا المصطفى صلى الله عليه وسلم عن التشبه بالكفار وخصوصاً في الأمور الاجتماعية وأمرنا بمخالفتهم.

فوظيفة الأمة الإسلامية التبليغ والإصلاح ولا يتم ذلك إلا بالتمسك بالدين وإذا غزتنا القيم الغربية باسم الحرية عجزنا عن الإصلاح والتغيير.

الرباط - سنة عدد١ يناير ٢٠٠٠م

الأمم المتحدة : أكثر من ٢٠ مليون طفل أصبحوا مشردين بسبب الحروب



وضعت مجموعة عمل في لجنة حقوق الإنسان التابعة للأمم المتحدة اللمسات النهائية على اتفاق دولي، لتنسيق التشريعات والقوانين ضد استغلال الأطفال، بعد أن وافق أعضاء وفود من دول مختلفة على منع استغلال الأطفال في الأعمال المنافية للآداب، وتشديد العقوبات ضد منتهكي تلك القوانين. وذكرت وكالة «كيودو اليابانية» أن مجموعة العمل دعت في ختام اجتماع لها استمر عشرة أيام إلى مزيد من اليقظة والحذر وإلى تعاون قانوني أوثق بين الحكومات لتناول ذلك الموضوع.

وسيوفر ذلك الاتفاق إطار عمل عالمي لوضع معايير للقوانين الوطنية المناهضة لبيع الأطفال بهدف استخدامهم في الدعارة والأعمال الإباحية، أو التبني بصورة غير قانونية أو لاستخدام أعضائهم ونقلها لأشخاص آخرين.

والمقصود بذلك الاتفاق تعزيز المعاهدة الحالية للأمم المتحدة التي وُقّعت العام ١٩٩٠ حول حقوق الأطفال. وتشير التقديرات إلى أن ٨٠٠ طفل من مختلف أنحاء العالم هم ضحايا الدعارة والأعمال الإباحية.

في حينه قال «أولارا أوتونو» مبعوث الأمم المتحدة الخاص بشؤون الأطفال والنزاعات المسلحة: إن الحروب تسببت في تشريد أكثر من ٢٠ مليون طفل سواء داخل بلادهم أو عبر حدودها.

وقال أوتونو في حديث لشبكة «سي إن إن» الإخبارية الأميركية إنه زار الكثير من الدول ومواقع النزاعات في سيراليون وسريلانكا وليبريا وكولومبيا ورواندا حيث يتم استخدام الأطفال كجنود في نحو ثلاثين نزاعاً تجري في جميع قارات العالم.

وأضاف: إن تقديرات الأمم المتحدة تشير إلى أن أكثر من ٣٠٠ ألف طفل يشاركون في نزاعات مسلحة في أنحاء العالم، وهناك ملايين من الأطفال أصبحوا ضحايا لأعمال وحشية لايمكن وصفها كما يتم اختطاف الأطفال من ديارهم وإجبارهم على التجنيد في ظل ظروف اقتصادية سيئة ما يسبب لهم صدمات نفسية عميقة قد يصعب علاجها مستقبلاً. وقال أولارا أوتونو مبعوث الأمم المتحدة الخاص بشؤون الأطفال والنزاعات المسلحة أن مشاركة هؤلاء الأطفال في الحروب تتسبب أيضاً في ابتعادهم عن التعليم، الأمر الذي يؤدي إلى فقدان مجتمعاتهم لهم كقوة منتجة فيما تتعرض كثير من الفتيات الصغيرات للاغتصاب جنسياً في أثناء الحروب ما يعرضهن أيضاً لصدمات نفسية كبيرة.

منظمة الصحة العالمية تتوقع ٢٠ مليون إصابة سرطانية العام ٢٠٢٠

تتوقع منظمة الصحة العالمية ارتفاع عدد إصابات السرطان لأكثر من ٢٠ مليون إصابة جديدة في العام ٢٠٢٠، وقد دعت المنظمة إلى إجراء تعاون دولي لمحاربة هذا المرض المهلك. وقدرت عدد الوفيات السنوية من السرطانات بأكثر من ثلاثة ملايين، منها مليون وفاة بسبب سرطان الرئة، و٣١٤ ألفاً نتيجة سرطان الثدي، و٦٢٨ ألف وفاة بعد الإصابة بسرطان المعدة، ونصف مليون وفاة جراء الإصابة بسرطان القولون و٢٠٠ ألف وفاة نتيجة غدة البروستاتا... إلخ.

فالتطور العلمي الهائل للسنوات الأخيرة فتح آفاقاً جديدة في المعالجة والوقاية، لكن رغم ذلك مازال الانتصار في معركة السرطان بعيد المنال نسبياً، فالأمر يحتاج إلى تعاون دولي مشترك، وعمل جاد من أجل تحقيق هذا الهدف.

مؤسسة للزكاة



دعا الدكتور نصر فريد واصل مفتي الديار المصرية إلى إنشاء مؤسسة للزكاة للعالم الإسلامي على مراحل، حيث إن الزكاة هي الركن الثالث من أركان الإسلام.

وأشار إلى أن الزكاة ضرورة لإصلاح حياة الفقراء والمساكين في البلدان الإسلامية الذين تصلهم الزكاة وينفق منها على مصارفها الخاصة، وهي مصارف إنسانية محددة بخلاف الميزانية العامة للدولة التي ترتبط بمشروعات استثمارية.

وذكر الدكتور محمد جاهين أستاذ الاقتصاد في جامعة الأزهر أنه يمكن لكل دولة إسلامية إقامة مؤسسة للزكاة مركزية مقرها العاصمة، ويكون لها فروع في مختلف التقسيمات الإدارية تمهيداً لإنشاء مؤسسة مركزية على مستوى العالم الإسلامي.

ويشير الدكتور جاهين، في مشروع أعده حول التنظيم الإداري للزكاة، إلى أن تظل المصالح والهيئات المسؤولة عن الضرائب في وضعها التنظيمي الحالي تابعة لوزارة المالية، كما هي الحال في مصر مع إنشاء هيئة للتنسيق بين مؤسسة الزكاة المقترحة ووزارة المالية لتنسيق وضبط عملية فرض الضرائب كعملية متكاملة مع الزكاة على أن تضم مؤسسة الزكاة الفقهاء وخبراء المالية العامة.

السماح للمسلمين برفع الأذان في مساجد أوسلو

سُمح للمسلمين برفع الأذان من مآذن المساجد الثمانية عشرة المنتشرة في العاصمة النرويجية أوسلو بعد أن وافقت بلدية العاصمة على ذلك.

وأوضحت النشرة الإلكترونية لصحيفة «افتنبوستن» النرويجية التي أوردت النبأ أن المسؤولة عن التنمية المدنية والرفاه الاجتماعي في أوسلو «غريتي هورنتفيت» اعتبرت أن الدعوة إلى الصلاة لاتتعارض مع قوانين المدينة المتعلقة بمنع الضجيج، والتي لا تخضع لها الكنيسة اللوثرية الحكومية.

وأضاف: أن الدعوة إلى الصلاة لا تندرج ضمن قوانين البلدية المتعلقة بمنع الضجيج بقدر ما هي تابعة لمبدأ حرية ممارسة الشعائر الدينية المنصوص عليها في الدستور.

وأوضحت النشرة أن القرار النهائي بالسماح للمؤذنين بالدعوة إلى الصلاة يعود إلى مجالس الأحياء بالعاصمة.

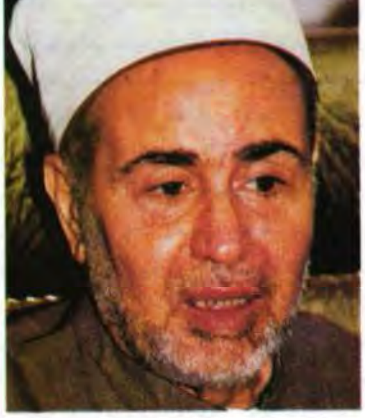
يذكر أن أصوات المؤذنين سمعت للمرة الأولى في أوسلو التي يبلغ عدد سكانها نحو ٥٠٠ ألف نسمة منهم نحو ٣٦ ألف مسلم في عيد الفطر الماضي.

الأزهر يشجع الحوار بين الأديان لإعمار الكون

أكد الدكتور محمد سيد طنطاوي شيخ الأزهر أن الحوار بين أتباع الديانات السماوية المختلفة، يجب أن يوجه لمناقشة القضايا العالمية لإرساء القيم الإنسانية الفاضلة في المجتمع الدولي. وأوضح الدكتور طنطاوي أن الأزهر يشجع الحوار بين الأديان لإعمار الكون واستخدام التكنولوجيا في ترقية الشعوب، وأن تكنولوجيا التدمير والتخريب لا تقرها جميع الأديان.

وقال الدكتور طنطاوي: إن علاقة الإسلام بالأديان الأخرى علاقة اعتراف بجميع الأديان السماوية، حيث اعترف الإسلام بجميع الأنبياء والرسل عليهم السلام، إذ نادى الجميع بوحدانية الله تعالى ونبذ الخلافات وإرساء القيم الفاضلة التي تمنع العدوان، وذلك من أجل تطهير المناخ العقدي كله من موجات الإلحاد والوثنية.

وأوضح شيخ الأزهر أن الإسلام أرسى قاعدة الحقوق الإنسانية في المجتمع البشري منذ ١٤٠٠ عام، وصان حق العقيدة وحرية وممارسة الشعائر الدينية، حيث «لا إكراه في الدين»، لأن الإكراه لا يأتي بمؤمنين وإنما يأتي بمنافقين، وأن الإسلام استهدف تحرير الإنسان ورفع شأنه ووفر أسباب العزة والكرامة، فالرسالة الإسلامية تنحصر في تحقيق الرحمة العامة الشاملة للبشر جميعاً على اختلاف أجناسهم وألوانهم وعلى امتداد أزمانهم واختلاف أمكنتهم، ولا يكون ذلك إلا بتحقيق العدل والمساواة والكرامة والحرية للناس في ظل الشعور بالأخوة الإنسانية.



الرواية الكاملة لانسحاب المجاهدين من غروزني



ذكرت مصادر شيشانية القصة الكاملة لعملية انسحاب المجاهدين من غروزني التي تمت في بداية شهر فبراير ٢٠٠٠م، مشيرة إلى أن عملية الانسحاب تمت على مرحلتين متتاليتين. وقالت هذه المصادر: إنه في الليلة الأولى للانسحاب كان على المجاهدين أن يجتازوا جسر لغّمته القوات الروسية فوق ضفة أحد الأنهار، وتطل على هذا الجسر «تبة» ترابط عليها مجموعة من القوات الروسية، وقد اتفق القادة قبل المسير على أن يتقدموا في حقول الألغام ويشقوا الطريق أمام المجاهدين، فأصيب القائد «شامل باسييف» في قدمه، وقتل القائد «عمر» الذي أصيب بلغم وهو يحاول نقل أحد الجرحى، ثم تقدم بعض المجاهدين وشقوا الطريق بالفعل بعد أن تفجرت بهم الألغام، فمنهم من بترت قدمه، ومنهم من قتل. وبعد أن فتح الطريق وطُهِّر من الألغام بأجساد الأبطال عبر المجاهدون الجسر حتى وصلوا إلى قرية «يرملوك» وفي الليلة التالية تحركت الجموع الباقية من المجاهدين في منطقة المصانع في العاصمة، وسارت في الطريق نفسه الذي سارت عليه المجموعة الأولى، وقد لغّمت القوات الروسية الجسر مرة أخرى وحشدت قواتاً إضافية فوق «التبة» المطلة على الجسر، فلما اقتربت المجموعة الثانية إلى الجسر وجدوا أنه قد ملئ بالألغام فتقدم القائد «خنكرباش» لفتح الطريق، إلا أنه أصيب بلغم فقتل، ثم تقدم القائد «أبو ذر» فأكمل فتح الطريق. وقد استمر باسييف في قيادته للمجاهدين وهو محمول وجرحه يثغب دماً وقد جرح ٧٠ مجاهداً، وقتل ٦٠.

الماسونية تطل بخجل من وراء الكواليس في تركيا

ظلت الماسونية لغزاً غامضاً غلبت سريتها على ما عرف وكتب عنها، باعتبار أن السرية هي أهم مبادئ هذه الجمعية العالمية ذات الفروع المتشعبة. ويبدو أن كثرة ما قيل عنها وعن علاقاتها باليهود والصهيونية العالمية وتأثيرها على مجريات السياسة والاقتصاد في العالم، أزعج بعض جماعاتها في تركيا حيث الكثير من الكتب التي تتهمها بالفساد، فيما تدَّعي أنها جمعية خيرية تهدف إلى أغراض إنسانية سامية ونبيلة. وفي محاولة لتأكيد صفتها الخيرية، خرجت الجمعية في تركيا إلى النور. وعقد كبيرها «الأستاذ ساهر طلعت أكيف» مؤتمراً صحافياً ومعرضاً فنياً عن الجمعية في مقرها في أنقرة، وهو المعرض الثالث بعد اثنين أقيما في اسطنبول وأزمير العام الماضي، بهدف درء الاتهامات والشبهات عن جمعيته وجماعته. بدأ المعرض بعرض فيلم وثائقي عن كبار الماسونيين الأتراك ودورهم التاريخي في نهايات الدولة العثمانية ودعمهم لجمعية الاتحاد والترقي. وأكد أكيف أن جميته ساهمت إلى حد كبير في قيام الجمهورية التركية الحديثة وإسقاط الخلافة. واعترف بأن أتاتورك كان محاطاً بشلة من الماسونيين، أقصاهم في بداية الثلاثينيات عندما تأثر بالسياسات الديكتاتورية التي كانت تحكم أوروبا آنذاك. ورأى أكيف أن الفاشيين في ألمانيا وأعوانهم في تركيا، أثَّروا على أتاتورك لإغلاق محافل الماسونية في بلاده العام ١٩٣٥م، ورفض أكيف اعتبار ذلك حملة ضد الماسونية واسماها فترة استراحة، مذكّراً بعودة الجمعية بشكل فاعل بعد الحرب العالمية الثانية في مطلع الخمسينيات. ولكن «الأستاذ» لم يُشبع فضول الصحافيين المتعطشين لمعرفة أسرار الجمعية، وقال: «لاتسألوني عن فلان هل هو ماسوني أم لا، فنحن لا نكشف عن هوية جماعاتنا، ولكن من يريد أن يكشف عن نفسه فهو حر»، وأضاف أن الماسونية ليست جمعية سرية وإنما مغلقة على نفسها ولديها طقوسها ورموزها الخاصة، واعترف بتأثير الجمعية على السياسات والاقتصادات في بعض بلدان العالم، ولكنه نفى أن تكون تركيا إحدى هذه الدول. وعلق على وزير الدفاع شاكماك أوغلو منع عناصر جيشه من الانتساب إلى الجمعية وقال: إن ذلك يخالف حقوق الإنسان الأوروبي التي تضمن حرية الفكر والتعبير للفرد. ووعد بإقامة الكثير من الندوات للتعريف بالجمعية وإصدار بعض الكتب عنها «لتصحيح صورتها في أذهان المواطنين»، فيما يستمر المعرض لصور الماسونيين الأتراك القدامى ورموز الجمعية وبعض طقوسها والكتابات عنها. وكشف المعرض عن أسماء الماسونيين في الفترات القديمة وحتى أواخر الخمسينيات، فيما امتنع أكيف عن تسمية الذين انتسبوا إلى الجمعية بعد ذلك.



إعداد : تمام أحمد

باب جديد يحتوي على مواقع مختارة على شبكة الإنترنت تهم القارئ العربي والمسلم. نقدمها لقرائنا الأعزاء آملين منهم التواصل معنا ورصد المواقع الجيدة التي تخدم هذا الباب وإرسال عناوينها إلينا حتى نخدم من خلالها ديننا وأمتنا وقضايانا العربية والإسلامية والله من وراء القصد.



- **المعاجم العربية : htt://lexicons.sakhr.com**
- **معجم المصطلحات الأدبية : http://literary.sakhr.com**
- **موقع سيبويه : http://cibawih.cjb.net**
- **أسوار الأدب العربي : htt://members.xoom.com/Aswaar**
- **وحي القلم : http://tmt.arank.com**
- **العالم العربي : http://www.arabworld.com**
- **التحويلات بين التاريخين الهجري والميلادي**
  htt://www.assirat.org\hcal
- **الجامعة العربية المفتوحة**
  http://www.aqfund.org/eaou.html



بعد انتظار طويل لمثل هذه الجامعة في الوطن العربي، فها هي الآن في خطواتها الأولى. الجامعة العربية المفتوحة هي فرصة العمر لمن يريد الحصول على درجة جامعية والدراسة في منزله. تبدأ الدراسة في سبتمبر ٢٠٠٠م في اختصاصات عدة. زيارة هذا الموقع مهمة لمن يريد معرفة شروط الانتساب والتسجيل.

• كمبيوتر «أي.بي.إم» يعالج مليون مليار عملية في الثانية

أعلنت شركة «أي بي.إم» أن كومبيوتر «بلوجين» (الجينة الزرقاء) الذي تطوره، سيستخدم لتعديل صناعة البروتينات البشرية والمساعدة على تفهم أفضل لعدد من الأمراض بهدف التوصل إلى علاجات مناسبة لها. وسيكون الكومبيوتر أقوى ألف مرة من الكومبيوتر العملاق «ديب بلو» الذي هزم بطل العالم في الشطرنج غاري كاسباروف العام ١٩٩٧م، وأقوى مليوني مرة من الكومبيوترات التي تستخدم في المكاتب، وسيكون «بلوجين» قادراً على معالجة مليون مليار من العمليات في الثانية الواحدة خلال خمسة أعوام.

وقال بول هورن أحد مسؤولي الأبحاث في الشركة: إذا تمكن هذا الكومبيوتر من اختراق أسرار تكوين البروتينات، فسيشكل ذلك خطوة مهمة في مستقبل الطب والصحة، وتبلغ سرعة أهم كومبيوترين في العالم حالياً ٢٠٠٠ مليار من العلميات في الثانية، وتستخدمها وزارة البيئة الأميركية في برنامج للأبحاث.

• ٦٠٠٠ موقع تقدم الأخبار على الإنترنت

يصل عدد المواقع التي تقدم الأخبار على الإنترنت إلى أكثر من ستة آلاف موقع تضخ عشرات الأخبار الطازجة منها باستمرار ومن بين ٧٤ مليون شخص من مستخدمي الإنترنت النشطين «أي الذين يزورون شتى المواقع يومياً»، زار في شهر ديسمبر الماضي ٦,٩ مليون شخص موقع **cnet.tom**، و٩,٤ مليون شخص **zdnet.com**، و٤,٥ مليون شخص **Pathfinpev.com**، أما موقع **msnbc.com** فقد زاره ٦,٧ مليون شخص، وزار موقع **cnn.com** ٤,٥ مليون شخص، وموقع **ABC.com** ٣,٢ مليون شخص، ووردت هذه الإحصاءات في تقديرات «نيلسن نت ريتنج» حسبما أوردتها مجلة «بي.سي وولد» الإلكترونية على الإنترنت.

من هدي كتاب الله

﴿ واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيماً تذروه الرياح وكان الله على كل شيء مقتدراً. المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً وخير أملاً ﴾

الكهف: ٤٥: ٤٦

من هدي رسول الله ﷺ

عن أيوب عن أبي قلابة عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار».**

فداك أبي وأمي

روى بهاء الدين الابشيهي في كتابه «المستطرف في كل فن مستظرف» أن رجلاً نظراً إلى امرأته وهي صاعدة في السلم فقال لها: أنت طالق إن صعدت، وطالق إن نزلت، وطالق إن وقفت، فرمت نفسها إلى الأرض، فقال لها: فداك أبي وأمي إن مات الإمام مالك احتاج إليك أهل المدينة في أحكامهم!

ذاك مثل هذا

قال رجل لإياس بن معاية: لو أكلت التمر تضربني. قال: لا. قال: شراب التمر «النبيذ» أخلاط منها فكيف يكون حراماً؟ قال إياس: لو رميتك بالتراب أيوجعك؟ قال: لا. قال: لو صببت عليك قدراً من الماء أينكسر عضو منك؟ قال: لا. قال: لو صنعت من الماء والتراب طوباً فجف في الشمس فضربت به رأسك، كيف يكون؟ قال: ينكسر الرأس، قال إياس: ذاك مثل هذا

من وعظ العلماء للأمراء

دخل الإمام الأوزاعي على الخليفة المنصور، وكان شديد الهيبة فقال له: عِظني، فقال: إعلم يا أمير المؤمنين أن الله هو الحق المبين، ومن كره الحق فقد كرهه الله. إن المُلك لا يدوم لمخلوق وإنما المُلك لله وحده، ولو كان يدوم لأحد لما وصل إليك... يا أمير المؤمنين: إن رسول الله - ﷺ - دعا للقصاص من نفسه في خدش خدشه أعرابياً وهو غير متعمد، فقال الأعرابي: بأبي وأمي قد أحللتك، وما كنت لأفعل ذلك أبداً... يا أمير المؤمنين: إن خير الكلام عند الله التقوى، ومن طلب العزة بطاعة الله رفعه الله وأعزّه، ومن طلبها بمعصية الله وضعه الله وأذله.

أسماء ومعان

بادية: البادية خلاف الحضر، بدا: ظهر فهو باد وهي بادية.

بارعة: برع يبرع فهو بارع: تم في كل فضل وجمال وفاق أصحابه في العلم، وغيره وتوصف به المرأة فيقال: بارعة. والبارع: الذي فاق أصحابه في السؤدد.

باسل: بسل الرجل فهو باسل: أي عبس من الغضب أو الشجاعة. الباسل: الأسد والباسل الشديد والشجاع.

باسم: بسم يبسم: أي ضحك قليلاً فهو باسم وهي باسمة.

الحيرة الخرساء

لاتعجبن إذا تباين موقفي
وتناقضت في ساعة آرائي
الحيرة الخرساء تنهش أضلعي
ما حيلتي بالحيرة الخرساء
دجت الطريق ولا دليل فكيف لا
يكبو بهاوية القنوط رجائي
من كان في وضح الظهيرة تائهاً
هل يهتدي في الليلة الليلاء
يا صاحبي هيهات تبصر مقلة
تمشي وراء بصيرة عمياء
هوّن عليك فلست موضع حملتي
أنا ناقد الأعمال لا الأسماء

هذه هي المروءة

قال النبي صلى الله عليه وسلم: لا دين إلا بمروءة، وقال أيضاً: تجاوزوا لذوي المروءات عن عثراتهم فوالذي نفسي بيده إن أحدهم ليعثر وإن يده لبيد الله... وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: المروءة مروءتان مروءة ظاهرة، ومروءة باطنة، فالمروءة الظاهرة الرياش والمروءة الباطنة العفاف، وقيل لأبي هريرة ما المروءة؟ قال: تقوى الله وتفقد الضيعة، وقال ربيعة الرأي: المروءة ست خصال: ثلاث في الحضر وثلاث في السفر، فأما التي في السفر: فبذل الزاد وحسن الخلق ومداعبة الرفيق وأما التي في الحضر فتلاوة القرآن ولزوم المساجد وعفاف الفرج.

قالت العرب في الكبير من الأشياء

اليض: الشيخ الكبير، القلعم: العجوز الكبيرة، القمر: البعير الكبير، الطبع: النهر الكبير وهو في شعر لبيد الرس: البئر الكبيرة، القلة: الجرّة الكبيرة، الفرعة: القملة الكبيرة، التبن: القدح الكبير، الشاهين: الميزان الكبير، الخنجر: السكين الكبيرة.

من أقوال العرب

- قالت العرب: صوم تسلم به خير من كلام تندم عليه.
- وقالت: أكثر الناس كذباً أكثرهم حديثاً عن نفسه.
- وقالت: الدنيا كالماء المالح كلما ازددت منه شرباً ازددت منه عطشاً.
- وقال الأحنف بن قيس: الكذوب لا حيلة له والحسود لا راحة له والبخيل لا مروءة له، والملول لا وفاء له، ولا يسود سيئ الأخلاق، ومن المروءة إذا كان الرجل بخيلاً أن يكتم ذلك ويتجمل.

هكذا فاصنعوا لهن

دخلت امرأة على عمر بن الخطاب ومعها زوجها أشعث أغبر قبيح المنظر، فقالت: يا أمير المؤمنين. لا أنا ولا هذا. خلِّصني منه، فنظر عمر إلى الرجل فرآه رث الثياب غير محسَّن ولا مزيَّن، فعرف ما كرهت منه، فأشار إلى رجل، فقال له: اذهب به فحسّنه، وقلِّم أظفاره، وخذ من شعره، وأتني به فذهب ففعل ذلك ثم أتاه به، فتبدَّل الزوج خَلْقاً آخر، وأصبح وضيئاً وسيماً حسن المظهر تفوح منه رائحة الطيب فأومأ إليه عمر أن خذ بيد زوجك - فلما مدَّ إليها يده أنكرته، وظنت أنه رجل أجنبي، فقالت له يا عبدالله... سبحان الله! أبين يدي أمير المؤمنين تفعل هذا؟ فلما عرفته ذهبت معه، فقال عمر: هكذا فاصنعوا لهن. فوالله إنهن ليحببن أن تتزينوا لهن، كما تحبون أن يتزين لكم.

زينة الحكماء

نصح حكيم ابنه فقال: أينما ذهبت تحلَّ بالأدب، وإذا دعيت إلى طعام لا تكن شرهاً، وإذا جلست مع شرمٍ لا تقلده، وعليك بالتواضع فإنه زينة الحكماء.

النائم قد يستيقظ

يقول «أرنولد توينبي» في كتابه «الإسلام والغرب والمستقبل»:

إن الوحدة الإسلامية نائمة ولكن يجب أن نضع في حسابنا أن النائم قد يستيقظ!.

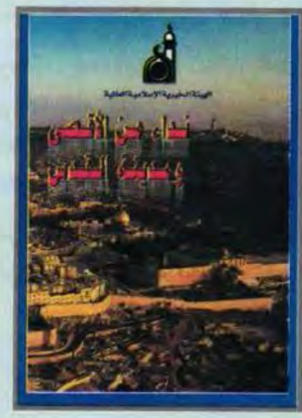
حج قبل حفر زمزم

شهد رجل عند بعض القضاة على رجل، فقال المشهود عليه: أيها القاضي أتقبل شهادته، ومعه عشرون ألف دينار، ولم يحج إلى بيت الله الحرام؟ فقال: بلى حججت، قال: فاسأله عن زمزم فقال: حججت قبل أن تُحفر زمزم فلم أرها!!

أقوال العرب في المال

إذا كان المال موروثاً فهو: تلاد، وإذا كان مكتسباً فهو طارق، وإذا كان مدفوناً فهو ركاز، وإذا كان من ذهب أو فضة فهو صامت، وإذا كان إبلاً أو غنماً فهو ناطق وإذا كان ضيعة فهو عقار.

نداء من الأقصى ومدينة القدس



مدينة القدس والمسجد الأقصى رمزان إسلاميان لبقاع طاهرة تهوى إليها قلوب المسلمين وقد ورد اسمهما في مواطن عدة من كتاب الله «القرآن الكريم» والأحاديث الشريفة.

الحكم الإسلامي في القدس زهرة المدائن» شكل أكثر فتراتها التاريخية استقراراً وعدالة وهذه شهادة التاريخ قاطبة، ويؤكد ذلك أن كنائس أهل الكتاب ومعابدهم وحرياتهم الدينية كانت مصونة في ظل الحكم الإسلامي ولا تزال شاهدة حتى يومنا هذا. وقد صدر أخيراً للهيئة الخيرية الإسلامية العالمية كتاب خاص عن المسجد الأقصى والقدس الشريف صرح بهذا يوسف جاسم الحجي رئيس الهيئة الذي قال: نحمد الله إننا في الهيئة أنجزنا كتاباً عن الأقصى المبارك ومدينة القدس بعنوان «نداء من الأقصى ومدينة القدس» ويضم الكتاب صوراً تاريخية قيّمة وهو من القطع المتوسط ويزيد على مئة وأربعين صفحة. والكتاب يعتبر مرجعاً للباحثين والطلبة والمهتمين يحمل معلومات مهمة عن القدس وفلسطين منذ العصور القديمة مروراً برحلة الإسراء والمعراج وفتح بيت المقدس على يد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ، ثم تعرض الكتاب لبركة وقدسية بيت المقدس وللأحكام الخاصة بالمسجد الأقصى المبارك مع شرح تفصيلي للمعالم والآثار الإسلامية، ثم عرج الكتاب على الاعتداءات الآثمة على القدس والمسجد الأقصى والحفريات ومحاولات التفجير والحرق، وأخيراً تحدث عن دور الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية ممثلة في «لجنتها لجنة فلسطين الخيرية» ونشاطها الخيري والإنساني في أرض الإسراء فلسطين. وأكد الحجي أن الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية تولي اهتماماً بالغاً بأرض الإسراء والمسجد الأقصى أولى القبلتين وثالث الحرمين التي تشد إليه الرحال، مسرى رسولنا الكريم محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وبخاصة أن هذه الرقعة المباركة تتعرض لاعتداءات متكررة للنيل من قدسيتها وكرامتها، ويعتبر هذا الكتاب مرجعاً للباحثين والطلبة والمهتمين ودليلاً قوياً على الاهتمام بأرض المقدسات. وشكر الحجي مبرة الشيخ عبدالله المبارك الصباح ـ رحمه الله ـ على قيامها برعاية وتمويل طباعة هذا الكتاب.

التدخين داؤه ودواؤه



صدر كتاب في ٢٤٨ صفحة من القطع المتوسط «التدخين داؤه ودواؤه» لمحمد ياسر القضماني، حاول الكاتب أن يجمع فيه ما تناثر هنا وهناك عن الدخان وركز خصوصاً على أراء الأطباء وعلى فتاوى العلماء ليصل إلى الحكم الشرعي السديد بتحريم الدخان بشكل قاطع بناء على النصوص الدينية والحُكْمُ الشرعية والأدلة المتعددة واستعان بالنتائج العلمية العالمية عن أضرار الدخان والإحصاءات الدقيقة في آثاره والأقوال المأثورة عن النادمين الذين تركوه وبالاعترافات المذهلة من المدخنين عن مفاسده وكشف اللثام عن مكر الأشرار وحقد الأعداء في الترويج للدخان في البلدان النامية لامتصاص الدماء والأموال وإشغال الشباب والشعوب عن الوقائع المهمة والواقع المرّ ما جعل الكتاب سفراً جامعاً وجهداً مباركاً ودراسة مستفيضة وحجة بما ورد فيه من الوثائق والبيانات حتى جاء في ثلاثين فصلاً بالإضافة إلى فصل خاص عن القات.

عِبَر وعبرات



ديوان شعري صدر حديثاً للدكتور عدنان علي رضا النحوي تحت عنوان «عبر وعبرات» ويضم الديوان بين دفتيه مجموعة من القصائد أطلقها القلب ونثرتها الأضلاع وسارت بها الهموم والآمال والأحزان والأمنيات والخشية والرجاء وهذا الديوان الذي جاء في نحو ١٩٠ صفحة من القطع المتوسط يعد امتداداً للدواوين الأربعة السابقة والملاحم الثماني التي أصدرها الشاعر في وقت سابق والتي تعتبر امتداد هموم وآمال وعزيمة إصرار ومضي على درب حق بينه الله لعباده المؤمنين فقال سبحانه وتعالى: (وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون) الأنعام:١٥٣ ـ ويؤكد الشاعر هذه المعاني فيقول: إنَّ المضي على الصراط المستقيم مضي في كل نشاط المسلم، فالكلمة والأدب والشعر يجب أن يمضي على صراط مستقيم. وبهذا يعيش الشاعر مع أمته أفراحها وأحزانها، فيكون الشعر الصادق نابعاً من الإيمان والتوحيد، نابعاً من القلب هذا الشعر عندئذ يكون شعلة تضيء الدرب كلما أدلهم ليل وتدافعت أمواج. ويظل منهاج الله قرآناً وسنة ولغة عربية ـ هو النور الساطع الذي تأخذ كل شعلة نورها منه.

معجم ما أُلّف عن رسول الله ﷺ

للدكتور صلاح الدين المنجد

بقلم: يحيى بشير حاج يحيى

لا ريب أن ما كُتب عن النبي - ﷺ - لم يُكتب في غيره، وأن ما ورد في هذه السير قد شمل كل صغيرة وكبيرة في حياته، وأن التاريخ لم يعرف رجلاً أحاط به أصحابه يحفظون كل شأن من شؤونه كما فعل أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام، وقد جاء كتاب الدكتور صلاح الدين المنجد بصفحاته التي تجاوزت الأربعمئة مؤكداً هذه الحقيقة بالأسماء والتواريخ، فكان معجمه - بحق - أول كتاب يؤلف في هذا الباب، وقد جمع بين دفتيه ما يقارب الألفين وثلاثمئة وأربعة عشر كتاباً.

فهو لم يقتصر على ما كان خاصاً بالنبي الكريم من نسب وعشيرة ورضاعة ومبعث، وأخلاق وأفعال، وخطب وتفسير... بل ذكر أيضاً ما يتصل به كالعصر الذي نشأ فيه، ومكان مولده ومهجره، والدولة التي شاد أركانها، والكتاب الذي أنزل عليه، وسيرة بعض أصحابه - رضوان الله عليهم - فضمَّ جُلَّ المصادر والتآليف التي عنيت بهذا الأمر قديمها وحديثها. وعن المنهج الذي اتبعه في هذا المعجم يقول المؤلف: «لقد رتبته حسب الموضوعات، ليجد الباحث فيه بغيته بسرعة، وقسّمته اثني عشر قسماً، كل قسم يتفرع منه فروع، فذكرت أسماء المؤلفات في كل فرع، مرتبة على الحروف الأبجدية، مع أسماء مؤلفيها وتواريخ وفياتهم. فإن كان الكتاب لم يطبع، ولم يصل إلينا - حسب علمي - ذكرت المصدر الذي نقلت عنه، فإذا كان مخطوطاً وعرفت مكانه ذكرت أين توجد نسخة منه، ولم أستقص أمر المخطوطات، لأن تتبعها يحتاج إلى سنين. وإن كان مطبوعاً ذكرت مكان طبعه، وإحدى طبعاته». ثم إن المؤلف لم يقصر معجمه على ما ألَّفه القدامى، ولكن ذكر فيه ما عرفه من المؤلفين المحدثين والمعاصرين، حتى سنة تأليف الكتاب كانت نحو العام ١٩٨٢م، باستقصاء عجيب، قضى فيه ثلاث سنين. وأتبع أقسام الكتاب فهارس للمؤلفين، ولموضوعات أبواب المعجم، وللمصادر التي أخذ عنها، وإذا كانت بعض الموضوعات قد باتت معروفة لكثرة ما أُلف فيها كالمغازي والمولد والشمائل والحديث، وقد بلغ ما ذكره المؤلف عن موضوع المولد مئة وستين كتاباً، وثلاث مئة وخمسة كتب عن السيرة، ومئتين وثمانية وأربعين كتاباً عن الحديث الشريف وما يتعلق به. ومئتين وتسعين كتاباً في مديح الرسول الأعظم، وأربعة وسبعين مؤلفاً في الصلاة على النبي - ﷺ - فإن بعض الموضوعات لم يتجاوز التأليف فيها أصابع اليدين، وهي من الطرافة في الموضوع، والندرة في التداول، والبحث في الجزئيات الصغيرة من حياة المصطفى ﷺ، ما يجعل القارئ يعجب للشمولية التي حظيت بها السيرة، والاستيعاب الذي ألمَّ بأخص خصائص حياته ﷺ، كما في كتاب «ختان النبي ﷺ»، للكمال مجد بن طلحة (٦٥٢هـ)، وكتاب «العقد التام فيمن زوَّجهُ النبي عليه الصلاة والسلام» ليوسف بن حسن بن عبدالهادي الدمشقي (٩٠٩هـ)، وكتاب «أعلام النبي» لداود بن علي الأصفهاني (٢٧٠هـ)، وكتاب «الأقسام التي أقسم بها النبي ﷺ» للحافظ عبدالغني المقدسي (٦٠٠هـ).

ولكن هل استوعب الكتاب كل ما كُتب عن رسول الله ﷺ؟ أشار المؤلف إلى ذلك في المقدمة، فقال: «اجتهدت أن يتضمن هذا المعجم جُلَّ المصادر والتآليف، قديمها وحديثها»، وأشار كذلك في خاتمة الكتاب إلى أنه قد تجمع لديه أسماء مؤلفات أخرى، قديمة وحديثة في أثناء صف المعجم، واعداً بأن يستدركها فيما بعد بتذييل يخرجه بعد ذلك، ولعل المؤلف قد فعل ذلك، ولكننا لم نطلع فيما وصل إلينا على شيء من ذلك، ونحسب أن التذييل الذي أشار إليه سيحتاج إلى تذييل آخر وآخر! فشمس النبوة الساطعة لا تزال تنير الدروب للسالكين، وتضيء في كل زمان ومكان جوانب من الحياة والسيرة المحمدية العطرة لا تزال يفوح شذاها وتجود القرائح بها، وتدور المطابع بفضلها، وفي كل يوم شيء جديد.

أخبار ثقافية

- أصدرت مكتبة ابن سينا في القاهرة سلسلة من أربعة كتب عن أربعة من أشهر الخطاطين العرب وهم: محمد إبراهيم محمود، محمد علي المكاي، محمد حسني، مسعد خضير، ويؤكد الخطاط المعروف أحمد صبري زايد، الذي قام بإصدار السلسلة أن الهدف من وراء ذلك هو التطوير الكبير في صناعة الكمبيوتر الذي حمل الشركات العاملة في هذا المجال على تطويع الحرف العربي لمتطلبات الآلة حتى لو اقتضى الأمر أن يبتعد الحرف العربي عن النسب الجمالية التي اجتهد الأجداد في ترسيخها.
- في إطار الفعاليات الثقافية الخاصة باحتفالات الرياض «عاصمة ثقافية ٢٠٠٠م»، أصدرت مكتبة الملك عبدالعزيز في الرياض «بيبلويوغرافيا» عنوانها: «الملك عبدالعزيز بيبليوغرافيا اقتنائية» تعتبر الأوسع من نوعها وهي ترجمة صادقة لاهتمام المكتبة بدعم ومساندة الدراسات التي تخدم تاريخ الملك عبدالعزيز وتهدف المكتبة إلى رصد كل ما كتب عن الملك عبدالعزيز في مختلف جوانب حياته.
- أعلن الدكتور محمود حمدي زقزوق وزير الأوقاف المصري أنه ستتم طباعة عشرة آلاف نسخة من اسطوانات الليزر لترجمة معاني القرآن الكريم باللغة الروسية وتوزيعها على شعوب الدول الناطقة بالروسية.

الفتاوى الشرعية

هذه الفتاوى منتقاة مما تصدره إدارة الافتاء والبحوث الشرعية في وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية في دولة الكويت. والمجلة على استعداد لتلقي الاسئلة مباشرة وتحويلها الى اهل الاختصاص للاجابة عليها. ويسر خدمة الفتوى بالهاتف تلقي الاسئلة الفقهية مباشرة من الساعة ٨ صباحا الى الساعة ١٢ ظهرا ومن الساعة ٤ عصرا الى الساعة ٨ مساء على الهواتف التالية :

هاتف مباشر خدمة الفتوى

149

الكذب على وزارة التجارة

حضر إلى اللجنة شخص ما وأفاد ما يلي:

إن موضوع الاستفتاء يتصل بالإجراءات المطلوبة من وزارة التجارة في حال الإعلان عن تنزيلات حيث يتم التحايل بطرق عدة.

أولاً: قد نقترح على الشركة المصدرة إرسال فواتير بأسعار مرغوبة لنا، وليست هي الأسعار الفعلية.

ثانياً: عند كتابة أسعار البضائع للتنزيلات تذكر أرقام مرتفعة أكثر من سعر البيع الفعلي قبل التنزيل يُشار عليها بإشارة ضرب ويكتب عليها أسعار مخفضة.

ثالثاً: تحسب الكلفة ويُضاف إليها ١٠٪ أو اعتماد أسعار البيع الفعلي قبل التنزيلات وخصم ٢٠٪ ويؤخذ أقل هاتين الطريقتين، وللحصول على ربح زائد قد يحصل من الشركة المصدرة إرسال فواتير مختلفة عن السعر المتفق عليه تتضمن تسوية حسابات دائنة أو مدينة لا علاقة لها بالسلعة المستوردة، وهذا لمصلحة المصدِّر لتفادي الضرائب وهذا يتيح فرصة لنا لاعتماد السعر الأعلى بمناسبة التنزيلات.

ـ أجابت اللجنة:

إن الصورة الأولى التي يتم فيها الاعتماد على فواتير مقترحة لغير الواقع بالنسبة لأسعار التكلفة الفعلية هي صورة ممنوعة شرعاً لما فيها من الإخبار الكاذب المؤدي إلى التغرير بالمستهلك ومخالفة السلطة المشرفة على مراقبة التنزيلات، وكذلك حكم الصورة الثانية التي تكتب فيها على السلع أرقام سعر البيع قبل التنزيلات بأعلى من الواقع.

أما الصورة الثالثة وهي إدخال تسوية الديون ضمن فواتير التكلفة لمصلحة المصدر، وأحياناً لمصلحة المعلن عن التنزيلات، حيث تختار الفواتير الأعلى سعراً مع أنها خلال السعر الأصلي المتفق عليه فإنه يجب الطلب إلى المصدر بأن يرسل فواتير تعبِّر عن السعر الحقيقي المتفق عليه وأن يتم التسوية للديون بمعزل عن تلك الفواتير، فإذا لم يمكن الحصول على فواتير تعبّر عن السعر الحقيقي فالواجب عدم إدخال تلك السالع في التنزيلات، أو إدخالها في التنزيلات طبقاً للفاتورة الأعلى سعراً وإجراء التخفيض بالنسبة للتي تعرض للبيع كما لو جرى على أساس السعر الحقيقي حيث إن إمكانية التخفيض عن سعر الفواتير لا قيود عليها. والله أعلم.

زكاة عروض التجارة

عُرض على اللجنة السؤال التالي:

امرأة تملك تسعة آلاف دينار قبل تسع سنوات، وقد وكّلت أحد الأشخاص ليقوم باستثمار هذا المبلغ، فاشترى الوكيل أرضاً بهذا المبلغ، وجمّد هذه الأرض إلى أن باعها هذه الأيام بخمسين ألف دينار، مع العلم أن المرأة كانت تأخذ من ابنتها مبلغاً وقدره ١٥٠ ديناراً كل شهر لمدة تسع سنوات، وتسأل المرأة عن كيفية إخراج الزكاة عن السنوات الماضية وعن المبلغ الموجود الآن؟.

ـ أجابت اللجنة بما يلي:

أن على المرأة أولاً خصم الدَّين الذي عليها للناس، ثم بعد ذلك تخرج ٢,٥٪ عن المبلغ المتبقي مرة واحدة فقط، وليس عليها إخراج الزكاة عن السنوات الماضية، حيث إنها زكاة عرض تجاري محتكر فلا تكون فيه إلاَّ زكاة واحدة عند بيعه، أخذاً بمذهب الإمام مالك رضي الله عنه وتيسيراً على الناس. والله أعلم.

سفر المرأة للحج مع ابنها

عُرض على اللجنة السؤال التالي:

أريد إرسال زوجتي مع ابني البالغ من العمر ١٥ سنة كمحرم لها ولابنتي البالغة من العمر عشرين سنة، وهناك من يعترض على ذهابهم للحج، فارجو افتائي بذلك.

ـ إجابت اللجنة:

أن الشباب البالغ من العمر خمس عشرة سنة، إذا سافر مع أمه أو أخته إلى الحج يتحقق به المحرم المطلوب شرعاً لسفر المرأة، وبناء عليه فلا مانع شرعاً من سفرهما معه.

الجماع بعد الوقوف وقبل التحلل

عرض سؤال على لجنة الفتوى يقول فيه صاحبه:

إنه جامع زوجته في حج تطوع بعد أن وقف بعرفة وقبل التحلل من الإحرام، ثم بعد ذلك أكمل بقية الشعائر، ويطلب الحكم في ذلك.

ـ أجابت اللجنة:

بأن حجه وقع صحيحاً وعليه أن يذبح بدنة. والله أعلم.

المحاماة والعمل في مكتب المحامي

عُرض على اللجنة السؤال التالي:

هل يجوز عمل المحامي المعاصر؟ وهل يوجد حالة تجوز والأخرى لا تجوز؟ وهل يجوز أن يعمل عند المحامي في مكتبه مسلم؟

- أجابت اللجنة بما يلي:

يجوز عمل المحاماة، إذا كان لا يعلم أن القضية التي يرافع فيها قضية باطلة، لأن ذلك من باب الوكالة في الخصومة، وهي مشروعة على ما بين الفقهاء في كتاب «الدعوى»، أما إذا علم أن موكله مبطل في دعواه فلا يجوز له، لأنه يعينه على الباطل، وإذا كان يجهل حال موكله فيجوز التوكل عنه بنية معرفة الحقيقة، فإذا ظهر له أنه محق واصل الدعوى وإلا انقطع عنها. ويجوز العمل في مكتب المحاماة بالوظائف المساعدة للمحامي على أن يمتنع من المشاركة في أي عمل تبيّن له أنه إعانة على الإثم والعدوان.

العمل في بيع المحرمات

عُرضت على اللجنة الرسالة التالية:

أنا شاب متزوج وعندي طفلان وعليَّ دين لبعض الأصحاب يبلغ ١٠٠,٠٠٠ ريال، ولقلة الأعمال التي يمكن عن طريقها سداد هذا الدين ذهبت إلى أميركا لعلي أجد العمل الجيد هناك، وقد طرقت أبواباً كثيرة للعمل، ولكنه لم يتيسر لي العمل بسبب عدم معرفتي للغة الإنكليزية، وهي شرط أساسي للعمل هناك، وبعد كل هذه المحاولات اضطررت أن أعمل عند تاجر يملك سوبر ماركت يبيع فيها جميع أنواع المشروبات المحرمة على المسلمين، وفيها أيضاً ملحمة لبيع جميع أنواع اللحوم، ومن ضمن هذه اللحوم لحم الخنزير، فتراني في بعض الأوقات أقطع لحم الخنزير، وأوزنه وأبيعه، وفي بعض الأوقات أفتح كراتين الخمر وأملأ الثلاجة وأبيعه للزبائن، طبعاً هذا حسب أوامر صاحب العمل، والآن أنا مستمر في هذا العمل لكن ضميري يعذبني جداً، حتى إنني لا أستطيع النوم، من ناحية الصلاة فالحمد لله مستمر فيها ولا أقطع فرضاً، ولكن لا أعرف هل صلاتي هذه مقبولة عند الله أم لا؟ وإذا افترضنا أنني تركت هذا العمل، فأنا متأكد كل التأكيد أنني لن أجد عملاً آخر، وذلك بسبب عدم معرفتي للغة، وكذا في بلدي، ولو رجعت إلى بلدي سوف أضطر إلى أن أبيع أرضي لأجل سداد الدين.

وبعد عرض الموضوع على اللجنة أجابت بما يلي:

إن على السائل أن يسعى سعياً حثيثاً للحصول على عمل آخر، ولا يجوز له العمل في هذا المحل إلا في حال الاضطرار الشديد. أما بالنسبة إلى الصلاة فأمرها عند الله تعالى، ونسأله سبحانه وتعالى أن يتقبل منَّا ومنه. والله أعلم.

زكاة أموال الصغار والمجانين

طلب وكيل الوزارة توضيح بعض النقاط بخصوص الحكم الشرعي في مدى التزام إدارة القُصَّر بإخراج الزكاة عن أموال المشمولين برعايتها من القُصَّر والمحجور عليهم.

- أجابت اللجنة بما يلي:

الصغار دون البلوغ الشرعي والمجانين والبُلْه كل هؤلاء قد رأت اللجنة وجوب أداء الأوصياء الزكاة عنهم من أموالهم أخذاً برأي جمهور الفقهاء.

أما القاصرون - في نظر القانون ولكنهم بالغون شرعاً - فلا يتولى الأوصياء أداء الزكاة عنهم إلا بإذن منهم لأنهم مكلفون شرعاً.

وتيسيراً على إدارة شؤون القُصَّر ترى اللجنة أن من بلغ خمس عشرة سنة هلالية لا تؤدي الإدارة عنه زكاة ماله إلاَّ بإذن منه. وأما من كان دون هذه السن فتؤدى عنه جبراً إلاَّ أن يثبت هذا القاصر أنه قد بلغ العلامات الطبيعية قبلها. والله أعلم

الشهادة المغشوشة في الامتحانات

عُرض على اللجنة الاستفتاء التالي:

هل يجوز لي أن أعمل في وظيفة ما أو أكمل دراستي بناء على شهادة حصلت عليها عن طريق الغش في الامتحانات؟

- أجابت اللجنة بما يلي:

الغش حرام لقول النبي ﷺ: «من غشنا فليس منَّا».

وأما العمل في وظيفة بناء على شهادة تم الحصول عليها عن طريق الغش في الاختبارات فلا يجوز، إذا لم يكن مؤهلاً تأهيلاً كافياً لتلك الوظيفة إذ لولا الغش لما نجح ولوليِّ الأمر أن يتخذ من الإجراءات ما يقمع الغش ويُحرم الغاشُّ من الاستفادة من نتائج غشّه، أما إكمال الدراسة في الصورة المشار إليها فهو جائز ما لم يحجب غيره ممن هو أولى منه عن فرص إكمال الدراسة إن كانت الفرصة محدودة أو تتمّ بالتنافس.

والله أعلم

عبدالرحمن قرة حمود

وأدركتهما رحمة الله

الحج ركن من أركان الإسلام فرضه الله سبحانه وتعالى على من استطاع إليه سبيلاً. ومع ذلك فهو لغير المستطيع حلم يسعى ما استطاع لتحقيقه، ذلك لأن الحج المبرور من أفضل الأعمال وليس له جزاء إلا الجنة، كما أن من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه. هذا بالإضافة إلى ما يعتلج في نفس المسلم من رغبة وشوق لزيارة الأراضي المقدسة، موطن رسول الله صلى الله عليه وسلم، التي ولد فيها، وأوحي إليه فيها، وقامت فيها دولة الإسلام.

ولما أكرمني الله بالحج حدث أمامي مشهد لا يُنسى، فبينما كنا نطوف حول الكعبة المشرَّفة رأيت رجلين يطوفان وقد همَّ كل منهما أو أحدهما أن يبطش بالآخر، فهزَّني الموقف، وآلمني المنظر، كيف لا وإخواني في الدين اللذين تركا الأهل والوطن، وأنفقا المال، وتجشما عناء السفر رغبة في رحمة الله ومغفرته سيرتكبان في هذا الموقف العظيم، وهذا المكان المقدس، وهذه الأيام الحرم جريمة نكراء يستبدلان بها عذاب الله برحمته، وغضبه برضوانه؟!

ولكن رحمة الله قريب من المحسنين، فسرعان ما تبدَّل الموقف غير الموقف فأدركتهما رحمة الله فتعانقا بدل أن يتضاربا، وكانت فرحة عظيمة لكل من رآهما، فحمدت الله وتمنيت لو أننا جميعاً في كل أحوالنا نوفَّق لفعل ذلك. إذاً لما اقتتل مسلمان، ولعمَّ في الأمة السلام.

نسأله تعالى أن يجنبنا ما يبطل عملنا أو عمل غيرنا، ويجعلنا ممن إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون، إنه على كل شيء قدير وبالإجابة جدير.



كشاف

مجلة الوعي الإسلامي

لعام

١٤٢٠هـ

١٩٩٩-٢٠٠٠م

إعداد: تمام أحمد

ضوابط النشر
في مجلة الوعي الإسلامي

حرصاً من إدارة المجلة على إشاعة الثقافة الواعية والمعلومة الصحيحة منضبطة بضوابط التوثيق العلمي، فقد رأت المجلة أن تعيد التذكير بضوابط النشر على صفحاتها وفقاً للشروط التالية:

• ما يتعلق بالكاتب:

. أن يكون الكاتب متخصصاً في مجال كتابته أو ذا ثقافة تؤهّله للكتابة.

. أن يرسل صورة شخصية لشخصه الكريم بالإضافة لسيرته الذاتية.

. أن تكون المراسلات باسم رئيس التحرير.

. أن يكون العنوان كاملاً، مع كتابة رقم الهاتف والفاكس واضحين إن وجدا.

• ما يتعلق بالمادة العلمية للمقال:

. أن يعالج الموضوع فكرة متميزة، أو ملمحاً فريداً يخدم المعنى العام للوعي الإسلامي والثقافة النيّرة والعلم الشرعي.

. أن يكون المقال بلغة واضحة سليمة تناسب أكبر شريحة من القراء.

. أن تكون الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة مخرَّجة.

. أن تكون المراجع في هوامش المقال مشاراً إليها بأرقام تشتمل على اسم الكاتب، واسم المؤلف ودار النشر وسنة الطبع.

. ألا يزيد المقال عن ثلاث صفحات فلسكاب.

الوعي الاسلامي

إلى الإخوة

القراء

الكتاب

الباحثين، والمتطلعين إلى ينابيع الفكر والمعرفة.

مع نهاية عام هجري مضى، يسر مجلة الوعي الإسلامي أن تضع بين أيديكم حصادها الفكري من خلال كشّافها العام لسنة ١٤٢٠هـ. ١٩٩٩ . ٢٠٠٠م.

مبوباً حسب الموضوعات تسهيلاً لمتابعاتكم الثقافية لموضوعات المجلة.

وكل عام وأنتم بخير

الوعي الإسلامي

شخصيات وتراجم

بيئة

مناسبات إسلامية

قراءة في كتاب . رسائل جامعية

حديقة الوعي

بريد القراء

قصص

قضايا «اجتماعية - تربوية - اقتصادية»

دراسات قرآنية وفقهية

فقه وتشريع - أحكام - عقيدة - أخلاق - دعوة

قضايا «إسلامية - عالمية»

تاريخ - وحضارة - وفكر - وفن

نافذة على العالم - إعداد التحرير

أدب . شعر . لغة . تراث

طب وعلوم

المرسى

قضايا المرأة - الطفل - الشباب (البيت المسلم)

تابع / قضايا المرأة ـ الطفل ـ الشباب (البيت المسلم)

الفتاوى (إدارة الإفتاء)

ترجمات ـ إعداد عبدالمنعم أحمد

ثمرات الفكر

إعداد محمد هاني

الوعي الإسلامي

تأسست عام ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م

إسلامية ❖ شهرية ❖ جامعة

رئيس التحرير CHIEF EDITOR

جاسم محمد مطر شهاب Jasem M. Shehab

تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية في دولة الكويت في مطلع كل شهر عربي

Islamic Monthly Magazine, Published By The Ministry of Awqaf & Islamic Affairs - Kuwait

المراسلات

المراسلات كافة باسم رئيس التحرير

مجلة الوعي الإسلامي

ص.ب : ٢٣٦٦٧ - الصفاة - 13097 - الكويت

هاتف : ٥٣٤٨٩٧٤ / ٥٣٤٨٩٧٦ / ٥٣٤٨٩٥٦ (+٩٦٥)

فاكس ٥٣٤٨٩٥٤ (+٩٦٥)

al-Waei al-Islami
P.O. BOX 23667 SAFAT
13097 KUWAIT
TEL. 965 5348976 FAX 965 5348954

e.mail: alwaei@awkaf.net
Homepage: www.awkaf.net/alwaei

أخي المواطن . . .

أختي المواطنة . . .

الجمهور الكريم

هل لديك اقتراح أو استفسار أو شكوى عن المساجد أوالحج أو دور القرآن الكريم أو عن أي نشاط لوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

فما عليكم سوى الاتصال على الأرقام التالية :

هاتف : ٢٤٨٧٥٢٤

٢٤٨٧٥٩٢

من ٨ صباحاً

حتى ٢ ظهراً .

فاكس : ٢٤٦١٨٩٢

٢٤٢٧٧٥٤

جهاز تسجيل المكالمات

٢٤ ساعة .

مكتب خدمة المواطن

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية



%2.5
قد لا تؤثر قطعة الخبز الصغيرة
في إشباعك لكنها حتماً ستؤثر في
إشباع الآخرين
% 2.5
زكاة أموالكم
بيت الزكاة
هيئة حكومية مستقلة
دولة الكويت
السالمية - شارع قطر
ص.ب (23865) الصفاة (13099) الكويت
عنوان الصفحات الإعلامية على الإنترنت
http://www.zakathouse.org.kw
عنوان التراسل الإلكتروني العام
zakat@zakathouse.org.kw

أصول

" عائلتك زينة حياتك "

أصول تـُعنى باحتياجات عائلتك

شركة أصول للإجارة والتمويل تقدّم خدماتها المختلفة في مجال التمويل وفق معايير الشريعة الإسلامية بأساليب متجددة بغرض توفير كل ما يحتاجه العملاء بطرق أحدث .. أسرع .. وأكثر فاعلية.



الري ـ الدائري الرابع 822228

الجهراء ـ شارع السوق 77708

أصول
للإجـارة والتمـويل